Асалиат.pdf
Документ Adobe Acrobat
3,63 МБ

Буруджж.pdf
Документ Adobe Acrobat
4,97 МБ

Васаилал мурид.pdf
Документ Adobe Acrobat
3,03 МБ

Джавгьарат.pdf
Документ Adobe Acrobat
1,34 МБ

Дуррату байза.pdf
Документ Adobe Acrobat
1,29 МБ

Кунуз.pdf
Документ Adobe Acrobat
2,52 МБ

Сираджу.pdf
Документ Adobe Acrobat
1,35 МБ

Сифруль асна .pdf
Документ Adobe Acrobat
3,32 МБ

Табакат.pdf
Документ Adobe Acrobat
3,85 МБ

Талхис.pdf
Документ Adobe Acrobat
2,53 МБ

Танбигь.pdf
Документ Adobe Acrobat
8,73 МБ

Фараид.pdf
Документ Adobe Acrobat
9,29 МБ

Халид мактубат.pdf
Документ Adobe Acrobat
2,46 МБ

الأجوبة البهيّة
في إثبات شفاعة خير البريّة

ويليه

الأجوبة العسلية
في ردّ شبه الوهابية

ويليه

الأجوبة الوهبيّة
للمسائل الوهميّة

ترجمة الشيخ محمد العسلي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فهذه نبذة يسيرة عن سيرة رجل من رجال تاريخ طريق التصوّف في ديار داغستان ، أَلَا وهو الشيخ الكامل ، والقطب الحقيقي ، المرشد في الطريقة النقشبندية والشاذلية محمّد ابن العالم نور محمد العسلي قدس سره .

مولده : ولد قدس سره في قرية عَسَبْ من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة أربع وثلاثمائة وألف هـ . ١٣٠٤

نشأته : وكان من صباه محباً للعلم ، رحيماً للصغار ، موقّراً للكبار ، وكان حسن الخلق ، عنده فهم وذكاء ، ذا علم كامل ، كان أناس من قريته متحيِّرين مما يرونه من سلوكه الحسن .

تعلُّمه وتلقِّيه : بدأ بدراسة العلم في صباه عند أبيه ، ثم تابع الدراسة عند العلماء من القرى المجاورة ، وكان متعلِّماً في قرية هُؤُورْ وهُلُوقْ وبَقْلُخْ وغيرها ، وكان يهتمُّ بالعلم كثيراً ، ويحثُّ عليه الناس .

تسليكه الروحي : دخل دِبِيرَصُلْ مُحَمَّدْ أَوَّلاً تحت تربية الشيخ عبد الرحمن العسوي قدس سره في صغر سنّه ، ثم بعد انتقاله إلى رفيع الأعلى سلك على يد الشيخ حسن حلمي القحي قدس سره ، وقبل السفر إلى الحج نذر الحاج عبد الرحمن العسوي كُتبه للشاب الصغير دِبِيرَصُلْ مُحَمَّدْ ؛ لعلمه بأن له شأناً كبيراً في المستقبل . وفي سنة ١٩٠٥م توفِّي مُروِّج الطريقة في الجبال الأوارية الحاج عبد الرحمن العسلي عند رجوعه من الحج ، ودفن في جدة قرب أمِّنا حواء . رزقنا الله من بركاته . آمين . وكان محمد أفندي من أسبق مريدي الشيخ حسن أفندي قدس سره ، ولذا لقّبه قدس سره بِيَعْسُوبِ أهل الإرادة ، بمعنى أنه هو الذي يتعهَّد سائر

مريديه ، بمثابة رئيس النحل لسائر النحل ، وكان عمره عند ما أجيز له أربعون سنة ، وبذلك أصبح من أصغر من أجيز لهم . وقد أمضى عمره في الإرشاد خمسة عشر أو سبعة عشر سنة .

من كراماته : صحب واحد من مريدي الشيخ دِبِيرَصُلْ محمد اسمه عَلِلْ محمد معه ، وعندما كان محمد يمشي خلف أستاذه تفكَّر في أنه ربما يعجبه صحبة من يرتدي الملابس الجميلة ، فأما أنا فملابسي عتيقة ، فاطلع الأستاذ على خاطره وقال في الحال ملتفتاً إليه : يعجبني القبر المعمور من داخله لا من خارجه .

وفاته : توفي رحمه الله سنة واحدة وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦١ هـ .

وقد حبسته الحكومة الْبَلْشِوِكِيَّةُ مع شيخه حسن حلمي قدس سرهما في سنة ١٩٣٧م ؛ وتوفِّي في سنة ١٩٤٢م في سجن مدينة دِرْبِنْتْ مظلوماً ، وبعد سبعة عشر سنة من موته في سنة ١٩٥٩م نقله من دِرْبِنْتْ إلى قرية غزانش الأعلى ، ودفن في مقبرة قريتهم عند قبر قطب الأنام الشيخ سيف الله قدي قدس سره . وقد ترك مصنّفات جميلة ، منها ؛

١ « الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » .

٢ « الأجوبة العسلية في ردِّ شبهات الوهابية » .

٣ « الفرائد الوهبيَّة في ردّ شبهات الوهابية » .

٤ « الأجوبة الوهبية للمسائل الوهميَّة » .

٥ « كنوز الأمان من فتن الزمان » .

٦ « القصيدة في أشراط الساعة » .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنته ، والحمد لله رب العالمين

الأجوبة البهيّة

في

إثبات شفاعة خير البريّة

ألَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد

النقشبندي الشاذلي الداغستاني

المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه التكلان

الحمد لله الذي خصّ أوليائه بالكرامة والاستقامة ، وجعلهم لنبيّه المبعوث بالرحمة والإنابة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها يوم الحسرة والندامة وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الشفيع المشفَّع في عرصات القيامة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بالسلامة .

وبعد : فلقد كتب واحدٌ من الطائفة الوهّابية إلى واحد(٢) من العلماء المحققين الذي دخل في طريق القوم ، وتعلّق بزيل واحد منهم هذه الأيات المذكورة بعدُ اعتراضاً على حاله وذبّاً له ولسائر الإخوان من سنة

---

* وسمعت سيدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : اجتمع أصحاب سيدي الشيخ سالم أبي النجا الفَوي بمدينة فُوة بالبحيرة وهو محتضر ، وكانوا سبعمائة رجل ، فقالوا له : أَوْصنا في هذا الوقت وصية موجزة نحفظها عنك ، فسكت ، ثم قال : اعلموا يا إخوَاننا إنّ كلّ مَا في الوجُود يقابلكم بشاكلة ما برز منكم من الأعمال الظاهرة والباطنة فانظروا كيف تكونون ، قلت : وهذا كلام في غاية النفاسة ، فمن تأمّله لم يضف قط إلى الزمان وأهله شيئاً إلا على وجه الاستناد لأجل إقامة الحدود والتكاليف كما أشار إليه حديث : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه وعالم أو متعلم » . انتهى . « لواقح الأنوار » للإمام الشعراني في ٣٤٩ عبارته .

مهم

واعلم يا أخي أن روح تلاوة القرآن هو الحضور مع الله تعالى فيه ، لكن يحتاج من يشهد هذا المشهد إلى سلوك على يد شيخ صادق حتى يصير لا يتشتت قلبه بتلاوة القصص التي في القرآن عن شهود صاحب الكلام ، فيجمع في شهوده سماع كلام الله القديم في حال كونه حكاية عن كلام الخلق الحادث ، وهو مشهد عزيز لم أر له ذائقا إلى وقتي هذا والله غفور رحيم . « لواقح الأنوار » عبارته ١٠ .

٣ ، ٥ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، وآخر الأربع من الشهر ، لا تسافر في هذه الأيام . من خطه قدس سره ، وادع للكاتب .

(٢) وهو العالم المحقق محمد علي الأرمي .

الرسول الكريم ، وطعناً على المشائخ العظام ، وإيذاءً للأولياء الفخام الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإيهاماً لمن لا يعلم أحوالهم وحقيقة أقوالهم أنهم على الحقِّ واليقين ، وأنَّ الأولياء والمشائخ وسائر العلماء الفقهاء حتى الأئمة المجتهدين ومقلديهم على الضلالة والطغيان ، وأنّ الدين الخالص هو ما أخذوه من الكتاب والسنة بأفهامهم السقيمة ، وخواطرهم الرديئة ، حتى أنهم يفسِّرون القرآن والحديث بآرائهم الكاسدة الفاسدة ، ويأذنون لكُلِّ مَن تبعُوهم لذلك ، ويظنون أنهم صاروا بذلك مجتهدين لا مقلّدين ، فما أعظمَ مُصيبةً حَلّت الأمّة المحمدية بشوم هؤلاء القوم المذكورين ، ومع ذلك أنهم يدَّعون بأنهم مصلحون ، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فالحكم لله العلي العظيم ، فإذا كان الحال كذلك أردت كتبة الأجوبة للمسائل المذكورة نصرةً لأولياء الله الكرام ، وراجياً لشفاعتهم في عرصات القيامة ، لاسيّما لالتماس البعض المذكور بالحال والمقال مني ذلك ، ظنّاً منه أنِّي قادرٌ له ، وللقرع بأسماعنا من ينقل أقوالهم[1] وينشرها بين الناس ، ويعتقد في الباطن أنهم خيار العلماء ، ولا يرى ما دسّوا في أقوالهم وعقائدهم ، وبه زاد عزمي على ذلك ، وقلت : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأفوِّض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد .

---

(١) أي أقوال الوهابية . (**هامش الاصل**) .

* **أخذ علينا العهود** إذا ألَّفنا كتاباً أو ألقينا درساً أن لا نبالغ في تحقيق الألفاظ ، ولا في مراعاة حلاوة تركيبها هروباً من مضاهاة كلام الله عزَّ وجلَّ في الفصاحة والتناسق ، وخوفاً على أنفسنا من وقوع الإعجاب بذلك ، فيهلك أحدنا ولا يشعر ، ثم لا يخفى أنه ليس المقصود من كلامنا في العلم إلا إيضاح معاني مشكلاته لا غير ، وكان سيدي علي الخواص يقول : ينبغي للعالم إذا ألَّف كتاباً أن يتنزَّل في العبارة حتى يفهم كلامه أدنى العوام ؛ لأنه أكثر نفعاً وإيضحاًحتى يجد الشارح لكلامه توريكاً عليه واستدراكاً ومطعناً ، وهذا ما درج عليه السلف الصالح والله تعالى أعلم . « بحر الورود » ع ٣٥٠ من هامش « لواقح الأنوار » .

وتلك الآيات المسؤولة هذه ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ إلى ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ فأخبر سبحانه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن شفع فيه كما قال تعالى ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ وقال ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ وقال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ونظيره وقوله تعالى إخباراً عنهم ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ قال الرازي : ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظَّموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله . « سراج » عبارته . ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

وعن الحسن : زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبّون الله ، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عملهم ، فمن ادَّعى محبّته وخالف سنة رسول الله ﷺ فهو كذاب ، وكتاب الله يكذِّبه . وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفِّق بيديه مع ذكره ، ويطرب ، وينعر ، ويصعق ، فلا شكَّ أنه لا يعرف الله ، ولا يدري ما محبة الله ، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستلمحة معشَّقة ، فسماها الله بجهله وإدعائه ، ثم صعق وصعق العامة حواليه ، قد ملؤوا أذقانهم بالدموع لما رأوه من حاله « سراج المنير » عبارته انتهت الأسئلة .

وأقول – وبالله التوفيق ، وبيده أزمَّة التحقيق – اعلم : أيها الأخ المرجوّ الاستقامة لا بدَّ لنا قبل الخوض في الإجابة من تبيين أقوال الوهابية ومعتقداتهم ، وما يقوله أهل السنة في حقِّهم كي تكون على بصيرة في

الجواب لكون المسؤلات جزأ مما يُخالفون لأهل السنة والجماعة ؛ اللهم أمِتْنَا علىَ السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ربّ العالمين ولأجله رتبت الكتاب على الأبوَاب الآتية كي يسهل الإطلاع على مرامه في ضمن بابه ، وسمّيته بـ « **الأجْوِبَة البَهِيَّة في إثباتِ شفاعة خَيْر البَرِيَّة** » . أرجو الله تعالى أن ينفع به لأهل الإرادات وأرباب الإخلاصَات .

الباب الأول في بيان أحوال الوهابية ، وما ورد في حقهم من الكتاب والأحاديث ، وبيان أقوالهم المخالفة لأهل السنة والجماعة ، وطعنهم على الأولياء والمشائخ .

الباب الثاني في بيان اعتراضات ابن تيمية وأتباعه المبتدعة على متأخِّري الصوفية والمشائخ والأجوبة عنها ، وعدم الانتفاع بعلومهم ، وكون الاعتراض عليهم سمّاً قاتلاً ، وبيان ما ورد في منكر المشائخ والأولياء .

الباب الثالث في بيان كون الحقيقة عين الشريعة ومشروعية الانتساب إلى المشائخ ، ومسنونية التعلم منهم ، وكون المشيخة والمريدية مأموراً بهما في الشريعة ، وبيان النص له من القرآن والحديث خلافاً لمن يوهم عدم ورودهما في الكتاب والسنة مع دلائل النقشبندية لِما يلقِّنونه من الكتاب وبيان عدم خروج شيء منها عن الشريعة ، وبيان كون الشريعة والطريقة توأمَانِ ، مع بيان فريضة تعلّم علم الباطن ووجوب اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة ، والقائلين به .

الباب الرابع في ذكر تفصيل العلوم ؛ معروفها وقديمها ومُحْدَثها ومنكَرها ، وبيان تبديل ألفاظها مع بيان فضيلة علم التصوّف والباطن والعلماء العاملين والأولياء ، ووجوب احترامهم أحياء كانوا أو مَيِّتين .

الباب الخامس في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة ، وبيان اجتماعهم برسول الله ﷺ لتصحيح الأحاديث التي ضعَّفها المحدِّثون من طريقهم وإبطال دعوى الوهابية على الاجتهاد .

الباب السادس في جواز (سيّدنا) في الصلاة على نبينا عليه الصلاة والسلام خلافاً للوهّابية .

الباب السابع في أجوبة المسؤلات ، وإثبات الشفاعة للنبي ﷺ ، والأولياء ، والصالحين .

الباب الثامن في جواز التوسل بالنبي ﷺ والأولياء والمشائخ .

الباب التاسع في جواز الاستغاثة بهم رضوان الله تعالى عليهم ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، وأنار بواطننا بأنوار معارفهم ، آمين يا مجيب .

الباب الأوّل

في بيان أحوَال الوهابية ، وما ورد في حقِّهم . . .إلخ .

اعلم أيها الأخ المرجوّ للاستقامة أن الوَهابية قوم منسُوبون إلى محمد بن عبد الوَهّاب النجدي ، تلميذ الشيخ جمال الدين الأفغاني[1] ، وسبق على شيخه في الاعتزال ، وعلى أضرَابه من معاصريه ؛ رشيد رضا صاحب مجلّة « المنار » وأمثالهم ، وهم الذين اتّبعُوا على بدعات ابن تيميّة ، وتلميذه ابن القيّم الجوْزية . ذكر صاحبُ « المدائح النبويّة » أنّ قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ صريح في حقهم ، وقال : وَقدْ جاء في القرآن ذِكْرُ فسَادِهِم وَزَعْمِهِمُ الإِصْلاح في سُورةِ « الزمراء » .

نقل السيُوطي في تفسير « درّ المنثور » عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه سئل عن هؤلاء القوم ، فقال : لم يأتوا بَعْدُ . وذكر ذلك البيضاوي في

---

(١) فيه سبق القلم ، لأن محمد بن عبد الوهاب مات سنة ١٢٠٦ ، وأما جمال الدين أفغاني فإنه ولد سنة ١٢٥٤ ، بل تلميذ الأفغاني محمد عبده المصري .

تفسيره ، وقال الشهاب في « حاشيته » : إنه نقله عن تفسير « ابن جرير » قلت : لا شكّ أنّ المنافقينَ المذكورين في هذه الآية السابقة واللاحقة ، والخوارج الذين خرَجُوا على سيّدنا علي رضي الله عنه وغيره من أمة الإسلام متصفون بهذه الأوصَاف الذميمة ، إلاّ أنهم لم يدَّعوا أنهم مُصلحون لدين الإسلام ، ويلقبُوا أنفسهم بهذا اللقب ، مثل هذه الفرقة الضالة ؛ من فرقة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المصْري . فمُطابقة الآية لهذه الفرقة أكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج ، وإن شملتهم جميعاً أحكامها . وتسمية هؤلاء أنفسهم المصلحين تبعُوا فيها فرقة البرتشانت النصرانية ، فإنهم سمّوا أنفسهم المُصلحين لدين النصَارى بتركهم العمل على ما زاد على التورية والإنجيل ، ورفضهم كلام أئمة النصارى الأقدمين أصحاب المجامع وغيرهم ، فتبعهم من المسلمين هؤلاء الضالّون ، فرفضوا مذاهب الإسلام ، وادَّعوا الاجتهاد المطلق ، وأنهم قادرون على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة ، مع أنهم من أجهل الجهال في دين الله ، وأفسق الفساق ، ولكنهم كانوا مَظهراً لمعنى هذه الآية القرآنية بعد أربعة عشر قرناً من نزولها ، كما أنهم كانوا مظهراً لتصديق قوله صلى الله عليه وسلم « لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذِرَاعاً بذراع ، حتى لو دخلُوا جحر ضبٍّ لدخلتموه » فهذا الحديث الصحيح ينطبق على هذه الفرقة الضالة تمام الانطباق « مدائح النبوية » عبارته ٢٥٧ .

وقال النبهاني فيه أيضاً : وقَدْ جَاءَ فِي ٱلأَخْبارِ وَصْفُ مُرُوقهم مِنَ الدِين مثلُ السَهْمِ للجِهَة الأُخرَى ؛ وفي الحديث « يَمْرُقُونَ مِنَ الدِينِ مُرُوقَ السَهْمِ مِنَ الرَمِيَّةِ » أي يجوزونَه ويخرقونه ويتعدَّونه كما يخرق السهم الشيء المرميّ به ويخرج منه . وعن علي رضي الله عنه أُمرت بقتال المارقين يعني الخوارج .

مهم

وهؤلاء خوارج هذا الزمان ، خرجوا على أئمة الإسلام ؛ أصحاب المذاهب الأربعة ، وخالفوهم في الأحكام ، كما أن أولئك خرجوا أيضاً على أمراء المُؤمنين وخالفوا أئمة الدين ، **وهؤلاء لم يكتفوا حتى دعوا صبيان المدارس لرفض المذاهب الأربعة** ، ودعوى الاجتهاد ، والاستهانة بأئمة الدين وعلماء المسلمين ؛ أحياءً وأمواتاً ، فصار يخرج التلميذ من المدرسة يبغض الإسلام وما ينسب إليهم من الأحكام . منه عبارته في ٣٥٧ ، كما شاهدناه في الذين ظهروا الآن في أطراف ناحيتنا ، فيقولون حين أخبرهم العلماء ما في كتب الأئمة ؛ أصحاب المذاهب ومقلديهم : هل لذلك دليلٌ من الكتاب والسنة مع أنهم لا يفهمون شيئاً منهما ، ولا من أقوال الأئمة المجتهدين ، بل أورثوا هذا القول من أشياخهم ، فإنهم يعلّمون العربيّة لمن عندهم من صبيان المدارس ، ويقرؤون عليهم الحديث والقرآن بتفسيرهم وفق آرائهم الفاسدة ، وبما خطر في قلوبهم السفيهة ، ولا ينظرون إلى كتب التفسير ، ولا يعتبرون ما فيها ، بل يقولون في المحافل : إنّ الله تعالى لم يأمرهم باتباع الأئمة . ويستدلّون لبعض الأشيآء على غير فهم وعلم ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليُوهموا العوام أنهم إنّما يأخذون من الكتاب والسنة ما يلفّقونه من الأحكام ، كذا ذُكر في « المدائح » راجعه في ٤٠١ .

ولم يَدْر هؤلاء القوم أنهم لا يفهمون كلام الشارع بشدّة رؤية نفوسهم ، ولم يروا الفرق بينهم وبين الأئمة المجتهدين الماضين مع أن كلام الشارع لاَ يفهم إلاّ مَنْ دخل حضرته ، قال الإمام الشعراني في « كشف الغمة » **إنّ كلام الشارع لا يفهم إلاّ مَن دَخلَ حضرته .**

ومعلوم أن حضرته محرّمة على محبّ الدنيا ، **فَلا يَدْخل حضرته إلا من تساوى عنده الذهبُ والترابُ في عدم ميل القلب إلى جمعه ، وفي عدَم فَرْحه به** . انتهى عبارته راجعه في ٥ ج١ . فليعتبر المنصف

هل كان هؤلاء المنكرون كذلك ، كلا فكلا ، بل أنهم عاكفون على جمعه من أين حصل ليلاً ونهاراً ، وقلوبهم مظلمة باستيلاء حبّه وبتدبير تحصيله ، ولا يفرقون بين الحلال والحرام ، وهم منهمكون كل الآنات في تحصيل الشهوات النفسانية والمأرب الشيطانية ، وقال تعالى في حقِّ أمثالهم ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ انتهى . ومع ذلك يعترضون على أوراد المشائخ الصوفية ، ويقولُون : هل لذلك دليل من الكتاب والسنة مع أنها عين الكتاب ولبّ السنة ، ولا يكون كلامهم في شيء سواها من المنكرات ، ولا يَرَوْنَ غيرها ، وإنما أورادهم جرُّ الدخان وشرب المسكرات والتخيل في النساء الأجنبيّات والنظر إليهنّ وقت الملاقات ، وهذه الأوراد عندهم حلال ، ولا يحتاجون فيها إلى الدليل من الكتاب والسنة ، ولا يعتبرون غيرها من منكرات الخلائق ، فليت شعري هل لهم لذلك دليل من الكتاب والسنة .

فذكرا النبهاني على الآية المذكورة في موضع آخر ؛ أي آية ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ . . .إلخ . وهي لعمري أنه باهرة ومعجزة ظاهرة مطابقة ما قبلها وما بعدها من الآيات لأوصاف الفرقة الخاسرة ، **وكنت كلما قرأت هذه الآيات يخطر ببالي أنها موافقة لأوصاف هؤلاء الجماعة** المفسدين الذين يزعمون إصلاح الدين ، فلما رجعت التفسير المذكور ، ورأيت قول سلمان المسطور تيقَّنت أنهم هم المراد ، وإن شملت ما قبلهم من يدعون الإصلاح وهم أهل الفساد . انتهى عبارته في ٤٠٢ راجعه .

وقال فيه أيضاً في حق مخالفتهم لأهل السنة والجَماعة :

وَيَعْتَقِدون الأَنْبِياء كغيْرِهِمْ سَواءٌ عقِيبَ الْمَوْتِ لا خَيْرَ وَلا شرّاً
وَقَدْ عَذَرُوا مَنْ يَسْتغيث بِكَافِرٍ وما وَجَدُوا لِلْمُسْتغِيثِ بِهِمْ عُذْراً

ورد في « صحيح البخاري » أنّ النبي ﷺ أشار إلى المشرق وهو في المدينة المنورة ، وقال : « من ههنا يطلع قرن الشيطان » . وبلاد نجد

واقعة في جهة الشرق من المدينة المنورة . انتهى عبارته في ٣٨٦ . أي : عذروا[١] من يستغيث بكافر من الأحياء ، ومنعوا الاستغاثة بالأنبياء والأولياء بعد موتهم ، **فكان الكافر الحيّ عندهم أحسن حالاً من الأنبياء بعد موتهم** . نعوذ بالله من غضب الله ، وإذا ضلّت العقول على علم فماذا تقوله النصحآء . انتهى منه في ٣٨٦ .وفيه أيضاً في موضع آخر أنّ الوهابيّة منسوبُون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الاسلام ، وزاد عليه : أنّه كفّر كلَّ من يستغيثون بالأنبياء والأولياء الكرام كما ذكر العلمآء الأعلام راجعه في ٣٧٠ عبارته .

وفيه في موضع آخر أيضاً أنّ هؤلاء القوم استولى الشيطان على قلوبهم ، فخيّل لهم أن الشريعة المحمّدية ودين الإسلام هو كلّ ما يفهمونه من الكتاب والسنة بعقولهم القاصرة وأفهامهم الفاسدة ، حتى لو أدَّى ذلِكَ إلى الاستهانة بالنبي ﷺ فضلاً عن الصحابة وأئمة الدين من السابقين واللاحقين . انتهى . راجعه في ٣٨٣ .

فذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » **أنه لم يقصر اعتراض ابن تيميَة على متأخري الصوفية ، بل اعترضَ علي مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما** كما سنذكره في الباب الثاني .

وفيه[٢] أيضاً ما معناه : أن رشيد رضا قرين محمد بن عبد الوَهاب لم يصدّق الحديث الوارد عن النبي ﷺ في سجُود الشمس له ، بل قال : إنه مخالف للواقع المشاهد ، وصرّح بأنّ ذلك لا يقبل التأويل ، وأنه لم يجب له جوَاباً إلاَّ أن قال : والأنبياء غير معصومين من الإخبار عن الشيء بخلاف حقيقته ، فأوضح بذلك أنّ مراده في عبارته الأولى تكذيب

---

(١) **علّه** : عدروا .

(٢) **أي** : في « المدائح النبوية » .

النبي ﷺ ، وأن تكذيبه على رأيه لا محذور فيه ؛ **لأنّ الأنبياء على زعمه الفاسد غير مَعصومين من الكذب** ، فتكذيبه له ﷺ كفرٌ صريح لا يقبل التأويل . راجعه في ٣٨٤ .

وفيه أنهم يعتقدون أنّ الله تعالى منحصر في جهة العلو . بهذا الاعتقاد يستحقون اطلاق الشرك عليهم . راجعه في ٣٨٧ ففيه البسط الشافي . قال الشيخ النبهّاني فيه واعلم أنّ هؤلاء المفتونين **يدَّعون الاجتهاد المطلق ، واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ، ويرفضون المذاهب الأربعة مع جهلهم المركَّب وفسقهم المحقَّق** ، وتهتُّكهم في أنواع المعَاصي ؛ من الكبائر والصغائر وسائر الآثام ، وتركهم مَا عَدَا الشهادتين من أركان الإسلام ، فلا صلاة ، ولا زكوة ، ولا حج ، ولا صيَام ، ومع كونهم كالأنعَام أو أضلّ من الأنعام يدَّعي كل واحد منهم أنه من أئمة الإسلام ، ويدعو الناس إلى الاجتهاد في الدين حتى العوَام ، وهم مع كلّ ذلك لا يتقيَّدون بالحلال والحرام ، وإنما دينهم كلام في كلام ، وصارت أحكام الدين عندهم كل ما خطَر ببالهم ، ووافق أغراضهم ، وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمقة والمعاني الملفّقة التي تلقَّفوها من مقالات الفلاسفة وكتاب الإفرنج ، ممَّا لا يوافق دين الإسلام ولا يقوله من عنده في هذا الدين المبين أدنى إلمام ، فينشرونه في كتبهم وجرَائدهم بصفة ترضى إخوانهم مراق المدارس وفساق العوام الذين لا يبالون بالإسلام ، ولا بأحكام الإسلام ، **وقد يستدلُّون على غير فهم وعلم ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليوهموا العوام أنهم إنما يأخذون من الكتاب والسنة ما يلفقونه من الأحكام** .

مطلب

ونصحي للمسلمين

فنصحي لكلّ المسلمين أن لا يلتفتوا إلى كلامهم ، ويعتقدوا أنهم في هذا العصر من أعدى عداة الإسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونسأله تعالى لنا ولجميع المسلمين حسن الختام . انتهى عبارته في ٤٠١ كذا في « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » ،

مهمّ

في مقابح محمد بن عبد الوهّاب

وذكر في « الدرر السنية » من مقابح محمد بن عبد الوهاَب الذي هو رئيس الوهَابية أنه كان ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ ، ويتأذَّى من سماعها ، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنابر ، ويؤذي من يفعَل ذلك ، فأمرَ بقتله فقتل ثم قال : إنّ الربابة في بيت الخاطئة ؛ يعني : الزانية أقلّ إثماً ممّن ينادي بالصلاة على النبي ﷺ في المنابر ، ويلبِّس على أصحابه بأنّ ذلك كلّه محافظة على التوحيد ، فما أفظعَ قولَه ، وما أشنع فعلَه ، وأحرق « دلائل الخيرات » وغيرها من كتب الصلاة على النبي ﷺ ، ويتستَّر بقوله : إنّ ذلك بدعة ، وإنه يريد المحافظة على التوحيد ، وكان يمنع أصحابه من مطالعة كتب الفقه والتفسير والحديث ، **وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلّ من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه ، حتى همج الهمج من أتباعه ، فكان كل واحد منهم** يفعل ذلك ، ولو كان لا يحفظ القرآن ولو شيئاً منه ، فيقول الذي لا يقرأ : منهم لآخر يقرأ اقرأ عليّ حتى أفسّر لك ، فإذا قرأ عليه يفسّره برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكمُوا بما يفهمُونه ، وجعل ذلك مقدّماً

على كتب العلم ونصوص العلماء وكان يقول في كثير من أقوال الأئمة الأربعة : ليست بشيء . وتارة يتستَّر ويقول : إنّ الأئمة على حقٍّ . ويقدح في أتباعهم من العلمآء الذين أَلَّفوا في المذاهب الأربعة وحرّروها ويقول : إنهم ضلوا وأضلّوا .

وتارة يقول : إنّ الشريعة واحدة ، فما لهؤلاء جعلُوها مذاهب أربعة ؛ هذا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا نعمل إلا بهما ، ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي ؛ يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف في الردِّ عليه ، **فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه ، وإن خالف النصوص الشرعية وإجماع الأمة ، وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه** ، وإن كان على نصّ جليّ أجمعت عليه الأمة .

وكان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أن قصده المحافظة على التوحيد .

فمنها : أن يقول : إنه طارش . وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين ، فمراده أنه ﷺ حامل كتب ، أي : غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر لإِنَاس ليبلِّغهم إياه ، ثم ينصرف

ومنها : أنه كان يقول : نظرت في قصة الحديبية ، فوجدت بها كذا وكذا كذبة . . .إلى غير ذلك مما يشبه هذا ، حتى أن أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك ، ويقولون مثل قوله ، بل أقبح مما يقول ، ويخبرونه بذلك ، فيظهر الرضا ، وربما أنهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى حتى أنّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمد ؛ لأنّها ينتفع بها في قتل الحيّة ونحوها ، ومحمّد قد مات ، ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنما هو طارش وقد مضى ، قال بعض من ألّف في الرد عليه : إن ذلك كفر في المذاهب الأربعة بل هو كفر عند جميع أهل الإسلام . انتهى عبارته في ٣٣ .

وفيه في موضع آخر بعد ذكر فتنه وبلاياه : **وهذه بلية ابتلى بها عباده ، وهي فتنة من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام ، طاشت من بلاياها العقول** ، وحار فيها أرباب العقول ، لَبَّسوا فيها على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهمهم أنهم قائمون بأمر الدين ، وذلك مثل أمرهم البوادي بإقامة الصلوات والمحافظة على الجمعة والجماعات ، ومنعهم من الفوَاحش الظاهرة ؛ كالزنا واللواط وقطع الطريق ، فآمنوا الطرق ، وصاروا يَدْعون الناس إلى التوحيد ، فصارت الأغبيَاء الجاهلون يستحسنون حالهم ، ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم المسلمين ، فإنهم كانوا يحكمون الناس بالكفر منذ ستمائة سنة ، وغفلوا أيضاً عن استباحتهم أموال الناس ودمائهم ، وانتهاكهم حرمة النبي ﷺ بارتكاب أنواع التحقير له ولمن أحبّه ، وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها ، وكفروا الأمة بها ، وكانوا إذا أراد أحدٌ أن يتبعهم على دينهم طوْعاً أو كرهاً يأمرونه بالإثبات بالشهادتين أولاً ، ثم يقول له : اشهد على نفسك أنك كنت كافراً ، واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين . انتهى راجعه عبارته في ٣٧ .

وفيه بعيد هذا وكان يقول لأتباعه : إني أتيتكم بدين جديد . ويظهر ذلك في أقواله وأفعاله ولهذا كان يطعن في مذاهب الأمّة وأقوال العلماء ، **ولم يقبل من دين نبينا ﷺ إلا القرآن ، ويؤوّله حسب مراده**[١] **مع أنه إنما قبله ظاهراً فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره** ، فينكشفوا عنه بدَليل أنه هو وأتباعه إنما يؤوّلونه على حسب ما يوافق أهوائهم لا بحسب ما فسره به النبي ﷺ وأصحَابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فإنه كان لا يقول بذلك ، ولا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحَابة والتابعين والأئمة والمجتهدين ، ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ، ولا يأخذ بالإجماع وبالقياس ، وكان يدَّعي الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه كذباً وتستّراً وزوراً ، والإمام أحمد بريئ منه ؛

---

(١) كما هو دأب الوهابية .

ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرّدّ عليه ، وألَّفوا في الردِّ عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألَّف رسالة في الردِّ عليه كما تقدم

مهم

وتمسّك في تكفير المسلمين بأيات نزلت في المشركين ، فحملها على الموحِّدين ، وقد روى البخاري عن عبد الله عن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج « أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعَلُوها في المؤمنين » . وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه ﷺ قال « أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأوِّل للقرآن يضعه في غير موضعه » فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه .

وأعجب من ذلك كلّه أنه يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين : اجتهدوا بحسب فهمكم وانظروا واحكموا بما ترونه مناسباً لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فإنّ فيها الحق والباطل . وقتل كثيراً من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه .

وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه . وكان أصحابه لا يتخذون **مذهباً من المذاهب ، بل يجتهدون كما أمرهم ، ويتستَّرون ظاهراً** بمذهب الإمام أحمد ويلبِّسون بذلك على العامة .

وقد اعتنى كثير من العلمآء من أهل المذاهب الأربعة للردّ عليه في كتب مبسُوطة عملاً بقول النبي ﷺ « إذا ظهَرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وبقوله ﷺ « ما ظهر أهل بدعة إلاَّ ظهر الله فيهم حجة على لسان من شاء من خلقه » فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من جميع المذاهب ، والتزم في الرد عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبه ، وسألوه عن مسائل يعرفها أقلّ طلبة العلم فلم يقدر على الجوَاب عنهَا ؛ لأنه لم يكن له تمكّن في العلوم . انتهى . راجعه في ٣٨ عبارته .

ذكر في « المدائح النبوية » كانت الحكُومة المصريّة نفت الشيخ محمد عبده من القطر المصريّ ، فجاء إلى بلاد الشام ، وأقام فيها عدة سنوات تمكن في أثنائها من بذر ضلاله في نفوس بعض الجهال من أبناء المدارس وطلبة العلم ، وكان ينتقل من بلدة إلى بلدة ، فأثّر تأثيراً سيِّئاً ، وكان قد نفى من علماء مصر العاملين وصلحائها الكاملين الشيخ محمد عبد الجواد وأخوه الشيخ أحمد ، فسكنوا في بيروت كالشيخ محمّد عبده فأقبل على هذين الأخوين الصالحين جمهُور المسلمين إقبَالاً عظيماً ، ونفروا من الشيخ محمد عبده نفوراً كبيراً ، وكان معروفاً عندهم بعدم التقوى ، فلا يزالون يعترضون على أفعاله وأحوَاله المخالفة للدين التي لا تليق فضلاً عن العلماء بعوَام المسلمين ، ومع ذلك فقد أقبل عليه فساق المسلمين ومراقهم ، وغير المسلمين من الدروز والنصارى والمبتدعين فصَار يحبّهم ويحبّونه ، وهكذا أصحابه في مصر من هذا القبيل ، ولم نسمع برجل صالح وقعت بينه وبينه أدنى محبّة .

مهم

وقد أجمعَ كلّ الناس على اختلاف الملل والنحل أنه وشيخه الأفغاني وجميع تلاميذه ومحبّيه لم يكن أحد منهم من صلحاء المسلمين ؛ يعني الصلاح المعروف في دين الإسلام من العمل بالفرائض والمندوبات ، وترك المحرّمات والمكروهات ، وهو وهم جميعاً لا يعتبرون الصلاح في العالم وغيره منقبة ، بل بالعكس ينسبُون الصلحاء إلى الغفلة وقلة العقل ، ولا يرون لهم أدنى مزية ، ولذلك ترى جماعة يبالغون بالثناء عليه بحيث يجعلوُنه فريد العصر مع مشاهدتهم تركه الصلاة والصوم والحج وغير ذلك مِنْ فرائض الإسلام معَ شربه الخمر ، ومعاشرته لنساء النصارى ، وغير ذلك من المحرّمات وقد تمكن بدهَائِه[1] وقوّة شيطانه أن يرسخ

(١) **أي** ببلائه .

في أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين ، ولذلك لا تجدُ أحداً منهم ملازماً للصلوات ، مثابراً[1] على الطاعات تاركاً لأنواع الفسوق والمحرّمات ، فهؤلاء هم الذين يدَّعون الاجتهاد ، ومن لا يدعيه من المسلمين معدود عندهم من المغفلين الأوغاد ، ولا يعجبُهم إلاّ أمثالهم ؛ أهل الزيغ والفساد التاركون لشرائع الإسلام المجاهرون بالفسق والزنْدقة والإلحاد ، ومع كل هذا يَعْتقدون في أنفسهم أنهم على الحق ، وجميع الأمة من أهل المذَاهب الأربعة على الباطل ، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلي هؤلاء اللئام الذين كاد بهم الشيطان في هذا الزمان المسلمين والإسلام . انتهى عبارته ٣٦٨ .

ومن أعجب العجائب أنَّ أتباعه الذين ظهروا الآن في أطراف ناحيتنا لا ينظرون إلى كتب تفاسير الأئمة ، ولا يقبلون ما فيها معلّلين بعدم صحة العمل على آراء الناس وتفاسيرهم ، ومع ذلك يكون بأيدي كلّهم تفاسير محمد عبده المذكور الذي فسّر للقرآن برأيه ، وأوّله به ، فلا يكون العمل به عملاً بالرأي عندهم ، بل يقدمونه على الحديث وسائر كتب الأئمة والمشائخ ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، والسلام على من اتبع الهدى ، وقبل النصح ، وسلّم القوس إلى باريها .

وفي « الدرر السنية » في موضع آخر أنّ النبي ﷺ أخبر عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت الأحاديث من أعلام نبوّته ﷺ ؛ لأنها من الإخبار بالغيب ، وتلك الأحاديث كلها صحيحة بعضها في « صحيح البخاري » وبعضها في غيرها .

فمنها قوله ﷺ « الفتنة من ههنا ، الفتنة من ههنا » ، وأشار إلى المشرق ، وقوله ﷺ « يخرج ناس من قبل المشرق ، ويقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا

(١) **أي** مواظباً .

يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه ، سيماهم التحليق » . انتهى . والفوق : بضم الفاء موضع الوتر ، وقوله ﷺ « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يعُود السهم إلى فوقه ، هم شرّ الخلق والخليقة » . . .إلخ .

وقوله ﷺ « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون قول خير البرية ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . . .إلخ . وقوله ﷺ « رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل » وقوله ﷺ « من هاهنا جائت الفتن » وأشار نحو المشرق . انتهى عبارته ٤١ .

مهم

في منكرات الوهّابيَّة أعذنا الله تعالى بفضله آمين

وفيه أيضاً في موضع آخر : وأما ما نقل عن بعض العلماء أنّه استصوب من فعل النجدي جمع البدو على الصلاة ، وترك الفواحش الظاهرة ، وقطع الطريق ، والدعوة على التوحيد ، فهو غلط ، حيث حسن للناس فعله ، ولم يطلع على ما ذكرناهُ من منكراته ، وتكفير الأمة من ستمائة سنة ، وحرْق الكتب الكثيرة وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموَالهم ، وإظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى ، وعقده الدروس لذلك ، وتنقيصه النبي ﷺ ، وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ، ونبش قبورهم ، وأمره في الإحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلاًّ لقضاء الحاجة ، ومنع الناس من قرائة « دلائل الخيرات » ، ومن الرواتب والأذكار ، ومن قراءة مولد النبي ﷺ ، ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنابر بعد الأذان ، وقتل من فعل ذلك ، وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعوة النبوّة ، ويفهمهم ذلك من فحوى

كلامه ، ومنع الدعآء بعد الصلاة ، وكان يقسم الزكاة على هواه ، وكان يعتقد أنّ الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه ، وإنّ الخلق كلّهم مشركون ، وكان يصرِّح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسِّل بالأنبياء والملائكة والأولياء ، ويزعمُ أنّ مَنْ قال لأحد مولانا أو سيّدنا فهو كافر ، ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيّدنا يحي ﴿وَسَيِّدًا﴾ ، وإلى قول النبي ﷺ للأنصار « قوموا لسيّدكم » يعني : سعد بن معاذ رضي الله عنه ، ويمنع من زيارة النبي ﷺ ، ويجعله كغيره من الأموات ، وينكر علم النحو واللغة والفقه ، والتدريس بهذه العلوم ، ويقول : إنّ ذلك بدعة . ثم قال السيد علوي الحدّاد في كتابه المتقدم ذكره : **والحالصل** أنَّ المحقَّق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه من القواعد الإسلامية لاستحلاله أموالاً مجمعا على تحريمها ، معلومة من الدين بالضرورة ، بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الأنبيآء والمرسلين والأولياء والصالحين . وتنقيصُهم تعمّداً كفرٌ بإجماع الأئمة الأربعة . انتهى راجعه في ٤٣ .

مات محمد عبده مفلوجا بلسانه ، وكذا مات جمال الدين الأفغاني مفلوجاً بلسانه

وفي « المدائح النبويّة » في ٣٧٢ إنه مات في الإسكندرية مفلوجاً بلسانه ، وكذا مات جمال الدين الأفغاني في القسطنطية مفلوجاً بلسانه ، وعظم الداء فيهما حتى قطع لسان كل منهما ، ولم يحصل فائدة حتى ماتا شرَّ ميتةٍ على أسوء الأحوال ؛ ونسأل الله العافية ، ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين اتبعوهما على الضلال والإضلال . انتهى عبارة . قال بعد ذلك :

وَلَـوْ لاَ حَـدِيثُ الْمُصْطَفَي لأُسَامة ... يَـقُـولُ بِـهِ هَـلاَّ شققتَ لَهُ الصَّدْرَا

لَمَا صَحّتِ الدَّعْوَى بِإسْلاَمِ بَعْضِهِمْ ... لَدَيَّ وَمَا اسْتَبْعَدْتُ عَنْ بَعْضِهِمْ كُفْراً

ورد في الحديث الصحيح أنّ أسامة بن زيد أخبر النبي ﷺ بعد رجوعه من سرية كان أرسله معها لقتال بعض المشركين بأنه قتل رجلاً منهم بعد أن شهد أن لا إله إلا الله ، فغضب ﷺ ، فاعتذر أسامة بأنَّ ذلك الرجل إنما قالها لخوفه من القتل ، فقال له ﷺ : « هلاّ شققت عن صدره » ، يعني : كان يجب عليه أن يعامله بالظاهر من إسلامه ، ويَكِلَ أمر سريريته إلى الله تعالى ، فكذلك نحن نعامل هؤلاء المبتدعين ؛ جماعة محمد عبده وجمال الدين معاملة المسلمين ، ونكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى يثبت كفرهم . راجعه في ٣٧٣ .

وعبارة صاحب « الدرر السنية » فيه في موضع آخر : فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم ، وعمدوا إلى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين ، فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل ، وتوسَّلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلمآء والصلحآء والعباد والزهاد وعوام الخلق ، وقالوا : إنهم مثل المشركين الذين قالوا ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ . وقال فيه أيضاً بعيد ذلك : ومما يعتقد هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النداء للميِّت والجماد ، ويقولون : ذلك كفر واشراك وعبادة لغير الله تعالى . انتهى في ٢٣ ، كما سنذكرها مع الأجوبة لها إن شآء الله تعالى في باب الأجوبة .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » بعد ذكره اعتراضات ابن تيمية على متأخِّري الصوفية فيا ويح مَنْ هؤلاء خصماؤه يوم القيامة ، وهيهات أن لا يناله غضب ، وأنّى له بالسلامة ؟ ! وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية ، وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إنّ عمر له غلطات وبليّات ، وأيّ بليّات . وأخبرني عنه السلف أنّه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال : إنّ عليّا أخطأ أكثر من ثلثمائة مكان . فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب

إذا أخطأ علي بزعمك ، كرّم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب . . . إلى آخر ما قاله ونذكره تماماً في الباب الثاني إن شاء الله تعالى . راجعه في ٨٥ .

وقال فيه بعيد هذا : **واعلم أنّه** خالف الناس في مسائل ، نبّه عليها التاج السبكي وغيره ، **فممّا خرق فيه الإجماع** قوله في : (**عليّ الطلاق**) ، **إنه لا يقع عليه ، بل عليه كفارة يمين** ، ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله ، وأنّ طلاق الحائض لا يقع ، وكذا الطلاق في طهر جامع فيه ، وأن الصلاة إذا تركت عمداً لا يجب قضاؤها ، وأن الحائض يباح لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها ، وأن الطلاق الثلاث يرُدُّ إلى واحدة ، وكان هو قبل ادِّعائه ذلك نقل إجماع المسلمين على خلافه ، وأنّ المكوس حلال لمن أقطعها ، وأنها إذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة ، وإن لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها ، وأنّ المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة ، وأنّ الجنب يصلّي تطوعه بالليل ولا يؤخره إلى أن يغتسل قبل الفجر وإن كان بالبلد ، وأن شرط الواقف غير معتبر ، بل لو وقف على الشافعية صرف إلى الحنفية وبالعكس ، وعلى القضاة صرف إلى الصوفية ، في أمثال ذلك من مسائل الأصول مسألة الحسن والقبح ، التزم كل ما يرد عليها ، وأنّ مخالف الإجماع لا يكفر ولا يفسق ، وأن ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً محلّ الحوادث ، تعالى الله عن ذلك وتقدَّس ، وأنه مركَّب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء ، تعالى الله عن ذلك وتقدَّس ، وأنّ القرآن محدث في ذات الله ، تعالى عن ذلك ، وأن العالَم قديم بالنوع ، ولم يزل مع الله مخلوقاً دائماً ، فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار ، تعالى الله عن ذلك ، **وقوله** بالجسمية ، والجهة ، والانتقال ، وأنه بقدر العرش ، لا أصغر ولا أكبر ، تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح ، والكفر البواح الصريح ، وخذل متَّبعيه ، وشتَّت شمل معتقديه ، وقال : إنّ النار تفنى ، وإنّ الأنبياء غير معصومين ، وإنَّ رسول الله ﷺ لا جاه له ، ولا يتوسل

به ، وإنّ إنشآء السفر إليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه ، وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسَّةٌ إلى شفاعته ، وإن التوراة والانجيل لم تبدّل ألفاظهما ، وإنما بدّلت معانيهما . انتهى راجعه في ٨٥ .

وفيه في موضع آخر ما حاصله : ليس العجب من انكار المعتزلة الكرامات : فإنهم قد خاضوا فيما هو أقبح منه ، وأنكروا النصوص المتواترة المعنى ؛ كسؤال الملكين ، وإنما العجب من قوم تسموا بأهل السنة ، وزعموا أنهم من حملة تلك المنة ، ومع ذلك يبالغون في الإنكار ، لأن كلمة الحرمان حقت عليهم . انتهى راجعه . عصمنا الله من أمثاله ، وهدانا إلى الصراط المستقيم ، وحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء ، وأفاض علينا من فيوضات المشائخ . أمين .

الباب الثاني

في بيان اعتراضات ابن تيميّة وأتباعه المبتدعة على متأخري الصوفية والمشائخ ، والأجوبة عنها ، وعدمٍ الانتفاع بعلومهم ، وكون الاعتراض عليهم سمّاً قاتلا ، وبيان ما ورد في منكري المشائخ والأولياء ؛ أفاض الله علينا من أنوار معارفهم ، وحرسنا من موجبات الحرمان عن شفاعتهم آمين .

أقول – وبالله التوفيق وبيده مقاليد الأمور – : قال العلامة المحقق الحافظ ابن حجر الهيتمي في « فتاوى الحديثية » إنه سئل نفع الله به بما لفظه : لابن تيمية اعتراض على متأخِّري الصوفية ، وله خوارق في الفقه والأصول ، فما محصّل ذلك . فأجاب بقوله : **ابن تيمة عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصَمَّه وأذلّهُ** . وبذلك صرّح الأئمة الذين بيَّنوا فساد أحواله

وكذب أقواله ، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتَّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي ، وولده التاج ، والشيخ الإمام العزَّ بن جماعة ، وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعترضه على متأخري الصوفية ، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

والحاصل : **لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى في كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه إنه مبتدع ضال ومضلّ** وجاهل غال ؛ عامله الله بعدله ، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين ، وحاصل ما أشير إليه في السؤال أنه قال في بعض كلامه : إنّ في كتب الصوفية ما هو مبنيّ على أصول الفلاسفة المخالفين لدين المسلمين ، فيتلقَّى ذلك بالقبول من يطالع فيها من غير أن يعرف حقيقتها ؛ كدعوى أحدهم أنه مُطلع على اللوح المحفوظ ، فإنه عند الفلاسفة كابن سينا وأتباعه النفس الفلكية ، ويزعم إن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية ، أو بالعقل الفعال يقظة أو مناماً ، وهم يدَّعون أنَّ ما يحصل من المكاشفة يقظة أو مناماً هو بسبب اتصالها بالنفس الفلكية عندهم ، وهي سبب حدوث الحوادث في العالم ، فإذا اتصلت بها نفس البشر استنقش فيها ما كان في النفس الفلكية ، وهذه الأمور لم يذكرها قدماء الفلاسفة ، وإنما ذكرها ابن سينا ومن يتلقى عنه ، ويوجد من ذلك في بعض كلام أبي حامد وكلام ابن عربي وابن سبعين ، وأمثال هؤلاء تكلّموا في التصوّف والحقيقة على قاعدة الفلاسفة لا على أصول المسلمين ، ولقد خرجوا بذلك إلى الإلحاد كإلحاد الشيعة والاسماعيلية والقرامطة والباطنية بخلاف عباد أهل السنة والحديث ومتصوّفتهم ؛ كالفضل وسائر رجال الرسالة ، وهؤلاء أعظم الناس إنكاراً لطرق من هو خير من الفلاسفة ؛ كالمعتزلة والكرامية ، فكيف بالفلاسفة .

وأهل التصوّف ثلاثة أصناف؛ قوم على مذهب أهل الحديث والسنة كهؤلاء المذكورين، وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكرامية وغيرهم، وقومٌ خرجوا إلى طريق الفلسفة مثل مسلك من سلك رسائل إخوان الصفا، وقطعة توجد في كلام أبي حيان التوحيدي، وأما ابن عربي وابن سبعين ونحوهما فجاؤا بقطع فلسفية، غيّروا عباراتها، وأخرجوا في قالب التصوّف، وابن سينا تكلَّم في آخر الإشارات على مقام العارفين بحسب ما يليق بحاله، وكذا معظم من لم يعرف الحقائق الإيمانية، والغزالي ذكر شيئاً من ذلك في بعض كتبه، لا سيما في الكتاب «المضنون به على غير أهله» و«مشكاة الأنوار» ونحو ذلك، حتى ادَّعى صاحبه أبو بكر بن العربي فقال: شيخنا دخل في نظر الفلاسفة وأراد أن يخرج منهم فما قدر، لكن أبو حامد يكفِّر الفلاسفة في غير موضع، وبيَّن فساد طريقتهم، وإنها لا تحصِّل المقصود واشتغل في آخر عمره بالبخارى، ومات على ذلك، وقيل: إنه رجع عن تلك الكتب، ومنهم من يقول: إنها مكذوبة عليه، وكثر كلام الناس فيه لأجلها؛ كالمأزريّ والطرطوشي وابن الجوزي وابن عقيل وغيرهم. انتهى حاصل كلام ابن تيمة، وهو يناسب ما كان عليه من سوء الاعتقاد حتى في أكابر الصحابة، ومن بعدهم إلى أهل عصره، وربما أداه اعتقاده ذلك إلى تبديع كثير منهم،

ومن جملة من نتَّبعه الولي القطب العارف أبو الحسن الشاذلي نفعنا الله بعلومه ومعارفه في حزبه الكبير «حزب البحر» وقطعة من كلامه كما تتبع ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وتتبع أيضاً الحلاج الحسين بن منصور، ولا زال يتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسَّقوه وبدَّعوه، بل كفَّره كثير منهم، وقد كتب إليه بعض أجلاء أهل عصره علما ومعرفة سنة خمس وسبعمائة: من فلان إلى الشيخ الكبير العالم إمام عصره بزعمه.

أما بعد : فإنا أحببناك في الله زمانا ، وأعرضنا عمَّا يقال فيك إعراض الفضل إحسانا إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه العقل والحسّ وهل يشك في الليل عاقل إذا غربت الشمس ، وأنك أظهرت أنك قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والله أعلم بقصدك ونيتك ، ولكن الإخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول ، وما رأينا آل أمرك إلاَّ إلى هتك الأستار والأعراض باتباع من لا يوثق بقوله من أهل الأهواء والأغراض ، فهو سائر زمانه يسب الأوصاف والذوات ، ولم يقنع بسبِّ الأحيآء حتى حكم بتكفير الأموات ، ولم يكفه التعرّض على من تأخر من صالحي السلف ، حتى تعدّى إلى الصدر الأوَّل ، ومن له أعلى المراتب في الفضل ، فيا ويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامة ، وهيهات أن لا يناله غضب ، وأنَّى له السلامة ، وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحيّة ، وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إن عمر له غلطات وبليات وأيّ بليات ، وأخبرني عنه السلف أنه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال : إنّ عليّاً أخطأ في أكثر من ثلثمائة مكان ، فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ علي بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب ، والآن قد بلغ الحال إلى منتهاه ، والأمر إلى مقتضاه ، ولا ينفعني إلا القيام في أمرك ودفع شرّك ، لأنّك قد أفرطت في الغيّ ، ووصل آذاك إلى كل ميّت وحيّ ، وتلزمني الغيرة شرعاً لله ولرسوله ، ويلزم ذلك جميع المؤمنين ، وسائر عباد الله المسلمين ، بحكم ما يقوله العلماء ، وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذين بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكفُّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين . عبارته ٨٥ ، وعبارته من موضع آخر .

وينبغي للإنسان حيث أمكنه عدم الانتقاد على السادات الصوفية نفعنا الله بمعارفهم ، وأفاض علينا بواسطة محبّتنا لهم ما أفاض على خواصهم ، ونظمنا في سلك أتباعهم ، ومنَّ علينا بسوابغ عوارفهم أن يسلم لهم أحوالهم ما وجد محملاً صحيحاً يخرجهم عن ارتكاب المحرّم .

وقد شاهدنا من بالغ في الانتقاد عليهم مع نوع تعصّب فابتلاه الله بالانحطاط عن مرتبته، وأزال عنه عوائد لطفه، وأسرار حضرته، ثم أذاقه الهوان والذلة، وردّه إلى أسفل سافلين، وابتلاه بكل علّة ومحنة؛ فنعوذ بك اللهم من هذه القواصم المرهفات، والبواتر المهلكات، ونسألك أن تنظمنا في سلكهم القويّ المتين، وأن تمنّ علينا بما مننت عليهم حتى نكون من العارفين والأئمة المجتهدين، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. انتهى عبارة ابن حجر راجعه في ٥٩.

وفيه في موضع آخر وسئل في التصوُّف: ما ملخص ما يقولون في ابن عربي وابن الفارص وطائفتهما، هل هم محِقّون أم مبطلون، وما الدليل على ذلك، أوضِحُوا لنا الجواب، وابسطوه بسطاً شافياً. فأجاب: ملخَّص ما نعتقده في ابن عربي وابن الفارض وتابعيهما بحق الجارين على طريقتهما من غاية إتقان علوم المعاملات والمكاشفات، ومن غاية الزهد والورع والتجرّد والانقطاع إلى الله في الخلوات، والدأب على العبادات ونسيان الخلق جملة واحدة، ومعاملة الحق، ومراقبته في كل نفس، كما تواتر كل ذلك عن هذين الرجلين العظيمين أنهم أخيار أولياء أبرار، بل مقرَّبون، ومن رِقِّ السوى أحرار، لا مرية في ذلك ولا شك إلا عند من لا بصيرة له، وكفاك حجة على ولايتهما تصريح كثير من الأكابر بها، وبأنهما من الأخيار المقربين؛ كالشيخ العارف الإمام الفقيه المحدث المتقن عبد الله اليافعي نزيل مكة المشرفة وعالمها، ومن ثمَّ قال الأسنوي في ترجمته فاضل الاباطح وعالمها وقال: الحمد لله الذي ابتدأ كتبنا بالشافعي وختمها باليافعي. وكالشيخ الإمام المجمع على جلالته وعلمه بمذهب مالك وغيره وعلى معرفته التاج بن عطاء الله وناهيك بـ« حِكَم »ه، وَ« تنويرُهُ »[1] دليلٌ على ذلك، حتى قالوا: كادت « الحكم » أن تكون قرآنا يتلى، وكالشيخ الإمام العلامة المحقق الشافعي الأصولي التاج السبكي، وشيخنا خاتمة المتأخرين وواسطة عقد

---

(١) اسم كتابه قدس سره. (**هامش الاصل**).

المحققين زكريا الأنصاري ، وكالشيخ العلامة البرهان بن أبي شريف ، وناهيك أيضاً بهذين العالمين . انتهى « فتاوى الحديثية » عبارته ٣٧ .

وفيه بسط طويل ، لكن اقتصرت على هذا المذكور لكون الكفاية فيما ذكر للمنصف المخلص المحقّ ، وأما المتعصّب المنكر فلا ينفعه النصيحة ولو تليت عليه الآيات حرفاً حرفاً إلا إن لحقته العناية الإلهية .

مهم

وفيه بعيد هذا : **ولقد تواتر وشاع وذاع أنّ مَنْ أنكر على هذه الطائفة لا ينفع الله بعلمه ويبتلى بأفحش الأمراض وأقبحها** . ولقد جرّبنا في كثير من المنكرين حتى إن البقاعي غفر الله له كان من أكابر أهل العلم ، وكان له عبادات كثيرة وذكاء مفرط وحفظ باهر في سائر العلوم ، لا سيَّما علم التفسير والحديث ، ولقد صنّف كُتباً كثيرة أبى الله أن ينفع أحداً منها ، وله كتاب في مناسبات القرآن نحواً من عشرة أجزاء لا يعرفه إلا الخواص بالسماع ، وأما غيرهم فلا يعرفونه أصلاً ، ولو كان هذا الكتاب لشيخنا زكريا أو غيره ممّن يعتقد [في الأولياء] لكان يكتب بالذهب ؛ لأنه في الحقيقة مثله ، لكن ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ، ولقد بالغ البقاعي في الإنكار ، وصنَّف فيه مصنفات ، كلها صريحة في غاية التعصّب والميل عن سبيل الاستقامة ، ومن ثم جوزي بما مرّ ، وبأقبح منه ، وهو أنه ضبط عليه في مناسباته ، فحكم بتكفيره ، وأهدر دمّه ، ولم يبق من ذلك إلا إزهاق روحه لولا استعان ببعض الأكابر ، حتى خلصه من تلك الورطة ، واستتيب في الصالحية وجدّد إسلامه . راجعه ، وفيه بسط طويل عبارته ٣٩ .

مهم

وفيه أيضاً في موضع آخر : وليس العجب من إنكار المعتزلة الكرامات ، فإنهم قد خاضوا فيما هو أقبح من ذلك ، وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي ﷺ كسؤال الملكين ، وعذاب القبر ، والحوض ،

والميزان ، وغير ذلك . . .إلخ . وإنما العجب من قوم تسمَّوا بأهل السنة وزعموا أنهم من حملة تلك المنة ، ومع ذلك يبالغون في الإنكار ؛ لأنّ كلمة الحرمان حقَّت عليهم إلى أن ألحقتهم بأهل البوار ، وأوجبت لهم نوعاً من أقسام الوبال والخسار .

وهؤلاء

وهؤلاء أقسام ؛ فمنهم من ينكر على مشائخ الصوفية ومتابعيهم ، ومنهم من يعتقدهم إجمالاً ، وإنّ لهم كرامات ، ومتى عيِّن له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك ؛ لما خيَّل له الشيطان أنهم انقطعوا ، وأنه لم يبق إلا متلبِّس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبَّس عليه ، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً ، وقد قرر ابن الجوزي من الوقوع في خطرهم إلا أنْ تكون له نية صالحة كقصده قمعَ مبتدعة في زمانه ، وذلك أنه صنَّف كتاباً سمّاه « تلبيس إبليس » تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم أنّ إبليس لبس عليهم ، قال اليافعي : ولم يدر أنه هو الذي لبَّس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر ،

والعجب كلّ العجب

والعجب كل العجب منه في إنكاره سادات ؛ ما بين أوتادٍ وأبدال وصديقين وعارفين بالله ، قد ملؤا الوجود كرامات وأنوار ومعارف ، أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله ، فحصل لهم في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله ،

مهم

فقول الصغير منهم : وقفت على قلبي عشرين سنة ما جاذبه شيء لغير الله إلاّ رددته ، هذا وهو يطول كلامه بحكاياتهم ، وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم ، فهلاَّ أخلى كتابه من ذكرهم إخلاء عاماً ، ولا يكون ممن يحلّونه عاما ويحرِّمونه عاماً .

أما علم أنّ علماء أعلام الأئمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبرَّكون بهم ويستمدون منهم ، ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنه قال في حق فقير كان يعتقده ويخضع له : **هو عندي خيرٌ من مائة فقيه ، أو من ألف فقيه** وكذلك النووي رضي الله عنه كان يعتقد الشيخ يس المزين ، ويقبل إشارته حتى أنه أمره بالسفر ، وردّ ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل ، ففعل وسافر من دمشق لبلده نَوَى فتوفّي بها بين أهله ، وكذلك العز بن عبد السلام كان يبالغ في تعظيم الصوفية . انتهى عبارته ٢١٨ .

وسمعت شيخنا يقول : إنّ ابن الجوزي المذكور رجع عن الإنكار وتاب على يدي الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني كذا ذكروه في كتبهم . انتهى . وقال الشيخ الرملي في حقِّ ابن تيمية في « النهاية » مثل ما قاله الحافظ ابن حجر ؛ مِنْ أنّه ضالّ مضلّ . راجعه في ١١٣ ج ٦ .

وقال شيخنا قدس سره أيضاً في كتابه « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » مخاطباً لبعض المنكرين : أيها الولد إنّ الكتب من كتب أئمتنا كثيرة فيا ليتك تقصر النظر إليها ، ففيها ما يكفيك في الدين والدنيا ولا تنظر إلى كتب هؤلاء القوم الذين صرفوا آيات القرآن عن مصارفها وحملوها إلى مقاصدهم الفاسدة الكاسدة ، ويا ليتك تنظر إلى غيرها من الكتب التي ردّ مؤلفوها جميع ما أثبته أولئك القوم المخطؤون كـ« شواهد الحق » وكتب الإمام السبكي ، و« الفتاوى الحديثية » و« الفتاوى الكبرى » لابن حجر وغيرها ، وأرجو الله أن ينصرف همتك إلى أحسن الأحوال ، وأن يخرجك عن هذه الورطات ، وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير . انتهى راجعه في ١٦ عبارته .

وذكر فيه أيضاً في موضع آخر بعد ذكر اعتراضات المنكر عليه : ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قاله البعض بأن ليس لأهل الطريقة سند ،

ولم يدر أنَّ لهم سندا صحيحاً ، وأنهم لم يخترعوا شيئاً مَّا برأيهم ، **ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ، ولا يحيط بجميع ما ورد كل أحد وما يجهله أحدٌ يعلمه غيره فانظر ماذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكراسة ولا تقف ما ليس لك به علمٌ** . واعلم إنّ نور الله لا يطفئ بنفح ، بل يؤيّد دينه ولو كره المبطلون وينصر من ينصره ، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ . .الآية .

الطريقة وما يستعمله المشائخ أنوارٌ

والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار ، والمنكرون يريدون إطفائها والله متمّ نوره ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية . واعلم أنّ المنكر المتعصّب لو كان بذل جهده وطاقته لإطفاء ظلمات الخلق وتصفية كدورات الناس ، وأنكر بدل هذا الإنكار على شارب المسكر وشارب الدخان والحشيش ومرتكب الحرام والمكروه والخسيس وغيرهم من اللمم والفواحش لكان خيراً له وأصلح لدينه ودنياه وآخرته ، لكنّه التجأ على هؤلاء السادات ، وأنكر جميعهم من أولهم إلى آخرهم ، واجتهد في ردّ الناس عن الخيرات ، وأدخلهم بقوله في زمرة المشركين عفى الله عنه وعنا .

وأيضاً قد كان في ديارنا متشيخون كذابون يفعلون ما لا أصل له ، ويعلِّمون الناس أموراً مخترعة ، ويتصدَّرون للإرشاد بأنفسهم بلا إجازة من المشائخ ، وقد عمّت بهم البلوى في الدين والدنيا بحيث لا يخفى على عاقل ، ومع ذلك سكت هذا المنكر وأضرابه عن إظهار الحق وإبطال الباطل ، ولم يقل لهؤلاء القوم ولو حرفاً مَّا على قصد النصيحة ، بل دارهم ما كان في دارهم ، ووافقهم في أغراضهم الباطلة . وأمّا نحن وإن كنّا ناقصين فقد سلكنا في مسالك الطريقة إلى مقام المشرب المحمدي ، وأجازنا مشائخنا ، ولا نفعل شيئاً ما يخالف أصولهم ، فالإنكار علينا

والسكوت عن هؤلاء ليس من الإنصاف ، **ولا عجب! ولم يخل عَصْرٌ من الأعصار إلا وفيه الحساد والمعاندون لهذه الطائفة ، لكنّ الله تعالى أيّدهم بفضله وزاد أنوارهم** . انتهى عبارته . وقال قدس سرّه فيه أيضاً في موضع آخر : **فهذا الحقير المرشد** المجازي كالقاضي الضروري يقول : ما قاله هذا القطب وإن كان خالفاً عن التخلُّق بأدنى شيء مما ذكره ، بيد أنه قد أجازه مشائخه في تلقين الأذكار في الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية ، واحد منهم في الثلثة ، واثنان في النقشبنديّة خاصة ، وله في فنون العلوم النقلية والعقلية وعلوم التفاسير والأحاديث فنًّا بعد فنّ إجازة صحيحة ، وقد أمره أولئك المشائخ بالأمر الأكيد بالاجتهاد لهدايةٍ الخلق إلى طريق الحق ، وإن طلب منهم بجهده بإلقائهم هذا الثقل عن ظهره وتركهم إياه في قعر بيته لا يَدري ولا يُدرى ، وقد قال مرة لشيخه : يا أستاذي لو أنك تتركني على حالي ، وتأخذ منّي الإجازة ، وتنفي بعد ذلك أملاكي وأموالي وتؤويني إلى كهف من الكهوف بحيث لا مال ولا بنون لكان أحبّ إليّ . فأجاب بعد ذلك : لا يجوز لك أن تترك الإرشاد إلا تعلّمهم الاستغفار المحض ، ومجرّد ذلك شيء عظيم . انتهى راجعه عبارته ٧١ . أقول : كيف لا يقول مع أنّ ما يحمله يكون ثقلاً عظيماً لا يطيق حمله إلا من وفَّقه الله لذلك .

وسمعته قدس سره يحكي عن شيخه العسلي إنه كان لا يطيق التوجُّه على المريدين في يوم واحد أكثر من ستة رجال وسمعته أيضاً يقول إن شيخه المذكور مرض مرّة مدة ثلثة أشهرٍ بسبب توجّهه إلى إمرأة واحدة ،

وسمعته أيضاً يقول : إن الشيخ لا يدرك[1] أحوال المريدين إلا بعد مفارقة روحه عن الجسد وانسلاخه من الاختيار ،

---

(١) **أي** : لا يعلم أحوالهم إلا بعد فنائه عن ما سوى الله تعالى . فافهم .

وسمعته أيضاً يقول : إن سبب تغيير المتشيخين أصول الطريقة لعدم طاقتهم على التوجُّه على كل الحاضرين عندهم كما هو شرط في الطريقة النقشبندية ، كما قاله الشيخ العبودي قدس سره بنفسه للشيخ العسلي كذا في « تنبيه السالكين » راجعه .

وسمعته قدس سره يقول أيضاً إن شيخه العسلي كان يقول : سُ چِ خُلِوْ عَدَبْ أُنْتِ كَمُنْكِ دُنْ وُكُلَرُ هِبْ اُنْتِ دِصَ اُنْتِ لُنْكِ رِكُلَرُ (عجم) .

وسمعته أيضاً يقول : إنّ شيخه المذكور كان يقول : إنّ ما يحمله لا يطيق حمله على أهل بلدة كبيرة . انتهى .

وأما شيخنا قدس سره قد سبق في تحمّل الأثقال ، وحمل مشقة التوجَّه عليه وعلى المشائخ القبليّين ، فسمعته يقول كثيراً إنّه توجَّه مرة في مدة حياة شيخه العسلي على مائة رجل ولم يمسّ على رأسه وجع ولا ثقل . وبهذا كان شيخه المذكور يحكي للحاضرين لديه متعجِّباً على ذلك ،

وأما في الحال وفي هذا الزمان قد يتفق له أكثر من مائة رجل ولا يرجع أحدٌ من عنده بلا توجُّه ، ومع ذلك لا يخفى عليه شيء من أحوال المريدين ، فللّه الحمد على ذلك ولا نحصي ثناء عليه . انتهى .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » بعد ذكره مَنْ يتحملون البلايا من المشائخ : فعلم أنّ أهل هذا المقام لم يزل أحدهم مريضاً لتواصل وجود البلاء في الوجود على اختلاف طبقاته ، فلا يستريح إلا في وقت لم يتوجَّه إليه مكروب ، ولم يبلغه أن أحداً في بلاء ولا عقوبة يتعيّن عليه مساعدته فيها ، هذا هو حظه من الراحة في الدنيا .

ومن أعظم علامة على صاحب هذا المقام الصداع والضارب الشديد في رأسه حتى يحسُّ بأن شخصاً ذا قوة شديدة يضرب رأسه

بطبر ، أو دق قماق ليلاً ونهاراً ، أو أنّ رأسه مرضوض بين حجري معصرة ، فيتمنّى الموت فلا يجاب ، وقال بعد ذلك : ويقع لي بحمد الله تبارك وتعالى مثل ذلك كثيراً ، فربما أتوني بالطبيب ، فيصف لي دواء ، فيطول جولسه عندي ساعة ، فأشفي من المرض كأن لم أكن مريضاً ، فيتعجّب الطبيب من ذلك . راجعه ، وفيه بسط طويل عبارته ١١٠ ج ١ .

وقال شيخنا أيضاً في « السفر الأسنى » : إخواني إني أريد أن أكون في قعر حجرتي بغلق الباب ، ولا أطلب المريدين أصلاً ، لكنهم لا يتركوني على حالي ظناً منهم أني أهل لذلك ، مع أني في اعتقادي لست بمقام مريد ، فضلاً في مقام الشيخ ، ولا يكون لي بدٌّ من تعليمهم وتلقينهم ، مع ما فيَّ من المخالفة ، ولولا أنهم يعتقدونني لما نزلو بساحة داري ، ولو لم يكن ظنهم في الله حسنا بأن الله تعالى يدخلهم في فضله بواسطتي لما طلبوا مني السلوك ، فبناء على ذلك ألقِّنهم الاستغفار والصلوات ألفاً ألفاً في المَلَوَيْن ، أو خمسمائة منها على وفق حال المريدين ، وأعلِّمهم كيفية الرابطة الشريفة كما علَّمني أشياخي ، وأتركهم على تلك الحالة مدة شهر أو شهرين ، ثم بعد حصول الاستعداد ألقِّنهم الذكر القلبي بلفظة (الله الله الله) ، وآمرهم بعدم غفلتهم عن تخيُّل جريان هذا الذكر المذكور المبارك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، **وأعلّمهم أن الغفلة من أعظم الذنوب عند أهل الله ، وأحثُّهم على الاستغفار عن الغفلة كما يستغفرون عن المعصية** ، فهذا أقلُّ ما آمرهم وأرشدهم إليه ، ومَنْ آثر منهم الآخرة على الدنيا ، وأراد أن ينيب إلى الله ، ولازم الذكر ، وترك الهوى ألقِّنه الذكر على اللطائف بالترتيب بعد حصول النتيجة على ما هو معلوم عند أهله ، فيسري ذكره على جميع أجزاء البدن ، ويحصل له سلطان الذكر ، ثم بعد ذلك ألقِّنهم النفي والإثبات ، فإذا حصل لهم نتيجة أعلّمهم المراقبة ، ثُمَّ وثُمَّ إلى آخر ما نعلم من أمور الطريقة . انتهى ، راجعه في ٧٢ عبارته .

مهم

يجب على الشيخ . . .إلخ .

وقوله قدس سره : (مع أني في اعتقادي لست بمقام مريد فضلا في مقام الشيخ) . . .إلخ . وهذا القول منه موافق لما قاله المشائخ العارفون من أنه يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من كلّ أحدٍ حتى من مريديه ، وأعصى وأفسق منهم ، بيد أنه ينصحهم امتثالاً بالأمر الإلهي مع شهود أنهم أحسن منه حالاً . انتهى . كذا في « تنبيه السالكين » .

والمتكبّر عند الله لا يصلح أن يكون داعيا

وفيه بعيد ذلك نقلاً من « المنن الكبرى » : وسمعت سيّدي أفضل الدين رحمه الله يقول : متى رأى الفقير أنّ له تلميذا دونه في الدرجة فقد ادَّعى الكبر ، والمتكبّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلت له : فمن يخلص من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهوده أن أخاه أحسن حالاً منه وأكثر طاعة منه . انتهى عبارته في ١٢٦ . وراجع « المنن » في ١٥٠ ج ١ وفيه بسط طويل .

ينبغي لكلّ ذي عقل

وفي « الفتاوى الحديثية » للحافظ ابن حجر أنه سئل رضي الله عنه عن قوم من الفقهاء ينكرون على الصوفية إجمالاً وتفصيلاً ، فهل هم معذورون أم لا ؟ فأجاب بقوله : ينبغي لكل ذي عقل ودين أن لا يقع في ورطة الإنكار على هؤلاء القوم ، فإنه السمُّ القاتل كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً ، وقد قدَّمنا صحة قصة ابن السقا المنكر على وليّ الله ، فأشار إليه أنه يموت كافراً ، فشوهد عند موته – بعد تنصّره لفتنته بنصرانية أَبَتْ منه إلاَّ أن يتَنصَّر – مستقبل الشرق ، وكلَّما حوِّل إلى القبلة يتحوّل إلى الشرق حتى طلعت روحه وهو كذلك ، وإنه كان أوجه أهل زمانه علماً

وذكآء وشهرة وتقدّماً عند الخليفة ، فحلّت عليه الكلمة بواسطة إنكاره وقوله عن ذلك الوليّ (لأسألنّه مسألة لا يقدر على جوابها) وتقدَّم أيضاً أنّ الإمام أبا سعيد بن أبي عصرون إمام الشافعيّة في زمنه صدر منه لذلك الوليّ نوع قلّة أدب ، فوعده بأن يغرق في الدنيا إلى أذنيه ، فولاه نور الدين الشهيد الأوقاف بدمشق ، وكان كذلك ، وأنّ إمام العارفين وتاج الخلفآء الوارثين محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ؛ وهؤلاء الثلاثة جاءوا للوليّ معا فوقع للأوَّلين ما ذكروا ، وأما الشيخ عبد القادر لمَّا تأدّب معه دعا له ، ووعده بالولاية القطبية ، وأن قدمه سيصير على عنق كلّ وليّ لله تعالى ، فانظر شؤم قلة الأدب وفائدة الأدب والاعتقاد ، وجآء عن المشائخ العارفين والأمّة الوارثين أنهم قالوا : **أقلّ عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم . قالوا : ويخشى عليه سوء الخاتمة ؛** نعوذ بالله من سوء القضآء .

وقال بعض العارفين : من رأيتموه يؤذي الأوليآء ، وينكر مواهب الأصفيآء ، فاعلموا **أنه محارب لله مبعّدٌ مطرودٌ عَنْ حقيقة قرب الله ،** وقال الإمام المجمع على إمامته وجلالته ابو تراب النخشبي رضي الله عنه : **إذا ألف القلوب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى** . وقال الإمام العارف شاه بن شبحاع الكرماني : ما تعبّد متعبِّد بأكثر من التحبّب إلى أولياء الله ، لأنّ محبّتهم دليل على محبة الله عز وجلّ . وقال أبو القاسم القشيري : **قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ،**

مهم

ومن ردَّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبّ ذلك ولو بعد حين ، **ومن خُذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته ، وذلك لا يخطئ** . ويكفي في عقوبة المنكر على الأوليآء قوله ﷺ في الحديث الصحيح « من أذى وليا لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أنّي محارب

له ، ومن حارب الله لا يفلح أبداً ، وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلاّ المنكر على الأولياء وآكل الربا ، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّا من سوء الخاتمة ، إذ لا يحارب الله إلا كافراً . انتهى عبارته ٢٣٧ .

وفيه بعيد هذا وذكر اليافعي أن جماعة من الفقهاء أنكروا على جماعة من الصوفية لحنهم في مواجيدهم ، فأعادوا تلك الكلمات في الحال وأعربوها بوجوه من الإعراب ، ثم أنشدواعقيب ذلك (شعر) :

لحنها معرب وأعجب من ذا   إنّ إعراب غيرها ملحون

وقال بعض المشائخ لبعض الفقهآء المنكر عليه فعرض له أسد فمنعه منه : اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد ، وقال آخر لمن أنكر عليه قراءته : إن كنتُ لحنت في قراءة القرآن فقد لحنتَ أنت في الإيمان ، وذلك لما أنكر عليه ، وخرج قصده السبع ، فخشي عليه من خوفه لضعف إيمانه وقلّة يقينه بالله ، إذا السبع كلب من الكلاب ، ودابة من دواب البرّ ، لا يتحرَّك شيء منها إلا بإذن ربّ الأرباب . ووقع لصوفيّ أنه دخل بلداً ، فتخلّف فقيهاً عن زيارته ، فسأله أهلها أن يغاثوا لشدّة ما عندهم من الجدب ، فقالوا : سلوا فقيهكم ، فإن سقيتم بدعوته زرته ، فسألوه ، فقال : لا ، اسألوه هو ، فإن سقيتم بدعائه زرته ، فرجعوا إليه فدعا فسقوا في الحال فجآء فزاره . انتهى ، راجعه عبارته ٢٣٧ .

وفيه قبيل المذكور : قال سيّد الطائفة أبو القاسم جنيد قدس سرّه : التصديق بطريقتنا هذا ولاية . قال السهروردي : لأنّ الصوفية تميَّزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق ، لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم وإشارتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه ، والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ، ولهم علوم من هذا القبيل . فلا يؤمن بطريقتهم إلاّ مَنْ خصّه الله تعالى بمزيد عنايته ، فالمتشبّه صاحب إيمان ، والمتصوّف صاحب علم ، قال العارف بالله القطب الحقيقي أحمد ضيآء الدين .

واعلم أنّ الإنكار على السادات الصوفية والطريقة العلية المتَّبعين للسنة السنية والدافعين للبدعة الرديَّة ، خصوصاً أهل العلم النافع والعمل الرافع والمعارف والأسرار والكشف الصحيح والأنوار سمٌّ قاتلٌ وهلاك عظيم . وقد ورد به الوعيد الشديد ، وهو أمر خطير ، وهو علامة إعراض القلب عن الله وحشوه بالأمراض ، ويخشى على فاعله سوء الخاتمة ؛ والعياذ بالله ، وهو لا يصدر غالباً إلا من بعض المتفقّهة القاصرين . انتهى « بروج المشيدة » عبارته من البرج الخامس عشر .

وفيه بعيد هذا : وقال عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي رحمه الله في كتابه « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في ٥١ في الفصل السادس : اعلم **أنّ المنكر على الأولياء ساقط من عين الله** ، وهالك في الدنيا والآخرة ، وأنه في لعنة الله ومحاربته . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته بأني محارب له عنه ، بمعنى أني مهلكه ، ثم قال بعد كلام : **تنبيه** قال الفاكهاني رحمه الله تعالى : من حاربه أهلكه ، وقال غيره : **إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة** كأكل الربا ؛ عافا الله تعالى من ذلك . **فمن والى أولياء الله أكرمه الله** ، ومن عادى أولياء الله أهلكه الله . انتهى منه عبارته ، وفيه بسط طويل .

وقال شيخنا قدس سرّه في كتابه « السفر الأسنى » نقلاً من « جامع أصول الأولياء » **ما من نبيّ الاّ وله مِن هذه الأمّة وارثٌ** ، فكما أمر الله تعالى بالاعتقاد في الأنبياء والمرسلين كذلك يجب على كل مؤمن أن يعتقد في الأولياء وكراماتهم . راجع « شرح العقائد » . وأيضاً أنّ من لا

يعتقدهم يحتقرهم ، واحتقار أهل العلم من كبائر الذنوب ، هذا إن لم يستحلَّ أذاهم واحتقارهم عالماً بذلك ، وإلاَّ فهو مرتد يقتل بردّته إذا لم يتب ، كما هو مصرَّح في « تلخيص المراد » في ٣٠٥ ، وفيه أيضاً : قد جرّب أنّ مَنْ وقع في العلماء أو طلبة العلم امتحن بسوء الخاتمة ؛ والعياذ بالله . انتهى راجعه .

فينبغي أن يعلم المنكر المعترض أنّ إذايتهم إنما تكون بعدم محبتهم ، وعدم محبتهم إنما تكون بعدم اعتقادهم ، فوجب اعتقادهم ومحبّتهم ليحترز من الدخول في هذا الوعيد الشديد ، فكما يجب أن يحبّ رسول الله ﷺ ويعتقده ولا يبغضه فكذا يجب حبّ تابعيه وعدم بغضهم . انتهى راجعه عبارته ١٣ .

وفيه بعيد المذكور نقلاً عن « المنن الكبرى » وكان سيّدي علي ابن وفا رضي الله عنه يقول **التسليم للقوم أسلمُ ، والاعتقاد فيهم أغنمُ ، والإنكار عليهم سمّ ساعةٍ في إذهاب الدين** ، وربما تنصَّر بعض المنكرين ومات على ذلك ؛ نسأل الله العافية .

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه : فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجعل(١) مرآة قلبك ، فإنك تشهد الصوفية من خيار الناس ، ويقلُّ إنكارك ، وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار ؛ لأنّك لا تنظر في مرآتك إلا صورتك . انتهى راجعه في ١٣٩ عبارته . وذُكر فيه أيضاً بعيد المذكور كلُّ ما وقع لمنكري شيخه العسلي من المصائب والبلايا . راجعه في ١٤ . فإن رجعت إلى « تنبيه السالكين » ترى العجب ؛ رزقنا الله محبتهم واعتقادهم ، وعصمنا الله تعالى من محاربته تعالى علينا بقلة اعتقادنا فيهم ، آمين .

قال الإمام الرباني في « الدرر المكنونات » بعد كلام طويل : وإن كان الاعتراض مقدار حبة خردل فإنه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان ،

---

(١) فاجل – عله صواب . **(هامش الاصل)** .

وأشقى الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة . راجعه في ٣٤٧ من الجزء الأول .

وفي « الفتاوى الحديثية » للحافظ ابن حجر : **ومن فتح باب الاعتراض على المشائخ ، والنظر في أحوالهم وأفعالهم ، والبحث عنها ، فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته وإنه لا ينتج قط** . ومن ثم قال : من قال لشيخه (لم) لا يفلح أبداً . انتهى عبارته ٥٦ ، وإن أردت الزيادة راجع إلى « لواقح الأنوار القدسية » و« اليواقيت » في ٢٣٨ من الجزء الثاني و« لطائف المنن » و« طبقات الكبرى » للشعراني و« البهجة السنية » و« خلاصة الأدب » و« تلخيص المعارف » و« البروج المشيدة » . . .إلخ . . .إلخ .

تتمّة

قال العلامة ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : وإيّاك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وابن القيم[1] الجوزية وغيرهما ممَّن اتَّخذ إلهه هواه وأضلّه الله ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يَهْديه من بعد الله ، وكيف يجاوز هؤلاء الملحدون الحدود ، وتعدّوا الرسوم ، وخرقوا سياج الشريعة ، فظنُّوا بذلك أنهم على هدى من ربهم ، وليسوا كذلك ، بل هم على أسوء الضلال ، وأقبح الخصال ، وأبلغ المقت والخسران ، وأنهى الكذب والبهتان ؛ فخذل الله متَّبعهم وطهَّر الأرض من أمثالهم . انتهى عبارته في ١٤٥ .

وقال شيخنا في « السفر الأسنى » نقلاً عن كتاب « شواهد الحق » : يجب عليك الحذر التام من مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد . انتهى عبارته ١٠٥ .

---

(١) وفي « المقالات الزينية » ما حاصله : إن ابن قيم من الحشوية ، وأمَّا ابن الجوزي فقد خرج منهم وتاب على يد الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه . فراجعه . (**قحي**) . (**هامش الاصل**) .

مهم

مات ابن تيمية في الحبس

وقال قبله وبعده كلاماً كثيراً في حقِّه ، وذُكر واتُّفق على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه السلطان ، ومنعه من الكتابة في الحبس ، وأن يدخل عليه بدواة ، ومات في الحبس ، ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ، ويعلّم مسائله ، ويلقِّن ذلك إلى الناس سرّاً ، ويكتمه جهراً ، فعمَّ الضرر بذلك . . إلخ عبارته ١٠٥ .

وحاصل ما أجاب المحقِّق العلامة الحافظ ابن حجر عمَّن سأل عن شطحات الصوفية : إنّ ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان الإنكار ، ومنَّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه ، وحمل ما صدر عنهم على أحسن المحامل وأقومها ، عنها أجوبة مسكتة ، وتحقيقات مبهِّتة لا يهتدي إليها إلا الموفَّقون ، **ولا يعرض عنها إلاّ المخذولون ، فاحذر أن تكون ممَّن يتحسَّى كأس سم الإنكار ، فيهلك لوقته ، وبادر إلى السلامة** من غضب الله ومحاربته ومقته ، فقد قال على لسان الصادق المصدَّق « من عادى لي ولياً » . . .إلخ .

مهم

ولم ينصب الله المحاربة لأحد إلاّ للمنكرين على أوليائه

قال الأئمة : ولم ينصب الله المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه ، وآكلي الربا ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

أحد تلك المسالك أنّ تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحقِّ ، ونطق عمَّا يليق وما شاهدوه من أنوارها ، وغلبة التجوّز في نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية ، والقرب يبسط لهم العذر ، ويرفع عنهم الإصر ، ممن اعتمد على هذا المسلك الشهاب السهروردي المجمع على إمامة في العلوم الظاهرة والباطنة في « عوارفه » حيث قال : وما حكي

عن أبي يزيد ﵁ : (سبحاني) حاشا الله أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول مثل ذلك إلاَّ على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وذلك مما ينبغي أن يعتقد في الحلاج رحمه الله في قوله : (أنا الحق) .

ثانيها إن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب الآخذة له من صحوه وتمييزه ، ألا ترى أنّ بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تميّزه لشدّة تمكُّنها منه ، واستغراقه في فكره وخطرها ، فإنه إذا كان في هذه الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحقِّ على القلوب ؟ ! . انتهى « فتاوى الحديثية » عبارته ٢٢٤ .

شعر أنشده أبو القاسم جنيد البغدادي قدس سره :

علم التصوّف علم ليس يعرفه	إلا أخو فطنة بالحقِّ معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده	وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

« قوت » عبارته ٥٩ ج١ .

وقال آخر :

إذا ما قال للخفاش قوم	بنور الشمس يبصر ما يكون
فليس مصدِّقاً هذا ولكن	يكذِّب أو يقول بهم جنون
وإن تعجب فمن يسألوه	أنوار الشمس تقلبه الجفون
واعجبُ منهم من قلدوه	وقالوا[1] بالظلام ترى العيون

انتهى عبارته .

---

(١) **لطيفة :** سأل الشعراني شيخه الخواص : لماذا يؤوّل العلماء الموهم الواقع من الشارع ، ولا يؤوِّلون الموهم الواقع من الولي ؟ فقال : لو أنصفوا لأوّلوا الواقع من الوليّ بالأولى ؛ لأنه معذور بضعفه في أحوال الحضرة ، بخلاف الشارع ، فإنه ذو مقام مكين ، وقد يقال : الشارع ينبغي المحافظة على الواقع منه ما أمكنٍ ، لأنه يقتدى به ، ولا كذلك الولي ، فإنه لا يحافظ على كلامه ، لأنه لا يقتدى به فإذاً لو هم أهدر . « باجوري » عبارته .

الباب الثالث

في بيان كون الحقيقة عين الشريعة ، ومشروعية الانتساب إلى المشائخ ، ومسنونية التعلّم منهم ، وكون التشيُّخ والمريدية مأموراً بهما في الشريعة ، وبيان النص له من القرآن والحديث خلافاً لمن توَّهم ورودهما في الكتاب والسنة ، مع دلائل النقشبنديّين لما يلقّنونه من الكتاب ، وبيان عدم خروج شيء منها عن الشريعة ، وبيان كون الشريعة والطريقة توأمان ، مع بيان فرضية تعلّم علم الباطن ، ووجوب اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة والقائلين به .

اعلم أيها الأخ المرجّو الاستقامة إنّ الشيخ العلامة ابن حجر الهيتمي قال في « الفتاوى الحديثية » : وسئل نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة . فأجاب بقوله : فرِّق بينهما بفروق ؛ منها أن الحقيقة مشاهدة أسرار الربوبية ، و لها طريقة هي عزائم الشريعة ، ونهاية الشيء غير مخالفة له على ما يأتي ، فالشريعة هي الأصل ، ومن ثمّ شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة . والحقيقة هي الفرع المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شبهت بالدُرِّ والتبر والزبد والثمرة ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية ، وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية ، ولا شك أنّ أهلهما متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك اختلافاً بينهما .

مهم

علم صفات القلب فرض عين

وبيّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى بأنّ الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن ، والظاهر شرعي وغيره ، والشرعي فرض ومندوب ، والفرض عين وكفاية .

والعين علم صفات القلب وعلم أصل وعلم فرع ، والعمل عزائم ورخص ، والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين ؛ علم وعمل ، والعلم وهبيّ وكسبيٌّ ، فالوهبيّ علم المكاشفة ، والكسبي فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين علم قلب وعلم أصل وعلم فرع ، فالكسبي الذي أحد علم نوعي قسمي الحقيقةِ هي علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتمل على منازل السالكين ، وتسمى مقامات اليقين ، والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها وأصولها وفروعها وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً ، نعم هنا شيئان ؛ أحدهما علم صفات القلب فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جدّاً ، وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته وتبديل صفات الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف ، والثاني الرخص ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكون في حقيقتها ، وأنها من رحمة الله بعباده ، وأمّا من حيث عملهم فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلا في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى عبارته ٢٢١ .

وقال شيخنا في « البروج المشيدة » : وأما الإمام الرباني قدس سره لا يقبل أن يقال فيهما كلام مَّا يفهم المخالفة بينهما كما صرَّحه بذلك

في « مكتوباته » ، بل يقول : بأن الطريقة والحقيقة مكمِّلتان للشريعة كما هو مذكور في « البهجة السنية » ، وفي « جامع الأصول » : الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما كفر . انتهى عبارته .

وأما الانتساب إلى المشائخ فأمرٌ مشروع كما نطق به الكتاب والسنة قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ . وقال في « عوارف المعارف » بَعْد ذكر حديث : « اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » : إنّ الآية المذكورة إشارة إلى ذلك ، فإن المشائخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة المقتدين . انتهى عبارته .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ . انتهى . و﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِي ﴾ ، و﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ . . إلخ . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ . . . إلخ . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ إلخ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ . . .إلخ ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ إلى غير ذلك .

قال الشيخ إسماعيل حقي في « روح البيان » في تفسير آية ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ ﴾ . . .إلخ : وفي قوله[1] تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ ﴾ . . . إلخ إشارة إلى أن المكوّنات على نوعين ؛ نوع منها ما خلق من غير شيء وهو الملكوت الذي هو باطن الكون ، والكون به قائم وهو قائم بيد القدرة كقوله تعالى ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ونوع منها ما خلق من شيء وهو الملك الذي هو ظاهر الكون ، فكما أنّ النظر إلى الملك بحس البصر فالنظر إلى الملكوت بالعقل والقلب ، فنظر أرباب

---

(١) مقول القول (هامش الاصل) .

العقول فيه يفيد رؤية الآيات ، والاستدلال بها على معرفة الخالق وإثبات الصانع ونظر أصحاب القلوب فيه يفيد شهود شواهد الغيب بالولوج ليصير إيمانه إيقاناً ، بل عياناً ؛ كقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ . . .إلخ .

وهذه الإرائة سنة إلهية قديمة للحق سبحانه ، يرى بها كل من جعله نبيّاً أو وليّاً ، ناسوت العالم وملكوته وجبروته ولاهوته سواء كان عالماً صغيراً أو عالماً كبيراً ، ولا تزال تلك السنة باقية إلى يوم القيامة ما دام لم ينقطع السير والسلوك إلى الحقِّ سبحانه ، فلولاها لِنَوع الإنسان لكان كسائر الحيوان ، إلاّ أنّ الله الرحمن مَنَّ بها على نوع الإنسان وسار وسلك بها من شاء من أهل عنايته إلى قِبَل الملك المنان ، حتى ترقَّى عن جميع الأكوان ، ونال الشهود والعيان ، ووصل إلى الحقِّ المحسان ، وأتاه كمال الإيقان وتمام والإحسان ، ثم جاء نَبيّاً أو وليّاً لإرشاد الإخوان ، فقام بالحكمة والبيان ، وبيَّن الإسلام والإيمان ، ودعا إلى الله الحليم الحنان ، وبشَّر بالجنان ، وأنذر بالنيران ، **فمن أجاب نال اللطف والإحسان ، ومن لم يجب خسر خسراناً مبيناً** ، وقال عليه السلام عن عيسى« لن يلج ملكوت السموات والأرض مَنْ لم يولد مرّتين » فالولوج لأصحاب القلوب والمشاهدة ، والنظر لأرباب العقول والاستدلال كذا في « التأويلات النجمية » انتهى عبارته ٨٠٦ ج١ .

وأُولوا الأمر في الحقيقة المشائخ الواصلون

وفيه أيضاً في تفسير آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ . . .إلخ بعد كلام طويل : ثم اعلم بأنّ المراد بـ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ في الحقيقة المشائخ الواصلون ، ومَنْ بيده أمر التربية ، فإن أولي أمر المريد شيخه في التربية ، فينبغي للمريد في كل وارد حقٍّ يدق باب قلبه ، أو إشارة أو إلهام أو

واقعة تنبئ عن أعمال أو أحوال في حقِّه أن يضرب على محك نظر شيخه ، فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير إليه أو يحكم عليه يكون منقاداً لِأَوَامره ونواهيه ؛ لأنه أولوا أمره .

وأما الشيخ فأولوا أمره الكتاب والسنة ، فينبغي له أن ما سنح له من العيب بوارد الحق من الكشوف والشواهد والأسرار والحقائق يضرب على محك الكتاب والسنة ، فما صدَّقاه ويحكمان عليه فيقبله ، وإلا فلا ، لأنّ الطريقة مقيّدة بالكتاب والسنة كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى في « تأويلاته » . انتهى عبارته ٤٥٥ من الجزء الأول من سوره « النساء » ، ثم اعلم أنه ورد « إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإن علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل » .

وقال العلماء في تفسير الحديث المذكور : إن العلماء الجامعة للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة من وراثة النبوّة ، فإذا كان الأمر كذلك يجب عليك الإطاعة على علماء الحقيقة والاقتداء بهم وُجُوبَ متابعة النبي عليه الصلاة والسلام بلا فرق ، لكونهم هم الوارثون الكاملون ؛ رزقنا الله تعالى متابعتهم ، وأنوار وراثتهم ، آمين . وقال فيه أيضاً على تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ :

ولا بدَّ للعبد من العروج من الخلق إلى الخالق ، ومن الحاجة التامة لنفسه إلى الغنى التام بالحق في تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ، فإذا فرَّ إلى الله ، ووصل إلى جماله ، وغرق في مشاهدة جلاله ، شاهد سرّ قوله تعالى ثمَّ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ .

وأوّل الأمر ترك الأموال ، ثم ترك الأولاد ، ثم ترك النفس ، فعند الأول يتجلَّى توحيد الأفعال ، وعند الثاني يتجلّى توحيد الصفات ، وعند الثالث يتجلّى توحيد الذات ، وهو أعلى الدرجات ، فعلى العاقل

إكثار ذكر الله ، فإنه سبب لتصفية الباطن وصقالة القلب ؛ وقال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ **ولا فلاح أعظم من أن يصل الطالب إلى المطلوب**؛ اللهم اجعلنا مفلحين . انتهى عبارته ٢٢٠ من سورة « البقرة » .

والمقصود من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقيقة المعتقدات الشرعية الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك ، كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه راجع « الدرر المكنونات » في ١٩٠ من الجزء الأوّل .

وفيه في ١٠٢ : وكما أنّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، ويمكن أن يكون قوله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ رمزاً إلى هذا المعنى ، فإنّ كلمة (حتى) كما إنها تكون للغاية تكون للعلة أيضاً ؛ أي : لأجل أن يأتيك ، وكان الإيمان المتقدم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عبّر عنها باليقين ، قال الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ أي : الذين أمنوا صورة آمنوا حقيقة بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى عبارة « تنبيه السالكين » في ١٩٤ من الباب الثالث والعشرين .

ذكر الشيخ إسماعيل حقي المذكور قدس سره في « روح البيان » في تفسير الآية السابقة ؛ أي : آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ . . .إلخ .

إنّ الله تعالى جعل الفلاح الحقيقي في أربعة أشياء : والإشارة في الآية أنّ الله تعالى جعل الفلاح الحقيقي في أربعة أشياء ؛

أحدها : الإيمان ، وهو : إصابة رشاشة النور في بدء الخلقة ، وبه يخلص العبد من حجب ظلمة الكفر ،

وثانيها : التقوى ، وهو منشأ الأخلاق المرضية ومنبع الأعمال الشرعية ، وبه يخلص العبد من ظلمة المعاصي ،

وثالثها : ابتغاء الوسيلة ، وهو : فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ، وبه يتخلَّص العبد من ظلمة الوجود ، ويظفر بنور الشهود ، فالمعنى الحقيقي يا أيها الذين آمنوا بإصابة النور اتقوا الله بتبديل الأخلاق الذميمة وابتغوا إليه الوسيلة في إفناء الأوصاف وجاهدوا في سبيله ببذل الوجود لعلكم ينيل المقصود من المعبود . كذا في « التأويلات النجمية » . **واعلم أنّ الآية الكريمة صرّحت بالأمر بابتغاء الوسيلة ، ولا بدّ منها البتّة ، فإنّ الوصول إلى الله تعالى لا تحصل إلا بالوسيلة ، وهي علماء الحقيقة ومشائخ الطريقة** . والعمل بالنفس يزيد في وجودها ، **وأمّا العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء والأولياء فيخلصها من الوجود ، ويرفع الحجاب ، ويوصل الطالب إلى رب الأرباب** .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : كنتُ أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مفازة لطلب الدخول إلى الله ، وأقمنا فيها ونقول : يفتحُ لنا غداً أو بَعْدَ غدٍ ، فدخل علينا يَوْماً رجلٌ ذو هيبة ، وعلمنا أنّه من أولياء الله ، فقلنا له : كيف حالك ؟ فقال : كيف حال مَنْ يقول : يفتح لنا غداً وبعد غدٍ ، يا نفس لم لا تعبدين الله لِلّه فتيقَّظنا وتبنا إلى الله ، وبعد ذلك فتح علينا ، فلا بدّ من قطع التعلُّق من كلّ وجه لينكشف حقيقة الحال .

مهم

وحكي أن خادم الشيخ أبي يزيد[١] البسطامي كان رجلاً مغربيّاً ، فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير ، فقال المغربي : والله إن يسألاني لأقولنّ لهما ، فقالوا له : ومن أين يعلم ذلك ؟ فقال : اقعدوا على قبري حتى تسمعوني ، فلما انتقل المغربي جلسوا على قبره ، فسمعوا المسألة ، وسمعوه يقول : أتسألونني وقد حملت فروة أبي يزيد على

---

(١) وهذه القصة مذكورة في « مصباح الظلام » فراجعه . (**قحي**) .

عنقي ؟ ! فمضوا وتركوه ، ولا تستبعد أمثال هذا ، فإن جواب المجيب المدقِّق يذهب معه من هذا ، فحصل مثل هذا الزاد . انتهى عبارته ٥٠ ج ١ من سورة « المائدة » .

وقال فيه أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ نقلاً عن تفسير « القاضي » : إذا قاله العارف الواصل إلى الله كنى به : ارشدنا طريق السير لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا ، لنستضيئ بنور قدسك فنراك بنورك ،

قال المولى الفناري : ومبناه أن السير في الله غير متناه كما قال قطب المحققين ، ولا نهاية للمعلومات والمقدورات ، فما دام معلوم أو مقدور فالشوق للعبد لا يسكن ولا يزول ، وأصل الهداية أن يعدّى باللام أو إلى ، فعومل معاملة اختار في قوله تعالى ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ ﴾ . و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ استعارة عن ملَّة الإسلام والدين الحق ، تشبيهاً لوسيلة المقصود بوسيلة المقصد ، أو لمحلّ التوجُّه الروحاني بمحلِّ التوجه الجسماني ، وإنما الدين صراط ؛ لأنّ الله سبحانه وإن كان متعالياً عن الأمكنة ، لكنّ العبد الطالب لا بدّ له من قطع المسافات ، ومسِّ الآفات ، وتحمُّل المجافات ، ليكرم بالوصول والموافات ، ثم في قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ مع أنه مهتد وجوه ؛

الأول : أن لا بدّ بَعْدَ معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسِّط بين الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوية والغضبية ، وإنفاق المال والمطلوب ، وأن يهديه إلى الوسط ،

والثاني : أنه وإن عرف الله بدليل ، فهناك أدّلة أخرى ، فمعنى ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ عرفنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذلك وصفاتك وأفعالك .

والثالث : إن معناه بموجب قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ طلب الإعراض عما سوى الله ، وإن كان نفسه ، والإقبال بالكلية عليه ، حتى لو أمر بذبح ولده كإبراهيم عليه السلام ، أو بأن ينقاد للذبح كإسماعيل عليه

السلام ، أو بأن يُرمىَ نفسه في البحر كيونس عليه السلام ، أو بأن يتلمَّذ مع بلوغه أعلى درجات الغايات كموسى عليه السلام ، أو بأن يصبر في الأمر بالمعروف على القتل والشق بنصفين كيحيى وزكريا عليهما السلام فعل ، وهذا مقام هائل إلاّ أن في قوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ دون أن يقول : صراط الذين ضربوا وقتلوا تيسيراً مَّا وترغيباً إلى مقام الأنبياء والأولياء من حيث إنعامهم ، ثم الاستقامة الاعتدالية ثم الثبات عليها أمر صعبٌ ، ولذا قال النبي صل الله عليه وسلم : « شيبتني هود وأخواتها » حيث ورد فيها ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ .

فإنَّ الإنسان من حيث نشأته وقواه الظاهرة والباطنة مشتمل على صفات وأخلاق طبعية وروحانية ، ولكلٍّ منها طرفَا إفراط وتفريط ، والواجب معرفة الوسط من كل ذلك والبقاء عليه ، وبذلك وردت الأوامر ونطقت الآيات كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً ﴾ . . .إلخ ، حرَّضه على الوسط بين البخل والإسراف . انتهى عبارته في ١٥ . وفيه بعيد هذا : والمستقيم على أقسام ؛ ومنها مستقيم بقوله وفعله وقلبه ، ومستقيم بقلبه وفعله دون قوله ، أي : لم يعلِّم أحداً ولهذين الفوز ، والأول أعلى ، ومستقيم بفعله وقوله دون قلبه ، وهذا يرجى له النفع بغيره ، ومنها مستقيم بقوله وقلبه دون فعله ، ومستقيم بقوله دون فعله وقلبه ، ومستقيم بقلبه دون قوله وفعله ، ومستقيم بفعله دون قوله وقلبه ، وهؤلاء الأربعة عليهم لا لهم وإن كان بعضهم فوق بعض .

وليس المراد بالاستقامة بالقول ترك الغيبة والنميمة وشبهها ، فإن الفعل يشمل ذلك ، وإنما المراد بها إرشاد الغير إلى الصراط المستقيم ، وقد يكون عرياناً مما يرشد إليه ، مثال اجتماعها **رجل تفقَّه في أمر صلاته وحقَّقها ثم علّمها غيره فهذا مستقيم في قوله** ، ثم حضر وقتها فأداها على ما عليها محافظاً على أركانها الظاهرة ، فهذا مستقيم في فعله ، ثم علم إنّ مراد الله منه من تلك الصلاة حضور قلبه معه فأحضره ، فهذا مستقيم بقلبه ، وقس على ذلك بقية الأقسام .

إن أقسام الهداية ثلاثة

وفي « التأويلات النجمية » : إنّ أقسام الهداية ثلاثة ؛

الأولى : هداية العامة ، أي : عامة الحيوانات إلى جلب منافعها وسلب مضارها ، وإليه أشار بقوله تعالى ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ وقوله ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ .

والثانية : هداية الخاصة ، أي : للمؤمنين إلى الجنة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ الآية .

والثالثة : هداية الأخص ، وهي هداية الحقيقة إلى الله بالله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وقوله ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وقوله ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ وقوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي : كنت ضالاً في نية وجودك ، فطلبتك بجودي ، ووجدتك بفضلي ولطفي ، وهديتك بجذبات عنايتي ونور هدايتي إليَّ ، وجعلتك نوراً فأهدي بك إليَّ من أشاء من عبادي ، فمن اتبعك وطلب رضاك فنخرجهم من ظلمات الوجود البشري إلى نور الوجود الروحاني ، ونهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ والصراط المستقيم هو الدين القويم ، وهو ما يدلُّ عليه القرآن العظيم ، وهو خلق سيد المرسلين ﷺ فيما قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، ثم هو إما إلى الجنة ، وذلك لأصحاب اليمين كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الآية ، وإما إلى الله تعالى ، وهذا للسابقين المتقرِّبين ؛ كما قال تعالى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ وكل ما يكون لأصحاب اليمين يحصل للسابقين ، وهم السابقون على أصحاب اليمين بما لهم من شهود الجمال وكشف الجلال ، وهذا خاصة لسيِّد المرسلين ومتابعيه كما قال تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ انتهى عبارته ١٦ .

وقال فيه أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ما حاصله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، الآية أي : أنعم الله على أسرارهم بأنوار العناية ، وعلى أرواحهم بأسرار الهداية ، وعلى قلوبهم بآثار الولاية ، وعلى نفوسهم في قمع الهوى وقهر الطبع وحفظ الشرع بالتوفيق والرعاية ، وفي مكايد الشيطان بالمراقبة والكلاية .

والنعم إما ظاهرة ؛ كإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وتوفيق قبول دعوة الرسل ، واتباع السنة ، واجتناب البدعة ، وانقياد النفس للأوامر والنواهي ، والثبات على قدم الصدق ، ولزوم العبودية .

وإما باطنة ؛ وهي : ما أنعم على أرواحهم في بداية الفطرة بإصابة رشاش نوره ، كما قال عليه السلام « إنّ الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصاب ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضلّ » ، فكان فتح باب صراط الله إلى العبد من رشاش ذلك النور ، وأوّل الغيث رش ، ثم ينسكب ، فالمؤمنون ينظرون بذلك النور المرشوش إلى مشاهدة المغيث ، وينتظرون الغيث ويستعينون . انتهى عبارته ١٦ .

وفيه أيضاً ؛ أي : في « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ :

واعلم أن ظاهر الخطاب مع أهل الكتاب ، وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون ، فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن ؛ من الزهد في الدنيا ، والورع والتقوى ، ونهي النفس عن الهوى ، وإيثار ما يفنى على ما يبقى ، والإعراض عن الخلق ، والتوجُّه إلى الحق ، وبذل الوجود لنيل المقصود ، والله شهيد على ما تعملون ، حاضر معهم ، ناظر إلى نياتهم في أعمال الخير والشر ، فيجازيهم بها ، وهُمْ يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظن ويحسبون أنّ أعمالهم وأحوالهم

على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحقِّ ، أمر الأنبياء بدعوة الخلق إليه ، وهم يطلبون اعوجاج طريق الحق بالسير في طريق الباطل ، وقد وصى الله المؤمنين بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الآية حتى لا يرتدوا عن طريق الهداية بَعْدَ الإيمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم ، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

قال بعض المشائخ : خير العلم ما كانت الخشية معه ، وذلك لأنّ الخشية إنما تنشأ عن العلم بصفات الحق ، فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ،

مهم

فما أبعد هذا العلم

وأما العلم الذي تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأربابها ، مصرف الهمة لاكتسابها والجمع والإدخار ، فالمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الأخرة فما أبعد مَنْ هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء ، وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث ؟ ! .

مثل علماء هذا الزمان كشمعة

تضيئ على غيرها وهي تحرق

وما مثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء إلا كمثل الشمعة تضيئ على غيرها وهي تحرق نفسها ، قال رسول الله ﷺ « يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، قلوبهم خربة من الهدى ، ومساجدهم عامرة بأبدانهم ، شرُّ مَن نظر السماء يومئذ علماؤهم ، منهم تخرج الفتنة ، وإليهم تعود »

وعن فضيل بن عياض : بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان .

فعلى العاقل أن لا يغترَّ بظاهر حالهم ، بل ينظر إلى وهن اعتقادهم وفساد بالهم ، فيعتبر كلّ الاعتبار ، ويجتنب من هذا سيرتهم ، ويسلك طريق الأخيار ، ويعتصم الله بالانقطاع عما سواه ، ويتمسَّك بتوحيد[1] الحقيقي ، حتى يهتدي إلى الصراط المستقيم .

مهم

فمن انقطع له بالفناء في الوحدة كان صراطه صراط الله ، فلا يصدُّه عنه أحدٌ ولا يضره شيء ، ولا يضله كيد عدوّه وشره ، فإن من كان مع الله كان الله معه ، فهو حافظه وناصره ، وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السلاك ، لكن الله تعالى قادر على أن يأخذ بيد عبده ويوصله إلى مراده ، وإذا صحَّ الطلب من العبد فلا يحرم الإجابة البتة ، فإن مَنْ طلب وجدَّ وجد ، ومن قرع باباً ولجَّ ولج ؛ عصمنا الله وإياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الأمارة بالسوء كلّ آن ، آمين يا مستعان . انتهى عبارته ٣٥١ ج ١ من سورة « آل عمران » .

ويكفي دليلاً لمشروعية الانتساب إلى المشائخ الحديث المتّفق عليه الذي ذكره البخاري وغيره وهو « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فإن جبرائيل عليه السلام تعقَّب الإحسان على الإسلام والإيمان في السؤال والجواب ، فإن مراد المشائخ من تسليك السالكين إيصالهم إلى مقام الإحسان المعبَّر عنه بمقام المراقبة والمشاهدة لا غير ؛ وقال الحافظ ابن حجر في « فتح المبين » بعد ذكر الحديث المذكور : فلما كثر تكرره وعظم ثوابه سأل عنه جبريل **ليعلمهم**

(١) بالتوحيد (**علّه**) .

بعظم ثوابه وكمال رفعته . انتهى . ومعلوم أن هذا المقام مما لا يحصل بدون التعلق إلى واحد من المشائخ إلا لمن سبقته العناية الإلهية وجذبته إلى جناب الحق تعالى .

وقال بعيد المذكور : وهذا من جوامع الكلم ؛ لأنه جمع مع وجازته بيان مراقبة العبد ربه في إتمام الخضوع والخشوع وغيرهما في جميع الأحوال ، والإخلاص له في جميع الأعمال ، والحث عليهما مع بيان سببهما الحامل عليها لملاحظة أنه لو قدِّر أن أحداً قام في عبادة ، وهو يعاين ربه تعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن الصمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن الوجوه ، والثاني من لا ينتهي إلى تلك الحالة ، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه وتعالى مطَّلع عليه ومشاهد له . انتهى عبارته ٧٠ . ومثله في « شرح الشبرخيتي » على « الأربعين النووية » راجعه في ٦٠ .

وعبارة « المجالس السنية » عليها : هذا من جوامع كلمه ﷺ ؛ لأنه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة ،

بيان ذلك وإيضاحه أنّ للعبد في عبادته ثلاث مقامات ؛ **الأول** : أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب ، بأن تكون مستوفية للشروط والأركان ، **الثاني** : أن يفعلها كذلك ، وقد استغرق في بحار المكاشفة ، حتى كأنه يرى الله تعالى ، وهذا مقامه ﷺ كما قال : وجعلت قرة عيني في الصلاة ، **الثالث** : أن يفعلها كذلك ، وقد غلب عليه أنّ الله تعالى يشاهده ، وهذا هو مقام المراقبة ؛ أي : إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك ، فكل من المقامات الثلاثة إحسان ؛ لأن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو الأول ؛ لأنّ الإحسان في الأخيرين من صفة الخواص ، ويتعذر من كثير . انتهى عبارته ١٩ . وقال صاحب « هدية الذاكرين » فيه : وأما الانتساب إلى المشائخ فأمر مشروع ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام :« اقتدوا بالذين من

بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار وتمسَّكوا بعهد أمّ عبد » أي عبد الله بن مسعود ، ولقوله ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » ، وقوله : « اتبعوا العلماء ، فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » ، لأنّ الانتساب بمعنى الاقتداء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى وهدي إلى صراط مستقيم .

وأما الانتساب إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم ، فهي كما قيل لمن آمن بمحمّد عليه الصلاة والسلام واتبعه محمّدي ، ومن اقتدى بمسلك أبي بكر الصديق في الذكر القلبي يقال له صدّيقي ، ومن كان على مسلك مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبنديّ ، وكذا من اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفي ، هكذا ورد في اصطلاح السلف وعرفهم . انتهى .

وفيه بعيد هذا :

وأما تعليم الذكر من المشائخ فأمرٌ مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علَّم النبي ﷺ الذكر الخفي القلبي أبا بكر الصديق رضي الله عنه والذكر اللساني عليّاً كرم الله وجهه ، وهما علّماه سائر الصحابة والتابعين ، قال ابن عساكر :

ألا إن الـحديث أجلُّ علم ... وأشرفه الأحاديث العوالي
وإنـك لن ترى للعلم شيئاً ... يـحـقِّـقـه كـأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخـذه من الرجال بلا ملل
ولا تأخذه من صحف فترمي ... من التصحيف بالداء العضال

وروى أحمد والطبراني وغيرهما : إنّ النبي ﷺ لقّن أصحابه جماعة وفرادى ؛

فأما تلقينهم فرادى ! فقد روى يوسف الكُوراني وغيره بسند صحيح : إنّ عليّاً بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ : دُلَّني

على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباد الله تعالى وأفضلها عند الله عزّ وجلّ ، فقال عليه الصلاة والسلام « يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات والجلوات » ، فقال : كيف أذكر الله ؟ ، فقال ﷺ « غمِّض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع » فقال عليه الصلوة والسلام : « لا إله إلا الله » ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، وعلي رضي الله عنه يسمع ثم قال النبي ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس ، وكذا تعليمه لغيره مثل أبي بكر الصديق .

وأما تلقينهم جماعة ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام « هل فيكم غريب » - يعني : أهل الكتاب ، أو من لم يطَّلع بعدُ على أسرار الشريعة ، فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك : لا إله إلا الله ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ، ثم قال « الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد » ثم قال « ألا أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم » قال المنذري إسناده حسن .

فأما تعلُّم الفرائض وتعليمها لأهلها ففرض ، والواجبات واجبٌ ، والسنن سنة ، قال ﷺ « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ، بل لا بد أن يتعلم من أهله » ، قال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ رواه الطبراني في « الأوسط » عن جابر رضي الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقال عليه الصلاة والسلام « تعلَّموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمون منه » ، وقال عليه الصلاة

والسلام « تعلَّموا اليقين كما تعلَّموا القرآن حتى تعرفوه ، فإني أتعلَّمه » صدق نبي الله ؛ ولا يمكن تعلَّم العلم وأخذه في هذا الوقت عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ بلا واسطة ، كذلك أجرى الله عادته بين عباده . انتهى عبارته ٤٢ .

وسنذكر إن شاء الله تعالى في البابي الآتي كون أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مع ذكر أسمائهم من الصحابة والتابعين ، فلا بد لك من المراجعة إليه كي يزيل هواجس قلبك ، وتعْلم ورود هذا العلم من النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والتابعين بلا انقطاع إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

وعبارة القطب الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في كتابه « جامع أصول الأولياء » :

وأما التلقين وسنده ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ، وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون ، إجازتُه صحيحة مستندة إلى صاحب طريق وهو إلى النبي عليه السلام ، وكان الذاكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ، وكان الشيخ في الدين مقدّم النسب على الأب في الطين كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شرع الهوى بـيـنـنـا من نسب من أَبَوَي

وكان السالك لا بد له من مرشدٍ حسي كالشيخ ، أو معنوي كالإلهام وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعدة التوفيق ، واللطف والعناية ، أو يغنيه الله عن ذلك كله بمنح من فضله ، وجذبة بها يصل من غير مشقة ، وجب ذكر الأسانيد في كل الطرق إلى الرسول عليه السلام .

واعلم أن من لا يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبولة ؛ وربما انتسب إلى غير أبيه ، فيدخل في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » ،**وقد أجمع السلف كلهم على أنّ من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس ، لا يجوز له التصدّر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقِّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق** ،إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله ، فمَنْ لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدودٍ منهم .فقد روى أحمد والطبراني وغيرهما أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه جماعة وفرادى ؛ فأمّا تلقينهم جماعة فقد قال شداد ابن أوس كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم . . . إلى آخر الحديث المذكور آنفاً . انتهى عبارته ٢٢ .

وفيه بعيد هذا بعد ذكر الأحاديث المذكورة : فهذه نسبة علي في تلقين الذكر ، وأمّا النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات لقوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ وهذه نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطناً عن النبي عليه السلام ، وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه رضي الله عنه وعنا به لقول النبي عليه السلام عن ربه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في قلبه » . **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين فهما أصلان ومعهما عون الرحمن** . انتهى عبارته ٢٢ .

وقال شيخنا حسن حلمي في « السفر الأسنى » بعد ذكره ما ورد في منكري المشائخ مخاطباً لمنكره فما لك أن تنكر جميع العلماء والصالحين وتعترض على أولياء الله المتقين ، أليس النبي ﷺ قد قال : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، ولكل نبي نظير في أمته ونظير أمتي العلماء » كما قال الله تعالى ﴿أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ وقال النبي ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » ؟ ! .

الورثة على ثلاثة أقسام

ثم الورثة على ثلاثة أقسام ؛ **فالعلماء الظاهرية المحضة** بمنزلة ذوي الأرحام ، **والعلماء الباطنية** بمنزلة ذوي الفروض ، **والعلماء الجامعة للظاهر والباطن** بمنزلة العصبات الكاملة الأقراب فالأقرب ؛ القطب بمنزلة الابن الصلبي ، **وقطب الأنبياء** عليهم السلام محمد المصطفى ﷺ ؛ لأنه خاتم النبيين ، **وقطب الأولياء** علي رضي الله عنه ؛ لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين .

فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد ﷺ إلى علي ، ومنه إلى المشائخ ، واحداً بعد واحد على ما بيّنه أحمد الزركراني في « رسالته » في الفصل الرابع ، وقال رحمه الله ما نصه : الفصل الثاني في بيان إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة وإجماع الخواص من لدن رسول الله ﷺ إلى وقت الساعة ، قال الله تعالى في أصحاب الصفة ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ سبب نزوله روي في بستان الشريعة أنّ عليّا رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجَّه النبي ﷺ فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ مقارناً بالعلم اللدني ، تنبيها على أنّ هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ، ثم قعد جبرائيل مربعاً كالمعلّم ، فلقَّن النبي ﷺ لا إله إلا الله ثلاث مرات ، ثم أمره أن يلقِّن عليّاً ؛ لأنه أول من التمس منه التلقين ، ثم حضره أربعمائة من الصحابة فلقنهم جميعاً ، ثم قال ﷺ « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى نفى من قال (الله الله) » يعني بالقلب الحي ، وينبغي أن يغمض عينيه ، وينصت حين التلقين والذكر ، فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً . انتهى عبارته ٦٧ .

وفيه بعيد هذا : فهذه نسبة علي كرم الله وجهه في تلقين الأذكار الجهرية « فتاوى خليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ؛ أي : سواء كان لفظة (الله الله) أو النفي والإثبات والمراقبة ، أو الحضور من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصديق الأعظم التي اختصَّ بها الصديق دون سائر الصحابة ، أخذها باطناً عن رسول الله ﷺ لقوله « ما صب الله في صدري شيئاً » إلخ وكذا قوله عليه السلام من ربه « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في قلبه » . فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجه وإلقاء الذكر والمحبة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة . انتهى عبارته ٦٨ .

وحاصل ما كتبه شيخنا إلى بعض الوهابية المنكر عليه من الدلائل القطعية من القرآن لكل ما يلقنونه من الأوراد ؛ قال : ايها الأخ الديني ! نأمر المريدين بالرابطة ، دليلنا لذلك قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، ونأمر أيضاً بالاستغفار ، دليلنا له قوله تعالى ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ ، وقوله تعالى ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ الآية ، ونأمر بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام دليلنا لذلك قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ الآية ، ونأمر بذكر الجلالة بالنفي والإثبات دليلنا له قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ إلخ ، وقوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ الآية ، وقوله ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ ، وقوله ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ ، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ، وهكذا للمشائخ دلائل لما يستعملونه من المراقبات العديدة من الكتاب والسنة ، وللرابطة أيضاً عندهم دلائل منهما ومن الإجماع والقياس ، وقد كانت الصحابة ينعكس إليهم تجليات المراقبات كلّها بمجرّد الصحبة ، وكانوا لا يخفون منها شيئاً كما هو مذكور في « مكتوبات » الإمام الرباني .

فالحاصل أن ما يفعلونه مقتبس من مشكاة النبوة ، وهذه الطريقة عين طريقة الصحابة ، لا مخالفة بينهما ولو في أدنى شيء ، ولا يقبلون

شيئاً مخالفاً ، ولو تربّع متعاطيه في الهواء أو مشى على الماء ، ولعلّك لا تجد شيئاً مّا يفعله المشائخ إلاَّ موافقاً بالكتاب والسنة إن نظرت بالإنصاف بترك التعصّب وترك كتب ابن تيميّة وأتباعه المعتزلين عن عقائد أهل السنة والجماعة .

أيها الأخ ! أيّ شيء حملك إلى اقتدائهم ونظرك إلى كتبهم والعمل بما فيها والادّعاء بالاجتهاد المطلق الذي سُدّ بابه من زمان طويل إلى آخر ما كتبه قدس سره وقال ﷺ « المؤمن مرآة المؤمن » وقال أيضاً « اتقوا فراسة المؤمن » وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً « جالسوا العلماء ، وزاحموهم بركبكم ، فإنّ الله يحي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء » وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً « خير جلسائكم من ذكَّركم اللهَ رؤيتُه ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم الآخرة عمله » انتهى راجع إلى « تنبيه السالكين » وفيه بسط لذيذ .

وفي « السفر الاسنى » بعد ذكر الأحاديث الواردة في التلقين : قال الشيخ سليمان الزهدي :

مهم

التوجه سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزان الحكمة

والحاصل أن التوجه الملقَّن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس سره سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، من انتظر بالصدق وصل ، ومن انتهى بالغفلة غفل . انتهى فراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » لسليمان الزهدي .

وقال الشيخ الزهدي أيضاً : أول توجه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات ؛ مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار

جبل حراء ، وفي غار ثور توجَّه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى فراجع « بهجة السالكين » من هامشه في ٢٧ من « مجموعة الرسائل » ومثله ذكره في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ ، فراجعهما .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره بعد ذكره كلاماً : وما ذكر بلفظ منه لم يكن دليلاً لأصول الطريقة العلية ، بل بياناً على أن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة ، **وإنها تلقين خاص إلى أهله لا شعور للعوام على ذلك الأصول** ، **من أجل ذلك لا يحتاج السند والدليل من غيرهم** ، **فإن رجال الطريقة العلية ثقاة** ، **وصل هذه الأصول والتلقين من النبي ﷺ** ، **ومنه إلى الرجال الثقاة** ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية ، وهم البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامة إلى الآن ، وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى . والأحاديث المذكورة من الكتب المعتبرة المشهورة بعضها من تفسير « روح البيان » ومن كتاب « كشف الأسرار » ومن « حكمة الإشراق » وأكثرها من « الجامع الصغير » ، وكلها مستندة في أصلها ، والسلام على من له الهداية والدراية ، راجع « مجموعة الرسائل » في ١٢ ، **فثبت بهذه المذكورات كون سلسلة السادات النقشبندية متصلة** ، **وكون الأحاديث الواردة في حق التعليم والتلقين صحيحة وحسنة** ، **فبطل به قول من كتب إلينا بما نصُّه** : يسلسل النقشبنديون سلسلتهم إلى النبي ﷺ ، وابي بكر رضي الله عنه ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه ، ويقولون : إن النبي ﷺ لقَّن أبا بكر رضي الله عنه الذكر ممتازاً عمن سواه ، وأنَّ أبا بكر لقَّن أيضاً سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وأقول : لا بأس أنه مما يجوز أن يكون ، ولكن لا نقبل إلا بسند صحيح ، فهلا يأتي النقشبنديّون بسند نقبله . انتهى . ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قال البعض بـ :أن ليس لأهل الطريقة سند ، ولم يدر أن لهم سنداً صحيحاً ، وأنهم لم يخترعوا شيئاً مَّا برأيهم ، ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون

الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ، ولا يحيط بجميع ما ورد كلّ أحد ، وما يجهله أحدٌ يعلمه غيره ، فانظر ماذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكراسة ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، **واعلم أن نور الله لا يطفئ بنفخ** ، بل الله يؤيّد دينه ولو كره المبطلون وينصر من ينصره ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ الآية .

والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار والمنكرون يريدون إطفاء نورها والله متم نوره ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية . انتهى عبارته .

وأمّا عدم خروج شيء من علماء الحقيقة والصوفية عن الشريعة فقد قال الإمام الشعراني في « اليواقيت » في المبحث الثامن والأربعين في بيان أن جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم ، وأن طريقة الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أقوم طرق القوم كلّها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر .

حقيقة الصوفي عالم عمل بعلمه

اعلم رحمك الله أن حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير ، فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها ، حتى صار أحدهم مجتهداً في الطريقة والأسرار ، كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية ، ولذا شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الأولى زائداً على ما صرّحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك ، وأبطلوا ؛ أي : مجتهدوا القوم العبادات بالإخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرّموه ، هذا شأنهم رضي الله عنهم ، **فما من أحدٍ منهم حقَّ له قدم الولاية إلا وهو مجتهدٌ في الطريق ليس عنده تقليدٌ** إلاّ لما صرّحت به الشريعة ، أو أجمع عليه الأمّة فقط ، فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد إمام فهو غير صادق . انتهى .

مهم

ثم ممَّا اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم إلى العمل بالكتاب والسنة ، فإذا قلت لهم : إن مقصودي أن أزهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عاديّ لها . يقولون لك : أكثر من ذكر الله ليلاً ونهاراً حتى يرق حجابك ، فتدرك الآخرة بعين بصيرتك ، وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ، فإذا رأيت ذلك زهَدْت لا محالة في الدنيا ، ولو قال لك جمهور الناس : ارغب في الدنيا . لا تصغ لهم ، ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك : إن الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ، ولا يهتدي للطريق إلى ذلك ، فحكمه حكم طبيب يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف علاج المرض ، **فعلم أن سبب إنكار بعض الناس على الصوفية إنما هو لدقة مداركهم ، ولو أن المنكر لزم الأدب لسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً** . وقد رأيت في كتاب « الرعاية » للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه : كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة ، وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تزلزل ، قال : ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ، ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ ، إلا إن سلك طريقهم . انتهى عبارته ٢٤٠ ج ٢ .

وفيه بعيد هذا : وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : لو أنّ الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علّة كما أمره الله تعالى لَاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يداويه ، حتى يحصل له الشفاء ، ومن ثم استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الأشياخ ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه دوّن شيئاً في علاج الأمراض الباطنة لعدمها في عصرهم ، أو قلتها جدّاً ،

لا تكاد توجد ، وكان معظم اجتهادهم إنما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز ، وهذا أهمُّ بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلّها لا توجد ،

مهم

وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال : لأيّ شيء لم يدوّن الأئمة المجتهدون شيئاً مّا في علم التصوّف ، أو يشتغلوا بالذكر لتتجلى قلوبهم كما يفعل الصوفية ، فإنه لا يقول عاقل قط عن أحد؛ يعني : من الأئمة : إنه يعلم من نفسه عجباً أو رياء أو غلاً أو حقداً أو مكراً أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبداً ، ولو أنهم علموا أنّ فيهم شيئاً من ذلك لقدَّموا علاجه على سائر الأعمال من باب (ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب) ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ فافهم ،

فقد بان لك أنّ سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم **كالأئمة المجتهدين وإنه لا ينبغي لأحد أن ينكر عليهم كلامهم إلا بعد أن يدخل طريقهم** ، ويعرف مصطلحهم ، وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة إنما هو دخيل فيهم ، أو غلب عليه حال ، أو كان مبتدأ في الطريق ، وأما الكاملون كالجنيد وأضرابه فطريقهم محررة على الأدب تحرير الذهب؛ إذ هم حماة الدين رضى الله عنهم أجمعين . انتهى .

وفيه بعيد هذا : وكان أي : جنيد يقول : **علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة** . انتهى راجعه عبارته ٢٤١ من الجزء الثاني . فإن أردت الزيادة راجع في مقدمات «طبقات الكبرى» للشعراني وفي «الميزان» من الجزء الأول .

فإن قلت : فما حكم من أكل الحلال ، وترك المعاصي ، وسلك بنفسه من غير شيخ؛ فهل يصل إلى هذا المقام من الوقوف على العين الأولى للشريعة .

فالجواب لا يصحُّ لعبد الوصول إلى المقامات العالية إلا بأحد أمرين ؛ إما بالجذب الإلهي ، وإما بالسلوك على يد الأشياخ الصادقين ، لما في أعمال العباد من العلل . انتهى راجعه في ١٨ .

وفيه بعد ذلك : فعلم من جميع ما قررناه **وجوب اتخاذ الشيخ لكلّ من طلب الوصول إلى شهود عين الشريعة الكبرى ، ولو جمع جميع أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه ، ولقبوه بالقطبية الكبرى ، فإنّ لطريق القوم شروطاً لا يعرفها إلا المحقّقون منهم** دون الدخيل فيهم بالدعاوى ، وربما كان من لقبوه بالقطبية لا يصح أن يكون مريداً للقطب ، بل قال بعض المحققين : إن القطب لا يحيط بمقامات نفسه فضلاً عن غيره ، وذلك لأنّ صفات القطبية في العبودية تقابل صفات الربوبية ، كما لا تنحصر صفات الربوبية كذلك لا تنحصر صفات العبودية . انتهى ، والحمد لله رب العالمين عبارته ١٩ ج ١ .

وقال الغزالي قدس سره في نصيحة : أيها الولد !

مهم

اعلم أن التصوّف خصلتان ؛ الاستقامة والسكون من الخلق ، فمن استقام وأحسن خلقه بالناس ، وعاملهم بالعلم وبالحلم فهو صوفيّ . انتهى .

علم أحوال القلب فرض عين

وفيه أيضاً : إن أردت علم أحوال القلب فانظر إلى « الإحياء » وغيره من مصنفاتي ، فهذا العلم فرض العين ، وغيره فرض الكفاية ، إلا مقدار ما يؤدي فرائض الله تعالى وغيرها ؛ يوفّقك الله حتى تحصل جميع ما أخبرتك إن شاء الله تعالى ، فعلم مما ذكرناه استحالة خروج شيء من أحوال الصوفية وأفعالهم عن الشريعة ، وعلم أيضاً كون معنى الصوفيّ عالم عمل بعلمه .

مهم

مأخذ أعلام وألقاب الصوفية

وفي « الإتقان في علوم القرآن » للحافظ السيوطي في النوع الخامس والستين عند بيانه العلوم المستنبطة من القرآن : ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوها أعلاماً اصطلحوا عليها ؛ مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك ، هذه الفنون التي أخذتها الملَّة الإسلامية منه[1] . انتهى . راجعه ، عبارته ١٢٧ ج ٢ .

فلم يبق وجه لإنكار المنكرين على السادات الصوفية سوى التعصّب على طبائعهم السقيمة ، وسوى كون علومهم علوماً فاتت منهم وحسدوهم بذلك ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ رزقنا الله الإنابة على معارفهم ، وهدانا إلى ما هداهم بفضله ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، آمين ، والسلام على كل من اتبع الهدى وقبل النصح واعطى القوس إلى باريه .

وأما كون الطريقة والشريعة توأمان فقد ذكره شيخنا في « تنبيه السالكين » والحافظ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » وعبارة شيخنا فيه : اعلم أنّ الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص ، الذي هو عمل القلب ، والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ، **فإن الروح بلا جسد ما له قيام ، وأن الجسد بلا روح ما له دوام** ، وذلك أمر مشترك بين المكلَّفين من الرجال والنسوان ، كذا قال سليمان الزهدي في « رسالته » وكل عمل ليس فيه الإخلاص والنية والحضور كوصيفة[2] ميتة ليس فيه روح ،

---

(١) **أي** : القرآن . **(هامش الاصل)** .

(٢) **أي** : جارية .

والأعمال المشروعة تحف يتحف بها العبد إلى الله تعالى ، والمهدي للجيفة الميتة مستهزئ للسلطان ، فيستحق سفك الدم ، فإذاً يجب على العبد أن يزكي القلب من الاخلاق المضادات للإخلاص والحضور ، وتزكيته منها موقوف على سلوك الطريق على يد شيخ عارف مأذون ولا يكون ذلك السلوك إلا بواسطة الذكر .

ومن شرطه أن يأخذ منه ؛ **لأنّ الذكر الذي أخذ منه يكون معه نور حاجب من الشيطان فيعمل في تنوير الباطن عمله** ، والذي أخذه من غير عارف لا يكون معه ذلك النور ، فلا يكون الذكر حجاباً ، بل يكون سبباً للهلاك ، ويكون حكمه كإلقاء السم ليداوى به المريض ، والله أعلم ، **وأمّا من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ،** ولذا ترى الأبرار وإن سعوا في الخلاص ، وتيسَّر لهم ذلك وقعوا في صفة أخرى وخصلة أقبح من الأولى كذا في « السير والسلوك » .

وقد كان سلطان العارفين وملجأ العلماء من المذاهب الأربعة المجتهدين وغيرهم عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه يجاهد نفسه بأنواع المجاهدات الشاقة والرياضات التامة ، ويلازم العلوم حتى صار متبحِّراً في المذاهب الأربعة وغيرها ، ومع ذلك وجد عباداته مخلوطة بالحظوظات النفسانية ، ولم يعرفها إلا بعد اتخاذ الشيخ ، كذا في « المنن » فراجعه ، وهكذا عدّ الإمام الغزالي علوم الفقهاء حجاباً لعدم وجوده فيها إخلاصاً ، ومن المعلوم أن العلم إنما يكون حجاباً لمن لم يخلص لله في تعلّمه وتعلميه ، وإلاّ فلا ، كذا في « المنن » في ٥١ ج ١ .

وقال في « الإحياء » ما معناه **لو سلم للإنسان من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا وذا لعزة الإخلاص** ، ولتعسُّر تنقية الأعمال من شوائب الرياء . انتهى . وفي « الطبقات » **لو صحّ للعبد في عمره نفس واحدٌ من غير رياءٍ ولا شركٍ لأثر بركات ذلك إلى آخر الدهر** . انتهى راجعه في ٩٦ من الجزء الأول عبارته ٢٣٠ من الباب السابع والعشرين راجعه .

وأمّا فرضية تعلّم علم الباطن ، ووجوب اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة والقائلين به فأذكر لك ما قاله الأئمة العظام والمشائخ الكرام في حقه : قال الإمام الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » .

وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب (ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجبٌ) **ولا شك أنّ علاج أمراض الباطن كلّه واجب** ، كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيد والعقاب عليها ، **فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخاً مرشداً يرشد إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ** لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغيرٍ شيخ ولو حفظ ألف كتاب ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنه طبيب عظيم ، ومن رآه حين يُسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال إنه جاهل ، فاتخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكَّر أبديّة الآخرة ، **وإياك أن تقول : إنّ طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنها كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية وسيرة أحمدية وسنن إلهيّة** . انتهى نقله أحمد ضياء الدين في « المتممات » وفي « ترصيع الجواهر » في ٩ .

فنقول وبالله التوفيق أجمع العارفون على أنه لا يمكن سلوك طريق القوم من دون المرشد ، قال سيّدي عبد القادر الجيلاني : من لا يرى المفلح لم يفلح ، واستدلَّ على ذلك بقوله ﷺ « من استغنى برأيه ضل » ، وبقوله « المؤمن مرآة المؤمن » . انتهى . وعبارة شيخنا الأويسي النقشبندي الشاذلي القادري في « تنبيه السالكين » : الباب الثالث والعشرون في رد دعوى من يقول : لا يجوز اتخاذ الشيخ وأخذ الطريقة منه ، ويطعن على المريدين ، ويستهزئ بهم – والعياذ بالله – فتلك شأن بعض العلماء من ديار ولايتنا – سامحه الله ، وألهمه رشده ، وهداه إلى ما يرضاه – آمين .

وهي مما يتوجه إليه ضرره دنيا وأخرى ، لأنه قد ارتكب كبيراً ، وأنكر مجمعاً ، وصرح بالرأي قولاً ، كيف لا ؟ ! وقد قال بوجوب اتخاذ الشيخ على من ليس له قلب سليم أئمة من المذاهب الأربعة ، وأجمع عليه العلماء السلف والخلف ، حتى روي أنّ أبا حنيفة أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسنتين وقال حين وفاته : لو لا السنتان لهلك النعمان . وقد كان الإمام أبو حنيفة يرى بكشفه نجاسة الذنوب التي تسيل مع ماء الوضوء ، كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل كذا في « ميزان الشعراني » ، ومع ذلك أخذ الطريقة ، وكان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كالصبي بين يدي المرضعة ، وكان الإمام ابن حنبل رضي الله عنه يقول لولده لما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم : يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمة . انتهى بعضها منقول من « الفتاوى العمرية » ، وبعضها من « المتممات » ، وبعضها من « مكتوبات » الإمام الرباني ، فراجعهما ، وفي « الحديقة الندية » : اعلم – أسعدك الله بالتوفيق ، وحلاك بالتصديق – أنّ تعلّم علم الباطن ؛ من المهلكات والمنجيات وأداب السلوك والمعاملات فرض عين على كلّ من لم يرزق له قلباً سليماً بالجذب الإلهي والعلم اللدنيّ والنفس القدسية الفطرية ، وقليل مَّا هم ، وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب ، وتعلّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ، كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين . انتهى .

وفي « لطائف المنن » وكان سيّدي عليّ الخواص رحمه الله يقول : لو أنّ عبداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم ، وسمعت سيّدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من لم يكن له شيخ في هذا الزمان يخرجهم من ظلمات الشكوك والأوهام فبعيد أن يرز شيئاً من كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى منه

عبارته . ومراد جميع أشياخ الطرق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف أو بعضه لا غير كذا في « لطائف المنن » في ٤٧ .

وفيه أيضاً وقالوا : **من لم يجد له شيخاً في بلده وجب عليه السفر في طلبه** . انتهى عبارته . ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلغك هذه المآرب ولو كان بينه وبينك بعد المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » .

وفي شرح « تائية السلوك » في ٥٦ فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقِّن يكون له الشيطان شيخاً ملقناً . انتهى . وقال العالم المحقق محمد على الچوخي في « فتاويه » مجيباً لمن سأله : الذي نفعله اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه لسفر الحج . انتهى . وقال الشعراني في « المنن الكبرى » وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدُلّه على الطريق مع كونه حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عز الدين ابن عبد السلام له شيخاً مع أنه لقِّب سلطان العلماء ، فكان شيخَ الإمام الغزالي الشيخُ محمد البازاغاني ، وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي ، وكان الإمام الغزالي يقول لما اجتمع بشيخه المذكور : **ضيَّعنا عمرنا في البطالة** ، يعني : بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريقة ، وكان الشيخ عز الدين رضي الله عنه يقول : **ما عرفت الإسلام الحقيقي إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي** رضي الله عنه وأرضاه ، فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة ، فغيرهما من أمثالنا من باب أولى ، وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطرق اتخذت أعمالي كلها وسائل إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ثبتُّ على ذلك ، وإلا تحوّلت منه ، فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك كلها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتخذها وسائل ، فتموت ولا تصل إلى مقصودك ، فقربوا علي هذا الطريق ، فلو لم يكن في

الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى . وقال فيه أيضاً : وممَّا منَّ الله تبارك وتعالى عليّ بعد المجاهدة **ظهور أن جميع ما كنت علمته من العلوم كلّها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنما هو مخلوط بالحظوظات النفسانية** . انتهى عبارته ٥١ .

مهم

وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا . . إلخ .

وفيه قد بلغنا عن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة أنه لما دخل طريق القوم كان يقول : وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا لم نضيِّع عمرنا فيها . انتهى عبارته ٥٤١ .

ولهذا قال النووي إنما لم يظهر على العلماء كرامات كالعباد مع أنهم أفضل منهم ، لما يدخل عليهم من الرياء كذا في « بغية المسترشدين » في ٥ فراجعه . وفي « منية المتجرد » في ٦ : وقد بلغنا عن الإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه أنه قال ؛ لما اشتغل بعلم النظر ، واشتغل بمجاهدة نفسه على مصطلح أهل الله : ضيَّعْنا عُمْرَنا كلّه في البطالة ، فيا خَيْبَة مَسْعَايَ في تلك الأيام ! ! . فقيل له :ألستَ قد صِرْتَ بذلك حجة الإسلام ؟ فقال : دعونا من هذه التُرَّهات ، أما بلغكم قوله عليه الصلاة والسلام « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » ! !

وقال : قد انكشف لي الآن **أن جميع تلك الأسفار التي كنت أسافرها في تحصيل العلوم ، وجمعها ، وكتابتها ، وتأليفها ، إنما كان لحبّ المحمدة والثناء بها عليّ بين الناس ، ولأقَدّم بذلك على أقْرَاني ، وأهل عصري ، لا لله ؛ ولا لأجل أن أعمل بها ! !** .

فقيل له : أما كان أحدٌ ينهاك من مشائخك عن شيء من هذه النقائص التي انكشفت لك الآن ؟ ! . فقال : لا ، فربما كان الشيخ يَسْتَغِيبُ

أقرانه ، فنقع معه تبعاً له ، ما عدى شيخنا إمام الحرمين رضي الله تعالى عنه ، فكان مجلسه مُطَهَّراً من ذكر نقائص الناس رحمه الله ، انتهى .

وفيه أيضاً وكان الطيبي صاحب « حاشية الكشاف » يقول : لا ينبغي للعالم ولو تبحَّر في العلم حتى صار واحد أهل زمانه أن يقنع بما عَلِمَهُ ،**وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلُّوه على الصراط المستقيم** ، حتى يكون ممَّن يحدِّثهم الحقُّ في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم ، وليُخَلِّصوه من الأدناس ، وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى ، وحظوظ نفسه الأمَّارة بالسوء ، حتى يستعدَّ لفيضان العلوم اللَدنيّة على قلبه ، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوَّة . انتهى عبارة ٦ « تنبيه السالكين » في ١٩٠ راجعه في الباب الثالث والعشرين .

وفيه في أوائل الباب المذكور بعد ذكر كون أخذ الطريق والدخول في دائرة الشيخ فرض عين على من لم يرزق له قلباً سليماً : **أنّ تعلّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من الحنفيّة** ؛ كابن الهمام ، وابن الشبلي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي محشّي « الأشباه » ، وأمثالهم .

ومن الشافعية؛ كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام ، والإمام الغزالي ، وتاج الدين السبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري ، والعلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي ، وأضرابهم .

ومن المالكية؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي ، وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري ، والعارف ابن أبي جمرة ، وناصر الدين اللقاني ، والشيخ العلاَّمة المحقق العارف أحمد زروق البرنسي ، وغيرهم .

ومن الحنابلة؛ كالشيخ عبد القادر الجيلي ، وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهرويّ ، والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم ، فإنّ هؤلاء العلماء الأجلّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن ، واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة ، والسلوك ، وحسن الاعتقاد ، والإخلاص ، والتخلية عن الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، انتهى . راجع « البهجة » في ٤ و« المتممات » في ١٦٢ .

قال الفخر الرازي : ولمّا قال الله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهذا[1] **يَدُل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ** يهديه إلى سواء الصراط ، ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق ،وعقولهم غير وافية بإدراك الحقِّ ، وتمييز الصواب عن الغلط ؛ فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك ،فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكرامات . فراجع « تفسير الكبير » ؛ انتهى . من « فتاوى العمرية » انتهى عبارته في ١٨٤ .

فإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطرق ، والمرشد إلى هذا الطريق هو النبيّ ﷺ ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ الشيخ ؟

فالجواب : المرشد في الحقيقة هو القرآن ، وعلم الشريعة ، والنبي ﷺ ، ولطف الله ، لكنّ المريد في أوّل الأمر كالمريض الذي قرأ علم طبّ ، وجمع الأدوية والمعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء ، فكذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة . انتهى عبارته .

---

(١) كما مر نقلاً عن « روح البيان » تذكره . انتهى (**منه**) .

وفي « فتاوى العمرية » : إن قلت : إنّي لا أتخذ شيخاً ، بل أطالع كتب الشرع والتصوُّف ،وأتعلَّم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها ! !
قلت : نعم ، ولكنّ اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر خيرٌ لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .

قال حضرة خواجه نقشبند قدس سره الأمجد :**أقرب الطرق عندنا نفي الوجود** ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى ، لكن لا يتمُّ الوصول إلا بنفي الوجود ،

وقد قيل : وُجُودُكَ ذنب لا يقاس عليه ذنب آخرُ .

فلذلك كان للسالك من المدَد في الظاهر والباطن ما لا يجدُه في الصوم والصلاة ، انتهى « تنبيه السالكين » في ١٨٦ من الباب الثالث والعشرين .

وفيه أيضاً : في هذا الباب نقلاً عن « لطائف المنن » فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه ، انتهى .

وفيه أيضاً : إنّ أوّل عمر الرجل دخوله في طريق القوم ،ومن لم يدخل فيها فكأنه لم يولد ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق . وفي كلام عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريِّين : بحق أقول لكم : لَنْ يلج ملكوت السماء من لم يُولد مرّتين ؛ أي : وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى .

وفيه أيضاً : وكان علي المرصفي رضي الله عنه يقول :**لو أنّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور ، لجهله بمَعْرفة دسائس الأعمال الظاهرة ، فضلاً عن الباطنة** ،بل لا يعرف الطريق الموصلة إلى ذلك حتى يتطلَّب معرفة كيفية التطهُّر ، وذلك لأنّ معظمَ طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يكاد يدرك دسائس أعماله إلاّ من كشفه الله حجابه . انتهى عبارته « تنبيه السالكين » .

وفيه بعد ذكر أقوال الأئمة ونصوص الكتب المعتمدة لوجوب اتخاذ الإنسان الشيخ وأخذ الطريقة : فهذه المذكورات قَطَرات من البحار ، ومن أراد الزيادة فعليه بكتب أهل التحقيق من الفقهاء الصوفية ، فقد بسطوا فيها الكلام ، وأثبتوا فيها الدلائل والنصوص ، بحيث لا يبقى إنكار ، ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكالٌ ؛ كـ « التحفة » لابن حجر ، والرملي من كتاب « السير » ، و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة ، و« المتممات » ، و« جامع أصول الأولياء » ، و« الحديقة الندية » ، و« الحدائق الوردية » ، و« لطائف المنن » ، و« الميزان الكبرى » ، و« الميزان الصغرى » ، و« لواقح الأنوار القدسية » ، و« الأجوبة المرضية » ، وكتاب« اليواقيت والجواهر » للشعراني ، و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري ، و« الفتاوى العمريّة » ، و« الفتاوى الچوخيّة » ، فقد بسط مؤلفه رحمه الله تعالى فيه الكلام بأبلغ بسط ، و« النور الساطع » ، و« الأنوار القدسية » ، و« عوارف المعارف » ، و« الإحياء » ، و« البهجة السنيّة » ، و« المواهب البريقة » ، و« ترجمة الرشحات » ، و« النفائس السانحات » ، و« روح البيان » ، و« سلك العين » ، وشرحه ، و« تصديق المعارف » ، و« شرح تائية السلوك » ، و« بيان الأسرار » ، و« الخادمي على النصائح الولدية » ، و« الرسالة الخالدية » ، و« الذهب الإبريز » ، وغيرها ، فهذه الكتب المذكورة ممّا قلّبنا أوراقها إلا بعضاً منها ، ورأينا أعْيانها ،وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه لكثرته ، فهذا سلطان العارفين ، ومعتمد العلماء العاملين في المذاهب كلّها يُوصي بذلك ، **فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرّب أوقاته في الفلوات ، وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ؟!** وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ؟ ! رزقنا

الله والمنكرين التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق ، فكم وكم مرّات تكلَّم أبْعاضٌ من الفقهاء في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم ، وكم وكم افتروا على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من أكاذيب ؛ فغفر الله لنا ولهم .

مهمّ

والمقصود من سُلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقِّيَّة المعتقدات الشرعيّة الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمْرٌ آخر وراء ذلك . كذا قال الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه في ١٩٠ من الجزء الأول .

ومع هذه النقول والصرائح من هؤلاء الأئمة العظام لا وجه لأحد من أبناء هذا الوقت أن ينكروا على ذلك إلا مَنْ أعمى الله بصيرته ، وغلظ غشاوة قلبه ، وصارت راناً كثيفاً ؛ كما قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ الآية . وذلك بانغماسه في أفكار الدنيا الدنيئة وبما ارتكب عليه من الشهوات النفسانية والمألوفات العادية ، بحيث لا يقدر خروجه منها ومخالفته إيّاها ، ولأجله يقصد المحاربة على أولياء الله تعالى والإنكار على علومهم لكون العلم المذكور مما أعرض عنه أهل الزمان ، لأنه يؤدِّي إلى مخالفة أهوائهم ، وعلومهم الآن متابعة للهوى كما ورد عن ابن مسعود كذلك ؛ قال في « حياة القلوب » :

ولقد صدق ابن مسعود حيث قال : **أنتم اليوم في زمانٍ الهوى فيه تابع للعلم ، وسيأتي عليكم زمان العلم فيه تابع للهوى** . راجعه في ٢٩٥ من هامش « قوت القلوب » من الجزء الثاني ، وفيه أيضاً في ٢٨٩ من هامشه : فصل إن هذا العلم لا يريد معرفته من أهل زماننا إلا الواحد بعد الواحد ، وليس كل من يريده يعلمه ، ولا كل من يعلمه يعمل به ، فهو علم معروض لا يقبل ، ومتروك لا يستعمل ، ومن قبِله

لا يعقله ، ومن قبله وعقله فغايته المباهات به ، **فليس هذا العلم من علم زماننا ، ولا رغبة للناس اليوم فيه ، لأنه يؤدي بأهله إلى مخالفة هوى أنفسهم ومجاهدتها ، وينادي بالويل والثبور على أهل السوء .** انتهى عبارته (شعر) :

لله دَرُّ رِجَالٍ وَاصَلُوا السَّهَرا ... وَاسْتَعْذَبُوا الوَجْدَ وَالتَّبْرِيْحَ وَالفِكَرا

فَهُمْ نُجُومُ الْهُدَي وَاللَّيْلُ يَعْرِفُهُم ... إِذَا نَظَرْتَهُم هُمْ سَادَةٌ بَرَرَا

كُلٌّ غَدَا بِاللهِ قَلْبُهُ مُشْتَغِلا ... عَمَّا سِوَاهُ وَلِلَّذَاتِ قَدْ هَجَرَا

يُمْسي وَيُصْبِحُ فِي وَجْدٍ وَفي قَلَقٍ ... مِمَّا جَنَاهُ مِن العِصيان مُنْذَعِرَا

يَقُولُ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًا ... بِالذَّنْبِ فَاغْفِرْهُ لِي يا خَيْر مَن غَفَرَا

وقال الإمام القطب الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد كان الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقول : لا يكمل الرجل عندنا في طريق الله عز وجلّ حتى يكون إماماً في الفقه والحديث والتصوّف ، ويحقِّق هذه العلوم على أهلها . انتهى . فعلم أنه لا ينبغي لمن يدعي العلم بالشريعة أن يكتفي بما فهمه هو منها بغير شيخ كما وقع لبعض أهل عصرنا ، فإنه بمجرّد ما صار يفهم اشتغل بالتأليف ، وترك القراءة على العلماء ، فصار في جانب والعلماء في جانب وبعد عن معرفة الراجح عند علماء زمانه ، فخالفوه ، ولم ينتفع أحدٌ بعلمه ، ولو أنه صبر في القراءة على الأشياخ حتى أجازوه بالفتوى والتدريس لزكوه وأقبلت الناس عليه بعد مشايخه ، فاعلم ذلك .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله يقول : قلّ أن يجتمع في شخص في عصر من الأعصار علم الفقه والحديث والتصوّف ، قال : ولم يبلغنا أنها اجتمعت في أحد بعد الطيبي صاحب « حاشية الكشاف » إلى وقتنا هذا ، ومن اجتمعت فيه هذه العلوم الثلاثة فهو الذي ينبغي أن يلقَّب بشيخ أهل السنة والجماعة في عصره ، ومن لم

يلقبه بذلك فقد ظلمه ، فطالع يا أخي كتب أهل السنة المحمدية ، وكتب علمائها ، وكتب الأصوليين ، ورسائل الصوفية ، ولو سلكت الطريق على يد شيخ خوفاً من أن يزل لسانك بشيء من علوم الدائرة الباطنة فينكر عليك العلماء فيقل نفعك للناس بخلاف ما إذا عرفت سياج العلماء تصير تخرج لهم من العلوم ما يقبلونه ، وتكتم عنهم ما لا يقبلونه فإن ردَّ العلماء على الصوفية إنما هو لدقة مدارك الصوفية عليهم ، لا غير ، فلا يلزم من الرد عليهم فساد قولهم في نفس الأمر كما قال الغزالي رضي الله عنه : كنا ننكر على القوم أموراً حتى وجدنا الحق معهم قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ، وقال تعالى ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ انتهى . ومما يؤيد كلام الغزالي رحمه الله قول الإمام أبو القاسم الجنيد رحمه الله : كان عندي وقفة في قولهم (يبلغ الذاكر في الذكر إلى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يحسّ) إلى أن وجدنا الأمر كما قالوا ، فعلم أن النفوس لم تزل تحتج وتميل في العمل إلى ما عليه الأكثر بحكم التقليد ، وتقدم العمل به لكثرة العاملين به ، بخلاف ما عليه البعض ، فإنه كالطريق التي سالكها قليل ، فلا يجدُ السالك فيها من يستأنس به في العمل ، فتصير عنده وحشة ، فتأمّل !

مهم

لا يكمل الرجل عندنا

وسمعت سيدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : يحكى عن سيدي إبراهيم المبتولي رضي الله عنه أنه كان يقول : لا يكمل الرجل[1] عندنا حتى يعلم حكمة كل حرف تكرر في القرآن ، ويخرج منه سائر الأحكام الشرعية

(١) فانظر إلى رفاعة علوم أرباب هذه الطائفة قدس الله أسرارهم كي تخلص من ورطة الإنكار عليهم ؛ عصمنا الله تعالى من ذلك ، وذلك من علامة سوء الخاتمة ، كما بينه في غير موضع . (منه) .

إذا شاء وسمعته ﷺ يقول : لا يبلغ العبد مقام الكمال حتى يكون إماماً في التفسير والفقه والحديث ، ويسلك الطريق على يد شيخ عارف بالله تعالى حتى يصير يعرف الطريق بالذوق لا بالوصف والسماع ، وهناك يدخل الحضرات المحمدية ، ويحكم أحكام الشريعة المطهرة ، ويميزها من سائر البدع ، لأن الكامل من شرطه أن لا يكون له حركة ولا سكون في ليل أو نهار إلاّ على الميزان الشرعي .

وسمعته يقول أيضاً : من شرط الكامل الإطلاع من طريق كشفه على جميع أقوال المجتهدين ، ويميز الرأي من أقوالهم ، ويعرف ما وافق الصواب في نفس الأمر من أقوالهم وما خالفه .

وسمعته أيضاً يقول : كان الأشياخ المتقدمون يقولون : لا يجوز لعبد أن يتصدَّر الطريق إلا إن علم من نفسه التقيُّد على الكتاب والسنة ، ويكون ظاهره محفوظاً من سائر البدع ، وذلك لئلا يقع في شيء من البدع ، فيتبعه المريدون عليه ، فيضل في نفسه ويضلّ غيره ، ويكتب من أئمة الضلال . وقد بسطنا الكلام على ذمّ الرأي في أوائل كتاب « مختصر السنن الكبرى » للبيهقي رحمه الله ، فراجعه .

وسمعت سيّدي عليّاً البنتيتي ﷺ يقول لفقيه : إياك يا ولدي أن تعمل برأي رايته مخالفاً لما صح في الأحاديث ، وتقول هذا مذهب إمامي ، فإنّ الأئمة كلهم قد تبرَّؤا من أقوالهم إذا خالفت صريح السنة ، وأنت مقلّد لأحدهم بلا شكّ ، فما لك لا تقلّدهم في هذا القول وتعمل بالدليل . . كما تقول بقول إمامك لاحتمال أن يكون له دليل لم تطلع أنت عليه ؟ ! وذلك حتى لا تعطل العمل بواحد منهما ،

مهم

ثم إنّ المراد بالرأي المذموم حيث أطلق في كلام أهل السنة أن لا يوافق قواعد الشريعة المطهرة ، وليس المراد كل ما زاد على صريح

السنة مطلقاً ، حتى يشمل ما شهدت له قواعد الشريعة وأدلّتها ، فإنّ ذلك لا يقول به عاقل ، ويلزم منه ردّ جميع أقوال المجتهدين التي لم تصرّح بها الشريعة ، ولا قائل بذلك ، وروى الإمام البيهقي في باب القضاء من « السنن الكبرى » : الرأي المذموم حيث أطلق فهو كل ما لا يكون مشبهاً بأصل قال ، وعلى ذلك يحمل كلّ ما ورد في ذم الرأي . انتهى راجعه في ٢٥٧ .

وإنّ لأمة أن يسنوا ما شاؤوا لكن فيما لا يخالف شرعاً مشروعاً .

فائدة نفيسة ذكرها الإمام الشعراني في « البحر المورود في العهود والمواثيق » أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحداً من الإخوان أن ينكر شيئاً مما ابتدعه المسلمون على وجه القربة إلى الله تعالى ورأوه حسناً ، فإن كل ما ابتدع على هذا الوجه من توابع الشريعة ، وليس هو من قسم البدعة المذمومة في الشرع المشار إليه بقوله ﷺ « فإن كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ولو كان كل ما سكت عنه الشارع رحمة كان مذموماً ، وسرى ذلك الذم إلى مذاهب المجتهدين ، ولا قائل به .

قلت : ودليلنا في هذا العهد قوله ﷺ « من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » ، فأباح لأمّته أن يبتدعوا كلّ ما رأوه حسناً مما سكت عنه الشارع رحمة بأمته ، فمن وجد منهم قوّة على فعل ما سكت عنه فله فعله ولا حرج ، ثم يثاب عليه ، لكن ثواباً دون ثواب ما سنَّه الشارع فافهم ، وقد حكم رسول الله ﷺ لحكيم بن حزام بالخير حين أسلم ، وسأله عن أمور كان تبرَّر بها في الجاهلية ؛ من عتق ، وصلة رحم ، وكرم ، فقال : أسلمت على ما أسلفت من خير ، فسمّى ﷺ ذلك الفعل الذي فعله حكيم في الجاهلية على غير قدم الاتباع خيراً ، وأخبره أن الله تعالى جازاه به خيراً ، فعلم أن كلّ من كان على مكارم

الأخلاق من المسلمين فهو شرع من ربّه ، وإن لم يعلم هو بذلك ، ولم ينص عليه الشارع بخصوصه ، وأن للأمّة أن يسنوا ما شاؤا من القربات ، لكن فيما لا يخالف شرعاً مشروعاً ، هذا ، حظهم من التشريع ، فإن لم تفهم الشريعة هكذا فما فهمت إذا علمت ذلك ، فممَّا أحدثه المسلمون واستحسنوه قولهم : أمام الجنازة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو وسيلتنا إلى الله يوم العرض على الله لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ونحو ذلك ، فمثل هذا لا يجب إنكاره في هذا الزمان ؛ لأنهم إن لم يشتغلوا بذلك اشتغلوا بحديث الدنيا ، وذلك لأنّ قلوبهم فارغ من ذكر الموت ، بل رأيت بعضهم يضحك أمام الجنازة ويمزح ، وإنما لم يكن الكلام والقرائة والذكر أمام الجنازة في عهد السلف لأنهم كانوا إذا مات لهم ميِّت اشتركوا كلّهم في الحزن عليه ، حتى كان لا يعرف قرابة الميت من غيره ، فكانوا لا يقدرون على النطق الكثير لما هم عليه من ذكر الموت ، بل خرست ألسنتهم عن كل كلام ، ولو قرآناً وذكراً ، فإذا وجدنا جماعةً بهذه الصفة فلك يا أخي علينا أن لا نأمرهم بقرائةٍ ولا ذكرٍ ، و**القاعدة** أنه إذا تعارض عندنا أمْرَانِ ارتكبنا أخفَّهما ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في « رسالة الأدب » والله واسع عليم . انتهى عبارته في ٢٩١ من هامش « لواقح الأنوار » ومع هذا المذكور لا يقبل الوهابيون كل ما زاد على صريح الكتاب والسنة ، يعيبون على الأئمة المجتهدين الذين يفصّلون كلّ ما أُجْمِلَ من كلام الشارع عليه السلام وعلى أتباعهم الذين يفصّلون ما أجملوه ، ويحملون مجملات القرآن والسنة وفق أهوائهم النفسانية وأغراضهم الشيطانية ، ويُؤَوِّلون معاني الكتاب والسنة إلى مرادهم ، ويُخرجونهما من مراد الشارع ، ولا يطلعون إلى مراد الشارع ، ولا يقبلون كلام مَنْ يعرف مراده عليه الصلاة والسلام ، ويتكلمون خلف الأئمة والصالحين بكلماتٍ تكفر قائلَها .

السنة قاضية على الكتاب . .إلخ

وقال الإمام الشعراني في « الميزان » : السنة قاضية على الكتاب ولا عكس ، **من حيث أنها بيان لما أجمل في القرآن ، كما أنّ الأئمة المجتهدين هم الذين بيّنوا لنا ما في السنة من الإجمال ، كما أنّ أتباع المجتهيدين هم المبينون لنا ما أجمل في كلام المجتهدين** ، وهكذا إلى يوم القيامة .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص يقول : لو لا أنّ السنة بينت لنا ما أجمل في القرآن ما قدر أحد على استخراج أحكام المياه والطهارة ، ولا عرف كون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء أربعاً ولا كون المغرب ثلاثاً ، ولا كان يعرف أحد فيما يقال في دعاء التوجه والافتتاح ، ولا عرف صفة التكبير ولا أذكار الركوع والسجود والاعتدالين ، ولا ما يقال في جلوس التشهدين ، ولا كان يعرف كيفية صلاة العيدين والكسوفين ولا غَيْرِهِمَا من الصلاة كصلاة الجنازة والاستسقاء ، ولا كان يعرف أنصبة الزكاة ولا أركان الصيام والحج والبيع والنكاح والجراح والأقضية وسائر أبواب الفقه ، وقد قال رجل لِعِمْرَانِ بْنِ حُصَيْنٍ : لا تتحدَّث معنا إلاّ بالقرآن ! فقال عمران : لَأَنَّك لَأَحْمَق ، هل في القرآن عدد ركعات الفرائض . انتهى عبارته .

الباب الرابع

في ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها ، وبيان تبديل ألفاظها ، وبيان فضيلة علم الباطن ، والتصوّف ، والعلماء العاملين ، والأولياء ، ووجوب احترامهم حيّاً كانوا أو ميِّتين .

قال الشيخ أبو طالب المكي في « القوت » : اعلم أن العلوم تسعة ، أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين ، وخمسة محدثة

لم تكن تعرف فيما سلف ، فأما الأربعة المعروفة فعلم الإيمان ، وعلم القرآن ، وعلم السنن والأثار ، وعلم الفتاوى والأحكام ، وأمّا الخمسة المحدثة فالنَّحْوُ ، والعروضُ ، وعلم المقاييس ، والجدل في الفقه ، وعلم المعقول بالنظر ، وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات فيه ، وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار ، فهذا العلم من المحدث ، إلا أنه علم لأهله ، فيسمعه أصحابه منهم ، وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه ويكرهون مجالس القصاص . انتهى عبارته في ١٦٦ من الجزء الأول .

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » : اعلم أنّ منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراد به السلف الصالح والقرون الأول ، وهي خمسة ألفاظٍ ؛ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة ، فهذه أسامٌ محمودةٌ ، والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ، ولكنها نقلت الآن إلى معانٍ مذمومةٍ ، فصارت القلوب تنفر عن مذمّة مَنْ يَتَّصِفُ بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم .

مهم

ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول

اللفظ الأول : الفقه ، فقد تصرَّفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل ، إذ خصّصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها ، وحفظ المقالات المتعلقة بها ، فمن كان أشدّ تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه ،

مهم

ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلّك عليه قوله تعالى : ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ .

وما يحصل به الْإِنْذَارُ وَالتَّخويفُ هو هذا الفقه ، دون تفريعات الطلاق والعتاق وَاللِّعَانِ والسلم والإجارة ، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، **بل التجرّدُ له على الدوام يقسي القلب ، وينزع الخشية كما نشاهد الآن من المتجردين له** ، وقال تعالى : ﴿لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ الآية ، وأراد به معاني الإيمان ، دون الفتاوى ، وَلَعمري إنّ الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنىً واحد ، وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديماً وحديثاً ، قال تعالى ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية . فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه ، فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال ﷺ : « علماء حكماء » للذين وفدوا عليه انتهى « احياء » في ٢٦ .

وفيه بُعيد هذا فبان من هذا التخصيص تلبيس بعض الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ، ووجدوا على ذلك مُعيناً من الطبع ،

فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير

فإن علم الباطن غامض ، **والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذّرٌ** ، فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص الاسم الذي هو اسم محمود في الشرع .

اللفظ الثاني : العلم ، وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه ، حتى أنه لمّا مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله : لقد مات تسعة أعشار العلم ، فعرَّفه بالألف واللام ، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه ، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص ، حتى شهوده في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها ، فيقال هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل في العلم ، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعدّ من جملة الضعفاء ، ولا يعدّونه من زمرة أهل العلم ، وهذا أيضاً تصرّفٌ بالتخصيص ، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته ، وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع سوى رسوم جدليةٍ في مسائل خِلافيةٍ ، فيعدّ بذلك من فحول العلماء ، مع جَهْلِهِ بالتفسير ، والأخبار ، وعلم المذهب وغيره ، وصار ذلك سبباً مُهلكاً من أهل الطلب للعلم .

مهم

وكان التوحيد عندهم عبارة . . . إلخ . وهو أن يرى الأمور . . .

اللفظ الثالث : التوحيد ، وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلا م ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدّق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات على لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ، وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول ، بل كان يشتدّ منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والممارة ، فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان معلوماً للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كلّه ،

مهم

وكان التوحيدُ عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلّمين ، وإن فهموه لم يتّصفوا به ، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر إلا منه جل جلاله ، فهذا مقام شريف ، إحدى ثمراته التّوكلُ ، كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ، ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق ، وترك الغضب عليهم ، والرضاء والتسليم لحكم الله تعالى ، وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضهِ : أنطلب لك طبيباً ! فقال الطّبيبُ أمْرَضَني ، وقول آخر لما مَرِضَ فقيل له ، ماذا قال لك الطبيب في مرضك ، فقال : قال لي : إني فعَّالٌ لما أريد ، وسيأتي في كتاب التوكل شواهد ذلك . انتهى .

اللفظ الرابع : الذكر والتذكير فقال الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ؛ كقوله صلى الله عليه وآله : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » وفي الحديث : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق ، إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً هلمّوا إلى بغيتكم فيأتونهم ، ويحفون بهم ، ويستمعون ، أَلاَ فاذكروا الله وذكّروا أنفسكم » فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات . انتهى عبارته . وفيه بعيد هذا حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال : « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض ، وحضور مجلس علم أفضل من شهود أَلْفِ جنازةٍ ، فقيل يا رسول الله ومن قرائة القرآن ؟ قال : وهل تنفع قرائة القرآن إلا بالعلم » . انتهى .

اللفظ الخامس : وهو الحكمة ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجِّم حتى الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطريق ، والحكمة هي التي اثنى الله عز وجل عليها فقال : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وقال ﷺ « كل كلمة من الحكمة يتعلمه الرجل خيرٌ له من الدنيا وما فيها »

شر علماء السوء على الدين أعظم من شر الشياطين

فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارةً عنه ، وإلى ماذا نقل ، وقس به بقية الألفاظ ، واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ، فإنّ شرهم على الدين أعظم من شرّ الشياطين ، إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شرِّ الخلق أبىَ وقال : « اللهم اغفر » حتى كرروا عليه ، فقال « هم علماء السوء » فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ، ومثار الالتباس ، وإليك الخيرة في أن تنظر نفسك فتقتدي بالسلف ، أو تَتَدَلَّى بحبل الغرور وتتشبه ما لخلف ، فكل ما اقتضاه السلف من العلوم قد اندرس ، وما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدَع ومحدث ؛ وقد صح قول رسول الله ﷺ « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » فقيل : ومن الغرباء : قال « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي ، والذين يحيون ما أماتوه من سنتي » . وفي خبر آخر : « هم المتمسِّكون بما أنتم عليه اليوم » ، وفي حديث آخر :« الغرباء أناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم ، وقد صارت العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذا قال الثوري رحمه الله : إذا رأيت العالم كثيرَ الأصدقاء فاعلم أنه مخلّط ، لأنه إذا نَطَقَ بالحق أبغضوه . « إحياء » عبارته مع الاختصار في ، ٣١ وفي ،٢٨ وفي ،٢٧ وفي ٢٦ ، من الجلد الأول ومثله في « قوت القلوب » .

فصل في فضيلة علم الباطن

وعبارة « حياة القلوب » : فإن علم الباطن وهو المسمّى بعلم القلب وبعلم التصوف علمٌ جليل شريف نفيس ، وهو أجلّ العلوم وأشرفها ، وهو الزبدة المخموضة من الشريعة ، لم تبعث الأنبياء عليهم السلام إلا لأجلها ، وقد حض الشرع عليه تحضيضاً كثيراً في الكتاب العزيز ، وفي السنة النبويّة ، وأكدّ في طلبه وتعلّمه وفي العمل به بعد أن بيّنه وقسمه وأجمله وفصّله ، وهو الطريق التي توصل إلى الله ، وبه تعرف كيفية المسير إليه والفرار إليه ، وبالعمل به تنال سعادة الأبد فيما سلف من الأيام ومضى من الأعوام . انتهى عبارته ٢٥٩ من هامش « القوت » من الجزء الأول .

وفيه بعيد هذا : الفصل الثاني في جلالة هذا العلم وشرفه وعظم قدره وبيان أنّ أهله هم الصفوة من بني آدم بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

اعلم أنّ علم الباطن وهو علم طريق الآخرة ، وهو العلم الذي درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهو العلم الذي لم يبعث الله الأنبياء إلا لأجله ، وقد سماه الله تعالى في كتابه فقهاً وعلماً وضياءً ونوراً وهدىً ورشداً ، وهو مستخرج من القرآن أو السنة ، ومدلول عليه منهما تصريحاً وتلويحاً وكتابةً وإشارةً ، وغير ذلك من أصناف الدلالة ، قال الغزالي : علم الباطن وهو علم يقين المقربين ، وثمرته الفوز برضاء الله تعالى ، ونيل سعادة الأبد ، وبه تزكية النفس وتطهيرها ، وتنوير القلب وصَفَاؤُهُ بحيث ينكشف ذلك النور أموراً جليلةً ، ويشهد أحوالاً عجيبةً ، ويعاين ما عميت عنه بصيرة غيره ؛ من المعرفة الحقيقية بذات الله ، وبصفات الله التامات ، وبأفعاله ، وحِكْمَتِهِ في خلق الدنيا والآخرة ، والمعرفةِ بمعنى النبوّة ، والنبيّ ، ومعنى الوحي ، ومعنى لفظ الملائكة

والشياطين ، وكيفية مُعاَدَاتِ الشياطين للإنسان ، وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وكيفية الوحي ، والمعرفة بملكوت السموات والأرض إلى آخر ما ذكره . انتهى منه عبارته .

مهم

وفيه أيضاً بعيد هذا : وقال السادات الأئمة أرباب البصائر وأهل اليقين : المعرض عن علم طريق الآخرة ، وما به النجاة والفوز ، مع إقباله على العلوم الظاهرة والعمل بها أيضاً من الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل ، والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال ، وعلماء الآخرة يدورون مع الأعمال الظاهرة بتطهير الباطن وقطع مواد الشرّ والآفات والأمراض بإفساد منابتها وقلع مغارسها ، وهي القلب . قال النبي ﷺ : « ألاَ إنَّ في الجسد لمضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّه ألا وهي القلب » **وأما بيان أنّ أهل العلم بالله وبطريق الآخرة هم الصفوة من بني آدم** بعد الأنبياء والرُّسُلِ عليهم السلام فنقول : إن أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، واقتفوا آثارهم ، وسلكوا طريقهم ، فرفضوا الدنيا ، وفرغوا عنها ، واجتهدوا في جهاد أنفسهم ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ ، وصبروا على مرارات الطريق ومشاق السير ، فكابدوا وحشة الطريق ، وصبروا على وعثاء السفر ، حتى وصلوا إلى مقصودهم ، وظفروا بالقرب من معبودهم ، فهم الفارون إلى الله عند ما سمعوا أمره بالفرار حيث قال الله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ وهؤلاء عُبَّادُ الصحابة وزهادهم من أهل الصفوة وغيرهم ، ومن التابعين وتابعيهم ، فمن الصحابة ؛ حارثة ، والبراء بن مالك ، وأبو إسرائيل ، وحذيفة ، وأبي الدر داء ، وأبي ذرٍ ، وعكاشة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسلمان ، وصهيب ، وأبي رافع ، وبلال ، وخباب ،

ومن التابعين علي بن الحسين ابن زين العابدين ، وابنه محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، وأويس القرني ، وابن حازم ، وسلمة بن دينار ، والحسن البصري ، وعلقمة ، والأسود بن زيد ، وإبراهيم النخعي ، ومالك بن دينار ، ومحمد بن سرين ، وغيرهم مما لا يحصى عددهم ، وهم يزيدون على ألف وليٍّ .

ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد ، وعتبة الغلام ، والفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وداود الطائي ، وسفيان الثوري ، وأبي سليمان الداراني ، وابنه سليمان ، وذي النون الاخميمي ، وأخيه ذي الكفل ، وبشر ابن الحارث ، والسري السقطي ، والحارث المحاسبي ، وأبي القاسم الجنيد ، وإبراهيم الخواص ، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرنا فعليه بكتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم ، وكتاب « صفوة الصفوة » لابن الجوزي ، وغيرهما من الكتب .

واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسّرين والمحدثين والمتكلمين في علومهم ، فسمعوا الحديث ، ونظروا في الأحاديث ، وقرأوا القرآن ، واشتغلوا بتدبره ، ونظروا في أصول الدين ، وعلم الفقه ، **فالبداية فقهيةٌ والنهاية صوفيةٌ** ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث ، ولم يحط بما أحاطوا به ، فإنه يرجع فيما وقع له من المسائل إلى العالمين بأحكام أفعال الجوارح الظاهرة ، وهم أصحاب العلوم الظاهرة ، والصوفية يلزمون أنفسهم بالأخذ بالأغلظ والأشق من أقوال العلماء في المسائل الخلافية ، ثم أنهم خصّوا مع ذلك بعلوم عاليةٍ ، وأحوالٍ شريفةٍ ومقاماتٍ رفيعةٍ ، فتكلّموا في علوم المعاملاتً وعيوب النفس وآفات القلب وشريف المقامات ؛ مثل اليقظة ، والإنتباه ، والتوبة ، والزهد ، والورع ، والصبر ، والرّضا ، والتوكّلِ ، وكيفية جهاد

النفس والهوى والشيطان ومعاداته ، والخشية ، والمراقبة ، واليقين ، وغير ذلك من المقامات والأحوال ، وفي معرفة النفس ، ورياضتها ، ودقائق الرياء ، والشهوة الخفية ، والشرك الخفي ، وكيفية الخلاص منها ، ولهم أيضاً علوم مستنبطة من أمور مشكلة على فهوم الفقهاء والمتكلِّمين وذلك مثل العوارض ، والعوائق ، وحقائق الأذكار ، وتجريد التوحيد ، ونعني بالتجريد التوحيد لا يشوب توحيده خاطر تَشْبِيهٍ أو تعطيل ، ومنازل التفريد وخبابات السر ، وتلاشي المحدث إذا قوبل بالقديم ، وعيون الأحوال ، وجميع المفترقات ، والإعراض عن الأعْرَاضِ ، وترك الاعتراض ، والتفويض ، فَهُمْ مخصصون بالوقوف على المشكل من ذلك بالمنازلة والمباشرة والهجوم ببذل المهج ، فَهُمْ حماة الدين وأعوانه ، وهم ورثة الأنبياء ، وهم نازلوا المقامات ، وباشروا الأحوال ، وقاسوا شدائد الطريق ، وركبوا المنازل ، وعبروا المفاوز ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ .

الفصل الثالث

في معنى التصوف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق

قال الأئمة : أوّل التصوف علم ، وأوسطه عمل ، وآخره موهبة ، فالعلم يكشف عن المراد ، والعمل يعين على المطلوب ، والموهبة تبلغ غاية الأمل ، **وأهله** على ثلاث طبقات ؛ طبقة مريد طالب ، ومتوسط سالك ، ومنتهي واصل ، **فالمريد صاحب وقت ، والمتوسّط صاحب حال ، والمنتهي صاحب نَفَسٍ ، وأفضل الأشياء عندهم عدُّ الأنفاسِ ،** فالمريد الطالب مَتْعوُبٌ ، والمتوسِّط السالك مطالب بآداب المنازل ، وهو صاحب تلوين ؛ لأنه يترقى من حال ، إلى حال وهو في الزيادة ، والمنتهي الواصل محمول ، قد جاوز المقامات ، وهو في محل التمكين ،

لا تغيّره الأحوال ، ولا تؤثر فيه الأهوال ، كما نقل في قصة يوسف عليه السلام عند زُلَيْخاَ ، كانت صاحبة تمكين في صاحب يوسف لم تؤثر فيها رؤية يوسف كما أثرت في اللاتي قطّعن أيديهن ، لأنها كانت أَتَمَّ حَالٍ في حبّه منهنّ في بلائها بحبّه ، وهذا قول الدقاق ، فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ ، ومقام المتوسِّط ركوبه الأهوال في طلب المراد ، ومراعات الصدق في الأحوال ، واستعمال الأدب في المقامات ، ومقام المنتهي الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه ، قد استوى في حقه الشدّة والرخاء والمنع والعطاء والعافية والبلاء ، قد فنيت حظوظه ، باطنه مع الحق وظاهره مع الخلق ، وكل ذلك منقول معلوم مشهور من أحوال النبي ﷺ وحركاته وسكناته في ابتداء أمره وانتهائه ، ومن أحوال الصحابة والنقباء والنجباء ، والأصفياء العلماء الحكماء أرباب البصائر واليقين مثل الحارث ، والبراء بن مالك ، وأبي ذر ، وعمار ، وبلال ، وصهيب ، وحذيفة ، ومحمد بن مسلمة ، وعكاشة بن محصن الأسدي ، وأبي الدرداء ، وحنظلة بن الراهب ، وأبي رافع مولى النبي ﷺ ، ورابضة ، وعَمْرُوبنُ ثعلبة ، وعمرو بن الأسد ، ومصعب ابن عمير ، والبراء معرور ، وسلمان الفارسي ، وابن الهَيْثَم بن التيهان ، وغيرهم من أصحاب الصفة ، وأصحاب بيعة العقبة ، وأَهل بيعة الرضوان والخلصاء من المهاجرين والأنصار ،

كان النبي ﷺ قبل نزول الوحي عليه وبعده مختلياً في غار حراء ، ثم صار مع الخلق ، ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة ، وكذا أصحاب الصفة صار جماعة منهم بعد التمكين أمراء ؛ لأنهم تمكنوا في الإيمان بالله والمعرفة به والإخلاص له ، فلم تؤثر المخالطة بالخلق فيهم ، ولا في أحوالهم ، وهذه أحوال المشائخ من بعدهم .

مهم

واعلم أنّ التصوّف له ظاهر وباطن ، فَظَاهِرُهُ استعمال الأدب مع الخَلْقِ بالأخلاق الحسنة معهم ، وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق ، فالظاهرُ علامةُ الباطنِ ، والباطنُ حقيقةُ الظاهرِ ، ألاَ ترى أنّ النبي ﷺ لما نظر إلى المصلي وهو يعبث فقال « لو خَشَعَ قلبُ هذا لخشعت جوارحه » قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

أدب أهل الدنيا ، أدب أهل الدين ، أدب أهل الخصوصية

قال أبو نصر السراج : أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر ، وأدب أهل الدين معرفة العلم به ، ورياضة النفس وتأديب الجوارح ، وتهذيب الطباع ، وحِفْظُ الْحُدودِ ، وترك الشهوات ، والمسارعة إلى الخيرات ، وأدبُ أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ، ومراعات الأسرار ، واستواء السر والعلانية ، والنظر إلى الأعداء بعين الرحمة ، كما كان دأبه ﷺ مع أعدائه ، ودأب سائر الأنبياء مع أعدائهم ؛ كسرت رباعيته ﷺ وشُجَّ وَجْهُهُ في بعض غزواته فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . ومسكه أعرابيٌّ بردائه ، وجذبه حتى أَثَّرَتْ حاشيةُ الرداءِ في عنقه ، وما كلمه بكلام خشن قط ، وقال : اعدل يا محمّد ، فقال ﷺ : « ويحك من يعدل إن لم أعدل خِبْت وخسرت إذا لم أعدل » ، وفي كتب السنة من هذا الباب شيء كثير ، ومرَّ المسيحُ على قوم من اليهود فقالوا له : شرّاً فقال لهم خيراً فقال له بعض الحواريين يقولونَ لك شرّاً وتَقول لهم خيراً فقال عيسى : كُلٌّ يُنفِقُ مما عنده . ولما فتح ﷺ مكة ودخلها جاءه أهلها فلما فتح رآهم مقبلين قال أقول كما قال أخي يوسف ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ إشارةً إلى اختلاف مسالكهم

اعلم أنّ مسالكهم مختلفة لاختلاف أحوالهم ومقاماتهم ، فمنهم من سلك طريق الزهد والعبادة ولازم الماء والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الأوراد وهي أسلم الطرق ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق الرياضات والمكابدة وقهر النفس بالمخالفة ، وهي أفضل الطرق ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق العزلة والخلوة طلباً للسلامة من المخالطة ، وهي أصح الطرق ؛ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق التجرد عن الخلق والتفرد بالحق والموالات في الله والمعادات فيه ، وهي أعضد الطرق ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ .

ومنهم من سلك طريق السياحة والأسفار ، والاغتراب ، عن البلدان ، وخمول الذكر ، وهي أوضح الطرق ؛ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق الخدمة وبذل الجاه للإخوان وإدخال السرور عليهم ، وهي أظرف الطرق ؛ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق المجاهدات وركوب الأهوال ومباشرة الأحوال ، وهي أعز الطرق ؛ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ ،

ومنهم من سلك طرق إسقاط الجاه عند الخلق وقلة الالتفات إليهم وترك الاشتغال بخيرهم وشرهم ونفعهم وضارهم ، وهو أوعر الطرق ؛ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ ، و﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾ ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ،

ومنهم من سلك طريق العجز والإنكسار ، وهي أقرب الطرق ؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ ،

ومنهم من سلك طريق التعلم وحفظ المسائل ومجالسة العلماء والأخبار والأحاديث وحفظ العلوم ، وهي أظهر الطرق ؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ . ولكل طريق من هذه الطرق أهل ، ولهم فيها آداب وشرائط ، ولهم أعلام ومناهل ، وكل سالك لطريق يحتاج فيه إلى موقف ودليل يأخذ به ليسلم من الحيرة والفتنة ، فإن لم يكن معه في سيره من يُعَرِّفُهُ كيفية السفر ويؤنسه وإلاَّ خيف عليه الرجوع والهلاك ، لِبَعْضِهِمْ إنّ فلاناً قد رجع فقال : ما أراه رجع إلا من وحشة الطريق وقلة سالك به . انتهى عبارته من هامش « القوت » من آخر الجزء الأول راجعه ٢٧١ .

الفصل الرابع

في عقيدتهم التي أجمعوا عليها وما أخذوا به من المذاهب

أما عقيدهم فعقيدة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وأصحابه من فاتحتها إلى خاتمتها ، وأما المذاهب التي أخذوا بها في الفروع ، فأوجبوا طلب العلم وتعلمه لقوله ﷺ : « العلم فريضة على كل مسلم » ، واختاروا من المذاهب في أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث ، ويرون أن اختلاف الفقهاء في الفروع رحمة ؛ للحديث الوارد في ذلك ، وأوجبوا طلب الحديث وسماعه وحفظه وروايته وكتابته ، وعظّموا المحدثين ؛ لأنهم أساس الدين وحُرَّاسُ السنة الذابون عنهما ، وعظّموا الفقهاء والمتكلمين والمفسرين لقيامهم بعلوم الدين وإظهارهم العلوم الخفيّة ، وتقريرهم الأحكام بالأدلة ، وردهم على المبتدعين والمخالفين خصوصاً الشيخ أبا الحسن حتى قالوا : طريقة أبي الحسن الأشعري هي باب الفتح ، وقالوا : لا تنال حالة سنية إلا بطريقة سنية ، وعنوا بها طريقة أبي الحسن الأشعري . انتهى عبارته منه في ٦ من هامش الجزء الثاني من « القوت » .

وقال صاحب « كفاية الأتقياء » فيه : وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحبّ أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلّمين ، والذي نفسُ محمّدٍ بيده ما من مُتَعَلِّم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سَنَةٍ ، وبنى له بكلّ قدم مدينةً في الجنة ، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ، ويُمْسي ويُصْبِحُ مغفوراً له » ، وروي أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحدهما يذكر الله تعالى فيه ، والآخر يتعلّمون فيه الفقه ، فقال رسول الله ﷺ : « كل المجلسين على خيرٍ وأحدهما أفضل من الآخر ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإنْ شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت مُعَلِّماً ، فهؤلاء أفضل » ثم جلس معهم . وعن أنس بن مالك أنَّ النبي ﷺ قال : « إنّ باباً يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له أبو قُبيسٍ ذهباً فينفقه في سبل الله تعالى » .

قال ابن عطاء الله في « التنوير » : **اعلم أنّ العلم حيثما ذكر في الكتاب العزيز أو في السنة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة**،قال الله سبحانه وتعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ ، فبيّن أن الخشية تلازم العلم ، وفهم من هذا أنّ العلماء إنما هم أهل الخشية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ ، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ . وقوله ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم » وقوله : « العلماء ورثة الأنبياء » ، وقوله : « طالب العلم تكفل الله له برزقه » .

مهم

إنما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس ، وذلك يتعيّن بالضرورة ؛ لأنّ كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ أجل من أن يحمل على غير هذا ، والعلم النافع هو الذي يستعان به على

طاعة الله تعالى ، ويلزمك المخافة من الله تعالى ، والوقوف على حدود الله تعالى ، وهو علم المعرفة بالله ، ويشتمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما أمر الله به إذا كان تعلّمه لله . انتهى .

وقال ابن عباد في « شرح الحكم » قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه : **كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق** والشفقة عليهم ، ولا يحمله حسن معاملة الله تعالى وأداء الأمانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع ، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ فقال : « أعوذ بك من علم لا ينفع » ووصف الله تعالى العلماء فقال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾ الآية .

وقال رجل للشعبي : أيها العالم : فقال أَسْكُتْ ، العَالِمُ مَنْ يخشى الله تعالى . وقال بعض السلف : من ازداد علماً فليزدد خشوعاً . وقال رجل للجنيد : أيّ العلم أنفع ؟ قال : ما دلّك على الله تعالى ، وأبعدك عن نفسك ، قال : والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ، وَدَوَامِ المجاهدة ، ورعاية السرِّ ، ومراقبة الظاهر ، والخوف من الله ، والإعراض عن الدنيا وعن طالبيها ، والتقلل منها ، ومجانبة أربابها ، وترك ما فيها على من فيها من أهلها ، والنصيحة للخلق ، وحسن الخلق معهم ، ومجالسة الفقراء ، وتعظيم أولياء الله تعالى ، والإقبال على ما يعنيه . انتهى « كفاية الاتقياء » عبارته ٧٨ .

وعبارة « لطائف المنن » للشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري : اعلم أن قوله : « العلماء ورثة الأنبياء » ، « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » ، « فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم » ، « ألا إنّ الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله ، وإلا عالم أو متعلّم » ، و« إن الملائكة لتضع » . . إلخ . وقوله تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ ، ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ .

وحيثما وَقَعَ العلمُ في كلام الله وكلام رسول الله ﷺ **فإنما المراد به العلم النافع المخمد للهوى القامع الذي تكتنفه الخشية وتكون معه الإنابة** وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾ الآية ، فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علماً .

مهمّ أيّ مهمّ

وقال داود عليه السلام : يا رب ما علم من لم يخشك ، وما خشيك من لم يطع أمرك : فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ، مَا علمٌ تكون معه الرغبة في الدنيا وَالتَّمَلُّقُ لأربابها وصرف الهمة إلى اكتسابها والجمع والإدخار والمباهات والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة ، فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون ورثة الأنبياء ، وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ، ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها ؛ جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسبباً في تكثير العقوبة ، وَلا يَغُرَّنَّك انتفاع البادي والحاضر فقد قال ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت ، فما أشرف الوسيلة ، وما أخس المتوسل إليه ، ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم ، ومكث أربعين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدّد الطهارة ، ولم يصل صلاة واحدة ، إذ مقصود العلم العمل ، كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة ،

ولقد سأل رجل الحسن البصري عن مسئلة ، فأفْتَاه فيها ، فقال الرجل للحسن : قد خالفك الفقهاء . فزجره الحسن وقال : ويحك وهل رأيت فقيهاً إنّما الفقيه من فقه عن الله أمره ونَهْيَهُ .

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه : الفقيه مَنْ انفقأَ الحجاب عن عيني قلبه . وإذا عرفت أن الدعاء إلى الله لا يزال أبداً **فاعلم أنّ الأنوار الظاهرة في أولياء الله إنما هي من إشراق أنوار النُّبُوَّة عليهم ، فَمَثَلُ الحقيقة المحمدية كالشمس وأنوار قلوب الأولياء كالأقمار** ، وإنَّما أضاء القمر لظهور نور الشمس منيرةً نهاراً ، ومضيئَةً أيضاً ليلاً لظهور نورها في القمر الممدود منها ، فإذا هي لا غروب لها ، فقد فهمت من هذا أنه يجب دوام أنوار الأولياء لدوام نور رسول الله فيهم ، فالأولياء آيَاتُ الله يَتْلوُهَا على عباده بإظهاره إياهم واحداً بعد واحد ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ .

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول في قوله عز وجل : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ أي : ما من وليّ الله إلا ونأتي بخير منه أو مثله . وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله ، أينقصون في زمن ؟ فقال : لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ، ولا أبرزت الأرض نباتها ، وفساد الوقت لا يكون بذهاب أَعْدَادهم ولا بنقص أمدادهم ، ولكن إذا فسد الوقت كان من الله سبحانه وتعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم ، فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجع فيهم الموعظة ولا تُميلُهُمْ إلى الله التذكرة ، لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم ، ولذا قالوا : **أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس المجرمون** ، وقد قال ﷺ : « لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » . فإذا كان الله سبحانه وتعالى وصانا على لسان نبيه ﷺ أن لا تُؤْتيَ الحكمة غير أهلها فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا ، وقد قال ﷺ : « إذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بِخويصةِ نَفْسِكَ » فسَمِعوُا وصيَّةَ رسول الله ﷺ فَآثَروُا الخَفَاءَ ، بل آثر الله لهم ذلك مع أنه لا بد أن يكون منهم في

الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحُجَّةِ سالكون للمَحَجَّةِ ، لقول رسول الله « لا تزال طائفة من أمتي ظاهِرِينَ على الحقّ لا يضرهم من ناواهم إلى قيام الساعة » . وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مخاطبته لحميد بن زياد : اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجتك ، أولئك الأقلّون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده ، واشَوْقاه إلى رؤيتهم .

وروى الإمام الرباني محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه في كتاب « الختم » له يرفعه إلى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره » ، وروى أيضاً يرفعه إلى أبي الدرداء قال ، قال رسول الله ﷺ « خير أمتي أولها وآخرها أوسطها الكدر » وروى أيضاً يرفعه إلى عبد الرحمن بن سمرة قال : جئت مبشراً من غزوة مؤتة ، فلما ذكرت قتل جعفر وزيد وابن رواحه ومن معه بكى أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « ما يبكيكم » فقالوا :وما لنا لا نبكى وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تبكوا إنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب رواكها ، وهيأ مسالكها ، وحلق سعفها ، فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ، فلعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً ، والذي بعثني بالحقّ ليتخذن ابن مريم من أمتي خلفاء من حواريه » . وروى أيضاً يرفعه إلى سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ، ثم تلا ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الآية . وروى أيضاً يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال « في كل قرن من أمتي سابقون » .

واعلم – جعلك الله من خاصة عباده ، وعرَّفك لطائف وداده ، – أنه سواء منهم الظاهر والخفي والصديق والولي **فساد الوقت لا يكدر**

أنوارهم ، ولا يحبط مقدارهم ، لأنهم مع الموقت ، لا مع الأوقات ، فمن كان مع الموقت لا يتغيّر بتغيّر الوقت شيئاً ، ومن كان مع الوقت تغيّر بتغيّره ، وتكدّر بتكدّره .

مهم

الناس صنفان

وقد قال الإمام أبو عبد الله الترمذي ﷺ : الناس صنفان صنف منهم عمال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى ، فهم محتاجون إلى خير الزمان وإقبال دولة الحق ، لأن تأيّدهم من ذلك ، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد من كشف الغطاء وقطع الأسباب ، فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ، ولا يضرهم إدباره ، وهو قول رسول الله ﷺ « إن لله عباداً يغذوهم برحمته ، يحييهم في عافيته ، تمرّ بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم » ، وقوله ﷺ : « يكون في أمتي فتن لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم » قال الترمذي : يعني بالعلم العلم بالله فيما يرى ،

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول : رجال الليل هم الرجال ، وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشئ من الغنى واليقين ، فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس ، واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك . وقال بعض العارفين : إنّ لله عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت قويت أنوارهم ، **فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوي إشراقها** ، وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ، أنوار الكواكب تتكدر ، وأنوار قلوب أوليائه لا انكدار لها ، وأنوار الكواكب تهدي إلى الدنيا وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلى الله ، ولنا في هذا المعنى شعر :

أمرتقب النجوم من السماء　　نجوم الأرض أبهى في الضياء
فـتـلك تبيّن وقتاً ثم تخفى　　وهـذا لا تـكـدر بـالـخفاء
هداية فتلك في ظلم الليالي　　هـدايـة هـذه كشف الغطا

انتهى عبارته ٢٥ .

وفي « الفتاوى الحديثية » للشيخ العلامة ابن حجر رضي الله عنه وسئل رضي الله عنه : أيّما أفضل علماء الباطن أم علماء الظاهر ؟ فأجاب بقوله : إن أردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر عند أهله ، وهم العارفون بالله الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال ، وحفظهم من سائر المخالفات في كل الأحوال ، ثم كشف لهم الغطاء فعبدوه كأنهم يرونه ، واشتغلوا بمحبّته عما سواه ، وأطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه ، وقربهم من حضرة قدسه ، وأجلسهم على بساط أنسه ، وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله ، وجعلها مطالع أنواره ومعادن أسراره وخزائن معارفه وكنوز لطائفه ، وأحيا بهم الدين ، ونفع بهم المريدين ، وأغاث بهم العباد ، وأصلح بهم البلاد ، وبعلماء الظاهر الذين علموا رسوم العلوم الكسبية ، وعويصات الوقائع الفعلية والقولية ، وغرائب البراهين العقلية والنقلية ، حتى حفظوا سياج الشرع من أن يلم به طارق ، أو يخرقه مبتدع مارق ، فالأولون أفضل وإن كان للآخرين فضل عظيم ، بل ربما كانوا أفضل من حيثية لا مطلقاً ، ومع ذلك فأفضلية الأولين على حالها ، إذ قد يكون في المفضول مزية ، بل مزايا ، هذا إن وجدت في هؤلاء صفة العدالة ، وإلا فلا مفاضلة ، إذ لا مشاركة بينهم وبين الأوّلين في شيء من صفات الكمال ، لأن رسوم العلوم الخالية عن الأعمال الصالحة في الحقيقة مقت أيَّ مقتٍ وغضب أيَّ غضبٍ ، ومن ثم جاء في الأخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ما يدهش اللبّ ويحيّر الفكر ، هذا هو الحق في هذه المسالة خلافاً لمن أطلق الكلام في تفضيل أحد الشقين ، ولم يبح هذا

التفصيل الذي أبديته ، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر ﷺ بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية أنّ الخضر وليّ ، لأنّ موسى أفضل منه إجماعاً ، لأنه امتاز على الخضر بخصوصيات لا تحصى ، وإنما غاية ما يتميز به الخضر أنه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليها موسى ، فتلمّذ له لأجلها ، وتأديباً من الله له إذا سئل : من أعلم الناس ؟ فقال : أنا ، ولم يردَّ العلم إلى الله ، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه ، خلافاً لليافعي رحمه الله ، حيث جعلها دليلاً لتفضيل الأولين .

ومما يَدُلّ على أفضلية الأوّلين ما هو مقرر أنّ العلماء إنما يشرفون على قدر شرف معلومهم ، وشرف العلوم تابع لشرف غايتها ، **فعلوم المعارف المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم** ، وأصحابها أشرف العلماء ، ويليها في الشرف علم الفقه ، لأنّ غايته معرفة أحكام الله وشرعه الذي تعبد به عباده ، وجميع العلوم وسيلة إلى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته ؛ لأنّ الخلق لم يخلقوا إلا لذلك ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ والعبادة تفتقر إلى المعرفة ، ومن فسرها بالمعرفة فهي مستلزمة للعبادة ، إذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته .

ومما يوضح لك أنّ العلوم وسيلة لذينك العلمين أنها وسيلة لمعرفة الفقه الوسيلة لمعرفة العلم الوسيلة للعمل الوسيلة لطاعة الله وقربه الوسيلة لمعرفته ، فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها إلى المقصود الأعظم ، وإلاّ فهو الخاسر الهالك وإن كان بصورة عالمٍ .

ومما يَدُلّ أفضليّة علم المعرفة وغيرها أمور ؛ منها أن العلوم والمعارف اللدنية يختصّ بها الأولياء والصديقون ، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة ، ومن ثم قال السُهْرَوَرْدي في « عوارفه » :

علوم الصوفية لا تحصل بمحبة الدنيا

وينبئك على شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبّة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى ، وربما كانت محبّة الدنيا عوناً على اكتسابها ، لأنّ الاشتغال بها مشاق على النفوس ، فجبلت على محبّة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل التكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وفقد الملاذ والشهوات ، وعلوم هؤلاء القوم يعني : الصوفية لا تحصل بمحبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى ؛ قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ .

ومنها إن شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به ، والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقاً ، ويكفي في انتفاعهم تطهير قلوبهم مما سوى الله ، وامتلاؤها بمحبته ومعرفته ، ومن نفعهم إن بركتهم تغيث العباد ، ويرفع بها الفساد ، وإلا لفسدت الأرض ، ويقام بهم الدين ، ويرشد بهم المريدون إلى التطهير من كل خلق دنيء ، والترقي إلى التحلي بكل وصفٍ عليٍّ ، ومن ثم وقع لعارف أنّ تلميذه أراد الزنا ، فلمّا همّ سمع صوت شيخه من بلادٍ بعيد يقول : هكذا تفعل يا فلان ؟ ! ففرَّ هارباً .

ووقع آخر من تلميذه نظير ذلك أنه ما شعر إذ همّ إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره ، فخرج ، وأمر من جاء به إلى الشيخ فقال : ادع الله بردّ بصري ، فإني تائب إلى الله تعالى فقال : نعم ، ولكن لا تموت إلاّ أعمى ، فدعا له فرد عليه بصره ، ثم عمي قبل موته بثلاثة أيام ، وكذلك وقع للشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني رحمه الله تعالى أنه كان له تلميذ بالعجم همّ بالزنا بامرأة ، فضربه الشيخ بِقَبْقَابِهِ(1) مع زجرٍ وغضبٍ بحضرة الفقراء فلم يدروا ما الخبر حتى قدم الشيخ حبيب العجميّ بقبقاب الشيخ

(1) القبقاب النعل من خشب .

بعد شهر تائباً ، وكذلك وقع للجيلاني أنه رمى بفردتي قبقابه إثر وضوئه مع صرختين عظيمتين ، فلم تدر الفقراء ما الخبر حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوماً ، فاخبروا أن عرباً نهبوا أموالهم واقتسموها وهم ينظرون ، فنذروا للشيخ بشيء إن نجوا منهم ، فسمعوا الصرختين ، وجاءهم العرب بأموالهم ، وأخبروهم أن فردتي القبقاب جائتا إلى كبيريهم فقتلتاهما ، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما .

ومنها ما ورد في فضل أويس القرني رضي الله عنه ونفعنا به ، وكونه أفضل التابعين في بعض روايات « صحيح مسلم » مع ما في التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون .

ومنها أن ابن عبد السلام صرّح بتفضيل العارفين بالله تعالى ، ومن ثم لما سمع « إملاء » القطب أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى على « رسالة القشيري » صار يقول : اسمعوا إلى هذا الكلام العجيب الغريب .

ومنها قول الأستاذ أبي القاسم جنيد نفع الله به : لو علمت تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لسعيتُ إليه وقصدته ، وقال الشهاب السهروردى : الإشارة في خبرٍ :« فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » إلى هذا العلم الذي هو العلم بالله وقوّة اليقين ، دون علم البيع والطلاق والعتاق : قال وقد يكون الإنسان عالماً بالله ذا يقين وليس عنده علم من فروض الكفايات ، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة مع أن في علماء التابعين مَنْ هو أقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة ، قال : و **العلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بدّ منه أقبلوا على الله ، وانقطعوا إليه ، وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب ، وأفاضت على قلوبهم أنوار إلهيات تهيّأتْ به لإدراك العلوم الربانية والمعارف الإلهية** ، والله أعلم . انتهى كلام ابن حجر راجعه في ٢٢٠ كذا في « البروج المشيدة » في البرج الثامن راجعه .

ومن قبيل ما ذكرناه آنفاً من رمي القبقاب إلى التلامذة والأعراب ما ذكر في « سراج السعادة » في مناقب الشيخ القطب محمود أفندي الألمالي من رميه نواة الثمرة إلى الشيخ أحمد التلالي ، ووصوله إلى أنفه مع ما بينهما من بعد المسافة . فراجعه ، وفيه قصة طويلة ، انتهى . وذكرها أيضاً شيخنا في « سفر الأسنى » نقلاً عن بعض الفضلاء .

وأما الحكايات المذكورة في « رسالة القوم » من أنّ كلّ مسلك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ، ومن كونهم يعطون كلّ جليس حقّه لا يعرفون من يفتح لهم على يدهم ، وكونهم يراعون تلميذهم وهو في الأصلاب ، ونظره أحوال مريده من حين كان في عالم الذّرِّ ، وإن مَنْ جالس ولازم وراعى الأدب ظاهراً وباطناً انتفع من لحظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال إلى غير ذلك **فإنما هي حكايات الكاملين من الرجال** أصحاب الأنفاس ومرائيهم ، **ولكن ليس الاقتداء مختصّاً بهم كما سنذكره الآن بهذه العبارات : وتخصيص** هؤلاء المذكورين بذلك[1] إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصرٍ واحد ، لا لنفي الاقتداء عن غيرهم ؛ إذ الجامعون بين العلمين كثيرونٌ على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العلمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل ، إذ لا خلاف بينهم أن **جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم ، سواء حصل السلوك قبل الجذبة أو بعدها ، وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة أو لم يعرفوا سوى فرض العين** الذي لا بد لكلّ مكلّفٍ منه ، أو لبيان من يقتدى في العلمين . « فتاوى الحديثية » عبارته . **ومثله** من أنّ المتصدّي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره إن لم

---

(١) **أي** : الاقتداء .

يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى فهو قليل الأدب مع الله تعالى ، **ولذلك تراه يلقن الألف مثلاً أم أكثر ولا ينتج منهم واحدٌ كما هو مشاهدٌ** ،

واعلم أنه ليس في هذا الباب الذي خشينا عليه ترك الذكر والتلقين كما توهم ذلك الضعفاء ، بل المراد منه أن كلّ من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك وإنّ في ذلك هلاكه ، **فينبغي لمن يلقن الناس الآن أن يراه ابتلاء من الله تعالى ، ويلقن على سبيل التشبه بالمتشبّهين ، (ست مرات)** . « أنوار القدسية » عبارته .

ومشائخ هذا الزمان يلقنون كذلك بلا خلاف ، وأنهم أشدّ خوفاً ممّن قبلهم إلى آخر ما كتبه . انتهى راجعه عبارته . وفيه أيضاً قبيل المذكور : وليس من شروط مشائخ الطريق أن يقدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات ، فالمنصف يؤدي كل ذي حقٍّ حقّه ، فحقٌّ الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم ، فيلزمنا أن نؤديه إليهم ، وحق أولئك المارقين أن ننكر عليهم ، ونوجِّه المذام إليهم ، ونبيّن لهم الحلال والحرام ، وما هو مشروع في دين الإسلام ، فإذا قبلوا وتابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام ، وإذا أصرّوا على ضلالتهم نُصرُّ على الاعتراض عليهم ، ولا عتاب حينئذ ولا ملام . انتهى « شواهد الحق » عبارته . وفيه أيضاً بعد ذكره حديث « لو اعتقد أحدكم في حجر نفعه » قال الشعراني في « العهود المحمدية » ، وقد حثنا الله تعالى على حسن الظن به بقوله : « أنا عند ظنّ عبدي فليظن بي خيراً » فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى ، **وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم ، فإن ظنوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا** يصحّ له حماية ، ولذا أمروا مريديهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه ؛ لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل عن ذلك جائته الآفات

من كلّ جانب ، ومما جربنا نحن أنّ من كان اعتقاده فينا متوافراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومن لم يكن اعتقاده فينا متوافراً لم تقض له حاجة ولو كنا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنّ المتوجه للشيخ ، لا على الشيخ ، وربما تقضى حاجة المعتقد ولم يكد يعلمها الشيخ إلاّ إن أعلمه بها المتوجه إليه . انتهى عبارته فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » . وفيه[1] **أيضاً : ومن المعلوم أنّ المريد المعصوم لا يكون أبداً** كما بيّنه مؤلّف « الحديقة الندية » ، ولا يخفى على الحقير أن حاله ناقص عن درجة المرشدين ،

وقد يعطي الكامل الاجازة للناقص

ولكن لما أجاز له المشائخ الكاملون لا بدّ له من امتثال أمرهم وإن كان ناقصاً ؛ لما أنهم قالوا :

وقد يعطي الكامل الإجازة للناقص ، لأنّ يده يده ، وتربيته تربيته كما هو مذكور في غير كتاب واحد ، وفي « البهجة السنية » وأمّا الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدس سره بالإرشاد مع نقصان فهو جائز من الكامل المكمّل . انتهى عبارته ٤٤ . وفي « التحفة » ولم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى عبارته . وكتب القاضي ببلات رحمه الله ما نصه هذا : ولا يأذن لأحد في الجلوس للمشيخة إلا بعد الإذن من رسول الله ﷺ « خالدية »عبارته . فيا عجباً على عظم هذا القول ، فالحمد لله على ذلك دائماً . انتهى من خطه « سفر الأسنى » عبارته .

وفي « تنبيه السالكين » : الباب الثالث في بيان جواز إقامة المأذون الناقص على مقام الإرشاد ، ولو لم يبلغ درجة الكمال ، قال في « الرسالة المدنية » :**لا يبلغ المريد درجة الكمال إلا أن يرى في جميع عباداته عيباً ، وأنها لا تليق إهداؤها إلى جناب الحقِّ جلّ جلاله** ، فحينئذ يجد

---

(١) **أي** : « سفر الأسنى » **(هامش الأصل)** .

معنى قوله تعالى : « من عرف نفسه عرف ربه » ، وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرّفها بالإسلام الحقيقي ، فلا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعدٌّ لتربية الطالبين وللتوجه ، وأما قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد ، ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس ، نعم إذا كان بإذن الشيخ الكامل فحينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره ثم ، قال فيها أيضاً : **واعلم أنه يعطى الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة لأنّ يد الناقص يد الكامل لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك فبمجرّد المحبة له يحصل له تربية النفس** ، فلذا يلزم عليه رعاية الأمرين فيه ، أحدهما محبة الشيخ المقتدى ، والآخر الاستقامة في الشريعة ، والتمسك بالسنة السنية ، فإذا لم يكن تقصيره في هذين الأمرين لا يحصل الضرر إليه . انتهى عبارته ٣٢ .

فائدة نفيسة غفل عنها أكثر الخلق

قد مرّ ما قاله القطب الشيخ خالد قدس سره ما لفظه : أم يشترط مع ذلك كلّه خوارق كونية إلخ . فالجواب : لا يشترط ذلك في الشيخ ، وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يخبر نقلاً من كتاب يقول : لا يكون الشيخ شيخاً بكشفه الكرسي والعرشي والسموات السبع والأرضون السبع وما فيها ، بل الشيخ الذي يكشف له أحوال مريده . انتهى . وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله : **الكرامة ليست بشرط الولاية ولا مِنْ علامة الأفضلية** ، كما صرح به الشيخ ابن حجر في الخاتمة ، وربما تكون له تلك الكرامات ، لكنه غير مأذونٍ بإظهارها ، وقد يؤذن به ، لكن لا يعدّه مصلحة . انتهى عبارته راجع « سفر الأسنى » وفيه بسط ، انتهى ، والسلام .

ثم من الواجب على المريد احترام شيخه ومرشده ، وكل من تصل إليه بركته ، كيلا يقع فيما وقع فيه ابن السقا بمجرد تركه احترام الشيخ القطب يوسف الهمداني ، قد مرّ قصّته ، وأمّا تمام القصة فمذكور في « الفتاوى الحديثية » ويكفي لذلك شاهداً ما في الحديث الصحيح « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » قد مرّ تفسيره وبيانه ، **فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأولياء بما عنده من ظاهر علمه ، فإنّ لهم مقاماً يفنون في اسم الرحمن وذلك الغالب عليهم** ، ولا يجوز للشيخ أن يكون مرشداً أو هادياً إلاّ بعد فنائه في هذا الاسم الشريف ، لكن يطرأ عليهم حال يفنون في اسم (المنتقم) أو (القهار) ففي تلك الحالة يهلك كلّ من أنكر عليهم وآذاهم ، فالعياذ بالله ، وقد ينتقم الله لوليّه بغير علمه ، وقصته مذكورة في « السير والسلوك » راجعه ، وقال الشيخ القطب أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : وأما حفظ حرمة المشائخ ، والتعظيم لهم ، وترك المخالفة ، فقال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام : ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ لمّا أراد الصحبة حفظ شروط الأدب فاستأذن فيها أوّلاً ، فشرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء بقوله : ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ﴾ ، ولما خالفه تجاوز عنه في المرة الأولى والثانية ، فلمّا انتهى إلى الثالثة وهي أول مراتب الكثرة سامه الفرقة بقوله : ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾ وقال النبي ﷺ : « ما أكرم شاب شيخاً إلا قيّض الله من يكرمه عند كبر سنّه »

عقوق الأستاذين لا توبة له

وقال المشائخ : عقوق الأستاذين لا توبة له . وقال أبو سهل الصعلوكي : من قال لأستاذه : لِمَ ؟ لا يفلح . انتهى عبارته في ١٠٧، كذا ذكره الشيخ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » وهكذا يجب احترامهم بعد موتهم بلا فرق مّا خلافاً للوهابية ، وقال الشيخ العلامة ابن حجر في

« التحفة » على قول النووي : (ولا يوطأ[1]) احتراماً له إلا لضرورة كأن لم يصل لقبر ميِّته ، وكذا ما يريد زيارته ولو غير قريب فيما يظهر ، أو لا يتمكن من الحفر إلاّ به . والنهي في هذه كلها للكراهة ، وقال كثيرون للحرمة ، واختير لخبر مسلم المصرح بالوعيد عليه ، لكن أوّلوه بأن المراد القعود عليه لقضاء الحاجة ، ويقرب ندباً زائره من قبره **كقربه منه إذا زاره حياً احتراماً له** . انتهى راجعه في ٣٣١ ، وفي جواز تقبيل القبر خلاف ؛ اعتمد محمد رملي في شرحه تبعاً لوالده : إن قصد بالتقبيل التبرك لم يكره ، وقيل : بدعة مكروهة قبيحة ، راجع إلى « حاشية السيد عمر » في ٣٣١ . و« البجيرمي » في ٥١٩ . .و الخ .

وعبارة شرح « المنهج » : ويكره جلوس ، ووطأ عليه للنهي عنهما ، رواه في الأول مسلم ، وفي الثاني الترمذي ، وقال حسن صحيح . انتهى . والحكمة فيه توقير الميت واحترامه « بجيرمي » عبارته ٥٤٨ راجعه ، وفيه في موضع آخر على قوله (احتراماً) : ويؤخذ من هذا كراهة ما عليه زوّار الأولياء من دقهم التوابيت ، وتعلّقهم بها ، ونحو ذلك ، **والسنة في حقهم التأدب في زيارتهم وعدم رفع الصوت عندهم والبعد عنهم قدر ما جرت به العادة في زيارتهم في الحياة تعظيماً لهم وإكراماً** . انتهى عبارته في ٥٥١ .

---

(١) **أي** : على القبر .

الباب الخامس

في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة ، وبيان اجتماعهم برسول الله ﷺ لتصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدثون من طريقهم ، وإبطال دعوى الوهابية على الاجتهاد

أقول وبالله التوفيق : اعلم أيها الأخ المخلص قال العلامة الشعراني في « الميزان » : وذلك أي ؛ استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة ؛ لأنهم بنوا قواعد مذاهبهم على الحقيقة التي هي أعلى مرتبتي الشريعة كما بنوها على ظاهر الشريعة على حد سواء ، وأنهم كانوا عالمين بالحقيقة أيضاً خلاف ما يظنّه بعض المقلّدين فيهم ، فكيف يصح خروج شيء من أقوالهم عن الشريعة ؟ ! ، ومن نازعنا في ذلك فهو جاهل بمقام الأئمة ، فوالله لقد كانوا علماء بالحقيقة والشريعة معاً ، وإنّ في قدرة كل واحد منهم أن ينشر الأدلّة الشرعية على مذهبه ومذهب غيره بحكم مرتبتي هذه الميزان ، فلا يحتاج أحدٌ بعده إلى النظر في أقوال مذهب آخر ، لكنهم رضي الله عنهم كانوا أهل إنصاف وأهل كشف ، فكانوا يعرفون أنّ الأمر يستقرّ في علم الله تعالى على عدة مذاهب مخصوصة ، لا على مذهب واحد ، فأبقى كل واحد لمن بعده عدّة مسائل عرف من طريق كشفه أنها تكون من جملة مذهب غيره ، فترك الأخذ بها من باب الإنصاف والاتباع لما أطلعهم الله تعالى عليه من طريق كشفهم أنه مراد له تعالى لا من باب الإيثار بالقرب الشرعية والرغبة عن السنة ، كما اطلع الأولياء على قسمة الأرزاق المحسوسة لكل إنسان ، فانظر يا أخي في أقوال أئمة المذاهب تجد أحدهم إن خفف في مسألة شدّد في مسألة أخرى ، وبالعكس ، كما سيأتي بسطه في توجيه أقوالهم في أبواب الفقه إن شاء الله تعالى ،

وسمعت سيّدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما أيّد أئمة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة إعلاماً لأتباعهم بأنهم كانوا علماء بالطريقين ، وكان يقول : **لا يصحّ خروج قول من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبداً** عند أهل الكشف قاطبة ، وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ومع الكشف الصحيح ، ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله ﷺ ، وسؤالهم عن كل شيء توقّفوا فيه من الأدلة ، **هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا ؟! يقظة ومشافهة** بالشروط المعروفة بين أهل الكشف ، وكذلك كانوا يسألونه ﷺ عن كل شيء فهموه من الكتاب والسنة قبل أن يُدوّنوه في كتبهم ، ويدينوا الله تعالى به ، **ويقولون : يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا ، وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا ، فهل ترتضيه أم لا ؟** ويعملون بمقتضى قوله وإشارته ، ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة المجتهدين ، ومن اجتماعهم برسول الله ﷺ من حيث الأرواح قلنا له هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين ، **وإن لم تكن الأئمة المجتهدون أولياء ، فما على وجه الأرض وليّ أبداً** ، وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين في المقام بيقين أنهم كانوا يجتمعون برسول الله ﷺ ، ويصدّقهم أهل عصرهم على ذلك ، كسيدي الشيخ عبد الرحيم القناوي ، وسيّدي الشيخ أبي مدين المغربي ، وسيدي أبي السعود ابن أبي العشائر ، وسيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي ، وسيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، وسيدي الشيخ أبي العباس المرسي ، وسيدي الشيخ إبراهيم المبتولي ، وسيّدي الشيخ جلال الدين السيوطي ، وسيد الشيخ أحمد الزواوي البحيري ، وجماعة ذكرناهم في طبقات الأولياء .

ورأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند أحد أصحابه ، وهو الشيخ عبد القادر الشاذلي مراسلة لشخص سأله في شفاعة عند السلطان قايتباي رحمه الله تعالى : اعلم يا أخي **أنني قد اجتمعت برسول الله ﷺ إلى وقتي هذا خمساً وسبعين مرة يقظة ومشافهة** ، ولولا خوفي من احتجابه ﷺ عني بسبب دخولي للولاة لطلعت القلعة ، وشفعت فيك عند السلطان ، **وأنّي رجل من خدام حديثه ﷺ** ، **وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدثون من طريقهم** ، ولا شك أنّ نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخي . انتهى .

ويؤيد الشيخ جلال الدين في ذلك ما اشتهر عن سيّدي محمّد بن زين المادح لرسول الله ﷺ أنه كان يرى رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ، ولما حج كلمه من داخل القبر ، ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص من النحرارية أن يشفع له عند حاكم البلد ، فلما دخل عليه أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية ، فلم يزل يتطلب من رسول الله ﷺ الرؤية حتى قرأ له شعراً ، فتراءئ من بعيد فقال : تطلب رُؤيتي مع جلوسك على بساط الظلمة ، لا سبيل لك إلى ذلك ، فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات . انتهى .

وقد بلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي وتلميذه أبي العباس المرسي وغيرهما أنهم كانوا يقولون : **لو احتجبت عنا رؤية رسول الله ﷺ طرفة عين ما أعددنا من جملة المسلمين** ، فإذا كان هذا قول آحاد الأولياء ، فالأئمة المجتهدون أولى بهذا المقام ، وكان سيّدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : **لا ينبغي لمقلّد أن يتوقف في العمل بقول من أقوال أئمة المذاهب ويطالبهم بالدليل على ذلك** ، **لأنه سوء أدب في حقهم** ، وكيف ينبغي التوقف عن العمل بأقوال بنيت على أصل صحيح الأحاديث وعلى الكشف الصحيح الذي لا يخالفه الشريعة أبداً ، **فإنّ علم الكشف إخبارٌ بالأمور على ما هي عليه في نفسها** ، وهذا إذا حققته وجدته لا يخالف الشريعة في شيء ، بل هو الشريعة بعينها ، **فإن رسول الله ﷺ لا**

يخبر إلا بالواقع؛ لعصمته من الباطل والظن . انتهى . وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله تعالى .

وسمعت سيّدي عليّاً المرصفي رحمه الله تعالى يقول مراراً : كان أئمة المذاهب رضي الله عنهم وارثين لرسول الله ﷺ في علم الأحوال وعلم الأقوال معاً خلافاً لما يتوهمه بعض المتصوّفة ، حيث قال : إن المجتهدين لم يرثوا من رسول الله ﷺ إلا علم المقال فقط ، حتى إنّ بعضهم قال : جميع ما علّمه المجتهدون كلهم ربع علم رجل كامل عندنا في الطريق ؛ إذ الرجل لا يكمل عندنا حتى يتحقق في مقام ولايته بعلوم الحضرات الأربع في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ ، وهؤلاء المجتهدون لم يتحققوا بسوى علم حضرة اسم (الظاهر) فقط ، لا علم لهم بعلوم حضرة الازل ولا الأبد ، ولا بعلم الحقيقة . انتهى . قلت : وهذا كلام جاهل بأحوال الأئمة الذين هم أوتاد الأرض وقواعد الدين والله أعلم .

وسمعت سيدي علياً الخواص أيضاً يقول :**كلّ مَن نوّر الله تعالى قلبه وجد مذاهب المجتهدين وأتباعهم كلها تتصل برسول الله ﷺ من طريق السند الظاهر** بالعنعنة ، ومن طريق إمداد قلبه ﷺ لجميع قلوب علماء أمته ، فما اتقد مصباح عالم إلا من مشكاة نور قلب رسول الله ﷺ فافهم .

وسمعته يقول مرة أخرى : ما من قول من أقوال المجتهدين ومقلّديهم إلا وينتهي سنده برسول الله ﷺ ، ثم بجبريل ، ثم بحضرة الله عز وجل التي تجل عن التكييف من طريق السند الظاهر والسند الباطن الذي هو علم الحقيقة المؤيدة بالعصمة ، فمن نقل علمها على الحقيقة لم يصح منه خطأ في قول من أقواله ، وإنما يقع الخطأ في طريق الأخذ عنها فقط ، **فكما يقال : إنّ جميع ما رواه المحدثون بالسند الصحيح المتصل ينتهي سنده إلى حضرة الحق جل وعلا** ، فكذلك يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة ، وذلك لأن جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة ، فما من قول من أقوال

المجتهدين ومقلديهم إلا وهو مؤيد بأقوال أهل الحقيقة ، لا شك عندنا في ذلك . انتهى . وهذا سبب تأييدي لكلام أئمة الشريعة بتوجيهي لكلامهم بكلام أهل الحقيقة في كل مسألة من باب الطهارة إلى آخر أبواب الفقه كما سيأتي بيانه فيها إن شاء الله تعالى ، ولا أعلم أحداً سبقني إلى التزام ذلك في كتاب ، كل ذلك تقوية لقلوب الطلبة من مقلدي المذاهب ليعملوا بكلام أئمتهم على يقين وبيانٍ إذا رأوا الحقيقة تؤيد الشريعة المستنبطة وعكسه . انتهى .

وسمعت أخي الشيخ أفضل الدين وقد جادله فقيه في مسألة يقول : والله ما بنى أحد من أئمة المذاهب مذهبه إلا على قواعد الحقيقة المؤيدة بالكشف الصحيح ، ومعلوم **أنّ الشريعة لا تخالف الحقيقة أبداً** ، وإنما تتخلف الحقيقة عن الشريعة في مثل حكم الحاكم بشهادة شهود الزور الذين اعتقد الحاكم عدالتهم فقط ، فلو كانوا شهود عدالة ما تخالفت الحقيقة عن الشريعة وعكسه . انتهى راجعه في ٤٧ . وفيه بسط شاف .

فإن قلت : فما دليل المجتهدين في زيادتهم الأحكام التي استنبطوها على صريح الكتاب والسنة ، وهلاّ كانوا وقفوا على حدّ ما ورد صريحاً ، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً ؛ لحديث « ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه » و**الجواب** : دليلهم في ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ في تبيينه ما أجمل في القرآن مع قوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ فإنه لو لا بين لنا كيفية الطهارة والصلاة والحج وغير ذلك ما اهتدى أحد من الأمّة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن ، ولا كنا نعرف عدد ركعات الفرائض ولا النوافل ، ولا غير ذلك مما سيأتي في الفصل الآتي عقبه إن شاء الله تعالى ، فكما أنّ الشارع بيّن لنا بسنّته ما أجمل في القرآن ، فكذلك الأئمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل في أحاديث الشريعة ، ولولا بيانهم لنا ذلك لبقيت الشريعة على إجمالها ، وهكذا القول في أهل كلّ دور بالنسبة للدور الذي قبلهم إلى يوم القيامة ، فإن الإجمال لم يزل سارياً في كلام علماء الأمة ، ولولا

ذلك ما شرحت الكتب ، ولا عمل على الشروح حواش كما مر ، فافهم . انتهى عبارته في ٣٨ . ثم اعلم أيها الأخ المخلص إن أردت أن تعرف حقيقة بطلان دعوى الوهابية على الاجتهاد لا بدّ لك من المراجعة إلى كتاب « شواهد الحق » ، و« حجة الله على العالمين » ، و« نور القايس » تشفي عليك[1] إن شاء الله تعالى ، بيد أني أورد لك نبذة يسيرة من أقوال الأئمة والمصنفين في حقِّ هذا الأمر لعلك ترضى ،

مسألة (ك) شخص طلب العلم ، وأكثر من مطالعة الكتب المؤلفة ؛ من التفسير والحديث والفقه وكان ذا فهم وذكاء ، فتحكّم في رأيه أن جملة هذه الأمة ضلّوا وأضلّوا عن أصل الدين وطريق سيّد المرسلين ، فرفض جميع مؤلفات أهل العلم ولم يلتزم مذهباً ، بل عدل إلى الاجتهاد ، وادّعى الاستنباط من الكتاب والسنة بزعمه وليس فيه شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم ، ومع ذلك يُلزم الأمة الأخذ بقوله ، ويوجب متابعته ، فهذا الشخص المذكور المدّعي الاجتهاد يجب عليه الرجوع إلى الحق ، ورفض الدعاوى الباطلة ، **وإذا طرح مؤلّفات الشرع فليت شعري بماذا يتمسّك** ، فإنه لم يدرك النبي ﷺ ولا أحداً من أصحابه رضوان الله عليهم ، فإن كان عنده شيء من العلم فهو من مؤلفات أهل الشرع ، وحيث كانت على ضلالة فمن أين يقع الهدى ، فليبينه لنا ، فإن كتب الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ومقلّديهم جلّ مأخذها من الكتاب والسنة ، وكيف أخذ هو ما يخالفها ، ودعواه الاجتهاد اليوم في غاية البعد ، كيف ؟ ! وقد قال شيخان وسبقهما الفخر الرازي : الناس اليوم كالمُجْمعين على أنه لا مجتهد ، ونقل ابن حجر عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد . انتهى « بغية المسترشدين » عبارته راجعه في ٧ . وذكر في « شواهد الحق » ما حاصله : **من أقبح الجنون جنون من ادعى الاجتهاد في هذا الزمان** ، فإن أردت الزيادة راجع كتب الأصول والفقه ، خاصة إلى « البنان » « وآيات البينات » انتهى .

---

(١) **علّه** : عليلك .

الباب السادس

في جواز (سيدنا) في الصلاةٍ على نبينا عليه الصلاة والسلام خلافاً للوهابية

أقول – لله الحمد والثناء وبيده أزمّة التوفيق – إنّ جواز (سيّدنا) في الصلاة عليه الصلاة والسلام يُعلم من صدارة[1] الأئمة والمشائخ الذين يجتمعون به ﷺ كتبهم بذكره قبل محمّد ، ومن قراءتهم صيغ صلواتهم قبالته ﷺ يقظة ومشافهة ، وإخباره ﷺ لهم ما فيها من ثوابها ، كما ذكر في ثواب صلاة الفاتح ، وقال صاحب « جواهر المعاني » فيه في ٩٥ ج :١ وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق . . .إلخ ، فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لِما رأيت من فضلها ؛ وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما في « وردة الجيوب » أنّ صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً رضي الله عنه قال : إنّ من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله تعالى ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت إلى تلمسان إلى أبي سمعون ، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من « دلائل الخيرات » تركت الفاتح لما أغلق . . .إلخ ، واشتغلت بها ، وهي : (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك ، وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) لِما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني ﷺ بالرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق . . .إلخ ، فلما أمرني الرجوع إليه سألته ﷺ عن فضلها ، فأخبرني أولاً بأنّ المرة الواحدة منها تعدل من القرآن (ست مرات) ، ثم أخبرني ثانياً أنّ المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كلّ ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن (ستة آلاف مرة) ، لأنه من الأذكار ، انتهى ، راجعه . كذا ذكره شيخنا في « تلخيص المعارف » وفيه بسط طويل ، وقس عليه الباقي ، فمع هذا لا

---

(١) **علّه** : تصدير (**هامش الأصل**) .

وجه للإنكار على ذلك ، مع أن كرامات الأولياء حق . راجع إلى « شرح العقائد » ، و« شرح جمع الجوامع » ، ذكر صاحب شرح « سلك العين » كيفية الصلاة على النبي ﷺ ، وقال : كيفية الصلاة عليه : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأميّ وعلى آل محمد وأزواجه وذرّياته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آله وأزواجه وذرياته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

هذا داخل الصلاة ، وإن زاد خارجها (سيّدنا ومولانا) كان أكمل . انتهى عبارته . مسألة في « النهاية » : زيادة لفظ (سيّدنا) في الصلاة عليه ﷺ قال شيخنا : وينبغي زيادته مع إبراهيم إثمد العينين عبارته ١٩ . وعبارة « كاشفة السجا » شرح « سفينة النجا » : الأفضل الإتيان بلفظ السيادة ؛ لأنّ فيه الإتيان بما أُمِرنا وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب ، فهو أفضل من تركه ،

ولا يقال : امتثال الأمر أفضل ، لأنا . . . إلخ .

وقال السحيمي أيضاً : ولا يقال امتثال الأمر أفضل من الأدب لأنا نقول في الأدب ؛ امتثال الأمر وزيادة ، والظاهر أنّ الأفضل ذكره في غير (نبينا) . انتهى .

مهم
وأكمل الصلاة

وأكمل الصلاة على النبي وأفضلها سواء في الصلاة وخارجها كما نصّ على ذلك الرملي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . انتهى ، راجعه في ٦٣ .

قوله (على محمد) والأفضل الإتيان بلفظ السيادة كما صرح به جمع ؛ لأنّ فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع ، فهو أفضل من تركه . وأما حديث « لا تسيدوني في الصلاة » فباطل شرح محمد رملي « بجيرمي » عبارته ٢٤٤ ج١ . وعبارة « باجوري » : قوله (إن محمدا) الأولى ذكر السيادة ؛ لأنّ الأفضل سلوك الأدب ، خلافاً لمن قال : الأولى ترك السيادة اقتصاراً على الوارد ، والمعتمد الأول وحديث :« لا تسوّدوني في صلاتكم »بالواو لا بالياء باطل . انتهى عبارته ١٩١ ج١ .

وفيه على قوله (كما صليت على إبراهيم) وقد استشكل التشبيه في هذه الصيغة بأنّ سيّدنا محمد أفضل من سيّدنا إبراهيم ، فتكون الصلاة والبركة المطلوبتان له أفضل وأعظم من الصلاة والبركة الحاصلتين لإبراهيم ، فكيف يشبه ما يتعلق بالنبي بما يتعلّق بإبراهيم مع أنّ المشبه به يكون أعلى من المشبّه ، وأجيب عن ذلك بأجوبة ؛ منها إنّ التشبيه من حيث الكمية ؛ أي : العدد دون الكيفية ؛ أي : القدر ،

ومنها أن التشبيه راجع للآل فقط ، ولا يشكل بأنّ آل النبي ليسوا بأنبياء ، فكيف يساوون بآل إبراهيم وهم انبياء ، مع أنّ غير الانبياء لا يساوونهم مطلقاً ؛ لأنه لا مانع من مساواة آل النبي وإن كانوا غير انبياء لآل إبراهيم وإن كانوا انبياء بطريق التبعية له ﷺ ، وقولنا (في العالمين) متعلّق بمحذوف تقديره وأدم ذلك في العالمين ، وقولنا (إنك حميد مجيد) تعليل لذلك المحذوف ، أو لقولنا (صلّ) . . .إلخ . ومعنى (حميد) محمود ، ومعنى (مجيد) ماجد ؛ وهو من كمل شرفاً وكرماً ، وقد علمت أن المعتمد طلب زيادة السيادة ؛ لأنّ فيه سلوك الأدب خلافاً لمن قال بتركها امتثالاً للأمر . انتهى عبارته ١٦٢ ج١ .

قوله (على محمد) قال في « شرح الروض » قال في « المهمات » : واشتهر زيادة (سيّدنا) قبل (محمد) ، وفي كونه أفضل نظر في حفظي ، إنّ الشيخ عز الدين بناه على أنّ الأفضل سلوك الأدب أم امتثال الأمر ؟ فعلى الأول يستحبّ دون الثاني . انتهى ما في « شرح الروض » واعتمد

الجلال المحلي ؛ أي : في غير شرحه أن الأفضل زيادتها ، وأطال في ذلك ، وقال إن حديث « لا تسيدوني في الصلاة باطل » محمد رملي ابن قاسم عبارته ٨٦ ولا بأس بزيادة (سيّدنا) قبل (محمّد) « فتح المعين » عبارته ١٧٢ ج١ ، وقوله (لا بأس) وهي الأولى كما تقدم « إعانة » عبارته ١٧٢ ، وقوله (على محمد) والأفضل الإتيان بلفظ السيادة كما قاله ابن ظهيرة ، وصرح به جمع ، وبه أفتى الشارح ؛ لأنّ فيه الاتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب ، فهو أفضل من تركه ، وإن تردّد في أفضليته الأسنوي ، وأما حديث « لا تسيدوني في الصلاة » فباطل لا أصل له كما قاله بعض متأخري الحفاظ ، وقول الطوسي : إنها مبطلة غلط « شرح محمد رملي سم » عبارة « شرح بأفضل » ولا بأس بزيادة (سيدنا) قبل (محمد) . انتهى .

وقال « المغني » ظاهر كلامهم اعتماد عدم استحبابها . انتهى . وتقدم عن شيخنا أنّ المعتمد زيادة السيادة ، وعبارة الكردي : واعتمد « النهاية » استحباب ذلك ، وكذلك اعتمده الزيادي والجلبي وغيرهم ، وفي « الايعاب » الأولى سلوك الأدب فيأتي (بسيدنا) وهو متّجه . انتهى . وقال عبد الحميد الشرواني : لأنّ فيه الإتيان . . .إلخ ، يؤخذ من هذا سنّ الإتيان بلفظ السيادة في الأذان ، وهو ظاهر ؛ لأنّ المقصود تعظيمه ﷺ بوصف السيادة حيث ذكر . انتهى « حميدية » عبارته ٦١٢ ، ومثله بلا فرق في « سليمان الجمل » في ٣٧٧ ج١ ، ولذلك أعرضت عن كتبته . انتهى . وفي « الشهاب » على قول المتن (لو اخل) . . .إلخ : هذا الإخلال حرام ، وإن أجزأ ، ومفارقته للفاتحة ظاهر ، وعن العلامة العبادي : أنه إن غير المعنى وتعمّد بطلت صلاته ، وإن لم يتعمد لم يجزئه ، فراجعه . وتشترط الموالاة فيه أيضاً ، وتعتبر بما مرّ في الفاتحة ، نعم لا يضر زيادة (ميم) في عليك ، ولا (ياء) نداء قبل (أيها) ولا (وحده لا شريك له) بعد (أشهد أن لا إله إلا الله) لورودها في رواية كما قاله شيخنا ، ولا زيادة (عبده) مع (رسوله) ، ولا زيادة (سيدنا) قبل (محمّد) هنا وفي الصلاة

عليه الآتية ، بل هو أفضل ؛ لأن فيه مع سلوك الأدب امتثال الأمر ، وأمّا حديث « لا تسيّدوني في الصلاة » فباطل باتفاق الحفاظ . انتهى عبارته راجعه في ١٨٢ ج١ وعبارة « مطالع المسرات » شرح « دلائل الخيرات » على (سيدنا) الصحيح جواز الإتيان بلفظ (السيّد والمولي) ونحوهما مما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم ، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ ، وإيثار ذلك على تركه ، ويقال في الصلاة وغيرها إلا حيث تعبد بلفظ ما روى ، فيقتصر على ما تعبد به ، أو في الرواية فيؤتى بها على وجهها ، وقال البَرْزُلي ، ولا خلاف أن كلّ ما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم في حقِّه عليه الصلاة والسلام أنه يقال بألفاظ مختلفة ، حتى بلغها ابن العربي مائة فأكثر ، وقال صاحب « مفتاح الفلاح » : وإياك أن تترك لفظ السيادة ، ففيه سر يظهر لمن لازم هذه العبادة . انتهى عبارته ١١٠ ، وقال في « الرماح » : وإن شاء قال : سيدنا محمد رسول الله ﷺ بزيادة (السيد) فحسن . انتهى عبارته في ٢٢٥ ج١ .

نعم اختلف في زيادة (سيدنا) في الوارد من كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، والأوجه أن يقتصر على لفظه حيث تعبّد به ، ويزاد حيث ما يراد الفضل في الجملة . انتهى . « رماح » نقله من « القواعد الزروقية » وفي « مطالع المسرات » شرح « دلائل الخيرات » عند قول المؤلف في الصلاة الحادية عشر (سيّدنا) الصحيح جواز الإتيان به أي بلفظ (السيد والمولى) ونحوهما مما يقتضي التعظيم في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ ، وإيثار ذلك على تركه ، ويقال في الصلاة وغيرها حيث تعبّد به أو في الرواية فيؤتى على وجهها ، وقال البرزي : ولا خلاف في أن كلما يقتضى التشريف والتوقير في حقه ﷺ إنه يقال بالفاظ مختلفة حتى بلغها ابن العربي مائة فأكثر ، وقال صاحب مفتاح الفلاح : وإياك أن تترك لفظ السيادة . انتهى . وفي « فتح المبين شرح كنز الأسرار » وقال سيدي عبد الرحمن الفاسي في حاشية على « دلائل الخيرات » قال الآبي في « شرح مسلم » : وما يستعمل في هذا المقام من لفظ (المولى

والسيد) حسن وإن لم يرد ، واختار المحب اللغوي : ترك ذلك في الصلاة اتباعاً للفظ الحديث ، والإتيان به في غير الصلاة ، وقال ابن عبد السلام : الإتيان بهما يبنى على الخلاف ؛ هل الأولى امتثال الأمر أو سلوك الأدب .

مهم

وإنما لم يتلفظ ﷺ بـ(سيدنا) لكراهة الفخر

وسئل السيوطي عن حديث « لا تسيّدوني في الصلاة » فأجاب إنه لم يرد ذلك ، قال : وإنما لم يتلفظ به ﷺ لكراهته الفخر ، ولهذا قال : « أنا سيّد ولد آدم ولا فخر » وأما نحن فيجب علينا تعظيمه وتوقيره ، ولهذا أنهانا الله تعالى أن نناديه باسمه ، فقال : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم ﴾ . وقال الخطاب الذي يظهر لي وأفعله في الصلاة وغيرها الإتيان بلفظ (السيد) واختار العارف بالله سيدي أحمد زروق ما اختاره المحبّ اللغوي صاحب القموس . انتهى . ثم قال : والذي جرى عليه عمل الأئمة زيادة السيادة في غير الوارد ، وتركها فيما ورد اتباعاً للفظه ، وفراراً من الزيادة فيه ، لكونه مخرج التعليم ، ووقوفاً عند ما حدّ لهم ، قلت ، هذا عين ما في « قواعد زروق » ثم قال الخطاب : وعلى هذا درج صاحب « دلائل الخيرات » رضي الله تعالى عنه ، فإنه أثبت اللفظ الوارد من غير زيادة سيادة ، وزيادتها في غير الوارد ، لكن هذا بحسب الوضع في الخط . أما من حيث الأداء ، فالأولى أن لا تعرى عنها في الوارد وغيره ،

السيادة عبادة

قال : وسئل شيخنا العياسي - حفظه الله تعالى - عن زيادة السيادة في الصلاة على النبي ﷺ ، فقال : السيادة عبادة . قال : قلت : وهو بيّن ؛ **لأنّ المصلي إنما يقصد بصلاته تعظيمه ﷺ ، فلا معنى**

حينئذ لترك التسييد؛ إذ هو عين التعظيم، وفي «الحكم» ما الشأن وجود الطلب، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه. انتهى «رماح» عبارته ٢٢٦ ج١، وعبارة النبهاني في «أفضل الصلوات» اللهم صل على سيّدنا محمد كما صليت، وهي في الحديث بدون لفظ السيادة، قال الشمس الرملي في «شرح المنهاج»: الأفضل الإتيان بلفظ السيادة؛ لأنّ فيه الإتيان بما أمرنا به، وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو الأدب، فهو أفضل من تركه، وأما حديث «لا تسيدوني في الصلاة» فباطل لا أصل له، كما قال بعض متأخري الحفاظ، وقال الإمام ابن حجر في «الجواهر المنظم»: وزيادة (سيّدنا) قبل (محمد) لا بأس به، بل هي الأدب في حقه ﷺ، ولو في الصلاة أي الفريضة. انتهى عبارته ٥٤.

وفي «كفاية الأتقياء» للسيد أبي بكر المعروف بالسيد بكري المكي: وينبغي للشخص إذا صلى عليه ﷺ أن يكون بأكمل الحالات؛ متطهراً، متوضئاً، مستقبل القبلة، متفكراً في ذاته السنية لأجل بلوغ النوال والأمنية، وأن يرتِّل الحروف، وأن لا يعجل في الكلمات، كما قال ﷺ «إذا صلّيتم عليّ فاحسنوا الصلاة عليّ، فإنكم لا تدرون لعلّ ذلك يعرض عليّ، فقولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين سيّدنا محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون». رواه الديلمي موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وقوله (المصطفى) أي: المختار من جميع الخلق ﷺ، فهو أفضل من الملائكة، والآل أي: والصلاة على الآل، واختلفوا في تفسيرهم على أوجه؛ فقال الشافعي والجمهور: هم بني هاشم وبني المطلب، وقيل: أولاد فاطمة رضي الله عنها، وقيل: كلّ مؤمن تقيّ، وقيل جميع أمة الإجابة، والذي اختاره بعض المتأخرين أنه لا يطلق القول فيه، بل يفسّر في كلّ مقام

بما يناسبه ، ففي قوله (اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد الذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهّرتَهم تطهيراً) يفسّر بأهل بيته ، وفي قوله (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد الفائزين برضاك) يفسّر بالمتقين ، وفي قوله (اللهم صل على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد) يفسر بجميع أمة الإجابة . انتهى عبارته راجعه في ٦ .

فعلم من هذه المذكورات جواز (سيّدنا) في الصلاة عليه ﷺ ، ولا ينكره إلا من طبع الله قلبه برقم القساوة ، وعمى بصيرته برؤية أنانيته ، ويجعله ﷺ كواحدٍ من بينهم ، كما قال في حقه عليه الصلاة والسلام كفّار مكة ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ . انتهى والسلام على من اتبع الهدى وكشف عن قلبه الهوى ، وفي « درر السنية » في ٤٣ إنّ محمداً بن عبد الوهاب كان يزعم أن من قال لأحد (مولانا أو سيّدنا) فهو كافر ، ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيّدنا يحيى عليه السلام ﴿وَسَيِّدًا﴾ . . إلخ ، ولا إلى قول النبي ﷺ : « قوموا لسيدكم » يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه كما مر في الباب الأول . انتهى عبارته .

وسمعت أنّ بعض الوهابية كتب كتاباً إلى بعض العلماء بما حاصله : فإن كان ما ذكره المشائخ في ثواب صلاة الفاتح لما أغلق حقاً صادقاً كيف لم يبينه ﷺ زمن حياته ، مع أنه ﷺ لم يترك عطباً ولا رطباً إلا بيّنه . انتهى . فيعلم من تأمّل في هذا الكلام خرابة هذا القول ، وسوء عقيدة هذا الرجل - عصمه الله من نار أنانيته - لأنّ الأولياء الكرام - قدس الله أسرارهم ، ورزقنا فيوضاتهم - هم الذين فازوا بمحبته ﷺ بمتابعتهم الكاملة له ﷺ ظاهراً ، وباطناً ويرونه يقظة ومشافهة بفنائهم عن ذواتهم في ذاته ﷺ ، فهم يصلّون على النبي ﷺ بزيادة أوصاف لائقة بذاته الشريفة ﷺ ، ويخبرهم النبي عليه السلام بأن في صلاتك التي صلّيت عليّ من الأجر كذا وكذا كما يعلم ذلك من نظر في كتبهم ، وقد بيّنت قبل

في الباب الخامس مراجعتَهم إلى النبي ﷺ في كل شيء توقّفوا عليه(١) من المسائل المشكلة ، مع أن كرامات الأولياء حق صادق ، لعلك ترضى به وتذكِّر ما مرّ من أن أشقى الخلائق الطاعن في أولياء الله تعالى . . .وإلخ راجع إلى ما ذكرناه في الباب الثاني ، وعبارة وحيد دهره ومفتي عصره العالم محمد علي الچوخي في « فتاواه » مسألة يوجد في الكتب المتداولة المعتبرة عندنا أنّ من قرأ بيتاً كذا فله كذا ، وأنّ من خواص هذه الأبيات كذا وكذا ، وأكثرها في « شروح البردة » وشرح نظم اسماء الله الحسنى ونحوهما ، فكيف حصل لهم العلم بذلك ، والحال أنّ تلك الأبيات حادثة بعد زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين رضي الله تعالى عنهم ، ومن أخبرهم بذلك ، وهل نزل بهم وحي به ؟

أقول - وبالله التوفيق - اعلم أن تلك المذكورات وأمثالها إنما هو بإخبار الأئمة الأخيار ، والأولياء الأبرار ، والأقطاب ، والنقباء ، والأوتاد ، والنجباء ، إمّا عن رؤية منام ، أو منحة إلهام ، أو من هاتف ، أو وارد ، أو فتح ، أو مكاشفة ، أو تلقين عن النبي ﷺ على طريق الاستفاضة الروحانية ، أو نحو ذلك مما ذكر في كتب السلوك والتصوف ، وبينه أئمة الهدى والتشوف ، فإنها وإن لم يثبت بها الأحكام الشرعية ، لكن يعمل بها في الفضائل العملية ، كما صرحوا به في غير موضع ، وفي غير كتاب ، والعلم عند الملك الوهاب ، غاية الأمر أنّ إظهار خواص الأشياء ونحوها لا يقدر عليه كل أحد كيف كان ، كما صرح به الإمام الحقي في تفسير سورة « طه » من « روح البيان » وكرامات الأولياء حق صادق ، يجب الاعتقاد به ، فلا يلزم به القول بعلمهم الغيب ونحوه ، كما صرح به غير واحد منهم ، فراجع ذلك ، وحرّر ، ولا تنكر ما نقل عنهم . انتهى عبارته ٤٧٥ راجعه في كتاب الجهاد ، والسلام .

---

(١) وفي « مشارق الأنوار » وكان الشيخ نور الدين الشوني يشاور رسول الله ﷺ في أموره ومن جملة ما شاوره فيه حفر البئر التي في زاويتنا . انتهى راجعه في ١٠٥ **(منه)** .

الباب السابع

في أجوبة المسئولات ، وإثبات الشفاعة للنبي ﷺ والأولياء والصالحين .

أقول – وبالله التوفيق ، ومنه الهداية إلى الصراط المستقيم – قد مرّت الآيات المسئولة في صدر الكتاب ، لكن نعيدها ثانياً لحاجة الإجابة عنها ، فالآية الأولى : قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ قال العلامة البيضاوي في تفسير هذه الآية : وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة ، ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت ردّاً لما كانت اليهود تزعم أن أبائهم تشفع لهم ، كذا فسرها الشيخ أحمد الصاوي في تفسيره على « الجلالين » أي : لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئاً من عذاب الله ، وأما قوله : « يحشر المرء مع مَنْ أحبّ » أي : إذا كان المحبّ مؤمناً ، والأصول لا تنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان ، قال تعالى ﴿ بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . قوله ﴿ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي : النفس المؤمنة لا تقبل شفاعتها في النفس الكافرة . انتهى عبارته راجعه في ٢٦ مع الاختصار ، ومثله في تفسير الشيخ سليمان الجمل المسمى « بالفتوحات الإلهية » رجعه في ١٠٨ ، وعبارة « روح البيان » ﴿ لَّا تَجْزِى ﴾ أي : لا تقتضى فيه ولا تؤدِّى ولا تغني ، فالعائد محذوف والجملة صفة يوم (نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيئاً) ما من الحقوق التي لزمت عليها ، وهو نصب على المفعول به ، وإيراده منكراً مع تنكير النفس للتعميم ، والإقناط الكلي ؛ قال تعالى ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ وكيف تنتفع وقد قال ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ الآية . وهذا في حق الكفار ، فأما المؤمن فقد استثناه فقال ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا

﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي خال عن الشرك ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ أي من النفس الأولى المؤمنة ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ إن شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله لتخليصها من عذابه . انتهى عبارته مع الاختصار ، راجعه في ٨٦

بَيْدَ أنّ العلامة الزمخشري رحمه الله تكلّم في هذه الآية على اعتزاله ، وعبارته في « الكشاف » فإن قلت : هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ قلت : نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلّت به من فعل أو ترك ، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع ، فعلم أنها لا تقبل للعصاة . انتهى عبارته ٢١٤ . وقال محشِّي « الانتصاف » : على هذا قال محمود رحمه الله : هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة ؟ ! . . إلخ . قال أحمد رحمه الله : **أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها ، وأما من آمن وصدّقها وهم أهل السنة والجماعة** ، فأولئك يرجون رحمة الله ، ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين ، وإنما ادخرت لهم ، وليس في الآية دليل لمنكريها ؛ لأنّ قوله (يوماً) أخرجه منكراً ، ولا شكّ أنّ في القيامة مواطن ، ويومها معدود بخمسين ألْفِ سنة ، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة ، وبعضها هو الوقت الموعود ، وفيه المقام المحمود لسيّد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعداد أيّامها واختلاف أوقاتها ؛ منها : قوله تعالى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ مع قوله ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيتعيّن حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين . انتهى عبارته ٢١٤ من هامش « الكشاف » .

قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرحه على « العقائد النسفي » **والشفاعة ثابتة للرسل والأخيار[1] في حق أهل الكبائر من المؤمنين** بالمستفيض من الاخبار خلافاً للمعتزلة ، وهذا مبني على ما سبق من جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة ، فبالشفاعة أولى ، وعندهم لما لم

---

(١) مثل الأولياء والعلماء والزهاد « حاشية رمضان » عبارة .

يجز العفو لم تجز الشفاعة ، لنا قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ فإن أسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة ، وإلا لما كان لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد إلى تقبيح حالهم وتحقيق بأسهم معنى ؛ لأنّ مثل هذا المقام يقتضى أنْ يتوسّموا بما يخصّهم ، لا بما يعمّهم وغيرهم ، وليس المراد[1] أن تعليق الحكم[2] بالكافر يَدُلّ على نفيه عما عداه ، حتى يرد عليه إنما تقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة ، وقوله عليه الصلاة والسلام « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » وهو المشهور ، **بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى ،** واحتجت المعتزلة بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ ، وقوله تعالى عز وجل ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ، والجواب بعد تسليم دلالتها على العموم في الاشخاص والأزمان والأحوال أنه يجب تخصيصها بالكفار جمعاً بين الأدلة ، ولما كان أصل العفو والشفاعة ثابتاً بالأدلّة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقاً ، وعن الكبائر بعد التوبة ، وبالشفاعة لزيادة الثواب ، وكلاهما فاسد ، أما الأوّل فلانّ التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم ، فلا معنى للعفو ، وأما الثاني فلانّ النصوص دالة على الشفاعة ، بمعنى طلب العفو عن الجناية . انتهى عبارته راجعه في ٢٥٠ من حاشية « رمضان » ، ومثله في شرح « جمع الجوامع » راجعه في ٤٣٥ من حاشية « العطار » ، وعبارة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي في « مشارق الأنوار » : **وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل** من المذنبين ، وتمسكوا بظاهر قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ ، وبقوله تعالى ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ إلخ ، وأجاب أهل السنة بأنّ هذه الآيات في الكفار .

---

(١) من هذه الآية .

(٢) وهو : عدم نفع الشفاعة « حاشية رمضان » .

قال القاضي عياض : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ، ووجوبها سمعاً ؛ لصريح قوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ بأن يقول : لا إله إلا الله ،

مهم

والمعنى أنّ من مات على الإسلام فقد رضي الله قوله وأذن له أن يشفع في غيره وأن يشفع غيره فيه . « صاوي » من سورة « طه » عبارته راجعه في ٥٠ .

وقوله تعالى ﴿ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وقوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ المفسر بها عند الأكثرين كما قدّمته ، وقد جائت الآثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين . انتهى عبارته ٢٥٧ . **والآية** الثانية قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ،

فسّر ابن عباس في هذه الآية لقوله تعالى ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي للكافرين . انتهى . وفسّر الجلال المحلي لقوله تعالى ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ أي بغير إذنه وهو يوم القيامة . انتهى . وقال الشيخ سليمان الجمل على ذلك التفسير في « الفتوحات الإلهية » هو جواب سؤال كيف يصح نفي الشفاعة على سبيل الاستغراق ، وقد ثبت شفاعة الأنبياء يوم القيامة بالأحاديث كحديث أنس : سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة ، فقال « أنا فاعل » حسّنه الترمذي ،

وإيضاحه أنها مقيدة بآية ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ والنبي مأذون له أو يستأذن فيؤذن له . انتهى كرخي في ٢١٨ .

وفي « **شرح العقائد** » لرمضان أفندي على آية ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ ﴾ إلخ ، يعني : لا نسلِّم أوّلاً أنّ هذه الآيات تدل على عموم

الاشخاص وعموم الأزمان وعموم الأحوال ، لاحتمال أن يكون المراد بعض الاشخاص والأزمان والأحوال ، ولئن سلّمنا أن هذه الآيات تدل على عموم الاشخاص والأزمان والأحوال إلا أنه يجب تخصيصها بالكفار جمعاً وتلفيقاً بين الآيات الدالة على ثبوت الشفاعة ، وبين الآيات الدالة على نفيها ، لأنّ المعارضة في كلام الله غير جائزة . انتهى عبارته ٢٥١ .

وقال الزمخشري في تفسير الآية المذكورة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾ إلخ على قوله تعالى ﴿لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به ، وإن أردتم أن يحطّ عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات ؛ لأنّ(١) الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير . انتهى عبارته وعبارة حاشية « الانتصاف » على قوله المذكور : قال محمود رحمه الله ومعناه إن أردتم أن يحط ما في ذمتكم . . .إلخ

مهم

قال أحمد رحمه الله : أمّا القدرية فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة ، وهم جدير أن يحرموها ، وأدلّة أهل السنة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع مِنْ أن تحصى ، وما أنكرها القدرية إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية ايجاباً عقلياً على زعمهم ، فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة ، وقد تقدّم جواب عن التمسك باطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة ، ونعيده فنقول : إنّ أيام القيامة متعدّدة والشفاعة في بعضها ثابتة ، فكلّ ما ورد مفهماً لنفيها حمل على الأيام الخالية منها جمعاً بين الأدلة ، كما ورد قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ وورد ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ وورد ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا

---

(١) وهو رحمه الله نفي الشفاعة للمذنبين ، بقوله : لأنّ الشفاعة ثمة في زيادة الفضل ، لا غير كما هو مذهب المعتزله . انتهى (منه) .

﴿ يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ وورد ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ ولا تخلص في أمثال هذه الآي باتفاق إلا الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها ، وكذلك أمر الشفاعة سواء ؛ رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة . انتهى عبارته ٢٧٨ . وقال الشيخ إسماعيل حقي في « روح البيان » في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ والخلّة تنقطع يوم القيامة بين الأخلاء إلاّ بين المتقين ؛ لقوله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وفيه بعيد ذلك قال الراغب : حثّ المؤمنين على الانفاق مما رزقهم من النعماء النفسيّة والبدنية الجارحية ، وإن كان الظاهر في التعارف إنفاق المال ، **ولكن قد يراد به بذل النفس والبدن في مجاهدة العدوّ والهوى وسائر العبادات** ، ولما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء ، والآخرة دار ثواب وجزاء بيّن أن لا سبيل للإنسان إلى تحصيل ما ينتفع به في الآخرة ، فابتلي بذكر هذه الثلاثة ، لأنها أسباب اجتلاب المنافع المفضية إليها ، أحدها : المعاوضة ، وأعظمها المبايعة ، والثاني : ما تناوله بالمودّة ، وهو المسمّى بالصلاة والهدايا ، والثالث : ما يصل إليه بمعاونة الغير ، وذلك هو الشفاعة ، ولما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثاً عدالة بين الانسان ونفسه ، وعدالة بينه وبين الناس ، وعدالة بينه وبين الله ، فكذلك الظلم له مراتب ثلاث وأعظم العدالة ما بين العبد وبين الله وهو الإيمان ، وأعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر ، ولذلك قال ﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ أي المستحقون لإطلاق هذا الوصف عليهم ، بلا مشوبة ، فليسارع العبد إلى تقوية الإيمان بالإنفاق والإحسان . انتهى عبارته ٢٦٩ ج١ . والآية الثالثة قوله تعالى من ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ وفي « روح البيان » في تفسير هذه الآية بعد بيانه إعراب الآية ؛ والمعنى : لا أحد يشفع عنده في حال من الأحوال إلا في حال كونه مأذوناً له ، أوْ لا أحد يشفع عنده بأمر من الأمور إلا بإذنه ، والباء للاستعانة كما في ضَرَبَ

بِسَيْفِهِ ، فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به ، وكان المشركون يقولون : أصنامنا شركاء الله تعالى ، وهم شفعاؤنا عنده ، فوحّد الله نفسه بالنفي والاثبات ليكون المعنى في ثبوت التوحيد ونفي الشرك ، أي : ليس لأحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه ، **وقد أخبر أنه لا يأذن في الشفاعة للكفار ، وهو ردٌّ على المعتزلة في أنهم لا يرون الشفاعة أصلاً** ، والله تعالى أثبتها للبعض بقوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ .

وفي « التأويلات النجمية » هذا الاستثناء راجع إلى النبي عليه الصلاة والسلام ؛ لأن الله تعالى قد وعد له المقام المحمود ، وهو الشفاعة ، فالمعنى من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة إلا عبده محمد ، فإنه مأذون موعود ، يعينه الأنبياء بالشفاعة . انتهى . قال رسول الله ﷺ « أتاني آت من عند ربّي فخيرني بين أن أدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة » .

روي أن الأنبياء عليهم السلام يعينون نبينا ﷺ يوم القيامة للشفاعة ، فيأتى الناس إليه فيقول : « أنا لها » وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة ، فيأتى ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت ، لم يكن يعلمها قبل ذلك ، ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق ، فيفتح الله ذلك الباب ، **فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين ، فهذا يكون سيد الناس** يوم القيامة ، فإنه شفع عند الله أن يشفع الملائكة والرسل ، ومع هذا تأدّب ﷺ ، وقال « أنا سيد الناس » ولم يقل سيّد الخلائق ، فيدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع ، وذلك أنه ﷺ جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم ، ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها ، فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة ، وإظهار ما له من الجاه عند الله ، إذ كان القهر الالهي والجبروت

الأعظم قد أخرس الجميع ، فدلّ على عظيم قدره عليه السلام حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبيّة الإلهية على مناجاة الحق فيما سأله فيه ، فأجاب الحق سبحانه كذا في « تفسير الفاتحة » للمولى الفناري عليه رحمة الباري .

فاعرف هذا فإنه من الغرائب

واعلم أنّ رسول الله ﷺ **أوّل من يفتح باب الشفاعة ، فيشفع في الخلق ، ثم الانبياء ، ثم الأولياء ، ثم المؤمنون ، وآخر من يشفع** هو أرحم الراحمين ، فإن الرحمن ما شفع عند المنتقم في أهل البلاء إلا بعد شفاعة الشافعين الذين لم تظهر شفاعتهم إلا بعد شفاعة خاتم الرسل إياهم ليشفعوا ، **ومعنى شفاعة الله سبحانه ، هو أنه إذا لم يبق في النار مؤمن شرعيّ أصلاً يخرج الله منها قوماً علموا التوحيد بالأدلة العقلية ولم يشركوا بالله شيئاً ، ولا آمنوا إيماناً شرعياً ، ولم يعملوا خيراً قط ،** من حيث ما تبعوا فيه نبياً من الأنبياء ، فلم يكن عندهم ذرة من إيمان ، فيخرجهم أرحم الراحمين ،

أفاده لي شيخي العلامة إفادة كشفية ، وصادفته أيضاً في تفسير الفاتحة للمولى الفناري ، اللهم اغفر وارحم ، وأنت أرحم الراحمين . انتهى عبارته ٢٧٣ .

والآية الرابعة ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ قال في حاشية « الانتصاف » في تفسير هذه الآية : قال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أما قوم آمنوا إلا أنهم مفرطون . . .إلخ قال أحمد : وإنما كانت هذه الحالة لازمة لو قيل : وانذر به الذين يحشرون ، لأنه لو لا الحال لعمّ الأمر بالإنذار كل أحد ، والمقصود تخصيصه بالبعض وأما وقد قيل ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فهذا الكلام مستقلٌّ

برأسه ، ومضمونه تخصيص اللإنذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث ، إمَّا لأنهم مقرون به ، وإمَّا لأنهم يحتاطون لأنفسهم ، فيحملهم الخوف على النظر المفضي إلى اليقين دون العتاة المصمّمين على الجحد ، **وليس كل خائف من البعث لا شفيع له ، فإنّ الموحدين أجمعين خائفون ، وهم مشفوع لهم** وإن عنى باللازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها كالتي في قوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ فإنما هو حينئذ يبنى على قاعدته في إنكار الشفاعة ، فكل خائف عنده لا شفيع له ، إذ لا يخاف إلا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار ، والكل عنده سواء لا شفيع لهم ، وحيث أثبت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب ، فلا ينالها إلا مَنْ يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح ، وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضاه ، فهذا عنده لا يخاف من البعث ، لأنه يستوجب الجنة ، فمن ثم جعل الحال لازمة ، إذ الناس قسمان غير خائف فلا تناوله الآية ، وخائف فذلك إنما خاف لأنه استوجب العقاب ، فلا شفاعة تناله ، وهذه من دقائقه[1] الخفية ، ومكامنه المزوية ، فتفطَّنْ لها ، والله الموفق برحمته . انتهى .

والآية الخامسة قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ والآية السادسة قوله تعالى ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ ثم تعقب السائل على الآية المذكورة ونظيره قوله تعالى اخباراً عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ، قال الرازي : ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله . « سراج » عـ انتهى عبارته رحمه الله وهداه الله إلى أقوم الطريق ،

---

(١) أي من دقائق الزمخشري التي تكلم فيها على الاعتراض .

أقول – وبالله التوفيق– قد علمت بطلان قول من نفى الشفاعة ، وكون نفيها في الأيام الخالية منها جمعاً بين الأدلة ، وكون الأنبياء والأولياء والصالحين يشفعون لأتباعهم وأحبائهم بشرط وجود الإيمان في الشافع والمشفوع ، وعدم نفع شفاعة الأصول للفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان كما يوضحه قوله تعالى ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ولأجله أعرضت عن إطالة الكلام بتفسير الآيتين الأخيرتين ، وفسر حافظ السيوطي لقوله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مختص بها ، فلا يملكها أحدٌ إلا بإذنه ، وقال الشيخ سليمان الجمل عليه : جواب : كيف قال ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ **مع ما جاء في الأخبار إنّ للأنبياء والعلماء والشهداء والأطفال شفاعات ،** وايضاحه أنه مختص بها لا يملكها أحدٌ ، كما قال ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقال ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ ، لكن الذي هو مشروط في الآية شيئان الملك المطلق والعقل ، والشرطان مفقودان . انتهى كرخي عبارته ٦٣٥ ج٣ .

أما آية ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فقد قال الشيخ ابن دحلان في « الدرر السنية » بعد ذكره بدعات الوهابية (وقالوا : إنهم مثل المشركين الذين قالوا ما نعبد هم إلا . .إلخ) : وقد علمت أن المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبودية ، وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة ، فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم ، **ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع طلب الشفاعة** من النبي ﷺ ، ويقولون : إنّ الله تعالى قد قال في كتابه العزيز ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الاذن للنبي ﷺ في أنه يشفع له ، فكيف يطلب منه الشفاعة ؟ !

ولا يعلم أنه ممن ارتضى ، وكيف يطلب الشفاعة ؟ ! **واحتجاجهم بهذا مردودٌ باطل** بالأحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الإذن للنبي ﷺ بالشفاعة للمؤمنين ، وقد صحت الأحاديث بأنه ﷺ يشفع لمن قال بعد الأذان (اللهم رب هذه الدعوة التامة) إلى آخر الدعاء المشهور ، ولمن صلّى على النبي ﷺ يوم الجمعة ، ولمن زار قبره ﷺ ، وجاءت أحاديث كثيرة في أعمال من عملها حلت له الشفاعة ، ولو ذكرناها لطال الكلام ، وجائت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمّته ؛ كقوله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي » وذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ : **إن كلّ مَنْ مات مؤمناً كان ممن ارتضى** ، فيدخل في شفاعته ﷺ ، فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ، ومأذن[1] للنبي ﷺ فيها لكلّ من مات مؤمناً ، فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل إلى الله بالنبي ﷺ أن يحفظ عليه الإيمان إلى أن يتوفاه الله عليه فيدخل في شفاعة النبي ﷺ ويكون من أهلها ، **وهذا كلّه ظاهر** ، **لا يخفى إلا على من انطمست بَصِيرَتُه والعياذ بالله** . انتهى عبارته ٢٣ .

وفيه في موضع آخر ما حاصله : من سأل الشفاعة فإنه يكون مثل المشركين الذين يدعون مع الله إلهاً آخر ، ويقولون : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ، فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام التأثير ، وإنها تخلق شيئاً ، بل كانوا يعتقدون أنَّ الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فهؤلاء مثلهم . انتهى . **والذي أوقع المشركين فِي الشِّرْكِ وَالكُفْرِ ليس مجرّد قولهم** ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ **كما زعم هذا القائل ، بل اعتقادهم** أنَّ غير الله قد يكون إلهاً يستحق العبادة ، وإن كانوا يعتقدون أن الخالق

(١) **علّه** : مأذون .

والمؤثر هو الله تعالى ، فلما اعتقدوا ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة وأقيمت عليهم الحجة بأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً ، ولا يخلقون وهم يخلقون ؛ قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ فاعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة هو الذي أوقعهم في الشرك ، ولم ينفعهم اعتقادهم أن الخالق والمؤثر هو الله مع وجود اعتقادهم ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة ، وأما المسلمون فإنهم بريؤون من ذلك ؛ إذ لا يعتقدون شيئاً يستحق الألوهية والعبادة غير الله ، فهذا هو الفرق بين الحالين ، وأما هؤلاء الجاهلون المُكَفِّرُونَ لِلْمُسْلِمِينَ فإنهم لما لم يعرفوا الفَرْقَ بين الحالتين ، تخبَّطوا وقالوا : إن التوحيد نوعان ؛ توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين ، فتأمّل فيما تقدم من النصوص يتضح لك الحال إن شاء الله تعالى ، وتعلم أنّ ما عليه السواد الأعظم هو الحق الذي لا محيص عنه ،

ومما يعتقده هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين أنّ قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر ، وهذا أيضاً باطل ، فإن رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما أن يقصدا أويس القرني ، ويسألاه الدعاء والاستغفار ، كما في « صحيح مسلم » . انتهى عبارته ٣٠ ، وأما ما قاله الرازي من قوله (ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير مِنَ الْخَلْقِ بتعظيم قبور الأكابر . . إلخ) ، فَلَعَلَّهُ منقول من كتب ابن تيمية أو أتباعه المبتدعة المخالفين لأهل السنة في أكثر المسائل الاتفاقية ، وإلا فلا أعلم المنع من تعظيم قبور الأكابر ، مع أنك عرفت مما ذكرناه قبلُ وجوب احترامهم حياً كانوا أو ميتين ، ومرّت النقول لذلك من الكتب المعتمدة ، حتى جوّز العلماء المحققون تقبيل أعتاب قبور الأولياء إن قصدوا به التبرك ، راجع إلى « مشارق الأنوار » في ١٠٣ و« حاشية السيد عمر » في . . . من هامش « التحفة » ، وعلمت أيضاً كون شفاعة الأنبياء والعلماء والأولياء حقاً

مع تأويلات الآيات السابقة النافية للشفاعة ، فيخالف إجماع جماهر العلماء ، ويخرق ما اتفق عليه السواد الأعظم ، وثبت نقله من كتبهم رحمهم الله . انتهى .

والآية السابعة قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وكتب بعده : وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبّون الله تعالى ، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عملهم ، فمن ادعى محبّة ، وخالف سنة رسول ﷺ فهو كذاب ، وكتاب الله يكذبه . « سراج » عبارته انتهى . نعم هذا القول منه حق صادق ، لأنّ من أحبّ آخر يحبّ خواصه والمتصلين به من أحبابه ، ويكون نهاية مقصده إتمام حوائجه ، والسعي خلف مرامه ، بيد أنّ المذكور حجة على متمسّكه ، لأنه رحمه الله لا يكون تابعاً برسول الله ﷺ بمجرّد نقل أحاديثه وحفظ أقواله ﷺ الخالي عن العمل ، كما هو دأب الوهابية ، بل لا يتم المتابعة إلا باتباعه ﷺ قولا وعملا وخلقاً وحالا وسيرة وعقيدة ، وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه باطن النبي ﷺ ، بل مَثَلُ مثله ﴿ كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾ . انتهى والسلام .

وقال أيضاً نقلاً عن « السراج » : وإذا رأيت[1] من يذكر محبّة الله ويصفق بيد مع ذكره ، ويطرب ، وينعر ، ويصعق ، فلا شك أنه لا يعرف الله ولا يدري ما محبّة الله ، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستلمحة معشقة ، فسماها الله بجهله وادعائه وحمق العامة حواليه قد ملئوا أدقانهم بالدموع لما رأوه من حاله . انتهى عبارته .

أقول : والكلام في رقص الصوفية والتصفيق والطرب طويلٌ ، وفيه صنفوا الكتب ودونوها ، وأيّد كلّ واحد منهم ما هم عليه بالدلائل والصرائح ،

---

(١) **أي** مثل من ينقل الأحاديث الخالي عن العمل بها انتهى رحم الله إفلاسه .

فمنهم مَنْ يجوّزونه كالمشائخ القادرية مستدلين بما في « الصحِيحَيْن » « صحيح البخاري » و« صحيح مسلم » « إنه ﷺ وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون » ، والزفن : الرقص ، وهو مجرّد حركات على استقامة أو اعوجاج ، ويُفهَمُ من هذا الحديث من لعب الحبشة في المسجد ووقوفه ﷺ لعائشة رضي الله عنها لتنظر إلى الحبشة صِحَّتُه . انتهى ، وبما في الحديث إنّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له : « أشبهت خلقي وخلقي » ولم ينكر عليه النبي ﷺ . انتهى « فتاوى الخليلي » عبارته . وقال الغزالي رحمه الله في « الإحياء » ما حاصله : إن كان سبب الرقص محموداً فالرقص محمود ، وإن كان مباحاً فالرقص مباح ، وإن كان مذموماً فالرقص مذموم . انتهى .

ومنهم من لا يجوّزونه أصلاً كالمشائخ النقشبندية قدس الله أسرارهم ؛ قال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » الصنف التاسع في آفات بدن غير مختصة بعضو معيّن مما ذكر ، وهذه كثيرة جدّاً ؛ ومنها الرقص ، وهو : الحركة الموزونة ، والاضطراب ، وهو : غير الموزونة ، فكل لعب غير مستثنى ، ويدخل فيهما ما يفعله بعض الصوفية في زماننا ، بل هو أشد من كل ما عداه منهما ، لأنهم يفعلونه على اعتقاد العبادة ، فيخاف عليهم أمر عظيم ، قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل : قد نَصَّ القرآن على النهي عن الرقص ، فقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ وذم المختال ، والرقصُ أشدُّ المرح والبطر ؛ وقال الطرطوسي حين سئل عن مذهب الصوفية : أما الرقص والتواجد فأوّل من أحدثه أصحاب السامري لمَّا اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون عليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجْلِ ، وقال في « التاتارخانية » : الرقص في السماع لا يجوز .

وفي « الزخيرة » أنه كبيرة . وقال الإمام البزازي رحمه الله في « فتاواه » : قال القرطبي رضي الله عنه : إن هذا الغناء ، وضرب القضيب ، والرقص ، حرام بالإجماع عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمه الله في مواضع من كتابه . وسيد الطائفة أحمد النسوي رحمه الله صرَّح بحرمته ،

مهم

ورأيت فتوى جلال الملة والدين الكيلاني رحمه الله أن مستحلَّ هذا الرقص فاسق إلى آخر ما في الكتاب ، ونظيره في كتاب « تنبيه المحام » وفي غيره كثير ، قيل : يرقصون رقص الفجار ، وينعقون مثل الحمار ، ويظنون أنهم على طريق الأبرار ، بل هم أضل من الكفار .

أقول : والسلامة في اتباع السلف ، وحقيقة العلم عند الله ؛ قال تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ ، ولذلك كتب الفقير جواباً للسؤال لا لأهل الجدال فإن زماننا زمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ والعاقبة للمتقين « مجموعة الرسائل » عبارته ١٠٤ . هذا المذكور في جواز الرقص وعدمه قليل من الكثير ، فإن أردت الزيادة راجع كتب القوم خاصة إلى « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » في الباب العشرين . انتهى . ثم ذكر الشيخ العارف الصمداني اسماعيل حقي في « روح البيان » في تفسير الآية المذكورة : نزلت حين دعا رسول الله ﷺ كعب بن الأشراف ومن تابعه إلى الإيمان ، فقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم إني رسول الله أدعوكم إليه فإن كنتم تحبّونه ﴿ فَاتَّبِعُونِى ﴾ على دينه وامتثلوا أمري ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ويرض عنكم ، والمحبّة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه ، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله ، وإن كلّ ما يراه كمالاً مِن نفسه أو غيره فهو من الله وبالله بإرادة

الطاعة ، وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول ﷺ في طاعته والحرص على مطاوعته . انتهى . وفيه في تفسير الآية المذكورة بعد ذكره تمام الآية : ودلت الآية على شرف النبي عليه السلام ، فإنه جعل متابعته متابعة حبيبه ، وقارن طاعته بطاعته ، فمن ادعى محبّة الله وخالف سنة نبيّه فهو كذاب بنص كتاب الله تعالى : كما قيل :

تعصي الآله وأنت تظهر حبه هـذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته أن المحبّ لمن يحبّ مطيع

وإنما كان من ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله كاذباً في دعواه لأنّ من أحبّ آخر يحبّ خواصه والمتصلين به ؛ من عبيده ، وغلمانه ، وبنيه ، وبنيانه ، ومحلّه ، ومكانه ، وجداره ، وكلبه ، وحماره ، وغير ذلك ، فهذا هو قانون العشق ، وقاعدة المحبّة ، وإلى هذا المعنى أشار المجنون العامري حيث قال :

أَمُرُّ علـى الديار ديار ليلى أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

قال الإمام القشيري رحمه الله : قطع الله أطماع الكل أن يسلم لأحدهم نفسه إلا ومقتداهم سيد الأولين والآخرين ، وقال القاشاني : محبة النبي عليه الصلاة والسلام إنما تكون بمحبّته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالاً وسيرة وعقيدة ، ولا تتمشى دعوى المحبة إلا بهذا ، فإنه قطب المحبة ، ومظهرها ، وطريقته ﷺ المحبة ، فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب ، **وإذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبي وسره وقلبه ونفسه** ، وهو مظهر المحبته ، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة ، فيلقي الله محبّته عليه ، ويسري من روح

النبي نور تلك المحبّة أيضاً إلى قلبه أسرع ما يكون ؛ إذ لو لا محبّة الله لم يكن محبّا له ، ثم نزل عن هذا المقام لأنه أعز من الكبريت الأحمر ، ودعاهم إلى ما هو أعم من مقام المحبة ، وهو مقام الإرادة فقال أطيعوا الله والرسول إن لم تكونوا محبين ، ولم تستطيعوا متابعة حبيبي ، فلا أقل من أن تكونوا مريدين مطيعين لما أمرتم به ، **فإنّ المريد يلزمه طاعة المراد وامتثال أمره** ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي إن أعرضوا عن ذلك أيضاً فهم كفار محجوبون . انتهى .

وروى البخاري عن عبد الله بن هشام أنه كان مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر رضي الله عنه ، فقال عمر : يا رسول الله أنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا نفسي ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفس محمد بِيَدِهِ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : فإنه الآن والله أنت أحبّ إليّ من نفسي . فقال عليه السلام : الآن يا عمر صار إيمانك كاملاً .

وقال ﷺ « كلّ أمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن يأبى ، قال : مَنْ أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : جائت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إنّ العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلا ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقالوا : الدار : الجنة ، والداعي محمد ، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا فقد عصى الله ، ومحمدٌ فرق بين الناس ، فبمتابعة النبي ﷺ تحصل الجنة والقربة والوصلة .

روى أن محمود الفازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن الخرقاني قدس سره لزيارته ، وجلس ساعة ، ثمّ قال : يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي قدس سره ، فقال الشيخ : هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بسعادة لا تخفى . فقال : محمود : فكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يتخلص من الشقاوة ؟ ! فقال الشيخ في جوابه : إنّ أبا جهل ما رأى رسول الله ، إنما رأى محمد بن عبد الله ، حتى لو كان رأى رسول الله عليه السلام لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ، ثم قال : ومصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجد لهذه السعادة ، بل النظر بعين السر والقلب ، والمتابعة التامة تورث ذلك ، **وأمته** ﷺ **من اتبعه ، ولا يتبعه إلا مَنْ أعرض عن الدنيا** ، فإنه عليه السلام ما دعى إلا إلى الله واليوم الآخر ، وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ، فبقدر ما أعرضتَ عنها وأقبلت على الله وصرفت الأوقات لأعمال الآخرة فقد سلكت سبيله الذي يسلكه ، وبقدر ما اتبعته صرت من أمته ، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله وأعرضت عن متابعته ولحقت بالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ ﴾ ولو خرجت عن مكمن الغرور وأنصفت من نفسك يا رجل - وكلنا ذلك الرجل- لعلمت أنك من حين تمسي إلى حين تصبح لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ، ولا تتحرك إلا برجل الدنيا الفانية ، ثم تطمع في أن تكون غدا من أمته وأتباعه ، ويحك ما أبعد ظنّنا ، وما أفحش طمعنا ؛ قال الله تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦ ﴾ انتهى عبارته ٣٢٠ ج١

ولما كانت هذه الآية المذكورة بعدُ مما يتمسك بها الوهابية لعدم نفع أحدٍ بعمل الغير ونفي الشفاعة أردتُ إيرادها هنا ؛ وهي قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ قال الشيخ العلامة

سليمان الجمل في « الفتوحات الإلهية » : واستشكل هذا الحصر بالآية السابقة : ﴿ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ . . إلخ . وبالأحاديث الواردة كحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » إلى قوله « أو ولد صالح يدعو له » وأجيب بأنّ ابن عباس قال : إن هذه الآية منسوخة بتلك ، وتعقب بأنها خبرٌ ولا نسخ في الأخبار ، وبأنها على ظاهرها ، والدعاء من الولد دعاء من الوالد من حيث اكتسابه للولد ، وبأنها مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى ، لأنها حكاية لما في صحفهم ، وأما هذه الأمة فلها ما سعت هي وما تسعى لها غيرها **لما صحَّ أن لكل نبي وصالح شفاعة ، وهو انتفاع بعمل الغير** ، ولغير ذلك ، ومن تأمّل النصوص وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فلا يجوز أن تؤوّل الآية على خلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وحينئذ فالظاهر أنّ الآية عامة قد خصصت بأمورٍ كثيرة . انتهى « كرخي » . وفي « الخازن » وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه ، وإن كان لا يجزئه عن حجة الإسلام ، بل يقع تطوّعاً .

وقال أبو حنيفة لا يصح حجه ، وإنما يكون ذلك تمريناً له على العبادة ، وفي الحديثين الآخرين دليل على أنّ الصدقة عن الميت تنفع الميّت ، ويصل ثوابها ، وهو إجماع العلماء ، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء ، وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ، ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام ، وكذا لو أوصى بحج تطوّع على الأصح عند الشافعي ، واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم ، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه ، والمشهور من مذهب الشافعي أنّ قرائة القرآن لا يصل للميت ثوابها ، وقال جماعة من أصحابه : يصل ثوابها . وبه قال أحمد بن حنبل .

وأما الصلوات وسائر التطوّعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور ، وقال أحمد يصله ثواب الجميع . والله أعلم وقيل : أراد بالإنسان الكافر ؛ والمعنى : ليس له من الخير إلا لما عمل هو ، فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في زرقه ويعافى في بدنه ، حتى لا يبقى له في الآخرة خير ، وقيل : إن قوله ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ هو من باب العدل ، وأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه . انتهى . وفي « الخطيب » وقال ابن عباس : هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة ؛ أي : وإنما هو في صحف موسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء ، وقال عكرمة : إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وأما هذه الأمّة فلهم ما سعوا ، وما سعى لهم غيرهم ؛ لما روي أن امرأة رفعت صبيّاً لها قالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ فقال : نعم ، ولك أجر ، وقال رجل للنبي ﷺ : إنّ أمّي قتلت نفسها ، فهل لها أجر إن تصدّقت عنها ؟ قال : نعم .

مهم

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع ، وذلك باطل من وجوه كثيرة ؛

أحدها : أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره ، وهو انتفاع بعمل الغير .

ثانيها : أنّ النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ، ثم لأهل الجنة في دخولها ،

ثالثها : لأهل الكبائر في الخروج من النار ، وهذا انتفاع بسعي الغير

رابعها : أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض ، وذلك منفعة بعمل الغير

خامسها : أنّ الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم .

سادسها : إنّ أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم ، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير .

سابعها : قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾ فانتفعا بصلاح أبيهما ، وليس من سعيهما .

ثامنها : أن الميت ينتفع بالصدقة عنه ، وبالعتق بنص السنة والإجماع ، وهو من عمل الغير ،

تاسعها : أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحجّ وليه بنصّ السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير

عاشرها : أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة ، وهو انتفاع بعمل الغير

حادي عشرها : المدين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب ، وانتفع بصلاة النبي ﷺ ، وهو من عمل الغير

ثاني عشرها : أن النبي ﷺ قال لمن صلّى وحده « ألا رجل يتصدّق على هذا فيصلّى معه » ؟ ! فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير .

ثالث عشرها : أنّ الإنسان تبرأ ذمّته من ديون الخلق إذا قضاها عنه ، وذلك انتفاع بعمل الغير ،

رابع عشرها : أنّ مَنْ عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

خامس عشرها : أنّ الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر ، وهذا انتفاع بعمل الغير .

سادس عشرها : أن جليس أهل الذكر يرحم بهم ، وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك ، بل لحاجة عرضت له ، والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره .

سابع عشرها : الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه ، وهو عمل غيره .

ثامن عشرها : أنّ الجمعة تحصل باجتماع العدد ، وكذلك الجماعة بكثرة العدد ، وهو انتفاع للبعض بالبعض .

تاسع عشرها : أنّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ** ﴾ قد رفع الله العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ، وذلك انتفاع بعمل الغير .

عشرونها : أنّ صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ، فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها .

حادي عشرونها : أنّ الزكاة تجب في مال الصبيّ والمجنون ، ويثاب على ذلك ، ولا سعي له ، ومَنْ تأمّل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى ، فكيف يجوز أن نتأوّل الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة ؟ ! انتهى عبارته في ٢٤٦ من الجزء الرابع .

ثم لمّا فرغت من تفسير الآيات القرآنية في بيان معانيها وفق ما كان عليه أهل السنة والجماعة خلاف ما توهم بعض المعتزلة وتابعوهم من الطائفة الوهابية أردت إيراد الأحاديث الواردة في حقها كيلا يبقى فيك بعده ميل ما إلى مذهب أهل الاعتزال ، وإلى ما ذهب إليه الوهابية ؛ قال الشيخ الفاضل حسن العدوي الحمزاوي في « مشارق الأنوار » : الفصل السادس في الشفاعة العظمى ، وعدد شفاعاته ﷺ ، وبيان من يشفع من

الأخيار ، اعلم أنّ أول شفاعاته ﷺ الشفاعة لأهل الموقف في الانصراف ، وهي الشفاعة العظمى ، ففي حديث ابي سعيد الخدري أخرج الترمذي وحسنه ، وابن مرديه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، فيفزع الناس ثلث فزعات ، فيأتون أدم فيقولون : أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : إني أذنبت ذنباً اهبطت منه إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحا ، فيأتون نوحا ، فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى ابراهيم ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ : ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ، ولكن ائتوا موسى ، فيقول : إني قتلت نفساً ، ولكن ائتوا عيسى ، فيقول : إنّي عبدت من دون الله ، ولكن ائتوا محمداً ﷺ ، فيأتوني ، فأنطلق معهم ، فآخذ بحلقة باب الجنة فاقرعها ، فيقول : من هذا ؟ فأقول : محمد فيفتحون له ، فيقولون : مرحباً مرحباً فأخرّ ساجداً ، فيلهمني الله من الثناء والحمد والمجد ، فيقال : ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، وقل يسمع لقولك » فهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ وقال القرطبي قوله « فيفزع الناس ثلث فزعات » إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تُجَرُّ بأزمتها ، فإذا رأت الخلائق فارت وشهقت » . انتهى .

قال الحافظ في « البدور » وذكر الغزالي في « كشف علوم الآخرة » أن بين إتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة ، وكذا بين كل نبي ، قال الحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » : ولم أقف لذلك على أصل ، قال : وقد أكثر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لا أصول لها ، فلا تغترَّ بشيء منها ، وفي « المواهب اللدنية » عن الإمام البخاري من حديث ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال : هو الشفاعة وفي

« البخاري » أيضاً عن ابن عمر أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثّاً ، كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلي ، » فذلك المقام المحمود ، قال الإمام الزرقاني (جثّاً) بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منوناً مقصوراً قال الحافظ : جمع جثوة كخطوة وخطا ، ويروى أيضاً بكسر المثلثة وشد التحية[1] جمع جاث ، وهو الذي يجلس على ركبتيه ، والمراد هنا أنهم يصيرون طوائف متميزاً بعضها عن بعضها ، كل طائفة تتبع نبيها ، قال الإمام ابن الجوزي : الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة العظمى ، وادعى الإمام فخر الدين الاتفاق عليه ، وهناك أقوال آخر ؛ قيل : هو إجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش ، وقيل إجلاسه على الكرسي ، وقال الإمام الطبراني : روي عن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد ، فلا تتكلم نفس ، فأوّل مدعوّ محمد ﷺ فيقول : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخير في يديك والشر ليس إليك ، والمهتدي مَنْ هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك ، وإليك ، ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك ربّ البيت » قال وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ .

قال الإمام الزرقاني : فهذا الدعاء هو المقام المحمود على هذا القول .

قال الحافظ في « الفتح » ولا منافاة بين هذا وبين حديث ابن عمر المتقدم من أن المقام المحمود هو نفس الشفاعة ، وذلك لأنّ الكلام كان مقدّمة للشفاعة ، قال الإمام القسطلاني في « المواهب » : فإن قلت : إذا قلنا بالمشهور أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة ، فأيّ شفاعة هي ؟ فالجواب : أنّ الشفاعة التي وردت في الأحاديث في المقام المحمود نوعان ؛ الأوّل العامة في فصل القضاء ، والثاني : الشفاعة في إخراج المذنبين من النار ، لكن الذي يتجه رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العظمى العامة ، فإن اعطاءه ﷺ لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين

(١) **عله** : التحتية .

يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضى بين الخلق ، وأمّا شفاعته ﷺ في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك ، وقد أنكرت بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل من المذنبين ، وتمسكوا بظاهر قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ وبقوله تعالى ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ . إلخ . مرّ جوابه ، فراجعه . انتهى عبارته٢٥٧ . وفي « مختصر تذكرة القرطبي » للإمام الشعراني : روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ، ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ، أو قال : بخطاياهم ، فأماتهم الله حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة ، فجئ بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، فقيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء ، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ، فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية ، قال العلماء رحمهم الله : وهذه الموتة موتة حقيقية للعصاة من الموحدين حتى لا يحسوا بألم العذاب بعد الاحتراق إكراماً لنبيّهم ﷺ بخلاف الكفار ، فإنهم لا يموتون في النار ولا يحيون ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ نسأل الله العافية .

باب ترتيب الشفعاء

وفيمن يشفع لهم قبل دخول النار من أجل أعمالهم الصالحة ، والشافع في هؤلاء هم الصالحون وأهل المعروف روي أن رسول الله ﷺ قال : « **تصفد أهل النار فيقرفون ، فيمرّ بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم : يا فلان أما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا ؛ فيقول : إنك أنت هو ؟ فيقول : نعم ! قال : فيشفع ، ويقول الرجل منهم : يا فلان ! لرجل من أهل الجنة أما تذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ! فيشفع له فيُشفَّع** . انتهى وخرجه ابن ماجه في « سننه » بمعناه .

وروى ابن ماجه عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يشفع يوم القيامة ثلاثة ؛ الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول : يشفع نبيكم محمد ﷺ رابع أربعة ؛ جبريل ، ثم ابراهيم ، ثم موسى ، أو عيسى ، ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ، ثم النبيّون ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ويبقى قوم في جهنّم ، فيقال لهم ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فهؤلاء هم الذي يبقون في جهنم . وروى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال : « ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من بني تميم ، قالوا : يا رسول الله سواك ؟ قال : سواي ، » وفي رواية البيهقي : « يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر ، قال رجل : يا رسول الله ما ربيعة من مضر ؟ قال : إنما أقول ما أقول ،

من أمتي من يشفع للقوم

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « إنّ من أمّتي من يشفع للقوم ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل الجنة » وفي رواية للبزار أن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » وذكر القاضي عياض عن كعب رضي الله عنه أنه قال « لكل رجل من الصحابة رضي الله عنهم شفاعة » وروى عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « يكون من أمتي رجل يقال له صلة بن أشيم يدخل بشفاعته كذا وكذا » . انتهى . قلت : ولعل صلة هذا هو أحد الأربعة الذين كان الخليفة عيَّنهم للقضاء ، وقيل له : إن فاتك هؤلاء الأربعة فما بقي أحد يصلح للقضاء ، وكان من أكابر صالحي العلماء وهم أبو حنيفة ، وسفيان ، وصلة بن أشيم ، وشريك ، فلما بلغ ذلك

الإمام أبا حنيفة ﷺ أنا أَخَمِّنُ لكم تخمينا أما أنا فأحبس ولا أبالي ، وأما سفيان فيهرب ، وأما شريك فيقع ، وأما صلة فيتحامق ويتخلّص ، وكان من تحامقه ﷺ أنه لما دخل على الخليفة لم يسلم عليه ، وقال له : إيش طبخت اليوم ، وكم لك من الحمار ؟ فقال له الخليفة : أخرجوه ! هذا لا يصلح للقضاء . انتهى والله أعلم ، فنسأل الله من فضله وإحسانه أن يلهم أحداً من الشافعين في ذلك اليوم أن يشفع فينا أنه غفور رحيم .

باب في الشافعين ، وذكر الجهنميين

الصيام والقرآن يشفعان

روى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب منعته النوم والشراب بالنهار ، فشفِّعْني فيه ، ويقول القرآن : يا رب أسهرتُه ليلا فشفِّعْني فيه فيشفعان » . وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال « إنّ المؤمنين الذين لم يدخلوا النار يشفعون في إخوانهم الذين دخلوا النار ، فيقولون : ربنا إخواننا الذين كانوا معنا في دار الدنيا يصومون معنا ، ويصلّون معنا ، ويحجون معنا ؟ ؟ فيقال لهم : أخرجوا من عرفتهم ! فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيراً ، منهم من أخذته النار إلى ساقه ، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه ، فيقولون : ربنا لم يبق فيها أحدٌ ممن أمرتنا بإخراجه ، فيقول لهم : ارجعوا ! فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ! فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ! فيخرجون خلقاً كثيراً . وفي وراية : « مثقال حبة من خردل فأخرجوه » الحديث . فيقول الله عزّ وجلّ : شفعت الملائكة ، وشفع النبيّون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فَيَقْبِضُ قبضة من نار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً ، فيلقيهم في نهر

على باب الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، » وفي رواية « فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتيم ، تعرفهم أهل الجنة ، ويقولون : هؤلاء الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول لهم : ادخلوا الجنة ، فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا وأيّ شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

وفي الحديث « إنّ الله تعالى قال : وعزتي وجلالي لأخرجن يعني : من النار من قال (لا إله إلا الله) مرة في عمره ، ومات على ذلك » ، وروى الترمذي وصححه غيره أن رسول الله ﷺ قال « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » زاد في رواية لابي داود الطيالسي « فمن لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ؟ » وفي رواية « إنما تكون شفاعتي للمذنبين الخاطئين الملوثين » وفي رواية « نعم أنا لشرار أمتي ، قالوا : فكيف أنت لخيارهم يا رسول الله ؟ فقال : خيارهم يدخلون الجنة بأعمالهم ، وأما أشرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي » . انتهى . فنسأل الله تعالى من فضله أن يميتنا على التوحيد بمنه وكرمه . آمين . انتهى عبارته .٦٦ .

وفي « شرح المفروض » قبيل كتاب بيان أحكام الطهارة : وإن شفاعات الأخيار حقٌّ ؛ من الملائكة ، والصحابة ، والشهداء ، والأولياء ، وعاملي العلماء ، وسائر الصلحاء . وفي هذا حثّ النبي ﷺ بقوله « أكثروا من الإخوان ، فإنّ لكل واحد منهم شفاعة يوم القيامة » ومن ذلك ما في « الزواجر » عن الشيخين واللفظ لمسلم : « إذا خلص المؤمنون من النار فو الذي نفسي بيده ما من أحد منكم أشدّ مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى لإخوانهم الذين في النار » وفي رواية لهما « فما أنتم أشدّ منا في الحق ، قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ الجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ،

ويصلون ، ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً » إلى آخر الحديث . انتهى عبارته وفي « مختصر تذكرة القرطبي » للإمام الشعراني روى مسلم عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله (ومنهم المجازي) يعني : بعمله حتى ينجو حتى إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ، فمن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول (لا إله إلا الله) فيعرفونهم في النار بآثار السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل . الحديث .

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال « إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة . وفي هذا الحديث دليل على أنّ أهل الكبائر من الموحدين لا يسود لهم وجه ، ولا تزرق لهم عين ، ولا يغلّون بخلاف الكفار ، ويؤيده حديث الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « إنما الشفاعة لمن عمل الكبائر من أمّتي ثم ماتوا عليها ، فهم في الباب الأول من جهنم ، لا تسود وجوههم ، ولا تزرق أعينهم ، ولا يغلون بالأغلال ، ولا يقرنون بالشياطين ، ولا يضربون بالمقامع ، ولا يطرحون في الادراك ، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج ، وأطولهم فيها مكثاً من يمكث مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة » الحديث .

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه « كشف علوم الآخرة » إنه يؤتى بأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ شيوخاً وعجائز وكهولا ونساء وشبابا ، فإذا نظر إليهم مالك خازن النار قال : من أنتم معاشر

الاشقياء ؟ فإني أرى أيديكم لم تغل ، ولم توضع عليكم الأغلال ، والسلاسل ، ولم تسود وجوههم ، وما ورد عليّ أحسن منكم ، فيقولون : يا مالك نحن اشقياء أمة محمد ﷺ ، دعنا نبكي على ذنوبنا ، فيقول : لهم ابكوا ، فلن ينفعكم البكاء ، فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول : وا شيبتاه ! وا طول حسرتاه ! وا طول مقاماه ! وا ضعف قوتاه ! وكم من كهل ينادي : وا مصيبتاه ! وا طول مقاماه ! وكم من شاب ينادي وا أسفاه ! وا شباباه على تغير حسناه ! وكم من امرأة قد قبضت على ناصيتها وشعرها وهي تنادي : وا سوأتاه ! وا هتك ستراه ! فيبكون ألف عام ، فإذا النداء من قبل الله تعالى : يا مالك أدخلهم النار الباب الأوّل منها ! فإذا همَّت النار أن تأخذهم يقولون : بأجمعهم (لا إله إلا الله) فتفرّ النار عنهم خمسمائة عام ، ثم يأخذون في البكاء ، فتشتدُّ أصواتهم ، وإذاً النداء من قبل الله تعالى : يا نار خذيهم ! يا مالك أدخلهم الباب الأوّل من النار ! فعند ذلك يسمع صلصلة كالرعد القاصف ، فإذا همّت النار أن تحرق القلوب زجرها مالك ، وجعل يقول : **لا تحرقي قلبا فيه القرآن ، وكان وعاء للإيمان ،** فإذا بالزبانية قد جاءوا بالحميم ليصبّوه في بطونهم ، فيزجرهم مالك فيقول : لا تدخلوا الحميم بطونا أخمصها رمضان ، ولا تحرق النار جباها سجدت لله تبارك وتعالى ، فيعودون فيها حمماً كالفاسق المحلولك أي : الأسود ، والإيمان يتلألأ في قلوبهم ، فنسأل الله تعالى من فضله أن لا يسلبنا التوحيد والإيمان إنه كريم منان آمين . انتهى عبارته في ٦٧ .

وفيه بعيد هذا وروى البخاري والترمذي وغيرهما أنّ رسول الله ﷺ قال ، « والذي نفسي بيده الله أرحم بعبيده من الوالدة الشفيقة بولدها » . انتهى عبارته٦٧ . وفيه أيضاً بعيد المذكور روى الشيخان وغيرهما أن رسول ﷺ قال : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . عبارته .

وفيه أيضاً بعيده قال العلماء : والمكاره كل ما يشق على النفس ويلائمها ، وتدعو إليه ويوافقها كترك الطهارة عند النوم في البرد ، وترك قيام الليل ، وترك التورع في المأكل والمنطق ، ونحو ذلك ، وأصل الحفاف هو الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلاّ بعد أن يتخطى ، وقد مثَّل النبي ﷺ المكاره والشهوات المحيطة بالجنة والنار .

قلت : أجمع القوم على أنه لا بد لمن يريد ترك الشهوات وارتكاب الشدائد من السلوك على يد شيخ صادق يلطف كثافته ، ويرق حجابه حتى يشهد الجنة والنار كأنهما رأي عين ، وإلا فصاحب الحجاب لا يقدر على ترك الشهوات ولا ارتكاب المكروهات ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٦٨٠ ، قال اللقاني في « جوهرة التوحيد » :

وواجب شفاعة المشفَّع ... محمد مقدما لا تمنع

وغيره من مرتضى الأخيار ... يشفع كما قد جاء في الأخبار

قال الشيخ إبراهيم البيجوري عليه (قوله : لا تمنع) أي : لا تعتقد امتناع شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم ، لا قبل دخولهم النار ولا بعده ، وقصد المصنف بذلك الرد على المعتزلة ومن وافقهم في إنكارهم شفاعته ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها ، وأما الشفاعة العظمى فلا ينكرونها ، وكذا الشفاعة في زيادة الدرجات ، وحديث « لا تنال شفاعتي لأهل الكبائر » موضوع باتفاق ، وبتقدير صحته محمول على من ارتد منهم ، قوله (وغيره من مرتضى الأخيار يشفع) بسكون العين للوزن أي : وغيره ﷺ ، **فمن ارتضاه من الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء يشفع في أرباب الكبائر على قدر مقامه عند الله تعالى** ، وشفاعة الملائكة على الترتيب ؛ فأولهم في الشفاعة جبريل ، وآخرهم فيها التسعة عشر التي على النار ، وقوله (كما قد جاء في الأخبار) أي : للنص الذي قد جاء في الأخبار الدالة على ذلك كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة . انتهى عبارته ١٠١ .

وفي « مشارق الأنوار » والشفاعة وإن كانت واجبة شرعاً إلا أن لها دليلاً عقليا أيضاً ؛ لأنه من الجائز غفرانُ غير الكفر ، لأنه يجوز عقلاً وسمعاً عليه تفضلاً منه واحساناً غفران غير الكفر . كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ولو في جميع كافة المسلمين ، وتخلف الوعيد لا يعدّ نقصاً ، بل من تمام الكفر ، وهذا هو التحقيق عند الاشاعرة ، وأما قول اللقاني (وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة ثم الخلود مجتنب)

فهو على طريق الماتردية من وجوب تحقيق الوعيد ، ولو في واحد من كل نوعٍ ، فهي مرجوحة ، والصحيح أن تخلفه لا يعد نقصا ، بخلاف تخلف الوعد ، فلا يجوز ، بل يجب الوفاء به شرعاً ؛ بمعنى أنه ألزم نفسه ذلك تفضلاً منه ، لا بايجاب عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال « يشفع نبيكم رابع أربعة ؛ جبريل ، ثم موسى ، أو عيسى ، ثم نبيكم ، لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم ، ثم الملائكة ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، وأخرج الترمذي والحاكم وصححه البيهقي عن عبد الله بن أبي الجدعا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم ، قالوا : سواك يا رسول الله ؟ قال : سواي ، قال الغرباني : يقال إنه عثمان رضي الله عنه ، وفي رواية : أكثر من ربيعة ومضر ، وقال بعض شراح « الجامع الصغير » قيل : إنه أويس القرني . انتهى . وأويس القرني من ضمن الذين انتهى إليهم الزهد في التابعين ؛ قال البكريّ : قد انتهى الزهد في التابعين إلى ثمانية ، قال : واشتهر أنّ من ذكرهم على داء ، وكتب أسمائهم ، وعلقها على ذي علة ، يبرأ باذن الله ونظمها بعضهم :

ثمانية في التابعين قد انتهى إليهم جميع الزهد فافهم ترشد

هم الحسن البصري ومعروف عامر　　　أبـو مـسـلـم ثـم الـربـيـع واسود
اويـس بـن حـبان[1] إذا ما ذكرتهم　　　عـلـى عـلـة تـبـرأ وذكـرك يحمد

وذكر الإمام الشيباني في « حاشية الشفا » **أن من ذكرهم عند نومه حشر معهم ، ومن ذكرهم على وجع به شفاه الله** . انتهى . وأخرج البيهقي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : يقال للرجل : يا فلان فاشفع ، فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ، ولأهل البيت ، والرجل والرجلين على قدر عمله ، وأخرج أبو يعلى والطبراني عن أنس أن النبي ﷺ قال : يُعْرَضُ عليّ أهل النار يوم القيامة صفوفاً تمرُّ بهم المؤمنون ، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين قد عرفه في الدنيا ، فيقول : يا فلان !

أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا ؟ فيذكر ذلك المؤمن ، فيعرفه ، فيشفع له عند ربه ، فيشفعه فيه ، ورواية البيهقي زاد بلفظ « أما تذكر يوم صنعت إليك في الدنيا معروفاً » وأخرجه ابن ماجه بلفظ « يصف يوم القيامة صفوف ، ثم يمرُّ أهل الجنة فيمر الرجل على الرجل ، فيقول : يا فلان أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ؟ فيشفع له ، ويمر الرجل على الرجل فيقول : أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك ؟ فيشفع له ، وأخرج ابن عاصم وأبو نعم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ قال : يوفيهم أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له من الناس فيمن صنع إليهم المعروف .

وأخرج البزار عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته . »

---

(١) **قوله :** ابن حبان بحذف حرف العطف أي : وهرم ابن حبان ثم الذي رأيته في النسخ الصحيحة ابن حيان بالياء بدل الباء وصفا لهرم التابعي وأما ابن حبان فلعله عالم آخر غير هذا والله أعلم ، تبرّع الكاتب الطوخي .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » بسند مقارب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « المرابط إذا مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة وعزى وربح عليه برزقه ، ويزوج بسبعين حوراء ، وقيل له ، قف اشفع إلى أن يفرغ الحساب . وأخرج الترمذي وابن ماجه عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن فاستظهره ، وأحل حلاله وحرّم حرامه أدخل الله به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار » وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن أم حبيبة قالت : كنا في بيت عائشة فدخل رسول الله ﷺ قال : ما من مسلمين يموت لهم ثلاثة من الولد أطفالاً لم يبلغوا الحنث إلاّ جيء بهم حتى يقفوا على باب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ! فيقولون : أندخل ولم يدخل أبونا ؟ فيقال في الثانية أو الثالثة : ادخلوا الجنة وآباؤكم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ قال : نفعت الآباء شفاعة أبنائهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرياته وآل بيته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وسلم وشرف وكرم وعظم . انتهى عبارته٢٦٤ . وفيه أيضاً بعيد هذا وذكر الشعراني في كتاب « الميزان » عند صورة الميزان واحتياط الأئمة الأربعة به كل واحد في جهة من جهات الأربعة ، وأتباعه خلفه ، قال : وقد ذكرنا في كتاب « الأجوبة عن أئمة الفقهاء والصفاء » **أن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلّديهم ، ويلاحظونهم عند طلوع روحهم ، وعند سؤال منكر ونكير لهم وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط** ، فلا يغفلون عنهم في موقف من المواقف ، ولما مات شيخنا شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقاني رآه بعض الصالحين في المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لما أجلسني الملكان في القبر يسألاني أتاني الإمام مالك فقال : مثل هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه بالله ورسوله ، تنحيا عنه ، فتنحيا عني ، وإذا كان مشائخ الصوفية يلاحظون مريديهم في جميع الأحوال والشدائد في الدنيا والآخرة فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض وأركان الدين وأمناء الشارع على أمته رضي الله عنهم أجمعين .

فطب نفسا يا أخي ، وقرَّ عينا بتقليد كل إمام شئت منهم ، والحمد لله رب العالمين . انتهى عبارته٢٦٥ . قال البيجوري على قول اللقاني (فكل خير في اتباع من سلف) والمراد بمن سلف من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم ، خصوصاً الأئمة الأربعة المجتهدون الذين انعقد الإجماع على امتناع الخروج عن مذاهبهم في الإفتاء والحكم . عبارته ١١٤ .

الباب الثامن

في جواز التوسل بالنبي ﷺ والأولياء والصالحين

قال صاحب « نور الانصاف » فيه : وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه . انتهى . وفيه بعيد ذلك ومن الأخبار التي جاءت بالتوسل بالجناب النبوي عليه الصلاة والسلام حال حياته في الدنيا ما رواه جماعة ؛ منهم النسائي والترمذي في « الدعوات » والبيهقي عن عثمان بن حنيف « أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت ، فهو خير لك ، قال : فادع ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء ؛ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمّد إني توجهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم شفِّعه فيّ . فقام وقد أبصر . وقد توسل ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الذين من قبله عليهم الصلاة والسلام ، وذلك فيما أخرجه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمي بعد أمي » وذكر ثناءه عليها ، وتكفنها ببرده ، قال : ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل

رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ، ثم قال : « الله الذي يحي ويميت وهو حيّ لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله فإنك أنت أرحم الراحمين » وكبَّر عليها أربعا ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .

أقول : فإذا توسل هو ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الأنبياء الذين من قبله فكيف تمنع أمته من التوسل به ، وبإخوانه النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ ! وأما التوسل به ﷺ بعد وفاته ؛ فقد سبق لك خبر الأعرابي الذي حثا على رأسه من تراب قبره ﷺ ، وخاطبه من قبره الكريم قائلاً : إنه غفر لك . وذلك بمشهد من الصحابة الكرام ، وقد رويت هذه القصة الشريفة بمحاضر أعيانهم وأكابر تابعيهم ، فما أنكرها منهم أحد ، مع أنهم أهل الحق ، ولا ينحرفون مقدار شعرة عن الصدق .

وروى الطبراني عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف ، فشكى إليه ذلك فقال له : ائت الميضاة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد ! إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي ، وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البوَّاب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ، فأجلسه على الطنفسة فقال : حاجتك ؟ فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها .

أقول : كان ذلك ببركة توسله بنبينا المكرم الوجيه الوجه عند الله ﷺ ، **وقد أرشدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام للتوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين** ، وقد سبق لك أمره ﷺ لمن نفلت دابته أن يقول : يا عباد الله احبسوا ! (ثلاثاً) ولمن أراد عونا : يا عباد الله أعينوني ! وغير ذلك

من الأخبار الشريفة ، والأثار اللطيفة ، قال سيّدنا القطب أحمد عز الدين الصياد سبط الإمام الرفاعي رضي الله عنهما في « الوظائف الأحمدية » : ولا بدع ، فإن الله يفرِّج كروب المكروبين حرمة لأولياء الله وأحبابه ، ويقضى لهم بشفاعتهم عنده حوائجهم .

ونقل عن الخطيب البغدادي قدس الله روحه ما رواه بسند عن الحسن بن ابراهيم الخلال أنه قال : ما همّني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله سبحانه لي ما أحبّ . وقال في « الوظائف الأحمدية » : **لا يخفى عليك أنّ جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد** ، فإنّ العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق ، فتجمع همّته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب وانكسارا للرب وإعظاماً لقدرته وإيمانا بأنه هو الفعال لا غير ، وأحبابه الوسائل المرضية عنده لاتباعهم نبيه الكريم ، ولوقوفهم عند أمره العظيم ، ثم قال رضي الله عنه : وهذا أدب الأحمديين رضي الله عنهم ، فلا يخرقون لظاهر الشريعة سياجاً ، ويعتقدون بكرامات الأولياء ، ويجزمون بإكرام الله لهم ، وغيرته لأجلهم ، ولا يقولون بتأثير مخلوق .انتهى .

قلت : يريد أنهم لا يثبتون استبدادا في الأفعال لمخلوق إلا بقدرة الله تعالى وإذنه سبحانه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقد ذكر الإمام ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » إنّ ابراهيم الحربي كان يقول : **قبر معروف الكرخي الترياق المجرب** .

أقول : وذكر مثل هذا الخطيب البغدادي رحمه الله في « تاريخه » ، وصح أن الإمام الشافعي قال ، **قبر موسى الكاظم ترياق مجرب** ، وأمّا مَنْ أفرط واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرِّفون مستبدّون قادرون بأنفسهم على الفعل والقطع والوصل ممكور مبعود . وقوله (مردود) وهو من الضلال بمكان والعياذ بالله .

وأما من فرَّطوا وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام ، والمسلمين المستمدِّين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى بعبدة الأوثان ، فهم أقبح من أولئك ، وأسوأ وأضلّ سبيلاً . ويقال بشأن مثلهم قول القائل : ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ؛ اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ، اهدنا الصراط المستقيم ، وملخَّص ما قاله شيخ الأمة مولانا وسيدنا السيّد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه في « برهانه » و« حكمه » وكثير من كتبه أنّ التوسل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى لهم ، ومحبّة الله لعباد الله الصالحين صفة له سبحانه ، ونعم الوسيلة إليه صفته جل وعلا ، وما بقي بعد هذا إلا العناد واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد . انتهى عبارته ٨ . وعبارة الشيخ ابن دحلان في « الدرر السنية » : وأما التوسل ؛ فقد صحَّ صدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ؛ أما صدوره من النبي ﷺ فقد صح في أحاديث كثيرة ، منها أنه ﷺ كان من دعائه « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك » ، وهذا توسل لا شك فيه ، وصحَّ في أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعو به ، منها ما رواه ابن ماجه بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعيذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . أقبل الله عليه بوجهه ، واستغفر له سبعون ألف ملك » . وذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في « الجامع الكبير » وذكر أيضاً كثير من الأئمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج إلى الصلاة ، حتى قال بعضهم : ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو بهذا الدعاء عند الخروج إلى الصلاة .

فانظر « بحق السائلين عليك » فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن ، وروى الحديث المذكور أيضاً ابن السني بإسناد صحيح عن بلال ﵁ مؤذن رسول الله ﷺ ، ولفظه : كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : بسم الله آمنت بالله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ، فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار ، وأن تدخلني الجنة . ورواه الحافظ أبو نعيم في « عمل اليوم والليلة » من حديث أبي سعيد بلفظ : كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين » إلى آخر الحديث المقدم .

ورواه البيهقي في كتاب « الدعوات » من حديث أبي سعيد أيضاً ، ومحلّ الاستدلال قوله « أسألك بحقِّ السائلين عليك » ، فعلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبي ﷺ ، وأمر أصحابه أن يقولوه ، ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ، ولم ينكر أحد في الدعاء به ، ومما جاء عنه ﷺ من التوسل أنه كان يقول في بعض أدعيته « بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي » قال العلامة ابن حجر في « الجوهر المنظم » رواه الطبراني بسند جيد ، ومن ذلك قوله ﷺ « اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها لحدها ومدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي » وهذا اللفظ قطعه من حديث طويل رواه الطبراني في « الكبير » « والأوسط » وابن حبان والحاكم ، وصححوه عن أنس بن مالك ﵁ قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب ﵁ ، وكانت ربت النبي ﷺ دخل عليها رسول الله ﷺ عند رأسها ، وقال : « رحمك الله يا أمّي » ، وذكر ثنائه عليها وتكفنها ببرده ، وأمره بحفر قبرها ، قال : فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الذي يحي ويميت وهو حي

لا يموت اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين » ، وروى ابن أبي شيبة عن جابر ﷺ مثل ذلك ، وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » عن أنس ﷺ ، ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف ، وهو صحابي مشهور ﷺ « أنّ رجلا ضريراً أتى النبي ﷺ ، فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير ، قال : فادعه ، فأمر أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء ؛ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمّد ! إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم شفعه فيّ ، فعاد وقد أبصر . وفي رواية : قال ابن حنيف : فوالله ، ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كَأَنْ لَمْ يكن به ضرّ قط .

في الحديث التوسّل والنداء

ففي الحديث التوسل والنداء أيضاً ، وخرَّج هذا الحديث البخاري في « تاريخه » وابن ماجه والحاكم في « المستدرك » بإسناد صحيح ، وذكره الجلال السيوطي في « الجامع الكبير والصغير »

وليس لمنكر التوسل أن يقول : إن هذا إنما كان في حياة النبي ﷺ لأن قوله ذلك غير مقبول ؛ لأن هذا الدعاء استعمله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم ؛ فقد روى الطبراني والبيهقي أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ في زمن خلافته في حاجة ، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته ، فشكى ذلك لعثمان ابن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد ، فصلّ ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمّد ! إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان ﷺ ، فجاء البواب ، فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان ﷺ ، فأجلسه معه ، وقال

له : اذكر حاجتك ، فذكر حاجته فقضاها ، ثم قال له ، ما كان لك من حاجة فاذكرها ، ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له ، جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر لحاجتي حتى كلَّمْتَهُ لي ، فقال ابن حنيف : والله ما كلَّمته ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ ، وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره . . . إلى آخر الحديث المتقدم ،

فهذا توسل ونداء بعد وفاته ﷺ ، وروى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أنّ الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه ، فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول استسق لأمّتك فإنهم هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يسقون ، وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ ؛ **فإن رؤياه وإن كان حقا لا تثبت بها الأحكام** لإمكان اشتباه الكلام على الرائي ، لا لشك في الرؤيا ، وإنما الاستدلال بفعل الصحابي وهو بلال بن الحرث رضي الله عنه ، **فإتيانه لقبر النبي ﷺ ، ونداؤه له ، وطلبه منه أن يستسقي لأمّته دليل على أن ذلك جائز ، وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ ، وذلك من أعظم القربات** ، وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، وحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ رواه البيهقي بإسناد صحيح في كتابه المسمّى « دلائل النبوة » الذي قال فيه الحافظ الذهبي : عليك به ، فإنه كله هدى ونور ، فرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ، قال : يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحبُّ الخلق إليّ ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولو لا محمد ما خلقتك » رواه الحاكم وصححه والطبراني ، وزاد فيه : وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك ،

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك ﷺ وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك[1] : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو ؟ فقال له الإمام مالك : ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم إلى الله تعالى ؟ ! بل استقبل واستشفع به ، يشفعه الله فيك ، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ ذكره القاضي عياض في « الشفاء » ، وساقه بإسناد صحيح ، وذكره الإمام السبكي في « شفاء السقام » والسيد السمهودي في « خلاصة الوفاء » والعلامة القسطلاني في « المواهب اللدنية » والعلامة ابن حجر في « الجوهر المنظم » وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب الزيارة ، قال العلامة ابن حجر في « الجوهر المنظم » رواية ذلك عن مالك جائت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه ، قال العلامة الزرقاني في « شرح المواهب » ورواها ابن فهد بإسناد جيّد ، ورواها القاضي عيّاض في « الشفاء » بإسناد صحيح رجاله ثقات ، ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب ، ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الإمام مالك ، ونسب له كراهة استقبال القبر ، فنسبة الكراهة إلى الإمام مالك مردودة ، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ أن من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبي ﷺ ، قال : يا رب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لي .

واستسقى عمر بن الخطاب ﷺ **في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب** ﷺ عم النبي ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة ، فسقوا ، وذلك مذكور في « صحيح البخاري » من رواية أنس ﷺ وذلك من التوسل ، وفي « المواهب اللدنية » للعلامة القسطلاني أن عمر ﷺ لما استسقى

---

(١) لعل صواب العبارة هكذا : وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك ﷺ ، وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي ﷺ سأل الإمام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له : يا أبا عبد الله . .

بالعباس رضي الله عنه قال : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا به في عمّه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى .
ففيه التصريح بالتوسل ، **وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً سواء كان التوسل بالأحياء أو بالأموات** ، وقول من منع ذلك بغير النبي ﷺ ، ونص اللفظ الواقع من عمر رضي الله عنه [حين] استسقى بالعباس رضي الله عنه : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا ، والحديث مذكور في « صحيح البخاري » من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه ، وصدر الحديث عن أنس رضي الله عنه : « كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون ،

وفعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله ﷺ « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورواه الإمام أحمد أيضاً ، وأبو داود والحاكم في « المستدرك » أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه الطبراني في « الكبير » عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما ، وروى الطبراني في « الكبير » وابن عدي في « الكامل » عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال : « عمر معي وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر حيث كان » ، وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال ﷺ في حقِّه : « وأَدِرِ الحق معه حيث دار » وهو صحيح ، رواه كثير من أصحاب « السنن » فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما يكون الحق معهما حيثما كانا ، وهذان الحديثان من جملة الأدلة التي استدلّ بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة ؛ لأنّ علياً رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله ، لم ينازعهم في الخلافة ، فلما جائت الخلافة ونازعه غيره ممن لا يستحق التقدم عليه قاتله ، ومن الأدلة على أنّ توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما حجة على جواز التوسل قوله ﷺ : « لو كان بعدي نبيّ

لكان عمر » رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم في « المستدرك » عن عقبة بن عامر الجهني ﵁ ، ورواه الطبراني في « الكبير » عن أبي الدرداء ﵁ قال « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، فإنهما حبل الله الممدود ، مَن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » وإنما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه ولم يستسق بالنبي ﷺ ليبيّن للناس جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ ، وإنّ ذلك لا حرج فيه ، وأما الاستسقاء بالنبي ﷺ فكان معلوماً عندهم ، **فلربما أنّ بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي ﷺ ، فبيَّن لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز** ولو استسقى بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ﷺ ، وليس لقائل أن يقول : إنما استسقى بالعباس لأنّه حيّ والنبي قد مات ، وإن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز . لأنا نقول إن هذا الوهم باطل ومردود بأدلّة كثيرة ؛ منها توسل الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف في الحاجة التي كانت للرجل عند عثمان بن عفان ﵁ ، وكما في حديث بلال ابن الحرث ﵁ ، وكما في توسل آدم بالنبي ﷺ قبل وجوده ، وحديث آدم رواه عمر ﵁ كما تقدم ، فكيف يتوهم أنه يعتقد عدم صحته بعد وفاته ؟ ! وقد روى التوسل به قبل وجوده ، مع أنه ﷺ حيّ في قبره ، فتلخص من هذا أنه يصح التوسل به ﷺ قبل وجوده ، وفي حياته ، وبعد وفاته ، وأنه يصح أيضاً التوسل بغيره من الأخيار كما فعله حين استسقى بالعباس رضي الله عنهما ، وذلك من أنواع التوسل كما تقدم ، وإنما خصّ عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة رضي الله عنهم لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ .

يجوز التوسّل بالمفضول

ولبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ، فإن علياً رضي الله عنه كان موجودا ، وهو أفضل من العباس رضي الله عنه .

قال بعض العارفين : وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ نكتة أخرى أيضاً زيادة على ما تقدم ، وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين ، فإنه لو استسقى بالنبي ﷺ لربّما استأخرت الإجابة ، لأنها معلَّقة بإرادة الله تعالى ومشيئته ، فلو تأخَّرت الإجابة ربّما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيفاً بسبب تأخُّر الإجابة ، بخلاف ما إذا كان التوسل بغير النبي ﷺ ، فإنها لو تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة ، ولا ذلك الاضطراب .

مهم

والحاصل أنّ مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين ، كما دلت عليه الأحاديث السابقة ؛ **لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا ضراً إلاّ لله وحده لا شريك له** ، ولا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي ﷺ ولا لغيره من الأحياء والأموات ، فلا فرق في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصالحين ، ولا فرق بين كونهم أحياء وأمواتاً لأنهم لا يخلقون ، وليس لهم تأثير في شيء ، وإنما يتبرّك بهم لكونهم أحبّاء الله تعالى . **وأما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر فإنه لله** وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون[1] بين الأحياء والأموات فإنهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات ، ونحن نقول ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ .

---

(١) هم أهل الوهابية .

فهؤلاء المجوّزون التوسل بالأحياء دون الأموات هم المعتقدون تأثير غير الله ، وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم ، لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات ، فكيف يدَّعون أنهم محافظون على التوحيد ، وينسبون غيرهم إلى الإشراك ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد ، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرّك بذكر أحباء الله تعالى ، لما ثبت من أنّ الله تعالى يرحم العباد بسببهم ، سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ،

فالمؤثّر والموجد حقيقة هو الله تعالى

فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى ، وذكر هؤلاء الأخيار سبب عادي في ذلك التأثير ، وذلك مثل الكسب العادي ، فإنه لا تأثير له ، وحياة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة ؛ منها حديث : « مررت على موسى ليلة أسري بي يُصلّي في قبره » ومثله « مررت على إبراهيم فأمرني بتبليغ أمتي السلام ، وأن أخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، وأنها قيعان ، وأن غراسها (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ، ومثل حديث اجتماعهم لما صلّى بهم في بيت المقدس ليلة أسري به ثم تلقوه في السموات ، وحديث تردده النبي ﷺ بين موسى ومقام مكالمة ربّه لما فرض عليه خمسين صلاة ، فأمره موسى بالمراجعة ، وحديث إنّ الأنبياء يحجّون ويلبّون ، وكل هذه الأحاديث الصحيحة لا مطعن فيها لطاعن ، فلا حاجة إلى الإطالة .

وأيضاً فقد ثبت بنص القرآن حياة الشهداء ، والأنبياء أفضل من الشهداء فالحيوة لهم ثابتة بالأولى . ثم إن الحياة الثابتة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللشهداء ليست مثل الحياة الدنياوية ، بل هي حياة تشبّه حال الملائكة ، ولا يعلم صفتها وحقيقتها إلا الله ، فيجب علينا الإيمان بثبوتها من غير بحث عن صفتها وكيفيتها ، وإذا كان الأمر كذلك فلا

ينافي أنّ كلا منهم قد مات وانتقل من الحياة الدنيوية ، بمعنى أنه زالت منه الحياة التي كانت في دار الدنيا ، وثبت لهم حياة أخرى ، فلا إشكال في قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، والكلام على ذلك مبسوط في المطولات ، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذكره .

مهم

فإن قال قائلٌ : إن شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأو بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ، ويقولون للوليّ : افعل لي كذا وكذا : وأنهم ربّما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها ، بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة ، وينسبون لهم كرامات ، وخوارق عادات ، وأحوالا ومقامات وليسوا بأهل لها ، ولم يوجد فيهم شيء منها ، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للإيهام وسدّا للذريعة ، وإن كانوا يعلمون أنّ العامة لا يعتقدون تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرا لغير الله تعالى ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرك ، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيراً ، فنقول لهم : إذا كان الأمر كذلك ، وقصدتم سدّ الزريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم ، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً ؟ ! بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى ، وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل مع تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين ، وذلك المجاز مجاز عقلي شائع معروف عند أهل العلم ، ومستعمل على ألسنة جميع المسلمين ، ووارد في الكتاب والسنة .

مهم

هذا الطعام أشبعني

وعليه يحمل قول القائل : هذا الطعام أشبعنى ، وهذا الماء أرواني ، وهذا الدواء شفاني ، وهذا الطبيب نفعني ، فكل ذلك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي ، فإنّ الطعام لا يشبع ، والمشبع حقيقة هو الله تعالى ، والطعام سبب عادي فإسناد الشبع له مجاز عقلي ، والطعام سبب عادي لا تأثير له ، وهكذا بقيّة الأمثلة . **فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي** ، والإسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز ، كما نصّ على ذلك علماء المعاني في كتبهم ، وأجمعوا عليه .

وأمّا منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة وصدوره من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ، فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه فمنهم من يجعله محرّماً ، ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً ، وكل ذلك باطل ، لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة ، ومن تتبّع كلام الصحابة وعلماء الأمة سلفها وخلفها يجد التوسل صادراً منهم ، بل ومن كلّ مؤمن في أوقات كثيرة ، **واجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز** لقوله ﷺ في الحديث الصحيح « لا تجتمع أمتي على ضلالة » قال بعضهم : إن هذا حديث متواتر ، وقال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس ، فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سَدَّ الذريعة ومنع الناس من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا : ينبغي أن يكون التوسل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام ، كأن يقول المتوسل : **اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك** ﷺ ، **وبالأنبياء قبله ، وبعباده الصالحين ، أن تفعل بي كذا وكذا** ، لا أنهم

يمنعون من التوسل ، ولا أن يتجاسروا إلى تكفير المسلمين الموحِّدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له ، ومن الشبه التي تمسك هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فإن الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي ﷺ بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه ، وقياسا على ذلك يقال : لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ، لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر ، وإن كان الطلب من الله على أنه الموجد للشيء والمؤثِّر فيه ، ومن غيره على أنه سبب عادي ، لكنه ربما يوهم التأثير ، فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الإيهام ،

يحمل على المجاز العقلي

والجواب أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقاً ، ولا يقتضي منع الطلب من موحِّد ، فإنه يحمل على المجاز العقلي إذا صدر من موحِّد ، فلا وجه لكونه شركاً ، ولا لكونه محرماً ، ولو قال : إن ذلك خلاف الأدب ، وأجاز التوسل ، وشرطوا[1] فيه أن يكون بأدب والاحتراز عن الألفاظ الموهمة لكان له وجه ، **وأما المنع مطلقاً فلا وجه له** . انتهى عبارته١٢ .

إن النبي ﷺ حي في قبره

وفيه بعيد هذا وقد يكون التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه ، إذ هو ﷺ حيّ في قبره ، يعلم سؤال من يسأله ، وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور فيه أنه جاء إلى قبره ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك ، أي : ادع الله لهم ، فعلم منه أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول

(١) **لعله** : شرط .

الحاجات ، كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل منه بسؤاله ودعائه وشفاعته إلى ربه عز وجل ، وإنه ﷺ يتوسل به في كل خير ، قبل بروزه لهذا العالم ، وبعده في حياته ، وبعد وفاته ، وكذا في عرصات القيامة ، فيشفع إلى ربه ، وكلّ هذا مما تواترت به الأخبار ، وقام به الإجماع قبل ظهور المانعين منه ، فهو ﷺ له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه .

وأما تخييل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد ، وأن التوسل والزيارة مما يؤدي إلى الشرك ، فهو تخيّل فاسد باطل ، فالتوسل والزيارة إذا فعل كلّ منهما مع المحافظة على أداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور البتة ، والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقوِّلٌ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، وكان هؤلاء المانعون للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي ﷺ فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺحكموا على فاعله بالكفر والإشراك ، وليس الأمر كما يقولون ، فإن الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم ، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه ، نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ، حيث قال :

دع ما ادّعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك ، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات ، وهكذا كلّ مَنْ عظمه الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين ؛ قال تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وقال تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ **ومن تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته ، وقرائة المولد ، والقيام عند ذكر ولادته** ﷺ ، وإطعام الطعام ، وغير ذلك مما

يعتاد الناس فعله من أنواع البر ، فإنّ ذلك كلّه من تعظيمه ﷺ ، وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف ، واعتنى بذلك كثير من العلماء فألّفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالأدلة والبراهين ، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذلك .

وممّا أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة ، والحجر الأسود ، ومقام إبراهيم عليه السلام ، فإنها أحجار ، وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت ومسّ الركن اليماني وتقبيل حجر الأسود ، وبالصلاة خلف المقام ، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم والميزاب كما جرى على ذلك السلف والخلف ، وكلّهم في ذلك لا يعبدون إلا الله ، ولا يعتقدون تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضرّاً ، لأن ذلك لا يكون إلا لله وحده لا شريك له ، ولا يعتقدون تأثيراً لغيره ولا نفعا ولا ضرّاً ، لأن ذلك لا يكون إلا لله وحده لا شريك له ولا يكون لأحد سواه ، والحاصل كما تقدم أنّ هنا أمرين ؛ أحدهما وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر المخلوقات ، والثاني إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه ، فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهيّة للأصنام واستحقاقها للعبادة ، ومن قصر بالرسول ﷺ في شيء عن مرتبته فقد عصى أو كفر ، وأمّا من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً ، وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط . انتهى عبارته١٤ .

وفيه أيضاً بعد ذكر التوسل من موضع آخر : وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره من أنّ بعضهم نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح ، إذ لم ينقله عن الإمام أحد من أهل مذهبه ، وهم أدرى به ، بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ، ونقل المخالف غير

معتبر ، فإيّاك أن تغترّ به . انتهى عبارته ١٨ . وقال فيه أيضاً من موضع آخر : وفي « شرح المواهب » للزرقاني أنّ الداعي إذا قال : اللهم إني استشفع إليك بنبيّك ، يا نبيّ الرحمة اشفع لي عند ربك ؛ استجيب له ، فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمّة وخلفها أن التوسل به ﷺ ، وزيارته ، وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعاً بلا شك ولا مرية ، وأنها من أعظم القربات ، وأن التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ، وسيكون التوسل به أيضاً بعد البعث في عرصات القيامة ، قال في « المواهب » : ورحمه الله ابن جابر حيث قال :

بــه قــد أجــاب الله آدم إذ دعــا ونـجـى فـي بـطـن الـسفينة نوح
ومـا ضـرت الـنـار الـخليل لنوره ومـن أجـلـه نـال الـفـداء ذبـيـح

ثم قال في كتاب « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام » للشيخ ابي عبد الله ابن النعمان ما يشفي العليل من ذلك ، ثم ذكر في « المواهب » كثيراً من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي ﷺ ، وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ يستسقي به وأنشد أبياتاً ، أولها :

أتـيـنـاك والـعـذراء يـرمـي لـبانها وقد شـغـلـت أم الصبي عن الطفل

إلى أن قال :

ولـيـس لـنـا إلا إلـيــك فـرارنا وأنَّـى فـرار الـخلق إلا إلـى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت ، بل قال أنس : لما أنشد الأعرابي الأبيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر فخطب ودعا لهم فلم ينزل يدعو حتى أمطرت السماء . ﷺ ، وفي « صحيح البخاري » أنه لما جاء الأعرابي وشكى للنبي ﷺ القحط ، فدعا الله ، فانجابت السماء بالمطر ، قال ﷺ : لو كان أبو طالب حيّاً لقرّت عيناه من ينشدنا قوله ، فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل

فتهلّل وجه النبي ﷺ ، ولم ينكر إنشاد البيت ، ولا قوله (يستسقى الغمام بوجهه) ولو كان ذلك حراما أو شركاً لأنكره ، ولم يطلب انشاده ، وكان سبب انشاد أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي ﷺ ؛ أن قريشا في الجاهلية أصابهم قحط ، فاستسقى لهم أبو طالب ، وتوسل بالنبي ﷺ وكان صغيراً فاغدودق عليهم السحاب بالمطر ، فانشأ أبو طالب تلك القصيدة . وصحَّ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : أوحى الله تعالى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمنْ بمحمّد ، ومُرْ من أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فسكن ، قال في « الجوهر المنظم » : فإذا كان له ﷺ هذا الفضل والخصوصية أفلا يتوسل به ؟ !

وذكر القسطلاني في شرحه على « البخاري » : عن كعب الأحبار أنّ بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم . فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الأمم السابقة ، وقال السيد السمهودي في « خلاصة الوفاء » : **إنّ العادة جرت أنّ من توسل بمن له قدر عنده يكرمه لأجله ويقضى حاجته ، وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه** ، وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في « صحيح البخاري » في حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار ، فاطبق عليهم ذلك الغار ، فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأرجى عمل له ، فانفجرت الصخرة التي سدت الغار عنهم ، فالتوسل به ﷺ أحق وأولى ؛ لما فيه من النبوة والفضائل ؛ سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته ، فالمؤمن إذا توسل به إنما يريد بنبوته التي جمعت الكمالات ، وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونها أعراضاً ، فالذوات الفاضلة أولى ، فإنّ عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه ، وأيضاً لو

سلمنا ذلك نقول لهم : إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي ﷺ باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل ، مع ما ثبت من الأحاديث الدالة على جوازه به ﷺ ، ومثله سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا الأولياء وعباد الله الصالحين ، لما فيه من الطهارة القدسية ، ومحبة رب البرية ، وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين من ربّ العالمين ، وذلك سببه كونهم من عباد الله المقربين ، فيقضي الله سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين ، **وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الأدب الكامل واجتناب الألفاظ التي توهم التأثير لغير الله تعالى .**

ومن أدلّة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في « الكبير » وفيها إن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي فيها التوسل ، ولم ينكر عليه ، ومنها :

وأشـــهــد أن الله لا ربّ غــيــر ... وإنـك مـأمــون عـلى كل غائب
وإنـك أدنـى الـمـرسـلـين وسيلة ... إلـى الله يـا ابـن الأكرمين الأطايب
فـمـرنا بـما يـأتيك يا خير مرسل ... وإن كـان فـيما فيه شيب الزوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شـفاعة ... بـمـغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله (أدنى المرسلين وسيلة) وقوله (وكن لي شفيعاً) ، وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمّة رسول الله ﷺ ، فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها قولها

ألا يـا رســول الله أنــت رجـاؤنا ... وكـنـت بـنـا بـرا ولم تك جـافـيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها (وأنت رجاؤنا) وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم ، فلم ينكر عليها أحد قولها (يا رسول الله أنت رجاؤنا) ،

قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـ « خيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان » في فصل الخامس والعشرون : إن الامام الشافعي أيامه ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة ﵁ ، يجئ إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ، ثم يتوسل إلى الله تعالى في قضاء حاجاته ،

إنّ الإمام أحمد توسّل بالإمام الشافعي رحمهما الله

وقد ثبت أيضاً أنّ الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي ، حتى تعجّب ابنه عبد الله ابن الإمام أحمد ، فقال له الإمام أحمد : إنّ الشافعي كالشمس للناس ، وكالعافية للبدن ، ولما بلغ الإمام الشافعي أنّ أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى بالإمام مالك لم ينكر عليهم ،

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي : **من كانت له إلى الله حاجة فأراد قضائها** فليتوسل إلى الله بالإمام الغزالي . وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بـ « الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة » أنّ الإمام الشافعي ﵁ توسَّل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل الـنـبـي ذريـعـتـي   وهـم إلـيـه وسـيـلتي
أرجو بهم أعـطـي غدا   بيدي اليمنى صحـيفتي

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى في كتابه المسمى « مجمع الأحباب في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي » صاحب « السنن » أنه رأى في المنام رب العزة ، فسأله عما يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه ، قال : فقال لي : قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح (إلهي بحرمة الحسن وأخيه وجدّه وبنيه وأمّه وأبيه نجني من الغمِّ الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين) فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائماً بعد صلاة سنة الصبح ويأمر أصحابه به ، ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه ، فلو كان التوسل ممنوعًا لما فعله

هذا الامام ، ولا أمر بفعله والمواظبة عليه ، وهو إمام حجة يقتدى به ، بل هذا الأمر ؛ أعني : التوسل لم ينكره أحدٌ قط من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون .

وفي « الأذكار » للإمام النووي أنّ النبي ﷺ أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً (أللهم ربّ جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ أجرني من النار) ، قال العلامة ابن علان في « شرح الأذكار » خصّ هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء ، وإلا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات ، فافهم ذلك ، إنه من التوسل المشروع .

وفي « شرح حزب البحر » للإمام زروق قال بعد ذكر كثير من الأخبار : اللهم إنّا نتوسل إليك بهم ، فإنهم أحبّوك ، وما أحبوك حتى أحببتهم ، فبحبّك إياهم وصلوا إلى حبك ، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك ، فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين ، ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله (اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نوِّر بصري وبصيرتي وسري وسريرتي) ، قال بعض العارفين : وقد جرّب هذا الدعاء لتنوير البصر ، وأن من ذكره عند الاكتحال نوَّر الله بصره ،

مهم

وذلك من الأسباب العادية ، وهي لا تأثير لها ، والمؤثِّر هو الله تعالى وحده لا شريك له ، فكما أنّ الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري ، ولا تأثير لهما ، والمؤثر هو الله تعالى وحده ، وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات **جعل أيضاً التوسل بالأخيار الذين عظَّمهم الله تعالى وأمر بتعظيمهم سبباً لقضاء الحاجات** ، فليس في ذلك كفر ولا إشراك ومن تتبَّع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئاً كثيراً في التوسل ، ولم ينكر عليهم أحدٌ في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون ،

ولو تتَّبعنا ما وقع من أكابر الأمة في التوسل لأملئت بذلك الصحف ، وفيما ذكر كفاية ومقنع لمن كان بمرْءً من التوفيق ، ومسمع ، وإنما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الأمر لمن كان مشكِّكاً فيه غايةَ الاتضاح ؛ لأن كثيراً من المنكرين للتوسل يلقون إلى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها إلى معتقدهم الباطل ، فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم ، فلا يلتفت إليها ، ويقيم عليهم الحجة في إبطالها ،

فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم ، وإلا كنت مشاقق الله ورسوله ومتّبعا غير سبيل المؤمنين ، وقد قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « عليكم بالسواد الأعظم فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » ، وقال رسول الله ﷺ : « من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » . انتهى عبارته راجعه في ٢٢ ، وفيه زيادة شافية .

وقال الإمام النووي قدس سره في « الإيضاح » عند ذكره زيارة سيد البشر محمد المصطفى ﷺ : ويتوسل به في حق نفسه ، ويتشفع به إلى ربّه سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مُستحسِنِينَ له قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ وقد جئتك مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي فداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال : ثم انصرف ، فغلبتني عيناي ، فرأيتُ رسول الله ﷺ في النوم فقال : يا عبتي ! ألحق الأعرابي وبشّره بأنّ الله تعالى قد غفر له . انتهى عبارته٢٠٥ . وذكر العلامة الحافظ ابن حجر على هذا المذكور الأحاديث المذكورة قبل في جواز التوسل فلم أعدها ثانياً . انتهى راجع إلى « شرح الإيضاح » في ٢٠٦ . وفيه بعد ذكره الأحاديث الواردة في سنّ الزيارة إلى قبره الشريف عليه الصلاة والسلام : ولا يغترَّ بإنكار ابن تيميّة لسنّ زيارته ﷺ ، فإنه عبدٌ أضلّه الله كما قاله العز بن جماعة ، وأطال في الرد عليه التقي السبكي في تصنيف مستقل ، ووقوعه في حق رسول الله ﷺ ليس بعجب ، فإنه وقع في حق الله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً ، فنسب إليه العظائم ؛ كقوله إنّ لله تعالى جهة ويداً ورجلاً وعيناً وغير ذلك من القبائح الشنيعة ، ولقد كفره كثير من العلماء ، عامله الله بعدله وخذل متبعيه الذين نصروا ما افتراه على الشريعة الغراء .

نقلوا الإجماع في سنّ الزيارة

وأما قوله ﷺ « لا تجعلوا قبري عيداً » فلا يدلّ لما افتراه ، لأنّ المحققين نقلوا الإجماع على سنّ زيارته ﷺ ، مع ما يدل لها من الأحاديث السابقة وغيرها ، وحينئذ فيجب صرف هذا الحديث عن ظاهره على تقدير دلالته على النهي عنها ، وإلا فهو لا يدل على ذلك ، بل قد يدل على الحث على كثرتها ، وإنها لا تمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد ، ويحتمل أن يكون لا تتخذوا له وقتا مخصوصاً لا يزار إلا فيه ولا يتخذ كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة وغيرها مما يجتمع له في الاعياد ، بل لا يؤتى إلا للزيارة ، والسلام والدعاء ، ثم ينصرف عنه ، ومعنى « وجبت له شفاعتي » إنها ثابتة بالوعد الصادق لا بدّ منها ، وأفاد قوله أنه يختص بشفاعة ليست لغيره ، إما بزيادة النعيم وإما بتخفيف الأهوال في ذلك اليوم ، وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب وإما

بغير ذلك . **وفيه بشرى** له أيضاً بموته مسلماً ، وأفاد إضافة الشفاعة له ﷺ إنها شفاعة جليلة ، إذ هي تعظم بعظم الشافع . انتهى عبارته٢٠٢ .

مسألة (ج) التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد وفاتهم مباح شرعاً كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه السلام حين عصى ، وحديث من اشتكى عينه وأحاديث الشفاعة ، والذي تلقيناه عن مشائخنا وهم عن مشائخهم وهلم جرا إن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد ، وكفى بهم أسوة ، وهم الناقلون لنا الشريعة ، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا ، **فلو قدرنا أنّ المتقدمين كفروا كما يزعمه هؤلاء الأغبياء لبطلت الشريعة المحمدية .**

مهم

وقول الشخص المؤمن (يا فلان) عند وقوعه في الشدة داخل في التوسل بالمدعو إلى الله تعالى ، وصرف النداء إليه مجاز لا حقيقة ، والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربّي أَنْ يُقِيلَ عثرتي ، أو يرد غائبي مثلاً ، فالمسئول حقيقة هو الله تعالى ، وإنما أطلق الاستعانة بالنبي أو الوليّ مجازاً ، والعلاقة بينهما إن قصد الشخص التوسل بنحو النبي صار كالسبب ، وإطلاقه على المسبب جائز شرعاً وعرفاً ، وارد في القرآن والسنة كما هو مقرر في علم المعاني والبيان ، نعم ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدل على القدح في توحيدهم ، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضارّ إلا الله تعالى لا يملك غيره لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى ، وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ انتهى .

قلت : وقال بعض المحققين : والذي يظهر لي أن حكمة توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ هي مشروعية جواز التوسل بغيره عليه السلام ، وذلك لأنّ التوسل به أمر معلوم محقَّق عندهم ، فلو توسل بالنبي عليه السلام لأخذ منه عدم جواز التوسل بغيره ﷺ .

وعبارة (ك) : **وأما التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وقد أطبقوا على طلبه ، بل ثبت التوسل بالأعمال الصالحة ، وهي أعراض ، فبالذوات أولى** . أما جعل الوسائط بين العبد وبين ربّه فإن كان يدعوهم كما يدعوا الله تعالى في الأمور ، ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كفر ، وإن كان مراده التوسل بهم إلى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاده أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحاً . انتهى عبارته من الخاتمة ، بيد إن قوله رحمه الله (وإن كان فعله فبيحاً) يعارض كلام نفسه المتقدم آنفاً من أنّ التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة . انتهى . كذا ذكره بعض المحققين : وقال شيخنا في « البروج المشيدة » بعد نقله كلام « البغية » : هذا كلام نقله صاحب « البغية » والحقير لا يرى في الكلامين إلا التعارض الظاهر والتخالف البيّن والله أعلم ونسأله التوفيق . انتهى عبارته ١٢١ من البرج الرابع عشر .

وقال العلامة المحقق المداح الماهر يوسف النبهاني في ديوانه « المدائح النبوية في قصيدته الهائية » في ٤١٢ ردا على أهل البدع والضلال

ولابن تيمية للمصطفى خدم لكنه لم يوفَّق في تأدبه
يقول كالمشركين المستغيث به وقد عصى زائرا يسعى ليثربه

ابن تيمية كان علمه أكثر من عقله
ولذلك صدر منه ما صدر

وقد كان ابن تيمية علمه أكبر من عقله كما قاله العلماء ، ولذلك صدر منه ما صدر من قلّة الأدب في مسألة الزيارة والاستغاثة في حق سيد الوجود ﷺ . انتهى . وقال ايضاً في شرح البيت الثاني : تعبير ابن

تيمية بالمشركين في حق الزوار والمستغيثين قصد به أنهم كالمشركين ، وإلا فهو لم يكفرهم بذلك ، فجاء من بعده محمد بن عبد الوهاب النجدي شيخ الطائفة الوهابية فتبع ابن تيمية وزاد عليه هو وطائفته تكفير المسلمين بذلك حتى كادوا يجاهدون فيهم في الحجاز وغيره كجهادهم بالكفار ، **وتبعهم في هذه الأيام على عقيدتهم جماعة فساق مجرمون** - نفتهم مذاهب ، الأئمة الأربعة أركان الإسلام - مثل جماعة محمد عبده الذين انتشروا في بلاد مصر والشام ، ولم يقتصروا على مذهب الوهابية وبدع ابن تيمية ، بل زادوا ضلالات كثيرة كادوا يخرجون بها من الإسلام . انتهى . وقال المداح المذكور قبل هذا في ٣٧٠ من القصيدة الرائية

يَـرَى لِـفَـتَـى تَـيْـمِـيَّـةٍ بِـابْـتِدَاعِهِ وَزَلاَّتِـهِ فِـي الـدِّيـنِ مَـنْقبة كُبْرَى
وَيَـمْـدَحُ وَهَـابِـيـةً لِـمَـسَـائِـلٍ بِـهَـا قَـدْ اَتَوْا نُكْراً وَضَلُّوا بِهَا فِكْراً

فتى تيمية هو الإمام تقي الدين بن تيمية صاحب الآراء الفاسدة التي ابتدعها في دين الإسلام مع كونه من العلماء الأعلام رحمه الله وعفا عنه ، والوهابية منسوبون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الإسلام ، وزاد عليه أنه كفَّر كلّ من يستغيث بالأنبياء والأولياء الكرام كما ذكره العلماء الأعلام ؛ كابن عابدين في « حاشية الدر » والسيد أحمد دحلان في « الفتوحات الإسلامية » وغيرها . وابن تيمية إنما كان يبدِّع من استغاث بغير الله ويمنع ذلك منعا شديداً لا يبلغ به درجة التكفير ، وإن كان هو أيضاً يسميهم المشركين ، لكن شرك دون شرك ، وكان لابي الحسن السبكي كتاباً مسمى بـ « شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام » ألّفه في الرد على ابن تيمية وغيره من أئمة البدعة الذين يمنعون الزيارة والاستغاثة به ، قال القسطلاني فشفى صدور المؤمنين كما صرحه ذلك المداح المذكور .

فالحاصل لم ينكر أحد على الزوارين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء وغيرهم إلا هذه الطائفة الشنيعة ، وقد بقيت شعبتهم في ديار مصر والشام في هذه الأيام والأيام الخالية ؛ كمحمد عبده المصري ، وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا صاحب « مجلة المنار » وشكري الألوسي البغدادي ، وعبد الباقي وعلي أفندي ، ونعمان أفندي ، وإخوته مصطفى أفندي ، وعارف أفندي ، ورشيد أفندي ، وأضرابهم التابعين بهم إلى يومنا هذا ، وفي « الإتحاف » شروح « الإحياء » في الجزء الثاني نقلاً عن الإمام السبكي كلام طويل في أوصاف الحشوية ، من جملة قوله في حق ابن تيمية : إنه جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء ، واطلاع ، ولم يجد شيخاً يهديه ، وهو على مذهبهم ، وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ، ويجد أموراً بعيدة ، فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى ، وأن الله سبحانه ما زال فاعلا ، وإن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي ، وشقّ العصا ، وشوَّش عقائد المسلمين ، وأغرى بينهم ، ولم يقتصر على العقائد وقال ما قال وخارق الإجماع . انتهى .

تتمة وفي « الفتاوى الكبرى » للعلامة ابن حجر الهيتمي ما عبارته : وسئل رضي الله عنه عن زيارة قبور الأولياء في زمن معيّن مع الرحلة إليها هل يجوز مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاسد كثيرة ؛ كاختلاط النساء بالرجال ، وإسراج السرج الكثيرة ، وغير ذلك ، **فأجاب** بقوله : زيارة قبور الأولياء قربة مستحبة ، وكذا الرحلة إليها ، وقول الشيخ أبو محمد (لا تستحبّ الرحلة إلا لزيارته ﷺ) ردّه الغزالي ، بأنه قاس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق ، فإن ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل ، فلا فائدة في الرحلة إليها .

وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم ، فكان للرحلة إليهم فائدة أيّ فائدة ، فمن ثم سنت الرحلة إليهم للرجال فقط بقصد ذلك ، وانعقد نذرها كما بسطت الكلام على ذلك في « شرح العباب » بما لا مزيد على حسنه وتحريره ، وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات فالقربات لا تترك لمثل ذلك ، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع ، بل وإزالتها إن أمكنه ، وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب أنه يفعل ولو مع وجود النساء ، وكذا الرمل ، لكن أمروه بالبعد عنهنّ ، فكذا الزيارة يفعلها ، لكن يبعد عنهن ، وينهى عما يراه محرماً ، بل ويزيله إن قدر كما مر ، هذا إن لم تتيسر له الزيارة إلا مع وجود تلك المفاسد ، فإن تيسرت مع عدم المفاسد فتارة يقدر على إزالة كلها أو بعضها ، فيتأكدّ له الزيارة مع وجود تلك المفاسد ليزيل منها ما قدر عليه ، وتارة لا يقدر على إزالة شيء منها ، فالأولى له الزيارة في غير زمن تلك المفاسد ، بل لو قيل يمنع منها حينئذ لم يبعد ، ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع الطواف والرمل ، بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والمنى إذا خشي الاختلاط أو نحوه ، فلما لم يمنع الأئمة شيئا من ذلك مع أنّ فيه اختلاطاً أيَّ اختلاط ، وإنما منعوا نفس الاختلاط لا غير ، فكذلك هنا ، ولا تغتر بخلاف من أنكر الزيارة خشية الاختلاط ، فإنه يتعيّن حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه ، وإلا لم يكن له وجه ،

وزعم أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف ممنوع ، وبتقدير تسليمه فليس كل بدعة ينهى عنها ، بل قد تكون البدعة واجبة فضلاً عن كونها مندوبة كمَا صرَّحوا به . انتهى عبارته من الجزء الثاني راجعه في ٢٤ ، وفي « مشارق الأنوار » نقلاً عن « المواهب اللدنية » : قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي ، قال :

وأوجبها الظاهريّة ، قال : ومحلّ الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال ، وفي النساء خلاف ، الأظهرُ في مذهب الشافعي الكراهةُ . انتهى . فعليك بما سمعته من التفصيل ، ويؤيّده رواية الإمام البخاري عن أبي يعلى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ، فرأى نسوة ، فقال : أتحملنه ؟ قلن : لا ، قال : أتدفنه ؟ قلن : لا ، قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات ، قال شارحه القسطلاني واستفهامه عليه السلام مِنْهُنَّ إنكاري ، وتوبيخ على خروجهن . انتهى . وأما زيارتهن للقبور فمستحبة لغير الشواب منهن ما لم يلزم على ذلك اجتماع على القبر لتعديد أو نوح ، وإلا حرم ، ويدل لذلك ما أخرجه البخاري قال : مرَّ النبي ﷺ بإمرأة تبكي عند قبر ، فقال : اتقى الله واصبري ، قالت : إليك عنِّي فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ ، فلم تجد عنده بوّابين ، فقالت : لم أعرفك يا رسول الله ، فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى . قال الإمام القسطلاني زاد في رواية يحيى : فسمع منها ما يكره ، قال : أي : من نَوْح أو غيره على القبر ، وزاد في رواية مسلم : قيل لها : هل تعرفينه ؟ قالت : لا ، فقيل : هو رسول الله ﷺ ، فأخذها مثل الموت من شدّة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ ، قال : وإنما اشتبه عليها ﷺ لأنه من تواضعه لم يكن يستتبع الناس ورائه إذا مشى كعادة الملوك والكبراء . انتهى . فأنت تراه ﷺ إنما أمرها بالتصبُّر والاحتساب ونهاها عن البكاء ولم ينهها عن الزيارة ، وقال العلامة المذكور : يندب لهنّ زيارة قبور الأنبياء والأولياء لرجاء الخير والبركة . انتهى . قلت : والأظهر تقييد هذا بغير الشواب التي يخشى من خروجهن الفتنة . .إلخ ، راجعه ، وفيه بسط طويل في ٨٣ .

الباب التاسع

في جواز الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، والأولياء ، والمشائخ ، والصالحين ، رضوان الله تعالى عليهم ، وزرقنا من فيوضاتهم ، وحشرنا معهم يا أرحم الراحمين

قد علم مما ذكرناه في الباب الثامن كون التوسل والتشفع والاستغاثة بمعنى واحد ، بيد أنّا نعيد ما ورد في الاستغاثة في هذا الباب ، ونجعله بابا مستقلا لشدة مجادلة الوهابية في حقه وردّه ، ونقول - وبالله التوفيق وبه الهداية إلى طريق السنة والجماعة - **فاعلم أيها الراجي إلى الحق والصواب أنّ الاستغاثة به ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين هي عبارة عن سؤال الشفاعة من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج ودفع النوائب وتفريج الكرب والأخذ بالثأر ، ولا ريب أنّ كلّ من يناديهم من أمّة محمد** ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعى للعبادة إلا الله ، ولا يفعل ما يراد ويمنح ما يطلب إلا الله ، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستعانة بعباد الله فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي طاب ثراهما « أن رسول الله ﷺ أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول : يا عباد الله احبسوا » (ثلاث مرات) وفي رواية أخرى « وإذا أراد عونا فليقل : يا عباد الله أعينوني » وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » وابن الجوزي في « مثير الغرام » وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرته فجلست بحذائه ، وذكر نحو ما سيأتي ، وروى السمعاني عن أمير المؤمنين سيّدنا علي كرّم الله وجهه ورضي الله عنه أنه قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام : فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ ﴾ الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك .

وقد أطبق المسلمون على التوسل

وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه ، هذه السيّدة زينب الطاهرة بنت البتول عليها السلام لما مرّت بمصرع الحسين عليه السلام صاحت : يا محمداه صلّى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مزمَّل بالدماء ، كما ذكر ذلك ابن الاثير وغيره ، والقصة شهيرة متواترة ، والقائلة لهذا بنت المصطفى ، وقد شكت الحال لجنابه الكريم ، ونادته ، واستشفعت به فغار الله لنبيه ، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم ، ومزَّقهم كل ممزق ، وثبتت نصرة الله لأوليائه .

وقد استفاض بين المسلمين توسل آل النبي ﷺ طبقة بعد طبقة به عليه الصلاة والسلام وبذريته وآل بيته ، وهم بيت النبوة ، ومعدن أسرار الوحي ، وكنوز الشريعة ، وقد نقش بعض الأئمة منهم خواتمهم بمثل هذا ، فكتبوا فيها : ظني بالله حسن ، وبالنبي ذي المنن ، وبالوصيّ المؤتمن ، وبالحسين والحسن ، وما ذلك إلا أنهم جعلوهم شفعائهم ووسائلهم إلى الله سبحانه ، قال « الكشاف » على قوله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ألا كلُّ ذي لبّ إلى الله واسل ، وقد توسل الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بنبيّنا ﷺ قبل خلقه كما صحح ذلك عمدة الثقاة ؛ منهم الحاكم ، وصحح إسناده ، وعن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا ربّ لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . . . » إلى آخر ما مر في باب التوسل . انتهى « نور الإنصاف » عبارته ٥ .

وفيه بعيد هذا قلت : ومن هذا يعلم أنّ التوسل بالنبي ﷺ بل وبكلّ من أحبّه الله تعالى جائز أيضاً ، وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى ، ولا ريب أنّ سيد المخلوقين وأكرم المقربين إلى الله إنما هو نبينا المصطفى ﷺ ،

وممّا يثبت جواز الاستغاثة بعباد الله الصالحين خاصة ما أخرجه الطبراني في « الكبير » بسنده إلى عقبة بن غزوان عن النبي ﷺ أنه قال : إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني ، فإن لله عباداً لا تراهم ، وقد جرِّب ذلك ، انتهى ما قاله الطبراني . وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إذا انفلتت دابته فليناد : يا عباد الله رحمكم الله . انتهى عبارته ٥ . وفي « مشارق الأنوار » نقلاً عن الحافظ ابن حجر المكي ما حاصله إنّ الاستغاثة به ﷺ وبغيره من الصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين إلا التوسل إلى الله تعالى بهذا المتوسل به لعلو قدره ومكانته وجاهه وكرامته على مولاه ، وأنه لا يخيب السائل به والمتوسل بجاهه ، فهو تعالى مستغاث به في الحقيقة ، والغوث منه خلقاً وإيجاداً ، والمتوسل به أيضاً تسبباً وكسباً ، وقد يكون معنى التوسل طلب الدعاء منه كما مر في باب التوسل ، وذلك بالنسبة للنبي ، إذ هو حي يعلم سؤال من سأله .

قلت وكذلك بالأولياء والشهداء قياساً على ما تقدم من حياة الأولياء و الشهداء عن صاحب « الجواهر » انتهى عبارته في ١٠٥ .

وفيه بعيد هذا وقال العارف الشعراني في كتابه « النفوس والإسماع » عند نقله لمزايا الكمال التي خصّ بها بعضى أحبابه العارفين ومنها شدة قربهم من رسول الله ﷺ كل وقت ، فلا يكاد ينحجب عنهم في ليل أو نهار **حتى أن بعضهم صحَّح عدة أحاديث عنه ﷺ قال بعض الحفاظ بضعفها من طريق النقل الظاهر فتقوَّت بذلك عنده** قال : وقد أدركت جماعة ممن لهم هذا المقام ؛ منهم سيدي عليّ الخواص ، وسيدي عليّ المرصفي ،

وأخي أفضل الدين ، والشيخ جلال الدين السيوطي ، والشيخ نور الدين الشوني ، والشيخ محمد الصوفي ببلاد الفيوم رضي الله عنهم أجمعين

مهم

قال : وكان نور الدين الشوني يشاور رسول الله ﷺ ، ومن جملة ما شاوره فيه حفر البئر التي في زاويتنا فإننا حفرنا ثلاثة آبار ، وهي تطلع فاسدة وماؤها منتن ، فقال له ﷺ : قل لهم يحفروا في باب الحوش ، ففعلنا فطلعت بئراً عظيماً ، وماؤها حلوا ، فالحمد لله رب العالمين ، وفي « المواهب اللدنية » وينبغي للزائر له ﷺ أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله ، قال : واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث فلا فرق بين أن يعبّر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه أو التجوّه ، لأنهما من الجاه والوجاهة ، ومعناهما علوّ القدر والمنزلة ، قال : ثم إن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ كما ذكره في « تحقيق النصرة » واقع في كل حال قبل خلقه ، وبعد خلقه في مدّة حياته في الدنيا ﷺ ، وبعد موته في مدة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة ، فأما الحالة الأولى ؛ فحسبك استشفاع آدم عليه الصلاة والسلام لما خرج من الجنة ، وقول الله تعالى له « يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمّد في أهل السموات والأرض لشفعناك » وفي رواية عند الحاكم والبيهقي « وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك » ويرحم الله الإمام ابن جابر حيث قال :

به آدم قدماً أجيب دعــاؤه بــه نال إنجاء السفينة نوح
وما ضرَّت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح

وأما التوسل به ﷺ بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عند القحط ، وعند عدم الأمطار ، والاستغاثة به عند الجوع ، وإغاثة

ذوي العاهات قال : ومما حصل لي أنه قد كان بي داء أعنى الأطباء ، وأقمت به سنين ، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة - بمكة زادها الله شرفاً - فبينما أنا نائم فإذا رجل معه قرطاس يكتب فيه : هذا دواء داء أحمد ابن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي ، فاستيقظت ، فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده ، وحَصَلَ الشفاء ببركة النبي المصطفى ﷺ . انتهى عبارته ١٠٦ . وفيه بعد هذا بورقين : وينبغي أن يقف الزائر متأدِّباً خاضعاً وجِلاً من ذنوبه ، متوسلاً بهم إلى الله تعالى في العفو عنه ، ولا يشتغل فكره بما لا يعني ، **ويعلم أنّ الوليّ ناظر إليه ، فيفعل في حال الزيارة ما كان يفعله معه حياً من الأدب ، لا فرق في الحياة وبعد الممات ،**

قال العارف الشهاب سيّدي أحمد العجمي : أصل وجود الكرامة التي أكرم الله بها أحبابه وأجراها على أيديهم ، وبسببهم بمحض الفضل ، وحينئذ لا فرق في الحياة وبعد الممات ، فتارة تكون بدعائهم ، وتارة بتوسل بهم ، وتارة بفعلهم واختيارهم . انتهى .

مهم

وقد نقل العارف الشعراني عن بعض مشائخه : إن الله تعالى يوكِّل بقبر كل وليّ ملكاً يقضي حوائج الزائرين ، وتارة يخرج الولي بنفسه من القبر ويقضي الحاجة ؛ لأن للأولياء الاطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم ، قال : وإذا خرج شخص منهم من قبره على صورته وقضى جوائج الناس يكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم في البرزخ . انتهى . ونقل صاحب « البدائع » عن ابن الجوزي أنّ الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم وقت الصبح يتعلم من علم الشريعة ، فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربه أن يرد إلى أبي حنيفة

روحه في قبره حتى تتم له علوم الشريعة ، فكان يأتي كل يوم وقت الصبح على عادته عند القبر يسمع منه مسائل الفقه والشريعة بعد موته ، وقال الإمام اليافعي : الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض .

قال العلامة ابن حجر : الذي عليه اهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين خلافاً للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم من غير روية أن ظهور الكرامة على يد الأولياء ؛ وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده لجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائزةٌ عقلاً ونقلاً ، إذ لو لم تكن الكرامة جائزة الوقوع لم تقع ، وقد ثبت وقوعها بنصّ الكتاب والسنة والآثار الخارجة عن الحصر والتعداد ، وآحادها وإن لم تتواتر فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال كيف ووقوع التواتر قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وكتب العلماء شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ناطقة بذلك ، **ولا ينكر ذلك إلا غبيٌّ أو معاند** . انتهى .

وسمعت من شيخنا البهي عن أشياخه أن الله وكل بكل قبر ولي ملكا يقضي حوائج الزائرين بأنفسهم . انتهى ؛ يعني من غير واسطة ملك ، لا بإيجاد منهم لذلك ، وإنما الموجد هو ربّ العالمين ، إنما ذلك بطلبهم بأنفسهم من مولاهم ، فلا يخيبون فيما قصدوا ، فيعطون الأمداد والمواهب مما أفاضه عليهم سيّدهم ، ولا شكَّ أن لهم تسبباً بتحمل البلايا والتصريف الذي جعل الله ظهوره على أيديهم ، وباب الخير الذي يفيضه الله على عبيده ، ولذلك قال العارف أبو المواهب الشعراني « في درر الغواص » في « فتاويه » عن سيدي عليّ الخواص ، ونصّه : وسألته رضي الله تعالى عنه ؛ يعني : شيخه الخواص عن مشائخ سلسلة القوم ، كالشيخ يوسف العجمي ، وسيّدي أحمد الزاهد ، وأتباعهما هل كانوا اقطاباً أم لا ، فقال رضي الله عنه : لم يكونوا أقطاباً ، وإنما هم كالحجاب على

حضرة باب الملك ، لا يدخل أحد على الملك إلا باذنهم ، فهم يعلمون الداخلين الآداب الشرعية على اختلاف مراتبها ، وأما ما ظهر عليهم من الكرامات والخوارق فإنما ذلك لصفاء نفوسهم ، وتزكية أخلاقهم ومراقبتهم ومجاهداتهم ، وأما القطبية فجلت أن يقوم مقامها الأحوط غير من اتصف بها ، وقد ذكر الشيخ محي الدين عبد القادر الجيليّ رضي الله عنه : أنّ للقطبية ستة عشر[١] عالماً إحاطيّاً ، الدنيا والآخرةُ ومن فيهما عالمٌ واحدٌ من هذه العوالم فافهم ، فقلت له : فالتصريف الذي يقع على أيدي هؤلاء المسلكين هل هو لهم بالإصالة كشأن القطب ، أم هو لغيرهم فقال رضي الله عنه : استمع ، إذا أراد الله عز وجلّ إنزال بلاء أو أمر شديد تلقّاه ذلك القطب رضي الله تعالى عنه بالقبول والخوف ،

ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى من ألواح المحو والإثبات الثلثمائة وستين لوحا الخصيصة بالإطلاق والسراح ، فإن ظهر له المحو والتبديل نفذه بقضاء الله تعالى وأمضاه في العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم خاصته ، فينفذون ذلك وهم لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم من غيرهم ، وإن ظهر له أن ذلك الأمر ثابت لا محو فيه ولا تبديل رفعه إلى أقرب عدد ونسبه منه ، وهما الإمامان فيتحملان ذلك ، ثم يدفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما ، وهم الأوتاد ، وهكذا حتى يتناول الأمر إلى أصحاب دائرته جميعاً ، فإن لم يرتفع تفرَّقته الأفراد وغيرهم من العارفين إلى آحاد المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل ، وربما أحس بعض الناس ببلاء ، ولا يعرف من أين أتاه ، وهو من ذلك البلاء الذي فاض على أصحاب المراتب ، **فلو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لَتلاشى العالم في لمحه** قال تعالى ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

---

(١) لم أفهم من هنا ، كذا في الأصل (منه) .

وذكر القطب الشعراني في « طبقاته » قال : رأى سيدي الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه في ليلة بلاء عظيماً نازلا على مصر فأرسل للشيخ يعني سيدي عليّاً الخواص يخبره ويستغيث به ، فقال : الله لا يبشره بخير ، ولكن إن شاء الله تعالى يتوافى بالبركة ، وفي الصباح جاء المحتسب فأخذ سيدي الشيخ عليا الخواص من الدكان وضربه بالمقارع ، وخزمه في كتفه وأنفه ، ودار به مصر وبولاق ، فلما صلى سيدي الشيخ محمد الظهر رضي الله عنه رأي البلاء قد ارتفع ، فقال : روحوا انظروا أيّ شيء جرى للشيخ يعني الخواص ، فراحوا فوجدوه على ذلك الحال ، فردّوا على الشيخ محمد رضي الله عنه فخرّ لله ساجداً وقال : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يحمل عنها ما لا طاقة لها به . انتهى « مشارق الأنوار » عبارته ١١٠ . وقال شيخ الإسلام الرملي في « فتاواه » سئل عمن قال من كرامات الوليّ أن يقول للشيء (كن فيكون) فنهي عن ذلك فقال : من أنكر ذلك فعقيدته فاسدة ، فهل ما ادعاه صحيح أو باطل . **فأجاب** بأنّ ما قاله صحيح إذ الكرامة الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليّه ، وقد قال الأئمة : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ ، لا فارق بينهما إلا التحدّي ، فمرجع الكرامة إلى قدرة الله تعالى ، نعم إن أراد استقلال الوليّ بذلك فهو كافر . انتهى عبارته ٣٣٧ ج ٤ من هامش « فتاوى الكبرى » للحافظ ابن حجر .

وكرامات الأولياء لا تنقطع بالموت

وعبارته من موضع آخر : سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد (يا شيخ فلان ، يا رسول الله ، ونحو ذلك من الإستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين ، فهل ذلك جائز أم لا ، وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشائخ إغاثة بعد موتهم ، وماذا يرجح ذلك ؟ ! فأجاب : بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء

والعلماء والصالحين جائز ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم ، لأنّ معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم ، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجّون كما وردت به الأخبار ، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم ، والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار ، **وأما الأولياء** فهي كرامة لهم ، فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة يجريها الله تعالى بسببهم ، والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال ، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع ، وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله على ما نطق به التنزيل ، وقصة أبي بكر وأضيافه كما في « الصحيح » وجريان النيل بكتاب عمر ، ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لأمير الجيش : يا سارية الجبل محذراً له من وراء الجبل ، لكمين العدو هناك ، وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين ، وشرب خالد السم من غير تضرر به ، وقد جرت خوارق على أيدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها .

وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ ، لا فارق بينهما إلا التحدّي . انتهى عبارته ٣٨٢ ج ٤ . وعبارة الشيخ السيد محمد أبي الهدى الرفاعي في كتابه « نور الأنصاف » : وأمّا جواز نداء غير الله ، وجواز نداء الغائب ، والميت ، والتوسل بالنبي ﷺ ، فالجواب أخرج ابن السني في « عمل اليوم والليلة » عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع ابن عمر فخدرتْ رجله ، فجلس ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس إليك ! فقال : يا محمداه ! فقام ، فمشى ، وأخرج أيضاً عن الهيثم قال : كنا عند عبد الله بن عمر بن العاص فخدرتْ رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك ! فقال : يا محمداه ! فقام كأنما نشط من عقال ، فمن هذا وأمثاله يعلم جواز نداء غير الله ، بل وجواز نداء الميت بعد موته ، قريباً كان أو بعيداً عنه .

وليعلم أن كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يتحقق أنه لا يدَّعى للعبادة إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما المسلمون ينادون من ينادون من أحباب الله وأوليائه على جهة الشفاعة عنده ، ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان ميتاً أو حياً غائباً أو حاضراً لا بأس به ، أمّا نداء الحاضر فلا يشكُّ في جوازه عاقل ، وأما نداء الغائب فكاف في جوازه نداء سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ وهو يخطب على منبر المدينة لسارية وهو غائب في بلاد العجم ، وأمر النبي ﷺ لمن أراد عوناً أن يقول : « يا عباد الله أعينوني » كما سبق ، وأما نداء الميت فيكفي في جوازه نداء النبي ﷺ أصحاب القليب يوم بدر بأسمائهم واحداً بعد واحد وهو يقول : إني وجدت ما وعدني ربّي حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً ، فقيل له عليه الصلاة والسلام : كيف تناديهم وهم أموات ؟ فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم » ؛

وهنا سرّ لطيف ، وهو أن النداء من المخلوق للمخلوق ليس بعبادة له أصلاً ، والدعاء أخص من النداء ، وهو خاص بالله جل وعلا ، ومثاله قول العبد يا ربّ يا الله ونحو ذلك ، والطلب إن كان من المخلوق للخالق تعالى سمّى دعاء عبادة ، وإن كان من المخلوق لمن هو مثله أو أعلى رتبة من المخلوقين سمّي نداء ، نعم يتضمّن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الإعانة والإغاثة والشفاعة منه ، وهذا لا بأس به أصلاً ، لأنّ الأحاديث والأخبار قد صرحت بأنّ الأنبياء والأولياء لهم الشفاعة عند الله على قدر مراتبهم ، ففي الدنيا بإجابة الدعاء ، ودفع البلاء ، ونزول الغيث ، وحلّ المشكلات وفي الآخرة بتفريج كربات القيامة وأهوالها ، وكل ذلك ثابت بالأحاديث الشريفة والأخبار المنيفة قال ﷺ : « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء » ، فاذا كان الأمر كذلك فكيف لا يستشفع بالرجل الصالح في المهمّات ؟ ! .

وفي « الأوسط » قال ﷺ « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحدٌ إلا بدّل الله مكانه آخر » . وبهذا ثبت أنّ السماء تمطر ببركاتهم ، والنصرة على الأعداء تحصل بعنايتهم ، فكيف لا يستغاث بهم إلى الله ويتوسل بجاههم ومحبة الله لهم وهم أحبابه وأهل حضرته ، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة أن الله تعالى أو نبيُّه الأعظم ﷺ قال : لا تنادوا نبيّاً ولا وليّاً على جهة الشفاعة ، والذي احتجَّ به البعض من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ونحو ذلك من الآيات الكريمة الفرقانية ، فالخطاب فيها للمشركين الذين يدعون مع الله غيره أي يعبودونه ويفسر هذا قوله تعالى : ﴿ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء ، وعلى كلّ حال فالتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه من سيرة السلف الصالح ، ومن الأسباب المأمور بتعاطيها شرعاً وعقلاً ، والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى ،

الأسباب لا تأثير لها

والأسباب لا تأثير لها باعتقاد جميع المسلمين ، وما المنادي المتوسل إلا كمريض تناول دواء فأكله ، ويعتقد أن الدواء سببٌ ، والله هو الشافي المعافي حقيقة ، والدواء لا تأثير له البتة ،

مهم

ولا يقول عاقل من خدمة الشريعة في مشارق الأرض ومغاربها لشارب الدواء : اشركتَ ولا يقدر أن يمنعه عن تناول الدواء ، وما بقي بعد هذه الأدلة الواضحة إلا الصمم عن الحق ، والانحراف عن الطريق الأحق ، فإن المنادي يقول مثلاً : أدركنا يا رفاعي ، أو أغثنا يا وليّ الله ، ويعتقد أنه سبب لحصول الخير والنجاة من الضر ، والله المعطي المانع الضار النافع ، والولي بمنزلة الدواء ، فمن الذي ينقض كلامه ، أو يفوق له بالطعن سهامه ، والمثال ظاهر لا نزاع فيه .

وأما من قال بالنداء معتقداً تأثير المنادي ، دون الله تعالى فهو من الممكورين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . انتهى عبارته١٢ .

وفيه بعد ذكره المزايا التي خص بها الأولياء : وإن خُلَّص أهل السنة والجماعة ، وأعيان أولياء الأمة ، وأكابر حملة الشريعة المطهرة يعتقدون حياة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ويحضّون بكثرة المزايا في الحياة البرزخية بنبينا المصطفى ﷺ ، ويجزمون بحياته وتصرفاته ، بل ومنهم من رأه عياناً ، ومنهم من كلمه واستفتاه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه وسلم تسليماً كثيراً .

وما أدري ما الذي يضرُّ بعض المتفقهة من هذه الخصوصية التي أعطاها الله لنبيه ﷺ ولسائر النبيين والمرسلين صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين ، بل لا شك أن إنكارها من سواد الحجب المركبة على قلوبهم ، أحدثتها نخوتهم الكاذبة ، وانتصارهم لأنفسهم ، ومخالفتهم لجمهور المسلمين العارفين بحقوق نبيّهم ﷺ ، ليعرف بذلك اسمهم ، ويقال : إنهم علماء من قبيل ؛ **خالف تعرف** ، وإن كان القول بذلك منهم من الحسد لسلطان الرسالة ، فهو الضلال البعيد ؛ اللهم أكرمنا بمعرفة قدر نبيك ﷺ ، وارزقنا حقيقة الأدب معه عليه الصلاة والسلام ، ومع إخوانه النبيين والمرسلين ، ومع أوليائك الصالحين أجمعين ، واحشرنا معهم يا رب العالمين ،

وبقي هنا الكلام على جواز الاستمداد من الأولياء الأحياء منهم والأموات ، وهذا سبق ما يؤيد جوازه بنصوص عديدة ، ويكفي في جواز ذلك أمر النبي ﷺ لسيدنا عمر ، ولسيدنا علي رضي الله عنهما أن يسألا أويساً القرني رضي الله عنه الدعاء مع كونهما أفضل وأعظم منه ، وما ذلك إلا لإعلام المسلمين أنّ طلب الدعاء من الصالحين جائز ، وهل الاستمداد إلا طلب دعاء الوليّ ؟ ! وأن يجمع همته ، فيتوجه إلى الله تعالى بقضاء حاجة المستمد ، وعلى هذا **فالاستمداد من الأموات أسرع عندي لقضاء**

الحاجة على أنهم في بساط التخلي لله تعالى عن الأكوان وسماعهم لكلام الحيّ ثابت ، وقد سبق دليله ، وهنا بحث جيّد ، وهو أن وقوع الكرامات للأولياء رضي الله عنهم ثابت بنصوص الكتاب والسنة وبالتواتر القطعي الذي لا يدفع ، ولو أردنا نقل الأدلة والأخبار الواردة لذلك لكتبنا عدة مجلدات ، وأظنّ أن الأمر ممّا لا نزاع فيه ، فإذا ثبت وقوع الكرامة للوليّ وقد تقرّر أن الكرامة من الله تعالى وهو مظهر لها أي : محل لظهورها ، فما المانع من اختياره محلا لظهورها حياً كان أو ميتاً ؟ ! وجعل الله العبد وليا إنما هو امتنان عليه بالسعادة الأزلية ، والأولياء هم أعز المخاطبين بقوله تعالى ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ وقد فسر البيضاوي رحمه الله رحمة واسعة ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ بصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة ، فإنها تنزع عن الأبدان ﴿ غَرۡقٗا ﴾ أي : نزعاً شديداً ، من أغرق النازع في القوس ، فتنشط إلى عالم الملكوت ، وتسبح فيه ، فتسبق إلى حظائر القدس ، فتصير بشرفها وقوّتها من المدبرات ، فإذا كان كذلك والله سبحانه كرما منه وفضلاً أعطى أرواح أوليائه هذه القوة ، وجعلها في حظائر قدسه مدبرة للأمور بإذنه وإرادته ، فما المانع من الاستمداد منها ؟ !

وما أدري ما يريد المغالط ، أيزعم تحكما في عقائد المسلمين أن يجعل المستمد من الوليّ الميت أو الحيّ أنه اتخذه إلهاً يعبد ، وعكف على بابه معتقداً أنه يحيي ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويرزق ويقطع ، ويصل استبداداً منه **من دون أمر الله وإرادته ، وإنه هو الآمر المريد ، فإن كان زعمه هذا ، فقد أدخل التلبيس في الدين ، وشوّش عقائد الموحدين** وهم براء مما دلَّسه في عقائدهم ، ولا يظن هذا الزعم الباطل بمسلم من أهل السنة والجماعة أصلاً ، سواء كان عالما أو جاهلاً ، بل كل فرد من أفراد المسلمين يعتقد أن الله هو الفعال المطلق ، وغيره لا يقدر على تحريك شيء ، ولا على تسكينه إلا بإذن الله سبحانه وأمره ، وهو تعالت

قدرته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وموافقة لغرض المشدِّدين من الفقهاء الذين اتخذوا هذه الدعاوى حرفة شددوا فيها على الناس ، وهم فيما هم عليه من الأعمال أجراء الناس على موافقة أهوائهم ، نقول – وقولنا حق بمعونة الله سبحانه – : إن من كان يعتقد ما أوهمه المدعي ؛ من أنّ المستمدّ منه أعني : الوليّ هو الفعال للمطلوب دون الله ، وهو المؤثر ، فهو عندنا وعند جميع الأمة المحمدية كافر بلا ريب ،

مهم

ولكن لا يشك صاحب عقل في أنه لو قيل لأجهل الناس من المسلمين : الوليّ الذي استمددت منه في حاجتك هو الفعال أم الله ؟ فلا بدَّ أن يقول : حاشا أن يكون الفعال الولي ، بل الفعال هو الله سبحانه وتعالى . انتهى عبارته ١٧ . وعبارة الشيخ أحمد ابن دحلان في « الدرر السنية » :

ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النداء للميت والجماد ، ويقولون ذلك كفر وإشراك وعبادة لغير الله ، وهذا أيضاً باطل ومردود ، ولا مستند لهم فيه ، وشبهتهم التي يتمسكون بها أنهم يزعمون أن النداء دعاء ، وكل دعاء عبادة ، بل الدعاء مُخُّ العبادة ، وحملوا كثيراً من الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين الذين يصدر منهم النداء المذكور ، وهذا تلبيس في الذين توصلوا به إلى تضليل كثير من الموحدين .

وحاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمّى دعاء كما في قوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ ، لكنه لا يسمى عبادة ، فليس كل دعاء عبادة ، ولو كان كلّ نداء دعاء وكل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات ، فيكون كل نداء ممنوعا مطلقاً ، سواء كانت للأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات ، وليس الأمر كذلك ،

وإنما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة ، فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه ، فالذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى .

وأمّا مجرّد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته وتأثيره ، واستحقاقه للعبادة ، فإنه ليس عبادة ولو كان ميتاً أو غائباً أو جماداً ، وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات ،

وقولهم كل نداء دعاء . .إلخ

فقولهم كلّ نداء دعاء ، وكل دعاء عبادة غير صحيحة على إطلاقه وعمومه ، ولو كان الأمر كذلك لامتنع نداء الحي والميت ، فإنهما مستويان في أنَّ كلا منهما لا تأثير له في شيء ، **ولا يعتقد أحدٌ من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ، ولا تأثير أحد سوى تعالى ،** فإن قالوا : إنّ نداء الحيّ والطلب منه لشيء من الأشياء إنما هو لكونه قادراً على فعل ذلك الشيء الذي طلب منه ، وأما الميّت والجماد فإنّه عاجز ، ولا قدرة له على فعل شيء من الأشياء ، فنقول لهم : اعتقادكم أنّ الحيّ قادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقادكم أنّ العبد[1] يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وهو اعتقاد فاسد ومذهب باطل ، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده لا شريك له ، والعبد ليس له إلا الكسب الظاهري ؛ قال الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيستوي الحيّ والميت والجماد في أن كلا منهم لا خلق له ولا تأثير ، والمؤثر هو الله تعالى وحده ، فالذي يقدح في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله .

وأمّا مُجرّد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه ، والأحاديث التي ورد فيها النداء للأموات والجمادات من غير اعتقاد

(١) وهذا عين مذهب المعتزلة فإنهم يقولون كذلك . انتهى (منه) .

الألوهية والتأثير كثيرة ؛ ومنها حديث الأعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف ﵁ ، فإنّ فيه « يا محمّد إني أتوجه بك إلى ربك » وتقدّم أنّ الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته ﷺ ، وحديث بلال بن الحرث المتقدم أيضاً ، فإنّ فيه أنه جاء إلى قبر النبي ﷺ وقال : يا رسول الله استسق لأمتك . ففيه النداء بعد وفاته ﷺ ، والخطاب بالطلب منه أن يستسقي لأمته ، ومن ذلك الأحاديث الواردة في زيارة القبور ، فإن كثيرا منها النداء والخطاب ؛ كقوله « السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » ففيها نداء وخطاب ، وهي أحاديث كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها ، وتقدم أن السلف والخلف من أهل المذاهب الأربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف : يا رسول الله إني جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربّي ، وقد جائت صورة النداء أيضاً في التشهد الذي يقرؤه الإنسان في كلّ صلاة حيث يقول (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) .

وصح عن بلال بن الحرث ﵁ ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة ، فصار يقول : وا محمّداه وا محمداه ! . وصح أيضاً أن أصحاب النبي ﷺ لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم (وا محمّداه وا محمداه !) . وفي « الشفاء » للقاضي عياض أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خَدَلَتْ رجله مرّة ، فقيل له : اذكر أحبّ الناس إليك ! فقال : وا محمداه ! فانطلق رجله ، وجاء الخطاب والنداء للجمادات في أحاديث كثيرة ؛ منها أنه ﷺ كان إذا نزل أرضاً قال « يا أرض ربّي وربّك الله » فهذا نداء وخطاب لجماد ، ولا كفر ولا إشراك فيه ، إذ ليس اعتقاد ألوهية واستحقاق عبادة ، ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى ، وقد ذكر الفقهاء في آداب السفر أن المسافر إذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل « يا عباد الله احبسوا » وإذا ضل شيئا أو أراد عونا فليقل « يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فإنّ لله عباداً لا نراهم » ،

واستدلّ الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ! فإنّ لله عباداً يجيبونه » ففيه نداء وطلب نفع ، أي السبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم ، وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه ﷺ قال : « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو اراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني » وفي رواية « اغيثوني فإنّ لله عباداً لا ترونهم » قال العلامة ابن حجر في حاشيته على « إيضاح المناسك » وهو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور ، روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرّك وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ، أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شرّ ساكن البلد ووالد وما ولد » وذكر الفقهاء أنه يُسَنُّ للمسافر الإتيان بهذا الدعاء عند إقبال الليل ، وفيه النداء والخطاب للجماد ، وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « ربّي وربّك » ففيه خطاب للجماد وصحَّ أنه لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر ، فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ، ثم أكبّ عليه ، فقبَّله ثم بكى فقال : بأبي وأمّي ، طبت حياً وميتاً ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك . وفي رواية للإمام أحمد : فقبّل جبهتَه ، ثم قال وانبيَّاه ، ثم قبلها ثانياً وقال : واصفياه ، ثم قبَّلها ثالثاً وقال : واخليلاه !

ففي ذلك نداء وخطاب له ﷺ بعد وفاته ، ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته ﷺ بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد كان لك جذع[1] تخطب الناس عليه ، فلما كثروا واتخذت منبراً لتسمعهم حنَّ الجذع لفراقك ، حتى جعلتَ يداك عليه فسكن ، فأمّتك

---

(١) الجذع ساق النخلة .

أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك في أولهم فقال ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ﴾ بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أنّ أهل النار يودّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كبر سنه وطول عمره .

فانظر إلى هذه الألفاظ التي نطق بها عمر ﵁ ، فقد تعدّد فيها النداء له ﷺ بعد وفاته ، وقد رواها كثير من أئمة الحديث ، وذكرها القاضي عياض في « الشفاء » والقسطلاني في « المواهب » والغزالي في « الإحياء » وابن الحاج في « المدخل » .

يبطل قول المانعين للنداء

فيبطل بها وبغيرها من الأدلة قول المانعين للنداء مطلقاً القائلين : (إنّ كلّ نداء دعاء ، وكلّ دعاء عبادة) .

مهم

وروى البخاري عن أنس ﵁ أنّ فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ قالت لمّا توفي رسول صلى الله : يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ؛ والنعي هو الإخبار بالموت ، ففي هذا الحديث أيضاً نداؤه ﷺ بعد وفاته ، ولم ينكر عليها أحد من الصحابة مع حضورهم وسماعهم له ،

ومما جاء النداء للميت التلقين له بعد الدفن ؛ وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا في ذلك إلى حديث الطبراني عن أبي أمامة ﵁ ، واعتضد بشواهد كثيرة ، وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه : يا عبد الله

ابن أمة الله ، اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدّاً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، قل رضيت بالله تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد ﷺ نبيّاً ، وبالكعبة قبلة وبالمسلمين إخواناً ربي الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . ففي التلقين الخطاب والنداء للميّت ، فكيف يمنعون النداء مطلقاً ، ومن النداء للميت ما جاء في الحديث المشهور حيث نادى النبي ﷺ كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد إلقائهم في القليب رواه البخاري وأصحاب « السنن » وذكروا أن النبي ﷺ جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء أبائهم ويقول : أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً .

مهم

وأمّا ما جاء من الآثار عن الأئمة الأحبار والعلماء الأخيار والأولياء الكبار **مما يُدَلُّ على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير تنقضي دون نقله الأعمار ومضى على ذلك القرون والأعصار** ، ولا وقع منهم إنكار ، فكيف يجوز الإقدام على تكفير المسلمين بشيء قام ثبوته بالبراهين ؟ ! وفي الحديث الصحيح « من قال لأخيه المسلم : (**يا كافر**) فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » ، قال العلماء : **ترك قتل ألف كافر أولى من إراقة دم امرئ مسلم** ، فيجب الاحتياط في ذلك ، فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بأمرٍ واضح قاطع للإسلام .

رسالة نفيسة مكتوبة إلى محمد بن عبد الوهاب

ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سلميان الكردي المدني صاحب « الحواشي على مختصر بافضل » في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة ،

وكان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور ، وقرأ عليه بالمدينة المنورة ، قال في تلك الرسالة : يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى ، فإني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين ، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرِّفه الصواب ، واذكر له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى ، فإن أبى ، فكفره حينئذ بخصوصه ، ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين ، وأنت شاذ من السواد الأعظم ، فنسبة الكفر إلى مَنْ شذّ عن السواد الأعظم أقرب ، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ إلخ . وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . انتهى .

والحاصل أنّ هؤلاء المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحدّ ، فكفروا أكثر الأمة ، واستحلوا دمائهم وأموالهم ، وجعلوهم مثل المشركين ، وقالوا : إنّ الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وفي زيارتهم قبره ﷺ ، وندائهم له بقولهم (يا رسول نسألك الشفاعة) وحملوا الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ وقوله تعالى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ

﴿رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة ، كلها حملوا الدعاء فيها على النداء ، ثم حملوها على المؤمنين الموحدين ، وقالوا : إنّ من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين ، ويكون داخلاً في عموم هذه الآيات ، وإنهم مثل المشركين الذي كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ . انتهى . عبارته في ٢٨ . فعلم مما ذكرناه من الأدلّة والحجج ما عليه السواد الأعظم وأهل السنة والجماعة في حق الشفاعة والتوسل والاستغاثة ، فلم يبق للإنكار عليه وجه سوى العناد النفساني وعمي البصيرة عن رؤية الحق ، مع أنّ الإنكار على السادات الصوفية سم قاتل كما ذكرناه في بابه .

وقال الشيخ عبد القادر الأردبلي في كتابه « تفريج الخاطر » : اعلم يا أخي إنّ كلّ كلمة سمعتها من ثناء على الله وحمد له عز وجل وعلمت أنه ليس فيها نقص للألوهية يجب عليك تصديقها وإن لم يكن قائلها معلوماً ، وكذا في حق الأنبياء إذا لم يكن فيها نقص لمرتبة النبوة ، وكذا في حق الأولياء إذا لم يكن فيها شيء من خصائص الألوهية والنبوة ، فيلزم قبولها ،

إنّ كلّ وليّ على قدم نبيّ

ولا تأت بإنكار ، لأنّ إنكار كرمات الأولياء مؤد إلى إنكار معجزات الأنبياء ، فإن كلّ وليّ على قدم نبيّ ، فمن آمن بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد آمن بكرامات الأولياء رضي الله عنهم ، والإنكار موجب للمقت والخذلان ، لأنه جاء في الحديث القدسي : « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » نعوذ بالله من شرّ النفس والشيطان ، وكذا إذا سمعت كلمات من أهل التصوّف والكمال ظاهرها ليس موافقاً لشريعة الهادي من الضلال توقَّفْ فيها واسأل من الله العليم أن يُعلّمك ما لم

تعلم ، ولاتمل إلى الإنكار الموجب للنكال ، لأنّ بعض كلماتهم مرموزة لا تفهم ، وهي في الحقيقة مطابقة لبطن من بطون القرآن الكريم وحديث النبي الرحيم ، فهذه الطريق هو الأسلم والقويم والصراط المستقيم ،

إن الأرواح الإنسانية ثلاث

واعلم أيضاً أنّ أرواح الإنسانية بحسب ظهورها في النشأت المختلفة على أنواع ثلاث ؛ الأولى : أرواح مجردة ، وهي قبل تعلقها بالأجساد الإنسانية ، والثانية : أرواح متصرفة ، وهي متعلقة بها ومتصرفة فيها لكسب الكمالات الدنيوية والأخروية ، وتعلقها بالأجساد كتعلق العاشق بالمعشوق والراكب بالمركوب ، وليس لها السريان والحلول بخلاف الأرواح الحيوانية والثالثة : أرواح مفارقة ، لأنها فارقت الأجساد ، لكن تعلقها باق بسبب البعث والحشر والميزان والنشر ،

مهم

إن لأرواح الكمّل تصرّفات ثلاث

إذا علمت هذا فاعلم أنَّ لأرواح الكمل تصرفات ثلاث ؛ **الأول** : **التجسد** والتمثيل بالصور ، وهذا التجسد والتمثيل أما قبل تعلقهم بالأجساد كتجسد روح سيدنا أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب ﵁ وكرّم الله وجهه لاستخلاص سلمان الفارسي ﵁ من السبع المفترس ، وإمّا بعد تعلّقهم بالأجساد **كتجسد الكاملين لمحبيهم ومريديهم في حالة اليقظة حين اشتغالهم بالرابطة المعلومة عندهم** ، أو في الرؤيا في حالة المنام مع مكالمتهم وإرشادهم إياهم ، وكتجسدهم في الصور في أمكنة متعددة في لحظة واحدة كما وقع لبعض من الأولياء الكمل ؛ كالشيخ قضيب البان الموصلي قدس الله سره العلي كما هو مذكور في كتبهم ، وهذه الحالة باقية لهم بعد مفارقتهم الأجساد ، كما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج أرواح الأنبياء في السماء ، وصلوا معه في بيت المقدس .

والثاني : التصرف في الأجساد الانسانية لتكون روحانية نورانية كجسد نبينا محمد ﷺ ، لأنّ أصل خلقته نوراني ، وروحانيته سرٌّ ملكوتي ، ولهذا لا يرى له ﷺ ظل بالغدوِّ والآصال ، وكجسد بلال وأويس القرني رضي الله عنهما . ورُوي « في منتخب كنز العمال » عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا بلال حدِّثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة ، فإني سمعت الليلة دق نعليك بين يدي الجنة » ، قال : ما عملت عملاً أرجى من أني لم أتطهَّر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلاَّ صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلِّي . وفي رواية قال ﷺ : « يا بلال بما سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي ؟ » قال بلال : ما أذنتُ قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابني حدث إلا توضأت وصليت ركعتين ، فقال : بهذا نلت » . وعن عبد الله بن بريد قال : قال النبي ﷺ : « أُريت الجنة فرأيت امراة أبي طلحة ، ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا هو بلال » . وعن جابر قال : قال النبي ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت خشخشة ، فقلت : ما هذه ؟ قالوا : الغميصاء[١] بنت ملحان » . وفي كتب بعض المشائخ : رأى النبي ﷺ في قاب قوسين أو أدنى ، وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر رجلاً مغطّى بغطاء من الرأس إلى القدم ، فأخذته الغيرة ، فقال : يا ربّ هذا موضع الأدب ، من هذا الرجل ؟ فجاء النداء من قبل الله عز وجل : هذا أويس استراح بعد سبعين سنة ، وسألني أن أكتمه وأخفيه فأجبته .

والثالث : التصرف في الأشياء ، بأن تجعلها جسما لطيفاً ، وهذا التصرّف قد يكون من الملائكة والجنّ كتصرّف الملائكة بعرش بلقيس ، بأن جعلوه جسماً لطيفاً حين طلب سليمان عليه السلام إحضارها مع عرشها ، كما أخبر الله في كتابه بقوله عز وجلّ ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى

(١) **قوله** : الغميصاء ، ويقال : الرميصاء ، وقوله : ملحان بالكسر . انتهى **(منه)** .

بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي ﴾ لأنّ العرش لا يمكن إحضاره بالكيفية التي هو عليها قبل ارتداد الطرف إلاّ أن يكون جسماً لطيفاً بتصرُّف الموكَّلين بدعوة آصف بن برخيا عليه السلام ، أو بتصرّفه ، واعلم أيضاً أنّ إفاضة أرواح الكمل على وجوه ؛

أحدها : تربيتهم في عالم الظاهر بالمشافهة والمواجهة ، **وثانيها :** بغير رؤية ، وقد تكون هذه التربية في زمن المربِّي والمربَّى أو بعد زمن المربِّي ، **فالأول :** كتربية النبي ﷺ أويساً القرني رضي الله تعالى عنه في زمنه ﷺ ، وكتربية جعفر الصادق رضي عنه الخالق أبا يزيد البسطامي قدس الله سره السامي .

والثاني : كتربية النبي ﷺ بعد زمنه .

وثالثها : تربيتهم بالرؤيا ، ويسمون هاتين التربيتين أي الثانية والثالثة فيض البركات .

ورابعها : تربية أرواحهم المجردة كتربية روح النبي ﷺ جميع الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ويسمون هذه التربية تربية الروح ، **ولا تكون التربية التامة إلا بالمناسبة التامة بين المربِّي والمربّى** ،

والمناسبة التامة تكون بثلاثة أشياء

والمناسبة التامة تكون بثلاثة أشياء ؛ بالقدم وبلسان الصدق ، وبالقلب الصادق . **والقدم** عبارة عن طيّ مراحل الآداب وسلوك السالك مسالك الأخلاق ، وعبوره مقامات النفس ، والقلب والروح والسر والخفي والأخفى .

ولسان الصدق عبارة عن ايصال الكمل إلى الطالبين على قدر استعدادهم ، ما علمهم الله بطريق الوحي والإلهام ، وسماع الخطاب من الله أو من الملائكة ، وصاحب لسان الصدق خبره صدق ، وشفاعته مقبولة ، ودعاؤه مستجاب ، وعلمه منبت للحق ومزهق للباطل وكاشف لأسرار المعاني ، وحكمه نافذ ، وتلقينه موصل إلى المطلوب الحقيقي ، وهو مكرم بهذه الكرامات ، **والقلب الصادق** إما عبارة عن انكشاف الآيات الغيبية والشهودية في قلب الكامل المكمل في صورة مثالية في اليقظة ، أو في النوم في قوة[1] الخيالية لذلك الكامل المكمل ، وإما عبارة عن ثبوت المعاني المجردة عن الصورة في قوة[2] العلمية له ، فدليل مكاشفات الصوري قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ إلى قوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ .

ودليل ثبوت المعاني المجردة قوله تعالى ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ومعرفة هذا المقدار من بيان أحوال الكاملين كاف لإزالة شبهات المستمعين من أهل ضعف اليقين حين استماعهم مناقبهم . انتهى في ٦ .

فصل في نفوس عجيبة التأثيرات

ذهب أهل الحق إلى أنّ النفوس مختلفة بحسب جواهرها ؛

فمنها نفوس علوانية نورانية ، لها شعور بعالم الأرواح ، فتستفيد بالفيض من عالم الأرواح أموراً عجيبة .

ومنها نفوس كثيفة كدرة مشغوفة بالجسمانية لا حظَّ لها من عالم الأرواح ، وذهب بعض الحكماء إلى أن النفوس الناطقة جنس تحته أنواع ، وتحت كل نوع أفراد لا يخالف بعضها بعضاً إلا بالعدد ، وكل

(١) كذا في الأصل مضافاً بلا ألف واللام .
(٢) كذا في الأصل مضافاً بلا ألف واللام .

نوع منها كالولد لروح من الأرواح السماوية ، وهذا الذي تسميه أصحاب الطلسمات بالطباع التام ، ويزعمون أنه يتولَّى إصلاح تلك النفوس تارة بالمنامات ، وتارة بالإلهامات ، وتارة بالنفس في الروع ،

فمن النفوس الفاضلة نفوس الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، فإن الله تعالى لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع في نفوسهم أنواع الفضائل ، ونفى عنها أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم ، وأظهر عليها الآثار العجيبة لانقياد الخلق إليهم .

ومنها نفوس الأولياء فإنها لما كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صدرت عنها آثار عجيبة كما ذكرنا في مقامات الزهاد والعباد والعارفين ؛ من شفاء المرضى باستشفائهم ، وسقي الأرض باستسقائهم ، وصرف الوباء والمؤذيات بدعائهم ، وتبدّل نفرة الطيور بالهدوِّ والوقوع ، وسورة السباع بالبصبصة والخضوع ، وإلى غير ذلك من الأمور التي تحكى عنهم ، ومنها نفوس أصحاب الفراسة ، وهي نفوس تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة ، وإنه استدلال صحيح ، وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ . وقد قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » . حكى أبو سعيد الخراز قال : رأيت في الحرم رجلاً فقيراً ليس عليه إلا ما يستر عورته ، فأنفت نفسي منه ، فتفرس في ذلك وقال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ ، فندمت على ذلك ، واستغفرت في نفسي ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ .

وحكي أنّ الشافعي رضي الله عنه ومحمد بن الحسن رحمة الله عليهما رأيا رجلاً فقال أحدهما : إنه نجار ، وقال الآخر : بل حداد ، فسألا عنه ، فقال : كنت حداداً قبل هذا ، والآن صرت نجاراً ،

وحكى عبد الله بن ظبيان وكان أميراً من أمراء العراق فنادى أنه كان يترصد الفتك بالحجاج مدة ، فظفرت به يوماً كان واقفاً على باب داره وحده ، فقلت في نفسي : الآن وقته فتفرس ذلك فيّ ، وبقي بيني وبينه مقدار رمح ، فقال لي : ما أخذت كتابك من فلان ، فقلت : لا ، قال : أمض إليه ، فإن كتابك معه ، فلما سمعت اسم الكتاب تركت عزمي وانصرفتُ لطلب الكتاب فأدركني عدوانه . انتهى « عجائب المخلوقات » للإمام القزويني عبارته٨٧ من هامش الجزء الثاني من « حياة الحيوان »

وفيه من هامش الجزء الأوّل منه المقدمة الثالثة في معنى الغريب : الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، وذلك إما من تأثير نفوس قوية وتأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية ، كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته .

فمن ذلك معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر ، وانفلاق البحر ، وانقلاب العصا ثعباناً ، وكون النار برداً وسلاماً ، وخروج الناقة من الصخرة الصماء ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى .

مهم

ومنها كرامات الأولياء الأبرار ، فإن تأثير نفوسهم تتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة في العالم فيشفي المريض باستشفائهم ، وتسقى الأرض باستسقائهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم ، ويصرف الوباء والموتات باستدعائهم ، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوِّ والوقوع ، وصولة السباع وشدّتها باللين والخضوع . انتهى عبارته ٤٩ . ونظير هذا ما مرّ في بيان فضيلة علماء الباطن من مناقب عبد القادري الكيلاني ؛ رزقنا الله من بركاته الوافرة

راجعه ٩ في كتاب « الإبريز » ما حاصله : إن في كل مدينة من المدن عدداً كثيراً من الملائكة مثل السبعين ملكاً أو أقلّ أو أكثر يكونون موجودين عوناً لأهل التصرّف ؛ من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الوليّ ، قال[1] رضي الله عنه : وهؤلاء الملائكة الذين يكونون في المدن يكونون على هيئة بني آدم ، فمنهم من يلقاك في صورة خواجه ، ومنهم من يلقاك في صورة فقير ، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير ، وهم منغمسون في الناس ، ولكنّ الناس لا يشعرون . انتهى عبارته راجعه في ١٦٤ .

(١) أي : الشيخ عبد العزيز الدباغ .

تقريظ اسير ودّ أولياء الله تعالى نصر الدين الكراطي

فلما طالعتُ حين الكتابة إلى ما في المختصرين المسمّيين « بالأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابية » و« الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » الذين هما أوّلاَ ما أفرغه أخونا التقي النقي مربِّي المريدين ومرشد السالكين منبع المحاسن السنية ، خليفة السيد المختار في الطريقة المجددية النقشبندية ، محمد العسوي في قالب الترتيب والترصيف ، وتأملتُ بما فيهما من المسائل الشريفة ، والزخائر المنيفة ، والإشارات العلية ، والعبارات البهية ، والأسرار الخفيّة تيقَّنتُ كون مسميهما وفق اسميهما بلا ريب ، فجزى الله مؤلفهما خير الجزاء في الدارين حيث أبدى لنا درراً لأجوبة الصافية التي تقاعدت عزائم الفحول عن استطلاع رويّات أزهارها ، وتقاصرت هممهم عن استكشاف خبيات أسرارها ، مؤيّدة بنصوص صريحة ، ونُقول صحيحة ، متوّجة بالآيات القرآنية ، مكلّلة بالأحاديث النبوية ، بحيث لا مجال للاعتراض للمنصف ، ونطق في إدحاض خرافات أهل القصور ، وردِّ شبه الوهابية بما عن إدراكه ، وعن رؤية ما فيه ، واستنشاق نسيم طيبه هم محرومون . ونفعنا من بركات علومه ونفائس فهومه ، ورزقنا حظّاً من أنفاسه الظاهرة ، وأمداده الوافرة ، وفيوضاته العاطرة .

آمين يا رب العالمين

أرجو المؤلِّف

أن يعفو عنِّي

لكتبة هذا

بلا إذن

منه

تقريظ الشيخ العالم م ر البوني

بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء ، الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ،

وبعد : فلما وقفت على تأليفي العسلي « الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابية » و« الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البرية » وسبرت سرّهما وجليّهما ، وذقتُ عسيلتهما ، وجدتهما تأليفاً جامعاً لدقائق تلك المسئلتين ، ومشتملاً على كنوز المعلوكتين ، مبرزاً لمحجبات عرائسهما ومخفيات زخائرهما ، وتصنيفاً يُشرح صدور أهل الملة المحمدية ، ويُرغم أنوف الطغاة الطائفة الوهابية ، وترصيفاً يُتنوّر به صدور من له بالدين التمام ، وعن العقائد الباطلة انفطام ، وترتيباً موافقاً للأسلوب العربية لا يصدر إلاّ ممن تضلّع في العلوم العربيّة ، وعمّن طبعه نحوي وسليقته صرفي ، وسجيَّته تفسيريّ ، فلله تعالى درُّ هذا المؤلف ، ما أدقَّ إدراكه ، وأحدَّ فهمه ، وأكثر إطلاعه ، مع حداثة سنِّه ، وخمود الفطنة في أوانه ، حيث أماط القناع عن وجوه تلك المسئلتين ، وأزال أستارهما ، وأجاب عن تلك الأسئلة على وجه تَقِرّ به أعين أهل المعرفة والديانة ، وتكلح به وجوه أهل الضلالة والشناعة ، وتنشرح به صدورُ أهل السنة ، وتنجرح به نحورُ أهل البدعة ، وقرّر وحقّق ، وبسط ودقق مع جزالة العبارة ، وحسن النادرة ، ووصل إلى ما لا يصل إليه إلا بالفتح الرباني والإلهام الصمداني ، وذلك ببركة المشائخ الكرام ، واحترام الأولياء العظام ، أمدّه الله تعالى بمدده ، وأعانه على ما هو بصدده من الإفادة والاستفادة ، وأدام الله تعالى له السرور والانبساط ، ومتَّعنا بطول حياته وطيب أوقاته ، إنه وليّ التوفيق والهداية ، ومنه التحقيق والإفادة ، فوالله الذي خلقني والجبلَّة الأولين أن مَن نظر إلى مؤلفاته ، وتأمل فيها بالإنصاف ، وتجنَّب عن الاعتساف اعترف بأنه المفتوح عليه ، والمشار

إليه ، ولا يختلف فيه إثنان ، ولا يتوَّهم فيه إمكان ، ونادى بـ(مثل هذا فليعمل العاملون) وليمت غيضاً على هذا أيها الوهابيون ، والسلام على من اتبع سبيل الهدى ، وجانب جناب الهوى من الكاتب اللاهي م ر البوني وأصيكم بالدعاء الوافي .

تقريظ إبراهيم الهؤريّ

لمّا طالعت على تصنيفي أخي ، ومحبّي العالم العارف المرشد محمد ولد العالم النبيل المرحوم نور محمد العسوي ؛ هما « الأجوبة العسلية في ردّ شبه الوهابية » و« الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البريّة » وجدتهما بحراً تسبح الأفكار في أمواجها ، وسمآء تتقلّب الأذهان في أبراجها . مؤيَّدتَيْن بالشواهد القرآنية ، والأحاديث النبويَّة المختفيَّة ، حتى للأزكيآء غير منتشرة . وأنشدت ما هو الجائلة في البال على مقتضى الحال .

تـبدَّى ضيآء الشمس قعر الدياجير ... فـإذْ مـا ضَـحَـا مَحَا نور الكواكب
فـقـد الـقـوم الـطـغاة تستهدى به ... بـعـد مـا تخطّوا عن طريقٍ صائبٍ
وانـجـابت به عن الوهّابية الأهوآء ... أيـبـقي الظلام مع الصبح يا أرِيبُ
وأزالـت بـنـوره كـلّ داء وشـيـن ... بـعـد ما أكْبَرت الطبيب المتعَصِّبُ
فـلـم أر جـمعاً يشرح القلب مثله ... ويطرد قول المعاند من كلّ جانب
يفيد لذى الإنصاف في حلّ مشكل ... ويُـقـصِـم بـالإعـجاز فقار عائب
ويورث لذى النظر الصائب حلاوة ... كـأنـه فـي حـلاوته وطعمه زبيب
ويزري على الوهّابية في حسن منطق ... ويُنسيهم أسانيدهم بالعجب العجابِ
ويكشف عن وجه المشكلات كلّ رَيْب ... ويـروي غليل الصدر من كل شاربٍ

فللّه درّ الـمـرشـد محمد حيث لَمْ	يـدع لـسـواه مـصعداً في المراتبِ
أتـى بِـجَـمْـع جَـمْـعُهُ غير ممكن	مـن الإنـسـي إلاّ عن عناية واهبٍ
تـحـيِّـر لـو رآه الـمـجـتـهـد جدّاً	فـيـشـهَـد أنَّـه الـفـرد الـنـجـيـبُ
جـزاه الله تـعـالـى عـنّـا كـلّ خيرٍ	وصانه الاله ما بدى الكف الخضيبُ
ولا زال يـــنـــمــو ذكـــره وثـنـاؤه	ويـرقـي من العليآء أعلى المناصب
وإنّـنـي الـفـقـيـر الهؤريّ إبراهيم	أوصـيـكم بالدعاء لي من الوهّاب

تقريظ عبد القادر العكّخي الإذَنِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،

وبعد : فلما نظرت وتفكرت – في مضمون هذين التأليفين الفائقين المسميين بـ « الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابيَّة » وبـ « الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البريَّة » من أوّله إلى آخره مرات وكرات – وجدت جميع ما سَطر ، وسائر ما نقل عينَ الأيات الإلهية ، ومخَّ الأحاديث النبوية ، جزى الله عنا لمؤلفه المرشد الكامل ، ومحي القلوب القاسية ، مولانا محمد العسويّ ولد أستاذنا العالم الماهر المرحوم نر محمد العسوي أحسن الجزاء حيث جمع فيها زبدة جميع العلوم الإسلامية ورفع بهما كل ما أورده الوهابية الأرذلون ، وأظن أنه لولا هذان التصنيفان لوقع أهل التصوُّف وذوي الطاعات والعبادات في التشكيك والتشويش ، وبعد توقُّفي عليهما حمدت الله كثيراً ودعوت للمؤلف سرّاً وجهاراً ، وصرت بغاية الفرح وشدة النشاط كأني أطير في جوِّ السماء مع العقاب والخطاف وغنيت بهذه الأبيات الآتية إظهاراً للسرور .

أقول وقول الصدق في النفس أوقع وفـي الـحق ما يُصغى إليه ويُرغب
عـلـيـك بـمـضـمون الكتابين أننا وجـدنـاه حـقّاً عـنـدنا بالتجارب
يـزيـدك فـي الألـفـاظ بطشاً وقوَّةً ويـحـظيك عند الفانيات الكواعب
ويكشف عن وجه المعاني صعابها ويـقـضـي لـجل الناظرين المآرب
ويـظـهـرهـا لـلـمـنصف المتفهم ويـذرى لـقـدر الحاسد المتعصب
ويـقـصـم ظهر المنكرين الحواسد ويـصـقـل قـلب السالك المتأدب
جـزى الله عـنـا لـلمرشد المتكمّل لـتـألـيـفـه هـذا الـكتاب المهذَّب
مَـسَـالـكـه فـأسـلـك قـواعـده فـاحفظ مقالك يسم من مين ومن كذِب

هذا والسلام من الخادم الحقير الفقير عبد القادر الإذني العكخي .

تقريظ أبي عبد الله علي أصحاب

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي هدانا للإيمان والإسلام ، وشرفنا برسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وجعله شافعاً مشفَّعاً يوم الحشر والزحام ، وجعل له الورثة من الخلفاء إلى يوم القيام ،

ثم أرشدنا إلى هؤلاء الخلفاء الفخام ، ولم يحجب عنا أولياءه الكرام ، بل أعطى لنا فيهم الاعتقاد التام ، وجنّبنا فيهم من الإنتقاد السامّ ؛ اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك الزيادة في يقيننا ، واحفظنا من الردة في الشريعة والطريقة ، وأَدِمْنا على هذه الاعتقادات الأوانية وإن كنا مُقصّرين في الأعمال الشرعية ، مفلسين من العبادات المرضية ، مبرّئين عن الأخلاق الحميدة ، مشحونين بالأخلاق الذميمة ، معترفين بتهاوننا في التكاليف الواجبات فضلاً عن السنن والمندوبات ، فإنك يا رب لستَ محتاجاً لعبادتنا ، فلا تخزنا في الدارين بتقصيرنا ،

وبعّدنا عن اعتقاد الفرق الوهابية أهل الزيغ والزلال الخسرانية ، والصلاة والسلام على سيدنا سيد الثقلين محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فلمّا طالعت على تأليفي العالم الفائز بالنوالين المرشد الكامل ذي الجناحَيْن محمّد بن العالم الورع نور محمد العسوي ؛ ها هما « الأجوبة البهيَّة في إثبات شفاعة خير البريَّة » و« الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابيَّة » لا كثّر الله عددهم ، ومن القرى الجبالية طرّدهم ، وَجَدْتهما كنزين من الكنوز عظيمين ودرّتين من الدرر في الصدق مَصُونتين ، يوافق ما تضمنَّاه للاسمين ، فأَعْجباني بحسن سبك الألفاظ ، وسرد العبارات ، وجمع النقول الغزيرات بالكتاب والسنة المؤيّدات ، فللّه درّ المؤلِّف والمؤلّفات ولم أُطق الثناء عليهما ، فلذا قصرت الكلام فيهما ، بَيْد لا غَرْوَ في ذلك فإنه فضلٌ وَهْبِيٌّ ، وفتح إِلَهِيٌّ ، ومنح ربانيٌّ ، لا ما اكتسبه ممّا نحن عليه عاكفون ، وفي تضييع العمر فيه دائمون ، فالحمد لله على إيجاد أمثال هؤلاء الأعلام بيننا في هذه الأزمنة القريبة إلى القيام ، متّع الله تعالى لعبادهم بإبقائهم ، وأَمَاتنا الرحمنُ في قيد حياتهم ، آمين والسلام على من اتبع الهدى ، واجتنب الهوى ، (للحقير أبي عبد الله على أصحاب عفى عن فرطاته الغفار الوهاب) .

تقريظ الفقير محمّد البقلِخيّ

فلما – وقفت وطَالعت على هذين التأليفين « الأجوبة العسلية في ردّ شُبه الوهابية » و« الأجْوبة البهيّة في إثبات شفاعة خير البَريّة » بالتأمّل والإمْعَان من أوّلهما إلى آخرهما – وجَدْتهما لتزييف مقالة فرقة الوهابيّة المبْطلين وإدْمَاغها – خذلهم الله في الدارين – وتأييد عقائد أهْل السنّة والجمَاعة وإثباتها – رفعهم الله في الكونين – كنبيّ الله موسى عليه السلام

لفرعون اللعين ، وعجبت من سَبْكهما في هذين القالبين العجيبين الذين تألَّفت القلوب السليمة بفصاحتهما ، وأقرَّت العقول الصحيحة بإعجازهما للنظراء ، فإنهما منحة علام الغيُوب ، فلله الحمد والثناء على ما أولاه لهذه النعمة الجليلة ، هما جنة علم قطوفها دانية لا تسمع فيها لاغية ، وحصنٌ مشيّد بنصوص الكتاب والسنة رفع على دعائم الأدلّة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ترمي بنيرانها أقوال الشياطين المبطلين ، وتخفض هامهم ، وتُدْمغهم ، وتفضحهم بين أرباب العقول وتعفرهم ، فللّه درُّ هذا المؤلف المرشد الحقيقي حيث ألهمه لنسقهما تناسق الدرر المنظوم ، وإشهارهما كاشتهار الشمس ضحوة الأيام ، ليعَضَّ عليهما نواجذ أهل الله ويستعينوا بهما لإحكام أساس الطريقة الأحمدية ، ولعمري إن هذين التأليفين لتأليفان اللذان يفتخر بهما العالمون السليمون ، ويتأسف بهما المضلّون السَقِيمون ، فليموتوا بغيظهم ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفيهما من دقائق العلوم ما تقرّ به الأعين ، ومن لطائف الفهوم ما تتلذ به الأنفس وحويا من المسائل والدلائل ما لم يحوه كتاب ، وفتحاً للطالب المنصف من أقصى المطالب كلَّ باب ، فحق أن ينادِيَ لسان حال منشئهما ومشيّد أساسهما .

وإني وإن كنت الأخير زمانه . . . لآت بما لم تستطعه الأوائل ، فجز الله مؤلّفهما عن المسلمين خيراً ، فإنه قلّد نحُورهم بقلائد الجواهر ، ونصر الدين بما أتقنه من النفائس والفرائد ، اللهم أدم دولته ، وارزقنا بركته ، ونوّر قلوبنا بأنوار معارفه ، واحشرنا معه في زمرة الأنبياء والأولياء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين ، آمين يا مجيب .

الأجوبة العسلية
في
ردّ شبه الوهابية

للفقير محمد العسلي جعل
الله له حلاوة العلم
كالعسل المصفّى
آمــيــن

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله[1] وحده لا شريك له وأشهد أن سيّدنا محمّداً ﷺ عبده ورسوله الشفيع المشفَّع في يوم الآزفة . من محمّد ابن نور محمّد العسويّ إلى محمّد ابن عبد الرشيد الهَرَكَانِي ، عليكم السلام الأسنى والتحيّة الحسنى ، وحفظكم الله تعالى عن المقت والحرمان ، وأعاذكم عما يخالف الدين والإيمان آمين .

وأنَّ كتابي هذا إليكم كتاب متدبّر قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقوله : ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الآية بربط القلب على غير الله من خواطر الدنيا الفانية راجع « المنن » .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

---

(١) **وفي نسخة** : أَشْهَدُ أنْ لا إله . .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ أي من الشرك الخفي وخطور الأغيار .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وقوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ إلى آيات أخر في معانيها .

وبعد : فلمّا ورد إلينا كتبكم المكتوبة نحونا في هذه الأيّام أَرَدت كتبة الأجوبة لها راجياً من جناب الحق تعالى إدخالنا في قوله ﷺ « ألا أخبركم عن الأجود ، الأجْوَد الله ، وَأَنَا أجودُ وُلد آدمَ ، وأجودُهُم من بعدي رجلٌ عَلِم علما فنشر عِلمَه بعَثَهُ الله أُمَّةً واحدة ، ورجل جاهد بنفسه في سبيل الله حتى يقتل » رواه الترمذي وأبو يعلى والطبراني وفي قوله ﷺ « ممّا يلحق المُؤْمِنَ من عمله وحسناته بَعْد موْته علمٌ ينشر » الحديث رواه ابن ماجه مطوّلاً ، وخوفاً من مثل قوله ﷺ « من سُئِل عن علمه فكتمه ألجمه

(١) ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟﴾ أي : خضعوا وخشعوا (هامش الاصل) .

الله بِلجامٍ من نارٍ » رواه ابن حبان وَالحَاكم وغيرهما وروى ابن الجوزي في « العِلَلِ » مَرْفوعاً « كاتم العلم يَلْعنه كلُّ شيء حتى الحوتُ في البحر والطير في السماء » شرح الشيخ محمد الزرقاني على « منظومة البيوقونية » في « المصطلح » من الهامش عبارته ٨ .

ثم إنك كتبت إلينا أيّها الأخ العزيز الآيات المُنَزَّلَةَ في حق المشركين الذين يَعْبدُون الأوثانَ وحملتَهَا على المُوَحِّدِين المُخلصين ، فَحَمْلُكُمْ هذا حملٌ بعيدٌ لا يسبِقُ إليْهِ الذهنُ ، بَيْدَ أَنَّهُ لو كنتَ حملتها على الذين يعبدون أهواء أنفسِهم ، ويتخذون أنفسَهم أصناماً يعبدونها لكان الحَمْلُ أَقْرَبَ وأوْفقَ كما نطق به الكتابُ ؛ وقال تعالى في حقّهم : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ .

لكن نجيبُكم مُفَصَّلاً لعلّكم تَنْتبهون عن رقدة الغفلة وسِنة الأنانية إن تفكرتم فيما كتبتنا إليكم بترك التَعَصُّب إلاَّ أن يكون في قُلوبكم المَرَضُ العُضالُ الذي تَحَيَّرَ الأطباءُ في معالجته ، هَدَاكم الله تعالى إلى سواء السبيل و جَنَّبَكُمْ من الشُّذُوذِ من أهل السّنّة والجَمَاعَة ، وأماتنا وإيّاكُمْ عَلَى السنة والجَمَاعة . . .

(**وإن كتابي هذا إليك كتاب متدبِّر قوله تعالى** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ **وقوله تعالى :** ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ **وقوله تعالى :** ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾)(١) . . . إلى آيات أخر في معناها .

أقول : – فلله الحَمْدُ – نحن نَأمُرُ بالمعروف ونَنْهى عَنِ المُنْكر ونوصي بالحقِّ والصبر وأنتم شريكنا في هذا الأمر إن كُنْتُمْ كذلك . . .

(﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ **وعن الدعاء إلى غير ذلك مجانبون .**)(٢)

---

(١) ما بين القوسين نصّ ما كتبه السائل .

(٢) ما بين القوسين نصّ ما كتبه السائل .

نحن – بحمد الله وتوفيقه – عاكفون على كلمة سواء بيننا وبينكم ولا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا ندعوا إلى غير الله ، بل جُلُّ مرادنا خروج الناس من الشرك الخفيّ والجليّ ، وتنبيههم على خفايا النفس والرياء والشرك ، وطردهم عن عبادة الأوثان التي هي أنفسهم وأهوائهم ، وحثُّهم على خلوص العبادة كما هو مراد سائر الداعين إلى الله تعالى .

(وعن اتباع الرجال بريئون .)

نحن – ولله الحمد – نَتَّبِعُ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إلى الله ، ونَعَضُّ نَوَاجذنا على ما أَمَرَ به كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام ، ونقتدي قول الله تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ . . الخ وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ . .إلخ .

(وعن اعتقادٍ أنَّ لغير الله سلطنة غيبيَّةً أو تصرُّفاً روحياً معنوِّيا مطهَّرون .)

الحمد لله الذي جَنَّبنا عن هذا الاعتقاد الفاسد ، بيد أن الله تعالى إذا واظب عبده بنوافل العبادات حتَّى يُحِبَّه يَتَصَرَّفُ بِنُصْرَةِ الله وَبإذنه على ما بينهم ؛ من قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وحديث : « لاَ يَزَالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْته كُنْتُ سَمْعهُ » . . إلخ شاهدٌ عدل على ذلك ، فيكون سمعه بسمع الله ، وبصره ببصر الله ، ويده . .إلخ . فافهم ! **ولا تظنَّ سوءاً بأولياء الله** ، **فإنهم بريئون عن اعتقاد التأثير لغير الله بالاستقلال** ، فكم وكم شاهد على ذلك في كتبهم . . .

(وهل لي منك أيها الأخ المسلم رجل يتمسَّك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ؟)

نعم نحن – فلله الحمد – كلّنا متمسِّكون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ، ونعَضُّ ما فيهما بالنواجذ ولا نخالف ما فيهما ، لكن لا نقتدي أهواء قوم قد ضلُّوا عن سواء السبيل ؛ قال الله تعالى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ الآية ، وقوله أيضاً : ﴿وَإِن تُطِعْ

﴿أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، وقال أيضاً : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية . . .

(ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً . . إلخ .)

فالعياذ بالله من اتخاذ غير الله ربّاً ، فهل يَظُنُّ عاقل أنَّ من اتَّبع سبيل من يدعو إلى الله لا إلى غيره أنَّه اتخذ ربّاً له ؟ ! فحاشا ذلك وكلاَّ ؛ مثال : رجل يقول هذا القول كقول من يقول لمن أجاب دعوة الرسول وآمن به : إنك إن آمنت به واتبعت سبيله اتخذته ربّاً وأشركته في عبادتك . تَفَكّر أيها الأخ هل يقول هذا القول أحمقٌ فضلاً عن أن يقوله عاقل ؟ ! . ولعلَّ في عقلك خَلَلٌ ، وإلاَّ فلا مجال لخطرك[1] هذا الخيال الفاسد ، إنا لله وإنا إليه راجعون . . .

(ويطرح كل ما ليس عليه أمرهما ، ويتَّبع الحق أينما وجد ، وعند أيِّ رجل لقيه ، ويعتبر الرجال بالحقِّ لا الحقُّ بالرجال .)

ولله الحمد على ما جنَّبنا عن إتباع ما ليس عليه أمر الكتاب والسنة ، وحفظنا وأتباعنا ؛ من مشائخنا من امتثال غير الحق ، فكلهم يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وكلَّما خالف بهما فلا يقبلونه ، ولو تربَّع في الهواء أو مشى على الماء ، كما هو مُصَرّحُ في كتبهم .

(حقًّا أقول لا يجتمع الإيمان واتباع أقوال من سوى المعصوم وآرائه في قلب رجل .)

والحمد لله على حفظنا ومن قبلنا من مشائخنا عن اتباع أقوال غير المعصومين المخالفة للكتاب والسنة .

---

(١) **علّه** : لخطورك .

مهم

فاتباع أقوالهم عين اتباع قول الله

فالجميع إنما يدعون إليهما لا إلى غيرهما ، وينكرون ما خالفهما وعلى مَنْ خالفهما ، وأئمة الشرع وأئمة الطرق كلُّهم بيَّنوا للناس ما أجمل في الكتاب والسنة ، ولم يخالفوا في شيء منهما ولم ينقصوا ولم يزيدوا ، فاتباع أقوالهم عين اتباع قول الله وقول رسوله كما لا يخفى .

فإن كنت رأيت في أقوال الأئمة ما يخالفهما فأرني ذلك ، فإنهم بريئون عن المخالفة ، وإنهم اتبعوا على ما تَيَقَّن عندهم أنه هو المراد من قول الله تعالى وقول رسوله على ما وصل إليه اجتهادهم ، وقولك هذا يُشْعر بكفر جَمِيع المقلِّدين من أوّلهم إلى آخرهم ، ومن قال لمسلم : يا كافر . فهو كافر كما ورد .

فالحذَرَ الحذر من اتباع أمثال هذه التُّرهات . ولو صَحِبْت يوماً كاملاً مع هذه الطائفة الصوفية وطلبت منهم ما أشكل إليك لوَجَدتَهم أشدَّ منك في حفظ الكتاب والسنة ، ولوجَدْت عندهم الأجوبة المرضية . أَلَيس لك إمكان لتبيت ليلة عندهم ؟ وهلاَّ بدَّلت الصحبة وتركت الكتبة بما لا يتيقَّن عندك . . .

(ولن يكون موحِّداً من اعتقد أنَّ لأيّ رجل قوةَ تصرُّفٍ معنويٍّ أعطاها الله له أو لم يعطه ، وكلاهما ضلال وأيّ ضلال ، نعوذ بالله منه .)

فالعياذ بالله من عبادة غير الله .

مهم

فنراكم تسمعون كثيراً من الخلق يقولون لبعضهم : أوصيك بالدعاء ولا تنكرون على ذلك ، ونراكم أيضاً تسمعون يقول بعضهم لبعض : يا فلانْ جِئْ لَدَيَّ لتعينني لكذا وكذا ولا تنكرون على ذلك ، ولا يخفى أن العبد إنما يطلب الدعاء من الآخر لرؤيته نفسه غير لائق بجناب الله ، ورؤيته أيضاً أن ذلك

الآخر خيرٌ منه وهو عند الله بمكان ، وأنه بدعائه له تعالى ينجو . وهل رأيت في هذا شيئاً منكراً في الشرع ؟ بل هو عين التوحيد ، وأرى أقوالك عين أقوال الوهابية الذين ينكرون الشفاعة بالكلية كما هو عين مذهب القدرية - خذلهم الله تعالى - وهم معتزلون عن مذاهب الأئمة الأربعة ، وراجع كتب العقائد وكتب أئمة الطرق ؛ كاليافعي والغزالي وابن حجر والجنيد والشعراني . . إلخ تجد فيها ما يشفي عليلك إن لم تكن متعصباً .

وأما إن قصرت النظر على كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي والأفغاني والرشيد رضا وغيرهم من الخوارج الوهابية - خذلهم الله - فتبقى على هذا الإشكال .

فأهل الحقِّ كالنبهاني وابن حجر وزين أحمد ابن دحلان وشارح « الأحياء » والسبكي وابنه وغيرهم ممَّن لا يحصى عددهم ردّوا مذاهب الوهابية بأجوبة مرضيَّة من الكتاب والسنة ، وكتبنا نُبْذَةً منها في كتابنا « الأجوبة المرضية في إثبات شفاعة خير البرية » راجعه .

(صحَّ في الحديث « الدعاء مُخُّ العبادة » وهو الذي يقرره القرآن ، فمن دعى سوى الله تعالى سواء ادَّعى أن ذلك السوى يقضى حاجته بالدعاء إلى الله تعالى أو من جهة نفسه فهو بلا ريب عابد لذلك السوى .)

حاشا وكلاّ أن يكون الأمر كما قلتَ ، لعلك ركبت على شبهة الوهابية الذين يزعمون أن النداء دعاء وكل دعاء عبادة ، بل الدعاء مخُّ العبادة ، فهذا القول منهم فاسد لا يعتبر ؛ لأن النداء قد يسمى دعاءً كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾ لكنَّه لا يسمّى عبادة ، فليس كل دعاءٍ عبادة .

مهم

ولو كان كل نداء دُعاء وكل دعاء عبادة لَشَمَل ذلك نداء الأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات . وليس الأمر كذلك ، **وإنما النداء**[١]

(١) ومن أراد أي يعرف جواز النداء فليرجع إلى « نور الانصاف » و« الدرر السنيَّة » و« شواهد الحق » . (هامش الاصل) .

الذي يكون عبادةً هو نداء من يعتقد الألوهية واستحقاقه للعبادات ، فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه ، وأما مجرّد النداء لمن لا يعتقد الألوهية وتأثيره واستحقاقه للعبادة فإنه ليس عبادة ولو كان حيّاً أو غائباً أو جماداً . وقد وردت في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات فلا نطيل بذكره . راجع « الدرر السنية » تجد البيان ويشفي عليلك إن لم يكن مرضك مزمنا .

(حَصَرَ الله تعالى وظيفة النبي في التذكير ، ونفى عنه قوة السيطرة بجملة مؤكّدة ، فمن ادعى ذلك السيطرة والتصرُّف لأيِّ رجل فهو كافر مشرك .)

اعلم أيُّها الأخ - نجاك الله تعالى بفضله عن هذا الاعتقاد الفاسد في أولياء الله تعالى بهذا القول الكاسد - أنَّ مراد المشائخ من قولهم : (إنه تصرّف في فلان كذا . .إلخ) **أنَّ هِمَّته وقصده رجعا إلى الله تعالى بنسيان ما سوى الله تعالى وطلب منه تعالى بتلك الهمَّة القوية سلب شيء [عن] فلان أو جلب شيء إليه ؛** كما قيل : همم الرجال تقلع الجبال .

مهم

إن الأولياء يظهرون في صور متعدّدة

وقد قال شارح « الأشباه » في « نفحات القرب » : إن الأولياء يظهرون في سور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ، ويقع منهم التصرف والكرامة في الحياة وبعد الممات . كذا في « هداية الذاكرين » . وقال العلامة القزويني في « عجائب المخلوقات » : ومنها ؛ أي : من نفوس عجيبة التأثيرات نفوس الأولياء ، فإنها لمّا كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صَدَرَتْ عَنْها آثار عجيبة كما ذكرنا في مقامات الزهاد والعباد والعارفين ؛ من شفاء المرضى باستشفائهم ، وسقي الأرض باستسقائهم ، وصرف الوباء المؤذيات بدعائهم ، وتبدّل نفرة الطيور

بالهدوّ والوقوع[1] ، وَسورة السباع بالبصبصة[2] والخضوع . . . وإلى غير ذلك من الأمور التي تحكى عنهم . عبارته ٨٦ من هامش الجزء الثاني من « حياة الحيوان » .

وفيه أيضاً من هامش المجلد الأوّل : ومنها[3] كرامات الأولياء الأبرار ، فإنّ تأثير نفوسهم تتعدّى إلى غير أبدانهم حتّى يَحْدُثُ عنها انفعالات غريبة في العالم ، فيشفي المريض باستشفائهم ، وتسقى الأرض باستسقائهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم والموتان باستدعائهم ، وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوّ والوقوع ، وصولة السباع وشدتها باللين والخضوع . انتهى عبارته ١٩ .

وقصة إحياء الدجاجة بقول السيد عبد القادر الكيلاني بوضع يده على عظامها : قومي بإذن الله ، وكذا قَتْل رُؤسَاءِ اللصوص بقبقابه ، والحال بينه وبينهم كذا وكذا يوماً مذكورةٌ بالتمام في « الفتاوى الحديثية » . وكذا ما وَقَعَ له من التصرفات الكثيرة مذكورة في« قلائد الجواهر » و« تفريج الخواطر » فراجعهما . وكذا ما وقع من التصرفات العجيبة لأحمد البدوي رضي الله تعالى عنه مذكور في مناقبه .

وكرامات الأولياء حق ثابت بالكتاب والسنة

والوقائع في تصرفات الأولياء أكثر من أن تحصى ، وكلها كرامات وهي معجزات للنبي عليه السلام ، وكرامات الأولياء حقّ ثابت بأدلة الكتاب والسنة ، من أنكرها فقد أنكر الكتاب والسنة . راجع « طبقات الشعراني » ترى العجائب في كراماتهم وتصرُّفاتهم . وراجع أيضاً « قلائد الجواهر » و« روض الرياحين » و« نشر المحاسن » وغيرها .

---

(١) **وفي نسخة** : والوقوف .

(٢) والتبصيص : التملق ، وتبصبص أي : حرك ذنبه .

(٣) أي من أمرٍ عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات .

فحاصل الكلام أنَّ من يصدِّق كرامات الأولياء لا ينكر ما يصدر منهم من التصرفات ، فالله تعالى يكون سمعهم وبصرهم ويدهم إذا أحبهم وأحبوه كما يشهد لذلك حديث « لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل » إلخ . وكراماتهم حقٌّ ثابتٌ بالكتاب والسنة كما ذكر ، من أنكرها فقد أنكرهما ؛ عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات قبائح أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا آمين .

وكتب السادات ناطقة بصدور التصرفات على أيدي الأولياء العارفين كما لا يخفى على من مارس كتبهم ، فالله تعالى هو المتصرِّف عندهم لا بهم ؛ كما أنه هو الشافي عند الدواء لا به ، فافهموا . انتهى . والسلام على من اتبع الهدى وهدي إلى الصراط المستقيم .

وتفكروا هل ترى في هذا فرقاً بين من ينزل الدواء على الداء معتقداً أنَّ الشافي هو الله تعالى ، وإنما الدواء هو السبب الذي يحصل الشفاء عنده ، وهل يقول عاقل : إنه أشرك الدواء في الله تعالى واتخذه ربّاً ؟

فإن أردْتَ حقيقة ذلك أيها الأخ راجع إلى « نور الإنصاف في كشف الخلاف » تشفي عليلك ، ولا تنسب إلى عباد الله المخلِصين المخلَصين الشرك لِئلاَّ يبوء إليك بنصِّ الحديث[1] ، ولا تقرأ الآيات المنزَّلة في حقّ عبدة الأوثان ولا تحملها على الموحِّدين المبرَّئين عن الشرك الخفيّ والجليّ والأخفى ، ولا تجد في كتب أهل الطريق شيئاً مّا إلاّ و يدعون به إلى العبادة الخالصة من الشرك .

فائدة التلقين

وتلقين الذكر إنما هو لمجرَّد تنوير القلب وإيصال المريد إلى مقام الإحسان الذي هو أحد أصول الدين ؛ من الإيمان والإسلام والإحسان ، كما هو مذكور في « صحيح البخاري » ، فإن العبد إذا أكثر ذكر الله يوقد

(١) **أي** : من قال لمسلم : يا كافر فهو كافر . اهـ .

في قلبه مصباحاً ملكوتياً فيرى قبائح أعماله ؛ من الرياء والعجب والكبر وغيرها ، ثم يتشمّر في إزالتها ، فإن الذكر شفاء القلوب كما ورد ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ شاهد عدلٌ على ذلك .

الرابطة عندنا محبة الأولياء

والرابطة التي تنكرها الوهابية عندهم هي الوسيلة إلى خلوص القلب عن غير الله ، وهي عندنا محبة الأولياء والعارفين ، وربط[1] قلوبنا عليهم بُرْهَةً قليلةً كأنهم عندنا ونحن عندهم ، ثم محبة النبي ﷺ وربط قلوبنا عليه كذلك ، ثم النظر إلى القلب بترك التخيل المذكور ، وذكر الله بالقلب بالتفكر ، وكانت هذه الرابطة تحصل للصحابة والتابعين بلا احتياج إلى التكلُّف ؛ فقد ذكر البخري : **أنّ سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه شكى إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه حتى في الخلاء ؛ أي : بحسب الروحانية . وكان أبو بكر يأخذ الحياء منه وهذا هو المقصود الأهمُّ عندنا . وقد رأى ابن عباس صورة رسول الله ﷺ حين نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة .**

مهم

بيد أنه لما تمادى الزمان ، وتكدّرت القلوب ، وقلّت المحبّة احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها ، فأَمَرَ الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلّف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ، ثم عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة ؛ لأنّ العشق والمحبّة يربط قلب المحبّ بالمحبوب ، فيحصل الارتباط الروحانيّ ، وقد يسمّونها نسبة ، ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة لرضاء الله تعالى كما في الحديث : « أَفْضَل الأعمال الحُبّ في الله » راجع « الفتاوى العمرية » .

---

(١) **وفي نسخة** : بربط قلوبنا .

مهم

وقال الحافظ ابن حجر المكي في « المنح المكية » : واعلم أن أفضل الأعمال وأشرفها وسيلةً هو محبَّة نبينا محمد ﷺ ، فإنها سبب لكلّ خير دنياويّ وأخرويّ ، وحينئذ عليك أن تكون ممَّنْ امتلأ قلبه بحبّ النبي ﷺ ، وقال ﷺ « لا يُؤْمنُ أحدُكُمْ حتّى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين » . انتهى عبارته . وقال ﷺ « من أحبني فقد أحبّ الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله » و« المرء مع من أحبَّ » وقال ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي »[١] وعلى المرء أن يحبّ النبي ويتّبعه ويتَّبع أولياء الله « روح البيان » . وفي الحديث الصحيح « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضُّوا علها بالنواجذ » « فتح المبين » عبارته .

مهم

والرابطة عبارة عن المحبة ، والمحبة ربط القلب بالمحبوب كأنَّه حاضرٌ معهم وناظر إليهم على مقتضى قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ أي : جسماً إن أمكن أو روحاً إن لم يمكن على وجه المحبّة الكاملة ، فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ، ويستفيض الأرواح ، فتلك المحبة أصل عظيم لجميع[٢] الكمالات ، وهي كالمغناطيس تجذب صفة المحبوب إلى المحبّ وتجعل أحدهما مثل الآخر ، ولكن تلك المحبة وهبيَّةٌ لا تدخل تحت الاكتساب . راجع « الفتاوى العمرية » و« آداب المرضية » ، وأما ثمرة الرابطة فطرد الغفلة ، ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، وجمع القلب مع الله والحضور معه .

فَبعْد أن ثبت هكذا أوَّلاً محبة الله تعالى لرسوله باتخاذه حبيباً ، ومحبَّة الصديق لرسوله ثانيًا بحيث لا ينفكُّ عنه حتَّى في الخلاء كما مرّ

---

(١) ولنا في رسول الله ﷺ اسوةٌ حسنة في ارتباط القلب مع الله وتأليفها كذلك مع آداب مذكورة ؛ والحمد لله على ذلك .

(٢) لجمع علّه (هامش الأصل) .

قبيل هذا ، وبعد أن ثبت عن النبي ﷺ بوقوف محبَّة الله على محبته ، ووقوف كمال الإيمان على محبته بحديثه المذكور قَبْلُ ، وكذا بعد أمره ﷺ بمحبَّة عباد الله تعالى بقوله « وكونوا عباد الله إخواناً » أي : بتعاونهم وتحابهم ، وكذا بعد أمره تعالى في كتابه الكريم باقتدائهم واتباعهم بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ لم يبق إشكال لمنكر الرابطة ؛ فلعله يتوب إلى الله عمّا سلف منه من محاربة الأولياء ، وجعْله من يرابط المشائخ مثل المشركين الذين يعبدون الأوثان ويتخذون أبعاضهم أرباباً من دون الله تعالى وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الآية . ولعلَّ الأخ المذكور أن يتفكر فيما كتبناه كي لا يبقى له إشكال ، فإن أشكل شيءٌ بعده فاللازم عليك ذهابك لدى من بيده زمامها ، كما هو دأب الإخوان المخلصين لا المعاندين المنكرين ، وأما أهل الورع والخشية من الرحمن فيقتدون على ما نقله أهل الكشف الصحيح ولا يقدرون الإنكار معهم ولو قدر شعرة خائفين من الوعيد الوارد في منكريهم **مع أنهم هم الذين يقترفون أقوالهم من عين الشريعة ويرجعون ويجتمعون برسول الله ﷺ في تصحيح الأحاديث التي ضعّفها المحدّثون من طريقهم** ، فماذا نقول لك إن لم ترض على ذلك . انتهى . والسلام .

حقيقة الرابطة

ثمّ إنّ حقيقة الرابطة المذكورة هي طلب رحمة الله منه تعالى لا من غيره من محلّ نزولها ، كما يطلب أحدنا الماء الذي هو رحمة الله من محلّ جريانه ، فتدبَّر في هذا هل تجد فرقاً مّا بينهما ، والموحّد لا يعتقد تأثيراً لغير الله أبداً ، وطلب تلك الرحمة كطلب المتعلّم رحمة العلم من معلِّمه الذي هو محلّ نزولها ، ولا يخفى عليك ما يفهم من حديث الجليس الصالح والجليس السوء .

والرابطة أثبتها علماء المذاهب الأربعة

والرابطة أثبتها علماء المذاهب الأربعة طُرّاً ، ولم يُنكر عليها إلا من لا يعلم معناها في اصطلاح الصوفية كبعض الوهابيّة ، ومن نحا نحوهم ؛ كنعمان أفندي مع غفلته عمّا قاله والده محمود الألوسي[1] وقد أثبتها الأفغاني ورشيد رضا مع كونهما من رؤساء الوهابية كما هو مذكور في « المنار » . وها أنا أذكر لك ما أدركتُه من كتبهم ، ومن قال بها وحسّنها بالاجمال لتنظر وتتفكّر هل يكون هؤلاء الأكابر على الخطأ وأنت على الصواب ، وهل يقول عاقل إنّ هؤلاء قد خفي عليهم ما في هذه الرابطة ، وأما أنت قد أدركتَ ما فيها من الخطأ مع كونهم من القرون الماضية ، وأنت في هذا القرن الفاسد ؟ ! اللهم نعم ، لعلك أنكرتها لعدم اطلاعك على أدلَّتها وحقيقتها ، وذا منك صلابة دينيّة ، لكن ليس من شأن العالم العامل أن يقف على خطئه إذا ظهر له الصواب .

وها أنا أعدّ[2] أبعاضا من الكتب وقائليها ؛ منهم صاحب « الكشاف » مع انحرافه عن الاعتدال في تفسير قوله تعالى : ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ، **ومن الحنابلة**[3] ؛ كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث « من رآني فقد رآني » . انتهى . ومنهم الإمام عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، وصرح الإمام العالم المحقق الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأواخر حواشه على « شرح المطالع » بصحّة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منهم بعد الموت ، ومنهم العلامة عبد الرحمن الجامي في شرح « الرباعيات » و« النفحات » وفي « رسالة توجّه الخوجكان » ، ومنهم العالم العلامة محمد ابن سعيد الخادمي شارح « الطريقة في رسالة النقشبندية » ، ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » ، ومنهم

---

(١) وقد أثبتها وصرح بحسنها كما هو مذكور في « نور الهداية » بالبسط التام فراجعه .

(٢) **وفي نسخة** : لك .

(٣) **علّه** : من الحنافية .

الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في رسالته المعروف بـ« التاجية » ، ومنهم ابن كمال الوزير ، ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العلية » ، ومنهم صاحب القاموس في « مقدمة البصائر » .

مهم

وقال نجم الدين الكبرى : فالرابطة بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تصفي مرآة القلب بدون رابطة القلب مع الشيخ . انتهى . ومنهم قدوة المُحَقّقين الشيخ عبد الغني النابلسي شارح « الطريقة » في شرحه على « التاجية » ، ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي ، ومنهم العلامة ابن عابدين على شرح « الدرر المختار » ، ومنهم العالم ابراهيم حقيّ الأرض روميّ في « معرفة نامه » ، ومنهم الإمام الرباني في « مكتوباته » ، وكذا ابنه محمد معصوم في « المكتوبات » ، ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مذكي النفوس » ، ومنهم محمد مراد الكابلي في رسالته « النقشبندية » ، ومنهم محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » .

ومن الأئمة الشافعية : الإمام الغزالي في « الإحياء » وفي « البداية » ، ومنهم العلامة ابن حجر في « شرح العباب » ، ومنهم جلال الدين السيوطي في « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » وقال أيضاً في كتاب « المنجلي في تطوّر الولي » نقلاً عن الإمام السبكي ، وقال ابن حجر أيضاً في « شرح الشمائل » وفاقاً لما في « شرح العباب » ، ومنهم الإمام الشعراني في « نفحات القدسية » وفي « أنوار القدسية » و« البحر المورود » ، ومنهم العلامة السفير الحلبي في شرحه على « البخاري » في حديث « ثم حبّب إليّ الخلاء » . إلخ . ومنهم الإمام السهرورديُّ في « عوارف المعارف » .

ومن المالكيّة : صاحب « المختصر » المشهور الجليل العلامة الشيخ خليل من أجلّ فقهاء المالكية ، ومنهم أبو العباس المرسي وهو القائل : **لو حجب عنّي رسول ﷺ طرفة عين لما أعددنا أنفسنا من جملة المسلمين .** ومنهم الإمام ابن عطاء الله الإسكندري في « تاج العروس » ، ومنهم محي

الدين العربي في الباب الثلاثين من « الفتوحات » ، ومنهم الإمام الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في عدة مواضع .

ومن الحنابلة؛ الإمام شمس الدين ابن قيّم في كتاب « الروح » ، ومنهم الغوث عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه وهو الذي قال : قدمي هذا على رقبة كلّ وليّ ؛ أي : وليّ عصره كما قاله الشعراني ، **ومن قال بالرابطة أكثر من أن تحصى** ، وقد صنَّف في حقّها رئيس الطائفة خالد شاه البغداديّ رسالة خاصّة وأقرّها وأثبتها بدلائل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وألَّف الزهدي « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » وألّف الدستري أيضاً كتابه « الرحمة الهابطة » وفيها تأليفات خاصة كـ« الفتاوى العمرية » و« نور الهداية » و« رسالة فصيح أفندي » وغيرها ، وراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » و« مجموعة الرسائل » للزهدي .

مهم

وقد كان الإمام الشافعيّ يقف بين يدي شيبان الراعي كالولد بين يدي المرضعة يرابط ويستفيض منه وكذا كان الإمام النواوي يقف بين أستاذه ، وراجع « الشرح الجلي على بيتي الموصلي » وراجع « السوانح » للشيخ العلامة الشهاب الخفاجي و« تيسير الأصول » لأحمد زين دحلان . ونقل في « الرحمة الهابطة » كلاما شافياً من كلام إبراهيم الدسوقي في حقّ الرابطة ، وذكره الشعراني في مناقبه ، وكذا ذكره أيضاً صاحب « نور الأبصار » ، وراجع كتاب « المضنون الكبير » للغزالي ، و« الفوائد الضابطة » لأحمد سعيد صاحب « زاده » المجددي .

ومن القائلين بها ؛ عبد الحقِّ الدهلوي والشيخ جبرائيل الحزب الأبادي ، راجع رسالة « نفحة المحمَّديَّة » ، والشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في « الحديقة الندية » و « البهجة الخالدية » ، والقطب زين الدين الحافي في « الوصايا القدسية » ، والشيخ محمد باقي بن شرف الدين الحسيني العباسي الأهوري في « كنز الهدايات » ، والشيخ نعمة الله

بن عمر في رسالته « المدنية » ، والشيخ ابن سليمان الطرابلسي في « مرآة العرفان » ، والشيخ على ابن عبد النبي العشاقي في « الحبل المتين » ، والعلامة ابن حجر في « شرح الهمزية » عند قول الناظم :

وأملاء السمع من محاسن . . . .

والشيخ محمّد مفتي الخادمي في « رسالته العليَّة في آداب الطريقة النقشبندية » ، والعلامة المحقِّق البياني ، وخاتمة المفسرين محمود الألوسي في « الفيض الوارد » ، والإمام المحدِّث الشاه أحمد وليّ الله الدهلوي في « القول الجميل » ، وقد شيّد ما فيه نجل العالم المحقق صاحب « التحفة الاثنى العشريّة » الشاه عبد العزيز قدس سره والشيخ العلامة الأردبي شارح « المشكاة » في « رسالته المكيّة » ، ونقله الدستري في « الرحمة الهابطة » ، والشيخ أحمد بن ابراهيم ابن علان الصديقي في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري ، والعلامة ابن أبي داود الحنبلي صاحب « تحفة العباد » في كتابه « آداب المريد » والعالم الشيخ إبراهيم فصيح الجدري البغدادي في المجلّد الثالث ، والشيخ خالد العثماني في « الرسالة الخالدية » في الرابطة ، والشيخ العارف الوارث المتمكّن أبو مدين المغربي رضي الله عنه في قصيدته ، والشيخ أحمد ابن علان في شرحه على « القصيدة المدنية » ، وفي شرح قصيدة الشيخ ابن بنت الميلق والشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانويّ في « جامع الأصول » وفي « المتممات » ، وراجع إلى « البهجة السنية » و« تحفة الأحباب » و« الحدائق الورديّة » و« الدرر المكنونات » و« السفر الاسنى » و« تنبيه السالكين » و« البروج المشيدة » و« تلخيص المعارف » و« خلاصة الأدب » وغيرها ممّا يطول بذكرها الكلام .

وممّن قال بالرابطة جنيد البغدادي رضي الله عنه الذي أجمع القوم على أن طريقه أقوم الطرق كما صرّحه الشعراني في « اليواقيت » ، وناهيك هذا التعبير من هذا النحرير .

وقال الشعراني في « البحر المورود » : واعلم يا أخي أنّ ربْط أحدِنا قلبَه بشيخه حيٍّ أو ميّتٍ ينفعُنا ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله سبحانه

شيخا لاستناده إلى الله تعالى لا لذاته ، كما نقله الدستري في « الرحمة الهابطة » . والنصوص وكلام العلماء والمشائخ بهذا المعنى أكثر من أن تحصى ، وفيما ذُكِرَ كفاية لمن تأمَّلَ وترك التعصّب في دين الله تعالى وأناب إلى الله ، **والاعتماد على أقوال هؤلاء الأكابر أحرى وأوجب من الاعتماد على قولكم .**

أيّها الأخ – تاب الله عليك بفضله – ولم نَجِدْ في الكتب ما يُخالف أقوالهم سوى ما في « المجالس الإرشاديّة » وذا ينبئ عدم معرفة[1] مؤلِّفه معنى الرابطة في اصطلاح الصوفية ، اللهم نعم قد وقع السؤال والجواب بين نعمان أفندي الألوسي وبين رئيس الوهابيّة حسن خان بهوبال ، وبذا ألّف محمّد أسعد كتابه « نور الهداية » ، ولم يترك فيه قولاً لقائل بعد ذلك ، وقد وقع كلامهما سبباً لإيقاع الشبهة في قلوب الخلق الذين لا يعلمون كيفيّة الرابطة ومعناها .

مهم
والحال أنك ترابط ليلاً ونهاراً

ثمّ اعلم أيها الأخ – عفى الله عنك – أنك صرَّحْتَ فيما كتبتَ إلي واحد بأنّ الرابطة أشدّ من قتل مسلم ، وأنك صرّحتَ أيضاً بأن فاعل الرابطة مشركٌ . فَتَفكَّر في قولك مع ملاحظة ما ذكرناه إلى هنا لعلّك تتذكّر أو تخشى إن كنتَ مسلماً سليم القلب ، والحال أنك ترابط ليلاً ونهاراً بعيالك أو حريفك أو مواشيك أو زوجتك أو ولدك ، ولا يخلو لك وقت مَّا ، بل ولا صلاة واحدة إلاَّ أنّك ترابط تلك المذكورات وأمثالها ، ومع ذلك لا ترى ذلك شركاً ، ولا تعدّه شيئاً مكروهاً منكراً ، ولكنّك تنكر رابطة الأولياء التي هي الركن الأعظم من طريقهم الذي هو عين طريق الإخلاص وعين الخلاص من الشرك الجليّ والخفيّ ، فهلاَّ تركْتَ هذا الإنكار وأنكرتَ بدل ذلك على شارب الخمر وبائعه وعاصره وغاصب الأموال . . . وإلخ .

---

(١) كما يصرح ذلك في آخر كلامه (منه) .

وصَرَّحْتَ أيضاً بأنّ مَن اتّخذ شيخاً اتخذ من دون الله أرباباً ، اعلم أيها الأخ العالم أنَّك قرأت العلم من الأستاذ ، ولم تصر عالماً إلا بالتعلُّم منه ، وعندك في الحال من يتعلمون العلم منك ، ولست أنت ولا أحد من الخلق يقول : إن ذلك اتخاذ ربّ من دون الله ، بل تعدّونه من الأمور المحبوبة ، وترابطون قلوبكم وقت التعلم بأستاذكم ، وبعد ذلك ترابطون قلوبكم به بالمحبة وتعدّونه أيضاً من محاسن الشريعة ، فأعطِ مِنْ نَفْسِكَ الإنصَاف ، ولا تُنْكرْ بما تعلمُ من نفسك .

مهم

وتفكَّرْ هَلْ في طلب علم الإخلاص وكيفية علاجِ الأخلاق المذمومة من الشيخ المرشد الذي مشى في طريق الإخلاص زمناً ، ورأى مهالكها ، وعلم مخفيات مضارّها ، وبين طلب علم الظاهر ممّن يعلّمها فرق تجده ، وأرجوك لا تجد بينهما فرقاً مّا لتعدّ هذا اتخاذ رب من دون الله ولا تعدّ الأخرى ، بل تعدّه من أوجب الواجبات ، فانظر ماذاً ترى أيها الأخ المرجوُّ للاستقامة لا يخفى عليك أنَّ ما يفعله ويعلِّمه مشائخ الطريقة هو تعليم كيفيّة خلوّ الباطن من الشرك الخفي وخلوصها عن الأخلاق المذمومة والغفلة الدائمة المتراكمة ، وكلّهُمْ يأمرون المريدين بملازمة الذكر ليلاً ونهاراً قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، بل يعدّون الغفلة من أعظم الذنوب ، كما هو مذكور في كتبهم .

وأدنى ما يحصل للواحد منهم أن لا يغفل عن الله تعالى حتّى في الخلاء ولا يقف فيه لحظةً إلاّ ويذكر معه لفظة الجلالة ، ويقف على باب قلبه ولا يتركه يخطر شيئاً ممّا سواه ، فإن خطر يتوبُ إلى الله تعالى كما يتوب المذنب ، واستاذه يأمره كذلك ويقول : إنَّ الغفلة عن الله من أعظم الذنوب عند أهل الله ؛ والله تعالى قال : ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ وقال : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وقال : ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وقال : ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وقال : ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ . . إلى غير ذلك من الآيات الأخر في معانيها ، **فما يفعله المريد ويأمره الشيخ به هو اتباع أمر الله واجتناب**

نواهيه ، فهل ترى في هذا شيئاً تطعنه ؟! وهل فيه شيء يخالف الكتاب والسنة ؟! وقد نُصِبْتَ قاطعاً لهذا الطريق بجهدك وطارداً عباد الله تعالى عن العبادة والذكر والدعاء والورد في المساجد؛ وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ﴾ الآية ، وتريد إطفاء نوره ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ﴾ . .إلخ .

وإن أَرَدت أن تذهب شبهات ما كتبت من الآيات التي اتخذها الواهبيَّة مستندةً لشبهها فراجع « نور المقايس » و« شواهد الحق » و« الدرر السنية » ولا تقل : (هم رجال ونحن رجال) كما يقوله الوهابيّة ، نعم أنتم رجال مثلهم في الرجوليّة لا في صفة أخرى من المعارف والعلوم ، وقد عَرَّض الصاوي في كل واحدة منها وصرَّح بما يردّها ، والله يحقّ الحق ويبطل الباطل .

مهم

والتقليد بالطائفة الوهابية بترك التقليد بأئمة الشرع أو الادّعاء بالاجتهاد شيءٌ عجيبٌ ، فما أعظم[1] ما وقع من جهتكم من هذه البلية في هذا الدين المتين ؟ ! ، ولا عجب ، فقد وقع أعظم منه في جزيرة العرب والمكة المكرمة ، وقد صارت هذه الطائفة سبباً للفتن قديماً وحديثاً ، وما حصل بهم ؛ من قتل العلماء ، ونهب الأموال ، وإفشاء الزنا ، وشرب الخمور ، ونبش قبر بعض الأنبياء واتخاذه محلاًّ لقضاء الحاجة ، وتحقير الأنبياء والاولياء ، ومَنْعِهم الناس من زيارة قبر النبيّ ﷺ ، ومنعهم عن قرائة « دلائل الخيرات » ، وقتلهم المؤذن بعلّة أنه صلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الآذان ، ومنعهم الناس عن الدعاء بعد الصلاة وغيرها من الفتن الواقعة في جزيرة العرب والمكة المكرّمة مذكورة في « الدرر السنيّة » .

---

(١) **وفي نسخة** : فما أعجب .

وأما ما حَصَلَ منهم في هذه السنة ١٣٤٣ ؛ ظهرت الفتنة بسببهم في أوائل صفر في الطائف على بعد مرحلتين في شرق مكة ، وقتل فيها نحو من ٦٠٠ رَجُل من أهل مكة والطائف ، ونهبت أموالهم ، وانقطعَت الطرق ، وبينهم وبين العلماء قديماً وحديثاً جدالٌ طويلٌ كما هو صريح ما وصل من طرف من كان متوطناً في مكة من رجال أوار في رجب سنة ١٣٤٤ بالغوج[1] ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون . انتهى .

ومكّة في الحال في أسر الوهابيّة ، بيد أنه لا يظلمهم ، بل يعتذرهم عمّا وقعَ بينهم من القتل والنهب بواسطة الوهابية من قبلُ وفي الحال ؛ عصمنا الله وأحبابنا من صنيعهم ، ورزقنا وإياهم المتابعة بالرسول السيد الكريم في القول والفعل والحال ، وأنار بواطننا بأنوار الرابطة معه عليه السلام ، ومع الأولياء والمشائخ العارفين الواصلين ، آمين يا مجيب برحمتك يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .

معرفة النفس فرض عين

ثمّ اعلم أنّ معرفة النفس فرض عين لكلّ فردٍ من أفراد الإنسان ؛ لأنّ معرفة الربِّ موقوفة على معرفة النفس ؛ لقوله عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، ونقيضه : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربّه ، فمعرفة الرب فرض عين ؛ لأن عبادة الرب تعالى تتوقّفُ على معرفته تعالى ؛ لأنّ من لم يعرفه لم يعبده ، وعبادة الرب فرض عين ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، ولإنّ معرفتها باب لمعرفة الله تعالى بمقتضى حكم الله تعالى ، وكلَّما يتوقف عليه فرض فهو فرض ، فمعرفة النفس فرض عين بالأدلّة الأربعة ، فمن جهل بمعرفة النفس فهو أجهل بمعرفة ربّه ، فلا بُدّ من معرفة نفسه حتّى يعرف ربه ، **فتلك المعرفة لا تحصل إلا بالوقوف على القلب والرابطة بالمشائخ** .

---

(١) لعلّها محلّة في مكة (غَازْ – سِكْتُرْ غَازْ) .

ولا يظنُّ ظانٌّ أنَّ تلك المعرفة تحصل بقراءة الكتب الشرعيّة ومطالعة كتب الصوفية من غير مجاهدة بالأعمال الصالحة وغير تزكية النفس عن الشواغل البدنيّة ، فهيهات أن ذلك الظنّ يعطي له معرفة أو كشفاً أو شهوداً ، **فبدوام السالك على الرياضات والمجاهدات تتصفَّى روحه عن الكدورات العنصريّة ، وتتزكّى نفسه عن القذورات الطبيعيّة ، وتتطهَّرُ ذاته عن الأحداث المعنويّة المانعة من التقرب إليه تعالى** ، ويتشرّق ذهنه ويتجوهر روحه بالأنوار الإلهيّة ، **وبعد ذلك يصير عارفاً بنفسه ومشاهداً لربه ، ويتجلّى له ربّه على الدوام في الباطن والظاهر ، ويكون معه تعالى على كلّ حال بمضمون** قوله ﷺ : « لي مع الله وقتٌ لا يسعني ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل » راجع إلى « جامع الأصول » ففيه البيان .

حماية القلب واجب

وهذه الأحوال وحصول معرفة النفس لا تحصل إلا بحماية القلب عن وساوس الشيطان ، وحمايتُه منها واجبٌ ، وهو فرض عين على كلّ مُكلَّف ، **وما لا يتوصّل إلى الواجب إلا به فهو واجبٌ** « إحياء » فالرابطة و الوقوف القلبيُّ واجبان ومتَّحدان في حماية القلب بدفع الخواطر ، فثبت بالمذكورات كلّها إلى هنا كون معرفة النفس بمعرفة القلب ، وكون معرفة الرب بمعرفة النفس ، وكون معرفة القلب بحفظه[1] ، وكون حفظه بالوقوف القلبي ، وهو[2] أن يقف الذاكر على قلبه عند الذكر ليردّ عنه الغفلة والخواطر ، وإن لم يقف على قلبه عند الذكر لم يحصل فيه الحضور بالمذكور ولو كان يذكر الله طول عمره ، فثبت بهذا المذكور تحقُّق حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه بالوقوف القلبيّ .

---

(١) عن دخول الأغيار فيه وتعطيله عن الأفكار .

(٢) **أي** : الوقوف .

إن التصوّف هو القدرة على حماية القلب

واعلم أنّ حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمرٌ عظيم عند الصوفية ؛ لأنّ من قدر على ذلك فقد تصوّف ؛ لأنّ التصوّف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه وتعطيله عن الأفكار ، **فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه ، ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربّه ، وبالرابطة معرفة قلبه وحفظه** . كذا ذكره صاحب « البهجة » فيها .

حقيقة الوقوف

وحقيقة الوقوف القلبي المذكور أن يعطِّل السالك جميع حواسّه وقواه عن أحكامها ، ثمّ يتوجّه بالتوجه التام مع العزم والاهتمام إلى حقيقة قلبه ، ويستمرّ على التَوجُّه التام من غير فتور ولا ذهول ، ولا يُدخل في قلبه الخواطر ؛ من خير وشرّ حتّى يرجع القلب إلى صفته الأصليّة ؛ **لأنّ القلوب في خلقتها الأصلية كانت على مشاهدة الحق سبحانه وتعالى ، لكنَّها بسبب تعلّقها بالأبدان حجبت عن المشاهدة الأصليّة ، فإذا انقطعت عن تعلّقات الأبدان رجعتْ إلى صفتها الأصليّة** ، ولا تزال بعد ذلك عن تلك الصفة راجع « الخواجكان » ، **فذلك الرجوع هو معرفة القلب ومعرفة الرب** . وبعد الملازمة على التوجّه إلى حقيقة قلبه على الدوام لا يبقى فيه إلاّ الانجلاء الروحاني الغير المقيّد بشيء من الأجسام وعوارضها ، ولا يرى حقيقة قلبه في تلك الحالة إلاَّ نوراً بسيطاً محتوياً بجميع ما كان ويكون ، منسبة إلى بارئها ،

مهم

لأن جهل النفوس بذواتها وبارئها إنما نشأ من الشواغل البدنية والعلوم الرسمية وغواش أحكام القوى والحواس ، فلذلك قال الجنيد البغدادي قدس سره : التصوّف هو أن يجلس ساعة متعطِّلاً عن ملاحظة شيء . كذا ذكره المشائخ العارفون الواصلون إليه تعالى .

تفكَّر أيّها الأخ هل في هذا شيء منكر - رزقك الله الاستقامة - ومن المعلوم المجرّب المحقّق بان التطهير من النجاسة المعنويّة وأدناس الطويَّة ، والحضورَ والخشوع في الصلاة وسائر العبادات بمشهد « أن تعبد ربَّك كأنّك تراه » المعبَّر عنه بمقام الإحسان لا يتيسَّر إلا بالسلوك على يد شيخ كامل عالم بعلاج هذه الأمراض ، ولأجله أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يُرْشدُهُ إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه ؛ لتصحّ صلاته من باب : **ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجبٌ** ، ولا شكّ أن علاج(١) أمراض الباطن كلّه واجبٌ كما تشهدُهُ الآيات والأحاديث الوارِدَة في تحريمها ، والوعيد بالعقاب عليها . **فعلم أنّ كلّ من لم يتخذ له شيخاً يرشدهُ إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ لله ورسوله** ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلّف لا ينفع بغير شيخ . راجع إلى « جامع الأصول » و« الأجوبة المرضيَّة » و« لواقح الأنوار » و« البروج المشيدة » و« تلخيص المعارف » و« خلاصة الأداب » و« تنبيه السالكين » إلخ .

مهم

واعلم أيها الأخ أنّ الله تعالى خلق الخلق لطاعته وعبادته وعرفانه كما نطق به الكتاب ، وحقيقة العبادة خشوع وخضوع وحضور ، وهي موقوفة على السلوك ، ومن لم يكن له نصيب من طريق الحقّ من السلوك فلا نصيب له من المعرفة ، كذا ذكروه في كتبهم ، وقال صاحب « البهجة السنية » فيها : فالعبادة عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى بلا شعور الغير ، ولا تحصل هذه السعادة العظيمة بغير تصرّف الجذبة الإلهية ، ولا سبب لك في تحصيل الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة . انتهى عبارته .

---

(١) فالعالم بالعلم الظاهر فقط لا يقدر على علاج قلبه فكيف لغيره ؟! « جامع الأصول » .

وقال الإمام الغزالي في « الإحياء » : علم أحوال القلب وعلاجها هو علم الآخرة ، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة ، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا . فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا ، وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة . انتهى . راجعه .

وقال الإمام الشعراني في « لطائف المنن » بعد كلام ، وكذا في « لواقح الأنوار » : فاسلك يا أخي على يد شيخ ليدلَّك على طريق الوصول إلى الحضور والخشوع ، وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، والمراد بذكر الله هنا شهود العبد ربّه بقلبه ، أو علمه أنه في حضرته تعالى والحقُّ ناظرٌ إليه ، فمن صلّى كذلك نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر خارجها لاستصحاب شهود أنّ الله تعالى يراه التي هي حضرة الإحسان . انتهى .

فمن البيّن أنَّ الحضور والخشوع المذكورين ممّا لا يحصلان للسالك إلا بعد تصفية القلب عن كدورات السوى . وفي « طفل المعاني » : وصفاء القلب أن يصفي قلبه من كدورات البشريّة ؛ مثل الغفلات التي تحصل في القلب ، وتصفية القلب من هذه الكدورات لا تحصل إلا بملاحظة ذكر الله تعالى بالتلقين كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي : خشيتْ ، والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله . انتهى . قال النبي ﷺ : « لا ينظر الله إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » **فيحتاج إلى العالم الذي يكون علمه آلة للتصفية ، وهو علم التصوّف** الذي يحصل من تلقين المشائخ الذي جاء من عند الله بأمر الله وبإذن من رسول الله . انتهى . « سلسلة الأرواح » . عبارته . وفي « الطبقات » **من دخل الدنيا ولم يصادف رجلاً كاملاً يربِّيه خرج منها وهو متلوّث ولو كان على عبادة الثقلين** . انتهى عبارته .

ثمّ اعلم أنه لا يمكن لكلِّ أحدٍ أن يُزَكِّي نفسه عن الصفات الحيوانية إلا بأن يسلك في طريق الصوفيّة التي هي طريق تهذيب الأخلاق والتصفية « خواجكان » ولقد ذكرنا قبيل هذا أنّ القلوب في خلقتها الأصلية كانت على مشاهدة الحقّ إلى آخر ما مرّ ؛ **فلأجل ذلك كان السلف يجتهدون في قطع الخلائق ورفع الشواغل والعلائق عن القلوب ، ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبَّة خالقه** . كذا في « جامع الأصول » وكلّ عبادة لا تجمع العبد بقلبه على الله تعالى ليس بعبادة ، فلا أجر فيها « لطائف المنن » .

وبالجملة فمن لم يكن بوَّاباً لقلبه لا يعرف ما يدخل وما يخرج ، فهو في خسران منه . وفي « جامع الأصول » أيضاً : ثلاثة أشياء لا تزن عند الله جناح بعوضة ؛ **أحدها** : الصلاة بلا خشوع وخضوع . **والثاني** : الذكر بالغفلة ؛ لأنّ الله لا يقبل دعاء وذكرا من قلب غافل . **والثالث** : الصلاة على النبي ﷺ من غير حرمة ونيَّةٍ كما قيل . قال عليه السلام : « إنّما الأعمال بالنيَّات » . وفي « الأنوار القدسية » : والصلاة محلُّ المناجات ، لا تقبل الالتفات لغير الحق .

وقال الإمام الغزالي : الغافل في الصلاة تارك لها ، فكما أنّ من ترك الأفعال الظاهرة يقتل بسيف الشريعة ، كذلك من ترك الأفعال الباطنة يقتله الجبار يوم القيامة ؛ لحديث : « اُعْبُدْ رَبَّك كأنّك تَرَاهُ » . فالعبادة مع شهود صريح أو تخيُّل شهود صحيح . انتهى . وفي « الإحياء » بعد ذكر الحكايات في الخشوع في الصلاة : فدلّت هذه الحكايات والأخبار أنّ الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب ، وأن مجرّد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد . انتهى . فالفقيه يفتي بالصحّة[١] إذا أتى بصور الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أوّلها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكّر في حساب معاملته في السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع

---

(١) **أي** : الصلاة (هامش الاصل) .

في الآخرة كما أنّ القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكنَّ الفقيه يفتي بالصحَّة ؛ أي : إن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير ، **فأمّا الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرّض له الفقيه** . انتهى . **والخشوع من فروض الصلاة**(١) **عند الغزالي . والحضور عندنا ليس شرطاً للإجزاء ، بل شرط للقبول** كما قال الرازي « مراح لبيد » . انتهى كتاب « معرفة الرحمن » .

اعلم أيها الأخ العالم أنّ أدلّة اشتراط الخشوع وحضور القلب كثيرة ؛ فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ وظاهر الأمر الوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره ؟ ! وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ نهيٌ ، وظاهره التحريم ، وقوله عز وجل : ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ تعليل لنهي السكران ، وهو مطّرد في الغافل المستغرق الهمِّ بالوسواس وأفكار الدنيا ، وقوله تعالى ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ وقوله ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » وقوله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » وصلاة الغافل لا تمنعُ عن الفحشاء والمنكر ، وقال ﷺ « كم من قائم حظُّه من صلاته التعب والنصب » وما أراد به إلا الغافل ، وقال ﷺ « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها » راجع « الإحياء » كذا ذكره الغزالي فيه في المجلّد الأوّل .

فعلمتَ أيّها الأخ مما ذكرناه اشتراط الخشوع وحضور القلب في الصلاة وسائر العبادات البدنية ، وكون المدار على ذلك مع ما فيهما من الثواب الجميل والأجر الجزيل ، وتفكَّر كيف يكون خشوعك وحضور قلبك في صلاتك وسائر عباداتك ، وفي أيِّ مدة تقدر حفظ القلب من الخواطر الرديئة والأوهام الساترة(٢) ، وإرجاعه إلى صاحب الكلام والمناجاة معه

---

(١) قال النبي ﷺ : لا صلاة إلاّ بحضور القلب . « طفل المعاني » .

(٢) **وفي نسخة** : السائرة .

بالآداب المعتبرة عند أرباب القلوب ، وعلمت أيضاً أن الله تعالى لا ينظر إلى صورنا الظاهرية وإن غسلناها بالصابون ألف مرّة في كلّ يوم ، بل هو مطَّلع على ضمائرنا وسرائرنا ، ولا يخفى عليه شيء مّا من جزئيّاتنا وكُلّيَّاتنا ، وأنه تعالى منعمنا ورازقنا ، وبيده مقاليد أمورنا ؛ من النفع والضر والخير والشر ، مع أنَّ شكر المنعم واجب علينا ؛ وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله لنا من الأعضاء الظاهريَّة والباطنية إلى ما خُلقَ له . فتفكّر الآن لأيّ شيء خلق القلب والعين واللسان . . إلخ . .إلخ . وإلى أيّ شيء نصرّفها ، فإلى متى هذه القسوة والهذيان ، وفي أيّ زمن نعالج ونصلح منظر الخالق تعالى ونطهِّره من الأخلاق الذميمة ، **فمعلوم أنك لا تقدر تزيينه وتطهيره منها ومن النجاسات المعنوية إلاّ بصحبة شيخ واصلٍ عارفٍ بالطريق وكيفية المعالجة** ، وهو طبيب الأمراض القلبية ،

مهم

كلامهم شفاءٌ

وإزالة العلل الباطنية منوطة بتوجُّه هؤلاء الأكابر ؛ كلامهم شفاءٌ ونظرهم شفاء ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وأنهم جلساء الله ، بهم يمطرون وبهم يرزقون ، ورأس الأمراض القلبية ورئيس العلل الباطنية هو تعلق القلب وارتباطه بدون الحقّ سبحانه ، فلو بدّلت الصحبة وتركتَ الإنكار لكان لك نصيبٌ ممَّا لهم ، ولدخلتَ في زمرتهم كما قيل : تصديق الولاية ولاية .

ثم اعلم أيها الأخ – عَصَمَك الله عمّا يُصِمُّكمْ – أنّ الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة وعرضتْ لعضو من أعضائه آفة يسعى سعياً بليغاً حتى يندفع عنه ذلك المرض وتزول عنه تلك الآفة ، وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلُّق القلب بما دون الحق جلَّ وعلا

على نهج كاد يوقعه في الموت الأبديّ ويلقيه في العذاب السرمديّ ، وهو لا يتفكّر في إزالته أصلاً ولا يسعى في دفعه قطعاً .

عقل المعاد

فإن لم يعلم أنّ هذا التعلق مرض فهو سفيه محض ، وإن علم ، ومع ذلك لا يبالي به فهو بليد صرف ، ولأجل إدراك هذا المرض لا بُدّ من عقل المعاد ، فإن عقل المعاش لا يُدرك المرض المعنوي ، ولا يراه مرضاً بواسطة ابتلائه بالتلذذات الفانية وانغماسه فيها ، كذلك عقل المعاد لا يحسُّ الأمراض الصورية ، ولا يعدّها أمراضاً بسبب رجائه المثوبات الأخروية . عقل المعاش قصير النظر ، وعقل المعاد حديد البصر ، عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم السلام ، وعقل المعاش مرغوب الأغنياء[1] وأرباب الدنيا ، شتّان ما بينهما . والأسباب المحصّلة لعقل المعاد ذكر الموت وتذكّر أحوال الآخرة ومجالسة قوم تشرّفوا بدولة فكر الآخرة .

مهم

ينبغي أن يعلم كما أن مرض الظاهر موجب للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعيّة ، كذلك مرض الباطن مستلزمٌ لذلك ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ والمستلزمُ لذلك العسر في الظاهر ضعف القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلاَّ فليس في التكاليف الشرعية عسر أصلاً ، بل كلُّها تخفيف وتمام اليسر والسهولة . وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى . شعر :

ما ضرّ شمس الضحى في الأفق طالعة　　أن لا يرى ضوئها من ليس ذا بصر

---

(١) وفي نسخة : الاغبياء .

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذاق فرضاً ، ما على الرسول إلا البلاغ . فإذا كان الحال كذلك ينبغي للعاقل أن يصرف حياة أيام معدودة في مرضيّات الله سبحانه وتعالى ، **وأيّ صفاء في عيش وأيّ لذّة في معيشة إذا لم يكن مولى العبد راضياً عن أفعاله** ، والحق سبحانه مطّلعٌ على الأحوال الكليّة والجزئيّة وحاضر وناظر ، فينبغي أن يستحي منه ، فإنّه لو ظنّ اطّلاع مخلوق على العيوب والأفعال القبيحة لما صدرتْ منه حينئذ قبيحة ولا عيب قطعاً ، ولا يراد اطلاعه على الغيوب[١] .

مهم

فأيّ إسلام ؟!

فأيّ بلاء وقع ، فإنّ أكثر الناس لا يتّقون ، ولا ينقبضون ، ولا يبالون ، مع علمهم بحضور الحق سبحانه واطلاعه على الضمائر والسرائر ، فأيّ إسلام هذا حيث لا اعتبار للحق عندهم مثل اعتبار هذا المخلوق ؟ ! نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . وينبغي لنا أيضاً أيّها الأخ السائل ، العمل والاجتهاد في طاعة الله تعالى بتخلية البواطن عن الرزائل ، وتحليتها بالفضائل ، واحترازنا من المشاركة معه تعالى في صفة ؛ من صفاته مثل الكبر ونحوه ؛ لأن بقاء الدنيا قليل جدّاً ، وعذاب الآخرة شديد في الغاية ودائم ، **وعلينا استعمال العقل والفكر بِهَلْ يكون الأولياء والمشائخ الذين هم بين أقطاب وأوتاد على الخطاء والعصيان ، وأنتم على الحقّ والصواب ، وأن لا نغترّ بطراوة الدنيا الخالية عن الحلاوة ، فإن كانت العزّة والأفضليّة بسبب الدنيا فينبغي أن تكون الكفار الذين لهم حظٌّ وافرٌ من الدنيا أعزّ وأفضل من الكلِّ ، والانخداع بظاهر الدنيا من عدم العقل** ، وإنما اللائق بالعاقل أن يغتنم فرصة أيام قليلة ، وأن يجتهد في تلك الفرصة اليسيرة في تحصيل مرضاة الله تعالى ، والإحسان إلى خلق الله عزّ وجلّ ،

---

(١) ولا يريد اطلاعه على العيوب . (علّه) .

فإنّ التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله كليهما أصلان عظيمان لأجل النجاة من عذاب الآخرة ، وكلما أخبر به المخبر الصادق فهو مطابق لنفس الأمر ليس بالهزل ولا بالهزيان ، فإلى [متى] يمتدّ نوم الغفلة والغرور ، أليس آخره وعقباه إلى الفضيحة والحرمان ؛ قال الله سبحانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وإني وإن كنت أعلم أنّ وقتك لا يقتضي استماع أمثال هذه الكلمات لكونك أسيراً بحبّ الطائفة الوهابيّة - خذلهم الله - بنسج عروق شبههم في قلبك ، ولكونك في عنفوان الشباب والتنعُّمات الدنيويَّة ميسّرة والحكومة والتسلُّط على الخلق حاصلة ، ولكنَّ الشفقة على أحوالك كانت باعثة على هذا القيل والقال ، أرجوا الله تعالى أن يجعلها لوجهه الكريم ، وأن يَمُنّ علينا بما منّ به على الأولياء والمشائخ والصالحين البررة الأتقيَاء ، وأن يحشرنا معهم في زمرة النبيين ، ورزقنا التصديق بعلومهم ومعارفهم . آمين[1] . والسلام[2] .

---

(١) من أخيك الحقير محمد العالم نور محمد العسوي .

(٢) **أيها الأخ** لعلّك تذكَّر أو تخشى وتقبل النصح ، فإن لم تذكَّر ولم تخش من الله ولم تقبل النصح فلا كلام معكم سوى قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ وقال ﷺ : « إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوًى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخصوصية نفسك » وقال الشيخ الصفدي :

ولا تجادل فماذا وقت معرفة   وقت المحال وأيام المرآءت

وقال أيضاً بعده :

لم ينبت الزرْعُ في الأرض السباخ   ولا القيعان تمسك ماءً للمخرات

وقال أيضاً : إن لمْ تجدْ منصفا للحق دعْه إلى . . . . مولى الموالي ومساك السماوات .

وقال ﷺ : « يأتي على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمرة » رواه الترمذي ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ هذا والسلام للكاتب العسلي .

الأجوبة الوهبيّة

للمسائل الوهميّة

جهد المقلّ اليعسوبي
سامحه الله تعالى
من فرطاته
آمين

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، الناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

وبعد؛ فيقول العبد الحقير ذو التقصير الكثير محمّد [بن نور محمد العسلي] اليعسوبي - رحمه الله إفلاسه - لما رأيت في كتب الطريقة النقشبنديّة ما يُوهم التناقض بين ما فيها وبين ما يستعمله أربابها من الأذكار ، من حيث التلقين والاستعمال ، وصار طلاب الآخرة السالكون في سلسلة مشائخ تلك الطريقة متحيّرين في جوابها ، وكثُر سؤالهم عنها ؛ أَرَدتُ تَبْيين تلك المواضع وكتبة الأجوبة لها إزالَةً لظلمة شبهَاتهم ؛ وهي هذه المسائل الثلاث المذكورة بعدُ ، فكتبتهَا وَصَارت كتاباً مستقلاً - بحمد الله تعالى - فسمّيته :

بـ « **الأجوبة الوهبيّة للمسائل الوهميّة** » .

المسألة الأولى : أنه قد تعنعنت أذكار الطريقة النقشبندية عن الصّديق الأكرم بالقلب ، سواء كان الذكر باسم الذات أو النفي والإثبات بلا فرق ، وَعليه عمل المشائخ الخوَاجكانية سلفاً وَخلفاً بلا شذوذ أحد منهم ، كما صرّحوه في غير موضع واحد .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « متممات جامع أصول الأولياء » : **واعلم** أنّ الذكر الوارد معنعناً أنواع ؛ **الأوّل** الذكر الخفيّ القلبيّ ، فهو اسم الذات ، وهي لفظة (**الله**) بالقلب . وأمّا **الثاني** الوارد معنعناً الخفيّ القلبيّ أيضاً ، فهو بالنفي والإثبات بكلمة (**لا إله إلا الله**) قلباً بعد رسوخ الذكر في اللطائف .

وقال صاحب « سلسلة الذهب » فيه : وكلاهما ؛ أي : النفي والإثبات واسم الذات ، يتلقَّنُ بالقلب الحقيقيّ . ومثله في سائر الكتب الخواجكانيّة - قدس الله أسرار أربابهم .

ومع هذا المذكور قال صاحب « الحدائق الوردية » فيه ما نصه : اعلم أن الإمام بهاء الدين الشاه نقشبند أخذ الذكر الخفيّ عن روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه .

أن الذكر الخفيّ لم يكن قبل تلقين الخضر عليه السلام

وفي « الرشحات » ما حاصله : إن الخواجه عبد الخالق الغجدواني تلقَّن الذكر القلبيّ أيّام شبابه عن الخضر عليه السلام ، فكان يواظب على الذكر المذكور ، وقَبِلَه حَضرة الخضر عليه السلام للولديّة ، وأمره أن يخوض في الحوض ، وأن يقول بقلبه تحت الماء (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) ، ففعله الخواجه ، وأخذ منه ذلك واشتغل به هنالك ، ففتح له أنواع الفتوح والترقيات فوق إدراك المدارك . يفهم من هذا أن الذكر الخفيّ لم يكن قبل تلقين الخضر عليه السلام لعبد الخالق الغجدواني .

وفي « تحفة الأحباب » شرح « سلسلة الذهب » ما يؤيده ، وهو ما روي فيه : **أن خواجه يوسف ومشائخه قدّس الله أسرارهم كانوا من أهل الذكر الجهريّ ، لكنه لم يعلّم الخواجه عبد الخالق بالذكر الجهري ،** بل تركه عَلى ما علّمه الخضر عليه السلام من الذكر الخفي ، فلذا قيل : إن الخضر شيخه بحسب تعليم الذكر ، والخواجه يوسف بحسب التربية والصحبة . انتهى .

وعبارة صاحب « الرشحاة » فيه : ولمّا قدم الخواجه يوسف الهَمداني إلى بُخارٰى أحضر الخواجه عبد الخالق صحبته ، وأعلم أنّ له أيضاً اشتغالاً بالذكر القلبيّ ، فاغتنم صحبته ولازمه مدة إقامته ببخارى . فلذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه في التعليم والتلقين ، والخواجه يوسف شيخه في الصحبة .

وطريقة خواجه يوسف ومشائخه وإن كانت علانيّة ، لكن لمّا أخذ الخواجه عبد الخالق الذكر الخفيّ عن الخضر عليه السلام ، وأمر بذلك لم يغيّره شيخه الخواجه يوسف ، بل أمره أن يشتغل على الوجه الذي كان مأموراً به عن الخضر عليه السلام . انتهى عبارته ٢٦ .

وفي « سلسلة الخواجكان » ما لفظه : **ثم اعلم أنّ نسبة الطريقة النقشبنديّة إنما وصلت عن أبي بكر الصديق** ﵁ **بتلقين النفي والإثبات باللسان** ، وأمّا الذكر القلبي على الكيفية المعروفة إنما وَصل إليهم من الخضر عليه السلام . انتهى . راجعه في مبحث الكلمة العاشرة .

فما الجمع بين هذه مع المذكور قبلُ ، وما وجه التخلّص من ذلك التناقض بين القضيتين ؟

أقول - بحمد الله وتوفيقه - : إن حاصل ما ذكره المشائخ كون التلقين سواء كان باسم الذات ، أو لنفي والإثبات كلاهما بالقلب جاء عن أبي بكر الصديق ، وإن النفي والإثبات بحبس النفس جاء عن الخضر عليه السلام ، وعلّمه لعبد الخالق الغجدواني ، مع أنّه نقل عن المجدد أنه ؛ أي : حبس النفس كان في الأصل كما في « البهجة السنية » ، و« المناقب الأحمدية » فليس مرادهم ممّا يوهم خلافه أنّ التلقين باللسان وردت من الصدر الأول ، وإن صرحه صاحب « سلسلة الخواجكان » ، بل المراد أنّ الجهر أحدثه بعض المشائخ وقت اقتضاء الزمان لغرض صحيح كما سنبيّنه .

وأمّا ما في « الرشحات » ، و« تحفة الأحباب » من كون الخواجه يوسف ومشائخه من أهل الذكر الجهري فليس في التلقين ، بل لكونهم من المنتهين في الطريقة ، لأن من جملة الكلمات القدسيّة المأثورة كلمة (يادلرد) ، فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي للسالك أن يذكر النفي والإثبات باللسان بَعْد وصوله إلى مَرتبة المراقبة كل يوم بعدد معيّن مثل خمسة آلاف ، كما يفهم من كلام « الرشحات » من قوله أن الخواجه عبد الخالق لما علم أنّ له ؛ أي : للخواجه يوسف اشتغالاً بالذكر القلبيّ اغتنم صحبته ولازمَه مدّة إقامته بِبُخَارٰى . انتهى .

ومرادهم من تعليم الخضر لعبد الخالق الغجدواني الذكر الخفي ؛ الذكر بحبس النفس ؛ ليوافق بما في سائر الكتب . كذا ذكره شيخنا في بعض المكاتب .

وأمّا ما في « سلسلة الخواجكان » **فلعلّه من قلم الناسخ أو ممّا دسّه**[1] **المتشيّخون فيه ، وإلا فلا يوافق بما في كتب الطريقة النقشبنديّة** . فيعلم مما ذكر ويذكر أن الجهر بالذكر في هذه الطريقة ممنوع في التلقين ، وأنّ كل ذكر يستعمل باللسان يستعمله المبتدؤون في هذا الطريقة بالقلب . كما هو مذكور في « الدرر » في ٤ من الجلد الثاني ، وفي ٣٨٢ من الجلد الأوّل .

وفي « البهجة السنية » : قال العروة الوثقى ﵁ – مجيباً لمن سأله أن الذكر مع حبس النفس بدعة أم لا ؟ ، فإن كان بدعة حسنة فعلى مسلك المجدد ﵁ ليس في بدعة حسن ، فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ – : الذكر في حدّ ذاته حسن ومسنون ، أمّا الحبس فيه فيتوقَّف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأول ، وذلك ممنوع ، **وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر** عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه ، ولا يحكم على عمله بالبدعة . انتهى عبارته في ٤٩ .

وقال الإمام الربّاني قدس سره : واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى ، فليس في هذا الطريق ذكر اللسان إلى أن يَصل المريد إلى مرتبة المراقبة ، وكذا الجهر ممنوع فيه . كما في « الدرر المكنونات » . اللهم نعم ، إن الشيخ محمود إنجير فغنوي قدّس سرّه قد عَدل إلى الذكر الجهريّ منذ مرض أستاذه بمقتضى خُلُقِ وقت والخلق ، ومصلحة حال الطالبين ، واستمرَّ عليه بعد انتقاله ، فسأله واحد من كبار علماء الظاهر : لماذا ينوي بذكر الجهر ؟ فقال : **إيقاظ النائم ، وتنبيه الغافل ؛ ليتوجه إلى الله ، ويقبل على الطريقة ، ويخلص التوبة إلى الله** . فقال له : إن نيّتك صحيحة نجيز لك الجهر بالذكر ، وطلب منه أيضاً أن يبيّن حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحقّ من المبطل ، فقال قدّس سرّه : من وجدتم لسانه مطهَّراً من الكذب والغيبة ، وجوفه منزَّهاً عن

---

(١) **أي** : خفاه (هامش الأصل) .

الحرام والشبهة ، وقلبه مزكّي من الرياء والسمعة ، وسرّه مبرَّأً من التوجُّه للأغيار فهو المحق ، وذكر العلانيّة مسلَّم له .

ومن زمانه إلى زمان الشيخ أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر الجهري ؛ أي : وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية ، **فلمَّا ظهر الشيخ محمّد نقشبند قدّس سرّه اقتصر على الذكر الخفيّ ، أخذاً للعزيمة ، واجتناباً عن الرخصة** ، وذلك بأمر من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه . وحين شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهريّ كان قدّس سرّه يخرج ويقوم من بينهم ، وكان الأصحاب يثقل عليهم ذلك ، لكن أوصى الأمير كلال في مرض موته لجميع أصحابه ومريديه باتباعه ، فقالوا : **إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟** . **فقال : إن كل ما أعطاه الله تعالى حكمة فلا تخالفوه** ، وبعد ذلك تركوا الذكر الجهري ولو بالإجتماع ، واستمروا على ما هو الأصل في هذا الطريقة الصديقيّة . راجع « الحدائق الوردية » في ١١٩ ، وفي ١٢٨ ، و « البهجة السنية » في ٦٢ ، و« رشحات » في ٣٦ ، وفي ٥ .

فإن قيل : يمكن أن يكون المختار عند أرباب سائر الطرق أيضاً العزيمة ؟ . قلت : إن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ، وقد يبلغ الأمر فيه حدّ الرخصة بعد تمحّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة ؟ ! ، ولذلك ذكر الجهر لا يتصوّر فيه ما فوقَ الرخصة . وقد أحدث مشائخ سائر الطرق أموراً محدثةً في طرقهم لبعض نيات صحيحة ، نهاية التصحيح في تلك الأمور الحكم بالرخصة ، بخلاف أكابر هذه السلسلة العليّة ، فإنهم لا يجوّزون مقدار شعرة من مخالفة السنة ، فتكون مخالفة النفس في هذا الطريقة أتم ، فيكون أقرب الطرق ، فيكون اختيار هذه الطريقة للطالب أولى وأنسب ، لأنّ الطريقة في نهاية الأقربيّة ، والمطلب في كمال الرفعة .

وقد ترك جماعة من متأخري خلفائهم أوضاع هؤلاء الأكابر ، وأحدثوا في هذا الطريق بعض الأمور ، واختاروا السماع والرقص والجهر ، ومنشأ ذلك عدم الوصول إلى حقيقة نيات أكابر هذه الطريقة العليّة ،

فخالوا أنهم يكمّلون ويتمّمون هذه الطريقة بهذه المحدثات والمبتدعات ، ولم يدروا أنهم يسعون بها في تخريبها ، ويجتهدون في إضاعتها ، والله يهدي إلى الحق ، وهو يهدي السبيل . انتهى .

فعُلمَ من هذه المذكورات عدم جواز إحداث بدعة في الطريقة ، كما لا يجوز في الدين ، وكون الذكر الوارد بالتلقين من الصدر الأول الذكرَ القلبيّ مع كلا قسميه . ومعلوم أن التعامل المعتبر ما جاء من الصدر الأول وحصل بإجماع ، **وكذا المعتبر في إثبات الأحكام إنما هو الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والإجماع** ، وليس بعده شيء ما يثبت الأحكام أصلاً ، لا الكشف ولا الإلهام .

ومعلوم أن شاه نقشبند بهاء الدين البخاري الأويسيّ ومن بعده من أكابر الطريقة إلى يومنا هذا أعرف بالله ، فما لنا أن لا نمتثل على هؤلاء الأقطاب الكرام والأغواث العظام **مع قولنا : طريقتنا هي طريقتهم ؟!** . تدبَّرْ ! والله تعالى يهديك [إلى] الطريق الصواب .

المسألة الثانية : من المسائل الثلاث ؛ ما في كتب السلوك من أنّ الطريقة النقشبنديّة عبارة عن دوام العبودية بأشرف الطاعات على الإطلاق ، أعني به ذكر الله تعالى بالاتفاق ، وآدابها كمال التمسّك بالكتاب والسنة ، وتصحيح الاعتقاد بمقتضى آراء أهل السنة ، والتوبة الصادقة ، وتزكية النفس من الأخلاق الذميمة ، وردّ المظالم إلى أهلها ، والاستحلال عن أرباب الحقوق ، والتعبّد على الإلزام بالسنة ، والدقة على العمل بالشريعة ، والاهتمام على المجانبة من كلّ المنكرات والمبتدعات ، وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب ، فلا يتركها إلاّ لضرورة ملجئة ، والرخصة كالحرام ، فلا يرتكبها إلاّ لضرورة ملجئة إلى غير ذلك ممّا هو مبيّن في كتب السلوك .

وإذا كان آداب الطريقة هكذا ، هل كان المريدون الذين يسعون لدى المشائخ على وفق ما ذكر من أرباب السلوك ؟ وما بال مشائخ الطريقة يلقِّنون الأذكار على كلّ من جاؤوا لديهم بلا تفريق بين الصالح والطالح ،

وبين من يتمسّك السنة وبين من لا يتمسكها ؟ فهل هذا العمل منهم موافق لأعمال السلف من المشائخ أم لا ؟ وما حقيقة الأمر المذكور ؟

أقول بحمد الله الملك المعين : اعلم وفَّقك الله للاقتداء بأرباب الكمال والتكميل ، **أنّ الأخذ ، والانتساب إلى الطريق على أربعة أقسام** ؛

أحدها : أخذ المصافحة ، والتلقين للذكر ، ولبس الخرقة للتبرك ، أو للنسبة فقط ، وغالب مشائخ الزمان إنما يلقنون الذكر بقصد التبرك حتى يدخل المريد في سلسلة القوم ومحبّتهم والتسليم أو اعتقاد لمقاماتهم لا للتسليك ، ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه .

وثانيها : أخذ رواية ، وهي قرائة كتبهم من غير حلّ لمعانيها ، وهو قد يكون أيضاً للتبرّك أو للنسبة فقط .

وثالثها : أخذ دراية ، حل كتبهم لإدراك معانيها كذلك فقط .

ورابعها : أخذ تدريب وتهذيب ، وترق في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة ، والفناء في التوحيد والبقاء ، وهو المراد العزيز وجوده ، وعلى هذا معول أكثر الطرق ، خصوصاً النقشبندية والشاذلية ، ويصح الانتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ولو في شيء يسير مع المحبة لهم ؛ كتلاوة حزب من أحزابهم ، ولذا قال الشاذلي : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا ، يعني : فله ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة ، أو أعمّ منهما ، وهذا جارٌ في الكل . انتهى . راجع « ترصيع الجواهر » ، و« جامع أصول الأولياء » في ١٥ .

وفي « تبصرة المرشدين » : إن الانتساب إلى النسبة العليّة يكفيه فقط إن حفظه . انتهى . وعلى الشيخ أن يسلك المريدين في سلك طريقته بالحكمة والموعظة ، وأن يداريهم وينصحهم بحسب طاقته فلعلّهم يتخلصون من ارتكاب المنهيّات ببركة الطريقة ، والله وليّ الهداية ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ ، ولم يقل : أيها الصالح ، بل عمّ الأمر على الصالح والطالح وعلى العاصي والفاسق .

وقال قطب الخلق شيخ المشائخ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « متممات جامع الأصول الأولياء » ما نصه : **واعلم** أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا ؛ من ذوي المناصب ، والأشراف ، والمكاسب ثابت من السلف ، ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب ، وتبسّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبّسهم بالمخالفات . فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب ، والأشراف ، والصنائع ، والملاح ، والتجار ، والراعي ، والقروي ، على طريق التبرّك وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، والتخلص من البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء ، والنقمة ، حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ، ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ، وليسارق الشيخ نفسه الأمارة الآبية بالتدريب والتوطين لئلا تنفرّ وتملّ وتيْأس من الإصلاح وتقطع الرجاء فتصرّ على المعاصي ، أمرٌ حسنٌ وهو من سياسَات الإرشَاد .

ولو قال له من أوّل الأمر : اترك الدنيا واخرج من كل المظالم وصحّح التوبة ، وإلاّ فلا أُلَقِّنُكَ الذكر ، ولا يكون لك قبول ينتج الهداية ، لنفر لاستصعابه كل ذلك ، ويحرم من تلك الفائدة ، وربّما يصل إلى حدّ اليأس ، **وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول عليه السلام مع الأشراف ، والرؤساء ، والكبار ، فإن بعضهم قال : أدْخُل الإسلام بشرط سقوط الصبح عنّي ، وبعضهم ؛ بشرط غير ذلك** ، فقبل منهم سرّاً ليدرّجهم إلى تمام الهداية تدريجاً ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لمّا أَنِفَ من مجالسة بعض الفساق ، وَنَهاهُمْ عن مجالسِ وعْظِه : يا داود إن المستقيم لا يحتاج إليك ، والمعوّج إن لم تقمه ، فلِمَ أُرْسِلتَ ؟ فأدْخَلَهُمْ في سلك جُلسائه وجماعة إفادته . **فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق** حتى يَطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبيّة ؟ وَهل وضع الإرشاد والسياسة إلاّ للمعوّج الضال ؟ وهل يلزم أن يكون جميع الملقنين للذكر أهلاً للترك ، والتجريد ، والاستقامة ؟ أم منهم الواصل والسائر المخلط المتوسل ، ومنهم المتبرك

المتخلف الساقط ، وهذه السياسة الحسنة مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليها المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامة المسلمين ، وإن كنتَ في شك مما بيّنا ، فارجع « الإحياء » ، و« المنن الكبرى » ، و« طبقات الصوفيّة » للشعراني .

وقد كان العارف أبو الحسن الشاذلي قدّس سرّه يقول : ينبغي للشيخ **أن لا يأمر المريد برَمْي الدنيا إلاّ بعد أن يمهد له بساطاً قبل ذلك ، يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع التقربات الإلهيّة** ، واللطائف الربانيّة ، والعلوم اللدنيّة ، فهنالك ينبّه المريد لطلب ما يَدعو الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره ، وتهبُّ عليه ريح التوفيق ، فلا يقف مع شيء يحجبه عن حضرة ربه عزّ وجلّ ، والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصراً .

فمنهم من يمهد له بمدة قليلة ، ومنهم من لا يتم تمهيده له إلا بمدة طويلة بحسب تفرس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم بالعبادات ، **كما أنه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى ، وكما أنه لا بأس بأكل الطعام اللذيذة وشرب الماء اللذيذ البارد لأجل استجابة الأعضاء** للشكر بعزم وقوّة ، كما عليه السادات الشاذلية .

فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه : **كلوا من أطيب الطعام ، واشربوا من ألذّ الشراب ، وناموا على أوطأ الفراش ، وألبسوا ألْيَن الثياب ، وأكثروا من ذكر ربكم** فإذا فعل أحدكم ذلك وقال : الحمد لله ؛ يستجيب كلّ عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك ، فإنه يقول : الحمد لله ، وعنده اشمئزازٌ وبعض سخط على مقدوراته .

وقال علي القارئ : ليذكرنّ الله أقوام على الفراش الممهّدة يدخلهم الله الجنات العلى ، وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري مجراهم من أهل الدنيا والمناصب لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى ، وهم في ذلك مأجورون مثابون ، يدخلهم الله برحمته الجنات العلى . وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادات الصوفية ؛ كالنقشبنديّة والشاذليّة والكبرويّة . انتهى .

وفي « الرشحات » : قال بهاء الدين النقشبندي : كل الطعام جيّداً ، واشتغل جيّداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى عبارته ١٥٠ مع أنهم قالوا : **إن ما لا يُدرك كله لا يترك كلّه** .

وقال الإمام الربّاني رضي الله عنه في بعض مكاتبه مجيباً لمن سأله أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أنّ أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو من ربا : **لقّنوهم الذكر ، وعلّموهم ، ورغّبوهم في الاجتناب عن المحرم ، ولعلهم يتخلصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة** . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » : إن بعض المشائخ يربون تلامذتهم بالشهوات .

وفيه ما حاصله : **أن المشائخ مأمورون باستمالة قلوب الناس ولو قلب كافر . وأمّا الأمر بإهانة الكافر والعاصي المجاهر ، فهو في حق غير المرشد** ، ولذلك قال سيّدنا عبد القادر : لا يضحك في وجه الفاسق غير العارف ، فيضحك في وجهه .

وفي « المنن » للشعراني : لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة .

وفي « البهجة » : ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ، **ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي** ، فإن الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدّة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام . انتهى .

وأما قولهم : وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب ، **فهو في حق السالك الذي يختار السلوك ، ويمكن أن يعمل بالعزيمة ، وإن لم يمكن العمل بالعزيمة** بأن يكون من أهل . . . إلخ ، **فليعمل بالرخصة** . راجع « المتممات » ، و« الأدب المرضية » ، و« ماهية التصوّف » .

وفي « الحدائق الورديّة » : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعبٌ جدّاً لفساد المعاملات ، وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة غريمة . انتهى .

وقد كان عبد القادر الكيلاني يأتيه الرجل ويشكو بالتهاون في الصلاة ، وآخر بالزنا ، وآخر بغيرهما من المنكرات ، فيأمرهم بالذكر . هكذا في « السير والسلوك » .

وقال الشعراني في « المنن » ما حاصله : إنّ من غلب عليه محبة المعاصي ، ووقوعه فيها ، وقساوة قلبه ، وعدم انشراح صدره للتوبة ، فإنه كالمريض يشكو أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي له أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر عليه .

وفيه ما لفظه : فإيّاك يا أخي ونهر أحدٍ من العصاة إذا سألك عن دوائه . انتهى . راجعه .

المسألة الثالثة من المسائل الثلاث ؛ أن المريدين أوّل دخولهم في عهد شيخهم ، وأوّل تلقين الأذكار على لطيفة القلب ، قبل انكشاف أحوالهم عليهم من ارتعاش القلب بالذكر ، وحرارته مع حلاوة الأنس ولذة الذكر ، **يكونون في انكسار قلوبهم ، ويرون أنهم أعصى خلق الله** ، وأقلّ من كل أحد ، ويظنون أنهم مفلسون من الأعمال ، ومتجردون من الخير والفضائل ، مع رؤية قبائح أعمالهم ، بحيث لا يبقى في قلوبهم عجبٌ ، ولا رياء ، كما هو المراد من السلوك ، ومن أخذ الطريقة من المشائخ العارفين ؛ ثم إذا ذاق بعض منهم شيئاً من أحوال القوم ، وحصل لهم حلاوة الأنس ، ولذة الذكر ، وتبدلت أذكارهم من لطيفة إلى لطيفة ، وارتقوا إلى فوقها من المقام ، نرى في بعض منهم بعض الميل إلى الكشوفات ، فتقوم نفوسهم ، ويظنون بعض الظن أنهم بمقام من الطريقة ، وأن إخوانهم الذين في انكسار قلوبهم دونهم في المقام ، ويكونون عندهم كشيوخهم يخبرون عليهم عن مقاماتهم ، ووقائعهم ، فما تقول في حق هؤلاء المريدين ؟ أليس هذا عكس مراد مشائخ الطريقة من التلقين ، ومن أخذها منهم ، وكيف يبدّل المشائخ أذكارهم مع كونهم كذلك ؟ . انتهى .

أقول بحمد الله تعالى وتوفيق من بيده أزمة التحقيق : نحن لا نسلم أن يكون مريد الشيخ العارف على الأخلاق المذكورة في المسألة بعد أن

أخلص في النية ، **واقتدى بإشارات المشائخ** ، وإن تكلّم ذلك البعض بما يوهم ذلك لمصلحة رأى فيه من إظهار النعمة التي أنعم الله عليه وَفْقَ قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ لأجل حمل الغير وحثه إلى الطاعة والمجاهدة وتنشيط الطالب في الطلب وترغيب السالك في السلوك .

قال سيّد الطائفة الشيخ خالد شاه البغدادي : أن اكتساب أصل الفيض من أصحاب الباطن موقوف على أمرين ، وقيل ثلاثة ؛ **الأوّل** : الإخلاص ، **والثاني** : الأدب ؛ لأنهم قالوا : الطريق كله أدب ، وَمن فارق الأدب انفصل ، وحصل له العطب[١] ، لأن **الأدب مع الشيخ سلّم للأدب مع الحق جلّ وعلا ، فمن لم يتأدّب مع الوسائل ، لا يشمّ رائحة من أدب مع المقاصد** ، وأقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا ، والإدبار عن الآخرة ، وقلّة ذكر الله . كذا في « المنن الكبرى » للشعراني .

والأمر الثالث : محبتهم ، لكن المحبة سبب لكثرة الفيض ، **فالأمر موقوف على الأمور الثلاثة** ، فإن فرض كون بعض المذكورة على ما ذكر ، فذلك يكون بعدم الإخلاص في النية وعدم اقتدائه بتنبيهات المشائخ ، وإشاراتهم بسبب استيلاء حبّ الرياسة عليه ، لأن من أوّلِ الأدب المعتبر عندهم للسالك في السلوك ؛ **تصفية النيّة من العلل والأغراض غير التعبد** ، والإمتثال لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ سواء كانت تلك الأغراض من الأمور الدنيويّة والأخرويّة ، والأحوال الباطنيّة ؛ من الفتوح ، والقرب ، والولاية ، وغير ذلك ، بل يصرف عين بصيرته إلى الذات البُحْتِ المقدّس ، بل **لو عَرض شيء من تلك الأغيار ، يزيله بالتوبة والإستغفار** ، ويرى نفسه كلباً عقوراً وجب حبسه لئلا يتضرر به الناس ، كما في « الخالدية » كذا كتب إلينا شيخنا وقت السلوك .

---

(١) **أي** : الهلاك .

وفي « الشرقاوي » : إن زوال العيوب النفسانيّة لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كامل ناصح .

ولقد ذكر شيخنا في « تنبيه السالكين » نقلاً عن شيخه ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي : لا يخلو الإنسان من الرياء إلا إذا وَصل إلى مقام يشهد فيه أن لا فاعل في الوجود إلاّ الله سبحانه ، وقال : قلت وذلك المشهد يحصل للسالك في مراقبة القلب . انتهى .

ثم إن الشيخ طبيب للأمراض المعنويّة ، **ولا يعرف كيفية تنزل الدواء على الداء ، وكيفية الاحتماء ، إلاّ الطبيب ، واللازم عليه تنزيل الدواء على داء المريض ، وتعليم كيفية الاحتماء عليه ، فإذا لم يقبل المريض تنزيل الدواء ، ولم يحتم بحمايته ماذا يفعل الطبيب ، وكيف يخلصه من المرض المزمن عليه ؟! فاللّوم على المريض لا على الطبيب** . فافهم ذلك ، وتنبه عليه فإنه ينفعك ، والله يهديك إلى سبيل الصواب ، مع أنهم قالوا : من شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل ، إن غسل عضوٌ من أعضائه قبل عضو آخر ، أو حرّكه ، أو تصرف فيه كيف يشاء ممّا يرى من المصلحة ، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ، وإن خالف الشريعة ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ، وأما سقوط حرمة الشيخ فهو أكبر قاطع عن الله تعالى ، وسقوط الحرمة عدم المبالات إذا أمره أو نهاه . كذا في « الرماح » راجعه في ١٣٩ ج ١ .

ومن كلام العارف بالله سيّدي محمد عدي بن مسافر أحد أركان الطريق : اعلم أنّك لا تنفع قط بالشيخ إلا إذا كان اعتقادك فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذّبك بأخلاقه ، ويؤيّدك بإطراقه ، وينوّر باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً ، لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنتفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء . كذا في « البروج المشيّدة » من البرج الثامن عشر .

ومن آداب المريد عندهم أيضاً أن يكون منقاداً مستسلماً لأمر الشيخ ، ولمن يقدمه عليه من الخلفاء والمريدين ، وإن كان عملهم أقلّ من عمله الظاهريّ ، **فليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرّد إرادته مع عدم إخلاصه ومع خراب اعتقاده** ، وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط ، واستعداده لذلك بالصدق المرغوب ، وإلاّ فلا يحصل المراد ، ولا يصل إلى مقام بمجرّد المصاحبة ولو كان شيخاً قطباً ، أو غوثاً فرداً جامعاً ، ويكفي شاهداً لأمثاله ما شهد في النبي ﷺ وأصحابه ، لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى بقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ ، واجتهَدَ نوح عليه السلام أن يؤمن ولده ويركب معه على السفينة ، وقال : ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ الآية ، وكانت لبعض الأنبياء امرأة كافرة فلم يقدر أن يهْديها إلى الإيمان ، وآية ﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا ﴾ . . . إلخ . نص قاطع .

وقد كان لبعض أكابر المشائخ مريدون صادقون ، لكنهم قد ارتدوا في آخر الأمر ، وأخبار المرتدين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته معلومة مشهورة ، والتكليف على المشائخ بوجوب كونهم يقدرون على عصمة أتباعهم تكليفٌ بالمحال ، بل هو خلاف النصوص المتواترة . فافهم والله المستعان . كذا ذكره شيخنا في بعض المكاتب .

ولو آل أمر المريد على رؤية نفسه ، وميله إلى الكشف ، والإلهام وتكلم عليهما ، وطلب حظوظ نفسه من الدنيا والآخرة ، ولو من حال ، أو مقام ، أو فناء ، أو بقاء ، أو كونه وليّاً أو شيخاً ، ولم يؤثر فيه علاج شيخه ، ولم يقتد بإشارته أو مراده ، ولم يتنبّه بتنبيهه إياه ، فالحذر الحذر منه ، والحذر الحذر من طلب غير الذات الأحديّة ورضائه تعالى عنه .

وفي « الرماح » في الفصل السابع عشر ما حاصله : وأمّا ما يقطعه ، يعني : المريد من الشيخ وأستاذه ، فأمور ؛ منها الأغراض ، سواء كانت دنيوية أو أخرويّة ، وذلك **أن الشيخ لا يُصحب ولا يُعرف إلا لله عز وجلّ ولا لشيء سواه** ، وهي ؛ يعني : الصحبة في أمرين ؛ إما أن يواليه الله تعالى

بأن يقول : هذا وليّ لله تعالى وأنا أواليه لله تعالى ، وذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله : « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي طيّه : « من والى لي وليّاً لأجْل أنه وليّ ، اصطفيته واتخذته وليّاً » ، وهذا هو السرّ الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله .

والأمر الثاني : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب ، وما يفسد المرأ فيها من الأوطار ، والإرب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى ، وما يقربه إليه ، والصحبة في هذين الأمرين لا غير ، **ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة .**

فإذا عرفت هذا ، فاعرف أن الربّ سبحانه وتعالى يُعْبَد لا لغرض ، بل لكونه إلهاً يستحق الألوهيّة والعبوديّة لذاته ، لما هو عليه من محامد الصفات العَليّة والأسماء البهيّة وهذه هي العبوديّة العليا . انتهى . كذا ذكره شيخنا في « البروج المشيّدة » . راجعه في البرج الثامن عشر .

فلقد كتب الشيخ الواصل والمرشد الكامل الشيخ جمال الدين الغموقيّ قدّس سرّه **إلى مريده الشيخ الزاهد فيما سواه الله تعالى الشيخ مَمَّ دبر الروچي** : **إنما قطعت النظر عن بعض** . . . إلخ . **لذهابه خلف الكشف الخديع ، فعليك بتعزيز**[1] **من ينظر إلى الكشف والإلهام ، فليس رخصة للنظر إليهما لك ، ولا لغيرك** . والسلام . انتهى .

وهكذا يكون حال المشائخ لدى من يطلب الكشوفات وحظوظ نفسه ، تنبه لذلك وكن عبداً لله لا عبداً للحال ، واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ، واحذر من الركون إلى الكشف والإلهام وبذلك هلك أكثر السالكين وانقطعوا عن الله تعالى .

سأل بعض المخلصين عن شيخنا الحلمي قدّس سرّه : كيف نترك الأخلاق الذميمة مع كوننا لا نراها في أنفسنا ؟ قال : علينا الإراءة وعليكم الترك . فافهم فإنه كلام نفيس .

---

(١) علّه : تعزير .

وفي « ترصيع الجواهر » ما نصه : ومتى قصد العبد شيئاً من الكرامات ، وخرق العوائد ، وأنواع الإجابات ، افتتن وانقطع عليه طريق العبوديّة ، ومن أدركه السعادة كاشفه الله تعالى بشهود جلاله وجماله لا بإثباتٍ في الأحوال اللطيفة ، والكرامات الشريفة ، وذلك أن الحق تعالى غيور لا يحبّ أن يرى في قلب عبده سواه .

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : ومن المقاطع المشكلة ؛ السكون إلى استحلاء ما يلاقيك من فنون تقريبك ، فإن كلّ لطيفة يطربك بها تحتها خدع . انتهى .

ولو خاطب الوليَّ كل ما في الكون وقال : السلام عليك يا ولي الله ؛ فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يد ذلك أسيراً . راجع إلى « تنبيه السالكين » من باب الثالث والعشرين .

وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ تعلّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله تعالى . انتهى بالمعنى . وفيه : إن العبوديّة مع استقامة خير من ألف كشف وكرامة .

وقال سهل التستري : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه ركون إلى غير الله تعالى . انتهى .

وكان يحي بن معاذ رحمه الله يقول : كل من ادعى درجة سقط منها ، وإذا كان الرجل في أعلى درجة ، فمن حقه أن يحقِّر نفسه .

وفي « مواهب البريقة » ما لفظه : وقد أجمعوا على [أن] من ادعى مقاماً [لم] يَصل إليه ، عوقب بحرمانه أبداً ما عاش . انتهى .

أفضل الكرامة هو الاستقامة

وفي « الفتاوى العمريّة » : وأما الكرامة فليس بشرط للمرشد ، لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم ، حتى لم تنقل عن الصديق الأعظم مع أنه أفضل الأمة . والحاصل أن أفضل الكرامة هو الاستقامة ، كما قالت رابعة العدويّة ، حتى أن بعض الأولياء لم يقبل

الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشرب إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » . انتهى عبارته .

وقد قال عبد الله القرشي : من لم يكن كارهاً لظهور الكرامة ، والآيات فهي أيضاً سبب للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » .

وفي « بيان الأسرار » فإن كرامات الأولياء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى .

وفي « تقريب الأصول » : إن انخراق حجب البشرية قد يحصل بالرياضات ، فيلوح بسبب ذلك شيء من أنوار الروح فيرى بعض الآيات والمعاني المعقولة ، وقد كان لبعض الفلاسفة ، ولكن حيث لم يوجد الإيمان فعاقبة ذلك إلى الخزي والهوان . انتهى . راجعه في ٢٦٦ .

وفي « فتاوى ابن حجر » : لو ظهر على أحد كرامات مع فسقه ، هل تقبل شهادته ؟ الجواب : لا تقبل .

قال الشافعي : لو رأيتُ صاحب بدعة يطير في الهواء لم أقبله حتى يتوب من بدعته . ذكره أبو نعيم .

وقد تظهر الكرامات على يد فاسق كالسامري ، فإنه رأى فرس جبريل حتى أخذ من تراب حافره وجعله في العجل فخار .

ونقل عن العماد عن أبي محمّد أنه قال : يجب على الوليّ إخفاء الكرامات . انتهى . فراجعه من الشهادة .

وهذه الأمور الخارقة للعادة **وإن كان قد يكون صاحبها وليّاً لله ، وقد يكون عدوّاً لله تعالى** ، فهذه الخوارق قد تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليّ لله ، بل يعتبر أولياء الله تعالى بصفاتهم ، وأفعالهم ، وأحوالهم التي دلّ عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنة ، وشرائع الإسلام الظاهرة . كذا في « الفرقان » في ١٨٤ من الجزء الثاني .

ولأجل ذلك ينبغي للسالك أن يكون على حرز من ظهور الخوارق على يده لئلا يقطع به عن الوصول ، ويقع في الهفوة[1] فإذا وصل المريد إلى الوليّ ، وأقبل على أغراضه ، ولم يكن بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل ، ولم يقبل من الوليّ إلا ما طابق أغراضه ، فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ، ولا من أهل الوصول إلى الوليّ ، فغاية الوليّ في هذا الطالب أنه يديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق الذي أمره الله تعالى به ، ومعاشرتهم بالمعروف ويقبض عنه أسراره ، فهذا لو بقي مع الوليّ ألف عام لم ينل منه شيئاً ، لأن لسان حال الوليّ يقول له : ما وصلتنا لله ولا وصلتنا لأجلنا ، وإنما وَصَلْتنا لغرضك الذي كنت تناله لا نسبة بيننا وبينك ، والسلام . كذا في « الرماح » ، راجعه في ١٢٢ ج ١ .

فهذه المذكورات مما يجب على المريد أن يوقفها نصب عينيه ، فقد رأينا كثيراً من المريدين يضعف طلبهم وإرادتهم يوماً فيوماً لأجل كونهم يطلبون الأحوال ، فإذا لم يحصل لهم شيء منها يفترون في الطلب ويرجعون قهقريّاً . فكيف يحصل لهم الحال مع أنهم كاذبون في صحبة الشيخ ومحبته ؟ .

وقد فهم مما ذكرناه أن انعكاس حال الشيخ إلى المريد إنما يكون إذا كانت صحبته ومحبته لله تعالى لا لغرض ولا لعوض ، ومن ههنا قيل : إنّ طالب الأحوال ليس بطالب الحق تعالى ، ومن صحت نيته لا يفتر في الطلب ، ظهر له الحال أو لم يظهر ، وغياب الحال في حقه أولى وأسلم ، مع أن العدم المحض أسنى الأحوال بعد إن كان مخلصاً لله تعالى ، **فالمدار على الإخلاص ، والأدب ، والمحبّة** ، فإني أطنبت الكلام على ذلك لأني رأيت أكثر طلبة الزمان يَصحَبُون المشائخ لأجل الحظوظ النفسانيّة ، خاصة الأذواق والكشوفات ، ويقعون بعدمها في نقص وفتور ، ويظنون أن عدم حصولها لهم من عدم مبالات الشيخ لهم ، أو ينسبون ذلك إلى قلّة مهارةٍ في الشيخ ، ولا يَرون ما في نياتهم الفاسدة . إنا لله وإنا إليه . . إلخ .

---

(١) **أي** : الزلة (م خ) ، (هامش الأصل) . .

وأمّا تبديل الأذكار لذلك المريد المذكور مع رؤية نفسه وعدم خلوصه من العجب والرياء ، ومع ما قال الشعراني في « لواقح الأنوار » نقلاً عن شيخه علي الخواص قدّس سرّه ، وقال : سمعت مرة أخرى يقول : من خاصية تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه ، فمن لم يهذب فكأنه لم يذكر ، فهذا مقصود الشارع والمشائخ - قدّس الله أسرارهم - بتبديل الذكر من لطيفة إلى لطيفة حين حصلت نتائج أذكارهم المعهودة عندهم رجاء حفظ إيمانهم .

وقالوا : إنه إذا رسخ الذكر في القلب ، وصار ملكة **بحيث لو كلّف إخطار الغير لم يخطر** ، أو خرج نور لطيفة القلب من حذاء كتفه ، أو حصل اختلاج ، أو حركة قويّة ، أو حصل فيه حرارة شديدة ، يبدل الذكر إلى لطيفة الروح .

كتب شيخنا إلى شيخه العسلي : ما علامة تمكن الذكر في القلب بحيث يجوز تبديله إلى روح ، وما علامة تبديل الذكر من الروح إلى السرّ . .إلخ . عند من لا يرى الأنوار ؟ . وما معنى قولهم : يجوز تبديل الذكر إذا رسخ الذكر في القلب بحيث لو كلّف بإخطار غيره لم يخطر ؟ . انتهى .

وكتب قدّس سرّه في جوابه : إذا جاء المريد لديّ لطلب الورد فلا أفعل الاستخارة في حقه ، وألقنه الذكر والرابطة لكون التلقين للتبرّك لا لأجل السلوك ، وبعد وصول البركة وصار أهل الجذب ألقّن الذكر على أرواحهم أي لطيفة أرواحهم وقت تمكن الذكر القلبي . انتهى من خطه .

وفي « التلخيص » ما لفظه : ولقد كان شيخنا العسلي قدّس سرّه يقول : كان الشيخ جبرائل أفندي يقول : اُترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن تنعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث يثقل عليك حملها من قلب المريد . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إنّ الذكر القلبي يكفي لأهل ديارنا الداغستانيّة . .إلخ ، مع أن الانتساب إلى السنة العليّة يكفيه فقط . كما في « تبصرة المرشدين » .

ولأجل ذلك نترك كثيراً من المريدين المشتغلين بالحرف والصنائع على مجرد لطيفة القلب ، وذلك لهم أثر عظيم ، وفي الشغل بذلك نفع جسيم . انتهى من الترغيب الخامس .

وقالوا : يجب على الشيخ تفقد حال الطالب ، فإن صدق فذا ، وإلاّ فسادٌ في الطريق يرجع وباله عليه .

فكتب شيخنا إلى هذا الحقير - رحم الله إفلاسه - ما لفظه : **واعلم** أيّها الولد أن الأستاذ قد يخطأ كشفه وقد يعلم ، ولذلك لا يجوز أن يعمل بكشفه ، بل يعمل بقول المريد ، فإن تكلّم بالصدق فذا ، وإن كذب يُفسد ، **كذب المريد فساد في الطريق وخلل فيه** ، وكشف أحوال المريد كلها ليس بشرط في الشيخ ، بل اطلاعه على نتيجة أذكار لطائفه هو الغالب ، فإن كان من أهل الكشف الصحيح يعمل به ، وإن لم يكن من أهل الكشف ، أو له كشف لكن في كشفه تلوّن يتفحّص من حال المريد ونتائج ذكره ، ولا يعمل بكشفه المتلوّن . راجع « المتممات » ، مع أنه يجوز أن يكون السالك المجذوب ، أو المجذوب السالك بعد وصوله إلى درجة الولاية شيخاً مرشداً ، وإن كان لا كشف له ولا يعرف أحواله وأحوال مريده ، بل ونتائجه .

فإن واحداً من خلفاء الإمام الرباني كان لا يعرف أحوال نفسه وأحوال مريده ، ومع ذلك كان ينعكس منه إلى مريديه أحوال عجيبة . كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » ، ونقلته في « تنبيه السالكين » . انتهى من خطه .

وكتب إليّ [في] مكتوب آخر ما عباراته : وقد قال لي شيخنا العسلي نقلاً عن شيخه جبرائل أفندي : إنّ الذكر القلبي يكفي لرجال داغستان ، لكنه كان يرى الأنوار لكشفه ويقول : (أَنْوَارَلْ رِكِزِ قَرِعُنْ رُكُخَ چِرُ) ، وكان يقول : (مُرِيدَصْدِ تَوَجُهْ هَبُرَبْ مِخَلْدَ غُصُلْ رَكَلْدَصَنْ دُرْ رَكَلْدِ شِبْكُ خِيَالْ

بَچِنْچُكُ خُطَنِ رُبُعُ سَاعَتَلْدَ) أو قال نصف ساعة ، أو قال ساعة ، والله أعلم ، فيجوز حينئذ تبدّل الذكر إلى الروح .

وكان قدّس سرّه إذا توجه إلى لطيفة المريد ورأى أنوارها المذكورة في الكتب ، وكان المريد يختار السلوك على الدنيا يبدّل الذكر على اللطائف ويوصلونه إلى ولاية الدرجة الصغرى ، ولم يعلّم المريد ما فوق ذلك إلاّ النادر الشاذ . وكان يقول : إني أرقاهم إلى درجة الولاية الصغرى ، ويقيمهم على تلك الدرجة ولا يرقيهم إلى ما فوق الدرجة المذكورة ، خوفاً من السقوط لعدم رعاية الأدب . انتهى من خطه .

ثم المطلب الأسنى ، والمقصد الأحرى من جميع العبادات ، ومن أخذِ الطريقة من المشائخ أن يخلص العبد فيها ، بأن يأتي العبادات والأذكار محضاً لمجرّد وجه الله ورضائه لا لغرض دنياوي ولا لحظ نفساني ، وأن لا يكون له قصد في علمه ، وعمله إلاّ علمه باستحقاق مولاه العبادة ، والتذلل ، والخضوع ، والوقوف عند أمره ونهيه ، وأن يرى نفسه أحقر خلق الله ، ولا يرى أنه قام بذرة واحدة من الأمور التي كُلّف بها على الوجه الذي أمر به .

ومن ههنا يترقى السالك في مراتب الإخلاص ، التي **كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة غيرهم** ، ولا ينبغي لعاقل أن يطلب ظهور الأحوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ، وأكثر المريدين يطلبونها وينقبضون إذا لم تظهر نتيجة الأذكار ، ويقولون[1] في فتور ، ويرون ذلك وهناً في الطريق ، وضعفاً في مهارة الشيخ ، ولا يرون ما في أعمالهم ونياتهم ، ويرجعون رجوعاً قهقرياً ، ولا يعلمون أن ذلك من عدم إخلاصهم في النيّة ، مع أن عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، لأن من تطلع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتة ، فإذا سكن إليها القلب وقع فيه الحجاب .

---

(١) **لعله** : ويقعون (**هامش الأصل**) .

والمقصود الأهمّ **هو الله تعالى لا غير** ، والأحوال والأذواق بمثابة السكر والذبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلّو بها ، والعارفون يخافون من حال البسط كما يخافون من الأسد ، ويلتذون بالقبض كما يلتذّ أهل الدنيا بدُنياهم ، وذلك لعلمهم أن في البسط هلاك باطنهم وعمارة ظاهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعمارة الباطن ، ولأجل ذلك لا ينبغي لأحد أن يكون مغموماً بعدم حصول هذه الأحول دفعة واحدة ، بل اللازم على السالك أن لا يسأم ولا يضجر من الطلب وأن يدوم على الأذكار ويصبر على الشدائد ، ويلتزم الباب بكمال الأدب والانكسار قائلاً :

لن أبرح الأرض حتى تصلحوا عوجي   أو تـقـبـلوني على عيبي ونقصاني

ألا ترى أن سائلا لو قرع باب واحد عن كرام الناس وَأَلَحَّ في السؤال فلا جرم يستحي من ردّه محروماً ، بل يرده بكسر الخبز التي هي المقصود ، وما يطلبه الطالب من الطريقة لأَهْونُ على الله من كسرة خبز بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردّ طالباً صادقاً وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟! ولكن لا بدّ من الجدّ والصبر ، فإن من حام حَول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وإنّ من دام على الذكر والصحبة لا بد أن يحصل له نسبة الحضور بالله على سبيل التدريج .

ولقد أوصى بهاء الدين محمد النقشبندي للسالك كما في « البهجة » هذين الوصيتين ، وهما من أنفس الوصايا لمن تدبّر وتأمل . **أولها** ؛ أنه لو وصل إلى أيّ محلّ وصل لا يرى نفسه إلا في أوّل قدم من الطريق . **وثانيهما** ؛ لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلاّ أقل من نفس فرعون مائة مرة .

وفي « الرسالة المدنيّة » : لا يبلغ المريد درجة الكمال **إلى أن يرى في جميع عباداته عيباً** ، وإنها لا تليق إهدائها إلى جناب الحق جلّ جلاله ، فحينئذ يجدون معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربّه ، بَل يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من كلِ واحد ، حتى من مريديه وَأعصى وأفسق منهم ، بَيْد أنه ينصحهم امتثالاً بالأمر الإلهي مع الشهود أنهم أحسن منه حالاً .

وسمعت سيّدي أفضل الدين رحمه الله يقول : متى رأى الفقير أن له تلميذاً دونه في الدرجة فقد ادعى الكِبْرَ ، وَالمتكبر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلت له : فما يخلصُه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهود أنّ أخاه أحسن منه حالاً وأكثر طاعة .

وكان سيّدي علي الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقير أن يتكدر من انقطاع الناس عن التردد إليه والغفلة عنه ، بل اللائق به الفرح ؛ لأن أكثر صحبة الناس اليوم تشغل الفقير المبتدئ عن ربه عزّ وجلّ .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : من خطر في باله أن إخوانه وتلامذته أدنى مرتبة منه عند الله تعالى ، وأنه أعرف منهم بالطريق فقد خرج عن الطريق ، وهم أحسن حالاً منه ؛ لأنه لم يخطر لهم أبداً أنه تلميذهم .

وكان أبو معاوية الأسود رحمه الله يقول : كلّ من فضلني على نفسه من أصحابي فهو خير مني . انتهى .

وقال الشيخ تاج الدين رحمه الله في « الحكم » : لأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه ، خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه . كذا في « تقريب الأصول » راجعه في ٧٩ .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » : إن كل من رأى نفسه على أحد فقد عرض نفسه للسلب . انتهى .

وفيه : لا يؤخذ الفقير ، ولا يسلم العالم إلا عند رؤية أحدهما نفسه على إخوانه ، أو غفلته عن الله تعالى . راجعه في ١١٠ .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما روي من أن الشيخ إسماعيل الكردميري ؛ كان داخلاً في خلوة بأمر الشيخ خالد شاه البغدادي قدّس سرّه ، ولم يعلمه شيئاً من أحواله ، ثم إذا خرج من الخلوة أمره بحمل الرِوث من خلائه وتطهيره ، فامتثل أمره وحمل الغائط بيده ، وظن أنه لا أَحَدَ عنده أحقر منه ولا أذلّ ، بل ظن الناس بأن ليس عنده أدنى منه ، ثم بعد ذلك توجه إليه الشيخ خالد وعلّمه جميع الأحوال ، وأراه المقامات كلها ذوقاً ، ثم

أذن له وقال : كن هكذا ؛ يعني كن حقيراً ورزيلاً ، ولا تر نفسك فوق أحد . كذا في « سراج السعادة » .

وكان على هذا القدم شيخنا الحلمي قدّس سرّه ، **ولم نر أسبق منه في التواضع ، وتحقير نفسه والأدب ، والحلم ، ولم نره قط في مجلس شيخه يلتفت إلى أحد عنده ويتكلم معه ، بل يكون كالعبد الآبق قبالة سيده ناظراً في باطنه مستفيضاً منه ، بلا فتور وغفلة .**

وسمعته **يقول أنه كان لا يغفل عن الحضور وقت كونه قبالة شيخه ، لأنه كان يعلم كون عادة الشيخ التوجه إلى مريد عنده** وقت مباسطة كلام مع مريد آخر عنده . انتهى .

ولم نر يبسط معه الكلام قط ، بل كان سؤال ما أشكل عليه بحيث لا يسمع على من عنده خافضاً صوته ، ولم نر ينظر إلى وجهه بشدة حيائه منه ، وكان كل من رآه عنده يتحيّر في شدة ورعه وأدبه ثم لمّا أذن له الشيخ المذكور بالإذن المطلق ، ورخص لتلقين أذكار السلوك تاه في أمره ، وتحيّر وخاف من أن يتصدّر للإرشاد بظن أنه ليس أهلاً له ، وأنه أحقر وأذل من كل واحد من إخوانه ، وأمهل أمره إلى أن اشتكى إخوانه لدى شيخه أنه لا يلقِّن الأذكار ، ولا يمتثل أمره ، وأغلظ الأستاذ الكلام معهم وقال : لِمَ تَمْنَعُ الناسَ عن المنفعة . وأمره بأن يذهب إلى محلة كذا وكذا للتلقين ، حتى كتب إليه : أظنّ أن توجهي يضرّ المريد ضرراً كثيراً بانعكاس أحوالي السيئة وأخلاقي المذمومة ، فلعله لا ينظر أخلاقي وأفعالي وعدم فطامي من رضاع مألوفات النفس ، ولو نظر لما أمرني بالتوجه إلى المريدين بالتلقين . فهذه الخطرات راسخة في القلب دائماً ، لكن لا اعتراض على الشيخ فيما فعله ، ولا يقال لِمَ لا ؟ فالعياذ بالله ، بل هذا مجرد إخبار الخطرات موافقاً على ما في الكتب ؛ من أنه يجب على المريد إخبار خطراته لشيخه . انتهى من خطه .

وهكذا يكون حال الصادقين والمخلصين من السالكين ، وأنه قدّس سرّه تعرَّض عليّ مرة أمر التوجُّه إلى المريدين خفية منهم وقت كوني

على المراقبة المعية ، فإذا خطر ببالي بعض الإرادة وبعض الميل إليه اطلع عليه قدّس سرّه وقال ساعتئذ : إن شيخاً واحداً حين تعرَّض أمر الإذن على مريده وعلم منه الإرادة وبعض الميل أخّر لأجله إذنه عليه بعدم تمام شروط الإذن إلى أن لا يبقى فيه تلك الإرادة مدة سنتين ، فصار هذا الكلام إشارة إلى هذا الحقير ، فبعد سنتين لم يبق في قلبي شيئاً من تلك الإرادة ، بل كرهت ذلك خوفاً من وقوع الفرقة في توجهي إلى الله تعالى ، وفي المراقبة ، ومن ذهاب أنسي باشتغالي على أمر التلقين حتى أن حبّ التلقين هو حبّ الرياسة ، بل أشدّ منها لأن الرياسة فيه أَشدّ . انتهى .

ولأجل ذلك ينبغي للعاقل أن يصحِّح النية للعبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقربين ، لأنهم عبدوا الله تعالى خاصة من غير عوض ولا غرض ، نسأل الله تعالى أن يجعَلنا منهم بجاه النبي ﷺ .

وقال الشيخ العلامة الدسوقي على شرح « أمّ البراهين » : ولا يقصد أن يكون وليّاً ، لأنه لا ينبغي ذلك ، بَل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون وليّاً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثية ، لأن عبدة الأوثان يقصدون بعبادتهم التقرب إلى الله تعالى ، وطلب رضاه ، وهذا الشخص إنما يقصد منفعة نفسه ، لا امتثال أمر مولاه ورضاه . انتهى ، والله أعلم « فتاوى الچوخي » .

وفي كتاب « الجواهر » و« المنن » ما نصه : قال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : لا فرق بين عُبّاد الأصنام وبين من يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام الحسية على حد سواء ، لأن كلاً من العابدين اتخذوا من دون الله ما لم يأذن به الله ، وهم في ذلك على طبقات .

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله ، إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وكشف الغيوب .

ومنهم من لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور الحسان ، ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم من يقصد بذلك السلامة من النار ، والخوف من الحساب ، والعقاب ، وما أعدّه الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى ، والرضا عنه ، والمحبة له .

ومنهم من لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاق مولاه العبادة ، والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوّته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص ، وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنّه قام بذرّة واحدة من الأمور التي كلّف بها على الوجه الذي أمر به ، ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة تلك الأقسام السابقة ، فاعلم ذلك واعمل به ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى . راجعه في ٣١٣ ج ١ .

أصل كل معصية الرضا عن النفس

قال ابن عطاء الله في « الحكم » : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كلّ طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها .

قال الشارح : الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة ، وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة ، وقد اتفق على هذا جميع العارفين ، وأرباب القلوب ، وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ، ويصير قبيحها حسناً ، **وعين الرضا عن كل عَيْب كليلة** ، وعدم الرضا عن النفس على العكس الرضا عنها ، وذلك لأنّ العبد إذ ذاك يتهم نفسه ، ويتطلب عيوبها ، ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد ؛

كما قيل في الشطر الأخير : **كما أن عين السخط تبدي المساوي .**
فمن رضي عن نفسه استولت عليه الغفلة ، وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقه والمراعات لخواطره ، فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد ، وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يَدفعها به ويقهرها ، فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ، ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة ، وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ، ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن إليها ، ومن كان بهذا الوصف كان متيقظاً منتبهاً للطوارق والعوارض ، وبالتيقظ والتنبه يتمكَّن من تفقُّد خواطره ومراعتها ، وعند ذلك تخمد نيران الشهوة ، فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة ، فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة ، فإذا صار عفيفاً كان متجنباً لكل ما نهاه الله عنه محافظاً على جميع ما أمره ، وهذا هو معنى الطاعة لله عزّ وجلّ .

وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه ، فإذاً لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ، ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها ، وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه ؛ وقد ورد عن الكبار والأئمة الأخيار من الكمالات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة لها ، وعدم رضاهم عنها أكثر من أن يحصى ، ولذلك قال أبو حفص : من لم يتَّهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم يجرّها إلى مكروهها في سائر أيّامه كان مغروراً ، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها . وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم[1] ابن الكريم يقول : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ .

وقال أيضاً رضي الله عنه : منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إليّ نَظَرَ السخط ، وَأعمالي تدلُّ على ذلك .

وقال الجنيد رضي الله عنه : لا تسكن إلى نفسك ، وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربّك .

---

(١) يوسف

وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : ما رضيت عن نفسي طرفة عين ، ولا يكمل العبد إلا إذا انتفى عن نفسه إرادة الحظوظ ، وصار لا يريد إلا ما أمره الشارع به أمر إيجاب أو ندب ، وعلى هذا حمل قول أبي يزيد البسطاميّ رضي الله عنه لما قيل له : ما تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد ، يعني : أريد أن لا أريد ما فيه حظ لنفسي . وأما إرادته ما أمره الشارع به ، فإنها غير داخلة في كلامه ، لأنها مراد الله لا مراده هو .

مهم

ومن حظوظ النفس طلب الكرامات وخوارق العادات ؛ فالأولى بالعبد مجاهدة النفسِ في حملها على الاستقامة وإظهار الذل والفاقة لله تعالى عبودية وامتثالاً لأمره ؛ فإن الاستقامة خير من ألف كشف ، وألف كرامة ، والكرامة إنما تكون لتقوية اليقين . ومن خلصت له الاستقامة قوي يقينه ، فلا يحتاج إلى الكرامة . وقد أفرد كثيرٌ من العلماء ذكر معايب النفس بالتأكيد ، كالحرث بن أسد المحاسبي ، وغيره فليرجع إليها من أراد سلامة دينه ودنياه . انتهى .

مهم

ولأجل ذلك يلزم على السالك اختيار الذل والانكسار في كل وقت وحين ، ومنع النفس عن مألوفاتها العادية ، لأنّ من لم يخرق من نفسه العادة لا يخرق له العوائد ، وإنما الزاد هو الاستعانة بالله بمزيد الافتقار ، فأكثر من هذا الزاد إن أردت قطع الطريق ، وتواضع ولا تتكبَّر ، يزول عنك كل تعويق ، فإنه لا ينفع مع الكبر عمل ، ولا يضر مع التواضع بطالة وكسل ، فهذا هو الدواء النافع ، فداويه مرض قلبك ، واصحب من يرشدك إلى تحصيله ، فإنه الشفاء للّبِّكَ ، **فإن الطريق إلى الله تعالى عبودية وانكسار؛ والكبر منازعة للربوبية وافتخار ، فأين تجمع العبودية مع المنازعة في الربوبية** ، وأنى تشرق الأنوار الإلهية مع الاتصاف بالصفات البشريّة ؟ !فسبحان من ستر سرّ الخصوصية في ظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية ، ما يطلب منك شيء مثل الاضطرار ، ولا أسرع إليك بالمواهب مثل الذلة والانكسار ، **تحقق بأوصافك يمدّك**

بأوصافه ، تحقق بفقرك يمدّك بغناه ، تحقق بضعفك يمدّك بحوله وقوته ، تحقق بعجزك يمدّك بقدرته ، تحقّق بذلّك يمدّك بعزّته ، فإياك والكبر ، فإنه لا تنفع معه الأعمال ، وعليك بالتواضع ، فإنه ينفعك وإن اتصفت بأنك بطال ، واطلب هذا المقام من مولاك ، **فإن أقامك ثبت ، وإن قمت بنفسك سقطت** ، وقل في دعائك : اللهم فهمنا عنك ، فإنا لا نفهم عنك إلاّ بك ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت الوهاب .

رب هب لي مذلة وانكساراً　　وأنلني تواضعاً وافتقاراً
وفّق للقلب واهده لصلاح　　وأذقه حلاوةً واصطباراً

فاجتهد في تصحيح تواضعك بالعبودية ، والانكسار ، وشمّر عن ساق الجدّ في طلب هذا المقام بالليل والنهار ، فليس من لبس ذلّ العجز كمن ألبس عزّ الإقتتار[1] . قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ، وقال ﷺ لمن طلب منه أن يكون رفيقه في الجنة : « أَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود » ،

فدلّ كلام الله تعالى وكلام رسوله أن المجاهدة لا بدّ منها في الطريق ، فإن من أُلْبِسَ عز الاقتتار ، وأزيل عنه لباس ذلّ العجز لم يتخلص من التعويق ، ولم يسهل عليه سلوك هذا الطريق ، فمن جدّ وجد ، ومن قرع باباً ولجّ ولج .

اصبر على مَضَضِ الأدلاج بالسحر　　وللرواح على الطاعات في البُكُر
إني وجدت مدي الأيام تجربة　　للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلَّ من جَدَّ في أمرٍ يُؤمله　　واستصحَبَ الصبر إلاّ فاز بالظفر[2]

---

(١) **علّه** : الإفتخار .

(٢) **وفي نسخة** :

اصبر على مضض الإدلاج بالسحر　　وبالرواح على الحاجات والبكر
لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها　　فالنجح يتلف بين العجز والضجر
إني رأيت وفي الأيام تجربة　　للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يطالبه　　واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فاجتهد أيها الطالب في خدمة مولاك على الدوام ، واخلص في خدمتك ، ولا تتوقع لنفسك حالاً ، ولا بلوغ مقام ، فإن من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيدٌ عن طرقات المعاملة .

فيا أسير العادات والشهوات ، ويا طالباً للمقامات والمكاشفات أنت مشغول بك عنه ، أين اشتغالك به عنك ؟ ! فمن طلب حالاً ، أو مقاماً ، أو مكاشفة ؛ فهو مشغول بحظ نفسه دون اشتغاله بخدمة ربّه ، ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبيداً ، وهو لا يحبّ أن تكون لغيره عبداً ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ .

فكل من عبدوا الله لغرض ، أو علة هالكون ، وكل ما إلتفت إليه السالك وأَلْهاهُ فهو حجابه ودُنياه ، وهو القاطع له عن طريق مولاه . وما أحسن ما قيل :

قال لي حسن كل شيء تجلى　　　بي تحلى فقلت قصدي وراك

فلا تطلب أيها السالك سوى مولاك ، ولا تفرح إلا بما به أولاك ، فالسعيد من يئس عن الفرح إلا بما كان له من مولى ، وذلك علامة تحققه في التوحيد ، ورسوخه في أوج علاه ، فلا تجنح بهمتك إلاّ إلى إفضاله ، ولا تقبل بقلبك إلا حضرته ، ولا تشهد إلا عظيم نواله كما قال تعالى : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ .

فإذا شهدت هذا المقام العظيم ، فعليك بمراقبة هذا الفضل العميم ، فإنّ أفضل الطاعات عمارة الوقت بالمراقبات ، فعمّر أوقاتك بمراقبة مولاك ، بأن تعلم أنه هو الذي أعطاك كل فضيلة ، وأزال عنك كل رذيلة ، وغذى قالبك بأقواته ، وأحيا قلبك بذكره بعد مماته ، وجعلك عبداً له ، وعلّمك آداب الخدمة ، وفهّمك طريق عبادته ، وألزمك الحرمة ؛ ومع ذلك هو حاضر لديك ، ومقبل بإحسانه لديك ، ما من حركة وسكون منك إلا وهي بإرادته ، ولا لفتة ناظر ، ولا فلقة خاطر إلا وهي بقدرته كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي

ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ ولذلك كان يتوصل بعض العارفين في تصحيح المراقبة لمريديه بهذه الأذكار الثلاث : الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي ، ثم يقول بعد مدّة لذلك من المريد : من كان الله معه ، وناظره ، وشاهده ، كيف يعصيه . فاسمع يا أخي هذه الوصية ، واعمل بمقتضى هذه القضية ، تحز مقام المراقبة ، وتصل إلى الفتوة على سبيل المُعَاتبَةِ ، والفتوة ؛ أن لا تشتغل بالخلق عن الحق ، والفتوة مقام الكمل من الرجال ، **فعدم اشتغالك بالخلق عين اشتغالك بالحق** ، لأنك متى انفصلتَ وصلْتَ ، والاشتغال بالحق هو المراقبة ، لأن حقيقتها أن تعلم أن الله مطلع على أحوالك ، فتراقب هذا المعنى ، وتكون حافظاً لمعنى ، ومترشحاً لطلب ما يفيض عليك من ظلال مبناه ، والمراقبة التي هي عين الفتوة أصل جميع السعادات .

وما أحسن ما قيل :

إلـهـي عـمـيـتْ عَـيـن لا تـراك عـلـيـهـا رقـيـبـاً

وخسِرتْ صفقَةُ عَبد لم يجعل له من حبّك نصيباً

وهي مقام الإحسان ، ومقام دخول العارفين بقلبه إلى عظيم الجنان ، وهي الباب الجامع لكل خير في الطريق النافع ، وهي التي متى أشرقت شمس ضحاها على القلوب أذابت منها كل رذيلة ، وحلَّتها بكل فضيلة ، وهي التي تزيّن الأسرار ، وتجلو عين البصيرة التي هي مشرق الأنوار ، حتى لا يرى السالك إلا المحاسن من العبيد ، وتطيب له السريرة ، ويقرب لديه البعيد . ولذلك قال بعض العارفين : الفتوة رؤية محاسن العبيد ، والغيبة عن مساويهم ، لأن من لازم الاشتغال بالحق الغيبة عن مساوي الخلق ، إذ من اشتغل بالحق لم يشهد فعلاً إلا فعله ، ولا وصفاً إلا وصفه ، ولا وجوداً إلا وجوده ، فمن لم يشهد في العبيد إلا أوصاف الحق ، وأفعاله ، ووجوده ، لم يشهد إلا محاسنهم ، ويغيب عن مساويهم ، إذ المساوي مفقودة في نظر المشاهد كما قيل :

إذا ما رُمت الله في الكل فاعلاً ، رأيت جميع الكائنات ملاّحا ،
وقال ابن الفارض رضي الله عنه :

وكل الذي شاهدته فِعلُ واحد بمفرده ، لكن تحجب بالأكنة ، إذا ما أزال الستر لم تر غيره ، ولم يبق في الإشكال إشكال مرية ، فيا أيّها الفتى المتحقق بالفتوة أخلص لله في معاملتك ، واخرج من الحول والقوة ، فإن من أخلص لله في معاملته تخلص من الدعاوي الكاذبة ، إذ الدعوى تنشأ عن النفاق ، وإظهار خلاف ما في الباطن من الشقاق ، ومن علم أن الله مطلع على ما في ضميره قادر على الانتقام منه إن افترى لزمه الإخلاص لله تعالى في معاملته ، واجتهد في الصدق في أفعاله ، وأقواله . وما أحسن ما قاله بعضهم :

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

فاجتهد في تصحيح هذه الخصلة تحز مقام الفلاح ، فإن أهل الصدق قليل في أهل الصلاح ، فشمّر الذيل في تصحيح هذا المقام ، وتمسّك بزيل أهله ، وارفض غيرهم من الأنام ، وحاسب نفسك في الحركات والسكنات ، وتفطن لما يصدر منك من دسائس الكلمات ، واعلم أن الرقيب حاضر ، والحق تعالى إليك ناظر ، وتجرَّد عن المخالفات ، والبس حلل الطاعات ، واخرج ملاحظة السوى عن قلبك تشرق عليك أنوار الفقر ، فاستره وتوسل به إلى ربّك ، فإنّ الفقر نور ما دمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره ، إذ حقيقة الفقر التجرّد عن السوى الذي هو عين الإقبال على المولى ، وهذه الأمور ذوقي معنويّ لا يليق إظهاره كالجوهرة النفيسة التي لا يسمح صاحبها بإظهارها إلا بقدر الضرورة ، وهكذا الفقر إذ هو عين التوحيد ، وهو كالدواء المجرّب عند العارف ، ولا يذكره إلاّ المريض المحتاج ، ولا يسمح بإفشائه لأهل الاعوجاج .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : ليكن الفرق بلسانه موجوداً ، والجمع بقلبك مشهوداً ، فالعارف من ستر فقره وتوحيده ، وأظهر فرقه ،

وسار سيرة حميدة يعاشر الخلق في الظاهر كأنه واحد منهم ، ويصاحب الحق في الباطن كأنه منعزل منهم ، وما أحسن ما قيل :

ومـن داخـلٍ كن صاحباً غير غافل ومن خارج خالط كبعض الأجانب

وتخلق بمعنى قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ .

الحكاية

يحكى أنه دخل بعض أهل الأحوال على بعض أهل الكمال ، وكان ذلك الكامل مشغولاً بفصل الخصومات بين الناس ، فلما رآه ذلك الداخل بتلك الحال ، فرش سجادته على حوض من الماء كان هناك ، وشرع يُصلي ، فالتفت إليه ذلك الكامل فقال : ما هذه البدعة التي تفعلها ليس الشأن ما فعلته ، إنما شأن أن يكون الرجل بين الخلائق ، وسرّه معتزلٌ عن الخالق . ولقد صدّق فيما قال ، وبيّن ما عليه أهل الكمال من الرجال . فلذا قيل : العارف كائن بائن ، بظاهره مع الخلق ، وبسرّه مع الحق .

فالأوّل فرق ، لا بدّ منه في الطريق . والثاني جمع ، لا بدّ منه في التحقيق ، الجمع ما أسقط تفرقتك ومحا إشارتك ، والجمع استغراق أوصافك وتلاشي نعوتك . فالتفرقة والإشارة تقتضي الأغيار والجمع لا يشهد صاحبه إلا الواحد القهار قد انمحت عنه الرسوم ، وذهبت عنه العلوم ، قد فنيت أفعاله وأوصافه في أوصافه ، وذاته في ذاته ، ثم يرجع منه إلى غاية الفرق والرسوم ، ويعود إليه ما فارقه من علم ومعلوم ، ويصير مرشداً ، ومقتدى ، جامعاً ، فارقاً ، وارثاً لسيّد الورى .

ولذلك سئل الجنيدي عن النهاية قال : الرجوع إلى البداية . فالمنتهي من رجع إلى بداية فرقه وعبوديته ، قد عرف المقصود من خلقه ، وانخلع عن أوصاف بشريته ، لا يشير إلى أوصافه ولا يشير إلى نفسه ، فإن المدّعي من أشار إلى نفسه ، إذا الإشارة إلى النفس فرع إثباتها ورؤيتها ، وهو ينافي مقام الفناء ، ويباين مشرب من ارتشف كأس الهناء ، ولذلك قال ذو النون رضي الله عنه لما سئل : ما أشدّ الحجاب وأخفاه ؟ قال : **رؤية النفس**

وتدبيرها ، فمن حجب ورأى نفسه شيئاً أشار إليها ، فكان مدعياً وهو عن مذاق أهل الفناء بمعزل .

انتهى ما أردت إيراده في هذا الموضع إن أردت الزيادة فراجع إلى « تقريب الأصول » في ٢٠ ، وفي ١٩٨ تفز بالمرام والسلام . سبحان ربّك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمن .

تمت

تم الكتابة في يوم ٣ من شهر الله المبارك شعبان في سنة ١٣٦٢ ، وأنا الفقير الخسير ذو التقسير الكثير محمّد ابن العالم الحاج بالحرمين سعد البقلِخي الأسفل لأجل الإرسال لدى قاضي حسن المحمد العوري رجاء لدعائه ، وليكون سبباً للتذكير .

فـإنـي وإن كـنـت لا يـلـيـق بـقـلـوب أمـثالـهـم
والتـذكـيـر عـنـدهـم كـتـبت هذه الأجوبة
وأرسـلـتـه لـديـكـم بــقـوّة شـــدّة
لاحـتـيـاج لـدعائكم ولرحمته
تعالى بواسطتكم اهى هذا
والـسـلام عـلـيكم
سامحه الله من فرطاته
آمـيـن

أرجوكم العفو

فهرسة

البروج المشيّد ة
بالنصوص المؤيّدة

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٨-٩) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً(١) ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

---

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً – وبمحض التوفيق الإلهي – الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولبي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله

القادي فألبسه خلعة علي – رضي الله عنه – سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٥-٦) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصّية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً مننظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

سلسلة المشائخ للطريقة النقشبندية في داغستان

مُحَمَّد ﷺ ١١				
أَبُو بَكْر الصديق ١٣	سَلْمَانُ الفارسي ٣٣	قَاسِمُ بن محمد ١٠٦	جَعْفَرُ الصادق ١٤٨	
طَيْفُور ٢٦١ أبو يزيد البسطامي	أَبُو الحَسَن ٤٢٥ الخرقاني	أَبُو عَلِي الفارمادي	يوسف ٥٣٥ الهمداني	عَبْدُ الخَالِق الغجدواني
عَارِف الريوكيري	مَحْمُود الانجير الفغنوي	عَلِي ٧١٥ الراميتني	مُحَمَّد بَابَا السماسي	سَيِّد أَمِير الْكُلاَلِيّ
مُحَمَّد النَّقْشْبَنْدِيّ ٧٩١ بهاء الدين البخاري	عَلاَءِ الدِّين ٧٩٥ العطاري	يَعْقُوب ٨٠٢ الچرخي	عُبَيْد الله ٨٩٥ السمرقندي	مُحَمَّد زَاهِد ١٠٠٠ الوخشوارِي
دَرْوِيش مُحَمَّد الامكنكي	خَوَاجَكِي ١٠١٠ الإمْكِنْكِي	مُحَمَّد البَاقِي ١٠٢٢	**أَحْمَد الفارق** ١٠٣٤ الإمام الرباني	
مُحَمَّد مَعْصُوم ١٠٧٩ الفاروقي	سَيْف الدِّين ١٠٩٥ الفاروقي	نُور مُحَمَّد ١١٣٥ البدواني	حَبِيب الله ١١٩٥ ميرا ازجانجاني	عَبْد الله ١١٧٠ الدهلوي
خَالِد شَاه ١٢٣٢ البغدادي	إِسْمَاعِيل الكردميري	مُحَمَّد صالح ١٢٥٤ الشرواني	إِبْرَاهِيم	يُونُس ١٢٧٧
مَحْمُود أَفَنْدِي ١٢٩٤	جَبْرَائِيل ١٣٠٧ أفندي	عَبْدُ الرَّحْمَن ١٣٠٥ حَاجّ	حَسَن حِلْمِي ١٣٥٦ أفندي	مُحَمَّد يعسوب
حُمَيْدْ أَفَنْدِي ١٣٦١	حُسِنِل مُحَمَّدْ ١٣٩٢ أَفَنْدِي	مُحَمَّد عَارِف ١٣٩٧ أَفَنْدِي	مُحَمَّد سَعْد حَاجٍّ ١٤١٦ البقلوخي	
عبد الحميد ١٣٩٧ أفندي	حمزة أفندي ١٣٩٧	محمد أفندي ١٤٠٦ الخچدي	سعيد أفندي الچركي	

قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم . اللهم اجمعنا معهم وارحمنا معهم واحشرنا معهم و ادخلنا معهم في الجنان برحمتك يا أرحم الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أوليائه وأصفيائه أنوار المَعْرفة ، واصطفاهم من بين خلقه بالمواصلة والمشاهدة ، فاستنارت بأنوار علومهم ومعارفهم صدور الخليقة ، وهدى بهم أرباب السلوك إلى معرفة منازل الطريقة ومراتب الحقيقة ، فلولاهم ما سلك أحد من تلك السُبل فِجَاجَهَا[1] ، ولا قوّم سالكوها من ضلع[2] النفوس اعوجاجها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي يغترف الخاصّ والعامّ من فيض بحره ، ويقتطف الكل من روض مواهبه وأثمار أشجار أسراره ومعارفه ، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً تعدلان صلاة وسلامَ جميع أهل محبّته ، دائمين بدوام ملكه وكلّما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . آمين .

أما بعد ؛ فيقول العبد المذنب الراجي إلى مغفرة الله سبحانه حسن حلمي ، ولد العالم الحاج محمد القحيّ النقشبنديّ الشاذليّ – سامحه الله تعالى من فرطاته ، وسلك به مسلك أوليائه ؛ آمين – :

قد ورد إليّ أسئلة من طرف العالم القاضي محمد البُرْجِيّ ، فحمدت الله تعالى على وجود مثله في عصري ، وشكرته تعالى على إِلْهَامِه إيّاه أن يسأل تلك المسائل التي كانت متوطّنة في صدري منذ زمان ، لأنها كانت مشكلة لدى كلّ من ليس له نصيب من علم الباطن ، فكانت المسائل تتضمّن مسائل أخرى مشكلة أيضاً لا بدّ من انحلالها والجواب عنها ، فاحتجنا لأجله لجمع كتاب يشتمل على مباحث مستقلّة ، وأجوبة منقولة من كتب متعدّدة ، فلمّا كانت المسائل واردة من رجل برجيّ ، وكانت

---

(١) الفجّ : الطريق الواضح الواسع (هامش الأصل) .

(٢) ضلع : الميل والجنف .

الأجوبة مشيّدة بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف والأئمة ، أردت أن أرتّب الكتاب على بُروج ؛ وأن أسمّيه بـ :

« **البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة** »

جعله الله تعالى نافعاً للعباد ، ولاجعله سبباً للعناد . آمين .

و قد وقع فيه التكرار في مَوَاضع نادرة ليكون سبباً لفهم الكلام ، أو لوقوع الحاجة ليوافق المرام على مقتضى المقام ، لِما أنّ في كل مَوْضع فائدة مستقلّة ، ولكل مقام حكمة مستبدّة ، ويكفيك ما في القرآن من التكرار كمثل قصص موسى عليه السلام ، وأرجو من كل ناظر أن يصلح ما يراه فيه من الخطأ والتحريف ، ومعلوم أن الإنسان ولو بالغ في التصحيح فقلّ أن يسلم من الخطأ والتصحيف ، ولا ينبغي لمنصف أن يتسارع إلى العتاب إلا بعدَ إِحكام النظر والفكر من أوّل الكتاب إلى آخره ، فإنّي قد حَرَّرْتُ ما فات في مسألة في مَوْضِع آخر مع بيان فائدة زائدة ، ومَنْ رأى فيه خللاً أو أشكل منه شيئاً ! فأسْأله بالله سبحانه أن يراجع به لديّ ما دمت حيّاً لأُوضح له العبارة وأحلّ له المشكلة ، فإن صاحب الكلام أعلم بمراده من غيره ، وقد بَيَّنت فيه مآخذ ونقولاً في كل جواب مع وضع تاريخ الصحيفة مما عندي من الكتب ، وإن وجدتَ فيه موضعاً ذكرت فيه قولاً مّا من عند نفسي فاعلم أن غالب كلامي مقتبس من كلام السادات ، ومنتخب من شِعاع نور الشريعة والطريقة ، نقلته بالمعنى ، لِما أني نسيت لفظه ولم أتذكّر في الحال موضعه ، وإن كان المعنى راسخاً في القلب ومحفوظاً فيه ، وذلك ليس إلاّ نادراً كما ستراه إن شاء الله تعالى .

ثم اعلم أنّ تدوين الكتاب – وإن وقع السائل لذلك سَبَباً أوّلاً – لكن قد ذكرت فيه أشياء مهمّة لا بدّ لسالكي طريق القوم من رعايتها والعمل بها ، وغالب ما فيه كالسلَّم لهم للارتقاء إلى سطوح المعارف ، والمرجوُّ

منهم أن يدعوا لهذا المفلس بالمغفرة والوقوف على حدّ الاستقامة ، والله وليُّ التوفيق ، وله الحمد على كل حال وفي كل حين ، ومنه نطلب العون للدخول في دائرة التحقيق .

وقد بنيتُ الكتاب على هذه البروج الآتية :

البرْج الأول : في جواب مسألة : لأَزَمَ واحدٌ عبادةَ الله تعالى جُمعةً وجماعةً ، ذكراً وتلاوةً ، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً ولم يأخذه من شيخ ، فهل يكون سعيه عبثاً ؟ وما يقوله أهل التصوّف : مِن أنّ كل مَن لم يتخذ شيخاً فشيخه الشيطان ، فيحبط عمله وسعيه عبث ، أهو حق أم لا ؟ فإن كان حقاً فما معنى قوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ ؟ وقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ الآية ؟

البرْج الثاني : في جواب مسألة ذلك السائل بقوله : فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره وشره ، ولو مثقال ذرة ، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ ؟ !

البرْج الثالث : في جواب مسألة : هل يكون الفرق بين من له شيخ وبين غيره في الخوف من سوء الخاتمة ؟

البرْج الرابع : في بيان درجات شوائب الرياء ، والآفات المكدرة للإخلاص .

البرْج الخامس : في بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم .

البرْج السادس : في بيان أن الصحابة – رضي الله عنهم – هم السادات القادات ، وأنهم هم النجوم ومن اقتدى بهم اهتدى ، ومن خرج عن سبيلهم ارتدى ، وأنَّ ما وقع بينهم إنما وقع بالاجتهاد ، لا حِقداً ولا

حسداً ، ولا حبّاً للرياسة وعلوِّ الدرجة .

البرْج السابع : في بيان ما ورد في التلقين وما يترتّب عليه من الفوائد المهمة .

البرْج الثامن : في بيان أفضليّة علماء الباطن على غيرهم .

البرْج التاسع : في بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر ، ووجوب تعلُّم العلم الباطني ، وبيان من يقول به .

البرْج العاشر : في بيان غرور علماء الظاهر .

البرج الحادي عشر : في بيان جواب مسألة السائل : بأن المريدين يزعمون بعضهم بعضاً ، وينكرون شيخ بعضِهم ، ويكون بينهم التحاسد والتعارض ، والحقد والسبُّ والاستهزاء ، فإذا كان الأمر كذلك ، يغلب على الظن فما فائدة اتخاذ الشيخ ؟ فلم أَرَ أستاذاً أو مريداً لا يهجو آخرَ !

البرْج الثاني عشر : في بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقَيْن من المشائخ ، وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأهُّل والإذن عصيان .

البرْج الثالث عشر : في جواب مسألة حاصلةُ هذا : وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاء من دون الله . انتهى . وكان يقول أيضاً : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق . فإذا كان الأمر هكذا ! فماذا يطلبه المريد من أستاذه ؟ وما فائدة الاتخاذ ؟

البرْج الرابع عشر : في بيان جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء .

البرْج الخامس عشر : في بيان أن الإنكار على الصوفية سمٌّ قاتل .

البرْج السادس عشر : في بيان الطرق المشهورة في الديار الداغستانية وذكرها بالإجمال .

البرْج السابع عشر : في ذكر أوصاف الشيخ ، وعدم جواز كون المجذوب المجرَّد مرشداً .

البرْج الثامن عشر : في بيان أنّ الشيخ الكامل في قومه كالنبي في أمّته ، وأنّ متابعته كمتابعته ، لكونه نائباً عنه ﷺ ، وبيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون لله لا لغرض سواه .

البرْج التاسع عشر : في بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في أسر محبة الدنيا ، ومدح العلماء الزهَّاد الذين يرغبون عن الدنيا .

البرْج العشرون : في ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات .

البرْج الحادي والعشرون : في ذكر معاتبة النفس وتوبيخها .

خاتمة : في ذكر أدعية منقولة من كتب الأئمة الصوفية .

تذنيب : في ذكر مكفرات الذنوب ، والأحزاب النافعة لتفريج الكروب ، وذكر سندها وسند أشياخنا في العلوم الظاهرة والباطنة .

فها أنا ذكرت البروج المذكورة بالتفصيل مع الأجوبة لكل مسألة ، مؤيدة بالمآخذ الصحيحة والأقوال الصريحة من كتب الأئمة فقلت حامداً الله تعالى :

فى جواب مسألة : لازَمَ واحدٌ عبادةَ الله تعالى جمعةً وجماعةً ، ذكراً وتلاوةً ، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً ولم يأخذه من شيخ ، فهل يكون سعيه عبثاً ؟ وما يقوله أهل التصوّف من أنّ كل من لم يتَّخذ له شيخاً فشيخه الشيطان فيَحْبطُ عمله ، وسعيه عبثٌ ، أهو حق أم لا ؟ فإن كان حقّاً ! فما معنى قوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ الآية ؟!

فنقول وبالله التوفيق ، ومنه نستعين وبه نستمدّ ، وباسمه نَتَبَرَّك ، وله الحمد والمِنَّة :

إنّ مَن أخلص في ذكره وعبادته لا يكون سعيه عبثاً ؛ وإن لم يأخذه من شيخ ، بَيْدَ أن السالك بنفسه لا يهتدي كثيراً إلى إخلاص العمل من الشوائب المحبطة له ، بل يرى أنه أحق بالثواب بعمله وينجو به من عقابه ، و ينسى غالباً فضل الله ورحمته ، ولا يعلم المسكين أنّ كثيراً من أعماله يكون سبباً للعقاب ! لرؤيته عملَهُ وأنّه مخلص فيه ، وإعجابه بما عمله وشهوده أنه خير ممن لايعمل ، والحال أن بعض العارفين قد قال : **من رأى في إخلاصه إخلاصاً يحتاج إخلاصه إلى إخلاص** . كما سيأتي .

ثواب الأعمال بالنِّيَّات لا بمجرد الأعمال

ومن المعلوم أن ترتّب الثواب على العمل منوطٌ بالإخلاص فيه ، و« **إنما الأعمال بالنيات** » كما ورد ؛ أي : إنما ثواب الأعمال بالنيات ، لا بمجرد الأعمال ! وأن مقصود أهل الله لا يكون إلا العبودية المحضة ، وطلب الثواب عندهم كعبادة الأصنام الحسيَّة على حد سواء ، كما ذكره

الشعراني في « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار » . **فحسنات الأبرار سيئات المقرّبين** . انتهى .

والسالك الذي سلك في طريق الذكر والرياضة بنفسه قد لا يتنبّه إلى دقائق الرياء ؛ فإنه أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء ، ويقع في المهالك أحياناً ، ويكون له في كل مقام من مقامات السالكين عمل خاص بذلك المقام لا يجوز له الانتقال إلى غيره ، وإن انتقل يحصل له التنزّل وينقطع عن التّرقي ، و« الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدمّ » ، كما ورد ، فيجتهدُ في إغواء العبد وإضلاله ويكون نفسه الأمارة مُعِينة له ، فيُرِي القبيح حسنا فيعمله ، والحسن قبيحاً فيمنعه منه بإلقاء الوساوس ، فحينئذ يبقى بلا وصول ويجرّه الشيطان إلى سبيله ؛ فيكون شيخاً له يتصرّف فيه كيف يشاء ، ويركب عنقه كما يركب الحمار .

وقد قيل : **الرياضة بلا شيخ لا تورث إلا الوسوسة والجزبرة** .

وفي « الفجر المنير » : وكان ؛ يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه يقول : من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم . انتهى ٢١ .

وفي « الإحياء » : فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإنّ سبيل الدين غامض ، وسُبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير[(١)] فقد خطر[(٢)] بنفسه وأهلكها . انتهى ٨١ ج٣ . وما قيل : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ! ! حق ثابت في كتب أهل التصوّف ؛ كـ« رسالة » الإمام القشيري و« الإتحاف

---

(١) الخفير : المجير ، وخفرت الرجل : حميته وأجرته من طالبه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) الخطر : الإشراف على الهلاك . « مصباح » (هامش الأصل) .

شرح الإحياء » وغيرهما .

وعلّة إحباط عمل من ليس له شيخ ! عدم خلوصه غالباً من شوائب المحبطات التي هي سبل الشيطان وطرقه ، **والعمل الذي لا إخلاص فيه لا يكون حسناً يثاب عليه** . وسيأتي في البرج الثاني ما يؤيّده ، ومعلوم مشهور أن سلوك الطريق لا يكون إلا بالذكر وتكراره ، كما هو مذكور في الكتب .

وقد قال صاحب « رماح حزب الرحيم » : إن الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى - الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله تعالى - هو المأخوذ بالإذن والتلقين من شيخ وارث واصل مرشد ؛ تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، لا ما يأخذه الإنسان بنفسه ! انتهى فراجعه في الفصل السابع والعشرين في ١٨٠ ج١ .

وقال قدس سره بعد ذلك : **اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيح ، أو عن شيخ غير مفتوح عليه عارفٍ ، هلاكُ صاحبه أقربُ من سلامته** ، لاسيّما أسماء الله تعالى .

قال الشيخ أحمد بن المبارك : وسمعته - يعني : عبد العزيز رضي الله تعالى عنه - يتكلم على الذين يذكرون أسماء الله تعالى في أورادهم ؛ فقال رضي الله عنه : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضرَّتهم ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ قال رضي الله تعالى عنه : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحانه ، فإذا أردتَ أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نوره الذي يَحْجبُ من الشيطان وأنت تذكره ! لم يضرَّك ، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان ! حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً وهو في حضرة الحق دائماً وأراد أن يعطي اسماً من أسماء الله تعالى الحسنى أعطاه

ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضرّ . **ثم النفع** به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ، فإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها ، أو بنية إدراك الآخرة أدركها ، أو بنية معرفة الله تعالى أدركها ، وأمّا إن كان الشيخ الذي يلقّن الاسم مَحْجُوباً ! فإنه يعطي مجرد الاسم من غير نور حاجب فيها ، فيُهلك المريد ، نسأل الله تعالى السلامة . انتهى .

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به : فعلى العبد ملازمتها ، أي : الأحكام التكليفية المتفرقة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والدؤوب على ما يقدر عليه منها ؛ بدوام معانقة الذكر معها ، ونعني بالذكر : الذي يكون بتلقين شيخ واصل ؛ لا الذي يأخذه العبد باختياره ! مع دوام الاستناد بالقلب إلى شيخ واصل ، فإن بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن يَنَالَه السر الرباني بسببه يصل إلى التطهير الأكبر المذكور أوّلاً ، الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات ؛ المعبر عنه في الإشارة عن الله تعالى يقال عنه : **من كشفت له عن صفاتي ألزمته الأدب** ، **ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب** ؛ وهذا العطب هو غاية منتهى الأَرَب ومنتهى مطلب العبد ، فإن هذا العطب هو محل الاستهلاك في الحق ، حيث يسلُبُ العبد من أوصافه البشرية ، ويلبس خلعة الاتصاف بالأوصاف الربانية . انتهى ما أردنا نقله من كلامه رضي الله تعالى عنه وعنا به . وقال في « تحفة الإخوان والخلان » **الخامس** – يعني : من أصول التقوى الحقيقية – دوام الذكر الذي لقّنه له شيخه لا يتجاوزه إلى غيره إلا بإذنه ، إلا الأوراد المخصوصة بطريق شيخه .

ثم قال بعد كلام : ومنها – أي : من الآداب التي تطلب من المريد في حق الشيخ –ملازمته الورد الذي رتّبه ، **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه** ، **فمن تخلف عنه فقد حَرم المدد** ، وهيهات أن يصحّ في الطريق ! !

ثم قال بعد كلام : ومنها – يعني : ومن الآداب التي تتعلق بالمريد

في نفسه – أن يأخذ بالأجود في العبادة ، **لا ينتظر**[1] **بذكره وعبادته ثواباً ولا فتحاً ، وإنما يعبد الله تعالى إلى أن قال : لكنه لا يشتغل إلا بأوراد الطريق وما أذن له فيه الشيخ** . انتهى .

وقال السيّد محمد الغوث رضي الله تعالى عنه في « جواهره » : فذكر العامة : كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات ، **والذكر الخاص : مما يكون بتلقين شيخ مرشد ؛ عارف بأَدْواء**[2] **النفوس ، يكون أقوى في إزالة الحجب عند الملازمة عن قلب حاضر** . انتهى .

وقال في كتاب « التطورات » : **اعلم أن الصدر** مملو[3] ومحشوّ بالأخلاق الظلمانية التي تظهر بها من بني آدم الآثار الخبيثة ، **فلا بدَّ له أن يزكي صدره بأخذ التلقين من الشيخ الكامل** حتى يدخل في طور[4] القلب الذي هو مستعدّ للتزين بالأخلاق الحميدة والأنوار المشروحة بحسب الاستعداد ، وإليه أشار رب العزة بقوله ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴾ ومن دخل فيه بالخلاء[5] عن الأخلاق الذميمة بواسطة التوحيد الجهري يرى شجرة التوحيد نوراً مملوءاً بأغصان الأثمار في العَالَم الإنساني بحَسَب الاستعداد ، ثم يرى السماء مصفًّى أو مملوءاً بالنجوم ، والقمر صافياً عن السحاب المعنوي ، ويرى البساتين والجبال مع العيون وغير ذلك ، فلا بد للسالك في وقت الطلب أن يتقي الله تعالى بالتجرد عن الأخلاق الذميمة حتى يتزين قلبه بهذه المذكورات من أنوار ذاته الغيبية ، ويفني بعض أفعاله في نور أفعال الله تعالى ، فيظهر منه آثار الأخلاق الحميدة كالتسليم

---

(١) في نسخة : فلا ينتظر .

(٢) جمع داء .

(٣) في نسخة : مملوء .

(٤) الطور مثل ثوب : الحال والهيئة (ص) (هامش الأصل) .

(٥) أي : البراءة . (هامش الأصل) .

والتفويض وغيرها[1] في طريقه بالنظر إلى بعض المشارب ، ويرى بنظره وتوجهه إلى مِرْآته ماذا كسب من الاستعداد إلى القيامة الوسطى ، أعني : فناء صفاته في نور صفات الله تعالى بل إلى القيامة الكبرى ؛ وهي : الفناء في الله بحسب الاستعداد ، وإليه أشار حبيب[2] رب العزة بقوله ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾ واعلم أن هذا النداء للمؤمنين الطالبين ؛ الدّاخلين في طريق الله تعالى لأجل مشاهدة أنوار الأفعال والصفات وغيرهما بأخذ التلقين من الشيخ المأذون ، إلى أن ينتهي إلى محمد ﷺ . انتهى .

وقال في « الخلاصة المرضية » : قال الشيخ جبريل الخرماباذي رحمه الله تعالى : وههنا أصل أصيل يجب رعايته ، **فإن الذكر بدون رعايته لا يوصل إلى المقصود ؛ وإن كان لا يخلو عن فائدة** ؛ وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، **فإن الذكر بدون التلقين مثل النِشَاب**[3] **الذي يشترى من صانعه ، ومثل الذكر الذي يكون بتلقين مثل النِشَاب الذي يؤخذ من السلطان ، فإنهما وإن تساويا في النشابيّة ودفع الخصم ؛ ولكن أين نشاب النبال**[4] **من نشاب السلطان في الناس والوقع وحماية صاحبه وولايته وكل من يتعلق به! والله تعالى أعلم** . انتهى .

---

(١) لعله غيرهما (هامش الأصل) .

(٢) أشكل لدي قوله رحمه الله : (وإليه أشار حبيب رب العزة) فمن أزال ذلك فرحم الله عليه . اجعل الإضافة بيانية أو لامية بإرجاع الضمير إلى المضاف إليه أو بجعل الفعيل بمعنى الفاعل ، يرتفع (للكاتب نجل ابن القحي) .

(٣) أي السهام . (قاموس) .

(٤) والنبال بالتشديد الذي يعمل النبل والنبل السهم (هامش الأصل) .

فائدة التلقين

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في « الإبريز » : إن شيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله عنه سئل وهو حاضر عن فائدة تلقين الورد الذي يعطيه الأشياخ ؟ فقال رضي الله تعالى عنه للسائل : تسألني عن الصادقين ، أو عن الكاذبين ؟ فقال : عن الصادقين . فقال رضي الله تعالى عنه : **فائدته** أنّ الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن ، وأن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى أن المريد إذا قال : لا إله إلا الله ، قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل ، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحق تعالى ، فإذا لقن المريد ! صارت[1] حالته في المريد ، فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ ؛ إن قدر الله تعالى له ذلك ، ثم ضرب مثلا بالحكاية الشهيرة[2] في دواء ولد الملك بترك اللحم .

حكاية عجيبة في دواء ولد الملك بترك اللحم

فقد وقعت لملك له ولد عزيز عليه ، ثم نزل به ضرر عظيم ، فجمع الأطباء لدواء ولده وتوعّدهم بوعد[3] شديد إن لم يبرئوا ولده ، فاتفق الأطباء على أنّ دواء ولده في عدم أكل اللحم ، فذكروا ذلك للولد فأبى عليه وقال : لا أترك اللحم ولو خرجت روحي في هذه الساعة ! فحار الأطباء ودَهِشُوا في أمرهم ، ونزل بهم ما لا يطيقونه ، حيث امتنع الولد من اتباع سبب الشفاء . وألحّوا عليه المرة بعد المرة ، فلم يزده ذلك إلا نفوراً ، فذهب رجل منهم واغتسل وتضرّع إلى الله تعالى ، ونوى أن

---

(١) لعله سَرَتْ (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : المشهورة .

(٣) الوعد بمعني الوعيد (قاموس) .

لا يأكل اللحم ما دام المريض لا يأكله ، ثم جاء إلى المريض فقال له : لا تأكل اللحم . فامتثل أمره ، وسمع قوله ، وبرئ لحينه ، فتعجّب بقية الأطباء من ذلك ! فأخبرهم بما فعل .

قال رضي الله تعالى عنه : وأيضاً **فإن أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتاً طاهرة قابلة لحمل سرّهم مطيقة له؛ فإنهم لا يزالون معها** بالتربية بتلقين الذكر وغيره ، ويكون هذا المطيق للسر هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممن ليس بمطيق وطلب منه التلقين فإنه لا يمتنع ، لأنه لا يقطع[1] على أحد ،

صفة لواء الحمد

فلذا تجد الشيوخ يلقّنون كل أحد ؛ مطيقا كان[2] أم لا ، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة ؛ وذلك **أنه ﷺ يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد وهو نور الإيمان** . انتهى .

قال الإمام أبو الحسن علي الصعيدي العدوي في « حاشيته على الخرشي » : ذكر ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ عن صفة لواء الحمد ! فقال : « طوله ألف سنة وستمائة سنة ، من ياقوتة حمراء ، وقضيبه من فضة بيضاء ، وزُجّه[3] من زُمُرُّدَةٍ[4] خضراء ، له ثلاث ذوائب ؛ ذُؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، وذؤابة

---

(١) **مهم** : يندفع به تعريض من يعيب على المرشد بتلقين الطريقة المسيئ من السراق والخ (القاض حبيب الله) .

(٢) ويأتي مزيد بيان في حق هذا .

(٣) الزج - بالضم - : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وجمعه زجاج ، « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٤) عبارة المدابغي وزجه من زمرد خضراء ، والسلام .

وسط الدنيا ، مكتوب عليه ثلاثة أسطر : الأول بسم الله الرحمن الرحيم ، والثاني : الحمد لله رب العالمين ، والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله ، طول كل سَطْر مسيرة ألف عام » قال صدقت يا محمد . ذكره الشهاب في « شرح الشفاء » . انتهى .

للأولياء ألوية وأتباع

ثم قال الشيخ عبد العزيز بن مسعود : وجميع الخلائق خلفه من أمّته ومن غير أمته مع سائر الأنبياء ، وتكون كل أمة تحت لواء نبيها ، ولواء نبيها يستمدّ من لواء النبي ﷺ ، وهم مع أممهم على أحد كتفيه وأمته المطهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ، ولهم ألوية مثل ما للأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ، ويستمدون من النبي ﷺ ، ويستمد أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالمريد إذا لم يكن مطيقاً فإنه[1] ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقنه ، قال رضي الله تعالى عنه : ولا ينتفع منه بمجرد التلقين فقط ومطلق تلفظه بالذكر حتى يتعلم منه كيفية الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، وينتفع منه بعض النفع في الباطن . انتهى .

قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : إنّ السالك مبتلى بنفسه ، فإذا عمل وحده ! ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهام ، وعقائد فاسدة ، وأفكار كاسدة ، وكسل ومكر ، وحيل وزندقة واستدراج وغيرها ؛ ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول وهو لا يدري ، لا سيّما المبتدئ ! فإنه يشوّش عليه هذه الحالة ، فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقّفه .

وأما التلقين وسنده ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ،

---

(١) مهبّ لأمثالي الحمد لله (حبيب الله) .

وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب طريق وهو إلى النبي عليه السلام ، وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ، **وكان الشيخ في الدين مقدّم النسب على الأب في الطين** كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شـــرع الهـــوى　　بيننـــا مـــن نســـب مـــن أَبَوَي

مطلب : لا بد له من مرشد حسي أو معنوي

وكان السالك لا بد له من مرشد حسي كالشيخ ، أو معنوي كالإلهام وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعدة التوفيق ، واللطف والعناية ، أو يغنيه الله تعالى عن ذلك كله بمنح من فضله ، وجذبة بها يصل من غير مشقة ، وجب ذكر الأسانيد في كل طرق إلى الرسول عليه السلام .

واعلم أنّ من لا يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبولة ؛ وربما انتسب إلى غير أبيه ، لعن الله من انتسب إلى غير أبيه ، **وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس ، لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس** ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقِّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السر في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله ، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى ٢١ .

وقد نرى الخيط الممدود الحسي ، والحديد المسلسل المُسَمَّى بلغتنا بـ(تِلْ) كيف يسمع النداء إذا تكلم بوضع الفم عنده من بعيد ،

وهكذا يكون أمر المريد إذا أخذ الورد من الشيخ ! يحصل بين قلبه وقلبه خط نوراني[1] إلى قلب رسول الله ﷺ فيحصل منه المدد ، وأما إذا ترك المريد ذلك الورد ! ينقطع المدد ، كما ينقطع الخبر إذا انقطع خيط (التِّيل) المحسوس ، وبطل استعداده ، وانقطع عليه الطريق ورجع القهقرى ؛ فقد قال صاحب « غرائب القرآن » ما نصه : فإن الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها ، فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقياً ، فإذا تصرف الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بإفساد البيضة ! فلا ينفعها التصرفت بعد ذلك لفساد الاستعداد ؛ ولذا قالت المشائخ : **مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة** . انتهى . فراجعه من سورة المؤمنين .

وفي « الصاوي » ما حاصله : من زلّ به القدم في عهد شيخه فنقضه ؛ فإنه مطرود عن طريقه ، ومتى طرد عن طريقه فقد سُلِبَ ما وهبه الله تعالى من النور الإلهي ، فلا يرجى به الفتح في طريقة أخرى ، **لأن غاية الطرق واحدة** ، وهو قد طرد عن الغاية . انتهى فراجعه في سورة النحل .

مهمات لمن نقض عهد شيخه

وفيه أيضا : فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله ﷺ القائم بحقوق الله وحقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتباعه ، ونقض عهده إما كفر ! إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره ، أو ضلال مبين ! إذا قصد عدم الالتزام بأوراده[2] . وأما من خالف الشرع واتبع هوى نفسه ! فالواجب نقض عهده ، لأنّ من لا عهد له مع الله لا عهد له مع

(١) أي بواسطة سلسلة قلوب المشائخ . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) فلا بد للمريد الصادق أن يوافق شيخه في الشريعة والطريقة ، فإن موافقته كموافقة النبي ﷺ . كذا ذكره أحمد الزركراني في « رسالته » . فراجعه قبيل الفصل الثالث . (منه رحم الله إفلاسه) .

خلقه . انتهى . فراجعه .

وقد أوردنا طرفاً من هذا القبيل في تأليفاتنا ، واكتفينا هنا بهذا القدر اليسير استطراداً ، فينبغي للمريد أن يلازم على ما أمره به شيخه ، **فإن حفظ العهد والاشتغال بالورد إقبال على الله تعالى ، ونقضه وترك الورد**[1] **إعراض عنه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه** ، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فافهم ! فإنه مهم لمن له اهتمام .

وفي شرح « تائية السلوك » : من شرط الذكر النافع أن يأخذه المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من رسول الله ﷺ . انتهى ٦٢ .

وفيه : ومن لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ، لأن النفس التي هي مريدة الشيطان كثيرة التلبيس عظيمة التدليس ، توهم العبد أنه صادق ؛ وهو كاذب ، وأنه مُوفٍ بعهده وهو نَاكِثٌ[2] ، وأنه زاهد وهو راغب ، وإنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يلقي إليه قياده ، أو فقيه يستفتيه في سائر أموره ؛ أو صاحب ناصح ، فالشيخ أوّل[3] دليل ، وعليه عند القوم التعويل ، فمن استضاء به اهتدى ، ومن ضلّ عنه ارتدى ؛ على حد ما قيل :

مَنْ لَمْ يَكُنْ خَلْفَ الدَّلِيلِ مَسِيرُهُ   كَثُرَتْ عَلَيْهِ طَرَائِقُ الأَوْهَامِ

---

(١) فالمقبل إلى الله تعالى ، يقبل إليه والدليل قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، ومن أعرض عنه تعالى يعرض عنه وقوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ، شاهد عادلٌ على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي نسخة : ناكسٌ .

(٣) في نسخة : أدلّ .

وقال آخر :

لا تسلكنَّ طريقاً لستَ تعرفها بلا دليل فتهوي في مهاويها

فلا بدّ للمريد من شيخ كامل يقتدي بآثاره ، ويهتدي بهديه وأنواره ، فإنه واسطة الخير ، والوسيلة إلى المنع من الضير . انتهى ٥٩ .

وفي « الصاوي شرح الجلال » : ما نصه : فلا بدّ فيها - يعني : في الأذكار - من الشيخ العارف ، وإلاّ ! دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها . انتهى راجعه من سورة الأحزاب .

وفيه أيضاً : فالذكر أفضل الأعمال ، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ، ولذلك ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة فيلقنهم الذكر ، ويأمرهم بالإكثار منه ، فتنّور قلوبهم . فراجعه .

نفي الخواطر خير من مطالعة الكتب

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : إني لا أتخذ شيخاً ، بل أطالع كتب الشرع والتصوف ، وأتعلم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها . **قلت : نعم ، ولكن اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر ساعة خير لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .**

قال حضرة خواجه شاه نقشبند قدس سره الأمجد : **أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى!** لكن لا يتمّ الوصول إلا بنفي الوجود ، وقد قيل : **وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر** . فلذلك كان السالك يجد من المدد في الظاهر ما لا يجده في الصوم والصلاة ، **فلا تلتفت أيها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض والواجبات والرواتب** ، واجتهد لقطع علائق القلب والفناء إن كنت تريد الوصول إلى المقصود .

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : **جلسة خير من ألف حجة** ؛ أي الجلوس ساعة **متفكراً في عظمة الله تعالى ، منقطعاً عن سائر الخواطر ، خير من ألف حجة في غفلة** ، لأنه ربما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب التفكر ، **وأما الأخير ؛ فكالحمار يحمل أسفارا**(١) **يذهب إلى الحج ويرجع** ، ولا يتفكر في شيء من عظمة الله تعالى ووعده ووعيده ، ولا يتخلص عن الأخلاق الذميمة .

إن قلت : فهل لا يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ وأستاذ ؟

التسليم للشيخ تسليم لله

قلت : نعم ، يمكن إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية ! كمثل مُرْكَب الرحى يظن أنّه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وَفِيرَةٌ(٢) فلا بد لطالب النجاة ومريد الفوز والسعادة أن يتمسّك بأذيال المشائخ من أهل الطريق ، لقد فاز مَن كان له شيخ يرشده ، وخسِر مَن لم يتخذ له شيخاً ، فلا بُدَّ للطالب من شيخ أديب كامل وأستاذ حاذق ؛ يبصره بعيوب نفسه ، وآفات النفوس ، وفساد الأعمال ، ومداخل العدو ، وينصحه نصيحة الأب بلا غرض ولا عوض ، فإذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدّب بآدابه ، ليسري من باطنه إلى باطنه حال قوي ؛ كسراج يقتبس من سراج ، ولينسلخ من إرادة نفسه بالكلية ، فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله ، لأن سلسلة التسليم ينتهي إلى رسول الله تعالى وإلى الله على مقتضى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ « روح البيان » انتهى .

---

(١) أي كتباً في عدم انتفاعه بها .

(٢) ورأيت في « رغائب القرآن » ما نصه : وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق ؛ فينال به مرتبة لم يكن ينالها بمجرد أعماله . انتهى فراجعه من سورة النور . (منه) .

هذا ما عندي في هذا المبحث ، ولعل الأخ البُرْجِيَّ - أدخله الله في الحصن المنجي من آفات النفس والهوى - يرضى بهذا القدر اليسير ، وقد ذكرنا نُبذة منه بالتفصيل في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، وكذا بسطنا الكلام في حقه في « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » ، فمن راجع إليهما يجني ثمار المعارف ، والله الموفّق للسداد ، ومنه نستمدّ وهو ولي الرشاد .

البرج الثاني

في جواب مسألة ذلك السائل بقوله : فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره وشره ولو مثقال ذرة ، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ ؟! وما الفرق بين من له شيخ ومن لا ؛ في ذلك ؟

فنقول وبالله الإعانة والتوفيق : الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى الذي يمشي بنفسه في الفلاة التي فيها سُبع وأُسد وحيات وعقارب وغيرها من المُضرات ، **وبين الذي يمشي خلف البصير الذي يعلم مواضع الهلكة ليحترز منها** ، ويعلم الطريق الذي ليس فيه شيء منها ، والحال أنه في يده سِلاح جيّد يمنع من ضررها لو لقيها فجأة ، ومما لا يخفى على عاقل أن الأعمى الذي ليس له قائد قد يقع كثيراً في مواضع الهلكة فيهلك فيها ، ولا يصل إلى المقصود فيحبط سعيه وعمله ، بخلاف من يمشي خلف الدليل والقائد ! وهكذا يكون الفرق بين من سلك بنفسه ، ومن سلك بأخذ التلقين من شيخه ، فإن الغالب على العامي أن لا يخلص عمله من شوائب المحبطات ، **فالعمل الذي ليس فيه إخلاص لا يعدُّ من الحسنات** حتى يثاب على فاعله ، بل يعاقب عليه ؛ ويقال له يوم القيامة : خذ أجرك ممّن

عملت له ، كما هو مذكور في الأحاديث . بخلاف السالك ! وقوله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] شاهد عدل لذلك ، **فافهم** .

وقد قال بعض العارفين ما معناه : يصل السالك بصحبة واحدة مع الشيخ إلى ما لا يصل برياضته وحده ألف سنة . انتهى . وذلك لأن الشيخ يتصرف فيه بتوجهه ، فيزيل منه الحجاب الذي هو سبب لإحباط عمله ، ومن هنا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه :

مهم

ويعمل توجههم الواحد عمل مائة من الأربعين . كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » . فراجعه .

وفي « لطائف المنن » للشعراني : **النظر إلى وجه الولي ساعة واحدة على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة** . فراجعه من الجزء الأول .

وفي « الصاوي » : حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل واحد . انتهى فراجعه في سورة الفرقان .

وفي « غرائب القرآن » في تأويل قوله تعالى ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ : فيه **أنّ دَرَجَ الجنات ينالها المرء ببركة جليسه الصالح** ، وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق ؛ فينال به مرتبة لم يكن يصل إليها بمجرَّد أعماله انتهى . فراجعه في سورة النور .

وأيضاً : إن السالك بنفسه قد يتخذ ورده وسيلة إلى المقصود ، ولا يفعله **غالباً عبوديةً محضة** ، **وهذا مما يمنع من الفتح** ، **أو يُبْقي في طريقه**

---

(١) قال الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد ليبطلنّ عملك ولا تنال به ثواباً ولا تدرك به جزاءً إلاّ جزاء من أشرك بالله . انتهى (لمحرره العوري غازي محمد) .

زمناً طويلاً . وقد قال الشعراني : وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي وسائل إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ! ثَبَتُّ على ذلك ، وإلاَّ ! تحوَّلت منه ، **فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك كلَّها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتخذها وسائل فتموت ؛ ولا تصلُ إلى مقصودك ، فقرَّبوا عليّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة ! لكان فيها كفاية** . انتهى . من « لطائف المنن » ٤٩ ج١ .

وقال الشعراني أيضاً فيه : **ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح**[1] ، **أو بعضه لا غير** ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم ، أو صلّى ، أو صام ، أو حجّ ، أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى ٤٧ ج١ .

ومن المعلوم أن الإنسان منذ صِبَاهُ ناظر إلى الخلق ، مشحون بالرياء ؛ مداوم على التزيّن والتصنع ، حتى أنه لو رأى على أنفه ووجهه نقطة سوداء ! يسرع في إزالتها لئلا يراه الناس مع هذه النقطة ، وقد صارت هذه الحالة عادة له **فصعب عليه تركه بنفسه ، فكيف ؛ وقد قال بعض العارفين : فطام العادة أصعب من فطام الرضاعة !!**

العوائد[2] قطاع الطريق

وقالوا : العوائد قطاع على طريق البرية ؛ يقطعون الطريق على كل سالك . كما ذكره الشعراني في « المنن » في ٢٨٦ ج١ .

---

(١) الصحابة قبل مائتي سنة يسمون سلفاً . والتابعون بعد مائتي سنة يسمون خلفاً « نور الدين » (هامش الأصل) .

(٢) جمع عادة .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ وكان الرياء أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء لا يعرف دقائقه إلا البصير الناقد ، وكان العمل المشوب به محبطاً لثوابه بالنصوص ، وكان سيما الرياء غالباً على كل من ليس له شيخ كامل ! جاز تخصيص الإحباط بمن لم يتخذ له الشيخ في الطريق ، لأن الحكم يبنى على الغالب الأكثر كما قالوا .

واعلم أيها الأخ العالم محمد دبر البرجي – رزقك الله تعالى التوفيق والاستقامة آمين : **أن أحسن حال مَن ليس له شيخ يريه طرق الإخلاص : أن يعبده لأجل الجنة والفوز بالثواب والدرجة العالية ، والحال أن العارفين ينفرون من أهل الآخرة كما ينفرون من أهل الدنيا** . كما هو مذكور في « الرشحات » ، وقد قال الغزالي في « الإحياء » : **العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه . انتهى** . وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » : **ومن لم يسلك على يد شيخ فهو عبد الثواب حتى يموت لا يتخلص منه أبداً** ، فهو كالأجير السوء الذي لا يعمل شيئاً حتى يقول لك : قل لي أَيْشْ[1] تعطيني قبل أن أتعب ؟ ! فأين هو ممّن تقول له افعل كذا وأنا أعطيك كذا وكذا ! ! فيقول : والله ما قصدي إلا أن أكون من جملة عبيدك ، أو أكون تحت نظرك ، أو أكون في خَدَمِكَ لا غير ! أليس[2] إذا اطلعت على صدقه تقرِّبه وتعطيه فوق ما كان يؤمل لشرف همّته ؟ ! بخلاف من شارطك ! فإنه يثقل عليك ، وتعرف أنت خسّة أصله وقلة مروءته ، ثم بعد ذلك تعطيه أجرته وتصرفه عن حضرتك ، وربما انصرف هو قبل أن تصرفه أنت لعدم رابطة

---

(١) أي : أيّ شيء .

* ولا يقبل من العبد إلا العمل المخلَص قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، والإخلاص محلّه القلب لا اللسان . فالقلب محل سرّ الله فلا يقبل الله من عباده عبادة إلا من القلب الذي هو محل نظره تعالى . « توحيد الجرومية » تأليف الشيخ الإمام علي بن ميمون الإدريسي الحسني المغربي .

(٢) لعل في (ليس) ضمير الشأن اسمه ، فراجع .

المحبة التي بينك وبينه ؛ فما أقبل إليك إلا لأجرته ، فلما وصلت إليه ولّى ونسيك ، **ولا هكذا من يخدمك محبة فيك** . **فاعلم ذلك** .

نية علي الخواص

وسَمِعْتُ سيدي عليّاً الخواص إذا صلى نفلاً يقول : أصلي ركعتين من نِعَمِ الله عليّ في هذا الوقت ، فكان - رضي الله عنه - يرى نفس الركعتين من عين النعمة ؛ لا شكراً لنعمة أخرى ، فقلت له في ذلك ! فقال : ومن أين يكون لمثلي أن يقف بين يدي الله عز وجل ؟ والله إني لأكاد أن أذوب خجلاً وحياءً من الله لما أتعاطاه من سوء الأدب معه حال خطابه في الصلاة ، فإن أمّهات آداب خطابه تعالى مائة ألف أدب ! ما أظن أنني عملت بها بعشرة آداب ، فأنا إذا وقفت بين يديه في صلاة أو غيرها من العبادات إلى العقوبة أقرب ، فكيف أطلب الثواب ؟ !

مطلب

وسمِعْتُه مرة أخرى يقول : يجب على العبد أن يستقلَّ عبادته في جانب الربوبيّة ؛ ولو عَبَد ربّه عبادة الثقلين ! بل ولو عبده هذه العبادة على الجمر من ابتداء الدنيا إلى انتهائها ما أدّى شكر نعمةِ إِذْنِهِ له بالوقوف بين يديه في الصلاة لحظة ، ولو غافلاً ! وكذلك ينبغي له إذا قلّت طاعاته أن يرى مثله لا يستحق ذلك القليل ، **ومَن شهد هذا المشهد حُفِظ من العجب في أعماله** ، وحفظ من القنوط من رحمة الله تعالى . انتهى . من « العهود المحمدية » ٢٠٦ راجعه من هامش « المنن » من الجزء الأول .

مطلب

وقال في « لطائف المنن » : ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ : عدمُ طلبي الثواب من الله تبارك وتعالى على شيء من الأعمال التي أبرزها عز وجل على شيء من جوارحي ؛ إلا من باب المنة والفضل ، لعلمي

بأن نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك وتعالى إلا لنا ، لأنه غنيّ عن العالمين ، فمن الأدب طلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة ؛ إظهاراً للفاقة والحاجة ، ومن لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الأدب لإظهاره الغنى عن فضل ربه جل وعلا . **فافهم** .

وَقَدْ شَنَّعَ[1] العارفون – رضي الله تعالى عنهم – على مَن قال : لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له إلى الله حاجة . انتهى ، لأن ظاهره وصول العبد إلى الغنى المطلق ؛ وذلك محال ، إذ العبد لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين ، ولو لم يكن إلا خروج النَّفس ودخوله ! فتارك النفس يموت ، ويصح أن يجاب عن ذلك بأن مراده الاكتفاء بعلم الله تعالى فيه وبما قسمه له ، وأن الحق تعالى قد أغناه عن السؤال بالقسمة الإلهية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ووالله إني لأرى الفضل لله تعالى الذي أهّلني للوقوف بين يديه ؛ ولو خَلْفَ جميع العصاة المارقين الفاسقين ؛ رجاء أن يصيبني شيء من الرحمة التي لعلَّها أن تنالهم ، وَأَنّى لمثلي أن يقف بين يدي رب العالمين في صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة ! ؟ فالحمد لله الذي لم يطردني كما طرد تاركي الصلاة ، فلم يمكِّن أحداً منهم أن يقف بين يديه .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل : (ومَن أظلم ممّن عبد لي لجنة أو نار ، لو لم أخلق جنة ولا ناراً أَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً لأَنْ أُطاعَ) ! ! . انتهى .

وكان سيدي عليٌّ الخوَّاص – رحمه الله تعالى – يقول : لا يليق

---

(١) الشناعة : الفضاعة ، فَظُعَ الأمر كَكَرُمَ ؛ اشتد شناعته وجاوز المقدار في ذلك « قاموس » وشنّعتُ عليه الأمر : نسبته إلى الشناعة . (هامش الأصل) .

بأحد من أمثالنا أن يسأل الله تعالى ثواباً على عبادته ، وإنما اللائق به أن يسأل العفو عما جناه في تلك العبادة من سوء الأدب وعدم الخشوع فيها ، لما ورد أن الصلاة إذا لم يكن فيها خشوع تُلفُّ كما يُلَفّ الثوب الخَلِق ، ثم يضرب بها وجه صاحبها .

وسَمِعْتُه أيضاً رضي الله تعالى عنه يقول : لا يصح لعبد أن يسأل ربّه ثواباً على أعماله من باب المنة والفضل ؛ إلا إن أحْكَمَ مقام التوحيد لله تعالى في الفعل ، وإلا ! فمن لازمه غالباً طلب الثواب في مقابلة عمله . كما عليه طائفة العُبَّاد الذين لم يسلكوا الطريق ، فيقول الحق جل وعلا لأحدهم : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : بل بعملي ؛ كما ورد . ولو أن أحدهم ذاق التوحيد لم يقل لربه مثل ذلك ! لأنه جهل وخروج عن أداب العبد ، **فإن من شأن العبد أن يخدم سيده قياماً بواجب حق السيادة ، لا لعلة أخرى من علل النفوس!**

وإيضاح ذلك : أن مَن شهد الفعل لله[1] تعالى كشفاً زال عنه طلب الثواب على طاعته جملة واحدة ، لأن أحداً لا يَطْلبُ ثواباً قطّ على فعل غيره .

وسمعته أيضاً – رضي الله تعالى عنه – يقول : إنما شرَع ﷺ للمصلي حين يسلم من صلاته أن يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله (ثلاث مرات) ! ليتنبه المصلي على نقص صلاته وعدم الحضور مع الله فيها ، وكثرة الغفلة ، وحديث النفس ، وغير ذلك ، إذ الاستغفار لا يكون إلا عن ذنب ، أقلُّ ما هناك شهوده نسبة الطاعة إليه مع كونه غافلاً عن شهود كون الحق تعالى هو الخالق لها ، وما قال عارف قط : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلا على وجه التلاوة فقط ؛ لا على وجه كونه له شركة

(١) أي خلقاً لله جملة ، ليس للعبد فيها غير النسبة . كما سيأتي (هامش الأصل) .

في الفعل إلا بقدر نسبة التكليف فقط . تعالى فعلُ الله عز وجل عنده – أي : العارف – عن الشركة . **فافهم** .

وبالجملة فمن تأمَّل وجد حكم وقوف أمثالنا بين يدي الله تبارك وتعالى حكم العبد المجرم الذي فسَق في حريم الوالي وعرضوه عليه ليعاقبه ، فلا يكاد يخطر بباله قط أنه يخلع عليه خلعة ، وإنما يسأل ربَّه عز وجل في العفو عنه وترك العقوبة ، وما أبردها على كبد ذلك المجرم إذا سمع بأن الوالي عفا عنه ، وترك معاقبته ، وحَرْقه بالنار ، ووَضْع الخُوذة المُحمَّاة على رأسه . فالحمد لله رب العالمين . انتهى ١٢٤ ج٢ .

وفي « لطائف المنن » أيضاً في موضع آخر : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ : عدمُ اعتمادي على شيء من طاعتي دون الله تبارك وتعالى ، **فإن كل مَن اعتمد غير الله تبارك وتعالى تخلّى عنه في الآخرة** . ووالله ؛ **ثم والله ثم والله إني لأنصرف من صلاتي وأنا في خجل من ربي عز وجل أكثر من خجلي إذا عصيته ، لسوء ما يقع لي في صلاتي من شهودي سوء الأدب والغفلة عما يليق بتلك الحضرة** ، ولا أتجرأ أن أقول في سجودي أو في ركوعي : اللهم لك سجدت وبك آمنت ، أو : اللهم لك ركعت . . . . إلى آخره ، إلا إن أعقبت ذلك بقولي : ركوعاً أو سجوداً أستحق به في اعتقادي المؤاخذة لولا عفوك وحلمك وشفقتك عليّ ؛ ذلك الفضل الذي لم تخسف بي الأرض ، ولم تمسخ صورتي . انتهى .

فلو نظر العبد لوجد سُداه ولحمته ذنوباً بالنظر لما يستحقُّه جلال الله عز وجل ، ومَن كان هذا مشهدُه لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأساً .

وفي منظومة الشيخ إسماعيل بن المقري – رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركته وإمداداته – :

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عُدِّدت تكفيك عن كل زلَّة

تصلِّي بلا قلبٍ صــلاة بمثلــها   يــكون الفتــى مـستوجباً للعقوبة
صلاة أقيمـت يعلــم الله أنــها   بــفعــلك هـذا طاعة كالخطيئة

إلى آخر ما قاله - رضي الله عنه - .

فعلم أن مَن كان ما ذكرنا مشهده في طاعته ! فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها ، بل لا يتجرأ[1] أن يطلب ذلك من الله أبداً ! فحكمه كالمجرم الذي أتوا به بين يدي الوالي بسبب قتل ، أو عمل زغل[2] ، أو فجور بامرأة أمير ، ونحو ذلك . فافهم يا أخي ذلك ، واعمل على التخلُّق به ترشد . والله تعالى يتولَّى هداك . والحمد لله رب العالمين . انتهى ١٥٨ ج ١ .

وفي « شرح سلك العين » : وفي الطاعات من الآفات ما يغني عن طلب المعاصي في غيرها .

ومن جملة ذنوب الطاعات : استكثارها واستعظامها ، والسكون إلى ما فيها من اللذة والحلاوة . كما قيل : استحلاء المريد الطاعات سموم قاتلات ، ومن ذنوبها طلب الأعواض عليها ، والراحة بها ، والفرح على سبيل الاعتماد والتشوُّق إلى الكرامات العاجلة .

وأما إقامتها بالجهل واستدامتها بالسهو والغفلة وسوء الأدب والهواجس الردية ، وملاحظة الخلق رياء وسمعة ونحو ذلك ! ! **فهذا من كبائر الذنوب عند أرباب القلوب** ، و(حسنات الأبرار سيئات المقربين) ، وفيهم نزل ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ أي : يصلُّون ويصومون ويقومون ؛ ويخافون من الله أن لا يقبل منهم ذلك .

وقيل : **رُبَّ صلاة لو قُسمت ذنوبُ فاعلها على أهل بلد لوسعتهم ،**

---

(١) في نسخة : لا يجترئ .
(٢) أي الفساد . « صحاح » . (هامش الأصل) .

ولو نزلت عقوبتها على أهل قُطرٍ لعمَّتهم . انتهى .

وفي « شرح الحكم » : قال أبو سليمان – رضي الله تعالى عنه – : ما استحسنتُ من نفسي عملاً فاحتسبته .

وقال علي بن الحسين – رضي الله تعالى عنه – : كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل ، لأن المقبول مرفوع مغيَّبٌ عنك ، وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول .

دليل القبول

وقد سئل بعض العارفين : ما علامة قبول العمل ؟ ! . قال : نسيانك إياه ، وانقطاع نظرك عنه بالكلية ، بدليل قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قال : فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل : أن لا يبقى عندك منه شيء ، فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه لبينونةٍ بين عنديّتك وعنديّته ، فينبغي للعبد إذا عمل عملاً أن يكون عنده نَسْياً مَنْسِيّاً بما ذكرناه من اتِّهام النفس ، ورؤية التقصير ، حتى يحصل له قبوله . انتهى ٤٢ .

وقال ابن عطاء الله رحمه الله في « لطائف المنن » : وقال في قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كل موضع ذكر فيه المصلين في معرِض المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة ؛ إما بلفظ الإقامة ، أو بمعنى يرجع إليها ، قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ولما ذكر المصلين بالغفلة قال ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ولم يقل : فويل للمقيمين الصلاة ! والإقامة هو : أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلتْ منه خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته راكعةً ساجدة إلى يوم

القيامة ، وثواب ذلك لصاحب الصلاة . انتهى ١٥٨ .

وفي « الشرقاوي في شرح الحكم » لابن عطاء الله قدس سره : لا عمل أرجى للقبول - أي : لقبول الله تعالى له - من عمل يغيب عنك شهوده ؛ بأن تشهد أن الذي وفَّقك له هو الله تعالى ، ولولاه ما صدر منك ذلك العمل ، ويحتقر عندك وجوده ؛ بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور ، كالوصول إلى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات ، لرؤيتك التقصير فيه ، وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله . انتهى .

من يعبد لغرض فاسد عابد لصنم

وفي « لطائف المنن » للشيخ الشعراني - رضي الله عنه - : وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص - رحمه الله تعالى - **يقول : لا فرق بين عباد الأصنام وبين من يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء** ، لأن كلاً من العابدين اتخذ من دون الله ما لم يأذن به الله ، وهم في ذلك على طبقات ؛

فمنهم : مَن قصد بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم : مَن يقصد بعلمه وعمله إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء وكشف الغيوب .

ومنهم : مَن لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور الحِسان ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم : من يقصد بذلك السلامة من النار ، والخوف من الحساب والعقاب ، وما أعدَّه الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم : من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى ، والرضا عنه والمحبة له .

ومنهم : من لا قصد له في علمه وعمله إلا علمه باستحقاق مولاه العبادة والتذلل والخضوع ، والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ؛ فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنه قام بذرّة واحدة من الأمور التي كُلِّفَ بها على الوجه الذي أُمِر به ، ومن هنا يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ؛ فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى راجعه في ٣١٣ ج ١ .

وقد كنت نقلته في « تنبيه السالكين » بَيْدَ أنه لما وقع الاحتياج كررته في هذا التأليف ، فتدبّر أيها الأخ السائل في هذه المذكورات لعلك تعرف الفرق بين عبادة مَن له شيخ ومَن لا ! ! والله يتولى هداك . قال تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية وقد نكّر قوله : (شيئاً) ومن هنا قد تبرَّأ السالكون في طريق الله تعالى عن الالتفات في عملهم إلى السوى ، وخاضوا في طريق الخلاص من اتباع الهوى ، وتجنَّبوا عن الدخول في دائرة قوله تعالى ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ وشهدوا مآل حديث : « تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة » وعلموا حقيقة قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ، وأدركوا بمعونة الشيخ ومدده دقائق الإخلاص ومراتبه ، فنجوا بفضل الله تعالى عن رِقيّة السوى ، وأتوا أعمالهم بملاحظة الذات المقدسة ، حتى لم يلاحظوا الصفات والأسماءَ لِعِلمهم بنور بصائرهم مثلاً ؛ إن عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، ففازوا بالعبودية ، وصاروا من أهل الوصلة ، وظفروا بالمشاهدة التي تصحبها مكالمة .

وفي « المتممات » : وقال النبي – عليه السلام – حكاية عن الله تعالى : « الإخلاص سر من أسراري ، أستودعه[1] قلب مَن أحب من عبادي » فبذا يعلم أن اطلاع سر الله عسير ، ومراتب الإخلاص خفية كثيرة ، فسلوك طريق المشائخ يكون واجباً على كل مَن ليس له قلب سليم بالجذبة الوهبية من باب : (**ما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب**) فإن من لم يسلك الطريق ! فالغالب عليه عدم خلوص أعماله من دقائق الرياء وشوائبه ، ولو برؤية إخلاصه في إخلاصه .

وفي « المنن » : وقد أجمع الأشياخ على أن من شهد في نفسه الإخلاص يحتاج إخلاصه[2] إلى إخلاص انتهى ٣١ ج ١ ، **ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص** ، كما صرَّحه الغزالي في « الإحياء » فراجعه ٢٩٤ ج ٤ .

فائدة : قد مرَّ أن الذكر المأخوذ من الشيخ يكون معه نوره ، لكن ينبغي أن يعلم أن القلب لا ينجلي من الحجب إلا بذكر كثير ، وقد قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ . وقال بعض العلماء : **إن الذكر الكثير لا يطيق عليه إلا إن أخذه عن الشيخ بالتلقين** . وقال الإمام الرباني – قدس سره – : إن المقصود من السلوك والجذبة تطهيرُ النفس من الأخلاق الردية والأوصاف الرذيلة ، ورأس جميع تلك الذمائم التعلق بالنفس و تحصيل مراداتها وهواها ، فحينئذٍ لا يكون بدٌّ من السير الأنفسي ، ولا مندوحة[3] من الانتقال من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة . انتهى من « المكتوبات » في ٤٧ ج٢ .

---

(١) يقال : استودعه الوديعة : أي استحفظه إياها . (مختار) (هامش الأصل) .

(٢) وبيانه في « الإحياء » (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) يقال : لك مندوحة منه بفتح الميم . أي : سعة وفسحة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

وفي « تنوير الصدر » ما خلاصته هذا : **إن السير في الشريعة على الاستقامة والإخلاص لا يتمُّ إلا بصحبة شيخ عارف .**

وفي « الجواهر » للشعراني : وسئلت عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ، فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد الحقيقي ، ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ؛ ليس للعبد فيها غيرُ النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبُّر على أحد من العصاة ، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟

قلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطووا به الطريق ، وقد أخطأ طائفة من العبَّاد الذين اشتغلوا[1] نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى : « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا رب ؛ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقف على جلاء القلب ، فحكمُ الذكر كالحصى للنحاس المصْدِيّ[2] ، وحكمُ غيره كالصابون . انتهى . ومثله في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية خمسمائة سنة ، وأن الحق يقول له يوم القيامة : « أُدخل الجنة برحمتي » . فيقول : يا رب بل بعملي .

فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعَرف من أول ما

---

(١) هكذا في الأصل ، لعله أشغلوا .

(٢) وفي نسخة : الصديء .

دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى ؛ دون عمله ، وإن كان لزم الأدب ! انتهى .

وفي « لواقح الأنوار » : وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس[١] ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة انتهى ٣١٢ . قال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : **أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها** . وذلك مجرَّب عند المشائخ ؛ كذا في « تصديق المعارف » . وقد نقلت هذه المذكورات بالتمام في « تنبيه السالكين » فراجعه .

فمن ظنَّ من الناس أنه قد أخلص عمله لله سبحانه بغير سلوك طريق الإخلاص ؛ فقد أخطأ ، إلا إن كان قد حفّته العناية الربانية بالجذبة الموهوبة ! وذا نادر[٢] . وقد مرَّ أن الحكم إنما يبنى على الغالب ، وقد رأيت في « الإحياء » وغيره ما حاصله ؛ أو ما هذا معناه : أن واحداً صلى ثلاثين سنة في الصف الأول وقد تأخَّر يوماً فقام في الصف الثاني ، فحصل له الحياء من الناس ، فقضى جميع الصلوات التي صلى فيها لكونه قد أراد أن يراه الناس في الصف الأول ، فجعله من جملة مراتب الرياء ، بيد أني لم أتذكره الآن لتعيين موضعه ، **فافهم** . فمن يتنبَّهُ من الناس لأمثال هذه الدقائق ؟ ! عصمنا الله من شرور أنفسنا ومن سيّئآت قبائح أعمالنا ، وأدخلنا بفضله في دائرة قوله ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ آمين .

فائدة أخرى مهمة ذكرها الخادمي قدس سره في « البريقة » : قال في « الفيض » : فبُعْدُ الشيطان من الإنسان على قدر ذكره ! والناس فيه يتفاوتون .

---

(١) أي : الأنس بالله . راجع (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) ندور طالع الكنز ، فراجع كتبهم . والسلام . (هامش الأصل) .

قال أبو سعيد الخرَّاز : رأيت إبليس فأخذ عنّي ناحية فقلت : تعال . فقال : أي شيء أعمل بكم لزمتم الذكر وطرحتم ما أخادع به ؟ ! قلت : ما هو ؟ قال : الدنيا . فولَّى ، ثم التفت ؛ وقال : بقي لي فيكم لطيفةٌ ؛ هي السماع وصحبة الأشرار .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى ! وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، **ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ! ارتحل الشيطان وضاق مجاله .**

وقال الحكيم : قد أُعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غرابته[1] ، فهو يهيِّج النفوسَ إلى تلك الزينة تهييجاً يُزعزع أركان البدن ، ويستفزُّ القلبَ حتى يزعجه عن مقرِّه ، ولا يعتصم بشيء أوثقَ من الذكر ، لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار ، وهيَّج العدوُّ نار الشهوات ، وإذا رأى العدوُّ هيجان الذكر من القلب ولّى هارباً ، وخَمدت نار الشهوات ، وامتلأ الصدر نوراً ؛ فبطل كيده .

وعن ابن عبد العزيز : أن رجلاً سأل ربه أن يُريَه موضع الشيطان من قلب الآدمي ، فرأى في المنام جسد رجل يشبه البلور[2] يُرى داخله من خارجه ، والشيطان بصورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر ؛ له خرطوم طويل أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله خنس ! ومثل هذا قد يشاهد في اليقظة ، وقد رآه بعض المكاشفين بصورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها . والقصد أن يصدَّق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، وكذا المَلك ! انتهى ٥٦٠ ج ١ . فراجعه من شرح حديث

---

(١) وفي نسخة : غوايته .

(٢) البلور : كَسِنَّور . جوهر معروف . « قاموس » . (هامش الأصل) .

« إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله تعالى خنس[1] ! وإن نسي الله تعالى التقم[2] قلبه » انتهى . من بحث الرياء .

وفي « نشر المحاسن » للإمام اليافعي - رحمه الله تعالى - : وقال بعضهم : **ذكر الله بالقلب سيف المريدين** به يقاتل أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدُهم . وقيل : **إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان يصرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان** ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسّه الإنس .

وكتبت في كتابنا « تنبيه السالكين » بعد نقل ما مرّ في المنهوات ما نصه :

فالحاصل أن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفي عنه حديث النفس بالتدريج ، ويرى الإصغاء إليه ذنباً فيتَّقيه ، ويتَّقد القلب عند هذا الإتقاء بالذكر اتِّقاد الكواكب في كبد السماء ، ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك ! بَعُدَ الشيطان ، ويندر في حق هذا العبد الخواطر الشيطانية ، ولمّاته ، فراجع « العوارف » .

وأما قطع حديث النفس والخواطر المشغلة عن خطاب الحق جل وعلا بغير سلوك على يد شيخ ناصح مما لا يصحُّ أبداً ! كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » ، فراجعه في ٥١ من هامش « المنن الكبرى » من الجزء الأول .

ورأيت في « ترصيع الجواهر » ما لفظه : ثم إن لا إله إلا الله أعظم أنواع الذكر تأثيراً في كنس الأغيار من القلب وإزالة الحجب الظلمانيّة . انتهى ٤١ .

---

(١) خنس : أي تأخر وبعد . « فتاوى الكبرى » لابن حجر .
(٢) يجعل قلبه لقمة في فمه . « بريقة » . (هامش الأصل) .

وقال صاحب « النور الساطع » ما لفظه : ولا إله إلا الله رأس الذكر ، وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ، ورياضة النفس وتهذيبها ، ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب نفوسهم[١] . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » . انتهى فراجعه .

مهم

ولكن من أكابر المشائخ مَن يختار من الأذكار لفظة الجلالة (الله ، الله) بلا فرق بين المستعدّ وغيره ، كما اختاره الإمام الرباني قدس سره آخراً . وقد فسّر الشيخ علي الخواص لقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي : كرِّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم (الله) أكبرُ من ذكركم سائر الأسماء الفروعية الطالبة لوُجود الأغيار ، كالرحمن والغفور والرزّاق ونحوها ؛ فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) ، لأنه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم[٢] كما هو مذكور في كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني . فراجعه في ٢٨٠ من هامش « الإبريز » وقد بسطنا الكلام في فضائلها في كتابنا « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، فراجعه من الترغيب الخامس فلو اطّلعت إلى

---

(١) ولا إله إلا الله ؛ رأس الذكر ولذلك اختارها صفوة هذه الأمة من أصحاب التربية وتأديب المريد لأهل الخلوة ، وأمروهم بالمداومة عليها . وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله . « فتاوى » ابن حجر ١٥٠ .

(٢) ولولا أن قول : (الله الله) له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال مَن يذكر به ! ولذلك أيضاً اتّخذه الكمّل من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله . انتهى . كتاب : « الجواهر والدرر » . من هامش « الإبريز » ١٨٢ . (هامش الأصل) .

« الرحمة الهابطة » ينشرح صدرك بما فيها من الفوائد والفضائل ، وتعلم سبب اختيار بعض المشائخ كالنقشبنديين هذا الاسم الأعظم من بين سائر الأذكار ، والله ولي التوفيق .

فلما كان في كلام السائل ذكر سوء الخاتمة ؛ وقال : هل يكون الفرق في الخوف من سوء الخاتمة بين مَن له شيخ وبين غيره أم لا ؟ أردت أن أجعله فصلاً مستقلاً من مباحث هذا الكتاب ، فقلت مستعيناً بالله تعالى :

البرج الثالث

في جواب مسألة : هل يكون الفرق بين مَن له شيخ وبين غيره في الخوف من سوء الخاتمة أم لا ؟

اعلم أيها العزيز ، أن الخوف من سوء الخاتمة في السالكين أكثر مما في غيرهم ، لأنهم لما شاهدوا الجلال والعظمة وعلموا أنه تعالى يقول (هؤلاء إلى النار ولا أبالي) ، وتيقَّنوا أن أعمالهم غير صافية من الكدورات ، وأنهم قد عملوا سوءاً في كثير من الأوقات ، يخافون من الله ومن سوء العاقبة كما يخافون من السبع الضاري ، وذا دأبهم بالليل والنهار ! فقد كان أكابر السادات يكادون أن تنقطع أكبادهم بشدة الخوف من سوء الخاتمة ، وذلك لكونهم كلما ترقوا في مقامات الطريق يخافون من إبليس أكثر منه قبل الترقّي ، لعلمهم **أن العبد كلما قرب من حضرة ربّه تشتدُّ عداوة الشيطان له ، ويجمع له الجيوش ولا يرجع عنه ولا تنقطع وساوسه عن متوجّه إلى الله ، وإن دَقَّتْ بحيث لا يكاد يشعرها** .

وقد نبَّه الشعراني في « البحر المورود » إلى ما ذكر ، **وكلما أكثروا قوت الروح ، وهو الذكر ، وأقلُّوا قوت النفس ، وهو الاشتغال بحظوظها ، يرون بالذوق أنهم أذلُّ خلق الله ، ولا يرون لهم قدراً ما ،** فانظر إلى هذا الإمام الرباني أحمد الفاروق الذي قيل فيه : لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني أنه قال بعد ذكره قول بعضهم : **إن المريد الصادق من لا يكتب عليه كاتب شماله شيئاً مدة عشرين سنة**[1] . انتهى . **وهذا الفقير المملوء بالتقصير يجد نفسه بالذوق والوجدان بحيث لا يدري أن كاتب يمينه وجد حسنة يدرجها في صحيفة أعماله منذ عشرين سنة ،** علم الله سبحانه أنه لا يقول هذا الكلام بالتصنّع ، ويجد بالذوق أيضاً أن كفار الإفرنج أفضل منه بمراتب ، فإن سُئل عن لمِّيَّته لا يعجز عن الجواب ، ويرى نفسه أيضاً بطريق الذوق محاطاً بالخطيئات ومشمولاً بالسيئات ، وما وجد فيه من الحسنات يرى أن كاتب شماله أحقُّ بكتابته ، ويرى أن كاتب شماله مشغول أبداً ، وكاتب يمينه مُعَطَّلٌ وفارغ سرمداً ، ويعلم أن صحيفة يمينه خالية ، وصحيفة شماله مملوءة ؛ لا رجاء له سوى الرحمة ، ولا مُمِدَّ له سوى المغفرة .

(دعاء) اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، موافق حاله . انتهى « الدرر المكنونات » من عينه من الجزء الأول في ٢٠٠ .

وقال الإمام الرباني أيضاً في بعض مكاتيبه ، بعد ذكره كلاماً نفيساً : والمقصود من هذا القيل والقال إظهار نعمة الحق سبحانه ، وترغيب طلاب

---

(١) وفي « الطبقات الكبرى » ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة ! وإنما معناه عدم الإصرار ، وكلما أذنب تاب واستغفر على الفور . فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

هذه الطريقة ، لا تفضيل نفس على الآخرين ! **ومعرفة الله سبحانه حرام على مَن يرى نفسه أفضل من كفار الإفرنج ، فكيف من أكابر الدين ؟!** انتهى منه في ٢٥٦ ج ١ . ومثل قوله قاله كثير من الأقطاب ، كخالد شاه ، ومحمود أفندي وغيرهما ، ويحتمل أن يكون معنى قول الجنيد (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منه إلا كل مليح) : أنه لا يرى من نفسه إلا كل قبيح ، وإن خرج منه بالنسبة إلى غيره كل مليح ! فافهم .

و لكن إذا نظرنا إلى الآيات والأحاديث يعلم **أن حسن العاقبة وسوءها منوطان بالأعمال** ، فقد قال الغزالي في « الإحياء » في ٥١٧ ج٤ ما نصه :

فإن قلت : فليت شَعْري ماذا موردي ؟ وإلى ماذا مآلي ومرجعي ؟ وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ فلك علامة تستأنس بها ، وتصدق رجاؤك بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإنّ كلاًّ ميسّر لما خلق له ، فإن كان قد يسّر لك سبيل الخير! فأبشر ، فإنك مبعد من النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ، ولا تقصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضيّ عليك[1] ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ، ودَلالة الدخان على النار ، فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ . فاعرض نفسك على الآيتين ، وقد عرفت مستقرّك من الدارين والله أعلم انتهى .

وقد قال الإمام الرباني – قدس سره – : المقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بحقيّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمر آخر وراء ذلك . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » .

---

(١) بالنار عله .

مهم

وفي « الرشحات » ما معناه : إن المقصود من سلوك الطريق كون القلب حاضراً بالله على سبيل الذوق . انتهى . يعني : أن يكون الذكر القلبي والحضور الدائمي مع الله تعالى مَلَكة راسخة لا يزول ولا ينقطع ، حتى لو تكلف لإخطار غير الله في البال لم يخطر ، وهذا منهم هو الخوف من سوء المنقلب ، وهو الاستعداد لذلك الوقت ، وقد قالوا : **إن المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه** . فإذا علمت ما ذكر تعلم أن السالكين هم الخائفون ، وغيرهم هم الآمنون[1] ، **والأمن من سوء العاقبة هو سبب سلب الإيمان** ، عياذاً بالله تعالى و﴿ **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ** ﴿٩٩﴾ ﴾ الآية .

ومن المعلوم المحسوس أنّ تقوى الله تعالى أكثر في السالكين مما في غيرهم ، ويرجع أمره إلى أن ينجو ممسك عروته من زوال الإيمان ، نظراً إلى ما في الآيات ، فإن مآل كلِّها ومضمونها على حسن حال المتّقي ، قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا** ﴿٧٠﴾ **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ وقد فسر : أي : يتم أعمالكم . وقال البعض : يقبل أعمالكم . وقال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ وقال ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ وقال ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ** ﴾ وقال ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ** ﴿٦٣﴾ **لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ** ﴾ وقال ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟** ﴾ وقال ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا**[2] **ٱلْأَتْقَى** ﴿١٧﴾ **ٱلَّذِى** ﴾ وقال ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ .

---

(١) أي : ولو كانوا خائفين لاستعدّوا ، فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) أي : يتباعد عن النار .

سبب سوء الخاتمة

وأيضاً إن سبب سوء الخاتمة كثرة الذنوب الظاهرة والباطنة ، والإصرار على الكبائر والصغائر حتى تعلو الظلمة والنكتة على القلب بسببها ، بحيث لا يخاف من الله ومن سوء العاقبة ، قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . قال الإمام الغزالي – رحمه الله تعالى – في « إحياء علوم الدين » ما نصُّه : فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان ، وليس الإيمان باباً واحداً ! بل هو نيف وسبعون ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . ومثاله قول القائل : (ليس الإنسان موجوداً واحداً ! بل هو نيف وسبعون موجوداً ، أعلاها القلب والروح ، وأدناها إماطة الأذى عن البشرة ، بأن يكون مقصوص الشارب ، مقلوم الأظافر ، نقي البشرة عن الخبث ، حتى يتميَّز عن البهائم المرسلة الملوثة بأوراثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها) ، وهذا مثال مطابق . فالإيمان كالإنسان ، وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية ، كفقد الروح ، والذي ليس له إلاّ شهادة التوحيد والرسالة ! هو كإنسان مقطوع الأطراف ، مفقود العينين ، فاقدٍ لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة ، لا أصل الروح ! وكما أن مَن هذا حالُه قريبٌ من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلَّف عنها الأعضاء التي تمدُّها وتقوِّيها ، فكذلك مَن ليس له إلا أصل الإيمان ، وهو مقصِّر في الأعمال ، قريب من أن تُقتلَع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحرِّكة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده ، **فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ، ولم تنتشر في الأعمال فروعه ، لم يثبت على عواصف الأهوال** عند ظهور ناصية ملك الموت ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، إلا ما يبقى بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت انتهى . فراجعه في ٦ من الجزء الرابع .

وفيه أيضاً ، في صحيفة ٧ : فالمعاصي للإيمان كالمأكولات

المضرة للأبدان ، فلا تزال تجتمع في الباطن مغيِّرةً مزاج الأخلاط ، وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج ، فيمرض دفعة ثم يموت دفعة ، فكذلك المعاصي . انتهى .

وأما السالكون ! فأول ما يلقِّنهم المشائخ : التوبة والاستغفار ، والصلاة على النبي المختار - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - ، رجاءَ أن يبدِّل الله سيئاتهم حسنات . كما دل عليه قوله تعالى ﴿**يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ**﴾ . وقوله تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ** ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿ **وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا** ﴾ . وقوله ﴿**إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾ وفي الحديث : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » . **فالمريد ، وإن عصى وخالف ! فهو يستغفر الله في كل يوم ألف مرة ، أو خمسمائة مرة ، كما كان أشياخنا يأمرونهم بذلك .**

روى ابن ماجه : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم ، لتاب الله عليكم » .

وروى الطبراني والبيهقي : « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك . فيمسك ستّ ساعات ، فإن استغفر الله منها ! لم يكتب عليه شيئاً ، وإن لم يستغفر الله ! كتبها سيئة واحدة » . فهذه نعمة جليلة للمريدين !

الغفلة من أعظم الذنوب

فإن أشياخهم يأمرونهم بعدم غفلتهم عن الله حتى في الخلاء ، فكيف يغفلون عنه تعالى في حالة وقوعهم في المعصية والمخالفة ، مع أنهم يعدّون الغفلة من أعظم الذنوب ! ؟ فالفرقُ بين مَن هذا حالُه ، وبين

من لا يحضر قلبُه مع الله ، ولو في الصلاة المفروضة إلا بالتكلّف بل لحْمَتُهُ وسُدَاهُ غفلة ظاهرٌ لا يخفى .

و في كتاب « الرماح » : فإن مَن اشتغل بها – يعني : بمكفرات الذنوب – مع كثرة ذنوبه خفّت مؤنة الذنوب عليه ، وهو خير من الذي يقتحم الذنوب ولا يأتي بمكفراتها ، قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وقال ﷺ : « إذا أتيت بسيئة فأتبعها بالحسنة » أو كما قال ﷺ مما معناه هذا ، وذلك بمنزلة مَن يسرع له تجديد الجراح بجسده فيسرع له بالدواء ، فكلما وقع عليه جراح أسرع بدوائه ، وهو خير من الذي تنصبُّ عليه الجراح فلا يتداوى . انتهى ٢٥٩ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » . وأيضاً إن المريدين يصلُّون على النبي ﷺ ألف مرة أو خمسمائة مرة بتلقين مشائخهم في كل يوم ، وكونها من المكفرات للذنوب معلومة .

قال في « جواهر المعاني » ما حاصله : أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ فمن رآه سبحانه وتعالى توجه بالصلاة على حبيبه ﷺ ، اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ، وكانت تلك المحبّة والعناية منه سبحانه وتعالى **إذا ثابر**[1] **على الصلاة عليه ﷺ لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة ؛ لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله** ، وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة ، بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى ، وكان حكمه في الغيب : كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة : إن له عناية بحبيبنا ﷺ ، لا تكون سيئاته كسيئات غيره ! ولا تقع المؤاخذة عليه كما تقع على غيره من أصحاب السيئات . انتهى ١٣٢ ج١ .

(١) المثابرة على الأمر : المواظبة عليه . « مختار » . والملازمة له . « مصباح » . (هامش الأصل) .

و فيه في موضع آخر : إن الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن[1] . انتهى ٢٥٥ ج ٢ .

وفيه أيضاً بُعَيد هذا : فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها[2] أن يصلي عليه ، **ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه** ، ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكبرُ من الصلاة على النبي ﷺ .

ثواب صلاة الفاتح

و فيه أيضاً : **واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها ، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا**

---

(١) وفي « الصاوي حاشية الجلال » في قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي : سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالي نزول القرآن ، فإنها أفضل ما يسأل ، وأعزُّ ما يطلب ، ومن هنا أمر المشائخ للمريدين بتلاوة القرآن والتعبُّد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم ، وما داموا لم يكملوا ! يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم ، والحكمة في ذلك أن الغفلة في الذكر أخفُّ منها في القرآن ، لما في الأثر : « رُبَّ قاريء للقرآن والقرآن يلعنه » . فجعل العارفون للتوسل للقرآن طرقاً يجاهدون أنفسهم فيها ، ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوماً ومعارف وأخلاقاً ، وحينئذٍ فليس تركهم القراءة في المبدئ لكون غيره أفضل منه ! بل لينظفوا أنفسهم للقراءة . انتهى فراجعه من سورة طه .

وقد بسط الإمام الرباني الكلام في حق هذا في بعض مكاتبه ، فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وكان - أي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه - يقول : لا ينبغي لحامل القرآن العظيم أن يدنِّس فمه بكلام حرام ، ولا أكل حرام ، في عرض مؤمن ولا مؤمنة . قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآية . ومثال مَن ينطق بالقرآن العظيم مع تدنُّس فمه بغيبة أو بهتان أو نميمة مثال مَن وضع المصحف في قاذورة ! وقد قال العلماء بكفره . « الطبقات الكبرى » . ١٥١ ج١ . (هامش الأصل) .

(٢) أي لتالي الصلاة على النبي عليه السلام . (هامش الأصل) .

من مكفرات الذنوب وآكدُ ذلك صلاة الفاتح لما أغلق ، فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولافاذَّة . انتهى . وهي : « اللّهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم » . وهي الصيغة التي قيل فيها : إن **مَن قرأها في عمره ، ولو مرة واحدة! لا يدخل النار ،** وإنها تعدل[1] بسبعمائة[2] ألف صلاة .

وفي « جواهر المعاني » : واعلم أن كلّ ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجّهت بجميعها مائة ألف عام ، كل يوم تذكرها مائة ألف مرة ، وجميع ثواب ذلك كله ، ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق . انتهى . ١٥٧ ج٢ .

وقد ذكرت بعض فضائل صلاة الفاتح لما أغلق في كتابنا « تلخيص المعارف » فلو راجعت إليه ترى العجائب . والسلام على كل مَن اتبع الهدى .

ومن صيغ الصلاة التي ورد : أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعداً غفر له قبل أن يقوم ، هذه الصلاة : « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » وهي مذكورة في « مناهج السعادات » فراجعه في ٦٧ .

فالملازمة على أمثال هذه المكفرات أكثر في السالكين من غيرهم ، فظهر الفرق بينهم وبين غيرهم من العوام .

---

(١) كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) وفي نسخة : ستمائة ألف صلاة .

وأيضاً **إن المشائخ يلاحظون أتباعهم في الشدائد والمضائق** ، وينظرون بنور بصائرهم إلى أحوالهم ، ويمدُّونهم بمَدَدِهم ، وقد نقل شيخنا سيف الله – قدس سره – في « كنز المعارف » من الحكم ما لفظه : فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمة ، **فإن المريدين عيال على شيوخهم فُرِضَ عليهم أن ينفقوا من قوت أحْوَالهم ما يكون جبراناً لتقصيرهم** . انتهى .

ونقل المحقق محمد طاهر – رحمه الله – في « شرح المفروض » عن « ميزان » الشعراني ما نصُّه : **إن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلّديهم** ، ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه ، وعند سؤال منكر ونكير له ، وعند المحشر ، وعند الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط ، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف . انتهى .

وفي « الفجر المنير » : وقال – يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه – **الشيخ هو الذي يحضر مع مريده ويلاحظه في أربعة مواضع** : **الأول** : حين النزع وخروج الروح من الجسد ، **الثاني** : عند سؤال الملكين منكر ونكير في القبر ، **الثالث** : عند العبور على الصراط والمرور به ، **والرابع** : عند وزن أعماله بالميزان . انتهى ٣٠ .

وقد حكت امرأة صالحة وليّة أنها كانت تذهب وحدها لدى شيخها ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، فاجتمعت في الطريق مع راكب ، فحمل فروتها على فرسه رحمة بها لعَجْزها وضعفها ، ففارق منها ، ثم اجتمعت مع راكب آخر ، فأركبها على فرسه زمناً يسيراً ، ففارق منها أيضاً ، ثم كانت تمشي هويناً ، فلقيها راكب آخر ، فانزعج فرسه خوفاً منها ، وطرح مِن فرسه ، فغضب عليها وتكلَّم عُنفاً ، فقال : بَرْلْ عَدِنِشْ عَدَمَلْ رَچُنِلْ ؟

فقالت له : عَنْكْ عَدِنْ مُنْكِ وَچُّنِبْ مِخَلِْ بَژْ عَدِنْ دُنْكِ يَچِنِ يِكُ خَ دِرْ وَسْ قالت له ذلك بحسب التلاعب معه لإطفاء نار غضبه وتطييب قلبه ، ثم وصلت لدى الشيخ المذكور ، فباتت عنده ، فحين قصدت أن ترجع من لدنه إلى قريتها اهتمَّت واغتمَّت ، فإذا نظر الشيخ إلى همومها وغمومها قال لها : لا تخافي ، فإني أكون مَعَكِ عند المجيء وعند الإياب ، وأنا أيضاً أكون معك في حالة الاحتضار لأدفع عنك الشيطان ، وأكون معك أيضاً عند المسألة في القبر لأجيب الملكين منك وأنت ساكتة . فذكر جميع ما وقع لها مع تلكم الرواكب في الأمس ، فقال : وُكُلِوْ وُكُنْ وُكِشْ دُنْ دُدَ خَدُ ؟ فكانت المرأة العجوز المذكورة تُخبر[1] هذه القصة ، وكانت من الصالحات[2] العابدات القانتات .

ونقل عن « الأجوبة المرضية » للشعراني : أن للقيامة خمسين موقفاً ، أولها إذا خرج الناس من قبورهم فيقفون ألف سنة ، فليس للشيخ أن يفارق مريده في ذلك الموقف حتى يلقِّنه حجته ، وذلك الخ ، ثم يساق الناس إلى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام ، فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجيب عما الخ . وآخر الموقف الصراط ، **فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجاوز الصراط إلى الجنة** . الخ . فانظر يا أخي نفع المشائخ لمريديهم . والحمد الله رب العالمين . انتهى اختصاراً .

---

(١) وأيضاً قال لي - قدس سره - : يا ولدي ! إن الشيخ لا يكون شيخاً ما لم يقف عند المريد في المواضع المخوفة له في الدنيا ، وعند الأهوال والأنكال له في الآخرة ، مبتدئاً من سؤال القبر ، إلى التجاوز والعبور على الصراط ، وأرجوا أن أكون لكم أكثر وأشدَّ نفعاً في الآخرة مما في الدنيا ، وأرجو أيضاً أن يقوم خليفتي حسن أفندي بعدي مقامي فيما لكم به الضرُّ والنفع بأبلغ وجه . انتهى . فأشار - رحمه الله - بهذا إلى قرب انتقاله إلى دار القرار . نفعنا الله به في الدارين . آمين (لزابره الحقير) .

(٢) وقبرها في غزانش الأعلى ، لدى قبر ولد شيخها العسلي قدس سره . (منه) .

مهم

ومما ينبغي إلحاقه هنا : ما ذكره الشعراني في « البحر المورود » بما هذا نصه : وأُعلِّمك يا أخي طريقاً تملك به قلوب الفقراء ، فلا يتخلَّفون عنك لا في الدنيا ولا في الآخرة ! واعلم يا أخي أن الأولياء أولى الناس بمكافأة مَن أحسن إليهم ، لجودهم وحيائهم فمن دفع لهم هدية ، ولو رغيفاً فقد أدخلهم في منَّته ، ووجب عليهم قضاء حوائجه في الدارين ، ومَن لم يدفع إليهم شيئاً من الهدايا لقضاء حوائجه ليست واجبة عليهم ، وإنما ذلك مستحب . انتهى فراجعه فإنه مهم .

وأيضاً **إن محبة أهل الطريق هي السبب المنجي من سوء العاقبة** ، فإن « المرء يحشر مع من أحب » . فنرجو الله تعالى أن يميت محبَّ أوليائه على الإيمان .

ولولا أن المريد قد صدَّق طريق الولاية لما دخل فيه ! **وتصديق طريقة الولاية ولاية** ؛ كما قاله الجنيد رضي الله عنه ، فالمحبُّ للصوفية والمتشبِّهُ بهم ، والمتشبِّه بالمتشبِّه بهم واللابس لخرقتهم ، والمتبرِّك بنسبتهم ، والمتصل بسلسلتهم ، والعاشق لهم ، والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضلُ من غيره ، لحسن ظنه فيهم ؛ وإن كان خالفاً عنهم ومتخلِّفاً عن فعل مثلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم ! فالخالف منهم في بركة السالف ، فمددُ هممهم العالية على من تعلق بهم وصدق في حبهم وصفَّى ودَّهم وتشبه بهم وانتسب إليهم طاميةٌ ، والكل في دوائر نفحات بركاتهم الشاملة ، وحصون عنايتهم الكاملة ؛ كما هو مذكور بلفظه وعبارته في « عقد اليواقيت » في ٥٧ ج١ .

وفيه : ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم ؛ من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم ، فذلك

لا يخلو من بركة وخير كثير ، وهو داخل في عموم ما ورد في الحديث القدسي « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » انتهى ٥٨ ج١ .

وفيه : من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محب حقيقة ؛ وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ما ! ففي الحديث الصحيح : قيل : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم ؟ قال : « أنت مع من أحببت »[1] . انتهى .

وفيه : يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة .

قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به : هذا بنظرة الناظر إليهم ، وأما نظرهم إليه ! فإنهم يصلون به إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت : وفي الحديث ورد ذلك في قوله ﷺ : « إن لله عباداً مَن نظر في أحدهم نظرةً سَعِد سعادة لا يشقى بعدها أبداً » . انتهى ٥٩ .

مهم في حُبِّ العلماء والصلحاء

وقال الإمام الرباني – قدس سره –: إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيقُ لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه

---

(١) وإن أردت أن تعلم معنى المعيَّة في هذا فراجع القسطلاني في ٩٩ من ج٦ (هامش الأصل) .

* **معنى المعيّة في « مع من أحببت »**

قال النبي ﷺ « انت مع من أحببت » بحسب نيّتك من غير زيادة عمل (في الجنة) أي بحيث يتمكّن كل واحد منهما من رؤية الآخر وإن بَعُدَ المكان ، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أراد الرؤية وتلقّي قدروا على ذلك . هذا هو المراد من هذه المعيّة لا كونهما في الدرجة الواحدة « قسطلاني » .

المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودَّة ، ولو صُبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن ، وهذه المحبة قائمة ! ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، ولو أُفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ، وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ! ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ .

فانظر أيها الأخ إلى ما يثمر محبة الصالحين ولو لمن لا يعمل بعملهم ! .

ورأيت في « الإحياء » ما حاصله : مَن أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك . انتهى .

وفيه بُعَيد هذا : وقد قال أعرابي للنبي ﷺ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولَمَا يلحقُ بهم ! فقال النبي ﷺ : « المرء مع من أحب » . وقام أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال ﷺ : « أنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ ، إشارة إلى أن أكثر بغيتهم كانت حبَّ الله ورسوله .

قال أنس : فنحن نحبُّ رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ، ونرجو أن نكون معهم .

وقال أبو موسى : قلت : يا رسول الله ! الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصُّوَّام ولا يصوم حتى عدَّ أشياء ، فقال النبي ﷺ : « هو مع من أحب »[1] .

---

(١) متَّفق عليه . كذا في « الإتحاف » . راجعه . (منه) .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : إنه كان يقول : إن استطعت أن تكون عالماً ، فكن عالماً ، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلِّماً ، فإن لم تستطع أن تكون متعلِّماً ! فأحبّهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ، فقال : سبحان الله ! لقد جعل الله لنا مخرجاً . انتهى١٣٦ ج٣ .

فضيلة مجالسة العالم

وفي « نوادر » العالم العلاَّمة الشيخ أحمد القليوبي – رحمه الله تعالى – : حكي إن كعب الأحبار – رضي الله عنه – قال : إن الله تعالى يحاسب العبد ، فإذا رجحت سيئاته على حسناته يؤمر به إلى النار ، فإذا ذهبوا به إليها يقول الله تعالى لجبريل : أَدْرِك عبدي واسأله : هل جلس في مجلس عالم في الدنيا ؟ فاغفر له بشفاعته . فيسأله جبريل ، فيقول : لا . فيقول جبريل : يا رب ! إنك عالم بحال عبدك إنه قال لا . فيقول : سَلْهُ : هل أحبَّ عالماً ؟ فيقول : لا . فيقول : سَلهُ : هل جلس على مائدة مع عالم ؟ فيقول : لا . فيقول سَلهُ : هل سكن في سِكَّةٍ فيها عالم ؟ فيقول : لا . فيقول : سَلْهُ : هل وافق اسمه اسم عالم ؛ أو نسبه نسب عالم ؟ فيقول : لا . فيقول سلْه : هل يحب رجلاً يحب عالماً ؟ فيقول : نعم . فيقول الله لجبريل : خذ بيده وأدخله الجنة ، فإني قد غفرت له بذلك . انتهى٣٥ .

وقال شيخنا السيد الأمير سيف الله الحسيني – قدس سره – في « كنز المعارف » : ثم اعلم أيها الصادق أن التشبه بالأخيار والصالحين بحسن الظن بهم يورث المحبة ، وأن مَن أحب يكون مع المحبين ، ألا ترى أن الله لما أرسل موسى – على نبينا وعليه السلام – إلى فرعون كان السامري يتشبَّه بموسى بين يدي فرعون ليضحكه ، استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبُّه على هذا الوجه نجَّاه الله تعالى من الغرق ، فلم يغرق مع فرعون وأصحابه ! ! هذا بمجرد التشبُّه والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء ، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ؟ ! وكيف إذا كان بحسن

نية ولو لم يقُم بالعمل ! ؟ قال الشاعر :

فتشبهوا إن لم تكونـــوا مثلَهم   إن التـــشبُّه بـــالكـــرام فلاحُ

وقد ورد : « المرء مع من أحب » . فكم موضع ذكرنا هذا ! لما أنهم : « قوم لا يشقى جليسهم » ذكره السيد أحمد بن إدريس في « العقد النفيس » انتهى . من خطه رحمه الله تعالى .

ورأيت في « الصاوي شرح الجلال » في شرح قوله تعالى ﴿وَكَلْبُهُم[1] بَاسِطٌ﴾ الخ ما نصه : وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة ، وبهذا تعلم أن حبّ الصالحين والتعلُّقَ بهم يورث الخير العظيم ، والفوز بجنات النعيم ، انتهى فراجعه من سورة الكهف .

وأيضاً أنَّ التضَلُّع مِن هذا العلم[2] يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، ويحمله على التوبة والإنابة ، وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة ، فقد نقل الشيخ أبو طالب المكيُّ في كتاب « قوت القلوب » ، والإمام أبو حامد في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : **من لم يكن له من هذا العلم – أي : علم الباطن – نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة** . وأدنى النصيب منه : التصديقُ به وتسليمُه لأهله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : **من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّاً على الكبائر وهو لا يشعر** . كذا في « منية الفقير المتجرد » .

ورأيت في « أذكار النووي » رحمه الله تعالى ما حاصله : أن تعلم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة .

(١) أي كلب أصحاب الكهف . (هامش الأصل) .
(٢) أي : علم الباطن (منه) . (هامش الأصل) .

وكتب شيخنا مير سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه : **أن نظر كتب أهل السلوك جند من جنود الله** . انتهى .

فعلم من هذه المنقولات من كتب الأكابر رضي الله عنهم أن محبة أهل الطريق وتسليمهم وتصديقهم ، والتشبه بهم والاشتغال بعلمهم ، من أسباب السعادة وحسن الخاتمة ، وأن ضدها مما يوجب الشقاوة والعياذ بالله ، **فالفرق بين من دخل في الطريقة وبين غيره ظاهر** ، ولعل الأخ السائل العالم البرجي رحمه الله تعالى يرضى بهذا القدر من الجواب .

وصل[(١)] **في ذكر شيء مما يكون سبباً لحسن الخاتمة** - أماتنا الله تعالى مع أهلينا وأولادنا وأحبابنا على دين الإسلام والإيمان آمين - .

قال صاحب « ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد » في ٥٤ من هامش « عقد اليواقيت » ج١ بعد ذكره كلاماً في شرح قول الراتب : (يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام) ما نصه : ثم اعلم أن سيدنا الشيخ عبد الله صاحب الراتب - رضي الله عنه - ؛ من الأئمة العارفين بجلال الله تعالى الفعال لما يريد ، وبيده الخير والشر ، والسعادة والشقاوة ، وأن القدر سر من أسرار الله تعالى ؛ ضربت دونه أستار اختص الله بها ، وحجبها عن عقول خلقه ، حتى الأنبياء والملائكة والأولياء ، ولا ينكشف ذلك إلا بعد الموت على الإسلام - اهتمّ بسؤال الموت على الإسلام ؛ **إذ العارفون أكثر خوفاً من سوء الخاتمة من غيرهم** .

روي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أمرهم أنْ وضّئوه عند الاحتضار ، ثم جعل يعرق ، ثم يفيق فيقول : لا بَعْدُ . لا بَعْدُ . فقال له ابنه : يا أبت ما هذا الذي لهجت به ؟ ! فقال : يا بني إبليس قائم بحذائي

---

(١) وفي نسخة : فصل .

عاضّ بيده يقول : يا أحمد[1] فُتّني[2] ؟ فأقول : لابعد لابعد حتى أموت . انتهى . فكانوا أعظم الناس خوفاً ، وأكثرهم سؤالاً لحسن الخاتمة . كما بين ذلك في نصائحه .

واعلم - رحمك[3] الله تعالى - أنه **كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصلح كان الخوف أكثر** ، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ كان الخوف أقلَّ ، والأمن والاغترار أغلب[4] ، فاعتبر ذلك في نفسك وغيرك تجده بيّناً .

وعلى الجملة : فإن المؤمن الصادق هو الذي يعمل الصالحات ويخلص فيها ، ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله تعالى ، ويجانب السيئات ويبعد عنها ويخاف أن يبتلى بها ، ويخشى العقاب على ما عمله منها ، ويرجو المغفرة من الله تعالى بعد التوبة والإنابة إلى الله تعالى ؛ فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلطين وأمره في غاية الخطر ، فافهم هذه الجملة وطالب نفسك بها تنج وتفز إن شاء الله تعالى ؛ إلى آخر ما ذكره ، نفع الله به .

وكان قد قال قبل ذلك في مبحث ذكر الإسلام : **ولن يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام ، ولكن قد جعل الله له سبيلاً إلى ذلك ، إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه ، وامتثل ما أمر به** ؛ وهو أن يختار

---

(١) وقال : تفلت مني يا أحمد . فقلت : لا بعد ؛ ما دام روحي في الجسد فلا أغتر بسلامتي منك . « شرح سلك العين » راجعه ٥٩١ .

(٢) مِنْ فات يفوت .

(٣) كذا في الأصل ولم أفهم (منه) .

(٤) وفي شرح « سلك العين » في شرح قول الناظم (أوصيك من نفسك) الخ بعد أن بين شدة خوف الأنبياء والصحابة والأقطاب من سوء الخاتمة : واعلم أن الخوف بحسب القرب وصفاء القلب لآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ، ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . فراجعه (لكاتبه الطلقي) .

الموت على الإسلام ويحبه ويتمناه ويعزم عليه ، ويكره الموت على غيره من الأديان ، ولا يزال داعياً ومتضرعاً وسائلاً من الله أن يتوفاه مسلماً ، وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ . **قال وعلى الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه وتقويته ؛ بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى ، فإن المضيّع لأوامر الله تعالى متعرّض للموت على غير الإسلام ، فإن تركه لذلك دليل على استهانته للدين وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، وعليه أيضا أن يجانب المعاصي والآثام ، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه وتزلزل قواعده ، وتعرضه للسلب عند الموت** . كما وقع ذلك – والعياذ بالله – لكثير من الملابسين والمصرين عليها . وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ ما يدل على ذلك . وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، وإن وقعت في شيء فتب إلى الله منه ، واحذر كل الحذر من الإصرارعليه ؛ ولا تَزَلْ سائلاً من الله تعالى حسن الخاتمة ، فقد بلغنا **أن الشيطان** – لعنه الله – **يقول : قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة . أقول : متى يعجب**[1] **هذا بعمله أخاف أن قد فطن** . وأكثر من الحمد والشكر على نعمة الإسلام ، فإنها أعظم النعم وأكبرها ، فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبداً ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه ، ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك ، لأن الأوّل يموت فيصير إلى النار ، وهذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة .

وعليك أن لا تزال خائفاً وجلاً من سوء الخاتمة ؛ فإن الله تعالى مقلّب القلوب يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء .

---

(١) لم أفهم (منه) .

قال : وقد كان السلف الصالح رحمة الله عليهم في غاية الحذر من سوء الخاتمة مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم .

الذين يختمون بخاتمة السوء كثير

واعلم أن كثيراً ما يختم بخاتمة السوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة والزكاة الواجبة ، والذين يتتبّعون عورات المسلمين ، والذين ينقصون المكيال والميزان ، والذين يخدعون المسلمين ويغشّونهم ويلبّسون عليهم في أمور الدين والدنيا ، والذين يكذبون أولياء الله وينكرون عليهم بغير حق ، والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق ، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة .

ومن أخوف ما يُخاف على صاحبه سوء الخاتمة ، البدعة في الدين ، وكذلك إضمار الشكّ في الله ورسوله واليوم الآخر ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، اللهم يا أرحم الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفانا مسلمين ، وأن تلحقنا بالصالحين في عافية يا رب العالمين . انتهى .

أسباب حسن الخاتمة

واعلم أن العلماء نصوا على أن : كل ما ورد فيه من الأخبار ؛ دخول الجنة أو النجاة من النار ، أو الموت على الإسلام ، أو الجواز على الصراط ، أو شفاعة النبي ﷺ أو مرافقته أو الورود على حوضه ﷺ ، **فكل ذلك من أسباب حسن الخاتمة** ، وكذا الشهادة الأخروية ، والموت على الإسلام ، والاستظلال بظل العرش يوم القيامة ، وتفريج كربة من كرباته ، وكل ما تضمن كرامة أخروية .

قال السيد الإمام أحمد بن علوي باحسن باعلوي – نفع الله به – في كتابه المقدم ذكره : وكذا ما يضاهي ذلك من المبشرات بحسن الخاتمة

لمن وفق للعمل بموجبه ، كما نص عليه النووي وغيره من الأئمة ؛ إذ الكرامة ثمة إنما ينالها من مات على الإسلام دون غيره . انتهى .

وذكر من أسباب ذلك هو وغيره : الملازمة بعد كل صلاة قراءة الفاتحة و﴿ أَلَمٓ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ و﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية و« آية الكرسي » و﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى آخر السورة ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ إلى ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ويقول بعده : وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة . ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[1] إلى ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ والإخلاص عشراً والمعوذتين (مرة مرة) . وذكر ذلك أيضاً السيد العارف بالله تعالى عبد الله ميرغني فإنه ذكر أن هذه الأذكار من الأسباب الخاتمة بحصول حسن الخاتمة .

ومنها : أذكار الوضوء ، ومن ذلك : صدقة السرِّ فإنها تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء .

ومنه : سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش صباحاً ومساء ثلاث مرات .

ومنه : زيارة رسول الله ﷺ وسؤال الوسيلة .

ومنه : السلام في يوم أو ليلة على عشرة أو عشرين مسلماً مجموعين أو فرادى ، وإطعام اليتيم ، وسؤال الجنة ثلاثاً ، والأذان اثني عشر سنة ، وإخراج الأذى من المسجد ، وإسباغ الوضوء في الليلة الباردة ، والإهلال بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى ، **والإتيان بسيد الاستغفار**[2] صباحاً

---

(١) ومثله في « إعانة الطالبين » مع زيادة ، فراجعه في ٧٨١ ج١ (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) وهو ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن

ومساء ، وإنفاق زوجين في سبيل الله ؛ أي شيئين من كل شيء ، والتحميد والترجيع عند موت الولد ، وموت الطفل للإنسان ، وصلاة مئة شخص ، أو أربعين ثلاثة صفوف على الميت ، والصبر عند الصدمة الأولى ، وصيام ثمانية من شهر رجب ، وصلاة أربع ركعات في الجامع يوم الجمعة بـ« الإخلاص » ؛ في كل ركعة خمسين مرة ، ورمي سهم أو صنعته في سبيل الله تعالى ، وتعلُّم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله تعالى فيتعلّمهنّ أو يعلِّمهنّ .

ومن ذلك : إحسان الوضوء ثم صلاة ركعتين ؛ يقبل بقلبه وبوجهه عليهما ويقول : رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، والجلوس في مصلاه بعد صلاة الفجر ذاكراً حتى تطلع الشمس ، وقراءة خواتيم سورة البقرة من ليل أو نهار والموت من يومه أو ليلته ، وقراءة (أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ؛ رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت) ، وفي الرواية : « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ ثم اضطجعْ على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم . . . . » إلى آخره ، ويجعلهنّ آخر ما يتكلم به . وفي رواية أخرى بلا ذكر الوضوء ، ومنه : اللهم أعط محمداً الدرجة والوسيلة ، اللهم اجعل في المصطفين صحبته ، وفي العالمين درجته ، وفي المقرّبين ذكره ، وعقب كل صلاة قراءة « قل هو الله أحد » ، والاستغفار في رجب سبعين بالغداة وسبعين

يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذبك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها في النهار موقناً فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » . رواه الخاري . كذا في « ذخيرة المعاد » فراجعه في ١٨ من هامش « عقد اليواقيت » ج١ . (منه رحم الله إفلاسه) .

بالعشي بصيغة : (اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي) ، والأذان احتساباً سبع سنين ، وعند ختم القرآن : (اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير) ، وفي السجود : (يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك) إلى غير ذلك ، وللإمام السيوطي رحمه الله تعالى في ذلك مؤلف سماه « أبواب السعادة في أسباب الشهادة » ختم الله لنا بذلك ولأحبابنا والمسلمين بلا محنة ولا فتنة آمين يا رب العالمين . انتهى .

وفي « بغية المسترشدين » ما نصه : فائدة نقل عن القطب الحداد أن مما يوجب حسن الخاتمة عند الموت أن يقول بعد المغرب أربع مرات : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه ، رب اغفر لي .

وعن بعض العارفين : من قال بعد صلاة المغرب أيضاً قبل أن يتكلم : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد كل حرف جرى به القلم (عشر مرات) مات على الإيمان . اهـ « حدائق الأرواح » لباسودان . انتهى في ٤٥ وفيه في ٧٧ في موضع آخر :

فائدة نقلت عن الإمام الشعراني : أن من واظب على هذين البيتين في كل يوم جمعة توفاه الله تعالى على الإسلام من غير شك وهما :

إِلَهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أَهْلاً وَلاَ أَقْوَى عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ
فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَاغْفِرْ ذُنُوبِي فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَنْبِ الْعَظِيمِ

ونقل عن بعضهم أنهما يقرآن خمس مرات بعد الجمعة . انتهى « باجوري » فراجعه في سنن الجمعة في ٧٧ .

وفيه : **فائدة** : يسن أن يقول بعد تكبيرة الإحرام : اللهم إني أعوذ بك أن تصد عني وجهك يوم القيامة ، اللهم أحيني مسلماً وأمتني مسلماً . وعند ختم القرآن : اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير . فكلا هذين ورد

الوعد لفاعلهما بالموت على الإسلام . « حدائق الأرواح » انتهى فراجعه في ٤٠ .

وذكر القطب أحمد ضياء الدين قدس سره في « مجموعة الأحزاب » ما نصه : **هذا حزب دعاء الفرج** لأبي جعفر المنصور بتعليم الخضر عليه السلام ، من دعا بهذا الدعاء صباحاً ومساء هدمت ذنوبه ودام سروره ، ومحيت خطاياه ، واستجيب دعاؤه ، وبسط له في رزقه ، وأُعطي أَمَلَه ، وأعين على عدوه ، وكتب عند الله صديقاً ؛ ولا يموت إلا شهيداً : اللهم كما لطفتَ في عظمتك دون اللُّطَفَاءِ ، وعلوْتَ بقدرتك على العُظَمَاءِ ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدر كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك ، فانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ؛ اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجاً ومخرجاً ، اللهم إن عفوك من ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على عملي أطمعتني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه ، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً ، وإنك لمحسن إليَّ وأَنِّي لمسيءٌ إلى نفسي في ما مضى بيني وبينك ، تتودَّدُ إلي بنعمك وأتبغَّض إليك بالمعاصي ، ولكنّ الثقة بك(١) حملتْني على الجُرأَةِ عليك ، فَعُد اللهم بفضلك وإحسانك علي إنك أنت الرؤوف الرحيم . انتهى ٣٥٧ ج١ .

ومن الأسباب التي يسهل بها سكرات الموت ولا يذوق مرارته ما ذكره مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما لفظه : وأما « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فمن بعض فضائله : أن من داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت .

---

(١) في نسخة : منك .

وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله تعالى عنه ؛ وأنا معه في المدينة المنوّرة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول : إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً . انتهى .

قلت : قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة . انتهى . ١٠٥ ج٢ .

وفي « المشرع الروي » نقلاً عن القطب سيدي عبد الله العيدروس رضي الله عنه : من قرأ آية الكرسي يثبّت الله بها القلب لا سيّما عند الموت . « تقريب الأصول » ١١٨ .

فائدة : ذكر الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني – رحمه الله تعالى – في كتاب ذكر فيه جملة من الأذكار والدعوات ، قال : ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام : « إن ربك يقول : من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض من كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان ؛ أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ، فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة إلا يصعد إلي فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور ، وتشتغل الملائكة بذلك ؛ وهذا ما وصى به الشيخ محيي الدين قدس سره في الباب السادس والخمسين من « الفتوحات » ؛ قال : وكذلك تقول في إثر كل صلاة فريضة قبل الكلام : اللهمّ إني أقدم إليك بين يدي كل نفس . . . إلى آخر ما مرّ . انتهى . ما ذكره الكوراني[١] .

---

(١) قاله صاحب « ذخيرة المعاد » في صحيفة ٤٨ . (هامش الأصل) .

وقد وقع السؤال عن قوله : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس . . .إلى آخره . ما المراد منه ؟

فأجبت : إن المراد تكثيرُ المضاعفة والتحصين ؛ بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذّر حصرها ، ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر لها تقدير في الزمن ، فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ ، وما فيها من الثواب من كل ما ورد ، واختصت به مما عُلم ، ومما لم يعلم ، يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن لتشمل الإحاطة والتحصن والحفظ والثواب العظيم ، فيكون ذلك معدوداً ومُعَدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات .

ويؤيد هذا المفهوم ما ذكره أحمد السجاعي المصري في شرحه على « حزب الإمام النووي » على قوله : وأقدم بين يدي وأيديهم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . . إلى آخرها ، أي أجعل ذلك مقدماً في التحصن والإحاطة انتهى . « ذخيرة المعاد » ٨٦ راجعه من هامش « عقد اليواقيت » ففيه كلام آخر في ذكر معنى ما ذكر .

وفي « تنوير الصدر شرح حزب البر » : قال الترمذي : خلصنا حساب ليلة ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألفاً وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف ألف وست مائة ألف ألف ؛ هذا في اليوم والليلة ، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك . انتهى . ١٢٣ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج١ .

وما قاله الشاذلي في حزب البر هكذا : (وكل شيء هو في علمك . .إلخ) بدل من (كل شيء) في الحديث المذكور ، وفسر لذلك صاحب « تنوير الصدر » هكذا ، وأقدم إليك قبل كل - بالجر عطف على (كل) الأولى - شيء هو في علمك الخ . انتهى . فراجعه وتدبره في ١١٩

من هامش « مجموعة الأحزات » .

هذه فائدة عظيمة :

باسم ربي والصلاة والسلام — للنبيّ ثم للآل الكرام
بعد هذا ، فاستمعنا يا همام — نذكر تسبيح ربي باهتمام
قد أتينا بالنقول عن إمام — رحمة الله عليه والسلام
قد رأى الله تعالى في المنام — بعد تسعين وتسع بالتمام
قال فيه : من يسبح يا إمام — بالغداة والعشي بالدوام
خالصا تسبيحَ آت في الكلام — فهو ناج من عذاب بالسلام
فهو تاج رأس حقي والمرام — ذكر تسبيح الإله في الختام

هذه هي التسبيحات المنجية[1] : بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الأبدي الأبد ، سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان رافع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد ، سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عَدَد[2] ، سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحد ، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ؛ ولا ولد[3] ، سبحان الذي لم يلد ولم يولد

(١) ومثله بل عينه في « مصباح الظلام » . فراجعه في ٦٣ (منه) .

(٢) كذا في الأصل الخ . وجه الفهم : عله بحذف الحركة والتنوين لضرورة الفاصلة والسجع ؛ إذ الفاصلة في النثر بمنزلة القافية في الشعر . كذا في كتب العروض ، فراجعه .

(٣) ولم ينسى أحد . ولا ولد ؛ كذا في « مصباح الظلام » أي بلا نصب ولعله للموافقة فافهم (منه) .

*هذا الدعاء حفظ الإيمان الوارد عنه ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم إنك علام الغيوب « ترصيع الجواهر » ٦٥ .

ومن أدعية حسن الخاتمة : اللهم اختم لي منك بخير في عافية من غير سابقة=

ولم يكن له كفواً أحد . انتهى . من كتاب ألفه سليمان حقي ٤٤ .

وحكي عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطىء البحر ، فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً فقال : من أنت ؟ أسمع صوتك ولا أرى شخصك ، فقال : أنا ملك من الملائكة موكّل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلق . فسأله عن ثواب من قال هذا التسبيح ، فقال : من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ؛ وهو هذا : سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار ، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح في كل مكان . كذا في « مصباح الظلام » فراجعه في ٣٦ .

البُرج الرابع

في بيان درجات شوائب الرياء والآفات المكدرات للإخلاص

فلما كان معرفتها للسالك ولغيره من المهمّات ، وكان ذكر الرياء في مسألة السائل ؛ أردت أن أورد هنا نبذة يسيرة لا بدَّ لكل أحد من اطِّلاعها والتدبّر بما فيها ، فالكتب ؛ وإن كانت مشحونة بذكر الرياء وغيره من الآفات المحبطة للعمل لكنها لا يظفر عليها كل أحد ، وأرجو الله تعالى أن يوصل إلى هذا الكتاب نظرة موفق فيعمل بما فيها ولو بأدنى شيء ، والله الموفِّق لكل خير ، والمحوِّل عن كل شرٍّ .

=عذاب ولا محنة ، ثلاثاً في الصباح وثلاثاً عند النوم . ومنها ما يقال بعد الصلاة الأوابين : اللهم إني أستودعك ديني فاحفظه عليّ في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي ، ومنها ما يقول بين سنة الفجر والفريضة أربعين مرة يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي يا الله يا أرحم الراحمين . « ترصيع » ٦٥ .

قال حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في « الإحياء » في ٢٧٣ ج٤ : **اعلم** أن الآفات المشوّشة للإخلاص بعضها جليٌّ وبعضها خفيٌّ ، وبعضها ضعيف مع الجلاء ، وبعضها قويّ مع الخفاء ، ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال ، **وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء** ، فلنذكر منه مثالاً فنقول :

درجات الرياء

الشيطان يُدْخل الآفةَ على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته ، ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل ، فيقول له : حَسِّنْ صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك ، فتخشع جوارحه ، وتسكن أطرافه ، وتحسن صلاته ، وهذا هو الرياء الظاهر ، ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين .

الدرجة الثانية : يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره ، فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمرّ في صلاته كما كان ، فيأتيه في معرض الخير ويقول : أنت متبوع ومقتدى بك ومنظورٌ إليك ، وما تفعله يؤثر عنك ويتأسَّى بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت ، وعليك الوزر إن أسأت ، فأَحْسِنْ عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة ؛ **وهذا أغمض من الأول** ، وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول ، وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص ، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه ، فَلِمَ لم يرتض[1] لنفسه ذلك في الخلوة ؟ ! **ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعزَّ عليه من نفسه** ، **فهذا محض التلبيس** ، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره ، فيكون له ثواب عليه[2] ، **فأما**

---

(١) وفي نسخة : لم يرض .

(٢) وفي نسخة : عمله .

هذا ! فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أُثيب عليه ، وأما هو فيطلب بتلبيسه ويُعاقَب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به .

الدرجة الثالثة ؛ وهي أدقُّ مما قبلها : أن يجرِّب العبد نفسه في ذلك ، ويتنبَّه لكيد الشيطان ، ويعلم ، **أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محضُ الرياء** ، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ، ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته ، فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ، ويصلي في الملأ أيضاً كذلك ، **فهذا أيضاً من الرياء الغامض** ، لأنه حسَّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ ، فلا يكون قد فرّق بينهما ، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق ، **بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة** ، فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاة في الخلاء والملأ وهيهات !! **بل زوال ذلك بأن لا يلتفتَ إلى الخلق كما لا يلتفتُ إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعاً** ، وهذا من شخص مشغولِ الهمِّ بالخلق في الملأ والخلاء جميعاً ، وهذا من المكائد الخفية للشيطان .

الدرجة الرابعة ؛ وهي أدقّ وأخفى : أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : اخشع لأجلهم . فإنه قد عرف أنه تفطَّن لذلك ، فيقول له الشيطان : تفكَّر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه ، واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه ، فيحضر لذلك قلبه وتخشع جوارحه ، ويظن أن ذلك عين الإخلاص ، وهو عين المكر والخداع ، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ، ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره ،

وعلامة الأمن من هذه الآفة : أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الجلوة ، ولا يكون حضور الغير هو السبَب في حضور الخاطر ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً ، **فما دام يفرِّق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة ؛ فهو بعدُ خارجٌ عن صفو الإخلاص ، مدنّسُ الباطنِ بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ؛** كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دقَّ نظره ، وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته ، وإلا ! فالشيطان ملازم للمتشمِّرين لعبادة الله تعالى ، لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات ؛ حتى في كحل العين ، وقصِّ الشارب ، وطيب يوم الجمعة ، ولبس الثياب ، فإن هذه سُننٌ في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي ، لارتباط نظر الخلق بها ، ولاستئناس الطبع بها ، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ؛ ويقول : هذه سنة لا ينبغي أن تتركها . ويكون انبعاث القلب باطناً فيها لأجل تلك الشهوة الخفية ، أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حد الإخلاص بسببه ، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص ، بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس به الطبع ، فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف ، وقد يكون المحرِّك الخفي في سره وهو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ، ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر ، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ، ومبطل حقيقة الإخلاص . **لعمري** الغِشّ الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة ! فمنها ما يغلب ، ومنها ما يقل ، لكن يسهل دركه ، ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير ، وغش القلب ، ودَغَل[1] الشيطان ،

---

(١) الدغل : الفساد . « مختار » (هامش الأصل) .

وخبث النفس ، أغمض من ذلك وأدق كثيراً .

ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل

ولهذا قيل : **ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل** . وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها ، فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموّه واستدارته ؛ وهو مغشوش زائف في نفسه ، وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغرُّ الغبيّ ، فهكذا يتفاوت أمر العبادات ، بل أشد وأعظم ، ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها ، فلينتفع بما ذكرناه مثالاً ، والفَطِنُ يغنيه القليل عن الكثير ، والبليد لا يغنيه التطويل أيضاً ؛ فلا فائدة في التفصيل انتهى في ٢٧٥ .

كيفية امتزاج الحظوظ

وقال الغزالي أيضاً قبيل هذا : وأقل أموره ما ورد في الخبر : **أن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربع أسام : يا مرائي . . يا مخادع . . يا مشرك . . يا كافر . .** وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ، ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر ، إمّا من الرياء ، أو من غيره من حظوظ النفس ، ومثال ذلك : أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب ، أو يعتق عبداً ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر ، أو يتخلص من شرّ يعرض له في بلده ، أو ليهرب عن عدو في منزله ، أو يتبرّم بأهله وولده أو بشغل هو فيه ، فأراد أن يستريح منه أياماً ، أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تَهيئة العساكر وجرّها ، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله ، أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما

يكفيه من المال ، أو ليكون عزيزاً بين العشيرة ، أو ليكون عقاره وماله محروساً بعزّ العلم عن الأطماع ، أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلَّص عن كرب الصمت ويتفرَّج بلذة الحديث ، أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس ، أو لينال به رفقاً في الدنيا ، أو كتب مصحفاً ليجوِّد بالمواظبة على الكتابة خطه ، أو حج ماشياً ليخفف عن نفسه الكراء ، أو توضأ ليتنظف أو يتبرَّد ، أو اغتسل لتطيب رائحته ، أو روى الحديث ليُعرَف بعلوّ الإسناد ، أو اعتكف في المسجد ليخفف عليه كراء المسكن ، أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام ، أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها ، أو تصدَّق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه ، أو يعود مريضاً ليُعاد إذا مَرِض ، أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله ، أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به ؛ وينظر إليه بعين الصلاح والوقار . مهما[1] كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ؛ ولكن انضاف إليه خطر من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور ، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص ، وخرج عن أن يكون خالصاً لله تعالى ، و تطرَّق إليه الشرك ؛ و قد قال تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشركة » انتهى عبارته ٢٩٦ ج ٤ .

فانظر يا أخي إلى دقائق الرياء[2] ، **واعلم أن أهمَّ ما يرشد الشيوخُ أتباعهم إليه هو الاجتنابُ عن ملاحظة الخلق ، وعن طلب الحظوظ النفسانية بأعمالهم دنياً وأخرى** ، بل مقصودهم بجميع مايعالجونهم ؛ دلالتهم إلى أسباب الخلوص منها طلباً لحظ التلذُّذ بمجرد المعرفة

---

(١) وفي نسخة : ومهما .

(٢) قال الفاضل المفسّر نظام الدين النيسابوري القمي في غرائب القرآن : إن اجتناب الرياء صعب إلا على من راض نفسه وحملها على الإخلاص ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ « الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود » . انتهى . (لمحرره العوري) .

والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى ، فهذا حظ هؤلاء القوم ؛ لا يلتفتون إلى غيرهما من الحظوظات النفسانية في الدنيا والآخرة ، **حتى يرون طلب الشهوات الموصوفة في الجنة عينَ طلب حظ البطن والفرج** ، ولكن أكثر الناس لا يعدُّون التلذُّذ المذكور حظاً ؛ لعدم علمهم بما هنالك .

وأما أهل الطريقة أرباب الوصلة والمشاهدة ؛ **لو عُوّضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه؛** كما أشار إليه الغزالي في « الإحياء » . فقد أخبرني بعض مريدي شيخنا العسوي ـ قدس سره ـ : أنه كان عنده فطرأ عليه حال بتوجُّهه ، وصار في لذة الحضور بحيث ينسى جميعَ اللذات ، فقال له : يا أستاذي هل يكون في الجنة لذة ألذّ من هذا ؟ ! فقال له الشيخ : لا ، ولو دخلت في الجنان الثمانية . انتهى .

وأما هذا الحقير الفقير المفلس فقد ذاق من هذا المقام طعماً ، فحين كان في السلوك طرأ عليه لذة الحضور وقت المراقبة ، فظن أنه لا تكون في الدنيا و لا في الآخرة لذة أشرف من هذا ولا ألذ ، وظن أنه لا يدخل الجنة لو أمره بالدخول إليها بدل هذه ، ولله الحمد و المنة ، وله الشكر على هذه النعمة الجليلة وهي التي يسمونها بـ « **الجنة المعجلة** » .

أيها الأخ المحبوب العالم السائل المرغوب ؛ رزقك الله تعالى أعلى مراتب الإخلاص ، وخلَّصك من أدنى درجات الرياء ، ينبغي لك أن تعلم أن مَن اتخذ له شيخاً يَهديه إلى معرفة مراتب الإخلاص والرياء ، ومن لا يعرف شيئاً منها لا يستويان في هذا الأمر كما لا يخفى على عاقل ، فإن غالب الخلق نراهم كأنهم معجونون بطين الرياء والسمعة ، فإذا نظر المشائخ بعيون أفئدتهم إلى أهل الظلام المنقطعين عن الله سلكوا طريق العلاج لإزالة ظلماتهم ؛ بتلقين الذكر مع نوره الحاجب من الشيطان ،

ويأمرونهم بتكراره ليدركوا بذلك النور ما في قلوبهم من الآفات القادحة للإخلاص ، فيطّلعون تدريجاً إلى دقائق الرياء وأخفاه ، فيجتهدون بعد ذلك في تركه وإخلاص العمل لله تعالى ؛ فإن وقعوا فيه يبادرون إلى التوبة ، بخلاف العوام كالأنعام .

ويشهد لذلك ما في « السير والسلوك » بهذا اللفظ :

وأعظم أسباب الندم المداومةُ على الذكر بكلمة (لا إله إلا الله) . لأنه إذا داوم عليها أوقد الله في قلبه مِصْبَاحاً ملكوتياً ؛ فتزول به ظلمة الباطن فيظهر على ما فيه من النجاسات والآفات القادحة عن نيل السعادات ، وهو وإن كان يعلمها من قبلِ ذلك ، لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل النور ؛ فيحصل الندم الذي هو التوبة .

وقد روي عن سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء ، القطب الربّاني والغوث الصمداني ، سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدس الله سره ـ أنه كان يأتيه الرجل فيَشكُو ترك الصلاة والتهاون في أدائها ، فيقول له : أكثر من ذكر لا إله إلا الله . ويأتيه آخر فَيَشْكو له الزنا ؛ مثلاً ، أو شرب الخمر ، أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل شيء منهي عنه إلا أمره بالذكر . انتهى عبارته .

ويؤيد هذا ماورد في الحديث : « ذكر الله شفاء القلوب » انتهى .

ومما ينبغي أن يُعلَم : أن العارفين من أهل الطريقة محفوظون من آفة العجب والرياء ؛ لشهودهم بأن أعمالهم وعباداتهم من فعل الله ، كما قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ويؤيده ما قاله الغزالي في « الإحياء » بما نصه :

مهم

والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يُبْتَلُونَ بالرياء والغش[1] والإخفاء . انتهى ٧٢ ج٣ .

فإذا نظرنا فيما ذكر ظهر الفرق بين السالك وبين غيره ، لا يستوي الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، والذين هم في غفلة عنه ساهون ؛ فبين جلساء الله سبحانه وبين الذين هم عنه مبعدون بونٌ عظيم ، وقد ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فافهم وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

(١) غشَّه غشّاً : لم ينصحه ، وزيَّن له غير المصلحة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

* ثم قال ـ أي النبي ﷺ ـ : « ولا تدعْ أن تقول : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيُّوم وأتوب إليه . واسأله التوبة والمغفرة ؛ إنه هو التوَّاب الرحيم ؛ مهما رأيت عملك ، أو وقع خلل في كلامك » . هذا منقول من لفظه ـ يعني : أبا المواهب الشاذلي ـ رضي الله عنه . « الطبقات الكبرى » ٦٦ .

* والعارفون يبُتلون بالشهوات ؛ بل بالمعاصي ، ولا يُبْتَلُون بالرّياء والغش والإخفاء . بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق . وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلّقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوّشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضدّه وهذا عمل الصديقين الخ « إحياء » ٢٧ ج٣ .

البرج الخامس

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم

قد سألني الأخ المرجوّ لحوز السلامة في أثناء أسئلته ببيان حقيقة هذه المسألة ؛ فأردت أن أجيبه بما عندي بما علمني ربي سبحانه وتعالى ، فنقول وبالله الإعانة :

قال الغوث الصمداني أحمد ضياء الدين في « المتممات » : وأما اتخاذ الشيخ وأخذ الطريق ولزوم السلوك ، فقالوا : قد جرت العادة وجربت بأن التطهير من النجاسات المعنوية وأدناس الطوية والحضور والخشوع في الصلاة وسائر العبادات بمشهد « أن تعبد الله كأنك تراه » ، المعبر عنه بـ« **مقام الإحسان** » لا يتيسر إلا بالسلوك على يد شيخ كامل ؛ عالم بعلاج هذه الأمراض وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً وتجربة ، **بل لو حفظ المبتلى بالأخلاق الذميمة السابقة كتباً متعددة لا يستغني بها عن تربية مثل تربية الشيخ** ، ليخرجه عن رعونات نفسه الأمارة ودسائسها الخفية ، كما نشهده في كثير من المتفقهة المبتلّين بها ، والتجريبات والمشاهدات تلتحق باليقينيات القطعيات ، وقد قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾ .

وقال الشعراني في « الأنوار القدسية » : **وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ**(1) **الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه لتصح صلاته ، من باب : (ما لا يتم الواجب**

---

(١) ويجب على من لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب ؛ من كبر وعجب ورياء ونحوها ، كما يجب كفايةً تعلم علم الطب . « ابن حجر من السير » (هامش الأصل) .

* وكان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : من دخل الدنيا ولم يصادف رجلاً كاملاً يربّيه خرج منها وهو متلوّث ولو كان على عبادة الثقلين (طبقات) .

إلا به؛ فهو واجب) . ولا شك أن علاج أمراض الباطن كله واجب ، كما تشهد به الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد بالعقاب عليها ، فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، **ولو تكلف لا ينفع**[1] **بغير شيخ؛ ولو حفظ ألف كتاب** ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزّل الدواء على الداء ، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنه طبيب عظيم . ومن رآه حين يُسْأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال : إنه جاهل . فاتّخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكر أبدية الآخرة ، **وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنه كفر** ، فإنها كلها أخلاق محمدية ، وسيرة أحمدية ، وسنن إلهية . انتهى ١٥٥ .

وفي « المتممات » أيضاً : وقال الشعراني أيضاً في « الأجوبة المرضية » : وقد كان عز الدين بن عبد السلام يقول قبل أن يجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي : وهل ثم طريق يقرّب إلى الله تعالى غير ما بأيدينا من الفقه ؟ فلما اجتمع بالشيخ أقرّ طريق القوم بقوله : **من أدل دليل على صحة طريق القوم** ، وأن أهلها قعدوا على القواعد ، وقعد غيرهم على الرسوم : ما يقع على أيدي القوم من الكرامات والخوارق ، ولم يقع على يد فقيه كرامة ، ولو بلغ في العلم ما بلغ ما لم يتبع طريقهم . انتهى .

وقال فيه أيضاً : وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم **صوفية** ، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه . فلما صحب أبا حمزة البغدادي ، وعرف أحوال القوم كان يقول لولده : **يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم؛ فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة**

---

(١) وفي نسخة : لا ينتفع . .

والخشية والزهد وعلو الهمة .

وقال فيه أيضاً : وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يجالس الصوفية ويقول : يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده .

وقال فيه أيضاً : فلا يقال : (لو كان علاج هذه الأمراض الباطنة واجباً ؛ لوضع الأئمة من الصحابة والتابعين والمجتهدين في ذلك كتاباً فيه) ؛ لأنا نقول : إن هذه الأمراض التي حدثت فينا لم تكن في عصرهم ، ولو كانت فيهم لاستنبط المجتهدون في ذلك أدوية وكتباً ، وخلصوا الناس من الرياء والنفاق والعجب وغيرها ؛ كما فعلوا ذلك في مسائل الفقه .

ولا يقول عاقل قط : إن أحداً من الأئمة يرى في أحد كبراً أو عجباً أو رياءً أو حسداً أو نفاقاً ويقرّه عليه أبداً ، بل كان يستنبط له الدواء من الكتاب والسنة ليخرجه من إثم ذلك الداء ، فقد بان لك أنه يجب على كل من غلب عليه مرض الباطن أن يطلب شيخاً يخرجه من تلك الورطة ، وإن لم يجد في بلده أو إقليمه ! وجب السفر إليه ، وإن من رزقه الله سلامة الباطن من الأمراض كالمجتهدين وكمل أتباعهم لا يحتاج إلى الشيخ ، وإن احتاج لزيادة الكمال إلى أهل السلوك ، لأن هذا قد عمل بما علم على وجه الإخلاص ؛ وذلك هو حقيقة الصوفي .

أول ظهور الأمراض الباطنة

وقال القشيري : **أول ما حدث ظهور الأمراض الباطنة أواخر المائة الثالثة** ، لقوله عليه السلام : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فمن شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية فقد حاز رتبة الكمال كله . انتهى ١٥٦ .

قلت : ومن هنا سألني العالم محمد دبر البرجي[1] بما نصه : ما يقوله أهل المشيخة : (إن اتخاذ شيخ التربية واجب لعلاج الأمراض الباطنة ؛ من حب الدنيا . . . والخ والخ . وإنما لم يضع الأئمة كتاباً في ذلك كما وضعوا مسائل الفقه مع كون هذا من أهم المهمات ، لأن هذه الأمراض لم تكن في عصرهم ، بل حدثت بعدهم) خبر عجيب يبطله ما وقع بين كبراء الصحابة رضوان الله عليهم في قصة علي ومعاوية وغيرهم ؛ من التحاسد والتقاتل بسبب أمر الخلافة ، وإن سلّمنا أنه وقع منهم بالاجتهاد ، فلا مجال لترك الأئمة أن يضعوا باباً في ذلك فلم لم يضعوا في ذلك كتاباً ومسائل ؛ نظراً إلى تلك الأمراض الباطنة التي ستقع في العوام ، كما وضعوا مسائل الفقه لأجل أمور ستحدث في الناس ، فالجواب بمأخذ كتاب انتهى . من خطه .

أقول بالاستعانة بالله تعالى قائلاً : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ عدُّ ما قاله السادات والأكابر والأقطاب خبراً عجيباً[2] أراه من سوء الأدب معهم ، فحاشاهم أن يقولوا ما لم يتيقنوا عندهم ، ولا يخفى أنهم أعلم بأحوال من قبلهم من الأئمة والتابعين ، **ومن عادة من خَلَص باطنه من السوء أن يرى الغير كأنه مثله خالص منه** ، كما أن من في باطنه سريرة سيّئة يظن أن غيره متصف بها مثله ؛ فالأئمة وإن لم يضعوا كتاباً في الأخلاق وعلاجها ؛ فالكتاب والسنة مشحونتان بذم الذمائم منها ، ومدح المحامد والمحاسن ، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم من أخوف الناس من الله تعالى ، يحترزون من الأقل من ذمائم الأخلاق ، وقد دلهم النبي عليه السلام على العلاج بقوله ﷺ : « جالسوا العلماء ، وزاحموهم بركبكم ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » .

---

(١) وهو الذي وقع سبباً للتأليف (منه) .
(٢) وفي نسخة : يبطله شيء ما .

وروي عنه ﷺ : « ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر »

نور قلب العارف

وبقوله عليه الصلاة والسلام : « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم الآخرة عمله » يعني : أن نور[1] قلب العارف يشرق على وجهه ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، فينعكس عليه مافي باطنه . فافهم .

ورأيت في شرح « عين العلم » ما نصه : وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها . فقالت : أكثري ذكر الموت يرقّ قلبك . ففعلت ؛ فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى ٨٨ ج٢ .

وفي الحديث : « الذكر سيف الله » ، وفيه أيضاً : « الذكر شفاء القلوب » .

ورأيت في « الفتاوى العمرية » ما نصه : ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه – مع جلالة قدره – يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول : يا أنس كنت خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين ، كما قال الله تعالى ﴿ **أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ** ﴾ . . . الأية . فانظر يا أنس هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من شدة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضا ؛ ظناً منه أن بكاء أنس لرؤيته النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر لا تبك ، وإنما بكيت أنا من شدة خوفك من النفاق وعدم أمنك منه ، فقال عمر : يا أنس ، **من أمن من**

---

(١) راجع « تقريب الأصول » في ٤٦ ، و« الرحمة الهابطة » في ٥٦٣ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الأول ، و« نور الهداية » . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون .

ومعلوم أن هذا نفاق رياء ؛ لا نفاق شرك . انتهى .

وفي « هدية الذاكرين » وقيل : إن هذه القصة مع حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ . انتهى عبارته .

وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام توجه النبي ﷺ في غار جبل حراء والنبي ﷺ توجه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور ، وهذا هو التوجه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم وهو سحاب الفيوضات ، وقلوبهم ميزابها[1] .

مطلب مهم

والمراد من التوجه هو إلقاء الجذبة من القلب إلى القلب ؛ وإخراج الظلمة منه . وتلقين الذكر قد تسلسل سنده إلى رسول الله ﷺ بإسناد صحيح كما هو مذكور في كتب متعددة ، وقد تعنعن أيضاً توجههم المعروف ؛ كما ذكره الزهدي في هامش « نهجة السالكين » في : ٧٧ . وجميع علاجات أمراض الباطن - كما لا يخفى على عالم عاقل - مأخوذة من الكتاب والسنة ، وفي القرآن آيات كثيرة تصرح الأمر بالاقتداء والاتباع بأهل الخير ؛ من ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ انتهى ، ومنها قوله ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ، ومنها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ومنها ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ الآية . وأمثالها .

وقد يصرح كون الذكر من العلاجات قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فتدبره .

---

(١) راجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » مع ما في هامشه من صحيفة ٦ (منه رحم الله إفلاسه) .

وقد مر مراراً ما يعلم الفرق بين الذكر الملقن وبين غيره مما يفعله الإنسان بنفسه .

ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب « مزكي النفوس » من أن الذكر على نوعين : ذكر التعليم وذكر التلقين .

فذكر التلقين : هو الذي يفيد الطالب ، ويذهب الحجاب من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانية ، وهو مثل مطر النيسان .

وأما ذكر التعليم : فهو الذي يذكره العوام ، ويعلمه الآباء بلسانهم ، **ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح** . انتهى .

وقال في « **المتممات** » ما معناه : **لا يحصل تصفية القلب وتزكية النفس من ذكر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقنها الذاكر من شيخ كامل** . انتهى ملخصاً فراجعه وراجع « الإبريز » في ٢١٦ .

وفي « بيان الأسرار » للإمام السهروردي رحمه الله تعالى : اعلم أن المراتب المذكورة لا تحصل إلا بالتوبة النصوح ، وبالتلقين من أهله ، كما قال الله تعالى ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي : لا إله إلا الله . بشرط أخذه من قلب تقي نقي مما سوى الله ؛ لا كل كلمة تسمع من أفواه العامة ، وإن كان اللفظ واحداً ، لكن في المعنى تفاوت ، **لأن القلب إنما يحيى إذا أخذ بذر التوحيد من قلب حي ، فيكون بذراً كاملاً ، وبذر غير البالغ**[1] **لا ينبت** ، ولذلك نزلت كلمة التوحيد في القرآن في موضعين :

أحدهما مقارن بالقول الظاهر كما قال الله تعالى ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ هذا في حق العوام .

---

(١) وفي نسخة : الكامل .

والثاني مقارن بالعلم الحقيقي ؛ قال الله تعالى ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ** ﴾ وهذا التلقين ، سبب نزول هذه الآية لأجل التلقين[١] . انتهى عبارته ، فراجعه في الفصل الخامس ففيه البسط .

وقال القطب أحمد ضياء الدين « في متمماته » : ثم اعلم أن النفس شأنها عظيم ، وأمرها خطير ، وقد جاءت في التحذير منها الآيات والأحاديث ، والحث على تزكيتها والتبري منها والخلاص عنها .

فمن الآيات : قوله تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾ وقوله ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾** ﴾[٢] ، وقوله ﴿ **وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ** ﴾ وقوله ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ .

ومن الأحاديث : قوله عليه السلام : « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » وقوله : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وعلى جميع المسلمين وجوب مراقبة الله ، وتهذيب النفس وتزكية أخلاقها على كل من لم يرزق[٣] قلباً سليماً .

وهذه النفس مذمومة عند كل شخص ، وفي كل زمان ، بل جميع الملل متفقون على ذم النفس والتحذير من مكرها وخداعها ، وعدم الميل إلى غرورها ؛ فلذلك جعل أئمة الطرق أول اشتغال المريد بقهر النفس ورياضتها ومخالفة هواها وقطع مألوفاتها وشهواتها وأمروه بالحذر منها ومن مكرها ، وألزموه بمحاسبتها ، قال عليه السلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال البوصيري :

---

(١) وسيأتي في البرج السابع . فقلبه (منه) .

(٢) أخفاها بالمعصية . « جلال » (هامش الأصل) .

(٣) راجع ابن حجر من باب السير و« روح البيان » (منه) .

وراعها وَهْيَ في الأعمـــال سـائمةٌ وإن هي استحلت المرعى فلا تُسِمِ
كـــم حَسَّنَـتْ لـذَّةً للـمرء قاتلة من حيث لم يَدْرِ أن السمّ في الدسمِ

انتهى عبارته ١٥٨ .

وإذا تدبرت فيما ذكرناه تعلم أن السنة والكتاب مشحونتان بذكر العلاج لمرض الباطن ، ولو تتبعنا جميع ما فيها ليطول الكلام ويؤول الأمر إلى الملال .

وأما الأئمة ، وإن لم يضعوا كتاباً خاصاً في ذم الأخلاق ووجوب علاجها لبراءتهم منها ، وظنهم أن أكثر الناس وأغلبهم مثلهم بريئون منها ، لحسن ظنهم بالخلق واشتغالهم بما هو أهم في وقتهم وزمنهم ، لكن كتب مذاهبهم مشحونة بذكرها وكيفية العلاج ووجوبه بالتصريح والتلويح ؛ أليس كلهم ذموا الدنيا وأهلها ، ومدحوا الزهد ومن تركوها ، وذكروا الرياء والكبر والعجب وغيرها ، وأرشدوا إلى كيفية علاجها وأدويتها ؟ ! فعدم تدوينهم كتاباً خاصاً بذكرها لا يلزم منه خلوّ كتبهم من جميعها ، وعدم تصديقهم ما يفعله أطباء القلوب الذين كانوا في عصرهم ،

مهم

فكيف وقد قال في « الفتاوى العمرية » ما نصه :

اعلم أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريق عن تلميذه قبل وفاته بسنتين ، فقال حين وفاته : لولا السنتان لهلك النعمان . كذا في « مكتوبات » الإمام الرباني .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يرى بكشفه نجاسة الذنوب تسيل مع ماء الوضوء ، كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل . كذا في « ميزان » الشعراني .

ورأيت في « نزهة المجالس » ما نصه : وقال الإمام الشافعي : وأنا حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث : عِشرة الخلق بالتلطف ، وترك ما يؤدي إلى التكلف ، والاقتداء بطريق التصوف . انتهى عبارته ، راجعه في ٦٧ ج١ .

وقال الشعراني في « طبقاته » **كان الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل يترددان إلى مجلس الصوفية** ، ويحضران معهم في مجالس ذكرهم فقيل لهما في ذلك : ما لكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال ؟ ! فقالا : إن هؤلاء عندهم رأس الأمر ، وهو تقوى الله عز وجل ومحبته ومعرفته . **وقد كان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كالصبي بين يدي المرضعة .**

مسألة الإمام أحمد مع شيبان

وكان الإمام أحمد ابن حنبل جالساً عند الشافعي رحمهما الله تعالى فجاء شيبان الراعي ، فقال أحمد : إن هذا مع نقصان علمه يشتغل بتحصيل علم الباطن ، فإني أسأله من بعض مسائل الفقه ، فقال له الشافعي : لا تفعل . وقال لشيبان : ما تقول فيمن نسي صلاة من الخمس في ليلة ويوم ولا يدري أي الخمس هي ، ماذا يصنع ؟ ! فقال الشيبان : **قلب غفل عن الله فينبغي أن يؤدب حتى لا يعود . فغشي على أحمد ، فلما أفاق قال له الشافعي : ألم أقل لك لا تتعرض له ؟!**

وسئل أيضاً يوماً عن زكاة الإبل ، فقال : أما عندكم ! فشاة عن كل خمسة إبل ، وأما عندنا ! فالجميع . قيل له : فمن إمامك ودليلك فيه ؟ ! قال : إمامي أبو بكر الصديق حين أتى بجميع ما ملك إلى رسول الله ﷺ ، فإذا قيل : هل بقي لك ولعيالك شيء ؟ ! قال نعم ؛ الله ورسوله . فتعجب السائل من جوابه .

وشيبان الراعي كان أمياً ، فإذا كان حال الأمي هكذا ، فما ظنك بأئمتهم ؟ ! انتهى .

فقد سلك هذا الطريق كثير من العلماء ، كالغزالي ، وألف فيه كتاب « إحياء علوم الدين » فراجعه ، وكابن الهمام ، والسيوطي ، وابن حجر ، وغيرهم .

وقالوا : **علم الباطن ، كالعلم بأمراض القلب من الرياء والعجب والحسد والحرص وسائر الأخلاق الذميمة وما يتولد منها ، والعلم بحدودها وأسبابها وعلاجها ، والعلم بتحصيل أضدادها من قهر النفس وتحقيرها ، والرضاء بالقدر ، وسائر الأخلاق الحميدة فرض عين وحتم لازم على كل من لم يرزق قلباً سليماً[1] ؛ وقليل ما هم .**

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : **كل فقيه لا يجتمع بالصوفية فهو كالخبز الجاف بلا إدام ،** لأن العلم رياسة عظيمة ، وللنفس فيه دسائس ، فربما خفيت على العلماء ، فضلاً عن الطلبة .

وقال ابن حجر : فليتخذ ثقة وحجة ، ولا يلتَفِتْ إلى من يتعصب ، فليتحر أورع المشائخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ، وليترك رسومه ، وليدخل تحت إشارته .

ومن ظفر شيخاً بهذا الوصف فحرام عليه أن يتركه ، ويدلك عليه الأدلة الأربعة ؛ بل يشهد لذلك الكتب السماوية كلها .

وبالجملة : إنه طريق وعرفان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجميع العالم لو اجتهدوا في تغيير وتبديل شيء من أوضاعه لم يجدوا إليه سبيلاً . انتهى كلام ابن حجر معتمد الشافعية في الفقه . إلى هنا كلام « الفتاوى العمرية » بعبارته ، فراجعه .

---

(١) راجع ابن حجر من كتاب « السير » و« روح البيان » . (منه) .

مهم

وفيه بعيد هذا : ولم يكن في عصر من الأعصار شيخ من الشيوخ من هذه الطائفة إلا وأئمة العصر يتواضعون له ، ويتبركون به ، ويقدمونه على أنفسهم ، ولو لا مزية الطريق وأهله ! لكان الأمر بالعكس ، كما تقدم حرمة الإمام الشافعي لشيبان الراعي الأمي . انتهى .

وأيضاً : إن سبب ترك وضع أبعاض من الأئمة كتاباً خاصاً في الأخلاق هو عدم فراغهم لذلك ؛ لاشتغالهم بما هو الأهم من ذلك ؛ من الأحكام الظاهرة التي لا بد من جمعها وتأليفها ؛ نظراً إلى ما يشتد إليه الحاجة في زمنهم ، وعدم سعة عمرهم لجمع الأحكام الباطنيّة ، وذكر العلاج للأمراض القلبية تصريحاً ، التي قيل : إنها لم تكن في عصرهم ، وإنما حدثت بعدهم . بناء على ما قيل : (**إن ترك الأهم والاشتغال بغيره تعطيل**) .

لم يدون الإمام أحمد في الفقه

والأئمة لم يضع جميعهم كتباً في الفقه ، **بل كان فيهم من لم يدون كلاماً فيه ، كالإمام**[1] **أحمد رضي الله عنه** ، وكان يقول : أَوَ لأحدٍ[2] كلام مع الله ورسول الله ﷺ ! ؟ **وجميع مذهبه ملفق من صدور أصحابه** . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » ، فراجعه في ١٦٠ ج٢ .

فيحتمل أن يترك بعض الأئمة وضع كتاب خاص في التصوف ، كما

---

(١) ولم أر في مذهب الإمام أحمد تصنيفاً مع طول إقامتي في المطبعة الإسلامية مدة اثنى عشر عاماً ، وكانت هناك كتبٌ مجلوبة من الاستانة العلية ومصر المحروسة وغيرهما إلا كتاب « زاد المعاد » على هامش الزرقاني على « المواهب اللدنية » (لمحرره العوري غازي محمد) .

(٢) أي هل لأحد (منه) .

ترك هذا الإمام تدوين كلام في الفقه ؛ اعتماداً على ما في كلام الله وكلام رسوله عليه السلام .

ومعلوم أنه لا يلزم من تركهم التأليف في الأخلاق الذميمة وعلاجها عدم كونها في الكتاب والسنة ، مع أنه وإن ترك بعض الأئمة ذلك التصنيف ، فقد ألف كثير منهم كتباً كثيرة ! وبينوا من الكتاب والسنة حججاً ودلائل لتأييد مذهبهم في حق التصوف ؛ ألا ترى أن الإمام الغزالي قد صنف كتاب « الإحياء » و« جواهر القرآن » وغيرهما ، وألف الشيخ أبو طالب المكي كتابه « قوت القلوب » ، وقد صنف الإمام الشعراني فيها كتباً كثيرة ، وألف الإمام القشيري « رسالته » ، وألف الإمام اليافعي كتاب « روض الرياحين » ، و« نشر المحاسن » ، وبسط الكلام فيهما بحيث يقر عين الناظر ، وقد ذكر الشعراني في « العهود المحمدية » : وإنما شيدت كل عهد منه بالأحاديث الشريفة ، إعلاماً لك يا أخي بأن عهود الكتاب مأخوذة من الكتاب والسنة نصاً واستنباطاً ، لئلا يطعن طاعن فيها ، وسداً لباب الدس من الحسدة في هذا الكتاب ، كما وقع لي ذلك في كتاب « البحر المورود في المواثيق والعهود » انتهى٤ من هامش « منن » من ج١ .

وقال في « الطبقات الكبرى » : **إن طريق القوم مشيّدة بالكتاب والسنة** ، وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء . انتهى ٣ ج١ .

وقال أيضاً : **إن علم التصوف عبارة عن علم** انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها ، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس . انتهى ٤ .

وقال أيضاً بعيده : ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه ، أعطاه الله هناك قوة الاستنباط ؛ نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء ، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ، وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى ، نظير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه ، كما صرح بذلك اليافعي وغيره ؛ وإيضاح ذلك : **أنهم كلهم عدول في الشرع** ، اختارهم الله عز وجل لدينه ، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة ، والشريعة هي وصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة ؟ ! ولكن أصل استغراب من لا له إلمام[1] بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة ، كونه لم يتبحر في علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة . ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . انتهى ٤ ج١ .

ومما يدل على عدم خلو زمن الصحابة والتابعين من أرباب التصوف : ما قاله الغزالي في « الإحياء » في ٥٨ ج١ : ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم ، اتفقت الكلمة في حقه على ذلك ، وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس ، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس . وقد قيل له : يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك ، فمن أين أخذته ؟ ! قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من

---

(١) وألمّ الرجل بالقوم إلماماً : أتاهم فنزل بهم . ومنه قيل : ألمّ بالمعنى ، إذا عرفه ، وألم بالذنب : فعله . وألم الشيء : قرب . « مصباح » (هامش الأصل) .

غيرك من الصحابة ، فمن أين أخذته ؟ ! قال : خصني به رسول الله ﷺ ، كان الناس يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه .

وقال مرة : فعلمت أن **من لا يعرف الشر لا يعرف الخير** . وفي لفظ آخر : كانوا يقولون : يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ ! يسألونه عن فضائل الأعمال . وكنت أقول : يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا ؟ ! فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم .

كان حذيفة يعلم النفاق وأسبابه

وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ، ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة ، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ، ولا يخبر بأسمائهم .

وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه ، هل يعلم فيه شيئاً من النفاق ؟ ! فبرَّأه من ذلك ،

وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر ، فإن حضر حذيفة ! صلى عليها ، وإلا ! ترك . وكان يسمى صاحب السر .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى ، **وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً** . . . إلى آخر ما فيه .

فضائل الحسن البصري وحذيفة رضي الله عنهما

وقال صاحب « القوت » : **والحسن البصري رحمه الله تعالى إمامنا في العلم الذي نتكلم به** ؛ إثره نقفو ، وسبيله نتبع ، ومن مشكاته

نستضيء ، أخذنا ذلك بإذن الله تعالى إماماً عن إمام ، إلى أن ينتهى ذلك إليه ، وكان من خيار التابعين بإحسان .

قيل : مازال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها ، ولقد لقي سبعين بدرياً ، ولقي ثلاث مئة صحابي ، وكانوا يقولون : كنا نشبهه بهدي إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في حلمه وخشوعه وشمائله .

وكان أول من أنهج سبيل هذا العلم ، وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، وأظهر أنواره ، وكشف به قناعه ، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه . انتهى « إتحاف شرح الإحياء » ٤٣٢ .

وفي « الإتحاف أيضاً : ولقد كان الحسن - هو ابن أبي الحسن واسمه يسار - البصري أبو سعيد رحمه الله تعالى - مولى الأنصار[١] ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ - وُلِدَ[٢] لسنتين بقيتا[٣] من خلافة عمر ، فيذكرون أن أمه ، كانت ربما غابت فيبكي ، فتعطيه أم سلمة ثديها تُعَلِّلُه به إلى أن تجيء أمه ، فدرَّ عليه ثديُها فشربه ، فلذا كان أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء في الحكمة والفصاحة .

ويُرْوى أن ذلك من بركة تلك الشربة .

ونشأ الحسن بوادي القرى ، ورأى علياً وطلحة وعائشة ، ولا يصح له سماع من أحد منهم ، وكان أقربهم هدياً من الصحابة .

يروى أن أم سلمة كانت تخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير ، وكانوا يدعون له ، فأخرجته إلى عمر ، فدعا له فقال : اللهم فقهه في الدين ، وحببه إلى الناس . انتهى ٤٢٧ .

---

(١) وكان مولى زيد بن ثابت (منه) .
(٢) أي : الحسن البصري .
(٣) وفي نسخة : يقيناً .

وقد رأيت في « الحدائق الوردية » ما حاصله : أن هذه النسبة قد تلقى عالم كبير من كبار التابعين من الإمام علي كرم الله وجهه ، وأعظم من سرى إليهم سرها شيخ هذه السلسلة السنية سيدنا الحسن البصري رضوان الله عليهم[1] .

وفيه أيضاً : ونشأ بوادي القرى ، وكان من أجمل أهل البصرة ، ورأى طلحة بن عبد الله وعائشة ، ولقي علياً بن أبي طالب ، وسمع ابن عمر وأنساً وأبا بكرة وجماعة من الصحابة ، وسمع خلائق من كبار التابعين انتهى ٨١ ، وسيجيء - إن شاء الله تعالى - اتصال نسبة الطريقة به - كرم الله وجهه - وبالصديق أبي بكر رضي الله عنه ، وتفريع جميع الطرق من هاتين النسبتين .

وقال الشعراني في « طبقاته » : ويكفينا مدحاً للقوم إذعان الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي الخ عبارته ٤ . وقال أيضاً : وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه لأبي حمزة البغدادي الصوفي الخ .

وقال فيه أيضاً : وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن : أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه . انتهى عبارته ٤ .

وقال : وقد أشبع الكلام في مدح القوم وطريقهم الإمام القشيري في

---

(١) وكلامه في التصوف أكثر من أن يحصى ، كما هو معلوم لدى كل من لديه اهتمام بعلوم الدين ، وإن كان علماء الدنيا غافلين عن تفحص أقوال علماء الآخرة ، وسيأتي الكلام في حق الحسن البصري بأبسط من هذا في آخر الكتاب . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وقد قدم البصرة من المدينة المنورة بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، وسكن فيها ، وتوفي في زمن حكومة هشام ، ودفن فيها . (هامش الأصل) .

« رسالته » ، والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي[1] في « روض الرياحين » ، وغيرهما من أهل الطريق ، وكتبهم كلها طافحة بذلك . انتهى عبارته ٤ .

وقال الشعراني قدس سره في « اليواقيت » ما نصه : فإن القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علماً من لدنه بإعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقاً لما جاءت به الشريعة ، لا يخرج عنها ذرة . انتهى عبارته ٢٠ ج١ .

وذكر الشعراني في « الكبريت الأحمر » : أن الشيخ الأكبر قال في « الفتوحات » بما نصه : **وليس عندنا بحمد الله تقليد إلا للشارع** ﷺ ، **وأنه قال : إني لم أقرر بحمد الله في كتابي هذا قط أمرا غير مشروع** ، وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء منه . انتهى فراجعه .

وفي « الحدائق الوردية » في ترجمة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني[2] رزقنا الله فيضه آمين ما لفظه : وقال قدس سره : اعلم **أن الشريعة والحقيقة متحدان** في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق ، إلا بالإجمال والتفصيل[3] انتهى ١٨٩ . وقد حصل الجواب بمفهوم ومضمون ما ذكر لمسألة السائل ، وعلم أن ما يفعله أهل الطريقة ليس بخارج من عين الشريعة المطهرة . والحمد لله رب العالمين .

ثم إن السائل لما ذكر في كلامه أكابر الصحابة ، ونسب إليهم أن ما وقع بينهم من التقاتل إنما وقع من التحاسد ، احتيج إلى الجواب لهذه المسألة

فنقول :

---

(١) وقلت : وكذا أشبع اليافعي الكلام في « نشر المحاسن » فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) في ٣ من هامش « اليواقيت » (منه) .

(٣) وراجع « البهجة السنية » و« الدرر المكنونات » (منه) .

البرج السادس

في بيان أن الصحابة رضي الله عنهم هم السادات القادات ، وأنهم هم النجوم ، ومن اقتدى بهم اهتدى ، و من خرج عن سبيلهم ارتدى ، وأن ما وقع بينهم إنما وقع بالاجتهاد ، لا حقداً ولا حسداً ولا حباً للرياسة ولا علواً في الدرجة .

اعلم أيها الأخ أن هذا الحقير المفلس يرى الخير في حفظ اللسان من ذكرخير الناس في القرون الماضية ـ رضي الله عنهم ـ لئلا يقع في سوء الأدب معهم ، فإنهم هم الذين شهد النبي عليه السلام على كونهم على الهدى بقوله : « أصحَابِي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقال الإمام الرباني ـ قدس سره ـ في المكتوب ١٥١ ج ١ : واعلم أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كلهم كبراءُ عُظماء ينبغي أن يذكر كلُّهم بالتعظيم .

روى الخطيب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال : رسول الله ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحاباً ، واختار لي منهم أصهاراً وأنصاراً ، فمن حفظني فيهم حفظه الله ، ومن آذاني فيهم آذاه الله » وروى الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من سبّ أصحابي فعليه لَعْنَةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين » .

وروى ابن عدي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ : « شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي » .

وما وقع بينهم من المنازعات ينبغي صرفها وحملها على محامل حسنة ، وإبعادهم عن الهوى والتعصّب ، فإن تلك المخالفات كانت مبنية على الاجتهاد والتأويل ، لا على الهوى والهَوَس(١) كما أن جمهور أهل

(١) الهوس : طرف من الجنون . « مختار » . (هامش الأصل) .

السنة على ذلك[1] ، ولكن ينبغي أن يعلم أن مخالفي الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ كانوا على الخطأ ، وكان الحق في جانبه ، ولكن لما كان هذا الخطأ خطأً اجتهادياً كان صاحبه بعيداً عن الملامة[2] ومرفوعاً عنه المؤاخذة ، كما نقل شارح « المواقف » عن الآمدي أن **وقعة الجمل والصفين كانت على وجه الاجتهاد** . وصرح أبو شكور السَّالمي في « التمهيد » : أن أهل السنة والجماعة ذاهبون إلى أن معاوية مع طائفة من الصحابة الذين كانوا معه كانوا على الخطأ ، وكان خطأهم اجتهادياً .

مطلب

وقال الشيخ ابن حجر في « الصواعق » : إن منازعة معاوية لعليّ رضي الله عنهما كانت على وجه الاجتهاد ، وجعل هذا القول من معتقدات أهل السنة ، وما قال شارح « المواقف » من أن كثيراً من أصحابنا ذهبوا إلى أن تلك المنازعة لم تكن على وجه الاجتهاد ، فمراده من الأصحاب ، أيّ طائفة هو ، فإن أهل السنة حاكمون بخلاف ذلك كما مرّ ، وكتب القوم مشحونة بالقول بالخطأ الاجتهادي ، كما صرح به الغزالي وقاضي أبو بكر وغيرهما ، **فلا يجوز تفسيق مخالفي الإمام علي وتضليلهم** .

قال القاضي في « الشفاء » : قال مالك ـ رضي الله عنه ـ : مَن شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؛ أبا بكر وعمر وعثمان ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، فإن قال : كانوا على ضلال وكفر ، قتل ،

---

(١) وقد قال الإمام البوصيري في « الهمزية » :

كلُّهُمْ في أحكامِهِ ذُو اجتِهَادٍ وصَوَابٍ ، وكُلُّهُمْ أكفَاءُ

ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ فأنَّى يخطوا إلى خطأ . انتهى . (منه)

(٢) فللمصيب من المجتهدين أجران ، وللمخطئ أجر واحد ، فعلى هذا : لعلي رضي الله عنه أجران ـ لأنه المصيب . (منه) ـ ، ولمعاوية أجر واحد ـ لأنه المخطئ . (منه) « الحل اللطيف على الهمزية » . (هامش الأصل) .

وإن سبَّهم بغير هذا من مشاتمة الناس ! نُكِّلَ نكالاً شديداً ، فلا يكون محاربوا علي كفرة ! كما زعمت الغُلاة[1] من الرفضة ، ولا فسقة ! كما زعم البعض ، ونَسَبَهُ شارحُ « المواقف » إلى كثير من أصحابه ؛ كيف وقد كانت الصديقة[2] وطلحة والزبير من الصحابة منهم ؟ ! وقد قُتل طلحةُ والزبيرُ في قتال الجمل مع ثلاثة عشر ألفاً من القتلى قبل خروج معاوية ، فتضليلهم وتفسيقهم مما لا يجترىء عليه مسلم ، إلا أن يكون في قلبه مرض ، وفي باطنه خبث .

وما وقع في عبارة بعض الفقهاء من إطلاق لفظ الجَوْر في حق معاوية ؛ حيث قال : كان معاوية إماماً جائراً . **فمراده بالجور عدم حقيَّة خلافته في زمن خلافة علي ، لا الجور الذي مآله فسق وضلالة !** ليكون موافقاً لأقوال أهل السنة والجماعة ، ومع ذلك يجتنب أرباب الاستقامة إتيان الألفاظ الموهمة خلاف المقصود ، **ولا يجوز الزيادة على القول بالخطأ** ، كيف يكون جائراً **وقد صح أنه كان إماماً عادلاً في حقوق الله سبحانه وحقوق المسلمين** ؟ ! كما في « الصواعق » .

وقد زاد مولانا عبد رحمن الجامي ـ قدس سره ـ في قوله : خطأ منكراً – يعني زاد على ما عليه الجمهور **وكلما زاد على لفظ الخطأ خطأ** . وما قال بعده : فإن كان هو مستحقاً للعن إلخ فهو أيضاً غير مناسب له ، أين محل الترديد ؟ ! وأين محل الاشتباه ؟ ! فإن قال هذا الكلام في حق يزيد ! فله وجه ومساغ ، وأما قوله ذلك في حق معاوية ! فشنيع ، وقد ورد في الأحاديث النبوية بأسانيد الثقات أن النبي ﷺ **دعا** لمعاوية : « اللهم

---

(١) غلت مثل غلط وزناً ومعنى « مختار » .

(٢) عائشة رضي الله عنها .

* وناهيك ما وقع لأبناء يعقوب مع أخيهم يوسف ، مع كونهم أنبياء وما وقع منهم مع يوسف باجتهاد منهم . (لمحرره العوري) .

علّمهُ الكتاب والحساب وقِهِ العذاب » .

وقال في محلٍّ آخر من دعائه « اللهم اجعله هادياً مَهدِيّاً » . **ودعاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مقبول** . والظاهر أن هذا الكلام صدر عن مولانا[1] بطريق السهو والنسيان ، وأيضاً أنه لم يصرِّح باسم أحد في تلك الأبيات ، بل قال : وصحابي آخر . وهذه العبارة أيضاً تنبئ عن الشناعة ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا**﴾ .

وما نقل عن الإمام الشعبي من ذمِّ معاوية ، وأنه بالغ في مذمَّته وأوصلها إلى ما فوق الفسق ، لم يبلغ مرتبة الثبوت ، والإمام الأعظم من تلامذته ، فعلى تقدير صدق هذا القول لكان هو أحق بنقله !

وحكم الإمام مالك ـ الذي هو من تبع التابعين ومعاصره ـ بقتل شاتم معاوية وعمرو بن العاص كما مرَّ آنفاً ، فإن كان هو مستحقاً للشتم فَلِمَ حَكَمَ بقتل شاتمه ؟ ! فَعُلِمَ أنه اعتقد شتمه من الكبائر ، فحكم بقتل شاتمه[2] وأيضاً أنه جعل شتمه كشتم أبي بكر وعمر وعثمان ، كما مرَّ سابقاً ، **فلا يكون معاوية مستحقاً للشتم والذم** .

أيها الأخ إن معاوية ليس وحده في هذه المعاملة ، بل كان نصف الأصحاب الكرام تخميناً شريكاً له فيها ، **فإن كان محاربوا علي كفرةً أو فسقة زال الاعتقاد عن شطر الدين الذي بلغنا من طريق تبليغهم ، ولا يُجوِّز ذلك إلا زنديق مقصوده إبطال الدين** .

(١) أي الجامي .

(٢) ويؤيِّد ذلك أن ابن المبارك ـ وناهيك به إمامة وعلماً ومعرفة ـ سُئل : أيُّهما أفضل ؛ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ ! فقال : واللهِ لَلْغبار الذى دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من مئة واحد مثلِ عمر بن عبد العزيز . يريد بذلك : أن شرف الصحبة والرؤية لرسول الله ﷺ ، وحلول نظره الكريم ، لا يعادله عمل ، ولا يوازنه شرف . « الفتاوى الحديثية » لابن حجر من صحيفة ٣٢٢ فراجعه . (منه) .

أيها الأخ إن منشأ إثارة هذه الفتنة هو قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وطلب القصاص من قتلته ، فإن طلحة وزبيراً إنما خرجا أولاً من المدينة بسبب تأخير القصاص ، ووافقتهم الصِدِّيقة في هذا الأمر ، فوقع حرب الجمل التي قتل فيها ثلاثة عشر ألفاً من الصحابة ، وقتل فيها طلحة والزبير اللذان هما من العشرة المبشرة ، ثم خرج معاوية من الشام ، وصار شريكاً لهم ، فوقع حرب الصَفين .

صرَّح الإمام الغزالي أن تلك المنازعة لم تكن لأمر الخلافة ، بل كانت لاستيفاء القصاص في بدء خلافة عليّ .

وعَدَّ ابن حجر هذا القول من معتقدات أهل السنة .

وقال الشيخ أبو شكور السالمي الذي هو من أكابر علماء الحنفية : إن منازعة معاوية لعليّ كانت في أمر الخلافة ، فإن النبي ﷺ قال لمعاوية « إذا مَلَكْتَ[1] النَّاسَ فَارْفقْ بهم »[2] فحصل لمعاوية الطمع في الخلافة من هذا الكلام ، ولكن كان هو مخطئاً في هذا الاجتهاد ، وعلي محقّاً فيه ، فإن الوقت كان وقت خلافة علي . والتوفيق بين هذين القولين هو أن منشأ المنازعة يمكن أن يكون أولاً تأخير القصاص ، ثم بعد ذلك يقع في طمع الخلافة ، وعلى كلٍّ الاجتهاد واقعٌ في محله ، فإنْ مخطئاً فدرجة واحدة من الثواب ، وللمحِقِّ درجتان ، بل عشر درجات .

أيها الأخ ؛ إن الطريق الأسلم في هذا الموطن السكوت عن ذكر مشاجرات أصحاب النبي ﷺ وعلى آله الصلاة والسلام ، والإعراض عن

(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة ، والطبراني في « الكبير » بهذا اللفظ ، وأحمد عن أبي هريرة بلفظ إن وليت أمراً فاتق الله واعدل (منه) .

(٢) رواه مسلم ، وابن أبي شيبة في « المصنف » والطبراني في « الكبير » بهذا اللفظ ، وأحمد عن أبي هريرة بلفظ : « إن وليتَ أمراً فاتقِ الله واعدل » . (منه قدس سره) .

ذكر منازعتهم ، قال النبي ﷺ : « إياكم وما شجر بين أصحابي »[١] وقال أيضاً : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[٢] وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « الله[٣] . . الله في أصحابي ! لا تتخذوهم غرضاً »[٤] يعني : احذروا الله واتقوه في حق أصحابي ولاتجعلوهم هدفاً لسهم ملامتكم وطعنكم .

قال الإمام الشافعي ـ وهو منقول عن عمر بن عبد العزيز أيضاً ـ : تلك دماء طهَّر الله تعالى عنها أيدينا ، فَلْنطَهِّر عنها ألسنتنا . ويفهم من هذه العبارة أنه لا ينبغي إجراء خطأهم على اللسان أيضاً ، وأن يذكرهم بغير الخير[٥] ؛ هذا .

ويزيد البعيدُ عن السعادة من زمرة الفسقة ، والتوقُّف في لعنه إنما هو على الأصل المقرر عند أهلِ السنة من أنه : لا يجوز اللعن على شخص معين ، ولو كان كافراً ! إلا أن يُعْلَم موته على الكفر يقيناً ، كأبي لهب الجهمي[٦] ! ؟ وامرأته لا أنه غير مستحق للّعن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ . انتهى من « الدرر المكنونات » من الجزء الأول فراجعه .

---

(١) أورده ابن الأثير في « النهاية » . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) رواه الطبراني عن ابن مسعود وثوبان ، وابن عدي عن عمر رضي الله عنه . (منه) .

(٣) رواه الترمذي عن عبد الله .

(٤) رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه . (منه) .

(٥) ونكفُّ عن ذكر الصحابة إلا بخير ، لما ورد من الأحاديث الصحيحة في مناقبهم ، ووجوبِ الكفِّ عن الطعن فيهم ، كقوله ﷺ : « لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ! ما بلغ مُدَّ أحدهم ، ولا نَصيفه ! » . وقوله ﷺ : « أكرموا أصحابي فإنهم خياركم » . . . . .إلخ . « عقائد النسفي » . (هامش الأصل) .

(٦) عله الجهنمي .

البُرج السابع

فى بيان ما ورد في التلقين ، وما يترتَّب عليه من الفوائد المهمة

اعلم أيها الأخ إذا نظرت إلى هذه المنقولات من كتب أكابر السادات لا يليق بجنابكم العالي الشأن أن تذكروا ما يفهم منه وقوع التحاسد بين الأصحاب الكرام ، ولا ينبغي لكم أيضاً أن تظنوا أن ما يفعله مشائخ الطريق هو ما لم يكن عليه الصحابة والتابعون **فإن المشائخ إنما أخذوا أمور طرقهم من الكتاب والسنة** ، وما يلقِّنونه من مراتب الذكر فقد وصل إليهم معنعناً مسلسلاً إلى النبي ﷺ ، وقد علمت مما مر **أن الذكر شفاء القلوب ، وأنه سيف الله يقاتلون[1] به أعداء السالكين ، من النفس والهوى والشيطان** فلم يبق لأحد مجال لأن يقول : إن استعمال أمور الطريقة لم يكن في زمن الصحابة ولا في زمن الأئمة ، أما كونها في زمن الأئمة ! فقد علم مما مر مراراً .

وأما كونها مما ورد عنه عليه السلام ! فقد روى أحمد والطبرانى وغيرهما **أن رسول الله ﷺ لقَّن أصحابه جماعة وفرادى** ؛ فأما تلقينهم جماعة ، فقد قال شداد بن أوس : كنا عند النبي عليه السلام ، فقال عليه السلام « هل فيكم غريب ؟ » يعني : من أهل الكتاب ، قلت : لا . فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنَّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنَّك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم » .

وأما تلقينهم فرادى فرادى ! فروى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن علياً -رضي الله عنه - سأل النبي ﷺ فقال : دُلَّني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ، فقال عليه

---

(١) أي : إذا تمكن الذكر من القلب كما يفهم هذا مما سبق ، فليراجعه في ٢٢١ .

السلام : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم ثم قال عليه السلام : يا علي ، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله » فقال علي : كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام :غمض عينيك واسمع عني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات ، وأنا أسمع فقال : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلي يسمع ثم قال علي : لا إله إلا الله كذلك والنبي عليه السلام يسمع . **فهذه نسبة عليّ في تلقين الذكر**[1] .

نسبة الصدّيق الأعظم في التلقين

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ! فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات[2] ؛ لقوله تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ** ﴾ **وهذه نسبة الصديق الأعظم** الذي أخذها باطناً عن النبي ﷺ وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه - رضي الله عنه وعَنِّي به - لقول النبي عليه السلام عن ربه « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين ؛ فهما أصلان ومعهما عَوْنُ الرحمن** . كذا في « جامع أُصول الأولياء » ٢٢ .

---

(١) وعن الأصنع قال : سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ « ذكر الله تعالى عبادة وذكري عبادة وذكر علي رضي الله عنه عبادة وذكر الأئمة عبادة ، والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية أن الوصي لأفضل الأوصياء وأنه لحجة الله على عباده وخليفته على خلقه ومن ولده الأئمة الهداة بعدي ، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم وبهم يسقي خلقه الغيث وبهم يخرج النباة أولئك أولياء الله حقاً وخلفاءه صدقاً . عدتهم عدة شهور وهي إثنى عشر شهراً وعدتهم عدة نقباء موسى بن عمران ، ثم تلى هذه الآية ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ** ﴾ ويعني به السماء وبروجها ، قلت : يا رسول الله ﷺ فما ذاك قال : أما السماء فأنا ، وأما البروج فالأئمة بعدي ، أوّلهم علي وآخرهم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين « مجمع البحرين » ٦٥١ من باب ما أوله الباء .

(٢) أي : ونفي وإثبات كما في « الفتاوى العمرية » . (منه) .

مطلب

وفي رسالة أحمد الزركراني رحمه الله تعالى : قال الله تعالى في حق أصحاب الصُفّة ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ [1] وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ سبب نزوله : روي في « بستان الشريعة » أنّ عليّاً رضي الله عنه جاء إلى النبي والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجه النبي فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني تنبيهاً أنّ هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعِلم الله ، ثم قعد جبرائيل متربِّعاً كالمعلم ، فلقّن النبي ﷺ ثلاث مرات ، ثم أمره أن يلقّن عليّاً لأنه أول من التمس التلقين ، ثم حضره أربع مئة[2] من الصحابة فلقّنهم جميعاً ، ثم قال ﷺ « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى نفى من قال الله الله » يعني بالقلب الحي ، وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر **فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً** . انتهى فراجعه في الفصل الثاني .

ومن المشائخ من يجهر في الذكر ، ويذكر لجوازه وأفضليته بحسب حال المريد في بعض المواضع أدِلّةً .

و منهم من يختار السرّ ، ويمنع الجهر على كل حال وفي كل موضع ؛ كالنقشبنديين ؛ **وطريقتهم هي أفضل الطرق** التي أثنى عليها خاتمة المحققين ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » بأنها هي الطريقة السالمة من

---

(١) أي : لا إله إلا الله .

(٢) وعبارة « بيان الأسرار » : ثم جاء إلى أصحابه فلقنهم جميعاً . انتهى فراجعه من الفصل الخامس (منه) .

كدورات جهلة الصوفية ، كما هو مذكور في آخره .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره - : **اعلم أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل ، هو الطريقة النقشبندية** قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، وكل عظمة هذا الطريق وعلو شأن هؤلاء الأكابر بواسطة متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، واجتناب البدعة الغير المرضية . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٣٣ ج١ .

وقال أحمد ضياء الدين : **إنها سلطان الطرق** .

وفي موضع آخر : إنها أم الطرق .

ذكر الجهر

فأرباب هذه الطريقة يعدّون الذكر الجهري بدعة أي محدثة فيها على ما وصل إليهم من الصّدّيق الأكبر ، كما صرحه الإمام الرباني في « المكتوبات » . وقال في مكتوب آخر ما حاصله : إن ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٢٥ ج١ .

وقال أيضاً : إن إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقلّ من إحداث بدعة في الدين ، **وبركات الطريقة إنما تُفاض وتعود على أهلها ، ما لم يحدث فيها محدث ، فإذا حدث فيه محدث ! ينسدُّ طريق الفيوض والبركات** . انتهى من « الدرر » ٢٨١ ج١ .

سبب تسمية ذكر الجهر بدعة

وقال أيضاً في مكتوب آخر بعد كلام : **ومن ههنا لم يجوِّزوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتِّبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات**

تترتب عليه . انتهى من « الدرر » ٢٧٩ ج ١ .

وقد كتبت في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ما نصه : فان قلت : فقد قيل : إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ، ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد فلِمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري ؟ ! أقول : **إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع** ، فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم ! فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ، ولكل منهم وجهة مقبولة ، ولهم دلائل من الكتاب والسنة ، وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع ، فاذا فهمت هذا ! علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها ؛ فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر ، وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء ، وعدّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية ، وإن كان مستحسناً من وجه آخر ، ولذلك اعتقدوا ذكرالجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه ، لِما أنه لم يرد في طريقهم الخاصة ، وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم ، **وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة** ، والله أعلم .

وأيضاً إنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر ، لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ، ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية ، فأخذوا حبل الاحتياط ، وتمسّكوا عرى الإخلاص ، ولازموا على إخفاء الذكر الذى لا تسمعه الحفظة ، فيُكتب ولا يطلع عليه الناس فيرائي ويُحْبَط ، ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذى يقول أرباب الجهر أنه - أي ذكر اللسان - مبدأ الذكر الخفي وأنه وسيلة إليه ، ألآ وهو التوجه المعروف عندهم ؛ المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ فقد قال الإمام الرباني : **فإن توجههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة** . انتهى راجعه قبيل الترغيب التاسع تجد فيه ما تقرّ العين .

وإن أردت أن تعلم تفضيل ما يفعله النقشبنديون فارجع إلى مكتوبات الإمام الرباني ، و« البهجة السنية » و« الرشحات » و« الحدائق الوردية » ، فهذه الكتب مشحونة بالمنافع والفوائد فلا بد للسالك من مطالعتها ، رزقنا الله تعالى من فيوضات مؤلفيها ، وأذاقنا حلاوة ما ذاقوه من لذة المعرفة ، وهو على ذلك قدير .

فضائل لا إله إلا الله

فائدة مهمة ؛ في الكلام على كلمة الإخلاص لا إله إلا الله : فقد كنا ذكرنا في « الخلاصة » و« التلخيص » و« التنبيه » فضائل لفظة الجلالة والنفي والإثبات وأردنا أن نذكر هنا ما فات فيها من فضائل كلمة التوحيد ، قال الشيخ الإمام العالم العلامة والبحر الفهّامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازي الفشني قدس سره في « المجالس السنية » : اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها ، فقال سبحانه ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ وذمّ مشركي العرب بقوله ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ .

وقال ﷺ لعمه أبي طالب : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن يُعَيّرني قريش لأَقْرَرْتُ بها عينك .

فـ(لا إله إلا الله) كلمة التقوى كما فسّرها ﷺ .

ثواب (لا إله إلا الله)

وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرّمه الله تعالى على النار » ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أحدّثكم ما هي ؛ هي كلمة الإخلاص التي أُلزِمَها محمّد وأصحابه .

قال سهل التستري : ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ ، والجنة ثواب الأعمال .

وقيل : إن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر ، وتثبت في قلبه نور التوحيد ، وإذا قالها المؤمن في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولي ، وهي أفضل الذكر كما قال النبي ﷺ ، وهي دأب الناسكين ، وعمدة السالكين ، وعُدة السائرين ، وتحفة السابقين ، ومفتاح الجنة ، ومفتاح العلوم والمعارف .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يفتح الله تعالى أبواب الجنة ، وينادي مناد من تحت العرش : أيتها الجنة وكل ما فيك من النِعَم لمن أنت ؟ ! فتنادي الجنة وكل ما فيها : نحن لأهل (لا إله إلا الله) ، ولا نطلب إلا أهل (لا إله إلا الله) ، ولا يدخل علينا إلا أهل (لا إله إلا الله) ، ونحن محرَّمون على من لم يقل : (لا إله إلا الله) . وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب : لا يدخلني إلا من أنكر (لا إله إلا الله) ، ولا أطلب إلا من كذب بـ(لا إله إلا الله) ، وأنا حرام على من قال (لا إله إلا الله) ، ولا أمْتَلئُ إلا بمن جحد (لا إله إلا الله) ، وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر (لا إله إلا الله) .

ثم قال : فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول : أنا لأهل لا إله إلا الله ، وناصرة لمن قال لا إله إلا الله ، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله .

والجنة مباحة ، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل (لا إله إلا الله) .

وقال بعضهم : الحكمة في قوله تعالى ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ أن يوم القيامة يتجلّى نور كلمة (لا إله إلا الله) فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لأن أنوار تلك أنوار مجازية ، ونور

(لا إله إلا الله) نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى ؛ والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة .

وجاء في الآثار : أن العبد إذا قال (لا إله إلا الله) **أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة** . قيل : والسبب أنه لما قال هذه الكلمة ، فكأنه قد ردّ على كل كافر وكافرة ؛ فلا جرم يستحق الثواب بعددهم .

وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فقال : البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول (لا إله إلا الله) . والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة (لا إله إلا الله) .

وقيل : في قوله تعالى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يعني : قولوا (لا إله إلا الله) .

وروي أن النبي ﷺ كان يمشي في الطرق ، ويقول « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »

وقال سفيان بن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم (لا إله إلا الله) ، وأن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا .

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى إن لذاذة قول (لا إله إلا الله) في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا .

وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أنه (لا إله إلا الله) .

وقيل : إن كل كلمة يصعد الملك بها ، إلا قول (لا إله إلا الله) ! فإنها تصعد بنفسها ، دليله قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي قول (لا إله إلا الله) ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي الملك يرفعه إلى الله تعالى ، حكاه الرازي .

وحكي أيضاً : أنه إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل (لا إله إلا الله) ، لأن صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة ، وصدقاتهم يشوبها الحرام ، ولا إخلاص في شيء منها ، أما كلمة (لا إله إلا الله) فهي ذكر الله ، والمؤمن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه .

وفي الخبر : يقول الله تعالى : « لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حِصني أَمِنَ من عذابي . » .

ويقال : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) سبع كلمات ، وللعبد سبعة أعضاء ، وللنار سبعة أبواب ، فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق باباً من أبواب النار السبعة ؛ عن كل عضو من الأعضاء السبعة .

حكاية

حكى الإمام الرازي رحمه الله تعالى : أن رجلاً كان واقفاً بعرفات ، وكان في يده سبعة أحجار ، فقال : يا أيتها الأحجار اشْهدوا لي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت ، وحوسب ذلك الرجل فَوَجبت له النار ، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة ، وألقى نفسه على ذلك الباب ، فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ، ثم سيق به إلى الباب الثاني فكان الأمر كذلك ، وهكذ الأبواب السبعة ، فسيق به إلى العرش ، فقال الله سبحانه : عبدي أشهدتَ الأحجار فلم تضيّع حقك ، وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي ، ادخل الجنة ، فلما قرب من أبواب الجنان فإذاً أبوابها مغلقة ، فَجَاءَتْ شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل .

وروى الطبراني بسنده أن النبي ﷺ قال : « حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً ، فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ، ثم شقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ، ثم فكّ عن لحييه فوجد طرف لسانه

لاصقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فقال : وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص ؛ يعني : لا إله إلا الله » .

وفي الحديث : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفيه أيضاً :« ليس على أهل (لا إله إلا الله) وحشة في قبورهم ، ولا في نشورهم ، وكأني[1] ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن » . والآثار في فضلها كثيرة شهيرة ، وفي هذا القدر كفاية . انتهى ٣١ .

فينبغي للعاقل أن يلازم هذا الذكر ويواظبه إلى أن يفتح الله له ، بعد أخذه من الشيخ الكامل بالتلقين ، فلقد ذكروا في كتبهم بأن تصفية القلب وتزكية النفس لا تحصل بذكر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقَّنها من شيخ كامل ؛ كما هو معلوم .

البرج الثامن

في بيان أفضلية علماء الباطن على غيرهم

فلما كان كاتب المسائل من علماء الظاهر ، وكان الغالب على أمثاله أن يقولوا : هَلْ ثَمَّ علم أجل وأفضل مما عندنا ؟ ! وهل ثم طريق غير ما بأيدينا ؟ ! أردت أن أورد هاهنا قدراً يسيراً مما ذكره العلماء في جلالة علم الباطن وأهله .

اعلم أيها الأخ ؛ أن الله تعالى قد قال في كتابه ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) بأهل لا إله إلا الله ، قد قاموا .

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية . وبالتقوى دخلوا في دائرة قوله تعالي ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ ، وبِذَا زاد أهل الله شرفاً على غيرهم ، فلما صفت قلوبهم عن دنس السوى ، وتزكت نفوسهم عن وسخ الهوى ، انعكست في قلوبهم علوم اللوح ، وأوحى إلى سرائرهم أسرار العلم اللدني ، فحينئذ جاز أن يقال : أخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت ، وحصل لهم التمييز ممن يأخذ العلم من إنسان يموت .

إذا دخل النور في القلب عاين الغيب

قال في « الفتاوى العمرية » ؛ نقلاً عن الخادمي : **علم الباطن علم المكاشفة الذي يظهر في القلب نوره ويشاهد به الغيب** ، وهو المَعْنِيُّ والمقصود من قوله عليه السلام – على ما في « جامع الصغير » – : « علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى ، وحكم من أحكام الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده » ، ومن قوله عليه السلام ـ على ما في « عين العلم » ـ : « إذا دخل النور في القلب انشرح » أي : عاين الغيب . وقال تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ وقال في « التتارخانية » : وأما علم المكاشفة فلا يحصل بالتعليم والتعلّم والتدريس ، وإنما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدّمة للهداية ، أي : في آية ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ .

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « حفظت عن رسول الله ﷺ وِعَاءين فأما أحدهما فبثثته ـ أي : نشرته ـ ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » أي : الحلقوم ؛ كذا في « صحيح البخاري » .

علماء الظاهر وعلماء الباطن

و في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٦ لابن حجر ـ رضي الله عنه ـ : وسئل ـ رضي الله عنه ونفع به ـ : **أيهما أفضل ؛ علماء الباطن أم علماء**

الظاهر ؟ ! فأجاب بقوله : إن أردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر منه عند أهله ؛ وهم العارفون بالله الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال ، وحفظهم من سائر المخالفات في كل الأحوال ، ثم كشف لهم الغطاء فعبدوه كأنهم يرونه ، واشتغلوا بمحبته عما سواه ، وأطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه ، وقربهم من حضرة قدسه ، وأجلسهم على بساط أنسه ، وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله ، وجعلها مطالع أنواره ومعادن أسراره ، وخزائن معارفه وكنوز لطائفه ، وأَحْيَا بهم الدين ونفع بهم المريدين ، وأغاث بهم العباد ، وأصلح بهم البلاد . وبعلماء الظاهر الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية ، وعويصات الوقائع الفعلية والقولية ، وغرائب البراهين العقلية والنقلية ، حتى حفظوا سياج الشرع من أن يُلِمَّ[١] به طارق ، أو يخرقه مبتدع مارق[٢] فالأولون أفضل ، وإن كان للآخرين فضل عظيم ، بل ربما كانوا أفضل من حيثية ، لا مطلقاً ! و مع ذلك فأفضلية الأولين على حالها **إذ قد يكون في المفضول مزية بل مزايا** ، هذا إن وجدت في هؤلاء

---

(١) أي : ينزل به . « مصباح » (هامش الأصل) .

(٢) مرق من الدين : إذا خرج منه . « مصباح » (هامش الأصل) .

*قال الغزالي في « الإحياء » : فإن كنت مريداً للآخرة ، وطالباً للنجاة ، وهارباً من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة ؛ على ما فصلناه في ربع المهلكات ، يعني الحسد والكبر والرياء والعجب والحرص والبخل وغيرها . فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ من المحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت منها أصناف النبات ، فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به ، فإن مهلكَ نفسه في صلاح غيره سفيهٌ ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب داخلَ ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مِذَبَة (آلة يدفع بها الذباب) ويدفع بها الذباب من غيره . فكن مشغولاً بنفسك وإياكَ أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت مشغولاً بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض ، بحسب ما يقتضيه حالك من الإيمان « أصول الدين » .

*فليكن حرصك في طلب السرّ وهو الجوهر النفيس والدر المكنون ؛ يعني هو القلب الطاهر من المهلكات ، والإيمان الصحيح الخالص من الرياء والتردّد والشك . (منه) .

صفة العدالة ، وإلا ! فلا مفاضلة ، إذ لا مشاركة بينهم وبين الأولين في شيء من صفات الكمال ، **لأن رسوم العلوم الخالية عن الأعمال الصالحة في الحقيقة مقت أيّ مقت! وغضب أي غضب** ! ومن ثم جاء في الأخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ما يدهش اللب ويحيِّر الفكر . هذا هو الحق في هذه المسألة خلافاً لمن أطلق الكلام في تفضيل أحد الشقين . ولم يَبُح[1] هذا التفضيل الذي أبديته ، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر ـ صلي الله على نبينا وعليه وسلم ـ **بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية : أن الخضر ولي ، لأن موسى أفضل منه إجماعاً** ، لأنه امتاز على الخضر بخصوصيات لا تحصى ، وإنما غاية ما يتميز به الخضر أنه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليها موسى فتلمذ له لأجلها ، وتأديباً من الله له إذا سئل : من أعلم الناس ؟ ! فقال : أنا . ولم يَرُدَّ العلم إلى الله ، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه ، خلافاً لليافعي ـ رحمه الله ـ حيث جعلها دليلاً لتفضيل الأولين .

ومما يدل على أفضلية الأولين : ما هو مقرر **أن العلماء إنما يشرفون على قدر شرف معلومهم ، وشرف العلوم تابع لشرف غايتها** ، فعلوم المعارف المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم ، وأصحابها أشرف العلماء ، ويليها في الشرف علم الفقه ، لأن غايته معرفة أحكام الله وشرعه الذي تعبَّد به عباده .

---

(١) أي : لم يظهره . وباح بسِرِّه : أظهره ، وبابه قال . « مختار »(هامش الأصل) .

* وقال القشيري رحمه الله تعالى : وأصل تسمية الصوفية صوفية ؛ كان حين ظهرت الأهواء والبدع في عصر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فسموا كل من تمسّك بالكتاب والسنة ، وعمل بهما صوفياً دون غيره . قال : وقد روينا عن الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه كان يقول : طريقنا هذه مشيّدة بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فيها . « لطائف المنن » ٤٢ ج١ .

الوصل ؛ وقد يعبر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق . « متممات جامع الأصول » .

مطلب

وجميع العلوم وسيلة إلى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته ، لأن الخلق لم يخلقوا إلا لذلك ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ والعبادة تفتقر إلى المعرفة ! ومن فسَّرها بالمعرفة ، فهي مستلزمة للعبادة ، إذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته .

ومما يوضِّحُ لك أن العلوم وسيلة لذينك العلمين أنها وسيلة لمعرفة الفقه ؛ الوسيلة لمعرفة العمل الوسيلة للعمل ، الوسيلة لطاعة الله وقربه ، الوسيلة لمعرفته ، **فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها إلى المقصود الأعظم ، وإلا! فهو الخاسر الهالك** ، وإن كان بصورة عالم .

ومما يدل على أفضلية علم المعرفة على الفقه وغيره أمور ؛

منها : أن العلوم والمعارف اللدنية يختص بها الأولياء والصديقون ، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة ، ومن ثم قال السهروردي في « عوارفه » : وينبئك على شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى ، وربما كانت محبة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت على محبة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكُلَف[1] وسهر الليل ، والصبر على الغربة والأسفار ، وفقد الملاذ والشهوات ؛ وعلوم هؤلاء القوم ـ يعني الصوفية ـ لا تحصل بمحبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تُدرس إلا في مدرسة التقوى ، قال الله تعالى ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ .

ومنها : أن شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به ، **والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقاً ، ويكفي في انتفاعهم تطهير**

(١) جمع كلفة . وفي نسخة : تكلّف .

قلوبهم مما سوى الله ، وامتلاؤه بمحبته ومعرفته .

ومن نفعهم للخلق أن بركتهم تغيث العباد ، ويدفع بها الفساد ، وإلا لفسدت الأرض ، ويقام بهم الدين ، ويرشد بهم المريدون إلى التطهير من كل خلق دنيء ، والترقي إلى التحلي بكل وصف عليّ .

حكايات

ومن ثَمَّ وقع لعارف أن تلميذه أراد الزنا ، فلما هَمَّ سمع[1] صوت

---

(١) وفي « الرشحات » : ويلزم أن يكون اعتقاد المريد في شيخه **بأن جميع أحواله ظاهرة لديه ، غير خافية عليه ، وإنما لا يظهر له بعض أحواله لعدم المصلحة في إظهاره** ، بل يجد المريد جواباً من غير وساطة القول واللسان . وقال : كيف يكون الشيخ شيخاً هو مثلاً في المشرق ، وله مريد في المغرب ولا يكون له خِبْر عن جميع أحوال مريده ؟ ! انتهى . فراجعه في ٩٤٢ (منه رحم الله إفلاسه) .

* قال الغزالي : **وعلامة الإخلاص**؛ أن يكون الخاطر يألف العمل في الخلوة كما يألفه في الملأ ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً في ذلك ، فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة الإنسان ومشاهدة البهيمة فهو خارج عن صفوة الإخلاص مدنّس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء . « إعانة » ٤٢١ على « فتح المعين » .

* وذكر بعضهم : **إن الصوفية ثلاثة أصناف** ؛ **صوفية الحقائق** ، وحالهم ترك الكدر وامتلاء الفكر واستواء الحجر والمدر ، قيل هو كمال المعاني ، وترك الدعاوى . وهؤلاء هم الصدّيقون والعلماء العارفون . **وصوفيّة الأرزاق**؛ وهم الذين وقفت عليهم الخوانك والرُبط ، وشرطهم العدالة والتأدب بآداب أهل الطريق ، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات ، وأن لا يتمسّكوا بفضول الدنيا من التجارات ونحوها . **وصوفية الرسوم**؛ وهم المقتصرون على لبس زيّ القوم فليس لهم همة إلا في تحصيله وآداب وضعية يتعارفونها فيما بينهم ، ومنزلة هؤلاء من الصوفية منزلة من يلبس ثياب العلماء أو المجاهدين متشبهاً بهم من غير أن يعرف شيئاً من العلم أو الجهاد ، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم سيدي أبو مدين قدس سره بقوله : واعلم بأن طريق القوم دارسة* . وحال من يدّعيها اليوم كيف ترى . « فتاوى ابن حجر » ٦٦٢ .

* درس المنزل دروساً : عفا وخفيت آثاره . « مصباح » .

شيخه من بلاد بعيدة يقول : هكذا تفعل يا فلان ؟ ! ففرَّ هارباً .

ووقع لآخر من تلميذه نظير ذلك : أنه ما شعر إذ همَّ إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره ، فخرج وأمر من جاء به إلى الشيخ فقال : ادع الله بردِّ بصري ، فإني تائب إلى الله تعالى ، فقال : نعم ، ولكن لا تموت إلا أعمى ، فدعى له فرد عليه بصره ، ثم عمي قبل موته بثلاثة أيام .

وكذلك وقع للشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني ـ رحمه الله تعالى ـ : أنه كان له تلميذ بالعجم همّ بالزنا بامرأة ، فضربه الشيخ بقبقابه[1] مع زجر وغضب بحضرة الفقراء ، فلم يدروا ما الخبر ! حتى قَدِمَ الشيخَ العجميُّ بقبقاب الشيخ بعد شهر تائباً .

وكذلك وقع للجيلاني أنه رمى بفردتي قبقابه إثر وضوئه مع صرختين عظيمتين ، فلم تدر الفقراء ما الخبر ، حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوماً فأخبروا أن عرباً نهبوا أموالهم واقتسموها ؛ وهم يَنْظُرُونَ ، فنذروا للشيخ بشيء إن نجوا منهم ، فسمعوا الصرختين ، وجاءهم العرب بأموالهم ، وأخبروهم أن فردتي القبقاب جاءتا إلى كبيرَيْهم فقتلتاهما ، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما .

ومنها : ما ورد في فضل أويس القرني – رضي الله عنه ونفعنا به ـ ، وكونه أفضل التابعين في بعض روايات « صحيح مسلم » مع ما في التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون .

ومنها : أن ابن عبد السلام صرَّح بتفضيل العارفين بالله تعالى ، ومن ثم لما سمع إملاء القطب أبي الحسن الشاذلي ـ رحمه الله تعالى – على

---

(١) أي : نعلان من خشب . « تفريج الخاطر » . (هامش الأصل) .

« رسالة القشيري » صار يقول : اسمعوا إلى هذا الكلام العجيب الغريب القريب العهد بربه .

ومنها : قول الأستاذ أبي القاسم الجنيد ـ نفع الله به ـ : **لو علمتُ تحت أديم السماء عِلْماً أشرف من علمنا هذا لسعيتُ إليه وقصدته .**

وقال الشهاب السهروردي : الإشارة في خبر « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » إلى هذا العلم الذي هو العلم بالله وقوة اليقين ؛ دون علم نحو البيع والطلاق والعتاق .

قال : وقد يكون الإنسان عالماً بالله ذا يقين ؛ وليس عنده علم من فروض الكفايات .

وقد كانت الصحابة – رضي الله عنهم – أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة ، مع أن من علماء التابعين مَن هو أقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة .

قال[1] : **والعلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بد منه أقبلوا على الله وانقطعوا إليه ، وخَلَصت أرواحهم إلى مقام القرب ، وأفاضت على قلوبهم أنوار الهبات ؛ تهيأت بها لإدراك العلوم الربانية والمعارف الإلهية** ، والله تعالى أعلم . انتهى كلام ابن حجر .

---

(١) والشهاب قليوبي أشار إليه ، حيث فسر العالم بقوله : أي العامل بعلمه ، وصرحه عمدة المحققين ابن حجر في « شرح المنهاج » من أوائله حيث قال : وفضله الوارد فيه الخ ، إنما هو لمن عمل بما علم حتى يتحقق منه وراثة الأنبياء . انتهى والله أعلم .

البرج التاسع

في بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر ، ووجوب تعلم العلم الباطني ، وبيان مَن يقول به

اعلم أيها الأخ أن هذا الأمر ؛ وإن كان يعلم مما مر في هذا الكتاب من مواضعه ، لكنّي أردت أن أجعله بحثاً مستقلاً ليترتَّب عليه فوائد مهمة .

قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : **وسئل** نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة ؟

فأجاب بقوله : فُرِّق بينهما بفروق ؛

منها : أن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ، **ونهاية الشيء غيرُ مخالفة له** على ما يأتي ، **فالشريعة هي الأصل** ، ومن ثَمَّ شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة ، **والحقيقة هي الفرع** المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شُبِّهت بالدرّ والتبر والزبد والثمرة ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور ، **أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية ؛ وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية** ، ولا شك أن أهلهما متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك[1] اختلافاً بينهما .

وبيَّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى : بأن الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن ، والظاهر شرعي وغيره ، والشرعي ؛ فرض ومندوب ، **والفرض عين وكفاية** ، **والعين علم صفات القلب** ، وعلم أصل وعلم

---

(١) فإن حقيقة الفقيه والصوفي واحدة ، وهو أنه شخص عمل بجميع ما علمه على وجه الإخلاص ، لا غير . كذا ذكره الشيخ الشعراني في « الأجوبة المرضية » فراجعه ففيه بسط زائد (منه رحم الله إفلاسه) .

فرع ، **والعمل؛** عزائم ورخص[1] ، **والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين؛** علم وعمل ، والعلم ؛ وهبيّ وكسبيّ ، فالوهبيُّ علم المكاشفة ، والكسبيّ ؛ فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين ؛ علم قلب ، وعلم أصل ، وعلم فرع ، فالكسبي الذي هو أحد علم نوعي قسمي الحقيقة هو علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين ، وتسمى « مقامات اليقين » .

والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، وأصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً .

نعم هنا شيئان :

أحدهما : **علمُ صفات القلب** ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جداً ، **وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديلِ صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ، مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف** .

والثاني : **الرخص** ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكّون في حقيقتها ؛ وأنها من رحمة الله بعباده ، وأما من حيث عَمَلهم ! فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته ، وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلاَّ في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى عبارته ٢٢٧ .

والإمام الرباني قدس سره لا يقبل أن يقال فيهما كلام ما يُفهم المخالفة بينهما ، كما صرَّحه بذلك في « مكتوباته » ، بل يقول : **بأن**

---

(١) **وعزيمة الله** : فريضته التي افترضها ، والجمع : عزائم . « مصباح » . والرخصة : التسهيل في الأمر والتيسير . « مصباح » . (هامش الأصل) .

الطريقة والحقيقة متممتان ومكمّلتان للشريعة ؛ كما هو مذكور في « البهجة السنية » .

وفي « جامع الأصول » : **الحقيقة على وزن الشريعة ، والتفرقة بينهما كفر** . انتهى عبارته .

قال أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « المتممات » في ١٦١ : **واعلم أن العلم الباطن - الذي هو من أعظم المنجيات - والسلوك والرياضات والمجاهدات فرض عين على مَن لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهي والعلم اللدني والنفس القدسية الفطرية ؛ وقليل مَّا هم ، وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب** ، وتعلُّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ؛ كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من **الحنفية** ؛ كابن الهمام ، وابن الشبلي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي وأمثالهم ، **ومن الشافعية** ؛ كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، والغزالي ، والسبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام القاضي زكريا ، والشهاب ابن حجر وأضرابهم ، **ومن المالكية** : كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته أبي العباس[1] . وخليفته ابن عطاء الله ،

---

(١) وأبو العباس المرسي هو الذي كان يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ ، وهو الذي قال : لو احتجب عني رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسي من جملة المسلمين ، كما هو مذكور في « تنبيه المغترين » للشعراني راجعه في ١٢١ . مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وست مئة (منه) .

وفي « الطبقات الكبرى » للشعراني : أن أبا العباس المرسي رضي الله عنه كان يقول : لي أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ ، ولو حجبت طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين . وكذلك كان يقول في حق الجنة ، وفي حق الوقوف بعرفة كل سنة . . .إلخ .

وكان يقول رضي الله عنه : والله لو علمت علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات وأمسك على لحيته لأتوها ولو حبواً على وجوههم . . . إلخ .

وكان يقول : إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات ، وعرف جميع الألسن إلهاماً من

والعارف ابن أبي جمرة ، وناصر الدين ، والزروقي وغيرهم . **ومن الحنابلة :** كالشيخ عبد القادر ، وفخر الإسلام ، والشيخ عبد الله الأنصاري ، وابن النجار ونحوهم ، فإن هؤلاء العلماء الكرام بعد التضلُّع[1] من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن ، واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك ، وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، كما نقل بعض العلماء[2] ، قال : رأيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده عكازة فقلت : يا إمام ؛ أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا ؟ ! فنظر إليَّ شَزَراً وقال : لما بزغ[3] بدر السعادة في تلك[4] الإرادة ، وجنحت[5] أصول الوصول جعلت أقول :

تركتُ هوى ليلي وسعدي بمعزل وعدتُ إلى مصحوب أوَّل منزلِ
ونادتْ بِيَ الأشواقُ : مهلاً فهذهِ منازل مَن تهوى رويدك فانزلِ

وقد شهد بوجوب تعلّم علم الباطن كثير من الكتب المعتمدة :

الله عزَّ وجل .

وكان يقول : مَن صحب المشائخ على الصدق ؛ وهو عالم بالظاهر ، ازداد علمه ظهوراً : انتهى ٣١ ج٢ . (زابره) .

وكان يقول : قال لي الشيخ أبو الحسن : يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت . انتهى . (منه) .

وكان يقال : إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره ، وهو أجلُّ من أخذ عنه الطريقة . انتهى (منه) .

(١) والضلاعة : القوة . ورجل ضليع : قوي . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى (عبد) .
(٣) أي طلعت .
(٤) وفي نسخة : فلك .
(٥) جنح الليل : أقبل « مصباح » .
قلت : والأصول جمع أصيل وهو شمس الغروب . والله تعالى أعلم . (عبد) .

كـ« تحفة المحتاج » لابن حجر . قال في كتاب السير منها : ويجب على من لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب[1] .

وقال الخطيب الشربيني من الشافعية في « شرح الغاية » : وتنقسم الطهارة إلى واجب ومسنون ، ثم الواجب ينقسم إلى واجب بدني وقلبي ، فالقلبي كالحسد والعجب والرياء والكبر ونحوها .

وقال الغزالي : معرفة حدودها وأسبابها وطبّها وعلاجها فرض .

وقال خاتمة المتأخرين الشيخ أبو بكر : **وأما علم الباطن كالعلم بأمراض القلب** ؛ من الرياء والعجب والحسد والكبر والبخل والحرص والحقد وما يتولَّد منها ، **والعلم بحدودها وعلاجها** ، **والعلم بتحصيل أضدادها** من الرضا بالقدر والقناعة ، وتحقير النفس ، والإخلاص والتواضع ، والصفاء والسخاء . **فقد قال** الغزالي والمتولي والبغوي وشيخه القاضي حسين وغيرهم : إنه **من فروض العين** .

وقال علاء الدين في « الدر المختار » : **واعلم** أن تعلم العلم يكون فرض عين ، وفرض كفاية ، ومندوباً ؛ وهو التبحُّر في علم القلب وعلم الفقه . **قلت** : هذا هو التبحر . وأما أصل علم القلب ! فهو فرض عين .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : **وأما علم القلب! فهو علم ذوقي ووجداني لا يمضغ تحت ألسنة الأقلام** ، ولا تحيط به الدفاتر ، وهو بمقابلة العلم الظاهر بمنزلة الثمر للشجر لا انتفاع إلا بثمره .

أقبح العجب

وقال محمد البركوي : **وأقبح العجب العجب بالرأي الخطأ** فيفرح به ويصرّ عليه ، ولا يسمع نصح ناصح ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ،

---

(١) من الشيخ المرشد . « روح البيان » . (هامش الأصل) .

قال الله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ وقوله ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ، وجميع أهل البدع والضلالة إنما أصرُّوا عليها لعجبهم بآرائهم . **وعلاج هذا العجب عسير وصعب** ، إذ صاحبه يظنه علماً ؛ لا جهلاً ، ونعمة ؛ لا نقمة ، وصحة ؛ لا مرضاً ، ولا يطلب العلاج ، ولا يستشفي بالأطباء ؛ وهم علماء أهل السنة والجماعة .

قلت : والمراد علماء الآخرة الذين أداموا ذكر الله ولا يشقى جليسهم ، وهم الأولياء الجامعون للعلم الظاهر والباطن ، والشريعة والحقيقة ؛ أكابر الشيوخ من أهل المعرفة[1] ، وإلا ! فالعالم بالعلم الظاهر فقط **لا يقدر على علاج قلبه ، فكيف لغيره ؟!**

الأدناس المعنوية أضرُّ من الحقيقية

وقال الشرنبلالي : شُرِطت الطهارة الشرعية ليصير العبد أهلاً للعبودية ، والقيام بخدمة الربوبية ، ولا ينفعه ذلك حقيقة إلا بإخلاص الطوية ، وتطهيرها من الأدناس المعنوية ، إذ هي أضرُّ من النجاسة الحقيقية ؛ كالغلّ والغشّ ، والحقد والحسد وغيرها ، ويُصلح قلبه ليصلح به سائر الجسد ، فيطهر قلبه عما سوى الله من الكونين ؛ بقطع العلائق عن جملة الخلائق ، وما تطمح إليه النفوس ، فلا يقصد إلا الله ، ويعبده لاستحقاقه العبادة لذاته ، وامتثال أمره ؛ ملاحظاً جلاله وكبرياءه ، **لا رغبة في جنة ، ولا رهبة من نار ، لأنه تعالى من حقه أن يُعْبَد** كما قال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ انتهى عبارته ١٦١ .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » بعد ذكره كلاماً في علم الحدود :

---

(١) **ثم هي – أي : معرفة الله – أبدية ، سرمدية ، لا يقطعها الموت! إذ الموت لا يهدم محلَّ معرفة الله** ؛ ومحلُّها الروح الذي هو أمر رباني سماوي ، وإنما الموت يغيِّر أحوالها ، ويقطع شواغلها وعوائقها ، ويخلِّيها عن جنسها . « إحياء علوم الدين » . ٥٥٢ ج٤ . (هامش الأصل) .

وقد ضيعنا شطراً صالحاً من العمر في تصانيف الخلاف فيه ، وقد صرفنا قدراً صالحاً منه إلى تصانيف المذهب وترتيبه إلى « بسيط » و« وسيط » و« وجيز » مع إيغال وإفراط في التشعيب[1] والتقريع . انتهى . فانظر إلى كلام الغزالي : أنه قد عدّ عمره - الذي أشغله في تصنيف هذه الكتب النفيسة التي هي أصول المختصرات كـ« المحرر » و« المنهاج » وخاصة في كتابه « الوجيز » الذي قيل في حقه : لو كان بعد النبي عليه السلام نبيٌّ لكان الإمام الغزالي نبيّاً ، ولو كان نبيّاً لكفى « الوجيز » معجزة - ضائعاً ، إلى أن قال : **ضيّعنا عمرنا في البطالة** . وقال : بعد فراقه من محل التدريس : هذا محلُّ تلاعُبِنا مع الصبيان . كما هو مذكور في « منية الفقير المتجرد » شرح « الآجرومية » في النحو .

وقال الإمام النووي في « أذكاره » في باب المدح : قال أبو حامد الغزالي ؛ بعد أن ذكر ما سبق في أول الباب : فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضُحْكة للشيطان ؛ لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذي يقال : **إن تعلم مسألة منه أفضل من عبادة سنة** ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل تموت عبادة العمر وتتعطل ، وبالله التوفيق . انتهى عبارته ١٢٣ .

---

(١) أي تفريق .

البرج العاشر

في بيان غرور علماء الظاهر

اعلم أيها الأخ ؛ لمّا سألتني بعدّة مسائلَ من مسائل علم التصوف ، وكانت في مفهومها ومضمونها ما لا بد من بيانه ؛ ولو بالإجمال ، لما أنه يجوز أن يكون في الخاطر إشكال في حالة السؤال ، أو يحتمل أن يخطره ولو بعد الجواب ، ولذلك احتيج أن أُبَيِّن في الكتاب قدراً مِمَّا يرفع به الإشكال ، ويدفع عن الخاطر الاعتراض والإنكار .

اعلم أيها المحبوب ؛ أنّي أشكر الله الذي لا إله إلا هو على وُجْدَان أمثالكم من العلماء ، لأن بهم قوام الدين ، ولولا العلماء لهلك الناس ، لكن ينبغي لكل عاقل أن يعلم ما في نفسه من النية والقصد في جميع ما يرتكبه من العلم والعمل ، لئلا يحبط عمله وعلمه بسوء النية ، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ؛ ويصير بسوء النية من أعمال الدنيا !! ورد في الحديث : « النّاس كُلّهُم هَلَكَة[1] إلا العالمون والعالمون كلهم هلكة إلا العاملون ، والعاملون هلكة إلا المخلِصُون ، والمخلصون على خطر عظيم » فالتشمر لإزالة الحجب المانعة من دخول الحضرة الإلهية من أهم المهمات ، وطلب الخلاص من الآفات الباطنية من أوجب الواجبات ؛ بالسلوك في سلك طريق أطباء القلوب ، فإن الأمر منوط بذلك ، فكيف لا ؛ وقد قال صاحب « السير والسلوك » بما نصه :

التخلُّص من الأوصاف الذميمة بغير سلوك محال

وأما من أراد أن يخلص منها – يعني : من الأوصاف الذميمة – بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ؟! ولذلك ترى الأبرار ؛ وإن سعوا في الخلاص من صفة من الصفات ، وتيسَّر لهم ذلك ، وقعوا في

(١) وفي نسخة : هلكى .

صفة أخرى ، وخصلة أقبح من الأولى ، لأنهم لم يسلكوا طريق المقربين المنجي عن جميع الآفات ، فهم على الخطر ؛ وإن أخلصوا ، لقوله ﷺ : « والمخلصون على خطر عظيم »[1] . انتهى .

والتكبر بالعلم غالب ، والرياء في ذلك خفي لا يطّلع عليه إلا الناقد البصير ، وقد قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : وكان أبو أيوب السختياني – رحمه الله تعالى – يقول : إن من الرياء بما لا تعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس وأقوالهم في العلم ، فإن ذلك الذي تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته . انتهى ٩ .

وفيه : وقد بلغنا أن عيسى – عليه الصلاة والسلام – كان يقول : **ما أكثر العلوم ! وليس كلها بنافع ، وما أكثر العلماء وليس كلهم برشيد .**

وكان إبراهيم بن عتبة رحمه الله تعالى يقول : أطول الناس ندماً يوم القيامة عالم يتعاظم بعلمه على الناس .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول : أخوف ما أخاف على هذه الأمة من عالم باللسان جاهل بالقلب . انتهى ١٠ .

---

(١) وذلك لأن المخلص يُحِبُّ أن يعرف الناس أنه مخلص ، هذا هو الرياء الخفي ، لا الرياء الجليّ ! كذا في « السير والسلوك » . ومن هنا يعلم الفرق بين طريق المقربين وطريق الأبرار ، **لأن المقربين تيقنوا بالدليل والكشف** أن الله تعالى شرع العبادات ، وجعلها أبواباً يدخل منها من يشاء إلى حضرته ، فدخلوا منها عليه ، متمثلين بين يديه ، ناظرين ببصائرهم إليه ، غير ناظرين إليها ، ولا معتمدين عليها ، ولا معجبين بها ، شاهدين أن المنة لله عليهم حيث فتح لهم أبواب العبادات ، ومكّنهم من الدخول ، وأهّلهم للقبول . ومن كانت هذه أحواله لا يحتاج إلى الإخلاص بل لا يخطر بباله ولا يدري لنفسه عملاً حتى يخلص فيه ، ولا يرى لغير الله فعلاً حتى يتضرر به ، بخلاف السادات الأبرار ؛ فإنهم لم يصلوا إلى هذا الشهود ، فنظروا أنهم قد أوجدوا أعمالهم ، فطولبوا بالإخلاص ، ولم يشهدوا أن الله تعالى خلق الأفعال كلها . هذا ملخص ما في « السير والسلوك » فراجعه . (منه ؛ رحم الله تعالى إفلاسه ، آمين) .

وفيه أيضاً : وكان الربيع بن خيثم – رحمه الله تعالى – يقول : كيف يصح للعالم أن يرائي بعلمه وهو يعلم من نفسه أن تعلمه لغير الله ، وذلك حابط من أصله ؟ ! فكيف يرى نفسه على الناس بما هو حابط ؟ ! .

وقد كان الإمام النووي – رحمه الله تعالى – إذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرِّس في العلم في المدرسة الأشرفية أو جامع بني أمية يتكدَّر لذلك ، وإذا بلغه أن أحداً من الأكابر قد عزم على زيارته في يوم درسه لا يدرِّس العلم ذلك اليوم ؛ خوفاً أن يراه الأمير وهو في محفله ودرسه العظيم . ويقول : **من علامة المخلص أن يتكدَّر إذا اطَّلع الناسُ على محاسن عمله ؛ كما يتكدَّر إذا اطّلعوا على مساويه** ، فإن فَرِحَ النَّفْس بذلك معصية ، وربما كان الرياء أشدَّ من كثير من المعاصي . انتهى ١٢ .

كل ما ظهر للناس قليل النفع في الآخرة

وفيه : وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى ، فإن كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع في الآخرة ، **وما رأى أحد أحداً في منامه بعد موته وقال : غفر الله لي بعلمي ، إلا قليل من الناس .**

وقد رؤي الإمام أبو حنيفة – رضي الله عنه – بعد موته فقيل له : كيف حالك ؟ ! قال غفر الله لي ، قيل له : بالعلم ؟ ! فقال : هيهات ! **إن للعلم شروطاً وأفاتٍ قلَّ من ينجو منها .**

قال : ورأى بعضهم الجنيد بعد موته – رحمه الله تعالى – فقال له : ما فعل الله بك ؟ ! فقال : **قد طاحت تلك الإشارات ، وفنيت تلك العبارات ، وما نفعنا إلا بعض ركيعات كنّا نركعها في السَحَر .**

قال : ورأى بعضهم أبا سهل الصُعْلوكي بعد موته – رحمه الله تعالى – فقال له : ماذا صنع علمك ؟ ! فقال : كل ما كان من دقائق العلوم

وجدته هباء منثوراً إلا بعض مسائل سألني عنها العوام . انتهى ١٣ .

قال الشيخ الإمام العالم العلاَّمة الغزالي في كتاب « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين »[١] : **الصنف الأول** من المغرورين : العلماء ، وهم فرق :

فرقة منهم لما أحكمت العلوم الشرعية والعقلية تعمقوا فيها ، واشتغلوا بها ، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها من المعاصي وإلزامها الطاعات ، واغترُّوا بعلمهم ، وظنُّوا أنهم عند الله بمكان ، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم ، بل يقبل شفاعتهم في الخلق ، ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم ، وهم مغرورون ، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان : علم معاملة ، وعلم مكاشفة ؛ وهو العلم بالله تعالى وبصفاته ، فلا بدَّ من علوم المعاملة لتتمَّ الحكمة المقصودة ، وهي المعاملة بمعرفة الحلال والحرام ، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة ، ومثلهم مثل طبيب يطبب غيره وهو عليل قادر على طبّ نفسه فلم يفعل ، وهل ينفع الدواء بالوصف ؟! هيهات ! لا ينفع الدواء إلا مَن شربه بعد الحمية ، وغفلوا عن قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ ولم يقل من يعلم تزكيتها وكتب علمها وعلّمها الناس ، وغفلوا عن قوله ﷺ : « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » وقوله ﷺ « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وغير ذلك كثير . وهؤلاء مغرورون – نعوذ بالله من حالهم – ، وإنما غلب عليهم حبُّ الدنيا وحب أنفسهم ، وطلب الراحة العاجلة ، وظنوا أن علمهم يُنجيهم في الآخرة من غير عمل .

وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل الظاهر ، وتركوا المعاصي

---

(١) راجعه في ٤١ من هامش « تنبيه المغترين » (منه) .

الظاهرة ، وغفلوا عن قلوبهم ، فلم يمحوا منها الصفات المذمومةَ عند الله ؛ كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلوّ وإرادة السوء بالأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد ؛ وذلك غرور سببه غفلتهم عن قوله ﷺ « الرياء الشرك الأصغر » ، وقوله ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ، وقوله ﷺ « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » . إلى غير ذلك من الأخبار ، وغفلوا عن قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ، **ومن لا يُصفِّي قلبه لا تصح طاعته** ، وهو كمريض ظهر به الجرب فأمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء ، فاشتغل بالطلاء ، وترك شرب الدواء ، فأزال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه ؛ وأصل ما على ظاهره مما في باطنه فلا يزال جربه يزداد أبداً مما في باطنه فلو زال ما في باطنه استراح الظاهر ، فكذلك الخبائث إذا كانت كامنة في القلب يظهر أثرها على الجوارح .

وفرقة أخرى علموا هذه الأخلاق الباطنة ، وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع ، إلا أنهم لأجل تعجّبهم بأنفسهم يظنّون أنهم منفكّون عنها ، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وإنما يُبْتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ، فأما هم ! فهم أبلغ عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وظهرت عليهم مخايل الكبر والرياسة ، وطلب العلوّ والشرف ، وغرورهم أنهم ظنوا أنّ ذلك ليس بكبر ، وإنما هو عزّ الدين وإظهار لشرف العلم ونصرة دين الله ، وغفلوا عن فرح إبليس به ، وعن نصرة النبي ﷺ بماذا كانت ! وبماذا أرْغَمَ الكافرين ؟ ! وغفلوا عن تواضع الصحابة وتذلّلهم وفقرهم ومسكنتهم ، حتى عوتب عمر - رضي الله عنه - على بذاذته عند قدومه الشام ! فقال : **إنّا قوم أعزنا الله بالإسلام ، لا نطلب العزّ في غيره** .

ثم هذا المغرور يطلب عزّ الدين بالثياب الرفيعة ، ويزعم أنه يطلب عزّ العلم وشرف الدين ، ومهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن

ردَّ عليه شيئاً من كلامه ؛ لم يَظُنَّ بنفسه أنّ ذلك حسد ويقول : إنما هو غضب للحق ، وردٌّ على المبطل في عداوته وظلمه . وهذا مغرور ؛ فإنه لو طُعِن على غيره من العلماء من أقرانه ربّما لم يغضب ، بل ربّما يفرح ؛ وإن أظهر الغضب عند الناس فقلبه ربّما يحبه ، وربما يُظهر العلم ويقول : غرضي به أن أفيد الخلق . وهو به مُراءٍ ، **لأنه لو كان غرضُه صلاح الخلق لأحبّ صلاحهم على يد غيره** ممّن هو مثله ، أو فوقه أو دونه ، وربّما يدخل على السلاطين ويتودّد إليهم ويثني عليهم ، فإذا سئل عن ذلك ! قال : إنما غرضي أن أنفع للمسلمين وأدفع عنهم الضرر . وهو مغرور ؛ فلو كان غرضه ذلك لفرح به إذا جرى على يد غيره .

ولو رأى مَنْ هو مثله عند السلطان يشفع في أحد لغضب ، وربما أخذ من أموالهم . فإذا خطر بباله أنه حرام ، قال له الشيطان : هذا مال بلا مالك ، وأنت إمام المسلمين وعالمهم ، وبك قَوَامُ الدين .

وهذه ثلاث تلبيسات : أحدها : أنه مال لا مالك له ، وثاني : أنه لمصالح المسلمين ، والثالث : أنه إمام . **وهل يكون إماماً إلا من أعرض عن الدنيا كالأنبياء والصحابة وأفاضل علماء هذه الأمة .**

مثل العالم السوء

ومثله ؟ ! كما قال عيسى عليه السلام : العالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي ؛ فلا هي تشرب الماء ، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع .

وأصناف غرور أهل العلم كثيرة ، وما يفسد هؤلاء أكثر مما يصلحونه .

وفرقة أخرى : أحكموا العلوم ، وطهَّروا الجوارح ، وزيَّنوها

بالطاعات ، واجتنبوا ظاهر المعاصي ، وتفقدوا[1] أخلاق النفس وصفات القلب ؛ من الرياء والحسد ، والكبر والحقد ، وطلب العلو ، وجاهدوا أنفسهم في التبرىء منها ، وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ، ولكنهم مغرورون !! إذ في زوايا القلب بقايا من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دقَّ وغمض ؛ فلم يتفطّنوا لها وأهملوها ، ومَثَلهم كَمَثل مَن يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتَّش عن كلّ حشيش فقلعه ، إلا أنه لم يفتِّش عمّا لم يخرج رأسه بعدُ من تحت الأرض ، ويظن أنّ الكل قد ظهر وبرز ، فلما غفل عنها ظهرت وأفسدت عليه الزرع ، فهؤلاء إن غيَّروا تغيَّروا ، وربما تركوا مخالطة الناس استكباراً عنهم ، وربما نظروا

---

(١) تفقد : أي طلب .

*وكان - يعني الشاذلي - يقول : كلّ علم يسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارم به وإن كان حقّاً ، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعدهم وبالأئمة الهداة . . الخ تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه . « طبقات الكبرى » ٤ ج١ .

*وكان يقول : **علماء السوء أضرّ على الناس من إبليس** لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن ، عرف المؤمن أنه عدوّ مضلّ مبيّن ، فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى ، فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه . وعلماء السوء يلبّسون الحق بالباطل ، ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجدالهم ، فمن أطاعهم ضلّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ، فاستعذ بالله منهم واجتنبهم وكن مع العلماء الصادقين « طبقات الشعراني » ٧٢ ج٢ .

وأما حملة العلم المولّدون للمسائل على وفق الأغراض واتباع الأهواء فليسوا من هذا الأمر في شيء وإنما هم كما وصف ﴿ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ (منه) ١٥ ج٢ .

وكان - يعنى علياً الخواص رضي الله عنه - يقول : **لا يسمى عالماً عندنا** إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر ، بأن يكون خضري المقام ، وأمّا غير هذا فإنما هو حاك لعلم غيره ، فقط . فله أجر مَنْ حمل العلم حتى أدّاه لا أجر العالم . والله لا يضيع أجر المحسنين « الطبقات الكبرى » ٢٣١ ج٢ .

إلى الخلق بعين الحقارة ، وربما يجتهد بعضهم في تحسين منظره كيلا يُنْظَر إليه بعين الركاكة .

وفرقة أخرى : تركوا المهم من العلوم ، واقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات ، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش ، وخصَّصوا اسم الفقه ، وسمّوه الفقه وعلم المذهب ، وربما ضيَّعوا مع ذلك علم الأعمال الظاهرة والباطنة ، ولم يتفقَّدوا الجوارح ، ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن من الحرام ، والرجْل عن السعي إلى السلاطين ، وكذا سائر الجوارح ، ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات ؛ **وهؤلاء مغرورون من وجهين** :

أحدهما : من حيث العمل ، وقد ذكرنا وجه علاجه في كتاب « الإحياء » ، وإنّ مَثَلَهم كَمَثل المريض الذي تعلَّم الدواء من الحكماء ؛ ولم يعلمه أو يعمله ؛ فهؤلاء مشرفون على الهلاك من حيث أنهم تركوا تزكية أنفسهم وتخليتها ، واشتغلوا بكتاب الحيض والديات ، واللعان والظهار ، وضيَّعوا أعمارهم فيها ، وإنما غرَّهم تعظيم الخلق لهم وإكرامهم ، ورجوع أحدهم قاضياً ومفتياً ، ويطعن كل واحد منهم في صاحبه ؛ فإذا اجتمعوا زال الطعن .

والثاني : من حيث العلم ، وذلك لظنِّهم أنه لا علم إلا بذلك ، وأنه الموصل المنجي ، **وإنما الموصِل المُنجي حبُّ الله تعالى ، ولا يُتصوَّر حبُّ الله تعالى إلا بمعرفته** .

ومعرفته ثلاث : معرفة الذات ، ومعرفة الصفات ، ومعرفة الأفعال ، وهؤلاء مثل مَن اقتصر على بيع الزاد في طريق الحج ، **ولم يعلموا أن الفقه هو الفقه عن الله ، ومعرفة صفاته** المخوفة والمزجرة ، ليستشعر

القلبُ الخوفَ ، ويلازم التقوى ، كما قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ الآية .

ومن هؤلاء مَن اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ، ولم يُهِمَّه إلا تعلّم طريق المجادلة والإلزام ، وإفحام الخصم ، ودفع الحقّ لأجل الغلبة والمباهاة ، فهو طول الليل والنهار في التفتيش في مناقضات أرباب المذاهب ، والتفقد لعيوب الأقران ، وهؤلاء لم يقصدوا العلم ، وإنما قصدوا مباهاة الأقران ، **ولو اشتغلوا بتصفية قلوبهم! كان خيراً لهم من علم لا ينفع إلا في الدنيا ، ونفعه في الدنيا التكبر ، وذلك ينقلب في الآخرة ناراً تلظَّى .**

وأما أدلّة المذهب! فيشتمل عليها كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، فما أقبح غرور هؤلاء !

وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة ، والردِّ على المخالفين وتتبع مناقضاتهم ، واستكثروا من علم المقولات المختلفة ، واشتغلوا بتعليم الطريق في مناظرة أولئك وإفحامهم . ولكنهم على فرقتين ؛ **إحداهما** : ضالَّة مضلَّة ، **والأخرى مُحِقَّة** .

أما غرور الفرقة الضالة ! فلغفلتها عن ضلالتها ، وظنها بنفسها النجاة ، وهم فرق كثيرة يكفِّر بعضهم بعضاً ، وإنما ضلّوا من حيث أنّهم لم يُحكِموا الشروط للأدلة ومنهاجها ، فرأوا الشبهة دليلاً ، والدليل شبهة .

وأما غرور الفرقة المحقة ! فمن حيث أنَّهم ظنوا بالجدل أنَّه أهمّ الأمور وأفضل القربات في دين الله ، وزعموا أنه لا يتمُّ لأحد دينه ما لم يفحص ، ولم يبحث ، وأنّ من صدَّق الله من غير بحث وتحرير لدليل ؛ فليس بمؤمن ولا بكامل ولا بمقرَّب عند الله تعالى ، ولم يلتفتوا إلى القرن الأول ، وأنّ النبي ﷺ شهد لهم بأنَّهم خير الخلق ؛ ولم يطلب منهم الدليل .

وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال : « ما ضلَّ قَومٌ قَطُّ إلا أُوتُوا الجدل » . انتهى .

وقد اقتصرنا الكلام في بيان الغرور ، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى « الإحياء » من ربع المهلكات .

وقال الغزالي فيه – بعد ذكره الأخبار والآثار في آفات العلم – بما نصه : فهذه الأخبار والآثار تبيِّن أنّ العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسُّ حالاً وأشدّ عذاباً من الجاهل ، وأنّ الفائزين المقرّبين هم علماء الآخرة . انتهى ٤٥ ج١ .

وذكر لهم علامات وقال : **ومنها** : أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه ، وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة ، فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ، ودقائقُ علوم القلوب تتفجّر بها ينابيع الحكمة من القلب .

الحكمة إنما تنفتح بالمجاهدة

وأما الكتب والتعليم ! فلا تفي بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ، ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة ، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الإلهام ، ومنبع الكشف ، وكم من متعلّم طال تعلّمه ؛ ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ! وكم من مقتصر على المهمّ في التعلُّم ، ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ! ولذلك قال ﷺ : « من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم » . انتهى من « الإحياء » فراجعه في ٥٥ من الجزء الأول .

فائدة جليلة : ينبغي لكل عالم مدرِّس أن يتدبر فيها ، ويزن أحوال

نفسه بميزان ما فيها :

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ونفعنا به ، في « الإحياء » في ٣١١ ج٤ بعد كلام يطول بذكر كله كلام ، ما نصه : بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية ، فينبغي أن يكون تفقّدهم لها وتفكّرهم فيها ؛ لا في معاصٍ هم بمعزل عنها .

مثاله العالم الورع ؛ فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم ، وطلب الشهرة وانتشار الصيت ؛ إما بالتدريس أو بالوعظ ، ومن فعل ذلك تصدَّى لفتنة عظيمة ؛ لا ينجو منها إلا الصِدِّيقون[١] ، فإنه إن كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب ؛ لم ينفكَّ عن الإعجاب والخيلاء ، والتزيّن والتصنّع ، وذلك من المهلكات . وإن رُدَّ كلامه ؛ لم يخلُ عن غيظ وأَنَفَة[٢] وحقد على مَن يردّه ، وهو أكثر من غيظه على مَن يردُّ كلام غيره ، وقد يُلَبِّس الشيطان عليه ويقول : غيظك من حيث أنه ردَّ الحق وأنكره ؛ فإن وجد تفرقة بين أن يردّ عليه كلامه ، أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضُحْكة للشيطان .

ثم مهما كان له ارتياح بالقبول ، وفرح بالثناء ، واستنكافٌ من الردّ أو الإعراض ، لم يخلُ عن تكلّف وتصنُّع لتحسين اللفظ والإيراد ، حرصاً على استجلاب الثناء ، والله لا يحبُّ المتكلِّفين ، والشيطان قد يُلبِّس عليه ويقول : إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلُّف فيها لينتشر الحق ، ويحسن موقعه في القلب ، إعلاءً لدين الله . فإن كان فرحه بحسن ألفاظه ، وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه ! فهو

(١) والصدِّيق : هو الذي استقام ظاهره وباطنه مع الحق سبحانه في جميع الأحوال . (هامش الأصل) .
(٢) أي : استكبار .

مخدوع ، وإنما يدورون حول طلب الجاه ، وهو يظن أنّ مطلبه الدين ، ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك ، حتى يكون للموقِّر له المعتقد لفضله أكثر احتراماً ، ويكون بلقائه أشدَّ فرحاً واستبشاراً ممَّن يَغْلو في موالاة غيره ، وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة ، وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء ! فيشقّ على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره ، وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه .

فتنة العالم عظيمة

وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة في سرِّ القلب ، التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها ، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات ، ففتنة العالم عظيمة ، **وهو إما مالك ، وإما هالك ، ولا مطمع له في سلامة العوام ، فمن أحسَّ في نفسه بهذه الصفات ؛ فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول ، والمدافعة للفتاوى مهما سئل ، فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة رضي الله عنهم جمعاً من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم مفتون ، وكانوا يتدافعون الفتوى ، وكل مَنْ كان يفتي كان يودُّ أن يكفيه غيره ، وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذا قالوا : لا تفعل هذا . فإنَّ هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق** ، وليقل لهم : إن دين الإسلام مستغن عني ، فإنه قد كان معموراً قبلي ، وكذلك يكون بعدي ، ولو متُّ لم تنهدم أركان الإسلام ، فإنَّ الدين مستغنٍ عني ، وأنا فلست مستغنياً عن إصلاح قلبي .

وأمّا أداء ذلك إلى اندراس العلم ! فخيال يدل على غاية الجهل ، فإنَّ الناس لو حُبِسُوا في السجن وقُيِّدوا بالقيود ، وتُوعِّدوا بالنّار على طلب العلم ، لكان حبُّ الرياسة والعلوِّ يحملهم على كسر القيود ، وهدم حيطان الحصون ، والخروج منها ، والاشتغال بطلب العلم ، **فالعلم لا يندرس**

ما دام الشيطان يحبِّب إلى الخلق الرياسة ، والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة ، بل ينتهض لنشر العلم أقوامٌ لا نصيب لهم في الآخرة ؛ كما قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله لَيُؤيِّدُ هذا الدِّينَ بأقْوامٍ لا خَلاقَ لهم في الآخرة ، وإن الله لَيُؤيِّدُ هذا الدِّين بالرَّجُل الفاجِرِ » .

حبّ الجاه بذر النفاق

فلا ينبغي أن يغتَرَّ العالم بهذه التلبيسات ؛ فيشتغلَ بمخالطةِ الخلقِ ، حتى يتربَّى في قلبه حُبَّ الجاه والثناء والتعظيم ، **فإنَّ ذلك بَذْرُ النِفاق** .

وقال ﷺ : « حبّ الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » .

وقال ﷺ : « ما ذئبان ضاريان أُرسِلا في زريبةِ غنم بأكثرَ فساداً فيها من حبّ الجاه والمال في دين المرء المسلم » .

ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس ، والهرب من مخالطتهم ، وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم ، فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه ، وفي استنباط طريق الخلاص منها ، وهذه وظيفة العالم .

فأما أمثالنا ! فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوّي إيماننا بيوم الحساب ، إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب ! فما أعمالنا أعمال مَنْ يؤمن بالجنة والنار ، فإنَّ من خاف شيئاً هَرَبَ منه ، ومن رجا شيئاً طلبه .

الهرب من النار بترك الشهوات

وقد علمنا أنَّ الهرب من النار بترك الشهوات والحرام ، وبترك المعاصي ، ونحن منهمكون فيها ! وأنَّ طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ،

ونحن مقصِّرون في الفرائض منها ! فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنَّه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ، ويقال : لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا . فليتنا كنّا كالعوام ؛ إذا مِتْنَا ماتت معنا ذنوبُنا ، فما أعظم الفتنة التي تعرَّضنا لها لو تَفَكَّرنا ! .

فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ، ويوفّقنا للتوبة قبل أن يتوفانا ، إنَّه الكريم اللطيف المنعم علينا .

مطلب : مجاري أفكار العلماء

فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة ، فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم ، وارتقوا منها إلى التفكُّر في جلال الله وعظمته ، والتنعُّم بمشاهدته بعين القلب ، ولا يتمّ ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات ، والاتّصاف بجميع المُنْجيات ، وإن ظهر شيء منه قبل ذلك ! كان مدخولاً معلولاً ، مكدراً مقطوعاً ، وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف ، لا يثبت ولا يدوم .

الصفات المذمومة حيَّات وعقارب

ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ؛ ولكن تحت ثيابه حيَّات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى ، فتنغِّص عليه لذةَ المشاهدة ، ولا طريق له في كمال التنعُّم إلا بإخراج العقارب والحيَّات من ثيابه ، وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيَّات ، وهي مؤذيات مشوِّشات ، وفي القبر يزيد ألم لدغِها على لدغ العقارب والحيَّات ، فهذا القدْر كافٍ في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى . انتهى ٣١٢ ج٤ فراجعه في كتاب التفكر من ربع المنجيات .

ترك العمل معصية

وقد ورد في فضائل العلم أحاديث ترغِّب في طلبه ، وورد أيضاً مواعيد لمن لم يعمل به ، وقد يضيق القلب عند ذكرها بحيث يكاد أن ينقطع الرجاء ، بَيْدَ أنَّا اعترفنا يا ربنا بالتقصير ، وما عملنا بما علَّمتنا ، فنسألك اللهم أن تغفر لنا ذنوبنا ، وأن تتجاوز عن خطيئاتنا ، فإنَّا تُبنا إليك فتُبْ علينا ؛ إنَّك أنتَ التوّاب الرحيم .

اللهم مغفرتُك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، فنستغفرك مِن ترك العمل بالعلم ، وترك الإخلاص في العمل ، إنَّك غفور جواد كريم .

مهمَّة مرجوَّة

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : يتعيَّن على كل من لم يعمل بعلمه أن يُعلِّمه الناس ، ولمن يرجو عمله به .

وسمعته مرة أخرى يقول : **ما ثمَّ عالم إلا وهو يعمل بعلمه ؛ ولو بوجه من الوجوه؛ ما دام عقله حاضراً** ، وذلك إنْ عمل بالمأمورات الشرعية واجتنب المنهيات فقد عمل بعلمه بيقين إذا رَزَقَه الله الإخلاص فيه ، وإنْ لم يعمل بعلمه كما ذكرنا ؛ فيعرف بالعلم أنَّه خالف أمر الله فيتوب ويندم ، فقد عمل أيضاً بعلمه ، لأنَّه لولا العلم ما اهتدى لكون ترك العمل بالعلم معصية . **فالعلم نافع على كل حال** ، ويُحمَلُ ما ورد في عقوبة مَنْ لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنوبه . انتهى . **وهو كلام نفيس** .

وملخَّص ذلك : أنه لا يشترط في كون الإنسان عاملاً بعلمه عدم وقوعه في المعصية كما يتبادر إلى الأذهان ، وإنما الشرط عدمُ إصراره على الذنب أو عدم إصراره على الإصرار . انتهى ٣٧ ج١ .

البرج الحادي عشر

في بيان جواب مسألة السائل : بأن المريدين يزعِّمون بعضهم بعضاً ، وينكرون شيخ بعضهم ، ويكون بينهم التحاسد والتعارض والحقد والسبّ والاستهزاء

فإذا كان الأمر كذلك يغلب على الظن ؛ فما فائدة اتخاذ الشيخ ؟ ! فلم أرَ أستاذاً أو مريداً لا يهجو آخر .

اعلم أيها الأخ ؛ زادك الله علماً على علم . آمين ، أن هذا ليس بقارورة[1] كُسِرَت في هذا الوقت ، بل كانت قد كُسِرَت في الأعصار الماضية ، لأنَّه لم يخلُ زمانٌ إلا وفيه مُحِقّ وكاذب ، ومحقَّين وكاذبين[2] ، فإذا كان الأمر كذلك ! يعلم أن **غالب الإنكار الذي يقع بينهم إنّما هو من القاصر الكاذب** وبين مثله ، أو من الصادق الكامل مع المدَّعي الكذَّاب .

ولا يخفى أنّ الكاذبَين يدَّعيان لِيُثْبتا دعوى كل منها ، وأنّ الكاذب يدَّعي الصادق ليثبت دعواه أيضاً .

ولم أرَ أحداً أصعب لقبول العلاج من هذا ، لأنَّه لمَّا أَلِفَ على الباطل ، وأقرَّه عليه مدَّعي الشيخوخة منذ زمان ، وثبت اعتقاده على أنّ ما عليه أستاذه حق ، لا ينفعه بالوعظ ولا بذكر الأدلة ، ولذا قال لي شيخنا قطب وقته سيف الله الحسيني الأويسي النقشبندي الشاذلي القادري قدس سره : **ياولدي عياذاً بالله من هؤلاء القوم . يعني : أنهم لا يخرجون من دعواهم** ؛ لما أنّ عروق أشجار أباطيلهم قد شيدت في أرض قلوبهم . والله أعلم .

---

(١) هي وعاء من الزجاج يحفظ فيه الزيت « القاموس الجديد » . (هامش الأصل) .

(٢) لعله من الناسخ ، وإلا ! فالصواب : محقَّان وكاذبان . إلا على مذهب من يلزم الياء في الأحوال الثلاث .

وشناعة عملهم هذا غَنِيَّة عن البيان ، فإنهم إنما يؤذون الله ورسوله ، ويعترضون بأباطيلهم أولياء الله وطريقهم ، وهم أشرّ الخلق ، وأبعدهم عن باب الحق ، وهم أولياء الشيطان يوحي إليهم بالأقوال المموهات ، ويصرفهم عن اتّباع طريق السادات ، **فبوقوعهم في ورْطة الاعتراض على أهل الحق تسابق إليهم سهام قواطع ، فصاروا فتنة لأهل الطريق ، وهم الذين انتصبوا لإيقاع التهمة في الصادقين** ، فالفرار منهم واجب ، فإنهم أعوان الشياطين .

وأما دعوى الصادق مع الكاذب! فهو من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل هو الجهاد الأكبر ، وقد قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ إنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من سورة الفرقان .

ونقل في « الإتحاف شرح الإحياء » من كتاب « الذريعة » أن العالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين ، فالجهاد جهادان : جهادٌ باللسان ، وجهادٌ بالبنان[1] . انتهى ٣١٩ ج١ .

وقال الإمام الرباني قدس سره : إن الجهاد القوليّ أفضل من جهاد القتل . كذا في « الدرر المكنونات » في ٧٧ ج١ .

وفي الحديث : « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة[2] في بحر لجي » وفي الحديث :

---

(١) ومثله في « شواهد الحق » ، فراجعه في ٨٢ (منه) .

(٢) هو البصاق اليسير « مصباح » ، (هامش الأصل) .

*وقد يعلّل بعض المريدين بأنّ مثال المريد كزوجة في عقد رجل ، **فكما لا يجوز** أن يكون للزوجة زوجان ، فكذا لا يجوز للمريد أن يكون في تربية شيخين . انتهى . اللهم نعم فنعم هو كذلك لو كان للزوج طاقة لتربية الزوجة بالكسوة والنفقة وإعطائها صداقاً ومهراً ، وأما إنْ لَم يطق أن يعطيها كسوة ونفقة فلها الفراق والفسخ . فمثل هذا=

« ما من صدقة أحبُّ إلى الله من قول الحق ؛ من نحو أمر بالمعروف ، أو نهي عن منكر[1] » . انتهى . « السراج المنير » ٢٦٧ ج٣ .

والذين غلبت عليهم الشهوة والأهواء يدَّعون المشيخة ، والحال أنهم عن الاتصاف بمقامها بريئون ، يخدعون الخلق بأنواع الحيل ، ويستتبعون بعض الجهلة ، ويصيدونهم بالكلمات المزخرفة والأقوال المموَّهة ، ويَمْكُرون بعض أهل الصّدق من الطلبة أيضاً ، ويوهمونهم بأنهم على الحق ، ويحرصونهم على الأخذ منهم والسلوك على يدهم ، فيقطعون عليهم الطريق ويمنعونهم من صحبة أهل الحق ومشائخ الطريقة - عياذاً بالله[2] مما هم عليه - .

ولذا يجب على كلِّ من عنده علم أن يُنْكِر أهل الدعوى ، **لأن فتنتهم أشبه بفتنة الدجَّال** ، وإقرارهم على ما هم عليه عين المداهنة[3] ،

=أحوال المريدين والمتشيخين في غالبهم في ديارنا ، فإنه ليس في تلكم المتشيخين إذن ولا عهد من مشائخهم **وهما كالنكاح** والمهر والنفقة والكسوة ، فيجوز له فسخ العهد والدخول في عهد شيخ آخر يطيق على التربية وإلخ . . كما يجوز للمرأة أن تفرق الزوج إذا لم يطق تربيتها . وأيضاً إن المرأة مثلاً لو مات عنها زوجها أو طلقها يجوز لها أن تتزوج لزوج آخر ، وهكذا إن المريد إذا مات شيخه أو غاب هو يجوز له أن يذهب لدى شيخ ، فلا مانع منه . فمثال البعض المذكور مثال مع الفارق فتدبره ، مع أنهم جوزوا أن يذهب المريد لدى شيخ ويترك شيخه الأول ، كما هو مذكور في « البهجة » و« النفائس السانحات » وإلخ وإلخ . . فراجع وحرر . فإن العلم علمان : علم الظاهر وعلم الباطن . فكما يجوز للطالب أن يقرأ من كتاب على أستاذ ، ويقرأ أيضاً من أستاذ آخر ، فكذلك في علم الباطن فتدبره ! (هامش الأصل) .

(١) وفي « بغية المسترشدين » : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قطب الدين ، فمن قام به من المسلمين وجب على غيره إعانته ونصرته ، ولا يجوز لأحد التقاعد عن ذلك والتغافل عنه . انتهى ٣٤٢ راجعه .

(٢) راجع « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ في ٠٤٣ ج١ . (هامش الأصل) .

(٣) أي : السكوت عند مشاهدة المعاصي مع القدرة على الإنكار « الطريقة المحمدية » . (هامش الأصل) .

والمداهنون يحشرون على صور القردة والخنازير ؛ كما ورد ، **فردُّهم إعانة جانب أكابر الأولياء** ، لما أنهم أحدثوا في طريق الله أموراً ليست فيه ، وحثُّوا الناس إلى بدعتهم ، وأنكروا أهل الله ، ومرَّ ما قاله الإمام الرباني من أن (إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقل من إحداث بدعة في الدين) .

وقد قال سليمان الزهدي في حق أمثال هؤلاء القوم : وهم قطاع طريق الأوَّاب ، ومفرقوا جمع الأحباب ، بل هم أضرّ على الإخوان من المنكِر المغتاب . انتهى . من « مجموعة الرسائل » .

ونقل الخاني في « بهجته » عن الرازي رحمه الله تعالى ، ما نصُّه هذا : ولا يخفى **أن مَن تصدَّر للمشيخة بغير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق** . انتهى . فراجعه .

ولعنهم صاحب « البهجة » وقال بعد ذكرهم : لعن الله جميعهم ، وَاحْذَرْ من أن يسكن في قرية فيها واحد منهم . فراجعه .

ومن المعلوم المشهور أن أكثر المتصدرين للإرشاد في ديارنا ليسوا بمأذونين ، ولم أجد في واحد منهم صكّ الإجازة ، ولم أجدهم يفعلون شيئاً ما مما ذكره المشائخ في كتبهم ؛ سواء كان التلقين والأذكار ، أو الوظائف والأدب ، بل وجدنا أكثرهم مبتدعين ! **فإنكارهم من النصيحة** .

وفي « هداية البداية » : إن المبتدع الذي يدعو الناس إلى البِدْعَة ويزعَمُ أنّ ما يدعوه حقّ ، فهو سبب لغواية الخلق ، فشرُّه متعدّ ، **فالاستحباب إظهار بغضه ومعاداته ، والانقطاع عنه وتحقيره ، والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه** . انتهى . ومثله قال مصطفى محمد العروسي الشافعي في آخر « عقائده » فراجعه .

وفي « روح البيان » : إن من لم تتصل نسبته المعنوية بواحد من أهل

النفس الروحاني ، وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل ، فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو في تربيته هالك ، لأنه ولد الزنا .

وفيه أيضاً في سورة « الفرقان » : وفي الآية إشارة إلى **الأصنام المعنوية** ، وهم المشائخ المدَّعون ، والدجَّالة المتصنِّعون ، فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، **فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان** ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً . انتهى .

وفيه أيضاً في سورة « آل عمران » : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدَّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا ؛ عذابُهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ، وَلدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادِهنّ سبعين مرة . انتهى . ومثله في « مزكي النفوس » .

فقد علم مما مرَّ أن **الإنكار على المتشيخين المبتدعين من الواجبات** ، والاحتراز عن الوقوع في شبكة أباطيلهم من أهم المهمات ، ورفع اللوم عن الصادق ومريديه ، فوقع إنكارهم ودعواهم على المبطل الكذاب في موضعه ، وهو الإعانة على البر والتقوى .

قال صاحب كتاب « الرماح » بعد قوله تعالى ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ** ﴾ **ولا معاونة على التقوى أعظم من نصر العلماء العارفين بالله** ؛ لأن من نَصَرهُم فقد نَصَرَ الله ، ومن نصر الله ينصره ، ومن خذلهم فقد خان الله ورسوله . انتهى ١٠ .

وفيه : وإذا كان نصرُهُم من نَصْر الله ! لا شك مَن نَصَرهم ينصر الله تعالى ، قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ** ﴾ ، وقال ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ** ﴾ ، وقال ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ . انتهى ١٠ .

البرج الثاني عشر

في بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقين من المشائخ وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأهُّل عصيان

فنقول ؛ وبالله التوفيق : وأمّا الدعوى بين الصادقيْن وأصحابهما ! فهو ممّا لم يقع قط ؛ ولا يقع أبداً ، وكذا المزاحمة على التلقين ، وطلب الأتباع والمريدين ، وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى ، وإنما تقع من قاصرَيْن ، ومن قاصر وعارف ، فيريد القاصر أن يكون شيخاً مثل العارف بجهله ، والعارف لا يريد ذلك . انتهى ٢٠٥ ج١ .

فهل سمعت أيها المحترم أنّ الكلام المنكر قد وقع بين الشيخ العارف بالله الحاج جرائيل أفندي وبين الشيخ المشهور أحمد التلالي ؟ ! والشيخ ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي وبين الشيخ العالم العارف مصطفى الغدبري ؟ ! وبين الشيخ الحافظ المرشد الكامل شعيب أفندي الباكني وبين غيرهم من خلفائهم ؟ ! فحاشاهم عن إنكار بعضهم بعضاً ، وحاشاهم عن المزاحمة على المشيخة ، بل كلهم كانوا لأمثالهم الصادقين كاليد اليمنى للشمال ، **وكانوا يُعَوِّلون أمر مريديهم إلى من هو أقرب منهم منزلاً** .

وقد أمرني شيخنا العسلي قدس سره بكتبة الكتاب لدى العالم المحقق حبيب الله بن محمد طاهر القراخي الزلدي بذهابه لدى الشيخ شعيب أفندي الباكني ، لكون قريته قريباً من قريته[1] ، وعوَّل أيضاً جميع

---

(١) حتى كان الشيخ العسلي قدس سره يذهب لدى أحمد التلالي لطلب الفيض بعد موت شيخه جبرائيل أفندي ، وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني بعد موت شيخه التلالي يذهب لدى الشيخ العسلي ، ويطلب منه سلوكه إلى ما فوق مقامه ، ويقول=

مريديه الكائنين في ناحية هيد إلى هذا الحقير ، وأمرني بذلك مشافهة في مجمع من العلماء .

وهكذا يكون حال الصادقين ! يحمدون الله تعالى على وجود[1]

=له : مَن ينظر إليَّ الآن إلا أنت ؟ ! كما أخبرني بذلك مشافهة .

وكان الشيخ مصطفى أفندي يسأل الشيخ العسلي بمسائل ، ويطلب منه الإرشاد .

وأما هذا الحقير الفقير ! فلي بهم أسوة ، فلما مات شيخي العسلي سلكت على يد الشيخ الباكني ، وعلَّمني مرتبتين من المراقبة ، وأجازني أيضاً ، فلما مات هو وبقيتُ على تلك الحالة ؛ ذهبت لدى قطب الوقت سيف الله الحسيني ، فسلكت على يده سنين ، **وقد كان مراتب مراقباته ومقاماته أزيد وأعلى من مراقبات الشيخين المذكورين بإحدى وعشرين درجة** ، وكان نقشبندياً أويسياً شاذلياً قادرياً ، وأجازني أيضاً بجميع ما أجازه أشياخه ، ومات هو ، فبقيت كالصبي إذا ماتت أمه .

وقد أكَّدني جميعهم بإرشاد الخلق ، فلم يكن لي بدٌّ من امتثال أمرهم ، رزقنا الله الاستقامة . آمين .

فإن قيل : هل يجوز لمريد أن يذهب لدى غير شيخه إذا مات أو غاب ؟ !

فالجواب : يجوز له ذلك في تلك الحالة . فقد قال في كتاب « حزب الرحيم » **وقلما أفلح مريد فطم قبل أوان فطامه** – وفي « الرماح » في ٣٩١ ج٢ : إن هذا الكلام قاله السيد محمد بن المختار الكتاني فراجعه . (منه) . بل متى مات شيخه أو فصله عنه عارض ؛ وكان له نائب أو خليفة تعيَّن عليه ملازمته برسم ما كان عليه مع الشيخ ، ومتى لم يخلّف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقية سيره . انتهى ١٣١ ج١ .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إن شيخه قال له : يا ولدي إني أرقيتك إلى كل مقام أعلمه ، فإن وجدت من يعلم ما فوق ذلك ! فلك مني الإذن لذهابك لديه . انتهى .

قال قدس سره : إني قد طلبت في استانبول من يعلم المراقبات المجدَّدية ، فلم أجده فيه ، حتى إني طلبت في مكة فلم أجده ، ووجدته في المدينة ، لكني كنت مريضاً فلم يمكن لي أن أذهب لديه . انتهى .

هذا مما يجوز ، وإنما الممنوع أن يتردَّد المريد لدى هذا ، ولدى هذا ؛ في حالة واحدة . كما بيَّنَّاه في « تنبيه السالكين » والحمد لله رب العالمين . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

(١) وقد قال شيخنا الباكني مصرحاً لدى مجمع من العلماء وغيرهم : اَللهَ صِ رِصْ بُكُ خَ وَصْ نُجْ عَكِ رَتُنْ رُكِلُلْ نُجِرْ رَخَلْدَ نِجِيْ فِهَلِيَلِ . انتهى (منه) .

غيرهم في البلاد ؛ فكيف لا يفرحون بذلك والحال أنّ مثال المريد كمثال الميت ، ومثال الشيخ كمن وجب عليه حمله ؟ ! فهل يحب العاقل أن يحمل ميتاً مع وجود من يحمله ؟ ! بيد أن من **أمره الشيخ الكامل بإرشاد الخلق إلى طريق الحق لا بدَّ له من ذلك** .

وقد قال محمد بن سليمان البغدادي في « الحديقة الندية » : والمرشد بعد تأهُّله للإرشاد ، وتبحُّره في علوم الشريعة والحقيقة ، وأمرِ أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ، ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمة للخليقة ؛ يحرم عليه الإخفاءُ ، وكتمُ ما عنده من الفوائد والآلاء ، إذ قال ﷺ : « إذا ظَهَرتْ البِدَع أوالفِتَنُ فَلْيُظهِر العَالِمُ عِلْمَهُ » الحديث .

وقال : « مَنْ كَتَمَ عِلْماً أُلجِمَ بِلِجَام مِنْ نار يَومَ القيامة » . فالظهور في حق مثل هذا امتثال المأمور ، والإخفَاء عين القصور ، فسبحان من جعل المحاسن مساوىء ، والمساوىء محاسن ؛ في قلوب المنكرين . انتهى ١٠٢ من هامش « أصفى الموارد » .

وقال بُعَيد ذلك : إن **ملخَّص باب المشيخة** هو نصح المسلمين ، ومحبّة الخير لهم ، والترقي لهم ، فالتارك لهذه الأمور عاصٍ لله تعالى ، فكيف يمدح ؟ ! إنما حق هذا الذمُّ إذا كان عارفاً بالطريق ، وأما إذا كان جاهلاً ! فلا تفاضل بينه وبين الأشياخ الجهلة . انتهى ١٠٣ .

مهم : الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق

وأما طعن الناس في أهل الإرادة بأنَّهم يرون فيهم الإسراف على أنفسهم سابقاً ببعض الذنوب ، وقد يرونه لاحقاً في بعضهم ! فنقول – كما قاله مؤلف « الحديقة الندية » – : **الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات الإلهية وهم في الإسراف والمعصية** ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير بل

كان الأمر بالعكس ! فلا يحكم به على هلاك صاحبه جزماً ، والطعن في حاله[1] ، فضلاً عن شيخه الغير المكلف بِوزرِه ، مع أنّ الخاتمة مجهولة ،

---

(١) **مطلب** : وقد يقول أبعاض من رجلة العلماء : **إن تلقين الذكر للعصاة من المحال** . فقد يردُّ أقوالهم كثيرٌ من النقول ، فكيف لا ؟ ! فإن الإرشاد إنما وضع لأجل المعوجِّ ، لا للمستقيم ، كما بيَّنته في « تنبيه السالكين » بالتمام .

وقد ورد عن الإمام الجنيد رضي الله عنه أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه ، فيلقِّنهم التوبة (عله الذكر) ، ويأمرهم بالإكثار منه ، فتنوّر قلوبهم . كما هو مذكور في « الصاوي » .

ونقل أيضاً عن القطب الكيلاني مِثْل ما مرَّ ، كما هو مذكور في « السير والسلوك » .

من أهم المهمات .

وجواز التلقين لكل أحد ؛ عاصياً كان أو مطيعاً ، ذكراً كان أو أنثى ، صغيراً كان أو كبيراً ، بل ورود الأمر بذلك مصرَّح في « جواهر المعاني » . والتكلُّم بخلاف ما مرَّ لا أراه إلا عناداً وحسداً ، وتكبُّراً على الحق وحقداً . وراجع « المتممات » للقطب أحمد ضياء الدين ، و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« الحديقة الندية » ، وغيرها من كتب السلوك ، تجد البيان مبسوطاً ، ولا تلتفت إلى قول مَن قال بخلاف ما فيها . والسلام .(منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وكان يقول - أي الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله - : يا أولادي لا يسر أحدكم سريرة سيئة فإن الله تعالى سيظهر ما كنتم تكتمون وما كنتم تخفون وما كنتم تستترون . وينادى عليكم بالتصريح والتوبيخ فلانٌ عامل كذا وكذا ، وكان يستتر من الناس ولا يستتر من الله تعالى ، فلان كان يرتكب المحارم والقبائح ويظهر للناس الصلاح زوراً وبهتاناً ، فلان كان يطلق بصره إلى النساء ويدعي أنها نظرة فجاءة وهو يعطف طرفه ويميل كأنه لصّ صارق . فيا فضيحة من تزيّا بزيّ الفقراء وخالف طريقهم . وكان رضي الله عنه يقول : يا أولادي لا تصحبوا غير شيخكم واصبروا على جفاه فإنه ربما امتحنكم ليريد بكم الخير ، وأن تكونوا محلاً لأسراره ومطلعاً لأنواره ليرقيكم بذلك إلى معرفة الله عزّ وجلّ . فمن اشتغل قلبه بمحبة شيخه رقاه الله عز وجل ، ولولا أن الشيخ سلم لترقية المريدين لمقت الله تعالى . كل قلب وجد فيه محبة لسواه فإن الله تعالى غيور . « طبقات الشعراني » ٢٥١ .
=

والعبرة بخواتمها انتهى . ١٠٥ .

مَن غلب خيره على شرِّه فهو الكامل

وقال بُعيد هذا : وربما طعن بعضهم في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل **مَن غلب خيره على شره فهو الكامل** ، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك ، وهو الاكتفاء بالعُشْرِ من الخير ، فضلاً عن غلبته على الشر ، أو كونه نصفاً ؛ أو ربعاً قال ﷺ : « إنَّكم في زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هلك ، ثم يأتي زمانٌ من عَمِلَ منهم بِعُشْرِ ما أُمِرَ به نَجَا » رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل بالعُشر ، وهي **بشارة عظيمة** لكل مَنْ سَلِم من الكُفرِ والشِّرك إلى آخر الزمان ، وقَلَّ مَنْ يَسْلَم من ذلك في زماننا هذا من كثرة التباس الحق بالباطل على غير أهل التوفيق والعناية ، فقد وجدنا من يَعْتَقِدُ الطاعةَ معصية والمعصية طاعة من كبار عُلماء زمانِنا ؛ فضلاً عن العامة منهم ، ومن بقيَّة الناس ، إلا مَن حَفِظَهُ الله تعالى وهداه . انتهى ١٠٦ من هامش « أصفى الموارد » .

=وكان رضي الله عنه يقول : والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة ودخلوا تحت الأوامر لاستغنوا عن الأشياخ ، ولكن جاؤوا إلى الطريق بعلل وأمراض ، فاحتاجوا إلى حكيم . **وإذا كان أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان ، اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام واتباع جميع** الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله قولاً وفعلاً واعتقاداً ، ولا تنظر إلى زخارف الدنيا ومطاياها وملابسها وقماشها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمداً ﷺ في أخلاقه ، فإن لم تستطع فاتّبعْ خُلُقَ شيخك ، فإن نزلتَ عن ذلك هلكتَ « طبقات » ٨٦١ .

والمريدون ؛ وإن سلكوا في طريق الله لكنهم ليسوا على وتيرة واحدة ، فمنهم المستقيم الأديب ، ومنهم المُخالِفُ الغيرُ المنيب ، **فإنَّ المريد وإن اتخذ له شيخاً يهديه ؛ لكنه لا يحوم حول العصمة ، فإنها خاصيَّة النبوّة** ، وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ مَن كان مطهَّراً من جميع المعاصي كالعشرة المشهود لهم بالجنة ، وكان فيهم مَن يقع في الكبائر كماعز ونُعَيْمان ! فقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في أثناء ذكره ما كان عليه طبقات الأصحاب بما لفظه : فكان نعيمان كل قليلٍ يأتون به النبي ﷺ وهو سكران فيحدُّه ، وكان نعيمان مضحاكاً يُضحِكُ النبي ﷺ وأصحابه .

حكاية مضحكة

ومن جملة ما وقع لنعيمان : أنه رأى رجلاً أعمى يقول : مَن يقودني إلى البراز[1] ؟ ! فأخذه نعيمان وأجلسه في محراب المسجد ، فَشَمَّر ثيابه للجلوس ، فصاح الناس به : إنك في المسجد ! فقال الأعمى : إن وجدتُ نُعَيْمان لأضربنَّه بالعصا ، فسمع نُعيمان فجاء إليه وقال : هل لك فيمن يدلّك على نعيمان ؟ ! فقاده إلى عثمان بن عفّان وهو ساجد فقال : هذا هو ، فصار الأعمى يضرب عثمان رضي الله عنه ، فصاح الناس بالأعمى : إنك تضرب أمير المؤمنين . وله وقائع كثيرة[2] رضي الله عنه . انتهى ١٢٠ ج٢ . من هامش « المنن » ج٢ .

---

(١) تبرَّز الرجل : خرج إلى البراز للحاجة ، والبراز : الفضاء الواسع . « مختار » . (هامش الأصل) .

(٢) ومما يُضحك به من قصة نعيمان رضي الله عنه : ما رواه أحمد : أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً ومعه بدويان ؛ نعيمان وسُوَيْبط ، فقال له : أطعمني . قال : حتى يجيء أبو بكر . فذهب لأناس ثَمَّ ، وباعه لهم – مورِّياً أنه قِنَّه – بعشر قلائص ، فجاؤوا وجعلوا بعنقه جعلاً وأخذوه ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فذهب هو وأصحابه إليهم ، وأخذوه منهم . ثم أخبروا النبي ﷺ فضحك هو وأصحابه من ذلك حتى بدا سنُّه ﷺ . والقصة مذكورة في ابن حجر في كتاب « الدعوى » فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

مطلب

ثم قال الشعراني بُعيد ما ذكر : فَوَطّنْ يا أخي نفسك أن يقع من أصحابك جميعُ ما تقدم في حق أصحاب رسول الله ﷺ من الأدب معه ، ومن ضده في حقه وحق أصحابه ، وذلك إما لِيَسْتَنَّ بهم مَن بعدهم ؛ وهو اللائق بمقامهم ، وإما أن يكونَ ما وقعَ من سوءِ الأدب في بعض الأوقات بياناً لعدم العصمة ، ثم يتوبون على الفور ، فكيف يطلب مشائخ النصف الثاني من القرن العاشر من تلامذتهم **أن يكونوا معهم على الأدب في جميع أحوالهم ؟! هذا شيء كالمحال** ، فإن شيئاً لم يصحَّ لرسول الله ﷺ من أصحابه ، كيف يصحّ لأحد بعدهم مع أنهم خير القرون ؟ ! ومع شهودهم عُلُوَّ مقامه ﷺ ، وما كان عليه من الزهد والعبادة وكثرة المعجزات ، ومع كونه أرحم بالمؤمنين من أنفسهم ، فلا تطلب يا سيدي الشيخ من تلامذة القرن العاشر أن يكونوا في الأدب فوق أدب الصحابة ! هذا مما لا يكون . والله غفور رحيم . انتهى ١٢٢ .

وقد قال لي شيخنا الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره : يا أخي قد كان في الزمن الماضي يمتثل المريدون بالمشائخ ، وهذا زمان يمتثل المشائخُ بالمريدين ! انتهى . فإذا حكيته شيخنا سيف الله قدس سره قال : صَدَقَ في قوله يا ولدي . انتهى .

وقد كان شيخنا العسلي قدس سره يقول لي : **يا أخي إنّي أحْمِلُ من المريدين ولا أطردهم** ، فتحمَّل أنت كذلك . انتهى .

فائدة مهمة ينبغي للمريد أن يتنبه إليها ، ويجعلها نُصْبَ عينيه : قد عُلم مما ذكر في مواضع عديدة فوائد اتخاذ الشيخ ، ومن جملتها وأجَلِّها : ما ذكر في « الرماح »[1] بما ملخصه :

---

(١) راجعه ٨٤ ج٢ .

أنّ أهل كلِّ طريقةٍ يدعون يوم القيامة باسم شيخهم ، ويدعونَ إلى مجاورته ، قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ ، وأنَّ المريدين يبلغون إلى درجات كُبَرَائِهم وشيوخهم ما آمنوا بأحوالهم ، وفقهوا كلامهم ، كما قال الله تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ . انتهى .

الشيخ لا ينسى مَن سلَّم عليه مرَّة واحدة

وقد نقلت في « التلخيص » مما نقله صاحب « الإتحاف »[١] من « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر[٢] بما حاصله : **أنَّ المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات** ، أو يطلبه له من الله تعالى بهمَّته ، **وأنَّ الشيخ لا ينسى مَن سَلَّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** ، بل لا ينسى مَن يعرف الشيخ ؛ ولا يعرفه الشيخ ، فيسأل الله تعالى أن يغفره ، ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه ، أو سبَّه ووقع فيه[٣] ممن لم

---

(١) راجعه في ٢٢ ج٦ .

(٢) وهو محيي الدين بن العربي قدس سره كذا في « الخزينة » راجعه . (هامش الأصل) .

(٣) أي : اغتابه (منه) .

*أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تعجل بالقرآن - أي بقراءته - من قبل أن يقضى إليك وحيه - أي يفرغ جبرائيل من إبلاغه « جلال » سورة طه . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم أو العمل من السطور بل التلقي له سر آخر « صاوي » .

* وداعياً إلى الله - بطاعته - بإذنه - بأمره « جلال » سورة الأحزاب .

* والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره ، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر . ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة=

يعرفه الشيخ ، ولا سمع باسمه . انتهى .

لكن **لا ينبغي للمريد أن يكون مغترّاً بمجرد السلوك** مع عدم مبالاته بارتكاب المخالفات ، بل ينبغي أن يكون عاملاً بمقتضى الأحكام الشرعية ، **فإنَّ النجاة والخلاص لا يكون إلا في متابعة صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام** ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره : **والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة** ، وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما ، **لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ، ويأكلوا ما شاؤوا ، ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار** ويمنع عنهم العذابَ ! فإنَّ هذا المعنى تَمَنٍّ محضٌ ، لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله ، ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد ، وإنما يكون مُرتضى إذا كان عاملاً بِمُقْتضى الشريعة ، فحينئذ إذا صدرت عنه زلَّة بمقتضى البشرية فتداركُها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل : بأيّ اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى ؟!

أجيب : إنّ الحق سبحانه إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه ، فهو مرتضى في الحقيقة ؛ وإن كان مذنباً في الظاهر! انتهى من « الدرر المكنونات » ٥٨ ج٣ .

=للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق « صاوي » .

البرج الثالث عشر

في جواب مسألة ذلك العالم بما حاصله هذا :

وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاءَ من دون الله . إلخ . وكان يقول أيضاً : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق ، فإذا كان الأمر كذلك ، فماذا يطلبه المريد من أستاذه ؟ ! وما فائدة الاتخاذ ؟ ! انتهى .

الفائدة من إرسال الرسل واتخاذ الشيخ

أقول والله أعلم : من المعلوم المعتقد عندنا أن الفائدة من إرسال الرسل والأنبياء هو الدلالة على الله ، **ولا يخلو الأرض من الأولياء على عددهم ، ولولاهم لما أمطرت السماء ، ولما أنبتت الأرض** ؛ كما هو مذكور في الكتب ، قال تعالى ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ فالمقصود المطلوب من اتخاذ الشيخ هو : الدلالة إلى طريق الوصول إليه . وقد قيل : إن للوسائل حكمَ المقاصد . والفوائد المترتبة على ذلك قد ذكرت مراراً ، فلا نطيل الكلام بتكرارها .

وأما ما قاله الإمام الشاذلي ! فلعله صدر منه في حالة فنائه في التوحيد ، والفاني في الله ينسى ما سواه ، وإلا فهو الذي أمر باتخاذ الوسيلة ! كما سنذكره إن شاء الله تعالى بعين ما قاله قدس سره .

الفناء في الله

وقد قال الإمام الرباني : **اعلم** أن المقصود من الفناء - الذي هو عبارة عن نسيان ما سوى الحق تعالى - : هو زوال تعلق المحبة بما دون الحق سبحانه ، فإنه إذا زالت ذوات الأشياء وصفاتُها وأفعالها عن النظر والإدراك يزول تعلُّق المحبة بها بالضرورة ، ولا بُدَّ في طريق الولاية من

نسيان السوى ، ليزول التعلُّق بما دون الحق جلَّ وعلا ، وفي مدارج قرب النبوة لا حاجة في زوال التعلُّق بالأشياء إلى نسيان الأشياء أصلاً . . . إلى آخر ما قاله « الدرر المكنونات » . ٣٧٠ ج١ .

وعادة المريدين أن ينقلوا من شيخهم كلَّ ما صدر منه من الأقوال ، **والشيخ إذا كان في حالة الفناء يكون كالسكارى** ، وكلامه يصدر منه بحسب حاله ، وكلام السكارى من الأولياء مقبول لا يُعتَرَض عليه ؛ لكونه معذوراً ، لكنه لا يعمُّ ! فالفاني في الله قد يتكلم بالشطحات ، بَيْدَ أنَّ أرباب الاستقامة من العلماء لم يجوِّزوا الإنكار على ما صدر من الأولياء ، بل حملوه على أحسن المحامل ، لكونه صادراً في حالة نسيان السوى .

ويؤيده ما في « نور الإنصاف » بهذه العبارات : فإن ما يحصل للعارفين حالة الفناء في محبة الله والاستغراق بذكره حتى تغيب مداركهم ، وتنطمس شواهدهم عن الأغيار ، بل وعن ذواتهم ! فتصدر على ألسنتهم كلمات من مشرب ذلك المقام عند محوهم وسكرهم ، ومتى صحوا أنكروها واستغفروا الله فذلك كلام معفو عنه ؛ ككلام من جُنّ أو خَمِرَ ، أو غلا دَمُه ، أو أغشي عليه ، وهذا المقام عين ما قاله القائل :

عجبت منك ومنّي   أفنيتني بك عني

أدنيتني منك حتَّى   ظننت أنَّك أنِّي

ومنه قول شيخ الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه :

رقَّ الزجاج ورقَّ الخمر   فتشابها وتشاكل الأمر

فكأنما خمرٌ ولا قَدَحُ   وكأنما قَدَحُ ولا خمرُ

وهذا الذي غلط به جماعة ، فظنوه من القول بالوحدة المطلقة ، فضلُّوا وأضلُّوا . انتهى . ٣٢ .

الفناء نسيان السوى ، لا ارتفاعه!!

قال الإمام الرباني قدس سره : إن الفناء الذي هو معتبر في الولاية باعتبار الشعور والشهود ؛ فإنه عبارة عن نسيان ما سوى الحق سبحانه لا ارتفاع ما سواه[1] ! غاية ما في الباب : أن صاحب ذلك الفناء ربما يظن في غلبات السكر عدمَ الشعور[2] بالأشياء عدمَ الأشياء[3] ، ويتوهَّم ارتفاع ما سواه تعالى ويتسلَّى بذلك ، فإذا ترقَّى من ذلك بمحض فضله تعالى وتشرَّف بدولة الصحو ، وصار صاحبَ تمييز ؛ يعلم أن ذلك الفناء كان نسيانَ الأشياء ، لا انعدام الأشياء ! فلو زال بسبب هذا النسيان شيء فإنما هو التعلق بالأشياء الذي كان متمكِّناً ومذموماً ؛ لا نفس الأشياء ! فإنها قائمة على صرافتها ، ممتنع نفيها وإعدامها ، (سياهي ازجشي كي رودكي خودرنكسة) فإذا حصل بفضل الله تعالى هذه الرؤية والتمييز زال ذلك التسلِّي ، وقعد مكانه الحزن والغمّ وعدم الاستراحة ، وتيقَّن أنّ وجوده مرضي لا يكون بسعيه واهتمامه معدوماً ، وعلم أن نقص الإمكان وقصور الحدوث لازمان له دائماً ، والعجب أن العارف كلما يترقى إلى فوق ويكون عروجاته أكثر ؛ يكون رؤية النقص والقصور فيه أزيد ! ويكون عديم القرار والراحة . انتهى . « الدرر المكنونات » في ١٨١ ج٣ فراجعه .

---

(١) وفي « عوارف المعارف » : وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه ، وقد يتَّفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص ؛ وليس من ضرورة الفناء على الإطلاق . انتهى ٦٠٣ ج٤ . من هامش « الإحياء » . وفيه : والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ، ولا الخلق عن الحق ، والفاني محجوب بالحق عن الخلق . انتهى فراجعه ٨٠٣ . (منه ؛ قدس سره) .

(٢) ربما يظن عَدَمَ الشعور بالأشيآء في غلبات السكر عدم الأشياء ؛ لعل العبارات منعكسة ونصب عدم الشعور على نزع الخافض أي لعدم الشعور بالأشياء . .الخ والله أعلم (لمحرره العوري غازي محمد) .

(٣) مفعول ثان لـ(يظن) .

شطحات الأولياء غير معترضة

وقد صدر من بعض الأولياء في حالة غلبة السكر كلمات لا يقبلها ظاهر الشرع ؛ كقول بعضهم (أنا الحق) و(سبحاني) ، وأمثال ذلك ، وصدور ذلك منهم لا يعدُّ نقصاناً منهم .

قال الإمام الرباني : أيها المخدوم ! إن القصور الذي قيل في معنى قوله (سبحاني) الذي صدر عن أبي يزيد البسطامي قدس سره في غلبات السكر لو سُلِّم لا يلزم منه أن يكون ذلك القصور مستقراً ومستمراً في قائله ، حتى يكون غيرهُ أفضلَ منه ، فإن كثيراً من المعارف تصدر في وقت بمقتضى حال ذلك الوقت ، ثم لما ظهر قصور تلك المعرفة بعناية الله تعالى في وقت آخر يترك تلك المعرفة ويترقى إلى مقام فوقاني ، قد اندرج في المكتوب الشريف : أنّ أمثال هذه الكلمات الممزوجة بالشطح لو كتبها أرباب السكر لجاز ، ولكن إظهار أرباب الصحو أمثال هذه الكلمات مستبعد جداً .

السكر مراتب

أيها المخدوم! إن كلّ من كتب هذه الكلمات فمنشؤه السكر لم يحرك القلم في هذا الباب بلا مزج السكر ؛ غاية ما في الباب : أن في السكر مراتب كثيرة ، وكلما كان السكر أغلبَ ، يكون الشطح أغلب وأوفر ، وسكرُ البسطامي هو ما يصدر عنه قول (لوائي أرفع من لواء محمد) بلا تحاش ، فكل من حاله الصحو لا يظن أنه لا سكر معه أصلاً فإنه عين القصور ، لأن الصحو الخالص نصيب العوام .

ومن رجَّح الصحو فمراده غلبة الصحو لا الصّرف ، **وكذلك كلّ من يرجِّح السكر فمراده غلبة السكر ، لا السكر الخالص!** فإنه آفة ، ألا ترى أنّ الجنيد قدس سره مع كونه رئيس أرباب الصحو ، وترجيحه الصحو

على السكر ، له عبارات كثيرة ممزوجة بالسكر يعسر تعدادها ! .

قال : العارف هو المعروف . وقال : لون الماء لون إنائه . وقال : المُحدَث إذا قُرن بالقديم لم يبقَ له أثر .

وصاحب « العوارف » من كمَّل أرباب الصحو ؛ ومع ذلك في كتابه من المعارف السُكرية ما لا يمكن شرحه .

بقايا السكر

وهذا الفقير قد جمع بعض معارفه السُكْرية في ورق ، ومن بقايا السكْر : تجويز إفشاء الأسرار ، ومنه : المباهاة والافتخار ، ومنه : ادعاء المزية على الأغيار ، فلو كان صحوٌ خالص يكون إفشاءُ الأسرار حينئذ كفراً ، واعتقاد الأفضلية على الغير شركاً . وبقية السكر في الصحو كالملح المصلح للطعام ، فلو لم يكن ملح يكون الطعام معطلاً . شعر :

فلو لم يكن عشق وهَيْمانُ عاشقٍ   لما كان من يصغي وما كان سامر

وقد حمل صاحب « العوارف » قدس سره قول (قدمي هذه على رقبة كل ولي) الصادر عن الشيخ عبد القادر قدس سره على السكر ، وليس مراده إثبات القصور لهذا القول كما توهم ، فإنه عين محمدة له ، بل بيان الواقع يعني أن صدور مثل هذا الكلام المنبىء عن المباهاة والافتخار ليس هو بلا بقية سكر ، فإن التكلم بأمثال هذا الكلام في الصحو الخالص عسير . انتهى « الدرر المكنونات » ١٧٢ ج١ .

القول في الحلول والاتحاد

وقد صدر من البعض قول (الكل هو) الذي يتحاشى منه علماء الظاهر ، وينسبونه إلى غلطات الصوفية ، لكن الإمام الرباني قد حمله إلى محمل مقبول ؛ وقال : لا يخفى أن عبارة (الكل هو) وإن لم تكن متعارفة

فيما بين قدماء الصوفية قدس الله أسرارهم، ولكن كان بينهم مثل (أنا الحق) و(سبحاني) و(ما في جبتي سوى الله) وأمثالها مما يعسر تعداده، ومؤدَّى هذه العبارات وتلك العبارة واحد. شعر:

إذا ما تعدى الماء عن مفرق فلا تفاوت في مقدار رمح وأرماح

مَثَل موزون مشهور، وهذه العبارة شائعة ذائعة فيما بين متأخري الصوفية، ويقولون (الكل هو) بلا تكلُّف، ويصرُّون على هذا القول، إلا أن القليل منهم لهم تردد في هذه العبارة وأمثالها، بل يظهرون صورة الإنكار عليها، وما يفهمه هذا الفقير من معنى قولهم (الكل هو): أنّ جميع هذه الجزئيات المتفرقة الحادثة ظهور ذات واحدة تعالت وتقدست، كما إذا انعكست صورة زيد في مرايا متعددة وظهرت فيها، فيقال: (الكل هو) يعني أن جميع هذه الصور التي ظهرت في مرايا متعددة ظهور ذات واحدة لزيد، فهنا أيُّ جزئية واتحاد؟! وأيُّ حلول وتلوُّن؟! بل ذات زيد مع وجود الصور كلها على صرافتها وحالتها الأصلية ما زادت هذه الصور فيها شيئاً وما نقصت، لا اسم للصور فيما فيه ذات زيد؛ ولا رسم، حتى يحصل لها معها نسبة من نسب الجزئية والاتحاد والحلول والسريان ينبغي أن يطلب سرّ الآن كما كان في هذا المكان، فإن مرتبته سبحانه وتعالى كما لم يكن للعالم فيها مجال قبل الظهور، لا يكون فيها مجال أيضاً بعد الظهور، فلا جرم يكون الآن كما كان.

والعجب أن كثيراً من أكابر متقدمي الصوفية فهموا من هذه العبارة الممزوجة بِشَهْد التوحيد معنى الحلول والاتحاد، وكفَّروا قائليها وضلّلوهم!!. وبعضهم يوجه هذه العبارة على نهج لا مُنَاسبَة بمذاق قائليها بوجه؛ ولا نسبة.

قال صاحب «العوارف»: إنّ صدور (أنا الحق) من حلاج،

و(سبحاني) من أبي يزيد البسطامي **كان بطريق الحكاية يعني من الحق سبحانه وتعالى** ، فلو لم يكن بطريق الحكاية بل كان فيه شائبة الحلول والاتحاد! نردُّ قائلي هذه الأقوال كما نردُّ النصارى لقولهم بالحلول والاتحاد .

وقد اتضح من التحقيق السابق أنه لا حلول في هذه العبارة الشبيهة بالشطح والاتحاد ، **والحمل فيها إنما هو باعتبار الظهور والشهود ، لا** باعتبار الوجود ؛ كما فهموا وحملوا على الحلول والاتحاد[1] . انتهى من « الدرر المكنونات » ١١٦ ج١ .

شطحات الأولياء

قال ابن حجر رحمه الله في « الفتاوى الحديثية » : وسئل نفع الله به بما لفظه :

ما الذي يجاب عما وقع من شطحات الأولياء ؛ كقول أبي يزيد (سبحاني) (ما في الجُبَّة غير الله) وقول الحلاج (أنا الحق) ونحو ذلك مما لا يخفى من كلماتهم وإشاراتهم التي ظاهرها انتقاد ، وباطنها حق إلا عند أهل المقت والعناد ؟ !

فأجاب بقوله : ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات ، للأئمة العلماء العارفين الحكماء ؛ - الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان

(١) ولا يُظَنَّ أنَّ السالك إذا وصل إلى تلك المرتبة يحصل له الاتحاد مع الحق سبحانه ، لأن اتحاد الخالق مع المخلوق محال من كل الوجوه ، لأنَّ الاتحاد معناه : أن يصير الشيء بعينه شيأً آخر ، فهذا الاتحاد إمَّا في الجسمانية ؛ بأن يكون بالاتصال والامتزاج والتركيب ، وبطلانه ظاهر في حقِّه تعالى ، وإمَّا في المجرَّدات ، وبطلانه ظاهر أيضاً ، لأنَّ الشيئين إذا اتَّحدا فإن بقي أحدهما مع بقاء الآخر ؛ فيتعددان ، فلا اتحاد بينهما فإن بطل أحدهما وبقي الآخر ؛ فلا اتحاد أيضاً ، وإن بطلا فلا وجود لهما . انتهى .

الإنكار ، ومَنَّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه ، وحمل ما صدر منهم على أحسن المحامل وأقومها - عنها أجوبة مسكتة ، وتحقيقات مبهتة ، لا يهتدي إليها إلا الموفقون ، ولا يعرض عنها إلا المخذولون ، فاحذر أنت أن تكون ممن يتحسَّى[1] كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته ! وبادر إلى السلامة من غضب الله له .

قال الأئمة : لم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه ، وآكلي الربا ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

أحد تلك المسالك : أن تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحق ، ونطق عما يليق وما شاهدوه من أنوارها ، وغلبة التجوُّز في نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية ، والقرب يبسط لهم العذر ، ويرفع عنهم الإصر . ممن اعتمد هذا المسلك : الشهاب السهروردي المجمع على إمامته في العلوم الظاهرة والباطنة في « عوارفه » حيث قال : وما حكي عن أبي يزيد رضي الله عنه من قوله (سبحاني) ! حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول مثل ذلك ؛ إلاَّ على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وذلك مما ينبغي أن يُعتَقَد في الحلاَّج رحمه الله في قوله (أنا الحق) .

ثانيها : أن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر ؛ الناشئَيْن عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب ، الآخذة تمييزه ؛ لشدة تمكُّنها منه ، واستغراقه في فكره وخطرها ، فإنه إذا كان هذا في الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة ؛ فكيف بواردات الحق على القلوب ؟ ! ولواعج[2] المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب ،

---

(١) حسا الطائر الماء ، يحسوه حسواً ، ولا يقال فيه شرب ! « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) في الدعاء : لواعج الأمطار ، وعوالجها لواعج الأمطار التي لها تأثير شديد في النبات من لعجة الضرب ؛ إذا آلمه وأحرق جلده . وعوالجها : هي ما تراكم منها ، مثل عوالج الرحال . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

وعوالم الملكوت المنكشفة لهم في منازلاتهم ، ومشاهدة عجائب القدرة في ترقياتهم ، فإن ذلك لا يُبقي في القلب شعوراً ولا تمييزاً ، بل يصير صاحبه كالسكران الثمِل[1] ، فحينئذ ينطق بما رسخ في جلده قبل ، ويرجع بطبعه قهراً عليه إلى مكان يلحظه ويعوِّل عليه ، فينطق لسانه بطبق تلك الأحوال ، لكن بعبارات لا يقصد بها ما يوهمه ظاهرها من اتحاد أو حلول أو انحلال . فتأمل ذلك ، وعوّل عليه تسلم ، **وكل سكر نشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف** . انتهى ٢٣٩ .

فناء القلب

ورأيت في « جامع أصول الأولياء » ما لفظه : متى تحقق فناء القلب زال من ساحة الصدر التعلُّق العلمي والالتجاء لما سواه ، ولم يظهر خطور السوى ، **وفناء القلب يصير في تجلِّيات الأفعال الإلهية** ، يعني رؤية أفعال ما سوى الحق آثار فعله تعالى . وإذا غلبت هذه الرؤية على السالك يرى أيضاً صفات الممكنات أمواجَ وجوده ، ويرى ذاته تموُّجه في بحر وجود حضرة الحق ، ويقول لهذا أربابُ التوحيد الوجودي : **الفناءَ في الله** .

وإذا استُغرِق السالك في هذا البحر لم يجد لبصيرته مشهوداً سوى البحر ، وكلما نظر إلى كل جانب لا يرى غيرَ البحر وأمواجه ، بل يجد ذاته قطرة من هذا البحر ، ويرتفع من نظره امتياز القطرة أيضاً لكمال استغراقه . انتهى عبارته ٥٦ .

فعلم مما ذكر أن **العبد إذا قوي جذبته غلبتهُ المحبة ، فيلزمها السكر والفناء ، بحيث لا يبقى في نظره سوى المحبوب تعالى** ، فيحكم

---

(١) الثَّمِل – محركة : السكر « مجمع البحرين » (هامش الأصل) .

فيكون الثمل للسكران في قوله كسكران الشمل ، تفسيرياً ، والله أعلم . (لمحرره العوري الغازي محمد) .

بنفي ما سواه ، فإذا صحى لا يكون شهود المحبوب مانعاً عن شهود ما سواه ، فيتحاشى عن التكلُّم بكلمات التوحيد الوجودي ، بل يكون سابحاً في بحر التوحيد الشهودي ! ولا يقول شيئاً يخالف ظاهر الشرع .

ورأيت في « الحدائق الوردية » أنّ **مقام الصحو أعلى**[1] **من مقام السكر** . انتهى . أذاقنا الله تعالى شيئاً من مقام الفناء التام ، وشرَّفنا بالوصول إلى البقاء الأتمِّ الأكمل ، وحفظنا من قولٍ لا يُقبل ، وعملٍ لا يُحمد . آمين .

العلم اللَّدُنِّي ، قرب النوافل

وقال صاحب « عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب » رحمه الله تعالى :

واعلم أن السالك إذا فرغ من السير إلى الله ، وشرع في السير في الله بمتابعته للنبي ﷺ ووساطته ، فإذا جذبه الله إليه بكمال فضله وكرمه **ارتفع الوسائط كلها بينه تعالى وبين**[2] **هذا المحبوب السالك** ؛ حتى سمعه

(١) والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق . والفاني محجوب بالحق عن الخلق . كذا في « عوارف المعارف » فراجعه ، من هامش « الإحياء » ج٤ (منه) .

(٢) لكن ينبغي أن يعلم أن الواسطة هو الذي وصل السالك إلى هذه المرتبة بسببه ، ودوام التوسل به يكون شرطاً في دوامها . فقد قال في كتاب « الرماح » : وكم من متوسّل به إلى مقصود فيحصل ذلك المقصود لطالبه ، ثم تكون طاعة الوسيلة والتزام احترامه ودوام التوسل به شرطاً في دوام ذلك المقصود الحاصل لطالبه ، وذلك كالرسل مع أممهم . فلا شك أنّ المقصود الأعظم من بعث الرسل إلى الخلق بتبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم ، وأنّ المقصود الأعظم للذين صدّقوا الرسل ، وآمنوا بالله تعالى ، وبكل ما جاؤا به عن الله تعالى أن تدلّهم الرسل على الله تعالى ، وتجمعهم عليه حتى يحصل لهم العلم به تعالى ومعرفته ومعرفة رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وجميع ما اشتمل عليه . والإيمان بجميع ما يجب الإيمان به ، ومعرفة أحكامه التكليفية وكيفية التعبّد بها ، ومعرفة ما يقرّب إليه وما يبعّد والعمل بمقتضاه . وإذا حصل ما ذكر فقد حصل لهم المقصود بواسطة الرسل بينهم وبين ربهم ، إلاّ أنّ الانتفاع بما حصلوا مشروط منوط ببقاء توسّلهم=

وبصره ورجله وجميع القوى الظاهرة ، وهي وسائط وآلات ظاهرة ، ومع هذا يرفع الله منه هذه القوى الظاهرة ، فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلمَ من الله تعالى بلا واسطة ، وهو العلم اللدُنِيّ ، كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم : قرب النوافل . دلَّ عليه : ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى « ولا يزال عبدي المؤمن يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته

=بالرسل إلى الممات . ومتى انتقطعت الواسطة بين أحد وبين الرسل يكفر في تلك الساعة ، والعياذ بالله تعالى . وكذلك المريد مع شيخه . فإن المريد إذا انتهى سيره ووصل إلى الحضرة الإلهية ينفصم عنه شيخه ، مع أن فلاح المريد* وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه لشيخه وعدم مقاطعته واستهانته ، مع أنه قد زال تقيّده وصار مستقلاً بنفسه وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه إذا تأهل لذلك تأهلاً تاماً كاملاً ، لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال . نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه . انتهى عبارته ٤٤١ ج٢ .

* وقد أشبع الكلام في هذا في « المكتوبات » للإمام الرباني . فراجعه (منه) .

ومما رأينا عياناً وسمعنا يقيناً أن واحداً من العباد كان متعلقاً بزيل شيخنا العسلي قدس سره . قال لي الشيخ مشافهة : إنه كان قد لقن له النفي والإثبات بحبس النفس وحصل له الفناء سريعاً ، فظنّ أنه قد وصل إلى أعلى المراتب وقال : إنّي قد سبقت منك في المقام وخرج عن قيد التسليم بالكلية زاعماً بكماله ، فقال له : إن لك بعدُ كذا وكذا مراقبة فلم يستمع قوله ، بل أصرّ على دعواه فقال له الشيخ : إن من سبق منّي لا يليق أن يكون عندي ؛ فقطع عنه النظر وطرّده . فوقتئذ ذهب ذلك الأحمق إلى الخلاء لقضاء الحاجة فلم يجئ ولم يرجع ، فأرسل خلفه واحداً من المريدين فوجده قاعداً في محلّ قضاء الحاجة وقال ما معناه : إن أكابر المشائخ كعبد القادر الكيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم أوقفوني هنا* ، ثم حمله الرسول لدى الشيخ وأرسله إلى قريته ، فطرأ عليه الجنون وتصرف فيه الشياطين فصار الرجل لا يصلّي الفريضة . فالعياذ بالله . هذا ما وقع في عصرنا هذا ، والسلام وأوصيكم بالدعاء .

* أي : إنه توهم ووسوس إليه إن الشياطين الكائنين عنده ؛ هم هؤلاء الأشياخ المذكورون . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » الحديث ، وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ، ولا نبيّ مرسل » . فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله بأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى ، **فلا يلزمه شيء بقوله « أخذتُ العلم من الله تعالى »** . فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح . انتهى عبارته ٣٩ من هامش « الدرر المكنونات » ج٣ .

فتفكر أيها الأخ في جميع ما ذكر ، لعلَّك تتيقَّنُ بأن الأولياء يكون لهم مقام يرتفع عنهم في شهودهم الوسائط ، ويتكلَّمون بمقتضى حالهم ، ولعل الشاذلي قدس سره صدر منه ذلك القول على مقتضى المقام ؛ مع كونه من كُمَّل أرباب الصحو بيقين ، وإلا فقد كان اتخذ له الشيخ[1] ، وجعله وسيلة وواسطة إليه تعالى ، حتى كان يأمر باتخاذ الوسيلة .

التوسل بالغزالي لقضاء الحوائج

قال صاحب « تقريب الأصول » : وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي[2] رضي الله عنه يقول : إذا عرضت لكم إلى الله حاجة ، فتوسَّلوا إليه بالإمام الغزالي . **ويحثُّ على قراءة كتابه « الإحياء » ويقول : إنه يورث العلم** . انتهى عبارته ٤٥ فراجعه .

وقال الشعراني في « طبقاته » : وقيل له - يعني الشاذلي - : من شيخك ؟

---

(١) وهو القطب الحقيقي عبد السلام بن مشيش قدس سره . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) كما كان أبو العباس المرسي يقول كذلك ، كما يأتي إن شاء الله تعالى . (منه) . (هامش الأصل) .

فقال : كنت أنتسب فيما مضى إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد! **بل أعوم في عشرة أبحر** : محمد ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وجبرائيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وإسرافيل ، والروح الأكبر . انتهى عبارته ٦ ج٢ ومثله في « جامع الأصول » في ٦ .

وفي « الطبقات » أيضاً : وكان - يعني الشاذلي - يقول : لا يتمُّ للعالم سلوك طريق القوم إلاَّ بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح . انتهى عبارته ٥ ج٢ .

وفيه ؛ في ترجمة أبي العباس المرسي رضي الله عنه : وكان شيخه أبو الحسن رضي الله عنه يقول للناس : **عليكم بالشيخ أبي العباس! فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه ، فلا يمشي إلا وقد أوصله إلى الله تعالى** . انتهى فراجعه ١٢ ج٢ .

وذكر في « الأنوار القدسية » نقلاً عن أبي العباس المرسي ما لفظه : وكان - يعني أبا الحسن الشاذلي - يقول لي : **إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسمْ بي عليه** . فكنت والله لا أذكره في شدة إلا تفرَّجت ، ولا أمر صعب إلا هان . وأنت يا أخي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به ، وقد نصحتك ، والله يعلم ذلك ، والسلام .

وقال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي : كنت أترضَّى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي في كل ليلة كذا كذا مرة ، وأسأل الله في جميع حوائجي ، فأجد القبول في ذلك معجلاً ، فرأيت[1] رسول الله ﷺ فقلت له : يا سيدي

---

(١) ورأيت في « الصاوي » ما نصُّه : فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً ، وإنما يبعثون يوم القيامة لا فرق بين الأنبياء وغيرهم ، وما ورد عن بعض الصالحين أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة ، فالمراد : أن روحه الشريفة تشكَّلت بصورة جسده الشريف . وكذا يقال في الأولياء والشهداء **لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة** . وأما الكفار ! فأرواحهم محبوسة لا تسعى في الملكوت راجعه في سورة المؤمنين من تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ (منه رحم الله إفلاسه) .

يا رسول الله ؛ إني أَتَرَضَّى عن الشيخ أبي الحسن في كل ليلة بعد صلاتي عليك ، وأسأل الله به في حوائجي ، أفترى عليّ في ذلك شيئاً إذا تعدَّيت ؟ ! فقال لي : **أبو الحسن ولدي حسّاً ومعنى ، والولد جزء من الوالد ، فمن تمسَّك بالجزء فقد تمسَّك بالكل** ، وإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألت بي ﷺ . انتهى عبارته .

فإذا فهمت هذا علمتَ أن الشاذلي كان هو يتّخذ الشفعاء والوسائل من الأولياء والمشائخ ، ويأمر به ، فالقول بخلاف ذلك يعارض لكلام نفسه وفعله ، فوجب حمله على أنه - رضي الله عنه - قال ذلك في حالة الفناء وغلبة السكر .

وقد علم مما مر نقلاً عن الإمام الرباني : أن السكر الممزوج بالصحو لا يكون نقصاً في الكمال ، والتكلم على كلامه فيه خطر عظيم ، ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ آمين .

ومما ينبغي أن يكتب هنا : ما في « الدرر المكنونات »(1) لمحمد مراد المنزلي معرِّب « المكتوبات » للإمام الرباني رضي الله عنهما مما هذا نصه :

المكتوب الخامس والتسعون إلى مقصود علي التبريزي في جواب سؤاله عن الكفر الحقيقي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلت الصحيفة الشريفة ، ووقع فيها الاستفسار عن بعض كلمات الصوفية .

أيها المخدوم ؛ وإن لم يقتض الوقت والمكان قولاً وكتابة ، ولكن

---

(1) من الجزء الثاني ٤٤ . (منه) .

لا بُدَّ للسؤال من الجواب ، فحرَّرت بالضرورة كلمات ، ومجمل الكلام في حلّ جميع تلك المسائل هو : أنه كما أنّ في الشريعة كفراً وإسلاماً ! في الطريقة أيضاً كفر وإسلام ، وكما أن كفر الشريعة شرّ ونقص ، والإسلام كمال ! كذلك كفر الطريقة أيضاً نقص وشرٌّ ، وإسلامها كمال .

وكفر الطريقة عبارة عن مقام الجمع الذي هو الاستتار ، وتمييز الحق من الباطل مفقود في هذا الموطن ، فإن شهود السالك فيه في المرايا الجميلة والرذيلة هو جمال وحدة المحبوب ، فلا يجد الخير والشر ، والكمال والنقص غيرَ مظاهر لتلك الوحدة وظلالها ، فلا جرم يكون نظر الإنكار الذي نشأ عن التمييز معدوماً في حقه ، فبالضرورة يكون مع الكلّ في مقام الصلح ، ويجد الكل على صراط مستقيم ، وأحياناً يرى المُظهِر عينَ الظاهر ، فيظنّ الخلق عين الحق ، والمربوب عين الربّ ، وكل هذه أزهار تتفتق من مرتبة الجمع .

قال الحلاج في هذا المقام . شعر :

كفرت بدين الله والكفر واجب   لــــديّ وعـند المسلمين قبيح

ولكفر الطريقة هنا مناسبة تامة بكفر الشريعة ؛ **وإن كان كافر الشريعة مردوداً ومستحقاً للعذاب ، وكافر الطريقة مقبولاً ومستوجباً للدرجات ؛** فإن هذا الكُفر والاستتار ناشىء **من غلبة محبة المحبوب الحقيقي ، ونسيان غيره كله** ، فيكون مقبولاً ، وذاك الكفر حاصل من استيلاء الجهل والتمرُّد ، فيكون مردوداً بالضرورة .

وإسلام الطريقة عبارة عن مقام الفرق بعد الجمع ؛ الذي هو مقام التمييز ، والحق والخير متميزان هنا من الباطل والشر ، ولإسلام الطريقة هذا[1] مناسبة بإسلام الشريعة ، بل إذا بلغ إسلام الشريعة كماله تحصل له

(١) وفي نسخة : هنا مناسبة .

نسبة الاتخاذ[1] بهذا الإسلام ، بل كلا الإسلامين إسلام الشريعة ، والفرق بينهما بظاهر الشريعة ؛ وباطن الشريعة ، وبصورة الشريعة ؛ وحقيقة الشريعة ، ومرتبة كفر الطريقة أعلى من مرتبة إسلام صورة الشريعة ، وإن كانت أدونَ بالنسبة إلى إسلام حقيقة الشريعة ! شعر :

متى قسنا السما بالعرش ينحط   وما أعلاه إن قسنا بأرض

وكل مَن تكلَّم من المشائخ قدس الله أسرارهم ، بالشطحيات من الكلمات المخالفة لظاهر الشريعة ؛ كل ذلك في مقام كفر الطريقة الذي هو موطن السكر وعدم التمييز ، والكبراء الذين تشرَّفوا بدولة إسلام الحقيقة فهم منزَّهون ومبرؤون من أمثال هذه الكلمات ، ومقتدون بالأنبياء ، ومتابعون لهم ظاهراً وباطناً ، فالشخص الذي يتكلم بالشطحيات ، ويكون في مقام الصلح مع الكل ، ويظن الجميع على صراط مستقيم ، ولا يثبت التمييز بين الحقّ والخلق ، ولا يقول بوجود الإثنينية ، فإن وصل هذا الشخص إلى مقام الجمع ، وتحقق بكفر الطريقة ، ونسي السوى ؛ فهو مقبول ، وكلماته ناشئة من السكر ومصروفة عن الظاهر ، وإن تكلم بهذه الكلمات بدون حصول هذا الحال ، وبلا وصول إلى الدرجة الأولى من الكمال ، وزعم الكل على حقّ وعلى صراط مستقيم؛ ولم يميِّز الباطل من الحق ! فهو من الزنادقة والملاحدة الذين مقصودهم إبطال الشريعة ، ومطلوبهم رفع دعوة الأنبياء الذين هم رحمة للعالمين عليهم الصلوات والتحيات . فهذه الكلمات الخلافية تصدر من المحق ، وتصدر من المبطل ، **وهي للمحقِّ ماء الحياة ، وللمبطل سم قاتل؛ كماء النيل** حيث كان لبني إسرائيل ماء زلالاً ، وللقبط دماً ونكالاً .

وهذا المقام من مزلة الأقدام ؛ قد انحرف جمّ غفير من أهل الإسلام

---

(١) وفي نسخة : الاتحاد بهذا الإسلام .

عن الصراط المستقيم بتقليد كلمات أكابر أرباب السكر ، ووقعوا في بوادي الضلالة والخسارة ، وجعلوا دينهم هباءً منثوراً ، **ولم يعلموا أنّ قبول هذا الكلام مشروط بالشرائط** ، وهي موجودة في أرباب السكر ، ومفقودة في هؤلاء ، **ومعظم هذه الشروط نسيان ما سوى الحق** سبحانه الذي هو دهليز القبول ، **ومصداقُ امتياز المحق من المبطل : الاستقامةُ على الشريعة** ، وعدم الاستقامة عليها ، والذي هو محق لا يرتكب خلاف الشريعة مقدار شعرة مع وجود السكر وعدم التمييز . **كان الحلاج مع صدور قول** « **أنا الحق** » **عنه يصلي كل ليلة في السجن خمس مائة ركعة مع قيد** ثقيل ، وكان لا يأكل الطعام الذي مسَّه يد الظلمة ؛ ولو كان من وجه حلال ، والذي هو مبطل يكون إتيان الأحكام الشرعية ثقيلاً عليه مثل جبل قاف ﴿**كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾ علامة حالهم ﴿**رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ والسلام على من اتبع الهدى . انتهى عبارته . ١٤٤ ج٢ .

البرج الرابع عشر

في بيان جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء والصالحين

اعلم أيها الأخ قد كان فيما ذكر في البُرْج الذي قبل هذا كفاية لمن تأمّل وتدبّر في جواز التوسّل ؛ بيد أنّ السائل لما أفرد السؤال عن قول صاحب « البغية » لا بدّ من أن يجعل الجواب فصلاً مستقلاًّ .

كتب السائل بهذه العبارات :

قال في « بغية المسترشدين » : وأما جعل الوسائط بين العبد وبين ربّه ! فإن صار يدعوهم كما يدعو الله تعالى في الأمور ، ويعتقد تأثيرهم من دون الله ؛ فهو كفر ، وإن كان مرادُه التوسُّلَ بهم إلى الله تعالى في قضاء

مهماته الدنيوية والأخروية ؛ مع اعتقاد أن الله تعالى هو النافع الضارُّ المؤثّر في الأمور كلها ! فالظاهر عدم كفره ؛ وإن كان هذا الفعل منه قبيحاً . انتهى .

وهذه الصورة الثانية عين ما يكون بين الأستاذ ومريده ، فبين كون هذا قبيحاً وبين وجوب اتخاذ الشيخ تضادٌّ وتعارض ، فهل جميع المشائخ والمريدين على فعل القبيح مع أن قصد جميعهم أنهم على هدى ؟ ! فالجواب لا يُعْقَلُ من عنديته ! ! انتهى .

فنقول في الجواب ـ حامداً لله ، ومصليّاً على نبيه عليه السلام ، ومستعيناً منه سبحانه وتعالى - :

اعلم أيها الأخ المحترم ؛ أن الكلام المذكور قد ذكره صاحب « البغية » في الردة لكن نقلاً عن غيره ، كما أشار إليه بقوله : **مسألة** (ك)[1] - قبل ذلك الكلام إشارة إلى أنه كلام الكردي - ويحتمل أن يكون

(١) قوله مسألة (ك) إشارة إلى ما قاله محمد بن سليمان الكردي ، كما بيَّنه مؤلف « بغية » في ديباجه فافهم . (منه رحمه الله إفلاسه) .

* نقل السيد المرتضى في الجزء الثاني من شرح « الإحياء » في الصفحة العاشرة عن الإمام السبكي كلاماً طويلاً في أوصاف الحشوية ؛ من جملته قوله رضي الله عنه في حق ابن تيمية : ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخاً يهديه وهو على مذهبهم ، وهو جسور متجرّد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى ، وإن الله سبحانه وتعالى ما زال فاعلاً ، وإن التسلسل ليس بمحال فيما مضى ، كما هو فيما سيأتي وشق العصا ، وشوّش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر على العقائد في علم الكلام حتى تعدّى ، وقال : إن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ معصية ، وقال : إنّ الطلاق الثلاث لا يقع ، وإن من حلف بطلاق امراته وحنث لا يقع عليه طلاق . **واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وأن لا يدخل عليه بدواة ومات في الحبس** . ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ، ويعلّم مسائله ، ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتتمه جهراً ، **فعمّ الضرر بذلك** . ثم ذكر الإمام السبكي أنه اطلع على قصيدة نونية طويلة لأحد تلاميذه=

قائله قد صادف شيئاً من بقايا آثار ابن تيمية الذى نقل عنه أنه قال مثل ذلك ، بل أشد منه من الكلمات التي تقشعرّ منه جلود المؤمنين ؛ كما بيَّنَه ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » في بيان أقواله المخالفة لأقوال أهل السنة والجماعة ، والعالم العلامة يوسف النبهاني[1] في ديوانه « المدائح

=واسمه ابن زفيل ؛ كفّر فيها غير طائفته من الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة . قال السبكي : وهؤلاء مسلمون ، وليسوا بكافرين . فالقول بأنّ جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفراً وقد قال ﷺ : « إذا قال المسلم لإخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » . ذكر السبكي جميع ذلك في شرحه على قصيدة مذكورة التي ردّ بها ضلال صاحبها عليه . (يوسف النبهاني المصري ثمّ البيروتي رحمه الله تعالى) .

(١) قال المحقق العالم العلامة الرباني المداح الماهر المعاصر يوسف النبهاني في ديوانه المدائح النبوية في قصيدته الهائية في ص ٢١٤ ردّاً على أهل البدع والضلال :

ولابـــن تيمية لِلمصطفى خِدَمٌ ... لــكنّه لــم يـوفق في تأدّبه

يقول كالمشركين الـمستغيثُ به ... وقـد عصى زائر يسعى لِيَثْربه

وقد كان ابن تيمية علمه أكبر من عقله ، كما قاله العلماء . ولذلك صدر منه ما صدر ، من قلة الأدب في مسألة الزيارة والإستغاثة في حق سيد الوجود ﷺ . انتهى . وقال أيضاً في شرح البيت الثاني : تعبير ابن تيمية بالمشركين في حق الزوار والمستغيثين قصد به أنهم كالمشركين وإلا فهو لم يكفّرهم بذلك . فجاء من بعده محمد بن عبد الوهاب النجدي شيخ الطائفة الوهابية فتبع ابن تيمية بذلك وزاد عليه هو وطائفته تكفير المسلمين بذلك ، حتى كانوا يجاهدون فيهم في الحجاز وغيره ، كجهادهم بالكفار ، وتبعهم في هذه الأيام على عقيدتهم جماعة فساق مجرمون ، نفتهم مذاهب الأئمة الأربعة أركان الإسلام ، مثل جماعة محمد عبده المصريّ الذين انتشروا في بلاد مصر والشام ، ولم يقتصروا على مذهب الوهابية وبدع ابن تيمية بل زادوا ضلالات كثيرة ، كادوا يخرجون بها من الإسلام . انتهى . وقال المداح المذكور قبل هذا في صحيفة ٣٧٠ من القصيدة الرائية : يرى لفتى تيمية بابتداعه * وزلاته في الدين منقبة كبرى * ويمدح وهابية لمسائل * بها قد أتوا نُكْراً وضلوا بها فكراً .

فتى تيمية هو الإمام تقي الدين بن تيمية صاحب الأراء الفاسدة التي ابتدعها في دين الإسلام ؛ مع كونه من العلماء الأعلام رحمه الله وعفا عنه . والوهابية منسوبون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الإسلام ، وزاد عليه أنه كفّر كل من يستغيث بالأنبياء والأولياء الكرام . كما

النبوية » في قصيدته الهائية في ٤١٢ و« شواهد الحق » ، فتابعه في ذلك واستروح[1] ؛

القول في ابن تيمية

وقد قال ابن جحر في حقه ما نصُّه : **ابن تيمية عبدٌ خذله الله ، وأضله وأعماه ، وأصمَّه وأذله . انتهى .**

وقال أيضاً : **والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى فى كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالٌّ ومضلٌّ ، جاهل غالٌّ** ، عامله الله بلطفه . انتهى من « الفتاوى الحديثية » راجع في ٨٦ ومثله في « التحفة » ، و« الرملي » ؛ في كتاب الطلاق ، وكيف كان حال قائله ؛ فقد يردُّه ويعارضه كلام مؤلف « بغية المسترشدين » نَفْسِهِ بهذا النص :

ذكره العلماء الأعلام كابن عابدين في « حاشية الدر » والسيد أحمد دحلان في « الفتوحات الإسلامية » وغيرها . وابن تيمية إنما كان يبدّع من استغاث بغير الله ويمنع ذلك منعاً شديداً لا يبلغ به درجة التكفير وإن كان هو أيضاً يسميهم المشركين لكن شرك دون شرك . انتهى . وكان لابي الحسن السبكي كتاباً مسمى بـ« شفاء السقام » في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، ألّفه في الرد على ابن تيمية وغيره من أئمة بدعة الذين يمنعون الزيارة والإستغاثة به . قال القسطلاني فشفى به صدور المؤمنين كما صرّحه ذلك المداح المذكور. **فالحاصل لم ينكر أحد على الزوارين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء وغيرهم إلاّ هذه الطائفة الشنيعة** وقد بقيت شعبتهم في ديار مصر والشام في هذه الأيام والأيام الخالية كمحمد عبده المصري وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا صاحب « مجلة المنار » وشكري الألوسي البغدادي وعبد الباقى وعلي أفندي ونعمان أفندي وإخوته مصطفى أفندي وعارف أفندي ورشدى أفندي وأضرابهم التابعين بهم إلى يومنا هذا . ولعل السائل البرجي لا يميل قط إلى اعتقاداتهم الفاسدة وأهويتهم الكاسدة . والسلام على من اتبع الهدى (لمحرره العوري غازي محمد) .

(١) من الاستراحة ؛ أي طلب الراحة ؛ باختصار الكلام (مختار) .

جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء

مسألة (ج)[1] : التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم مباح شرعاً ؛ كما وردت به السنة الصحيحة ؛ كحديث آدم عليه السلام حين عصى ، وحديث من اشتكى عينيه ، وأحاديث الشفاعة .

والذى تلقيناه من مشائخنا ؛ وهم عن مشائخهم ؛ وهلمَّ جرّاً : أن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد ، وكفى بهم أسوة ، وهم الناقلون لنا الشريعة ، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا ، فلو قدَّرنا أن المتقدمين كفروا - كما يزعمه هؤلاء الأغبياء - لبطلت الشريعة المحمدية .

وقول الشخص المؤمن (يا فلان) عند وقوعه في شدة ؛ داخلٌ في التوسُّل بالمدعوّ إلى الله تعالى ، وصرف النداء إليه مجازٌ ؛ لا حقيقة !

والمعنى : يا فلان أتوسَّل بك إلى ربي أن يقيل عثرتي ، أو يردَّ غائبي مثلاً ، فالمسؤول في الحقيقة هو الله تعالى ، وإنما أطلق الاستعانة بالنبيّ أو الوليّ مجازاً ؛ والعلاقة بينهما : أن قصد الشخص التوسلَ بنحو النبي صار كالسبب ، وإطلاقه على المسبَّب جائز شرعاً وعرفاً ، وارد في القرآن والسنة ، كما هو مقرّر في علم المعاني والبيان .

نعم ؛ ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدلُّ على القدح في توحيدهم ، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضارّ إلا الله تعالى ، لا يملك غيره لنفسه ضرّاً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى .

قال تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام ﴿ **قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا** ﴾ انتهى .

---

(١) قوله مسألة (ج) هو إشارة إلى ما قاله علوي بن سقاف بن محمد الجفري ، كما بيَّنه صاحب « البغية » في ديباجه . فافهم . (منه) .

قلت : وقال بعض المحققين : ولا يظهر لي : أنّ حكمة توسُّل عمر بالعباس - رضي الله عنهما - دون النبي ﷺ هي مشروعية جواز التوسل بغيره عليه السلام ، وذلك لأن التوسل به أمر معلوم محقق عندهم ، فلو توسل بالنبي عليه السلام لأخذ منه عدم جواز التوسّل بغيره ﷺ .

وعبارة (ك) : وأما التوسل بالأنبياء والصالحين ! فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وقد أطبقوا على طلبه ، بل ثبت التوسُّل بالأعمال الصالحة ، وهي أعراض ، فبالذوات أولى ! انتهى عبارته .

ثم ذكر مثل ما مرَّ من الكلام المذكور الذي ذكره في (الردة) فراجعه في ٣٢٩ . هذا كلام صاحب « البغية » ، والحقير لا يرى في الكلامين(١) إلا التعارض الظاهر ، والتخالف البيِّن ، والله أعلم . ونسأله التوفيق .

وأما أقوال سائر الأكابر من العلماء العارفين ! فكثيرة لا تحصى ، فقد قال الشيخ الصاوي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ : فمن الضلال البين والخسران الظاهر ؛ تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله ؛ زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله ، كلا(٢) ! بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها

---

(١) أي : في الكلام الذي ذكره في الردة ، والكلام الذي ذكره في موضع آخر . (منه) .

(٢) وسئل رضي الله عنه عن زيارة **قبور الأولياء** في زمن معين مع الرحلة إليها : هل يجوز مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاسد كثيرة كاختلاط النساء بالرجال ، وإسراج السراج الكثيرة وغير ذلك ، **فأجاب** بقوله : زيارة **قبور الأولياء قربة** مستحبة وكذا الرحلة إليها . وقول الشيخ أبي محمد : لا تستحب الرحلة إلا لزيارته ﷺ ، ردّه الغزالي بأنه قياس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق ، فإنّ ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل ، فلا فائدة في الرحلة إليها . وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم ، فكان للرحلة إليهم فائدة أيّ فائدة ، فمن ثم سنت الرحلة إليهم للرجال فقط ، بقصد ذلك . **وانعقد** نذرها كما بسطت الكلام على ذلك في شرح « العباب »=

رسول الله ﷺ : « ألا لا إيمان لمن لا محبة له » . والوسيلة التي قال الله تعالى فيها ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ انتهى عبارته من سورة المائدة .

وقال الشيخ الصاوي أيضاً في تفسير آية ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أرباباً « جلال » ؛ من صورة الكهف . وبتفسير[1] (الأولياء) أرباباً رفعت شبهة من يزعم أن محبّة الأولياء وزيارتهم إشراك . واستدلوا بمثل هذه الآية ، فيقال : إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرُّون الخلق وينفعونهم بذواتهم ؛ فمسلَّم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته ، واختارهم وأحبَّهم ؛ فهذا الاعتقاد مُنْجٍ من المهالك ، ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام ؛ لما ورد « المرء مع من أحب » . انتهى عبارته .

وفي « الصاوي » أيضاً في سورة التوبة في آية ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ

=بما لا فريد على حسنه وتحريره . وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات فالقربات لا تترك لمثل ذلك بل على إنسانٍ فعلها وإنكار البدع وإزالتها إن أمكنه . وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب : أنه يفعل ولو مع وجود النساء ، وكذا الرملي لكن أمروه بالبعد عنهن . فكذا الزيارة إلا مع وجود تلك المفاسد ، فإن تيسرت مع عدم المفاسد فتارة يقدر على إزالته كلها أو بعضها ، فيتأكد له الزيارة مع وجود تلك المفاسد ليزيل منها ما قدر عليه . وتارة لا يقدر على إزالة شيء منها ، فالأولى له الزيارة في غير زمن تلك المفاسد ، بل لو قيل يمنع منها حينئذ لم يبعد . ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع نحو الطواف والرمل بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والرمي إذا خشي الاختلاط أو نحوه ، فلما لم يمنع الأئمة من شيء من ذلك مع أن فيه اختلاط أيّ اختلاط ، وإنما منعوا نفس الاختلاط لا غير ، فكذلك هنا . **ولا تغتر بخلاف من أنكر الزيارة** خشية الاختلاط فإنه يتعين حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه ، وإلا لم يكن له وجه . **وزعم : أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف ، ممنوع . فبتقدير تسليمه فليس كل بدعة منهياً عنها بل قد تكون البدعة واجبة** فاضلاً عن كونها مندوبة كما صرّحوا به « فتاوى الكبرى » لابن حجر ٣٢ ج٢ .

(١) مقول .

مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ الآية و(صلوات الرسول) أي : دعواته . لأنه الوسيلة العظمى في كل نعمة ، فتجب ملاحظته في كل عملٍ لله ، لأنّ الله تعبَّدنا بالتوسل به ، قال تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فمن زعم أنه يصل إلى رضى الله بدون اتخاذه ﷺ واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضل سعيه .

قال العارف ابن مشيش : **ولا شيء إلا وهو به منوط ، إذ لولا الواسطة لذهب - كماقيل - الموسوط .**

و قال بعضهم :

وأنت باب الله أيُّ امرءٍ أتاه من غيرك لا يدخل

حضرة الله وحضرة رسول ﷺ واحدة

فهو باب الله الأعظم وسره الأفخم ، والوصول إليه وصول إلى الله ، لأنّ الحضرتين واحدة ، ومن فرق لم يذق للمعرفة طعماً . انتهى عبارته .

وفيه في تفسير قوله تعالى ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الصنم « جلال » ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ الآية ، قوله (من الصنم) لامفهوم له ، بل مثله كل مخلوق .

والحاصل : **أن العبرة بعموم اللفظ** ، لا بخصوص السبب . فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق : معتمداً على ذلك المخلوق ، **وأما الالتجاء للمخلوق من حيث أنه مهبط الرحمات كمواصلة أهل البيت والأولياء والصالحين ! فهو مطلوب** وهو في الحقيقة التجاء للخالق ، يقرب ذلك : أنّ الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد ، والطواف بالبيت ، وقيام ليلة القدر ونحوها ، وما ذاك إلا للتعرُّض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان ، فلا فرق بين الأشخاص وغيرها ، فهم مهبط

الرحمات ، لامنشؤها ! ! تأمل . انتهى ، فراجعه في سورة الحج . وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي - رحمه الله - في كتاب « رماح حزب الرحيم » : اعلم أن التعلق بأولياء الله ، واللياذ[1] بجنابهم ، والانحياز إليهم تعلق بجنابه الكريم ، ووقوف ببابه العظيم ، **لأنهم أبواب رحمة** الله تعالى دنياً وأخرى ، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم ، وهم الوسائل ، ولولاهم لهلك الكل ؛ كما قيل : **لولا الواسطة لذهب الموسوط** . قال تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ** ﴾ قال الترمذي : **إن أكرمتم أوليائي أكرمتكم** . انتهى . وقال تعالى ﴿**وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا**﴾ .

ثواب الدنيا وثواب الآخرة

قال بعض العارفين ؛ على طريق الإشارة ؛ ثواب الدنيا صحبة الأولياء ، وثواب الآخرة صحبة الحق .

وقال تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ**﴾ .

قال بعضهم : وتعاونوا على البرَّ والتقوى وهو طاعة الأكابر من السادات والمشائخ ، ولا تضيِّعوا حظوظكم منهم ، ومن معاونتهم خدمتهم ، ولا تعاونوا على الإثم ؛ وهو الاشتغال بالدنيا ، والعدوان : موافقة النفس على هواها ومرادها . انتهى ١٨ ج١ .

وقال فيه : وفي « تنبيه المغترين » للشيخ الشعراني : وكان أبو هريرة يقول : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله عز وجل : هل أحببت لي ولياً حتى أهبك له ؟ ! فأحبوا يا إخواني الصالحين ، واتخذوا عندهم أيادي ، فإنّ لهم دولة يوم القيامة . انتهى .

---

(١) لاذ به : التجأ له « مختار »(هامش الأصل) .

وفي الطبراني : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها ، لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً » فيا فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها ، واستمدوا من تلك النفحة مدداً .

وإذا كان عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف تتنزل الرحمات وعواطر النسمات ؛ فما بالك بمحبتهم وخدمتهم ، والانحياز إليهم واللياذ بهم ، ومصاحبتهم ومخالطتهم ، ودوام النظر إلى طلعتهم البهية ؟ ! انتهى ٢٠ ج١ .

وفي« الرماح » أيضاً قبيل هذا : وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ قال شيخنا - رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وعنا به - : يؤخذ من هذه الآية على طريق أهل الإشارة : وابتغوا إليه الوسيلة التي لا تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به ، **ولا وسيلة أعظم من النبي** ﷺ ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ .

ومن جملة ما يبتغى من الوسيلة إلى الله تعالى : الشيخ الكامل ، فإنه من أعظم الوسائل إلى الله تعالى انتهى . و« المرء مع من أحب »[1] ، و« من أحب قوماً فهو معهم » . انتهى ١٩ .

من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده

وفي « الفتاوى العمرية » وأما قوله (يا شيخ عبد القادر) فهو نداء ، وإذا أضيف إليه (لله) ؛ فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب

---

(١) وقال ﷺ « مثل المؤمن كمثل الروح من الجسد » ومن السنة أن لا يواخي إلا من يثق بدينه وأمانته ، ويعرف صلاحه وتقواه ، فإن المرء مع من أحب وإن لم يلحقه بعمله . وإن الله ربما يرى في قلب وليّه إنساناً فيرحمه ويلحقه به « شرعة الإسلام » . ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمل لكان منهم ومثلهم ، ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن يكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كلّ وجه ، (شرح (م)) .

لحرمة ذلك ؟« فتاوى خليلي » عبارته .

وفي مناجاة زين العابدين :

فيا أقطاب ويا أوتاد ويا أسياد أجيبونا

ذوي الأمـداد . . . . .إلخ

وقد سمعت واحداً يسأل شيخنا العسلي – قدس سره – : هل يجوز نداء المشائخ ؟ فقال : نعم يجوز ، ويسمعون ذلك ويجيبونه . انتهى .

وهو[1] مستنبط مما قيل : من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده ، ولو كان بينه وبينه مسافة ألف سنة ، أو ما هذا معناه .

وقال محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادي الصيادي الرفاعي – رحمه الله تعالى – في « نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف » : أما الاستغاثة بالنبي ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين ؟ !

فالجواب : أنه لا يخفى أن الاستغاثة به ﷺ عبارة عن سؤال الشفاعة[2] من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج ، ودفع النوائب ، وتفريج الكرب ، والأخذ بالثأر ، ولاريب أن كل من يناديهم من أمة محمد ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعي للعبادة إلا الله ، ولا يفعل ما يراد ولا يمنح ما يطلب إلا الله .

---

(١) أي : قوله .

(٢) وقد ورد في الحديث : « استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » . قال المناوي : فكلما كثرت إخوانكم كثرت شفعاؤكم ، وخرج بالأخيار غيرهم ، فلا يندب مؤاخاتهم ، بل يتعيَّن اجتنابهم ، وبذلك يجمع بين الأخبار . فصحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ؛ كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرَّت على الطيب حملت طيباً . كذا في « السراج المنير » في شرح هذا الحديث . راجعه في ٧٩١ ج ١ . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستعانة بعباد الله ؛ فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي - طاب ثراهما - أن رسول الله ﷺ أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول : يا عباد الله احبسوا . (ثلاث مرات) . وفي رواية أخرى : وإذا أراد عوناً فليقل : يا عباد الله أعينوني .

وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » وابن الجوزي في « مثير الغرام » ، وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرته ، فجلست بحذائه ، وذكر نحو ما يأتي .

وروى السمعاني عن أمير المؤمنين سيدنا علي - كرم الله وجهه ، ورضي الله عنه - أنه قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ؛ قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي . فنودي من القبر : إنه قد غفر لك .

وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به ، والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه .

هذه السيدة زينب الطاهرة بنت البتول(١) - عليها السلام - لما مرت

---

(١) والبتول من النساء : العذراء المنقطعة من الأزواج ، وقيل : هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا . « مختار » . (هامش الأصل) .

* فائدة : ورد أنه ﷺ قال « من صلى عليّ في يوم خمسين مرة صافحته يوم القيامة » . وذكر ابن المظفر أنه لو قال : اللهم صلّ على محمد خمسين مرة ؛ أجزأه إن شاء الله تعالى وإن كرر ذلك فهو أحسن . انتهى . قال ع ش : ولم يتعرض لصيغة الصلاة على النبي ﷺ ، وينبغي أن تحصل بأيّ صيغة كانت . « بغية » ٧٧ .

* أوحى الله إلى داود : (ما من عبد يعتصم بي) - أي : يتمسك بي (دون خلقي) - أعرف ذلك من نيته - (فتكيده السموات بمن فيها) - من الملائكة وغيرهم وكذلك الأرض ومن فيها - (إلا جعلت من ذلك مخرجاً) - أي : مخلصاً من خداعهم له=

بمصرع الحسين - عليه السلام - صاحت : يا محمداه ! ! صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مزيَّل بالدماء . كما ذكر ذلك ابن الأثير وغيره . والقصة شهيرة متواترة ، والقائلة لهذا بنت المصطفى ، وقد شكت الحال لجنابه الكريم ، ونادته واستشفعت به ؛ فغار الله لنبيّه ، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم ، ومزقهم كل ممزّق ، وثبتت نصرة الله لأوليائه .

وقد استفاض بين المسلمين توسل آل النبي ﷺ ؛ طبقة بعد طبقة به عليه الصلاة والسلام ، وبذريته وآل بيته ، وهم بيت النبوة ، ومعدن أسرار الوحي وكنوز الشريعة(١) .

وقد نقش بعض الأئمة منهم خواتمهم بمثل هذا ، فكتبوا فيها :

ظـــني بـالله حسن　　وبالنبي ذي الـمنن

وبالوصي المؤتمـن　　وبالحسين والحسن

وما ذلك إلا أنهم جعلوهم شفعائهم ووسائلهم إلى الله سبحانه .

=ومكرهم به - (وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه) - أي : حجبت ومنعت عنه الطرق والجهات التي يتوصل بها إلى نيل مطلوبه - (وأسخت الهوى من تحت قدميه) - فلا يزال متباعداً عن أسباب الرحمة - (وما من عبد يطيعني) - باجتناب الكبائر - (إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له قبل أن يدعوني ، وغافر له) - ذنوبه الصغائر - (قبل أن يستغفرني) .

* (إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه) - في الدين - (أن يتزحزح له) - أي : يتنحى عن مكانه ويجلسه بجنبه إكراماً له فيندب ذلك سيما للنحو عالم أو صالح أو ذي شرف . « سراج » ١١ ج٢ ، أي : يوسع له ، أي : فينبغي له أن يوسع له وإن كان في المجلس اتساع تعظيماً له لا سيما العلماء والصلحاء إكراماً لهم : وولاة الأمور اتقاء شرّهم ، فإنه ينبغي تعظيمهم بما يرونه تعظيماً لئلا يحقدوا عليه .

(١) ويستحب أن يستسقى بالأكابر وأهل الصلاح لاسيما من أقارب رسول الله ﷺ وأن يذكر كل أحد في نفسه خيراً فعله ويجعله شفيعاً « أنوار » .

قال في « الكشاف » عند الكلام على قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ألا كُلُّ ذي لبٍّ إلى الله واسل .

وقد توسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنبينا ﷺ قبل خلقه ، كما صحّح ذلك عمدة الثقات ؛ منهم الحاكم وصحح إسناده .

وعن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة ، قال يا رب ؛ أسألك بحق محمد لما غفرت لي . فقال الله تعالى : يا آدم ؛ كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ! قال : يارب ؛ لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحبّ الخلق إليّ ، إذا سألتني بحقه[1] فقد غفرت لك ، ولو لا محمد ما خلقتك » . رواه الطبراني وزاد : وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

التوسل بالنبي ﷺ وبمن أحبّه جائز

قلت : ومن هنا يعلم أن التوسل بالنبي ﷺ ، بل وبكل من أحبّه الله تعالى جائز أيضاً ، وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى ، ولا ريب أن سيد المخلوقين وأكرم المقربين إلى الله إنما هو نبينا المصطفى ﷺ .

ومما يثبت جواز الاستغاثة بعباد الله الصالحين خاصة : ما أخرجه

(١) **والمراد بحقه** ﷺ : رتبته ومنزلته لديه تعالى ، أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى على الخلق ، أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضله له عليه . كذا في « شواهد الحق » . فراجعه في ٦٦ . (منه) .

الطبراني في « الكبير » بسنده إلى عقبة بن غزوان ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ضلّ أحدكم شيئاً ، أو أراد عوناً ، وهو بأرض ليس بها أنيس ، فليقل (ياعباد الله أعينوني) فإن لله عباداً لا تراهم » . وقد جرب ذلك . انتهى ما قاله الطبراني .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً « إذا انفلتت دابته فليناد يا عباد الله رحمكم الله » .

ومن الأخبار التي جاءت بالتوسل بالجناب النبوي عليه الصلاة والسلام حال حياته في الدنيا : ما رواه جماعة ؛ منهم النسائي ، والترمذي ؛ في الدعوات ، والبيهقي عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : « إن شئت دعوتُ ، وإن شئت صبرتَ ؛ فهو خير لك » قال : فادع . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم شفّعه فيّ » . فقام وقد أبصر[1] .

وقد توسل ﷺ بنفسه الطاهرة ، وبإخوانه الذين من قبله عليهم الصلاة والسلام ، وذلك فيما أخرجه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط »[2] ؛ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد ، دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمي بعد أمي » وذكر ثناء عليها ، وتكفنها ببرده ؛ قال : ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة

---

(١) وفي رواية : قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرّ قط . وخرّج هذا الحديث البخاري في« تاريخه » ، وابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » بإسناد صحيح . « الأساليب البديعة » . (هامش الأصل) .

(٢) وابن حبان ، والحاكم ، وصححوه . « الأساليب البديعة » ٦٧ .

بن زيد وأبا أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود ، يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد ، حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت . وهو حي لا يموت ؛ اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله ، فإنك أرحم الراحمين » وكبّر عليها أربعاً ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .

أقول : فإذا توسّل هو ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الأنبياء الذين من قبله ، فكيف تمنع أمته ﷺ من التوسل به وبإخوانه النبيّين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ !

وأما التوسل به ﷺ بعد وفاته ! فقد سبق لك خبر الأعرابي الذي حثا على رأسه من تراب قبره ﷺ ، وخاطبه من قبره الكريم قائلاً : إنه قد غفر لك . وذلك بمشهد من الصحابة الكرام ، وقد رويت هذه القصة الشريفة بمحاضر أعيانهم ، وأكابر تابعيهم ، فما أنكرها منهم أحد ! مع أنهم أهل الحق ، ولا ينحرفون[1] مقدار شعرة من الصدق .

وروى الطبراني عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً كان يختلف[2] إلى عثمان – رضي الله عنه – في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف ، فشكى إليه ذلك ؛ فقال له : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد ؛ إني أتوجه بك إلى ربك لِتُقْضَى حاجتي ، وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى

---

(١) وفي نسخة : يتحرفون .
(٢) أي : يجيء خلفه .

باب عثمان – رضي الله عنه – فجاءه البواب ، حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه على الطنفسة ؛ فقال : حاجتك ! فذكر حاجته وقضاها له . ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، وقال : ما كانت لك حاجة فاذْكُرْها .

أقول : كان ذلك ببركة توسّله بنبيّنا المكرم الوجيه الوجه عند الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أرشدنا المصطفى – عليه الصلاة والسلام – للتوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين ، وقد سبق لك أمره ﷺ لمن انفلتت دابته أن يقول : « يا عباد الله احبسوا » . (ثلاثاً) ولمن أراد عوناً : « ياعباد الله أعينوني » . وغير ذلك من الأخبار الشريفة ، والآثار اللطيفة .

فال سيدنا القطب السيد أحمد عز الدين الصياد سبط الإمام الرافعي – رضي الله عنهما – في « الوظائف الأحمدية » : ولا بدع[1] فإن الله يفرِّج كروب المكروبين حرمة لأوليائه وأحبابه ، ويقضي لهم بشفاعتهم عنده حوائجهم .

ونقل عن الخطيب البغدادي – قدس الله روحه – ما رواه بسنده عن الحسن بن إبراهيم الخلال أنه قال : ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به ، إلا سهّل الله سبحانه لي ما أحبّ .

جعل الوسيلة إلى الله إعظام لجانب التوحيد

وقال في« الوظائف الأحمدية » : لايخفى عليك أن جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد ، فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه ، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربّه الفعال المطلق ، فتجتمع

---

(١) أي لاشك . (هامش الأصل) .

همته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه ؛ اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب ، وإعظاماً لقدرته ، وإيماناً بأنه هو الفعَّال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية عنده ؛ لاتِّباعهم نبيَّه الكريمَ ، ولوقوفهم عند أمره العظيم .

ثم قال - رضي الله عنه - : وهذا أدب[1] الأحمديين - رضي الله عنهم - ، فلا يخرقون لظاهر الشريعة سياجاً ، ويعتقدون بكرامات الأولياء ، ويجزمون بإكرام الله لهم ، وغيرته لأجلهم ، ولا يقولون بتأثير مخلوق . انتهى .

قلت : يريد أنهم لا يثبتون استبداداً في الأفعال لمخلوق إلا بقدرة الله تعالى ، وإذنه سبحانه ، ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾ .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : أن إبراهيم الحربي كان يقول : قبر معروف الكرخي الترياق المجرب . **أقول** : وذكر مثل هذا الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - في « تاريخه » .

وصحَّ أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - **قال : قبر موسى الكاظم ترياق مجرب .**

وأما من أفرط ؛ واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرفون مستبدون ، قادرون بأنفسهم على الفعل ، والقطع والوصل ، من غير التجاء إلى الله تعالى وتوجه إليه ، فهو ممكور مبعود ، وقوله مردود ، وهو من الضلال بمكان ، والعياذ بالله تعالى .

ومن فرطوا وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام ، والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى بعبدة الأوثان ! فهم أقبح من أولئك ، وأسوأ وأضل سبيلاً ، ويقال بشأن[2] مثلهم

---

(١) وفي نسخة : دأب .

(٢) وفي نسخة : شأن .

قول القائل : ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ! . اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ، اهدنا الصراط المستقيم .

وملخَّص ما قاله شيخ الأمة مولانا وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي -رضي الله عنه - في « برهانه » و« حكمه » وكثير من كتبه : أنّ التوسّل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى لهم ، ومحبة الله لعباده الصالحين صفة له سبحانه ، ونعم الوسيلة إليه تعالى صفته جل وعلا ، وما بقي بعد هذا إلا العناد ، واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد .

وأما اطلاع الميت بحاسة بصره وسماعه لكلام الحي!

للميت اطلاع ببصره وسمعه

فالجواب فيه أن ابن الهمام - رحمه الله - ذكر في « فتح القدير » أنهم قالوا في زيارة القبور : الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى ، لا من قبل بصره ، فإنه أتعب لبصر الميت ، بخلاف الأول ، لأنه يكون مقابلاً لبصره ، ناظراً إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه[1] . انتهى .

وبهذا أثبت - قدس الله روحه - **للميت اطِّلاعاً بحاسة بصره ، وأنّ أطباق الثرى لا تمنع بصره عن رؤية الزائر ،** وعلى هذا فبالأولى أن لا تمنع حاسة السمع ، **لأن حاسة البصر أضعف من حاسة السمع .**

وقد خرج الشيخان عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال « العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم ؛ أتاه ملكان فأقعداه . . . . » . الحديث .

وقد أمر الشارع الكريم عليه الصلاة والسلام بخطاب أهل القبور

---

(١) وراجع « شواهد الحق » في٦٤ ففيه نظيره ، وإلى « بغية المسترشدين » في ٧٩ ففيه زيادة . (منه) .

بقول : السلام عليكم ، وقد سلّم ﷺ على أهل البقيع ، وحاشا أن يكون من العبث ، ومع كل هذا فالعلم ثابت حصوله ، على أن العلم يكون بالروح ، وهو باق لتعلقه بالروح ، ولا مجال لإنكار سماع الأموات وعلمهم بعد الأدلة الصحيحة المصرّحة بذلك عند أهل السنة والجماعة البتة .

ميت يقرأ القرآن

كيف وقد ثبت للموتى ما هو فوق السماع والإبصار ؛ وهو الكلام وقراءة القرآن ؟ ! فقد ثبت فيما أخرجه الترمذي وحسّنه عن سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ حتى ختمها ، فقال النبي ﷺ : « هي المانعة ، هي المنجية ؛ تنجيه من عذاب القبر » .

أقول : **وهذا** كاف لإثبات كلام الموتى وشعورهم وقراءتهم القرآن ، وكم من مثل هذا من الأخبار والروايات الوثيقة التي كادت تخرج عن دائرة الحصر ! .

نداء الغائب والميت

وأما جواز نداء غير الله ، وجواز نداء الغائب والميت ، والتوسّل بالنبي ﷺ وبالأنبياء والأولياء ! **فالجواب** : أخرج ابن السني في « **عمل اليوم والليلة** » عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع ابن عمر ، فخدرت[1] رجله فجلس ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس

(١) خدر العضو خدراً ؛ من باب تعب : استرخى فلا يستطيع تحريكه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إليك ، فقال : يا محمداه : فقام فمشى .

وأخرج أيضاً عن الهيثم قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فخدرت رجله ؛ فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك . فقال : يا محمد . فقام كأنما نشط من عقال . فمن هذا وأمثاله يعلم جواز نداء غير الله ، بل وجواز نداء الميت بعد موته ، قريباً كان منه أو بعيداً عنه ، وليعلم أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يتحقق أنه لا يدعي للعبادة إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما المسلمون ينادون من ينادون من أحباب الله وأوليائه على جهة الشفاعة عنده ، ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان ميتاً أو حياً ، غائباً أو حاضراً لا بأس به ، **أما نداء الحاضر! فلا يشك في جوازه عاقل** .

وأما نداء الغائب ! فكافٍ في جوازه نداء سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب على منبر المدينة لسارية[١] رضي الله عنه وهو غائب في بلاد العجم ، وأمر النبي ﷺ لمن أراد عوناً أن يقول : « يا عباد الله أعينوني » كما سبق .

وأما نداء الميت! فيكفي في جوازه **نداء النبي** ﷺ **أصحاب القليب**[٢] **يوم بدر** بأسمائهم واحداً بعد واحد ، وهو يقول : « إني وجدت ما وعدني ربي حقّاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً ؟ ! » فقيل له عليه الصلاة والسلام : كيف تناديهم وهم أموات ؟ ! فقال : « والذي نفسي بيده ؛ ما أنتم بأسمع لكلامي منهم[٣] » .

---

(١) وبينهما مسيرة شهرين . كما في « الصاوي » (منه) .

(٢) القليب : البئر . « قاموس » . (هامش الأصل) .

(٣) وكون الميت لا يقرأ عليه ، ممنوع لبقاء إدراك روحه فهو بنسبة لسماع القرآن وحصول بركته كالحي إلخ ؛ ابن حجر من الجنائز . وسماع الموتى هو الحق ؛ ابن حجر وراجع « البغية » في ٧٩ صحيفة ، ففيه زيادة من الوصية .

مطلب : الفرق بين النداء والدعاء

وهنا سرّ لطيف : وهو أن النداء من المخلوق للمخلوق ليس بعبادة له أصلاً ، والدعاء أخصّ من النداء وهو خاص بالله جل وعلا ، ومثاله قول العبد : يا رب ، يا الله ، ونحو ذلك . والطلب إن كان من المخلوق للخالق تعالى سمي دعاءَ عبادةٍ ، وإن كان من المخلوق لمن هو مثله أو أعلى رتبة من المخلوقين سمي نداء .

نعم؛ يتضمن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الإعانة والإغاثة والشفاعة منه ، وهذا لا بأس به أصلاً ، لأن الأحاديث والأخبار قد صرّحت بأن الأنبياء والأولياء لهم الشفاعة عند الله على قدر مراتبهم في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا : بإجابة الدعاء ، ودفع البلاء ، ونزول الغيث ، وحلّ المشكلات . وفي الآخرة : بتفريج كربات القيامة وأهوالها . وكلٌّ ثابتٌ بالأحاديث الشريفة ، والأخبار المنيفة ، قال ﷺ : « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مئة أهل بيت من جيرانه البلاء » ، فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف لا يستشفع بالرجل الصالح في المهمات ؟ !

وفي « الأوسط » قال ﷺ : « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل[1] الرحمن ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحد إلا بدّل الله مكانه آخر » .

وبهذا ثبت أن السماء تمطِر ببركاتهم ، والنصرة على الأعداء تحصل بعنايتهم ، فكيف لا يستغاث بهم إلى الله ، ويتوسَّل بجاههم ، ومحبة الله لهم ، وهم أحبابه وأهل حضرته ؟ ! ولم يَرد في الكتاب ولا في السنة أن الله تعالى أو نبيّه الأعظم ﷺ قال : لا تنادوا نبياً ولا ولياً على جهة الشفاعة ، والذي احتجَّ به البعض من قوله تعالى ﴿**فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ**

---

(١) أي : في المشرب . فافهم ! (منه) .

﴿ أَحَدًا ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ، ونحو ذلك من الآيات الكريمة الفرقانية ، فالخطاب فيها للمشركين الذين يدعون مع الله غيره ؛ أي يعبدونه ، ويفسِّر هذا قوله تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء .

وعلى كل حال ؛ فالتوسُّل إلى الله بأنبيائه وأوليائه من سيرة السلف الصالح ، ومن الأسباب المأمور بتعاطيها شرعاً وعقلاً ، **والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى ، والأسباب لا تأثير لها** باعتقاد جميع المسلمين ، وما المنادي المتوسِّل إلا كمريض تناول دواء فأكله وهو يعتقد أن الدواء سبب ، والله هو الشافي المعافي حقيقة ، والدواء لا تأثير له البتة .

ولا يقول عاقل من خَدَمَةِ الشريعة في مشارق الأرض ومغاربها لشارب الدواء : أشركتَ . ولا يقدر أن يمنعه عن تناول الدواء .

قول : أدركنا يا رفاعي وأمثاله

وما بقي بعد هذه الأدلة الواضحة إلا الصمم عن الحق ، والانحراف عن الطريق الأحق ، فإن المنادي يقول مثلاً : أدركنا يا رفاعي ، أو أغثنا يا وليَّ الله ، ويعتقد أنه سبب لحصول الخير ، والنجاة من الضرّ ، والله هو المعطي المانع ، الضار النافع ، والوليّ بمنزلة الدواء ، فمن الذي ينقض كلامَه ، أو يُفَرِّقُ له بالطعن سهامه ، والمثال ظاهر لا نزاع فيه ؟

وأما من قال بالنداء معتقداً تأثير المنادى من دون الله ! فهو من الممكورين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . انتهى .

ورأيت في « آثار » اليراغي قدس سره ما نصّه : ثم إنَّا لما رأينا كثرة التَّباعد والتَّباين بيننا وبين ذلك المَفزع إليه ؛ المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام الأوفي ، قصدنا إهداء المدائح إلى مشائخنا الكرام ، سادتنا

النقشبندية الفخام ؛ بمدح كل واحد منهم توسُّلاً إلى جاه حِبِّنَا[1] رسول الثقلين ﷺ ، ثمَّ به إلى حضرة خالق الكونين ؛ اقتداء بقول « البهجة » :

والأفضل استسقاؤهم بالأتقياء   لاسيما مِنْ آل خير الأنبياء

الاستشفاع بفعل الخير

وقد قال الشربيني في « إقناعه » : ويسنّ لكلِّ أحد ممن يستسقي أن يستشفع[2] بما فعله[3] من خير ؛ بأن يذكره في نفسه ؛ فيجعله شافعاً ، لأن ذلك لائق بالشدائد ، كما في خبر الثلاثة[4] الذين أووا إلى الغار . **وأن يستشفع بأهل الصلاح ، لأنَّ دعاءهم أقرب للإجابة ، لا سيما أقارب النبي** ﷺ ، كما استشفع عمر بالعباس رضي الله عنهم فقال : اللهم إنَّا كنا إذا قَحِطنا نتوسَّل إليك بنبيّنا فسقينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . رواه الشيخان . انتهى .

وفي « البهجة » قبل البيت المذكور :

ويــذكر الإنــسان سرّا عمله   مــن الجــميل شفيعاً جعله

انتهى

(١) الحِب - بالكسر - الحبيب . « مختار » . (هامش الأصل) .

(٢) أي يتوسّل « بجيرمي » ١٠٢ (هامش الأصل) .

(٣) وفي « غرائب القرآن » في قوله تعالى ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ من سورة مريم : ثم إنه توسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ بما سلف له معه من الاستجابة قائلاً ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ . كما حُكي أن محتاجاً قال لكريم : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا . فقال : مرحباً بمن توسَّل إلينا ، وقضى حاجته .

تقول العرب : سعد فلان ؛ إذا ظفر بها ، وشقي بها ؛ إذا خاب ولم ينلها . ومعنى بدعائك : أي بدعائي إياك . انتهى . فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٤) وقصّتهم مذكورة في « البجيرمي » فراجعه في صلاة الاستسقاء في ١٠٢ ، وكذا في « البيضاوي » من سورة الكهف فراجعه . (منه) .

وقال الشيخ العارف ؛ الإمام الفقيه المحدِّث ؛ عبد الله اليافعي في « نشر المحاسن » : **قد جرت العادة أنَّ مَن له حاجة قد يتوسَّل بوجيه ، وفوقه مَن هو أوجه منه**[1] ، **ثم يتوسَّل ذلك الوجيه بالأوجه إلى مَنْ يُراد منه قضاء الحاجة** ، كما يتوسَّل إنسان من الرعيَّة بالأمير ، والأمير يتوسَّل بالوزير ، والوزير يَشْفَع عند السلطان في قضاءِ حاجةِ ذلكَ الإنسان ، فكذلك يتوسَّل إلى الله الكريم بنبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام .

الأولياء يتوسَّلون بالنبي الكريم ﷺ

وقد يتوسَّل بالأولياء في نادر من الأوقات في قضاء بعض الحاجات ، والأولياء يتوسَّلون بالنبي الكريم ﷺ ، فيشفع عند الله عزَّ وجل ، فيسمع الله سبحانه شَفَاعَتَهُ بفضله ويقبل . انتهى عبارته ١٢ .

ومِنْ هَهُنا قال بعض الأولياء : ادعوا الله بلسانٍ لمْ تعصوا الله به ، يعني - والله أعْلَمُ - : توسَّلوا إلى الله واستشْفِعُوا بالصُلحاء ، فإن أَلْسِنتهم هي التي لمْ يَعصوا الله بها . فافهم .

وفي « البجيرمي » : وقد روى الطبراني وابن سعد : أنَّ عبد المُطلب استسْقى بالنبي ﷺ حين تَتَابَعَتْ عليهم سنون أهلكتهم ، فَسَمِعوا قائلاً يقول : يا مَعْشَرَ قريش إنَّ فيكم نبيّاً آنَ أوانُ خُروجِه ، به يأتيكم الحيا[2] والخصب ، فاخرجوا إلى جبل أبي قبيس . فتقدم عبد المطلب ومعه النبي ﷺ ، فرفع يديه يدعو ويطلب الغَوْثَ - أي : الإجابة - بوجه النبي ﷺ - أي : متوسِّلاً به - ، فسقوا . ولذلك يقول فيه عبد المطلب :

---

(١) وراجع « شواهد الحق » . (منه) .
(٢) المطر . (هامش الأصل) .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثِمَال[1] اليَتَامى عصمة للأرامل

انتهى ١٠٢ .

وفي « ترشيح المستفيدين » : ويستشفع كلٌّ بخالص عمله ، وبأهل الخير ، سيما أقاربه ﷺ . انتهى ٩٩ فراجعهما من صلاة الاستسقاء .

الغزالي مجاب الدعوة

وقال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي النقشبندي قدّس سره في « إتحاف السادة المتقين شرح الإحياء » للإمام الغزالي : وقد كان – يعني : الإمام الغزالي – مُجابَ الدعوة ، مقبولَ الشَّفاعة ، وذكر غير واحد أنَّ من توسَّل به إلى الله تعالى في حاجةٍ قُضِيَت له ، فها أنا متوسِّل به إلى المولى جلَّ شأنُهُ أنْ يُعيدَ عليّ وعلى سائر المسلمين مِنْ بركات هذا الكتاب ، ومؤلفه ، ويميتنا على كلمة الإخلاص إلخ . انتهى فراجعه في ٥٥٧ من الجزء العاشر .

منفعة الدعاء بالنبي ﷺ وبالأولياء

وقال الشَّعراني في « لواقح الأنوار » بعد كلام في إتيان الحمد والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء : فإذا حمدنا الله تعالى رضي عنّا وإذا صلَّينا على النبي ﷺ شَفِعَ لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة ، وقد قال تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ، وتأمّل بيوت الحكام تجدها لا بدَّ لك فيها من الواسطة الذي له قُربٌ عند الحكام وإدلال عليه ؛ ليمشي في قضاء حاجَتِكَ ، ولو أنَّك طلبت الوصولَ إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك . وإيضاح ذلك : أنَّ مَنْ كان قريباً من الملك فهو أعْرَف بالألفاظ التي

---

(١) الثمال – ككتاب – : الغياث ، والذي يقوم بأمر قومه . وقيل : الثمال : المُطعِم في الشدة ، والثمل – محرَّكة – : الشكر . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

يُخاطِب بها الملك ، وأعْرَف بوقت قضاء الحوائج . **ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم ، وسرعة لقضاء حوائِجِنا** ، ومن أين لأمثالنا أن يَعْرف أدَبَ خِطاب الله عزَّ وجلّ ؟ ! .

وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : **إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد** ﷺ ، وقولوا : اللهم إنا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا ، فإن لله ملكاً يبلغ ذلك لرسول الله ﷺ ، ويقول له : إن فلاناً سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا ، فيسأل النبي ﷺ ربه في قضاء تلك الحاجة ، فَيُجاب ، **لأن دعاءَه** ﷺ **لا يُرَدُّ** .

قال : وكذلك القول في سؤالِكم الله تعالى بأوليائه ، فإنَّ الملك يبلغهم ، فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . والله عليم حكيم . انتهى عبارته ٢ ج٢ .

وقد قال مصطفى البكري الصِّدِّيقي في قصيدته اليائية في التوسُّل بالنبي ﷺ وأصحَابِه وآله والأئمَّة وأهل الطريقة ، حتى قال :

بالشاذِليِّ الحبر مَنْ   أبدى الشموس المغربية
وامــتدَّ نــور طريقه   فَـهَدى البدور المشرقية
وبـكل من نسبوا له   حـــتى سُمُـوا بالشاذلية

إلى آخره(١) .

وقال تاج الدين السبكي في « القصيدة المنفرجة » :

يارب بهـم وبآلـهم   عـجِّل بـالنصر وبالفرج

انتهى .

---

(١) من هامش « مجموعة الأحزاب » في ٦٨١ ج٢ . (منه) .

وقال البويصري :

يا أكرم الخَلْقِ مالي مَن ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

انتهى .

وأمثالها في الأحزاب والدعوات كثيرة لا تحصى .

وقال القطب عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في أبيات له :

فمُريدي إذا دَعَاني بِشرقٍ   أو بِغَربٍ أو غَار في بحر طامي

فأغيثه لو طار في هواء   أنا سيف القضاء كل خصامي

أنا عَبْد القادِرِ طابَ[1] وقتي   جَدِّي المصطفى حبيبي إمامي

انتهى .

وقال رضي الله عنه في قصيدة له أيضاً :

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة   على سائر الأقطاب قولي وحُرمَتي

تَوَسَّل بنا في كل هولٍ وشدةٍ   أغيثُكَ في الأشياء دهْراً بِهِمَّتي

أنا لمريدي حافظاً ما يخافه   وأَحْرُسُهُ في كل شرٍّ وفتنةِ

مُريدي إذا ما كانَ شرقاً ومغرباً   أغِثْه إذا ما سارَ في أيّ بلدةِ

مرتبة محمد النقشبندي

ورأيت في « مناقب الأحمدية » ما لفظه : وقال - يعني محمد النقشبندي رضي الله عنه - : **أُعطيتُ من الحقِّ سبحانه مرتبة عظيمة؛ تقضى بي الحوائج** ، وتدفع بي البلايا ، فالتجئوا إليّ تقض حوائجُكم بفعلِ الله سبحانه . انتهى عبارته ٦ .

---

(١) وفي نسخة : قد طاب .

وفي « البريقة المحمودة » في ٣٣٤ ج٢ وجوّز في « البزازية » أن يقول : بحُرمة فلان .

وفي « المنية » وفي « الآثار » ما يدل على الجواز .

أقول : بل الاستِحباب كما نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم مِن الله شيئاً فاسألوه بي ، فإنّي أنا الواسطة الآن بينكم وبينه .

وعن أبي العباس المُرسي : **مَن كانت له حاجة إلى الله فليتوسَّل لقضائها بالغزالي** . ونحوه كثير في الكتب كـ« الحصن الحصين » انتهى عبارته .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما التوسُّل بالأنبياء والأولياء والعلماء ؛ فقد نص أئمَّتنا أنه يجوز التوسُّل بأهل الخير والصلاح ؛ سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، **ولا ينكر ذلك إلا من ابتلي بالحرمان وسوء الخاتمة والعقيدة .** انتهى عبارته .

وفي « ذخيرة المعاد » : وقد سئل الإمام عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكِّيّ رحمه الله تعالى ، ونَفَع به – عَن التوسُّل بالأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين هل هو مُسْتَحَبٌّ ؟ ولا فرق بين كَونِهِم أحياء وأمواتاً ! وهل يجوز إسناد الفعل إليهم مِن غير اعتقاد تأثير ؟ . . . إلخ فأجاب بجوابٍ شافٍ جامع ، نقل فيه من الدلائل الصحيحة الصريحة ، في جواز ذلك ، ومن جملة ما استدلّ به الحديث القدسي : « ما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل . . » إلى آخره . ثم قال بعده : ولأن الله تعالى اجتباهم وارتضاهم واصطفاهم ، واختصّهم بكمالات ومعارف ومزيّات لم يجعلها لغيرهم ، فمن قال : « اللهم إنّي أتوسَّل إليك برُسُلِك وأنبيائِك وأوليائِك » ونحو ذلك ، فإنَّما يريد باجتبائك وارتضائِك واصطِفائِك واختصاصِك إياهم بالرسالة والنبوَّة والولاية ، ونحو ذلك ، **وهذه صفات أفعال الله**

تعالى . **فالتوسُّل بها ليس توسُّلاً بغيره تعالى** ، وحينئذٍ فلا فرق بين النبي ﷺ وغيره مِنَ الأنبياء والأولياء ، ولا بين كونهم أحياء وأمواتاً[1] **على أن** الشهداء أحياءٌ بالنصّ ، **فالأنبياء أولى** . هذا حاصل ما ذكره .

وقال ابن علان رحمه الله تعالى في « حاشية الأذكار النووية » على الكلام على حديث « اللهم إنِّي أسألك بحق السائلين عليك »[2] ، أي : بالحق الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف ، وفيه التوسُّل بحق أرباب الخير على سبيل العموم من السائلين ، ومثلهم بالأولى الأولياء والمرسلون[3] ، أما السؤال بحق معين ! فمنعه ابن عبد السلام إلا بحقه ﷺ ، لمزيد كرامته دون غيره ، وأجازه آخرون ، وحتى بالأولياء والعارفين .

قال العارف بالله تعالى أبو العباس المرسي : من له إلى الله تعالى حاجة فليتوسَّل[4] إليه بحق حجة الإسلام الغزالي . انتهى[5] عبارته ٣٢ .

أصل مشروعية الزيارة

وفي « ذخيرة المعاد » : أيضاً : والزائر والمزور ينتفعان بالزيارة ،

---

(١) كرامات الأولياء ثابتة ، وتصرُّفهم لا ينقطع بالموت ، ويجوز التوسُّل بهم إلى الله تعالى ، والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم ، لأنّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم . كذا نقله يوسف النبهاني عن الشمس الشوبري في « شواهد الحق » . فراجعه في ٦٥ . (منه) (هامش الأصل) .

(٢) قال صاحب « البريقة » : وقد وقع مثله في بعض الدعوات المأثورة نحو : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحقِّ محمد عليك » آمين . كما في « الحزب الأعظم » لعلي القاري الذي التزم أن لا يجعل فيه شيئاً غير الحديث . انتهى ٣٣٣ ج٢ . (منه رحمه الله إفلاسه) (هامش الأصل) .

(٣) وفي نسخة : المرشدون .

(٤) وهذا القول بعينه مذكور في « الطبقات » أيضاً (منه) .

(٥) من هامش « عقد اليواقيت » .

وفي الجمع أولى ، إذا كان غير مصحوب بشيء من المنكرات ، فقد نقل السيد المذكور وغيره عن الفخر الرازي رحمه الله تعالى في « المطالب » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى : أنَّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسانٍ قويّ النفسِ ، كاملِ الجوهرِ ، ووقفَ هناكَ ساعة ، وحصل تأثّر في نفسه من تلكَ التربة ، حتى حصل من نفس الزائر تَعَلُّق بتلك التُربَة .

ولا يخفى أن لنفسِ ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً ، فحينئذٍ يحصل لنفس الزائر الحي ، ولنفس ذلك الميِّت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة ، فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وُضِعَتا بحيث ينعكس الشعاع عن كل واحدة منهما إلى الأخرى ، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي ؛ من المعارف البُرهانية ، والعلوم الكَسبية ، والأخلاق الفاضلة ، من الخشوع لله ، والرضاء بقضاء الله ؛ ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة ، والآثار القويَّة الكاملة ، ينعكس فيها نور إلى روحِ هذا الزائر الحي .

وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى ، والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ، ولروح المزور ، **فهذا السبب والأصل في مشروعية الزيارة** .

ولا يبعد أن يحصل أسرار أخرى أدق وأخفى ، كما ذكرنا . وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى . انتهى عبارته ٣٧ .

وقد أطلتُ الكلام في حقِّ هذا الأمر ؛ نظراً إلى أن السائل قد سأل عما ذكر مؤلف « البغية » بما يخالف أقوال السادات(١) ، فوقع الاحتياج لتكثير الأدلَّة ببيان ما قالوه مما يعارضه مِن الكُتب العديدة ، التي صَرَّحَ مؤلفوها بجواز التوسُّل بالأولياء والصالحين . ويكفي للمنصف المحق ما

---

(١) بل يعارض ما ذكره فيه في موضع آخر كما مرّ . (منه) ، (هامش الأصل) .

ذكرناه في هذا البرج .

وأما المعاند المنكر ؛ فلا ينفعه ، ولو قُرئَ عليه جميع الكتب الإلهية ، والأخبار النبويَّة ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ .

ثمَّ إن كاتب المسائل – أرشده الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحه في الدارين . آمين – كتب في آخر مسائله بما لَفْظه : ليس قصدي بهذا – والله – امتحانٌ وعناد إلى هذه الجهة ، بل غاية قصدي إزالة الإشكال ، وتوضيح المقال ؛ من رَشْفَة بحر الحبر الكامل . انتهى عبارته من خطه .

ومن هنا هممْتُ أن أضع نُبْذة مما ذكره المشائخ في كتبهم في المنع عَن الإنكار والاعتراض على الطائفة الصوفية ، فأقول :

البرج الخامس عشر
في بيان أن الإنكار على الصوفية سم قَاتِلٌ

قال العارف بالله القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين : واعلم أن الإنكار على السادات الصوفيّة والطريقة العليّة ، المتّبعين للسنّة السنيّة ، والدافعين للبدعة الرديّة ، خصوصاً أهل العلم النافع ، والعمل الرافع ، والمعارف والأسرار ، والكشف الصحيح والأَنوار ، سَمٌّ قاتلٌ ، وهلاك عظيم ، وقد ورد به الوعيد الشديد ، وهو أمر خطير ، وهو علامة إعراض القلب عن الله تعالى وحشوه بالأمراض ، **ويُخْشى على فاعِله سوء الخاتمة** – والعياذ بالله – ، **وهو لا يصدر غالباً إلاّ منْ بعض المُتَفَقِّهَة القاصرين** . كما قال العارف عبد الغني النابلسي .

وقد اعتاد المتفقِّهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس

الشرعية ، بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه مخالفاً لعلمهم : وإن كان له ألف تأويل ، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ؛ ولو بوجه ضعيف ؛ وإن كان صوابه ظاهراً ، بل ربما بعضهم يجهّل مذهب الآخر ، فَيُنْكِر عليه ما خالف مذهبه ، بل ينكرون أصل الطريق وأربابها كلها ! **وهذه طريق المتفقِّه المتعصِّب ، والسفهاء ؛ لا الفقهاء** ، فإنهم قاصرون ؛ مرادهم أن يُعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانيَّة يريدون إنفاذها ، وشهواتٍ نفْسَانية يحاولونَ إيجادها ، فيضطرهم الأمرُ إلى التَّفتيش عن عيوب النّاس ، فكيف يؤوِّلون شيئاً مقصودهم التفتيش عليه ؟ ! ومتى ظفروا بوجه فاسدٍ في حال إنسان فكأنهم ظفروا بِمُلك الدُّنيا ، ويفرحون شديداً ؛ إن رأوا حسنةً في الكامل دفنوها ، وإن رأوا سيِّئةً أفشوها ، فمن المحال أن يقبلوا عثرةَ مؤمنٍ ، أو يتغافلوا عن زلّة مسلم ، لأنهم في زعمهم لا يرتقون ولا بشيء لا يرتفعون إلا بإنكار المناكر ؛ خصوصاً على الكامل الخاشع ، والعابد الذاكر ، فيكونون ضالِّين ومضلِّين .

وأمَّا الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة ، فإنَّ قلُوبَهم متجافية عن الدُّنيا ، مُقبِلة على الآخرة ، وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبُّر ، ولا عداوة ولا حِقد ، ولا رياء ولا سُمعة ، يعلمون أحكامَ الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً . انتهى « متممات » فراجعه ١٩٤ .

المنكر على أولياء الله ساقط من عين الله

وقال عمرو بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي - رحمه الله تعالى - في كتابه « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل السادس :

اعلم أن المُنكر على الأولياء ساقط من عين الله ، وهالك في الدُّنيا والآخرة ، وأنَّه في لعنة الله ومحاربته ، قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾ ومعنى الآية عند المفسِّرين : أن الذين يؤذون أولِياء الله .

وروى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنَّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال من عادى لي وليّاً فقد آذنْته بالحَرْبِ »

وفي « شرح الفشني على الأربعين النّوويّة » : « مَنْ آذى[1] لي وليّاً » أي اتخذه عدوّاً « فقد آذنته بالحرب » : أي أعلمته بأني محارب له عنه ، بمعنى : أني مهلكه . ثم قال بعد كلام :

تنبيه : قال الفاكهاني رحمه الله تعالى : من حاربه الله أهلكه .

وقال غيره : **إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة ، كأكل الربا** – عافانا الله تعالى من ذلك – **فمن والى أولياء الله أكرمه الله ومن عادى أولياء الله أهلكه الله .**

قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى : إذا ألف القلب ثمر الإعراض عن أهل الله ؛ صحبته الوقيعة في أولياء الله . ثم ذكر تنبيهاً يناسب المقام .

---

(١) يعني من أغضب وآذى واحداً من أوليائي فقد آذنته ؛ أي أعلمته بأني سأحاربه ؛ أي سأقهره وأعذبه . وأولياء الله هم المطيعون له ، وليس المراد بالولي هنا الولي المعهود بين المشائخ ، بل كلُّ مُتَّقٍ داخل في هذا الحديث لقوله تعالى ﴿ **وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ « مفاتيح شرح المصابيح » .

وضابط الولي : أنه المواظب على فعل الطاعات ، واجتناب المنهيات ، المعرض عن الانهماك في اللذات . انتهى .

قال علي بن أبي طالب : أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من العبر ، خمص البطون من الجوع ، يبس الشفاه من الذكر « مدابغي على فتح المبين » .

قصة جرجيش مع الملك الظالم

روى حاتم الأصم عن جماعة من أصحاب العلم والهمم أن جرجيش نبي من أنبياء بني إسرائيل ، كان في زمانه ملك كثير الفساد ، مصر على مظالم العباد ، فمنع الله عنه المطر ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر ، فركب هذا الكافر الظالم الغادر في عساكره حتى أتى جرجيش ، فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس ، فقال له : يا جرجيش ؛ إني أحملك رسالة ربك . فقال جرجيش : وما تلك ؟ قال : أن تقول لربك يأتينا بالمطر ، وإلا ! آذيته إذاية يسمعها سائر البشر . فدخل جرجيش في محرابه ، وقد خرس من خوف الله عن جوابه ، فجاء جبريل بأمر الملك الجليل ، فقال له : هات الرسالة التي معك على الوجه الذي قال لك ، فقال : إني أخاف من الله ذي الجلال عند مقال ذلك القول على مقال[1] ، فقال جبريل : يا جرجيش ؛ قل كما قال ، هكذا أمر الملك المتعال . فقال جرجيش : يأتينا بالمطر ، وإلا آذيته إذاية يسمعها سائر البشر . فقال جبريل : يا جرجيش ؛ ربك يقول لك : قل له بم تؤذيه ؟ ! فمضى جرجيش وأعاد الرسالة عليه ، فقال الملك : لا قدرة لي على إذايته إلا من وجه واحد ، لأني ضعيف وهو قوي ، وأنا عاجز وهو قادر ، وإنما أؤذي أحباءه ، ومن آذى أحباءه فقد آذاه . فجاء جبريل عليه السلام فقال : يا جرجيش قل له : لا تفعل ، فنحن نأتيك المطر ، ثم جاءت السماء بالسحاب ، وامتلأت الصحارى بالسيول من كل جانب ، مدة ثلاثة أيام بإذن ربِّ الأرباب . وأَمَرَ الله تعالى النبات في تلك الأيام الثلاثة أن يطلع . فلما طلعت الشمس نظر إلى الحياض مرتعة ، والفلوات مُشرقة ، والزروع إلى صدر الإنسان طالعة ، والرياض مروّقة ، فرَكِبَ الملك ، وأتى إلى باب جرجيش ، وهو في صومعته يكثر من التسبيح والتقديس ، فخرج إليه

---

(١) وفي نسخة : مقالي .

وقال : يا هذا ؛ ما تريد مني ؛ لِمَ لا تشتغل بملكك عني ؟ لا تحمِّلني مثل تلك الرسالة ؛ فإن فيها فظاعة ! فقال : يا نبي الله ما أتيت حرباً ، فقد أتيت سلماً ، وقد انفتح بصر الضعيف الأعمى ، **فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه يجب أن تسجد الجبال لعظمته** ، وإني أريد المصالحة ، لتكون صفقتي رابحة ، فقد ظهر لي أن أسرار التوحيد لائحة ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، ولا معبود بحق سواه .

إخواني دَلَّ الحديث الإلهي أن عدوّ وليّ الله عدوٌّ لله ، فمن عاداه كان كمن حاربه ، نعوذ بالله تعالى من الإنكار والحرمان . انتهى كلام الفشني .

وفي « لطائف المنن » : فأصغِ - رحمك الله - إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولي ، وفخامة رتبته ، حتى ينزل الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ، ويحلّه هذه الرتبة ، فقوله ﷺ عن الله تعالى « **من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب** » لأن الولي خرج عن تدبيره إلى تدبير الله ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق التوكّل على الله عز وجل ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ، وإنما كان ذلك لهم لأنهم جعلوا الله تعالى مكان همومهم ، فدفع عنهم الأغيار ، وقام لهم بوجود الانتصار .

وقال بعد كلام : ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول : **ولي الله مع الله كولد اللَّبْوة في حجرها ، أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله ؟!** ، وقد جاء في بعض الأحاديث : أنه ﷺ كان في بعض غزواته وامرأة تطوف على ولدها الرضيع ، فلما وجدته حنت إليه وألقمته الثدي ، فنظر الصحابة إليها متعجبين ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها » . ومن هذه الرحمة برز انتصارُ الحق لهم

ومحاربة من عاداهم ، إذ هم حمال أسراره ، ومعادن أنواره ، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، وقال الله سبحانه لمن آذى أولياءه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ .

مهم

غير أن مقاتلة الحق سبحانه لمن آذى أولياءه ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله ، **ولأن الله لَمْ يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه ، كما لم يرضها لإثابة أحبائه .**

وإن كانت معجلة ! فقد تكون قسوة في القلب ، أو جموداً في العين ، أو تعويقاً عن طاعة ، أو وقوعاً في ذنب ، أو فترة في الهمة ، أو سلب لذاذة خدمة .

وقد كان رجل في بني إسرائيل أقبل على الله ثم أعرض عنه ، فقال : يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ! ! فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قُلْ لفُلان : **كم عاقبتك ولم تشعر !!** ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذاذة مناجاتي ؟ !

قال ابن عطاء الله : وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى وليّاً من أولياء الله تعالى بالسلامة ؛ إذا لم ير عليه محنة في نفسه وماله وولده ؛ فقد تكون محنته أكبر من أن يطلع العباد عليها . انتهى .

وقال ابن عطاء الله في « لطائف المنن » أيضاً وصيَّة وإرشاداً : إياك أيها الأخ ؛ أن تصغي إلى الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين ، لئلا تسقط من عين الله ، وتستوجب المقت من الله ، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ، ومراقبة الأنفاس مع الله ، قد سلَّموا قيادهم إليه ، وألقوا أنفسهم سِلْماً بين يديه ، تركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيته لهم ، واكتفوا بقيُّوميته ، فقام لهم بأوفى ما

يقومونَ به لأنفسهم . **وكان هو المحارب عنهم لِمَن حَارَبَهُم** ، والغالب لمن غالبهم ، ولقد ابتلى الله سبحانَه هذه الطائفة بالخلق ، خصوصاً بأهل العلم الظاهر ؛ فقَلَّ أن تجد منهم مَن شرح الله صدْرَه للتصديق بوليّ معيّن ، بل يقول لك : نعم نعلم أن الأولياء موجودون ، ولكن أين هم ؟ ! فلا تذكر له أحداً إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طَلْق اللسان بالاحتجاج ، عارياً من وجود نور التصديق ، **فاحذر ممَّن هذا وصفه ، وفِرَّ منه فرارك من الأسد** ، جعلنا الله وإياك من المصدِّقين بأوليائه بمنِّه وكرمه ، إنه على كلِّ شيء قدير . انتهى عبارته . ٥٣ ج١ .

وفي « العهود المحمدية » : أخبرني سيِّدي علي الخواص أن شخصاً من القضاة كان يؤذي سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه ، وكان القاضي سيء الخلق ، فلما مات تصور سوء خلقه كلباً أسود ، فجلس على نعشه والناس ينظرون ، إلى أن نزل معه في القبر . انتهى .

قصة ابن السقا

وفي « حياة الحيوان » للدميري عند ذكر الذباب : وفي « تاريخ ابن خلكان » في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمداني الزاهد ؛ صاحب المقامات والكرامات والأحوال الباهرات : أنه جلس يوماً للوعظ ، فاجتمع إليه العالم ، فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقا ، وأتاه وسأله عن مسألة ، **فقال له الإمام يوسف : فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير دين الإسلام !** فقدِمَ رسولُ ملك الروم إلى الخليفة ، فخرج ابن السقا مع الرسول إلى بلاد القسطنطينية فتنصر ومات نصرانيّاً . وكان ابن السقا قارئاً للقرآن ، مجوّداً في تِلاوته ، وحَكى من رآه في القسطنطينية قال : رأيتُه مريضاً ملقى على دكان ، وبيده مِرْوحةٌ[1] يدفع

(١) كمكنسة : آلة يتروّح بها . « قاموس » (هامش الأصل) .

بها الذباب عن وجهه ، فقلت : هل القرآن باق على حفظك ؟ قال : ما أذكر منه إلا آية واحدة وهي : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ والباقي نسيته . انتهى . نعوذ بالله من سَخَطه وخذْلانه ، ونسأله حسن الخاتمة .

حِراب العلماء العارفين مسمومة

قال : فانظر يا أخي ؛ كيف هلك هذا الرجل ، وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد ؟ ! نسأل الله السلامة . فعليك يا أخي بالاعتقاد على المشائخ العارفين ، والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين ، فإن حرابهم[1] مسمومة ، فقلّ من تعرَّض لها وسَلِمَ ، فسلِّمْ تَسْلَمْ ، ولا تنتقد فتندم ، واقتدِ بإمام العارفين في وقته الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني ، لما عزم على زيارة الغوث بمكة ، وقال رفيقاه : ما بالنا ؟ فقال : أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك ؛ لا على قدم الإنكار والامتحان ، فآل أمره إلى أن قال (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى) ، وآل أمر رفيقِهِ إلى الكفر ، وترك الإيمان بالانتقاد ، وترك الاعتقاد ، كما اتفق في هذه الحكاية . وآل الأمر للآخر اشتغاله بالدنيا ، وترك خدمة المولى ، لقلة التوفيق نسأل الله التوفيق والهداية ، والإماتة على الإيمان به وبرسوله ﷺ ، والاعتقاد الحسن في أوليائِه وأصفيائِه ، بجاه محمَّد وآله . انتهى . كلام الدميري ٢٣ . « رماح » .

وقد ذكر ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » القصة المذكورة بكيفية أخرى بالتمام ، فقال : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فوافقت

---

(١) الحربة : كالرمح ، وتجمع على حراب ، مثل كلبة وكلاب . « مصباح » (هامش الأصل) .

ابن السقا ، ورافقته في طلب العلم بالنظامية ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل[1] يقال له الغوث ؛ يظهر إذا شاء ، ويختفي إذا شاء ، فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر ، وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا - ونحن سائرون - : لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جواباً . وقلت : لَأَسْأَلَنَّهُ مسألة وأنظر ماذا يقول فيها ! وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه ، فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألة لا أدري لها جواباً ! هي كذا وجوابها كذا . **إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك** . ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ! هي كذا وجوابها كذا . لتخرنّ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك . ثم نظر إلى شيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه ، وقال : يا عبد القادر **لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك ، كأني أراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلّماً على الملأ ، وقلتَ : قدمي هذه على رقبة كلّ ولي لله** ، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنّوا رقابهم إجلالاً لك . ثمَّ غاب عنَّا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام . وقال : قدمي . . . . إلخ ، وأقرت الأولياء في وقته له بذلك ، وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها ، وفاق فيها كثيراً من أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسَمْتٍ بهيّ ، فأدناه الخليفة منه ، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به ، وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية ، فناظرهم وأفحمهم ، وعجزوا ، فعظم عند الملك ، فزادت فتنته ، فتراءت له بنت الملك فأعجبته ، وفُتِنَ بها ، فسأله أن يزوجها له ! فقال : إلا إن تتنصَّر . فَتَنَصَّر وتزوَّجها ، ثُمَّ

(١) وهو يوسف الهمداني . (هامش الأصل) .

مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعَلَتْهُ كآبة وسواد ، حتى مر عليه من يعرفه فقال له : ما هذا ؟ قال : فتنة حَلَّت بي بسببها ما ترى . قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال : لا إلا قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : ثم خرجت عليه يوماً فرأيته كأنه قد حرق وهو في النزع ، فقلّبته إلى القبلة ، فاستدار إلى الشرق ، فعُدْتُ فعاد ، وهكذا إلى أن خرجت روحه ؛ ووجهه إلى الشرق ، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه .

قال ابن أبي عصرون : وأما أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فوليتها ، وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً ، فقد صدق قول الغوث فينا كُلِّنا .

وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم ؛ فيها أبلغ زجر ، وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى ؛ خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا من تلك الفتنة المهلكة الأبدية التي لا أقبح منها ولا أعظم منها . فنعوذ بالله من ذلك ، ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ، ومن كل فتنة ومحنة ، بمنّه وكرمه . وفيها أيضاً أتم حث على اعتقادهم ، والأدب معهم ، وحسن الظن بهم ما أمكن . انتهى عبارته ٢٣١ .

وقال ابن حجر في موضع من « الفتاوى الحديثية » في ٢٤٣ – بعد ذكره طرفاً من هذه القصة المذكورة – : وإن إمام العارفين ، وتاج الخلفاء الوارثين ، محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه وهؤلاء الثلاثة جاؤا للوليّ معاً ، فوقع للأولين ما ذكر ، وأما الشيخ عبد القادر لما تأدب معه دعا له ، ووعده بالولاية ، بل القطبية ! وأن قدمه سيصير على عنق كل ولي لله تعالى ، فانظر شؤم قلة الأدب ، وفائدة الأدب والاعتقاد .

وجاء من المشائخ العارفين والأئمة الوارثين أنهم قالوا : **أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم . قالوا : ويخشى عليه من سوء القضاء** .

وقال بعض العارفين : من رأيتموه يؤذي الأولياء ، وينكر مواهب الأصفياء ، فاعلموا أنه محارب لله ، مبعد مطرود عن حقيقة قرب[1] الله .

وقال الإمام المجمع على جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي رضي الله عنه إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى .

وقال الإمام شاه بن شجاع الكرماني : **ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله ، لأن محبتهم دليل على محبة الله عز وجل** . وقال أبو القاسم القشيري :قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن ردّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبّ ذلك ولو بعد حين ، ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته ، وذلك لا يخطىء . انتهى .

ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أني محارب له ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء ، وآكل الربا ، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّاً من سوء الخاتمة ، **إذ لا يحارب الله إلا كافراً** . انتهى عبارته .

---

(١) وراجع « الطبقات » للشعراني في صحيفة ٧٩ وفي ٤٦ (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

حكاية الشيخ الصنعاني

حكاية ينبغي روايتها في هذا الموضع : قال مؤلف « تفريج[1] الخاطر » : ذكروا أن الغوث - يعني عبد القادر الجيلاني - لما قال (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله) فبأمر من الله وضع جميع الأولياء الحاضرين والغائبين رقابهم ، تعظيماً لجلاله ، وانقياداً لكماله ، إلا ذلك الرجل الشيخ في أصفهان[2] ، فكشف للغوث عدم انقياده ، فقال في حقه : فعلى رقبة رجل الخنزير[3] . فبعد مدة نوى ذلك الشيخ زيارة بيت الله مع المريدين الكاملين : الشيخ محمود المغربي ، والشيخ محمّد فريد الدين العطار ، فوقع مرورهم على بلدة من بلاد الكفار ، فوقع نظر الشيخ على بنت بديعة الحسن والجمال ، ليس لها شبيه ولا مثال ، قائمة على القصر ، تنظر الأطراف ، وعينها تصيد الأشراف ، فبمجرد رؤيته إياها وقع الشيخ مغشيّاً عليه ، وراح العقل من يديه ، وبمشاهدة حسنها وجمالها لم يطق أن يبرح من مكانه ، فلما رأت البنت محبته ، تمكنت في قلبها مودته ، ولم تبرح هي أيضاً من مكانها ، وانقطعت عن أكلها ومنامها ، فعلم والدها بحالها ، وتفكر كيف يكون بالها ، واضطرب اضطراباً شديداً ، ولم ير غير الازدواج[4] رأياً سديداً ، وأخبر الشيخين بما في باله ، فاختار الشيخ طريق ضلاله ، فأخبره أبوها أن قاعدة ازدواجهم حين إعطاء بنتهم إلى أحد : أن يجعلوه راعي الخنازير ، ويأتي لهم كل يوم بالخِنوص[5] ، ليأكلوا لحمه على شعارهم ، إلى حين الازدواج ، ثم يوقدون السراج ، ويجعلون

---

(١) راجعه في ٧٢ .

(٢) أي : الشيخ الصنعاني . (منه) .

(٣) فعلى رقبة رجل الخنزير : كذا في نسخة التى نقلناه منها فتدبّر . (منه) .

(٤) أي : الاجتماع بالزواج (هامش الأصل) .

(٥) وهو ولد الخنزير (هامش الأصل) .

بإحدى يديه لحم الخنزير مع الشراب ، وبيده الأخرى ذيل العروس بلا حجاب ، ففرح الشيخ ذلك الخبر ، ووَفَّى خدمته بلا حذر[1] ، ووضع الخنوص على رقبته في كل صباح حين إتيانه به إليهم ، فبعد انقضاء المدة جعلوا بإحدى يدي الشيخ لحم الخنزير مع القدح ، وبيده الأخرى ذيل حبيبته بالفرح ، فلما أراد الشيخ أن يشرب الشراب ، ويأكل لحم الخنزير بلا اجتناب ، نادى الشيخ فريد الدين : يا سلطان يا سيدي عبد القادر يروح الشيخ من أيدينا ! ! الأمداد الأمداد يا محيي الدين . فبسماعه النداء وقعت الرعدة في جسده ، وسقط القدح واللحم من يده ، وتنبّه من نوم الغفلة ، وتوجّه إلى الصحراء بلا مهلة ، فسأله الشيخ فريد الدين : إلى أين المفرّ ؟ فأجابه : إلى مَنْ سَهْمُهُ أثَّر ؛ للاعتذار من سوء أدبي ، والاستغفار عند منقلبي ، فلما وصل إلى بغداد سود وجهه بالسواد ، وشد يديه بالشدة ، ووقف مع الخدم في السدة[2] فتضرع بالقلب قبالة الغوث الأعظم ، فعطف الغوث عليه وعفا عما تقدم ، وأمر بغسل وجهه ، وفك الوثاق من يديه ، وتوجه الغوث إلى الله الكريم أن يغفر ما تقدم من ذنبه العظيم ، فجاءه الخطاب من الله العزيز الوهاب : بإساءة الأدب في حقك صار مردوداً . فتضرَّع الغوث في حقه تضرُّعاً معدوداً ، حتى جاء النداء من الفرد الصمد : لا أقبل شفاعة من أحد . فحينئذ كف يده عن تصرّف أمور الكونيّة ومراسم الغوثية وقال[3] : إلهي إذا ما قبلت في حقه شفاعتي وشفاعة الأولياء كيف يكون يوم القيامة حال المريد ؟ ولهذا الخطر العظيم منعت نفسي عن مثل هذا الأمر الجسيم ، وفوضت أمور عبادك إليك ، وأنت العليم القادر

(١) أي : بلا خوف .
(٢) السدة - بالضم - : العتبة . (هامش الأصل) .
(٣) وقال عبد القادر الجيلاني (هامش الأصل) .

والأمر إليك ، فجاءه الخطاب من الملك المالك[1] : قبلت توبته وعفوت عنه لأجلك ، **وأعطيك عهداً أن لا أخرج أحداً من مريديك من الدنيا بغير توبة من العصيان ، ولا أقبض أرواحهم إلا على الإيمان** . وسمع الحمد من الملكوت للحي الذي لا يموت ، الحمد لله حمداً متوافراً والشكر له شكراً متكاثراً .

وذكر في بعض الرسائل أن الغوث الأعظم لما صار مأموراً أن يقول : (قدمي هذه . . . إلخ) وضع جميع الأولياء رقابهم سوى الشيخ الصنعاني ، وقال : أنا أيضاً من المحبين ، لا يقتضي لي أن أضع رقبتي لقوله ، وكشف للغوث عدم انقياده ، فقال : فعلى رقبة رجل الخنزير . ثم قصد ذلك الشيخ زيارة مكة المعظمة مع أربع مائة من المريدين ، فبتقدير القادر المطلق

---

(١) من مالك الملوك ، عله . (هامش الأصل) .

فهذه مهمات ينبغي للعاقل أن يوقفها قبالة عينه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

* قال أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرميسيني رحمه الله تعالى : **من ترك حرمة المشائخ ابتلي بالدعاوي الكاذبة فافتضح بها** . « طبقات الكبرى » ج١ في ٧٩ .

* وكان أبو الحسين علي بن هند القرشي الفارسي رضي الله عنه يقول : من أكرمه الله تعالى بحرمة الأكابر أوقع حرمته في قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوب الخلق فلا تراه إلا ممقوتاً وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله . « الطبقات الكبرى » ٧٩ ج١ .

* وقيل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه : إن الحرث المحاسبي يتكلم في علوم الصوفية ويحتج لها بالآي والحديث ، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر ؟ فقال : نعم ، فحضر معه ليلة إلى الصباح ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئاً . « طبقات » عبارته ٤٦ ج١ .

* وكان أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله يقول : إياكم ومعادات من شهره الله تعالى بالولاية وإنه إن كان بالبصرة وليّ لله تعالى فعاداه قوم وآذوه فغضب الله عليهم ، فأهلكهم أجمعين في ليلة . وكان يقول : طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته لأنهم أهل الفتوة . « طبقات » عبارته ٧٩ ج١ .

وقع نظر الشيخ على امرأة نصرانية ، فتعشق ولم يبق له قرار ، ووقع في شدة واضطرار ، وكانت تلك المرأة بائعة للخمور ، وأطاعها الشيخ بالفرح والسرور ، حتى أمرته يوماً برعي الخنازير ، وقالت : أيها الشيخ الكبير ؛ ضع على رقبتك الخنوص ، ليأمن في المشي من الدوس[1] فوفّى هذه الخدمة كما أمرته الحبيبة ، **وتفرقت المريدون عنه حين رأوا هذه الحالة العجيبة ، إلا المريدان الصادقان الكاملان** وهما : الشيخ محمد فريد الدين ، والشيخ محمود المغربي ، وقالا : يلزم إطفاء نار هذا البلاء من مكان اشتعالها ، وكانا يعرفان أن هذه البلية العظيمة بعدم انقياده لقول الغوث الأعظم ، فبقي الشيخ محمود عند شيخه ، وتوجه الشيخ فريد الدين إلى بغداد ، فلما وصل راح إلى التكية العلية ، وفحص عن محل خدمة الشيخ ليخدم ، فلم ير محلاًّ خالياً عن المأمورين ، فاختار أن يحمل سلة[2] البراز[3] ورمي ما فيها إلى الصحراء ولم تقع له تلك الخدمة من المأمورين ، فتربَّص حتى وقعت تلك الخدمة بيده ، وبعد أيام شكا الخدمة المذكورون إلى الغوث الأعظم ؛ بأنْ صِرْنا محرومين من خدمتنا . فقال : أفيكم درويش غريب جاء جديداً ؟ ! قالوا : بلى وأخذ خدمتنا . فقال : هو يكون في هذه الخدمة . فقام الغوث إلى الطهارة ، فرأى شاباً حاملاً فوق رأسه سلة البراز ، والمطر نازل ، والنجاسة تقطر عليه ، فقال الغوث : أنت من ؟ ! فقال : خادم الشيخ الصنعاني . فترفق الغوث بحال الشاب ؛ فقال : اطلب . فقال : أنت أعلم . فقال الغوث : اطلب مقاماً

---

(١) الدائس : الذي يدس الطعام ويدقه ليخرج الحبّ من السنبل ، وهو الدياس ، وداس الشيء برجله يدوسه دياسة فانداس « مجمع البحرين » . فالمعنى : ليأمن في المشي من دوس الناس الخنوص بأرجلهم . والله أعلم . (غازي محمد العوري) . وداس الأرض دوساً : إذا شدد وطأه عليها بقدمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) هي بلساننا : هِهْ - (عجم) .(هامش الأصل) .

(٣) البراز ؛ ككتاب : الغائط « القاموس المحيط » (هامش الأصل) .

عالياً . فقال الشاب : ليس عندي مقام أعلى من العفو عن شيخي . **فقال الغوث** : عفوت عن شيخك لأجلك . فحينما قال الغوث هذا الكلام تنبه الشيخ الصنعاني من نومة الغفلة ، وسَلاَ عن محبة النصرانية ، ووجد حالته الأوّلية ، وفارق معشوقته العيسوية ، وتعشقت هي بالشيخ وتعلق قلبها به ، واختارت موافقته ، فقال لها الشيخ : لا مناسبة بيننا ، أنت كافرة وأنا مسلم ، **فبمجرد هذا الكلام أسلمت مع جميع أتباعها** ، واختارت خدمة الشيخ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . انتهى عبارته ٣٠ .

فإن قال قائل : إنك قد ذكرت في هذا الكتاب بوجوب الإنكار والاعتراض على المتشيخ الكذاب ، وبينت ما يترتب عليه من المؤاخذة والعقاب ، وذكرتَ أيضاً في هذا البرج آفة الإنكار على الشيخ الكامل ، فإذا كان الأمر كذلك ، واختلط الكاذب في كل وقت بالصادق ؛ فماذا نفعل الآن ؟ وكيف يتميز بينهما ؟ ! وهل لذلك ميزان ؟ !

أقول – والله أعلم ، ومنه نستمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – : اللهم ؛ نعم لذلك ميزان ، ليزن من يريد اتباع الحق أحوال متبوعه ، ولأجل ذلك وقع الاحتياج لوضع البحث المستقل في بيانه ، **فليتدبر** العاقل فيما سنذكره .

البرج السادس عشر

في بيان مراتب الطرق المشهورة في ديارنا

وذكرها بالإجمال ليكون سبباً لمعرفة المتشيخ الغرّار

والشيخ المتحقِّق المتمسِّك بطريق الأبرار

أيها الأخ المحترم ، إن الطرق إلى الله كثيرة ، ولكلِّ سالك فيها أذكار وأوراد والمشهور منها في ديارنا هذه الطرق الآتية :

فأولها وأفضلها وأسهلها وأقربها هي الطريقة النقشبندية العلية ، وأوّل قدم يضعونه فيها في الذكر : القلب بتلقين لفظة الجلالة[1] (الله) ، ثمّ بعد حصول نتيجته ؛ وهي رسوخ الذكر في القلب ؛ بحيث لو تكلّف بإخطار غير الله لا يخطر يلقِّن الشيخ الذكر إلى الروح ، ثمَّ إلى السرِّ ، ثمَّ إلى الخفي ، ثمَّ إلى الأخفى ، ثمَّ إلى لطيفة النفس ، ثمَّ إلى لطيفة الجسد ، فحينئذ تتَّحد اللطائف . وتصير جميع أجزاء البدن تذكر الله تعالى ، حتَّى يجد المريد نفسه وقتئذ تتحرَّك بحركات عجيبة ؛ كالطير المذبوح المطروح إلى الأرض ، **ولا يفهم من كلّ صوت ـ حتى من صوت الكلب النائح ـ إلا الذكر ، ويتخيَّل أيضاً مع كلّ متحرك الذكر القلبي ، فهذه الأمور ممّا لايعرفها بالإخبار أو بالكتبة إلا من ذاقه** ، ثمَّ يلقِّن الشيخ بعد ذلك (لاإله إلا الله) .

وقد كان عادة مشائخنا أنَّهم يأمرون بذلك باللسان إلى أن يبلغ

---

(١) من غير فرق بين مريد ومريد ، على ما اختاره الإمام الرباني أخيراً ، (منه) .

* وفيها أيضاً – أي « الرسالة المدنية »– : إذا تأملت مجرّد ذكر القلب ، لا يعدل عليه شيء . وفيه أيضاً – أي « رسالة المدنية » – : إن عارفاً بالله في شرق الأرض ورجل محبّ له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته . انتهى . « كنز المعارف » ٨٢ .

العدد إلى سبعين ألف مرة ، ثمَّ يلقِّنون ذلك بالقلب مع حبس النَّفس ، وكيفية ذلك : أن يجرَّ (لا) من السرة إلى أم الدماغ ، ويجرَّ (إله) منه إلى الكتف الأيمن[1] ، ومنه يجر (إلا الله) إلى القلب الصنوبري ويضرب لفظة

---

(١) وكيفيته - أي كيفية النفي والإثبات - بالقلب : أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة كالأول ـ أي : كالكيفية المذكورة في اسم الذات ـ ويحبس النَّفَس تحت السرَّة ـ أي : يحبس الذاكر نفسه في جوفه بحيث لا يضيق عليه حبسه ، ثم إن غمَّض عينيه يكون له أولى ؛ ليحصل له كمال التوجُّه إلى الذكر ، ويتخيل منها ـ أي من السُرَّة ـ من وسط جوفه (لا) بحيث يكون كرسيُّها على السُرَّة ، ويمدُّ طرفيها إلى منتهى الدماغ ، ويلاحظ معها نفي مقصودية ما سوى ذات الحق سبحانه ؛ من حسن وقبيح ، ومنه ـ أي : ثم منتهى الدماغ ـ يتخيل (إلَه) ، وينزل بها إلى الكتف الأيمن ، ويلاحظ معها انتفاء مقصودية غير ذات الحق وبطلانها ، ومنه ـ أي : ثم من الكتف الأيمن ـ يتخيل (إلا الله) ، وينزل بها بحسب التخيل من عرق نوراني إلي القلب ، ويضربها على رأس القلب بالنَفَس الدائر في الجوف ، ويلاحظ معها مقصودِّية ذات الحق سبحانه ، فيحيط هذه التخيلات الثلاثة على محالّ اللطائف كلها بصورة (لا) المعكوسة ـ هكذا ....

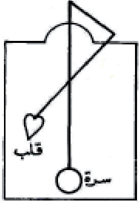

ـ التي يكون أحد طرفيها في السُرَّة وطرفها الآخر في القلب ، وكرسيّها بين الدماغ وبين الكتف ، ويلاحظ الذاكر مع هذه التخيلات معناها ـ أي : معنى كلمة (لا إله إلا الله) ـ بأن لا مقصود إلا ذات الله . . . إلخ ، فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية لأن كل معبود مقصود ، وإن لم ينعكس ، لأن المقصودية أهم من المعبودية ،فنفي الأعمِّ يستلزم نفيَ الأخصِّ ، دون عكسه . . . إلخ ، وفي آخرها ـ أي : وفي آخر كلمة (لا إله إلا الله) ـ يتخيل : (محمد رسول الله) ويريد به التقيُّد بالاتباع ـ أي : باتباع النبي ﷺ بحسب الظاهر والباطن ، في جميع الأحوال والمقامات ، ويكرره ـ أي : يكرر كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) - على قدر قوة النفس على الذكر من غير تضايق النَّفس عن الحبس المخلّ عن الحضور ، ويطلقه عند حضور التضايق المُخلِّ من الفم أوْ من الأنف على الوتر - أي عند وقوفه على العدد الوتر - إلى أحد وعشرين . قال بهاء الدين - قدس سره - :إن حبس النَفس والوقوف على العدد الوتر ليس بلازم في النفي والإثبات ، وإنما اللازم نفي البشرية ، وهو يحصل بمجرد النفي والإثبات .

وأما فائدة حبس النَفَس : فهي انشراح الصدر ، واطمئنان القلب ، وحصول الحلاوة=

الجلالة عليه ثمَّ إذا حصلت النتيجة من هذا الذكر ؛ **وهي الغيبة والذهول والفناء** ، يلقِّن الشيخ **مراقبة الأحدية** ، وبعد حصول نتيجتها يلقن **المراقبة المعيَّة** ، ثمَّ **مراقبة القلب** ، ثم **مراقبة الروح** ، ثم **مراقبة السرِّ** ، ثمّ **مراقبة الخفي** ، ثمّ **مراقبة الأخفى** ، ثم **المراقبة الأقربية** ، ثمّ وثمَّ وثمّ ويطول الكلام بذكرها وذكر نتائجها . وكلّها مذكورة في الكتب ، معلومة عند أهلها ، مجهولة لدى المتشيِّخين وأصحابهم ، ولا يعلمون ما ذكر القلب وما ذكر اللطائف ! ! . بل يقول بعضهم : هل للقلب لسان يذكر الله ؟ ! كما

=الروحانية ، ونفي الخواطر .

وأما فائدة مراعاة العدد : فهي جمع الخواطر عن التفرقة .

ويقول بعد إطلاقه نفسه إلهي أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي .« تحفة الأحباب على مسلسلة الذهب » للشيخ محمد مراد (هامش الأصل) .

*** أنواع المراقبات** . ففي **ولاية الصغرى** : مراقبة الأحدية ، ثم مراقبة المعيّة – نوره أخضر – ، ثم مراقبة القلب – آدميّ المشرب ؛ نوره أصفر – ، ثم مراقبة الروح – إبراهيميّ المشرب ؛ نوره أحمر – ، ثم مراقبة السر – موسويّ المشرب ؛ نوره أبيض – ، ثم مراقبة الخفي – عيسوي المشرب ؛ نوره أسود – ، ثم مراقبة الأخفى – محمدي المشرب ؛ نوره أخضر – ، وهذه المراقبات في الولاية الصغرى ، وفي **الولاية الكبرى** : مراقبة أقربية ثم مراقبة محبّة . وفي **الولاية العليا** – وهي ولاية الملائكة – . . إلخ .

ثم اعلم أن كيفية المراقبة أن يكون السالك طاهر البدن والثياب وحضور القلب والفؤاد في مكان طاهر بحيث لا يحصل له أصوات الحيوان ، ولا يدخل فيه الإنسان ثم يجلس فيه على ركبتيه مستقبل القبلة ، مغمض العينين ثم يخرج عن حوله وقوته ، وينسى جميع علمه ومعرفته ، ويعطل حواس ظاهره وفؤاد باطنه ، ثم يتوجّه بالقلب المطلق مع الجذبة إلى جناب ذات الحق سبحانه وتعالى على طريق الاستهلاك فيه ، ولا ينفك عن المراقبة بهذه الكيفية في جميع الأوقات بعد أداء الفرائض والسنن الراتبات حتى تزول عنه تزاحم الخواطر وتثاقل العناصر وتتزكّى نفسه ويعتدل طبعه وتغلب روحانيته على جسمانيته فبعد ذلك إن استقرت فيه تلك الحالة وكانت له كالصفة اللازمة تستحب له مخالطة الناس ويلزم الاشتغال بنوافل الصلاة وتلاوة القرآن . . إلخ . « رسالة » .

قال ذلك واحد منهم لدى هذا الحقير مشافهة ، وأنكَرَ ذكر القلب بأنَّ ذلك مما لا يكون ، فتعجبتُ به وبقوله ؛ مع كونه رجلاً يظن الناس أنَّه قطب ، حتّى قال بلسانه في مجمع من العلماء : لو كان في الأرض أعلى مني في المشيخة فليتقدَّم . فحين رأينا ما حلَّ به[1] من هذه البلية ؛ كِدْنا أن نبكي رحمة عليه .

واجتمعت أيضاً واحداً منهم يظن الناس أنه قطب ، فأقرَّ في مجمع من العلماء بأن شيخه لم يكن لقَّن له شيئاً ما من الطريقة ، بَيْدَ أنَّه قد قيل : أَذِنَ له قُبَيل موته . فتعجبت بقوله هذا ، وتعجب الحاضرون ، لكنْ لم أقل له قولاً ما يردّ كلامه ، بل سَكَتُّ . ولو قيل له : أيّ شيء تُعَلِّم الناسَ ؟ ! وبأيِّ شيء تلقِّنهم مع أن الإذن إنما يكون لتلقين ما لَقَّنَ لك الشيخ ؟ لسكتَ ، ولا يدري ما يقول .

واعلم أيها الأخ أنَّ أكثر المتصدِّرين في ديارنا كأمثال هذين الشخصين المذكورين ، **وكلّ من تصدَّر باسم الشيخوخة قائلاً** (**إنه مأذون من طرف الثغوري**) ، **فهو مُدّع كذّاب** ، كائناً من كان ، فكيف لا ؛ وقد أخبر واحد منهم بأنَّه ليس بيده إِذن من الشيخ الثغوري ! بيد أنَّه يُعَلِّم الناس الخير ظنّاً منه أن الثغوري لا يسخَط عليه بذلك .

فالحاصل : قد أقرَّ جميعهم بعد التفحُّص لدى مَن يعرف مراتب الطريقة بأنَّهم لا يعلّمون أوراد الطريقة ، بل إنَّهم آمرون بالمعروف . فهذا آخر كلامهم عند من يعلم .

وأمَّا عند الجُهَّال ! فإنهم ينطقون بكل ما سَبَقَ على لسانهم ، ولا يتحاشون عن ذلك ، ولا يخفى على الله شيء ، حتّى **قال الحاج أُذُن السلطي** : إنَّه كان لدى الثغوري قُبَيْل موته وقال : يا ولدي لم يحصل

---

(١) وقد وقع رؤيته ، ورؤية أحواله سبباً لتأليف : « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » وهو كتاب ضخم كالجامي (منه) .

في مريدي من يأخذ عصاي بيده . وأنا الآن قريب إلى الممات ، ثمَّ مات رحمه الله بعد أيام ؛ ولم يأذن[1] لأحد ، هكذا أخبره مُشافهة لدى العلماء[2] وأخبروني بعين ما قاله .

وأخبرني شيخنا العسلي قدّس سره أنّ أُذُن حاج قال للككني : إنّ الثغوري لم يأذن لأحدٍ ، فلم تفعل هذا الأمر ؟ ! فقال الككني : إنِّي لم أكن أتشيَّخ ، وإنما أنا آمر بالمعروف . فبعد ذلك تصدر أُذُن حاج لفعل ما فعله قائلاً : إني آمر بالمعروف . انتهى .

وأيضاً قد وجد العلماء في أثناء كتاب مَمَّ دبر الروچي قدس سره مكتوباً كتبه الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره بخطه بهذه العبارات : إلى مَمَّ دبر ؛ إنّي إنما قطعت[3] النظر عن عبد الرحمن الثغوري لاتّباعه الكشف الخديع[4] . . . إلى آخره . وعندي ذلك المكتوب الذي كتبه بعض العلماء من خطه .

وقد كتبها شيخنا الباكني من خطه[5] بتمامه في هامش تخميسه على

---

(١) راجع هامش « تنبيه السالكين » .

(٢) منهم العالم محمد شفيع الهژلِي والعالم الحاج محمد بن إبراهيم القحيِّ الأسترخاني كما أخبراني بذلك مشافهة (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) وفي نسخة : إني قطعت .

(٤) اللهم إني رأيت مكتوباً كتبه واحد من خط السيد أبو عبيدة ابن الشيخ السيد نور الدين الغموقي قدس سره : بأن الشيخ سيدي طه الخالدي النقشبندي أذن للثغوري قدس سره لكن لم نجد في ديارنا من علَّمه الطريقة النقشبندية ؛ ولو لواحد (منه) . (هامش الأصل) .

بيد أني رأيت مكتوباً كتبه الشيخ الثغوري إلى الشيخ الفلاني يشكره على أنّه أذن – الشيخ الفلاني – له – أي الشيخ الثغوري – . ورأيت في « سلم المريد » أنه أذن له اليراغي . ولله الحمد والمنة (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

(٥) أي : من خط جمال الدين قدس سره . (هامش الأصل) .

« سلك العين » فراجعه . وقد حكى العالم محمد شفيع الهژلِي رحمه الله تعالى أنه قال : اجتمع مع واحد من مشائخ بخارى ، وكان شيخاً كبيراً هرماً ، ذا لحية بيضاء ، فقال لي : هل في داغستان مشائخ ؟ فقلت له : نعم . وذكرت له جميع من يتشيخ في ديارنا ؛ بذكر أسماء كلهم : كالحاج محمد الككّني ، وأُذُن السلطي ، ورجبلو الكنوي ، وسراج الدين الإنخوي ، وإلخ إلخ ، فأطرق ذلك الشيخ رأسه ملياً ، وغمَّض عينيه كأنه يتفكر في حقهم ثم نظر وقال : المذكورون أولياء لا مرشدون ليس لهم سلسلة ؛ سوى الحاج عبد الرّحمن العسوي فسلسلته متصلة إلى النبي عليه السلام هكذا - فمد يديه قبالته يشير بذلك[1] إلى استقامة سلسلته ، وكونه مرشداً كاملاً - . انتهى .

واعلم أيها الأخ ؛ أنَّ شيخ الثغوري كان جمال الدين الغموقي رحمه الله تعالى وكان هو نقشبنديّاً وقادريّاً ، وإذا كان الأمر كذلك ! فلم نجد في نواحينا ولو واحداً لُقِّن له شيء ما من أوراد هذين الطريقين ، بل إنما أمروهم[2] بـ(لا إله إلا الله) كما يقول العوام ، لا على الكيفية التي قرَّرَها

---

* لكن ذكر الشيخ إلياس في « سلّم المريد » أنه - أي : الشيخ الثغوري - أذن له - أي : الشيخ إلياس - وكتب الشيخ العالم مَمَّلْ علي الأقوشي بأنه قدس سره أذن له . والله أعلم بحقيقة الحال (منه) . (هامش الأصل) .

(١) أي بمد يدين . (هامش الأصل) .

(٢) أي الزاعمون أنهم خلفاء خلفائه ، فافهم . (هامش الأصل) .

*وقع بيني وبين واحد من المتشيخين كلام في خصوص المشيخة والإجازة على وجه المجادلة في محضر من الناس المحترمين ، فسألته ؛ أيّ شيخ أذن لك لتلقين الذكر ؟ فأجاب : أذنَتْ لي الحاجة مريم بنت الشيخ عبد الرحمن الثغوري ، فقلتُ له : هل تكون للنساء ولاية ما . فقال : إني سألتها كيفية تلقين أبيها الذكر للمريدين فأخبرتني تلك الكيفية ولي بها أسوة حسنة في التلقين ، ثم قال ذلك المتشيخ بعد كلام كثير وأهل المجلس يضحكون علينا : (هَنْج دِصَكِ تَنَ هِبْ طَرِيقَتْلِ قِّ مَرْيَمْ حَجِلْ بَرْكَتْ شُنْ) فتضاحك المجلس . وإن هذا ممن يزعم المشيخة زعماً شديداً (لمحرره العوري غازي محمد) . (هامش الأصل) .

المشائخ ! فبهذا الميزان المذكور يعرف الفرق بين الشيخ والمتشيخ في ديارنا .

وأيضاً إن عادة المشائخ كتابة صك الإجازة ، كما ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، وعثمان الزاخوري في « تحفته » ، فتفحَّص منهم أيها الصديق ، هل في يد واحد منهم صك الإجازة أم لا ؟ ! فإن وجدت ، فقل لهم : إنما يحتاج إلى الإجازة لتلقين أوراد الطريقة ، لا لتلقين ما أَرَدْتُمْ ! فلا يدرون لهذا القول جواباً . وهذا ميزان آخر أيضاً لتعليم المحق والمبطل في هذه الطريقة النقشبندية وفي غيرها .

أوراد الشاذلية

وثانيها : الطريقة الشاذلية

وأورادها - على ما لقننا شيخنا قدّس سره - :

١ - **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** (مائة مرة) وهذه الصيغة الشريفة المسماة بـ(روح الصلاة) ؛ كما في « جواهر المعاني » .

٢ - **اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم** (مائة مرة) .

٣ - **ولا إله إلا الله** (مائة مرة) سيدنا محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة .

٤ - وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية ويفعلها صباحاً ومساء في المَلَوَيْن .

ومثله في « النور الساطع » و« الأنوار القدسية » .

ولِلشّاذليّة أوراد أخرى يُلقّنُونها في منازل طريقتهم ، وهي : (لا

إله إلا الله) في النفس الأمارة ، (الله الله) في اللوّامة ، (هُو هُو هُو) في الملهمة ، (حقٌّ حقٌّ حقٌّ) في المطمئنة ، (حيٌّ حيٌّ حيٌّ) في الراضية ، (قَيُّوم قَيُّوم قَيُّوم) في المرضية ، (قَهّار قَهّار قَهّار) في الكاملة .

كتب شيخنا سيف الله قدّس سره في بعض مكاتيبه بعد ذكره هذه الأذكار المذكورة وسَيْرها وعَالَمها هذه العبارات الآتية :

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ، ويقال لها الأسماء الإلهية ، وهي أيضاً أصول الأسماء ، فلكل نَفس اسم خاص ، وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية كذلك ، ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى . من خطه .

ولهذا الحقير إجازة في هذه الطريقة ، وهي أفضل الطرق بعد النقشبيدية ، كما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره ، فَزِنْ أيها المخدوم حال مَن لَقِيتَ ممن يزعم أنه شاذلي على هذا الميزان المذكور ؛ تعرف الحقيقة ، ويتبين الصادق والكاذب .

وثالثها : الطريقة القادرية قدس الله أسرار أهلها ، فإذا كان في ديارنا مَن يزعم أنه قادري ، وأن ما يلقنه من أوراد القادرية ، احتجنا أن نذكر طرفاً مما يستعمله أرباب هذه الطريقة العلية قدس الله أسرارهم آمين ، ليكون ميزاناً يعرف به أن يتميَّز المحق والكاذب .

أوراد الطريقة القادرية

قال في « الأنهار الأربعة » **اعلم** أن مشائخ هذه الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم يأمرون الطالب أولاً بالذكر جهراً متوسطاً .

وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة .

وصفته : أن يقول (الله) بالشدِّ والمد ، والجهر بقوة القلب والحلق ، ثم يتوقف حتى يستقر النَّفَس ، ثم يقول أيضاً على طريق المذكور ، ولم يزل هكذا متخذاً ذلك ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين .

وطريقه : أن يجلس جلسة الصلاة على ركبتيه ، ويضرب باللفظ المبارك مرة على الركبة اليمنى ، وأخرى القلب ، ويكرر ذلك بلا فصل ، وينبغي أن يكون كل من الضربتين بكمال القوة والشدة ؛ خصوصاً الضربة التي تكون على القلب لتأثر القلب وتحصل الجمعية .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث .

وكيفيته : أن يجلس مربعاً ، ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة على القلب ، وليكن الضربة الثالثة أشد وأجهر .

النوع الرابع : ما كان بضربات أربع ، وفي هذا كذلك : أن يجلس مربعاً ، ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة في القلب ، ومرة أمامه ، وليكن الرابع أشد وأجهر من الأوليات .

القسم الثاني : النفي والإثبات وهو قولنا (لا إله إلا الله) .

وصفته : أن يجلس على ركبتيه ، متوجهاً إلى القبلة ، ويغمض عينيه ، ويقول : (لا) كأنه يخرجها من سُرَّته ، ثم يمدها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن ، فيقول (إله) كأنه يخرجها من أم الدماغ ، ثم يضرب

(إلاّ الله) بالشدة والقوة على القلب ، ويلاحظ نفي المحبوبية والمقصود والوجود عن غير الله ، وإثباتها له تبارك وتعالى .

واعلم أن الحكمة في اشتراط الضربات الشديدات ومراعاة مواضعها في الذكر ؛ أن الإنسان لما كان مجبولاً على رؤية الجهات الست ، واستماع الأصوات والنغمات ، ومبتلى بخطور الخواطر على قلبه وحديث النفس ، قرَّر مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم - تلك الشروط والأوضاع ؛ سدّاً للتوجه إلى غير نفسه ، حتى يخلو بذلك من الخطرات الخارجية ، ويتوجه إلى الذات الإلهية .

وينبغي لأهل السلوك أن يجتمعوا ويقعدوا حلقة بعد صلاة العصر ؛ يذكرون الله تعالى على وجه الجمعية ، لأن في الاجتماع فوائدَ كثيرة لا توجد في الانفراد ، فإذا ظهر للسالك أثر الذكر الجلي ، وشوهد فيه نور الذكر متى ما كان نقد وقته الذوق والشوق ، وارتفاع الخواطر ، وانتفاء حديث النفس ، واطمئنان القلب باسم الله تعالى ، وإيثار الحق على كل ما عداه ، فحينئذ يأمره الشيخ بالذكر الخفي ؛ وهو على قسمين :

اسم الذات مع أمهات الصفات **وصفته** : أن يغمض عينيه ، ويضم شفتيه ، ويقول بلسان القلب : (الله سميع ، الله بصير ، الله عليم) ، كأنه يخرجها من سُرَّته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ، ومنه إلى العرش ، ثم يقول : (الله عليم ، الله بصير ، الله سميع) ، هابطاً على تلك المنازل كما صعد عليها ، فهذه دورة واحدة ، ثم يفعل هكذا وهكذا . ومن أهل هذا الشأن من يزيد (الله قدير) .

والنفي والإثبات وصفته : إما كما ذكرنا في الجهر ، وإما بأن يكون متيقِّظاً مطَّلعاً على أنفاسه ، فإذا خرج النَّفَس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه (لا إله) بلسان القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله (إلا الله) وهذا يسميه الأكابر (باش أنفاس) ، وله أثر عظيم في نفي

الخواطر وزوال حديث النفس ، فإذا ظهر أثر الذكر الخفي ، وشوهد في الطالب نوره ؛ يأمره الشيخ بالمراقبة ، والمراد من ظهور هذا الأثر : غلبة الشوق والمحبة ، وانصراف عنان عزيمته إلى الفكر ، وإيثار الله عز وجل ، واجتماع الهمة على طلبه ، ووجدان الحلاوة في السكوت ، وكمال النفرة عن الكلام والاشتغال بأمر الدنيا . انتهى عبارته .

وفي « الأنهار الأربعة » بسط مرضي في كيفية المراقبات فراجعه .

فهذه هي أوراد الطرق المشهورة في ديارنا ، وهي ميزان صادق ، **وقلَّ فينا مَن له إجازة صحيحة فيها من أربابها** ، وقد سألت بعضاً يتصدر لتعليم القادرية : من شيخك ؟ فقال : فلان . فقلت له : ومن شيخه ؟ فقال : عبد القادر الكيلاني . ولم يدْر أن يذكر من سلسلة تلك الطريقة غيرهما ، فكيف يكون الشيخ قادرياً مع عدم استعماله شيئاً ما من أورادها ؟ ! وكيف يكون نقشبنديّاً أو شاذليّاً مَن لا يشتغل بشيء من أذكارهما ؟ ! فكما لا يصير الحنفي شافعيّاً إلا بعد استعماله مذهب الشافعي ؛ فهكذا لا يكون الشخص نقشبنديّاً أو شاذليّاً أو غيرهما إلا بعد أخذ التلقين والعهد من أربابها وقطع منازلها ، إلى أن يصل إلى مقام الإجازة ، ثم إعطاء[1] الإجازة للتلقين والإرشاد ، **فافهم** يا أخي ، ولا تظن أن هذا الحقير الداعي لكم بالخير إنما يتكلم لحظِّ نفس أو غرض من الأغراض ! حاشا ذلك وكلا ، والله على ما يقول شهيد ، بل هو الناصح الأمين للخلق بعد علمه بالعلم اليقيني حقيقة حال أهل الزَعْم ، خوفاً من أن يكون شيطاناً أخرس ، لأنه قد ورد أن : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » ، أو ما هذا معناه .

ولعدم شهرة سائر الطرق في نواحينا أعرضت عن ذكرها ، والكتب التي ذكر فيها جميع الطرق فمذكورة في « جامع أصول الأولياء » فراجعه من أوله فهذا والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

---

(١) أي إعطاء الشيخ الإجازة . (منه) (هامش الأصل) .

البرج السابع عشر
في ذكر أوصاف الشيخ المرشد

قال في « الفتاوى العمرية » : وشرط المرشد الذي يصح[١] له الإرشاد : أن يكون عالماً بموجب الشريعة المطهَّرة على وجه الاستقامة ؛ بلا ميل ولا انحراف ولا إعراض ، ويرشد الناس إلى اتباع الشريعة . وذكر الله **مع الحضور** ، وأن ينصح الجميع بما أمكنهم ؛ فيدلَّهم على التقوى والاستقامة ، وينهاهم عن المنكر ، وينظر لكافة الخلق بعين الشفقة والرحمة ، ويرحم صغيرهم ، ويوقِّر كبيرهم ، وأن يكون عالماً بما يحتاج إليه المريدون ؛ من فقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي في البداية تعرض للمريدين ، وأن يستر ما اطَّلع عليه من عيوب المريدين ، وأن يكون عالماً بكمالات القلوب وآدابها ، وآفات النفوس وأمراضها ؛ بالكشف إن كان من أهل الكشف ، أو بالحال الذي يعرض للمريد إن لم يكن له كشف ، أو بالدلائل الخارجية ، وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله - أي : ما بين الإفراط والتفريط - وأن يكون غنيّ النفس ، وحسن الخُلُق ، لا يغضب إلا لله ، وإذا جاءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عَبْسٌ ، وأن يكون جلاله ممزوجاً بجماله ، وقهره ممزوجاً بلطفه .

والحاصل : أن جميعها يجمع قولنا (الاستقامة) .

وقال الشاذلي[٢] : ولا يشترط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي

---

(١) وفي نسخة : يصلح .

(٢) وكان يقول - يعني : الشاذلي - : لا تُعطى الكراماتُ مَن طلبها وحدَّث بها نفسه ، ولا مَن استعمل نفسه في طلبها ، وإنما يعطاها من لا يرى نفسه ولا عمله ، وهو مشغول بمحابِّ الله تعالى ، ناظر لفضله ، آيس من نفسه وعمله ، وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره ، وإن كانت هنات النفس في باطنه . . . إلخ .

وكان يقول : ما ثَمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان ، ومتابعة السنة ، فمن أعطيهما=

كلها ، والمحافظة على الواجبات وما تيسر من المندوبات ، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن ، وأقلُّ ذلك ألف مرة في كل يوم ، والاستغفار مائة مرة ، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . « روح البيان » .

الكرامة ليست بشرط في المرشد

وأما الكرامة ! فليست بشرط للمرشد ، لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين ، إلا عن بعضهم نادراً ، حتى لم تنقل من الصِدِّيق الأعظم ، مع أنه أفضل الأمة ! .

والحاصل : أن **أفضل الكرامة الاستقامة** ، كما قالت به رابعة العدوية ، **حتى إن بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً** ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح اليان » .

وقال عبد الله القرشي : مَن لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات وخوارق العادات كراهية ظهور المعاصي فهو حجاب في حقه ، وسترها عنه رحمة ، والخوارق كلها ؛ كما إنها سبب السعادة ؛ فهي أيضاً سبب الشقاوة ، ولذا قيل : **الكرامة**(١) **حيض الرجال** . « روح البيان » .

وفي « طفل المعاني » الولي من أُيِّد بالكرامات وغيب عنها ، لا يرى الإفشاء ، لأن **إفشاء سرّ الربوبية كفر** .

قال في « المرصاد » : **أصحاب الكرامات محجوبون** ، والكرامة

=وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مغترّ كذاب . « طبقات » . (هامش الأصل) .

(١) أي تطلبها والميل إليها حيض الرجال المانع عن القرب إلى الله تعالى . « المشرب النقشبندية » للشيخ الرباني الحاج بالحرمين عبد الرحمن الثغوري رحمه الباري .

حيض الرجال ، **فالولي له ألف مقام** ؛ أوله باب الكرامة ، مَن جاوز منها[1] نال الباقي ، وإلا ؛ فلا[2] .

قد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » ما نصه : **أن الولي المجذوب الغير السالك لا يجوز أن يكون مرشداً للغير** ، لأنه في قبضته تعالى مسلوب الاختيار عن نفسه ، وإذا كان مسلوبَ الاختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربِّياً للغير ، **لأن التصرُّف في غيره يستدعي ولاية التصرُّف في نفسه** ، وهذا الولي مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرف في نفسه ، فكان مسلوبَ التصرف في غيره . والكلام على هذا مبسوط في « جامع الأصول » .

و ذكرنا فيه أيضاً ، نقلاً من « المواهب البريقة » : أن المجذوب لايصلح أن يكون مسلكاً للمريدين لجهله بتحقيق مقامات الطريق ، فحكمه كمن خطف من مصر في الهواء فوجد نفسه بمكة ، فإذا سئل من مناهل[3] الطريق ومراحلها ربما جهل شيئاً منها ،بخلاف من سافر مع دليل الحجاج . انتهى .

ونقلنا فيه أيضاً من « مكتوبات » القطب محمود أفندي قدّس سرّه ما نصه :وإن باشروا – يعني :المجاذيب – إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم الغير المتممة بقوة إخلاص . انتهى . وقد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب المذكور في الباب الثاني فراجعه .

---

(١) بترك الإفشاء .

(٢) أي : وإن أفشا فلا ينالها . فافهم . (منه) .

(٣) ويسمى المنازل التي في المفاوز على طرق السُفَّار : مناهل ؛ لأن فيها ماء . « مختار » . والمنهل – بفتح الميم – المورد ؛ وهو عين الماء . « مصباح » . (هامش الأصل) .

ولا يظن عاقل عالم - إن شاء الله - أنَّ هذا الحقير ينفي الولاية بالكلية عن المتشيخين ، فكيف ؛ وفي الحديث القدسي « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » بل إنما يقول : إنهم ليسوا من أهل السلوك الذين سلكوا على يد شيخ مربٍّ ، وقطعوا مقامات الطريق إلى أن يصلوا إلى مقام يجوز للشيخ أن يجيز لهم بالإرشاد ؛ وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين لا يجوز أن يؤخذ منهم ، ومعلوم أن **العصمة إنما هي من خصائص النبوة** . **فافهم** يا أخي ولا تعجل ، فإن العَجَلَةَ من الشيطان .

فائدة أخرى : قد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب المذكور في الباب الثالث نقلاً من كتب السادات بما حاصله :

وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، **وغرضه من ذلك أن يبلغ الكتابُ الأجلَ باجتماع أهل الذكر عليه** ، كما أجاز خواجه بهاء الدين النقشبندي ليعقوب الچرخي قدّس سرّه قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ؛ ما وصل مني إليك . فليصلْ منك إلى الناس ، ثم تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين . انتهى .

وينبغي أن يُعلم أنَّ النقص ؛ وإن كان ينافي الإجازة لما فيه من ضرر الطالبين ، لكن لمَّا صدر من كامل مكمل يكون هذا نائباً منابه ؛ وتكون يدُه يدَه ، فلا يتعدّى ضرره . انتهى فراجعه .

وأما الأخذ من الشيخ الناقص الذي لم يأذن له الشيخ في التلقين والإرشاد!! فمضرٌّ للطالبين ، كما هو مذكور في الكتب كـ« الإبريز » وغيره ، وقد مرَّت الإشارة إليه في هذا الكتاب .

البرج الثامن عشر

في بيان أن الشيخ الكامل كالنبي في أمته وأن مبايعته كمبايعته ﷺ لكونه نائباً عنه عليه السلام وبيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون خالصة لله لا لغرض سواه

قال أحمد الزركراني رحمه الله تعالى في « رسالته » في الفصل التاسع : **الرسل نوعان** : **الرسل الأصلي وهم الأنبياء ، والرسل الفرعي وهم أولياء هذه الأمة** الذين يرسلون من عند الله بأمر الله بواسطة سيد المرسلين ، وقد أضاف الله تعالى إليه رسل عيسى عليه السلام إلى قرية أنطاكية بقوله ﴿**إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ**﴾ انتهى . وقال بُعيد هذا : فيجب الإطاعة لأولياء أمة محمد ﷺ لأمر الله ؛ كما قال الله تعالى ﴿**أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ**﴾ **والمراد بأولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون** ، وللعامة الظاهرة : العلماء والأمراء الظاهرية ، ولأهل الله : العلماء الباطنية من الأولياء السنيين التابعين للنبي ﷺ المشاهدين له في مشاهدهم لصدق أحوالهم . انتهى .

مهم

وقال أيضاً بُعيد هذا : وهم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل ، كهارون مع موسى في الدعوة إلى الله بشريعة النبي ﷺ ، كما قال الله تعالى ﴿ **قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي**﴾ . انتهى عبارته . فراجعه .

وفي « بيان الأسرار » للسهروردي : **فإنَّ الأولياء مرسلون للخواصِّ ؛ لا للعوام! فرقاً بين النبيِّ ﷺ والوليِّ** ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يرسل إلى العوام والخواص جميعاً مستقلاًّ بنفسه ، والوليّ المرشد يرسل للخواص غير مستقل بنفسه ، فإنه لا يسعه إلا متابعة النبي ﷺ . انتهى عبارته فراجعه في

الفصل الخامس تجد البسط .

وقال مؤلف « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الثامن عشر ما نصه هذا : وقال في « الخلاصة المرضية » : روى السهروردي بسنده أنَّ النبي ﷺ قال : « والذي نفس محمد بيده لئن شئت لأقسمنَّ لكم أنَّ أحَبَّ عبادِ الله إلى الله الذين يحببون اللهَ إلى عباد الله ويحببون عبادَ الله إلى الله ، ويمشون في الأرض بالنصيحة » . قال : وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله ، لأن الشيخ يحبب الله تعالى إلى عباده حقيقة ، ويحبب عبادَ الله إلى الله ، **ورتبة المَشْيَخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله تعالى .**

فأمَّا كون الشيخ يحبب عباد الله تعالى ! فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ، ومَن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ وأتباعه ، أحبه الله تعالى ، قال الله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ ووجه كونه يحبِّبُ الله إلى عباده : أنه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية ، فإذا تزكَّت النفس انجلت مرآة العبد وانعكس فيها أنوار العظمة ، ولاح فيها جمال التوحيد ، فأحبَّ العبدُ ربَّه لا محالة .

والشيخ من جنود الله تعالى يُرشدُ به المريدين ، ويهدي به الطالبين ، فعلى المشائخ وقار الله ، وبهم يتأدب المريد ظاهراً وباطناً . قال الله تعالى ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ** ﴾ ، فالمشائخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوسُ[1] الشيخ نفوسَ المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ، فبذلك يصير المريد

(١) ساس زيد الأمر : دبَّره وقام بأمره « مصباح » . وسُسْتُ الرعية : أمرتها ونديتها . « قاموس » . (هامش الأصل) .

كالجزء من الشيخ ، كما أن الولد جزءٌ من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة ولادة معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : « لن يلج ملكوت السماء مَن لم يولد مرتين »[1] . ومَن صرف اليقين على الكمال يصل لهذه الولادة ، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ، ومَن لم يصله ميراث الأنبياء ما وُلِدَ .

وقال بعد كلام : ومن شرط المريد أن لا يصحب من الشيوخ إلا مَن تقع له حرمة في قلبه ، وأن يبايعه على المنشط والمكره . انتهى .

وقال في باب آداب الذكر : الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى .

مطلب

وفي « البحر المورود » للشعراني : أُخِذَ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره به من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقيناً أنه لا يقدِّم علينا في المحبة أحداً من الخَلْق مطلقاً ؛ حتى أهلَه وولده ! **وراثة نبوية** ؛ لا استقلالاً . قال :

واعلم أنه لولا علم رسول الله ﷺ أن لصُحبةِ الناصح مدخلاً في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بُطْءٍ ؛ ما قال : « لا يؤمن أحدُكم حتى

(١) المراد منه : تولد طفل المعاني الروحاني من حقيقة قابلية الإنسان ، وهو سرُّ الإنسان ؛ يظهر علوقه من اجتماع علم الشريعة والحقيقة ، لأن الولد لا يحصل إلا من اجتماع النطفتين من الرجل والمرأة . « بيان الأسرار » .

والمراد من الولادة : هو ظهور طفل المعاني ، والخروج من عالم الجسمانية إلى عالم الروحانية ، وهو سرُّ الإنسان مقابل اللاهوت . إلا نادراً مثل عيسى عليه السلام حصل بلا أب في الظاهر ، بل جبرائيل أب له في المعنى لأنه بنفخه نشأ ، ولذلك قال عيسى عليه السلام حين عروجه : إني ذاهب إلى أبي جبرائيل . « لب الغرائب » (هامش الأصل) .

أكونَ أحبَّ إليه من أهله وولده والنَّاسِ أجْمعين » **ومن المعلوم أن جميع الدُعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة إنما هم نوَّاب له** ﷺ ، فلهم من الأدب معهم ، والمحبة لهم - بحكم الإرث - نحو ما كان له ﷺ ، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ، ويعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، كما أن النبي ﷺ كذلك ، قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديمَ أحد عليه في المحبة نفض يده منه .

ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عدي بن مسافر - أحد أركان الطريق قدّس الله سره - : **اعلم** أنك لا تنتفع قط بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذِّبك بأخلاقه ، ويؤيِّدُك بإطراقه ، وينوِّرُ باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنتفع منه بشيء ، ولو كان من أعلى الأولياء .

قلوب الرجال كالجبال

وقد ذكر سيدي عليّ ابن وفا رحمه الله تعالى . في كتابه المسمى بـ« الوصايا » : **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال ؛ فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته[1] معه من إشراك أحد معه في المحبة ، لا

---

(١) وتوحيد قبلة التوجه من الشروط وتفريق التوجه موجب للخسران - عياذاً بالله سبحانه - . وأيضاً إنّي كنت قلت لك مكرراً ومؤكداً : أن قلِّل الأشغال ليحصل المقصود بسرعة ، فإن ترك الأمور الضروري والاشتغال بما لا طائل فيه بعيد عن طور العقل ولكنك معتقد برأي نفسك ، قلّ ما يؤثر فيك كلام غيرك ، وأنت تعلم=

يزيله إلا ذلك ، لا تقصيره في الخدمة ولا غير ذلك ، فافهم .

قال الشعراني : ثم لا يخفى عليك أن جميع الأشياخ إنما طلبوا من المريد كثرة الإجلال والتعظيم لهم ، والرضا بكل ما يرونه ؛ تمريناً له وطلباً لترقِّيه ، إذ الشيخ كالسُلَّم للترقي ، يترقى المريد بالأدب معه إلى الأدب مع الله تعالى ، فمَن لم يُحْكِمْ باب الأدب مع شيخه لا يشمّ رائحة الأدب مع الله تعالى ، فيستفيد المريد بالرضا عن شيخه إذا حرمه دنيا كان يترصَّد حصولها - مثلاً - الرضا عن الحق تعالى إذا حرمه رزقاً أو وظيفة ، أو نزل عليه بلاء ، أو أزال عنه نعمة ، ومتى لم يرضَ **فحرمان**[1] **شيخه لا يصح**[2] **له الرضا عن الحق تعالى** إذا حرمه شيئاً كان يحبه . ويستفيد بصبره على تحمُّل غضب شيخه وهجره له وثباته تحت هجره وقطيعته الإدمانَ على تحمُّل ذلك لو وقع من جانب الحق - والعياذ بالله - ويستفيد بمراقبة شيخه له في الخدمة له وعدم غفلته عنها وكثرة ملاحظته له عدم الغفلة عن عبادة الحق جلَّ وعلا ، وكثرة ملاحظته بالقلب . وهكذا .

قال : وينبغي لك يا أخي أن تمتحن نفسك إذا ادَّعت أنها تسمع لشيخها ما يأمرها به كما هو واقع من أكثر المريدين ، فيقولون : نحن أول من يطيع ، ثم إذا قال له شيخه : طلِّق زوجتك التي قلتَ : إنها تشغلك عن الله تعالى ، وتُحوجك إلى تناول الحرام والشبهات . هو خير لك ، أو ائتنا بشطر مالك لنفرِّقَه[3] على إخوانك هؤلاء الفقراء ، أو أسقط حقك من سائر وظائفك من إمامة وخطابة وتدريس ووقادة[4] وفراشة وأذان وخلوة وثياب

=ما على الرسول إلا البلاغ المبين . والسلام كذا في « المكتوبات » في ٣٣١ ج١ (منه رحمه الله) .

(١) عله بحرمان (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : يصلح .

(٣) وفي نسخة : لتفرقه .

(٤) هي : إيقاد سرج المسجد وفَرشُه .

ونحو ذلك لا يرضى ، بل يظهر على وجهه العبوسة ، حتى يشهد ذلك منه جميع الحاضرين ويفتضح ، **ولو أنه أجاب شيخه لكان أولى ، فإن الأشياخ لا تغش أبداً** ، وماذا يفوت المريد إذا سمع لشيخه وصار الحق تعالى عوضاً عن كل شيء ؟ ! **وماذا حصل مَن باع جلوسه في حضرة ربه عز وجل بقطعة دبغت بالدم والبول ولا تساوي في السوق درهماً ولا بعضَه إذا قطعتْ ؟ فعُلِم أن مَن لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه ؛ فمحبته نفاق ، ولا يمكن للشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار** التي يترقى هو بها ، فإن مَن لم يصلح لأن يكون محلاًّ للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم ، وكذلك إذا كان الشخص[1] يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام : وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال : والله لا آمنكم على إخراج ريح ، فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريق ؟ ! **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر لا يفلح منهم أحد بعده ؛ لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم .

وفي « جواهر المعاني » : وسألته رضي الله عنه عن قولهم رضي الله تعالى ، عنهم **إن دائرة الوليّ أوسع من دائرة النبي** ﷺ : فأجابَ رضي الله تعالى عنه بقوله : المراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط ، والمراد منه مَن أُمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم ، فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء ، واتساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى ، فكل رسول من الرسل غير نبينا ﷺ رسالته خاصة بموطن أو

---

(١) وفي نسخة : المريد .

جنس أو بلد ، لا يتعدى إلى غيره ، ورسالة نبينا ﷺ عامة في سائر البلدان والأقطار ، وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار ، فالأولياء الداعون إلى الله تعالى من أمته دعوتهم تعمّ كعموم رسالة نبيهم ﷺ ، فلا تختص ببلد ولا جنس ولا أمة ، بل هي عامة كعموم رسالة نبيهم ﷺ **فهذا اتساع دائرة الولي عن دائرة النبي**(١) ، ثم هذه الدعوة إلى الله تعالى في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر ، لقوله ﷺ : « مروا بالمعروف وانهَوا عن المُنكَر » لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالإذن الخاص كإذن الرسالة ، **فمن نهض**(٢) **إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب ، ووقع الإقبال من الخلق عليه ، والاستجابة عنه ، ووقع امتثال أمره ونهيه في الخلق ، وحلا كلامه في القلوب ، ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله تعالى بالإذن العام ، وليس له شيء من الإذن الخاص؛ لم يُنْتَفَعْ بكلامه ، ولم يقع عليه إقبال** ، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق : ما أمرناك بهذا ، أو ما أنت له بأهل ، بل إنما أنت فضولي . فمن وقف هذا الموقف ابتلي بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنّع ، وليس من الله في شيء .

قال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

فعالِمُنا منهم نبيّ ومن دعا إلى الحق منّا قام بالرسيلة(٣)

قال ابن عطاء الله : من أُذِنَ له في التعبير فُهِمَتْ في مسامع الخلق عبارته ، وحُلَّتْ لديهم إشارته .

---

(١) يعني : ليس معناه أن الوليّ أفضل من النبي . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) أي قام « مختار » .
(٣) وفي « تزيين أسواق في أخبار العشاق » : بالرُسُلِية .

وحكاية الشيخ الجيلاني رضي الله تعالى عنه معلومة ؛ قال : قد كنت بالأمس صائماً ، فوضعتْ أم يحيى بُوَيْضَاتٍ إلى فطوري على طرف السرير ، فأتت هرَّةٌ فخطفتها ، فأخذ النساء في البكاء على عادتهن . . . إلى آخر الحكاية ، **ومَن ادعى الإذن الخاص من الله تعالى وهو كاذب ، وانبسط للخلق بالدعوة فإنه يموت كافراً ، إلا أن يتوب** ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بجاه النبي وآله . انتهى .

وقال شيخ الطريقة ، الجامعُ بين الشريعة والحقيقة ، المختار بن أحمد الكتني : وما قيل أنه - يعني : المريد - ، لا اختيار له ! إنما ذلك في الأمور الدنيوية ، فلا يدخل بنفسه ، بل يدخل ما دخله بربّه وشيخه ، فيكون مع سؤاله مفوضاً متأدباً ، غير متكاسل ولا متساهل ، ممتثلاً لأمر الشيخ كائناً ما كان ، وإن رأى فيه العطب ، فإنّ فيه النجاة ، قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ .

الوليُّ في قومه كالنبيِّ في أُمَّته

وقد ثبت وصحَّ في الأثر **أنَّ الوليَّ في قومه كالنبيِّ في أمَّته** ، لأنهم ورثتهم ، وللوارث ما للمورِّث[1] .

قال الجنيد : لولا أن الله تبارك وتعالى ستر عن العامة حقائق الأولياء لهلكوا بعدم الاتباع والاقتداء بهم ، ولكانوا عليهم حجة يوم القيامة ، لكن الله تعالى بفضله ورحمته سترهم بهذه الصورة البشرية ، **فلا يعرفهم إلا مَن هو مثلهم ، أو مَن أراد الله أن ينفعه ببركاتهم** ، فيطوي عنه الصورة البشرية ويشهده الحقيقة الربانية ، فيدرك إدراكاً قطعياً ، لا ظنياً ولا حسبانياً ؛ فينتعش بمشاهدته ، وتبقى مسافة المسير إلى الدرجات

(١) وفي نسخة : للموروث .

العليَّة ، فتكون سرعتهم على قدر رِقَّة طباعهم وكثافتها ، وعلى قدر المتجليات وهِمَّة الشيخ وإقباله عليهم ، **ولا يكون إقباله عليهم إلا بقدر إقبالهم عليه** .

قال ابن عطاء الله : **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ، ولكن أُطلبْ من نفسك أن يكون الشيخُ ببالك . فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله** ، فذلك أول قدم تضعه في السلوك ، فمنهم مَن يرتقي في ساعة ، ومنهم مَن يرتقي في يوم ، ومنهم مَن يرتقي في شهر ، ومنهم من لا يرتقي إلا في سنة ، ومَن[1] لا يبلغ إلا بعد أمدٍ مديد ، يختصّ برحمته من يشاء ، فمنهم المجذوب والسالك ، ومنهم المطرود والهالك . انتهى عبارته ١٢٩ .

ثم قال صاحب « الرماح »[2] بعد كلام : فإذا ظفر التلميذ بواحد منهم ، فليعلم أنه قد ظفر بمراده ، فلا يبغي به بدلاً ، ومهما مال عن قدوته بظاهره وباطنه ولو لمحة ؛ فإن ذلك وَبالٌ عليه ونقصانٌ له ، وإن محبته لا تصفو ، ولا يستعدُّ باطنه لسراية حال القدوة ، فإن التلميذ كلما أيقن بتفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله ، وقويت محبته . والمحبة هي الواسطة بين القدوة والتلميذ ، فعلى قدر حسن ظنه به تكون محبته ، **وعلى قدر محبته تكون سراية حال الشيخ عنده** ، فالمحبة علامة التعارف الحسي الداعي إلى التأليف المعنوي . وبالله التوفيق . انتهى[3] عبارته ١٣٠ .

قواطع المريد عن أستاذه

وفي « الرماح » أيضاً في الفصل السابع عشر : قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : **وأمَّا ما يقطعه - يعني : المريد - عن أستاذه**

(١) وفي نسخة : ومنهم من .
(٢) نقلاً عن « بغية السالك » . (منه) . (هامش الأصل) .
(٣) من هامش « جواهر المعاني » ج١ . (منه) . (هامش الأصل) .

فأمور ؛

منها : الأغراض ؛ سواء كانت دنيوية أو أخروية ، وذلك أن الشيخ لا يُصْحَبُ ولا يُعْرَفُ إلا لله عز وجل ؛ لا لشيء سواه .

وهي - يعني الصحبة - ، في أمرين :

١ - إمَّا أن يواليَهُ لله تعالى بأن يقول : هذا ولي لله ، وأنا أُوَالِيه لله ، وذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى : « مَنْ عَادَى لي وَليًّا فقد آذنته بالحرب » وفي طيِّه : **من والى لي وَلِيّاً ؛ لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وَلِيّاً ، وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى .**

٢ - والأمر الثاني : أن يعلم أنَّ الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب ، وما يفسد المرءَ فيها من الأوطار والأَرَب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدُلَّه على الله تعالى وعلى ما يقرِّبه إليه ، **والصحبة في هذين الأمرين** لا غير .

ومَن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة ، فإذا عرفت هذا فاعرف أنَّ الرب سبحانه وتعالى يُعْبَدُ لا لغرض ، بل لكونه إلهاً يستحق الألوهية والعبودية لذاته ؛ لما هو عليه من محامد الصفات العلية ، والأسماء البهية ، وهذه هي العبادة العليا ، وكذلك الشيخ يُصحب لا لغرض ، بل لتجليه[١] موالاته إلى ولاية الله تعالى ، ويتعرف منه الآداب المرضية ، وما يشين العبد في حضرة الله تعالى .

وقال أيضاً رضي الله عنه وأرضاه ، وعنا به ، في قول ابن عطاء رضي الله تعالى عنه : **سبحان مَن لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليلُ عليه ، ولم يوصل إليهم إلا مَن أراد أن يوصله إليه .**

(١) وفي نسخة : لتجلية .

ومعنى الحكمة : هو أنه إذا وصّل الله عبداً إلى وليّ ، وأقرَّ سبحانه في قلب ذلك العبد أنَّ هذا من الأولياء قطعاً لا يتردَّد ولا يشكُّ ، ثمّ خَدَمَه بالصدق والأدب ، وأشرقت محبة ذلك الولي في قلبه ، وكانت فيه من حيث أنه من أهل حضرة الله ، وممن اصطفاه الله تعالى لنفسه ، فأحبه لأجل هذا الغرض لا لغرض آخر ؛ فلا شك أن هذا يصل إلى الله ؛ ولو بعد حين .

وأمَّا إذا وصل إلى الولي ، وأقبل على أغراضه وشهواته ، ولم ينل من الولي إلا ما طابق أغراضه ! فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ، ولا من أهل الوصول إلى الولي[1] ، غاية الولي في هذا أنه يديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق الذي أمره الله تعالى به ، ومعاشرتهم بالمعروف ، ويقبض عنه أسراره ، **فهذا ولو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئاً ،** لأن لسان حال الولي يقول له : ما وصلتنا لله ، ولا وصلتنا لأجلنا ، وإنما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله ، لا نسبة بيننا وبينك . والسلام انتهى عبارته ١٢٢ ج١ . فهذه المذكورات مما يجب على المريد أن يَقِفَها[2] نصب عينه ، فقد رأينا كثيراً من المريدين يضعف طلبهم وإرادتهم يوماً فيوماً لأجل كونهم يطلبون الأحوال ، فإذا لم يحصل لهم شيء منها يفترون في الطلب ، ويرجعون قهقرى ، فكيف يحصل لهم الحال مع أنهم كاذبون في صحبة الشيخ ومحبته لله ؟ ! وقد فُهِم مما ذكرناه أن انعكاس حال الشيخ إلى المريد إنما يكون إذا كانت صحبته ومحبته لله تعالى ، لا لغرض ولا لعوض ، ومن ها هنا قيل : **إنَّ طالب الأحوال ليس بطالب الحق تعالى .**

---

(١) وفي « الطبقات » للشعراني : لا تشمُّ رائحة الولاية ؛ وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها . انتهى . كذا قاله الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس سره . انتهى . راجعه . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : يوقفها .

ومَن صحت نيته لا يفتر في الطلب ، ظهر له الحال أو لم يظهر ، وغياب الحال في حقه أولى وأسلم .

مهم

وقد كتب شيخنا سيف الله قدّس سرّه في مكتوبه : فالعدم المحض أسنى الأحوال . انتهى .

وقد بسطنا الكلام في حق هذا في « تنبيه السالكين » ، ومن أراد الزيادة فليراجع إليه . اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين ، ولا تجعلنا عَبَدة الحظوظ والأحوال . آمين .

وقد رأيت في « كنز المعارف »(١) لشيخنا القطب الصمداني سيف الله الحسيني ما لفظه : وقال ابن بنت ميلق قدّس سره :

وليس ينفع قطبُ الوقت ذا خلل   في الاعتقاد ولا مَن لا يواليه
إلا إذا سبقت للعبد سابقة   يعود من بعد هذا من يواليه

أي : وليس ينفعك أيها الطالب ملاقاة القطب والاجتماع به إذا لم تنكسر له ، وتخشع بين يديه وتتذلل ، فلذلك قيل : **من أشدّ الحرمان أن تجتمع بالولي ولم ترزق القبول عنده** ، وما ذاك إلا لسوء أدبك في الظاهر والباطن ! ! فإنهم يدخلون في باطن الإنسان ، ويعلمون ما تحويه سرائره من غير أن يشعر ذلك ، فلهذا يجب على الحاضر بين يدي أولياء الله تعالى أن يحفظ سره عما لا يعني ، فكيف بالمعاصي ؟ ! فإذا خطرت ووقعت خطرة من خطرات السوء بين يدي الولي فينبغي للطالب أن يتلافى(٢) ذلك ،

---

(١) وهو كتاب نفيس ضخم كـ « المحلي » قد بقي على المسوّدة بموته (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) تلافاه : تداركه « مختار » . (هامش الأصل) .

ويغسل تلك الخطرة بالاستغفار ، والرجوع إلى مولاه بالذلة والانكسار ، وهذا هو الذي أشار إليه الناظم بقوله :

إلا إذا سبقت للعبد سابقة . . . إلخ إذا سبقت العناية الإلهية للطالب تلافى ذلك الخاطر ، وعالج سوء الأدب الواقع منه بالاستغفار ، والعودة إلى موالاة ذلك الولي وحسن الأدب معه ، **فإن سيماهم السماحة** ، وهم متخلِّقون بأخلاق مولاهم ؛ يحبون التائب ، ويغفرون الذَلَّة[1] ، ويقيلون العثرة .

والحاصل : أن النفع المترتب على الاجتماع بالأولياء إنما يحصل بلزوم الأدب معهم ، وحسن الاعتقاد[2] فيهم . انتهى عبارته من خطه رضي الله عنه .

---

(١) وفي نسخة : الزلة .

(٢) **مهم ؛ أخذ الخير والفيض من الباطن مشروط بالشروط**

وقد رأيت في « طيب الحبيب » ما حاصله : أن أخذ الخير من باطن الغير مشروط ، ومسبوق بحسن الاعتقاد ورعاية الأدب معه ، وعدم الاعتراض عليه ، ووجوب الموافقة العادلة الفاضلة ، وقطُّ لا يسري من باطن إلى باطن شيء من الحقائق إلا برعاية ما ذكرت من الشرائط ، فليلازمها المسترشد العاقل إذا وجد باطناً ذا عقائد . انتهى . فراجعه . (منه ، رحم الله إفلاسه آمين) .

*وكان - يعني الشيخ إبراهيم الدسوقي - يقول : يا ولدي ، إن صح عهدك معي فأنا منك قريب غير بعيد ، وأنا في ذهنك وأنا في سمعك ، وأنا في طرفك ، وأنا في جميع حواسّك الظاهرة والباطنة وإن لم يصح لك عهد لا تشهد منّي إلا البعد . وكان رضي الله عنه يقول : فإذا أخذت يا ولدي وصيتي بالقبول وجاهدت في سرّك وراقبته سمعت كلام شيخك ولو كنت بالمشرق ؛ وهو بالمغرب ورأيت شَبَح شخصه . فمهما ورد عليك من مشكلات سرك أو شيء تستخير فيه ربك أو أحد يقصدك بأذى أو غير ذلك فوجه شيخك وصف سرّك وأطبق عين حسّك وافتح عين قلبك ، فإنك ترى شيخك وتستشيره في جميع أمورك وتطلب منه حاجتك فمهما قال لك فاقبله منه ، وامتثله . « الطبقات الكبرى » ١٥٠ .

البرج التاسع عشر

في بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في أسْرِ محبة الدنيا ومدح العلماء الزهَّاد الذين يرغَبون عن الدنيا

قال الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي رضي الله عنه : إن محبة الدنيا من العلماء ورغبتهم فيها كَلَفٌ[1] على وجه جمالهم ، وإن كان يحصل منهم فوائد للخلائق ، لكن لا يكون علمهم نافعاً في حقهم ، وإن كان تأييد الشريعة وتقوية الملَّة مرتباً عليهم ، لكن لا اعتبار على ذلك ، **فإن التأييد والتقوية يحصل من أهل الفجور وأرباب الفتور أحياناً** ، كما أخبر سيد الأنبياء - عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات - عن تأييد الفاجر قال : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وهم كحجر الفارس ؛ حيث كلما يلصق به من الشيء الأملس والحديد يكون ذهباً ؛ وهو باقٍ على حجريّته ، وكالنار المودعة في الحجر والشجر ، فإنه يحصل منها منافع للعَالَم ؛ ولكن لا نصيب للحجر والشجر من تلك النار المودعة في باطنهما ، بل أقول : إن ذلك العلم مضرٌّ في حقهم ، لأنه به تَمَّتْ الحُجَّةُ عليهم ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنَّ أشَدَّ النّاسِ عَذَاباً يومَ القيامة عَالِمٌ لم ينفعه الله بِعِلْمِهِ » فكيف لا يكون مضرّاً ؟ ! فإن العلم الذي هو أعزّ الأشياء عند الله وأشرف الموجودات ، جعلوه وسيلة لجمع حُطَام الدنيا الدنيئة ؛ من المال ، والجاه ، والأحباب ، والحال أن الدنيا ذليلة عند الله تعالى ، وحقيرة ، وأبغض المخلوقات عند الله ، وإذلال ما هو عزيز عند الله ، وإعزاز ما هو ذليل عنده في غاية القباحة ، بل هو معارضة مع الحق سبحانه في الحقيقة ، والتدريس والإفتاء إنما يكونان نافعين إذا كانا خالصَيْن لوجه الله تعالى ، وخاليين عن

---

(١) أي : الوسخ المنتشر على البشرة .

شائبة حب الجاه والرياسة ، وطمع حصول المال والرفعة .

وعلامة خلوِّهما عن تلك المذكورات : الزهد في الدنيا ، وعدم الرغبة فيها .

علماء الدنيا لصوص الدين

فالعلماء الذين هم مبتلون بهذا البلاء ، ومأسورون في أسْرِ محبة الدنيا ، **فهم من علماء الدنيا ، وهم علماء السوء ، وشرار الناس ، ولصوص الدين** ، والحال أنهم يعتقدون أنفسهم مقتدى بهم في الدين ، وأفضل الخلائق أجمعين ﴿ **وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٩)** ﴾ .

رأى واحدٌ من الأكابر الشيطانَ قاعداً ، فارغ البال عن الإغواء والإضلال ، فسأله عن سرِّ قعوده بفراغ البال ، فقال اللعين : إن علماء السوء في هذا الوقت قد أمدّوني في أمري مدداً عظيماً ، وتكفلوا لي بالإضلال ، حتى جعلوني فارغ البال .

والحق أن كل ضعف ووهن وقع في أمور الشريعة في هذا الزمان ، وكل فتور ظهر في ترويج الملة وتقوية الدين ، إنما هو من شؤم علماء السوء وفساد نيَّاتهم .

علماء الآخرة ورثة الأنبياء

نعم ؛ إن كان العلماء راغبين عن الدنيا ، ومحرَّرين من أسر حب الجاه والرياسة ، وطمع المال والرفعة ، **فهم من علماء الآخرة ، وَوَرَثة الأنبياء** عليهم الصلوات والتسليمات ، **وهم أفضل الخلائق ، وهم الذين يُوزن مِدادُهم يوم القيامة بدم الشهداء** في سبيل الله ، فيترجح مدادهم ،

و« نوم العالم عبادة » متحقق في حقهم ، وهم الذين استحسن في نظرهم جمال الآخرة ونضارتها ، وظهرت قباحة الدنيا وشناعتها ، فنظروا إلى الآخرة بنَظَر البقاء ، ورأوا الدنيا متسمة بسمة الزوال والفناء ، فلا جرم هربوا من الفاني ، وأقبلوا على الباقي ، **وشهودُ عظمة الآخرة إنما هو ثمرة شهود الجلال اللايزالي** ، وإذلال الدنيا وتحقير ما فيها من لوازم شهود عظمة الآخرة ، لأن الدنيا والآخرة ضَرَّتان ؛ إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ، فإن كانت الدنيا عزيزة فالآخرة حقيرة ، وإن كانت الدنيا حقيرة فالآخرة عزيزة ، وجمع هذين الأمرين من قبيل جمع الأضداد .

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا . . . . !

نعم ؛ قد اختار جمع من المشائخ الذين تخلَّصوا عن أسْر نفوسهم ومقتضيات طبائعهم بالكلية صورة أهل الدنيا بواسطة نياتٍ حقَّانية ، تراهم في الظاهر راغبين فيها ، ولكن لا علاقة لهم بها في الحقيقة أصلاً ، بل هم فارغون عن الكل ، ومتخلِّصون عن الجميع ، ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ فلا يمنعهم البيع والشراء عن ذكر الله ، فهم في عين التعلّق بهذه الأمور غيرُ متعلِّقين بشيء .

قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدّس سرّه : **رأيت في سوق منى تاجراً اتَّجر بمقدار خمسين ألف دينار تقريباً ، ولم يغفل قلبه عن الحق سبحانه لحظة** . انتهى « الدرر المكنونات » ٤٧ ج١ .

وفي « الأنوار القدسية » : قال تعالى مادحاً للكمَّل ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ فأخبر أنهم مع قيامهم في الأسباب التي يحجب بها غيرهم لا يغفلون عن ذكر الله تعالى لأنّ الدنيا خرجت من قلوبهم ، وصارت في يدهم ؛ لا غير !

وما ذمَّ الله تعالى حبَّ الدنيا إلا إذا كان حبها بحكم الطبع ، ويبخل

العبد بها عن المحتاجين .

وأما إذا وسَّع بها على المساكين ، وستر بها نفسه ، **وكفَّها بها عن سؤال الناس ؛ فنعمت الدنيا حينئذ ، وبئس رميها** ، ولذلك ما ذمَّ الله تعالى ذات الدنيا ، وإنما ذمَّ الميل إليها فقط ، إذ لو كانت مذمومة لذاتها لم نؤمر بمسكها في حال من الأحوال فافهم .

الدنيا المذمومة هي الزائدة عن الحاجة

ولا يخفى أن مرادَ كلٍّ من ذمَّ الدنيا من الشارع ﷺ أو غيره من صالحي المؤمنين الدنيا الزائدةُ على الحاجة ، أما ما يحتاج إليه ؛ فليس من الدنيا في شيء ، بل هو مطلوب ، إذ النكتة في ذمّ [الدنيا] إنما هو الاشتغال عن عبادة الله عز وجل لا غير ، فمن عصمه الله أو حفظه عن الوقوع فيما يلهي عنه تعالى فلا حرج عليه ، ولذلك طلب أيوب وسليمان الدنيا ، ومعلوم أنهما معصومان من طلب ما يشغلهما عن الله فافهم . انتهى عبارته ١٥٠ ج٢ .

العلم النافع علم الآخرة

اعلم أيها الأخ في الله ، لله بالله ؛ أني ذكرت قبيل البرج الحادي عشر بأنه **ما ثَمَّ عالمٌ إلا وهو يعمل بعلمه ولو بوجه من الوجوه** ما دام عقله حاضراً . انتهى . لكن ينبغي أن يعلم أن العلم النافع هو علم الآخرة لا غير ، ومعلِّم هذا العلم هو الذي يُدْعى في ملكوت السماء عظيماً .

التعليم على قصد الدنيا هلاك وإهلاك

قال في « الإحياء » : وإنما المعلِّم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ؛ أعني معلِّم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة ؛ لا على قصد الدنيا ! **فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك** . نعوذ

بالله منه . انتهى عبارته ٤٢ ج١ .

الغرض من طلب العلم هو القرب إلى الله تعالى

وفيه بعيد هذا : ثم ينبهه[١] على أن الغرض بطلب العلوم القربُ إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن ، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثرَ مما يفسده ، فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا ؛ نظر إلى العلم الذي يطلبه ، فإن كان هو علم الخلاف في الفقه ، والجدل في الكلام ، والفتاوى في الخصومات والأحكام ؛ فيمنعه من ذلك ، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ، ولا من العلوم التي قيل فيها : (تعلّمنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلا لله) . وإنما ذلك علم التفسير ، وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ، ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تعلَّمه الطالب وقصدُه الدنيا ؛ فلا بأس أن يتركه ، فإنه يثمر له طمعاً في الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره ، إذ فيه العلوم المخوِّفة من الله تعالى ، المحقِّرة للدنيا ، المعظِّمة للآخرة ، وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة ، حتى يتعظ بما يعظه غيره ، ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر ويرمي حوالي الفخ[٢] ليقتنص[٣] به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده ؛ إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل ، وخلق الجاه أيضاً ليكون سبباً لإحياء العلوم ، وهذا متوقع في هذه العلوم ، فأما الخلافيات المحضة ، ومجادلات الكلام ، ومعرفة التفاريع الغريبة ! فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب ، وغفلة عن الله تعالى ، وتمادياً في الضلال ، وطلباً للجاه ، إلا مَنْ

(١) يعني ينبّه المعلمُ المتعلم (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) الفخ : آلة يصاد بها . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٣) الذى ينصب ليقتنص أي يصطاد . « إتحاف » . (هامش الأصل) .

تداركه الله تعالى برحمته ، أو مزج به غيره من العلوم الدينية . ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة ! فانظر واعتبر واستبصر ؛ لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد . والله المستعان .

وقد رؤي سفيان الثوري رحمه الله حزيناً ، فقيل له : مالَكَ[1] ؟ ! فقال : صِرْنَا متّجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم[2] ، حتى إذا تعلَّم جعل قاضياً أو عاملاً أو قهرماناً . انتهى ٤٣ ج١ .

مهم لنا

ومن أجلِّ العلوم النافعة : علم السلوك الذي يعلم به صفات القلب . وقد قال في « شرح سلك العين » : **إن علم السلوك فرض عين بلا خلاف** ، على الذكور والإناث والعبيد والأشراف ، وصرَّح به ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٨ .

ومن الكتب التي قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢١٦ : (إنها من الكتب النافعة في الدنيا والآخرة) : كتب الغزالي ، وأبي طالب المكي .

قال الشيخ السيد أحمد بن المرحوم سيدي زيني دحلان بعد ذكره كلاماً في المهلكات والمنجيات :

وقد تكفل الإمام الغزالي رضي الله عنه في « إحياء علوم الدين » ببيان ذلك كله ، فذكر حقائقها وأسبابها وعلاجاتها ، فمن أراد كمال معرفة الله ، وسلامة دينه ، فلا بدَّ له من معرفة ذلك .

وطريق السادات الصوفية كلها مبناها على العلم والعمل ، والتخلِّي

---

(١) أي : لأي شيء أراك محزوناً ؟ ! « إتحاف » . (هامش الأصل) .
(٢) في طلب علم الحديث « إتحاف » . (هامش الأصل) .

من الصفات الذميمة ، والتحلِّي بالصفات الحميدة .

قال الإمام القطب سيدنا عبد الله العيدروس رضي الله عنه : ليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة .

فضيلة « الإحياء »

وقد شرح ذلك سيد المصنفين ، وبقية المجتهدين ؛ حجة الإسلام الغزالي في كتابه « أعجوبة الزمان العظيم الشأن » الملقب « إحياء علوم الدين » ؛ الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة ، والطريقة والحقيقة ، فعليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، واعتباراً واعتقاداً . وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب « إحياء علوم الدين » .

ولو بعث الله تعالى الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في « الإحياء » .

وقال : أشهد سرّاً وعلانية **أن مَن طالع** « **الإحياء** » **كان من المهتدين** . انتهى ٧ .

وفي « عقد اليواقيت » : وعليك بقراءة كتب الفقه ؛ سيما كتب الشيخ ابن حجر ، والرملي ، و« إحياء علوم الدين » ففيه الخير الكثير ، وبركة فيه كثيرة ، وفتح لأسلافنا ببركة قراءته ونوره .

وقد أطنب فيه سيدنا العيدروس الأكبر ، وبَخْ بَخْ[1] فيه إلى غاية ونهاية ، وهو كما قال بعضهم : **كاد الإحياء أن يكون قرآناً** . وقرىء على الشيخ عَلِيّ أربعين مرة ، وقرأه أربعين مرة ، فيا لها من مزية ، ويا لها من بركة . انتهى عبارته ١١٦ .

---

(١) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضى والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح . (القاموس المحيط) .

ورأيت في « تعريف الأحياء فضيلة الإحياء » ما عبارته : وقال السيد الكبير ، العارف بالله الشهير ؛ علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف : **لو قلّب أوراق « الإحياء » كافر لأسلم ، ففيه سرٌّ خفيٌّ يجذب القلوب شبه المغناطيس .**

قلت : وهو صحيح ، فإني مع خسيس قصدي وقساوة قلبي أجد عند مطالعتي له من انبعاث الهمّة وعزوف النفس عن الدنيا ما لا مزيد عليه ، ثم يفتر برجوعي إلى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ، ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق ، وما ذاك إلا لشيء أودعه الله فيه ، وسرِّ نفس مصنِّفِهِ ، وحسن قصده .

والمراد بالكافر هنا - فيما يظهر - : الجاهل بعيوب النفس ، المحجوب عن إدراك الحق ، أي : **فبمجرد مطالعته الكتاب المذكور يشرح الله صدره ، وينوِّر قلبه ، وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متَّعظ كان حريّاً أن يتعظ به سامعه** . وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم ؛ كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأن ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليَّة ، وإشاراتهم سنية ، حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة إذا أخذت عنهم ، وللمواعظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر ، حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ، ووجود بركته ، وغيرُه له أكثر من ذلك العلم ؛ ولم ينتفع به مثلَه ! لأنه دونه في منزلته . ومَن تأمل ذلك وجده أمراً ظاهراً معهوداً ، وشيئاً مجرَّباً موجوداً . انتهى عبرته ٢١ من هامش « الإحياء » ج١ .

وفي « تعريف الأحياء » أيضاً : وقال فيه النووي : **كاد الإحياء**[١] **أن**

(١) « إحياء علوم الدين » للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي=

يكون قرآناً .

وقال الشيخ أبو محمد الكازروني : **لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من « الإحياء »** . انتهى عبارته ١٤ .

وفيه : ومن كلامه ؛ - يعني : من كلام الشيخ قطب الأولياء عبد الله العيدروس رضي الله عنه - **اعلموا** أن مطالعة « الإحياء » يحضر القلب الغافل في لحظة ؛ كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص[1] والماء . وتأثير كتب الغزالي واضح مجرب عند كل مؤمن .

ومن كلامه : **أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الإسلام الغزالي ، ومن محبة كتبه** ، فإن كتب الإمام الغزالي لُبَاب الكتاب والسنة ، ولباب العقول والمنقول . انتهى عبارته ١٦ .

وفيه : أثنى على « الإحياء » عالَم من علماء الإسلام ، وغير واحد من عارفي الأنام ، بل جميع أقطاب وأفراد . انتهى عبارته ١٣ .

وفيه كلام كثير في الثناء على « إحياء علوم الدين » . وكذا أشبع صاحب « الإتحاف » القول في مدح الغزالي ، ومدح « الإحياء » ، وردّ قول كل معترض عليه بأجوبة مرضية ، فمن طالع إليهما تحصل الرغبة في قراءته ومطالعته .

وقد رأى الحقير من مطالعته أثراً عظيماً ، ونفعاً كثيراً ، ولذا حثّ أولاده وأحبابه على قراءته . رزقنا الله التوفيق والاستقامة .آمين يا مجيب .

=الشافعي ، المتوفَّى بطوس سنة ٥٠٥ خمس وخمس مائة وهو من أجلِّ كتب المواعظ وأعظمها ، حتى قيل فيه : إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي « الإحياء » لأغنى عما ذهب . « كشف الظنون » ٨٥ ج١ . (هامش الأصل) .

(١) والعَفْصُ : الذي يتّخذ من الحبر مولَّد وليس من كلام أهل البادية .

البرج العشرون

في ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات

اعلم أن الله تعالى قد جعل الهداية منوطة بالمجاهدة ، وقال ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، **والنفس من كل أحد سوى الأنبياء هي الصنم الأكبر ، والهوى إلهٌ يُعْبد ، وأكثر الخلق عن هذا غافلون** . قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ .

وفي « الصاوي » في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾ الآية : أي أعدائكم الظاهرية والباطنية !

الأعداء الظاهرية والباطنية

فالظاهرية : فِرَق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معلومة ، ويُسمى **الجهاد الأصغر** .

والباطنية : النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها : الامتناع من شهواتها شيئاً فشيئاً ، ويسمى **الجهاد الأكبر** كما في الحديث .

ووجه تسميته أكبر : أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة ، وتغيب أخرى ، وتصالح ، وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة ، بخلاف الأعداء الباطنية ؛ فلا تغيب أصلاً ، ولا يمكن الصلح معها ، وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار . انتهى عبارته . فراجعه في سورة المؤمنين .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ لازم على العبد أن يخالف النفس والهوى ، ويجتنب عن المألوفات والمأنوسات ، كما درج السلف الصالح على عداوتها وعدم موافقتها .

قال الإمام البوصيري رضي الله عنه :

وَالنَّفْسُ كَالْطِفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على حُـبِّ الرِضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمُ

فاصرفْ هواها وحـاذرْ أَنْ تُـوَلِّيَهُ   إِنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِمِ
وراعها وَهْي في الأعمـال سـائمةٌ   وإن هي استَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسم

قال الشعراني في « تنبيه المغترين » في ١١١ : ومن أخلاقهم رضي الله عنهم كثرة مجاهدة نفوسهم في العبادات ، وترك الشهوات ، وعدم رضاهم بعد ذلك عنها إلى أن يموتوا . وهذا مجمع عليه عند القوم .

خرق الإجماع حرام

فمن خالفهم في ذلك فقد خرق إجماعهم ، وذلك حرام ؛ لأنه من قاعدة : (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

وقد قالوا : مَن ظن أنه بغير الجهد في الطاعات يبلغ شيئاً من الدرجات ، فقد رام المحال .

وقيل أيضاً : لا تخرق لعبد العادات إلا إن زاد على الناس في العبادات ، وذلك **لأن الكرامات فرع المعجزات** ، فكما تميز النبي ﷺ بكثرة الطاعات والمعجزات ، فكذلك الولي لا يقع له كرامة إلا إن جاوز أقرانه في الجد والطاعات .

وفي الحديث « المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل » انتهى .

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : أول ما تنكرون من الجهاد جهادُ نفوسكم .

وكان أبو مالك الأشعري رضي الله عنه يقول : **ليس عدوك الذي إن قتلته آجرك الله عليه ، ولكن عدوك الذي بين جنبيك – يعني : النفس – وامرأتك التي تضاجعك ، وولدك الذي من صلبك ، فهؤلاء أعدى عدوٍّ لك .**

وكان خضر القارئ رحمه الله تعالى يقول : نحت الجبال بالأظافر

حتى تنقطع الأوصال أهون من مخالفة الهوى إذا تمكَّن في النفس .

ما يفسده قرين السوء

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول : ستون من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة ، وستون من قرناء السوء لا يفسدون ما تفسده النفس في لحظة ، وإذا جعلت الأمور كلها على وفق المراد للعبد أتاه الخلل فيها من قبل نفسه . وقد أجمع سائر الملل على أن رضا الرب جلّ وعلا في مكروه النفس .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : الدنيا كلها محشوة بالعجائب ، وأعجب العجائب نجاة نفوس[1] أمثالنا من النار ، وكيف ينجو من النار مَن كل أعماله تجرُّه إليها ؟ !

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول : أصاب شخصاً من الزهاد سهمٌ فذبحه ، فقال : الحمد لله الذي أخذ لي بثأري من نفسي ، فكم ذَبَحَتْني من ذبح ! !

وكان يحيى بن معاذ يقول : أنا أعلم شقاوتي من الآن . فقيل له مرة : وكيف ذلك ؟ قال : لأنهم قالوا : علامة **سعادة المرء أن يكون عدوه عاقلاً ، وأنا أرى خصمي لا عقل له** . فقال : ومَن هو خصمك ؟ ! قال : نفسي . فقيل له : أنت بحمد الله ذو عقل . فقال : كيف عقلي وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو كلمة ؟ ! انتهى .

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول : الهوى كمين في النفس لا نؤمن اتباعه . قال تعالى ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ الآية .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : نحن اليوم لا نرى أحداً يعمل على وفق السنة ، وإنما كلٌّ يعمل على موافقة الهوى ، ما بين عالم

(١) وفي (خ) نفوسنا ونفوس أمثالنا .

وجاهل ، وعابد وزاهد ، وشيخ وشاب ، كل يعمل ليحمد على ذلك ؛ إمّا عند الله ، وإما عند الناس ، وكذلك يترك المعاصي خوفاً من ازدراء الناس له ؛ لا خوفاً من الله تعالى . **ومَن ذا الذي منا لا يغضب ممن ذكره بسوء بين الناس ؟! اصطلحنا والله على المداهنة ، وتحاببنا بالألسن ، وتباغضنا بالقلوب ، وطلبنا العلم لغير العمل ، بل للتزيُّن والمباهاة والرياسة على الناس ، لنحن أول مَن تُسَعَّر بهم النار .**

وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام : يا داود ؛ إن أردت محبتي لك فعادِ نفسك ووِدّني بعداوتها . انتهى .

وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول : إذا ذكر أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : والله لو أنكم تجدون للعاصي ريحاً لما استطاع أحد منكم أن يجلس إليَّ من خبث ريحي .

وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى إذا أصاب أهلَ بلدٍ ريحٌ أو غلاء ، أو فناء أو بلاء يقول : كل هذا من أجل ذنوب عطاء ، لو مات عطاء لاستراح الناس منه .

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول : ينبغي للعبد أن يكون عند الله من أجلِّ الناس ، وعند نفسه من أشرِّهم .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : **كل مَنْ ادَّعى درجة سقط منها** ، وإذا كان الرجل في أعلى درجة فمن حقه أن يحقر نفسه .

وكان أبو معاوية الأسود رحمه الله تعالى يقول : **كل مَنْ فضَّلني على نفسه من أصحابي فهو خير مني .**

وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى إذا جلس إليه أحد وثقل

على قلبه يوبخ نفسه ، ويقول لها : إنك لا تحبين الصالحين ، ولما رأيت هذا خيراً منك كرهته ، وثقل عليك مجالسته .

الفسق أهون من الرياء

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول : **مَن أحب أن ينظر إلى مراءٍ فلينظر إليّ** . ثم يمسك لحيته بيده ويبكي ، ويقول : كنت يا فضيل في شبابك فاسقاً ، ثم صِرْت في كُهُولَتِك مرائياً ، والله للفسق أهون من الرياء .

وقد قال شخص مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى : يا مرائي ؛ فقال له مالك : لقد عرفت يا أخي لقبي الذي أضلَّه أهل البصرة .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : كل مَن زعم أنه يحب الله وهو يحب نفسه فقد كذب .

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل العابد حتى يصير يرى إخلاصه رياءً ، والله لو قيل لي : إن الخليفة داخل عليك الساعة . فسوَّيت لحيتي بيدي لقدومه ؛ لخفت أن أكتب في جريدة المنافقين . انتهى .

وأما تَرْكُ القوم رضي الله عنهم للشهوات فدليلهم في ذلك الأخبار من الكتاب والسنة .

وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول : تصدَّى الشيطان لعنه الله لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال : ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ إن أنت أدركتهم ؟ ! فقال : أزيّن لهم الدنيا ، حتى يكون الدينار والدرهم أشهى لأحدهم من شهادة أن لا إله إلا الله .

وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول : **مَنْ غلب شهوتَه فهو خير من الملائكة** ، لأنهم عليهم الصلاة والسلام عقول بلا شهوة ، **ومَن غلبته شهوته فهو شرّ من البهائم** ، لأنهم شهوة بلا عقول .

وكان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول : مَن أكل الشهوات وطلب حفظ فرجه فقد رام المحال .

وقد كان أبو حازم رحمه الله تعالى يمرُّ على الجزَّار ، فيقول له الجزَّار : خذ لك لحماً وأنا أصبر عليك . فيقول له : أنا أولى منك بالصبر على نفسي .

محاربة الزاهدين مع الشهوات

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : محاربة الزاهدين تكون مع الشهوات ، ومحاربة التوابين تكون مع السيئات ، ومن أراد حماية نفسه من دخول النار فليترك سائر ما تشتهيه نفسه في الدنيا .

وقد قال عتبة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد رحمهما الله تعالى : إن فلاناً يصف نفسه بأخلاق لا نذوقها وهو صادق عندنا ، فما سبب عدم فهمنا بحاله ؟ ! فقال : لأنه يأكل خبزة بلا إدام ، وأنتم تأكلونه بالإدام ، وكل ما زاد على الخبز فهو شهوة .

وكان أبو العباس الموصلي رحمه الله تعالى يقول : مَن زعم أن أكل الشهوات لا يضرُّه فقد أعظم الفِرْيَة[1] على الله تعالى .

وكان الداراني رحمه الله تعالى يقول : من المحال أن يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات .

---

(١) أي : الكذب . (هامش الأصل) .

الملائكة لا تمرض لعدم الأكل

وقد كان طاووس رحمه الله تعالى يصف للمريض قلة الأكل ، ويقول : لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا لمريض دواءً أعظم من ترك الأكل ، وما أتى المرض لمريض إلا من جهة الأكل ، ولذلك كانت الملائكة لا تمرض ؛ لعدم أكلهم عليهم الصلاة والسلام .

وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول : مَن نظر إلى قصر ، أو بستان أو غير ذلك فاستحسنه إلا نقص من عقله بقدر ما استحسن .

وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول : مَن تناول الشهوات فليتهيأ للذُلّ في الدنيا والآخرة .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : شهوات النفس نيرانها ، وحطبها لذتها ، والجوع ماؤها التي تطفأ به .

وقد كان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام من أطيب الناس طعاماً ؛ كان يأكل الجراد وقلوب(١) النخل .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجوّع نفسه ويميتها ، ويقول لها : الأكل أمامك .

وكان بشر بن السَّريِّ رحمه الله تعالى يقول : لأن أترك ذرة من غدائي أو عشائي ؛ أحب إليَّ من عبادة العابدين ، وصلاة المصلين ، وحجِّ الحاجِّين ، وصوم الصائمين ، وجهاد المجاهدين .

الجوع مذهب الصالحين

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : مذهب جميع الصالحين

(١) قلب النخل بفتح القاف ، وضمها ، وكسرها : لبُّها . « مختار » . (هامش الأصل) .

الجوع ، فمن فرَّ منه فهو من الفاسقين ، ولقد أدركنا العلماء وهم ربيع ، فصاروا الآن مزابل للدنيا ، وإذا رأيتم الزاهد يرخِّص أكل الشهوات فاعلموا أنه قد رجع عن الزهد ، لأنَّ التبسُّط في الدنيا معدود من فسق العارفين . ووالله ما بقي أحد من زهَّاد هذا الزمان تقرُّ العين برؤيته ، ولقد أدركنا أقواماً كانوا يحرصون على ترك الدنيا أكثر مما يحرص هؤلاء على تحصيلها .

واعلموا أن مَن كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً ، ومن كان استناده إلى الخلق دون الله تعالى لم يزل مخذولاً .

وقد كان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى لا يشرب الماء البارد أبداً ، ويقول : أخاف أن أُحْرم شربهُ غداً إن شربته اليوم يعني في الآخرة .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : الناس يقولون : إن مَن ترك اللحم أربعين يوماً قلّ عقله . وإني قد تركته سنين ، وما نقص من عقلي شيء ولله الحمد .

وكان رحمه الله تعالى لا يأكل من رطب البصرة شيئاً ، وإذا مضى زمنه يقول : يا أهل البصرة ؛ هذا بطني ما نقص ترك أكل الرطب منه شيئاً ، ولا زاد في بطونكم شيئاً .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : صاحب الشهوات معذَّب في الدنيا والآخرة ؛ في الدنيا في تحصيلها ، وفي الآخرة في الحساب عليها .

آفات الشبع

واعلموا أن مَن كثر أكله كثر لحم بطنه ، ومن كثر لحم بطنه . كثرت شهواته ، ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه قسا قلبه ، ومن قسا قلبه غرق في الذنوب والآفات ، ومن غرق في الذنوب

والآفات دخل النار .

وقد اشتهى مالك بن دينار رحمه الله تعالى في مرض موته خبزاً أبيض ولبناً ، فلما أتوه به ، نظر إليه وقال : دافعت نفسي عن الشهوات طول عمري ، أفأوافقها في آخره ؟ ! ثم قال : اذهبوا به إلى يتيم بني فلان . ولم يأكله .

وقد مكث معروف الكرخي رحمه الله تعالى ثلاثين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس ، ثم مات رحمه الله تعالى ولم يفعل ذلك .

قال : وقُدِّم بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إناء فيه لبن وعسل ، فردَّه ولم يأكل منه ، وقال : تذهب لذته ، وتبقى تبعته .

وقد رأى ابنه عبد لله رضي الله عنهما يوماً يأكل خبزاً وسمناً ، فعَلاَهُ بِالدِرَّة ، وقال له : كل خبزاً وملحاً ، واترك السمن لغيرك . انتهى .

فتأمل يا أخي نفسك ، وابك على حالك ، فإن سُدَاكَ ولحمتك شهوات ، فأنت محجوب عن ربك في عموم الأوقات ، لا تلتذُّ بشيء من العبادات ، ولا تراقب ربّك في الخلوات ، فكيف تدَّعي أنك من الصالحين وأنت قد خالفتهم في جميع أحوالهم ؟ ! فإن لم توافقهم في الأمور الباطنة يا أخي فانزع زيَّهم الظاهر ؛ من عمامة صوف وجبة وعذبة .

وقد رأيت شخصاً بهذه الصفة في وليمة يمدُّ يده يميناً وشمالاً ؛ فيلتقط اللحم وأطايب الطعام من بين يدي إخوانه ، وربما يدعى إلى أكلة واحدة إلى المرطوبة[1] خارج مصر أو بلبيس ، فيسافر إليها ، وربما يدَّعي أنه يفعل ذلك جبراً لخاطر من يدعوه ، لا لأجل شهوة بطنه ! والناقد

(١) وفي نسخة : مطربة – مرطبة .

بصير ، والحمد لله رب العالمين . انتهى[1] .

وفي « الإحياء » : **والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات** ، ومنبت الأدواء والآفات . انتهى ٦٤ .

ترك شهوة أنفع من صيام سنة

وفيه : قال سليمان : ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . وفَّقنا الله تعالى لما يرضيه . انتهى ٧٦ .

وقال بشر : **إن الجوع يُصفِّي الفؤاد ، ويميت الهوى ، ويورث العلم الدقيق** . انتهى « عوارف المعارف » .

وفيه : وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ، ولا شربت حتى رويت ، إلا عصيت الله ، أو هممت بمعصية . انتهى .

وفيه : وقال فتح الموصلي : صحبت ثلاثين شيخاً ؛ كلٌّ يوصيني عند مفارقتي إياه بترك عِشْرَة الأحداث[2] ، وقلة الأكل . انتهى .

وفيه : وقال يحيى بن معاذ : إذا ابتلي المريد بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له .

ومَن ابتلي بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة .

مطلب : في نفس الآدمي ألف عضو بيد الشيطان

وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشرِّ ؛ كلها في كفِّ الشيطان متعلق بها ، فإذا جوّع بطنه ، وأخذ حلقه ، وراض نفسه ، يَبِسَ كلُّ عضو واحترق بنار الجوع ، وفرَّ الشيطان من ظلّه . وإذا أشبع بطنه ، وترك حلقه في لذائذ

---

(١) ما قاله الشعراني في « تنبيه المغترين » .
(٢) وهم الأمراد . (هامش الأصل) .

الشهوات ، فقد رطَّب أعضاءه ، وأمكن الشيطان . انتهى عبارته .

وفيه : **وينهزم الشيطان من جائع نائم ،** فكيف إذا كان قائماً ؟ ! **ويعانق الشيطان شبعاناً قائماً ،** فكيف إذا كان نائماً ؟ ! فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله من طلب النفس الطعام والشراب . انتهى عبارته .

وفيه : وقيل : الدنيا بطنك ، فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . انتهى عبارته .

وفيه : وقال بعضهم : أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية .

فيكره للمريد أن يوالي في الإفطار أكثر من أربعة أيام ، فإن النفس عند ذلك تركن إلى العادة ، وتتسع بالشهوة . انتهى عبارته .

شهوة الرياء أضرُّ من شهوة الطعام

ومن الدقائق : أن الرجل يأكل الشهوات إذا كان في خلوة عن الناس ، ويتركها عند الناس ، وذلك عين الرياء ! .

فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » ما لفظه هذا : وبالجملة من ترك شهوة الطعام ، ووقع في شهوة الرياء ، كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية ، لأن شهوة الرياء أضرُّ كثيراً من شهوة الطعام . والله ولي التوفيق . انتهى عبارته ٧٣ ج ٣ فراجعه .

اللهم إنا نسألك التوفيق لترك الشهوات ، وهجر المألوفات والمأنوسات ، لا طاقة لنا لجهاد هذه النفس الأمَّارة التي هي الصنم الأكبر ؛ إن تكلنا إلى أنفسنا . اللهم اعصمنا من فتنها وغرورها . آمين .

البرج الحادي والعشرون

في ذكر معاتبة النفس وتوبيخها

اعلم أيها الأخ المرجو لحوز السعادة ؛ أن النفس مجبولة على حبِّ الجاه والرياسة ، **وجميع همَّتِها الترفُّع على جميع الأقران ، ومُتَمَنَّاها بالذات أن يكون الخلائق كلُّهم محتاجين إليها** ، ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى الشيئ ، ومحكومة لأحد أبداً . وهذه كلها دعوى الألوهية منها ، والشركة مع خالقها المُنَزَّه عن المثل والشبه جلَّ سلطانه ، بل هي البعيدة عن السعادة ؛ غير راضية بالشركة ، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير . كما قال مثله الإمام الرباني ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي للعاقل تعجيز هذه النفس الأمَّارة ،وتخريبها باللوم والتوبيخ ؛ بتكرار النظر إلى ما يذكر آنفاً ، وترداد الفكر ، والتدبُّر في هذه المواعظ المهمة .

النفْس الأمَّارة والنفس اللوَّامة

قال الغزالي في « الإحياء[1] » : اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خُلِقَت أمَّارة بالسوء ، ميَّالة إلى الشر ، فرَّارة من الخير ، وأُمِرْتَ بتزكيتها وتقويمها ، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها عن شهواتها ، وفطامها عن لذَّاتها ، فإن أهملتها جمحت ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوَّامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة ؛ المدعوَّة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلنّ ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ، ولا تُشغَلنّ بوعظ غيرك ما لم تشتغل أوّلاً بوعظ نفسك .

---

(١) في ٦٢٣ ج ٤ .

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : يا ابن مريم ؛ عظ نفسك ،فإن اتَّعظت فعظ الناس ،وإلا ! فاستحي مني . وقال تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وسبيلك أن تُقْبِلَ عليها ؛ فتقرر عندها جهلها وغباوتها ، وأنها أبداً تتعزَّز بفطنتها وهدايتها ، ويشتد أَنَفُها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق ، فتقول لها : يا نفس ما أعظم جهلك ؛ تدَّعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقاً ، أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار ، وأنك صائرة إلى إحداهما على القرب ؟ ! فما لك تفرحين وتضحكين ، وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم ؟ وعساك اليوم تُختَطَفين ، أو غداً ، فأراك ترين الموت بعيداً ؛ ويراه الله قريباً .

أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب ، وأن البعيد ما ليس بآت .

أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ، ومن غير مواعدة ومواطأة ، وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ، ولا في شتاء دون صيف ، ولا في صيف دون شتاء ، ولا في نهار دون ليل ، ولا في ليل دون نهار ، ولا يأتي في الصبا دون الشباب ، ولا في الشباب دون الصبا ، بل كلّ نَفَس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة ، فإن لم يكن الموت فجأة ، فيكون المرض فجأة ثم يفضي إلى الموت ، فما لك لاتستعدِّين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب ؟ ! أما تتدبَّرين قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ !

ويحك يا نفس ؛ إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله تعالى لا يراك ؛ فما أعظم كفرك ! وإن كان مع علمك باطِّلاعه عليك ؛ فما

أشدَّ وقاحَتَكِ[1] وأقل حياءك .

ويحك يا نفس؛ لو واجهك عبد من عبيدك ، بل أخ من إخوانك بما تكرهينه؛ كيف كان غضبك عليه ومقتك له ، فبأي جَسَارة [2] تتعرَّضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه ؟ ! أفتطيقين عذابه ؟ ! هيهات هيهات ! !جرّبي نفسك إنْ ألهاك البَطَر[3] عن أليم عذابه ، فاحتبسي ساعة في الشمس ، أو في بيت الحمام ، أو قرِّبي إصبعك من النار ؛ لتبيَّن لك قدر طاقتك ، أم تَغْتَرِّين بكرم الله وفضله ، واستغنائه عن طاعتك وعبادتك ؟ ! فما لك لا تعوِّلين على كرم الله تعالى في مُهمَّات دنياك ؟ ! فإذا قصدك عدوٌّ فَلِمَ تستنبطين الحيل في دفعه ، ولا تَكِلِينَه إلى كرم الله تعالى ؟ ! وإذا رَهِقَتك[4] حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم ، فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل ؟ فلم لا تُعَوِّلين إلى كرم الله تعالى ؛ حتى يعثر بك على كنز ، أو يسخِّر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك ؛ من غير سعي منك ولا طلب ؟ ! أفتحسبين أنَّ الله كريم في الآخرة دون الدنيا ؟ ! وقد عرفت أنَّ سُنَّةَ الله لا تبديل لها ، وأن ربَّ الآخرة والدنيا واحد ، ﴿ **وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ ؟

ويحك يا نفس ؛ ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة ، فإنك تدَّعين الإيمان بلسانك ، وأثر النفاق ظاهر عليك . ألم يقل لك سيدك ومولاك ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا** ﴾ ؟ ! وقال في أمر الآخرة ﴿ **وَأَن**

---

(١) وَقُحَ الرجل ؛ من باب ظرُفَ : قلّ حياؤه ، فهو وقح . « مختار » . (هامش الأصل) .
(٢) جسارة : شجاعة . (هامش الأصل) .
(٣) البَطَر : كفر النعمة فلم يشكرها . « مصباح » . والبَطَر : الأشَر ، والأشر : البَطَر . (منه) . (هامش الأصل) .
(٤) رَهِقْتَ الشيئ رَهَقَاً ـ من باب تعب ، : قربتَ منه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

﴿لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ؟ ! فقد تكفَّل لك بأمر الدنيا خاصة ، وصرفك عن السعي فيها ، فكذَّبْتِهِ بأفعالك ، وأصبحت تتكالبين[1] على طلبها تكالب المدهوش المستهتر[2] ووكل أمر الآخرة إلى سعيك ، فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ، ما هذا من علامة الإيمان ! لو كان الإيمان باللسان ؛ فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار ؟ ! ويحك يا نفس ؛ كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب ، وتظنين أنك إذا متِّ انفلتِّ[3] وتخلَّصت ، وهيهات ! أتحسبين أنك تتركين سدى ؟ ! ألم تكوني نطفة من منيٍّ يمنى ؟ ! ثم كنت علقة فخلق فسوى ؟ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ !

فإن كان هذا من إضمارك ؛ فما أكفركِ وأجهلك !

أما تتفكرين أنه مما ذا خلقك ؟ ! من نطفة خلقك فقدَّرك ، ثم السبيل يسَّرك ، ثم أماتك فأقبرك ، أفتُكذِّبينه في قوله ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ ؟ ! فإن لم تكوني مكذبة ، فما لك[4] لا تأخذين حذرك ؟ !

وإن يهوديّاً أخبرك[5] في ألذِّ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك ، لصبرتِ عنه وتركْتِهِ ، وجاهدتِ نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيَّدين بالمعجزات ، وقول الله تعالى في كتبه المنزلة ، أقلَّ عندك تأثيراً من قول اليهودي ؛ يخبرك عن حَدْسٍ وتخمين وظنٍّ مع نقصان عقل وقصور علم ؟ !

---

(١) تكالب القوم تكالباً : تجاهروا بالعداوة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) يقال : فلان مستهتر بالشراب ـ بفتح التاءين ـ أي : مولع . (هامش الأصل) .
(٣) انفلت : خرج بسرعة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٤) وفي نسخة : فما بالك .
(٥) وفي نسخة : لو أخبرك .

والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً ؛ لرميت ثوبك في الحال ، من غير مطالبة له بدليل وبرهان ! أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبيّ من جملة الأغبياء ؟ ! أم صار حرُّ جهنم ، وأغلالها ، وأنكالها ، وزقُّومها ، ومقامعها ، وصديدها ، وسمومها ، وأفاعيها ، وعقاربها ؛ أحقر عندك من عقرب لا تحسِّين بألمها إلا يوماً أو أقل منه ؟ ! ما هذه فِعال العقلاء ! بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك !

فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك ، وآمنت به ؛ فما لك تُسَوِّفين العمل ، والموت لك بالمرصاد ! ولعله يختطفك من غير مهلة فيما إذا أمنتِ استعجال الآجل ! وهَبْكِ[1] أنك وُعِدْت بالإمهال مائة سنة ، أفتظنين أن مَن يطعم الدابة في حضيض العقبة[2] يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ؟ ! إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك !

أرأيت لو سافر رجل ليتفقَّه في الغربة ، فأقام فيها سنين ؛ متعطِّلاً بطّالاً ، يعد نفسه بالتفقُّه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه ، هل كنتِ تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة ؟ ! أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقُّه اعتماداً على كرم الله سبحانه وتعالى ؟ !

ثم هبي أن الجهد في آخر العمر نافع ، وأنه موصل إلى الدرجات العلى ، فلعل اليوم آخر عمرك ! فلم لا تشتغلين فيه بذلك ؟ ! فإن أوحيَ إليك

---

(١) وهَبْكِ : أي احسبي . (هامش الأصل) .

(٢) والعقبة : في الجبل ونحوه ، جمعها : عِقاب . مثل : رقبة ، ورقاب . « مصباح » . (هامش الأصل) .

بالإمهال ، فما المانع من المبادرة ؟ ! وما الباعث لك على التسويف ؟ ! هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك ؛ لما فيها من التعب والمشقة ؟ ! أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات ؟ ! هذا يوم لم يخلقه الله قط ، ولا يخلقه ، فلا تكون قط إلاّ محفوفة بالمكاره ، ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس ، وهذا محال وجوده .

مهم : الشهوات كالشجرة الراسخة

أما تتأملين مُذْ كَمْ تَعِدِين نفسك ، وتقولين غداً غداً ؟ فقد جاء الغد ، وصار يوماً ، فكيف وجدته ؟ ! أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً كان له حكم الأمس ؟ لا بل تعجزين عنه اليوم ، فأنت غداً عنه أعجز وأعجز ، **لأن الشهوات كالشجرة الراسخة التي تعبّد العبد بقلعها** ، فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخَّرها ، كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي ، فأخَّرها إلى سنة ، مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخاً ، ويزيد القالع ضعفاً ووَهَناً ، فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب ، **بل من العناء رياضة الهرم** ، ومن التعذيب تهذيب الذيب[1] ، والقضيب الرطب يقبل الانحناء ، فإذا جفَّ وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت ـ أيتها النفس ـ لا تفهمين هذه الأمور الجلية ، وتركنين إلى التسويف ، فما بالك تدَّعين الحكمة ! ؟ وأي حماقة تزيد على هذه الحماقة ! ؟ ولعلك تقولين : ما يمنعني عن الاستقامة إلا حرصي على لذة الشهوات ، وقلة صبري على الآلام والمشقات ، فما أشد غباوتك ، وأقبح اعتذارك ! إن كنت صادقة في ذلك ؛ فاطلبي التنعُّم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ، ولامطمع في ذلك إلا في الجنة ، فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها ، **فربَّ أكلة تمنع أكلات** .

---

(١) مخفف ذئب . (مختار) ، (هامش الأصل) .

وما قولكِ في عقل مريض أشار إليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ؛ ليصح ويهنأ بشربه طول عمره ، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضاً مزمناً ، وامتنع عليه شربه طول العمر ؟ ! فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ، أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر ؟ ! أم يقضي شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام ؛ حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاث مائة يوم وثلاثة آلاف يوم ؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد ـ الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ـ أقل من ثلاثة أيام بالنسبة إلى جميع العمر ، وإن طالت مدته .

وليت شعري ؛ أَلَمُ الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة ، أو ألم النار في دركات جهنم ؟ ! **فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة ، كيف يطيق ألم عذاب الله ؟!** ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلاّ لكفر خفيّ ، أو لحمق جليٍّ .

أمّا الكفر الخفيّ : فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب ، وقلّة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب .

وأمّا الحمق الجلي : فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه ، من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك ، مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز ، أو حبّة من المال ، أو كلمة تسمعينها من الخلق ، بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل ، وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله ﷺ حيث قال : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأمانيّ » .

ويحك يا نفس ؛ لا ينبغي أن تغرّك الحياة الدنيا ، ولا يغرّنّك بالله الغرور ، فانظري نفسك ، فما أمرك بمهمّ لغيرك ، ولا تضيّعي أوقاتك ، فالأنفاس معدودة ، فإذا مضى منك نفسٌ فقد ذهب بعضك .

فاغتنمي الصحة قبل السقم ، والفراغ قبل الشغل ، والغنى قبل الفقر ، والشباب قبل الهرم ، والحياة قبل الموت ، واستعدِّي للآخرة على قدر بقائك فيها .

يا نفس أما تستعدِّين للشتاء بقدر طول مدته ؟ فتجمعين له القوت ، والكسوة ، والحطب ، وجميع الأسباب ، ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبَّة ولبد وحطب وغير ذلك ؟ ! فإنه قادر على ذلك ، أفتظنين أيتها النفس أنَّ زمهرير جهنم أخفُّ برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء ؟ أم تظنين أن ذلك دون هذا ؟ كلاَّ أن يكون هذا كذلك ، أو أن يكون بينهما مناسبة في الشدة والبرودة .

الطاعة والمجاهدة هي الطريق إلى النجاة

أفتظنين أن العبد ينجو منها بغير سعي ؟! هيهات! كما لا يندفع برد الشتاء إلاَّ بالجُبَّة والنار وسائر الأسباب ؛ **فلا يندفع حرُّ النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات** ، وإنما كرم الله تعالى في أن عرَّفَكِ طريق التحصُّن ، ويسَّر لك أسبابه ، لا في أن يندفع عنك العذاب دون حصنه ! كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار ، وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر ، حتى تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك ، وكما أن شراء الحطب والجُبَّة مما يستغني عنه خالقك ومولاك ؛ وإنما تشترينه لنفسك إذ خلقه سبباً لاستراحتك ، فطاعاتك ومجاهداتك أيضاً هو مستغن عنها ، وإنما هي طريقك إلى نجاتك ، **فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، والله غنيٌّ عن العالمين** .

ويحك يانفس ؛ انزعي عن جهلك ، وقيسي آخرتك بدنياك فـ﴿ **مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ ، و﴿ **كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ** ﴾ ، و﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ ، وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلاً ولا تحويلاً .

ويحك يا نفس ؛ ما أراك إلا أَلِفتِ الدنيا وأنستِ بها ، فعسر عليك مفارقتها ، وأنت مقبلة على مقاربتها ، وتؤكّدين في نفسك مودَّتها ، فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه ، وعن أهوال القيامة وأحوالها ، فما أنت مؤمنة بالموت المفرِّق بينك وبين محابِّك ، أفترين أنَّ مَن يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر ، فمدّ بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ، ثم يضطر لا محالة إلى مفارقته ، أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى ؟ ! .

الدنيا دار ملك الملوك

أما تعلمين أنَّ الدنيا دار لملك الملوك ، وما لَكِ فيها إلا مجاز ، وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ؟ ! ولذلك قال سيد البشر ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي : أحبب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، وعش ماشئت فإنك ميّت » .

ويحك يا نفس ؛ أما تعلمين أنَّ كل مَن يلتفت إلى ملاذِّ الدنيا ويأنس بها ؛ مع أن الموت من ورائه ، فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة ، وإنما يتزوَّد من السمِّ المهلك وهو لا يدري ؟ أوما تنظرين إلى الذين مضوا ؛ كيف بنوا وعلوا ، ثم ذهبوا وخلوا ؟ ! وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم ؟ ! أما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ، ويبنون ما لا يسكنون ، ويأملون ما لا يدركون ؟ ! يبني كل واحد قصراً مرفوعاً إلى جهة السماء ، ومقرُّه قبر محفور تحت الأرض ! فهل في الدنيا حمق وانتكاس[1] أعظم من هذا ؟ ! يعمِّر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقيناً ، ويخرِّب آخرته وهو صائر إليها قطعاً !

أما تستحين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم ؟ !

---

(١) أي : انقلاب ، كذا يفهم من « مصباح » والله أعلم (هامش الأصل) .

واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور ، وإنما تميلين بالطبع إلى التشبُّه والاقتداء ، فقيسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المُكبِّين[1] على الدنيا ، واقتدي من الفريقين بمن هو أعقل عندك ؛ إن كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء .

يا نفس ؛ ما أعجب أمرك ، وأشد جهلك ، وأظهر طغيانك ! عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجليَّة !

معنى الجاه

ولعلك يا نفس أسكرك حبُّ الجاه وأدهشك عن فهمها ، أوما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض الناس إليك ؟ ! فاحسبي أن كلَّ مَن على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك ، وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك ، كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك ؟ ! ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ ؟ ! فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة - إن بقي - ؟ ! هذا إن كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب ؛ حتى أذعنت لك الرقاب ، وانتظمت لك الأسباب ، كيف ويأبى إدبارِكِ وشقاوتك أن يسلم لك أهل محلّتك ؟ ! بل أمر دارك ؛ فضلاً عن محلتك ! ! فإن كنتِ يا نفسُ لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمي بصيرتك ، فما لك لا تتركينها ترفُّعاً عن خِسَّة شركائها ، وتنزُّهاً عن كثرة عنائها ، وتوقِّياً من سرعة فنائها ؟ ! أم ما لك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيكِ كثيرها ؟ وما لك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ، ويزيدون عليك

(١) وأكبَّ على كذا : لازمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

في نعيمها وزينتها ؟ فأفٍّ لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخِسَّاء ، فما أجهلَك وأخَسَّ همَّتَك وأسقط رأيك ؛ إذ رغبت[1] عن أن تكوني في زمرة المقرَّبين من النبيين والصديقين في جوار ربِّ العالمين أبد الآبدين ، لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياماً قلائل ، فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدين !

فبادري - ويحك - يا نفس ! فقد أشرفت على الهلاك ، واقترب الموت ، وورد النذير ، فمَن ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ ! ومَن ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ ! ومَن ذا يترضى عنك رَبك بعد الموت ؟ ! .

ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك ؛ إن اتَّجرت فيها ، وقد ضيَّعت أكثرها ! فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيَّعت منها لكنت مقصِّرة في حق نفسك ، فكيف إذا ضيَّعت البقية وأصررت على عادتك ؟

أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك ، والقبر بيتك ، والتراب فراشك ، والدود أنيسك ، والفزع الأكبر بين يديك .

أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك ، وقد آلوا[2] على أنفسهم كلهم بالأيمان المغلَّظة أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم ؟ !

أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنَّون الرجعة إلى الدنيا يوماً ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم ، وأنت في أمنيّتهم ؟ ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه ، وأَنْتِ تضيِّعين يوماً في الغفلة والبطالة ؟ ! .

---

(١) رغب عنه : أعرض . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) أي : حلفوا . (هامش الأصل) .

ويحك يا نفس ؛ أما تستحين ؟ ! تزيّنين ظاهرك للخلق ، وتبارزين الله في السر بالعظائم ! أفتستحين من الخلق ولا تستحين من الخالق ! ؟ .

ويحك ، أهو أهون الناظرين عليك ؟ ! أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطِّخة بالرذائل ؟ تدعين إلى الله وأنت عنه فارَّة ! وتذكِّرين بالله وأنت له ناسية ! ؟

المذنب أنْتن رائحة من العذرة

أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة ، وأن العذرة لا تطهِّر غيرها ؟ ! فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك ؟ !

ويحك يا نفس ! لو عرفتِ نفسكِ حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك .

ويحك يا نفس ؛ قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بعملك ، وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك ! وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك ؟ !

ولقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبد مائتي ألف سنة .

وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيَّه وصفيَّه .

ويحك يا نفس ما أغدرك .

ويحك يا نفس ما أوقحك[1] .

ويحك يا نفس ما أجهلك ! وما أجرأك على المعاصي .

ويحك كم تعقدين فتنقضين .

---

(١) الوقاحة : بالفتح قلّة الحياء . (هامش الأصل) .

ويحك كم تعهدين فتغدرين .

ويحك يا نفس ؛ أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها ! ؟

أو ما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا ؛ جمعوا كثيراً وبنوا مشيّداً ، وأملوا بعيداً ، فأصبح جمعهم بوراً ، وبنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ! !

ويحك يا نفس ؛ أما لَكِ بهم عبرة ! ؟ أما لكِ إليهم نظرة ؟

أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلَّدين ! ؟ هيهات هيهات ! ساء ما تتوهَّمين ، ما أنت إلا في هدم عمركِ منذ سقطتِ من بطن أمك ، فابني على وجه الأرض قصرك ، فإن بطنها عن قليل يكون قبرك .

أما تخافين إذا بلغت النفسُ منك التراقيَ أن تبدُوَ رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب ؟ ! فهل ينفعك حينئذ الندم ، أو يقبل منك الحزن ، أو يرحم منك البكاء ! ؟

والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدَّعين البصيرة والفطنة ، ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ، ولا تحزنين بنقصان عمرك ! وما نَفْع مالٍ يزيد وعمرٍ ينقص ! ؟

ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك ؛ وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ! فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ! وكم من مؤمّل لغد لا يبلغه ! فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسُّرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك .

فاحذري أيتها النفس المسكينة يوماً آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله ؛ دقيقه وجليله ، سره وعلانيته .

فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله ! وبأي لسان تجيبين ! وأعدِّي للسؤال جواباً ، وللجواب صواباً ، واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال ؛ وفي دار زوال لدار مقامة ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود .

اعملي قبل أن لا تعملي ، اخرجي من الدنيا اختياراً خروج الأحرار ، قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ، ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا ، فرُبّ مسرور مغبون ، ورُبَّ مغبون لا يشعر ؛ فويل لمن له الويل ثم لا يشعر ، يضحك ويفرح ، ويلهو ويمْرَح ، ويأكل ويشرب ، وقد حقَّ له في كتاب الله أنه من وقود النار ، فليكن نظركِ يا نفس إلى الدنيا اعتباراً ، وسعيك لها اضطراراً ، ورفضك لها اختياراً ، وطلبك للآخرة ابتداراً ، ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، وينهى الناس ولا ينتهي .

ما تزول به القساوة

واعلمي يا نفسُ أنه ليس للدين عِوَضٌ ، ولا للإيمان بدل ، ولا للجسد خَلَف ، ومَنْ كانت مطيَّته الليل والنهار فإنه يُسَارُ به وإن لم يسر ! فاتعظي يا نفسُ بهذه الموعظة ، واقبلي هذه النصيحة ، فإن مَن أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار ، وما أراكِ بها راضية ، ولا لهذه الموعظة واعية ، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة ، فاستعيني عليها بدوام التهجُّد والقيام ، فإن لم تَزُل ! فبالمواظبة على الصيام ، فإن لم تزل ! فبقلَّة المخالطة والكلام ، فإن لم تزل ! فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام ، فإن لم تزل ! **فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك ، وأقفل عليه ، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه ، فوطِّني نفسك على النار ، فقد خلق الله الجنة ؛ وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ؛ وخلق لها أهلاً** ، « **فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ** » ، فإن لم يبْقَ فيك مجال للوعظ ! فاقنطي من نفسك ؛

والقنوط كبيرة من الكبائر – نعوذ بالله من ذلك – ، فلا سبيل لكِ إلى القنوط ، ولا سبيل لكِ إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك ، فإنّ ذلك اغترار وليس برجاء ، فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها ؟ ! وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك ! ؟ فإن سمحت ، فَمُسْتَقَى الدمْع من بحر الرحمة ، فقد بقي فيك موضع للرجاء ، فواظبي على النياحة والبكاء ، واستغيثي بأرحم الراحمين ، واشتكي إلى أكرم الأكرمين ، وأدمني[1] الاستغاثة ، ولاَ تَملّي طول الشكاية ، لعله إنْ يرحم ضعفك يغيثكِ ، فإن مصيبتك قد عظمت ، وبليَّتك قد تفاقمت ، وتماديك قد طال ، وقد انقطعت منك الحيل ، وراحت عنك العلل ، فلا مذهب ولا مطلب ، ولا مستغاث ولا مهرب ، ولا ملجأ ولا منجأ إلا إلى مولاك ! فافزعي إليه بالتضرُّع واخشعي في تضرُّعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك ، لأنه يرحم المتضرِّع الذليل ، ويغيث الطالب المتلهف ، ويجيب دعوة المضطر ، وقد أصبحتِ إليه اليوم مضطرة ، إلى رحمته محتاجة ، وقد ضاقت بك السبل ، وانسدَّت عليك الطرق ، وانقطعت منك الحيل ، ولم تنجح فيك العظات ، ولم يكسرك التوبيخ ، فالمطلوب منه كريم ، والمسؤول جواد ، والمستغاث به برٌّ رؤوف ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض ، والعفو شامل ، وقولي : يا أرحم الراحمين ، يا رحمن يا رحيم ، يا حليم يا عظيم ، يا كريم ، أنا المذنب المصرُّ ، أنا الجريء[2] الذي لا أقلع ، أنا المتمادي الذي لا أستحي ، هذا مقام المتضرِّع المسكين ، والبائس الفقير ، والضعيف الحقير ، والهالك الغريب ، فعجِّل إغاثتي وفرجي ، وأرني آثار رحمتك ، وأذقني برد عفوك ومغفرتك ، وارزقني قوة عِصْمتك يا أرحم الراحمين . اقتداء بأبيك آدم عليه السلام .

---

(١) وأدمن فلان كذا إدماناً : واظبه ولازمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) اجترأ على القول – بالهمز : أسرع بالهجوم عليه إلخ . « مصباح » . (هامش الأصل) .

فقد قال وهب بن منبه : لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ[1] له دمعة ، فاطَّلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه ، فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ؛ ما هذا الجهد الذي أرى بك ؟ ! قال : يا رب عظمت مصيبتي ، وأحاطت بي خطيئتي ، وأُخرِجتُ من ملكوت ربي ، فصرت في دار الهوان بعد الكرامة ، وفي دار الشقاء بعد السعادة ، وفي دار النصب بعد الراحة ، وفي دار البلاء بعد العافية ، وفي دار الزوال بعد القرار ، وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء ، فكيف لا أبكي على خطيئتي ؟ ! فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ؛ ألم أصطفِكَ لنفسي ، وأحللتك داري ، وخصصتك بكرامتي ، وحذَّرتك سخطي ؟ ! ألم أخلقك بيدي ، ونفخت فيك من روحي ، وأسجدت لك ملائكتي ؛ فعصيت أمري ، ونسيت عهدي ، وتعرضت لسخطي ؟ ! فوعزّتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونني ويسبِّحونني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين ! فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلاث مائة سنة .

مناجاة عبيد الله البجلي

وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء ، يقول في بكائه طول ليله : إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى ، واعُبيداه ؛ خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى ! واعُبيداه ؛ إن كانت النار لك مقيلاً ومأوى ! واعُبيداه : إن كانت المقامع لرأسك تهيأ ! واعُبيداه ؛ قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى .

وقال منصور بن عمار : سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي وهو يقول : يا رب ؛ وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ، ولا

---

(١) رقأ الدمع : انقطع . « مصباح » . (هامش الأصل) .

عصيتك إذ عصيتك ؛ وأنا بمكانك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرِّض ، ولا لنظرك مستخِفٌّ ، ولكن سوَّلت لي نفسي ، وأعانني على ذلك شقوتي ، وغرَّني سَتْرُكَ المرخى عليَّ ؛ فعصيتك بجهلي ؛ وخالفتك بفِعْلي ، فمن عذابك الآن مَن يستنقذني ؟ ! أو بحبل مَنْ أعتصم إن قطعتَ حبلك عني ؟ ! وَاسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفِّين : جوزوا ، وقيل للمثقلين : حطوا ! أَمَعَ المخفِّين أجوز ؟ ! أم مع المثقلين أحط ؟ ! ويلي ؛ كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ! ويْلي ؛ كلما طال عمري كثرت معاصي ! فإلى متى أتوب ، وإلى متى أعود ؟ ! أما آن لي أن أستحيي من ربي ؟ !

فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم ، وفي معاتبة نفوسهم ، وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ، ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء ، فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعياً ، ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضياً . والسلام . انتهى .

فهذه المذكورات وأمثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس ، وتكريرها عليها ، فإنها لا تطيع إلى خالقها إلا بترغيب وترهيب ، وترجية وتخويف ، فإن الدابة الحرون تحتاج إلى قائد يقودها ، وإلى سائق يسوقها ، فإذا وقعت في مهواة ومهلكة تضرب بالسوط من جانب ، وتلوح وتظهر لها بالشعير من جانب آخر ؛ حتى تنهض وتقوم مما وقعت فيه . فافهم وكن من الشاكرين .

خاتمة

في ذكر أدعية نفيسة منقولة من كتب الأئمة الصوفية

اعلم أيها الأخ المكرَّم ؛ أن أخاك الفقير - غفر الله ذنوبه آمين - لما تفكَّر في نفسه ، ورآها خالية من كل خير وهداية ، ومملوءة بكل شرٍّ ومعصية ، ولم يجد له شيئاً يُرْجَى سوى التضرُّع إلى الله وكثرة الدعوات ؛

أراد أن يكتب هنا نُبْذة من الأدعية التي يتأثَّر القلب بقراءتها فمنها :

حزب التضرُّع للتجاني رحمه الله تعالى

ما ذكره العالم العلاَّمة سيدي علي حرازم ابن العربي بزاده المغربي الفاسي رحمه الله تعالى في « جواهر المعاني » ؛ منقولاً عن الشيخ أبي العباس التجاني رحمه الله تعالى بما نصه : ومن أدعيته رضي الله تعالى عنه :

حزب التضرُّع والابتهال ، وقرع باب الكريم المتعال

قال رضي الله عنه : تقرأ الفاتحة ، بعد البسملة والتعوُّذ أولاً ، ثم صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ (مرة) ، ثم تقول : إلهي وسيّدي ؛ هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه ، وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه ، حالي لا يخفى عليك ، وهذا ذلّي ظاهر بين يديك ، ولا عذر لي فأبديه لديك ، ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته[1] من مناهيك وعدم طاعتك ، وقد ارتكبتُ ما ارْتكَبْتُه غير جاهل بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ، ولا غافل عن شدّة عقابك وعذابك ، ولقد علمت أني متعرِّضٌ بذلك لسخطك وغضبك ، ولست في ذلك مُضادّاً لك ولا معانداً ، ولا متصاغراً بعظمتك وجلالك ، ولا متهاوناً بعِزِّك وكبريائك ، ولكن غلبت عليَّ شَقْوَتِي ، وأحدقت بي شهوتي ، فارتكبت ما ارتكبته عجزاً عن مدافعة شهوتي ، فحُجَّتك عليَّ ظاهرة ، وحكمك فيَّ نافذ ، وليس لضعفي مَن ينصرني منك غيرك ، وأنت العفو الكريم ، والبرُّ الرحيم ؛ الذي لا تخيِّب سائلاً ، ولا تردُّ قاصداً ، وأنا متذلِّل لك ، متضرِّع لجلالك ، مستمطر جودك ونوالك ، مُسْتَعْطِفاً[2] لعفوك ورحمتك ، فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك

---

(١) وفي نسخة : أرتكبه .

(٢) وفي نسخة : مُسْتَعْطِفٌ .

ومجدك ، وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك : أن ترحم ذلّي وفقري ، وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوىء والمخالفات ، وعلى كل ما فرَّطت فيه من حقوقك ، فإنك أكرم مَن وقف ببابه السائلون ، وأنت أوسع مجداً وفضلاً من جميع مَن مُدَّت إليه أيدي الفقراء المحتاجين ، وكرمك أوسع ، ومجدك أكبر وأعظم من أن يمُدَّ إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فتردَّه خائباً ! فاغفر لي ، واعف عني ، فإنما سألتك من حيث أنت ؛ لاتِّصافك بعلوِّ الكرم والمجد ، وعلوِّ العفو والحلم والحمد .

إلهي لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجَّه إليك ، ولم أقف ببابك ؛ لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوئ والمخالفات ؛ فلم يكن جزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد ، ولكن سألتك من حيث أنت ! معتمداً على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم ، والعفو والحلم ، ولما سمت[1] به نفسك من الحياء على لسان رسولك ﷺ ؛ أن تُمَدَّ إليك يدُ فقير فتردَّها صفراء . وإن ذنوبي وإن عظمت ، وأَرْبَتْ[2] على الحصر والعدّ ، فلا نسبة لها في سعة كرمك وعفوك ، ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ هيئة من عظمة كورة[3] العالم .

فبحقِّ كرمك ومجدك ، وعفوك وحلمك ؛ اللواتي جعلتها وسيلة في استمطاري لعفوك وغفرانك اعف عني ، واغفر لي بفضلك وعفوك ، وإن كنت لست أهلاً لذلك ! فإنك أهل أن تعفوَ عمن ليس أهلاً لعفوك

---

(١) بتخفيف الميم فلا إشكال (نجل ابن القحي) .

(٢) الربا : الفضل والزيادة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) كار الرجل العمامة كوراً – من باب قال – : إذا أدارها على رأسه . وكل دور : كور . « مصباح » . (هامش الأصل) .

وكرمك ، فأنت أهل أن تمحو في كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصي والذنوب ، يا مجيد يا كريم ، يا عفوٌّ يا رحيم ، يا ذا الفضل العظيم والطَول الجسيم . انتهى .

ثم صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة .

ثم قال رضي الله عنه : وآكد التوجُّه به : الثلث الأخير من الليل ، فإنه وقت يبعد فيه الردّ من الله تعالى .

وينبغي أن يدعو به في أوقات الإجابة المعلومة .

وأجاز رضي الله عنه كل مَن يحسن القراءة من أصحابه . انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه ، من حفظه ولفظه بمجلس واحد بدار الصلاة بأبي سمعون ، وأجازنا فيه ، وكتب لنا بخطه في هذا المحلّ رضي الله عنه وأرضاه ومتَّعنا برضاه آمين .

همّة الإنسان قاهرة

وينبغي لمن دعا بهذا الدعاء أن يجمع همَّته ، فقد قال سيدنا رضي الله عنه : **همَّة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان؛** متى تعلَّقت بمطلوب ، وسَعَت في طلب ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة ؛ بحيث أن لا ينالها في طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ، ولا تصعب عليه صعوبة طلبه ، ولم ينلها شكٌّ ولا تردُّد ، بل باعتقاد جازم أن تناله أو تموت في طلبه ؛ اتصلت بمطلوبها ، ولو كان وراء العرش! انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه . انتهى عبارته ١٢٤ ج١ .

ومن الأدعية المؤثِّرة بالتجربة :

حزب عبد المالك الضرير الفاسي الحسني رضي الله عنه

ونقل من « الأذكار الطيبة » وهو هذا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاثاً)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ اَللَّهُمَّ إِنَّكَ غَنِيٌّ لاَ غِنًى عَنْكَ ، وَوَلِيٌّ لاَ عِوَضَ مِنْكَ ، ومِفْضَالٌ بِلاَ سَبَبٍ ، وَمَنَّانٌ قَبْلَ الطَّلَبِ ، أَبْرَزْتَ الوُجُودَ مِنْ العَدَمِ ، وَأَوْدَعْتَهُ دَلاَئِلَ القِدَمِ ، وَوَسِعْتَهُ رَحْمَةً وَعِلْماً ، وَأَحطْتَ بِهِ سُلْطَاناً وَحُكْماً ، فَلَمْ تَغِبْ ذَرَّةٌ مِنْهُ عَنْ عِلْمِكَ ، وَلَمْ تَخْرُجْ لَحْظَةٌ عَنْ حُكْمِكَ ، وَرَبَّيْتَهُ بِرَحْمَانِيَّتِكَ ، وَتَوَلَّيْتَهُ بِقَيُّومِيَّتِكَ وَحَمَلْتَهُ عَلَى مُقْتَضَى اِخْتِيَارِكَ وَحِكْمَتِكَ وَأَلْزَمْتَهُ الفَقْرَ الذَاتِيَّ وَالعَجْزَ الأَصْلِيَّ فَكَانَ إِفْتِقَارُهُ فِي نَيْلِ غِنَاكَ ظَاهِراً وَلِسَانُ عَجْزِهِ لِقَيُّومِيَّتِكَ ذَاكِراً ، وَكَمَّلْتَ نَقَائِصَهُ بِدَلاَلَتِهَا عَلَيْكَ ، وَحَسَّنْتَ شَدَائِدَهُ بِسَوْقِهَا إِلَيْكَ ، فَمَا انْفَكَّ وَاقِعٌ عَنْ حِكْمَةٍ ، وَلاَ خَلاَ مَوْجُودٌ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَأَجْرَيْتَ القُلُوبَ عَلَى وَفْقِ مُرَادِكَ ، فَحَجَبْتَهَا بِإِرَادَتِهَا عَنْ سَابِقِ مُرَادِكَ ، فَصَارَ العَبْدُ مُثَاباً وَمُعَاقَباً بِذَلِكَ ، وَتَعَرَّفْتَ لَهُمْ بِجَمِيلِ صِفَاتِكَ وَبَاهِرِ آيَاتِكَ ، فَأَبْرَقْتَ لَهُمْ مَحَاسِنَ إِحْسَانِكَ ، وَاسْتَحَثَّهُمْ مُنَادَى اِمْتِنَانِكَ ، فَطَارَتْ أَرْوَاحٌ بِأَجْنِحَةِ ﴿ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إِلَى بِسَاطِ ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فَغَابُوا إِذْ شَهِدُوا ، وَجَادُوا إِذْ وَجَدُوا وَسِيقَ آخَرُونَ بِعَصَا الاضْطِرَارِ إِلَى كُنُوزِ الرحْمَةِ وَمَهَبِّ الأَسْرَارِ ، فَحَمِدُوا العَنَا إِذْ ظَفِرُوا بِالمُنَا ، وَاسْتَحْسَنُوا البِدَارَ إِذْ حَامُوا حَوْلَ الدَّارِ ، وَتَاهَ المَخْذُولُونَ فِي مَهَامِهِ الحِيرَةِ ؛ إِذْ حُرِمُوا صَادِقَ الاضْطِرَارِ وَنَافِعَ المَعْذِرَةِ ، وَنَوَّرْتَ بَصَائِرَ المُوَفَّقِينَ بِمَعْرِفَتِكَ فَوَجَدُوكَ فِي كُلِّ جَمِيلٍ ، وَحَمِدُوكَ بِالكَمَالِ وَالتَكْمِيلِ ، وَانْفَرَدْتَ بِالإِمْدَادِ كَمَا انْفَرَدْتَ بِالإِيجَادِ ، وَتَعَالَيْتَ حَتَى عَجَزَ الكُلُّ عَنْكَ وَتَدَانَيْتَ حَتَى لَمْ يَكُنْ أَقْرَبَ مِنْكَ ، وَأَطْمَعَ فَضْلُكَ المُذْنِبِينَ ، وَأَرْجَفَ عَدْلُكَ المُقَرَّبِينَ ، وَاقْتَضَى غِنَاكَ أَنْ خَلَقْتَ الوُجُودَ لِلْجُودِ ، وَزَيَّنْتَ قَهْرَكَ بِالإِحْسَانِ المَشْهُودِ ، وَغَلَبْتَ المَظَاهِرَ حِلْماً وَمِنَناً ، وَجَعَلْتَ رَحْمَتَكَ لِمَا عِنْدِي ثَناً ، وَعَلِمْتَ أَنْ لاَ سَبِيلَ إِلَيْكَ ، وَلاَ غِناً لأَحَدٍ

عَنْكَ ، فَكُنْتَ الدَلِيلَ وَالمَطْلُوبَ ، وَعَظَّمْتَ النِعْمَةَ عَلَى كُلِّ مَرْبُوب ، فَلَمْ يَزَلِ الحَمْدُ لَكَ أَنْ رَحِمْتَ ، وَالحُجَّةُ لَكَ عَلَى مَنْ أَخَذْتَ ، يَا مَنْ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ سَبَبَ لِي أَتَمَسَّكُ بِهِ ، وَلاَ حيلَة لِي أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَلاَ قُوَّةَ لِي أتسلّى بِهَا ، وَلاَ رُكْنَ لِي أَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَلاَ سَنَدَ لِي أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، فَلاَ تَشَوُّفَ لِي إِلاَّ إِلَيْكَ ، وَلاَ عُذْرَ لِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنْ رَدَدْتَنِي لِوَصْفِي فَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ الطَرِيدُ ؟ ! وَإِنْ رَحِمْتَنِي عَلَى مَا فِيَّ فَأَنْتَ أَرْأَفُ رَبٍّ بِالعَبِيدِ .

يَا مَنْ لاَ يَمْقُتُ المُتَرَدِّدِينَ ، وَلاَ يَعَافُ المُتَلَوِّثِينَ ، يَا مَنْ لاَ يَتَثَاقَلُ عَنِ المَلْهُوفِينَ ، وَلاَ يَتَبَرَّمُ عَنِ المَصْرُوفِينَ ، يَا مَن لاَ يَنْهَرُ السَائِلِينَ ، وَلاَ يَمَلُّ القَابِلِينَ ، يَا مَنْ لاَ يُهْمِلُ المُحْتَاجِينَ وَلاَ يَعْتَذِرُ لِلرَاجِينَ ، يَا سَمِيعَ أَنِينِ المُنْكَسِرِينَ ، يَا رَحِيمَ حَنِينِ المُضْطَرِينَ ، يَا مَنْ إِغَاثَتُهُ فِي الشَدَائِدِ مَشْهُودَةٌ ، وَأَلْطَافُهُ فِي المَضَايِقِ مَعْهُودَةٌ ، يَا مَنْ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ . فَيَكُون ! ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

إِلَهِي قَدْ اِشْتَدَّ حَبْلُ الاضْطِرَارِ ، وَتَعَذَّرَ إِلاَّ إِلَيْكَ الفِرَارُ ، وَانْقَطَعَ مِنْ سِوَاكَ رَجَائِي ، وَضَاعَ إِلَى غَيْرِكَ الْتِجَائِي ، وَحُرِمْتُ فِي غَيْرِ بَابِكَ فَلاَ تُحْرِمْنِي ، وَأَيِسْتُ مِنْ سِوَاكَ فَلاَ تُؤَيِّسْنِي ، وَغَرِقَتْ نَفْسِي فِي جِنَايَتِي ؛ وَعَجزَ التَدْبِيرُ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ مُؤَاخَذَتِي ؛ وَأَنَا إِلَى عَفْوِكَ فَقِيرٌ ، فَبِغِنَاكَ عَنِّي إِلاَّ رَحِمْتَ فَقْرِي ، وَبِتَمَكُّنِكَ مِنِي إِلاَّ قَبِلْتَ عُذْرِي ، وَبِعَظِيمِ عَفْوِكَ إِلاَّ نَسَخْتَ هَجْرِي ، وَبِضِيَاءِ وَجْهِك إِلاَّ أَطْلَعْتَ فَجْرِي .

إِلَهِي لَوْ كُنْتَ لاَ تَرْحَمُ إِلاَّ المُسْتَحِقِّينَ مَا رَجَوْتُكَ ، وَلَوْ كُنْتَ لاَ تَقْبَلُ إِلاَّ المُخْلِصِينَ مَا أَتَيْتُكَ ، وَلَكِنْ عَاقَتْنِيَ الأَعْمَالُ ، وَخَانَتْنِيَ الآمَالُ ، وَوَصَلْتَ قَاطِعِي ، وَقَدَّمْتَ مَانِعِي ؛ فَأَوْقَفَتْنِي الذُنُوبُ مَوَاقِفَ الذُلِّ ،

وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ حَرَمِ النَجَاةِ إِلَى مَخَاوِفِ الحِلِّ ، وَطَمِعَت فِي مَقَاتِلِي سِهَامُ فِعْلِي ، وَأَثْبَتَتْنِي لِلْمَكَارِهِ زَلاَّتُ نَعْلِي ، وَلَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِ جَاهِكَ مُشْتَكَى ، وَلاَ مَلاَذُ يَسْمَعُ مَنْ دَعا ، أَوْ يَرْحَمُ مَنْ بَكَى ، فَإِلَى مَنْ أَفِرُّ إِنْ لَمْ تَحْمِنِي ؟ ! وَبِمَنْ أَسْتَغِيثُ إِنْ لَمْ تُغِثْنِي ؟ ! وَمَنْ أَرْجُوهُ إِنْ تُخَيِّبْنِي ؟ ! وَمَنْ أَدْعُوهُ إِنْ لَمْ تُجِبْنِي ؟ ! وَمَنْ أَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ تَرْحَمْنِي ؟ ! وَمَنْ أَتَمَلَّقُ[1] بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ لَمْ تَقْبَلْنِي ؟ ! وَبَابَ مَنْ أَقْرَعُ إِنْ تَكِلْنِي ؟ ! وَمَنْ بِهِ أَتَمَنَّعُ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي ؟ ! .

إِلَهِي مَنْ ذَا الَّذِي أَمَّلَكَ فَحَرَمْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَعَلَّقَ بِكَ فَصَرَمْتَهُ[2] ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرَدَّدَ إِلَيْكَ فَرَدَدْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي نَزَلَ بِكَ فَطَرَدْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَ بِكَ فَخَذَلْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَعَزَّزَ بِكَ فَأَذْلَلْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَسَتَّرَ بِكَ فَفَضَحْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَطَارَحَ عَلَيْكَ فَطَرَحْتَهُ ؟ ! يَا مَنْ احْتَجَبَ عَنْ الأَبْصَارِ وَلَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ حَاجَةِ أَهْلِ الاِضْطِرَارِ ، يَا مَنْ غَلَبَتْ رَحْمَتُهُ القَوَاطِعَ وَتَنَزَّهَ بَابُهُ عَنْ المَوَانِعِ ، ضَرَبَتِ المُلُوكُ حِجَابَهَا وأَنْتَ عَنِ المُضْطَرِّينَ غَيْرُ مَحْجُوبٍ ، وسَدَّتَ الأَغْنِيَاءُ أَبْوَابَهَا وَبَابُكَ عَنِ الفُقَرَاءِ غَيْرُ مَسْدُودٍ ، وَوَقَّتَت الأَجْوَادُ نَوَالَهَا وَنَوَالُكَ فِي سَائِرِ اللحَظَاتِ مَعْهُودٌ ، وَمَقَتَت الكِرَامُ مَنْ يُكْثِرُ سُؤَالَهَا وأَنْتَ لاَ تَمْقُتُ مَنْ يَعُودُ ، وَفَقَدَ المُحْسِنِينَ مَنْ لاَ يُحْسِنُ طَلَبَهُمْ ، وأَنْتَ كَيْفَ مَا طَلَبَكَ السَائِلُ مَوْجُودٌ ، وَأَجْمَعَت الأسْخِيَاءُ عَلَى مَنْعِ عُصَاتِهَا ، وأَنْتَ دَائِماً عَلَى العُصَاةِ تَجُودُ ، وَصُرِفَت الوُجُوهُ عَنِ المُتَمَلِّقِينَ[3] وَوَجْهُكَ عَن مَنْ يَتَمَلَّقُ إِلَيْكَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ ، وعُرِفَ المُتَصَدِّقُونَ بِمَنْعِ غَيْرِ المُسْتَحِقِّينَ ؛ وأَنْتَ بِرَحْمَةِ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّهَا مَعْرُوفٌ ، وكَرِهَت الرُحَمَاءُ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْهَا ؛ وأَنْتَ تُحِبُّ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْكَ ، وأَبْعَدَتِ العُظَمَاءُ مَنْ يَوَصِّلُ إِلَيْهَا وأَنْتَ تُقَرِّبُ مَنْ يُوَصِّلُ إِلَيْكَ ، فَكَيْفَ أَجْزَعُ وَقَدْ

---

(١) أي : أتودد . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : فصرفته .

(٣) أي : المحتاجين . « مصباح » . (هامش الأصل) .

فُتِحَتْ لِي بَابُكَ إِذْ غُلِّقَت الأَبْوَابُ ، ويَسَّرْتَ جَنَابَكَ إِذْ تَعَذَّرَ كُلُّ جَنَابٍ ؟ ! وكُلَّمَا أَتَيْتُكَ عَبْداً لَئِيماً وَجَدْتُكَ رَبّاً كَرِيماً ، فَمَا فَارَقْتُ وَصْفِي[1] . وَلاَ فَقَدْتُ جَمِيلَ وَصْفِكَ ، ولاَ غُبِنْتُ فِي شِدَّتِي مِنْ تَدَارُكِ لُطْفِكَ ، حَتَّى مَحَتْ مَحَاسِنُكَ وَهْمَ خَيَالِي ، وأَثْبَتَ جَمِيلُكَ شَمْساً عَلَى رَغْمِ اللَيَالِي ، فَكَيْفَ أَتَخَلَّى عَنْكَ وأَنْتَ الَّذِي يَسْتَحْيِي أَنْ يُخَيِّبَ يَدَ العُنَاةِ[2] ؟ ! وكَيْفَ أُسِيءُ بِكَ الظَنَّ وأَنْتَ الَّذِي يَقْبَلُ التَوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويَعْفُو عَن السَيِّئَاتِ ؟ ! وكَيْفَ أُجِيبُ دَاعِيَ اليَأْسِ مِنْكَ وقَدْ تَكَفَّلْتَ بِالإِجَابَةِ لِلْمُضْطَرِّينَ ؟ ! وكَيْفَ تَقْطَعُنِي عَنْكَ الذُنُوبُ وقَدْ أَدْلَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ المُتَحَيِّرِينَ ؟ ! يَا مَنْ قَالَ ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ .

إِلَهِي كُلُّ مَنْ اسْتَشَرْتُهُ يَدُلُّنِي عَلَيْكَ ، وكُلُّ مَنْ قَصَدْتُهُ يَدْفَعُنِي إِلَيْكَ ، وقَدْ آيَسَتْنِي التَجَارِبُ مِنْ سِوَاكَ ، ودَفَعَنِي الاضْطِرَارُ إِلَى غِنَاكَ ، ورَدَّدَنِي لِبَابِكَ حُسْنُ ظَنِّي فِيكَ ، وأَلْجَأَنِي حَرُّ تَلاَفِي إِلَى ظِلِّ تَلاَفِيكَ ، إِنْ تُقْصِنِي فَمَا لِي مِنْ بَعْدِكَ حَبِيبٌ ! وإِنْ تُدْنِنِي فَمَا ضَرَّنِي أَنْ لاَ يَكُونَ لِي مِنْ غَيْرِكَ نَصِيبٌ ! فَكَيْفَ أَغْتَرُّ بِسِوَاكَ وَهُوَ سَرَابٌ ؟ ! وكَيْفَ أَسْلُو بِهِ ومَا عَلَى التُرَابِ تُرَابٌ ؟ ! وكَيْفَ أَعْتَمِدُ عَلَى غَيْرِكَ وَهُوَ زَائِلٌ ؟ ! وكَيْفَ أَمِيلُ سِوَاكَ وَهُوَ مَائِلٌ ؟ !

إِلَهِي مَا لِشِدَّتِي مِنْ بَعْدِكَ انْفِرَاجٌ ، وَلاَ لِي مِنْ أَسْرِ الذُّنُوبِ إِنْ لَمْ تَمُنَّ إِخْرَاجٌ ، وَلاَ يُرْجَى لِعِلَّتِي غَيْرُ دَوَاكَ ، وَلاَ يُبَرِّدُ حُرْقَتِي شَيْءٌ سِوَاكَ ، وقَدْ رَكِبْتُ عِنْدَ تَمَوُّجِ الزَمَانِ فِيمَا أَخْشَاهُ ، وعَزَّتْ سَوَاحِلُ النَجَاةِ يَا رَبَّاهُ يَا رَبَّاهُ ! !

إِلَهِي كَيْفَ أُضِيعُ وأَنْتَ الرَحِيمُ ؟ ! وكَيْفَ أَخِيبُ وأَنْتَ الكَرِيمُ ؟ !

---

(١) عله شنيع وصفي .
(٢) عَنَا عنواً : خضع وذلَّ . « مصباح » والجمع : عناة . (منه) .

وكَيْفَ أُذَادُ ومَالِي إلَى غَيْرِكَ وُصُولٌ ؟ ! وكَيْفَ أُضَامُ وَالعَبْدُ بِعِزَّةِ سَيِّدِهِ يَصُولُ ؟ ! وكَيْفَ أَتعَفَّفُ وأَنْتَ الغَنِيُّ الجَوَّادُ ؟ ! وكَيْفَ لاَ أَعُودُ وأَنْتَ الَّذِي تُحِبُّ العَوَّاد ؟ ! وقَدْ حَمَلَنِي كَرَمُكَ عَلَى طَلَبِكَ ، وعَلَّقَتْ عَوَائِدُ إِحْسَانِكَ القَلْبَ بِكَ ، فَأَبَتِ الرُوحُ أَنْ تَحُنَّ لِغَيْرِكَ ، وَاقْتَضَى فَضْلُكَ أَنْ لاَ أَيْأَسَ مِنْ خَيْرِكَ ، فَلَوْ أَيْأَسْتَنِي لَرَجَوْتُكَ ! فَكَيْفَ إِذْ أَطْمَعْتَنِي ؟ ! وَلَوْ طَرَدْتَنِي مَا بَرَحْتُ عَنْكَ ! فَكَيْفَ إِذْ آوَيْتَنِي ؟ ! وَلَوْ أَوْحَشْتَنِي لَتَسَلَّيْتُ بِكَ[1] ! فَكَيْفَ إِذْ آنَسْتَنِي ؟ ! فَأَنْتَ المَحْمُودُ إِعْطَاءً ومَنْعاً ، والمَحْبُوبُ وَفَاءً وجَمْعاً ، يَا وَلِيِّي فِي غُرْبَتِي ، يَا مُؤْنِسِي فِي وَحْشَتِي ، يَا نُورِي فِي ظُلْمَتِي ، يَا رُكْنِي فِي شِدَّتِي ، يَا كَنْزِي فِي عَيْلَتِي ، يَا رَجَائِي حِينَ تَنْقَطِعُ حِيلَتِي ؛ لاَ تَذَرْنِي فِي حَرِّ الزَمَانِ وأَنْتَ ظِلِّي ، ولاَ فِي وَقْتِ الحِرْمَانِ وأَنْتَ سُؤْلِي ، ولاَ فِي فَقْدِ الهِجْرَانِ وعَلَيْكَ تَلَهُّفِي ، ولاَ فِي صَفْقَةِ الخُسْرَانِ وأَنْتَ تَشَوُّفِي ، ولاَ تَكِلْنِي إِلَى مَنْ لاَ يَرْحَمُ اضْطِرَارِي ولاَ يَقْبَلُ اعْتِذَارِي ، فَلاَ مَفَرَّ لِي مِنْ بَعْدِكَ ، وَلاَ غَوْثَ لِي إِلاَّ مِنْ عِنْدِكَ ، وَقَدْ مَالَ كُلُّ مُؤَمَّلٍ عَنِّي ، وَمَلَّ كُلُّ مُسْتَغَاثٍ مِنِّي ، وَأَنْتَ تُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلاَ شَيْءَ عَنْكَ يُغْنِي ، وَكَيْفَ لاَ أَفِرُّ لِغِنَاكَ مِنْ فَاقَتِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أَفْزَعُ لِعِزِّكَ مِنْ ذِلَّتِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أَسْتَغِيثُ وَقَدْ جَارَ التَلَفُ وَلاَ مُجِيرَ ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أُنَادِي وَغَيْرُ عِلاَجِكَ فِي هَذِهِ حَقِيرٌ ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يَحْمِلُنِي إِلَى الرُكُونِ إِلَيْكَ انْقِطَاعِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يُلْجِئُنِي للتَعَلُّقِ بِكَ ضِيَاعِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يُحْسِنُ إِحْسَانُكَ ظَنِّي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ تُذْهِبُ شَوَاهِدُ فَضْلِكَ حُزْنِي ؟ ! فَقَدْ رَحِمْتَنِي عَلَى مَا تَعْلَمُ مِنِّي ، وَأَسْرَفْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَمْ تُقَنِّطْنِي ، وَرَأَيْتَنِي عَلَى مَا تَكْرَهُ وَلَمْ تُعَاجِلْنِي ، وَمَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدَ الضرَاعَةِ[2] فَلَمْ تُؤَجِّلْنِي ، وَوَسِعَ إِحْسَانُكَ طَمْعِي ، وَضَاعَ ضِيَاعِي إِذْ وَجَدْتُكَ مَعِي ؛ فَلَمْ تُحَوِّجْنِي إِلَى تَرْجُمَانٍ ، وَلاَ تَقَيَّدْتَ لِي بِزَمَانٍ ،

---

(١) في نسخة : بمنِّك .

(٢) ضرع : ذلَّ وخضع . « مختار » . (هامش الأصل) .

فَكَيْفَ يَسعُنِي إِلَى غَيْرِكَ الفِرَارُ ؛ وَأَنْتَ أَرْحَمُ مَا تَكُونُ عِنْدَ الاضْطِرَارِ ؟ ! يَا ذَا الجُودِ العَمِيمِ الَّذِي لاَ يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ ، وَلاَ يَخْتَصُّ بِمَكَانٍ ، يَا ذَا الفَضْلِ العَظِيمِ الَّذِي تُصِيبُ بِهِ مَنْ تَشَآءُ كَيْفَ مَا كَانَ ، رَفَعَت الشدَائِدُ حِجَابَ الأَوْهَامِ ، وَأَزَالَت المَضَايِقُ الخيَالَ عَنْ الأَفْهَامِ ، فَرَأَيْتُ فِي بَيْتِ العَنْكَبُوتِ مَنْ رَكَنَ لِسِوَاكَ ، وَضَلَّ عَنِّي كُلُّ مَنْ أَدْعُوهُ إِلاَّ إِيَّاكَ .

إِلَهِي ؛ كُنْتُ عَدَماً فَأَوْجَدْتَنِي ، وَغَيْباً فَأَشْهَدْتَنِي ، وَحَائِراً فَأَدْلَلْتَنِي ، وَجَاهِلاً فَأَشْعَرْتَنِي ، وَغَافِلاً فَأَلْهَمْتَنِي ، وَآيِساً فَأَطْمَعْتَنِي ، وَمُعْرِضاً فَتَعَرَّضْتَ لِي ، وَمُنْكِراً فَتَعَرَّفْتَ لِي ، وَزَاهِداً فَتَزَيَّنْتَ لِي ، وَنَاقِصاً فَلَمْ يَكُنْ مِنِّي نَقْصٌ إِلاَّ قَابَلَهُ مِنْكَ كَمَالٌ ، حَتَّى نَفِدَتْ نَقَائِصِي وَلاَ نَفَادَ لِكَمَالِكَ ، فَهَا أَنَا أَتَلَوَّنُ فِي امْتِنَانِكَ ، وَأَتَنَزَّهُ فِي سُلْطَانِكَ ، وَأَجِدُكَ مَهْمَا طَلَبْتُكَ ، وَأُشَاهِدُكَ إِذَا ذَكَرْتُكَ ، حَسْبِي عَدَدِي ، عَظُمَتْ نِعْمَتُكَ عَنْ شُكْرِي ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ عَنْ فِكْرِي وَذِكْرِي ، اِجْعَلْ تَعَلُّقِي فِدَاءً عَنْ التَعَلُّقِ بِغَيْرِكَ ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ مُحَقِّقاً لِلاِسْتِغْنَاءِ بِكَ .

يَا مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيْهِ ، يَا مَنْ تَعَرَّفَ لَهُمْ بِالرحْمَةِ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ، تَعَالَيْتَ عَنْ مَدَارِكِ الأَفْهَامِ ، فَجَعَلْتَ رَحْمَتَكَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ سَبِيلاً ؛ وَجَلَّ سَبِيلُ فَضْلِكَ عَنْ الإِمْكَانِ ، فَجَعَلْتَ فَضْلَكَ عَلَى فَضْلِكَ دَلِيلاً ؛ وَتَنَزَّهْتَ فِي تَصَرُّفِكَ عَنْ ثَانٍ فَجَلَّلْتَ البَاطِنَ بِالظَاهِرِ تَجْلِيلاً ، وَنَمَتْ عَلَيْكَ ضُرُوبُ الإِحْسَانِ ، فَصَارَ كُلُّ رَجَاءٍ فِي جَنْبِ فَضْلِكَ قَلِيلاً ، وَتَرَدَّدَتْ إِلَيْكَ أَهْلُ العِصْيَانِ ، فَلَمْ يَذْكُرِ الكُلُّ عَنْكَ إِلاَّ جَمِيلاً ، فَلَمْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ رَجَاءُ المُقَصِّرِينَ ، وَلاَ تَعَدَّى فَضْلَكَ سُؤَالُ المُجْتَهِدِينَ .

إِلَهِي ؛ إِنْ كُنْتُ أَهْلاً لِلْمَنْعِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلإِعْطَاءِ ، وَإِنْ كُنْتُ بَادِيَ العَيْبِ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ غَطَّى ، وَإِنْ عُرِفْتُ بِالإِسَاءَةِ فَأَنْتَ المَعْرُوفُ بِالإِحْسَانِ ، وَإِنْ عُدتُ لِلجَهَالَةِ فَأَنْتَ العَوَّادُ بِالْغُفْرَانِ ، وَإِن نَادَيْتُكَ لِفَاقَتِي فَمِنْ أَخْلاَقِكَ إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ ، وَإِنْ عَجزَ عَنِّي فِعْلِي فَأَنْتَ عَلَى رَحْمَتِي قَدِيرٌ ، وَإِنْ صَغُرَ

حَالِي عَنْ سُؤَالِي فَلاَ شَيْءَ عَلَيْكَ كَبِيرٌ . فَإِنْ عَدَلْتَ فَأَنْتَ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ، وَإِنْ تَفَضَّلْتَ فَمَا عَلَيْكَ تَحْجِيرٌ ، فَبَدِّلْ دَمِي مَعَ أَخْلاَقِي بِخُلُقٍ حَمِيدٍ ، وَحَوِّلْنِي عَمَّا تَكْرَهُ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتُرِيدُ ، وَأَسْرِجْ بَاطِنِي مِنْ نُورِ اليَقِينِ ، وَزَيِّنْ ظَاهِرِي بِسِمَاتِ الصَادِقِينَ ، وَغَيِّبْ قَبَائِحِي فِي جَمِيلِ أَوْصَافِكَ ، وَتَدَارَكْنِي قَبْلَ نُفُوذِ القَضَاءِ بِأَلْطَافِكَ **يَا لَطِيفُ** (عدد ١٢٩ مرة) ، وَتَوَلَّنِي حِينَ تَنْقَطِعُ الأَسْبَابُ وَالعَلاَئِقُ وَيَسِّرْ لِي الشَهَادَةَ عِنْدَ المَوْتِ بِلاَ عَائِقٍ .

إِلَهِي ؛ إِلَيْكَ أَشْكُو مَا تَنَزَّهَ عَنْ سُؤْلِي[١] ، وَكَبُرَ عَنْ حَالِي ، وَغَلَبَ صَبْرِي ، وَعَلاَ عَنْ ذِكْرِي ، وَإِنْ جَاوَزَ حَدَّ الإِمْكَانِ ؛ فَمَا جَاوَزَ الإِحْسَانَ ، فَإِنْ نَطَقْتُ كَانَ سَفَهاً مِنِّي ، وَإِنْ سَكَتُّ مَا سَكَتَ حُبُّهُ عَنِّي ، وَكُلَّمَا هَجَمَتْ جِنَايَتِي عَلَى نَفْسِي أَبَى فَضْلُكَ أَنْ يَسْتَقِرَّ إِيَاسِي[٢] ، فَكَمْ جَازَ فِي رَجَائِكَ المحَالُ ؛ وَمَا أَثَّرَ فِي فَضْلِكَ سُوءُ حَالٍ !

يَا أَوَّلُ بِغَيْرِ ابْتِدَاء ، يَا آخِرُ بِغَيْرِ انْتِهَاء ، يَا ظَاهِرُ بِلاَ تَكْيِيفٍ ، يَا بَاطِنُ بِلاَ تَشْبِيهٍ ، يَا ذَا القُوَّة المَتِين ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِلاَ مُعِينٍ ، يَا سُبُّوحُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الأَشْيَاءِ جَلَّ شَأْنُهُ ، يَا قُدُّوسُ عَنْ تَخَيُّلاَتِ الأَوْهَام تَنَزَّهَ سُلْطَانُهُ ، يَا مَنْ ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (ثلاثاً) أَغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ بِمُشَاهَدَتِكَ فِي رِزْقِكَ ؛ حَتَى لاَ أَرَى عَلَيَّ مِنَّةً لِغَيْرِكَ ، وَلاَ تُهِنِّي فِي طَلَبِي ، وَتَوَلَّنِي فِي كَسْبِي ، وَاغْفِرْ لِي مَا رَجَفَ[٣] مِنْهُ قَلْبِي ، وَذَهِلَ مِنْهُ عَقْلِي ، وَبَارَتْ[٤] فِيهِ حِيلَتِي ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُ حُجَّتِي ، وَبَطَلَتْ

---

(١) في نسخة : سؤالي .

(٢) مقلوب من يئس . راجع « المصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) رجف الشيء رجفاً ورجيفاً ورجفاناً : تحرك واضطرب . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٤) بار الشيء بواراً : كسد . على الاستعارة ، لأنه إذا ترك صار غير منتفع به ، فأشبه للهالك من هذا الوجه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

مِنْهُ مَعْذِرَتِي ، وَسُقِطَ فِي يَدِي ، وَأَيْقَنْتُ أَنْ لاَ مَلْجَأَ إِلاَّ إِلَيْكَ .

يَا مَنْ سَمَّى نَفْسَهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مَطْلَعِ شَمْسِ القِدَمِ ، وَفَائِقِ رَتْقِ العَدَمِ ، وَدَلِيلِ الكَنْزِ الأَعْظَمِ ، وَسَبِيلِ الملك الأَرْحَمِ ، وَلِسَانِ عِلْمِ القَلَمِ ، وَإِمَامِ كُلِّ مُقَدَّمٍ ، وَأَصْلِ نِعَمِ العَالَمِ ، الَّذِي جَعَلْتَ بَاطِنَهُ لِوَحْدَتِكَ ، وَظَاهِرَهُ لِرَحْمَتِكَ ، وَآخِرَتَهُ لِشَفَاعَتِكَ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِينِ ، وَاغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ . انتهى .

مناجاة ابن عطاء الله رضي الله عنه

ومن الأدعية النافعة : مناجاة ابن عطاء الله رضي الله عنه .

قال في « تقريب الأصول » : قال بعض العارفين : إنَّ فيها سرّاً عجيباً ، وتأثيراً كبيراً في قلب ذاكرها مع الحضور ، وإذا كان ذلك في وقت السحر يكون أولى ، فإن لم يتيسَّر ! ففي آخر النهار ، أو في أيِّ وقت . انتهى عبارته ٢٢٧ .

وهي هذه :

إِلَهِي ؛ أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ ، فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي ؟ !

إِلَهِي ؛ أَنَا الجَاهِلُ فِي عِلْمِي ، فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ جَهُولاً فِي جَهْلِي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنَّ اخْتِلاَفَ تَدْبِيرِكَ ، وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ ، مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنْ السكُونِ إِلَى عَطَاءٍ ، وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاَءٍ .

إِلَهِي ؛ مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي[1] ، وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ[2] .

---

(١) بلؤمي : وهو مبارزتي إياك بالمعاصي . ولؤم - بضم الهمزة - لؤماً فهو لئيم ، يقال ذلك للشحيح والدنيء والمهين . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) وهو التجاوز والعفو ، وقبول الاعتذار . « شرح الحكم » . (هامش الأصل) .

إِلَهِي ؛ وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرأفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضُعْفِي ، أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضُعْفِي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنْ ظَهَرَت المَحَاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ ، وَإِنْ ظَهَرَت المَسَاوِىءُ مِنِّي فَبِعَدْلِكَ وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ[1] .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ تَكِلُنِي إِلَى نَفْسِي وَقَدْ تَوَكَّلْتَ لِي ؟ ! وَكَيْفَ أُضَامُ وَأَنْتَ النَاصِرُ لِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي ؟ ! هَا أَنَا أَتوسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ ، وَكَيْفَ أَتَوسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حَالِي وَهِيَ لاَ تَخْفَى عَلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ وَإِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ تُحْسِنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ مَا أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي ! وَمَا أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي !

إِلَهِي ؛ مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي وَمَا أَبْعَدَنِي مِنْكَ !

إِلَهِي ؛ مَا أَرْأَفَكَ بِي ، فَمَا الَّذِي يُحْجِبُنِي عَنْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلاَفِ الآثَارِ ، وَتَنَقُّلاَتِ الأَطْوَارِ ، إِنَّ مُرَادَكَ مِنِي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لاَ أَجْهَلَكَ .

إِلَهِي ؛ كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ ، وَكُلَّمَا آيَسَتْنِي أَوْصَافِي أَطْمَعَتْنِي مِنَّتُكَ .

إِلَهِي ؛ مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي[2] ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ مَسَاوِئُهُ مَسَاوِئَ ؟ ! ومَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِيَ ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي ؟ !

---

(١) بأن تقول : لم فعلت هذا يا عبدي . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : مساوئ .

إِلَهِي ؛ حُكْمُكَ النَافِذُ ، وَمَشِيئَتُكَ القَاهِرَةُ ؛ لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالاً ، وَلاَ لِذِي حَالٍ حَالاً .

إِلَهِي ؛ كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا وَحَالَةٍ شَيَّدْتُهَا هَدِمَ اِعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ ، بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ !

إِلَهِي ؛ أَنْتَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَاعَةُ مِنِّي فِعْلاً جَزْماً فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَجَزْماً[1] .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَعْزِمُ[2] وَأَنْتَ القَاهِرُ ؟ ! وكَيْفَ لاَ أَعْزِمُ وأَنْتَ الآمِرُ ؟ !

إِلَهِي ؛ تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ يُوجِبُ بُعْدَ المُزَارِ ، فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ يَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ أَيَكُونَ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرُ لَكَ ؟ ! مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلَّ عَلَيْكَ ؟ ! ومَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ عَمِيَتْ عَيْنٌ لاَ تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً ، وخَسِرَتْ صَفقَةُ عَبْدٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً .

إِلَهِي ؛ أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ ، فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكِسْوَةِ الأَنْوَارِ ، وهِدَايَةِ الاِسْتِبْصَارِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا ؛ مَصُونَ السِرِّ عَنِ النَّظْرِ إِلَيْهَا ، ومَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاِعْتِمَادِ عَلَيْهَا . إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

---

(١) في نسخة : عزماً .

(٢) عزم على الشيء ، وعزمه عزماً ؛ من باب ضرب : عقد ضميره على فعله . وعزم عزيمة وعزمة : اجتهد وجدَّ في أمره . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إِلَهِي ؛ هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وهَذَا حَالِي لاَيَخْفَى عَلَيْكَ ، مِنْكَ أَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَيْكَ ، وبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ ، فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ ، وأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِلَهِي ؛ عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المَخْزُونِ ، وصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المَصُونِ .

إِلَهِي ؛ حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ ، واسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ .

إِلَهِي ؛ أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عَنْ تَدْبِيرِي ، وبِاخْتِيَارِكَ لِي عَنْ اخْتِيَارِي ، وأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ[1] اضْطِرَارِي .

إِلَهِي ؛ أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي ، وطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي ، بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَانْصُرْنِي ، وعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلاَ تَكِلْنِي ، وإِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلاَ تُخَيِّبْنِي ، وفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلاَ تَحْرِمْنِي ، ولِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ فَلاَ تُبَعِّدْنِي ، وبِبَابِكَ أَقِفُ فَلاَ تَطْرُدْنِي .

إِلَهِي ؛ تَقَدَّسَ رِضَاكَ عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ ، فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي ؟ ! أَنْتَ الغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النفْعُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ غَنِيّاً عَنِّي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنَّ القَضَاءَ والقَدَرَ غَلَبَنِي ، وإِنَّ الهَوَى بِوَثَائِقِ الشَهْوَةِ أَسَرَنِي ، فَكُنْ أَنْتَ النَصِيرَ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي ، وتَنْصُرَبِي ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلَبِي .

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ ووَحَّدُوكَ ، وأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ ، ولَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى غَيْرِكَ .

أَنْتَ المُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُم العَوَالِمُ ، وأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ

---

(١) والمراكز - على وزن مسجد - : موضع الثبوت . « مصباح » . (هامش الأصل) .

حَتَّى اسْتَبَانَتْ لَهُم المَعَالِمُ .

مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟ ! ومَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ !

لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً ، ولَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ ؟ ! وكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الامْتِنَانِ ؟ !

يَا مَنْ أَذَاقَ أَحِبَّاءَهُ حَلاَوَةَ مُؤَانَسَتِهِ ؛ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ ، ويَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلاَبِسَ هَيْبَتِهِ ؛ فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ .

أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قِبَلِ الذاكِرِينَ ، وأَنْتَ البَادِىءُ بِالإِحْسَانِ مِنْ قِبَلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ ، وأَنْتَ الجَوَّادُ بِالعَطَاءِ قَبْلَ طَلَبِ الطالِبِينَ ، وَأَنْتَ الوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا مِن المُسْتَقْرِضِينَ .

إِلَهِي ؛ اُطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ وَاجْذِبْ بِي بِمِنَّتِكَ ، حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ .

إِلَهِي ؛ إِنَّ رَجَائِي لاَ يَنْقَطِعُ عَنْكَ ؛ وَإِنْ عَصَيْتُكَ ! كَمَا أَنَّ خَوْفِي لاَ يُزَايِلُنِي ؛ وَإِنْ أَطَعْتُكَ !

إِلَهِي ؛ قَدْ دَفَعَتْنِي العَوَالِمُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ أَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ(١) . إِلَهِي ؛ كَيْفَ أُخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُهَانُ وَعَلَيْكَ مُتَّكِلِي ؟ !

إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَأَنْتَ فِي الذُّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نِسْبَتِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ أَفْتَقِرُ وأَنْتَ الَّذِي فِي الفَقْرِ أَقَمْتَنِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي ؟ !

أَنْتَ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ ، تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ ،

---

(١) في نسخة : بكرمك عليك .

وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَرَأَيْتُك ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَنْتَ الظَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ .

يَا مَنْ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ؛ فَصَارَ العَرْشُ غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِهِ ، كَمَا صَارَتْ العَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ .

مَحقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ ، وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلاَكِ الأَنْوَارِ .

يَا مَن احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ ، يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَقَتْ عَظَمَته الأَسْرَار .

كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَاهِرُ ؟ ! أَمْ كَيْفَ تغِيبُ وَأَنْتَ الرقِيبُ الحَاضِرُ ؟ !
انتهى عبارته .

تذنيب

في ذكر مكفِّرات الذنوب والأحزاب النافعة لتفريج الكروب وذكر سندها وسند أشياخنا في العلوم الظاهرة والباطنة

ثم اعلمْ أيها الأخ أنَّ ولدي محمد عارف ـ حماه الله من فتن الدارين ـ طلب منِّي أن أكتب في هذا الموضع شيئاً من الأدعية التي تدفع عن قارئها البلايا والمصائب، فصوَّبت رأيه، وحسَّنت كلامه، ولذا شرعت أن أجيب لما طلبه، وأكتب شيئاً مما أمله؛ فأقول:

استمع أيها الولد؛ وتيقَّن أن سبب اشتداد الفاقة والبلية بالعباد، وانقطاع أسباب المعاش والمعاد، وظهور الفتن في الأرض وتكاثر الفساد، ووقوع الأمر إلى يد غير أهله من أهل العناد، إنما هو بما كسبت أيدي الناس من شمول العصيان، واستيلاء الغفلة على الأفئدة والأركان.

وقد نطق بذلك الآيات والأحاديث، قال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، وقال ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾.

وورد[1]: «إنَّ سبب المصائب الذنوب»، وفي الخبر «ما أنكرتم من زمانكم، فبما غيّرتم من أعمالكم»، فإذا كان الأمر كذلك؛ ينبغي أن يُقَدَّم ذكر ما يُكفِّر الذنوب، ثم يُذكَر بعده شيءٌ من الأحزاب؛ ليقرأه الولد المذكور أو غيره، ليكون حرزاً من الآفات.

فمن ذلك: ما قاله صاحب «الإتحاف» في شرح «الإحياء» بما لفظه:

تنبيه؛ روى ابنُ السني والديلميُ من حديث ابن عباس رفعه: «مَنْ

---

(١) حفني ٢٤٢ ج٣.

قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، وأستغفر الله . (مائة مرة) ، غفر الله له مائة ألف ذنب ، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب » .

وفي « طبقات الحنفية » للمجد الشيرازي صاحب « القاموس » ما نَصُّه :

روى صاحب « الهداية » عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخطيبي حديثاً بسنده :

« من قال بعد أن يصلي الجمعة : سبحان الله العظيم وبحمده . مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ، ولوالديه أربعة وعشرين ألفاً » . انتهى عبارته ٢٧١ ج ٣ .

قال العزيزي في « السراج المنير » في شرح حديث : « مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة ، قبل أن يثني رجليه ـ أي : قبل أن يصرف رجليه ـ عن حالته التي هو عليها في التَّشَهُّد : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ الناس ، سبعاً من المرات ، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر »[1] .

قال المناوي : أي من الصغائر إذا اجتنبت الكبائر .

قال العلقمي : فائدة : أَلَّفَ الحافظ ابن حجر كتاباً سماه « الخصال

---

(١) وفي رواية : « وقبل أن يتكلَّم ، حفظ له دينه ودنياه ، وأهله وولده » .

قال الغزالي : وقل : اللهم ؛ يا غني يا حميد ، يا مبدئ يا معيد ، يا رحيم يا ودود ، أغنني بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمَّن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك . قال الشرقاوي : مَن واظب عليه أربع مرات مع ما تقدَّم أغناه الله ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وغفر له ما تقدَّم وما تأخَّر ، وحفظ له دينه ودنياه ، وأهله وولده . كذا في « ترشيح المستفيدين » فراجعه في ٧٢١ . (منه رحمه الله تعالى) .

المكفِّرة للذنوب المتقدِّمة والمتأخِّرة » وسبقه إلى ذلك الحافظ المنذري .

وقد رأيت أن أُلَخِّص الأحاديث هنا لتُسْتفاد .

إسباغ الوضوء

أخرج[1] ابن أبي شيبة في « مسنده » و« مصنفه » ، وأبو بكر بن المِرْوزي في مسند عثمان ، والبزَّار عن عثمان بن عفان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يسبغ عبدٌ الوضوء إلا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو عوانة في « صحيحه » عن سعد بن أبي وقاص : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قال حين يسمع المؤذن يقول : (أشهد أن لا إله إلا الله) : رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبيّاً ـ وفي لفظ رسولاً ـ ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر » .

وأخرج ابن وهب في « مصنفه » عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنُوا ، فإن الملائكة تؤمِّنُ ، فَمَنْ وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

سبحة الضحى

وأخرج آدم بن أبي إياس في كتاب « الثواب » عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صلى سبحة[2] الضحى ركعتين ؛ إيماناً واحتساباً ، غفر له ذنوبه كلها ، ما تقدّم منها ، وما تأخَّر ، إلا القصاص ! » .

---

(١) أي كتب « قاموس » .
(٢) وهو يسبح : أي يصلي . « مصباح » (هامش الأصل) .

قراءة السبعيات

وأخرج أبو الأسعد القشيري في « الأربعين » عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ الناس ، سبعاً سبعاً ، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر » .

فضيلة الصيام والقيام

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج النسائي في « الكبرى » ، وقاسم بن أصبغ في « مصنفه » عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ؛ وما تأخَّر ، ومَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ؛ وما تأخَّر » .

وأخرج أبو سعيد النقَّاش الحافظ في « أماليه » عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صام يوم عرفة غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو داود والبيهقي في « الشعب » عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر ، ووجبت له الجنة » .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن جاء حاجّاً يريد وجه الله غفر له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أحمد بن منيع ، وأبو يعلى في مسنديهما عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قضى نسكه ، وسَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

قراءة آخر سورة الحشر

وأخرج الثعلبي في تفسيره عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ آخر سورة الحشر غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو عبد الله بن ساعدة في « أماليه » عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قاد مكفوفاً[1] أربعين خطوة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو أحمد الناصح في « فوائده » عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سعى لأخيه المسلم في حاجة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

فضيلة المصافحة

وأخرج الحسن بن سفيان ، وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من عبدين يلتقيان ؛ فيتصافحان ، ويصلِّيان على النبي ﷺ لم يتفرَّقا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ؛ ما تقدَّم منها ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ، ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وقد تلخَّص من هذه الأحاديث الستة عشر ، وقد نظمتها في أبيات على وزن « يا سلسلة الرّسل » :

---

(١) وكف بصره إذا عمي . .الخ مكفوفاً « مصباح » . (هامش الأصل) .

قَدْ جَـاءَ عن الهادي وهوَ خيرُ نبي ... أَخْــبَارٌ مسانيدُ قَدْ رُوينا بإيصالِ

في فَضْلِ خِصــالٍ وغافراتِ ذنوبٍ ... مــا قدَّمَ أَوْ أَخَّرَ للمماتِ بأفْضَال

حجٌّ ووضوءٌ قيام لـيلـةِ الـقدر ... والشــهـر وصومٌ له وَوَقفُه إقبال

آمينُ وقارىءُ آخرِ حشـرٍ ومَنْ قادَ ... لأعمى وشهيدْ إذا المؤذِّنْ قَدْ قال

سَعَى لأخ والضُحى وعــند لبــاسٍ ... حمــدُ ومــجيءُ مِنْ إِيْلِيَاءَ بإهلال

في جُمعةٍ يَقْرأُ قُلْ ويصافحْ عبــداً ... مَعَ ذكرِ صلاةٍ على النبيْ مَعَ الآل

انتهى عبارته ٣٥٥ ج ٣ .

وقد بسط صاحب « الرماح » الكلام في ذكر مكفِّرات الذنوب ، وقال بعد ذكره أمثال ما تقدَّم من العزيزي رحمه الله :

وأخرج ابن منصور الديلمي ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله عزَّ وجلَّ بحراً من نور ، حوله ملائكة من نور ، على خيل من نور ، بأيديهم حراب من نور ، يُسبِّحون حول ذلك البحر : سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزَّة والجبروت ، سبحان الحيِّ الذي لا يموت ، سبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح . فَمَنْ قالها في يوم مرَّة ، أو في شهر مرَّة ، أو في سنة مرَّة ، أو في عمره مرَّة ، غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر ، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ! ومثل رمل عالج ، أو فَرَّ من الزحف ! ! » انتهى عبارته ٢٦٤ ج ٢ .

فضيلة التسبيح

وقال بعيد هذا : ومن مكفِّرات الذنوب : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ؛ ملء ما علم ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم ، فإن المرَّة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى . انتهى عبارته .

وقال أيضاً : ومن مكفِّرات الذنوب دعاء : يا مَنْ أظهر الجميل ، وستر القبيح . . . . إلخ . فإن الخبر ثبت أنه يمحو جميع الذنوب ، ويعطى صاحبُه ثوابَ جميع الخلائق في كل مرَّة منه . انتهى .

وقال فيه : **واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد عن الانفصال عنها ، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفِّراتها ، وآكد ذلك : صلاة الفاتح** لما أغلق . . إلخ ، فإنَّها لا تترك من الذنوب شاذَّة ولا فاذَّة . انتهى عبارته ٢٦٥ ج ٢ نقله من رسالة شيخه ـ رحمه الله تعالى ـ فراجعه .

ومَنْ أراد أن ينجو من البلايا والآفات ؛ فليلازم على التوبة والاستغفار ، وليواظب على الاشتغال بمكفِّرات الذنوب ، **وليعلم أنّ العبد أكثر ما يرد عليه من البلايا من شؤم الذنوب ، فإنَّ الكون كلَّه ظلُّ الشخص ، فإن استقام ! يستقيم ، وإلا ! فلا . فافهم** . وادخل البيوت من أبوابها .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما في « جواهر المعاني » بما نصُّه :

ومما كتب[١] به إلى كافة الإخوان أينما كانوا ونصُّه : قال ـ رضي الله عنه ـ بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

وبعد ؛ فأوصيكم بما أوصى الله به ؛ قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **قَدْرًا** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا** ﴾ .

---

(١) يعني : الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه . (منه) . (هامش الأصلِ) .

واعلموا أن التقوى قد صعب مرامها ، وتناءت بُعداً عن أن تمدَّ بيد أحد خطامها واحتكامها ، وكلَّت الهمم دونها ، فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكامها ، إلاّ الفرد الشاذُّ النادر ، لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار ، ووَحْلُها في رتع أحوال البشرية وحْلاً لا مطمع لها في الانفكاك عنه ، وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض ، إلا الشاذّ النادر الذي عصمه الله تعالى ، **وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن ، وَطَما بحر المصائب والمحن ، وغرق الناس فيه كل الغرق** ، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها ؛ اكتَنَفَتْه(١) مصائب ، وفي هذا قيل : سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن ، فلا ينفع فيها إلاّ دعاء كدعاء الغريق .

وليكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا ، أو مطفىء لأكثر نيرانه ، وهو كثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي ﷺ ، وذكر (لا إله إلا الله) مجرَّدة ، وذكر : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، وقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، فإنه بقدر الإكثار من الأذكار ؛ تتناءى عن العبد كثرة المصائب وشرور الأوزار ، وبقدر تقليله منها ؛ يقلُّ بعده عن المصائب والشرور .

وليكن لكل واحد منكم قدرٌ من الأذكار على قدر الطاقة ، وعليكم بكثرة التضرُّع والابتهال ، لمَن له كمال العزِّ والجلال ، فإنَّ الله رحيم بعباده ودود ، فإنه أكرم وأعظم فضلاً من أن يتضرَّع إليه متضرِّع أحاطت به المصائب والأحزان ، ومدَّ إليه يديه مستعطفاً نواله ، راجياً كرمه وأفضاله ، أن يردَّه خائباً ، أو يعرض عنه برحمته ، والعاجز مَن عجز حتى

---

(١) واكتنفه القوم : كانوا منه يُمنة ويسرة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

عن التضرُّع والابتهال ! **ومَنْ ضَيَّع نَفسه مِنَ الله فلا جابر له .**

وليكن لكم بباب الله لمَّات[1] ، على مرور الساعات ، وكرور الأوقات ، فإنَّ مَنْ اعتاد ذلك في كرور أوقاته ؛ غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ماحقاً لمصائبه وكدوراته ، ومسهِّلاً لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملمَّاته ، فإنه سبحانه وتعالى غني كريم ، يستحي لكرمه إذا رأى عبداً قد تعوَّد الوقوف ببابه ؛ ولو في أقلِّ الأوقات ، أن يسلمه للمصائب التي لا مخرج له منها ، أويكدحه[2] بهلَكَة يعسُرُ عليه الخلاص منها .

احفظوا هذا العهد ، واركضوا[3] في هذا الميدان ، ولو في أقلِّ قليل من مرور اليوم والليلة ، تجدوا التيسير في جميع الأمور ، والخلاص من كثير من الشرور ، وإن قدر الواحد على أن يكون تضرُّعه في كل ليلة بهذا الدعاء وهو :

إلهنا أنت المحرِّك والمسكِّن لكل ما وقع في الوجود من الخيرات والشرور ، وفي حكمك الحلُّ والعقد لجميع الأمور ، وبيدك وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور ، وأنت أعلم بعجزنا وضعفنا ، وذهاب حولنا وقوتنا ، عن تباعُدِنا مما يحلُّ بنا من الشرور ، وعن اتصالنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات ، أو ما يلائم أغراضنا في جميع الأمور ، وقد وقفنا ببابك ، والتجأنا بجنابك ، ووقفنا على أعتابك ؛ مستغيثين بك في صرف ما يحلُّ بنا من الشرور ، وما ينزل بنا من الهلاك مما يجري به تعاقب الدُّهور مما لا قدرة لنا على تحمُّله ، ولا قوة بنا على طَلِّه[4] ؛ فضلاً

(١)ألَمَّ بالقوم إلماماً : أتاهم ، ونزل بهم . (منه)

(٢)كدح وجهه : خدش أو عمل به ما يشين ، أو أفسده . « القاموس المحيط » . (هامش الأصل)

(٣) في نسخة : اركزوا .

(٤) شُبْ : (عجم) . (هامش الأصل) .

عن وَبْله[1] ، وأنت العفو الكريم ، والمجيد الرحيم ؛ الذي ما استغاث بك مستغيث إلا أغثته ، ولا توجَّه إليك مكروب يشكو كربه إلا فرَّجته ، ولا ناداك ضرير من أليم بلائه إلا عافيته ورحمته ، وهذا مقام المستغيث بك والملتجيء إليك ، فارحم ذلِّي وتضرُّعي بين يديك ، وكن لي عوناً وناصراً ، ودافعاً لكل ما يحلُّ بي من المصائب والأحزان ، ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبةً لما ينزل إلينا من فضلك ، ولا مانعة لما تتحفنا به من طَوْلك ، وعاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك ، وفي جميع زلاَّتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك ، فإنَّا لفضلك راجون ، وعلى كرمك معولون ، ولنوالك سائلون ، ولكمال عزِّك وجلالك متضرِّعون ، فلا تجعل حظَّنا منك الخيبة والحرمان ، ولا نَيْلنا من فضلك الطرد والخذلان ، فإنَّك أكرم مَنْ وقف ببابه السائلون ، وأوسع مجداً من كل مَنْ طمع فيه الطامعون ، فإنَّه لك المنُّ الأعظم ، والجناب الأكرم ، وأنت أعظم كرماً ، وأعلى مجداً من أن يستغيث بك مستغيث فتردَّه خائباً ، أو يستعطف أحدٌ نوالك متضرِّعاً إليك ، فيكون حظُّه منك الحرمان .

لا إله إلا أنت يا عليّ يا عظيم ، يا مجيد يا كريم ، يا واسع الجود ، يا بَرُّ يا رحيم . (عشرين مرة) تذكر هذه الأسماء من قولك لا إله إلا أنت . . . إلخ .

ثم صلاة الفاتح لما أغلق . . . إلخ . عشراً في أوله ، وعشراً في آخره .

فإنَّ المداومة لهذا الدعاء في كل ليلة سبعاً ، أو خمساً ، أو ثلاثاً تدفع عنه كثيراً من المصائب والأحزان ، وإن تحتَّم نزولها ! نزل به لطف عظيم فيها . انتهى من إملائه رضي الله عنه انتهى عبارته ١٤٧ ج ٢ .

---

(١) ‌ ثَرْد : (عجم) . (هامش الأصل) .

وفي « جواهر المعاني » في مكتوب آخر كتبه التجاني ـ رضي الله عنه ـ إلى فقراء فاس ما نصُّه : وسلِّموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه ، من غير تعرُّض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير ، فإنَّ الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ، ولا قدرة لأحد أن يُخرج الخلق عما أقامهم الله فيه ، واتركوا التعرُّض للرياسة وأسبابها ، فإنَّها كعبة تطوف بها جميع الشرور ، وهي مقرُّ الهلاك في الدنيا والآخرة .

ومَنْ ابتلي منكم بمصيبة ، أو نزلت به من الشرور نائبة ، فليصبر ، بانتظار الفرج من الله ، فإنَّ كلَّ شدة لا بُدَّ لها من غاية ، وكل كرب لا بُدَّ له من فرج ، وإن ضاق به الحال ! فعليه بالتضرُّع والابتهال ؛ حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال .

ولا تجزعوا من المصائب والبليَّات ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية ، والأقدار الربانية ، مما تضيق به النفوس ، من أجل البلاء والبؤس ، ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا ، ولا إمكان للعبد من التمكُّن من الراحة من كل بلاء في الدنيا ، بل على العاقل أن يعلم أنَّ أحوال الدنيا أبداً متعاقبة بين ساعات انقباضٍ وانبساطٍ ، وخيراتٍ وشرورٍ ، وأفراحٍ وأحزان ، لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار ، فإن نزلت مصيبة ، أو ضاقت نائبة ، فليعلم أنَّ لها وقتاً تنتهي إليه ، ثم يعقبها الفرح والسرور ، فإنَّ مَنْ عقل هذا عن الله في تصاريف دنياه تَلقَّى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء ، والشكر التامِّ على النعماء . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى . من إملائه رضي الله عنه . انتهى ١٤٢ ج ٢ .

وفيه : فيما كتبه ـ قدس سره ـ لكافة الفقراء ما نصُّه : وليكن في

علمكم أنَّ جميع العباد في هذه الدار أغراض لسَهْم مصائب الزمان ؛ إما بمصيبة تنزل ، أو بنعمة تزول ، أو بحبيب يفجع بموته ، أو هلاك ، أو غير ذلك مما لا حدَّ لحَمْله وتفصيله .

فَمَنْ نزل به منكم مثل ذلك ! فالصبر الصبر لتجرُّع مرارتها فإنَّه لذلك نزل العباد في هذه الدار .

للفرج والخلاص من الديون

ومَنْ كَبا[1] بِهِ منكم جواده عن تحمُّل ثقلها ، ومقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها ، فعليه بملازمة أحد الأمرين ، أو هما معاً ، وهو أكمل :

الأول : ملازمة (يا لطيف) ألفاً خلف كل صلاة إن قدر ، وإلا ! ألفاً في الصباح ، وألفاً قي المساء ، فإنَّه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته .

والثاني : مائة صلاة على النبي ﷺ بالفاتح لما أغلق . . . إلخ . ويهدي ثوابها للنبي ﷺ ، إن قدر مائة خلف كل صلاة ، وإلا ! مائة صباحاً ، ومائة في الليل .

وينوي بهما ـ أعني يا لطيف ، والصلاة على النبي ﷺ التي يهدي ثوابها له ﷺ ـ أن ينقذه الله تعالى من جميع وَحْلَته ، ويعجِّل خلاصه من كُربته ، فإنَّها تسرع له الإغاثة في أسرع وقت .

وكذا مَنْ كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها ، أو كثر عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أبواب أسباب المعاش ، فليفعل ما ذكرنا من أحد الأمرين ، أو هما معاً ، فإنه يرى الفرج من الله عن قريب .

ومَنْ دهاه خوف هلاك متوقع نزوله؛ من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته ، أو خوف من صاحب دَيْنٍ لا يجد منه عذراً ولا إمهالاً ولا

---

(١) كبا : كببتُ الإناء – قلبته على رأسه (مصباح) . (هامش الأصل) .

يجد من المال ما يؤديه له ، أو كلا الأمرين ، ومن كل مخوف ، فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو معاً ، فإنه ينقشع[1] عنه عن قريب ، وإن أسرع مع ذلك بصدقة ـ قلَّت أو كثرت ـ بنية دفع ما يتوقعه من المخوف ، أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه ، كانت أجدر في إسراع الخلاص والفرج . إلى آخر ما فيه . انتهى عبارته ١٤٣ ج ٢ .

وفي « جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني »[2] ـ رضي الله عنه ـ للعالم العلاَّمة ، القدوة الفهَّامة ، سيدي علي حرازم ابن العربي بزاده المغربي الفاسي ـ رحمه الله تعالى – :

ومما كتب به إلى كافة تلامذته ، ونصُّه : بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والحمدلة قال رضي الله عنه : بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد ؛ فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات ! فهي : تقوى الله في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر . وأما المهلكات ! فشحٌّ مطاع ، وهوى مُتَّبَع ، وإعجاب المرء برأيه » .

وعلى قوله ﷺ : « ما تحت قُبَّة السماء إلهٌ يعبد من دون الله أعظم من هوى مُتَّبَع » .

وعلى قوله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وعلى قوله ﷺ : « لا تَتَمنَّوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » . . الحديث .

---

(١) قشع – انكشف (مصباح) . (هامش الأصل) .
(٢) في ٧٤١ ج١ . (هامش الأصل) .

وهذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفَّار ؛ فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنَّى بقلبه ، أو أراد تحريك الشر منه على الناس ، سلَّطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم .

وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم ، فإن تحرك عليه من غير سبب منه **فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم** ، فإن لم يقدر ! فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر ! فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، **ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم** ، فإن اشتعلت عليه نيران شرهم ، فليدافع بالتي هي أحسن بلين ورفق ، **فإن لم يُفِدْ ذلك! فعليه بالهرب إن قدر والخروج عن مكانه** ، فإن عَوَّقَت العوائقُ عن الارتحال ولم يجد قدرة ! فليدافع بالأقلِّ فالأقلِّ من الإذاية ؛ فليفعل ذلك ظاهراً ، ويكثر التضرُّع إلى الله تعالى والابتهال سرًّا في رفع شرِّهم عنه ؛ مداوماً ذلك حتى يفرِّج الله عليه ، فإنَّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم . والحذر الحذر لمن تحرَّك عليه شرُّ الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشرِّ ؛ لمقتضى حرارة طبعه ، وظلمة جهله ، وعزة نفسه ! فإنَّ المبادر للشرِّ بهذا ـ وإن كان مظلوماً فاضت عليه بحور الشرِّ من الخلق ـ يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولاً ، **فإنَّه لو فزع[1] إليه بالتضرُّع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه ، لدفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب** ، أو بسبب لا تعب عليه فيه ، أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فإما أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر ، حتى يَرِد عليه الفرج من الله تعالى ؛ فيكون مثاباً دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا ! فبحمد العاقبة ، وظهور نصره في الخلق على

---

(١) فزعت إليه : لجأت . « مصباح » . (هامش الأصل) .

قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة ! فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعده الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، وقال تعالى حاكياً عن نبيّه يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، وقال تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة[1] شرور بعضهم بعضاً ، ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة ، إلا مَن حَفَّته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامَّة لا يرون في تحريك الشرِّ عليهم إلا صورة الشخص الذي حرَّكه عليهم ؛ لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى وعن غالب حكمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، **فإن الكيِّس العاقل إذا نصب عليه الشرُّ من الناس ، أو تحرَّكوا له به؛ رآه تجلِّياً إلهياً لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي** ، فكان مقتضى ما دلَّه عليه علمه وعقله الرجوعَ إلى الله بالهرب ، والالتجاء إليه ، وتتابع التضرُّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصماً بالله في مقابلة خلقه ، فلا شك أنَّ هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ، ولو التهبت عليه نيرانُ الشرور من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه ؛ لاعتصامه بالله تعالى ، فإنَّ منْ تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء ، قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ إلى قوله ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ **وهذا الباب الذي ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة** ، ومَنْ فارقه وكَلَه الله إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله ، **فهلك كلَّ الهلاك في عاجله وآجله** ، وفيما ذكرناه كفاية .

---

(١) مكابدة الشيء : تحمل المشاق في فعله « مصباح » . (هامش الأصل) .

الشكر يكون بطاعة الله

وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب ، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إن قدر ، على أن تكون كلية ، وإلا ! فالأبقع خير من الأسود ، وأقل ذلك شكر اللسان ، فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، فأعلى ذلك في شكر اللسان : تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله عليه شكراً ، ولينْوِ عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه ؛ الظاهرة والباطنة ، والحسية والمعنوية ، والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه ، والعاجلة والآجلة ، والمتقدِّمة والمتأخِّرة ، والدائمة والمنقطعة ، **ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة** ، فمن فعل ذلك كتبه الله تعالى شاكراً ، وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق .

أما وجوه المحامد الجامعة ؛ فهي كثيرة لا نطوِّل بذكرها ، مثل قوله ﷺ : « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ومنها : « إلهي لك الحمد ، ولك الشكر ، مثل جميع ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك ، وجميع محامدك التي حمدت بها نفسك بكلامك ، والتي حمدك بها كل فرد من خلقك ؛ بأيِّ لفظ ذكروك به ، كل حمد من ذلك منك ومن جميع خلقك ، عدد ما أحاط به علمك ، على جميع ما أحاط به علمك من نعمك عليَّ » فهو حمد جامع لأنواع المحامد ، مستغرق للشكر على جميع النعم . . . إلخ . انتهى عبارته ١٥٠ .

ورأيت في « الدرّ النظم » ما ينبغي إلحاقه هنا وهو هذا ؛ قال القاضي أبو بكر العربي : الدعاء مناجاة الله تعالى لما يريد العبد من جلب منفعه أو دفع مضرّه . ومن القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فهو سبب لذلك . استجلاب[1]

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعله ولاستجلاب رحمة المولى .

لرحمة المولى كما أنّ الترس سبب لردّ السهم والماء سبب خروج النبات من الأرض والدعاء سلاح المؤمن . فإذا كان العبد دائم الذكر والدعاء والتضرّع إلى الله تعالى ، فإن الملائكة تحفظه من جميع المكاره ، فإذا جاءه ضرر أو مكروه من أحد من المخلوقين منعته الملائكة وصدّت عن وجهه المكاره ، فلا يزال محفوظاً من جميع الجهات إلا من جهة فوق . فإن القضاء والقدر نازلان منه ، فإذا نزل القضاء والقدر أسلمته الملائكة لذلك . فينبغي أن تحرس جهة الفوق بالعمل الصالح ، فإنه لا بدّ لكلّ عبد طريق إلى السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ومنه تقبض روحه ومنه تصعد . فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات كثير الدعاء مملوءة سبله بالخيرات . فإذا نزل البلاء من السماء نزل على طريقة العبد المعيّنة له فيجدها معمورة بالخيرات مملوءة بالطاعات ، فيحتبس ذلك البلاء عن النزول ولا يجد منفذاً إليه ، فيكون دعاؤه وعلمه قد حجب عنه البلاء لأنّ الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي فيتصادم البلاء والدعاء ، فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البلاء فهما كالمتصارعين ، فإن غلب الدعاء رفع البلاء وخرق السموات وارتقى إلى الله تعالى وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « لا يزال البلاء والدعاء يقتتلان إلى يوم القيامة » فهذا معنى كون الدعاء سبباً لردّ البلاء . وروي « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » . وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يسأل الله تعالى يغضب » . وفي الصحيحين : أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال : الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « الدعاء مخ العبادة » . انتهى فراجعه في ١٥٢ فإنّه مهمّ أيّ مهمّ .

وهذا أوان الشروع في ذكر الأحزاب المنجية من شر الأشرار ،

الواقية من الآفات والبليَّات ، ولم أكتب منها ما هو المشهور والمكتوب في نسخة « دلائل الخيرات » ، وإن ذكرت خواصها اعتماداً على ما هنالك ، ولكن أردت أن أذكر سندها رجاء أن تحصل البركة بذكر سلسلتها ، جعلنا الله تعالى من الذين يدعون الله تعالى سرّاً وجهراً . آمين .

اعلم أيها الولد أن المشائخ وضعوا أحزاباً لدفع البلايا ورفع الرزايا .

فمن ذلك :

حزب الإمام النووي رضي الله عنه

قال في « مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات » بعد قوله[1] : (ولابارّاً ولا فاجراً) هذا نحو ما نقل عن الشيخ القطب جمال الدين ؛ سيدي يوسف بن عبد الله ابن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي نزيل مصر ؛ فيمن واظب على قراءة حزب النووي بعد الصبح والمغرب ، أو قال بعد الصبح والعشاء ، أنه لا يقدر أن يتصرَّف فيه لا من أهل الباطن أرباب القلوب المتصرِّفين بالحق ـ أو قال بالأحوال الصحيحة ـ ، ولا من أهل الظاهر ؛ أهل الشطارة والسحر والمكر والحرب والخصام والعداوة ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٢٦١ .

وهذا الحزب من أجلِّ الأحزاب ، وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . أقول : . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دلائل الخيرات » ، **ولهذا الحقير إجازة صحيحة لقراءته وتلقينه ، وسلسلته هذه :**

١ ـ الإمام النووي رحمه الله تعالى .

٢ ـ الإمام أبي الخباز .

---

(١)أي : في الدعاء الذي هو في آخر « دلائل الخيرات » . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

٣ ـ الشيخ زين الدّين الصافي .

٤ ـ الشيخ البرهان أبي شريف المقدسي .

٥ ـ الشيخ البدر الغَزِّي .

٦ ـ الشيخ النجم الغَزِّي ولد الشيخ البدر .

٧ ـ الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري .

٨ ـ الشيخ المحدِّث عبد الرحمن الكزبري الكبير .

٩ ـ الشيخ مُحدِّث الشام محمد الكزبري . ابن الشيخ عبد الرحمن المذكور .

١٠ ـ الشيخ مولانا خالد قدس سره .

١١ ـ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي .

١٢ ـ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي .

١٣ ـ الشيخ العارف مرشدنا زين الله بن حبيب الله النقشبندي .

١٤ ـ الشيخ سيف الله الحسيني .

٥ ـ عبد الوهّاب الشعراني .

٦ ـ الشيخ علي الشنَّاوي .

٧ ـ الشيخ أحمد بن علي الشناوي .

٨ ـ الشيخ أحمد القشاشي .

٩ ـ الشيخ إبراهيم الكوراني .

١٠ ـ الشيخ العلاَّمة البُدَيْري .

١١ ـ العلاَّمة محمد الحفني .

١٢ ـ الأمير الكبير .

١٣ ـ الشيخ أحمد منَّة الله المالكي .

١٤ ـ الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني .

١٥ ـ الشيخ ملاًّ زين الله بن حبيب الله النقشبندي .

١٦ ـ الشيخ سيف الله الحسيني النڑبكري النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي .

١٧ ـ وآخرهم الحقير الفقير حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه ، آمين .

حزب البحر

ومن ذلك : حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي اشتهر فضله في الأقطار ، وطار في الآفاق كل مطار ، ويكرِّره الأولياء والصلحاء ، في الحاجات ، وعند الضرورات ، ويستعيذ به العباد عند المخوِّفات ، وقد

ذكر صاحب كتاب « الرماح » أنه هو العُدَّة الوافية ، والجُنَّة الواقية ، التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب ، وما قرىء في مكان إلا سلم من الآفات ، وحفظ من حوادث العاهات ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية . انتهى .

وخواصه ومنافعه مذكورة في « المناقب الأحمدية » و« كشف الظنون » و« رماح حزب الرحيم » ، وقد نقلنا ما في جميعها في كتابنا « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، فمن أراد التفصيل فليراجع إليه ، ففيه ما يشفي العليل .

فمَنْ أراد الأمن من حوادث دهره ، وتسهيل أمور السعادة في حركاته وسكناته ، **فعليه مواظبة قراءة هذا الحزب مع الإذن الصحيح** من أربابه ، ومَن لم يأخذ الإجازة فهو كراكب البحر من غير سفينة ، **فالنفع التام لا يكون إلا بالإذن** ، كما هو مذكور في الكتب .

وهو الحزب الذي أخذه الشاذلي ، وكذا[1] التجاني من النبي ﷺ .

والسلسلة لحزب البحر لسيدنا أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره هذه :

١ ـ الشيخ أبو الحسن الشاذلي الحسني[2] علي بن عبد الله بن عبد الجبار .

٢ ـ الشيخ أحمد بن عمر المرسي المشهور بأبي العباس المرسي المدفون في الإسكندرية .

٣ ـ الشيخ أحمد بن عطاء الله المرسي ، مُصَنِّف « الحِكَم العطائية » .

٤ ـ الشيخ تاج الدين بن علي السبكي ، أي : ابن تقي الدين السبكي .

---

(١) كما هو مذكور في « الرماح » . فراجعه . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : حسيني .

٥ ـ الشيخ عبد الرحيم بن خَرَّاط التونسي .

٦ ـ الشيخ شيخ الإسلام زكريا محمد الطرابلسي الأنصاري .

٧ ـ الشيخ نجم الدين محمد الغَيْطي .

٨ ـ الشيخ محمد بن أحمد السالم السُنْهُوري .

٩ ـ الشيخ محمد البابلي .

١٠ ـ الشيخ أحمد(١) النخلي .

١١ ـ الشيخ أبو طاهر المدني الكوراني .

١٢ ـ الشيخ وليُّ الله الدهلوي محدث ديار الهند ، مُصَنِّف « الحجة البالغة » ابن ملا عبد الرحمن تلميذ مرزا زاهد ، وهو تلميذ أبيه محمد أسلم ، وهو تلميذ مولانا كلان .

١٣ ـ الشيخ عبد العزيز الدهلوي ابن وليّ الله الدهلوي المذكور ، مصنف ترجمة « التحفة الاثني عشرية » .

١٤ ـ الشيخ مولانا خالد البغدادي الشامي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد الله الدهلوي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد العزيز المذكور .

١٥ ـ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي .

١٦ ـ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستنبولي .

١٧ ـ الشيخ مولانا وأولانا ومرشدنا ذو الجناحين زين الله بن حبيب الله الشريفي .

١٨ ـ ملا سيف الله بن ملا حسين الداغستاني .

١٩ ـ **وآخرهم** الفقير حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، سامحه الله تعالى من فرطاته . آمين .

---

(١) في نسخة : محمد .

طريق آخر لحزب البحر

قال شيخنا سيف الله ـ قدس سره ـ وأخذ شيخنا ومولانا :

زين الله بن حبيب الله أيضاً عن الشيخ فتح الله الأورالي ، عن الشيخ محمد صادق الشاشي ، عن الشيخ تاج الدين السمرقندي ، عن الشيخ الدرويش محمد الهندي المشهور بشافعي إيشان المقتول بشهر سبز ، عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي . . . إلى آخر السلسلة الأولى .

سلسلة حزب البحر من طريق آخر :

١-الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره .

٢-الشيخ أبو العباس المرسي .

٣-الإمام الميدومي .

٤-الإمام الواسطي

٥-الحافظ القلقشندي .

٦-النور القرافي .

٧-علي الأجهوري .

٨-محمد الزرقاني .

٩-الأستاذ السكندري الصباغ

١٠-يوسف الشباش .

١١-الضرير محمد البهيسي المالكي .

١٢-الأمير الكبير المالكي المشهور أحمد منَّة الله المالكي .

١٣-السيد علي بن ظاهر الوتري المدني .

١٤–الشيخ الأستاذ زين الله بن حبيب الله الشريفي .

١٥–الشيخ ملا سيف الله الغازي الغموقي طبيب الأجساد والأرواح رضي الله عنه وعن الجميع آمين .

١٦–**خادمهم** وخادم الفقراء حسن ولد محمد القحي رحم الله إفلاسه .

وللشاذلي أحزاب أخر نافعة[١] ، ولنا فيها إجازة .

كتب شيخنا سيف الله ـ قدس سره ـ في الثبت ما يفهم منه هذا الترتيب الآتي في السلسلة : ١– سيف الله قدس سره ، ٢– ملا زين الله رضي الله عنه ، ٣– محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، ٤– الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي ، ٥– الشيخ يوسف الشباش الضرير ، ٦– عن الأستاذ السكندري المعروف بالصَبَّاغ ، ٧– عن سيدي محمد الزرقاني ، ٨– عن العلاَّمة سيدي عليّ الأجهوري ، ٩– عن النور القرافي ، ١٠– عن الحافظ القَلْقَشَنْدي ، ١١– عن الإمام الواسطي ، ١٢– عن الإمام الميدومي ، ١٣– عن سيدي أبي العباس المرسي ، ١٤– عن القطب الشاذلي ، ١٥– وأجاز الشيخ المذكور فيها لهذا العبد الضعيف القحى ، غفر الله له ولأهل بيته وأحبابه . آمين يا مجيب .

خواص حزب الدور الأعلى

ومنها : حزب الدور الأعلى للشيخ الأكبر[٢] : وهو حزب نافع لدفع البلاء ، وقهر الأعداء ، والنجاة من الأهوال .

---

(١) منها حزب البر وحزب النصر ، فمن أراد الاطِّلاع عليها فليراجع إلى « مجموعة الأحزاب » للقطب الغوث أحمد ضياء الدين . (هامش الأصل) .

(٢) وهو محيي الدين بن العربي (هامش الأصل) .

قال صاحب « الفيوضات الربانية » : فمَنْ حمله كان آمناً من البليات الأرضية والسماوية ، ومصوناً من جميع البليّات والأذيَّات الشيطانية والإنسيَّة ، وينفع من الطعن والطاعون ، ومن الريح الأحمر ، والسحر ، وعسر الولادة ، ولحلِّ المربوط ، **وهو حصن حصين ، وحرز مكين ، وكنف أمين ؛ من كيد الأعداء ، والنصرة عليهم تكون ظاهرة وباطنة ، خصوصاً لمن واظب على قراءته** بعد فريضة الصبح ؛ يفتح له الطاعة من العالم العلوي والسفلي ، ويرى العجائب والعجب من نفوذ الكلمة وتوجُّه الناس إليه ، وإقبالهم عليه بالمحبة والمعزَّة ، والمودة والإجلال والهيبة ، لأنه سرٌّ من أسرار الله العجيبة ، وكنوزه المصونة الغريبة ، **لكن يحتاج وقت قراءته إلى حضور القلب ، وإخلاص النية** ، والمواظبة عليه ، والفوائد في العقائد ! فاعرف قدره تر بركته وخيره إن شاء الله تعالى .

ويحتاج أيضاً قبل الشروع في قراءته أن يقرأ الفاتحة ، وآية الكرسي مرة مرة ، وأول سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى . . ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ، وبعد الختام يقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ (ثلاثاً) ، ويصلي على النبي ﷺ (ثلاثاً) ، وهو هذا :

الدور المبارك المسمى بـ « **الدور الأعلى** » :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يا حي يا قيوم بك تحصَّنت ، فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان سور بسم الله . . . إلى آخره .

وهو أيضاً مكتوب في « دلائل الخيرات » ، فمَنْ أراد الاشتغال بقراءته فليطلب ثمة .

ولهذا الحقير أيضاً إجازة مطلقة في هذا الحزب . والسلسلة هذه :

١- **الشيخ الأكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه .**

٢- أبو الحسن علي الواني .

٣- إسماعيل الجبردي .

٤- أبو الفتح المراغي .

٥- زكريا الأنصاري .

٦- عبد الوهَّاب الشعراني .

٧- أحمد بن علي الشناوي .

٨- سيدي أحمد القشاشي .

٩- إبراهيم الكوراني .

١٠- العلاَّمة البُدَيْري .

١١- الأستاذ الحفني .

١٢- العلاَّمة محمد الأمير الكبير .

١٣- العلاَّمة الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي الأزهري .

١٤- الشيخ محمد بن ظاهر الوتري المدني .

١٥- الشيخ قطب وقته زين الله الشريفي .

١٦- ذو الجناحين سيف الله الحسيني قدس الله أرواحهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى . آمين .

١٧- **خادم** الفقراء أضعف العباد أرزل الخلق ، البَهْلَوَان **حسن** القحي الهدلي عفى الله عنه . آمين .

وأحزاب الشاذلي مذكورة بالتمام في « مجموعة الأحزاب » و« الأنوار القدسية » .

وحزب النصر ، وحزب البحر ، وحزب البر ، فهذه الثلاثة وحزب الدور الأعلى مكتوبة في نسخة « **دلائل الخيرات** » التي جمعها القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين[1] الكمشخانوي .

مهم

ومَن أراد قراءة هذه الأحزاب فعليه أن يأخذ الإذن من المجيز المجاز : والعاقل مَنْ أتى البيوت من أبوابها ، فافهم .

ومنها : حزب الحصين للغزالي ـ رضي الله عنه ـ كما نسبه إليه الكمشخانوي في « مجموعة الأحزاب » لكن مؤلف « إغاثة اللهفان » قال بما نصه : وهو من إملاء الشيخ العارف ، الزاهد الناسك ، وحيد دهره ، وفريد عصره ؛ الشيخ سريّ الدين محمّد بن تاج الدين عبد الرزاق المراكسي ، نفعنا الله بعلومه وبركاته في الدنيا والآخرة ، وقال : هذا الحصن لا يسع شرح خواصِّه أوراق .

ولكن **من بعض خواصه** : تسهيل طريق الحق عزَّ وجل على العبد ، ووصوله إلى ما لا يصل غيره ـ في سنين عديدة ـ في أربعين يوماً أو أقلّ من ذلك ، وترقِّي روحه في الملكوت الأعلى ، ومصافحة الأملاك ، والتصرُّف التام في الملكوتين ، والحفظ ، والأمن ، والعصمة ، والسلامة ، والبركة في الرزق والعلم ، والتأهُّل للتلقيات الواردة في باب الفيض الأعظم ، والمدد الشريف الأكرم ، وقبولها للقلب بنور الخصوصية

---

(١) مؤلّف « دلائل الخيرات » الشيخ الجزولي وقد جمعه أحمد ضياء الدين – كما جمعه سائر الأحزاب في « مجموعة الأحزاب » فافهم – في جلد وعلى هوامشه الأحزاب المذكورة . ونسخة التي جمعها أحمد ضياء الدين كثيرة منتشرة في جميع بلاد المسلمين . ومرادي من قولي (جمعها أحمد ضياء الدين) هو هذا ؛ وليس مرادي أن أحمد ضياء الدين ألّف الدلائل ، فافهموا ولا تعجلوا . ومعلوم أن تلك الأحزاب ليست في سائر النسخ . ففي الجمع والتأليف فرق في الجملة ، تدبّر ! (قحي) .

والتفهيم ، والحجب عن كل مكروه ، وتملك الخلق أجمعين من جميع العوالم ، **حتى أن الذاكر به إذا دعا طائراً في الجو نزل عليه ، فكيف مَنْ يفهم ويعقل** ؟! ولا يزال ذاكره محبوباً معصوماً ، مؤيَّداً منصوراً ، مهاباً مطاعاً عند جميع خلق الله ، متصرِّفاً فيهم ـ بإذن الله تعالى ـ؛ لايستطيع الواحد منهم أن ينطق في حقه إلا بخير ، ولا يمدَّ يده إلا بخير .

ومن خواصه أيضاً : أنه ما تلي عند مريض أو مسحور إلا عرق ونشط في الحال ، والأسرار عند الأخيار .

وذكرُه عند طلوع الشمس وجوازِ الصلاة مرة واحدة ، ويُذكَرُ أيضاً بعد صلاة العشاء الأخيرة ، وهذا الحدُّ اضطراري ! والاختياري (ثلاث مرات) ؛ بأن يقرأ بعد صلاة الظهر ، وهذا الذكر الشريف كاف عن غيره من الأذكار المطوَّلة والمختصرة ، ولا يخفى ذلك على الطالب المتأهِّل . انتهى عبارته فراجعه ففيه الزيادة .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « مجموعة الأحزاب » بما لفظه :

حزب الحصين للغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله على يميني ، بسم الله على شمالي ، بسم الله على خلفي ، بسم الله على أمامي ، بسم الله على فوقي ، بسم الله اكتنفت ، وفي حرزه الحصين دخلت ، وبحصنه المنيع احتجبت ، وبأسمائه الحسنى تسَرْبَلْتُ ، وبسرِّ أنوار اسمه الجليل تردَّيت ، وبقوة إمداد أسرار اسمه القوي القاهر عَلَوْتُ ، وغلبت أعدائي من الجن والإنس وسائر المخلوقين[1] ، واحتجبت وقهرت وانتصرت ، وبجلال بهاء سناء اسمه الأعظم الأكبر الحيِّ القيُّوم ذي الجلال والإكرام تدرَّعت ، وببوارق أنوار أسرار كلامه العظيم احتجبت وتمسَّكت ، وبخفيِّ لطفه الحسن الجميل

---

(١) وفي نسخة : وسائر المخلوقات .

تعلَّقت ، وبركنه القوي التجأت واستندت ، سبحانه وبحمده ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] ، فتَّاح عليم ، باسط مُعِزٌّ ، جواد كريم ، عليّ عظيم .

اللهم إني أسألك بالكلمات التامَّات ، والأسماء المعظَّمات ، والأحرف النورانيات ، وبما واريت به سرادقات عرشك العظيم من الهيبة والجلال والقدرة والعظمة ، والكتب المنزلات والآيات البينات وبما أودعته في الحروف والأسماء من الخواص والأسرار ، وبالحضرة الشريفة ، والشريعة المطهَّرة ، والصلوات الخمس ، واتصال الأسرار والرحمة للخواص من عبادك ، وأسالك يا رب بما دعاك به أنبياؤك[2] ، وبما يسبِّحك ويمجِّدك حملةُ عرشك والمقرَّبون من ملائكتك ، أن تجعلني محصّناً محفوظاً من كل عدوّ من الجن والإنس وسائر العوالم ؛ ما علمت منها وما لم أعلم ، وأدخلني في سرِّ إمداد أنوار خزائن حرزك العزيز المنيع ، محجوباً عن كل سوء ، مغموساً في بحرٍ من نور هيبتك ، مؤيَّداً منك بروح القدس ، وكن اللهم لي ولياً وناصراً ، وكفيلاً ووكيلاً ، وحسيباً وحفيظاً ، برحمتك وفضلك ، ومَنِّك وطَولك ، واجعل جميع مخلوقاتك طوع يدي ؛ مالكاً أزِمَّة قلوبهم ، محبوباً عندهم ، ومعزَّزاً مكرَّماً مهاباً ، لا يعصون أمري ، ولا أنال منهم مكروهاً أبداً ، معصوماً من أذاهم بشدة المحبة والألفة والمودَّة ، واجعلني في ذلك قريباً من حضرتك الشريفة ، متمسِّكاً بالشريعة المطهَّرة ، متلقِّياً للعلوم والحكمة التي تقذفها بفضلك في قلبي من فيض أنوارك ، واحفظني اللهم من العجب والكبر والرياء والنفاق والشرك الخفي ، وطهِّرني من الدنس والزلاَّت والعيوب الباطنة والظاهرة ، واجعلني آمناً من عذاب القبر وفتنته ، واجعل حياتي في طاعتك ، وفهمي

(١) في نسخة : السميع العليم .
(٢) في نسخة : أنبياؤك ورسلك .

في علمك اللَّدُنِّي ، واصْحَبْني في عبادك الصالحين ، والأبدال والصِدِّيقين ، واجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم عافني من كل بلية ، ونجِّني من كل هَلَكَة ولا تجعلني من السافلين[1] ، واسقني كأساً رويّاً من شراب محبتك ، ولا تجعلني من القانطين ، يا هُو يا هُو يا هُو ، ياهِيّاً شَرا هِيّاً يا ذا الحجة البالغة ، يا ذا العظمة والقدرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام .

إلهي ما أعظم شأنك ، وأعزّ سلطانك ! بك اللهم نزلت وأنت خير المنزلين[2] ، وبك اعتصمت وأنت خير الناصرين ، وبك اهتديت إلى صراطك المستقيم ، فاكفني اللهم شرَّ كل مكروه ، واجعل دعائي مَقْروناً بإجابتك ، مع اللطف والرعاية ، والمِنحِ الجِسام ، والتلقيات الكرام ، وترقيات الوصول إلى حضرتك ، وأهِّلني لسماع الخطاب يا سريع يا بديع ، يا رفيع الدرجات ، ويا سامع الأصوات على اختلاف اللغات ، أسألك العصمة والأمن والسلامة ، واللطف والبركة والقناعة ، وأغننا بفضلك عمَّن سواك يا أرحم الراحمين (ثلاثاً) ، ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ١٦ ، وصلوات الله البرِّ الرحيم على سيدنا محمد ؛ السيد الكامل الفاتح الخاتم ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيّاته ؛ عدد الأنفاس واللحظات ، والقطر[3] والنبات ، وجميع ما في الكائنات ، كلما ذكره الذاكرون ، وكلما غفل عن ذكره الغافلون ، والحمد لله رب العالمين . انتهى عبارته ٢٦٧ ج ١ .

---

(١) وفي نسخة : من الغافلين .
(٢) وفي نسخة : المنزولين .
(٣) وفي نسخة : والقطرات .

ومنها : حزب إبراهيم الدسوقي[١] رضي الله عنه

ذكر صاحب « الإبريز » ـ رضي الله عنه ـ ما نصه : وقد قدم علينا بعض أصحابنا من أخيار تلمسان ، فأخبرني أنه سمع بعض مَنْ حجّ بيتَ الله الحرام يقول : إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ ،

---

(١) **مناقب إبراهيم الدسوقي** - رضي الله عنه - من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

قال المناوي في « طبقاته » : سيدي إبراهيم الدسوقي شيخ الطائفة البرهامية ، صاحب المحاضرات القدسية ، والعلوم اللدُنيَّة ، والأسرار العرفانية ، أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات ، وخرق لهم العادات ، ذوالباع الطويل ، والتصرُّف النافذ ، واليد البيضاء في أحكام الولاية ، والقدم الراسخ في درجات النهاية ، انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام ، وقد كان يتكلّم بجميع اللغات ؛ من عربي وسرياني وغيرهما ، ويعرف لغات الوحش والطير .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول : الشريعة أصل ، والحقيقة فرع ، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع ، والحقيقة جامعة لكل علم خفيٍّ ، وجميع المقامات مندرجة فيهما .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول : يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأدية فرضه ونفله ، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة ، فإن ذلك شغل منه عن مراده ، بل يفحص عن آثار الصالحين في العمل ، ويواظب على الذكر . « نور الأبصار » .

وذكر عن سيدي إبراهيم : أنه صام في المهد وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة ، وأن الدنيا جعلت في يده كخاتم ، وأنه جاوز سدرة المنتهى ، وجالت نفسه في الملكوت ، ووقف بين يدي الله تعالى ، وأنه فكّ الطلسم السبع المثاني ، وأن قدمه لم تسعها الدنيا . وقال رضي الله عنه : ولّيت القطبية فرأيت المشرقين والمغربين وما تحت التخوم ، وصافحت جبريل عليه السلام . « نور الأبصار » .

ومن كلامه - أي : إبراهيم الدسوقي - رضي الله عنه كما في « الطبقات » الشعراني : يجب على المريد أن لا يتكلّم إلاّ بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً ، وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب ، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام في حقّ ربه عزّ وجلّ . فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعات رباه بلطيف الشراب ، وأسقاه من ماء التربية ولاحظ بالسرّ المعنوي الأولى . فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربّيه ، ويا شقاوة من أساه . « نور الأبصار » عبارته ٩١٢ .

فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ وعلّمه دعاءً وهو هذا :

بسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف منه وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يُلجمه بلجام قدرته ، أحمى حميثاً ، أطمى طميساً ، وكان الله قوياً عزيزاً ، (حم عسق) حمايتنا ، (كهيعص) كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقال له سيدي إبراهيم : ادع بهذا الدعاء ، ولا تخف من شيء . انتهى ١٠٦ .

وأما في « مجموعة الأحزاب » للشيخ أحمد ضياء الدين ـ قدس سره ـ هكذا : (كهيعص) كفايتنا ، (حمعسق) حمايتنا ، بتقديم وتأخير ، بخلاف ما في « الإبريز » ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

خلاصة الاستقامة

ومما ينبغي أن يكتب في هذا الموضع : ما في « تقريب الأصول » ونَصُّه : وخلاصة الأمر الذي يتم به المراد : **الاستقامة** ، وخلاصتها : امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، ورؤية الفضل والمنَّة لله تعالى ، والتبرِّي من الحول والقوة ، والرجوع إلى حول الله وقوته ، وتسليم أمره إلى مولاه ، ويعلم أنَّ الخِيَرة له في جميع ما به يتولاَّه ، وإن خالف ذلك مرادَه وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه أمراً يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة ، قال الله تعالى ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله تعالى ما سأل ، أو كفَّ عنه من السوء مثله ، مالم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ! » .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته ، أو صرف عنه مثلها سوءاً ، أو حطَّ عنه من ذنوبه بقدرها ، مالم يدع بإثمٍ أو قطيعة رحم ! » .

فإذاً : الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق ، حسبما ورد الوعد الصدق[1] ، إلا أنَّ الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء .

وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاءً لمن فهم عن الله ذلك ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعاً أو تأخيراً ، وإن ألَحَّ في دعائه وسؤاله[2] .

وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيراً له؛ فقد جاء في بعض الأخبار : « يُبعث عبد ؛ فيقول الله تعالى : ألم آمرك برفع حوائجك إليَّ ؟ ! فيقول : نعم ؛ وقد رفعتها إليك . فيقول الله تعالى : ما سألت شيئاً إلا أجبتك فيه ، ولكن نجَّزت لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجِّزه في الدنيا فهو مدَّخر لك ، فخذه الآن . حتى يقول ذلك العبد : ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا » .

---

(١) وفي نسخة : الصادق .

(٢) ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذِّبني وأنا أستغفرك . « **دلائل الخيرات** » وجملة (وأنا أستغفرك) : حالية من (لا تعذِّبني) ، **والحرمان مع السؤال** ؛ **والعذاب مع الاستغفار** ؛ **أشدُّ على صاحبه ، وآكد في جفاء فاعله** ، وحاشاه سبحانه من ذلك .

وقد قال فيما روي من كلام إلهيّ : « ومَن أحدث وتوضأ ، وصلَّى ودعا ، ولم أستجب له ؛ فقد جفوته ، ولست بجافٍ »

وقال في « الحكم » : **متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك** .

وقال ﷺ : « ما أذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن له في الإجابة » رواه أبو نعيم في « الحلية » عن أنس ، والترمذي عن ابن عمر نحوه . وغير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى ، وفي استجابة الدعاء ، والمغفرة لمن استغفر ، وقبول عذر مَن اعتذر . « مطالع المسرَّات » ٤٤ . (هامش الأصل) .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول : قد دعوت فلم يستجب لي » .

كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة

وقد دعا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ على فرعون ـ فيما أخبر الله عنهما ـ حيث قال ﴿ **رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ** ﴾ ، ثم أخبر أنه قد أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ .

قالوا : **وكان بين قوله تعالى لهما** ﴿ **قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا** ﴾ ، **وهلاك فرعون؛ أربعون سنة** .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى ﴿ **فَٱسْتَقِيمَا** ﴾ أي : على عدم استعجال ما طلبتما ، ﴿ **وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . انتهى ٢٢٧ .

مهم

فالحاصل : أن سبب قبول الدعوة هو إطاعة المولى جلَّ سلطانه كما قيل :

اسم الله الأعظم هو نفس الإنسان ، يعني أنه إذا أطاع الله في الأمر والنهي يطيعه الله تعالى بإجابة ما سأل ، كما يجيب لمن سأله باسمه الأعظم الذي **إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى** ، **فإن الردّ إنما يكون من البخيل** ! والله تعالى منزَّه عن البخل ، أو ممَّن ليس عنده شيء يعطيه السائل ! والله تعالى أيضاً عنده خزائن السماوات والأرض ، أو لنقصان

شيء بما أعطاه ! والله تعالى أيضاً لا نقص لخزائنه وتعالى عن ذلك .

دعاء الملائكة لا يُردّ

ألا ترى أن الله تعالى لا يردُّ دعاء الملائكة ؛ لكونهم لا يعصون الله ويفعلون ما أمرهم ! **فلم يبق للردِّ سبب إلا العصيان** . أعاذنا الله تعالى من مخالفة أمره ، وجعلنا من المتبعين لأوامره .آمين .

سند المؤلف

ثم اعلم أني أردت أن أذكر سند مشائخي في العلوم والأحاديث :

أما « صحيح » أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري ، عليه رحمة الكريم الباري ، فأرويه بأعلى سند يوجد في الدنيا الآن ، كما قال به شيخنا قدس سره ، عن شيخي وسندي ذي الجناحين قطب وقته سيف الله بن حسين الغازي الغموقي الحسيني رضي الله عنه ، عن شيخه زين الله بن حبيب الله التريسكي الشريفي ، عن محمد علي بن ظاهر المدني الوتري ، عن العلامة المحدِّث الرحلة الفهَّامة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجدِّدي الفاروقي النقشبندي الديمويّ ثم المدنيّ ، عن العلاَّمة الحافظ الشيخ محمد عابد الأنصاري السندي ثم المدني ، عن خاتمة المحدِّثين الشيخ صالح العمري الفلاَّني ثم المدني ، عن المعمّر العلاَّمة الشيخ محمد بن سِنَّة العمري الفلاَّني ، عن العلاَّمة أبي الوفا أحمد بن العجَل اليمني المكي ، عن مفتي مكة العلاَّمة قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي[1] ، عن العلاَّمة أبي الفتوح أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح الطاووس ، عن المعمَّر العلامة بابا يوسف الهروي المشهور بـ(صدسال) - أي المعمّر[2] ثلاثمئة سنة - ، عن المعمّر محمد بن شَاذَ

(١) وفي نسخة : النهرواني .

(٢) وذكر صدر الشريعة في « تعديل العلوم » أنَّ مشائخ الحديث مشهورون بطول=

بَخَتْ الفارسي الفرغاني ، عن المعمّر أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقيل بن شاهان الختلاني ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبري ، عن الإمام البخاري .

وأما « مشكاة المصابيح » ؛ فإني أرويها بهذا الإسناد إلى المعمّر الشيخ محمد بن سِنَّة ، عن العلاَّمة برهان الدين إبراهيم الكوراني المدني ، عن العارف بالله العلاَّمة الشيخ أحمد بن محمد الداجاني المدني المعروف بالقشاشي ، عن العارف سيدي أحمد بن علي الشناوي العباسي المدني ، عن العلاَّمة السيد غضنفر بن جعفر الحسيني ، عن شيخ الحرم المكي

=الأعمار .

وذكر السُّبكي في « طبقات الشافعية » أنَّ أبا سهل قال : سمعت ابن الصلاح يقول : شيوخنا يقولون : دليل طول العمر اشتغاله بأحاديث الرسول ﷺ . ويصدِّقه التجربة ؛ فإنَّ أهل الحديث إذا تتبعتَ أعمارَهم تجدها في غاية الطول .

والكتب المصنَّفة في علم الحديث أكثر من أن تحصى ، إلا أنَّ السلف والخلف قد أطبقوا على أن أصحَّ الكتب بعد كتابه سبحانه وتعالى : « صحيح البخاري » ، ثم « صحيح مسلم » ، ثم « الموطَّأ » ، ثم بقية الكتب الستة وهي : سنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدار قطني ، والمسندات المشهورة . كشف الظنون عن أسامي الكتب « والفنون » ٦٢٤ ج١ للإمام العالم العلامة والبحر الفهامة ملا كاتب چلابي قدس سره .

رمز الحروف للروات : (خ) للبخاري ، (م) للمسلم ، (ط) للموطأ ، (ت) للترمذي ، (د) لأبي داود

ووضعوا لأصحاب الكتب الستة علامة ورمزاً بالحروف ؛ فجعلوا للبخاري : (خ) لأن نسبته إلى بلده أشهر من اسمه وكنيته ، وليس في حروف باقي الأسماء خاء ، ولمسلم : (م) لأن اسمه أشهر من نسبه وكنيته ، ولمالك : (ط) لأن اشتهار كتابه بـ« الموطأ » أكثر ولأن الميم أول حروف اسمه وقد أعطوها مسلماً وباقي حروفه مشبهة بغيرها ، وللترمذي : (ت) لأن اشتهاره بنسبه أكثر ، ولأبي داود : (د) لأن كنيته أشهر من اسمه ونسبه ؛ والدال أشهر حروفه وأبعدها من الاشتباه ، وللنسائي : (س) لأن نسبه أشهر من اسمه وكنيته ؛ والسين أشهر حروف نسبه . « كشف الظنون » ٥٢٤ ج١ .

محمد سعيد المشهور بـ « مير كلان » بن مولانا خواجه ، عن نسيم الدين ميرك شاه ، عن والده المحدِّث السيد جمال الدين عطاء الله بن غياث الدين فضل الله ، عن عمه السيد أصيل الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشيرازي الحسيني ، عن شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الكريم الجرهمي الصديقي ، عن العلاَّمة إمام الدين علي بن مبارك شاه الصديقي السادجي ، عن مؤلِّفه وليّ الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي رحمه الله تعالى .

وأما سلسلة الحزب الأعظم والورد الأفخم ؛ فإني أرويه عالياً عن شيخنا سيف الله قدس سره ، عن شيخه زين الله ، عن الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، عن عبد الغني المتقدِّم ، عن العلاَّمة الشيخ إسماعيل بن إدريس أفندي المدني ، عن العلاَّمة الشيخ صالح العمري الفلاَّني ثم المدني ، عن المعمّر العلاَّمة الشيخ محمد بن سِنَّة العمري الفُلاَّني ، عن المعمّر مولاي الشريف محمد بن عبد الله الوَوْلاقي المغربي ، عن مفتي مكة العلاَّمة عبد القادر الطبري الحسيني المكي ، عن جامعه الملاَّ علي القاري .

ولنا أيضاً إجازة من طريق آخر لحزب الأعظم بهذا السند : سيف الله ، زين الله ، أحمد ضياء الدين ، الشيخ الحاج إبراهيم خليل القاضي بالقدس الشريف ، ثم بالمدينة المنورة ، ثم بمكة المكرمة ، الشيخ أحمد بن سليمان الخوارزمي ، محمود بن أحمد المرعشي ، الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري ، عن الشيخ ابن سليمان ، عن ابن سنبل ، عن أبي الطاهر الكوراني ، عن والده الملا إبراهيم ، عن منلا محمد شريف ابن منلا يوسف الكوراني الصديقي ، عن السيد المعظم الحسيني البلخي ، عن مؤلفه السيد الشيخ منلا علي بن السلطان محمد القاري الهروي المقري بالحرم الشريف المكي . رحمة الله عليهم أجمعين . آمين .

وأما « دلائل الخيرات » فإني أرويها عن طريقين : نازلة وعالية .

أما النازلة ؛ فعن شيخنا سيف الله المذكور ، وهو عن شيخه زين الله ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري ، عن الشيخ على أفندي بن يوسف ملك باشلي الحريري المدني ، عن العلاَّمة السيد **محمد بن أحمد الشريف** المُدْغَري ، عن أبي البركات سيدي محمد بن أحمد بن أحمد المثنى ، عن العلاَّمة سيدي أحمد بن الحاج ، عن العلاَّمة سيدي عبد القادر الفاسي ، عن العلاَّمة سيدي أحمد المقريّ ، عن سيدي أحمد بن أبي العباس الصُّمَعي ، عن سيدي أحمد بن موسى السِمْلاني ،عن سيدي عبد العزيز التباعي ، عن مؤلفها سيدي السيد محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني .

وأما الطريقة العالية ؛ وهي أعلى بدرجتين ، وهو أعلى سند يوجد في الدنيا الآن ، كما أخبر بذلك أرباب هذا الشأن : فعن شيخنا أبي الفتوح سيف الله قدس سره ، عن شيخه زين الله ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري ، عن العلاَّمة المتقدم عبد الغني ، عن العلاَّمة إسماعيل أفندي المدني ، عن العلاَّمة محمد أفندي أي خِشْخِوَى ، عن العلاَّمة السيد مرتضى الزبيدي شارح « الإحياء » و« القاموس » ، عن العلامة محيي الدين نور الحق عبد الله الحسيني ، عن السيد سعد الله بن محمد الهندي ، عن المعمّر الشيخ عبد الشكور الحسني ، **عن مؤلفها الشيخ الجزولي** .

ولي طريق آخر في « **دلائل الخيرات** » ، فإن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره لقَّنني « **دلائل الخيرات** » ، وكان هو مأذوناً لتلقينه من العالم العارف محمد عبده المكي ، فكنت أقرؤه في سنين ، فمات هو قدس سره في جدّة في سفر الحج ، ثم بعد ذلك أجازني العارف المذكور محمد عبده في ذلك ، وكتب لي بخطه صكَّ الإجازة ، وأذن لي بالإذن المطلق العام عن مشائخه ، كما أجاز شيخنا المذكور العسوي رحمهما الله تعالى .

والسلسلة هذه : محمد عبده المكي ، سيدي محمد بن سيد أحمد المدْغريّ الشريف الحسني ، سيد محمد بن أحمد المثنى ، سيد أحمد بن الحاج ، سيد أحمد المقري ، سيد عبد القادر الفاسي ، سيد بن أبي العباس

الصُمَعي ، سيد أحمد بن موسى ، السيد محمد بن السيد السملاني ، عبد العزيز التَباع ، **عن مؤلفها السيد محمد بن سليمان الجزولي ، الشريف الحسني ، القطب الرباني** ، رحمه الله تعالى ونفعنا به . آمين .

وأما « البردة الشريفة » المشهورة بـ :

أَمِنْ تَذَ . . . إلخ ، فلي فيها إجازة مطلقة أيضاً ، وإني أرويها بهذا السند عن قطب الوقت المستور ؛ سيف الله المذكور ، قدس سره ، عن شيخه زين الله الشريفي ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، عن العلاَّمة المحقق الفهَّامة المدقق ، الشيخ منَّة الله المالكي الأزهري ؛ تلميذ الأمير الكبير ، صاحب الثبت الشهير ، عن العلاَّمة الشيخ محمد الهَبي المالكي ، عن العلاَّمة الشيخ يوسف الشباسي الضرير ، عن الأستاذ السكندري المعروف بالصباغ ، عن سيدي عليّ الزرقاني ، عن العلاَّمة سيدي علي الأجهوري ، عن النور القرافي ، عن الحافظ جلال الدين السيوطي ، عن العزِّ عبد الرحيم بن الفرات ، عن العزِّ بن جماعة ، عن ناظمها الإمام البوصيري .

وكتب شيخنا الأمير سيف الله قدس سره في الثبت نقلاً عن ثبت شيخه : وأما بقية أسانيدي في باقي الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث وسائر الفنون النقلية والعقلية ؛ فإنها مذكورة في أثبات مشائخي ومشائخهم ؛ كـثبت شيخي المسمى بـ « اليانع الجني من أسانيد الشيخ الغني » ، وثبت شيخه المسمَّى بـ « الحصر الشارد من أسانيد محمد عابد » ، وثبت شيخ مشائخي العلاَّمة محمد الأمير الكبير ، وأجازني بجميع ما يحتوي عليه هذه الأثبات من الكتب والفنون ، وأجازني أيضاً بالحديث المسلسل[1] بالأوَّلية ، أي الحديث الذي قال كل راوٍ : (وهو أول حديث سمعته) من طريقة عالية جداً من طريق الجنّ بهذا السند : عن سيف الله ، عن زين الله ،

(١) وللحديث المسلسل بالأولية طريق آخر ينتهي إلى سفيان بن عُيَيْنَة مذكور في المسلسلات . (من خط زين الله قدس سره) .

عن العلاَّمة عبد الفتاح الكفراوي ، عن شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي ، عن العلاَّمة الأستاذ السيد محمد الحفني الخلوتي الشهير ، عن قاضي الجنّ شمهورش الصّحابي ، قال : حدثني به سيدنا رسول الله ﷺ ، وهو أول حديث سمعته منه أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء » . انتهى .

وقد قال كل راوٍ : (وهو أول حديث سمعته منه) ، وقد اقتصرته خوفاً من الإطناب .فافهم .

توفي الشيخ محمد شمس الدين الحِفني الخلوتي الشهير سنة ١١٧٩ وأهل مصر صلّوا جنازته في القرافة ، وهو أخذ من قاضي الجن شمهورش .

نقل شيخنا سيف الله عن خط شيخه بما نصُّه : وسمعت السيد محمد علي الظاهري يقول : إنه - أي : قاضي الجن- توفي في زمن الحفني رحمهم الله تعالى .

وقد روى عنهم[1] الطبراني ، وابن عدي ، وغيرهما ، لكن توقَّف في ذلك بعض الحُفَّاظ . « الفتاوى الحديثية » لابن حجر المكي .

وأما مسلسلات ابن عقيلة ؛ فقد أجازني بها شيخنا مير سيف الله

---

(١) أي : الجن .

* والذي استحسنه العلماء في نية الصلاة من التلفظ باللسان مع وجود إرادة القلب ؛ والحال أنه ما ثبت عنه عليه السلام لا برواية صحيحة ، ولا برواية ضعيفة ، ولا من الصحابة الكرام ، ولا من التابعين العظام ، أنهم أتوا بالنية باللسان ، بل كانوا يكبّرون تكبيرة تحريم حين قاموا إلى صلاة ؛ فالنية باللسان بدعة يسمّونها حسنة .

والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للغرض فضلاً عن السنة ، فإن أكثر الناس يكتفون في الجواز ذلك باللسان ، ولا يبالون عن غفلة القلب ، فيكون قد ترك في ضمير ذلك غرضاً من فرائض الصلاة الذي هو النيّة بالقلب فيؤدي ذلك لفساد الصلاة ؛ وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات ، فإنها زيادة على السنة ولو بوجه من الوجوه ، والزيادة نسخ والنسخ رفع ، فعليكم بالاقتصار على متابعة رسول الله ﷺ . « مبدة الرسائل الفاروقية » .

قدس سره بهذا السند : سيف الله ، زين الله ، **محمد علي بن ظاهر المدني** ، **عبد الغني بن أبي سعيد المجدِّدي** ، **محمد عابد السندي الأنصاري** ، المحدِّث عبد الرحمن بن السيد سليمان الأهدل اليمني ، العلاَّمة الشيخ أمر الله المزجاني ، عن جامعها العلاَّمة محمد بن أحمد سعيد المعروف بعقيلة المكي ، عن شيخنا العلاَّمة منَّة الله المالكي ، عن السيد الأمير الكبير ، عن العلاَّمة الصعيدي المالكي ، عن ابن عقيلة . . .إلخ .

وأجازني أيضاً شيخنا المذكور - سيف الله - ، في جميع العلوم النقلية والعقلية ، بناء على أنَّ النفع التام لا يكون في كل شيء إلا بالإذن ، كما هو مذكور في « المكتوبات » للإمام الربَّاني ، وفي « الفتاوى العمرية » .

وكذا الحال في العلم الظاهري ، فإنه لا بدَّ من التكميل ، ثم الإذن من الأستاذ في التدريس . انتهى عبارته .

ونقل شيخنا المذكور قدس سره عن بعض المشائخ أنه قال : **ما هذا معناه : إنَّ ديار داغستان وإن كانت معدن العلم !** لكن البركة معدومة لعدم الإجازة عن المُجيز المُجَاز .

والسلسلة هذه : سيف الله ، عن زين الله ، قال زين الله : إني أخذت العلم عن داملا أحمد بن خالد المنكاري القزاني ، وهو أخذ عن مولانا قاضي كلان في بخارا ، وملا المولوي محمد شريف السيد مصنف « التكملة » على « التتمة » ، وعن مولانا داملا حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ عن هادي خواجه وهو المشهور باشان أستاذ ، وهو أخذ عن أخوند فيضي ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن مولانا السيد محمد شريف الحسيني ، عن مولانا أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال ، عن المحقِّق الدواني الجلال الصِدِّيقي ، عن أبيه أسعد الصدِّيقي ، عن مولانا السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن العلاَّمة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي ، عن الإمام فخر الدين الرازي ، عن أبي

نصر السمناني[١] ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، عن الإمام حجَّة الإسلام محمد الغزالي ، عن إمام الحرمين الجويني ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحق المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سريج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزني ، عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الإمام الأجلّ الشافعي رضي الله عنه ، عن الإمام مالك رضي الله عنه ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، وهو عن النبي ﷺ .

وجلال الدين المحقِّق الدواني أخذ أيضاً عن محيي الدين الكشكناري ، وعن مظهر الدين محمد الكاذروني ، وهما أخذا من السيد الشريف ، والسيد الشريف أخذ الفقه والعلوم النقلية عن شارح « الهداية »[٢] الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد[٣] بن محمود البابرتي ، وهو أخذ عن قوام الدين محمد بن محمد الكاكي ، عن حسام الدين السغناقي ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي ، عن صاحب « الهداية » علي بن أبي بكر ، عن أحمد بن عمر النسفي ، عن أبيه ، عن أبي اليسر محمد البزدوي ، عن أبي يعقوب يوسف السبياري ، عن أبي إسحق النوقدي ، عن هندواني ، عن أبي القاسم الصفَّار ، عن نصير بن يحيى ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي يوسف ، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ، عن حمَّاد ، عن النَّخّعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ .

وأخذ زين الله قدس سره العلم الظاهر كما أخذ العلم الباطن من مولانا أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره ، وهو أخذ عن مولانا أحمد بن

---

(١) في نسخة : السهناني .

(٢) شرحه مسمى بالعناية . (هامش الأصل) .

(٣) صاحب « الهداية » أخذ عن أحمد بن عمر النسفي وهو عن أبيه عمر النسفي وعن أخي أبيه ابن اليسر محمد البزدوي .الخ . (هامش الأصل) .

سليمان الطرابلسي ، وهو أخذ عن مولانا محمد بن العابدين ، ومن مولانا أحمد الطحطاوي ، وسندهما مذكور في ديباجة « حاشية الدُّر المختار » .

وأخذ الإمام علي البزدوي عن السرخسي ، وهو عن الحلواني ، وهو عن القاضي السبذموني[1] ، وهو عن أبي حفص البخاري ، عن أبيه ، عن الإمام محمد ، عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه . إلخ .

وكتب شيخنا سيف الله بما نصُّه : وسندي في العلوم العقلية والفقه إلى ملا جلال المحقِّق الدواني : جلال الدين الدواني الصدِّيقي ، جمال ميرزاجان الشيرازي ، أخوند يوسف مولوي ، شريف أخوند شيخ المولوي ، فيضي هادي خواجه المشهور بإيشان أستاذ ، ابنه خواجه عطاء الله ، ابنه محمد شريف قاضي كلان مُصنِّف « التكملة » ، وداملا حسن أخوند ، داملا أحمد المنكاري ، داملا زين الله الشريفي ، ملاَّ سيف الله بن حسين النژبكري . انتهى من خطه . ملاَّ حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه .

وأما سند مشائخي في الطريقة النقشبندية الصدِّيقيَّة ، قدس الله تعالى أسرار أربابها ، وأفاض علينا من فيوضات أصحابها ، آمين ؛ فقد أخذتها أولاً عن الشيخ العارف بالله تعالى ذي الجناحين عبد الرحمن العسوي رضي الله عنه ، وصحبته سنين عديدة ، ثم صحبت بعد موته خليله وصديقه العارف الحافظ العالم الحاج شعيب أفندي الباكني قدس سره ، وربَّاني ، ثم صحبت بعد انتقاله القطب الربَّاني سيف الله الحسيني النژبكري الغازي غموقي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي قدس سره ، وكان مجازاً من عدة مواضع - كما سبق - في الأمور المتعددة ، وكلهم أجازوا لي في إرشاد الخلق إلى طريق الحق تعالى ، بل أكَّدوا الأمر في ذلك ، وأرجو الله سبحانه أن يرزقني الاستقامة ، كما أوصاني بذلك كلهم ، والسلسلة الجامعة لأسانيدهم على هذه الكيفية الآتية :

---

(١) والسبذمون : قرية من قرى بخارى . (منه) .

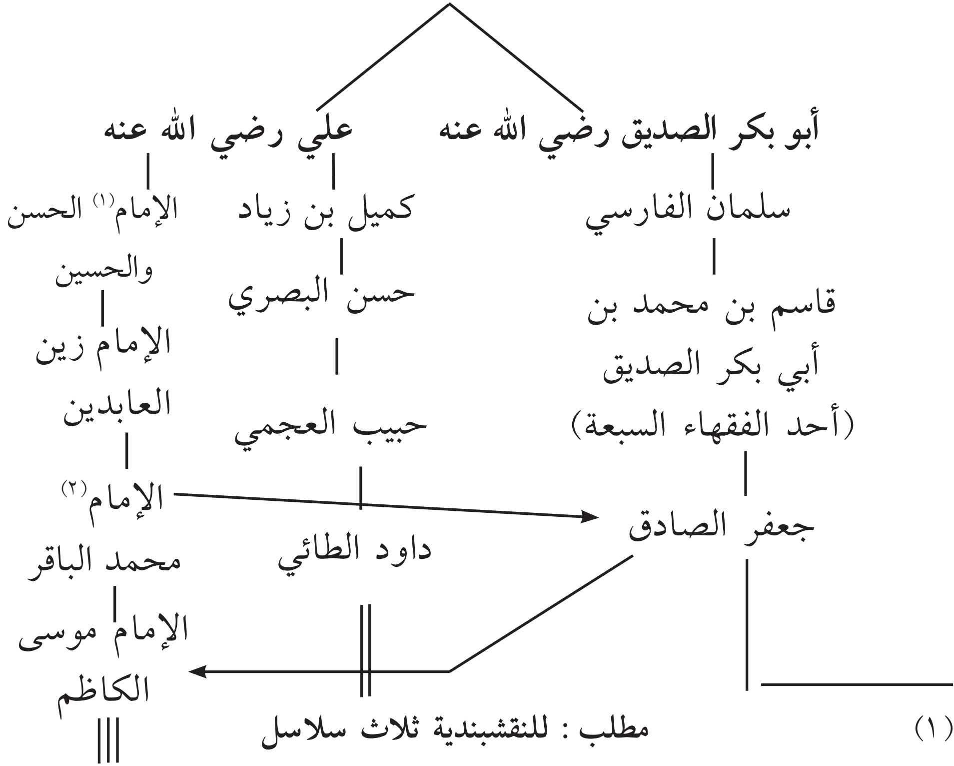

(١) **مطلب : للنقشبندية ثلاث سلاسل**

وهذا البيان بناء على أن للنقشبندية ثلاث سلاسل :

السلسلة الأولى : محمد عليه الصلاة والسلام ، علي كرَّم الله وجهه ، حسين رضي الله عنه ، زين العابدين رضي الله عنه ، الإمام الباقر رضي الله عنه ، جعفر الصادق رضي الله عنه ، موسى الكاظم رضي الله عنه ، الإمام علي رضا رضي الله عنه ، معروف الكرخي ، السري السقطي ، جنيد البغدادي ، أبو علي أحمد الروذباري ، أبو علي الكاتب ، أبو عثمان ، أبو القاسم علي الكركاني ، أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي .

الثانية : محمدﷺ ، علي رضي الله عنه ، الحسن البصري ، الإمام أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بالعجمي ، أبو سليمان داود الطائي الكوفي ، معروف الكرخي .

الثالثة : محمد ﷺ ، أبو بكر ، سلمان . . . .إلى آخر السلسلة . فافهم! (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) ثم سرى سرٌّ هذه النسبة من الإمام الباقر إلى جعفر الصادق . كما هو مذكور في « الحدائق الوردية » ومنه سرى إلى الإمام موسى الكاظم ، ومنه إلى الإمام علي الرضا . (منه) . (هامش الأصل) .

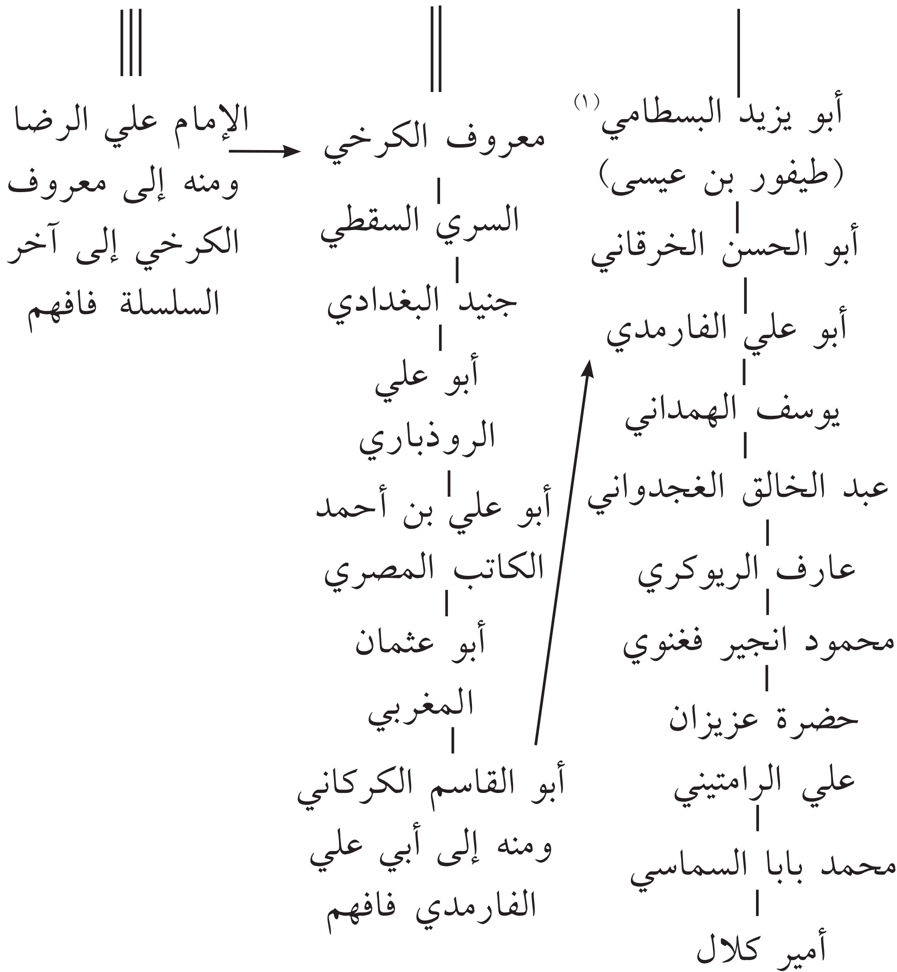

شاه نقشبند بهاء
الدين البخاري(٢)

علاء الدين العطار الراماد

يعقوب الچرخي

وما قيل : من أن متأخري مشائخ النقشبندية يجرون سلسلة أخذهم إلى أبى بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسي رضي الله عنهما ويذكرون ذلك في إجازاتهم ؛ وهذا شيء لم يثبت عند أهل نقل- فمدفوع ومردود عليه . كذا في « الرشحات » مع بسط تام فراجعه في ٧ تجد البيان (منه رحم الله إفلاسه ؛ آمين) .

---

(١) وما قيل من أن أبا يزيد لم يلق جعفر الصادق بالجسمانية فهو مردود ؛ كما هو مبيّن في « الكشكول » وفي« الفيوضات الخالديّة » بالبسط الشافي فراجعهما (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) المتوفى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة « كشف الظنون » ٧١ ج١ .

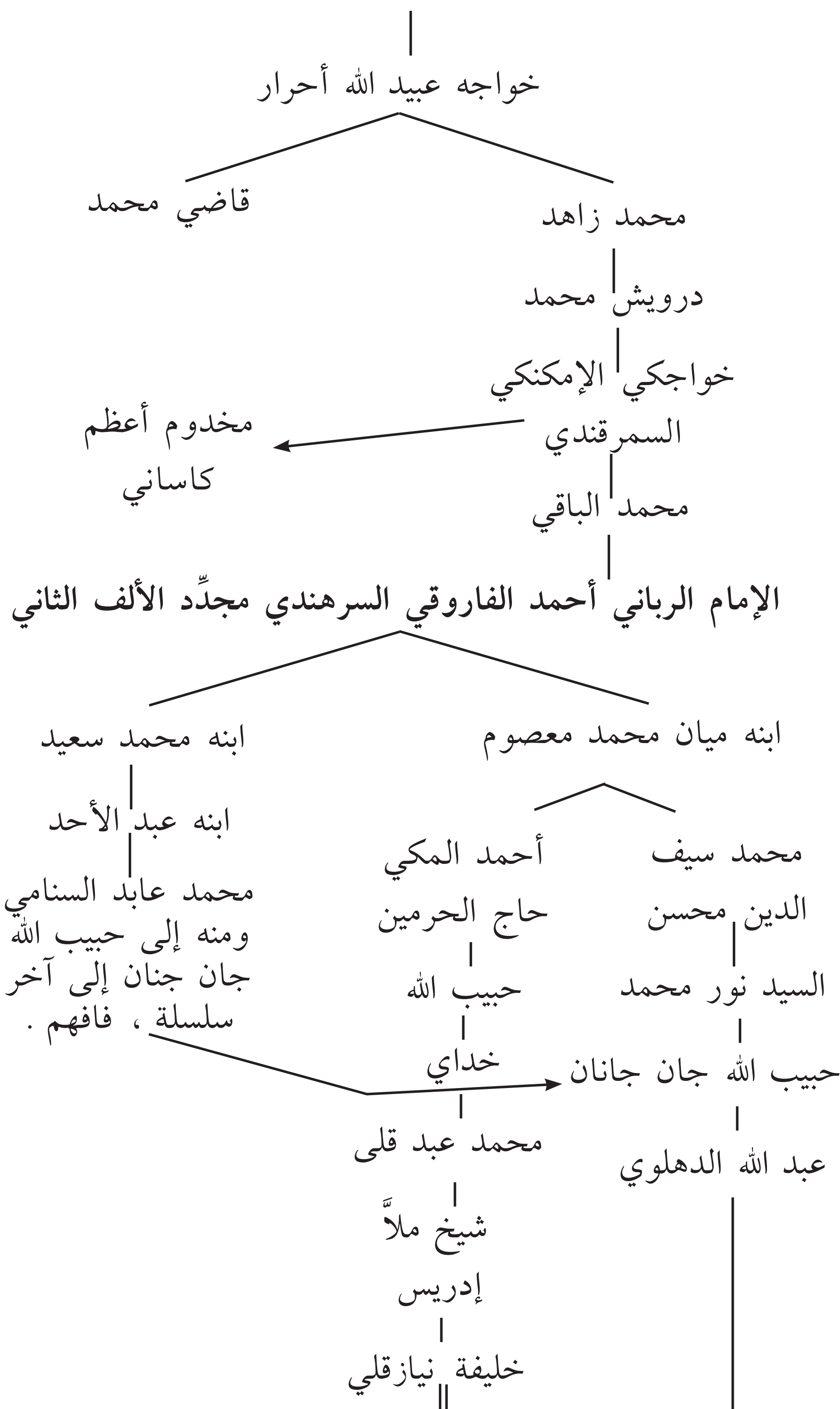

خواجه عبيد الله أحرار
محمد زاهد
قاضي محمد
درويش محمد
خواجكي الإمكنكي السمرقندي
مخدوم أعظم كاساني
محمد الباقي
الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي مجدِّد الألف الثاني
ابنه ميان محمد معصوم
ابنه محمد سعيد
محمد سيف الدين محسن
أحمد المكي حاج الحرمين
ابنه عبد الأحد
محمد عابد السنامي ومنه إلى حبيب الله جان جنان إلى آخر سلسلة ، فافهم .
السيد نور محمد
حبيب الله
حبيب الله جان جانان
خداي
عبد الله الدهلوي
محمد عبد قلى
شيخ ملاَّ إدريس
خليفة نيازقلي

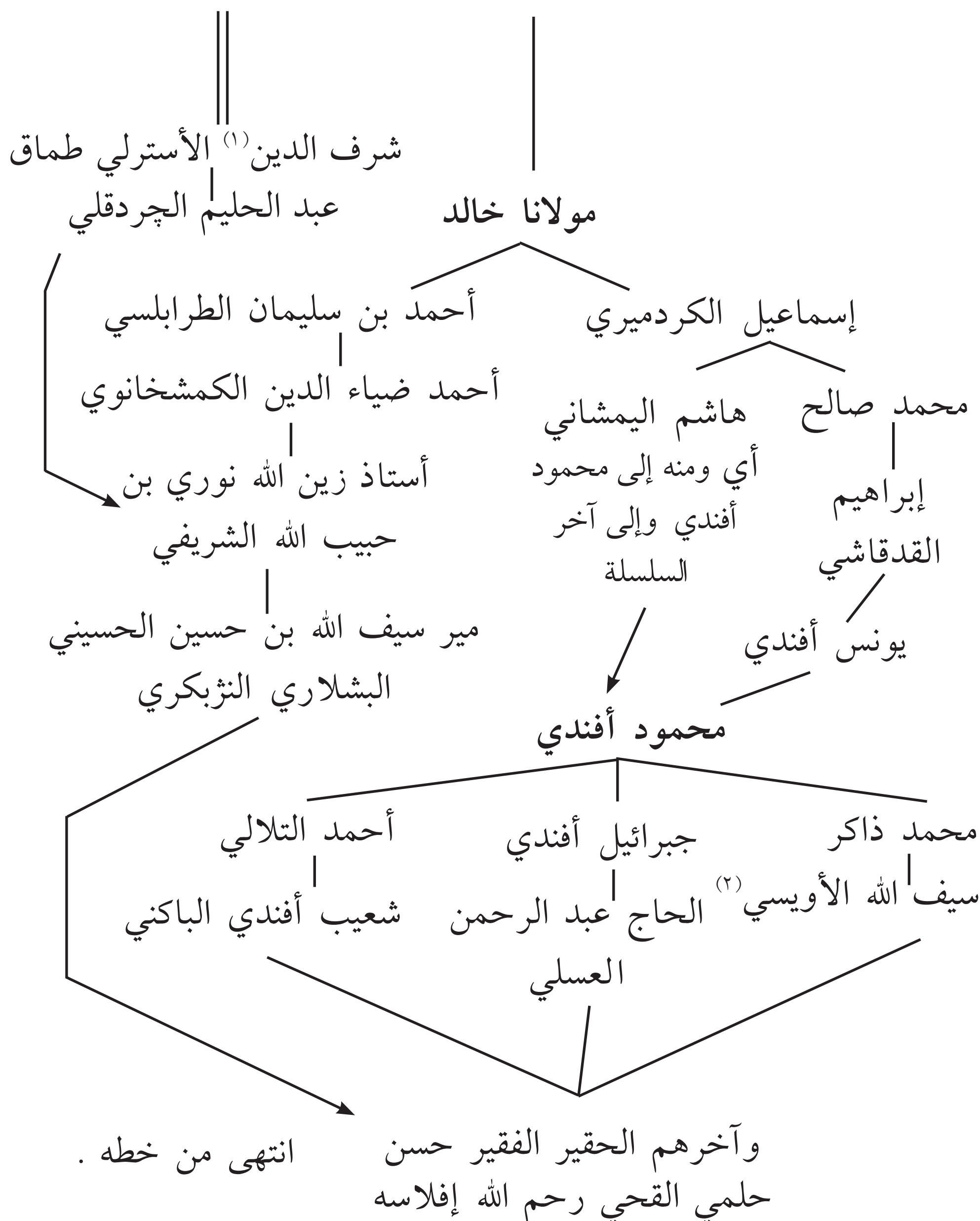

(١) وفي نسخة : الأشربي لحماق .

(٢) وكان الشيخ سيف الله مريداً لمحمد ذاكر في ابتداء أمره ، ثم إنه لقي روحانيته بعد موته بروحانية محمد ذاكر ، وأجازه وسمَّاه أويسيّاً . كما كتبه في بعض مكاتيبه إلى هذا الحقير ، وقال لي مشافهة : إني أجزتك يا ولدي في الأويسية وكتب ذلك في آخر مكاتيبه ، ولذا اتصلت سلسلته من هذه الجهة . فافهم ! (منه) .

محمد صلى الله عليه وسلم ١

٢ علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه

٢ ابو بكر الصديق رضي الله عنه

٣ سلمان الفارسي رضي الله عنه

٣ الامام حسن حسين رضي الله عنهما

٣ كميل بن زياد رضي الله عنه

حسن البصري قدس سره ٤

[illegible]

٤ الامام زين العابدين قدس سره

الامام محمد الباقر قدس سره ٥

الامام جعفر الصادق قدس سره العزيز ٦

الامام موسى الكاظم قدس سره ٧

الامام علي الرضا قدس سره ٨

ومنه الى معروف الكرخي الى آخر السلسلة فافهم

حبيب العجمي قدس سره العزيز ٥

داود الطائي قدس سره ٦

معروف الكرخي قدس سره العزيز ٧

السري السقطي قدس سره العزيز ٨

جنيد البغدادي قدس سره ٩

ابو علي الروذباري قدس سره ١٠

ابو علي ابن احمد الكاتب المصري قدس سره ١١

ابو عثمان المغربي قدس سره ١٢

ابو القاسم الكركاني قدس سره ١٣

ومنه الى ابي علي الفارمدي فافهم

٤ قاسم ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنه

٥ جعفر الصادق قدس سره العزيز

٦ ابو يزيد البسطامي ابن عيسى قدس سره

٧ ابو الحسن الخرقاني قدس سره العزيز

٨ ابو علي الفارمدي قدس سره العزيز

٩ يوسف الهمداني قدس سره العزيز

١٠ عبد الخالق الغجدواني قدس سره

١١ عارف الريوكروي قدس سره العزيز

١٢ محمود انجير الفغنوي قدس سره العزيز

١٣ حضرة عزيزان علي الراميتني قدس سره

١٤ محمد بابا السماسي قدس سره العزيز

١٥ السيد امير كلال قدس سره

١٦ شاه محمد نقشبند بهاء الدين البخاري قدس سره شمس

١٧ علاء الدين العطار قدس سره

مأخوذة من الأصل

مأخوذة من الأصل

وأما الشاذلية ؛ فقد أخذتها من الشيخ سيف الله الحسيني ، وأجازني فيها أيضاً بالإجازة المطلقة العامة عن مشائخه ، وأكَّدني الأمر بانتشارها .

والسلسلة فقد نظمها أخونا في الله غازي محمد ، ووضعتها هنا ، ونصُّها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والعون من الملك العليم ، وأنا المفتقر إلى الباري غازي محمد العوري :

هذه سلسلة السادات الشاذليين ، نظمتها لمن أراد حفظها من إخوان الدين ، وإن كنت أقصَرُ باعاً في هذه الوظيفة ، وأبعد قريحة وملكة عند أهل هذه القضية ، قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وأفاض علينا من فيوضاتهم الجلية ، راجياً إلى بركاتهم ، ومستنجياً بحرمة أنفاسهم :

فحَمْداً لمولانا كثيراً وأكثرا صلاة على مَن خصَّه الله بالإسرا
إلهي أُناجيك بهذي الطوائف وأوَّلهم طه الذي أحرز الفخرا
محمد المختار في دينه اقتدت طرائق أهل الله من نشرها العطرا
قد اكتسبوا من نوره كل نورهم فأجروا به ما في طرائقه أجرا
يليه أمير المؤمنين عليُّهم قد اختاره المختار عوناً له صهرا
فسبط حبيب اللهِ سيِّدنا الحسنْ قريرُ عليٍّ عينُ فاطمة الزهرا
ومن بعده جاء مُحدِّثنا أبو محمدْ باسم جابرٍ بينهمْ شُهرا
فقطبٌ سعيدٌ ثم فتح السعود ذا كذلك قطبٌ قد غدا ذهباً نضرا
فسعد سعيد ثم مرواني أحمد فإبراهيم البصري زاد بهم طورا[1]

(١) الطور : الحال والهيئة . (هامش الأصل) .

فقزوينيٌّ زينُ الدين زادت فيوضه كذلك شمس الدين دام به الخيرا
أباهي بتاج الدين كذلك نور الدين وبــعده فــخر الدين منَّتنا الكبرى
يليه تقيُّ الديــن قــبلةُ فيضــنا كـذا عبد الرحمن بدا أمره إمرا[1]
بحرمة هذا القطب عبد السلام مَن أفــاض لأهــل الله فيضاً معطرا
بسيدنا قطب الأنـام أبـي الحسـن عــلي شاذليٍّ غوثنا قد علا قدرا
بحقِّ أبي العباس فابن عـطاء الله وســيدنـا داود يــا حـبّذا البدرا
محمدنا بحر الصفا بن الوفى علي بصحبة يحيى قد وفوا نعمة تترى
فهذا أبو العباس أحـمد فــسيِّدي بزرُّوق يدعــى أحمد يمطر الدُّرَّا
فعارفنا إبراهيم التــونــسي الـذي يليه علي الصنهاجي من فيضهم دَرّا
فمجذوب عبد الرحمن الفاسي يوسفُ كــذا عبد الرحمن لعمدتنا الكبرى
فــسيِّدُنا العــالي مـحمدْ فقاسم خــذوا بأيادينـا إذا استقبح الأمرا
أيا أحمـــد يا سيدي العربي ويا أبا الحسن الميمون حازوا[2] المفاخرا
إلهي بحق السيـد العــربي كـذا مــحمد فنجير جزينـــا بهم خيرا
وزاهدنا الشيخ الحبيب[3] الذي غدا كــأنفَس يـــاقوت ومسك مذَفَّرا[4]
محدِّثنا السامي وسيدنا الجــلــي محمــد عـلي الـوتريِّ نعمتنا الغرَّا
وحـــافظنا الحاجُّ محمدُ صــالح بخوض بحار الفيض استغرق العمرا

---

(١) أي عجباً .
(٢) وفي نسخة : حاز .
(٣) هو حبيب الرحمن الكاظمي الرضوي قدس سره العزيز . (هامش الأصل) .
(٤) والذفر – بالتحريك – : شدَّة ذكاء الريح . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

رجائي بسيف الله روحي فـداؤه فكم من بحار العلم قد قذف الدرا
أيا كيمياء الحلم[1] كعبة فـيضنا لعَلّي بفضل منك لا يعكس الأمرا
أغثنا بسادات بـخاتمهم حـسن بـأنوارهم قـد قلَّدوا الناس جوهرا
فأنتم نجوم للهدى كـل حـالة ونقفوا بمسراكم فما أحسن المسرا
أيا مَن يروم ديـن طـه مجاهداً بربِّك ذكِّرهـم عسى تنفع الذكرى
صـلاة عـلى خير الأنام محمد وآلٍ وصـحب ما علا أحمدٌ قدرا
فـعند ختام النـظم قـال مُثنِّياً فـحمـداً لـمـولانـا كثيراً وأكثرا

انتهى . فالحمد لله على الدوام

وأما الطريقة القادرية ؛ فقد أجازني فيها الشيخ المذكور قدس سره مشافهة ، وقد كان كتب في بعض مكاتيبه بأنه على قصد إلقاء قلادة تلك الطريقة على عنقي ، بَيْد أنه لما مات ولم يكن كتب سلسلة أربابها وسندها كما كتب في غيرها بقلمه ، لم أُلقِّن لأحد شيئاً من أورادها .

وقد كتب إليَّ قدس سره قبل موته ما نصُّه : ثم اعلم أيها الولد الحبيب أن شأن الدنيا هكذا ؛ كل وقت تؤخِّر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص ، وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم ، بيد أنَّ الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ، ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته في دهري بلَعَلَّ وعسى ، بيْدَ أنَّ الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا مَنْ خصَّه الله تعالى لها ، وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده ، وفي جميع الإجازات التي أُجِزْتُ ، فقد أجزتك في جميعها ، وكذا في

---

(١) العلم .

الثبات العلمية ، والطريقية ، والأويسية ، فإن ساعدني الإله في الأجل – ولو قليلاً– فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا ؛ كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح الخان كرماني ، ومحمد نور البخاري ، والشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني .

وما لم تصل لنا الشجرة[1] بالرسم إلا بالقول المحض ؛ فلا نذكره . . . إلخ .

انتهى من خَطِّه نوَّر الله ضريحه ، وأبلَّ مرقده بلطفه الخفيِّ ، آمين .

وكان قدس سره قبل موته بسنين كتب لي بيده الشريفة صَكَّ الإجازة مع بيان الأسانيد ، كما بيَّنتُ ذلك فيما سبق ، وسأذكره بالتمام كما كتبه شيخنا العسوي قدس سره .

وكتب إليّ الباكني قدس سره أيضاً مكتوباً بطلب نظري إلى مريديه ، كما أمرني بذلك مشافهة مع مجمع من العلماء وغيرهم في حجرته . هذا مع كونه قدس سره قد كان كتب لديّ قبل ذلك بما نَصُّه : واعلم يا أخي أنَّ لنا من الإخوان نحو عشرة أو أكثر ممن تكملوا تجلِّيات[2] الأفعال والصفات[3] ويظهر له رُوحانية النبي ﷺ ، فلم يصدر لواحد منهم

(١) وهو صكُّ الإجازة . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) **التجلِّي** : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب ، إنما جمع الغيوب باعتبار تعدُّد موارد التجلي ، فإنَّ لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجلِّيات متنوعة . « تعريفات » السيد . (هامش الأصل) .

(٣) التجلِّي الصفاتي : ما يكون مبدؤه صفة من الصفات ؛ من حيث تعيُّنها وامتيازها عن الذات . « تعريفات » (هامش الأصل) .

والتجلِّي الذاتي : ما يكون مبدؤه الذات ، من غير اعتبار صفة من الصفات معها ، وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات ! إذ لا يتجلَّى الحقُّ من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية « تعريفات » للسيد الشريف . (هامش الأصل) .

مِنَّا إذنٌ خاص فضلاً عن الإذن المطلق . انتهى من خطه . وكان قدس سره يلاحظني ويلاطفني ويلقِّنني المراقبات كما لقَّنه شيخه أحمد التلالي قدس سره **إلى أن يدخلني في دائرة المشرب المحمدي**[1] ، وقال : إنَّ

---

(١) وقد كان الكل من أشياخنا الثلاثة قدس الله أسرارهم محمديّ المشرب ، ولذا نقول : إنهم كانوا أقطاباً بدليل ما قاله الإمام الربَّاني قدس سره في « مكتوباته » بما حاصله : أن القطب يكون محمديّ المشرب ، والمحمديّون لهم التجلِّي الذاتي* . انتهى رجعه في ٥٢٣ ج١ .ولا يلزم أن يكون القطب شريفاً حسينيّاً** ، بل قد يكون من غير هذا القبيل ، كما هو نصُّ ما في « لطائف المنن » لابن عطاء الله . فراجعه . **لكن كان مراقبات شيخي الأخير سيف الله قدس سره أعلى من مراقبات شيخنا العسلي وشيخنا الباكني بإحدى وعشرين درجة** ، بيد أني سمعت الشيخ الباكني يقول : إنَّ تلك المراقبات تكون مطوية في المشرب المحمدي إجمالاً ، وقد صدَّق قوله شيخُنا سيف الله حين كتبت لديه ما قاله الباكني ، ويؤيِّده ما في « النفائس السانحات » .فراجعه : وما من بلدة إلا وفيها قطب ، كما هو مذكور في « تنوير الصدر » شرح « حزب البرّ » ، (منه رحم الله إفلاسه) .

* التأنيس هو التجلي في الظاهرة الحسية تأنيساً للمريد المبتدىء بالتذكية والتصفية ويسمى التجلي الفعلي لظهوره في صورة الأسباب .

** وفي نسخة : حسبياً .

والتجلي الأول هو **التجلي الذاتي** ، وهو تجلي الذات وحدها لذاتها ، وهي الحضرة الأحدية التي لا نقب فيها ولا رسم إذ الذات وجود الحق المحض لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود الحق ليس إلا العدز المطلق ، وهو اللاشيء المحض إلخ ، والتجلي الثاني هو الذي تظهر به أعيان الممكنات الثابتة التي هو شؤون الذات لذاته تعالى ؛ وهي التعين الأول بصفة العالمية والقابلية لأن الأعيان معلوماته . . إلخ .

التجلِّي الشهودي : هو ظهور الوجود المسمى باسم النور ؛ وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي من صورها ، وذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل . التحقيق : هو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان ؛ فلا يحجب المحقق بالخلق عن الحق وبالحق عن الخلق . انتهى . « متممات جامع الأصول » . ٩٦ .

وفي الحقيقة المحمدية والأحمدية تظهر المحبوبية الذاتية ، ومعنى هذه العبارة : أن=

الشيخ التلاني[1] قال **بأنَّ الشيخ محمود أفندي لم يُعلِّم أحداً ما فوق هذه المراقبة**[2] . انتهى .

=الذات المتعالي كما يحب ذاته يحب صفاته . فالأول يقال له الحقيقة المحمدية ، والثاني نسأله اسم الخلة وإن كان هو الحقيقة الإبراهيمية . وفي هذا المقام يحصل للسالك أنس مع الذات حتى لا يتوجه إلى غير حضرة الذات ولو أسماء وصفات ولا إلى مزارات المشائخ ، ولا يطيب له الاستمداد والاستعانة من غيره تعالى ولو أرواح وملائكة . « جامع الأصول » .

(١) كذا في الأصول بالنون .

(٢) حتى كان الشيخ العسلي قدس سره يذهب لدى أحمد التلالي لطلب الفيض بعد موت شيخه جبرائيل أفندي ، وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني بعد موت شيخه التلالي يذهب لدى الشيخ العسلي ، ويطلب منه سلوكه إلى ما فوق مقامه ، ويقول له : مَنْ ينظرُ إليَّ الآن إلا أنت ؟ ! كما أخبرني بذلك مشافهة .

وكان الشيخ مصطفى أفندي يسأل الشيخ العسلي بمسائل . ويطلب منه الإرشاد .

وأما هذا الحقير الفقير فلي بهم أسوة ، فلمّا مات شيخي العسلي سلكت على يد الشيخ الباكني ، وعلّمني مرتبتين من المراقبة ، وأجازني أيضاً ، فلما مات هو ، وبقيت على تلك الحالة ، ذهبت لدى قطب الوقت سيف الله الحسيني فسلكت على يده سنين ، **وقد كان مراتب مراقباته ومقاماته أزيد دائماً من مراقبات الشيخين المذكورين بإحدى وعشرين درجة** ، وكان نقشبندياً أويسياً شاذلياً قادرياً ، وأجازني أيضاً بجميع ما أجازه أشياخه ، ومات هو فبقيت كالصبي إذا ماتت أمُّه .

وقد أكَّدني جميعهم بإرشاد الخلق ، ولم يكن لي بُدٌّ من امتثال أمرهم . رزقنا الله الاستقامة . آمين .

فإن قيل : هل يجوز لمريد أن يذهب لدى شيخ غيره إذا مات أو غاب ؟ !

فالجواب : يجوز له ذلك في تلك الحالة ، فقد قال في كتاب « حزب الرحيم » : **وقلَّما أفلح** مريد فُطم قبل أوان فطامه ، بل متى مات شيخه أو فَصَله عنه عارض وكان له نائب أو خليفة تعيَّن عليه ملازمته برسم ما كان عليه مع الشيخ ، ومتى لم يُخلِّف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقيَّة سيره . انتهى ١٣١ ج١ .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إنَّ شيخه قال له : يا ولدي ؛ إنِّي أرقيتك إلى كل مقام أعلمُ ، فإن وجدت مَنْ يعلم فوق ذلك فَلَك منِّي الإذن لذهابك=

وصورة ما كتبه - قدس سره - هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من فقير الله تعالى ، الطويل أملاً ، القصير عملاً ، وأحوجهم إلى من لا مثل له في العلى شعيب الباكني القصرخي ، إلى من اتحدت حقيقته معه في جهة الوحدة الذاتية والعرضية ، وطينته في الصفات الثبوتية والسلبية ، زين أهالي البلاد ، رمد عيون الحُسَّاد والأضداد ، المرشد الكامل ، والفرد الواصل ، أخينا من صميم الفؤاد العالم الألمعي ، حسن أفندي القحي ؛ السلام عليكم ، والرحمة لديكم ، ووفّقكم الله تعالى لقطع مقامات الفناء ، ووصول درجة البقاء ، بفضل ذي العزَّة والكبرياء ، آمين .

أما بعد ؛ فاعلم أيها الأخ العزيز ، والذهب الإبريز أنه قد وصل إلينا رسالتان[1] من جنابكم العالي وطرفكم الغالي ، فبه اطمأنّ قلوبنا ، واستراح نفوسنا ، فرضي الله تعالى عنّا وعنكم وأرضاكم ، وجعل جنّة ملاقاة الله تعالى متقلّبكم ومثواكم .

ثم إعلامٌ لكم بأنّا قد ابتُلينا بمخالطة الإخوان والأضداد ، والدوران في الطول والعرض في البلاد ، فلعلّ الله تعالى يجعل عاقبة أمورنا خيراً ، ويرزق الملاقاة بالأشباح فوراً ، فإن التلاقي بالأرواح متلازمة ومتوافرة ،

=لديه . انتهى .

قال قدس سره : إني طلبت في إستانبول مَنْ يعلم المراقبات المجدِّدية فلم أجده ، حتى أنِّي طلبت في مكة فلم أجده ، ووجدته في المدينة ، لكني كنت مريضاً ، فلم يمكن لي أن أذهب لديه . انتهى .

هذا مما يجوز ، وإنما الممنوع أن يتردَّد المريد لدى هذا ولدى هذا في حالة واحدة ، كما بيَّنَّاه في « تنبيه السالكين » . والحمد لله رب العالمين . (منه رحم الله إفلاسه ، ورزقنا أنواره) .

(١) وفي نسخة : رسالات .

والالتفاتات بمعونة المشائخ العظام متظافرة ومتكاثرة ، فلعلّ الله تعالى وأولياءه لايقطعون عنّا وعنكم نظراتهم بالرحمة والشفاعة والبركة ، فإنّه تعالى على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، فلعلّكم تجتهدون لملازمة مراقباتكم ، وإرشاد الخلق إلى مواصلاتكم ، **فإنّ مواصلتكم ـ إن شاء الله تعالى ـ مواصلة إليه تعالى وقربه** ، ولا تنسونا من دعواتكم المستجابة ، والتفاتكم المتحابة ، وتلتفتون إلى إخواننا في ناحية هيد ، فلعلّهم ينتفعون بكم ، ويتقرَّبون إليه تعالى بواسطتكم ، ونحن ـ إن شاء الله تعالى ـ على قصد الارتحال إلى ولاية چار بعد أيام التشريق ، فلعلّكم تدعون لنا بهدايتنا إلى سواء الطريق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . انتهى في ليلة الأحد ٢٤ من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ انتهى . من خطّه قدس سره .

وقال ـ قدس سره ـ في مجلس الاجتماع لقراءة الصلاة على النبى عليه السلام في قرية قَوَخْشُلي : إنّه أذن لي وأجازني ، هكذا كتبه بعض العلماء الكائنين في ذلك المجلس ، وذلك قبيل موته بأيام ، نوّر الله ضريحه ، وحشرنا في زمرته .آمين .

وأما نصُّ ما كتبه العارف محمد عبده المكي(١) ؛ هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد ؛ فإنَّ أحسنَ ما يُهدى من الحرم الشريف المحترم ، وألطف ما يُسدى من الحطيم والملتزم ، سلامٌ لاح برقه من سماء البيت الحرام ، وثناء فاح عطره من جمال زمزم والمقام ، نخصُّ بذلك حضرة أخينا في

---

(١) وإيَّاك ثم إيَّاك والتوهُّم أنه محمد عبده الذي هو رئيس الوَّهابيَّة ! ! فحاشا ذلك ثم حاشا ، بل هو من أكابر علماء مكة ، ومن أهل السنَّة والجماعة . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

الله سبحانه ، والدَّال عليه ، حسن أفندي القحي الهدلي ، خليفة العالم الربَّاني ، والقطب الصمداني ، المرشد الكامل ، المرحوم المبرور ، الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي العسوي قدس الله سره العزيز ، ونوَّر ضريحه . آمين ، آمين ، آمين .

وبعد إهداء ما يليق من التحية والإكرام ، والدعاء لكم في المشاعر العظام ، قد ورد لنا في هذا العام المبارك أخونا في الله الحاج محمود بن الحاج الطدي الهدلي ، وعرَّفنا أنكم خليفة الشيخ المرشد المرحوم ، وبلَّغنا منكم السلام ، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وسألنا بلسانكم : أَهَل تأذن[1] لكم في إجازة « دلائل الخيرات » للأغيار ؟ فنعم ، إننا قد أذنَّا للمرحوم قدس سره أن يأذن لمَنْ كان أهلاً لذلك ، قراءة وإجازة بعد التصحيح والمقابلة ، وقد أذنت لكم بإذني المطلق العام من مشائخي رحمهم الله تعالى أن تأذنوا لكل مَنْ قرأ عليكم « دلائل الخيرات » ، ومَنْ كان أهلاً لذلك ، وأرجوكم أن لا تنسوني من دعائكم الصالح خلف قراءتها والذكر .

ولا يخفاكم أننا كنا معتادين في كل عام بأخذ الأبدال للحج ، وندفعها بمعرفتنا لمَنْ نعتقد دينه وأمانته ، وأنَّ ناساً كثيراً من معارفنا الصلحاء متعوِّدون بأخذها منّا ، حيث أنَّ الدالَّ على الخير كفاعله ، فأريد منكم بتوفيق الله إياكم أن تبعثوا لنا إن شاء الله في كل عام في زمن الحج ما استطعتم من الأبدال مع رجالكم الذين يأتون لأداء الفريضة ، وتوصون مَن تعرفون من رجالكم أن يأتي إلينا في باب السلام ويسأل عنَّا ، والسلام عليكم وعلى جميع المريدين ، ودمتم في مستمد الدعاء . الفقير إلى الله تعالى ، راجي غفران الذنوب والمساوي ، محمد عبده[2] بن الشيخ محمد

---

(١) وفي نسخة : أهل نأذن .

(٢) ومن عجيب كشف محمد عبده : أنه كان في رجال قرية قحه دعوى في حق=

الحضراوي ، بمكة المشرَّفة في باب السلام ، حفظه الله تعالى وحسن رعايته سنة ١٣٢٦ في يوم ١٦ من ذي الحجة ، محمد عبده ، انتهى من خطِّه قدس سره .

وقد كتبنا فيما سبق سلسلته المتصلة به رحمه الله تعالى ، وأفاض علينا من بركات أمثاله . آمين .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول : إنه طلب في مكة منْ هو الأفضل فيها ، فدلَّه الناسُ إليه ، وأشاروا أنه هو الفاضل ، وأخذ منه الإجازة لـ« دلائل الخيرات » . انتهى .

وصورة ما كتبه شيخنا قطب الإرشاد الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره في صَكِّ الإجازة هذا :

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، وعلى آله المُجتبى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله الذي خلق الإنسان لمعرفته ، وكرَّمه وخصَّه بالبيان ، ونعَّمه ، وأمره بالعبادة ، وصيَّرها أقوى وأتمَّ وسيلة القربة والمعرفة ،

=إقامة الجمعة في مسجدين في قريتيهم فطال الدعوى في سنين عديدة ، ثم أنه لما قصد أخونا الحاج العالم محمود الطدي إلى سفر الحج جاء لدي للوداع فاخبرته خبر ما قاله شيخنا العسوي في حق محمد عبده المكي ، وأوصيته بزيارته لديه وإبلاغ السلام ، فحين ذهب الحاج محمود بالوداع ، وأخذ اليد قد ظننت وقتئذ خبر الجمعة وندمت على أني نسيت أن أكتب لديه المسألة . قال الحاج محمود : إن محمد عبده قد تفحص من حالي وكتب لديّ الكتاب وسلّم إلى يده رسالة وقال : خذ هذه الرسالة لدى حسن أفندي وهي مني هديّة له ، فقال الحاج محمود : إنه نظر إلى الرسالة فوجده رسالة مؤلفة في حق الجمعة ولذا لم يرض عليها ، وخطر أن يقول له : اعط بدله كتاباً في السلوك ، بيد أنه استحى أن يقول له ذلك ، فأخذها وسلّمها إلى يدي حين رجع من سفره ، فحين نظرت إليها وجدتها رسالة كأنها صنّفت في حق عين ما وقع في قريتنا . فانظر إلى اطلاعه ما خطر في قلبي فقد صدق القائل : **قلوب العارفين لها عيون يرون ما لا يراه الناظرون** . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

وعلمها ، وبيَّن له طريق الحقِّ في مسالكه ، ويسَّره ، وأُسلِّم على شرف خلقه محمد خاتم النبيّين وإمام المرسلين ، وعلى آله وأصحابه قدوة السالكين وزبدة الواصلين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وعلى العلماء المجتهدين والأولياء المرشدين .

وبعد ؛ لا يخفى على زمرة أولي الألباب أنَّ مُناسك الشريعة المحمدية ، وسالك الطريقة الأحمدية - أعني به : **الكامل الفاضل ، العالم الحسيب النسيب ؛ حسن ابن محمد القحي** صانه الله تعالى عن مضرَّات الكونين - لما اختار العزلة عن أهل الهوى ، وقصد إلى صحبة الصلحاء والعرفاء رضاء للمولى ، فللَّه الحمد على حصول ما طلب ، وحصول ما عزب[1] ، وجهد حتى وجد ، هكذا وجد مَن جهد ، لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، قد نزل[2] إلينا ، وتبيَّن فضله لدينا ، حيث توسَّل إلينا ، واشتغل بالرياضة والعبادة والذكر والسلوك المشهور بيننا ، بعد إنابة منَّا ، ولقَّنَّاه بلفظ الجلال بترتيب اللطائف ، وعلَّمناه رسوم التفريد بالكلمة الطيبة ، وأعلنّاه مراتب التوحيد ، ووصَّيناه أركان السلوك في الطريقة ، مع إمعان النظر في ظاهر الشريعة ، وشرطنا عليه ما هو مشروط على سالك طريقتنا النقشبنديَّة العليَّة ، ورخَّصناه بالتلقين ذكرَ السلوك ، للوصول إلى ملك الملوك ، ويجعل الله تعالى جلَّ سلطانه الطالبين في أمامه كالميت بين يدي الغسَّال ، بفضله المتعال .

والشرط الأهم في وصيَّتنا الاستقامة ، ثم الاستقامة ، وترك الشغل للشغل ، وإحياء السنة واتِّباعه ، والاجتناب عن البدعة والمباح الفضول ، والله الهادي إلى الوصول ، ومنه الرشاد . وسنن التربية مشهور ، ونحن عن كتابتها معذور ، والله الهادي إلى الرُّشد وإليه المآب .

---

(١) في نسخة : ما رغب .
(٢) خبر أنَّ .

وأنا الفقير المسكين الحاج عبد الرحمن النقشبندي العسلي ، حُرِّر في سنة ١٣٢١ . انتهى من خطِّه قدس سره .

وصورة ما كتبه القطب الربَّاني سيف الله الحسيني قدس سره في صَكِّ الإجازة في الشاذلية هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ثقتي بالله تعالى ، حمداً لمن جعل الاستقامة فوق الكرامة ، وجعلها خلاصة للشريعة البيضاء ، ورأس مال للطريقة والحقيقة ، وشكراً لمن ألهمنا الوقوف على بابه ، مستنداً على عظمة ألوهيته بسعة رحمته ، بعد الاعتراف بالعجز عن أداء حمد لم تحصه ألسنة البلغاء ، وحار فيه الأنبياء والأولياء ، حتى أقرَّ أكملُ أفرادهم بعدم إحصاء الثناء .

اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت أنت[1] على نفسك ، والصلاة والسلام على أفضل حظيرة قدسك ، وعلى آله وأصحابه ، ما وصل واصل إلى مغفرتك وأنسك .

وبعد؛ فلما كانت الإجازة في طريق أهل الله تعالى وفي العلوم أيضاً الموصلة إلى الله سبحانه عز وجل من أنفع ما يكون لمن سلك تلك المسالك في الرياضات ، ودخل في جملة من سَرَتْ أسرارهم إلى حضرة الحضرات ، وخاض في عالم الملكوت ، واطَّلع على لمح من لوامح اللاهوت ، فاشتغل بذكر الملك المتعال ، وصار من أرباب الأحوال ، وسلك في سلك الذاكرين ، وعمل بمقتضى قول رب العالمين ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ** ﴾ وكان من أحبابنا مَنْ سلك هذا الطريق القويم ، ونهج المنهج الواضح المستقيم ، وشمَّر في طلب الحقِّ عن ساعد الجدِّ والاجتهاد ،

---

(١) في نسخة : كما أثنيت على نفسك .

ولازم الأخذ والتلقين عن أبطال الرجال وأكملهم ذوي البصيرة والأمداد ؛ العالم الكامل النجيب ، والناجح الفاضل الأديب ، الشيخ أبو محمد حسن الحقي بن محمد القحي الهدلي الداغستاني ، أدام الله تعالى له المدد ، وبه النفع لكل أحد . آمين .

وحين مَنَّ الله تعالى بالاجتماع به - نوَّر الله قلبه وقلبي بنور الإيمان والإحسان ، وأفاض الله عليَّ وعليه من بحار الحقائق والمعارف والإيقان - ، حمل حسن نيَّته ، وصفاء طويّته ، على أن يستنير هداه بما عند العبد الحقير الذي ليس في العير ولا النفير ، لاستنشاق سرِّه الصافي السديد من كل حسنٍ وكمالٍ بلا ريٍّ بقوله هل من مزيد . **فاستدللت بذلك بعد الاستخارة المعهودة من السادات الصافية على كماله ، واعتنائه بضمّ** ما عند غيره إليه واحتفاله ، لينتظم أيضاً في سلك ساداتنا الأفاضل ، ويتصل سنده ونسبه المعنوي من أكثر الجهات إلى سيّد الأواخر والأوائل ، فأَسْعَفْتُهُ بما عندي رجاء للنفع العام ، ورجاءَ الدعوة لي منه بالتوفيق وحسن الختام ، **فأجزته بفضل الله سبحانه وتعالى بالطريقة العلية الشاذلية المدنية** قدس الله أسرار أهاليها ، ونفعنا بخلّص ساداتها .

وبعد أن علمتُ أمانته وصلاحيته في باقي الطرق التي ائتمنوه السادات ، وأجازوه[1] القادات ، بناء على حسن ظنِّنا إليه ، والله علاّم الغيوب ، وستّار العيوب ، وأذنتُ له بجميع ما أجازني بها مشائخنا - قدس الله أسرارهم ، وأعلى الله درجاتهم - من قراءة الوظائف الشاذلية صباحاً ومساء ، التي أوَّلُها الصلاة المشيشية الممزوجة ، وفي قراءة الورد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد الصلاة المغرب إذ هو (لا إله إلا الله) عدد ١٠٠ ، (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) عدد ١٠٠ ، (والصلاة) عدد ١٠٠ ،

(١) لعله من قبيل ؛ قتلوني البراغيث ، فافهم .(هامش الأصل) .

والمداومة على ذكر الله تعالى حتى يكون له كالغذاء ، وعلى الطهارة الحِسِّيَّة والمعنوية ، والعفو عن الأُمَّة المحمدية .

وأساس ذلك كله تقوى الله تعالى ، ومراقبته في السّرّ والعلانية ، كما تلقيت ذلك كذلك من السادات أرباب الأحوال العاليات كشيخنا العالم المتبحِّر الأوَّاه أبي إبراهيم محمد صالح الأجُويّ الكرمانخاني ، والعارف بالله تعالى محدِّث الروضة النبويّة في المدينة المنوَّرة ، ذي الجناحين ، سيدي السيِّد محمد علي ظاهر الوتري الحسيني ، وهو عن الزاهد أيضاً المغني عن بيان صفة شهرته لدى الأهل الشيخ سيدي حبيب الرحمن الكاذمي الرَضوي ، إلى منبع[١] السلسلة الشاذليّة المذكورة من قبل[٢] .

وقد أجزت الكامل المُومَى إليه بأنْ يجيز بذلك كلَّ مَنْ رأى فيه أهلية الفيض الإلهي إجازة تامَّة ، مطلقة عامة ، في حياتي وبعد مماتي ، ولا ينساني من صالح دعائه عقب الورد ، وفَّقني الله وإيَّاه لما يحبُّه و يرضاه . . . إلخ .

قاله بفمه ، ورقمه بقلمه ، العُبَيدُ الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، خادم الفقراء وأقلُّهم ، أبو أرسلان خالد سيف الله الشّاذلي النقشبندي الخالدي الأويسي القادري ابن حسين بن الحاج موسى الكاظم بن الموفق المجاهد صاحب المزار غازي بشلاري العلوي النژبكري الداغستاني من داخل غازي غموق ، عفا الله عنهم العافي ، وسامحه[٣] من فرطاتهم ، آمين . سنة ألف وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين في ٢٨ شهر رجب المرجَّب . انتهى من خطِّه اختصاراً من مواضع .

---

(١) صلى الله عليه وسلم . (هامش الأصل) .

(٢) أي : في نظم العالم غازي محمد العوري (رحمه الله) . (هامش الأصل) .

(٣) في نسخة : وسامحهم ، وفي نسخة : وسامحه من فرطاته .

وكتب في أثناء مكتوب آخر بما نصُّه : فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمينٌ ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، **فيدك يدي** ، **وأمرك أمري** ، **وأنت خليفتي في حياتي وموتي** ، وأرجو منك تقوى الله وإطاعته ، ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، انتهى من خطِّه قدس سره .

وكتب في مكتوب آخر ما نَصُّه : لما حسن ظن الفقير فيك ، وكنتَ مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ، ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أمانتي ، لعلم علَّمني ربِّي ، بإذن من رسول الله ﷺ .انتهى من خَطِّه .

وكتب أيضاً ما نَصُّه : فيَدُك يدي ، وقبولك قبولي ، والحقُّ دليلي ودليلك ، فأمضِ ما رأيت ، فأنت أمين الطريقة إن شاء الله تعالى ، أبيض العقيدة والغرَّة ، مبارك الناصية ، سعيد الطلعة . انتهى من خطِّه قدس سره .

وهكذا كان مشائخنا يكتبون لدى هذا الحقير الأقلِّ من كلّ قليل ، الخائف من المكر والاستدراج ، ويدارونه ويلاطفونه ويحبُّونه ، وإن كان لائقاً أن لا يذكروه بلفظ ، أو ينظروا إليه بلَحْظ ، فضلاً أن يصاحبوه أو يقبلوه ، أو يكونوا يجيزونه ، ويأذنونه ، بيد أن الله كريم ، وليس كرمه مخصوصاً بمَنْ أطاعه وأقبل عليه ، بل هو مبذول لمن شاء من خلقه ، وإن عصى وخالف ، نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من فضله .

وأما نَصُّ ما أجازه قدس سره لهذا الفقير الذي أجازه شيخه زين الله قدس سره من جهة أخرى غير ما مر في الثبت[1] المذكور ، فصورته

---

(١) ثبت : بالتحريك ، وبالسكون ، بمعنى ثقة ، يعني ما ثبت به المحدِّث مسموعه .

قال السخاوي : ثبْت بسكون الموحّدة ، الثابت القلب واللسان ، والكتاب ، والحجة ، وأما بالفتح ؛ فما يثبت فيه المحدِّث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه ، لأنه كالحجَّة عند الشخص لسماعه وسماع غيره على القارىء « تحفة الفكر » . من خطِّ المؤلف ، وهو من خطِّ سيف الله ، وهو من خطِّ زين الله . قدس الله أسرارهم . آمين=

هكذا : ثبت أحمد بن سليمان الطرابلسي مختصر ثبت ابن عابدين من خطِّ زين الله قدس سره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حمداً لواصل المنقطعين إليه برحمته ، والرافع على السوى خَدَمة أحاديث نبيّه وشريعته ، وخصَّهم بغاية إمداده ، وأفاض عليهم بركات برِّه وإسعاده ، وأرسل عليهم رحمته مسلسلة وخطبهم بخطابه ، وأسند إليهم خشيته في عزيز كتابه ، وصلاة وسلاماً على نبيِّنا محمد المصطفى سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فَمِنْ شَرَف هذه الأمّة الإسناد ، وسلوك الطريقة والإرشاد ، وذلك من عهد[1] المصطفى الجليل جيلاً بعد جيل[2] .

وقال بعض الفضلاء : الأسانيد أنساب الكتب ، ومَنْ لا سند له فهو لقيط .

هذا ؛ ثم إنَّ العبد الفقير ؛ بل العارف الشهير ، ذو المقامات العليَّة ؛ الشيخ أحمد بن سليمان الحسني[3] الطرابلسي قد أكرمه الحقُّ سبحانه وتعالى ، وأغدق[4] عليه نعمه وإحسانه ، وأوصل خيره العميم إليه ، وضاعف برَّه عليه ، حيث وفقه للاشتغال بأشرف الطاعات ، واستعمله في أعظم العبادات ، وهو طلب العلم الشريف ، إذ به يتميز الإنسان بين

=وثبت الجنان : أي ثابت القلب . والاسم : ثَبَت بفتحتين ، ومنه قيل للحُجَّة ثبت ، ورجل ثَبَت - بفتحتين - إذا كان عدلاً ضابطاً . والجمع أثبات ، مثل : سبب أسباب « مصباح » .

ورجل ثبْت - بالسكون - : متثبِّت في أموره . (منه) .

(١) في نسخة بدون عهد .

(٢) أي : صنف (مختار) .

(٣) وفي نسخة : حسيني .

(٤) الماء الغَدَق - بفتحتين - : الكثير وقد غدقت عين الماء أي : غزرت . « مختار » .

أهل التكليف ، وينال الفضل والتشريف ، إذا كان خالصاً لوجه الملك اللطيف ، سيّما من السمعة والرياء القبيح ، وإلا كان وبالاً لصاحبه على القول الصحيح ، جعلنا الله تعالى ممن عمل بمرضاته ، وسعى في صلاح[1] نفسه ليسلم في حياته ومماته ، وجعل سعينا مشكوراً ، وعملنا مَبْرُوراً ، إنّه على كل شيء قدير ، يغفر الذنوب ويعفو عن التقصير .

وكان من أعظم نعم القدير وتيسيره للخير الكثير ، أن أرشدني لأخذ العلم عن علماء عاملين .

فمن أجلِّهم : من أخذتُ عنه العلم والطريقة والدين ، فهو قطب المرشدين ، مُرَبّي السالكين جامع الكمالات الصورية والمعنوية ؛ ذو الجناحين مولانا ومرشدنا صاحب الفيوضات ، سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستانبولي قدس سره العلي ، وهو أخذ عن صاحب الأحوال والمقامات ومعدن الأسرار والفيوضات ذو الجناحين أحمد بن سليمان الطرابلسي النقشبندي الخالدي قدس سره ، وهو أخذ عن قطب العارفين مُرَبِّي المريدين ، مرشد الأصاغر والأكابر ، الذي لا تسع مزاياه وفضائله بطونُ الدفاتر ، من إحياء ما اندرس من علوم الشريعة ، وأظهر ما بطن من معارف الحقيقة ، العالم العامل ، والموصل الواصل ، ذو القرب من حضرة الحق والتداني سيدي الشيخ خالد النقشبندي المجدِّد العثماني ، الملقَّب بضياء الدين ، عليه الرحمة والرضا من رب العالمين .

ومنهم : القطب العارف ، صاحب الفضائل واللطائف ، علاَّمة العصر ، ومرشد إقليم مصر ، ذو الدمع[2] الطليق ، صاحب الفيض والتحقيق ، مربِّي المريدين ، وموصل السالكين ، الذي لذوي القلوب

---

(١) وفي نسخة : في إصلاح .
(٢) وفي نسخة : ذو الدفع .

يداوي ، سيدي الشيخ أحمد الخلوتي النقشبندي الصاوي .

ومنهم : العلاَّمة النحرير ، والمحدِّث الشهير ، رئيس العلماء المصريين ، قامع أهل البدعة المخالفين ، مَن دام في مراقبة المتعالي ، سيدي الشيخ محمد .

ومنهم : الوليُّ بلا نزاع ، والعالم الورع ذو الفضل والارتفاع ، مَن لم يزل في مرضاة ربه ساري ، سيدي الشيخ علي البخاري .

ومنهم : العلاَّمة المفيد ، صاحب التحريرات والقول السديد ، الذي كان ساعياً في إصلاح أموري ، سيدي الشيخ إبراهيم الباجوري .

ومنهم : الوليُّ مَنْ قرَّبه مولاه ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، سيدي الشيخ فتح الله .

ومنهم : العلاّمة النِحرير ، والفاضل الخبير ، الذي يجعل المعنوي الصوري ، السيد عبد الرحمن المنصوري .

ومنهم : العلامة النِحرير ، والذاكر المذكِّر ، من لم يزل في الكمالات راقي ، الشيخ مصطفى البولاقي .

ومنهم : العالم الفاضل ذو الناموس الإلهي ، سيدي الشيخ أحمد طموسي

ومنهم : العلامة الماهر صاحب الكمالات والمفاخر ، مَن لم يزل في كل خير مساعدي ، سيدي الشيخ مصطفى الأحمدي .

ومنهم : العلامة العالم في المعقولات والمنقولات ، صاحب المفاخر والكمالات ، مَن لم يزل الحضرةَ داني ، سيدي الشيخ حسن البلتاني[1] .

---

(١) في نسخة : بلقاني .

ومنهم : العلامة المحدِّث الذي تمت [به] شؤوني ، سيدي العارف الشيخ عبد الرحمن الأشموني .

ومنهم : شمس المعارف ومنبع اللطائف ، حامل لواء الشريعة الغرَّاء ، صاحب « التنقيح » و« ردّ المختار » ، ومن هو شامة الشام بلا إنكار ، سيدي شمس الملَّة والدين ، الشيخ محمد بن العابدين .

منهم : قدوة المحدِّثين في الديار الشامية ، من ترقى إلى أسنى رتبة سنية ، ذو الفيض الأنوري ، مولانا الشيخ عبد الرحمن الكزبري[١] .

ومنهم : العلامة الكامل ، ذو المعروف الشامل ، صاحب المعارف والأسرار ، سيدي الشيخ حامد العطار .

ومنهم : العالم الكامل المستغرق في حضرة المعيد المبدي ، الشيخ محمد أفندي الرومي النقشبندي .

ومنهم : المرشد الملك[٢] ، العلامة شمس الفضل ، الذي لشأننا كشافة ، صاحب الفيوضات والإرشادات والمعاني ، سيدي الشيخ حسين الدجاني .

ومنهم : شيخ الإسلام ، ونافع الأنام ، ذو العلوم الفائضة البهية ، مفتي الديار المصرية ، من كان في العلوم النافعة دليلي ، سيدي الشيخ أحمد الخليلي .

ومنهم : العالم العامل ، والناسك الفاضل ، المفتي الشهباض[٣] المجدي سيدي الشيخ عبد الرحمن أفندي بن حسين أفندي .

---

(١) أي : الصغير ، أما عبد الرحمن الكبير فهو جدُّه . (هامش الاصل) .

(٢) وفي نسخة : الكامل .

(٣) في نسخة : شهبا من له المجدي .

ومنهم : العالم العلامة المفيد ، والخبير الفريد ، المتقن المحقق ، والبحر العذب المدقق ، السيد عمر أفندي الفيضي .

ومنهم : العالم المتقن ، واللوذعي[١] الفطن ، الشيخ مصطفى ابن العلامة المقري ، الشيخ عبد الكريم البدري .

ومنهم : الولي العالم ذو المدد ، سيدي الشيخ أحمد .

فهذا ما حضرني الآن من ذكر أشياخي ذوي الإتقان ، من العلماء المصريين ، المحدثين الفضلاء الشاميين ، ونحوهم من العلماء العاملين ، الذين هم من جهات مختلفة ، وأردت أن أذكر بعد الذين أخذت عنهم الطرق من الصالحين ذوي المعرفة من الذين ربوني في صغري من الأولياء الأميين المجذوبين ، وكانوا في بلاد شتى متفرقين ، وأذكر بعضهم تبركاً بهم :

ومنهم : صاحب الكرامات والمكارم ، سيدي الشيخ سالم .

ومنهم : ذي الأيادي ، من رباني من مصر وأنا في بلادي ، سيدي الشيخ عمر البغدادي .

ومنهم : المستغرق الوالي ، سيدي الشيخ علي .

ومنهم : نسل الأولياء ، من استمد بفيضه القريب والنائي ، سيدي الشيخ العلي الوفائي .

ومنهم : صاحب الإحسان ، سيدي الشيخ عثمان .

ومنهم : سيدي الشيخ خالد الصعيدي .

نفعنا الله تعالى بروحانيتهم الطاهرة ، في الدنيا والآخرة ، وحشرني

---

(١) واللوذعي – الزكي والظريف . (هامش الأصل) .

معهم أجمعين ، تحت لواء المصطفى سيد المرسلين ﷺ .

المسلسلات الأوليات

وهذا أوان الشروع في الكلام ، مستعيناً بالملك القدوس السلام :

اعلم أن أصحاب الأثبات ، من المتقدمين والمتأخرين السادات ، قدموا في أثباتهم ذكر حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، فقدمته اقتداء بهؤلاء السادات العلية ، ولنُكَتٍ[١] يطول عدها .

منها[٢] : أن الحق سبحانه وتعالى المتين ، خاطب رسوله المصطفى الأمين ، بقوله عز من قائل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ فخلق الحق تعالى نور نبينا المصطفى ﷺ من نوره سبحانه وتعالى قبل جميع الكائنات ، وخلق منه جميع الموجودات ، فكان أول سلسلة المحدثات ، فناسبه أن يكون حديث الرحمة العام ، المتعلق بمن في الأرض من جميع الأنام ، أول الأحاديث المسلسلة المتصلة بنبينا عليه الصلاة والسلام ، وللحديث القدسي في قول الحق تعالى « سبقت رحمتي غضبي » .

وفي رواية الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أول شيء خطه الله تعالى في الكتاب : إنني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فله الجنة » .

وحديث الرحمة هو المسلسل بقول كل راو : حدثنا فيه فلان ، وهو أوّل حديث سمعته منه . وإسنادي فيه متصل إلى بعض أشياخي المتقدم ذكرهم من أصحاب الأثبات ، إلى عبد الله بن عمرو العاص أن المصطفى ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا

---

(١) و هذه النكت مذكورة في ثبت ابن عابدين (من خط زين الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(٢) أي من النكت .

من في الأرض ، يرحمكم من في السماء » . وقد أخذت هذا الحديث الشريف عن مشائخ كثيرة ممن تقدم ذكرهم من العلماء الصالحين ، كما هو سند بأثباتهم التي لي الإجازة بها منهم فلله الحمد أولاً وآخراً .

وأذكر بعضها تبركاً :

وأذكر أولاً : **أثبات أشياخنا المصريين** نفعنا الله تعالى بهم أجمعين .

منها : ثبت شيخنا الشيخ أحمد التميمي ، وثبت شيخنا الشيخ منصور اليافي[1] ، وثبت شيخنا الشيخ السيد الطحطاوي .

وأثبات مشائخ مشائخنا :

منها : ثبت شمس الدين محمد البدري ، وثبت الشيخ سالم بن عبد الله البصري ، وثبت الشيخ محمد الأمير ، وثبت السيد الشيخ مرتضى .

وأما أثبات مشائخنا الشاميين :

فمنها ثبت شيخنا الشيخ محمد أمين بن عمر العابدين وثبت شيخنا الشيخ الكزبري ، وثبت شيخنا الشيخ العطار .

وأثبات مشائخ مشائخنا منه[2] : وثبت العارف الشيخ عبد الغني النابلسي ، وثبت الشيخ محمد بن علي الكامل ، وثبت الشيخ إسماعيل بن محمد الجراحي الشهير بالعجلوني ، وثبت الشيخ الجينيني وغيرهم من جميع من له ثبت ، إلى حضرة المصطفى ﷺ أفضل أصل وفرع ثبت فللّه الحمد والمنة ، أسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا معهم في الجنة .

وحيث أنني بنيت ثبتي هذا على الاختصار ، فأذكر فيه الكتب محذوفة الأسانيد إلى مؤلفيها ، وكذا الأخبار ، فمن أراد معرفة أسانيدها

---

(١) وفي نسخة : البالقي .
(٢) وفي نسخة : بدون هذا اللفظ .

فليراجع الأثبات الثلاثة التي لمشائخنا الشاميين الأخيار : محمد بن عابدين ، والكزبري ، والعطار .

ثم أردفت حديث الرحمة بأربعة أحاديث مروية عن الخلفاء الأربعة رضي عنهم ربّ البرية :

الأول : كما في « الجامع الصغير » عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :« شيبتني سورة هود وأخواتها قبل المشيب » .

الثاني : كما في البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ! فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

الثالث : كما في صحيح الحاكم عن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض » .

ثم أتبعت ذلك بالأربعين حديث المسلسلة بالسادات والأشراف ، المتصلة إلى سيدي الإمام حسين الشهيد ، عن أبيه الأسد الفريد .

قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس الخبر كالمعاينة » .

وبهذا الإسناد قال : « الحرب خدعة » .

وبه : « المسلم مرآة المسلم » .

وبه : « المستشار مؤتمن » .

وبه : « الدال على الخير كفاعله » .

وبه : « استعينوا على الحوائج بالكتمان » .

وبه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وبه : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

وبه : « الحياء خير كله » .

وبه : « عِدَة المؤمن كأخذ الكف » .

وبه : « لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » .

وبه : « ليس منا من غشنا » .

وبه : « ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى » .

وبه : « الراجع في هبته كالراجع في قيئه » .

وبه : « البلاء موكل بالمنطق » .

وبه : « الناس كأسنان المشط » .

وبه : « الغنى غنى النفس » .

وبه : « السعيد من وعظ بغيره » .

وبه : « إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا » .

وبه : « عفو الملوك إبقاء للملك » .

وبه : « المرأ مع من أحب » .

وبه : « ما هلك امرؤ عرف قدره » .

وبه : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » .

وبه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

وبه : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وبه : « حبك للشيء يعمي ويصم » .

وبه : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » .

وبه : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

وبه : « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » .

وبه : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » .

وبه : « اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » .

وبه : « من قتل دون ماله[1] فهو شهيد » .

وبه : « الأعمال بالنية » .

وبه : « سيد القوم خادمهم » .

وبه : « خير الأمور أوسطها » .

وبه : « اللهم بارك لأمتي في بكورات يوم الخميس » .

وبه : « كاد الفقر أن يكون كفراً » .

وبه : « السفر قطعة من العذاب » .

وبه : « المجالس بالأمانة » .

وبه : « خير الزاد التقوى » .

فهذه أربعون حديثاً من كلام رسول الملك الظاهر عليها أنوار لوائح

---

(١) دون ماله – أي لأجل ماله . (من خط زين الله قدس سره) .

القبول والصدق .

ثم أذكر بعدها مسانيد الأئمة الأربعة :

« المسند » للإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت المكرم .

المسند المسمى بـ« الموطأ » للإمام مالك ، السالك أحسن المسالك .

« المسند » للإمام الشافعي محمد بن إدريس ، صاحب العلم النفيس .

« المسند » للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، العامل بسنة من ليس له في الحسن ثاني .

ثم أذكر بعدها **المسانيد الصحيحة الستة :**

« المسند » للبخاري محمد بن إسماعيل ، خادم سنة رسول الملك الجليل .

« المسند » لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .

« المسند » لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي السجستاني .

« المسند » لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

« المسند » لأبي عبد الرحمن أحمد شعيب بن علي النسائي .

« المسند » لأبي عبد الله بن يزيد المعروف بابن ماجه .

ثم أذكر بعدها كتب الحديث وغيرها التي اتصل سندي بها : « المعجم الكبير » ، « المعجم الأوسط » ، « المعجم الصغير » لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، « مسند » الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي ، « مسند » أبي داود أيضاً ، « مسند » عبد بن حميد بن نصر

الكسي ، « الحلية » لأبي نعيم ، « مسند الفردوس » للديلمي ، « صحيح أبي حاتم » محمد بن حبان التميمي ، « سنن الدارقطني » ، « المسند » للحاكم أبي عبد الله محمد النيسابوري ، « مشكاة المصابيح » لأبي عبد الله محمد بن عبد الخطيب التبريزي ، « الشمائل » لأبي عيسى الترمذي ، « الشفا » للقاضي عياض بن موسى ، كتاب « إحياء علوم الدين » لأبي حامد محمد الغزالي ، وجميع تأليفاته ، « الفتوحات المكية » لختم الولاية المحمدية لسيدي الشيخ الأكبر محيي الدين ، القطب الأفخر ، وجميع تأليفاته ، « شرح متن الغاية » للقطب الغوث الفرد ذي العز والشرف والمجد ، صاحب السر المحمدي ، السيد أحمد البدوي ، وجميع تأليفاته ، « وصايا » سيدي صاحب العلمين الطائر بالجناحين ، قطب الأقطاب في المشرقين والمغربين ، العالم الأكبر سيدي عبد القادر بن صالح الكيلاني ، صاحب الإشارات والمعاني ، وجميع تأليفاته ، « وصايا » سيدي الذي طاب به مشربي في صباحي وعبوقي ، القطب الجليل سيدي إبراهيم الدسوقي ، « الأحزاب » لسيدي أبي الحسن الشاذلي ، وجميع تأليفاته ، « إسقاط التدبير » لسيدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري ، وجميع تأليفاته ، « شروح الحكم » لابن عباد وغيره وخلافه ، « منازل السائرين » لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري ، وجميع تصانيفه ، « عوارف المعارف » لشهاب الدين السهروردي ، و« قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، « الأذكار » و« رياض الصالحين » و« الأربعون » لسيدي الشيخ النووي ، وجميع مؤلفاته ، « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لسيدي أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، وجميع تأليفاته ، « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » لسيدي محمود بن محمد العيني وجميع تأليفاته ، « الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري » لسيدي محمود بن يوسف بن محمد الكرماني ، « إرشاد الساري شرح صحيح البخاري » ، و« المواهب

اللدنية » لسيد أحمد بن العسقلاني ، وجميع مصنفاته ، شرحه للبراوي المسمى بـ« اللامع الصبيح تعليق المصابيح على الجامع الصحيح » للدماميني ، وجميع تأليفاته ، شرحه للنووي وشرح مسلم له ، « منحة الباري » لشيخ الإسلام ، شرحه للسيوطي المسمّى بـ« التوشيح » ، شرحه « التنقيح » للزركشي ، وسائر تأليفاته ، شرحه « التوضيح » لابن مالك وجميع مصنفاته ، شرحه « الجاري » للعجلوني ، « إضاءة الدراري » للشهاب أحمد ، وجميع مصنفاته ، « علوم الحديث » لابن الصلاح ، وجميع تأليفاته ، و« ألفية الحديث » للعراقي ، وتأليفاته ، « الجامع الكبير » و« الجامع الصغير » للسيوطي ، وجميع تأليفاته تفسير البغوي المسمى بـ« معالم التنزيل » ، « تفسير الفخر الرازي » ، وسائر مصنفاته ، « تفسير البيضاوي » وجميع مصنفاته ، « تفسير الزمخشري » وتأليفاته ، « تفسير الجلالين » المحلي والسيوطي ، و« الدرر المنثور » للسيوطي ، تفسير شيخ الإسلام أبي السعود ، تفسير الخطيب التبريزي ، وسائر مصنفاته ، « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير ، « الصحاح » للجوهري ، « القاموس » لمجد الدين الفيروزآبادي ، « حياة الحيوان » للدميري ، وجميع تأليفاته ، « كتاب سيبويه » ، « الآجرومية » وشروحها ، « الألفية » وشروحها ، « المغني » وشروحه ، « المفتاح » للسكاكي ، « تلخيص المفتاح » ، و« الإيضاح » للخطيب القزويني ، « مقامات الحريري » وجميع تصانيفه ، « الشاطبية » للشاطبي ، تصانيف عبد الوهاب الشعراني ، وتصانيف نجم الدين الغيطي ، تصانيف ابن حجر المكي ، تصانيف الرملي ، تصانيف السبكي ، تصانيف منلا علي القاري ، تصانيف الشهاب الخفاجي ، تصانيف زين الدين بن نجيم مصنف « البحر الرائق » ، تصانيف أخيه الشيخ عمر ، مصنفات الشرنبلالي ، مصنفات التمرتاشي ، مصنفات خير الدين الرملي ، مصنفات الحصكفي ، مصنفات اللقاني ، مصنفات

المناوي ، مصنفات الحلبي ، مصنفات ابن مالك ، مصنفات ابن هشام ، مصنفات ابن عقيل ، مصنفات الشيخ خالد الأزميري ، مصنفات السيد الشريف ، مصنفات السعد التفتازاني ، مصنفات عصام الدين ، مصنفات منلا جامي ، مصنفات العضد ، مصنفات صدر الشريعة ، مصنفات منلا خسرو ، مصنفات المرغيناني ، شروح « الهداية » للسغناقي ، والسروجي والقرشي[1] ، وغيرها ، مصنفات قاضي خان ، وأ حمد بن علي الساعاتي ، وأبي البقاء ، ومجد الدين الموصلي ، وجمال الدين الموصلي ، وأكمل الدين الرومي ، مصنفات كمال الدين بن الهمام ، مصنفات عبد الله بن أحمد النسفي ، وبرهان الدين بن محمد النسفي ، وأحمد بن عمر النسفي[2] ، وعمر النسفي ، وميمون بن محمد النسفي ، مصنفات القدوري ، مصنفات الماتريدي ، والأشعري .

ثم لما ذكرت مصنفات مشائخ مشائخنا بحسب الإمكان ، أذكر مؤلفات مشائخنا لك الآن : مؤلفات شيخنا الشيخ خالد العثماني النقشبندي المجددي - قدس سره - ، ومؤلفات شيخنا الشيخ أحمد الصاوي - رحمه الله تعالى- ، مؤلفات شيخنا الشيخ محمد الفضالي ، مؤلفات شيخنا الشيخ علي البخاري ، مؤلفات شيخنا الشيخ إبراهيم الباجوري ،مؤلفات شيخنا الأمين الشيخ محمد بن عمر عابدين ، تأليفات شيخنا الشيخ حسين قرة العين ، تأليفات مشائخنا : الكزبري ، والعطار ، والتميمي ، والغيطي ، وجميع من ذكر في هذا الثبت . ثم أذكر الأحاديث التي اعتنت بها أصحاب الأثبات منها :

المسلسل بالأئمة المصريين كما في ثبت شيخنا الشيخ محمد بن عابدين بسنده فيه إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما

---

(١) مخرج أحاديث الهداية أي النهاية . (هامش الأصل) .

(٢) مفتي الثقلين .

- قال : قال رسول الله ﷺ « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فنشر له تسعة وتسعون سجلاًّ ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول الله تعالى : أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول الله سبحانه : ألك عذر أو حسنة ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول عزّ وجل : بلى ؛ إنّ لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج الله تعالى له بطاقة[1] فيها « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله » فيقول : يا ربّ ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : يا رب ، إنك لا تظلم . فتوضع تلك السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت[2] السجلات وثقلت البطاقة » .

ومنها المسلسل بالأئمة الشاميين كما في ثبت شيخنا الكزبري الأمين . بسنده فيه إلى أبي ذرّ - رضي الله عنه - عن المصطفى ، فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي ؛ إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا ، يا عبادي ؛ كلكم ضالّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ؛ كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ؛ كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ؛ إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ؛ إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك

---

(١) البطاقة - ككتابة : الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشدّ بطاقةٍ من هرب الثوب (قموس) . (هامش الأصل) .
(٢) الطيش - الخفة (قموس) .(هامش الأصل) .

مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا دخل البحر ، يا عبادي ؛ إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

ومنها المسلسل بالأئمة الحنفية : وسنده في ثبت شيخنا الشيخ محمد بن عابدين إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى إلى صاحبها بتقوى الله في نفسه خاصة ، وأوصى بمن معه من المسلمين خيراً ثم يقول : « اغزوا باسم الله ، قاتلوا من كفر الإسلام ، فإن أسلموا فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم ، وأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ، فإن فعلوا فاقبلوا ذلك منهم وكفوا عنهم ، . . . . . » وتمامه فيه .

ومنها المسلسل بالمصافحة : فقد صافحت كثيراً من أشياخنا المتقدِّم ذكرهم ، ولي بهم طرق كثيرة ، منها : إنه صافحنا شيخنا العلاَّمة الشريف عمر أفندي الفيضي ، وروى حديث المصافحة بالسند المتصل في ثبت شيخ مشائخنا السيد محمد مرتضى ، إلى المعمر أبي العباس المَلثم ، وهو عن السيد أحمد البدوي[1] ، قال : صافحني رسول الله ﷺ وقال : « من صافحني ، أو صافح مَن صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة » .

ومنها المسلسل بالمشابكة ، وكل راوٍ يقول : شبك بيدي ، ولي فيه طرق كثيرة ، منها شيخنا المذكور ، فقد شبك بيدي ، وسنده بالثّبت المزبور متصل إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : شبك أبو القاسم ﷺ وقال : « خلق الله الخلق يوم السبت[2] ، والجبال يوم الأحد ، والشجر

---

(١) مناقب السيد أحمد البدوي : ومناقب السيد أبي العباس الملثَّم ، مذكورة في « طبقات » الشعراني . (من خط سيف الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(٢) وتحقيق هذه المسألة مذكور في « روح البيان » في سورة يونس . (من خط زين

يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم عليه السلام يوم الجمعة » .

وله طريق ثاني إلى المصطفى ﷺ من طريق الروحانية ، عن شيخنا المذكور بالسند المزبور ، إلى أبي الحسن علي الباغزاري ، قال : رأيت رسول الله ﷺ في النوم وشبك أصابعه بأصابعي ، وقال : « يا علي ؛ شابكني ، فمن شابكني دخل الجنة » . وما زال بعدُ (أي يكرر هذا القول تأكيداً) حتى وصل إلى سبعة فاستيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله ﷺ .

ومنها : **المسلسل بمناوَلة السُّبحة** ، ناولني إيَّاها شيخنا المذكور ، وذكر سندها بالثبت المزبور ، وكل واحد يقول : رأيت سيدي فلان وفي يده سبحة ، إلى الأستاذ عمر المكي قال : رأيت أستاذي الحسن البصري(١) وفي يده سبحة ، فقلت : يا أستاذي ؛ مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال : **هذا شيء كُنَّا استعملناه في البدايات ، ما كنا نتركه في النهايات!** أنا أحبُّ ذكر الله في قلبي وبيدي وبلساني .

ومنها : المسلسل بتلقين كلمة (لا إله إلا الله) ، فقد تلقَّنت هذه الكلمة الطيبة التي هي ﴿ **كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ عن مشائخ كثيرين ، ولي فيها أسانيد كثيرة ، وأول من تلقَّنها من المصطفى ﷺ حضرة الإمام علي كرَّم الله وجهه

الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(١) وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني : إن بداية الحسن إنما كانت في زمانهم يعني الصحابة ، فقد رأى عثمان وعليّاً وطلحة ، وكان في يوم بدر ابن أربع عشرة سنة ، وروى عن خلق كثير من الصحابة . فراجعه من الحديث التاسع المسلسل بمناولة السبحة في ٢٢ . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

بنسبة الطريق ، وقال : يا رسول الله ؛ دلَّني على أقرب الطرق إلى الله ، وأسهلها عليَّ عبادة . فقال رسول الله ﷺ : « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » . فقال عليّ كرَّم الله وجهه : كيف أذكر يا رسول الله ؟ قال المصطفى ﷺ : « غمِّض عينيك واسمع مني » . ثلاث مرات ، فقال ﷺ : (لا إله إلا الله) ثلاثاً وعلي يسمع ، ثم قال علي : (لا إله إلا الله) ثلاثاً ، والمصطفى يسمع .

وآخر مَن تلقَّنها عنه من المشائخ حضرة العالم العامل ، والورع العابد الكامل ، الشريف عمر الفيضي ، وسندي بها يتصل عنه ، كما هو مقرر في ثبت الشيخ محمد مرتضى ، بسنده إلى سيدنا علي رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه .

ولي الإجازة في المذاهب الأربعة كذا ، ولو ذكرت أسانيد الأحاديث والعلوم والمذاهب والطرق وما بها من الإجازات لاحتاج في كتابتها إلى مجلدات ، وحيث مالت النفوس إلى المختصرات اختصرت هذا الثبت غاية الاختصار .

وذكرت سندي المتصل بالفقه بالشيخ محمد بن عابدين ، نظماً مختصراً مع التبيين ، وابتدأت جميع هذه الإسنادات بذكر المصطفى سيد السادات ، وقدمت سند الفقه فقلت :

المصطفى وابن مسعود وعلقمة ... نخعي وحَمَّاد هذا ثم نعمان
محمَّد وأبو حفص وعدّهم ... السبذموني البخاري فيه إحسان
أبو علي ثم حلواني كذا سرخسي ... وقل البزوري المرغيناني[1] ذاك برهان

(١) أي صاحب « الهداية » وهو أخذ عن أحمد بن عمر النسفي ، وهو أخذ عن أبيه عمر النسفي مفتي الثقلين ، وهو أخذ عن فخر الإسلام . (منه) .

الكزبري النسفي عبد العـزيز كـذا   جـلال الدين وسيراجي عمر عانو
ابن الهمام وعبد البر وابن الشلـبي[1]   وصــاحـب الـبحر والتنوير قد دانوا
عبد الغفـار ثــم الكتبــي كــذا   جَــيَنْتــي بــعلي محمد أحمد بانوا

حرَّر هذا الثبت الشيخ الكامل المكمل ذو الجناحين أحمد بن سليمان الطرابلسي النقشبندي الخالدي قدس الله سره ، وأجاز بما في هذا الثبت الشيخ العارف أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره في سنة ١٢٦٨ في إحدى وعشرين خلت من شهر صفر في يوم السبت .

وإنَّ هذا المجاز الشيخ العاكف ، والوليَّ العارف ، جامع الكمالات والفيوضات أحمد ضياء الدين المذكور ، أجاز الكامل المتَّقي المحقِّق جامع القطبتين ذو الجناحين[2] ، أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله ابن حبيب الله بن رسول بن موسى المعموري النقشبندي الخالدي المجدِّدي على أسوة المشائخ السابقين ، بإشارة روحانية من الكُمَّل ، برؤية استقامته وكماله في العلوم الظاهرة والباطنة ، وفَّقه الله تعالى لحوز هدايات وفيوضات وبركات السابقين ، وجعله الله تعالى رحلة للأبدال والصالحين ، ومأوى للعارفين .

وإنَّ هذا المجاز الموفَّق ، جامع القطبتين ، أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله المذكور أجاز الفقير مير سيف الله الحسيني ، سليل بشلار[3] النزبكري الغازي غموقي ، كما أجازه في باقي المرويات والطرق والعلوم على أسوة المشائخ السابقين ، جعله الله من المؤيَّدين بالتوفيق على

(١) وفي نسخة : الشبلي .
(٢) أي : وهو ذو الجناحين . فافهم .
(٣) وهو المجاهد الفاضل والأسد الباسل المشهور في نواحي غازي غموق . (هامش الأصل) .

آداب أشياخه وساداته . آمين . من خطه .

وإنَّ هذا الشيخ الكامل ، والعارف الواصل ، ذا الجناحين سيف الله المذكور النقشبندي الشاذلي القادري - قدس سره ورزقنا فيضه - أجاز الحقير الفقير خادم الفقراء حسن أفندي القحي النقشبندي الشاذلي بجميع ما في هذا الثبت ، كما أجازه في جميع مروياته وأثبات مشائخه ، كثبت محمد علي بن ظاهر المدني الوتري وغيره ، وكما أجازه في جميع ما أجازه مشائخه في سائر الطرق ، وكتب بيده المباركة صَكَّ الإجازة بوضع خاتمه للتصديق ، نوَّر الله مرقده ، وأنالنا فيضه وبركته . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وهذا الفقير حسن حلمي رحم الله إفلاسه وإن كان أقلّ باعاً في العلوم ؛ قد سبق الآخرين ممن لهم القدح المُعلَّى في فنون العلوم في عصره بالإجازة فيها وفي سائر الطرق ، فللَّه الحمد والمنَّة ، وله الشكر على هذه النعمة .

وقد أراد أن يجيز في فن العلوم لمَنْ رأى فيه أثر الصلاحية والاستقامة من العلماء العاملين ، لِمَا أن حصول البركة ووصول النفع التام في كل خير منوطان بالإجازة من أهله ، كما أشار إليه الإمام الربَّاني في « مكتوباته » ، فكما لا بُدَّ من الإجازة في تلقين الأذكار وتعليم أمور الطريقة ! فكذا لا بد من الإذن في العلم الظاهري ، كما أشار إليه في « الفتاوى العمرية » .

قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ الآية . قال الجلال[1] : بأمره . انتهى .

قال العالم العلاَّمة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الصاوي المالكي قدس سره ورزقنا فيضه وبركته آمين : قوله (بأمره) دُفِعَ بذلك ما يقال :

---

(١) أي : في تفسير قوله بإذنه ، فافهم . (هامش الأصل) .

إن الإذن حاصل بقوله : (أرسلناك) فأجاب بأن المراد بالإذن : الأمْرُ ، **والحكمة في الإذن** تسهيل الأمر وتيسيره ، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسَّرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدَّر بنفسه فقد عطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق ، انتهى فراجعه في سورة الأحزاب .

وفي « الصاوي »[1] أيضاً في سورة طه : **والحكمة في تلقِّي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهراً أنه يكون سُنَّة متَّبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ، ولا يفلح مَن أخذ العلم أو القرآن من السطور ، بل للتلقِّي سرٌّ آخر** ، انتهى فراجعه .

وقال مصطفى الصافي في صَكِّ الإجازة بعد البسملة والحمدلة والتصلية ما نَصُّه : وبعد؛ فيقول العبد الفقير إلى الله الغني مصطفى الصافي ابن محمود اليكيني عفا عنهما الباري : **إن العلم أعلى الفضائل ، وبه تفاضل جميع الأفاضل** ، حتى ملك به الإنسان الفضل على الملك ، وارتفع قدره بأقل من فلكة المغزل على الفلك ، يرشدك على هذا السرِّ الأسمى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ وناهيك من فضله أنه تعالى قد عدَّه أمراً كبيراً حيث قال ﴿ **يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ وعظَّم شأنه في معظم كلامه حتى قال ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ ويدور عليه سعادة الدارين ، وينزل لديه كرامة المنزلين ، فهو أعظم الميراث ، وميراث الأنبياء عليهم أزكى التحيات ، والفقهاء أمناء الرسل ، والعلماء ورثة الأنبياء ، كما ورد

---

(١) على قوله عزَّ من قائل ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ** ﴾ . راجعه (هامش الأصل) .

عن سيد الأصفياء أنه قال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع ، وإنَّ العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر » . رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان .

فكما أنَّ الجهل أصل الرذائل ، كذلك العلم أم الفضائل ، فمن ناله قد نال كل الفضائل ، وأين الثريا من يد المتناول ! !

وقال الله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ وحيث شرَّفه صار سائراً في الأمصار ، وطار في جميع الأقطار كالأمطار ، يعرف[1] العارفون ، بل لا يجهل به الجاهلون .

ولتحصيله أسباب أشتات ، وأقدمها العقل السليم عن الآفات ، ولما كان العقل قد لا يخلص عن عقال الأوهام ، فتراه كثيراً ما قد أخطأ ، أو هام ؛ لم يُقتصر عليه في السمعيات ، سيما في علوم الدين ، **بل لا بُدَّ معه من الإسناد إلى الأستاذ حتى يأتيه اليقين .**

الإسناد من الدين

قال ابن المبارك : والإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء بما شاء .

وقال الثوري : الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن سلاح لم يقدر

(١) عله يعرف به .

أن يقاتل .

وقال بقيَّة : ذاكرت حمَّاد بن زيد أحاديث ، فقال : ما أجودها لو كان لها أجنحة ! يعني : الأسانيد .

وقال مطر في قوله تعالى ﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي : إسناد الحديث .

قال أحمد بن حنبل : طلب الإسناد العالي سنة صحيحة . وذكر لها أصلاً في الحديث .

والحاصل أنه لا شك في أنه مسنون ، وقد ذهب بعض الكفاة إلى أنه فرض على الكفاية ، وذكروا له أصلاً من الحديث والآية ، ولهذا لم يزل علماء هذه الأمة يطعنون[١] الركاب[٢] ، ويركبون على غاربةِ[٣] الاغتراب ، للتشرُّف بهذا الشرف ، والتدرج إلى مدارج تلك الشُّرف . انتهى . من خط سيف الله قدس سره .

وفي « الفتاوى العمرية » ما يصرح بأنه **لا بُدَّ في العلم الظاهري من التكميل ، ثم الإذن من الأستاذ للتدريس** ، وأيَّد ذلك بنقل ما وقع بين أبي يوسف وبين أبي حنيفة - رحمهما الله تعالى - حين اشتغل أبو يوسف بالتدريس بغير إذن وإجازة . من « روح البيان » و« الأشباه » .

فإذا كان الأمر هكذا ، وكان هذا العبد الضعيف الحقير الفقير مجازاً مأذوناً من الكامل المكمل المُجاز المجيز على أسوة المشائخ العارفين

---

(١) وكل ما أخذت فيه ودخلت فقد طعنت فيه ، وطعن في المفازة طعناً ذهب « مصباح » .

(٢) والركاب بالكسر : المطيّ ، الواحدة راحلة من غير لفظه . « مصباح » (هامش الأصل) .

(٣) واغترب وغرّب بنفسه تغريباً أيضاً وأغرب بالألف دخل في الغربة . الغاربة أعلى كل شيء « مصباح » (هامش الأصل) .

بالله وإن كان أقل علماً أظهر بقلمه هذه النعمة الجليلة مع بيان السند ، رجاء أن يجد بين العلماء مَن يعتني هذا الأمر المهم ؛ الذي نيط به حصول البركة التامة ، والمنفعة العامة ، فيطلب الإذن من المجاز المجيز ليفوز بهذه الفائدة الجليلة ، ويتصل سلسلته بصاحب المعجزات عليه الصلوات والتسليمات ، وقد أجاز الحقير أبعاضاً من العلماء المتورِّعين كأخينا في الله العالم الفقيه الصوفي القاضي حبيب الله ولد العالم العارف عيسى القحي النقشبندي ، وأخيه العالم المدرس محمد رسول ، والعالم الفقيه المتورِّع أصحاب علي القحي ، والعالم المتبحِّر المرجو لحوز السعادة إبراهيم الهؤوري ، والعالم المحقق والفاهم المدقق الفقيه الصوفي محمد الحَرِكُلِي ، والعالم المشهور الخاشع الخائف نور الدين الرُّلْدِي القَرَاخِي ، والعالم الفطن اللبيب ذي الطبع السليم حج موسى المروخي القراخي ، والعالم المجرّب ذي الفهم الصائب والذهن الصافي شمخال الهھاڇي ، والعالم المتواضع المشتغل بفنون العلوم النافعة ولدنا من الرضاع المعنوي القاضي حميد الهَنْدِخِي ، والعالم المشهور ذي الأخلاق الحسنة والمنافع الجليلة مسلم العرادي(١) ، والعالم الكامل معلِّم علماء الوقت خل أحمدلو العرادي ، رحم الله تعالى جميعهم آمين ، وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر جميعهم .

ومَنْ طلب الإجازة من علماء الزمان فالحقير لإتمام إربه لبالمرصاد ؛

---

(١) وقد كان مجازاً في فنون العلوم من طرف الشيخ جبرائيل أفندي قدس الله سره قبل هذا ، وقال : والله لم يسأم التعليم والتدريس بعد الإجازة ولو دام على ذلك في الليل والنهار ، ورأى بركتها ، وقال لي أيضاً واحد من المجازين : إنه فتح الله عليه في علوم الحديث وغيره بعد الإذن .

وسألت شيخنا قدس سره بهل يجوز أن يأذن للتدريس لمن يقرأ الدرس بمقابلة العوض ، أو لمن لا يتورع وإن كان في العلوم متبحِّراً ؟ ! فأجاب قدس سره بنعم . ولعله يجرُّ ببركة الإجازة وذكر السند إلى الصلاحية . انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

بالشرط المعتبر لدى أهل الأثر ، والله ولي الرشاد ، والسلام .

ومما أجازني شيخنا سيف الله جميع ما في « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » التي جمعها السيد محمد علي ابن السيد ظاهر الوتري المدني ، خادم العلم الشريف بالمسجد الشريف النبوي ، وهو خمسون مسلسلاً ، وقد تركت ذكرها خوفاً من الإطناب والإطالة ، فإنَّ بذكرها يحتاج إلى جمع كتاب مستقل ، فمن أراد الاطِّلاع إليها فليراجع إلى ذلك الكتاب المذكور ، فجزى الله المؤلف عنا خير الجزاء آمين .

وها هنا انتهى ذكر ما أجازني به أشياخنا في الفنون العلمية ، والطرق العليَّة ، والأحزاب المشهورة السنيَّة .

وقد بقي ذكر إلباس الخرقة التي جرت عادة الصوفية بلبسها ، ولأجل تمام النفع أذكر هنا خبر الخرقة :

قد دعاني الشيخ ذو الجناحين سيف الله قدس سره لديه قبيل موته ، وأقامني قبالته ، وكان قائماً ، ثم ألبسني الخرقة البيضاء التي ألبسها عليه الشيخ الكامل زين الله قدس سره ، وكان في المجلس خواصُّ أصحابنا ، ودعا بـ : اللهم ألبسه لباس التقوى انتهى .

وقال : يا ولدي ؛ هذه خرقة النقشبنديِّين ، وقد ألبسنيها الشيخ محمد مراد مُعرِّب « الرشحات » و« المكتوبات » بأمر الشيخ زين الله قدس سره لعجزه عن القيام لوهن وضعف في بدنه ؛ لهرمه وكبر سنه ، وحكى بأنَّ واحداً قد كان يتشبَّه بموسى قبالة فرعون استهزاء ، فلم يغرق مع فرعون وقومه لمجرَّد التشبُّه ، أو ما هذا معناه .

ثم قال : وستصل إليك الخرقة الشاذلية يا ولدي . فطرأ عليَّ حينئذ حال ، وطرأ على الحاضرين أيضاً حال ، فبكوا وبكى من رأى الخرقة ، وقد صاح بعض العلماء صيحة رفيعة وبكى ، فاعترف الكلُّ

بأنَّ في الخرقة بركة نافذة .

وقال : يا ولدي ؛ إني أكتب لك سند الخرقة وسلستها . ثم إنَّ الشيخ قد أوصى بإعطاء خرقة الشاذليّين إلى يدي ، ومات هو بعد أيام ، نوَّر الله ضريحه ورزقنا بركته آمين .

والحكمة في لبس الخرقة : أنَّ الشيخ إذا ألبسها على المريد يحصل له البركة ، ويسري إليه حاله معها ، ويتزيَّا بزيِّه ويتشبَّه به ، وفيها منافع أخرى .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « متمماته » ما نصُّه : خرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده ، لأمور :

منها : التزيّي بزيِّ المراد ، ليلتبس بصفاته ، كما يلبس ظاهره بلباسه ، وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً ، قال الله تعالى ﴿ **قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** ﴾ .

ومنها : وصول بركة الشيخ الذي ألبسه من يده المباركة إليه .

ومنها : نيل ما يغلب على الشيخ في وقت الإلباس من الحال ، فيرى الشيخ ببصيرته النافذة المنوَّرة بنور القدس أنه يحتاج إليه برفع حجبه العائقة ، وبصفة استعداده ، فإذا وقف على حال مَنْ يتوب على يده علم بنور الحق ما يحتاج إليه ، فيتنزَّل من الله ذلك حتى يتَّصف قلبه به ؛ فيسري من باطنه إلى باطن المريد .

الآباء ثلاثة

ومنها : المواصلة بينه وبين الشيخ ، فيبقى بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائماً ، ويذكره الأتباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه

وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال ، **فإنه أب حقيقي** ، كما قال عليه السلام « الآباء ثلاثة : أبٌ ولدك ، وأبٌ علَّمك ، وأبٌ ربَّاك » . انتهى عبارته ٧٢ .

سلسلة الخرقة

ثم **اعلم** أيها الأخ أن الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري المدني الذي أجاز الشيخَ[١] زين الله الذي أجاز شيخنا سيف الله قدس الله أسرارهم ذكر سلسلة الخرقة النقشبندية في « التحفة المدنية » على هذا الترتيب الآتي : فقال : ألبسني الخرقة الصوفية النقشبندية شيخنا العلاَّمة المحدث الشيخ عبد الغني المتقدِّم نفعنا الله به وبعلومه ، ثم ذكر السلسة بطولها ، لكن اختصرتها هكذا : الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري المدني ، الشيخ محمد زمان السندي ، الشيخ كل[٢] كامل محمد السندي ، الشيخ محمد زمان السندي[٣] ، الشيخ حاجي محمد ، الشيخ محمد زكي ، الشيخ محمد حنيف ، الشيخ عبد الأحد ، الخواجه محمد سعيد ، الإمام الربَّاني ، الخواجه باقي بالله ، الخواجه إمكنكي ، الشيخ مولانا درويش ، الشيخ محمد زاهد ، الخواجه عبيد الله الأحرار ، الشيخ يعقوب الچرخي ، الخواجه محمد بابا السماسي ، الخواجه علي الراميتيني ، الخواجه عارف الريوكري ، الخواجه عبد الخالق الغجدواني ، الخواجه يوسف الهمداني ، الخواجه أبو علي الفارمدي ، أبو القاسم الكركاني ، أبو عثمان المغربي ، أبو علي الكاتب ، أبو علي الروزباري ، جنيد البغدادي ، السريّ السقطي ، معروف الكرخي ، الإمام علي بن موسى الرضا ، الإمام موسى الكاظم ، الإمام جعفر الصادق ، الإمام محمد الباقر ، الإمام زين العابدين ، والده الحسين بن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في الجنة ، قال : ألبسني النبي ﷺ . . . .

---

(١) في العلوم والأثبات والمسلسلات . (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) وفي نسخة : كامل .
(٣) وفي نسخة لا يتكرر هذا الاسم .

ثم قال محمد علي بن ظاهر بعد ذلك : وقد روى الطبراني في « الكبير » قال : أنا بكر بن سهل بن عبد الله بن يونس ، نا[1] يحيى بن حمزة ، نا عبيد الحميصي عن عبد الله بن بسر رضي الله تعالى عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه إلى خيبر ، فعمَّمه بعمامة سوداء ، ثم أرسلها من ورائه ، أو قال : على كتفه اليسرى . قال السيوطي في « فتاواه التفسيرية » في آل عمران : رواه في « الكبير » وإسناده حسن ، ونقل ابن شاذان في مشيخته عن علي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ عمَّمه بيده ، فأرخى ذنب العمامة من ورائه ومن بين يديه ، ثم قال النبي ﷺ : « هكذا يكون تيجان الملائكة » . انتهى ٨٦ من « التحفة المدنية » .

ولأجل كون نسبة أكثر الطرق في التلقين ، ولبس الخرقة إلى رئيس التابعين ؛ الحسن البصري رحمه الله تعالى أردت أن أذكر هنا نبذة يسيرة في بيان كونه في زمن الصحابة ، ليُزيل بذكرها شبهة الخلاف ، كما ذكرت قدراً يسيراً في حقه قدس سره قبيل البرج السادس .

قال الشيخ محمد علي في « التحفة المدنية » ما نصُّه :

تنبيه؛ أنكر جماعة من الحُفَّاظ سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه حتى تمسَّك هذا الإنكار بعض المتأخِّرين ، فخدش به في طريق لبس الخرقة والتلقين ، وأثبته جماعة[2] ،

---

(١) قوله (نا) : أي أخبرنا . فافهم . (هامش الأصل) .

(٢) وقال الشيخ يوسف النبهاني في « شواهد الحق » عند ذكره سلسلة الشاذلية ما نصه : وهو عن سيدنا أبي سعيد الحسن البصري ، وهو عن سيدنا أبي تراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه ، كذا فيما ذكره شيخنا العدوي عن شيخه البهلي ، وهو المشهور من أن الحسن البصري أخذ عن سيدنا علي بلا واسطة .

وفي نظم الأمير ذكر سيدنا الحسن بن علي ، فيفهم منه أن الحسن البصري أخذ عنه ، وهو عن أبيه علي ، وهكذا قال بعض العلماء أنَّ الحسن البصري لم يدرك علياً ، وهو مردود كما في « الرشحات » فراجعه في ٠١ (منه) والله أعلم . انتهى فراجعه=

وهو الراجح عند المحقِّقين لوجوه ، ومن جملة مَن رجَّحه الضياء المقدسي في « المختارة » .

ومن تلك الوجوه : أنَّ العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدَّمٌ على النافي ، لأن معه زيادة علم[1] .

ومنها : أنَّ الحسن ولد لسنتين بقيتا[2] من خلافة عمر رضي الله عنه باتفاق ، وكانت أمه خيِّرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته إلى عمر رضي الله عنه فدعا له : اللهم فقهه في الدين ، وحبِّبه إلى الناس . ذكره الحافظ المزي في « التهذيب » .

ذكره الموالي أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، ومن المعلوم أنه لما بلغ سبعاً أمر بالصلاة ، فكان يحضر الصلاة فيصلي خلف عثمان رضي الله تعالى عنه إذ ذاك بالمدينة ، فإنَّه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم

=في صحيفة ٢٣٢ . وفي « الفتاوى الكبرى » لابن حجر ما ينبغي مراجعته فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) صحح الجلال السيوطي قدس سره لبس الحسن البصري رضي الله عنه الخرقة من سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما صرح بذلك الإمام عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الوسطى ، وبطريق الاستئناس ذكر جماعة : أن عمر بن الخطاب وعلياً رضي الله عنهما ألبسا أويساً القرني خرقة بإذن نبوي . قلت : وإن صح هذا فلا يكون إلاّ استئناساً للقوم لأن خرقة الصوفية تصل إليهم أسانيدها من الحسن البصري رضي الله عنه ، فلذلك يكون ما صححه الحافظ السيوطي دليلاً وحجة للقوم ، وذلك لأن علياً كرم الله وجهه كساه رسول الله ﷺ بشيء من أثوابه الشريفة . فعلى هذا اتصلت أسانيد الخرقة . كتاب « العناية الربانية في تلخص الطريقة الرفاعية » ٦ . وفيه حقيقة التزيي بزيّ المرشد في الأفعال والأحوال . فراجعه في ٦ .

(٢) ومثله في « الرشحات » فراجعه في ٠١ (منه) .

يجتمع معه في المسجد خمس مرات؛ من حين نهض إلى أن بلغ أربع عشرة سنة؟! ولا شكَّ أنَّ عليّاً رضي الله عنه كان يزور أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن؛ ومنهن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، والحسن في بيتها هو وأمه.

ومنها أنه ورد عن الحسن البصري ما دلَّ على سماعه عن علي رضي الله عنه وكرَّم وجهه، فمن ذلك ما أورد المزي في «التهذيب» من طريق أبي نعيم: نا أبو القاسم عبد الرحمن بن عباس بن عبد الرحمن بن زكريا، نا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي، نا محمد بن موسى الحرشي: نا ثمامة بن عبيدة نا عطية بن محارب: عن موسى بن عبيد قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد؛ إنك تقول: قال رسول الله ﷺ، وإنك لم تدركه!! فقال: يا ابن أخي؛ لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك، إني في زمان كما ترى وكان في زمن الحجاج متى سمعتني أقول: قال رسول الله ﷺ؛ فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، غير أني لا أستطيع أذكر[1] علياً.

ثم قال: ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن البصري عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه، فساق عشرة أحاديث مسندة من رواية الحسن البصري عن عليٍّ رضي الله عنه.

ومن ذلك: قال الحافظ ابن حجر: وقع في «مسند أبي يعلى» قال: نا جويرة بن أشوش، نا عقبة بن أبي الصهبا الباهلي قال: سمعت الحسن يقول: سمعت علياً رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله ﷺ «مثل أمتي مثل المطر» الحديث.

قال محمد بن حسن الصيرفي شيخ شيوخنا: هذا نصٌّ صريح في

---

(١) وفي نسخة: أن أذكر.

سماع[1] الحسن من علي رضي الله تعالى عنه ، ورجاله ثقات ؛ جويرة وثَّقه ابن حبان ، وعقبة وثَّقه أحمد بن حنبل وابن معين . انتهى . فانتفى عند ثبوت سماع الحسن خدش الخادشين في ثبوت سلسلة الخرقة الصوفية .

قال الشهاب القسطلاني في « المواهب اللدُنيَّة » بعد نقل خدش الخادشين في اتصال لبس الخرقة من طريق الحسن البصري : وردّ لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد ، وهو صحب علياً بن أبي طالب رضي الله عنه من غير خلف[2] في صحبته بين أئمة الجرح والتعديل ، في بعض الطرق اتصالها بأويس القرني ، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وهذه صحبة لا مطعن فيها ، وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية ، وشيخنا أبي إسحق إبراهيم المتبولي .

وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهد واللُبس ، وله في ذلك رسالة « ريحان القلوب » ، قرأتها على ولد ولده العارف المسلك ، مع إلباس الخرقة والتلقين وأخذ العهد . انتهى عبارته ٩٣ .

وقد بُيِّنَ في « التحفة المدنية » سلسلة الخرقة القادرية ، والسهروردية ، والرفاعية ، والخضرية ، لكن أعرضت عن ذكرها .

وقد كان لشيخنا خالد سيف الله قدس سره إجازات كثيرة غير ما ذكرناه من عدَّة مشائخ ، وأجازني في جميعها ، لكن لما كانت الإجازة بالقول المحض لم يبيِّن[3] سلاسلها .

---

(١) راجع الفتاوى الحديثية لابن حجر في ٩٢١ (منه رحم الله إفلاسه آمين) . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : من غير خلل .

(٣) أي : وأنا على آثاره مقتد . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

ثم اعلم يا أخي أني إنما ذكرت هذه الأسانيد والإجازات تبرُّكاً وتيمُّناً واستمداداً بذكر أسماء أولئك السادات ، فإن عند **ذكر الصلحاء تنزل الرحمة**[1] ، **وتهبط الهبات والبركات** ، وتحديثاً بالنعمة ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ لا افتخاراً ولا عجباً ، وتعليماً لإخوان الدين بأنَّ سعيي ليس كسعي غيري من المتصدِّرين بأنفسهم من غير إذن وإجازة ، الذين لعنهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

فهذا الحقير الفقير وإن كان ناقصاً من كل الجهات فيده يد الكاملين ، وإن كان عاصياً فإنه يحبُّ الصالحين ويبغض الطالحين ، وإن كان منحطّاً عن درجة المرشدين ، لكنَّ تصرفه يكون مستمدّاً من رشحات الصادقين ، ولا يخفى أن مَن كان محروماً من مجالس الأمراء فوقوفه في صف النعال قد يعدُّه الناس قرباً من درجة الكبراء ، ومَن كان خادماً بباب الدار لا يحرم من سواقط موائد من هو في وسط الدار ، و« من تشبه بقوم فهو منهم » كما ورد من سيد الأبرار عليه وعلى آله صلوات الملك الغفَّار ، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، حمداً يوافي نعمك ، ويكافىء مزيدك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً ، وأمتنا على دين الإسلام ، ناطقين بالشهادة ، عالمين بها ، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو من كلّ ما زلَّ به القدم ، وسها عنه القلم ، ومن كل قول لا يوافق العمل ، ومِن كل خطرة دعتني إلى تصنُّع في الألفاظ وتزيُّن في الأقوال ، أو اختصار في الكلام ، أو زيادة شيء عما في

---

(١) وفي نسخة : الرحمات .

أصل الكلام بمقتضى المقام ، ولقد وفينا بالمقصود من الكتاب .

وتمَّ ها هنا ما كان مضمراً في البال من فصل الخطاب ، وكان المقصود من الشروع في جمع الكتاب مجرَّد إيراد الأجوبة للمسائل البرجية ، لا تصديع رأس صاحبها بالإطناب ، بيد أن الكلام جرَّ بعضه إلى بعض ، فطال وزاد فوق المرام ، وإن كان في الاختصار كفاية عند ذوي الأبصار ، لكن وقع الاحتياج إلى تأييد كل جواب بنقل الآيات والأخبار والآثار ، لأنَّ كلام أمثالنا لا يوثق[1] به إلا إن شهد له الكتاب والسنة ، ويحتمل أن يقع في بعضها التكرار[2] ، وكلها إن شاء الله تعالى لا يخلو عن الفائدة ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تنزل البركات ، وبرحمته تجاب الدعوات .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وأصحابه

---

(١) مع أنه كان ينبغي أن يقبل الحق من كل من تكلم به . كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور الذي رواه أبو داود في سننه (اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً أو قال فاجراً واحذروا زيغة الحكيم) . قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ، قال « على الحق نور » أو كلاماً هذا معناه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) قال الشيخ سليمان البجيرمي في حواشيه على « تحفة الحبيب » في أواخر السلم على قوله (ولايشترط تعيين رأس المال في العقد) ، هذا تقدم فهو مكرر ولا يضر تكرير ذلك لأنه لا يخلوا من فائدة فإنه يزيد في ذلك الطالب رسوخ الحكم لأن ذلك الكتاب أصل وضعه للمبتدئين ؛

قالوا لمسلم فضل   قلت البخاري أعلى
قالوا المكرر فيه   قلت المكرر أحلى

انتهى

وهكذا المكرر في هذه البروج أحلى وأرسخ في الأذهان (لمحرره العوري غازي محمد) .

حقَّ قَدْرِه ومقداره العظيم .

قد تمَّ بالخير وبالنفع قد يتمُّ إن شاء الله تعالى في ٢٤ من ربيع الأول سنة ١٣٤٠ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تذييل

في ذكر نظم العالم القاضي ببلات القلزمي رحمه الله تعالى ، الذي نظمه في بيان الطريقة النقشبندية وأحوال من يخالفها من أتباع أهل الزعم والدعوى وذكر ما يوافق قوله من نقول الكتب .

ثم اعلم أيها المأمون في السرِّ المصون ؛ لا يخفى على العلماء أن التكلُّم بالحق والردَّ على الباطل واجبٌ على كل مسلم ، ومَن كتم علماً أُلجم بلجام من النار ، وقد تكلَّمت في حقِّ المتشيخين في تأليفاتي لمجرد النصيحة للخلق ، لا لغرض ولا لحظِّ نفس ؛ يعلم الله تعالى ذلك مني ، ولا يخفى عليه شيء ، وحيث رأيت العلماء ساكتين عن إظهار الحقِّ خوفاً من لومة لائم أظهرت الحقَّ محضاً لوجه الله سبحانه ، وأوقفت نفسي هدفاً لملامة الخلق الذين هم كالأنعام ؛ قائلاً : حسبي الله وحده وهو معيني ، ولا حول ولا قوة إلا به . لكن قد شارك معي للركض في هذا الميدان أخونا في الله ، لله ، بالله ؛ العالم العارف الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يكتم ما يعلمه مخافة الإلجام[1] القاضي ببلات أفندي القُلزمي رزقه الله تعالى الاستقامة آمين ، وكتب نظماً نفيساً عجميّاً ، مقتبساً من أعيان الكتب المعتمدة . ولأجل تمام النفع أردت أن أُدْخِله في هذا الموضع ليكون كلام ذلك العالم مؤيّداً لما قلناه . ونص ما قاله رحمه الله تعالى هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أي مخافة إلجام من النار لو كتمه . فافهم . (هامش الأصل) .

نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَتِنْ جِنْدَ ابُلِبْ طَـرِيقْ　　مَـژَّلِ بُـطَ هِچِبْ بِلْكُيَبْ ذِكْرُ بُكُ
حَبِيبَصْ صِدِّيقَصْدِ هَبُـرَبْ تَوَجُّهَـلْ　　أَبُو بَكَرِلْ رِكِلِ حَبِيبَصْكِ جِبْ طُرَبْ
أَبُو بَكَرْ صِدِّيقَصْ هِدِنْ قُجّ لُرَبْ بُكُ　　بَهَاءُ الدِّينْ شَيِخَصْ خَدُبْ شُلَ هَبُرَبْ
شِبْنِكِ بِدْعِيَبْ جُ جِنْدَ جَنِبْكِ هِچِّـبْ　　أَصْـلُ خِسزَبِچِّبْ خَتْ قَبِ قُرْدِ هِچِّبْ
طُرُقَزُلْ عَكَــرَبْ مُرِيــدَصِ فِهَيَبْ　　تَصَرُفْ جَذْبَتَلْدَ جِنْدِرْ مَعْنَى كِ بُكِبْ
جِنْــدِرْ خِرَلِيَلْدَ عَالِــمْزَبِ مُكُرَبْ　　هُـئِنَبْ مَشْرَبْ بُكُ بُقَـرَصِ هِــقِز
اِتِّبَاعْ حَصُلْ لِزِ جِبْ هِچُّكُ عُـلَرِبْ　　كُـونُوا مَعَ الصَّادِقِينْ اَبُــنْ آيَةْ بُكِلُلْ
جِنْدَصَ وُصَرَوْ چِ دِينْ حِنْقَرَوْ وُكِلَنْ　　بَهَاءُ الدِّينْ شَيِخَصْ شُلَ هَبُنْ خَنْ بُكُ
قِيَمَصِبْ قُ شِزْ عَنْ شُلِيَبْ حَبْلُ بُكُ　　جِبْ خِسزِ هَبِز رِسْكُ هِجِّبْ جُ بُكُ
اَللهْ بَلَهُلِبْ رَكْ بَـژَّلِــزِ هَــبُـلِبْ　　خَــوَاطِـرَلْ اِنْزَرُنْ حُضُورَلْدِ بَچُنِبْ
رَكُلُلْ حَقِيقَةْ لَيْ جِنْطَلُنْ حَصُلْ لُلِبْ　　بِـطِــرْهَــنْ لِزِكَنِ طُصِّبِ لِزِ كُلِبْ
هَلْــدَ اِشْــكَالْ بُكِوْ چِ بَهْجَتَلْدِ بَلَهِ　　بِــكُنْ لَچُوْ چِيصُـلْ اِشْكَالْ كِزِ بِهُلَ
هِلُلْ خِرَلِ بِــژُنْ مَـژَّلْدَ حَــلْ كِلَرُ　　خِرِيَبْ جَوْهَرْ بُكُ بَهَ هَــبُنْ كُلَرِبْ
هَبْ طَرِيقَةْ كُرَصِ كُدِيَبْ رُخِلْ بُكُ　　شُلِيَبْ رُكْــنُ يَـلْدَ وُكَرَوْ چِ وُكُ هِوْ
هَــبْ طَرِيقَةْ خِرَلِ لِزِ نُجِـيْ بُقَــنِ　　مَهْدِى اِمِامَصْ هِبْ كِيْ عِلَ نُجِيْ دَلِيلْ لُنْ
أَبُو بَكَرْ خِرَلِ جِنْدَلُنْ حَصُلْ لِـرَبْ　　رَكَـلُلْ ذِكْــرِ بُكِنْ بَلَهِ نُجْ طَكَزْدِى
هِلْ نَقْشُبَنْدِ يَزُلْ طُصِبِصِبْ كَلِ بَيْ　　ذِكْرُيَلْدَ بَيْ بِكِ قَلْبُ يَلْدَ لُــنْ بُـكُ
ژُنْكِ خَدُرْ اَلْطَافَلْ ذِكْرُيَلْطَ لُنْ بُكُ　　طِكَلْدَ بُكِبْ كُژَلِ طُــرَزِ هِـلْ هَـرُلَ
شِبَــبْ لَـطِـيفَيَلْدَ مُــرَاقَبه مَـلُلَ　　مُشَاهَدَه دُيْ شِـزِ عُـبُودِيَّةْ حَقْ لِزِ

ژُيكِ هِزُلْ طُرُقَلْ طَـكَـزْدَ رِژُنْ رُكُ　　هِطِنَبْ وَعْظَ يَــلْـدَ رِخْـصِـزِ رِقِـلَرُ

فَنَاءْ كِنْ غَيْبَتَلْدِ مُرِيدْ شَرَبْ مِخَصَّ　　هِمِخَلْنِ بِـهُـلَ ذِكْـرُ اللِّـسَـانْ هَـبِزِ

وِلاَيَةَلْدَ كَلِ طَمُرَبْ مِخْ بُـكُ هِـبْ　　هِطِنَبْ وِلاَيَـةَنْ جِـنْـدَ ژُّرْكِ اَبُـلِـبْ

هِبْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِلْ هِلْ مَشَائِـخْ زَبَـزْدِى　　ظَنُّ كِشْلُنْ كَّدَرَوْ اِنْكَارْ هَبُـنْ كَّـلِرَوْ

رُوحْ بَخِيَلْدَ اَسْكُو وِطُنْ كِلَـرِنْ اَبُنْ　　شَـهَـادَةْ بِـطِـزِكِ حَـلْـكُ كِلَرِنْ اَبُنْ

طَـبَـقَـاةً اَبُـلِـبْ طِكَّلْدَ بِـژُنْ بُــكُ　　هِبْ نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَةْ حَلْ طُلِوْ شَـيِخْ كَّجِّوْ

اَللّٰهْ اَوَرَكَـصْـدِ عَــصِـيَـوِلَـنْ بُـكُ　　هَنْجِ دِينَلُلْ وَصَّلْ فِكْرُ هَبُنْ عِنْ طَمِ

عَـبْـدَلْـكُ وُكُـنِـكِ رَعَـبَزُخْ بَـلَـهِ　　اِتِّبَاعْ كِ هِچُّنِ حُـضُـورَلْـدِ شِــچُّنِ

لِچُّكُ جِـوْ عُـلَـرِوْ بِطِرْ هَنْكِ لِچُّـنِ　　اَللّٰهَ صْـدِ عَـصِـلُنْ عُمْرُ[1] طَمِزِ كَّنِ

صُنْـدِ وِجَـرَوِلَـنْ جِنْصَّكُ فِكْرُ هَبِ　　إِنْسَانْ وِجِيَلْدَصَنْ مُـرَادْكُ شِبْ اَبُنِ

عُـبُـودِيَـةْ طُـبِـطِ جِنْدَ طَدَبْ كُژَلْدَ　　عِـشْـقُ كِـمُ مَـحَبَّةْ اِنْقِطَاعَلِ سَبَبْ

عُبُودِيَةْ حَصُلْلِ جِبْ كِيَلْدَ لُنْ چُّلِـبْ　　عُـبُـودِيَـةْ بُـكْ لَـرُ عِـبَـادَةْ هِـچُّنَنِ

عِبَادَةْ اَبُلِبْ جُ حُضُـورَلْـدَ چِّيْ بُكُ　　هِــبْ كُّدِيَبْ سَعَادَةْ حَصُلْ كُ لُلَرِلَ

جَـذْبَـةُ اِلَـهِـيَّةْ جِنْدِيْ هِچُّوْ چِيَصِ　　هِــبْ جَذْبَةْ حَصُلْ لِزِ بِشُنْ كُّدِيَبْ سَبَبْ

جَذْبَةَ لُلْ شَيِخْ كِّيْ اِصُلْكُنْ صُحْبَةْ هَـبِ　　تَصَرُّفْ جَذْبَةَ لْدَ جِنْدِرْ مَبْنَى كِ بُكِبْ

هَبْ نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَةْ حَلْطِزِ طَلُنْ كَّنَ　　اَللّٰهَ صُـلْ سُـنَّةْ كِ سَـبَبْ كُنْ بِلِنِلُلْ

سَبَـبَ لْـدَ رِكَـيَـنْ نِـلِـدَ اَبُـلِ لُــلْ　　هَبْ كُژَلْدَ خِرِيَبْ هِبْ طَرِيقَةْ بُكَدْكُ

هِبْ مَلُلِوْ اُسْتَارْكِ كُدُ شُـلَ وُكَـدْكُ　　نُرْ كِنْ ژَدَخْ اِسْمُ قُّنْ اَللّٰهَ صْدِ رَجُنِوْ

---

(١) وفي نسخة : عُمْرُكِ طَعُنْ كَّنِ .

لَطَائِفَلْ كِ رَژُّنْ چُرْخُلٍ نُورْكِ طُـلِوْ   حَبِيبَصُلْ طَرِيقَةْ جِنْـصَ چَّـكُ هَبُلِوْ

نَسَبْ جِنْدِرْ بَژَّدَوْ سِـلْسِلَةْ كِ قُطِچِّوْ   هَبْ خَلْقَلٍ عُنْ بُكُ عَدَمَلْ كُكُّلِوْ چِ

ظَاهِرَلْ كَرَامَتَلْ رِژُنْ جَلْ كَرْكَرْدُلِلْ   شَـيِـخْ زَبِـيَنْ كِـزِ هِلْدَ عُمْرُ طَمُلِلْ

هِلْچِ شَيِخْ لُِنْ هَرُنْ خَدُ رِلُِنِـــلْ رُكُ   نُورْ هِچِّبْ اِسْـمُ قُّلِلْ نَسَبْ جُدُيِ هِچِّلْ

حَبِيبَصُلْ نُخْ قُطُنْ قُطَّاعَلْ لُِنْ لُِهَرَلْ   لَـقِيطُ الـطَّـرِيقِ لَـنْ ژَّرْكِ اِزْدَ اَبُلِلْ

هِلْ چِعَزْدَ نَخْ رِلُِنْ خَلْقْ يَزِخْ لُِلِـبْ بُـكُ   هِزْدَ لُِنْ هَبْ خَلْقَلٍ بُكِبْ ضَرَرْ بِژَنِ

طَـكَّـلْكِ بَطُلْ هَرُنْ كَرْكَرْدِزِ لُِـهُـلَ   جَـلْكِ صُفَـبِ يِـلَنْ دَغْـبَدِزِ رِكُـلَ

اُسْتَـرْكِ ژَّقَـوِلَـنْ ژَّقْـكُ وِطَـرَوِ لَـنْ   جُـدِصَّ حَلْطُلِبْ جُ بِطَرَبْ طَرِيقِلَنْ

طِـكَّـلْدَ رِقُـنْ بُـكِـنْ طَلَبْكُ هَـبُلَرُ   صُفِـزَبِ اَبُـــرَبْ ژَّرَلْ عِـيْ هَبُنْ رُكُ

صُفِلٍ كِنْ شَيِخْ لِ شِبْـجُ يَلِ لُِچُّـكُ   كَـرَامَـتَلْ ظَهِرْلٍ مُرْشِدَصِ شَرْطْ كُرُ

اَمْرُكِنْ نَهْيُيَلْدَ خَدُ وِلِنْ شَرْطْ بُـكُ   طِكَّلْدَ بُكِبْ كُژَلْ طَرِيقَةْكِ حَـلْـطُلِوْ

سِلْسِلَ كِ قُطِچِّوْ مَأْذُونْ لُِنْ وُكِ بُكُ   اَخْـلاَقُ ذَمِـيـمَـتَلْ تَـرَوْ وُكِـنِ كِّلَ

اَخْـلاَقُ حَـمِيدَةَ لْ كُّرَوْ وُكِنْزِ كِلَ   شَـرْعَـلْـدَصَ وَخَّـرَوْ وُكِنكِ وِهْلَرُ

حُجُبَلْ رُرْخِچُّكُ نَفْسَـكِ بَژَّلِچُّـكُ   حَـضْـرَةُ اِلَـهِـيَّةْ هِـوْچِـيَـصِ شُـلَرُ

خَـلِـيفَه لُِـنْ وُكِـنِ هِوْ چِكِ وِهُلَرُ   فِـشَـبَزْدِ بَـلَـهِ رَعُـخْ نُـجْ بَـلَـهُـكِ

لِكَلْ كِشَلْ فِشَبِ عِمرَلْ رِژُنْ رُكِنْ   خَـلَ لِـزِ كُـرِلَـنْ خَّـچُّكُ دِصَ تَنِنْ

حُجُبَلْ رُرْخِيَلُِلْ عَلاَمَةْ بِژُنْ تِـزِينْ   رَكَلْدَ طَدْ لُِهَرَلْ بِژْ لَِبِ لُِنْ جَـلْ رُكِـلْ

بُـصُـرْمَـنَـوْ كَـفُـرَوْ كِنَوْكُ عَدَمَصِ   حَـتَـى تُشْمَنَ صِكِ هِدِنْكُ حَيْوَنَزِي

ضَرَرْ هِچِّوْلُِنْ وُكِنِ هِبْجُ بُكُ عَلاَمَةْ   خِـرِيَـوْ حَـبِيبُ اللهْ هِدِنْ لُِدَلْ كَدَرَوْ

كَشْفُ كِمُ كَرَامَةْ ژَّقْ فُلاَنَبْ دَرَجَه	كُـشُـفَـلْ هِـچِّـوْ وَلِي كَامِلَوِلَنْ بُكُ
هِزْدَ لُِنْكِ خَلْقَلِ كُدِيَبْ ضَـرَزْ بُـكُ	كَشْفُ بُكِوْ شِنَوْ چِ وَلِـي يِلَنْ هِزْدَ كُنْ
اَهْلُ الظُّلاَمْ اَهْلُ الْحَقْ بَطَ هَرْزِ لِچُّكُ	بِـطَـرَبْ أَهْلُ يَلْدِ اَللّٰهَ صْ نُجْ طَمِكِ
فُتُوحَزُلْ بَـلَـهَـلْ عِـمِـرَلْ رِژُنْ رُكُ	اَللّٰهْ رِخْصِيْ كُـرُكُ رِكِلِ بِچِكِكِ آمِينْ
چَمْـكِ لَـغْ وُكِـوِلَ اَللّٰهَ صِ وُقَّـــرَوْ	بِطِرْهَنْ جِنْدَ كُرْحُنْ فَتْحُ جِنْدِي هُقَرَوْ
هِدِنْكُ رُكِلِلَ فَـتْـحُ ظَـهِـرَلْ چَـعِ	اِزْدَ اِلْ دَائِمْ لِدَلْ سِحْرُلُنْ جَلْ صِرَرَلْ
اَللّٰهَ صِ رِخَـــرَلْ اِزْدَ دَائِـــمْ هَـرُلَ	هِـزُلْـكِ شَـيْطَدُلْكِ مَشْهَدْ ژُلُنْ بُكَنَ
قِّـجِدَلْ اِلْ رِلُنَ رَسْ بَطَلِ هِـچُّـكُ	هَـلْـدَ اِشْـكَـالْ بُـكِوْ چِ اِبْرِزَلْدِ بَلَهِ
اَللّٰهْ جِنْدَ كُرْحَـرَوْ اَللّٰهَ صْ جِـنْدِ ژَّلَ	هِـزْدَصَ فِــكْرُ هُقُنْ طَدِعَنْكِ هَوُلَ
كَامِلَلْ أَهْلُ الْحَـقَّ لْ اِزْدَ لُِـنْ كَلِلَرُ	حَـقَبْ جُـدِدَ بِكْدَلْ بَطُلَبْ رِخُنِلَ
صَادِقِينَ لْ فَتْحُ يَلْ دُنْيَالْ تِيَلْـدِ ژَّلَ	يَـقِـينَلِلْ طُـكْ لُِـلَ مُعَامَلَه لِكْ لُِلَ
صَادَقِينَلْ كُرِلَلْ فَتْحُ يَلِْ جَـلْ كُكَّـلَ	شَرْعَلْدَصَ رَخُّلَ حَـبِيبَصُـلْ نُخْ تُلَ
أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ هِلْكِ بَطَ هَرُلِنْ	لِـزِ بُـقَّـنِ نُـجُـيْ اِضُـخْ بَـلَهُنْ بِكِّ
فَتْحُ لِكِ كِكُ بُكُ ظُلْمَـانِيَبْ نُـورِيَبْ	أَهْلُـكِ بِـجُـنْ بُكُ كِـيَـلِـكُ بَطَيَبْ
أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ ژَّرْكِ اِزْدَ اَبُلَ	كِـيَزُلْكُ فَـتْـحُكِ بَـطَ بَطَـيَـبْ بُكُ
بَـطَ هَـرُنْ رِژِنْـزِنْ لِـزِ بُـقُّـنْ بَـتَنِ	زُبَلْكِنْ رَقَّلْ رِكِّ جَنِبْ بُكِبْ جُ بِكِّ
لَغْزَدِرلْ فِشَ لِـيْ اِزُلْ مُـنَـهَـلْ رِكِّ	دُنْـيَـلَـلْدَ لُهُنِلْ حَدِيثْ لُلِلْ جَلْ رِژِ
شِـبَـبْ رَقُّلِلْ بُكِبْ مَخْلُوقَتْكِ بِكِّلَ	جِنَـلْ چُـلِبْ بَكْ لَلَ اِلْكِ اِزْدَ رِكِّلَ
شَيْـطَبِـكِ رِكِّـلَ اِلْـكِ اِزْدَ رِقِـلَ	بُـقَّرَبْ جُ هَبِـزِ كُـمَـكْ لِكِ اِزْ هَبَلَ

هِلْ جَلْ ظُلاَمَلْ رُكُ هِلْ جَلْ بِژْپَبِ رُكُ   اَللهَ صْـدِ لَغْ شِزِ هُقُلِلْ جَلْ رُكُ هِلْ
بَطُلَبْ اَهْـلُيَلْدَ هِـقِـزِ جَـلْ هَـرُلِـلْ   أَسْرَارُ الْـحَقَ زْدَصَ اَللهَ صْ جَلْ هُقَرَلْ
فَتْحُ الْحَقَّ لِ قُّلِبْ فَتْـحُ كِ كِكُ بُكُ   ژُيَبْ صِبِ رِخْصَرَبْ ظُلاَمَزِ جِبْ قُّرَبْ
كِـئَـبِلِـبْ رِخْـصُلِبْ ظُلاَمَزِ قُلَـرِبْ   ظُلاَ مَزِ جِبْ قُّرَبْ رِخْصَرَبْ فَتْحُ يَپُلْ
أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ هِزُلْ بَطَلِ هِچُّ   كِـيَـزْدَكُ بِـكِّـلَ رَسْ بَـطَـلِ هِچُّكُ
كِنِّكِ هِـبْ قِّـيَـلُپْ مُـرَادْنِ بَـطَ بُكُ   اَللهْ كُـرْحُنْ وَتَـكِ فَـتْحُ قُّرَلْ چِـيَزْدَ
أَهْـلُ الظُّـلاَمَـزِ قِّيْ اِسْتِدْرَاجَلِ عُلُ   أَهْـلُ الْـحَقَّ لِ قُّـلَ دَرَجَـبِ ژِكِـنِ
مَـحَـبَّـةْكِ طُكْ لِزِ جِنْدَ رَكْكِ بُكِّـنِ   هِلْكِ حِنْقُنْ رُكُنَ هِبْ مَقَامْ قُطِزِعَنْ
أَهْـلُ الظُّلاَمَزْدِ جَلْ اِلْحَاقْ هَرِلِـلَنْ   ظُلْمَةَلُپْ طِـرْكَّرَلْ أَهْـلُ لُـنْ خُطِلَنْ
فَتْحُ ثَانِي رَهْزِعَنْ بُجِ هِزِيْ هِـچِّلَ   فَتْـحُ الْـحَـقِّلِ قُّـلِبْ كِئَبِلِبْ فَتْحُكِ
اِزُلْ فُتُـوحَلْ رِژُنْ كَلِيْ هَبزِينْ دِصَّ   مَـلاَئِكْ زَبِ رِكِّ هِـزُلْ تَسْبِيحَلْ رَعِ
مُـؤْمِـنْ زَبَزُلْ رُحَـلْ كِرَامُ كَاتِبُونَلْ   هِـدِنْـكُ وَلِـزَبِ هِزْدَ هِوْ كَرْكَرْدِيكِ
اَلْجَنْ هِصْدَ بِكِّلَ لَوْحَ لْدِ هِـوْ وَكِّلَ   حَبِيبَصُلْ خُبْ بِكِّ خَبِلَنْ نُورْكِ بِكِّ ي
خِرِيَوْ حَبِيبَصُلْ ذَاتْ كِ هِصْدَ بِكِّلَ   شَيْطَدَصَ هِوْ بُجِ هِمِخَلِ حَصُلْ لِلَ
هِلْ جَلْ أَنْوَارَلْ رُكُ اَللهَ صْدِ وَچُلِلْ   أَسْرَارُ الْحَـقَّ لْ رُكُ حَقِيقَةْ لِيْ بُقَنِ
بِطَـرَبْ اَهْـلُيَلْدَ هِقِـزِ جَـلْ هَـرُلِـلْ   بَطُلَبْ أَهْـلُ يَـلِ اَللهَ صْ جَـلْ قُّلَرِلْ
كِيَبْكُ فَتْحُ لِرَلْ أَهْلُ الْحَقِّ لَـنْ بُكُ   فَـتْـحُ أَوَّلْ قُّـرَلَلْ أَهْلُ الظُّلاَمِنْ بُكُ
خَّبْ خِّلْ غِطْ كَلِنِلَ چِنَرِدُلْ غِـطَلْدَ   دُنْـكِ مُنْكِ غِطْ بُكِنْ بَطَلِ شِبِنْ أَبُنْ
غِطْ أَبُرَبْ ژَّرْ بُكِّنْ دُدَكِ دِدَكِ يْـلَنْ   دُرْكِ دِرْكِ بَـطَلِ شِبْ رَخَّلِ بُكِ بِلَنْ

جِنَردُلْ غُطُصَ جَوَابْ بِرْثِنْ هَـبُـنَ
أَيْ مِسْكِينْ مُنْ كُكُّ كِ غِطَنْ اَبُرَبْ ثَّرَلْپْ

قَّلْبَلْ شُلَ هِچُّنِ غُطُلْ فَيْـدَ هِـچِّـبِنْ
غِطَنْ اَبُـنْ شِنَـبْ غِطْ رِلِپَرَ بُكُنَ رِنْ

خَسَلِلْ هُرَلْ فُيْدَلْ ثُّرُيْكِ طَـدِشِدَلْ
قَّلْ بَلْكِ دُرْ رَخِّـدَلْ طَنْ خَلْكِ دُرْ غِنِدَلْ

هِمِخَلْپْ لِپَلَ فَقِيرْ مُنْ كُكَّ رَبْ لِپُنْ بُكِ
غِطَنْ اَبُـرَبْ ثَّرَلْپْ دُيْ فَيْدَ هَبُنْ كُطِ

قَّلْ بَلْ شُلَ هِـچُّنِ مُـنْ دِدَ رِلِپُنْكُـطِ
هِدِنْكُ ظَهِرْ لِپَلَ هَلْ فَقِيرْ صُوفَ بَزِي

قِيَمَصِبْ قُيَـصَّ مُـرِيـدْ زَبِ كُـرِلْلِپْ
صُوفِ زَبِ اَبُرَبْ ثَّرَلْپْ جَلْ كُكُّنْ رُكِّ

هَنْجِ هَلْ اُسْتَارْزَبَزْ خَلْقَلِپْ هَبُلِـبْ جُ
بَيَانْ هَبُنْ بِزِنْزِنْ عِنْ طَمُنْ بِكِّ وَصَّلْ

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهْ كَـلَلْپْ رِخْـصِـي اَبُـلَ
ظَاهِرْكِ بَاطِنْ جُرُنْ اِسْتِعْدَادْ حَصُلْ لِپِزِ

طَـرِيـقَـةَلْـدَ جَـنِـرْ لُپِـهِـنْزِ نِـلْپْ بِهِزِ
ثِنْكِ خَدُبْ طَرِيقَةْ تَلْقِينْ هَبُنْ مَـلِپِزِي

وَيْ تَـمَـشْ عَـلَمَـتْ كِدَدَيْ رَثَّلِپُلِلْ
اِسْتِعْدَادْ حَـصُلْ لُپِبْ زَمَنَكُ يِشْ هِچِّبْ

مُرِيـدَصُـلْ اِسْتِعْدَادْ بَلَهِكِنْ بِكِّ چِّوْ
اِصُـلْ مَآلْ حَقِيقَةْ حَقَبْ كُثِلْپْ لِپَلَرِوْ

هِوْ چِيَصُلْ تَرْبِيَةْ شِبْ رَخَّلِپَنْ بُكُ نِبْ
ذِكْرُ مَلِپُنِلْ اَبُـنْ صُـنْـدِ رَخِـنَـرُ لِـلْ

لِپُعِلْكُ جِنْدِيْ هِچِّبْ اِسْتِعْدَادِ شْ بُكُنِـبْ
اِسْتِعْدَادْ لِپَچِّ وَصِ ذِكْرِ مَلِپِ حَرَامَبْ

لِپَنْ تُنْ مُرِيدْ قَچِّزِ شَيْدَيْ هِو بَرَخْشَرَوْ
غُـدْرُنِرْ رَرَلْ خِنْكَلْ رِكِنِ فِهَ هِچِّشْ

هَنْجِ دِنَلِپُلْ وَصَّلْ دِصَّ نُجُيْ بِـثِنْ زِنْ
نُـجِدَ طَـدَبْ بُكُ اُسْـتَارَصْدَ اَبِـزِي

اِسْتِعْدَادْ حَصُلْ لِپِزِ زَمَـانَـكِ شَـنِـلَنْ
اَللهْ ثُ وُكِـنْ لِپَـنِنْ اِشْـكَلْ كِ طَعَنلَنْ

تَلْقِينْ هَبُـنْ طَـرِيـقَـةْ نِـجِيكِ قِّيلَنْ
طِـكَّلْدَ بُكِـبْ كُثِلْپْ مُرِيدْ زَبِ هَرِيَنْ

اُسْتَارْ هِچُّكُ رُكِ بُقُّنْ نِـجِيْ هِچِّلَنْ
هَلْدَ اِشْـكَلْ بَـتَنِ عَالِمْ زَبَزْدَ ثِّخِي

دِدِخُنْ رَكْ كِشْـلِپُكِ لِپَـرَبْ جُ بِرُنِلَنْ
طَـكَّـزْ اَبُخِّ هِچِّبْ طَـرِيقَـةْ بِـهُلَرِنْ

طَكَّلْ هِرِصِ هَرُنْ وَحْيُ هَنْجِ رِشْطِنْچِّنْ　　شَيْخْ زَبَزُلْ نُخْ كِچِّوْ شَيخْكِ وُكُنَرِنْ
اِصُلْ نُخْ كُنْ وِلِنْزِ اِصْدَكِ طَدَ بُكِـنْ　　ثِّيَلْ نُخَـلْ رَخِّـزِ اِخْتِيَارْ نِلِخْ هِچِّنْ
بِـدْعِـيَبْ نُـخَـلْدَصَـنْ رَخِّـنِ بُقَّنَنِ　　كِكُنِصِصْ هَرُرَلْ تَـقْـرِيـرَلْ ثَّلِزَرِي
نُجْيْ طَرِيقَةْ هِچِّبْ هِنِصَنْ بَيَانْ لِلَ　　هِـصْـدَنِكِ بُـجَ نُـجْ دِدَ بُـجِـچُّـنِكِ
نُجِرْ اُسْتَارْ هِوْ لِدَلْ هِصْدِ نِـكِ مُطِعْـلِ　　تَلْقِينْ هَبُنْ اُسْتَارَصْ ذِكْرُ جِنْدِيْ قَّچِّصُلْ
اُسْتَارَصُلْ رَكَلْـدَ هِصُـلْ رَكْ بُـكُنَرُ　　سِلْـسِـلَ بَـغَرِزِ هِـصِـيْ اِلْ هَـبُـلَـرُ
اِصْ هِـوْ غُـرْلِ قَـلَرُ جَـوَابْكِ هَبُلَرُ　　حَـبِـيبْ كُـنْ اَللّٰهَ صَـدِ شِنِز اِزْ هَوُلَرُ
اِزِيْ عُلُ كُرُنِ هُقُّخَّنْ حَـجَـةْ هِـچُّ　　هِزُلْ كِنْ رَكَلْ چُرُنْ مَحَبَّةْ حَصُلْ لِنِ
رُوحَلْ رُهُنْ لُلِلَ هَلْـمَغْ لِـكِ كُـلِـلَ　　نِـلِزْ مُـرَادْلُـنْ بُـكِـبْ حَـدِيثَلْ بِثُلِلَ
دُنْيَالَلْـدَ رَكَّـلِ وُقَّـرَوْ چِـكِـنْ ثَّدَخْ　　قِـيَـمَـصِـبْ قُيَلْدَ ثَّدَخْ وَخَّـنِـنْ اَبُنْ
هِلْ سِرِّيَلْ حِكْمَتَلْ هَبْ خَلْقَلْدَ لِلَرُ　　لِـلِــوَصْ رِزَنِـكِ هِـلْـدَكِ بُـجُـلَـرُ
جَاهِلَلْ لُنْكِ رُكُنْ عِلْمُ كِصَنْدَيْ بُكِبْ　　عَالِمَصْدَصَنْ كُرِشْ جَاهِلْزَبِ حَلْطُلِلْ
دِصَّنِ رِصْ هَـبُـلَ وِجَـرَوْ اَللّٰهَ صِ　　هِـزْدَ غُـرْلِ دُنْ كِدَلْ بُجَ رُقِّ لُهِنْدَلْ
هِزُلْ اَرْوَاحَزْدَ غُرْلِ دِرْ رُوحْكِ جُبَنْ كِدَلْ　　بُـجِ بُكِـبْ هَلْمَغْلِ دِي نَسِبْ هَبِدَلْ
جَقَ خَنِ كَّـرِ جُّ مُـرَادَلْـدِ وَخِـنْدَلْ　　دِصَّ هَـبِـزِ كُـلِبْ نُخَلْدِ دُنْ وَخِّدَلْ
كَلَچُّكُ وُكِـنِ حَـلْـنِـكِ كُـلِـبْ اَنِ　　عِـلْـمُ بَـلْـكُ هَبِـزِ نُخْنِكِ بُكِـبْ اَنِ
بُصُرْبَبْزْدَ كُرْحُنْ رَكْكِ بُـكُـنَـرِ لُـلْ　　قَـطِ رِخُـنْ رِطَـنَ ثُّدَهَـلْكُ جَوْهَرَلْ
اَللّٰهَ صْ تَلِحْ قُّرَصْ قَنْ كُنْ شُلَ هَرِلَ　　شِبْكُ اِشْـكَـالْ جِبْكُ تُنْ تَوْبُ يَلْدِ وُصِنَ
هُيَهَيَى بَـچُـنِـلْ مُـتَـشَـيِـخَـلْ رُكُ　　ذِكْرُ جُدِصَّ مَـلِ اِسْـتِـعْـدَادَلِ يِلَنْ

مِصْرِيَلْ خَلْچَّبِكُنْ جَـهِـلْزَبِ كَنْڗُّلَ   جُدِخِّ قُّرَبْ ذِكْرِ تَلْقِينْ هَبُــنْ قُّنِلَنْ

حَبِيبَصُــلْ طَـرِيـقَـةْ هِـرِصِك هَبُلَ   هِـبْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِوْ مُرْشِيدْكِ كَكُنْ چُّـلَ

دُنْـيَـلَـلْـدَ فَـصِحَلْ قُرَيْشِيَزْدَ كِّچِّبْ   حَبِيبَصُلْ دِينْ هُقُنْ حَـبِيبْ هِـرِصِ هَوِي

مَوْلِدْ خَيْرَاتْ چِّكُلِبْ هَبْ چُرْفَدُلْ اَهْلُيَلِپْ   حَـبِـيبَصُلْ طَرِيقَةْ كِنْ هِرِصِ هَبُلِبْ

هِلْ چِيَزِ ڗَّلِزِ ڗِّيَلْ طَـكَّـلْ دِرْ هِـچُّ   صّـرِ كُـصِلْ طَكَّزْدَ هَلْكِ بُجُلِلْ هِچُّ

دِصَّ فَاتِحَةْ طَمُنْ دُعَا هِـزْدِ هَـبُـنَ   إِنَّــا لِلهِ بَــچَــنَ اَللهَ صْــدِ رِخَــنَ

كَـلَ بَـلِـپِـيْ طَـعَنَ طُكَبْ كَلْ رَهِلَرُ   هَـلْـدِ مُـطِـعْ لِـچِّوْ چِ بُقُّخِّ وُكَ اَبِ

يَهْدِي اللهُ بُقَّرَوْ بِـطَـرَبْ طَرِيـقَـلْدِ   تَـبْـلِـيـغْ طُـبَزِ هَبُنْ ذِمَّتْكِ خَصَرْلِنَ

اِخْـوَانَـزُلْ رَكَـلِپْ حَـلْكِّ دِصَّ هَبُنَ   اَمَّ ڗُڗُ هُـرْقُّـصَـنْ اُسْـتَارِنْ دَعْـبَدُلَ

جِوْ كُـرِوْ دُنْـيَالَـلْدَ اُسْتَارْكُ هِچِّولَنْ   نَقْشُبَنْدِ طَـرِيـقَـةْ جِـنْصَّكِ حَلْطُلِبَنْ

حَلْكِّزِعَنْ خَلْقَلْدَ ذِكْرُ اللِّسَانْكِ مَلُِنْ   رِكَـلْ ذِكْـرُ مَـلُِلِـوْ اُسْتَارْكِ هِچِولَنْ

مَلُِنْ اِبْ بَجَـرُلِـوْ مُـرِيـدْكِ هِچِّولَـنْ   هِـبْ رَعِكِ بِڗُنَ ڗُ رَخَلِپْ خَلْقْ بُجِزِ

حَبِيبَصْ جِنْدِيْ قُّلِبْ لَعَنَكِ كُچُّنْ تُنْ   طَـكَّـزْدَ بُـكِـبْ اَنِ طَـرِيقَتَلِپ بُرْجِلْ

بُرْجِلْ طَعَرَلْدَصَن طَرِيقَةْ هِچِّـبِـلَـنْ   يَـلُِـنِ ذِكْـرُ قَـلْـبِـي بَـجَـرُلَـرِبِـلَـنْ

رِكِلْ ذِكْرِ مَـلِزِ رِسْكُ هِچِّبْ جُيلَنْ   ڗُكِـكِ بُـكِـبْ اَنِ ذِكْـرُ خِـسُـلِـبلَنْ

ذِكْـرُ اللِّـسَــانْ مَـلِزِ طَـدَبْكِ بُكِبلَنْ   هِـوْ فَـقِـيرَصِ دَلِـيلْ طِكَّلْدَصَ بَتِچُّ

هِصْدَصَ يَزِخَّبْ جُ دُنْيَالَلْدَ بُـكِنِشْ   ڗُكِ شَـيِـخْ كَـلِپَلَ هِزْدَ هُرْقُّصَ وَخُّنْ

جِنْصَ مَلُِلِبْ جُكُ شَرِيعَتِـلَـنْ اَبُـنْ   خَـلْـقَـلْـدَ كِ اَبُلَ هِوْ شَيِخَصْ مَلُِلَ

اِتْـنِ رُزْمَنْ سُرْدُيَلِپْ خَتْمُكِ ڗَّلِيـلَـنْ   رَابِـطَـكِ مَـلُِـلَ جِـنْـدِدِ هَـبِـيـلَـنْ

هِصْدَ رِلِـرَوْ ظَـالِمْ دُنْيَالَلْدَ رَعَنِشْ دِبِـرْزَبَـرْزَخْ بُـكِـبْ شَـرِيـعَتْكِ بَخُّلَ
شَيِخْ زَبَزُخْ بُكِبْ طَرِيقَتْكِ حَـلْطُـلَ نَسَبْ جِنْدِيْ هِـجُّـلِ هِنِصَنْ بَيَانْ هِجِّشْ
هِصُلْ اِشَلْدَ رِقُنْ نَتِيجَةْ ظَهِرْ لِجِّـشْ نَـقْـشُـبَـنْـدِيوِلَـنْ دِصَّـــكِ اَبِـلَ اَنْ
نَقِشْ هَبِزِ كُلِبْ هُنَـرْ دِلْ بُـكِـبْ اَنِ عَـرَژْ بِـئُـنِـلْ اَبُـنْ بِـرْژِنْـلِ بُكُنِبِشْ
نَقِشْ هَبُنْ خَطَلْ خَّنْ قَجِّزِ لِـجُّـنَـنِ دَعْـبَ بَـزِ كَّـنَـنِ نُـخَـلْـكِ لِزِ كُّلِلْ
نُـعْ هِجِّوْ دَعْبَدُلَوْ جُحْ بُزْكِ نَخِ جَّلِوْ تَـبَـرُّكَـلِ عُـلُـنْ ذِكْـرُ قَّـلِـنْ اَبِـــزِ
طَرِيقَتْكُ كُرِبْجُ مَلُنْ بَـرْكَةْ شُلِـبِـشْ حَـتَّـى جِكِكِ مُرِيدْ هَلَكْ لِيَلُلْ كُّلِوْ
نُورْكُنْ هِجِّبْ ذِكْرُيَلْ شَيْطَانْ نَخْ جَّلَرِلُلْ عَالِمْ زَبِ طَعَرَبْ طَكَّلْ هِجِّبْ مِخْ اَنِ
دَعْبَ هَبُنْ بَخِزِ شَيِـخْـلِ بِـهِـلَ اَنْ يَـلُـنَـنِ طَـرِيـقَةْ قُّجْكُ هِجِّبْ جُ اَنِ
بُـقَّ بُـقَّرَبْ مَـلُـنْ طَـرِيقَةْ لُـهِنَ اَنْ طَـرِيـقَـةَ لُلْ قُّجَّلْ صُحْبَةْ كِمُ رَابِطَهْ
هِدِنْـكُ ذِكْـرُ الْقَـلْـبِ تَوَجُّهْ مُرَاقَبَهْ هِلْ اُصُولَلْ هِجُّنِ هَبْ رِخْـصَرَبْ كُـژَلْدَ
قُّجْ كُ هِجِّلَنْ اَبُنْ بُكِ لَنْ دَيْ اَبِلِبْ هَـبْ خَلْقَلُلْ[1] طَرِيقَةْ طَكَّذْدَ بَتُلَرِنْ
طَكَّلْكِ نَخِّ رِخُنْ عَمَلْ صُنْدَ هَبُلِبْ ژِنْكِ بُصُرْمَنَوْ لَغْ شِبِـژُنْ دَيْ كَـلِلِوْ
نُخَلْ جُّنْتَرَبْ رُسُ رِخُنْ تِينْ كُـرُنِ شَـيِـخْ اَبِلَـوْ جِـكُ نُخْ مَلُلِوْ جِ لِدَلْ
نُخْ مَلُلِوْ هِجُّـنِ شَـزِ هِـوْ قَـرَعَـرَوْ اَللهَ صْـدِ شِـيَـلِ بِشُنْ كُدِيَبْ سَبَبْ
رَابِطَه يِلَنْ بُكُ سُـلُـوكَـلِـلْ طَـكَّذْدَ غَفْلَةْ كِ نَخِ جَّزِ وَسْوَسْ كِ طَصَ اِنْزِي
شَيِخَصُلْ فَنَالِ جِنْدَلُنْ حَصُلْ لِـزِي فَتْحُ كِ حَصُلْ لِزِي فَيِضَلْ كِ جِخِزِي
اُنْقَـوْكُ اِمَـامَـصُـلْ اِتِّـفَاقْ بُكُ اِلْدَ هِـلْـدَ اِنْـكَـرْ هَـبُـرَوْ قُـسَرَوِلَنْ بُكُ

(١) في ديار داغستان .

هِـبْ رَابِـطَـه هَـبُلِوْ شَيِخْ لِكِ قَرَعُنِوْ　　اَللهَ صُلْ فَنَالُنْ شِبْكُ جُ كُچُنْ تَرَوْ[1]

خَـرَوْكِ چَّكُـيَـوْ لِكِ اِزُلْ بَطَـلِ هِـچُّ　　هِـصْدَ رَابِطَ هَبِ اِلْكِنْ عُدُ چِّيْ بُكُ

طَدِعَنَوْ اَللهْ كِنْ اِصُلْ جُلُوسْ لِكِ بُكُ　　هِصُـلْ جُلُوسْ عِلَرِشْ عَبْدَلْ كُرِوْ چِيَصِ

هِزُلْ صُحْبَةْ رِخِنِشْ رَزَّدَلْ اَرْوَاحَـزِي　　رَابَـطه يَلُـلْ شَـيِـخْ هِـدِنَوْ چِ هِچُّنِ

غَفْلَةْ لِكِ اُنَرِلَ مُرِيـدْ هَـلَـكْ لُـلِـلَ　　جِنْدِيْكُ هِچِّبْ وُصُولْ چِدَيْ كِنَنْ اِصْ قُّلِبْ

جِنْدِرْكُ ژُّنِچِّبْ رَكْ چِدَلْ كِنِنْ ژُّنُلِبْ　　هَـبْ بِژَرَبْ جُيَلُلْ دُنْكِ مِقْصَ وَتَنِ

فَقِيرْ مِقْصَ كَنِلَنْ دِخْكِ فَاتِحَه طَمِ　　دُنْكِ رَضِيَوْ وُكِـنْ بِطَـرَبْ بِژَرَصْـدَ

هَبْ دِصَّ عَدِنْ دَلِيلْ طِكَّلْدَ صَنْ خَّرَصْدَ　　فِـقْـهِ ژَّلُـنِـنْ اَبُـنْ تَـصَـوُّفْ بِـچُّلَرُ

سُلُوكَ لُلْ طَكَّزْدِ بَلَهُنْ كَـلِـيْ هَـبِ　　مَـشْـرِقَـلْـدِ وِلِـرَوْ مَـغْـرِبَلْدِ شُلَرِنْ

نُخَلْ بَطَيَلْ رُكِنْ رِطُنْ طَمِ عَـدَمَـلْ　　عِـلْـمُ لُـعُلِبْ هِچِّنْ جَبْكُ تَنِ كُرُنِ

بِطَرَبْ بِژُنِلَـنْ عُـمْـرُكِ خُـلِـبُـكِـنْ　　طَكَّذْدِ اِنْكَرْ هَبُنْ خَلْقْكِ قُسُنِبْ بُكِنْ

خَدُرِلِنْ چُّنَنِ رَكْـكِ بَـقَـلِـبْ بُكِـنْ　　يَا رَبِّ يَا بِطِرْهَنْ مُنْ رَضِيَبْ عَمَلْ قِّـي

اُسْتَارْ رَضِيَبْ كُژَلْ اِخْوَانَلْ حَلْـطِزَرِي　　عُـمْرُكِ خَلَتْ هَبُنْ اُسْتَارْ طَدِعَنْ هَوِي

ژِنْكِ هُرِ بُقُّخِّ كِصَنْ فُنِ كَرْ هِـچِّـنْ　　هَبْ كَلَامْ دِصَ خَّنَ خَلْقَلْدَ ظَهِرْلِزِي

حَبِيبَصُلْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِبْ كُژْ بِكِّـزِي　　عَالِمَصْـكِ ژُّنِـزِ جَـاهِـلَوْكِ كَنْطِزِي

طِكَّلْدَ بُكِبْ كُژَلْ طَرِيقَةْكِ حَلْطِـزِي　　هِلْـدَ طَدْ كَـلِـلِـوْچِ ژَّلَـرَوْچِ وَتَـنِ

يَلُنِ جَحْدَ بُكِـوْ جَـاهِـلْ چِ وَتَـنَـنِ　　طِـلْكْ لِكِ بُـسُنْ وَخَّ اِوْ مُبَاحَثَه هَبِزِي

جَاهِل زَبِ كُكِّزِ عَالِـمَ صْ بِـهِـلَـرُ　　ژُكِ لِكِ جَـحْـدَ بُـكِـوْ كَـلِلِوْ چِ وَتَنِ

---

(١) يعني من حصل له الفناء والبقاء الأتمّين ، راجع « البهجة » قحيّ .

دِي كِشِزِ يِلَنْ خَلْقَـلْـدَ كَـرْكَـرْدُلِـوْ		خَلْ چِنْ كِنْ وَخَّ اَبِ مُبَارَزَه هَبِزِي
جَحْدَ كِ ظَهِرْ هَبُنْ فَرَقَةْ چُّنْ بِهْـلَـرُ		هِـبْ كِـيَـلِْـكْ كُـرُنِ كَلاَمْ كِ طَعِنَرُ
طُبَـلَـرِبْ رَعُـصَ عَـدَمْ كِ وُخِـلَـرُ		يَلِْنِ دُنْ جَوْكُ تِ عَالِمَصْكِ نْ جَاهِلَصْ
دِرْ ژَّرْ بَخُّنْ كَلِكِ جَلْكُ بُقَّخّـنْ رُكَ		دِيـنَـلِْلْ اِشْ طُبَزِي طَكَلْكِ رُكُ كُدُرْ
دَنْيَالَلُِـلْ اِشَـلِ يَـرَغْـكِ بُـكُ بُـقُّـخْ		دِدَ كُـرْحُـنْ تَرَصِ رَسْكِ بَرْكَلَّ هِچُّ
هَبْ طَرِيقَةْ چُّنْ تِزِ دُنْ خِزِعَنْ تِـلَـرُ		بِـژُنْ رَعِ خَرَوْ چِ جِوْكُ خَرَوْ چِ وُكُ
خَرَوْ چِيَصِ دَرْمَنْ خَبَلِْ لِيْ كُرِبْ هِچُّ		خَـرَوْكِ لِـنَ دِدَ چَّـكُ يَـوْكِ وِكَّـنَ
اِزُلْ بَاطِنْ بِكِّـدَلْ عِـمِـرَوْكُ وُخَـنَ		چِـنْكِ عَدَنْ وَتَنَ طَصَنْ هُدُلْلِ هَبُنْ
عَكَرْلِكِنْ هَلْمَغْلِ طَصَنْ ظَهِرْ هَبُلِـوْ		جَـنِـصَـنْ جَحْدَيِْلْ چُّرَلْ دِدَ رِچُّلِوْ
خِيَانَتَبْ عُمْرُ كِنْ دِدَ خُنْ كَرْكَرْدُلِوْ		شِبَبْ رِصّْ اَللهَ صِ صَلاَةْ اَوَرَكَصْدِي

هِزُلْ دَعْبَ بُصُنِبْ بَكْ حَبِيبَ صْدِ لِدَلْ

انتهى ما ظفرته من نظم ذلك العالم المحقّ الراغم أنوف أهل الباطل .

وقد نطق العالم العارف أدرة العرادي في نثره ونظمه كما نطق ذلك الناظم .

وأشبع الكلام شيخنا المحترم المرحوم الباكني في حقِّ هؤلاء القوم في « طبقاته » ، وشيخنا القطب الصمداني الحسيني في « مكتوباته » و« كنزه » وقد كان العالم المشهور المتورع الذي لا يخاف في الله لومة لائم حجيو الخراكي – أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي- يجتهد في ردّ ما يفعله هؤلاء الطائفة المخترعة بقوله وفعله ، بل كان يصيح على رؤوس الأشهاد أنهم دجالون متصنّعون ، كما هو معلوم لدى كلّ من يصحبه من الناس . كثَّر الله تعالى أجورهم وشكر سعيهم ، ولا حرمنا من بركاتهم وفيوضاتهم . آمين .

ولو تكلّم العلماء بالحق كما تكلّم هؤلاء المذكورون ؛ لاحترز الخلق من الوقوع في شبكة أهل الدعوى . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . آمين يا أرحم الراحمين .

ثم اعلم أني لم أقصد بكثرة إقامة البراهين في هذا الكتاب وفي غيره من تأليفاتي على إثبات ما أقوله في الجواب وأُثْبِتُهُ في الخطاب ؛ أن أُقنع بذلك أتباع أهل الدعوى الذين تصدَّروا باسم المشيخة بأنفسهم ؛ مع عدم سلوكهم في الطريق على يد شيخ كامل ، وعدم وضع قدمهم ؛ ولو في أول موضع يضعه السالك المحقق في الطريق ، ومن غذي بلبان بدعتهم من زمن الصغر إلى حالة الشبابة والشيخوخة ؛ فإنّ هؤلاء القوم لا أمل في نجاحهم ، ولا رجاء في قبولهم الحق بعد أن امتزجت بدعتهم الشنيعة في جميع أجزاء بدنهم ، وسرت فيهم سريان الماء في التراب ، وتمكَّن الشيطان منهم تمكُّن الصبي من الكرة التي يلعب بها متى شاء كما شاء .

فهؤلاء لا يرجعون عن مألوفاتهم ، ولا يخرجون عن مأنوساتهم ، ولو تليت عليهم الآيات والآثار ، بل المجادلة والمنازعة وإيثار الإنكار والمنازعة والدوام على أباطيلهم دَيْدَنُهُمْ وعادتهم كما رأيناها منهم ومن أتباعهم ، ووجدنا كلام جميعهم على نمط واحد من التمويه والتلبيس وإلقاء التخيلات في القلوب والتسويس[١] .

وقد اجتمعت كبيرهم وصغيرهم في اعتقادهم ولم نجد أحدهم سلك الطريق ولو بأدنى شغل من أشغاله ، بل علمنا بالعلم اليقيني أن جميعهم مدَّعون كذّابون لا يقبلون الحق ولا يسمعون الدلائل ؛ ولو كانت من القرآن والأحاديث ! وليس لي ولا لغيري في قبولهم الحق ورجوعهم عن مخترعاتهم ومأنوساتهم مطمعٌ أصلاً ، ولذا لم يكن قصدي من

---

(١) أي الإيقاع في الوساوس .

الجواب وتشييده بالنصوص ، وجمع الكتاب وتأييده بالدلائل كالفصوص إلاَّ تفهيمَ من سواهم من المؤمنين والمسلمين عموماً وخصوصاً ؛ أنَّ ما عليه هؤلاء الطائفة المبتدعة مخالف لما عليه جمهور الأمة المحمدية والسلف الصالح من مشائخ الطريقة ، وقد بيَّنا جميعهم مع ما يفعلونه من البدع الغير المرضية ، ورددناها بدلائل من الكتاب والسنة في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فمن أراد الاطلاع عليها فعليه المراجعة إليه ، فإذا فهمت ما ذكر ؛ فاحترز أيها الأخ أن يخدعك الشيطان أو أحد من أعوانه ممن حقَّت عليه كلمة الخسران من شياطين الإنس .

وقد قيل : إن شيطاناً واحداً من شياطين الإنس أشدُّ فتنة من سبعين شيطاناً من شياطين الجن . فاتق الله في نفسك ، وكن على حذر من الوقوع في شبكتهم الباطلة .

وقد كان شيخنا ذو الجناحين السيد الأمير المستور في قباب الله سيف الله قدس سره يستعيذ منهم ويقول : عياذاً بالله منهم !

وكان يقول ويكتب : لا تسكن في قرية فيها واحد منهم .

وكان يقول : يا ولدي اسعَ في القرى وانشر طريقتك النقشبندية أو الشاذلية بين الناس ليكون سبباً لحفظ الناس من الوقوع لدى هؤلاء القوم المخترعة ، ففي ذلك نفع للناس . انتهى .

فالواجب على كلٍّ من عموم المسلمين أن لا يخالطوا هؤلاء المتشيخين القاصرين ، ومن نحا نحوهم من العلماء الفاسقين[1] الذين يشوِّشون في أمور الطريقة ، ويجتهدون في تفريق كلمة أربابها ، ويلقون إليهم من الشُّبَه والدسائس ما يشكِّكُهم في صحة ما هم عليه من اتباع مذاهب السادات أهل السنة والجماعة ، فإن مَن خالطهم يُنْفثون في فيهم

(١) في نسخة : وإن نحا نحوهم العلماء الفاسقين . عله الفاسقون .

سَمَّ أباطيلهم ؛ فلا يمضي عليه مدة يسيرة إلا وقد وقع في شباكهم ، وصار مثلهم يدَّعي المشيخة والولاية ويخبر الكشوف المتفعلة ، ولم نرَ فيهم إلا الاعتراض والإنكار على الطريقة وأربابها ، بل رأيناهم يقولون : إنّ أخذ الطريقة وتلقين ذكرها مما لا يجوز إلا لمريد له نفس مطمئنة . فانظر هذا القول العجيب ! فليت شعري ؛ هل وُضِع الإرشاد إلا للمعوّج الضالِّ لتهذيب أخلاقه الذميمة التي هي مقر النفس الأمَّارة إلى أن تصير مطمئنة راضية مرضية .

ولا يخفى أن العلاج إنما يحتاج إليه المريض ! فالقول (إن إعطاء العلاج لا يجوز إلا لصحيح) قولٌ باطل لا يقبله عقل ولا نقل .

وفرقة أخرى منهم ، اتخذوا قول من يزعمون أنه شيخهم الجاهل - الذي يذم العلماء ، ويمنع أصحابه عن أن يُصلُّوا خلف القاضي ؛ وإن كان من أعلم علماء الزمان وأورعهم وأتقاهم - من أنه لا يُجَوِّزُ أخذ الطريقة .

فقد عظم ضرر هؤلاء الفرقة في أطراف القرى التي حولهم على كل من يصحبهم ويخالطهم ويصغي إلى كلامهم ، فانتشر مذهبهم الباطل في الأطراف ، فليس العالم ينكرهم خوفاً من ضررهم ، وليس العاقل يتفكر وينظر هل هم على الحق أم على الباطل ؟ ! فالويل ثم الويل للعلماء الذين يداهنون ، وقد كان الواجب عليهم أن لا يخافوا لومة لائم منهم حين رأوا ما يستعملونه من البدع في الطريقة ، والله أحقُّ أن يخشوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الكلام الذي نقلوه عن إمامهم[١] الذي يزعمون أنه شيخ شيخهم قوله : فلا يمكن أن يكون مَن له مذهب خاص من أهل الطريقة من حيث هي هي فضلاً عن الحقيقة . انتهى .

---

(١) وهو العبودي رحمه الله تعالى .(منه) .(هامش الأصل) .

وقوله أيضاً : فأكثر العارفين رضي الله تعالى عنهم من أهل المذاهب الأربعة ليسوا من أهل الطريقة حقيقة ، وإن عبدوا عبادة الثقلين وتزهدوا في الدارين . انتهى كما ذكره في شرحه على « المختصر » .

وقد يؤخذ من ظاهر هذا الكلام الأخير أن العارف لا يكون من أهل الطريقة ، مع أن العارف كاملٌ ، وأدنى درجة الكمال إتقان المقام الرابع الذي يسمى النفس فيه بـ« المطمئنة » كما هو مذكور في « السير والسلوك » .

وقد ذكر في شرحه المذكور في موضع آخر أن صاحب النفس المطمئنة هو المأذون المرشد . انتهى .

فبالنظر إلى هذا وإلى ما مرَّ نقلاً من « السير والسلوك » يتعارض بين كلاميه ، لأنه يؤخذ من كلامه أنَّ من له النفس المطمئنة هو المرشد الكامل ، ومن كلامه الآخر أن العارف الكامل ليس من أهل الطريقة . فليتدبَّره العاقل ! مع أنه قال في هامشه على قول شرح المصنف : فهو مبتدع ضال .

إنَّ الطريقة فرض على المؤمنين[1] لتوقّف أداء التكليف على السنة ، والسنة على التربية والصحبة مع المربِّي . انتهى . وأما قوله الأول[2] ! ففيه إشكال أيُّ إشكال ، لأن الإمام الرباني الذي قيل فيه : لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني - والحال أنه مجدِّد الألف الثاني الذي بينه وبين مجدِّد المائة ما بين المائة والألف[3] - كان حنفيّاً خالصاً كما ذكره في « مكتوباته » .

---

(١) أي : وفي المؤمنين مطيع وعاص ، وعامي وخاص ، وناقص وكامل وعارف . فاسم المؤمن يعم الكل . فافهم (منهً) .

(٢) وهو قوله : فلا يمكن أن يكون من له مذهب خاص من أهل الطريقة من حيث هي هي فضلا عن الحقيقة . (من الإشارة التي في الأصل) .

(٣) من الفرق . (منه) .

وكذا القطب الحقيقي الشيخ عبد القادر الكيلاني كان حنبليَّ المذهب .

والقطب الكامل رئيس الطائفة الشيخ خالد شاه البغدادي السليماني كان شافعيَّ المذهب .

فهكذا كان كل شيخ مقيَّداً في مذهب إمامه ؛ منسوباً إليه في ذكر مناقبه ، كما هو مذكور في بيان مناقبهم في الكتب .

والتعارض والمخالفة بين كلام ذلك الشيخ المذكور ؛ وبين ما هو مذكور في الكتب بيِّن لا يخفى ! عفا الله عما سلف ، وغفر عما أَتْلَفَ . آمين يا أرحم الراحمين .

فالحاصل لا يجوز أن يكون المراد من أهل الطريقة في قوله السابق المريدين السالكين في الطريقة ، لأنه لو كان المراد منهم جميع من سلك فيها لدخل فيهم المبتدئون ، ولا شكّ أن المبتدئين لا يكونون إلا مقيدين في مذهب خاص ، كمذهب الإمام الشافعي أو الحنفي أوغيرهما رضي الله عنهم وعنا آمين ، ولا يمنعهم المشائخ من ارتكاب الرخص الشرعية ، ولا يؤمرون باتخاذ العزائم ، كما هو مصرح في « البهجة السنية » فراجعه في ٣٠ .

مطلب

في الأخذ بالرُّخص والعمل بالمباح

والحال أنه لو أتى المريد السالك الرخص الشرعية كقصر الصلاة والمسح على الخفين وغيرهما لا يخرج من الطريقة ، فكيف وقد ورد في الحديث : « إن الله يحب إن تُؤتى رُخَصه كما يُحب أن تُؤتى عزائمه » ؟ ! حتى إن الشيخ الكامل لو ارتكب الأمر المباح لا يعترض عليه ، لأنه إذا

لم يمنع مالك الملوك جل سلطانه عن إتيان المباح ؛ ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه أن يعترض عليه ؟ ! كما صرحه الإمام الرباني في « مكتوباته » فراجع « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ من الجزء الأول .

وفي الحديث : « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » عن ابن عمر وإسناده صحيح راجع « السراج المنير » في ٣٢٢ ج٣ .

وأما إذا كان المراد[1] ؛ أن من قيَّد في مذهب خاص واشتغل بالرخص ولم يتمسَّك حبل العزائم من كل مذهب لا يمكن أن يكون من الذين وصلوا إلى منتهى درجات الولاية العليا ؛ التي هي ولاية الملائكة ، ووصلوا إلى ذروة حقائق ولاية الملأ الأعلى ! ففي ذلك احتمال[2] .

مطلب

مذهب الكامل

فإن الصوفي الواصل الكامل المنتهي لا مذهب له خاصٌّ ، بل عادته التمسك بالعزائم من كل مذهب ليفيد الترقي منه ، لأن العمل بالرخصة حينئذٍ تجذب الإنسان إلى طرف البشرية ، والعمل بالعزيمة يظهر المناسبة بالمَلَكية ، فكلما كانت المناسبة بالملكية تيسَّر سرعة الترقي في هذه الولاية ، فإن الولاية العلياء ولاية الملائكة الأعلى كما ذكره الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » فراجعه في ٥٩ .

وأيضاً إن كان مراده – عفا الله عنه – من قوله الآخر : أن أكثر

---

(١) أي : من قول العبودي . (هامش الأصل) .

(٢) وهو اللائق بمقام قائله (منه) .

العارفين من أهل المذاهب الأربعة ليسوا من الذين وصلوا إلى منتهى مراتب الطريقة بالسلوك على يد شيخ ، بل إنما وصلوا إليها بالجذبة الوهبية الإلهية ! فذا مقبول أيضاً لا غبار فيه .

وأما إن كان المراد ما يفهم من ظاهره ! فيردُّه بما ذكر من كون العارفين من أهل الطريقة مقيَّدين في مذهب إمامهم ومنتسبين إليه في ذكر مناقبهم ، فحينئذ يكون ذلك الكلام معدوداً من شطحات الصوفية الصادرة في حالة السكر والغيبة ، ويشهد لذلك ما كان يفعله صاحب الكلام - عفى الله عنه - من تلقينه الأوراد لعوام الناس الذين لا يعلمون شيئاً من أحكام غير إمامهم الشافعي رضي الله عنه كما هو معلوم لا يخفى . وقوْلِهِ بأن الطريقة فرض على المؤمنين كما مرّ ، وذكره في ذلك الكتاب المذكور أوراد النقشبندية والخلوتية ، فافهم وتدبَّر ولا تكن من الغافلين .

مطلب

فالحق الذي يؤخذ من كلام الأكابر : أن الشريعة والطريقة عين الآخر ، والتفرقة بينهما كفر .

وقد لام الإمام الرباني قدس سره على مَن تكلم بما يوهم المخالفة بينهما في « مكتوباته » ، لكن لما كان مقام الشريعة في كثير من الناس سقيماً غيرَ صحيح ، وأخلُّوا لذلك في إتيان الأوامر والاجتناب عن النواهي ، وكانت تزكية النفس مقدَّمةً على تحصيل الإيمان اليقيني ، بل كانت الشريعة والإيمان فيهم صُوريّان لا حقيقيّان قبل التصفية والتزكية ! وقع الاحتياج إلى استعمال أدوية الطريقة وأورادها التي هي عينُ ما في الشريعة المحمدية ، وتعلّمها من الشيخ المرشد على ما قرَّره الأكابر في كتبهم ؛ من أنه يجب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد على كل مَنْ ليس له قلب سليم ، كما هو مذكور في ابن حجر في كتاب

« السير » ، و« روح البيان » ، وغيرهما من كتب السادات ؛ فإنَّ أمورها كلها علاجات لأمراض القلوب ، وشفاءاتٌ لتزكية النفوس عن الأخلاق الذميمة والعيوب ، ومن هنا قيل : الطريقة مقدَّمةٌ على حقيقة الشريعة ، فإنَّ للشريعة صورةً وحقيقة ، كما أنَّ للإيمان صورة وحقيقة ، وصيرورةُ صورتهما حقيقية - التي هي مقدمة المعرفة التي إذا حصلت للسالك يقال له « عارف » - مبنية على استعمال أدوية الطريقة التى باستعمالها تحصل التزكية ، فبناء على الترتيب السابق يكون مقام المعرفة من أعلى المقامات ، ومن وصل إليها يسمى « عارفاً كاملاً » ، فيكون المقصودُ من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمر آخر وراء ذلك ! وصيرورة صورة الشريعة والإيمان حقيقة حتى يترسَّخ في مقام المعرفة ، فصارت الطريقة والحقيقة متممتان ومكملتان للشريعة ، والمعرفة نتيجتهما ، فليت شعري ما مقام الطريقة الذي لم يصل إليه أكثر العارفين على ما قاله الشيخ العبودي عفا الله عنه ! ! مع أنَّ العارف كاملٌ حصل له مقامُ المعرفة ؛ الذي هو أعلى المقامات ، ومقصود كل سالك ، ومنتهى مقاماته ، والطريقة والحقيقة وسيلتان إليهما ، عصمنا الله تعالى من شرور الأوهام والخيالات ، ومن التكلُّم بما لا حقيقة له من الشطحات .

وأظن والله أعلم أنَّ الذي جرَّأهم على التكلُّم بالوهميات ، والمخالفة بأصول طريقة الأكابر والسادات ، عدمُ كونهم من فرسان ميدان أولئكم القادات ، وعدم سلوكهم بالترتيب في جميع ما سلكه أصحاب الهمم العاليات ، وإن كانوا عابدين زاهدين عالمين واصلين بالجذبات الوهبيات ، فأرادوا أن يكون لهم حظٌّ من مقام الإرشاد ، بيد أنهم لمَّا لم يذوقوا ما ذاقه أهل الطريقة بالسلوك اخترعوا أوراداً وأذكاراً وسَمَّوها طريقة ، ولأجل أنهم لم يسمعوا غير الطريقة النقشبندية سموها نقشبندية ، فكلا ذلك ثم

كلا ! ! فللنقشبندية أصول لم يسلكوها ، وإنهم غيَّروها وبدَّلوها ، فبذا صاروا مطرودين بدليل ما قاله رئيس الطائفة خالد شاه البغدادي السليماني قدس سره : **من غير أصول طريقتنا فليس منا** .

ولا يخفى أنَّ الحنفي مثلا لا يكون مالكياً إلا باستعمال مذهب المالكي ، فهكذا لا يكون أحد نقشبندياً إلا باستعمال أصول النقشبندية ، ومع هذا ظنَّوا بتلبيس إبليس أنهم بذلك - أي بما يفعلونه مما ليس في أصول الطريقة - يرضون الله ورسوله ، لأنهم يحثُّون الناس إلى ذكر الله ويعلِّمون الأوراد ، وإن لم يكونوا مأذونين للتعليم والتلقين من الكامل المكمَّل ، وما علموا أنهم بذلك صاروا ملعبة للشيطان ، ولعمري إن الشيطان الذي زين لهم هذه الأمور المخترعة لشيطانٌ كبير عارف بطرق الإضلال خبير ! ! إذ خَيَّلَ لهم أنَّ ذلك إرشادٌ للخلق إلى الحق ، ودلالة للناس إلى ذكر الله ، فحاشاهم ! فإنَّ الذكر الخالي عن النور الحاجب عن وسوسة الشيطان لا ينفع ولا يوصل ، بل يضر ! كما بيَّنته في كتبي مع بيان النقول والأدلة ، فبسبب هؤلاء القوم انتشرت الفتن في كثير من نواحي داغستان ، وتصدَّروا بغير إذن وإجازة ، واخترعوا أوراداً يعلِّمونها أتباعهم وسموها طريقة جديدة ، وأنكروا أصول الطريقة الأصلية المعنعنة المسلسلة عن سيد الثقلين عليه الصلاة والسلام فتبعهم كثير من الناس ، ولم ينكرهم أحد من العلماء ؛ خوفاً منهم ومن ضررهم ، فحصل بهم الضرر العام للطريقة وأهلها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فإن قال قائل : إنَّ أبعاضاً من المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا كانوا علماء وعبَّاداً وزهَّاداً وإذا كانوا كذلك فهم أعلم منك بهذه الأمور التي اخترعوها وخالفوا فيها أكابر السادات ، ولولا أنهم ظهر لهم بطلان ما عليه جمهور أهل الطريقة ، وحسن ما يفعلونه بالنظر إلى أحوال أهل هذه الديار الجبلية ، لما تجاسروا على ما يفعلونه ، ولما خالفوا من سبقهم من

السادات النقشبندية والقادرية والشاذلية ! .

أقول في الجواب : اللهم نعم ؛ كانوا كذلك ، ولا ننكر عبادتهم وعلمهم وزهدهم وولايتهم ، لكن لا معصوم إلا النبي ﷺ ، ولا عاصم إلا الله ، وقد قال النبهاني في « شواهد الحق » : إنَّ أئمة الضلال ورؤساء أهل البدع والأهواء هم أيضاً من أكابر الأئمة وأعلم العلماء ، ولكن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ولعلم نبينا ﷺ بتعليم الله تعالى أنه سيقع في أمته اختلاف(١) في الدين أمرنا أن نكون مع السواد الأعظم وهم جمهور المسلمين ؛ وهم أهل المذاهب الأربعة ، وساداتنا الصوفية ، وأكابر المحدِّثين ، فهؤلاء - أي - السادات من أكابر الصوفية الصافية مخالفون لما عليه هؤلاء القوم المدَّعون المتصنِّعون ، الذين تسمّوا باسم الصوفية النقشبندية أو القادرية عفا الله عنهم وعنا . آمين .

ومن المعلوم المتيقَّن أنَّ مَن سبقهم من المشائخ(٢) أكثر منهم علماً ، وأدقُّ فهماً ، وأسلم ذوقاً ، وأوسع معرفة ، وأفضل من كل الوجوه علماً وعملاً آلاف ألوف من عهده ﷺ إلى الآن ، أفيكون هؤلاء على الخطأ ، وتكون الأمة كلها بأسرها ضالَّة ، والمشائخ الذين يزعمون أنهم مأذونون من الشيخ الثغوري والحال أن كلاً منهم يقول : لا ثاني له غيري(٣) على الحق والهدى ! ! مع أنه لم يوجد في يد واحد منهم صك الإجازة ولا شاهد له على الإجازة ، هذا مما لا يقبله إلا كل جاهل بهيم ، فاقد العقل

---

(١) وفي الحديث : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » انتهى . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) كالإمام النقشبندي وعبد الخالق القادر (عله عبد القادر) وأبي الحسن الشاذلي وخالد البغدادي وأضرابهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) أي : ليس بمأذون غيري فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

والذوق السليم ، ودعوى كونهم من أهل الاجتهاد ! ! فيردّه بنقول كثيرة ، ويكفيك ما قاله يوسف النبهاني رحمه الله تعالى في « شواهد الحق » في ٤ بهذه العبارات :

فأقول اعلم أنه قد انقطع الاجتهاد منذ مئاتٍ من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعوَّل عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها ، ولم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهباً من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما بنفسه ، فيكون قد اتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مقلِّداً في فَهْمِهما ذلك الإمام ومن تبعه من أئمة مذهبه الذين اطَّلعوا على كلامه جيلاً بعد جيل ، وطبقوه على أدلَّة الكتاب والسنة قبيلاً بعد قبيل ، فما رأوه موافقاً لها من أحكام المذهب وأكثره قبلوه وأثبتوه واعتمدوه ، ومارأوه مخالفاً - وهو النزر القليل - زيَّفوه وضعَّفوه جاعلين محطَّ[1] نظرهم كتابَ الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم ، فالأمة المحمدية - ولله الحمد - لم يخرج باقتدائها بهؤلاء الأئمة عن اتِّباعها لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

أما الاجتهاد فلا يدَّعيه اليوم إلا مختل العقل والدين . .إلى آخر ما قاله ، فراجعه في : ٤ .

وفي « ديوان المدائح النبوية » للنبهاني :

وكم من قرون قد توالت ولم يَجُل بدعوى اجتهاد مطلقٍ عالمٌ فكرا

انتهى عبارته ٣٥٤ .

وقال في هامشه : قرون مئات من السنين لم يدَّع أحد فيها الاجتهاد

(١) في نسخة : محلّ نظرهم .

المطلق ، حتى أنَّ الإمام الغزالي والفخر الرازي – وهما من أهل القرن الخامس – قد صرَّح كل منهما بأنه لايوجد في عصرهما مجتهد مطلق[1] . انتهى فراجعه من هامشه في صفحة ٢٥٤ .

ولافرق بين الاجتهاد في الأحكام الظاهرة والباطنة ، فإذا انقطع الاجتهاد في الظاهرة منذ قرون فانقطاعه في الباطنة يعلم بالطريق الأولى ، فقد كان واحد من أهل العلم طلب منَّا سلوكه في الطريقة النقشبندية فسلَّكناه فيها ولقَّنَّاه الذكر القلبي ، فذهب من ذلك سنون ، ثم جاء لدينا وطلب أيضاً سلوكه في الخلوة والأربعينية فمنعناه منه خوفاً عليه من طُرُوِّ مرض ماليخوليا ، علماً منا أن حاله مستعدٌّ لذلك المرض ، فأساء لدينا أدبه ، وحثّثناه أن يذهب لدى شيخنا سيف الله قدس سره ، فذهب لديه وسلكه في الشاذلية ومضى من ذلك زمان ، ثم أساء معه الأدب أيضاً ، وكتب لديه شيئاً يسوء[2] به ظن الشيخ ، فقال الشيخ : إنه كتب لديه شيئاً لو أُلقي في البحر لتكدَّر به ، ثم بعد زمان انقطع عنه كما انقطع عنا ، فسلك بنفسه فادَّعى بعد ذلك بأنه قطب ، وأنه خليفة النبي عليه السلام ، وأنَّ طريقته طريقة جذبية ، ونسخت بها جميع الطرق ، كما نسخ كل الأديان بدين نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقال : لا يفتح لأحد بعد الآن إلى يوم القيامة إلا بطريقته المخترعة بنفسه ، وادعى القطبانية ، فقد يردُّ دعواه بما قال[3] الإمام الرباني النقشبندي قدس سره : **نسبتي هذه تبقى بواسطة أولادي إلى يوم القيامة ، حتى أنَّ الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة .**

---

(١) وفي « بغية المسترشدين » في ٧ كلام نفيس في حق انقطاع الاجتهاد ، حتّى أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى لم يدع الاجتهاد الاستقلالي – مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وتفنّنه بما لم يسبق إليه – ، بل النسبي ولم يسلم له . فراجعه . (لكاتبه الطلقي نور محمد رحمه الله تعالى وغفره) .

(٢) في نسخة : يسودّ به .

(٣) في نسخة : ما قاله .

وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة ، فالواجب أن يزين باطنه بنسبتهم ، و يزين ظاهره بمتابعة السنة المطهرة ، كما هو مذكور في « البهجة السنية » فراجعه في ٧٥ .

وفي « شرح سلك العين » : إن الشيخ المهدي وزير عيسى يكون من أهل هذه الطريقة . وناهيك به فخراً . انتهى فراجعه قبيل بيت :

أهل المروّة ماتوا وهي أيضاً . . . . .إلخ .

وقد حصل بهذا الرجل المذكور وبأقواله ضرر عظيم للخلق ، لكن قد جرت عادة الله أن مَن تحلَّى بما ليس فيه يفضحه مجرَّبات الزمان ، وأنه تعالى يُحقُّ الحق ويبطل الباطل .

وأيضاً إن **الطريقة النقشبندية هي طريقة الصحابة رضي الله عنهم الباقية على أصلها من غير زيادة ولا نقصان** ، وواسطتها الصِدِّيق الأكبر أفضل الخلق بعد النبيّين ، رضي الله عنه ، وهي أم الطرق[1] وسلطان الطرق ، وهي أيضاً الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتم الأكمل الأحكم الأوضح ، والمشرب الأعذب المصون عن كل قادح ، وجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبُّ القرآن وحقيقة القرآن ، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً ، كما ذكر جميع ما ذكر الشيخ أحمد ضياء الدين في « متمماته » في : ٩٧ .

فنسخ هذه الطريقة وتغييرها وتبديلها بطريقة مخترعة باختيار مثل ذلك الرجل المذكور مما لا يقبله عقل ولا نقل ، وقد يعلم مما مرَّ من قول سيد الطائفة خالد البغدادي : (من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا) كون أمثاله مطرودين عند المشائخ ومردودين عن طريقتهم . فتدبّر ! !

---

(١) في نسخة : أم الطرائق .

وقد حصل للخلق بظهور هؤلاء الطائفة ضرر عظيم ، وللدين نقص كثير ، وظهرت الفتن بسببهم ، وعمَّت بهم البلواء والمصائب في النفوس والأموال ؛ حتى مسَّت أيدي الأعداء على كلام رب العالمين الذي لا يمسُّه إلا المطهَّرون ، ووطئت أرجلهم على أوراقه ، وأَحْرَقَتْ[1] البيوت والقرى ، وأصاب البنين والبنات الجوع والعري ، **فكل هذه المصائب والفتن إنما عمَّت على الخلق بأقوال أهل الدعوى وأعوانهم** ، إنا لله ، وإنا إليه راجعون . فالحكم لله العلي العظيم . عصمنا الله تعالى من أمثالها بعد الآن ، وغفر لنا ولهم أجمعين .

فإذا كان الحال في أحوال المتشيخين هكذا ، وتفرَّقت أبعاضٌ من الأمة على فرق كما تفرَّقت اليهود والنصارى ؛ وجب على كل مَن له عقل سليم أن يكون مع السواد الأعظم ، ويتبع من تمسَّك بعروة طرق الأئمة ، فالشذوذ منهم ومما تمسَّكوه شذوذ عن دين[2] النبي عليه السلام ، فقد قال يوسف النبهاني قدس سره في « شواهد الحق » ما حاصله : إن نسبة الكفر إلى من شذَّ عن السواد الأعظم أقربُ ، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين ، قال تعالى ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ انتهى عبارته . فراجعه في صحيفة ٨٩ .

فالكل من العلماء يقولون : يجب على الخلق أن يصوموا ويصلُّوا ويُزكّوا ويحجُّوا ويفعلوا كل شيء على وفق ما في الكتب ، فكذلك يجب عليهم أن يقولوا : يجب أن يكون الشيخ كما ذكر الأئمة أوصافه في كتبهم ، وأن يستعمل طريقته وفق ما في الكتب ، ويجب عليهم أن ينكروا على جميع مَن غيَّر الطريقة واختلط فيها البدع الشنيعة .

---

(١) وفي نسخة : واحترقت البيوت .
(٢) وفي نسخة : بدون دين .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : إنَّ إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقل من إحداث بدعة في الدين ، وبركات الطريقة إنما تفاض وتعود على أهلها ما لم يُحدَث فيها مُحْدَث ! فإذا حدث فيه[1] محدث ينسدُّ طريق الفيوض والبركات ، **فحفظ الطريقة من المحدثات من أهم المُهمَّات** ، والاجتناب عن مخالفة الطريقة من الضروريات ، فكل موضع رأيتَ فيه مخالفة الطريقة ينبغي زجره ومنعه بالمبالغة ، والاجتهاد في ترويج الطريقة وتقويتها . والسلام . انتهى عبارته ؛ كذا في « الدرر المكنونات » فراجعه في ٢٨١ ، من الجزء الأول .

ومن البدع التي يستعملونها : **الرقص والسماع والتواجد ورفع الأصوات بالذكر وإنشاد الأشعار والنغمات** مع أنهم يقولون : إنهم نقشبنديون . والحال أنَّ النقشبنديين لم يجوِّزوها ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليها باتفاق منهم وإجماع ، بل بالغوا في المنع عن ذكر الجهر ، واعتقدوه بدعة في طريقتهم الخاصة بهم ؛ وإن ورد في طريقة غيرهم ، كما بسط الإمام الرباني الكلام في ذلك في « مكتوباته » ، وذكرنا في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » باباً مستقلاً في حقه .

فها أنا أذكر نبذة يسيرة ذكرها الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه مما لم أذكره في ذلك الباب في الكتاب المذكور .

قال قدس سره بعد ذكره كلاماً في كون الذكر الجهري بدعة في تلك الطريقة النقشبندية :

واعلم أن الرقص والسماع داخل في الحقيقة في اللهو واللعب ، وقولُه تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ . . . الآية نازل في شأن المنع عن الغناء . كما قال مجاهد الذي هو تلميذ ابن عباس من كبار

---

(١) قوله (فيه) كذا في الأصل (منه) .

التابعين : إن المراد بلهو الحديث الغناء . في « المدارك » لهو الحديث السمر والغناء . وكان ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يحلفان أنه الغناء .

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي لا يحضرون الغناء .

وحكي عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي : **مَن قال لمقرىء زماننا (أحسنت) عند قراءته! يكفر ، وبانت منه امرأته وأحبط الله كل حسناته .**

وحكي عن أبي نصر الدبوسي ؛ عن القاضي ظهير الدين الخوارزمي : مَن سمع الغناء من المغني وغيره ، أو يرى فعلاً من الحرام فيحسن ذلك باعتقاد ؛ أو بغير اعتقاد يصير مرتدّاً في الحال ، بناء على أنه أبطل حكم الشريعة ، ومَن أبطل حكم الشريعة ؛ فلا يكون مؤمناً عند كل مجتهد ، ولا يقبل الله طاعته ، وأحبط الله كل حسناته[1] . أعاذنا الله سبحانه من ذلك .

والآيات والأحاديث والروايات الفقهية في حرمة الغناء كثيرة جداً ؛ على حدٍّ يتعذَّر إحصاؤها ، ومع هذه كلها لو أورد شخص حديثاً منسوخاً ؛ أو رواية شاذة في إباحة الغناء لا ينبغي اعتباره منه ، فإنه لم يُفْتِ فقيه في وقت من الأوقات بإباحة الغناء ، ولم يجوِّز الرقص والضرب بالأرجل كما هو مذكور في « ملتقط » الإمام الهمام ضياء الدين الشامي ، وعمل الصوفية ليس بسند في الحلِّ والحرمة ، أما يكفيهم أن نعذرهم ولا نلومهم ! ! ونفوِّض أمرهم إلى الله تعالى !

والمعتبر هنا قول الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف ، والإمام محمد رحمهم الله تعالى ؛ لا عمل الشبلي وأبي الحسين النووي ! ! وقد

---

(١) اشترط الإمام الشافعي رضي الله عنه لحبوط الحسنات الموت على الكفر .

جعلت الصوفية القاصرون اليوم السماع والرقص دينهم وملَّتهم ، مستندين إلى عمل مشائخهم واتخذوه طاعتهم وعبادتهم أولئك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ ، وقد علم من الرواية السابقة أن مَن استحسن الفعل الحرام فقد خرج من زمرة أهل الإسلام وصار مرتدّاً ؛ فينبغي التأمُّل ماذا يكون شناعة[1] تعظيم مجلس السماع والرقص ، بل اتخاذه طاعة وعبادة ! ؟

ولله سبحانه الحمد والمنَّة لم يقبل مشائخنا بهذا الأمر ، وخلَّصوا أمثالنا المقلِّدين من تقليد هذا الأمر .

وقد نسمع أنَّ المخاديم يميلون إلى السماع ويعقدون مجلس السماع وقراءة القصائد في ليالي الجمعة ، وأكثر الأصحاب يوافقونهم في ذلك الأمر ، والعجب ألف عجب أنَّ مريدي السلاسل الأخرى إنما يرتكبون هذا الأمر مستندين إلى عمل مشائخهم ويدفعون الحرمة الشرعية بعملهم ؛ وإن لم يكونوا مُحِقِّين في هذا الأمر في الحقيقة ! ! وما معذرة أصحابنا في ارتكاب هذا الأمر ، وفيه ارتكاب الحرمة الشرعية من طرف ، وارتكاب مخالفة مشائخ طريقهم من طرف آخر ؟ ! فلا أهل الشريعة راضون عن هذا الفعل ، ولا أهل الطريقة ! فلو لم يكن فيه ارتكاب الحرمة الشرعية ؛ لكان مجرَّدُ إحداث أمر في الطريقة شنيعاً ! فكيف إذا اجتمع معه ارتكاب الحرمة الشرعية ! ! واليقين أن جناب المرزاجيو لا يرضى بهذا الأمر ، ولكن لا يصرح بالمنع أيضاً رعاية للأدب معكم ، ولا ينهى الأصحاب عن هذا الاجتماع أيضاً ، والفقير لما أحسست توقُّفاً في مجيئي كتبت هذه الفقرات وأرسلتها إليكم ، فينبغي قراءتها من أولها إلى آخرها عند المرزاجيو . والسلام . انتهى من « الدرر المكنونات » عبارته . فراجعه في ٢٧٩ من الجزء الأول .

(١) وفي نسخة : شفاعة .

وقد سمعنا عن أفواه الثقات أنَّ الرجال والنساء يكونون مختلطين في مجلس السماع والرقص ، بل قال واحد : إنه رأى امرأة تدور كالرحى بخلع ما على رأسها من الخمار تصيح بصيحات ؛ والحال أنَّ وجهها و رأسها منكشفان ، وذوائبها متدلية ، والرجال ينظرون إليها ! ! فشناعة هذا الأمر غني عن البيان ، وتجويز أمثال هذه الأمور القبيحة المحرمة بقول (إن طريقتهم طريقة جذبية) مقلِّدين في ذلك شيخهم المدعي الكذَّاب ! ! لا يقبله كل مَنْ له عقل سليم . أعاذنا الله تعالى وجميع إخواننا من أمثال هذه المذكورات ، وغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات . آمين ؛ يا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات .

وقد ألحقت الكلام في حق هذا الشأن بنظم ذلك العالم المحقق ببلات القُلْزمي شكر الله سعيه ليكون خدمة له ، وليعلم الناس أنه لم يتكلم من قبل نفسه ، بل تكلَّم بما هو مذكور في الكتب ، ولولا خوف الإطالة والسآمة ؛ لأتيت لكل كلام صدر منه نقولاً ببيان مواضعها ، فجزاه الله عنا خيراً ولا يلقاه بعد الآن ضرّاً . وليكن هذا ذيلاً لهذا الكتاب ، وأرجو الله تعالى أن يكون نافعاً للعباد وسبباً باعثاً لهم للدعاء لهذا الفقير القحي سامحه الله من فرطاته ، ورحم الله إفلاس أعماله . آمين .

انتهى في ١ يوم السبت من ربيع الأول من سنة ١٣٤١ .

تقريظات للمؤلف والكتاب

تقريظ حبيب الله القحي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ بعد الحمدلة والتصلية فلقد نظرت إلى هذا المؤلف العظيم الشأن ، البديع المعاني والبيان مرة بعد مرة ، وكرة بعد كرة فوجدت تحت كلّ كلمة فيه درة ، وفي كل ذرة منه لذة . وقد حرر مؤلفه فيه كل محبوب ، ونقل إليه كل مرغوب ، من أقوال صحاح ، وألفاظ

شراح ، هي خلاصة أنظار أصحاب الصفا ، ونتائج أفكار ألباب الوَفَا ، وأودع فيه الأجوبة المرضية ، والإشارات الصوفية ، والمنافع الأدبية ، والفوائد الأخروية ، وأتى في كلّ جواب بالعجب العجاب ، وبجميع الأهم والصواب ، وغرس شجرة جوده في صحن الصحراء : أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولم يهمل فيه من المحاسن أدناها وأقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فسبحان من وهب من شاء ما شاء ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وقد طابق اسمه مسماه ووافق داله معناه فهو على علو مؤلفه أدلّ دليل ، ولسان حاله ناطق بالثناء الجميل . فياله من مصنف عزيز المثال غزير المنوال فمن وقف عليه ازداد يقيناً وأخذ في طرد شكوك الأوهام نوراً مبيناً . وبالجملة فلم يصنف على مثاله مصنف ولم يجمع ما جمعه في تلك البروج أحد من سلف وخلف ولقد حق فيه قول من قال :

كـتـاب لـو تـدبـره ضـرير ... لـعـاد كـريـمـتـاه بـلا ارتياب
ولـو مـرت حـوامـله بـقـبـر ... لصـار الـمـيّت حـيّاً في التراب
جميع الكتب يـدرك مـن قـرأهـا ... مـلال أوفـتـور أو سـآمـة
سوى هـذا الكـتـاب فـإن فـيـه ... بـدائـع لا تـمـلّ إلـى القـيـامـة

فنسأل اللهم أن تجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل سيئاتنا سيئات من أبغضت ؛ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

كتبه الحقير الفقير المغرور القاضي الضروري حبيب الله القحي وإن لم يكن أهلاً في هذا المقام لأن التشبه يكرم الطفيلي في ساحة الكرام لما ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » ، كما أنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم والسلام على من اتبع الهدى وصدّق بالحسنى . ولإتمام السنة ختمت في اليوم الأول من شهر ربيع الأخير ١٣٤٠ . حبيب الله رحمه الله تعالى .

تقريظ غازي محمد العوري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن أنار قلوب أوليائه بأنوار الشوق والشهود ، وأضاء وجوههم بالأنوار الحاصلة من أثر السجود ، وفتح لنوع الإنسان جميع أنواع العلوم والعرفان ؛ وهم عند ربهم في غاية الخوف عن القصور والنقصان . فسبحان من فضّل من شاء بالهداية ، وأضلّ من أراد بالغواية ؛ وصلاة وسلاماً على خير خلق الله محمد حبيب الله .

أما بعد فلقد أقبل عليَّ تأليف شيخي شمس العارفين ، وعمدة السالكين مولانا الشيخ الحليم حسن حلمي أفندي فطالعت فيه مطالعة إجمالية ، ونظرة إهمالية كما هو عادة مثلي القاصر الباع ، الغير المتأهل للخوض في مثل هذا البحر المتلاطمة الأمواج مع وحشة البقاع ووجدتني في هذا المسلك كالمجنون ، ويقال : إنّ الجنون فنون .

ورأيت هذا التصنيف كظرف ياقوت فيه المصباح أنار الآفاق عند الصباح ، أجوبة مسائله كالدرر والمرجان ، طرزت حواشيه بالجواهر والزعفران ، أراضيه مملوّة فجاجاً ، وسمواته مزدحمة بروجاً ، جُدَدُه آمنة عن التهلكة والسباع ، والسائر فيها ناج عن الضياع ولاغرو فكم له مثل هذا من المصنفات البديعة ، والمؤلفات البريعة ، ولم يتخط عما في المسائل من المشكلات ، ولا في الأجوبة من المعضلات ، بل اعتنى في سرد الزوائد للمستفيدين من الأقران والأتراب ، مثل الأدعية المجربة ، وسلاسل الأحزاب لتكون نافلة لمن يطلب بقراءتها اقتباس الأنوار ، ويجتني بأورادها الفواكه والثمار . فلله دره مؤلفاً ما أعظم همته في إحياء هذه الطرائق وبذل روحه - وروحي فداؤه - بما فيه الهداية التامة العامة للخلائق فعلى الله عونه ونصره ، وعلى الناس شكره فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين بأحسن الجزاء ، وأدام نصره ونصر جنده ، وأطال عمره ، وأعلى مقاماته مع الأولياء . آمين يا مجيب السائلين . فقلت :

أمـــنكرو هذا السفر ماذا ترونه أفيـــه كـلام لا يـوافــق نـــقله
كأني إذا ما عاد نظري طروسـه رأيـــت اللآلـــي حسنها لا تمله
عباراته مستجـمـعـات فـرائـداً ومـن يـسـتـفد مـنـهـا أتاه نواله
فـــفي كـل لفظ منه دعوة جنده إلـى حـضرة الرحمن جل جلاله
كـذا إنـه بـحرٌ تـلاطـم مـوجه مـن اصـطـاد دُرّاً فـليشمّر ذيوله

فلما كان الطائر لا يطير إلا بجناحيه قوياً أو ضعيفاً ، وكان قلبي في ارتكاب مثل هذا مألوفاً آمل جميع الإخوان في الدين أن يدعوا لنا في المجالس مع الصالحين ، والحمد لله ربّ العالمين . غازي محمد العوري رحمه الله تعالى .

تقريظ جمال الدين نجل ابن قحي

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على النبي ذي الخلق العظيم . فلما أشرق نور السعادة من أفق العلامة صار كل العالم منوّراً مشرقاً فرحاً مستبشراً حامدين شاكرين على زوال ظلمة الليل الداجي بتتابع النور الساري مستمدين من نور تلك السعادة ، ومستنزلين مستزيدين من ضياء تلكم الطلعة البهية والنظرة الحسنة ، صاعدين هابطين من الأفق العالي ليتعجبوا من عجاب المعدن ، وليتلذذوا برؤية جنة العدن ؛ فقوم بظاهرهم ، وجيل بباطنهم مع ظاهرهم ففاح عَطْر أزهار جنان وشم به أرواح حسان فامتلأ باطنهم برائحة مسك وعنبر ، وجلا ظاهرهم بسماتٍ لمن له عِبَرٌ ، ولبس كل من له فقه وعلم حُلَل تلك الجنة العلية ، وفازوا بدرر تلك البهجة السنية وشربوا من عين تسمى سلسبيلاً ، وارتووا من حوض جاء من قوم مسلسلاً ، وعانقوا حوراً ، وجالسوا بدوراً ونسوا بلذة مسامرتهم دُنْياً وأغياراً ، وغرقوا في نعم أبدية ومنح سرمدية ، وخلصوا من محن مهلكة وخُلُق ردية .

فهذا الكتاب قطرة من ضياء هذا شمس الضحى ، وهذا العجاب قطعة من نور هذا بدر الدجى فجاء ببحر فيه الدرر واللآلي كلما غاص فيه وازداد فاز بالنفائس والغوالي ، وكلما أدام السباحة فيه أشرق على سطح قلبه نور الجواهر والعوالي فأوقدت نور درره نار شوق السعي إلى حضرة رب العزة والجلال ، وهُيَام صحبة العارفين بالكمال ، وأفصح ألسنة بلا بَلَهٍ بأن الصحبة : هي صحبة هذا القوم ، والكمال هو كمالهم ، وأن ليس ما سواهم إلا كالأنعام التي هم في أكل وشرب على الدوام ، وإن لم يخلق الإنسان لحظوظ هذه الدنيا الدنيئة بل لاستعداد تلكم الدار العلية فكون من لم يتنبه له عالماً أو جاهلاً أخسّ حالاً ولوكان سيّداً أو مخدوماً فَرَعْوَتُهُ إلى السيادة الأخروية بتوسل هذه الأمّة العلية إذ لا طاقة للعروج إلى السطوح إلا بمعارج أهل الفتوح ولا سبيل إلى ملك الملوك قبل الرقيب ، والحاجب من أهل السلوك فهو شمس أشرق من نوره ، القلب الذي هو العالم الأكبر ، واستنار به هذا العالم الأصغر لا يرى نوره الحسدة ، ولا ينتفع من ضَوْئِهِ الحقدة بل المحصول لهم هو التبكيت والحيرة مع التنكيت بل لو قلب كافر مستور ورقه لأسلم وانفتح قلبه بل هو جوهر ما شبهه جوهر ، وكنز ما مثله كنز ، ودرّة ما يوازيه درّة ، وذهبٌ ما علاه ذهب ، وفضته ما غلاها فضَّة ، ومسك ما على نهج مسك ، وعنبر ما على منهج عَنْبَرٌ ؛ يتعجَّب منه أهل الفطنة والذكاء ، ويعترف به أهل العفة والصفاء ، وينجلي به صدأ قسوة الأذهان ، ويرتدي به حلل جنة بإعلان ، لا يرجع منه لمحة بنظرة إلا مع فوز نعمة ودفع نقمة وكلما كرر النظر إليه فاز عليه من سحائب الرحمة والعرفان ما لا تطيق على إفصاحه ألسنة ، وانصبّ عليه من دلائل العلوم والحكم ما لا يحيط به من الراقم أقلامه .

فهذا التأثير العجيب والتسليم الغريب علامة وَعْظه بِفِعْلِهِ على نهج من وعظ بفعله نفذ سهامه ومن وعظ بقوله ضاع كلامه ؛ على أن التصوف

هو العمل بالعلم وحصول اليقين بالمعتقدات الشرعية واليسر في أداء الأحكام الإلهية . فيعلم به أن نفس صاحبه بدن منيف وجسم شريف له مرابطة بعالم الملكوت ، وملازمة بعالم اللاهوت مع الأرواح المهذبة ، والنفوس المنقدة ؛ فلله الحمد والمنة على وجود مثله لإحياء ما اندرس من علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، ولإرشاد الخلائق الذين كانوا في خداع المتشيخين إلى سبيل العارفين الواصلين الموصلين وفقنا الله تعالى لتصديق طريقهم وتسليم سبيلهم ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، ورجاؤنا أن يجودوا لنا بنظرة عند تموّج أمواج بحور المهاوي والمهالك في عقبات ودركات النفوس والأعادي . من الخادم الملام جمال الدين نجل ابن القحي . انتهى .

تقريظ باي ميرزا الخباري

وهذا الكتاب الذي ألفه العارف حسن حلمي ؛ فيه دلالة واضحة على رفعة شأنه وعلو مقامه وقد عذب مشربه عند كل أحد من ذوى الألباب حتى صار فوق كل كتاب ألّفه المؤلفون في هذا الباب ؛ كيف لا وأكثر ما فيه عين سنة وكتاب موافق لما عليه أعلام الأئمة بلا ارتياب ، ولكن تفرق كلمة الصوفية في هذه الأعصر والأعوام . قد جرح قلوب الخواص وخواطر العوام ، وأوقعهم في مشقة الوساوس والأوهام ، وذلك ظاهر لدى كل أحد من الأنام والعلم الحقيقي عند الملك العلام .

من الفقير إلى رحمة البارى باي ميرزا الخباري .

تقريظ القاضي إبراهيم الهؤوري

بسم الله الرحمن الرحيم : لما طالعت هذه المؤلّفة البديعة والمصنّفة البريعة وجدتها مزيل صدأ الأذهان عن قلوب فقراء الزمان ، ومذهب الداء عن الخواص والعوام ، ومشبع السائل والمحروم مرصعة بالدرر

الحسان ، ومشحونة باللؤلؤ والمرجان ، بلغت الغاية في جمع الفوائد ، وقطعت المسافة في سرد الفرائد . فها هي مع التلخيص والخلاصة والتنبيه والترجمة كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها شهاب في السماء ساطع ، وعلى بساط الأرض لامع ، نور على نور يهدي الله من يشاء لنوره ؛ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنها لعجب عجاب ، وجرابٌ مخزون ، في صدر حسن ميمون إلى أجلّ معلوم في الحين ، أُبرزت في حينه من الزمان ، فحق فيه ما قال لنبيّه رب العزة والعلى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بحسن سبكها تنشرح الصدور وتلذ الأعين ، وحلاوة ألفاظها تسر الناظر الغير المكابر ؛ وفيها فليتنافس المتنافسون ، وبمثلها فليسبك السابكون فيا أحسن صنع ولد آدم أدامه الله بمرامه على الدوام ، وعمَّره وأبقاه لهداية الأنام ؛ كيف لا مع أنه يعسوب العلماء الكَمَلَة الخيرية في الأعصار القبلية والبعدية ، وأسبق الأشخاص الإنسانية في العلوم والمعارف الإلهية ، وأسرع الفرسان الداغستانية في إبداع المعارف والمحاسن البشرية ، ومصنفاته شاهدة عليه بالبديهية فليقف عليها من لا يشتبه الرصاص بالفضة في الرواج ؛ ولا يقول للعسل هذا ملح أجاج وليعضّ عليها كلّ منصف صَوَّابٍ ، ولا هو بمُتَعَصِّبٍ عَتَّابٍ ، وذا ليس من شأن خلّص عباد رب الأرباب ؛ جعلها الله تعالى ذخيرة إذا جاءت الطامة وسبباً لرحمته الخاصة والعامة الحمد لله حمداً متوافراً ، والشكر له شكراً متكاثراً : يا ربّنا اغفرلنا ذنوبنا وأنزل علينا من بركات أشياخنا ، وأَفِضْ علينا من فيوضاتهم ، ولا تحرمنا من قبولهم وشفاعتهم ؛ إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جديرٌ ؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . كتبه أفقر الفقراء القاضي إبراهيم الهؤوري .

عجبت على هذا البروج المشيـدة		فكيف طوى فيه النصوص المؤيّدة
فيا حبّذا هـذا الـمـؤلـف قـــدره		فشتان في الأكوان في العلم مثله
فطوبى لأهل العصر أهل زمانه		تـــلـقـاه أحـيـانـاً عـلـيماً بقدره
فويل لمن عاداه جـهـلاً بـقـدره		فـآه على من لم يذق من رحيّته

انتهى .

تقريظ عبد الحفيظ الأحلي

أمـا ذاق عـلـم الـعـارفـين وكنهـه		قلوب من الجهل الزميم بها الصدأَا
تبـاعـد درك الـداركـيـن شـأوهـم		وإن كـان فـوق العاليات لهم وطئَا
وها هم رجال الغيب أولو الهدى فما		يـرى أبـداً مـن بـين أظهرهم خطئَا
تـرى حـسـن الـقحي منبع أكـؤس		لـنا من شراب الرشد قد ملئت ملئَا
تعـارف بـيـن الأولـيـــاء فـإنـــه		تـلألأ فـيـنـا مـن مـعـارفـه ضوءَا
وها هو شيخ العـالـمـين ومـرشـد		رشـيـد لأمـراض القلوب به البرءَا
فكم عالم قد ضلّ في بـحـر علمـه		مـراكـبـه مـن جـهـلـه هدأت هدءَا
فطوبى لمن قد زار نـحـو جـنـابـه		وويـل لـمن وافـاه من جهله هزءَا
وما لامرئ شيخ البسيطة يفـتـــرى		ومـا أن رأيـنـا مـن مـثـالـبه شيئَا
فكـــذب لـعـمـر الله قـولك مالهم		شـعـور بـشـرع الله كـلا ولا جزءَا

مما أنشأ الطالب الأحقر عبد الحفيظ الأحلي منتصراً للشيخ العارف بالله تعالى المرشد الحق حسن أفندي القحي قدس سره .

تقريظ محمد الشتوطي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم لما طلعت هذه المؤلفة البديعة والمصنفة البريعة وجدتها مزيل صمداء أذهان

رسالة رصعت في عقد جوهرها عجائب النصح والذكرى مع الأدب
ريحانة نشرت في المغربين سرت تشمَّ قطّ عبادُ الله في الحُقبِ
جرابة حشية بالمسك لو شممت رياه محتضر تشفيه من طرب
لا عرق تلفحها لا طيب يعدلها لا سلك أزهر من جمع ومن سكب
علاج أهل الشقا دواء أهل التقى ذلال أهل الهدى من عطش ملتهب
يا نعم هذا المنى من مرشد قد بدى أنواره بين شرق الأرض والغرب
لو رسمت مثلها في صفحة قمر لنقّشوا رسمهم بالحبر من ذهب
فكيف لا وجماهير النقول لها أئمة قرروا في العجم والعرب
بل حاز إبراجه جمع شيوخ بما قد شيدت بالنصوص الفص من ذهب
لله من درّ شيخ العصر مرشدنا قد منح الواردين العين[1] من وهب
وخاصة في زمان البحر قد غورت مياهها في غدير الجهل منجرب
تعطلت في أصول الدين أرسمه وانتقبت ظلمات الغي من نوب
خلاصة الدرك منّا في حقيقة شمّ رياحين مسك الهند من لهب
لا ندرك الفاني الباقي بل يدركه ممّن له منح من فيض منجذب

---

(١) وفي نسخة : الحوض .

فأين معرفة المحجوب عن حضرات الحق مَنْ عنده في عزة القرب
فمبلغ العلم مني إنه بشر كساه ثوب التقى والحلم والأدب
قد تنكر الأعين الرمداء الشمس ضحى يا ويح منكره قد باء بالغضب
جلا المحق لنا عن مبطل كذب كما انجلى الماء في القيعان من سَرَبٍ
جزاه أفضل من يجزى له عملاً لما أتى ببديع الفضل من جذب
ثم السلامان من هذا الخسير إلى من دان حضرته في أقرب الرتب
محمد المصطفى من أشرف النسب وآله الطيبين الأنجم الشهب
ما دام غيم الحيا في الجو طافقةً وساق ريح الصبا في الأرض من سُحُبٍ

من أفلس عباد الله الحقير الفقير ذي العجز والتقصير محمد الشتوطي النقشبندي الخالدي في مدح كتاب – أي البروج المشيدة – الشيخ المرشد الكامل سيدي حسن أفندي القحي النقشبندي الشاذلي القادري قدس الله أسرار أهاليها ، ونور الله ضرائحهم وأفاض علينا من فيوضاتهم آمين ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء أيها الإخوان .

الفهرس

الموضع **الصفحة**

البرج الرابع

البرج الخامس

البرج التاسع

البرج العاشر

البرج الرابع عشر

البرج الخامس عشر

البرج الحادي والعشرون

خاتمة

تذنيب

جمهورية داغستان

محاج قلعة شارع عزيز علي ٢

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

فاكس ٦٣٦٤٧٧

هاتف ٦٣٤١٨٥

وسائل المريد
في
رسائل الأستاذ الفريد

ألَّفــــه

العلامة الجليل المرشد حسن
بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

دار الرسالة

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٨-٩) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً - وبمحض التوفيق الإلهي - الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله القادي فألبسه خلعة علي - رضي الله عنه - سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٥–٦) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله[(٢)] الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يَعْلم ، وألهم بفضله عبادَهُ المتقين انتقاءَهم سلوكَ سُبل اليقين ، فأشرقت في فؤادهم شموسُ العرفان ، وأيقنوا أنَّ كلَّ من عليها فانٍ ، لذا سارعوا إلى الخلاص ، وهرعوا[(٣)] لانتهاج

(١) وإنما جمَع بينهما أي : الرحمن الرحيم- إشارةً إلى أنه تعالى كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة كذلك ينبغي أن يطلب منه النعم الدقيقة ، فقد أوحى الله إلى موسى : يا موسى لا تخش مني بُخلاً أن تسألني حقيراً ، اطلبِ مني الدقة والعلف لشاتك ، أما علمت أني خلقت الخردلة فما فوقها ، وأني لم أخلق شيئاً إلاَّ وقد علمت أن الخلق يحتاجون إليه ، فمن سألني مسألة وهو يعلم أني قادر- أُعطِي وأمنع- أعطيته مسألةً مع المغفرة . (من نسخة أخرى ؛ كل موضع كتبنا فيه : نسخة أخرى ، أو وفي نسخة هي نسخة محمد أفندي العكَّلچي قدس سره) .

والحاصل رحمته سبحانه وتعالى عامة على جميع مخلوقاته ، فينبغي لكل شخص مريد رحمةَ الله أن يرحم أخاه . قال كعب الأحبار : مكتوب في الإنجيل ، يا ابن آدم كما تَرْحم كذلك تُرْحم ، فكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباد الله ؟ !

وممَّا ينسب لإبن حجر رحمه الله تعالى :

ارحم – هُديتَ – جميعَ الخلق إنك ما رحـمـتَ يرحمك الـرحمـن فاغتنما

(وله أيضاً) :

ارحم عباد الله يرحمك الذي عـمَّ الخـلائـقَ جودُه ونواله
فالراحمون لهم نصيـب وافـر من رحمة الرحمن جلَّ جلاله

« إعانة » عبارته ١١ ج١ راجعه ، وراجع ص ٣٤٠ ج ٤ .

(٢) يسنُّ افتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ ، والختم بهما وبآمين . . إلخ « فتح المعين » عبارته . وينبغي أن يتحرَّى مجامعِ الحمد وأفضلها : الحمد لله رب العالمين حَمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال ، حمداً يوافي نِعمَه ويكافئ مزيده ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وَجْهك وعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ومجامع الصلاة على النبي ﷺ وأفضلها صلاة التشهد لكن لا سلام فيها ، فيزيد آخرها وسلِّم تسليما كثيراً طيِّباً مباركا فيه . « إعانة الطالبين » عبارته ١٧٩ ج ١ وراجعه منه ، ومن ص ٥ ، ومن ص ٣٤١ ج ٤ . ويسن الختم أيضاً بربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السميع العليم ، وتبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم ، سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين . « إعانة » عبارته . (من نسخة أخرى) .

(٣) عِدِعَنَ .

مناهج الإخلاص ، فتشبَّثوا بذيل أهل الصدق رجاءَ وصولهم إلى حصول التعلُّق بالحقِّ ، فسبحان من خلق الخلق وأحصاهم عدداً ، وأمدَّ خواصَّ عباده بأمداد فيوض معرفته مدداً .

أشهد أن لا إله إلا الله الهادي للعباد ، وأهّل بعض عباده للإرشاد ، وأقام لإقامة الدين بين الأنام نُوَّاباً لرسله الكرام ، واختار طائفةً من أهل الرعاية والعناية لإنجاد العباد وإخراجهم عن الغواية والعماية ، ذلك من فضل الله علينا أيُّها المؤمنون المُبصرون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا يشكرون .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المختار من خيار الخيار ، الذي دعى الناس إلى التوحيد ، وبدأ بدعوته وهو وحيد ، دعاهم إلى الله تعالى على بصيرة ، وهم في أيدي رؤساء أبالسة[1] الوثنية أسيرة ، فدمغ جيش الباطل بالحق ، وصيّر أمر الشرك والكفر إلى المحْق ، ورفع راية الإسلام التي يراها كلُّ قاص ودان في أشرف البقاع والبُلدان ، فانتشر منها في طول البسيط والعرض انتشارَ أشعَّة الشمس على وجه الأرض ، فعمَّ دينُه جميعَ المعمور[2] ، وتمّ به لأهل الإيمان أعظمُ السرور ، كيف لا ؟ ! وقد أقام الله سبحانه علماء أمة هذا النبي الجليل مقام أنبياء بني إسرائيل ! ! وجعل سلسلتهم مسلسلة إلى يوم القيامة ، من تمسَّك بطرفها نجى من الهلاك والطامَّة[3] ، إذ هم أهل التقوى والاستقامة ، الذَيْن هما كرامتان ما فوقهما من كرامة ، مِنْ أجل ذلك نَصَبهم هداةً للناس ، وأنقذهم بهم من شر الوسواس الخناس ، فسبحان من سهّل الأسباب والوسائل ، ويسَّر السبيل لنيل أنواع الفضائل ،

اللهم فصلِّ وسلِّم وتكرَّم بأنواع الصلاة والتسليم والتكريم على هذا الرسول المصطفى والنبي الكريم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين الذين عَبَدوا خالقهم بإخلاص خاشعين خاضعين .

---

(١) جمع إبليس .
(٢) فالدِّينُ دَيْنٌ على الإنسان . (من نسخة أخرى) .
(٣) كُدِيَبْ قْوَرِلٍ

أما بعد : فلما منَّ الله سبحانه وتعالى على هذا الفقير بسلوك سبيل هذه الطائفة العليَّة[1] ، ورأى أنهم هم البانون على أُسُسٍ قويَّة وقواعدَ أصلية تردّد إلى أبوابهم آناً بعد آن ، ووقف على منابع زلالٍ عرفانهم وقوفَ الظمآن ، فتعارَفَ معهم وتآلفهم ، فالحمد لله الذي ألَّف بيني وبينهم ، إذ هم قومٌ لا يشقى جليسهم ، ولا يُسأم كلامهم وحديثهم ، ففي يوم من الأيام عَرَضَ عليّ قطب هذا الفريق شيخنا في الطريق ؛ الأستاذ الأكبر **حميد أفندي** – حفظه الله تعالى في دائرة الأيادي- إرادَتَهُ السنيَّة التي كانت في صدره الشريف منذ زمان مطوية ، وتلك ترتيبُ مجلّد لطيف ومجموع شريف ، من مكتوبات الأستاذ القطب القحي الحقي قدس سره التي كتبها إلى مريديه الأخيار في الآفاق والأقطار ، وقد كان بعض أهل العلم من مريدي القطب المذكور – رحمة الله عليه – قد جمعها في مجلَّدين ، وكتبها كما وجدها بخطه قدس سره وبخطّ مَنْ نَقَلَ من خطه ، وكنت ظفرت أيضاً في القرى والبلدان عند أهل الإرادة والإيمان عدداً منها غيرما جمعه ذلك العالم الفاضل ، فضممت ما ظفرتُ إلى تلك الرسائل ، بيد أنها كانت تحتاج إلى التلخيص والاختصار ، وحذف الزوائد التي لا تعلُّق بها لمن يستفيد بها من أهل الاستبصار ، وإلى تقديم بعض المكتوبات على بعضٍ ؛ ليجمع مع نظيره في بابه ، وقد كان فيها أيضاً عددٌ كثير قد كتب على ساقٍ العجلة ، فوقع فيه الغلط فكان يحتاج إلى تبديل لفظ بلفظ ، وكلام بكلام[3] ، من غير إخلال بالمعنى والمرام ، حسبما أعطانا الله تعالى من الفهم

---

(١) الطريقة النقشبندية .

مهم

* وكان مظفر القرميسيني رضي الله عنه يقول : أخس الفقراء قيمة من يقبل رفق النسوان ، على أيِّ حال كان ، قلت : لأن الله تعالى يقول ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ومن رضي لنفسه بقيام المرأة عليه لا يفلح أبداً ، مع أن قبول الرفق يُميل قلب الفقير إلى المرأة زيادة على ميل الوازع الطبيعي فيتلف الفقير بالكليَّة ، والله أعلم . « طبقات الشعراني » عبارته ١١٩ ج ١ . (من نسخة أخرى) .

(٣) وفي نسخة : بمجملات الجملة فرأى الفقير أن يبيّن لفظًا بلفظ وكلامًا بكلام

والإدراك في مقاصد مقالات هؤلاء الأئمة الكرام والأساتذة العظام ، فشرعت في هذا الأمر العظيم معتمداً على الله الكريم ، سائلاً من جناب كرمه النصر والتوفيق ، فإن توفيقه لعبده لَخَيْرُ رفيق ، ومستمدّاً من حضرات سادات السلسلة الشاذلية ، وسادات السلسلة النقشبندية العليَّة قدس الله تعالى أسرارهم ، وأسفر في قلوبنا أنوارهم ، فإنهم ميازيب الإمداد لبلوغ المريد إلى المراد ، فجاء من الله تعالى النصر والتوفيق ، ويسَّر عليَّ أسباب السلوك في هذا الطريق ، مع أني كنتُ متراكمَ الأشغال قبل هذا الحال ، وقد زلّ حمار الحقير في الأوحال ، فالحمد لله ربِّ العالمين على هذا النصر المبين ، وذلك ببركة إشارة الأستاذ المذكور ، وملاحظة السادات المذكورين بلا نكور ،

فلمَّا أتممت ترتيبه وتهذيبه جذبني إلى جنابه العالي الجذبة الإلهيَّة ، ووضعته كالطفل في حجره ، فأمسكه بيده الكريمة واستبشر استبشاراً كبيراً ، وحمد الله تعالى حمداً كثيراً ، وقال لي : يجب عليك يا ولدي[1] أن تحمد الله تعالى دائماً حمداً كثيراً ؛حيث أهَّلك لهذه الخدمة السنيَّة لهذه الطائفة العليّة ، وقد حاول جَمْعَها هكذا غير واحدٍ من أهل العلم ، غير أن الله سبحانه وتعالى قدَّره على يدك ، فإن شاء الله تعالى ينفعك[2] وينفع به إخوانك من أهل الإرادة ، كما انتفعوا بـ « مكتوبات » الإمام الرباني المجدّد للألف الثاني قدس سره ، ولو أن الأستاذ **حسن أفندي** قدس سره رآه لَسَرَّ به جدّاً ، وسيوفِّقك الله تعالى لأمثاله ، ويمدّك السادات من عندهم في الحَذْو على مثاله . انتهى ما قال ، أو كما قال[3] .

ولمَّا أنشدت على عالي الجناب بعضَ أبيات منظومات تأتي آخر الكتاب ؛ كان يلوح على وجهه علامةُ الفرح والسرور ، ويلفِظُ مِنْ فيه مستبشراً بكلماتٍ هي كالدرِّ المنثور ، والحمد لله على هذه النعمة التي ما كنت قط لها أهلاً ، ولولا أن منَّ الله علينا بكرمه وفضله ما كان ذلك عليَّ سهلاً .

(١) وفي نسخة : يا محمّدُ .
(٢) وفي نسخة : وينتفع به .
(٣) وفي نسخة زيادة : بلَّغه الله جميع الآمال .

نسأل الله تعالى بوجهه الكريم أن لا يحْرِمَنا عن النعيم المقيم ، ونتوسَّلُ إليه بهؤلاء السادات القادات أن يبلِّغنا في الدارين إلى المقاصد والمرادات ، وأن لا يجعل حظِّي من هذا العلم وَصْفِي به للسائرين ، وأنا في العمل به من المقصّرين والقاصرين ، وأن يجعل هذا الجمع النفيس سُلَّماً للسالكين ؛ لترقِّيهم إلى مقام الثبَات والتمكين ، وسمَّيته :

« **وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد** »

جعله الله تعالى في الميزان عملاً موجباً للرضوان . آمين .

ورتَّبته على عشرة أبواب بعَدَد المبشَّرين بالجنة دار الثواب ، وفيها- إن شاء الله- إشارة إلى حصول هذه البشارة ، وعسى أن يكون مفتاح الباب للدخول إلى حضرة ربِّ الأرباب ، والحمد لله عدد ما في علم الله .

ونرجو من حضرات إخواننا المطالعين ، وجميع المنتفعين به والسّامعين أن يجودوا بقراءة ما تيسَّر ويدعوا بخير الدعاء لهذا الجامع الفقير الذي هو للمساوئ وِعاء ، فإنه للأعداء الأربعة[٢] أسير ، وهذا الأسير أمره عسيرٌ غير يسير ، وها نحن الآن ندخل من أوَّل الأبواب سائلين من الله تعالى تيسير الأسباب ، فإنه سبحانه هو الموفِّق والمعين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وإنك لأَنْتَ المقصود ، ورضاك هو المطلوب ، يا من هو قادرٌ على كلِّ شيء ، وغالبٌ غيرُ مغلوب .

* اختلف في الصلة ؛ فالجمهور على أنّه لا محلَّ للصلة من الإعراب ، لانَّ الجملَ إنما تقدر لها الإعراب إذا صحَّ وقوع المفرد مقامها ، وعند بعضهم : هيَ معربة بإعراب الموصول اعتقاداً منه أنها صفة الموصول ، وليس بشيئ ؛ لأن الموصولات معارف باتفاق منهم ؛ والجمل لا تقع صفة للمعارف . (حلبي) . (من نسخة أخرى) .

(٢) أشار به إلى البيت القائل :

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلها أعدائي ! !

الباب الأوَّل

في وجوب اتخاذ الشيخ على من لم يُرْزَق له قلبٌ سليم ، وجوازِ دخول الطريقة للمشتغلين بالأسباب والأعمال كالحرف والصنائع ، والردِّ على من أنكر ذلك ، وذكر خصائص الطريقة النقشبندية العلية وفوائدها وفضائلها ، وبيان المراد من الشريعة والطريقة والحقيقة

مكتوب نجم الدين الأواري

كتب قدس سره إلى العالم الشهير نجم الدين بن محمد الأواري الداغستاني رحمه الله :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء .

إلى حضرة وليّ الصداقة وصديق الشريعة ، وأمين الطريقة ، وسليل الحقيقة ؛ أخينا في الله لله بالله : نجم الدين وشمس الهدى ، ومرغم أنوف العِدَى ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فإني أسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولكم الاستقامة التامة التي هي رأسُ الكرامة ، والصحةَ والسلامة والعفو والعافية ، وأدامكم الله تعالى على ما شئتم إلى يوم القيامة ، ووفَّقكم للسباحة في بحر علوم الشريعة والحقيقة . آمين ، وإن سألتم عن أخيكم الأقلِّ من كلِّ قليل ! ! فهو منغمس في نِعَم الباري ، بحيث لا يطيق أن يكافيء نعمه ويشكر أَيَادِيَه ومِنَنَه ، بل هو خائف من أن يحوّل الله تلك النعم نِقماً ، فكم من نعمة أنعم بها علينا قلَّ له عندها شكرنا ! ! جعلنا الله تعالى وإياكم من الذين يصرفون أعضاءهم إلى ما خلقت له . آمين .

---

* فائدة : وقد قال الشاذلي قدّس سرّه : اعتقاد طريقتنا هذه ولاية . (من نسخة أخرى) .

فاعلم أيها الأخ العزيز والذهب الإبريز ؛ أنه قد وصل إليَّ من طرفكم العالي وجنابكم الغالي كتابٌ به اطمأنَّ القلب واستراح ، وذهب عنه الظلمة وظهر الضياء ولاح ، فرضي الله عنكم ، وجعل جنة المشاهدة متقَلَّبَكم ومثواكم . آمين ، وشكرتُ هذا الصنيعَ الصادر من قدركم الرفيع ومقامكم المنيع مع هذا العبد الوَضيع[1] الذي إن حَضَرَ لا يلتفت إليه بالفَحص والسؤال ، وإذا غاب لا يخطر من قلَّة خطره بالبال ، وتشرَّفتُ برؤية خطِّكم الميمون ، واستحسنتُ جميع ما أسرَّه في أثناء المكتوب من السرّ المصون ، جزاكم الله عنا خيراً ، ولا لقيتم بعد الآن ضَيْراً . . .

ثم إنك أيها المخدوم المكرَّم كتبتَ في رسالتك : لا تظنَّ أن الأبيات المنسوبة إليك ثابتة في الخارج لما أنها مغلوطة تُخِلُّ بالعروض ، فاعلم أن سبب وقوع الشكِّ في ظَنِّ هذا الفقير في صدق نسبتها إليك هو وجدان تلك الأبيات كذلك ، لأني على يقينٍ بيِّنٍ أنك لا تتكلَّم بما يخلُّ أوزان العروض ، وأيضاً أن ظاهر الأبيات يُفهم أنَّ ذكر القلب ليس من الشرع ، وذلك القول لا يَنْسِبُ إليك من له عقلٌ ، **فإنَّ الذكر القلبيّ الذي هو عمدة العمدة في هذه الطريقة النقشبندية من المأمورات الشرعية** ، كما نطق بذلك الإمام الرباني في « مكتوباته » ، والذي وجدته مكتوباً بيدك الشريفة على صدر الكتاب الذي أرسله إليك شيخنا المرحوم العسوي قدس سره هو هذا : إني نظرتُ الكتاب فوجدت فيه حقّاً وباطلاً ، فإن أراد المؤلِّفُ نشره ! فعليه بتصحيحه . انتهى .

فبعد أن حقَّقت النظر إليه وجدته كذلك من مواضع ، وكان الكتاب المذكور قد نسخه رجالٌ متعدِّدون[2] ، ولم يكن في أثناء ما كتب بيدي إلاّ جزءٌ واحدٌ ، فأعرضتُ بالكلية عن حشره[3] ونشره ، وضربتُ بالقلم على جميع سطراته ،

---

(١) وفي الحديث « لو كان الوضيع في قعر بئر بعث الله إليه ريحاً ترفعه » « مجمع البحرين » عبارته ٣٧٢

والتواضع : التذلّل . وفي الحديث « ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله » فيحتمل رفعه في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما . (منه) عبارته . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة : معدودون .

(٣) وفي نسخة : إثباته

ثم إنّي لمّا نظرتُ إلى ما يفعله أهلُ الدعوى ، وعلمتُ علم اليقين أن أهل هذه الطريقة [بحاجة][(١)] إلى تأليف كتاب يُرفع به الشبهة ، ويزال البدعة ، وإن كان جمعُه سبباً لحصول العناد وسوء الظنِّ بين العباد ؛ لِمَا أنّا نرى أنَّ هذه النسبة الشريفة صارت بسبب ما يخترعه أهل الدعوى في هذا الآن كعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ[(٢)] وآلَ أمرها إلى الاستتار تحت الحجب الكثيفة ، فاحتيج بالضرورة إلى إظهار حقيقتها ، وذكر مبناها ومنتهاها ، وتوضيح أصولها وأوضاعها ، ولذا سلكتُ في جمع كتاب يحوز مسائل الطريقة ومنازلها ، منقولةً من كتب أربابها وأصحابها لمجرّد ابتغاء رضاء خالق البريّة وبارئها ، ولم يكن من تأليفها غرضٌ مّا نفسانيٌّ فيما أعلم سوى الدفع والذبّ عن استعمال البدعة المخترعة في هذه الطريقة الصدِّيقيّة ، التي قال المحقِّق ابن حجر في حقِّها : إنها الطريقة السالمة من كدورات جَهَلة الصوفية ، وإمداد المتمسِّكين بعروة آداب الشريعة وعزائم الحقيقة . وأرجو الله تعالى أن يغفر لي بفضله لو كان فيَّ حظٌّ مَّا في جمعه وتأليفه فيما لا أعلم ، فإنَّ الإنسان لا يخلو عن حظِّ النفس إلا مَن اصطفاه الله عزَّ وجلَّ إلى حضرة شهود ذاته تعالت وتقدَّست . رزقنا الله المشاهدة التي تتبعها مكالمة ومحادثة ، وأخرجنا بجوده وكرمه عن دائرة العجب والأنانيَّة . آمين .

ومن الأسباب الباعثة لجمعه أيضاً : أن أرى أبعاضاً من الناس يزعمون بأن في أيديهم الإجازة التامة ، وأنهم نقشبنديّون أو قادريّون ، وقد اجتمعت بواحد[(٣)] منهم يدّعي القطبية الكبرى ، ويقول : بأنه ليس على وجه الأرض أحقُّ منه أن يُتَّبَعَ ، وأقدم منه في المشيخة والخِلافة ، فحين امتحنتُهُ وجدتُه لم يضع قدماً في أوّل مقام من مقامات الطريق ، وأقرَّ بلسانه في مجمع العلماء بأن ليس له شيخ ظاهريّ ، ولم يأخذ عن شيخ ، وإنما شيخُه هو النبي ﷺ لأنه رآه في المنام ، ولذا صار شيخاً .

---

(١) يوجد سقط في الأصل وبياض بقدر سطر .

(٢) اسم حيوان موهوم لا وجود له . يضرب المثل به لما لا وجود خارجي لحقيقته .

(٣) **قوله** : وقد اجتمعت بواحد .. إلخ . ولعلَّه هو الشيخ الحاج نور محمد الأكندي الذي ألَّف الأستاذ في ردِّه رسالته المسماة « بجهد المقلّ في ردِّ شطحات المنكر المضل » ، « جامع الرسائل » عفى الله عنه ، وراجع « البروج المشيدة » من البرج ١٦ . (من نسخة أخرى) .

وأيضاً أنكر هذا البعض المذكور ذكر القلب ، وقال : إن مريدي الشيخ العسوي قدس سره يقولون : إن القلب يذكر الله تعالى ! ! فهل له فم ولسان لذكره تعالى ؟ ! فكفاك أيها الخليل الروحيّ خرافةُ قوله ، وخساسة حاله ، **فأفٍّ لشيخ لا يعرف حياة القلب ، ولم يذق شيئاً من أحوال القلب** ، حتى يجهل ذكره ، فذكره شيء عجيب ، وإدراك حقيقته لمن لم يذقه أمرٌ غريب ، وذلك مقامٌ أسنى يذوقُه أهل التقوى ؛ وإن كان ذلك البعض عنه أعمى ،

فلما وجدنا أكثرهم هكذا خالين عن نتائج تلك الطريقة ممتثلين ومتمسكين بما اخترعه من سبقهم من المنتحلين ؛ استخرت الله تعالى في ذلك ، وبعد حصول الانشراح وذهاب القبض قصدتُ جمع النقول في ردِّ كلِّ باطل يقوله [1] مع إثبات الدلائل لبطلانه ، فصار المجموع منها جزءاً لطيفاً ، فأَرَيْتُهُ شيخنا العسويَّ رحمه الله فاستحسنه ، ونسخ منه الشيخ الحافظ العالم العارف شعيب الباكني نسخة وصوَّبه ، ثم بعد انتقال شيخنا المذكور صرتُ أتفكَّر فيما عليه أحوال الورى من إكبابهم على الردى [2] على كلِّ من يتمسّك بالحقِّ بترك الهوى ، ويتّبع الهدى ، ويجتنب عن الردى ، فظهر أنه لا يتمُّ أمر تمييز الحق عن الباطل إلاَّ بجمع تسعة وعشرين باباً ببيان ما عليه أهل الزعم والدعوى وما يستعمله أهل الهوى [3] ، وقد زدت عليها تذنيباً في بيان الآداب الواجبة على كل سالك في سلوكه ، فصار جسم الكتاب كجسم « الجامي » ، بل أضخم منه ، فسمَّيته بـ« تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، وأظنُّ أن هذا الكتاب لم يصل إلى يدك ! ! وأرسلتُه إلى أهل الذوق والوجدان ، ونظر إليه أرباب الصدق والصواب ، فكتبوا عليه التقريظ والتصويب ، وأثنوا عليه ؛ لما أنهم لم يجدوا فيه سوى ما نقل عن كتب أهل الشرع الشريف ، وقد كان في خاطري استحسان إرساله لدى جنابكم الرفيع ، بيد أني خفت من سطواتكم ، لكونه صادراً من طرف هذا المفلس الوضيع ، مع أني معترف بعدم لياقته لأن ينظر فيه نور عينك الشريفة .

(١) وفي نسخة : يقولونه .
(٢) وفي نسخة : الدعوى .
(٣) وفي نسخة : الهدى .

وقد كتبتَ أيها الأخ المحترم : إن مقام التصنيف مقامُ صعبُ المرتقى لمن لم يُحط بعلوم الكتاب والسنة . . . إلخ ! ! فقد نطقت بالصواب يا أخي ؛ فجزاك الله عني خيراً فما أصوبَ كلامَك[1] ، فحاشا ثمَّ حاشا أن أَعُدَّ نفسي من جملة المؤلِّفين ، بيد أني جمعت قول كلِّ قائل أخذاً من الكتب المعتبرة عند أهل التصوُّف وأهل الحقيقة ، وليس لي في ذلك دخلٌ ما سوى تحريك القلم ، وتحرير الكلمة والكلام ، مع بيان المآخذ ، ومواضع المنقولات .

وكتبتَ أيضاً : إني كنتُ قلتُ في نفسي حين رأيت كتابك : وقد أبطل حقّاً وحقَّق باطلاً في بعض مواضعه ، ورأيت مداره على تخطئة من سواكم ؛ ليت أخي ترك هذا البحث الذي لا يأتي منه إلا إيقاع النزاع .

أيها المحبوب المقبول ! أنا وأنت أخوان في الدين ، ولم يرزق لنا الملاقاة بالأشباح إلى الآن ، فلعلَّ الملاقاة بالأرواح متلازمة ومتوافرة ! ! والإلتفات بيننا بمعونة المشائخ العظام متطافرة ومتكاثرة ، فلو أنَّك أظهرتَ ما هو الحق ، وميَّزت الباطل ، وطرحته من أثنائه ، وضربت القلم على حروفه وألفاظه لكان ذلك أحبَّ إليّ من ملءِ الأرض ذهباً وفضة ، وصرتَ عند الله مأجوراً ، وعند الناس مشكوراً ! ! لكنك لم تفعل ذلك ، ولعلك لم تتفرَّغ لأظهار ما هنالك ، فوالله ؛ لو أنك فعلت ذلك ؛ ولو ثقل عليك ، وأظهرتَ ما هو الصدقُ والصواب ، ونقَّيتَ الكتاب عن كلِّ باطل ؛ لكان لأخيكم الداعي لكم بالخير تنبيهٌ عظيم ، وإيقاظٌ من نوم الغفلة ، لكن كان أمر الله قدراً مقدوراً ، وله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ! !

أيها الأعزُّ ! إن أفضل الطرق وأسهلها وأقربَها وأسلمها هو الطريقة النقشبنديَّة ، وذلك لخواصّ اشتهرت لأربابها ، وأمور لا يدركها إلا أهل أذواقها ، ولذلك طَفِقَتْ[2] غريبةً تتلاعب بها أيدي الجهلاء فقلَّبُوها عن مُسَمَّاها ، وكَثُر

(١) واقتد بهذ السيد أحمد الرفاعي قدّس سرّه ، وقبِّل نعل من يكرهك ويحط عليك إن أردت أن تكون من الصالحين .« منن » ٩٢ ج٢ . (من نسخة أخرى) .
(٢) بَيْ بِكَّنَ – (عجمْ) . (من نسخة أخرى) .

فيها دعوى مُدَّعيها مع معرفة اسمها ومُسَمَّاها وجهل اصطلاحاتها ورسومها ، فلم يبق ظاهراً من أهل هذه الطريقة إلا النادر فالنادر ، وبذلك سَمَّوْا عالـمَها بالكذاب الغادر ، فتخطِئَةُ مَنْ غَيَّر أصول هذه النسبة بالكلية ، واخترع فيها أموراً من البدع المانعة من حصول نتائجها وأحوالها ومقاماتها مع بيان سبيلها القويم الواضح وسندها الراجح الناجح يراها أخوك المفلس الحقير غيرةً في الدين ، ويَعدُّ المداهنة ضعفاً في الدين ، فتفكَّرْ في ذلك أيها الكريم ! !

وقد رأيتُ من أذن له شيخه في ظنّه للتلقين والإرشاد ، ولم يحصل لقلبه حياةٌ ، فلما اجتمع بشيخنا المرحوم قدس سره نبَّهه على حاله ، وترك منصبه ودخل في سلسلته ، وبعد ذلك صار يتعجَّبُ من حاله السابقة ، ويَحْمَدُ الله على ما حصل له من الحال اللاحقة .

وأيضاً إن واحداً من العلماء أخبرني بأنه ذكر الله تعالى عشرين ألف مرة في عشر سنين سالكاً على يد بعض المشائخ ، ومع ذلك لم يحصل له حياةُ القلب وذكرُه ؛ إلاّ بعد دخوله في عهد ذلك الشيخ المذكور ، وكان يقول بعد ذلك : أنه لا يفهم من جميع الأصوات حتى من صوت الكلب النابح إلاَّ الذكر بلفظة الجلالة الملقَّنة له .

وقد رأيت كثيرين من الذين دخلوا في دائرة شيخنا وعهد الشيخ شعيب أفندي الباكني – قدس سرهما – يقولون مثل ما قال هذا الرجل المذكور ! !

فانظر الآن بالنظر الصائب ؛ هل يجوز ترجيحُ تقديم المصالح التي تترتَّب على إظهار الحق على المفسدة الظنِّية من وقوع العداوة بين . . .إلخ التي تترتَّب على السكوت والمداهنة ، أم لا ؟ فأنت أعلم وعلمك أربى من علم كلِّ عالم ، فلله الحمد والمنة ، ونحن بكم ولكم ، وأرجو منكم أن لا تقطعوا عنا النصائح ، وأن لا تطرحونا بعد الآن في وادي الحرمان ، واسألوا الله تعالى لمحبّك الكاتب التوفيق لترك المألوفات ، وهجر المأنوسات .

وكتبت أيضاً : وأما ما قلته ، من أنك لم تكتب في تصنيفك شيئاً إلا منقولاً من كتب السادات . انتهى فليس ممَّا يذكر فيما بين أهل العلم إلا إذا

ثبت أن السادات معصومون عن الخطأ ، وهيهات ذلك ! ! فما أحسن ما قلتَ ! ! وما ألذَّ كلامَك ! ففي السادات مخطىء وفيهم المصيب ، وعادة أمثالنا الضعفاء نقلُ الكلمة والكلام من أيِّ كتاب قبل التدبُّر فيما صوَّبه الكرام ، ولأجل حُسنِ الظنِّ فيك كنت أريد إرسال الكتاب المذكور لديك ؛ رجاء أن تميّز منه الصواب من الخطأ ، لكن قلتَ في مكتوبك ، وكتبت في مزبورك : فإن كنتَ ممن يريد الحق ؛ فلا ترسل إليَّ كتابك ، بل إن تيسَّر لك الاجتماع بي فافعل ، فإنه أنجح في المطلوب . . . إلخ .

فاعلم أيها المأمون في السرِّ المصون : أني على خطر عظيم في الخروج إلى الخارج ، وإن كان ملاقاة أمثالكم أحبَّ إليَّ من الماء البارد ؛ نظراً إلى حال الدهر ، وجور أهله ، وخوفاً من سعاية الساعين بالنميمة ، وإفشاء السرِّ ، وقد كنت كتبت إليكم بأني على قصد إرساله لديكم لظنِّي أن نظرك إليه قبل الملاقاة يكون سبباً لتسهيل تفهيم الحقيقة لأخيك العابث ، بيد أنّ امتثال أمرك واجبٌ ، وأرى في تقليدكم ثمرات ، وفي الخلاف خطرات ، فمهما ظهر لي ضوء سعادة ولاح ، وارتفع عقيم (١) الظلمة وقرب الصباح ؛ أصِل إليكم إن شاء الله ربنا الفتاح ، ولكل كتابٍ أجلٌ لا يغير ، هدانا الله إلى ما فيه الصلاح والفلاح . آمين .

كتبت : وإياك أن تغترَّ بما يحصل لك من الأحوال . . الخ .

حفظنا الله تعالى وإياكم من أن يجعلنا من المغترّين بالأحوال والأذواق ، والمُبْتلين بطلب المقامات والكرامات ، ورزقنا وإياكم التوفيق والاستقامة ، واتباع السنة ، **وجعلنا من عبيد ذاته تعالت وتقدَّست ، لا من عبيد الأسماء والصفات ، فإنَّ من عبده من أجل أسمائه وصفاته لا يخلو من شرك خفيٍّ ، وحظٍّ دقيق سرّيّ .**

---

(١) وفي نسخة : **غيم** .

فاعلم أيها المجتهد المحقق ؛ أن الأحوال والأذواق كما تظهر في أثناء الطريق لأهل الصدق والإخلاص تظهر أيضاً لأهل المكر والاستدراج ، كما هو مشاهد عند أهل الكشف والشهود ، فالاغترار بظهورها عينُ القصور ، والأمن من مكر الله من علامة أهل الفتور ، وليس المقصود من سلوك طريق الصوفية مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ، ومعاينة الألوان والأنوار اللاَّكَيْفِيَّةِ ، فإنَّ ذلك داخل في اللهو واللعِب ، **بل المقصود ازدياد اليقين بحقية المعتقدات الشرعيَّة الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليُسْر في أداء الأحكام الفقهية الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك** ، فالشريعة والطريقة عينُ الآخر ؛ أعني أنَّ الطريقة عين الشريعة ، والشريعة عين الطريقة والحقيقة ؛ لأنهما متلازمان لا فرق بينهما عند أرباب البصائر ، ومراد من قال : الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لُبُّ الشريعة . أنَّ المُجْمَل حكمه بالنسبة إلى المفصّل كحكم القشر بالنسبة إلى اللُبّ ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللُبِّ .

قال الإمام النقشبندي قدس سره إذا سأله سائل : **ما المقصود من السير والسلوك ؟! كونُ المعرفة الإجمالية تفصيليَّة والاستدلالية كشفيَّة** . . . إلخ .

وفي هذا يقع الكلام بين العلماء كثيراً ، فيقول بعضهم :لا يجوز لأحد أن يدخل في الطريقة إلا بعد إتمام الشريعة ، فأسألكم بالله أن تبيِّنوا لي ؛ هل لهذا الكلام نقلٌ عندكم ، أمْ لا ، وما معْنى إتمام الشريعة ؟ ! وماذا يكون بعد تمامها ؟ !

❋ فإن قيل كيف يجوز لهؤلاء السادات النقشبندية . . .إلخ . قولٌ عجيبٌ ؛ وقد رأينا من مريديه من لم يَحْيَ قلبُه وإن ذكر الله بلا إله إلا الله بتلقينه كذا وكذا سنة ، بل لم نجد ولو واحدا لقن له القلبي فإن كان سبب أمره بالذكر اللساني هو حصول الاستعداد . وأنا الحاج محمد الككني قدس سره ورزقنا وله العافية من خط حسن أفيدي قدّس سرّه .

وأيضاً رأيت في كتاب الشيخ العبودي رحمه الله تعالى : أن أكثر العارفين رضي الله تعالى عنهم من أهل المذاهب ليسوا من أهل الطريقة حقيقةً ؛ وإن عبدوا عبادة الثقلين ، وزهدوا في الدارين ؛ فضلاً عن مجرَّد شيوخ الإرشاد . انتهى .

وفيه أيضاً قبيل هذا : لا يكون من له مذهبٌ خاصٌّ من أهل الطريقة . فهل لكلامَيْه عندك نقل ، أم لا ؟ وما معناهما ؟ ولا نجد لهذين الكلامين نقلاً فيما عندنا من كتب الصوفية إلا إن كان لكلاميه تأويل . وظنِّي – والله أعلم– أن أمثال هذا صدر منه في حالة سَكْره[2] ؛ لا في حالة صَحْوه ، لأن الغالب

---

* قوله : ومحلُّها – أي : النية – القلب . **فائدة** في « الزرقاني على المواهب » ما نصّه وذكر ابن العماد في « كشف الأسرار » أن للقلب أذنين يسمع بهما كما أنَّ في الرأس أذنين ، وللقلب عين كما أن للبَدن عينًا قاله الراغب . انتهى . « حاشية العلامة الجمل على الفتح على المنهج » . عبارته . النظر : بفتح فسكونٍ التأمُّل في الشيء بالعين ، وبفتحتين الفكر في الشيء تقدره و . . .إلخ . (من نسخة أخرى) .

وقال المناوي : النظر إعمال الفكر ومزيد التدبُّر والتأمُّل . قال الراغب : إحالة الخاطر نحوَ المراد لإدراك البصيرة إياه ، **فللقلب عينٌ كما أنَّ للبدن عيناً** . « حاشية ديباجة الچاربردي على الشافية » . عبارته .

* وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى قال : ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله تعالى بالغيب ، وإذا أراد الله به غير ذلك تركه على ما فيه ثم قرأ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ . من « البهجة السنية » . عبارته ٣٧ . (من نسخة أخرى) .

روي عن النبي ﷺ : أن لكلِّ إنسان أربعَ عيون ؛ عينان ظاهران في الرأس ، وعينان باطنان في القلب ، وإنما عمي الباطنان بحب الدنيا وتتبُّع الشهوات وعبادة الهوى والنفسِ وأودية الظلمات ، وعلاج خلاصه ونجاته من العمى التوبة والتلقين والذكر ظاهراً وباطناً وبالعمل الصالح . « لبّ الغرائب » .

وفي أخبار داود : قل لعبادي المتوجِّهين إلى محبَّتي ما ضرَّكم إذا حجَبْتُكم عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إليّ بعيون قلوبكم . من « فتاوى العلامة الرملي » ، عبارته ١٥١ ج ٤ راجعه (منه) من هامش « الفتاوى الكبرى الحجرية »

(٢) وعند أهل الحقِّ السكر : هو غيبة بوارد قويٍّ ، وهو يعطي الطربَ والالتذاذ ، وهو أقوى من الغَيْبة وأتمُّ منها « تعريفات السيد الشريف » . عبارته . (من نسخة أخرى) .

عليه السكْر ، وقد صادفتُ في ذلك الكتاب عين ما يخالفه ، بل كتب هو في هامشه بأن الطريقة فرضٌ على المؤمنين . . . إلخ .

فالجواب لهذه الأسئلة مطلوبُ أخيكم ، وعدمُ التكبُّر والترافع مأمول فقيركم ، فكم وكم تركت في هذه المرة أدبكم ، ولعلَّ المسامحة لمثله من شِيَمِكم .

وكتبتَ في مكتوبك : ثم اعلم أنه إن كان حصل ؛ ولو لشعرة في جسدك قشعريرة من الأبيات فلا تلْقَنِي . انتهى .

إن ملاقاةَ مَن يقشعرُّ جلده بإظهار أباطيله وكشف ما هو منطوٍ عليه من سَيِّءِ خلله عين الجفاء ، فهل يجوز لعاقل أن ينقبض من أحد كشفً له عن زللـه ، ونبَّهه على خطئه ، وذلك ليس من شِيَمِنا فلله الحمد ، على أنه سبحانه منَّ عليَّ بعدم انبساطي بالمدح ، وعدم انقباضي بالذم[3] ، وقد قلتُ مرَّة لشيخي

---

* ولا يظن عاقل عالم إن شاء الله أنَّ هذا الحقير ينفي الولاية بالكلية عن المتشيخين ، فكيف ؟ ! وفي الحديث القدسي « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » بل إنما يقول إنهم ليسوا من أهل السلوك الذين سلكوا على يد شيخ مُرَبٍّ ، وقطعوا مقامات الطريق إلى أن يصلوا إلى مقام يجوز للشيخ أن يجيز لهم بالإرشاد وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين لا يجوز أن يؤخذ منهم ، ومعلوم أن العصمة إنما هي من خصائص النبوة ، فافهم يا أخي ! ولا تعجل ، فإن العجلة من الشيطان . من « البروج المشيدة » عبارته من البرج ١٧ . (من نسخة أخرى) .

* قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد إلا وله أربعة أعين ؛ عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه ؛ وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه » . « إحياء » عبارته ٣٣ ج ٣ .

(٣) وقيل له ؛ أي : لجنيد البغدادي رضي الله عنه : متى يستوي عند العبد حَامدُه وذامُّه ؟ فقال : إذا تحقق أنه عبدٌ مخلوق . من « الحدائق الوردية » عبارته ٧٢ .

* فمن ملك الحضور حَصل له الرضا والتسليم اللذان هما نهاية العبوديَّة والعبادة ، وكمال الإسلام في التسليم والتفويض ، فإن صاحب التسليم لو طوِّق في رقبته طوق اللعنة كإبليس لكان راضياً من حيث أنه قضاء الحق وتقديره مثل رضائه بإيمانه وإسلامه ؛ لأن الطالب الصادق راضٍ بقضاء الله تعالى وقدره لا بفعل نفسه ، وإذا وقع للطالب مكروهٌ وحصل التفاوت عندهَ فهو عبد نفسه وإن لم يحصل عنده تفاوت فهو عبد ربِّه ، وهذا أصل كلِّ أمرٍ وأساسُه ، فبهذا ينبغي لك أيها السالك أن تكون دائماً له عبداً ، كما أنه تعالى وتقدس دائماً لك ربٌّ ، ولله درّ القائل :

إذا كان في مدح وذم تفاوتٌ لديك فأصناماً لَعمْريَ تَعْبُد

وهذا أصل اتَّفق عليه أكابر الخواص في سائر الطرق وذكروه في كتبهم ، كما قاله الشيخ تاج الدين قدس سره . من « البهجة السنية » عبارته ٦١ . (من نسخة أخرى) .

المرحوم[١] : يا أستاذي ، إني أجد جمعاً من الناس يذمُّونني ولا أتأثّر من ذلك ، فأخاف أن أكون لئيماً لا مروَّة له ، وقد أجمع القوم على أن المروَّة شرط في طريق الله ؟ ! ! .

فقال ﷺ : **إن عدم التأثُّر من مثل ذلك يكون خيراً وحسناً** . انتهى . وقال أيضاً : إن الصوفي من يتحرَّكُ بتحريك الله إياه ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أيُّها الأخ ! إني أرجوك بعد الآن أن تنبِّهني على نقصي ، وتكشف الغطاء عما أرفع به رأسي ، ولا تقطع عني نظراتك الغيبية ودعواتك في الأوقات الشريفة .[٢]

واعلم أن مرادي في هذه الدار الخمولُ ، وأسرُّ الأيام عندي يومٌ لم يدقَّ فيه بابَ حجرتي أحد ؛ وذا نادر ، وأني أغبط المتفرغين للشغل بربِّهم ، ولكن لا ألقى يوماً أتفرّغ فيه لربيّ ! وحالي يزداد نقصاناً يوماً فيوماً ! ! وجوْرُ الزمان يشتدُّ آناً بعد آن ، وكفاك بحال هذا العصر والقرن الأخير الذي عُدَّ فيه أخوك الكاتب الحقير الأقل من النقير والقطمير ، المفلس من أعمال البِرِّ والخير ، الضائع عمره في اللهو والفجور شخصاً يقال له (رجل صالح) ولا عجب في ذلك ! ! فإن زعيم القوم في آخر الزمان يكون أرذلهم ، والله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر ! ! أصلح الله أحوالنا ، وبلّغنا مما يرضيه آمالنا ، ورزقنا الملاقاة في أسعد وقت

---

(١) أي : الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره . (هامش الأصل) .

(٢) وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه - والظن الغالب أنه هو مريده الصادق مُحَمَّدْ عَلِي وأخوه مُحَمَّدْ خَانْ ابنا الحاج محمَّد الأَنْصُكُلِيُّ : وهما من خُلَّص مريديه أيضاً رحمهم الله ، وقبور الثلاثة في المقبرة « أنصكله » بموضع واحد ، (منه عفىَ الله عنه) : وعليكم السلام وعلى أخيكم ، **وبعدُ** : فاعلم أيها الأخ أن المخلص لا يبالي بأقوال الناس ولا يُسيئ قلبه بالذمِّ ، ولا يعجب ولا يفرح بالمدح ، فكن بالقلب مع الله ولا تقصِّر بقدر الطاقة ، وأحسن للخلق واسْعَ في المعيشة لعيالك ولنفسك ، واطلب الحلال حيث وُجد ، واذهب إلى أين شئت لعلك تلقى الخير إن شاء الله وذلك على الله يسير ، والسلام وأوصيكم بالدعاء من (حسن القحي) . (من نسخة أخرى) .
وعلامة المتواضع استواء المدح والذمّ عنده إن كان مع الحق . « وسائل اللبيب » عبارته ٣١ . (من نسخة أخرى) .

مع الحفظ من البليّات والآفات ، وجعلكم وإيانا هادين مهتدين ، غير ضالِّين ؛ ولا مُضلِّين . آمين يا مجيب الدعوات ، ويا مزيلَ[1] السيئات ، ومقيلَ العثرات ، فهذا ؛ والسلام من طرف المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي النقشبندي الشاذلي سامحه الله تعالى من فرطاته .

وبما أني طفقت ابن الأعذار ، ومالي استراحةٌ وقرار ، اقتصرتُ في مكتوبي على هذه المسوَّدة ، وأرجو منكم قبول المعذرة وعدم اتخاذي هدفاً للملامة ، وأسأل الله تعالى لي ولكم العفو والعافية ، فإنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو وليّ التوفيق والهداية .

ثم إنِّي أيها الأخ الصائب الصادق ، والعالم المجتهد الفائق ، إني أُعرِّض على جنابكم سؤالاً هو شرح حالي وحال نفسي ، وأرجو منكم الجواب فإنك وليّ الصدق والصواب ، وأمين الشرع بلا ارتياب :

ما تقول أيها المرجوُّ للاستقامة ، والمأمول لحوز السعادة والسلامة ؛ في شخص اعتقادُه أشعريٌّ ، ومذهبه شافعي ، قد أخذ العهد على شيخ[2] نقشبندي سلسلةُ نسبتِه وطريقته متَّصلةٌ بالحضرة النبوية ، ولقّنه الأذكار السلوكية على التمام ، فأذاقه نتائج الأذكار طِبْق ما ذكر كيفيَّته السادات الكرام ، وعلَّمه أنواعَ المراقبات المعروفة عند أربابها بعد حصول نتائج كلٍّ منها ، ثم أذن له الشيخ المذكور للتلقين ، وإرشاد الخلق إلى طريق الحقِّ سبحانه وتعالى ، وكتب له صكّ الإجازة وعوّل عليه أمور مريديه في حياته وبعد مماته ، وأمره بالتوجه إليهم وإلقاء الجذبات إلى بواطنهم ولطائفهم ، وفوّض إليه أيضاً شيخٌ آخر مثله[3] . وهو عالم عارف حافظ لكلام الله تعالى لا يشكُّ أحدٌ في فضله وكماله . أمْرَ النظر إلى مريديه ، والتوجه والالتفات إليهم ، وكذا أذن له شيخٌ آخر عالم عارف مثلهما نقشبندي قادري شاذلي حسيني[4] لتلقين أذكار

(١) أي : مبدِّل . (من نسخة أخرى) .
(٢) المراد به : الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره . (هامش الأصل) .
(٣) وهو الشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره . (هامش الأصل) .
(٤) وهو الأستاذ السيد الأمير سيف الله الغازي الغموقي قدس سره . (هامش الأصل) .

الشاذلية ، ومع هذا كله لا يرى نفسه أهلاً لإفشاء هذه الفضيلة ، وإدارة أمر هذه الخلافة العظيمة المخوفة ؛ لما أنه يعلم ويتيقن ، ويشهد بأن نفسه باقية على أمارتها ، وعارية عن الاتصاف بزينة التزكية والاطمئنان ، بناء على ما شرطه العلماء الأعيان ، بيد أنه يعتقد في مشائخه الآذنين له بأنهم لا يغشُّون ، ولا يداهنون ، ولا يفعلون شيئاً إلا لمصلحة مبنيَّة على حكمة ؛ وإن لم يدرك هو حقيقة ما هنالك ، بل يرى ويشهد أن ما فعلوه معه مبنيّة على قاعدة أصلية معلومة مشهورة عند السادات ؛ وهي : **أنهم يجيزون الناقص قبل كماله بعد حصول درجة أو درجتين أو درجات الولاية ؛ لا قبل ذلك ، لأن يده يدهم وتربيته تربيتهم ، فلا يتعدَّى ضرر ذلك الناقص إلى المريدين** ، ويرى أيضاً أن ما يحصل للمريدين بسبب التوجه إليه من حياة قلبه ، وحصول الحرارة ، وجريان الذكر في لطائفه إنما هو من تربيتهم الروحانية ، وتوجُّهاتهم المعنويَّة الغيبيَّة ، وتصرُّفاتهم النافذة لا دخل له في تحصيلها أصلاً ، وأنَّ ما ينعكس إليه من أحوال المريدين قبضاً وبسطاً وحركة وارتعاشاً وحرارة في اللطائف وبرودة ؛ إنما هو شيءٌ لا يُعْتبر وأمر لا يُعْتنى ، وأنَّ أمر الخِلافة أسنى منه وأعلى ، لكن هذا الفقير المفلس المذكور امتثل أمر مشائخه منذ زمان في تلقين الأذكار وتعليم المراقبات لأهلها ، وأمَر بالمعروف ونهى عن المنكر بقدر طاقته ، وأمات كلَّ بدعة حدثت في طريقته وأحيى مكانها السنَّةَ ، فالآن قد سئم بقلبه وقالبه استعمال هذه الوظيفة نظراً إلى قلَّة بضاعته وضياعة أحواله وشدة انقباضه ، وفقدان شروط الخلافة في نفسه في ظنه واعتقاده ، وصعوبة حمل الأثقال المنعكسة إليه من أصحابه ، وعدم استقامته في أمور شريعته وطريقته ، وخوفه من أن يكون من الذين يقولون ولا يفعلون ، والانعزال عن تلك الوظيفة مقصوده ومراده لو وجد لذلك مجالٌ ماًّ .

فهل يجب على ذلك الشخص المذكور أن يشتغل بما أمره به مشائخه من أمر الإرشاد ثقةً بمشائخه ؛ مع تيقُّنه عدمَ أهليته لذلك الأمر العظيم ، ونظراً إلى قلَّة من اتصف بالكمال المطلق في أكثر أقطار الديار الداغستانية ، أم لا ؟ أو يجوز ، أو يمتنع ، أو يندب ؟ قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة ، وندبه أخرى ، وكراهيته مرَّة ، وحرمته أخرى ؟

وهل يجوز الإرشاد بلا تصرّف بالمعنى[1] قياساً عليهما ، أم لا ؟ وعلى تقدير أن يشترط في مثل هذا المرشد المذكور أمورٌ أخر غير ما ذكر ؟ فإذا انتفت أيمتنع عن اشتغاله بتلك الوظيفة ، أو يحكم بجوازه عند فقدانها ، كما يجوز لقضاة الضرورة إنفاذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاء ، أم لا ؟

فالجواب لذلك كلِّه من أهمِّ مقصود هذا المفلس ومطلوب الغادر الكاذب المرشد الناقص المجازي ؛ أخيكم الكاتب الداعي لكم بالاستقامة والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وأسألكم بالله أن لا تُعَاملوا[2] مع أخيكم الضعيف بصفة الجلال ، فقد ربّاه مشائخه بصفة الجمال ؛ لئلا يصعب عليه حمل ثقل القهر والجلال ، بل تدارونه بلين الكلام ؛ كيلا يتأثَّر قلبه ، فإنَّ قلبَه يَقْظَانٌ ، واليقظان يرتعش ولو بمسِّ أرجل الذباب ، ولا تظنُّوا فيه أنَّ ما كتبه وجمعه من النقول في الكتاب المعلوم إنما هو لرؤية نفسه أهلاً لوضع تاج الخلافة على رأسه ، ولحبّه الرياسةَ على أحد من إخوانه وخُلاَّنه ، بل إنّما جمعه لتصويب ما عليه شيخه ، ولرفع الشبهة عن طريقته حين رأى تعصّب المنكرين عليه ، وسطوتهم لمحض العناد ؛ جلباً للفساد ، لا حبّاً لظهور الحقِّ والصواب ، جعلنا الله تعالى وإياهم من الذين يعرفون أنفسهم فيعرفون ربّهم . آمين ؛ يا مجيب السائلين ، ويا أرحم الراحمين . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : باطني .

(٢) قوله : (وأسألكم بالله أن لا تعاملوا . .إلخ) وليس كلامه قدس سره هنا مخالفاً لما سبق منه ؛ من أنه لا يتأثّر من ذمِّ الناس إياه ؛ لأنَّ ما قاله هناك هو بحسب الظاهر ، فلا يظهر لأحد من ذلك شيء ، كما قال في « تلخيص المعارف » إنه لم يُظهر لأحد قطُّ كراهيَّته إياه ، وأمَّا ما هنا فهو بحسب الباطن ؛ لأنَّ المعاملِ معه بما ذكر على باطل بيقين ، فلا بدَّ أن ينقبض بذلك باطنه ويتأثر قلبه ، فيكون ذلك سبباً لضلال المنكر المعادي – لأنَّ منكره منكر كلِّ تلك الطائفة العلية ، ومنكرهم منكر الرسول ﷺ ، ورضي الله عنهم ، ورحمنا بهم وبكل الأولياء الكرام عليهم رضوان الملك العلاّم آمين . (منه عفي عنه) – وسوء عاقبته ، أعاذنا الله منه ، فإنه قدس سره كما قالوا في حقِّ الإمام الرباني قدس سره النورانيُّ في مقام : لا يحبُّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ، عافَانا الله وإخواننا من المكر والاستدراج ، وأعاذنا في طريقتنا من الاعوجاج والانعراج ، آمين . (من نسخة أخرى) .

مكتوب أدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى العالم المحقق أدرة العرادي رحمه الأبدي : إلى أبيه الكريم العالم أدرة العرادي

السلام عليكم . . . إلخ . ليس المراد من إرسال هذه الرسالة إليك إلاّ إبلاغ السلام والتحية ، وإظهار أسباب عدم انقطاع المودّة والمحبة ، ورجائي من جنابكم أن لا تَنْسونا في دعائكم ، **فإنَّا راكبون على ظهر الأنانيّة التي انقطع بسببها أكثر الخلق عن باب الله سبحانه** ، ونحن نتوجَّه إلى أحوال مَن حضر لَدَيْنا من مريدي أستاذنا ؛ مع كوننا خائفين من أن نكون من الذين ضاعوا وأضاعوا ، فنرجو من حضرتكم أن تنصحونا آناً بعد آن ولو بسنِّ القلم ، وتنبِّهونا إلى أيّ شيء ظهر لكم منّا مخالفاً لما عليه عَمَلنا ، أثابكم الله تعالى وجزاكم خير الجزاء ، ورزقنا وإيَّاكم الاستقامة ، فإنها هي التي شَيَّبَتْ سيِّدَ الخلق ﷺ ، (وأنا الفقير حسن)

مكتوب آخر

وكتب قدس سره في حق جواز الدخول في الطريق مع الاشتغال بالحرف والصنائع هذه النقول : وممَّا مَنَّ الله تعالى به عليَّ : حثُّ كلِّ مَنْ يجتمع بي من الإخوان على الاشتغال بالحرف والصنائع ، وعلى دوام إقامتهم فيها إن كانوا من أهل الحرف قبل اجتماعهم بي ، وهذا الخُلُق قليلٌ مَن يتنبَّهُ له من متصوِّفة الزمان ، بل يزيِّنون لمن يجتمع بهم ترك الاشتغال بالحرفة ، والاشتغال بأحزابهم وأورادهم . من « المنن الكبرى » عبارته ٢٥٢ ج١ ،و ص ٣٦ ج٢ من نسخة أخرى .

الحاجة إلى الناس تنافي الكمال

وكان أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : استغناؤكم بالشيء أحسنُ من ادِّعائكم الكمال في الطريق ؛ وأنتم محتاجون إلى الناس ، فإن الحاجة إلى الناس تنافي ادِّعاء الكمال .

وكان يقول : **لا تتركوا الأسباب لما تجدونه من قوّة اليقين ، فإنَّ ذلك لا يدوم ، وربما عاقبكم الله بسلب اليقين . وقد مدح الله تعالى قوماً قاموا في الأسباب؛ ولم تشغلهم أسبابهم عن ذكر الله عزَّ وجلَّ** بقوله تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . الآية

فإن قيل : إن غالب مشائخ العصر لا حرفة بيدهم فكيف كمالهم ؟ !

فالجواب : إنهم لما اشتغلوا بالله عزَّ وجلَّ كلَّ الاشتغال رَزَقهم من حيث لا يحتسبون مما لا مِنَّة عليهم به في الدنيا ، ولا حساب عليهم به في العقبى ، فأين أنت منهم يا بَطَّال ! ! فكلامنا مع المريدين ؛ لا مع العارفين ، فافهم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين . انتهى منه عبارته ٢٥٣ج١ .

الفقير والحرفة

وقد كان سيِّدي إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول : حكم الفقير الذي لا حرفة له حكمُ البومة الساكنة في الخراب ؛ ليس فيها نفع لأحد . منه عبارته ٢٥٢ .

وفيه أيضاً : إن واحداً ترك البيع والشراء ، وصار يذكر الله تعالى ، ويأكل من هدايا الظلمة والعمَّال وغيرهم ، فقال له سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى : يا أخي ؛ النصح من الإيمان ، وإنك لم تخلق شيخاً ، فارجع إلى دكانك ، واشتغل بذكر الله تعالى مع الحرفة ، فلم يستمع أبداً ، فكشف الله تبارك وتعالى حال ذلك الفقير بعد شهور ، وما بقيت نفسه بعد المشيخة تنكبس لعمل الحرفة ، فكان كمن تولَّى مشيخة الإسلام ثم عزل ، فما بقي يعمل نائباً ، ولا شاهداً . انتهى عبارته ٣٧ ج٢ .

ويؤخذ من هذه المذكورات جوازُ أخذ الذكر من الشيخ ، والدخول في الطريق مع الاشتغال بالحرف والصنائع ، ويردّ به كلام مَن قال : إن الاشتغال بالأذكار المأخوذة من المشائخ لمن كان أشغاله قليلة ، وغيره من الأذكار اللسانية لمن كان أشغاله كثيرة ، **مع أن الأذكار القلبيّة مما لا مانع منه أصلاً** ،

بل هي جائزة في كلِّ حال ، وفي كلِّ مكان ، وعند كلِّ أحد . فتدبَّره ، ولا يغرَّنَّك ما في تقرير العبودي ، وما في « سُلَّم المريد » لإلياس الزدقاري ، فإنهما تكلَّما بالاسترواح ؛ وقالا بالرأي ، ولم يأتيا بالنقل ، ولم يؤيِّدا ما قالاه بالنصِّ ، والسلام من هذا الفقير حسن القحي رحم الله إفلاسه . وراجع « الأنوار القدسية » ص ٢٠ و« الإبريز »ص وغيرَهما .

مكتوب آخر

وكتب قدس سره في ردِّ ما كتبه الشيخ الحاج محمد العبودي رحمه الله تعالى ما لفظه : قول الشيخ العبودي رحمه الله تعالى : الطريقة والسلوك في هذا الزمان متعذِّرة عند الشريعة وسنة المختار عليه السلام :

لعلَّ السرَّ عنده رحمه الله في كونها متعذرة أحدُ أمور ثلاثة : ١- كثرة الفسق ، والعصيان ، أو ٢- عدم إطاقة استعمال الطريقة النقشبندية ، أو ٣- صعوبة استعمالها ؛ كما قال بكلٍّ واحد منها أبعاض من متشيِّخي ديارنا ! ! فإن كانت العلَّة للتعذُّرِ كثرةُ الفسق والعصيان ، والمخالفة ، والطغيان ! ! فليست حجَّة مقبولة لما قاله رحمه الله ؛ لأن معنى الإرشاد عند أهل الإرشاد إرشادُ الضالِّ إلى السداد ، بل إنّما وُضع الإرشاد لأجل المعوجِّ الضالِّ ؛ لا للمستقيم الهادي المهتدي ، وهم لم يحكموا بوجوب اتخاذ الشيخ إلاَّ على مَن ليس له قلبٌ سليم ، كما هو مقرَّر في كتبهم ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ! ! كما قاله العالم الرباني والعارف الصمداني الأمير سيف الله الحسيني النثبكري قدس سره ، ولا شكَّ أن الأخلاق المذمومة هي التي تجرُّ صاحبها إلى ارتكاب الفسق والعصيان ، وهي داءٌ والطريقة دواءٌ ، فمن أين يتعذَّر ويمنع إنزال الله تعالى دواء على موضع الداء ! ! مع أنه ؛ أي : الإنزال واجبٌ ، وهكذا الأخلاق المذمومات نجاسات معنوية والطريقة كالماء ، فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة . فافهم وراجع « المتممات » ، و« ابن حجر » ، و« الرملي » من كتاب السير ، و« الفتاوى العمرية » ، وغيرها ، والبسط في « الدرة البيضاء » ، و« الجوهرة النفيسة » ، فمن أراد التحقيق فعليه الرجوع إليهما .

ولا يخفى أنَّ هذا وما يأتي مقبول عند الشريعة ، وسنَّة المختار عليه الصلاة والسلام ، فكيف يكون تعليم الطريقة متعذِّراً عندهما مع أنّها إنّما وضعت لتكميلهما ؟ ! حاشا ذلك وكلا ؟ ! بل الشرع والسنة يقبلانِها ، كيف لا ؟ ! مع أنها تجرُّ إليهما تدريجاً ، وتكمّلهما تكميلاً ؟ ! راجع « البهجة » من مناقب الشيخ الإمام الرباني قدس سره لتأخذ منه مضمون ما قلتُه .

يجوز الذكر القلبي في كل موضع وحالة

وإن كانت العلة للتعذُّر : أنَّ قاعدة النقشبندية تلقين الذكر القلبي واستعماله ولا يطيق ذلك مَنْ في زماننا ؛ لأنهم لا يفرغون له من الحرف والصنائع صيفاً وشتاء ؟ !

فتلك أيضاً مما لا يعبأ به ولا تقوم حجة لهذا القائل رحمه الله ، **فإنّ مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة ، ولا شكّ أنّ أربابها عرشيُّون فرشيُّون ، وكائنون بائنون ، وإن استعمال الذكر القلبي يجوز عند كلِّ أحد ، وفي كلِّ موضع ؛ حتَّى في الخلاء ومحلِّ النجاسة ، وفي كل حالة ، وفي كلِّ وقت** ، فقد صار ذلك ممّا لا مانع له في كل وقت وفي كل حال ، فكيف يكون متعذّراً ؟ !

وإن كانت العلَّة أن الذكر القلبي صعبٌ بالنسبة إلى الذكر اللساني ، ولأجله صار متعذّراً ؟ ! فذلك أيضاً قول ساقط ، وحكم بلا علم ، فإنّ الذكر القلبي عندهم تفكُّر اللفظ في القلب ؛ أي : تخيُّل جَرَيانه فيه ، فأيّ صعوبة في ذلك التخيُّل ؟ ! بل هو أسهل الأمور وألذُّها لمن ذاقه وعَرَفه . راجع « تفسير الفاتحة » ، و« الفتاوى العمرية » وغيرهما .

قوله رحمه الله تعالى : كما قال تعالى ﴿**يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ انتهى . في تفسير السُلَّمي(١) في هذه الآية : قال بعضهم : الحكمة العلم اللدني ، وقيل : الحكمة إشارة لما لا علَّة

---

(١) هو : بضم المهملة وفتح اللام - أبو عبد الرحمن النيسبوري شيخ الصوفيَّة ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم « مزيل الخفا عن ألفاظ السفا » عبارته . (من نسخة أخرى) .

لها . وقيل : الحكمة إشهاد الحق على جميع الأحوال . وقيل : الحكمة تجريد السرِّ لورود الإلهام والوسواس[1] . وقال أبو عثمان[2] : الحكمة هو النور المفرِّق بين الإلهام والوسواس . انتهى . وقيل : الحكمة أن يحكم عليك خاطرُ الحق ، ولا تحكم عليك شهوتُك ، وقيل : إنها النبوة . وقيل : الحكمة الخشية . وقيل : إنها سرعة الجواب مع إصابة الصواب . اتهى باختصار من عبارته من سورة « البقرة »[3] . فعلى هذا الذي ذكروه في تفسير الحكمة في الآية لا يخفى على مَن له أدنى إدراك أن هذه الآية لا تقوم بها حجة ؛ لتعذُّر الطريقة ! وإن كان القائل يعني بها معنى آخر يستدلُّ به على من قاله ؟ ! فأيُّ مانع لإيتاء الحكمة لأهل هذا الزمان ؟ ! بل هم أهل لايتائها ، بل يدلُّ على كونِ أهل هذا الزمان أهلاً لذلك ما قاله صاحب « تصديق المعارف » ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ :

اعلم أن سبيل الرب ما يصل إلى الربِّ تعالى ؛ لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة ، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفية ، والحكمة المذكورة هنا هي فطنة الشيخ المربِّي وفهمُه لكل ما يصلح لكلِّ أحد من المريدين ، فإن طِباعهم مختلفة متباينة بوناً عظيماً ؛ فمنهم مَن يصلُح له كثرة الصوم وقلَّة الصلاة ، ومنهم مَن يصلح له كثرة الصلاة وقلَّة الصوم ، ومنهم مَن يصلُح له القيام والصيام معاً ، ومنهم من لا يصلح له كثرة ذلك ؛ إنما يصلح له كثرة الزهد في الدنيا ، ومنهم مَن يصلح له الكسب ، ومنهم مَن يصلح له الخدمة ، ومنهم مَن يصلح له العنف والشدة في المجاهدة على النفس ، ومنهم مَن يصلح له الترفيه والتسهيل .هذا ![4] .

---

(١) علَّه : وردٌ الوسواس أو نحوه . (هامش الأصل) .
(٢) لعلَّه الحيري ، أحد أعلام . « الرسالة القشيرية » انظر ترجمته هناك .
(٣) في تفسير الحكمة ، وأيضاً راجع « المنن الكبرى » ص ١٥٨ (هامش الأصل) .
(٤) قوله : من يصلح له الكسب ، وقوله : من يصلح له الترفيه والتسهيل ، وقوله : هي استعمالهم في أعمال الطريقة . صريحٌ فيما نحن فيه . فتدبره . (منه قدس سره) . (هامش الأصل) .

وأما الموعظة الحسنة !! فهي استعمالهم في أعمال الطريقة بالمداراة بالرفق والشفقة الكاملة عليهم ، مع إعلامهم بأنه شيخ لا يريد إلاَّ علوَّ مقاماتهم ، وارتفاع درجاتهم ، وإيصالهم إلى نعيم لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ببال بشر . انتهى من عبارته . فعلى هذه المذكورات ليس للقول بالتعذُّر مجالٌ ، بل مضمونها يدلُّ على عدم جواز منعهم من تعليم الطريقة ، فاللائق أن يسلِّكَهم ويُداريَهم . فافهم .

قوله رحمه الله : وقد ورد في صحيح السنة : « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها [فتظلموها] ، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم » لو سلمنا أن المراد ؛ لا تضعوا الطريقة في غير أهلها ، فلا نسلِّم عدم أهلية من في زماننا لوضعها ؛ لما مرَّ أن الإرشاد إنما وضعٌ للمعوجِّ الضالِّ ؛ لا للمستقيم الهادي مع أن ذلك المراد بعيد وغير ظاهر من معنى الحديث ، بل الظاهر منه مضمون ما في المحاضرات : **لا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها** . فافهم ، وقد مرّت معاني الحكمة ، فانظر هل يليق هنا ولو واحدٌ من معانيها ! ! ولو سلّمنا عدم أهليَّتهم ؛ ألا يكون فيهم ؛ ولو واحد من الأربعين من يستحق لتلقين الطريقة إياه ؟ ! والحال أن هذا القائل رحمه الله لم يجد ولو واحداً من الناس يصلح أن يعلّمه إياها ، والحكم بالتعذر قولٌ برأي ليس له دليل عقلي ولا نقلي ، بل هو مخالف لما قاله الأئمة من علماء الحقيقة ، ولما قاله الإمام الرباني في « المكتوبات » : ولكن تعليم الطريقة بعد الاستخارات والتوجُّهات أيّاً مَن كان مناسبٌ ؛ بل لازمٌ . انتهى ، ولما في « البهجة » و« المتممات » . راجعهما .

قوله[1] رحمه الله تعالى : غير أنها على ضربين : اتباعية ؛ فهي لأهل الخواص[2] والحذَّاق ، فجميع المنكرات والمكروهات ، بل البسط والترفيه في المباح ، ورُخص الفروع لهذه الطريقة كالمحرمات ، كما أن السنة والمندوبات لهم كالفرائض المؤقتة .

---

(١) أي : العبودي .

(٢) صوابه للخواص .(من نسخة أخرى) .

ما لا يدرك كلُّه لا يترك كلُّه

فهذا القول منه رحمه الله تعالى قول صادق ، لكنهم قالوا : **ما لا يُدرك كله لا يترك كله ، ومن لا يستطيع أن يقف في صف القتال لا يمنع من أن يقف في صف النعال** ، ولا يجوز أن توزن أعمال الضعفاء بأعمال الأقوياء من خواصِّ أولياء الله تعالى ، بل اللائق بالشيخ أن يرفق بالضعفاء ، ويرخِّص لهم ، ولا يطرُدَهم من الطريقة ، بل يعلّمهم الطريقة ، ويرغِّبُهم في الاجتناب عن المحرمات والمكروهات ، **فلعلهم ببركة الطريقة يقدرون على أعمال الأقوياء !!** كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه . راجع « الدرر المكنونات » ، و« البهجة السنية » ، و« لطائف المنن » .

وقد قالوا : إن تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابتٌ من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرُّك والمحسوبية ؛ لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسُّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبُّسهم بالمخالفات ، **وذلك أمر حسن وسياسةٌ حميدة من أهل الإرشاد** ، لأنه لو قيل لهم : اتركوا الدنيا ، واخرجوا من كلِّ المظالم ، وصحّحوا التوبة في أول الأمر ، وإلا فلا ألقنكم الذكر ؛ ولا يكون لكم قبول ينتج الهداية . لنفروا واستصعبوا وربما يحصل لهم اليأس .

سياسته ﷺ مع الأشراف والكبار

وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأشراف والرؤساء والكبار ، **فإنه أدخل بعضهم في الإسلام بشرط سقوط الصبح ،**

---

* وأما تعليم الذكر لهنَّ ؛ لعموم الأمر لجميع المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها ، وإلخ إلخ ، فعلى العلماء والمشائخ أن يعلّموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ؛ لأنه وَرَد الوعيد عليه في قوله تعالى . . إلخ إلخ . وقوله ﷺ « لا تمنعوا الحكمة عن أهلها فتظلموهم ولا تضعوها في غير أهلها » أي غير معتقديها « فتظلموها » كذا في « الزواجر » لابن حجر ، « هدية الذاكرين وحجة السالكين » عبارته وراجعه . (من نسخة أخرى) .

وبعضهم بشرط غير ذلك . راجع « المتممات » ، و« قلائد الجواهر » ، و« البهجة » ، و« مكتوبات الإمام الرباني » ، و« لطائف المنن » ، و« تنبيه المغترين » ، و« فتاوى ابن حجر » ، و« الأنوار القدسية » ، و« درر الخواص » ، وكتاب « الجواهر والدرر » .

طرد الضعفاء غير جائز

ففي هذه الكتب صرائح بأنه لا يجوز للشيخ أن يطرد الضعفاء من الدخول في الطريقة ، فمن أراد أن يتبع أصحاب تلك التأليفات ؛ فعليه اتباعهم ، ومن أراد أن يتمسَّك بقول هذا البعض الذي يحكم بتعذّر تعليم الطريقة لأهل زماننا ؛ فليتمسك به ، ولا شك أنَّ تِلْكم الأئمة أعرفُ طريقاً وأعلم شرعاً[1] ، وأتقنُ في التفسير والحديث ! ! فليتدبره العاقل .

قوله رحمه الله تعالى : وأقلُّ ورد هذه الطريقة خمسة آلاف بلفظ الجلالة على القلب ، بتلقين عارف أو مرشد صحيح المقام والإذن من عارف ؛ مع استكمال سير الشيخ ، وتمسُّك السنة واتباع النبي عليه السلام في جميع الأقوال والأفعال ، والامتثال به عليه السلام في جميع المأمورات والمنهيات ؛ لا أكثرها .

فهذا الكلام منه رحمه الله تعالى هو عينُ ما نقول ، فلا غبار عليه فجزاه الله عنا خير الجزاء . آمين .

قوله رحمه الله تعالى : والثاني منها شرعية ، فهي للعوام وأبناء المعاملة والهوى ، فيرخَّص لهم في المناهي والمكروهات ، ورخص الفروع مما أباحه الفقهاء رضي الله عنهم) .

وأقلُّ ورد هذه الطائفة مائة ذكر جهري ، وصلاة كذلك ، ووحده لا . . . إلخ ، والاستغفار كذلك .

وأدنى الكمال خمسمائة ذكر جهري بلفظ (لا إله إلا الله) ، والمذكورات مائة مرة ، وألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، وخمسمائة صلاة ، أو مائة وألف في

---

(١) وفي نسخة : بالشرع .

يوم الجمعة وليلتها ، والبواقي مائة مرَّة ، والإشراق والضحى والأوَّابين ؛ ولو أربع ركعات ، وصلاة الوتر ؛ ولو خمس ركعات ، والرواتب ، وصلاة التسبيح في كل جمعة ليلاً ونهاراً ،والأكثر عشرون ألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، فمن شاء الخفيّ ؛ فليراع الأدب ، وليجتنب من المكروهات كالمحرمات ، ومن أراد الجهري ؛ فليجتنب عن المحرَّمات . انتهى كلام العبودي رحمه الله .

فالعجب كلَّ العجب كيف يكون ورد مَن يرخّص له في زعم هذا القائل من العوام أكثر ممن لا يرخص لهم ؛ ولو للمباحات الشرعية ! ! وليته كان رخَّص لهم لتقليل هذه الأوراد كما رخَّص لهم لارتكاب المنهيات والمكروهات ، ولقد جرّبنا أن الذكر الخفي القلبي بخمسة آلاف مدَّتُه خمس دقائق ، وجربنا أيضاً أن الثلاثين ألف ذكر قلبيّ بلفظة الجلالة يتمُّ فيما بين العصر والمغرب في حالة البسط ، بعد أن يقدم عليه ثلاث مائة استغفار ، وبعد الرابطة بقدر ربع ساعة ، وجرّبنا أيضاً أن الذكر الخفيّ القلبي بـ (لا إله إلا الله) ألف مرة مع حبس النفس ، ورعاية شروطه وأركانه مدَّتُه قدر ذكره المذكور باللسان مائة مرة ، فما أخفَّ ذكر أهل الذوق والطريق ، وما أقلَّ زمنه ؛ مع كونه أفضل من ذكر اللسان بسبعين مرة ؛ كما ورد في الحديث ! ! راجع « فتاوى ابن حجر » من (الخاتمة) ومع كونه أَنْفع وأفيد في تصقيل القلب ، وحصول النتيجة ؛ كما في « المتممات »[٢] .

ولقد صار كلام هذا القائل – سامحه الله تعالى – سبباً لنزول الناس من الأفضل إلى المفضول ، بل صار سبباً لانقطاع أهل الله عن طريق قال رئيسها محمد نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر في دينه مع أنه

❋ قوله ؛ أي : حاجي محمد الككني : (لأن الذكر القلبي أصعب الأذكار) يردُّه أقوال مشائخ هذه الطريقة العلية ؛ قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « المتممات » وفي « رسالة الخادمي » : ولسادات النقشبندية طريقان اسم الذات والنفي والإثبات . **أما الأول** وهو الأقرب والأسهل في حصول المقصود فبان الحق ، انتهى . وقال الأستاذ حسن أفندي القحي قدّس سرّه في مكتوب كتبه لردّ ما يقوله العبودي عفى الله عنا وعنه : والعجب كل العجب كيف يكون ورد من يرخص له . . إلخ . (من نسخة أخرى) .

يفهم مما قاله عدم جواز الذكر اللساني لمن لا يجتنب عن المحرمات ، والذكر القلبي إلا للخواص والحذاق ! ! وذا مما لم يقله أحد من الأئمة ، ومع أنهم لم يطردوا العاصي من تعليمهم إيّاه الطريقة ، **حتى إنَّ منهم مَن خرج مِن موضع الفسق والشرب ؛ فجعله الشيخ وقتئذ شيخ الأبدال**[1] **ومنهم من جعله الشيخ بدلاً من الأبدال ؛ مع كونه نصرانيّاً كافراً لا يعلم الإسلام قبل ذلك! فكيف بالطريق ؟!** فإذاً كان الكافر المجرّد يقبل التصرّف ؛ فقبول التصرُّف في المسلم الذي أبوه مسلم يعلم بالطريق الأولى . راجع « قلائد الجواهر » و« أنيس الجليس » .

وأيّ فرق بين اللسان والقلب لتعذُّر الذكر بأحدهما وجوازه بالآخر للعوام ، وأهل المعاملة ! ! مع أنهما جارحتان من جوارح الإنسان ، ومع أن الذكر القلبي مما لا مانع له في كلِّ وقت ، وفي كلِّ حال ، وفي كلِّ موضع . كما مر .

فإن قال قائل : الفرق في أن الذكر القلبي بتلقين مرشد عارف ، ولذا لا يرخَّص له ، والذكر اللساني يجوز له أن يستعمله بنفسه من غير تلقين ، ولذلك رخص له بالمناهي والمكروهات ؟ ! انتهى .

الرخص عند أهل الطريقة كالحرام

قلنا : إن تلقين الذكر اللساني متواترٌ مشهور يخبره الثقات من ذلك البعض المذكور رحمه الله تعالى ، وبذلك يعلم عدم كون مراده ما ذكر ، ولا فرق في ذم ارتكاب المنهيات والمكروهات بين العوام والخواصِّ ، والرخص عند العوام هي رُخَص عند الخواصّ ، لكن بشدة اعتناء أهل الطريق يعدّون الرُخَص كالحرام ، ولا يرتكبونها[2] إلا عند الضرورة ، ومع هذا يسامحون للضعفاء ، ولا يزنون أعمالهم بأعمال الأقوياء . فافهم .

---

(١) انظر القصة في « حكايا الصوفية » لشيخنا العلامة محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة : ولا يرتكبونه .

ثم إن تقسيم الطريقة إلى اتباعية وشرعية مما لا يدرك سرُّه ، ولم نصادف مَنْ قسمها إلى ذينك القسمين ، فالاتباع شَرْعٌ ، والشرع اتباع ، وما خالف الاتباع فليس بشرع . فتدبر .

ولقد أخبرنا واحدٌ من العلماء الثِقات : أنَّ بعضاً من شيوخ هذا الزمان قال له : إنما نعطي الشريعة ؛ لا الطريقة ، وقال واحد من مريديه : إنه قال له : لو يجوز إعطاء الطريقة لأعطيتُها ، لكنه لا يجوز أن يعطى لأحد إلاّ الشريعة ، وهكذا وعظ واحد منهم على المنبر وقال عين ما مرَّ ، وأنا سمعت واحداً منهم يقول مثله ، فلعلهم أخذوا ما قالوه من هذا التقرير المذكور ! ! وقد اشتهر منهم تسميتهم ذكر اللسان الذي يلقِّنُونه بأنفسهم شريعةً !

فنقول في جوابهم – والله أعلم – : إن الآباء والأمهات قد علَّموا أولادهم الشريعة قبل بلوغهم ، وهم الآن على الشرع يصلّون ويصومون ، ويزكُّون ويحجّون ، ويشهدون بأن الله وحده . . . إلخ ، أي : فمن لم يعرف الشرع وأحكامه فهو عاص ، لكن لما تعذَّر تكميل الشرع وضعت الطريقة لأجله ، فوجب أخذُها من أهلها ؛ **لأن ما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به فهو واجب .**

والحاصل : أن هؤلاء طردوا الناس عن الشرع الواجب وصاروا قُطَّاع طريقِ الله من حيث لا يشعُرُونَ ، ولا شك أن تعليم أمور الشرع ليس مختصّاً بواحد ، بل هو عامٌّ يجب على كلِّ أحد أن يقوم به ، وأن تلقين أمر الطريقة مختصٌّ بأهله لا يجوز لأحد أن يباشره إلاّ إن كان مأذوناً به من . . . إلخ ، فإن كان الملقِّن أهلاً له فلْيُلَقِّن الذكر الذي في طريقة شيخه بلا تحريف ولا تبديل بما أرادوه ، وإلاّ ! فالتشيُّخ على الناس قائلاً بأنه إنما يُعطي الشريعة ، وتلقين ما أرادوه من الأذكار المخالفة لأصول الطريقة ! فذا مما يخاف عليه من الطرد والإبعاد ، كيف لا ؟ ! وقد قال خالد شاه قدس سره : **من غيَّر أصول طريقتنا فليس منّا** . وقال سليمان الزهدي ما حاصله : المخالفون لأصول الطريقة مبعدون عنها . راجع « مجموعة الرسائل » .

وقد اشتهرت تسمية سائر الطرق التي فيها الأذكار اللسانية طريقةً ، فبناء على ما قالوه يجب أن يسمّوها شريعة[1] ؛ لا طريقة . فافهم ، وميّز الحق من الباطل ؛ والمحقَّ من المُبْطل ، وقد اشتبه بأمثال هذه التمويهات على الخلق الحق الذي يجب أن يتمسك به ، ووقعوا حيارى متردّدين لا يعرفون أن يفرِّقوا بين أقوال أهل الإرشاد وبين أقوال مَن يدعي الإرشاد ، ونحن بحمد الله تعالى لم نترك شيئاً خفيّاً من خفايا الطرائق إلاّ أوضحناه ، ولا واحداً من أصناف المدّعين إلاَّ أظهرناه ، ولا قولاً ما مِن أقوالهم المزخرفة إلا رددناه في كتابيْنا « الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » ، فمن أراد أن يدرك الحق اليقين فليرجع إليهما ، وقد تكلَّمنا فيهما بكلام مَنْ لا يخاف لومة لائم ، لمحض وجه الله تعالى غِيرةً بهذه الطريقة المحمدية ، ومن لم يرجع عن مألوفاته القبليّة من مُتَشَيِّخي هذا الزمان ومريديهم بعدما نظروا إلى ذينك الكتابين ؛ فلا شك أن داءه عُضَال ، وعلى عين بصيرته رَيْنٌ ، والله وليُّ التوفيق . فهذا والسلام .

مكتوب قَدِمُحَمَّدِ الْغُغُولِيِّ

وكتب إليه قدس سره العالم قَدِمُحَمَّدِ الْغُغُولِيُّ : أن بعض مريدي بعض المتشيخين يدَّعي أن شيخه كان يقول : إن تلقين الطريقة لا يصحُّ إلاَّ لمن له حضور تام . فوقع بسببه كلام كثير في مجلس ، وأحبَّ بعض من كان هناك من أهل العلم أن يقف على حقيقة هذا الكلام فرفعته إلى جنابكم ؛ راجياً منكم الجواب بالبيان ، فإني مقرٌّ بقصور خُطَايَ في هذا الميدان . انتهى بحاصله .

فكتب قدس سره في جوابه ما لفظه :

لا شيء أعجب من هذا القول ، فإن مَن حصل له الحضور التامُّ فهو الفاني في الله والباقي بالله ، فما الحاجة إذاً لأخذ الطريقة والسلوك على يد الشيخ . فافهم ، مع أن المرادَ من الطريقة حملُ المريد إلى هذا المقام بتعليمه كيفية الذكر الذي هو الأمر الباعث إلى حصول الحضور التامِّ . انتهى . والذكر في هذا المقام ذنبٌ من الذنوب ، وبيتُ :

---

(١) طريقة لا شريعة . علّه . (هامش الأصل) .

واردٌ في حق هذا المقام ، ويعلم من أمثال هذه الكلمات الصادرة من أفواه هؤلاء المدّعين عدمُ كون مُقتداهم من أهل الذوق والوجدان .

وفي « المتممات » و« المكتوبات » وغيرها من كتب النقشبنديِّين :إنَّ أوَّل قدم يضعونه في الذكر القلب ، وإن ابتداء سيرهم من عالَم الأمر ؛ وهو اللطائف ، لا من عالم الخلق ؛ وهو البدن العنصري . يعني : أن تحصيل الجذبة القلبية وتعليم الذكر القلبي لإيصال الحضور الدائميّ مقدَّمان في هذه الطريقة النقشبندية ليس فيها الرياضات والمجاهدات البدنية والنفسية ، كما هو مذكور في « الحديقة الندية » ، و« الدرر المكنونات النفيسات » في مواضع كثيرة ، وكلُّ من حصل له الحضور التامُّ فهو الواصل إلى الله تعالى ؛ وهو مقام المُنتهِي ؛ كما هو مذكور في « الرشحات » وغيره .

فالحكم بعدم جواز تلقين الطريقة إلا لهذا الشخص حكمٌ بالرأي ، وقولٌ مخالف للنقل والعقل ، وأظن – والله أعلم – أنَّ مَن يقول هذا الكلام لا يعلم معنى الحضور التام ، بل ولا معنى الحضور ! ! فافهم .

وأيضاً إنهم قالوا بوجوب اتخاذ الشيخ على كلِّ مَنْ ليس له قلبٌ سليمٌ ، بل بفرضيَّته ، فالقول بعدم جوازه ، والحكم بوجوب كون الشخص مشتغلاً بالنوافل قبل حصول مقام الإخلاص وقبل الوصول إلى درجة تصفية القلب من الرذائل واتصافه بالقلب السليم ينتجان بوجوب ترك الفرض بالاشتغال بالسنن والنوافل ؛ كذا قال بعض العارفين في رسالته .

فالحاصل : أن هؤلاء خرقوا سور الإجماع بلا شك . فافهم ، فمن يقول : لا يجوز اتخاذ الشيخ وطلب تلقين الذكر للعوامِّ . فليراجع إلى هذه الكتب في هذه التواريخ ، وأيضاً ينبغي لكلِّ مَن يقول : إن أخذ الطريقة لا يجوز إلا بعد إتمامه منازل الشريعة . أن يراجع إلى هذه الكتب المذكورة « تنوير الصدر على حزب البرِّ » في ص ١٨٥ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج ، و« البهجة السنية » في ص ٧٦ ؛ وص ٧٧ ، و« اليواقيت » في ١٠٤ ، و« الطبقات الكبرى »

في ١٤٨ ج١ ، و« لواقح الأنوار » في ص ٣١١ ، و« الدرر المكنونات » في ٨٠ ج٢ ؛ وفي ص ٢٦ جلد ٣ ، وفي ٢٩٧ ج١ ، وفي « تنوير الصدر » أيضاً في ص ١١٠ ؛ من هامش « مجموعة الأحزاب » ، وفي « الدرر المكنونات » أيضاً في ٦٧ ج٢ ؛ وفي ص ١٣١ ج٢ ، وفي « البهجة » أيضاً في ٣٧ ، وفي « لواقح الأنوار » أيضاً ص ٣١٢ ، وفي « عصيدة الشهدة » في ٢٩ ، و« شيخ زاده » في هذا التاريخ ، وفي « البهجة » أيضاً في ٣٨ ، وفي « الدرر المكنونات » في ٣٥ ج١ ، وفيه في ١٤٧ ج٣ ، و« المنن الكبرى » في ١٥٤ ، و« المتممات » في ١٨٤ . و« الحديقة الندية » في ١١٠ من هامش « أصفى الموارد » ، و« الإبريز » في ص ٢١٧ ، و« ترصيع الجواهر » في ١٢ ، و« جامع الأصول » في ١٥ .

وفي « ابن حجر » من كتاب السير ، و« الفتاوى الحديثيَّة » ، له ما يصرّح بوجوب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد على كلِّ مَن ليس له قلبٌ سليم ، وأما مَن له قلبٌ سليم ! ! فلا ، ولذا قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : واعلم أنَّ كلَّ مَن رَزقه الله تعالى السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح ، والأئمَّة المجتهدين ؛ فلا يحتاج إلى شيخ . انتهى فراجعه في ١١ .

وأيضاً قال الإمام الربّاني[1] : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً مَن كان ، مناسبٌ ؛ بل لازم . انتهى . كذا في « الدرر » في ١٤٧ ؛ من الجزء الثالث ، فراجعه منه ومن ص٣٨ .

---

(١) **وقد سئل** الإمام الرباني قدّس سرّه : هل يجوز تعليم الطريقة لمن يأكلون ويلبسون من مال لا يخلو من ربا ؟ **فأجاب** بقوله : لقنوهم الذكر ، وعلموهم ورَغِّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة ، كذا في « الدرر » في ١٣١ من الجزء الأول و« البهجة » في ٣٧ فراجعه . وقال الشيخ الشعراني في « لطائف المنن » : إن من الواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه ، وقسى قلبه ، وغلب وقوعه في المخالفات ، ولم ينشرح صدره للتوبة ، فإنه كالمريض الذي يشكو أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر حتى يفرغ من أن يشكو ضرورته ومرضه ، ثم يصف له الدواء . وهذا الخلق قلَّ من يعمل به لا سيما أهل الحدَّة والغيرة على الشريعة ، ولو أنهم نظروا في أخلاقه ﷺ لتلطَّفوا بجميع العصاة .
فإيَّاك يا أخي ونَهْرَ أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه ، انتهى عبارته فراجعه ، من رسالة ألّفها الأستاذ حلمي حقي حسن أفندي قدس سره جواباً لأسئلة العالم محمد الحريكلي رحمهما الله تعالى . (من نسخة أخرى) .

ومَن يزعم أنَّ المريد يجبُ عليه ترك الدنيا بالكلية ؛ فليراجع إلى هذه الكتب ؛ إلى « المتممات » في ١١١ ، و« لواقح الأنوار » في ٨٧ من هامش « المنن » ج٢ ، و« المتممات » في ١٨٤ ، و« الحديقة الندية » ؛ مبتدئاً من ص١١٠ إلى تمام الكلام من هامش « أصفى الموارد » ، و« الطبقات الكبرى » للشعراني في ٧٧ ج٢ ، و« الرشحات » في ص٢٠٨ .

ومن يزعم أيضاً أن الطريقة النقشبندية لا يُطيق أن يحملها ، ولا يجوز أن يستعملها إلا المعتزل المتجرِّد ، ولا يجوز أيضاً أن يفعل الداخل فيها الرخصةَ فعليه أنْ يرجع إلى « الرشحات » في ١٢٩ وفي ١٢٥ ، و« النفائس السانحات » في ٢٦ ؛ من هامش « الرشحات » ، و« الحدائق الوردية » في ٢٠٣ و« المتممات » في ١٧٩ ، و« البهجة » في ٣٠ ؛ وفي ٣٧ ، و« الحدائق الوردية » ، أيضاً في ٢٠٣ ، ولا أحصي أن أكتب الجميع ، ويكفي للعاقل هذا القدر ، وأسأل بالله وبرسوله أن يترك الإنكار علينا بعد الرجوع إلى هذه النقول ، فلنا من ذلك ضررٌ عظيم ، ولا نعفو عنه بعد ذلك أبداً ، وفي « الدرر » من ص ٢٤٩ ج١ : حصول الطريقة مُقدَّم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى وراجعه في ٢٤٨ .

❊ أمر حسن وهو من سياسات الإرشاد . « متممات » . عبارته . وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار ، فإن بعضهم قال : أدخُلُ الإسلام بشرط سقوط الصبح عني ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، فقبل منهم سرّاً ليدرِّجهم على تمام الهداية تدريجاً ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض . من « تنبيه السالكين » عن « المتممات » عبارته أيضاً . (من نسخة أخرى) .

مطلب

الشريعة والطريقة والحقيقة وسرُّ مشروعية كلٍّ منها

الشريعة : أن تعبده ؛أي : الله ، **والطريقة** : أن تحضره ، **والحقيقة** : أن تشهده « جامع الأصول » .

الشريعة كالسفينة ؛ أي : العبادة لله كالسفينة في كون كلٍّ منهما سبباً للنجاة ، والطريقة ؛ أي : الحضورُ في تلك العبادة ، والتجنب عن الغفلة كالبحر ، يعني : أن السفينة ؛ وإن كانت سبباً للنجاة لا تجري في البَرِّ ، ولا يصل الراكب عليها إلى مقصوده الذي هو الدرُّ الذي لا يكون إلاَّ في البحر ، كما قال شيخنا قدس سره في « منظومته » : كَمَ لِكَبْ بُكِنَلْ رَقْدَدَ كَّدُلَرُ[1] . انتهى .

والحقيقة ؛ أي : العبادة مع الحضور ملاحظاً بأن الله تعالى يراه وأنّه ناظرٌ إليه كالدرّ الذي هو المقصودُ المطلوب ، يعني : **أنَّ المقصود من جميع العبادات حصول هذه المشاهدة المذكورة ، وإنما شُرِعت العبادات كلُّها لأجل الوصول إلى هذا المقام الأسنى الذي لا تحصُل المعرفة التامَّة إلاَّ به** ، فمن ترك الترتيب ؛ أي : مَن فَعل العبادة الغير المشروعة لا يصل . . . إلخ ،

ولذا قال في « جامع الأصول » ص٥٣ : فأول شيء واجب على الشخص من المطالب هو الشريعة ، والمراد منها أوامر الله ورسوله ؛ من الغسل ، والوضوء ، والصوم ، والصلاة ، وغير ذلك من الأوامر والنواهي . والطريقة هي : الأخذ بالتقوى ، وما يقرِّبُك إلى الله زلفى ؛ من قطع المنازل[2] والمقامات ، وأما الحقيقة ! فهي : الوصول إلى المقصد ، ومشاهدة نور التجلّي . انتهى . عبارته .

---

(١) ترجمة العبارة بالعربية : السفينة ولو كانت جيِّدةً ومتينة فهي لا تسير على البر ، ولا تصل إلى مقصودها إلا إن سارت في البحر . (من نسخة أخرى) .

(٢) وأول المنازل في هذه الطريقة هو الذكر القلبي ، كما هو معلوم لدى كل من راجع « الدرر المكنونات » و« جامع الأصول » و« المتممات » وإلخ وإلخ وإلخ . . . (منه قدّس سرّه) .من خطه . (من نسخة أخرى) .

وقال فيه ص ٥٢ : كلُّ شريعة حقيقة ، وكلُّ حقيقة شريعة . انتهى .

وقال أيضاً : **كلُّ طريقة تخالف الشريعة؛ فهي كفر ، وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة؛ فهي إلحادٌ وزندقة** . انتهى عبارته .

ولا يخفى أن الطريقة النقشبندية ؛ أي : مآلها الخلوة في الجلوة ، أي : الكون في الباطن مع الله ؛ مع الكون في الظاهر مع الخلق ، وهذا الكون المذكور لا تمنعه الشريعة ، بل هو المطلوب الأعظم عند أهل الشريعة ، والوقوع في المعصية إنما هو بالغفلة عن الله وعدم الحضور معه ، **فإذاً يكون الذكر القلبي سبباً باعثاً إلى امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي** ، ولذا قال الإمام الرباني قدس سره : الذكر القلبيُّ مؤيِّدٌ لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمَّارة . انتهى .

وقال صاحب « تنوير الصدر » : إنَّ مَن حارب النفس الأمَّارة باسم الذات ؛ أي : (الله) نجى منها . فراجعه . هذا ما عندي في تحقيق هذا المقام .

فالحاصل : أن الطريقة لتكميل الشريعة ، وأنهما شيء واحد لا مخالفة بينهما أصلاً ، والشخص الذي عَبَد الله تعالى بالإخلاص والحضور والمشاهدة بغير علَّة كما أمره الله تعالى فهو صاحب شريعة ، وطريقة ، وحقيقة ، ولا يحتاج هو إلى الشيخ ، ومَن أخلَّ بشيء من أوامر الشريعة ؛ لعدم خُلُوص نيَّته ، وفساد مقصوده ! فلا بدَّ له من شيخ ؛ ليحمله إلى الإخلاص ، وإصلاح النية ، ولذا قال الإمام الرباني : المقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بحقيَّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقةُ الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك . انتهى .

شرط الاتباع عدم الإصرار لا عدم المعصية

وأيضاً إن كان ما يقوله هؤلاء المدَّعون المنكرون : إن المريد لا يجوز له أن يعصي الله ، وإن عصاه يخرج من الطريقة بالكليّة ! ! **فنقول** له في جوابه : إن الشعراني قال في كتاب « الجواهر والدرر » : **ولا يشترط في مقام الاتباع له عليه السلام عدمُ الوقوع في المعصية ، وإنما الشرط عدم الإصرار** . انتهى فراجعه في ١٤٩ من هامش « الإبريز » .

من غلب خيره فهو الكامل

وفي « الحديقة الندية » ص١٠٥ ؛ من هامش « أصفى الموارد » : وربَّما طعن بعضهم في الفقراء – يعني المريدين – بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم[(١)] يطلبون فقراء في طريق الله معصومين من الزلل والمعصية ، **وهذا لا يكون أبداً ، بل مَن غلب خيرُه على شره؛ فهو الكامل ، بل في الحديث الشريف النبوي** ما هو أبلغ من هذا ؛ وهو الاكتفاء بالعشر من الخير ؛ فضلاً عن غلبته على الشرّ ، أو كونه نصفاً أو ربعاً ، قال ﷺ : « إنّكمْ في زَمانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ثمَّ يأْتِي زَمانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ ما أُمِرَ بِهِ نَجَا » . رواه الترمذي ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه . وذكر السيوطي في « الجامع الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل العشر ، **وهي بشارة عظيمة لكلِّ مَنْ سَلِم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان ، وقلّ مَن يسلم من ذلك في زماننا هذا** ! ! انتهى . من عبارته ، وأيُّ رجل منا خرج من دائرة الشريعة ليقولوا هذا الكلام ؟ ! وهل لسنا من المصلّين والصائمين . . وإلخ . وأيُّ شيء عَلَّمَنا آباؤنا حين الصبا ! ! وقد علّمونا أوّلاً كيفية الإيمان والإسلام وقتَ البلوغ ، ومن ذلك الوقت فنحن على ذلك ، وهل هذا إلاَّ الشريعة ؟ !

(١) راجع « خلاصة الأدب » ص ١٧ .

وأما إن كان مرادهم أن من دخل الطريقة لا يجوز له أن يعصي الله ! فقولهم هذا يخرق الإجماع ؛ لأن الإجماع منعقد على أن غير الأنبياء ليسوا بمعصومين . فافهم .

وأيضاً هل في الكتب أنه يجوز لصاحب الشريعة أن يأتي بالمعاصي كائنة ما كانت ؛ وإن صاحب الطريقة يخرجه عصيانه عن الشريعة ؟ ! فافهم أيضاً .

ومن له شبهة ما في حقِّ جواز إعطاء الطريقة للعامي ؛ فليكتبه إلينا مع بيان النقل ، فنحن- إن شاء الله تعالى- نجيبه عن ذلك جواباً شافياً ، لابتغاء مرضاة الله تعالى لا غير ، وأما من دأبه التعصُّب والعناد ، وعدم الامتثال للحقِّ ؛ ولو ظهر له كالشمس ! ! فليس لنا معه كلام إلاّ أن نقول ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي﴾ . . إلخ ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ ، فهذا والسلام . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب الحاج موسى الإنخوي

وكتب قدس سره إلى مريده الصادق الحاج موسى الإنخوي ؛ نقلاً عن « الدرر المكنونات » ما يأتي :

ووقع في عبارة المشائخ : أن الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبُّ الشريعة . وهذا الكلام ؛ وإن كان منبئاً عن عدم استقامة قائله ، ولكن يمكن أن يكون مراده به أن المجمل حكمُه بالنسبة إلى المفصَّل كحكم القشر بالنسبة إلى اللبِّ ، والاستدلال في جنب الكشف ؛ كالقشر في جنب اللب .

وأما الأكابر المستقيموا الأحوال ! فلا يجوِّزون التكلُّم بأمثال هذه العبارة الموهمة للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل ؛ والاستدلال والكشف « الدرر المكنونات » معرّب « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره ص٢٩٥ ج١ .

حصول الطريقة مقدَّمٌ على حصول حقيقة الشريعة . منه عبارته ٢٤٩ وراجعه ص٢٤٨ .

الطريقة والحقيقة عبارتان عن حقيقة الشريعة . منه عبارته ٦٩ .

الطريقة والشريعة لا مخالفة بينهما مقدار شعرة . منه عبارته ٥٨ .

والمقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بالمعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر أيضاً في أداء الأحكام الفقهية ، لا أنه أمرٌ آخر وراء ذلك . منه عبارته ١٧٥ .

فالمقصود من السير والسلوك ، وتزكية النفس ، وتصفية القلب : هو إزالةُ الآفات المعنوية والأمراض القلبية المشار إليها بقوله تعالى ﴿ **فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ لتحقق حقيقة الإيمان . منه عبارته ٦٢ .

إنَّ كلاً من الشريعة والحقيقة عينُ الآخر لا تمايز بينهما في الحقيقة ؛ غير الإجمال والتفصيل . وإلخ وإلخ . . منه عبارته ٩٥ .

وسمعت حضرة شيخنا يقول : إن الخواجه النقشبند قدّس سرّه جمع علماء بخارى ، وجاء بهم إلى خانقاه[1] شيخه الأمير كلال ؛ ليمنعوهم من ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة ، فلا تفعلوه . فقال في جوابهم : لا أفعل . فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر ؛ فماذا نقول في السماع والرقص[2] ، والوجد والتواجد ، والأحوال والمواجيد التي تترتب على أسباب غير مشروعة ؟ ! فهي من قبيل الاستدراجات عند الفقير . منه عبارته ٢٧٩ .

---

(١) مدرسة الصوفية .

(٢) والسماع والوجد مضر للمبتدئ ، ومناف لعروجه وإن وقع بالشرائط ، وسيحرر نبذة من شرائط السماع ، انتهى . ووَجْد المبتدئ معلَول ، وحَالُه وبَالٌ ، وحركته طبيعية ، وتحرُّكه مَشوبٌ بالهوى النفساني ، وأعني بالمبتدئ ؛ من ليس من أرباب القلوب ، وأرباب القلوب متوسطون بين المبتدئ والمنتهي ، والمنتهي هو الفاني في الله والباقي بالله ، وهو الواصل الكامل . من « مكتوبات الإمام الرباني » عبارته ٣٠٩ ج١ راجعه هناك ، ففيه البيان التام في حكم الوجد والسماع . (من نسخة أخرى) .

وقال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه : من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود ودواخل المغنّين فسماعه معلول . « الحدائق الوردية » عبارته . وقال : من ادعى السماع ولم يستمع من صَوْت الطيور وصَرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدَّع . (منه) عبارته .

الفصل ١٩ في بيان الوجد والصّفاء ، قال الله تعالى : ﴿**تَقْشَعِرُّ**﴾ . . إلخ الآية . انتهى « طفل المعاني » المسمى « ببيان الأسرار » عبارته راجعه منه . (من نسخة أخرى) .

ومبالغة الفقير إنما هي بسبب مخالفة طريقته ، سواء كانت المخالفة بالسماع والرقص ، أو بقراءة المولد . . وإلخ ، ولكل طريق وصول إلى مطلب خاصّ به ، والوصول إلى المطلب الخاصِّ بهذا الطريق المتوسط منوطٌ بترك هذه الأمور . منه عبارته ٢٩٥ .

والذكر القلبي الذي أُجِزْتُمْ به مؤيّد لإتيان الأحكان الشرعية ، ودافعٌ لعناد النفس الأمارة ، فينبغي إجراء هذا الطريق . منه عبارته ٢٩٧ .

ومن ها هنا لم يجوّزُوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه . منه عبارته ٢٧٩ .

والسماع والوجد مُضرٌّ لمبتدئ ومناف لعروجه ؛ وإن وقع بالشرائط ! منه عبارته ٣٠٨ .

وَجد المبتدئ معلولٌ . منه عبارته ٣٠٩ .

ونور هدايته المذكور يسري إلى مريديه بلا واسطة ، أو بواسطة ، أو بوسائط ، ما لم تلوّث طريقته المخصوصة بلوث التغييرات والتبديلات ، ولم تخرَّبْ بإلحاق المخترعات والمبتدعات . منه عبارته ٢٥٣ .

أقرب الطرق

فكلُّ طريق مخالفةُ النفس فيه أكثرُ ؛ فهو أقرب الطرق ، ولا شك أن رعاية مخالفة النفس في طريقة النقشبندية أكثرُ منها في سائر الطرق ، فإن هؤلاء الأكابر اختاروا العمل بالعزيمة ، والاجتناب عن الرخصة ، ومن المعلوم أن كلاًّ من اجتناب المحرم والفضول موجود في العزيمة ومرعيٌّ فيها ، بخلاف الرخصة فإنَّ فيها اجتنابَ المحرَّم فقط .

فإن قيل : يمكن أن يكون المختار عند أرباب سائر الطرق أيضاً العزيمةُ ؟ !

قلت : إن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ويبلغ الأمر فيه حدَّ الرخصة بعد تحمّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة ؟ ! وكذلك ذكر الجهر ، لا يتصور فيه ما فوق الرخصة . منه عبارته ٣١٤ .

وسئِلْتُ أيضاً أنه : ما سبب المنع من ذكر الجهر بعلّة البدعة ؛ مع أنه مُورث للذوق والشوق ، وَلِمَ لا يمنع من أمور أخرى لم تكن في زمن النبي ﷺ مثل لبس الفرجيِّ[1] والشال والسراويل ؟ !

مطلب

فعله ﷺ على نوعين

أيُّها المخدوم ؛ إن فعله ﷺ على نوعين : فعل على سبيل العبادة ، وفعل على طريق العرف والعادة ، فالفعل الذي صدر عنه على سبيل العبادة نعتقد خلافه بدعة منكرة ، ونبالغ في المنع عنه لكونه إحداثاً في الدين ، وهو مردودٌ ، والفعل الذي صدر عنه ﷺ على طريق العرف والعادة لا نعتقد خلافَه بدعةً منكرة ، ولا نبالغ في المنع عنه ؛ لعدم تعلُّقه بالدين ، بل وجوده وعدمه مبنيّان على العرف والعادة ، لا على الدين والملّة . منه عبارته ٢٠٧ . والجهر ممنوع في هذا الطريق . منه عبارته .

بعد الحمد والثناء ، وتبليغ الدعوات ، ليكن معلوماً للأحباب الحقيقيين والمشتاقين التحقيقيين أنه قد حصل السرور والابتهاج بوصول المكاتيب المُنبئة عن فرط المحبة والاشتياق ، ثبتكم الله سبحانه على هذه المحبة ، وينبغي لكم أن تسألوا الله سبحانه الثبات والاستقامة عليها ؛ معتقدين بأنها رأسُ سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة ، وتحصيلُ جمعيَّة الباطن ثمرةُ هذه المودَّة ، **ولو صُبَّ جميعُ ظلمات العالم وكدوراته في الباطن ؛ وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، بل ينبغي أن يكون راجياً ،**

---

(١) ثوب مفتوح من الأمام يدعى : الصاية .

ولو أفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ؛ وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ؛ ينبغي أن لا يعتقد ذلك شيئاً غير الخذلان ، وينبغي أن يعدَّه استدراجاً ، وعليكم بالتوجُّه إلى شغلكم متمسكين بحبل هذه المحبة تمسُّكاً شديداً ، دون أن تضيّعوا العمر العزيز بأمور لا طائل فيها . شعر :

وإياكم والاغترار بزخرف   سريع انتقال لن تروْا نفعَه أصلاً

والسلام على مَنْ اتبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله من الصلوات أتمُّها ومن التسليمات أكملُها . منه عبارته ٢١٧ ج١ ، وراجعه من المكتوب ٢٣٥ .

علوُّ الطريقة ورفعتها

إنَّ علوَّ هذه الطريقة العليّة ، ورفعة الطبقة النقشبندية إنما هي بواسطة التزام السنة السنية ، والاجتناب عن البدعة الشنيعة ، ولهذا اجتنب أكابر هذه الطريقة عن ذكر الجهر ، وأمروا بالذكر القلبي ، ومنعوا من السماع والرقص والوجد وغير ذلك ، مما لم يكن في عصره عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين عليهم الرضوان ، واختاروا الخلوة في الجلوة ، بدل خلوة الأربعين ؛ لعدم كونها في الصدر الأول . انتهى منه عبارته ١٤٧ ج١ .

نسبتنا فوق جميع النسب . منه عبارته ٣٦ .

النفي والإثبات في هذا الطريق بالتخيل ؛ لا دخل فيه للِّسان والحنك أصلاً حتى يشترط مواطأة القلب والقول . منه عبارته ٣٨٢ .

وكتبت أيضاً : إن بعض الطالبين يريدون الطريقة القادرية ! ينبغي أن لا تعلِّم أحداً أصلاً طريقة غير الطريقة النقشبندية ، حتى لا يكون خلط بين الطريقتين . منه عبارته ٢١٩ .

إن المقصود من حصول الأحوال التعلُّق والارتباط بمحوِّل الأحوال ، فإذا حصل هذا التعلُّق ؛ فلا ضرر من عدم حصول الأحوال . منه عبارته ٢١٩ .

مطلب مهم

وأقبح التغني : ما كان في القرآن والذكر والدعاء « طريقة محمدية » عبارته .

وفي « قاضيخان » : رفع الصوت بالذكر حرام ، لقوله ﷺ من[1] رفع صوته بالذكر : « لا تدعون أصمَّ ولا غائباً » ، وقول النبي ﷺ : « خير الذكر الخفي » ، ولأنَّ الإخفاء أبعدُ من الرياء ، وأقرب إلى الخضوع والأدب ، وقد صحَّ أثرٌ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع قوماً اجتمعوا في مسجد يذكرون الله ويصلُّون على النبي عليه الصلاة والسلام ، فراح إليهم ، وقال : ما عهدنا ذلك على عهد النبي ﷺ ، وما أراكم إلاَّ مبتدعين ! ! فما زال يذكر[2] حتَّى أخرجهم من المسجد .

وفي « كبير الحلبي » : الجهرُ بدعةٌ ، **فإن قالوا** بجواز الجهر بما في نحو الأحقاف ؟ **قلتُ** : أدنى درجة الاختلاف إيراث الشبهة ، فينبغي أن يجتنب عنه من ادّعى سلوك طريق الورع ، كما في « ابن مالك » .

وفي حديث البخاري « يا أيها الناس ؛ اربعوا[3] على على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ، ولا غائباً » .

وفي آخر « رسالة أبي السعود » : الجهر بالذكر جائزٌ ، ولكن الإخفاء أفضل ، وهو مراد إمام محمد بما ذكر في « السير الكبير » من كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن والذكر ؛ على ما بيّنه في « الذخيرة » و« المحيط » . ولكن قد يعرض عارضٌ فيكون الجهرُ أفضلَ كدفع الكسل والنوم والخواطر ، وحث الغير والمعاونة .

---

(١) علَّه : في حقٍّ . (من نسخة أخرى) .
(٢) ينكر علَّه . (من نسخة أخرى) .
(٣) أي : ارفقوا . راجع « الإعانة » . (منه قدّس سرّه) . (هامش الأصل) .

والحاصل : أن الذكر والقرآن والصدقة سواء في حق جواز الجهر والإخفاء ، وكون الأصل الإخفاء إن لم يعرض عارض « بريقة محمودية ؛ شرح طريقة محمدية » عبارته ١٧٢ ج٢ .

إن إنكار هذه الطريقة سمٌّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمُّ الأفعى يؤدِّي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السرمدي ؛ فكيف إذا كان هذا الإنكار والاعتراض راجعاً إلى الشيخ ، وكان سبباً لإيذائه ؟ !

ومنكرُ هذه الطائفة محرومٌ من بركاتهم ، والمعترض عليهم خائبٌ وخاسر في جميع الأوقات . « الدرر المكنونات » عبارته ٣٨٢ ج١ .

فتدبَّر يا موسى حجيو؛ في هذا الكلام ، وفيما عليه أهل زماننا من متشيِّخي ديارنا ، وإنكارهم على هذه الطائفة النقشبندية قائلين : إن ما يعطونه هو الشريعة لا الطريقة ، وإنه لا يجوز إعطاء الطريقة في هذا الوقت ، فهل هذا إلاّ إنكار واعتراض ومخالفة للطريقة وابتداعٌ ؟ ! وقد قال سيّد الطائفة خالد البغدادي قدس سره : **من غيّر أصولَ طريقتنا فليس منا** . انتهى ، وقال الشيخ سليمان الزهدي أيضاً : إن المخالفين لأصول الطريقة مطرودون ، بل هم عنها مبعدون . انتهى .

وقال الإمام الرباني ما حاصله : إن البدعة في الطريقة ليست عند الفقير بأقلَّ من البدعة في الدين ، **وبركات الطريقة إنما تفاض ما لم يحدث فيها محدث ،** فإذا حدث فيها محدثٌ ينسدُّ طريق الفيوض . انتهى . فالعياذ بالله من غرور الشيطان وتسويلات النفس ، فينبغي للمتديّن أن يجتهد لإيقاظ هذه الجماعة من سِنة جهلهم المركّب ، وأن يُعلِّمَهم بأنهم مع تابعيهم مبتدعون ، وفي شبكة الشياطين واقعون ؛ مع أنهم يظنُّون أنَّهم يحسنون صنعاً ! ! وقد قال الإمام الرباني : **الجهاد القوليُّ أفضل من جهاد القتل** ؛ كما في « مكتوباته » قدس سره . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء بالاستقامة لهذا الكاتب المعلوم ؛ أخيكم الداعي لكم بالخير والصلاح والرشد والهداية : حسن القحي . من خطه قدس سره .

مكتوب آخر لمن ادعى الأخذ عن رسول الله ﷺ مباشرة

وكتب قدس سره في حقِّ مَنْ ادَّعى رؤية النبي ﷺ من متشيخي الزمان ، وأنه ﷺ هو شيخُه :

وقد سمعتُ علياً الخواص رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مئتا ألف مقام ، وسبعة وأربعون ألف مقام ، وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمَّهاتها مائة ألف مقام وخاصَّتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها لا يصح له الأخذ المذكور . انتهى « لطائف المنن الكبرى » للشعراني . فمن ادّعى ذلك طالبناه بهذه المقامات ، فإذا رأيناه لا يعرفها ؛ كَذَّبناه في دعواه ذلك « تنبيه المغترين » عبارته ٦٥ للشعراني قدّس سرّه .

وفي « الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية » له قدس سره : إنَّ من ادّعى الإذن الخاصَّ من النبي ﷺ فكأنَّه ادَّعى أنه القطب الغوث الفرد الجامع . انتهى وراجعه ص٣٩ تجد البيان .

وبعضهم ادّعى أن رسول الله ﷺ أذن له . وهو بعيد ! فإن بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ، ما أظنُّ أن هذا حَصَل له منها مقام واحد ! كما مرَّ تقريره في المقدمة « لطائف المنن » عبارته .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر رحمه الله ما حاصله : رؤيته ﷺ بابٌ ضيِّقٌ وقلّ مَن يقع له ذلك ، إلاّ مَن كان على صفةٍ عزيزٍ وجودُها في هذا الزمان ، بل عُدِمَتْ غالباً . فراجعه ص٢١٨ .

وفي « الرملي » من (الصيام) ص ٣٠٨ ما نصه : ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته ﷺ ، وأنه أخبره في النوم بأن غداً من رمضان ، فلا يصحُّ الصوم به إجماعاً ؛ لا لشك في رؤيته . انتهى فراجعه ، وراجع « حواشيه » و« ابن حجر » من كتاب الصيام و« البجيرمي » أيضاً ففيه عينُ ما مرَّ ، وراجع « الشهاب » ، و« مغني المحتاج » للخطيب الشربيني من (الصيام) ، فإذا لم يجز العمل بالرؤية في هذا الأمر اليسير ؛ فعدم جوازه في حقِّ الخِلافة التي خطرها جسيمٌ وأمرها عظيم ؛ يعلمُ بالطريق الأوْلى . وراجع « الدرر المكنونات في تعريب المكتوبات » ص٢٩٣ ج١ من المكتوب ٧٣ تَرَ العَجَبَ .

وقال الإمام الرباني قدس سرّه : لا أحدَ محفوظٌ من إلقاء الشيطان ، كيف ؟ ! وإذا كان ذلك متصوّراً في الأنبياء بل متحققاً ! ! فبالطريق الأولى أن يكون في الأولياء ومَن هو الطالب الصادق بَعْدُ . انتهى . فراجعه . وتدبَّر قوله تعالى وسبب نزوله ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾ الآيات الأربع ، فإذا ألقى الشيطان كلامَه الباطل في أثناء قراءته ﷺ فمن أين يدري أن تلك الواقعة محفوظة من تصرُّف الشيطان ومَصونة من تلبيسه ؟ ! مع كونها بعدَ وفاته ﷺ ، فالعياذ بالله من الدعوى ، فما أعظمها وما أعظم جهلَ الخلق وحماقتهم ؟ ! فلقد حقَّ قول القائل : النفس أمارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين ، وأهل النفوس والحظوظ يجلبون إلى جانبهم أهل النفوس مثلهم كجلب المغناطيس الحديدَ .

وفي « البريقة » : لا مانع من أن يقول الشيطان :أنا رسول الله . فراجعه من الجلد الأول .

معنى القطب والغوث

وأيضاً ينبغي أن يعلم أين موضع الغوث ، وما تعريفه ، وما مقام القطب وما علامته .

فالحاصل أن الغوث هو الفاني في ذات الله تعالى ، وهو المتصرِّفُ في الخلق ، ولا يكون في الدنيا إلاَّ واحداً ؛ وهو قطب الأقطاب ، لكن من شأن القطبِ الخفاء ؛ لا النداء على رؤوس الأشهاد : أني قطب ؛ وليس في الدنيا أحدٌ مثلي . كما هو مبيَّنٌ في « اليواقيت » للشعراني ، و« تنوير الصدر شرح حزب البرّ » فراجعهما . عَصَمنا الله من شرور أنفسنا .

وفي « جامع الأصول » ص١٩٤ : **وأما الغوث !** فهو عبارة : عن قطب عظيم ورجل عزيز ، وسيد كريم تحتاج إليه الناس عند الاضطرار في تبيين ما خفيَ من الأمور المهمة والأسرار ، ويطلب منه الدعاء ، وهو مستجابُ الدعوة

لو أقسم على الله لأَبَرّه في قَسَمِه مثل أويس القرني في زمان رسول الله ﷺ . انتهى فراجعه .

وأما المجذوب المجرّد! فلا يجوز أن يكون شيخاً ؛ لأنه كالأعمى ، ولا يجوز أن يكون دليل الأعمى أعمى . فراجع « جامع الأصول » ص٥ تجد البيان الشافي .

مطلب

الإلهام لا يكون حُجَّةً

وأيضاً الإلهام لا يكون حُجَّة كما هو مذكور في « ابن حجر » من (كتاب الردة) ، وفي « الفتاوى الحديثية » له بسطٌ في ذلك . فراجعه .

وقال الإمام معصوم في « مكتوباته » ما حاصله : حُرِّرَ أنَّ مَن أذن شيخه له في واقعة ؛ لتلقين الذكر ، وتربية المريدين ؛ وأرواحُ السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقين الذكر ، وتربية المريدين ؟

فالجواب : أنَّ الإجازة لتعليم الطريقة أمرٌ عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى .

وفي « روح البيان » : إنَّ من لم يتصل نسبُه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني ، وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل ؛ فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو في تربيته هالك[1] ؛ لأنه ولد الزنا ، وربَّما يُكْرِه بعضَ أهل الطلب على التردّد لباب أهل الدعوى ، ويصرفه عن أهل الحق عناداً وغَرَضاً ومرضاً واتباعاً

(١) راجع « خلاصة الآداب » من ص ٥٦ إلى ٥٩ . (من نسخة أخرى) .

لهواه ، فهو إنما يكره على الزنا ؛ لأنه بملازمته بَابَ أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا . فراجعه .

وفيه أيضاً في تفسير سورة آل عمران : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدَّعون المعرفة وتمكُّنَهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ؛ ولَدْن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنَّ وأولادهن سبعين مرة . فراجعه .

وفي الكتب : إن الجذب لا يكون إلاَّ للناقصين ، لا وجد مع الوجدان ، ولا فقد مع العيان .

ورأيت في « التاتارخانية » ما حاصله :إن الشيطان يضع إصبَعَه في دبر من يحرِّف كلمة التوحيد فيحصل له الحرارة ،فيتواجد ويَصِيح . انتهى بالمعنى .وفي « الإبريز » أيضاً :إنَّ الشيطان ينفخ ويدفع قرونه على قلب من توجَّه قلبه إلى الله تعالى فيصيح ويتواجد .انتهى بالمعنى أيضاً ، فراجعه .وفي الكتب أيضاً ما حاصله :إنَّ الصياحات من علامات الغفلات ، فراجعها . فهذا ؛والسلام عليك أيُّها المخلص المحبوب الحاجِ موسى . فلمَّا طلب منِّي الحامل كتبة هذه النقول كتبتُ إليك ، وأوصيكَ بالدعاء ، ودُمْ على الحضور ، واحذرْ من الغفلة ،فإنَّ الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله تعالى ، ولم يمكن لي كتبة الكتاب إليك ببسط الأحوال لضيق الوقت فأرجوك . . .إلخ . انتهى من خطِّه قدّس سرّه .

مكتوب لمحمد العسوي

جواباً عمن يقول : الشريعة ثم الحقيقة

وكتب قدس سره إلى ولده الأسبق ما لفظه :

وعليكم السلام ؛ أيُّها الولد المحبوب محمد العسوي ورحمة الله تعالى وبركاته . آمين .

وبعدُ : فصحَّتُكم وعافيتكم ، واجتنابكم عما لا يليق بشأنكم هو المسؤل من الله تعالى ، والملازمة على الذكر والفكر والمراقبة آناء الليل وأطراف النهار هو المطلوب المهم المحبوب لدى هذا الفقير غفر الله ذنوبه . آمين .

ثم إنك سألتني عن معنى قول نجم الدين الكبرى : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدرّ ، فمن أراد الدرّ ركب السفينة ، ثم شرع في البحر ، ثم وصل إلى الدرّ ، فمن ترك الترتيب لا يصل إلى الدرّ . انتهى . وعن قول بعض الفقراء العارفين : الحقيقة نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة . انتهى ، وقلتَ : إن أهل الدعوى يتمسَّكون بأمثال هذين القولين دليلاً لعدم جواز أخذ الطريقة إلاَّ بعد إتمام أمور الشريعة . انتهى .

اعلم أيها الولد المرجوُّ ؛ أن الشيخ الأكبر قال :

الشريعة : أمر الله ورسوله ؛ من الوضوء والصلاة والصوم وأداء الزكاة والحجِّ ، وترك الحرام وغيرها من الأوامر والنواهي . انتهى ، فمن فعل هذه الأمور كيف كانت ؛ يقال له : إنه في الشريعة . **فإن للشريعة صورة وحقيقة ، فصورتها فعل هذه الأمور ظاهراً ؛ سواء حضر فيها وأخلص ، أو غفل عنها ولم يخلص .**

والطريقة : فعل أمورها على الإخلاص والحضور ، **وأمورُها كلُّها من الأسباب الباعثة على حصولهما وهي عين ما ورد في الشريعة ، لا أمر آخر ليس فيها .**

والحقيقة : فعلها كأنه يرى الله تعالى ، أو أنه تعالى يراه وهو ناظر إليه ، على حدّ قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

وقد قال بعضهم : الشريعة : أن تعبده ، والطريقة : أن تحضره ، والحقيقة : أن تشهده . وهو أصدقُ قول قيل في حقيقة هذا الشأن ، وهو يؤيِّد ما قرّرته ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي أن يعلم أنَّ مَن فعل أمراً أوترك شيأ لم يرد به النصُّ في الكتاب والسنة ، ولم يُصرَّح به في الشريعة التي هي مثل السفينة ، وصار يفعل ما ابتدعه خالصاً لله مع الحضور الذي هو عين ما يَقْصِده أهل الطريقة المشبَّهة بالبحر ؛ لم يصل ذلك المبتدع باستعمال أشغاله المبتدعة إلى المشاهدة التي هي عين حقيقة الشريعة ، ولا يكون قول نجم الدين المذكور دليلاً للمنكرين ، بل يكون حجةً عليهم ؛ لأن السفينة لا تجري على اليَبَس ، بل لا بدَّ لها من وضعها في البحر ، لأن السفينة فائدتها وضعُها في البحر ، وإجراؤها فيه بأسباب وآلاتٍ يديرها قائدها ، ولا يكفي مجرَّد وضعها وجعلها في البحر ، بل لا بدَّ للسفينة من قائد يقودها بالأسباب ويَعرف كيفية جَرَيانها ، **وهكذا لا بدَّ لمن أراد الوصول إلى حقيقة الشريعة والمعرفة من الدخول في الطريقة على يد شيخ عارف بصير واصل موصِل** . فافهم .

وقول القائل : الشريعة كالقشر الأعلى من الجوز ، والطريقة كالقشر الأسفل ، والحقيقة كاللب ، والمعرفة كالدهن) يشبه ما مرّ ؛ من أن الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تحضره . . . إلخ . لكن الإمام الرباني لامَ على من قال أمثال هذه المثالات الموهمة للمخالفة بين الشريعة والحقيقة ، فإنهما عين الآخر لا فرق بينهما ؛ ولو بأدنى شيء ، وهما متلازمان للآخر .

ومن قال : الحقيقة نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة . ! ! لعلَّ مراده من كلامه هذا أنه لا يصل المريد إلى حقيقة الشريعة إلاَّ بالسلوك في الطريقة على يد شيخ عارف ، كما قيل : الطريقة مقدمة على حقيقة الشريعة . فلما كان مبنى الطريقة على أساس الأمور الشرعية ؛ لا على الأمور البدعيَّة ، جاز أن يقول : إن الطريقة نتيجة الشريعة . بل هي عينها ، **فإن الأوراد التي يستعملها أهل الطريقة هي عين الشرع** ، ولا يخرج شيء منها من نصّ الكتاب والسنة ، وهذا القول أيضاً لا يكون دليلاً للمنكرين ، **فإن الشريعة لمَّا كانت غيرَ صحيحة في الناس غالباً** ، **وكان أهلها متدنِّسين بنقوش السِوى** ، **ومغموسين**

في بحر الهوى التي هي إلهٌ يُعبد ؛ كما قال تعالى ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ، حتى قال البعض : إن النفس هي الصنم الأكْبَر وقع الاحتياج إلى استعمال العلاج لتحصيل الصحة عن هذه الأمراض المعنوية ؛ والأخلاق المذمومة ، فاختاروا لذلك علاجات من عين الشرع ؛ لا من غيره ، فعلّموا الأذكار وأمروا المريدين بتكرارها وملازمتها ، كما ورد في الحديث « ذكر الله شفاء القلوب » فبتكرارها ومواظبتها ينجلي القلب عن الغفلات ويرى قبائح أعمالها ، ثم يتشمَّر في إزالتها فيصير سليماً ، فبتقديم هذا العلاج الذي هو عين ما ورد في الشرع يصير السالك يُصحِّح الشريعة ، ويمتثل بالمأمورات ، ويجتنب عن المنهيات ،

مهم

ومن المعلوم أن امتثال الأمر ، واجتناب النهي لا يتمَّان إلاَّ إذا كان الآمر والناهي محبوباً عنده ، فمن أراد إتمامهما يجب عليه أن يشتغل بأسباب المحبة ، فالذكر إذاً والدوام عليه ليلاً ونهاراً من أسباب محبَّة الله ، وهو عبارة عن طرد الغفلة ؛ لا أنه مقصورٌ على كلمة النفي والإثبات ، أو كلمة لفظة الجلالة ، فلا بدّ من تقديم الذكر بتكرارهما ؛ ليحصل به الذكر الذي هو بامتثال الأوامر واجتناب النواهي . وقد بسط الإمام الرباني الكلام على هذا المطلب في « مكتوباته » ، ونقلته في « التنبيه » ، و« التلخيص » و« البروج » ، لكن لمَّا كنت في الريف خالياً عن الكتب اقتصرت على ما كان في خاطري من ملخص كلامه ، فأرجوك أن لا تعيبني ! والسلام .

مكتوب في توضيح المصطلحات

وكتب إلى بعض مريديه : فالعبادة بما شرع الله به **شريعةٌ** ، والحضور فيها والخشوع والخضوع طريقةٌ ومشاهدةُ أنّ الله تعالى ناظر إليه وحاضرٌ معه وقت العبادة **حقيقةٌ** وشهودُ أنَّ فاعل العبادة هو الله تعالى **معرفةٌ** . فهذه كلها عين الشريعة تفرَّقت أسماؤها في اصطلاح الصوفية ، ولا مناقشة في الاصطلاح ! ! والله سبحانه وتعالى وليُّ الهداية . فهذا ما عند الحقير القحي ؛ منقولاً من كلام أكابر الصوفية الصافية . والسلام .

وهكذا يقال في كلِّ ما مثّلوه لجميعها لتفهيم المراد من هذه الأسماء المذكورة ؛ من أن الشريعة علمٌ وعمل . . . إلخ ، ومن أنّ الشريعة كالسفينة[١] . . . وإلخ . . إلخ أي : فإن العلم والعمل عبادة ، وهي **شريعةٌ** ، والحضور فيها والاشتغال بالأسباب الجالبة للحضور من المواظبة على الوظائف المذكورة في كتب الطريقة طريقةٌ ، وفعلها كأنَّ الله ناظر إليه ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ **حقيقةٌ** ، وشهود أن لا فاعل إلا الله **معرفةٌ** . انتهى[٢] .

---

(١) أي : أن فعل العبادة المشبَّهة بالسفينة شريعةٌ ، والحضور المشبه بالبحر طريقةٌ ، ومشاهدة أنه تعالى ناظر إليه حقيقةٌ وهو المشبّه بالدرِّ ، وشهود أن لا فاعل إلا الله معرفةٌ . . . وهكذا . . وهكذا في كلِّ مثال . فافهم . (من نسخة أخرى) .

وقول ابن حجر : وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية . صريح في بيان كون المراد موافقاً لما قلته . فتدبَّر . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة زيادة هنا :

يقول الحقير جامع هذه الرسائل- عفى الله عنه- لما ظفرت في بعض مكتوبات أهل العلم برسالة للشيخ الأكبر محي الدين العربي قدس سره في بيان المراد من الكلام المذكور للشيخ نجم الدين الكبرى قدّس سرّه ورأيتها نفيسة نافعة للمريدين في هذا الباب أردت أن أنقلها هنا بِرُمَّتِهَا وهي هذه بحروفها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقال الشيخ المحقِّق نجم الدين الكبرى قدّس سرّه : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدرّ ، فمن أراد الدرّ ركب السفينة ، ثمّ شرع في البحر ، ثمّ وصل إلى الدرّ ، فمن ترك الترتيب لم يصل إلى الدرّ ؛ **فأوّلُ** شيء وجب على الطالب هو الشريعة ،

والمراد من الشريعة أمر الله ورسوله ؛ من الوضوء والصلاة والصوم وأداء الزكاة والحج وترك الحرام وغير ذلك من الأوامر والنواهي ، **والطريقة** هو الأخذ بالتقوى ، وما يقرِّبك إلى المولى من قطع المنازل والمقامات **وأما الحقيقة** فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي ، كما في الصلاة خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة في الشريعة ، والقربة في الطريقة ، والوصلة في الحقيقة ، والصلاة جامعة لهذه الخصائل الثلاثة كما قيل : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده .

قيل ما الخلوة ؟ الخلوة : انقطاع عن الخلق إلى الخالق ؛ لأنه سفر النفس إلى القلب ، ومن القلب إلى الروح ، ومن الروح إلى السر ، ومن السرّ إلى الخالق . ومسافة هذا السفر بعيدة جدّاً بالنسبة إلى النفس ، قريبة جدّاً بالنسبة إلى السر ،

طهارة الشريعة طهارة البدن عن الحدث ، **طهارة الطريقة** التخلية عن الأهواء ، **طهارة الحقيقة** خلوّ القلب عما سوى الله .

صلاة الشريعة بالأركان والأذكار ، **صلاة الطريقة** بالخلاء عن الأكوان والتوجّه بالكليَّة إلى الرحمن واستغراقه في الذات بتوالي المناجات في كل زمان ومكان .

صوم الشريعة بالإمساك عن الأكل والشرب والجماع ، **وصوم الطريقة** بالإمساك عن الأوهام شغلاً بمحبة الأنام .

زكاة الشريعة من كل عشرين مثقالاً نصف مثقال ، **وزكاة الطريقة** بكلِّ المال .

فلو رأيت شخصاً يطير في الهواء ويمشي على البحر ويأكل النار وغير ذلك مما يشبه الكرامات ويترك فرضاً من فرائض الله تعالى وسنة من سنن النبي ﷺ فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس فعله كرامات ، انتهت . وراجع كتاب « بيان الأسرار » من الفصل الرابع ، وفي كتاب« لبّ الغرائب » ، قال الجنيد رحمه الله : **الشريعة** ترك الحرام ، **والطريقة** ترك الحلال ، **والحقيقة** ترك النفس ، **والمعرفة** ترك الروح . انتهى .

الباب الثاني

في وجوب تفريد شيخ التلقين وتعظيمه

وتقديمه على شيخ شيخه ،

وبيان شروط الشيخ المرشد ،

وجواز إجازة الكامل للناقص ،

وبيان فوائد صحبة المشائخ ،

وذكر المراد من سلوك الطريقة وفوائدها .

مكتوب أُدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى العالم العارف المجوّد أُدُرَةِ العرادي رحمه الله جواباً لكتابه :

وعليكم السلام . . إلخ .

إنّ الذي تسألونني عنه في رسالتكم في حق تفريد الشيخ كنا استشكلناه حتى الآن ، فإن أدركنا حقيقته بنقل صحيح ، أو بإلهام من الله ، فنحن إن شاء الله تعالى نوصله إليكم ، وإلا ! فلا يجوز لنا أن نتكلَّم في مثل ذلك بهوى النفس الأمَّارة . والسلام من طرف الغريق في بحر الذنوب حسن **ولد الحاج حَسَنِلْمحمد القحي** ، وأوصيكم بالدعاء لي بالاستقامة والتوفيق .

مكتوب آخر

وكتب قدس سره إليه ثانياً ما لفظه :

بعد سلام ما المسؤل – يا ولدي – بأعلم في ذلك من السائل ، بيد **أن امتثال الأمر أولى من سلوك الأدب** ، وإطاعة أولى الأمر واجبة ، وأن

الضروراتِ تبيح المحظوراتِ ، فبعون العلاّم نقلتُ ما بَدَا لي **في حق تفريد الشيخ وتقديمه على شيخ** شيخه ، فإن يك صواباً فمن فضل المنّان ، وإلا ! فمن كسب المسكين وكيد الشيطان ، فإن وقع في حَيِّز القبول عندكم فذاك ، وإلا فالشطبُ[1] مطلوب والمحو محبوب ، فعليكم بالإرشاد وعلينا الانقياد ؛

---

(١) طَصَنْ مُخْ زَِز – (عجم) .(من نسخة أخرى) .

* وكان الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه يقول : يجوز للمريد أن يرابط بنا حين كان معنا ؛ لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب إلى مجلسنا ، وأما إذا غابوا عنا – أي المريدون – فلا يجوز لهم أن يفعلوا الرابطة بذاتنا ؛ لأن الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا ، وأما التصور بصورة **محمود أفندي** قدس سره فمما لا طاقة له به . (من نسخة أخرى) .

وأنه كان يقول : لو فعل المريد الرابطة بي متوجِّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينهما ، فإن وقف يحترق بنوري . « فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن » عبارته . أَلَّفه الأستاذ حسن أفندي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

وكان ﵁ يقول : لو رأيتم إياي في المنام على الحقيقة تجدون قلوبكم تتحرَّك بالذكر وقت الانتباه ، وأما إذا رأيتم إياي بتصوير الشيطان صورتي فلا . وقال : إن الشيطان لا يقدر أن يتصور بصورة محمود أفندي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

وسمعته ﵁ يقول : يجوز فعل الرابطة بالمرشد الذي فني في صفة من صفاته تعالى ، ولا ينفع بها بالتمام إلا برابطة القطب ، وهو الذي فني في جميع صفاته تعالى ، ولا ينفع بها أيضاً بالتمام إلا برابطة الغوث ، وهو الذي فني في ذاته سبحانه وتعالى . وكان يقول : يجوز الرابطة بأنفسنا حين كانوا ، أي : المريدون معنا ؛ لأن الشيطان لا يقدر أن يحضر بمجلسنا ، وأما إذا غابوا عنا فلا ، لإن الشيطان يقدر أن يتمثَّل بصورتنا ، انتهى (منه) عبارته وراجعه ص ٤٠٣ .

مرشد   قطب   غوث

وسمعته ﵁ يقول لزوجتي : كوني مرابطة بالشيخ محمود أفندي دائماً بالوضوء أو بغير الوضوء . منه عبارته .

وسمعته ﵁ يقول : إن القلب المقابل بقلب الشيخ محمود أفندي قدس سره لا بدَّ من حياته .

وسمعته ﵁ يقول : إن عدم علم المريد حياة قلبه إنما هو لعدم صبره على الرابطة إلى أن تحصل له الغيبة . (منه) عبارته .

* وكان ﵁ لا يأمر باللسان أحداً بترك شيء منهيٍّ عنه ، بل كان **إذا قيل له :** قل لي بترك المسكر أو الحشيش أو غيرهما **يقول** : إنك تتركه إن حصل لك البركة . لا يزيد على ذلك ، بل كان يخبر ما قاله شيخه بما هذا معناه : لا تقل يا ولدي لأحد ما يكرهه وإن كشف لك أنه يزني بامرأة ويعلوها ، بل ادعُ الله تعالى بتوفيقه إياه لتركه وتوصَّل لذلك بالشيخ محمود أفندي ونَادِه . (من نسخة أخرى) .

الأدب مع الشيخ سُلَّم الأدب مع الحق

المريد الذي يدخل في صحبة الشيخ وهو يرى في الوجود شيخاً أفضل أو أكمل من شيخه يبقى متشوّفاً إلى ذلك الأكمل في اعتقاده[1] ، فيراه شيخه متشوّفاً إليه ؛ فيقطع عنه المدَد ، فلا يكون منتفعاً بالأوّل ، ولا بالثاني ؛ لأنه غيَّر قلب شيخه ، وأساء الأدب معه ، فينقطع ترقِّيه ؛ **لأن الأدب مع الشيخ سُلَّم الأدب مع الحق ، فلا بدَّ من الوسائل** ، وللوسائل حكم المقاصد ، **فمن لم يتأدّب مع الوسائل لا يشمُّ رائحة التأدّب مع المقاصد .**

ومن الآداب : كثرة المحبة بمرشده حتى يقدِّمه على شيخ شيخه ، بمعنى : **أنَّ ردّ شيخه ردُّه ، وقبول شيخه قبوله** ، وأن من رده شيخه لا يقبل شيخ شيخه ؛ متسَلسَلاً إلى الرسول ، وإلى الحقِّ ، **ولا يطمع أحدٌ في معرفة الحق وهو لا يعرف رسوله ، ولا يطمع في معرفة الرسول وهو لا يعرف شيخه ، ولا يطمع في معرفة شيخه وهو لم يصلِّ على الناس صلاة الجنازة** ، ولا يُزيل الشيخَ عن تربية المريد تركُ إحسان ولا خدمة ، **وإنما يزيله عنه أن يُشرِك به غيرَه ، وإن المُلتفت إلى غيرِ شيخه لا يُفلح أبداً ، وشرط الانتفاع بشيخ جزمُ المريد بالتقيُّد في دائرته ، وإن أكبر الكبائر في حقِّ المريد أن تمرَّ عليه ساعة ولا يكون في خاطره شيخه** ، وهذه هي المعصية التي تضرُّه في دينه ودنياه ، ولا يكون المريد مريداً لو غِيبَ عنه مرشدُه طرفة عين ، وإكتساب الفيض لا يحصُل إلاّ من المرشد المختار يداً بيد ، فالأنسَبُ بنا نظراً إلى هذه الملتقطات المقتبسات ، **والأحقُّ في حقِّنا تقديمُ وتفريد محبة شيخنا عبد الرحمن العسلي قدس سره ، وأن نعتقد أن ليس على وجه الأرض**

---

(١) **وأخبرني** واحد أنه قال له : إني لا أطيق أن أترك المسكر . **فقال له** : لا بأس ، لكن لا تترك ما آمركَ به من الأوراد ، وافعلها ولو بعد الصحو من السكر . فقال المريد إنه لم يترك أوراده قط إلاَّ مرة ؛ حين كان في قلعة « أَنْجه » ، **فالحكمة** أن تغيير المنكر يكون للعارف بالقلب لا باليد ولا باللسان ، وذلك أضعفَ – (مأخوذ من المضاعفة ، وهي لغة الزيادة والكثرة فليحرِّر .(منه) – الإيمان كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » « فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن » عبارته .

أحدٌ يُوصلنا إلى الحق سواه ، وإلاّ! لا يحصل أثر الفيض والمدد منه ومن أشياخه ، ولا ينفع تفريد الشيخ المرابَط إلا بتقديم تفريد الشيخ الملقِّن ، لأنَّ أقلَّ مراتب الشيخ أن يكون كالبوَّاب للملِك ، فمن كان البوَّابُ يكرهه فبعيدٌ أن يصل لدى السلطان ، ولأنه هو الواسطة لارتباط المريد بالأشياخ قبله ، **ولو لا الواسطة لذهب الموسوط** ، ولا مانع فيما نعلم من تفريد وتقديم الشيخ الملقِّن على الشيخ المرابَط ، بل يلزم على المريد تفريد كليهما ، وتفريد أشياخ جميع السلسلة ، وإلا ! لا ينتفع لانقطاع مجرى الفيض والمدد ، **لأن الأشياخ كالقناة** ، وهي إذا انهارَتْ من موضع ينقطع جريُ الماء إلى مجراهُ .

ولو كان تفريد الشيخ المرابط يكفي للمريدين غير تقديم تفريد الشيخ الملقِّن لجَاز لكلِّ أحدٍ أن يتخذ المختارَ ﷺ شيخاً له ، ولَحَصل الفيضُ بلا واسطة ، وذا ممَّا لم يُسْمَعْ ، فلو أنكر واحدٌ منا على أحد من أشياخ سلسلتنا ينقطع عنه المدَدَ ، ولا يصل إلى المراد .

وإنّ من المجرّب ما وقع لبعضٍ من ثِقات مريدي مرشدنا من عدم تفرُّق الجِنِّ عنه في الخلوة بندائه إلى محمودٍ أفندي قدس سره ؛ **إلا بالنداء إلى عبد الرحمن رحمه الرحمن** .

وكنت أحياناً يخطر ببالي أشياء لم أرها ولم أسمعها ، فأرابط الغوث محمود أفندي رحمه الله فلا أطيق تصوُّرَه ، وأُرابط[1] شيخنا فتزول سريعاً به خصَّته[2] لفعل الرابطة معه إذا لم أقدر تصوّره ، وقال : إن الشيطان يتمثَّل بصورتي ولا يتمثل بصورته ، لأنه الفاني في ذات الله تعالى ، فإذا رابط المريد[3] إليه متوجِّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف بينهما وبين المريد ، فيحرق . وأمَّا جبرائيل أفندي رحمه الله ! فلم يأذن للرابطة مع أحد إلاّ مع محمود أفندي قدّس سرّه .

---

(١) راجع « خلاصة الآداب » من ص٣٩ ، فهناك كلام مفصَّل يصحُّ أن يكون شرحاً لما هنا ، كتبه جامع الرسائل عفى الله عنه . (من نسخة أخرى) .

(٢) كذا في الأصل . ولعل خصصته (لكاتبه) . (من نسخة أخرى) .

(٣) كما قاله هو نفسه قدّس سرّه ، (من نسخة أخرى) .

ثم المشهور أن ليس للداعي إلى الله تعالى راحةٌ إلا وقت خُلوِّهِ عن توجُّه المريد ، وأن التحملات[١] التي يُشْرِفُ بها الداعي على[٢] الموت لا يقدر على تحمُّلها إلا من انفلتت روحه عن جسده ، وحصل لروحه الإطلاق ، فإنَّه في تربية المريدين دائماً ، ويتصرَّف فيهم حسب استعداداتهم ، ولو كان شيخنا أمر بفعل الرابطة معه صباحاً ومساءً لمَا أطاق القيام من شدَّة تلك التحمُّلات الطارئة عليه بتوجُّهنا ، وظنِّي أن هذا سبب أمر الأستاذ بفعل الرابطة مع محمود الفعال محمود أفندي . اللهم اجعلنا من المقبولين عندهم . والسلام ؛ من الفقير حسن القحي .

مهم جدّاً لمن له علاقة مع الجن

وقد رأيت في واقعة كأنَّ رجالاً كثيراً ذوي لحى اجتمعوا حولي ، وكان بيد كلِّ واحد منهم قصعة من الهريسة ، وأرادوا أن آكل منها شيئاً ، فنظرت إلى وجوههم وتعرَّفتُهم ؛ فلم أجد فيهم أحداً ممن أعرفهم ، فحصل لي دهشة وحيْرة ، وعرفتُ أنهم من رجال الجن ، فناديت أبعاضاً من كبار مشائخ السلسلة النقشبندية ؛ كأبي يزيد ، وشاه نقشبند ، والإمام الربَّاني ، ومحمود أفندي . . . وإلخ وإلخ ، **فدنوا منِّي ولم يهرُبُوا ، ثم ناديت أستاذنا ، وقلت : يا أستاذي عبد الرحمن! فتفرقوا وقتئذ مسرعين ، ولم يبقَ واحدٌ منهم حولي** ، ومثل ذلك وقع[٣] لي مرة أخرى . فالحمد لله ربِّ العالمين . فهذا ؛ والسلام . انتهى من خطه قدس سره .

---

(١) الحملات .عبارته كما في (المنن الكبرى) .
(٢) وفي نسخة : إلى .
(٣) فإذا أخبرته تلك الواقعة قال : إنما ذلك لأجل كونك فانياً فيَّ . (منه قدّس سرّه) . (من نسخة أخرى) .

مكتوب

وكتب رحمه الله تعالى أيضاً : أيها الأب الكريم ؛ مِن أعجب ما يكون وما كان تردُّدُ الناس خلفَ من جاء من بعيد أيًّا مَن كان ، وعدم اعتبار مَن كان عندهم ؛ ولو كان من أجلّ العارفين ، ولقد سمعت شيخنا المرحوم قدس سره يقول : إنه ليس أحدٌ أحسَنَ حالاً من الحاج عمر اللِباخي ، ولكنه جاهل ، **والجهل لا يترك شخصاً إلاّ وضعه** ، وكذا فيكم الحاج هِطِنَوْ مُحَمَّدْ ؛ وهو مأذون حقّ ؛ وإن خالف في سعْيه رَأيَنَا ، لما أنه يأمر بفعل الرابطة إلى نفسه ، وسوى ذلك من الأحوال والأذواق حاصل له ، وقد ذاق من المقامات ما ذاقه النقشبنديون ، ومع هذا لا تعبأون بهما ، ولا تتأدَّبون معهما ، مع أنهما مأذونان من طرف الشيخ الكامل ، بل تلاحظون الجائي من الخارج ، وتتردَّدون إليه ؛ وإن كان أدنى ممَّن عندكم حالاً ومقاماً ، ولا أدري ما الذي جرّكم إلى هذا ، ولعلكم لا تسيؤن الظنون فيّ بهذا الكلام ، وإنما مرادي به إظهار ما في خاطري إليكم لتنبُّهكُمْ . **نعمْ ؛ اللهم نعمْ ، ينبغي لكل أحد أن يعتقد كلَّ من رآه أنه الخضر**[1] ، لكن الاعتقاد فيمن جاء من الخارج والانتقاد فيمن في الداخل ليس بإنصاف . فافهم . انتهى من خطه .

مكتوب

وكتب أيضاً رحمه الله تعالى : اعلم أيها الأخ المحبوب المحترم ؛ **أن طلب أمر المشيخة بالدعوى أراه كطلب الأمراء الرياسة على حدٍّ سواء** ، وأنتم أيها الإخوان يجوز لكم أن تجمعوا أولئك القوم في ذلك المجلس وتمتحنوهم بالسؤال عن طريقتهم ، وعن اسمها وأورادها ؛ من الأذكار والمراقبات ، وأما أني لا أريد أن أَدَّعيَ المشيخة ؛ لأني أتيقَّن أني لستُ أهلاً لذلك ، لكن المشائخ أجازوني ؛ بناءً على ما قالوا : **قد يُعطي** الكاملُ الإجازةَ للناقص ؛ لما أنّ يدَه يدُه وتربيتَه تربيتُه ، ومع ذلك علّموني مراتب الطريقة إلى المشرب المحمديّ الذي قالوا : القطبُ لا يكون إلاَّ محمديَّ المشرب .

---

(١) فعلم أن الاعتقاد في القوم مما يستر الله تعالى به عيوب العبد . . .إلخ . حرِّره وكرِّره . (من نسخة أخرى) .

ثم اعلم أيها الأخ ؛ أني لم أقبل هذه الوظيفة إلاّ كُرْهاً ، ولا يومَ أحبُّ إليَّ من يوم لم يطرق بابَ داري أحدٌ ، ولكن من جاء أعلِّمه الطريق إلى الله تعالى ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ ، وأنتم تدعون غيري إلى ذلك المجلس ، ثم بعد ذلك فلكم أن تمتحنوا هذا الحقير الفقير بعدما امتحنتموهم ، وتسألوه عن شؤون الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية ؛ من أولها إلى آخرها ؛ أي : إلى المشرب المحمديّ الذي جميعُ المقامات منطوية فيه ومما فيه ، وحينئذ يجوز لكم أن تدركوا ما فِيَّ من الذوق والوجدان . والسلام ، من خط خطه .

مكتوب

وكتب رحمه الله تعالى : اعلم أن كشف أحوال المريد كلها ليس بشرط في الشيخ ، بل اطلاعه على نتيجة أذكار لطائفه هو الغالب ، فإن كان من أهل الكشف الصحيح !! يعمل به ، وإلاّ ؛ بأن لم يكن من أهل الكشف ، أو له كشفٌ ، لكن في كشفه تلوّنٌ يتفحَّص عن حال المريد ونتائج ذكره ، ولا يعمل بكشفه المتلوِّن ، بل بقول المريد ، فإنَّ كشفَه قد يخطئ ، والحال أنه يجوز أن يكون السالك المجذوب ، أو المجذوب السالك – بعد وصوله إلى درجة الولاية – شيخاً مرشداً ، **وإن كان لا كشف له ؛ ولا يعرف أحواله ، ولا أحوال مريديه ، بل ولا نتائجه** ، فإن واحداً من خلفاء الإمام الرباني كان لا يعرف أحواله وأحوال مريديه ؛ ومع ذلك كان ينعكس منه إلى مريديه أحوالٌ عجيبة ، كما هو مذكورٌ في « الدرر المكنونات » ، ونقلته في « تنبيه السالكين » . والله أعلم . من الكاتب الحقير القحي .

مكتوب

وكتب – رضي الله تعالى عنه – إلى خليفته اليعسوب العسوي قدس سره :

أيها الولد المحبوب ؛ إنَّ هذا الرجل[1] قد صحب شيخنا أكثر منَّا ، وإنه لا شغل له إلا بالله ليلاً ونهاراً ، وفيه أحوالٌ تصلُ إلى من توجَّه إليه ، بيد أنه لم يَلْقَنا منذ سنين ، **ولعله يظهر فيه أحواله الخفية** ، **فيظن أنه حال مَن توجَّه إليه** . وقد رأيت ذلك مرة ، ومرة من شيخنا المرحوم قدس سره ، ثم بعد التنبيه رجع منه .

واعلم أيها الولد ؛ أنَّ الأستاذ قد يُخْطِئ كشفُه ويُصيب ، ولذلك

لا يجوز أن يعمل بكشفه ، بل يعمل بقول المريد ، فإن تكلّم بالصدق فذا ، وإلا أفسد كذب المريد فسادٌ في الطريق ، وخللٌ فيه .

وسمعت شيخنا يقول : إن مَن ذكره على القلب يصل له البركة ممن ذكره على الروح ، وله ممَّن ذكره على السرِّ . انتهى . ومن هنا كنا قلنا لمن يصحبه لو توجَّه إليه يحصل له منه الحال ، وكذا كنَّا قلنا له وهو في چَچَان بجواز تعليم الرابطة ، وأشرنا إليه أيضاً بجواز تعليم ذكر القلب فقط ، وكتبنا إليه أن شيخنا العسلي قال : **يكفي لأهل ديارنا ذكر القلب** ، لكنه بدّل أمره بخلاف المأمور به ؛ وجهر أمره ، والحال أنه يعلم حالَ العصر ، ولعله توكَّل ، مع **أن التوكل لا يضرّ معه استعمال الأسباب** ، كما قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ ونحن إن شاء الله تعالى ننبِّهه على نقصه[2] ، وترك ما يفعله من هذه الأمور . والسلام من خط قدّس سرّه .

---

(١) لعله : الحاج عمر الطبيب الأواري رحمه الله .(كاتبه) . راجع ما يأتي ص١٩٦ (من نسخة أخرى) .

(٢) راجع رسالة الأستاذ إليه في حق ذلك من ص ١٢٦ .

مكتوب في حكم خِلافة النساء

وكتب قدس سره في جواب مَن سأله عن حكم خِلافة النساء ما لفظه :

وأما أمر خلافة النساء ! فمما لم نَسْمَعْه من المتقدِّمين إلى الآن ، ولم نره في الكتب . والسلام . انتهى .

مكتوب لشرح أسباب السلوك

وكتب قدّس سرّه يشرح ما استشكله بعضُ أهل العلم من كلامه الذي أورده في « تلخيص المعارف » من أوائله ما لفظه : سلوك طريقة الصوفية على الحقيقة

١ **بالعبادات** ؛ أي : بفعل العبادات والطاعات بالإخلاص وحسن النيات .

أو ٢ **بالمقامات** ؛ أي : بالاتصاف بمقامات الأبرار والصالحين ؛ كالحِلْم ، وكظم الغيظ ، والرفق ، والتوكُّل وغيرها من أخلاقهم وصفاتهم[(١)] .

---

(١) من عاش مدارياً عاش شهيداً ؛ لأن مداراة الناس من أخلاق الأنبياء والصديقين . **والمداراةُ** : اللينُ واللطفُ وحسن المعاشرة . والمعنى : أن من يخالط الناس معاملة ومعاشرة فألانَ جانبهم ، وتَلَطَّفَ ولم ينفّرهم كتب له ثواب الشهداء . الديلمي عن جابر ، وفيه أحاديث . « لطائف الحكم شرح غرائب الأحاديث » عبارته ٢٢٦ ، كلاهما للشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

من كان سهلاً هيناً ليناً حرّمه الله على النار ؛ ومن ثَمَّ كان عليه السلام في غاية اللين ، وكان إذا ذكر أصحابه الدنيا ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الطعام ذكره معهم ، وقال عمر : إنكم بين الشدة والغلظة . وكان عليه السلام مع خادمه وعبيده ، بل مع عامة أصحابه في سهل ورأفة ، وقال تعالى ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ك ق عن أبي هريرة ، وفيه أحاديث ، منه عبارته ٢٢٧ . وفي آية أخرى ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ منه عبارته من هامشه .

من يُحرَم الرفق يحرَم الخير كله ؛ من الحرمان متعد إلى مفعولين ؛ فالأول – لم يدرك الفقير الفرق بينَهما ، أظنه أنهما مبنيان للمفعول فحرر ، (كاتبه محمد) – مبني للفاعل والثاني مبني للمفعول ، أي : صار محروماً من الخير ، ولامه للعهد الذهني ؛ وهو الخير الحاصل من الرفق . وفيه فضل الرفق ، وهو ضد العنف والغلظة ؛ ومن ثمه قيل : الرفق في الأمور كالمسك في العطور ، ط حم م ه وابن خزيمة عن جرير . وفيه أحاديث . منه عبارته ٢٣٢ .

أو ٣ **بالأحوال** ، والحال عند أهل الحق : **معنى يَرِدُ على القلب ؛ من غير تصنّع ولا اجتلاب ولا اكتساب ؛ من طَرَبٍ ، أو حزن ، أو قبض ، أو بسط ، أو هَيْبَة** ، ويزول بظهور صفات النفس ، سواء يعقبه المثل أولا ، فإذا دام وصار مَلَكة يسمَّى مقاماً .

فالأحوال مواهبُ ؛ والمقامات مكاسب ، فالأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصُل ببذل المجهود .

أو ٤ **بالأنفاس** ؛ أي : بوصول أنفاس الصلحاء ، فقد ينتفع المريد المستعدُّ بمجرَّدِ مُلاقاة نَفَس الصالح ونَظَره وكلامه ورؤيته ، ويَصِل بذلك إلى الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .

أو ٥ **بالمعارف** ؛ أي : بمعرفة أحوالهم ومعارفهم ومقاماتهم وعلومهم ، فقد يتشوَّق المستعدُّ أيضاً عند سماع معارف الصالحين إلى الاتِّصاف بتلك الصفات ، فيسعى ويتشمَّرُ لذلك فيصل بذلك إلى ما وصلوا إليه ، **ومن طلب وَجَدَّ وَجَدَ** .

أو ٦ **بضرب الأمثال** ؛ فقد يضرب الشيخُ المَثَلَ للمريد ، ويقول مثلاً : إن مَثَل الدنيا كالعجوزة القبيحة المستور حالُها بلباس حسنة مزيَّنة بزينة الحلل والأساوير ، وقد يتشوَّق إليها مَن رأى زينة ظاهرها مع أنه لا يعرف قباحةَ باطنها ، والحال أنه سكران مندهشٌ ، فأكبَّ عليها ومسّها ولامسها وجامعَها ، وقبَّل وجهَهَا واضطجع معها في جملة من الليل إلى الصباح ، ثم إذا زال ما به من السكر ، وحَصَل له الصحو ، وأصبح ورأى حقيقةَ باطنها وأبصرها ، وعلم أنَّها عجوزة قبيحةُ المنظر منتنَّةُ الرائحة ، وقد يسيل من فمها الصديدُ والقيحُ والبصاق والمخاط ، فحنئذ يندم على ما فعل حين لا ينفع الندم . فمثل هذه الأمثال يحصل للمريد المستعدّ المتنبّه من سِنَة الغفلة ، ويتشمَّر إلى السلوك في طريق الأبرار ويزهد في الدنيا ، كما وقع أمثالُ ذلك لكثير من الناس ، والله ولي التوفيق والهداية .

و ٧ **حفظ القلوب**؛ أي : بحفظ قلوب الأبرار والمشائخ على ما تكدَّر ، وذلك بحفظ الآداب أو بخدمة لائقة بهم ، فقد يتأدَّب المريد لدى الشيخ ، أو يخدمه فيميل إليه قلبه ؛ فينجذب إليه قلبه ، فينجذب بمجرَّد ذلك إلى ما انجذب هو إليه ، ويصير ذلك سبباً للوصول ، وباعثاً للحصول .

أو ٨ **بالمقابلات**؛ أي : بمقابلة القلب بالقلب للاستفاضة ، فقد يقابل القلب الظلماني بالقلب النوراني فينعكس إليه النور ؛ كما ينعكس نور الشمس من الجدار الذي وصل إليه نور الشمس إلى الجدار المقابل به .

أو ٩ **بالقابليَّات** ، وقد يكون في ذات المريد قابلية واستعدادٌ موافقة لحال الشيخ ، وبمجرَّد الملاقاة ينعكس إليه ما في باطن الشيخ من نور المعرفة ، فيصير ذلك سبباً للوصول أو بالمناظرات ؛ وقد يبحث واحد مع واحد من أهل المعرفة ويسأله ويناظره فيسوق إليه من العلوم والمعارف والأسرار ما هو اللائق بحاله ، فإن كان ممن أراد الله به الخير ينتفع ، ويكون سبباً للسلوك إلى طريق الوصول إلى الله تعالى .

أو ١٠ **بالمجالسات** ، **أو بالمحبَّات** ، **والمخالطات** ، **والمودَّات مع حسن الظنِّ**؛ **وهو مؤمن بالأخلاق المحمديَّات**؛ وقد يجالس ويخالط واحدٌ بواحد من أهل الخير والصلاح أو يحبّه ويودّهُ فينعكس إليه بسبب ذلك حالُه ، وينجذب إلى الله تعالى قلبه ، **فإن الأحوال ساريةٌ** ، **والطباع سارقة** ، **وللصحبة والمخالطة تأثير عظيم** لا يخفى على أهل الذوق والوجدان .

أو ١١ **بالمذاكرات**؛ أي بذكر أوصاف أهل الخصوصية ومعارفهم ، والمباحثة عن حقيقة أحوالهم وأفعالهم وقصصهم تنبعث بها الهمم ، وإلى الدخول في سيرتهم والسلوك في طريقتهم ، والوصول إلى ما وصلوا إليه .

أو ١٢ **بالتصديق والاعتقادات بطريقتهم وولايتهم** ، وقد قيل : **التصديقُ بطريق الولاية ولايةٌ** . وقال أبو يزيد : **من يؤمن بكلام القوم فقُلْ له يدعو لك ، فإنه مجابُ الدعوة** .

أو ١٣ **بالانقطاع إليهم**؛ بالاجتناب عن مخالطة غيرهم ، وملازمة صحبتهم ورؤيتهم وسماع كلامهم ، والخدمة لهم ، **فإن خدمتهم من أجلِّ ما يُوصِل المرءَ إلى ما وصلوا إليه** ، وقد قيل : إن **الخدمة أفضل من نوافل العبادات** .

أو ١٤ **بالتربية بالعلوم اللدنيات**؛ أي : بذكر تلك العلوم على ما ألهمهم الله تعالى وأنطقهم بحسب استعداد الطالبين .

شرائط الشيخ المرشد

وهذا ؛ أي : كلُّ ما ذكر لا يمكن إلاَّ بقصد شيخ -١ عالم بأحكام الشرع وأموره التي لا بدَّ للسالك من معرفتها ، -٢ عارف بالأخلاق ؛ حميدها وذميمها ، وما يعالج به ذمائمها ، -٣ سالك في مقامات الطريق ذائق نتائجها ، -٤ مجذوب ؛ حصل له جذبة القلب[1] ، وجذبة الروح[2] إليه تعالى ، لا يريد شيئاً سواه تعالى في حركاته وسكناته . -٥ واصل محبوب ؛ أي : الذي حصل له الوصول بمحبته تعالى إياه ، وصيرورته محبوباً ؛ لأنه لو لم تتقدم محبَّته تعالى لَمَا أحبَّه ، وقولُه تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ شاهد عدل على ذلك ، أو -٥ واصل إليه بالغيبة عما سواه والفناء فيه سبحانه ، -٦ موصول إليه بتوالي هباته وتواتر جَذَباته ، بذكره إذا ذكره ، وإطاعته إذا أطاعه ؛ كما قال تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ، وفي الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فالواصل يكون موصولاً إليه ، وملحوظاً بعنايته وحفظه وعونه وتوفيقه ، وتلاحق وارداته جزاء وفاقاً على جهده وجهاده ، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ . -٧ عارف بالنقل ؛ أي : نقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو إليه ؛ ليوافق ما يفعله بالشرع والعقل ؛ أي : بالفهم والإدراك بالعقل السليم والذوق الصحيح .

---

(١) التي قد تكون في المبتدئ ، وهي المحبَّة الذاتية . (من نسخة أخرى) .
(٢) وتكون في المنتهي ، فيجتمعان في العارف (محمد الشتوطي) ، من خطه . (من نسخة أخرى) .

مطلب

أهلية الخلافة

ومن هنا كان الشيخ العسليّ قدس سره يحكي عن شيخه قدس سره أنه كان يقول : **إن هذه الخِلافة أمرٌ لا يجوز أن يودع إلا عند**[1] **مَن له عقلٌ وعلم** . انتهى . ٨ عارف بالله ؛ بأسمائه وصفاته وأفعاله وشؤوناته على حدٍّ ما يقدر الإنسان معرفته ، **لكن العجز عن إدراك الذات إدراك** ، وبنفسه بذُلِّها وفقرها ، وعجزها ، واحتقارها ، وعدم إطاقتها لفعل شيء ما إلا بتوفيقه ، وبمعرفتها تحصل معرفته تعالى على حدٍّ . من عرف نفسه فقد عرف ربه .

٩ **حاضر مع الله غائب** عن الخلق **بالقلب** ؛ وإن كان بينهم يبيع ويشتري ، على حدّ قوله تعالى ﴿**لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ **في الخلوات** ؛ أي : حين كونه خالياً عنهم ، **والجَلَوات** ؛ أي : حين كونه بين الخلق بقلبه **في عالم الشهادة** التي ترى بعين الرأس ، **والغيوب** التي لا ترى إلاّ بعين البصيرة ؛ يعني أنه يكون حاضراً بالله غيرَ غافل عنه دائماً ؛ إذا فتح العين ونظر إلى الكائنات ، كذا إذا غَمضها ونظر بعين القلب إلى عالم الغيوب ، فهذا ما عند الحقير حسن حلمي القحي في حلِّ هذه المشكلات ، والله تعالى أعلم ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . سنة ١٣٤٣ هجرية .

---

(١) أن يوضع إلا في يد . عبارته .

❊ ددَ رَعُلبْ بُكْ بَكْ بَكَلْدَصَنْ نُجرْ عَدمَزُلْ بِكّنَلْ ژُيزُلْ نجد خَدُبْ مَژْ كَلْ بُكُ أَبُنْ هيْ نَفيسَةْ يَطَلِ نَجصَ طَلَبْ هَبُلَبْ بُكْ أَبُنْ ، هَبْ جُ وَصَّلْ ژَق كُديَبْ بُهْتَانْ بُكُ ، نجرْ بكّنَل ژُيزْ كدَكْ خيَال هَبجَبْ نَخِّك هَبُلَربْ ، هبْ جُيَلْدَصَ نجْ رَژْدَل رَتجُنِ هبْ نُجرْ جُجُ لِمَدْ بژُنَبْ نجدَ لِرب بُهْتَانْ كَ بَطُنْ مُحَمَّدْ حَجَ دْك دَصَك نُجْ كِيَوْكَ رُشّبَزُلْ ژَرْ طَمزِ وَكيَلْ هَرُنْ ، هَبْكَ نُجي عِجُن وَصَّلْ ژُكَ نُجيْ هَبز رَژَلِكَ نجدَ لِلَرُ ، إِيْ نَفِيسَةْ نجرْ وَسَص يَج . انتهى من قطعة رسالَةَ وجدتَ بخط الأَستاذَ القحَي حسَن أَفندي قدس سره نقلتَه ليعتبر به المَعتبرون . (من نسخة أخرى) .

مكتوب

وكتب رضي الله تعالى عنه إلى أسبق أولاده المعنويّين محمد اليعسوبيّ العسوي قدس سره ما حاصله :

كتبتَ أيها الولد تسألني عن معنى هذه العبارات التي أوردتُها في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » : وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف ، سالك مجذوب ، واصل محبوب ، واصل موصل ، عارف بالنقل والعقل ، عارف بالله وبنفسه ، حاضر غائب في الخلوات والجلوات بقلبه في عالم الشهادة والغيوب . انتهى .

فاعلم أيها الولد أن معناها : **وهذا لا يمكن إلا بقصد** :

١ **شيخ عالم** بأحكام الشريعة التي يحتاج إليها هو وتابعوه .

٢ **عارف بالأخلاق** المذمومة وعلاجاتها ، والأخلاق المحمودة وكيفية حفظها واعتدالها .

٣ **سالك في مقامات الطريق** على يد شيخ اتصلت نسبته معنعناً بالنبي ﷺ ، ذائق بنتائجها .

٤ **مجذوب** حصل له جذبة القلب ؛ وجذبة الروح إليه تعالى ، لا يريد شيئاً سواه سبحانه في حركاته وسكناته .

٥ **واصل محبوب** ؛ أي : الذي حصل له الوصول بمحبته تعالى إياه وصيرورته محبوباً ؛ لأنه لو لم يتقدَّم محبته تعالى له لَمَا أحبّه سبحانه ، وقوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ دليل على ذلك . فافهم .

❊ وأخبرني أخي محمد بن محمد طاهر : أنه سأل الأستاذ المغربا - بلغه الله مقاصد الدارين - عن الرابطة في الصلاة ، فقال : ذاك حسن ، ثم قال : هل علمت شيئاً في ذلك ؟ فقلت : يحضر القلب بحضور الأستاذ محمود أفندي قدس سره ، فقال : نعم ، ولا يطرأ التثاؤب عند حضوره أيضاً ؛ لإن الشيْطان لا يقدر أن يحضر موضعاً هو فيه حاضرٌ ، أو كما قال . ويقول الفقير عفى الله عنه : وقد رأيت في « مكتوبات » الإمام الرباني قدّس سرّه كلاماً في الرابطة في الصلاة ، وكذا في كتاب « الرحمة الهابطة » . (من نسخة أخرى) .

٦ **واصل إليه تعالى** بالغيبة عما سواه تبارك وتعالى ، **موصول إليه** بتواتر هباته ، وتنزل مِنَحه ، وترادف جذباته ؛ على ما يفهم من كلامه تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ ، وقوله في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » . فإن مَنْ وصل لا بدَّ أنه يكون موصولاً إليه وملحوظاً بعنايته تعالى ، وحفظه وعونه وتوفيقه ، وتلاحق وارداته جزاءً على جهده وجهاده ، كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، ومعنى الوصول إليه تعالى هو الوصول إلى العلم به ؛ أي : مشاهدته بعين البصيرة مشاهدة تغني عن الدليل والبرهان ، ويعبّر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين ، وبالتجلِّي وبالفيض الرحمانيّ ، والتعرُّف العياني ، والذوق الوجداني .

---

* ويجوز الاستئجار لقراءة القرآن للميِّت بشرْط أحد أمور ؛ أن ينويها له ، أو يدعو بحصُول مثل ثوابها له ؛ أو بثوابها ؛ لإنه بمعنى مثل ثوابها ، أو يقرأها بحضرته ؛ بأن يجلس عند قبره فيحصل بركة القراءة ، ويجوز الاستئجار لقرائة للحي كذلك ، كما أفتى به شيخنا الرملي شيخ الإسلام . (ابن قاسم على الفتح) من خط الحاج محمد العكلچي رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

(٢) أيها العزيز هذا التقرير في كتاب اليعسوبي المسمى « بفوائد الوهبية في رد شبهات الوهابية » راجعه في الفريد الخامس والعشرون ، فيه بيان تام للوصول والاتصال ، وهو كتاب نفيس . من الخادم شمس الدين القحي والسلام والوصية بالدعاء كما كنا لكُم . (من نسخة أخرى) .

* **وسئل** أبو علي الروذباري رضي الله عنه عمن يسمتع الملاهي ويقول : هي لي حلال ؛ لأني وصلت إلى دَرجة لا يؤثِّر فيَّ الاختلاف . **فقال** : نعم قد وصل ولكن إلى سقر . قال السبكي : وقد يتوصل بهذا إلى زعم ؛ أنه كان لا يَرى السماعَ ، والذي يظهر من كلامه أنه إنما أنكر من هذا القائل إظهارَهُ الوصُول إلى هذه الدرجة ، فإن الواصل إليها لا يتظاهر بذلك إلاَّ بأدب ، وليس مراده تحريم السماع ، ولا إنكار : أنَّ بعض الناس لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ، كيف ؟ ! ومن كلامه أيضاً : السماع مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب . من « الحدائق الوردية » عبارته ٨٣ . (من نسخة أخرى) .

قوله : فقال : نعم قد وصل . . .إلخ ، منه يعلم بطلان ما ذهب إليه بعض المدعين ؛ من أنَّ سماع آلات الملاهي يختلف باختلاف الوارد فيه ، وأنه بحسب ذلك قد يكون طاعة ، **وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه** ، فإنه صلى الله عليه وسلم حرَّمها وعدَّها من الملاهي ؛ وهو أعلم بجميع الواردات فيها حال السماع ، فاعلمه ولا تغترَّ بقول الجهال ممَّن عادتهم التلبيس على العوام . « نتائج الأفكار القدسية » عبارته١٩١ ج١ . (من نسخة أخرى) .

مطلب

مراتب الوصول

فالوصول ينقسم إلى ثلاث مراتب ، كلُّها ذات تجلٍّ وشهود ، لكنها اختلفت باختلاف التجلِّي .

فالأول : تجلّي الفعل ؛ بأن ينكشف لصاحبها عن صدور الأفعال كلِّها من الله تعالى ، فلا يمكنه رؤية الفعل من غيره تعالى .

والثاني : تجلّي الصفات الجمالية ؛ من كَرَم وحلم وغيرهما ، **والجلالية** من بطش وسطوة وغيرهما ، **ومَن** كُشِف لبصيرته عن هذا التجلي يقال له :« صاحب تجريد وتفريد ؛ أي : لا يفعل شيئاً من العبادات لأجل الأغراض الدنيوية والأخروية ، بل ما كوشف به من العظمة يقتضي أنه يؤدّيها عبودية وانقياداً ، ولا يرى نفسه فيما يفعل ؛ بل يرى نعمة الله عليه ، ويقال له : فَانٍ لفنائه عن السوى وباقٍ لشهوده صفات الحق ؛ ولفناء صفاته .

والثالث : تجلّي الذات المقدسة بما يتعامل[1] من تشعشع أنوار قلبه في اليقين ، فيستولي على قلبه أنوار الحق حتَّى لا يبقى له هاجسٌ ولا وسواس ، وليس من ضرورته الفناء ، **بل الكامل في ذلك هو الذي يكون في غاية الصحو يجمع بين الحقِّ والخلق** .

هذا ؛ وقد يجوز أن يفسّر للوصل والوصول ؛ بأنهما حصول نسبة الحضور بالله للقلب على سبيل الذوق ، والذهول عما سواه تعالى ، فإن كانت تلك النسبة متصلة فقد تشرَّف صاحبها بدوام الوصل فافهم .

وقد كنتُ بسطت الكلام على هذا في التقرير[2] الذي قررته لبيان ما تحدّى به الشيخ العبودي لمعرفة الشيخ الكامل ، فإن راجعته تجد فيه البسط التامّ .

---

(١) وفي نسخة : يتكامل .

(٢) لم نظفر بهذا التقرير إلى اليوم . (عكلچي) . ونحن أيضاً لم نَرَ ذلك ولم نظفر به . (نهري) . (هامش الأصل) .

٧ **عارف بالنقل** ؛ أي : نُقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو ومريدوه إليه ، **وأما الاشتغال بالزوائد الغير المتعلقة بأمور الدين ، فيكون سبباً للانقطاع عن الوصول** كما هو مذكور في الكتب ، **والعقل** ؛ أي : بالفهم والإدراك بالعقل السليم ، والذوق الصحيح .

ومن هنا كان شيخنا قدّس سرّه يقول : إن شيخه الحاج جبرائيل قدس سره كان يقول إن هذه الخلافة أمر عظيم لا يجوز أن تودع إلاَّ عند من بيده علم وعقل . انتهى .

٨ **عارف بالله بأسمائه وأفعاله وصفاته** ، وبنفسه بذُلّها وافتقارها وعجزها عن فعل شيء مَّا إلاَّ بتوفيقه وعونه تعالى ، ومعرفتها مقدَّمة على معرفة الله سبحانه ، وقد وَرَدَ في الأخبار مَنْ عرف نفسه عرف ربَّه .

٩ **حاضر** مع الله بقلبه ، **غائب** عن الخلق بقلبه ؛ وإن كان معهم بالجسم ، أو معناه : حاضر مع الخلق بجسمه غائب عنهم بقلبه **في الخلوات** ، أي : في حالات كونه خالياً عن الناس ، **والجلوات** ؛ أي : في حالات كونه مع الخلق

---

* **سألني** أخي محمد بن محمد طاهر عن مدة وقوف المريد في الرابطة ، وهل تصح الزيادة على ربع الساعة إن وسع الوقت ؟ فأجبْته بما كنت نقلته عن خط الأستاذ محمد الشتوطي : ويستطيل هذه الرابطة حسب طاقته صباحاً ومساءً . انتهى . ثم بعد مدة وجَدْتُني نقلت عن بعض مكاتيب الأستاذ المرشد الحقى قدّس سرّه مجيباً لمثل هذا السؤال ما لفظه : يقف المريد حين يتصور صورة شيخه بقدر ربع ساعة إن وسع وقته ، وإلا فعلى قدر وسعه . انتهى . وما لفظه : ويجوز التفافة المريد . . إلخ ، وأما الرابطة فهي تخيل صورة الشيخ بين عينيه ، فمتى تخيَّل المريد صورة الشيخ يقال له إنه فعل الرابطة . انتهى . (من نسخة أخرى) .
وبذلك علمنا أنه ليس للرابطة زمان ولا مدة فمتى تصور المريد صورة شيخه وتخيَّلَ أنه معه فذا هو الرابطة ، وليس من شرط أن يجلس ويقف ، كما ذكروا في كيفيتها ، بل ذلك هو الكمال ، فحينئذ يجوز الرابطة في كل حال ذهاباً وإياباً ، وقياماً وقعوداً ، وحال مباشرة الأعمال ، والاشتغال بسائر الأشغال ، والله وليُّ التوفيق . (من نسخة أخرى) .

* وقال الأخ المذكور : إنه سأل الأستاذ عن حكم الرابطة في الصلاة ، راجع « الوسائل » ص ١٨٦ **فأجاب** : إن أطاق ذلك فنعما هي . انتهى . وقد رأيت فيه كلاماً نفيساً ، وأظنه في « مكتوبات » الإمام الرباني ، **وحاصله استحسانها فيها** ، ولعلَّنا نقف فيه على مبحثه ومحلِّه . وراجع « هدية الذاكرين » . (من نسخة أخرى) .

بقلبه في عالم الشهادة ؛ وهو : ما يرى بعين الرأس ، **والغيوب** ؛ وهو ؛ أي : عالم الغيوب ما يرى بعين القلب والبصيرة فافهم .

مكتوب

وكتبتَ أيضاً ما معنى قولنا فيه ؛ أي : في « تلخيص المعارف » هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة ، وكظموا على مجامع كمال محاسن الشريعة ، وهم أهل الله وخاصَّتُه . انتهى .

اعلم أيها الولد ؛ أن المراد من الكلام : هم الذين فازوا بكمال الاقتداء بالكتاب والمتابعة بالسنة ، ولازموا على جمع الأخلاق المحمودة المعدودة من محاسن الشريعة بالتمام والكمال ؛ فافهم وتدبَّر . وإن كنتَ أشكل عليك معنى الكظم ؛ فاطلبه من كتب الغة . والسلام من الحقير القحيّ الداعي لكم بالخير .

مكتوب إلى مرتضي علي العكّلچي رحمه الله

وكتب رضي الله تعالى عنه إلى العالم المحقق الحاج مُرْتَضَى عَلِي العكَّلچي رحمه الله ما لفظه : **أيها الأخ المحبوب** ؛ **العالم الوَرِع المقبول** إن الشيخ قطب الوقت خالد سيف الله كتب إلى بعض الإخوان ما حاصله هذا : **ولو سعى المريد خلف المرشد من المشرق إلى المغرب ليس ذلك بكثير ، ولا أعزّ لبصير ، لما يحصل له منه من الحضور الذي لا يساويه الدنيا والآخرة** .

وقال الشرنوبي قدس سره في « شرح تائية السلوك » ما حاصله : **فربَّ ذاكرٍ لله لحظة مع حضور قلب خيرٌ من ذكره ألف سنة بلا حضور قلب** .

وقد عمَّم ابن حجر التفكُّر في حديث : « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » إلى ذكر القلب لِمَا أن تعريف ذكر القلب هو : تفكُّر اللفظ في القلب بلفظ الجلالة ، أو بـ(لا إله إلا الله) أو بغير ذلك ، **ولو ملك العبد جميع ما في الجنان لا يعدل ذلك ثوابَ ذكر القلب والحضور** ، لأن نتيجة ذلك هو القربُ

والوصولُ ، والفرق بين لَذَّة أهل الجنة وبين لذَّة أهل القرب والوصلة كما بين لذة مَن يتلذَّذ بالحور العين ؛ وبين مَن يصحب الخنفساء . وقد ذكر الغزالي ما يؤخذ منه مضمون ما ذكر في « إحيائه » .

وسمعت شيخنا يقول : إن الغوث محمود الفعال قدس سره كان يقول : إن قطعة ظُفُر إصبع مَن حَيي قلبُه بالذكر خيرٌ ممن في الدنيا من الخلق ، وما فيها من متاعها وحذافيرها . فإذا كان الأمر كذلك ؛ وكنت ممن لقَّنهم القطبُ الحقيقي أحمد ضياء الدين – رزقنا الله من ميامين أنفاسه آمين – **الذكرَ القلبيَّ ؛ فالمداومة عليه لازمٌ عليك قياماً وقعوداً ، إياباً وذهاباً** .

معنى الخلوة في الجلوة

وقد قال الإمام النقشبندي – إذا سئل : ماذا طريقك ؟– : الخلوة في الجلوة ، فقيل له : ما معناه ؟ فقال : أن تكون مع الحق في الباطن ؛ مع كونك مع الخلق في الظاهر .

الكمال عند البسطامي

وقال واحد عند بعض الأكابر[1] : إن فلاناً يمشي على الهواء ! فقال : إن الطيور تمشي كذلك ، فقال له : إن فلاناً يمشي على الماء ! ! فقال : إن ضفدعاً أو حيّة تمشي كذلك ، وقال : إن فلاناً يصل من المشرق إلى المغرب ساعة واحدة ! ! فقال : إن الشيطان يصل كذلك ، فقال له : فما الكمالُ عندك يا سيدي ؟ ! فقال : أن تكون مع الحق في الباطن ؛ وأنت مع الخلق في الظاهر . فهذا حاصل ما في الكتب ، فَعَضَّ عليه بنواجذك ، **ودُم على الذكر ليلاً ونهاراً ، ولا تغفل عن الله ، فإن الغفلة عنه من أعظم الذنوب عند أهل الله ؛ وكن من الشاكرين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ ، وافعل الرابطة بالقطب المذكور ، واستمدَّ منه صباحاً ومساءً ، فبالرابطة يتربّي الشيخُ المريدَ ؛ ولو**

(١) هو القطب أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه .

كان بينهما بُعْدُ المشرقين ، فإن ساعَدَنا الدهر ووصلنا إلى القرب منكم نتوجَّه إليكم وإلى أحوالكم ، وإلاّ ! فلا أرى لكم المصلحة إلا في المداومة على الذكر القلبي والرابطة بالشيخ . فافهم ، وأرجوا الدعاء منكم بالاستقامة ، والسلام من المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن . من خطه .

والذكر القلبي هو الذي فضّل الصديق الأكبر على جميع الناس بعد الأنبياء . كما هو مذكور في « جامع الأصول » وغيره . اتهى من خطه .

مكتوب إلى الحاج محمد الكراطي

وكتب رحمه الله تعالى وﷺ إلى العالم الفاضل الحاج محمد الكراطي رحمه الله تعالى ؛ بعد سلام وكلام ما حاصله : لمَّا لاقاني هذا الحامل حملني ذلك إلى أن أكتب إليكم كلمات تكون باعثاً لكم لذهاب القبض ، وحصول البسط ، هداكم الله تعالى إلى سواء السبيل ، **وجنّبكم عما لا يليق برفيع جنابكم المتصل بأذيال المشائخ** ، فقد قيل : **إن صحبة المشائخ درجة تتباهى ، وقبولُ قلوب المشائخ للمريد أدلُ دليل على سعادته** ، رقّاكم ربُّكم إلى درجة الحضور التامِّ ، وأذهب عنكم الرجس ، ودَنَس الغفلات ، **فالغفلة عن الله من أعظم الذنوب عند أهل الله والحضور** ، والذكر القلبيُّ لا يعدله شيءٌ من الدنيا والآخرة ، وتفسير بعضهم لآية ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ بقوله : أي على كلِّ حالٍ ؛ شاهدٌ عدل على أن المراد به ذكر القلب ، **ودوموا على الخلوة في الجلوة ، فإن مدار هذا الطريق عليه ، وذاكر الله في الغافلين كالمجاهد في الفارِّين** ، وقد قال بعض الأكابر : **لو ذهب المريدُ خلف المرشد من المشرق إلى المغرب ليس ذلك كثيراً** ، ولا أعز لبصير ، لما يحصل له من الحضور التامّ الذي لا يساويه الدنيا ولا الآخرة ، وكيف لا يكون كذلك **والحالُ أن جميع العبادات إنما شُرع لتحصيله ، وهو غايةُ مرادِ السالكين ؟! وذلك لا يحصل إلا بمداومة الذكر في كلِّ مكان ، وعلى كلِّ حال ، وعند كلِّ أحد ، لكن ينبغي أن يكون الذاكرُ على الآداب ، فإنه جليسُ الله ، فكما أنه يذكر الله ؛ فالله حينئذ يذكره ، فما أحلى هذا المقام ، وما أرقاه ! !**

ثم إنك **أيها الأخ** تسعى خلف المريدين فيما أرادوه ، فهذا الزمان ليس كالزمان الماضي ، وحسِّن خُلُقَك معهم ، فإن حسن الخلق أثقل ما يوجد في الميزان ، **وإن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم** –كما هو مذكور في الكتب – وَلِنْ لهم ، ولا تكن فظّاً غليظ القلب ؛ لئلا ينفضوا من حولك ، وأنتم لا تتركون الاجتماع لقراءة الختم والصلوات ؛ ليجمع شمل المريدين ، وإياك ثم إياك والإعراضَ عن ذلك ! فإن مَنْ أعرض عن الله أعرض الله عنه ، **وتارك الوِرْد ملعون** ؛ أي : مطرودٌ ومحرومٌ من الثواب الذي كان يحصل له من ذلك الورد ، **والوارد إنما يأتي على قدر الورد** ، ويكفي في فضيلة الاجتماع للذكر قولُه تعالى في الحديث المعلوم : « غشُّوهم برحمتي ، هم القوم لا يشقى جليسهم » وكن كالمغناطيس لجذب القلوب . والسلام من أخيكم الداعي لكم بالخير حسن رحم الله إفلاسه . آمين .

مكتوب في قيمة الطريقة

وكتب إليه أيضاً ما حاصله : **اعلم أيها الأخ** ؛ أن هذه الطريقة العليّة النقشبندية خلاصة الطرق ، وفيها جميع ما في سائر الطرق ، بل وزيادة ؛ كما هو مذكور في « المناقب الأحمدية » ، وهي أيضاً **أم الطرق وسلطانها** ، ونسبتنا فيها أفضل من جميع النسب ، وقد تعنعن إلينا تلك النسبة بواسطة الأقطاب فضلاء الأمّة ؛ إلى الصدِّيق الأكبر الذي قال ﷺ في حقه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في صدره » أو ما هذا معناه ، وهو الذكر الخفي القلبي الذي قال ﷺ في حقه : « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » ، وقد فسَّر بعض المفسرين لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ بقوله : أي : على كلِّ حال . وهو شاهد عدل على أن المراد بهذا الذكر الذكر القلبي ؛ لأن الذكر اللساني لا يجوز أن يفعل في كلِّ حال ، وقد وجدتُني أخطأتُ فيما كتبت إليك سابقاً ، وحقّ العبارة هكذا : شاهد عدل على أن المراد به الذكر القلبي . انتهى .

ولا يخفى عليك أن الإنسان لا يخلو عن خطأ ونسيان ، فإذا كان أمر طريقتنا هذه هكذا ؛ ينبغي لكم أن تتسامحوا في أورادها ، فمن لا وردَ له لا واردَ له ، والمعرضُ عن الله يعرض الله عنه . والسلام . الحقير القحيُّ بالبدار والسرعة .

مكتوب

وكتب ﵁ إلى بعض مريديه ؛ نقلاً عن « الحديقة الندية » : قال – أي : بعض شراح « الحكم العطائية » في شرحه – : **والصحبة** ؛ أي : **صحبة الحق سبحانه وتعالى بقلبك ليس لها قضاء إذا فاتت** ، وهذه إذا تحقَّقت لا تنافي خلوتك ولا جلوتك ، بل تكون مع الناس في الظاهر ، وقلبك مع مولاك بصحبته ظافر ، وهذا هو مبنى الطريقة النقشبندية رضي الله عنهم في ابتدائهم وانتهائهم ، **خلوتُهم في جلوتهم ، يتمُّ سلوك السالك منهم؛ وهو مع الناس . يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه** ، ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ . **فاجتهد أيها الأخ** ؛ في تحصيل هذه المرتبة العلية ، **فإن عمرك لا قيمة له ؛ فلا تنفقه إلا في هذه البضائع السّنيّة** . انتهى .

مهم

وكان أبو المواهب الشاذلي ﵁ يقول : احذَرُوا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء ، فإنهم ما ذهبوا حقيقة ، وإنما هم ككنز صَاحب الجبار وقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصْر الأول ، فإن الله تعالى قد أعطى سيدنا وحبيبنا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يُعط الأنبياءَ قبله ، ثم قدَّمه في المدح عليهم ، ويا لله العجب من كثير من المتفقهة ينكرون ما أَجمَعَ عليه الأولياء ويصدّقون بما وصل إليهم على لسان فقيه واحد ، ورُبما يكون استناده في ذلك القول إلى دليل قياس ضعيف أو إلى شذوذ من القول ، وما ذلك والله إلاّ لغلبة الحرمان ،

ثم مع إنكاره إذا أَصَابه همٌّ أو مُصيبة يأتي إلى قبورهم ، فيحملهم الحملة دون الفقيه الذي صدّق قوله وقدّمه عليهم وكان الأمر بالعكس . (من نسخة أخرى) .

فإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت ؛ فإن من أنكر على أهل زمانه حرمَ بركة أوانه .

وكان يقول : من وقف مع عاداته وعلومه ولم يظن أنَّ فوق علمه علوماً فهو محروم من جميع المواهب ، حتى من أهل مذهبه ، ويسمَّى هذا بالجاهل المركَّب ، فإياك والبحْثَ مع مثل هذا أو الجدال ليرجع ، فإنه لا يرجع ويتسع المجال بينكما ، وربَّما صَارَ يستفتي عليك وينسبك إلى أمور أنت منها بريء حتى يتعب سرّك ، فكفَّ عنه ما دام يرى نفسَه عليك . فإنَّ الجاهل لا ينصف المحقّ أبداً ، لعَدَم ذوقه لحاله ، إلاَّ أن يداركه الله تعالى بالتسليم ، فيؤمن أنَّ فوق كل ذي علم عليم . من « الطبقات الكبرى »عبارته ٨١ ج ٣ للشعراني قدس سره النوراني . (من نسخة أخرى) .

قال العلامة السيد محمود بن أشرف الحسيني النقشبندي في رسالة سماها « نجعة السالكين في ذكر تاج العارفين » : وكان من طريقة الشيخ – أي : شيخه المترجم تاج الدين العثماني الهندي[1] النقشبندي – أن لا يلقِّنَ أحداً إلاّ بعد إدخاله في الخدمات والرياضيات الشاقَّة التي تنكسر بها النفس ، ويحصل بها التزكية ، فإن التزكية مقدَّمة على التصفية عند أكثر المشائخ ، بخلاف النقشبندية ؛ فإن طريقتهم على العكس ، قالوا : بعد ما يتوجّه الإنسان إلى التصفية والتوجُّه إلى الحق بالصدق يحصل له من التزكية بأمداد جذبة من جذبات الرحمن في ساعة ما لا يحصل لغيره من الرياضيات والسياسات في سنين ، بناء على تقديم الجذبة عندهم على السلوك ، فإنَّ سلوكهم مستديرٌ لا مستطيل ، وإنَّ أوَّل قَدَمهم في الحيرة والفناء ، كما قال بهاء الدين النقشبندي قدس سره : **بدايتنا نهاية الطرق الأخر** . وقال أيضاً : **معرفة الحق حرامٌ على بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي** .

وقد قال الخواجه عبيد الله أحرار : إن اعتقاد السلف قد يذهب بالبعض إلى إنكار هذا الكلام ! ! مع أنه لا ينافي أمراً من أمور الشرع ، بل حديث : « مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » يدلّ على خلاف ذلك . انتهى .

أقول : ولعل الشيخ تاج الدين قدس سره كان في تقديم إدخال المريد في الخدمات والرياضات الشاقة ، والتزكية على التلقين ؛ بمشرب مشائخه الأول في الطريقة العشقية والكبروية ، ثمَّ لما دخل في الطريقة النقشبندية وسلكها على يد الشيخ الخواجه محمد الباقي النقشبندي قدس سره ، وأذن له

(١) الشيخ تاج الدين الهندي كان من قدماء أصحاب مولانا خواجه محمد الباقي بالله وأجلَّة خلفائه ، وقد صحب بعده الإمامَ الرباني ، ثم جاور الحرمين الشريفين واشتهر هناك صيته وشهرته ، وأخذ عنه أكابر أهل الحرمين الطريقةَ النقشبندية كابن علان ، وتوفي في الحرم المكي ، ودفن في جبل « قعيقعان » ، وقبره مشهور معروف هناك من « سراج السعادات في سير السادات »عبارته من ترجمة محمد الباقي قدس الله تعالى أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم آمين . (من نسخة أخرى) .

في الإرشاد فيها أبدل معاملته الأولى بالعكس الذي عليه السادة النقشبندية ، وحَصَر إرشاده وتأديبَه فيها ، كما يشهد بذلك ما في « النجعة » المذكورة من أن الشيخ تاج الدين قال : بعد ما أجازني الخواجه محمد الباقي ، اشتغلنا بالتربية على طريقة الأكابر النقشبندية كنت أقول : لو يأتيني طالبٌ يريد الطريقة العشقية وغيرها ألقِّنُه فيها وأرَبِّيه ، حتى أن يوماً حضرتْ روحانيةُ الغوث الأعظم الخواجه عبيد الله أحرار للخواجه محمد الباقي ، وقال له : إن الشيخ تاج الدين يأكل من مطبخنا ويشكر غيرَنا ، فأخرجناه من النسبة . وقال الخواجه محمد الباقي للخواجه عبيد الله أحرار : اعفُ عنه هذه المرة حتى أخْبِرَه ، فكتب الخواجه إليَّ هذه الواقعة ، فتركتُ كلَّ ما كان غير هذه السلسلة؛ أي النقشبندية وحَصرتُ التلقينَ والتربية فيها . انتهى كلامه بنقل تلميذه صاحب « النجعة » . انتهى ما نقله قدس سره عن « الحديقة الندية »[١] عبارته .

مكتوب سعد الله الأواري

وكتب رضي الله عنه إلى العالم الفاضل المتفنِّن سعد الله بن عبد المجيد الأوَاري بعد سلام وثناء وكلمات في الدعاء ما لفظه :

اعلم أيها الولد المرجوّ للاستقامة ؛ **أنّ أمر حياة القلب شيءٌ عظيم لا يساويه الدنيا والآخرة ، والمراد من سلوك الطريقة ازدياد اليقين بحقيَّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، وكون القلب حاضراً بالله غيرَ غافل عنه تعالى على سبيل الذوق ، لا** أمر آخر وراء ذلك ، فقد كان شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إن علامة حياة القلب وُجدانه وقت الانتباه من النوم يرتعش ، ويضطرب** ، فقد مَنَّ الله تعالى عليك بهذه الدرجة العالية ، وذلك فضل من الله تعالى ، **بيد أن ذلك** لا يدوم ، بل المشائخ يذيقون المريد في ابتداء أحوالهم طعماً مما في النهاية ، ليكون المريد على نشاط واعتقاد ، **ثم يسلبونه لئلاَّ يغتر بذلك ويفرح به** .

---

(١) وبه يُعْلم فرق ما بين هذه الطريقة النقشبندية العلية ، وبين سائر طرق السادة الصوفية ، قدس الله أسرار الجميع ، ورزقنا من بركات مقامهم الرفيع ، آمين . (من نسخة أخرى) .

ومما ينبغي أن يُعَلم أن الفرح مذمومٌ على كلِّ حال ؛ ولو كان بالله ؛ لأن ذلك حظٌّ من الحظوظ النفسانية .

وأيضاً إن شيوخنا – قدس الله أسرارهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى[١] – كانوا يقولون : إن تلقين الذكر لقلب المريد لا يجوز إلا بعد حياته ، وعلامة الحياة حصولُ الحركة والاضطراب للقلب في النوم أو اليقظة ، أو حصول الحرارة المعهودة وقت الرابطة و . . إلخ .

وأرجو الله سبحانه أن يجعلك من الذين يذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً ، وأن يمنَّ عليكم بالقبول والملاحظة لدى السادات ، وقد شممنا من طرفكم رائحة القبول ، وقد قيل : **قبول قلوب المشائخ للمريد أدلُّ شيء على سعادته .** أدامكم الله تعالى على هذا القبول ، ولا حَرَمكم من هذا الفضل الذي يغبط فيه الأولون والآخرون . انتهى بحذف من خطه قدس سره .

مكتوب في المراد من السلوك

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : اعلم أن المراد من سلوك طريق الصوفية كونُ القلب حاضراً مع الله تعالى على الدوام ، وأنه لا عذر في ترك ذكر الله تعالى سبحانه ، والحضور ، وكونه غافلاً بسبب الاشتغال بالحرفة والكسب ، فإن القلب واللسان ليس لهما حرفة ، بل للأعضاء الظاهرة ، والتدرس ذكر الله ، والمراد من ذكر الله : التوفيق للطاعة والعبادة .

قال الإمام الرباني أحمد الفاروقي قدس سره : صحبة الحق تعالى بالقلب لا تنافي خلوتك ولا جلوتك ، بل تكون مع الناس في الظاهر ، وقلبُكَ مع مولاك . . . إلخ . انتهى من خطه .

---

(١) ولعل هذه العبارات زائدة ، أي : عن الالتفات إلى ما سواه تعالى . والصواب أن شيوخنا قدس الله أسرارهم كانوا يقولون . .إلخ والسلام أخوكم (النهري) . (من نسخة أخرى) .

مكتوب المحافظة على حضور القلب

وكتب إلى بعض مريديه بعد كلام : وأوصيكم بالمحافظة على الحضور القلبي ، فإنها دولة عظيمة لا يعطاها إلا الفرد النادر ، وإياكم والغفلةَ ، فإنها من أعظم الذنوب عند أهل الله تعالى كما هو معلوم لديكم ، ومن فاز بدولة الحضور وسار على منهاج الذكر القلبي سَعِد في الدنيا والآخرة ، **ولا يفوز بها إلاّ مَن ترك المألوفات وهجر المأنوسات** . وفَّقنا الله تعالى وإياكم لامتثال الأوامر واجتناب النواهي . آمين . انتهى .

مكتوب جمال الدين البقاهچي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل جمال الدين البقاهچي جواباً لسؤالاته بهذه النقول :

فائدة : سيأتي أنهم أجمعوا على أنه لا يشترط في الشيخ أن يكون يطَّلع على معاصي المريد الباطنة ، حتى يكاد كشفه باستعمال ما يزيلها وشهواتها من قلبه ، وأوجبوا على المريد أن لا يكلِّف شيخه بمثل ذلك ؛ لأنه كشفٌ شيطاني يجب على الشيخ التوبة منه فوراً لو وقع ، **إذ لا يطّلع على عوراتِ الناس إلاَّ الشياطين** ، بل يذكر له ما عنده من الأمراض ليداويه منها ، فلو قُدِّر أن الشيخ اطلع على عورة مريده فهو من قبيل الإلهام من الله تعالى بواسطة صدق المريد في طلب الطريق . « المواهب البريقة » ، ومثله في « لطائف المنن » في صفحة٩٣ من الجلد الثاني .

❊ **وروي** : « لا يأتي على الميت أشد من الليلة الأولى ، فارحموا موتاكم بالصدقة ، فمن لم يجد فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة منهما ؛ فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، و﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، (إحدى عشرة مرة) ويقول : اللهم إني صليت هذه الصلاة وتعلم ما أريد ، اللهم ابعث ثوابها إلى قبر فلان بن فلان ، فيبعث الله من ساعته إلى قبره ألف ملك مع كلِّ ملك نور وهدية يؤنسونه في قبره إلى أن ينفخ في الصور ، ويعطي الله المصلي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات ، ويرفع الله له أربعين ألف درجة وأربعين ألف حجة وعمرة ، ويبني الله له ألف مدينة في الجنة ، ويعطى ثواب ألف شهيد ويكسى ألف حلة » .

قال المهيعي : ينبغي لكل مسلم أن يصليها كل ليلة لأموات المسلمين . انتهى . وتقدمت في الكلام على النوافل « فتح العلام » ص ١٢٠ ج٢ . (من نسخة أخرى) .

الكرامة ليست بشرط للمرشد

وفي « درر الغواص » في ٨٣ من هامش « الإبريز » : وأمّا الكرامةفليست بشرط للمرشد ؛ لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلاّ عن بعضهم ، حتى لم تنقل عن الصدِّيق الأعظم ، مع أنه أفضلُ الأمَّة . « الفتاوى العمرية » [١]

ليس ذوو الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق ، بل قد تنبئ الكرامة عن ضعف يقين أو همّة « الفتاوى » لابن حجر من الجزء الرابع . عبارته .

بل قد تقع الكرامة لمحبٍّ أو زاهد ؛ ولا تقع لعارف ، مع أن المعرفة أفضل من المحبّة عند الأكثرين ، وأفضل من الزهد عند الكلِّ « فتاوى » ابن حجر عبارته من الخاتمة .

وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف[٢] « الرسالة الخالدية » . عبارته .

وليست الكرامة شرطاً في الولاية (منها) . عبارته .

(١) **وقد سئل** الإمام أحمَدُ رضي الله عنه : لِمَ لم يشتهر عن الصحَابة من كثرة الكرامات ، كما وقع لمن بعْدهم من الأولياء ؟ **فقال** : إنما لم يشتهر عن الصحَابة كثرة كرامات ؛ لأنَّ إيمانهم كان في غاية القوة بخلاف إيمانِ مَن بَعْدهم ، فكلما ضعف إيمان قوم كثرت كراماتُ أولياء عصْرهم تقويةً ليقين الضعفاءَ منهم . « يواقيت » عبارته من المبحث الخمسين . (من نسخة أخرى) .

فائدة : اعلم أنَّ كرامة الأولياء قد تكون بحسب حاجة الإنسان إليها ، فتجري على يد إنسان ليَقوَى إيمانُه ، ولا تجري على يَدِ أعْلىَ منه لاستغنائه عنها بعُلوِّ درجته لا لنقص ولايته ، ولذلك كانت في التابعين أقوى منها في الصحَابة . « نوادر العلامة القليوبي » . عبارته ١٢٩ . (من نسخة أخرى) .

(٢) وراجع « خلاصة الأدب » ص ٨ ؛ وهو للمؤلف رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

ولما كان الإحياء الجسديُّ معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله ، واشتغلوا بالإحياء الروحي ، وتوجّهوا إلى إحياء القلب الميت ، والحقُّ أن الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق وداخلٌ في العَبث بالنظر إليه ، فإن هذا الإحياء سببُ حياة معدودة ، وذلك الإحياء وسيلة للحياة الدائميّة « الدرر المكنونات النفيسات في تعريب المكتوبات » للإمام الرباني قدّس سرّه ص ١٤٠ من الجزء الثاني . عبارته .

أيها الأخ المحبوب المقبول جمال الدين ؛ كتبت إليكم هذه المذكورات ، وسلَّمتها إلى يد الحامل لتراها ، هذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء للفقير الحقير أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي . انتهى من خطه قدس سره .

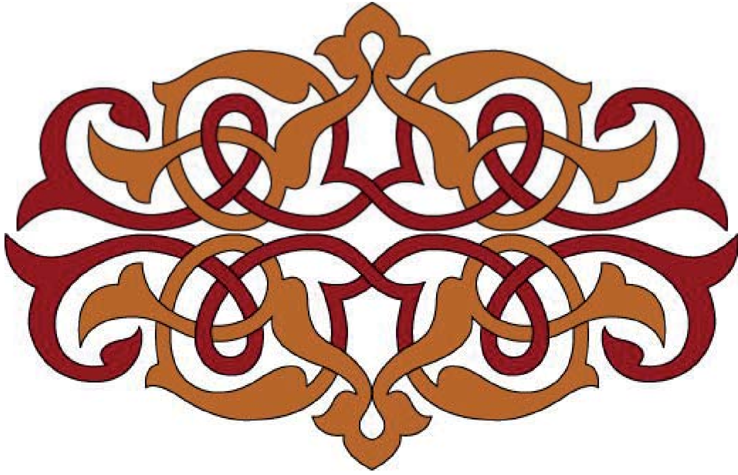

الباب الثالث

في بيان كيفية الرابطة الشريفة ، ومقدّماتها وفوائدها ، وعلامات حصولها ، وبيان كيفية زيارة الأستاذ وآدابها ، وبيان كيفية التوجه وفوائده ، ويعقبه بيان فوائد التذكير والتعليم والوعظ ، والنصيحة والتحذير عن الجواسيس ، والتحضيض على البُعْد عن الناس وعدم مخالطتهم ، وعلى الخمول والتستّر ، وعدم الثقة بالناس ولو . . . إلخ ، وارتكاب الأسباب مع التوكل ، وفي كلام في الاجتماع الروحاني والجسماني ، وكذا مسائل نفيسة في الباب ، وفي التحذير عن ترك الورد ، وجواز تعليم الطريقة للشبان والشوابّ ، وفي ترتيب أوراد الشاذلية قدس الله أسرارهم ، ومهمات في الزيارة .

مكتوب في كيفية الرابطة

وكتب قدس سره إلى العالم سلطان ابن العالم المحقق الحاج مُرْتَضَعَلِي العكلّچي يُبيِّن له كيفية الرابطة الشريفة ومقدماتها :

(٢٥) أستغفر الله ، (١) فاتحة الكتاب ، (٣) سورة الإخلاص ، ثم يقول : يا رب ؛ تقبّل مني ما قرأته وزده ثواباً ودرجة ، يا رب وهبتُ ثواب ما قرأته من قرآنك المجيد إلى سيدنا محمد ﷺ ، ثم إلى أرواح أصحابه الأربعة رضي الله عنهم ، ثم إلى أرواح مشائخنا مشائخ السلسلة النقشبندية[1] ؛ خصوصاً إلى روح محمد النقشبندي[2] ، ثم إلى روح الإمام الرباني أحمد الفاروقي ، ثم إلى روح خالد شاه البغدادي السُليماني ، ثم إلى روح محمود أفندي الألمالي الأشترخاني ، ثم إلى روح جبرائيل أفندي اللكتيّ الزاخوريّ ، ثم إلى روح

(١) قدس الله أسرارهم . (منه) .
(٢) الأويسي البخاري . مكتوب آخر بخطه . (هامش الأصل) .

الحاج عبد الرحمن العسوي قدس الله أسرارهم . يا أساتيذي ويا مشائخي ؛ أطلب منكم العون لأذهب إلى الله تعالى ، ويتقبَّلني الله تعالى ، يا ربّ لا تطرُدْني عن بابك بحرمة هؤلاء المشائخ ، واقبَلْني ، ولا أحَدَ يقبلني سواك ؛ إن لم تقبلني . آمين .

ثم يستغفر الله (مائة مرة) ، ثم يتخيَّل في الموت وما بعده[١] ثم يفعل الرابطة إلى محمود[٢] أفندي[٣] ملاحظاً أنه واقف قبالته ملتصقاً ركبتيه بركبتيه ويقابل قلبه بقلبه ، ويستفيض منه بقدر ربع ساعة صباحاً ومساء كل يوم ؛ يحصل الفيض والبركة إن شاء الله تعالى .

(٥٠٠) أستغفر الله ، (٥٠٠) اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله ، ويقول : بين كل مائة : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .

وصورة محمود أفندي هذه : بَعَرَبْ طَغُرَلْدَ خَحَبْ چَرْمَ قَرَوْ ، عُرْچِّنَبْ اِسخَلِ طَدْ لُِرَبْ خَبَرْچَ رِطَرَوْ ، طِرنَبْ خَلَدَبْ لَكَ چِرْخَلُلْ خَحْ ژَحلَبْ لِدِرَبْ ، خَلَتَبْ مِكَجُلْ چَحَ - مَحَيَلْ لِدِرَلْ طَدِ رَيَلُلْ عُجَلْكِ رُكِبْ دَهَبْ بِژَبْ حَلَقَبْ هُمِرَلُلْ[٤] . انتهت .

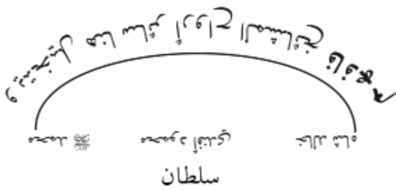

(١) كأنه مات وغُسِّل وكُفِّن وحُمل إلى القبر ، ودفن ، وفارق من الدنيا والأهل والعيال ، وصار فريداً وحيداً ليس له أنيس ، ثم ، وثم . .إلخ . (منه رحمه الله) عبارته .

(٢) ويجعل قلبه مقابلاً بقلبه ويستفيض منه متخيلاً كأن النور الذي على قلبه ينزل إلى قلبه نزولاً بعد نزول وجرياناً بعد جريان ، إلى أن يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة . (منه قدس سره) . **قوله** : كأن النور الذي أي : النور الأبيض ، كما صرح به شيخنا المرحوم حميد أفندي قدس سره في بعض مكاتبه . (كاتبه) .

(٣) ثم يرابط قلبه بقلبه ويستمد منه بقدر ربع ساعة صباحاً ومساء ، يتخيل المريد كأن الشيخ محمود أفندي واقف قبالته ملاصقاً ركبتيه بركبتيه ، ومن جهة يمينه النبي عليه السلام ، ومن جهة يسار خالد شاه ، ويتخيل سائر أرواح المشائخ كأنهم واقفون خلفهم حلقاً ، هكذا فافهم . منه قدّس سرّه جواباً لولده محمَّد عارف حفظه الله .

(٤) **وترجمتها** : يضع قلنسوة حمراء ، ويلفُّ عليها عمامة بيضاء ، ويلبس عباءة قبتها من جلد النعجة ، وهو نحيل الجسم ، طويل القامة ، نحيف الوجه ، عليه آثار اللقح ، وله لحية طويلة بيضاء غير كثيفة . (من نسخة أخرى) .

الذكر بلا رابطة لا ينفع في الإيصال ، **والرابطة وحدها بلا ذكر مع رعاية آداب الصحبة تنفع في الإيصال** ؛ كما هو حاصل ما في « المتممات » لأحمد ضياء الدين فراجعه ص٥٦ .

الرابطة : طريقة مستقلَّة ، كما هو مذكور في غير كتاب فراجع ، وحرِّر ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه ما كتبه إلى العالم العكلچي سلطان رحمه الله[١] .

مكتوب في جواب مريده عن الرابطة

وكتب قدس سره جواباً لكتاب بعض[٢] مريديه ما لفظه :

وعليكم السلام ؛ أيها الولد الأمين ، والجوهر الثمين ؛ جعلني الله تعالى وإياك من المقبولين لدى المشائخ ، والداخلين في وسط دائرة الولاية ، والشاربين من رحيق العناية . آمين .

ولله الحمدُ والمنَّة على ما شرَّفك بظهور أثر الرابطة الشريفة ، فلقد كان شيخنا العسوي قدس سره يقول وقت التوجه : **ألم يحصل لقلبك الانشراح** ؟ ! وكان يقول أيضاً : **ألم تحصل لك الحرارة في القلب** ؟ ! انتهى .

---

(١) وفي نسخة زيادة هنا :
محمَّد ﷺ * أبو بكر * سلمان * قاسِم * جَعْفر * طيفور * أبو الحسن* أَبُو علي يوسف * عبْد الخالق * عارف * محمُودْ * علي * محمّد بابا * أمير كلال * محمّد نقشبنْدْ * علآء الدين * يعقوب * عبيْد الله * محمّد زاهدْ * دَرْويش محمد * خَواجَكي الامكنكي * محمّد باقي * أحمد الفارُوق * محمّد مَعْصُومْ * سيف الدين * نور محمّد * حَبيب الله * عَبْد الله * خالد شاه * إسماعيل * محمّد صَالح * إبراهيم * يونس * محمُودْ أفيدي * جَبْرَائيل أفيدي * عبْد الرحمن حَاجي العسوي * حسن أفيدي القحي * محمّد اليعصوبي * حميد أفيدي الهندخي * محمد أفندي العوري * . . .
(٢) هو العالم الفاضل حَسَّنِلْ محمد القحي ، كما أخبرني به ثقة (منه) . (من نسخة أخرى) .

وسمعت واحداً من المريدين يقول له : إني أجد في فمي حلاوة أخاف من ابتلاع بُصاقي الإفطارَ ، فإنَّ حلاوته حلاوةُ العسل ؟ فقال له الأستاذ : كنت أجدُ ذلك حتَّى أنها لم تنقطع ولم تتغيّر في مرض الحمّى . انتهى .

ثم اعلم أيها الولد ؛ أنهم قالوا في كتبهم : **إن الرابطة للمبتدئ أنفع من الذكر ، وإنها أقربُ الطرق الموصلة إلى الله تعالى** ، فالذكر وحدَه ؛ أي : بلا رابطة معه لا ينفع في الإيصال ، والرابطة وحدَها ؛ أي : بلا ذكر مع رعاية آدابها فكافية في الإيصال .

آثار الرابطة

وكان شيخنا المذكور قدس سره يقول أيضاً : إن علامة حضور روحانية الشيخ لدى المريد في حالة الرابطة حصولُ أثر الحرارة في القلب ، أو شمُّ الرائحة الطيِّبة ، أو تحرُّك القلب وارتعاشه واضطرابه ، وانقباض الجسد . (أي : ژُرْخَنْ لُهِ)

* قال الشيخ أبو نصر محمد بن عبد الرحمن الهمداني رحمه الله تعالى : اعلم أنَّ الخالق البارئ جلَّت قدرته ، وعلت كلمته ، وتوالت آلاؤه ، وتتابَعَت نعماؤه ، زين الأشياء السبْعة ثم زين السبْعة بسبعة أخرى ، ليعلم العَالمون أن للأعْداد السبع عند مالك الضر والنفع خطراً عَظيماً ومَحَلاًّ جَسيماً ؛ **الأول** زين الهواء بسبع سموات ، قال تعالى ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ الآية . . إلخ ، وزين عمر الآدميِّين بالأحْوال السبْعة في ابتداء الحالة ؛ رضيعٌ ، ثم فطيمٌ ، ثم صَبي ، ثم غلام ، ثم شابّ ، ثم كهْل ، ثم شيخ ، ثم زين هذه الأحْوال السبعة بالكلمات السبْع وهي قوله (لا إله إلا الله محمّد رسول الله) صل الله عليه وسلم ، قال تعالى ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ . . إلخ . من كتاب « السبْعيات في مواعظ البريات » عبارته من الديباجة . (من نسخة أخرى) .

أسباب فتح العلم

ورأيت في مَنْهُوَّات[1] « الطبقات الخواجكانيَّة النقشبندية » للشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره ما معناه : إني كنتُ ألقِّنُ طالب العلم الرابطة ، وألقِّنه ثلاث مائة استغفار ، وثلاث مائة صلاة على النبي المختار ، فيحصل له بذلك الفتحُ في العلم . انتهى .

وهكذا كان الشيخ العسوي قدس سره يفعل مع طالب العلم هذا الصنيع المذكور بلا فرق ، وكان لا يزيد له على ذلك ، وكان يقول لي : **إذا لم تفهم شيئاً مّا من الكتاب؛ فرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره ، فبعد ذلك تنظُرُه فتفهمه** . انتهى .

فضل العالم على غيره

فبناء على هذا ينبغي لك أيها الولد أن تفعل الرابطة في المَلَوين[2] مرَّتين ؛ مرَّة في الصباح ؛ أو في السحر ، ومرة في المساء ؛ أو بعد المغرب والعشاء ، كيفما اتفق لك الفراغ ، ولا أزيدك على هذا ؛ لأن الاشتغال بالتعلُّم والتعليم أفضل لك من غيره ، فكيف لا ؛ وقد روي عنه ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » ؟ ! ! والسلام .من خطه قدس سرُّه .

مكتوب في التوصية بولده محمد عارف

ثم إنَّه أوصى هذا المرسل إليه بولده محمد عارف خيراً ، ومما كتب إليه في حقِّه : إني يا ولدي ؛ عوَّلت إليك أمره ، فأنت أبوه وأخوه ، فلا تدعْه يفعل ما شاء ، بل احمله تدريجاً إلى كلِّ ما فيه صلاحُه ديناً ودُنيا ، وأدِّبه بآداب

(١) جمع (منهوة) وهي : تعليقات المؤلف على كتابه التي يختمها بقوله (منه) . أي : من المؤلف علقها على كتابه ، وقد أثبتناها جميعها في طبعنا للطبقات المذكور . (من نسخة أخرى) .
(٢) صباحاً ومساءً . (من نسخة أخرى) .

الصالحين ، فإن **الأدب مغناطيس القلوب ، وبه وصل مَن وصل ، وبتركه حُرم مَن حرم** . انتهى .

ثم قال بعد كلام كثير : فأفٍّ لعقل لا يتدبّر به عواقب الأمور . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب في إجابة أسئلة خليفته

وكتب إليه أسبقُ أولاده وخليفتُهُ من بعده محمد ابن القاضي نور محمد العسوي الملّقب بـ : (اليعسوب) قدّس الله سرّهما ، ورزقنا بركتهما وبرَّهما . آمين . يسأله عما يأتي :

أيجوز للمريد أن يتصدَّق عن أستاذه وشيخه الحيِّ ؟ وهل له أن يُهلِّل[1] عنه ، ويجعل ثوابه له ؟ ؟

وأخرى[2] : يُلقي الشيطان في قلب هذا الفقير حالةَ الرابطة والذكر تخيُّلات أخروية ودنيوية ، ووهميَّات فاسدة ، فهل لإزالتها علاجٌ سوى أن يقال : يا فعَّال (٧) ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ الآية . و(إلهي أنت مقصودي) ؟ ؟

وأخرى : هل يطلق اسم الرابطة على جملة ما يلقِّنُونه المريد ؛ مِن الاستغفار والقراءة والتخيُّل والتفكر ، أو هي خاصة بتخيل صورة الشيخ في اصطلاحهم ؟ !

وأخرى : هل يجوز للمريد أن يفعل الرابطة بعد صلاة العشاء إذا لم يُمكن له فعلُها بعد صلاة العصر والمغرب ؟ وهل لها وقتُ فضيلة وجواز وكراهة ؟ !

---

(١) يذكر الهيللة ؛ وهي : (لا إله إلا الله) .
(٢) أي : مسألة أخرى .

وأخرى : خرج مريدٌ يزور قبرَ وليٍّ غير شيخه ، واشتغل آخرُ بذكر لفظة الجلالة ، فأيُّهما أكثرُ ثواباً وأحسن عَمَلاً ؟ من هذا الفقير المفلس القاضي ابن القاضي .

فكتب قدس سره في جوابها ما لفظه :

إني وجدت بعضاً من المريدين يهب ثواب ما يقرأه لي ، كما يهب لسائر المشائخ فمنعته منه ، ثم إنه شكى في حقِّ ذلك إلى شيخنا العسلي قدس سره فقال له الأستاذ : **يا أخي ؛ إني آمر أن يهب ثواب القراءة لي!! ولم يزد** .

هبة الثواب للأحياء

وطرقتُ مرَّة إلى مجلس الختم وقت قراءته ، فوجدت الحاج حبيب الله يهب ثوابه لي وينادينى كما ينادي المشائخ ، والحال أنه لا يعرف كوني[1] في ذلك المجلس ، فكدتُ أن يغشى عليَّ بشدة ذلك النداء ، فقلت له : ما هذا النداء ؟ ! مع أني لا أسمعه ؛ والنداء إلى مَن لا يسمع من اللغو ، ومما لا يعني ، فهدّدته في ذلك ، خوفاً أن يكون من الدعاوي والعياذ بالله ، **لكن إهداء الثواب للحيّ والميت مما لا يمنعه الشرع** . فافهم .

علاج ذهاب الخطرات

وعلاجات ذهاب الخطرات كثيرة مذكورة في الكتب ، ومن أعظمها ؛ تذكُّر الموت ، كأنه نازلٌ إليه في الحال ، وأنه مفارق من الدنيا في الوقت ، كما قال لي شيخي قدس سره : فأنت تطالع « الخالدية »[2] وتفعل ما فيه من العلاجات .

---

(١) حضوري . (من نسخة أخرى) .
(٢) ص ٣٤ ، وص ١٢٧ ، ج١ من « الإعانة » ففيه البيان .

معنى الرابطة

وأما الرابطة : فهي تخيُّل صورة الشيخ بين عينيه ، وأما الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص فهي خارجة عن حدّ الرابطة ، فمتى تخيَّل المريدُ صورةَ الشيخ ؛ يقال له : إنه فَعَل الرابطة ، وقد سمعت الشيخ يقول : إن القراءة وإهداء الثواب ليس بشرط ، وإنما هي هدية .

وقت الرابطة

ويجوز فعل الرابطة وقت العشاء ؛ إن لم يتفق له الفرصة لفعلها وقت العصر ، وقد سمعتُ الشيخ يقول : إنْ فعل الرابطة في وقت السحَر فتلك الرابطة تكفي له بدل ما يفعل بعد الصبح ، **ولكن الوقت المعيّن لها هو وقت الصبح ووقت العصر** ، لأن ذينك الوقتين وقتُ قسمة الأرزاق الحسيَّة والمعنوية ، وقد ذكرتُ ذلك في « تلخيص المعارف » بالبيان التام . فراجعه .

زيارة الأولياء

وأما الزيارة ! ! فلا يعدلُها شيء إن علم المريد كيفية الذهاب ، وكيفيّة ما يجب عليه وقتَ الزيارة ووقت الانصراف من قبر الوليِّ ؛ بَيْد أنه لا يَعرِف ذلك . **والزيارة**[1] **إنما تفعَل لحصول الحضور بسببها** ، فهي وسيلة إليه وليست مقصودة لذاتها ، والاشتغال بالذكر القلبي ثوابه لا يعدُّ ، ولا يحصى وهو المقصود الذاتيّ . فافهم . وأوصيكم بالدعاء . (حسن) .

مكتوب عن الرابطة بلا قراءة

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن جواز الرابطة بلا إهداء ثواب القراءة . . وإلخ .

---

(١) راجع « السراج المنير شرح الجامع الصغير » من ص ٢٩٩ إلى ص ٣٠٣ تجد أحاديث شريفة في فضائل زيارة الصالحين . وراجع « الإحياء » أيضاً من باب ص ١٧٦ ج ٦ من هامش « الإتحاف » . (من نسخة أخرى) .

الجواب : جواز الرابطة بلا إهداء ثواب ما قرأه من سورة . . إلخ ، واقتصارُ إهدائه على المشائخ بلا مشاركة الأم والأب وغيرهما . وقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : **إني لا أزيد حرفاً على ما علّمني شيخي؛ ولا أنقصه . انتهى** .

جوابه للشيخ نور محمد العروخي

وكتب قدس سره إلى الشيخ العالم الحاج نور محمد العروخي النهري رحمه الله ما لفظه بعد سلام وكلام :

أما بعد ؛ فقد وصل إليَّ مكتوبُكم الشريف ، وحصل به الفرح والسرور والابتهاج ، وشكرنا الله تعالى بقدر طاقتنا ؛ لا بقدر النعمة ، فللّه الحمد والمنة .

ذكر الشعراني في « المنن الكبرى » أن لأحمدَ الرفاعيِّ رحمه الله قبراً في بلدة « أم عَبيدة » وقبراً آخر في الصحراء التي كان يتعبَّدُ فيها ، والناس يزورون هذا القبر وهذا القبر ، ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذي في البرية . انتهى .

وفيه أيضاً ما حاصله : أن السيدة نفيسة رضي الله عنها أصلُ دفنها كان بالمراغة قريباً من القبر الطويل في الشارع ، ولكن ظهرت في هذا المكان الذي كانت تتعبّدُ فيه ؛ لتعلُّق قلبها به . انتهى .

حكم باب البرزخ

وفيه أيضاً : حكم باب البرزخ حكم التيار الذي يُدَكُّ فيه إنسان فيغطس ، ثم يطفو من موضع آخر ، كما وقع لسيدي أحمد الرفاعي ، والسيدة نفيسة ، ثم إذا نفخ في الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل . انتهى .

إطلاق الموتى

وفيه أيضاً ما يدلُّ على أن للأولياء إطلاقاً وسراحاً ، وعدم التقيُّد في القبر ، بل هم كالأحياء يذهبون حيث شاؤوا ، ويرجعون إلى دارهم . راجعه .

حضور روحانية الشيخ

وكنت رأيت فيه قبلُ ما حاصله : **أن الوليَّ** إذا جلس موضعاً مثلاً تقف فيه روحانيته كذا وكذا مدَّة ، لكن لم أصادف موضعَه رضي الله عنه لأحرِّره بعينه ، فبناء على هذه المذكورات يجوز لشيخنا قدس سره أن تصل روحانيته إلى موضع وُضِعَ فيه النصب ، وقد كان رحمه الله تعالى يومئذ قائماً في ذلك الموضع يَعظ الناس وينصحُهم بكيف يُهيِّج الأوصال ، وحصل للناس بكاء وصراخ ، وبعد ذلك صلَّوا صلاةَ الظهر بإمامته قدس سره ، ولا شكَّ في وصول البركة من ذلك الموضع ، **لكن لا بدَّ** لكلِّ مَن وصل إليه أن يتخيَّل صورته الشريفة بالمحبَّة والشوق ، **وحضورُ روحانية الشيخ بحضور قلب المريد أسرع من لمح البَصر** .

وفي « الإبريز » ما حاصله : أن ذات المريد المحبِّ لشيخه كمشيمة الأم لولدها ؛ تَسكن روحانيته في ذاته . فراجعه ، بل لا يفارق روحانية الشيخ من المريد المقبول ؛ ولو لحظة .

ثم اعلم يا أبي أنَّ محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، **والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة ، وتحصيلُ جميعيّة الباطن ثمرةُ هذه المودَّة ، فلو صُبَّ جميعُ ظلمات العالَم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمّ بذلك أصلاً ، بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضتْ أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ؛ وقد زال مقدارُ شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد في ذلك شيئاً غيرَ الخذلان ، وينبغي أن يَعُدَّه استدراجاً .**

وعليكم بالتوجُّه لشغلكم متمسِّكين بحبل هذه المحبة تمسُّكاً شديداً دون أن تضيّعوا العمر العزيز بأمور لا طائل تحتها .

وإيـاكـم والاغـتـرار بزخـرف   سريع انتقال لن تروا نفعه أصلاً

هذا حاصل ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، فعليكم بالعمل بمضمونه ، وأخبروني أحوالكم أحياناً ؛ ولو بالكتبه ، وأرسلوا أيضاً إليَّ الوقائع المناميّة ، فإن إظهار الأحوال وإخبار الأذواق واجبٌ ، فتفطنوا لهذا الكلام ، ولا تتساهلوا في عمل الرابطة لشيخكم محمود أفندي قدس سره ، فإن من اختلَّت رابطته انقطعت إفاضته .

قال الإمام الرباني : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلُّف وتعمُّل علامة المناسبة التامّة بين المرشد والمريد التي هي سببُ الإفادة والاستفادة ، **ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً ، فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة**[1] ! ! !

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظلَّ الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع ، يعني : أنَّ ظلَّ الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم يحصل للمريد بَعدُ مناسبة كاملةٌ بالمذكور جلَّ وعلا ، حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً . انتهى .

نفع المراقبة وطريقها

وأوصيك بدوام المراقبة ، فلا شيء أنفع منها ، **وطريق المراقبة أفضل من طريق الذكر** ، بل أعلى وأكمل ، فكيف لا ؛ وفي الحديث : « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ؟ ! ، وفي رواية : « سبعين سنة » وفي رواية

(١) راجع « خلاصة الآداب » ص٣٦ . (هامش الأصل) .

« ألف سنة » أو « سبعين ألف سنة » وهذا الأخير في حقِّ مَن تفكَّر في معرفة الله سبحانه .

واعلم أن مَن كان على المراقبة المعيَّة محسوبٌ في أولياء الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ نصٌّ قاطع يعلم منه مكانةُ مقام الإحسان ، **ولا تظنَّ يا أبي أيّ شيء يكون للإنسان بوقوفه ساكتاً صامتاً ؛ منتظراً إلى قلبه** ؛ مراقباً مع كونه أسهل الأشياء ، بل تفكَّر فيما قيل (جلسة خير من ألف حجة) ! ! وقد قال الشبلي : لحضور قلبي في استغراق نور ربِّي خيرٌ من علوم الأوَّلين والآخرين ! ! وفي الحديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

واعلم يا أبي ؛ أن أصحاب الحراثة لا يأخذون إلاَّ درهماً واحداً على خدمة يوم كامل مع ما يُعانونه من الشدائد والمشقات ! وأرباب الحرف السنيَّة يأخذون ألوفاً بخدمة ساعة ؛ وهم في حالة راحة ورفاهية ! ! فالمقرَّبون يستحقُّون الألوف على ساعة خدمة الحضور ، ومع ذلك لا تعلُّقَ لهم بتلك الألوف ، فإن غايةَ مرامهم إنما هي القرب من السلطان ، وهكذا فيما نحن فيه ، فعليك ثم عليك بتفهُّم ما لك وعليك من هذه المذكورات ، فإنَّها من لُبِّ المعارف لو تدبَّرت[1] ،

وينبغي لكلِّ عاقل أن يعلم أن الدنيا كجناح بعوضة في القلَّة ، وأنها مبغوض عليها ، والآخرة مرضية عند الله تعالى وباقية لا تزول ، وأنَّ نَفَساً واحداً من الذكر والمراقب أفضل من الدنيا وما فيها من « الجواهر » . . . وإلخ ، **ولا بدَّ أن يموت المرء ويفوّض أمر العيال والأولاد إلى الله تعالى ، فعَدَّ نفسِك ميِّتاً حتى الآن ، وتفويضهم إليه تعالى أولى ، والرجوعُ إليه سبحانه بترك الكلِّ والإعراض عنه أحرى** ، والمسؤل من الله سبحانه استقامتُكم ، وثباتُكم على

(١) وكان أبو القاسم النصر أباذي يقول : الجذبُ أسرع من السلوك ، فإنَّ كل جذبة من الحق تغني العبد عن أعمال الثقلين . « طبقات الشعراني » عبارته ١٠٠ ج١ . (من نسخة أخرى) .

ما كان أمركم به شيخكم ، وعافيتكم وتوفيقكم وحسنُ وعاقبتكم ، وأوصيكم بالدعاء لهذا الفقير محبّكم : (حسن القحي من خطه) .

مكتوب خليفته اليعسوب

وكتب إليه خليفته اليعسوب قدّس سرّه بما في « الخالدية » ما حاصلُه هذا :

ويوقن المريد بأن روحانية مرشده معه ؛ إذ ليس للروحانية حجاب ، ولا بُعدُ ولا قرب ، ولا مادَّة ولا مُدَّة ، فحضورها بحضور قلب المريد أسرعُ من لمح البصر ، بل لا تنفكُّ عن المريد . ومثله في مثله في غير موضع ، وبمثل هذا الكلام كان المريدون الذين هم ضعفاء الاعتقاد مطمئِّنين و مستيقنين .

والآن لما رأينا ما كتبتَهُ في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » منقولاً عن شيخنا العسوي قدّس سرّه : أنَّه كان يقول : إذا أطاق المريد أن يتصوَّر صورةَ شيخه كما هي يحضُر لديه ، وإلاَّ ! ! فلا عجزنا عن التلفيق بين القولين ، والحال أن هذا الثانيَ صعبٌ على الضعفاء ، فلعلك تزيل عنَّا ظلمة الغطاء . والسلام من ولدك المنغمس في بحر الخطايا محمد بن نور محمد العسوي .

فكتب قدس سره في جوابه : **حضورُها بحضور قلب المريد يكون إذا أطاق المريد تصوُّرَ صورة الشيخ** ، ولا أدري المخالفةَ بين الكلامين ! ! فتدبَّره . انتهى .

وكتب رحمه الله تعالى أيضاً : مَن لم يَرَ الشيخ ، أو مَنْ رآه لا يقدر على التصوّر حقيقة ؛ إلاّ مَن صفا باطنه ، ويرى الغيوب ، لكن لعلَّ معنى قول الشيخ

العسلي هو تخيُّل صورة الشيخ كما هو عليه ؛ أي : كما نتصوّر صورة القطب محمود أفندي مع إعتقاد أنه قبالته للإستفاضة . وأمّا من لا يعرف صورة الشيخ بالكلية فحضور روحانيّته بمجرَّد تخيّل فلا يحضر ؟ ! والله أعلم .

ومعنى ؛ يجب على الشيخ تفقّد حال المريد ، فهو معنى ما كان شيخنا قدّس سرّه يقول :

جَبْرَائِيلْ أَفَنْدِيَصْ أَبُلِبْ بُكَنَ : نِلِرْ خِزَنَزُلْ عَدِنْ خَلْ هِبَزِ كُّلَ مُرِيدَ صُلْ أَبُنْ ،أي . . . .[1] . . . يَلُلْ خَلْ هِبَزِ كُّلَ إِبْ طَسَ إِنْزِ هَبِ اَبُنْ اَللهَ صْدَ هَرُنْ اِزُلْ . . . . يَلُلْ قَرِلِ بَلَهْ اِنْزِهِبَ إِزُلْ مَقَامْ دَرَجَ ژِّكَّزِ هَبِ إِزُلْ حَال لِكْ هَبِ أَبُنْ أَللهَ صْدَ هَرُنْ[2] . هذا ؛ والسلام .

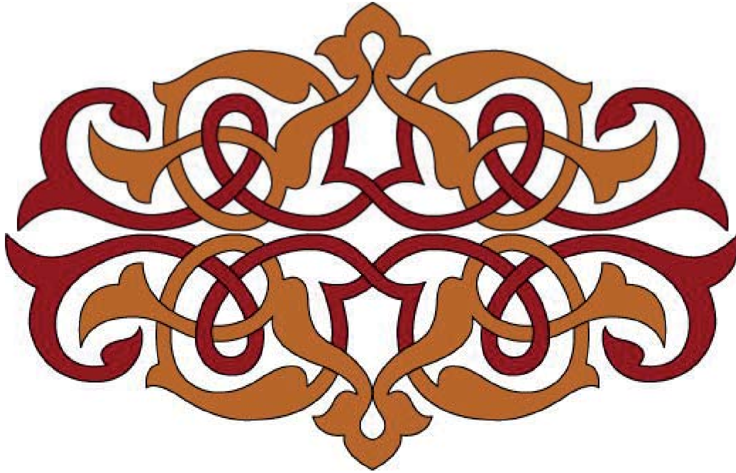

(١) بقي في الموضعين بياض لمحو ما في الأصل ، ولعل من عنده علم ما هنا لكان يعلقه بالموضع ، وأجرة على الله . (منه) عفى عنه .
(٢) وترجمتها كاملة : يجب على الشيخ أن يتفقَّد حال أهله ، ويدعو الله أن يدفع عنهم البلايا والمصائب ، وأن يرفع درجاتهم ومقاماتهم ، ويسأل الله لهم أن يصلح أحوالهم ويعطيهم من فضله . (من نسخة أخرى) .

مكتوب جوابه عن حصول الأثر أحياناً

وكتب قدس سره ؛ جواباً لمن سأله عن الحكمة في حصول الأثر عند رؤية الشيخ والتوجُّه إليه مرة ، وعدم حصوله مرَّة ، ما لفظه :

إنَّ معرفة الأثر ليس بشرط ، وإنما الشرط الاعتقادُ بوصول الأثر ؛ عَلِم ذلك أم لم يعلم ، كما هو مذكور في غير موضع من الكتب . انتهى .

زيارة المريد

وكتب قدس سره أيضاً جواباً لمن سأله عمَّن يرابط المريدُ قلبَه حين يذهب لديه ، وإلى من يُهدي ثواب الفاتحة والإخلاص ما لفظه :

إذا قصد المريد الزيارة إلينا يفعل ما يفعل قبل الرابطة ، ويهدي ثواب ما قرأه إلى أرواح السادات ، ثم يخرج من البيت ، ويتخيل كأنَّ محمود أفندي يمشي قَبْلَه ، ويُرابط قلبه بقلبه ، ويعتقد أنه معه ، وأنه شفيعُه ، وقد قال شيخنا مراراً : أن جبرائيل أفندي قال له أكثر من عشر مرَّات : إنه لا يجوز أن يرابطه المريد ، فإذا كان الأمر كذلك ، فالمراد من المرشد هو محمود أفندي ؛ لا غيره .

مدة الزيارة

وكتب أيضاً في جواب مَن سأله عن حكم تحدُّث النفس بالخروج من عند المرشد ، ومدة الجلوس عنده ما لفظه :

يقطع المريد خياله عن حديث النفس بأنه يخرج من عنده ، بل يُنسي كلَّ خطرة سوى الاستفاضة ، وربط قلبه بقلبه ، فإن حديث النفس لدى المرشد يقطعُ الفيض ، ويكون سُدَّةً في مجراه ، لكن إذا استفاض منه لا يطيل الجلوس عنده لئلا يزيل عن قلبه هيبته ومحبَّته ، فإن الهيبة والمحبة تجلُبان الفيض ، وبانقطاعهما ينقطع الفيض . وأيضاً الرابطة بالشيخ من غير توجُّه القلب والنظر إليه بالحضور كافيةٌ في الاستفاضة ، وإذا اجتمعا فهو نور على نور .

فحاصل الكلام : أن مجرّد تخيُّل المريد بأن الشيخ معه يكون سبباً لوصول فيضه إليه ، وأما إذا اجتمع توجُّهه إلى قلبه مع ذلك التخيُّل والربطِ فيكون ذلك أتمَّ في الاستفاضة وزيادة الفيض . فافهم ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء . (الحقير حسن) .

مكتوب لولده في علامة الجذب

وكتب إليه ولده محمد عارف رحمهما الله تعالى[1] ما حاصله : رأيت في مكتوبك الحثَّ على المداومة على الرابطة الشريفة حتى يحصل أثر الجذبة ؛ أو الغيبة انتهى . فهل لذلك علامةٌ تنبئ عن حصولهما ؟ !

فكتب في جوابه : العلامة حرارة القلب ، أو حصول الغيبة ، أو حركة القلب . انتهى .

مكتوب آخر لولده في مسّ الجبهة

وكتب إليه أيضاً ما حاصله : كنت قلتَ لي حين ذهابي إلى خالد سيف الله قدس سره بأنه يَحْسُن مني أن تَمَسَّ اليدُ الجبهة ، وأنا لم أدرك معنى هذا الكلام بعد ما تأمَّلتُ ! !

فكتب في جوابه : إن معنى مسِّ جبهة المريد بيد الشيخ الاستفاضة من يده المباركة ؛ أي : طلب نزول البركة من يد الشيخ إلى خزانة الخيال التي هي في وسط الجبهة . والسلام .

مكتوب آخر لولده في أدب الحضور مع المرشد

وكتب إليه أيضاً أيّده الله تعالى بالتوفيق ما حاصله : إلى الأب العزيز ؛ سيدي وسندي : سلام دائم عليكم :

---

(١) وفي نسخة : قدس سره ولده مسمَّى الريوكري رزقنا الله تعالى الاستقامة .

ما كيفيَّة قعود المريد بين يدي المرشد حين التوجه والاستفاضة ؟ وهل يحسن منه حينئذ حبسُ النفَس ؟ وهل إذا قرأ المرشد سلسلة المشائخ يقرأ هو معه ، أو يسكت ؟ !

كيفية المريد حالَ التوجُّه

فأجاب بقوله : يقف المريد قبالة الشيخ ؛ ملصقاً ركبتيه بركبتيه ، متوجِّهاً بقلبه إلى قلبه للاستفاضة ، سائلاً من الله تعالى إيصال الفيض من قلبه إلى قلبه ، قاصداً إزالة الظلمة من قلبه ، مجتهداً بهمَّته لجلب الفيض من حوض قلبه ، ساكناً جوارحه عن التحرُّك ، خارجاً عن اختياره ، فانياً عن مراده ، ولا يحبس نفسه ، بل يتركُه على حالته يدخل ويخرج ؛ بحيث لا يسمع الشيخ صوتَ نفسه ، ويكون المريد حينئذ كالميت بين يدي الغاسل ، يطلب الفيض بهمَّته ؛ كالعطشان يطلب الماء .

وأما قراءة السلسلة مع المرشد ! ! فمما لم يأمر به شيخنا ، **بل كنا نستمعُ إلى قراءته بالتواضع والتذلُّل** ، ويكفي للمريد الاستماع لقراءة المرشد .

هذا ، والسلام . علَّمك الله من العلم اللدنيّ . آمين . من خطه قدّس سرّه .

مكتوب في رابطة الميت

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه بعد كلام :

ثم إن ما كتبتَ في خصوص عدم جواز الرابطة بالميِّت منقولاً عن كتاب« التجريد » ، فأنا لا أدري ما العلة لعدم جواز ذلك ! بل الذي فيما عندنا من الكتب العديدة المعتمدة أن **الرابطة بالروحانية أولى** ، فراجع « مجموعة الرسائل » للزهدي .

ولم أرَ إلى الآن كتاب « التجريد » ! ! ولعلّ مؤلفه لم يدرك الحقيقة ! !

وأيضاً مما ينبغي أن يعلم أن مشائخ السلف لم يخلُ واحدٌ منهم عن الحُسَّاد ، لكنَّهم صبروا ، **وكذا ينبغي لنا أن نصبر على أذاهم** ، **ونكِلَ أمرهم إلى الله تعالى** ، فهو حسبنا ونعم الوكيل ، فإنه أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً .

ولقد أخبرني واحدٌ من مريدي شيخنا سيف الله : أن ولده حسين على قصد وصوله لدينا مع العالم المشهور عليَّ الغموقي ، **فيا ليته لا يأتينا ، فإن صحبته لا تسمن ولا تغني من جوع** ، ولكن الله تعالى يتوبُ على مَن تاب ، والله وليُّ التوفيق ، وبأمثاله تضيعُ الأوقات . انتهى .

لا بدَّ لكلِّ موسى من فرعون

ثم قال بعد كلام : والمقصود الصبر ، وتوكيل الأمر إلى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، **ولا بدَّ لكلِّ موسى من فرعونٍ ، ولكن الله غالبٌ على أمره** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ . . إلخ . انتهى .

وقد أخبرني سيِّدَوْ أنه لقي حاكمَ ولايتنا وحاكمَ أَوَارْ أَتَايُوفْ وسمع منهم ما يُهَدِّئ الخواطر ، والله سبحانه هو المتصرِّف وقلوبهم بيده ، ونرجو منه تعالى أنه لا يسلّط علينا جباراً عنيداً ، ولا شيطاناً مريداً ، فإنه على ذلك قدير . انتهى من خطه قدّس سرّه .

وذكر في هذا المكتوب أن اثنين ممَّن شربوا من شراب فضلات الوهابية حضرا لديه بمسائل وشُبَهٍ ؛ فأجاب عنها ، وحلَّها حلاًّ لطيفاً ، ورجعا بالاعتقاد وتركِ الانتقاد . هذا .

مكتوب في الرابطة وأثر الفيض

وكتب قدس سره في جواب مَن سأله عن الرابطة وأثر الفيض ما لفظه :

الرابطة : طلب الفيض من الشيخ ؛ أي : طلب وصول نور الذكر ونور المعرفة من قلبه إلى قلب السالك . فافهم .

وأما أثر الفيض ! فقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : أن الحرارة وارتعاش القلب هما من أثر الفيض ، وأثر الجذبة . انتهى .

وقت الوقوف للرابطة

وسئل رحمه الله تعالى عن مدَّة وقوف المريد حالةَ الرابطة ؟ ! فأجاب بقوله : يقفُ المريد حين يتصوّر[1] صورة شيخه **بقدر ربع ساعة إن وسع وقته ، وإلا!! فعلى قَدْر وسعه** . انتهى .

مكتوب إلى محمد عارف في وقت التوجه

وكتب إليه ولده[2] سمّي العارف الريوكري رجاه الله تعالى بلطفة السرمدي يسألُه عن حكم وجوب المريد قبالة المرشد حين التوجُّه وعدمه ، وعن زمن التوجُّه ؟ !

فأجاب بقوله قدس سره : يجوز استفاضة المريد من شيخه متى شاء بتوجُّه قلبه إلى قلبه مع الحضور التام ، وليس للتوجه زمان ولا مدَّة ، ولا تنقطع نظرات المرشد عن المريد المقبول حاضراً كان معه ؛ أو غائباً عنه ، ونظرة المرشد تكون على قدر نظر المريد . انتهى .

مكتوب في ترك السبحة لدى الشيخ

وسأله أيضاً عن حكمة منع المريد عن إدارة السبحة ؛ وهو لدى الشيخ ؟ ! فأجاب رحمه الله بقوله : لأن الموصل في هذا الطريق هو نفس المرشد ؛ لا نفس الطريق ، فإن الطريق مُمِدٌّ ومعينٌ له ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فالتوجُّه إلى قلب الشيخ والاستمداد والاستفاضة منه يكون أولى للمريد من الذكر ، وقد قيل : الرابطة ؛ أي : رابطة قلب المريد المبتدئ بقلب الشيخ للاستفاضة خيرٌ له من الذكر . انتهى من خطه قدّس سرّه .

---

(١) فقط ، لا مع ما معه من الاستغفار . . . وإلخ ، كما استشكله السائل . كتبه الفقير . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : المغترف من بحر المعارف صديقُ جامع هذه الرسائل (محمد عارف) . (من نسخة أخرى) .

تفريد التوجُّه

وكتب إليه أيضاً ما لفظه : إن **تفريد قبلة التوجه من شرط الإرادة** ، وتشتُّت الخواطر إلى الجهات ، وتفريق المحبَّة من علامة الإفلاس ، ومتى توجَّه الخاطر إلى غير موضع مجرى الفيض ينقطع الفيض بلا ريب .فافهم . انتهى من خطه قدّس سرّه .

التوجه حال قبض المرشد

وكتب قدّس سرّه ما لفظه : سألني الولد عن جواز توجُّه المريد إلى المرشد للاستفاضة حين علم أن الشيخ في قبض وفتور ، وعدمه ؟ ! فأجبته : نعم ؛ يجوز له التوجُّه والاستفاضة وإن كان المرشد في قبض ؛ لأنه قد يستفيض المرشد من المريد الصادق الذي استنار قلبه بنور الحضور كما يستفيض المريد من المرشد ، ويذهب قبضه بانعكاس بسط المريد إليه .

❊ وقد كثر من السواس – جمع سائس الدواب – تعليق حرز يشتمل على بعض آيات القرآن على الخيلِ رجاء الحراسة ، مع أنها تتمرَّغ في النّجاسة . وأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بأنَّ ذلك لا يجوز ، وهو بدعة وتعرُّضٌ للكتاب العزيز للإهانة . « معيد النعم ومبيد النقم » .عبارته للتاج السبكي ١٠١ . (من نسخة أخرى) .

❊ نعم العملُ القلبي ، لعدم تصوُّر الرياء فيه أفضل من غيره . « ابن حجر » عبارته . من باب صلاة النفل وراجعه . (منه) . **العملُ القلبي** : وهو الإيمان والمعرفة والفكر والتوكُّل والصبر والرضا والخوف والرجاء ، ومحبة الله ، ومحبة رسوله ، والتوبة ، والتطهير من الرذائل ، ونحو ذلك ، وأفضلها الإيمان ولا يكون إلاَّ واجباً ، وقد يكون تطوعاً بالتجديد .(كردي) .

❊ وللشيخ وقت يفني في المريد كفنائه في الشيخ ، وهذا دقيق فتأمله . من « مكتوبات » خالد سيف الله عبارته ١١٢ . (من نسخة أخرى) .

❊ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تفضِّلوني على يونس بن متَّى ، فإنه كان رفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض » ، قيل : ذلك هو التفكر القلبي في شأن الله تعالى وكمال عظمته وكبريائه وسبوغ نعمائه ، ولا يقدر أحد أن يعْمَلَ بجوارحه مثل ما عَمِل فيه جميعُ من في الأرْض . (شيخ) . انتهى من خط العالم المحقق الحاج عمر قاضي سبط العالم المحقق الشهير عمر العكلچي ، وهو من خط خاله قربان علي العكلچي ، ثم العشلطي . (من نسخة أخرى) .

وقد كان شيخنا العسوي قدس سره في قبض ومرض لا يطيق معه أن يتوجّه إلى المريد ، فأراد أن يتوجَّه إليَّ ؛ فقلت له : يا أستاذي ؛ لا تتوجّه إليّ لئلا يحصل لك المرض ، ويزيد فيك القبض ! ! فقال قدس سره : يا أخي ؛ يحصل لي المنفعة بتوجُّهكم . وأما التوجُّه إلى المريد الغافل ! فينعكس إليّ منه الغفلة على غفلتي .انتهى .

التوجُّه ليس أمام المرشد حصراً

ومما ينبغي أن يعلم أن التوجُّه لا ينحصر في الوقوف أمام الشيخ بإلصاق ركبتيه بركبتيه ، بل يجوز أن يتوجَّه كيف كان الشيخ ؛ في أمام أو خلف ، أو يمين أو يسار ، فإن القلب ليس له قفاء ، يجوز أن يتوجَّه إلى أيّ جهة .

وقد أخبرني الأخ الصالح محمد الهؤري رحمه الله تعالى أنَّ الأستاذ قال له : إنه دخل مرَّة لدى الشيخ أحمد التلالي قدس سره في وقت الصبح ، ووقف خلفَه بلا تكلُّم ، وتوجَّه إليه للاستفاضة ، ثم خرج من عنده بلا كلام أيضاً ؛ فقال له ضيفه : لا تذهب إلى أن تشرب الشاي ، فلم يقبل ؛ وإن ألحَّ عليه . فقال الضيف للشيخ أحمد : يا أستاذي إن عبد الرحمن أفندي لا يقبل السكون إلى أنْ يشرب الشاي ؛ فقل له : اُسكن . فقال الشيخ أحمد ما معناه : إنه عَلِمَ الأخذ وعلمتُ الإعطاء ، فاتركه يذهب لسبيله ؛ مع ما حصل له من المدد . انتهى .

وقد كنت أتوجّه إلى الشيخ حين يتكلم ، ولا أصرف عنه وجهة القلب . وكان قدس سره يتوجَّه إليَّ حين يتكلَّم الأغيار .

وقال لي مرة ما معناه : إذا كنتم على الحضور حين أتوجَّه إليكم تذهب منكم الحجُب ذهاباً وإياباً . انتهى من خطه قدس سره .

علامة وصول الفيض

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه بعد سلام وكلام :

وبعد : فقد كان شيخنا المرحوم العسوي قدس سره يقول : إن علامة وصول محمود أفندي قدس سره قبالة المريد ارتعاش القلب وحركته ، أو حصول الحرارة للقلب ، أو شمُّ رائحة طيبة ، وحصولُ هذه الأحوال هو المقصودُ الأهمُّ للسالك ، لما أن أخلاقه المذمومة لا تزول إلاَّ بنار تلك الحرارة التي هي أثر الفيض الإلهي ، والمدد الرباني ، ولأجل ذلك قالوا : **لا يشرب المريد الماء عقب الذكر** ، لئلا يزول به الحرارة الحاصلة من الذكر .

فالحاصل : أن اسم (الله) حارٌّ ، ولذا تحصُل الحرارة لقلب السالك ولطائفه ، وبها يحصل له الشوق إلى الله تعالى ، وهو المقصود الأعظم ، بيد أنه يخاف على المريد إن غلب عليه الحرارة من طروّ الحرارة إلى رأسه ، وحصول تغيُّر مزاجه بسببها ، **فيجوز لك تنقيص الرابطة** ، ولا تفعل الاستغفار في مكان واحد بل فرِّقه ؛ أعني : تفعل الاستغفار مائة مرة في وقت ، ومائة أخرى في وقت آخر وهكذا ، وقد كان شيخنا المرحوم يقول : **إن الاستغفار سبب لحصول الحرارة ، والصلاة على النبي ﷺ سببٌ لحصول البرودة** .

هذا ؛ والسلام .

مكتوب إلى صديق ولده في تعلم العلم

وكتب قدس سره إلى صاحب ولده مسمى الريوكري محمد عارف في تعلُّم العلم جواباً لكتابه إليه ما لفظه : وعليكم السلام . . . إلخ ، ثمَّ إنِّي فرحت بما كتبتَ إلينا من أن محمد عارف يلازم الدروس فرحاً شديداً ، ولعل ذلك ببركة صحبتكم ، وحسن تأديبكم ! ! فجزاكم الله عني وعن أهلي خيراً ، ولا لقيتَ بعد الآن ضيراً .

وأرجو منك ثم أرجو أن لا تقصِر في حقِّ تأديبه ، ولا تتركه[١] في البطالة والكسالة ، فإن « الدالُّ على الخير كفاعله » كما ورد في الحديث .[٢]

أعمال البر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وورد أيضاً : « ما جَمِيعُ أَعْمَالِ البِرِّ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ إِلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ » ، ثم إن أمر الرابطة فلك مني إجازةٌ وإذنٌ لفعلها ، وقد كنتُ قبل الآن أتفكَّر في حقِّك ؛ نظراً إلى ما رأيته في المنام ، وكنتُ أوَّلت رؤياك إلى حسن سلوكك في هذه الطريقة ، بيد أنِّي أظنُّ أن فعل الرابطة في كل يوم صباحاً ومساء يكفيك ! لما قيل : **إن الانتساب إلى النسبة العليَّة يكفيه فقط إن حفظه** ، ولا أزيدك عليها ؛ لأن الزيادة تضرُّ التعلم والتعليم . هذا ؛

الرابطة والذكر مع الحدث

وكتب قدس سره - جواباً لمن سأله عن حكم جواز الرابطة والذكر مع الحدث وعدمه – ما لفظه : أما فعل الرابطة بغير وضوء ! ! فقد قلتُ لأستاذنا

---

(١) ولا تذَرْه يتعاطى ما يلومه الناس من الدوران إلى بيوت الأغيار ، خاصة إلى بيوت المريدين ، وقل له : إن أمثال ذلك تذهب المروة وتحط من قدرك وقدر أبيك . . . وهكذا . ولكم مني ومن أهل بيتي ألف ألف شكر ، فإنَّ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والسلام . انتهى من رسالة أخرى إليه أيضاً . (من نسخة أخرى) .

(٢) (**آمراً بالمعروف**) : الشامل للإيمان ، وقول الحق ، ومكارم الأخلاق ، وصلة الرحم ، (ناهياً عن المنكر) : بحسب قدرته مع الأمن على نفسه أو على ماله ، أعلى ذلك إزالته باليد ، وأوسطه باللسان حيث عجز عن الأول ، وأضعَفه بالقلب حيث عجز عنهما ، وذلك إذا كان المنكر مجمعاً عليه أو اعتقد الفاعل تحريمه . أفاد ذلك الرمل ، (سارعاً في الخيرات) أي : مبادراً وسابقاً إلى أدائها ، (ملازماً للعبادات) ؛ أي : مداوماً على طاعة الله ، فالمداومة عليها تسمَّى بالاستقامة ، (دلاًّ على الخير) أي : مرشداً وكاشفاً عليه ، قال عليه السلام : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم عن ابن مسعود . وقال أيضاً : « الدال على الخير كفاعله » ، أخرجه البزار وغيره من « مرقاة صعود التصديق في شرح سلم التوفيق » . عبارته ٦٠ . قوله « الدالّ على الخير كفاعله » أي : في حصُول الأجر له ، لكن لا يلزمُ منه التساوي في المقدار . « مناوي » .مدابغي عبارته . (من نسخة أخرى) .

قدّس سرّه : إني أكون في أوقات على حالة لا أقدر معها على المحافظة على الوضوء ، فهل يجوز فعلها على غير وضوء ؟ فقال رحمه الله : لا تأذن لأحد في فعلها مع الحدث ؛ وإن فعلتَ ذلك . انتهى .

وأما المنقول ! ! فالجواز كما يُفهَم من عبارة الزهدي ، ومما وقع للصدِّيق الأكبر رضي الله عنه من أنه كان يستحي عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لعدم انفكاك صورته الشريفة في الخلاء .

وأما جواز الذكر مع الحدث ! ! فمما لا يخفى ، فقد قال الإمام الربَّاني قدس سره ؛ ويشتغل بالذكر بالوضوء ، وبغير الوضوء ؛ قائماً وقاعداً ، ولا يخلو عنه في مجيئه وذهابه ، ووقت أكله ونومه . . . إلى آخر ما قاله رضي الله عنه . انتهى .

الرابطة والذكر من الحائض

وكتب قدس سره في جواب مَنْ سأله عن حكم الحائض ؛ ما لفظه :

الحائض تفعل الذكر ؛ ولا يكره لها ، وكذا الرابطة ، لكن لا تقرأ شيئاً من القرآن ، بل تفعل مجرَّد التخيُّل بأن الشيخ واقف قبالتها ، وتستفيض منه ؛ هكذا سمعته من شيخنا قدس سره . انتهى .

وكتب قدس – في جواب من سأله عن حكم التأدُّب مع المأذون ، وعن زمن الصحبة . . . وإلخ – ما لفظه :

ويجبُ على المريد أن يتأدَّب [مع] المريد الذي أقامه خليفة ومأذوناً كما يتأدَّب [مع] أستاذه بلا فرق ، كما هو مذكور في « الخالدية » ، فراجعها .

من آداب الصحبة

وأمَّا زمن الصحبة ! ! فبقدر ما يأخذ الفيض ، ولا يطوّل الوقوف عنده ، والذهاب للزيارة ينبغي أن يكون في مدَّة أربعين يوماً مرَّة ؛ على ما قالوا : إن صحبة واحدة مع الشيخ تعدل بأربعين يوماً من الخلوة ؛ كما هو مذكور في ذيل ترجمة « الرشحات » . انتهى .

مكتوب في اعتذاره عن رعاية المريدين

وكتب قدس سره ما لفظه : من حسن إلى إخوانه المعنويين ؛ السلام عليكم ؛

اعلموا أنّ التَّوجُّه وإلقاء الجذبات إلى قلوب المريدين مما لا يمكن إلا في حالة البسط ، ومن المعلوم أن البسط والقبض يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، وأني الآن في قبض شديد لا أكاد أعرف معه أحوال المريدين ؛ ولا ينعكس عليّ من قلوبهم أثر ما من أحوال بواطنهم ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فمجيئي لديكم أراه مما لا فائدة لي ولكم ، فعَدَم المؤاخذة والعفو والصفح مطلوب منكم ، وأوصيكم ، ثم أوصيكم بالمداومة على الذكر ، وطرد الغفلة ، وعدمِ إذهاب الأنفاس النفيسة عبثاً ، فإن نَفَساً واحداً بالحضور مما لا يساويه الدنيا وما فيها ، ولو كان للأموات إمكان للرجوع إلى الدنيا للتنفُّس بالحضور مرَّة واحدة ؛ لاشتروها بملء الأرض ذهباً ، ودخلوا في دائرة قوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ وفقنا الله وإياكم للاستقامة . آمين ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب في تجلّي الشيخ بصفة عن الله تعالى

وكتب قدس سره إلى ولده أيده الله تعالى بالتوفيق ما لفظه : ومما ينبغي أن يعلم أن الشيخ قد يتجلّى باسمه تعالى المنتقم والقهار ، فيتَّصف حينئذٍ بتلك الصفة ، فإن رأى المريد من شيخه أثر القهر والغضب والانتقام يلزمه أن يخاف مِن أن يترشَّح منه أثرُ ذلك ، فيستغفر الله تعالى فوراً ممَّا صدر منه ؛ من تركِ مأمورٍ به أو فعل منهي عنه ، ويتذلَّل بين يدي الشيخ ، ويطلب منه التسامح والتجاوز ، وقد رأيتُ في كتاب : أنَّ من فني في اسمه (القهَّار أو المنتقم) ؛ لو نظر في تلك الحالة إلى أحدٍ بالغضب لهلك والعياذ بالله . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوبه للقاضي الهؤري

وكتب رحمه الله تعالى إلى العالم القاضي إبراهيم الهؤري رحمه الله كتاباً ينبئ فيه عن صحة حاله مع أهل بيته وأولاده . . .وإلخ . وكتب في آخره ما لفظه :

بيد أن أوقاتي ضائعة وأنفاسي عاطلة ، وأحوالي ذاهبة ، وأنَّ نفسي لأمارة بالسوء ، خوَّانة لربِّها ، غدَّارة لمشائخها ، فما بقي لي إلا التعلُّق بأذيال أمثالكم ، والالتجاء إلى أبواب الإخوان والخلاَّن ، فأتوقَّع منكم العون والنصر والدعاء بالتضرُّع والابتهال ، لعلَّ الله سبحانه وتعالى يرحمني ويوفِّقُني ويسدِّدُني ، ويقيمني على جادّة الاستقامة بدعواتكم وتضرُّعاتكم .

واعلم يا أخي ؛ أني في دائرة آية ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣**﴾ ، ولا أدري شيئاً ما أشدَّ وأضرَّ وأخوفَ وأخشى مما أنا فيه !! فلعلَّكم أن تلاحظوني بدعواتكم ، ولا تنسوني في توجُّهاتكم ، ولا يخفى عليكم ما كنا عليه قبلُ ؛ من المودَّة والمحبَّة والخُلَّة والصداقة ، **وأكثر ما يحتاج الإنسان إلى الإخوان عند زلَّة الأرجل والأقدام ، والوقوع في الشدائد والنكبات** ، والسلام .

مكتوب في خطر أهلية الطريقة

وكتب رضي الله عنه إلى بعض إخوانِهِ هذه الرسالة :

وعليكم السلام أيها المحبوب ؛ **اعلم أيها الأخ** ؛ أن الهالك من المنتسبين إلى الطريقة أكثَرُ من الناجي ، وأن الناس يثبون إليها وثبةَ الطيور إلى أوكارها ؛ ولا يدرون ما سيحلُّ عليهم من الطرد بسبب ترك الأدب ، وقد قال شيخنا الحسيني قدس سره : إنه لم يندم قطُّ أكثر من الوقوف على باب المشائخ . وذلك منه لما يعلم أن الهالك بهم أكثر من الناجي كما مرَّ ، وقد رأيت في الكتب : أن العارف لا يكمُل حتَّى يقتل من . . . إلخ بعدد شعر رأسه !! انتهى .

أيها المحبوب؛ لو كان الأمر بيدنا لتصرّفنا في أهلنا وأولادنا أوّلاً، وأنت لا يخفى عليك ما قال الله تعالى في كتابه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾، وقد كان شيخنا العسوي قدس سره يقول: إني كالوادي الذي يُطرح إليه كلُّ خبيث.

أيُّ رجل جاء لديّ بعد ذهاب الحاج أُذُنْ، ومَن الذي قلت له ذلك القول الذي لا يقوله صبيٌ عاقل، فهلا لا يقولون شيئاً يذكرونني بالنقير والقطمير، فإن القول الذي نُسب إليَّ يطير إلى الأطراف سريعاً طيرانَ الطير في الجوّ والهواء، فماذا أفعل أيها الأخ؟! وإلى أين أهرب مِن ضرر المريدين؟!. وقد قال لي شيخنا العسوي قدس سره: إنَّ مريداً جاء لديه لأخذ الطريق، وحين يذهب راجعاً وجد في الطريق غنماً فذبحه، وأخذ لحمه، وذهب إلى بيته. فانظره أيها المحترم؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ثم السلام منا على جميع أهل بيتكم، وأوصيكم بالوعظ للمريدين، والتذكير لهم، وعدم التفوُّه بأمثال هذه المقولات المزوَّرات، وليعلموا أني أذوب بأمثال هذه الأقوال كما يذوب الرصاص في النار.

حبُّ السكوت

والذي أحبُّه أن يُؤدِّيَ المريدون أورادَهم اللازمة عليهم، ثم السكوت عن القيل والقال، فمن لم يحفظ لسانه مثالُه كمن نصب منجنيقاً؛ ورمي حسناته به شرقاً وغرباً، فيجبُ عليهم التفكُّر فيما يحلّ عليهم؛ فهذا والسلام من طرف الداعي لكم بالخير حسن القحي، من خطه قدس سره.

مكتوب في تجرُّده عن نفسه

وكتب قدّس سرّه إلي إخوانه ما لفظه: اعلمو أيها الأحباب؛أنّ ما يكون منّي من التصرُّف إن كنت أهلاً له كما تظنُّون كذلك؛مع أني عن هذا المنصب خالٍ يكون مني إن شاء الله تعالى، **ولو كنت في البيت** بعد علمي بحقيقة

الحال ؛ لو وافقت مشيئة الله تعالى مشيئتي وإرادتي ، ومن المقرّر في كتب أهل التصوّف أن الأمر تابعٌ للاعتقاد ، وحديث : « لَوْ اعتَقَد أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَهُ » معلوم لديكم ؛ والله وليّ التوفيق .انتهى حسن قدّس سرّه .

وعلق عليه شيخنا العالم العارف الحاج رجب الأواري رحمه الله أن الأستاذ بركة الوقت **حميد أفندي** حفظه الله قال :لا يكون منّي تصرف لأحد ؛ولو هو عندي ، إذا لم يكن منه صدقٌ إلاّ يسيراً بالتكلُّف . انتهى من خطه قدّس سرّه .

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج محمد اللِخي الهدلِي وعليكم السلام . وعليكم السلام . وعليكم السلام ؛ أيها الأخ محمد قاضي كنوخ ؛ جعل الله سبحانه هذه الدنيا الدنيئة حقيرةَ المقدار ،عديمة الاعتبار في نظر همَّتكم ،وجعل جمال الآخرة محلًّى مزيَّناً في مرآة بصيرتكم بحرمة سيِّد البشر المطهَّر عن زيغ البصر عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ، ومن التسليمات أكملها ،وقد وصل مكتوبكم الشريف . . .إلخ .

والنصيحة التي ينصح بها المُحبُّون والمخلصون : هو الترغيبُ في السعي والاجتهاد في تحصيل الإقبال بالكلية إلى جناب قدسه تعالى ، والإعراض عما سواه عزَّ وجلَّ ، ومن المرجوِّ من جنابكم أن لا تتساهلوا في الرابطة والذكر ، وأن تدوموا على نصيحة رعيَّتكم ،و الوعظ لهم بما هو لائق بهم وبحالهم ، وأن تحثُّوهم على فعل الطاعات والعبادات ، وأن تجتهدوا في إقبال على الدروس ، ومطالعة الكتب والطروس ، فهذا هو الأمر المرضيُّ ، والباقي عبث . **فافهم** واجتهد ، ودُمْ ولازِمْ ، واسْعَ في تحصيل زيادة المحبة في الطائفة النقشبندية ، واطلب الإمداد والإعانة من حضراتهم ؛ فهذا والسلام .(حسن القحي) .

مكتوبه إلى قضاة لإحياء السنة

وكتب قدس سره إلى بعض القضاة : وعليكم السلام . . .إلخ .

ثم اعلم أن من أوجب الواجبات علينا وعليكم أن نداوم على الحضور بقدر الطاقة ، وأن نجتهد في إحياء السنة السنيّة على صاحبها الصلاة والسلام

والتحية ، وأن نرى حقارة هذه الدنيا الدنيئة ، ونسعى في عمارة الدار الباقية ، ولا يخفى عليك أيها الأخ المحبوب ، والخليلُ المرغوب : أنَّ الأنفاس معدودة لا تزيد ولا تنقص ، وهذه الدار مزرعة الآخرة ، وأن مَن تعطَّل في أيام الزراعة يندم أيام الحصاد ، وقد قال تعالى ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ ، وقال تعالى أيضاً في حق الرزق والنفقة ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ ، **فالسعي والاجتهاد في طلب ما ضمن الله تعالى ، والتعطيلُ والفتورُ في طلب ما وُكِل إلينا من أعظم الحماقة** ، ولقد علمتم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل الطاعات ، وقد وُلِّيتم اليومَ على منصب القضاء ، ووضع الله تعالى على رأسكم تاجَ الإمارة ، فينبغي لكم أيها المخدوم الكريم أن تجتهدوا في الوعظ والتذكير أيام الجُمع والأعياد ، وأن تحث الناس إلى اتباع الشريعة والحقيقة ، وإحياء السنة السنيَّة ، وأن لا تعلّلو بأن أبعاضاً منهم لا يأتمرون ولا يمتثلون بأوامركم ، ما علينا إلا البلاغ ، على أنَّ **مثل الوعظ كمثل البذر** ، **فما وقع منه في أرض طيبة ينبت ، وما لا ! فلا** ، وكذا لا بدَّ للبذر المطروح من السقي والمطر ، بل المطرُ ينفع المطروح ؛ ولو وقع في أرض سبخة . فافهم وأفْهِم ، وكن آمراً وناهياً ؛ لعلَّك تجني ثمارها اليوم وغداً ! ! ولا حول ولا قوة إلا بالله . فهذا والسلام من أخيكم الداعي لكم بالاستقامة : (حسن القحي) ، وأوصيكم . . .إلخ .

مكتوب اليعسوبي لشرح بعض كلام الصوفية

وكتب إليه ولده المعنوي اليعسوبي قدس سرهما أنه يشكل عليه كلامُ أئمة الصوفية الذي يُورده بعدُ نقلاً عن عيون الكتب ، وذلك أن في كتاب « الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية » ما نصُّه : وقد يختلف التعليم باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح انتهى . قال رحمه الله : فكيف هذا الاختلاف ، وكنت سمعت مثل هذا من بعض المتشيخين في معنى قول الصفدي قدّس سرّه :

إن الحكيم الذي يعطي لكلِّ مقا ... مٍ مـا يـلـيق به من غير خلطات

انتهى .

وأيضاً في كتاب « درر الغوَّاص » ما نصُّه : وسألته ﷺ : هل يصح للذاكر الإقبالُ على الحاضرين ومكالمتُهم ، ويكون مع ذلك حاضراً في عالم الباطن كحضوره في خلوته ! ؟ فقال : لا يصحُّ ذلك لمبتدئ ولا منتهي . .إلخ .

فهذا القول يخالف ما عليه ساداتنا ومشائخنا النقشبنديون ؛ من أن الشيخ يكون كائناً بائناً ؛ عرشيّاً فرشيّاً ، ظاهرُه مع الخلق وباطنُه مع الحقِّ ؛ لا يشغله أحدُهما عن الآخر ، وقد قالوا : إن السالك إذا ارتقى إلى درجة فناء الفناء التي هي عينُ البقاء يكون دائميَّ الحضور ، كما هو نتيجة المراقبة الأقربيَّة ، كما سمعته منكم ! ! ؟

وذكر في الكتاب المذكور أيضاً أنه سأله ﷺ عما يفعله المشائخ ؛ من ترتيب الأوراد للمريدين ؛ هل هو مذهبُكم ؟ فقال : لا ، ذلك مما أكرهه ولا أقول به ، لأن الأوراد تصير حينئذٍ بحكم العادة يمرّ الإنسان عليه بحكم الغفلة والطبع . انتهى من ص ٨٠ .[1]

وهذا القول منه قدس سره يخالف ما عليه عمل مشائخنا النقشبندية والشاذلية في رأينا الفاتر ! ! انتهى .

---

(١) ويقول في الروح : أفضْ عليَّ من فيض التجليات الصفاتية الثبوتية الذي وصل من روح نبينا ﷺ إلى روح سيدنا نوح ، وسيدنا إبراهيم عليهما السلام ، جاعلاً روحه في مقابلة روح سيدنا محمد ﷺ ، وهكذا في البواقي ، ويجعل في تلك المراقبة لطائف المشائخ كالمنظرة . من ذيل « الرشحات » المسمّى بـ« النفائس السانحات » من الهامش عبارته ٢٠٩ . (من نسخة أخرى) .

جوابه عن اليعسوبي

فكتب قدس سره في جوابه قوله : (وقد يختلف التعليم . . .)إلخ هكذا بهذا اللفظ كتبه إلينا سيف الله قدس سره ، ولعلَّ المرادَ منه أن قاعدة سائر الطرق الجهر ، فإذا اختلفت قوانين الأقاليم يأمره الشيخ بالإخفاء ، ويجوز أن يكون له معنى آخرُ لعللٍ مثله . والله تعالى أعلم .

وقوله : (لا يصحُّ ذلك لمبتدئ ولا منتهي) . . .إلخ ! ! معناه ظاهر يفهم من حديث : « لي معَ الله وقتٌ لا يسعني فيه غير ربي » فإنَّ المبتدئَ والمنتهي لا يقدران على خلوِّ ذهنهما من غير الله مع الجلوة ، كما يقدران في الخلوة ، بل المنتهي يكون حاضراً بالله لا يغفل عنه ؛ وإن كان مع الخلوة ، بل يقدر أن يجمع بين الخلق والحق . وأما في الخلوة ! ! فلا يشتغل بغير الحق تعالى . فافهم ، وتدبَّر .

قوله (يخالف ما عليه مشائخنا النقشبندية) . انتهى . وأظنُّ أني نقلته في « التنبيه » لأجل المعنى المراد منه ، ولا أعلم في الحال تعيينَ موضعه ، ولم تكن عادةُ النقشبندية العدد في الذكر ، وطرح السبحة في الزمن الأوَّل ، لكنهم عيّنوا ذلك نظراً إلى اختلافِ أحوال الأقاليم وأهلِها ؛ كما هو مذكور في تأليفاتي ؛ نقلاً عن « ذيل ترجمة الرشحات » . فافهم ؛ والسلام .

مكتوب محمد رسول النهري

وكتب قدس سره إلى العالم محمد رسول النهري : إلى ذلك الولد من الرضاع المعنوي القاضي محمد رسول ؛ السلام عليكم . . . وبعدُ . . .إلخ ، ثم اعلم يا ولدي أنك في الحال بمقام يغبطه العلماء العارفون ؛ وهو التمكين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكيف لا ؛ وقد قال النبي ﷺ « مَا جَمِيعُ أَعْمَالِ البِرِّ والجِهَاد فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الأَمْرِ بالمَعْرُوف والنَّهْيِ عَن المُنْكَرِ إِلاَّ كَنَفْثةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّي » ! ! ولذلك أوصيك بالقيام حسب الطاقة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لتحوز تلك الدرجة العالية .

وأيضاً أرى الخير في ترغيب المريدين في الاجتماع بمجلس الختم والصلوات ، فإن القلب والتراب على حدٍ سواء ، ونحن نرى أنه لو لم تمطر السماء على الأرض لا ينبت عليها الزرع والنبات ، وإن أمطرت ؛ ولو مرة في الأسبوع نبتت ، **وكذا القلب إذا سقي بمطر الفيض والبركة والرحمة التي تحصل في مجلس الاجتماع يحصل له الحضور ، وينبت عليه نبات الجذبة وأزهار الأخلاق المرضية ، وإلاَّ فيقسو ، ويغفل عن الله تعالى** ، ويولي عنه الأدبار ، وفي الحديث : « المَجْلِسُ الصالحُ يُكَفِّرُ عَن المُؤْمِنِ أَلْفَي أَلْفَيْ مَجْلِسٍ من مَجَالِسِ السُوء » . « إحياء » .

وفيه أيضاً : « إنَّ أَهْلَ الذكْرِ لَيَجْلِسُون إلى ذِكْرِ اللهِ تَعالى ؛ وإنَّ عَلَيهِمْ مِنَ الآثَامِ مِثْلَ الجِبَالِ ، وإِنَّهُمْ لَيَقُومُونَ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَيءٌ »[1] . . . ، وأمثال هذه كثيرة وأنت أيها الولد تحثُّهم على الاجتماع ، وترغِّبهم في المواظبة والملازمة على الأذكار والصلوات . ومن المعلوم أن « الدالّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِه » ؛ كما ورد ، و« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا » ونحن نحتاج بلا ريب إلى إمداد أمثالكم ، كيف لا ؛ وقد قال تعالى لسيد البشر عليه السلام ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **فإذا وعظ للمريدين أمثالكم يلازمون الأوراد ؛ ولا يتركونها** ، ففي ذلك إمداد وإعانة لنا وللمشائخ ، وفي ذلك خير كثير ، وثوابٌ جزيل للفريقين بلا ريب ، وإن قرأتم في مجلس الختم والصلوات هذه الصلاة ؛ ولو عشراً ففي ذلك ثواب عظيم ، كيف لا ؛ وقد قيل : إن مَن قرأها ولو مرة في عمره لم يدخل النار ، وهي : اللهم ؛ صلِّ على محمد الفاتح لما أُغلِق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم . فهذا . والسلام . انتهى من خطه .

---

(١) رواه أحمد ؛ في الزهد ؛ عن ثابت البناني . « خلاصة الآداب » . (من نسخة أخرى) .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب إلى اليعسوب قدس سره : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب ؛ أزيدَ مما أرسلتم إلينا بألوف ، فلقد فرحتُ بسماعِ خبركم ، وشكرتُ الله تعالى على ما وفَّقكم ، بَيْد أنَّ خبر الأهل والأحباب ساءني ، ولا عَجَبَ ، ففي الحديث :

« مَا مِنْ عَامٍ إلاَّ وَالذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ » ، وفيه « مَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ زَمَانكم فبما غَيَّرْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ » ، وفيه : « أَعْمَالُكُمْ عُمَّالُكُم » ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فالدعاء بإصلاح الأعمال والتوفيق لامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي أولى وأحسنُ ، والشوقُ لرؤيتكم أزيدُ مما فيكم ، بَيْدَ أن ملاقاة الأرواح أولى بنا ، لأنَّا في أَعْذارٍ معلومةٍ ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وادع لنا وللمسلمين بالاستقامة ، ولازم على مراقباتكم ، وقراءةِ أحزابكم ، ونحن بحمد الله في صحَّة ، والسلام ، والوصية بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر يعسوبي

وكتب إلي يعسوب قدس سرهما : واعلم أن كثيراً من الواردين يضيّعون أوقاتنا ؛ لا لنا ولا لهم ، فالحذرَ الحذر من الجواسيس ، فالله خيرٌ حافظاً . . . إلخ ، والمسامحة في المواظبة على المراقبات من وظيفة الحقير ، فإيَّاك ثم إيَّاك أن تكون مثله ، ولا تَثِقَنَّ بأحد لا يمتثل أمر الخالق ؛ ولو كان قريباً أو صديقاً ، ولاطِفْ مع كلِّ واحد ، ولا تحسد ، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ . الآية ، إياك وإياك ومخالفة أولي الأمر في القول والعمل ، ولا تنسَ الحقير الفقير في الدعوات ، حفظنا الله . . . وإلخ من البليات الباطنية والظاهرية . آمين ، والسلام ، والوصية بالدعاء . انتهى .

جواب اليعسوب

وكتب إليه ولدُه المذكور اليعسوب العسوي يشكوه من عدم علم أحواله ، ويبدي شوقه إلى لقائه ، وأنه ينعدم بسطُه ، وينطبق قبضه ؛ ويقول في نفسه : هل إلى سعاد من سبيل ! ! ويا ليت الأيام التي مضت تعود ، ومن جملةِ ما كتبه ما لفظه :

وفي بعض الوقائع نطَّلع على الوقائع الغريبة التي تبيّن أحوال العصر ، فهي من بركات أنفاسكم ، بَيْد أن الحقير معذور عن البيان بما نرى ، ولأجله لم أبُحْ . انتهى ، فكتب في جوابه :

وعليكم السلام . . . إلخ فبرؤية خطّكم وعلم أحوالكم بسطنا ولله الحمد ، وليس الخبر إلاَّ خيراً ، والقوم الذين هم حوالينا لا نرى منهم إلاَّ الخير ؛ قولاً وفعلاً ، ولله الحمد على كلِّ حال وفي كل حين ، ولو أنك تكتب إلينا الوقائع المرئية ؛ لكان خيراً .

هذا ، وندعو لكم بالاستقامة ، والحفظ من البلية ، بيد أن الوساوس الشيطانية قد تطرأ ، مع أن الله تعالى قال ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ الآية حفظنا الله وإياكم من فتن العصر ، ولنصبر ، فإن مع العسر يُسْرَيْنِ ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ، وهو على كلِّ شيء قدير ، والسلام ، والوصية بالدعاء . انتهى .

مكتوب حميد أفندي

وكتب قدس سره : إلى أستاذنا أبي الفضل حميد أفندي ونوَّر الله قبره وقدّس سرّه ؛ وعليكم السلام ؛ أيها المحبوب المقبول أزيد مما أرسلتم إليَّ ألفَ مرة ، فأنتم أيها المخدوم تعلمون ما في قريتكم ، وأما نحن فقد تركنا الجمعية منذ زمان ؛ خوفاً من شؤم المعاندين ، فما ذا نفعل ؟ إنَّ هذا آخر الزمان ! ! ولا نجد من يُمدُّنا إلا قليلاً .

مداراة أهل العناد

ويجوز لكم أن تقرأوا الصلاة والختم فرادى في بيوتكم إلى أن يفتح الله تعالى باب الصلح بيننا وبينهم ، **وأنت تجتهد بقدر الطاقة لإلانة القول مع أهل العناد ومداراتهم باللسان** ؛ والسلام .

مكتوب إلى عمر الأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج عمر الطبيب الأواري رحمه الله تعالى :

من حسن إلى أخيه المحبوب الحاج عمر : السلام عليكم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فنسأل الله تعالى لكم العفوَ والعافية والاستقامة الكاملة ، أدامكم الله تعالى على ذكره وفكره ومراقبته ، ولا جعلكم من الغافلين والمدبرين عن حضرة جلاله وجماله . آمين .

البعد عن الناس أنس والقرب فرقة

وأما أمر الوقوف في العزلة ! ! فموكولٌ إليك ، والبعد عن الناس مما يوجب الأُنس بالله ، والقربُ منهم سببُ التفرقة ، كما هو مشاهد معلوم لديكم . ولا يخفى عليك أن أحوال الزمان صارت هكذا ، فقد عمَّت البلايا على عامَّة الخلق ؛ كالطوفان ، ووصلتْ أسباب الفتن إلى الأبواب ، **فلا أرى العلاج للخلاص من هذه المصائب والفتن إلاَّ الدخول** في دائرة قوله عليه السلام : « فَعَلَيْكُمْ بِخُوَيْصةِ أَنْفُسِكُمْ » وأنت تكون على الأدب والحضور بقدر الطاقة ، ولا تنسني في دعائك . فهذا ؛ والسلام على جميعكم .

مكتوب آخر إلى الأواري

وكتب قدّس سرّه إلى العالم الفاضل المأذون الحاج عمر الطبيب الأواري رحمه الله تعالى :

إن المصلحة في الخمول وترك الإظهار والشهرة في كل أمر ؛ نظراً إلى حال العصر وأهله ، وكذا الموافقة في أيّ شيء مع الحكماء والأمراء ، وقبول أوامرهم الغير . . . إلخ ، والخوف مما خوَّفَه الله منه خوف من الله ، وقد سترت في قعر بيتي منذ زمان ، فإن الوقت ليس وقت العلانية والشهرة :

الشهرة آفة وكلٌّ يتمناها   والخمول راحة وكلٌّ يتوقاها[1]

قولٌ معروف ، ولا تثقنَّ يا أخي بأحد ، ولعلك لا تجد واحداً من ألف ، ولا تبدّل ذكراً مّا فوق القلب ، فقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : يكفي لأهل ديارنا ذكرُ القلب . **فالحاصل والمراد** : الحَذَر الحذر ، وقد قال تعالى ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ الآية ، والحذر لا يكون إلا بتعاطي أسبابه ، فتوكَّل على مسبِّب الأسباب بعد ارتكاب الأسباب ، وقد قال يعقوب عليه السلام ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية . هذا والسلام .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب إلى اليعسوبي قدس سرهما : إن أمر اللقاء سرّاً هو المحبوب عندي ، بيد أن ذلك مخْطِر ، كيف لا والجواسيسُ محيطون بنا ؟ ! اللهم إلاّ إن لم تقدر على الصبر ؛ فلك الحضور ليلاً مع صحبة واحد من الأصدقاء الذين لهم أمانٌ من إفشاء السر ، وأرسلوا إليّ محمَّد أمين ؛ ليعلمني حضورَكم ، فإن شاء الله تعالى نجتمع ، ونتوكَّل على الله ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم . انتهى .

مكتوب استئذان زيارة

وكتب قدس سره إلى من استأذنه في الزيارة أيام ضغطة الحكومة عليه وعليَّ . . . إلخ : بعد سلام وكلام ما لفظه :

لا يضرُّ بُعْدُ الأشباح

غلقنا بابنا منذ سنين ، ولا يخفى ذلك على أحد ، لكن لا **يضرُّ بُعْد الأشباح مع قرب الأرواح** . أعاذنا الله تعالى من بُعْد الأرواح ، ولا حَرَمنا من ملاقاة الأشباح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى من خطه قدس سره .

---

(١) يتولاها علّه هما صحيحان عند الفقير فتأمل « جامع الرسائل » عفى الله عنه . (من نسخة أخرى) .

وكتب قدّس سرّه في جواب نظير السؤال المذكور ما لفظه : باخ ، ثم إني أرى المصلحة في الصبر ، فاصبر أنت ، وقل لغيرك يصبر ، فالتقرب بالروح يكفي إن شاء الله تعالى . انتهى .

لا ينفع حذر من قدر

وكتب قدس سره أيضاً بعد السلام : أما بعد ؛ فرؤيتكم ولقاؤكم عندي من أهمِّ الأمور ؛ كما هو مأمولكم ، بيد أن الجواسيس علينا وعليكم محفوفون من كلِّ جانب ، ولأجل ذلك نكون حذرين مستورين في قعر البيوت ، ولكن في الحديث « لاَ يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ » .

الأسباب لا تضرُّ بالتوكل

ومن عدم توكلنا على الله ، وعدم ثقتنا بالمقدور المقدَّر صرنا هكذا ، وإن كان ارتكاب الأسباب لا يضرُّ في التوكُّل . كما هو مأخوذ من آية ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ . . . إلخ ، نسأل الله تعالى الحفظ والحماية . آمين انتهى .

مكتوب آخر

وكتب أيضاً : وعليكم السلام ، فليس الخبر من كلِّ جهة إلا خيراً ، ولعل الله تعالى يحدث بعد هذا خيراً ، فإنه كريم رحيم حليم ، نرجوه أن لا يَكِلَ أمرنا إلى أحد من خلقه ، وأفوِّض أمري إلى الله ، وحسبنا الله ونعم والوكيل ، كهيعص كفايتنا ، حمصق حمايتنا ، يا عزيز يا حميد ، يا ذا العرش المجيد اصرف عني شرَّ كلِّ جبَّار عنيد . آمين . انتهى .

مكتوب العسوي إلى شيخه المؤلف

وكتب إليه ولده الروحي المعنوي الأستاذ محمد العسوي رحمه الله تعالى ما حاصله :

إلى والدنا وأنيسنا ومنقذنا من موبقات الدهر ومنكرات الأعمال ، محبوبنا وشيخنا الحليم حسن أفندي الأويسيّ المجدّديّ . . السلام عليكم وعلى . . إلخ ، وأدامكم الإله على البقاء التام بعد الفناء العام .

أما بعد : فإن الشوق إلى اللقاء قد بلغ إلى منتهاه ، وصارت الروح لا ترتاح إلاّ برؤية محبوبها بعين الرأس ، وقلقلت الأعضاء بنفاد الصبر عن تأخُّر وصولها إلى مأمولها ، وآلَ أمر الفؤاد إلى القبض والكدورة ، بحيث لا ينبسط إلا بالاجتماع بأنيسه بالأشباح ، **وإن كان الاجتماع الروحيّ أحرى وأقوى ، وآكد وأدوم** ، حتى صار شرح حاله الدعاء بما في قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ . . إلخ ، فالإجابة الإجابة ؛ يا أستاذي ، والعجلَ العجل يا ملاذي ، ومع ذلك لي أمورٌ لا بدَّ أن أراجعكم فيها شِفَاها ، وهذا يا روحَ حياتي ؛ وإن أكّدت وكرَّرت القولَ فيه كَرَّاتٍ إنما هو إبلاغُ إجمالِ حالي إليكم ؛ رجاءَ وصولي إلى المثول بين يديكم ، فإن الحقير أسيرُ وُدِّكم ، فهو لا يقدر أن يصبر على بُعْدِكم ، وحاشاني أن أردَّ أمركَم أو أعاكس مرامكم ، بل غاية أمنيَّتي ونهاية سؤلي بخلوص نيَّتي أن تأخذوا مفاتيح أمورنا وأموالنا إلى أيديكم ، وتتركونا مسلوبي الاختيار حتَّى عن النفس ، كما مَنَّ الله تبارك وتعالى به على هذا الحقير أوَّلَ دخوله في طريق القوم ، والحمد لله على ذلك ، وعلى جميع نعمه . هذا ؛ والسلام وأوصيكم ثم أوصيكم بالدعاء .

جواب المؤلف للعسوي

فكتب الشيخ الأستاذ قدس الله سره في جوابه ما لفظه : وعليكم السلام . . . إلخ . .

وبعد : فإني أرى المصلحة في تأخُّرك عن الزيارة ومنعك غيرك منها إلى أن يفتح الطريق . . . وإلخ ، اللهم ؛ إلاّ أن يكون لديك أمرٌ لا بدَّ من إفشائه لي ! فأنت فيه بالخيار ؛ إما لحضورك بنفسك ، وإما لإرسالك إليَّ برسالة من جنابك . فافهم ، والسلام ، والوصية بالدعاء . ونحن في صحة وليس الخبر إلاَّ خيراً ، والله المستعان . انتهى .

مكتوب آخر من اليعسوب

وكتب إليه – أي : إلى اليعسوب – قدس سرهما : وعليكم السلام . . إلخ **فالاجتماع الروحاني يكون يقظة لا مناماً ؛ وهو أشدُّ وأنفع من الاجتماع الجسماني** ، ويقال لمن أخذ بالروحانية إنه (أوَيسيّ) كما هو معلوم لديك ، وقد ذكر الخانيُّ وأولاده في كتبهم هذا الاتصال الروحاني ، وجعلوه منحصراً في ذلك وأعلى وأرفع من الجسماني ، لكن ليس الأمر كما ذكروا ، بل الحقُّ أن أبا يزيد كان سقّاءً في دار جعفر الصادق ، واجتمعه بالجسمانية كما اجتمع بالروحانية . **فافهم** ، وراجع « الكشْكولي » و« الفيوضات الخالدية » .

الأخذ بالمنام والاجتماع روحانيّاً

واعلم أن الممنوع هو الأخذُ في الوقائع المنامية ، وأمّا الاجتماع بالروحانية ! ! فهو واقع لكثير من الأولياء كما لا يخفى . انتهى . الحقير المعلوم .

اعتذار من اليعسوب

وكتب اليعسوب إليه قدّس سرّهما : إلى سيدي وشيخي وشيخ الخلائق ، ومرشد الأنام إلى سلوك سبيل الوصول إلى الملك العلاَّم ؛ قطب الإرشاد والدي الحقيقي الكريم ؛ حسن حلمي الحليم : السلام عليكم . . . وإلخ .

وبعدُ ؛ فصحَّتُكم وسلامتكم أسنى مرامي ومنتهى آمالي ، ونحن بحمد الله تعالى محفوفون بألطافه ، ومحفوظون بفضله وإحسانه ، ومنغمسون في بركات تربيتكم ، ونسألكم أن لا تقطعوا عنا نظراتكم وتوجُّهاتكم بسوء آدابنا مع حضراتكم ، بيد أن القلب في قلق وقبض ، والفؤاد في اضطراب منذ ما أشرتم إلينا شفاها بالتنزُّل والانحطاط في حالي ، فبيدكم زمامُنا ، وبتقليبكم انقلابنا ، ولا لي حول ولا اختيار ؛ ولو في أدنى شيء ، فأرجو من جنابكم وكرمكم يا حدقة عيني وحياة قلبي ؛ أن ترفع عنا هذا القبض والكدورة الحاصلين من خوفكم ، فإني أكاد أموت حين تذكرت إشارتكم ظنّاً مني أن ذلك لعلَّهُ من

قلَّة أدبنا معكم بما لا يليق بجنابكم من حيث لا أشعره ولا أعرفه ولا أتنبّه له ، **أعاذنا الله من قلَّة الأدب مع الأشياخ الموجبة للحرمان والتراخ** ، فإن كان صدر مني قبلُ ، أو فيما أكتبُ إليكم ما يَحُطُّ عن احترامكم ولو مقدار شعرة ، فأرجو منكم يا سيدي العفو والتجاوز ، وأن تجعلونا في سويْدَائكم ، مَنَّ الله تعالى علينا بطول بقائكم . هذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

جوابه لإعتذار اليعسوب

فكتب في جوابه : وعليكم السلام . . . إلخ . إني لا أتنبّه لما كنتُ أشرتُ إليكم به ؛ وإن تدبّرت ، ولعلَّ الله تعالى يذهب عنك القبض ، ثم إنَّك أيها الولد ؛ لو لم ترسل لي الهدية لكان أصلحَ ، **فأنت بعد الآن تقطع عنّي الهدية واسمَها** ، وتضع كل ما زاد من حاجتك أمام أضيافك ، فإنك تحتاج إلى أشياء ، ونحن لا طمع لنا فيما لديك ، فافهم . وبارك الله في بيوتك المبنيّة ، وجعلها مأوى للصالحين ؛ لا منزلاً للطالحين . آمين . انتهى .

مكتوب خليفته لاستفسارات وأجوبة

وكتب إليه خليفته يعسوب العسوي وارث الإرث النبوي قدّس سرّهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، وعد الله الصابرين المَخرجَ مما يكرهون ، والرزقَ من حيث لا يحتسبون ، جعلنا الله وإياكم من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

إلى شيخنا قطب الإرشاد ، ومرشد العباد ؛ شيخنا المربي حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري المجدّدي ؛ السلام الأسنى والتحيات الحسنى عليكم كل الآنات ، ولا زالت الرحال تشدُّ إلى أبوابكم ، والفيوضاتُ تفيض على الراحلين نحو جنابكم . آمين .

وبعد ؛ فمنذ ما أجزتَ هذا الحقير ؛ لتلقين أوراد السلوك صارت نفسه في ذهول وحيرة ، وغلبَ عليه الحياءُ الشديد ، والخوف الأكيد ، وصار قلبي لا

يفهم[1] ما تُلقونه إليَّ ، ولا يعقل ما أوضحتموه من الفوائد التي هي كالنفائس الفرائد ، وذلك بظهور هيبتكم وجلالتكم ، وبذلك رجوتكم الإشارة بقلمكم الميمون إلى العلاج ، حتى لا يطرأ عليَّ النسيان والضياع والاعوجاج ؛ وإن شقَّ ذلك عليكم وكان سوءَ أَدَب مع جنابكم ، فيا روح جسدي وحياةَ قلبي ؛ كم تركتُ الأدب معكم بحملكم إلى تحريك القلم وكتبة الأجوبة ، وبما أنَّ مِن عندكم إزالةُ ظلمة الجهالة خَرَقتُ عن وجهي نقاب الحياء في هذه المرَّة ؛ طالباً منكم الجواب لهذا ولهذا المسائل الآتية ، وأرجو منكم أيضاً أن تكتبوا أهمَّ ما أنا محتاج إليه في حقِّ التوجُّه ؛ كي لا أخطأ في ذلك ، كما أَخطأَ من ترك السؤال من أخينا المعلوم .

وأرجوكم أيضاً أن تكتبوا إلينا من الوصايا ما لا بدَّ منه لأمثالنا ، وأسألكم أن لا تقطعوا عنا نظراتكم مع الزواجر والتنبيهات على ما رأيتم فينا مما يخالف الشريعة أو الطريقة ، ولو مقدار شعرة ، قولاً أو فعلاً ، والمرجوُّ منكم الدعاء لنا بالتوفيق مع الاستقامة . انتهى . من خطه .

امتزاج الأسئلة بالأجوبة

وهنا ننقل المسائل والأجوبة ممزوجتين حسبما وجد بخط الأستاذ الكامل حسن أفندي قدس سره :

لو حضر إليَّ مَنْ رجع مِن عندكم بعد التوجُّه منكم ، وأراد التوجُّه مني ثانياً ؛ فماذا أفعل ؟

الجواب : إنك تتوجَّه إليه لا تفرق بين أحد منهم .

وأيضاً طلب منِّي مَنْ يقصد إلى جنابكم للزيارة وللتوجُّه التوجُّهَ ، فهل لي ذلك ؟

الجواب : نعم ؛ لا تمنع من التوجُّه أحداً ، سواء خرج قاصداً إلينا ، أم لا .

(١) أي : لا يعي .

وما كيفية التوجُّه إلى من هو في المراقبة المعيَّة ؟ ! .

الجواب : أن تأمره بقراءة المراقبة ، والنظر إلى قلبه مع مقابلة قلبه بقلبك ، وأنت أيضاً تقرأ المراقبة ، وتتوجه وتقابل قلبَك بقلبِه مع ملاحظة أن الله تعالى ناظرٌ إليك وحاضر معك ومعه .

قلت لشيخنا قدّس سرّه مرة : يا أستاذي ؛ كيف نقف قبالتك وقتَ التوجُّه عند المراقبة – وكان هناك بين أيدينا مجلَّدٌ من الكتب – ، فأشار إليه : إن هذا المجلَّد أنت ناظرٌ إليه ؛ وأنا أيضاً ناظر إليه والله تعالى أيضاً ناظر إليه ، **فهكذا تنظر وتتوجّه إلى قلبك مع ملاحظة أني ناظر إليه ، وأن الله تعالى ناظر إليه .** انتهى .

وهل يلزم قراءة الفاتحة والإخلاص (ثلاث مرات) قبل التوجُّه لكلِّ مَن حضر لديَّ ، سواء كان التوجُّه بتلقين الذكر ، أو لمجرَّد قصد إزالة الظلمة ؟ فإن قلتَ : نعم ، فهل تكفي القراءةُ أوَّل التوجُّه وقت التوجُّه إلى المريدين الكثيرين بالنوبة أم لا ؟ !

الرابطة الواحدة لجمع من المريدين

الجواب : إن شيخنا قدس سره أمَرنا أن نقرأ هذه السوَر ونرابط بالشيخ محمود أفندي قدس سره ، ثم نتوجَّه إلى المريد بعد ذلك ، فكنّا نفعل الرابطة لكلِّ فرد فرد ويطول بذلك الزمان ، فقال الشيخ : **ألا يكفي لك رابطة واحدة ، وأنا أكتفي برابطة واحدة** . انتهى ، فيؤخذ من قوله هذا كفاية الرابطة الواحدة ، والحضور الواحد إذا كان المريدون كثيرين . ثم بعد ذلك قال لي شيخي قدس سره : تفعل الرابطة قبل التوجُّه ، أو تقرأ السلسلة لحصول الحضور . انتهى .

حكمة النفخ وقت التوجُّه

وما حكمة النفخ وقت التوجُّه على المريد الذي ذكره على اللطائف ؛ دون من كان ذِكْره بحبس النفَس ومَن فوقه ، وبأيّ نيَّة يَنفخ ؟ !

الجواب : سألتُ شيخنا قدس سره عن ذلك ؛ فقال لي : **أليس يحيى القلبُ بالريح ! !** ولم يزدْ على ذلك ، لكن رأيت في « المناقب الأحمدية » ما معناه : أن مُحَمَّدْ مُظْهِرْ كان يلقي الفيض إلى المريد[1] ، وينفخ عليه ويحرِّك رأسه قليلاً . بيد أني لا أتذكَّر الآنَ تعيين موضعه .

بين النفخ وحبس النفس

وأما ما كان شيخنا قدس سره يفعله ؛ كان ينفخ من أنفه ، ويتنفَّس وقت التوجُّه في اللطائف ! ! **وحكمة ذلك** – والله أعلم – : إيقاظها وإحياؤها ببركة ذلك النفخ والنفس الحاصل من المرشد الخارج[2] مع الحضور ، فقد كان شيخنا قدس سره يقول : أُسْتَارَصْلْ حُكَّلْ دَرُ ، وِكِّ دَرُ ، هَرَقّْ دَرُ اَبَنْ هِچِشْ وُچُرُ . انتهى فما أحلى كلامه ، وأطيب مقاله ! ! جزاه الله عنا خيراً .

وأما حكمة عدمِ النفخ وإلقاءِ النفَس على جسد المريد بعد حبس النفس وبعد تلقين المراقبة ! ! فأظنُّ – والله أعلم – **أن سكون اللطائف من حركاتها مطلوبٌ في حبس النفس** ، والمراقبةُ لا حاجة لإيقاظها وتحريكها .

وسمعت شيخنا قدس سره يقول : **إن حبس النفس يُسكِّن اللطائفَ** . انتهى ، ورأيت مثله في « مقصد الطالبين » فراجعه .

وهل يلزم فعل التوجُّه وقتَ تلقين الذكر للمريدين قبل التلقين ؛ كما يفعل بعده أم لا ؟ .

الجواب : فأوَّلاً تفعل الرابطة لجلب الحضور ، أو تقرأ السلسلة لجلبه ، فإذا حصل لك الحضور ؛ تتوجَّه مع ذلك إلى قلبه كأنَّك تُلقي نور الحضور من قلبك إلى قلبه ، ثم بعد ذلك تلقِّن الذكر . . . إلخ .

---

(١) وفي نسخة : إلى قلب المريد .
(٢) الصادر .

وهل يصحُّ التوجُّه مني إلى كلِّ من حضر لديَّ للزيارة من أيّ النواحي ، أو هو خاصٌّ بمن حضر من ناحيتنا ؟ .

الجواب : أنت تتوجَّه وتلقِّنُ كلَّ مَن حضر لديك ، ولا تفرّق بينهم ، **فلك مني إذنٌ مطلق لا مقيَّد** ، رزقك الله الاستقامة والتوفيق . آمين .

ولو ازدحم المريدون للتوجُّه وكثروا وصَعُب عليَّ تفريقُ أحوالهم ، فهل يصحُّ التوجُّه إليهم بمجرّد قصدِ إزالة الظلمة بلا طلب علم أحوالهم ، أم لا ؟ .

فالجواب : اللهم نعم ، وأنا أفعل كذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهل يصحُّ التوجُّه للمريد بقصد إلقاء الجذبة عليه ، أم لا ؟

الجواب : نعم يجوز لك ذلك .

وسمعت أنكم تقولون : إن تخيُّل الخطِّ والنقش وقت تلقين الذكر بالنفي والإثبات يكون في نفس المريد ؛ لا في نفسنا ، وهل هو هكذا في كلِّ التوجُّهات التي تكون بعد التلقين ، أم لا ؟ .

الجواب : فأوَّلاً تقول (لا إله إلا الله) بحبس النفس بملاحظة الخط بنفس المريد ، ثم تأمُره بأن يقول كذلك بملاحظة الخط والنقش في نفسه وذاته ، ثم تقابل قلبَك بقلبه ؛ مع الحضور التام والذهول عن غيره تعالى ، ولم يأمرنا مشائخنا بشيء مما فوق ذلك .

وبأيِّ قسم من أقسام التوجُّه نتوجَّه كثيراً ؟ .

الجواب : إني أتوجّه بقصد إزالة الظلمة أحياناً ، وبقصد علم حال المريد أحياناً بمجرَّد مقابلة القلب بقلبه ، وبقصد إلقاء الجذبة والحضور إلى قلبه بطلب أن يوصله الله تعالى إلى قلبه ؛ أو يزيل الظلمة والحجاب عن قلبه ، أو يذهب عنه الأخلاق المذمومة ، أو يوصل إليه الأخلاق الحميدة ، على حسب حال المريد . انتهى ، وأوصيكم بالدعاء . كتبته بالسرعة الحقير المعلوم ؛ (حسن) . من خطه قدّس سرّه .

اليعسوب يستفتي شيخه

وكتب اليعسوب العسوي إلى أستاذه قدس الله تعالى أسرارهما : إلى والدي وروح جسدي ؛ سيدي الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي المجدديّ : السلام عليكم وأدامكم على الاستقامة آمين :

١ **إني** تائه في فكري ، ومتحيِّر في أمري ؛ بين أن أعتزل في قعر بيتي وبين الانتقال إلى قرية كذا . فبه أرجو منكم الإرشاد إلى ما هو الأصلح لي ؛ لأن قلب الحقير لا يطمئن إلاَّ بما أشرتَ به ، ولا ينشرح إلاَّ بما أمرتَ به ، لكونه مسلوب الاختيار من نفسه . انتهى .

٢ **وأخرى** : إني أسمع كثيراً من ألسنة المريدين أن التبييت في قرية المرشد من سوء الأدب ؛ فهل هو كذلك ، أم لا ؟

٣ **وأخرى** : إنا نجد من المريدين الشاذليين من لُقِّن لهم الذكر القلبيُّ ، فهل هو لكون الذكر القلبي في طريقهم ، أم بنقلهم إلى الطريقة النقشبندية ؟

٤ **وأيضاً** نجد من المريدين من لُقِّن لهم اسم الذات باللسان مثل خمس مائة ، فكيف ذلك ؟

٥ **وأخرى** في « الفتاوى العمرية » : إن كيفية التلقين بعد ثبوت صدق المريد : أن يأمره الشيخ بالاستخارة ، وهو يستخير أيضاً ، فإن وافقت استخارتهما ! يأمر الشيخ المريدَ أن يغتسل بغسل التوبة ، ثم يصلي المريد . . . إلخ . هذا ؛ ومشائخنا الخَلَف عدلوا عن هذه الكيفية ؛ فكيف ذلك ؟

٦ **وأخرى** في « مجموع الرسائل » لسليمان الزهدي في ٩٤ : النهيُ عن تلقين الأمرد الصبيح من الرجال ؛ فضلاً عن النساء الشابّة .

وفي كتاب مسلم أفندي العرادي نقلاً عن هامش « نهج المتقين » ما لفظه : ومن وصية مولانا قدس سره : أن لا يلقن الطريقة للأمرد الصبيح ؛ ولا المرأة الشابة ، وإذا لُقِّنت ؛ يكون من وراء حجاب بواسطة محرم ، ولا لهنَّ

جمعية ختم ، ولا حلقة توجُّه . . .إلخ ، فكيف جرت عادة مشائخنا النقشبندية والشاذلية قدس الله تعالى أوراحهم الزكية بتلقين الذكر للأمرد وللمرأة الشابَّة ؟

٧ **وأخرى في** مكتوب العالم عبد اللطيف الحزى : إن لعلم كمال الشيخ المرشد ميزاناً حسناً ؛ وهو أنّه إذا أخذ عليه العهد ، وتعيَّن عليه الذكر ؛ فإن أطاق الذكر الكثير وحصل له جذبة لذيذة ! فهو الشيخ المرشد ، وإلا ! ! فهو ليس بشيخ ، فهل يكون الإطاقة والحصول المذكوران ميزاناً حسناً لمعرفة الشيخ المرشد ؛ إن لم تكن الجذبة من توجُّه الشيخ المرشد ؛ أم لا ؟ مع أن معتمد مريدي المتشيخين ذلك القول المذكور ، فإنهم يُخبرون أنهم يقدرون لفعل كذا من الذكر في زمن كذا ، ويجدون لذَّة كذا ، فذا بركة أشياخهم ، وعلامةُ كمالهم ! !

٨ **وأخرى** : ما معنى الولاية الخاصَّة ؟ هذا والسلام ، وأوصيكم بالدعاء من ولدكم الأفلس محمد ابن العالم نور محمد العسوي .

فعلَّق الأستاذ قدس سره أجوبة هذه المسائل بإزائها في الهوامش ، ونحن نورِدُها هنا حسب ترتيب المسائل .

إجابات المؤلف لليعسوب

أما **جواب المسألة الأولى** : يجوز لك الذهاب إلى . . . . إن أردت ذلك ، وإلاّ ! فلا .

وجواب الثانية : إني لم أرَ في ذلك شيئاً في الكتب[١] .

وجواب الثالثة : هو بِصَرْفِهِمْ إلى النقشبندية .

وجواب الرابعة : إني لم ألقِّن ذلك لأحد باللسان .

وجواب الخامسة : إني سألتُ شيخنا[٢] عن ذلك ؛ **فأجاب** بقوله : **لا تجبُ الاستخارة لكون التلقين للتبرُّك ؛ لا للسلوك** . انتهى .

---

(١) التبييت في قرية الشيخ ليس من سوء الأدب . (هامش الأصل) .
(٢) أي : الحاج عبد الرحمن قدّس سرّه .(من نسخة أخرى) .

وجواب **السادسة** : لكن شيخنا كان يلقّنها ؛ **ولو للشابَّة** . انتهى .

وجواب **السابعة** : إني لم أرَ ما قاله في الكتب ، **ولكن ذلك مما ينبغي أن يكون صواباً** ؛ لأنه لو حصل للمريد جذبٌ يطيق الذكر الكثير . والله تعالى أعلم ، **ولكن أمر ذلك يكون مختصّاً بمن له استعدادٌ لتعلُّق ما أمدّه الشيخ من المدد بإذن الله تعالى** ؛ لا مطلقاً . كما هو مذكور في غير كتاب . **فافهم** .

وجواب **الثامنة** : الولاية العامَّة للمؤمنين ، وأما الولاية الخاصَّة ! ! فهي لخواصِّهم . **فافهم** والله تعالى أعلم . انتهى من خط الحلمي قدس سره .

استدراك اليعسوب

ثم إن اليعسوب العسوي قدس سره كتب في ذيل جواب الأستاذ لتأييد ما كتبه في جواب المسألة الثامنة هذا الآتي ؛ نقلاً عن « الفتاوى العمرية » ونصُّه : سُئِل عن العلماء والسادات الصوفية : هل يقال لهم (أولياء الله تعالى) سواء العامل فيهم ؛ أو غير العامل ؟ أوضحوا لنا الجواب

الولاية : عامَّة وخاصَّة

أجاب : الولايةُ عامَّة وخاصَّة ، فالعامَّة ولاية الإيمان ، كما قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ والخاصَّةُ ولاية الأتقياء والمحبِّين ، فالعاملون وغيرهُم يطلَق عليهم أنهم (أولياء الله) . وأما الخاصَّة ! ! فلا يطلق إلا على العلماء العاملين ، أو الصالحين المتورِّعين ، وقال الشافعي : **ما اتخذ الله من وليٍّ جاهل ، ولو اتَّخذه لعلّمه كما علّم أويس القرني** – كما قال تعالى ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ – وشيبان الراعي وغيرَهم من المشائخ الأميِّين ! !

والحاصل : أن الوليَّ من يعرف الله بالربوبية والمحبة ، ويعرفُ نفسَه بالعبودية والأتقاء ؛ كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ ؛ أي : العارفون بالله . (الفتاوى العمرية) . انتهى من خطِّ اليعسوبي قدّس سرّه .

مكتوب اليعسوب في ترتيب التلقين

وكتب إليه اليعسوب ما لفظه : إني أجد من المريدين مَن حصل لهم البركة وآثار الجذبة بالرابطة إلى أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ، وقد لُقِّنوا أوراد الطريقة الشاذلية ، فهل يصحُّ تلقينُهم الذكر القلبي إن رغبوا في ذلك ، أم لا ؟ وكنتُ كتبت إليكم عين هذا ، فلوقوع الاحتياج إليه كرَّرتُه ثانياً ، وأرجو منكم العفو ! !

وأيضاً وجدت في « هدلي » أيام ذهابي إليه مَن لقَّنتهم ذكر اسم الذات (الله الله) باللسان ، ولهم الأوراد الشاذلية ، فهل يصحُّ هذا ، أم لا ؟ ! والسلام من ولدكم المعلوم الأحقر .

فكتب في جوابه ما لفظه :

وعليكم السلام . . إلخ . ثم اعلم ؛ أن للشاذليين اسمَ الذات كما لهم النفي والإثبات ، بيد أن عادتهم أنَّهم لا يلقِّنونه إلاّ بعد حصول نتيجة النفي والإثبات ، وقد كنتُ كتبتُ عينَ ما كتب إلينا سيف الله - بَلَّ الله مرقده بلطفه الخفي - في « تلخيص المعارف » فاطلبه منه . انتهى .

جواب محمد الطندي

وكتب قدس سره إلى العالم محمد الطندي جواباً لكتابه ما لفظه :

وعليكم السلام . . . إلخ . . اعلم أن تعليم الطريقة للشابَّة العذراء والشابِّ الجميل إنما منعوهم لخوفهم عن عدم استقامتهما ، فإن الغالب عليهما عدمُ الاستقامة ؛ كما هو مشاهد لدينا ، **ونفعُ الذكر منوطٌ بإتيان الأحكام الشرعية ، والرجوعُ عن الطريقة من أعظم الذنوب عند أهلها** ، فقد قالوا : إن مرتدَّ الطريقة أعظمُ ذنباً من مرتد الشريعة . كما هو مذكورٌ في مواضعَ من كتبهم .

فحاصلُ مضمون كلامِهم والله أعلم : **أن مثال مَن يتمسَّك بأمور الشريعة مثلُ خَدَم السلطان في الخارج** ؛ مثلُ رعي الأغنام ، وحمل الماء من بعيد ، وحرث المزارع وحصادِها ونحوها ، ومَنْ دخل في الطريقة يكون مثل جُلَسائه ونُدَمائه ، فعلى هذا المثال إن المقبل إلى الله يُقبِل الله إليه ، والدليل ﴿ **فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ** ﴾ الآية ، **ومن أعرض عن ذكر الله أعرض الله عنه** ، وآية ﴿ **نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ** ﴾ شاهدُ عدلٍ على ذلك . وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إنَّ من ترك ما أمرتُه به من الذكر ؛ فقد حلَّت عليه في الدنيا مصائب شتَّى ، فكيف يكون حالُه في الآخرة** ! ! انتهى . فما قاله قدس سره مما رأيناه عياناً ، ولعلَّ علَّة ترك إدخال الشابَّة والشابِّ الجميلين في الطريق هي ما ذكرته سابقاً ، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر ، لكن وجدت بين النساء السالكات في سلك طريقته أبعاضاً من الشُبَّان والشابات ! ! ولعلَّه قدس سره أدخلهم وإيَّاهُنَّ بحسن ظنِّه بهم وبهنَّ أنَّهم لا يتركون ما أمرهم به ! ! والله أعلم . وظن الحقير أن مَنْ خرج من صلبكم من البنين والبنات يحفظهم الله تعالى من الإعراض بعد الإقبال ، ومن الحَور بعد الكور ، وهو على ذلك قدير .

مهمة في ثمرة السلوك

مهمة نفيسة : إني رأيت في أثناء « مكتوبات » مجدِّد الألف الثاني الإمام الرباني – رزقنا الله شفاعته . آمين – ما أجاب به مَنْ سأله : هل يجوز دخول مَن يأكل الربا في الطريقة ؟ **وحاصله** : علِّموهم الطريقَ ورغِّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلَّهم يتخلَّصون ببركة الطريقة عن ذلك الاشتباه ، **فإن استقاموا فازوا ، وإلا! فالضرر راجعٌ إليهم ؛ لا إليكم** ، فلله الحمدُ على ذلك .

ثم اعلم أيها المحترم ؛ أن المقصود من سلوك الطريقة ازديادُ اليقين بحقِّيَّة المعتقدات الشرعية التي هيَ حقيقةُ الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، وكونُ القلب حاضراً بالله على سبيل الذوق ؛ لا أمرٌ آخر وراء ذلك . و« ذِكْرُ الله شِفَاءٌ لِلْقُلوبِ » ، كما ورد في الحديث ، والعبد إذا أكثر من ذكر

الله يُوقِد في قلبه مصباحاً ملكوتياً فيرى قبائح أعماله ، ثم يَتشتمّر في إزالتها ، ويسعى في أسباب اجتنابها ، **فالتوفيق والحضور يكونان مع السعي** ، والقدرُ وقصد العبد وكسبُه يجريان معاً معيّة ذاتية ، كما هو معلوم لديكم . جعلنا الله تعالى وإيَّاكم في دائرة أهل الاستقامة ، فإنها أجلُّ الكرامات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأوصيكم بالدعاء . (الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري أخوكم المعلوم حسن) .

مكتوب إلى اليعسوب في الزيارة والمشاورة

وكتب إلى اليعوسب قدّس سرّهما ما لفظُه :

وأما ما كتبتَ في حقِّ الدخول على الشيخ ! ! فكيفية الزيارة وأدب الدخول مبسوطة في « الرسالة الخالدية » فاطلبها من هناك ، وإني لا أريد الوقوف على الباب بالصمت ، وأرى الخير في طلب الإذن قائماً بأحد جانبي الباب ! ! فإن الوقوفَ صامتاً يكون باعثاً للخروج ، وبه يحصل المشقَّة .

وأما ما كتبتَ في حقِّ المشاورة ! ! **فتلك سنَّة متبعة** ، **وفيها بركة عظيمة** ، **وفي المريدين من لا يتحرَّك ولا يسكن إلاَّ بمشاورة شيخه**[1] .

وقد كان شيخنا قدس سره **يأمرنا بالرابطة إلى الشيخ ومقابلة القلب بقلبه** ، **والمشاورة معه في حق ما يفعل ويترك** ، **فإن انشرح القلب للفعل أو الترك يعمل به** . انتهى ؛ والسلام .

ترتيب أوراد الشاذلية

وكتب قدس سره : وعليكم السلام ، ترتيبُ أوراد الشاذلية – على ما لقَّنه شيخنا ، وعلى ما في « النور الساطع » و« الأنوار القدسية » من كتبهم :

(١) راجع « خلاصة الآداب » في ص ٢٤ وص ٢١ . (هامش الأصل) .

١ الاستغفار : مائة مرة ، -٢ والصلاة على النبي ﷺ على الكيفية المعهودة : مائة مرة ، -٣ و(لا إله إلا الله) : مائة مرة ، -٤ (سيدنا محمد رسول الله ﷺ) : مرة واحدة . هذا في الصباح والمساء .[(١)]

ولهم – على ما لقَّنه شيخنا – أورادُ أُخَر فوقَها ، لكن قيل في كتبهم : إن الشاذلية وقفوا على (هُو هُو) .

وقد كنت بسطتُ ذلك في « التلخيص » فتفحَّصه منه . أجاركم الله تعالى مع الأهل من فتن الدارين ، وجعلكم من أهل الاستقامة والتوفيق . آمين . انتهى .

وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه هذه كيفية أوراد الشاذلية أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه (مائة مرة) ، اللّهم صلّ على سيدنا محمّد عبدك ونبيّك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (مائة مرة) لا إله إلا الله (مائة مرة) ويختمها بقوله سيدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرة واحدة) وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية وذلك[(٢)] (مرة) في الصباح و(مرة) في المساء . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب جوابي في ركوب الزائر

وكتب قدس سره – في جواب من سأله ؛ عن حكم ركوب الزائر وانفراده ورابطته – ما لفظه :

وعليكم السلام ، **الركوب مما نحبُّه** ؛ لأن الراكب يقدر على دوام الحضور .

---

(١) **أستغفر الله الذي** . . . إلخ مائة مرة ، **اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك** . . .إلخ مائة مرة ، **لا إله إلا الله** مائة مرة ، **سيدنا محمد رسول الله** ﷺ مرة واحدة ، صباحاً ومساءً في كل يوم من خطه قدّس سرّه ، أللهم تقبل مني هذا الورد ، وزده ثواباً ودرجة اللهم بلِّغ مثل ثوابه إلى سيدنا محمد ﷺ ، ثم إلى أصحابه أجمعين ، ثم إلى أرواح المشائخ الشاذلية وارزقني بركتهم آمين . (من نسخة أخرى) .

(٢) أي المذكور كلّه . (كاتبه) .

الزائر المنفرد

وسمعتُ واحداً من مريدي شيخنا قدّس سرّه يحكي أنَّه ذهب لديه زائراً منفرداً ، وهو يصلي على النبي ﷺ في طريقه ، فحين وصل لديه قال له : **إن الانفراد للزائر يكون خيراً** ؛ لأنه يشتغل وهو يمشي في الطريق بالصلاة على النبي ﷺ . قال ذلك الحاكي : وذهبتُ إليه مرَّة أخرى ، ملازماً على الرابطة الشريفة في الطريق ، فحين اجتمع به قال له ما معناه : **إن مشيَ الزائر مع دوام الرابطة يكون خيراً له** من أن يصلي كذا وكذا سنة ، أو كما قال قدس سره . انتهى .

وكنت أنا أزوره قدس سره راكباً ، **بل كان يأمرني بذلك** ، ولعلَّه قدس سره أمرني بذلك لما ذكرناه . فافهم . انتهى .

مكتوب اليعسوب مستفهماً عن تقبيل اليد

وكتب إليه اليعسوب العسوي قدس سرهما يطلب منه حكمَ تقبيل الأيدي والوجه ، وكذا المعانقة .

فكتب في جوابه ؛ نقلاً عما وَجَد بخط شيخه العسوي قدس سره وهو عن بعض التآليف ما لفظه :

ويندب تقبيل طفل ؛ ولو لغير شفقة ، ووجه ميت لنحو صلاح ، ويد نحو عالم وصالح(١) ، وصديق وشريف ، لا لأجل الغنى ونحوه والقيام لهم كذلك . وبحث بعضهم وجوبَ ذلك في هذه الأزمنة ؛ لأنَّ تركَه صار قطيعة . انتهى .

تقبيل الوجه والمعانقة

قال قدس سره : وأما تقبيل الوجه والمعانقة ! ! فقد كنتُ رأيت في ذلك بسطاً حسناً في بعض الكتب ، لكن لا فراغَ لي في الحال لمطالعته ، وكِتْبَته .

---

(١) في « بغية المسترشدين » ص ٣٢٩ كلام نفيس في تقبيل يد السادة ، فراجعه .

نعم ؛ إن شيخنا سيف الله قدس سره **كانت عادتُه عند اللقاء وعند المفارقة تقبيل العين والفم** ، وكلما تعانقنا في هذين الوقتين ؛ فقد كان يقبّل عيني وفمي مراراً ، فيحصل لي به الفرح والسرور[1] . ولله الحمد ، والسلام .

مكتوب عن انفراد المسافر

وكتب قدس سره في جواب مَن سأله عن حكم انفراد الزائر ما لفظه :

كنت رأيت في كتاب ، ولا أعرف الآن تعيين عينه : أن مَن له حالٌ مع الله لا يغفل عنه ! ! فسفره وحده يجوز أو أولى . انتهى بمعناه ، وكنتُ قبلُ متحيِّراً في هذه المسألة ، وسنراجع الآن إلى موضعها ، ونكتبُ اليكم ما ظفرنا به في حقِّها إن شاء الله تعالى ، والسلام .

قال الراوي : فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ تبسَّم ضاحكاً من قول الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، ثم أقبل الإمام على النبي ﷺ ووقف بين يديه ، فضمه النبي ﷺ إلى صدره فقبّله بين عينيه وقال : « معاشر المسلمين هذا علي ابن عمي ووارث علمي وزوج إبنتي وحامل رايتي » . انتهى اقتصاراً على مراد ، من « سيرة الإمام علي » عبارته ٨ ، راجعه للإمام العلامة أبي الحسن البكري رحمه الله . .

(١) حدثنا . . .إلخ عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو يده فيسأله كيف هو ، وتمام تحياتكم بينكم المُصَافحة » مسند الإمام أحمد عبارته ٢٦٠ ج ٥ . (من نسخة أخرى) .

* حدثنا عبدالله . . .إلخ عن رجل من عنز أنه قال لأبي ذر حين سير من الشام ، قال : إني أريد أن أسألك عن حديث من حديث النبي ﷺ ، قال : إذاً أخبرك به إلا أن يكون سرّاً ، فقلت : إنه ليس سراً ، هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه ، فقال : ما لقيته قط إلا صافحني ، وبعث إليَّ يوماً ولستُ في البيت ، فلما جئتُ أُخْبِرْتُ برسوله ﷺ فأتيته وهو على سرير له ، فالتزمني فكانت أجود وأجود .(منه) عبارته ١٦٨ ج ٥ **والالتزام** أيضاً : الاعتناق . (من نسخة أخرى) .

مكتوب لصديق ولده تأنيب وعباب

وكتب إلى صديق ورفيق ولده محمد عارف ؛ وهو الطالب محمد بن حسن القحي ، وهما في « هَنْدِيخْ » يطلبان العلم[1] من العلَم العالم الشيخ حميد أفندي ما حاصله :

وعليكم السلام أيها الولد محمد ، ثم إن الآيات التي تقرأ وقت الذهول والغيبة والفناء ؛ يقال لها : الهاميَّات ، كما شافهني به أستاذي العسلي قدس سره ، فيجب عليك حفظُها وكتبتها وإرسالها إليَّ .

ثم إن ما جرى لك عند قبر الشيخ الهندخي ! ! لعلكَ أسأتَ الأدب عنده ! أو ذهبتَ إليه بلا ربط القلب بمحمود أفندي قدس سره ، وبلا توسُّل به إليه حين الذهاب .

ومن المعلوم أن النوم عند الأشياخ من سوءِ الأدب ، وكيفيةُ الزيارة إلى قبور المشائخ مذكورةٌ في « الخالدية » ، و« خلاصة الآداب » فاطلبها منهما ، واستغفر الله من سوء الأدب ، واذهب لدى الشيخ المذكور ، واسألْ منه التجاوز ، وكذا من محمود أفندي قدس سره . أرجو الله تعالى أن يعيدك إلى الحالة الأولى من الأنس بالله والحضور معه .

وقد سمعت من محمد عارف ما هو خلافُ مرادي ، وهو دأبُه معي ، فسيعلم الأحمق ما سيلقاه من سوء الأدب ، **ولا أتذكر أني فعلت إلى وقتي هذا شيئاً إلا بالمشاورة مع شيخي ؛ ولو في أدنى شيء وأقلِّه** ، عفى الله عما سلف ، وهداه إلى حسن الأدب فيما يأتي . آمين . والسلام .

---

(١) وفي نسخة : لدى قاضيهم العالم الشيخ حميد أفندي قدّس سرّه .

مكتوب في الزيارة وفضلها

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه في حق الزيارة وفضلها ما لفظه هذا :

مهمَّة في الزيارات

جرت عادة أهالينا أنهم يزورون قبور الأولياء ؛ ليتوسَّلوا بهم في قضاء حوائجهم ، ولهم في ذلك آثار وردت من السادات ، فقد ذكر الشعراني في « لواقح الأنوار » . وسمعتُ سيِّدي عليّاً الخوَّاصَ رحمه الله تعالى يقول : **إذا سألتم الله تعالى حاجة فاسألوه بمحمد ﷺ** ؛ وقولوا : اللهم ؛ إنَّا نسألُك بحقِّ محمَّد ﷺ أن تفعل لنا كذا وكذا ، فيسأل النبي ﷺ ربَّه بقضاء تلك الحاجة فيجاب ؛ لأن دعاءه لا يُرَدُّ . قال : **وكذلك القولُ في سؤالكم الله تعالى بأوليائه ، فإن الملك يبلِّغهم فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة** ، والله عليم حكيم . انتهى ص١١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

وفي « المناقب الأحمدية » وقال – يعني : محمد النقشبندي رضي الله عنه – : أعطيتُ من الحقِّ سبحانه وتعالى مرتبة عظيمة : تقضى بي الحوائج ، وتدفع بي البلايا . فالتجئوا إليَّ تُقضى حوائجكم بفضل الله سبحانه وتعالى .

وأما فضل الزيارة[1] ! ! فقد رأيتُ في « درَّة الناصحين » ما لفظُه : ورويَ أنَّ أخوين في الله التقيا ، فقال أحدهما للآخر : مِن أين أقبلت ؟ قال : حججتُ بيت الله الحرام وزرت قبر النبي ﷺ ، فأنت من أين أقبلت قال : من زيارة أخ أحبُّه في الله . قال : فهل تهبُ لي فضلَ زيارتك حتَّى أهب لك فضل حجي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليّاً – أي : زماناً – فإذاً بهاتف يقول : زيارةُ أخٍ في الله أفضلُ عند الله من مائة حجة نافلة (موعظة) . انتهى عبارته ٤٣٠ من نسخة ٢٣٧ وراجعه ففيه الزيادة .

وفي « كشف الغمَّة » : وكان ﷺ يقول : « مَنْ زَارَ أَخَاهُ المسْلِمَ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ » . انتهى .

---

(١) راجع « خلاصة الآداب » ص ٩ . (هامش الأصل) .

الباب الرابع

في المراقبات وكيفيّاتها وفوائدها وما يتعلَّق بها ، وفيه فوائد لطيفة ، وفرائد شريفة ، يحتاج إليها داخل الخلوة وغيره ، وفي علاجات إذهاب القبض والفتور ، ودفع الوساوس والخطرات ، فوائد نفيسة في حق الفناء والبقاء ، وفي أذواق تحصل للسالك المنتهي .

كتاب اليعسوب في الشأن الجامع

وكتب إليه اليعسوب العسوي قدّس سرّهما : إلى حضرة سيدي ؛ سلام الله السرمدي عليكم كلَّ لحظة ، وبعد ؛ فالمسؤول من كرمكم إزالةُ ظلمة الجهالة عنا في حقِّ معنى (شأن جامع) ، وما حقيقته ؟ وبأيِّ كيفية يجب علينا معرفة الشأن الجامع المستفاد من قولها (يا رَبِّ ، هِبْ دُرْ شأنٌ جَامِعٌ تَجَلِّي لِيَلْدَصَنْ بِهَرَبْ فَيضْ) ؟ وما الأحسن في ترتيب المراقبة على اللطائف ؟ أَفْعَلُها في مُدَّة واحدةٍ مثل وقت السَّحَر ، أم فعلها بالقسمة ؛ بأن نفعل مثلاً خلف صلاة الصبح مراقبة المعية ، وخلف الظهر على القلب ، وخلف العصر على الروح ، وخلف المغرب بالسرِّ ، وخلف العشاء بالخفي ، وفي وقت السحر على الأخفى ؟ فإن فعلنا هكذا لا يحصل التساوي بين الألطاف ، فإن المدَّة بعد صلاة الصبح إلى الظهر طويل ، ومثله في سائر الصلوات ، وظنِّي أنَّكم قلتم لي بوجوب التسوية في زمن الوقوف على مراقبات اللطائف ؛ كما في الذكر على اللطائف ! وأيضاً يفهم مما في « المناقب الأحمدية » ومما في هاشمه بما لفظه : وكيفيتها – أي : المراقبة – : أن يجعل قلبه مقابل قلبِ نبينا ﷺ ، طالباً منه سبحانه أن يفيض على قلبه . . .إلخ .أي : ويجعل[1] قلوب المشائخ الكرام الذين هم وسائط فيضِ النبي ﷺ كالمنظرة . كذا قال حضرة الجدِّ . انتهى .

---

(١) ويجعل في تلك المراقبة لطائف الشيخ كالمنظرة . « تنبيه السالكين » عبارته نقلاً عن « النفائس السانحات » وراجعه . (من نسخة أخرى) .

ويفهم منه : أنا نجعل قلبنا مقابلاً بقلب النبي ﷺ ، ونجعل روحانية محمود أفندي بيننا وبينه ﷺ كالمنظرة ؛ معتبراً كأن الفيض يسيل ويفيض من قلب النبي ﷺ إلى قلب الشيخ محمود أفندي ، ومنه إلى قلوبنا وفق ما نقول : (يَا ربِّ هَدَبْ أَوَرَكَصُلْ رَكَلْدَصَنْ مَشَائِخْزَ بَزُلْ رَكَلْدِ شُنْ بُكَرَبْ فَيْضْ مَحْمُودْ أَفَنْدِيَصُلْ رَكَلْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ)[1] مثلاً . . . وهكذا في سائر اللطائف .

وكنت رأيت عين هذا مصرّحاً به في كتاب رَجَبِلْ عُمرْ حَجِ الخُنْزَاخِي الذي أرسلتُه إليكم قبلُ ، فهل هو كما فهمتُ أيها الكريم ؟ أم المراد بالقول المذكور غير ما ذكرتُ ؟

يستشيره في تبديل حجرته

وأخرى : كنت أذنت للمريدين للاجتماع للختم والصلاة في حجرتي الجديدة إجابةً إلى طلباتهم وسؤالاتهم المتكررة ، فبسماع عدم اجتماعكم في البيت حسب العادة ، وبورود الأخبار من جناب أخينا المتوطِّن في « دَتُونَهْ » ، بأنه يرى المصلحة في عدم اجتماعنا في تلك الحجرة الجديدة صار بالي لا ينشرح لذلك ، وإن بدأنا بترك الاجتماع المذكور صرنا سبباً لتعطُّل المجالس المنعقدة في سائر القرى ، لأنهم يكونون منتظرين لما نفعله ، حتى يقتدوا بنا في ذلك ، فلا ينشرح صدري إلا بإشارتكم إلى اختيار أحد الأمرين ، وذا من أهمِّ مقصودي من كرمكم ! ! انتهى .

جواب

فكتب قدس سره في جوابه : وعليكم السلام . . .إلخ .

إنك تفعل المراقباتِ وقتَ الإمكان مجتمعة أو متفرقة ؛ ولا حرج في ذلك ، بيد أني سألت شيخنا العسلي قدس سره عن زمن المراقبة ؟ فقال : (

---

(١) وترجمتها : يا ربِّ ؛ تلك الفيوض التي وصلت من قلب نبينا ﷺ إلى قلوب المشائخ وإلى قلب محمود أفندي ، أوصلها إلى قلبي . (من نسخة أخرى) .

زَمَنْ هِجُّ ، ذِكْرُيَلِ عَدِنْ) يعني : أن المراقبة تفعل دائماً ؛ كما يفعل الذكر القلبي دائماً . انتهى . وقال شيخنا الباكني قدس سره : **افعل المراقبة بعد الصلوات** . يعني قال : (سُ سُ كَكَلْدَ خَدُبْ سُ مُراقَبَه هَبِ) .

فالحاصل : أنك تفعل المراقبات وقت الإمكان ، وتكون حاضراً بالله بقدر الطاقة ، كأنك بين يديه ونظرِه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية .

معنى الشأن الجامع

ومعنى « **الشأن الجامع** »[(١)] ؛ أي : الجامع للشؤونات[(٢)] ، يعني : أن الشؤونات المتفرقات ؛ أي : الأفعال والصفات مجتمعة في حضرة الذات ، **والفيضُ يكون في تجلِّي الذات** رزقنا الله تعالى ، ويكون حينئذ محمديَّ المشرب . والله أعلم .

وأما تخيُّل أرواح المشائخ ! ! فكما تتخيَّل في الرابطة ، ويقابل كلَّ لطيفة[(٣)] وقت المراقبة بلطيفة النبي عليه السلام ، ويعتقد بأن جميعَ أرواح المشائخ حاضرون كما في الرابطة هكذا[(٤)] :

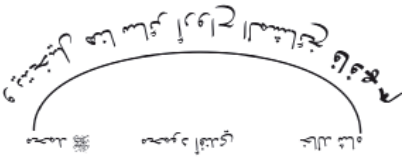

(١) الشأن الجامع ؛ أي : الجامع للمشارب المتقدمة كلها ، ويكون السالك حينئذ متخلقاً بأخلاق الله تعالى ، راجع « جامع الأصول » . من نسخة محمد الشتوطي رحمه الله .

(٢) أي : الشؤونات الإلهيَّة . « جامع الأصول » عبارته .

(٣) أي : لطيفة المريد التي يراقب فيها (محمد الشتوطي ، من خطه رحمه الله) .

(٤) ما الرابطة ، وما كيفيتها ، وما مقدماتها ، وما وقتها ، وما كيفية الذكر القلبيِّ ، وما صيغة الاستغفار والصلاة ، وما ترتيب كل ما ذكر ؟ فالجواب بالبيان هدية للإخوان : الجواب بحمد الله في « وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد » الجامع لمكتوبات الأستاذ حسن أفندي قدس سره ما لفظه : وأما الرابطة فهو تخيل صورة الشيخ بين عينيه ، وأما الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص فهي خارجة من حدِّ الرابطة ، فمتى تخيَّل المريد صورة الشيخ يقال له أنه فعل الرابطة . وقد سمعت إلى . . وأنَّ الزيارة . انتهى عبارته ٨٩ . وفيه أيضاً جواب لمن سأله . انتهى عبارته ٨٨ ، وفيه أيضاً : وسئل عن مدَّة . انتهى عبارته ١٠٩ . وفي « تلخيص المعارف » : ومما ينبغي أن يعلم أنَّ روحانية الشيخ لا تفارق ، ليست مقيدة بمكان دون مكان . انتهى عبارته ١٥٧ . (من نسخة أخرى) .

وأما الاجتماع في الحجرة الجديدة لقراءة الختم . . .وإلخ !! فتوكَّل على الله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولم يأمرونا[1] بعدم جواز ذلك ، فنقول لهم كما كنتُ قلت لك قبل : إن عادة رجالنا هكذا منذ ثلاثين سنة أو أكثر ؛ يجتمعون لقراءة ذلك لسهولتها مع الاجتماع ، فإن أمرونا في ذلك ومنعُونا عنه ؛ فنحن نمتثل أمر الحكماء والرؤساء ؛ ولا نخالفهم ، كما لم نخالف إلى الآن ؛ فافهم . والسلام .

استفهام التلذُّذ بالذكر

وكتب إليه اليعسوب قدس سرهما : هل يقع للمريد التلذُّذ بالذكر ؛ كلذَّة الوقاع ، وخروج المنيِّ به ، مع وصول أثر اللذة لجميع البدن ؟ فإن كان يقع ؛ فهل على الذاكر حرج في ذلك ، فيقطعه ويتركه في بدء شعوره بتلك اللذَّة أم لا ؟ رفعتُ إليك يا أستاذي هذا السؤال برفع نقاب الحياء ، حيث إن الحقير مبتلى به في هذه الآناء ، وليس له بدٌّ من إظهاره إلى جنابكم السامي الشريف ، فلعلك تعفو عني وإن كان سوءَ أدب مع مقامكم المنيف . انتهى .

فكتب قدّس سرّه في جوابه : **اللهم نعم ، يقع مثل ذلك لكثير ، ولله الحمد ، والسؤال من أمثال ذلك واجبٌ على المريد ، ولا يجوز له إخفاء أمثاله** . انتهى . وكتب إليه أيضاً قدس سرهما جواباً لكتابه :

ضياع الوقت موت

وعليكم السلام ؛ أيها الولد المرجوُّ للاستقامة : إنَّ عزلتي ليست كعُزْلة من يقف في الأربعينيات ، ولا أمنع الواردين عليَّ ، بيد أنه لما كثر الواردون ولم يَسَع الوقت للشغل بشغلي في القرية اعتزلت في الريف ؛ رجاء أن يسع لي الوقت ؛ ولو في الصباح والمساء ؛ فلكم الرخصة للزيارة في أيِّ وقت شئت ،

(١) أي : الحكام . (هامش الأصل) .

ولكن تشير أنتَ إلى الزائرين **بعدم طول المقام** ، فبذا يضيع الوقت ، ومن ضاع وقته وفات ، فقد مات هو ودار .

مراقبته ﷺ في المعية

ثم إنَّ التوجُّه إلى النبي عليه السلام – على ما أمرني به شيخنا قدس سره – يكون بعد قراءة الآية الشريفة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ للاستفاضة من ذاته عليه السلام ما حصل له من فيض تلك الآية ، ولم يأمرني بملاحظة المشائخ وقتئذٍ إلاَّ ذات النبيِّ عليه السلام في هذه المراقبة المعية .

مراقبات غير المعية

وأما في مراقبة القلب والروح . . . وإلخ ! فقد أمرني بملاحظتهم ، كما يلاحظهم المريد في الرابطة بلا فرق **وقولكم** : وهل لأقل زمن المراقبة حدٌّ . . . إلخ ، فقد سألت عنه شيخنا قدس سره كما سألتَ ، فأجاب بأنه لا وقت لها كما للذكر ، يعنى : أنه يكون المراقب في المراقبة دائماً قياماً وقعوداً ، وعلى كلِّ حال . وقال لي قدس سره مرَّة ما حاصله : إنك تكون كأنك تسعى بين يدي نظر الله تعالى كما تسعى في نور الشمس .

وقال لي مرة أخرى : إنك تكون ملاحظاً كأنك بين يدي نظر الله ونور رسوله عليه السلام ، أي قال : (الله صُلْكِ أَوَرَكَصُلْكِ جُبَرَبْ نُورَلِّلْ كَّدِلَ وُكِوْ لُِنْ وُكَ) . وقلت له مرَّة : كيف يجب أن أكون وأنا معك ؛ يا أستاذي ! ! وكان هناك مجلّد من كتاب ؛ فقال : إن هذا المجلّد ؛ الله تعالى ناظرٌ إليه ، وأنت وأنا ناظران إليه ، فهكذا تكون ناظراً إلى قلبك ملاحظاً أن الله تعلى ناظر إليه . وأنا أيضاً ناظرٌ إليه

مراقبة الله حالة الحدث

وسألته رضي الله تعالى عنه : هل يجوز أن يراقب الله تعالى حالةَ الحدث ؟ فقال : لِما لا يجوز ؟ ! ولم يزد على ذلك . وقال لي مرَّة : إنك تلاحظُ في وقت غمض العينين كأن النبي ﷺ واقفٌ أمامك نوراً مجرّداً ، وتطلب من الله تعالى وصولَ الفيض الحاصل من تلك الآية الشريفة من ذاته ، وأما حالة فتحهما ! ! فتلاحظ كل شيء وقع عليه نظرك كأنه بلبِّه ناظر إليه سبحانه وتعالى خاشعاً متذللاً .

وأما الغيبة ، والذهول ، والاستهلاك ، والانمحاق ! فإنَّها أنواع من الفناء ، فأنت تطلبُ التفرقة بينها من « اصطلاح الصوفية » ، ومن « المتممات » ومن « تعريفات السيّد » . **وأما الحضور وقتَ الذكر ؟!** فأن تلاحظَ كأن القلب يذكر الله تعالى بلفظة الجلالة أو . . .إلخ ، **ووقت المراقبة!** كأن الفيض الحاصل من الآية الشريفة يصل إلى قلبه ولطائفه ، ومنبع الفيض ذاتُ النبي ﷺ ، ومَوْرده لطائف الإنسان **ووقت مراقبة القلب!** أن يلاحظ المريد كأن الفيض الواصل من قلب النبي ﷺ إلى قلب آدم عليه السلام ؛ من تجلّيات الأفعال يصل إلى قلبه ، ويسأل الله تعالى إيصاله . . .وهكذا ، وهكذا **للحضور أنواع ومواضع ، ففي كلِّ موضع** يقال (إنه في الحضور) . **وأما الوقوف القلبي!!** فمعناه : توجُّه السالك إلي قلبه بنظر الخيال ، فهو يكون في حالة الذكر والمراقبة ، ويكون أيضاً بلا ذكر ، فإذا نظر السالك إلى قلبه ينفتح مصْراعُه العليا فيصل الفيض ، **وليس الفيض منقطعاً ! بل هو دائماً يسيل كالمطر ، والمانع من وصوله خلوُّ السالك عن الوقوف والتوجُّه إلى القلب .فمثالُه مثالُ من وقف تحت السقف ، والحال أن المطر ينزل وينصبُّ**[1] . **فافهم .**

---

(١) وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ عزيزي أنت تنظر بالخيال وقت الذكر في القلب إلى القلب ، وتجمع النظر إلى القلب والروح وقت الذكر في الروح ، كمن ينظر إلى شيئين في حالة واحدة وهكذا في السر . . وإلخ ، فإنَّ الوقوف القلبي شرط في حالة الذكر في اللطائف كلها ، هكذا أفادني شيخنا العسلي قدس سره ؛ وهو عين ما في الكتب . فافهم وأوصيكم بالدعاء . (حسن سامحه الله من فرطاته) .

والمراقبة : ملاحظة الفيض من ذات النبي عليه السلام ، أو من لطائفه بأنواعها .

والرابطة : طلب الفيض من الشيخ ؛ أي : طلب وصول نور الذكر ، ونور المعرفة من قلبه إلى قلب السالك . **فافهم** .

وأما أثر الفيض ! فقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : **إن الحرارة وارتعاش القلب هما من أثر الفيض** وأثر الجذبة . هذا ؛ ولم أدْرك تأويل رؤياك لاختلاطها .

العبرة في الاستخارة الانشراح

والحال والحاصل أن الانشراح يكفي بعد الاستخارة ، كما هو مذكورٌ في الكتب ، ولا يشترط في ذلك رؤيةُ ما يدلُّ للخير أو الشر ، فأنت تفعل ما انشرح له صَدْرك ، ومالَ إليه قلبك . فهذا ؛ والسلام من والد روحكم الداعي لكم بالخير . (حسن حلمي سامحه الله من فرطاته . آمين) . انتهى .

ثمَّ إنه قدّس سرّه كتب في هامش هذه الرسالة بإزاء قوله فيها : وأما الغيبة والذهول . . .وإلخ ، فإنها أنواع من الفناء .انتهى ما لفظه :

مقام الصحو أعلى من مقام السكر

فحاصل حقيقة الفناء وفناء الفناء هو هذا : للإنسان خواطر تكون في القلب وفي الدماغ ، وله خواطر لا يَعلم مواضعَها ، فبناءً عليه إذا حَصَل للسالك نَفْيُ ما في القلب من الخواطر يقال له : فَانٍ ، وأما إذا حصل له فناء جميع الخواطر المذكورات ، ونسي نفسَه ؛ يقال له : إنَّه حصل له فناءُ الفناء ، ويقال للفناء : سكْرٌ ، وللبقاء : صَحْو ، **ومقام الصحو أعلى من مقام السّكر بدرجات . فافهم** . أعانك الله للاستقامة . آمين . انتهى .

مكتوب الهندخي لمقابلة القلب

وكتب إليه أستاذنا خليفته الثاني حميد أفندي الهندخي قدس سره :

سلامٌ كثير على مورد الظمآن ، وزلال فؤادنا في كل آن ؛ حسن أفندي القحي .

أما بعد : فقد وصل إلينا محمد عارف ، وأرحناه مع رفيقه في مقرِّه هذا ، ثم إني يا أُستاذي متردِّدٌ في أنَّي بأيِّ القلبين أقابل قلبي في طلب فيض تجلِّي الأفعال ؛ أبقلب النبي الأكرم ﷺ ، أم بقلب الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه ؟ انتهى من خط خطه .

جوابه

فكتب في جوابه : وعليكم السلام ، فلكم مني ألف ألفِ شكر ، ومن عيالي وأهلي ، ولعلكم تعلِّمونه الآداب ، وترشدونه إلى كل ما فيه الخير والصلاح ، ثم إنَّ مقابلة القلب في . . .إلخ إنما تكون بقلب نبيِّنا عليه السلام ، لا بقلب الشيخ . **فافهم** ، وأوصيكم بالدعاء . (الفقير حسن . انتهى) .

مكتوب الكزكلي في اختيار الروحانية

وكتب إليه قدّس سرّه العالم الفاضل المريده الصادق عبد اللطيف الكذلكلي الأواري ما لفظه :

إلى الأستاذ حسن ؛ السلام عليكم ، وعلى من أضيف إليكم .

أما بعد : فلو غلب وظهر لمريدٍ هو بشغلِ حبسِ النَفَس وقتَ الرابطة وغيره أثرُ تخيُّل نورِ روحانية النبي ﷺ على أثر تخيُّل نورِ روحانية القطب محمود الفعال قدس سره ، فهل يتوجَّه هو إليه ﷺ ، أو يتوجَّه إلى ذلك القطب بالإعراض عمَّا ظهر ، والتكلُّف على إظهار ما غُلِبَ ، أم إليهما ؟ ؟ والسلام مِن (أسير النفس عبد اللطيف) . انتهى . من خطه رحمه الله .

فكتب قدّس سرّه في جوابه : وعليكم السلام : يتخيل كليهما معاً ، فإن الشيخ المذكور قدس سره واسطةٌ ، ولو لا الواسطة لذهب الموسوط . **فافهم** ، وأوصيكم بالدعاء . . (الحقير القحي) . انتهى . (من نسخة أخرى) . من خطه قدس سره .

مكتوب العرادي وجوابه

وكتب إلى أحد أكابر مريديه وهو الشيخ العالم المحقق المجوِّد أُدُرة العرادي رحمه الله ؛ جواباً لكتابه ما لفظه :

وعليكم السلام ؛ أيها الأب المحبوب المقبول المخدومُ صاحب السرِّ المصون .

وبعد ؛ فقد سَرَّني كلامُكم وزال القبض بخطابكم ، فجزاكم عني خيراً آمين .

ثم إنَّك كتبت : وما كيفية المراقبات في جميع العبادات . . .وإلخ ، اعلم أيها العزيز المكرم أنَّ شيخنا قدس سره كان يقول : **إن المراقبة المعية هي الأصل ، وسائر المراقبات من أنواعها وفروعها** . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ضيَاء الدين في « جامع أصول الأولياء » ص ١٨ :

وأما المقامات[1] ! فهو أن تلاحظ حين الذكر وجميع العبادات أنَّ الله تعالى ناظرٌ إليك وحاضرٌ لك ، وهو مقام الإحسان ، لقول سيِّد الأكوان « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لَّمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ » أي : إذا لم يكن لك قوَّة على ملاحظة ؛ أنك ناظر إليه ؛ فاعبده ملاحظاً أنه ناظر إليك ، بأن تلاحظ أنَّ نظره تعالى محيطٌ بك من جميع جهاتك ؛ وأنت في وسط ذلك النظر تذوب وتصغرُ حتى لا يبقى لوجودك أثر . انتهى من عبارته . ومع هذا لو لاحظ المراقبُ في جميع تقلُّباته وتحركاته أنَّ محرِّكَهُ هو الله تعالى على قاعدة قولهم : أنت الذاكر وأنت المذكور . . .إلخ ؛ **لكانت الملاحظة المذكورة حسنة** إن شاء الله تعالى .

(١) المراقبات علَّه .(هامش النسخة) .

وأنت يا أبي ؛ لا يخفى عليك فضيلةُ المراقبة والتفكُّر ، وتفضيل العبادات التي لُوحِظ فيها مقامُ الإحسان ، فعليك بالحضور ، وإياك والفتور ، فقد كان عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما يقول : **ركعتان مع حضورِ قلبٍ خيرٌ من ألف ركعة والقلبُ ساهٍ** .

ومما ينبغي أن يلازم رؤيَة القصور ، والنظر إلى قلَّة الحضور ، فكم من عبادة يأتي بها العبد مع سوء الأدب ، فالنظر إلى تلك العبادة برؤية الكمال فيها عين التقصير ، **فيجبُ الانكسار والتذلُّل ، وطلب التوفيق من الله تعالى** ، فقد كان حاتم الأصمُّ رحمه الله تعالى يقول : ما صلَّيت صلاة قطّ ، إلاَّ ورأيت ما أتيت به فيها من سوء الأدب أكثرَ مما فعلتُ فيها من الطاعات . انتهى . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء لهذا الفقير بحصول الاستقامة والتوفيق . انتهى من خطه قدس سره .

ترتيب الرابطة مع المراقبة

وكتب قدّس سرّه أيضاً جواباً لكتاب : وعليكم السلام ؛ فالرابطة قبل المراقبة لأجل الإمداد من جهتهم ، ثم بعد ذلك تقرأ دعاءَ المراقبة المعيَّة ، وتتخيَّل كأن النبي عليه السلام بين يديك ، وتستفيض من ذاته الشريفة حصول المراقبة المعية ؛ أي : حصوله بواسطته عليه الصلاة والسلام .

مراقبة القلب

وأما أمر مراقبة القلب ! ! فتطلبُ حصُولَه من قلبه بواسطة قلوب المشائخ ، وتقف ناظراً إلى قعر القلب ؛ طالباً من الله تعالى وصولَ الفيض الواصل من قلب النبي ﷺ إلى قلب آدم عليه السلام بواسطة قلوب المشائخ ، ولم يُعلِّمنا مشائخنا غيرَ هذا ، **والمقصود حصولُ الحضور والجمعيَّة القلبيّة ؛ لا غير** . والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

مكتوب إلى العوري

وكتب قدس سره إلى أحد أكابر مريديه وهو الأستاذ محمد من حسين العوري حفظه الله ، وهو مقيم « بغزانش الأعلى »[1] مؤذّناً لهم ما لفظه :

المراقبة تعكس خواطر الناس

أيها الأخ المحبوب المرجوُّ للهداية حُسينِل محمَّد ؛ إني كنتُ نسيت أن أقول لك وقتَ تلقين المراقبة ما كان قال لي شيخنا قدس سره قبلُ ؛ وهو : هَنْجِ وَصٌ دُيْ عَدَمَزْدَ صَنْ ضَرَرْ كِّلَ مُنْ حُضُرَلْدَ وُكِنْچُنِ . انتهى . أي : يا أخي يحصل لك الآن ضررٌ من الناس إن لم تحافظ على الحضور ؛ يعني : **أن المراقِبَ ينعكس إليه خواطر الناس وقساوة قلوبهم ، ولو بمجرَّد النظر إلى وجوههم ، فينعكس إلى قلب المراقِب ظلماتُهم المتراكمة في قلوبهم** ، فيحصل له الفتور والقبض ، حتّى أنه قال لي سيف الله قدس سره أيام اجتماعي به في بلدة « شوره » ؛ حين خرجت إلى سوقها : يا ولدي ؛ إنَّ ما زال منك من الحال بسبب خروجك إلى الخارج هنا لا يعود إليك ، في أربعين يوماً ؛ أي : (كِقُكْ قُيَلِ بَچِنَرَخَ دِرْ وَسْ دُدِ هَنِوْ قَطِ وَخُّنْ اَرَبْ حَالْ) . انتهى ، ولأجل تنبيهك إلى هذا كتبت إليك هذه السطور ، **فإن كنت تكون** حين اجتمعت بالناس كأنك بين يدي الله تعالى حاضراً معه بالقلب لا يحصل لك الضرر ، وإلّا ! فالحجاب يطرأ على قلبك . **فافهم** . انتهى .

مكتوب حُسينل محمد واعتذاره

وكتب إليه قدس سره الأستاذ المذكور حُسينِل محمَّد حفظه الله ما لفظه :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ؛ إلى قطب دائرة معدن الإسلام ، ومنهل أهل التوحيد والعرفان ، المرشد الحقيقي ، مولانا حسن أفندي الحليم الحقي ، وإلى . . إلخ . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وأدامكم الله تعالى على الاستقامة ، ومتابعة رسول الله ﷺ .

(١) وفي نسخة : العليا .

وبعد : فأبهى مرادي من الله فيكم كونُكم في صحَّة وسلامة ، وعلى استقامة دائماً ، وأما خواطري وظلماتي ! فكالغيوم المتراكمة المترافعة بعضها فوق بعض كما كتبتَ في مكتوبك لكوني غافلاً غيرَ مبال لسدِّ طرق الخواطر ، ولكن أرجو من الله تعالى ومنكم العفوَ والعافية والإعانة ، لدفع تلك الخواطر الظُّلْمانية ، ولحصول الاستقامة والاتباع . هذا ؛ وأنا خادمكم الغير المؤتمِر لأوامركم ، الغيرُ المنتهي عن نواهيكم حُسينِل محمد . انتهى من خطه قدس سره .

جوابه لِحُسينِل محمد

فكتب قدّس سرّه في جوابه : وعليكم السلام ؛ فأنت أيها المحبوب ؛ **تكون دائماً**

مراقباً كأنك تسعى بين يدي الله تعالى كما تسعى بين يدي نور الشمس ، فالعبادةُ التي

تفعلها مع ملاحظة أنَّك بين يديه ؛ وهو ناظر إليك أفضلُ وتزيد بدرجات .

فإن سألت عن أحوالنا ! ! فنحن بحمد الله في صحَّة وسلامة ، وأنت تجمع شملَ المريدين بقدر الطاقة ﴿**فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾ ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب الشيخ المذكور محمد بن حسين أيضاً ، إليه يسأله عن كيفية مراقبة الروح فكتب في جوابه ؛ وعليكم السلام . . إلخ .

فأنت تقرأُ مراقبة الروح ، ثم تنظر إلى الروح ؛ وتقابل روحك بروحهﷺ ، وتستفيض

من روحه فيضَ تجلِّيات الصفات الثبوتية إجمالاً ، وتقف كذلك مستفيضاً . انتهى .

مكتوب إلى العوري ؛ الحضّ على المراقبة

وكتب هو أيضاً إليه رحمهما الله : إلى الأخ المحبوب محمد العوري : سلام كثير عليكم . . إلخ . . ثم المقصودُ الأهمُّ منكم أن تلازموا على المراقبات بقدر الوسع والطاقة ، **فإنها من أفضل الطاعات وأجلِّ العبادات** ، ونتيجَتُها مشاهدةٌ ، وتتبعها مكالمة ومحادثة ، وهي منتهى مقاماتِ أهل الطريقة ، فَعَضَّ عليها بالنواجذ لتفوز بلذَّة الجنَّة المعجَّلة في الدنيا ، وتدخل في دائرة قوله تعالى ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ﴾ في العقبى ، **وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء** . فهذا ؛ والسلام . الحقير حسن حلمي . انتهى .

مكتوب تلقين المراقبة

وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة المعيَّة ما لفظه[(١)] :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ ؛ يَا رَبِّ هَبْ خِرِيَبْ آيَتِپُلْ مَعْنَى يَلْدَ صَنْ حَصُلْ لِرَبْ فَيْضْ ﷺ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ[(٢)] يا مَحْمُودَ الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

تلقين المراقبة

وكتبه إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛[(٣)] وهي مراقبة القلب : باسم الله خير الأسماء . . . وإلخ ، (يَا رَبِّ هَدَبْ تَجَلِّيَاتُ الأَفعَال لُِنْ بُكِبْ فَيْضْ ﷺ محمّد المصطَفَى يصُلْ خِرِيَبْ قَلْبُيَلْدَصَنْ آدَمْ عَلَيْهِ السلامَ صُلْ خِرِيَبْ قَلْبُيَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيْضْ مَشَائِخْزَبْزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَيَلْدِلُِنْ خَصْك مَحْمُودْ أَفَنْدِي يَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَيَلْدَلُِنْ دِرْ قَلْبُ يَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُود الفِعَالِ بمحمَّد ﷺ) . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة الأولى ؛ وهي مراقبة المعيَّة ما لفظه .

(٢) ترجمتها : يا رب ؛ أوصل بركة هذه الآية وفيضها من قلب محمد ﷺ إلى قلبي . (من نسخة أخرى) .

(٣) وفي نسخة : المراقبة الثانية .

وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛[1] وهي مراقبة الروح : باسم الله . . . وإلخ ، يا ربِّ هَدَبْ تَجَلِّيات الصفات الثُّبُوتِيَةْ[2] لُِنْ بُكِبْ فَيْض محمَّد أَوَرَكْ ﷺ صُلْ رُوحَلْدَ صَنْ نُوحْ وَإبْرَاهِيمْ عليهما السلامَ زُلْ رُوحَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيض مَشَائِخْزَبَزُلْ رُوحَلْ وَاسِطَيَلْدَلِّنْ خَصْك مَحْمُودْ أَفَنْدِ يَصُلْ رُوحْ وَاسِطَيَلْدَ لُِنْ دِرْ رُوحَلْدِ شِزِهَبِ[3] يا مَحْمُود الفِعال بمحمد ﷺ .

ثم[4] يقفُ منتظراً إلى الروح بمقابلة الروح بروح النبي عليه السلام ، ويستفيض . . .إلخ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛[5] وهي مراقبة السرِّ : باسم الله خير . . . إلخ . (يا رَبِّ هَدَبْ شُؤُنَاتُ ذَاتِيَّةْ لُِنْ بُكِبْ فَيْضْ مُحَمَّدْ أَوَرَكْ ﷺ صُلْ سِرُّ يَلْدَصَنْ مُوسَى عليه السلامَ صُلْ سِرُّ يَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيْضْ مَشَائِخْزَبَزُلْ سِرُّ وَاسِطَيَلْدَ لُِن دِرْ سرُّ يَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ)[6] .

وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة الخفي : باسم الله . . . إلخ ، (إلهِي يا رَبِّ هِبْ دُرْ صِفَاتُ سَلْبِيَّةَ زْدَصَنْ ، بِهَرَبْ فَيْضْ محمد أورك ﷺ

(١) وفي نسخة : المراقبة الثالثة .
(٢) الصفات الثبوتية ؛ هي صفات الله تعالى التي ليس فيها معنى السلب ، فراجع . انتهى عبارته (منه) . (من نسخة أخرى) .
(٣) ترجمتها : يا رَبِّ ؛ فيض تجلي الصفات الثبوتية الواصل من روح محمد ﷺ إلى روح نوح وإبراهيم عليهما السلام أوصله إلى روحي بواسطة أرواح المشائخ خاصة روح محمود أفندي . (من نسخة أخرى) .
(٤) ووجد بخطه قدّس سرّه بعد أن كتب إلى بعض مريديه صورة هذه المراقبة بلفظها الذي أورده هنا ما لفظه : ثم ينظر إلى الروح بخزانة الخيال ، ويقابل روحه بروح النبي ﷺ ويستفيض . . .إلخ . (من نسخة أخرى) .
(٥) وفي نسخة : المراقبة الرابعة .
(٦) ترجمتها : يا رب ؛ أوصل فيض تجلِّ الشؤونات الذاتية الواصل من سرِّ محمد ﷺ إلى سرِّ موسى عليه السلام إلى سرِّي بواسطة أسرار المشائخ . (من نسخة أخرى) .

مُحَمَّدْ أَوَرَكَصُلْ خَفِي يَلْدَ صَنْ ، عيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمَصُلْ خَفِيَلْدِ رِشْطُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ خَفِي وَاسِطَيَلْدَ لُنْ ، خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِ يَصُلْ خَفِي وَاسِطَيَلْدَ لُنْ دِرْ خَفِي يَلْدِ رِشْطِنْز هَبِ يا محمودَ الفِعالِ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وآله وصحبه)(١) . والسلام والوصية بالدعاء .

ويقابل قلبه بقلب النبيِّ عليه السلام ، ويقابل روحه بروح النبي عليه السلام حين المراقبة ، كذا في الكتب راجع ، انتهى ، كلها من خط المذكور محمد حفظه الله .

مكتوب إلى أستاذه العسلي يستفسر عن الصفات السلبية

وكتب الأستاذ حسن أفندي إلى أستاذه الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سرهما يسأله ما لفظه :

فقد وقع بيني وبين الحاج إبراهيم في خصوص الصفات السلبية كلامٌ ، فبناءً عليه نطلب من جنابكم أن تبيِّنوا لنا بسنّ القلم ما الصفات السلبيَّة ، وكيف نلاحظها في نفس السالك ؛ وفي نفس غيره ؟ هل نلاحظ كما نلاحظ الصفات الثبوتيَّة ؛ كالعلم – مثلاً – يلاحظ السالك أنّ علمه وعلم الخلق من علم الله تعالى . . . وإلخ . **فافهم** واعفُ وتجاوز ، وكمْ تركنا الأدب معكم أيها الأستاذ ! ! انتهى .

(١) ترجمتها : يا رب ؛ أوصل إلى خفيِّ فيض تجلِّي الصفات السلبية الواصل من خفيِّ محمد ﷺ إلى خفيِّ عيسى عليه السلام بواسطة خفيِّ المشائخ خاصة خفيِّ محمود أفندي . (من نسخة أخرى) .

جواب العسلي

فكتب الأستاذ العسوي قدس سره في جوابه ما لفظه :

معاني الصفات السلبية

والمراد من الصفات السلبية صفات الله تعالى التي فيها معنى السلب ؛ ككون الله بلا تحيُّز ولا جسم ، ولا مثال ولا مكان ، ومراد السالك بحضورها نفي الأغيار عن قلبه . والله أعلم ، ولم يعلّمنا مشائخنا في ذلك غير هذا . انتهى .

مراقبة المعية

وكتب قدس سره إلى أسبق أولاده وخليفته من بعده محمد العسوي قدّس سرّه يلقّنه المراقبة ؛ وهي : مراقبة المعيّة ما لفظه : باسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله المجتبى ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ ، يَا ربِّ هَبْ خِرِيَبْ آيَتَپْلْ مَعْنَى يَلْدَصَنْ حَصُلْ پِرَبْ فَيْضْ مُحَمَّد أَوَرَكَصْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُودَ الفعال بمحمّد ﷺ .

وأرَّخ المكتوب إليه قدس سره في هامش المكتوب وقت تلقينه إياه هذه المراقبة بهذا التاريخ ؛ في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٠ هـ .

---

* الصفات الذاتية ، والفعلية ، والسلبية ، راجع « الإعانة » ص ٣١٢ ج٤ عبارته ، و« جراب الممنون » ص ١٧١ ، و« أساس الدين » للعالم المحقِّق الحاج عبد الرحمن الأختي من أوائله ، ففيه بيان الصفات النفسية والسلبية والثبوتية . (من نسخة أخرى) .

* وأما الجلال والإكرام ! ! قال العلماء رحمهم الله تعالى : الجلالُ : العَظَمةُ والعزة ، والإكرام : الكرمُ والكمال ، ومنه الكريم ، أي : عظم عن التشبيه ، وتعالى عن التعطيل ، ولذلك يقال عز وجل ، أي : عزَّ عن التشبيه وجلَّ عن التعطيل ؛ وهو من صفات الذات . وقال بعض المحققين : لله تعالى صفات سلبية ، كأنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، وإضافية كأنه عالم سميع بصير ، فالأولى صفات الجلال ، والثانية صفات الإكرام ، وهو معنى ذي الجلال والإكرام . « إزهار » . (من نسخة أخرى) .

* والأوجه أن من أنس بالله بحيث صار يأنس بالوحدة ، كأنس غيره بالرفقة عَدَمُ الكراهة ، كما لو دَعت للانفراد حاجةٌ . « ابن حجر » عبارته . أي : عدم كراهة سفره وحده من أول صلاة المسافر . (من نسخة أخرى) .

وكتب إليه أيضاً قدس سرهما يلقِّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة القلب : باسم الله خير الأسماء . . إلخ : يَا رَبِّ هَدَبْ تَجَلّيات الأفعالْ لُنْ بُكِبْ فَيِضْ رَسولُ أكْرَمْ محمَّد المصطفى ﷺ صُلْ خِرِيَبْ قَلْبُ يَلْدَصَنْ آدَمْ عليه السلامَ صُلْ خِرِيَبْ قَلْبُ يَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيِضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ قُلوبَلْ وَاسِطَ يَلْدَ لُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أفَنْدِي يَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَه يَلْدَلُنْ دِرْ قَلْبُيَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُودَ الْفِعَالْ بمحمد ﷺ . انتهى . وأرخه أيضاً بهذا التاريخ ؛ يوم السبت ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٤١ هـ .

مراقبة الروح

وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة الروح : باسم الله خير الأسماء . . . وإلخ : يا رَبِّ هَدَبْ تجلِّيات الصفات الثُبُوتيَّةْ لُنْ بُكِبْ فَيْضْ محمد أوَرَكَ صُلْ رُوحَلْدَصَنْ نُوحْ وإبراهيم عليهما السلام زُلْ رُحَزْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيِضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ رُوحَلْ وَاسِطَيَلْدَلُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أفَنْدِ يَصُلْ رُوحْ وَاسِطَيَلْدَلُنْ دِرْ رُوحَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ ، وأرَّخه أيضاً بهذا التاريخ ؛ يوم الثلاثاء الثالث من ذي القعدة سنة ١٣٤٢ هـ .

مراقبة السرّ

وكتب إليه أيضا يلقنه المراقبة ؛ وهي مراقبة السرِّ : باسم الله خير الأسماء . . .وإلخ : يارَبِّ هَدَبْ تجلِّي شُؤونَاتُ ذاتيَّةْ لُنْ بُكِبْ فَيِضْ محمد أورك ﷺ صُل سِرُّيَلْدَ صَنْ موس عليه السلام صُلْ سِرُّ يَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيِضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ سِرُّ وَاسِطَيَلْدَلُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أفَنْدِي يَصُلْ سِرُّ وَاسِطَيَلْدَلُنْ دِرْ سِرُّ يَلْدِ شِزِ هَبِ ، يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى ، وأرَّخه أيضاً ؛ يوم الجمعة ٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ هـ .

مراقبة الخفي

وكتب إليه أيضاً يلقنه المراقبة ؛ وهي **مراقبة الخفي** : باسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله محمَّد وآله وصحبه

أجمعين : (يَا رَبِّ هِبْ دُرْ صِفَاتُ سَلْبِيَّةَ زْدَصَنْ بِهَرَبْ فَيضْ محمد أورك ﷺ محمد أورَكَصُلْ خَفِيَلْدَ صَنْ عِيسَى عليه السلام عيسى أَوَرَكَصُلْ خَفِيَلْدِ شُنْ بُكَنَ هِبْ فَيضْ أَسْتَارْ زَبَزُلْ خَفِيَلْ وَاسِطَ يَلْدَلُنْ خَصْكُ محمود أفندي يَصُلْ خَفِي وَاسِطَ يَلْدَلُنْ دِرْ خَفِيَلْدِ شَخِزِ هَبِ ، يا محمودَ الفعال بحرمة محمد وآله وصحبه أجمعين) ، ثم ينظر إلى لطيفة الخفي . انتهى . وأرَّخه أيضاً ؛ ١٨ جمادى الأولى يوم الخميس في الريف سنة ١٣٤٤ هـ .

مراقبة الأخفى

وكتب إليه يلقنه مراقبة الأخفى : باسم الله خير الأسماء . . . إلخ : (يارَبِّ هِبْ دُرْ شَأنُ جَامِعْ تَجَلِّي لِيَلْدَ صَنْ بِهَرَبْ فَيضْ محمد أوَرَكْ ﷺ محمد أوَرَكَصُلْ أَخْفَى يَلْدِ رِشْطُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ أَخْفَى وَاسِطَيَلْدَ لُنْ خَصْكُ محمودْ أفندي يَصُلْ أَخْفَى واسِطَيَلْدَ لُنْ دِرْ أَخْفَى يَلْدِ شَخِزِ هَبِ[1] يا محمود الفعال بحق محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين) . انتهى بتاريخ ؛ ٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ هـ ، انتهى . كلُّ هذه المراقبات الست من خط الحلمي حسن أفندي قدس سره ، والتواريخ من خط اليعسوب العسوي قدس سره .

المراقبة الأقربية

ثم إنه وجد بخطه ؛ أي : اليعسوب قدس سره هذه المراقبة السادسة[2] ؛ وذكر أنها كتبها في حجرة الشيخ حسن حلمي بأمره عن خط الشيخ شعيب أفندي قدس سره وهذا صورته :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين : (إلهي هِب دُرْ شأنُ جامع تجلِّي لِيَلَدَ صَنْ بِهَرَبْ فَيْض خِرِيَوْ محمّد أورك ﷺ هِصُل أخفى يَلْدِ رِشْطُنْ بُكَنَ ، خِرِيَلْ أَسْتَارْزَبَزُلْ

(١) ترجمتها : يارب ؛ أوصل فيض تجلِّي الشأن الجامع من أخفى محمد ﷺ بواسطة أخفى المشائخ ، خاصة أخفى محمود أفندي إلى لطيفة الأخفى عندي . (من نسخة أخرى) .
(٢) وفي نسخة : السابعة .

أخْفَى وَاسِطَيَلْدَلِّنْ هِبْ فَيِضْ دِرْ أخْفَى يَلْدِ چَخِزِ هَبِ اَللهْ يا محمود الفعال بحقِّ محمد ﷺ وآله) . انتهى .

معنى الفناء

ووجد بخط اليعسوب قدس سره ما لفظه : وسمعتُه ؛ أي : الأستاذ القحي قدّس سرّه يقول :

إنَّ السالك إذا فني في الله ونسي الموجوداتِ والكائنات سوى نفسه ؛ يقال له : إنَّه فانٍ في الله ، وإذا فنيَ عن نفسه ولم يبق له شعور ما ! يقال له : إنه حصل له الفناء الذي هو عين البقاء ، وبعد ذلك يصير السالك دائميَّ الحضور بحيث لا ينساه تعالى ؛ ولو لحظة ؛ لأنه إذا كان قبل ذلك لا ينسى نفسه ، فكيف ينسى مَن هو أقربُ إليه من نفسه ؟ ! كما قال تعالى ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ وهذه المرتبة هي **نتيجةُ مراقبة الاقربية** . انتهى . والحمد لله .

مكتوب في شرح قولهم : الكل هو

وكتب إليه قدس سرهما جواباً لكتابه : وعليكم السلام ؛ إنَّ ما يقوله بعض الأكابر بما نصُّه : الكلُّ هو ! ! معناه : أنَّ كلَّ ما خلقه الله تعالى وكَوَّنه هو مَظْهر جلاله وجماله ، ومَجْلَى نعوت كماله ، كما أنَّ المرايا الكثيرة إذا قابلها وجهُ الإنسان تكون مظهراً لوجهه ، ولا يخفى أنَّ وجهه لا يكون حالاًّ فيها ، ولا هو متَّحدٌ ؛ فلا حلول ولا اتحاد في هذا وهكذا ؛ فيما مرَّ . فافهم .

وجواب ما كتبت من مشاهدة أفعال الله تعالى في الخلق ومشاهدة ما يتجلَّى بها كأنه جَبْر محضٌ .

اعلم أن أهل السنة فارق مذهبهم من مذهب الجبرية بكونهم يثبتون للعباد كسباً ، أي قصداً ، ففعل الله تعالى إنما يُخلق بعد القصد ، فلا يكون ذلك جبراً ؛ كما لا يخفى . فافهم .

الأولياء على أقدام الأنبياء

وأما ما سألتَ من معنى كون الأولياء على أقدام الأنبياء ! ! فمعناه : أنَّ في كلِّ نُبُوَّةٍ ولاية ، فمن تجلّي الله تعالى بالأفعال يقال له : إنه على قدم ولاية آدم عليه السلام ، وإنَّ مشربَه آدميٌّ ، ومن تجلّى الله تعالى بالصفات الثبوتية يقال له : إنه على قدم ولاية نوح وإبراهيم ، وإنه إبراهيميّ المشرب . . . وإلخ ، ومن تجلّى الله تعالى بالشؤونات الذاتية يقال له : إنه تحت قدم ولاية موسى ، وإنه موسويٌّ المشرب ، ومن تجلّى الله تعالى بالصفات السلبية يقال له : إنه على قدم ولاية عيسى ، وإنه عيسوي المشرب ، ومن تجلّى الله تعالى بالشأن الجامع يقال له : إنه تحت قدم ولاية محمد عليه وعلى جميعهم الصلاة والسلام .

ومعنى كون الأبدال السبعة على قلوب الأنبياء السبع ! ! لعل المرادَ منه ما مرَّ والله أعلم ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء ، ولم تتفق الفرصة لبسط الكلام ، وأرجوك أن ترضى بهذا القدر ، وتفهم منه الكثير ؛ وإن قلَّ . (الحقير القحي غفر الله له آمين) . انتهى من خطه قدس سره .

وكتب إليه قدّس سرّهما في بيان معنى : إنَّ كلَّ وليّ قدمه على قدم نَبي . ما لفظه :

أي : إنه يذوق ذوق ذلك النبي ، ويتوجَّه توجُّه ذلك النبي من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبي ، بل يحصل له قسط ونصيب مما كان عليه ذلك النبي . انتهى . وراجع « رماح حزب الرحيم » ص ٩٠ ؛ من هامش « جواهر المعاني » .

ثم كتب بياناً بمَثَلٍ على بيان ما لفظه : يعني مثلاً إنَّ آدم عليه السلام كان تَجلّي ولايته من تجلّيات الأفعال ، فمن حصل له قسطٌ ونصيب من ذلك التجلّي يقال له :

إنه آدمي المشرب . . وهكذا . . وهكذا ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . (الحقير القحي) . من خطه قدس سره .

نتيجة مراقبة القلب

وكتب قدّس سرّه ما لفظه : (دِدَ اَبُنَ ژُيَصْ دِرْ مُرَاقَبه خِسَنَ رُحَلْدِ اَبُنْ دِصَّ خَلْ هَبُنَ إِصُلْ اِصْدَ لِّلِبْ بَتِجُ مُرَاقَبَةُ الْقَلْب بِسُنْ هَبز ، دِصَّ أُسْتَرَصْدَ بِژَنَ اِصْ اَبُنَ : اِصُلْ خِيَالْ اِخِدِ اُنِبْ بُكَنَ كُرِ اَبُنْ) ثم وقف متفكِّراً ومتوجِّهاً فقال : إِبْكُ مُرَاقَبه كِ لِّزِ هَبُنْ تِ هِوْ دَهَبْ زَمَنَيَلْ اَبُنْ ، أي : إِبْكُ مراقبة الْقَلْبُيَلْدَ فمن ذلك يعلم أنَّ نتيجة تمام مراقبةِ القلب صعودُ الخيال إلى جهة الفوق . فافهم . (قحي رحم الله إفلاسه) .

ملحوظات في التوجُّه

وكتب قدّس سرّه ولعله إلى ولده اليعسوب قدس سره : وعليكم السلام ؛ أيها الولد المحبوب . . . إلخ ، إنك تفعل المراقبتين على الترتيب ، وتتخيَّل المشائخ والنبي عليه السلام ، كما في الرابطة وقت المراقبة القلبية ، وأما في المعية ! ! فلا تتخيلْ إلاّ ذات النبي عليه السلام ، فإن سَوَّيتَ فيهما في القدر والزمن ؛ فهو حسن ، ولا بأس بالزيادة في واحد منهما . **فافهم** .

وقد اقتصرت في الكلام لضيق الوقت ؛ فلا تَلُم . والسلام .

معنى تجلِّيات الأفعال

معنى تجليات الأفعال : شهودُ الذات المقدَّس في أفعال الخلق وحركاتهم ، كأنّه هو الفاعل والمحرِّك . **فافهم** ، أي : (هِبْ اَللهَ صُلْ أَفْعَالَلْ إِزْطَلُنْ اَللهْ لِّيْ ظَهِرْلِ لِّنْ بُكِبْ فَيِضْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ)[1] إلخ . انتهى .

وكتب قدس سره إلى العالم العارف عبد اللطيف الكذلكلي الأواري ما لفظه : من حسن إلى أخيه المحبوب عبد اللطيف ؛ سلام عليكم ، وبعد ؛ فبشدَّة قبضي وعدم بسطي وقعتُ في الخطأ في كتبة كيفية المراقبة ، فبناء

(١) و ترجمتها : اللّهم أظهر في قلبي الفيض الذي سببه أفعال الله .

على ذلك آمرك أن تحرق تلك القطعة المكتوبة ولا تقرأه كذلك ، بل الصواب هكذا ؛ باسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله ، محمد وآله المجتبى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، (يَا رَبِّ هَبْ خِرِيَبْ آَيَتَپُلْ مَعْنَى يَلْدَصَنْ حَصُلْ لِرَبْ فَيْضْ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُودَ الفِعَالْ بِمُحَمَدٍ ﷺ) . ثُم تتخيَّل كأنَّ ذات النبي عليه السلام واقف أمامك نوراً محضاً وتنظر إلى نقطة القلب وتستفيض منه . انتهى . فافهم . فهذا ؛ والسلام وأوصيكم بالدعاء ، انتهى من خطه قدس سره .

وكتب إليه قدّس سرّهما ما لفظه : تذكرة الحقير لولده العسلي الموافقَةُ لحاله ، كان مريدٌ يطلب مرتبةً من الحقِّ يتعلَّق بها للقرب والوصول ، يريد أن لا يظهر فيها نقص ، كأنَّ لسانَ حاله ينادي عليه : لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى ؛ لأنَّ كلَّ المراتب لا بدَّ لها من نقصٍ ، فليس يظهَرُ الكمال صورة ومعنى وحِسّاً ؛ بريئاً من النقص بكلِّ وجه ، وبكل اعتبار إلاَّ في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها ، انتهى « رماح حزب الرحيم » ص ١٣٨ ج ٢ . وهي الرسالة والنبوة والقطبانية . راجع . انتهى .

المعرض عن الدنيا

وكتب اليه اليعسوبي قدّس سرّهما : **والخفيّ أعلى من السِّر ، وأقرب إلى الحق .**

وعلامة صاحب الذكر الخفيّ : أن لا يلتفت إلى الدنيا والآخرة . « بداية الذاكرين » عبارته .

كأنه يريد منه بيانَ هذا الكلام على وجهه ، فكتب في جوابه ما لفظه : أي لا يطلب مَنْ يذكر الله تعالى بالذكر الخفيّ شيئاً من حظوظ الدنيا ؛ كإرادة الثناء والمدح وغيرهما ، لأن الناس لا يطلعون على ذلك الذكر الخفي ، بل لا

* المراقبة : علم القلب بنظر الله إليك ، « كفاية الأتقياء » عبارته . قال الزرقاني : قال بعض السادات : المراقبة علم العبد باطّلاع الربِّ ، يوسف النبهاني من هامش . (من نسخة أخرى) .

يجوز أن يكون إلاّ خالصاً لله . ولا من حظوظ الآخرة ؛ لأنَّ الذكر خفية لا يطَّلع عليه الحفظة فيُكتب ويذكر في مَلأٍ من الملائكة ، والخلق في القيامة . فهذا معنى عدم الالتفات إلى الدنيا والآخرة . لا ما يفهمه من لا يعلم حقيقة الكلام من أن صاحبه يجب أن يكون متجرِّداً عن الدنيا بالكلية .

المعرض عن الآخرة

ومعنى عدم الالتفات إلى الآخرة : هو عدم قصد الذاكر شيئاً من حظوظها ، فإن حظوظ الآخرة كحظوظ الدنيا عند العارفين ، فالعامل لأجل الجنة عاملٌ لبطنه وفرجه . فافهم . والسلام . انتهى .

لطائف الإنسان عشرة

وكتب قدس سره : **وبعد** ؛ فاعلم أوّلاً أنَّ للإنسان لطائف عشرة ، كما أفرد بذلك الإمام الرباني مجدِّد ألف الثاني قدس سره ، وهي على قسمين ؛ خمسٌ من عالم الخلق ، وخمس من عالم الأمر .

اللطائف الخمس الأمرية

القسم الأول : النفس الحيواني ، والعناصر الأربعة ؛ وهي : التراب ، والماء ، والهواء ، والنار . . إلخ . « مسيرة الحكم » عبارته . ولا يمكن تصفيتها – أي : النفس – إلاَّ بتصفية اللطائف الخمس الأمرية ؛ وهي : القلب ، والروح ، والسرّ ، والخفيُّ ، والأخفى . « مسيرة الحكم » عبارته .

النفس الحيواني

وأما **النفس الحيواني** ! ! فهي الجوهرةُ البخارية اللطيفة الحاملة لقوَّة الحياة والحسّ والحركة الإرادية وغيرها ، وتسمَّى الروح الحيواني ؛ فهي جوهر مشرق للبدن ، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وعن باطنه . « مسيرة الحكم » عبارته .

١ القلب

وأما القلب : فلطيفةٌ ربَّانية مودعة في المضغة المعدَّة منبتة في جميع البدن من الأعضاء والأجزاء بواسطة العروق والعصب ؛ **وهو محلُّ النظر الإلهيّ** ، وإلهام الملك ، وإلقاء وسوسة الشيطان ، كما ورد في الأثر : « مَا مِنْ آدَمِيٍّ إلاَّ لِقَلْبِهِ بَيْتَانِ فِي أَحَدِهِمَا مَلَكٌ ؛ وَفِي الآخَرِ شَيْطَانٌ ، فَإذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ ، وَإذَا لَمْ يَذْكُرِ الله يَضَعُ مِنْقَارَهُ فِي قَلْبِهِ وَوَسْوَسَ » ؛ أو كما قال ، وكذا حديث اللمَّة .

٢ الروح

وأمَّا الروح : فلطيفةٌ ربَّانيَّة مدركة منطبعة في البدن مودعة في الكبد ، وقد تكون مجرَّدة مشرقة .

٣ السرُّ

وأما السر : فلطيفة ربَّانية مدركة مودعةٌ في الطحال .

٤ الخفي

وأما الخفي : فلطيفة ربَّانيَّة مودعة في المرارة .

٥ الأخفى

وأما الأخفى : فلطيفة ربَّانية مودعة في الكليتين ، وهذه الكيفية بسبب تعلُّق كلٍّ منهما إلى البدن . « مسيرة الحكم » عبارته .

مكتوب اليعسوب

وكتب إليه ولده المعنوي اليعسوب العسوي رحمهما الله تعالى ورحمنا بهما آمين : إلى والدنا وشيخنا ؛ أبي الفيض والفتوح مربِّي السالكين ومنقذ الهالكين ، شيخي وروحي حسن حلمي النقشبندي الشاذليّ القادري

المجدِّدي : السلام عليكم . . . وإلخ . وبعد ؛ فلما خفي عليَّ كيفيةُ جريان الخط في الألطاف في حبس النفس؛ أهِيَ بمجرَّد التخيل ، أو بمعونة بعض النفس المحبوس تحت السّرّة ؟ وكذا الضرب في القلب بأيِّ شيء يكون ؟ كنتُ نظرت في كتب القوم ؛ لتعلُّم الكيفية المذكورة بلا تعرُّض لسؤالكم حياءً منكم ، وتحاشياً عن تكثير الكلام والسؤال عليكم ؛ فوجدت في كتاب « سلسة الذهب » ، وشرحه « تحفة الأحباب » أن ذلك الضرب يكون بالنفس الدائر في الجوف . وفي كتاب « تبصرة المرشدين » للشيخ الفاني محمد ذاكر : أن جريان الكلمات من محلّ إلى محلّ بمجرَّد الخيال ، حتى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النفَس محبوساً تحت السرة . انتهى . فبه زاد الخفاء على ما كان قبلُ فلم أجدْ بُدّاً من الالتجاء إلى جنابكم ؛ راجياً منكم إزالة ظلمة الإشكال عنا .

وأيضاً : إنَّ جريان الخط واعتبار النقوش يكون بالتعب والكدِّ إن اعتبر الجريان بنفسه بلا معونة شيء ، فلا أقدر وقتئذٍ أن أذكر في نَفَس واحد إلاَّ إحدى وعشرين مرة في نَفَس واحد ، وأما إذا اعتبر جريان الخط والنقش مع حركة الإصبع ، أو طرح السُبْحة ، كما في اسم الذات فيسهل ذلك ، ويجري الخيال بلا تعَب ولا إكراه ، ويسهل فعله في نَفَس واحد كثيراً ، فإن كان يصحُّ فعله هكذا ؛ فذا نهاية المرام ، وفضلُ الملك العلاَّم .

ثم إن أولادكم المشتاقين للقائكم يشتكون إليَّ بفقدان لباسٍ لائق للقائكم بالأدب ؛ لتوَسُّخه وتدنُّسه بالعرق . . . وإلخ وتخرّقه وتمزّقه بتعذّر تبديله بغيره وتغييره ؛ ولو بالغسل لقناعة المنسوج في قُرانا في هذه الأيام . . .إلخ ، وبفقدان ما يلبس على الأرجل من الخفاف . . .وإلخ ، مع أن كشف الأرجل . . .وإلخ عندكم من سوء الأدب ؛ وإن كان هذا الفقير الحقير الذي لا أدب له عندكم ، ولا شمَّةً يتسامح في هذا المذكور ويدور إلى أبوابكم مرات كرات ، مع الخوف من الطرد والإبعاد ، أعاذنا الله منه ومن كل ما يورث للعبد البعاد ، ومن شرور أنفسنا وأعمالنا ، فالعفوُ عنه وعن كثرة التردُّد إليكم لضرورة العلاج

للأمراض المذكورة مرجوٌّ من سماحتكم وحلمكم يا حلمي ، هذا والسلام من ولدكم المنغمس في الخطايا أسير نفسه محمّد بن نور محمّد العسوي الساكن في « هُؤُزْ » .

فكتب قدّس سرّه في جوابه مختصراً ما لفظه : لا تعارض بين الكلامين ، فتدبَّر ثانياً وثالثاً تفهم المراد على وجهه . وأما قولكم (فيسهل) ، نعم يسهل ويجوز لك فعله بالسرعة إن جَرى الخط بلا اختيار . وأما فقدان ما يلبس . . . إلخ **فلا بأس بترك هذا الأدب اليسير** ؛ **فإنَّ الضرورات تبيح المحذورات** . فافهم .

مكتوب اليعسوب

وكتب اليعسوب إليه نظير تلك الأسئلة مرة أخرى ، فكتب في جوابه مطوَّلاً ما لفظه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب أزيد مما أرسلت إلينا بألوف ورحمة الله وبركاته ، فقد كتبت في رسالتك عن شكوى المريدين بفقدان لباس . . .إلخ . فاعلم أيها الولد المرجوُّ للاستقامة ، والمأمول لحوز السلامة : **أن المشائخ يتسامحون في أمثال هذه المذكورات ولا يبالون** ، وقد قال لي واحدٌ من المريدين إنه يستعمل الثوم في الطعام ؛ لأجل أنه دواء لرأسه الوجيع ، ويخاف أن يشم رائحته أرواح المشائخ في حالة الرابطة ، فعرضت قوله هذا على الأستاذ ذي الجناحين(١) العسلي قدّس سرّه ؛ فأجاب قائلاً :

---

(١) **قوله** : (ذو الجناحين) هو لَقْبُ سيدنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه ؛ الذي لقبه به شيخه قطب الإرشاد الحاج جبرائل أفندي اللكتي الثاخوري قدّس سرّه ، وقد يلقبون بذلك اللقب على من ارتقى إلى الولاية العليا . راجع « تبصرة المرشدين » (حسن أفندي قدس سره) .
ثم اعلم أن السير في الولاية الكبرى في الاسم الظاهر ، وهو جناحُ واحد ، فلا بدَّ من تحصيل جناح آخر للطيران ؛ وهو :السير في الاسم الباطن الذي هو ولاية الملإ الأعلى المسمىَّ بالولاية العليا . « تبصرة المرشدين » عبارته للشيخ محمد ذاكر الچسطاوي خليفة القطب محمود أفندي ، قدّس سرّهما آمين في « بُلْغَارْ وَقَازَانْ » .
وعلم من هذا ، ومن تسمية مرشد الخلائق الحاج جبرائل أفندي على مرشدنا المطلق عبد الرحمن العسوي – رحمه الرحمن الأبدي – بذي الجناحين كونه قدس سره العزيز على هذه

لا بأس بذلك ، أليست روائح الأوساخ والعرق أزيدَ من هذا ؟ ! أو أقرب من هذا . ومن المعلوم **أن المشائخ مجبولون على الرأفة والرحمة والرقَّة ، فإذا رأوا المريد وعليه الثياب البذلة المرقَّعة نظروا إليه بعين الرأفة ، والرحمة ، والرقة ، ويلتفتون إليه بجمع الهمة أكثر ممن يلبس الأثواب الرفيعة الغالية ، فيكون ذلك سبباً لوصول الفيض والبركة ، فإن الفيض مثل الماء ينحدر سريعاً إلى جهة السُفل ، والمريد يكون قلبه منكسراً إذا كان عليه اللباس المرقعة** ، والله تعالى يقول : « أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » ؛ كما هو عين الحديث القدسي . فافهم ، والله تعالى يتولَّى هداك .

وسألته أيضاً عن جريان خطوط النفي والإثبات ، وكون جريانه ثقيلاً إلاَّ مع إعانة شيء من الحواس ، كرفع الإصبع ، وتحريك الرأس . . . وإلخ وإلخ .

اعلم أيها الولد أنَّ ما قلتَ ونقلتَ من « تحفة الأحباب » ؛ من أنَّ الضرب يكون بالنَفَس الدائر في الجوف ، ومن كتاب « تبصرة المسترشدين » من أنَّ جريان الكلمات من محل إلى محلٍّ بمجرد الخيال حتَّى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النفس محبوساً تحت السرة . انتهى .

أيُّها الولد ؛ إني لا أرى التعارض بين كلاميه ؛ وإن توهَّمتَ المخالفة بينهما ، لأنَ المراد بالنفس الدائر في الجوف أن يكون بالخيال ، ويكون الضرب أيضاً بقوَّة النفس الدائرِ بالخيال ، وإنَّ المراد من كلام « التبصرة » حتى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، هو النَفَس الخارج من الفم والأنف ، لا النفس المحبوس الدائر بالخيال ، فلا مخالفة . **فافهم** .

الولاية ؛ أي : الولاية العليا . تدبَّر ، ولا يكن في قلبك إنكارٌ ، والسلام . (حسن أفندي من خطه قدّس سرّه .) (من نسخة أخرى) .

تحريك الأعضاء ليس قاعدتنا

وأيضاً ليس تحريك الأعضاء من قاعدة هذه الطائفة ، إلا أنهم يحرِّكون الإصبع بالسُبحة . وأما سائر الأعضاء فتحريكُها ممنوعٌ ، وأنَّ جريان الخطوط بالسرعة والبدار بلا تَكلُّف ، فالظنُّ الغالب هو الجواز ، فكيف لا ؛ وقد سمعت شيخنا يصرِّحُ بجوازه ! ! ويقول : إن ذلك من النتيجة .

وقد كنتُ أجد جريان الخط يدور كالرَحى وقت الانتباه[1] من النوم ، وحينئذٍ يجوز أن يفعل النفي والإثبات بالسرعة ؛ كلفظة الجلالة ، حتى إنِّي كنتُ أقدر أن أفعل في نَفَس واحد أكثر من ثمان مائة ، ومن المريدين مَن يقدر على أكثر من ألف .

الاشتغال بالحاصل بالذكر

أيّها الولد ؛ إنْ حصل الذهول والغيبة أثناء الذكر تترك الذكر ، وتشتغل بالحاصل ، ولا تنقضه بالاختيار ، بل تدومُ عليه وتصبر ، فذا هو المقصود من الذكر ، فإن قدرت على حفظ الحضور ساعة ؛ أو ساعتين ! فذا علامة تمام دائرة الإمكان ؛ وهو علامة حصول نتيجة المراقبة الأحديَّة ، وهي منطوية في حَبْس النفس عند الشيخ محمود أفندي قدس سره ؛ كما شافهني به شيخنا العسلي قدس سره ، فتلاحظ حينئذ كأن نقطة القلب كإنسان العين ، وعليها نور أخضر كالدائرة ، وتقف على الحضور ناظراً إليه بالخيال . فافهم .

وأخبر واحدٌ لدى الأستاذ العسلي رحمه الله : بأن أَبْدَلَّوْ القحي قال : هل يجوز جريان الخطوط بالسرعة ؟ لأنه كان يقدر على ذلك بلا اختيار ولا تكلُّف .

فقال الأستاذ : چُدَ زَلْ كُطِ أَبِ أَبْدَلَصْدَ . انتهى ما أخبرني به ذلك الواحد من المريدين .

وكان أَبْدَلَّوْ المذكور يقول : لو أنه لا يجوز جريانه بالسرعة لما حَصَل للقلب الحرارة ؛ أي : قال بلغتنا : إِبْ ذِكْرُ خِخْ هَبِز بِهُلَرِبْ جُ بُكِبْ أَنِ رَكَلٍ بُحِ

(١) الاستيقاظ . (من نسخة أخرى) .

بَجِنَرُ أَنْ إِلْطَلُِنْ إِبْ بُح زَاقْ بَجُنَ إِدِنْ هَبُرَبْ مِخَلْ . وكان يقول : أَزَرَلْدَ زُ (لا إله إلا الله) أَبِزِ كُلَ دِدَ زُ حُكَّلَلْ[1] . انتهى .

هذا ؛ ولم تتفق الفرصة لتفصيل المراد ، وتبيين الجواب بأكثر من هذا ، ولعلك تفهم المراد ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء .

جواب إلى اليعسوب

وكتب إليه ؛ أي : إلى اليعسوب قدّس سرّهما ما لفظُه : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته . فقد سألتُ شيخنا قدس سره عما سألتني في حقِّ المراقبة ، فأجابني بهذه العبارة : (مُراقَبَيَلِ زَمَنْ هِجُ ذِكْرُ يَلِ[2] عَدِنْ) يعني : أن المراقب يكون دائماً قياماً وقعوداً وعلى كل حال ؛ كأنه بين يدي الله تعالى يعلم سرَّه ونجواه ، وأنه ساع في نظر الله ونوره كما يسعى في نور الشمس .

ترك الرابطة للمراقبة

وأما الرابطة في حقِّ المراقب ، فقد قال لي شيخنا مرة : إني كنتُ أتردَّد في جواز ترك الرابطة للمراقب وعدمه ، حتى رأيت جبرائيل أفندي قدس سره وأنا أضطجع معه ؛ أعانقه ويعانقني ، فقال لي قدس سره حينئذ : يا ولدي ، إن الرابطة شيءٌ وَرَد من السيّد الحسين رضي الله تعالى عنه ؛ فلا يجوز تركه . انتهى . ثم قال : أي : شيخنا رضي الله عنه : لا يجوز ترك الرابطة إلى أن يحصل الفناء في النبي عليه السلام . انتهى .

---

(١) وترجمتها بالترتيب : قل لِأَبْدَلَّوْ ليضرب فرسه بالسوط . وذلك مثال عن سرعة الذكر . وكان يقول : فإني أستطيع أن أقول في نفس واحد ألف مرة ومرة بـ (لا إله إلاّ الله) . لو كان لا يجوز ذكر القلب بالسرعة لم يكنّ للقلب حرارة عند ما نذكره تعالى بسرعة . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة ؛ هِچِبْ عَدِنْ .

الرابطة قبل المراقبة

فاعلم أيها الولد : أن تقديم فعل الرابطة قبل المراقبة مستحسن[١] ، وقد صرَّح بذلك الشيخ محمد ذاكر في « تبصرة المرشدين » فراجعه .

الوقوف وقت المراقبة

وكيفية الوقوف وقت المراقبة : أنك تقرأ مقدمة المراقبة ، ثم تنظر إلى نقطة القلب ، وتلاحظ كأنَّ النبي عليه السلام واقفٌ أمامك ، وتستفيض من الله تعالى وصولَ الفيض الحاصل من تلك الآية الشريفة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بواسطة ذات النبي عليه السلام ، وتلاحظ ذاتَه نوراً مجرَّداً ، وأما الخطاب بـ (يا محمود الفعال) فهو إلى الله تعالى ، لا إلى غيره .

ذكر اللسان للمراقب

ويجوز للمراقب ذكر اللسان وغيرهُ من جميع العبادات ؛ كقراءة القرآن ، لكن يلاحظ في كلِّها كأنَّه بين يدي الله تعالى وهو ناظر إليه من جميع الجهات ، **وإذا نظر إلى أيِّ شيء يلاحظ كأنَّه متواضع في نظر الله ، ساكن من هيبته تعالى ،** وذكر اللسان بـ (لا إله إلا الله) يعين على حصول نتيجة المراقبة . كذا قيل .

حبس النفس للمراقب

وأما الذكر بحبس النَفَس ! فالقدر الذي أمرني به شيخنا هو ألف مرَّة في المَلَوين[٢] ، ومعلوم أن الزيادة مطلوبة لمن أطاق ما أمكن ، فهذا ، والسلام ، والوصية بالدعاء .

---

(١) أخبرني أخي محمد بن سليمان الأواري : أن الأستاذ الحقي قدس سره قال له : لا تترك الرابطة قبل المراقبة حتى يحصل الفناء في النبيّ ﷺ ، وإن فعل المراقبة بعد كل صلاة يفعل قبله الرابطة . انتهى . (من نسخة أخرى) .

(٢) الليل والنهار .

ولو قرأت مقدمة المراقبة في كلِّ مرة من الغفلة إذا طرأت ! يكون حسناً ، كما إذا غفل الذاكر عن ذكر الله يكون له خيراً أن يقول : إلهي أنت مقصودي . . . إلخ . وأنت تكتب إلينا كلَّ واقعة ، وإن قلَّت ، ففيها سرٌّ وحكمة . فافهم .

وأيضاً كان شيخنا يقول لي : لو قرأت المراقبة حين تمشي فنظرت إلى القلب واقفاً زمناً يسيراً يكون خيراً . انتهى .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب قدّس سرّه إلى اليعسوب أيضاً قدّس سرّه جواباً لكتابه : وعليكم السلام وفَّقك الله لما يرضى آمين ، إنك تدوم على الذكر إلى أن يحصل لك الحضور والغيبة والذهول ، فإذا حصل ! تدوم على الوقوف القلبي ، ويصحُّ لك النظر إلى كتب السلوك أحياناً إذا طرأ عليك السآمة . فافهم . وأوصيك بالدعاء . انتهى من نسخة حلمي قدّس سرّه .

وكتب اليعسوب قدس سره بهامش هذه الرسالة : وردَ إليّ هذا الجواب ؛ وأنا في السلوك . انتهى .

مكتوب في جواب اليعسوب

وكتب قدس سره إليه أيضاً جواباً لكتابه : وعليكم السلام أيها الولد ؛ المرجوُّ لحوز السعادة ، فقولكم : هل تصح المراقبة في الصلاة ؟ .

المراقبة في الصلاة

فالجواب : حاصلُ المراقبة أن تعبد الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه . . . إلخ . . ، فإذا كان كذلك ؛ فالمراقبة تكونُ في كلِّ عبادة ؛ صلاة كانت ؛ أو غيرها ، فصلاة واحدة مع المراقبة أفضل من كذا وكذا مرَّة من الصلاة بلا مراقبة .

اعتبار ذات النبي ﷺ نوراً

وقولكم : هل يصحُّ اعتبار صورة النبي عليه السلام نوراً مجرَّداً وقت الصلاة ، أم لا ؟ .

فالجواب : إن المراد من اعتبار ذات النبي عليه السلام هو الاستمداد من ذاته لوصول الفيض الحاصل من الآية الشريفة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وإذا وقف المريد مستمداً كذلك يحصل له الفيض بفضله تعالى ، ويشهد كأنه مستغرق في نور نظره تعالى ، ولم يقل شيخنا قدس سره باعتبار كونه ﷺ نوراً وقت الصلاة ، لكن المصلي يراقب ويلاحظ كأنه بين يديه تعالى ، وهو ناظر إليه ويعلم سرَّه ونجواه ، وظاهره وباطنه ، وخواطره وهواجسه . ومن المعلوم أن جميع ما يفعل المصلي في الصلاة هو ما فعلهُ النبي عليه السلام ، وإذا كان المصلي يفعل ما كان ﷺ يفعله فمشاهدته حاصلةٌ لازمة لا ينفكُّ عنه مَنْ يصلي بالحضور . وأما الغافل ! فهو بمعزل عما ذكر .

خاصيّة المراقبة

هذا ! والحياءُ والهيبة ، بل وقطع القراءة وقتاً والسكونُ من خاصيَّة المراقبة . **فافهم** . انتهى .

مكتوب آخر لليعسوب

وكتب إليه أيضاً قدس سرهما : وعليكم السلام ؛ أيها الولد المرجوُّ أزيد . . إلخ .

حكاية عن الفناء

أما جواب حصول الفناء في الصلاة ، وجهل ما فعل فيها ! ! فيؤخذ مما قال لي شيخنا العسوي قدّس سرّه ؛ سمعتُه يخبر : بأن إسماعيل السواكلي كان مأذوناً من جمال الدين الغموقي قدس سره ، وأن محمود أفندي طلبه

إليه ، فلم يجئ لديه معلّلاً بأن شيخه كان قطباً ؛ فلا يذهب لدى سواه ، ثم إن محمود أفندي أرسل إليه أنه إن لم يجبْه ولم يجئ إليه ؛ يجيء هو إليه ، فبعد اللتي واللّتيَّا جاء إليه إسماعيل المذكور ، فحالما وصل لديه توجّه إليه محمود أفندي فصار مغشيّاً عليه وفانياً ، فرأى كأنه في طرف عال يكاد السقوط ، فنادى شيخه جمال الدين ؛ فحضر لكن وقف بعيداً ، ثم نادى الشيخ محمود أفندي ، فحضر حالاً ، ونجَّاه من السقوط ، ثم بعد مدة أفاق ، فأمره محمود أفندي بالوضوء ، وسأله عن الواقعة فأخبرها ، ثم إن محمود أفندي قال له : يا ولدي إن جمال الدين قال لك : إني آخر الأقطاب في « الداغستان » وأنا أسبقُ منه في القطبانية . أو ما هذا معناه .

هذا[1] ! وقد رأيت سؤالاً وجواباً في حقِّ نقض الوضوء حالةَ الفناء في كتاب ، بيد أني في حال كتابتي هذه في الريف المعلوم ، فلم يكن لي إمكان لكتابة ذلك ، وأرجو من الله أن ييسر لي إرساله وإيصاله إليك .[2]

وأما جواز الخروج إلى المفازة ، والنظر إلى الأشياء و . . .إلخ ! ! فجائز ، بيدَ أن المقصود من النظر إليها انعكاسُ أحوالها لا مجرّد النظر إليها ، فالمراقبة ودوامها أولى إن أطاق إدامتها ، فإن حصل القبض ! ! فالنظر المعلومُ وطلبُ انعكاس حضور ومراقبةُ الأكوان مطلوبٌ .

(١) وهذه الحكاية ذكرتها في « سراج السعادات » وليس هو عندي في الحال ، ولا آمن من نسيان بعض ما فيها . فراجعه . (منه قدس سره) ، (هامش الأصل) .
(٢) راجع « الحدائق الوردية » ص ١١٠ ، و« غاية تلخيص المراد » من أواخره . (هامش الأصل) .

الرابطة لنفس الشيخ

وأما الرابطة بنفسي ! ! فالعياذ بالله . . . ثم العياذ بالله ، فقد أمرني شيخنا العسلي قدس سره بمنع المريد عن ذلك مراراً ، وطلب مني أن أكتب إلى مَن يأمر من الشيوخ بالرابطة إلى نفسه ببيان عدم جواز رابطة نفسه[1] . فافهم ، والسلام .

فالحاصل أن المطلوب المقصود في حال سلوكك دوامُ المراقبة ليلاً ونهاراً . فافهم . انتهى .

مكتوب في علاج مريد يتألَّم وقت المراقبة

وكتب إليه اليعسوب قدس سره : أن واحداً من المريدين يشتكي بتألُّم لطيفة قلبه ولطائفه كلَّ وقت إن دام على المراقبة ، فنرجو منكم الإجابة ببيان ما نفعل لأمثاله ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

فكتب الأستاذ في جوابه ما لفظه : إن تلك الحرارة كانت تحصل لي ، وكنت أريد حصولها ؛ لأنها أثر المراقبة ، وأمَّا إن اشتدَّت الحرارة في لطائف المريد ! ! فعلاجه تقسيم الاستغفار وعدمُ إتيانه على التوالي في مجلس واحد .

الحرارة من الاستغفار والبرودة من الصلاة على النبي ﷺ

وقد قال شيخنا قدس سره : إن الاستغفار يحصل به الحرارة ، وإتيان الصلاة على النبي ﷺ يحصل به البرودة ، وسمعته رضي الله عنه يقول أيضاً : (رُوح عِمِرْ بُجِزِ تِزِ بِهُلَرُ خَدُرْ حَلْطُلِلْ لَطَائِفَلْ حَلْطُلِلْ لِزِ تُلَرُ)[2] ، أو ما هذا معناه .

---

(١) وهذه المسألة قد تاهت فيها بعض أدعياء النقشبندية في عصرنا ، فأمروا مريدهم بالرابطة مع أنفسهم ، حتى أنه داخلها شيء من الشرك الداخلي للشيخ ؛ بربط المريد به وقطعه عن الله تعالى . فانبرى لهم آخرون ومنعوا ذلك أشدّ المنع ، حتى بالغوا ؛ فأنكروا الرابطة أصلاً مع ادعاء التزامهم بالطريقة ، فوقع الطرفان في بعضهما ، وقامت منازعات حادَّة وخصومات جائرة ، ولم يتحقق الفريقان في الوقوف على جادَّة الصواب لمعنى الرابطة وحقيقتها . وقد حاول آخرون الردَّ على المنكر ؛ ولكنهم لم يعوا ضلال المتشدِّد ! ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . (من نسخة أخرى) .

(٢) وترجمتها : لا يجوز ترك زيادة حرارة الروح كثيراً ، لأنها تمنع معرفة عمل اللطائف بعدُ .

فالعلاج لذلك : أن تأمُر من اشتدَّت عليه الحرارة بفعل الأذكار في مجالس ؛ لا في مجلس واحد ، وتقسيم الاستغفار . أي : سُ سُ نُسْكُ مِخْ مِخَلْدَ هَبِلَ[1] . فافهم ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

ترك الجلالة للنفي والإثبات

وكتب قدّس سرّه إلى بعضهم[2] ما لفظه :

وأما الذكر بلفظة الجلالة ألفاً في كلِّ لطيفة ! ! فالقاعدة : أن يترك إذا لُقنَ النفي والإثبات بحبس النفس . انتهى .

وكتب قدّس سرّه إلى حسين المحمد ؛ وهو في « غزانش » :

إلى ذلك الأخ المحبوب حسين المحمد سلام عليكم وبعد ؛

فإني علَّمت أخانا قمر الدين كيفية النفي والإثبات بحبس النفس ، لكن لما كنتُ جاهلاً بلغة السهل عوَّلتُ أمره إليك ، فأرجوك أن ترشده إلى ذلك الطريق ، وأن تقول له : إنه يجب عليه أن يقول أولاً : (لا إله إلا الله) مع حبس النفس (ثلاث مرات) ، فإن أطاق ؛ فخمس مرات ، وإن أطاق ؛ فسبعاً ، وهكذا إلى إحدى وعشرين مرة ، ولا يرتقي إلى ما فوق ذلك إلا بإذني .

فالحاصل : ينبغي لك أن تعلِّمه أركان ذلك الذكر وشروطه كما عَلّمتك من قبل . فافهم .

وقد وقع في الحال عينُ ما كان سيف الله قدس سره يقوله بكشفه . فلِلّهِ الحمد والمنة . انتهى .

مكتوب إلى عمر الأواري

وكتب قدس سره إلى شيخي الفاضل الحاج عمر الطبيب الشهير الأواري الخنزاخي رحمه الله تعالى جواباً لكتابه :

---

(١) وترجمتها : أي : يفعلها مائة بعد مائة ، أو خمس مائة في كل مرة .
(٢) أي : مريديه .(من نسخة أخرى) .

في الكشف آفات كثيرة

وعليكم السلام أيها المحبوب الحاج عمر ، فأنت أيها الأخ تكتب إلينا الآية التي تقرأها في حالة الفناء والذهول ، وأيضاً تكتب المنامات والوقائع ، ولا تقلِّل الأكل ، بل اعتدل فيه لئلا يحصل لك الكشف ؛ ففيه آفات كثيرة معلومة عند أهله .

بفتور المراقبة الرجوع إلى الذكر

وأيضاً إن طريق المراقبة أعلى من طريق الذكر بمراتب ، وإكثار المراقبة أولى لك وأحرى ، فإذا حصل لك الفتور في المراقبة ؛ فارجع إلى الذكر بحَبْس النفس حتى يحصل لك الحضور ، فبعد ذلك تدوم على المراقبة على الترتيب .

المراقبة مع العبادات

وأيضاً إن لك سعة في إتيان جميع العبادات ؛ يجوز لك قراءة القرآن ، وإقامة الصلاة النافلة ، وقراءة الأحزاب والأدعية ، لكن لا بدَّ لك أن تراقب وتلاحظ في جميعها كأنك بين يدي الله تعالى ، وأنه ناظر إليك مُطَّلع على خواطرك . فافهم .

رقية للمريض

ثم إنّي أجزتك أن تقول على المريض (يا سلام) مائة وعشرين مرة ، ثم تبصق عليه مع النفخ ، فلعلّه يشفي إن شاء الله . فافهم . والسلام .

مكتوب آخر إلى الأواري

وكتب إليه أيضاً ما مختصره : وعليكم السلام من الملك العلام .

طريق المراقبة أعلى وأنفع

أيها الأخ المحبوب الهمام الحاج عمر الأواري ؛ إني وجدتُ هذه الوقائع كلها من المبشرات ، فعليك بملازمة الذكر ، ومداومة الفكر والمراقبة ؛ لتحوز ثمرات تلك الأشجار ونتائجها ، واعلم أن طريق المراقبة أعلى وأنفع لأهل الجذبة من طريق الذكر ، فدم عليها لعلَّ الله تعالى يجعلك من أهل الخصوص ، ويجنِّبك من كُدُورات أهل الفتور ، وأرسل إليَّ مثل هذه الوقائع بعدُ لأنظر في تأويلاتها . فافهم ، واستغفر للكاتب الحقير المرشد الناقص (حسن) .

سبب المجيء إلى المرشد

وأما أمر المجيء لدي ! فلك الخيار متى شئت ، لكن لا يجب عليك إلاَّ إن طرأ عليك حالٌ جديد لا تعرف سبَبه ، أو حصل لك كشف لا تطيق أن تدفعه .

مراد جميع السادات عدم الكشف

فالحاصل : أن عدم ظهور الكشف هو مرادُ الفقير ، بل هو مراد جميع السادات ، وقد انقطع كثيرون عن الله في مقام الكشف ، فالعياذ بالله ، والسلام ، وأوصيك بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر للأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج عمر الطبيب الشهير الأواري شيخ جامع هذه الرسائل رحمه الله ما لفظه : السلام عليكم ، أيها المحبوب المقبول الحاج عمر ، وعلى أهل بيتكم ؛

فأنت أيها الأخ المحترم تلازم المراقبات وتُكثِرها ، فإن طريق المراقبة أعلى وأفضل من طريق الذكر بدرجات ، كما هو مذكور في « المتممات » ؛

مع الذهول والغيبة

فإن حصل لك الذهول والغيبة ؛ فدُم على ذلك ولا تخرج منها بالاختيار ، بل الزم على الوقوف القلبيِّ في كلِّ حالة ، فإن الوقوف من أهم المهمات عند أرباب العناية الإلهيّة ، فلو خلتِ العبادات عن الوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح .

تزاحم الخواطر

وإن تزاحمت الخواطرُ على وسط القلب ؟ ! فعليك بإكثار الذكر بحبس النفس على الوجه المعروف عندك ، فإن طرأ عليك الفناء ؛ فذا هو المرام .

تقييد المنامات

وإن رأيت شيئاً ما من الوقائع المنامية فقيّدها بالقلم ، ولا تتركها تنسى ، وأيضاً تلاحظ في كلِّ وقت كأن شيخنا محمود أفندي معك لا يفارقك ، فإنه رفيقُك في السلوك وحافظُك من الوسواس .

علاج الجوع : يا صمد

فإن حصل لك الجوع المفرط ؛ فقل : (يا صمد) وكرّر هذا الاسم المبارك .

وأيضاً يجوز لك أن تدوم وتبقى في السلوك والرياضة إلى مضيّ عشرة أيام من شوّال ؛ إن كنتَ دخلتَ فيه أول ليلة من رمضان ، وإن كنت دخلت فيه بعد مضي عشرين يوماً من شعبان ! ! فيجوز لك الخروج منه يوم العيد .

المراد من السلوك

ثم اعلم أيها الأخ المأمون في السر المصون أنَّ المراد من السلوك حصولُ الحضور القلبي ، وانقطاع الخواطر ؛ لا مشاهدة الصور والأشكال المتنوعة ،

فحفظ الأنفاس من الخواطر عينُ المقصود ، والاجتناب عن الغفلة من أعظم العبادات ، فإن نفساً واحداً بالحضور خيرٌ من دوام العبادات في ظرف ألف سنة بلا حضور ، فقد سلك واحد في الخلوة سنة كاملة ، ولم يحصل له كشف مّا ، فقال لأستاذه : إني دخلت الخلوة سنة ولم أرَ شيئاً مَّا ! ! فقال له شيخه : إني لم أرَ أحداً أكثف منك ، فقد وقَّفتك بين يدي الله تعالى سنةً كاملة ، فأيُّ كرامة أعظمُ من الوقوف بين يدي الله تعالى سنة كاملة ! ! فانتبه المريد . انتهى .

شرط الخلوة

وعدم دخول الغير في الحجرة التي أنت فيها مُخْتَلٍّ شرطٌ من الشروط ، فينبغي لك أن لا تترك أحداً يدخل فيها ؛ سواء من العيال أو . . . إلخ ، فإن قلبك يتكدّر بدخول الغير فيها . فافهم .

ثم إني أرجوك أن لا تنساني وأولادي في الدعوات ، والسلام من الفقير المعلوم .

مكتوب العرادي مستفهما عن مؤلف مرشد

وكتب إليه قدس سره العالم الفاضل الشيخ أدرة العرادي : إلى محبوب قلبي . . إلخ . لما حضر لدينا المرشد الحاج شافع الخشدادي ، ورأيت تصنيفه ، وما بيَّن هو فيه من المقامات الرفيعة والكرامات العظيمة والأذواق العجيبة . . . إلخ أرسلتُ إليك لتجيب بما بدا لك في حقِّه ، والسلام من تراب الأقدام أدرة العرادي .

جوابه للعرادي معرِّضاً بالمسؤول عنه

فكتب في جوابه : وعليكم السلام أيها الأب المحبوب أدرة ؛ فلقد سرَّني كتابكم هذا ، وزاد به شوقُنا إليكم . . . إلخ . وفهمتُ مضمون مكتوبكم ، وبما أني في قبض مشدَّد ، وثقل مزيد وأعذار متراكمة ؛ لم يكن في الإمكان أن أحضر لديكم لرؤية وجوهكم الوجيهيَّة ، وللقاء ذلك المرشد النقشبندي ، وأوصيكم بالدعاء والاستقامة .

الاستقامة والعبودية الخالصة هما الكرامة

ثم اعلم أن الكشوفات السفلية طبيعيَّةٌ غيرُ مقبولة ، وأن الاستقامة والعبودية المحضة هما الكرامة العظمى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ . وقد تُظهرُ الرياضاتُ كشوفاتٍ كثيرةً ، لكن لا يعمل بها ، ولا ثقة بالإلهامات والهواتف لجواز أن تكون من إلقاء الشيطان ، وقد يشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ الآية ، فهذا في حياته ﷺ ، وفي مجلس أصحابه الكرام ؛ فكيف يكون الأمر في هذا الزمان ! ! فافهم ، وافهم . **والجهل يُردي بالرجل إلى الهلاك كثيراً** . والسلام . انتهى .

تتمة الشكوى منه

وكتب إليه ولده الأسبق ، وخليفته الموفق محمَّد ابن القاضي نور محمّد العسوي قدس سرهما ما لفظه : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وأدامكم الله تعالى على ما فيه سعادة الدارين وبعد . . . إلخ .

ثم إن هذا الحامل(١) أخبرني أنه كان ذاهباً لدى ذلك الرجل المعلوم المأذون منك للتلقين والإرشاد ، ولقَّن الأذكار على لطائفه بأسرع زمن إلى أن يلقن الذكر بحبس النفس ، ثم لما وصل إليه مرة أخرى لقَّن الذكر على اللطيفة الأخفى ، وأمره بوصوله وحضوره لديه مرة أخرى من خمسة أيام ، فحضر لديه كما أمر ، فبدَّل ذكره وقتئذ من الأخفى إلى لطيفة النفس ولطيفة الجسد معاً .

---

(١) أي : حامل الكتابة .

* والعبودية أفضل من العبادة ، والفرق بينهما ؛ أن العبودية أعمال القلب والعبادة أفعال البدن . من نسخة العالم المرحوم محمد الكبير . . . رحمه الله تعالى على يدي سنة ١٣٩٦ صفر ٢٧ . (من نسخة أخرى) .

* وقال : أنت عبدي ورسولي سمّيتك المتوكِّل . .إلخ . – أي الخارج عن هوى نفسك في جميع أنفاسك إلى مرضاتي ومقام العبوديَّة هو أعلى المقامات ، والمتوكل الذي اعتمد على الله في تدبيره شؤونه . (من شرحه له رحمه الله) – . (من نسخة أخرى) .

ورأيت كثيرين غيره قد أتمُّوا أذكار لطائفهم في أسرع وقت بتبديله الأذكار من مُدَّة ثلاثة أيام ، ومثل هذا لم أر منكم ! ولم تأذن لي في ذلك ، فبذلك تحيَّرتُ في حقِّه !؟ كيف يصحُّ منه هذه الوظيفة التي لم يسمع من شيخه ؛ ولا من شيخ شيخه ؟ ! فأرجو منكم إزالة هذا التحيُّر والإشكال ، والسلام من ولدكم المفلس ، رحم الله إفلاسه .

فكتب في جوابه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب المرجو للاستقامة . . . إلخ .

جواب الشكوى

إن هذا الرجل قد أقامه شيخه في الخلوة بـ « أشترخان » مع الحاج حبيب الله ، والحاج محمد الهؤري ، فلقَّنهم ذكر اللطائف في أسرع وقت ، ولعله أخذ هذه الوظيفة ، مما فعله معه شيخه ؛ ولم يَرَ ما في « تبصرة المرشدين » ؛ من أنه **ينبغي للشيخ أن يربِّي المريد في كلِّ لطيفة سنة ؛ أو ستة أشهر** ! ! مع أنه لم يأمره ، ولم يأذن له في تلقين ما فوق القلب ، وقد أرسل إليه رسالة بهذا ، وكان ذلك الرجل غفر الله له يقول : إنه يرى أنوار اللطائف ، ويجوز أن يظهر أنوار لطائفه حين التوجُّه ، فظنَّ أنها أنوار لطائفه والله أعلم . ولي عدَّة سنين من منذ رأيته . هداه الله إلى ما فيه صلاحه . آمين .

وقد رأيت واحداً قد لقَّنه شيخنا ذكراً على جميع اللطائف بتوجُّه واحد ، وذلك لكونه مستعدّاً . فافهم . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب العوري من « غزانش » في معالجة مريد

وكتب إليه قدس سره بعض أكابر مريديه وهو الشيخ حسينل محمد العوري حفظه الله ؛ وهو مقيم « بغزانش » : أستاذي ؛ إني سمعت أن نَفِيسَة الغموخية قالت : إنها لا يمكن لها الذكر بسبب عروض حرارة في رأسها وقت الذكر ! ! فبماذا أجيبها لو سألتني عن ذلك ؟

فأجاب قدس سره بما لفظه : إنك تقول لها : أنْ أَقِلِّي الذكر حينئذ ، وأقسمي الاستغفار – أي : بعدم فعله في وقت واحد – بل تفعله متفرقاً . فافهم . والسلام . انتهى من خطه .

توضيح المعالجة

وكتب قدس سره إلى محمد بن حسين العوري مؤذن « غزانش العليا » ما لفظه : من حسن إلى حسينل محمد : سلام عليك ؛ فإني أمرْتُ نفيسة الغموخية زوجة عَلِي دَدَ بالذهاب لديك لتلقين النفي والإثبات بعد حصول سلطان الذكر ، فسلها هل تجدُ نفسَها تتحرَّك وقتَ اليقظة من النوم ؟ فإن قالت نعم ؛ فلقِّنها النفي والإثبات ، وامرْها بالمداومة عليها إلى السبعين ألف مرة باللسان على الكيفية المعروفة ببيان شروطها ، وامرها أيضاً بعدم تركها خمسة آلاف مرَّة من لفظة الجلالة على القلب ، وألف على كلِّ لطيفة . فافهم ؛ والسلام . الحقير حسن حلمي . انتهى .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب إلى اليعسوب قدس سرهما : وعليكم السلام . . إلخ ، أيها الولد المحبوب ؛ إن شيخنا كان يقول : يكفي لأهل الداغستان مجرَّدُ ذكر القلب ، لكن رفعتهم إلى الولاية الصغرى – يعني أبعاضهم – وقد وجدتُ أبعاضاً يتهاونون في حبس النفس ، ويتركون ذكر اللطائف ، فيفوت عنهم نتيجةُ الجانبين .

ذكر القلب على القلب

وأما سيف الله ! فقد كان يقول : ذكر القلب على القلب خمسة آلاف ، وعلى سائر اللطائف ألف ، لا يترك المريد هذا القدر إلى الممات . وكان يقول : إنه يفعل ذلك . انتهى .

وتبديل المراقبات لا يزيد ذلك إلا لمن تيقَّن تمام النتيجة ، وعلمُ ذلك عسير **على مَنْ لا يرى الأنوار ، وعدم رؤيتها من تقصيراتنا ومسامحتنا في**

استعمال الرياضة ، وعدم تركنا الفضول كما ترك مشائخنا . اللهم ؛ نعم كان شيخنا العسليُّ يقول : إنَّ من كان على مراقبة المعية إذا تمَّت نتيجةُ المعية يذهب خياله إلى الجهة السفلى بالكلية ، فإذا تمَّت نتيجة مراقبة القلب يصعد الخيال بالكلية إلى جهة الفوق . وكان يقول : إن الخيال يصعد إلى جهة الفوق إذا كان على الروح .

نتائج اللطائف

فالحاصل : أنَّ نتائج اللطائف حصول تجلِّي الأفعال على القلب ، والصفات السلبية على الروح . . . وهكذا ، وهكذا يعلم ذلك بالانعكاس ، ولكن لا يعمل بالكشف ؛ بل بقول المريد . كما هو مذكور في الكتب . انتهى .

مكتوب لمعالجة حرارة الرأس

وكتب قدس سره إلى مَنْ سأله عن حكم طروِّ الحرارة لرأس امرأة من المريدات ما حاصله :

وعليكم السلام . . . الخ ، اعلموا أيها الأعزَّاء أنَّ الأطباء ذكروا في كتبهم أنه لو طرأ على الإنسان فجأةً فرحٌ شديد أو حزنٌ أكيد ، أو تفكُّر في شيء بغاية التأمُّل ، والتدبُّر ، أو ضرب على الرأس ، أو ضرب الرأس على شيء يحصل للإنسان بسببه مرضٌ كمرض الجنون ، أو الماليخوليا ؛ كما هو معلوم لدى الطبيب الحاج عمر ، فإن سألتموه عن حقيقة مرضِها فلعلّه يخبركم عن حقيقته ، وظنِّي – والله أعلم – أن الحرارة الحاصلة لرأسها ليست من حرارة الذكر ، فإنَّ في أهل الإرادة كثيرين من الأناس يذكرون الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من مائة ألف بلفظة الجلالة وأزيد ؛ ولم يقع إلى الآن لواحد منهم حصول نحو تلك الحرارة المعهودة كما حَصَلت لأمِّكم الحليمة أم هانىء ، فالعلاج اللائق بها كيفما كان المرض ، وبأيِّ سبب حصل لها الإغماء هو تبريد الرأس بوضع نحو ثلج أو بَرَد على رأسها ، أو صب الماء ، أو بالحجامة ،

وتسخين رجليها بوضعهما في ماء حار بحيث ينغمس فيه رجلاهما ، وشربها اللبن الحامض ، فهذا ما عندي وقد كتبت هذا السبب ليعلّق على جسدها بعد جعل غلاف نحو الشمع عليه ، وهذا السبب الآخر لمحو ما كتب عليه لتشرَبَه .

هذا ؛ ولا تهملوا أمرها ، وسلوا أخانا الحاج عمر كما قلتُ ، فإنَّ الله تعالى جعل لكلِّ مرض شفاء ، ولكل داء دواء ، ما لم يحضر أجل المريض ، وإذا جاء فلا يؤخِّره دواء ، ولا سببٌ ولا هيكل ، رزقها الله الشفاء التامَّ ، ورزقكم الصبر الجميل .

ثم اعلموا أيها الأحباب ؛ أن ما يكون مني من التصرُّف – إن كنت أهلاً لذلك كما تظنون وإن كنت عند نفسي خالياً عن ذلك – يكون مني إن شاء الله ولو كنت في بيتي ، بعد علمي بحقيقة الحال لو ساعدت مشيئة الله تعالى مشيئتي وإرادتي ، ومن المقرر عندهم أنَّ الأمر تابع للاعتقاد ، والله وليّ التوفيق . انتهى باخ .

المراقبات بلغة السهليّة

هذه كيفيَّة المراقبات الثلاثة باللغة السهلية التي وجدت بخط الأستاذ المرشد الحاج جبرائيل أفندي قدس سره أدرجتُها هنا تتميماً للفائدة لأهل تلك اللغة :

باسم الله خير الأسماء . . . و . . . و . . .و ، إلهي أُولْ فَيْضْ تَجَلِّي صِفَاتِه سَلْبِيكهِ رسول أَكْرَمْ محمد المصطفى ﷺ حَضْرَةْ لَرِينُونْ خَفِي شَرِيفِنْدَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُنْ خَفِي شَرِيفِنَه وَاصِلْ أُولْمِشْدِى مَشَائِخْ عِظَامِنْكْ خَفِي لُرِي وَاسِطَه سِيلَهْ أُولْ فَيْضِي مِنِمْ خَفِي مَهْ اِيصَالْ وَاِفَاضَهْ إِيلَهْ(٢) ؛ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

❊ ومن جملة ما كتبه قدّس سرّه إلى اليعسوب : إني كنت أرسلت إلى الأواري أنه تكون المصلحة في عدم تبديل الذكر من القلب إلى لطيفة أخرى ؛ لئلا يقع الخلل في حالة النتيجة . انتهى . (من نسخة أخرى) .

(٢) أي : إيريشْدرْ . (منه) .

باسم الله خير الأسماء و . . . . و . . . . و . . . إلهي أُولْ فَيْضِي تَجَلِّى أَفْعَالِكِ رسول أَكْرَمْ محمد المصطفى ﷺ حَضْرَةْ لَرِينُونْ قَلْبِ شَرِيفِنْدَنْ آدَمْ عَلَيْهِ السَّلاَمُنْ قَلْبِ شِرِيفِنَه وَاصِلْ أُولْمِشْدِي مَشَائِخْ عِظَامِنْكْ قَلْبَلَرِي وَاسِطَه سِيلَه أُولْ فَيْضِي مَنِمْ قَلْبِمَه إِيصَالْ وإفاضَهْ اِيلَهْ[1] يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

باسم الله خير الأسماء و . . . . و . . . . و . . . إلهي أول فيضي تجلّى صِفَاتِييكهِ رسول أكرم محمّد المصطفى ﷺ حضرة لرينون روح شريفندن نوح وإبراهيم عليهما السلامُنْ روح شريفنه واصل أولمشدي مشائخ غطامنك روح لَري واسطه سيله أول فيضي منم روح مه إيصال وإفاضه إيله يا محمود الفعال بمحمد ﷺ .

المراقبات بلغة الغموقية والأوارية

ووجد بخط الأستاذ المرشد الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره كيفية مراقبة باللغة السهلية (الغموقية) والأوارية معاً هكذا ؛

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على محمَّد وآله المجتبى . إِلَهِي اُولْ فَيْضْ تَجَلِّى أَفْعَالِ كِهْ رَسُولُ أَكْرَمْ محمَّد المصطفى ﷺ قَلْبِ شَرِيفِنَهْ وَاصِلْ اُولْمِشْدِي مَشَائِخِ عِظَامِ لَرُنْ قَلْبلَرْ وَاسِطَه صِلَه مِنِمْ قَلْبِمَه إِيصَالْ وَإِفَاضَهْ إِيلَهْ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . يا ربِّ دُبْ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصُلْ رَكَلْدَ صَنْ اَدَمْ أَوَرَكَصُلْ رَكَلْدِ شُنْ بُكَرَبْ فَيْضْ مَشَائِخْ زَبْزُلْ رَكَلْ وَاسِطَيَلْدَ لُِنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

جواب إلى أدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل أُدَرَةِ العُرَادِي رحمه الله ما لفظه : إلى حضرة العالم المأمون في السرِّ المصون العبد الصالح التقي ، والمخلص النقي ، المرجوّ للاستقامة أدرة العرادي ، سلام عليكم .

---

(١) أي : إِيرِشْدِرْ .(منه) .

أما بعد ؛ فقد حصل الفرح والسرور بوصول صحيفتكم الشريفة ، وهديَّتكم المقبولة المحبوبة ، فجزاكم الله عنا خيراً ، ولا لقيتم ضيراً ، فإن تفضَّلتم بالسؤال عن هذا العبد الداعي لكم بالخير ، فهو على ما كان عليه قبلُ ؛ من صدْق محبَّتكم وليس يكدِّره اليومَ سوى عدم اكتحال عينه برؤية ذاتكم ، وعدم الإمكان للاجتماع معكم ، فنسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا بالتلاقي ، ويطوي شقَّةَ البين والفراق ، فقربكم أشهى للنفوس من المنِّ والسلوى ، وألذُّ في مقلة النائم من الكرى ، والفقير يتضرَّع إلى المولى أن يلحظكم بالعناية والرعاية ، فالله تعالى يحرسك من كيد النفس والشيطان ، ومن الزيغ والضلال ، ويفيض عليك المنن الجسام والنعم العظام .

ثم إنك تلاحظ وقت المراقبة المعيَّة إلى أين يذهب خيالُك ، فإن ذهب الفكر والخيال إلى جهة التحت بلا اختيار منك ؛ فذا علامة حصول المراقبة ، فدُمْ عليه واتركْه يسري ويذهب إلى الجهة التحتانية بالغاً ما بلغ ، وإن كنت لا تستطيع أن تفرِّق بين الذهاب وعدمه ؛ **فالعدم المحضُ أسنى المقامات ، والمحو الصرفُ أرفعُ الأحوال** .

فالحاصل : أنّ الدوام على المراقبة والذكر والفكر على طريق العبودية بمجرَّد الامتثال مقام أعلى ليس فوقه مقام . فافهم ، وادْعُ لهذا الكاتب المعلوم حسن .

من فوائد القهوة

وأرسلتُ إليك القهوة الحقيقيَّة ؛ فلعلك تستعملها ، وعسى أن تنفعك إن شاء الله تعالى ، وهي التي ذكر صاحب « البريقة » منافعها في . . . من الجزء الثاني ؛ كمنع النوم ، وإزالة الغموم ، والتنشيط للعبادة ، وترقيق الغذاء ، وهضم الطعام ، وتسخين البدن ، وتحليل الأخلاط الردية ، إلى غير ذلك . راجعه . وراجع « فتاوى الچوخي » من (الأشربة) . انتهى .

مكتوب الكراطي الأشخي يسأل شيخه

وكتب إليه العالم محمد حاجي الكراطي الأشخي ما حاصله : إلى شيخي وأستاذي حسن حلمي ؛ السلام عليكم ورحمة الله . . إلخ :

اشتغلَ اثنان بذكر الله تعالى وبيد كل واحد منهما سبحة مدة ساعة ، فبلغ ذكر أحدهما إلى ثلاثين ألفاً ، وذكر الآخر إلى ستين ألفاً ، وذلك لكبر حبَّات سُبْحة الأول ، وصغر حبات سبحة الثاني ؛ فهل هما في الثواب سواء أم لا ؟

هذا ، والسلام من تراب أقدام الفقراء حاجي محمد .

جواب سؤال الكراطي

فكتب قدس سره في جوابه : وعليكم السلام . . . وإلخ ؛ إنْ كان المريد لاحظ العدد بطرح كلِّ فرد من الحبَّات ؛ فالكبر والصغر سواء ، وإن كان يطرح الكثير من الحبات بكل حركة من حركات الإصبع ؛ **فالثواب على قدر الحضور ؛ لا على كثرة طرح الحبات !** والسلام من القحي . انتهى .

مكتوب آخر معنى السير إلى الله

وكتب إليه أيضاً : ما معنى السير إلى الله ؟ والسير من الله ؟ والسير على الله ؟ والسير مع الله ؟ والسير في الله ؟ والسير عن الله ؟ والسير بالله ؟ وما معنى (باسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وعلى الله ، وفي الله) ؟ من الكاتب الأشخي .

جواب السؤال

فكتب قدس سره في جوابه :

قولهم :السير إلى الله ؛ أي : بترك الحظوظ .

و(السير من الله) ؛أي : بالرجوع إلى دعوة الخلق .

و(السير على الله) ؛ أي : بملاحظة أفعاله وصفاته ، وتجريد الفكر في معرفته .

و(السير مع الله) ؛ بالفناء فيه بنسيان ما سواه تعالى دائماً .

و(السير في الله) ؛ أي : في معرفته ، وتجلِّيه .

و(السير عن الله) ؛ أي : بالرجوع بعد حصول الوصول ، والبقاء بعد الفناء فيه .

و(السير بالله) أي : برؤيته سيره بالذوق ، كأنه ليس إلاَّ بتوفيقه تعالى .

وقولهم (باسم الله) أتبرَّك ، و(بالله) أستعين ، و(من الله) أستمدُّ ، و(إلى الله) اعتمادي ومصيري . و(على الله) توكلي ، و(في الله) دخلتُ في كنف الله . هذا ما عندي ، والله أعلم بمراد قائله ، من القحي رحم الله إفلاسه .

مكتوب في أنواع السير

وكتب قدس سره ما لفظه : قد ألهمني الله تعالى سَحَر الليلة الأولى من رجب سنة ١٣٤٥ أنَّ سير السالك في حق الدنيا على أنواع ، كما أن السير الأنفسي ، والسير الآفاقيَّ ، والسير (إلى الله) ، و(في الله) ، و(لله) ، و(عن الله) على أنواع .

فالسير إلى الدنيا هو نصيب العوام وأهل الحجاب ، وهو طلبها لحظٍّ نفسانيٍّ ، فهذا السير حجابٌ محضٌ ، لا نورانية فيه أصلاً ، بل هو مبعد عن الله ؛ وهو رأس الخطيئات .

والسير في الدنيا طلبُ إكثارها وحيازتها بلا تفرقة بين الحلال والحرام ، وهو أيضاً داخل في السير الأول .

والسير من الدنيا : هو تركُها ، وعدمُ طلبها ، لكونها عدوَّةً قاطعة عن الله ؛ وعن السير إليه تعالى . فإذا تحقَّق هذا السير ووصل إلى المشاهدة ، وعلم أن الدنيا مطيَّة الآخرة ؛ رجع إليها ثانياً ، ويحوز منها القليل والكثير ، فهذا الرجوع محمودٌ وأفضل من تركها .

معرفة الله والدنيا

فينبغي أن يعلم أن معرفة[1] الله حرامٌ على شخص يكون في باطنه مقدارُ خردلة من محبَّة الدنيا ، أو من التعلُّق بالدنيا ، أو خطر في باطنه هذا المقدار من خواطر الدنيا ، لكن لما وصل بترك الدنيا إلى الله ، وآثر الآخرة عليها ؛ فيكون حكمُه حينئذ حكمَ من رجع من الآخرة إلى الدنيا واختلط بالناس ، لحصول المناسبة المشروطة في الإفادة والاستفادة ، وتشبُّث هذا الواصل الراجع بأسباب الدنيا لا يكون مذموماً أصلاً ، بل يكون محموداً ! كيف لا ؛ وقد ورد : « **كم من عمل يتصوَّر بصورة الدنيا ، ويصير بحسن النيَّة من أعمال الآخرة** » ، ويعمل بدنياه حينئذ عمل الآخرة ، ويصرفها إلى مصارف الخيرات ، يأكل منها على نيَّة القوَّة على العبادة ، ويلبسها منها على قصد محمود امتثالاً بما ورد : « اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ » ، ويعطي ما زاد عن حاجته لمن احتاج إليه من خلق الله تعالى ؛ رجاء أن يدخل في دائرة قوله « الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ الله ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى الله أَحْسَنُهُمْ لِعِيَالِهِ » . انتهى . فافهم هذه الإشارة ، وكن من الشاكرين . الحقير القحي سامحه الله من فرطاته ، آمين . انتهى من خطِّه قدس سره .

أسئلة من محمد عارف ولده

وكتب إليه ولده محمد عارف : إننا يا والدنا نسمعك تهدي ثواب ما قرأت في مجلس الختم إلى أرواح المشائخ ، وتتوسَّل بهم ، فهل نفعل نحن مثلك ، أم نؤمِّن ؟

وأيضاً لو استمع المريد بالذكر والفكر إلى صوْت نحو الأرياح في مقدار زمنٍ يكفي لنحو عشرين ألفاً بلا مُسبِّحة ، فهل يكفيه ذلك فقط ، أم لا ؟

---

(١) ما أصعب هذا لأمثالنا المغرورين في حيازة هذه الفانية ! (الحقير النهري) ، راجع المنن ص ١٧٤ . (من نسخة أخرى) .

جوابه لولده

فكتب في جوابه قدس سره : المريدُ مخيَّر بين التأمين ، وفعل دعاء التوسل لمرشده .

السبحة للمتهاون كالسوط

والذكر عبارةٌ عن طرد الغفلة ، فإن كان المريد على الحضور ؛ فلا حاجة لطرح السبحة ، فإنَّها كالسوط يُضربُ به الفرس المتهاون في المشي ، وإذا كان يمشي بنفسه ! فلا حاجة لضربه . فافهم . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب اليعسوب يستأذن في العزلة

وكتب إليه اليعسوب العسوي قدس سرهما : إلى والدي وشيخي قطب الإرشاد الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري : السلام عليكم وأوصلكم إلى أعلى المقامات .

وبعد : فلما غلبني النفس والهوى ، وصرت في نقص وكُدُورة ، أردت أن أعتزل في قعر بيتي بإقامة الجماعة فيه بلا خروج إلى الخارج إلاَّ للجمعة إن أذنتم لذلك ، وأسأل من حضرتكم العون والإمدادَ لما هنالك ، والدعاء لولدكم العاجز عن إتمام حقوق ربِّ البريَّات بأن يسهل له السلوك وقطعَ هذه العقبة الصعبة ، وأنا أسأل الله سبحانه في كل حال ، وعند قراءة كلِّ حزب أن يعينني لذلك ، ولطرد الخَطَرات الشيطانية والغفلات النفسانية ، وأرجو منكم أن تحبسوني في محبس الرياضة ، وتشدَّ على عضدي حبل السلوك بحيث لا أميل بعده إلى المألوفات أبداً ، ولعل الله سبحانه وتعالى يوصلني بفضله وببركات أنفاسكم وجذبات هِممكم إلى الأنس التامِّ وتفريق الظاهر والباطن ، لأنَّ من المعروف عندي أن لا أظفر بمطلوبي ، ولا أفلح بنيل مرغوبي ، وكشف الحجب عن وجه محبوبي ما دمت على هذه الحالة التي أنا عليها عاكف ، لأنِّي في نقص يوماً فيوماً ، هذا . والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . من ولدكم الحقير الوضيع المعلوم لديكم . انتهى من خطه رحمه الله .

منامات

رأيت ليلة كأني انظر إلى ذات الله تعالى في جهة السماء ، فعند ظهور أوائل تجلياته تعالى استيقظت من النوم ، وندمتُ على أن استيقظت قبل تمامه .

ورأيت في ليلة أخرى نزلتُ ضيفاً على حضرتكم .

وفي ليلة أخرى رأيتني أقاتل الكلاب ثم غلبتهم . انتهى .

إجابات وتعبيرات

فكتب في جوابه ما لفظه : وعليكم السلام ؛ استخر الله تعالى أولاً ، ثم إن حصل الانشراح تدخل في الخلوة ، فإن شاء الله تعالى يوفِّقُك ، لكن لا يجوز لك حينئذ أن تكون على حَدَث يقظة أو مناماً .

حصول الكشف من خاصيَّة الجوع

ولا تُنقِص الأكل نقصاً ، بل تأكل قدر ما لا يحصل لك معه الجوع الشديد ، كيلا يحصل لك الكشف الخديع ، فإن حصول الكشف من خاصيَّة الجوع ، فأنت تكون على حالة الاعتدال ؛ أي : بين الجوع والشبع .

الخلوُّ عن الدسم يجفف الدماغ

ثم إنك لا تغفل عن كون روحانية محمود أفندي قدس سره حاضرة معك رفيقاً لك ، ومُمِدّاً لسلوكك ، وبهذا كان شيخنا قدس سره يأمرنا ، والمأكولُ يكون دسماً غيرَ حيوان ، **والخلوُّ بالكلية عن الدسم يجفِّف الدماغ ، ويكثر الخطرات والوساوس الشاغلة عن الربِّ سبحانه وتعالى** . فافهم .

ثم اعلم أيها الولد العزيز ؛ إن ظهر لك شيءٌ ما من الكشوفات في الوقائع المناميَّة ، أو وجدت تقرأ شيئاً من القرآن في حالة الذهول والغيبة ؛ يجب عليك أن ترسله إليَّ مع أمينٍ .

الكف عن الكلام معين على السلوك

والكفّ عن الكلام مما يُعين على السلوك :

بالرمز أو بعض لفظ   حيث يُغنِ أُجب

البيت

وعلى قدر الكلام يخرج من الباطن النور الحاصل من الرياضات . فافهم أيضاً . ثم بعد تمام عشرين يوماً يجوز لك أن تأكل شيئاً قليلاً من الحيوانيِّ ؛ كقطعة وَدَك أو دُهن ، وبعد العشرين لو أنّك زرت إلينا لننظر إلى الحال يكون خيراً ، كما كان شيخنا قدس سره يأمرنا به . فافهم .

ثم إنك لو ابتدأت للسلوك ببدء شهر رمضان الشريف ؛ كان حسناً ، فإن عشنا إلى ذلك الوقت نجدِّد السلوك إن شاء الله تعالى ، وفقني الله تعالى وإياك لكلِّ خير . آمين . والوقائع أوَّلناها إلى الخير ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء لي ولأوْلادي وأصحابي .

ترك الجماعة لا يجوز

وكتب إليه أيضاً ما لفظه ؛ إنك تصلي الصلوات الخمس جماعة بزوجتك إن كانت حاضرة ، وإلاّ ! فتأمُر واحداً من أحبابك بالحضور لديك وقت الصلاة ، **وتركُ الصلاة في الجماعة لا يجوز** . فافهم .

صنع الطعام بيدِ طاهر

ويكون الطعام مصنوعاً بيدِ طاهر عن الحدث لم ينظر إليه أحدٌ سوى الصانع ، **ويكون الأكل مرَّة واحدة في اليوم والليلة** ، والعسل ليس بحيواني[١] . وقد كان الشيخ قدس سره أذن لنا في استعماله للأدم ، وتأمُرُ صانع الطعام بعدم إيصال النفس إليه ، وبكونه حاضراً بالله غيرَ غافل عنه .

ترك التكلُّف والغضب والخروج

ويجتنب أيضاً عن الغضب والتكلُّف ، بل يفعل الطعام بانشراح صدر ، ولا تخرج إلى الخارج إلاَّ يوم الجمعة لصلاتها ، وبعد السلام ترجعُ إلى البيت ويقرأ الصلوات والختمَ غيرُك .

البعد عن الناس شرط

فالحاصل أن البعد عن الناس بالكلية ، ودوام السكوت بلا كلام إلا بقدر الحاجة الضرورية ، ودوام الذكر والفكر من الشروط . انتهى .

مكتوب للتحذير

وكتب إليه أيضاً : السلام عليكم أيها الولد المرجوُّ للاستقامة محمد العسوي ؛ ثم اعلم أن أمر الخلوة في هذا الوقت مشكل ، واستعمالُ الرياضة

---

(١) **ومن آداب السلوك** ترك الحيواني في الأكل ، ويأكل من النباتي ؛ والعسل نباتي . « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » ، عبارته ٢٨ للشيخ سليمان الزهدي الخالدي قدّس سرّه .
ولكن البهائم كلها ظلماني في طبيعتها ؛ والنباتي نورانيٌّ في أصلها . (منه) . من هامش « النهجة » وراجعه ص ٢٨ . (من نسخة أخرى) .
* من حسن إلى أخيه المحبوب المرجوِّ للاستقامة محمد الأواري : سلام عليكم آمين ، وبعد ؛ فقد كنت أمْس على قصد حمل السكر وشيء قليل من الوَدَك ، لكنِّي نسيت ذلك وظننت أنَّ السكر قد نَفَد عندك ومضى من السلوك عشرون يوماً ؛ فلذا أرسلت ابنة محمد حج لديك بحملهما ، فإذا مضى عشرون يوماً فأنت تأكل من الحيواني شيئاً ، فأنت تطبخه مع الأدارف ، وإذا لم يمض فلا تأكله إلى مضي ذلك . فافهم ، والسلام وأوصيكم بالدعاء . من خطه قدّس سرّه . (من نسخة أخرى) .

بقلَّة الأكل والشرب في حالة العزلة مخوف أيضاً ، وقد قال لي شيخنا المرحوم قدس سره حين سألته : هل يجوز إدخال المريد الخلوَة ؟ لا يجوز بقلَّة الأكل ونقصانه – يعني – لئلا يحصل له الكشوفات الخديعة المضرَّة ، وعلى هذا ! فلا تنقص من المأكولات إلاَّ بقدر أدرفة واحدة ، أو ربع خبز ، وأكثر الذكر بحبس النفس لإذابة الطعام . فافهم هذا الكلام .

ثم اعلم أن رابطة الشيخ محمود أفندي قدس سره ودوامَها في حالة السلوك من المأمورات والمؤكدات ، وكتبة الوقائع وإرسالها إليَّ من الواجبات ، وفَّقك الله تعالى آمين ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب إليه أيضاً جواباً لكتابه : وعليكم السلام ؛ إن دخول الشيخ في الخلوة وصلاته فيها ركعتين قبل دخول المريد . . . إلخ يكون حسناً إن كان الشيخ في الحضر ، وأما إذا كان غائباً ! ! فلعله تكون الرخصة لدخول المريد بنفسه ، **كما كان شيخنا قدس سره أمرنا بذلك قبل أن يدخل هو فيها** . انتهى .

وأما أمر الجوع ! ! فقد كنت رأيت في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره ما معناه :

الجوع وصفاء القلب والنفس

إن للجوع خاصِّيَّةً يحصل به لقوم صفاء القلب ، ولقوم صفاء النفس ، وسببُ المنع عن الجوع عند المتأخرين هو الخوف من حصول صفاء النفس ، **فإن صفاء النفس يستتبع الضلالة** . فافهم .

فإذا كان الأمر كذلك ! ! لعلَّ المراد من الجوع أن يكون في حالة الاعتدال بين الجوع والشبع ، وبعضُ الكلام يفسِّر بعضاً .

وسمعت شيخنا قدس سره يقول : لا يجوز وقوف المريد في خلوة مع استعمال الجوع . انتهى . يعني : لئلا يحصل له الكشف ، وصفاء النفس ، فيمنع

بذلك عن صفاء القلب الذي يستتبع الهداية . والله أعلم . وسنبيِّن لكم حقيقة الكلام وقت الملاقاة إن شاء الله تعالى ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر في القبض والبسط

وكتب إليه أيضاً جواباً لكتابه : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ؛ فإن القبض والبسط يتعاقبان ، كتعاقب الليل والنهار ؛ وهما كجناحي الطير للسالك ، فلو دام البسط لحصل الفرح ، والفرح مذموم ولو كان بالله ، ويخاف معه من العُجْب ، ولو دام القبض ؛ لزال النَّشاط بالكلية ، وعدم النشاط للعبادة آفة ، والأكل للسالك يكون مرة واحدة في الملوين[1] .

---

(١) **أما الآفات الحاصلة** من الجوع ؛ فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال وملال النفس في تحصيل الكمال ، والخيالات الفاسدة والأوهام الكاسدة . **وأما** الآفات الحاصلة من الشبع ، فكثرة النوم المقتضية للكسل ، وقساوة القلب ، وغفلته وموته بطول الأمل وإطفاء نور اليقين ، وكثرة الشهوات ، وغير ذلك من الغفلات . « خربوتي على البردة » عبارته ٥٠ من شرح بيت :
وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ . . .إلخ .
وأما من الشبع ؛ فمثل القسوة والغفلة والكسل وغلبة الشهوة وإنطفاء نور اليقين وغير ذلك . **وأما من الجوع** ؛ فمثل الحدة وسوء الخلق وإراءة النحول والذبول ، وحدوث الكلال والملال ، وثوران الخيالات الفاسدة ، وغير ذلك . . إلخ ، وكون المخمصة شراً من التخمة باعتبار الآفات الناشئة من الجوع المفرط ، فإنه يضرُّ بالقلب والروح والدين ، **وأما التخمة** فغالب ضررها على الجسم ، من شرح « شيخ زاده » عبارته ٥٠ باخ . (من نسخة أخرى) .
وإنما كانت المخمصة شراً من التخم ، مع أنَّ اتِّفاق العلماء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع ؛ لأنَّ المخمصة وشدة الجوع تورث الإنسان ضعفاً ؛ حتى لا يقدر على أداء العبادة . قال ﷺ لمعاذ « إن نفسك مطيتك فارفق بها » ، وليس من الرفق أن تجيعها وتذيبها . انتهى « خربوتي » عبارته ٥٢ . (من نسخة أخرى) .
وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست كلمات في الشبع ، فقال : من شبع لم يجد حلاوة العبادة ، وتعذر عليه حفظ الحكمة ، وحصل له حرمان الشفقة على الخلق ، وثقل عليه العبادة ، وحصل لديه زيادة الشهوة ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبعان حول المزابل . انتهى منه عبارته . (من نسخة أخرى) .
* ويترتب على الجوع فوائد عديدة ومنافع كثيرة ؛ منها صفاء القلب ، ومنها رفع النوم ودوام السهر ، ومنها تيسُّر المواظبة على العبادة ، ومنها خفة المؤنة ، ومنها التمكن بذلك من الإيثار والتصدق ، وغير ذلك مما لا يتناهى . منه عبارته .

كما قال لي شيخنا المرحوم قدس سره : ويصحُّ أن يظهر له الضوء في الخلوة بقدر ما يبصر قراءة المكتوب .

الادِّهان في الخلوة

والتدهين في الأسبوع مرة سنة ، لكن لا أدري هل هو كذلك للسالك ، أم لا ! ! ولم أرَ من صرّح في ذلك بشيء ، إلا أنهم قالوا بخيرية الاجتناب عن أكل شيء من الحيواني .

قتل القمل

والاشتغالُ بقتل القمل يَشْغَلُ السالك ، فإبدال ثوب بثوب بعد يوم أو يومين يكون خيراً ؛ إن أمكن ، لئلا يقمل الثوب ، فيشغل عن التوجُّه إلى المقصود ، وعن الحضور .

الكلام

والكلام يجوز بقدر الحاجة ، ولا يزيد عليه .

الأكل

وأما الأكل فقد كان شيخنا قدس سره يقول : لا يجوز أن يقف السالك في الخلوة بتقليل المأكول – يعني : لئلا يحصل له الكشف – فيتضرّر به ، ويقطع عن الوصول ، **فيكون الأكل في حالة الاعتدال بين الجوع والشبع** . فافهم .

واعلم أنك تفعل حبس النفس إلى أن يحصل الحضور والغيبة ، فحينئذ تنظر إلى النقطة التي في وسط القلب ، وتلاحظها كأنها تذهب إلى جهة السفل شيئاً فشيئاً ، وتدوم كذلك إلى أن تطرأ عليك الغفلة والفتور ، ثم ترجع إلى الذكر . . . وهكذا ، وهكذا .

والحفظ من الكلام إلا بقدر ما يؤدِّي به المقصود ؛ من أعون شيء على حصول الحضور .

وأما الأشياء المرئيّة في المنام ، أو في وقت الذهول والغيبة ! ! فلا بدَّ لك من كتبتها إلا ما تظهر لك وقائعها ، فافهم ، والسلام وأوصيكم بالدعاء ؛ لي ولأولادي وأصحابي ، وانظر إلى « الرسالة الخالدية » من آداب السلوك والمجاهدة ، وكن متأدِّباً بما فيها من الآداب .

والحاصل أنك لا ترى نفسك إلا كلباً عقوراً ؛ أُدخل في خلوة كيلا يحصل منه للناس ضرَرٌ . والنفس أعدى أعداء الإنسان ؛ وهي الصنم الأكبر ، فالحفظ من مكرها واجب ، ودُم على الرابطة كأن الشيخ محمود أفندي معك رفيقاً لا يفارقك . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه أيضاً : وعليكم السلام ؛ أيها المحبوب المقبول ، فنحن في الحال بحمد الله في عافية ، ونتوجَّه إلى قلوب الجائين إلينا بجذبها إلى الله تعالى وصرْفها عن حطام الدنيا ، فللَّه الحمد والمنة ، **وإكثارُ** (**لا إله إلا الله**) **بحَبْس النفس نافعٌ لذهاب القبض والفتور ، والرابطة الشريفة نافعةٌ له أيضاً**[(١)] .

---

(١) وفيها ؛ أي : في « رسالة تاج الدين » : **إذا عرض في أثناء الذكر تفرقة أو وسوسة أو قبض فليغتسل بالماء البارد أو الحارّ ، أو يتوضَّأ ويصلِّي في خلوته صلاة الحاجة** ؛ ويقرأ التحيات ثلاثاً ، ثم يسلِّم ويخطو قدامَه سبْع خطوات ، ثم يقول : (يا حيُّ يا قيُّوم) ، سبعين مرة ، ثم يسجد ويلاحظ روحانية شيخه ، ويستغفر ويدعو بدعاء الفرَج وغيره ، ويتوجَّه إلى ذكره ، وإن لم يندفع فليتخيَّل صورة النبيِّ عليه السلام أو صورة شيخه ، وإن لم يندفع فليقل : (يا فعَّال) ، وإن كان ذلك لتعلُّق الطبيعة بشيء من نحو البيوع ولم يمكن إخراجه عن القلب **فليفعله ويتركه بعدُ** .

ولا تظنَّ أنَّ ذلك يحصل بسهولة ، بل ذلك محتاج إلى ترك النفس ودواعيها والقهر عليها في الأمور كلها ؛ **وذلك لا يحصل إلاَّ بصرف جميع الأوقات إلى ذلك التخيُّل** وبذل كافة الجهد والجدِّ لديه ، ولا يضيع دقيقة من وقته ؛ فإن الوقت سيف قاطعٌ لا يمكن تداركه عند فوته . « متممات » « جامع الأصول » عبارته ١٠٠ . (من نسخة أخرى) .

سبب الفتور

وسببُ طروِّ الفتور أكلُ أطعمة الناس ، والسكون لديهم ، والنظر إلى وجوههم ، وكثرةُ المجالسة مع أهل الشوق وأهل الغفلة والمباسطة معهم ، فينبغي الحذر منهم ، ومِن كلِّ ما يوجب القبض . فافهم . والسلام[1] . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه إلى اليعسوب رحمه الله : وأما ما كتبتَ في حقِّ ما يرد من الأثقال والدهشة والحيرة ! ! فتلك من الواردات ؛ فلا بأس به ، ولعلَّ فيه

---

(١) وعن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى أنّه ؛ أي : من حصل له الفتور والغفلة والخطرة يقول : سُبْحَانَ اللهِ المَلِك الْخَلَّاق الفَعَّال إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْق جَدِيد ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيز . وقد جرَّبَه الفقير وَوَجَدَهُ إكْسِيراً لذلك المَضرة في لحظة . « رسالة خالدية » عبارته راجعها . (من نسخة أخرى) .

* ومما كان الشاذلي رضي الله عنه يعلِّمه لمريديه وأتباعه ؛ فمن ذلك لدفع الوسواس والخواطر الرديئة ، قال رضي الله عنه : من أحسَّ بذلك فليضع يده اليمنى على صدره يقول : سبحان الملك القدوس الخلاق الفعَّال (سبعا) ، ثم يقول : إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديدٍ وما ذلك على الله بعزيز . « الأنوار القدسية » عبارته ١٥٠ . (من نسخة أخرى) .

* إذا وجدت ذلك ؛ يعني : الوسوسة فارفع إصبعك السبابة اليمنى فأطعنه في فخذك اليمنى ، وقل : بسم الله ، فإنه سكين الشيطان . الحكيم وابن وردي . « منتخب كنز العمال » عبارته .

* وكان الأستاذ أبوا الحسن الشاذلي يعلّم أصحابه ما يدفع الوسواس والخواطر الرديئة فكان يقول لهم : من أحسَّ بذلك فليضع يده اليمنى على صدره ويقول : سبحان الملك القدوس الخلاق الفعّال (سبع مرات) ، ثم يقول : إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ، **ويقول ذلك المُصَلِّي قبل الإحرام** . من « إعانة الطالبين » عبارته ١٣٧ ج ١ من صفة الصلاة . وراجعه منه ففيه زوائد ، فيها فوائد . (من نسخة أخرى) .

* **فائدة** ؛ ذكر اليافع عن الشاذلي : أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب ، وتقول : سبحان الملك القدوس الخلاق الفعَّال (سبع مرات) ، ثم تقرأ قوله تعالى ﴿**إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ٢٠**﴾ . انتهى شيخنا « فتوحات » عبارته . (من نسخة أخرى) .

* وعلامات ذهاب الخطرات كثيرة مذكورة في الكتب ؛ ومن أعظمها تذكر الموت كأنه نازل إليه في الحال ، وأنه مفارق من الدنيا في الوقت كما قال لي شيخي قدّس سرّه ، فأنت تطالع « الخالدية » وتفعل ما فيه من العلاجات « وسائل المريد » عبارته ٩٧ . (من نسخة أخرى) .

الخير والمصلحة ، فإن القبض والبسط يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، وهما كجناحي الطير . فافهم . والسلام .

مكتوب شكوى من محمد عارف

وكتب إليه ولده محمد عارف رحمهما الله تعالى : إنِّي في هذه الأيام مقبوضٌ ، ولا أعرف سببه ! !

علاج القبض

فكتب قدّس سرّه في جوابه : **القبض يذهب بالغسل ، والتوبة** ، وبقوَّة الرابطة ، وبالاستماع إلى صوت الريح والماء ، وبكثرة الذكر فافهم . انتهى .

مكتوب إلى العكلچي لدفع الوسواس

وكتب قدّس سرّه إلى العالم الفاضل الحاج مُرْتَضَى عَلِي العكلچي رحمه الله : **إنَّ المداومة على تكرار (يا فعّال)** بالمدّ نافعٌ لدفع الوسواس والخطرات ، والتنفُّس من الأنف بالعنف والشدَّة مراراً نافعٌ أيضاً لدفع الخطرات ، **فإن كثرت عليك الخطراتُ! فافعل الرابطة ، واستغفر الله تعالى كثيراً** ، وعالج القلب باستعمال هذه المذكورات ، والسلام عليكم وعلى ولدكم سلطان . انتهى من خطه .

مكتوب لليعسوب في عدم إطاقة الذكر

وكتب قدس سره إلى اليعسوبي رحمه الله : وعليكم السلام أيها الولد محمد ؛ فإن كان عدم إطاقة الاشتغال بالذكر الكثير بغلبة حضور القلب والذهول والغيبة ؛ **فذا أنفع من الذكر ، وإن كان سببه كثرة الخواطر الرديئة الدنياوية ؟! فدواؤه وعلاجه تكثير الرابطة ، ودوام الوقوف القلبي ، والخشوع ، والتضرُّع والانكسار ، ومن أعظم ما ينفع به اللطائف كثرةُ الوقوف عليها بعد الفراغ من الذكر** ، والسلام . انتهى . وقد ورد في الحديث كما في « الجامع الصغير » : « إنَّ الله تعالى يُنْزل العبد على قدر همته » . انتهى .

مكتوب لأدرة في مباسطة العوام

وكتب قدّس سرّه إلى العالم المحقق السالك الصادق أُدُرَةْ العرادي رحمه الله تعالى :

من حسن القحي إلى أبيه المحبوب المقبول أدرة : السلام عليكم .

أما بعد : فقد يبلِّغني الجاؤن من جهتكم أن العوامَّ يجالسونك ويقفون عندك طويلاً ، ويسيؤون معك الآداب ، بل يدخِّنُ بعضُهم عندك بدخان التنباك الفاحك الفاحش ، فبذا ساء خاطري ، وانقبض باطني ، وعلمت أن ذلك ليس إلاَّ لغلبة صفة الجمال فيك ، والتخلُّق بحسن الخلق معهم ، كما ورد في الحديث : « حسِّنِ خلقك ولو مع الكفار » .

شرط تحصل الإفادة

فاعلم أيها الأب المخدوم ؛ أن المقصود من الاجتماع والصحبة إنما هو الإفادة والاستفادة ، ومهما خلا المجلس عن أحدهما ؛ فالاجتماع أبتر وأخسر ، ومن المعلوم لدينا أن استفادتك ممَّن يحضرُ لديك من المحال الغير الممكن ؛ لما أنَّهم من أهل الغفلة المحضة بيقين ، فينبغي أن تفيدهم بقدر طاقتك ؛ ولو بِذرَّة من الحكمة والموعظة الحسنة ، **والإفادة لا تحصل إلاَّ ممَّن رسخ فيه صفتا الجلال والجمال** ، **فالجمال الصرفُ نقصانٌ كالجلال الصرف** ، فاللازم عليك أن تستعمل مع الناس **أحياناً صفة الجلال** ، وأن تفعل معهم الغلظة في بعض الأوقات ، فإن تَجْفُهم ! يجفوك بلا شكٍ ، **وأكثر الإفادة والاستفادة في هذا الطريق هو بالسكوت** . وأما الكلمة والكلام ؛ أي : الدنياويَّان ! ! فقد يقع بسببهما بين مجاري الفيض سدٌّ كسدِّ الإسكندر ، وتَنْسدلُ حجب الظلمات الكثيفة على القلب .

صفة هذه الطريقة

أيها الأبُ ؛ إنَّ الإمام الرباني قدس سره قد وصف لهذه الطريقة بأوصاف كثيرة قائلاً : إنَّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق ، وأوفق وأوثق ، وأسلم وأحكم ، وأصدق وأدلُّ ، وأعلى وأجلُّ ، وأرفعُ وأكمل ؛ هو الطريقة النقشبندية العلية . انتهى .

وقال ابن حجر[1] : إنها هي الطريقة السالمة من كُدُورات جهلة الصوفية . انتهى .

وقال محمد مظهر المدني في « المناقب الأحمدية » : إنه لم يبقَ من السلاسل الأُخَر إلا الاسم والرسم ! ! ومَدَح الطريقة النقشبندية العليَّة مدحاً كثيراً .

وقد أنعم الله سبحانه علينا بهذه الطريقة السنيَّة بفضله ومَنِّه ، وشرَّفنا بتعليم كيفية الجذبة القلبية المشار إليها في حديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

ومنَّ علينا أيضاً بتحصيل كيفية الدخول في دائرة قولِ بعض العارفين (جلسةٌ خيرٌ من ألف حجة) ، **فلا ينبغي لمن يطيق أن يشتري ألف حجة في جلسة أن يُذهبَها سُدى فيما لا طائل فيه لمحض علَّة المداراة والموافقة ، فالتفطُّن لهذا الباب لازمٌ** ، وحفظ الأنفاس من الغفلات واجبٌ ، وأنت ترى أيها الأبُ ؛ أن كلامَ أكثر الناس لا يُسْمن ولا يغني من جوع ، بل يتكدَّر بسماعه الباطنُ المصفَّى بلا ريب ، **لأنَّ استماع الكلام الصادر عن الغفلة يورث الغفلة** ؛ كما هو معلوم لدى أهل الذوق والوجدان ، **فالحذر الحذر عن أهل الغفلة ، والحذر الحذر عن رؤيتهم** ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ فافهم .

---

(١) الهيتمي كما مرَّ .

المقام بقدر المصيبة

ثم إن المحبّ يفرح بكلِّ ما صدر من المحبوب ؛ ولو كان كريهاً ومؤلماً ، **فالمصيبة التي صدرت من محبوبك الحقيقي جلَّ وعلا إليك ليست إلاَّ ليرفع قدرك ، ويُنَقِّيَكَ من الرذائل المكنونة فيك** ؛ وأنت تعلم ما قال الصفدي في « سلك العين » :

بِقَدْرِ قَــدْرِكَ عِـنْـدَ اللهِ تُعْـطَ بَلاَ ... فَالصَبْرَ وَالصَّبْرَ ؛ يا بَاغِي الكَرَامَاتِ

فالشكر على ما أصابك من الواجبات ، والرضاء بما صدر منه تعالى فرضٌ من الفرائض ، فعسى الله سبحانه أن يجبر كسرك ، ويكثِّر خيرك ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ .

ثمَّ إني ؛ وإن كنتُ بعيداً عنكم بجسمي ؛ فإني قريبٌ منك بالباطن ، وأنا مشاركٌ لك في كلِّ ما لك وعليك ، وحصولُ ترقِّيك مطلوبُ الفقير الحقير ، وهو يرجو من جنابكم الدعاء له ولأصحابه بالاستقامة والتوفيق ، والله سبحانه عفوٌّ كريم . فهذا ؛ والسلام من هذا الكاتب الداعي لكم بالخير والفلاح . (حسن) .

مكتوب الغزانشي

وكتب قدّس سرّه إلى العابد التقي قمر الدين الغزانشي والعالم حسينل محمد العوري : إلى الأخ العالم المؤذن محمد بن حسين العوري ، وإلى الأخ المحبوب الحليم قمر الدين الغزانشي ، وإلى أهل بيته وسائر أهل دائرة الختم والصلوات من المريدين السلام عليكم :

شرعت العبادات لتحصيل الحضور

وبعد ؛ فصحَّتكم وسلامتكم وعافيتكم واستقامتكم من أهم المهمات ؛ وهو المسؤول من الله سبحانه في أوقات الإجابة ، **ثمَّ اعلموا أن الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله تعالى ، وإنما شرع جميع العبادات!! لتحصيل الحضور ، وإذهاب الغفلة والفتور** ، والنفس الواحد بالحضور جوهرة

نفيسة لا قيمة لها ، وللعارف بكل نفَس يخرج ويدخل درجة مائة شهيد ، فينبغي لكم أن لا تطرحوا هذه الجوهرة النفيسة في المزابل الخسيسة الخبيثة ، بل احفظوها حفظ إنسان العين ، وشدُّوا عليها بكلتا اليدين ، واعرفوا قدرها ، ولا تغفلوا عن الله ما استطعتم ،**ودوموا**[1] **على الحضور ذهاباً وإياباً ؛ قياماً وقعووداً** ، فإن الطريقة النقشبندية عبارةٌ عن دوام الحضور ، **ومبناها على الخلوة في الجلوة** ، فافهموا هذا ، وتأدَّبُوا مع السيِّد الجليل القدر سيف الله . وفقكم الله ، والسلام من المرشد المجازي .

مكتوب إلى أدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى أدرة رحمه الله ما صورته : إلى حضرة محبوبنا العالم العارف بالله سبحانه أدرة العرادي :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد : فإن الحامل أخانا في الدين أوصل إليَّ أسئلتكم وأخبرني صحَّتكم وسلامتكم ، فجزاكم الله عنا خير الجزاء ، ورزقكم الاستقامة في الأقوال والأفعال ، وجعلكم في دائرة أهل التجلِّي الذاتي بفضله ورحمته . آمين .

اعتذار وجواب

ثم اعلم أيها الأب الكريم وإن كنت بعيداً عنكم ؛ فإني قريبٌ منكم في عالم الخيال ، ولولا أعذارٌ تعوقني عن الخروج لخرجتُ لزيارتكم حيناً بعد حين ، وبذا اقتصرتُ على الملاقاة الروحانية .

قولكم : هل لي أن أفعل الذكر القلبي أحياناً أم لا ؟

فالجواب : إني سألتُ شيخنا المرحوم قدس سره بعين مسألتكم ؛ فأجابني : **إن الذكر القلبي بالنفي والإثبات خيرٌ للسالك الذي لُقِّن له النفي والإثبات ، وأفضلُ من لفظة الجلالة** ، وقال أليسَ في الحديث : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي (لا إله إلا الله) » ! ! انتهى .

---

(١) وكونوا . (من نسخة أخرى) .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : إن ذكر النفي والإثبات يكون في طرق الآخرين مناسباً لحال المبتدئين ، وذكر (الله) الذي هو كلمة الإثبات المحض يكون مناسباً بعد ذلك ، ليحصل بتكرار كلمة الإثبات استقرار واستمرار للمثبت المكشوف ، بخلاف طريقة هؤلاء الأكابر ، يعني النقشبندية ، فإنه على عكس ذلك ؛ لأن فيه إثباتاً أولاً ، ونفيَ ذلك الإثبات ثانياً ، فيكون ذكر اسم (الله) في هذا الطريق مناسباً في الابتداء ، ثم يستعمل بعده النفي والإثبات .

فإن قال ناقصٌ : على هذا التقدير لا يكون لأكابر هذا الطريق نصيبٌ من مقام الإثبات ، ولا يكون بضاعتهم غير النفي ! !

أجيب : أن إثبات الآخرين حاصلٌ في أوائلِ حال هؤلاء الأكابر ، ولكنهم من علوِّ الهمَّة لا يلتفتون إليه ، بل يَرَونه مستحقاً للنفي ، فينفونه ، ويعتقدون المطلوب المثبت وراءه ، فإثبات الآخرين مُيسَّرٌ لهم ، ونفيُ ذلك الإثبات الذي هو مناسبٌ لمقام الكبراء أيضاً حاصلٌ لهم ؛ لا سبيل لكلِّ ناقص إلى أشغالهم وأحوالهم ، وجميع ما ذكر هو نبذة من عدم حصول هؤلاء الأكابر الذي هو عينُ الحصول في ذلك الموطن ، فإن بيّن حصول أكابر الأكابر لَلَحِقَ الخواصُّ بالعوامِّ ، واختار المنتهون تعلُّم (أَلِفْ بَا) مثل المبتدئين الأصاغر ، انتهى عبارته ج . . .

المراقبة أعلى من الذكر

وأيضاً : إن طريق المراقبة أعلى جذباً من طريق الذكر . كما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره .

وقال صاحب « الرشحات » : **إن المقصود من هذا الطريق في اعتقادي كونُ القلب حاضراً بالله تعالى ؛ على سبيل الذوق واللذة دائماً** . انتهى .

ولعلَّك تتطلَّع إلى أن يحصل لك اللذَّةُ التي كانت في الابتداء وقت اشتغالك بذكر لفظة الجلالة ، وذا **لا يكون في الانتهاء** ، وقد قيل : التلذُّذ(١) في العبادة شركٌ . انتهى .

---

(١) أي طلب ذلك وقصده ، لا حصوله ! كما تقدَّم فيمن يشعر في ذكره ورابطته بمثل لذة الوقاع ، إذ ذاك في مقام الحال والغلبة لا الطلب . فافهم . (من نسخة أخَرى) .

الذكر الأشدُّ أفضل وأنفع

وممَّا ينبغي أن يعلم أن طلب حصول اللذة في الذكر ، وظهور الأشياء في النظر داخلٌ في اللهو واللعب ، **بل كلَّما توجد المشقة في الذكر يكون أفضل وأنفع** ؛ كذا في « مكتوبات » الإمام الرباني قدّس سرّه .

فاللائق بك أيها الأب الاشتغال بالمراقبة دائماً ، ونفي الخواطر بالجدِّ والجهد ، ودوام توجُّه القلب إلى الله تعالى ، وتنتظر الفيض منه تعالى ، فمن لم ينتظره لا نصيب له ؛ فهو كَمَنْ[1] دخل تحت السقف وقتَ نزول المطر ، **ونسبةُ فيض رحمة الله متساويةٌ للكلِّ ، ولكن النقصان من القابل بعدم استعداد المحلّ ، والفيضُ الإلهي غيرُ منقطع أبداً ، ولكن المانع من إحساسه ووجدانه إنما هو حديثُ النفس** كما هو مذكور في « الرشحات » .

الفرق بين طريقي المراقبة والذكر

والفرق بين طريق المراقبة ، وطريق الذكر : هو فرقُ ما بين التفكُّر وبين غيره ، فلعلك سمعت حديث : « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ! ! لكن الاشتغال بحبس النفس أحياناً ؛ ولو ألف مرة أو أكثر ، من الضروريات إلى أن تحصل النتيجة ، كما أمرنا شيخُنا المرحوم قدس سره . فافهم .

بعض أهل الفناء لا يعلم الفناء

ثم إنك يا أبي تشكو من عَدَم علم الأحوال ! فاعلم أن بعض أهل الفناء لا يعلم فناءه ، فإنَّهم فسَّروا الفناء مطلقاً بزوال العلم في المحمدي وغير المحمَّدي ، لكن لا يلزم منه علم الفاني فناءَه ونسيانه ، فإنه إذا فني قلبُه ينتقل العلم إلى الروح ، وإن فنيَ في الروح ينتقل إلى السرِّ ، ثمَّ . . . وثمَّ . . . كما قال به الإمام المعصوم قدس سره في « مكتوباته » .

---

(١) يعني : أن الفيض الإلهي فائض على الخلق دائماً كالمطر ، فكما لا يصل المطر على من دخل تحت السقف ، فكذا لا يصل الفيض لمن لم ينتظر بالتوجه والوقوف . فافهم . (منه قدس سره) . (هامش الأصل) .

مقاما الفناء والبقاء

وأيضاً : إن الفناء مقام السكر ، والبقاء مقامُ الصحو ، وهو أعلى من مقام السكر بمراتب ؛ كما هو مذكور في الكتب . والفناء نسيان الأشياء في القلب ، والبقاء بقاء الله في القلب مع الأشياء والأكوان ، وعدمُ حصول الضرر بسببها للحضور ، **ولا يشترط في الفناء** فقدانُ الخواطر الكائنة في الدماغ وفقدان الخواطر التي لا تَعْلم مواضعها بالكلية ، بل المرادُ فناء الخواطر الكائنة في القلب فقط . فافهم . والكل منقول من الكتب .

مقام الذوق للسالك

ثمَّ إنه يحصل للسالك المنتهي مقامٌ يشهد في نفسه بالذوق أنَّ كاتب يمينه لا يكتب في صحيفة أعماله حسنةً واحدة مدَّة عشرين سنة ، **وذلك المشهد هو الكمال** ، فإن لطائف الأمر من السالك كلَّما يذهب إلى فوق يكون مناسبته لعالم الخلق أقلّ وأنقص ، وتقلُّلُ تلك المناسبة ، وتنقُّصها يكون سبباً لتنزُّل عالم الخلق ، وكلَّما يتنزَّل عالمُ الخلق ويتسفَّل ، يجعل السالك فاقدَ الحلاوة ، ويزيده رؤية العيوب والنقائص ، ولهذا يتمنَّى المنتهون الالتذاذ الذي كان ميسَّراً لهم في الابتداء ، ثمَّ زال عنهم في الانتهاء ، وعرض مكانه فقدانُ الالتذاذ وعدم الحلاوة ، ولهذا **يرى العارفُ** أن كفَّار الأَفْرنْجْ أفضلُ منه ؛ لأنَّ في الكافر نورانيَّةً بسبب امتزاجِ عالم الأمر فيه بعالم الخلق ، وهذا الامتزاج مفقودٌ في العارف ، بل بقي فيه عالم الخلق الذي يقَع لفظ (أنا) من العارف عليه وحده ، وهو مملوٌّ من ظلمةٍ وكدورةٍ من الرأس إلى القدم ، كما هو مبَّين في « المكتوبات » للإمام الرَّباني قدس سره .

من أحوال المؤلف

وقد يحصل[1] لهذا الفقير الحقير حالٌ يستحي معه أن يسأل الله تعالى قبول الصلاة ، بل يسأله تعالى عدمَ المؤاخذة بها ، وعساك أنَّ عالم الأمر فيك

---

(١) راجع ما مرَّ .

وهو اللطائف ارتقى إلى عَالَمِه ، ولذا يحصل لك اليأس أحياناً ، وترى نفسك مفلساً من الأحوال ، وذا عند أهل الله تعالى **هو المرتبةُ العليا** ؛ فكيف لا ؛ **وقد يعدلُ ذرَّة** واحدة **من عبادةِ مَنْ** هذا حاله بعبادة ألف سنة من غيره . لأنه خالٍ عن الحظوظ ، **وعبادته لا تكون حينئذٍ إلاَّ لمجرَّد الامتثال والتعظيم** ، فافهم . ولا تظنَّ أنَّ هذا الكلامَ خالٍ عن النقل ، فكلّه منقول ! !

التهليل اللساني والمراقبة

ثم اعلم أن التهليل اللساني مع رعاية الوقوف القلبي وملاحظة المعنى بأن يلاحظ وقت النفي نفيَ وجود جميع ما سوى الله تعالى ، أو ما يراد نفيه بخصوصه ، ووقت الإثباتِ إثبات الحق تعالى يوجب الترقي(١) لمن هو على المراقبة ؛ كما هو مذكور في « المناقب الأحمدية » و « النفائس السانحات » و الخ .

ضرورة الذكر

فالحاصل أن الذكر لا بدَّ منه للمبتدىء ولا للمنتهي أصلاً ، فإنَّ الذكر بمثابة الفأس يُقطَع به شوك الخواطر عن القلب ، **وقد يحصل للمنتهي أحياناً القبض المشدَّد ؛ وينزل من مقامه** ، **ولذا لا بدَّ له من الذكر لنفي ذلك** ، **ولحصول الحضور** ، ولكن إذا حصل له الحضورُ **فالدوام عليه خيرٌ من الذكر بمراتب** ، **والجلسة الواحدة وقت الحضور والمشاهدة خير من ألف حجة** . وهذا أيضاً حاصلُ كلام السادات . فافهم . ثم إنه لو يرسل السائل أمثال هذه المسائل لتكون أجوبتها نافقعة لأهل السلوك ، فأنت ترسل يا أبي إليَّ كل مشكل من هذا القبيل لأعلِّق عليه ما يَحُلُّه مما مَنَّ به عليَّ المنَّان الجليل ، فهذا ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . الفقير الحقير حسن القحي . وقد كتبتُه بسرعة أيِّ سرعة ، ولم يتسع الوقت لتجديد النظر إليه فلعلك تفهمُ المراد . انتهى من خطه قدَّس الله تعالى سرَّه ولا قطع عنا بركته وبرَّه بمنه وكرمه ، الحمد لله .

(١) وأيضاً : إن التهليل اللساني يورث الترقي للمراقب . فافهم ، ويجوز له كل عبادة سواء كان ذكراً ؛ أو قراءة ، أو صلاة . . أو . . إلخ . (منه قدس سره) . (هامش الأصل) .

مكتوب إلى الإنخي

وكتب قدس سره إلى الحاج موسى الإنخي ما لفظه : من هذا الكاتب المرشد المجازي ؛ كالقاضي الضروري : حسن القحي ، إلى حضرة أخينا في الله ؛ لله ؛ بالله الحاج موسى الإنخوي : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد: فقد وصل إلينا سلامُكم مع الهدية . . إلخ فجزاكم الله عنا خيراً ، ورزقكم الزيادة في معائش الدنيا لأجل الدين ، وفي طاعات الآخرة لأجل رضاء الخالق المعبود بالحق عزَّ وجلَّ ، وجنَّبكم عن كلِّ ما يعوقكم عن الوصول إلى مطالبكم ، وشرَّفكم بدولة دوام التعلُّق بجناب قدسه تعالى ؛ فإن حقيقة الحرية إنما هي في ذلك التحقُّق ، وطلبُ التخلُّص من أسر النفس هو عين العبودية ، وإذا زال التعلُّق بالنفس بالكلية تتخلص من ربقة رؤيتها ، وحصل مكانه التعلُّق بالحق سبحانه وتعالى ، ففي هذا الموطن يحصل الإخلاص في الأعمال ، وينبغي لكم أن تعلموا **أنَّ تكلُّف منع الخواطر هو في مرتبة الطريقة ، والتخلُّص من التكلف إنما يكون في مرتبة الحقيقة** ، فلعلكم تجتهدون في ملازمة المراقبة العلية ، وتسعون لطرد الخواطر الرديئة **عن ساحة الصدر بالكلية ، فلو سَلِم للعبد ساعةٌ واحدة لا يخطر فيها سوى الحق تعالى ؛ فتلك الساعة تساوي إن شاء الله تعالى بألوف من أعمار سائر العباد ، وذرَّة واحدة من أوقات المراقبة خيرٌ من كثير من العبادة الخالية منها** ، ولعلكم سمعْتم قوله ﷺ : « فكر ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة » ،

فداومْ على المراقبة حتى يحصل لك الفناء التامُّ ، فإن حصول الإخلاص منوطٌ بانتفآء الآلهة الآفاقيَّة والأنفسيَّة الذي هو مربوطٌ بالفناء والبقاء ، والوصول إلى الولاية الخاصَّة ، والإخلاص الذي يحتاج فيه إلى التعمل والتكلف لا يكون له دوامٌ ولا بدَّ من سقوط التكلف في حصول الإخلاص الذي هو مرتبةُ حقِّ اليقين .

❊ وسمعت حضرة شيخنا علاء الدين العطار قدس سره يقول : سألت مولانا حسام الدين البلخي ، أنه ما سبب الأمر بالذكر في النهاية في طريقة خواجكان ؟ فقال : إن الذكر في هذا المقام لرفع الدرجات ، لا لقطع المقامات . « رشحات » عبارته ٧٨ . (من نسخة أخرى) .

الدنيا محلُّ الامتحان والابتلاء

واعلم أيها الأخ المحبوب المقبول ؛ **أن الدنيا محلُّ الامتحان والابتلاء** ؛ ظاهرها مموَّه ومزيّن بأنواع المزخرفات وصورتها منقَّشة وملوَّنة بالخيلان ، والخُطوط ، والذوائب والخدود الموهومة ، حلوة في باديء النظر ؛ متخيِّلة بالطراوة والنضارة في البصر ، **ولكنها في الحقيقة جيفة** مرشوش عليها العطر ، ومزبلة ملْآنة بالذباب والدود ، سرابٌ يُرى كالشراب ، وسمٌّ في صورة سُكَّر ، باطنها خراب وأبتر ، ومعاملتُها مع أبنائها مع وجود هذه الدمامة والقباحة شرٌ من جميع ما يقال ويذكر ، عاشقها سفيهٌ ومسحورٌ ، ومفتونها مجنون ومخدوع ، كلّ من افتتن بظاهرها فقد اتسم بسمة الخسارة الأبدية ، وكلُّ مَن نظر إلى حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامةَ السرمديَّة ، **فاجتهد للاجتناب عن خداع هذه الدنيا** الموصوفة بهذه المذكورات ، ولازم الذكر السريَّ الذي ثبت فضله على الجهري بسبعين ضعفاً ، وداومْ المراقبة في كلِّ حال من الأحوال .

المراقبة وقت الحدث

وقد سألت شيخنا المرحوم : هل يجوز المراقبة وقتَ الحدث ؟ فقال : نعم .

وقلت له أيضاً : ففي أي وقت وزمان أراقب يا أستاذي ؟

وقت وزمان المراقبة

فقال : ليس للمراقبة وقت وزمان ، كما أنه ليس للذكر وقت وزمان . انتهى . يعني : **أن دوام المراقبة في جميع الحالات لازمٌ ، كما أن دوام الذكر للسالك لازمٌ** . والله أعلم .

واعلم أيها الأخ ؛ أنه لو وجد فيكم من يقصد نحونا بعد الآن فعَلِّمه الرابطة بتمامها ، وأْمُرْهُ بفعلها مدّة حتَّى يحصل له بذلك الاستعداد ، ويكون سبباً لتيسير التوجُّه . فافهم ، فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء ، واقرأ مني السلام على الأخ المحبوب الحاج سراج الدين ، وأوصيه بالدعاء . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب لأستاذه العسلي

وكتب قدس سره إلى أستاذه الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره أيام هو مقيم « بدانجه » ، من ولاية « چارْ » ما ملخصه مع تغيير :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، كيف لا ؛ وقد قال عزَّ من قائل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بالرضوان بشَّركم ، وإلى السعادة هداكم ، وعلى آله وأصحابه الذين أيَّدوا دينكم ، وأصلحوا منهاج نبيِّكم ، إلى مَن بدايته النهاية ، ونهايته ليس لها غاية ، إلى محيي سنَّةِ سيد المرسلين ، ومرشد المريدين ، إلى محطّ رجال أهل الله الصادقين ؛ الحاج عبد الرحمن العسلي ، عامله الله بلطفه الأبديِّ وفيْضه المددي ، وجعله من الآنسين بقربه ، الفائزين بمعرفته وحبِّه ، عليكم السلام والتحية في كلِّ بكرة وعشية . أما بعد حمد الله سبحانه وشكره بقدر طاقتنا ؛ لا بقدر نعمته ، نسأل الله تعالى لكم الصحَّة والسلامة التي هي عين الرحمة والنعمة ، وأن يرقِّيَكم في المقامات إلى أعلى الدرجات ، ويُفيض فيوضاتكم وإمداداتكم إلى أهل إرادتكم ودائرتكم . آمين .

وقد وصل إلينا كتابكم المضنون ، وفهمنا ما فيه من خطابكم الميمون ، وشممنا من روائح عطور فيضكم ، وقبَّلنا بالأفواه آثار فضلكم ، والتذَّتْ برؤيته الأعين ، وبسماعه الأذن ، **كلُّ هذا السرور والرضاء بالله ، لله ، من الله سبحانه** ، حيث أنكم لم تنسوا هذا الفقير ولم تضعوه ؛ وهو حقير ، فوجب علينا أن ننشد ما قاله العارف :

ولقد سما الكلب الحقير إلى السما   لـمـا تـذكرت الأسـود بـاسمه

ثم إنه قدس سره ذكر في هذه الرسالة تفصيل أحوال الوطن ، وأخبره عن صحَّة حاله . . . وإلخ ، إلى أن قال : لكن النفس الأمارة هي على حالتها المعلومة لديك ، فهي تعلو علينا يوماً فيوماً ، ولا خلاص لنا من ضررها ؛ ولو في وقت ما .

ثم ذكر له عن الجائين والذاهبين إلى حرب « اليَابَانْ » وقال إنه لم يرجع من قريته إلاّ واحد ، **ولعله رجع بشفاعة صلاته وصومه** فإنه قال وصدَّقه مَنْ

رأى : إنه لم يترك الصلاة ولو في حال الاشتراك في المعركة ، وقال : إنه كان يتوضأ في الغداة ويدوم على تلك الطهارة إلى المساء وإنه كان إصابة البندقة بصَدْره أَحَبَّ إليه من أن يصيبه الحَدَثُ . انتهى .

ثم قال قدِّس سرُّه : وأما حالاتي الباطنة ! ! فهي في نقص وقصور ، ولا أرى من أعمالي ثمرات إلاَّ الحور بعد الكور ، فالمرجوُّ من الله سبحانه أن لا يسلب عنِّي محبَّتكم ومحبة ساداتكم ، إنه هو البر الرحيم .

ثم إن العالم أَصْحَابْ اللِخيّ قد جاء لديَّ مرتين ، فانعكس إليَّ منه أنَّ جميع أجزاء البدن يتحرَّك ويضطرب ، لكن لما كنتَ قلتَ لي : إن صاحب الذكر السلطاني لا يخلو من أن يعرفه مرَّة أو مرتين تركته على حاله ، لأني لم أجده يعرف ذلك .

مدة تبديل الذكر

وأما الآحاد ! فمنْهم من بدَّلتُ ذكرهم من القلب إلى الروح ، ومنهم من بدَّلته من الروح إلى السرِّ ، ومنهم شيخ هرم يشتكي أن الحرارة تشتدُّ عليه بحيث لا يطيق أن يحملها ؛ قائلاً : إنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى كثيراً ؛ لطروِّ تلك الحرارة حينئذ ، فإن ذكر الله تعالى فوق العادة يرتفع الذكر حتى إلى ما بين العينين ، فأنا متحيِّر في حقه ، فإنك كنتَ قلتَ لي : لا يجوز تبديل الذكر إلاَّ بعد مضي ثلاثة أشهر ! !

هذا ؛ وقد جاء إليَّ من جناب هادي خواجه الأشترخاني ٣٥ قروشاً ، **وذلك من دائرة بركاتكم لا غير ، والحمد لله** ، وألَّفت بعدك تأليفاً نفيساً لردِّ منكري هذه النسبة العلية ؛ نصرة لها ولطائفتها الطيبة الصفية ، بيد أنه لما كنتَ غريباً غائباً عنا لم يكن في الإمكان أن أشاورك في حقِّه ! !

نعم ؛ استأذنت من حضرتكم وحضرات السادات باطناً ، وناديتُ أصحاب النوبة ؛ فانشرح صدري لذلك ، وليس لي في جمعه نسبة مَّا سوى كونها قطرات رشحت من بحور فيوضكم إلى صدورنا ، مع موافقة الإلهامات بالنقول ، **وكلُّ ذلك ببركاتكم** ، والحمد لله ربِّ العالمين . وكلُّ هذا ظاهر لديكم ، ولكن

الظهور بعد الظهور أوضح وأبْيَنُ ، ولعل الله سبحانه يسامحني من إكثار الكلام إلى هذا الحد ، والمرجوُّ من جنابكم أن لا تطرحونا من نظراتكم ؛ ولو كنا مخالفين . حرَّره الحقير ولدكم خادم المفلسين حسن بن محمد القحي في ٤ محرم سنة :[١] ١٣٢٤ .

مكتوب لرؤيا منامية

وكتب إليه أيضاً وهو في « دنچه » ما حاصله : يا أستاذي وروح جسدي ؛ إني رأيت ليلة في المنام كأني أحمل جنازة رسول الله ﷺ على رأسي من جهة رجليه ، ويحمله رجلٌ آخر من جهة رأسه ، وحين ذاك زال الكفن عن ساقيه ﷺ ، وانكشفا ، فسترتهما بيدي بجرِّ الكفن عليهما ، وكان الكفنُ الذي عليه غيرَ جديد .

ورأيت في ليلة أخرى كأن النبي عليه أفضل الصلوات وأكملها وُلد في حجرتي . هذا ؛ والسلام .

مكتوب آخر للعسلي

وكتب إليه أيضاً ما ملخَّصه مع تغيير وتبديل في العبارات : إلى أبي أرواحنا ، وحياة قلوبنا وقرَّة عيوننا ، ومقوِّم أخلاقنا ، ومهذِّب نفوسنا ؛ شيخنا ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي .

أما بعد ؛ فليس المراد من الإرسال إلاّ إعلام الحال ، وتبليغكم شوقنا المزيد لرجوعكم كي نحظى برؤية وجوهكم ، فإنَّا كأطفال تركَتْها أمُّها ، بيد أننا كلُّنا مع مَن في دائرتنا في كنف الله سبحانه ، ونحن نتوجَّه إلى أحوال مَنْ جاء لدينا ممن في دائرتنا ، ونلقِّن مَن أراد التلقين وفق ما أمرتمونا به ، مع كوننا خائفين عن خيبة سعينا بالوقوع فيما نستحق به الطرد والإبعاد ، فالمأمول من كرم سعادتكم أن لا تطرحونا من نظراتكم الفيَّاضة ، ولا تحرمونا من هِمَّاتكم الفعَّالة ، فإنَّ نفوسنَا حتى الآن على ما كانت عليه من الجموح ؛ كأنه لم

---

(١) وفي نسخة أخرى : ١٣٣٤ .

ينقص من أمَّارتها شيء ! ! فلا تزال ترضعُ ثديَ مألوفاتها ، ولا تقدر على هجر مأنوساتها ، فسداها ولحْمتها ؛ بل كلُّها شهوات ، فما أصدق قول القائل :

نَحْت الجبال بالأظافر حتى تنقطع الأوصال أهون من مخالفة الهوى إذا تمكَّن في النفس .

والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، ولا قوة إلاّ به ، وأستغفر الله من كلِّ قول أسأت به الأدب ، والمرجوُّ منكم المسماحة . من طرف خادمكم وولدكم البهلوان حسن بن محمد القحي .

ثم كتب بلغتنا الأوارية هذه الأبيات :

لَچِنْ بَچُنِبْ نُخْطِ طَنْچَزُلْ بِـرَلْ عَدِنْ ... بَلَهُنْ خُـطُـنْ رُكُ مُـنْ وَچُـنِبْ نُخَلْدِ
إِبِلْ خُنْ نَخِّ تَرَلْ عِـصِـنَـلْ لِمَلْ عَدِنْ ... عَـجَـائِبَبْ كُـژَلْـدَ كِنَلْكُ حَيْرَانْ رُكُ
خَلْقُلْ عَالَمْ قَلْبِ سَمَاءَلِ بَقُـلْ نُـورْ ... طِـرْكُـنْ بَكُّنْ كَطِلُ عِمِرْكُ حِنْقُنْ رُكُ
إِخْلَاصَلِلْ أَهْلُيَلِ كَلْ چَنْ هِقَلِبْ زَمْزَمْ ... مُـنْ قُـنْ خَـدُ كُرُكُ قِيمَةْ لِنْ بُكُنْ هِچُ
أَللّٰهْ وُقَّنْ شِـنَـصِ وُصِـنِ شَرَبْ كَوْثَرْ ... كُـدُصَ مُـنْ إِنْـچُـكُ شُـكْـرُ هَبِزِ لِچُ
رَسُولَصُلْ طَرِيقَةْ طُـبِـطَـرَوْ مُـجَـدِّدْ ... مُـنْ هِـچِـلِـلْ هَبَكَخْ قُكِ قَصِلِنْ بُكُ
حُضُورْ خِدَلْ كَنْژِزِ أُسْتَارْ مُنْ رِكَّلِدَلْ ... غَـفْـلَـتَـلِـلْ حِـجَابَلْ مَعِيَّةْ دَهْلِنْ بُكُ
صُـحْـبَـتَـلْـدَ رُرْتِـزِ عَـكَـرْلِدَ هِچِلِلْ ... تَـجَـلِّيَـاتُ الاَفْـعَـالْ تَـنَـزُّلَـلِـلِ رُكُ
هَـبْ شِـكَـايَةْ دُدِخُنْ أَدِيبَصْ هَبِـلَـرُ ... كِـنِّـكِ أَمَّـارَتَـلِ أَحُـلَ بُـــقَّـــرَلْـــدِ
صِدْقُ هِچِبْ كَـلِـمَ كَاذِبَصُلْ جُ بُـكُ ... كَـرِيـمَـصْدِ كُّلْ بُكُ عَفْوُ حَصُلْ لِلِلَنْ
كِنَلْكُ مُـرِيـدْزَبِ زِيَـارَةْ كَـمُـــنْ رُكُ ... شَـمْـسُ المَعْرِفَتَلْدِ تَوَجُّهْ نُقْصَانْ لِدَلْ
طُـلْـكُ نِـسَـآءَلْـژِنِ شِـكَـايَـتَـلِلِ رُكُ ... طَـدْ بُـصُـنْ قَمَرْ شَنِ قِيمَةْ ژَقْ هَبِلِلَنْ
نَظْرَتَـلِ ذَرَّةْ لِـنْ كِـنَـلْـكُ نِـجْ رُكُـنِوْ ... مُرْشِدْ دُدِخُنْ كَلاَمْ ضُعْفُ الاِعْتِقَادْ بُكُ
حِجَابْ كَثِيفْ لِرَصِ كَرَمْ عَطِدَوْ لِدَلْ ... كِـنِّـكِ عَـفْوُ يَلْدِ كُّلْ لِنْ خَّنَ أَلْفَاظَلْ

انتهى

الباب الخامس

في كيفية قراءة الختم والصلوات وآدابها وفوائدها

جوابه للعرادي

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن كيفية قراءة الختم . . .وإلخ ؛ وهو الشيخ المحقق أدرة العرادي رحمه الله ما لفظه :

كيفيَّة قراءة الختم والصلوات

١ ينوي أوَّلاً قراءةَ الختم لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية .

٢ ثم يقرأ الختم؛ سواء كان ختمَ الخواجكان ، أو ختم الإمام الرباني .

٣ ثم بعد قراءة الختم يذكر لا إله إلا الله (أحد عشر مرة) ، أو (خمس عشرة) ، أو (خمساً وعشرين مرة) .

٤ وبعد ذلك يصلي (ثلاث مرات) بهذه الصلاة : (اللهم صلِّ على سيدنا محمد ، وسيدنا آدم ، وسيدنا نوح ، وسيدنا إبراهيم ، وسيدنا موسى ، وسيدنا عيسى ، وما بينهم من النبيين والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم وعلينا أجمعين) .

٥ ثم يقرأ آية ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . .إلخ .

٦ ثم يَهَبُ ثواب القراءة إلى روح محمد ﷺ ، وإلى أرواح أصحابه الأربعة ، ثم إلى أرواح مشائخ السلسلة أجمعين ، وعند ذكر أسمائهم يتوسَّل باسم كلٍّ واحد منهم لقضاء الجوائج الدنيوية والأخروية .

وفي قراءة الختم للإمام الرباني يقول بعد ذكر اسمه : يا إمام الرباني ؛ أطلبُ منك العون لقضاء حوائجي الدنيوية والأخروية . وهكذا بعد ذكر كلّ من أسماء المشائخ الكائنين بعده . فافهم .

وأما بعد قراءة الصلوات الشريفة يوم الجمعة ؛ أو ليلته ، ولا وقتَ مخصوصٌ لها ليلاً أو نهاراً ! ! فيذكر :

(لا إله إلا الله) (١١) ، أو (١٥) أو (٢٥) .

---

* من هذا العبد الضعيف المرشد المجازي كالقاضي الضروري كاتب الحروف المعلوم إلى ذلك الأخ المشهور القاضي عَرَبِ العكلچي : السلام عليكم ولن يتركم أعمالكم ، وأوصلكم مناكم ، وجعلكم من الذين سبقت لهم من الله الحسنى آمين .
وبعد : فكم وكم مرات يوصل إلينا سلامكم إخوانُنا في الدِّين ! ! وكم وكم يقولون : إنكم تذكروننا في المجالس بالذكر الحسن ! ! وذلك **ليس إلا بجذب الروح ؛ وهو من علامة الدين** ، فلله الحمد والمنة ، فقد ورد في الخبر « الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة فما تَعارَفَ منْها ائْتَلَفَ وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » ، فاستحسنَّا هذا الصنيع الناشئ من ذلك القدر الرفيع والمقام المنيع ، مع هذا العبد الضعيف الوضيع ، وكيف لا تستحسن المباداة بالتواضع من العلماء كالملوك ؟ ! ولا سيما بالنسبة إلى الفقير الصعلوك . ولعمري أن التفقُّد عن أحوال مثلي من أمثالكم لحري بالاستغراب ، وحضور هذا المسكين الخامل ببابكم لَشيء عجاب ، رفعكم الله بهذا التواضع وصانكم عن التكبر ، ورقاكم بفضله يوماً فيوماً في مراقي التمكن والتصدُّر ، فالتواضع من أرباب الشرف شرف وزين ، والتكبُّر – حُفظتم عنه – شرف وشين ، جزاكم الله عنا خيراً ولا لاقكم بعد الآن ضيراً ، وألهمكم رشداً ، وجعل مثواكم ومتقلَّبكم مشهوداً .
وإن سألتم عن أحوالنا فنحن في صحة وسلامة ، **بيد أن بواطننا كالبيت الخراب ، وأحوالها كأحوال بواطن المسلوبين ، ونحن في كل وقت كالحبة المقلية** ؛ لِمَا أنَّ الأكثرين يرمون سهامهم إلى جهتنا دائماً ، ولا نخلو عن اللوم أصلاً . **فنشكر الله سبحانه على ذلك لأن ذلك سنة الله التي قد خلت من قبلُ ، ولا يخلو منه أحد من بعدُ** ، فأسألكم بالله أن تدركوا أخاكم بالدعاء ، وأن تمدوه بالتضرُّع والالتجاء ؛ **فإن الدعاء بظهر الغيب مقبول** إن شاء الله ، والإمداد لإخوان الدين من شيم أمثالكم ، وذلك فضل الله . فقد تصدَّرنا لهذا الأمر المخوف بالأمر المشدَّد من شيخنا المرحوم المغفور له مع اعترافنا بالعجز عن أداء الحقوق ورعاية الاستقامة في جميع الأمور ؛ فيجب عليكم النصر لنا بالدعاء بحصول الاستقامة والتوفيق ، وقد قال تعالى ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ الآية ، فهذا ؛ والسلام وأوصلكم الله إلى المرام . (حسن قدّس سرّه من خطه) .

ثم يصلي (ثلاث مرات) بهذه الصلاة : (اللهم صلِّ على سيدنا محمَّد ، وعلى آل سيدنا محمد بعدد كلِّ داء ودواء ، وبارك وسلم عليه وعليهم كثيراً) ويكرر (كثيراً كثيراً) في الثالثة[1] ، ويقول بعد ذلك : (صلِّ يا ربِّ وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين) .

٣ ثم يقرأ آية ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ .وإلخ . هذه كيفية قراءة الختم والصلاة التي علَّمنيها شيخنا العسوي قدّس سرّه .

ثم يهب ثواب القراءة لأرواح السلسلة ؛ كما في الرابطة .

تعدُّد الحلقة

ثم اعلم يا أبي أُدْرَةْ أن تعدُّد التلقين والحلقة في بلدة واحدة خلافُ أصول الخالدية ، كما هو مذكور في « مجموعة الرسائل » للزهدي . وقال خالد شاه : من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا ، فعليكم بحفظ أصولهم لئلا تصيروا مطرودين . فافهموا .

فالحاصل : يجوز لكم أن تجتمعوا في موضع واحد ، وتقرأوا الختم والصلاة مجتمعين ، وإلا ! فالتعدد ليس بجائز .

ولقد كان شيخنا قدس سره يقول : يجوز قراءة الختم والصلاة بالاجتماع إن وجد بينهم مَن وصل إلى حَبْس النفس ، وإلاّ ! فلا ، **وأما في الانفراد! فيجوز لكلِّ واحد** . انتهى ، فالذي عليه مدار النظام أن يكون اللاحق تابعاً للسابق في التلقين ، أو قراءة الختم والصلاة ، وإلا ! فالاستقلال غيرُ جائز . كما هو مذكور في كلام الزهدي مبسوطاً . فافهم .

(١) ويزيد أيضاً – أي : ويقول : وعلى أصحاب سيدنا محمد . (هكذا في الأصل ولعله وعلى آل وأصحاب سيدنا محمد) – بعد : وعلى آل وأصحاب . . . إلخ . (هكذا في الأصل ولعله بعد وعلى آل سيدنا محمد) في الثالثة ، فافهم (منه) . (هامش الأصل) .

❊ ووجد بِخط السيد الأميرِ خالد سيف اللهِ الغازي غموقيِ قدس سره ما لفظه : **وقوف قلبي** : شِبْجُ أَبُنِ ذَاكِرَصُلْ رَكْ مَذْكُورَصُلْ أَيْ حَقُّ تَعَالَى يَصُلْ وُقُوفْ لِپي بُكْ ، هِبْ حَالَلْدَ

وفي « مجموعة الرسائل » بهامش صحيفة ١٧ وفي سنة ١٢٧٤ أربع وسبعين جاء سيدي الشيخ سليمان لزيارة سيد الكائنات ، عليه أفضل التحيات وعلى آله الطيبات ، فسئل عن الحقير عن جمعيَّتنا وجماعتنا ، فأخبرته وقلت : إذا وجد الماء بطل التيمم ، أنا والجماعة لكم وعلى نظركم . فقال : سمعت الشيخ عبد الله عن مولانا خالد قدِّس سرُّه قال : لو أرسلتُ خليفة إلى بلدة وأمرتُه بالارشاد فيها ؛ ولو دخلتُ فيها لحاجة لا أستقل بالإرشاد فيها لأجل خليفتي الذي أرسلته أوّلاً ، فاستقم كالأوَّل بالختم والتوجهات في الأوقات التي اخترتَهَا ، والإخوان الذين معنا كلهم يحضرون الختم والتوجهات في المحلِّ الذي عيَّنتَهُ ، وأنا عاجز عن مجيء ذلك المحل ، وبعد صلاة العصر كلُّكم تعالوا عندنا في البيت يكون الختم الخواجكان كما في مكة المكرمة ، وعادتنا في المدينة المنوَّرة بين العشاءين عند باب المجيدي في مكتب الصبيان على شروطه . انتهى عبارته ١٨ .

فتدبَّر يا أبي أدرة قولَ الأستاذ لمريده ، وافهم منه ؛ فإذا كان الحال هكذا فالذي يراه الفقير أن ترسلوا الكتاب إلى الشيخ شعيب أفندي الباكني بطلب الإذن منه للاجتماع في مكان واحد ؛ أنتم ومريدوه ، مع أنه لا فرق بيننا وبينه وشيخنا وشيخهم واحد ، أي : ومريدونا ومريدوه كمريدي شيخ واحد فيما أعلم ، فيجوز الإجتماع حينئذ في رأيي ، لكن ما قال الشيخ الباكني هو الصواب ؛ لأنه أعلم في هذا الباب وأسبق منا حالاً ومقاماً ، وهو شيخنا في الحال والمآل إن شاء الله تعالى ، فلك يا أبي أن تكتب إلى الشيخ شعيب ما بدا

اَللهَ ص مُرَاقَبَيَلْدَصَنْ بُطَ قِّز حَتَّى مُشَاهَدَ يَلْدَ چز هَبُنْ مَشْغُولْلِ بُكُ ، شِبَبْ حَالَلْ حَتَّى بَعْضُ السَّادَتَزْ أَبُنْ بُكُ : **هَبْ وُقُوفْ ذِكْرُ يَلْلِ شَرْطْ بُكُ أَبُنْ** . انتهىَ . (من نسخة أخرى) .

❊ ووجد بخط اليعسوب نقلاً عن خط أستاذه الحلمي قدس سرهما ما لفظه : **والوقوف القلبي ؛ ركن الطريقة ، بل هو أساسها ، بل واجبٌ في كل طاعة ، بل كل حالة من القيام والقعود والاضطجاع ، حتى الرواح إلِى الخلاء ووقت الجماع ولو حين يغشاها** . « جامع الأصول » عبارته ١٦ . ❊ **وقوف** : رَكَلْدِ بَلَهِ ، من غير ذكر ؛ هذا هو المراد هنا ، وإلاَّ فهو على أنواع . راجع وحرِّر ، والسلام انتهى من خط الأستاذ الأواري وهو من خط اليعسوب . (من نسخة أخرى) .

لك في حق هذا الأمر بالسؤال منه ، وأنت أعلم منا ، والله ولي التوفيق ، وأنا ابنكم حسن وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب إلى حسين المحمد جواباً عن الكيفية

وكتب قدس سره إلى بعض أكابر مريديه وهو الشيخ العالم حسين المحمد العوري حفظه الله ، جواباً لكتابه : وعليكم السلام . . . إلخ .

ثم الذي رأيناه من مشائخنا في كيفية قراءة الختم والصلوات :

---

* قوله (سيدنا محمّدا عبده ورسوله) قدَّمه امتثالا لما في الحديث الصحيح « ولكن قولوا عبد الله ورسوله » ؛ ولأنه أحب الأسماء إلى الله سبحانه وتعالى وأرفعها إليه ، قال الشيخ أبو علي الدقاق : ليس للعبد صيغة أتمَّ ولا أشرف من العبودية ؛ ولذا أطلقها الباري سبحانه وتعالى على نبيِّه في أشرف المقامات قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ، وقد حقّق أن عبودية الرسول أكمل من رسالته ؛ لكونها انصرافاً من الخلق إلى الحق ، والرسالة انصراف من الحق إلى الخلق ؛ ولأنَّ العبد يتكفَّل مولاه لإصلاح شأنه ، والرسول يتكفَّل بإصلاح شأن الأمَّة « عطاري على شرح الأزهرية » عبارته ٤ .

أي : « ولكن قولوا عبد الله ورسوله » . هذا ؛ بعض الحديث الذي لفظه « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، ولكن قولوا : عبد الله ورسوله » وتطروا ؛ بضم التاء مضارع أطرى ، والإطراء : المبالغة في المدح حتى يخرج عن الحد ، أي : لا تبالغوا في مدحي مجاوزة للحدِّ ، كما بلغت النصارى في المسيح ، حيث أخرجوه من مقام البشرية لمقام الألوهية « حاشية محمد الأنبابي على هامشه » تذكرة ، الشيخ العاجز محمد الشتوطي لابنه العالم محمد العكلچي . (من نسخة أخرى) .

فضائل العبودية على الرسالة

وهي غاية الخضوع والتذلُّل ، وهذا الوصف أشرف أوصاف الإنسان وأرفعها ؛ ولذا وصف رسول الله ﷺ به في المقامات العلية كمقام الإسراء ومقام إنزال القرآن ومقام الدعوة إليه . « باجوري » عبارته ٧٦ على حاشية « سلم المنطق » وراجع « الشهاب » في ديباجة « شرح المحلي » صفر ٢٠ سنة ١٢٣٠ .

وإنما قال (عبده) لأنه من أشرف الصفات ، ولهذا سمّاه الله تعالى عبداً في مواضع كثيرة من القرآن فقال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ ، فانظر إلى تسميته عليه أفضل الصلاة والسلام في هذه المواطن الشريفة بذلك . (من نسخة أخرى) .

الرابطة الشريفةُ أولاً ، ثم الاستغفار (خمساً وعشرين مرة)[1] بعد قراءة ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ الآية ، ثم تقول : اللهم يا مقلِّب القلوب . . إلخ ، ثم تقول فاتحة شريفة ، ثم تقرأ أنت والحاضرون فاتحة الكتاب (سبع مرات) مِمَّن كانوا في جهة اليمين ، ثم تقول : صلوات شريفة ، ثم تقول : ألم نشرح شريف[2] . . . إلخ ، ثم تقول : إخلاص شريف[3] . . . إلخ ، ثم تقول فاتحة شريفة . . إلخ ، ثم تقول صلوات شريفة[4] ، ثم تقول أنت والحاضرون : يا قاضيَ الحاجات ، يا كافي المهمَّات ؛ يا دافع البليَّات ، يا رافع الدرجات ، يا شافي الأمراض ، يا مجيب الدعوات ، يا أرحم الراحمين (مائة مرة) ؛ أي : بالتقسيم على الحاضرين ؛ مثلاً إن وُجد في المجلس عشرون رجلاً ؛ يقول كلٌّ منهم هذا الدعاء خمسَ مرات فيصير المجموع مائة . فافهم .

ثم تقول أنت وإيَّاهم : لا إله إلا الله (خمساً وعشرين مرة) ، ثم تقرأ عشر آيات من القرآن ، ثم تهبُ ثواب ذلك كله إلى روح النبي . . . وإلخ ، فافهم . ثم السلام منا على أهل المجلس طُرّاً . وأوصيكم وأوصيهم بالدعاء . فافهم ، والسلام . انتهى من خط حسينل محمد حفظه الله .

مكتوب إلى أدرة بكيفية التوسل

وكتب قدس سره إلى أدرة : وعليكم السلام ؛ فكيفية التوسُّل بالإمام الرباني قدس سره :

قال أبو علي الدقاق : ليس شيء أفضل من العبودية ، ولا اسم أتم للمؤمن من الوصف به . « عمدة المحتاج إلى شرح المنهاج » عبارته من شرح : (وأنَّ محمدا عبده) .

(١) خمساً ، أو خمس عشرة ، أو خمساً وعشرين ، من « خلاصة الآداب » . (هامش الأصل) .

(٢) ٨٩ مرة . (منه ؛ هامش الأصل) .

(٣) ١٠٠١ مرة . (هامش الأصل) .

(٤) ١٠٠ مرة . (منه) . (هامش الأصل) .

أن ينوي مَن أراد قراءة ختمه بما أراده[1] ؛ من شفاء مريض ، أو حصول مقصود ، أو دفع بلاء ، أو . . . إلخ ، ثم يقرأ ختمه بتلك النية ، ويهدي ثوابه بعد قراءة عشر آيات من القرآن إلى روحه ، ويطلب منه حصولَ مراده بإمداده وإعانته ، ثم يسأل الله تعالى حصوله بحرمته قدس سره بالتوجُّه التامِّ ، والإلحاح والتضرُّع . هذا ، والسلام .

وإن قرأت ذلك الختم أحياناً بنيَّة شفاء المريض لعلَّ الله تعالى يشفيه ببركة ذلك الإمام إن شاء الله تعالى ! ! انتهى .

مكتوبه أيام فتنة داغستان

وكتب قدس سره إلى مريديه في الآفاق أيام الفتنة العامة في داغستان عقب حرب العالم الأولى : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وركاته ؛ إني أرى الخيرَ والمصلحة ؛ نظراً إلى الزمان قراءة هذا الختم ؛ ولو مرَّة في أسبوع ، وهو ختم الإمام الرباني قدس سره .

وكيفية قراءته : يفعل الرابطة أولاً ، ثم يستغفر الله تعالى (خمساً وعشرين مرة) ، ثم ينوي هكذا : نويت أن أقرأ ختم الإمام الرباني لقضاء حوائجي في الدنيا والآخرة ، ودفع البلايا والفتن . . . وإلخ وإلخ ، ثم يقول : اللهم صل على سيِّدنا محمد وعلى آله (مائة مرة) ، ويزيد في أولها وآخرها : وعلى آل سيدنا محمد وسلم .

---

(١) أي : ينوي ذلك بخصوصه . (منه) . (هامش الأصل) .

* اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرَضين ، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، (ثلاثا) ، بسم الله الرحمن الرحيم ثم الفاتحة ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وآية الكرسي إلى خالدون ، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا ﴾ . . .إلخ . من « وفق المراد » عبارته من أوراد الصبح وأذكاره إلى طلوع الشمس . (من نسخة أخرى) .

ثم يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله (خمسمائة مرة) ويزيد في أول كل مائة وآخرها : (العلي العظيم) ، ثم يصلي كذلك (مائة مرة) ، ثم يقرأ ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . . إلخ ، ثم يَهَبُ ثوابه لروحه ، ويطلب منه الإعانة لقضاء الحوائج ، ودفع البلايا ، ثم يسأل الله تعالى قضاءها ودفعها بحرمته قدس سره ، أو يهب الثواب كما يهب في وقت الرابطة .

ثم إذا وصل إلى الإمام الرباني يناديه هكذا : يا أحمد الفاروقي ؛ نتوسَّل بك إلى الله تعالى لقضاء حوائجي ، ودفع البلايا . . . وإلخ .

ثم يَهَبُ إلى روح خالد شاه ، ويناديه كذلك ، ثم إلى روح محمود أفندي ، ويناديه كذلك . . . وهكذا . . وهكذا ، ثم يقول : يا ربّ ؛ اقض حاجتي[1] وادفع عنا البلايا بحرمة هؤلاء المشائخ ، وخاصَّة بحرمة الإمام الرباني أحمد الفاروقي . فافهموا ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه ببعض تغيير .

مكتوب لبعض مريديه

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : السلام عليكم ؛ رابطة شريفة ، ثم تقول : نويت أن أقرأ ختم الإمام الرباني لشفائي ، ويذهب عني دائي ، ثم الصلاة (مائة مرة) ، ثم لا حول ولا قوة إلا بالله (خمسمائة مرة) ، ويزيد (العليّ العظيم) في أوَّل كل مائة ، ثم الصلاة (مائة) ، ثم ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى آخر السورة ، ثم تهب ثوابه لروح الإمام الرباني ، ثم تناديه هكذا : يا إمام رباني أطلب منك العون[2] لذهاب دائي وصحَّة جسدي ، ثم تدعو الله تعالى قائلاً : يا إلهي أذهب عني دائي ، وارزقني الصحة والعافية بحرمة هذا الإمام . آمين .

فافعل هكذا مرة بعد مرة ، وقل لأمِّك تفعل هكذا بنية شفائك ، ونحن نفعل كذلك بتلك النية إن شاء الله . انتهى من خطه معرَّباً .

---

(١) حوائجنا . (من نسخة أخرى) .
(٢) الإعانة والإمداد . (هامش الأصل) .

وكتب قدّس سرّه في كتابه « خلاصة الآداب » كيفية قراءة ختم خواجكان بالتفصيل ، ثم بيَّن كيفية سائر الختمات فقال : ثم ختم الإمام الربّاني ؛ **لا حول ولا قوَّة إلا بالله** (خمسمائة مرة) ، ويزاد في رأس كل مائة ؛ **العلي العظيم** ، والصلاة في أوله وآخره (مائة) ، ثم يهدي ثوابه إليه ، ثم ختم سيدي محمَّد مظهر وهو المعوّذتان وبينهما الاستغفار بهذه الصيغة ؛ **أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** (ثلثمائة وعشرين مرة) ، ثم يهدي ثوابه إليه .

وهذه الختمات تستعمل عندنا في حلقة المغرب ، ثم ختم الغوث الجيلاني وهو ؛ **حسبنا الله ونعم الوكيل** (خمسمائة مرة) ، والصلاة في أوَّله وآخره (مائة مرة) ، ثم يهدي ثوابه إليه ، ثم ختم الخواجه النقشبند وهو : **يا خفيّ اللطف أدركني بلطفك الخفيّ** (خمسمائة مرة) ، والصلاة أولاً وآخراً (مائة مرة) ، ثم يهدي ثوابه إليه . ثم ختم محمّد معصوم وهو : **لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** (خمسمائة مرة) ، والصلاة والسلام أولاً وآخراً . وهذه الختمات الثلاث تستعمل عندنا في حلقة الصبح . انتهى من « النفائس السانحات » عبارته .

وكان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه يقول : إن قراءة الختم بالجمعية لا تجوز إلا إن كان هناك مَن لقن له النفي والإثبات بحبس النفس ، **وأما في الإنفراد فيجوز لكل مريد** . انتهى . انتهى ما أردنا نقله من « خلاصة الآداب » ونقل فيه غير هذا كلاماً نفيساً ينبغي مراجعته ، فراجعه من ص ٦٢ .

مكتوب في حضور النساء الختم

وكتب إليه العالم إبراهيم الهؤري : بعد سلام يقول : إن طائفة من النساء النقشبندية وغيرهنَّ يحضرن ليلة قراءة الختم إلى مجلسه ، ويقِفْنَ خلف باب البيت المغلق ، فما الأفضل لهنَّ : الموافقةُ في القراءة ؛ أو السكوت بالحضور والوقوف ؟ انتهى .

جوابه

فكتب قدس سره في جوابه : إن كانت ليلة الجمعة ؛ فالموافقة في قراءة الصلوات خيرٌ لهُنَّ ، وأما في الختم ! ! فالزيادة والنقصان فيه مما لا يجوز .

أيها المحبوب ؛ إن عادة المشائخ منعُ الأجنبي عن مجلس الختم ، **وعاداتُهم سيِّدُ العادات** ، ومَن خالف عاداتهم ؛ فقد تخلَّف عن مددهم ، ولما قرأت الصلوات يوم الجمعة الماضية في المسجد مع الأجانب كنتُ خفتُ أن تفعل كما فعلتُ ، وذلك إنما فعلتها كذلك لحكمة لا تعرفها ، وأرى المصلحة في قراءة الختم في البيت مع غلق الأبواب ومنع الأجنبي ، لكن بلغني عن الشيخ شعيب أفندي أنه كان لا يمنع الأجنبيّ من مجلس الصلوات . . . إلخ . وأيضاً إن الناس يسأمون إن أطال القاريءُ القراءة ، وبسآمة الواحد يسأمُ الآخرون **بانعكاس حاله إليهم** ، فأنا أرى الخير في التعجيل ما أمكن بحيث لا يقع اللحن ، ولا ينقص من المدَّات ، ولو أنكم تقرؤون قول (عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) بالتعجيل كما تقرؤون ما قبله كان خيراً لكم وأجلبَ للحضور ، وأدفع للفتور ، وأرجو الله تعالى أن تكون ممن يُهتدى بكم ، وذلك على الله يسير ، ولك أن تُعلِّم أبعاضاً من المريدين كيفية قراءة ختم الإمام النقشنبدي ، وتقرؤونه أحياناً ، فإن الحوائج تقضى به . . . إلخ . وكيفيته هكذا : يا خفيّ اللطف أدركني بلطفك الخفيّ (٥٠٠ مرة) ، والصلوات أولاً وآخراً (مائة مرة) . ثم يهدي ثوابه إلى روحه ، ثم يتوسَّل به لقضاء الحوائج . والسلام .

مكتوب آخر باستعمال السبحة

وكتب إليه أيضاً : أيها الأخ المحبوب ؛ إن عادات السادات ساداتُ[1] العادات ، وقد جرت عادتُهم بتقسيم العدد بالحصاة على عدد المجتمعين في المجلس **لا بالسبحات** ، فبناء عليه ينبغي لك أن تعلم أن البركة لنا في موافقة أفعالنا في كل شيء بأفعالهم ؛ لأن البركة لا تحصل إلا بالموافقة ، **ومجاري الفيض تسدُّ بالمخالفة** . فافهم . وتفطَّن وكنْ على يقظة من هذا الأمر وأمثاله ، والسلام .

---

(١) وفي نسخة أخرى : سيّد العادات .

مكتوب للجمع وعدم التفرقة

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : من حسن إلى ذلك الولد المحبوب : السلام عليكم . . إلخ ، ثم إني سمعتُ أن طائفة من المريدين في قريتكم لا يرضون بالاجتماع في بيت الحاج إبراهيم لقراءة الصلوات والختمات ، وبذلك ضاق صدري ، فاعلم أيها الولد : أنَّ الأجنبي لا يجوز أن يكون في موضع الختم ، فإذا قُرِيء الختم في المعابد العامَّة كالمسجد ؛ لا يخلو مجلسكم عن دخول الأجنبي فيه ، وبِذا يتضرَّر لمجلس الختم ، أو ينكركم ويستهزيء بكم الداخل ؛ فيكفر – والعياذبالله – ، فبناء عليه أرى المصلحة في بقائكم على ما كنتم عليه قبل ، والحاج إبراهيم يعينكم بالسراج وبالبُسُط والحُصُر ، فينبغي لكم أن لا تتفرقوا ، وتمنعوا إخوانكم عن التردُّد إلى الجهات المختلفة ، فجمعُكم في منزل الحاج إبراهيم هو الجمعُ على الله إن شاء الله ، ونرجو من الله تعالى أن يديمكم على ملازمة الذكر والفكر ، وأن يهديكم إلى سواء الصراط ، فإنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى . من خطه قدس سره .

مكتوب من العكلجي

وكتب إليه قدس سره العالم أحمد العكلجي ما مختصره :

إلى ذلك الأستاذ السُّنيِّ السَّنيِّ ؛ الحِبِّ الحليم الصابر الصفيِّ ، سميّ شقيق السبط الكربلائي . . السلام عليكم ، وبعد ؛ فتسليم . . إلخ وثانياً : إني أقع كثيراً في محافل المجتمعين للتهليل بسبعين ألف كلمة توحيد بالذكر الجهري ، فهل لي أن أوافقهم في ذلك ، أم لا ؟ .

جواب العكلجي

فكتب في جوابه ما ملخصه :

الجواب : أبو محمد أحمد العكلجي ! من خطه . وعليكم السلام أزيد مما أرسلتَ إليَّ أيها الأخ المحبوب بألوف ، ثم إني لم يتفق لي الفرصة . . . إلخ .

وأما جلوسك في موضع ومجلس الذكر الجهريِّ ! ! فمما لا نمنعك منه ؛ لأنَّ الموافقة مع الإخوان خيرٌ وحسن ، **والمخالفة لا خير فيها** أصلاً . . إلخ ، وأوصيك بالدعاء . الفقير الحقير المرشد المجازي القحي . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب إلى الإاخي للموافقة

وكتب قدس سره إلى العالم القاضي حاجي محمد الإاخي :

سلام عليكم . . إلخ ، ثم إنه بلغني أنك تورد صيغة الجمع في صيغة المفرد عند قراءة الصلاة المشيشية ! ! وأنا سمعت شيخنا قدس سره يقرأ كلَّ ما فيه صيغة المفرد مفرداً ، وكلّ ما فيه صيغة الجمع جمعاً ، فينبغي لنا أن نقتديَ به في ذلك ، **فإن البركة في الموافقة** . فافهم ، وأوصيكم بالدعاء . كتب على ساق العجلة ؛ فلا تَعِب . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب إلى سعد الله الأوراي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل سعد الله بن عبد المجيد الأواري رحمه الله تعالى : وعليكم السلام ؛ أيها الولد المحبوب المرجوُّ للاستقامة ، وحوز السلامة ، ثم اعلم أيها الولد الأمين ؛ أن أمر الدنيا صارَ هكذا ، وأمر الخلق قد تفرَّق كما ترى ، وقد أحلُّوا الحرام ، وحرَّموا الحلال ، وكل ما وقع في هذا الزمان هو عينُ ما ورد في الأحاديث ، جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل الاستقامة والتوفيق ؛ ولا جعلنا من الذين ضلُّوا وأضلُّوا .

ثم إن البلايا قد تُردُّ بالدعاء ؛ فعليك بإكثاره ، وبالصدقة ؛ فعليك أيضاً بإنفاقها ، **واقرأ كلَّ يوم ختم الإمام الرباني بنيَّة دفع المصائب والبلايا** ، فافعل أوَّلاً الرابطة الشريفة ، ثم استغفر الله خسماً وعشرين مرة ، ثم انوِ مقصودك من جلب نفع ؛ أو دفع ضرٍّ ، ثمَّ صلِّ على النبي عليه السلام (مائة مرة) .

ثم قل : لا حول ولا قوة إلا بالله (خمسمائة) ولا تزيد : (العلي العظيم) إلا على رأس كل مائة وآخره ، ثم صل على النبي عليه السلام أيضاً (مائة مرة) ، ثم أهدِ ثواب ذلك كلِّه إلى روح الإمام الرباني أحمد الفاروقي ، ثم قل : يا أحمد الفاروقي ؛ إني أتوسل بك إلى الله تعالى لقضاء حوائجي الدنوية والأخروية ، ودفع البلايا والأذية و . . إلخ و . . إلخ .

ثم ادع الله تعالى في قضاء الحاجة بحرمة الإمام الرباني قدّس سرّه ، وجعلنا في دائرته . آمين ، وأرجو الله تعالى أن يدفع البلايا عنك ، وتدخل بعد ذلك في دائرة النجاة . فافهم ، وعضَّ بنواجذك على هذه الخزينة ؛ فإنها من المجربات في قضاء الحاجات ، والحرز من الآفات ، وأيضاً إنك لا تترك الرابطة أصلاً .

والحرارةُ الحاصلة وقتَ الرابطة هي علامةُ الفيض ، وتوسَّلْ إلى الله تعالى في كلِّ الحالات بالقطب محمود أفندي قدس سره .

وأيضاً لك مني الإجازة لقراءة ختم الإمام النقشبندي **بنية قضاء الحوائج ، ودفع البليَّة** ، وهو : الصلاة على النبي عليه السلام (مائة مرة) ، وقراءة : (يا خفيَّ اللطف ؛ أدركني بلطفك الخفي) (خمس مائة مرة) ، والصلاة على النبي عليه السلام أيضاً (مائة مرة) ، ثم تهب ثواب ذلك إلى روح محمد النقشبندي قدس سره ، ثم تتوسَّل به إلى الله تعالى لقضاء الحاجة . . . وإلخ ، وتسأل الله تعالى قضاءها . . وإلخ بحرمته . فافهم .

واعتقد أن حوائجك كلّها مقضيَّةٌ بحرمة هذين الإمامين المذكورين ، وأكثر الاستغفار ليلاً ونهاراً ، ودُمْ على الحضور . فافهم .

ثم اعلم أيها المأمون في السر المصون ؛ أني في دائرة الخمول ؛ ولا أريد الشهرة والخروج من القرية ؛ خوفاً من الآفات التي لا ينجو منها إلاَّ النادر الشاذُّ ، فأرجو الله تعالى أن يذهب عن الخلق الظلمة ، ويطلع عليهم شموس النجاة والعافية ، ونحن الآن في الحال في راحة ورفاهية ، ورؤساؤنا يأمروننا

ليلاً ونهاراً بتمسُّك أمور الشرع ، ويؤكِّدون الأمر بإقامة الصلوات الخمس والتراويح في المساجد بالجماعة ، ويحبسون من قصَّر في الصوم والصلاة في قلعة « غونه » مدَّة شهر .

فالحاصل أنَّ الناس في ولايتنا في راحة كلِّيَّة من جميع الجهات ، وأرجو الله تعالى أن يُديم عبادَه على ذلك ؛ إنه على كلِّ شيء قدير .

فاصبر أيها الولد ؛ ولا يخفى عليك ما فيه من النجاة ، وقد قال تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ فقد جعل الله تعالى مع عسر واحد يسرين ، فله الحمد على ذلك والشكر والمنة ، والسلام[1] . انتهى .

مكتوب من العوري لتغير بعض المعتاد

وكتب إليه قدس سره العالم محمد بن حسين العوري حفظه الله ما حاصله :

إلى مخدومنا ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، جرت عادتنا هنا في السنين الماضية بالاجتماع للختم والصلاة يوم الجمعة نهاراً بعد انصرافنا من الجمعة ؛ لعدم إمكان الاجتماع في الليل ، والآن رأيتُ أن نترك الاجتماع إلى انسلاخ هذا الشهر الشهير (رمضان) . هذا ؛

جوابه لمكتوب العوري

فكتب قدّس سرّه في جوابه : وعليكم السلام . . . إلخ ، إنكم تكونون على فطنة في أمثال ذلك ؛ نظراً لحال العصر ، مع أنه يجوز لكلٍّ واحدٍ أن يقرأ

---

(١) وصل في أواسط رمضان سنة ١٣٣٨ . انتهى من خطِّ السعد المذكور رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

❊ **السرّ** : لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن ؛ وهو محل المشاهدة ، كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة . « تعريفات السيد الشريف » عبارته . (من نسخة أخرى) .

الصلاة منفرداً ، **وكذا ختم الإمام الرباني يجوز قراءته بالتمام** . والسلام من جميعنا إلى جميعكم ، ونوصيكم بالدعاء .

مكتوب في الحض لمريده على الختم

وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه : السلام عليكم . . . إلخ ؛

ثم إني سمعت أنك لا تحضر إلى مجلس الختم والصلاة إلاَّ نادراً ، ولو أنك تعلم ما في ذلك من الفوائد والخيرات لهَرَعْتَ إليه حافياً ، والناس يشتكون إليَّ من عدم حضورك لقلَّة سائر الحاضرين ، فهم محبُّون حضورَك معهم جداً ، فلو لم يكن لك عذرٌ مقبول فاشتراكك معهم أولى بك ؛ وأحرى ، وأزيدُ خيراً وأكثرُ أجراً ، وفي الحديث : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » . انتهى معرّباً .

وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه : وعليكم السلام . . . إلخ . وبعد : فيجوز قراءة الختم والصلوات بلا تقسيم للمنفرد في أيِّ وقت شاء ، وبأيِّ نيَّة كانت ؛ ولو كان القارئون ألوفاً في القرية ، ولا يكون ذلك تعدُّداً ، بل الممنوع أن يتعدَّد محلُّ الختم ومجلسه بالاجتماع ؛ لئلا يفتتن ، كما صرَّح به الشيخ سليمان الزهدي قدس سره . فافهم .

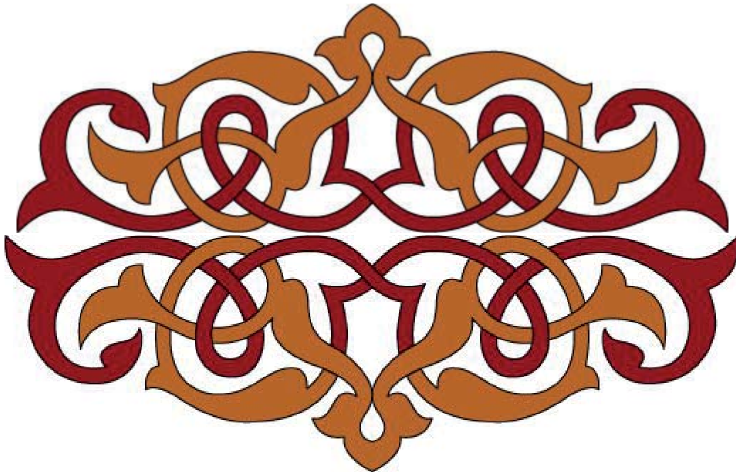

الباب السادس

في رسائل جامعة ، ويتلوها وصيَّة جامعة ، ونصيحة نافعة يحتاج إليها جميع المؤمنين في هذا العصر والحين ، ورسالة في وصايا ولده محمّد عارف وتحْذيره

مكتوبه إلى القاضي الطلقي

وكتب قدّس سرّه إلى العالم الفاضل محمودِ لْمحمد الطلقي رحمه الله .

موعظة بليغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاتان على سيد المرسلين .

إلى ذلك الأخ المحبوب المرجوّ للاستقامة ، والحوز للسلامة والسعادة ، العالم القاضي محمودِ لْمحمد الطلقي ؛ السلام العامّ ، والتحية والإكرام عليكم آمين . جعلكم الله تعالى من الذين عرفوا حقيقة هذه الدنيا الدنيئة الحقيرة الخسيسة ، وشهدوا نضارة الآخرة الباقية الأبدية .

ومن المعلوم أن الله تعالى لم ينظر إلى الدنيا مذ خلقها نظر اعتبار واعتناء ، ولا قَدْرَ لها عنده سبحانه وتعالى ؛ ولو قَدَرَ جناح بعوضة ، **وقد قطعَتْ أعناق كثير من الناس وألقتهم في مهاوي الهلكة ! !** فالعاقل مَن ينظر إليها من حيث كونُها مزرعة الآخرة فلا يعطل أوان الزّراعة ولا يضيِّع دقيقة من عمره ، بل يجني من أوقاته ثمرات ، ومن أنفاسه ياقوتات ، ولعلكم قرأتم

حديث : « لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أهْلُ الجَنَّةِ إلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهَا » ! ! ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ نصٌّ قاطع ينبغي لكلِّ واحد أن يجعل هذه الآية نُصْبَ عينيه .

مرض الدنيا ومرض الآخرة

إن الإنسان إذا طرأ عليه مرضٌ ظاهر ؛ أو عرض لأعضائه آفة ، يسعى سعياً بليغاً لعلاج ذلك المرض وإزالة تلك الآفة ، مع أنَّه لا يبقى عليه ذلك إلاّ في أيام قلائل ؛ لا تعدُّ بالنسبة إلى يوم القيامة إلاَّ يوماً ، أو بعض يوم ، والعجبُ كلَّ العجب أنه – أي : الإنسان – لا يبالي ولو كان قلبه قد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلُّق القلب بما سوى الله تعالى ، بحيث يوقعه في الموت الأبديِّ ، ويُلقِيه في العذاب السرمدي ، ولا يتفكَّر في إزالته أصلاً ، ولا يسعى في قطعه قطعاً ، ولا شك أنَّ مَن هذا شأنُه فهو سفيه محضٌ ؛ أو بليد صِرْف .

تشجيع واعتذار

ولقد كان شيخنا المرحوم قدّس سرّه يقول في حقِّكم كلماتٍ فيها رجاء ، وذلك الرجاء لم ينقطع منكم بَعْدُ ، ولا ينقطع إن شاء الله تعالى ، بَيْد أن أمرَكم صار هكذا ، وأظنُّ أن السبب الظاهر لوقوعكم في تلك الورطة هو نفسي لا غير ، ولم أندم قطُّ على شيءٍ أكثرَ من ندمي على عدم منعي إيَّاكم عن تلك الوظيفة ، لكن الأمر لله من قبلُ ومن بعدُ .

وقد سمعنا أنَّكم بقيتم على أمر القضاء بين العرفاء أهل الديوان ، **فينبغي لكم أن تجتهدوا في منع الغفلات ، ودفع الخطرات ، وجلب الحضور ؛ ولو كنتَ في مجلس الظلمات** ، لتكون مجاهداً في كلِّ الحالات ، وقد قال الخاني قدّس سرّه : إن الذاكر في الغافلين ؛ كالمجاهد في الفارِّين[1] . وعليك أن تدخل نفسك في دائرة قوله سبحانه ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وصُنْ

(١) وفي نسخة : في الغازين .

نفسك من الميل إلى مقالات أهل الفتور والغفلة ، والنظر إليهم والمجالسة معهم مهما أمكن ، واستمسك مضمون حديث : « إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصالح وَالجَلِيسِ السيِّء ؛ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ ؛ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ ؛ إِمَّا أَنْ يَحرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كَرِيهَةً » .

وإياك ثم إياك أن تأخذ من الناس من هذه الدنيا إلا ما صرّح الشارع بصحَّته ، **وإياك ثم إياك** من أن تمسَّ يدُك بما اعتاده قضاة الديار على جلبه ونهبه ، وقد زيَّن لهم الشيطان نجاسةً مموَّهةً بالذهب ، وسُمّاً مغلَّفاً بالسكَّر ، والأكل من السمِّ القاتل بطعم السكر الموهوم ، واختيار النجاسة الخبيثة رجاءَ الذهب المتخيل شأنُ السفيه المحض ، والبليد المجرَّد .

ولا يجوز لكم أن تكونوا كالجماعة الذين جعلوا آخرتهم هباءً في جمع حطام الدنيا ، ولم يتفكَّروا ما يحُلّ عليهم بسببه في العقبى ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ** ﴾ فافهم .

أيها المخدوم المحبوب ؛ إن خلاصة المواعظ ، وزبدة النصائح ، أن تسعوا بقَدْر طاقتكم في إحياء الشريعة ، وازدياد السنة السنيَّة ، وإرشادِ الخلق إلى طريق الحقِّ ، والصراط المستقيم ، وحثِّهم إلى فعل الخيرات ، ومواظبة الأذكار والدعوات في السرِّ والعلانية ، ولعلك سمعتَ حديث : « مَا جَمِيعُ أَعْمَالِ البِرِّ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الأمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنهْيِ عَنِ المُنْكَرِ إِلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ » انتهى ، وقوله تعالى ﴿ **مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَا** ﴾ آية مشهورة عندكم .

أيها المخدوم ؛ يمنعني الحياء أن أكتب إليكم شيئاً من النصائح مع وجودي في هذه الخرابات والتعلُّقات والتلوُّثات ، وقلَّة البضاعة ، وعدم الحاصل في نفسي ؛ ولو شيئاً من الاتعاظ ، وأن أسطر من هذه المقولة حرفاً بالتصريح أو الإشارة ، ولكن اجترأت على تحرير كلمات لعلك تتعظ بها أيها

الأخ ؛ إنَّ متاع الدنيا قليل جداً ، وقد تلف الأكثر من هذا القليل ، وأيضاً زال أكثرها وبقي الأقل ، ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ ومدَّتها دائمةٌ أبدية ، وقد جعل الله سبحانه الجزاء الأبديَّ والخلود السرمديَّ مربوطاً بأعمال قليلة في أيام معدودة ، وبعده إما نعيم أبدي ، أو عذاب سرمدي ، وقد مضى وانقضى أشرفُ العمر في الهوى والهَوَس ، وضاع أكثره في تحصيل مراضي أعداء الله ، وبقي أرذلُه وأرْدَأُه ، فإن لم نصرفه اليوم إلى مرضاة الحق تعالى ولم نتلافَ الاشرفا ولم نتداركه ولو في الأرذل ولم نجعل المحنة القليلة وسيلة إلى نيل الراحة الأبدية ، ولم نكفِّر السيئات الكثيرةَ بحسناتٍ يسيرة ، فبأيِّ وجه نلقى الله تعالى غداً ، و بأيِّ عمل نذهب إليه ،وبأيِّ حيلة نتخلَّص من عذابه ! ! فينبغي العمل للنفيس قبل ورود الموت ، والاستعداد بالأعمال والأذكار قبل نزول ملك الموت ، **ولا مجال لصرف الأوقات الشريفة في القيل والقال بين أهل الرسوم والعادات** ، فالاهتمام بعدم التكلُّم بما لا يعني لازم ، والسكوت عما لا يجب عليك لازم(١) ، وطلب واحد يذهب إلى المكتب (الديوان) لكتبة الدفاتر ؛ ولو بالأجرة والإحسان فرضٌ عليك إن كان له إمكان ، وإلاّ ! ! فالمحافظة على الحضور ، والمواظبة على حفظ القلب من الغفلة من الضروريات ؛ لتكون من الذين يذكرون الله تعالى قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .

مهمٌّ في جواز الذكر القلبي دائماً

ولقد يجوز الذكر القلبي في جميع الحالات والأوقات في كلِّ مكان ؛ بوضوء وبغير وضوء ، فاللوم على مَنْ لا يصرف باله نحو الحضور ، ولا يبالي بالتفرقة بإرخاء عنان القلب خلف خواطر الدنيا الخسيسة ، وقد جعل الله تعالى الفلاح الأخروي مربوطاً ومنوطاً بالذكر الكثير ، وآيةُ ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ شارحة (٢) لهذا المعنى ، فينبغي الاشتغال بالذكر الكثير ،

(١) وفي نسخة : واجب .
(٢) وفي نسخة : شاهد .

ورفضُ كلِّ ما ينافيه ، وعلاج الخلاص عن الغفلات هو هذا ، **ولا ينجلي القلب إلاَّ بذكر كثير** ، فإن اتفق لك الفرصة لإتيان الذكر بالنفي والإثبات بحفظ شروطه ؛ فَدُمْ عليه في جميع الأوقات ؛ ولو بغير حبس النفس بالقلب ، وتعميرُ الباطن مربوطٌ بتكرار الذكر ، وجلاؤه بغيره موقوف .

أَلاَ فأَكْثِرُوا ذِكْرَ الإِلَهِ فَإِنَّهُ جِلاَءُ صَدَاْ قَلْبٍ غِذَاءٌ لأَرْوَاحِ

وقولهُ تعالى ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ** ﴾ نصٌّ قاطع ، **ولا ينجو أحد من الشيطان الخنَّاس الذي إذا ذُكِر الله** خنس ؛ أي : بعد ، وإذا غفل التقم قلبه ، **إلا بذكر الله تعالى** .

ثم اللائقُ بك أن لا تكون متأذِّياً ومتألِّماً من كلمات أهل الخسارة الذين يفسدون أصل هذه النسبة الصدّيقية السالمة بالأقوال المموَّهات التي لا طائل تحتها ، **ولا تتعرَّض لهم بالمجادلة والمجازاة إلاّ بقصد إعلاء كلمات الله تعالى** ، وإعلان الحقِّ ، وتمييزه من الباطل ، وأرجو أن تكون كلماتُهم المتناقضة باعثةً على ظهور سعيهم الفاسد ؛ **فإنَّ مَن تحلَّى بما ليس فيه يفضحه مجرَّبات الزمان** ، ولا يدوم قيامُ الباطل ، بل يدفَعُه الحقُّ ؛ ولو بعد حين ، ﴿ **إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ ولا ينفعهم النصحُ ؛ ولو تليت عليهم الكتبُ المنزَّلة ، بل يزيدهم في طغيانهم يعمهون ، ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ** ﴾ فاجتهد في إجراء الشغل الذي أنت مأمورٌ به ، ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ .

ومع كونهم على هذه الشنيعة **لا ترى نفسك عليهم** ، **فإن السالك لو رأى نفسَه أفضل من الكلاب والذباب ؛ فهو محروم من كمالات هؤلاء الأكابر** ، اللهم ؛ نعم **يجوز لك أن تبغضهم لما أنهم تركوا الحق واتبعوا الباطل** وطردوا عن طريق الله سبحانه ، **فذلك بغضٌ في الله في الحال ، لكن من الممكن أن يتوبوا ويرجعوا أخيراً ، ويكونوا أحسن حالاً منّا** .

ولا ينبغي السكوت رأساً عن إظهار الحق وإعلان الباطل ، فإن الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس ، والمداهنون يحشرون على صورة القِرَدة والخنازير ، ولهذا المذكور يجب التبليغُ ﴿ **وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ** ﴾ ، ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ** ﴾ وإلا ؛ فـ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ** ﴾ . فافهم .

توجيه مهم لكل طالب علم

وقُم على قدم صدق في ترويج أحكام الشريعة ، وتشييد أساس الطريقة والحقيقة ، **وكن وَجِلاً خائفاً منكسر البال ، دائمَ الخشوع والخضوع** ، واعظاً بالمواعظ النافعة المُعْرِضة عن الدنيا ؛ المقبلة على الآخرة ، **ولكن على الحضور في حالة الوعظ والتذكير** ليترتَّب عليها النفعُ والقبول ، **وألِنْ الكلام** ، واجتنب عن العنف ، وتذكَّر قوله سبحانه ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ الآية ، **ولا تكن كعلماء السوء ، فإنَّهم لصوصُ الدين** مطلبُهم الجاه والرياسة ؛ والمنزلةُ عند الخلق ، **وكن في السرِّ والعلانية على حدٍّ سواء** ، وادخلْ في دائرة العلماء الذين يوزن مدادُهم يوم القيامة بدم الشهداء ؛ فيترجَّح مدادُهم .

صرف المال لنصرة الإسلام

فقد قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن الإسلام غريب في هذا الزمان جداً ، فصَرْف فلسٍ واحد في تقوية الإسلام في هذا الزمان يساوي صرف ألوف من الدراهم والدنانير . . .إلخ .

وأْمُرْ بالعرف وانْه عن المنكر ، وخذ من خبر : « الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » حظّاً ، **ولا تخفْ من لوم أحدٍ في الدين ، واعمل بالعلم** ولو بعُشْر ما تعلم ، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا » .

فضيلة اتباعه صلى الله عليه وسلم

وقل للمريدين حين اجتمعتم باتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الحركات والسكنات بقدر طاقتهم ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره أيضاً : إنْ تيسَّرتْ عبادة ألف سنة فرضاً مع الرياضات الشاقَّة والمجاهدات الشديدة لا تعدل تلك العبادات بنصف شعيرة ، ولا تساوي الرياضات بالنوم وقتَ الظهيرة اقتداءً بصاحب

الشريعة ، مع كونه غفلة من الأول إلى الآخر ما لم تكن منوَّرة بنور اتِّباع هؤلاء الأكابر في الأمور الخطيرة والحقيرة ، بل هي كسراب بقيعة . انتهى .

أداء الفرائض بأوقاتها

وأمرْهم بالملازمة على أداء الفرائض في أوقاتها ، وعدم التساهل في أدائها بعلَّة إتمام الورد والأذكار ، ففي « المكتوبات » : **إنَّ أداء فرض من الفرائض في وقت من الأوقات أفضلُ من أداء النوافل ألفَ سنة** ، وإن أُدِّيت بنيَّة خالصة ، أيَّ نفل كان ؛ من الصلاة والصوم والذكر والفكر ، وأمثال ذلك .

بل أقول : إن رعايةَ سنَّةٍ من السنن وأدَبٍ من الآداب حين أداء الفرائض تزيد وتفضُل على أداء النوافل بكذا مرَّة . انتهى من الهامش .

وفي موضع آخر : ورد في الحديث : « عَلاَمَةُ إعْرَاضِ اللهِ تَعَالَى عَن العَبْدِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ » . والاشتغال بنفل من النوافل مع الإعراض عن فرض من الفرائض داخلٌ فيما لا يعني . انتهى .

ويجب عليهم أيضاً أن يجتنبوا عن الاختلاط بالأغيار والمنكرين بقدر الطاقة ؛ لأن صحبتهم سمٌّ قاتل ، ومخالطةُ الغافلين تورث الغفلة والقسوة ، فقد وردَ إليَّ الأمر من طرف السيِّد الأمير سيف الله بحفظهم عن القُرب إليهم والصحبة معهم . فافهم .

❊ **قوله** (قد كتب) إلخ ، ومعلوم أن كلام الأستاذ السيد قدّس سرّه في مريد خرج بقصد السلوك وأخذ العهد ، كما صرح به نفسه ، فالكل متفقون في هذه الصورة على وجوب الاستخارة ، وأما التلقين للتبرك فلا يحتاج فيه إلى الاستخارة ، كما هو ظاهر ، وهو مسألة نفيسة لكون تلك الصورة سالمة من تضرُّر المريد بعَدَم صدْقه ، فإذا لُقن أولاً للتبرك ؛ فإما أن يظهر صدقه وهو المطلوب ؛ إما بالاستخارة أو بالسر المذكور أو لا ، فيترك على حاله ، ولا يحرم - إن شاء الله - من البركة . هذا ؛ والله تعالى أعلم . كتبه (الفقير محمد) . (من نسخة أخرى) .

وحذّرهم عن ارتكاب المحرَّمات؛ ولو كانت يسيرة، فإن القليل يجرُّ إلى الكثير، وترك ذرَّة من محارم الله تعالى خيرٌ من عبادة الثقلين، كما ورد في الحديث.

شرط نفع الذكر

وليعلموا أن نفع الذكر مربوطٌ بإتيان الأحكام الشرعية، وترتُّب الأثر منوطٌ بإتباع السنَّة السنيَّة، ولو طرأ على الشخص أحوال عجيبةٌ مع طروِّ النقصان في المتابعة؛ فهو استدراج، وما لم يطرأ في المتابعة ومحبَّة الشيخ مع عدم ظهور الأحوال! فلا ضرر ولا ضرار؛ كما هو مذكور في الكتب.

مهم لطالبي الأحوال

وفي رسالتنا ترجمة «تنبيه السالكين» في مهمة؛ في بيان أن عدم ظهور الأحوال أسلَمُ للسالك ما ينبغي أن يُقرأ بين جميع المريدين في مجلس الاجتماع، فإنَّا نجدُ الكثيرين يطلبون الأحوال خالين عن ملاحظة العبودية بحيث لا مطمع سوى الأحوال، وطالب الأحوال لا يكون عابداً لله سبحانه وتعالى، بل عابداً للنفس وطالباً لحظِّها، فينبغي أن يتفطَّنوا لهذا الأمر الفظيع، وأن يعلموا **أن المشائخ إنما مرادُهم من تعليمهم الطريقة وتلقينهم الذكر حملُهم إيَّاهم إلى مقام إخلاص العمل لله تعالى، لا غير**.

الحضُّ على الاستشارة

ثم إنَّك لو كتبت إلينا شيئا من أحوالك؛ قبضاً وبسطاً يترتَّب عليه الكثير، ويكون باعثاً إلى كتابة الجواب مع بعض المنافع، وإنّ قطع السلام والكلمة والكلام غيرُ لائق بكم، فإني سمعت شيخنا قدس سره يقول: إن عدمَ جوازِ حمل السلام وإيراده بالقلب هو في حقِّ أمثال الشيخ محمود أفندي قدس سره العزيز، لا في حقِّ أمثالنا. فافهم.

ترك المداراة

ومن أهمِّ ما يليق بجنابك **أن لا تداري قطُّ بمن يطلب العادة والرسم بترك الشرع وراءَ ظهره**، بل تجرَّه إلى امتثال الشرع بأقوال لائقة ومواعظ زاجرة، فإن اتَّعظ فلك الأجر . . . وإلخ، **وإلا! فالإعراض عنهم بالقلب والقالب واجبٌ**، والبغض عليه بقدر الطاقة لازم، وعدمُ الميل والركون إليه في وقت من الأوقات فرضٌ، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ الآية.

النظر إلى الظلَمة

وفي «الخادمي»: إنَّ النظر إلى وجوه الظلَمة يورث قسوةَ القلب، والظلم: عبارةٌ عن وضع الشيء في غير موضعه الشرعيّ، فاستمع واسمع، واتعظ ثُمَّ عظ، **ولا تكن لنفسك وكن لربِّك**، و﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ وكن من الشاكرين ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾.

الاهتمام بالمعيشة

ولا تهتمَّ في أمر المعيشة، فإن الله تعالى كان لك قبل أن يخلقك، فحاشا أن ينساك بعد وجودِك في عرصة الظهور، فما قام به غيرُك لا تقم به، فإن الله تعالى قال في كتابه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

---

* وأخبرني أخي سعد أنه سأل . . . : أنّ بعض الناس يرسلون السلام معنا إلى جنابكم، والحال أنهم يعدُّون ذلك من ترك الأدب معكم، فما ذا نفعل؟ فقال قدّس سرّه: إن حمل سلام الإخوان مما لا محذور فيه، وإنما المحذور حمل سلام الأجانب، فإذا حمل واحد سلام الأجنبيِّ وأوصله إلينا يصل علينا معه رائحة كريهة أو حال لا يحمد، ولذلك عدُّوا من الأدب عدم حمل سلامهم، أي: الأجانب، بخلاف سلام إخواننا، انتهى؛ أو كما قال [الله تعالى في الآية]: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾. «سورة غافر». (من نسخة أخرى).

السعي للعبادة

واسْعَ إلى عبادة ربك واعبده ، ولا تشرك به شيئاً ، ولا تأمن نفسَك ، فإنها انتصبت لمعاداة الربِّ ، **واخشَ من دسائسها** ، فإنها تجرُّ الشخص إلى المراآت والتصنُّعات في الكلام والكلمات من حيث لا يشعر ؛ فتوقعه في المهلكات .

ورابط قلبك بالشيخ محمود الفِعال قدس سره في جميع الحالات ، فربط القلب بالشيخ من أعظم أركان هذا الطريق ، بل هو أنفعُ في حقِّ المبتديء من الذكر(١) والوقوف ، وأقوى في تصفية مرآةِ القلب من كدورات السوى ، وكن مستمدّاً منه دائماً ، **فإن الموصِل إلى الله في هذا الطريق هو المرشدُ ، لا نفس الطريق! فإنه من المُمِدّات والمعاونات** ، وحصولُ نتيجةِ النفي والإثبات مربوطٌ بشرائطَ متعسِّرةٍ ، وقد يرتفع النقصان بتوجه الشيخ المقتدى وبقوَّة الرابطة والذكر ، فلا مجال لظهور النتيجة من الغيْبة والذهول والفناء والعدم في هذا الزمان الخَؤُن إلا إنْ حفَّت بكم العناية الربانية بتوسُّط هذه المذكورات .

حفظ النفس من الضحك والغضب

ومما ينبغي لكم : أن تحفظوا أنفسكم من الضحك والغضب ، فإنَّهما يتركان المرءَ خالياً عن نور النسبة ، ويميتان القلب بالكليَّة .

أنفع أمور الطالب

ومِن أنفع الأمور للطالب : دوام السكوت ، وملازمةُ البيوت ، والاعتزالُ عن الناس ملاحظاً أنه غيرُ لائق للخروج ، ومعتقداً أنَّه كالكلب العقور ؛ لا متكبِّراً ولا معجباً ، ولا شك أنه لا ينجو أحدٌ من الذنب مع المخالطة ، فإن قدر لحفظ اللّسان فلا بدَّ له من الاستماع ؛ والمستمعُ شريكُ القائل ! !

---

(١) ومثَّل شيخنا مؤلّف هذه الرسائل قدّس سرّه فيما شافهني به قائلا ؛ إن الفيض الحاصل من الذكر كالرشاش ، وأما من الرابطة فكالبحر ، رزقنا الله تعالى فيضه وفيض أشياخه آمين . كتبه (الحاج الأواري) . (من نسخة أخرى) .

* مهم يأتي نظيره .

مهمة الشيخ

واعلم أن الشيخ إنما يكون ليعلِّم الناس طريق الوصول إلى النجاة ، وليدُلَّهم إلى اتباع الشريعة ، وآدابِ الحقيقة ، لا ليفعل المريدون ما شاؤوا من المخالفات ؛ ثم يكون ستراً لهم من النار وحجاباً من العقاب ! حاشا ذلك وكلا ، فلا يكون ذلك أبداً .

فعليكم بحفظ الآداب ، ولاتكونوا ملاعبين في الطريق مثل أكثر مريدي المتشيخين ، فإن **مَن لعب بالطريق لعبت به الطرق** ، وسوف يردى إلى وادي الحرمان والهلاك ، فالعياذُ بالله ، وقد منَّ اللهُ تعالى علينا وعليكم بحصول الاجتماع والملاقاة بشيخ[(١)] حقيقي كامل مكمَّل قدس سره ، ونوّر ضريحه ، فعارٌ علينا ، ثم عار أن ننقضَ عهده ، ونتركَ أدبه بعد موته ، فإنَّه رحمه الله وإن كان عند أهل الحجاب ميتاً فهو عند أهل الكشف حيٌّ إن شاء الله ، **ولا يموتُ العارفون ، بل هم ينقلون من دار إلى دارٍ** ، وآيةُ ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا** ﴾ شاهدٌ لذلك ، بل يكون للعارف بكلِّ نَفَس درجةُ مائة شهيد[(٢)] ، **فأهل المعرفة شهداءُ جهادٍ أكبر ، وغُزاةُ النفس التي هي الصنم الأكبر** ، ولقد أخبرني العالم حجيو البَقَّيْچي أنه رآه بعَين رأسه في موضع زيارته ، وقال آخر[(٣)] : إنه رآه كذلك وكلَّمه ، ثم غاب عنه ، ورآه في المنام يقول : إنّي لستُ بميت .

هذا ؛ فإذا كان الأمر هكذا ؛ **فالشيخ يكون مع المريد الصادق في محبَّته دائماً ، لا يعزبُ عنه لحظةً ، ويستمدُّ المريد منه ساعة فساعة ؛ حيّاً كان الشيخ أو ميتاً** ، فإن الروحانية نورٌ منبسطٌ في جميع الأقطار كنور الشمس ، بل لا حجاب أصلاً ، والآفاق كلُّها مملوءةٌ بفيضه وبركته ، لكن الوصول والحصول

---

(١) الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه . (من نسخة أخرى) .
(٢) راجع « الإحياء » ص ٢٤٠ ج١ . (هامش الأصل) .
(٣) لعله هو العالم نور محمد النهري الكاتب ؛ (هامش الأصل) .

موقوفٌ على الطلب بالذلِّ والانكسار ، ومنوطٌ بنظافة الباطن[1] وتمام الاستعداد ، ولا بُخْلَ في الإفاضة والإمداد أبداً ، وإنما القصور في الطلب ، وعدم تصفية الباطن من الشكِّ والارتياب ، وفقد الانقياد والاعتقاد ، **ولا يصلُ الفيض لأحد من أحد ؛ ولو كان قطباً ، أو غوثاً إلا بقوَّة الاعتقاد**[2] ، **والخلوِّ عن الانتقاد** . فافهم ، وافهم .

ولا تسأم شيئاً من هذا الكلام ، فإن الفقير الحقير مع قلَّة بضاعته كَتَب هذه العبارات ، واضطرّ إلى تصديعكم بهذه الكلمات ؛ لفرط محبَّته إيَّاكم ، والسببُ الباعث للمودّة والمحبة أنَّكُم تمسَّكتم بالحقِّ الذي لا مجال لإبطاله ، ونبذتم الباطل المشهور وراء الظهر ، وصِرْتم مُمدِّين ومعينين لانتظام أمر هذه السلسلة ، ومتوسِّطين لحصول جمعيَّة النسبة النقشبندية التي كانت في هذه الديار غريبةً جدّاً ، وكان أهلها في هذه المملكة قد جاوزوا في القلة حدّاً ، وغالت الطائفة الطاغية المنكرة في هذا الأوان غلوّاً كثيراً ، وعَتَوا عتوّاً كبيراً ، وانتشروا في الآفاق والأكناف ؛ ليفسدوا أصل هذه النسبة بالكلية إفساداً لا يفعله الكفرة الفجرة ، وفسادهم أزْيدُ من فساد الكافر المجرَّد . فحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ . واعتقادكم كان متوفِّراً في حفظ حدود هذه الطريقة العليَّة واحترام مشائخها ، وصُنْتم عن الانتقاد والإنكار عليها وعلى أهلها ، فلا جرم أن هؤلاء الأكابر يلاحظونكم ، ويُمدُّونكم ، وبركةُ قطب الإرشاد فائضةٌ عليكم إن شاء الله سبحانه وتعالى ، ففي « المكتوبات » الشريفة ما حاصله :

---

(١) علّه ؛ المحلّ .

(٢) كما في الحديث : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . (منه رحم الله إفلاسه) .

* وعن سعدون المجنون أنه كان يكتب في كفه ؛ (الله) ، فقال له : السَّريّ السقطي : ما تصنع يا سعدون ، فقال : أنا أحبّ الله تعالى ، وقد كتبت اسم ربِّي في قلبي حتى لا يسكن غيره ، وكتبته على لساني حتى لا يذكر غيره ، والآن كتبته على كفّي حتى أنظر إليه بعيني فيكون نظري مشغولاً به . « مشكاة الأنوار » « درَّة الناصحين » عبارته ٥٧ . (من نسخة أخرى) .

حاصل الحال بين الطالب والمرشد : إنكاراً وإقراراً

إنَّ الطالب الذي هو متوجِّه إليه ومُخلصٌ له ؛ أو هو متوجِّه إلى الطالب كأنه يفتح وقت التوجُّه روزنة[١] إلى قلب الطالب ، فيصير بهذا الطريق رَيَّانَ من ذلك البحر على قدر توجُّهه وإخلاصه ، وكذلك مَن كان متوجِّهاً إلى ذكر الله تعالى ، ومقبلاً عليه ؛ ولم يكن متوجهاً إلى ذلك القطب أصلاً ؛ لا من جهة الإنكار عليه ! بل لعَدَم معرفته به أصلاً ؛ يحصل له مثل هذه الإفادة ، لكنها في الصورة الأولى أزيَدُ منها في الصورة الثانية ، وأمَّا مَن كان منكراً عليه ، أو هو متأذٍ منه ! ! فهو وإن كان مشغولاً بذكر الله تعالى وتقدس لكنَّه محروم من حقيقة الرشد والهداية ، وإنكاره هذا وأذِيَّتُهُ يصير سَدَّة في طريق فيضه[٢] . انتهى .

فلقد نجَّانا الله وإيَّاكم من إنكار القطب شيخنا ومولانا محمود الفعال وخلفائه ، ولم نُبْتَلَ بما ابتُلِيَ به أكثر ديارنا من الاعتراض عليه ، وعلى طريقته السالمة ، فكان شكرُ هذه النعمة العظمى والدولة القصوى واجباً ، والمسؤولُ من الله سبحانه وتعالى أن يعصم جنابكم عن عموم هذه البلوى ، وأن يحفظ عتبتكم عن شمول هذا الابتلاء بعد الآن ؛ ولو كان لنا في كلِّ مَنْبت شَعْرٍ لسانٌ لوجب علينا الشكرُ به ؛ وكنَّا بعدُ مقصِّرين .

فالحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده وإني وإن كنتُ مُسْتحياً من إظهار أمثال هذه الكلمات لأرباب الفطانة الصحيحة ، وأصحاب العلوم العقلية والنقلية ؛ لكن لما علمت أن هذه وسيلة للتذكُّر والاتعاظ ، وكانت النصيحة كلُّها هو الدين ؛ كان ذلك باعثاً على التصديع ، فعليكم أن لا تملُّوها ، فإنها وإن كانت صادرة من خسيس فلعلَّ منبعها عظيم ، ومصدرها شريف . ولا تتركوا هذا الفقير خالياً من دعواتكم .

---

(١) أي : كوَّة . (هامش الأصل) .

(٢) وأنا الكاتب الفقير على ذلك من الشاهدين . انتهى من خط العالم محمد بن أحمد الخشادي من خلص مريدي المؤلف . (من نسخة أخرى) .

خاتمة

ثم إنَّك ؛ وإن كنتَ لا تتفرَّغُ من الأمور الواجبة عليك ؛ فالزيارة مرَّة في ستَّة أشهر ؛ أو سنة ، خيرٌ لكم إن شاء الله تعالى ، وصيانةُ وظائفكم وأحوالكم عن التغيُّر والانحطاط أليقُ بكم وأولى .

فهذا ؛ والسلام من أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي . انتهى من خط الفاروق شيخنا الأواري .

مكتوب إلى الهؤري

وكتب قدّس سرّه إلى العالم إبراهيم الهؤري ما صورته : إلى ذلك الأخ الكريم والخليل القديم المرجوّ للاستقامة ؛ العالم القاضي إبراهيم الهؤري ؛ السلام عليكم . .

محبة هذه الطائفة

أما بعد : فإنا يا أخانا العزيز كُنَّا نرى فيك عِرْقاً يقبل المواعظ ، وينجرُّ به قلبك إلى محبَّة هذه الطائفة الفائقة ، والفرقة الراقية ، فالآن ظننَّا أنَّ ذلك العرق رَقَّ ودَقَّ ؛ بحيث يكاد أن ينفد بالكلية والعياذ بالله . وقد قال الإمام الرباني في « مكتوباته » : **إن محبَّة هؤلاء الطائفة رأسُ كلِّ سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجة هذه المحبة ، وتحصيل جمعيَّة الباطن ثمرةُ هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكُدُوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ؛ ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضت أمثالُ الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ؛ وقد زال مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد ذلك شيئاً غير الخذلان ، وينبغي أن يعدَّهُ استدراجاً** . انتهى عبارته .

فإذا كان الأمر هكذا أردتُ أن أبذل لك شيئاً من النصيحة ؛ وإن كنتُ غيرَ لائق بذلك ، **لما أن بابَ المشيخة هو نصحُ المسلمين وإرادة الخير لهم** لا غير ، فماذا أفعل ؟ ! وهل يليقُ بي أن أسكت عن الحق ؟ ! مع أنه ورد : « من سَكَتَ عن الحقِّ فهو شيطان أخرس » فاستمع لما أتلو عليك أيها الخليل ، ولا تسيء ظنَّك بهذا الفقير الحقير .

ينبغي التفكُّر أيُّ شيء يباع ، وأيُّ شيء يشترى ! ! تبديلُ الآخرة بالدنيا ، والاشتغال بالخلق عن طلب الحق من السفاهة والجهالة ، والجمعُ بين الآخرة والدنيا من قبيل الجمع بين الأضداد ، شعر :

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا . . . . .

فاختر ما شئتَ من هذين الضدين ، وبعْ نفسَك من أيِّهما شئت ؛ عذاب الآخرة أبديٌّ ، ومتاع الدنيا قليل ، والدنيا مبغوض عليها عند الحقِّ سبحانه ، والآخرة مرضيَّة له تعالى وتقدس ، « عش ما شئت فإنك ميتٌ ، والزم ما شئت فإنك مفارقه » .

ولا بدَّ من ترك العيال والأولاد أخيراً ، وتفويضهم إلى الحق سبحانه ، **فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً** ، وأن تفوِّضهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ نصٌّ قاطع .

وقد سمعت مراراً : أنَّ نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور ؛ إلى متى يمتدُّ ! ! فلا بُدَّ من التنبُّه ، والتيقُّظ .

واعلم أن صحبة أهل الدنيا والاختلاط بهم سمٌّ قاتل ، وقتيل هذا السمِّ ميِّتٌ بالموت الأبدي ، العاقلُ تكفيه الإشارة ، فكيف مع التصريح بهذه المبالغة والتأكيد ؟ !

الأكل الحرام

ثم اعلم أن لقمة الحرام ؛ وإن كان لذيذاً ، لكنه يزيد مرضَ القلب ، ويظلمه ، ويكدِّره . فكيف يُرجى الفلاح والنجاة ؟! الحَذَر . . الحَذَر . . الحذر ، فافهم ، وافهم ، وافهم ، وتَيقَّن أنَّ مَثَل مَن يهتم بأمر النفس كمن يُربِّي حيَّة تقتله ، ومثل من أقبل على الدنيا بالإدبار عن أمور الآخرة كمثل كلب أكبَّ على الجيفة المُنْتِنَة .

وقد أُلهِمَ هذا الفقير أنه حان لك أيُّها المخدوم المحبوبُ ؛ أن ترجع إلى الله تعالى بالإعراض عن هذه المزخرفة التي لا طائل تحتها ، والتقرُّب إلى الربِّ تعالى ، والإقبال إليه ما استطعت ، ولا شيءَ للإنسان أعزُّ من النفس ، بل هو جوهرةٌ لا قيمة لها .

تحسُّر أهل الآخرة على الدنيا

وليس يتحسَّر أهل الجنة إلاَّ على ساعة مرَّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها ، ومعلوم أن الأموات لو يحصل لهم ساعةٌ واحدة من الدنيا ليذكروا الله تعالى لاشتروها ولو بجميع ما في الدنيا ! !

واعلم أيها الصديق أن خدمات الربِّ تعالى كثيرة ، بل **العلم وتعليمُه أزيدُ في الفضيلة** ؛ لأن المقصود من الجميع توجُّه القلب إلى الله تعالى ، فإذا لم يحصل منها ذلك التوجُّه فهي كشجرة غيرِ مثمرة ، فأرباب ذكر الله تعالى لا يستند منهم إلاَّ وقد حصل لهم ذلك التوجُّه ، وذكرُ الله منشور الولاية ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ نصٌّ صريح في ذلك ، قال تعالى : « أنا جليسُ من ذكرني » ، وقال ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ فأيُّ شيء أكبر من مجالسة الحق تعالى وذكره للعبد ! !

تفاوت الخدمات

أيها الأخ المرجوُّ لقبول النصيحة : الفرق بين خدمة وخدمة كبيرٌ ، ألا ترى أن أرباب الحراثة والزراعة كلُّهم في خدمة السلطان ، ولكن لا مناسبة بين خدمتهم وبين خدمة المقرَّبين منه ! فأهل الحراثة يأخذون درهماً واحداً بخدمة يوم كامل مع غاية المحنة والمشقَّة ؛ والمقرَّبون يستحقُّون الألوف بخدمة ساعة الحضور ، ومع ذلك لا تعلُّق لهم بتلك الألوف ، وغايةُ مَرَامهم إنَّما هي قربُ السلطان ، **فتدبّر وأنصفْ ، واجتهد لفهم الإشارة** ، ولعلَّك سمعتَ حديث : « إن أهل ذكر الله تعالى ليجلسون إلى ذكر الله ؛ وإنَّ عليهم من الآثام مثل

الجبال ، وإنهم يقومون ؛ وما عليهم منها شيء » ، وكذا حديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » ! ! فإن كنت يا أخي عاقلاً تختار هذه النفائس ، ولا تُبدِّلها بكسرات خبز أنقعت في الماء .

ثم المأمول منك يا محبوب سرِّي وأنيسي وأليفي في الحضور والغيبة أن لا تطرح مواعظ مُحِبِّك ظهريّاً ، ولا تنسبه إلى ما لا تعلم حقيقته ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ، وإنك عالم متبحِّر ، وفاهم ذكي في أنواع العلوم ، لكن ينبغي لك أن تعلم أن **العلم المجرَّد عن العمل لا يأخذ يَدَ صاحبه يومَ القيامة** ، وأن **محبَّة الدنيا من العلماء ، ورغبتهم فيها كَلَف**[1] **على وجه جمالهم** ، وإن كان يحصل منهم فوائد للخلق ؛ لكن لا يكون علمُهم نافعاً في حقهم ، وإن كان تأييد الشريعة وتقوية الملّة مرتَّباً عليهم ، لكن لا اعتبار به ، فإن التأييد المذكور والتقويَة يحصلُ من أهل الفجور ، وأرباب الفتور أحياناً ، كما أخبر سيد المرسلين عليه وعليهم السلام عن تأييد الفاجر حيث قال : « إنَّ اللهَ ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وهم كحجر الفارس من حيث أنَّ كلَّ ما يلصق به من الشيء الأملس والحديد يكون ذهباً ، وهو باقٍ على حجريَّته ، وكالنار المؤدَعَة في الحجر والشجر ؛ فإنه يحصل منها منافع للعالم ؛ ولكن لا نصيب للحجر والشجر من تلك النار المودعة في باطنها .

مهم جدّاً لطلبة العلم

بل أقول : إنَّ ذلك العلم مُضرٌّ في حقِّهم لأنه به تمَّت الحُجَّة عليهم ، كما قال النبي ﷺ : « إنَّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » فكيف لا يكون مضراً ؟ ! فإن العلم الذي هو أعزُّ الأشياء عند الله تعالى ، وأشرفُ الموجودات ، جعلوه وسيلةً لجمع حطام الدنيا الدنيئة ؛ من المال والجاه ، والأهل والأحباب ، والحال أنَّ الدنيا ذليلةٌ عند الله تعالى وحقيرةٌ ، وأبغضُ المخلوقات عند الله ، **وإذلالُ ما هو عزيزٌ عند الله وإعزاز ما هو ذليلٌ عنده**

---

(١) طِفَلُ ، عَجَمْ . (من نسخة أخرى) .

في غاية القباحة ، بل هو معارضة مع الحق سبحانه في الحقيقة ، والتدريسُ والإفتاء إنما يكونان نافعين إذا كانا خالصَيْن لوجه الله تعالى ، وخاليَيْن من شائبة حُبِّ الجاه والرياسة ، وطمع حصول المال والرفعة ، وعلامةُ خُلُوِّهما عن تلك المذكورات الزهدُ في الدنيا ، وعدمُ الرغبة فيها ، فالعلماء الذين هم مبتلون بهذا البلاء ، ومأسورون في أسر محبَّة الدينا هم من علماء الدنيا ، وهم علماء السوء ، وشرارُ الناس ، ولُصوصُ الدين ، والحالُ أنَّهم يعتقدون أنفسهم مقتدى بهم في الدين ، وأفضلُ الخلائق أجمعين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

علماء السوء

رأى واحدٌ من الأكابر الشيطان قاعداً فارغَ البال عن الإغواء والإضلال ، فسأله عن سرِّ قعوده بفراغ البال ، فقال اللعين : إنَّ علماء السوء في هذا الوقت قد أمَدُّوني في أمري مَدَداً عظيماً ، وتكفَّلوا لي بالإضلال ، حتَّى جعلوني فارغ البال .

والحقُّ أنَّ كلَّ ضُعْف ووَهَنٍ وقع في أمور الشريعة في هذا الزمان ، وكلُّ فتور ظهر في ترويج الملة وتقوية الدين إنما هو من شُؤم علماء السوء وفساد نيَّاتهم .

حال العلماء المخلصين

نعم ؛ إن كان العلماء راغبين عن الدنيا ، ومحرَّرين من أسر حُبِّ الجاه والرياسة ، وطمع المال والرفعة ؛ فهم من علماء الآخرة ، وورثةُ الأنبياء ، وهم الذين يوزن مدادهم يَوم القيامة بدم الشهداء في سبيل الله ، فيترجَّحُ مدادهم ، و« نوم العالم عبادةٌ » متحقق في حقِّهم ، **وهم الذين استحسن في نظرهم جمال الآخرة ةونضارتها ، وظهرت قباحةُ الدنيا وشَنَاعَتُها ، فنظروا إلى الآخرة بنظر البقاء ، ورأوا الدنيا متَّسمة بسَمْت الزوال والفناء ، فلا جرم هَرَبوا من الفاني وأقبلوا على الباقي** .

عظمة الآخرة وذلة الدنيا

وشهودُ عظمة الآخرة إنما هو ثمرة شهود الجلال اللاَّيرائى ، وإذلال الدنيا وتحقيرُ ما فيها من لوازم شهود عظمة الآخرة ؛ لأن الدنيا والآخرة ضرتان ؛ إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ، فإن كانت الدنيا عزيزة ؛ فالآخرة حقيرة ، وإن كانت الدنيا حقيرة ؛ فالآخرة عزيزة ، وجمع هذين الأمرين من قبيل جمع الأضداد ، شعر :

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا

نعم ؛ اختار جمعٌ من المشائخ الذين تخلَّصوا عن أسرِ نفوسهم ومقتضيات طبائعهم بالكلية صورة أهل الدنيا بواسطة نيَّات حَقَّانيّة ؛ تراهم في الظاهر راغبين فيها ، ولكن لا علاقة لهم بها في الحقيقة أصلاً ، بل هم فارغون عن الكلّ ومتخلِّصون عن الجميع ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فلا يمنعهم البيع والشراء عن ذكر الله ، فهم في عين التعلُّق بهذه الأمور غيرُ متعلِّقين بشيء .

قال الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره : **رأيت في سوق « منى » تاجراً اتَّجر بمقدار خمسين ألف دينار تقريباً ، ولم يغفل قلبُه عن الحقِّ سبحانه لحظة ! !** فهذه هذه .

فضل إرشاد الناس

ثم إنك لا يخفى عليك ما في دلالة الناس إلى الخير ، ولعلَّك سمعتَ خبر : « الدالُّ على الخير كفاعله » ، وحديث « ما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لُجِّيّ » وحديث : « من سنَّ سنة حسنة فله . . . » إلخ .

مسؤولية الوالي

فأنت وَالٍ في قريتكم ، وفي يدك منصبُ الولاية ومكانةُ إرشاد الناس ، فعليك ؛ ثم عليك أيها المرجوُّ للهداية أن تأمر الناس بالخير ، وتهديهم إلى

سبيل المتابعة ، فلا يعدل بمتابعة النبي ﷺ شيءٌ ! فكيف ؛ وقد قال الإمام الرباني ما حاصله : إنَّ **النوم في نصف النهار على قصد المتابعة أفضل من إحياء ألوف الليالي على** . . . إلخ ! !

وقال أيضاً : **الجهاد القوليُّ أفضل من جهاد القتل** .

وعليك ثمَّ عليك أن لا تفعل ما ينكسر به قلوبُ الدراويش ، بل تدوم بما يقبلك قلوبهم ، وتتوجَّه إليهم ، فإنَّ التوجُّه إليهم رأسُ مال السعادة ، لأنَّهم جلساء الله « وهم القوم لا يشقى جليسهم » .

وعليك ثمَّ عليك أن لا تردِّد خواطرك إلى أطرافٍ لا جدوى فيها أصلاً . واعلم أن **المقيم في محلٍّ في كلِّ محلٍّ ، والمتردِّد بين المحالِّ ليس في محلّ** أصلاً . فافهم .

ثمَّ إنه يجب عليك يا نقطة قلبي ، أن تحفظ جوارحك وبطنك من ارتكاب المحرمات ، وإن لم تُطِق أن تجتنب منها بالكليَّة ؛ **فالاجتناب بين أظهر الناس أولى وأحرى** ؛ لئلا يعود عليك شؤم تقليدهم إيَّاك ، فتحملَ وزرهم على وزرك ، فقد سمعتُ الناس يقولون كثيراً : إن العالم الفلانيَّ يفعل كذا وكذا ، ويأكل ويشرب كذا وكذا . ويتبعون شهواتهم معلِّلين فعل ذلك العالم الفلانيّ ، فقد يموتُ المرء وتبقى ذنوبه تُكتَبُ في

صحيفته ! ! فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه ، فإن لم تُطِق الاجتناب بالكلية وتضييق ارتكاب الفضول ! فعليك بالندم والاستغفار والالتجاء والتضرُّع إلى الله ، معتقداً أن هذا الارتكاب فتحُ باب الدخول حوالي المقت والحرمان ، فعسى أن تقوم هذه الندامة والاستغفار والالتجاء والتضرُّع مقامَ الاجتناب عن الفضول .

---

* وقد قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال « الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ، وقال « من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله » ، وقال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » من كتاب قطب الإرشاد . عبارته ٣ من ديباجته للعلامة العارف بالله تعالى فقير مولاه الحاج فقير الله ابن عبد الرحمن الحنفي الرتاسي الجلال آبادي الهندي رحمه الله تعالى . (من نسخة أخرى) .

قال واحد من الأعِزَّة : انكسار العاصين أحبُّ إلى الله تعالى من صَوْلة المطيعين .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : رُبَّ معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثت عِزّاً واستكباراً ، وذلك لما جاء في الانكسار ، ولزوم الندم والتوبة ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ نص قاطع . وقد كنت كتبت في رسالتي العجمية التي ألفتها ، هذه الأبيات :

بِرْژِنَبْ غِطَلْدَكِ طَدْ فِخْ قُعَبْ بِجُلِبْ　　　زَزِلْ كَّـهَـلْدَصَنْكِ هُئِنَبْ سُنُ كُنِبْ

إلى آخر ما فيها فراجعها لنفاستها .

توجيه مرشد

وينبغي أن تكون مولعاً وحريصاً في تقوية الإسلام ، وتقوية وتعليم أمور العقائد بين العوامِّ ، وإصلاح القراءات القرآنية في الصلاة وغيرها ، **ونحن يا أخي في زمان خؤن : لا يجوز لأحد أن يثق بنفسه ، وكيف يثق العاقل عَدُوَّه وعدوَّ الله الناصبَ لعداوة الله سبحانه ، ولا أجد نفسي تعمل بالعلم** ؛ ولو بواحد من ألف ! ! ومع ذلك اجترأتُ على تصديعك بتكثير هذه العبارات الوَعْظِيَّةِ ظنّاً أنَّ ما لا نقبله تقبله ، « عظ نفسك ، فإن اتعظتْ فعظْ الناس ، وإلا ! فاستحي مني » . أثرٌ مشهور ، لكن ورد : « مروا بالمعروف ؛ وإن لم تنتهوا » .

وما هو من شرط البلاغ أقوله　　　فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملامة

❊ والعجب كلَّ العجب أن أحد أدعياء التشيخ قرأ في قوله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ من أشهر آية يحفظها الأطفال ، قرأها بفتح الياء ﴿يحيَطون﴾ ، ولما روجع بها أجاب عنه مريده : إن هذا من الأبدال لا يصحُّ مراجعته ! ! وحسبنا الله ونعم الوكيل .
والأسوء أنه يقرأ في صلاته بقوله تعالى ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ فيقرأها (ومنها جاء) على أن الحق تعالى لعن من غيَّر وحرّف وبدَّل في كلامه ! ! فأين هذه الدعاوى من هذا الذي في الكتب ؟ ! . (من نسخة أخرى) .

اعتذار

وقد كنت يا أخي أُلهمتُ بفضل الله تعالى أن أكتب إليك من لُبِّ المعارف أشياء ، لكن طرقت الأضياف بالباب ، واضطرب قلب الرحيل الحامل ؛ فلم يكن في الإمكان أن أبيّض هذه المسوّدة ، فلعلك لا تتخذني وصنيعي هدفاً للملام ، وتدعو له بالاستقامة .

ثم إني لا أخرج إلى الجماعة إلا نادراً ؛ لما أن الأستاذ كان قال لي مرَّة : **إن كان يكون لك حضورٌ تام في الانفراد يجوز لك الانقطاع عن الجماعة** ، وأظنُّ أني كنت رأيتُ نظيره في « إعانة الطالبين » ، وإن صادفتَ نظيره فيما عندك من الكتب فإرساله من أعلى المقاصد ، والمسؤل من الله تعالى ثباتكم على الحقِّ ، واستقامتكم وتوفيقكم وعافيتكم ، وعدمُ انحراف قلوبكم عن الميل إلى الجهة السفلية ؛ فهذا ، والسلام من طرف المفلس حسن القحي . انتهى من خطه قدس سره ورزقنا بركته وبره .

مكتوب في الانفراد والجماعة

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب ؛ ثم إني كنت سألت شيخنا العسلي قدس سره بعين هذه المسألة ، فأراني في كتابٍ - وأظنُّ أنه « بغية المسترشدين » - ما معناه : إنَّ صلاة المنفرد أفضل[1] لمن لا يطيق الحضور في جميع صلاته لو صلى في الجماعة . انتهى ، وظنِّي أني رأيت عينه في « إعانة الطالبين » . فانظر إليها لعلك تجد ذلك ! !

ثم قال قدّس سرّه : إذا كان صلاةُ المنفرد الذي يحصل له الحضور بالانفراد أفضلَ من صلاة المصلي في الجماعة إذا لم يقدر على الحضور فيها ، ففي الأكل يكون أولى وأنسب . انتهى بمعناه .

---

(١) وأفتى الغزالي : أولى ، وابن عبد السلام بأولوية الانفراد . .إلخ . وهو حقيق بتصويب خلافه الذي سلكه الأذرعي والزركشي . .إلخ . « إعانة » عبارته ٩ . (من نسخة أخرى) .

ورأيت في « المنن الكبرى » للشعراني قدس سره ما معناه : إنِّي كنتُ أرى اللقمة التي آكلها مع الجماعة نوراً و . . . . فاطلبه منه .

وكذا رأيت في كتاب لا أتذكَّرُ ما هو : إن مَن له حالٌ مع الله لا يغفل عنه ، فسفره وحده يجوز ؛ أو أولى . انتهى بمعناه ، وقد كنتُ تحيَّرتُ في هذه المسألة قبل ، ونحن ننظر إلى الكتب ، ونكتبُ ما بدا لنا إن شاء الله تعالى ، والسلام .

وصية جامعة

وكتب قدّس سرّه إلى بعض إخوانه ؛ نقلاً عن « رماح حزب الرحيم »[1] ص٢٥٥ ج٢ :

هذه الوصية الجامعة والنصيحة النافعة يجب على كلِّ مؤمن أن يجعلها نُصْب عينيه ، ويعمل بها حسب طاقته ، وهي هذا :

ومما كتبه إلى كافة الإخوان أينما كانوا ، ونصُّه :

بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والحمدلة ؛ قال رضي الله عنه : بعد ؛ السلامُ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ؛ فالذي أوصيكم به وإياي المحافظةُ على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات :

فأما المنجيات ! فهي تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنا ، وأما المهلكات ! فشحٌّ مطاعٌ ، وهوى مُتَّبَعٌ ، وإعجاب المرء برأيه » . وعلى قوله ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدوِّ ، واسألوا الله تعالى العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا »[2] . . الحديث .

---

(١) ونقله الأستاذ اليعسوبي قدس سره في « كنوز الأمان » راجعه ص ١٠٩ . (من نسخة أخرى) .

(٢) متفق عليه : ففي « البخاري » : ٢٩٦٥ ، و« مسلم » : ١٧٤٢- ٢٠ ؛ وغيرهما ؛ عن عبد الله بن أبي أوفى .

وهذا ؛ وإن ورد في ميادين جهاد الكفار ؛ فهو متعلق[1] في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنَّى بقلبه ، أو أراد تحريكَ الشرِّ منه على الناس سلَّطهم الله تعالى عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ، وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العافية من تحريك شرِّ الناس وفتنتهم ، فإن تحرَّك عليه مِن غير سبب منه ! ! فالوجهُ الأعلى الذي تقتضيه رسومُ العلم مقابلَتُهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر ! ! فبالصفح والفعو عنهم إطفاءاً لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر ! فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، ولا يتحرَّك في شيء من إذايتهم ، وإن اشتعلت عليه نيرانُ شرهم ! فليدافع بالتي هي أحسن **بلين ورفق** ، فإن لم يقدر ذلك ! ! فعليه بالخروج إن قدر ، والهرب عن مكانه ، فإن عوَّقت العوائقُ عن الارتحال ؛ ولم يجد قدرة فليدافع بالأقلِّ فالأقل من الاذايَة . **فليفعل ذلك ظاهراً ، وليكثر التضرُّع إلى الله تعالى والابتهال سرّاً في دفع شرِّهم عنه** مداوماً على ذلك حتَّى يفرِّج الله تعالى عنه ، فإنَّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسومُ العلم .

والحذر الحذر لمن تحرَّك عليه شرُّ الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشرِّ لمقتضى حرارة طبعه ، وظلمة جهله ، وعزَّة نفسه ، فإن المبادر للشرِّ بهذا ؛ وإن كان مظلوماً فاضَتْ عليه بحورُ الشرِّ من الخلق يستحقُّ بها الهلاك في الدنيا والآخرة ، وَتِلْكَ عقوبته لإعراضه عن جناب الله تعالى أولاً ، **فإنه لو فزع إلى الله تعالى بالتضرُّع والشكاية ، واعترف بعجزه وضعفه لَدَفع الله تعالى عنه ضرر الخلق بلا سبب** ، أو بسبب لا تعب فيه ، أو يشغلهم الله تعالى بشاغل يعجزون عنه ، فإمَّا أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم ، والصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر ؛ حتى يَردَ عليه الفَرَجُ من الله تعالى ، فيكون مثاباً دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا !

(١) وفي نسخة : متقلِّب .

فبحمد العاقبة وظهور تَصَبُّرِه في الخلق على قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة ! فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعد الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى حاكياً عن نبيِّه يوسف عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ولعَدَم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً ، وَوَقَعُوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة ، إلاّ مَن حفَّتهم عنايةٌ عظيمة من الله تعالى إلهيَّةٌ ، فإن العامَّة لا يرون في تحريك الشرّ عليهم إلاّ صورة الشخْص الذي حركه عليهم لغيبتهم عن ذكر الله وعن غالب حكمه فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم عليهم إلاّ صورة الشخص الذي حرَّكه عليهم ؛ لغيبتهم عن ذكر الله ، وعن غالب حِكَمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم ، فَطَالَتْ عليهم مكابدةُ الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، **فإنَّ الكيِّسَ العاقل إذا نصب عليه الشرُّ من الناس ، وتحرَّكوا له به ؛ رآه تجلّياً إلهيّاً لا قدرةَ لأحدٍ على مقاومته إلا بتأييد إلهي** ، فكان مقتضى ما دلَّه عليه علمُه وعقلُه الرجوعُ إلى الله تعالى بالهرب والالتجاء إليه ، وتتابع التضرُّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصماً بالله تعالى في مقابلة خلقه ، فلا شكَّ أنَّ هذا تُدْفع عنه الشرور بلا تعب منه ،

مهم

ولو التهَبَتْ عليه نيرانُ الشرِّ من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه ؛ لاعتصامه بالله تعالى ، فإن مَن تعلَّق بالله تعالى لا يقوى عليه شيءٌ ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ . . إلى قوله ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ .

وهذا الباب الذي ذكرناه كلُّ الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السيرَ على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة ، ومن فارقه وكَّلَه الله تعالى إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله ، فهلك كلَّ الهلاك في عاجله وآجله ، وفيما ذكرنا كفاية . انتهى إلى هنا ، نقل من « جواهر المعاني » .

مطلوبية الشكر

وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب ، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إن قدر على أن تكون كليّة ، وإلا ! فالأبقع خيرٌ من الأسود ! ! [1]

باب ما يقول إذا غلبه أمر

قال عليه الصلاة والسلام « إذا وقعتم في الأمر العظيم ، فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . وقد روى عبد الله بن يزيد عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « من قال عشر كلمات عند كل صلاة غداة وجد الله عنده مكفياً وعليه راضياً ؛ خمساً للدنيا ، وخمساً للآخرة ، حسبي الله لديني ، حسبي الله لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى عليَّ ، حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عند الموت ، حسبي الله عند المسألة في القبر ، حسبي الله عند الميزان ، حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم وإليه أنيب » . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « من قال ثلاثاً حين يصبح ، وثلاثاً حين يمسي : حسبي الله ونعم الوكيل لم يزل في أمان الله تعالى وستره وكفايته ما لم يخرق ذلك بكبيرة » . وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا قال العبد : حسبي الله ، (سبع مرات) قال الله تعالى : لأكفينه صادقاً أو كاذباً . من شرح : (حسبنا الله ونعم الوكيل) للشاذلي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

❋ وقال الحسن البصري رضي الله عنه : لا يؤمن أحد بهذا القرآن إلا حَزِنَ وذَبَلَ . « الحدائق الوردية » . وقال أبو علي الروذباري : أعظم اليقين ما عظم الحق في عَينيك ، وحقر ما دونه عندك ، وأثبت الرجاء والخوف في قلبك . (منه) .

وقال جنيد : التوحيد الخالص أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون . (منه) . وقال تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم . (منه) .(من نسخة أخرى) .

❋ عن عوف بن مالك أنَّ النبي ﷺ قضى بين رجلين ، فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل . فقال ﷺ « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكَيْس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعمٍ الوكيل » . أي : إنَّما قال المقضي عليه هذا الكلام إشارة إلى أنَّ المدّعي أخذ منه المال باطلاً .« مصابيح » قبيل كتاب الجهاد . فقال ﷺ « إنّ الله يلوم على العجز » **يعني : أنت مقصِّر في الاحتياط وترك ما أقام الله لك من الأسباب وترك التدبير بالإشهاد وإقامة الحجة ، وغير ذلك مما يوجب الغلبةَ وثبوتَ الحق . وليس من التوكل ترك الأسباب**

وإغفال الحزم في الأمور ، بل على العاقل أن يتكيَّس في الأمور بأن يتيقظ فيها ويطلب أسباباً جرت عادتهم على ارتباط تلك المطالب بها ، ثم إذا غلب وعسر عليه مطلوبه كان معذوراً فيه ، فليقل : حسبي الله ونعم الوكيل ، قولاً واعتقاداً . « حاشية المصابيح » . وراجع « الأذكار » للنووي من باب : ما يقول إذا غلبه أمر .
وقال ﷺ « إن الله يلوم عبده على العجز ، فأبلغ نفسك عذرها في حجَّتها » . . إلخ . « بستان الفقيه » .

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

قال الربيع بن خُثَيم : مِن كل ما ضاق على الناس ، حدثني . .إلخ عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من إمتي سبعون ألفاً بغير حساب ؛ هم الذين لا يسترقون – بسكون الراء ؛ أي : لا يسترقون مطلقا أو لا يسترقون برقي الجاهلية – ولا يتطيرون – ولا يتشاءمون بالطيور ونحوها كعادتهم قبل الإسلام – وعلى ربِّهم يتوكَّلون » ؛ من « صحيح البخاري » رحمة الله عليه . « قاموس » ،(يفوِّضون إليه) . **والتوكل** هو الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها ، ولهذا قال ﷺ « أعقل وتوكَّل » . ويقال هو : كِلَةُ الأمر كله إلى مالكه ، والتعويل على وكالته ؛ يعني : عملاً بقوله تعالى ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ وهو فرضٌ على المكلَّف ، قال الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ .

وقضية هذا : أنَّ التوكل من لوازم الإيمان ، فينتفي بانتفائه ؛ إذ الإيمان هو التوحيد ، ومن اعتمد على غير الله لم يوحِّده بالحقيقة ؛ وإن وحَّده باللسان . وليس المراد من التوكل ترك السبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين ؛ لأنَّ ذلك قد يجرُّ إلى ضدِّ ما يرادُ من التوكل . وقد كان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم وهم القدوة وبهم الأسوة . والحديث سبق في الطب مطولاً ، وفي أحاديث الأنبياء مختصراً . « قسطلاني » عبارته ٢٧١ ج٩ . (من نسخة أخرى) .

* قال شاذلي رحمه الله : إذا خوَّفك أحد من الجنِّ والإنس فقل : حسبي الله ونعم الوكيل . وإذا أردت الإخلاص فاستعن بسورة الإخلاص, وإذا أردت الحفظ من شرِّ الخلق فعليك بقراءة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ ، وإذا أردت الحفظ من شرِّ الناس فاستعن بقراءة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ، وإذا خطر خاطر من عدوّ فقل : ربِّ إني مغلوب فانتصر ، اللهم لا تشغل قلبي بسواك ، وإذا خطر خاطر من قبل الرزق فقل : لا إله إلا الله إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب . وقال : والله ما بيني وبين الذي يناديني إلا أن أنظر إلى ذاته بنظرة فأغنيه . وقال أيضاً : لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين . (شرح حسبنا) عبارته . (من نسخة أخرى) .

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال من قال « ثلثاً حين يصبح وثلثاً حين يمسي : حسبي الله ونعم الوكيل ، لم يزل في أمان الله تعالى ، وستره وكفايته ما لم يخرق ذلك بكبيرة » . روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ « إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات قال الله تعالى « لأَكْفِيَنَّهُ صادقا أو كاذبا » .

الباب : من أراد أن يكون الله حسيبَه ووكيلَه في جميع أموره ، ويكفيه شرَّ جميع خلقه ، ويؤيده بنصره ، ويلقي محبته في قلوب عباده ، ويغنيه الله من سعة فضله ؛ فليقل كل يوم وليلة : (حسبي الله ونعم الوكيل) بعدد حروفها ؛ وهو ٤٥٠ . ومن قرأ الآية في كلِّ يوم وليلة عددها المتقدم ، ثم بعد العدد المذكور ﴿**فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ**﴾ ، آية ٦ ، ثم في سابع مرة يقول : ﴿**وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ**﴾ إلا كان في حرز الله المنيع وفي ودائعه التي لا تضيع ، وكان ملطوفاً به في جميع حركاته وسكناته ، فحفظ من جميع المؤذيات بإذن الله تعالى ، فدَاومْ – وفَّقك الله – على تلاوة : (حسبُنا الله . . إلخ) تفز **مع الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** .

وإذا أردت دفع الملمَّات سريعاً فاتلوا الآيات المذكورة ، ثمَّ تقول بعد فراغك من العدد ومن الآية الشريفة : (عزيز ، كافي ، قوي ، لطيف) ، ٤٥٠ ، ففي ذلك سرٌّ مصون ؛ من داوم على هذا العمل نال ما أراد من النصر على الأعداء ، وأوقع الله المحبة في العالم ، وكان عزيزاً في خلقه ، **وكفته قرائتها على هذا النمط** ؛ تقول بعد البسملة الشريفة : ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ**﴾ إلى ﴿**ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ**﴾ ، ثم تقول : حسبنا الله ونعم الوكيل (٥٠ مرة) ، ثم بعد الفراغ من تلاوة الآية الخمسة تتلوا الآية ؛ قوله تعالى ﴿**وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾**﴾ خمس مرة ، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ ٣ ، ثم تعود إلى تلاوة الآية على النسق المتقدم من التلاوة ٥٠ مرة ، تتلوها ١٠٠ مرة ، ثم تتلو آية ﴿**وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ**﴾ . .إلخ كما في أول مرة من العملٍ (٣) ، تفعل هكذا عند تمام كل مرة تتمُّ عدد الآية الشريفة . من لازم على هذه الكيفية صباحاً ومساء ؛ نال ما تمناه . .إلخ ، وظفر بمراده وكان الله حسيبه في دنياه وأخراه .

ومن أراد أن يصل إلى الأمراء على النحو الذي برجوع العمل (مرة أو ثلثا) بالنهار ومثله بالليل ، وإنْ جعل كله بالليل كان أجود ؛ فما يمضي عليه مدة من الزمان إلاّ اتصل بمقصوده .

ومن أراد العز الدائم والكفاية والوقاية واللطف عند الشدائد ؛ عليه بتجديد الوضوء ، وصلاة ركعتين لله عز وجل ، ثم يقرأ البسملة ٤٥٠ ، ثم يقرأ ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ**﴾ إلى ﴿**حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾ ٤٥٠ ، ثم يصلي عليٍ النبي ﷺ مثل ذلك ، ثم يقول : يا عزيز يا كافي يا قوي يا لطيف مثل ذلك ، وعند رأس كل مائة يقول ثلاث مرات : (يا عزيز أعِزَّ ني ، يا كافي اكفني يا قوي قوِّني يا لطيف الطفْ بي في أموري كلها ، والطفني فيما نزل ، ويذكر حاجته ، ولا يكن همك في دعائك الظفر بقاضاء حاجتك ، فتكون محجوباً عن ربِّك ، وليكن همك مناجاة ربّك ، فإنه يعلم السرّ والأخفى .

وقال أيضاً كما في « التنوير » : لا يكن حظك من الدعاء طلب حاجتك ، بل إظهار فاقتك لإظهار مقام عبوديتك ، « نفحات النبوية » ٩٣ .

ولكن فاعل ذلك يكون صاحب يقين ، لتنفعل له الأشياء على أهم المرادات . قال بعض العارفين : من أراد أن يكفيه الله شرَّ خلقه ، ويسر (علّه ييسر) عليه رزقه ويلقي محبته في

أدنى الشكر شكر اللسان وأعلاه تلاوة الفاتحة

وأدنى ذلك شكر اللسان ، فلا أعجز ممَّن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، **فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوةُ الفاتحة ؛ في مقابلة ما أنعم الله تعالى عليه شكراً** ، وَلْيَنْوِ عند تلاوتها أنه يستغرق في شكر جميع ما أحاط به علمُ الله من نعمه عليه ؛ الظاهرة والباطنة ، والحسيّة والمعنوية ، والمعلومة عند العبد ، والمجهولة لديه ، والعاجلة والآجلة ، والمتقدِّمة والمتأخِّرة ، والدائمة والمنعدمة ، ويتلو بهذه النية ما قَدَر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة ، فمن فعل ذلك كتبه الله تعالى شاكراً ، أو كان ثوابه المزيدَ من نعمه على قدر نيته بحسب وعده الصادق .

وأما وجوه المحامد الجامعة ! ! فهي كثيرة لا نطيل بذكرها ، مثل قوله ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » إلخ . انتهى ما نقله من « الرماح » ، والحمد لله الملك الفتاح . من خطه قدّس سرّه .

وكتب قدس سره في آخره : أيها الولد ؛ أرسلتُ إليك هذا ليكون تنبيهاً لك . فافهم ، واستغفر ربك ، وكن من الشاكرين ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ والسلام . انتهى .

مهم جدّاً : موعظة في مكتوب إلى ولده محمد عارف

وكتب قدس سره إلى ولده محمد عارف يعظه :

من حسن القحي إلى ولده محمد عارف ؛ السلام على من اتّبع الهدى .

قلوب خلقه ، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً فليقرأ الآية الشريفة . .إلخ ٤٥٠ ، ثم يقرأ بعد ذلك قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ﴾ إلى ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ ٧ ، وفي السابعة ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾ إلى ﴿عَظِيمٍ ﴾ ، ومن داوم على ذلك كان له سرٌّ عجيب في تسهيل العسر . رحمة الله تعالى على كاتبه أستاذنا العالم الفاضل السالك الواصل الحاج رجب أفندي الخنزاخي الأواري ، ورزقنا حظاً وافراً من العلم النافع والعمل الرافع ، وأفاض علينا من فيوضات مشائخنا الكرام أئمة الإسلام ، آمين . (الفقير محمد العكلچي عفى الله عنه) . في ٣ شوال ، سنة ١٣٨١ والحمد لله .

حرص الوالد على ولده

يا ولدي ؛ إني كنتُ إلى الآن أرجوك ، وأقول إن شاء الله تعالى يؤل أمْرُكَ إلى الصلاح ، وكنتُ أدعو الله تعالى أن يرزقك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وحالاً طيِّباً ، فالآن كدتُ أن أقع في دائرة اليأس الذي هو من كبائر الذنوب ، **يا ولدي** ؛ إن سفاهتك هذه إلى أيِّ وقت تدوم ! ! **يا ولدي** ؛ إن أكابر العلماء يشاورونني في الأمور ، ويمتثلون إشارتي ، وأما أنت فتخالفني حتَّى في النقير والقطمير ، **يا ولدي** ؛ مَن يُحبُّك أكثرَ مني ؟ ! ومَن يريد المصلحة لك أزيد مني ؟ !

عقوق الوالدين من أكبر الذنوب

يا ولدي ؛ إني خائفٌ عليك أن تصير مجنوناً من المجانين ، وتزيد حمقاً على حمق ما زدتَ في شبابك وكبرتَ في سنِّك ، **يا ولدي** ؛ إن عقوقَ الوالدين من أكبر الذنوب بعد الكفر ، وعقوبتُهما لا يؤجّل جزاؤه ؛ بل يعجل .

قلوب المشائخ

يا ولدي ؛ إنَّ قبول قلوب المشائخ أوَّل شيء على سعادة العبد ، وردُّهم ردُّ الله ؛ كما هو مذكور في الكتب . **يا ولدي** ؛ إذا غَضِبْتُكَ ؛ فمَنْ يَرْحمك من الناس ! ! وإذا علموا أني ساخطٌ عليك ؛ فهل تظنَّ أنهم يحسنون إليك ، أو هم يرضون عنك ! ! **يا ولدي** ؛ إن تحرَّكتَ بعد الآن إلاَّ فيما أذنتك فيه أعزلك من بُنُوَّتي ، وأعلِّم جميع الناس أن مَن نظر إليك منهم بعد الآن نظر اعتبار وانتصار لا يَدُقُّ هو بابي . **يا ولدي** ؛ إذا قلتُ لهم هذا القولَ فلا شكَّ أن جميع الناس يقولون لك (لا مساس) كما قال بنو إسرائيل للسامري .

يا ولدي ؛ اسمع واستجب وأعرض عن عملك تكن من المقبولين ، وإلا ! فأنت من المطرودين .

جحود المعلم

يا ولدي ؛ إني كدتُ أنْ أبكي بعدما سمعت خبرك ، وتركتُ النوم في الليلة بالكلية بزحمة فراقك من رفيقك ، وبشدَّة خوفي من انقطاع بركة معلِّمك .

يا ولدي ؛ هل يليقُ بشأنك أن تقذِّر كلَّ مكان نزلت فيه ، وأن تبول على وجه كلِّ مَن أحسن إليك ! فقد ربّاك القاضي موقَّراً محترماً مدَّة مديدة كولد صُلبه ، مع سوء خلقك وسيرتك ، وغِلَظ طبعك وفظاظتك ، فإذا فَرَرْتَ من عنده بضربك كلَّ ما فعل معك من الإحسان وجْهَهُ ؛ فالمرأة خيرٌ منك ، وأنت إذاً لا تساوي عنده ؛ بل وعند جميع الناس مِلءَ كفٍّ من تراب ، وقد فعلتَ مثلَه مع القاضي أَصْحَابْ عَلِي قبلُ ، فما هذه السفاهة ! ! وإلى متى هذه الحماقة ؟ ! وكيف أَقِفُ أمَامَ الناس ؛ والحال أنَّك توقفني مقاماً لا أحسبني شيئاً مذكوراً ؟ !

شرط طريق الله

يا ولدي ؛ أجمع القوم على أن المُرُوَّة ، والشجاعة ، والرجولية ؛ شرطٌ في طريق الله تعالى ، ومع ذلك فقد آثرتَ المهانة والجبن والأنوثة ، ولم تَدْرِ قط قدر الرجولية ، وقد كان منك في « خنزاخ » ما كان ، مما استوجب الذلَّة والهوان ، كيف لم تَسْتَحِ من أخذ أقراش من . . . إلخ والحال أنك تعرف منِّي أني لا أقبل من الهدايا مع عدم جواز ردِّها في الشرع الشريف إلا أشياء لا يجوز ردُّها ككعك ونحوه مما يستحيي من الناس ردُّه ، وأكافئهم ؛ ولو بشيء قليل بقدر طاقتي ، وأنت خرقت نقاب الحياء بالكلية ؛ ولم تَسْتَحِ حتى من أراذل الناس ! !

يا ولدي ؛ إني أريد أن أكون كالتيس بترك ما بأيدي الناس ، والإعراض عنه ، ولا أريد أن أكون كالمعز بقبول إحسانهم من متاع دنيا لا تزن بأسرها عند الله جناح بعوضة .

يا ولدي ؛ أسألك بالله تعالى وبرسوله أن لا تتصرَّف في شيء مَّا إلاَّ بأذني ، ولا أحد يعلم مصالحك ويحب الإحسان لك ولنفسك مني .

الصنم الأكبر

يا ولدي ؛ إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء ، وإنها هي الصنم الأكبر على التحقيق ، وهي أعدى أعدائك ، **فإطاعة عدوِّك المريد لك الهلاك ، وعدمُ مخالفتك إياه أراه من علامة خذلانك** ، وهَوَانك على الخلق وعلى الله ؛ فالعياذ بالله !

يا ولدي ؛ إني لك ناصح أمين ، وأنت لا تسمع لنصحي ، بل أنت متَّبع بالنفس الأمارة ، ومستمع للشيطان اللعين !

بركة العلم كحال المعلم

يا ولدي ؛ إن بركة العلم تكون على حسب المعلِّم ، فإن كان الأستاذ نحوياً يخرج الطالب نحويّاً ، وإن كان مَحْويّاً يصير هو محويّاً ، ولذلك أريد منك أن لا تفارق من أستاذك ومعلِّمك ، فإن الأحوال ساريةٌ ، والطباعَ سارقة ، فأرجوك أن تصير ببركة صحبة القاضي[1] ، ومعلِّمك الطالب الأديب محمد محويّاً عن رذائل الأخلاق ؛ لا نحوياً إليها وإلى متاع الدنيا وحذافيرها .

حال المستبدل

يا ولدي ؛ إن الله تعالى أنزل على بني إسرائيل مائدة من السماء ، ورزقهم المنَّ والسلوى ؛ ومع ذلك استبدلوا الأدنى بالأعلى ، واختاروا البصل والعدس ونحوهما ، ولا أراك إلاَّ مثلَهم ، فإنَّ الله تعالى رزقك البرَّ الخالص ؛ وأنت تطلب استبداله بالشعير والباقلاء ، وهل هذا إلاّ وظيفة الأحمق ! !

يا ولدي ؛ لو أنَّك كنت رجلاً لما اخترت في هذا الزمان المخوف فراقَ والدك ، بل جلستَ أمامَه ، وألصقْتَ رُكْبَتَيْك بركبتيه حتى يفيض عليك العلوم المعارف بكلتا يديه .

ثقل قلب الوالد

يا ولدي ؛ إن سعيك على خلاف رأي أبيك محضُ ضرر لك ، فلا خير لك في الخلاف أصلاً ، وإن امتثالك بأمره بضدِّ ذلك ؛ وإن كنتَ تجهل ما هنالك ؛ فلا خير لك في الخلاف .

---

(١) لعل الإشارة به إلى الأستاذ الحليم حميد أفندي حفظه الله ، آمين (كاتبه محمد) . (من نسخة أخرى) .
نَعَمْ ؛ أنه هو المذكور . والمعلم : محمد بن حسن القحي . هذا . (النهري) .

يا ولدي ؛ إذا ضاق صدرُ والدك عليك ؛ فاعلم أنَّه يضيق عليك كلُّ شيء ، ولا تحصل على نتيجة ما تفعل ، ولا تجني ثمرة ما تعمل ؛ وإن كانت صورته خيراً .

يا ولدي ؛ إذا عصيتَ أباك ؛ فقد عصيت ربَّك سبحانه ، فلا ينفعك مع ذلك علم ؛ وإن قرأت ألف كتاب ؛ لأن العلم فضل الله وفضله لا يعطى للعاصي[(١)] ، وإن أُعطي ! يَحُول حجةً عليه ووبالاً .

يا ولدي ؛ إن أخاك الكبير[(٢)] بل إخوانك لم يُضيِّقوا قلبَ أبيك كما ضيّقت في يوم واحد ! ! فما هذه العماية والغفلة والجهالة والسفاهة ؟ ! فمتى تصيرُ رجلاً ! !

يا ولدي ؛ إن كنتَ سئمت في مقامك الحالي ؛ فارجع إلى وطنك الأصلي ، ففيه ما تشتهي نفسك وتلذُّ عينك ، ولا ضيق عليك بالمرَّة ؛ ولو بمثقال ذرَّة .

يا ولدي ؛ إنَّ أمك أصابها من سماع خبرك ما أصابني ، وكفاك هذا مع أمك التي ولدتك وربَّتك وحملتك في بطنها مدَّة تسعة أشهر ! !

يا ولدي ؛ إني أرسلت زمامك ، وألقيت أمرك إلى من لا ملجأ ولا منجا منه إلاّ إليه ، وأسأله سبحانه أن يفعل بك ما هو أصلحُ وأنفع لي ولك ، وهو خير الناصرين . فهذه وصيتي إليك ، فإن عملتَ بها ! فذاك ، وإلا ! فللّه الأمر من قبلُ ومن بعدُ . ونرسل لك . . . إلخ إن قبلت نصيحتي ، وإلا فلستُ لك بعد ذلك من المحسنين ، بل أنت عندي من المُبْعَدين ، وسترى مَغَبَّة ذلك ؛ ولو بعد حين ، ثم تندمُ على ما فعلت حين لا ينفعك الندم .

---

(١) يشير به إلى ما يروى عن الشافعي رضي الله عنه :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأنبأني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى للعاصي

(٢) للمؤلف رحمه الله ولدان - كما ذكرنا في ترجمته في « البروج المشيدة » وأعدناه هنا والكبير المراد ههنا هو مُحَمَّدْ حَجيَوْ ، وأصغرهما المخاطب محمد عارف ، ولكن محمد عارف كان فيما بعدُ قطبا ، أعلى حَالاً حتى من أبيه ؛ على ما قيل ! ! فلعل هذا الخطاب كان في عنفوان شبابه ! ! رحم الله جميعهم .

يا ولدي ؛ إن أنت خرجت صاحب علم وعمل ؛ فأنت عندي كرُوح جسدي ، وأفديك بروحي وبما عندي ، وإلا ! فأنت عندي أذلُّ من كلِّ ذليل ، وأحقر من كلِّ حقير ، **والموت أحسن من الحياة مع الجهل** ، والعلم مع عدم العمل وبالٌ وبلاء ، نعوذ بالله من جهل لا يرفع ، وعلم لا ينفع ، ونفس لا تشفع ، ومن ولد يشيب والديه . رزقك الله التوفيقَ والاستقامة ، وأيقظك من سنة الغفلة والجهالة ،آمين . إنتهى من خطّه قدّس سرّه ببعض تغيير .

الباب السابع

في إجازات أكابر مريديه من العلماء للتدريس إجازته لمحمد العسوي

وكتب قدّس سرّه في إجازة[١] ولده المعنوي الكامل الفاضل محمد ابن العالم نور محمد العسوي ما لفظه :

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد : فقد وصل الرسول المرسَل مع الرسالة المنبئة عن طلب الإذن ؛ لتولية العالم المخلص محمد من هذا العبد الضعيف ، وبذا حصل لي حياء وخجل ، فمَنْ أنا حتى يُطلب مني الإذن ، وأكون موضعَ مشاورة في مثله ، أنا دونه بدرجات ، بل هو أرفعُ مني بمعارج ، لكن استحسنت هذا الصنيع الناشيء من ذلك القدر الرفيع ، والمقام المنيع مع هذا العبد الوضيع ، وكيف يستحسن المباداة بالتواضع من العلماء ؛ كالملوك بالنسبة إلى هذا الفقير الصعلوك ، ولعمري إنَّ طلب الإذن من أمثالي لحريّ بالاستغراب ، وحضور هذا المسكين الخامل بباله وخاطره مع

---

(١) وفي نسخة : أكبر أولاده المعنويَّين لولاية القضاء ، ألا هو الأستاذ الفاضل والملاذ الكامل محمد ابن العالم القاضي نور محمد العسوي الملقب باليعسوبي قدّس سرّه .

ارتدائه[١] برداء العلم والعمل والعقل والإدراك لَشيء عجاب ، رفعه الله تعالى بهذا التواضع إلى أعلى عليين بحكم : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبَّر وضعه الله » ، وبحكم : (التواضُعُ بساط تحت الأرضين السبع ، فمن جلس عليه يرتقي إلى أعلى علِيِّين) ، وصانه الله تعالى عن التكبُّر ، ورقَّاه بفضله يوماً فيوماً إلى درجات أهل العرفان ، ومراقي العلماء العاملين . آمين .

فالتواضع من أرباب الملك شرف وزين ، والتكبر من العلماء سرف وشَيْن .

ثم لا يخفى على جنابه أنَّ صلاح الملوك والعلماء – حلاَّهُمُ الله تعالى به – صَلاح البرايا ، وفسادُهم – خلاّهم الله عنه – فسادُ جميع الرعايا ، ولذا أورد الأمر بتعميم الدعاء لهم ، فلا جرم أن شيمة هذا الفقير الاعتناء التام بالدعاء له باستقامته على إنفاذ أمر التولية ، والعدل في الحكم بين الرعية ، وعدم الجور على أحدٍ من أهل القرية بالميل إلى أحد الجانبين ؛ ولو كان من ذوي القرابة وأوصيه بوصية الله ورسوله ؛ **وهي تقوى الله تعالى في السر والعلانية** ، ويجوز له أن يمتثل أمركم ، ويقبل قولكم ، وأرى رأيكم هذا سديداً ، وظنِّي أن الخير والصلاح والمصلحة ينتشر بسببه إن شاء الله سبحانه .

واعلموا **أن القضاء في هذا الزمان هو الذبح بسكِّين تالفٍ** ، بل السعْيُ في أمور الرسم والعادة سمٌّ قاتل للعلماء ، بل هو أشدُّ من سُمِّ الأفعى ، وقتيلُ هذا السمِّ يموتُ بالموت الأبديِّ ، وإنَّ **صلاح الخلق إنما هو بصلاح الولاة والقضاة ، وفسادهم بفسادهم** ، فإذا كان الأمر هكذا ! ينبغي لكم أيها الإخوان أن تُمَحِّضوه للوعظ والتذكير ، وتنفيذ أحكام الشريعة ، ولا تكلِّفوه بما لا طاقة له به ؛ من السعي إلى الديوان والاختلاط بأهله ، واعلموا أنَّ مصلحة هذا التمحيض راجعٌ إليكم ؛ لا إليه ، ولو كان هلاكُه في سعيه المذكور خاصّاً به فقط لأمرناه بهذا الأمر الآخر ؛ لأنَّ الهالك حينئذ هو نفسه ، وجعلناه فداءً للخلق ، لكن نعلم بالمشاهدة والتجربة أنَّ **الوعظ إذا خرج من قلب صاف يقع في قلب سامعه**

(١) أي : اليعسوبي فلا إشكال . « جامع الرسائل » . (من نسخة أخرى) .

ويقبله ، وإلاَّ ! فيكون كالضرب في حديد بارد ، فرأيكم هذا – أعني تعيينكم له خادماً يقوم بأمر كتبة الأمور الرسمية ، وتخصيصكم إياه بتنفيذ الأحكام الشرعية – أراه حسناً ؛ رزقكم الله عزَّ وجلَّ منه بركة غيرَ زائلة ، ومنكم له بفضله ومَنِّه ، إنّه هو المدبِّر في الأمور والموفِّق للسداد فهذا ؛ والسلام .

وأوصيكم بالدعاء بالاستقامة (الفقير الحقير حسن القحي) .

إجازته إلى إلياس كِلَج الطدي

وكتب قدس سره إلى العالم كِلَج الطدي في إجازته للتدريس ما صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيِّد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه النجباء ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبعد ؛ فقد قال الصاوي رحمه الله : **والحكمة في الإذن : تسهيلُ الأمر وتيسيره** ؛ لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّرٌ ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد ؛ فقد سَهُلت له الطريق وتَيَسَّرت ، ومَن لم تحصل له الإجازة ، وتصدَّر بنفسه ؛ فقد عطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق . انتهى .

وقد قيل : إنه – أي : طلب الإذن – مسنون ، وقد ذهب بعض الكفاة إلى أنه فرض كفاية ، وذكروا له أصلاً من الآية والحديث ، ولأجل هذه المذكورات أَجَزْتُ أخانا في الله العالم المرجوَّ للاستقامة إلياس ؛ الملقب بـ « كلج الطدي » للتدريس في العلوم العقليَّة والنقليَّة ، وتعليمها للتلامذة ؛ رجاء أن يصل إليه وإلى جميع مَن يأخذ منه العلوم بكلا نوعيه[1] فيوض صاحب لواء الحمد عليه السلام بواسطة أكابر العلماء المتقين .

---

(١) العقلي والنقلي .

سند المؤلف في العلوم

وسندي في العلوم هذا المذكورُ بعدُ :

سنده إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه

قد أجازني فيها الشيخ سيف الله الحسيني قدس سره ، وهو أخذ الإجازة عن الشيخ زين الله الشريفي المعموري ، وهو عن داملاً أحمد بن خالد المنكاري القزَّاني ؛ عن مولانا قاضي كَلاَن في بخارا ، ومَلاَّ المولوي محمد شريف السيد مصنِّف « التكملة » على « التتمة » ، وعن مولانا داملاَّ حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ عن هادي خواجه ، وهو أخذ عن أخوند فيض ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن السيد محمد شريف الحسيني ؛ عن أخوند يوسف القراباغي ، عن مرزاجان الشيرانيّ ، عن خواجه جمال ، عن المحقِّق الدواني الصديقي ، عن أبيه أسعد الصديقي ، عن السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن أبي نصر ، عن العلامة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي ، عن فخر الدين الرازي ، عن أبي نصر السمناني ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، عن الإمام الغزالي ، عن إمام الحرمين ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيِّب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحاق المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سُرَيج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزَني ، عن الإمام الأجلّ أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام الأعلم مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ، عن النبي الأميّ محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

هذا سند العلوم في مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه .

سنده إلى الإمام الأعظم رضي الله عنه

ولنا أيضاً إجازة مستندة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ، ومنه إلى حمَّاد ، عن النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

شرط الأهم في الإجازة

والشرط الأهم في وصيَّتنا الاستقامة ، وترك الدعاوي ، وأن يقول فيما لا يدري : (لا أدري) ، وأن لا يرى نفسه على أحد مَّا من التلامذة ، بل من كلِّ واحد ، ويخشع ، وأرجوه أن يكون التدريسُ والتعليم أعزَّ لديه من حلاوة العسل المُصَفَّى ، والإفادة للطلبة أحلى عنده من السكر ، وأن يلازم على وظيفة نشر العلم في الليالي والأيام ، وأن لا يتكاسل للإفادة لمن أراد . وفَّقه الله تعالى لمرضيَّاته . آمين ، فهذا ؛ والسلام ، وأوصيه بالدعاء ، **وله الإذن مني لإجازة مَن شاء متى شاء بعد علمه وَرَعَه وصلاحيَّتَه** ، والله وليُّ التوفيق .

وأنا الفقير حسن القحي الهدلي رحم الله إفلاسه ، ولتصديقها ختمتُ بخاتمي :

إجازته لعامر الهندخي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل عامر أفندي الهندخي في إجازته للتعليم ما صورته :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه الأمناء .

أما بعد : فإن العلم أقوى سبب يتوسَّلُ به العاقل اللبيب إلى الكمالات ، وأسنى طريق يسلكها الفاضل الأديب إلى معرفة ربِّ الأرض والسماوات ، وإنَّ الإسناد في العلوم من أجلِّ ما به يُعْتنى ، وأنفس ما يُدَّخر ويُقْتنى ، لكونه – كما قيل – من الدين ، وسنناً مأثوراً للسلف والخلف المهتدين ، فلهذا أظهرت الإرادة والاعتناء للسلوك في طريق التدريس والتعليم من الحسيب الصالح الميمون ؛ والطالب الكامل الورع الممنون عامر أفندي الهندخي الداغستاني كان الله له حيث يكون ، ولَطَف به في كلِّ حركة وسكون ، ولذلك أردت أن أجيزه في تعليم العلوم العقلية والنقلية مع بيان الأسانيد كما أجازني به مشائخنا .

شرط الإجازة

فأجزته لذلك بالشرط المعتبر لدى أهله ؛ وهو كمال التثبُّت والتحرِّي ، وأن يقول فيما لا يدري : (لا أدري) .

وَلي في جميع العلوم مشائخُ أجلَّةٌ ، هم في سماء المعارف نجوم وأهِلَّة ، فلله الحمد والمنة ، وله الشكر على هذه النعمة .

أسانيده في العلوم الفقهية إلى الإمام الأعظم رضي الله عنه

وسأذكر هنا الأسانيد : إني أخذتُ الإجازة في العلم الظاهري ؛ كما أخذتها في الطريقة الشاذلية من قطب الإرشاد العارف بالله السيّد الشريف سيف الله الحسيني النقشبندي الشاذلي القادري الأويسيّ الغازي غموقي النِّزَبكري أطال الله بقاءه وأفاض علينا فيضه وبركته ، آمين .

وهو أخذ من شيخه ذي المواهب زين الله الشريفي المعموري ، وهو أخذ العلم الظاهري عن داملا أحمد ابن خالد المنكاري الغزاني ، وهو عن مولانا قاضي كلان في بخاري وملا المولوي محمد شريف السيِّد مصنِّف « التكملة على التتمة » ، وعن داملا[1] حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو عن هادي[2] خواجه ، وهو أخذ عن أخوند فيض ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن السيد محمد شريف الحسيني ، عن أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال ، عن المحقق الدواني الجلال الصديقي ، عن أبيه أسعد الصديقي ، عن المحقق السيد الشريف علي الجرجايني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن العلامة قطب الدين محمود الشيراز ، عن الكاتبي ، عن فخر الدين الرازي ، عن أبي نصر السمناني ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، وهو عن الإمام حجة الإسلام الغزالي ، عن إمام الحرمين

(١) وداملا حسن أخذ أيضاً عن ميرك خواجه ، وهو عن عطاء الله .(منه) . (من نسخة أخرى) .
(٢) وهو المشهور بإيشاذ أستاذ .(منه) . (من نسخة أخرى) .

الجويني ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحاف المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سريج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزني ، عن الإمام الأجل أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ، وهو عن الإمام الأعلم مالك رضي الله عنه ، وهو عن نافع رضي الله عنه ، وهو عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو أخذ عن النبيِّ الأمي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وجلال الدين المحقِّق الدواني أخذ أيضاً عن محيي الدين الكشكناري ؛ وهو عن مظهر الدين محمد الكازروني ، وهما أخذا من السيّد الشريف ، والسيد الشريف أخذ الفقه والعلوم النقليَّة عن شارح « الهداية »[1] الشيخ الكامل أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرلي ، وهو عن قوام الدين محمد بن محمد الكاكي[2] ، عن حسام الدين السغناقي ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري ، عن صاحب « الهداية » علي بن أبي بكر ، عن أحمد بن عمر النسفي ، عن أبيه ، عن أبي اليَسَر محمد البزدوي ، عن أبي يعقوب يوسف السبياري ، عن أبي إسحاق التوقادي ، عن الهندواني ، عن أبي القاسم الصفَّار ، عن نصر بن يحيى ، عن محمد بن سَمَاعه ، عن أبي يوسف ، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ، عن حمَّاد ، عن النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم .

طريق أخرى فقهية

وأيضاً أخذ شيخُ شيخنا زين الله المذكور العلم الظاهري ، كما أخذ العلم الباطني من الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، وهو أخذ عن السيد

---

(١) وصاحب « الهداية » أخذ عن أحمد بن عمر النسفي ، وعن أخي أبيه : أبي اليسر محمد البزدوي . (منه . هامش الأصل) .

(٢) عله : السكاكي . (من نسخة أخرى) .

أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني ، وهو عن محمد ابن عابدين ، وعن أحمد الطحطاوي ، وسندهما مذكورٌ في ديباجة « الدر المختار » ، وأخذ الإمام علي البزدوي ؛ عن السرخسي ، وهو عن الحَلواني ، عن القاضي علي النسفي ، عن أبي بكر محمد بن الفاضل البخاري ، عن الإمام أبي عبد الله السبذموني – هي قرية من قرى بخارا – عن أبي حَفْص البخاري ، عن أبيه ، عن الإمام محمد ، عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنهم .

سند العلوم العقلية والفقه

والسند في العلوم العقلية والفقه إلى المحقق جلال الدين الدواني الصدّيقي خواجه جمال مرزاجان الشيرازي ، أخوند يوسف مولوي شريف أخوند شيخ المولوي فيضي هادي خواجه المشهور بـ (إيشان أستاذ) ، ابنه خواجه عطاء الله ، ابنه محمد شريف قاضي مصنِّف « التكملة » ، داملاَّ حسن أخوند ، داملاَّ أحمد المنكاري ، داملاَّ زين الله الشريفي المعموري ، السيّد الأمير سيف الله الحسيني المومى إليه من قبل ، خادمُهم الحقير حسن بن محمد القحي الهدلي النقشبندي الشاذلي رحم الله إفلاسه .

وقد أجازَ الولد المذكور عامر أفندي بما ذكر في هذا الثبت ، وثوقاً بعلمه وأمنه وأمانته وورعه ، وحُسْن خلقه وحلْمه ، كما أجازه المشائخ الكرام ، والعلماء الأعلام ، اللهم اجعلنا في بركاتهم ، ونفع الله به وبنا العباد بحرمتهم ، ورزقه وإيانا الاستقامة الكاملة والمتابعة التامَّة . وأوصيه بتقوى الله في السرِّ والعلانية ، وعدم التسامح في الرابطة الشريفة ؛ ولو مرَّة في اليوم والليلة ، وعدم خلوّه عن إتيان الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ولو مائة مرة في المَلَوين ، وإن زاد إلى ثلاثمائة منها ؛ فهو مطلوبٌ مرغوب ، بل هو له محمودٌ ومحبوبٌ ، جعله الله تعالى في زمرة الأولياء .

إجازة في المداواة الروحية

وأجزته أيضاً أن يكتب لكلِّ داء ومرض سورة الفاتحة مقطَّعة الأحرف بلا طمس للحروف ؛ محواً وتعليقاً ، وأن يقول بحضرة المريض (يا سلام) (١٢٠ مرة) نافثاً عليه من ريقه بعد قراءة العدد المذكور .

وأوصيه **بنفي الوجود ، والوفاء بالعهود ، والقناعة بالموجود ، والتوكُّل على الربِّ المعبود** ، وتصحيح العقيدة على وفق أراء أهل السنة والجماعة ، وأن لا ينساني ومشائخي وأولادي وأصحابي ووالديَّ من صالح الدعوات ، خصوصاً بحسن الخاتمة ، وبترك الدعاوي الكاذبة ، **ودوام رؤية القصور في الأعمال ، وبإخلاص النية ؛ فإنها هي روح العبادة** ، وبقراءة هذا التسبيح ؛ ولو مرَّة في الليل والنهار : (سبحان الله وبحمده عددَ خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، كلَّما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون) وفَّقه الله تعالى وإيانا لإدامة الأعمال الصالحات ، والعمل بالعلم بحسن النيات ، فهذا ؛ والسلام ، الفقير الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي النقشبندي الشاذلي .

إجازة مشروطة بقوله (لا أدري) فيما لا يعلمه

وكتب قدس سره إلى . . . . . .[1] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إن هذا الفقير الحقير لما صادف مَن يقصدكم ويلقاكم ؛ أراد أن يوصل إليكم التحية والسلام ويوصيكم بخير الدعاء ، أدامكم الله على الصحَّة والعافية ، وأذاقكم لذة اللقاء والمشاهدة .

ثم اعلم أيها الأخ القريب البعيد ؛ أن هذا الأقلَّ من كلِّ قليل قد أجازكم فيما كنتم طلبتموه مني بالإشارة بعد الاستخارة وحصول الاطمئنان ، وانشراح الصدر ، **لكن بشرط أن تقول في كلِّ ما لا تدري (لا أدري)** . جعلكم الله من أهل الاستقامة . آمين .

وقد أمهلت في هذه المرَّة أمر كتابة الصكِّ لذلك الأمر المعلوم ، ولعلَّ الله تعالى يوفِّقكم لما فيه رضاه ، ويبلِّغكم إلى ما اقترحتموه ، ويهديكم إلى اتباع السنة . والسلام . انتهى من خطه قدّس سرّه .

---

(١) بياض في الأصل قدر أربع كلمات .

مكتوب لليعسوب يستشيره في إجازة

وكتب إلى أكبر أولاده المعنويين محمد اليعسوبي قدّس سرّه ما لفظه : إلى ولده محمد العسلي : سلام عليكم وبعد فإني أريد أن تستخير الله تعالى في إعطاء الإذن للعالم عبد الجليل القلزمي ، فإنه رجلٌ مستقيم لا يشتغل بشيء مَّا سوى اشتغاله بأوراده ومراقبته ، **وإني لا أثق بنفسي ؛ ولو في أدنى شيء إلا إن شهد لرأيه أمثالكم** ؛ فافهم ، والسلام . انتهى .

مكتوب آخر في التحذير من الوعظ قبل أوانه

وكتب قدس سره إليه : وعليكم السلام أيها الولد .

ثم اعلم **أن التصدُّر للوعظ قبل أوانه شيء خطير ، إلاّ أن تعليم آداب الطريقة أرجو أن يكون فيه خيرٌ كثير** ، والأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر واجبٌ على كلِّ واحد ، بل هو من الأعمال المتعدِّية ، ويجوز لك إن شاء الله تعالى أن تنصح لمن طلب النصح ، والعالم والحاج بُدُنْ طبعُه كذلك ، فماذا نفعل ؟ ولو أنه ينصح للخلق لكان لهم منه البركة العامة ؛ لأنه قد وضع قدمه في الولاية وذاق طعماً من أحوال القوم ، **فكلامه شفاءٌ للناس ، إلاّ أنَّه لما كان أستاذي في العلم الظاهر أستحي منه أن آمره بشيء ، أو أنهاه عن شيء** . فافهم ، والسلام من والدكم المعنوي حسن .

مكتوب يأمر فيه بالاستخارة للإجازة

وكتب إلى ولده المعنوي اليعسوبي قدّس سرّهما ما حاصله : السلام عليكم أيها الولد العزيز محمد .

وبعد : فكونكم على الاستقامة هو المراد والمسؤل من الله تعالى ، ثم إني أريد منك أن تستخير الله تعالى مرَّاتٍ في حقِّ إجازة محمد بن حسين العوري المقيم حالاً في « غزانش العليا » ، وتُوصلَ إليَّ ما رأيت في المنام ؛ لأني أريد أن يكون في السهل مأذوناً من جهتنا لأجل توسيع دائرة الطريق . فافهم ، والسلام ، وأوصيك بالدعاء .

وهذا من الأسرار المخصوصة بنا ؛ فلا تُفْشه لأحد . انتهى .

جواب لمن سأله الإذن لقراءة « دلائل الخيرات »

وكتب إلى العالم كِلَج الطدي جواباً لكتابه الذي يطلبه فيه الإذن لقراءة « الدلائل » : أخي في الله كِلَج ؛ السلام عليكم ولن يَتِرَكم أعمالكم .

أما بعد : فشرط قراءة « دلائل الخيرات » التلقين من الأستاذ أوَّلا ، ثم تعليم كيفية القراءة ، وإن كنت أردت قراءتها كيفما كان ؛ فلك الإذن لذلك ، **لكن البركة في قراءتها بعد التلقين .**

هذا ؛ **وإن شيخنا العسلي قدس سره لم يأذَنْ هذا الحقير لقراءتها إلا بعد المراقبة ، وقال : إن الصلاة على النبي ﷺ ألف مرة خيرٌ من قراءة « الدلائل » بالتمام .**

وقلتُ له مرَّة : إني أريد قراءتها ؛ لتكون عوناً لي على حصول نتيجة حبس النفس ! !

فقال : **إن حصول النتيجة منوطٌ بتركها وترك غيرها ، والاشتغال بحبس النفس على الدوام** . فافهم ، والسلام ، والوصية بالدعاء . ونحن في صحَّة . انتهى من خطه قدس سره .

إجازته للشتوطي

وكتب إليه قدّس سرّه شيخنا وأستاذنا العالم الفاضل محمَّد الشتوطي - حفظه الله - يطلب منه الإجازة لقراءة الأحزاب ، ولتعليم العلوم و . . . إلخ ؛ فكتب قدّس سرّه في جوابه :

وعليكم السلام أيها الأخ المحبوب المحترم العالم القاضي محمد أزيَدَ مما أرسلتَ إليّ بألوف ، فقد وصل إليّ مكتوبكم مع الهدية المقبولة ، وفهمتُ مضمونه ، فَلَكَ مني إجازة تامَّة مطلقة ؛ لقراءة حزب البر ، وحزب البحر ، وحزب النصر للإمام الشاذليِّ ، وكذا لقراءة حزب الإمام النووي قدس الله أسرارهم .

وقد أجزتك أيضاً في تعليم العلوم النقلية والعقلية وتدريسها ، بيدَ أني معذورٌ في الحال لكتبة الأسانيد ، ولعل الله تعالى يوفقني لكتبتها وقتَ الفراغ ، وأرجوك أن لا تلومني . . . إلخ .

ثم إني - إن شاء الله تعالى - أنظر إلى الطبقات وغيرها ، وأكتبُ إليكم ما بدا لي في إتيان لفظ السيادة ، فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . الحقير حسن حلمي القحي سامحه الله من فرطاته آمين . حرر في ٢٢ من رمضان سنة ١٣٤١ .

تذييل على إجازته السابقة

ثم إن أستاذنا الشتوطي المذكور وفقه الله كتب بخط يده جميعَ تلك الأسانيد ، فكتب قدس سره في ذيل كلِّ إسناد من تلك الأسانيد إجازته بخط يده المباركة ، وأذن له أن يجيز هو أيضاً من رآه أهلاً لذلك من أهل الخير والصلاح ، وأوصاه بالتقوى ، واتباع السنة ، ومخالفة البدع والهوى ، وبأن لا يتعارف بالمجهول ، ويتجاهل بالمعروف ، ويطلب في الكلِّ مرضاة الله تعالى ، وأن لا ينساه ومشائخه في الدعواته ، ودعا له باللهم فقهه في الدين آمين .

توثيق الثبت

ثم كتب قدس سره بذيل الثَبَت الذي كتبه الأستاذ المذكور من خط الأستاذ السيد سيف الله الغزي غموقي ، وهو الثَبَت الذي أخذه السيِّد المذكور عن شيخه ذي الجناحين أبي المواهب عبد الرحمن زين الله النقشبندي الشريفي المعموري ، وهو عن السيّد محمد علي بن ظاهر الوَتري المدني ، وبما فيه أجاز السيف المذكور أستاذَنا الحقيّ النقشيَّ الخالديَّ قدس الله أسرارهم ما لفظه :

نصُّ الإجازة

وأنا الحقير الفقير حسن حلمي ولد محمد القحي النقشبنديّ الشاذلي رحم الله إفلاسه آمين : أَجَزْتُ الأخ الصالح العالم محمد الشتوطيَّ في جميع ما في هذا الثبَت ، كما أجازني أشياخي ، وفقه الله تعالى للتعلُّم والتعليم ، وإرشاد الخلق إلى السداد آمين ، وأوصيه بتقوى الله تعالى في السرّ والعلانية ، وبالدعاء لي ولأولادي في الأوقات المستجابات . فهذا والسلام . . حرر في ٢١ من ربيع الأول سنة ١٣٤٢ .

ثمَّ إنه أجازه أيضاً خليفة الحلمي الثاني حميد أفندي - حفظه الله تعالى كهفاً للأنام وأماناً من الظلام ، آمين - بما لفظه بخط يده المباركة الكريمة : وأنا الحقير هطنو محمَّد الهندخي أجزت له في ذلك كله . حرر في ٣٠ محرم سنة ١٣٧٠ . انتهى من خطه .

إجازته لمرتضى البوني

وكتب قدس سره في إجازة العالم الفاضل مرتضى علي البوني(١) ما صورته :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيّد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه النجباء ، وحسبنا الله ونعم والوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم .

أما بعد : فقد قال الصاويُّ : **والحكمةُ في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره** ، لأنَّ الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّر ، فإذا حصل الإذن سَهُل وتيَسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد ؛ فقد سهلت له الطريقُ ، وتيسَّرت ، ومَن لم تحصل له الإجازة ، وتصدّر بنفسه ؛ فقد عَطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق . انتهى .

---

(١) المُنُوي . (من نسخة أخرى) .

وقد قيل : إنَّه – أي : طلب الإسناد – سنَّةٌ صحيحة ، وذهب بعض الكفاة إلى أنَّه فرض كفاية ، وذكروا له أصلاً في الحديث والآية ، ولأجل هذا أردتُ أن أجيز أخانا في الله لله بالله العالم المشهور المرجوّ للاستقامة مرتضى علي المُنُوي[١] – جعله الله تعالى من العلماء العاملين آمين – بجميع ما أجازني به مشائخنا في العلوم العقلية والنقلية ، رجاء أن يصل إليه وإلى جميع مَنْ يأخذ عنه العلوم قطرة من قطرات فيوض صاحب لواء الحمد ، عليه وعلى آله التسليمات ، بواسطة أكابر العلماء السادات القادات .

بيان سنده في الإجازة

وسندي فيها على هذا الترتيب الآتي : قد أجازني في جميع العلوم العربية وعلوم الأحاديث والتفاسير وغيرها من العلوم العقلية والنقلية شيخُنا وسَنَدنا **سيفُ الله الحسيني الغازي غموقي** النزبكري النقشبندي الشاذلي القادري أبلَّ الله مرقده بلطفه الخفي آمين .وهو أخذ الإجازة عن شيخه زين الله الشريفي وهو عن داملا أحمد بن خالد المنكاري القزاني عن مولانا قاضي كلان في بخاري وملا المولوي محمد شريف السيد مصنف « التكملة على التتمة » وعن مولانا داملا حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ من هادي خواجه ، وهو أخذ عن أخوند فيضي عن أخوند شيخ عناية الله البخاري عن السيد محمد شريف الحسيني عن أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال عن المحقق الدواني الجلال الصديقي عن أبيه أسعد الصديقي عن السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمَّد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي عن العلامة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي عن فخر الدين الرازي ، عن أبي نصر السمناني ، عن محمد بن يحي النيسابوري ، عن الإمام الغزالي عن إمام الحرمين ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن

(١) سبق أول المكتوب أنه البوني ! ! فليحرر .

محمد أبي الطيب الصّعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصّعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحق المرورني ، عن أبي العباس أحمد بن سريج عن أبي القاسم عثمان الأنماطي عن إسمعيل بن إبراهيم المزني ، عنِ الإمام الأجلّ سيدنا أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام الأَعْلم مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، عن النبي الأمّي المصطفى ﷺ . هذا سند العلوم في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ولنا أيضاً إجازة مستندة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه ، ومنه إلى حمَّاد ، إلى النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ . وله منّي إجازة من هذه الجهة ، بيد أنِّي معذورٌ في الحال لكتبة صكّ الإجازة بالتمام بذكر جميع الكتب لضيق الوقت ، وله أن يجيز بما شاء متى شاء لمن شاء ، وفقه الله تعالى للتعليم والتدريس وجعله من العلمآء المتقين ، وأوصيه بالدعآء لي ولأولادي الصلبيّين والمعنويّين ، فهذا ؛ والسلام .

وأنا الفقير الحقير حسن حلمي القحي النقشبندي الشاذلي القادري سامحه الله من فرطاته . آمين .

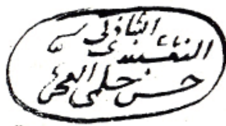

حرِّر في ٢٧ يوم الجمعة سنة ١٣٤١

مكتوب إلى شمخال الههاپلي

وكتب قدس سره إليه[1] وإلى تلميذه العالم شمخال الههاپلي ما حاصله مختصراً :

إلى ذلك العالم أخينا في الله لله بالله شمخال الههاپلي ، وأستاذه العالم المتورِّع القاضي مرتضى علي المنوي : السلام عليكم . . إلخ .

(١) أي : إلى عالم مرتضى علي المنوي .

أما بعد : فنسأل الله لكم العفو والعافية والتوفيق والاستقامة ، كثّر الله أمثالكم في أقطار الأرض ، وزاد الله أعماركم ، وألهمكم الرشد والهداية . آمين . وقد بلغ أخاكم الدَاعِيَ لكم بالخير أحوالُكم وأخبارُكم فَزَاد الفرح والسرور ، وزال عنه القبض والفتور ، وقد حَمدْتُ الله تعالى على نجاتكم من هذه الفتن التي عَمَّتْ على العالم كالطوفان ، نجّاكم الله من أمثالها بعد الآن . ومن المعلوم المتيقَّن عند أهل البصيرة **أنَّ الظلمة في الدنيا والزبانية في العقبى على حدٍّ سواء** ؛ من حيث أنهم لا يظلمون إلا بقدر ما يستحقُّه الناس بأعمالهم . وقد قال عليُّ الخواصُّ رضي الله عنه : والله لو تولّى الخضرُ عليه السلام ، أو القطب شيئاً من ولايات هذا الزمان لما قدر أن يفعل مع الناس إلاَّ ما يستحقُّونه بأعمالهم . انتهى ، وحديث : « إنَّما هيَ أعمالكم تردُّ عليكم » شاهد عدل على قوله رضي الله عنه ، وهذا هو الزمان الذي كنا نحذِّره في قول كعب وابن مسعود رضي الله عنهما : لو دام هذا لم نَبْكِ بميت ولم نفرح بمولود . وقد كتبتُ إليكم كلماتٍ لتكون باعثة للتذكر ، وأرجوكم أن لا تنسوا أخاكم في الدعوات ، وأن لا تغفلوا عن الله بالكلية ، فإنَّ الغفلة عن الله من أعظم الذنوب عند أهل الله ، وأن تدوموا على التعلُّم والتعليم ؛ ففضل العالم على العابد كفضل النبي عليه السلام على أدنى الأمة ، وأَخْلِصُوا في التعلّم والتعليم ، فإن ذرة واحدة من الإخلاص خيرٌ من ألوف من الأعمال المشوبات ، كما هو معلومٌ لديكم ، **واعلموا أنَّ بُعْد الأشباح لا يضرُّنا بعد أن حصل القربُ بالأرواح** ، وحديثُ « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » شاهد على ذلك ، جمعنا الله تعالى وإيَّاكم في دار السلام ، وجعلنا من أهل معرفته ومحبَّته ، فإنه على ذلك قدير ، والسلام عليكم وعلى جميع مَن يصطلي بناركم من المؤمنين والمؤمنات . انتهى من خطه قدس سره .

إجازته للإنخوي بحزب النووي

وكتب قدس سره إلى الحاج موسى الإنخوي يجيزه لقراءة حزب الإمام النووي رحمه الله ما حاصله :

من الفقير الحقير الأقلِّ من كلِّ قليل حسن القحي إلى ذلك الأخ المقبول المحبوب الحاج موسى ؛ سلام عليكم .

أما بعد : فقد بلغنا تسليماتكم وتحيَّاتكم ، وأوصل إلينا تحفكم وهداياكم فجزاكم الله . . . إلخ : **وليس لنا شيء نأنسُ به سوى تذكار أخبار الأحباب أمثالكم من أولي الألباب** ، فإن سألتم عنا ؛ فللّه الحمد والمنَّة ، ما لنا ولأحبابنا ما يحصل به القبض من جهة هذه الفانية ، **بيد أن النفوس على جموحها المألوف ، فنطلب من جنابكم الدعاء بحصول التوفيق والاستقامة** .

ثم اعلم أيها المخدوم المكرَّم ؛ **أن حزب قطب الوجود الإمام النووي**[١] رضي الله عنه من أعظم الأحزاب الواردة المأثورة ، وأكثرها نفعاً وبركة ، وقد شرحه كثير من الأكابر الأعلام ، ولذلك كان غالبُ مشائخنا الخالديّين يستعملونه ويداومون على قراءته ، وهو هذا : باسم الله ، الله أكبر ؛ الله أكبر ؛ الله أكبر ، أقول على نفسي وعلى ديني . . إلخ . . وهو مكتوب بهامش « دلائل الخيرات » ، وليس بطويل ، وقد قال الشيخ القطب جمال الدين يوسف قدس سره ؛ عن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي قدّس سرّه :

مطلب مهم

من واظب على قراءة حزب الإمام النووي رحمه الله تعالى بعد الصبح والمغرب ، أو بعد الصبح والعشاء لا يقدر أحدٌ أن يتصرَّف فيه ؛ لا مِنْ أهل الظاهر ، ولا من أهل الباطن ؛ أرباب القلوب المتصرفين بالحق ، ولا من أهل الظاهر أهل الشطارة والسحر ، والمكر والحرب ، والخصام والعداوة . انتهى .

---

(١) ومن شروحه شرح العلامة المدابغي . (من نسخة أخرى) .

كذا نقله شيخنا سيفُ الله الحسيني الغازي غموقي قدّس سرّه من « مطالع المسرات » .

ويقرأ كلَّ يوم مرة ، فلكم الإجازة مني أيها المأمون لقراءته ، لعلكم تفوزون بخواصِّه ، وفقكم الله تعالى .

سنده

وأنا أبيِّن لكم سلسلته إلى الإمام النوويّ رحمه الله تعالى :

الإمام النووي ، الإمام ابن الخباز ، الشيخ زين الدين الصافي ، الشيخ البرهان زين الدين القباني ، الشيخ البدر الغزي ، الشيخ النجم الغزي (ولد البدر) . الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري ، الشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبري الكبير ، الشيخ محدِّث الشام محمد الكزبري (ابن الشيخ عبد الرحمن المذكور) ، الشيخ مولانا خالد السليماني قدس سره ، الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني ، الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، الشيخ العارف زين الله الشريفي ، الشيخ العارف سيف الله الباشلاري الحسيني النثبكري الغازي غموقي ، الفقير الحقير حسن القحي ، وهكذا أرويه بهذه الرواية ، وقد كتبته إليكم لتَعْلَم آباءكم المعنوييِّن في هذه السلسلة ، وتستفيضَ بذكر أسمائهم أحياناً . فافهم ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه .

جواب في دعاء الاستخارة

وكتب قدّس سرّه جواباً لمن طلب منه كيفية الدعاء بعد صلاة الاستخارة عند القوم[1] :

وأما كيفية ما يقرأه هذا الحقير بعد صلاة الاستخارة على ما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » هذه :

(١) وفي نسخة : بهامش مواقف السادات للسيد سيف الله قدّس سرّه على ما كتبه في كيفية الاستخارة .

اللهم ؛ إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنَّك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنتَ تعلم أنَّ أموري ، وأقوالي ، وأفعالي ، وأحوالي ، وحركاتي وسكناتي ، وأقوال الخلق ؛ وأفعالهم وأحوالهم ، وحركاتهم وسكناتهم من أجلي خير لي في ديني ودنياي ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ؛ عاجله وآجله ، فاقدرْه لي ويسِّرْه لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أنَّ أموري وأقوالي ، وأفعالي ، وأحوالي ، وحركاتي ، وسكناتي ، وأقوال الخلق ؛ وأفعالهم ، وأحوالهم ، وحركاتهم وسكناتهم من أجلي شرٌّ لي في ديني ودنياي ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ؛ عاجله وآجله ؛ فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقْدُرْ لي الخيرَ حيث كان ، ثم رضِّني به . انتهى . ولا أدري هل يرضى المؤلّف[1] المحترم رحمه الله تعالى ، ورزقنا فيضه وبركته على هذا أم لا ! ! (الحقير القحي)[2] .

---

(١) هو الشيخ سيف الله قدس سره (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة زيادة هنا :

مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه إلى ولده مُحَمَّدْ حَج في حقِّ خطبة زوجته الثانية لما وقع في قلبه شيءٌ من ذلك : إلى ولدي محمّد حج . .إلخ .اعلم أيها الولد أني أُظْهر لك سرِّي – وإن كان إفشاء سرِّ الربوبية كفراً وجحوداً – أنَّ سبب خطور خطبة تلك الزوجة ؛ أني كنت لدى زوجها المرحوم وقت النزع ، فلما انقطع نَفَسُه صعب عليَّ فراقه وموته جدّاً ، فنادى الهاتف على لطيفة سرِّي بالعجمية ألفاظَ : (هيْك دُصَّكُ يَجِن) . انتهى . فهوَّن ذلك مَوْتَه على قلبي فكان هذا الخاطر يتردَّد في الصدر ، وأتفكَّر أنه لو وَقعَ الأمر وفق نداء الهاتف كان حسناً ، بيد أنِّي كنت أخاف أن يكون شيطانيّاً لا إلهيّاً ، لأنه لا ثقة بخواطر غير المعصوم ، كما قالوا .

ثمَّ إنِّي رأيت مرة . . إلخ ، ومرة أخرى كأني وإياها مضطجعان في فراش ، وعندنا القاضي أصحاب علي يجمع عورتَيْنا بيده . ومرة . .إلخ ومرة . .إلخ . فاستخرت الله تعالى في ذلك مراراً ، فرأيت مرة كأن الديك الأبيض في يدي . وقد قال ﷺ في حقِّه « إنه حبيبي وحبيب حبيبي جبرائيل » ، وهو أيضاً دليل الخيرات ويوقظ الناس من السِنات ، ويقول في صوته : اذكروا الله .

ورأيت مرة أخرى بعد الاستخارة كأني قاعد بين النبات الأخضر وأنا . .إلخ . وكان في الدعاء في شق الخير : (وأرني بياضاً أو خضرة أو ماءً جارياً) .

تذييل على الاستخارة

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه :

وعليكم السلام ؛ فأنت تفعل بعد الاستخارة ما خطر ببالك في حق . . إلخ ، فلعلّ الله تعالى لا يُخسر ميزان سعيك ، وتوكَّل على الله ، ومَن يتوكل على الله فهو حسبه ، وأطع الله ، وكما تطيع تطاع ، فإنَّ الإنسان كظلّ الشاخص ؛ إن استقام يستقيم الظلُّ ، وإن اعْوجَّ يعوجُّ . فافهم .

ولا علم عندنا فيما يأتي من عواقب الأمور . (وأنا حسن) .

جواب في استشارته في تولية القضاء

وكتب في جواب مَن سأله عن قبول تولية القضاء : وعليكم السلام . . . إلخ ، وأما أمر القضاء ! ! فهو موكول إليك ، وصاحبُ الدار أدرى بما فيها ، فافعل ما انشرح إليه قلبُك بعد الاستخارة ، ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ ويحصِّل لك في المقدور خيراً . والسلام .

ومرة أخر استخرت الله تعالى **بواسطة محمود أفندي** قدس سره فقرئ ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ ، ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ الآية ، ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ الآية ، وبعد ذلك استخرت بواسطة شيخنا العسلي قدس سره ، فقرئ كما ذكر بلا فرق . واستخرت مرة أخرى فقرئ ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ ، ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الآية ، ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ .
فأوَّلتها كلها إلى الخير ، فعرضت عليها ذلك بالإشارة ليكون سبباً لقطع الخاطر كيفما وقعت عاقبة الأمر ، وقلت لها : إنْ رأيتِ ذلك حسناً فذا وإلا فنحن نحمد الله على كلّ حال ، ولا نبتئس بذلك أصلاً .
هذا ما وقع ، وبعدَ ذلك تتابع الناسِ فيه ومضغوه علكا في أفواههم . والعجب أنها تقول أنها لم تظهر الأمر ولو لأختيها ، فضلاً عن غيرهما . وقد كنت رأيت في بعض كتب الحديث ما هذا معناه « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يتكلّمون على لسان الخلق » والله أعلم . انتهى مختصراً .
الحديث « إن لله ملائكة في الأرض تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشرّ » الديلمي عن أنس . « الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة » عبارته للسيوطي رحمه الله .

الباب الثامن

في الحث على الصبر على المصائب والبلايا ، وبيان فوائدها ، وفيه بعض التعازي .

تعزية العرادي في فقد بصره

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل والسالك الكامل أدرة العرادي رحمه الله : وعليكم السلام ؛ أيها الأب العالم أدرة ، أزيد مما أرسلت إليَّ ألفَ مرة .

أما بعد ؛ فقد أخبرني ناس أنه قد انقطع نور بصرك ، وضعف ضياء عينك ، فالحمد لله على كل حال ، والآن أحببتُ أن أكتب إليكم كلمات أَوْرَدَها إمامنا الإمام الرباني قدس سره في « مكتوباته » لتكون مؤنسة لك في وحشتك ؛ قال قدس سره في المكتوب ٦٤ من الجزء الأول في ص ٧٦ :

لَذَّة الدنيا وألمها

واعلم أن لذَّة الدنيا وألمها على قسمين : جسماني ، وروحاني ، **وكلُّ شيء فيه لذَّة للجسم فيه ألمٌ للروح** ، وكلُّ شيء فيه ألمٌ للجسم فيه التذاذ للروح ، فالروح والجسم ضدّان ، وفي هذه النشأة التي تنزلت[1] الروح فيها إلى مقام الجسم وتعلَّقت به اكتسبت حكم الجسم ؛ فصارت تتلذُّذُ بتلذّذه ، وتتألّم بتألمه ، وهذه هو مرتبة العوام كالأنعام ، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ صادق في شأنهم ، **فآهاً ألف آهٍ لو لم تخلص الروح من هذا التعلق ، ولم ترجع إلى وطنها الأصليّ** ، شعر :

ومرتبة الإنسان في آخـر الورى ... لـذلـك مـن عـز الـحضور تَأَخَّرَا

فلو لم يَعُدْ مِنْ بُعْده واغتـرابـهِ ... فلا شيء محرومٌ كإنس من الورى

---

(١) وفي نسخة : نزلت .

والروح من مرضها تزعم ألمها لذَّة ، وتظنُّ لذتها ألماً ، ومَثلها مثل الصفراوي ، حيث لم يجد الحلوَ بواسطة علّة الصفراء مرّاً ، **فالفكر في إزالة هذا المرض لازم للعقلاء حتى يغشاهم الفرح والسرور في الآلام والمصائب الجسمانية .**

من أجل هذا العيش والمعيشة لا بد من شق المرائر يا فتى

فإن لُوحظ ملاحظة جيدة ؛ لتبين أنه لو لم يكن الألم والمصيبة والمرض في الدنيا ؛ لما تساوى بشعيرة ، **فإن الوقائع والحوادث هي التي تزيل ظُلْمَتها ، ومرارة الحوادث مثل مرارة الدواء النافع المزيل للمرض** . انتهى[1] عبارته .

فلعلك أيها الأب المرجوُّ للاستقامة ؛ أن تأخذ من هذه الألفاظ معاني كثيرة في جميع ما أصابك ، وبضيق الوقت لكتبة ما في الخاطر اقتصرت على هذا . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . الفقير الحقير الداعي لكم بالخير حسن .

مكتوب إلى العوري تعزية بولده

وكتب قدس سره إلى العالم السالك حسين المحمد العوري ما صورته ملخَّصاً : إلى ذلك الأخ المحبوب الصديق القديم المرجو للاستقامة محمد بن حسين العوري ، وإلى . . . إلخ ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ؛ فاعلم أيُّها الأخ المحترم ؛ أن الله تعالى قد مَنَّ عليك بالأهل والأولاد ، وخاصَّة بولد ذَكَر صالح يشتغل بالعلم ، ولا يعصي الله تعالى ، ثم إنَّ الله تعالى اصطفاه لحضرته ، وجذبه إلى حظيرة قدسه ، وقرَّبه إلى مقرِّ أنبيائه وأوليائه ، **وشاركَكَ وشبَّهك بحبيبه عليه الصلاة والسلام** في صفة أكرمه بها ؛ فقد أمات أولاده الذكور ، وأبقى نسله من أولاده الإناث ، **فالمشاركة والتشبه به ﷺ من أعلى مراتب النعم** ، ولكن فراق الولد القارئ العالم من أصعب الأمور على أمثالنا الضعفاء ، وأما أنت ! ! فرجائي فيكم أن لا يصعب

---

(١) ما في « المكتوبات » للإمام الرباني .

ذلك عليك بالرضا بقضاء الله تعالى ، وإرادة ما أراده ، فإنَّه الواهب ؛ وهو الآخذ لما وهب ، فطوبى له الجنة ، والنزول إلى مقر الرحمة ، وحبّذا مُعلِّمُوه في مرقده إلى يوم القيامة ؛ وهم الملائكة الكرام البررة ، فسيحشر عالماً يوم الجزاء ، ويبعث عارفاً بالله تعالى في زمرة العلماء ، وطوبى لك أيضاً الشفاعة ، فإن الولد لا يدخل الجنة إلاَّ مع الوالدين ، ففزت بكلتا الحسنيين ، ورزقك المصيبة لتنال بها درجات الدارين ، فإن الولد فتنة الوالدَيْن ، ففزت فقد قال تعالى ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وبموته وفراقه والصبر عليه يرتقيان إلى أعلى مراتب الصابرين ، وقد قال تعالى أيضاً ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فهاتان الآيتان شاهدان عدلان لما قلته آنفاً ؛ بأنك فزْتَ بكلتا الحسنيين ، **وموتُ الولد – ولو كان سقطاً – خيرٌ للوالدين من أن يخلفا مائة من الأولاد كلهم يقاتلون في سبيل الله ! !**

وذكر في « الإحياء » ما يؤخذ منه هذا الكلام : فإذا كان الأمر كذلك وكان أمر الدنيا هكذا كما نرى يؤخِّر المرءَ عن المطلوب المرغوب كلَّ يوم ، وينقص من دينه وقتاً بعد وقت ، ولا يأتي عام إلاّ والذي بعده شرٌ منه ! **فلا أرى انتقال ولدك إلى الملأ الأعلى إلاَّ نعمة يجب عليك وعلى أهل بيتك الشكر عليها ، ولذا لا أعزيك إلاَّ لمجرد امتثال السنة ، فاشكروا الله تعالى ولا تجزعوا .**

واعلموا أن تحت كلِّ نعمةٍ نقمة ، وأن مع العسر يسرين ، واصبروا فإن الصبر عند الصدمة الأولى أحرى وأولى ، فغفر الله له ، وأدخله الجنة ، وحشرنا معه في زمرة الصالحين ، وألهمكم الصبر الجميل على البلاء ، والشكر على النعم ؛ إنه تعالى مولي النعم ، ومزيل العناء ، وبما أنا في أعذار معلومة اقتصرنا على إرسال الكتاب ، وأنتم لا يخفى عليكم مشاركتنا معكم في كل ما لكم وعليكم ، والسلام عليكم ؛ وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته . من الحقير حسن حلمي وأهل بيته . انتهى .

وكتب قدّس سرّه إلى الشيخ الصالح قَدِ مُحَمَّد الخنزاخي يعزيه في حليلته المرحومة ما صورته :

من هذا الفقير الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي إلى ذلك الأب المحبوب قد محمد الأواري ، وإلى ولده النائب العادل مجهول الجسم معروف الاسم والروح شمس الدين ، ثم إلى بنات أمِّنا العفيقة الولية الذاكرة لله تعالى أمّ هانئ وإلى . .إلخ ، السلام التام ، والثناء العام ، عليكم إلى يوم الدين جعل الله تعالى عواقب أموركم خيراً ، ورزقكم عملاً صالحاً ، ووفَّقكم قبل الفوت ، للاستعداد للموت ، آمين .

أما بعد : فإني أحمد الله تعالى على كل حال وأصلي وأسلم على سيِّدنا محمد حائز قصبات الكمال ، وعلى آله وأصحابه أرباب العناية والنوال ، وأسأل الله لكم الرضوان الأكبر وغفر لميِّتكم وصبّركم ، وألهمكم الرشد والهداية ، وجنَّبكم عن الغواية والضلالة ، مع التوفيق لصالح الأعمال على جادة الاستقامة وجعلها رفيقة مشائخها ، وداخلة في أهل دائرة مربِّيها في أعلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، آمين .

ثم اعلموا أيها الأخوان أنه لا بدَّ للإنسان من الموت تصديقاً لقوله تعالى ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ ، فطوبى لمن طال عمره وكثر عمله ، والموت هو الذي يتسلَّى به المشتاقون ، ويتوسل به إلى وصول الحبيب للمحبوب و﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾ الآية ، و« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » الحديث .

نَعَمْ ؛ إن أحوال العاجزين المحرومين من دولة الحضور والوصول إلى مطلب الواصلين المحرَّرين عن رقِّيَّة ما سوى الله تعالى خرابٌ وأبترُ . جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل الحضور والمشاهدة ، وأيقظنا عن سِنة الفتور والغفلة ، آمين يا مجيب . وقد كانت المرحومة وليَّةَ نعمتكم ، وبركةَ بقيتكم ، وغنيمة أهل بيتكم ، لما أنها كانت حصَّلتْ مقام الذكر القلبي الذي ثبتت

فضيلته على الذكر اللساني بتسعين ضعفاً في الحديث الذي رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها ، وكانت أيضاً رحيمة حليمة موصوفة بالصفات الحميدة فيما ظهر لنا ونشهد لها أنها كانت سعيدة لا شقية حسبما نعلم ، وكانت أيضاً مقبولة عند مشائخها بالقبول التام ، وقد قالوا : **إن قبول قلوب المشائخ للمريد أدلُّ شيء على سعادته** ، كما هو مذكور في الكتب . ومن العجب أن توجد في نساء العصر بهذه الديار من ذكرت فيه تلك الصفات السنية والأخلاق الحميدة لولا أنه لا عَجَب في صنع الله تعالى وفعله ، ويفعل الله ما يشاء . فإذا كان الأمر هكذا فاللازم عليكم الآن أن تكافؤا إحسانها بالإحسان ، وأنْ تمدُّوها بالدعاء والصدقة آنا بعد آن ، **فإنَّ الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة ملحقة من أب أو أم أو صديق** ، كما ورد في الحديث المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأيضاً ينبغي لكم أن تعتبروا بموتها وتتذكروا موتكم **حتى تُقْبِلُوا إلى مرضيَّات الحق سبحانه بالكلية ، وأن لا تعدُّوا الحياة الدنيوية ، غير متاع الغرور** . ومن المعلوم أنَّ الكأس الذي شربَتْه اليوم لا بد لنا أن نشربه يوماً مّا .

إن الحبيب من الأحباب مختلسٌ	لا يمنع الموتَ بوابٌ ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها	يا من يعدُّ عليه اللفظ والنفس
أصبحتَ يا غافلاً في النقص منغمساً	وأنت دهرَك في اللذات منغمسٌ
لا يرحم الموْت ذا جَهْل لعزَّته	ولا الذي كان منه العلم يُقْتبس
كم أخرس الموتُ في قبر وقفْتُ به	عن الجواب لساناً ما به خَرَس
قد كان قصرك معموراً له شرفٌ	فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

وأوصيك أيها الأب الحليم قدي محمد خاصة : أن تستعدَّ بعد الآن لحيازة الحسنات قبل أن يصل إليك نوبة ما نال حليلتك ، **فإنَّ الدنيا مزرعة الآخرة ، فمن لم يزرع لم يحصد** ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ شاهد عدل لذلك ، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)** ﴾ .

ومن لم يتَّعظ بالموتى فلا تنفعه موعظة ، ومن ذهب نَفَسُه في غفلة فهو مغرورٌ ، **ومن بكى على غيره ولم يبك على نفسه فهو مجنون** .

وقد كانت هي لك أيها الأب قرينة أنيسة ، وأليفة مؤنسة ، فذهبت لسبيلها مرحومة ، وتركتْ نفسَك حزينة مغمومة ، وصرْتَ كالأسير والحبيس فريداً عن الأليف والأنيس ، **فعليك الآن بتبديل ذلك الأنس الفاني بالأنس بالله تعالى الباقي ، وهجر المأنوسات النفسانية ، وترك الشكايات الشيطانية ، واذكر ركانَ ذكرها ربّاً جليلاً يذكرك متى ذكرته ، وكن صبوراً على البلية شكوراً على النعمة** ، ولعل الله تعالى يبدل عسرك يسراً ووحشتك أُنساً .

وبما أني في الحال في سقم لا أطيق معه الخروج إلى الخارج اكتفينا بالتعزية بالرسالة ، واعلموا أني مشارك لكم فيما لكم أو عليكم ، وقد صلينا عليها مع جماعتنا يوم الجمعة في المسجد الجامع ، وهلَّلنا عن روحها تهليلاً كثيراً ، ووهبنا ثوابه لروح المرحومة ، ودعونا لها بالمغفرة والرحمة وشهدوا كلهم لها بالخير والصلاح ، جعل الله أعمال الكل مقبولة ومساعيهم مشكورة آمين ، والسلام وأوصيكم بالدعاء . انتهى ملخصاً .

كتب قدّس سرّه إلى الشيخ الفاضل الحاج عمر الطبيب الأواري يُعزِّيه في زوجته المرحومة :

من الفقير الحقير حسن إلى ذلك الأخ المحبوب والخليل المقبول الحاج عمر الأواري سلام كثير عليكم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فنحن نحمد الله تعالى ونشكره على ما جعلنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، رزقكم الله سبحانه الاستقامة على جادة الشريعة على صاحبها الصلاة والتحية .

ثم كتب قدّس سرّه نظير ما كتب في المكتوب الذي قبل هذا ، وكتب في آخرها **ولو أنه كان للتّمتّعات الدنيوية عند الله تعالى مقدار شعرة من الاعتبار ، لما منحها للكفار** ، ولَمَا خلاها للأشرار ، رزقنا الله سبحانه وإياكم الإعراضَ

عما سوى الله تعالى والإقبال على جناب قدسه بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ، ومن التسليمات أكملها .

ثم ذكر قدس سره في وصفها أنها رحمها الله كانت حازتْ مقام الولاية الخاصة ، ثم قال آخيراً : ثم المطلوب ملازمة الوقوف والحضور والمجانبة عن القصور والفتور ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والاستقامة آمين ، والسلام وأوصيكم بالدعاء .

مكتوب العرادي بفقد نظره

وكتب قدّس سرّه إلى الشيخ الفاضل العالم المحقق أدرة العرادي ما لفظه : إلى ذلك الأب المحبوب العالم أدرة ؛

سلام عليكم إلى يوم الدين . . إلخ .

ثم اعلم أيها المخدوم؛ لا ينبغي لك أن تندم كثيراً بذهاب بصركم ، فإن ذهاب البصر لا يضرُّك إن شاء الله تعالى ، بل يزيدك نوراً وقرباً ووصولاً ، فينبغي أن تسأل الله تعالى زيادة نور البصيرة بدل نور العين ، فإن ذلك به تدرك معرفة الله ، ولقد نظرتم إلى الكتب كثيراً وانتفعتم بها ، وحصّلتم علوماً جَمَّةً ، ولعلك لم تصادف فيها شيئاً يقول لك سوى هذه المقالة ؛ يعني : كُن مشغولاً بالله . وكفاك ذلك علماً ، وأنت اليوم في مقام يساوي ساعتك بعبادة ألف سنة ، بل سبعين ألف سنة ، علمتَ ذلك أو لم تعلم . فاغتنمها ! !

التجليات حسب المقامات

واعلم أن التجليات إنما تكون على قدر مقامات السادات باختلاف صور المرئيّ ، **وقد لا يظهر شيءٌ من ذلك ، ولا يكون ذلك نقصاً في الحال ، فالعدم المحض أسنى الأحوال** ، ولا بد من ظهور الأحوال والخوارق مرة ومرة وأغلب ما يكون من ظهورها حين غلب عليكم عدم ظهورها . فافهم ، واشكر مولاك ، وكن على اليقظة ، واجتنب من ندامة الكسَعي ، فالصبر والصبر . . . يا باغ الكرامات ، وادع لهذا الكاتب ولدكم الفقير حسن القحي . انتهى .

مكتوب مؤانسة لمن مرض والدهم

وكتب قدس سره جواباً لمن أرسلوا إليه في حق مرض والدهم : السلام عليكم وعلى والدكم ، وعافاكم عما يسوؤكم[1] ، لما بلغني نبأ مرض والدكم شقَّ على البال وطعن في الفؤاد ، بَيْدَ أن الرضا على صنع الله تعالى واجب على العباد ، ولعلّ الخير والمصلحة فيما وقع ، وأوقات النعم لا تنقلب أوقات نقم ، ولا أوقات النقم أوقات نعم ، وعلى كل حال يجب علينا وعليكم الشكر على المنن ، والصبر على المِحَن ، وأرجو الله سبحانه أن يلهمكم ما فيه شفاء أبيكم ، ويحصل له المعافاة .

وأرى المصلحة في أن تدعو إليه الطبيب ، فإن الله تعالى جعل لكل داء دواء ، فالبدار . . . البدار . . للتداوي ، وقد كنت رأيتُ في الكتب حديثاً حاصله : رأيت رجلاً قد جاءه ملك ، فجاءه دواؤه فمنعه منه . فافهم .

ثم إن إرسالكم الهدايا يعرق به جبيني بشدة الحياء منكم ، فكم وكم أحسنتم إلينا قبل ، فقد كان فيما سبق منكم من الخيرات كفاية ، ولكن الله تعالى جعلكم بفضله مفاتيح الخير ، واستعملتم الشكر بالبرِّ ؛ ففزتم بفضيلة الدارين ، فتقبل الله صدقاتكم ، وجعلها سبباً لحصول الشفاء لأبيكم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم إني أكرّر لكم أنَّ أمر أبيكم يؤول إن شاء الله تعالى إلى ما فيه المصلحة ، جعل الله حياته زيادة في الخير ، ومماته – إن كان الأجل جاء – راحة له من كل شر ، وكيفما كان الحال فافعلوا مع أبيكم ما أحبه وأراده ، فافهم . والسلام .

مكتوب سعد الله الأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل سعد الله الأواري منشئ « القصيدة اللاميّة » في السلسلة النقشبندية قدس الله أسرارهم :

---

(١) وفي نسخة : عن مصائبكم .

وعليكم السلام أيها الولد الأعز أزيد مما أرسلتم إلينا بألوف ، جزاك الله عنا خيراً ، ولا لقيتم بعد الآن ضيراً . آمين .

ثم اعلم أيها المأمون في السر المصون ؛ أنَّ شأن الدنيا هكذا ؛ كلَّ وقت بتعويق المرء عن المطلوب المرغوب ، فقد صرنا الآن في زمان كنا نستعيذ منه ، **بيد أنه لا بد لنا من الصبر ؛ كما صبر أولو العزم** ، وليس هذا الأول ثلمة وقعت في الإسلام ، بل هو باب يدخل فيه كلَّ وقت الخاص والعام .

حال الدنيا وأهلها

وليكن في علمكم أنَّ جميع العباد في هذه الفانية الفتانة أغراض لسهام حوادث الزمان ، إما بمصيبة تنزل ، أو بنعمة تزول ، أو بحبيب يفجع ، أو بحسود يحسد ، أو بعدوٍّ يشمت ، أو بنمام يُغْري ، مِمَّا لا حدّ لجمله وتفصيله ، فمن نزل به منكم شيءٌ من مثل هذا **فعليه بالصبر والتجرع لمرارتها** ، فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار ، ولم يزل أولياء الله تعالى مبتلين بأمثال هذا اختباراً وابتلاءً ؛ ليجزيهم الله . . . إلخ .

والانقباض عبث وشغل على الشغل[1] ، **فكن أنت أيّها الولد حيثما أراد الله تعالى ، واصبر على ما أصابك ، وشاهد كلَّ شيء برز في الوجود من شئم أعمالك** .

واعلم أن الظلمة كالزبانية ؛ لا فرق بينهم أصلاً ؛ يسلطهم الله على العباد بحسب ما هم عليه ، لا يظلمون ولو مثقال ذرة ، كما هو مشاهد لدى أهل البصيرة أولي المعرفة ، **ومن فضل الله تعالى علينا أنه سبحانه جعل في كل نقمة أنوار نعمة** ، كما جعل تحت كل نعمة نيران نقمة ، فحاشا الله سبحانه وتعالى أن يجعل شيئاً مَّا إلاّ لحكمة ، **وأوصيك أن لا ينقبض خاطرك بأفعال الخلق وأوصافهم ، وكِلْ أمورهم إلى بارئهم ، واسأله أن يحفظك مع الأهل والأحباب من إحداق الفتن ، وتطاول أهل الجرأة عليكم** ، وليس لنا مخلص إلا هذا .

---

(١) وفي نسخة : وشغل على الشغل وعن الشغل .

ثم إنَّ ما كتبت من القصيدة[1] ، فنعم ما صنعتَ ، فجزاك الله عنا خيراً ، لكن أخطأت في ذكرك هذا الحقير الأقل من كل قليل بين أولئك السادات ، فهلاّ تركته نسياً منسياً ! ! لأنه ليس أهلاً لأن يُذكر أثناء أمثالهم . جعلنا الله تعالى وإياكم في دائرتهم .

ثم اعلم أن التحفظ بقدر الطاقة مما يفهم أو يشعر نقص أهل الوقت أراه من علاجات أمراض هذا الزمن ، فكن متيقظاً في كل أهبة ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه .

تعزية الأواري في شقيقه

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل الحاج عمر الأواري يُعزّيه في شقيق له مات :

إلى ذلك الأخ الأعزِّ محبوب القلب الحاج عمر . . . إلخ السلام عليكم و . . . إلخ .

وبعد ؛ فقد سمعت خبر انتقال أخيكم الحاج درويش محمد من هذه الفانية إلى . . . إلخ .

ثم إنَّ الفقير في أرغد عيش وصحة . . وإلخ ، **بَيْدَ أن نفسه الأمارة تعلو عليه يوماً فيوماً ، فما أطول أملها وأقصر عملها** ، كيف يكون حال من انحطَّ في حضيض الدركات حين ارتقاء أرباب القلوب إلى الدرجات ، فكلُّ مَنْ أراه في الترقي والكمال ، وأنا الفقير في التنزل في جميع الأحوال ، وقد يئس من نفسه الاستقامة والصفاء ، وقد آن له أوانُ التربُّص للنداء ، وذلك بما حلَّ بنا بعد انتقال قطب مدار الدارين والهداية ، وشمع منار الاستقامة شيخنا[2] المرحوم المغفور له قدس سره . وأوصيكم أيها الخليل بالدعاء لهذا الفقير المفلس .

(١) وهي قصيدة الاستغاثة بسادات السلسلة النقشبندية العلية التي مطلعها : إني إذا فاتني التدبير والحيل ، وحال دون مرامي العجز والخبل . .إلخ . (من نسخة أخرى) .
(٢) وهو حاج عبد الرحمن العسوي . (من نسخة أخرى) .

توصية

وإياك ثم إياك والانقياد للنفس الأمارة ما استطعت ، فكُن دائماً في الذلِّ والانكسار ؛ لا في أهوال الدنيا والاشتهار ، **وذَرْ الدنيا والفخر لأهلها ، وكن على مكارهها وذوق مرارتها ، وكن مُعتبراً بمن مات من الإخوان والخلاّن ، واعلم أنهم لا يزالون عن مكانهم حتى نلحق بهم ونكون معهم** ، والله وليّ التوفيق . من طرف أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي .

تعزيته للقشري بوفاة الباكني شيخهما

وكتب قدّس سرّه إلى الشيخ الحاج إبراهيم القشري مأذون الشيخ المرحوم الحافظ الحاج شعيب أفندي الباكني رحمهما الله تعالى ما ملخصه : باسم الله خير الأسماء ، وله الحمد والثناء ، والصلاتان على رسوله سيد الأنبياء .

إلى خليفة شيخنا المرحوم المغفور له ؛ أخينا المحبوب ، وخليلنا المقبول ؛ الحاج إبراهيم القشري ، وإلى والده العابد الذاكر ، وإلى أولاده العلماء الحفاظ . . . السلام عليكم . . . وإلخ .

أما بعد : فلما سمعنا خبر انتقال شيخنا وأستاذنا قطب الزمان الحافظ الحاج شعيب أفندي – أذاقه الله تعالى لذة مؤانسته وحلاوة مناجاته – حلَّ بنا من الأسف والندامة ما لا يُكَيَّفُ ، وصرنا حيارى مدهوشين كالمجانين ، لما أنَّ موته موتُ العالم ، وانتقاله انتقال الدين ، العيونُ تبكي وتدمع ، والقلوب تذوب وتفجع ، ولو أصابت هذه المصيبة على الصخور والأحجار ؛ لصارت كالهباء والغبار ، لكن ذلك تقدير العزيز العليم ، والأمرُ الذي هو على كل نفس عميم ، كما قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فشكرنا الله تعالى ورضينا بقضائه ، وأتبعنا خلفه الاسترجاع ؛ صابرين محتسبين ، راجين ثوابه ، ممتثلين أمره ، خائفين عقابه ، فغفر الله تعالى له ، وجعله من أقرب المقربين في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

والموت له أيها الإخوان هو الذي يتسلَّى به ، بل هو وسيلة وصول الحبيب إلى الحبيب ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ . وقد كان قدس سره حُرّاً منْ رِقِّيَّة السوى ، وأخذ حظاً وافراً من دولة الحضور والجمعية ، فطوبى له ثم طوبى .

بيد أنَّا بقينا الآن كالأيتام ، ولكنَّ الصبر واجبٌ على الأنام ، ولقد كان رحمه الله تعالى وليَّ نعمتكم ، وغنيمة باردة لكم ولنا .

فاللازم علينا وعليكم الآن مكافأة الإحسان بالإحسان ، والإمداد له بالدعوات والصدقات ساعات فساعات ، وينبغي لكم أيضاً أن تعتبروا بموته ، وتتذكروا موتكم من بعده ، وأن تقبلوا على مرضيات الحقِّ سبحانه وتعالى بالكليَّة ، وأن لا تعدُّوا هذه الحياة الدنيوية غيرَ متاع الغرور .

توصية

وأوصيك أيها الأخ المحبوب الحاج إبراهيم بالاستقامة ثم الاستقامة ، وبالتمسُّك بالكتاب والسنة ، وبالاحتراز عن اختراع البدع في هذه الطريقة الصديقية ، وبالاجتهاد لجلب الإخوان إلى دولة الحضور والجمعية ، فإن الراعيَ مسؤول عن رعيَّته ، والله وليّ التوفيق .

أيَّد الله سبحانه وتعالى دينَه بواسطتكم ، كما أيّده بشيخكم قدس سره . آمين .

اعتذار عن حضور التعزية

ثم إنه قدس سره اعتذر عن عدم حضوره للتعزية بأعذار مقبولة ، ورَجا من هذا الخليفة و . . .إلخ أن لا يتخذوه هدفاً للملام ، ثم قال :

وأرجو منكم أن لا تقطعوا عنا النظرات الغيبيَّة ، والتوجُّهات المعنويَّة ، وأن توصوا أولاد الفقير المرحوم بالاجتهاد في طلب العلم ، جعلهم الله سبحانه علماء عاملين ، ورزقهم التوفيق والاستقامة . آمين .

وقد صلَّينا عليه صلاة الجنازة يوم الجمعة في المسجد الجامع ، ودعونا له ، وقرأنا عن روحه ما استطعنا من القرآن تقبّله الله ، وكنت يا أخي أخاف موته ؛ نظراً لما رأيناه من الوقائع المناميَّة فوقع كما رُئي .

والسلام من طرف أخيكم المنكسر ظهرُه ، المتشقِّق قلبه ، المتفرِّق باله ، المتشتت شملُه : حسن القحي و . . . إلخ .

أَهْ بَيْتُ الْمَالْ دُنِيَلْ دُدَصَنْ هِچِبْ خَيرْ   قُطْبُكِ خُنْ خُطَرَبْ دُدَصَنْ بُصَرَبْ رَكْ

اُسْتَارْكِ رَقْلٍ وُقُنْ هَـلْ قُـيَلْ كِنْدَيْ اِنَ   مُـرشِـدْكِ وَطَـلِدَلْ سَرْدَلْ كِنْدَيْ رُهِنَ

. . . إلى آخر الأبيات السبعة . . إلخ .

ثم اعلم أيها الأخ المحبوب الحاج إبراهيم أن ولدي محمد حجيو كان أنشأ قصيدة عجميَّة يرثي بها شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدِّس سرُّه ، وكانت من فصَاحتها بحيث لا تمسكُ العيُونُ دُمُوعاً عند سماعهَا ، وكان قدِّس سرُّه كثيراً مَّا أراه في الوقائع المَنَامية وأَتحاوَرُ معه وأُشاوره ، فأقول في نفسي : لا بأس بموْته إذا كان الأمر هكذا ، إذ لا فرق بين كوْنه حيّاً أو ميتاً ، ثم إني قرأت يوماً تلك القصيدة العجمية فبكيت بكاء شديداً ، وتأسَّفتُ أسفاً جديداً ، وكان ذلك دأبي يوماً بعد يوم وأسبُوعاً بعد أسبوع ، فانقطع عني رؤيته ووقع ذلك حجَاباً بيني وبينه ، ولم أَرَه بعد ذلك إلاَّ نادراً ، فالتفطُّن لهذا الأمر لازمٌ عليكم ؛ كيْلا تَقَعُوا فيما وقعتُ فيه .

وقد رأيت شيخنا المرحوم هَذا ، أيْ : شعيب أفندي في المنام وصحبْتُه وتحاورنا وتشاورنا ، وكان بَيْنِي وبينه كلام ، نفعنا الله به حيّاً وميتاً ولا حَجَبنا عن رُؤيته آمين يا مجيب . انتهى .

تعزية لمريده في ابنته

وكتب قدس سره إلى مريده الصادق قمر الدين الغزانشي . . .وإلخ : إلى ذلك الأخ من الرضاع المعنوي قمر الدين وقرينته حوّاء ؛ السلام عليكم .

وبعد ؛ فلما سمعنا خبر انتقال قرَّة عينكم ابنتكم الكريمة . . . إلخ ،

ثم إنه **ينبغي لكم أن تتفكَّروا أن الجزع لا ينفع أبداً** ، وأما الصبر فمآله الفرجُ ، **ففي كلِّ بلاءٍ ونقمة أنوار منَّة ونعمة** ، فإن مع العسر يسرين ، فعسى الله سبحانه أن يرزقكم ولداً صالحاً . . . إلخ .

مما ورد في فقد الأولاد

وقد ورد في موت الأولاد من الثواب ما يعزّى ويتسلَّى به كلُّ مصاب ، قال رسول الله ﷺ : « لأنْ أقدّم سقطاً أحبُّ إليَّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتلون في سبيل الله » وإنما ذكر السقط ! ! تنبيهاً بالأدنى على الأعلى ، وإلاّ ! فالثواب على قدْر محلِّ الولد من القلب ، وأيضاً ذكروا أنه قيل لداود عليه السلام حين توفّي ابنه : ما كان عِدْله عندك ؟ فقال : « ملءُ الأرض ذَهَباً » ، فقيل له : **إنَّ لك من الأجر في الآخرة مثلُ ذلك** وأمثال هذه الأخبار والآثار كثيرة شهيرة .

تكميل

فالصبر لازم ، والاعتبار بموتها لموتكم واجبٌ ، فإنَّه لا بدَّ وأن ينزل بكم ما نزل بها ، فالاستعداد لذلك اليوم ، والمداومةُ على ذكر الله تعالى من شأن الصالحين ، وحديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » معروف مشهور ، وكذا أَثَرُ « جلسة – أي : بحضور – خير من ألف حجة » ، ويكفي للعاقل إشارة ، فهذا ، والسلام . وأنا الفقير الحقير حسن . حُرِّر في ٢١ شعبان سنة ١٣٢١ .

تعزية جماعية في شهداء وقعة

وكتب قدس سره إلى أهالي « أوار » يعزِّيهم في شُبَّانهم الذين استشهدوا في الوقعة الكبرى ببلدة « أنجه »[1] ضدّ الفراق :

إنه من هذا العبد الحزين حسن القحي إلى جميع أقارب المجاهدين والغزاة المستشهدين ، خاصَّة إلى خواصِّهم ، وعامَّة إلى عوامِّهم ، لا سيما إلى الأخوين ، بل إلى جميع أهالي « أوار » حرسهم الله تعالى من البوار ؛

السلام الشامل والثناء الكامل عليكم أجمعين إلى يوم الدين .

أما بعد : فلما سمعنا خبر انتقال أولئك الأبطال من هذه الدار الدنيئة المحكوم عليها وعلى ما فيها بالزوال ؛ أصابنا من الأسف والندامة ما أصاب ، وإن كان ذلك عبثاً لا يردُّ القضاء ؛ بل يحبط الأجر والثواب ، لكن لما كان من القدر المحكم في الأزل ، استسلمنا لحكمه تعالى ؛ وإن كان من الخطب الجَلَل ، وأتبعنا خلفه الترجيع قائلين : إنا لله وإنا إليه راجعون ، صابرين شاكرين ، راضين عن الله تعالى ، ممتثلين أوامره ، خائفين عقابه ، عالمين حقَّ قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فغفر الله تعالى لموتاكم ، وأحسن عزاءكم ، وصبّركم على البلايا ، فإنها ؛ وإن كانت في الظاهر نقماً فهي في الحقيقة نِعَمٌ ، وذا عند أهل الحقيقة ظاهر ، رزقنا الله تعالى شفاعتهم ، وأيقظنا بحرمتهم عن سِنة الغفلة ، وحشرنا معهم يوم القيامة . آمين .

اعتذار عن مشاركته الشخصية بالعزاء

ولما عرض على القلب بسبب أمثال هذه البلايا القبض ، وطرأ على الروح الفتور ؛ صرت في ضعف وعجز أقعدني عن الخروج إليكم والحضور لديكم للتسلية والتعزية ، واكتفيت بكتابة هذه السطور ؛ إعلاماً بأن الفقير معكم في كلِّ ما لكم وعليكم ، **وقد كنتُ قبل هذا أشير إلى الحاضرين لديَّ**

---

(١) وفي نسخة : ببلدة « أنجه » في قتال لطرد القزاق من ديارنا الداغستانية .

المشاورين معي بالكفِّ عن الخوض في لجج فتن العصر ، وأظهر لهم خوفي عليهم من وقوعهم في هذه الداهية التي حلَّتْ على المسلمين لكن لما كان قَدَر الله لا يردُّه شيءٌ ، ولا بدَّ من وقوعه في وقته المقدّر ؛ لم يسمعوا قولي ، ولم يفهموا إشارتي ، ولعلَّ من بقيَ منهم فهموا الآن مضمونَ ما كنتُ أقول لهم ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم .

ثم السلام الكثير على جلِّ جماعتكم من جماعتنا القحيَّة ، ويعَزُّونكم في موتاكم ، ويشاركونكم في بلواكم ، وهم نادمون على ما أصابكم ، جعل الله عواقب الأمور خيراً . آمين بحرمة الفاتحة . انتهى بحذف واختصار . انتهى .

تعزية الأواري برفيقه العسوي

وكتب قدس سره إلى الشيخ الحاج عمر طبيب الأواري الذي كان رفيق الأستاذ العسوي قدّس سرّه في سفره إلى الحج :

إلى ذلك الأخ الصالح محبوب القلب ومعشوق السرِّ الحاج عمر الأواري ؛ سلام كثير عليكم وعلى جميع مَن في دائرة شيخنا المرحوم .

وبعد : فلقد قامت علينا القيامة بسبب انتقال مرشد الخلائق الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، فأعظم الله أجركم ، وغفر ذنوبنا وذنوبه ، وجعله من أقرب المقربين . آمين .

ثم إنك قد أعنته في الشدة والرخاء ، وواسيته في السرَّاء والضرَّاء ، وشَدَّدْتَ عضده ، وعظَّمتَ حرمته ، ولم تضيِّع له حقَّ الأبوَّة المعنوية حتى بعد انتقاله ؛ بل خدمت ولده المرحوم في جميع الأحوال ، فَلَكَ منا ألف ألف بارك الله ، وجزاك الله خير الجزاء ، ورزقك العافية في الدارين بحرمة سيد الكونين ، **فلقد كان رحمه الله تعالى يقول في حقِّك : إنك من الرجال الشجعان ، وفيك مروءة الفتيان ، ولذا كان يحبُّك حبّاً جمّاً ، ويعطفُ عليك عطفاً** ، وقد وافيتَ حقَّ المروَّة ، وواسيته في الحضر والسفر ، فلك الشكر الجزيل ، والثناء الجميل ، تقبّل الله حَجَّكم وعمرتكم ، ورزقكم اللقاء في يوم حشركم .

اعتذار عن المشاركة بالعزاء شخصياً

ثم إنه لم يتفق لي الفرصة للحضور لديكم لتهنئة حجكم وللتعزية ، فلعلكم لا تلومونني على ذلك ! !

فهذا ؛ والسلام من أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي ، وأوصيكم بالدعاء ، ثم السلام على جميع من يسأل عنا . انتهى من خطه قدّس سرّه .

تعزية للأواري محمد بن سليمان بابنته

وكتب قدس سره إلى العالم محمد بن سليمان الأواري :

من حسن وأولاده وعياله ؛ إلى ذلك الولد الأمين محمد بن سليمان الأواري وأهل بيته طُرّاً : سلام كثير عليكم إلى يوم الدين .

أما بعد : فلما أخبرني الحامل بفراق ابنتكم من هذه الدار الفانية إلى تلك الدار الباقية ؛ **حمدنا الله تعالى وشكرنا ، كيف لا ؟! وقد جعلها لكم سَلَفاً وذخراً** ، وفَرطاً وأجراً ، وقدَّمها لتهيئة منزلكم في دار الجنان مع الحور والغلمان ؟ !

وسألنا الله تعالى إدخاله إياكم في دائرة الصبر الجميل ، فيا بشارتكم أيها الولد بفراقها عنكم ، وعن العناء الذي يعانيه الناس في هذه الدنيا الفتانة الكثيرة البلاء ، وإني لا أرى هذا إلاّ غنيمة وبشارة وسروراً لكم ولها ، **فإن دخول قطعة جسدكم في دار الجنان خيرٌ لكم من ملء الدنيا ديناراً وجوهراً** .

أثابكم الله تعالى على فراقها الفوز بنعيم الجنة ؛ فضلاً منه ومنةً ، وبإعلام مشاركتنا معكم فيما لكم وعليكم كتبنا هذه السطور إليكم ، فهذا ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه بتغيير يسير .

الباب التاسع

في رسائله إلى الأمراء والولاة . . إلخ .

رسالته للأمير شمخال العكاخي

وكتب قدّس سرّه إلى النَجَانِيكْ الشهير شمخال العَكّاخي :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين .

إلى ذلك الولد المحبوب شمخال العَكَّاخِّي نَجَانِيكْ أُوْكرُكْ بَلْخَالْ ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ورزقكم التوفيق والعدل والإنصاف بين الرعية ، وجنَّبكم عما لا يليق برفيع شأنكم من الزحف والجور والاعتساف .

أما بعد : فنسأل الله تعالى لكم الصحَّة والعافية ، ونطلب من الله أن يديمكم جناحاً للخلق ، ومنجياً لهم من الفتن ، فقد صِرْنا أيها الولد في زمان كنا نحذره في قول كعب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما : (إن دام هذا لم نبك ميتاً ولم نفرح بمولود) . وعمَّت الفتن بين الخلق كالطوفان ، واختلط الحرام بالحلال ، وصار الناس كالسكارى من شدَّة ما بهم من الجوع والعري ، وتَرَك بعضهم أوطانهم ، وصاروا يهربون من وادٍ إلى واد ، ومن قرية إلى قرية ، كأنهم حُمُرٌ وحشيَّة .

أسباب الفتن وثمارها

ومن المعلوم المتيقَّن أن هذه الأمور إنما وقعت هكذا بشؤم مَنْ لعنهم رسول الله ﷺ على لسانه قائلاً : « الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها » ، وروي عنه ﷺ أيضاً : « الإمام الضعيف ملعون » وكنا كما أخبرناكم وقتَ ملاقاتنا في « خنزاخ » شاورنا شيخنا الشريف سيف الله في شأن الأمور التي ينبغي لنا أن

نسلك سبيلها ، وكنَّا نجتهد لتسكين حركات هؤلاء الأمراء ؛ رعاية لمصالح الرعايا والعامة ، واجتمعنا نحن وشيخنا المذكور المرحوم قدس سره لمحض هذا الغرض برئيس أولئك القوم ، بيد أنه رأى كلامنا ككلام الصبيان ؛ ولم يعبأ به ، ولم يستمع ، فاشتبكوا في الفتنة ، وطارت شرارة نارها على أنفسهم وأوطانهم ، وخرجوا يوقدون النار في كلِّ مكان نزلوا به ، كمن أوقد النار في ذنب هرَّة وأرسلها في مخلاة مملوءة بالحشيش الجافِّ ، **بيدَ أن الله تعالى أجرى عادته أن يدوِّر رحى الفتن على رأس مَنْ حرَّكها** ؛ فقُتِل هو وأولاده ، واستراح الناس من شؤمه وشؤم أمثاله ؛ **وإذا أراد الله إنفاذ أمره سلب من ذوي العقول عقولهم .**

وبسبب شؤمهم أهين كلام الله المجيد ، ودِيسَ تحت الأقدام ، وأهينت العباد ، ودرست البلاد ، وخربت القرى ، وصارت المعابد والمساجد إصطبلات الدواب ، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون ، فالحكم لله العليّ الكبير ، ألقَوا الناسَ في هذه المهلكة والفساد زاعمين أنهم يفعلون الشريعة ، حاشا ذلك وكلاّ ! بل قاتلوا الشريعة وأهلها ، واستحلُّوا أموال المسلمين وخلطوها بالحرام ، مع أن كُتبَ الشريعة تصرِّحُ بأن **مصالحة الكفار واجبة إذا ترتَّب على تركها إلحاقُ ضرر بنا** .

ثم اعلم ؛ أيُّها الولد أني لك ناصح أمين ، ويحتمل أن يكون لكَ من يحمدك ويمدحك كثيراً ، وأما أنا ؛ فلا أحمدك ولا أخونك ولا أغشُّك في نفسك ورعيَّتك ، بل أنصحك وأبدي لك ما كَمَن فيك من العيوب كي تتركها وتسعى في الخلاص منها ؛ فتكون من المصلحين العادلين ، فإن الإنسان لا يخلو عن خلل ونقصان ، **والعصمة من خصائص النبوة** ، ولا أقطع نصائحي عنكم بعدُ بما أرى فيه المصالح لكم ولرعيتكم إن شاء الله تعالى ، كلُّ ذلك حفظاً للمعرفة والمودَّة التي كانت بيننا أيام الشبابة .

فالله تعالى أقامك في هذه المنصبة الرفيعة التي يتمكَّن صاحبها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما من أفضل الأعمال والعبادات .

وفي الحديث : « ما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي » .

وقال عطاء رضي الله عنه : لَأَنْ يُرائيَ سنين فيكتسب جاهاً يعيش منه مؤمنٌ أتمُّ له من أن يخلص لنجاة نفسه . انتهى ، وفي رواية من الحديث : « عدل ساعة أفضل من عبادة سنة » ، وفي رواية « ستين سنة » .

حال من يتولى أمور الناس

فأنت أيها المحترم في دائرة هذا المقام الرفيع ، وأنت في اختيار لحوْز هذه الفضيلة ، **ومما ينبغي أن يعلم : أنّ من تولّى شيئاً من أمور الناس يجب أن يكون كمربّي الطيور ؛ يُعطي لكلٍّ واحد ما يليق بطبعه** ، وأرجوك أن تعامل بالإحسان للمحسن ، وتَكِلَ أمر المسيء إلى الله تعالى فإساءته ستكفيه .

المحسن والمسيء

وأنا أحكي لك هنا حكاية من هذا القبيل ، فلعلك تتدبَّر فيها أوَّلاً ، وتعمل بمقتضاها ثانياً :

كان رجل يثني بعضَ الملوك فيقوم بحذائه ، ويقول له : أحسنْ إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسيء ستكفيه إساءته . فَحَسَدَهُ رجلٌ على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك ، وقال : إن هذا الرجلَ يزعمُ أن الملك أَبْخر[1] . فقال الملك : وكيف يصحُّ ذلك عندي ؟ قال : تدعوه إليك ، فانظر ، فإنه إذا دنا منك وضعَ يده على أنفه لئلا يشمَّ منك ريح البخر ، فخرج من عند الملك ودعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاماً فيه ثومُ ، فخرج من عنده ودخل على الملك ، وقام بحذائه حسب العادة ، فقال له الملك : ادْنُ مني . فدنا منه واضعاً يده على فيه ؛ مخافة أن يشمَّ الملكُ منه ريح الثوم ، فصدَّق الملك في نفسه قولَ الساعي ، وكان الملك لا يكتب بخطِّه إلاَّ لجائزة ، فكتب له كتاباً بخطّه إلى عامل له : إذا

(١) من البخر ؛ وهو : رائحة الفم الكريهة .

أتاك الرجل فاذبحه واسلخه ، وحشّ جلده تبناً وابعث به إليَّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به ، فقال له : ما هذا الكتاب ! ؟ قال : خطّ الملك لي بصِلَةٍ . قال : هَبْهُ لي ، فقال : هو لك . فأخَذَهُ ومضى إلى العامل ، فقال العامل : في كتابك أن أذبحك وأسلخك . فقال : إن الكتاب ليس هو لي ، فالله الله في أمري ، حتى أرجع الملك ! ! قال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحَشّا جلده تبناً ، وبعث به ، ثم عاد الرجل لعادته ، فتعجَّب منه الملك وقال : ما فعلتَ بالكتاب ؟ قال : لقيني فلان فاستوهبها مني فوهبته ، فقال الملك : إنه ذكر لي أنك تزعمُ أنّي أبْخَر ؟ ! فقال : كلا ، قال : فلِمَ وضَعْتَ يدك على أنفك ؟ ! قال : كان أطعمني طعاماً فيه ثومٌ ، فكرهت أن تشمَّه . قال : صدقت ؛ ارجعْ فقد كفاك المسيء إساءته . انتهى .

هذا ؛ وكن يا أخي من الشاكرين ، ولا تغفل عن الله تعالى ، وراقبه في الأحوال والأوقات ، واحفظ نفسك من الظلم ، **فإن المُلك لا يدوم مع الظلم ؛ وإنْ دام مع الكفر** .

الأدب مع العلماء

وتأدَّبْ مع العلماء والصلحاء ، فإنهم مصابيح الدنيا ؛ بهم يمطرون ، وبهم يرزقون ، وأرى أنَّ ما نزل بنجم الدين وغَيْتَمَازْ كان بشؤم ترك أدب القطب المحترم سيف الله الحسيني قدس سره ، فقد خالفا أمره ، وأساءا الأدب معه ، فافهم هذه الإشارة لعلَّك تنتفع به يوماً مَّا .

الأدب مع الرعية

وكُنْ على رعيَّتك رحيماً ، وإلى خلق الله محسناً ، فإنَّ « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أحسنهم لعياله » كما هو عين ما ورد في الأحاديث ، وحسِّن خُلقك أيضاً معهم ، فحسن الخلق أثقل ما يُوجَد في الميزان ، و« إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وارفق بهم ، ولا تعنف ، ففي الرفق زين ، وفي العنف شين ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه » رواه مسلم .

وفي رواية له : أنه ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها وعن أبويها : « عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش ، فإنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زين ، ولا ينزع من شيء إلا شين » .

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام والتحية أيضاً : « من يحرم الرفق يحرم الخير » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « إن من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفذه ، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخَيِّره في أيِّ الحور شاء » .

وهذه الأحاديث إنما كتبتُها رجاءَ أن تعمل بمقتضاها ، وأن لا تفعل مع الخلق إلاَّ ما فيه صلاحُهم في دينهم ودنياهم ، فعليك باستجماع العقل والفكر ، ولا تركَنْ بالكليّة إلى طراوة الدنيا وزينتها .

حال الدنيا

واعلم أن الدنيا محلُّ الامتحان والابتلاء ؛ ظاهرها مموَّهٌ مزيَّنٌ بأنواع المزخرفات ، ولكنها في الحقيقة جيفة مرشوش عليها العطر ، ومن قصَّر نظره على حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامة السرمدية .

معاملة الأمير ورعاياه

فأرجوك ثم أرجوك أن تكون للعباد كالأب للأولاد ، وأن ترحم ضعيفهم ، وتوقِّر كبيرهم ، وتمدَّهم وتعينهم فيما فيه صلاحهم حسب طاقتكم ، **وما مثال الخلق في أحوالهم وقلة عقلهم – كما رأيناه عياناً – إلاّ مثال الأغنام السارحة**

الشاردة ، ومثال الوالي إلاّ مثال الراعي الشفيق وهو يسوق أغنامه بالرحمة[1] ، ولا يترك ما شرد منها في البادية .

فهكذا يجب عليك أن تكون بالناس شفيقاً في هذا الزمن الذي هاج فيه بحر الأهوال والفتن ، وهبَّ فيه ريحُ المصائب والمحن ، فصار الناس فيه ما بين غرقى وسكارى ، مَنْ نجا فيه عن مصيبة ؛ اكتنفته[2] مصائب ؛ ففي مثل هذا ورد أنه « سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن ، ولا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق » .

الانتقام بعد المكنة

وأوصيك ، ثم أوصيك أن لا تسعى في الانتقام من المسيء ، **فإنَّ انتقام القادر عن العاجز بَعْدَ أن مَكَّنَهُ الله منه مما يعدُّه العقلاء من الرذائل ، ومن أخلاق الأخسَّاء والجبناء** ، ولا أريد منك أن ينسبك الناس إلى شيء يُخلُّ بالمروّة والشجاعة ، ويُعدُّ من الفظاظة والفظاعة ، بل عليك بالصفح والعفو والتجاوز ، فإنَّ مناقشة الناس ومقاومتهم توجب للعبد البَوَار في الدنيا والآخرة ، فاقبل عذرَ مَنْ جاء يعتذر إليك ، وسَامِحْهُ كي يقبلَ الله عذرك ويسامحك في زلاّتك ، **فإن الجزاء من جنس العمل ؛ جزاءً وفاقاً** ، وشرُّ الناس من لا يقبل عذراً ، ولا يُقيل عثرةً .

ولا يخفى عليك ما وقع بين الخلق بسبب التخالُف وعدم التآلف ، وترك الامتثال لأهل العلم والعقل والكمال ، وذلك لقلة عقولهم ، وترك التفكُّر والتدبُّر فيما يَحُلُّ عليهم بسوء أعمالهم من العاقبة السوء ، فَبَعْدَ أن رأينا ما ذكرنا عياناً عليكم أن تقولوا كما قال النبي ﷺ حين خالفه قومُه وآذوه ، وطلب منه بعض أصحابه أن يدعوَ عليهم : « أللهم ؛ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

---

(١) مثل الشيخ المرشد راعي الأغنام ، ومثل الشيخ المغرور مثل الملك الجائر . « رسالة في الخلوة » . (من نسخة أخرى)

(٢) أي : أحاطته من « مختار » عبارته . (من نسخة أخرى) .

واعلم أنك اليوم في فرصة مرتَّبة تتمكَّن بها من الاغتنام بجمع جميع البرور والخيرات ، وقمع جميع الشرور والبليَّات ، فراقبْ الله الذي رقَّاك إلى هذه الدرجة الرفيعة راقبه في قلبك في حقِّ هذه الرعية الضعيفة ، وانظر إليهم بعين الشفقة والرحمة ، وخاصَّة إلى ضعيفهم ومسكينهم بمزيد الرأفة ، وعليك بقضاء حوائجهم ، وإيَّاك والاستهزاء والسخرية والتواني في تبليغ أمورهم إلى . . . إلخ ، **فإن لله سبحانه وتعالى نظراً في العبد عند كل نظرة ينظر بها** ؛

فمن رآه من ذوي العلوِّ والارتفاع نظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة ، وخفض له جناحه ، ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى ، وعَظَّمَهم لذلك النظر ، وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه ، وكان منه ذلك لله تعالى ؛ نظر فيه ربُّنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التكريم والتعظيم ، وسارع له في قضاء حوائجه ، وكَلأَهُ كلاءة الوليد من أبيه ، فيا سعادة من سَعِدَ بهذه النظرة من ربِّه .

ومَن كان على الأخرى – العياذ بالله – من عدم المبالاة بخلق الله ، والتباعد عن قضاء حوائجهم ، والتنائي عن رحمتهم والشفقة عليهم ؛ فجزاؤه ما هو معلومٌ في النار بقوله سبحانه وتعالى فيمن اتَّصف بهذه الصفات ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ ويكفيك هذا إن اتَّعظتَ ، ونسأل الله التوفيق والسداد ، والغرق في بحر الهدى والرشاد ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

سعادة المرء تهيئة ناصح له

ولا تظنَّ أيها الولد ؛ أنَّ كُلاًّ من هذا هو كلامي ، بل اعتقد أن كلامي وقلمي كشجرة موسى عليه السلام ، فخذ من كلامي كما تأخذ من كلام الله ، وحديث رسوله ، وآثار أوليائه ، **فإني لا أتكلّم إلا بما علّمني ربّي من علمه اللدنيّ** ، فللّه الحمد ، وقد مرَّ بي في بعض الكتب ما معناه : **أنَّ الله تعالى إذا أراد سعادة عبده رزقه الله من يَعظِه وينصحه** .

مداهنة العلماء للأمراء

ومن المعلوم أن العلماء وسائر الناس لا يقدرون أن يتكلَّموا لدى أمثالكم بشيء يضيق به صدورُكم ، ولا يَعِظُون الأمراء ولا ينصحونهم ؛ لهيبتهم عندهم ، وخوفهم من سطوتهم ، بل يغشّونهم ويداهنونهم .

فها أنا أيها الولد ؛ آثرتُ معكم وظيفة الموعظة ، وتصدَّرتُ بدلاً عنهم للنصيحة ؛ حفظاً لإخوة والبُنُوَّة الدينية والخلَّة القديمة أيام اشتغالنا بطلب العلم في قرية « هؤر » ، فأرجوك أن لا تسيء الظنَّ بهذا الناصح الأمين .

ولِّ الأمين العادل

ثم إنِّي أُنبهك على أمر لا يجوز لك إغفاله ؛ انظر بسداد النظر إلى رؤساء القرى التي تحت حيطتك ، ولا تولِّ عليهم إلاَّ الأمين العادل العاقل ، المدبِّر بأمورهم أحسن تدبير ، فإنَّ **الرعية تنعكس إليهم الأخلاق والأحوال من ولاتهم** ويكونون على دينهم . **فافهم** .

وقد كنتُ في انقباض وكُدورة بسماع خبر انتشار الظلم والفساد في أهل قرية أستاذي قدس سره ، وبعد قليل بلغني نبأ صلاح حالهم بولاية رجل يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ولا يخاف في الله لومة لائم ؛ فحصل لي الفرح والبشارة ، وشكرت الله تعالى على ذلك .

وهكذا يدبُّ أثر الصلاح أو الفساد على مَن في أقاصي البلاد ؛ فضلاً عن الرعية ، فكن يداً يُمنى لمثل هذا الرجل ، ولا تثق بأقوال أهل النميمة والسعاية في مثل هذا ، **فإن الرجل إذا عدل في الرعية صار نصفُ أهل البلد أعداء له وحساداً** ، فيجتهدون في عزله لأغراضهم الشخصية الخسيسة ، فالتفطُّنُ لمثله واجبٌ عليكم ، وأرجوكم أن لا تنسونا وأولادنا في الدعاء ، وحفظنا الله وإياكم من فتن العصر في جميع الآناء ، وأوصيكم بالعدل والاستقامة أوَّلاً وآخراً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأنا الكاتب الحقير حسن النقشبندي الشاذليّ القادريّ سامحه الله من فرطاته . آمين .

مكتوب عبد اللطيف الأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل عبد اللطيف الأواري الكذلكلي رحمه الله ما لفظه :

إنه من الحقير حسن القحي إلى ولد روحه عبد اللطيف ؛

السلام عليكم ؛ إن تلك الفتنة قد تحركت بشؤم مَنْ لَعَنه رسول الله ﷺ بقوله : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » ؛ فقد استحل الناس أموال المسلمين واتخذوها فيما بينهم متجراً ، واستحلوا دماءَهم وعدُّوها بينهم مَفْخَراً ، وصاروا كلهم غرقى في بحر الفتنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فهذا :

هـو الـزمـان الـذي كـنـا نـحـذره ... في قول كعب ، وفي قول ابن مسعود

لـو دام هـذا ولـم يحدث به غيرٌ ... لـم يُبـك مـيتٌ ولم يفرح بمولود

فماذا نفعل ؟ فقد نزل بالناس رشحة من شؤم أعمالهم!! وإن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئاً ، ولكنهم أنفسهم يظلمون ؛ جزاهم جزاءً وفاقاً ، فالزبانية في الآخرة والظلمة في الدنيا على حدّ سواء ، وحديث : « كما تكونوا يولى عليكم » شاهد عدل على ذلك .

مِنْ جَوْرِ أعْمَالِهِمْ جَوْرُ الزَمَانِ بَدَا ... كَمَـا يَكُونُوا يَـرَوْا أهْـلَ الـوِلاَيَاتِ

والله[1] لو تولَّى الخضر عليه السلام أو القطب شيئاً من ولايات هذا الزمان لما قدر أن يفعل مع الناس إلا ما يستحقُّونه بأعمالهم ، وأكثر الناس عن هذا غافلون ، فهم يعيبون على الغير وينسون أنفسهم وأعمالهم ، إنا لله . . . إلخ . انتهى .

---

(١) هي من مقالة سيدي علي الخواص ، كما ذكر شعراني في « المنن الكبرى » ص ١٢٣ ج٢ ومرَّ في ٢٩٩ . (من نسخة أخرى) .

وعلّق بذيله أستاذنا الأواري الحاج عمر بن رجب حفظ الله تعالى نقلاً عن « تاج العروس على القاموسي » من مادة غبط ما لفظه في الحديث « يأتي على الناس زمان يُغْبَط الرجل بالوحدة كما يُغْبَط اليوْمَ أبو العشرة » . انتهى عبارته . وكتبه أيضاً عن محمد بن سليمان الأواري وهو عن أستاذ القحي قدس سره أنّه سمعه يقول : وقوع حية في بطن زوجة خير لك اليوم من وقوع ولد ، وقال له أيضاً : لأَنْ تلقى حية خير لك من أن تلقى ولداً . انتهى .

مكتوب إلى هطنو الحدوطي : العقوبة بالذنب

وكتب قدّس سرّه إلى العابد التقي الناسك الحاج هطنو الحدطي ما حاصله إلى الحاج هطنو :

سلام عليكم وبعد : فبسماع ما حلَّ بكم من المصائب ؛ من الأسر والحبس وإتلاف المال وتهديم الدور أصابنا رشحات من ضيق القلب ؛ وسوء الحال ، بَيْد أن ذلك لما كان جزاء أعمالنا **وجب علينا الاستغفار ، فكلّ ما في الكون هو ظلُّ ذاتنا ، ولا يظلم الله أحداً في الدنيا ؛ ولا في العقبى** وينبغي أن يعلم **أن الظلمة في الدنيا ، والزبانية في العقبى على حد سواء** ، وعسى الله تعالى أن يجعل ما أصابنا عقوبة معجَّلة ؛ عجَّلها الله لنا بذنوبنا في الدنيا حتى نتخلَّص منها في العقبى ، **وذلك رحمة من الله** ، **فإن الله لا يثنِّي العقوبة ، فاصبروا** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . هذا والسلام من حسن . انتهى .

نحن عَبيد ذي الجلال والجمال فله الحمد في كل حين وحال . ولعل الله سبحانه وتعالى يجعل في نيران النِقَم أنوارَ النعم فاصبروا واسألوه منه سبحانه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى﴾ . . إلخ . « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم وثم » . . إلخ . اللهم لا تجعلها عذاباً وغضباً واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . انتهى بالمعنى من رسالة الأخرى .

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن معنى قولهم (إن المقرَّبين لا يبتلون) وظنّي – والله أعلم – أنَّ معناه : أنهم ؛ **وإن ابتلوا لا يَرَوْنَ ذلك إلاَّ نعمة ، لما أن البليَّة جاءت من محبوبهم الحقيقي سبحانه وتعالى** ، لا أنهم لا يصيبهم صورة البلاء ، فتفكَّر في هذا ، وفي « أشدُّ الناس بلاء . . . إلخ » والسلام . انتهى .

وصيته إلى أمير « غونه » بَايْ صُغُور

وكتب قدس سره إلى العالم أمير ناحية « غُونِه » بَايْ صُغُور الأواري رحمه الله : باسم الله خير الأسماء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من هذا الفقير الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي النقشبندي الشاذلي القادري سامحه الله من فرطاته ؛ إلى ولده المحبوب المرجوّ للاستقامة ، والمأمول للإقامة على العدل والإنصاف بين الرعية ؛ أمير أطراف نواحي « غُونِه » بَايْ صُغُور الأواري الخنزاخي ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فالذي نسأل الله جلَّت عظمته ، وتقدَّست أسماؤه وصفاتُه : أن يُديم لكم هبوب نسيم رياح نصره وتوفيقه وإعانته ، وأن يملأ قلبكم من الخوف من سطوته سبحانه في سرّه وعلانيته ، فإن تلك المرتبة ؛ أي : النصر والتوفيق والخوف ما سعد من سعد في الدارين إلاّ بها ، ولا فاز برضاء الله تعالى من فاز إلا بحيازتها ، حلاّكم الله تعالى بحسن الخلق ، وحفظكم عن سوء الخلق والخرق .

ثم إن الذي أوصيك به أيها الولد المحترم ؛ أن تمسك بحبل الرأفة والرحمة ، والعدل والإنصاف في الرعية ، وأن لا تخالف بقدر طاقتك الأحكام الشرعية ، فهذه وصيتي ونُصحي الشامل ، ما استغنى عنهما كريمٌ ؛ ولا كامل .

واعلم أن الله تعالى قد ولاَّك على خلقه ، وائتمنك على عباده وبلاده ، فأنت أمين من أمناء الله تعالى عليهم ، وهو سبحانه سائلك عن أمانته ، وعمَّا فعلتَ مع خليقته ، فاحذر من الله تعالى أن يجدك حيث نُهيت ، أو يفقدك حيث أمرتَ .

وإياك ثم إياك والظلمَ على خلق الله ، فإنه ليس للمظلومين دونه حجابٌ ، ولا تأمَنْ مَكْرَ الله تعالى في حال من الأحوال ، فإنه تعالى خيرُ الماكرين ، ومُحوِّل الأحوال ، وإن لله تعالى فوق تدبيرنا تقديراً ، فإنه كان بكل شيء خبيراً ؛ لا يهمل صغيراً ولا كبيراً ، ولا يبالي بمخلوق ؛ مأموراً كان أو أميراً .

انظر إلى ما كان عليه غَيْتْمَازْ ونجم الدين من الراحة والرفاهية والرآسة على المسلمين ، وإلى ما آل إليه أمرهما أخيراً ، إنَّ الله تعالى كان بعباده خبيراً بصيراً . أعاذنا الله تعالى من أن نرجع على الأعقاب ، ونكون من المستحقين للعقاب ، وحفظنا من المكر والاستدراج ، وأدامنا على العافية إلى الممات ، فقد صار نجم الدين كما رأيناه عياناً رجماً للدين ، وقد كان سيف الله قدس سره كتب إلينا في حقِّه بهذه العبارات (ذلك العالم فتنةُ العالَمِ ، لا كثَّر الله أمثاله) . انتهى .

مطلب مهم

ثم المرجوُّ من جنابكم أن تكون نظراتُ رأفتكم على الضعفاء والعاجزين ، فإنهم محلُّ نظر الله تعالى ، **فعلى قدر اعتنائك بهم ترتفع رتبتك عند الله تعالى** ، وأوصيك في المظلومين بما روي عن رسول الله ﷺ : « من ولاه الله ملكاً فأتاه ذو الحاجات فاحتجب عنهم احتجب الله عن حاجته ، فلا يلتفت إليه ولا يعبأ بدعائه واستغاثته » . انتهى بمعناه .

وكن للمحسن محسناً ، ولا تقابل إساءة المسيء بالإساءة ، فإن إساءته ستكفيه ، وأنزل الناس مَنَازِلَهُم ، واحترم على الخصوص العلماء والفقهاء ، واحفظ عن أذيَّتهم ، ففي الحديث : « من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » . والعلماء إذا لم يكونوا أولياء الله فليس لله وليٌّ على وجه الأرض .

ثم اعلم أيّها الولد ؛ أن الغفلة عن الله بالكليَّة هي شأنُ الأراذل ، فلا ينبغي لك أن تكون منهم ؛ وأنت من الأفاضل ، فلا تترك على الأقلِّ في كلِّ صباح ومساء مائة من الاستغفار ، ومائة من الصلاة على النبي ﷺ ، ومائة من الذكر حسبما كنتَ عليه قبلُ ، وأرجو من الله تعالى أن يكفيك ذلك ما بينهما . **فافهم** هذا الكلام ، واعمل عليه ولا تخالفه ، فإن المخالفة شينٌ ، والموافقة زين .

هذا ؛ ونرجوك أن تكون لأهل قُرانا كجناح الطير ، وترفع عن الناس كلَّ شرٍّ وضير ، والله يهدينا وإياكم إلى ما فيه الصلاح ، ويسلك بنا وبكم إلى سبيل الإصلاح ، ويُديم لنا الأمن والأمان ، مع العصمة من عواصف فتن الزمان ، إنه على ذلك قدير . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . حرّر في ١ شعبان سنة ١٣٣٩ . انتهى . باخ وتبديل .

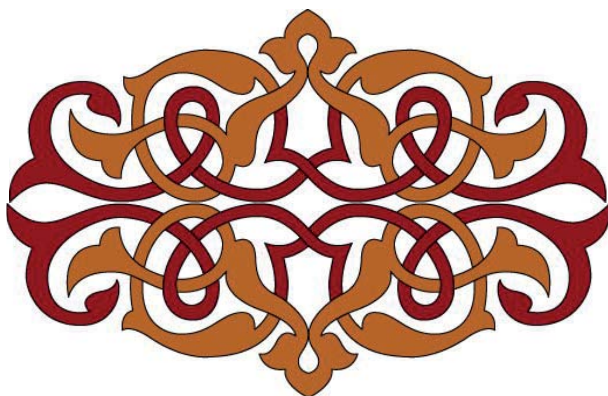

الباب العاشر

في مكاتيب منشورة في فوائد منثورة

مكتوب من اليعسوبي في أوراد تقرأ للفتن يريد جمعها

وكتب قدس سره إلى ولده المحبوب اليعسوبي أنه على قصد جمع رسالة جامعة تجمع أحزاب السادات وأورادهم وأدعيتهم التي تُقرأُ للخلاص من الفتن التي عمّت الناس وأدهشتهم ، وتكون أماناً وحرزاً لهم من الحوادث المدلهمة ، وبثَّ إليه الشكوى عن برد الأيام ، وضعف بصره ، ورجا منه الدعاء بالتوفيق لإتمام مأمولاته ، ثم بعد زمان كتب إليه ولده المذكور أنه جمع في ذلك المقصود كتاباً ، وأراد منه أن يسميه بما شاء من الأسماء ، ورجا من الأستاذ قبوله منه .

جواب إلى اليعسوبي

فكتب قدس سره في جوابه يفوِّض إليه أمر التسمية ، ثم قال أخيراً :

ومعلوم أنَّ الثواب لا يفوت لمن أحسن ، **ولا مقصود من التأليف إلاَّ الإحسان للخلق** والاهتمام بأمورهم ، وفي الحديث : « من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منا » . انتهى .

يستأذنه في جمع مكتوباته هذه

وكتب إليه ولده المذكور أنه خطر بباله جمعُ « مكتوباته » مع « مكتوبات » الأستاذ السيد سيف الله الغموقي قدس سره في مجلّد ، ورجا منه أن يأذن له في ذلك .

جوابه الإذن بجمعها

فكتب قدس سره في جوابه : إن ذلك القصد هو الذي انطوى عليه ضميره منذ زمان ، لولا أنه لا يَسَع له وقته للموانع والعوائق ، فأرسل يأذن له في ذلك ، وقال من جملة كلام له :

وأنت تقتصر منها على ما هو المقصود ؛ ولا تُطيل ، بل تكتب هكذا : وكتب قدّس سرّه . . . إلخ ، ما حاصله : انتهى اختصاراً . أو تكتب هكذا : وكتب رحمه الله . . . إلخ . انتهى . إن كان المكتوب لائقاً بكتابة جميعه ، وبعد إتمام مكاتيب السيد قدس سره يجوز لك أن تكتب ما كنتَ جمعته مما سمعتَه من الشيخ العسليّ قدس سره ، وبعد ذلك فَلَكَ أن تكتب ما رأيتَه من مكاتيب الحقير ، ولعلَّ الكتاب يصير نافعاً ! ! انتهى .

اليعسوب : وأوراد لها أسرار مجرّبة

وكتب إليه ولده اليعسوب قدس سره أنه يرى مما لا بدَّ من قراءته في هذا الوقت : « حزبُ الحفظ » الذي في ٦٥ من « مجموعة الأحزاب » ، و« حزب الإخفاء » الذي في ٥٧ ، وأنه جرّب لذهاب القبض الحاصل من أحوال الزمان قراءة « حزب الشكوى » الذي في ٧٩ .

قال : فزدت هذه الأحزاب على ما كنت أقرؤه قبل ، وقد قال تعالى ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ورأيت في كتاب أظنه « شرح الحكم » : أن الله تعالى لا يفتح للعبد باب الدعاء إلاَّ فتح له باب الإجابة . انتهى .

جواب المؤلف لليعسوب

فكتب في جوابه : إن قراءة الأحزاب تكون **بقصد مجرَّد الامتثال موقناً بالإجابة** ، ففي الحديث : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » وهو حديث صحيح ، فاقرأ ما ترى لعلك تفوز بما هنالك ، وارتكب على الأسباب . والله الموفق . انتهى .

حسين المحمد العوري يستجيز بالأوراد

وكتب إليه ولده المعنوي حسين المحمد العوري يستأذن منه ، ويستجيز لقراءة الأحزاب .

إجازته بالأوراد المطلوبة

فكتب قدّس سرّه في جوابه : السلام عليكم أيها المحبوب ؛ لك مني الإجازة لقراءة أحزاب الشاذليّ قدّس سرّه ما شئت منها ، ولقراءة حزب الإمام النووي ، وحزب الإمام محيي الدين العربي[1] ، ولك الإجازة أيضاً لتلقين ما شئت منها لمن طلبه منهم ، **وحزب الإمام النووي موافق لحال العصر** . . إلخ والسلام .

أمره بالأوراد أيام الفتنة

ووجد بخط اليعسوبي أن الحقي قدس سره أمره أيام الفتنة العامَّة في داغستان بقراءة هذه الأحزاب التي أُوردت في « مجموعة الأحزاب » :

اللهم ؛ كما لطفت . . . في ٣٥٧ ، هذه حفيظة عظيمة في ٦١ ، حزب الحرس في ١١٦ ، حزب الحجب في ٦٢ ، ومن أدعيته في ١١٩ .

مكتوب إلى الخچادي

وكتب القحي الحقي قدّس سرّه إلى العالم محمد بن أحمد الخچادي بعد سلام وكلام :

وأحبَبْتُ أن تقرأ الأحزاب ؛ نظراً لحال العصر ؛ **فإنها حصُون** ، وقد قال الشاذليّ رضي الله عنه : مَن قرأ حزبنا – أي : حزب البر – فله ما لنا ، وعليه ما علينا ، وكان رضي الله عنه يقول أيضاً : إنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه ، وقال أيضاً : من حفظه فهو من أصحابي . انتهى من خطه .

---

(١) هو مسمّى بـ « الدور الأعلى » .

حزب الحصين والمصون للغزالي

وكتب قدّس سرّه إلى اليعسوب : أرى المصلحة اليوم في قراءة هذين الحزبين : حزب « الحصين » للإمام الغزالي في ٢٦٧ ، وحزب « المصون » له أيضاً في ٢٧٠ من « مجموعة الأحزاب » . فافهم . انتهى .

الرابطة والأوراد اللائقة

وكتب قدس سره إلى الأواري : إنك تلازم المراقبات بقدر الطاقة ، وتقرؤون من الأحزاب ما هو اللائق بالوقت ؛ حفظنا الله وإياكم من الفتن والمحن . آمين . انتهى .

حزب اللطف

وكتب إليه أيضاً : أرى المصلحة في قراءة حزب « اللطف » صباحاً ومساء ، وهو في « مجموعة الأحزاب » ص ٤٤ ج١ .

فائدة مجموعة الأحزاب

وكتب إلى الحاج عمر الأواري : إلى ذلك الأخ المحبوب المقبول الحاج عمر الأواري : سلام عليكم ؛ فإن « مجموعة الأحزاب » كتاب في مجلدين أولهما ما في يدي ، والثاني : ما في يدك ، فإن أردت أن يكون لك[١] ما في يدي ؛ فاطلبه ، **وإلاّ فيكفي لك ما في يدك للتبرك** ، والحزب الأول من الجزء الأول من « مجموعة الأحزاب » حزبُ الشاذلي ، والحزب الأول من الجزء الثاني منها حزبُ الإمام النقشبندي قدّس الله أسرار جميعهم آمين . **وأيهما كان في الدار من الدور تنزل البركة وتندفع البلية إن شاء الله تعالى** ، وليس بيدي إجازة إلا لقراءة أحزاب الشاذليّ ، وحزب محيي الدين العربي . فافهم ، فهذا ، والسلام الكثير والوصية بالدعاء ونحن في الحال في صحة وسلامة وندعو لكم بحصول الاستقامة والتقوى . الفقير الحقير أخوكم القحي . انتهى من خطه قدس سره .

---

(١) بيد أنه يحصل لكم بسبب جمعهما البركة الزائدة . انتهى من مكتوب آخر (من نسخة أخرى) .

الإجازة والقراءة بغير إجازة

وكتب إليه أيضاً : السلام عليكم وعلى أهليكم أيها الأخ المحبوب والخليل المقبول ، هداكم الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحكم ، وألهمكم الرشد إلى جميع ما يرضى الله عنكم ورزقكم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، آمين . ثم إن الولد أخبرني أنكم تطلبون مني الإجازة لقراءة « فتح الرسول »[1] ، والحال أني لم آخذ الإجازة لقراءته من مشائخي قدس الله أسرارهم .

فاعلم أيها الأخ المرجوّ للاستقامة ؛ **أني أقرأ أدعية لم آخذ لقراءتها الإجازة** ، وأقرأ أحياناً وقت الفراغ أحزاباً من « أدلّ الخيرات » ، وأحزاباً من « مجموعة الأحزاب » ومن غيرهما **رجاء أن تكون الإجازة لقراءتها داخلة في الإجازة المطلقة العامة** ، وقد قال في آخر « أدلّ الخيرات » ما نصُّه : وأنا أجزت بقراءته كلَّ مَن وصل إليه راجياً منه الدعاء ، وهذه **الإجازة شبيهة بالمناولة عند المحدثين** . انتهى ٢٠٣ .

وأظن أن ما في « فتح الرسول » لا يخلو مما في « أدلّ الخيرات » ، فلازم الخيرات والدعوات ، وادع للحقير أخيكم الفقير . فهذا ، والسلام . انتهى من خطه قدس سره .

الرخص والعزائم

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن جواز ارتكاب على الرخص ما لفظه :

إن أهل الله تعالى من أكابر الأولياء لا يمنعون من الرخص ، ولا يكلفون على أخذ العزائم ، بل قد ورد عن النبي ﷺ : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » من الجزء الأول قريباً من آخره ، وفي « المتممات » . فراجعهما . انتهى .

---

(١) « فتح الرسول ومفتاح باب الدخول لمن أراد إليه الوصول » تأليف محمد عثمان الميرغني .

جواب سؤال عن تكبير الأذان

وكتب إليه أحدُ مريديه يسأله عن كيفية قراءة (الله أكبر الله أكبر) في الأذان .

فكتب في جوابه : في « فتح المعين »[١] ما لفظه : وتسكينُ راء التكبيرة الأولى ، فإن لم يفعل ! فالأفصح الضمُّ . انتهى ٢٤٣ . وفي « الإعانة »[٢] : قوله : وتسكين . . . إلخ أي : ويُسَنُّ تسكين راء التكبيرة الأولى من الأذان . انتهى عبارته والسلام .

---

(١) بشرح « قرة العين » .
(٢) « إعانة الطالبين » .

❋ من حسن إلى الولد المحبوب حَج دَدَ وأهل بيته : سلام عليكم ولن يتركم أعمالكم آمين . **وبعد** : فاعلم أيها الولد **أن صلة الرحم من أعظم ما يجب حفظه ، وقطعه من عظائم الذنوب** ، كما هو معلوم لديكم ، وأن الشيطان ليجري من ابن آدم ، مجرى الدم ، وقد كان الله تعالى أنعم عليكم بالنعم الجليلة ؛ لما أنه جعلكم إلى الآن إخواناً صالحين ، فكفران هذه النعمة غير لائق بجليل جنابكم الرفيع ، **ولا يخفى عليكم أنَّ الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة . والعاقل لا يضيع الآخرة لأجل هذه الفانية** ، وأنتم لا يخفى عليكم أنَّ والدكم من النسب الروحي مائل إليك من بينهم ، بيد **أنه يريد أن تكون أنت وإياهم على حد الاستقامة** ، فالذي أوصيكم به ؛ أن تذهبوا لدى العالم القاضي محمد ، ولا تخالفوا أمره ، فإنه يحكم بينكم بحكم الله ، ومن لم يرض منكم بحكمه فهو الذي لم يرض على حكم الله ، ولا يخفى ما يترتَّب على ذلك ؛ فالعياذ بالله ، ومن المعلوم المتيقن لديكم أنَّ القسمة لم تقع موافقة للشرع فيجب عليكم موافقتها الآن بما شرع الله به ، فتسامحوا في هذا الأمر واعفوا واصفحوا يغفر الله لكم . والسلام وأوصيكم بالدعاء . (من نسخة أخرى)

❋ إلى ذلك العالم المتورّع أخينا في الله حَجيَوْ الأواري ، سلام كثير عليكم إلى يوم الدين ، **أما بعد** ؛ فأهم مقاصد الحقير الفقير كونكم في كنف الله ودوامكم على التوفيق وَالاستقامة ، وملازمتكم على العمل بما علَّمكم الله تعالى . ثم إني أحببت أن أعول أمر هذه المصلحة إليكم ، **إني رجل لا أريد الظهور ، بل أريد الخمول تحت الستور ، ولا أعلم الكلمة والكلام لأتكلَّم بين العوام بما يليق بحالهم** ، ولا أعرف إخوان القاتل ، ولم أرهم إلى الآن قط ، فإن كنتم تريدون أن أكون بينكم فإني لا أكسل أن أصل إليكم ؛ والملاقاة معكم من مطالب أخيكم ، بيد أنِّي عوَّلت أمره إلى الحاج عمر ، وطلبت منه أن يتفحص حقيقة ما في بواطنهم ، **فإنه جاسوس القلوب وإن كنْتم عن حقيقة حاله في غفلة** ، فالعفو والصفح عن هذا الحقير الفقير مرادُ أيّ مراد ، ولعلك تفهم من كلامي كثيراً من الهواجس ، والسلام وأوصيكم بالدعاء . (حسن) . (من نسخة أخرى) .

جوابه في شكوى الأولاد

وكتب قدّس سرّه إلى من يشكو عن أولاده : أمَّا أمر الأولاد ! فلعل في ذلك المصلحة ، ولا عيب على الوالد بارتكاب الأولاد على المحظورات ، لأن ذلك سنَّة الله في أوليائه وأنبيائه ، ويكفي في ذلك آية ﴿سَئَاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ الآية ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ الآية ، وكذا ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ كما هو معلوم لديكم ، والخيرُ فيما وقع إن شاء الله تعالى . انتهى .

جواب لإهدائه « تلخيص المعارف »

وأرسل قدّس سرّه تأليفه « تلخيص المعارف » إلى اليعسوبي ، فكتب إليه قدس سره من جملة كلام : لما طالعتُ تأليفكم « تلخيص المعارف » وجدناه كنزاً مخفيّاً لم يطمسه قبلكم إنسٌ ولا جان ، **وتحقَّق عندي أنَّ كلَّ ما حَصَل لي من مطالعة كتب القوم إلى الآن من الفوائد لا يستوي بما حصل لي منه في هذه الأيام ، فببركة مطالعته عَزَمْتُ على التشمّر في هذه الطريقة العليّة ، وغاب عن قلبي وُدُّ غيركم** ، وصار ما سواكم مبغوضاً عندي ، واستوحشتُ عن مجالسة الناس ؛ شوقاً إليكم ، وإلى مؤلَّفكم النفيس . . . إلى آخر ما قال . انتهى . بالمعنى .

وكتب أيضاً : أنه يتجدَّد حاله ويتأثر فؤاده برؤية خطِّه والنظر إلى مكتوبه ، ويتحوَّل القبضُ بسطاً ، والوحشة أنساً . انتهى ، وفق الله الكل لما فيه رضاه .

التوسل والتسلي بنظم رجال الطريقتين

وكتب اليعسوب إليه قدّس سرّهما أنه لما غلب عليه الحال وطرأ عليه القبض بسبب ما عمَّ على عامة الناس من الفتن التي غشيتهم وأدهشتهم تسلّي بنظم أسماء أُسود الطريقتين العليتين ؛ النقشبندية والشاذلية قدَّس الله أسرارهم ، والتوسّل بهم إلى تسهيل الأمور ، وتيسير الخطوب . السلسلة النقشبندية على قافية

الراء ، والشاذلية على قافية التاء ، وكلاهما من « بحر الطويل » . ومن جملة ما كتبه اليعسوبي إليه في هذا المكتوب ثلاثة أبيات قال : وقلنا في ذلك شعراً :

عَصَيْنَا وَلَمْ نَشْكُرْ حُقُوقَ نِعَيْمِكَا ... ولم نحسب الإقْبَالَ يرتدُّ مدبراً

إلى أنْ تَـوَلَّى عَيْشُنَـا وأَصَـابَنَا ... مـصـائبُ رَدَّتْـنا كَذَاكَ أصَاغراً

رَزَايَـــا أَذَاقَتْنَـا مـلابـسَ ذِلَـةٍ ... ولـم يُـبْـقِ مـنا الدهْرُ إلاَّ تفكُّراً

انتهى .

كيفية النية في الأعمال

وكتب قدّس سرّه جواباً لمن سأله عن كيفية النية في عامة الأعمال ما لفظه :

واعلم أن النية والحضور شرط لكل عمل يقصد به القربة .

إن كان العمل فرضاً ؛ أو واجباً ! ينوي به امتثال أمر الله تعالى واتباع نبيه ، ويشرع لله .

وإنْ من السنن الرواتب والمستحبَّات ! ! فينوي اتباع النبي ﷺ والسلف الصالحين كذلك .

وإن من ضروريَّات البشرية ؛ كالأكل ، والشرب وغيرهما ! **ينوي التقوِّي على الطاعة** . انتهى من « صحيفة الصفا » عبارته . انتهى من خطه قدّس سرّه .

---

* من حسن إلى الأخ المحبوب المقبول الحاج عمر الأواري ؛ سلام كثير عليكم ، **أما بعد** ؛ فنحن في الحال في عافية تامة و . .إلخ ، ثم إن الحامل لما أخبرني بأنك شذذت من موضع الاجتماع ضاق به قلبي وانقبض باطني . **فاعلم أيها الأخ أن سوء الظنِّ بأمثال هذه الواقعة مما لا يليق بأمثالكم الكرام ، مع أنكم أقارب** وأنتم لعمر كالأب ، ومن يقوم له مقام الأب سواكم؟! فاللازم عليكم أيها الصديق **أن تنصحوا له بقول ليِّن وتنبِّهوه إلى ما هو أصلح له ولزوجته** ، وإن فعل في حقها ما لا يليق شرعاً فقل له **ما هو الائق بحاله** ، وإلاَّ **فالحسد والحقد بين الأقارب مما ذمَّه الشرع ويلومه خيار الناس** ، فشذوذكم من موضع الخير مما يثقل على قلوب الإخوان **هذا ما عندي بَيْدَ أن صاحب الدار أَدْرَى بما فيها** ، فافهم والسلام . انتهى من خطه قدس سره . (من نسخة أخرى) .

شكره واعتذاره لمن أرسل هدية

وكتب قدّس سرّه إلى القاضي إبراهيم الهؤري ؛ لما أرسل إليه هديَّة ؛

من جملة كلام له : فواخجلتي أيها المحبوب المقبول منك فقد جُدْتَ . . . إلخ ، ففرحنا بذلك ، وإن سال منا عرقُ الحياء منكم ، وقبلناه بالرضاء ، **وأخذناه منه تعالى ؛ لا منك ، ولك ؛ لا لنا ، فنحن إن شاء الله تعالى- نضع صدقتك في أجواف رجال يذكرون الله تعالى ، ليحصل لك أجرُ عبادتهم ، فإنَّ كلَّ عبادة نشأت من لقمة فهي لصاحب اللقمة** ، والحبّة من الصدقة توزن عند الله يوم القيامة بجبال الأجر ، كما نطقت به الكتب . فجزاك الله عنا خيراً ، وزادك شكراً . آمين . انتهى[١] .

مكتوب إلى الهندخي شكراً على هدية

وكتب قدّس سرّه إلى أستاذنا وملاذنا والطبيب عللنا وأمراضنا ، حميد أفندي حفظه الله وعافه الله ورزقه الله حسن الخاتمة ، آمين . وروَّج الله على يديه الشريعة والطريقة والسنّة ، آمين . حين أرسل له ضيفه الأمين (وضيف هذا الفقير جامع هذه الرسائل عفى الله عنه) محمّد ولد سلطانل محمّد فروة جديدة ما حاصله ؛

السلام عليكم ؛ أيها الإخوان الكرام ، فقد أوصَل الحاملان هديَّتكم فقبلناها بالرضاء ، بيد أني أخذتها من الله ؛ لا منكم ، ولا لي ؛ بل لكم ، تقبلها الله . آمين .

(١) ما أخوف ما تخاف عليَّ ، فأخذ بلسان نفسه وقال هذا ، ويؤيده أنه أخرج أحمد : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » ، « إذا صلحتْ صلح الجسدُ كلُّه » ، « استقيموا ولن تطيقوا » أي : حق الاستقامة . وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ ما نزل على رسول الله عليه سلام في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية . (من نسخة أخرى) .

ثم إني أعَوّل عليك يا هِطِنَوْ مُحَمَّدْ دِبِرْ أمرَ مكافأة هذه الهدية ؛ ولو بالقول لمعطي الجلود ضيفنا الأمين محمّد ولد سلطانل محمّد ، لأنَّه ﷺ قال : « إذا أسدى إليكم أحدٌ معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فاثنوا عليه خيراً » الحديث ، فجزاه الله عني خيراً ، ووقاه ضَيْراً ، وكثَّر أغنامه ونمَّى ماله . آمين ، فقد غمسني في بحر الحياء . وأجرى على جبيني عَرَقَ القبض والانكسار ، بارك الله في أمواله وأولاده ، وألهمه رشده آمين وفعل ذلك بكل من أعان لعملها غسلاً وخياطة . . . وإلخ ، وغفر ذنوب الجميع ، ورضي عنهم . آمين . والسلام . انتهى .

اعتذاره عن قبول هدية « المسنّ »

وكتب قدّس سرّه إلى من أرسل له مُسِنّاً : السلام عليكم أيها الولد الكريم **وبعد** : فإني لا أعرف علَّةَ إرسال هذا المسنّ لي ! ! فإن كنتَ أرسلتَه بظنِّ أني رجلٌ من المساكين ؛ فأنت تجدُ يا أخي أكثر مسكنة منِّي كثيراً من الناس ، وإن كنتَ أرسلته بزعم أني رجل صالح ؛ **فأنا لستُ من أهل الصلاح فيما أعلم ، بل أنا من أكبر العاصين على وجه الأرض عندي** ، وعلى كِلاَ الحالين لا يحلُّ المُسِنُّ المُرْسَلُ لي . والسلام . انتهى معرّباً من العجمية[1] .

---

(١) وعن الأستاذ حميد أفندي حفظه الله ؛ أنه كان يقول كثيراً : إن من أكبر ما أفادني من كلامهم قول ابن عطاء الله في « الحكم » : الكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه . انتهى ، أي : لأنَّ الكون كله دليل على وجود الحق لمن نظر إليه بعين الاعتبار ، فلعله حفظه كان يرى الله تعالى عند كل كون أو أمامه أو معه ، كما كان يقوله بعض الصحابة رضي الله عنهم وعنه وعنا بهم آمين . (من نسخة أخرى) .

* ومن أعطي لوصف يظنُّ به ؛ كفقر أو صلاح أو نسب بأن توفَّرت القرائن أنه إنما أعطي بهذا القصد ، وهو باطناً بخلافه حرم عليه الأخذ مطلقاً . انتهى . وحيث حرم الأخذ لم يملك ما أخذه . انتهى . « ابن حجر » من صدقة التطوع عبارته . (من نسخة أخرى) .

مهم

وقد قال الشعراني في بعض كتبه : إني لم أقبل الهدية من أحد ؛ لأني إذا لم أكن كما في ظنِّه فلا يحلّ لي ما دفعه ، وإن كنت كما في ظنه ، فإني حينئذ أيضاً أكون من

مكتوب لمن أرسل له هديّة

وكتب قدّس سرّه إلى من أرسل له هدية مع السلام : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته وحفظه وحرزه من كل آفة وعاهة وبليَّة ، آمين .

فلقد وصل إلينا هداياكم ، واستحينا منكم بحيث يعرق منابتُ الشعور من الجسد ، **بَيْدَ أنه لما كان من جهة دائرة سخاوتكم قبلناها لكم ؛ لا لنا ، ومن الله ؛ لا منكم** ، فالحمد لله الذي أنعم عليكم وجعلكم ممن لا بخل في فؤادهم ولا شحَّ في أنفسهم .

ثم اعلم أن الصدقة تردُّ البلايا ، وتمحو الخطايا ، وتُشفي المَرْضَى ، ولا ينقص بها المال ، بل ينمو ويزيد فيه البركة ، **ولذا أسألك أن تجعلها صدقة ؛ لا هديَّة ، وأن لا تعطيها بظنّ الصلاح ؛ لئلا يكون أكلاً للدين بالدنيا** . فافهم والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه . (١)

الذين يأكلون الدنيا بالدين . من مجلة « بيان الحقائق » عبارته . (من نسخة أخرى) .

فإن كان فقيرا يكافئ بالدعاء

« مرجانة » أوصاني شيخي ﷺ ؛ أن لا أبدأ أحداً بهدية ، إلاَّ إن كانت على سبيل تطييب خاطره لجناية سبقت مني عليه أو غير ذلك ، فقلت له : لِمَ ؟ فقال ﷺ : لأنك تعرضه بالهدية لكلفة المكافأة ، فقلت له : فإن كان يكافئ بطيب نفس ؟ ! فقال ﷺ : لا حَرَج ، قلت : فإن كان فقيراً يكافئ بالدعاء ! ، قال ﷺ : مثل هذا يهْدى إليه ، لأن وليَّه الله ، وهو تعالى يكافئ عنه ، والله أعلم . من كتاب « الجواهر والدرر » عبارته ١٣٥ من هامش « الإبريز » . (من نسخة أخرى) .

(١) (ثبت) : بالتحريك وبالسكون بمعنى ثقة ؛ يعني : ما ثبت له المحدث مسموعه . قال السخاوي : **ثبت** بسكون الواحدة ؛ للثابت القلب واللسان والكتاب والحجة ، وأما بالفتح ؛ فما ثبت به المحدث مسموعه ، مع أسماء الشاكرين له فيه ؛ لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره على القارئ . « تحفة الفكر » من خط خط حسن أفندي ، وهو من خط سيف الله ، وهو من خط زين الله ، قدس الله أسرارهم ورزقنا فيوضهم وبركاتهم آمين . (من نسخة أخرى)

* **فائدة** : روى ابن منصور أنه ﷺ كان إذا قضى صلاته مسَح جَبهته بكفه اليمنى ، ثم أَمَرَّها على وجهه حتى يأتي بها على لحيته الشريفة ، وقال « باسم الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، اللهم أذهب عني الهمَّ والحزن والغمَّ ، اللهم بحمدك انصرفت وبذنبي اعترفت ، أعوذ بك من شرِّ ما اقترفت ، وأعوذ بك من جَهْد بلاء الدنيا

جواب شكوى قساوة القلب

وكتب قدس سره إلى مَن شكا إليه قسوة قلبه :

في « شرح عين العلم » أن صفيَّة قالت : إن امرأة شَكَتْ عائشةَ قساوة قلبها ، فقالت : أكثري ذكر الموت يرقَّ قلبك ، ففعلتْ ؛ فَرَقَّ قلبُها ، فجاءت تشْكر عائشة رضي الله عنها . انتهى عبارته ٨٨ ج٢ . انتهى .

الزيادة في أوراد مأثورة

وكتب إليه بعضهم في حقِّ زيادة (أستغفر الله العظيم . . إلخ) (٣ مرات) بعد السلام من الصلاة حسب العادة المعهودة .

فكتب في جوابه ؛ نقلاً عن كتاب « ترشيح المستفيدين » ما لفظه : فإذا سلّم مسح جبهته بيمينه . وقال : أستغفر الله (ثلاثاً) ، ثم : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه (ثلاثاً) ، ويمسح بيمينه على رأسه . انتهى عبارته ٧٣ ، وعينُه في « الباقيات الصالحات » في ٤٣٣ فراجعه في آخر « الترشيح » . انتهى من خط قدّس سرّه .

كلام جامع في فضائل الصلاة عليه ﷺ

وطلب منه قدّس سرّه بعضُهم كلاماً جامعاً مختصراً في فضائل الصلاة على النبي ﷺ ؛ فكتب هذا النقل ، وقال ﵁ : رأيت رسول الله ﷺ ؛ فقلت : يا رسول الله ؛ صلاة الله عليك[1] عشراً على مَن صلَّى عليك مرّة واحدة ، هل

وعذاب الآخرة » . « بغية المسترشدين » عبارته ٤٥ . وكان ﷺ إذا صلى وفرغ من صلاته مسح بيمينه على رأسه - أي : مقدم رأسه « الحرز الثمين » - وقال « باسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم اللهم أذهبْ عنا الهم والحزن » . (ر طس ي) . « حصن » عبارته . وروينا في كتاب ابن السني عن أنس ﵁ قال كان رسول الله ﷺ إذا قضى صلاته مسح جبْهته بيده اليمنى ثم قال « أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم اللهم أذهب عنا الهم والغم والحزن » . « أذكار النووي » عبارته . (من نسخة أخرى)

(١) في « تلخيص المعارف » هكذا لعله الأصح : قال الإمام الهمام شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ببلد الله الحرام السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول » في

ذلك لمن كان حاضر القلب ؟ ! فقال : لا ، بل لكلِّ مصلٍّ عليَّ ؛ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها ! ! فلا يعلم ذلك إلاّ الله تعالى .

قال بعض العارفين : مَن فاته كثرةُ الصلاة والصيام ؛ فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه مَن صلَّى على النبي ﷺ مرَّة صلّى الله عليه عشراً ، فلو فعل الإنسان جميعَ الطاعات طول عمره ، ثم صلَّى على النبي ﷺ مرَّة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كلِّ ما عمله جميعَ عمره من جميع الطاعات ؛ لأنك تصلِّي على حسب وسعك والله يصلي عليك - أي : يرحمك - على حسب ربوبيَّته ، **عَطِيَّةُ القَوْم على قَدْرِ أقدَارهم** .

هذا إذا كانت صلاة واحدة ، فكيف إذا صلَّى عليك عشراً بكل صلاة ؟ ! انتهى من « تقريب الأصول » عبارته ٨٣ .

أسباب حفظ الإيمان

وكتب قدس سره في أسباب حفظ الإيمان : وممَّا جُرِّب لحفظ الإيمان أن يقرأ قوله تعالى ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ (سبع مرات) خلف كلِّ صلاة .

من « الدليل التام على مرشد الأنام » عبارته من هامش « فتح العلام » .

أثناء ذكر كلام لأبي المواهب الشاذلي قدس سره ما نصه : وقال ﷺ رأيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله صلاة الله عشراً على من صلى عليك مرة واحدة هل ذلك إن كان حاضر القلب ؟ فقال : لا ، بل لكل مصلّ عليَّ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وإذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

❊ وقد يسلط الله تعالى أمثال هؤلاء المُعَيِّرين فضلاً من الله لك لتتيقظ بأمثالهم لما خفي لك فيك من دسيسات النفس ، فتصير هفوات أولئكم المتعصِّبين رحمة لك في نفس الأمر ، جزاء وفاقاً رغماً لأهل البواطن الخبيثة ، فكن على كل حال من الشاكرين ، واعبُدْ ربك حتى يأتيك اليقين . من « مكتوبات الأمير السيف قدس سره » صحيفة ١٥٧ ، وراجع ص ٤٢ من المكتوب الثاني عشر . (من نسخة أخرى) .

ومما ذكره مؤلف « بغية المسترشدين » لحفظ الإيمان : قراءةُ : اللهم إني أعوذ بك أن تصدَّ عنِّي وجهَك يوم القيامة ، اللهم ؛ أحْيني مسلماً وأَمِتني مسلماً خلف تكبيرة الإحرام . انتهى .

وكذا يقول عند ختم القرآن اللهم ؛ اختم لنا بخير ، وافتح لنا بخير ، فكلا هذين ورد الوعد لفاعلهما بالموت على الإسلام . « حدائق الأرواح » . انتهى منه عبارته .

لدخول الجنة بغير عذاب

وفي « السراج المنير » للعزيزي على « الجامع الصغير » للجلال السيوطي في ص ٢٢٩ ج٢ : « خصلتان لا يحافظ عليهما – أي : على فعلهما – عبد مسلم إلا دخل الجنة – أي : بغير عذاب – أَلاَ – بالتخفيف : حرف تنبيه – وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله تعالى في دبر – بضمتين ؛ أي : عقب – كل صلاة مكتوبة عشراً ، ويحمده عشراً ، ويكبره عشراً ، وذلك خمسون ومائة في اليوم والليلة باللسان ، وألف وخمس مائة في الميزان ؛ – لأن الحسنة بعشر أمثالها – ، ويكبر[١] أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ، ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فتلك مائة باللسان ، وألف في الميزان – لما ذكر – فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » ؟ ! يعني : إذا عمل هذا العدد من السيئات ؛ وأتى بتلك الأذكار ، صار مغفوراً له . (حم خد) ؛ عن ابن عمر بإسناد صحيح . انتهى عبارته .

قوله : إلا دخل الجنة ، **فالمواظبة على ذلك علامة على دخول الجنة** . ح « الحفني » عليه عبارته .

(١) هذا هي الخصلة ثانية ، « حفني » عبارته .

لاستمرار الحسنات

وفي « نوادر الأصول » : لقي جبرائيل موسى عليه السلام ، فقال جبرائيل : إن ربك يقول : من قال دبر كل صلاة مكتوبة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض ، وكل شيء هو في علمك كائن ؛ أو قد كان ، أقدم إليك بين يدي ذلك كله[1] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ فإنَّ الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ؛ ليس فيها ساعة إلا ويصعد إليَّ منه سبعون ألف حسنة ؛ حتَّى ينفخ في الصور . قال الترمذي : حصلنا حساب ليلة : ثمان مائة ألف ألف ، وأربعين ألفاً ، وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف وألف وستُّ مائة ألف ألف هذا اليوم والليلة ، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك . من « تنوير الصدر شرح حزب البر » عبارته وهو كتاب نفيس عجيب ، و« ذخيرة المعاد » عبارته .

(وأقدم إليك قبل كل) بالجر عطف على (كل) الأولى ، (شيء هو في علمك) ؛ أي : تعلَّق به العلم مما أبرزه وأظهره للوجود . منه عبارته ١١٩ ج١ ؛ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

للموت على الإيمان

للموت على الإيمان خمس مرات بعد الجمعة :

إِلَهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أَهْلاً وَلاَ أَقْوَى عَلَى نَارِ الجَحِيمِ
فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَاغْفِرْ ذُنُوبِي فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَنْبِ الْعَظِيمِ

راجع . انتهى من خطه قدّس سرّه .

ووجدت بخط أستاذي الأواري حفظه الله قال : إنه كتبه من خط اليعسوبي ، وهو من خط شيخه الحقي حسن حلمي وهو من خط شيخه السيد سيف الله قدس الله أسرارهم . قال الشيخ أبو العباس المرسي : وأما الخضر عليه

---

(١) بين يدي ذلك كله ؛ (هَبْ صِّبِ رِخْصَرَبْ كِنَلْدَكُ صِّبِ) . ويقال : أن بين يدي الساعة أهوالاً ، أي : قدّمها . « مختار » عبارته .

السلام فهو حيٌّ وقد صافحته بكفِّي هذا ، وأخبرني أن من قال كل صباح : اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ ، اللهم أصلح أمة محمد ﷺ ، اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ ، اللهم اجعلنا من أمة محمد ﷺ صار من الأبدال . فعرض بعض الفقراء قوله ذلك على الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال : صدق أبو العباس رضي الله عنه « لطائف المنن »[1] وراجعه عبارته ٨٤ ج٢ .

وكان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول : من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرِّج عن أمة محمد كتبه الله من الأبدال . انتهى « تنبيه المغترين » عبارته ٤٥ .

وقال أبو العباس المرسي رضي الله عنه : رأيت ليلة كأنِّي في سماء الدنيا ، وإذاً برجل أسمر اللون قصير الطول كبير اللحية فقال : قل اللهم اغفر لأمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم استر أمة محمد ، اللهم اجبر أمة محمد . هذا دعاء الخضر ، من قاله كل يوم كتب من الأبدال ، فقيل : هذا الشيخ ابن أبي شامة ، فلما انتبهت وأتيت إلى الشيخ أبي الحسن جلست ولم أُخبره بشيء ، فقال : اللهم اغفر لأمة محمد (الدعاء) ، من قاله كل يوم كتب من الأبدال . « لطائف المنن » عبارته ١١٣ ج١ من هامش « المنن الكبرى » لشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله .

مكتوب إلى الطدي بدعاء النصف من شعبان

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج محمود الطدي : سلام عليكم أيها الأخ المحبوب المقبول الحاج . . . إلخ .

فلقد وجدت شيخنا المرحوم قدّس سرّه يفعل ما ذكروه في كتبهم ؛ من قراءة سورة « يس » (ثلاثاً) ، والدعاء المشهور بعده في ليلة النصف من شعبان ، فلنا به أسوة ، وهو أعلم منا بألوف ، **وإن أهل الكشف يعرفون تمييز الحديث الضعيف من**

(١) ومثله في « المواهب » و« روض الرياحين » و« قول التام » و« زهرة رياض » وراجعه .

الصحيح ، فيجوز أن يكون الحديث الضعيف عند أهل الحديث صحيحاً عندهم . فافهم[1] ، وراجع « الإبريز » ، وكتب الشعراني[2] . انتهى من خطه .

تأييده لتعدد الأزواج

وكتب قدّس سرّه إلى العالم حسينل محمد العوري وهو في « غزانش العليا » مؤذناً لهم : سلام كثير على ذلك الأخ المحبوب والخليل المقبول . . . إلخ .

أما بعد حمد الله تعالى : فقد سمعنا أنك اجتمعت بامرأة جديدة كالسيد الأمير سيف الله ، فتكونان خادمتين لكما ، فأوجب ذلك لقلبي سروراً شديداً ، وفرحاً أكيداً ، ودعوت الله تعالى لكما ولهما بحصول الألفة والمودَّة والمحبَّة بينكما وبينهما .

أيها الأخ المحبوب؛ إنَّ الرجل يفضل على الآخر بكثرة الأزواج ، ويثاب عليه الثواب الجزيل ، فإن أردت أن تعرف فضيلة كثرة الأزواج ؛[3] فانظر إلى « إحياء علوم الدين » من أوائل كتاب النكاح ، وقل لشيخنا سيف الله قدس سره يطالع ويراجع « الإحياء » من ذلك الموضع تريان عجباً ، ويحصل لكما انبساط تام . فافهم ولا تهمل ، والسلام .

---

(١) لكن لا يحتجون على ذلك ، وإنما لهم العمل به لأنفسهم ؛ حفظاً لظاهرِ الشريعة ، ويكون بمثابة المنام في حق صاحبه لا يتعدّاه ؛ احتجاجاً ، أو عملاً ، أو استدلالاً .

(٢) تجد فيها أن أهل الكشف يعرفون تمييز . . . إلخ . (كاتبه) . (من نسخة أخرى) .

(٣) وكان للشيخ – أحمد الرفاعي رضي الله عنه – امْرأة بذيّة اللسان تسفه عليه وتُؤْذيه ، فدخل عليْه الذي رآه في مقعَد صدْق يوْماً ، فوَجَد بيد امرأته محرَاكَ التنُّور وهي تَضْربُهُ به على أكتافه فاسودَّ ثوبهُ وهو ساكتٌ ، فانزعج الرجل وخرج من عنده فاجتمع بأصحابَ الشيخ وقال : يا قوم ، يجري على الشيخ من هذه المرأة هَذا ، وأنتم سُكوتٌ ؟ ! فقال بعضهم : مَهْرُهَا خمسمائة دينار وهو فقيرٌ ، فمضى الرجل وجمَعَ الخمسَمائة دينار وجاء بهَا إلى الشيخ في صينيّة ، فوضعَهَا بين يَدَيْه ، فقال له : ما هَذا ؟ فقال : مَهْرُ هذه الشقيَّة التي فعَلتْ بك كذا وكذا ، فتَبَسَّمَ وقال : **لو لا صَبْري على ضَرْبهَا ولسانهَا مَا رَأيْتَني في مَقْعَد صدْق** رضي الله عنه . « قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبْد القادر » عبارته ٨٣ . (من نسخة أخرى) .

توصية بحسن العشرة مع الزوجة

وكتب قدس سره إلى سَيِّدَوْ الخلقري الدتوني النهري رحمه الله[1] :

السلام عليكم يا أخي ، وبعد ؛ فأوصيكم بأهلكم خيراً ، حَسِّن خُلُقَك معها ، وَلِنْ لها ، وانبسط معها ، **الناس يعيبون على أمثالنا بأيسر الأشياء وأقلِّها** ، ويرون قليلَ عيبنا كثيراً ، ويعدُّون صغيرَ عملنا كبيراً ، الأمان الأمان ، الحذر . .

---

(١) وفي نسخة : سَيِّدَوْ الخلقري الدتوني رحمه الله .

* وصية شيخنا وشيخ شيوخ الأكابر مَولانا ومُرْشدنا العَارف بالله صاحب الفيض القدسي أبو عبْد الرحمن زين الله بن رسول الشريفي المعموري النقشبندي المجدِّدي ، قدس الله سره وعن باقي إخوانه وخلفائه المنتسبين إليْه : شبَبْ كَكْدَ خَدُبْ فاتحة الكتاب ، وآية الكرسيّ ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ . . إلى ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، زُّل هِزُلْ فَضِيلَةْ عِمرْ بُكُ ؛ هلْدَصَنْ هَنِبْك بِزِرْ : **أخرج ابن السني** في « عمل اليوْم والليلة » وأبو منصور الشجاعي في « الأربعين » عن عَلَي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، والآيتين من آل عمران ؛ ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ . . .إلخ . و﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ** ﴾ . . إلى ﴿ **بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ هنَّ مُعَلَّقات بالعرش ما بينهن وبين الله حجاب ، يقلن : يا ربِّ تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك . قال تعالى : إني حلفت لا يقرؤكنَّ أحدٌ من عبادي دبر كل صلاة - يعني المكتوبة - إلا جعلت الجنَّة مأواه على ما كان فيه ، وإلا أسكنته حظيرة الفردوس القدس ، وإلا نظرتُ إليه كل يوم سبْعين نظرة ، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حَاجة أدناها المغفرة ، وإلا أعَذته من كل عدوٍّ ونصَرته منه » . « الدر المنثور في التفسير بالمأثور »عبارته للإمام العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله .

* **وصية** شيخنا المذكور ونفسي فداؤه : شبَبْ كَكْدَ خَدُبْ زُّلَ فَرضَيَبْ ، زُك كَلاَمْ هَبزعَنْ : اللهم إني أقدم إليك . .إلخ ، ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾ . . إلَى ﴿ **ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ** ﴾ . وفي « نوادر الأصُول » : لقي جبرائيل عليه السلام موسى عليه السلام فقال جبرائيل عليه السلام : إن ربك يقول : « من قال دبر كل صلاة مكتوبة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل) . .إلخ ؛ فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، ليس منها ساعة إلا ويَصْعد إليَّ منه سبعون ألف حسنة حتى ينفخ في الصور . قال الترمذي : خلصنا (- نسخة : حصلنا -) حساب ليلة ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألفاً ، وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف وألف وستمائة ألف ، ألفاً هذا اليوم والليلة ، فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك . راجع « ذخيرة المعاد » من هامش « عقد اليواقيت » ، و« تنوير الصدر - هو كتاب نفيس عجيب (منه) - على حزب البر » من هامش « مجموعة الأحزاب » من الجزء الأول . (قحي قدس سره) . (من نسخة أخرى) .

الحذر ممَّا يلومه الناس قولاً وفعلاً ، فكن راضياً أنيساً مؤنساً لقرينتك ، جعل الله عقبى جمعكما إلى خير . آمين والسلام . انتهى معرَّباً .[1]

آخر بحسن العشرة

وكتب إليه أيضاً بعد سلام وكلام :

إنَّا إذا أكثرنا القول مع أزواجنا وأسأنا الكلام معهنَّ ، فإنهنَّ ولا ريب لا يتأدّبننا ولا يحترمْنَنَا ، على أنهنَّ لا يفرغن لخدمتنا ، فسامح وتجاوز ، واعف ، وعِظ وانصَحْ بلطف ورفق ، دون عنف ! فما فَعَلْن يكفينا . والله الموفِّقُ والسلام . انتهى معرَّباً ومطوَّلاً .

معنى المحجة البيضاء

وسأله القاضي كلج الطدي عن معنى حديث : « تركتكم على المحجة البيضاء . . . إلخ »

فكتب قدس سره إليه ؛ قوله : البيضاء ؛ في « الهمزية البوصيرية » أي : النيرة الواضحة التي لا يضلّ سالكها ، ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة ، وهذا مقتبس من قوله ﷺ « تركتكم على الواضحة البيضاء ، ليلها كنهارها[2] ، ونهارها كليلها ، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك » . « المنح المكية » عبارته ٨٧ .

مهم

أراد بعضهم تطليق زوجته ، فقيل له : ما يسوءك منه ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر زوجته . فلما طلقها قيل له : لِمَ طلقتها ؟ قال : ما لي وللكلام فيمن صارت أجنبية منِّي . « آداب المريدين » .
فعلم أنَّ من كمال عقل الرجل في هذا الزمان كثرة الاتجاء إلى الله تعالى ؛ بأن يلطف به فيما سبق به علمه ، فإنَّ العبد لا يدري إلى أين مصيره ، ولا هل سبق في علم الله تعالى أن يكون عبرة لمن بعده أم لا ؟ ! والله يتولى هداك ، والحمد لله ربِّ العالمين . من « المنن الكبرى » . عبارته ١١٥ ج٢ . (من نسخة أخرى) .

(٢) أي : باطنها كظاهرها . (من نسخة أخرى) .

وفي « المصابيح » بلفظ : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيّاً لما وَسِعَه إلا اتِّباعي » انتهى عبارته . وفي « المفاتيح » عليه[1] (قوله : لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة) منصوبات على الحال ، وكلاهما عبارةٌ عن الظهور والصفاء ، والخلوص عن الشكِّ والشبهة ، يعني : لقد جئتكم بالملَّة الحنيفية في حال كونها أظهر الملل وأطهرها وأيسرها ؛ لا مشقَّة فيها ؛ بخلاف ما كان في دين اليهود من المشقَّةِ العظيمة ؛ لأن دينهم أن يُخرجوا رُبعَ مالهم في الزكاة ، وأن يقطعُوا موضع النجاسة من الثوب ، ولا يجوز غسلُه ، وغير ذلك من العسر . انتهى عبارته .

هذا ما وجدته في تفسير الحديث الذي . . . إلخ ، والسلام عليكم مع العالم عمر لمحمد ، وأنا أخوكم حسن . انتهى من خطه قدس سره .

وكتب قدس سره إلى العالم كلچ الطدي : أيها الأخ المرجو للاستقامة القاضي كلچ : انظر إلى هذه المكاتيب التي كتبها شيخنا سيف الله قدّس سرّه ، واطلب من أثنائها ما كتبه في خصوص الصلاة المشيشية الممزوجة ، وضُمَّه إلى ما في « الإبريز » في ص ٢٢٢ واجعل الجميع حاشية لتلك الصلاة ، وأرجو الله تعالى أن يجعل ذلك نافعاً للإخوان ، وأما إنّي في الحال وإن كنت على عزم عمل حاشية لها فعاجز فافهم والسلام . انتهى . وقد كنت كتبت معنى (مجامع معالم) . . إلخ بلغتنا أخذاً من أواخر « شرح الحكم » لكني لم أصادف في الحال . انتهى من مكتوب آخر إلى اليعسوبي قدس سرهما .

كتب قدس تسره إلى صاحبه الصادق الحاج حبيب الله رحمه الله حين يذهب قاصداً إلى « عَسَى » أوجِزْ في الوعظ ولا تُطِلْ فإن الناس يسأمون التطويل ، فافهم . انتهى .

---

(١) أي : على « المصابيح » . و« المصابيح » هو : مصابيح السنة للإمام البغوي ، و« المفاتيح » للملا علي القاري المسمّى « مرقاة المفاتيح في شرح المصابيح » وكلاهما مطبوع والأول محقق في بيروت .

وكتب قدّس سرّه إلى العالم القاضي إبراهيم الهؤري بعد سلام : يا أخي ؛ إني أجد في كتب علم الحرف والأوفاق والرقاق خواصَّ عجيبة لحامل بعض الآيات القرآنية وقارئها ، والحال أن كتب الفقه تقول بكراهة حمل ما عليه اسمٌ معظَّم أو . . . إلخ لقاضي الحاجة ، أو الداخل في موضع النجاسة ، والواطىء عليها ، ولهذا الذي ذكرته كنت امتنعتُ عن كتابة أسماء الله تعالى وآياته لمن جاء يستكتبُ منَّا الأسباب والحروز والهياكل ؛ أدباً مع اسم الله وآياته ، فإن ظفرتم في حقِّ جواز تعليقها على الأطفال وغيرهم بنقل مقبول ؛ فإرساله إلينا من أهم مقاصدي ، وإن كان تكليفكم به تركَ أدب معكم . انتهى باخ .

وأيضاً في كتب الفقه التي بأيدينا أنه لا يجوز للمحدث مسُّ صندوقِ مصحف وهو فيه ، فما الفرق بين كونه في صندوق ؛ أو في نحو شمع حتى يجوز هذا الثاني ! ! فافهم منه بالمعنى . انتهى بخطه .

ويحرم حمل[1] المصحف ، ومسّ ورقه وكذا جلده على الصحيح ، وخريطةٌ وصندوق فيهما مصحفٌ ، وما كتب لدرس[2] قرآن ؛ كلوح في الأصحّ ، والأصح حلّ حمله في أمتعة وتفسير ودنانير لا قلب ورقه بعود . « منهاج » عبارته .

قوله : لدرس القرآن ؛ أي : بقصد القرآن وحده ؛ ولو حرفاً واحداً ، وخرج به ما قصد للتميمة

(١) أي : يحرم . (من نسخة أخرى) .

(٢) بخلاف ما كتب لغير ذلك كتمائم المعهودة عرفاً . « نهاية » . عبارة « المغني » : أما ما كتب لغير دراسة كالتميمة ؛ وهي : ورقة يكتب فيها شيء من القرآن ويعلق على الرأس مثلاً للتبرك والثياب التي يكتب عليها ، والدراهم كما سيأتي فلا يحرم مسها ولا حملها . وتكره كتابة الحروز ؛ أي : من القرآن وتعليقها إلا إذا جعل عليها شمع أو نحوه . . إلخ . انتهى من « الحواش الحميدية » عبارته . (من نسخة أخرى) .

القرآن كما مر ، فلا يحرم مسها ولا حملها وإن اشتملت على سور ، بل قال الشيخ الخطيب : وإن اشتملت على جميع القرآن ، وخالفه شيخنا الرملي . والعبرة بقصد الكاتب لنفسه أو لغيره بلا أجرة ولا أمر ، وإلاَّ ! فقصد المكتوب له ، ويتغير الحكم بتغير القصد من التميمة إلى الدراسة وعكسه . « شهاب » عبارته .

استشكال التحذير من « الإحياء » والتوصية به

وكتب إليه قدس سره بعض مريديه يستشكل ما في : « الشهاب على شرح المنهاج » من كتاب (الاعتكاف) بما لفظه :

فائدة : ذكر الإمام الشعراني في « المنن » ما نصُّه : ويحذر من مطالعة مواضع من كتاب « إحياء العلوم » للإمام الغزالي و . . إلخ . انتهى عبارته . مع أنه قدس سره أثنى على « الإحياء » كثيراً وأوصى بمطالعته ولدَه وغيرَه ؟ !

فكتب قدّس سرّه : إن ذلك الكلام ليس على إطلاقه ، قال : فإن الشعرانيّ نفسه أثنى على الغزالي كثيراً ، وأجَاب عما في « الإحياء » مما اعترضوا عليه في كتابه « الأجوبة المرضية » ، و« اليواقيت » ، وغيرهما ، وكذا أثنى على « إحيائه » وعلى « قوت القلوب »[1] للمكيِّ الإمامُ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » ، وكذا صاحب « عقد اليواقيت » ، و« تقريب الأصول » ، بل ألَّف الشيخ العلامة محي الدين العيدرسي باعلوي مؤلَّفاً مفرداً في فضيلة « الإحياء » مسمَّى بـ « تعريف الأحياء بفضيلة الإحياء » ، بل ذلك غنيٌّ عن البيان ، وما وقع . . . مذكور في ترجمته الموضوعة بذيل نسخة « الإحياء » المطبوعة بـ« مصر » .

وكتب العلامة القدقي على قول الشهاب ؛ نقلاً عن الشعراني ما لفظه : في « شرح الهمزية » لابن حجر : إنَّ هذا محمولٌ على مَن لا يدرك مقاصدهم ، ولا يعرف قواعد اصطلاحهم . فراجعه . انتهى .

(١) أي : لأبي طالب المكي الذي هو أصل « الإحياء » . (من نسخة أخرى) .

يقول الحقير جامع هذه الرسائل عفى الله عنه : قد بسط العارف الشعراني قدس سره الكلام على هذا المبحث في « المنن الكبرى » فمن شاءه فليراجعه ص٢٩ ج٢ .

وَيُكْرَهُ كِتَابَةُ الْحُرُوزِ وَتَعْلِيقُهَا إلاَّ إذَا جَعَلَ عَلَيْهَا شَمْعاً[١] أَوْ نَحْوَهُ[٢] « إقناع » عبارته .

واختار المصنف : أنه لا يكره حمل الحروز التي كتب فيها شيء من القرآن إذا جعل عليها شمعٌ أو جلدٌ أو نحو ذلك . « النجم الوهاج في شرح المنهاج » للعلامة كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى .

فائدة شاملة مجرَّبة للفهم والرزق

وكتب قدّس سرّه إلى العالم محمد بن أحمد الخچادي رحمه الله في « ذيل التذكرة الأنطاكية » ص ١٧٨ :

فائدة لفهم العلم وكثرة المال وسَعَة الرزق ؛ مرويَّة عن الشيخ جلال الدين السيوطي ؛ وهي :

من قال (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم ، بديع السماوات والأرض وما بينهما من جميع جُرمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه) ؛ كلَّ يوم بعد صلاة الصبح ، فإنَّ له ما ذُكِر ، وجرّب ذلك مراراً وصَحَّ . انتهى عبارته فراجعه . واستغفر للكاتب أخيك الحقير . انتهى من خطه قدس سره .

فائدة لسَعَة الرزق والغنى

وكتب إليه : وفي « الصاوي » : لسَعَة الرزق قراءة آية ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (تسع مرَّات) في كلِّ[٣] صباح ومساء .

(١) أي : خرقة مشمَّعة لأنها تحفظه . « بجيرمي » عبارته . (من نسخة أخرى) .
(٢) كجلد « بجيرمي » عبارته . (من نسخة أخرى) .
(٣) في كل يوم تسع مرات . « صاوي » عبارته . (من نسخة أخرى) .

وفي « الإتحاف شرح الإحياء » وغيره للغنى أن تقول أربعَ مرَّات بعد صلاة الجمعة : اللهم يا غنيّ يا حميد . . . إلخ[1] .

---

(١) **مكتوب آخر**

وكتب قدّس سرّه إلى من سأله عن أول رمضان عام كذا ما لفظه ؛ إن أول يوم من رمضان يكون يوم كذا نظراً إلى القرائن وإلى حساب الروزنامات ، فإن أكثرها ينبئ عن ذلك ، بيد أن الفقهاء رحمهم الله تعالى لهم تفصيل في حق الصوم عملاً بها ، وأنتهم تعلمون ما هنالك ، وما قالوه في العمل بالرؤية وعدمه . فالحاصل ليس عندي أدلة موافقة للشرع في هذا الأمر لكن الظن الغالب هو ما ذكرته فانظروا وتفحصوا . هدانا الله تعالى إلى ما فيه إصابة الصواب ، وألهمنا التوفيق والاستقامة ، وحفظنا من سوء الأدب في هذا الشهر المبارك آمين . انتهى .

وجدت بخط أستاذي الحاج عمر الأواري حفظه الله ما ملخصه : أن العابد التقي الحاج شيرز العسوي رحمه الله أخبره عما وقع له مرة مع الأستاذ ، قال : إنه خرج قاصداً لزيارة الأستاذ قدس سره في « قحه » ، وكان هو حينئذ معلّماً ومقرئاً القرآن لصبيان « بَقْلِيَال » فتفكر في طريقه سوء حاله ، وما هو عليه من اختلال أعماله وكثرة تقصيراته وتراكم غفلاته فلم يزل يبكي إلى أن يدخل قريته ، وبعد ما توجه الأستاذ إليه قال له : يا أخي إني كنت ذهبت مرة إلى أستاذي الحاج عبد الرحمن قدس سره باكياً منكسر البال من كثرة غفلات وتقصيراتي فلما دخلت عليه قال لي : **لا ينبغي لنا ترك الشكر على ما أنعم الله علينا بمنِّه وفضله سبحانه ، فإنه سبحانه وتعالى ألهمنا أن نسلك سبيل هدايته** وأهَّلنا أن نستغفره في الملوين كذا وكذا مرة ، وأيضاً نصلي على النبي ﷺ قدر كذا ، ونذكر الله تعالى كذلك ، فلو لم يكن من نعمه تعالى عندنا غير ذلك لكفى ووجب علينا الشكر على هذه النعم دائماً ولو بقينا على ما عليه عامة الناس ؛ من الاشتغال بالأكل والشرب ومصّ التنباك مع ترك الأوامر وارتكاب النواهي وإنفاق العمر العزيز في اللهو واللعب بل في الغيبة والنميمة والاستهزاء والسخرية وإلخ وإلخ . **فماذا كنا نقدر أن نفعل فالشكر على نعم الله تعالى مما لا ينبغي لنا إهماله** ، وقد قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ . انتهى .

ثم قال الحاج المذكور : إن الأستاذ القحي قدّس سرّه أخبره عن ثواب إهداء ثواب القراءة والدعاء للأموات وفضيلته ، قال : وكنت أكثر الدعاء لهم وأهدي ثواب القراءة لأرواحهم في كل يوم وقت انصرافي من المدرسة .

وذكر الحاج أيضاً : أن الأستاذ قد أكثر من التجربة في حق أخذ الأجرة على التعليم والإقراء ، وقال : **إن الأخذ ، والإعطاء إذا كانا لأجل الله تعالى جائزان** ، فلما قلت له : إني لا آخذه ، ولا مطمع لي فيه ، **فرح بذلك فرحاً شديداً لا يوصف** وقرأ آية . . . . ، ثمَّ دخل علينا واحد من المقرئين مثلي ، فلما عرض عليه أمر أخذ الأجرة أفتى له بالجواز . انتهى والحمد لله .

السؤال بالحال أعظم من السؤال بالقال

وكتب[1] قدّس سرّه إلى واحد من مريديه : أَيُّها المحترم[2] ؛ إني كنتُ منذ زمان في استشراف نفس إلى هذا الكتاب المنظوم المستطاب ، وقد كنت ذكَّرتك إياه في ذلك المجلس الصالح بالبديهة من غير تفكُّر ورَوِيَّة ، لكونه مترسِّخاً في الباطن ، **وقد خِفْتُ من أن يكون ذلك سؤالاً بالحال ؛ وإن لم يكن بالقال ؛ لما أَنَّ السؤال واستشرافَ النفس مذمومٌ شرعاً وعقلاً ، ولذا رددته إليك عاجلاً** ؛ مع كونه أحبَّ إليّ مِنْ مِلءِ الأرض ذهباً وفضة ، بَيْدَ أنه لما وقع الكلام بيني وبين الحاج عمر الطبيب الأواري قال لي : لا يجوز لك ردُّ الكتاب ؛ لأن نجم الدين يَسيء خاطره بذلك بلا شكٍّ ، **فقبلته بعد ذلك وأخذتُه من الله ؛ لا منك ، ولك ؛ لا لي** . فجزاك عنِّي خيراً وعافاك . آمين . الفقير الحقير حسن القحي . انتهى من خطه قدّس سرّه .[3]

---

(١) مهم : وقد قالوا : السؤال بالحال أعظم من السؤال بالقال « المنن الكبرى » عبارته ٤٥١ ج ٢ .

(٢) وفي نسخة : أَيُّها المحترم النجيب

(٣) وقرنُ الصور : قرن ينفخ فيه ، قيل : كهيئة البوق . وروي : أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور ؟ قال « قرن ينفخ فيه » . وروي أنه ﷺ قال « كيف أنعم وصاحبُ الصُّور قد التقمه وأصغي سمعه وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر » ، فقالوا : يا رسول الله وما تأمرنا ، قال « قولوا **حسبنا الله ونعم الوكيل** » . « زاده علي القاضي » عبارته ٢٦٣ ج٢ ، تأليف الشيخ العلامة العارف بالله تعالى محي الدين محمد ابن الشيخ مصلح الدين الشهير بـ« شيخ زاده » من أكابر علماء الحنيفة ، أَلَّفه رحمه الله في ٩٤٣ ، كما في النسخة المذكورة . من تفسير سورة الأنعام . (من نسخة أخرى) .

❋ واعلم أن حج الإنسان عمن لم يحجّ تبرعاً أفضل من حجه عن نفسه تطوّعاً . انتهى . وبأجرة خلاف الأفضل ، لكنه من أطيب المكاسب ، فإنه يحصِّل لغيره هذه العبادة العظيمة ، ويحصل له حضور تلك المشاهد الشريفة ، فنسأل الله من فضله . ومحل كونه خلاف الأفضل إذا قصد بذلك الدنيا ، ، أما إذا قصد الآخرة لاحتياجه للأجرة ليصرفها في واجب أو مندوب ؛ ككفاية أهله والتوسعة عليهم أو على أهل الحرم ، فله الثواب الكامل ؛ لأنه ضمَّ أخرويّاً إلى أخرويّ . « فتح القدير » باختصار متعلقات نسك الأجير ، تأليف العلامة جمال الإسلام محمد بن سليمان الكردي المدني رحمه الله تعالى . (من نسخة أخرى) . .

وعليكم السلام أيها الأخ المحبوب . . .إلخ ، واعلم أيها المحترم إني قريب العهد إلى لقاء الرحمن جل وعز ، وعمري في الحال ثلاث وستون ، ولا أدري كم بقي ، ومن المعلوم أن لا أبقى في هذه الفانية عُشر ما مضى ؛ ولأجله كنت أردت أن يبقى أثري بعد موتي وفوتي رجاء أن يكون سبباً للأجر والثواب وعدم انقطاعهما في خالف الأزمان ، وقد ألهم الله تعالى على قلب هذا الرجل أن يضع كتابنا في المطبعة مع أني لا أعرفه ولم أره . انتهى . ثم إني أرسلت لك . . .إلخ ، وذا من هدايا الله تعالى بواسطة فلان ، وهو رزق ساقه الله إليك ، فلله الحمد على ذلك ، ولي تأليفات آخر نافعة للخلق إن شاء الله تعالى لو طُبعت يحصل بها النفع العام لأهل الله[1] . . . إلخ .

وجد بخط ناسخه تاريخ نسخة واسم الناسخ كما يلي :

في يوم الأربعاء الرابع من صفر ١٣٧٨ هجرية ، قد تم كتبةُ الكتاب المستطاب بعون الله الملك

الوهاب ، بِيَد أحقر العباد محمد ابن العالم عمر ابن العالم الحاج نور محمد

ابن العالم محمد بن عمر النهريين ، غفر الله لهم ولجميع المؤمنين آمين ،

اللهم اجعل سعينا مبروراً ، وعملنا مقبولاً ،

وأفض علينا من فيوضات

السادات الكرام

آمين

---

(١) وفي نسخة زيادة : منها : « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، ومنها : « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » ، ومنها : « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » ، ومنها : « سراج السعادات في سير السادات » ، ومنها : « فيض الرحمن في بيان كلام الشيخ عبد الرحمن » . فاجتهد يا أخي في حث صاحب المطبعة إلى طبعها ، فلك من الله الثواب الجزيل إن شاء الله ، وبلِّغْ سلامي إلى مُحَمَّدْ مِرْزَهْ وأوصيك وأوصيه بالدعاء (الحقير حسن) .

الزيادة التالية من نسخة محمد أفندي العكّلچي قدّس سرّه

يا سيدو ! سلام عليكم ، إنَّ أولئك الناس يطلبونني غير مرة لحضوري لديكم فأنا خائف من الله تعالى أن أردَّهم ، ومستح من جهتهم أن أخيب ظنهم فيَّ ، والحال أني لا أريد الخروج إلى الخارج ، فأستخر الله تعالى في ذلك ، وأرسل ما بدا لك ، فإني متحيِّر في هذا الأمر ، والسلام .

دواء مرض الصدر

وأرسل العالم كلچ الطدي إليه قدس سره يطلب الدواء لمرض أصابه يسمى الحَسَا ؛ أَيْ : كِرِنْ أَنْتِ حَلْ ژِنْ . انتهى .

فكتب قدس سره (كَنْ بُصُنْ لِدَلْ هَلز هَبُنْ هِبْ لِمْ مِخْ مِخَلْ كَلِب خُن لِكَبْ بُكَ حَلْ ژِنَلِ (مجرَّب) . أُنْتِ ژِكَّرَبْ بَكَّلْدَ طَدْ بِ بَخَّجُكْ رَقْدَلْ لِرَلْ چِّيكِ لِكَبْ بُكُ) . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب مأذونه الحاج حبيب الله رحمه الله : وعليكم ألوف السلام . . . إلخ ، إن مرض الصدر مرض يسمى لدى أطباء العرب بـ « نفث الدم » فهذا الدواء الذي أَصِفُه بعدُ مجرب لذلك جدّاً ، فإن كان المرض خفيفاً يقتصر على الأطعمة الخفيفة والأشربة المبرّدة مع الراحة التامة ، وإن كان غزيراً ومصحوباً بحرارة وحمى وكان الشخص قوي البنية يفصد بذراعيه فصداً عاماً ويسقي الأشربة المبردة الباردة جدّاً ، وينبغي له الراحة والسكون والصمت بحيث لا يتحرك ولا يتكلم ، ويشرب مَغْلِيَّ الشعير مع النعناع ، وكيفية غليانه ؛ يصب فنجان من الماء الصافي على ملء فنجان واحد من الشعير مع قليل من النعناع فيغلي حتى يقشر الشعير ، ثم يخلطه بقليل من السكر ويشرب ملعقة من ساعة واحدة في اليوم والليلة مرات ، وأوصيكم بالدعاء ؛ هذا ما عندنا ولعل الله تعالى يشفي به مرضكم شفاء لا يغادر سقماً . انتهى . بتغيير يسير في العبارة .

مكتوب آخر

وكتب قدس سره إلى سكتو : ودواء مرض الصدر كما جربته ؛ أكل حَب السفرجل فإنه يلين الصدر ، وأكل البصل المشوي أيضاً دواء للسعال كما في كتب الطب ، وإن الحاج حبيب الله كان يأمر من أصابه ذلك بغسل الزبد ؛ أي : شَرِلْ نَخْ إلى أن يجيء ماء غسالته طاهراً ، ثم يخلط السكر المطحون به فأكله نافع له ، كما في « تذكرة الأنطاكية » وقد جربته مراراً . انتهى .

يا سكتو أرسلت لك هذا أي : مُوميَا (قُرُلْ فِژْ) هِبْ بِ تُلِصِ لِكَبْ بُكُنَ أَبُنْ أَبُلَ ، أُرْهِصَ جَغَلْ لِرَصِكِ لِكَبْ بُكُلَ هِبْ . انتهى .

أمان الزرع

قال القرطبي : والمستحب لكل من زرع شيئاً أن يقرأ بعد الاستعاذة ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ ، ثم يقول : بل الله الزارع والمنبت والمبلغ ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلِّم ، اللهم ارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك شاكرين(١) . آمين . ويقال : إنَّ هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات والدود والجراد وغير ذلك ، سمعناه من الثِقات وجربناه فوجدناه كذلك . « شيخ زاده » من خط الحاج الأواري ، وهو من خط اليعسوبي ، وهو من خط شيخه الحقي قدس سره وسره .

---

(١) ولآلائك ذاكرين .

(٢) وقد بيَّن العلامة الشرقاوي انطواء العوالم في الإنسان بقوله : ففيه من صفات الملائكة ؛ العقل ، والمعرفة ، والعبَادة ، ومن صفات الشياطين : الإغوَاء والتمرد والطغيان ، ومن صفات الحيْوانات ؛ أنه في حالة الغَضَب يكون أسداً ، وفي حالة غلبة الشهوة يكون خنزيراً ، لا يبالي أين يلقي نفسه ، وفي حالة الحرص على الدنيا والشره يكون كلباً ، وفي حالة الاحتيال والخداع يكون ذئباً ، ومن صفات النبات والأشجار ؛ أنه يكون في أول مَبْدئه غصْناً طريّاً مترعرعاً ، وفي آخره يابساً أسود ، ومن صفات السماء ؛ أنه محل الأسرار والأنوار ، ومجمع الملائكة ، ومن صفات الأرض ؛ أنه محل لنبات الأخلاق والطباع ، ومنه الليّن والخشن ، ومن صفات العرش ؛ أن قلبه محل التجلي ، واللوحِ أنه خزانة العلوم ، والقلمِ أنه ضابط

فوائد تسريح اللحية

وتسريح اللحية في كل يوم مرة بعد صلاة الصبح ويقرأ عند ذلك فاتحة الكتاب و﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ﴾ فذلك يذهب الهم والغم ، ويطيب النفس ، ويشرح القلب ، وفيه تيسير جميع الأمور . كتاب « الرحمة » عبارته من الباب الثالث من خط الحلمي قدس سره وراجع شرح « تائية السلوك » للشرنوبي . (كاتبه الحقير) .

خاتمة

ولما فاحت فوائح مسك الختام بنفحات قرب اختصار هذه المكتوبات إلى التمام ، وذلك سَحَرَ ليلة الأحد ٢٤ من ربيع الأول سنة ١٣٧١ بالحجرة المباركة فتح شيء من الأنس بفضل الله الملك العلام ، ومن جملته هذه الأُرجوزة والجَوزة التي منحنيها المشائخ الكرام ، فالحمد لله الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يَعلم ، وذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، والحمد لله الذي لا تُحْصَى نعمه ولا تُحْصَرُ ، وإياه سبحانه أسأل أن لا يبلو هذا الفقير الحقير ، فإنه لا طاقة له بحمل شيء من ذلك ولو قدر نقير ، فيا ربّ سلِّم سلِّم هذا العَبْد الضعيفَ إلى اللِقاء ، واجعل له في هذه الحياة نصِيباً من مقامَي الفناء والبقاء ، إنَّك ذو الفضل العظيم ، والمنّ الجسيم .

وتلك الأُرجوزةُ والجوزة هي هذه المَنَاظِمُ الموجزة التي جرى بها قلمي من غير فكر وكدّ كالجواد ، ولم يكن لي فيها إلا إجراء القلم على القرطاس بالمداد ، والحمد لله الملهم لمن شاء بما شاء حمداً دائماً في جميع لحظات الأزمان والآناء .

ولله دَرّ من قال مفصحاً بالمقال :

تَقَشَّعَ غَيْمُ الهجر عن قمر الحُبّ ... وأشرق نور الصبح عن طَلْعة الحبّ
وهبَّتْ نسيم الوصل في روضة الرجاء ... فصار الهوى يهتزُّ كالغُصن الرطب

لها ، والجنةِ أنه إذا حسنت أخلاقه تنعَّمَ به جَليسه ، والنار أنه إذا قبحت أخلاقه احترقت به جَلِيسه . من « شرح العلامة الشرنوبي على الحكم » . عبارَته ١٠١ .

وها هي تلك الأرجوزة والقصيدة التي هي في الحلاوة كالعصيدة ، « ببسم ربكمو » . . . إلخ .

ببـاسـم ربِّكمُو   وحَمْدِ حَقكمو[1]   وبـالصّلاة على   هـادي طريقِكمو
بَدْئِي خِطَابَكـمو   راجـين نظرَكمو   وأن تُفيضوا عَلَيْ   ـنَا فيضَ فضلكمو
أَحِنَّ نحوَ كـمـو   بـحُـبِّ قرْبكمو   لـكنْ يَحُول رُباً   بـيـنـي وبَـينكمو
قلبي بحُبّـكـمـو   في الحُلم[2] بينكمو   لكنَّنِـي بـقـصُو   رِي فـي بُعَادكمو
جُودُوا بجُودكمو   جِدُّوا بجُندكـموا   وأَجْلِبُوا خَيلكم   عـلـى عَـدُوِّكمو
لا لِي رفيقٌ سوى   ربِّـي وربِّـكـمـو   ولا شفيق من الْ   ـأَقـوام غـيركمو
أَدْعُوا الإلهَ عَسَى   يَرْحَمْ بجاهكمو   ووَجْهُ قلبي وَجِي[3]   ـهٌ نحوَ وَجهكمو
آهٍ عـلـى عُمُـرٍ   مَـضى ببُعْدكمو   كيـف القرارُهنا   من بَعدِ عِلمكمو
عِلمِي بحِلمكمو   حكمي برُحْمكمو[4]   رَبَّيْتُموني على   رُحْم برَحْمَكمو[5]
شوقي يزيد مَدَى   عِـلمي بحَالكمُو   عسى أَحُطّ رحَا   لِي في رحَالكمُو
حُلّوا قيودَ عـلـو   م غـيْـر عـلكمو   فُـكّو أوثاق قلو   بٍ غـيـر قلبكمو
صُبُّوا فُيوضَكُمُو   علَى رِيَاضـكـمو   بـمـا يُـرَوِّي أَرَا   ضِـي أَهْلِ ذُلّكمو
سلوا[6] الإله إلى   تكثير قـومـكـمو   قـومُـوا بقوَّتكم   لـقـهـر غـيركمُو
غِيرُوا[7] بغَيرتكم   عـلـى بُـغَاتكمو   ببَغْتَة الموت إذ   غَـرُّوا بـحِلمكمو

---

(١) المراد به هو الله سبحانه . (منه) .
(٢) وفي نسخة : الحكم .
(٣) أي : موجِّه (منه) .
(٤) من الرحمة .
(٥) من الأرحام .
(٦) والباعث للفقير على هذه المبالغة التي تضمنها هذان البيتان ؛ مع أن شأن القوم الرحمة للعامة هو كثرة المنكرين عليه في تلك الأيام ، وخاصة من الجهلة الطغام ، وطائفة الوهابية الذين هم كالعوام ، أعاذنا الله من سوء الفهم ، وإطاعة الوهم ، واتِّباع الهوى بغير علم . آمين . (منه عفى الله عنه) .
(٧) واليوم يقول الفقير المسكين داعياً له وللمنكرين بصالح الدعاء ، راجياً من فضل الله سبحانه وتعالى تَنْبيههم على ما بين أيديهم والوراء ، وطالباً من حضرات القيادات السادات العفو عن أسرآء النفس وعبَّاد العادات : غيروا . .إلخ .

اللهَ اللهَ فِـــــي   حالي وحَالكمـو   أعــاذنــا الله مِن   عَوْدي وعَودكمو
عـبيـدُكم عَجزُهُ   مَـعـلومُ سرّكمو   بـلـطـفكم مَعَه   سِـيـرُوا بسيْركمو
زِيدُوا كما شِئتمو   هل مِن مَزيدكمو   غُـنّـوا له هـكذا   مَعْ نَغْم[1] عُودكمو
إن لم يكنْ شَرفا   ذُلِّي لِـعِـزِّكـمـو   فَـمَا هُنَالك إلاَّ   كـذْبُ حُـبِّـكـمو
لَـوْ أَنَّ ألفَ لِسَا   نٍ شَـاكـرٌ لـكمو   فلستُ أُوفِي لكم   بـحـق شـكـركمو
اليوْم إذ قـد بَدَا   نـورُ لـعِـلْمِكمو   فلستُ أَقْصِدُ يَوْ   مـاً غـيرَ رِبْعِكمو
وإذْ تــبَــيَّــنَ أَ   نَّ الأُنْسَ أنسكمو   فقلبِيَ اليوم مَمْـ   ـلُوءٌ بـحَمْدكمو[2]
سَكَتُّ أو قُلْتُ شُغْـ   ـلي عأنكُمْ بكمُو   إذ لستُ أَنْسَى إلَـ   ـهي عنْد ذُكركمو
بذكركمْ أَذكرُ الْـ   ـمَوْلى كذِكركمو   يا حَبّذا أهلُ ذكـ   ـرِ اللهِ مِـثـلُـكمُو
رضاه سُبْحـانـه   قصْدي وقصدُكمو   وقـيـدُ قــرآنــه   قَـيـدِي وقَيدُكمو
لازِلْـتـمُ مَـعَـنـا   مع فيض فهمكمو   من مُحْسِنِي سَبِّح بَحْـ   ـرِ الله ربّـكـمـــو

غِيرُوا بغَيْــرتكـمْ   لنصر عَـبْـدكمو   فإنه اليوم ذُو   حاج لنصركمو – أي حاجة (هامش)
واعفوا عن المنكرين   مــع سـؤالــكمو   العَفْو والصَّفحَ مع   غـفـران ربّـكـمـو
إعـطـاءُ مَن حرموا   وعـفـوُ مـن ظلموا   إحسان مَنْ قد أساء   فـذاك شـأنـكـمـــوا
فـعـلَّـهُـمْ يَـنْـتَـهُو   نَ عَـنْ نكُـوركـمـو   كـمـا انتهى كاتبُ   الآثــار عَـبْـدُكـمـو
كـم مـنـكـرٍ لـكمو   بـفـضــل ربِّكَـمـو   قـد صارَ نَاصِرَكم   وَمِـنْ جـنـودكـمـــو
بـل مـنـهـمُـوا ولِـرَ   بِّي الحمد حَمْدَكمو   مَـنِ ارْتـقـى رُتْـبَةً   لِـرُشـد أهـلـكـمـو
لـذا يـقـول فـقـيـ   ـرُ دَوْم نـظـركـمو   مُـسَـتمطراً مِنْكمو   لَـرَوْض حـبِّـكـمـو
خـديـمـكـم قـائمٌ   بـبـاب عِـزِّكَـمُــو   بـذُلّــه فـعـسـى   أَنـجُـو بـجـدِّكـمُـو
بـكـم جـمـيعاً كذا   أرجُـو بـجَـاهكمو   عـنـد الإلـه سيَهـ   ـديـنـي طَـريـقَكمو
سـلـوا الإلـهَ ومقـ   ـبولُ سـؤالـكـمـو   لي خالصَ الأمن وال   إيـمـان مـثـلـكـمو
الــلــه الــلــه ر   بِّي ارْحَمْ عُبَيْدَكُمُو   فـــإنــه واقـــف   بـبـاب قـصـركـمو
ولا تَـكـلْـه إلَــى   نـفـس بـمـنِّـكـمو   في طرفةِ العين ذا   سـؤلـي بـبـابـكمو
واقسِمْ له الفَضْلَ من   إفـضال جـودكمو   فـتـرتضي عنه حـ   ـتيَّ وقـت لـقيكمو
مـا لـي رجـاءٌ ولا   مَـنْـجـىً سِواءكمو   فـهـا عُـبَـيْـدَكُمُو   خـلِّـصْ بـفضلكمو
خطاب الجمع (عبيدكموا) مِنْ هنا لله تعالى جلَّ شأنه
(١) وفي نسخة : بنغم .
(٢) وفي نسخة : بمدحكمو .

ولا يــزال بــإذْ   ن الله بَـعْـدَكـمـو   قـومٌ تُـقـوِّمُكم   يَـرْعَوْن عَهْدكمو
مَا لِي وللنَّاس إذْ   هُـمُ بـحُـكـمـو   مـحـكَّمُونَ بإذْ   ن الله ربّـكـمـو
رضِـيـتُ بالله رَ   بّـاً لِي رضَاءَكمُو   وأَرْتضِي دِينَ إسـ   ـلام كـمـثلكمو
وبالحبـيـب نَـبِـ   ـيّاً حَوْضَ شربكمو   وبـالـكَـلام إمَا   مـاً لِي كما لَكمُو
بـالله تـوفـيـقُـنَا   بـفـيْض نظركمو   وكـيفما كان ذَا   حَـمْـدِي لربِّكمو
حمدِي لك اللهُ لاَ   نحْصِي ثناءَكمو[1]   وكيف يُحْصِي عُبَيْـ   ـدٌ حَـقَّ حَـمدِكم
أنت الحَمِيدُ كما   أَثْـنـيـتَ نَفْسَكمو   حمدي لك اللهُ دَوْ   مـاً مَـعْ خُلُودكمو
حمدي كماشِئتمُو   بـحَمْد حَمدكمو   حمدي لكمْ حَمْدَمَنْ   يَـبْـغِـي رضَاءكم
ثـم الصلاة على   مـختار رُسْلِكمو   مـحمَّدٍ خيرِ مَنْ   أُعْـطِي عَطَاءَكمو
لولاه مَا كَانَ كَوْ   نٌ غـيـر كَوْنكمو   عـليْه والآلِ معْ   صَحْب صَلاَتكُمُو
كـمـا يـليق بهمْ   عـلـيْهمُو منكمُو   مـع السلام كما   قـد شـئـتُمُ بكمو
ثم الرضا منكمُو   عـلـى عَبيد كمُو   مَن صَلّقوا رُسْلَكم   وأَخـلَـصُوا لكمو
وليس مقصُودُهم   إلاَّ رضَـاءَ كـمُـو   ياربِّ فاجْعل نَصِيـ   ـبِـي مـنك ذلكمو
إنِّي رَضِيت بكمْ   رَبّاً فعَـبْـدَكـمـو   عَبداً لكُمْ فَارْضَهُ   بـحقِّ وَجْـهـكمو

آمين آمين آمين   والحمد لله رب العالمين

الحمد لله ملءَ ما شاء الله   واستغفر الله من كل ما كره الله

ومن ذلك هذه الأبيات في المناجاة   إلى مجيب الدعوات وقاضي الحاجات

رجَائِيَ من قوم همُ مَنبَـع[2] الطُّـهْـرِ   حُـضـور حقير القدْر في ساعة الدهر
عسى يَرْحَم الـرحـمـنُ يوماً بفضلـه   بـذكـر فـقـير الحال عند ذَوِي القدر
أغنّي بذكـراهـم وأَرْجُـو قَـبـولَـهـم   فـإن قـبـول الـقـوم من أَحْسَنِ المهْر
هـم الـقـوم نُـوَّاب الـرسـول محمـدٍ   فـمـن نـال مـنـهـم صحبة فاز بالظفر

(١) المراد بخطاب الجمع المورد للتعظيم والتفخيم من هنا إلى آخره هو الله سبحانه وتعالى (منه) .
(٢) معدن الذكر .

وَمَنْ مَعهم مَاشَى أوِ اختـار خـدمـةً ... لـهـم وأَحـبّ الـقـومَ ذا غاية الذخر
إلَهِي حَـبِّبْنِـي إلَـى أهْـل حُـبِّـكـم ... فـإن حـبـيبَ القوم مَعْهم لدى الحَشرِ
وحَبِّبْهُـمُ لـي حُـبَّ صِـدْق وعَـزْمَـة ... فـأُوتَـى كـتـابـي بـاليمين لدى النشر
بِـحـبِّـهـمُ رَبّـي أَنِـلْـنِـي بـمَـنِّـكـم ... إلـى حُـبـكـم حُبّاً سأنجُو من الخُسْر
إلهِيَ وَفِّـقْـنِـي وحَـقِّـق حَـقـيـقـتـي ... بـتـحـقـيـق مَا يَحْويه آخرُ والعَصْرِ[1]
ولا تَكِـلْـنِّـي قَـدْرَ لـحـظـةِ سـاعـة ... إلـى الـنـفـس إنَّ الـنـفْسَ تأمُر بالشرِّ
إلهي واختِمْ لِـي بـأَحْـسَـن خَـتـمـة ... فـحُـسْـنُ خِتَام المَرْء أَنْهَى مُنَى الخيْر
إلهي لك الحمـد الـذي أنـت أهْـلُـه ... عـلـى نِـعَمٍ تنمُو وتَسْمُو على الحَصْر
ومـنـك صـلاةٌ مَـعْ سـلام مُـسَرْمَـدٍ ... عـلى سـيّـدٍ سَـلَّ الأنـامَ إلـى اليُسْر
وآلٍ وأصـحـابٍ وأَربـابِ صَـفْـوةٍ ... سَـيَـقـفُـونَ آثـارَ الـنـبـيّ إلى الحَشر
فـيـا ربّ فاجْعَلني بـفـضـلـك مِنْهمُ ... ووفِّـقْ لـمـا تـرضـى إلى آخر العُمْر
أجبْ يا إلـهـي مَـا أُنَـاجِـي بـدَعْـوة ... فـإنِّـي مُـقـرٌّ بـالـذنـوب وبـالـوِزْر
وَلا لـي مَـنـجًـى مـنك ولاَ لِيَ مَلْجَأٌ ... سوى بابك المفتوح دَوْماً مَدى الدهر
فإن قلتَ لِي اِرْجعْ أعوذ بـكـمْ مـنْـه ... وإن قلتَ فادخُلْ فهْو بُشْرًى على الخير
فيا مَن يرى ضُعفي وعَجْـزي وذِلَّـتـي ... بـوجـهـك أهّـلْـنـي لـمـعْـرفة السرِّ
عـن الـجُـبْـنِ جَنِّبْنِي وجَنِّبْ جَهَالتي ... وجَـرِّدْ جَـمِـيـعِـي فـي متابَعَة السَّيْر

آمين آمين آمين ... والحمد لله رب العالمين
وأستغفر الله العظيم ... عن كل ذنب هو به عليم

ثم أنشأتُ أخيراً ... وأنـشـدتُ بشيراً

بشرى فقد أنـجـز الإقـبـالُ مـا وعَدَا ... وكـوكـب الـعـلم في أفق العُلاَ صعدَا

---

(١) من الذين آمنوا . . إلخ . (منه) .

بشرى فقد تمَّ ما قد كنت أقصِدُه وقرّب اللهُ ما قد كان مُبْتعِداً
بشرى فهذا مَنَار العلم مستوياً قد قام فوق أساس القوم معتضداً
بشرى لكم يا عِطاش القوْم مَنهلكم عَذْب المياه فلا ظَمَا لكم أبداً
بشرى لكم زادُ دينٍ لا نَفَادَ له رِدُوا كُلُوا كيْفما شئتم فلا حَرَدَا[1]
بشرى وبشرى لمن ينحُونَ محْوَهُمُ حَظّ الرَدى رَائِدِينَ الطَرْفَ نحوَ هُدَى
بشرى لكم هل لكم مِن بَعْد عِلمكمُ سُبْلَ الهدى أن تَرُوحُوا نَحْوَ طُرْقِ رَدى
بشرى مرِيدُ[2] كما ترِيدُ وَافَى[3] فإن عَمِلتَ تَظْفَرُ بالعَيْشِ الرَغِيدِ غدا
بشراكم كيف لا وقد ظَفِرتم هنا على موائد عَيْشاً طيِّباً رَغَدَا
فكل ذا كل ذا آثارُ فيضهم فإنهم أبداً لم يقطعُوا مَدَدَا
من فاز من فيضهم نصِيبَه صَعِدَا أعلى المَرَاقِي وفي الدارين قد سَعِدَا
طوبى له كأسُ صَفْو الشرب ممتزجاً بنَسْمة السِرِّ يُسْقَى دَائماً أبداً
إخلاص سرٍّ سري في روح جسمهم به عبادَتَه[4] لم يُشْركوا أحَداً
وكلُّنا كلُّ ما بنا بفضلكمُ فالحمد دَوْماً لكمْ ربِّي مَدِيدَ مَدَى
يا رب فاقبَلْ بفضلٍ منك مرتضياً هذا الذي كنا منّي في سبيل هُدى
واجعل إلهي[5] وربِّي خدمتي لهمُ بقصْد مَرْضاتكم اليوْمَ ثم غدَا
واحشرهمُ واحشُرَنْ هذا الفقيرَ لدى حشرٍ ونشرٍ معَ المبعُوثِ عيْنَ هُدَى
واجعل لنا من فيوض الكل أنصِبَةً كي لا نحيد عن الهدى طريقَ رَدَى

(١) أي : لا منع (منه) .
(٢) أي : يا مريد .
(٣) أي : أتى . (منه) .
(٤) أي : بسببه في عبادته . (منه) .
(٥) أي : يا إلهي . (منه) .

يا رب صـــل وســلّـم دائـمـاً أبـداً   عـلـى حـبـيـبـك خَـيْر كلّ مَنْ عَبَدَا
والآل والصَحْب ثم التابـعـيـن لـهـم   لا يُـشـركـون بـكم من خلقكم أحداً

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ   وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وفي هذه الأيام نظمتُ أسماءَ سادة السلسلة النقشبندية العلية - قدس الله أسرارهم - ولعله أخصر ما نظم في الباب . والحمد لله رب الأرباب .

نَـبِـي صِـدِّيـقُ سـلمانٌ فقاسمْ   فـجـعْـفَرْ ثم طيفورٌ طَلاَسِمْ[١]
فخَرقانِي ففَارْمَـدْ ثـمَّ هَـمْـدَانْ   فغُجْدُ عَـارفُ مَـحْمُودْ عزيزانْ
سـمـاسـيُّ كُـلاَلـيُّ بُـخَارِي   عـلاءُ الدينِ يَعْقُوبُ الحصَارِي
عُـبـيْـدُ زَاهـدُ درويـشْ محمَّدْ   فـخـاجَـكْ ثـمَّ بَاقِي ثمَّ أحْمَدْ
فمعصُومٌ فسيفٌ نُورْ مُـحَـمَّـدْ   حَـبِـيـبُ الله عـبـدُ الله خـالـدْ
فَإِسْمَاعِيلُ شِـرْوَانِـي مُـحَـمَّـدْ   فـإِبْـرَاهِـيـمُ يُـونُسُ ثم مَحْمُودْ
فَجِبْرَائِيـلْ فَـعَـبْـدُ ثُـمَّ حَـقـيّ   فـيَـعْـسُـوبُ حُمَيْدُ أَهْل حَقّ[٢]

قدس الله تعالى أسرارهم

ورزقنا من فيوضاتهم

وبركاتهم في الدارين

آمين[٣] .

(١) أي : هم . (منه) .
(٢) وفي نسخة : فيه محقي .
(٣) إلى هنا تمّت الزيادة التي من نسخة محمد أفندي العكّلچي قدس سره .

مكتوب الأستاذ حسن أفندي قدس سره

إلى الحافظ شعيب الباكني

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاتان على محمد وآله الأتقياء .

إلى شيخه ومرشده قطب الأولياء العارف الحافظ شعيب الباكني ، رزقه الله مشاهدة تامة ومكالمة ومناجات . آمين . فتعرُّض الأحوال لمن غاب عن المرشد لائق ؛ وإنْ كان في ذلك ترك الأدب إلى مقامه .

وقد كنت على قصد الزيارة لديكم بعد أيام الفطر الماضية ، بَيْدَ أن النفس الأمارة علَّلت بعِلَلٍ لا تُقْبَلُ قائلةً : إن لم تجد مرشدك في الحضر لعلَّك ترجع عن الطريق خائباً ، فبهذه التخيُّلات انقطعت عن الزيارة ، وحرمت عن رؤية وجهك الكريم الميمون ، وصرت نادماً بعد ذلك ، فلعلَّ الله يقيم النية مقام العمل ؛ لأن التمني معدود من العمل ، كما قال بذلك الشيخ الأكبر قدّس سرّه .

أيها الأستاذ! فبعد الرجوع من عندك حصل لي بيُمْنِ توجُّهكم بركاتٍ مَعْلُومات ، ورَجَوْتُ حصولَ الترقي مع دفع التنزُّل والانحطاط ، وكنت على قصد الاجتهاد في شهر رمضان بقدر الطّاقة ، لكنَّ الثقل الحاصل من كثرة تردُّد الناس فاتَتْ منِّي تلك الأيّام الفاضلة بالتعطيل ، وصِرْتُ في الفتور مُعْترفاً بالقصور ، ففي حالة فراغي والحال أنها نادرة كنت أقف مُتوجِّهاً إلى شُغْلي بالمراقبة الخفيَّة ، فيحصل لي بذلك الحرارة الشديدة بحيث لا أطيق أن أحملها ، وكان الخيال يتصاعد إلى جهة الفوق ، يَتعالى إلى مَا فوق السموات . . وإلخ . وكنت حينئذ أسبِّح الله تعالى بلا اختيار بالقلب لا باللّسان بأمثال هذه البعارات : سبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ، وسبحان مَنْ ليس شبيهٌ ولا نظير ، أو سبحان من ليس بجسم ولا جوهر ، أو سبحان من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأمثالها ، ولا أدري سوى هذا .

فهذا حاصل أحوالي في هذا الوقت ، فتوجُّهك المعنوي هو المطلوب بعد الآن ، وملاحظتك هذا الفقير الحقير ممّا لا يساويه الدنيا والآخرة ، والمرجوُّ من جهتكم المباركة أن لا تقطعوا عنَّا الالتفات ؛ وإن كنَّا مقصِّرين في الخدمة ، وإظهار أحوالاتكم صحةً وسلامة ؛ ولو بيد الأخ المعنوي الحاج إبراهيم القشري من أهمِّ المهمات بهذا والسلم . ،والتوصية بالدعاء بالاستقامة والتوفيق .

ثم إن أخانا الحاج حبيب الله قد قصد إلى جهتكم ، وأَغْبِطُ به ؛ لما أنّه يُريكُمْ ، فطوبى لعين رآكم ، ثم طوبى لنفس حصل لها الصحبة معكم ، فلعلكم تلاحظونه وتنظرونه لأجل المودَّة الكائنة بينكم وبين مربِّينا الحاج عبد الرحمن قدس سره .

فيا إبراهيم حَجِيَوْ لو تفضَّلتم علينا بإظهار أحوالكم فأنت تسلّم المكتوب إلى يد الحاج هَدِخَجَ الأشترخاني أو إلى يد الحاج محمَّد القحي ، فإنهما يرسلانه لدينا إن شاء الله . فافهم ، وعليك منّي السلام والتحية والإكرام ، وأوصيك بالدعاء أيها الأخ المحبوب المقبول .

مكتوب الأستاذ حسن أفندي قدس سره

إلى العالم الفاضل محمّد الحركلي رحمه الله

من الفقير حسن القحي إلى أخيه المحبوب محمد الحركلي : سلام كثير عليكم ،

أما بعد : فقد وصل لديَّ مكتوبك الشريف ، وصار ذلك موجباً للفرح والسرور ، جزاك الله عنِّي خيراً ، آمين .

ثم إنه قد سألتَ أنه قد اشتهر بين العلماء ، حتى من سيف الله ؛ أنه لا يصحّ السلوك في الطريقة إلا بعد إتمام الشريعة . . إلخ .

فاعلم أيها الأخ إن كان مرادهم من تمام الشريعة عدم الوقوع في المنهيات والمخالفات أصلاً ، فذا لا يصح لغير الأنبياء أبداً ؛ لأنَّ العصمة من خصائص النبوَّة ، كما هو معلوم لديك ،

وإن كان مرادهم من تمامها إتيانُ الأوامر الشرعيّة ؛ من السنن والمندوبات ، ومن لم يكمِّل المسنونات لا يصح له أن يدخل في الطريقة ، فذلك قوْلٌ بالرأي لا دليل له أصلاً ، وحاشا أن يقول هذا الكلامَ سيفُ الله ، وعندي من مكاتبه ما يخالف ذلك .

فقد قال قدّس سرّه في بعض مكاتبه : إني أرى هذا القائل[1] يأمر بإتيان السنن وينهى عن فعل الفرض والواجب . انتهى . يعني : أن أخذ الطريقة واجب ، بل هو فرض عين على كلِّ من لم يرزق له قلب سليم ، كما هو مذكور في كتب الشعراني . وفي « ابن حجر » و« فتاواه » ما يصرِّح هذا الكلام .

وقال قدّس سرّه أيضاً في ذلك المكتوب بعيد هذا : إن تلقين الذكر على منهاج النقشبنديين برعاية آدابهم خيرٌ من ألفِ ألفِ سنة ابتدعوها وقالوها الخالية عن مؤسِّسٍ ، واصل ؛ لما أنهم يلتجؤن إلى السنن بترك الواجبات . انتهى من خطِّه ؛ يعني : أن الذكر شفاء القلوب ، كما في الحديث ، وأخذه من الكامل المكمل واجب على كلِّ مَن له مرض قلبيٌّ ، والله أعلم .

وفي « الخالدية » ما حاصله : أن الوليَّ لو اقتصر على الفرائض مع ترك المناهي لا ينافي ولايته أيضاً ؛ لما روي في حديث نعمان بن نوفل حيث سأل رسول الله ﷺ : أنه لو اجتنب المنهيات واقتصر على الفرائض هل يدخل الجنة ؟ ، فقال عليه السلام : « نعم » . برواية مسلم . انتهى . راجعه .

وقد قال الرملي في « شرح الزبد » في بيت :

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة   تخرج بنور العلم من ظلمات

أفاد به أنه ليس على الشخص أن يعمل بما تعلَّمه من مسنونات الشريعة ، فإن لم يعمل بجميعها فليعمل ولو بالعشر منه تخفيفاً عليه ، كما اكتفى الشارع في زكاة النبات . انتهى .

(١) أي : الرجل الذي يقول : إنَّ من لا يفعل السنن لا يجوز له أن يدخل في الطريقة . فافهم . (هامش الأصل) .

وفي « رسالة القشيري » : وليس من آداب المريدين[1] كثرة الأوراد بالظاهر ، فإن القوم[2] في مكابدة إخلاء خواطرهم ، ومعالجة أخلاقهم ، ونفي الغفلة عن قلوبهم ، لا في تكثير أعمال البر . الذي لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة ، فأما[3] الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم . انتهى عبارته ٣١٦ .

فلو قال المدعون : نحن نرى من بعض المريدين الإسراف على أنفسهم ببعض الذنوب ، وصدور بعض الذنوب يناقض الخشوع ، ولا يجوز للمذنب أن يدخل في الطريق .

فنقول لهم : إن الذنب لا يخرج الرجل من الإيمان ؛ وإن كان كبيراً .

الذنوب لا يخرج المؤمن عن الإيمان

فقد نقل : أن الإمام الأعظم كان يوما جالساً مع جمع من العلماء ، فجاء شخص فقال : ما تقولون[4] في حق مؤمن فاسقٍ قتل أباه ، وقطع رأسه ، وشرب الخمر في كأس رأسه ، ثم زنى بأمِّه ، هل هو مؤمن أو كافر ؟ فتكلم كل واحد من العلماء في حقِّه بما ليس بصواب ووقعوا في غلط ، فقال الإمام الأعظم في ذلك الأثناء : إنه مؤمن لم يخرج بارتكاب هذه الكبائر من الإيمان ، فثقل قول الإمام على العلماء ، فأطالوا لسان الطعن فيه والتشنيع عليه ، ولكن لما كان قول الإمام حقاً قبله كلُّهم أخيراً . ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتبه .

ومن المعلوم أنَّ آية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ . . إلخ تدلُّ على أنَّ كلَّ مؤمن ؛ طائعاً أو عاصياً مأمور بكثرة الذكر ، **وليت شعري** هل يمنع الشرع من دُخول المذنب في أوراد الطريقة ؟ ! لا والله ، بل إنما وضع الإرشاد لأجل المعوج الضالِّ .

(١) وفي النسخة : المريد .
(٢) وفي النسخة : العوام .
(٣) وفي النسخة : فإن .
(٤) وفي النسخة : ما تقول .

وقد قال الشيخ الكامل في « الحديقة الندية » : إن الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنَّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات الإلهية وهم في الإسراف والمعصية ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير ، بل كان الأمر بالعكس ، فلا يحكم على هلاك صاحبه جزماً . انتهى عبارته .

بشارة عظيمة . .

وفيه أيضاً : وربما طعن بعضهم في الفقراء ؛ يعني : المريدين ، بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء ، يعني : مريدين في طريق الله معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل من غلب خيره على شرِّه فهو الكامل ، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من هذا ، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير ، فضلاً عن غلبته على الشر أو كَوْنه نصفاً أو ربعاً ؛ قال ﷺ : « إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أُمِرَ به هلك ، وسيأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » ، رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » . وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل العُشْر ، وهي بشارة عظيمة لكل من سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان ، وقلَّ من يسلم من ذلك في زماننا هذا . انتهى . فراجعه في ١٠٥ من هامش « أصفى الموارد » .

وإن كان مرادهم من تمام الشريعة الزهد في الدنيا بالكلية ، فمن لم يزهد الدنيا لا يجوز له الدخول في الطريقة . فيردُّه ما قاله الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « متمماته » ؛ من أنَّ تلقين الذكر - لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاَّح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرُّك وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ، ويسارق الشيخ نفسه الأمَّارة الآبية بالتدريب والتوطين ؛ لئلا تنفر وتملَّ وتيأس من الإصلاح وتقطع الرجاء فتصرَّ على المعاصي - أمْرٌ حسَنٌ ، وهو من سياسات الإرشاد . انتهى عبارته . فراجعه في ١٨٤ ففيه البسط الزائد .

وقد قال الإمام الرباني قدّس سرّه : إنَّ تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً مَنْ كان مناسب ، بل لازمٌ ، كذا في « الدرر » في ١٤٧ من الجزء الثالث .

وقال أيضاً : ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريق بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان ، وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا ، وإلاّ فالضرر راجع إليهم ، لا إليكم . كذا في « البهجة السنية » في ٣٨ ، فراجعه .

وقال الشعراني في « المنن » : وقد قال العارفون رضي الله عنهم : من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ، ومن أراد الله فعليه بالزهد في نعيم الآخرة ، فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربِّه عز وجل ، ويشتغل بالله وحده خالصاً مخلصاً لا يطلب على عبادته وخدمته عوضاً في الدارين . وسيأتي في هذه « المنن » أن هذه النعمة ؛ يعني : عدم طلب شيء من مناصب الدنيا . . .وإلخ ، لا يعطاها العبد إلا بعد دخوله طريق القوم ، فليس لغير من دخلها قدم في ذوقها ، إنما هو يطلب العوض على عبادته في الدنيا أو الآخرة ، ولذلك كان اسمه عند القوم ؛ عبد الدنيا أو عبد الآخرة ، لا عبد الله جل وعلا . انتهى . فراجعه في ٨٥ من الجزء الأول .

وقال الشعراني أيضاً في « تنبيه المغترين » : إنما أكثر القوم من ذكر الله تعالى ليبعد عنهم الدنيا ، فإنهم إذا ذكروا الله بعدت ، وإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم . انتهى عبارته . فراجعه في ٥٢ .

وقال في « لواقح الأنوار » : يجب عليك أن تتخذ لك شيخاً يسلك بك الطريق حتى يخرجك من محبة الدينا . انتهى . فراجعه في ٢٥٣ من هامش « المنن » من الجلد الأول .

وأما قول الإمام القشيري رضي الله عنه في « رسالته » : وما لم يتجرّد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار . انتهى . فمعناه على ما حمله بعض العارفين هكذا : وما لم يتجرَّد قصد المريد من دخول الطريقة وطلب

تلقين الذكر عن كل علاقة ؛ كطلب الدنيا ومتاعها ، وإرادة الصيت والجاه ، وحبِّ الرياسة والمكانة في قلوب الناس وحصول الشهرة . . .وإلخ وإلخ ، لا يجوز لشيخه أن . . إلخ . وقال ذلك العارف المذكور : إنَّ حمل كلام القشيري إلى هذا المحمل[1] صادق حسن ، وإلا ، فإن كان المريد متجرداً بالكلية يصير في مقام البقاء بعد الفناء ، وهو مقام الكمل ، فما الحاجة حينئذ إلى التلقين وإلى المرشد ؟ ! وقد قال الإمام القشيري في موضع : لا بدَّ للمريد من مرشد ليخرجه من الأوصاف الردية إلى الأخلاق . . إلخ . وأمثاله كثيرة منه ، فإن كان المراد مثل ما فهم من ظاهره فكيف يخرجه وهو خارج بنفسه ؟ ! . انتهى ما قاله العارف المذكور في بعض رسائله .

وفي « طبقات » الشعراني : إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سرِّ رسول الله ﷺ كان يقول : ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، ولكن خيركم الذين يتناولون من كل منهما . انتهى . راجعه في ٢٢ من الجلد الأول .

وفيه أيضاً في ٢٦ : إنَّ سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان يقول : لا خير فيمن لا يجمع الدنيا يصون بها دينه وجسمه ويصل بها رحمه . انتهى عبارته .

وفي الحديث المروي عن ابن عساكر : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة والآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه » . وفيه رواية أخرى رواه الديلمي ، وأخرجه الخطيب في « تاريخه » والديلمي من وجه آخر ، وأبو نعيم في « الحلية » . فراجع « الفتاوى الحديثية » لابن حجر في ١٢٥ .

---

(١) مع أنَّ أصول النقشبندية تخالف أصول غيرها ، فإن مبناها على سير القلوب ، ومبنى غيرها على سير الأبدان الذي هو مربوط على المجاهدة والرياضة ، وقطع العلائق النفسانية ، كما يأتي في هذه الرسالة . فافهم . ويجوز أن يكون طريقة الإمام القشيري مبنية على سير الأبدان ، والله أعلم . (منه) . (هامش الأصل) .

الجهاد القولي أفضل

فلو لقيت أيها الأخ المخدوم واحداً يقول : إن الدخول في الطريقة لا يجوز إلا بعد تمام الشريعة ، فقل له : ما تمام الشريعة ؟ فلا بد له من أن يقول : فعل السنن بالتمام ، أو ترك المناهي ، أو الزهد في الدنيا ، فجادل بما ذكرته في هذه الرسالة ، فلعله يسكت ولا يتكلم ويتنبَّه من رقدته ولا يزعم ، فالمجادلة مع هؤلاء عين الجهاد .

فقد قال الإمام الرباني قدس سره في « المكتوبات » : إن الجهاد القولي أفضل من جهاد القتل . فراجعه في ٧٧ من الجزء الأول . وقال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ : إن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . فراجعه من سورة الفرقان . منه سامحه الله من فرطاته آمين .

قول عجيب

وكتب واحدٌ من أهل الإنكار : أن الطريقة تكليف أهل الراضية ، وهي المقام الخامس ، ومن لم يصل إلى ذلك المقام لا يجوز له الدخول في الطريقة ، ونقله عن الشيخ العبودي . وذلك قول عجيب ، يعلم منه عدم كون هؤلآء من أهل الذوق والوجدان أيّاً من كان القائل ، وأيّاً ما كان المقول ، وقد يردُّه ما قاله الإمام الربانيُّ قدس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » من أن الوصول إلى النفس الراضية لا يكون إلاَّ بتجلِّي الذات ، وحصول مقامات التجليات بالتفصيل والترتيب مخصوص بالسالك المجذوب . انتهى عبارته . يعني : السالك في الطريقة الذي حصل له الجذبة بعد السلوك . ومن المعلوم أن تجلِّي الذات الذي نِيطَ به الوصول إلى الراضية هو المقام الذي ينتهي إليه مقامات أهل الطريق وأرباب السلوك ، وأن جميع منازل الطريقة وسيلة إليه ، ولا أدري معنى طلب الوسيلة لمن بلغ إلى المقصود !! فافهمه ولا تكن كهؤلاء المغرورين ، بل كن من الشاكرين ،[1] واحضر الله في القلب ، ولا تكن من الغافلين ، ولا تنكر الحق وأهله لئلا تهلك مع الهالكين .

(١) وفي نسخة : السالكين .

لعن الله من أنكر هذا الطريق

وقد قال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه : لعن الله من أنكر هذا الطريق ، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل : لَعَنه الله . كذا في « تقريب الأصول » في ٨١ .

وفيه أيضاً : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . انتهى عبارته . ومما ينبغي أن يعلم أنَّ الإرشاد إنما وضع لأجل المعوج لا للمهتدي[١] ، وأن السلوك إنما يحتاج إليه من له مرض قلبيٌّ ، وأنَّ جميع ما يلقنه المشائخ من الأذكار إنما هو لتكميل الشريعة وحصول ازدياد الإيمان ؛ فقد قال الإمام الرباني : إن المقصود من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقيَّة المعتقدات الشرعية الذي هو حقيقة الإيمان وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٩٠ فراجعه .

وفيه في ١٠٢ : وكما أنَّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها ، كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، ويمكن أن يكون في قوله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ رمز إلى هذا المعنى ، فإنَّ كلمة حتى كما أنها للغاية تكون للعلّة أيضاً ؛ أي : لأجل أن يأتيك ، وكان الإيمان المتقدم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عبّر عنها باليقين : قال الله عزَّ شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ ؛ أي : الذين آمنوا صورة آمنوا حقيقة بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى عبارته .

فتفكر أيها الأخ المحبوب في أنَّ الذكر الذي يلقنه المشائخ أهو من العبادة المأمور بها أم لا ؟ ! وهل هو من المأمورات الشرعية أم لا ؟ ! وهل في الطريقة شيء مَّا يمنعه الشرع أم لا ؟ ! ولاَحِظْ ما قاله الإمام الرباني آنفاً مع أقوال المعترضين تجدهم غرقى في بحر العماية والجهالة[٢] ، رزقهم الله تعالى الإنصاف ، وهداهم إلى اتِّباع الحق بترك الاعتساف ، آمين .

---

(١) وقد قال سيف الله : ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد . انتهى من خطه قدس سره . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : عمايتهم وجهالتهم .

وقال الإمام الرباني قدس سره : ينبغي أن يعلم كما أن مرض الظاهر موجب للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعية كذلك مرض الباطن أيضاً مستلذم لذلك ؛ قال الله تعالى ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ والمستلزم لذلك العسر في الظاهر ضعف القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلاَّ فليس في التكاليف الشرعية عسر أصلاً ، بل فيها كلها تخفيف وتمام اليسر والسهولة ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى شعر :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذاق فرضاً ، وما على الرسول إلا البلاغ . انتهى . كذا في « الدرر » في ١٩١ من الجزء الأول .

وفيه في مكتوب آخر في ١١٠ من الجزء الأول : قد تقرر عند الحكماء أن المريض ما دام مريضاً لا ينفعه غذاء أصلاً ؛ ولو كان من أعز الأكل وأحسنه ، بل هو مقَوٍّ لمرضه . عبارته :

أَلاَ كلّ ما نال العليل عليل

فيشتغلون أولاً في فكر إزالة مرضه ، ثم يجتهدون في تحصيل القوة بأغذية مناسبة لمزاجه وحاله بالتدريج ، فكذلك الإنسان ما دام مُبْتَلاًّ بمرض القلب كما قال تعالى ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لا تنفعه عبادة وطاعة أصلاً ، بل هي مضرَّة له ، « ربَّ تال للقرآن والقرآن يلعنه » حديث معروف ، و« ربَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمآء » خبر صحيح .

فأطباء القلوب يأمرون أولاً بإزالة المرض ، وذلك المرض عبارة عن تعلق القلب بغير الحق سبحانه ، وتعالى بل هو تعلُّق القلب بنفسه ، فإنَّ الإنسان كلّما يحبُّه ويطلبه إنما يحبه ويطلبه لنفسه ، فإنَّ أحبَّ أولاده يحبهم لنفسه ، وكذلك الأموال والرياسة والجاه ، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه ، فما دام الإنسان لم يتخلَّص من هذا التعلق والارتباط لا وجه لرجاء النجاة ، ففكر إزالة هذا المرض لازمٌ للعلماء أولي الألباب ، والحكماء ذوي الأبصار . :

ويكفي من له فهم إشارة

انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ١١٤ : اعلم أن أهل الله أطباء الأمراض القلبية ، وإزالة العلل الباطنية منوطة بتوجُّه هؤلاء الأكابر ، كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم « قوم لا يشقى بهم جليسهم » ، وهم جلساء الله ، بهم يمطرون ، وبهم يُرزقون ، ورأس الأمراض القلبية ورئيس العلل الباطنية هو تعلّق القلب وارتباطه بما دون الحق سبحانه وتعالى ، وما لم يتيسَّر التخلص من هذا التعلق بالتمام فالسلامة محال . انتهى عبارته .

ولا شكَّ أن الدواء الذي يستعمله المشائخ لشفاء العلل المعنوية هو الذكر الكثير ؛ وقد قال الشعراني في « الجواهر » : **وسُئِلْتُ** عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ، **فقلت** : الإكثار من ذكر الله . . إلخ ، فراجعه .

حكم الذكر كالحصى

وقال فيه : وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين اشتغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى : « ادخل جنتي برحمتي ! » فيقول : يا ربِّ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقَّف على جلاء القلب ، فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدي ، وحكم غيره كالصابون . انتهى . وهكذا في « المتممات » مع زيادة بسط .

فالسالك إذا أكثر الذكر ودام عليه يوقد في قلبه مصباحاً ملكوتياً ، فيرى قبائح أعماله بعين قلبه بعد ما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن إلاّ باللسان ، فيتشمَّر حينئذ ويسعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة ؛ كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك ، وعلى إخراج ما فيه من القبائح

الباطنة ، وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته الأفعال القبيحة ، وزاد سعيه في الخلاص منها ، والمصباح المذكور هو أوَّل الجذب ، وكلما داوم السالك على الذكر قوي الجذب حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال ، فيقوى على حمل الأمانة وعلى المتجليات[1] . كذا في « السير والسلوك » فراجعه ، ففيه أزيد من هذا .

ذكر القلبي سيف المريدين

وفيه أيضاً ما حاصله : أنه لا بد للسالك من سلاح ، وهو الأسماء[2] ليهرب عدوَّيه ، وهما الشيطان والنفس . انتهى عبارته . وفي « نشر المحاسن » : ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب ؛ فإن دنا منه الشيطان صرع ، كما يصرع الإنسان إذا دنى منه الشيطان ، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسَّه الإنسان . انتهى عبارته .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله .

وقال الحكيم : قد أعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته[3] ، فهو يزعجه عن مقره ، ولا يعتصم بشيء أوثق من الذكر ؛ لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار ، فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيَّج العدوُّ نار الشهوات ، وإذا رأى العدوُّ هيجان الذكر من القلب ولَّى هارباً ، وخمدت نار الشهوات ، وامتلأه نوراً فبطل كيده . كذا في « البريقة » في ٥٦ .

---

(١) وفي نسخة : وعلى التجليات .
(٢) أي : أسماء الله تعالى . (هامش الأصل) .
(٣) وفي نسخة : في غرابته .

وفي « العوارف » : وللذكر نور يتّقيه الشيطان كاتّقاء أحدنا النار . انتهى عبارته . فراجعه من هامش « الإحياء » في ١٠٤ من الجلد الرابع .

وفي « منية الفقير المتجرد » : إن الذكر يهذب أخلاق الذاكر وطبائعه المذمومة ويؤدب بآداب السادات . فراجعه في ٣٩ .

فالحاصل : إن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفي عنه حديث النفس بالتدريج ، ويرى الإصغاء إليه ذنباً من الذنوب فيتَّقيه ، ويتقد القلب عند هذا الاتقاء بالذكر اتقاء الكواكب في كبد السماء ، ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك بَعُدَ الشيطان ويُنْدَر في حقِّ هذا العبد الخواطر الشيطانية ولمَّاته ، والله أعلم . وراجع « العوارف المعارف » .

وأما قطع حديث النفس والخواطر الشيطانية المشغِلة عن خطاب الحقِّ جلّ وعلا بغير سلوك في الطريقة على يد شيخ ناصح فممَّا لا يصحّ أبداً ، كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » للشعراني فراجعه في ٥١ من هامش « المنن الكبرى » من الجلد الأول .

الذكر عبارة عن طرد الغفلة

وقال الإمام الرباني في « مكتوباته » ما حاصله : إن الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأَيِّ وجه تيسَّر ، لا أن الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات أو على تكرار اسم الذات ، فكلُّما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كله داخل في الذكر ، ولكن الذكر الذي يقع باسم المذكور وصفته سريع التأثير ، ومورث لمحبة المذكور ، وقريب الإيصال ، ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعات الحدود الشرعية ، فإنَّ مراعات الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسَّرة بدون محبة تامة لناصب الشرع ، وهذه المحبة التامة مربوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ، فلا بد أولاً من ذلك الذكر حتى يحصل بسببه هذا الذكر الذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى كذا في « الدرر » في ٨٠ من الجلد الأول .

وفيه أيضاً في ٣٨ من الجلد الثالث : ولا بدَّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من الذكر ، فإنَّ ترقِّيه مربوط بتكرار الذكر ؛ بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمل . انتهى عبارته . وفيه في ٢٦ من الجلد الثالث : أن المقصود الأصلي من الذكر زوال التعلق بما دون الحق سبحانه الذي المرض القلبي عبارة عنه ، وما لم يحصل هذا الزوال لا يكون نصيب من حقيقة الإيمان ، ولا يتيسر اليسر والسهولة في أداء الأحكام الشرعية . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٩٧ من الجلد الأول ما حاصله : أن الذكر القلبي مؤيِّد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمارة ، فينبغي إجراء هذا الطريق . انتهى عبارته . وفي « تنوير الصدر » : أن من حارب النفس باسم الذات ؛ أعني (الله) نجا منها ، فتتصف بالملهمة . فراجعه في ١١٠ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

السير لا يتم إلا بصحبة شيخ

وفيه أيضاً في ١٨٥ : إن السير في الشريعة ، على الاستقامة والإخلاص لا يتمُّ إلا بصحبة شيخ . انتهى عبارته .

وقال الإمام الرباني : إن الطريقة والحقيقة خادمان للشريعة ، وتحصيلهما لتكميل الشريعة . وقال أيضاً : لا تحصل حقيقة الإيمان إلا بعد تزكية النفس والاطمئنان . كذا في « البهجة » في ٧٧ فراجعه .

وفي « مسيرة الحكم » : أن تزكية النفس لا تحصل إلا بعد تصفية اللطائف بالأذكار المأخوذة من الشيخ . انتهى . ومثله في « المكتوبات » للإمام الرباني فراجعه من الجزء الأول .

فقد تبيَّن لك أيها الأخ المخدوم محمد الحريكليّ - هداك الله تعالى إلى إتباع الطريق الصديقيِّ أمين - خرافة قول من يقول : لا يجوز تعليم الطريقة إلا بعد تمام الشريعة ، فإن تعليم الطريقة إنما هو لتكميل الشريعة ، بل لتحصيل حقيقة الإيمان ، كما هو المأخوذ من الكلام السابق واللاحق .

وقد قال الشعراني قدّس سرّه في « اليواقيت » نقلاً عن سيدي إبراهيم الدسوقي : لو أنَّ الفقيهَ أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بعلل وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء . انتهى فراجعه في ١٠٤ .

وقال في « لوقح الأنوار » : واعلم أنَّ كل من رزقه الله السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين ، فلا يحتاج إلى شيخ . انتهى عبارته ١١ .

فهذه المنقولات تصرِّح أنَّ أخذ الطريقة إنما يحتاج إليه من له خلل ونقصان في الأمور الشرعية ، وأنَّ من كانت أوامر الشرع متمَّمة عنده فلا يحتاج إلى شيخ ، ولا إلى أخذ الطريقة منه ، فهذا هو الحق المبين ، وما يخالف ذلك فليس في شيء من الشرع المتين ،

اللهم وإن وقع في عبارات بعض العلماء : أن الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبُّ الشريعة . لكن الإمام الرباني اعترض على قائله لإيهامه المخالفة بينهما ، وقال : وهذا الكلام وإن كان منبئاً عن عدم استقامة قائله ، ولكن يمكن أن يكون المراد به أن المجمل حكمه بالنسبة إلى المفصَّل كحكم القشر بالنسبة إلى اللبِّ ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللب . وأما الأكابر المستقيموا الأحوال فلا يُجوِّزون التكلُّم بأمثال هذه العبارات الموهمةَ للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل ، والاستدلال والكشف . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦ من الجلد الأول .

وفيه في ١٨٢ : إن طريق القوم خادم للعلوم الشرعية ، لا أنه أمر مباين لها . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٤٩ من الجلد الأول : إن حصول الطريقة مقدم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ولا شكَّ أنَّ علاج أمراض الباطن كله واجبٌ ، كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد العقاب عليها ، فعلم أنَّ كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطبِّ ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكلُّ من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنه طبيب عظيم ، ومن رآه حين يسئل عن اسم المرض وكيفية إزالته ، قال : إنه جاهل ، فاتخذ لك شيخاً ولا تُعْص وتفكر أبديَّة الآخرة . وإياك أن تقول : إن طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمديَّةﷺ ، وسير أحمدية ، وسنن إلهية ، انتهى ، ونقله أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » فراجعه .

وكان الطيبي صاحب حاشية « الكشاف » يقول : لا ينبغي للعالم ولو تبحَّر في العلم حتى صار واحد أهل زمانه أن أن يقنع بما علمه ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلُّوه على الصراط المستقيم . . إلخ . كذا في « منية الفقير المتجرد » فراجعه في ٦ .

وفي « الفتاوى الجوخية » : الذي نفعله اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ولو بالسفر إليه بصَرْف ما يجب صرفه لسفر الحج . انتهى عبارته .

وفي شرح « تائية السلوك » :

فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقن يكون له الشيطان شيخاً ملقناً

فراجعه في ٥٢ .

ثم اعلم أيها المأمون أن المراد من الذكر في كلّ موضع من المواضع المذكورات هو الذي لقنه الشيخ المرشد المأذون ، لا الذكر الذي أخذه الشخص من المتشيخ المغرور المفتون . فإن الأسماء الإليهة كالسلاح للسالك ، فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها ، فتكون حجباً يمنع بها الشيطان ومؤثرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبية عن كل خير ، فيقوى السالك على الشيطان وعلى النفس ويضعفان ، كما يقوى المقاتل الذي معه سلاح جيِّد وسيف قاطع حَادٌّ على العدو المحارب .

وأما إن أخذها من متشيخ غير مأذون فتكون الأسماء خالية عن الأنوار ، فلا يقوى بها على الشيطان الغرار ، ولا تصير حجباً بينه وبينه ، ولا تكون مؤثرة لانكسار النفس وهواها ، بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه ، ويوقعه في العجب والرياء ولو بعد حين من الأحيان .

وقد قال الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : وقد وقع أن الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرة : قل (لا إله إلا الله) فقال عيسى عليه السلام : أقولها لا لقولك (لا إله إلا الله) ، فرجع الشيطان خائباً ، وإنما قال : (لا لقولك) ، لعلمه عليه السلام أن الشيطان ليس غرضه إلاَّ أن يجهل الخلق الخواطر الربانية ويأخذوا منه . انتهى عبارته . ومثله في « خزانة العلوم » .

وفي « تصديق المعارف » في سورة يوسف : ولو كان الشيخ – والعياذ بالله – غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمة ؛ من غير أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ويسلب أوصافه الشريفة ، ويقدمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرب . انتهى عبارته .

وفي « الإبريز » ما حاصله : أن السالك لو أخذ الذكر من شيخ عارف يكون مع الاسم نوره فيحجب العبد من الشيطان ، وإن أخذه من الشيخ الغير العارف لا يكون معه نوره ، فيحضر الشيطان ويتسبب في ضرر العبد . انتهى فراجعه في ١١ .

وفي « الأنهار الخمسة » : وأخذ الطريق من الشيخ الناقص مضرٌّ للطالب ، كما قال الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني قدس سره في مكاتيبه الشريفة . انتهى عبارته .

وفي « مزكي النفوس » ما خلاصته هذا : إن الذكر على قسمين : ذكر التعليم وذكر التلقين ؛ فذكر التلقين هو الذي يفيد الطالب ، ويذهب الحجاب من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانية ، وهو مثل مطر النَّيْسَان ، وأما ذكر التعليم ! فهو الذي يذكره العوام بلسانهم ويعلمه الآباء أولادهم[1] بلسانهم ، ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح . انتهى عبارته . فراجعه في ٣٣٥ .

وفي « المتممات » ما حاصله : ولا تحصل تصفية القلب عن كدورات السوى ، وتزكية النفس عن رزائل الصفات الحيوانية من الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) ومن سائر الأسماء الإلهية إلاَّ إذا تلقَّنها الذاكر عن شيخ كامل . وهكذا إلى رسول الله ﷺ . انتهى فراجعه في ١٣٧ . وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة . انتهى « لواقح الأنوار » عبارته ٣١٢ .

وفي « مزكي النفوس » : الذكر أفضل من الصلاة النافلة ؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء الظاهرة ، والذكر تنهى عن الفحشاء الباطنة ، وما يطهر الباطن الذي هو منظر الله ومدرك أمر الدنيا والآخرة يكون أفضل من غيره . انتهى ملخصاً وبالمعنى ، فراجعه .

فائدة مهمة

قد قال بعضهم : الشريعة أن تعبد الله ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده . كذا في « جامع الأصول » ، يعني : أن الشريعة أن تعبد الله تعالى بعبادة مشروعة ولو كان غافلاً ، فالشرع لا يحكم إلا بالظاهر ، فلو صلى واحد

---

(١) وفي نسخة : لأولادهم .

مثلاً صلاة عند اجتماعه مع الناس خوفاً من مذمتهم أو حياء منهم ، والحال أنه لا يصلي حين كان في خلوة عن الناس ؛ فأهل الشريعة يحكمون بأنه صلّى ؛ لأنهم يقولون : نحن نحكم بالظواهر ، والله يعلم ما في السرائر . وأما أهل الطريقة يحكمون ببطلان صلاته ؛ لأنه صلى لأجل الناس ، لا لله وحده ولم يحضر قلبه مع الله بل حضر مع الناس . وأهل الحقيقة إنَّما يصلُّون مع رؤية : أنهم في حضرة الله ، وهو معهم أينما كانوا ، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم إنما كانت بعونه وقوته وخلقه وفعله لا بأنفسهم . فافهم .

وقد قال نجم الدين الكبري : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدر ، فمن أراد الدر ركب في السفينة ، ثم شرع في البحر ، ثم وصل إلى الدرر ، فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدرِّ . فأوَّل شيء وجب على الشخص من المطالب هو الشريعة ، والمراد منها أوامر الله ورسوله ؛ من الغسل والوضوء والصوم ، والصلاة وغير ذلك من الأوامر والنواهي . والطريقة هي الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى الله زلفى ؛ من قطع المنازل والمقامات ، وأما الحقيقة ! فهي الوصول إلى المقصد ، ومشاهدة نور التجلي ، كما قيل : في الصلاة خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة في الشريعة ، والقربة في الطريقة ، والوصلة في الحقيقة ؛ والصلاة جامعة لهذه الخصال الثلاثة ، كما قيل : الشريعة أن تعبد الله ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده . انتهى . كذا في « جامع الأصول » في ٥٣ .

ولا يجوز أن يؤخذ من هذه الكلمات أنَّ الدخول في الطريقة لا يجوز إلاَّ بعد تمام الشريعة بالمعنى الذي أراده المنكرون ، كما يعلم ذلك مما ذكرته في هذه الكراسة ، بل الذي يفيده هذا الكلام أنَّ المراد من الشريعة أوامر الله ورسوله ؛ من الغسل . . وإلخ . وأنَّ من يعبد الله تعالى ويخدمه بما ورد في الشريعة من الأمور المذكورة فهو صاحب شريعة ، فكلُّنا إذاً في الشريعة إلاَّ أنَّ أعمالنا لما كانت معلولة وجب علينا الدخول في الطريقة ، لتصير الشريعة كاملة بسببها ، فلا يجوز لأحد أن يحكم على من يصلى ويصوم ويحج ويأتي بالشهادة ويزكي أنه ليس في الشريعة ؛ لأنه ليس بعد الشريعة إلا الكفر ، أعاذنا الله تعالى منه .

فالحاصل أنَّ الأخذ في الأعمال الظاهرة يسمى شريعة ودیناً ، والأخذ في الأعمال الباطنة وتصفيتها عن كدوراتها يسمى طريقة وتصوفاً ، وعند صفاء الأعمال الظاهرة والأحوال الباطنة والأخذ في طريق المواهب والأحوال يسمى حقيقة ومشاهدة ، والغيبة عن الإحساس يسمى فناء واستغراقاً ، والثبوت معه على الأمر والنهي يسمى بقاء وصحوا . هذا هو الحق الحقيق بالقبول . ومثله في « تقريب الأصول »[1] مذكور فراجعه في ١٨٢ تجد البيان والله يعلم حقائق الأمور .

واعلم أنه لا يشترط في مقام الاتباع له عليه السلام عدم الوقوع في المعصية ، وإنما الشرط عدم الإصرار . كذا قاله الشعراني في كتاب « الدرر » و« الجواهر » فراجعه في ١٤٩ من هامش « الإبريز » .

وأن لأهل (لا إله إلا الله) الولاية العامة ، فهم أولياء الله ولو أخطئوا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة . كما نقله الشعراني عن الشيخ الأكبر في « اليواقيت » فراجعه في ٤٦ من الجزء الأول . والعبد مأمور بالتقوى في سره وعلانيته ، إلا أنه لا بدَّ أن يقع منه أحياناً تفريط في التقوى ؛ إما بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات ، ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى ، كما دلَّ عليه نظم سياق آيات ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ إلى أن قال في وصفهم ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ** ﴾ الآية ، فلذا أمر ﷺ بأن يفعل العبد ما يمحو به ما فرط منه بقوله « وأتبع السيّئة الحسنة تمحها » كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ أي : فلا تعجزنَّ أيها الإنسان إذا فرطت منك سيئة أن تتبعها بحسنة ؛ من نحو صلاة أو صيام أو ذكر ؛ وقد ذكر ابن حجر حقيقة هذا الكلام بالتمام في « فتح المبين » ، فراجعه من الحديث الثامن عشر . وقال المحشي الحفني : إن أصل الولاية تحصل بالشهادة . انتهى ، فراجع شرحه على « المنح المكية » في ٢٤٠ من هامشه .

---

(١) وفيه في ١٠ : وما شرعه الله يسمى شريعة ، وكذا العلم بالذلك ، فإنه يسمى شريعة ، والعمل بذلك العلم يسمى طريقة . انتهى عبارته . (منه) . (هامش الأصل) .

وفي « إتحاف السادات المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » في ١٧٨ من الجلد الثالث : أن المؤمن ليس بفاسق أصلاً ، إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محلِّ العاصي . انتهى عبارته . ويافقه ما في « مناهج السعادات » : من أنَّ الصالح يطلق على الفاسق بمجرَّد إيمانه . انتهى . فراجعه في ٣٢ ، وفي ٤٥ من هامش « دلائل الخيرات » ، وفي « الفتاوى العمرية » ، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ، ولم يقل : يا أيها الصالحون ، وكذا الخطاب في ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربَّما يحصل له أجر جزيل ، وفي الحديث « إنَّ أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله ؛ وإن عليهم من الأثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » انتهى عبارته . وقد روي عن سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس سرّه : أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له : أكثر من ذكر لا إله إلا الله ، ويأتي آخر فيشكو له الزنا أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل منهي عنه إلا أمره بالذكر . كذا في « السير والسلوك » فراجعه .

وقد سئل الإمام الرباني قدس سره : هل يجوز تعليم الطريقة لمن يأكلون ويلبسون من مال لا يخلو عن ربا ؟ **فأجاب** بقوله : لقنوهم الذكر وعلموهم ورغبوهم في الاجتناب عن المحرم ولعلهم يتخلّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . كذا في « الدرر » في ١٣١ من الجزء الأول و« البهجة » في ٣٧ ، فراجعهما .

المريد كالمريض

وقال الشيخ الشعراني في « لطائف المنن » : إن الواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه وقسى قلبه وغلب وقوعه في المخالفات ولم ينشرح صدره للتوبة ، فإنه كالمريض الذي يشكو أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي

أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر حتى يفرغ من أن يشكو ضرورته ومرضه ، ثم يصف له الدواء . وهذا الخلق قلَّ من يعمل به لا سيَّما أهل الحدة والغيره على الشريعة ، ولو أنهم نظروا في أخلاقه ﷺ لتفطنوا بجميع العصاة ، **فإياك يا أخي** ونهرَ أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه . انتهى عبارته . فراجعه . والدواء المذكور هو الذكر كما هو معلوم مما سبق في هذه الكراسة ، والله أعلم .

وقال الشعراني في « تنبيه المغترين » : من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : أن الفاسق ضالة كل داع إلى الله ، انتهى . يعني : أينما وجدها يلتقطها ، والله أعلم .

ومن عجيب ما بدا في هذا الزمان أن واحداً من أهل الدعوى كتب إلى هذا الفقير : أنَّ أخذ الطريقة حرام لمن ليس له نفس مطمئنة ، فأجبته بما في « الرسالة المدنية » من أنَّ السالك إذا صارت نفسه مطمئنة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه ، ويجوز للشيخ أن يأذن له ، لكن لا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل . انتهى .

ومثله في « السير والسلوك » و« ترصيع الجواهر » .

وأعجب منه أنَّ واحداً من المتشيخين ادعى بأنَّ أخذ الطريقة لا يجوز إلا لمن له حضور تام . فأجبته بما قاله الإمام الرباني في « مكتوباته » ؛ من أن الحضور الدائمي لا يكون إلاَّ للمنتهي ، كما هو مذكور في « الدرر » ، فأخذ الطريقة وسيلة إلى الحضور التام الدائمي ، ولا أدري معنى عدم جواز طلب الوسيلة إلا بعد الوصول إلى المقصود . فافهم .

وقد قال سيف الله الحسيني النقشبندي قدّس سرّه في بعض رسائله : إن معنى الإرشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد ، لا إرشاد المرشدين ولا المرادين ولا القائمين على حدِّ الرشاد ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كل

أحد أمارة إلا من خصه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهي بالحط الوهبيِّ ، كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ ، وذلك خطاب نبيه عليه السلام الذي لا يبلغ الولي إلى رتبة عشر معشاره ، فحينئذ يكون مراد الإرشاد إخراج طالب السلوك عن رعونة الأمارة وحضيضها إلى سبيل الهداية بواسطة تربيته بتزكية اللطائف حتى تصير الأمارة لوامة ، ثم وثم . . إلى أن تترقى إلى المطمئنة ويصير المريد مراداً ، ويذهب عن النفسانية ، حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غَيْبَةً عن الوجود . انتهى من خطه قدس سره . فما أَلَذَّ كلامه وما أحلاه ، فجزاه الله عنا خيراً ، آمين . ومما كتبه الشيخ المستور سيف الله المذكور إلى هذا الفقير هذه العبارات : ثم اعلم أيها الموفق إني أشكر الله تعالى على بقاء المحبة الإلهية في هذه الطريقة بين(١) أبناء مولانا محمود الفعال ، وبين أولاد مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهم مع إزديادها بينهم يوماً فيوماً . وذلك يُعْلِنُ كمالة المرشدين المذكورين وكونهما في مقام التكميل خلاف أولاد باقي أكثر المشائخ . **فانظر** إلى آداب مدعي المشيخة من أولاد العارف المحقق المحدث الحافظ الحاج عبد الرحمن الثغوري لأجل تركهم أدبه بفعلهم أموراً لم يصدر من شيخهم . ومن أعظم الأمور ادعاءهم على الإذن والمشيخة كل أحد ، فوقع بينهم التعصب البليغ بحيث يكذب أحدهم الآخر ، وليس من بينهم مَنْ يصدق قول الآخر سوى الزعم بكونه أعلى من الجميع مقاماً ، وبعدم أحد مثله .وقد كتبوا خوارق منهم ، كأنها أخبار الجنِّ نسمع ولا نرى ، وليست فتنة وثلمة في الدين إلا بهم وبأتباعهم . انتهى من خطه قدس سرّه .

ومن المعلوم المتيقَّن أنه لم يوجد في الذين يزعمون أنهم مأذونون من الشيخ المذكور ، رحم الله مَن يعلم كيفية الذكر القلبيَّ الذي هو أول قدم يضعونه في الذكر في هذه الطريقة النقشبندية ، فكيف يدرون ما فوقه ؟ ! ومع ذلك نرى منهم ما نرى ، وليس في يد واحد منهم صكُّ الإجازة ، مع أن كتابة

---

(١) يعني : بين مريديهم . فافهم . (هامش الأصل) .

الإجازة للخلفاء من عادة المشائخ ، كما هو مذكور في « الدرر » في ١٤٩ من الجلد الثالث ، ولا لهم شاهِدٌ ولو واحداً على أن شيخهم أذن لهم ، بل كلهم تصدَّروا بأنفسهم وصاروا قطاعَ الطريق ونوَّابَ الفتنة بين مريدي الحقِّ ، رزقهم الله الإنصاف والتوفيق ، آمين اللهم آمين .

قصَّة عجيبة

فلقد قال لي أخونا في الله لله حَجِيَوْ البقاچي ، رزقه الله اتباع السنة آمين : إن العالم المشهور الكاتب محمد نبي ولد شَهَوْ الأنصخي أخبره بان اثنين ذهبا لدى الحاج عبد الرحمن الثغوري لطلب الإذن منه للعالم الفلاني ، فطلبا منه الإذن فقال لهما : أَلاَ يجبُ أن يكون الإذن لي ولنفسي يا أولادي ، فكيف أَذِنُ له بما ليس لي ؟ ! فرجعا من عنده ، فقال واحد منهما : نحن نقول لذلك العالم المذكور إنه أذن له ، فقال الآخر : إنِّي لا أطيق أن أكذب ، فقال ذلك الواحد : إنِّي أقول ذلك ، وأما أنت فكن صامتاً ، فقال ذلك الرجل : إنه أذن له ، وسكت الآخر ، وتصدر العالم المذكور بمجرَّد هذا الكلام للإرشاد ، مع أنه لم يعلم من أوراد الطريقة ولو شيئاً مَّا ، بل أمر مريديه بما اخترعه من الأوراد والأذكار ، وصار كالقطب مشهوراً بين الناس وصاروا يلقبونه (بسيدي سيّدي) .

وأخبرني أيضاً العالم المدرس محمد شافع الهژلِي رحمه الله : أنَّ واحداً ممن يزعم أنه مريد الشيخ الثغوري ، وأنه يتشيَّخ بعده كأنه بين الناس هو الثغوريُّ ، قال له : إن الثغوري قال له : يا ولدي ، لم يصِرْ عندي من مريدي مَن يجوز له أن يأخذ عصاي ولو واحداً ، ففي أثناء هذا الكلام نادى ابنته إليه : يا أبي إنَّ الأضياف قد جاؤا الآن فوقتئذ تفرقتُ منه ، وبعد مدة قليلة مات الثغوري قدّس سرّه ولم يأذن لأحد قبل موته ، بَيْدَ أنه قال : أمَّا أنِّي فإنما أتشيَّخ لظنِّي أن الشيخ الثغوري يرضى عني ، ولا يغضب عليَّ لكون ما أفعله من الخيرات . انتهى ما قاله العالم المذكور بفمه . وقد قال لي بعينه أخونا العالم الحاج محمد القحي الأشترخاني بلا زيادة ولا نقصان .

وقال لي العالم داود العوري ولد العالم دبر : إنه سأل ابنة الشيخ الثغوري : هل لأبيكِ مأذون أم لا ؟ فقالت لي : يا ولدي إني لا أعلم إلاَّ أنَّ واحداً من تلامذة أبي جاء لديَّ وطلب مني بيع عباءه قدّس سرّه ، فبعتها له بمقابلة أقراش كذا ، فبعد ذلك قال لي : ألا تقولين إنَّ أباك أذن لي ، فقلت له : إني لا أكذب . انتهى ما قالته ابنته الحاجية مَرْيَمْ . وأخبرني العالم شمس الدّين العَرْچُويّ نظير ما ذُكِرَ .

وقد سعى هذا الرجل المذكور مع ما كان في بُعْدٍ وبونٍ عظيمٍ من مقام الإجازة من الشيخ الثغوري خلف المريدين ، ولقن لهم أذكاراً لسانياً ، مع أنه يزعم أنه شيخ نقشبنديّ ، إلاَّ أني سمعت من أفواه الناس أنه تنزل عن مقام الإرشاد وترك التلقين وتعليم الأوراد ، وكتب إليَّ الشيخ الأمير سيف الله بعين ما ذُكِرَ ، والله يعلم حقائق الأمور ولا يخفى عليه بما في الصدور .

وقال العالم العارف المأذون النقشبنديُّ الحاج حبيب الله إنه سأل عن واحد من المنتسبين إلى الشيخ الثغوري ، وعن سبب تصدُّره للإرشاد ، فقال له : يا ولدي ، إني لا أقول إني أعلِّم الشريعة أو ألقِّن أوراد الطريقة ، بَيْدَ أنّي كُنْتُ أظنُّ لِمَ لا يجوز أن يكون لي إذْنٌ منه كما لغيري ؟ ! ، فحين كنت نائماً قال لي : (دُخْكِ) ، أو قال : (دُيْكِ)[١] ، .

فبعد ذلك علَّمت الناس أوراداً ، أو أذكاراً مع أني رأيت في كتاب كذا أنه يجوز للعالم أن يقول لمن جاء لديه : اذكر الله كذا مرَّة . انتهى . فهؤلاء أيها المخدوم المكرّم طبقات شتَّى يزعمون المشيخة ، مع أنهم ليس في أيديهم صكُّ الإجازة[٢] ولا من شيخهم أثر مَّا من الإشارة ، فكلُّ فتنة وثلمةٍ في الدّين إنما رشحت في ديارنا من جهتهم ، وكلُّ منهم تعصَّبُوا تعصُّباً بليغاً ، ومنعوا النّاس عن السلوك في سبيل الله منعاً أكيداً ، عافاهم الله أنَّى يؤفكون .

---

(١) عَجَمْ . (هامش الأصل) .
(٢) مع أن كتابة كاغذ الإجازة من عادة المشائخ . (هامش الأصل) .

ومما يعلم عدم كون جميعهم مأذونين من شيخهم الثغوري النقشبندي أنه لو كان قدس سره أذن لهم لكانوا يلقِّنون أذكار السلوك الواردة في أصول الطريقة النقشبندية ؛ لأن الشيخ إنما يأذن لتلقين الطريقة ، لا لتلقين ما ليس في الطريقة ، فهذا من أدلِّ الدلائل على كونهم مدَّعين كذابين ، فافهم ! . فحين سُئلوا : لِمَ لا تعلمون أوراد النقشبندية ؟ يقول بعضهم : إن تعليمها لا يجوز إلا بعد تمام الشريعة ، وبعضهم يقول : إن تلقين الذكر القلبي لا يجوز إلا لمن له نفس مطمئنة ، ويقول بعض آخر منهم : إن تعليم الذكر النقشبندي لا يجوز إلا لمن حصل له الحضور التام .

قد ذكرتُ لك أيها الاخ خرافة أقوالهم بالتفصيل ، ورددْتُ كلامَهم ببيان الدلائل والنقول ، فالحمد لله الذي هدانا إلى هذا الطريق الحقّ ، وجنَّبنا من السعاية خلف الأشياء المخترعة ، كما سعى هؤلاء المذكورون بلا رفيق ، وهو وليُّ الهداية والتوفيق .

ثم إني رأيت في « هدية الذاكرين » كلاماً في حقِّ الأبواب الإلهية فاحببت أن أوردها هنا ، لأنه وإن كان في التكرار تصديعٌ إلا أن الكلام الجديد لا يخلو عن منفعة ، **فالباب الأول** من الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى : الشريعة ؛ أي : العلم بالشريعة واتباعها لدخول الجنة والنجاة من النار ، **والثاني** منها : الطريقة ، وهي لتكميل تزكية الإيمان والقلب ، **والثالث** : الحقيقة ، وهي لتكميل الانسان وكسب العيان ، **والرابع** : المعرفة ، وهي المطلب الأعلى ، وهي لسلامة القلب والعرفان . انتهى ملخصاً .

قال صاحب « الهداية » : وهذه الأبواب الالهية كلها متلازمات لا تخالف بعضها بعضاً ، فإنه لا ينفع ظاهر إلاَّ بباطن ، ولا يعتبر باطن إلاَّ بظاهر ، لأنه ورد : « إنما الأعمال بالنيات » ، ولا ينفع النية إلاَّ بالعمل ، لأنَّ النية شرطه مثلاً إن الرجل إذا نوى الصلاة فلم يصلِّها لا تجزؤه عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلا بالنية ، كما بينه الإمام الشعراني في كتابه « الدر والياقوت » انتهى عبارته .

ومما ينبغي أن يعلم أن الجهر في هذا الطريق النقشبنديِّ ممنوع ، وأنَّ كل ذكر يستعمل باللسان يستعمله المبتدؤن في هذا الطريق بالقلب ، كما هو مذكور في « الدرر » في ١٤ من الجلد الثاني ، وفي ٣٨٢ من الجلد الأول . وقال الإمام الرباني قدّس سرّه : واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب ، لأنَّ هؤلاء الأكابر قد التزموا متابعة السنة السنية واجتناب البدعة الشنيعة ، ولهذا تراهم يفرحون ويستبشرون إذا كان فيهم دولة المتابعة ؛ وإن لم يكن شيء من الأحوال ، ومتى أحسُّوا فتوراً في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغونها ، ومن هاهنا لم يجوِّزوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتَّب عليه .

كنت يوماً في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا ، فقال الشيخ كمال الذي من مخلصي حضرة شيخنا : بسم الله الرحمن الرحيم ، جهراً حين شرع في الأكل ، فلم يناسب ذلك منه لحضرة شيخنا حتى قال بالزجر البليغ : امنعوه ، لا يحضر مجلس طعامنا .

وسمعت حضرة شيخنا يقول : إن الخواجه النقشبند قدّس سرّه جمع علماء بخارا ، وجاء بهم إلى خانقاه . شيخه الأمير كلال ليمنعوهم من ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه ، فقال في جوابهم : لا أفعل . فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر ، فماذا نقول في السماع الرقص والوجد والتواجد ؟ ! انتهى . كذا في « الدرر » في ٢٧٩ من الجلد الأول ،

وفيه في ٢٠٧ : وسُئلت أيضاً : ما سبب المنع عن ذكر الجهر بعلة البدعة ، مع أنه مورث للذوق والشوق ، ولِمَ لا يمنع من أمور أخرى لم تكن في زمن النبي ﷺ مثل لبس الفرجى والشال والسراويل ؟ أيها المخدوم ، إن فعله ﷺ على نوعين ؛ فعل على سبيل العبادة ، وفعل على طريق العرف والعادة ، فالفعل

الذي صدر عنه على سبيل العبادة نعتقد خلافه بدعة منكرة ، ونبالغ في المنع عنه ، لكونه إحداثاً في الدين ، وهو مردود ، والفعل الذي صدر عنه صلى الله عليه وسلم على طريق العرف والعادة لا نعتقد خلافه بدعة منكرة ولا نبالغ في المنع عنه لعدم تعلّقه بالدين ، بل وجوده وعدمه مبنيان على العرف والعادة لا على الدين والملة .انتهى عبارته .

وفيه في ٣١٤ ما حاصله : أنَّ في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ، ويبلغ الأمر فيه حدّ الرخصة بعد تمحُّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة بَعْدُ ؟ ! ، وكذلك ذكر الجهر لا يتصوَّر فيه ما فوق الرخصة ، وقد أحدث مشائخ سائر الطرق أموراً محدثة في طرقهم لبَعْض نيات صحيحة ، نهاية التصحيح في تلك الأمور الحكم بالرخصة ، بخلاف أَكابر هذه السلسلة[1] العلية ، فإنهم لا يجوِّزون مقدار شعرة من مخالفة السنة ، فتكون مخالفة النفس في هذا الطّريق أتم ، فيكون أقرب الطريق ، فيكون اختيار هذا الطريق أولى وأنسب ؛ لأنَّ الطريق في نهاية الأقربية ، والمطلب في كمال الرفعة .

وقد ترك جماعة من متاخري خلفائهم أوضاع هؤلاء الأكابر ، وأحدثوا في هذا الطريق بعض الأمور ، واختاروا السماع والرقص والجهر ، ومنشأ ذلك عدم الوصول إلى حقيقة نيات أكابر هذه الطّريقة العلية ، فخالوا أنهم يكمِّلون ويتمِّمون هذه الطريقة بهذه المحدثات والمبتدعات ، ولم يدروا أنهم يسعون بها في تخريبها ، ويجتهدون في إضاعتها ، والله يحق الحق وهو يهدي السبيل . انتهى عبارته .

وقد عدل محمود الإنجير فغنوي إلى الذكر الجهري منذ مرض أستاذه ، بمقتضى وقت الخلق ومصلحة حال الطالبين ، واستمرَّ عليه بعد انتقاله ، فسأله واحد من كبار علماء الظاهر : ماذا تنوي بذكر الجهر ؟ فقال له : إيقاظ النائم وتنبيه الغافل ؛ ليتوجَّه إلى الله ، ويقبل على الطريقة ويخلص التوبة إلى الله ، فقال له : إن نيَّتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر .

---

(١) أي : النقشبندية . (هامش الأصل) .

وطلب منه أيضاً أن يبيِّن له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحق من المبطل ، فقال : مَنْ وجدتم لسانه مطهراً من الكذب والغيبة ، وجوفَه منزهاً عن الحرام والشبهة ، وقلبه مزكى من الرياء والسمعة ، وسرَّه مبرَّأ من التوجُّه للأغيار فهو المحقُّ ، وذكر العلانية مسلَّم له .

ومن زمنه قدّس سرّه إلى زمن الشيخ أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر ؛ أي : وكانوا إذا انفردوا يذكرون الله خفية على ما هو الأصل في هذه الطريقة ، فلمَّا ظهر الشيخ محمَّد نقشبند قدّس سرّه اقتصر على الذكر الخفي أخذاً بالعزيمة[1] واجتناباً عن الرخصة[2] ، وذلك بأمر من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه ، وحين شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهري كان محمد النقشبندي يخرج ويقوم من بينهم ، وكان الأصحاب يثقل عليهم ذلك ، لكن الأمير كلال أوصى في مرض موته لجميع أصحابه ومريديه باتباعه ، فقالوا : إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟ ! فقال : إن كل ما أعطاه الله تعالى فيه حكمة فلا تخالفوه ، وبعد ذلك تركوا الذكر الجهري ؛ ولو في حالة اجتماعهم ، واستمرُّوا على ما هو الأصل في أوضاع هذه الطريقة الصديقيَّة . انتهى . راجع « الحدائق الوردية » في ١١٩ ، وفي ١٢٨ و« البهجة السنية » في ٦٢ و« الرشحات » في ٣٦ن ، وفي ٥٠ .

الذكر السرّي أقوى

وفي « الحدائق الوردية » في ١٣٣ : إن الإمام النقشبند قدّس سرّه قال لحضرة علي الراميتينيّ : طريقان في الذكر ؛ سر وجهر ، فاخترتُ منهما السر ؛ لأنه أقوى . انتهى عبارته .

---

(١) وهي الذكر الخفي . (هامش الأصل) .
(٢) وهي الذكر الجهري . (هامش الأصل) .

فينبغي أن يتدبره المخالفون لهذه الأصول[1] والأوضاع القائلون : بأنه لا يجوز تلقين الذكر القلبي ، مع أن قولهم هذا خلاف العقل وعكس النقل ، وإني أجدهم مع هذا يقولون إنهم نقشبنديون ، وهذا منهم شيء عجيب ، فكما لا يصير الشافعي حنفياً مثلاً ، إلا باستعماله مذهب الحنفي ، فكذلك لا يصير الشخص نقشبندياً إلا باستعماله ما في الطريقة النقشبندية ، فما بال إضاعتهم هذه الطّريقة التي أثنى عليها معتمد العلماء ابن حجر رحمه الله بأنها ؛ أي : الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، كما هو مذكور في آخر « الفتاوى الحديثية » ، واختراعهم[2] أشياء ليس لها نصّ ولا أثر .

فضائل الطريقة النقشبندية

وقد قال الإمام الرباني : إنَّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدل وأعلى وأجلُّ وأرفع وأكمل هو الطريقة النقشبندية ، قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، كما هو مذكور في « المكتوبات » في ٣٣٣ من الجلد الأول.

وقال الغوث أحمد ضياء الدّين في « المتممات » : إن طريقة النقشبندي قدس سره هي طريقة الصحابة على أصلها لم تزد ولم تنقص . انتهى عبارته ٩٧ . وفيه أيضاً : أنها أم الطرق . انتهى .

وفيه أيضاً : أنَّ جميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولب القرآن وحقيقة العرفان ، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلا . إنتهى عبارته . ٩٧ .

وفي « المناقب الأحمدية » : إنَّ الطريقة النقشبندية خلاصة الطرق ، وأوفق بالكتاب والسنة ، وأنها سالمة من كدورات جهلة الصوفية ، وفيها ما في جميع الطرق وزائد . انتهى فراجعه في ٢ .

وقال الإمام الرباني : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة . انتهى .

---

(١) وقد قال خالد شاه : من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا . انتهى ، راجع . (هامش الأصل) .
(٢) أي : فما بال . . .إلخ . فافهم . (هامش الأصل) .

وقال الشاذلي : لقد جئت في هذه الطريقة بما لم يأت به أحد ؛ لأنه عين الطريقة النقشبندية ، وهي سلطان الطرق . انتهى . كذا في « المتممات » .

وفي « البهجة السنية » : إن محمد نقشبند قدّس سرّه قال : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة إلى الله البتة ، وقد أجيبت دعوته ، كما في « الرشحات » . انتهى . وهكذا في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٣٦ .

الإمام المهدي يكون على هذه النسبة

ورأيت في « البهجة » : أن الإمام الرباني قدس سره قال : إن الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة نتهى ، فراجعه .

وفي « البهجة » أيضاً : أنه قدّس سرّه قال : كنت مرة في حلقة أصحابي ، فخطر لي أنِّي في قصور ونقص ، فبينما أنا كذالك إذ أُلقي في سري : أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليَّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة . انتهى . ومثله في « الرسالة المبدأ والمعاد » .

ورأيت في « الحدائق الوردية » : أنّ علاء الدين العطار قدس سره قد زار ضريح سيِّدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ، ومعه زمرة من أصحابه ، فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت ، قال : وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله ﷺ ، فجاء سيِّدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ ، وخرجا بعد ساعة فرحَيْن شاكرَيْن ، وسيدنا شاه نقشبند يقول : أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع ، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً ، وأحبائي وأتباعي إلى فرسخ . انتهى ، فراجعه في ١٤٨ .

وقال صاحب « طبقات الخواجكانية » - قدس سره ورزقنا فيضه آمين - بعد ذكره هذه الواقعة **ومنح أصغر محبِّينا وأحقر متابعينا شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره** . انتهى عبارته .

وفي « مكتوبات » الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : أن هذا الطريق موصل البتة ، وعدم الوصول مفقود فيه ، فإنَّ أوَّل قدم هذا الطريق الجذبة التي

هي دهليز الوصول ، وموانع التوقفات أما منازل السلوك أو مواطن الجذبات التي لا تكون متضمنة للسلوك ، وكلا المانعين مرتفعان في هذا الطريق . فإن السلوك طفيلي[1] يحصل في ضمن الجذبة ، فهاهنا ليس سلوك خالص ولا جذبة أبتر حتى يكون الطريق مسدوداً . انتهى عبارته . فراجعه في ٦٥ من الجلد الثاني .

ومعنى **الجذبة** توجُّه القلب إلى الله ، **ومعنى السلوك** تزكية النفس عن الصفات الحيوانية والأخلاق الذميمة الرديئة . فافهم .

وفي « المناقب الأحمدية » : وفي هذه الطريقة بالعمل القليل تفتح فتوحاتٍ عظيمة . انتهى عبارته ١١ .

ومبنى هذه الطريقة على سير القلوب الذي هو توجه القلب إلى جناب الحق تعالى ، لا على سير الأبدان الذي هو الرياضات والمجاهدات ، والرياضة فيه تعليق القلب بالله والدوام على ذلك ؛ وإن كان الظاهر غير متلبِّس بكثير من العباداة ، كما هو مبنى الطريقة الشاذلية ، فإنهما عين الآخر ، والله أعلم . وراجع « الإبريز » في ١٧٨ .

محاسن الطريقة النقشبندية

ولو ذكرنا[2] المحاسن التي في هذه الطريقة لطال الكلام ، بيد أني أشير هنا إلى طرف منها .

فمن محاسنها : أنّ تصفية القلب عن الخواطر وتوجُّهه إلى جناب الحق تعالى بالدوام على تكرار اسم الذات (الله) مقدمة فيها على تصفية النفس عن الرذائل ، فتكون خلوة أربابها في جلوتهم ، فكل المجامع لهم زاوية ، يحضرون المجالس وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ومن السوى خالية ، كما هو مذكور في عدة كتبهم .

ومنها : جواز الاشتغال بتحصيل نسبتهم التي هي الحضور القلبي في كل مكان ، ومع كلِّ شخص ، وفي كل حال ، كما في « الرشحات » في ١٢٩ .

---

(١) أي : تبعيّ . فافهم . (هامش الأصل) .
(٢) وفي نسخة : ولو ذكرت .

ومبناها على الخلوة في الجلوة ، يتم سلوك السالك منهم وهو مع الناس ؛ يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ، كما في « الحدائق الندية » .

ومنها : أن أربابها يتخيلون من جميع الأصوات سواء كانت أصوات المياه والرياح أو أصوات المزامير والطبول ، أو غيرها من أصوات المخلوقات ، وكلامهم الذكر الملقن لهم .

وقد ذكر صاحب « الرشحات » : أن الاشتغال بالطريقة يبلغ مرتبة في مدة يسيرة يتخيل بها جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً ، فراجعه في ٣٣ .

وقال في موضع آخر : يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدَّ ولازم الذكر في مدة خمسة أو ستة أيام . انتهى .

ومنها : أن أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات وغيرها يتخيَّلون معها الذكر بغير اختيار حين رسخ الذكر في قلوبهم .

ومنها : أن حصول نسبة الحضور يحصل للسالك بطريق الانعكاس ، وبالصب من صدر إلى صدر بتوجه المرشد المقتدى ، وبسببه تنعكس صور المعارف الإلهية من مرآة قلبه إلى قلب السالك .

ومنها : أن توجه أربابها إلى الذات الأحدية ، لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم ، كذا في « المكتوبات » في ٣٦ من الجزء الثاني .

وقال الإمام الرباني في موضع آخر من « مكتوباته » : وينبغي أن تلاحظ معنى اللفظ المبارك (الله) بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأن لا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية ، راجعه في ١٦١ من الجزء الأول .

ومنها : أن الحضور والجمعيَّة[1] يحصلان للسالك في هذه الطريقة في وقت يسير لكثير من المستعدين ما لا يحصل للسالك في غيرها في أوقات كثيرة . كذا في « الرشحات » في ١٢٢ .

ومنها أن الوجد والاضطراب لا يكونان قطُّ في السالكين فيها ؛ شيوخاً كانوا أو مريدين ، ولا يتحرك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذي يجرُّ السبحة ؛ لأن الجذبة فيهم مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن . وقد رأيت في « المتممات » أن الحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك منهم شيخاً أو مريداً . انتهى .

أوّل من أحدث الرقص السامري

وفي كتب الفقه كـ « بغية المسترشدين » و« الفتاوى الفقهية الكبرى » لابن حجر و« التحفة » و« الشهاب » و« حاشية عبد الحميد الشرواني على ابن حجر » و« الفتوى الحديثية » لابن حجر كلام كثير في حق الرقص والاهتزاز حالة الذكر ، **فحاصل** مآل كلام ابن حجر عدم الجواز ، كما صرَّح به في « كف الرّعاع عن محرمات اللهو والسماع » ، فقد قال فيه بعد نقله ما قاله الطرطوسي ؛ من أن مذهب السادة الصوفية أن الرقص وضرب الدف والشباب بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري حين اتخذ لهم عجلاً فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، وهو ؛ أي : الرقص دين الكفار وعباد العجل ، وإنما كان مجلس رسول الله ﷺ مع أصحابه كأنَّ على رؤسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوَّابه أن يمنعوهم من المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم[2] ، هذا مذهب الشافعي

---

(١) أي : جمع القلب على الله ، فافهم . (هامش الأصل) .
(٢) على أباطيلهم . عله .

ومالك وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين . فتأمله[1] ، واحفظه ، فإنه الحق ، وغيره باطل الذي غايته القطيعة والآثام . انتهى من عينه ، فراجعه في ٥١ من هامش « الزواجر » من الجلد الأول .

ونقل صاحب « بغية المسترشدين » عين ما ذكر عن الطرطوسي ، وقال بعد ذلك : وأما الرقص بلا تكسر وتثنٍّ فالذي اعتمده ابن حجر أنه مكروه ، ونقل عن بعض أصحابنا حرمته إن أكثر منه ، أما هو بتكسر وتثنّ فحرام مطلقاً ، حتى على النساء ، كما صرح به في « كف الرعاع » . انتهى فراجعه في ٣٠٢ .

وقال الشهاب ما حاصله : إن الرقص بتكسر يحرم على الرجال والنساء ، وقال بعد ذلك : وما ورد من أنه ﷺ وقف لعائشة يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون - والزفن بالزاي والفاء الرقص - محمول على أنه كان بغير تكسُّر ، وما قيل عن بعض الصوفية بجوازه مع التكسر فهو كذب محض وخيال باطل ، أو محمول على ما ليس بالاختيار . انتهى . فراجعه في ٣٠١ من الجلد الرابع .

وقال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » مجيباً لمن سأله : هل لرقص الصّوفية أصل أم لا : نَعَمْ له أصل ، فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له : أشبهت خَلْقي وخُلْقي » ، وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر عليه السلام ، وقد صحَّ القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ؛ منهم عز الدين شيخ الإسلام ابن عبد السلام . انتهى . في ٢١٧ .

وقال ابن حجر في « التحفة » في شرح قول المنهاج (لا الرقص) : فلا يحرم ولا يكره ؛ لأنَّه مجرد حركات على استقامة أو اعوجاج ، ولأنه ﷺ أقرَّ الحبشة عليه في مسجده يوم عيد ، رواه الشيخان .انتهى عبارته . وفيه كلام كثير في حق الرقص ، فراجعه من كتاب الشهادة .

---

(١) مقول قال . (هامش الأصل) .

وقال ابن حجر أيضاً في « الفتاوى الكبرى » وأما الرقص فلا يحرم لفعل الحبشة له في حضرته ﷺ مع تقريره عليه ، وقال جماعة : يكره لخَرْمِ المرؤة . انتهى عبارته . فراجعه في ٦ من الجلد الرابع .

وقد يتمسَّك بعض العلماء هذه الأقوال دليلاً على جواز رقصهم حالة الذكر لظنِّهم أن الكلام على الإطلاق ، والحال أنه ليس كذلك ، ويفسر الكلام بكلام آخر ، فقد قال المحقق ابن حجر في « كف الرعاع » : يمنع منه منع الرقص ، فقال : قال الأوزعي في « توسطه » : واعلم أنَّ طوائف من المغرمين[1] من المتفقرة ؛ أي : المتصوفة ، ومن حذا حذوهم من المتفقهة تواهموا أن حديث زفن الحبشة بالمسجد - وهو بزاي والفاء والنون الرقص - دليل على جواز الرقص في المساجد مع ضمية الفناء والطارات إليه ، وذلك خطأ صريح وجهل قبيح يعرف ببيان الحديث ، والجواب عنه كما هو مذكور في كلام القرطبي ؛

أما الحديث فالذي رواه البخاري ومسلم فيه أن ذلك كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب في المسجد ، فقال رسول الله ﷺ لعائشة : تشتهين تنظرين ، فقالت : نعم ، فأقامني رسول الله ﷺ وراءه خدي على خده ، وهو يقول : « دونكم يا بني أرفدة » ، ووجه تمسكهم أنهم رقصوا في المسجد وأمرهم النبي ﷺ ، بل أغراهم بقوله : « دونكم يا بني أرفدة » ، ثم أباح لعائشة النظر إليهم ، فكان دليلاً على إباحة الرقص وجوازه .

والجواب : أن هذا الحديث لا يتناول محل النزاع ، فإن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً على غناء ولا ضرباً بالأقدام ولا إشارة بالأكمام ، بل كان لعباً بالسلاح ، وتأهُّباً للكفاح تدريباً على استعمال السلاح في الحرب ، وتمريناً على الكر والفر والطعن والضرب ، وإذا كان هذا هو الشأن فأين أفعال المخانيث والمخنثين من أفعال الأبطال والشجعان ؟ ! وأما إباحة النظر إليهم ! فلأنه لم

---

(١) علّه : المغرورين .

يكن بحضرتهم منكر يغيّر ، ولا عورة تظهر ، وتمسكوا أيضاً بأنه ﷺ قال لعلي « أنت مني وأنا منك » فحجل ، وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » فحجل ، وكذالك حجل جعفر لما وصى له بابنة حمزة حين خاصمه فيها علي وزيد ، **والحجل** مشي المقيد وهو وَثْبٌ ، **واهتزاز** وهو الرقص .

والجواب أن هذه كلها أحاديث منكرة وألفاظ موضوعة مزوَّرةٌ ، ولو سلمت صحتها لم تتحقق حجتها أي ؛ لأن المحرم هو الرقص الذي فيه تثن وتكسُّر ، وهذا ليس كذلك .

وبما تقرر في هذا والذي قبله يعلم خطأ صاحب ذلك الكتاب في نقله الاحتجاج على إباحة الرقص بحديث رقص الحبشة في المسجد ، وبأنَّ علياً وجعفراً وزيداً حجلوا لما بشَّرهم النبي ﷺ ، ووجه خطئه ما تقرر من أنَّ رقص الحبشة لم يكن من الرقص المختلف فيه ، وأن ما ذكر هؤلاء[1] الثلاثة رضوان الله عليهم كذب مختلق ، لا تحل روايته ولا الاحتجاج به . . . إذا تقرر فعل الحبشة ليس من المختلف فيه ، وأن ما روي عن أولئك الأئمة كذب ، بطل قول صاحب الكتاب ؛ إن القياس على ذلك حجة على إباحة الرقص . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٤٩ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . والكتاب المذكور هو « فرح الإسماع برخص السماع » ألّفه بعض المِصْريّين .

وقد ألّف ابن حجر كتابه « كف الرعاع » في ردِّ جميع ما ذكر فيه من جواز الرقص وغيره ، فافهم .

وقال ابن حجر أيضاً في « كف الرعاع » وأشار القاضي حسين في تعليقه ، والغزالي في « إحيائه » إلى أن محل الخلاف فيمن فعله باختياره ، بخلاف من كان من أهل الأحوال ، فحصل له وجد اضطرّه إليه ، فإن هذا لا حرمة ولا كراهة عليه اتفاقاً .

---

(١) عله : من هؤلاء . (هامش الأصل) .

وعلى هذه الحالة يحمل ما حكي عن العز بن عبد السلام – رحمه الله ورضي به – أنه كان يرقص في السماع .

ومما يعين هذا الاحتمال المذكور ويردُّ على مَن توهم مِنْ فعله أنه يفعله عن اختياره ، فجعله حجة لدعواه الفاسدة وبضاعته الكاسدة قوله نفسِه في « قواعده » التي لم يصنف مثلها : أما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث[1] لا يفعلها إلاَّ أَرْعَنُ أو متصنِّع جاهل ، ويدل على جهالة فاعلهما أنَّ الشريعة لم ترد بهما ، لا في كتاب ولا في سنة ، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ، وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء .

وقد حرم بعض الفقهاء التصفيق على الرجال ؛ لقوله ﷺ « إنما التصفيق للنساء » . انتهى كلامه .

فبعد صدور هذه العبارة منه وهو أخشى لله وأتقاه من أن يتكلم في كتابه الذي هو نتيجة علومه ومعارفه بما يفعل خلافه على رؤس الأشهاد هي لعلّة ، وكيف يتوهم فيه صدور ذلك ؟ ! وبفرض صحته عنه يتعيَّن حمله على أنه إنما فعله اضطراراً لعروض حال أزعجه وأخرجه عن اختياره ، وقد عرفت أن هذه الحالة ليست من محل الخلاف ، فاحفظ ذلك ورُدَّ به مَنْ زلَّ في هذه المسألة قدمه وطغا في حكمها فهمه . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٥٦ من هامش « الزواجر » في الجزء الأول منه مع البسط التام .

وقال ابن حجر في « الزواجر » ما حاصله : أن نحو الرقص والدف فيه خلاف ، وأنه لم تأت شريعة قط بأنه قربة ، وأن من قال بحلِّه إنما جعله مباحاً ، وأن من اصطفاه لدينه متعبداً بحضوره فقد باء بحسرة وخسار ، وأن العارف المشتاق إذا هزَّه وَجْدٌ فهام في سكراته لا يلحقه لوم ، بل يحمد حاله لطيب ما يلقاه من اللذات . انتهى عبارته . نقله عن بعض .

ثم قال : وأما سماع أهل الوقت فحرام فلا شك ، ففيه من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وافتتان العامة باللهو ما لا يحصى ، فالواجب على الإمام قصرهم عنه . انتهى ، فراجعه في ١٧٣ من الجزء الثاني .

---

(١) وفي نسخة : النساء .

وفي « بغية المسترشدين » : التصفيق باليد وضرب الدف والرقص وضرب الصنج في حال الذكر ليس بمطلوب لا سيَّما حال القراءة ، إلا إن غلبه وخرج عن الاختيار فلا لوم عليه .انتهى عبارته فراجعه في ٣٠٢ .

قال الخادمي في « البريقة » : وعن منيرة ابن الكمال عن « جواهر الفتاوى » : السماع والرقص الذي يفعله الصوفية في زماننا حرام ، ولا يجوز الجلوس معهم في مجلسهم ، والرقص والغناء والمزامير في الحرمة سوآء . انتهى عبارته ٥٧٤ من الجلد الثاني .

وفي « الإحياء » ما حاصله : أن الرقص والتباكي مباح إذا لم يقصد به المراآت . انتهى . راجعه في ٢٢٨ من الجزء الثاني ، إلاّ أنه نقل الخادمي عن « الزخيرة » أن من أباحه من المشائخ فذلك الذي[١] حركاته كحركات المرتعش ؛ أي : ما يكون بلا اختيار ، راجع « البريقة » في ٥٧٤ .

وفيه : ونقل عن « حاوي المنية » الرقص وضرب الرجل على الرجل والمشي في الذكر والدوران كفر . انتهى . لعل مراده استحلاله واعتقاد كونه عبادة .

وعن السهروردي ، وهو عن أبي العباس السقا يقول : تطوف الشياطين عراة بأطراف قوم يشتغلون بالسماع والرقص ويلعبون بينهم وينفخون في فيهم فيتواجدون . انتهى عبارته .

أحكام المذاهب في الغنى والرقص

وفيه أيضاً : قالت الشافعية : الغناء لهو باطل ، أي : يشبه الباطل ، من قال به ترد شهادته .

وقالت المالكية : يجب على ولاة الأمور زجرهم وإخراجهم من المساجد وحبسهم حتى يتوبوا ويرجعوا .

---

(١) عله : لذي حراكات ، عله . (هامش الأصل) .

وقالت الحنابلة : لا يصلي خلفه ولا يقبل شهادته ولا حكمه .

وقالت الحنفية : الحصير الذي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل ، والأرض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى ، والله أعلم . انتهى عبارته ٥٧٥ من الجزء الثاني .

وفيه في ٥٧٦ من الجزء الثاني : وحين أُستفتي من شيخ الإسلام چوى زاده ، أفتى : أن الرقص والدوران حرام في المذاهب الأربعة ، وحرمته بالكتاب والسنة والإجماع ، فيكفر مستحلّه بالاتفاق . انتهى عبارته .

وفي « الطريقة المحمدية » : ورأيت فتوى جلال الملة والدين الكيلاني رحمه الله أن مستحلَّ هذا الرقص كافر . انتهى عبارته .

وقال ابن حجر[1] في « كف الرعاع » : إن التواجد من الذنوب ، فليتق الله ربَّه ، ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلا إلى الإمساك . انتهى فراجعه في ٥٨ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول .

وقد أجاب سليمان الزهدي الخالدي النقشبندي قدس سره حين سُئل عن جواز الرقص وعدمه بما يشفي الصدور ، وبيَّن أقوال كل فرقة ، ثم قال : وهم ثلاث ، منهم من يجوِّزون الرقص والسماع مطلقاً ، لتحصيل المنافع المعيَّنة عندهم ، وأيَّده بتمايله ﷺ ، ومنهم من يجوّزونهما لعارف مكين لا للمبتدئ[2] ، وأيَّده بقوله (لي مع الله وقت) ، ومنهم من لا يجوِّزونهما كالنقشبندية ، والسائل منهم ، وأيّده بقول الفقهاء : (**فإنَّ دَرْأَ المفسدة مقدم على جلب المصلحة**) ، فكان الجواب كفصل الخطاب ، كذا في « مجموعة الرسائل » في هامشه والكلام في الرقص كثير ، ولعل في هذه المذكورات كفاية .

ثم اعلم يا أخي أن جامع القطبتين محمد ذاكر الچسطاوي قدّس سرّه ، وهو آخر الخلفاء المحموديَّة وأسبقهم مقاماً ، قال في بعض مكاتبه : إن أصول

(١) نقله عن السهروردي قدس سره (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) وراجع « المكتوبات » في ٣٨ من الجزء الأول . (منه) . (هامش الأصل) .

الطريقة العلوية تخالف أصول النقشبندية التي هي الطريق الصديقي ، وإن ابتداء سير الطريق النقشبنديّ من عالم الأمر والسير الأنفسي ، والسير الآفاقي يتم في ضمنه على ما قالوا بخلاف سائر الطرق ، فإنَّ ابتداءهم من عالم الخلق ومن السير الآفاقي مقصوداً . انتهى من خط خطه .

والمراد من عالم الأمر هو اللطائف كالقلب والروح وإلخ . والمراد من عالم الخلق هو النفس ، فافهم ؛ يعني : أن تصفية اللطائف بالأذكار مقدمة في الطريقة النقشبندية على تزكية النفس عن الأخلاق الردية ، ولا سلوك عندهم خاص في تزكية النفس ، بل التزكية حاصلة في ضمن تصفية اللطائف وضمن الجذبة ، ولهذا تكون هذه الطريقة أقرب وأسهل ، فافهم .

وقد بين الإمام الرباني في مكتوباته حال الفريقين بالتمام ، وقال : ولما وصل جماعة من سلاك هذا الطريق بالرياضات الشاقة والمجاهدة الشديدة إلى ظل من الظلال ، ظنوا أن الوصول إلى المطلب منوط بالرياضات الشاقة والمجاهدات الشديدة ، ولم يعلموا أنَّ له طريقا آخر أقرب من هذا الطريق ، وموصل إلى نهاية النهاية ، وهو طريق الاجتباء الذي هو منوط بمجرد الفضل[1] والكرم ، والطريق الذي اختاره هؤلاء الجماعة هو طريق الإنابة مربوط بالمجاهدة ، والواصلون من هذا الطريق أقل قليل ، والواصلون من طريق الاجتباء جمٌّ غفير ؛ منهم الأنبياء عليهم السلام ، كلهم ساروا على طريق الاجتباء ، وأصحابهم رضوان الله عليهم أجمعين ، أيضاً وصلوا من طريق الاجتباء بالتبعية والوراثة ، ورياضات أرباب الاجتباء إنما هي لأداء شكر نعمة الوصول ، قال عليه الصلاة والسلام في جواب السائل عن وجه رياضته الشديدة مع كون ذنوبه المتقدمة والمتأخرة مغفورة « أفلا أكون عبداً شكوراً » ، ومجاهدة أهل الإنابة لأجل حصول الوصول شتان ما بينهما .

وطريق الاجتباء الحمل والجذب على الطريق ، وطريق الإنابة السير على الطريق ، وبين الجذب والسير فرق عظيم ، يجذب سريعاً ويوصل به بعيداً ،

(١) وهي الطريقة النقشبندية . فافهم . (هامش الأصل) .

والسائر يسير بطيئاً ، وربما يبقى في الطريق ؛ قال حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبند قدّس سرّه : نحن المفضلون . نعم ؛ لولا الفضل كيف يمكن أن تكون نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم ، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ . انتهى عبارته فراجعه في ٣٦٥ من الجزء الأول .

ومعنى اندراج النهاية في البداية ؛ أن الجذبة التي هي توجّه القلب إلى جناب الحق تعالى وحضوره التي لا تحصل لغير النقشبندين إلا في النهاية تكون مندرجة لهم في بدايتهم . فافهم .

وسألت أيضاً : هل يجوز الرابطة في الصلاة ليتوسل إلى الحضور ؟ إلخ .

اعلم أيها الأخ : أنَّ الإمام السهروردي قال في « عوارفه » : ويسلم على النبي في (التحيات) ، ويمثله بين عيني قلبه ، ثم يسلم على عباد الله الصالحين . . كذلك .

وفي « تاج العروس » : إذا دخلت في الصلاة فإنك تناجي الله وتكلم رسوله ؛ لأنك تقول : (السلام عليك أيها النبي) ، ولا يقال (أيها الرجل) عند العرب ، إلا لمن يكون حاضراً . انتهى .

وفي « الإحياء » : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم ثم قل : (السلام عليك أيها النبي) . انتهى .

نَعَمْ ؛ مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها ، وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب المقام المحمود ، كذا في « رسالة الرابطة » لمولانا حضرة خالد ، ولعل معناه أن إحضار صورة[1]

(١) وأما الخواطر التي تجيء للإنسان حال كونه في الصلاة ؛ من صورة الممكنات بإرادته أو بغير إرادته ، من غير قصد عبادة لها ؛ فما قال أحد من الفقهاء : مثلها يفسد صلاة المصلّي ، ولا قال : يحرم ، بل مثلها معدودة من تكليف ما لا يطاق ، وأما المفسد اتخاذ واحد معين معبوداً لنفسه ، وإحضاره في نفسه لقصد العبادة له . . إلخ . « تبصيرة الفاصلين عن أصول الواصلين » من عينه بيدي . (هامش الأصل) .

الغير عند خطاب : (السلام عليك) لا يجوز ، وإلاّ فإنَّ مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مرغوب مشروع ، كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في باب الخشوع في « الإحياء » ما معناه : فإن كان المصلي لا يخشع في صلاته فليلاحظ عنده أو خلفه أو أمامه رجلاً صالحاً يستحي منه ، من أستاذه أو شيخه ، وكأنه ناظر إليه ، فحينئذ يتم ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته ، كذا نقله صاحب « الفتاوى العمرية » قدس سره .

وفيه : وفي الحديث « عند ذكر الصالحاء تنزل الرحمة » وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكرهم وتفكرهم ؟ ! مع أنا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، ونسلم عليهم ، ونقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهل يكون القراءة بلا ملاحظة معنى ، بحيث لا يعرف محل توجُّه الضمائر ومرجعها ، فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبَّة الكاملة . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : وأما الشيطان في (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، وكذا اليهود والنصارى في ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فنذكرهم على طريق العداوة ، ونخيِّل صورهم حين ذكر اسمهم الخبيث بالبغض والنفرة والعداوة . انتهى عبارته .

وفي « رسالة الرابطة » : لفصيح أفندي قدّس سرّه : ثم إذا كان التفكر في آلاء الله تعالى ، وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغَّباً فيه ، فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله تعالى ، وأشرف آلائه محمد عليه السلام ، وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين ؟ ! انتهى .

وقال الشيخ حسين الدوسري في « الرحمة الهابطة » : إن استحضار الشيء سببه تعلّق القلب به ، وأهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ، ولا يحصل لهم إلاّ بالتكلف ؛ لأنهم دائماً يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة . انتهى . فراجعه في ٢٣٧ من الجلد الأول من « الدرر المكنونات » .

وأيضا قال فيه بعيد هذا : قد علم وقرر واشتهر أن المصلي يسنُّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ، ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحل سجوده ، والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة ، وهذا من أنواع الرابطة ، أفلا نجعل تخيل الرابطة كتخيل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة ؟ ! فإن المقصد واحد ، إلا أن أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام ، وليتوصَّلوا بها إلى رابطة الصلاة ؛ وهي : أن تعبد الله كأنك تراه . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : وقال الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي في آداب الصلاة على النبي عليه السلام ، تنبيه : اعلم أنه يتأكَّد على المصلي على النبي عليه السلام أن يتصوَّر وقت الصلاة عليه ﷺ صورته الكريمة في مرآة قلبه . انتهى عبارته ، فراجعه . وقد اكتفيت بهذا القدر اليسير ، ولعلك تفهم المراد فإنك عالم بصير .

ثم اعلم أيها المأمون في السر المصون أني أرجو الله تعالي أن يكون بسببك خير كثير لأهل الإرادة ، فإنهم يدورون خلف ما دار أمثالكم ، يسعون على ما سعى أشباهكم ، فعليك بالاجتهاد لجمعهم في محلِّ قراءة الصلوات والختمات ، ولا ترخِّصهم في تركها إلاَّ إن كانت لهم أعذار معلومات ، واحذر من أن يكون مجلسكم محلاًّ لإنشاد القصص والحكايات ؛ أي : التي ليس فيها حث على العبادات . . .إلخ .

كل شيء يجتمع مع الاجتماع فهو مبارك

ومن المعلوم أن من حسن إسلام المرء اشتغاله بما يعينه وإعراضه عما لا يعنيه ، فلا بدَّ إذاً من حفظ الأوقات لئلا تتلف في الأمور لا طائل فيها ، ففي وقت تشتغل بالتدريس مع حفظ الوقوق القلبي والحضور ، وفي وقت آخر تتوجَّه إلى الشغل بالذكر مع الحذر عن الفتور ، وكن مع الإخوان على حفظ

نسبة الباطن؛ وهي: الحضور، لأنَّ اجتماع الأصحاب في هذا الطريق إنما هو لجمعية الباطن لا لتشتيت الخاطر؛ ولهذا اختاروا الخلطة[1] على الخلوة وطلبوا الجمعية من الاجتماع، ومتى كان الاجتماع سبباً للتفرقة يلزم التحاشي منه والتباعد، وكل شيء يجتمع مع الاجتماع فهو مبارك، وإلا فمشؤم وغير مبارك، كما نطق بمثل هذا الإمامُ الرباني، فحفظ المجلس من الغفلة واجبٌ، وترك الشغل للشغل لازم، والمجانبة عن كلِّ كلام لا يحصل به الفائدة لأهل المجلس من أهمِّ الأمور، والمقصود من الملاقاة والاجتماع، إما الإفادة وإما الاستفادة، فإذا خلا المجلس من كلا هذين الخصالين فهو خارج عن الاعتداد به، ولهذا تحثُّ المريدين بملازمة الحضور والوقوف بقدر الطاقة لينعكس حال من يحضر إلى من يغفل عنه تعالى، فإن الحكم للغالب فافهم، وزوال الغفلة مطلوب، وهو مفتاح السعادات، والحضور روح العبادات، وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده، ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين، **وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة**؛ ولأجل هذا ينبغي لكم أن تقدموا الرّابطة مع آدابها وقت قراءة الختم والصلوات، وأن تقرؤا السلسلة الشريفة المُعَنْعَنَة، فقد كان شيخنا المرحوم قدّس سرّه يأمرنا بذلك، بل كان يؤكِّدني بعدم أكل شيء لم يقرأ عليه السلسلة العليَّة، ولا تهتمَّ بعدم ذوق الأحوال، فقد قال الإمام الرباني: إن عدم وجدان الذوق وفقدان فرصة الفرح فوق وجدان الذوق والفرح. انتهى. فالعدم المحض أسنى الأحوال، فهذا؛ والسلام وأوصيكم بالدعاء.

ثم المراد منك أن تأمر تلامذتك أن ينقل واحد منهم ورقاً، وينقل آخر ورقاً، وتترك ما كتبوه لديك أو تترك ما كتبتُه عندك وترسل ما كتبوه لديَّ[2]، لأن الناس يسألون كثيراً مثل ما سألتَه، وأحتاجُ إلى كتابة السؤال وتصعب عليَّ كتابته ثانياً ولا أتفرَّغ فافهم، ولم أتفرغ لنقل هذا المسوَّد إلى البياض لكثرة

(١) أي: مع الأصحاب، لا مع كل أحد. فافهم. (هامش الأصل).
(٢) ليكون كلتا النسختين سبباً للدعاء من الطرفين.

الشواغل ، فالصفح مطلوب ، وسبب تأخير إرسال هذه الكراسة لديك فقدان لقاء من يحملها لديك . انتهى .[1]

مكتوب إلى أبي سفيان

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه بررة الأتقياء والأصفياء ، آمين . وعليكم التسليمات والدعوات والتحيَّات أزيد مما أرسلتم إلينا بألوف ،

أيها الأخ البعيد القريب العالم المدرِّس أبو سفيان ! فلقد وصل لديَّ رسالتكم مع كتاب العالم محمد العوري الكائن في « غزانش العلى » مؤذناً ، ولعلكم ظننتم أنه كتابنا ، وأنا- إن شاء الله تعالى- أرسله لديه بيد الرحيل .

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « تخللوا فإنه ليس شيء أبغض إلى الملائكة من أن يروا في أسنان العبد طعاماً » .
عن النبي ﷺ : « المتخلِّل من أمتي » . انتهى .
وفي خبر آخر : « إن من حقِّ الضيف أن يُعدَّ له الخلال » . انتهى .
عن سعد بن معاذ رضي الله عنه : « نقُّوا أفواهكم بالخلال ، فإنها مسكن الملكين الحافظين الكاتبين ، وإن مدادهما الريق ، وقلمهما اللسان ، وليس شيء أشد عليهما من فضل الطعام في الفم » . انتهى .
مكارم الأخلاق في الماء المغلى . عنه ﷺ عبارته ٣٦ .
الماء المغلى ينفع من كل شيء ولا يضرُّ من شيء . (منه) عبارته ٤٦ .
قال النبي ﷺ : « يا علي افتتح بالملح ، واختتم به ، فإن فيه شفاء من سبعين داء ؛ منها الجنون ، والجذام ، والبرص ، ووجع الحلق ، ووجع الأضراس ، ووجع البطن » .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ « ثلاث لقمات بالملح قبل الطعام ، وثلاث بعد الطعام تصرفان سبعين نوعاً من البلاء ، منها : الجنون ، والجذام ، والبرص » . وقال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : ابداؤا بالملح في أول الطعام ، فلو علم الناس ما في الملح لاختاروه على الترياق المجرب ، عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال : « إنَّا نبدأ بالملح ونختم بالخلِّ » . انتهى (منه) عبارته .
* ومما يذهب داء الطعام المغيِّر لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ، ويسأل الله تعالى أن يجعله عوناً على الطاعة ، ويكون من دعائه : اللهمّ صل على محمد ، وعلى آل محمد ، وما رزقتنا مما نحب اجعله عوناً لنا على ما تحب ، وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغاً لنا فيما تحب . « عوارف المعارف » للسهروردي عبارته ٦١٢ .

ثم إنكم كتبتم أنكم نظرتم إليه من أوَّله إلى آخره ولم تصادفوا فيه على ما ينكدر القلب فللَّه الحمد على ذلك وله المنَّة ، وعرَّضتم فيها بالإشارة بأنكم تريدون أن تفوزوا بإجازة العلوم . اللهم نعَمْ فنعَمْ فنِعْمَ ما ظننتَ ، فنحن– إن شاء الله تعالى– نستخير الله سبحانه في خصُوص ذلك ، فبعد حصول الانشراح ووصول الإشارة نكتب لكم صكّ الإجازة إن شاء الله تعالى ، جزاكم الله عنا خيراً ولا لاقاكم ضرّاً ، فقد يسرّني بسماع خبركم ، ويشرح صدري بذكركم ، جعلكم الله وإيانا من التابعين لسنة النبي المختار ﷺ ، وأيَّدنا على آداب السادات الأبرار الأخيار ،

ثم اعلم أيها الأخ المأمون في السر المصون أنِّي على قصد غلق بابي والاختفاء في قعر داري بحيث لا أدْري ولا أُدْرَى ، وقد كنت منذ زمان أظنّ أنِّي لست أهلاً لهذه الوظيفة الإرشادية والتلقينية ، بيد أنِّي لما رأيت في كتب السادات أن الكامل قد يعطي الإجازة للناقص بعد وصوله درجةً أو درجتين أو ثلاث درجات من درجات الولاية ، فإن يده حينئذ يد الكامل ، وتربيته تربية الكامل ، كما هو مصرَّح في « الرشحات » و« البهجة » و« الدرر المكنونات » وغيرها من كتب السادات .

كنت ظننت أن مشائخنا إنما أجازوا بناء على هذه الكيفية لكنّي لما رأيت ما كتبتم في جرائدكم من شروط الإرشاد شكرت سعيكم ووافقتم رأيي ، وأغْلِقُ باب داري ، وأعلّمكم أني لست أهلاً لهذا ، ولست بمقام مريد ، شكر الله سعيكم حيث دلَّلتم أمثالنا الناقصين على نقصنا ، لكن ظن الحقير لا يسيئ بمشائخه المجيزين له ، ولعلهم أجازوه لعلم عندهم ، والفقير معذور ، ولو لا ثقته بهم لما تصدّر لهذه الوظيفة أصلاً ، فغفرَ الله لنا ولجميع الأمة ، آمين هذا ، والسلام ، وأصيكم بالدعاء لهذا الكاتب المعلوم القحي .

تقريظ محمد الشتوطي

سبحان من وضع الأشياء موضعها ، ورتَّب الخلق في تحكيم حكمتها ، وزيَّن في قلوب المؤمنين الإيمان ، وكرَّه في قلوبهم الكفر والعصيان ، وجعل فيهم نفوساً زكية يفقهون معالم الإيمان ، وحقائق الإيقان .

فنشكره شكراً جميلاً على إيجاد مثل هذا العالم الرشيد الصبور بين طائفة الجهلة الأخيرة التي قلَّ فيهم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، وعلى تنبيه مثله إلى حيازة سلائق السادات الأخيار ، في مناهج طوائف التابعين الأبرار ؛ من جمع فرائد الشيخ المرشد القطب الزماني ، كما جمعوا درر الشيخ القطب المجدد للألف الثاني ؛ منبع الفيض الرحماني حضرة الإمام الرباني ، توسعة لدائرة حياض فيضه الصمداني المنصبّ على أفئدة مريديه العطاش من التهاب نيرانه الموقدة ؛ في أحشائهم وأكبادهم ، وتخلية لغطاء الظلمة عن وجوه معضلاتهم .

طوبى لمن ذاق كأساً من محبته ... وأخلص الود في إلحاظ حضرته
فرب من ذاكر قد حاز من نفس ... ألوف جوهره في حال لحظته
فحبذا صنع هذا العبد في وزنه ... يوم الحساب جبال من مثوبته
له على الله أجر المستفيد به ... إلى نفاد الزمان فيض رحمته

جعلنا الله تعالى من المتقين الخالصين المخلصين ، وأفاض علينا فيوضات أولئك المرشدين العارفين . آمين .

(من راجي رحمة ربه المعطي ، محمد بن حجيو الشتوطي) .

تقريظ النهري

بسم الله الرحمن الرحيم

نـعـم الـكـتاب كتاب الشيخ مرشدنا ... شـمـس الـهـداية وضاح الطريقات
نعم المؤلـف مـكـتـوبـات سـيـدنـا ... بـحـر الـعـلوم وتـصـديق المقالات
مـا حـاز حـظّاً من الأبرار في الأكم ... مـثـل الـعـلـيـم الذي زين العبارات
طـوبـى لكم أسبق الأقران في الحكم ... بـجـمـع هـذا الـذي أنـواره تـأتـي
لـعـل خـالـقـنـا رب الـخـلـيـقات ... يـجـزيـكـم بـجـزاء الخير في الآتي
نـرجـو الإلـه بـتـوفـيـق لـكـم أبداً ... بـجـمـع أمـثـالـهـا مـن الـمـهمات
ثـم الـصـلاة عـلـى المختار شافعنا ... بـأحـمـد الـمـصطفى خير البريات

الكاتب الحقير النهري

تم ولله الحمد

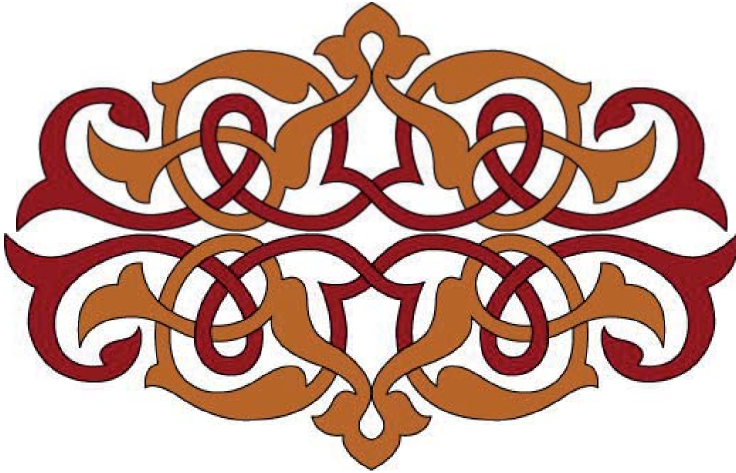

فهرس

الجوهرة النفيسة في إعانة
الطريقة النقشبندية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . أعوذ بكلمات الله التامَّات من غضبه وعقابه ، وشرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ، من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً ، وإن يمسسْك الله بضُرٍّ فلا كاشف له إلاَّ هو ، وإن يمسسْك بخير فهو على كلِّ شيء قدير ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الظاهرة والباطنة ، وجعلَنا من أُمَّة حبيبه محمد المصطفى ﷺ ، ولم يجعلنا من الكَفَرَةِ الفَجَرَة ، وفضَّلَنا بمحض فضله بالهداية إلى الطريقة السالمة ؛ أَلاَ ! وهي الطريقة النقشبندية الخالصة من البدع الضالة ، والصلاة والسلام على محمد الذي اقتصر[1] الخِلافة الباطنة على أفضل الأمة بعد الأنبياء أبي بكر الصديق عليه الرحمة والرضوان ، وعلى صِهره الذي هو سيّد الشُجْعَان عليّ المرتضى كرَّم الله وجهه .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعلّه : أقصر أو قصّر .

* **رشحة**

قال قدس سره : إنَّ التعلُّق بالمرشد وإن كان تعلُّقاً بالغير واجب النفي في الأخير لكنَّه في الأوَّل سبب الوصول ونفي التعلق عن ما سوى المرشد من اللوازم .

قال المشائخ قدس الله أرواحهم : التوفيق مع السعي وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد فإنه لا بقاء لهذا المعنى بدون السعي وليس لتوجه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل « رشحات » . انتهى اختصاراً عبارته ٦٩ .

وسمعت سيّدي عليّاً الخواص يقول : الحكم في جميع الأعمال الصالحة لغلبة الباعث ؛ فمن غلب عليه تلاوة القرآن لدنيا يصيبها حبط عمله المذكور ، أو للأجر الأخروي فلا حبوط .

قال ومن أراد من الفقراء أخذ الأجرة على القرآن أو العلم من غير نقص الأجر في الآخرة فليعقد نيته على تلاوته تقرُّباً إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ تلك الدراهم التي تعطى له على تلاوته على نيّته أنَّ ذلك ابتداء عطاء من الله تعالى لا بيع لقرائة القرآن والعلم بتلك الدراهم . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » . عبارته ٢٠٤ ج١ على هامش « المنن الكبرى » . (هامش الأصل) .

فجميع الطرق مع كثرتها ينتهي انشعابها إلى هذين البحرين التيّارين[1] ، وينتمي أنجمها إلى ذينك النَّيِّرَيْنِ السيارين ، ونسبة الطريقة مسدودة أبوابها وممنوع انشعابها إلا لهذين الإمامين ، وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه أمّهات المؤمنين .

وبعد :

فيقول العاجز عن أداء حقوق الأستاذ فضلاً عن أدآء حقوق الله سبحانه ، الراجي من الله العفوَ والمسامحةَ عمَّا صدر منه في المعاملة **حسن بن العالم الحاج محمد القحي الهدلي** رحمه الله إفلاسه ، وستر عيبه وغفر ذنبه ، آمين اللهم آمين :

لما رأيت – أكثر الخلق في هذه الديار الداغستانية وقعوا في هذه الطريقة حَيَارَى ، لا يعلمون أن يفرِّقوا بين الحقِّ والباطل بكثرة المُنْتَحِلِينَ وأهل الدعوى ، ووجدْتُ الطريقة النقشبندية السالمة – الباقية على أصلها ، من غير زيادة ولا نقصان ، بلا امتزاج البدع والأهواء فيها مُذْ زمن مؤسِّسِها إلى زماننا هذا – محرَّفة عن أصلها ووضعها بإدخال المتشيخين فيها ما أرادوا من الأذكار اللسانية والأوراد الجهرية ، وشَاهَدْتُ من المنتسبين إليهم عدم الإنتاج من تلك الأذكار والأوراد ، بل تحقَّقنا منهم أنَّ هلاكَهم أقرب من سلامتهم ؛ ولو داموا يذكرون الله ليلاً ونهاراً ؛ لأنَّ شرط الذكر النافع الناتج أن يأخذه الذكر[2] بالتلقين من أهل الذكر الذين رَخَّص لهم شيخه[3] الكامل العارف المأذون له ، وهو كذلك إلى أن يتَّصل نسبته إلى النبي عليه السلام .

وتَحَقَّقْتُ منهم عدمَ شمِّهم من رائحة الإخلاص شيئاً مّا – **مع أن مراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام**

(١) التيار : الموج . « صحاح » .
(٢) هكذا في نسخة التي بيدنا ، ولعلَّه : الذاكر .
(٣) ولعله : شيخهم .

العمل بالإخلاص - بزَعْمِ بعض منهم أنه أخذ الإذن من الروحانية وأنه أُوَيْسِيٌّ ، وبزَعْمِ بعض آخرَ منهم أنه أخذ من النبي عليه الصلاة والسلام بلا واسطة ، وبزَعْمِ أبعاض منهم أنهم أخذوا كذا وكذا . ولم أجد من ينبِّههم على عدم جواز ما هم عليه - صرْتُ[1] في غيره[2] ؛ ولأجلها كنت شمَّرت الذيل لتأليف كتاب بُيِّنَ فيه جميع اختراعات أولئك المدّعين ، مع أن[3] بيان الدلائل والنصوص لردِّ تلك الاختراعات والبدعات .

فبتوفيق الله تعالى وإعانته ، وباستمدادات أرواح ساداتنا النقشبنديين أَتممتُ تأليفَه ، وصار ذلك الكتاب مقبولاً عند قطب الأولياء ذي الجناحين العسليّ قدس سره ، وصدَّقه بأحسن تصديق ، وكذا صدَّقه العلماء الربّانيون ، والعرفاء[4] النقشبنديُّون ، وغيرهم من علماء الظاهر من الفقهاء ، وكتب عليه صكَّ الإجازة والتصديق ، وسمّيته : « بالدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » ، فصار ذلك الكتاب - فالحمد لله رب العالمين - كتاباً حافلاً لجميع قواعد أهل التلقين والإرشاد ، وقواعد الأذكار والأوراد بحيث يُقرُّ له من نظَر إليه بالنظَر الصائب ، ولكن المعاند لا يروِّج الخالص ، ومعلوم مشهور أنَّ من تفرَّد بالفضل والكمال فهو محسود بين الخلق والأنام .

فوقع ذلك الكتاب في يد من كان في عَهْد واحدٍ ؛ لم أكن علمتُ أنه[5] من جملة هؤلاء المتشيِّخين ، فنسخ ذلك الرجل من ديباجة ذلك الكتاب أَسْطُراً ، وخلطَت الوُشَاةُ[6] في المحاورة نميمة ممَّا لم أكن قلته ، ولا أنا ظننته ، وأغروه[7] على كتابة السطور على ذلك الكتاب بالردودات ، وقالوا

(١) جواب لماَّ رأيت .
(٢) لعله : في تغييره .
(٣) لعله زائدة .
(٤) العريف والعارف بمعنى ، مثل عليم وعالم ، وقال سيبوَيْه : هو فعيل بمعنى فاعل ، والجمع عرفاء . « تفسير الطبري » .
(٥) أي : الواحد .
(٦) والمشاء : النمام . والمشاة : الوشاة . « القاموس المحيط » .
(٧) أي : ذلك المتشيخ لا المريد .

له : إنّ المراد من بعض من ذكرته في ذلك الكتاب إجمالاً هو نفسه وشخصه . فالتهب وقتئذ من رأس ذلك الواحد المذكور نارُ الغضب والحسد ، وأظهر من نفسه ما كان عنه لدينا مستوراً ، كما يُظهر الغراب وَكْرَه بأصواته ، فشمَّر لتأليف رسالة على ما وقع بيده من تلك الأسطر ما يراد[1] الردودات والاعتراضات بلا بيان النقولات والمأخوذات ، بل بما ظهر له من المسموعات ،

ثم بعد زمان أرسل ذلك الرجلُ الذي أوقع ذلك الأسطرَ إلى يده تلك الرسالة لدينا - فجزاه الله ومؤلِّفَ الرسالة عناً خيراً وألهمنا وإياهما رُشداً ، آمين - فوجدتُ فيها أشياء يظنُّ الناس أنها صائبةٌ مع أنها في الحقيقة غيرُ مقبولة ، وعند العرفاء غيرُ مرضيَّةٍ ، فخفت على الخلق من تلبيس إبليس - عليه الطرد واللعنة - لأنه هو المتجرِّد لإغواء الأُمَّة ، والمتفرّد لجلب الغُمَّة ، فرضي الله تعالى عن ذلك الكاتب ؛ وهو : العالم الحاج علي العبوخي ، فقد أصاب وأحسن لو كان قصدُه ونيَّته من كتابتها إظهارَ الحقِّ الذي عنده لمجرَّد وجه الله ، لا للتحاسد والتغاضب . فلا يخيِّب الله سعيَه ، بل يشكر عملَه ؛ لأن أجور الأعمال بالنيات ، والنيات تجب أن تكون خالصاتٍ ، وإلا تكون خاسراتٍ وعن الثواب خالياتٍ ، وإن كان قصدُه غيرَ ذلك فلعلَّ اللهَ تعالى يغفر له وهو الغفور الرحيم ، ذو الفضل العظيم والبِرِّ العميم .

قف على كون الإذن من أرواح المشائخ ومن أصحاب النوبة

فإذا كان الأمر كذلك طلبتُ من أرواح مشائخنا الإذن لتأليف كتاب ببيان ما عليه رَأْيُنا ، وإظهار ما وافق النقول ، وما خالف السنة والنصوص ، واستأذنت أيضاً من أصحاب النوبة واستمددت منهم ، فبعد انشراح الصدر وحصول الفرح شرعت في تأليفه راجياً من الله أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يُدخلنا في جملة أحبابه مع من وقع سبباً لهذا التأليف ، **وسميته بـ :**

« الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة العلية »

---

(١) لعله : تراد .

كما سمّيت أصلها بـ « الدرة البيضاء في ردِّ البدع والأهواء » ، فأسأل الله تعالى أن يجعلهما نافعيْن للعباد .

والمطلوبُ من كلّ من وصل إلى يده ذانك الكتابان أن يدْعوَ لي ولشيخي وسندي بالعفو والعافية ، وهما من جوامع الكلم والدعوات ، ولا سيَّما المقصود الأعلى من هذا العالم **الحاج علي** – هداه الله إلى ما يرضاه ، آمين – أن لا يسيئ بنا الظنّ ولا يحسُدنا ، وأن يكون سليم الصدر غيرَ حاقد ، كما كنا كذلك في حقِّه ، وأن يُسلكنا في دعواته وتضرُّعاته ، وأن يكتب على كتابنا هذا ما ظهر عنده من الحقِّ ، وأنا على ذلك راض ، وبظهور الحق – ولو كان عند غيري – فرِحٌ مستبشرٌ .

والمعلوم الظاهر أنَّ هذا الزمان زمان خَؤُون ، وأكثر الناس همَّازون مشَّاؤون ، فلا يجوز لعاقل أن يَثِق أكثر أقوال الوُشاة ؛ فإن الأغلب فيهم انتقال[1] الأقوال ، وإغراء الناس على التباغض والتحاسد . **ولا يخفى أنّ من نمّ لك نمَّ عليك** ، فيجب على من له أدنى نصيب من الإيمان أن يحمل كلام العباد وأقوالهم إلى محمل حسنٍ ، ويجب على من تفجَّر من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة أن لا يتكلَّم بين الناس إلا على قدر عقولهم وفهمهم ، وإلاَّ فيحرِّفون الكلِم عن مواضعها ويقلبونها عن مصارفها .

وقد ذكر الخادميّ في شرحه على « النصائح الولدية » للغزالي هذه العبارات : لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها ، ولا تطرحوا الدُرّ تحت أرجل الخنازير ، ولا تُعلِّقوها في أعناق الكلاب . فاحتيج في تأليف هذا الكتاب – وفقاً على ما كان الباعث إلى جمعه – إلى تقديم مقدمة ليبني عليه الكلام . **فنقول** : وله الحمد بجميع محامده ، ما علمت منها وما لم أعلم ، على جميع نِعمه ما علمت منها وما لم أعلم ، عدد خلقه كلِّهم ما علمت منهم وما لم أعلم .

---

(١) علَّه : نقل الأقوال .

اعلم أيها الأخ المشرِّح لديباجة كتابي - جزاك الله عنا خيراً وجعلك من أقرب المقرَّبين آمين - أنه ينبغي لكلِّ ذي عقلٍ ودين أن لا يقع في ورْطة الإنكار والاعتراض على هؤلاء القوم من الأولياء ، فإنه السَمُّ القاتل ، كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً ، لكن إذا ظهر واحد يدَّعي الشيخوخة ويزعم مقام الدعوة إلى الله ، يجب على العاقل العالم والجاهل المقصّر أن يتفحَّص من أحواله ، ويتفرَّس من صنيعه ، فإن وجده صادقاً وظهر منه أمارة الصدق ، ووافق ما يفعله فيلقِّنه[1] من الأوراد والأذكار على ما كان عليه أشياخه في زَعمه من غير تحريف ولا تبديل ، ونتج عنده المريدون وفُتح عليهم ، صَدَّقَهُ وأَقَرَّهُ ويجب عليه إعانته وإمداده . وإن وجده على خلاف ما ذُكر يجب عليه أن ينكره ويعترضه ويمنعه عما يفعله ؛ لأنه شيطان في زيِّ شيخ ، وفِتْنته على الخلق أكثر من فتنة الشيطان الحقيقيِّ ؛ وهو قاطع طريق الله ومانع الناس من الوصول إلى حضرة الله .

قال خاتمة المرشدين الكاملين ، وإمام العلماء العاملين ، وقدوة الأولياء الواصلين ، المظهرُ ، الأظهرُ الرحمانيُّ الشيخ محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي - قدسنا الله بسره وأمدَّنا بمدده رضاه وبرّه - نقلاً من كتاب « الأسفار » شرح « رسالة الأنوار » في أثناء وصاياه في « البهجة السنية » :

وصية : يا أخي - رحمك الله - قد سافرت إلى أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشرَّ ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدَّعي أنها من كُمَّل الصوفية ، وتنسب نفسها إلى الكمل وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا يؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ، ولا تتقيَّد بالتكاليف الشرعية ، وتقرر أحوال الرسل وما جاؤا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان ، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعل ما يفعله ويلقّنه إلخ . .

لا تسكن في قرية فيها واحد من هؤلاء الطائفة

ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان ، لعن الله جميعهم .

فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هؤلاء الطائفة ، لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ ، وإن لم يتيسَّر لك أن لا تراهم ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم ؟ ! وإن لم تفعل فما نصحتَ نفسك ، والله الهادي . انتهى .

ولقد ورد إلى هذا الفقير رسالةٌ من طرف العالم الربَّاني ، والعارف الصمداني ، صاحب الكشوفات الغريبات ، والفراسات العجيبات ، السيد الأمير سيف الله الغازي الغموقي الحسينيّ النقشبنديّ ، وقال فيها بعد نقله ما ذكر من « البهجة » : ولقد رأيتُ كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية أو في النوم ، وليس هذا إلاّ افتراء منهم ، وليس لهم همَّة ولا اعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية عياذاً بالله منهم . انتهى باختصار .

وورد إليّ من طرفه قدس سره رسالة أخرى ، وكان في أثناء نصائحه ووصاياه هذه العبارات : وإيّاك إيّاك النظَرَ إلى آثار مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذرَ من الجلوس معهم ، فذلك- والله – هي الفتنة الظاهرة ، وملاقاة الشيطان أسلم من ملاقاتهم ، إلى آخر ما قال .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم محمود أفندي في مكتوباته من الفصل السادس : قالوا : المشائخ ؛ أي : ما يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة :

منهم : من ليس في يده تصرُّف في المريد وتأثير فيه ، فهو كالعوام ، بل هم أضلُّ من الأنعام ليس فيهم المَشْيَخة إلا اسمه ورسمه ، كما هو حال أكثر مشائخ الزمان . وقال مولانا خالد السليماني مجدد المائة السابقة :

ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار ؛ لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذَهابهم باب أهل الكمال ، ومنعهم عنه ، ولكونهم سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين ، كما سيجيء في هذه الرسالة . انتهى .

وفيه : وقال [في] « روح البيان » في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمْكينهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا ، عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنَّ وأولادهنَّ سبعين مرة .

فلو نظرتَ إلى شيوخ الزمان وجدتَ أكثرَهم مدَّعين ما لم يتحقَّقوا به ، يُضلِّون الناس بأكاذيب ، ويرون أساليب ليس فيها أثر المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترَّ بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميِّز بين الحق والباطل والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام « روح البيان » عبارته .

وقد استوعبنا الكلام في حق هذا الباب في رسالتنا المسمَّات بـ« **الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء** » ولولا ذلك لشرحناه بالبسط التام . فظهر من هذه النقول جواز الإنكار والاعتراض على هذه الطائفة الغارة ، بل تحقَّق وجوب منعهم عن فعلهم لدى من في قلبه شائبة حبٍّ لسنة رسول الله عليه السلام ؛ لأنهم أماتوا السنة الخالصة ، وخرَّبوا الطريقة السالمة بتخليط البدع والاختراعات ، ولأجل ذلك صنَّفنا ذلك الكتاب المذكور[1] ببيان الأصناف من أولئك الطوائف بالإجمال ، لا بالتفصيل .

وقد قال الإمام أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » : إنَّ المداهنةَ في الشرع عدمُ تغيير المنكر مع القدرة عليه ، رعايةً لجانب مرتكبه أو لجانب غيره ، أو لقلّة المبالات بالدين . انتهى . وقال الإمام البركوي في

(١) أي : « الدرة البيضاء » .

« الطريقة المحمدية » : فهذا حرام ، فقد ورد في الخبر « إنَّ الساكت عن الحق شيطان أخرس » . انتهى .

وقال أبو سعيد في « البريقة » : وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قيل أو قلت : يا رسول الله تخسف[1] الأرض وفيها الصالحون ؟ قال « نعم ، بإدهانهم[2] وسكوتهم عن المعاصي » . وعنه عليه الصلاة والسلام « إنَّ ناساً من أمَّتي يُحشرون من قبورهم على صورة القردة والخنازير بما داهنوا ، وآكلوهم وشاربوهم وجالسوهم » .

وعن حسن : التنبيه للنجم الغزي على رواية أبي هريرة « ما أتى الله تعالى عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيِّين ؛ من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار » ، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ ، ولهذا كان الثوري إذا رأى المنكر ولا يستطيع أن يغيّره بال دمّاً .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه « إن الله تعالى لا يعذِّب العامة بعمل الخاصّة ، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحقَّ القوم جميعاً العقوبة » . انتهى عبارته .

ولا يخفى على العاقل العالم أنَّ الولي ولو كان أعلى مقاماً وأرفع درجة لا يصل إلى درجة العصمة ، وهي مختصة بالأنبياء ، ولا يستبعد أن يقع في أعظم ذنب يكون على وجه الأرض ، فإن طينة الخلق ما عدا الأنبياءَ والملائكةَ عليه الصلاة والسلام واحدة ، فجائز أن يقع الولي فيما يقع فيه الفاسق ، كما قال ذلك الشعراني في « مننه » .

---

(١) أي : هل تخسف . (الهامش) .
(٢) من المداهنة . (منه) .

فإذا كان الحال في حقِّ المداهنة كذلك ، وجاز أن يقع الوليُّ في الفسق وجب على من له غيرة دينيّة أن يُظهر الحقَّ ويُبطل الباطلَ بما علّمه الله تعالى من العلم . ولا يرد على ما ذكر : أنكم أسأتم الظنّ على المؤمنين وذلك حرام كسوء القول ؛ لأن سوء الظنّ بالمؤمنين حرام بمجرّد الوهم أو الشك بفسادهم وفسقهم من غير علم أو ظنّ ، وأما به فليس بحرام ، بل بغض في الله مأمور به . كذا في « الحاشية » ، لكن قالوا : ينبغي للمسلم إن رأى عيباً في أخيه أن يحسن الظنَّ على المؤمنين ما قَدَرَ بتأويلات ، فعند مطلق الظنّ ينبغي أن لا يتجاسر على المماشات على موجب ظنه ، ويحمل على الصلاح بأدنى إمكان ، إلا إذا اقتضى دواعي الأمر بالمعروف ، والتأديب والتعليم الشرعيّ . كذا في « البريقة » .

وقال الإمام البركوي رحمه الله تعالى في « الطريقة المحمدية » : وأما أهل المعصية والفسق المجاهرون أو دلَّ عليه قرائن تفيد غلبة الظنِّ ، فعلينا أن نبغضهم في الله تعالى ، وليس من سوء الظن في شيء . ويدلّ على هذا قوله تعالى ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ الآية . انتهى .

كيف يكون كلامنا من قبيل سوء الظن مع أنّنا شاهدنا من هؤلاء المتشيِّخين كلماتٍ تخالف هذه الطريقة ؟ ! وتحققنا من أقوالهم الإنكار الشديد على من استقام بما كان عليه أشياخه الكاملون المكمّلون ؟ ! بل رأينا بعضاً منهم لم يتحقَّق ما يجب عليه من الإيمان ، ومع ذلك يدَّعي الشيخوخة والمكاشفة ، ويخبر الناس ما ظهرله من الكشوفات ، ومع هذا يتصدّر للتلقينات ، ويتخذ له المريدين والمريدات . ووجدنا بعضهم يلقِّن الأذكار ويرتِّب الأوراد ، ويظنّه الناس أنه شيخ الزمان **مع أنه لم يعلم ما القلب وما حياته** .

وقد قال الإمام السهروردي : إنما يحيى القلب بقلب حيّ . وقال أيضاً : يجب على المريد طلب أهل التلقين لحياة القلب . انتهى . فاعتبر بشيخ يطلبه المريد لحياة قلبه وهو لا يعلم ما حياة القلب !

وأخبرني أخونا العالم المرشد الحاج حبيب الله – رزقه الله التوفيق– : أن واحداً ظهر في قرية مِيَرْطَهْ على صفة الشيخوخة بلبس العمامة ، فتفرَّس ذلك العالمُ حبيبُ الله في ذلك الشخص فعلم أنه سارق ، فسُرِقَ في زمانه بساطٌ من مسجد مِيَرْطَهْ ، فتفرَّس ذلك الأخ أنَّ سارقه هوذلك الشخص المذكور ، فأغرى الناس إليه وأظهره وعلَّمهم بأنَّ السارق هو هذا ، فالتجؤوا إليه وحبسوه وخوَّفوه ، فبعد زمان أقرَّ هو على ذلك ، وسلَّم البساط إلى أيديهم ، وأطلقوه إلى سبيله . وهذا عين ما أخبرني ذلك العالم المذكور .

وظهر آخر وادَّعى أنَّ شيخه هو النبي بلا واسطة ، ومع ذلك يقول : لايجوز لأحد الدخولُ في الطريقة ، ويقول : لا يجوز لأحد إلا الشريعة ، وينكر أصل الطريقة ، ويلقِّن أسماء وآيات ممَّا لم نسمعها في طريقة من الطرق ، فاشتهر ذلك بين الورى ، وأقبل إليه الأفراد ممَّن لا معرفة عندهم ، وصار شيخاً عظيماً ، وهو مذكور في رسالتنا « الدرة البيضاء » ، والنقول في ردِّ ما يفعله مسطور فيه ، وكذا أصنافهم مذكورون فيها فرادى مع ما يردُّهم ، فمن أراد أن يظهر الحق من الباطل فليراجع إليه ، فلعلَّه يجد فيه بسطاً شافياً . فهكذا أحوال هذا الخلق ، وهم مغرورون بإظهار أمثال هؤلاء الجماعة بكلمات ؛ ظاهرُها مقبول عند الجهلاء ، وباطنُها مردود لدى العلماء .

قال الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى : إنَّ الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ، ولو لا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب . انتهى .

فإن قيل : فما ذا نفعل الآن إذا كان الحال كما ذكر ؟ **قلنا** قال الله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، وقال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ ، وقال سبحانه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ

تَسۡلِيمٗا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ . وقد قال الأصوليون : إنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فكان الواجب على كل من له أدنى نصيب من الإيمان وأقلّ غيرة على الطريقة المحمديّة الصدّيقية أن يزن أحوال شيخه وأفعاله إن كان الشيخ ينتسب إلى هذه الطريقة النقشبنديّة العلية بميزان أكابر أربابها المتقدِّمين ؛ فإن وافق فعله وتلقينه بأفعال وتلقينات أهلها ، وكان ذلك الشيخ مأذوناً بالإذن المعتبر من قِبَل شيخه المقبول ، ونتج بما لقنه له ، فذا شيخ مقبول ، ومرشد مرضيّ ، فينبغي لمن انتسبه أن يتعلَّق على ذيله ، وأن يكون بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل .

فإن الطريقة النقشبندية باقية على أصلها وسالمة من كدورات البدع والأهواء ، ولكنّ المتصدرون بأنفسهم في زماننا هذا غيّروها عن أصولها ، ولم يبالوا بما يرد عليهم من عقوبة من أمات السنة ، وأحيى البدعة .

قال في « المفاتيح » : **فإن العمل بسنة من سنن رسول الله ﷺ يتضاعف ثوابه وإن كان عبادة قليلة على عبادة ليست بسنّة وإن كانت كثيرة** . انتهى عبارته . ولهذا قيل : قليل العمل مع العلم كثير ، وكثير العمل مع الجهل قليل .

وقال في « النور الساطع » : ومن المعلوم **أنَّ التقرب [إليه] سبحانه وتعالى إنما يكون بما شرع من الدين بواسطة فخر المرسلين عليه الصلاة والسلام** . انتهى .

وفيه أيضاً : فيلزم وزن أعمال الشيخ بميزان الشرع ، فإن وافقت عُمل وإلا رُدّت ؛ لقوله عليه السلام « كلّ عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » . انتهى عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : **إنما التعظيم للأشياخ بعدم مخالفتهم** . انتهى عبارته . ومن خالف أستاذه حَرَمَ بركتَه ومقت بسببه ، فالعياذ بالله من المقت والضلال .

ولا يخفى أن من خالف ما كان عليه الأقطاب من طائفة هذه الطريقة النقشبندية ، واعترض [على] من يعين إقامة طريقتهم على الاستقامة فقد أساء الأدب معهم ، مع أنهم بَنَوْ قواعد أمرهم على أصول صحيحة وسنَّة سنيَّة ، وصانوا فيها من البدع ، وأتوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة .

وإساءةُ الأدب مع الأولياء - فالعياذ بالله - وإيذاؤُهم سبب المقت والحرمان ، فلنورد هنا بعضاً مما وقع للمنكرين بإساءتهم أدبهم مع الأولياء ، لعلَّ من ينظر هذا الكتاب ينتفع به .

مطالب مهمة

قال ابن حجر في « فتاواه » : ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ « من آذى وليّاً لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أني محارب له ، **ومن حارب الله لا يفلح أبداً** .

وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء ، وآكل الربا . وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّاً من سوء الخاتمة ، **إذ لا يحارب الله إلا كافراً** . انتهى .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري : **قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن ردَّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبَّ ذلك ولو بعد حين . ومن خذل بترك حرمة المشائخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ** . انتهى من « الفتاوى » عبارته .

وفيه أيضاً : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فوافقت ابن السقا ورافقته في طلب العلم بالنظاميّة ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل يقال له : الغوث ، يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء ، فقصدنا زيارته ، أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا ونحن سائرون : لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جواباً ، وقلت : لأسألنَّه مسألة وأنظر ما يقول فيها ، وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألةً لا أدري لها جواباً ؟ ! هي كذا وجوابها كذا ، إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك ، ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ؟ ! هي كذا ، وجوابها كذا ، لتخرنّ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك ، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر ، وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك ، كأني أراك في بغداد وقد صعدت الكرسيّ متكلماً على الملأ ، وقلت : قدمي هذا على رقبة كلّ وليّ لله ، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنُّوا رقابهم إجلالاً لك ، ثم غاب عنا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارة قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام ، وقال : قدمي . . إلخ ، وأقرَت الأولياء في وقته له بذلك . وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق فيها كثيراً من أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسمت بهيّ ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً إلى ملك الرّوم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به ، وجمع له القسِّيسين والعلماء بالنصرانيَّة فناظرهم وأفحمهم وعجزوا ، فعظم عند الملك فزادت فِتْنته ، فترآءت له بنت الملك ، فأعجبته وفتن بها ، فسأله أن يزوِّجها له ، فقال : إلاَّ إن تنصَّر ، فتنصَّر وتزوَّجها ، ثمَّ مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعلته كآبة وسواد ، حتى مرَّ عليه من يعرفه فقال له :

ما هذا ؟ ! قال : فتنة حلَّت بي سببها ما ترى ، قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ، قال : لا ، إلاّ قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ . قال : ثمّ خرجت عليه يوماً فرأيته كأنّه قد حرق وهو في النّزع ، فقلَّبته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فعدت فعاد ، وهكذا إلى أن خرجت روحه ووجهه إلى الشرق . وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنّه أصيب بسببه . قال ابن أبي عصرون : وأمَّا أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد ، وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فولّيتها ، وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً كثيراً . فقد صدق قول الغوث فينا كلّنا .

وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا ؛ من تلك الفتنة المهلكة التي لا أقبح منها ولا أعظم منها . نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ، ومن كلّ فتنة ومحنة بمنّه وكرمه . وفيها أيضاً حثٌّ على اعتقادهم ، والأدب معهم ، وحسن الظنّ بهم ما أمكن . انتهى كلام ابن حجر عينه في صحيفة ٢٣١ .

وفي « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » قال الأكابر : **إذا حان زمان قطع رأس البقرة فأرسلوها في مزرعة هذه الطائفة ، وإذا آن أوان إحراق السلم فضعوه على جدران هذه الطائفة ، وإذا أردتم صرع أحد فألقوه إلى هذه الطائفة ، يعني : أوقعوه في طعنهم وملامتهم . عياذاً بالله من ذلك** . انتهى عبارته . وفيه في موضع آخر : إنَّ حفظ خواطر الأولياء ، وامتثال أوامرهم ، والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين ، وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهمّ المهمّات وألزم اللوازم .

قال مولانا عبد العزيز البخاريّ – عليه الرحمة – وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره : ينبغي لطالب صحبة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب :

الأوّل : أنّه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي له أن لا يرفع رأس الأنانيَّة وأن لا يرى عمله ، بل ينبغي أن يتَّصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرّة ، وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل وترك الأمل .

الثاني : أنّه إذا صدر منه عمل موجب للردِّ عنهم ينبغي أن يكون مأيوساً ، وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرّفه حفظاً بليغاً لئلاَّ يتردَّد ولا يذهب إلى طرف آخر .

والثالث : أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه ، وأن يقوم بكمال النشاط والفرح ليبلغ مقصوده ، وإلاَّ فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى عبارته .

وقال ابن حجر في « خاتمة الفتاوى » : ولقد شاع وذاع أنَّ من أنكر على هذه الطائفة لا ينفع الله بعلمه ، ويبتلى بأفحش الأمراض وأقبحها ، ولقد جرّبنا ذلك في كثير من المنكرين . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : **فإن قلت** : من المنكرين من نفع الله بعلمه ؟ ! **قلت** : المنكرون على قسمين : **قسم منهم** : لم يقصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين ، بل محض تعصُّب ، ورأوا ذلك ، وغلب عليهم نوع من الحسد ، وحبّ إبداء خلاف أهل العصر قصداً لتميُّزهم عليهم بالأشياء العزيمة ، والاشتهار عنهم أنّهم ينكرون المنكر ولا يخافون أحداً ، ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة التي لم يصحبها نوع إخلاص . . إلخ . **والقسم الثاني** : قوم قصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين وذبّ هؤلاء الجهلة المتصوّفة . انتهى باختصار على المراد .

أقول : وأنا في إنكار الأصناف المذكورين في كتابنا « الدرّة البيضاء في ردِّ البدع والأهواء » من هذا القسم الثاني لا من القسم الأوّل ، فالحمد لله ربّ العالمين . **فإن قيل** : إنَّ منهم علماء أتقياء قوّامون بالليل ، صوّامون بالنهار ، فيجب عليك عدم الإنكار على من صدر منهم تلك العبادات والمجاهدات ؟ !

قلت : إنّي لا أنكرهم إلاّ من جهة أنّهم ادَّعوا على مقام المشيخة ، وأنهم ابتدعوا في أذكار الطريقة السالمة من البدع ، ولا أظنّ فيما سوى ذلك في حقِّهم إلاّ خيراً ، ولا أعتقد فيهم إلاَّ أنَّهم أولياء الله الأبرار ، كيف لا ؟ ! وفي الحديث القدسيّ : « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » . وقيل : لا تجتمع ثلاثة إلاّ وفيهم وليُّ لله . وفي « شرح الحكم » : معرفة الوليّ أصعب من معرفة الله . انتهى .

فتبيَّن ممَّا ذكر أنَّ مرادي من نفي إثباتِ قدمهم في التصوُّف أنهم ليسوا من أهل التربية والاقتداء ، وجعلهم في حيّز المجاذيب الذين يُعتقدون بهم ولا يؤخذ عنهم ، ولا يعدّون من أصحاب المراتب والتصرُّف ، فتأمَّل ذلك فإنّه مهمٌّ ، وإيّاك أن تفهم أنّي أنكر على أحوالهم الباطنة وولايتهم الجائزة ، فإنّ الأمر ليس كذلك . ولا يخفى أنَّ المجاذيب لا يتأهَّلون للمشيخة ، كما علم ذلك من موضعه ، مع أنَّ فيهم من دسُّوا البدعات في تلك الطريقات برأيهم ، بزعم أنّهم في ذلك صائبون . فإذا صار كلامنا في حقّهم موافقاً لحديث « من أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له في الله ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله تعالى في الجنّة مائة درجة ، ومن سلَّم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسرُّه فقد استخفَّ بما أنزل الله على محمّد ﷺ » . أورده ابن حجر في « الفتاوى » ، وقال فيه : إنّ البدعة الشرعيّة ضلالة . انتهى عبارته .

فلنشرع الآن في تبيين ما عليه الطائفة النقشبنديّة من الأذكار التي يلقِّنونها في طريقتهم من غير تحريف عمّا وصل إليهم من منبع الطرائق **محمّد** عليه الصلاة والسلام بسند صحيح ، جعلنا الله تعالى في زمرة أولئك الأئمّة آمين .

اعلم أنَّ الذكر في طريقة النقشبنديّة على نوعين : اسم الذّات ، وذكر النفي والإثبات . **فذكر اسم الذات** هو الاشتغال بذكر لفظة الجلالة (الله) من اللطائف السبعة على الترتيب المعهود عندهم : **فأوّلها لطيفة القلب** ، وهي : لطيفة ربَّانيَّة مودعة في الجانب الأيسر مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين . وكيفيَّة الاشتغال بالذكر منها أن يخلي القلب عن الخواطر وحديث النفس ، بل عن جميع ما سوى الله تعالى بقدر الإمكان بعد تقديم الرّابطة ، ويقول بلسان الخيال من هذا المحلّ (**الله الله**) ملاحظاً مفهومه ؛ بأنّه ذات موصوفة بجميع صفات الكمال ، ومنزَّهة عن سَمْت النقصان والزّوال ، كما آمنّا به وصدَّقناه من غير أن يتصوَّر صورة قلبه وبلا حبس نفَسِه ، بل يترك نفَسَه على حاله ، ولا يلاحظ صفة من صفاته سبحانه وتعالى ؛ لئلاَّ ينزل عن ذروة الذات إلى وادي الصفات ، فإنّ مطمح نظر هذه الطائفة العليّة هو أحديّة الذات دون الأسماء والصفات ، بخلاف سائر الطرق . ولا يحرّك رأسه وسائر أعضائه باختياره . ولا بدَّ من توجُّه السالك إلى قلبه بكليَّته ، وبقلبه إلى الله تعالى في جميع أنواع الذكر ، فإنَّ حصول النسبة بدون هذين الأمرين محال . ويقال لهذا : **الوقوف القلبيّ** . ويداوم على الذكر على هذا الوجه إلى أن يجري لطيفة قلبه بالذكر ، بمعنى أنّه متى توجَّه إلى قلبه يجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنّه تحصل الحركة ، فإنَّ ذلك ليس بلازم ولا مستحيل الحصول ، والعمدة في كلِّ الأذكار هي الوقوف القلبيُّ . **وتعيين العدد ليس بشرط ، فإنَّ ذلك لم يرد عن المتقدّمين ، بل اللازم استغراق الأوقات بالذكر ، والمداومة عليه آناء الليل وآناء النهار** . ولكن لما رأى مشائخنا المتأخّرون تقاعد الهمم ، وتكاسل المريدين عن المداومة تداركوا ذلك بتعيين العدد ، واختلفوا في مقداره ؛ فمنهم : من كلَّف بالكثير من غير

فرق بين مستعدٍّ وغيره ، ومنهم : من تمسَّك بقوله عليه الصلاة والسلام « لَنْ يُنْجِيَ أحداً مِنْكم عَمَلُهُ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا واغْدُوا ورُوحُوا ، وشيء مِن الدُلْجَةِ ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا » ، وقوله عليه السلام « سدِّدُوا وقاربوا ، واعلموا أن لنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجنَّةَ ، وأنَّ أحبَّ الأعْمال إلى الله أَدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ » . **وهذا اختيار مشائخنا** قدس الله أسرارهم ، فإنهم كانوا يعاملون مع كلِّ واحد من الطالبين على حسب استعدادهم ، ولكن لا ينبغي أن ينقص من خمسة آلاف في الملوين .

مهم

وينبغي أن يزيد شيئاً فشيئاً بالتدريج ، **وذلك مع مصاحبة حضور القلب ، وبدونها لا فائدة للذكر معتدٍّ بها غير ثواب الآخرة وهو نصيب الأبرار .**

ونظر هذه الطائفة ليس في غير الحق سبحانه ورضائه ، **ورجاء الثواب عندهم يُعَدُّ من الذنوب** ، ولهذا قيل : **حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين** . ويقول بين كلّ مائة وعند طُروّ الغفلة : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . وليكثر من قوله ، لأنَّ له خاصيَّة في نفي المقاصد والمطالب سوى ذاته تعالى . فإذا حصل للقلب نسبة الحضور مع الله ، وجرى بالذكر كما مرّ فليشتغل من لطيفة الروح على هذا المنوال بأمر شيخه وتلقينه . ولا يسأل **ذلك**(١) من شيخه ، بل ينتظر أمره فإنّه أعلم بحاله ، وهي : لطيفة مودعة في الجانب الأيمن مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، وهي في مقابلة لطيفة القلب . ثم بعد تمام أمرها يشتغل من لطيفة السرّ على المنوال السابق بأمر شيخه ، وهي لطيفة مودعة في جنب الثدي الأيسر مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة أصبعين ، ثم يشتغل من **لطيفة الخفي** وهي : لطيفة

---

(١) أي : تبديل ذكره . (منه) .

مودعةٌ في جنب الثدي الأيمن مائلة منه إلى وسط الصدر كذلك بفاصلة أصبعين ، ثم من **لطيفة الأخفى** ، وهي : لطيفة مودعة في وسط الصدر . ثم من **لطيفة النفس** وهي : لطيفة مودعة في وسط الجبهة ، ثم من **لطيفة القالب** ، ومحلها تمام البدن حتى يجري الذكر من كل منبت شعرة ، ويقال له : سلطان الأذكار . فحينئذ يعم الذكر على جميع بدن الإنسان ، بأن يسمع ويرى أنَّ جميع بَدَنه يذكر لفظة (الله الله) ، وعلى جميع الموجودات من الحجر والشجر والمدر وغير ذلك ، فلا يراه إلاّ ذاكراً بلفظة الجلالة . وهذه اللطائف من عالم الأمر ، ولها أصل فوق العرش متعلّق باللاَّمَكَانْ ، وحصل لتلك اللطائف نسيان وذهول عن أصولها بسبب العلائق الجسمانية ، والعوائق الدنياويّة ، والحظوظات النفسانية ، فاحتيج لتذكير أصولها إلى شيخ كامل مكمَّل ، وذكرٍ كثيرٍ حتى يحصل لها ميل إلى أصولها ، وتنجذب بالجذبات الإلهيَّة فتصل إلى أصولها ، ثمّ وثمّ إلى أن تصل إلى الذات البَحْتِ من غير احتجاب بالصفات والشؤونات ، ويقال له : التجليات الذاتية ، فيحصل لها الفناء الأتم والبقاء الأكمل ، وأما قبل وصولها إلى أصولها لا تحصل لها الفناء . وهذا علَّة تلقين الذكر لهذه اللطائف المذكورات ، فافهم فإنّه نفيس . أخذ ذلك من « النفائس السانحات » .

ثم بعد عموم الذكر على جميع الإنسان والآفاق يتلقَّن الذكر من الشيخ الكامل بالنفي والإثبات بكلمة (لا إله إلاّ الله) . وكيفيَّته أن يلتصق اللسان بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة كما في اسم الذات ، وينحبس النفس تحت السرة ، ويتخيَّل منه كلمة (لا) ، بحيث يكون كرسيُّها على السرَّة ، ويمدُّ طرفيْها إلى منتهى الدماغ ، ومنه يتخيل (إله) إلى الكتف الأيمن ، ومنه يتخيَّل (إلاّ الله) إلى رأس القلب وإلى قعره مع الضرب الشديد بالنفس الدائر في الجوف ، فتحيط هذه التخيّلات على محال اللطائف كلّها بصورة (لا) المعكوسة ، بحيث يكون أحد طرفيها في السرّة ، وطرفُها الآخر في القلب ، وكرسيُّها بين الدماغ وبين الكتف ،

ويلاحظ مع هذه التخيُّلات معناها على وفق ما أمره شيخه بها من معانيها ، وهي : لا معبودَ إلاّ الله للمبتدئ ، ولا مقصود إلاّ الله للمتوسط ، ولا موجود إلاّ الله للمنتهي ، وفي آخر النَفَسِ محمد رسول الله من الروح إلى القلب على ما اختاره الشيخ محمود الفعال ، وإلا ففيه خلاف ذكر ذلك في « تبصرة المرشدين » . ويريد التقيّد بالاتباع به عليه السلام ، ويكررها على قدرة قوة النفس ، ويطلقه من الفمّ على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي ، ثم يقول : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، فإذا استراح يشرع بنفس آخر ، لكن يراعي بين النفسين ؛ بأن لا يغفل ، بل يبقى التخيُّل على حاله ؛ لئلا يختلَّ الاستمرار . فإن انتهى العدد إلى إحدى وعشرين تظهر النتيجة ، وهي نسبتهم المعهودة من الذهول والاستهلاك ، وإن لم تظهر فبما وقع من الخلاف في الآداب ، فليستأنف وليطابق الفعل والقول مضمون الذكر عملاً واعتقاداً واتباعاً ، فإنَّ المقصوديَّة فيما سواه إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق . ولا حصر للعدد ، فمن يستعدُّ لتقدُّم الجذبة فله الذكر الأول ، ومن يستعد لتقدُّم السلوك فله الذكر الثاني ، **وكلاهما بالقلب** . فإذا جاهد فيه حق الجهاد وانتفى المنفيّ وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذ . انتهى .

نقلت هذه المذكورات من كتب النقشبندية وليس في كتبهم ما يخالف ما ذكرنا ؛ ولو في كتاب واحد ، بيد أنّ بعضاً منهم يلقّن اسم الذات أولاً ، بلا فرق بين مستعدٍّ وبين غيره . ولكلٍّ وِجهةٌ هو مولِّيها ، كما هو مذكور في كتبهم .

وشروط النفي والإثبات تسعة[1] :

١ – حبس النفس . ٢ – ذكر (لا إله إلا الله) . ٣ – ملاحظة النقش . ٤ – ملاحظة المعنى . ٥ – الضرب . ٦ – وقوف القلب مع جميعه . ٧ – الوقوف العددي ، بأنْ يكون وتراً . ٨ – ذكر (محمد رسول الله ﷺ) آخراً . ٩ – الرجوع

(١) ويأتي بيانها .

إلى الله تعالى بأن يقول : **اللهم**[1] **أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . انتهى من « البهجة » عبارته .

وفيه قال العروة الوثقى رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله : إن الذكر مع حبس التنفس بدعة حسنة ، فعلى مسلك المجدّد رضي الله تعالى عنه ليس في بدعة حسن ، فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ الذكرُ في حدِّ ذاته حسن ومسنون ، أما الحبس فيه فيتوقف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأوَّل ، وذلك ممنوع ، وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، ولا يحكم على عمله بالبدعة .

وفي ملفوظات الخواجه عبد الباقي قدس سره : إنَّ الخرقة في سلسلة الچشتية والسهورورديّة معنعنة عن رسول الله ، ولم يبيِّن الذكر المعنعن عنه ﷺ ، ولم يتحقق بخلاف طريقتنا ، فإن الذكر معنعنٌ خال عن الانقطاع في الوسائط من الصديق الأكبر والحيدر الأبهر رضي الله تعالى عنهما إلى يومنا هذا .

فسأله سائل ممن حضر مجلسه : ما تقول أيها الشيخ فيمن يذكر في السلسلة النقشبندية ، وصلة الرابطة عن الصديق الأكبر ، والذكر عن علي رضي الله عنهما ؟ قال : الذكر المسمّى بالوقوف العدديّ الذي يعهد فيه الحبس مع ضمِّ محمد رسول الله ﷺ إليه تعنعن عن الصديق الأكبر رضي الله عنه ، وكذا طريق الصحبة . انتهى .

وقال أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » ما حاصله : إنّ المراد من الشيء الذي في قوله عليه السلام « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، وإنما هو بشيء وقر في قلبه » هو الذكر الذي قال الله تعالى ﴿ **قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ** ﴾ . راجعه عبارته .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا .

وفي « معرّب الرشحات » في معنى الآية : إن المراد : كن متوجهاً إلى الذات دون الصفات . راجعه من الفصل الأوّل من ترجمة عبيد الله .

وقال الخاني قدس سره في « البهجة السنية » : ومن تتبع أحاديث رسول الله ﷺ ، وعرف أخباره وأحواله ، وعلم أقواله وأفعاله تبيَّن له أنَّ هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البعثة ، وبعث أمَّته على هذه الحالة ، وتبعه أكابر الصحابة رضي الله عنهم ، دون ما ابتدعه المبتدعة ؛ ولو كان بعضها مستحسنة في الجملة . انتهى عبارته . وقال فيها إنّها أمّ الطرائق .

وقال أحمد ضياء الدين في « المتممات » : إنها سلطان الطرق ، وأثنى عليها[1] ابن حجر الهيتمي المكي بأنها هي السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، ومن أراد التفصيل في تفضيل تلك الطريقة فليراجع « البهجة » و« المتممات » ، وفي رسالتنا « الدرة البيضاء » زيادة بسط بهذا المهمّ .

فعلم من هذه المذكورات حقيَّة تلك الطريقة ، وكونُ أذكارها مقتبسة من مشكاة النبوة بواسطة الصديق الأكبر ، وتحقَّق بل تيقَّن كونها باقية على أصلها ، وسالمة من أوساخ البدعة . ولا يخفى أن من غيَّرها برأيه فهو حادٌّ لله ولرسوله ، فالعياذ بالله إنه هو البرُّ الرحيم .

المراقبات

وأما المراقبات التي يستعملونها فيها ؛ **فأولها** : المراقبة الأحدية . **وثانيها** : المراقبة المعيّة ، ويراقبون في هذه المراقبة بخمس مراقبات على عدد اللطائف الخمسة ؛ القلب ، والروح ، والسرّ ، والخفيّ ، والأخفى ، بحسب المشارب الآدميّة ، والإبراهيميّة ، والموسويّة ، والعيسويّة ، والمحمديّة . ثم بعد ذلك يراقبون بالمراقبة الأقربيّة وهي مقام الولاية الكبرى ، وفوق ذلك مراقبات ، فصَّلها الإمام الرباني وأخرجها من الإجمال . وكلها مذكورة في « تبصرة المرشدين » و« النفائس السانحات » ؛

---

(١) أي : الطريقة النقشبندية . (منه) .

اللهم لا تحرمنا من بركات من ذاقها ، وأذقنا بمنِّك وكرمك برداً من شرابها ، وخلِّصنا وجميع المسلمين من الحقد والحسد بين إخوان الدين والتوفيق والاستقامة ، واغفر لنا ولجميع من ذكرناهم واهدنا وإياهم إلى صراطك المستقيم ، وارزق لأساتيذنا العفو والعافية في الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين اللهم آمين .

فلقد حان أن نشرع الآن في مقصود الكتاب ، وآل الأمر إلى إظهار ما عندنا من إرادة حقيّة ما كنا كتبناه في رسالتنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » .

فنقول – وبالله التوفيق – :

قال العالم الحاج فلان ولد فلان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الحق ، وأبان وأظهر على يديه الهمم العالية ، وأعان لبعض خواصّه لإزالة الشبه والبدع ، وأزاح عن الأمّة الغمّة بكشف الحق ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أقول ، والله أعلم : هذا الحمد من هذا العبد – هداه إلى الصدق والصواب – واقع على غير موضعه ؛ لأن مفهوم عباراته أن إظهار الحق وإزالة الشبه والبدع وغيرها إنما هو على يديه ، وإنَّ ما كتبه على رسالتنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » إنما كتبه لإظهار الحق وإزالة البدع مع أنه ليس كذلك ؛ لأنّه قصد بذلك إخفاء الظاهر الحقِّ بكلمات ليس لها نقل ، بل تكلَّم بعبارات تشبه الأعاجيب ، لمجرَّد الاعتراض على من أخبر الحقَّ وأراد تبيين ما أسَّس الصديق الأكبر رضي الله عنه من هذه الطريقة النقشبندية العلية التي أقرّ بفضلها وأقربيّتها علماء الأمة من الأئمة الأربعة محضاً لمجرد وجه الله لا لغرض نفسانية أو عوض دنياوي ، وحسبي الله على ذلك شاهداً ، فبسببه صار ذلك العالم المشرّح عندنا ممن حادّ الله ورسوله ، فكان اللائق عليه أن

لا يأتي في هذا الموضع بهذا الحمد ؛ لأنه بمقابلة النعمة ، وتحميده هذا صار بمقابلة المعصية من حيث لا يشعر ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك .

قال عفى الله عنه وجعله من المقرّبين : أما بعد ؛ فلما لقينا ممن أحسن فيه الظن ما يسوء به ، ولقيت من أهل السلامة الضلالة ، أردت إظهار الحق ليحق الحق وليبطل الباطل .

أقول – وبالله التوفيق – : ولو بقيتَ أيها الأخ المشرِّح على ما أنت عليه من حسن الظن فينا لكان خيراً لك ، ولو كنت توقفتَ في زمن قليل ، وطلبتَ رسالتَنا لتنظر إليها بتمامها لكان ذلك أنجى لك وأسلم ، بل لو صبرتَ ولم تصدِّق من حرَّف الكلم من موضعه حتى تلقاني لوجدتَ كلامنا في تلك الرسالة واقعاً في موقعه . قال الله تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ** ﴾ ؛ أي : بخبر كذب ﴿ **فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ** ﴾ .

قال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » : وإن اشتبه ؛ يعنى : مراد المتكلم من كلامه فعليه الاستفسار ، لا العجلة وسوء الظن . انتهى عبارته . وقال تعالى ﴿ **ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ** ﴾ .

وفي الحديث « حسن الظن من حسن العبادة » ، فوقع كلامك يا أخي ، واعتراضك على مقالاتي من غير تثبُّتٍ وتحقُّق ، وسوء ظنِّك فينا في غير محلِّه .

وفي « لواقح الأنوار » للشعراني : **لو وضعت عبادة الشخص طول عمره في كفَّة ، وسوء الظنَّ بمسلم في كفة لرجح سؤء الظنّ** . انتهى عبارته .

وأما كلامنا فلعله يعدّ من البغض في الله الذي أمِرنا به ، كما مرَّ في هذه الرسالة .

وفي « البريقة » : إنَّ سوء الظنَّ إنما يمْنع عند عدم دليله وقرينته . انتهى عبارته . فقد وجدْنَا القرائن في حقِّهم وما وجدْتَهَا في حقِّنَا .

وأما نِسْبتكم إلينا الضلالة - والعياذ بالله - فليس ذلك بصواب لأنّي لم أقصد - والحمد لله ربّ العالمين - بتأليف ذلك الكتاب إلاَّ ردّ المسلمين عن الضلالة ، وتبيينهم ما هو الحقّ اليقين المتَّفق عليه من قواعد أهل الله . ولا يخفى على من اطلع في ذلك الكتاب من أوله إلى آخره أنّي لم أتكلَّم من قبل نفسي ، بل ببيان نُقُول العلماء في كلِّ ما قلته من ديباجته ، بَيْدَ **أن الإنسان مجبول على محبّة ما صدر منه ولو كان مكروهاً ، ومجَّة ما صدر من غيره ولو كان محبوباً** . وكم من عائب قولاً صحيحاً ، وآفته من الفهم السقيم .

قال - **رزقه الله وإيانا الاستقامة** - : فمن أقواله الضالة (فلما وجدنا أهل هذه الطريقة النقشبندية العليّة وقعوا في هذه الديار الداغستانية غرباء) . يفهم من هذا القول أن الكاتب القائل به أزال عن الطريقة الغربة ، وهو الآن لم يدخل في الطريقة لأنه في النفس الأمارة راسخ ؛ لأنّه لم يَرَ - ما في داغستان من الشريعة والطريقة والحقيقة بلا إنكار من العلماء الأعلام - بسبب الذي كان فيه من الكبر على الغير ، والعجب في نفسه ، والرياء والحسد لإخوان الدين ، والسمعة وحبِّ الرياسة ، وغير ذلك مما يفهم من هذا وممَّا بعدُ .

أقول : - والله وليّ التوفيق - : أيها الأخ لا نقدر إزالة الغربة عن هذه الطريقة مع وجود قطاعها ، وكثرة منكريها ، وقلَّة من يعين لمن استقام على أصلها ووضعها ، فكيف ؟ ! وأمثالكم يقولون هكذا مع علمكم أن ليس الصواب إلاّ ما قرّرته ؛ من كون أذكارها موافقاً بما ورد عنه عليه السلام ، وأن ما يفعله أهل ديارنا محض ابتداع ومجرَّد افتراء ، وكيف يطاق لإذهاب الغربة من طريقة وقف في وسطها القطاع ؟ !

وكيف يستطاع لإقامة اعوجاجها ومعوّجوها العلماء ؟ ! لا والله ، ولكنّ الغيرة الإلهيّة حملتني على إظهار الصواب من غيره ، وبذلك خرجت من المداهنة و ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ ، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ ، و﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ فستعلمون ما أقول لكم ، وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد .

ولقد بيّنت الخالص السالم من هذه الطريقة النقشبنديّة من المغشوش المكدَّر باختيار أهل البدعة ، ولكن عادة المعاند أن لا يروّج الخالص ، قال تعالى ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ، ﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ .

وفي تفسير سلمى في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ : قال أبو عثمان : إن الدين ما سلم لك من البدع والضلالة والأهواء ، وسلّمت فيه من الرياء والشهوة الخفيَّة ورؤية الخلق وتعظيم الطاعات . انتهى عبارته . فإذا صار العلماء كالصائلين في وسط طريق الله مع هذه الآيات فبان أن الغربة في تلك الطريقة باقية لم تزل ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فما أعظم ما وقع في هذه الأمّة المحمدية في هذه الديار الجبليّة .

وقولكم – هداك الله – : وهو الآن لم يدخل في الطريقة ؛ لأنه في النفس الأمارة . يفهم منه أنه لا يجوز أن يدخل فيها من له نفس أمارة كما صرَّحتَه فيما بعدُ .

اعلم أيها الأخ أنا مقرٌّ ومعترف بأني في قبض الأمارة القتالة التي هي الصنم الأكبر ، فهل يجوز لمثلي أن يدّعي الخلاص منها مع أن الله تعالى قال حكاية عن نبيّه يوسف عليه السلام ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ ، وقال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ ، وأنا يا أخي منغمسٌ في جميع ما نسبتَ إليّ من تلك الذمائم ، ومع ذلك كانت مخفيّة . فبشدّة صفاء باطنك أدركتَها وأظهرتها ، – جزاك الله عنا خيراً وشكر سعيك –

وأنا لا أطيق أن أكافىء من ينبِّهني على نقائصي ولو خدمت له مدى الدهر ، ومن أجاب عن نفسه فقد هلك مع الهالكين ، ومن رضي عنها فقد خسر خسراناً مبيناً .

ولكنَّ المقصود من تأليف ذلك الكتاب إظهار ما هو الصواب لمجرّد المصلحة لإخوان الدين ، لا للتعصُّب والتفاخر عليهم ، فالحمد لله رب العالمين . وإن كان فيَّ يا أخي جميع ما نسبتَ إلي من تلك الذمائم ، فلا أصدِّق مفهوم قولك : إنه لا يجوز أن يدخل في الطريقة من له أمارة ؛ لأني لو كنت سالماً منها ومن أخلاقها الرديئة لما احتجت إلى اتخاذ الشيخ والدخول في الطريقة ؛ لأن الإرشاد إنما وضع للمعوج الضالّ لا للمستقيم الهادي ، كما قال كذلك أحمد ضياء الدين في « المتممات » ، وكما قال صاحب « روح البيان » : **ويجب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد لمن ليس له قلب سليم** . وهكذا في « ابن حجر » و« الرملي » من كتاب السير وفتاوى ابن حجر .

والأذكار التي أوردها أئمة الطرق في طرقهم إنما وُضعَتْ لمجرّد إصلاح القلب المريض ، وإماتة النفس الأمارة ، ولا رجاء لإماتتها إلا بإصلاح القلب الذي هو كالمَلِكِ ، ولا تَصْلُحُ الرعيّة إلا إذا صَلُحَ المَلِكُ ، ولا ينجلي القلب بسائر العبادات إلا بإكثار الذكر . ومن شرطه كما قالوا : أن يُؤخَذَ من شيخ عارف مقبول ؛ لأن غيره لا ينفع ولو كان يذكر الله ليلاً ونهاراً ، كما هو مبسوط في كتب التصوف . فلهذا احتيج إلى اتخاذ الشيخ لحياة القلب ، وأخذ الذكر عنه لعلاجه ، فمتى لم يُسْلَمْ القلبُ من الأمراض فالإنسان في قيد الأمارة . **وسلامته من أمراضه بالاستئصال متعذرة ولو في أعلى مقامات العرفان** ، فكيف وقد ورد في الحديث « إذا سمعتم أنّ جبلاً انقلع عن مكانه فصدِّقوه ، وإذا سمعتم أنّ جِبِلَّة أحد زالت عنه فلا تصدّقوه » ، **لكنّ الصفات الرذيلة تنكسر قوَّتها بعد التصفية والتزكية** . كذا في « النفائس السانحات » . فلزم أن ينزل الدواء ؛ أي : الذكر إلى موضع الداء . فافهم فإنه

مهم . وفي « الشرقاوي » أي : زوال العيوب النفسانيَّة لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كاملٍ ناصح . انتهى عبارته بالمعنى ؛ يعنى : لأنّ الشيخ طبيب للأمراض المعنويَّة ، ولا يعرف كيفيَّة تنزل الدواء على الداء وكيفية الاحتماء إلا الطبيب ، فتدبَّره .

ومن ادّعى أنه خرج من الأمارة ، فهو مغرور جاهل لم يذق من معرفة الله شيئاً ؛ **لأن معرفة النفس مقدّمة على معرفة الله** كما في حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، ومن عرف النفس وخسَّة أخلاقها لا يرى على وجه الأرض أحداً أشرَّ منه ولا أقبح .

قال ابن عطاء الله في « الحكم » : أصل كلّ معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كلّ طاعة ويقظة وعفّة عدم الرضا منك عنها . انتهى عبارته . وفي شرحه : لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ، ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها . وبقدر تَحقُّق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه . انتهى عبارته .

ومما أوصى به بهاء الدين محمد النقشبندي للسالك كما في « البهجة » هاتان الوصيتان ؛ وهما من أنفس الوصايا لمن تدبّر وتأمّل ؛

أولهما : أنه لو وصل إلى أيِّ محلٍّ وصل ، لا يرى نفسه إلا في أوَّل قدم من الطريق .

وثانيهما : أنه لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلا أقلَّ من نفس فرعون مائة مرة . انتهى . فبان من هذه المذكورات عدم وضعي قدمي في الطريقة ، وأصاب هذا المحقِّق ، ولزم أن أقول : ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ .

وسمعت شيخنا عبد الرحمن العسليّ قدس سره يقول : **لا يتخلَّص الإنسان من الرياء إلا في مقام يرى السالك أن لا محرِّك إلا الله** . انتهى . **وذلك عند التكمُّل في إبراهيمي المشرب** ، والله أعلم .

فليتفقد العاقل نفسه ولو كان في الاطمئنان ، ولا يثقْ دسائسها ، فأنَّى يحترز منها أمثالنا القائمون على متن الأنانيّة وحبّ الرياسة ، والله وليّ التوفيق . ولا يخرج من النفس بالنفس إلا [إن] حفَّت علينا العناية(١) الربانية . ومن ادعى أنه يرى ما في الداغستان من الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ، فلعله لم يُصَلِّ طول عمره ولو صلاة واحدة جمع فيها تلك الأركان الأربعة .

فإن كنْتَ في شكٍّ مما قلناه واستغربته ، فاقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية ، فلعلَّه لم يصلّ هذه الصلاة مدة عمره قط ، فنعوذ بالله من الدعوى والشكوى ، آمين .

قال غفر الله ذنبه : وقوله : (بواسطة شيوخ البدعة) . ومن هذه الشيوخ التي أراده الكاتب أبو الكوثر الحاج عبد الرحمن الثغوري رضي الله عنه ، وهو كما قاله شيخنا وأستاذنا الحاج موسى الغازي الغموقي سماعاً أنه رضي الله عنه كان يربّي المشائخ في المغارب والمشارق ويُصلح العامة في كل بلاد المسلمين ، وكان تربيته وإصلاحه تارة بالهمَّة والتوجُّه وتارة بالدعاء والتضرُّع .

أقول – والله أعلم – : ليس في كتابنا هذه العبارة كما كتب هنا ، بل الذي فيه هكذا : بواسطة شيوع البدعة – بالعيْن المهملة لا بالخاء المعجمة ، وليس مرادنا ممن ذكرناهم في ذلك الكتاب الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري – قدس سره ورزقنا فيْضه – فالعياذ بالله من أن أقول في حقِّه ما هو عنه بريء ، بل مرادي من الأصناف المذكورين فيه المتشيخون بالدعوى ، المتصدّرون للإرشاد بأنفسهم ، المغيّرون لأصول هذه الطريقة الخالديّة النقشبنديّة ، ولم يغيِّر الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري شيئاً من ذلك ، وإنما غيَّره مَنْ بَعْدَهُ .

(١) لعلّه : ولا يخرج أحدنا من النفس بالنفس إلا إن حفّت علينا . . .

قال - عطَّر الله روحه - : وقال مرة : قصدت الذَهاب إلى حضرة محمود الفعال ، واستخار فرأى مكاناً واسعاً خضراً قد ملأ بالزهر فاتحاً[1] ، فجاء محمود الفِعال فأراه طريقاً ، ثم أيقظ وبعد ذلك استخار في تلك الليلة في طلب حقيقة شيخنا العارف بالله الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ فرأى ذلك المكان الواسع الخضر ، ومشى ووصل إلى حضيض جبلٍ عالٍ ، كبيرٍ أسفلُه ، رفيعٍ ذِروتُه ، فمشى فيه فوجد خلفه إذا نظر العارف بالله تعالى شيخه الحاجٍ عبد الرحمن الثغوري ﷺ ، فمشى إلى ذروته وكان هو ﷺ خلفه يسوقه ، ثم قلّ أثر الطريق وانتفى فنظر خلفه فلم يجده ، ثم ندم على ما وقع في نفسه فتاب .

أقول - والله أعلم - : إنَّ ما يفهم من إيراد هذه الواقعة هنا : أن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره أعلى مقاماً من القطب الأعظم والغوث الأفخم محمود أفندي الألمالي الأشترخاني قدس سره ، وليس لأحد أن يثق الوقائع والكشوفات فإنها قد تتلوَّن وتخطأ ، وأكثرُها شيطانيَّة كما في « المتممات » .

وفي « روح البيان » من سورة النحل : إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة ، وعوام الناس يعَدُّون أصحاب أمثال هذه الكشوفات الأقطابَ ؛ لكونهم على الجهل لا يميّزون بين الحقِّ والباطل . انتهى عبارته . وهكذا في مكتوبات محمودِ الفِعال كريم الخِصال ، قدس سره ؛ ولذلك فاللائق أن لا نتكلَّم في حقّ أمثال هذين العارفين الأمجدين ؛ لأنهم عرائس الله ، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في عرائس الله بما لم يتحقَّقْ ، بل السلامة أن لا نذكرهم بمثل هذه الوقائع ؛ لأنها تُشعر بأفضليَّة أحدهما ، وتنبيء انحطاط مرتبة الآخر . فافهمه ، ولاحظه فيما سواهما فإنه مهمٌّ عند من ليس في قلبه وهم .

(١) لعلَّه : فاغماً .

قال – **رزقه الله التوفيق ، وهداه إلى أحسن الطريق** –: قوله (فمن ذلك اخترع أبعاض أهالي هذه السلسة بواسطة قصور نظرهم بدعات) . ومراده من هذا البعض شيخنا العارف بالله تعالى أبو مريم الثغوري رضي الله عنه .

أقول – والله أعلم –: فما أعظمَ ما اجترأتم إلى ارتكاب هذا القول مع أنكم لستم تعلمون الغيب ، فمِنْ أين تيقَّنْتَ يا أخي كون مرادي من ذلك البعض ذلك العارف المحقِّق ، والعالم المدقِّق الحاج عبد الرحمن الثغوري ؟ قدِّس سره وحشَرنا معه آمين . فنعوذ بالله ، فنعوذ بالله ، فنعوذ بالله من إساءة الأدب مع هذا الشيخ ، ولا أعلم أيَّ شيء حملكم إلى هذا القول ، ولا نرى ذلك إلا أنكم قصدتم بذلك عدم ترويج كلامي ، وأردتم تزوير مقالي بهذه الأقوال ، والله أعلم . والمرجوُّ منه العفو عمّن نسب إليَّ ما أنا عنه بريء ، وأن لا يؤاخذ أحداً من أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب أنه هو العفوُّ الكريم ، بل مرادي من جميع من ذكرناهم في رسالتنا مَنْ غيَّروا أذكار هذه الطريقة بأذكار اختاروها ودعوات أرادوها ممَّا لم نسمعها في أوراد وأذكار الطرق ولو في واحدة منها . ثم إذا قيل لهم : إلى أيِّ طريقة انتسبتم ؟ قالوا : إلى طريقة النقشبنديين . فليتدبره المُنْصِف ، هل هذا إلا الاختراع والابتداع ؟! وليطلع إلى كتبهم . وفي ديارنا الداغستانية من كتبهم أكثر من ثلثين كتاباً . فلو كان ناسخ مقالاتي من كتابي نَسَخَ جميعَه بتمام لعلَّك تجد فيه ما يشفي القلب العليل ، ويظهر الحَقُّ من الباطل . فلستُ تكلَّمت في ذلك الكتاب من قبل نفسي ، بل بنقل صريح من كتب أهل الطرائق . فقد خان هذا الناسخ – والله – وأراد الغوغاء بين إخوان الدين – تالله – .

قال رحمه الله : وبيان[1] ؛ أن هذا الشيخ ذهب لأخذ الورد إلى الشيخ جمال الدين رضي الله عنه بعد كمال علمه وفقهه ، فوقع له الجذبة الإلهيّة ثلاثة أيام بلا إفاق ، ثم أعطى له الورد ؛ من خمسة آلاف تهليل ، فوقع بدايةُ هذا الشيخ

(١) لعلّه : وبيانه : أنّ . . .

الثغوري نهايةَ الشيخ جمال الدين ﷺ ؛ لأنه كان مجذوباً منيباً إلى ربّه أوّاهاً من حين الطفل ، فإذا سلك بهذا الشيخ الذي وقع له الجذبة بعد السلوك صار بدايتُه نهايتَه ، وبقي هناك ستة أيام أو سبعة أيام ، وبعد ذلك رجع إلى بيته وأقام هناك متعبداً ، فحصل له الجذبة القيوميّة الاتباعيّة الدائمة ، ثم أرسل إلى شيخ شيخه المبارك محمد أفندي اليراغي ﷺ رسالة في طلب بيان ما هو عليه من الحقيقة ، فجاء منه البشارة التامّة مشعراً بأنه الكامل المكمَّل المرشد من الأفراد ، وأنه قد اقتفى بنبيّه المصطفى ﷺ ، وأنه لا يجب اتباع شيخ آخر . ثم أَعْلَمَ أن مبنى طريقة هذا الشيخ على نيّة الاتّباع الدائميّ بمثل نيّة الصحابة رضي الله عنهم ، فلهذا صار قوله (بواسطة قصور نظَرهم بدعاتٍ) راجعاً على قائله كما قال : « المؤمن مرآة المؤمن » . فإنه رأى في نفس المؤمن ما هو كائن في نفسه .

أقول - والله أعلم - : إن حصول المقصود ووقوع الجذبة الإلهيّة جائز للمستعدِّين ، وموقوف على التفاوت[١] مرشد كامل ، ومربوط به ، لكن كلُّ شيء من غير سعي واهتمام لا يكون له بقاء ودوام ، كذا يؤخذ من « الباقيات الصالحات » راجعه من ترجمة علاء الدين الغجدواني قدس سره .

وفيه في موضع آخر : كان الخواجه حسن صاحب جذبة قويَّة ، وكان يتصرَّف بصفة الجذبة أيَّ وقت شاء ، ويوصل من يتصرَّف فيه من مقام الحضور والشعور بهذا العالم إلى كيفية الغيبة وعدم الشعور ، ويذيقه ذوق الغيبة والفناء . انتهى عبارته .

وهكذا وقع لواحد من مريدي الحاج قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، كان ذلك المريد صاحب رياضات ومجاهدات ، صوَّاماً بالنهار قوَّاماً بالليل ، ذا ذكر كثير ، فدخل في عهد الشيخ العسليّ قدس سره ، فحصل له الفناء التام والغيبة الكليَّة ، وكان يغيب عن إحساسه بعد

(١) علَّه : التعاون ، أو التفات من مرشد .

صلاة الصبح إلى وقت العشاء الأخيرة ، ثم إذا أفاق يقضي الصلوات التي فاتت في ذلك ، وصارت عادته هكذا في زمان ، فأنكر شيخَهُ العسليّ قائلاً : إني صرت فوقك في المقام . وظنَّ ذلك الأحمقُ أنْ ليس فوقه مقام ، وأنَّ ما حصل له من الفناء منتهى المقاماتّ ، ولم يدر أنَّ ذلك من جهة تصرُّف الشيخ العسلي قدس سره ؛ فبذلك سقط ذلك المريد من مقامه ، وتنزَّل إلى حضيض حظِّه ، فنعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[١] ، ورؤية النفس والإعجاب بالعمل . انتهى .

وأما قولكم : ثم أعطى له الورد ؛ من خمسة ألآف تهليل مشكل جدّاً لا يوافق بما في كتب النقشبنديّة ، بل هو يعارض بما في « الآداب المرضية » لجمال الدين قدس سره ؛ لأنَّ صاحب الجذبة يلقِّن له الشيخ أوَّلاً اسم الذات ، لا النفي والإثبات ؛ لأنه مناسب لصاحب الجذبة ؛ لأنّ قلبه خال عن الأغيار وعن التعلُّقات إلى الأكوان ، فلا يحتاج إلى نفي تلك الأغيار ونفي تلك التعلُّقات ، بل إنما يحتاج إلى ظهور حقيقة جذبة المحبَّة الذاتيَّة ، فهذا يحصل باشتغاله باسم الذات من غير احتياج إلى النفي والإثبات . كذا في « التحفة » و« البهجة » وغيرهما من كتب النقشبندية . فتدبّره .

وأما إعطاء الإجازة ، والبشارة بأن الشيخ الثغوري بأنه الكامل المكمَّل فهو جائز ، بل هو حقٌّ مصدَّق ، إن شاء الله تعالى ، ويوافقه كلام خليفته الشيخ إلياس الزدقاري في « سلّم المريد » كما يأتي ، وأنه يجوز أن يكون فانياً في رسول الله ﷺ ، وبعد الفناء فيه ترتفع الوسائط من البين ، ويكون السالك محفوظاً من الزيغ ، وآمناً من الميل إلى اتباع الشيطان والنفس ، ويصير محبوساً في دائرة الامتثال وحيطان الاتباع .

---

(١) يعني بذلك : من الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان (تفسير الطبري) .

فإذا كان حال هذا الشيخ هكذا ، وحكَمتم بأنَّ مبنى طريقته على الاتباع الدائميّ ، فما ذا تقولون فيمن ينتسبون إليه ، ويقولون : إنَّ تلقين الذكر الخفي حرام ، فهل هذا اتباع واقتداء ؟ ! لا والله ، بل هو اختراع وافتراء .

وقد ظهر مما مرّ في المقدمة أنَّ هذه الطريقة النقشبندية هي الباقية على ما ورد ، وأهل هذا الزمان غيَّروها وحرَّفوها عن وضعها ، وافتروا على هذا الشيخ المحقِّق أنه أسَّس فيها ما رآهُ خيراً ، وقالوا : مجدّد[1] في الطريقة ، وله أن يُؤسّس فيها ما أراد ، حاشا ذلك وكلا ! ! ولقد كان في تلك الطريقة مجدِّدون وأئمة مجتهدون فما غيّروها ، بل تركوها على أصلها سالمة من الانحراف خالصة من الابتداع ، وهذا الشيخ لم يغيِّرها ، بل المنتسبون إليه حرّفوها من بعده ، وسيأتي إن شاء الله تعالى كيفيةُ تلقين الثغوري .

وأما قولكم - هداكم الله - : فلهذا صار قوله (بواسطة قصور نظرهم بدعات) راجعاً على قائله فليس واقعاً في موقعه ؛ لأنكم أيها الأخ تعلمون أن ليس في ما نفعل في تلك الطريقة إلا موافقاً ومطابقاً على ما وصل إلينا بواسطة أشياخنا [قدس الله أسرارهم] ، مذ زمن مؤسّسها الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، فإن كنتم أدركتم بصفاء بصائركم على ما فينا ؛ من دخول البدعة في تلك الطريقة ، فاظهروها لنا لنتركه ، ونقتفي على من تبع السنة ، ونحن أيها الأخ نقول هكذا ؛ لم يرد من السلف والخلف في هذه الطريقة إلا الأذكار القلبية ، سواء كانت اسم الذات أو النفي والإثبات ، ولا يرخّصون في فعل أورادهم الملقنة للمريدين أن يفعلوها باللسان إلا إذا وصل السالك إلى مراقبة المعيَّة ، كما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى ، فمن قال غير ذلك فليرنا ذلك ولو في أيِّ كتاب ، وعندنا من كتب النقشبنديَّة كتب لا تحصى ، ولا نجد فيها ما يفعله هؤلاء الجماعة المخترعون ، ونحن - فالحمد لله ربّ العالين - ولو كنا في قيد هذه الطاغوت ، وسجن هذه الصنم الأكبر النفس

---

(١) أي : هو مجدّد .

الأمارة القتَّالة الخدَّاعة سَالِمُوا الصدر مُنْشَرِحُوا القلب بين إخوان الدين ، وكلامنا في حقِّهم من جملة النصيحة . فلعلَّنا لسنا بحمد الله الذين يرون في نفوس الإخوان ما كان منطوياً في نفوسنا ما لم نتحقَّق الدلائل والقرائن .

قال رحمه الله : قوله (وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البدعات ، وظنوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة) . فلقد التمس مني شيخي وعمدتي الحاج مُوسَى حَاجِ بعدم إرسال رجل إليه ، ثم قال : إن شيخنا العارف بالله تعالى الحاج عبد الرحمن الثغوري نَهَى نهياً شديداً أكيداً بعدم تعلُّم قدره للأغيار وعدم إرسالهم إليه ، وأما قائل هذا القول فلقد خدع قوماً ، وأراد خداع قوم مطمئنين إلى المشائخ ، فصار قوله عليه ردّاً .

أقول : إنّي أرى كلّ ما تقول في هذه الرسالة من غير تدبُّر وتثبُّت ، فالعَجَلَةُ من الشيطان ، وصرف الكلام من مواضعه بلا دليل يدلُّ على صحة صرفه غير جائز ، فأَخْبِرْني أيَّ رجل خدعْتُهُ ؟ ! وأيَّ مريد جذبته إليَّ ؟ ! ولو لا كنْتُ مأموراً من قِبَل شيخي بالتلقين لَمَا قدرتُ أن أتكلم في حقِّ هذه الطائفة ولو بحرف ، ولو لم أكن متحقِّقاً بحال هؤلاء المتشبِّهين لَمَا أَلَّفتُ تلك الرسالة ولو بجمع لفظ ، وأنا تكلَّمتُ مع من شاورني بما لاح لي من الحق اليقين ، ولقنت الذكر وعلّمت الرابطة على من طلب مني ذلك بالتضرُّع والإلحاح ؛ لأنّي مأمور بذلك . فهل يجوز لمسلم أن يمنع مسلماً أراد سلامتَه ، وطلبَ الحقَّ لِيتَّبعه ؟ ! وهل ينبغي لأحدٍ أن يكتم ما علمه ، ويسكت عن إظهار ما عرفه مع أنَّ المرشد إنما هو الداعي إلى الله والنائب عن رسول الله عليه السلام ؟ ! ولكنّ الدعوة تجب أن تكون خالصة لوجه الله ، صافية عن أوساخ الأغراض والإشراك ، غير مشوبة بالأعواض .

وفي الحديث : « من صمت عن الحق فهو شيطان أخرس » ولقد كان عادة شيخنا قدس سره أن لا يطلب المريد ، بل كان يخاف من كثرة المريدين

لديه ، وإن جاء لديه مريد صادق كان يقبله ولا يمنعه ، وهذا عادتي أيها الأخ ، فأنا بحمد الله لا أطلب مريداً لا بالقلب ولا بالقالب ، ولو علمتُ أنّ أحداً أعرف منّي طريقاً لدلّلتُهُ إليه ، ولا أترك عندي ولو واحداً من المريدين . فالحمد لله ربّ العالمين .

قال الشعراني في « المنن » : وممّا منّ الله تعالى به عليّ عدم مزاحمتي لمشائخ عصري على شيء من أنواع صفات المشيخة ، كتلقين الذكر ، وأخذ العهد ، وإرخاء العذبة لأحد من الناس ، لا سيّما إن كانوا أقدم هجرة منّي في الطريق إذا كبر سنّاً فيها ، ثم إنّي إن رأيت أحدهم أعرف منّي طريقاً تلمَّذت له . انتهى عبارته .

وقال فيها أيضاً : إنّ ممَّا أنعم الله تبارك وتعالى عليَّ فَرَحِي بكلِّ شيخ برز في حارتي[1] ، وانقلبت إليه جماعتي ، حتّى لم يبق حولي واحد منهم ، ومن تكدَّر من ذلك فهو خارج عن سياج الفقراء ، ممقوت . انتهى .

وفيه أيضاً : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى ، وإنما تقع من قاصريْن أو قاصر وعارف ، فيريد القاصر أن يكون شيخاً مثلَ العارف ، والعارف لا يريد ذلك . انتهى عبارته . وقد شبَّهَ الغزالي رحمه الله المريدَ بالميّت ، والشيخ كمن وجب عليه حمله ، فالعاقل يشكر ويفرح إذا وجد من يحمل . فافهم فإنّه مهمٌّ نفيس .

قال رحمه الله : وأما جعله أعمال شيخنا أبي مريم ﵁ من قيام ليل وصيام نهار وحفظ كلامه تعالى من البدعات عار ، رادٌّ عليه .

أقول - والله أعلم - : فَمَا أَعْظَمَ هذا البُهْتَانَ مع كوني بريئاً من ذلك ، فالعياذ بالله من أن أذكر الشيخ عبد الرحمن الثغوري بسوء ، فهذا ممَّا لا يطيب القلب أن يعفو عن هذا القائل ، ويتجاوز عن ذلك البهتان ، لكن غلبة الرحمة على هذه [الأمّة] حملتني إلى التجاوز عن زَلاَّتِهم إكراماً لنبيِّهم عليه

(١) حارة : موضع . « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » .

السلام ، ولا أرضى أن يؤاخذ الله أحداً بسببي ؛ فالحمد لله على ذلك . **ولا أقول قطّ أن الشيخ الثغوري ارتكب بدعة أو غيَّر طريقاً ، بل كان على ما كان عليه أشياخه النقشبنديون ، ولم يؤسّس فوق ما أسّس الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ومشى عليه أكابر النقشبنديّة مذ زمنه إلى زماننا هذا ، حاشا ذلك وكلاَّ** ! ! بل الحقُّ اليقين في حقِّه ما قاله خليفته ومأذونه في مدَّة حياته إلياس الزّدقاري قدس سره في كتابه « سلّم المريد » ؛ وهو هذه العبارات : اعلموا أيها الإخوان الأحباء والأصدقاء الأصفياء ! كما كان لشيخي وأستاذي وسندي الحاج عبد الرحمن الثغوري إذنٌ من المشائخ النقشبنديين ، كان له إذنٌ من مشائخ الطريقة القادرية للإرشاد ، ولكن كانت قاعدة تلقينه الذكرَ أن يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يلقنه بالذكر القلبيّ ، ثم باللطائف المذكورة . ولبعضهم يلقِّن بالذكر القلبيّ أوّلاً . وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهريّ في المساجد والمجامع والموالد ، ولا ينهاهم عنه . انتهى . ثم قال قدس سره بعيد هذا : اعلموا فلقد كان لنا في حياة الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري المريدون والمريدات ، وأنا كنت أمرت المريدين في فعل أورادهم بما عليه مشائخنا من الذكر الخفيّ إلى آخر ما قال .

وقال فيه في الفصل الثاني : وأمّا للطريقة النقشبنديَّة فاسْمَان : اسم الذات ، والثاني : النفي والإثبات . فالتلقين عندهم على نوعين :

الأوّل : أن يكون المريد من أهل الجذبة ، فيلقِّنه الشيخ اسم الذات ، ثمَّ النفي والإثبات بحبس النفس .

والثاني : أن لا يكون المريد من أهل الجذبة ، فيأمره الشيخ بذكر النفي والإثبات بغير حبس النفس ، فيذكر المريد كذلك حتى تحصل له الجذبة ، وإذا حصلت له الجذبة يلقِّنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس

النفس إلى آخر ما قال ، وكلاهما بالقلب ، كما مرَّ ، وكذا في سائر كتب النقشبنديّة . وهكذا في « الآداب المرضية » لجمال الدين قدس سره .

قال غفر الله ذنبه وعفى عنه : واعلم أنّ هذا الشيخ ﷺ ؛ يعني : الحاج عبد الرحمن الثغوري مجدِّد في الطريقة ، كخالد شاه والإمام الرباني ونقشبند بهاء الدين ، ولا عار عليه فيما أسَّس وأقام .

أقول : وقد علمت أيُّها الأخ من كتاب شيخه جمال الدين ، ومن كتاب خليفته إلياس الزدقاري أنه لم يُؤَسِّسْ خلافَ ما أسَّس الأئمة المجدِّدون المذكورون ، وعلمتَ أيضاً ممَّا مرَّ أنه كان له إذنٌ من القادريَّة ، فإن كان خلفاؤه بزَعْمِهم يَزْعُمُون أنّ لهم إذنٌ من طرفه لتلقين الذكر القلبيِّ على قاعدة النقشبندية فليلقّنوا الذكرَ كما كان شيخهم يلقنه كذلك ، ولا يجوز لهم أن يخالفوه ، وإن كانوا يَزْعُمون أنّ لهم إذنٌ منه لتلقين الذكر على قاعدة أحد الطريقين . فمن أراد الاطلاع على كيفية أذكار القادريّة فليراجع إلى كتابنا « الدرة البيضاء » ، وكذا إن كانوا يدَّعون أنَّ تلقينهم على قاعدة سائر الطرق لا على قاعدتهما فيجب الموافقة على قاعدتها ، ولا يوافق كلُّ ما يفعلونه ولو على واحدة منها . فظهر بهذه المذكورات عدم أهليتهم للتلقين والإرشاد وبان بها دعواهم على المشيخة ، وأنَّ ما يصنعونه محض ابتداع وافتراء ، وخلصتُ أن يُرَدَّ عليَّ مآل قولك : رادٌّ عليه .

قال – عفى الله عنه وعنا وعن سائر المسلمين – : قوله (حاشاها وكلاَّ ! بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ، هداهم الله تعالى إلى كلِّ ما فيه صلاحهم آمين) . إنما خرَّب عقيدة القائل وضيَّع في حقِّهم ، وإنما لم يدرك حقيقة معاملتهم ، فالمشائخ من شيخنا العارف بالله تعالى لهم إذن على قدر مشربهم وتفاوتهم ، ولا يجب إدراك حقيقة أكابر هذه الطائفة ولا حقيقة أصاغرهم إلا ما أدركوا عن شيخهم ؛ فمنهم عال وسافل ، ومستقيم ومريد

للاستقامة ، والشيخ في أمّته كالنبيّ في قومه . فمن المشائخ مَنْ مشربهم على قدم النبيّ عليه الصلاة والسلام أو على قدم موسى أو عيسى . . إلخ عليهم وعلى نبيّنا السلام .

أقول – وبالله التوفيق – : أيها الأخ هداك الله ، فإن كنتم صادقين فيما قلتم ، وممتثلين على ما كان عليه شيخكم ، ومأذونين من طرفه فلم لا تستعملون الأذكار النقشبندية أو القادريّة بلا تغيير ولا تحريف عمَّا كان هو يستعمله ؟ !

وقد علمْتم مما مرّ آنفاً أنه كان مأذوناً من الطريقين ، ووقع الخلاف بين ما تفعلونه وبين ما يفعله شيخكم ، فهل كان إذنٌ لكم أن تضعوا طريقاً جديداً ، وتستعملوا أذكاراً وأوراداً تخالف على ما ورد عنه عليه السلام وكان عليه أئمة الطرائق ؟ ! **لا والله ، بل أنتم وأمثالكم اخترعتم وابتدعتم وخالفتم وغيَّرتم الأصول ، وحرَّفتم الأوضاع ، وخرجتم من دائرة الطريقة النقشبنديّة الخالدية ؛** لقول سيد هذه الطائفة خالد البغدادي قدس سره : **من غيّر أصول طريقتنا فليس منَّا .**

فتحقَّق بما ذكر أيها الأخ أنكم وأمثالكم لم تدركوا حقيقة أكابر هذه الطائفة كما قلتُ في رسالتي ، وليس مرادي من عدم إدراك الحقيقة عدمُ إدراكهم على حقيقة المشارب الأنبيائية كما فهمتم ، وأنت أيها الأخ قلتَ : إنَّ الشيخ في قومه كالنبيِّ في أمته ، نعم يا أخي هو حديث قيل فيه لا أصل له ، لكن السيوطي رحمه الله قال في « الدر المنتثرة » : قلت : أسنده الديلمي من حديث أبي رافع . انتهى . فأثبت له الإسناد . **فاعلم** إذا كان الشيخ في قومه كالنبيّ في أمَّته ، هل يجوز أن يضع شرعاً جديداً غير شرعه ، أو يسلك طريقاً غير طريقه ؟ ! **لا والله لا والله ، لأنَّ الشيخ نائب رسول الله ﷺ وخليفته في أمته . فكل من لم يمش في طريقته على ما مشى عليه أشياخه ، وتشيَّخ**

هو بنفسه فهو كذابٌ مفتر يتخذ إلهه هواه ، ومتّبعٌ على ما أراد منه شيطانُه ، فأغواه وأضلَّه الله على عِلْم ، فأرداه .

وفي « البهجة السنية » قال الرازي رحمه الله تعالى : إنَّ من تصدَّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق . انتهى من عبارته . فستعلمون من خرَّب العقيدة وضيَّع حقوق المشائخ ، ﴿ **وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ** ﴾ ، وهو ﴿ **بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ** ﴾ .

وأظنّ – والله أعلم – أنَّ من خالف الأساتيذ فقد كذَّبهم ، ومن كذَّبهم فقد كذَّب الرسول عليه السلام ، ومن كذَّبه فمأواه النار ، لخبر « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار » ، ولقد علمتم أن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره لم يُغَيِّر هذه الطريقة ، ومرَّ حقيقته قبيل هذا ، فتدبره . قال الله تعالى ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾ . ويَشْبهُ قولُ من تعصَّب وتخرَّب ولم يتبع الحقَّ إذا ظهر قولَ من قال الله تعالى في حقّهم ﴿ **وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ** ﴾ . قال عز من قائل : ﴿ **وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ** ﴾ .

قال – رحمه الله ورزقه التوفيق – قوله (وسمعنا أن أكثر المتشيخين – سامحهم الله تعالى – يجرُّون مريدي الأغيار إلى جوانبهم بالأقوال المموَّهات والحِيَل الباطلات ، عياذاً بالله تعالى عن هذه الغرورات) . والمتشيِّخ من يدَّعي الشيخوخة وليس هو منها ، كمثل هذا الكاتب السالك بلا جذبة قبله ولا بعده ، كما أخبر في « إبريز الذهب » . وفي كتب أهالي الطريقة النقشبندية : أن من سلك بلا جذبة قبله ولا بعده فلا يصحّ أن يكون شيخاً مرشداً .

أقول – وبالله التوفيق – : نعم يا أخي هذا عين ما نقول فلا غبار فيه – هداك الله إلى ما يرضاه – ومرادنا من جميع من ذكرناهم المتشيِّخون الذين تصدَّروا بأنفسهم ، لا المشائخ المتحقِّقون ، وأما أنا يا أخي متشيِّخ كما قلتَ ،

بل أنا لست في مقام مريد فضلاً في مقام المشيخة ، فقد أحسنت وأصبت ، والله يصيبك بالخير آمين . ولكنَّ الإنسان مجبول على خُفْيَةِ عيبه ورؤية عيب غيره ، بَيْدَ أنَّ شيخنا قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره كان يأمرني بالتوجُّه إلى مريديه سرّاً منهم ؛ أي : بلا إعلامي لهم بأنِّي أتوجَّه إليهم ، وذلك الأمر منه قدس سره ليمتحن لي ؛ هل أطَّلع على أحوالاتهم أم لا ؟ وهل أعلم ترقِّياتهم وتنزُّلاتهم وقبضهم وبسطهم أم لا ؟ فكنت كذلك في مُدَّة ممتثلاً أمره ، ثم بعد زمان رخَّص لي بالتلقين بالذكر القلبي لا مطلقاً ، وقد أحال إليَّ أمر مريديه حين مرض هو أو غاب ، ولقَّنتهم الذكر القلبي إذا ظهر لي منهم أمارة حياة قلوبهم بالانعكاس وبالتفتيش منهم ، وبشَّرني بأن قلوب من لقنتهم متأثِّرة بأثر الحياة .

ثم بعد زمان أذن لي بالإذن المطلق ، ورخَّص لي لتلقين أذكار السلوك كلّها ، وكتب لي صك الإجازة والخِلافة المطلقة ، وختم عليه خاتمه بيده الشريفة ، ووقعت تلك الكتابة والإذن عند العالم الرباني الحاج محمد بن شعبان العسلي ، والعالم الألمعي الحاج حديث القحي رحمهما الله ، وأحال إليّ بعد ذلك أمر مريديه سواء كان حاضراً أو غائباً ، وأمرني بتبديل الذكر من لطيفة إلى لطيفة حين ظهرت النتيجة لتلك اللطيفة القبلية ، ولكن إذا تفكَّرت في نفسي ونظرت في الكتب لم أجد فيَّ من أخلاق القوم أهل الإرشاد إلا الصورة التي لا يعدُّها أهلها شيئاً من الأشياء ، وخفت بعد ذلك من التصدُّر للإرشاد ، وأمهلت أمره حتى أن إخواننا قد شكوا لدى شيخنا قدس سره بأني لا ألقِّن الذكر ولا أمتثل أمره ، بل أمنع من طلب مني التلقين ، فقالوا لي : إنّ الأستاذ قد أغلظ الكلام عندنا في حقِّك وأكَّد ، وقال : قولوا له : لِمَ تقطع الناس عن المنفعة ، وقولوا له : اذهب إلى محلة كذا وكذا ليلقِّن الذكر لمن طلبوه[1] منه ، وكان في تلك المحلَّة أناس يطلبون[2] منِّي التلقين قَبْلُ فمنعتهُم .

---

(١) التلقين . (منه) .
(٢) علّه : طلبوا .

وهكذا أخبرني العالم الحاج عيسى القحي والعالم العارف أبدلو القحي رحمه الله ، فلم أجد لي بُدّاً من الامتثال ، فوجب عليَّ الانقياد ، لكن زاد فيّ الخوف لمخافة أن يكون ذلك من مكر المشائخ ، لأنَّ عادتهم أن يطردوا من أرادوا الطرد من حيث يظن القرب ، كما هو عادة أهل الله ، فالعياذ بالله من الطرد والإبعاد ، ولكن لم أطق أن أردّ الكلام لدى الأستاذ ثانياً وثالثاً ، واستحييت منه فما تجرَّأت أن أقول له : لستُ أهلاً لذلك بعد أن استخلفني ؛ لئلاَّ أكون معترضاً عليه فيما فعل ، لكن تصاغرت وتضائلت لما أعرف من نفسي قصوري عن ذلك وتحيَّرت وترددت .

ثمَّ أرسلت الرسالة لدى العالم الرباني والعارف الصمداني السيد الأمير النقشبندي سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره بالمشاورة معه في حقِّ ذلك الأمر ؛ لأنه أعلم في ذلك الباب .

رسالة سيف الله قدي قدس سره

فرجع منه الكتاب وفي أثنائه هذه العبارات : ثم اعلم أيها الأخ المخدوم إن لله تعالى عباداً صلحاء أقيموا لإقامة هذا الدين ، وجعل أمور الخلق في أيديهم ليفعلوا ما فيه المصلحة للناس على طبق حكمة الله وأمره ، **فكلُّ من يتولَّى على أمرٍ أو يعزل من أمر فإنما هي بتدبيرهم** ، فاحمد الله تعالى حمداً وافراً على ما أولاك به ، واشكر معبودك على نعمته فإنما الشكر سبب لمزيد ، ولازم على ما أمرك به الشيخ وإن خالف أمره اعتقادك ، لما أنه طبيب قلبك يعلم ما أنت لا تعلمه ، وإياك والإنكار عليه وعلى أمثاله فإنهم أمناء الله تعالى في أرضه وعرائسه ، ولا سبيل لأحد أن يَمَسَّ عرائس الله بسوء ظنٍّ أو قول أو إنكار ، فإنَّ ذلك سوء أدب معهم ، فالعياذ بالله من مقته . انتهى من خطِّه .

وهكذا كنت شاورت العالم المحقِّق والعارف المدقِّق أدرة العرادي النقشبندي عند الملاقات في حقِّ ذلك الأمر ، وعرَّضتُ له شكوى ، وأظهرته تردُّدي وتحيُّري . ثم بعد زمان وصل لديَّ مكتوبه بهذه العبارات : فمراد هذا العبد ذي العجز والتقصير إبلاغ السلام إلى حضرة الكرام ، وحفظ حبل المحبة والإخاء مع تجديد عهد الوصية بالدعاء ، وثانياً إني راض عن كلّ ما يصدر منكم على مقتضى مقصود مرشدنا ومراده من إصلاح أمر المريدين والنظَر إليهم بكلِّ ما ينفع لهم ؛ لأني تكلَّمت مع مرشدنا ومولانا قدس سره وروحي فداه فيما لك في حقِّ النظر إليهم من التردُّد والتأدّب على مقتضى ما جرى بيننا يوم اللقاء ، **فاجاب** لي قائلاً : إني رأيت ينفع لهم على حسب ما يحصل له من الفناء . انتهى . فرضي الله عنك وجزى الله سعيك ، ووفَّقك وهداك . انتهى من خطِّه .

ثم بعد ذلك تيقَّنت أن الأستاذ قدس سره لم يفعل إلا ما فيه المصلحة ، لكن اجتهدت أن أدرك النقل الموافق لفعله قدس سره ؛ لِمَا أنّي لم أجد في فعله أو كلامه أو أحواله منذ صَاحَبْته ما لا يوافق النقل ولو في أدنى شيء ، فوجدت في مكتوبات الإمام محمود الفعال قدس سره ما حاصله : **إنه يجوز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة ، وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة بأنَّ يده يد شيخه ، وأيّد ذلك بما في** « **الرسالة المدنية** » ، **وهو ما حاصله : إن بعد اطمئنان النفس يستعدّ المريد لتربية الطالبين وللتوجُّه ، وأمّا قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه ، كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس إلاَّ إيلام النفس .**

نعم إذا كان بإذن الشيخ ، فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره ، ثم قال فيها أيضاً : واعلم أنه قد يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة؛ لأن يد الناقص يد الكامل . انتهى عبارته . وهكذا بل عينه في « البهجة السنية » للخاني قدس سره .

فبهذه المذكورات تبيَّن جواز كوني من أهل الإرشاد وإن خالف رأي هذا الأخ ؛ من كوني متشيّخاً سالكاً بلا جذبة قبله وبعده ، جزاه الله عنَّا خيراً وألهمه رشده دائماً . فكم وكم نقائص في نفسي نبَّهني هذا الأخ إليها بشدَّة صفاء بصيرته ، وكم وكم فوائد دلَّني عليها هذا العالم ، فالحمد لله رب العالمين .

قال رحمه الله : وأخبرني واثق : كان في « بِجْطَه » مريدون للشيخ العسوي ﷺ ، ومريدون للشيخ فِرْمحمد حَاجِيَوْ ﷺ ، فذهبوا إليه فقال : أرسلوا رسالة إلى شيخكم يطلب الإذن فإنه يعطي الإذن ، ثم أرسلوا رسالة إلى الشيخ العسوي ﷺ فأذن لهم . انتهى . فإنَّ مثل هذه لا يصحُّ أن يقال : إجرار مريدي الأغيار إلى جوانبهم .

أقول – والله أعلم – : ومن هذه الحكاية يُعْلم إخلاص كلا الشيخين المذكورين قدس الله سرهما ، وهكذا يجب أن يكون كلَّ شيخ ، ولا يطلب المريد إلا من أحب الرياسة وأقبل على الشهرة ، بل الشيخ الصائب يزيد خوفه بزيادة أتباعه ، كيف لا ؟ ! وقد ورد في بعض الأحاديث « ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد عن الله بعداً ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثر ماله إلا اشتدَّ عليه حسابه » . وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع وحبّ الشهرة والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين ، وجميع هذه النيات فسادها غنيٌّ عن البيان .

ولقد أصاب الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره فيما فعل وأحسن ، فلعلّه شكر سعي الحاج فرمحمد رحمه الله وفرح بذلك ، لحمله الأثقال التي وجب عليه حملها ، وإراحته له من مشقة تربية أولئك المريدين ، فكم وكم ثقلاً يحمله قدس سره من أثقال هذا الورى ، فكم وكم مرات وجدته قدس سره مريضاً ، بحيث لا يطيق أن يصلي قائماً بكثرة ورود حَمَلاَتِ الناس عليه ، فلو لم يكن للمرشد في هذه الطريقة النقشبندية سوى أن يقول : قل كذا وكذا أو اذكر الله كذا وكذا ، كما ليس سواه لهؤلاء

المدّعين لكان الأمر سهلاً ، **لكن التوجه والتصرُّف بالهمة الفعالة شرط في تلك الطريقة ، وذلك أصعب الأمور ، فما للمرشد وقت ما من الأوقات فيه راحة ، إلا وقت لم يتوجه إليه فيه أحد** ، فكيف ؟ ! أنه تنعكس إليه أمراض المريدين وخطراتهم ، **فإن حصل للمريد بَرْدٌ يبرُد الشيخ أو وقع للمريد غمٌّ وهمٌّ يقع الشيخ فيهما ، حتى إن احتنق المريد أو احتقب يحتنقه ويحتقبه .** وقس عليها سائرها ، وراجع « الرشحات » و« المنن » إن شئت أن تدرك حقيقة ما قلته ، ولا تنكره لكونه ممَّا لم تذق منه شيئاً .

قال الشعراني في « المنن » : وصورة مجموع الأمراض التي تقع لي أيام الحَمَلاَت الثقيلة أنني تارة أحِسُّ بأنَّ شخصاً قوياً يضرب رأسي بطَبَرٍ من حديد ، وتارة تحبس فَضَلاَتي مدة سبعة أيام ، فلا تخرج بدواء ولا غيره ، وتارة يدخل عليَّ غمٌّ وهمٌّ وثقل حتى أصير ألهث مثل الثور إذا تعب ، ويخرج من حلقي رائحة الدخان ، وأطلب الموت فلا أجاب . انتهى من عبارته ٢٣٩ .

ولا أظنُّ أنَّ من هذه البلايا والحملات بعضاً لا يصيب شيخنا العسلي قدس سره ، بل صرَّح كثيراً أنَّ بعضاً منها يذوقه . فالحاصل أنه قدس سره قطب البلاء ، كيف لا ؟ ! وقد قال لي مراراً : **إنّ ما أحمله من حَمَلاَت هذا الخلق وأثقالهم لا يطيق أهل البلدان أن يحملوه** . انتهى .

وقال لي مرة : إنه طلب الموت إذ اشتدَّ عليه تلك الحملات فلم يجب . انتهى .

وقد ذكر الشعراني في « المنن » : أنه كان **إذا دخل في البلاء مع جملة الأولياء يحسُّ بمفاصله ما دام البلاء لم يرفع كأنها تقطعت ، وبعظمه كأنه يدق في الهاون[1] ، وبرأسه كأنه يرضح بين حجري مِعْصَرَةٍ لا يكاد يحسُّ بغير ذلك ، ويحسُّ تارة بأنَّ تحت كلِّ شعرة من بدنه مِسماراً من نار يدق .**

---

(١) هاون : وعاء يدقُّ فيه الطعام .

فليراجعه من ١٣٩ . **وليتدبر العاقل** هل يطلب أحد أحداً ليكون مريداً له ويحمل عليه حملاتهم مثل هذه المذكورات ؟ ! لا والله ، لكنّ الذي لم يذق من هذا المقام شيئاً ، ولا يعلم من أحوال القوم إلا الحكايات ، بل عادته أن يقول لمن جاء لديه : أذكر كذا وكذا ذكراً ، وصلِّ على النبي عليه السلام كذا وكذا صلاة أو غيرهما ، يجوز أن يطلب المريدين ، ويحجر عليهم في الاجتماع مع غيره ، ويجوز أن يكون التحجير لدسيسة خفيَّة في قلبه ، والله أعلم .

قال الشعراني قدس سره في « المنن » : وقد أجمع القوم على أن الصادق لا يفرح بالمقبل ، ولا يحزن على المدبر إلا بوجه شرعي . وأنشد سيدي إبراهيم المواهبي رحمه الله تعالى :

كُلُّ مَنْ جَاءَ يَجِيءُ ... وَكُلُّ مَنْ رَاحَ يَرُوحُ
لَيْسَ يَثْبُتُ هُنَا ... غَيْرُ أَهْلِ الفُتُوحِ

انتهى عبارته .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغى لفقير أن يتكدَّر من انقطاع الناس عن التردُّد إليه والغفلة عنه ، بل اللائق به الفَرَحُ ؛ لأن أكثر صحبة الناس اليوم تشغل الفقير المبتدىء عن ربه عزّ وجلّ إلى آخر ما قاله من عبارته .

قال رحمه الله وعفى عنه : ولكن قوله صار عليه وبالاً لِخَلْسِهِ مريداً سالماً عالماً الذي وقع نظره من أربعة مشائخ من طريقة ثغراوية ، فبسبب نظرتهم عليه كان يحمل أثقالاً من الخلق ويصير بينهم كالملح في الثريد ، ثم إن هذا المريد غرَّ وصار يجعل الرابطة إلى الشيخ الألمالي رضي الله عنه قائلاً : إنّه يريد الطريق النقشبندية وليس عند غيرهم غير الشريعة ؛ بسبب أنهم قالوا : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة .

أقول – والله وليُّ التوفيق– : فالمراد من قولكم هذا هو العالم المحقق محمودِ لْمُحَمد الطليقي – رزقه الله التوفيق وجعله من أهل التحقيق آمين – الذي قال في حقه العالم الرباني والعارف الصمداني صاحب السرّ المصون والكشف الصائب ، ذو الكرامات العجيبات والخوارق الغريبات ، أخونا المعنويّ ، وخليلنا الحسنيّ السيد الأمير سيف الله الحسيني النقشبندي الغازي الغموقي – قدس سره ورزقنا الله تعالى نصيباً من معارفه وفيضاً من فيوضاته ، آمين – إنه العالم العامل بعمل صلحاء الأمَّة مع أنه مجهول الشخص عنده .

نعم يا أخي ، فما المانع من ذلك ؟ ألا يجوز أن يدخل في الطريقة مع أنَّ الأئمة أجمعوا على وجوب اتخاذ الشيخ بلا خلاف منهم ؟ ! ومع أنهم **قالوا : من لم يتخذ له شيخاً ولم يدخل في الطريقة فهو عاص لله ورسوله ؛ لأنَّ الطريقة لتكميل الشريعة ، وتكميلها موقوف على الدخول في الطريقة ؛ لأن الإخلاص في جميع أنواع العبادات الشرعية واجب ، والعبادة التي ليس فيها الحضور والوقوف كصورة بلا روح** ؛ ولذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : **ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه** . وقد شبّه الغزالي في « جواهر القرآن » **فقد النية والإخلاص والحضور كفقد الروح من الوصيفة**[1] . انتهى .

ومعلوم مشهور أنّ الأعمال والعبادات تُحَفٌ يُتْحِف بها العبد إلى الله ، والمُهدي للجيفة الميتة كالمستهزئ للسلطان فيستحقّ سفك الدم . وفي « مجموعة الرسائل » : إن الطريقة والشريعة توءمان كالروح والجسد ، أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو عمل القلب ، والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ؛ فإنّ الروح بلا جسد ما له قيام ، وإنَّ الجسد بلا روح ما له دوام ، وذلك أمر مشترك بين المكلّفين من الرجال والنساء . انتهى عبارته .

---

(١) الوصيفة : الجارية دون المراهقة ، والجمع : وصفاء ووصائف .

ولهذا وجب على كلِّ مؤمن ومؤمنة أن يتَّصف بصفة الإخلاص والحضور في جميع أنواع العبادات الشرعيّة ، وإذا وجب ذلك وجب أن يزكي القلب عن رذائل الأخلاق المضادَّة للإخلاص والحضور ، وهي مخفيّة جدّاً لا يدركها إلا حديد البصيرة ، وإن أدركها لا يعرف كل أحد أن يُعَالج لإزالتها ؛ قال الغزالي في « الجواهر » : قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ والتزكية : هو التطهير ، قال ﷺ « الطهور شطر الإيمان » فافهم منه ؛ لأنّ كمال الإيمان تزكية القلب عمَّا لا يحبُّه الله ، وتحليته بما يحبُّه الله ، فالتزكية شطر الإيمان ، فكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة ؟ ! انتهى من عبارته .

فلذلك احتاج إلى طبيب يعلم الطبَّ الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضها وأدويتها وإلخ ، ليُدَاويَهُ ، ألا وهو الشيخ الذي يُنَزِّل الدّواء على موضع المرض ، وذلك الدواء هو الذكر لا غير . وقد قالوا : إنَّ من شرط الذكر النافع أن يأخذه الذاكر من شيخ مأذون معتبر الذي لم ينقطع إسناده وإسناد ذكره ؛ لأنَّ الذكر لو كان خالياً من نور النسبة الذي يحجب به الشيطان لا ينفع الذاكر ، بل يهلكه ويصيرُ ذلك الذكر كإلقاء السمِّ ليداوي به المريض ، فافهم فإنه نفيس .

وفي « السير والسلوك » : وأما من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ، ولذلك ترى الأبرار وإن سعوا في الخلوص من الصفات وتيسَّرلهم ذلك وقعوا في صفة أخرى وخصلة أقبح من الأولى . انتهى من عبارته .

فإذا كان الحال كما ذكر وجب على ذلك العالم مَحْمُودِ لْمُحَمَّدِ الْطليقي دخوله في الطريقة ، وأخذُهُ الذكرَ من أهله . ولا يخفى أنّه لا يلزم أن يتقيَّد في أوراد اعترفَ ملقّنوها أنّها ليست بطريقة ، مع أنّه يجوز الانقطاع من شيخ ويتصل بالآخر إذا رأى الطالب رشده عند شيخ آخر . وقد أخذ في

ذلك فتوى من علماء بخارا . وتفصيله في « نفائس السانحات » و« الدرّة البيضاء » و« البهجة » و« المنن » و« البريقة » و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة وغيرها . وقد يكون مريدٌ لا فتح له عند شيخ ويفتح عليه عند شيخ آخر ، وأقلّ ما يحصل لمن يأخذ الذكر من أهله حياة قلب الذاكر ، وهو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى ، وإن كان فوقه مقامات لا تحصى . **ومن وقع عليه نظَر المشائخ لا بدّ أن يُحيي قلبَهُ ؛ لأنَّ القلب إنّما يحيى بقلب حيٍّ . وهو ميزان صادق ليعرف المريد صدق الشيخ وكذبه** فافهم .

فلو كان ذلك العالم ملحوظاً بنظرات مشائخه القبليَّة لعرف أثر حياة قلبه ؛ وهي : الحركة والاضطراب ، والحرارة المعهودة للطيفة القلب ، أو جريانه بالذكر إذا توجَّه إليه ، ووجدانه ذاكراً لله بلسان خياله . ولو كانوا ينظرون إليه قبل ذلك لوجب عليهم أن ينظروه بعد دخوله في عهد غيرهم بنظر الإمدادات ، ويعتبروه بأشدّ الاعتبارات ؛ لأنّ مقصود جميع المشائخ الكاملين أن يصل العبد إلى الله تعالى ولو كان ذلك الوصول بيد غيرهم ، ولا قصدَ لهم غير ذلك ، حتى أنَّ الكاملين يفرحون بذلك ويشكرون ويمدُّون لذلك الشيخ الآخر ، ويفيضون . ولو فرض أنّه انقطع عن الهداية بالدخول في الطريقة الحقيقة(١) ، والخروج من دائرة طريقة مجازيّة مع أنه بعيد .

فنقول : إنّه لا يجوز لهم انقطاع نظرهم عن ذلك المريد ، بل الواجب عليهم أن يجتهدوا لتخليصه من الانقطاع وإرجاعه ثانياً في دائرتهم بهمم روحانيتهم ؛ فقاعدة المشائخ إذا وقع المريد في أمواج البحار أن يجرّوه إلى ساحل البحر .

---

(١) علَّه : الحقيقيَّة .

وقد قال صاحب « الإبريز » : إنّ المريدين بمثابة أكواب الحمام فهي لمن غلب ، فالشيخ الذي يغضب على مريده حيث يتركه ويذهب لغيره عاجز أو عقيم ، فمن عجزه وعقمه ذهب مريده لغيره . انتهى من عبارته .

ولقد فهمنا من كلامكم أيُّها الأخ أنَّ ما يفعله هؤلاء المتسبون إلى النقشبنديَّة إنّما هو للتبرّك ، وأنّه يجوز للمريد بعد حصول البركة والجذبة أن يدخل في الطريقة . نعم ، لو كان كلامهم هذا صادقاً فلمَ لا يُدخلونه فيها ، ولِمَ لا يلقنونه الذكر القلبيَّ ، وفي مريديهم من مضى منذ زمن أخذ الذكر منهم عشرون سنة ؟ ! وهو الآن على ما لقّن له يذكر الله أناء الليل وأطراف النهار ، ومع ذلك لم يُحْيِ قلبه . فاعتبر أيها الأخ بطريق لم يحي قلب سالكها في مدَّة عشرين سنة ، وقابلهُ بطريق يحْيي قلب الداخل فيها في توجه واحد **إن كان المريد مستعدّاً ، أو في شهر واحدٍ إن لم يكن كذلك** ، والفرق بين ذينك الأمرين أنّ هذه الطريقة النقشبنديّة سالمة من البدع والأهواء ، ومعنعنة غير مُنْقَطعة عن الإسناد والاستناد ، ومعها نور النسبة ، فيتوجّه شيخ تلك الطريقة إلى باطن المريد في أوَّل دخوله فيها ، ومعه ذلك النور المذكور فيحجُب المريد من الشيطان ويتأثّر في قلبه بمجرّد الدخول فيها .

وتحقيق ذلك ؛ **أن كون المرشد في هذه الطريقة على مقام الولاية الكبرى واجب ؛ لأنَّ التوجّه فيها شرط ؛ لأنها طريق الانعكاس والانصباب من صدر إلى صدر** ، كما روي عنه ﷺ « ما صبّ الله تعالى في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » ولا يقدر من ليس على تلك الولاية أن يتصرّف في باطن المريد بصفة الجذبة .

وأما ما يفعله غيرهم ؛ أن يقولوا لمريديهم اذكر الله كذا وكذا ، ولا يتوجَّهون ولا يلقِّنونه ، فيصير الذكر خالياً من النور ومنقطعاً عن السند ؛ فلذلك لا ينفع به ولا يُنْتج منه . ولقد صدق قوله عليه السلام « من استغنى برأيه ضلّ » . ولقَّب قطب الأنام الحاج جبرائيل أفندي اللكتي قدس سره

شيخَنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره بذي الجناحين وهو اللقب الذي لقِّب سيّد الطائفة خالد البغدادي قدس سره . وعادة هذه الطائفة أن يلقبوا به على من ارتقى إلى الولاية العليا التي ليس فوقها ولاية .

وتصرُّف هذا الشيخ مشهور معلومٌ ، وكون مريديه على الحضور التام ظاهر مجرَّبٌ ، وقطعه مقامات المراقبات التي فصّلها الغوث الأعظم بهاء الدين النقشبندي ممّا لا شكّ فيه ، وتلقينه للمريدين تلك المراقبات كنار على علم ، فلأيِّ شيء تمنعون ذلك العالم المذكور محمودِ لْمحمد الطليقي- هداه الله تعالى- من الدخول في دائرة طريقة قال في حقِّها محمد نقشبند : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه ؟ ! انتهى . فلو قدّرنا وفرضنا أن ذلك العالم كان داخلاً في تربية مشائخه في زعمه فلقد يكون المريد لم يقدّره الله تعالى الفتح عند شيخ وقدَّره عند آخر ، ويكون دخوله في عهد الشيخ الأوّل كالاستعداد لحصول الفتح عند الشيخ الآخر . قال عيسى عليه السلام : لن يدخل ملكوت السماء من لم يولد مرتين . فإذا آن لأَنْ يولد الإنسان بهذه الولاية المعنويَّة أوصله الله تعالى إلى واحد من أشياخ الطريق ، وربَّاه حتى يلتحق بعالَم الأرواح ، ويتلطَّف لطائفه الكثيفة وتتذكّر أصولها .

ومن الأشياخ من يعلم مريديه قبل أن يصل إليه ويأخذ منه ، ولو كان في عهد شيخ آخر ، ثم إذا لقي ذلك المريد تبنّاه ورباه وأشفاه وداواه ، ويكون ذلك المريد كطفل صغير له أب ، ففرق الله بينه وبين أبيه ، فالتقطه آخر وجعل يربّيه ، فكبر الولد ولا يرى غير الرجل الذي كان يربّيه فصار يقول له : أبي ويحنُّ له كما يحنُّ الولد إلى أبيه حتى بقي عنده نحواً من سبع سنين ، ثم جاء أبوه الذي هو ابنه من صلبه ، فوجد الولد جالساً بفناء دار الرجل الذي يربّيه فوقف أمامه ساعة ثم مرَّ عنه ، فإن عروق ذلك الولد تذهب كلّها مع أبيه الذي من صلبه ، ولا يبقى له شيء منها مع الرجل المربّي هو أبوه . انتهى . فعلم من هذا أنّ من كان له شيخ مثلاً ولم يفتح على يده وفتح على يد شيخ آخر ؛ **فالذي وقع الفتح عنده هو شيخه الحقيقي .**

وقد قرّر في كتب النقشبندية أنّ الرابطة وحدها بلا ذكر تنفع في الإيصال . فما تقولون أيها الأخ في طريقة اجتمع فيها أربع طرائق مستقلّة ؛ التوجه ، والرابطه ، والصحبة ، والذكر ، كما هو معلوم من الكتب . فلو كنتم لا تنكرون على هذه الطريقة النفيسة ، ولا تُخربون عقائد هذه الطائفة العليَّة لكان خيراً لكم ، ولو لم تكن أيها الأخ كتبت على رسالتنا هذه الأعاجيب التي لا يقبلها نقل ، ولا يصدِّق أغلبَها عقلٌ لكان ذلك أخْيَرَ لك وأفيد .

فإن دلائل هذه الطائفة ظاهرة كالشمس ، و ما بعد طلوعه ظهور للنجوم ، فإن كنت على قدم الصدق في دعواك أنك أويسيٌّ ، ولاقيت دليلاً من كتب الأئمة على التصدُّر لإرشاد الناس ، ومشيْتَ على قواعد هذه الطائفة بلا تغيير ولا تحريف فيجوز لك ذلك ، وإلاَّ فالمفسدة تغلب على المصلحة ، وتهلك هذه الأمَّة الأحمدية وتستحقُّ الطرد والإبعاد .

فالعياذ بالله ، إنه جواد كريم . عن ابن عمر رضي الله عنهما : « إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » . وعن عرفجة بن شريح : « سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ » فتدبَّر هذين الخبرين فإنهما شاملان مثل هذا الذي كلامنا فيه .

الإسناد من الدين

قال – رحمه الله ونفع الله به العباد –: فأقول في جواب قوله ، (وإظهار معنى قولهم: إنما نعطي الشريعة لا الطريقة) أي: لا نعطي طريقة التربية إنما نعطي طريقة التبرّك ، وطريقة التبرّك ليس مختصّاً بشيخ ، بل يصحّ أن يؤخذ من عالم أو وليٍّ أو شيخ .

أقول – والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب –: ولا يخفى على من له أدنى إدراك بقواعد أهل هذه الطائفة ، وممارسة بعلومهم أنَّ ما قاله هذا القائل قول برأيه ، وحكم مخالف لأصول الأئمة ، وقد مرَّ غير مرة أن شرط

الذكر النافع أن يكون بتلقين شيخ مقبول مأذون له من قبل شيخه المعتبر ، وهكذا إلى رسول الله ﷺ ، ولا يجوز لأحد أن يلقِّن الذكر ولو كان للتبرّك إلاّ إن كان عارفاً ؛ يعلم أسرار الأسماء الإليهة غير منقطع الإسناد والاستناد في أذكاره وأشياخه ؛ لما قيل : **الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء** . فكيف يجوز ذلك ؟ ! وقد قالوا : إنّ غير العارف المأذون له إذناً صحيحاً يعطي للمريد مجرَّد الاسم بلا نور حاجب من الشيطان فيهلكه ، والعارف يكون معه نور الاسم ونور النسبة النبويّة ، فيعطيه له بذلك النور فيحجبه من الشيطان ، ولا يقرب الشيطان من رجل معه نور الذكر ونور النسبة ، ومن لا فالشيطان يلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة .

فتحقَّق أن ذكر التبرك المخالف لما ورد غير مبارك ، ولا بركة إلا فيما ورد . فما بال إماتة الطريقة السالمة المعنعنة ، واختراع الأذكار الغير المأثورة في تلك الطريقة قائلين : إنه للتبرّك ، لا والله ، إنّ البركة فيما ورد عنه عليه السلام ، وإنّه أعلم بأسرار الأسماء الإلهية ، وأصلح لهذه الأمة الضعيفة من هؤلاء الملقّنين المدّعين ؛ قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ الآية فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه . انتهى من « الجلال » من سورة الأحزاب من عبارته . وقال الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : واعلم بأن الشريعة المحمدية - لمن تأمَّل جميع الأحكام المشروعة فيها ، وعمل على الوجه المشروع دون البدعة داعية - إلى تحصيل الجذب الإلهيِّ ، وأما العمل بها على طريق البدعة فهي مبعدة عن الجذبة ، ولذا قبحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية . انتهى من عبارته .

فالحاصل : إن الخِلافة الباطنية مقتصرة بأبي بكر الصديق ﷺ ، وعليٍّ كرَّم الله وجهه ، وكلِّ من انتسب إلى أيَّة طريقة من طريقتهما ، فلا يجوز له أن يتعمَّل فيها بما اختاره برأيه ، بل يجب عليه أن يتمسَّك بحبل ما جاء به ، **ومن خالف فليس معدوداً من أهل الطريق ، بل هو منقطع من الانتساب ،**

ويصير مبتدعاً في تلك الطريقة ، ومعلوم مشهور ؛ أنَّ أصل الطريقة الصديقية النقشبندية على الذكر الخفي القلبي ، وسيأتي **أن المخالفين لأصول الطريقة خارجون عنها** . . إلخ . وفي الحديث « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة » . . إلخ ، وقال سليمان الزهدي في هامش « نهجة السالكين » بعد هذا الحديث : المراد من البدعة خلاف الشرع ، وخلاف أصول الطريقة . انتهى من عبارته .

ولم ينقل عنه عليه السلام أنه منع الفُسَّاق وأهل الدنيا عن الذكر الوارد ، بل حثَّهم عليها ؛ أخرج الديلمي والبيهقي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء » . قيل : وما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال « ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، والصلاة على النبي ، والاستغفار » الحديث . وقد مرَّ شرط الذكر فلا نعيده فافهم .

قال – رحمه الله ، وهداه إلى الصراط المستقيم – :

فإن أراد الافتراق من ورد التبرّك ، يترك الورد ولا يجب عليه ، كما قال إبراهيم القزويني رضي الله عنه ما مفهومه : **إنَّ الذي أعطيك من الورد فافعل حين ظننت فعله وأردت وشُقْتَ إليه ، ولو من أسبوع أو شهر** . وهو المجاور المدينة المنوَّرة في الحال رضي الله عنه .

أقول ؛ والله أعلم : فإذا جاز ترك الورد ؛ ورد التبرّك فما المانع من جواز الدخول في الطريقة الحقيقة[1] ، وأخذ الورد من أهلها ، وقد فهم من كلامكم من قَبْلُ عدم جوازه ، وجعلتم ذلك العالم المذكور مغروراً ، فإذا جاز الترك رأساً فجواز أخذ الورد مكانه يعلم بالطريق الأولى . وأما تلقين الذكر لأهل الدنيا والمناصب والأمراء وغيرهم ممن لا يطيقون السلوك الحقيقي على طريق التبرُّك والمحسوبية فأمر ثابت من السلف والخلف ، لكن الذي نتعجب به قول من يقول : إن الذكر الذي اختار الملقِّن برأيه يتبرَّك به ؛ والذكر الذي

---

(١) علَّه : الحقيقيَّة .

اختاره منبع الطرائق والحقائق ومرجع الفيوضات والإمدادات محمد ﷺ ، ووصل إلى المشائخ الكرام بلا انقطاع السلسلة مع النور الحاجب من الشيطان لا يتبرَّك به ، فهذا من أغرب ما سُمع .

وأكثر مشائخ الزمان إنما يلقّنون الذكر بقصد التبرك والمحسوبية لمجرَّد الانتساب إلى النسبة العلية قدس سره ، لكن يجب على الملقِّن أن يلقِّن الذكر الوارد في طريقته ، لا غير ، وإلا لا يقال لمن لُقِّنَ له أنه منتسب إلى المشائخ النقشبندية ، بل هو غير معدود منهم وغير داخل في دائرتهم ، فمن أين يحصل له البركة ؟ ! فافهم ولا تعجل فإن العجلة من الشيطان .

قال رحمه الله : فإن قيل (هذه الطريقة الألمالية والطريقة الثغراوية أيُّهما أقرب إلى رسول الله ﷺ وأحكم استقامة) ؟ فنقول في جوابه : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فإن وقع جذبة المريد في أوَّل سلوكه وبدايته نهاية سائر الطرق ، فالطريقة الألمالية أولى وأحرى وأقرب إلى حضرة رسول الله ﷺ ، وأحكم استقامة ، فإن لم يقع بداية المريد نهاية سائر الطرق فالطريقة الثغراوية أولى وأحرى للاتِّباع ، وأحكم استقامة ؛ لأنّ للمشائخ الثغراوية رضي الله عنهم نظرتان ؛ من قبل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب نسبتهم إلى خلفائه عليه السلام ، ونظرة من قبل حضرة قطب الغوث وأعوانه ، بسبب دعواتهم وتضرُّعاتهم بالإخلاص للعوام والخواص حاضراً وغائباً ، فالفَهِم الذكيّ يُدرِك بنظَرٍ واحد ما لا يدرك البليد بألف شاهد .

أقول - والله أعلم - : فما أعظم ما اجترأتَ أيُّها الأخ للتكلُّم بهذه الكلمات التي لا طائل فيها ! فأيُّ فرق بين طريقة ثغراويَّة وبين طريقة ألماليَّة مع أنها طريقة واحدة مشهورة بالطريقة النقشبندية ؟ ! فلأيِّ شيء تغيّر ذلك الاسم وتُسمِّيها بذينك الاسمين ؟ ! ولقد علمت مما مرَّ نقلاً من « سلم المريد » أنَّ ما كان الشيخ عبد الرحمن الثغوري يفعل غير مخالف لما يفعله المشائخ

النقشبنديون . فإن كنت من أهل الذوق من شراب هذه الطائفة فأنت تعلم أن نتيجة ذكر القلب كذلك ، إلا لجذبه[1] إلى الله تعالى ، وذا عند أهل الذوق هو نهاية سائر الطرق ، فلا مجال أن نحكم بأولوية تلك الطريقة ، لكن غرَّكم عن إدراك حقيقتها الغرور ، وأوردتَ هذه العبارات لمجرَّد تطويل الكلام ، ولا نعلم أحداً وصل إلى الله إلا بواسطة مدد رسول الله عليه السلام ، بل كلّ مدد وفيض حصل للمريد بواسطة المشائخ فإنما هو عليه السلام وقطب الغوث يقسمه بينهم ، فليس ذلك مخصوصاً بأحد الطريقتين . فما أشدَّ بهتانكم على شيخكم في زعمكم أنه غيّر أسلوب هذه الطريقة ، ووضع طريقاً جديداً مسمًّى بطريقة ثغراوية . فالعياذ بالله من هوى مُتَّبعٍ ، ومن اتباع الرأي وعدم قبول الحقِّ .

وفي « مجموعة الرسائل » : إنهم يحسبون أن الطريقة وضع رسم وتصاوير ، وأن المشيخة تصنُّع وتدابر بكمال جهلهم عن أسرار المشيخة الإله وقِلَّة عقلهم بما يعينهم إلى الصلاح ، وهم قطاع طريق الأوَّاب ، ومفرِّق جمع الأحباب ، بل هم أضرُّ على الإخوان من المنكر المغتاب ، ووقع شباكهم بعض الحدأة والغراب ، عن أبن عمر رضي الله عنهما « إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » . عن عرفجة بن شريح « ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأمة وهو جمع[2] فاضربوه بالسيف كائناً من كان » وهو شامل مثل هذه الفتن والتفريق عصمنا الله بالتوفيق . انتهى من عبارته .

الأصل من مولانا خالد البغدادي قدس سره

وفيه أيضاً ما حاصله : إنَّ المخالفين لأصول الطريقة خارجون منها ، بل معدودون من المبعودين ، ولكن الحقير ما يقول فيهم إلا مثل قول إبراهيم عليه السلام : فمن تبعنا فإنه منا ، فمن يخالف أصولنا فإنك غفور ، وبإصلاحهم قدير وجدير ؛ ربَّنا هَبْ لنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا

(١) لعلَّ هنا سقط .
(٢) وفي نسخة : وهم جمع .

من أمرنا رَشَداً . وهذا الأصل من مولانا خالد البغدادي قدس سره هو أصل في كُلِّ الطرق . انتهى .

وفي كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني ما حاصله : إن من أحدث حكماً في دين الله فقد أحدث في نفسه ربوبية ، ومن أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديَّته بقدر ذلك الحكم الذي أحدثه ، وإذا انتقضت عبوديَّته انتقض من تجلِّي الحقِّ تعالى له بقدر ما انتقض من عبوديته ، فإن أخلاق العبودية على الضِدِّ من أخلاق الربوبية ، وإذا انتقض من تجلِّي ربِّه له انتقص من علمه بربِّه ، وجهل من معرفته بقدر ما نقص . انتهى .

فليتدبَّر المنصف ما يرد على من قال برأيه ، وغيَّر اسم الطريقة النقشبندية وسماها بطريقة ثغراوية . قال عليه السلام « من استغنى برأيه ضلَّ » ولعل هذا الكلام من هذا العالم - هداه الله إلى الصراط المستقيم ، آمين - محض تعصّب وتحزّب ، وإلاَّ فلا ندري لما قاله نقلاً ولا عقلاً ، ولا يجوز لأحد أن ينكر على أحد بطبعه وفي نفسه أنه أعلم منه ، فيحجب بذلك فيصير علمه جهلاً ، بل اللائق أن يذكر ما عنده إلى من جهله من أمَّته لا منتحلاً شرعاً أو طريقاً بنفسه على غيره ، فإنَّ الأقران قلَّ أن ينقادوا لمن طلب الرياسة عليهم ولو بكلام الشارع ، فكيف بغيره من مثل هذا الكلام الذي ليس لها دليل ؟ ! هذا حاصل ما قاله الشعراني . فمن أراد أن يدرك الحق ، ويطرح غيره فليزن بطريقة المشائخ الذين لم ينقطع سلسلتهم ، فإن وجده موافقاً فليأخذه وإلاَّ فليطرحه . قال الله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية .

قال - سامحه الله تعالى ، وعفى عنه ، وجعله من أهل الذوق والوجدان آمين - : فإن قيل (هل يصير طريقة التبرُّك طريقة التربية ؟) فأقول - وبالله التوفيق- : إن كان المنتسبون إليه مشائخ حقيقين بالاعتقاد التام يصير التبرُّك تربية ، كما وقع الهداية لهذا الفقير من التبرُّك ، وأيَّد ذلك التبرُّك بتربية ونظرة الشيخ الحاج موسى حاج ظاهراً ، وأمّا باطناً فمن الشيخ الثغوري رضي الله عنه ، ومن

حضرة شيخنا اليراغي أيّداني بهماتهم الروحانية ، رضي الله عنهم وأرضاهم . ولا يعرف هذا إلا أهل الذوق والإيمان به .

أقول – والله أعلم – : قد يصل العبد إلى الله ببركة الصحبة أو الخدمة أو الرابطة من غير سلوك في مقامات الطريقة ، بل بجذبة إلهيَّة ؛ لأنَّ المشائخ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة ، وهم أهل إذا رؤوا ذكر الله ؛ فلا يخلوا من صحبهم أو خدمهم أو أحبَّهم من لحظات بركاتهم ، لكن الذي لم يسلك في مقامات الطريق ، ولم يعرج إلى معارج الحقيقة بالترتيب والتدريج يقال له مجذوب ، وهو أعمى في الطريق ، ولا يجوز أن يكون دليل الأعمى أعمى في طريقٍ لا يعلم مُهْلكَها من مُسْلَمِها ، فليقف في مقام جذبته ولا يتصدَّر للإرشاد ، ومرَّ مثله فليلاحظه هنا .

ثم إنّي سمعت من الثقات أنَّ هذا العالم قال : إنَّ الرابطة تشبه عبادة الصنم ، ولم يجوِّزها ؛ فلا أعلم بأيِّ شيء حصل له التربية من الروحانية حتى يصل إلى الله ، ويدَّعي أنَّه أويسيٌّ مع أنّه لا شيء يستفيض به من الروحانيات سوى الرابطة ، والله أعلم بالصواب .

قال – غفر الله ذنبه وستر عيبه – : وقاعدة حضرة شيخنا الثغوري ﵁ ، كما قاله الشيخ الحاج أذن السلطي ﵁ : تقيّد الرجل بالنوافل ، وإحكام الفرائض ، واتقان الذكر الظاهر ، وإهمال الذكر الباطن حتى يصير حاله الظاهري وعقله غالباً على باطنه ، فحينئذ يُهيِّئ الباطن بالذكر والتوجُّه ، فيبدأ من هناك بداية مريده على سائر نهاية الطرق .

أقول – والله أعلم – : فلا كلام فيما كان الشيخ الثغوري قدس سره يفعله ، فلعلَّه كان اطلع على عدم استعداد الطالبين ولأجله قيَّدهم فيما ذكر ، ومرَّ ما قال خليفته إلياس الزدقاري قدس سره ، فلقد أصاب وصدق قدس سره فيما فعله . فإذا كان كذلك فلِمَ لا يمشي خلفاؤه – لو كانوا صادقين في قولهم إنهم خلفاؤه من بعده – على ما مشى عليه ، ولم نسمع من مريديهم ولو واحداً من حصل له الاستعداد ، ولقن له الذكر القلبي ولو

مضى منذ زمن دخولهم في عهدهم أكثر من خمسة عشر سنة ، فهذا مِمَّا يجب أن يتعجب به ، والله أعلم .

الجذبة والسلوك

والجذبة : هي توجُّه القلب إلى جمال ذات الله لذاته وهي بداية هذه الطريقة النقشبندية .

والسلوك : تزكية النفس من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بمحاسن الأخلاق ، وهو مطويّ في معارج الجذبة في هذه الطريقة ، وهو مقدَّم على الجذبة في سائر الطرق ، والجذبة متأخِّرة ، فلهذا يقال : إن بداية النقشبندية نهاية غيرهم ، ونهايتهم لا غاية لها ، كما هو مسطور في كتبهم . وهذه الجذبة قد تحصل لبعض المريدين بتوجُّه واحد من الشيخ الكامل ، وقد لا يحصل إلا بعد زمان ؛ أي : يكون حصولها بحسب استعداد الطالبين سرعة وبطأ ، ولا يشترط أن تحصل دفعة واحدة كما يأتي إن شاء الله . ولم نر في واحد من مريدي أستاذنا قدس سره من لم يحصل له أثر الجذبة في مُدّة شهر ؛ فلله الحمد والمِنَّة .

فلعلَّكم أيها الأخ ترون حصول الجذبة في البداية شيئاً غريباً ، أو لم تدركوا حقيقة الجذبة وماهيَّته ، فالذي يفعله هؤلاء الطائفة أن يذيق الشيخ للمريد شيئاً من أحوال الجذبة الإلهية ليكون المريد على نشاط ، ثم إن كان المريد مستعدّاً لقبول ما ألقي إليه من تلك الجذبة يلقيها الشيخ إليه ، ويتصرَّف في باطنه ويمدُّه بمدده ، بل رأينا في مريدي شيخنا العسلي قدس سره من حَيِيَتْ لطائفه كلُّها بتوجُّه واحد ، وليس الشرط في هذه الطريقة وقوع الجذبة التي هو نهاية الطرق في الابتداء دفعة واحدة ، بل الجذبة تقع تدريجاً مع تعاقب القبض والبسط إلى أن يصير القلب إلى حدّ لو تكلَّف بإخطار غيره تعالى لا يخطر ، صيرورته هكذا هي نهاية الجذبة ، فافهم .

مطالب مهمة

وأما قواعد مشائخ هذه الطريقة النقشبندية وأسلافهم أن يقيِّدوا مريديهم في الذكر الذي لقن لهم ، وأن لا يتركوهم أن ينتقلوا إلى غيره ، لأنَّ الصلاة وظيفة المنتهين ، وقراءة القرآن وظيفة المتوسِّطين ، والذكر وظيفة المبتدئين إلى أن يصلوا إلى المراقبة المعية ، وبعد ذلك يجوِّزون لهم ذكر اللسان وقراءة القرآن وإقامة الصلوات النافلات . فمن أراد التحقيق فليراجع إلى « الدرة البيضاء » و« النفائس السانحات » و« المواهب البريقة » وغيرها من كتب النقشبندية .

قال – **هداه الله تعالى إلى ما فيه رضاء الله تعالى آمين** – : قوله (خصوصاً لجرِّ الأغنياء لمجرَّد غناهم ، أو لتكثير سواد مريديهم ليشتهر بهم اسْمهم فيما بين الناس ، وأكثرهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل ، وليس في أيديهم صكُّ الإجازة المقبولة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم سالكين) . وأمَّا حمل عقول الأغنياء بلا تواضع لهم إليهم لمنعهم من تألّفهم الفساقَ وركونهم إلى الظلمة ، فهو محمود غير مذموم .

أقول – والله أعلم بالصواب – : نعم ، يا أخي لكنَّ اللائق بأمثالنا الضعفاء أن نجتهد اجتهاداً بليغاً لنتفحَّص في قلوبنا هل فيها دسيسة خفيَّة تميل إلى الأغنياء سوى قصد إرشادهم إلى الخير وإرادة إنجائهم من الركون إلى الفسقة والظلمة ؛ لأن النفس قد يحبُّ بطبعها كلّ من أحسن إليها قهراً واضطراراً ، ولذا قيل : **جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها** ، وقيل : **الإحسان يستعبد الإنسان** .

ومعلوم أنه لا يغوي الشيطان أحداً إلا بأشياء؛ ظاهرها مقبول وفي باطنها غرور وتلبيس . فاللائق على من يريد صحبة الأغنياء ، ويسلكهم في سلك مريديهم أن يزن قصده بهذا الميزان؛ لو كان ينشرح صدره بإقبال الأغنياء إليه أكثر من إقبال المساكين والفقراء فقصده معلول ، ودعوته مشوبة بشائبة الأغراض ، وإلاَّ فلا ، فليتدبره العاقل .

وقد قال الإمام الغوث الأعظم خالد شاه قدس سره : إنَّ أحبَّكم إليَّ أقلُّكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا . انتهى . ولا ينجو منها إلا واحد من ألف . كذا في « البريقة » من عبارته .

وفيه : وعن أبي الدرداء : لأن أقع من قصر فأتحطّم أحبَّ إليَّ من الغنى؛ لأني سمعت منه عليه السلام « إياكم ومجالسة الموتى »؛ يعني : الأغنياء . انتهى من عبارته . ولا يخفى أنَّ للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية والطبيعة سارقة ، ولا ينجو من صحب الأغنياء وأرباب التنعُّم من الميل إليهم والتواضع لهم ، إلا الكمَّل من الأولياء الذين إقبال الدنيا وإدبارها عندهم سِيَّان . وفي الحديث « من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه » .

إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعُّم سم قاتل

وفي « النفائس السانحات » : إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعم سمٌّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدُّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب ، أما ترى كيف وصى رسول الله ﷺ محبوبته أمّ المؤمنين سيدنا عائشة الصديقة رضي الله عنها وعن أبويها حيث قال « إيّاك ومجالسة الأغنياء ، وأحبِّي المساكين وقرِّبيهم » . انتهى .

فتبيَّن وتحقَّق بهذه المذكورات أنه لم يبق وجه وعلة إلى الميل لتكثير السواد بالأغنياء إلا الطمع وحبُّ الشهرة والرياسة وأكل الدنيا بالدين . فافهمه ولا يخدعنَّك الشيطان بخفايا غروره فإنه قطع أعناق كثير من العباد ، وأرْداهم

في المهالك والمقاطع ، فالعياذ بالله . لكن إن طلبوا الدخول في الطريقة ، وأرادوا الانتساب إلى النسبة العلية لا يجوز للشيخ أن يطردهم آئسين ، بل يسلكهم فيها ويربِّيهم بالجمال ، فحاشا في الأغنياء وأرباب التنعم من يقبل التربية بالجلال ، ولا ينبغي أن يمنعهم من تألفهم في اللذائذ والمفارش ، وتنعمهم في المطاعم والملابس ، بل يداريهم بالأقوال والأفعال ويحسن معهم الأخلاق ويرغبهم إلى الإعراض عن الدنيا تدريجاً ، وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه « ليذكرنَّ الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يدخلون الدرجات العلى » الحديث . ربنا أخرج من قلوبنا حبَّ الدنيا وزينتها ، ولا تجعل أكثر هَمِّنا في تدبير جمعها آمين .

قال – **رزقه الله الجنة المعجلة آمين** – : بل لو لم يكن القائل أرادهما لما قدر الالتجاء كتبة[1] هذه المزخرفة .

أقول – والله اعلم – : نعم أيها الأخ ، هذا قول صادق لا غبار فيه ، وجدْتُ نفسي تميل إلى الدنيا وأهلها ، ولا تحبّ إلا من ينفعها ويمدحها ، وتكره من يذمُّها ويضرُّها ، لكنَّ الله تعالى وفَّقني بالاطلاع إلى كون النفس متَّصفة بالصفات الرديئات والأخلاق الرذيلات ، فلعله سبحانه وتعالى أن يسوق إلى دائرة : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، وتلك مسكن المطمئنة ومرجع مقامات السالكين . وذلك الاطلاع نعمة عظمى ومِنَّةٌ كبرى يجب عليها الشكر دائماً ؛ لأنّي لو لم أكن عارفاً بتلك الذمائم لما شمَّرت الذيل إلى إزالتها ، ومن لم يعرف النجاسة لا يستعمل الطهارة ، والله ولي التوفيق .

يا أخي ، أنا معترف دائماً [بأني] من جملة الفَسَقَةِ الفَجَرَةِ ، أنا كذلك ، أنا دونكم ، أنا طالب بركاتكم وبركات أمثالكم ، والمرجوُّ منكم أيها الأخ أن لا تبخلوا لهذا الفقير العاجز عن أداء الحقوق الربوبية بصدقات دعواتكم ،

(١) علَّه : لمّا قدر الالتجاء إلى كتبة . . إلخ .

وفضلات تضرُّعاتكم ، فعلى المستقيم أن يقيم المعوج ولو بالتضرع بالدعاء إلى الله ، وأرجوا من ساداتنا النقشبندية أن يلاحظوني بنظراتهم ، ويعتبروني بهمَّاتهم ؛ لتصديقي طريقتهم ، وإعانتي لإماتة البدع والشبه الواقعة فيها باختيار أهل الدعوى ، فإن لم أكن أهلاً للسلوك في دائرتهم فلي عزم على محبتهم ، فالحمد لله على ذلك .

وقد قيل : إن المقصّر في سلك المحبين مقبول . وقيل أيضاً : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وقال الشيخ الصقلي رحمه الله في كتابه المسمى بـ « أنوار القلوب في العلم الموهوب » : **كل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبّر عنه وتكمّل منه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا يترك** . انتهى . وأقلُّ ما فينا محبتهم ومحبة من استقام في دائرتهم ، وتلك أدنى الدرجات . قال عليه السلام : « من أحبّ قوماً حُشر معهم » . وقال أيضاً : « المرء مع من أحبَّ » ، و« من تشبَّه بقوم فهو منهم » .

وقال الجنيد رضي الله عنه : التصديق بعلمنا هذا ولاية . انتهى . وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة .

فالحاصل : أنهم قوم لا يشقى جليسهم ، ولقد أكرم الله سبحانه وأعزَّ كلباً بمجرَّد سيره مع من وحَّده تعالى بخطوات ، ولعلّي يسلك الله بي بما سلك بذلك الكلب بفضله وكرمه ، إنه هو البَرُّ الرحيم . ومن عجز عن أن يقف في صف القتال فهو معدود من جملة المجاهدين .

قال – **نفع الله به العباد** – : وأما الزعم بالمشيخة مع عدم السلوك من كامل فليس هو شيخ التربية ، بل هو شيخ التبرك ، ولا مانع .

أقول – والله أعلم – : بل له مانع عظيم ؛ لأنهم قالوا : لا يجوز لأحد التصدُّر والجلوس لإرشاد المريدين ، وتلقين الأذكار إلا بعد أخذه آداب

الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته في الطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن بما كان عليه مشائخه من أذكار السلوك المعنعنة ، وأجمعوا على أنَّ من لم يصلح له نسب إلى القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ، بل عدُّوه من ولد الزنا ، كما في « روح البيان » وغيره .

وقالوا أيضاً : إنّ السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله عليه السلام ، فمن لم يكن سالكاً في سلسلتهم من شيخ كامل فهو غير معدود منهم ، ولا يجيبه أحد منهم ، ولا يحرّك السلسلة ، ولا يصل إليه نور النسبة الحاجبة من الشيطان ، فيتشيَّخ له ولمن لقنه الشيطان ويهلكهما جميعاً من حيث لا يشعرون . فهذه حاصل ما قاله الشعراني في غير كتاب واحد .

وقد عُلم مما مرَّ أنه لا فرق بين التلقين للتبرك والتلقين للتربية لمن ليس أهلاً له ، وأنَّ من تصدَّر للإرشاد قائلاً : إنه شيخ التبرك ، ولم يمش على ما مشى عليه أشياخه ، ولم يكن بيده إذن صريحٌ ساقطٌ من درجة الإرشاد ، وممنوع عن مقام الدعوة ، فالعياذ بالله من ذلك .

قال - **جزاه الله عنا خيراً** - : وأما صكُّ الإجازة المقبولة فهو علامة لصلاحية الإرشاد لا لكونه مربِّياً .

أقول - والله اعلم - : **صكُّ الإجازة** هو : مكتوب كتب الشيخ للمريد برخصة التلقين وإذن الإرشاد ببيان أهليَّته لذلك ، ليعلم الناس أنه أهل له ، وليكون ذلك الصكّ شاهداً ومصدقاً لصلاحية المريد لذلك[1] . ومن لم يكن بيده ذلك الصك المقبول لتلقين أذكار السلوك ، ودعوة الخلق إلى الله شاهدان عادلان فهو غير مقبول عند علماء الظاهر والباطن بلا خلاف بَيْنهم .

قال - **أعاذه الله من فتن الدارين آمين** - : ولهذا لا يعتبر المشائخ الثغراوية الإجازة الظاهرة .

---

(١) أي : للإرشاد .

أقول – والله اعلم – : **فإذا لم يعتبروا الإجازة الظاهرة فلا يجوز لهم أن يلقِّنوا ذكراً وأن يرشدوا شخصاً ، فهذا القول من أغرب المسموعات وأدلُّ الدلائل على عدم أهليَّتهم للإرشاد** ؛ لأنه إذا لم توجد عندهم الإجازة الظاهرة فمن أين يعلم أنهم مرشدون ، وبأيِّ تصديق يتَّبعهم المريدون ويعتقدونهم ، ولو جاز لأحد أن يتشيَّخ بلا إذن ظاهر صريح مقبول لادعى أكثر الخلق مقام الإرشاد ، بل الأكثر يتشيَّخون ويغشُّون ، حتى وجدنا واحداً منهم لا يعلم أن يفرق اللحن الجلي في القراءة من الصواب ولو في آية ، بل أخبرنا واحد من الثقات على وجه الأرض أنّ اسقاطه آيات الفاتحة عند القراءة معلوم بالتواتر ، كيف لا ؟ ! وهو أميٌّ جاهل تصدَّر وتشيَّخ . وقد قال لي سيف الله الحسيني قدس سره : لم أجد أحداً ألعب بالطريق من هذا . انتهى . ومع هذا يظنُّ الناس فيه ويعتقدون أنه القطب الأعظم ، عياذاً بالله عن هذه الاختراعات والافتراءات ؛ **فلا عيب على الجهال إنما العيب على العلماء لا يفرِّقون الحق من الباطل ، ولا يجتهدون لإظهار الخالص من المغشوش .**

ولقد سمعتم يا إخواني كلام هذا العالم الذي كتب الردودات على كتابي مع أنِّى شيَّدتها بالنصوصات ، فالخير في هذا الزمان الذي أفشي فيه البدع أن يعتزل في البراري ولا يخالط مع هؤلاء المجادلين بلا دليل يدلُّ على تصديق أقوالهم وأفعالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . قال الله تعالى ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ الآية . وقد بسطت الكلام في حق هؤلاء في كتابي « الدرة البيضاء » فعلى من أراد أن يُفرِّق الحق من الباطل أن يطالعه .

قال – **رحمة الله عليه رحمة واسعة** – : لكون الإجازة الظاهرة مفسدة للمريد الواصل إلى المطمئنة ، بسبب أنه لا يقدر حفظ قلبه من العجب والكبر والسمعة والشهوة ؛ لأنه في قيد الرجولية الذي أقرب إلى الطفولية فيرجع النفس إلى المؤتلف قَبْلُ سريعاً .

أقول - والله اعلم - : فقد علم مما مرَّ آنفاً أن الإجازة الغير الظاهرة لا تقبل ، وأنتم حكمتم بأنَّ الإجازة الظاهرة مفسدة للمريد فأي إجازة مقبولة غيرها ؟ ! فإذا فسد الطالب الذي أجازه الشيخ الكامل إجازة ظاهرة وشهد له بأهليَّته ، ففساد من ليست بيده الإجازة المذكورة ، ومع ذلك تصدَّر هو بنفسه للإرشاد والتلقين مشهورٌ غير خفي لدى من له أدنى إدراك .

ولقد قالوا : إنَّ الشيخ لا يكون غشاشاً للمريد ، إن كان يصلح للإرشاد يأذن له ، وإلا فيتركه على ما عليه من مقامه ، فكيف ؟ ! وقد قال عليه السلام « من غشَّنا فليس منَّا » . فلو كان الشيخ الكامل يُرخِّص للمريد في مقام يفسد فيه فيكون الشيخ غير ناصح له ، مع أنه ربى ذلك المريد بتعب شديد ونَكَدٍ قويٍّ إلى أن يصل إلى ذلك المقام ، وهل بعد ذلك يفسده الشيخ ويهلكه ؟ ! لا والله ، بل يُمدُّ بمدده أكثر ممَّا قبل ذلك ، ويجتهد لتحذيره من الشيطان ، فإن وقع الطالب في مهلكة فالشيخ يجرُّه إلى موضع السلامة ، فافهم فإنه مهمٌّ .

قال - **أدخله الله الجنة مع الحور والغلمان آمين** - : وإنما يجب بعد الإجازة الاجتهاد والخوف والندم وعدم رؤية النفس .

أقول - والله أعلم - : ومن يعلم ما وقع لإبليس بعد تلك العبادات في تلك المدة الكثيرة حتى روي : أنه عبد الله ثمانين ألف سنة ، ثم بعد ذلك طرده الله عن بابه لمجرَّد قوله عليه اللعنة : أنا خير منه ، فهو جدير أن يخاف من السلب ولو رقى إلى مقامات العرفان . اللهمّ لا تطردنا مع أحبابنا عن بابك يا ذا العظمة والجلال ، وأفض على قلوبنا من فيوضات معرفتك وإمدادات مخافتك يا من يغفر الذنوب جميعاً ، آمين ، اللهم آمين .

قال - **رزقه الله وإيانا الخوف الحقيقي آمين** - : ثم بعد ذلك يصير يطلب قواعد التربية من شيخه وسائر المشائخ ، فإن عرف وأراد الله له إرشاد الخلق ورجوع الخلق إليه . . .

أقول – والله أعلم بمراد هذا القائل من هذا الكلام– : قد فهم من هذه العبارة أن بعد الإجازة يصحُّ للطالب أن يرشد الخلق إلى الحق ، وممَّا مرّ آنفاً أنَّ الإجازة الظاهرة لا تعتبر ، فيتعارض كلاماه ، وليس في قوله غبار سوى التعارض ، فافهم .

قال رحمه الله ، كما قال في « إبريز الذهب » : إن كان الشيخ قد ظهر من قبل نفسه فلا يقدر تربية المريدين بتوفيق إلهي ، وإن كان قد أظهره الله لا من قبل نفسه فيكون التوفيق رفيقَهُ .

أقول – والله وليُّ التوفيق – : هذا الكلام حجة على القائل لا له ؛ لأنه قال فيما قَبْلُ : إن المشيخة مع عدم السلوك من كامل للتبرُّك ، لا مانع منه ، وكذا قال فيما مرَّ قبيله : إنّ التلقين يجوزمن عالم أو وليٍّ أو شيخ . .إلخ ، فليعتبره الناظر .

قال رحمه الله : وأما عدم السلوك فلا يمنع التبرك من المشائخ .

أقول: والله أعلم : إن كان التلقين من المشائخ بأذكار السلوك التي وصل إليهم من مشائخهم معنعناً ، وكانوا مأذونين إذناً صحيحاً فيجوز ، وإلا فلا ، ولا يصير ذلك التلقين مباركاً ، بل نحساً ومهلكاً ، كما مرّ في غير موضعٍ واحدٍ مع دلائل .

قال – هداه الله إلى الحقِّ – : ولكن آفة التبرُّك بالتقييد به بأنه هو شيخه ومربيه أكثر في هذا الزمان ، ولا يقدرون انفكاك عقولهم إلى شيخ آخر ، فيقعون في ورطة ، ولا إلى طلب علم وحق من عالم ، ففي هنا هوى المشائخ والمريدين كلهم في ديارنا .

أقول – والله ولي التوفيق – : يا أخي أرى في كلامك خلطاً ، فأنت نقضت بكلامك هذا جميع ما قلته فيما قَبْلُ ، فليتدبّره الناظر المنصف المحقُّ .

قال - **غفر الله ذنبه وستر عيبه آمين** -: بل القائل يظنُّ أنّه شيخ التربية، كلاَّ ثمَّ كلاَّ!! سوف تعلمون، لو تعلمون الحق والصواب ما تبعتم وما قلتم الباطل، ولكنّ النفس حمله على التكبُّر على الأقران.

أقول - والله المستعان -: يا أخي لا أظنّ ذلك قطّ، بل لا أرى أني في مقام مريد، لكن لما كان بيدي إجازة صحيحة من طرف أشياخي للتصدُّر للإرشاد والتلقين، ولا بدّ لي من امتثال أمرهم أرجوا أن يكون يدي يدَهُمْ وتربيتي تربيَتَهُمْ، فإنهم قالوا: إنّ الناقص إذا كان مأذوناً من الكامل فإنَّ يده يد الكامل وتربيته تربيته. راجع المكتوبات للإمام الرباني قدس سره و« البهجة » و« الرسالة المدنية » ومكتوبات محمود الفعال.

وأما التكبُّر على الأقران واتباع الباطل والقول به فهي ممَّا لم أكن أدركتها في نفسي إلى الآن، ولم يكن قصدي في تأليف كتابي « الدرة البيضاء » إلا إماتة البدعة وإظهار الحق والله يعلم ذلك مني، فإن وجدتهما بعد الآن بالتفتيش والتفحُّص التام فلعلَّ الله تعالى يوفِّقني على إزالتهما، وأرجوا من جنابكم أيها الأخ الدعاء.

قال - **هداه الله إلى الحق** -: قوله (ولا مأذونين من شيخهم بيقين، لكنَّهم تصدروا للإرشاد بأنفسهم). واعلم أنّ الإذن اليقينيَّ للمشيخة هو أمر إلهيّ وإذنٌ أزليٌّ، ولا يصير المريد وإن كان متبحِّراً في العلوم العقلية والنقلية شيخاً مرشداً بإكمال التلقينات والألطاف والمراقبات ما لم ينعكس إليه أسرار شيخه، كما قاله الإمام الرباني ﵁، وليس كل من عنده إذن يقينيّ من شيخه مرشداً مربياً كما لم يكن الشيخ الحاج أحمد الثغوري ﵁، مع أنه كان مأذوناً من شيخه جمال الليل إذناً يقينيّاً، وليس كلُّ من ليس عنده إذن ظاهر من شيخه غير مرشد ومربّ، لما كان شيخنا العارف بالله أبو الكوثر الحاج عبد الرحمن الثغوري ﵁ مرشداً مربّياً مطلقاً مأذوناً من قِبَل المشائخ. وقد قال لي السالك رمضان البختي - ﵁ وروحي فداه - الذي لا يخطىء فراسته حين قلت له: ألم يكن إذن من الشيخ جمال الدين للشيخ الحاج عبد الرحمن

الثغوري ﷺ ؟ فقال : والله يا ولدي لا أعلم ولكن الشيخ الغازي جمال الدين في الحال راض عنه . انتهى . وليس الإذن إلا إطلاق قلوب المشائخ إليه ، فبسبب دعوة الشيخ الحاج عبد الرحمن بالتضرُّع والابتهال للشيخ جمال الدين وأولاده دائماً أطلق قلبه عن القيود في حقِّه ظاهراً وباطناً .

أقول – والله أعلم – : يفهم من هذا الكلام أنَّ من أطلق إليه قلوب المشائخ فهو الجائز للمشيخة على الإطلاق ، أذن له المشائخ أم لا ؟! فليس كذلك ، بل الإذن الإلهي لا يظهر إلا من طرف أفواه المشاخ ، ولا يقبل من أحد قولاً ولا دعوى إلا ممَّن بيده الإجازة الصحيحة بشهادة شرعيَّة ، فلو قبل لادّعى كلُّ واحد أنّ له إذناً إلهيّاً ، وأن قلوب المشائخ ناظرون إليه ، وهذا ممَّا لا يقبله عقل ولا نقل . فإن لم يكن من عنده إذنٌ يقينيٌّ مرشداً مربّياً فعدم كون من تصدَّر بنفسه بلا إذنٍ مرشداً مربِّياً يعلم بالطريق الأولى . فهذا كلام لا طائل فيه سوى كثرة القيل والقال . وقد علم في غير موضع فساد هذا القول بالنصوصات والنقولات فلا نعيده ، **بل الحق اليقين أنَّ الشيخ لا يأذن للطالب ولا يرخصه إلا بأمر إلهيّ ، فإذا تحقَّق أهليته لذلك ، وأتى من الله الإذن رخَّص له ، وأذن له ، وألقى إليه أسراره بقدر ما يطيق حملها ، وينصبغ باطنه بصبغ المعارف الإلهية وينعكس إليه الأنوار الربانية ويعلّمه طريق الانصباب والانعكاس .**

وأما إلقاء أسرار الشيخ كلّها إلى المريد ، فلا يجوز ذلك حين حياة الشيخ ؛ لأنَّ المريد لا يطيق حملها . راجع « الذهب الإبريز » و« ترصيع الجواهر » ، عجباً من هذا العالم يدَّعي أنه منتسبٌ إلى الشيخ الثغوري قدس سره ، وأنه أويسيّ حصل له التربية من روحانيته ، ومع ذلك لا يعلم من أين كان الإذن للشيخ الثغوري فيا خجالة من قال برأيه وحرَّف الكلم من مواضعه . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات قبائح أعمالنا وأقوالنا ، إنه هو الغفور الرحيم ، آمين اللهم آمين .

قال - **عصمه الله ممّا فيه مقته آمين** - : ولقد قال لي شيخنا الحاج موسى حاج : إنّ ما يفعله أبو أحمد الثغوري ﵁ في « دَرْغُه » من التقدّم للإمامة على الغازي جمال الدين هو شيء مشروع ، إلى آخر ما قاله من ذلك الحكاية التي لا فائدة فيه .

أقول : قال عليه السلام « كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكلّ ما سمع » ، فليس في إيراد هذه الحكاية نفعاً ما سوى كثرة الكلام ، ولا كلام لي مع ذلك الشيخ الثغوري قدس سره ، ولم أورد في حقِّه في المحافل والمجامع ولو كلمة واحدة فيها رائحة سوء الأدب معه ، وقد مرَّ في هذا الكتاب أن تلقينه وإرشاده كان موافقاً لما عليه السادات النقشبندية ، لكنَّ الوشاة أفشوا مني نميماتٍ مع أني عنه بريء ، ولقد شكرت على ذلك لأني استحققت الأجر على كلّ حال ، فإني عفوت عنهم إكراماً لنبيِّهم عليه السلام ، فلي أجر العفو ؛ قال الله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية ، وإن لم أعف عنهم - وهو اللائق بأهل النميمة - فجميع حسناتهم ينتقل إلى صحائفي وأقتصُّ منهم يوم القيامة .

قال أبو سعيد الخادمي في « البريقة » : إنّ الباعث على النميمة إمّا إرادة السوء بالمحكيّ عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له ، أو التفرُّج بالحديث والخوض في الفضول . انتهى من عبارته .

فها أنا أعظ لمن يسعى بالنميمة كي لا يَرْتكب مثل هذه بعد الآن :

قال الله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ . وفي الحديث « لا يدخل الجنة قتات » ؛ أي : نمَّام . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ﷺ « من مشى بين اثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة » ، وعن معاذ ﵁ « إنّ النمامين يحشرون يوم القيامة على صورة القردة » ، وفي« الجامع » : النميمة والشيتمة والحميّة في النار ، لا يجتمعن في صدر مؤمن . عن العلاء بن الحارث ﵁ إن رسول الله ﷺ قال

« الهمَّازون واللمَّازون : المشاؤون بالنميمة الباغون البراءَ يحشرهم الله في وجوه الكلاب » ، وعن بعض : **عمل النمام أضرّ من عمل الشيطان** . انتهى من « بريقة » عبارته .

مطلب مهم وهم عنه غافلون

فلو تاب من نمَّ عنِّي وأفشاه بين الورى فأعفو عنه وإلا فلا ؛ لأنَّ إعانة المصرّ على المعصية معصية . اللهم لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ولا تجعلنا سبباً لعقوبة الناس لحرمة نبينا عليه الصلاة والسلام ، آمين .

قال – عفى الله عنه – : قوله (وزعم بعضهم : أن مشيخته من النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه عليه السلام بلا واسطة) . وفي « إبريز الذهب » : إنّ لرؤية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ثلاث درجات ؛ الأول : في منام والثاني : في الخيال ، والثالث : بالبصر . ولا يصحّ إنكار لمن يقوله ويسلّمه تسليماً . وقد أخبرني الشيخ حاج أحمد الهخالي رضي الله عنه أنه سأل الشيخ المتصرّف من البدلاء عند ملاقاته لدى الشيخ موسى الارفلي رضي الله عنه أن ولداً يجيئ إلينا بأنه أمر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام هكذا وهكذا ، هل يجب العمل به أم لا ؟ فقال الشيخ من البدلاء رضي الله عنه : إنّ ذلك القائل يجب أن يعمل به ولكن لا يجب الأغيار العمل به .

وفي كتاب « تنبيه المغترين » للإمام الشعراني رضي الله عنه ما مفهومه : هل يجوز الاقتداء لمن يأخذ عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ فقال : يجوز ويكون المقتدي مقلّداً ؛ فبناء على هذه النصوص لا يصح منع مقلّد هذا القائل إلا إن كان ظاهر أحواله مصرّاً على الكبائر .

أقول – والله أعلم – : لا أقول قط يا أخي إن رؤية النبي عليه السلام والأخذ عنه غير جائزة ، لكن الذي أقوله كما قال ابن حجر في « الفتاوى »

والشعراني في « المنن » : إن مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز ، لا يناله كلُّ أحد .

قال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمهاتها مائة ألف مقام ، وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلّها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى من عبارته . فحينئذ وجب الإنكار على من لم يضع قدمه في أول مقام من مقامات السلوك ، ومع ذلك يدَّعي أن شيخه هو النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه بلا واسطة ، وغرَّ الناس بهذه الأقوال .

نعم ؛ نصدِّقه إن علم المقام الأوّل من تلك المقامات ، ولا نسأله مقاماً فوقه ، ولو كان هذا المدعي صادقاً في دعوى الأخذ عن النبي ، لما قال : إنّ أخذ الطريقة لا يجوز ، مع أنّه فرض عين على كل من ليس له قلب سليم ، كما هو مبيَّن في موضعه ، فافهمه وراجع « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » .

قال – **نفع الله به العباد** – : قوله (وبعضهم : أن روحنية الكامل أذن له في المنام) ، هذا الإذن لا يكون إذناً مطلقاً ، بل يصحُّ أن يكون استعداداً ولكن أخبرني أخونا القاضي محمد الغازي الغموقي أن رجلاً هخالياً تقيّاً ذهب إلى الشيخ محمد ذاكر وقال : إني رأيت شيخنا محمود أفندي في المنام يأمرك ويقول لك : أعط الخلافة لي . فقال الشيخ محمد ذاكر : فلو رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ما أعطي لك ، لأنَّ الهرة يرى في المنام الفأرة ، هذا ؛ إنَّ هذا الإذن لا يعتبر .

أقول – وبالله التوفيق – : نعم نعم ، صَدَقْتَ وأصبتَ وبالحق نطقتَ ، قال الإمام معصوم في مكتوباته ما حاصله : حرّر أنَّ من أَذِنَ له شيخه في واقعة لتلقين

الذكر وتربية المريدين ، وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقينُ الذكر وتربية المريدين ؟ **فالجواب** : إنّ الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيمٌ لا تثبت بالواقعة ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى . وهكذا في مكتوبات قطب الأنام محمود أفندي قدس سره ، وما قاله الشيخ محمد ذاكر الچسطاوي القزاني قدس سره يُؤَيِّدُ ذلك .

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في « الفتاوى » عند بيان قول الصوفيّة (إنَّ الله يلهمهم في بواطنهم شيئاً وينسبونه إلى الله) : وخالفهم الفقهاء والأصوليّون فيه ، لا لإنكار من أصله ، كيف ؟ ! والحديث الصحيح « إنّ في أمّتي محدّثون أو ملهمون ومنهم عمر رضي الله عنه » ، بل لئلا يدّعيه ويحتجّ به من ليس من أهله ، ولأنه لا ثقة بخواطر غير المعصوم ، فربّما يخطر له في حديث نفسه أنه إلهام وزيَّن الشيطان ذلك بمخايل يظهرها له ، فيظنّ صدْقها فيعتقد حقيّة ذلك الوارد ، وفي الحقيقة ليس هو وارد حقٍّ ، وإنما هو حديث النفس وخاطر شيطاني ، حمله عليه عدم جريانه على قوانين الاستقامة والقيام بالعبوديّة على وجهها الأكمل .

فلما كان للنفس والهوى والشيطان دخْلٌ في تزيين ذلك والتلبيس فيه رأى الفقهاء والأصوليُّون أن المصلحة للناس المتكفّلة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع في هفوة الطغيان قَطْعُهُمْ عن الاحتجاج بالإلهامات ، وأن ذلك باب يجب سدُّه على الناس لئلاَّ يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى . انتهى كلام ابن حجر . وهو يؤيِّد ما قلناه .

قال – **نفع الله به المسلمين أمين** – : قوله (وبعضهم يقول : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كلّ أحد ، وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع يجوز ، ولا مانع منه) .

فهذا لا يمنعه الشرع الشريف إن كان أمره ونهيه وتعليم أمور الشرع لله بلا هوى النفس والتعصُّب .

أقول – والله ولي الهداية والتوفيق – : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء عظيم ، وأمرٌ عزيزٌ ، وللقائم بهما أجرٌ جزيلٌ ، كيف لا ؟ ! وفي الحديث « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ » ، لكن تلقين الأذكار وتعليم الطريقة لا يجوّزونهما إلا لمن سلك في الطريق ، ومشى فيه بقطع المقامات ، وعلم المهالك والمقاطع وكيفية الاحتراز منها ، ثم أذن له شيخه الكامل إذناً صحيحاً بأن يرشد الخلق ويلقِّن الذكر على ما كان عليه المشائخ الكاملون ، وذلك لسرٍّ مرَّ ذكره مراراً . ومن سلك في الطريق من غير شيخ بصير تاه ، وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده ؛ لأنّ مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة كذا في « المنن الكبرى » . ولا بد لمن أراد التحقيق أن يرجع إلى كتابنا « الدرة البيضاء » ، و« الذهب الإبريز » و« ترصيع الجواهر » .

قال – هداه الله إلى الحق وجعله من أهل التحقيق – : قوله (وسمعنا أنَّ بعضهم يقول : إنَّ تلقين الذكر القلبيِّ على قاعدة النقشبندية حرام للعوام ، ولا يجوّز ذلك إلا لمن صارت نفسه مطمئنة ، ويكفي الذكر اللساني للعوام ، ولا يجوِّزون لأحد الدخول في الطريقة إلاّ له ، ومع ذلك يلقِّن هو للمريدين الأذكار اللسانيّة ، ويسمّيها شريعة ، ويسمّي الذكر القلبيّ طريقة ، ويمنعه) .

والذكر القلبيُّ حرام لمن له نفس أمارة ، فأيُّ رجل خرج من الأمارة ، فمتى يدخل في النفس اللوامة ؟ !

أقول – والله أعلم – : عجباً من قولكم هذا أيها الأخ ، مع قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ الآية ، لأنه لم يقل يا أيها الصالحون ، بل عمَّ

الصالح والطالح من المؤمنين ، وعمَّ ذكر اللسان وذكر القلب . وقال الفقهاء في كتبهم : إذا عطس الرجل في موضع النجاسة حمد الله بقلبه ويثاب عليه ، وكذا إذا سمع الأذان أجاب بقلبه ، وكذا إذا توضَّأ في ميضاءة نجسة أتى أذكار الوضوء بقلبه ، ولم يخصّصوا ذلك بمن ليس له نفس أمارة . وذكر في « فتاوى العمرية » وغيره : إنَّ ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه ، كما قيل : الفكر ذكر القلب . انتهى من عبارته .

الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي

ووردت الأحاديث في فضيلة التفكُّر ، منها : ما رواه أبو الشيخ « فكر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة » ، ولا يخفى أنّ مجرّد حركة اللسان بلا تفكر ولا تدبُّر قليل الجدوى .

فالحاصل إن الأئمة المجتهدين والعلماء المقلِّدين لم يقولوا إنَّ الذكر القلبي حرام لمن له نفس أمارة ، ولم نصادف من يقول به وإن تفحَّصنا ؛ ولو في كتاب واحد . **والقول بتحريم ما أحلَّه الله تعالى كفرٌ** . قال صاحب الفتوحات على الجلالين : من اعتقد تحريم شيء أحلَّه الله فقد كفر . انتهى من عبارته .

ومن أدَّل الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي لمن له نفس أمارة قولهم : فمن يستعدُّ لتقديم الجذبة على السلوك فله اسم الذات ، ومن يستعدُّ لتقديم السلوك فله النفي والإثبات ، وكلاهما بالقلب . انتهى . والسلوك في اصطلاحهم تزكية النفس عن أخلاقها الرذيلة الآمرة بالسوء ، وتخليصها عن القيود العنصرية والتعلقات الكونية بالرياضات والمجاهدات .

فلو كان الذكر القلبي حراماً لمن له نفس أمارة لكان الواجب عليهم أن يقولوا : ومن يستعدُّ لتقديم السلوك فله النفي والإثبات باللسان . وفي تصديق

المعارف في قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت ؛ أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ، ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها ، وذلك مجرَّب عند المشائخ ، ولا سيَّما ذكر بكلمة (لا إله إلا الله) ، فإني جرَّبتها فوجدتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها تنقلب كانقلاب الطير من قبضة الصياد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة . فافهم انتهى من عبارته . والاستشهاد في عموم قوله : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ ، فإنه إذا أطلق الذكر يعمُّ الذكر باللسان والذكر بالقلب ، فتدبره . وفي « هدية الذاكرين » ما ينبغي أن يلاحظ هنا ، وسيأتي إن شاء الله تعالى .

وفي « الفتاوى العمرية » :

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ، والذكر الكثير ليس بالعدد ، بل بالحضور وعدم نسيان الله تعالى على كلِّ حال . انتهى من عبارته . وهكذا في تفسير « سلمى » قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية .

وفي « الباقيات الصالحات » ما حاصله : إن السيد أمير الكلال كان يخالط أهل البدعة والفساق ويشتغل بالمصارعة ، فيوماً من الأيام نظر إليه محمد بابا وهو في المعركة بين أصحابه ، فوقع إليه نظر الأمير الكلال وجذبته جاذبة نظرة محمد بابا مما كان فيه ، فلما ذهب[1] ترك الأمير معركته من غير اختيار وتوجّه من عقبه ، ولما وصل محمد بابا إلى بيته وأدركه الأمير من عقبه أدخله في محلِّه وعلّمه الطريقة . فلم يره أحد بعد ذلك في المعركة والأسواق وسائر مجامع الفساق . انتهى بالمعنى وباختصار . فلو كان تعليم الطريقة غير جائز إلا بعد الاطمئنان لما علَّمَهُ الطريقة وقتئذ . فافهم منه .

الأصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب

(١) أي : محمد بابا .

يا أخي ولا تقل ما ليس له دليل عقليٌّ ولا نقليٌّ ، وتدبَّر ولا تعجل ، ولا تصدِّق من يقول كذلك ؛ **لأنه لو كانت العلة لعدم جواز تلقين الذكر القلبي كون النفس أمارة ، فلا يجُزْ أيضاً الذكر اللساني ، وأنتم تجوِّزونه دون ما قبله ، أليس القلب واللسان جارحتين من تلك الأمارة ؟! فما الفرق بينهما لمنع الذكر بأحدهما ، وجوازه بالآخر ، مع أنَّ اللسان أكثر ذنباً من القلب ، وأفحش قولاً من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وغيرها من كبائر الذنوب ؟!** فهذا مما لا يقوله عاقل ولم نجد عليه نقلاً ، ولم نَرَ واحداً قال مثل ذلك ولو في كتاب واحدٍ ، وعندنا من كتب أهل التصوُّف ما يكاد البعيران يشقُّ حملها ، ورأينا من كتب النقشبنديَّة ما يقارب إلى ثلاثين كتاباً ، ولم ندرك فيها ما حكمتم به ، بل الحق **أن الأصل في الطاعة والعبوديَّة أعمال القلوب ، ويتفرَّع عليها أعمال الجوارح** . كذا في « شيخ زاده » .

ولا يخفى أنَّ الإرشاد إنما وضع لأجل النفس الأمارة ، ولتصفية القلب عن الأخلاق الذميمة ، ومن له قلب سليم ونفس غير أمارة لا يجب عليه اتخاذ الشيخ كما قالوا .

قال – جعله الله من الذين يتَّبعون الحق آمين – :

وقد نقل أخونا المحقِّق إسماعيل الشلانيُّ فيما كتب إلينا من مهمَّات أمورنا ما لفظه : ونقل من « أنوار العاشقين » ما لفظه : اعلم أنَّ الذكر الخفي مختصٌّ بالأنبياء والتابعين لهم من الأولياء ، والجهر بدعة لهم ، وأما العوام فالجهر سنة والإخفاء بدعة لهم : لأنَّ قلوبهم قاسية لا تلين إلا بالجهر ، فلهذا سنَّ لهم الأوراد عقب الصلوات بالجهر . وما ذكر من البدعة في جهر الأوراد فمختصٌّ بالخواصِّ . انتهى .

أقول – والله وليُّ الهداية والتوفيق – فعادة كلِّ أحد أن يتكلَّم بما ذاقه ولا يعلم إلا هو ؛ فمن أئمة الطرق من يستعملون الأذكار الجهرية في الابتداء ، ثم بعد سراية أثر الذكر من اللسان إلى القلب يشتغلون بذكر القلب ،

ويعدُّون ذكر اللسان بعد ذلك ذنباً من الذنوب ، من قبيل : **حسنات الأبرار سيئات المقربين** . ومنهم من يستعملون الذكر القلبي في الابتداء كالنقشبندية ولا يعلم ما هم عليه إلا من ذاق ما ذاقوه .

همم الرجال تقلع الجبال

فقاعدتهم أن يتوجَّهوا إلى باطن من جاء لديهم من المريدين بجمع الهمة الفعالة فيتصرّفون في بواطنهم ، ويجذبون قلوبهم إلى الله بحسب استعداداتهم ؛ فمنهم من يتأثَّر في توجُّه واحد ، ثم بعد ذلك يلقِّنه الشيخ الذكر القلبي ، فيقوم التوجُّه عند النقشبندية مقام الذكر اللساني عند غيرهم ، وتخرج به قساوة القلوب ، ولذا قيل : همم الرجال تقلع الجبال ، أي : تقلع من القلوب القساوة التي كالجبال ، كذا في « بيان الأسرار » . ولعلَّ صاحب « أنوار العاشقين » كان من غير النقشبندية ولم يذق ما ذاقوه ، ومن أين يعلم ما لم يذقه . فلقد صدَّق القائل ؛ وهو الغزالي : **إن كلام المتصوفة قاصرٌ** .

قال – عفي عنه – : فإن كان هذا الشيخ ممن ينتسب إلى الشيخ الثغوري رضي الله عنه فالجهر عندهم أفضل ؛ لأنّ الجذبة تقع فيه لهم ، والذكر القلبي آخر [ما] يلقِّن ، ويظهر فيه أسرار النفس والفرش والعرش ، هكذا أخبرني الشيخ حاج موسى حاج .

أقول : فلقد مرَّ أنَّ الشيخ الثغوري كان له إذن من طرفي النقشبنديّة والقادرية ، وكانت الأذكار التي يلقنها للمريدين موافقة لما عليه القادريَّة ، فهو مسلَّم ، وإن كان استعمل المشيخة على قاعدة النقشبنديَّة فأفضلية الجهر عندهم غير مسلّم ؛ لأنّ الأذكار الجهريَّة ليست في طريقتهم .

فكيف تفضل على الأذكار القلبية ؟ ! وفي « المتممات » : إنَّ الذكر القلبي أول المرتبة عندهم ، فأول قدم يضعونه في الذكر القلب . انتهى من عبارته . فافهم منه . يا أخي وقد علمت مراراً قاعدة استعمال الشيخ الثغوري في تلقين الأذكار في المقدّمة .

قال - **رحم الله عليه رحمة واسعة** - : إنَّ الذكر الخفي المعنعن لا يقدر في ديارنا ، كما قال الشيخ ممَّ دبر الروچي رضي الله عنه في كتابه ، وأما مجرَّد حضور الألفاظ فلا يفيد ؛ لأنَّ شروطهم ، كما في كتبهم التوجُّه إلى الذات في الرابطة ، والوقوف القلبيُّ ، ودوام الذكر والزهد في الفاني ولو في الحلال ، فمن فقد هذه الشروط ، فكيف ينتج له محبة ذاتية ؟ ! وإذا لم يظهر محبَّة ذاتية ، فكيف يظهر في أول التلقين نهاية سائر الطرق ؟ ! فاللائق لأهل الطريقة النقشبندية ترك تلقين الذكر الخفي إلاَّ الخواص من المريدين ، كما تقدم من « أنوار العاشقين » . وأما تحرُّك القلب والألطاف ، فليس هذا علامة ذكر الخفي المراد عنه .

أقول : والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخراً والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين ، هذا آخر ما شرحه هذا العالم على ديباجة كتابي « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » جزاه عنا خير الجزاء ، ورزقه التوفيق والاستقامة ، وأدخله الجنة مع الحور والغلمان .

فقولكم أيها الأخ : إن الذكر الخفي المعنعن لا يقدر في ديارنا . . إلخ . فهو كلام غير مقبول ؛ لأنّ أهل هذه الطائفة النقشبندية قد جرَّبوا في مريدي ديارنا فوجدوهم يقبلون الذكر الخفي ولو كانوا من أفسق الفساق ، فلم نلق في مريدينا ومريدي شيخنا العسلي قدس سره ولو واحداً لم يحصل له أثر الجذبة والقابلية في مدة شهر ، فالعجب أيّ العجب إنكاركم على ذلك . فلعلَّكم لم تذوقوا مقام التصرُّف ، ولم تدركوا حقيقة استعمال الهمَّة الفعالة ، وإلا فلا مجال لكم أن تقولوا : إنّ الذكر القلبي حرامٌ لمن له نفس

أمارة ، مع أنها تظهر أحياناً ولو في الراضية . ولقد علم من كتبهم أنّ الموصل في الحقيقة في هذا الطريقة هو المرشد لا نفس الطريقة . كذا في « البهجة » لأنَّ هذا الطريق طريق الانعكاس والانصباغ ، وطريق الانصباب من صدر إلى صدر ، كما روي « ما صبّ الله تعالى إلى صدري شيئاً إلا وصبّبته إلى صدر أبي بكر » . ولقد شاهدنا كثيراً من المريدين في هذه الطريقة النقشبنديّة حصل لهم الجمعيَّة والحضور بتوجُّه واحد .

وقال الإمام الرباني في المكتوبات : ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى من عبارته ٦٩ من الجزء الثاني . وفي « الدرر المكنونات النفيسة » : ويعمل توجُّههم الواحد عمل مائة من الأربعين ، والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين . انتهى من عبارته ٣٦ من الجزء الثالث . حتى قال لي واحدٌ منهم إنه لا يفهم من أصوات الكلب النابح إلا الذكر فضلاً من صوت غيره ، مع أنّه لم يصل إلى شيخه النقشبنديّ العسليّ قدس سره إلا مرة واحدة . انتهى .

فإذا كان الأمر كذلك وتبيَّن إطاقة أهل الداغستان على الذكر الخفيِّ القلبيِّ بالتواتر ، وتيقَّن وتحقَّق توجُّه القلب إلى جناب الحق تعالى بجريانه بالذكر في الخلاء والملأ لدى العلماء الثقاة ، فالقول بعدم الإطاقة على ذلك يشعر أنّ القائل به لم يذقه ولم يدركه . وأما ما قاله الشيخ مم دِبر الروچيّ فلعلّه قال ذلك لعلّة ؛ وهي أنّه كان شيخاً هرماً ضعيفاً لا يقدر على التوجّهات بجمع الهمّة الفعالة ؛ ولذلك لم يقدر أن يتصرَّف في بواطن المريدين بصفة الجذبات الإلهيّة ، **وإلا فقد لاقينا من لقن لهم الشيخ مم دِبر الروچي قدس سره الذكر القلبيّ من ديارنا الداغستانية ، وهم أحياء في هذا الحال ؛ فلأجل ذلك قال ما قال** . والله أعلم .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسيّة » : لا يجتمع ثلاثة إلا وفيهم وليّ لله . انتهى . وإذا كان كذلك لا ينبغي نفي جواز الذكر القلبي لأهالي داغستان بزعم أنهم أصحاب النفوس الأمارات مع أنهم مؤمنون مسلمون . وليت شعري هل ليس فيهم وفي مريدي هؤلاء المدعين ولو واحداً ليس له نفس أمارة فيعطى له الطريقة ، مع أنَّ المجاذيب في المؤمنين أكثر مما لا يحصى ، كما قال الشعراني . ولقد علم من كتب السيَّر أنَّ عمر ﷺ كان يذهب ليقتل النبيّ عليه السلام ، فأُخبِرَ أنَّ أخته وزوجها قد آمنا وأسلما ، فسطا إليهما سطوة غاضباً عليهما ، وكان في بيتهما الحافظ خبَّاب يكتب سورة طه ، فاختفى هو وزوج أخت عمر ﷺ خلف الدلاّب خوفاً منه ، فضرب عمر ﷺ على أختها حتى سالت الدم منها ، لكنّها كلّمت وقوِيَتْ قَلْبَهَا ، فتواجهت إليه وتواجه الحافظ والزوج فاجتمع إليه ﷺ ثلاث توجُّهات ، **فخمد من قلب عمر ﷺ نار الكفر ، وأنار بنور الإسلام ، ولان قلبه وذهب غضبه** . فإذا كان قلب الكافر الذي قصد لقتل سيّد المرسلين عليه السلام يتأثَّر بالتوجه ، فلا نعلم شيئاً يمنع التأثير لقلب مسلم وأبوه مسلم ، ولا نجد دليلاً ما على تحريم الذكر القلبي لأهالي داغستان .

وكذا أخبرني بعض العلماء أنه رأى في كتاب « الإبريز » ما حاصله : إن جارية كافرة تكلَّمت بالحكمة بتوجُّه واحد من أهل التصرف . انتهى . لكن لم أصادفه . وفي معرب المكتوبات للإمام الرباني في ١٤٧ من الجزء الثالث : ولكن تعليم الطريقة **أياً من كان بعد الاستخارات والتوجُّهات مناسب بل لازم** . وقد ذكر القطب الأعظم أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره صاحب التأليفات النفيسات كـ« راموز الأحاديث » و« المتممات » و« جامع الأصول » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » في كتابه « المتممات » ما حاصله : **إنَّ تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرُّك والمحسوبية** . . إلخ .

وقال فيه أيضاً : فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا بالتيائس من علاج أمراضهم القلبية ، وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوج الضال ؟ وهل يلزم أن يكون جميع الملقَّنين بالذكر أهلاً للتبرُّك والتجريد والاستقامة ؟ أم منهم . .إلخ راجعه ، وراجع « الدرة البيضاء » ففيه البسط . وفي « البهجة » ما حاصله : إن الشيخ لا يلقّن التوبة للمريد بالتفصيل ، بل بالإجمال لئلاَّ ينفرَّ ويستصعب ، فراجعه .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض المكاتبة مجيباً لمن سأله : أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أنّ أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رباً ، ويظهرون أنَّ هذا الأخذ منهم ليس إلا بالحيلة الشرعيّة ، هل يتأهَّلون هؤلاء لتعليم الطريقة : لقّنوهم الذكر ، وعلِّموهم ورغِّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلّهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . معرّب « المكتوبات » من عبارته ١٣١ من الجزء الثاني . انتهى من « البهجة » عبارته .

وقولكم أيها الأخ – هداك الله – : وأما مجرَّد حضور الألفاظ فلا يفيد . .إلخ . فهو قول عجيب . فاعلم يا أخي أنه يفيد حضور الألفاظ في القلب ساعة أكثر ممَّا لا تفيده حركة اللسان بها ستين سنة ؛ لما قالوا : إن ذكر القلب هو تفكُّر اللفظ . ولقد عمَّ المحقِّق ابن حجر الهيتمي في « فتاواه » التفكر في حديث « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » إلى الذكر . فراجعه . وقال في « تحفة »ـه من صلاة النفل : العمل القلبيّ لعدم تصوّر الرياء أفضل من غيره . انتهى . ظاهره وإن قلَّ كتفكُّر ساعة بالنسبة إلى ألف ركعة . انتهى « ابن قاسم » فراجعهما . ويؤيِّده خبر البيهقي : « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » ، « الفتاوى الحديثية » لابن حجر عبارته من ٥٥ .

فإن قلتم أيها الأخ : إنه في حق من ذكر مع حضور المعنى . **قلنا** : فمحالٌ أن يحضر في القلب الاسم ولا يحضر فيه المسمَّى ، مع أنَّ المقصود

من ذكر الاسم هو ذات المسمَّى لا الاسم المجرَّد ، فافهم وراجع « الفتاوى العمرية » وفي « الدرة البيضاء » بسط كثير في حق هذا المطلب ، ومن نظر إليه يجني من ثمراته رطباً جنيّاً . وأما معنى التوجُّه إلى الذات فهو الحضور بالله وطلب رضائه . كذا في « مجموعة الرسائل » عبارته .

ومعلوم مشهور أنَّ الوقوف والرابطة لا يشتغل بهما واحدٌ إلا لطلب رضاء الله ولحصول الحضور به تعالى ، **وللوسائل حكم المقاصد** . وأما المنع من الدخول في الطريقة بزعم أنَّ الداغستان لا يطيق أن يديم الذكر ، ودوامه شرط ، فيعلم فساده بما قالوه من : أنّ أقلّ الذكر في المَلَوَيْنِ خمسة آلاف ذكر ، كما هو مبسوط في غير كتاب . وقال الشيخ محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » :

إن الانتساب إلى النسبة العلية تكفيه فقط إن حفظه ، وهكذا في مكتوبات الغوث الأعظم محمود الفعال قدس سره . وأما الزهد في الدنيا ولو في الحلال فليس ذلك شرطاً لجواز الدخول في الطريقة ، لما في « الرشحات » و« المتممات » من أن بهاء الدين النقشبندي قال : كُلْ الطعام جيِّداً واشتغل جيداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى من عبارته . ولما قاله الشاذلي : ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا . .إلخ . ولما قالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة . .إلخ من « المتممات » . وهكذا بل عينه في « الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » و« الدرة البيضاء » .

وقولكم : (فمن فقد هذه الشروط فكيف ينتج له محبة ذاتية ؟) . . إلخ . فالمحبة الذاتية هي الميل والتوجُّه إلى ذاته تعالى لذاته لا غير ، فهذا الميل والتوجُّه ليس شيئاً غريباً ليحكم بفقدانه في أهل ديارنا الداغستانية ، ولا يخفى أنّ أحداً لا يذهب لدى الشيخ لأخذ الطريقة إلا لميل قلبه إلى الله ، وذلك الميل والتوجه موجودٌ في كلّ مريد ، ومن عدَّ هذا شيئاً غريباً ، وادعى

أنه من أهل الإرشاد فهو عند أهل الله منحطٌّ عن درجة الإرادة ، فضلاً عن درجة الولاية .

إن الجذبة مقدَّم في هذه الطريقة على السلوك

وأما معنى ظهور نهاية سائر الطرق في الابتداء في هذه الطريقة النقشبندية ؛ أن الجذبة مقدَّمة على السلوك في تلك خلاف سائر الطرق ، فالسلوك فيها مقدّم على الجذبة ، والجذبة متأخرة : والجذبة إما استغراق في المذكور ، أو غيبة فيه بلا شعور . كذا في « بهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » . فالذي يحصل للمريد في بدايته حصول الحضور الدائميِّ للقلب ، بحيث لو تكلَّف بإخطار غيره تعالى لم يخطر ، وليس معناه أنه لا يخطر شيئاً أصلاً ، كما يظنه الجاهلون ، بل معناه لا يخطر شيئاً يضرّ الحضور ويحصل بسببه صرف القلب عن التوجه إلى جنابه تعالى ، بل يصير القلب بحيث يسع كليهما ، ولكن الأغلب المتمكن فيه حضوره . وقد يطرأ للمريد المبتدىء حالة يغيب عن إحساسه ، ولا يعلم ما يفعله ويقوله الحاضرون عنده ، لشدَّة توجُّه قلبه إلى الله تعالى ، ولكنَّه تزول سريعاً وتعود أحياناً . وهذه هي المراد من قولهم : إنَّ الجذبة مقدَّمة في هذه الطريقة على السلوك ، عكس سائر الطرق . وصيرورة القلب على هذه الحالة هي نتيجة كاملة وأمارة تبعة بالذكر ، ودليل تنوّره بالنور الأصفر ، وما لم يحصل للمريد هذه النتيجة لا يصحُّ أن يبدَّل ذكره إلى الروح . وليس الشرط أن يصير القلب على تلك الحالة في أول التلقين ، بل إذا أكثر المريد ذكر ربِّه يصير القلب كذلك بالتدريج . فافهم .

وقد قال الخادمي قدس سره في ١٤٨ في شرحه على « النصائح الولدية » للغزالي قدس سره : والمحبَّة وإن كانت من عطية الربِّ لكن حصولها من جهة العبد بترك ملاحظة غير الله تعالى ؛ بأن يخلو القلب عن كلِّ شيء غيره

تعالى ، فإذا تفكَّر اسمه في القلب وارتسخ ذلك ودام يحصل لذة تنقطع جميع اللذات عندها ، ولا يتعلَّق القلب بالغير ، وإن تكلف أن يخطر الغير لا يمكن ذلك . فهذا غاية طريق المتصوِّفة . انتهى من عبارته ١٤٨ .

فقولكم : فاللائق لأهل الطريقة النقشبندية ترك تلقين الذكر الخفي . . إلخ . فهو قول ساقط عن درجة الاعتبار ؛ لأنَّ العلَّة في تفضيل الذكر الخفيِّ خلوصه عن الرياء والسمعة ، وفي تفضيل الذكر الجهري إنه من الأعمال المتعدِّية ؛ أي : إن الذكر الجهريَّ يفضل لو صدر ممَّن يذكر لمجرَّد وجه الله غير مشوب بشوائب الأغراض والأعواض ؛ لأنَّ منفعته تتعدَّى . ولو صدر ممَّن سداه ولحمته أنانيَّة ، وغرضه وقصده شهرة وسمعة فلا ثواب فيه أصلاً ! فكيف يفضل على الخفي ؟ !

ولقد قلتم أيها الأخ فيما قبلُ : إنّ الذكر القلبي حرام لمن له نفس أمارة . .إلخ ، فاللائق بأحوال أهل الأمارة عندنا بالنظَر إلى أقوال الأئمة إخفاء الذكر وترك الجهر خلاف ما قلتم ، كيف لا ؟ ! وقد كان المشائخ الخواجكانية قدس الله أسرارهم : يجمعون بين الذكر الخفي وذكر العلانية من لدن محمود إنجير الفغنوي قدس سره إلى زمان الأمير كلال ، ولما ظهر الشيخ محمد نقشبند اختار ذكر الخفية واجتنب ذكر العلانية . كذا في « الرشحات » و« البهجة » ؛ أي : كانوا قبل ذلك **يذكرون بالخفيَّة إذا انفردوا ، وبالعلانية إذا اجتمعوا** ، وترك محمد نقشبند العلانية ولو في الاجتماع وذلك بأمر روحانية عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، وأقرَّه على ذلك شيخه الكلالي ، وأمر أصحابه بالاتباع على ما أمره . كذا في « الباقيات الصالحات » .

وفيه أيضاً : إن واحداً من العلماء طلب من حضرة محمود قدس سره أنَّ ذكر العلانية مسلَّم ممَّن يكون لسانه طاهراً عن الكذب والغيبة ، وجوفه عن الحرام والشبهة ، وقلبه صافياً عن الرياء والسمعة ، وسرُّه منزَّهاً عن التوجُّه إلى غير جناب الربوبية . انتهى من عبارته . فافهم منه يا أخي . وهذا

حال النقشبندية فإنهم لا يجوِّزون ذكر العلانية إلا إذا وصل المريد إلى مقام المراقبة المعيَّة كما مرَّ . وفي ذلك المقام يرى السالك أنه بين يديه سبحانه وتعالى ، وهو ناظر إليه ومطَّلع على ما في قلبه . ولا يخفى أنَّ من كانت مشاهدته وملاحظته هكذا لا يرائي ، ولا يتوجَّه إلى غير جناب الله تعالى ، ولا يخفى أيضاً أنَّ من كان له نفس أمارة فهو منغمسٌ في الحظوظات ومتزيّن بالمراءات ، ولا قصد له سوى الرؤية والسمعة ، فإذا دخل هذا الشخص في عهد الشيخ ولقنه الذكر الجهري ، وحثَّه على ذلك يظن أنَّ ذلك من الأعمال المتعدّية ، فلا شكَّ أنَّ هذا الشيخ لم ينصح له ، بل ألقاه في المهلكة وزاد مرضاً فوق مرض ، فصار الشيخ غشاشاً لذلك المريد ، وماهية الشيخ أنه العارف بالطبّ الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضها وأدويتها ، وكيفية صحتها واعتدالها ، القادر على الإرشاد .

ومراد جميع الداعين إلى الله تعالى من تسليكهم المريدين في الطريقة أن يحملوهم إلى مقام الإخلاص ، لا غير فافهم . **ولقد صار أهل الداغستان في أيدي الكفرة ، ورأوا ما يفعلونه لأهل الإرشاد ذوي الأذكار الجهريات ، فاللائق لهم الأذكار الخفية مع أنها الأفضل والأقرب بالأدلة والنصوص كما يأتي** .

وقولكم : وأما تحرك القلب والألطاف فليس هذا من علامة الذكر الخفي المراد منه . فهو قول عجيب وكلام غير مقبول ؛ لأنهم قالوا : إذا خرج نور لطيفة القلب من حذاء كتفه وعلا أو حصل فيه اختلاج أو حركة قويَّة فيلقّن الشيخ الذكر بلطيفة الروح ، ثم إذا وقعت الحركة فيها واشتغلت فيلقن بلطيفة السرّ . .إلخ . كذا في « جامع الأصول » وغيره من كتب النقشبندية . قال في « تصديق المعارف » في قوله تعالى من سورة الأنفال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية . اعلم أن الوجل خوف في اللغة ، وعلى لسان أهل التصوُّف اهتزاز القلب لما سمع

فَرَحاً أو تَرَحاً ، وحمل الآية على هذا أصحّ لأنها إنما نزلت فيما يختص الصوفية به ؛ وهي أحوال القلوب . انتهى من عبارته .

وفي تفسير سلمى في قوله : ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، هاجت من خشية الفراق ، فخشعت الجوارح لله بالخدمة . انتهى عبارته . فهذه المذكورات تدلُّ على أن الاهتزاز من علامة الذكر فافهم ، لكنَّ الحركة والاضطراب ليست بلازم ولا مستحيل الحصول . كذا في « النفائس السانحات » وفي « البهجة السنية » في ٤٧ .

واعلم أنّ المقصود من الذكر حضور القلب مع المذكور لا حركة القلب وقت الذكر ، **فإن الحركة ليست بشرط عندهم** . قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن أريد من ذكر القلب تحركه بالذكر فدوامه ليست بشرط ، لا في حالة الفناء ولا في غيرها . والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبي والتوجه إلى جناب الحق جلَّ ذكره ، وجد التحرك أو لم يوجد . انتهى من عبارته . وفيه أيضاً : فأمَّا الذكر الأوَّل الوارد معنعناً الخفي القلبي فهو ذكر اسم الذات ، أعني : الجلالة ، وهو لفظة (الله) بالقلب . قال الشيخ الأكبر محيي الدين قدس سره وليكن ذكرك الاسم الجامع هو (الله الله) لا تتعدّ هذا الذكر ، وتحفظ أن يفوّه به لسانك ، وليكن قلبك هو القائل ، ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك ، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالك التي كنت عليها ، فإنها قوَّة عرضية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة . انتهى من عبارته ٤٧ . اعلم أن الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والذي اختاره ساداتنا النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية من الأذكار الذكر الخفي القلبي ، ولهم على ذلك دلائل من الكتاب والسنة ، ونقول العلماء الأئمة ؛ فمن الكتاب قوله تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الآية ، ومن السنة ما ورد في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله تعالى « أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في

نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » رواه البخاري وغيره . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبويها قالت : قال رسول الله ﷺ « يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفاً ، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم ، وجائت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى : انظروا هل بقي لعبدي من شيء ؟ فيقولون ما تركنا شيئاً ممَّا علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول الله تعالى : إنَّ لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي » . انتهى من « البهجة » عبارته من ٣٥ بتصرف واختصار . ومثله في « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ إلخ فراجعه . وقد جاء في تخصيص القلب بالإيمان والخشية والإنابة والذكر والتقوى والسلامة آيات كريمات . قال الله تعالى ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ، و ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ .

قال الحرث رحمه الله تعالى : **بلية العبد تعطيل القلب عن الله فحينئذ تحدث الغفلة بالقلب** ، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ . وقد كان السلف الصالح يجتهدون في قطع العلائق ورفع الشواغل والعوائق عن القلوب ، ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبة خالقه . انتهى من « البهجة » من عبارته ٢٦ . وفيه : والذكر ريحانة القلوب ، وبه تحصل الأنس بالمحبوب . قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ، و﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، وبه تنتفي غفلة القلب عن علام الغيوب . ولما اختص القلب بهذه الخصائص الفائقة ، وتضاعف الذكر فيه بتلك المضاعفة السابقة كان حقيقاً بالاعتناء بشأنه وإصلاحه بالتجرد عن الأغيار وصقله بكثرة الأذكار ؛ لأنه محل نظر الله الغفار ، وموضع الإيمان ومعدن الأسرار ومنبع الأنوار ، وبصَلاحه صلُح الجسد كله ، كما بيَّنه لنا النبيُّ المختار ﷺ ،

كيف لا ؟ ! وعليه بصحة العبادات الاعتقادية والعملية المدار فلا يكون العبد مؤمناً إلا بعقد القلب على ما يجب الإيمان به ، ولا تصحُّ عبادة مقصودة إلا بنية سواء ، كانت العبادة بدنية كالصوم والصلاة ، أو مالية كالزكاة أو مركبة منها كالحج ، لتتميَّز العبادة ، فصار القلب محطّاً لجميع العبادات . انتهى من عبارته ٣٦ . فهذا آخر ما أردنا أن نورده في هذا الكتاب ، فلعل الناظر إليه أن يصلح منها ما زلَّ القلم ، وما سهى عنه الفكر ، ومن دلّنا على ما وقع منَّا من الخطأ والزلل في الأخذ فهو عندنا كروح جسدنا وقُرَّة عيننا ، ولا نطيق أن نكافىء صنيعه ولو خدمْناه مدى الدهر . اللهم اغفرلنا ولجميع أمة محمد ﷺ ، واهدنا وإياهم إلى سواء الطريق ، واجعلنا من الذين يروِّجون الطريق ويتبعون الشريعة بأحسن توفيق ، وارزق أستاذنا ومولانا جميع ما فيه الصلاح والتحقيق ، آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

خاتمة

في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية العلية

اعلم أنّ طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء به عند السادات النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية أربعة ؛

الطريقة الأولى : صحبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب ؛ وهي سببٌ مستقلٌّ في الإيصال إلى المرتبة ، وهي الأعلى الأقوى الأفيد من طرق الوصول ، وهي عند الصوفية من جملة الفرائض ؛ **لأن علم التصوف إنما يكتسب من صحبة المشائخ الكاملين** ، لا من مطالعة الكتب ولا من الرياضات في الليل والنهار ، والرياضة بغير شيخ لا تورث إلا الوسوسة ؛ **فما يحصل للسالك في صحبة الشيخ الكامل في لحظة واحدة لا يحصل له في مطالعة ألف كتاب ولا رياضات ألف سنة** .

وقد أجمع العارفون على أنَّ المريد الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ الكامل بالانقياد والتسليم انطبع باطنه بأنوار باطن الشيخ في أول قدومه فيها . .إلخ . ولذا قال بهاء الدين النقشبند قدس سره : طريقتنا الصحبة ، والخير في الجمعية . ولقد تلقَّى أبو بكر ﵁ هذه النسبة التي في هذه الطريقة النقشبندية عنه عليه الصلاة والسلام بمجرَّد الصحبة به في غارة الهجرة . قال في « نزهة المجالس » كما في سلسلة الخواجكان : أنه قال عليه السلام « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوُّف » . انتهى عبارته . ورأى واحدٌ رسول الله ﷺ في المنام فقال : يا سيدي أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : وقوفك بين يدي وليٍّ من أولياء الله ، كحلب شاة خير لك من أن تعبد الله إرباً إرباً ، فقال : حيّاً أو ميّتاً ، فقال : نعم ، انتهى من « بريقة » ١٨٨ ج٢ .

وللصحبة ثلاث شرائط

الأول : أن يصحب المريد الشيخ خدمة له وانتساباً إليه وافتخاراً به وإقبالاً عليه .

الثاني : أن لا يعترضه ولا ينكر فعلاً من أفعاله مطلقاً ، ظاهراً وباطناً ؛ **ولو رأى منه ما يخالف الشرع** ، ويعدّ خطرات وهمه ذنوباً يستغفر الله تعالى منها ؛ لأنَّ الشيخ بيد الله تعالى ، والله لا يأمر بالفحشاء ، ولكنَّه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره . انتهى من « البهجة » عبارته .

فالعارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صورية لا حقيقيَّة قصد بها امتحان من شاهدها واختباره . كان لبعض المشائخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً ، فقال له : يا فلان أتحبُّني ؟ قال : نعم يا سيدي ، فقال له : من تحبُّ أكثر ، أنا أو أبوك ؟ فقال : أنت سيدي ، فقال : أفرأيت إن أمرتك

أن تأتيني برأس أبيك ، أتطيعني ؟ فقال يا سيدي ، فكيف لا أطيعك ؟! ولكنَّ الساعة ترى ، فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس ، فتسوّر جدار دارهم وعلا فوق السطح ، ثم دخل على أبيه في أمِّه في منزلهما ، فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك[1] عليه وهو فوق أمه ، فقطع رأسه وأتى به إلى الشيخ وطرحه بين يديه فقال له : ويحك أتيتني برأس أبيك ؟! فقال : يا سيدي نعم ، أمَا هو هذا ، فقال له : ويحك إنما كنت مازحاً ! فقال له المريد : أمَّا أنا فكلُّ كلامك عندي لا هَزْلَ فيه ، فقال له الشيخ : انظر هل هو رأس أبيك ؟ فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه ، فقال له الشيخ : رأس من هو ؟ فقال له : رأس فلان العِلْج ، وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين ، قال : وكان أبوه غائباً تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش ووعدت عِلْجاً كافراً ، ومكَّنته من نفسها ، وكوشف الشيخ رضي الله عنه بذلك ، فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه ، فعلم أنه جبلٌ من الجبال فكان وارث سرِّه ، والمتولّي بعده على فتحه ، والله الموفِّق . انتهى « إبريز » عبارته ٢١٠ .والحكايات في هذه كثيرة ، ويكفي هذا المذكور للمتأمّل المتدبّر ، والله أعلم .

الثالث : أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسّال لا يخالفه في شيء مطلقاً ، ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً . وللصحبة آدابٌ أخر ، لكن المذكور منها يجرّ غيره ، والأخلاق يجلب بعضها بعضاً .

وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر ، فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ، ثم يصل إلى المريد ، وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه ، فهما شيخان مجازاً ، وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد . قال العارف عبد الغني النابلسي قدس سره في شرح ابن الفارض قدس سره : ما

(١) برك : ثبت .(مختار) .

يتخيَّله السالك من معاني تجلّيات الحضرة الإلهية وقت حضوره معها بها لا بنفسه إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجُّه الرباني والإمداد الرحماني ، فتارة بالإلقاء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال ، وتارة يأتي بتقرير العبارات وتبيين الإشارات ، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة ، وشرطها كمال الصدق من الطرفين ، فيسري الحال الصادق بأمر الله تعالى في المريد الصادق ، وتارة بنظر الشيخ الصادق من قوله ﷺ حكاية عن ربه « كنت بصره الذي يبصر به » ، في الحديث المشروط بالتقرُّب بالنوافل ، وتارة بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله ﷺ « إذا رُؤوا ذُكِرَ الله » ، وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء ، والإخلاص في الخدمة ، والأدب مع المشائخ ، وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً .

الطريقة الثانية : الرابطة ، وهي طريقة مستقلّة للوصول ، وعبارةٌ عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقِّق بالصفات الذاتيّة وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبة ، فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة ، كما تحصل من الذكر بموجَب : « هم جلساء الله تعالى » . ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح ، والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجَب : « المرء مع من أحبَّ » ، فبحفظ الصورة يتحقَّق ويتَّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله التي له . وقيل : الفناء في الشيخ مقدَّمة الفناء في الله . وإن وجد في استحضار الصورة سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة ويكون متوجِّهاً إلى ذلك الحال ، فإنَّ زمان الغيبة زمان الوصول والشهود .

كيفيَّة الرابطة

وكيفيَّة الرابطة على أقسام :

الأوّل : أن يتصوَّر المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجَّه إلى روحانيته في تلك الصورة ، ولا يزول عن التوجّه إليها حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة .

الثاني : أن يتصوَّر صورته بين جنبيه ، ثم يتصوَّر إلى روحانيته في تلك الصورة ، كذلك حتى يحصل الغيبة أو أثر الجذبة ، فبعد حصول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة . وكلما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يَرْجع إليه ذلك الحال ، فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفني عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ، فعند ذلك يشاهد روحانية الشيخ مع كمالاته في صورته ؛ لأنّ الكمالات لا تفارق الروحانية ، **فتُربِّيه روحانية الشيخ إلى أن توصله إلى الله تعالى ، فيكون من الواصلين الكاملين ، فبالرابطة يتربَّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب .**

الثالث : أن يتخيَّل صورة شيخه في جبهته ويقرِّرها وسط الجبهة ، وهو أقوى لدفع المخيَّلات من القسمين اللذين قبله .

الرابع : أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه ، وهو أعون على دفع الخطرات القلبية .

الخامس : أن يتخيَّل الصورة في جبهته وينزل بها إلى وسط قلبه ويقدِّر أن القلب دهليزٌ واسعٌ ، ويقطع الخواطر جملة واحدة . وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبها .

السادس : أن ينفي نفسه ويثبت شيخه ، وهو أقوى لدفع البليَّات . فلقد كان شيخنا ذو الجناحين العسلي قدس سره يخبرني أبعاضاً من هذه الأقسام ، ويقول : فبأيِّ كيفيّة حصلت لك البركة فاستعمِلْها ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

ثم اعلم أنَّ الرابطة إنّما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرِّف بقوَّة الولاية ، كالشيخ محمود أفندي الألمالي الأشترخاني ، والشيخ خالد البغدادي قدس الله أسرارهما وأمثالهما ؛ لأنَّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، **فما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفةٍ ، ومتى غفل عن ذلك جائته الآفات من كلِّ جانب** ، لكنَّ الواجب على المريد اعتقاده على وصول الفيض الإلهيّ بوسطة الشيخ المرابَط ؛ **فالمدار على حسن ظنِّ المريد المتوجِّه للشيخ لا على الشيخ** . وإذا استمرّ توجّه قلب المريد إلى الحق تعالى في كلِّ حركة وسكون من غير علَّة فباب الفتح مفتوح ولا بدَّ ، وما دام العبد متوجِّهاً فالمدد فياض على قلب من أريد له الكمال .

قال العارف عبد العزيز الدباغ لواحد من المريدين ما حاصله : **إنَّ أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعة ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرُّك في دينك ودنياك** . انتهى من « إبريز » عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » : **فإن ظنُّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحُّ لهم حماية** ، ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معهم . انتهى من عبارته .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : إنّ الغوث محمود الفعال قدس سره كان يقول : **إن رابط إليَّ المريد متوجِّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يسكن الشيطان ما بينهما وبين المريد** . انتهى .

وأما آداب الرابطة ؛ فهي : أن يعتقد المريد أنَّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيّته ، وأن يعتقد أنَّ تصرُّفات روحانية الشيخ من تصرُّفات الحق سبحانه وتعالى ، وأن يحفظ محبة شيخه ، وأن يراعي نسبته في كلِّ حال ، وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكَّن فيه ذلك الحال ؛ لأنّه

إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ؛ **لأنّه من أحوال الشيخ كالعارية عنده** ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقَّنه الشيخ من الأذكار ، وهو طريق مستقلٌّ للوصول . انتهى من « البهجة » عبارته . فأما الذكر المعنعن الوارد عندهم : الذكر الخفي القلبي . فهو اسم الذات ، والنفي والإثبات ، فشروط النفي والإثبات عند النقشبنية تسعة : سبعة متَّفق عليه ، واثنان مختلف فيه . وقد مرَّ تحقيقها في المقدَّمة ، لكن كان اللائق بهذا الموضع أن نوردها ونعيدها مع دلائلها لزيادة النفع للإخوان ، فعسى أن يلاحظوني في دعواتهم .

١ - الوقوف القلبي ، لاطلاع القلب . ٢ - حبس النفس ، لدفع الخواطر .٣ - ملاحظة خطٍّ ، لإراءة طريق الذكر .٤ - ملاحظة النقش ، لجريان (لا إله إلاّ الله) .٥ - ملاحظة المعنى ، للوصلة . ٦ - ضرب (لا إله إلا الله) ضرباً شديداً إلى القلب ، لوسعة القلب وقوَّته لإخراج الأخلاق الردية الدنيَّة . ٧ - ملاحظة عدد الوتر ، للتميّز . ٨ - ذكر (محمد رسول الله) ، للاتصال إلى ولاية النبوَّة . ٩ - باز كشت ؛ أي : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، لتصحيح النيّة . هذا حاصل ما في « همة المريدين » .

آداب الذكر

وفي « البهجة السنيّة في آداب الطريقة العليَّة النقشبنديَّة » : وقال الإمام الشعراني قدس سره في « نفحات »ـه : وآداب الذكر التي حث عليها القوم ، ورأوها أقرب للفتح على المريدين كثيرة ، ويجمعها كلّها عشرون أدباً : خمسة سابقة على التلفُّظ بالذكر ، واثنا عشر في حالة الذكر ، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر . **فأما الخمسة السابقة ؛**

فأوّلها : التوبة ، وحقيقتها عند القوم أن يتوب عن كلِّ ما لا يعني العبد من قول أو فعل أو إرادة ، ومن لم يتب هذه التوبة وترخَّص فلا يجيء منه

شيء . وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول : من ادّعى حلاوة الذكر مع محبته للدنيا فكذّبوه .

الثاني : الغسل للذكر ، أو الوضوء . وكان أبو يزيد قدس سره يتوضّأ ويغسل فمّه بماء ورد كلما أراد الذكر .

الثالث : السكون والسكوت ، فيحصل بذلك الصدق بأن يشتغل قلبه بـ (الله الله) بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى خاطر مع (الله الله) ، ثم يوافق اللسان القلب بقول : (لا إله إلا الله) .

الرابع : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمَّة شيخه .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبيِّ ﷺ ؛ لأنه واسطة بينه وبينه .

وأما الاثنى عشر التي هي في حالة الذكر ؛ **فالأوّل :** الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة . **الثاني :** أن يضع راحتيه على فخذيه . **الثالث :** تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة وكذلك ثياب بدنه . **الرابع :** لبس الثياب الطيب الحلال ولو شراميط الكيمان . **الخامس :** اختيار موضع مظلم إن وجد . **السادس :** تغميض العينين ، وذلك لأنه إذا غمض عينه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، وسدّها يكون سبباً لفتح حواس القلب . **السابع :** أن يتخيّل صورة شيخه بين عينيه ، وهذا عندهم آكد الأدب . **الثامن** : الصدق في الذكر ، بأن يستوي عنده السر والعلانيَّة . **التاسع** : الإخلاص ، وهي تصفية العمل من كلِّ شوب ، فإن بالذكر والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصديقية ، بشرط **أن لا يكتم عن شيخه شيئاً من خواطره ولو مذمومة ، فمن كتم شيئاً منها كان خائناً وحرم الفتح** ؛ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ ، فإن المريد لا عوْرة بينه وبين شيخه إلا فيما نهاه الشرع . **العاشر** : أن لا يختار من صيغ الذكر شيئاً بنفسه ، بل يشتغل بما لقنه شيخه واختاره له . **الحادي عشر** : إحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف دراجاته في المشاهد ، ويعرض على

شيخه كلَّ ما ترقَّى إليه من الأذواق ، ليعلِّمه طريق الآداب فيه . **الثاني عشر** : نفي كلّ موجود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى فإن الله غيور لا يحبُّ أن يرى في قلب عبده غيره ، ولو لا أنَّ الشيخ له مدخل في التربية من حيث كونه واسطة بين المريد وبين ربّه ما شرطوا تخيّله للمريد . قال شيخنا وإنما نفوا من القلب كلَّ ما سوى الله تعالى ، ليتمكَّن تأثير (إلا الله) بالقلب ويسري إلى الأعضاء ، كما أنشدوا في ذلك :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى　　　فصادف قلباً فارغاً فتمكَّنا

وأما الثلاثة التي بعد الفراغ من الذكر ؛

فأوّلها : أن يسكن إذا سكت ، ويخشع ويحضر مع قلبه مترقباً لوارد الذكر ، فلعلَّه يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة أكثر مما تعمره الرياضة والمجاهدة في نحو ثلثين سنة ؛ لأنه إن كان الوارد زهداً في الدنيا فيتمهَّل فيه حتى يستحكم فيه فيصير زاهداً ، وإن كان الوارد الصبر على الأذى فيتمهَّل له حتى يستحكم فيه ، فيصير يتحمَّل الأذى من كلِّ أحد من جميع الأنام . وهكذا في جميع أخلاق القوم ، بخلاف ما إذا فرغ من الذكر ولم يسكن ، فإنَّ الوارد يطرقه ولا يستحكم فيه فلا يثبت له في الوارد قدمٌ .

ثانيها : أن يذمَّ نفْسَه ونَفَسَه مِرَاراً ، وهذا كالمجمع على وجوبه عندهم ؛ لأنّه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان ، قالوا : وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس ؛ **كلُّ نفس أطول ما يحتمل صاحبَهُ** . وعبارة « ترصيع الجواهر المكيّة » هكذا : وثانيها : أن يطرق رأسه ويكتم نَفَسَهُ من أنفه وفمّه خاشعاً ، بحيث لا تتحرَّك منه شعرة مثل سكون الهرّة عند الاصطياد حتى يضيق نفسه ، يفعل ذلك ثلاثة أنفاسٍ أو خمسة أو أكثر . انتهى من عبارته . وهي كالتفسير لما قبله .

ثالثها : منع شرب الماء عقب الذكر ؛ لأنّ الذكر يُورثُ حرقة وشوقاً وتهيُّجاً إلى المذكور ، وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر ، وشرب الماء

عقب الذكر يطفئ ذلك ، فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة . فإنَّ نتيجة الذكر إنّما تظهر بها ، والله أعلم .

الطريقة الرابعة : التوجُّه والمراقبة ، وهي أن يلازم القلب معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق والاستهلاك ، بحيث لا ينفكُّ عنه في أيّ حال ، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً حصل مبادي الفناء . انتهى من « البهجة » عبارته . وللمراقبة كيفيَّات عديدات وأنواع كثيرات وذكرها يجرُّ إلى التطويل ، ومن أراد الاطلاع على تحقيقها فعليه الرجوع إلى « تبصرة المرشدين » و« جامع الأصول » و« النفائس السانحات » وغيرها ، ولا يدرك ماهيَّة المراقبات إلاّ من ذاقها ، رزقنا الله تعالى نصيباً منها بفضله وكرمه إنّه جوّاد كريم ، آمين .

ثمَّ المطلب الأسنى والمقصد الأحرى من جميع العبادات أن يخلص العبد فيها ؛ بأن يأتي العبادات والأذكار محضاً لمجرَّد وجه الله ورضائه ، لا لغرض دنياوي ولا لحظٍّ نفساني ، سواء كان الحظ دنياويّاً أو أخراويّاً ، ولا يتخلَّص الإنسان من الشيطان إلاَّ بالإخلاص ، قال الله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ والمقام الأعلى من الإخلاص أن يعبد الله تعالى لمجرَّد الامتثال ، وأن لا يكون له قصد في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاق مَوْلاه العبادة ، والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرَّأ من الاعتماد على حَوْله وقوَّته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لايرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور التي كُلِّف بها على الوجه الذي أُمِر به . ومنها يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلُّ ذرَّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة غيرهم .

ولا ينبغي لعاقل أن يطلب ظهورَ الأحْوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ، وأكثر المريدين يطلبُونها وينقبضون إذا لم يظهر لهم نتيجة الأذكار ، والعارفون منهم يخافون من حال البسط كما يخافون من الأسد ، ويلتذّون

بالقبض ، كما يلتذُّ أهل الدنيا بدنياهم ، وذلك لعلمهم أنَّ في البسط هلاك باطنهم وعمارة ظاهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعمارة الباطن ، ويجوز أن يكون ظهور الأحوال ثواباً معجَّلاً ينقص بها الأجور في الآخرة ، لأنَّ كل من تنعَّم في الدنيا ينقص الله من نعمِهِ في العقبى .

فالحاصل إنَّ عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، لأنَّ من تطلَّع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتّة ، فإذا سكن إليها القلب وقع فيه الحجاب ، والمقصود المهمُّ هو الله تعالى لا غير ، **والأحوال والأذواق بمثابة السكر والزبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلُّوا بها ،** فكما أنَّ الأطفال لا يعطون السكر والزبيب إلاّ عند بكائهم ، كذلك أطفال الطريقة لا يعطون الأحوال إلاّ ضعاف القلوب منهم دون الأقوياء ، فإنَّ مَطْمَحَ نظرهم وراء الأحوال ، فافهَمْهُ واستغفر لهذا المسكين الواعظ الغير المتَّعظ .

ثم اعلم أنّ الاشتغال بالطريقة النقشبنديَّة يبلغ مرتبة في مدَّة يسيرة يتخيَّل جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً .

وفي « الرشحات » : قال حضرة شيخنا قدس سره يصل السالك بسبب الاشتغال بالذكر بالجدّ والاهتمام في مدة خمسة أو ستة أيام إلى مرتبة يخيل له جميع أقوال الناس وأصوات المخلوقات ذكراً ، بل يخيل له كلام نفسه أيضاً ذكراً ، **لكن لا يحصل ذلك بدون سعي واهتمام** .انتهى من عبارته .

ولا ينبغي لأحد أن يكون مغموماً لعدم حصول هذه الأحوال دفعة واحدة ، بل اللاّزم على السالك أن لا يسأم ولا يضجر عن الطلب ، وأن يدوم على الأذكار ويصبر على الشدائد ويلتزم الباب بكمال الأدب قائلاً :

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي   أو تقبلوني على عيبي ونقصاني

ألا ترى أنَّ سائلاً لو قرع باب واحد من كرام الناس وألحَّ في السؤال فلا جرم يستحيي من ردِّه محروماً ، بل يردُّه بكسرة الخبز التي هي مقصوده ،

وما يطلبه الطالب من الطريقة لأهْوَنُ على الله من كسرة خبزٍ بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردُّ طالباً صادقاً وهو أكرم الأكْرمين وأرحم الراحمين ، ولكن لا بدَّ من الجدِّ والصبر . فإنَّ من دام على الذكر والصحبة لا بدَّ مِن أن يحصُل له نسبة الحضور بالله تعالى على سبيل التدريج ، **ولا يشترط أن يحصُل الحضور والجمعيَّة دفعةً واحدة** . وأمَّا من لا بدَّ لهم من ارتكاب الأسباب والحِرَفِ والسعي في جميع المعايش الدنياويَّة فلا يطردهم المرشد من التلقين ، بل يُسْلكهم ويُرَخصهم ولا يزن أحوالهم بميزان أحوال السلوك ، ويلقِّنهم الذكر القلبي ولا حاجة إلى الزيادة ، فلعلهم يصلون إلى مقام الحضور بالله سبحانه تدريجاً ، ويرجعون عن أخلاقهم الرديئة ببركة الأذكار والصحبة ، ومجرَّد الانتساب ؛ أي : النسبة العليَّة إن حفظه يكفيه فقط ، وراجع « المكتوبات » للغوث الأعظم محمود الفعال الألماليّ « وتبصرة المرشدين » للشيخ محمد ذاكر قدس سرهما .

وقال صاحب « هديَّة الذاكرين وحجّة السالكين » : **وأما تعليم** الذكر للعوام فلعموم الخطاب بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ الآية . . وإلخ . فعلى العلماء والمشائخ أن يعلّموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنَّة والجماعة ، لأنّه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ . . والخ ، وقوله ﷺ « كاتم العلم » أي : عن أهله « يلعنه كلُّ شيء حتَّى الحوت في البحر » . . إلخ . انتهى عبارته .

فائدة يُعْلَمُ بها كون بناء هذه الطائفة النقشبنديّة على أساسٍ صحيح في جميع ما يفعلونه في تلك الطريقة العليَّة .

آداب الذكر

اعلم أنّ آداب ذكر المتسببين لها التي هي بمنزلة الشروط على ما ذكره صاحب « حجّة الذاكرين » فعشرون ، أربعة عشر منها آداب ، واثنان منها معرفة التأثيرات والواردات بسبب الورد والرابطة ، وأربعة منها أبواب إلهيّة :

الأوّل : الطهارة الكاملة بأن يكون متوضّئاً طاهر البدن والثياب والمكان .

والثاني : استقبال القبلة في مكان خال .

والثالث : الجلوس متورِّكاً على عكس تورُّك الصلاة ؛ بأن يعتمد على وركه الأيمن ويخرج قدم رجله اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى .

والرابع : الاستغفار من جميع المعاصي والمخالفات والغفلات ؛ بأن يقول (أستغفر الله) خمساً أو خمس عشرة أو خمساً وعشرين .

والخامس : قراءة الفاتحة مرَّة ، والإخلاص ثلاث مرات ، وإهداء ثوابها إلى روح سيّدنا محمد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليَّة النقشبنديَّة الخالديَّة قدَّس الله تعالى أسرارهم العليَّة .

والسادس : الاستمداد من أرواحهم .

والسابع : تغميض العينين بلا شدَّة ، لاصقاً الأسنان بالأسنان ، والشفة بالشفة ، واللسان بسقف الفم ، منطلق النفس على حاله كما في النوم .

والثامن : رابطة الموت ، وهي عبارة عن ملاحظة الموت وأحواله ، والقبر والسؤال والحساب والقيامة وأهوالها ، كأنَّ الموت قد حلَّ به الآن ، وكأنَّ هذا آخر نفس من أنفاسه في الدنيا .

والتاسع : رابطة المرشد من حيث هو مرشده وأستاذه ، وهي عبارة عن المحبَّة الكاملة له في الله ، وتخيُّل صورَته بين عينيه .

والعاشر : رابطة الحضور ، وهي عبارة عن التفكر بأن الله تعالى حاضِرٌ ناظرٌ محيطٌ ، عالم بك وبجميع العالم بكمال الهَيْبَة والعظمة ، منزَّه عن المكان والجهة والصورة .

والحادي عشر : الوقوف القلبيُّ ، وهو عبارة عن التوجُّه إلى القلب الصَّنوبريِّ بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى .

والثاني عشر : الوقوف الذكريّ ، وهو عبارة عن تخيُّل لفظة الجلالة ، أعني لفظة (الله) ، وتخيُّل نقشه على القلب .

والثالث عشر : الوقوف العددي ، وهو عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرته .

والرابع عشر : القول في رأس كلِّ مائة أو عند غلبة الخواطر مما سوى الله تعالى (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) ، **ولهذه المذكورات علل ودلائل .**

فوائد الوضوء

أمّا الطهارة الكاملة فلتعظيم الذكر وللسِّلاح على الأعداء ، كما في الصلاة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، وقوله عليه السلام « إذا توضَّأ العبد تحاتَّ[1] عنه ذنوبه كما تحاتُّ ورقُ هذه الشجرة » . انتهى من « حجة الذاكرين » من عبارته . وروي عنه عليه السلام « إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قَعَدَ مغْفوراً له » الحديث من « أسباب الفلاح » عبارته في ٢٥ .

---

(١) تحاتَّ عنه : تساقطت ، وأصله : تحاتتت : فحذفت إحدى التاءات لتوال الأمثال ، وذلك للتخفيف .

وفي « **البريقة** » : من داوم على وضوئه أكرمه الله تعالى بسبع خصال : ١ – ترغيب الملائكة في صحبته . ٢ – لا يزال القلم رطباً من كتابة ثوابه . ٣ – تسبيح أعضائه وجوارحه . ٤ – لا يفوته التكبيرة الأولى . ٥ – إذا نام بعث الله ملكاً يحفظه من شرّ الثقلين . ٦ – يسهل الله عليه سكرات الموت . ٧ – وأن يكون في أمان الله تعالى ما دام على الوضوء . انتهى من عبارته في ٦٣ من الجزء الثاني .

وأمّا استقبال القبلة في مكان خال ، فلتعظيم ذكر الله ودفع الشغل وطلب الحضور والفراغ واجتناب الرياء لقوله تعالى ﴿**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ**﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « خير المجالس ما استقبل القبلة » انتهى من « حجة الذاكرين » عبارته . وروى الطبراني باسناد حسن « إنَّ لكلِّ شيء سيِّداً ، وإنَّ سيِّد المجالس قُبَالَةُ القبلة » ، وفي رواية له أيضاً « إن لكل شيء شرفاً وإنَّ شرف المجالس ما استقبل القبلة » . انتهى من « لواقح الأنوار » عبارته .

وقال الشعراني قدس سره فيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نجعل جلوسنا دائماً للقبلة عملاً بقوله تعالى ﴿**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ**﴾ أي : نحو الكعبة ؛ **اللهم إلاَّ أن يكون أحدنا جالساً في حلقة ، فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا ، من حيث أنَّ المؤمن مرآة المؤمن ، ولا يخفى أنّ توجه العبد لأخيه في غير صلاة أفضل من توجُّهه للقبلة ، فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين استقبلنا القبلة لأنها تليه في المرتبة** ، والله عليم حكيم . انتهى عبارته .

وأما الكون في مكان خال فلقوله تعالى ﴿**وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ**﴾ الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام « السرّ أفضل من العلانيَّة ، ولمن أراد الاقتداء العلانيّة أفضل من السرّ » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله خالياً ، كمبارزة إلى الكفّار من بين الصفوف خالياً » ، ولقوله عليه

الصلاة والسلام لعليٍّ كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » . . إلخ . انتهى من « حجة الذاكرين » عبارته مع تصرُّف في العبارات .

وأمّا الجلوس متوركاً على عكس ما في الصلاة فلاتباع الأصحاب رضي الله عنهم ولاستراحة البدن ، لأنَّ الأصحاب كانوا يجلسون عند النبيّ ﷺ على هذه الهيئة ، واتباع الأصحاب سنة ، وهي أقرب للتواضع ، وأجمع للحواس على القلب ، انتهى منه[1] ، لتأثير القلب سريعاً . انتهى من « مهمّة المريدين » عبارته .

وأمّا الاستغفار فللطهارة من دنس الذنوب مانعة الوصول إلى حضور حضرة ربِّ الأرباب ، والرينِ والحجابِ على القلوب ، وذلك فرض على كلّ مذنب وعاص لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ الآية ، ولقوله عليه السلام « ثلاثة معصومون من شرِّ إبليس وجنوده ، الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله » .

وأمّا قراءة الفاتحة والإخلاص وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة فللوسلة للاستمداد منهم ، وللقُرْبَة والمناسبة لهم ، لقوله تعالى ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ الآية ، ولقوله ﷺ « ابتغوا إلى الله الوسيلة بالصلاة عليَّ » .

وأمّا الاستمداد من أرواحهم فللخلاص من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان ، وهذا أيضاً أمر مسنون لقوله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية ، وقوله ﷺ « إذا تحيَّرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » ، وقوله ﷺ « إذا انفلت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا عليّ ، يا عباد الله احبسوا عليّ ، فإنّ لله في الأرض حاضراً سيحبسُهُ عليكم » رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، وقوله عليه

(١) أي : « حجة الذاكرين » .

السلام « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني ، فإنّ لله عباداً لا يراهم » رواه عتبة بن غزوان ، لأنَّ روحانية سيِّدنا محمد ﷺ كجسمانيَّته في الفيض والنصرة والإمداد ، وكذا روحانية الأولياء والصالحين من أمَّته معجزةً له عليه الصلاة والسلام وكرامةً لهم .

وفي « الأمالي » : **كرامات الأولياء بدار الدنيا لها كون** ، فهم أهل النوال . وقال الإمام الغزالي : **والرحلة لزيارة قبور الصالحين مندوبة ، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم .**

وقال ابن حجر في « فتاواه » : ولا تترك زيارتهم لما يحصل عندها من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال وغير ذلك . .إلخ .

وأما تغميض العينين فلقطع الخواطر التي يوجبها النظر ولكمال الخشوع ، وهذا أيضاً أمر مسنون .

وأما رابطة الموت فلتذلُّل النفس وانكسارها ، وهذه معدودة من الفرائض في رسالة الإمام حسن البصري لقوله تعالى ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وقوله عليه السلام « أكثروا ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكرَهُ إلاَّ أحيا الله تعالى قلبه وهوّن عليه الموت » .

وذكر الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في هامش كتابه « صحيفة الصفا لأهل الوفا » ما يدل على أفضلية تفكر الموت وتذكُّره ، فلا بد من إيراده في هذا الموضع لنفاسته :

قال قدس سره عن مقداد بن أسود رضي الله عنه : قال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه : « كيف تفكرك وفيما ذا ؟ » قال : في قوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ، قال عليه السلام « تفكُّرك خير من عبادة سنة » ثم سأل عليه السلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره ، فقال : تفكري في الموت

وهول المطلع ، قال عليه السلام « تفكرك خير من عبادة سبع سنين » ثم قال عليه السلام لأبي بكر ﷺ كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول : يا ربّ اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصَدّق وعيدك ، لا تعذب أمة محمد ﷺ فقال عليه السلام « تفكرك خير من عبادة سبعين سنة » ثم قال عليه السلام « أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ﷺ » . انتهى عبارته .

وأما رابطة المرشد فلقطع الخواطر والوساوس الشيطانية ، وللوسيلة إلى السير والسلوك ، وهي عبارة عن استحضار صورة مرشده الكامل مع روحانيته ، وتخيله ، والاستمداد منه بالقلب ؛ لأنه النائب عن النبيّ ﷺ في التربية والأمداد والفيض والإرشاد والتبليغ ، وهذا المعنى عبارة عن المحبَّة الكاملة له لله وفي الله ؛ لأنه الواسطة بيننا وبين نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ، كما أنه عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبين الله تعالى .

ولا يجوز لأحدٍ أن ينكر الرابطة ؛ لأنّ الأولياء قد صرحوا بها وبحسنها ، وكذا الأئمة من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة قد قالوا بجوازها تصريحاً وتلويحاً ، ومن أراد الاطلاع إلى بيان الرابطة ودلائل جوازها فعليه الرجوع إلى « تبصرة الفاصلين » و« فتاوى عمرية » و« هدية الذاكرين وحجة السالكين » .

وأما رابطة الحضور فلحصول الفناء في الله تعالى ، والانقطاع ممَّا سواه لقوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ وجميع التبتل بالإخلاص والحضور والانقطاع عما سوى المذكور ، ولقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ وقوله في الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . .إلخ ، وقوله « تفكُّر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ، وهذه الرابطة عبارة عن التفكر في أنّ الله تعالى حاضر بصير ، مطّلع على جميع أحوالك ، عالم محيطٌ بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والخوف والعظمة والجلال ، منزَّه عن المكان والجهة والنقائص

والصورة ، كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، وكل ما خطر ببالك فهو منزه عن ذلك ، فسبحان من جعل العجز عن درك الإدراك إدراكاً .

وأمّا الوقوف القلبي فلقطع العلائق والحجاب ، وهو عبارة عن النظر والتوجُّه إلى القلب الصنوبري الشكل الذي تحت الثدي الأيسر بقدر أصبعين بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى بعد تجريد نفسه عن الجسمانيّة ، ويتصوّر نوراً بسيطاً وحدانيّاً مجرّداً عن الكيفيّات كلّها غير متعلق بشيء ظاهر على العالم الجسمانيّ ، كظهور الشمس على الجسمانيات ، بحيث يكون جميع العالم الجسمانيّ بالنسبة إلى ذلك النور البسيط كالذرة في شعاع الشمس ، ويعلق نظر بصيرته بذلك النور البسيط ، ويداوم على ذلك النظر حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور لغير ذلك .

وصورة أخرى من الوقوف القلبي : أن يتوجه إلى قلبه ويلاحظ فيه أنَّ نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ، ويجعل قلبه محاطاً بنظر الله تعالى ويستمرَّ على ذلك ، وبالاستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتَّى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود ، فعند ذلك يظهر سرُّ قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ويكون فانياً عن وجود الإمكان ، ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلِّها إلاّ وجود الحق سبحانه وتعالى فيظهر سرُّ قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فيكون واصلاً إلى الله تعالى . كذا في « شرح رسالة الخادمي » . قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي : من تطهَّر ظاهره بالشريعة وباطنه عما سوى الله تعالى بالكليَّة ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ، **وإنّ الله تعالى كما لا يقبل الشريك كذلك الذكر في القلب لا يقبل الشريك** ، لقوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فلهذا يلزم أوّلاً تهيئة المحلِّ بالتخلية لمن أراد الذكر والتحلية .

وأمّا الوقوف الذكريّ ، فللألفة والأنس مع الذكر ، ولدفع الغفلة وجلب الحضور ؛ وهو : عبارة عن تخيل نقش لفظة الجلالة أعني لفظة

(الله) على القلب بقلم النور ، أو تخيل جريان الذكر في القلب بأيِّ كيفيَّة شاء مع ملاحظة المعنى ، وهو الذات بلا مثل المنزَّه عن المكان والجهة والنقائص والصّورة لا شريك له ، لقوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ الآية ، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ ، وقوله ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ ، وقوله ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ ، أي انقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته ، كذا فسَّره الرازي . وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » ، وفيه « عبدي إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي » .

وأما الوقوف العددي ، فلتمييز عدد الذكر الذي هو أهمُّ ، وهو عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرته ، وهذا أمر مسنون ، لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كلَّ يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ ألا أدلّك على كلمات هُنّ أهون عليك وأكبر من عشرة آلاف وعشرة آلاف ؟ » الحديث ، وقوله عليه السلام « نعم المذكِّر التسبيح » .

وجوَّز الفقهاء اتخاذ السبحة ، كذا في « البحر » و« الخزائن » و« الحلية » .

وفي « المصباح » : السبحة خرزات منظومة .

وأما قوله : (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) عند غلبة الخواطر وتشتّت النيّة بما سوى الله تعالى أو بلسانه مع ملاحظة المعنى فلتصحيح النيَّة وإخلاص العزيمة ، لقول الله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ ، وطلب الرضاء في الأعمال أمر مشروع . انتهى من « هدية » عبارته . وكذا تخليص الأعمال من شوائب الشرك واجبٌ ، قال الله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ الآية ، فليتدبَّر العاقل في عموم قوله ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾ ونكارته ، ولهذه الكلمة خاصيَّة ، إذا أكثر المريد ذكرها تنفي المقاصد والمطالب كلها .

وأمّا انتظار الواردات والفيوضات الإلهيَّة على القلوب ؛ من التجلّي والأنوار والسكينة حالة الذكر والرابطة ، وبعد تمام الورد بسبب الذكر والرابطة فللبصيرة واليقظة وللأنس بها وللقيام بشكرها ، وهذا يسمَّى بالمراقبة عند الأكثر ؛ لأنه يرادف معناها ، قال تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ قال عليه الصلاة والسلام « إنّ الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده » انتهى من « هديّة الذاكرين » مع اختصار وتصرف بإيقاع بعض العبارات من نفائس سائر الكتب .

وأما الأبواب الأربعة ، فهي الشريعة ؛ وهي الباب الأول من الأبواب الإلهيَّة الموصلة إليه تعالى لتكميل تزكية الإيمان والقلب ، قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي تطهّر ، وقال عليه السلام « الطهور شطر الإيمان » فافهم منه وتذكَّر ما مرَّ نقلاً من « جواهر القرآن » .

قال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في هامش « صحيفة الصفا » على قوله : (واعلم أنَّ النيَّة والحضور شرط لكلِّ عمل يقصد به القربة) : إن كان العمل فرضاً أو واجباً ينوي به امتثال أمر الله واتباع نبيِّه ويشرع لله . انتهى المقول . قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ الآية ، وقال عليه السلام « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنّه يراك » الحديث . **فإن هذا الحضور لا يحصل إلا بعد تصفية القلب وتخليصه عما سواه تعالى ، ولا يحصل التصفية والإخلاص إلا بالطريقة العليَّة ، فإنّهما فرض أوّل بعد الإيمان على العباد من الرجال والنسوان على قول أكثر العلماء** . انتهى من عبارته

مطلب على وجوب مجاهدة النفس

واعلم يا أخي أنّ علماء الشريعة والحقيقة قد أجمعوا على وجوب مجاهدة النفس وتطهُّرها من الأمراض الباطنة ، كالكبر والحسد والغلّ ومحبّة

الدنيا ، **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** . قالوا : **ولا طاعة للوالدين في ترك المجاهدة ، ولا يصير الولد بذلك عاقاً لهما كما لا يصير عاقاً بمخالفتهما في تعلم العلم الواجب** . فإن قيل : ما الدليل على وجوب رياضة النفس ومجاهدتها ؟ فالجواب : الدليل على ذلك ما ورد في عقوبة المتكبِّر والحاسد والمعجب والمرائي والمنافق ونحو ذلك ، وما توعَّدَ الله تعالى عبادَه عليه بالعقوبة يجب عليهم الخروج منه في هذه الدنيا ، وإلا فلا يطهرهم من ذلك إلاّ النّار . وأيضاً فإنه كما يجب على العبد الخلوص من الأدناس النجسة في بدنه وثيابه ومكانه قبل دخوله في الصلاة ، فكذلك يجب عليه التطهُّر من صفات الشياطين التي في باطنه ، لتمكنه ملائكة الحضرة الإلهيّة من الوقوف بين يدي الله تعالى ، فإن كان من كان فيه خصلة من النفاق والكبر أو العجب مثلاً لا تمكنه الملائكة من دخول حضرة ربّه أبداً ، لأنها كالنجاسات الظاهرة على حدِّ سواء . انتهى من « المواهب البريقة » عبارته .

مطالب مهمة على وجوب اتخاذ الشيخ

وسمعت سيّدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : يجب على كل مكلَّف أن يُنظِّف ظاهِرَهُ وباطنه من صفات الشياطين ، لتمكّنه الملائكة من دخول حضرة الله تعالى التي لا تصحُّ الصلاة عندهم إلا بدخولها . ومعظم غرض جميع الداعين إلى الله تعالى أنّ العبد يُطَهّر باطنه كما يطهّر ظاهره ، ويطابق في جميع طاعاته بين الظاهر والباطن ، فيخرج عن صفات النفاق ويتخلّص بالإخلاص ؛ فهذا مُعْظَمُ قصدهم من تسليك المريدين ، **وذلك ليلحقوا المريد برائحة التخلُّق بما كان عليه السلف الصالح من الصدق والإخلاص في جميع الأحوال ، واتهام النفوس بعد ذلك بأنها لم تصَدّق ولم تخلص .**

ولا يتم ذلك لأحد إلا على يد شيخ صادق؛ ولو بلغ في العلم الغاية وكان على عبادة الثقلين . فربّما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية فسرح على شجر الحنظل ، ثم مجَّ ذلك على الخلية فأفسد كلّ ما فعله تلك السنة . انتهى منه عبارته .

وقد ورد « إنّ عابداً عبد الله تعالى في جزيرة سبعين سنة - وفي رواية خمسمائة سنة - وأن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي ، فيقول : يا ربّي بل بعملي » ! فلو أنّ هذا العابد سلك الطريق على يد عارف ، لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أنّ العبد لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى دون عمله ، وإن كان لزم العمل مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى منه عبارته .

وفيه : إنَّ أوَّل عمر العبد دخوله في طريق القوم ، ومن لم يدخل فيها فكأنّه لم يولد ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق . وفي كلام عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريِّين : بحق أقول لكم لن يلج ملكوت الأرض من لم يولد مرتين . انتهى . وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى عبارته .

وكان رضي الله عنه[(١)] يقول : **لو أنَّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور**؛ لجهله بمعرفة دسائس الأعمال الظاهرة فضلاً عن الباطنة ، بل ولا يعرف الطريق الموصل إلى ذلك حتى يتطلب معرفة كيفيَّة التطهُّر ، وذلك لأنَّ معظم طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يُدْرِك دسائس أعماله إلا من كشف الله تعالى حجابه . انتهى منه عبارته .

وكان سيِّدي عليُّ الخواص رحمه الله تعالى يقول : لو أنّ عبداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم . وسمعت

---

(١) أي : عليّاً المرصفي .

سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : من لم يكن له شيخ - في هذا الزمان - يخرجه من ظلمة الشكوك والأوهام فبعيد أن يذوق شيئاً من مقام كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى منه عبارته .

ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح أو بعضه لا غير . انتهى « لطائف المنن » عبارته ٤٧ . وقالوا : من لم يجد له شيخاً في بلده وجب عليه السفر في طلبه . انتهى منه . ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلّغك هذه المآرب ولو كان بينك وبينه بُعْدُ المشرقين . انتهى من « المواهب » عبارته .

وقال العالم المحقِّق محمد علي الچوخي في « فتاواه » ما حاصله : يجب اتخاذ الشيخ ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه لسفر الحجّ . انتهى بالمعنى .

وقال الشعراني في « المنن » : وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدلّه على الطريق مع كونه حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنّه قد لُقِّب بسلطان العلماء ، فكان شيخ الغزاليّ محمد الباذغاني وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي .

وكان الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول لما اجتمع بشيخه المذكور : ضيَّعنا عمرنا في البطالة ، يعني بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق . وكان الشيخ عز الدين رضي الله تعالى عنه يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه . فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة . فغيرهما من أمثالنا من باب أولى .

وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتّخذ أعمالي كلَّها وسائلَ إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ثَبَتُّ على ذلك وإلاّ تحوّلت منه . فلما اجتمعْتُ بأهل الطريق قالوا لي : اجْعَلْ أعمالك كلَّها مقاصد لتحضُرَ فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذْها وسائلاً ، فتموتَ ولا تصل إلى مقصودك ، فقرَّبوا عليَّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلاّ هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى من عبارته ٤٩ .

وقال فيه أيضاً : وممّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ بعد المجاهدة أنَّ جميع ما كنت علَّمته من العلوم كلها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنَّما هو مخلوط بالحظوظ النفسانيَّة . انتهى من عبارته ٥١ .

وفيه وقد بلغنا عن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - أنّه لما دخل طريق القوم كان يقول : قد وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا لم نضيِّع عمرنا فيها . انتهى . وإنما يكون حجاباً على من لم يخلص لله تعالى عز وجل في تعلُّمه وتعليمه . انتهى باختصار على المراد منه عبارته .

وفي « المتممات » لأحمد ضياء الدين : وقال الشعراني في « الأنوار القدسيَّة » : وقد أجمع أهلُ الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه ، لتصحَّ صلاته من باب ؛ **ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب** ، ولا شكَّ أن علاج أمراض الباطن كلّه واجب كما تشهدُه الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيد بالعقاب عليها .

فعلم أنَّ كلَّ من لم يتَّخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ؛ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب ! فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكلّ مَنْ سمعه وهو يدرِّس في الكتاب يقول : إنّه طبيبٌ

عظيم ، ومَنْ رآه حين يسأل عن اسم للمرض وكيفيّة إزالته قال : إنّه جاهل ، فاتخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكّر أبديَّة الآخرة ، وإيَّاك أن تقول : إنَّ طريق الصوفيَّة لم يأت بها كتابٌ ولا سنّةٌ ، فإنّه كفر ! ! فإنها كلها أخلاق محمَّدية ، وسيرة أحمديَّة ، وسنن إلهيَّة .

وقال الشعراني أيضاً في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بأعماله . فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد الحقيقي ، ويرى أعماله خلقاً لله تعالى وحده جملة ، ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبُّر على أحد من العصاة ؛ لأنّ العبد لا يرائي قط بعمل غيره ، ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى . فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟ قلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطوَوْ به الطريق ، **وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها** ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى « أدخل الجنّة برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي ! وذلك لعدم فهمهم أنّ القرآن يتوقَّف على جلاء القلب . فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدي وحكم غيره كالصابون . انتهى من عبارته .

يقول الفقير الواعظ الغير المتّعظ : فلو أخلص من ليس له شيخ في عبادته وأتاها سالمة من العجب والرياء وغيرها ، فلا شكَّ أنّه بعد ذلك عبد الثواب لا عَبْدُ الله سبحانه ، لأن غاية أمر من لم يتخذ له شيخاً أن يعبد الله لمجرَّد الثواب .

قال الغزالي في « الإحياء » : **إنَّ العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه** . انتهى عبارته .

وفي « الإبريز » : كلّ ما عملته بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله . انتهى عبارته ١٧٧ .

وفيه أيضاً : وأما المحرومون فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ولتحصيل أغراضهم ، ولا تكون لله عزّ وجلّ ، وهذه الأعمال لا تزيد إلا بُعْداً من الله عزّ وجلّ ؛ لأنها مخالفة لسرّ حقيقة الذات ، فإن سرّ حقيقة الذات أنّها ذات مخلوقة لله ، مفعولة له ، مملوكة له ، منسوبة إليه ، لا نسبة لغيره فيها بوجه من الوجوه . فلو جرت أفعالها على هذا السرِّ لكانت كلُّها خالصة ، فكأنّه يقول : لا حظ لي في شيء من أفعالها إذ هي كلها مخلوقة لله ! فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرِّ حقيقة الذات ، وأما أنّه يقول : ذاتي هي لله وأفعالها لي ، فينويها لنفسه ولتحصيل أغراضه ، فهذا لايجري فعله على سرّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يُوفي بشيء من حقوق الله ؛ لأنّه يفعل لغرض نفسه لا لقيام بحق الله ، فقد انقطع عن الله في أفعاله فتنقطع عنه العطيَّة من ربِّه عزَّ وجلَّ فيكون محروماً من المحرومين .

فقلت : وَرَدَتْ آيات كثيرة ، وأحاديث لا تحصى في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمَنْ فعل الفعل ، ولو كان كما قال سيدي عمر ومحمد الهروي لم يرد شيء منها بذلك ، لما فيه من القطع عن الله عز وجل ، فقالرضي الله عنه : لا يرد علينا ما في الآيات والأحاديث ، لأنّه لم يقل فيها : اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أعمالكم في هذه الحالة بجزيل العطيَّة ، وإنما قال : اعبدوني وأخلصوا العبادة وأنا أثيبكم . فنيَّتُنَا في أفعالنا تكون لله عز وجل ولعظمته وكبريائه ، ولما أسدى إلينا من العطايا الجسيمة ، وهو يثيبنا عليها عز وجل فضلاً منه ومنّة ، وإنّما يرد علينا ما في الآيات والأحاديث أن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ولا يثاب العبد عليها ، فحينئذ يرد ما ذكرتم ، وما أقبح العبد وأجهله ! حيث يظن أن يحصِّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله ، وهو يعلم أنّ أفعاله لم يحصل منها ولا شعرة ، فإذا كانت الذات مخلوقة لله ، والأفعال مخلوقة لله فكيف يسوغ لنا أن نعتمد في

الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عزّ وجلّ ، ولا نعتمدَ على مجرَّد فضله ورحمته ؟ ! ولكنَّ الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

قال ﷺ : وقد كان بعض العباد يعبُدُ الله بقصد نفع نفسه وأن يعطيه ما يحب ، فدام على ذلك عشرين سنة ، وكان لحّاحاً في الطلب ، فما ظهر له شيء مما يطلب ، فتحيَّر في أمره ، فقال : كيف يكون هذا ؟ ! أنا أطلب الله في مسألة عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ولا رحمني بها ؟ ! فألقى الله عز وجل عليه رحمة ، ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها ، فقال : إني لأحْمَق ! إذا كان الله سبحانه خلق الذات وخلق أفعالها ، وخلق الصحة وخلق المكان الذي أعبده فيه ، فأي شيء عملت حتى أطلبَ عليه أجراً وأَستحقَّ بسببه ذكراً ؟ ! كلاّ والله ما فعلت شيئاً ، ولكن عمدْتُ إلى أفعال الله فيَّ ، فقطعتها عنه ثم نسبتها إليَّ ، وجعلت أطلب بها عنده ، وأتمنَّى بها عليه حتى صِرْتُ أقول : وَقَفْتُ أنا ببابه عشرين سنة وما أعطاني شيئاً . أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب . فلمّا تاب إلى الله وعلم منه تعالى التوبة الصحيحة رحمه الله تعالى بأن أعطاه كلَّ ما يتمنَّى وزاده المعرفة به الّتي لا تعارضها جنة ولا غيرها . انتهى كلام « الإبريز » عبارته ١٥٩ .

فلو تدبَّر في هذه المذكورات من ليس له شيخ ، فعساه لم يعبد الله تعالى خالصاً لوجهه ولو مرّة ، بل كانت عبادته مشوبة بأغراض دنياوي أو أعواض أخراوي ، قال الله تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ الآية .

فالحاصل أن تعلُّم العلم الباطني من الشيخ المرشد فرض عين على من لم يرزق له قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليل ما هم ! وأحكام الدين إنّما تبنى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ، كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخِّرين من **الحنفيّة** ؛ كابن الهمام وابن الشلبي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي ، وأمثالهم .

ومن الشافعية؛ كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، والغزالي ، والسبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشهاب ابن حجر ، وأضرابهم .

ومن المالكية؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته أبي العباس ، وخليفته ابن عطاء الله ، والعارف ابن جمرة ، وناصر الدين ، والزروقيّ .

ومن الحنابلة؛ كالشيخ عبد القادر ، وفخر الإسلام ، والشيخ عبد الله الأنصاري ، وابن النجار ، ونحوهم . فإن هؤلاء العلماء الكرام بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك ، وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، هكذا في « المتممات » و« الفتاوى العمرية » و« الفتاوى الجوخية » .

أصناف رجال الله تعالى

ولقد أردنا أن نورد هنا نُبذة تدلُّ على أفضليَّة الطريقة النقشبنديَّة الصديقيَّة ، وأفضلية أربابها ، وإن مرّت الإشارة إليها سابقاً في هذا الكتاب . قال الشعراني في « منن »ـه : ومما أنعم الله تعالى به عليّ إعطاؤه تبارك وتعالى لي الفرقان بين رجال الله تعالى ، فإنه ما كلّ الرجال أعطُوا الفرقان .

وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، ذكرهم الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى في « الفتوتحات » :

الأول : العُبَّاد بضم العين ، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة ، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه حتى يطلبوا الانتقال إليه ، فلا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهيّة الوهبيّة ولا مكاشفة لهم ، ويخافون من ظهُور أعمالهم أن تُحْبَطَ لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى .

الصنف الثاني : الصوفيَّة ، وهم رجال فوق هؤلاء العبَّاد ، فإنهم يَرَوْنَ أفعالهم كلها لله تعالى ، مع ما هم عليه من الجدِّ والاجتهاد والورع والزهد والتوكُّل وغير ذلك ، ويَرَوْنَ مع ذلك أيضاً أنّ جميع ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كَلاَ شَيْءَ ، وفيهم رعونة نفس بالنظر لأهل الطبقة العُلْيا ، فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوّتهم .

الصنف الثالث : الملامية ، وهم على قدم السيد أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - ومن شأنهم أنّهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلاّ الرواتب ، ولا يفعلون من العبادات كلّها إلاّ ما لا بدّ منه ، ولا يتميّزون عن غالب الناس بعبادة ، يمشون في الأسواق ويتكلَّمون مع الناس بكلام العامة ، قد انفردوا بقلوبهم مع الله جلّ وعلا لا يتزلزلون عن عبوديّتهم ، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء عظمة الله تعالى تبارك وتعالى على قلوبهم ، وهؤلاء أعلى الطوائف كلّها مقاماً ، كما فضل أبو بكر الصحابة كلّهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فتأمَّل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ، ولا تَقْنَع بشيء دون المقام الثالث ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى من عبارته ٥٢ .

وفي الحديث « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » . انتهى . وفي « جامع الأصول » : إنّ هذا الذي وقر في قلبه هو الذكر القلبي باسم الذات . انتهى بالمعنى .

وهذا الصنف الأخير الذي ذكره الشعراني هم النقشبنديُّون المنتسبون إلى الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ومرَّ مراراً ما يدلُّ على أفضليَّة طريقتهم ، وأثنى عليها المحقِّق ابن حجر بأنّها السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، ومدح بعض من الشاذليين طريقتهم بأنها عين هذه الطريقة النقشبنديَّة ، وقال : إنها سلطان الطرق ، وقد كانت أوضاعها وأصولها على أصل صحيح وأساس قوي ، كيف لا ؟ ! وقد قال القطب الأعظم والغوث الأفخم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : إنَّ جميع أركانها وشروطها

وآدابها عين الشرع ، ولبُّ القرآن ، وحقيقة العرفان ، وفي حقِّها أدلّة جملةً وتفصيلاً ، كما سيأتي البيان . انتهى من عبارته ١١١ .

وقال فيه أيضاً : أمّ الطرق . انتهى .

ولقد سمعتم أيّها الإخوان ما أوردناه في هذا الكتاب ، وعلمتم أنّي لم أتكلَّم من قبل نفسي ؛ ومع ذلك صدَّ المتشيِّخون الناس عن أخذ الطريقة عن أهلها وأربابها قائلين : إن استعمال تلك الطريقة لا يقدر في ديارنا الداغستانية ، حتى أنّ واحداً منهم صَعَدَ إلى المنبر في يوم الجمعة في قرية فلانيَّة ووعظ الناس ، وقال : إنّ أخذ الطريقة لا يجوز ، ومع ذلك قد سعى خلف المريدين في القرى ، وتشيَّخ عليهم ، وعلَّمهم الأذكار والأوراد ، ممَّا ليس في طريقة من الطرق ، وبعضهم قد حرَّم الدخول فيها ، وقال : إنّ الذكر القلبي حرام للعوام . والله أعلم بما يترتَّب على صنيعهم ، ولا أعلم دليلاً ما على تصديق ما يقولون ، وتصويب ما يفعلون ، إلاّ أنّهم يصدُّون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجاً .

فالحاصل أن تسميتهم بقطاع الطريق أصوب من تسميتهم باسم المشيخة ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون . فلنرجع الآن إلى ما كنَّا بصَدَده .

والحقيقة ؛ وهي ثالث الأبواب الإلهيّة المذكورة الموصلة إليه تعالى لتكميل الإنسان وكسب العيان . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر الهيتميّ المكيّ قدس سره : وسئل نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة ، فأجاب بقوله : فُرّق بينهما بفروق ؛ منها : **إنّ الحقيقة** هو مشاهدة أسرار الربوبيَّة ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ونهاية الشيء غير مخالفة له ، على ما يأتي . **فالشريعة** هي الأصل ، ومن ثم شبّهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة ، والحقيقة هي الفرع المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شبّهت بالدرّ والتبر والزبد ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور أنّه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام

العبوديَّة ، وإنَّما يختلفان في مشاهدة الأسرار الربوبيَّة ، ولا شكَّ أنَّ أهلها متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك اختلافاً بينهما ،

وبيّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى بأنّ الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهرٌ وباطن ، والظاهر شرعيّ وغيره ، فالشرعيّ فرض ومندوب ، والفرض عين وكفاية ، والعين ؛ علم صفات القلب وعلم أصل وعلم فرع ، والعمل عزائم ورخص ، والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين : علم وعمل ، والعلم وهبيّ وكسبيّ ، فالوهبيّ ؛ علم المكاشفة ، والكسبي فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين علم قلب وعلم أصل وعلم فرع ، فالكسبيّ الذي هو أحد علم نوعي قسمي الحقيقة هو علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين ، وتسمّى مقامات اليقين ، والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، وأصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً .

نعم هنا شيئان ؛

أحدهما : علم صفات القلب ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جدّاً ، وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديلِ صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ، مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف .

والثاني : الرخص ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكُّون في حقيقتها ، وأنها من رحمة الله على عباده ، وأمَّا من حيث عملهم ! فإنّما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته ، وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلاّ في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى من عبارته ٢٢٧ .

الشريعة والمعرفة؛ وهي رابع الأبواب الإلهيّة متلازمان لا يخالف بعضها بعضاً ، فإنّه لا ينفع ظاهر إلاّ بباطن ، ولا يعتبر باطن إلاّ بظاهر ، لأنّه ورد « إنّما الأعمال بالنيات » ، ولا تنفع النيّة أيضاً إلاّ بالعمل ، لأنّ النية شرطه ، مثلاً : إنّ الرجل إذا نوى الصلاة فلم يصلّيها لا تجزؤه عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلاّ بالنيّة ، كما بيَّنه الإمام الشعراني في كتابه « الدرّ والياقوت » . انتهى من « هدية الذاكرين » عبارته .

وفسَّر صاحب « مهمّة المريدين » قدس سره لهذه الأبواب الأربعة بهذه العبارات : **الشريعة** : إتيان المأمورات وترك المنهيّات ، **الطريقة** : ترك دنيا وعقباً ، **المعرفة** : ترك ما سوى الله تعالى . انتهى من عبارته .

وفي « الباقيات الصالحات » : **رشحة** ، قال : سمعت مولانا نظام الدين عليه الرحمة يقول : يمكن لنا أن نبيّن الشريعة والطريقة والحقيقة في جميع الأشياء ، فإنَّ الكذب مثلاً منهيٌّ عنه ، فمن حفظ لسانه منه بالمجاهدة والسعي على طريقة الاستقامة ، بحيث لا يصدر عن لسانه باختياره وغير اختياره فهذه شريعة ، ولكن يمكن مع ذلك أن تكون في باطنه داعية الكذب ، فالسعي والمجاهدة في دفع هذه الداعية عن باطنه طريقة ، فإن كان بحيث لايصدرُ عنه الكذب باختياره وبغير اختياره ، لا من قلبه ولا من لسانه فهذه حقيقة . وكان حضرة شيخنا ينقل عنه هذا الكلام في أكثر الأوقات ويستحسنه . انتهى من عبارته ١٣ .

وصلٌ في بيان أنَّ ما يفعله أهل هذه الطائفة النقشبنديّة مستندٌ إلى دلائل من الكتاب ، والسنة ، وآثار السلف ، قال صاحب « هديّة الذاكرين » : **اعلم** أنّ الإنابة هي : إما بمعنى الرجوع ؛ أي : الرجوع من الكفر إلى الإيمان ، أو من المعصية والمخالفة إلى الطاعة ، والموافقة لأمر الله تعالى ، أو من الغفلة إلى ذكر الله عز وجل ، وهذا أمر واجب لقوله تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الآية ، وإما بمعنى المراجعة ؛ أي : رجوع المكلّفين إلى

المشائخ العالمين لتعلُّم كيفيَّة الإنابة إلى الله تعالى ، وكيفيَّة الذكر على الوجه المسنون ، ولتعلُّم أمور الدين . وهذا أيضاً أمر مشروع واجب على المكلَّفين لقوله ﷺ « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم » ، وبهذا المعنى تعبيرُ العوام بأخذ الإنابة من المشائخ ، وكذا الإنابة إليهم لا غير .

وأمّا الانتساب إلى المشائخ فأمرٌ مشروعٌ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا باللذيْن من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسَّكوا بعَهْد ابن أمّ عبد » ؛ أي عبد الله بن مسعود ، ولقوله عليه السلام « العلماء ورثة الأنبياء » ، وقوله « اتبعوا العلماء فإنّهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » ، لأنّ الانتساب بمعنى الاقتداء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى ، وهدى إلى صراط مستقيم . انتهى . قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ وهي إشارة إلى ذلك ، فإنّ المشائخ لما اهتدوا أهّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتَّقين . انتهى من « عوارف المعارف » للسهروردي عبارته . وورد في الخبر عن رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لأقسمنَّ لكم أنَّ أحبَّ عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبِّبون الله إلى عباده ويحبّبون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة » . وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأنَّ الشيخ يحبِّب الله إلى عباده ويحبب عباد الله إلى الله ، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله . انتهى من « العوارف » عبارته .

وأما النسبة إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم فهي كما قيل لمن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام واتبعه محمّديّ ، ومن اقتدى بمسلك أبي بكر الصديق في الذكر القلبي يقال له صدّيقيّ ، ومن كان على مذهب مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبنديّ ، وكذا من اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفيّ ، هكذا ورد في اصطلاح السلف وعُرْفهم . وتجيء النسبة بمعنى الإسناد ، وورد « الإسناد من الدين » لأنّ عليه مدار المجتهدين ، ومن لا سند له فهو لقيط .

وقال عبد الله بن المبارك : **لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، فلا بدّ من الوسائط والوسائل ، فلو لا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط ،** وللوسائل حكم المقاصد .

وأمّا تعلُّم الذكر من المشائخ فأمر مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علّم النبيّ ﷺ الذكر القلبي لأبي بكر الصديق ﵁ ، والذكر اللساني عليّاً كرم الله وجهه ، وهما علماء سائر الصحابة والتابعين . والأحاديث في تعليمه عليه السلام الذكر جماعة وفرادى مشهورة ، ولذا أعرضنا عن ذكرها ، ومن أراد التحقيق فليراجع « هديّة الذاكرين » و« جامع الأصول » وغيرهما ، قال عليه السلام « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله » ، بل لا بدَّ أن يتعلم العلم من أهله .

وأما الأخوَّة واتخاذ الأخوة ، فلقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ ، ولقوله عليه السلام « تواخوا في الله أخوين » وقد آخى النبيّ ﷺ بين سلمان الفارسيّ وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين المهاجرين والأنصار ، وكذا بين الأصحاب مرّتين ، فهذه الأخوَّة أخوَّة خاصَّة فوق الأخوّة العامّة ، وكذلك أخوَّة المريدين المَنْسوبين إلى شيخ واحد ! لقوله عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الإخوان » الحديث .

وأمّا البيعة ، فهي بمعنى المبايعة ، وهي والمقاومة والمعاهدة بمعنى ، وذلك جائز في المعاملات الشرعيَّة كلّها ، وأمّا المبايعة على فعل الواجبات والسنن ، وترك المنكرات والبدع فمشروع أيضاً ؛ لأنه عليه السلام فعلها مع الأصحاب مراراً ، مع الذكور والإناث ، فرضي الله تعالى عنهم وأعْلَمَهم رضاه بقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ الآية ، جعل الله النبيّ ﷺ نائباً عنه تعالى ، وجعل الأصحاب نواباً وخلفاء عن النبي ﷺ ، وكذلك من بعدهم كابراً عن كابر إلى يوم القيامة من غير إنكار نكير ممن آمن بالله تعالى من أهل السنة

والجماعة ، فكذلك نبايع أمّة محمد ﷺ على أداء الفرائض والواجبات ، وردّ المظالم ، واستحلال أصحاب الحقوق ، والأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، مع كمال اتباع السنن ، وتمام الاجتناب عن البدع وأهلها ، ودوام الذكر المأمور به من غير ترك .

ثم اعلم أنَّ المبايعين ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى في بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يَجْمعها القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به . ولا تجوز البيعة على المعصية أصلاً ؛ لأنّه ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، كذا في « روح البيان » .

وأمّا المصافحة عند البيعة وغيرها فمسنون ؛ لأنه ﷺ فعلها مع الأصحاب عند البيعة وغيرها ، دلّ عليه قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ ، وقال ﷺ « تصافحوا فإنّ المصافحة تذهب بالشحناء » وقال عليه السلام « تمام التحيّة الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » ، وقال عليه السلام « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفراه غفر الله لهما » ، وقال عليه الصلاة و السلام « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبَّهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة ؛ للبادئ تسعون وللمصافح عشرة » . وكان عادة الصحابة إذا تفرّقوا تصافحوا ، رضي الله عنهم .

وأمّا مبايعة النساء وتعليم الذكر لهنَّ ، فهي مشروعة مسنونة بشروطها وآدابها ، لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية ، وكيفيَّة المبايعة معهنَّ مذكورة في كتب التفاسير والأحاديث ، والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها : والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء

قط إلا بما أمر الله تعالى ، وما مسَّت كفُّ رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول إذا أخذ عليهنّ : « قَدْ بَايَعْتُكُنَّ » كلاماً .

وأما تعليم الذكر لهنَّ ، فلعموم الأمر به لجميع المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ، كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وقال تعالى في حقِّهنَّ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ الآية ، وقال في آخرها ، ﴿وَٱلذَّـٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّـٰكِرَٰتِ﴾ الآية ، وقال ﷺ « يا نساء المؤمنين عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات » .

وأما تعليم الذكر للعوام ؛ فلعموم الخطاب قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، فعلى العلماء والمشائخ أن يعلموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ؛ لأنه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ الآية ومرّ هذا ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من سئل عن علم فكتمه ألجم من نار » ، وقوله « إنّي أعرف ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة ، الذين يحبُّون الله ويحبِّبونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبَّهم الله » رواه أبو سعيد . **وكثرة الذكر تستلزم محبّة الله وهو من الأمر بالمعروف ، والأمر بالمعروف واجب حتى على الآحاد** . قال تعالى ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ الآية من « هدية الذاكرين » عبارته .

يقول الفقير : إنّ تعليم الذكر وتلقينه أمر خاص بالمشائخ الكاملين المأذونين ، لا يجوز لأحد من غيرهم أن يباشر على ذلك لسرّ في التلقين ،

وقد مرّ مراراً ، فليلاحظه هنا والله تعالى أعلم . وأمّا الذكر مطلقاً سواء كان سرّاً وجهراً باللسان أو بالقلب فمشروع بالاتفاق ، وإنّما الخلاف في الأفضليَّة والأولويَّة ، قال عليه السلام « السرّ أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء » رواه ابن عمر .

وأمّا التوجُّه : أي : توجُّه المشائخ إلى المريدين ، فهذا أيضاً أمر مسنون مخصوص كماله بأهل الطريقة وأرباب الحقيقة ، ونفْعُهُ مشهودٌ لأهله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم ، فإنَّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » ، ولقوله « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر أبي بكر » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « خير جلسائكم من ذكّركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكَّركم الآخرة عمله » .

ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ويقول : يا أنس كنتَ خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ** ﴾ الآية ، فانظر يا أنس ، هل تجد في قلبي أثر النفاق ، فبكى أنس من شدَّة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضاً ظنّاً منه أنَّ بكاء أنس لرؤية النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر ! لا تبك ، وإنَّما بكيت أنا من شدَّة خوفك من النفاق وعدم أمْنِكَ منه ، **فقال عمر : يا أنس ! من أَمِنَ من النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون** . ومعلوم أنَّ هذا نفاق رياء لا نفاق شرك ، كذا في « الفتاوى العمريّة » . وقيل هذه القصّة مع حذيفة اليمان صاحب سرِّ رسول الله ﷺ .

قف على بيان التوجهات

وقال الشيخ سليمان الزهدي في « صحيفة الصفا لأهل الوفاء » : **التوجّه** ؛ وهو أن يلاحظ قلبه تحت قلب المرشد يسيراً ، ولطائفه كذلك ، أي : أهل لطائف ، وينتظر بواسطته الفيض ، ولو أهل نفي وإثبات كذلك . انتهى من عبارته .

وقال في هامشه : وفي الأثر : « **إنّ جبرائيل عليه السلام توجّه النبيّ ﷺ في غار جبل حراء** » . انتهى عبارته ٦ .

وفيه أيضاً : **والنبيّ ﷺ توجَّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور** .

وفي هامش « نهجة السالكين » : أوّل توجهٍ من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرّات ؛ **مرة** للتخلية ، **ومرة** للتحلية ، **ومرّة** لإلقاء الوحي . وفي غار ثور توجَّه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، وهو التوجُّه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى من عبارته ٢٧ .

والحاصل : إنَّ التوجه من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، من انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة زهل . انتهى من عبارته .

وأما الذكر والختم والحلقة بالجمعيَّة والجماعات فمشروعة مسنونة ، لقوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجلَّ لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات » ، ولقوله « إنّ أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإنَّ عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني ، ولقوله « إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنّة ؟ قال « حلق الذكر » ، ولقوله « إن لله تعالى

سيارة من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر ، فإذا أتوا إليهم حفّوا بهم ، فيقول الله : غشوهم برحمتي فهم الجلساء الذين لا يشقى بهم جليسهم » أخرجه البزار عن أنس ، ولقوله كما في الصحيحين وغيرهما « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فإذا تفرّقوا عرجوا إلى السماء » . الحديث .

وأما تخصيص العدد في الختمات والذكر والصلاة فمشروع أيضاً لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كلَّ يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « من صلى عليَّ في يوم مائة مرَّة قضى الله له مائة حاجة ؛ سبعين منها لآخرته وثلثين منها لدنياه » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرَّة فقد اشترى نفسه من الله عز وجل »[1] .

وأما غلق الأبواب والكوّات عند ختم السادة النقشبندية العلية ؛ فلئلا يشغلهم الناظرون عن الحضور والخضوع والخشوع ، ولدفع الخواطر ، فهذا أمر مسنون لما روى أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس بإسناد حسن ، قال : كنا عند النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « هل فيكم غريب » يعني : أهل الكتاب أو من لم يطَّلع بَعْدُ على أسرار الشريعة . فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب ، فقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا كذلك (لا إله إلا الله) ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ، ثم قال « **الحمد لله اللهمّ إنّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني**

(١) وفي « تحفة المريد » على « جوهرة التوحيد » ما نصه : قد أخرج البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً « من تلا قل هو الله أحد ، مائة ألف مرة ؛ فقد اشترى نفسه من الله تعالى ، ونادى مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه : ألا إن فلاناً عتيق الله ، فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل » . وظاهر ذلك تكفير الكبائر بهذا أيضاً ، وهذه هي القيامة الكبرى . انتهى عبارته ١١٠ .

بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنّك لا تخلف الميعاد » ، ثم قال « ألا أبْشروا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غَفَرَ لكم » الحديث . وهذا أمر مرغوب في كثير من العبادات ، وذلك أجمع للحواس على القلب وأبلغ في الحضور ، **وكما تكره الصلاة تلقاء وجه الرجل وخلف النائم والمتحدّث عند الحنفيّة والمالكية ، يكره الختم في حضور غير المنتسبين لهذه الطريقة العليّة ، وكذا ترك الأبواب مفتوحة ، وهو من آدابهم القديمة .**

وأمّا منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم ؛ فلأن هذا الختم أمر مخصوص مشروط بأهل هذه الطريقة العلية ، ليس لأحدنا تبديل طريقتهم ، وآدابهم ولا تغييرُها ؛ ولأنّ العمل لا ينفع إلا بالعلم ؛ ولأنّه لا فائدة في دخوله الختم من غير تعلّم ورخصة ، **لأنَّ كلَّ واحد يقبل على شغله وذكره ، ويقرأ في نفسه سرّاً ، لا يسمعه غيره حتى يستبعد منه ، بخلاف ختمات سائر الطرق** ، ولأنه لا فائدة لهم في إدخاله الختم ، بل ذلك مضرٌّ له ولهم لعدم رعايتهم الأدب ، وإن كان ممن يقرّ هذه الطريقة ويريد بدخوله العبادة والقربة ! فلا بدَّ له أوَّل أمره من الانتساب والتعلُّم من أهله ، وإن كان مراده التفرج وإمرار الوقت وتضييعه فهذا لا يجوز ، وإن كان مراده الاستخفاف والاستهزاء بالذاكرين **فهذا كفر ، وعلى كلِّ حال منعه أولى صيانة له ولهم .** انتهى من « هدية الذاكرين » عبارته .

يقول الفقير : ولهذا دليل آخر لم يذكر صاحب « هديّة الذاكرين » وهو : أنّ الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة وحصول الغفلة وظهور التفرقة ، كيف لا ؟ ! وقد قال في « الباقيات الصالحات » : **إنَّ صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى ، وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي**

هي فوق جميع النسب ، فإنَّ الحكم للغالب . فإن كان حال صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنُّك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ، وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانيّة ؟! . انتهى من عبارته . حتى أنّ بعض المشائخ كان حين السماع يغلق باب الزاوية ولا يدع أجنبيّاً يحضر معهم وكانت تحصل لهم مواجيد عظيمة . ففي بعض المجالس لم يحصلوا على شيء من ذلك ، فقال لهم الشيخ : انظروا هل فينا أجنبيّ ؟ ! فقالوا : لا ، فقال : هل فينا آثار أجنبيّ ؟ فوجدوا نعلاً مبدلة بنعل الأجنبيّ ، فأخرجوها فعادوا لمواجيدهم . انتهى من هامش « ترصيع الجواهر » عبارته . وهكذا وجد عند آخرين عصا أجنبيّ ، وعند آخرين لباس أجنبيّ ، فتشوّشوا لذلك ، ولم يطيقوا لذلك الجمعيّة وإذهاب التفرقة حتى يطرحوهما خارج الزاوية . وتحقيق ذلك مبسوط في كتاب « سلسلة اليواقيت في سير المشائخ » .

وبيان ترتيب الختم الخواجكانيّة هذا : استغفار ٥ ، رابطة شريفة ، سورة[١] الفاتحة ٧ ، صلواة شريفة ١٠٠ ، ألم نشرح لك ٧٩ ، سورة الإخلاص ، سورة الفاتحة ٧ ، صلواة شريفة ١٠٠ ، بعده عشر شريف[٢] ، بعده دعاء . انتهى من « هديّة الذاكرين » عبارته .

وقال سليمان الزهدي في كتابه « صحيفة الصفا » : ومن المهمات ختم الخواجكان قدس سرهم ، ويكون محلّه مسدوداً بالباب ، ومستوراً عن الناس ، وشرطه بعد الرابطة والوقوف ؛ مراعات الأعداد المعيّنة ، وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمدُّ منهم بحصول المقصود من الأعمال والآداب . انتهى من عبارته ٦ .

وقال في هامشه : ولا بدّ من مراعات الأعداد المعينة لنيل المقصود ، فإنها أسنان مفاتح خزائن الغيب ، **وإن كان في محلّ خمسة إخوان فلا**

---

(١) بقدر سورة .

(٢) قوله (بعده عشر شريف) : لم أفهم المراد من هذه العبارة ولم أجده في سائر الكتب (منه رحم الله إفلاسه) .

يتركوها ، وإن كان أقلَّ منها فمخيّر فيها ، ولا يتعدد محلّ الختم في بلدة واحدة كي لا يفتن ، إلا إذا كانت البلدة كبيرة بحيث لا يمكن الاجتماع في محلٍّ واحدٍ . لا بأس[1] به .

ومبدأ مشائخ الخواجكانيّة من عبد الخالق الغجدواني قدس سرّهم ، فإنهم يجتمعون على قراءة هذه الختمة الشريفة لفتح المهمات ودفع البليات ، فإن أهم المهمات فتح الوجودات الظلمانية الحيوانية ودفع ظلماتها ، وصيرورتها إلى نورانيّ الإنسان الحقيقيّ المرآة الذاتية ، وتوفيق الرضا ، وإذا شرع ينوي بذلك بأمداد السادات الكرام ، وبشفاعة سيد الأنام ، ولا يترك في أوّل السور البسملة الشريفة ، وهي مشتملة على أسرار عجيبة ، ومحاسن غريبة ، ومحتوية لمعان لطيفة في ترتيبها ، ليس هذا محل التفصيل والبيان ، وهي ضيافة الأرواح الفاضلة ، وحلقة البررة الكرام ، وممرُّ الكروبيِّين ، ومنظر القدسيين . من ذاق ما تركها ومن كسل زهلها ، اللهم اجعلنا مستقيماً ولا تجعلنا سقيماً على الحق ، آمين . من عبارته ٧ .

ومما يلزم قراءته في هذه الطريقة ختم الخواجكان ، وفي قراءته فيض كثير وفضل عزيز ، فقد لازم بقراءته الخواجكان قدس الله أسرارهم في كلّ ليلة الاثنين وليلة الجمعة ، وهو مرويّ عن الحسن البصريّ ، **ولكن لملازمة الخواجكان بقراءته أضيف إليهم** .

فشروط قراءته : أن يكون قارئه من أهل هذه الطريقة العليَّة ، أو مأذوناً منهم بقراءته ، وأن يكون متوضئاً جالساً على ركبته في مكان طاهر متوجهاً إلى القبلة ، وأن يراعي الترتيب والعدد بحيث لا يقدم بعض ما يقرأ فيه على البعض ولا يزيد ولا ينقص في العدد ، وإن كان مع الجماعة تقسم العدد عليهم ، وأن يستحضر روحانيّة الخواجكان قبل الشروع فيه ، ويقرأ هذا : اللهمّ يا مفتّح الأبواب ، ويا مقلّب القلوب والأبصار ، ويا خالق

(١) وإن كان كذلك لا بأس . علّه .

الليل والنهار ، ويا دليل المتحيِّرين ، ويا غياث المستغيثين ، توكّلت عليك يا ربّ العالمين ، وأفوّض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، سبحان ربِّك ربِّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين . ثمَّ يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات ، ثمَّ يصلي على النبي ﷺ مائة مرة ، ثمَّ يقرأ سورة ألم نشرح لك مع البسملة تسعاً وتسعين مرة ، ثمّ يقرأ سورة الإخلاص مع البسملة إحدى وألف مرة ، ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات أيضاً ، ثم يصلّي على النبي ﷺ مائة مرّة ، ثم يهب ثوابه لرسول الله ﷺ ولأصحابه الخواجكانية النقشبنديّة ، وهذا أحسن ، ثم يرفع يديه ويدعو الله ويتوسَّل به إلى حصول مقصوده ، **ويأكل بعد الفراغ عن الدعاء بعضاً من الحلويات كالتمر والزبيب** . انتهى من « سلسلة الخواجكان » عبارته .

وله آداب؛ منها : تغميض العينين ، والاستغفار خمساً وعشرين مرَّة أوَّله ، والجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة . انتهى من « البهجة » عبارته ٥٨ .

والأحسن أن يدعو بالدعاء المنقول عن جناب حضرة سيِّدنا وشيخنا المكرم ، قدس الله تعالى سره وأفاض علينا فيضه وبرَّه ؛ وهو : بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ يا حيُّ يا قيُّوم يا بديع السموات والأرض ، يا مالك الملك ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلِّ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك عدد معلوماتك ، وبارك وسلم كذلك ، وأوصل مثل ثواب ما قرأناه وما قرأه أحد من المؤمنين والمؤمنات عموماً ، والمنتسبين إلى الطريقة النقشبندية خصوصاً ، في آفاق العالم ومشارق الأرض ومغاربها ، بعد القبول إلى روح كل من صار سبباً لقراءته ، ولكل من الحُضَّارِ ، وآبائهم وأمهاتهم ، وكل مؤمن ومؤمنة وكل وليٍّ ووليَّة ، وكل من سادة السلسلة النقشبنديَّة والقادريَّة والسهرورديَّة والكبرويَّة والچستيَّة ، وكل من آباء كلّ ، وأمهاته ومشائخه وخلفائه ومريديه ومنسوبيه ومحسوبيه المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين ، وثواباً مثلَ أضعافا ذلك ، كما تحبّ وترضى إلى ساحة

سيد المرسلين ، وخاتم النبيّين سيِّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وإلى روح كلٍّ من آله وأولاده وأزواجه وأصحابه وإخوانه ، من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وآل كل أجمعين ، واحشرنا معهم بفضلك آمين ، برحمتمك يا أرحم الراحمين ، وصلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أبد الآبدين في كلّ لحظة وحين ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من « البهجة » عبارته ٥٨ . ولا يحرك أعضائه حالة الذكر وختم الخواجكان غير الأصبع الذي يجر السبحة به ويعدُّ ، ولا يتأوّه ولا يَأَنُّ .

مطلب مهم غفل عنها بعض المريدين

ولا يصيح بالحالات والفنايات ، وكلُّ ذلك مدخل للشيطان وحظوظ النفس ، وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك كما مرَّ . ويهتمُّ المرشد منع ذلك ، وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادعاء العشق ، وليست طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية لذاته ورضائه . انتهى من « نهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » عبارته ٢٥ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : « تحريك الأصابع في الصلاة مذعرة[١] للشيطان » ، **وكذلك في الذكر غير الأصبع الذي يجرُّ السبحة** . عن جابر وأبي الدرداء رضي الله عنهما : « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة وألقى عليه الخشوع والبكاء » **المراد بالبدعة مخالف الشرع ، وخلاف أصول الطريقة الخشوع والبكاء ، ومع موافقه الشرع والأدب من الرحمن** . انتهى من هامشه عبارته ٢٧ .

وقد ألجأني إلى تأليف هذا الكتاب أمور ؛

(١) ذعره : أفزعه . « مختار » .

منها : كتابة واحد من العلماء المنتسبين في زعمه إلى هذه الطائفة ردودات في زعمه على ديباجة كتابنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » وهو الباعث الأوّل إلى التأليف ، وقد خطِئ ذلك العالم في تلك الردودات ، **فوجب على من أدرك الصواب أن يحاجَّ به على المخطئ** ، كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ . وفي « البيضاوي » في تفسير هذه الآية : لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من عبارته ؛ وهو قول نفيس ، لكن ولو وجدت من يتصدَّر للاحتجاج ، ويُظهر الحق من الباطل والصواب من الخطأ ، لما أظهَرْتُ من نفسي مما عندي من العلوم ولو شيئاً ، ولو لم أجد في الكتب أن الكتاب الذي لم يذكر فيه اسم مؤلفه لا ينتفع به لما كتبت اسمي في صدر الكتاب ، لما أني لم أكن أهلاً للتصنيف .

ومنها : إعانة الإخوان المنتسبين إلى هذه الطريقة في دلالتهم إلى هذه الآداب المذكورة ، وصيانتهم من الشك والشبهة فيها .

ومنها : حماية إخواننا المؤمنين عن الوقوع في الخطأ والطعن في تلك الطريقة وأربابها ، وقد ورد : « لا يطعن في العلماء إلا قلب فاسق » ، وورد في الحديث أيضاً « إذا لعن آخر هذه الأمة أوَّلها فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » رواه جابر .

ومنها : الذبُّ عن هذه الطريقة وأهلها ما لم يكن أربابها يستعملونها بإظهار ما ورد فيها بلا تغيير ولا تحريف ، وأرجوا من الله تعالى أن يسلكني في سلك من أحيا السنة ، وأمات البدعة ، وهو الجواد الكريم .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : إنه ﷺ يحب من يُبلِّغ سنته التي اندرست إلى من يجهلها من أمته ، ومن أحبه ﷺ حشر معه ، لقوله ﷺ : « يحشر المرء مع من أحبَّ » ومن حشر مع النبي ﷺ لا يلحقه في مواقف يوم القيامة كُرَبٌ . انتهى من عبارته ٤٩ .

فالآن حان أن نعرض عن الكتابة ، ونفرغ للتوجه إلى الله سبحانه ، وقد كثرت بسبب هذا التأليف الخواطر ، واستولت على سويداء القلب الهواجس ، فأستغفر الله من قول بلا عمل ، ودعوى بلا علم مع تقصير فيه وخلل ، ومن كل خطر دعاني إلى التصنّع والتزيّن في كتاب سطرته أو كلام نظمته أو علم أخذته ، ومن كلّ ما زلّ به القدم ، وطغى به القلم ، وأسأله أن لا يجعله وزراً ووبالاً ، وأن يجعله سبب عفو وغفران ، وحاشا أن أعدَّ لنفسي من المؤلِّفين ، بيد أني جمعت أقوال المصنِّفين ونقول العلماء العارفين ، وليس لي في ذلك نسبة مّا سوى أني حركت القلم ، فالمرجوّ ممن اطلع إلى هذا الكتاب أن يصلح ما خطأ ، ويقيم ما عوج ، ولا ينظر إلى من قال ، وينظر إلى ما قيل ، امتثالاً لما ذكره السيوطي في « الدرر المنتثرة » من أثر : لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال . انتهى من عبارته . وأطلب منه أيضاً الدعاء لي وخاصة لأستاذي ، فإنه روح جسدي ، ونور بصري ، ولا يخفى أنّ كلّ من اطلع هذا الكتاب وتبين جميع ما فيه ولم يرجع بَعْدُ من إنكاره على هذه الطائفة النقشبندية فقد تحقّق أنّ داءه معضل ، ولا علاج له سوى أن نقول له سلام .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين . قد تمّ التأليف في ليلة السبت من محرم هذه السنة ١٣٢٣ ، واستراح القلب من نكدة تزاحم الخطرات ، فأسأل الله تعالى أن يجعله نافعاً للعباد ، ووسيلة للاتصال بمراتب أهل الإيصال ، وليس في انتسابي إلى سلك ساداتنا النقشبندية مناسبة ما قط ، إلا رجائي وحسن ظني بحسن رجائي .

فالحاصل أن شرح أحوالي هذه الأبيات :

لست أهلاً لوصلهم فظلامي   حائل أن يحلّ منهم ضياء

هجروني ولست أنكر أني   لم أزل مذنباً وكلي خطأ

غير أني التجأت قدماً إليهم وعزيز على الكرام التجاء
ورجوت النوال منهم وظني بل يقيني أن لا يخيب الرجاء
إن أكن مذنباً فهم أهل عفو وعلى الكون إن رضوني العفاء
أو أكن أكدر المحبين قلباً فلمثلي منهم يكون الصفاء
أو يكن في الفؤاد داء قديم فلديهم لكل داء دواء
أو أكن فاقداً فعال محبٌ فلقلبي على الوداد احتواء
أو يروْني أفلست من عمل البر فمنهم نال الغنى الأغنياء
أو أكن مثرياً ولست بهذا فمع الهجر ما يفيد الشراء
أو أكن نازح الديار فمنهم لحظات تدنو بها البعداء

فالحمد لله أولاً وآخراً ، سراً وجهاراً ، ليلاً ونهاراً ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ، بعدد من صلّى عليه ، وبعدد من لم يصل عليه ، وبعدد ما صلى عليه ، ورضي الله تعالى عن ساداتنا النقشبندية العلية أبي بكر ، سلمان ، قاسم ، جعفر ، طيفور ، أبو الحسن ، أبو علي ، يوسف ، عبد الخالق ، عارف ، محمود ، علي ، محمد بابا ، أمير كلال ، محمد نقشبند ، علاء الدين ، يعقوب ، عبيد الله ، محمد زاهد ، درويش محمد ، خواجكي ، محمد باقي ، أحمد ، محمد معصوم ، سيف الدين ، نور محمد ، حبيب الله ، عبد الله ، خالد شاه ، محمود أفندي ، يونس ، جبرائيل أفندي ، عبد الرحمن العسلي ؛ قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم وبركاتهم :

اللهم اجلبنا إلى محبتك ، ومحبّة أوليائك ، وأمتنا على السنة والجماعة ، وارزقنا التوفيق والاستقامة ، واجعلنا مقبولين عند هؤلاء الأكابر بحرمة سيد السادات ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات آمين .

يا ربِّ يا وَهَّابُ هَبْ لِي مِثْلَهُمْ من الجَذْب والتوْفِيقِ والعفو والغفران

يا رَبِّ يـا وهَّـابُ هَـبْ لِـي مِثْلَهُمْ من الجَذْب والتوفيق والعِلْم والغُفْرَان

يا ربّ يـا وهَّـاب هَـبْ لِـي مِثْلَهُمْ من الجذب والتوفيق والعشق والإحْسَان

يا ربّ يـا وهَّـاب هَـبْ لِـي مِثْلَهُمْ وَجَذْبٍ به أسْبَقُ الأحْباب فِي التَدَانِي

قد وقع الفراغ من كتبة هذا الكتاب المسمى « بالجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية » بيد عبد الفقير محمد ولد العالم المرحوم الحاج أحمد البدوي الخرموني في يوم الثلث من شهر صفر ١٣٨٤ سنة .

الفهرس

الدرّة البيضــآء
فى ردّ البدع والأهواء

لحسن أفندي القحيّ
قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله المجتبى .

أما بعد فيقول الحقير الفقير حسن ابن العالم الحاج محمد القحي ، خادم فقراء الزاوية ، السالك في سلك أصحاب الشيخ العالم الرباني ، والعارف الصمداني الحاج عبد الرحمن العسلي ، قدس الله سره ورزقه العافية في الدارين آمين .

لما وجدنا أهل هذه الطريقة النقشبندية العلية وقعوا في هذه الديار الداغستانية غرباء بواسطة شيوع البدعة ، فمن ذلك اخترع أبعاض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات ، وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البِدَعَات ، وظنوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة حاشاه وكلاّ ؟ !

بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ، هداهم الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحهم في الدارين آمين .

وسمعنا أن أكثر المتشيخين – سامحهم الله تعالى عنهم – يجرّون[١] الأغيار إلى جوانبهم بالأقوال المموّهات والحيل الباطلات عياذاً بالله تعالى عن هذه الغرورات ، خصوصاً لجرّ الأغنياء لمجرّد غناهم أو لتكثير سواد مريديهم ليشتهر بهم اسمهم بين الناس ، وأكثرهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل وليس في أيديهم صكّ الإجازة المقبولة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم سالكين ومأذونين من شيخهم بيقين ، لكنهم تصدروا للإرشاد بأنفسهم .

---

(١) وفي نسخة : مريدي الأغيار .

وزعم بعضهم أن مُشَيْخَتَهُ من النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه عليه السلام بلا واسطة .

وبعضهم أن روحانية الكامل أذن له في المنام .

وبعضهم يقول : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل أحد ، وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع يجوز ولا مانع منه .

وبعضهم يقول : إن تلقين الذكر القلبي على قاعدة النقشبندية حرام للعوام ، ولا يجوز ذلك إلا لمن صارت نفسه مطمئنة ، ويكفي الذكر اللساني للعوام . ولا يُجَوِّزُ لأحد الدخول فى الطريقة إلا له[1] ومع ذلك يلقن هو للمريدين الأذكار اللسانية ويسمّيها شريعة ، ويسمّي الذكر القلبي طريقة ويمنعه .

وهكذا لما ظهر في ديارنا الداغستانية أبعاض كثير من المتصدرين للإرشاد والمغيرين لأصول الطريقة النقشبندية ؛

فمنهم من يلقن الذكر اللساني ثمّ إذا أنكر عليه الطائفة النقشبندية يقول : إن تلقينه هذا لمجرد حصول الاستعداد للمريدين ، ولا يدعي على أصل الطريقة وأذكارها ، بل يقرّ عليها وعلى جواز تلقين الذكر القلبي وما بعده بعد حصول الاستعداد - وهذا القول من هذا البعض قول صادق مقبول عند النقشبندية ولا يلقنونه ابتداء لكل واحد ، بل يستعدون بعض الطالبين نحو شهر أو أكثر أو أقل على اختلاف مراتبهم بتعليم الرابطة والصلاة والاستغفار ويلقنون لهم بعد ذلك الذكر القلبي - لكن إذا ردّ عليه : كيف لا يتمّ الاستعداد ولو لواحد من المريدين وفيهم من مضى مذ زمن أخذ الطريقة عشر سنين أو أكثر وفيهم المأذون للإرشاد ؟ ! فلا يجد له جواباً بل يسكت ويخرس ، كما يأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) أي : لمن صار نفسه مطمئنة .

ومنهم من يزعم بأن في يده إذن من سادات القادرية مع أن شيخه في زعمه نقشبندي .

ومنهم من استعمل الأذكار على جميع اللطائف بنفسه وادّعى حياتها فتصدر هو بنفسه للتلقين والإرشاد .

ومنهم من تشيّخ بلا دليل مقبُول . وسبب مشيخته هذه : أنّ هذا المسكين سمع أن شيخه مات ثم ذهب إلى قريته للتعزية فتفحّص عن المأذون له فلم يوجد ، ثم قيل له سمعنا أن في ناحيتكم من هو مأذون له من طرفه ولم يعيّنوا ، فظنّ هذا المسكين أن هذا الذي أذن له شخصه ونفسه ثمّ شاور مع عالم من علماء ناحيته في حقه فمنعه ذلك العالم من ذلك فلم يستمع قوله ، فتصدّر لإرشاد الناس وتلقين ما أراده واختاره على خلاف ما كان عليه شيخه النقشبنديّ .

ومنهم من يجوز أن يتصدّر للإرشاد بلا خلاف لأنّه كان عالماً متبحّراً ومأذوناً له من قبل شيخه لكنه لم يمش على ما مشى عليه شيخه النقشبندي ، وتبدّل الأذكار وتغيّر قواعد الأوراد قائلاً : إنه لا يستطيع أن يتوجّه لكلّ من جائه من المريدين كما هو شرط في الطريقة النقشبندية ، فإن منعهم رجعوا آئسين ، وإن لقن لهم ذكر اللسان رجعوا طامعين مسرورين ظانين أنهم مقبولون وصاروا بذلك مريدين فيتركون المعاصي ويلازمون الأوامر .

ومنهم من يرسل الأوراد إلى البعداء ويلقن الأذكار بخلاف ما كان عليه أهل الإرشاد الصلحاء .

ومنهم من تشيخ بلا حجة مقبولة وسبب مشيخته هذه : أعطى واحد حين موته لولد شيخه عصاه وعباءه ، ثمّ قيل له : إنّه أذن له للتلقين وتلك الوصية أمارة على ذلك ، ولم يكن هذا الولد وقتئذ داخلاً في الطريقة

وعالماً بكيفية التلقين فاهتمّ هذا واغتمّ ثمّ اعتزل عن الناس وراض نفسه وجوّع بطنه وتهيّأ للتصدر والإرشاد ، فجاء واحد لديه ليطلب منه ورداً فتحيّر وتردّد ولم يعلم ما يلقّنه وجهل ما يفعله فسأل أخاً له في الدين أيّ شيء أعلّمه ، وأيّ ورد ألازمه ، فقال : قل له : أذكر لا إله إلا الله كذا وكذا مرة ، واستغفر الله كذا وكذا مرة ، وصلّ على النبي عليه السلام كذا وكذا مرة ، ثم عوّل هذا المسكين أمر تلقين التوبة إلى هذا الأخ المذكور ولقن لهذا الجائي وذهب هو إلى مكانه مسروراً وبعد ذلك اشتهر مشيخته فى النواحي والتجأ إليه الأبعاض من أطراف البوادي واعتقد الناس فيه وظنوا أن ليس على وجه الأرض شيخ مثله هكذا أخبرني من كان معه حين إعطاء العصا والعباءة إلى يده ، وهذا هو الذى شاوره هذا البعض في حق التلقين وعوّل اليه أمر تلقين التوبة لمريده . انتهى .

ومنهم من يلقن الأذكار كما ذكرت ، ويقول إذا قيل له : لقّن الأذكار السلوكية على قاعدة النقشبندية ! : لا إذن لي فى ذلك ولا رخصة ولا يجوز أن أفعل ما لا رخصة لي . انتهى .

فهذا هو أحسنهم قولاً وإن كان فى صنيعه شَيْناً هداه الله تعالى إلى ما يرضاه .

ومنهم من تصدر بلا إذن من الكمّل وأظهر من نفسه الكشف والكرامة ليتوجّه إليه وجوه الناس بالوقارة ويعتقدوا فيه بالخصوصية[1] مع أنه فى الحقيقة لم يشمّ رائحة من الخلوصية ، حتى قال بعض من الثقات فى هذا الزمان أنه كانت له زوجة وكانت تخرج من البيت إذا جاء لديه مريد أو غيره فتمنعه من الدخول عليه فجأة قائلة : إنه على

(١) الخصوصية :ظهور الكرامة على يد واحد من الناس . والخلوصية : الخلوص من شوائب الذمائم القادحة في العبادة والاتصاف بصفة الإخلاص بلا حظّ من الحظوظات . (منه رحمه الله ، إفلاسه) .

ورده فيجب الإمهال إلى فراغه . فتسأله عن اسمه واسم قريته وعن كونه عالماً أو جاهلاً ، ثم كانت تدخل إلى بيت فى جانب حجرته وتخبره مطّلعة من الكوّة أن هذا الرجل الجائي اسمه هذا ، واسم قريته هذا ، وأنه عالم أو جاهل ، ثم يأذن للدخول يقول له : مرحباً يا فلان من قرية فلانية ، و يذكر اسمه واسم قريته ، ويلاقيه بوجه طلْق ، فيظنّ هذا أن ذلك علم بكشفه ، ولا يعلم ما فعلَتْ زوجته فيعتقده ويذكره فى المحافل والمجامع . فهذا أسوؤهم حالاً ، وأغرّهم ناساً ، إنا لله وإنا إليه راجعون . فما أعظم ما حلّ بهذه الأمّة المحمّديّة في هذه الديار الداغستانية بانتشار هذه البدعات والاختراعات كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية .

وفي تفسير سلمى في تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ قال يوسف بن الحسين : **أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من ادّعى في الله ما لم يكن له ذلك ، أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها** . وفي الحديث « من غشنا فليس منا » .

فبظهور هذه الدعاوي من هؤلاء المتشبهين فى هذه النواحي مع أن أكثرهم فى العلوم متبحرون ، وفي العبادات مجتهدون ، وعلى الرياضة مطيقون ، امتنع الصلحاء الأبرار من أخذ الطريق الحقّ من السادات النقشبندية الأخيار ، وانقطعوا عن المنافع الحاصلة لمريديهم كطرد الغفلة من قلوبهم ، ودوام الحضور مع مولاهم ، ظنّاً منهم أن ما أخذوه من هؤلاء المتشيخين هو عين الطريقة النقشبنديّة أو القادريّة أو غيرهما ، وأنّ من أخذ من شيخ لا يجوز له الأخذ من آخر ، مع أنهم لم تحصل النتيجة بما أخذوه منهم ولو كانوا يذكرون الله ليلاً ونهاراً .

أردنا أن نؤلّف كتاباً يعين لإزالة هذه البدعات والمنكرات بنصوص أئمة الطرقات ليرتفع بها الإنكار عن قلوب المعاصرين بحيث لا يقع

بعده الإشكال فى ظنون الناظرين ، وقد كثّرت[1] فيه النقول لردّ جميع ما ذكر من البدعات نصحاً للعباد أهل الريبات ، وحفظاً من الدخول فى وعيد المداهنات ، وقد قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ وليكون نصيحة لمحدث البدع في دين ربّ العالمين لكي لا يدوموا على منهاج الشيطان الغرار ، ويخرجوا عن طريق الأئمة الأخيار ، ما لم يكونوا مكتوبين على ذلك الوصف في لوح الجبار شعر

نـظـمت لـؤلؤة بـهـا الـهداة لهـم بـالاقتبـاس من النصوص والحجج
إن حافظوا ضوأها قعر الصّماخ فهم في رَحْبَة ليس فيها الشوك والعوَجُ
وداوموا نفعها بها الـعـروج لـهـم إلى الـمـقام العلى من جُمَع النَهج
فالفكر فيها لـهـم رَغْـمٌ لأنُوفـهـم لازمْ عـلى خزنها إن كنت ذا عَلَج

ولقد ورد في الأحاديث الصحيحة « من أحيا سنة ميتتاً فله ثواب مائة شهيد » كذا في « الدرر المكنونات » .

وسميته بـ « الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » وقصدت أن أنقل لإبطال أقوال وأفعال ومستندات كل من أولئك المذكورين ولإزالة البدعات والمنكرات عن أمثالهم المغرورين مآخذ صريحة وأقوالاً صحيحة متفحّصاً عن كتب المعتمدين وأقوال العلماء المرشدين .

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ الآية : لأنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من عبارته .

وورد « أن الساكت عن الحق شيطان أخرس » فلعل الناظر أن ينظر إليه بعين الإنصاف متجنّباً عن الاعتساف ، ويعتبر المقول لا القائل ، ولعل

(١) وفي نسخة : وقصدت أن أحرر الأجوبة بردّ جميع ما ذكر من البدعات .

الله الملك القادر يحمله إذن أن يقول : إنه زبدة نصوص الأئمة الأخيار ، وحاصل محصول أقوال المجتهدين الأبرار . جعله الله تعالى نافعاً وهادياً إلى الحق بلا عناد ، إنه هو الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب ، وهو وليّ العصمة والتوفيق . فبالنظر إلى أصناف أهل الدعوى وشطحاتهم الفاسدة وجب أن يرتب الكتاب على أبواب :

الباب الأول

في عدم جواز التصدّر على مقام المشيخة لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ووجوب الاعتراض على حاله

قال الغوث الأفخم والقطب الأعظم محمود أفندي قدس سره في « المكتوبات » في الفصل السادس : قالوا : المشائخ ؛ أي : ما يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة . منهم من ليس في يده تصرف في المريد وتأثير فيه فهم كالعوام ، بل هم أضلّ من الأنعام ليس فيهم المشيخة إلا اسمه ورسمه كما هو حال أكثر مشائخ الزمان .

وقال مولانا خالد السليمان مجدد المائة السابقة[1] : ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار عليهم ، لأنّهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذهاب أهل الكمال ومنعهم عنه ، ولكونهم سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين . انتهى من عبارته .

وقال خاتمة المرشدين محمد بن عبد الله الخاني قدس سره في « البهجة السنية » : قال الرازي رحمه الله تعالى : ولا يخفى أن من تصدّر

(١) وفي نسخة : السابعة .

للمشيخة من غير إذن فما يُفْسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق ، فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين فضلاً عن المشائخ العارفين . قال : وإياك أن تصحب أحداً من المدعين للطريق بلبس الزيّ ، أو تدعهم يأخذون عليك العهد ، فإنهم آذى من الثعبان ، وذلك لأنّك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ، ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زيّ إنسان . انتهى .

وقد كان الجنيد رضي الله عنه يقول : **لا تلتفتوا قطّ لشخص ولو تربع في الهواء إلا إن رأيتموه تقيّد بالشريعة أمراً ونهياً** . انتهى من « البهجة » عبارته .

وورد إلي كتاب من طرف أخينا العالم الأوحدي السيد الشريف الأمير سيف الله الحسينيّ الغازي الغموقي سليل شيخ باشلار الداغستاني قدس سره . ومن جملة ما كان فيه من النصائح هذه العبارات : وأوصيكم أيها الأخ وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت له أهل أن لا تعاشر مع أكثر مشائخ هذا العصر ومريديهم ، والمجادلة معهم **ولقد سافرت أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أشرّ ولا أقبح ولا أبعد من جناب الله تعالى من طائفة تدّعي أنهم من كمل الصوفية ، وتنسب أنفسهم إلى الكمل ، وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر** ولا تتعبّد[1] أنفسهم بالتكاليف الشرعيّة ، ولقد رأيت كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون المشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية ، أو في النوم ، وليس هذا إلا افتراء منهم لعن الله جميعهم ، **فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد منهم** لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ وليس لهم همة واعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية ، عياذاً بالله منهم . انتهى من خطه .

---

(١) وفي نسخة : تَتَقَيَّدَ .

وورد إليّ رسالة أخرى من طرفه قدس سره ، ومن جملتها هذه العباراة : وإياك إياك النظر إلى مشائخ هذا العصر ، ومريدي الدهر ، والحذر من الجلوس معهم ، فذلك والله هي الفتنة الظاهرة ، وملاقات الشيطان أسلم من ملاقاتهم . انتهى من خطه .

وقال في « البهجة » : قال الرازي : ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مدعي المشيخة في هذا العصر إلا بظهور أمارات الصدق **بإلهام من الله تعالى للطالب أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ** ، وكذلك لا ينبغي للشيخ أن يصحب أولاد المشائخ المتشيخين بالآباء والجدود ولبس الزيّ من غير علم ولا عمل . فإنّ التعب مع هؤلاء ضائع . انتهى من عبارته .

وقال الشعراني في « المدارج » : من لم يعلم آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » . وقال سيدي عمر الفارض :

نسب أقرب في الشرع الهوى   بيننا مـن نـسـب مـن أبوي

وهكذا بل عينه في « المتممات » . وصرح في « القول المتين في فضل الذكر والتلقين » : إن ذكر سند التلقين مقدم عليه . انتهى من « تحفة السالكين » من ٦٤ .

وقال أحمد ضياء الدين قدس سره في « جامع أصول الأولياء » : وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ؛ **إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله** ، فمن لم يدخل في سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى من عبارته .

وقال الشعراني في « المدارج » : وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ الكامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن[1] . .الخ . انتهى .

لا يجوز دعوى الإذن من الروحانية في المنام

قوله (صريحاً) إشارة إلى أنه لا يجوز قبول دعوى الإذن من الروحانية في المنام أو في الواقعة ، فليتدبره ، والله أعلم .

ولقد أشكل العالم الأوحدي خلّ أحمدلو العرادي – هداه الله إلى ما يرضاه ورزقه متابعة نبيه عليه السلام في الأفعال والأقوال والأحوال – أي : بما في سلسلة الخواجكان بهذه العبارات : ومن تخلق بمجموع هذه الأخلاق . .الخ فصحّ له دعوة الخلق إلى الشريعة ، وهداية السالكين إلى الحقيقة . انتهى . وبما في « سلك العين » من بيت :

والإذن فَتْحٌ ببسط القلب يفهم ما يلقى عليه من أسرار السنيات

أي : فقال ذلك العالم : فلو سلك واحد في سلسلة الشيخ النقشبندي ، وسعى بما أمره ، الشيخ وفتح عليه من الرحمن . .الخ ، ولم يأذن له الشيخ أو كان الشيخ على قصد إعطاء الإذن له ، ففاجأه الموت ، فمات الشيخ قبل الإذن له مع كاغذ الإجازة ، ألا يمكن له إرشاد الخلق واتخاذ المريدين وتعليم الأوراد لهم أم لا ؟ وإن لم يمكن ، فما معنى قول خواجكان ؟ ! والخ . هذا حاصل ما كتبه رحمه الله مستجيباً منّا .

فأردت أن أجيب عنه ، وأدخله في هذا الموضع تتميماً للفائدة وتعليماً للحقيقة ، بإذهاب الإشكال في تلك الدقيقة .

---

(١) وفي نسخة الزيادة : ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف .

فأقول – وبالله التوفيق – : لا يجوز إرشاد الخلق وتعليم الأوراد لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ولو مشى على جميع مقامات الطريق بالتفصيل ، وفتح عليه بلا ترديد ، وتخلق بالأخلاق المحمودة بلا تعطيل ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين عارف يعرف أسرارها ، مأذون من قبل شيخه الكامل المأذون له من قبل شيخه ، وهكذا إلى أن يتصل نسبته إلى النبي عليه السلام . والسر في ذلك ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام . فلو جلس للإرشاد واحد مثلاً بغير إذن من شيخه لا يجاوبه أرواح المشائخ ، ولا يجذبونه إلى الله ، ولا يحفظونه من وسواس الشيطان ، بل يقطعون عنه المدد ، ولا يفيضون عليه شيئاً من الفيوض ، ويطردونه طرداً بليغاً ، فكيف يصل الفيض والمدد لمن تبعه من مريديه حاشا ذلك وكلا ! ! ولا شك أن الشيخ واسطة بين الله وبين المريد ، ومتى طرد الواسطة لم يبق للمريد سبيل للاتصال بشيء من فيض الموسوط ؛ **وإذا ذهب الواسطة ذهب الموسوط** . فحاصل كلام أئمة أن اسم الولاية يطلق على من تخلى من الأخلاق المذمومات وتحلى بالمحمودات ، ويطلق في اصطلاحهم على الأول[1] أنه فانٍ ، وعلى الثاني[2] أنه باق ، ولا يحصل الفناء والبقاء إلا بالسير الآفاقي والأنفسي ، وبحصوله يحصل نفس الولاية والكمال والاسترشاد ، ثم إن حصل للسالك بعد ذلك سيْرٌ رجوعيّ وهو السير عن الله بالله ، وكذا السير الذي يقال له في اصطلاحهم سير في الأشياء بالله ، فذا لأجل التكميل والإرشاد ، ويقال لمن حصل له السيران الأولان : وَاصِلٌ وَاقِفٌ ، ولمن حصل له السيران الأخيران : واصلٌ راجعٌ إلى دعوة الخلق إلى الحق .

---

(١) أي : على من تخلى من الأخلاق المذمومات .

(٢) أي : على من تحلّى بالمحمودات .

وهكذا الفتح اثنان : ظلمانيّ ونورانيّ ، وفي الظلماني يشترك أهل الباطل وأهل الحق ، وأكثره شيطانيّ كما وقع ذلك لكثير من الأولياء حتى لقطب الأقطاب غوث الثقلين عبد القادر الكيلاني قدس سره .

ولا يخفى أن الوصول والوقوف أو الرجوع ، وكذا الفتح بالفتح النوراني الرباني الخاص بأهل الحق أو بالظلماني لا مجال لمعرفتها إلا من شيخ كامل مكمّل قد خبر الطريق ، وعرف بالمهالك والمقاطع شيطانية كانت أو نفسانية ، فلا يجوز لأحد أن يثق الوقائع إلا بشهادة الكامل المكمل العارف الخبير ، وليس له إلا بها نصيب من مقام الإرشاد فيقف في مقامه من حضرة الوصول ، ولا يرجع إلى دعوة الخلق ، **فإن رجع هلك هو ومن تبعه** ، والعياذ بالله . وتصدر غير المأذون له للإرشاد مما أجمع القوم على عدم جوازه . فعُلِمَ مما ذكرناه أن الاطلاقات التي في نحو سلسلة الخواجكان **محمولة إلى هذه المقيدات ، وإلا فيخرق بها اجماع القوم ، كما هو معلومٌ لدى من مارس كتبهم** ، وتقييد البعض مقدّم على إطلاق القوم إذا فرع عليه أو كان له دليل ، كما هو مفهوم ما في الشهاب من أوله في ١٢ .

وفي « ح م ر »(١) : يجب العمل بإطلاقهم حتى يوجد المقيّد ، بل ظهر لنا ما يخصص ذلك العام بالإجماع كما مر ، راجع « المدارج » و« المواهب البريقة » و« جامع الأصول » و« المتممات » و« درر الغواص » و« البهجة » و« الحدائق الوردية » و« الإبريز » فالكلام المذكور منقول منها من مواضع متفرقة ، والله الهادي إلى سبيل الرشاد ، مع أن التقييد في هذا الذي كلامنا فيه من المجمع عليه فيما بين القوم ، لا من بعضهم .

وفي « الأنوار » وشرح « الروض » : ويرجح أيضاً بالكثرة ، فلوجزم مُصنّفان بشيء وثالث مُسَاوٍ لأحدهما بخلاف رَجّحناهما عليه . انتهى .

---

(١) حاشية محمد الرملي .

وفي « القيلوبي على الشرح التحرير » : وكثرة النَقَلة تفيد الترجيح ، فلا يُعَارضه تصحيح الأقلّ لمقابله . انتهى .

وفي « حاشية زكريّا » على « الجوامع » من بحث التواتر : إنّ ما عليه الأكثر هو الحق . انتهى .

وفي « ابن حجر » من أوائله : الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير . انتهى . فهذا والسلام والوصية بالدعاء لهذا الملام ، واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق ؛ إذ من لازمه استشكال الأحكام بعضها بعضاً ، ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثاً ولا أثراً ولا قولاً للأئمة يناقض آخر كما قال كذلك الإمام الشعراني قدس سره[1] .

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : وفى « البهجة السنية » : ذكر أن واحداً كان في بدايته عظيم المحبة والاعتقاد فى غوث العالم عبد القادر الجيلاني . قال وكان يظهر له أحياناً ويبشرني بأمور ويعينني بمهماتي فقال لي يوماً فى الواقعة : إنك أخذت مدداً عظيماً ، ولكن لا بدّ من شيخ ظاهر . انتهى باختصار على المراد .

وفى زيل ترجمة « الرشحات » : إن الإستفادة من أهل القبور غير واقع . انتهى . وكذا الإجازة لا تقبل ، لأنه لو قُبلَتْ يدعى كل واحد أن واحداً من الكمل أذن له فى المنام فيتصدّر للإرشاد ، والله أعلم . راجع « الفتاوى الحديثية » لابن حجر ، وفيه ما يؤيّد هذا .

وفى « المتممات » و« البهجة » : إن الكشف قد يخطأ ويتلون فلا يعمل به عند القوم ، راجعهما . وفى الطريقة أمور لا يهتدى إليها إلا بالمشافهة والمكالمة ، ولا يتجاوز المريد عن مقام بلا شيخ ، راجع « الرشحات » و« المنن الكبرى » .

فاندفع بهذه المنقولات دعوى المشيخة لمن ليس له أهلاً ، ولمن لم يؤذن له صريحاً حين حياة شيخه ، وظهر بها أن الأخذ من الروحانية لمن لم يكن له قبل ذلك شيخ فى الظاهر لا يكفي ولا يجوز أن يعتمد عليه ، والله أعلم .

وفى « فتاوى » ابن حجر : رأى الفقهاء والأصوليون أن المصلحة للناس المتكلفة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع فى هفوة الطغيان قطعهم عن الاحتجاج بالإلهامات ، وأنّ ذلك باب يجب سدّه على الناس لئلا يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى . انتهى .

الباب الثاني

في المجذوب المجرّد

لا يجوز له أن يتشيخ ، ولا أن يكون مربّياً للخلق لأنّه في قبضته سبحانه وتعالى ، مسلوب الاختيار عن نفسه ، وإذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يَصْلح أن يكون مُربّياً للغير ، لأنّ التصرّف في غيره يستدعي ولاية التصرّف في نفسه ، وهذا الوليُّ مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرُّف في نفسه ، فكان مسلوب التصرُّف في غيره ، ألا ترى في عرف الشرع **أنّ مَنْ ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ، ومن لا فلا** ، وأنه[1] كالأعمى ، فلا يجوز أن يكون دليلاً لأعمى أعمى فافهم وراجع « جامع أصول الأولياء » ، وفي « الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » ما حاصله هذا : إن المجذوب لا يصلح أن يكون مسلكاً للمريدين ، لجهله بتحقيق مقامات الطريق ، فحكمه كمن خطف من مصر في الهواء فوجد نفسه بمكة ، فإذا سئل من مناهل الطريق ومراحلها ربما جهل شيئاً منها ، بخلاف من سافر مع دليل أمير الحجاج . فافهم . انتهى راجعهما .

---

(١) أي : المجذوب .

الباب الثالث

في جواز مشيخة من له شيخ كامل لو كان بيده

مكتوب الإجازة الصحيحة أو أذن له بمشهد الجماعة العدلاء المتواترة

فيجوز له أن يلقّن ويعلّم ولو كان هو ناقصاً لم يبلغ إلى درجة الكمال ، لأنّه قد يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة ، لأنّ يدَ الناقص يَدُ الكامل وتربيته تربيته ، لأنّه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له ، هكذا في « المكتوبات » للغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره ، لكن الإمام الرباني شرط في إذن الناقص تأثير المريد في صحبته راجعه .

وفي « البهجة » : وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا خالد شاه قدس سره في بعض مكتوباته أيضاً بقوله : وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، وغرضه من ذلك أن يبلغ كتابه الأجل باجتماع أهل الذكر عليه ، كما أجاز بهاء الدين نقشبند ليعقوب الچرخي قدس سره قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ما وصل مِنِّي إليك فليَصِلْ منك إلى الناس ، ثمّ تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين العطاري . انتهى .

وينبغي أن يعلم أنّ النقص وإن كان ينافي الإجازة - لما فيه من ضرر الطالبين - لكن لَمَّا صدر من كامل مكمّل يكون هذا نائباً منابه ، ويكون يدُه يدَه فلا يتعدّى ضرره ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى من عبارته مع اختصار على المراد .

فإن كانت الإجازة من كامل مكمل فيجيز لتعليم الطريقة وتلقين الأذكار لا لتبديل أصولها واختراع البدعات في أذكارها وأورادها . فيجب على من أجيز أن يعلّم كما علّم ، ويلقن كما لقن من غير تغيير ولا تبديل

في طريقة شيخه ، فإن خالف وبدل فقد ارتكب كبيراً ، واستحق وعيداً ، ودخل في هذا الحديث دخولاً « من أحدث في أمرنا » وفي رواية « ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » أي : مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به . وأخرج أبو داود عن حذيفة « كل عبادة لم تفعلها الصحابة رضي الله عنهم فلا تفعلوها » .

وروي عنه عليه السلام أنه قال : « عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة » .

وروى مسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا » أي : حكمنا وإذننا « فهو ردّ » أي : مردود عليه ، وإن لم يكن هو المحدث له . . . الأحايث من « فتح المبين » لابن حجر فليتدبره المخالف والمبدّل لطريقة شيخه الكامل ، لأنّها وصلت إليه معنعنة مسلسلة من غير زيادة ولا نقصان من رسول الله ﷺ ، ومَنْ غيّرها فقد أساء الأدب مع شيخه وشيخ شيخه إلى رسول الله عليه السلام ومن أساء الأدب معهم فإنه ينقطع ترقِّيه ، وربّما رجع إلى حالة هي أنقص ممّا كان عليه قبل صحبته له ، **لأن الأدب مع الشيخ سُلّم للأدب مع الحق جلّ وعلا ، فمن لم يتأدب مع الوسائل لا يشمّ رائحة من الأدب مع المقاصد** ، وأقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا والإدبار عن الآخرة . انتهى من « المنن الكبرى » مع تغيّر واختصار من عبارته ، عياذًا بالله من تلك المخالفة إنه ولي التوفيق . وإن لم يكن الإجازة من الكامل المكمّل فأمره معلوم ، ولا يجوز لذلك المجاز له التصدر للإرشاد لئلا يُضَيَّعَ ويُضَيِّعَ ، ويَضلّ ويُضلّ . وفي « جامع الأصول الأولياء » إنّ ذكر الأسانيد في كلّ طرق إلى رسول الله عليه السلام واجب . انتهى من عبارته .

وقد سألت واحداً من هؤلاء المتشيخين : مَنْ شيخك ؟ فقال : فلانٌ ، فقلتُ من شيخه ؟ فانتسب إلى عبد القادر الكيلاني قدس سره ،

وجهل من بينه وبينه . وقال لي السيد الشريف سيف الله الحسيني قدس سره في حق هذا البعض : لم أر أحداً على وجه الأرض ألعب بالطريق من هذا .انتهى . حتى أني رأيته يصلّي ولم أجد بين صلاته وصلاة الرعات فرقاً ما . وسمعته يقرأ فلا يحسن ولو آية بل يلحن لحناً جلياً . وقال السيد الشريف سيف الله المذكور : إنّ هذا المتشيخ طلب منه كتابة صك الإجازة لأولاده مع أنهم لا يعلمون ما الطريق فقال له : وهل ذلك مال لتقسمه بين أولادك بحسب الإرث ومنع هو من الكتابة . انتهى . وبعد ذلك استكتب ذلك من واحد من العلماء ، فكتبه ، وأراني ذلك المكتوب ، وقلت له : هل أولئك الأولاد آخذون منك الطريقة وعالمون أورادها ؟ فقال : لا ، فتحيّرتُ وسكتُّ ، سامحه الله تعالى وإيانا بفضله . وهذا الشيخ عند الورى كالقطب الأعظم . هذا مما لم يسمع إلى الآن من السلف الصالحين والمشائخ الكاملين ، **فوجب على كل من انتسب إلى النقشبندية في ولايتنا الداغستانية أن يتفطنوا لهذا المطلب المذكور** ، لئلا يكونوا من ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ ﴿أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ، ولينظروا إلى « الآداب المرضية » لجمال الدين الغموقي قدس سره ، فإنه هو الأصل في مشائخهم ، ولا يجوز لخلفائه وخلفاء خلفائه أن يغيروا ما كان عليه ، ويبدّلوا ما كان السلف الصالحون من مشائخه ، كيف ؟ ! وقد قال رئيس هذه الطريقة خالد شاه : من غيّر أصول طريقتنا فليس منا ، كذا في « مجوعة الرسائل » لسليمان الزهدي قدس سره .

الباب الرابع

في أن دعوى من يقول : إن شيخه هو النبي عليه السلام وإنه أخذ منه بلا واسطة من المشائخ الكمل باطل مردود

ولا تظنّ أنّ أحداً من هذه المتشيّخين وضع قدماً واحداً في أوّل مقام ارتقى إليه المشائخ الكمل فضلاً في مقام يأخذ عن رسول الله عليه السلاّم . قال الشعراني في « مِنن »ـه : وكان سيدي ياقوت العرشي رحمه الله تعالى يقول : إن ادعى أنه يأخذ عن رسول الله عليه السلام الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له ، فإن قال : رأيت نوراً ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلاً يقول لي من ذلك النور في ظاهري وباطنيّ لا يختص بجهة من الجهات : اسمع لما يأمرك به نبيٌّ ورسولٌ . فصدّقوه ، وإلا فهو مفتر كذاب . انتهى . فعلم أنّ مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز ، لا يناله كلّ أحد .

وقد سمعت سيدي عليّاً المرصفي رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله عليه السلام بلا واسطة مئتا ألف مَقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمّهاتها مائة ألف مقام ، وخاصّتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى من عبارته .

وقال فيه في موضع آخر : فإن غالب فقراء الزمان اليوم صاروا يجلسون بلا إذن من شيخهم ، وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له ، فادّعى أنه جاءه في المنام فقال له : ابْرِزْ للناس . وبعضهم ادّعى أنّ رسول الله ﷺ أذن له ، وهو بعيد ! ! فإنّ بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ما أظنّ أن هذا حصّل منها مقاماً واحداً ! كما مرّ تقريره في المقدّمة . انتهى من عبارته .

وقد ذكرنا قواعد أهل الطريق في رسالة خاصة ، فمن اطلع إليها وجد بعض المشائخ اليوم لم يبلغ درجة مريد . انتهى من عبارته .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر : وفي « المدخل » لابن الحاج المالكي : رؤيته ﷺ في اليقظة باب ضيّق وقلّ من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وُجُودُهَا في هذا الزمان ، بل عدمت غالباً ، مع أننا لا ننكر منْ يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهُمُ الله تعالى في ظواهرهم وبَواطنهم . انتهى من عبارته ٢١٨ . فليتأمله المنصف الغير المتعصّب ، فإن الإنسان بصير على نفسه ، عليم بحاله ، وإن استمر هذا المدّعي على دعوى قطعه هذه المقامات فيقال له : ما المقام الأول منها ؟ فلعله يجهل ، ولا يتكلم بل يبهت ويسكت ويتحيّر ، فلا يجيب ويفتضح فيخجل .

وأما دعوى أن النبي عليه السلام رؤي في المنام ، وأذن له للتلقين والإرشاد ، فهو غير مقبول ، والله أعلم ؛ لما في « الرملي » من الصيام : ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته عليه السلام ، وأنه أخبره في النوم بأن غداً من رمضان ، ولا يصح الصوم به إجماعاً لا لشك في رؤيته ، وإنما هو لعدم ضبط النائم . انتهى من عبارته ٣٠٨ .

وهكذا في « ابن حجر » . قال الشَبْرَامُلَّسِي في « ح ر م » زاد حجر : وفيه وجه بالوجوب ككلّ ما يأمر به ولم يخالف ما استقر في شرعه ، لكنه شاذ ، فقد حكى عياض وغيره الإجماع على الأول ؛ أي : وهو عدم العمل بقوله . فلا يعمل به من حيث أنه أخبر ﷺ به ، ثم إن كان له وجه مجوّز للعمل به لكونه نفلاً مندرجاً تحت ما أمر به الشارع أو جوّزه جاز العمل ، وإلا فلا . انتهى من عبارته ٣٠١ .

وفي « البجيرمي على شرح المنهج » : ولا عبرة برؤية نائم له عليه السلام قائلاً له : إن هذا من رمضان أو نحوه من سائر المرائي لأنّ النائم لا يضبط وإن كان الرؤيا حقّاً . « زي » . انتهى من عبارته .

وفي « الشهاب » للقيلوبي : ولا يجوز الصوم بإخبار غير المعصوم في النوم ، لعدم ضبط النائم أفعاله . انتهى من عبارته .

وفي « مغني المحتاج » للخطيب الشربيني قدس سره من الآذان : نظير ما مرّ ، فراجعه . وأما دعوى الإذن بالإلهامات والوقائع فبطلانه أشهر من أن يذكر .

قال ابن حجر في « كتاب الردة » ما حاصله : إن الإلهام ليس بحجّة عند الأئمة ، إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . راجعه . وسيأتي في الباب السابع عشر ما قاله الإمام معصوم من **أن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة** . انتهى ، ومرّ في الباب الأول ما له تعلق بهذه المذكورات ، فليلاحظه هنا .

الباب الخامس

في أن الأمر بالمعروف لا دخل له في أمر التلقين والتعليم

فأما قول من قال : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب صادق صاف لا غبار فيه ، لكن له شروط ، وللآمرين مراتب : منهم من يغيّر المنكر بيده ، وهم الأمراء والسلاطين . ومنهم من يغيره بلسانه ، وهم العلماء ، فيغيرونه بسياسة ولطف لا بعنف وتكبّر ، ومنهم من يغيره بقلبه ، وهم المشائخ المتصرفون والأولياء الكاملون . **ومن تصدر لتغيير المنكر والأمر بالمعروف قبل فطامه على يد شيخ كامل فما يفسدُه أكثر مما يصلحه** لأنّه لا يهتدي إلى دسائس النفس الأمارة ، ومكائد الشيطان ذي الغواية ، فيأمر لحظّ نفسه ، ويغيّر لا لأجل خالقه سبحانه .

وفي « الرشحات » : جاء شخص عند واحد من الأكابر ، وقال : إني أريد أن اشتغل بالوعظ فبأيّ نية أشتغل به ؟ فقال له ذلك الشيخ جواباً عجيباً : إنّ النية ليست بنافعة في المعصية . وهذا الجواب صحيحٌ ، فإنّ الوعظ والنصيحة قبل أوانهما معصية . انتهى عينه .

وقال[1] بعضهم : يجوز الكلام والتكلّم في وقت بلغ المتكلم فيه درجة كأنّ لسانه نائبٌ عن قلبه ، وقلبه عن الحق سبحانه . انتهى عبارته . فإن كان ذلك الآمر والمغيّر ممن تخلّص عن قيد الوجود ، وانفلت إلى ميدان الإخلاص ، فلا مانع له عن شيء يفعله ويختاره ، وإن كان ممّن هو أسير في يد نفسه ، ومقيد بأنانيّة فكل شيء يفعله فهو عيب وشيْن عليه ، ومن أراد أن يحقق هذا فليطّلع إلى « الإحياء » من كتاب الغرور .

والتلقين : أمر مخصوص بأهله لا يجوز أن يباشره أحدٌ بقوله : إنه آمر بالمعروف . لسرّ في التلقين يعرفه أهله مع أنه في قرانا قضاة نصبوا في المساجد ليعلموا الناس أمور الشرع الشريف ، فأيّ فرق بينه وبينهم ، ولا نعلم في حقه سرّ الخصوصية ، إلا أنه أحبّ الرياسة في معرض الخير والإصلاح ، وذا[2] آخر ما يخرج من قلوب العارفين ، وأنّى يتخلّص منه من سداه ولحمته أنانية ؟ !

---

(١) إذا سئل : متى يكون وقت الكلام ؟ (منه) .

(٢) أي : حب الرياسة .

الباب السادس

في بطلان دعوى حرمة تلقين الأذكار القلبية على قاعدة النقشبندية للعوام

وليس لمن يدّعي عليها نقل من الكتب ، بل النقل على خلافه ، فاستمع لما يتلى عليك إن كنت منصفاً ، واترك التعصّب والدعوى ، لعلّ الله ينزل عليك شيئاً من الرحمة الهابطة ، ويخرجك من مواعيد قطاع طريق الله سبحانه .

قال العالم العلامة البحر الفهّامة يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي الخالدي قدس سره في كتابه « هدية الذاكرين وحجة السالكين » : وأما تعليم الذكر للعوام ؛ فلعموم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، وقال تعالى ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية من عبارته . وراجع إن شئت الزيادة .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » : واعلم أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف والخلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرّك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب ، وتبسّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبّسهم بالمخالفات .

فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرك ، وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة ، حتى يتصقّل فيخشع وينيب الى دار الخلود ، ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ،

وليسارق الشيخ نفسه الأمّارة الآبية بالتدريب والتوطين - لئلا تنفرّ وتملّ وتيأس من الإصلاح ، وتقطع الرجاء فتصرّ على المعاصي - أَمْرٌ حَسَنٌ ، وهو من سياسات الإرشاد ، ولو قال له أوّل الأمر : اترك الدنيا ، واخرج من أكل المظالم ، وصحّح التوبة ، وإلا فلا ألقّنك الذكر ، ولا يكون لك قبولٌ ينتج الهداية لَنَفَرَ لاستصعابه كلّ ذلك ، ويحرم تلك الفائدة ، وربّما يصل إلى حدّ اليأس ، وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار ؛ فإن بعضهم قال : أدخل الإسلام بشرط سقوط الصبح ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، فقبل منهم سرّاً ليدرّجهم على تمام الهداية تدريجاً ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام - لَمَّا أَنِفَ من مجالسة بعض الفُساق ونهاهم عن مجلس وعظه -: يا داود إن المستقيم لا يحتاج إليك ، والمعوّج إذا لم تُقِمْه فلِمَ أُرْسِلْتَ ! ! فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة[1] إفادته ، فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبية ؟ ! **وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوّج الضال ؟ ! وهل يلزم أن يكون جميع المُلَقَّنِينَ بالذكر أهلاً للتبرك والتجريد والاستقامة ؟ ! أم منهم الواصل ، ومنهم المخلص المتوسّل ، ومنهم المتبرّك المتخلّف الساقط ؟ ! . وهذه السياسة الحسنة**

---

(١) وصار يجالس عصاة بني إسرائيل ويحسن إليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة ، فانقادوا له كلهم إلا من حقت عليهم كلمة العذاب . وعلم مما قرّرناه أن محل قولهم : يحرم إيناس العصاة ومجالستهم . ما إذا لم يكن لغرض شرعي . فافهم انتهى من « المنن » عبارته .

ومن شرط الفقير أن يتواضع لإخوانه المسلمين ، ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الأرض . انتهى (منه) . وفي شرح « شعب الإيمان » للقصري : لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الأرضين السفليات . انتهى من « المنن » . (منه رحم الله إفلاسه) .

مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليه المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامّة المسلمين ، وإن كنت في شكّ مما بيّناه ! ! فارجع في « الإحياء » و« المنن الكبرى » من الجزء الأول في ١٥٤ و« طبقات الصوفية » للشعراني .

وقد كان العارف أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول : ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا إلا بعد أن يمهّد له بساطاً قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع القربات الإلهيّة ، واللطائف الرحمانية ، والعلوم اللدنية ، وهناك يتنبّه المريد لطلب ما يدعوا الشيخ إليه ، ويبادر لامتثال أمره ، وتهبّ عليه ريح التوفيق ، فلا يصير يقف مع شيء يَحْجُبُهُ عن حضرة ربّه عز وجلّ .

قلنا : والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصْراً ؛ فمنهم من يمهّد له بمدّة قليلة ، ومنهم من لا يتمّ تمهيده إلا بمدّة طويلة بحسب تفرّس الشيخ وتفاوت معالجتهم . وقالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة للنفس إذا ضَعُفت عن القيام بالعبادة ، كما أنّه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى ، وكما أنّه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء اللذيذ البارد لأجل استجابة الأعضاء للشكر بعزم وقوّة كما عليه السادت الشاذلية . فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه : كلوا من أطيب الطعام ، واشربوا من ألذ الشراب ، وناموا على أوطأ الفراش ، والبسوا ألين الثياب ، وأكثروا من ذكر ربّكم ، فإذا فعل أحدكم ذلك وقال : الحمد لله يستجيب كلّ عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فإنه يقول : الحمد لله ، وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله .

وقال علي القاري : ليذكرنّ الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يُدخلهم الله الجنات العلى . وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري

مجراهم لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى ، وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الجنان العلى ، وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادات الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية . انتهى كلام « المتممات » .

وفي « الرشحات » : قال بهاء الدين النقشبند : كُل الطعام جيّداً ، واشتغل جيّداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى كلام « المتممات » من عبارته . وقال جامع القطبتين الشيخ الفاني محمد ذاكر في كتابه « تبصرة المرشدين » : ثم يلقّن الذكر باسم الذات من غير فرقٍ بين مريد ومريد على ما اختاره الإمام الرباني في الأخير على ما قرّر في مكتوب العروة الوثقى الإمام محمد معصوم الفاروقي . . الخ . انتهى . وقال الشيخ محمد مراد في « الدرر المكنونات » : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً من كان مُناسِبٌ بل لازم . انتهى .

وفي رسالة العالم الرباني سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره : وقال شاه خالد قدس سره في بعض مكاتيبه مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق : وأكثر الطالبين كذلك وأنّى يوجد الصادقون ؟ ! ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريقَ بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان ، وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا ، وإلا ، فالضرر راجع إليهم ، لا إليكم . انتهى من خط خطه .

فكيف يجوز أن يطرد العاصي لعصيانه من ذكر الله ، فربما يجوز أن يكون ذلك العصيان خيراً له من طاعته . وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » : فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار . انتهى من عبارته . قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » - رزقنا الله نصيباً من علومه - وسئل نفع الله تعالى به : هل لقول تاج ابن عطاء الله في « حكمه » : رُبّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة

أورثت عزاً واستكباراً أصل من السنة ، وكيف يطلق خير على معصية . فأجاب بقوله : نعم ، له أصل من السنة وهو ما أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب « الثواب » بسنده إلى النبي عليه السلام أنه قال : قال الله عز وجل « لولا أن الذنوب خير لعبد المؤمن من العجب ما خليت بين عبد المؤمن وبين الذنوب » رواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ : « لولا أن المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهمّ به ولكن الذنب خير له من العجب » . وأخرج ابن أبي الدنيا وقال غريب تفرد به من اختلف في توثيقه الحديث القدسي المشهور المذكور في تفسير سورة الشعراء من تفسير البغوي وفيه « وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخل عجب فيفسده ذلك » وإذا تأملت أن الخيرية في ذلك نسبيّة من حيث الثمرات والغايات المترتبة على ذلك لم يبق عندك الإشكال في إطلاقها على المعصية من رعاية ذلك الأمر النسبيّ فتأمله . انتهى من عبارته ٢١٧ .

وفي « الفتاوى العمرية » : قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ولم يقل يا أيها الصالحون ، وكذا الخطاب في ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربما يحصل له أجر جزيل . وفي الحديث « إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » . انتهى من عبارته . **يقول** الفقير ذو العجز والتقصير إذا أطلق الذكر يعمّ القلبيّ واللساني ، بل إطلاق الذكر على اللساني مجازي ، فإن حقيقة الذكر : طرد الغفلة ، فافهم وراجع « تفسير سلمى » و« تصديق المعارف » و« الفتاوى » للشيخ عمر الميرطي قدس سره .

وفي « روض الفائق » في ٢٥٨ ما نصه : وعن أبي الأسود الدؤلي : إن أبا ذر رضي الله عنه حدثه أنه قال : أتيت النبيّ ﷺ وهو نائم ، وعليه ثوب أبيض ،

ثم أتيته ثانياً فإذا هو نائم ، ثم أتيته ثالثاً وقد استيقظ فجلست إليه فقال : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنّة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق : قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر . فخرج أبو ذرّ وهو يقول : على رغم أنف أبي ذر » انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٥٧ : وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ يعني : لمن يقول (لا إله إلا الله) ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ لمن يقول (لا إله إلا الله) ، شديد العقاب لمن لم يقل (لا إله إلا الله) . انتهى من عبارته . وفي كتاب « السير والسلوك » : **وأعظم أسباب الندم المداومة على ذكر بكلمة (لا إله إلا الله)** لأنّه إذا داوم عليها أوقد الله في قلبه مصباحاً ملكوتياً ، فتزول به ظلمة الباطن ، فيظهر ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة عن نيل السعادة ، وهو وإن كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل الندم الذي هو التوبة .

وقد روى سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له : أكثر (لا إله إلا الله) ، ويأتي آخر ويشكو له الزنا مثلاً أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مؤمور أو فعل منهي عنه إلا أمره بالذكر . انتهى من عبارته .

فهذه السياسة الحسنة هي التي مشى عليها المشائخ قديماً وحديثاً ، وهي المعالجة الكبرى من أصحاب الطبّ الروحاني رضي الله عنهم . قال الشيخ زاده في شرحه على « البردة » في ٣٩٠ : فإن تزكية النفس لا تتيسر إلا بنظر نبيّ أو وليّ ذي تجربة في هذا الشأن . انتهى من عبارته .

وقال الخربوتي في « عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة » في ٢٩ : إن للمرشد إرشاد كلّ من استغرق في الهوى ، ولم يعلم ذلك إلا النبيّ أو الوليّ ، وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً وأوفر العاصين زاهداً ، بل كل رجل يلزم له أن ينيب إلى مرشد كامل . انتهى من عبارته . ولا شكّ أن ما يستعمله مشائخ الطريقة لشفاء العِلَلِ المعنوية أوالحسية هو الذكر الكثير ، ولذا قال الشعراني في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه . فقلت : الإكثار من ذكر الله حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقيّ ، ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ، ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبّر على أحد من العصاة ، لأنّ العبد لا يرائي قطّ بعمل غيره ، ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟ **قلت** : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فَطَوَوْا به الطريق ، وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقوله الحق تعالى « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقّف على جلاء القلب ، فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصديّ[1] وحكم غيره كالصابون . انتهى . وهكذا في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية : خمسمائة سنة ، وإن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : يا ربّ بل بعملي ، فلو أن هذا

---

(١) وفي نسخة : الصديء .

العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى دون عمله وإن كان لزم الأدب مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى من عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٣١٢ : وسمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : مراد الشارع عليه السلام ومشائخ الطريق من مريديهم ، إذا أكثر من ذكر اللسان والقلب أن يحصل له الأنس ، ويصيرَ قلبه لا يغفل ولا يتكلّف للذكر ، بل يكون الحق مشهودَه على الدوام ، تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله ، وأنّ الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، **وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجلّ لا يحصل له هذا الأنس** ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة .

خاصية تمكّن الذكر في القلب

وسمعته مرة أخرى يقول : خاصيّة تمكّن الذكر من القلب أن يهذّب أخلاق صاحبه ، فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر ، فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر ، والله عليم حكيم . انتهى من عبارته .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت : أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها ، وذلك مجرّب عند المشائخ ، ولاسيّما ذكر الله بكلمة لا إله إلا الله ، فإني جرّبتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها ينقلب من البدن كانقلاب الطير من قبضة الصياد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة ، فافهم . انتهى من عبارته .

وفي « السير والسلوك » : فالسالك إذا كان في المقام الأوّل ؛ يعني : نفس الأمارة وتلقن الاسم الأوّل من السالك ، وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل والنهار ، جهراً وسرّاً ، قياماً وقعوداً ، أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتيّاً ، فيرى بعين قلبه القبائح التي هو منطوٍ عليها كارهاً متنكراً اتّصافها ، متحسّراً على ما فاته من الأوقات بعد ما كان في غفلة ، لا يعرف القبيح من الحسن إلا باللسان ، فيتشمّر حينئذ ويَسْعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة ؛ كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك ، وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة ؛ كالكبر والحقد والشحناء وأمثال ذلك ، وكلما زاد من الذكر ، وداوم عليه زادت كراهته الأفعال القبيحة ، وزاد سعيه في الخلاص منها ، وهذا الأمر متحقّق لا ينكره إلا من لا يجرِّبُهُ . وهذا أوّل كرامة يكرم بها الله تعالى هذا السالك ، يستعينُ على قطع الطريق وله في كل مقام كرامة ، بل كرامات ليثبت ، والمصباح المذكور هو أول الجذبة الرحمانيّة ، وكل ما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب ، حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال ، فيقوي على حمل الأمانات وعلى المتجلّيات . انتهى من عبارته .

وفيه في ٣ ما حاصله : أنه لا بدّ للسالك من سلاح ؛ وهو : الأسماء ليُهْرب عَدُوَّيْهِ ؛ وهما : الشيطان والنفس . انتهى من عبارته .

وقال الإمام اليافعي في « نشر المحاسن » : وقال بعضهم : ذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعدائهم ، وبه يدفعون الأفات التي تقصدهم .

وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان ، صَرَع كما يَصْرَعُ الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسَّه الإنسُ . انتهى من عبارته .

فيقول هذا الفقير : أخذاً من هذه المذكورات آنفاً ، ومما يأتي في الباب الخامس عشر نقلاً من « الإبريز » وغيره : إذا كانت الأسماء الإلهية للسالك كالسلاح ، فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها ، فتكون حُجُباً يمنع بها الشيطان ، ومؤثّرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبية ، فيقوى السالك على الشيطان ، وعلى النفس ، ويَضْعُفَانِ ، كما يقوى المقاتل الذي معه سلاحٌ جيّدٌ وسيف قاطعٌ حادٌّ على العدوّ المحارب ، وإن أخذها من غير عارف مأذون تكون الأسماء خالية عن النور ، فلا يقوى بها على الشيطان الغرّار ، ولا تصير تلك الأسماء حُجُباً بينه ، ولا تكون مؤثّرة لانكسار النفس وهواها ، بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه ، ويُوقعه في العجب والرياء بحيث يظن أنه على شيء حسن من العبادة ولو بعد حين .

وفي « المواهب البريقة » نقلاً عن الشعراني : فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في عجب في آخر عمره فحبط عمله كلّه ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية ، فسرح على شجر الحنظل سرحة ثم مَجَّ ذلك على الخلية ، فأفسد كل ما فعله تلك السنة . انتهى من عبارته .

وقد سألني بعض العلماء منكراً على شيخنا قطب الأولياء بركة الزمان ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره : هل يجوز تعليم الذكر للعِرّيف ؟ .

فقلت له : إذا أراد الكافر أنْ يسلم فأيّ شيء يجب عليه أولاً ؟ فقال أن يقول (لا إله إلا الله) ! فقلت له : فهل يكفي له أن يذكره باللسان بلا تصديق بالقلب ولا إذعان أم لا ؟ فقال : يجب عليه أن يذكره باللسان مع موافقة القلب ، فقلتُ :إذاً يُعْلم بالطريق الأولى جواز الذكر بكلا نَوْعين لمسلم نشأ في الإسلام . فتحيّر وتدبّر ، ولكن قال : هل يجوز أن يذكر الله

بتلقين شيخ مع رابطة ؟ فقلت : نعم ، إنما وضع الإرشاد لأجل المعوجّ ، والأذكار الملقّنة أشدّ تأثيراً وأكثر نفعاً ، وبها يصير المعوجّ مستقيماً . فسكت مَلِيّاً ، ثم أورد عليه ما في « الإحياء » قبيل بيان الدواء النافع في حضور القلب في ١٣٠ من الجزء الأول .

وروي أن الله تعالى أوحى إليه ؛ يعني إلى موسى عليه السلام : « قل لعُصاة أمتك لا يذكروني ، فأنّي آليْتُ على نفسي أنّ من ذَكَرَنِي ذكرْتُهُ ، فإذا ذكروني ذكرتُهُمْ باللعنة » . انتهى من عبارته . فقال : فما تقولون في هذا ؟ فقلت : لعلّ ذلك في حقّ قوم مخصوصين قد ذكروا الله تعالى استهزاءً وسخريّاً مع إصرارهم على المعاصي ، وعدم مبالاتهم بارتكاب المناهي وقد كان الله تعالى شدّد لأمم بعض الأنبياء بأشياء لا طاقة لهم ، وقد رفع ذلك التشديد عن هذه الأمة المحمديّة المرحومة ، كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ الآية ، وإلا فيعارض كلام « الإحياء » على كثير من الأحاديث والآيات ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ .

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة على كلّ مؤمن عاصياً كان أو مطيعاً . والصلاة ذكرٌ بدليل قوله تعالى ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ**﴾ الآية ، فلو كان الله تعالى يلعن الذاكر العاصي ، وأمره بعدم ذكره إيّاه لما جاز للعصاة والفساق من المؤمنين أن يقيموا الصلاة ، ولم يقل به أحدٌ من الأئمة ، مع أن المشائخ قدس الله أسرارهم لا يلقنون الذكر إلا بعد تلقين التوبة ، وتعليم الإنابة احتياطاً ، فإن استقام المريدون فازوا ونالوا ، وإلا فالضرر راجع إليهم ، لا إلى المشائخ ، فأيّ رجل خرج من العِصْيان مع أنّ العصمة من خصائص النبوّة . انتهى . وبعد ذلك لم يورد إليّ سؤالاً ما ، فلا أدري أَرَضِيَ بالجواب أم لا . فالحمد لله رب العالمين .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : أخذ علينا العهود عن رسول الله ﷺ أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو ما أمكن ، وإن وقعنا في ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى ، بما ورد أنه يكفّر ما وقع في المجلس ، وذلك أنّ الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد ، فإن استغفر لم يكتبها ، وإن لم يستغفر يكتبها ، وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده ، من حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبَهُ وانتقامَهُ . فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام ، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق ، فتأتي أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام ، فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الشيخ محي الدين العربي يقول : إذا عَصَيْتَ الله تعالى في الأرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيراً ، كقولك (لا إله إلا الله) ، أو (سبحان الله) أو(الحمد لله) فكما صارت البقعة تشهد عليك ، كذلك صارت تشهد لك يوم القيامة ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى أبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي وابن حبّان في « صحيحه » والحاكم ، وقال الترمذي : حديث حسن مرفوعاً « من جلس مجلساً كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » . انتهى من عبارته ١١٦ .

ولقد أمر الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن بالاستغفار ، والاستغفار ذكرٌ ، تدبّره .

فالحاصل أن العبد مأمور بتقوى الله في سرّه وعلانيته ، لكن لا بدّ أن يقع منه أحياناً تفريطٌ في التقوى ، إمّا بترك بعض المأمورات أو

فعل بعض المنهيات ، ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى ، كما دلّ عليه سياق أيات ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى أن قال في وصفهم ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الخ فلذا أمر ﷺ بأن يفعل العبد ما يمحو به ما فرّط منه بقوله عليه السلام « وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها » كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي فلا تعجزن أيها الإنسان إذا فرطت منك سيّئة أن تتبعها بحسنة ، من نحو صلاة أو صدقة أو ذكر ، وفي الحديث « كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، إني أصبت حدّاً فأقِمْهُ عليَّ ، فأعرض عنه ، ثم كرّر ذلك مراراً ، وهو يعرض عنه ، فقال : يا رسول الله إنه أتتني امرأة أجنبيّة تشتري منّي تمراً ، فأدخلْتُهَا البيتَ فأصبت منها ما يصيب الرجل من امرأته ، غيرَ أني لم أجامعْهَا ، فقال له رسول الله ﷺ : توضأ وضوءاً حسناً ، فتوضأ وصلّى مع النبي عليه السلام فنزل قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ أي عظة لمن اتّعظ فقال معاذ : يا رسول الله هذا له خاصة أم للناس عامة ؟ فقال : « بل للناس عامة » . انتهى من « فتح المبين » ملخصاً . وبالمعنى من الحديث الثامن عشر عبارته ١٤٦ راجعه إن أردت البسط الزائد .

وأمثال هذه المذكورات الدالة على جواز ذكر الله لكلّ واحدٍ من المؤمنين من غير فرق بين صالح وفاسق كثير في الكتب ؛ والمشائخ هم الأطباء بالطب الروحاني معالجون المرضى بالأمراض المعنوية بأدوية الأذكار الواردة عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام .

والقول بعدم جواز إنزال الدواء على موضع الداء مما لا يقبله عقل ، ولا نقل ، فها أنا طويت لك في هذه الألوكة[١] عدّة منافع فعليك الاستغفار لهذا المذنب الخاطئ واشكر مولاك وهو الغني الحميد .

---

(١) أي : الرسالة .

فصل في بيان رفق المشائخ وملاطفتهم لضعفاء المريدين ومسامحتهم لمن لا يقدر منهم العزيمة .

قال في « الحديقة الوردية » : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعبٌ جدّاً لفساد المعاملات ، وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة . انتهى من عبارته ٢٠٣ .

قال الخاني في « البهجة » في ٣٠ : ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريقة ، فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيُسامحه ، ولا يردّه عن الطريق ولا يثبت رقم الشقاوة على جبينه ، لأنّه مَنْ جلس معه بالصدق والصفاء لا يكون شقيّاً ، إن لم يتصل بمقام الكمَّل فهُمْ قوم لا يشقى بهم جليسهم ، فينبغي أن يأمره بالرخصة فيمنعه من الرياضة الشاقة حتى لا ينفر من صحبة السعداء ، فيجلسه باللطف والكرم ، فبصحبتهم وكثرة المخالطة معهم يَتَأَّثر وتقوى همته . وبحكم المناسبة والمجالسة تحصل له المحبة وداعي تحمّل المشقّة والرياضة والمجاهدة ، فيَرْتقي من حضيض الرخصة إلى ذِرْوَةِ العزيمة ، ويحمل جميع المشاق ، كما قيل : جاء رجل من أبناء الملوك إلى شيخ ، وخرج من جميع المال والأسباب كلّها مرّة واحدة ، فتفرّس الشيخ بفراسته ضعف حاله ، فبحسب الأوقات كان يحضر له الطعام اللذيذ ويقول الشيخ : تربيته كانت بالنعمة ، وتأنس بها ، فلا بدّ من الرفق به ، ولا ينبغي المنع من حظوظات النفس من الحلال حتى تحصل له الرغبة إلى المجاهدات ومخالفة النفس . انتهى من عبارته .

ورأيت في منهوّات « ترصيع الجواهر » من كتب الطريقة العلية الخلوتية : أن بعض المشائخ يربّون تلامذتهم بالشهوات . انتهى من عبارته .

وفي ذلك الكتاب ما حاصله : إن المشائخ مأمورون باستمالة قلوب الناسِ ، ولو قلب كافر ، وأما الأمر بإهانة الكافر والعاصي

المجاهر فهو في حق غير المرشد ، ولذا قال سيِّدنا عبد القادر : لا يضحك في وجه الفاسق غير العارف ، يضحك في وجهه ليتألَّفه ويخلِّصه من فسقه . فراجعه .

وفي « **المنن** » : **لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة** . انتهى من عبارته .

وفي « البهجة السنية » : ويقدّم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي ، فإنّ الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام . قال عبد الراجي رحمه الله إفلاسه : إن للشيوخ الكرام قُدِّسَتْ أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله ﷺ حيث ثبت أنّ بعض المبايعين أرادوا المبايعية له عليه السلام على أربع صلوات أو على أقلّ من ذلك فبايعه على ذلك وقال : « الصلاة لا تُتْرَكُ » فكذلك الشيوخ يقنعون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتماداً منهم على أنّ النور الإلهيّ إذا تمكّن من قلبه يأبى أن يكون كلّ حَرَكة وسكنة منه إلا بالله سبحانه وتعالى ، ثم يُلقِّنه ذكراً مناسباً لحاله ويُمدُّه في ذلك بتوجّهه وهمّته ، ويُبيّن له آداب الطريق وشرائطه ، ويرغِّبُه في متابعة الكتاب والسنة ، ويقطع عنه الكلمة بأنّ الوصول إلى المطلوب (الله) لا يمكن إلا بهذه المتابعة ، وينبّهه على أن الوقائع والكشوف المخالفةَ أدنى مخالفة للكتاب والسنة لا يلتفت إليها أولوا الأبصار ، ولا توزن بميزان الاعتبار . انتهى من عبارته ٣٧ .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض مكاتبه مجيباً لمن سأله : إنّ بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رِباً ، ويظهرون أن هذا الأخذ منهم ليس إلا بالحيلة الشرعيّة ، هل يتأهلون لتعليم الطريقة ؟ : لقِّنوهم الذكر وعلِّموهم ورَغِّبُوهم في الاجتناب

عن المحرّم . انتهى . المعنى في هذا أيضاً ما قد سبق عن النبي ﷺ . ومن هنا قالوا : إن الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمْعة والرياء لا يترك العبادة ، بل يستغفر الله تبارك وتعالى . انتهى منه عبارته ٣٧ بتصّرف .

وقد قيل : إن الرياء قنطرة الإخلاص ، ولهذا قد تحمل المشائخ المريدَ إلى الرياء في العبادة ليجرُّوه تدريجاً إلى الإخلاص . هكذا قال لي شيخنا ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره .

وفي « المنن » للشعراني قدس سره : ولمّا ظهر رسول الله ﷺ بالرسالة لم يأمر أحداً بترك الحرفة ، بل أقرّهم على حِرَفِهم ، وأمرهم بالنُصح فيها . وكان سيدي عليّ الخواص رحمه الله تعلى يقول : الكامل من يسلك الناس وهم في حرفهم . انتهى .

فالواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه وقسى قلبه ، وغلب وقوعه في المخالفات ، ولم ينشرح صَدْره للتوبة ، فإنه كالمريض الذي يشكوا أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي له أن يزجره وينفرّ منه بل يصبر عليه حتى يفرغ من أن يَشْكو ضرورته ومرضه ، ثم يصف له الدواء ، وهذا الخُلق قلّ من يعمل به لاسيما أهل الحدة والغِيرة على الشريعة ، ولو أنهم نظروا في أخلاقه ﷺ لتلطّفوا بجميع العصاة . فإياك يا أخي ونهر أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه ، ولا يمتحنهم الشيخ في الصدق ، لأنّ الامتحان إنما يكون إذا تمكنوا في الطريق ، وعلقت بهم صنارتها .

وأما قبل ذلك فربّما امتحنهم الشيخ ، فرجعُوا عما كانوا قصدوه وقالوا : ما لنا ولهذا الطريق ؟ ! وفترت همّتهم . انتهى من عبارته من مواضع متفرقة .

وفي « الفتاوى » لابن حجر : إن النبيّ ﷺ كان يُلَيِّنُ القول لمن يَرْجُو إسلامَه لأنّه أرجى للهداية . انتهى من عبارته .

من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق

وفي « تنبيه المغترين » من لم ينظر للعُصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى من عبارته . وفيه أيضاً : الفاسق ضالة كل داع إلى الله ، أَيْنَمَا وجدها يلتقطها . انتهى بالمعنى .

وفي « الأنوار القدسية » لخليفة شيخ الخنكار الأعظم – نصره الله – : وكان أبو الحسن الشاذلي لا يأمر أحداً بترك حرفته وتجارته بل يعرّفه الطريق وهو باق على حرفته . انتهى من عبارته .

فعامل يا أخي إخوانك في هذا الزمان كما تعامل الأطفال الذين ليس لهم عُقولٌ ، ولا تُقِمْ عليهم ميزان الصدق فينفرّوا كلّهم من صُحْبتك . انتهى من « المنن » عبارته .

وفيه : أنه لا لوم على الدعاة إلى الله تعالى من العلماء العاملين في تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح ؛ كأنْ يقصِدُوا من ذلك تمييلَ قلوبهم إلى محبتهم حتى يَصْغَوْا لِنُصْحهم ، فإن التكبّر على الفسقة وإظهار احتقارهم مما ينفرّ قلوبهم ، وتأمل يا أخي الصيادَ إذا اصْطادَ سمكة كبيرة وخاف على خيْطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخي لها الخيط على تَبَعُّدٍ ثم يَسْحبها مسارقة شيئاً فشيئاً حتى تدخل تحت يده ويقبض عليها ، وكذلك العصاة . انتهى من عبارته .

وفى « درر الغواص » على « فتاوى علي الخواص » للشعراني : فقلت له فما مذهبكم فى المعاهدة للمريد أنه لا يعود يعصي الله عز وجل ، فقال : هو أيضاً مما نكرهه ، لأنّه لا يؤمن متعاطى ذلك من الوقوع في الخيانة ، فيصير عليه إثم المعصية وإثم خيانة العهد ، ولو أنه لم يقع

فى معاهدة لكان عليه إثمٌ واحدٌ . فالأحسن للشيخ أن يأمر المريد بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير معاهدة انتهى . من عبارته .

وفى كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني : فقلت له فما تقولون فى ترتيب الأوراد المشروعة ، وأخذ العهد على المريدين أن يوفوا بها ، فقال ﵁ هو مما نكرهه ولا نفعله . فقلت لم ذلك ؟ فقال ﵁ لا يأمن صاحب المعاهدة من عدم الوفاء والخيانة فيقع فى كفة الخسران .انتهى .

ومشى شيخنا ومولنا وسيدنا قطب الأولياء وبرهان الأصفياء ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي رزقه الله ما فيه صلاحه فى الدارين والدين آمين على هذه السياسة الحسنة .

وقد قال المحققون : من شرط الداعي إلى طريق الله تعالى معرفته السياسة قبل الدعاء ليدعوا كل إنسان من الطريق التي يسهل عليه انقياده له منها . انتهى ، ومرّ أنه لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة إلى الله تعالى . انتهى .

ولا يجوز تغيير المنكر للمشائخ والداعين إلى الله تعالى إلا بالقلب والهمة ، هكذا قال لي شيخنا المذكور قدس سره ، ويوافق قوله بما في « لواقح الأنوار » و« المنن » فراجعهما .

بعض الخير يجرّ إلى الخير

وإنما الداعي إلى الإطالة في هذا المطلب بتحرير النقول الكثيرة كثرة طَعْنِ الناس فيما يفعله شيخنا العسليّ قدس سره ؛ من تلقينه للحشاشين وأهلِ السعوط وغيرهم من شربة النبيذ ممن لا يطيقون ترك المعاصي رأساً ، فقد رأيتهم بعد ذلك التلقين منّاعِينَ للشرور والمعاصي ، وطمّاعِينَ إلي أعمال الأبرار بعد ما كانوا عاصين قبل ذلك التلقين . فتدرّجو إلي الخيرات ، وتسارعوا إلى الحسنات ، وتيقنوا بركة الأذكار فى جميع

الأوقات ، وما زالوا يذكرون الله تعالى بالقلب واللسان ، فلو كان قدس سره مَنَعَهم لفاتت عنهم تلك المنافع ، واستمروا على فعل المعاصي ، **وبعض الخير يجرّ إلى الخير**[1] **كما أنّ بعض الشرّ يجرّ إلى الكل** فافهم . ولو كان تلقين الأذكار القلبية حراماً للعوام ، كما قال البعض من هؤلاء المدعين لما قال هؤلاء الأقطاب النقشبنديون وغيرهم هذه الأقوال النافعة فى تلك الكتب[2] .

الباب السابع

في أن اطمئنان النفس ليس شرطاً لجواز التلقين

كما زعم عليه البعض المذكور ، وإنما هو شرط للإذن بالإرشاد كما قال الغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره نقلاً من « الرسالة المدنية » : فلا يصل[3] السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه . انتهى من « مكتوباته » .

وفي « ترصيع الجواهر » ما يؤخذ منه إن السالك إذا صارت نفسه مطمئنة يجوز أن يؤذن له بالإرشاد . فراجعه من الباب الثامن .

فالحق الذي يتمسّك به ، وما يحتجّ به المدعي ما في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره في ٣٨ من الجزء الثالث أنه : لا بد لمبتدئي طلبة هذا الطريق من الذكر ، **فإنّ ترقِّيه مربوطٌ بتكرار الذكر بشرط أن**

---

(١) وفي نسخة : ولا شك أن بعض الخير . .الخ .

(٢) وفي نسخة : في تلك الكتب النقشبندية وغيرها .

(٣) وهذه الرتبة لا يكون إلا بواسطة مرشد كامل مكمّل أمرناه ، على أن الشيخ في وقته كالنبيّ عليه السلام في زمانه . (سيف الله النزبكري رحمه الله) عبارته .

يأخذه من الشيخ الكامل المكمّل ، فإن لم يكن بهذا الشرط فكثيراً ما يكون من قبيل أوراد الأبرار الّتي نتيجتها الثواب ، لا درجة القرب التي تتعلَّق بالمقربين ، فإذا تمّت المعاملة التي كانت مَرْبُوطة بالذكر بفضل الله سبحانه ، وتيسّر الخلاص من التعلق بآلهة الهوى ، وصارت الأمارة مُطْمئنّةً ، فحينئذ لا يحصل الترقي من الذكر ويكون حكم الذكر حكم أوراد الأبرار ، وقطعُ مراتب القرب في ذلك الموطن مرْبُوطٌ بتلاوة القرآن وأداء الصلاة بطول القنوت ، ولكلِّ عملٍ مقام وموسم ،فإن أدّي في موسمه يكون له حُسن وملاحة ، وإلا فكيثراً ما يكون خطأ ، وإن كان حسنة في ذاته ، ألا ترى أن قراءة الفاتحة في التشهّد خطأ ، وإن كانت أمّ الكتاب ، فكان الشيخ في هذا الطريق من الضروريّات ، وتعليمُهُ من أهمّ المهمّات ، وبدونه خَرَط القتّاد ، قال واحد من الأعزة شعراً :

لا بـد مــن شيخ يـقـــودك أوّلا   من أجل كونك في البداية أحــولا

انتهى باختصار على المراد من عينه .

ولقد قال أخونا مير سيف الله الغازي الغموقي قدس سره : إن معنى الارشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد ، لا إرشاد المرشدين والمريدين ولا القائمين على حدّ الرشاد ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كلّ أحد أمّارة إلا من خصّه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهيّ بالحظ الوهبيّ ، كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ وذلك خطاب لنبيه عليه السلام الذي لا يبلغ الوليّ رتبته عُشْرِ معاشره ، فحينئذ يكون مراد الإرشاد إخراجَ طالب السلوك عن رعونة الأمّارة وحضيضِها إلى سبيل الهداية بواسطة تَرْبيته بتزكية اللطائف حتى تصير الأمارة لوّامة ، ثم وثم إلى أن تترقى إلى المطمئنة ، ويصير المريد مُراداً ، ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غيبةً عن الوجود . انتهى من خطه رحمه الله .

وليت شعري هل من واحد وصل إلى هذا المقام[1] إلاّ بعد مضي الزمان مذ زمن الأخذ من الشيخ المرشد ، وهل كان جميع الطالبين في زمن السلف الصالحين على هذا المقام الذى يُرْجى إليه كل من المريدين أم لا ؟ ! فوالله إنّ القلب لتصديق هؤلاء الأقطاب النقشبندية وغيرهم أميل من تصديق كلام مخالفيهم ، والحق أحق أن يُتَّبع كيف لا ؟ ! وفي ديارنا الداغستانية أبعاض لقن لهم الذكر القلبي ، وأخذوا الطريقة النقشبندية من الغوث الأعظم والقطب الأكرم أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ذي التأليفات النفيسات كـ « جامع أصول الأولياء » و« المتممات » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » و« رموز الأحاديث » ، وكذا من الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره ، ولاقيت من لقن له الذكر وأخذ الطريقة من الشيخ ممّ دبر الروشيّ قدس سره ، وكذا من الشيخ الحاج[2] عبد الرحمن الثغوري قدس سره .

قال الشيخ إلياس الزدقاري قدس سره الذى كان خليفته في مدة حياته في كتابه « سلّم المريد » : اعلموا أيها الإخوان الأحبّاء والأصدقاء الأصفياء كان لشيخي وأستاذي وسندي الحاج عبد الرحمن الثغوري إذْنٌ من المشائخ النقشبنديّين ، كان له إذن من مشائخ الطريقة القادرية ، ولكن كانت قاعدة تلقينه الذكر أن يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض[3] المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يلقِّنه بالذكر القلبيّ ،

(١) أي : المطمئنة .

(٢) وما كان الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري يفعله هو عين ما يفعله شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سرهما لكنه يزيد تعليم الرابطة إلى الغوث محمود الفعال . (منه) .

(٣) وليت شعري : هل كان الناس في مدة حياتهم مسلمين خالصين ، وبعد انتقالهم من الدنيا صاروا كافرين مشركين ؟ ! ليمنع مشائخ هذا الزمان تلقين الذكر القلبيّ ، قائلين : إنه حرام كما صرّح به بعضهم ، وردّدته بالنصوص في كتابي « الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبيدية » . (منه رحمه الله إفلاسه وغفر ذنبه آمين) .

ثمّ باللطائف المذكورة ، ولبعضهم يلقن الذكر القلبيّ أوّلاً ، وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهري في المساجد والمجامع والمواليد ولا ينهاهم عنه . انتهى من عبارته .

ثم قال بعيد هذا : فلقد كان لنا في حياة الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري المريدون والمريدات ، وأنا كنتُ أمرت المريدين في فَعْلِ أورادهم بما عليه مشائخنا من الذكر الخفيّ الخ . انتهى من عبارته فافهم منه وتدبّره .

وهذه البدعات الحاصلة في ولايتنا في هذه الطريقة قد ظهرت بعد انتقال هؤلاء المشائخ المذكورين قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، ولم تكن مدة حياتهم فيما علمناه ، ولكنّ المتأخرين أحدثوا هذه الاختراعات في هذه الطريقة زاعمين أنّهم آمرون بالمعروف وقائمون على انتشار الدين ، ولم يتفطنوا لما يترتّب على صنيعهم من المفاسد ؛ كطرد الناس عن أبواب أهل الكمال ، وإضاعتهم من أخذوا منهم بتوقفهم عن حصول نتائج الأذكار التي هي من خصائص التلقين من أهل التكميل ، لا من أرباب التعطيل . فهذا مما عمّت به البلوى وبثّت به الشكوى في المدائن[1] .

---

*وأما ما – :أي الذكر– لقنه أهل الدعوى فلا يجري بذلك المدد منه عليه السلام ويتبرك به ، لأنه منقطع السلسلة وليس معه نور النسبة الحاجبة من الشيطان ، فافهم وراجع في كتاب « الجوهر النفيسة » لعلك تجد فيه ما يصفي القلب العليل في حق هذا المطلب النفيس (منه رحم الله إفلاسه)

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : في المدائن والقرى ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الباب الثامن

في بيان أن غالب مشائخ الزمان إنما يلقنون الذكر بقصد التبرك لا للسلوك بعدم تأهّلهم له

وهذه مشيخة صورية بمعنى الرواية لا الدراية ، وفائدتها دخول المريد في سلسلة القوم لحصول محبتهم والتسليم والاعتقاد لمقالاتهم ، وارتباط القلوب بعضها ببَعضٍ إلى رسول الله ﷺ وبذلك يجري المدد للمريدين من الحضرة المحمدية ،ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه ، بل يجب عليهم إعلام من أراد الأخذ عنهم بأنهم متشبِّهون بأهل الطريق ، لا متحقّقون بهم . هذا حاصل ما في « الترصيع الجواهر المكية » مع ما في هامشه ، ومع هذا لا يجوز تلقين الذكر لمن ليس في يده إذنٌ من المشائخ الكمّل ولو كان للتبرك والتشبه كما يأتي والله أعلم[١] . وأقل ما يفوّت هؤلاء المتصدرون بأنفسهم الصادون الناس عن أبواب الكمل محبتهم والتبرك و التشبه بهم مع ما في هذه الأشياء منافع محمودة في الشرع ؛

قال ابن حجر في « الفتاوى » ما حاصله : إنّ المتشبه بهم ، وإن كان على قصوره عن القيام بما هو عليه يكون معهم لموضع إرادته ومحبّته ، وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال « المرء مع من أحب » فقال : أبو ذرّ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ، ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال « يا أبا ذرّ ، أنت مع من أحببت » ، قال : فإني أحبّ الله ورسوله ، قال « فإنك مع من أحببت » .

قال الشهاب السهروردي : جاء فتى إلى الشيخ أحمد الغزالي (ابن أخي حجة الإسلام) يريد منه أن يلبسه الخرقة ، فأرسله إلى شيخنا ؛

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : لأن ذلك سرّ مخصوص بأهله ، كما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى .

أي : والظاهر أنه عمّه أبو النجيب ليذكر له معنى الخرقة ، فجاء إليه فذكر للمبتدئ له شروطها وآدابها وحقوقها ، فَجَبُنَ الرجل عن ذلك ، ورجع الغزاليَّ فاستحضره ، وقال له : ما ذكرتَه صحيح ، ولكن إذا ألزمنا المبتدئ بذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبّه بالقوم ويتزيّا بزيّهم ، فيقرِّبه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ، فببركة مخالطته بهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم ، يحبّ أن يسلك مسلكهم ، ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم .

قال الشهاب السهرورديّ : فالمتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعملٌ بمقتضاه وسلوكٌ واجتهاد ، لأنّه صاحب مجاهدة ومحاسبة كما مرّ ، ثم يصير متصوّفاً صاحب مراقبة ، ثم يصير صوفيّاً صاحب مشاهدة ، فأما من لم يقصد أوائل مقاصدهم بل هو على مجرّد تشبّه ظاهر من ظاهر التشبّه والمشاركة في الزيّ والصورة دون السيرة والصفة فليس متشبّهاً بالصوفية ، لأنّه غير محاكٍ لهم في الدخول في بداياتهم ، فإذاً هو متشبّه بالمتشبه يعزى[1] إلى القوم بمجرد لبسه ، ومع ذلك « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . انتهى كلام ابن حجر عينه .

وفي « منية الفقير المتجرّد[2] » ما يليق إيراده في هذا الموضع ، لنفاسته وزخارته وهو هذه العبارات : المقصد الأوّل فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم ، وأنه أحق ما يوجّه إليه الفكر والعزم يكفي في ذلك أمران : **أحدهما** : أن التضلّع من هذا العلم يقي صاحبه سوء الخاتمة ، ويحمله على التوبة والإنابة وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة .

---

(١) أي : ينسب .

(٢) وهو شرح « أجرومية العوامل » وهو كتاب نفيس قد أخذ مؤلفه من كلّ ما فيه معنى في التصوف . فما أغور كلامه وما أدق ذكائه ، رزقنا الله تعالى من معاريفه . انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

فقد نقل الشيخ أبو طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : من لم يكن له نصيب من هذا العلم ؛ أي : علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّاً على الكبائر ؛ وهو لا يشعر .

الثاني : أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور ، وبه يكثر الحسنات ويرتقي بفضل الله إلى أعلى الدرجات ، لأنّ الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم ، وهو سبب محبّتهم ، ومحبّتهم تؤدّي إلى الشوق إلى مجالستهم ، ومجالستهم تؤدّي إلى النظر في وجوههم ، وفي هذا من الفضل ما لا يخفى ؛

أما التصديق بطريقتهم فقد تضمّن ولاية الله لعبده ، لقول إمام الطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وأما محبتهم فقد تضمّنت الحشر معهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم « من أحبّ قوماً حشر معهم » ، وقوله « المرء مع من أحبّ » .

وأما الشوق إلى مجالستهم فقد تضمّن الاتصاف بسيرتهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله » لأنّ الطباع تسرق الطباع . **وأما** النظر إلى وجوههم على وجه المحبة فقد تضمّن خير أجر عبادة العابدين ، لقوله صلى الله عليه وسلم « نظرة في وجه أخ في الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة » . انتهى .

وعن بعضهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، قال : فقلت له : أنا المتطفّلُ في هذا العلم يا رسول الله ، قال : اقرأ كلام القوم ، فإن المتطفّل على هذا العلم هو الوليّ ، وأما العامل به فهو النجم الذى لا يُدْرَك .

وقال الجنيد ﷺ : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غَيْرَكَ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ ، وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقُلْ له يدعو لك ، فإنه مجاب الدعوة . انتهى من عبارته .

وفي « المنن » للشعراني : النظر إلى وجه الوليّ على جهة التعظيم ساعةً واحدةً خيرٌ للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى من عبارته .

كلمتان تحت العرش

عن كعب الأحبار ﷺ أنه قال : إن الله تعالى كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلق الأرض ، لم تعلم الملائكة من علمهما ، وأنا أعلم بهما . قيل له : يا أبا إسحاق ، وما هما ؟ قال : **أحدهما** : أيّما رجل يعمل عمل العالمين بعد أن يكون صحبته مع الفجّار وهو يحبّهم فإنّي أجعل عمله إثماً ، وأحشره مع الفجار . **والآخر** : لو أنّ رجلاً عمل عمل الأشرار بعد أن يكون صحبته مع الصالحين والأبرار وهو يحبّهم ، فإني أجعل سيّئاته حسنات وأحشره يوم القيامة مع الأبرار . انتهى « مرشد السالكين » عبارته .

وهذه المذكورات من أجلّ المنافع لمن تدبرها بعين الإنصاف ، لاحظها واعتبرها جعلنا الله تعالى من المتشبهين بهؤلاء القوم ، ونستحي أن نسأله أن يجعلنا من السالكين في سلكهم ولكنّ فضل الله عظيم[١] .

(١) وفي نسخة : وهو ولي الهداية والتوفيق .

الباب التاسع

في بطلان تخصيص تسمية ذكر اللسان شريعة ، ودفع دعوى من يقول : يجوز تلقينه بنفسه وإن لم يكن هو سالكاً ومأذوناً من شيخ حقيقي مأذون له من طرف شيخه

وقد مرّ ما يردّه ولا نعلم دليلاً ما لتخصيص تسمية ذكر اللسان شريعة . وكتب بعض من مشائخ ديارنا تقريراً في إثبات ما يفعله من تلقين الذكر الجهري ، وعدم جواز تلقين الذكر الخفي لأهل داغستان ، فجميع ما فيه يرده بكلامه فيه ، ولا حاجة لتطويل الكلام بذكره هنا ، فليتدبره من وصل إلى يده ذلك التقرير ، ورأيت في « الأعمال المنقذة عن قوارع البرزخ والقيامة » أنهم ردوا قول بعضهم باختصاص ثواب الأذكار لمجتنب الكبائر ومؤدي الفرائض بعموم الأخبار إلى غيرهما . انتهى من عبارته .

فالحق الحاصل أن القلب واللسان جارحتان من جوارح الإنسان ، والأمر بالذكر واردٌ في الكتاب والسنة بكلا نوعيه ، وفي المؤمنين صالح وطالح ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ فَشَمَلَتهما وعمّت ، فيجوز الذكر بكليهما لصالح وغيره ، ويجوز التلقين بذكر اللسان لمن في طريقته ذكر اللسان ، وبذكر القلب لمن في طريقته ذكر القلب ، ولا مخصص لتسمية أحدهما شريعة والأخر طريقة ، مع أنهما شيء واحد لا يقوم أحدهما بدون الآخر ، راجع « مجموعة الرسائل » و« الفتاوى العمرية » و« هدية الذاكرين » و« تصديق المعارف » في تفسير هذه[1] و« تفسير سلمى » و « الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

---

(١) وفي نسخة زيادة : من هذه الآية المذكورة وغيرها ، والله أعلم كتاب .

وأما تلقين ذكر اللسان إن كان من شيخ عارف لأجل الاستعداد لتلقين ذكر القلب فجائز ، وإن كان من غير عارف فلا ، يأتى قريباً ، وإن كان ذلك الملقن عارفاً ومأذوناً فتبديله أذكار الاستعداد عما كان عليه شيخه ، وتغيير أذكارها وتلقينها على خلاف ما عليه اتفق أهلها فهو مما لم يسمع من المشائخ السلف والخلف ، وإنما المسموع منهم تلقينهم الاستغفار والصلاة ، وتعليمهم الرابطة الشريفة لمن ليس له استعداد ، **فيتم استعدادهم في نحو شهر أو أقل ، ثم يلقن لهم الذكر القلبيّ** ، وأما أصحاب هذا فلم نجد منهم ولم نسمع وإن تفحّصنا من لقن له الذكر القلبيّ ولو للمجتهدين منهم للذكر أناء الليل وأطراف النهار أو لمن أذن له للإرشاد ، فإذا رد عليهم بهذا القول فلا يدرون ما يقولون .

الباب العاشر

في رد من يزعم بأنّ في يده إذن من طرف القادرية

وأن تلقينه أذكار اللسان موافق لما عليه القادرية

فإن لم يكن في قوله هذا صادقاً فيدخلٍ في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » ، وإن كان صادقاً وكان بيده إذن من المشائخ القادرية فتلقين النفي والإثبات أوّلاً خلاف ما عليه القادرية ؛

قال صاحب « الأنهار الأربعة » : اعلم أن مشائخ هذه الطريقة ؛ أي : القادرية قدس الله أرواحهم يأمرون الطالب أوّلاً بالذكر جهراً متوسطاً ، وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع على أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة ؛ وصفته : أن يقول (**الله**) بالشدة والمدّ والجهر بقوة القلب والحلق ثم يتوقّف حتى يستقرّ النفس ، ثم يقول أيضاً على الطريق المذكور ولم يزل هكذا متخذاً ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين ؛ وطريقه : أن يجلس جلسة الصلاة على ركبتيه ، ويضرب باللفظ المبارك مرة على الركبة اليمنى وأخرى على القلب ، ويكرّر ذلك بلا فصل . وينبغي أن يكون كلٌّ من الضربتين بكمال القوّة والشدّة خصوصاً الضربة التى تكون على القلب لتأثر القلب وتحصّل الجمعيّة .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث ؛ وكيفيته : أن يجلس متربّعاً ، ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرّة على القلب ، ولتكن الضربة الثالثة أشدّ وأجهَرَ .

النوع الرابع : ماكان بضربات أربع ؛ وفي هذا كذلك يجلس متربّعاً ، ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة في القلب ، ومرة أمامه ، وليكن الرابع أشدّ وأجهر من الأوليّات .

القسم الثانى : النفي والإثبات ، وهو قولنا (لا اله الا الله) ، وصفته : أن يجلس متوجهاً إلى القبلة ، ويغمض عينيه ، ويقول (لا) كأنه يخرجها من سرّته ، ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول (إله) كأنه يخرجها من أمّ الدماغ ، ثم يضرب (إلا الله) بالشدّة والقوّة على القلب ، ويلاحظ نفي المحبوبية والمقصود والوجود عن غير الله تعالى وإثباتها له تبارك وتعالى . انتهى من عبارته .

وفي ذلك الكتاب حكمة تلك الضربات ، وقاعدة الأذكار القلبيّة بعد حصول نتائج هذه الأذكار اللسانية ، وبعد ذلك يأمرون[1] بالمراقبة فراجعه ففيه البسط الزائد . فتبيّن مما ذكر أنّ تلقين (لا إله إلا الله) للمريدين أوّل[2] مرّة ليس في الطريقة القادرية ، وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

---

(١) أي : القادرية .

(٢) أي : في الابتداء .

وأخبرني قطب الأولياء ذو الجناحين العسلي - قدس سره ورزقه الله ما يرضاه - أن خليفة شيخ الخنكار الأعظمٍ نصره الله تعالى قال له : إن صاحب هذه الدعاوي الأخيرة قد كان جائياً لديه ، وإن طريقته ليست بطريقتنا النقشبندية ، ولا هي طريقة نعلمها بعَينها . انتهى . ولكنه[1] قد أذن في رسالته المسمات بـ « نجم الأنام » لأخذ مريديه حين غاب هو ، وقال فيه : إذا وجدت من يدلك على الله فعلّق على ذيله ولا تفارقه فإنه شيخك وأستاذك لا فرق بيني وبينه . انتهى بتصرف واختصار ، فلعل الله يغفر له ما جناه ، ويعفو عما أبداه من البدعة في هذه الطريقة ، لأنّه لم يمنع أصحابه عن الخيرات ، بل حث عليها بتلك العبارات .

مهم لأبناء هذا العصر

وهكذا يجب أن يقول كلّ داع إلى الله ، ولا يتحجّر على المريد إلا من غلب على قلبه حبّ الشهرة والرياسة ، ولا يخلو منه إلا العارفون ، ولا يبالي المخلص اهتدى الناس بهداه أم بهدى غيره ، بل يفرح ويشكر على الهادي والمهتدي ، كيف لا ؟ ! وقد شبّه الغزالي في « الإحياء » المريد بالميت المطروح ، والشيخ كمن وجب عليه حمله ، فاللازم على الشيخ أن يفرح ويشكر إذا وجد من يحمل ميّتاً وجب عليه حمله .

وعلامة الصدق في دعوة الخلق إلى الله تعالى والإخلاص في تلقين الأذكار أنه لو ظهر غيره ممّن هو في زمنه أعرف طريقاً وأرشد خلقاً ، ووقع ذلك الغير موقع القبول في قلوب الناس ، وظهر به أثر الصلاح ، فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهمّ ، كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه ، فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لدعوته وإرشاده على دعوة غيره وإرشاده فهو مغرور ، ودعوته معلول ، فليتفطن لهذا المطلب العزيز ، وليتدبره[2] .

---

(١) أي : صاحب هذه الدعاوي الآخيرة .

(٢) وفي نسخة زيادة : المنصف فإنه ميزان صادق .

وفي « المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله ، وإنما تقع من قاصرين ، ومن قاصر وعارف . انتهى .

وقال بعض الأكابر : اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري ، فإن وجدتم مَنْهَلاً أعذب من هذا المنهل فردوا . انتهى . « الأنوار القدسية » . وأمثال هذا كثير في كتب الشعراني فليراجعها .

الباب الحادي عشر

في بيان أن انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر وأخذه منه حين غاب هو أو مات أو كان حيّاً وحاضراً فهو جائز بشرطه

فإني أرسلت المكتوب بهذه المسألة إلى العالم الرباني السيد الشريف الأمير سيف الله الغازي الغموقي الحسينيّ رزقنا الله تعالى من معارفه نصيباً ، وجمعنا وإيّاه في دار السلام ، فأجاب رحمه الله في رسالته إلى هذا الفقير بهذه العبارات :

يجوز لمن له شيخ الأخذ من شيخ آخر

واعلم يا أخي أن المقصود الأصلي هو الحق سبحانه وتعالى ، **والشيخ وسيلة الوصول إلى جناب الحق تعالى** ، فإن رأى الطالب رشده عند شيخ آخر ، ووجد قلبه في صحبته حاضراً مع الحق ، يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأوّل بلا إذنه ويطلب منه رشده ، **ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخه الأوّل ، ولا يذكره إلا بخير خصوصاً في هذا الوقت ، فإنه لم يَبْقَ فيه المريديّة والشيخوخة غير الرسم والعادة** ، فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر عن أنفسهم ، ولا يقدرون أن يفرقوا بين الإيمان

والكفر فكيف يكون لهم خبر عن الله عزّ وجلّ ؟ ! وعلى أيّ طريق يدلّون المريد ؟ ! نسأل الله تعالى ترقياتكم الصورية والمعنوية ، فإن خيريتكم وصلاحكم متضمنة لجمعية جميع المسلمين ورفاهيتهم ، والدعاء لكم دعاء لجميع المسلمين ، سلّمكم الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بجنابكم بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات إلى يوم الدين . انتهى كلامه قدس سره .

وفي « الرشحات » إذا وجد المريد الصادق شيخاً أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل ، فراجعه .

وقد كتب الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن الطالب إذا لم يجد رشداً عند شيخ ، ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته من غير إنكار على شيخه الأوّل . وأيّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدس سره ، وقال : إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارى . انتهى من عين « النفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » راجعه ، وهكذا في « البهجة السنية » .

وقال الشيخ الأكبر قدس سره : يجب على الشيخ إذا رأى شيخاً آخر فوقه أن ينصح نفسه ، ويلزم خدمة ذلك الشيخ هو وتلامذته ، فإنه صلاح وسعادة في حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصفٍ وناصح نفسه ، ولا صاحب همّة ، بل هو ساقط الهمّة وضعيفها ، بل ربّما يكون محبّاً للرياسة والتقدّم وهذا في طريق الله نقص ، ألا ترى قوله عليه السلام « لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتباعي » وإلياس وعيسى بل كل الأنبياء تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة تحت لوائه ، وشريعته قط لا يُغَير ، هكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريقة .

وقال الشعراني قدس سره : ثم إني إذا رأيت أحدهم أعرف منّي بالطريق تتلمذت له ولو كنت مؤذوناً لي قبل ذلك من شيخ آخر ، لأنّ المقامات ليس لها حدٌّ يقف عليه العبد .

قلت : فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه ، وكان حال الشيوخ التتلْمذ لمن هو أعرف منهم في الطريق ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع خضر عليهما السلام ، فما تقول فيمن لم يشمّ رائحة من أسرار الطريق ، أو شمّ وهو ناقص عن ذروة التحقيق ؟ ! فتبصّر فأنصف . انتهى « متممات » .

وفي « البهجة » : وتقدّم عن سيدي يوسف العجميّ أنه كان عندهم في بلاد العجم شيخ ، فبرع له تلميذ وفاق شيخه ، فرجع شيخه وأخذ عنه وترقَّى على يديه وصار يخدمه كآحاد المريدين ، أفاده العارف الشعراني قدس سره في « النفحات القدسية » . انتهى من عبارته ، وراجع « المنن » و« شرح تائية السلوك » و« البريقة المحمدية » من الجزء الثاني .

مطلب

وسمعت شيخنا ومولانا ذا الجناحين العسلي قدس سره يقول : **العلم علمان علم الظاهر وعلم الباطن ، فكما يجوز تعلّم العلم الظاهر من آخر ، فكذلك يجوز أخذ الطريقة وعلم الباطن من شيخ آخر ، ولا مانع منه** . انتهى

وفي « الحدائق الوردية » في ٢١٠ ما حاصله : أن شيخ عبد الله الدهلوي قدس سره أخذ الطريقة القادرية من الشيخ حبيب الله ، ثم بعد زمان أخذ منه الطريقة النقشبندية ، قال : وقد ترددّت أوّل الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ أن أشتغل في الطريقة النقشبندية أم لا ، فرأيته في واقعة جالساً في مكان ، وحضرة الشاه تلقاءه ، فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند ، فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فلا مضايقة . انتهى من عبارته بتصرف واختصار .

فنقول - والله أعلم - أخذاً مما في « المنن » في الجزء الأوّل : إن الممنوع أن يتردّد المريد لدى هذا ويأخذ منه ، ولدى هذا فيأخذ منه

فيتخذ له كليهما شيخاً معاً ، فمثل هذا لا يصل إليه الفيض والمدد من الجانبين ، ويسقط من قلبي الاثنين . فتدبره . لأنّ الأمر في وصول الفيض تابع لاعتقاد المريد لا للمشائخ ، فالتردد إلى الشيخين معاً علامة تردّد الاعتقاد في الطرفين ، وعدم توفّره في أحد من الجانبين ، وتفريد الاعتقاد في الشيخ واجب .

فلأجل هذه المنقولات ولِفَقْدِ الشيخوخة في هذه الديار الجبليّة غير الرسم والعادة ، ولاختلاط الأبعاض في هذه الطريقة بدعات مما لم يجدوا لها نصوصات قَبِل شيخنا ومرشدنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره مريدي الأغيار ، ولقّن لهم الذكر السلوكي ، فارتقى أكثرهم إلى مقامات الولاية الصغرى ، فلعلّ الله تعالى أن يرزقهم الكبرى والعليا وهو خير وأبقى ، فأقرّ جميعهم ، وتحقّقوا ورأوا تأثيراته وتصرفاته وتيقّنوا وعلموا حال كلا التلقينين وميّزوا ، بل قالوا : ضيّعنا عمرنا في البطالة وشهدوا ، ولا شك أن حال الشيء لا يعرف إلا بالنسبة إلى ضدّه ، وإذا قابلوا أدركوا ، وظهر عندهم حقيقة الأمرين ، وعاينوا هذا بعد ما كانوا منكرين قبل ما دخلوا ، وكانوا يقولون : هل ثمّ طريق غير ما بأيدينا ، وهل ثمّ شيخ غير شيخنا ، فالحمد لله رب العالمين .

وقال لي واحد من العلماء العاملين المنتسب مرّة إلى الشيخ عمر العندي ، ومرّة إلى الشيخ محمد الككني سامحهم الله : إنه اجتمع مع سيدي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره فوقع بينهما كلام في الطريقة ، وقال له سيدي الحاج عبد الرحمن : ألا تنظرون في الكتب لتعلموا هل أنتم سالكون في الطريقة أم لا ؟ ! وهل مشائخكم لقنوا لكم أذكار الطريقة أم لا ، وأنتم علماء عقلاء ؟ ! وبعد ذلك اجتهد هذا العالم ، وكان حينئذ كالقطب في اعتقاد الناس ، وطلب كتب النقشبندية والقادرية وغيرهما من كتب أئمة الطرق ، فلم يجد ما لقن له ولغيره مشائخهم موافقاً بما في الكتب كلها ، فدار في القرى الدغستانية الجبلية والسهلية ، وذهب

لدى كلّ من سمع أنه يتشيّخ ، وتفحّص عنهم كيفية أورادهم الملقّنة لمريديهم وعن شيوخهم وطريقة شيوخهم ، فلم يجد كلَّ ما يفعلونه ويلقنونه موافقاً على ما في الكتب النقشبندية أوغيرها ، فاذا سألهم عن كيفية عدم الموافقة أقرّوا وتحيّروا ، وعلى ما في الكتب لم ينكروا ، وأيّ شيءٍ يقولون لم يعلموا ، ثم تنبّه وتيقظ ، ورجع لدى سيّدي عبد الرحمن قدس سره وتفحّص كذلك منه ، فأخبر جميع ما سئل ، وأجاب الكلّ وما خجل ، فوجد تلقينه وتعليمَه وأذكاره وأوراده لا يخالف الكتب ولو ذرّة واحدة ، فترك ما كان أخذه من الشيخين السابقين ، ودخل في عهده ، ثمّ توجّه إليه سيّدي عبد الرحمن قدس سره ، فقال لي صاحب الواقعة رحمه الله : إنه حصل له من الأحوال بتلك التوجّه الواحد ما لم يحصل له ولو بالدخول في الخلوة في ثمانية أشهر بإشارة شيخه القبليّ مع الرياضة الشاقة والمجاهدة التامة[1] .

وكيفية مجاهدته ورياضته ؛ كان يأكل شيئاً قليلاً من السويق الذي اختلط فيه صمغ الصنوبر[2] ، وكان يعلّق الحبل في سقف خلوته ويربط نفسه به من وسطه لئلا يقع على الأرض عند غلبة النوم ، وكان يجتهد في الأذكار والقراءات والدعوات لا يفتر عنها في الليل والنهار ، ومع هذا لم يحصل له من أحوال القوم ولو ذرّة ، ولم يذق مما ذاقه هؤلاء النقشبنديّون ولو طُعْمة إلى أن يتوجه إليه سيدي عبد الرحمن العسلي قدس سره ، وهو الآن يستغفر الله تعالى عن الحالة التي كان عليها قبل ذلك كما يستغفر من كبائر ذنوبه[3] مع كونه قبل ذلك معدوداً من الأولياء الله الخيار في

(١) فاعتبر بطريقة يحصل لمن دخل فيها بتوجّه واحدٍ من شيخنا ما لا يحصل بالرياضة في الخلوة في ثمانية أشهر من غيره .

(٢) رُكِلْ فِرْ . (هامش الأصل) .

(٣) أي : عدّ رحمه الله ما كان أخذه من أولئك المتشيخين بالنسبة إلى ما أخذه من هذ الشيخ المذكور ذنباً من الذنوب من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) والله أعلم .

اعتقاد الناس ، حتى قال لي بعض الإخوان : إنه كان يعتقد في هذا الرجل المذكور ، ويراه كاملاً ، ويرى قطب الأولياء العسلي قدس سره أنه بمقام مريد ، وكان ذلك البعض ممن أخذ من متشيّخ فاجتمع بهذ القطب[1] وكلمه بكلام جاف ، ولكن حفته العناية الربانيّة ، فأخذ منه الطريقة وقال بعد ذلك الأخذ : هذا هو الحق المبين ، وليس غيره إلا إضاعة العمر العزيز ، وصار بعد ذلك كما صار من قبله من أخص أصحابه المخلصين رحمهما الله تعالى .

واقعة عجيبة

ومن غريب ما وقع لبعض المأذونين من طرف الشيخ رحمه الله تعالى أنه قال : رأيت في المنام كأن الغوث محمود أفندي والشيخ الحاج جبرائل أفندي قدس الله أسرارهما قد أتيا إلى محلّته ، وتوجّه إليه واحد منهما ولقّن له الذكر القلبي ، فانتبه خائفاً ، فوجد قلبه حيّاً يذكر بلفظة الجلالة بحيث يعجبه ، مع أنّ قلبه لم يكن قبل ذلك يذكره . انتهى باختصار على المراد ، وبعد ذلك أخذ الطريقة من الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره وحَسُنَ حاله ، وارتقى إلى مقام المراقبة ، وهوالعالم الرباني أخونا المعنوي أدرة العرديّ رزقه الله التوفيق والاستقامة وهداه إلى كلّ ما فيه صلاحه في الدارين آمين .

وأغرب منه ما وقع لمريد آخر في عهد سراج الدين الإنخوي رحمه الله تعالى عليه رحمة واسعة وألهمه رشده بمحمد أفضل الخليقة عليه السلام والتحية آمين . سألني عن أحوال الحاج عبد الرحمن وطريقته وعن ورده الذى يضع على مريده ، فقلت له : إنه يلقن الذكر أوّلاً على القلب فيذكر الله تعالى ، ثم إذا حصلت النتيجة للقلب يبدّل الذكر إلى الروح ، ثم إلى السرّ ، ثم إلى الخفي ، ثم إلى الأخفى ، ثم إلى لطيفة النفس ،

---

(١) أي : العسلي قدس سره .

وأريته مواضع اللطائف بوضع الإصبع ، فتعجّب وتحيّر وظنّ أن ذلك مما لا يكون أبداً ، ثم تفرقت منه وذهب هو إلى المسجد ، فاجتمعته بعد ذلك وهو مسرور فرح ، وقال لي : إنه توجه إلى قلبه ونظر فوجد قلبه يذكر بلفظة الجلالة ، ثم توجه إلى اللطائف الأخر فوجدها كذلك ، وقال لي : إنه[1] من بركتك ، وشكر لي وأثنى عليّ ، فقلتُ له : لا بل بتوجه روحانية الحاج عبد الرحمن قدس سره ، فحثثته إليه ، وطلبت منه الذهاب لديه ، فذهب إلى حضرته العلية ثم إذا توجه إليه الشيخ المذكور وجد جميع لطائفه بحيث تقبل التلقين ، فلقن له الأذكار على جميعها مرة واحدة بتوجه واحد ، فصار حال صاحب هذه الواقعة بعد ذلك إلى أن تضطرب أجزاء جسده بالذكر ، حتى كان يجد نفسه إذا انتبه من النوم تهتزّ وتتحرّك بجريان الذكر في جزئيات أعضاء بدنه[2] كالطير المذبوح المطروح قبل خروج الروح . انتهى .

ولو كان غيرهم من المتشيخين في هذه الديار يتدبرون ، وينظرون في كتب أهل التصوف ولا يكسلون ، ويفعلون كما فعل هؤلاء ، ويتلمذون للكامل المكمل كما تلمذوا ، لكان خيراً لهم ، ولكن انهمكوا فيما هم فيه ألفوا ، وما زالوا عما هم به أنسوا ، وزين لهم الشيطان ما ابتدعوا ، أصلح الله أحوالهم ، وألهمهم رشدهم ، وغفرنا وإياهم إنّه هو الغفور الرحيم ، فرضي الله تعالى عن سيدي ابن الفارض حيث قال :

تعـرض قـوم للغرام وأعــرضـوا   بجانبهم عـن صحّتـي فيه واعتلوا
رضوا بـالأماني وابتلّوا بحظوظهـم   وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلّوا
فهم في السُّرى لم يبرحوا من مكانهم   وما ظعنوا في السّير عنه وقد كلّوا
وعن مذهبي لمّا استحبـوا العـمـى   على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

انتهى من ديوانه في ١٠١ .

---

(١) أي : ما حصل له من تلك الأحوال (منه) .
(٢) أي : جسده .

فنرجع الآن إلى المقصود .

وقال الشيخ سليمان الزهدي خليفة قطب الأولياء خالد شاه في « مجموعة الرسائل » :

اعلم : أن الطريقة الموصولة المشهورة المعنعنة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقاً من غير تلفيق للعاميّ ، وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه والاستقامة بآدابه ، **ولكن يجب على الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع المنكرة** . انتهى عبارته .

الباب الثاني عشر

في بيان أن الطريقة النقشبندية سالمة من البدع ، باقية على أصلها ، وأنها أقرب الطرق وأسهلها[١]

ذكر العلاّمة المتبحر ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في« خاتمة الفتاوى » في٢٤٦ مستطردّاً من بحث آخر معبّراً عنها بقوله : الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية . انتهى .

وناهيك بمثل هذا التعبير من مثل هذا النحرير . انتهى من « البهجة » عبارته . وكان الإمام الرباني من أكابر النقشبندية - وهو الذي كتب له النبي عليه السلام خط الإرشاد بيده الشريفه قائلاً : لم أكتب قبلُ لأحد مثله .

وقال : **أُلْقيَ في سري أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة** - مأذوناً له بالإرشاد في الطريقة

(١) وفي نسخة : فإن قيل : ما الطريقة السالمة عنها نقول .

الثلاث القادرية والسُهروَرْديّة والچشتية ، ومع ذلك اجتهد لتحصيل نسبة الطريقة النقشبندية ، لعلمه بفضلها على سائر الطرق ، حتى قال : إنّ الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة . وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبنيّ على متابعة السنة . انتهى .

وقال شاه نقشبند – الذي قال : معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد . – : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر في دينه . انتهى من « البهجة » عبارته . من مواضع متفرقة مع تصرف في العبارات واختصار .

ومن « النفائس السانحات » وفي « البهجة » أيضاً : أن الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا . انتهى من عبارته . وهكذا في « المتممات » وغيره من كتب النقشبندية ؛كـ « جوهرة نفيسة » لا يعرف ثمنها إلا المنصف الحاذق كيف ؟ ! ومؤسسها بالتهذيب والتنقيح أفضل الأمة بعد الأنبياء على التحقيق . انتهى . فهي الطريق الأقرب الأسلم الأحكم الأوضح والمشرب الأعذب الأصفى المصون عن قدح كل قادح ، بيت :

لا يُدرك الواصف المُطْرِي خصائصه   وإن يـكن سابقاً في كل ما وصفا

انتهى منه .

وقال الشاذلي لقد جئت في هذه الطريقة[١] بما لم يأت به أحد ، لأنّه عين الطريقة النقشبندية وهي سلطان الطرق . انتهى من « المتممات » عبارته .

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى : إن هذا الطريق ليس في طوله وقصره مثل المساحات التى تسلكه الأنفس ، فتقطعها

(١) أي : في طريقة شاذلية .

بالأفكار على حسب العقائد والبصائر ، وأصله نورٌ سماويّ ، ونظر إلهيّ ، يقع في قلب العبد فينظر به أمر الدارين بالحقيقة ، ثم هذا النور ربّما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي فلا يجده ولا أثراً منه . انتهى منه عبارته . فأقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد الطريقة النقشبندية . انتهى « البهجة » عبارته .

وقال الشاه نقشبند قدس سره : طريقتنا أقرب الطرق ، وقال أيضاً : طلبت من الله تعالى طريقة تكون موصلة البتة ، وقد أجيبت دعوته كما في « الرشحات » عن عبيد الله أحرار قدس سره . وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج في ابتدائها . انتهى من « البهجة » عبارته .

وفي « الحدائق الوردية » وقال قدس سره : قيل لي في بداية الجذبة : كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فقيل لي : كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل ! فقلت : لا أطيق ذلك ، بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق ، وإلا فلا . وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي : إنّ الذي تريده يكون . فقلت : أريد طريقة كل من دخلها تشرّف بمقام الوصول . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ترجمة علاء الدين العطار : وكان قدس سره قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبندي رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين و معه زمرة من أصحابه ، فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت ، قال : وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله ﷺ ، فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ ، وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين ، وسيدنا شاه نقشبند يقول : **أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع ، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً ، وأحبّائي وأتباعي إلى فرسخ** . انتهى عبارته .

وفيه قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبد الوهاب قدس سره لما دفن حضرة الشيخ ﷺ فتح من جهة وجهه المبارك له طاقة إلى الجنة كما ورد « القبر روضة من رياض الجنة » فدخلت عليه حوريتان وسلمتا عليه ، وقالتا له : نحن منذ خلقنا أكرم الكرماء لك ننتظر خدمتك فقال قدس سره : عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت إلى شيء ما من الأشياء ما لم أتشرّف برؤيته التي بلا كيف ولا مثال ، وأشفع بجميع من اتصل بي ، وسمع مني القول الحق وعمل به . انتهى . وفي « البهجة » في ترجمة الإمام الرباني قدس سره يقول : كنت مرة في حلقة أصحابي فخطر لي أني في قصور ونقص ، فبينما أنا كذلك إذا ألقيَ في سري : **أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيمة** . انتهى من عبارته . فهذه المذكورات بشارة أيّ بشارة لمن تمسك بزيل هذه الطريقة النقشبندية العلية جعلنا الله تعالى مقبولين آمين .

وَصْلٌ في بيان لطائف الطريقة النقشبندية .

من خصائصها وجدان الحلاوة واللذة في الابتداء وفقدانهما في الانتهاء .

ومن خصائصها تقدم الجذبة فيها على السلوك ، وكون سيرها من عالم الأمر لا من عالم الخلق بخلاف أكثر الطرق ، وكون قطع منازل السلوك فيها مندرجاً في ضمن طيّ معارج الجذبة ، وتيسر سير عالم الخلق في سير عالم الأمر[1] ، وسير الابتداء في هذا الطريق في سير الانتهاء .

ومن محاسنها التى ليست لغيرها من الطرق حصول الاشتغال بتحصيل نسبتهم في كلّ مكان مع كل شخص وفي كل حال ، والخلوة

---

(١) وهو عالم الملائكة فإن الذكر القلبي الذي يلقنونه النقشبنديّون في الابتداء مخفي من الملائكة ، ولا يطلعون عليه ، ولا يسمعونه ، فلذلك صار ابتداء سيرها من عالم الأمر والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

فيها[1] في الجلوة ، فكل مجمع لأربابها زاوية ، يحضرون في المجالس وقلوبهم مع مولاهم حاضرة ، ومن سوى الله سبحانه خالية ، فهم ممن قال الله تعالى في شأنهم ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ . وما أحسن ما كانت تنشده السيدة رابعة العَدوية رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى .

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وابحث جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومن لم يصل فعليه التصديق والإيمان لتحصل له الولاية الصغرى كما قال سيّدنا الجنيد رضي الله عنه : **التصديق بطريقتنا هذه ولاية صغرى** . كذا في « الحدائق الوردية » .

ومن محاسنها أن أربابها لا يفهمون من جميع الأصوات سواء كانت أصوات المياه والرياح وأصوات المزامير والطبول وغيرها من أصوات المخلوقات وكلامهم إلا الذكر الملقن[2] لهم ، حتى قال بعضٌ من مريدي الحاج عبد الرحمن العسليّ - قدس سره ورزقنا فيضه - : إنه لا يفهم من صوت الكلب النائح إلا الذكر بلفظ الجلالة . انتهى . بل يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدّ ولازم الذكر واجتهد في مدّة خمسة أو ستة أيّام كذا في « الرشحات » .

ومن محاسنها أن أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات يتخيّلون معها الذكر ، ولا يرون تلك الأشياء المتحركة إلا ذاكرة لله سبحانه . فهذه مما يحصل للسالك اذا رسخ الذكر في قلبه ، وصار الحضور له ملكة بحيث لا يقدر أن يخطر في قلبه سواه

(١) أي : في الطريقة النقشبندية .
(٢) راجع « الرشحات » في ١٨١ .

تعالى ولو تكلف . وصيرورة القلب على هذه الحالة شرط لتبديل الذكر إلى لطيفة الروح ، ثم إذا حصلت النتيجة لها يتبدل الذكر إلى السرّ ، ثم إلى الخفي ، ثم إلى الأخفى ، ثم إلى لطيفة النفس والجسد ، فحينئذ يتحرك الجسد من أسفله إلى أعلاه بالذكر بسبب جريان الذكر في جميع أجزاء البدن ومنابت الشعر وذرّات البشر حتى يعم الذكر إلى جميع ذرات الآفاق فلا يرى حجراً ولا مدراً ولا شجراً ولا غيرها إلا ويراها تذكر الله تعالى . فإن قيل : كيف تذكر تلك الأشياء ، وهل لها ألسن ، أم كيف نسمع أصواتها ؟ قلنا : ذلك مما لا يعرف كنهها إلا من ذاقها ، ولا مجال للتعبير عن ماهيتها وكيفيتها . قال صاحب « الإبريز » نقلاً عن شيخه : إن للجمادات لغات وألسن تليق بذواتها وجماداتها وسماعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن التي في الرأس فقط ثم قال ﷺ : وهذا المشهد إنما يكون للوليّ في حال بدايته ، وأما بعد ذلك فإنما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه ، فيشاهد الخالق سبحانه يخلق فيها كلاماً وتسبيحاً وغير ذلك مما يكون فيها ، ويشاهدها ظروفاً خاوية ، وصوراً فارغة راجعه في ١٠٢ .

وفيه أيضاً : وكنت ذات يوم خارج باب الفتوح بناحية ضريح سيدي أحمد اليمنيّ رحمه الله تعالى جالساً تحت زيتونة ، فبينما أنا كذلك إذاً بجميع الحجر صغيره وكبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغاتها ، فَكِدْتُ أَهْرُبُ ممّا سمعتُ ، قال : وجعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتاً عديدة ، فقلت : حجرٌ واحد وله أَصْوَاتٌ عَدِيدَةٌ ؟ فتأملته فإذاً هو معجونٌ ، اجتمعتْ فيه عدّة أحجار ، فلذلك تعدّدت الأصوات فيه . انتهى من عبارته ١٠٢ .

وفيه أيضاً : وسمعته ﷺ يقول : كم أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء ، فأرجع من غير قضائها لما أسمع من ذكر الماء بإسم الجلالة . انتهى من عبارته ١٠٣ .

ونظيره في « تحفة الأحباب » وغيره فراجع ، فهذه هي النعمة العظمى والدولة الكبرى ينبغي أن يشكر عليها ليلاً ونهاراً ، ولكنّ الإنسان لا يعرف قدر النعمة إلا بعد زوالها والله ولي التوفيق .

وقال لي شيخنا العسلي قدس سره : يرى الإنسان ما عنده من النعمة قليلةً ، ويرى ما عند غيره عظيمةً ، فلعلّ رضي الله عنه قال ذلك حين علم عدم شكري لهذه النعمة والله أعلم .

وقال العالم الرباني أدرة العردي رحمه الله : إنه كان على شوق لحصول هذه النسبة ، فإذا حصلت فلا قدر لها عنده . انتهى .

ثم يلقن الشيخ النفي والإثبات على القاعدة المشهورة عندهم مع الشروط والأركان .

ثم إذا حصلت نتيجة ذلك الذكر يعلّم الشيخُ المريدَ كيفيةَ المراقبة الأحدية ثم بعد حصول نتيجتها يعلّم المراقبة المعيّة ثمّ وثمّ إلى آخر المراقبات .

وثمرات المراقبة عجيبة ، ونتائجها نفيسة ، لا يعرف كنهها إلا من ذاق حتى قال لي بعض الإخوان : **إني لأرحم من مات ولم يذق لذّة من نتيجة المراقبة المعيّة** . انتهى . رزقنا الله تعالى تلك اللذات ، وجعلنا من أهل الشهود بإذاقة هذه الحلاوات . آمين .

ورأيت في « مسيرة الحكم » أن الدنيا وما فيها والسموات السبع والكرسيّ والعرش والجنة والنار عند من كان على المراقبة المعيّة كالذرة في شعاع الشمس . انتهى بتصرف . **فالواجب على من لم يشمَّ رائحة هذه المذكورات التسليم لمن شمّها ، والإعراض عن التكلم خلف من يطلبها .**

وقد قيل : إنّ من أنكر شيئاً من أحوال القوم حنّ[1] من ذوقها عقوبة عليه ، فإن من أعمى الله بصيرته فهو محروم عن درك هذه الأسرار ، ولا يذوقها إلا من صحب الرجال ، وقبّل التراب تحت أقدامهم ، ومن لم يقدر على هذا فليسلّم للرجال فيما رمزوا به وأشاروا إليه :

وإذا لم تر الهلال فسلّم   لأناس رأوه بالأبصار

ومن محاسنها أنه يستوي في استفاضة هذه الطريقة الشيوخ الذين بلغوا إلى حدّ الشيب ، والصبيان الذين لم يبلغوا إلى حد البلوغ ، لأنّ هذه الطريقة طريقة الجذبة الذاتية الروحانية من غير توقف على العبادات الجسمانية ، يستوي في استفاضتها المكلّف وغير المكلف لإمكان استفاضتها بالروحانية .

ومن محاسنها أنه يستوي في إفاضتها الأحياء والأموات ، لأنّه قد تفيض الأموات هذه الطريقة العلية إلى المستعدّين من حيث الروحانية ، كما تفيض الأحياء إليهم من حيث الجسمانية .

ومن محاسنها أنها طريق الانعكاس والانصباغ ، لأنّ نسبتها المعهودة فيها لا تحصل إلا بالصبّ والتوجّه ، وهما شرطان فيها ، وبهما تنعكس صور المعارف الإلهيّة من مرايا قلوب الواصلين إلى قلوب السالكين كما تنعكس الصورة المحسوسة إلى الذوات الصقيلة ، وتنصبغ صدور المريدين بأنوار معارف صدور المشائخ العارفين . وروي « ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر » وهو ﵁ مؤسّس هذه الطريقة ، ولذلك كانت هذه النسبة فوق سائر النسب .

---

(١) أي : صار محروماً . وفي نسخة : حرم .

ويصدّق هذه المذكورات بما في «ترجمة الرشحات»: أنه لما حضرت الوفات لمولانا حميد الدين دخل عليه ولده مولانا حسام الدين ووجده في غاية التشويش ونهاية الاضطراب، فقال: يا أبَتِ، ما هذا التشويش؟ فقال: يا بنيّ يطلبُون منّي ما لا أملكه ولا أعلم طريق تحصيله، يطلبون مني قلباً سليماً، فقال مولانا حسام الدين: **كن حاضراً معي لحظة؛ يعني: كن متوجّهاً إليّ يكون الحال مَعْلُوماً لك، ثم توجّه إلى والده فوجد مولانا حميد الدين بعد ساعة اطمئناناً في باطنه وسكونة في قلبه، ففتح عَيْنَيْهِ وقال: يا بُنَيَّ جزاك الله عني خيراً، ولقد كان اللازم عليّ أن أصْرِف جميعَ عمري لتحصيل هذه الطريقة. فيا أسَفِي على عمرٍ قد ضيّعته!** فارتحل عن الدنيا بجمعيّة تامّة ببركة الولد الصالح. انتهى من عبارته.

وبالجملة أنّ نظر همم أهل هذه الطريقة عَالٍ جِدّاً، لا نسبة لكل زرّاق ورقاص إليهم، ولهذا صارت نهاية الآخرين مندرجة في بدايتهم، ونال مُبْتَدِؤُا طريقتهم حكم منتهى طرق أخرى، وتقرّر سفرهم في الوطن من ابتداء الأمر، وحصلت لهم الخلوة في الجلوة، وكان دوام الحضور نَقْدَ وقتهم ورأس بضاعتهم، وهم الذين صارت تربية الطالبين مَرْبُوطَةً بصحبتهم العلية، وكان تكميل الناقصين منوطاً بتوجّهاتهم الشريفة، نظَرهم(١) شفاء الأمراض القلبيّة، والتفاتهم دافعٌ لِلْعِلَلِ المعنويّة، ويعمل توجّههم الواحد عمل مائة من الأربعين، والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين، شعر:

---

(١) وفيه أيضاً في موضع آخر ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين. انتهى راجعه من ٦٦ من ج٢ (منه رحم الله إفلاسه).

مــا أحسن النقشبنديين سـيــرتــهــم   يمشون بالركـب مخفيّين بـالـحـرم

انتهى من « مكتوبات » الإمام الربانيّ من عبارته من ج ٢ في ٣٦ راجعه .

ومن محاسنها أن الوجد والاضطراب لا يكونان قطّ في أربابها شيوخاً كانوا أو مريدين ، ولا يتحرّك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذى يجرّ السبحة ، **لأنّ الجذبة فيها مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن بالصبّ من صدر إلى صدر والتوجّه من قلب إلى قلب** ، ولذا لا يظهر أثرها على الظواهر سواء بالاضطراب والحركات أو بالصيحة والنغمات ، لأنّها من علامات الغفلات وأهل هذه الطريقة هم أهل الحضور واليقظات ولا يدري ذلك إلا أصحاب الفراسة والادراكات ، **والحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك منهم شيخاً أو مريداً** وهي عندهم حرام .

وفي « بهجة السالكين » : وكل ذلك مدخل للشيطان وحظوظ للنفس وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك ، ويهتم المرشد منع ذلك ، وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادعاء العشق ، **وليس طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية**[1] **ورضائه تعالى** . انتهى من عبارته .

فالحاصل لا وَجْدَ مع الوُجْدَانِ ، ولا خبر مع العيان ، فالوَجْدُ بعَرْضيّة الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال . فافهم ، وفي ذلك قيل :

قد كان يَطْرِبُنِي وَجْدي فَأَقْعَدَنِــي   عن رؤية الوجْدِ مَنْ في الوجدِ مَوْجُودُ

والوجد يَطْرِبُ مَنْ في الوجد رَاحَتُهُ   والوجـد عـند حضور الحق مفقود

البيت من « عوارف المعارف » عبارته .

(١) وفي نسخة : لذاته .

ومن أعظم محاسنها أنّ توجّه أربابها الكبراء إلى الأحديّة تعالت وتقدست ، لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات تعالت وتقدست ، ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم . كذا في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره في ٣٦ من ج٢ .

ومما اختص بها هذه الطريقة النقشبندية من بين سائر الطرق العلية أنها باقية على أصلها من غير نقص ولا زيادة وسالمة من كدورات البدع كما قال به ابن حجر في خاتمة « فتاواه » وغيره ، وأنها وصلت إلى المشائخ بواسطة أفضل الأمة أبي بكر ﷺ بخلاف غيرها كما هو معلوم مذكور في كتبهم .

ومن خصائصها أن الولاية الكبرى إنما تعطى فيها ، وفي غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط ، لما فيه من المخالفة في آداب السنة . هكذ في « سلسلة الخواجكان » .

ومن خصائصها أنه لا بد من تصرف الشيخ الكامل للطالب[1] ، لأنّ الطالب فيها لا يحصل له شيء بدون تصرفه ، لأنّ اندراج النهاية في البداية الذي من خصائصها أيضاً أثر توجه الشيخ ، وهو شرط فيها ، ومعنى الاندراج أن يذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ ، كذا في « المواهب البريقة » ، لكن في « البهجة » ما حاصله : لا ينبغي أن يتوجه لورود الحال لئلا يحمل استعداده ذلك الحال ، ويزول عقله .

وفيه أيضاً فإن كان استعداده قويّاً ، وسلك السلوك سريعاً فيمنعه من سلوكه ، يعني : يضع على استعداده ظلمة حتى يسكن عن الترقي . راجعه في ١٣٠ .

---

(١) بالتوجه .

ومن محاسنها أنه يحصل في هذه الطريقة الحضور والجمعية في وقت يسير لكثير من المستعدّين ما لا يحصل في غيرها في أوقات كثيرة ، كما في ترجمة « الرشحات » في ١٢٢ .

وفيه ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلاً ، فإن بداية هؤلاء الأكابر نهاية الآخرين . انتهى عبارته . **بل أقول** : إن هذا الطريق موصل البتة ، واحتمال عدم الوصول مفقودٌ فيه . انتهى من « معرب المكتوبات » في ج٢ في ٦٠ .

ومن خصائصها إن خلوتهم في الجلوة ، لأنّ خلوتهم من حيث الباطن عند جمعيّة الناس كما قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس الله سره العزيز : طريقتنا الصحبة والخيرُ في الجمعيّة ، وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة ، لأنّ النبي ﷺ اختار الجمعيّة على الخلوة ، وقال : « المؤمن الذى يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لايخالط الناس » .

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره : ليس الكامل من صدر منه أنواع الكرامات ، وإنما الكامل الذى يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوّج ويختلط بالناس ، ولا يغفل عن الله لحظة واحدة ، وهذه هي الخلوة الحقيقية المشار إليها في قوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ هكذا في « البهجة السنية » .

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره : إنّ فلاناً يمشي على الماء ، قال : إنّ السمك والضفدع كذلك ، وقيل : إنّ فلاناً يطير في الهواء ، فقال : إن الطيور كذلك ، وقيل : إنّ فلاناً يصل إلى المشرق والمغرب في آنٍ واحدٍ ، فقال : إنّ إبليس كذلك ، فقيل : فما الكمال عندك ؟ قال : **أن تكون في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق** . انتهى « خزينة الأسرار » في ٢٤ .

وقد كنت مرة في الخلوة(١) بأمر أستاذي قدس سره ، لكن لم أطق أن أصْبِرَ فيها لصُعُوبة أمرها على النفس الأمارة ، فأرسلت الرسالة لديه بطلب الإذن للخروج منها ، فورد إليّ رسالته الشريفة المكتوبة بخطّه المبارك بهذه العبارات : وعليكم السلام أزيد ممّا أرسلتَ إليّ ألف مرّة ، **وبعد** ؛ فإذا كان الحال كما أنبأتَ وأخبرت ، لا خير لك في تلك الخلوة والعزلة ، وافعل الخلوة بالقلب ؛ أي : كُنْ مع الحضور في كلّ الحال ، واخلط الناس ، ليكون ظاهرك مع الناس وباطنك مع الله ، كما قال : الوليّ كائن(٢) ، بائن(٣) ، وكما قال : خلِّ قلبك من الأغيار ، فلا حاجة لطلب المحبوب(٤) ، القلب بيت الله ، القلب عرش الله .

وقال عبد الخالق الغجدواني : حرست قلبي عشرين ليلة ، فحرسني قلبي عشرين سنة ، احفظ قلبك من الخواطر ليكون جهادك(٥) . أي : جهاداً كبيراً(٦) ، هذا ، والسلام ، وأنا داعيكم بالخير عبد الرحمن . انتهى من خطه قدس سره .

فقد تحقق وتيقن بهذه المنقولات والنصوصات أفضلية هذه الطريقة النقشبندية العلية من سائر الطرق الباقية ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ولو اجتمع جميع العالم في تغيير وتبديل شيء من أوضاعها وأصولها لم يجدُوا إليها سبيلاً ، ولكل شيئ يفعلونه فيها من الآداب والأركان(٧) والشروط أدلة موافقة بالمذاهب الأربعة ، وإنها لبّ

---

(١) خلوة حسن أفندي حين دخل الخلوة ، وصعب أمرها على النفس الأمارة . انتهى .
(٢) مع الله .
(٣) من الخلق .
(٤) أي : الله .
(٥) وفي نسخة : مع الشيطان .
(٦) وفي نسخة : أكبر .
(٧) ومن أراد إدراكها فليراجع إلى « حجة الذاكرين » و« هداية الواصلين » (منه) .

القرآن وحقيقة العرفان ، فلا جرم ترى المنكرين لاستقامتها واعتدالها لها مذعنين فضلاً عن الموافقين المذعنين ، سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم بطابع أنوار أسرار العلوم ، ورحم الله امرأً عرف الحق فأنصف ، ووقف على الحدود وما تعسّف ، فإن الحقّ أحقّ أن يتّبع ، والباطل عن هؤلاء قد اندفع ، وَوَصْفها يكلّ عنه اللسان ، فمن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب أهلها فلعلّه يجني من ثمار الفوائد رطباً جنيّاً .

الباب الثالث عشر

في بيان أفضلية الذكر السريّ على الذكر الجهريّ ، وأفضلية الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة فمشهور معلوم بالآيات القرآنية والآحاديث النبويّة

ونحن إن شاء الله تعالى نذكر هنا بعضاً منها ليكون للمنصف المحق نافعاً ، وللمحبّ العاشق داوياً ، وللمنكر الحاسد قاطعاً وراغماً ، فنقول قال الله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ .

قال في تفسير سلمى في تفسير هذه الآية : لا تظهر ذكرك فتطلب به عوضاً ، وأشرف الذكر ما لا يشرف عليه إلا الحق تعالى ، وما خفي من الأذكار أشرف مما ظهر .

وفي « تصديق المعارف » في تلك الآية ؛ أي : اذكر الله تعالى بقلبك لا بلسانك . وفسّر صاحب « تصديق المعارف » أيضاً لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ أي : عن ذكر الله في الباطن . انتهى عبارته .

وقال البيضاوي ؛ في قوله تعالى ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أي : ذَوُوا تضرّع وخفية ، فإنّ الإخفاء دليل الإخلاص ، عبارته .

وقال ابن حجر في « التحفة » : **نعم العمل القلبي لعدم تصوّر الرياء فيه أفضل من غيره** . انتهى عبارته . من صلاة النافلة . ظاهره : **وإن قلّ** كتفكر ساعة مع[1] صلاة ألف ركعة ، « ابن قاسم » . عبارته .

وقال أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمدية » : عبادة السرّ تفضل على عبادة الجهر بدرجات . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » : وهو أي : ذكر القلب أفضل من الجهري بمراحل . انتهى . وفيه : أن الجنيد قدس سره قال : **من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة ، وهو ذكر الله بالقلب** . انتهى من عبارته في ٢٩٠ .

وفي « مختصر التذكرة » للشعراني : والمدار على القلب ، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون به النجاة . **وأما** حركة اللسان فإنما هي ترجمة عما في القلب ، وإلا فلا فائدة فيه . انتهى عبارته ١٠ .

وفي الخبر العام : « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفاً » . انتهى . من « الإحياء » في ٢١٦ من الجزء الأول .

وعن جمادى المكيّ أنه قال : ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفاً على ذكر اللسان ، وقال عليه السلام « الذكر الذي لا تَسْمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » . أخرجه البيهقي عن عائشة . وقال عليه السلام « خير الذكر الخفي » .

وقال أحمد ضياء الدين في تفسير هذا الحديث : والمعنى فيه أنه أخلصُ لله ، وأبعد عن الرياء ، وأكثر فائدة ، وأفيد ثَمْرَة بالتجربة ، وأعظم وأقوم وأسعد أجراً وذخراً ، وأتمّ درجة ، وأكمل مقاماً ، وأزكى طهارة ، وأسرع نجاة ، وأسبغ رضًى وأجزل معرفة وأبلغ وُصلاً . انتهى من « المتممات » عبارته .

---

(١) وفي نسخة : بالنسبة ألف ركعة .

وقال عليه السلام « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصمَّ ولا غائباً » الحديث .

قال أبو التراب : ليس من العبادة شيء أنفعَ من إخلاص القلب عن الخواطر . وقال ذو النون : صلاح القلب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . وقال الحصري(١) : جلسةٌ خيرٌ من ألف حجّة .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾** ﴾ يعني : أن الملائكة الحفظة ، يكتبون ما تكلّم به العبد ، وسمع أذنه ، وحرك به شفتيه ، وعمل العمل ، فإذا ذكر الله تعالى سرّاً لم يكتبه الملائكة ، فأدخل الجنة ، قال : عبدي ، إنّ لك كنزاً وأنا أجزيك ، قال : يا رب ، وأيّ خير لم تعطنيه ، قال : فيعطيه من الثواب ما يحتقر به ما كان أعطاه قبل ذلك بذكر الله تعالى في نفسه سرّاً . هكذا روى جرير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهم . انتهى عبارته .

وفي « أسباب الفلاح » : وذكر القلب فهو غير ملفوظ باللسان ولا مسموع بالآذان ، بل فكر وملاحظة قلب ، وهو أعلى مراتب الذكر . انتهى من عبارته ١٧ .

وقال صاحب « تفسير سلمى » في قوله تعالى ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ . قال الجنيد : الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال ، وطرد الغفلة عن القلب ، قال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد ، لكنه بالحضور . انتهى عبارته .

---

(١) أي : بجمع الهمة بوصف الشهود كما هو معلوم لدى الطائفة النقشبندية (منه رحمه الله) .

وفي « الحدائق الورديّة » : إنّ القلب إذا تأثر بالذكر صارت جميع أجزائه ذاكرة ، فحينئذ يتحقق الذكر الكثير ، فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . انتهى من عبارته ١٢٠ .

وفي كتاب « بغية أولي النهي شرح غاية القصوى » - عند قول الماتن : صلاة التطوّع أفضل تطوّع بدن لا قلب : وقوله : لا قلب ، إشارة إلى أنّ عمل القلب أفضل . انتهى . وهكذا في « البهجة » راجعه .

مطلب

سلطان الأسماء والاسم الأعظم

فالاسم **المفرد** (الله) وهو[١] سلطان الأسماء وهو اسم الله الأعظم ، فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويَهْتَزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ، ويسري أنواره في كليّاته وجزئياته ، فيتحد الذاكر والمذكور ، فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر ، ثم يخرس اللسان ويحصل على محلّ الشهود والعيان ، فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) . انتهى « منية الفقير » عبارته ١٩ .

وفي « سلسلة الخواجكان » : فقلَّ ما وقع المرء بالذكر إلا وقد وصل ، ولا سيّما بالذكر القلبي الذي هو شهود وزلفى ، وحضور وقربى ، وهو ذكر حقيقي يبدّل الغيبة بالحضور ، ويفني الذاكر في المذكور ، **لكن مع هذا لا بد أن يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذى عرف أسرار الأذكار وخواصّها بتلقين شيخ ، وهو كذلك إلى رسول الله** ﷺ . . الخ راجعه .

(١) لعله : هو ، بدون واو .

مطلب مهم

وفي بعض مكاتب قطب الأقطاب وغوث الأنام خالد البغدادي قدس سره : اعلموا أنه ثبت بالكشف الصحيح ، والوجدان الصريح ، عند جهابذة الكشف والشهود وبَذَلَة الروح ونقاد الوجود ، أنّ أجلّ السعادة وأفضل العبادات بعد تصحيح العقائد عن تُرَّهات أهل الفساد والقيام بالفرائض على مذهب أحد الأمجاد المواظبة على الذكر الخفي مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراك ، وإن لم تكن تراه إلى آخر ما قال من هامش « مجموعة الرسائل » عبارته .

وفي « فتح الأسنى » : حظُّ العبدِ من هذا الوصف أن يكون قلبه حيّاً بذكر الله على الدوام ، فإنّ الذاكر لله بين الغافلين كالحيّ بين الأموات ، وليس ذكر الله بلقلقة اللسان . . إلى آخر ما قال .

وفيه أيضاً : أنّ موت القلب هو الغفلة عن الله تعالى . انتهى عبارته بالمعنى .

وفي ترجمة « الرشحات » : كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامّة كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواصِّ ، كما أنّ العامة يؤاخذون على المعصية كذلك الخواصّ يعاتبون على الغفلة . انتهى من عبارته ١٤٢ .

وقال العلامة الشيخ علي القاري الحنفي في شرح حديث « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . كتب الله ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » من « الحصن الحصين » . ولعلّ وجه هذه الفضيلة لخصوص السوق أنها محل الغفلة ، فإن الذاكر فيهم كالمجاهد في الفارين . وهذا دليل لما

اختاره السادة النقشبندية من أكابر الصوفية حيث قالوا : الخلوة في الجلوة والعزلة في الخلطة . فالصوفي كائن بائن وغريب قريب وعرشيّ فرشيّ ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله ببركاتهم انتهى « بهجة » عبارته .

واعلم أن من المشائخ الصوفية مَنْ يختار الجهر لدفع الوساوس الرديئة والكيفيات النفسانية وإيقاظ القلوب الغافلة وإظهار الأعمال الكاملة ، **ومنهم** من يختار الإسرار بمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص وإيثارها الخمول .

وقد ورد أنّ عمر رضي الله عنه كان يجهر ، وأبو بكر كان يسرّ ، فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجاب كلٌّ منهما بنحو ما ذكر ، فأقرّهُما . هكذا في « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر ، فراجعه في ٥٧ .

ومبنى الطريقة النقشبندية على الأخذ بالعزيمة والأحوط ، ومعلوم أن الإسرار عزيمة وهو في حقنا أهلِ الديار الداغستانية أحوط ، لما في الجهر من خوف الرياء وغيره ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع[1] ، وفي « الإحياء » هذه العبارات : والثانية أن يراقب قلبه ، فإنه ربما يكون فيه حُبّ الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعُذْرِ الاقْتِدَاء ، وإنما شهوته التجمّل بالعمل وبكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين . وقليل ما هم ، فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر ، فإنّ الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم ، فأقبل عليهم حتى يتشبثوا[2] به ؛ فهلكوا وهلك ، والغرق بالماء في الدنيا أَلَمُهُ ساعة ، وليت كان الهلاك بالرياء مثله ! ! لا ، بل عذابه دائم مدّة مديدة ،

(١) وفي نسخة : على جلب المصالح والمنافع

(٢) وتشبث به أي علق (مص) .

وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء ، فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص ، فتحبط أجورهم بالرياء ، والتفطّن لذلك غامضٌ ، ومِحكّ ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له : أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابدٍ آخر من أقرانك ويكون لك في السرّ مثل أجر الإعلان ، فإنْ مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به ، وهو المظهر للعمل ، فباعثه الرياء ، دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير ، فإنّهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره ، وأجرهُ قد توفَّر عليه مع إسراره ، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم ؟! فليحذر العبد خدع النفس ، لأنّ النفس خَدُوع ، والشَيْطَانَ مُتَرَصِّدٌ ، وحبّ الجاه على القلب غَالِبٌ ، وقلّما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات ، فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء ، وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا ، فالحذر من الإظهار أولى بنا وبأمثالنا الضعفاء . انتهى من عبارته .

فإذا قال الغزالي هكذا ، فهو لنا أولى فأولى ، بل هو في زماننا هذا أوْجَبُ وأحرى ، والله أعلم .

وقال ابن حجر في « الفتاوى » : إنّ ما كانت مصلحة فيها أرجح كان أفضل . انتهى ، وقال أيضاً « وما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء[1] وقر في صدره » ولا يخفى أن أفضلية الرجل بأفضلية أعماله ، وأنّ المصلحة في الذكر السري أرجح في حق أمثالنا ، فكان ذلك أفضل ، فتدبره فإنه نفيس .

وفي تفسير « سلمى » : في تفسير قوله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور ، وفيه أيضاً : حقيقة الذكر أن ينسى كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه .

---

(١) وهو الذكر القلبي ، كما قال بذلك أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » . (منه رحم الله إفلاسه) .

مطلب

أنواع الذكر ثلاثة

وفي « المتممات » لأحمد ضياء الدين قدس سره : إن الذكر على ثلاثة أنواع :

ذكر اللسان مع غفلة القلب ، ويسمّى ذكر العادة ؛ وهو ذكر العوام ، وثمرته العقاب ، لأنّه ذنب .

وذكر باللسان مع حضور القلب ، ويسمى ذكر العبادة ؛ وهو ذكر الخواص ، وثمرته الثواب .

وذكر بجميع الجوارح والأعضاء ، ويسمى ذكر المحبّة والمعرفة ، وهو ذكر خواصِّ الخواصِّ ، وثمرته لا يمكن التعبير عنها ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلا الله . انتهى عبارته . قوله (وثمرته العقاب) لأنّه ذنب أي : بالنسبة إلى حسنات المقربين ، لأنّ الغفلة عن الله عندهم من أعظم الذنوب ، والله أعلم .

وفي « منية الفقير المتجرد وسيرة المريد المتفرد » ما يدلّ على أفضلية الأعمال القلبية ؛ وهو أنه وقع للرجل الذي سمع القائل :

إذ العشرون من شعبان ولّت فواصل شُرْبَ ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمانُ على الصغار

فهام على وجهه ، وذهب إلى مكة ، فبقي بها مجاوراً حتى مات رضي الله عنه ، فهمّ أنّ العمر إذا ذهب جلّه فقد قرب الأجل وضاق الزمان على العبادة الصغرى ، فطلب الموضع الذي تكون فيه العبادة الكبرى ، فيضاعف فيه الأعمال ، وهذا الرجل كان من العلماء المجتهدين ، ولو كان من العارفين لما احتاج إلى ذهاب مكة ، بل عبادة القلوب مضاعفة بأضعاف كثيرة في

أيّ موضع كانت ، ولذلك قال بعضهم : **الذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح** . وقال عليه الصلاة والسلام « ركعة من عالم بالله أفضل من ألف ركعة من جاهل بالله » انتهى عبارته ، وراجع « الإحياء » في بيان ترك التداوي في ٢٢٣ من الجزء الرابع .

الباب الرابع عشر

في بيان أفضلية ذكر لفظة الجلالة من سائر الأسماء الإلهية ، وبيان الاختلافات في أنّ الذكر القلبي هل يثاب أم لا ؟

ففي الحديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَنْ يقول : الله ، الله » ذكر الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : ولولا أن قول (الله ، الله) له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال من يذكر به ، ولذلك أيضاً اتخذه الكمّل من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله ، لأنّهم لا يشهدون شيئاً من الأسماء لا يفرق قلوبهم غيره . انتهى من عبارته . وقد فسّر لقوله تعالى ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ أي : كرّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظيره قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم (الله) أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروعيّة الطالبة لوجود الأغيار ، كالرحمن والغفور والرزاق ونحوها ، فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم الله ، لأنّه جامع لجميع الحقائق ، لا يطلب أحداً من الأغيار المشهورة في هذا العالم . انتهى من عبارته كتاب « الجواهر » و« الدرر » بتصرف واختصار .

ولا شك أنّ كل ما أدّى إلى خلوّ القلب عن الأغيار خيرٌ مما لم يؤدّ لذلك ، إذ روح العبادة هو الحضور ، وبذلك يدرك مَعْرفة الله تعالى ، ومعرفته هي المقصودة من جميع العبادات ، فليتدبر .

وفي « الحدائق الوردية » وذكر اسم الذات ؛ أي : الله ، هو مذهب الإمام أبي حامد الغزالي ، وعلى ذلك أيضاً جميع شيوخ الرسالة كالجنيد البغدادي ، وشيخه سري السقطي ، ومعروف الكرخي ، وداود الطائي ، وإبراهيم بن أدهم ، وعبد الله بن حنيف ، وفُضيل بن عياض ، والمحاسبي ، والحافي ، وغيرهم قدس الله أسرارهم . انتهى من عبارته ٢٩٣ . وهذا الاسم الشريف هو الذي اختاره الطائفة النقشبندية ، وهو أوّل ما يلقّنونه للمريد من غير فرق بين مريد ، كما في « تبصرة المرشدين » وغيره .

نعم ذهب بعضهم إلى أن من يستعد لتقديم الجذبة على السلوك فله اسم الذات ، ومن يستعدّ لتقديم السلوك على الجذبة فله النفي والإثبات من غير حبس النفس ، وكلاهما بالقلب إلى أن يستعدّ للجذبة ، وبعد ذلك يتلقن باسم الذات كمن يتلقن به في ابتداء الأمر ، ولكل وجهة ، راجع « تحفة الأحباب » و« خواجكان » .

قال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » في الباب ٤٦٢ : ثم إنّ الله تعالى جعل العالم الجسمي والجسماني في مَنْزِلَيْنِ ، منزلٌ يسمّى الدنيا ، ومَنْزل يسمّى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان ، والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكمّل لا غير ، وهم الذين ذِكْرُهُمْ (الله) لا يزيدون عليه في نفوسهم ، هذا ذكرهم في نفوسهم . انتهى .

وفيه أيضاً في ٣٦١ : فَاتّخَذَهُ ، أي : ذكر لفظة (الله) أهل الله ذكراً وحده ، فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأسماء . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » : وقال في كتابه « كيمياء السعادة » : ولا تظنّ أنّ هذه الطاقة تنفتح من عين القلب بالنوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة ، وخرج عن أسْر الشهوة ،

فإذا جلس في مكان خال مع تعطيل الحواس وفتح العين والسمع الباطنين وقال دائماً : الله ، الله ، بالقلب دون اللسان إلى أن يصير لا خَبَرَ له من نفسه ولا من العالم ، وبقي لا يرى إلا الله ، انفتحت طاقة في القلب ، يرى فيها يقظة ما يرى في النوم من أرواح الملائكة والأولياء والصور الحسناء وما لا يمكن شرحه ، وهو أيضاً مذهب جماعة ، ولقيتهم على ذلك الذكر (الله ، الله) وأمروني به . انتهى من عبارته ٢٩٢ راجعه ، ففيه البسط الأهمّ .

وفي « شمس المعارف الكبرى » : أنّ هذا الاسم يعني (الله) هو اسم الله الأعظم باتفاق جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين . انتهى من عبارته ٢٤ من جزء ٢ . وذكره بالقلب فضيلة عظيمة على هذه الفضيلة ، فتدبره .

وقال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٤٥ : وذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً ، هذا بلسان أئمة الظاهر ، وأما عند أهل الباطن ! ! فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهوته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستوليَ عليه سلطان الذكر وجواذب الحقّ المرتّبة على ذلك ، فإذا استولت عليه تلك الجواذبُ حَتى أخرَجتهُ عن شَهَوَاتِهِ وإرادته وحُظُوظِه وجميع أغراض نفسه صارَ بعيداً عن شهُود الأغيار ، واستولى عليه مُراقبة الحق أو شهُوده ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حَقائق الجمع الأحديّ ، والشهُود السرْمَديّ الفرديّ . فالأنسَبُ بحاله الإعراض عمّا يذكره بالأغيار ، والاستغراق فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط ، لأنّ ذلك فيه تمام لذّته ودوام مسرّته ونعمته ومنتهى أربه[1] ومحبته ، بل إذا وَصَل السالك

---

(١) الأرب . . الخ . الحاجة (مص) .

لهذا المقام وأراد قهرَ نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى يُنْفيه أو يتعلّق به خاطره لا تطاوعه نفسه المطمئنة ، لما شاهدت من الحقائق الوهبيّة والمعارف الذوقية والعوارف اللدنية ، وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراءه ، فافهم مقاصد القوم السالكين من كل محذور ولوم ، وسلّم لهم تَسْلَمْ ، ولا تَنْتَقِدْ حقيقة من حقائقهم تندَمْ ، بل قل فيما لم يظهَرْ لك : الله أعلم .

وكذا يقال في الذكر باللسان وبالقلب ، أو بالقلب فقط ، فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضلِ مطلقاً . وعند أهل الطريقة في ذلك تفصيل تَفْهَمُهُ ممّا قبله إن وَعَيْتَهُ وتَأَمَّلْتَهُ ، فإن المستغرق قد يعرض له من الأحوال ما يلتجمُ به لسانه ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش ، فلا يستطيع نطقاً أو يتفرق بسبب نطقه مُتمثّل له من معالي تلك الأحْوال ، وما هو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال .

والحاصل : أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، فإنه هو الطبيبُ الأعظم ، فبمقتضى مَعارفه الذوقية وحِكَمه الربانية يعطي كلّ بَدَنٍ ونفس ما يراه هو اللائق بشفائها والمصلح لغذائها ، فإن لم يكن له أستاذ كذلك فلا يَعْدِلُ عن ذكر (لا إله إلا الله) بلسانه وقلبه ، بل يديم ذلك إلى أن يفتح الله له ما يَعْلَمُ به خير الأمرين في الترقي إلى شهود العين ، حَقّق الله لنا ذلك بمنه وكرمه ، آمين .

والذكر الخفي قد يطلق ويُرَادُ به ما هو بالقلب فقط ، وما هو بالقلب واللسان ، بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره ، ومنه : « خير الذكر الخفي » أي : لأنّه لا يتطرق إليه الرياء ، وأمّا حيث لم يسمع نفسه ! ! فلا يعتدّ بحركة لسانه ، وإنما العبرة بما في قلبه ، على أنّ جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون : لا ثواب في ذكر القلب وحده ، ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه ، وينبغي حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص .

أما اشتغال القلب بذلك وتأمُّل مَعانيه واستغراقه في شهودها ! ! فلا شك أنه بمقتضى الأدلّة يُثاب عليه من هذه الحيثيّة الثواب الجزيل . ويؤيّده خبر البيهقيّ : « الذكر الذي لا تسمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » هذا . انتهى كلام ابن حجر عبارته .

أقول : إنّ هذه الزيادة من جهة الفضيلة والتأثير ، لأنّ الحضور التام للذاكر إنما يحصل بالذكر القلبي غالباً ، وإن كان بالذكر اللساني نفع عظيم إلا أنّ الحضور قَلَّ ما يحصل به كما هو معلوم لدى الذاكرين المستغرقين . انتهى من تفسير الفاتحة المسمى بـ « مرآة الحامدين » . فتأمله فإنه كلام لذيذ ينحل به الإشكال عن قلوب علماء الظاهر .

وفي الحديث « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » وهذا حديث أدّل الدلائل على أفضلية الذكر القلبي ،

الفكر ذكر القلب

لأنّه ذكر في « الفتاوى العمرية » : إن ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه ، كما قيل : الفكر ذكر القلب . فراجعه . وهكذا في « المرآة الحامدين » وقال الشبليّ قدس سره : والذي نفسي بيده لَحُضُورُ قلبي في استغراق نور ربّي خَيْرٌ من علوم الأولين والآخرين . انتهى عبارة « الفتاوى العمرية » و« ماهية التصوف » .

وفي « الفتاوى العمرية » في تفسير « خير الذكر الذي » . .الخ يعني :

أنّ الذكر القلبي الذي لا تسمعه الكرام الكاتبون مِن الملائكة يزيد ثوابه على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً ، وذلك لبعده عن الرياء والسمعة ، وخلوصه عن كثير من الخواطر الدنيويّة ، بسبب الجمعيّة القلبيّة ، وقصر الهمّة على الذات الأقدس بالملاحظة التامّة .

لا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر .

وفي « الرسالة القشيرية » : قال الأستاذ : **الذكر ركنٌ قويّ في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر .**

والذكر على ضربين : ذكر اللسان وذكر القلب .

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ، والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه . انتهى .

وقال شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري رضي الله عنه في شرحه على « رسالة القشيرية » : قوله : وذكر القلب . فإن اقتصر على أحدهما فالثاني[1] أفضل ، انتهى . من شرحه على « الرسالة القشيرية » ، وفيه : إنّ الذكر الكامل هو الاستغراق في المذكور . انتهى بتصرف فراجعه .

وفي « الفتاوى الحديثية » في ٣٦ لابن حجر : وسئل رضي الله عنه عن قول النووي - لطف الله به - في آخر باب مجالس الذكر ؛ من « شرح مسلم » : ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب . انتهى ، فهل يُؤْخَذُ من كلامه أنّه إذا ذكر الله بقلبه دون لسانه أنه ينال الفضيلة إذا كان معذوراً أم لا ؟ وهل إذا قرأ بقلبه دون لسانه من غير عذر ينال الفضيلة أم لا ؟

أجاب بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه ، وإنّما فيه فضيلة من حيث استحضاره لمعناه من تنزيه الله وإجلاله ، وبهذا يجمع بين قول النووي المذكور وقولهم : ذكر القلب لا ثواب فيه ، فمن نفى عنه الثواب أراد من حيث لفظه ، ومن أثبت فيه ثواباً أراد من حيث حضوره بقلبه ، كما ذكرناه ، فتأمّل ذلك فإنّه مهمّ ، ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

---

(١) أي : ذكر القلب .

وفي « إظهار الحق » نقلاً من « شرح المشكاة » لابن حجر : ونفي الثواب فيه أي : في الذكر القلبي المحض من حيث الذكر أي : من حيث الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان لا ينافي حصوله من حيث المراقبة وحضور القلب فيه ثواب أيُّ ثواب . انتهى فليراجعه .

مطلب مهم

وقد قال الغزالي : حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه يحصل الثواب ، لأنّه خير من حركة اللسان بالغيبة ، بل هو خير من السكوت مطلقاً . أي : المجرّد عن التفكّر ، قال : وإنما هو ناقص بالنسبة إلى عمل القلب . انتهى .

وفي « الأذكار النووية » : فضل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما ! فالقلب أفضل . انتهى عبارته .

وفي شرحه للعلامة ابن علان رحمه الله تعالى قوله (فالقلب أفضل) ، قال المصنف في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : ذكر ابن جرير الطبريّ أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيّهما أفضل ؟ قال القاضي عياض : وإنما يتصوّر الخلاف عندي في مجرّد الذكر الخفي الذي ذكرناه ، فذلك لا يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله ! ؟ والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب ، وإن كان لاهياً فلا ، واحتج من رجَّح ذكر القلب بأنّ عمل السرّ أفضل ، ومن رجَّح عمل اللسان قال : إن العمل فيه أكثر ، لأنّه زاد باستعمال اللسان ، فاقتضى زيادة أجر[1] .

---

(١) ولأنّ فائدته تتعدى إلى السامعين فاقتضى زيادة أجر . والصحيح الأول ، لبعده وخلاصه عن الرياء . أقول : وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، كما تقدم ذكره . وأما الأذكار التى وردت فيها الأخبار والآثار كالتسبيح والتحميد والتكبير عقب المفروضات ، فلا بد من تلفظها باللسان . انتهى نووي . أقول : وكذا قراءة=

قال القاضي : فاختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب ، فقيل : تكتبه ، ويجعل الله لهم علامة يعرفونه بها ، وقيل : لا تكتبونه ، لأنّه لا يطّلع عليه إلا الله تعالى .

قال المصنف في « شرح مسلم » : الأصحّ أنّهم يكتبونه ، وإنّ ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل[1] ، والله أعلم . وقول القاضي : (وإن كان لاهياً فلا) ! مراده : فلا خلاف في فضل الذكر بالقلب حينئذ ، وليس مراده : فلا فضل فيه ، لأنّه قال قبله : وأما ذكر اللسان مجرّداً فهو أضعف الأذكار ، وفيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث . انتهى عبارته . ونقله المصنف في « شرح مسلم » . انتهى كلام ابن علان .

وفي « البجيرمي » قوله : حمد الله بقلبه ، أي : ويثاب عليه كما مرّ ، وقولهم : الذكر القلبيّ لا ثواب فيه محمول على ما لم يطلب بخصوصه ، وهذا مطلوبٌ فيه بخصوصه ، « ع ش » على « م ر » .

قال بعضهم : يؤخذ من هذا صحّة ما ذهب إليه السادة الصوفية من جواز الذكر بالقلب والثواب عليه ، بل هو أفضل من ذكر اللسان لخلوصه من الرياء ، ولو لم يكن فيه ثواب لما أمر السادة الفقهاء بالحمد به في المواضع المكروه فيها ذكر اللسان ، وهو الحق الذي ينبغي اعتقاده .

وفيه : إنّ ما قاله الفقهاء إنما هو في الموضع الذي يكره ذكر اللسان ، وأجاب الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه إلى آخر ما قال .

=القرآن والتسابيح والتكبيرات في الصلاة ، وكذا تشميت العاطس ، وإجابة المؤذن ، والسلام مع عدم العذر ، وإلاّ فبالقلب فقط . كما في الخلاء ومحل النجاسات ، كما في « الباجوري » في أداب الخلاء ، وأما غير المأثورات فجائز مطلقاً . انتهى من « الفتاوى العمرية » راجعه . (منه رحم الله افلاسه) .

(١) لعلّه عند أهل الظاهر أخذاً مما مرّ عن ابن حجر وغيره ، وليتذكره . (منه) .

ومرّ في هذه الرسالة نقلاً من عين « الفتاوى » فليتذكر .

وفي « حسب حال السالك » : الذكر قسمان :

الأول : التذكر وهو التكلّف ؛ أي : تكلف السالك على لسانه ذكر الله .

والثاني : الذكر الحقيقي ، وهو : جريان القلب بالذكر دون اللسان ، فتسمية الأول بالذكر مجازٌ من قبيل تسمية السبب باسم المسبّب ، وأكثر الناس عنه غافلون . انتهى من « فتاوى عمريّة » عبارته .

وفيه : وفي « روح البيان » : الذكر على مراتب ، والذكر اللسانيّ بالنسبة إلى ذكر القلبيّ تنزّلٌ . انتهى من عبارته .

وحاصل المنقولات والاختلافات أن أفضلية الأذكار اللسانية إنما هو عند أهل الظاهر ، وأما عند أهل الباطن فالأذكار اللسانية بالنسبة إلى الأذكار القلبيّة مما يعدونها نزولاً عن المقام الأسنى والدرجة العليا ، ولكنهم إذا تنزلوا عن ذلك المقام توسلوا إليه بالأذكار اللسانية . وفي « مرآة الحامدين » : إن ذكر اللسان لتحصيل ذكر القلب . انتهى عبارته . وأحياناً يستعملون الذكر باللسان ليقتدي بهم غيرهم ، وينتفع بهم سواهم ، وإذا تجلّى الله لهم بالمعيّة ، وحصلت لهم أعلام المشاهدة ، سقط الذكر سواء كان باللسان أو بالقلب ويعدّونه حينئذ ذنباً من الذنوب فيكون الذكر وقتئذ حجاباً راجع « جواهر القرآن » للغزالي وفي ذلك أنشدوا :

بـذكـر الله تـزداد الـذنـوب وتنـكشف الرذائل والعُيُوبُ

وترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها مغيب

وأنشدوا أيضاً :

لا يتـرك الذكـر إلاّ مـن يُـشـاهدُهُ ولـيـس يَشْهَدُهُ مَــنْ لَيْسَ يَـذْكُرُهُ

والذكر سَتْرٌ على مذكوره أبداً فحين أذكره في الحال يستره

فلا أزال مع الأحوال أَشْهَدُه ولا أزال مع الأنفاس أذكره

الأبيات من « كشف الحجاب » للشعراني .

وفيه : أنّ الذكر دليل ، فإذا جَمَعَك المَدْلُولُ سقط شهود الدليل من قلبك . انتهى عبارته .

وفي « ميزان » الشعراني :ويؤيّد ذلك قول الشبلي رحمه الله حين قالوا له متى : تستريح ؟ فقال : إذا لم أرَ لله تعالى ذاكراً ، أي لأنّ الذكر لا يكون إلا في حال الحجاب عن شهود المذكور ، فما تمنّى الشبليّ إلاّ حضرة الشهود ، لأنّها هي الّتي لا يرى لله تعالى فيها ذاكراً بلسانه اكتفاء بمشاهدته تعالى ومُناجاته بالقلب ، وحضرة الحق هي حضرة بُهْت وخرس[1] . قال الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ انتهى . وانشدوا أيضاً :

فترك الذكر أولى بالشهود وذكر الله أولى بالوجود

فكن إن شئت وُجْدان الوجود وكن إن شئت في فضل الشهود

انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٤١ : وكذا في « عوارف المعارف » في ٣٠٠ . قال بعضهم : إني أقول يا ربّ يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال ، لأنّ النداء يكون من وراء الحجاب . وهل رأيت جليساً ينادي جليسه . انتهى عبارته .

وفي « الإحياء »في ٢٤١ من الجزء الرابع أيضاً : إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية ، رَمَاهُ الخلق بالحجارة أي : يخرج كلامه عن حدِّ

---

(١) وفي نسخة زيادة : لشدة ما يطرق أهلها من الهيبة والتجلي .

عقولهم ، فَيَرَوْنَ ما يقوله جُنوناً وكُفْراً ، فمقصَدُ العارفين كلهم وصلُهُ ولقاؤه فقط ، فهي قرّة العين التي لا تعلم نَفْسٌ ما أخْفِيَ لهم منها ، وإذا حصلت انمحقت الهُمُوم والشهوات كلّها ، وصار القلب مستغرَقاً بنعيمها .

مهم

فلو ألقي في النار لم يُحسّ بها لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبُلُوغه الغاية التي ليسَ فوقها غاية . انتهى عبارته . ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم مـن نـــاره   ووُصْلُهُ أطيب من جنَّته .

انتهى منه .

وقال أبو يزيد : لو عذبني الله تعالى يوم القيمة لحبسني في جنة . انتهى . يعني : عدّه ذلك حجاباً عن الله مع أن الجنة مقصد العباد ومطلب الزهاد[1] ، والله أعلم .

وهذه أحوال أرباب المشاهدة من العارفين الذين يؤثرون التبتّل والتفرُّد والفكر والذكر حتى ينغمسوا في بحار المشاهدة ، ويَدْخلوا في جنّة المعرفة التي ثمارها غير مقطوعة ولا ممنوعة ، بل هي أبدية سرمديّة لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يَهْدِم محلَّ مَعرفة الله تعالى . قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ الآية . قال الإمام الغزالي في « الإحياء » في ٢٤٠ من عبارته : ولا تظننّ أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة ، فإن للعارف بكل نَفَسٍ دَرَجَةُ ألف شهيد . انتهى .

وفيه أيضاً : أنّ جميع أقطار ملكوت السموات والأرض مَيْدانُ العارف ، يتبوَّأ منها حيث شاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه . انتهى من عبارته .

---

(١) ووقوع الحجب عند أهل الله تعالى أشد عذاباً من دخول النار ، راجع . (منه) .

وفي « الإحياء » في ٢٢٩ من ج١ : وقال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبِّئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم ، فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ ، قال : ذكر الله عز وجلّ دائماً » انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٣٣ : فإن قلتَ : فما بال ذكر الله سبحانه مع خِفَّته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟

فاعلم أنّ تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة ، والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فأما الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليل الجدوى .

وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً ، وحضور القلب في لحظة بالذكر ، والذهول عن الله عز وجلّ مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى ،

الحضور ثمرة العبادات العملية

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام ، أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات ، بل به تشرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرة العبادات العمليّة ، وللذكر أوّل وآخر ، فأوّله يوجبُ الأنسَ والحبَّ ، وآخره يوجبه الأنسُ والحبُّ ، ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الأنس والحبّ ، **فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلِّفاً بصَرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل ، فإن وُفِّقَ للمداومة أنس ، وانغرس في قلبه حبّ المذكور** . الخ ، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله ، وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت ، فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ، ولا ولد ولا ولاية ، ولا

يبقى إلا ذكر الله عز وجل ، فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذَّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات في الحيات الدنيا تصدُّ عن ذكر الله عز وجل ، ولا يبقى بعد الموت عائقٌ ، فكأنّه خلى بينه وبين مَحْبوبه ، فعظمت غبطته ، وتخلّص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به أنسه . .الخ . وهذا الأنس يتلذَّذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقاء ، وذلك بعد أن يُبَعْثَرَ ما في القبور ، ويحصَّل ما في الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول : إنه أعدم ، فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل ؟ ! فإنه لم يَعْدِمْ عدماً يمنع الذكر ، بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة ، لا من عالَم الملكوت . .الخ . ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله ، والقلب مستغرق بالله عز وجل ، منقطع العلائق عن غيره ، فإن قدر عبد أن يجعل همَّه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صفّ القتال ، فإنه قطعَ الطمع عن مُهْجَتِهِ وأهله ومالِهِ وولده بل من الدنيا كلها ، فإنه يريدها لحياته ، وقد هوَّن على قلبه حياته في حبّ الله عز وجل ، وطلب مرضاته ، فلا تجرُّد لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى . .الخ .

وفي « بيان الأسرار » للسُهْروردِيّ قدس سره في الفصل الرابع عشر : والقلب لا ينام ولا يموت ، وهو مشغول في النوم واليقظة بحياة القلب بلا صوت ولا قيام ولا قعود ، فهو يخاطب الله تعالى بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ متابعاً للنبيّ ﷺ : قال في تفسير القاضي : في هذه الآية إشارة إلى حال العارف وانتقاله من حالة الغيب إلى الحضرة .

مهم

واستحق بمثل هذا الخطاب كما قال النبيّ ﷺ : « الأنبياء والأولياء يصلُّون في قبورهم كما يصلُّون في بيوتهم » أي مشغولون بالله ومناجاته بحيات قلوبهم . انتهى من عبارته اختصاراً .

ولقد أخبرنا ثقات أنّ امرأة مَنْسُوبَةً إلى طريقة شيخنا الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ماتت ، فوضعت امرأة على قلبها يدها ، فوجدت قلبها تتحرك ، ثم وضعت امرأة أخرى فوجدتها كذلك ، ثم وضع رجال آخرون[1] فوجدوا كذلك ، فغفر الله لها ولنا ، وأدخلنا وإيّاها في دار الجنان بفضله وكرمه آمين . فإذا وقعت المكالمة في حَقّ هذه المرأة لدى شيخنا العسليّ قدس سره استكتب منا من كتاب « مزكي النفوس » بما مُعَرَّبه هذا :

مهمات عجيبات

مات في زمان رسول الله ﷺ رجلٌ من أهل الذكر ، فأراد أصحابه أن يغسلوه ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أغسله . وقال أنس رضي الله عنه : أنا أغسله ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : أنا أغسله ، ثم قال عليه السلام : إنه كان من أهل الذكر فيغسله أهل الذكر ، فأين سلمان الفارسي ؟ فقالوا : إنه مشغول بالذكر في بيته ، فأرسل عليه السلام واحداً لِيَدْعُوَهُ إليه فقال عليه السلام له : « يا سلمان ، إن هذا الرجل من أهل الذكر ، وأنت من أهل الذكر فاغسله بحمله إلى الخلوة ، أنت من أهل التجربة[2] وهو من أهل التجربة ، ويظهر لأهل الذكر من خوارق العادات وأنت تطلع عليه ، فاغسله في الخلوة ، لئلا يطّلع عليه غيرك » ، فحمله سلمان رضي الله عنه إلى الخلوة ، وخلع

(١) وفي « تنبيه السالكين » : فوضع أخوها .
(٢) وفي « تنبيه السالكين » : التجريد .

منه لباسه ، وألقى على عورته منديله ، ثم مَدَّ يَدَهُ تحت المنديل إلى العورة ليغسلها ، فطرّد الميت المذكور يدَ سلمان من عورته ، فوقع سلمان على صدره باكياً متعجباً ، فوجد قلب الميت يذكر الله تعالى ، وإذا سمع ذلك بكى بكاء شديداً ، وتعجَّب عليه ، وقال : كيف يتحرك الميت ؟ ! وكيف يذكر قلب الميت الله تعالى ؟ ! فحينئذ فتح الميت عَيْنه ، وقال : يا سلمان ، هل يموت الكائنون مع الله ؟ ! فالذين حَيِيَتْ قلوبهم بذكر الله ، تموت أجسامهم ، ولا تموت قلوبهم ، وأنا لست بميت ، وحصل لقلبي حياة ، فتفرَّقْ منّي بعد تجهيزك إيّاي ، ثم إذا أخبر تلك الواقعة للنبيّ عليه السلام قال : « المؤمنون لا يموتون ، بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء » . انتهى .

ومما يؤيّد هذا ، ما قاله الإمام اليافعي رحمه الله تعالى ، في « نشر المحاسن » : من أن السيد الجليل العارف بالله نجم الدين الأصبهاني رضي الله عنه طلع مع جماعة جنازة بعض الصالحين ، فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يُلَقِّن الميت ، ضحك الشيخ نجم الدين ، ولم يكن الضحك عادته ، فَسُئِلَ عن ذلك ، فقال : سمعت صاحب القبر يقول : ألا تعجَبون من ميت يلقِّن حيّاً ؟ ! انتهى من عبارته .

وقال الإمام السهروردي رحمه الله تعالى في « طفل المعان » : فكما لا ينام القلب الحيّ ، فكذلك لا يموت ، كما قال النبيّ عليه السلام : « تنام عيني ولا ينام قلبي » انتهى من عبارته .

وقال فيه أيضاً : فالواجب طلب الحياة القلبيّة الأخرويّة من أهل التلقين في الدنيا قبل فوت الوقت ، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، فإذا لم يزرع في هذه لم يحصد في الآخرة ، والمراد من المزرعة أرض الوجود ، لا آفاقي . انتهى عبارته ، راجعه في الفصل الثامن في بيان شروط الذكر .

واعلم يا أخي ، أنّ الداعي إلى إكثار الكلام في حق هذا المهمّ ، كثرة القيل والقال بين علماء الظاهر ، ووُجْداني إيّاهم يتكلّمون بما رأوْهم في الكتب ، ظانّين أنْ ليس فيها سواه .

فها أنا أطنبت الكلام ، وطولت النقول والمقال في حق ذلك بالتقرير والتحرير ، فعليهم أن يأخذوها من هذه الجَرَّة(١) الصافية الدُهْنَ الخالص بلا شائبة ، فالحمد لله ربّ العالمين .

ولا يخفى أنه لم يَصِلْ أحد إلى هذه المعارف الإلهية ، والأسرار الربانية ، إلا بالأعمال القلبية ، والعمل الذي يُتَوَسَّلُ به إلى النفائس فهو نفيس . فلعلّ هذه المنقولات من كتب الثقات تكون عوناً لتحقيق ما يفعله السادة النقشبندية من اختيارهم الأذكار القلبية ، ولعلّ من يعترض عليهم من العلماء يتوب إلى الله ، إنه هو التواب الرحيم ، ولو لم يخرج عن إنكاره بعد ما تبيّن له الحق وظهر الأمر ، فلا كلام معه سوى أنْ يقال له : سلام .

وأوّل ما يحصل لهم من نتيجة ذكر هذا الاسم المبارك (الله الله) بالقلب أن يصل القلب إلى حدّ لو تكلّف بإخطار غيره لا يخطر ، ولا يجوز أن ينتقل الذكر إلى ما فوقه مدة ما لم يحصل له هذه النتيجة ، وهذا أمر متحقق لا ينكره إلا من لا يجرّبه ، فوالله لو يعلم المنكرون ما عليه هؤلاء السادة النقشبندية لضاربوهم بالسيوف ، كيف لا ؟ ! وقد يرد عليهم من لذة أحوالهم ما لو قيل لهم : اخرجوا من هذه الشغل لِتَدْخُلُوا الجنّة ، لا يخرجون ولله درّ القائلِ : لو بِعْتُ لحظة من لَذَّة سَحَرٍ بملك قارون(٢) ، في عمر نوح لكنتُ مغبوناً .

---

(١) أي : من اللبن الكائن في الجرة . (منه) .

(٢) ومع هذا للنقشبدية مقام يعدون هذه اللذة المطلوبة من الشرك ولا يفهم حقيقته إلا من ذاق . (منه رحم الله إفلاسه) .

ولقد قال واحدٌ من مريدي شيخنا قدس سره : إنِّي كنتُ لدى شيخي ، فطرأ عليَّ لذّة من غلبة الحال ، بحيث ينسى جميع اللذات بالنسبة إليها ، ثم قلت للشيخ : هل يكون في الجنة لذة مثل هذه يا أستاذ ؟ فقال لي : لو فتحت أبواب الجنان الثمانية ، ورأى جميع ما فيها من النعم ، لا تصل لذّة ذلك إلى هذه اللذة . انتهى . وهذه هي التي يسمونها (بالجنة المعجلة) رزقنا الله نصيباً منها ، ولا يُدرك كنهها إلاّ من ذاق ، وهلْ يعلم حلاوة العسل سوى من ذاق ، وكيف يظهر على السطوح غير مَنْ راق ، ولا يعرف ذا الفضل إلا من فاق ، وما بعد ظهور الشمس ضياء باق ، وقد ينكر الأعمى أنوار يوم برّاق ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ لا يجد له واق . فعلم مما ذكرناه أفضلية الطريقة النقشبندية ، وأفضلية أذكارها .

ولا شك أن مَنْ أنكرها وأنكر أهلها ، وتبدّل أذكارها بأذكار اختارها ، ومنع الناس عن الدخول في عهد أربابها ، فهو شيطان في زيِّ شيخ ، وذئبٌ من الذئاب ، ولكن عليه ثياب ، وإن كان عالماً وعليه عباء . وهذا هو الذي حذَّر منه رسول الله ﷺ في قوله : « أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان جاهل القلب » .

وقد قسم العارفون الناس إلى أربعة رجال ، وهذا الذي ذكرناه هو أحدهم وأبعدهم من الله من حيث لا يشعر ، وهَرْوِلْ يا أخي ولا تقرب منه لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ، ويحرقك بنار معاصيه التي ظنّ أنها حسنات ، ويقتلك بنتن قلبه الذي ملئ بحبّ الرياسات .

وفي بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس ، والناس لا يشعرون أنّ ذلك الواعظ شيطان . انتهى من « المنن » عبارته .

وقد لقيت واحداً منهم ، وصرّح بأنّ الدخول في الطريقة النقشبندية مما لا يجوز ، وأخبرني واحد من المعتقدين به : أنه طلب منه الرخصة للدخول في عهد الشيخ النقشبنديّ ، فقال : أنت إذاً على قصد شراء الكبريت الأخسّ بدل الذهب الإبريز .

وسمعت أيضاً هذا البعض المذكور يقول : إن شيخه في زعمه كان يقول : إنّي أريد أنْ أقتل مريدي الذي ذهب لدى شيخ آخر غيري قبل أن أقتل سلداتاً كافراً . انتهى .

وقد قال هذا الكلام مراراً في مجمع من العلماء ، فتعجّبوا به ، ولعلّه افتراء محض على شيخه ، أو كان ذلك الشيخ على حدّ الاستقامة ، وكان غيره على نهج الابتداع والضلالة بمجرد التعصّب والدعوى ، ولذلك قال ذلك تهديداً وترويعاً وتنفيراً وتحذيراً ، وإلا فلا مجال للشيخ أن يقول ذلك ، ولا أن يحجر على المريد ، وقد يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من مريده ، وأعصى وأفسق منه ، بيد أنّه ينصحه امتثالاً للأمر الإلهي ، مع شهود أنّه أحسن منه حالاً ، وأكثر متشيخة هذا الزمان يهجرون مريدَهم إذا انتقل إلى شيخ آخر ، ويحطّون فيه ، ويقولون : إنّه صار مرتدّاً . ومن هذا حاله ما مشى على قواعد أهل الطريق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وما ألذّ ما قاله الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٥٠ من الجزء الثاني ، وما أصدقه ، وما أحسنه : ومما أنعم الله تعالى به عليّ ، شهودي كثرة غِشّي لأصحابي كلما كثروا ، لأني لو نصحتهم لَفَرُّوا منّي ، ولم يبق معي إلا القليل ، وهذا الخُلُقُ قلّ من يتنبه له من الفقراء ، بل ربّما يرى مقامه يعظم بكثرة المريدين والمعتقدين ، فليتفقد الفقير نفسه ، ولا يغترّ ، لأنّه لولا مسامحته التلامذة بالإخلال بآداب الطريق ما كثروا حوله ، بل سمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : **مَنْ خطر في باله أنّ إخوانه وتلامذته أدنى مَرْتبة منه عند الله ، وأنه أعرف منهم بالطريق ، فقد خرج عن الطريق ، وهم أحسن حالاً منه** ، أي : من الشيخ ، لأنّهم لم يخطر لهم أبداً أنّه تلميذهم .

المتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له

وسمعتُ سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : متى رأى الفقير أنّ له تلميذاً دُونَهُ في الدرجة فقد ادّعى الكِبْر ، والمتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلت له : فما يُخَلِّصه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهوده أن أخاه أحسن حالاً منه ، وأكثر طاعة لله منه . انتهى .

وسمعته مراراً يقول : **من شرط الصادق أن يرى غير جماعته بالعين التي يرى بها تلامذته على حدٍّ سواء** ، ومتى رجَّح نسبة تلامذته إليه على نسبة تلامذة غيره إليه فقد خرج من مراسم أهل الطريق . انتهى . وهذا الأمر لا يتنبّه له إلا قليل من الناس . انتهى عبارته .

ولقد وقع الكلام بيننا وبين واحد يدّعي أن شيخه هو النبي ﷺ بلا واسطة ، فتفحصت من حقيقة ذلك ، فقال : إني رأيت النبيّ ﷺ في المنام ولقّنني ، وفي الحديث « من رآني في المنام فقد رآني » الحديث ، وحلف بالحلف المشدّد لدى مجمع من الناس بتأييد مشيخته بذلك الرؤيا ، فرددتُ كلامه بما في « مغني المحتاج » وغيره : أن الحكم لا يثبت بالرؤيا ، وبما في « البريقة » : لا مانع من أن يقول الشيطان : أنا رسول الله . وبما مرّ قبيل الباب الخامس .

وقلت : فما المقام الأوّل من المقامات التي شَرَطَ العارفون للأخذ عنه عليه السلام ؟ فقال : هو المحبة والجذبة ، ثم رددت كلامه بدلائل ونصوص ، وبعد ذلك لم يجد له بدّاً إلا أن يقول : لا يعمل بالكتب إلا العوام ، وأما أهل الكشف فإنما عملهم بما كشف لهم ، ويتركون المذاهب الأربعة ، فرددتُ مقالته هذا بنقول معتمدة فقال : لا يكون الوليّ وليّاً إلا إن رأى الله سبحانه في كل ليلة وكلّمه ، ورأى اللوح المحفوظ ، فمن هذا حاله لا يحتاج إلى الكتب ، ولا إلى العمل بما فيها ، ولم يقبل

كلامي ، وبعد ذلك أيّد مشيخته بكثرة الأتباع ، فقلت له : لو كان الأمر في كثرة الأتباعٍ ، لما سبق أحد في المشيخة من الشيطان ، فإنه ليس لغيره تابعٌ إلا واحداً من ألفٍ ، ثم قال : ليس على وجه الأرض أحدٌ أحقّ منّي في المشيخة ، وأقدم مني رُتْبة في الولاية ، وتكلّم بكلمات عجيبات ، ظاهرها يكفّر الرجل[1] ، والعياذ بالله . وأخبر مجاهدتَه من زمن صباه ، ومدح نفسه بكثرة الرياضات ، وشِدَّة الملازمة على الطاعات ، والزهد في الدنيا ، فلاَطَفْتُهُ بالكلام ، واعترف بأن لا شيخ له في الطريق سوى النبيّ عليه السلام ، إلى أنّه أخبر رؤياه المذكور للحاج محمد العبودي رحمه الله تعالى ، فقبّله واعتنقه بَيْدَ أنّه انتسب سلسلته إليه ، فكدت أن أبكي ندماً على ما حلّ به من هذه البلية العظمى ، بايقاع الشيطان له في هذه الورطة الكبرى ، فكلّ من كان في ذلك المجمع من العلماء تيقنوا حقيقته ، وتبيَّنوا أنّه مدّع كذّاب ، وأبعاض آخرون من الجهال[2] انتفخوا واستكبروا وفرحوا وافتخروا ، وبعض آخر من مريديه تدارك به اللطف الإلهي وتحقق بفطانته حقيقة حاله ، وقصد الانقطاع من دائرته ، وزاد شوقه للاتصال بزيل الشيخ جامع القطبتين ذي الجناحين العسلي قدس سره ، ثم بعد المفارقة من موضع المكالمة تكلّم هذا المدّعي بكلمات يحطّ بها سواه من مشائخ الديار ، ونسبهم إلى النقائص ، وعدَّ ما كنا نَرْتَكِبُهُ في حالة الشباب من المنكرات البَهْلَوَانيّة ، وظنّ أن الفضل الإلهي خاصّ بأمثاله المجتهدين ، لا نصيب منه لأحد لأمثالنا العاصين المقصِّرين ، وتكبّر علينا وعلى جميع مشائخ الطريقة بكثرة زهده ، وملازمة عبادته ، وصرّح ذلك في المجامع والمحافل ، رزقه الله الإنابة من هذه الجناية ، وهدانا وإياه إلى أحسن طريق ، بلطفه ومَنِّهِ ، إنه هو الجواد الكريم .

---

(١) وضعت في حق هذا البعض رسالة لطيفة ، ورددتُ فيها كلّ ما صدر منه من الشطحات ، وسميتها بـ« جهد المقل في ردّ شطحات المنكر المضل » فمن أراد إدراك الحق وتمييزه من الباطل فليقف عليها . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) من المريدين .

قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

صاح لا تأس إن ضعفت عن الطا ـعة واستأثرتْ بها الأقوياء

إنّ لله رحمة وأحقُّ الناس منه بالرحمة الضعفاء

فابق في العرج عند منقلب الذو دففي العود تسبق العرجاء

انتهى همزية .

قال ابن حجر في « المنح المكية » في شرحه : فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربّما أوجب لك سبق المكثر منها ، لأنّه قد يَصْحَبُك من الذل والافتقار والإخلاص ما يخلف تأخرك ، بخلاف المكثر ، قد يَصْحبه من العجب والافتخار ما يوجب تَأَخُّرَهُ . انتهى عبارته ٦٧٥ .

أخرج الطبراني عن معاوية بن حيدة عن النبيّ ﷺ أنه قال « إنّ الله عز وجلّ خلق مائة رحمة ، رحمة بين خلقه يتراحمون بها ، وادخر لأوليائه تسعة وتسعين »[1] . انتهى من « البدور السافرة » للسيوطي . والظاهر أنّ مراد الشارح بالرحمة المدّخرة العامة لمن ذكرهم هي الرحمة التي ذكرها في الحديث « بين خلقه » حاشية « حفني » على « المنح » ٦٧٤٤ .

وفيه : ومن مقام العارفين ما حُكي عن الإمام أبي محمّد النيسَابُورِي أنه دخل المسجد مرّة يعتكف في رَمَضان ، فرأى المتعبِّدين يجتهدون ، والقرَّاء يقرؤون ، فقطع الاعتكاف وخرج ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : لمّا رأيتُ تعظيمهم بعبادتهم ، واعتمادهم عليها دُونَ الله ، لم يسعني إلاّ الخروج ، خوفاً من نزول البلاء عليهم . انتهى من عبارته ٦٧٥ ، وفي « المنح المكية » أيضاً : فقد يُنتج القليل ما لا يُنْتِجُهُ الكثير ، بواسطة مزيد إخلاص وانكسار . انتهى من صحيفة ٢٧٦ راجعه .

---

(١) وفي كتاب آخر : « إنّ الله عزّوجلّ خلق مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، فبها تعطف الوحوش على أولادها وأخّر تسعة وتسعون إلى يوم القيامة » .

قال الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٧٧ من ج ٢ : **وقد أجمع العارفون بالله تعالى ، على أن العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين ، فلا يصحّ له دُخُول حضرة الله تعالى أبداً ، لأنّها محرّمة على مَنْ فيه شيء من الكِبْرِ بإجماع** . انتهى عبارته .

شرط العمل الصالح

وقال في « لواقح الأنوار القدسيّة » في ١٧٧ : من شرط العمل الصالح ، أن لا يرى نفسه على أحد من خلق الله تعالى ، فمتى رأى له به فضلاً على أحد خرج عن كونه صالحاً . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : الظهور يقطع الظهور ، ورُبّما استوفى من أظهرَ صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلّها ؛ من كثرة الاعتقاد فيه وقضاء حوائجه ، وإرسال الهدايا له ونحو ذلك ، فيذهب إلى الآخرة صُفْرَ اليَدَيْنِ من الأعمال الصالحة . انتهى عبارته .

ولا يخفى على كل عالم أنّ الذنب قد يكون للعَبْدِ خيراً من طاعته لئلا يعجب بعمله ، ولو كان هذا العابد الزاهد المدّعي المذكور قد وقع في المعاصي لما ادّعى هذه الخلافة العظيمة بهذه الأكاذيب ، ولما جرّ الناس إلى جانبه بذكر هذه الأعاجيب ، فإنه سامحه الله تعالى لم يعرف أن صورة الطاعة قد تكون مَعْصِيَةً ، فأيّ معصية أكبر مما طرّد به إبليس عليه اللعنة عن باب الله تعالى بسببه ؟ ! كما هو مذكور في كلام الله عز وجلّ .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٦٦ : أخذ علينا العهد من رسول الله أن نُرَغِّبَ جميع أهل المعاصي في التوبة ، ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابوا ، وأنه لا يتعاظم عليه تعالى ذَنْبٌ أن يغفره ما عَدا الشرك ، ونلين لهم الكلام ، ونحسن إليهم كل الإحسان ، حتّى يحكوا ذلك لِرفقَتِهِمْ في المعاصي ، فلعلّ قلوبهم تلين بالتوبة ، وكذلك

لا نؤيِّس أيضاً أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظ السيادة ، ونراهم أطهرَ منّا قلباً ؛ لأنّهم قَريبُوا عَهْدٍ بتوبة ، وهي تجبّ ما قبلها من الذنوب بنصّ الحديث ، بخلافِنا ، فرُبَّما كان أحدُنا بعيدَ عهْدٍ بالوقوع في معصية ، أو كثير الطاعات المتوالية ، فيقول في نفسه : بَعِيدٌ أن الله تعالى يُعذِّب مثلي ، وغاب عنه أنّه في تلك الحالة من أبْعَدِ الأبعَدِين عن حضرة الله عزّ وجلّ ؛ لعدم انكسار قلبه ، وأن الله يقول : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » أي : من أجل مخافتهم لأمري ، ودخول النقص في طاعاتهم ، فهم لا يَرَوْنَ لهم وَجْهاً عندي .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص يقول : إنما بَدَأَ الإمام القشيري في رسالته - لمّا ذكر رجال الطريق - بابن أدهم والفضيل بن عياض ! تقويةً لقلب المريدين ، لكَوْن ابن أدهم والفضيل سبق لهما زَمَنٌ قَطِيعَةٍ ، فكأن الشيخ بذلك يقول : إنّ مَنْ سبقت له العناية لا تضرّه الجناية ، حتى لا يستبعد المريد الذي سبق له زمن قطيعة ، بكثرة الفتح عليه من الله ، ومحو تلك الذنوب كلها . انتهى .

مطلب مهم

كمال المرشد وُقوعه في البداية ولو في نيَّة المخالفات

وسمعته مرة أخرى يقول : كل من لم يذق من الفقراء مَرَارة القطيعة لا يَعْرف مقدار حلاوة الوِصال ، فكان من كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يُؤهِّله لِتَرْبِيَةِ المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره ولو في نيَّة المخالفات ، وذلك ليَصيرَ عنده حلمٌ على العُصات ، وصَبْرٌ على تقويم عوجهم ، وأيضاً أنّه بوقوعه في المعصية يَزُولُ عنه الإعجاب بعمله ، ويعرف سَعَة حلم الله عليه ، ويقوم بين يَدَيْهِ بالذلّ والإطراق والأدب الذي هو مَهْرُ دُخُول الحضرة الإلهية ، ولو أنّه لم يسبق له معصية لم

يَعْرف ذلك ، وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله ، كما هو مُشاهد فيمن تربَّي على تورُّع ، وعَدَمِ ابتلائه بشيء من القاذُورات ، فتراه يرى الخلق كلّهم هالكين إلاّ هو ، هذا عَيْنُ الكبر الذي أدخل به المتكبرين النار .

ويؤيّد ذلك حديث العابد الذي عبد الله تعالى في جزيرة في البحر خمسمائة سنة ، وأن الله تعالى يقول له يوم القيامة : ادْخل الجنّة برحمتي ، فيقول : يا ربّ ، بل بعملي ، فيقول الله تعالى للملائكة : قايسُوا بين عبادته الخمسمائة سنة ، وبين نِعْمَةِ البصر ، ففعَلُوا ، فرجحت نعمة البصر ، فأمر به إلى النار ، فقال : يا ربّ ، أدْخِلْني برَحْمَتِكَ ، فأدخله .

مطلب : حكم المعاصي حكم الزبل

وسمعت أخي أفضل الدين يقول : حكم المعاصي حكم الزبل الذي يوضع في أرض شجر الفواكه ، فيحلِّيها ويطيب طُعْمها ، أو كحكم الأنفحة للبن ، فإنه مع حلاوته وطيب طُعْمه يحتاج إلى الأنفحة المنتنة الخبيثة الطُّعم لِتُثْبته ، وتصونَه عن الفساد . فعلى العاقل أن يتفكَّر في حكم مصنوعاتِ الله تعالى عزّ وجلّ ، ويعطي كلّ فعْل حَقَّه على الميزان الشرعي .

حكاية مهمة

وقد مكث شخصٌ من أهل الجدال في سُوق أمير الجيوش في حانوتٍ ، فصار يُنْكر على أهل السوق من تُجَّار ودلاَّلين ، ويحكم ببُطلان بَيْعهم وشرائهم ؛ بأشياء لم ترد صريحة في الشريعة ، ممّا يخفى على كثير من الناس ، فشَكَوْا ذلك لي بحَضْرة أخي أفضل الدين ، فقلت لهم : إن شاء الله أُكَلِّمه لكم ، فقال أخي أفضل الدين : الكلام لا يُؤَثِّر في مثل هذا ، إنما يؤثر فيه صدمَةٌ إلهيّة ! ففي تلك الليلة وجدوه مع جارية جاره ،

فقبضوا عليه بالوالي ، وأرادوا يَجْرسونه[1] بها وهي راكبة على ظهره ، فاجتمع عليه التجَّار والدلاّلون ، وشفعوا وخلَّصوه بعد علقة شديدة ، وغرامة فلوس ، فمن ذلك اليوم سكت عن الإنكار ، وصار هو يطلب منهم السكوت عنه ، فقال سيدي أفضل الدين : **وعزَّة ربّي هذه الذلّة أنفع له من عبادته التي كان يتكبّر بها على الناس .**

فإياك يا أخي وتَنْفير مَنْ تاب من العصاة بكلامك الجافي ، وعدم إحسانك إليهم ، فإنّ إبليس ربّما قال لهم : أيّ فائدة لكم في صُحْبة هؤلاء الفقهاء ؟ ! وتَرَكْتُمْ أصحابَكُمْ الذين كانوا يحبّونكم ، ويسترون عليكم زلاَّتكم ، وجئتم إلى مَنْ يحتقركم ويزدريكم ويكشف عَوْراتكم ، ويجيء لكم بحيلة الوالي ، فإذا صَغَوْا إلى كلام إبليس طَلَبُوا الرجوعَ إلى حالتهم الأولى ضرورة ، فَرغِّبْ يا أخي مَنْ تاب من إخوانك في التوبة كلّ الترغيب ، وأَحْسِنْ إليه كلّ الإحسان ، واذكُرْ له ما وَرَدَ في قبول التوبة من الآيات والأخبار ،تَكُنْ حكيم الزمان . والله يتولّى هداك . انتهى عبارته .

ولقد طَوى هذا العارف الشعْراني قدس سره في هذه العبارات عدَّة منافع ، فعلى المتفطِّن البصير أنْ يتدبَّر بما فيها كلّ التدبُّر ، ولا يأمَنَ من مكر الله ولو كان على عبادة الثقلين ، ولا ييأس من رحمته ولو بلغت الذنوبُ عنان السماء ، فالحمد لله ربّ العالمين .

وسمعت شيْخَنا العالم الرباني والعارف الصمداني ، الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يوصي مُريديه بالدعاء له ، بل رأيتُهُ يقبّل على يد بعض مريديه ، وكان قدس سره يقوم دائماً إذا جاء لديه مريدُه ، وكانت عادته أن يُشَيِّعه قليلاً حين يرجع مِنْ لَدُنْهُ ، وكان يخدم بنفسه ، وهذه الأخلاق المرضيّة تشعر بأنّ صاحبَها يرى نفسه في نظره أقلّ من مريده . فجزاه الله عنّا وعن أهلنا خَيْرَ الجزاء ، ورزقه العافية إلى يوم اللقاء ، آمين .

---

(١) أي : يفتضحون .

وقد سمعته ﷺ **يُصرِّح بأنّه يكون خائفاً من أن يكون من الذين يأمرون الناس بالبرّ ويَنْسَوْنَ أنفسهم** ، كان يقرأ قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ وقوله ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ ، وقوله تعالى لداود عليه السلام « عظ نفسك فإن اتعظت ، وإلا ! فاستحي مني » . وقراءة هذه تشعر ما رسخ في قلبه من رؤية حقارة نفسه ، وعظمة خوفه من مولاه .

وسمعته ﷺ يقول : لو أكبّ جميع الناس على عُتْبَتِي أو رجع جميع مَنْ في دائرتي إلى شيخ آخر لا أبالي بهما ولا أتأثر . فالعياذ بالله من التفرقة بينهما . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول : الأنانية هي التي تمنع الرجل من الارتقاء إلى المقامات ، ويسقط بها من الأحوالات . انتهى .

وأخبرني واحد من أخصّ أصحابه أنه قال له : إنّي أريد لو كنت مريداً ، والمريدون يريدون أن يكونوا شيوخاً .

وكان ﷺ يُهَدِّدنا بالإشارة من طلب المريدين ، وطلب الشُهرة ، ولم أسمعْ منه قطّ ولو كلمة واحدة فيها رائحة كبر وإعجاب ، بل كان سُدَاهُ ولحمتُهُ تواضع وخشوع ، وله مريدون علومهم كالجبال الشامخات ، ومعارفهم كالأمطار الجاريات ، وأنا لم أسمَعْهُ يذكرهم ولو مرة ، بل إنما عَرَفْتهم من جهة أنفسهم . رزقه الله التوفيق للتخلّق بأمثال هذه المحامد يوماً فيوماً ، آمين . ولا هكذا[1] أحوال أهل الدعوى من رجال هذا الورى في عصرنا هذا .

ولقد لقيتُ واحداً منهم ، فسمعْتُهُ يقول : إنّ من مريديه مَنْ يجتمع مع الخضر عليه السلام ، ومنهم مَنْ يرى بعينيه النبي ﷺ ، ومنهم مَن يذكر الله تعالى ستين ألف مرّة في الملوين . انتهى .

---

(١) أي : كقواعد أهل الطريق . (منه) .

وسمعته يقول : إنه شيخ ديار كذا وكذا وإقليم كذا ، أي : قال ذلك على قَصْد المَدْحِ والثناء ، ظانّاً منه أنهم بذلك القول يعتقدونه .

وسمعته يقول : إنّ له إذناً من طرف أربعة مشائخ ، ومع ذلك قد وَجَدْته عند التجربة لم يضع قدماً واحداً في موضع الإرادة ، فضلاً عن موضع المشيخة ، حتى أنّي وجدته لا يعرف مواضع اللطائف وما هي ، وما كيفية جريان الأذكار بها ، مع أنّه يدّعي أنّه شيخ نقشبندي ، وقد أَقْبَلَ إِلَيَّ إقبالاً أكيداً ، وطلب منّي أن أكونَ مريداً له ، فلاطفته بالقول ، وأَلَنْتُ له الكلام ، لأسارق أحواله تدريجاً ، وأقرَّني آخراً أنه لا يعلم قواعد النقشبندية ، وآل أمرُهُ إلى أن يَرْجع إلى العتبة العليّة ، صاحب المعارف السنية ، سيّدي الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ، ووعدني بذلك ، والله أعلم بحقيقة ما سيقع في حقِّه ، غفر الله لنا وله ، وسامحنا وإيّاه بجاه نبيّه عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التحيّات ، آمين . فكم وكم مرَّاتٍ طَرَّدوا الناس عن أبواب الصادقين ، وكم وكم بليّة أفشَوْا في هذا الورى في حقّ هذا الدين السليم ، فوالله إنّهم ألفَوا أمثالهم مكبّين على هذه المفاسد ، ظانّين أنهم هادُونَ مهتدون ، وهم على آثارهم مقتدون ، يعتقدون أنهم إلى ربّهم يرشدون . كلاّ وكلاّ ! بل إنهم ليصدّونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون ، عافاهم الله أنّى يؤفكون .

وزعم بعضهم أنّهم من السادات القادرية ، لمّا عجزوا عن فهم اصْطلاحات السادات النقشبندية ، ويفعلون أموراً لم يرد بها نصٌّ ولا حديث ، حاشا عن صدورها من السادات ، وما ذلك إلا بمجرّد جَلْبِ ما عند الناس من هذه الفانية ، ولا يَدْرون أنّ ذلك أشدّ من قبضة النار ، وخَرَط القتاد دونه ، ويكثرون بهذه المموهات سوادَهم ، ويزعمون أنهم على شيء ، وأنّهم إلى الله راشدون . وزعم بعضهم أنّهم أويْسيّون لما عجزوا عن الجواب إذا سئلوا : من أين أخذوا الطريقة ، وإلى أيّ شيخ

انتسبوا ؟ مع أنّهم لا يدرون معنى الأويسيّة ، وكيف التلقّي مع الروحانيّة ، وبأيّ شيء صَدَّرُوا طريقتَهم من الروحانية ؟ فما مَبْدَأ طريقتهم وما منتهاها ؟ ومتى يستحق للإذن والتصرف ؟ وما اصطلاح الروحانيّين في تلقينهم الطريقة ، ولازم أن يكون التلقين مُرْتَبِطاً بالنبيّ ﷺ فإن كنت في شكٍّ ممّا قلناه فاسألهم عن هذه الأشياء ، وجَرِّبْهم ليطمئنّ قلبك بمَعْرفة ما عندهم ، فلعلّهم لا يدرون عن أيّ شيء يجيبون ، بل إنّهم لا يكادون يفقهون قولاً ، وهم عن أمر ربّهم معرضون ، وإنّهم في رَيْبهم يتردّدون ، وبالمَجْهول يعملون ، وفي غفلتهم يَعْمهون ، وعن دخول الناس في طريق الله يطردون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وورد إليّ من طرف أخينا العالم الرباني ، مير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي النّزبكري النقشبنديّ مكتوبٌ ، وكان فيه هذه العبارات : ثم اعلم يا أخي في الدين ، ومُوَاخى في طلب اليقين ، أوصيكم عن المخالطة مع هذه الطائفة يعني : المتشيّخين بنفوسهم بالدعوى وأحذّركم منهم ، لِمَا أنّ أكثر الفتن في هذا الزمان في الدين والدنيا منهم ، وثُلْمَة الإسلام بهم ، والجهلاء يتمايلون معهم تمايل الغصن ، والنفس أمّارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين ، وإيّاك والمجادلة معهم ، والاستماع لخزَعْبلاتهم ، والوثوق لأحد في حقّهم ، والقرب معهم ، والنصيحة لهم ، فإنهم لا يُطِيُعون لأحد ولو أوحي إليهم من ربّهم ، إلى آخر ما قال قدس سره .

ولقد صعد[1] واحدٌ منهم على منبر ، ووعظ الناس ، وقال في أثناء وعظه : لا يجوز أخذ الطريقة ، ومع ذلك علّم هو الأذكار ، ولقّن الأوراد لمن جاء لديه في تلك القرية بما اختار في رأيه ، وتشيّخ على الناس ،

---

(١) وهو الذي مرّ ذكره ، وأيّد شيخوخته بكثرة الأتباع ورؤية النبيّ عليه السلام في المنام . (منه) .

وصار في اعتقادهم كالقطب ، لكنّ المتدبر[1] العاقل علم بالنظر إلى مخالفة قوله أن ذلك الواعظ ليس شيخاً ، بل هو متشيّخ متصنع .

وقد أخبرني بعض العلماء ، ممّن أَثِقُ به رحمه الله تعالى ، أنّ واحداً من مريدي هذا المتشيخ المذكور حلف بطلاق زوجته طلاقاً بائناً ؛ أنّ ما يفعَلُهُ شيخنا العسليّ قدس سره من تلقين أذكار الطريقة النقشبندية ، وما يفعله مريدوه من الامتثال بما أمرهم به فهو مما لا يجوز .

وهكذا كان واحدٌ ممن يتشيّخون ، قال لواحد من العلماء : افعل كذا وكذا ورداً ، واقرأ سورة الإخلاص كذا وكذا مرة ، من غير أن يطلب ذلك العالم منه ، وكان من المتفطنين العارفين أحوال المشائخ وأوراد طريقتهم ، فلذا لم يمتثل بما أمره هذا المتشيّخ ، ثم بعد زمان أخذ الطريقة النقشبندية من واحد من المأذونين وفعل الرابطة إلى الغوث الأعظم محمود الفعال قدّس سره ، فتكلّم ذلك المتشيّخ خلف هذا العالم بكلام جاف توبيخاً له وعتاباً في مجمع من الناس ، ثمّ بعد ذلك أرسل إليه مكتوباً يصرّح بأنّ ذلك العالم صار[2] من المجرمين ، يعني : لمجرد دخوله في تلك الطريقة ، وقد رأيت ذلك المكتوب بعيني رأسي ، وسلمته إلى يد العلماء الربانيّين فتعجّبوا به وبكاتبه ، وحكموا بالنظر إلى جميع ما فيها من الكلمات التي كالأعاجيب بأن ليس ذلك الكاتب من أهل الذوق والوجدان ، غفر الله له ولنا ، آمين .

ولا يخفى أنْ ليس هذه من أحوال أهل الطريق ، وأخلاق أرباب التحقيق ، عصمنا الله تعالى من أمثال ذلك بمنّه وكرمه .

---

(١) أي : من آحاد أهل تلك القرية . (هامش الأصل) .

(٢) وسبب ذلك أن هذا البعض كان يظن أن ذلك العالم المذكور صار من مريديه ، وأنه يمتثل بما أمر به . (منه) .

ولو لم يكن فيما فعلوا إلا طرد الناس عن أخذ الطريق الحق عن الكاملين المكملين لكان الأمر عليهم سهلاً ، ولكن تلقينهم الذكر المختار في رأيهم خلاف ما ورد عن رسول الله ﷺ ، ووصل عنه إلى المشائخ معنعناً مسلسلاً لمجرد جلب الناس إلى جوانبهم طمعاً بما في أيديهم ، أو حبّاً لاشتهارهم بينهم ، فذا أشدّ وأبغض ، وبذلك الذكر يهلك المنتسبون إليهم من حيث لا يشعرون ، ولا تحصل لهم النتيجة ، ولا يصلون ، ويتعدّى إليهم جميع ما في بواطنهم من المذمومات ، لأنّ للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية والطبيعة سارقة ، ولا يتدبرون ما يترتّب على ما فعلوا ، بل يظنّون أنهم على إحياء الطريقة قائمون ، وعلى انتشار الدين مجتهدون حاشا ذلك وكلا ! فسيعلمون أيّ منقلب ينقلبون ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ .

الباب الخامس عشر

في بيان النقل الصريح من كتب أهل التحقيق

لإهلاك الذكر(١) – الملقن المأخوذ من غير أهل التلقين – من يذكر به

قال الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : وقد وقع أن الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرة : يا عيسى قل : لا إله إلا الله ، فقال عيسى عليه السلام : أقولها لا لقولك لا إله إلا الله ، فرجع الشيطان خائباً .

وإنّما قال : لا لقولك ، لعلمه عليه السلام أن الشيطان ليس غرضه إلا أن يجهِّل الخلق الخواطر الربانية ، ويأخذوا منه . انتهى عبارته . ومثله في « خزانة العلوم » فافهم منه وتدبّره .

---

(١) إضافة إلى الفاعل .

وقال نجم العرفان الحافظ سيد أحمد بن المبارك ، عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدباغ ، رزقنا الله تعالى من معارفهما نصيباً في كتاب « الإبريز »[1] .

مهم

وسمعته ﵁ يتكلم على أسمائه تعالى ، وعلى الذين يذكرونها في أورادهم ، فقال ﵁ : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضرّتهم ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ فقال ﵁ : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحانه وتعالى ، فإذا أردت أن تذكر الاسم ؛ فإن كان مع الاسم نوره وأنت تذكره لم يضرّه ، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب العبد من الشيطان ، حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً ، وهو في حضرة الحق دائماً ، وإذا أراد أن يعطي إسماً من أسماء الله الحسنى لمريده أعطاه ذلك النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضره ، ثم إنّ النفع به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ، فإن أعطاه بنيّة إدراك الدنيا أدركها ، أو بنيّة إدراك الآخرة أدركها ، أو بنيّة معرفة الله تعالى أدركها .

وأما إن كان الشيخ الذي يلقِّن الاسم محجوباً فإنّه يعطي مريدَهُ مجرّد الاسم من غير نور حاجب فيهلك المريد ، نسأل الله السلامة . **فقلت** : فالقرآن العزيز فيه الأسماء الحسنى ، وحملتُهُ يَتْلُونه ويتلون الأسماء الحسنى التي فيه دائماً ولا تضرّهم ، فما السبب في ذلك مع أنهم لا يأخذونها من شيخ عارف ؟ فقال ﵁ : سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد ﷺ أرْسَلَهُ الله بالقرآن لكلّ من بلغه القرآن من زمانه ﷺ إلى يوم القيامة ، فكلّ تالٍ للقرآن فشيخه فيه هو النبيّ ﷺ ، فهذا سبب حجب حملة القرآن

---

(١) وهو كتاب نفيس لم أرى إلى الآن مثله فلله درّ مؤلّفه .

نفعنا الله بهم ثم هو ﷺ لم يعط لأمّته الشريفة القرآن إلا بقدر ما يطيقونه ويَعْرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها ، ولم يعطهم القرآن بجميع أسراره وأنواره وأنوار الأسماء التي فيه ، ولو كان أعطاهم ذلك بأنواره لما عصى أحدٌ من أمّته الشريفة ، ولكانوا كلّهم أقطاباً ، ولما تضرّر أحدٌ بالأسماء قطّ . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ السلوك في الطريق لا يكون إلا بواسطة الذكر ، وهو لا يفيد إفادة تامّة إلا إذا أخذه من تلقين مرشد كامل لسرٍّ في التلقين يعرفه أهله ، ولعله هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يُعْطي الاسم بنوره فيعمل في تنوير القلب عمله ، وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير ، حتى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ، ولو لا ذلك لهلك من وطأ عليه في الحال . انتهى عبارته[1] في ١١ .

الباب السادس عشر

في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد

وبيان أن شرط الذكر النافع أخذه من أهله

قال صاحب « المجالس الإرشادية » من المجلس السادس والخمسين : فإن قيل : هل يجوز الذكر بلا إذن ولا انتساب إلى الشيخ ؟ **قلنا** : الأفضل الإذن والانتساب إلى شيخ مرشد إن وجد ، وإذا لم يوجدْ فجائز . انتهى عبارته .

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : فليتدبره فليستنبط منه ، والله وليّ التوفيق وهو يتولّى الصالحين .

المعنى في هذا ما مرّ آنفاً ؛ أنّ كلّ تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي عليه السلام فافهم .

وفي شرح « تائيّة السلوك » **أن شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريدون من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ ، ولقّن الصحابة التابعين ، ولقّن التابعون المشائخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم الساعة** . انتهى عبارته . وهكذا في « المتممات » و« النور الساطع » .

وفي « جامع الأصول الأوليآء » : أنّ الذكر لا يفيد فائدة تامّة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً . انتهى عبارته .

ولا تحصل تصفية القلب بالأذكار السلوكية إلا إذا تلقَّنها من شيخ عارف . انتهى عبارته راجع « المتممات » .

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : هل يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ واستاذ ؟ قلت : نعم ! يمكن إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية كمثل مُرْكَب الرحى يظنّ أنه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة ، مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وفيرة . انتهى عبارته .

وفي « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء » : وكما أنّ الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون رُتْبة فوق غيرهم ، كذلك جعل لِمَا يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأنّ ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليّة ، وإشاراتهم سَنيّة ، حتى يكون للقرآن أثرٌ عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وحَلاوة ، وللمواعيظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوارٌ ونفع متظاهر . انتهى عبارته في ١١ .

إذا لم يأخذ الإنسان الذكر من شيخ مرشد لا يستحضره عند الموت

وقال العلامة الشيخ محمد بن يحيى التادني الحنبلي رحمه الله في « قلائد الجواهر » : قال سيدنا الشيخ عبد القادر ﵁ : إن الإنسان إذا لم يكن تلقّن الذكر الشريف الذي هو التوحيد من شيخ مرشد له نسبة متّصلة بالنبي عليه السلام وإلا فبعيدٌ أن يستحضره عند الحاجة إليه في وقت مصيبة الموت . ولهذا كان الشيخ ﵁ كثيراً ما ينشد :

مليحة التكــرار والتثنّــي لا تغفلين في الوداع عنّي

وقال علي ﵁ هذه الأبيات :

إذ المَرْءُ ربّــى نـفـسـه بــمُـرَاده لــقـــد شـاد بُنْيـانـاً على غير أسِّه
ومـــن لـم تربّه الـرجــال وتُسْقِـهِ لـبـانـاً لـهم قَدْ ردّ من ثدي قدسه
فذاك لقيــط مـا لـه نسبة الــورى ولـــن يـتـعـدّى غـيـر أبناء جنسه
إذ المرءُ لم يرتد رداء من التُــقـى عـلـى يـد أسـتـاذ خـبـيـر بـنفسه
يُريـه رعــونـات النفوس وكيدهـا ويشهده المحجوب عـنـه بـحـسّه
ولم يك مجذوباً عــلـى يـد قـدرة وتـحـفـظه الألطاف من غير لُبْسه
ويَبْدو له المكنون مـن سرّ كَـوْنـــه وتجلّى له الكأسات في حال أنسه
ويحسن منه الخَلق والخُلْق والحجى ويـــثـمـر مـعـنـاه بـــإيناع غرسه
فذاك لعمري ناقص الحظّ عـاجـز يـريـد سـبيلاً وهـو يـأتي بعكسه
أقل مبادي القـوم أن يـك هـكـذا ومَـنْ جـاء بـالـبهتان راح بجنسه

انتهى .

الباب السابع عشر

في بيان أن الأخذ من الناقص مضر للآخذ والناقص كليهما ، وفي ذكر المواعيد الماثورة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى ، وفي بيان من يصلح للإرشاد ومن لا يصلح له

ولقد علم أنّهم أجمعوا على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً يرشده[١] ، حتى قال الإمام الأوحدي محمد علي الچوخي رحمه الله في « الفتاوى » مجيباً لمن سأله .

أقول : والذي نفعله هو اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ، ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه في سفر الحج ، فراجعه .

وفي وصايا الشعراني : فاطلب لك شيخاً يرشدك ولو كان بينه وبينك بعد المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » عبارته . لكن يجب أن يكون ذلك الشيخ المرشد مأذوناً بالإذن الصريح من قبل شيخه الكامل ؛ بأن يرشد ويلقن على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم أجمعين . ولا يجوز أن يتصدّر لمن لا استناد له إلى السلسلة العليّة ، لما قيل : الإسناد من الدين ، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، والإسناد سلاح المؤمن ، والإسناد سنّة من السلف . قال أحمد بن حنبل[٢] : وأخذ الطريق من الناقص مضرٌّ للطالب ، كما قال الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني قدس سره ، ويضرّ الناقص لأنّه قال[٣] في « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ من سورة يوسف : ولو كان الشيخ والعياذ بالله غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمة من غير

---

(١) وفي نسخة : وقال الشعراني : وقد أجمع أهل الطريق . . .الخ .

(٢) وفي نسخة : انتهى من « فتاوى العمرية » .

(٣) وفي نسخة : لما في « تصديق المعارف » .

أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ، ويسلب أوصافه الشريفة ويقدّمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرّب . انتهى عبارته .

من لم يتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرحمانيّ ، وادعى لنفسه الكمال فهو زانٍ .

وقال في « روح البيان » : إنّ من لم تتصل نسبته المعنويّ بواحد من أهل النفس الرحمنيّ ، وادّعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالكٌ لأنّه ولد الزنا .

وربّما يكره بعض أهل الطلب على التردّد لباب أهل الدعوى ، ويصرفه عن أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً ، واتباعاً لهواه ، فهو إنما يُكْرِهه على الزنا ، لأنّه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرءُ هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة ، نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى كلام « روح البيان » .

وفيه أيضاً في سورة الفرقان ، وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنويّة ؛ وهم المشائخ المدّعون ، والدجالة المتصنعون ، فإنّهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً ، فإنّ الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان للعبد مدخلٌ في إفادة الخلق بالعلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يُرْقي غَيْرَهُ من الجهل إلى المعرفة ، وأنشأه بنشأة أخرى ، وأحياه حياة طيبّة بإذن الله تعالى ، وهم رتبة الأنبياء[1] .

وفيه أيضاً في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفيّ قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام

---

(١) وفي نسخة : وهم رتبة الأنبياء ، ومَنْ يَرِثُهُمْ من العلماء العاملين . انتهى .

الدنيا عذابهم أشد من عذاب النساء الزانيات ولدْنَ أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهنّ سبعين مرّة . فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدّعين ما لم يتحقّقوا به ، يضلّون الناس بالأكاذيب ، ويرون أساليب ليس فيها أثر المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام « روح البيان » عبارته .

وفي مكتوبات محمود الفعال أفندي : وقال في « عوارف المعارف » في فصل شرح رتبة المشيخة : إن الصالحين ، والسالكين ينقسم على أربعة أقسام :

سالك ، ومجذوب ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك ، **فالسالك المجرد لا يؤهَّل للمشيخة** ، ولا يبلغها لبقاء صفة نفسه عليه ، فيقف عند حظِّه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة ، **والمجذوب المجرّد من غير سلوك لا يؤهّل للمشيخة** ، فيقف عند حظّه من رحمة الله تعالى ، **والسالك الذي هو متدارك بالجذبة يؤهّل للمشيخة** لأنّه أخذ في طريق المحبّين في حال من أحوال المقربّين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ، ويمكن للأتباع أن ينقل منه إليهم علوم ، ويظهر بطريقته بركة ، ولكن قد يكون محبوساً في حاله محكماً حاله فيه ، لا يطلق من وثاق الحال ، ولا يبلغ كمال النوال ، يقف عند حظّه ، وهو حظٌّ وافر ، وأمر ثنيٌّ قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ،

ولكنّ المقام الأبلغ الأكمل في المشيخة القسم الرابع : **وهو المجذوب المتدارك بالسلوك** ، يبادئُهُ الحق بالكشف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ،

وينفسخ ، ويتجافى عن دار الغرور ، وينسب إلى دار الخلود ، ويرتوي من بحر الحال ، ويتخلّص من الأغلال والأعلال ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء ، بل بلذة وهناء ، ويكسو قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحبِّ ربّه ، ويلين جلده كما لان قلبه ، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيريده الله تعالى إرادةً خاصة ، ويرزقه محبّةً خاصّةً من محبّة المحبوبين المرادين ، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أنّ الجلود تلين كما أنّ القلوب تلين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . انتهى كلام « المعارف » بأدنى اختصار .

لكنّ الكلام والحكمة مملوّ فيها ، لأنّ شيخنا وسيدنا ممّن وافق اسمه مسماه ، وهو أعلم في هذا الباب جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة ، بأنّ يدَه يد شيخه . انتهى كلام المكتوبات .

وقال الإمام المعصوم في مكتوباته ما حاصله : حرّر أنّ من أذن شيخه له في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين ، وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا ، تلقين الذكر وتربية المريدين ؟ **فالجواب** : إنّ الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى .

الباب الثامن عشر

في بيان السبب لعدم اعتقاد الناس في الشيخ الكامل ولاعتقادهم في المتشيخ الناقص

وفي بيان كون الأمور كلّها تابعة لاعتقاد المريدين لا للمشائخ ولو كانوا من أقرب المقربين ، فلقد وجدنا هذا الخلق لا يفرّقون بين المحقّ والمبطل ، وبين الصالح للإرشاد وغيره ، بل وجدنا أكثرهم يميلون إلى جوانب أهل الدعوى[1] ، ويأخذون منهم ما لا أصل له في طريقة ما من الطرق ، ولا يقربون إلى أبواب أرباب الكمال والتكميل زاعمين أنهم ليسوا بمقام مريدٍ من مريدي أشياخهم في زعمهم .

وأظنّ - والله أعلم - أنّ سبب ذلك كون الكامل كصورة العوام لا يتميّز منهم ، ولو بشيء من الأعمال والأقوال ، وهذا[2] حاله في الظاهر ، لأنّ نهاية كل عارف ترجع إلى صورة بدايته . كذا في « المنن » .

وقد يتلوّن الشيخ بحسب الجالسين معه .

وفي « الذهب الإبريز » : إن الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونيّاتهم ، فمن صفتْ نيّته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق ، ومن خَبُثَتْ نيَّته كان على الضدّ من ذلك ، وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح ، والوليُّ بمنزلة المرآة التي تتجلّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمالٌ ودلالةعلى الله فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليراجع على نفسه .

---

(١) ومن أراد أن يدرك معنى هذا الكلام فعليه الرجوع إلى « لطائف المنن » من صحيفة ٢٣ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) أي : كونه كصورة العوام . (هامش الأصل) .

مطلب مهم

قال ﷺ : وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليّ سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنُّون أنه على شاكلتهم ، وليس كذلك حتّى أنّه يتصوّر في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنّون أنّه شارب الخمر ، وإنّما تصوَّرت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما ظهرت ، وفي الحقيقة لا شيء ، وإنّما هو ظلّ ذاته . تتحرّك فيما تحرَّكوا فيه ، مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلَّمت ، وإذا أخذت في الأكل أكَلَتْ ، وإذا أخذت في الشرب شربت ، وإذا أخذت في الضحك ضحكت ، وإذا أخذت في الحركة تحرَّكت ، وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره ، لأنّها ظلّ ذاتك ، وليست بذاتك الحقيقية ، فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظل ذاته ويجعل يرتكب ما يرتكبون ، والله الموفق . انتهى عبارته ٢٢٠ فتدبره ، فإنّه كلام نفيس قلّ من يتفطّن له في هذا الزمان .

وفي « الفيوضات الإحسانية » : روي أنّ محمود الغازي دخل على الشيخ أبي الحسن قدس سره لزيارته ، وجلس ساعة ثم قال : يا شيخ ، ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي ؟ فقال : هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بالسعادة الأبديّة . فقال محمود : وكيف ذلك ؟ وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة ؟ ! فقال الشيخ في جوابه : إن أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ ، وإنما رأى محمد ﷺ ابن عبد الله يتيم أبي طالب ، ولو كان رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ، ثم قال : ومِصْدَاق ذلك قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجب السعادة ، بل النظر بعين السرّ والقلب والمتابعة التامّة تورث ذلك . . الخ . فمن نظر شيخه بعين الإجلال والتعظيم معتقداً

رسوخ قدمه في مقام الولاية ، وأنه صاحب مدد ودعاء مستجاب انتفع به ووصل إلى مقام الولاية ورتبة الصلاح ، ومَنْ نظره بأنه فلان ابن فلان يأكل ويشرب مثله فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به كما في الحديث : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . انتهى .

ما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب

وفي « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » للشعراني قدس سرّه ما يليق إيراده هنا وهو هذه العبارات : وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة[1] مع أشياخهم ، فإن ظنُّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا بشيخهم أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحّ لهم حماية ، ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنّه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب . ومما جربناه نحن أن من كان اعتقاده فينا مُتَوَفِّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومَنْ لم يكن اعتقاده فينا متوفِّراً لم تقض له ولو كنَّا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنّ المتوجّه لا على الشيخ ! وربّما تقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلا إن أَعْلمه بها المتوجّه إليه . انتهى عبارته . فهو كلام نفيس مهمّ أيَّ مهمّ .

ومن هنا قالوا : كلّ من رأيته فاعتقده خضراً . وقالوا أيضاً : الأمر تابع لاعتقاد المريدين لا للمشائخ . والله الموفِّق للاستقامة ، وإليه يرجع الأمر كلّه وهو وليّ الهداية .

---

(١) أي : حسن ظنّ بشيخهم .

قصة مهمة

وممّا يدلّ على هذا ما وقع لامرأة مع قطب الأقطاب عبد القادر الكيلاني قدس سره قال في « منتخب جواهر القلائد » : جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست من حضرته الدعاء ليعطيها الله ولداً ، فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم يَرَ لها ولداً مكتوباً فيه ، فسأل الله أن يعطيها ولدين ، فجاءه النداء من الله ليس لها ولد مكتوب في اللوح فأنت تطلب لها ولدين ! فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد ، فجاءه النداء أيضاً مثل الأوّل ، فسأل أن يعطيها أربعة أولاد ، فجاءه النداء أيضاً مثله ، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد ، فجاءه النداء مثله ، فسأل أن يعطيها ستة أولاد ، فجاءه النداء كالسابق ، فسأل أن يعطيها سبعة أولاد ، فجاءه النداء : يكفي يا غوث ، لا تطلب الزيادة . فبهذه الإشارة جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد ذكور ، فأعطاها الغوث مقداراً من التراب ، وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدق في حضرة الغوث ، فوضعت تلك التراب في فضة وعلَّقتها في عنقها كالتعويذة ، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور ، وبعد مدة فسد اعتقادها في حق الغوث وقالت : التراب الذي أعطانيه الغوث أيّ فائدة تحصل منه ، فبمجرَّد تفوّهها بهذا الكلام مات أولادها ، فجاءت إلى الغوث باكية وتضرعت فقالت : يا غوث ، أغثني . فقال الغوث : كان ذاك الزمان زمانه ، ففي هذا الزمان ليس فيه فائدة . وفي رواية : قال لها الغوث : ارجع إلى بيتك ، فبأيّ نية جئت بها إلينا تجديهم . فراحتْ إلى بيتها فوجدتهم أحياء ، فشكرت الله تعالى . أللهم انفعنا ببركاته آمين ﵁ . انتهى من « تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر » من عينه في ٣٨ من المنقبة السادسة والأربعين .

وقال الشعرانيّ في « المنن الكبرى » في الجزء الأول في ١٧٠ : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنّني أعطي أحدهم القَشَّة من الأرض إذا طلب

منّي الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة ، وأقول له : بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن الله تبارك تعالى ، فأعْرِفُ أنّه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضهم بدخان تلك القشة ؛ فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهيّة سُرْعَة وبُطْأً بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه ، حتى أنّ بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أنّ تلك القشة تنفعه فلا تنفعه ، وقد جاءني مرّة فقيه يأخذني سياقاً لصهره لما غضبت زوجته ، وكان قد جعل لها خمسين ديناراً فلم يرضوا أن يردوها له ، فقلتُ له : خذ هذه القشة وأعطها لصهرك فإنّه يردّها لك بلا فلوس . فقال لي : لا تمزح معي فإنّي مكروب . فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض الاعتقاد ، فأخذ القشة ، فبمجرد ما اعطاه لصهره قال له : اذهب فخذ امرأتك . فتعجّب الفقيه من ذلك وقال : **أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل** . انتهى من عبارته .

فإذا كان حال الشيخ الكامل المكمّل رجوعه إلى صورة بدايته ، وكانت عادته تلوّنه بلون جلسائه ، ينظر الخلق إلى الكامل فيرونه يتكلّم ويتبسّم وينبسط ، ولا ينقبض كالعوام ، ولا يعلمون ما في باطنه من دوام الحضور والمراقبة ، وكونه مع الحق تعالى في الباطن مع كونه مع الخلق في الظاهر كما هو شأن الكامل ، وكونه في مقام لا يشغله الحقّ عن الخلق والخلق عن الحقّ ، وينظرون إلى الناقص المدّعي الغرار الطمّاع الجرار فيَرَوْنَهُ على صورة شيخ كأنّه حزينٌ عاشق إلى مولاه ، متفكّر في أمر أخراه ، مُدْبرٌ عن أمر دنياه ، خالص من أسر شهواه ، مُنْفَلِتٌ عن سجن هواه ، ويراقب ذلك الغرار ، على ترك ما ينقصه لدى الحاضرين معه ، ويطأ رأسه كأنّه مهموم مغموم ، متدبّر في جلال الله وجماله ، والله خبير بما في قلبه ، مطّلع على ما في سريرته ، ويجهر صوته بالأذكار ، ويصيح بصيحات ، ويتحرّك بحركات ويدعولهم بدعوات ، بحيث يسمعهم

بالأصوات ، فيظنّون حينئذٍ أنه هو الكامل الفريد ، مع أنّه عند الكامل في الحقيقة ليس بمقام مريد ، وقد مرّ ما وقع لبعض الإخوان من اعتقاده فيمن لم يضع قدمه في الطريق ، وسوء ظنّه في قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره .

وسألني بعض إخواننا المعنويّين رحمه الله : ما السرُّ في ميل الناس إلى الأخذ عن شيخ يجهر بالأذكار ، ويبتدع بالأوراد ، مع أنّه لم يكن شيخاً أذن له شيخ ؟ وعدم ميلهم إلى الأخذ ممّن لا يجهر مع أنه أفضل وأحق وأقدم رتبة في مقام المشيخة ؟ **فقلت له** : السرّ فيه وجود الحظوظات النفسانية في الأذكار اللسانية والدعوات الجهرية ، وتخليط البدعات في تلك الطريقات ، وإذا ابتدع في العبادات[1] حلاّه الشيطان كما ورد في الحديث : « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة ، وألقى عليه الخشوع والبكاء » ، فقال : صدقْتَ والله ! . ومرّ ما قاله عمدة العلماء مير سيف الله الحسيني قدس سره في بعض مكاتبه : والنفس أمّارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين . انتهى . فما أصدق ما قاله ، جزاه الله عنا خير الجزاء ، ورزقه الاستقامة إلى يوم اللقاء ، آمين يا مجيب .

(١) وفي نسخة : والدين .

الباب التاسع عشر

في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظن الناس أنهم على شيء

قال الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : وللشيطان وساوس كثيرة ، فإنه يحسن لبعض الناس إظهار التواجد عند الذكر أو سماع القرآن ، ويدخل عليه بصورة نصيحة ، وهو أنّك إذا تشبهت بالواجدين تكون منهم ، ويتلو له البيت الذي قال بعضهم :

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبّه بالرجـال فـلاح

ثم إذا تواجد وتبع ما أمر به الشيطان تجلى له من المِصْرَاعِ السفلي ، فينفخ فيه ، فيحصل له حرارة فيسوّل له أن هذا من تجلي حضرة الحق فيصرخ ، فيحصل الانقباض لمن سمعه من أهل الباطن ، وعلامة ذلك ؛ لو كان وجده صحيحاً لأثَّر في جميع من كان حاضراً ، نعوذ بالله من اتباع الشيطان . انتهى من عبارته .

وفي « الإبريز » ما ينبغي أن يورد هنا لنفاسته ، ولعل الإخوان ينتفعون به وهو هذه العبارة : وكنت معه[1] ﵁ ذات يوم بموضع فجلس معنا رجل ، وبينما الشيخ ﵁ يتكلَّم إذ جعل الرجل يصيح صياحاً منكراً . وطال ذلك من أمره ، فقال لي الشيخ ﵁ بعد ذلك : هو شيء كبير لولا أن الشياطين تلعب به ويفسدون عليه صلاته ، فقلت : يا سيدي وكيف ؟

---

(١) أي : مع عبد العزيز الدباغ ، رزقنا الله شفاعته يوم القيامة ،آمين .

* وفي « البهجة » : قالوا : عمل المريد يسير وإن كان كأمثال الجبال ، وعمل العارف كثير وإن كان كمثقال ذرّة . انتهى عبارته .

مطلب مهم

فقال ﵁ : إن وجهة القلوب إلى الله تعالى هي صلاتها ، كما أنّ ركوع الذات وسجودها هو صلاتها ، وإنّما شرعت الصلاة وسائر الطاعات لتحصّل هذه الوجهة ، فهي نتيجة العبادات ، وفاكهتها التي هي سبب ربح العبد ورحمته ، فإذا رأت الشياطين شخصاً أراد أن تحصل له هذه الوجهة من ذكر أو سماع كلام رقيق أو نحو ذلك نفذوا على قلبه فأفسدوا عليه وجهته حَسَداً لبني آدم وبُغْضاً فيهم ، فتحصل لهذا الصائح مفاسد ؛ منها فساد الوجهة التي هي سبب ربحه ، ومنها أن يظنّ أنه على شيء ، ومنها ما يخشى عليه من الانقطاع ، لأنّه بذلك الصياح يظنّ أنه على شيء ، وكذلك الناس يظنون أنه على شيء فيشيرون إليه ، **وويل لمن أشارت إليه الأصابع**[1] .

قلت : ومما يؤيّد هذه ، الحكاية التي ذكرها الشيخ زروق ﵁ ، وملخّصها أنّ قوماً من الفقراء كانت عندهم بفاس مبيتة فكلّموا[2] شخصاً صادقاً في الذهاب معهم وكان أعمى ، فذهب معهم إلى الموضع ، فبينما هم يذكرون إذ قال الشيخ الأعمى ﵁ : يا قوم قد دخل عليكم الشيطان في صورة عنز بقرونها ، ثم قال : فمن هو صاحب الغفارة الحمارة منكم ؟ فإنيّ رأيت الشيطان يشمّه شمّاً عنيفاً ، ثمّ صاح الأعمى وقال : إنه نطحه بقرونه حتى غاصت فيه ، فلم يفرغ من كلامه حتى صاح صاحب الغفارة

---

(١) فحركات الوجد نوعان : اختيارية كحركة الإنسان الصحيح ، فهذا غير مشروعة ، وعلامته أن ينقبض أهل الباطن بسماع صوت صاحبه ، وهو مجرب عندي . واضطرارية : وهي التي لا يقدر النفس على منعه كما لا يقدر النفس أن يمنع الحمى إذا غلب . وهذ الوجد حقيقي ، وعلامته أن يتأثر جميع من في المجلس . أخذ بعضها من « بيان الأسرار » وبعضها من « المتممات » ، راجعهما . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي نسخة : فتكلّموا .

وخرج من حسِّه ، ثم قال الأعمى : ومن هو صاحب اللباس الفلاني فيكم ، فإنّي رأيت الشيطان قد انتقل إليه يشمّه ، ثم صاح لقد نطحه والله بقرونه نطحة منكرة ، فصاح المشموم وغاب عن حسِّه . انظر تمام الحكاية ، فافتضحوا بحضور ذلك الصادق معهم ، وكانوا قبله يحسبون أنهم على شيء ، فكانوا على جهل مركّب .

وقد اتّفق أنه صاح بعض الناس بحضرة شيخ عارف ، فقال له الشيخ : إني تبعتُ صَيْحَتَكَ حتى دخلتْ إلى قبر بمقبرة كذا . فقال الصائح : ولم يكن من أصحاب ذلك الشيخ : صدقتَ يا سيدي لما مررْتُ بكم فوجدتكم تذكرون محبوبكم ذكرت أنا محبوبتي ، وكانت ابنة عمّ لي ماتت ، وذلك هو قبرها ، فلما تذكّرْتها صحْتُ من أَلَمِ فراقها ، والله أعلم . انتهى من عبارته ١٧١ .

وهكذا أحوال هذا الخلق في هذه الديار الجبليّة ، يظنّون أنّ ما حصل لهم من الخشوع والبكاء والتأوُّه والصياح والحركة والاضطراب وَقْتَ الذكر في المجامع والمحافل هو من الله ، مع أنّ أكثرها في الحقيقة من الشيطان ، أو من تسويلات النفس ، وأكثر شغل مشائخهم بزعمهم الوعظ والنصيحة في المساجد والمجالس ، وهذا شيء مخوّف أيضاً ينبغي للمشتغل أن يتفطّن لئلا يكون سعيه تابعاً لمكائد الشيطان وتزييناته من حيث لا يشعر .

وفي « خزانة العلوم » : ومن مكائد الشيطان أن يعرض الشرّ في معرض الخير ، كما يقول للعالم بطريق الوعظ : أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل ، هلكى من الغفلة ، مَا لَكَ رحمةٌ على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك ! ! وقدا أنعم الله عليك بقلب بهيرٍ ولسان ذلق ، فكيف تكفر نعمته ! ! وتسكت عن إشاعة العلم ، ودعوة خلق الله إلى الصراط المستقيم ؟ ! فكذلك لا يزال يستجرّه بلطائف الحيل ، إلى

أن يشتغل بوعظ الناس ، ثمّ يدعوه إلى أن يتزيّن ويتصنع ، وهو في أثناء ذلك يؤكّد فيه شوائب الرياء ، وقبول الخلق ، ولذّة الجاه ، والتعزّز بكبر العلم ، واحتقار الخلق ، فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك ، وهو يظنّ قصده الخير ، وإنما قصده الجاه والقبول ، ويظنّ أنه عند الله بمكان وهو عنده ممّن قال فيهم رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » . انتهى عبارته .

الباب العشرون

في أن إرسال الأوراد إلى البعداء كما هو شأن الأبعاض من المتشيخة في ديارنا والتلقين بالوكيل ليس بجائز ، لأنه لم ينقل من السلف أنهم فعلوهما ، ولم نجد له دليلاً ما في الكتب

قال سليمان الزهدي خليفة الشيخ خالد البغداديّ قدس الله أسرارهما في « مجموعة الرسائل » : وكتب الشيخ أسري لسيدي الشيخ سليمان إلى الطائف : طائفة من الحجاج يريدون الانتساب ويرجون أن تأمر لوكيلهم أن يلقن الذكر لهم . وأجاب : إن تيسّر الطلوع إلى الطائف فنِعْمَ ، فإن لم يتيسّر فيأخذونها من خلفاء بلادهم ، فكلّنا واحدٌ ، فلا يمكن بالوكيل . انتهى .

وهكذا سمعت شيخنا قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي – رزقه الله تعالى ما فيه صلاحه في الدارين ، آمين – يقول : إن التلقين بالوكيل لا يجوز **وإنما يحيى القلب بقلب حيّ** . انتهى .

الباب الحادي والعشرون

في قاعدة التلقين وبيان كيفية أخذ الذكر

فهو أن يستخير المريد والشيخ أو أحدهما فقط لحديث « ما خاب من استخار » فإذا وافقت استخارتهما فذلك ؛ وهو المطلوب ، أو صحّت أحدهما فيستدلّ به على الإذن من حضرة علام الغيوب ، وحينئذ يُجْلسُ الشيخ المريد بين يديه بعد أن تكون الطهارة كاملة لديه ، ويلصق ركبتيه إلى ركبتيه كما فعل جبرائيل عليه السلام مع النبيّ عليه السلام ،ثم يأخذ بيده اليمنى كالمصافح ، ثم يستتيبه عن جميع المخالفات[1] والمعاصي والقبائح ، ويأمره بالاستحلال مع أرباب الحقوق ، وردّ المظالم ، وترك البدعة والعمل بالسنة ، واجتناب الرخصة ، والأخذ بالعزائم ، ثم يقرأ معاً هاتين الآيتين بنيّة التوبة من جميع ما يخالف الله ، كما قال موسى ويونس : (سبحانك تبت إليك ، وأنا أوّل المؤمنين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، ثم يغمض المريد عينيه ، والشيخ يتكلم بالتهليل ثلاثاً ، كما علّم النبي عليه السلام لعليّ ، ثم يقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية للتبرّك وللإشارة إلى أنّه كأنما يبايع لرسول الله ﷺ ، ثم يضع[2] الشيخ أيديهما على ركبتيهما ، ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات على نيّة التلقين والتعليم لقلب المريد ثلاثاً بالمدّ والحضور ، كأنه يشاهد الملك الغفور ، ثم يأمر بالاستغفار والفاتحة والإخلاص[3] إلى السلسلة ،

---

(١) ومن سياسة بعض المشائخ أن يكتفي في تعليم التوبة للمريد بالإجمال ، لئلا ينفر ويستصعب ، وهكذا أن لا يعاهده على أنه لا يعصي الله ويوفي ما أمره به من الأوراد ، لأنه إن عاهد على ذلك ونقضه المريد يقع في الإثمين . ومر ذلك في هذا كتاب . (منه رحمه الله) .

(٢) هذا كيفية تلقين اسم الذات إن كان الشيخ نقشبنديّاً . (منه) .

(٣) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : وإهداء ثوابها إلى السلسلة .

والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد أنه خليفة النبي عليه السلام في الفيض والإمداد ، وأنه نائب عنه في تربية الخلق والإرشاد . انتهى « متممات » من عبارته .

وفي « حسبحال السالك » : إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد ، يصلي أولاً على النبي ﷺ ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات ، والفاتحة مرة ، فبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ، ولأرواح أصحابه ، ولأرواح مشائخ الطريقة الصديقيّة وسائر مشائخ الطريقة ، يقول : يا رب ! من جنابك الشريف ، وجناب حبيبك الشريف أَوْصِلْ الفيض ونور الذكر الذي حصل لي بواسطة المشائخ الكرام وَوَصل إلى قلبي ، إلى قلب هذا المريد وأعِنْهُ ، فيرمي بتلك النيّة إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق ، فبهذا الأسلوب يتأثّر قلب الطالب في توجُّه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبَّة الله تعالى ، وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر الألطاف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجّه كما سبق . ثم إذا جرى الذكر على القلب أو على سائر اللطائف يُلقِّن الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجَّه إليه بالجمعية والحضور . انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ثمّ إنّ الشيخ يُلَقِّن على قلب الطالب ، ويتوجّه إليه به قدر ربع ساعة أو ثُمُن ساعة ، فحينئذ يحصل له أثر الذكر ، وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . انتهى من عبارته .

الباب الثاني والعشرون

إن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّاً مرشداً

وإن ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع والعياذ بالله سبحانه

فظهور الكرامات والكشوفات على أيدي هؤلاء المتشيخين فيخبره المنتسبون إليهم ، ولكن لا نجد من رآه منهم بعينه . ولو سلّم ظهورها على أيديهم فلا نسلّم أهليّتهم للإرشاد ، لأنّه لا يصير الشخص شيخاً بالكشف وخرق العادة ، فإن للشيطان كشوفاتٍ وخوارق ! فليس هو بمكان عند الله ، بل هو أبْغَضُ خلق الله إليه تعالى وأبعدهم من جنابه ، وليست الكرامة شرطاً في الولاية ، وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف كما في « رسالة الخالدية » و« أعلام الهدى » و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

وفي « بيان الأسرار » : فإنّ كرامة الأولياء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى من عبارته . وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ تعلّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله تعالى ، انتهى بالمعنى ، وفيه **أنّ العبودية مع استقامة خير من ألف كشف وكرامة** . انتهى . فراجعه من الباب السابع .

وفي « روح البيان » في سورة النحل : إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة ، وعوام الناس يعدّون أصحاب أمثال هذه الكشوفات الأقطابَ ، لكونهم على الجهل لا يميِّزون بين الخير والشرّ . انتهى .

وقال الخادمي في شرح « النصائح الولديّة » للغزالي ، كما حكي في « الفوائح » : إن جماعة هربوا من عبد الواحد لقوّة تكليفه إيّاهم بالمجاهدة ، فرأى أحدهم بعد مُدّة فقال : أين كنت ؟ فقال : نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل نعيمها ، فقال : خذوني الليلة معكم ، فأخرجوه معهم إلى الفضاء ، فلمّا جنَّ الليل إذاً بقوم عليهم ثياب خضرٌ وإذاً بساتين

وفواكه ، فلما أرادوا أن يتفرّقوا قال لهم : أين تذهبون ؟ أليس الجنة دار خلود كإدريس عليه السلام ؟ فلمّا أصبحوا إذاً هم في مزبلة بين روْثِ الدواب فتابوا كلهم .

وفيه أيضاً عن الديلمي : إن واحداً من السالكين رأى في بريّة طريق مصر الشيطان على عرش[1] بين السماء والأرض فسجد له ، فظنّ أنّه الربّ تعالى ، ثم حكاه بجماعة من المشائخ فقالوا : هو الشيطان لحديث : « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض » . . . الحديث ، فالرجل أعاد صلواته وجدد إيمانه ، ثم عاد إلى المكان الذي رآه فيه ، ولعنه وأنكر عليه . انتهى من عبارته ٦٩ .

وفي « الإبريز » : وسألته ﵁ عن فلان من أهل القرن العاشر ، فقال ﵁ : إنه فتح عليه ووقف به الحال ، فرجع ساحراً من جملة السحرة . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال ﵁ : أوّل ما يفتح على العبد يرى معاصي العباد وأسبابها ، وكيف يقعون فيها ، والضبابة الظلمانية التي تستمدونها ذوات أهل الظلام - والعياذ بالله - ونحو هذه الأمور . فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شرّاً ركن عقله إليها وأدام الفكر فيها ، فإن وقف به الفكر ساعة واحدة انقطع عن الله - والعياذ بالله - فلا يبقى في نظره سوى ما سبق ذكره في الفتح ، وذلك الذي سبق هو مخيَّم الشياطين ، ومحلُّ فتنتهم لبني آدم ، فيصير مشهده ومشهد الشياطين واحداً ، فيصيرون معه يداً بيدٍ ، فيسخِّر على يده ويرْجع من جملة السحرة ، وإذا أراد الله بصاحب الفتح خيراً فتح عليه ما يشغل فكره عما سبق ، وهكذا لا يزال يُرْقيه في كلّ لحظة إلى ما لا نهايةَ ، والله أعلم . انتهى عبارته .

---

(١) هكذا في النسخة التي في يدنا ، لعله : العرش .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما الكرامة فليست بشرط للمرشد ، لأنّ الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم حتى لم ينقل من الصديق الأعظم مع أنّه أفضل الأمّة .

والحاصل أنّ أفضل الكرامة هو الاستقامة ، كما قالت به رابعة العدوية ؛ حتّى أنّ بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » عبارته .

وقد قال عبد الله القروشي : من لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات فهي أيضاً سببٌ للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » . انتهى كلام « الفتاوى العمرية » ، وراجع « الفتاوى » لابن حجر ، ففيه البسط السديد في حق هذا المطلب .

ولقد قال لي واحد : إن شخصاً من مريدي متشيِّخ كان داخلاً في الخلوة بأمره ، فإذا خرج من الخلوة قال لي : إنّي رأيت جميع من مات ممّن كنتُ أعْرفهم في مدّة حياتهم ! وحكاه متعجِّباً به ، وظنّ أنّه من علامة الخصوصية وأمارة الخلوصية ، فقلت له : ليس ذلك من علامة الخير ، بل هو من علامة الانقطاع عن الله ، لأنّه إذا كانت هذه الأشياء الظاهرة الدنياويّة والمخلوقات المرئية حجاباً عن الله وسبباً شاغلاً عن توجّه القلب إلى ذاته عزّ وجل ، فظهور الأموات وأحوالهم والكشف عما هم فيه من الأمور الأخرويّة يكون سبباً لزيادة الحجُب فوق الحجب والخطرات فوق الخطرات . **وإنما الكرامات قلّة الحجب القلبيّة ، وحصول الجمعيّة**[1] **بربّ البريّة** ، والغيبَةُ عما سوى الله بمحْوِ الكون كلّه عن صفحة القلب ، فانتبه القائل ورجع عما كان متعجِّباً به وصدَّق قولي .

---

(١) أي : جمع قلب .

مثال من وقف عندما ظهر له من الكرامات

وفي « السير والسلوك » وقد مثّلوا حال مَنْ وقف عند ما ظهر من الكرامات بحال مَنْ طلب بيت الله الحرام ، وسار مع الحجاج وقطع من الطريق أكثره ، فعند ذلك عرضتْ امرأة حسناء لم ير الراؤون مثلها ، فأدْهَشَتْهُ وأخذت عقلَه ، فأراد الإقامة عندها ليمتلىء بها ويواصلها ، فقام إليه أمير الحجاج وقال له : لا تقُمْ هنا فتنقطع عن الحاج ولكن اذهب معنا وزرْ بيت الله ، فإذا رجعْنا نقعد عقادك وتدخل عليها بالحلال ، وإن أقمْتَ فلا يحصل لك الوصال ، وإذا وصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال ! فتنقطع عن بيت الله وتعصيه ، فغلب عليه هَوَاه وانقطع عن رفقته ، فدلّى[1] منها ، وأزال البَرْقع عن وجهها ، فإذا هي عجوزة مقلقلة الأسنان ، قبيحة المنظر منتنة الفمّ ، فندم حيث لا ينفعه الندم ، فأراد أن يلحق رفقته فما قدر ، فصار يبكي الليل والنهار ، فالمرأة مَثَلٌ للكرامات التي يطلبها السالك في سلوكه ، وبيت الله الحرام مثلٌ لحضرة القرب ، وطريق الحج مثال لطريق القوم رضي الله عنهم .

فالسالك لا شكّ أنّه إذا وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلّها طَوْعَ يديه ، وإن غلب هوى السالك عليه فطلب الشيء قبل أوَانِه وتعرَّض لطلب الكرامات أتْعَبَ نفسه فيما لا يعنيه ، وانقطع عن مطلبه ، فإذا حصلت له الكرامة وجدها كوناً من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة ، فإذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنّه تَقَهْقَرَ عن مقامه الذي تعب عليه حتّى حَصَّلَه . انتهى من عبارته .

فاللائق بمَنْ ظهر على يديه أنواع الكرامات وأصناف الكشوفات أن لا يغترّ بها ، لأنّه لا يصير الإنسان شيخاً مرشداً إلا إن سلك مقامات

---

(١) أي : تحيّر .

الطريق ،وأذن له شيخه للإرشاد بالإذن الصريح ، ولو وقع على يده الكشف بأكثر من ألوفٍ ، والله أعلم .

وقال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، لِيَطِبْ قلب الأخ الأعزِّ السيد مير محمد نعمان ، وليعلم أنّ ظهور الخوارق والكرامات ليس من شرط الولاية ، وكما أن العلماء ليسوا مكلَّفين بحصول الخوارق ، والأولياء أيضاً ليسوا مكلَّفين بظهور الخوارق ! فإنّ الولاية عِبَارة عن قرب إلهيٍّ جلّ سلطانه ، يكرم بها أولياؤه بعد نسيان السوى ؛ شخص يعطى هذا القرب ولا يعطى الاطلاع على المغيَّبات والمحدثات ، وشخص ثان يعطى هذا القرب ويعطى الاطلاعِ على المغيبات والمحدثات ، وشخص ثالث لا يعطى من القرب شيئاً ! ويعطى الاطلاع على مغيبات ، وهذا الشخصُ الثالث من أهل الاستدراج ، وجعله صفاء النفس مُبْتلى بكشف المغيَّبات وألقاه في الضلالة ، وآية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾ علامة حالهم ، والشخص الأوّل والشخص الثاني اللذان مشرفان بدوْلة القرب من أولياء الله تعالى لا يزيد كشف المغيبات شيئاً في ولايتهم ولا ينقص عدم الكشف شيئاً من ولايتهم ، والتفاوت بينهم إنما هو باعتبار درجات القرب ، وكثيراً ما يكون صاحب عدم كشف الصور الغيبيّة أفضل من صاحب كشف تلك الصور ، وأسبق منه قدماً بواسطة مزيّة القرب الحاصل له . صرّح بهذا المعنى صاحب « العوارف » الذي هو شيخ الشيوخ ومقبول عند جميع الطوائف في كتابه « العوارف » ، فمن لم يصدِّق هذا الكلام مني فليراجع ذلك الكتاب فإنه ذكر فيه بعد ذكر الكرامات والخوارق ، وكلّ هذه مواهب الله تعالى ، وقد يكاشف بها قوم ويعطى ، وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيءٌ من هذا ، لأنّ هذه

كلّها تقوية اليقين ، ومن مُنح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكلّ هذه الكرامات دُون ما ذكرناه من تَجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات . انتهى .

قال إمام هذه الطائفة الخواجه عبد الله الأنصاري الملقب بـ « شيخ الإسلام » في كتابه « منازل السائرين » : إنّ الفراسة على نوعين : فراسة أهل المعرفة ، وفراسة أهل الجوع والرياضة :

ففراسة أهل المعرفة في تمييزهم من يصلح لحضرة الله جلَّ وعلا ممّن لا يصلح ، ومعرفتهم أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بذكر الله سبحانه ووصلوا إلى حضرة الجمع .

وفراسة أهل الرياضة وأرباب الجوع مخصوصة بكشف الصور والإخبار عن المغيَّبات المختصة بالمخلوقات ، ولما كان العالم أكثرهم أهلَ انقطاع عن الله سبحانه واشتغالٍ بالدنيا مالت قلوبهم إلى أهل كشف الصور والإخبار عمّا غاب من أحوال المخلوقات ؛ فعظّموهم واعتقدوا أنهم أولياء الله وخاصته ، وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتّهموهم فيما يخبرونه عن الله سبحانه ، وقالوا : لو كان هؤلاء أهلَ الله كما يزعمون لأخبرونا عن أحوالنا الغيبيّة وأحوال سائر المخلوقات ، وإذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى من هذه ؟ ! وكذّبوهم في فراستهم المتعلقة بذات الواجب ، وصفاته جلَّ وعلا بهذا القياس الفاسد ، وعميت عليهم الأنباء الصحيحة ، ولم يعلموا أنّ الله قد حمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق وخصّهم بجناب قدسه ، وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم ، ولو كانوا ممّن يتعرّضون لأحوال الخلق ما صلحوا للحق سبحانه . انتهى كلامه .

وقال كلمات آخر أيضاً أمثال ذلك . وإنما سمعت حضرة شيخ قدس سره يقول : كتب الشيخ محيي الدين بن العربي أنّ بعض الأولياء

الكرام الذي ظهرت منه كرامات وخوارق كثيرة ندم في آخر النفس من ظهور تلك الكرامات ، وقال تمنّياً : ياليت هذه الكرامات لم تظهر منّي ! فلو كان التفاضل باعتبار كثرة ظهور الخوارق لا يكون للندامة على ذلك الطور مَعْنى .

فإن قيل : إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطاً في الولاية كيف يتميّز الوليّ من غير الوليّ ؟ وكيف يتبيّن المحق من المبطل ؟

أجيب : لا يلزم التمييز ، بل يكون المحقّ ممتزجاً بالمبطل فإنّ اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشأة الدنيويّة ، **والعلمُ بولاية وليٍّ ليس بلازم أصلاً** ، وكثير من أولياء الله تعالى لا اطلاع لهم في ولايتهم ، فكيف يكون الاطلاع على ولايتهم لازماً لغيرهم .

وفي النبيّ لا بد من الخوارق ليتميّز النبي من غير النبيّ ، فإن العلم بنبوّة نبيٍّ واجب . والوليّ لما كان داعياً إلى شريعة نبيّه كفاه معجزة نبيّه ، فلو كان الولي يدعو إلى ما وراء الشريعة لما كان له بدٌّ من خارق ، وحيث كانت دعوته مخصوصة بشريعة نبيّ لا يلزم الخارق أصلاً ، العلماء يدعون إلى ظاهر الشريعة ، والأولياء يدعون إلى ظاهر الشريعة وباطن الشريعة ، يدلّون المريدين والطالبين أوّلاً على توبة والإنابة ، ويرغِّبونهم في إتيان الأحكام الشرعية ، ويهدونهم ثانياً إلى طريق ذكر الحق جلَّ وعلا ، يؤكّدون في استغراق جميع أوقاتهم بالذكر الإلهيّ جل سلطانه ، إلى أن يستولي الذكر ولا يبقى في القلب غير المذكور أصلاً ليحصل النسيان عن جميع ما سوى المذكور ، حتى لو كلّف بتذكّر الأشياء لا يكاد يتذكَّر .

ومن اليقين أنّه لا حاجة للوليّ لأجل هذه الدعوة التي تتعلّق بظاهر الشريعة وباطنها إلى الخوارق أصلاً ، والشيخوخة والمريديّة عبارتان عن

الدعوة التي لا تعلّق لها بالخوارق ، ولا مساس لها بالكرامة ، مع أنّا نقول : إن المريد الرشيد والطالب المستعد يحسّ في كل ساعة في أثناء سلوك الطريق خوارق شيخه وكراماته ، ويستمدُّ منه في المعاملة الغيبيّة في كلّ زمان ويجد منه فيها مدداً ، وظهور الخوارق بالنسبة إلى الأغيار ليس بلازم .

الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق

وأمّا بالنسبة إلى المريدين فكراماتٌ في كراماتٍ ، وخوارق في خوارق ، **وكيف لا يحسّ المريد خوارق الشيخ ؟! فإن الشيخ أحيا القلب الميّت ، وأوصل إلى المكاشفة والمشاهدة ، فإذا كان عند العوام الإحياء الجسديّ عظيم الشأن ، فعند الخواص الإحياء القلبيّ والروحيّ برهان رفيع البنيان .**

كتب الخواجه محمد پارسا قدس سره في « الرسالة القدسيّة » : **فلما كان الإحياء الجسدي معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله ، واشتغلوا بالإحياء الروحيّ ، وتوجَّهوا إلى إحياء القلب الميّت** ، والحقُّ أنّ الإحياء الجسديّ بالنسبة إلى الإحياء القلبيّ والروحيّ كالمطروح في الطريق ، وداخل في العبث بالنظر إليه ، فإنّ هذا الإحياء سبب حياة أيام معدودة ، وذاك الإحياءُ وسيلة للحياة الدائمة ، بل نقول : **إنّ وجود أهل الله في الحقيقة كرامة من الكرامات ، ودعوتهم الخلق إلى الحق جلّ سلطانه رحمة من رحمات الله تعالى ، وإحياءَهُمْ القلوبَ الميتةَ آيةٌ من الآيات العظمى ، وهم أمان أهل الأرض ، وغنائم الأيام ؛ بهم يُمْطرون ، وبهم يُرْزَقُون** واردٌ في شأنهم ، كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم جلساء الله ، وهم قوم لا يشقى جليسهم ولا يخيب أنيسهم ، والعلامة التي نتميّز

بها المحقّ هذه الطائفة من مبطلهم هي : أنّه إذا كان شخصٌ له استقامة على الشريعة ، ويحصل للقلب في مجلسه مَيْلٌ وتوجُّه إلى الحق سبحانه وتعالى ، ويُفْهَم حصولُ بُرُودة عما سواه تعالى ، فذلك الشخص شخصٌ محقٌّ ، ولأنْ يُعَدَّ من الأولياء على تفاوت درجاتهم مستحق ، وهذا أيضاً بالنظر إلى أرباب المناسبة ، والذي لا مناسبة له فهو محض محروم مطلق . شعر :

من لم يكن في نفسه مَيْلُ الهـدى　　　فَشُهُودُه وَجْـهَ الـنـبـيّ لا يـنـفعه

انتهى « الدرر المكنونات النفيسة » من عبارته من ١٤٠ من الجزء الثاني .

الباب الثالث والعشرون

في ردّ دعوى من يقول : لا يجوز اتخاذ الشيخ ويطعن على مريدين ويستهزئ بهم ، والعياذ بالله

فتلك المذكورات شأن بعض العلماء من ديار عصرنا - سامحه الله تعالى وألهمه رشده ، وهداه إلى ما يرضاه ، آمين - وهي مما يتوجَّه إليه ضرره دنيا وأخرى ، لأنّه قد ارتكب كبيراً ، وأنكر مجمَعاً ، وصرّح بالرأي قولاً ، كيف لا ؟ **وقد قال بوجوبه**[1] **أئمة من المذاهب الأربعة ، وأجمع عليه العلماء السلف والخلف ، وقد حكموا بكفر من أنكر على ما أجمع عليه الأئمة** ، والله أعلم . حتى أنّ أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسَنَتَيْنِ فقال حين وفاته : **لولا السنتان لهلك النعمان** .

(١) أي : اتخاذ الشيخ .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يَرَى بكشفه نجاسة الذنوب التي تسيل مع ماء الوضوء كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل . كذا في « ميزان » الشعراني ، ومع ذلك أخذ الطريق .

وكان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي الأميّ كالصبيّ بين يدي المرضعة .

وكان الإمام ابن حنبل رضي الله عنه يقول لولده لمّا صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم : يا ولدي ! **عليك بمُجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمة .** انتهى بعضها من « الفتاوى العمرية » ، وبعضها من « مكتوبات » الإمام الرباني ، فراجعها .

وكان شيخنا قدس سره يستكتب منّا أشياء من كتاب « مزكي النفوس » ، ومن جملتها هذه العبارات : يجوز الذهاب في طريق في موضع له زمان ومكان ، وقد يقع المريد في وقتٍ من الأوقات في درجة ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ، وإذا وقع في ذلك الدرجة التي ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ولا طريق ولا رفيق يلزم عليه بالضرورة أن يصحب بالرجل الكامل ، والمرشد ، والمربّي الذي ذهب ورفق مع المرشد كرَّات ومرَّات بجذب إلهيٍ وتوفيق ، وموافقة مرشد .

ثم العشق درجة لا مكان ، وجذبة الحق كذلك لا مكان ، وتوفيق إلهيّ لا علامة ؛ أي : هي أشياء لا يتصرَّف فيها النفس والعقل والحال والروح ، وتصرُّفها في عالم البشر ، يعني : في عالم الظاهر ، وأمّا تصرف العشق فهو فوق عالم البشرية ، ومَنْ أراد أن يذهب في هذا الطريق الذي ليس له مكان ولا زمان ولا علامة لا بدَّ من أن يذهب إلى مرشد كامل ، وهو الذي وقع في عالم العشق ، ليُفْنِيَ ذلك المرشد بشريَّته بتلقين الذكر

والتربية ، فلو ذهب واحد إلى طريق ليس فيه علامة فيبقى بلا وصول إلى الله تعالى ، فوَقْتاً يصل من الله تعالى ما يعجز عنه المخلوقات ، ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم يقع سير الطالب إلى عالم الأنفس ، ويبقى فيها مغروراً بذوقه ، ويذهب أكثرون في عالم الأنفس إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ، وكذلك لا يكون الهمَّة لمن يبقى في عالم الأنفس ، وقد يحصل لهم الترقِّي في وقت ما ، لكن تغلب عليهم الأنفس فلا يصلون ولا يقفون في عالم الأرواح ، فلو أرادوا أن يصلوا إلى عالم الأرواح ينبغي لهم أن يتخذوا مرشداً كاملاً . انتهى .

وفي « حسبحال السالك » ما حاصله : إن لم يسلّم المريد نفسه إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ، ويبتلى بسوء حاله .

فإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريق ، والمرشد إلى هذا الطريق هو النبيّ عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ الشيخ ؟

فالجواب : المرشد في الحقيقة هو القرآن ، وعلم الشريعة ، والنبي عليه السلام ولطف الله ، **لكنّ المريد في أوّل الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطبّ وجمع الأدوية والمعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء** ، فكذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة . انتهى .

ومن ليس له شيخ مرشد وقعوا في الشبهة ، وماتوا على سوء الخاتمة

واستكتب شيخنا قدس سره أيضاً من ذلك الكتاب ما حاصله هذا : لاحظوا إلى حكم الله تعالى ؛ أنّ الخضر عليه السلام أدنى مقاماً من موسى

عليه السلام بدرجات ، ومع ذلك ذهب هو لديه لطلب العلم اللَدنيِّ ، والمستحيون حرموا من العلم اللَدني ، وأنت تقول مع كونك عالماً كبيراً : ما الحاجة إلى الذهاب لدى المرشد ؟ فجميع الأنبياء الذين بعثوا من لدن آدم إلى نبينا عليهم السلام ، والأولياء الذين جاؤوا بعدهم سَعَوْا على هذا التوحيد ، لكن لم يذهب منهم إلى هذا الطريق ولو واحداً بغير مرشد ، وكل مَنْ قصَدوا أن يذهبوا إلى هذا الطريق بغير مرشد وقعوا في الشبهة ، وماتوا على سوء الخاتمة ، نعوذ بالله ، وكلهم صاروا ضالِّين ومضلِّين .

وإذا كان الحال كذلك ! يجب على الطالب البتّة طلب الشيخ المرشد المأذون الذي إجازته صحيحة ، ولا يكون الوصول بكثرة العلم والعقل ، ألا ترى أنّ كلب الصيد المعلّم إن دلّ خلف الصيد بقول « بسم الله » يجوز عند الحنفيّ أكل لحم ما قتله من الصيد ، وإن لم يكن الكلب مُعَلّماً يكون ما قتله نجساً ؛ ولا يجوز أكل لحمه ، وهكذا كل مَنْ لم يصل إلى المرشد يكون كذلك ، انتهى .

وقال في « الحديقة النديّة » : اعلم - أسعَدَك الله بالتوفيق وحلاّك بالتصديق - أنّ تَعلُّم علم الباطن ؛ من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرضُ(١) عينٍ على كل مَنْ لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ ، والعلم اللَدنيِّ ، والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليلٌ ما هم ، وأحكام الدين إنّما تُبْنَى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يُغْنِي عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين من الحنفيّة ؛ كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي مُحشي « الأشباه » وأمثالهم .

---

(١) وهكذا في « ابن حجر » و« الرملي » من كتاب سير . (منه) .

ومن الشافعية ؛ كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام والإمام الغزالي وتاج الدين السبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري والعلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي المكي .

ومن المالكية ؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين اللقاني والشيخ العلاّمة المحقق العارف أحمد زروق البرنسي وغيرهم .

ومن الحنابلة ؛ كالشيخ عبد القادر الجيلي وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم ؛ فإنّ هؤلاء العلماء الأجلَّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة ، والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية عن الرزائل ، والتحلية بالفضائل ، انتهى . وراجع « البهجة » في ٤ .

قال الفخر الرازي : ولمّا قال الله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهذا يدل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلاّ إذا اقتدى بشيخ يَهْديه إلى سواء الصراط ، ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بإدراك الحقِّ ، وتمييز الصواب عن الغلط ، فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوَّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل ، فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكرامات . فراجع « تفسير الكبير » ؛ انتهى . من « الفتاوى العمرية » .

ونحن سمعنا هذا المنكر كثيراً يعظُ الناس في المحافل والمجامع ، ويحثهم على كثرة ذكر الله تعالى ، ويخبرهم فضائل الأذكار والأوراد .

فليت شعري هل يفعل المريدون إلا ما حثَّ الناس إليه من ذكر الله ؟ ! ، وأيّ شيء يقول لمن قال له : نحن نتبع أمرك ونقبل وعظك ، وقد أمرنا شيخنا بما أمرتنا به فشيخنا معينك ومصدّقك فلعلّه لا يدري ما يقول .

ومن أراد أن يعلم بيان وجوب اتخاذ الشيخ الكامل لكلّ فرد من أفراد الرجال والنساء ، ووجوب تعلّم علم الباطن من الشيخ المرشد فليطلع على كتب أهل التحقيق من الفقهاء والصوفية ، فقد بسطوا في حقها الكلام ، وأثبتوا فيها الدلائل والنصوصات بحيث لا يبقى بعدها إنكار ، ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكال ، كـ « التحفة » لابن حجر من كتاب (السير) والرملي منه و« فتاوى » ابن حجر في ٥٧ و« المتممات » و« جامع أصول الأولياء » و« لطائف المنن » و« الميزان الكبرى » و« الميزان الصغرى » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » للشعراني و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري و« الفتاوى العمريّة » و« رسالة عبد اللطيف » و« الفتاوى » لمحمد علي الچوخيّ قدس سره ، فقد بسط الكلام بأحسن بساط ، و« النور الساطع » و« الأنوار القدسية » و« عوارف المعارف » و« الإحياء » و« البهجة السنيّة » و« المواهب البريقة » و« مجموعة الرسائل » و« شرح تائية السلوك » و« ترجمة الرشحات » و« النفائس السانحات » و« روح البيان » و« سلك العين » وشرحه و« تصديق المعارف » و« بيان الأسرار » و« الخادمي على النصائح الولدية » و« الرسالة الخالدية » و« الذهب الإبريز » وغيرها ، فهذه الكتب المذكورات ممّا قلّبنا أوراقها ، ورأينا أعْيانها ، وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة ، فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه وحصره لكثرته ، فهذا سلطان العارفين ، وعمدة العلماء العاملين في المذاهب الأربعة

يُوصي بذلك ، فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرّب أوقاته في الفلوات ، وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده من أمثالنا أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ؟ ! وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ؟ ! رزقنا الله والمنكرين التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق ، فكم وكم مرّات تكلَّم هذا الفقيه في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم ، وكم وكم افترى هذا المسكين على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من الأكاذيب ، فيغفر الله لنا وإياهم آمين .

الباب الرابع والعشرون

في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخه من الذكر

ولقد سمعْنا أنّ واحداً من العلماء قد طعن فيمن لازم على ما وضع عليه أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، ولا ينتقل إلى الأذكار والدعوات خلف الصلوات ، قائلاً : إنّي أبارز وأباحث على مَنْ أمَرَ بتلك الملازمة ، وأسْألهُ من أين أخذ هذا الأمْرَ ؟ وفي أيّ كتاب وجَدَه ؟ ! **فقد تحقّق وتبيَّن قول مَنْ قال : مَنْ اكتفى بالفقه تفسَّق**[1] ! ولله درّ ابن الفارض رضي الله عنه حيث قال في تائيته :

ونهج سبيلي واضح لمـن اهتـدى   ولـكـنـهـا الأهـواء عمّت فأعمت

انتهى .

أي : وطريقته المستقيمة التي هي فناء الوجود واضحة لمن اهتدى بالنور الأزليّ الذي رشّ على الخلق ، فمن أصابه منه اهتدى ، ولكن أهواء

(١) ومن أراد إدراك حقيقة هذا القول فعليه بمطالعة « فتاوى » ابن حجر في ٢١٧ .

النفس عَمَّتك ، فأعمتك عن رؤية تلك الطريق ، لأنها مبنية على مخالفة النفس . وهواها يعمي البصر كما ورد « حبّك الشيء يعمي ويصم » . انتهى من « كشف الوجوه الغرّ » عبارته ١١٣ .

قال ابن الفارض رضي الله عنه في ديوانه أيضاً :

وعن مذهبي لما استحبّوا العـمـى على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

انتهى

المعنى هنا : زيادة الغفلة في النفس والقلب ، وعدم التيقظ لأمر الله تعالى والانهماك في عمل الجوارح بالقوى النفسانية مع الإعراض عن الله تعالى وعدم الالتفات إلى تجلياته وظهوراته في آثار قدرته الكلية . انتهى من « شرح الديوان » في ١٠١ لعبد الغنيّ النابلسيّ قدس سره .

فنقول وبالله التوفيق : قال الشيخ الإمام التاج الدين ابن عطاء الله في كتاب « تاج العروس » : **ولا تكن كمن يريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هنا وذراعاً هنا ، فلا ينبع له ماءٌ أبداً ، بل احفر في مكان واحد فينبع لك الماء** . انتهى عبارته . هذا الكلام منه رضي الله عنه إشارة إلى الملازمة على ذكر اسم واحدٍ ، وتكثير ذكره من غير أن ينقل إلى غيره . وراجع « ماهية التصوفً » لأبي سعيد الخادمي و« المتممات » فالأولى والأصلح لمن له شيخ أن يلازم على ما أمر به شيخه ، ولا ينتقل إلى غيره .

وفي « الباقيات الصالحات » : أنّه وقعت المباحثة بين شخصين ، قال أحدهما : الذكر أفضل من تلاوة القرآن ، وقال الآخر : التلاوة أفضل من الذكر ، فخرج شيخنا في ذلك الأثناء ، وقال ، فيما ذا كنتم تتكلمون ؟ فعرضوا عليه المباحثة ، فقال : **الكون مع الله أفضل من الكلّ** .انتهى عبارته ١٤٠ . يعني : أن ما يؤدي إلى وجهة القلب إلى الله والحضور معه فهو أفضل . ولا شك أنّ ملازمة الذكر أشدّ جلباً ممّا سواه لصرف القلب إلى الكون مع الله ، فافهم والله أعلم .

وفي « النفائس السانحات » في تذييل « الباقيات الصالحات » : أن المداومة على الذكر من فرائض طريق أولياء الله ، تعالى **فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإنّ القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير** . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ينبغي للسالك أن يعمّر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة ، وحفظ مداركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سرّه وهمّته عن التوجه إلى غير مفهوم لفظة الجلالة حتى تكون ملكة حضوره . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمرٌ لنسبة الجذبة الإلهيّة . انتهى .

وكذا في « الباقيات الصالحات » : جاء مولانا يوماً حجرتي ورأى مصحفاً في الرفّ ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قلت : هو مصحف ، قال : إن ذلك من علامة البطالة ، يعني : أن وظيفة المتبدئ في بداية سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات . وقال : إن تلاوة القرآن من وظيفة المتوسطين ، والصلاة شغل المنتهين ، وأهم المهمات للمبتدئين الاشتغال بالنفي والإثبات . وترك الأهم والاشتغال بغيره بطالة ، كمن يقرأ الفاتحة في قعوده زعماً منه أنها أم القرآن . انتهى عبارته فتدبره .

وقال الشيخ مم دبر الروشيّ قدس سره في كتابه « إظهار الحق » نقلاً عن الشعراني . وقال أيضاً سمعت سيدي عليّاً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : إياكم وأن تنكروا على شيخ أمر مريدَهُ بتقديم صلاة النافلة أو الذكر مثلاً على طلب العلم أو عكسه ، فإنّ في ذلك مشاهدة صحيحة للأشياخ ، وكذلك لا ينبغي لكم الإنكار على شيخ ينهى مريده عن صلاة النافلة أو العلم ، ويأمره بالذكر ، فإنّه ربّما رأى نيّته في العلم فاسدة بالكشف والقرائن ، ورأى عنده جهلاً بالله تعالى لغلظ حجابه ، فأمره بالذكر .

إذا رأيتم المريد يكثر من النافلة ويقلّل من الذكر فاعلموا أنه بطّال لا يجيء منه شيء في الطريق ، لأنّ الصلاة النافلة من صلاة الكمل لا المريدين . انتهى من عبارته .

وفي « الفتاوى العمريّة » : **اعلم أنّ الذكر هو العُمْدة في جميع الطرق العليّة ، فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر والفكر ، والحضور والمراقبة** ، وذلك أفضل العبادات ، وأقرب الطاعات والقربات في الطرقات ، بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن المؤكّدات ، لأنّ العابدين لو اشتغلوا بجميع الطاعات سوى ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً قلّما يحصل لهم تزكية النفوس وتصفية القلوب ، وهو مأمورٌ وثابت بالأدلة الأربعة ، وأفضليته ثابت بقوله تعالى ﴿ **ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ أي : ولذكر الله أكبر في إزالة مرض القلب من الصلاة وتلاوة القرآن ، فإن الصلاة وإن كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وكذا التلاوة ، لا توصلان إلى الله تعالى ، بل توصلان إلى الجنة والثواب العظيم ، **وأما الذكر** فهو موصل إلى الله[1] تعالى ، فبينهما فرق عظيم ، لأنّ قيمة الذكر بقدر المذكور ، فحينئذ فذكر الله أكبر من تلاوة القرآن وصلوات النوافل . « روح البيان » ملخصاً .

اعلم أن الذكر من الواجبات ، لأنّ الأمر إذا تكرّر يكون للوجوب على قاعدة الأصوليّين ، وقد تكرّر الأمر في القرآن والحديث في مواضع لا تحصى . « هدية الذاكرين » . انتهى من عبارته .

---

(١) هذا عند أهل الباطن والسالكين ، وأما عند علماء الظاهر أن قراءة القرآن أفضل ، كما صرّح بذلك عمدة المذاهب الإمام النووي في « التبيان » قبيل الباب الثالث وفي « فتاوى الرملي » وسائر الكتب الفقهية ، والسلام . (هامش الأصل) .

وقد يكون الذكر حديث نفسٍ بالنسبة إلى غيره[1] ، فافهمه .

وقد قال العالم الرباني أدرة العرادي النقشبنديّ - رحمه الله تعالى ، ورزقه ما فيه صلاحه في الدارين آمين - : **إن الشيخ طبيبٌ والمريد مريضٌ ، والطبيب يعطي المريض ما يوافق مرضه من المأكولات ،** ويمنعه من غيره وإن كان من أشرف المطعومات . انتهى ما قاله في حق حثِّ الأشياخ المريدين على ملازمة الأذكار لا على قراءة القرآن ، وذلك القول منه رحمه الله في غاية التحقيق ، لأنّ المريد مريض بمرض الغفلة بسبب كثرة الخطرات ، فقد مسّت الحاجة لدفع مرض الغفلة بكثرة الذكر في جميع الأوقات . وقد شبّه صاحب « الرشحات » الذكرَ بالفأس يقطع به شوك الخواطر . فراجعه .

وقراءة القرآن قد تحمل قارئه مرّة إلى التفكر في الجنان ، ومرة إلى التخيل في النيران ، ومرة في التدبر في قصص الأنبياء والآخرة ، فناسب لمن غلب على قلبه الغفلات أن يلازم الأذكار الملقنات لا بالقراءة والدعوات لئلا تكون سبباً لزيادة الخطرات إلى أن يصير الحضور القلبيّ ملكة راسخة ، لا يشغله شيء من الأغيار ، ويصير كالبحر يحمل كلّ ما ألقي إليه ، ولا يتكدّر .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » : **إن الذكر أفضل من قراءة القرآن للذاهب[2] إلى الله** . انتهى بالمعنى وباختصار .

---

(١) يعني : أنّ الذكر بالأسمآء الفروعيّة كالغفور والرحمن يطلب الأغيار كالمغفور والمرحوم كما مر في الباب الرابع عشر ، ولذا قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » : فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار .

(٢) فاللائق لقارئ القرآن حال قراءته أن يقف مع صاحب الكلام لا مع ما يدل عليه الكلام . وهذا دقيق لا يفهمه إلا حاذق . (منه رحمه الله) .

وفيه أيضاً في موضع آخر : إن كنت ذاهباً إلى الله مستغرقاً به لم تفتقر إلى ترتيب الأوراد بَلْ ورْدك واحدٌ ، وهو ملازمة الذكر . انتهى عبارته .

فما في الأذكار أعظم فائدة لطرد الغفلة عن القلب من ذكر الاسم (الله الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار كما يطلب قراءة القرآن والدعوات وسائر الأسماء الإلهية ، فتدبره فإنه نفيس لا ينكره إلا خسيس .

الباب الخامس والعشرون

في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا

وأما ما يفعله بعض الأولياء الذي أجازه شيخه الكامل - رحمه الله تعالى وجعلنا معهما في دار الجنان - من أمره بفَعْلِ الرابطة على نفسه مع كون شيخه لا يأمر بذلك ولو إلى نفسه ، بل يفعل هو ومريده الرابطة الشريفة إلى روحانية الغوث الأعظم محمود الفعال الألمالي قدس سره ، فالقلب يتردد فيه ويتحيّر ، والمطلوب من الله العفو والمسامحة إن كان في ذلك التردّد والتحير زلّةٌ .

فقد قال الخاني في « البهجة السنية » : ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كان مع الإنسان الكامل المتصرف بقوّة الولاية ، لأنّ الإنسان الكامل مِرآة الحق سبحانه وتعالى ، **فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها** . وأطال فيها الكلام ، ثم قال : **تنبيه** : قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقآء بعد الفناء في الله تعالى الأتمين ، ولكن هنا مزلّة الأقدام ، لأنَّ هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ، ونهايتها في بدايتها ، فربّما يحصل للمريد بعضُ أحوال قبل فنائه ، فضلاً عن حصول

بقائه ، فيظنّ كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يَجْعَلُوهُ رابطة فيخسر هو ومن رابطه ، فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنّه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ، ويأمره بذلك . وقد أخلّ بهذا الشرط في هذا الزمان أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن بتلقين الذكر من جناب حضرة سيّدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا ، أبي البهآء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجدديّ ، قدس الله تعالى سرّه ، وأمرهم أن يلقّنوا رابطةَ نفسه للمريدين ، لأنّه مشهود له بالكمال ، ومأذون له بذلك من قِبَلِ مرشده الكامل المشهود له كذلك ، فبعضهم في حياة شيخنا ـ قدس سره ـ أَخَلُّوا بهذا الشرط ، وأمروا المريدين الذين دخلوا الطريقة عندهم بأن يرابطوا بهم ، مع نهيه وزجره لهم عن ذلك ، كما يشهد بذلك كتابه – قدس سره – إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ فلان ، عصمه الله عمّا وَصَمَه ، وصَانَهُ عمّا شانه ، آمين .

أما بعد : فقد قال كثير من نجوم الاهتدآء ومصابيح الاقتداء : بأنّ الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمه . وصرَّح محقّقوا طريقتنا بأنَّ رابطة مَنْ لم يفن عن وجوده لا تورث الفنآء للسالك ، بل قد تورِّطُه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنّا السّلام والكلام ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تُواجهُونا أحياناً بأنفسكم ، وإلاّ فتراجعونا بالنّقير والقطمير ! وتذكّرونا دائماً بالتحرير مع السفير ! ومن خدّامنا من هو أبعد شقة منكم ، وأقدم صحبة وأكثر خِدْمةً ، لا يتحرّك بدون إشارتنا . ولا تَقِسْ هذه الطريقة بخُزَعْبلاَت متشيّخي العصر ، وتُرَّهَات أرباب الخدع والمكر ، **فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربِّه ، والإعراض عنه إعراض عنه ، فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له فإنّه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلاّ بأمري ، فضلاً عن مزاحمتهم لخلفآء الأطراف** من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم

في التغافل الذي تستعملونه ! لنُعرض عنكم بالكلية ، وخَرْطُ القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ختام . قاله بلسانه ، ورقمه ببنانه ، حضرة العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي الكردي العثماني . انتهى .

وقال فيه أيضاً بعد نقل صورة الإجازة : والمقصود من ذلك أن حضرة سيّدنا ومولانا الشيخ خالد قدس سره لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك ، وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأتمين ، ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك . والعجب العجيب أنّ بعض مريدي هذا المنهيّ المزجور هم كذلك يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، وادَّعى بعضهم أنّ الميّت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفاتٌ إلى الدنيا ، وهذا القائل خطؤه أشدّ من خطأ مدّعي الكمال في نفسه ، لأنّه يفهم من قوله إِنْكَارُ تصرّف الأولياء بعد موتهم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وكأنّه غفل عمّا هو متّفق عليه بين أهل الطريق .

ثم قال بعد كلام قليل : واعلم أن جناب سيّدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي ـ قدس سره ـ خرجت روحه الزكيّة من الدنيا إلى المقامات العليّة من الآخرة ، ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ، ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة فيما نعلم ، بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدّمنا لك بعضه .

وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول : ما عندي مريدٌ ، بل إسماعيل نصف مريد ، يعني : جناب سيّدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته ـ قدس سره ـ وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة ، مع أنّه مشهود له ببعض الكمالات من مرشده الكامل ، ومنصوبٌ مقامَه .

وكذلك جناب سيّدنا ومولانا وشيخنا الشيخ عبد الله الهروي ـ قدس سرّه ـ لمّا جلس مجلس الكمال بعد سيّدنا الشيخ إسماعيل ـ قدس سره الجليل ـ لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء .

فانظر أيّها الأخ إلى أدب هؤلاء السادات الكرام الذين هم أخصّ رجال الطريقة العلية النقشبندية الخالدية .

وأنا الفقير إلى الله أقول : لي بِهِمْ أُسْوَةٌ ، لا أرضى لأحد ممّن يحبّنا أن يرابط بغير حضرة سيّدنا قطب العارفين الشيخ خالد ـ قدس سره العزيز ـ وقد أطلنا الكلام هنا لأجل التنبيه والتحذير من الاغترار بذلك ، لأنّ ضرره عظيم على المريدين ،

مهم

لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، والناقص هو عاجزٌ عن دفع الغفلة والظلمة ، وطرد الشيطان عن قلبه ، فكيف بمن يستحضره ؟ ! ويُدلّك على أنّ سبب ادِّعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني ـ قدس سره ـ في بعض مكتوباته بقوله : ولمّا كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوالٌ تشبه أحوال المنتهين ؛ بحيث لا يفرّق بين هذين النّوعَيْن من الأحوال إلاّ عارفٌ حديد البصر من الرجال ، فعلى هذا التقدير لا ينبغي أنْ يجازَ صاحب تلك الأحوال ، فإنّ في هذه الصورة ضرر صاحب تلك الأحْوال أكثر من ضرر من يصير مريداً له ، إذ يحتمل أن يمنعه **تخيُّل الكمال عن الترقيات ، بل يمكن أن يوقِعه حصول الجاه والرياسة الّتي هي من لوازم مقام الإرشاد في البلاء ، فإنّ امارته بعد باقية على كفرها** ، ولم تجد التزكية سبيلاً إليها ، ولا للقلب سياسة عليها . انتهى الخاني في « البهجة السنية »

الباب السادس والعشرون

في بيان أن الجاهل لا يجوز أن يكون داعياً إلى الله تعالى ، وبيان بعض أوصاف الشيخ المرشد

سمعت شيخنا يحكي عن شيخه العالم الرباني الحاج جبرائيل أفندي قدس سرهما أنه قال : إن الخلافة أمرٌ عظيم لا يجوز أن توضع إلا فيمن اجتمع فيه العقل والعلم معاً ، ولا يجتمعان في شخص واحد إلا نادراً . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول في حق واحد من المأذونين : ليس في ديارنا أحد أحسن أحوالاً منه إلا أنه جاهل ، والجهل لا يترك شخصاً إلا نقص منه شيئاً . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يعيب على شيخ أَذِنَ لجاهلٍ ولو كان مشى على المقامات . وما قاله رضي الله عنه يوافق بما في كتب أهل التّحقيق .

قال الغزالي في « النصائح الولدية » : **وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً للرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يكون عالماً** . انتهى من عبارته . أي : بعلوم الشرائع والأخلاق ، وبصيراً بعيوب النفس . انتهى « خادمي » من عبارته . **لا أنّ كلّ عالم يصلح له** . انتهى . أي : أن يتخذ شيخاً يقتدى به ومرشداً . انتهى « خادمي » عبارته .

وفي « ترصيع الجواهر » : وأما الصفات يعني : صفات الشيخ المرشد فهي أن يكون عالماً بالشريعة على قدر ما يحتاجه المريد من الفقه وعقائد التوحيد ، بحيث يزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية وإن لم يكن متبحراً . ويكون عالماً كمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها وأدويتها وكيفيّة حفظ صحتها واعتدالها ، وأن يكون على

اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وأن يكون عاقلاً بالعقل الديني والمعاشي ، وشجاعاً وعفيف النفس ، بل قال بعضهم أنه يجب على الشيخ أن يتعفّف عن مال المريد إلا من علم أنه يفرح ويستبشر بقبول ماله ، وأن يكون عالي الهمّة مشفقاً على المريد ، وحليماً وعفوّاً وحسن الخلق وصاحب إيثار ، وكريماً ومتوكلاً ومسلماً وساكناً في الحركات ، وثابت القدم في الإرادات ، وصاحب هيبة . فالموصوف بهذه الصفات متخلّق بأخلاق الله تعالى ، فيوصل المريد إلى الحق بإذنه في مدة قصيرة بشرط أن يكون المريد قابلاً . انتهى عبارته .

الشيوخ نواب الله تعالى في العالم

وفيه قبيل هذا : والحاصل أنّ الشيوخ نوّاب الله تعالى في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام ، فلهم حفظ الشريعة وحفظ القلوب ، ومراعاة الآداب ، وَحَظ الشيخوخة من العلم بالله تعالى أن يعرف من الناس موارد حركاتهم ومصادرها ، والعلم بالخواطر مذمومها ومحمودها ، وموضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود ، ويَعْرف ما لهم ، وما يَحْوُون عليه من الخير الذي يُرْضيه تعالى ، ومن الشر الذي يسخطه ، ويعرف العلل والأدوية ، ويعرف الأزمنة والسنين والأمكنة والأغذية ، وما يصلح المزاج وما يزعجه ويفسده ، ويعرف الفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخياليّ ، ويعلم التجلّي الإلهيّ والتخيُّل الشيطاني ، ويعرف التربية كما ذاق ، ويعرف انتقال المريد من الطفوليّة إلى الشباب إلى الكُهُولة ، ويعلم متى يترك التحكم في طبيعة المريد ويحكم في عقله ، ومتى تصدق خواطر المريد ، ويعلم ما للنفس من الأحكام ، وما للشيطان من الأحكام والأوهام ، وما تحت قدرة الشيطان ، ويعرف الحجب التى تعصم الإنسان من إلقاء الشيطان في قلبه ، ويعلم ما تكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد ، ويفرّق للمريد إذا فتح عليه في

باطنه بين الفتح الرحماني والفتح الشيطاني ، ويعلم بالتوسم أهل الطريق الذين يصلحون والذين لا يصلحون ، ويعلم التحلية التي تحلَّى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الحق وهم له كالماشطة تزيّنها ، فهم أدباء الله ، عالمون بآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة .

وبالجملة فالشيخ الكامل هو الجامع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أنْ يتأهّل للمشيخة ، ومهما نقص شيئاً مما يحتاج اليه المريد فلا يحلُّ له أن يقعد على منصبة الشيخوخة ، وإذا تصدَّى للتسليك والحالة هذه **كان ضالاً مضلاً كالطبيب الجاهل يمرِّض الصحيح ويقتل المريض ويفسد أكثر مما يصلح** .انتهى من عبارته ١٢ . نعم السالك الناقص الذي أذن له شيخه الكامل المتصف بما ذكر لعله يجوز له ذلك ، لأنّ يدَه يدُ الكامل وتربيته وتصرفه تربية الكامل وتصرفه كما مرّ في الباب الثالث والله أعلم .

قال في « قلائد الجواهر » في ١٢ : ومما ينسب إليه ـ يعني عبد القادر الجيلاني ﵁ هذه الأبيات :

إذا لم يكـن للشيخ خـمـس فوائد   وإلا فـقـد جـال يقود إلى الجهل
عليمٌ بأحكـــام الشريـعـة ظـاهـراً   ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظـهـر لـلوُرَّاد بـالبشر والقِــرى   ويـخضـع للمسكين بالقول والفعل
فذاك هـو الشيـخ الـمـعظم قدره   عليم بـأحـكـام الـحرام من الحلّ
يُهذِّب طــلاب الطـريـق ونفسـه   مـهَّـذبة مـن قبل ذو كـرم كـلـي

وقال ﵁ : وصفة المقتدى به للسلوك أن يكون عارفاً بالعلوم الشرعية والطِبيَّة ، ومصطلح السادة الصّوفية ، ولا يستغني عن ذلك . انتهى من عبارته .

وفي « شرح تائية السلوك » للعلامة الوحيد عبد المجيد الشرنوبي الأزهري قدس سره : وكان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد يقول : لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظّاً من كل علم شرعيّ ، ويتورَّع عن جميع المحارم ، وأن يزهد في الدنيا ، وأن لا يشرع في مُدَاوَاة غيره إلاّ بعد فراغه من مداواة نفسه ، ثم قال : وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف ! فإنه من جنود الشيطان ، واعْتَبِرْ أقواله وأفعاله وأحواله ، وزِنْها بميزان الشريعة والطريقة ، فإن رأيت شيئاً مخالفاً لهما فردَّه ، فإن كان صاحب حال صحيح وردّدْته ! فما عليك من ردِّه بحكم الشرع ، ولا تتخذْه شيخاً ومرشداً . انتهى من عبارته ٢٠ .

وقال صاحب « الرائية » :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له ... فما هو إلاّ في ليالي الهوى يَسْرِي
إذا لم يكنْ علم لدَيْه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلاّ أنه غيرُ جامع ... لوصفيهما جمعاً على أكمل الأمر
فأقربُ أحوال العليل إلى الردى ... إذا لم يكن منه الطبيبُ على خبر

انتهى .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره : إن الجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ! ولا في طريق الباطن راجعه وفي « المنن » في ٢٥ ج ١ .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : قد أجمع أشياخ الطريق على أنّه لا يجوز لأحدٍ التصدُّر لتربية المريدين إلا بعد تبحُّره في الشريعة وآلاتها . انتهى راجعه .

وفيه أيضاً في موضع آخر في ٦٨ : فمن أراد من الفقهاء أن يصحب أحداً من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر ، فإن رأى أفعاله وأقوالَه[١] على الكتاب والسنة ! وعقيدة صحيحة ! فليصحبه ، وإلاّ ! فليتركه بعد أن ينصحه . انتهى .

وفيه أيضاً قبيل هذا ما معناه : إنما كرامة الولي الاستقامة على الشريعة لا غير ، فهذه هي أعظم الكرامات . **ولقد** رأيت في عصرنا هذا شيخاً أُمِّيّاً يتكلَّم في الكشوفات والكرامات ، ويخبر ما ظهر له من خوارق العادات ، **وأظن ـ والله أعلم ـ أنّ سبب شيخوخة أكثر المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا من طرف الكشف والكرامة ، فإذا ظهر لهم منها شيء ظنُّوا أنهم صاروا من الخواص** ؛ مع أنهم لم يضعوا قدماً واحداً في أوّل مقام من مقامات الإرادة ، فضلاً في مقام المشيخة .

ورأيت في هامش « ترصيع الجواهر » من منهوّاته هذه العبارة : وقد قسم الكشف في « الذهب الإبريز » إلى قسمين : نورانيّ وظلمانيّ ، وفرّق بينهما :

بأنّ **النوراني** هو الاطلاع على الأشياء الباقية كالجنة واللوح المحفوظ .

وأما **الظلمانيّ** فهو الاطّلاع على الأشياء الفانية ، كأن يطَّلع على ما في دور الناس من طعام وغيره ، وهذا النوع قد يحصل بالرياضة ، وهو غير مُعتَدٍّ به ، والسالكون يستجيرون منه . انتهى ، وقد مر الكلام في « الكشوفات » مبسوطاً في الباب الثاني والعشرون . فينبغي للعاقل أن لا يغترَّ بها ، والله وليّ التوفيق .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي ـ قدس سره ـ يحكي عن شيخه الحاج جبرائيل أفندي روح الله روحه أنّه قال : إنّ مهماتي

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعلّ : موافقة على الكتاب .

وتصرُّفي استطاعتي على منع ظهور الكشف للمريد ، وعلى سلب الوجد والجذبة ممّن يظهر عليه . انتهى .

يعني : أنّ أكثرهما من الشيطان ، وأغلبهما من الحظوظات . فافهم .

البَابُ السّابعُ والعِشْرُونَ

في مسائل مُتفرّقة متعلّقة بأَحْوالِ المتشيّخةِجرّهم الله تعالى وإياي إلى طريق الحق ، وسامحهم الله بحرمة السادات

وقد قصدت الآن أن أقصّر جُهْدَ المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضل على هذا الباب تبركاً بالعدد الوتري ؛ لما أنّ الله وترٌ يحب الوتر .

قال الشعراني في « المنن » في الجزء الأول في ٦٨ : ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم النّاس! أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح ، أو بَعْضه لا غَيْرُ ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلَّى أو صام أو حج أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرّعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى عبارته .

ولا يخفى أنّ تكميل الغير فرْع كمال الإنسان نفسه ، وهو درجة الولاية الخاصّة ، فمتى طلب الشيخ من دَعْوَته وتلقينه وإرشاده عوَضاً أو غرضاً أو حَظاً من حُظُوظات النفس! فلا شك أنّ المريد يتبعه بالضرورة ، ولا يخلص في العبادة ، لأنّ للصّحبة تأثيراً عظيماً : وقد يسرق الطبع بالطبع : والمرء على دين خليله ، وقد صار اتباع المريد بمن لا يخلص في إرشاد الناس إلى الحق سبباً لهلاكه ، لإنّه قد يحصل التأثير في الأشياء بما عليه مُباشرها عند المباشرة ، شرّاً كان أو خيْراً ، بل ينتقل ذلك التأثير إلى الجمادات والمطعُومات ، ويسري منها ذلك التأثير إلى مَنْ يتعاطى

بها ، ولقد أردت أن نبيّن ذلك بأبلغ بسط بإيراد المنافع النفيسة التي أكثر الخلق عنها غافلون .

قال عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » في ١٦١ في ترجمة عبيد الله أحرار قدس سره في قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ : هذه المعية ؛

إما حسية ؛ وهي مصاحبتهم ومجالستهم فمن داوم على ذلك نوّر الله قلبه بأنوار باطنهم ، وأنعم عليه بالتحقيق بأخلاقهم .

وإما معنوية : أن يكون متوجهاً لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم ، بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضوراً ، فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبيّ انعكس عليه جميع أسرارهم أو المراد من هذا الأمر الواجب الامتثال أن الطالب ينبغي أن يرابط قلبه بالصادق ؛ وهو من تنزّه عن الغير والسوى : يقال رمح صدوق أي : لا انحراف فيه ولا اعوجاج ، أي : فلا ينبغي أن يلتفت إلى شيء آخر حتى التجليات الأسمائية والصفاتية ، أو المراد كن عاشقاً واصحب ، لا غير ، فإن كان استاذك نحويّاً فلا بدّ أن تصير نحويًّا ، أو محويّاً فمحويّاً ، جليس إمام النحو - في النحو يرتع ، وصاحب قيس المحو - يبرع في المحو ، لأنّ الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحبة ، ولهذا أمر بها فلا عمل أنفع ولا أجذب للأحوال منها بدليل : جذبة من جذبات الحق توارى عمل الثقلين . انتهى من عبارته .

وذكر محمد خاني في « البهجة » في ٥٢ والشيخ عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » في ١١٣ : **أنّ النظر إلى وجوه أصحاب الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة ينطبع في القلوب الصافية بما في قلوبهم بمجرد ذلك النظر** راجعهما .

قال عبد المجيد : وقال الغزالي في « جواهر القرآن » : واعلم أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج - ثم من طهارة البدن وهو

القشر القريب – طهارة القلب ، وهو اللب الباطن . وطهارة القلب عن نجسات الأخلاق أهم الطهارات كما سنذكره في القسم الثالث ، ولكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهر أيضاً تأثير في إشراق نورٍ مّا على القلب ، فإنك إذا أسبغت الوضوء واستشعرت في نظافة ظاهرك ٍصادفت في قلبك انشراحاً وصفاء كنت لا تصادفه قبله ، وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت ، فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته وأما هبوطه إلى عالم الشهادة كمثل الغريب عن خلته ، وكما ينحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح ، فكذلك قد يرتفع من أحوال الجوارح التي من عالم الشهادة ، وكذلك جعلها رسول الله ﷺ في الدنيا ومن الدنيا وقال « حبّب إليّ من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة » ولا تستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر على الباطن ففي بدائع صنع الله أمورٌ أعجب من هذا ، **إذ قد عرف بالتجربة أن الجَامِعَ في حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرق أو حمرة فانية**[1] **حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود إلى ذلك اللون الذي غلب عليه** ، وأنّ الجنين وقت ما يتحرك في البطن تميل صورته إلى الحسن إن كان الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه إرادة صلاح المولود ويدعوا الله بذلك فيقول : اللهمّ جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا ، حتى يفيض الله مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله نور المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة . انتهى من عبارته .

وفي « **الشرعة** » : ويمثل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقة وأقوم جثة ثم يطأ . انتهى أي : لأنّ الولد يصير على صورة ما عليه المجامع والله أعلم . وهكذا في شرح « شرعة الإسلام » .

---

(١) أي : صافية .

وقال الشعراني في « المنن » : ومما أنعم الله تعالى به عليّ كثرة شفقتي على ذريتي من قبل أن تحمل بهم أمهم ، **وذلك إني لا أجامع أمهم قط وأنا غافل عن الله تعالى وتبارك ، كما مر في نعمة قبله ، ولا أجامعها وأنا غضبان** ، ولا أنا مقبل على الدنيا ، ولا أنا مخاصم أحداً لحظ نفس ، ولا أنا حسود أو متكبّر على أحد من المسلمين ، وذلك كله عملاً بقول بعض [أهل] الكشف : إن الولد يكوّنه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التي كان عليها والده حال الجماع : من باب ربط الأسباب بالمسببات . وهذا وإن لم يصح فيه شيء من الشارع ﷺ **فالتحرز منه أولى عملاً بكلام أهل الكشف** ، والله غالب أمره ، فلا أثر للطبيعة في تخليق الولد فافهم . فعلى ما قاله أهل الكشف ينبغي لمن كان متلطخاً بشيء من الصفات المذمومة شرعاً أن لا يجامع زوجته أيام توقع الحمل إلا بعد أن يتوب من كلّ ذنب توبة خالصة ، ثم يجامع .

وكان الشيخ أحمد بن عاشر المغربي شيخ تربة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى لا يجامع زوجته من حين تحمل حتى تضع حملها وتعظمه خوفاً من الولد من القيلة الواردة في الحديث ، وإن قيل بنسخ ذلك ، وكان إذا مدحوه على ذلك يقول : وهل ذلك إلا خلق البهائم ، فإن البهيمة بمجرد ما تحمل لا تمكن الفحل يعلوها أبداً . انتهى .

وكان سيدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ليتأمل الشخص في صفات أولاده ، فإن وجد صفاتهم حسنة فهي أخلاقه أو سيئة فهي أخلاقه ، من حيث النطفة نزلت من ظهْرِه بتلك الصفات ، فلا يلومنّ إلا نفسه . انتهى من عبارته .

وفي « شرح الفصوص » : والصور التي تشهدها المرأة أو تخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد . قيل : إن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحيّة ، ولما سئلت عنها أخبرت بأنها حين المواقعة رأت حيّة . انتهى عبارته .

وفي « الباقيات الصالحات » : وقال قدس سره في بيان كون الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة : وقع يوماً فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال لأصحابه : قد دخل في مجلسنا هذا أجنبي قد طار عليّ فتور بسببه ، فالتمسوه ، فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغ : ليس في المجلس أجنبي فقال : التمسوه من بيت العصا ، فالتمسوه منهً فوجدوا عصاً أجنبية فرموها بعيداً ، فإن الشيخ واجداً[1] لوقته في الحال ، وتبدلت تفرقة بجمعية وانشراح البال . انتهى .

وفيه أيضاً : وقع الفتور على واحد لأجل نعل أجنبية في صف النعال ، فرموها خارج البيت فحصلت الجمعية وهكذا في « ترصيع الجواهر » راجعه .

وفي « الباقيات الصالحات » أيضاً :وقال قدس سره : إن تأثير الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمر مقرّر عند أرباب التحقيق . انتهى عبارته .

وفي « النفائس السانحات » أن السيد نور محمد البداوي قدس سره كان لا يأكل طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره من ظلمة الشبهة .

جاء طعام من بيت واحدٍ من أهل الدنيا فقال : تظهر منه ظلمة ثم قال لمولانا مرزاجان جان قدس سره على وجه الالتفات : أمعن النظر في هذا الطعام ، فتوجه إليه امتثالاً لأمره ، ثم قال : إن الطعام من وجه الحلّ ، ولكن تطرقت إليه الظلمة والعفونة بسبب الرياء فيه .

وإذا استعار كتاباً من أبناء الدنيا كان لا يطالعه إلى ثلاثة أيام قائلاً : بأن ظلمة صحبة الأغنياء غشيت غلافه وجلده ، فإذا زالت ببركة صحبته كان يطالعه حينئذ . انتهى من عبارته .

---

(١) هكذا في نسخة التي بيدنا ، ولعله : وجد .

وفي « الرشحات » : إن الاحتياط في اللقمة من اللوازم ، حتى ينبغي كون من يطبخ الطعام على طهارة كاملة ، وأن يوقد النار بالحضور والشعور .

وكان حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره لا يأكل من طعام صدر عند طبخه غضب أو كلام فاحش ، وكان يقول : إن لهذا الطعام ظلمة لا يجوز لنا أكله .

وخرج حضرة شيخنا مرة وقت السحر للتوضؤ في قرية « تل كلاغلان » وهي قرية واقعة على فرسخين من سمرقند ، وكان في غاية البرد من فصل الشتاء ، وقد وقع ثلج عظيم ، ومرّ بباب المطبخ ورأى فيه غلامين قد ملأ القدور الكبار بالماء ، وسخناها لطهارة الأصحاب ، ويتكلمان في ذلك الأثناء بالهزل ، فوقف ودعاهما وغضب عليهما وطلب العصا ليضربهما وعاتبهما كثيراً ، وقال : ألم تعرفا أنه ينبغي أن يحضر القلب وقت تسخين الماء وطبخ الطعام ، وأن يحفظ اللسان عما لا يعني من فضول الكلام حتى يظهر نور الحضور في قلب من توضأ بهذا الماء أو أكل من ذلك الطعام ، **فإن الماء المسخن بالغفلة ، والطعام المطبوخ بالفترة تحصل منهما ظلمة في الباطن وغفلة** ، فشفع لهم مولانا لطف الله الذي من مقرّب الأصحاب ومقبول الأحباب فعفى عنهما ، ومضى لسبيله . انتهى من عبارته .

وفي « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » للفاني في الله الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي عفى الله عنه في ترجمة رئيس الطريقة بهاء الدين محمد نقشبند قدس سره : وكان يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ، ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة ، وإذا اجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ، ويؤكّد عليهم في ذلك أشدّ التأكيد ، وكلّما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة

ينبّهه من طريق الكشف عليها ، ويمنعه من أكلها ويقول :صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ، ولا يحصل العبد الحضور في جميع الأوقات لاسيّما أوقات الصلاة إلا بهذا . وكان إذا قدم إليه طعام في حال غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة ، بل لو كان وضع فيه أحد مِلْعقة على هذا الحالة لا يمدّ يده إليه ولا يدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً .

وروي أنه ذهب مرة إلى « غزيوت » فقدم إليه أحد مريده طعاماً فقال له : كان صانعه منذ عجن عجينته إلى أن تمّ طبخه في حال غضب فلا يليق بنا أن نأكل منه ، فإن كلّ ما جعل في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة ، بل يجد الشيطان فيه سبيلاً فكيف ينتج . انتهى من عبارته في ٣٥ .

وفي « الرسالة الخالدية » وكذا في « المتممات » : **لقمة الحضور تورث الحضور ، ولقمة الغفلة تورث الغفلة** .انتهى .

ولقد كان شيخنا ذوالجناحين الحاج عبد الرحمن العسليّ يهدّدنا من أكل الطعام المفعول بيد الحائضة, وكنا لا نأكل ذلك الطعام ، ولانترك أحداً من أضيافنا أن يأكل منه ، بل نسعى أن نفعله بيدنا ، فالحمد لله رب العالمين .

ضرر طعام الحائضة والغافلة

وقد كنت مرّة في حجرة عند مسجد في قرية « عَسَبْ » وكان بي من الأحوال ما يعجبني حتى كنت وقتئذ بحيث لا أفهم من أصوات الناس وقت محاورتهم ومكالمتهم إلا ذكر بلفظة الجلالة وكنت أجد جميع لطائفي تتحرك بحركات عجيبة بالذكر بحيث لا أطيق أن أسكنها ولو في الخلاء ومحلّ النجاسة . ففي ليلة سلب عنّي تلك الأحوال ، ولم أشعر سببه ،

فطرأ عليّ من الندامة ما لا يوصف ، ثم عرَّفْتُ ما وقع لي الشيخَ المذكور قدس سره ، فقال : لعلك أكلتَ طعاماً صنعَ بيد الحائضة ، وتوجه إليّ وقال : قد حصل لك قبض عظيم . انتهى . وهذا بشؤم مباشرة شيء مسّ به يد تاركة الصلاة .

ورأيت في « تسهيل المنافع » : أن المرأة الطامة يعني : الحائضة تدنو من إناء اللبن تَسُوطه فيفسد ، وما ذلك إلا لشيء فصل عنها فوصل إلى اللبن ، وقد تدخل البستان فتضر كثيراً من الفرس من غير أن تمسه . انتهى ١٧٤ .

وقد نهانا الشارع ﷺ عن الأكل من طعام المتكلّفين والمتباهين ، والمتفاخرين . كذا في « المنن » . ولعلّ سرّ النهي أنّ النبيّ ﷺ قال « طعام البخيل داء » لأنّ البخيل يعطيه وفي قلبه ثقل فيورث للآكل منه ثقلاً ، وهكذا المتكلّف يصنع الطعام وفيه ثقل فاتحد العلتان . فافهمه . ومن أكل من طعام المتفاخرين يحصل منه التفاخر والتباهي بلا شكّ . وكذا تهدّدوا من أكل طعام من يأكله بدينه أي : لئلا يصل للآكل أثر شؤم أكل الدنيا بالدين ، وهو أقبح من أكلها بالدنيا ، فليتدبر العاقل المنصف الغير المتعصب المتعسف كيف يكون حال من يأكلون الدنيا بدينهم من متشيخة هذا الزمان ، ويجعلون دعوتهم وإرشادهم شبكة لاصطياد الدنيا من أبنائها .

ولقد قال الفضيل رضي الله عنه : لأنْ آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحبّ إليّ من أن آكلها بديني . انتهى .

مهم فيمن أكل الدنيا بالدين

ولقد لقيت واحداً منهم ، فكان الناس يَدُورُونَ حَوْله دوران الرحى ، ويُقَبِّلُونَ يده ويصافحونه ويُعْطُونه دراهم مَعْدُودَة ، حتّى قال لي من كان

معه وقتئذ : لعلّه وصل في كيسه عشرة تَوَامِينَ ، وهو سامحه الله تعالى وَجَدْتُهُ جاهلاً بالطريق جَهْلاً مُرَكّباً ، ولو علم الناسُ ما علمتُ منه لَمَا أعْطَوْهُ ولو فلساً واحداً ، وقد أوصيته بالدعاء فقال لي : إن المبالات بالدعاء لا تقع من القلب إلا في دائرته ، وقال لي : اذكر (لا إله إلا الله) عشر مرات و(صلّ على النبيّ عليه السلام) كذا ، فقلت في سرّي : أقولها لا لقولك ، كما قال كذلك عيسى عليه السلام للشيطان ، وفارَقْتُ مِنْهُ بالوداع وداع مَنْ لا يرجع إليه ثانياً . ولا يخلو حال أمثاله من أمْرَيْن : إما أن يكونوا صالحين في نفس الأمر ، أو غير صالحين ،

فإن كانوا صالحين ومُرْشدين كاملين ! فقد أكلُوا بدينهم ، وإن كانوا غير صالحين فقد أكلوا حراماً بالشرع ، لأنّ الناس لو اطلعوا إلى أنّهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد لم يعتقدوهم أبداً ، ولم يعطوهم شيئاً ، بل ربّما يبصقونهم على وجوههم ولم يجالسوهم .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني : وكان وهب بن منبه يقول : من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه ، وكتب اسمه في ديوان أهل النار . انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً : وقد قيل لابن مبارك رحمه الله تعالى : مَنِ الناسُ عندَك ؟ فقال : العلماء العاملون المخلصون . قيل : له فمن الملُوكَ ؟ قال : الزهاد في الدنيا . قيل له : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم . انتهى من عبارته .

وفيه : وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : إذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه .

وكان الحسن البصري يقول : عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم ، وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة ، فيتقربون بذلك من أبناء الدنيا . انتهى .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : قرأت في بعض الكتب المنزّلة أنّ أَهْوَن ما أنا صانع بالعالِم إذا طلب الدنيا بعلمه أن أحرمه لذيذ مُناجاتي .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يَقول : إذا رأيتم العالم يحبّ الدنيا فاتَّهِمُوه في دينه ، فإنّ كل محبٍّ يخوض فيما أحبّ . انتهى من عبارته .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لولا نقصٌ دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ، ولكنهم اتّخذُوا علمهم حرْفة ومَعَاشاً ، ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض . انتهى « تنبيه المغترين » عبارته .

وقال الشعراني : ولو جُعْتُ وعرَيْت لا آكل ولا ألبس بالدين . انتهى راجع « المنن » ، قال الله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

قال الإمام البركوي رحه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : بعمل الآخرة . انتهى .

مهم

فيمن تسميته باسم الشيطانية أليق من تسميته باسم المشيخة

ولا شك أن من طلبَ الدنيا بدينه ، وجرَّ الناسَ إلى جانبه بغُرورِ حِيَلِه محضاً لجلب الدراهم والدنانير لا طلباً لرضاء خالقه وامتثالِ أمْره ، فَتسْمِيَتُهُ باسم الشيطنة أَلْيَقُ من تسميته باسم المشيخة ، ويَدْخل كلّ مَنْ لم يَعْترضه في وعيد المداهنة ، ولا يجوز لأحد أن يُصاحبَه بالمُداراة ، إلاّ إن كان قصْدُه بالمُصاحبة ، أن يجرَّه تدريجاً إلى الحق بالمسارقة ،

ويخرجَه عمّا هو فيه بالمناصحة ، عافاهم الله تعالى وإيانا عمّا لا يليق بشأن الربوبية ، فبالنظر إلى ما مرّ من هذه النقولات تيقّن تأثُّر الجمادات بأحْوالِ مَنْ يَصْحَبُها بالمباشرة .

ولا يخفى أنّ التابعين لهؤلاء المتشيّخة ، مع اتحاد جنسيّتهم يُوقعُونهم في المهلكة ، مع أنّهم ظانون أنّهم على حالة مَرْضِيّة ، لأنّهم بصُحْبتهم يسارقون أحوالهم السيّئة ، ويتعدَّى منهم إليهم ما في بَواطنهم من حُبّ هذه الفانية ، ويتصرّف فيهم الشيطان كما يتصرف الصبْيَان في الكرّة ، مع أنه ليس معهم نُورٌ إلهيٌّ بلا مِرْيَةٍ ، لأنّ تلقينهم لهم صار خالياً عن نور النسبة والمَعْرفة ، فلذا تسبّب الشيْطَانُ في إهلاكهم بقوّته الغضبيّة ، وقد هداهم إلى رؤية أنفسهم الأمَّارة قائلاً : إنّكم على شيء عظيم من العُبُوديّة ، وغَيْرُكُمْ أدْنى مَقاماً منكم ، وأنتم الأعلون بالخصوصيّة ، كلاّ وكلاّ ! بل أرْداهُمْ في مهلكة العُجْب والأنانيّة ، بحيث لا رجاء للخلاص منها ولو بشيء من الحيلة ، ولعلّهم صاروا بكثرة صَلاتهم وعباداتهم وأذكارهم المأخوذة من شيوخهم في زُعْمهم مُعْجِبينَ[١] مدلين وقد جَهلُوا ما ورد في الخبر : « إنّ صَلاة المدل لا ترفع فوق رَأْسه ولأنْ تضحك وأنت مُعْترفٌ بذنبك خيرٌ من أن تبكي وأنت مدلٌّ » ولقد كانوا قبل الأخذ منهم خائفين من الله منكسري القلوب ، ظانّين أنهم من المستحقين لعذاب الله ، نادمين على ما فعَلوه من مخالفة أمْرِ الله ، ولا يخفى[٢] أنّ هذا خيْرٌ لعباد الله ، من أن يَعْبُدُوه عبادة الثقلين مُعْتَقدين أنهم بمكان عند الله ،

---

(١) والعجب : هو استعظام النعمة ، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم ، فإن انضاف إلى ذلك إن غلب على نفسه أنّ له عند الله حقّاً وأنّه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا ، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق ، يسمّى هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالّة . كذا في « الإحياء » في ٢٨١ من ربع المهلكات ، راجعه (منه) .

(٢) أي : الكون على هذا الحال والخوف . (منه) .

كيف لا ؟ ! وقد قال التاج ابن عطاء الله في « حِكَمِه » : معصية أورثت ذلاًّ وافتقاراً خيْرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً ، ولا شكّ أنّ شيخَهُمْ في زعمهم هو السبب الظاهر لوُقوعهم في هذه الورطة ، لأنّهم استكبَرُوا به استكباراً ، وظنوا أنهم بتعلّقهم به صارُوا آمنين من عذاب الله تعالى ، وبعباداتهم المخلوطة بالشوائب المحبطة عُدُّوا من أخصّ الخواص من أهل الله ، حاشا ذلك وكلاّ ! بل شيْخُهُمْ في زعمهم أرْداهُمْ في المهالك ، وسَلَّمَهم إلى أيدي الشياطين(١) ليتصرّفوا فيهم بما أرادُو منهم ، وجرَّهم الإبليس بحبل غروره إلى ذَنْبٍ طرّده الله عن رحمته لأجله ، وحَثّهم إلى أن يقول كلّ منهم : أنا خيْرٌ منه . ولم يُبالوا سوى كثرة العبادات ، بل اعتقدوا في نفوسهم أنهم من خيْرِ عباد الله ، مع أنهم في الحقيقة عبدة الحظوظات . **وأحسن أحوالهم أَن يعبدوه تعالى للخوف من النار أو للطمع في نعيم الجنان ، فلا شك أنّهم صاروا عبدة الثواب** .

وقد قال الغزاليّ في « الإحياء » : إن العامل لأجل الجنّة عامل لبطنه وفرجه . انتهى . فما أخص همّة من يعبد الله تعالى لأجل الجنّة مع أنّ الله تعالى يقول ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ الآية فانظر إلى نكارة قوله ﴿شَيۡـٔٗا﴾ وكن عالي الهمّة ، لعلّ الله ينزل بك شيئاً من الرحمة الهابطة ، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الأصنام المعنوي كالأصنام الحسيّة على حد السواء . وقد صدق القائل في حق هؤلاء المدّعين : أنّهم قطاع طريق الله ، كيف لا وقد دلّوهم إلى أن يعبدوا لأنفسهم ويتخذوا أهْواءَهم آلهة ، وهم يحسبونَ أنهم يحسنون صُنْعاً ، والمقصود من إيجاب الله تعالى جميعَ العبادات على عباده تعالى أنْ يُقرُّوا له بالذلِّ والافتقار ، وأن يخضعوا رقابهم له مُعْترفين بالربوبيّة ، فإذا فقد هذا فأيّ فائدة من العبادة ؟ ! وأيّ ثمرة من الرياضة ؟ ! وإنّما الثمرات منها هي مَحْوُ البشريّة

(١) كيف لا ، وقد قالوا : ومَنْ ليس له شيخ فشيخه الشيطان ؛ فافهم ! (منه) .

باستيلاء أوصاف الربوبيّة ، وخروج النفس من الأنانيّة ؛ ولا نفع في شجرة لا تجنى منها ثمرة . والله ولي التوفيق .

وقد روي أنّ إبليس عَبَدَ الله تعالى ثمانين ألف سنة ، ثم بعد ذلك تَكَبَّر وقال : أنا خَيْرٌ منه ؛ وبذلك وقع فيما وقع ، ولقد وَجَدْنا في مريدي مُتشيّخي زماننا رَوَائح رؤية نفوسهم على من سواهم ، بل علمنا منهم أنّهم يظنّون بهم[1] خيْراً ، ويُسِيئُون بغيرهم ظنّاً . وأخبرنا بعض الثقات أنّ شيْخَهم في زَعْمهم هدَّد لهم من الاجتماع بالطائفة النقشبندية ، ولو علم هذا البعض - سامحه الله تعالى وإيانا بفضله ، وهدانا وإياه إلى سبيله - ما عليه النقشبنديّة من الحضور الدائم ! لأمَرَهُمْ بعدم افتراقهم منهم أبداً ؛ ليأخذوا من أنوار قلوبهم حَظّاً .

وهذا التهديد من علامة الجهل المركب ، بتراكم الرَيْنِ على القلب ، ولعلّه تعصّب وتخرّب ، وكان سرَّه قد تخرَّب ، ولم يذق ما ذاقه أهل الله ، وما جرَّب ، ولو كان شيخاً ما تحجَّر وما تعصَّب ، ولا يتحجَّر على المريد إلاّ من أحبّ الجاه ولم يحسن ظنّه بمَنْ أناب .

وأخبرنا أخونا العالم الرباني المأذون الحاج حبيب الله - رزقه الله الاستقامة دائماً ووفقنا وله سرمداً - إني اجتمعت مرّة مع الاثنين من متشيخة الزمان ، في ذلك المجلس واحد من مريدي قطب الأولياء سيدي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره - وجعلنا الله تعالى مقبولين عنده اللهم آمين - فإذا توجهت قلبي إلى قلوبهما كنت تنعكس إليّ الخطرات المتراكمات والهواجس المتزاحمات ، وإذا توجّهت قلبي بقلب ذلك المريد كنت ينعكس إليّ الحضور بحيث أكاد أفني الوجود . انتهى .

وماهية الشيخ : هو الدليل إلى الله تعالى ، فمن أراد أن يعرف الشيخ الكامل ، ويميّزه من غيره فليقابل قلبه بقلبه ، فإن انتفى عنه الخواطر

---

(١) أي : بأنفسهم .

أو نقص فهو الشيخ الكامل ، وإن زاد على قلبه خطرات فهو الناقص المنتحل ، وهذا من دلائل معرفة الشيخ . كذا ذكره الخادمي في شرحه على « النصائح الولديّة » للغزالي قدس سرهما .

وقال لي أبونا العالم الرباني أدرة العرادي – أدخله الله بُحْبُوحَةَ الجنّة المعجّلة آمين – : إنّ الناسَ يظنّون أنْ ليس في قلوبهم شيءٌ من محبطات الأعمال من الرياء وغيره ، وليس كما ظنّوا ! بل إنهم لا يَعْرِفُونها ، ولا يتفحَّصُون عنها ، وكذا لم يُدْرِكُوها ، وظنّوا أنهم خالصون منها . انتهى .

وهو كما قال – رضي الله عنه – وجزاه عنا خير الجزاء – : لأنّ أكثرهم لا يعرفون القلب ولاَ مَحَلَّهُ ، حَتّى أن أبعاضاً منهم لا يجوزونَ استعمال الذكر بالقلب ! ولا يخفى أنّ القلب مَنْبَتُ الأخلاق المَذْمومات ، ومنبع المهلكات الموبقات ، ومحلّ النجاسات المعنويّات ، فلا شك أنّ مَنْ لا ينظر إلى النجاسة ولا إلى محلّها لا يبصرها ، ومن لا يَعْرِفُ محلّها لا يغْسِلها ، ولا يمكنُ تطهيرُها إلاّ باستعمال الماء على مَوْضعها ، فافهمه ! .

ومن يدّعي على خلاصه من شوائب المهلكات الباطنيّة ولو كان على شيء من العبادات البدنيّة فهو في غرور ، وعن إدراك الحق في ذهول ، وكيف لا ؟ ! وقد كان سلطان العارفين وملجأ العلماء مذهب الأئمة المجتهدين عبد الوهاب الشعرانيّ يجاهد نفسه قبل اتخاذ الشيخ له ، ومن جملة مجاهدته رضي الله عنه بغير إرشاد من الشيخ **أنه كان يجعل حبلا في سقف البيت محرراً** على عنقه إذا جلس لئلا يصل إلى الأرض **لو اضطجع ، فكان يجعله في عنقه من العشاء إلى الفجر ، فكان على ذلك سنين ، ولم يكن له علاقة دنيوية** تعوقه عن المجاهدة والوصول إلى المقصود سوى كثرة وجود العلل في أعماله ، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداه ولحمته ، وكان يعرضون عليه ألف دينار أو أكثر ، فكان يردّها ولا يقبلها ، وكانت المباشرون والتجار يأتون بالذهب والفضة

فينشرهما في صحن جامع الغمري ، فيلتقطهما المجاورون ، وترك أكل لذيذ الطعام ، ولبس الخَشِن والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين ، ولم يباشر حرفة ، ولا وظيفة له معلوم دنيويّ من منذ بلغ ، وأكل التراب لما فقد الحلال نحو شهرين ، وكان لا يأكل طعام أمير ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ، ولا فقيه لا يسدّ في وظيفته ويأكل معلوماً ، ولا غيرهم من المتهوّرين في كسبهم ، ونفر من جميع الناس ونفروا عنه ، وكان يقيم في المساجد المهجورة والأبراج الخراب مدّة طويلة ، وأقام في البرج الذي فوق السور من خرابة الأحمديّ مدّة سنة ، وقال قدس سره : وما رأيت أصفى من تلك الأيّام . وكان يطوي ثلاثة أيام أو أكثر ، ثم يفطر على نحو أوقية من غير زيادة ، وضعف بشريته ، وقويت روحانيته حتّى كان يصعد بالهمّة في الهواء إلى الصاري[١] المنصوب على صحن جامع الغمري فيجلس عليه الليل والناس نائمون ، ثم إذا نزل من السلم إلى الجامع كان ينزل بجُهْدٍ وتعب لغلبة روحانيّته وطلبها الصعود إلى عالمها ، فإنّه لا يثقل الإنسان في الأرض إلا كثرة الشهوات ، وكان لا يأكل قط طعام فقير لا كسب له من المتعبّدين في الزوايا من غير كبير اشتغال خشيةً أن يكون ممّن يأكل بدينه وهو لا يشعر ، وكان لا يأكل إلا عند أوائل درجة الاضطرار ، وذلك حين لا تجد أمعاءه شيئاً تشتغل به فيلذغ[٢] بعضها بعضاً ، وكان إذا افتتح مجلس الذكر بعد العشاء لا يختمه إلا عند طلوع الفجر ، ثم كان يصلّي الفجر ويذكر إلى ضحوة النهار ، ثمّ يصلّي الضحى ويدخل الظهر فيصلي الظهر ، ثم يذكر إلى العصر ، ومنه إلى المغرب ، ومن صلاة المغرب إلى العشاء ، وهكذا فمكث على ذلك نحو سنة ، وكان كثيراً ما يصلي بربع القرآن بين المغرب والعشاء ،

---

(١) الصاري : الخشبة .

(٢) بمعنى يلدغ .

ثم يتهجّد بباقيه فيختمه قبل الفجر ، وربّما كان يصلّي بالقرآن كلّه في ركعة ، وكان نومه غلبة ، وإذا غلب عليه النوم كان كثيراً ما يضرب أفخاذه بالسوط وينزل ثيابه في الماء البارد في الشتاء حتى لا يأخذه نوم ، وبالغ في الورع حتى كان لا يأكل من فراغ الحمام لأكلها من زرع الناس ما قد لا تسمح نفوسهم ، وكان لا يمشي في ظلّ عمارة أحد من الولاة وأعوانهم . وهذه المذكورات نبذة من أنواع مجاهدته ورياضاته ، فمن أراد الزيادة فليراجع إلى « المنن الكبرى » .

ثم قال رحمه الله تعالى مع كونه على هذه العبادات : وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي كلّها وسائل إلى تحصيل أغراضي ، فإن حصلت تلك الأغراض ثبت على ذلك ، وإلا تحوّلت منه ، فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذها وسائل فتموت ولا تصل إلى مقصودك ، فقرّبوا عليّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة لكان فيها كفاية . انتهى من « المنن » عبارته .

وهكذا كان الإمام الغزاليّ مع كونه حجّة الإسلام بعد اجتماعه مع شيخه محمد الباذغاني قدس سرهما يقول : ضيّعنا عمرنا في البطالة ؛ وترك محلّ التدريس قائلاً : هذا محلّ تلاعبنا مع الصبيان .

وقال : العلم حجاب ، يعني : لعدم وجدان فيه الإخلاص قبل الاجتماع بأشياخ الطريق ، وإلا فالعلم كله موصل إلى الله .

وقد نقل القشيريّ رحمه الله : فلو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس كلّهم لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يحل الاقتداء به في تصحيح المعاملات . انتهى .

وكان الشيخ عز الدين مع أنّه لقب بسلطان العلماء يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلاّ بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه .

وقال الشعراني رضي الله عنه : ولم أتحقق بأن الإنسان لا بدّ له من شيخ إلا حين اجتمعت بهؤلاء المشائخ ، وكنت قبلُ أقول كما قال غيري : وهل ثمّ طريق توصل حضرة الله تبارك وتعالى غير العمل بما بأيدينا من الشريعة ، يعني : على مصطلح غير القوم حتى وجدت الأمر بخلاف ذلك . انتهى من « المنن » .

ولا تظن يا أخي أنّهم كانوا يعملون خلاف ما عملوا من علوم الشريعة ، أو أنهم ضمّوا تلك العلوم وماعملوا بها ، ولذا قالوا ما قالوا ، بل كانوا على حدّ الاستقامة وفق الشريعة المحمّديّة ، لكنهم لم يعرفوا ما في عباداتهم ورياضاتهم وعلومهم من العلل القادحة في الإخلاص ، ثمّ بعد ذلك لما اقتدوا بالشيوخ وجدوا أعمالهم مشوبة بشوائب الأغراض والحظوظ ، وعرفوا أنّ الخلاص للإنسان بالإخلاص ، ولذا قالوا ما قالوا ، فافهم .

و لقد قيل في « الإحياء » ما معناه : لو سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا ، وذا لعزة الإخلاص ولعسر تنقية الأعمال من شوائب الرياء .

وفي « الإبريز » : قال الشيخ رضي الله عنه : وأن ترتفع همّتك إلى طريق الفقر – وهو طريق التصوّف – فاطْرَحْ هَوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وُجُوه التعبّدات وأنواع القربات دون أن يأمر بها الشيخ ، وباعد هواها في ذلك مُبَاعَدَتك للشرّ . يريدُ : أنّ فلاح المريدِ فيما يختاره له الشيخ ، لا فيما يختاره لنفسه وإن كان يختار هو لنفسه هلك .

قلت : وكم من مريد سقط من هذا الباب ؟ ! لأنّ المريد قبل الفتح عليه إذا اختارت له نفسه الإكثار من النوافل والصيام والقيام فربّما كان

ذلك لشهوة السُمْعَة والرياء ، فيصيرُ عمله لغير الله عزّ وجلّ ، فإذا رحمه الله بالشيخ المربّي ، وجمعَه به فإنّه يرى تلك العلّة فيه ، فيُريد نقله عنها ، فإنْ ساعفه المريد وسبقت له العناية من الله تعالى دَلَّهُ على ما يليق به ، وانتقل به إلى حالة مَرْضيّة عند الله تعالى ، وإن لم يساعفه المريد وقال : جئناه ليزيد ، وجَعَل ينْقصُنا ! وخسرت نيّته في شيخه المربّي ! فهذا قد استحوَذ عليه الشيطان واستحكمت فيه علّة الرياء والخسران ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنّه وكرمه . انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً : وقد رأيت بَعْضهم جاء إلى شيخ رضي الله عنه ، وأراد أن يتخذه وسيلة ، وكان على غاية الإكثار من العبادة ، حتى أنّه يقرأ في كل ليلة ختمة من القرآن ، ويقرأ دَلائل الخيرات في النهار عدّة مرات ، ويصوم الدهر ، ولا تلقاه إلاّ أَصْفَرَ اللون كأنّه من أهل القبور ، فلم يزل الشيخ رضي الله عنه ينقله عن درجة إلى درجة ومن حالة إلى حالة حتى رَدّه إلى مقام التوسط ، ثمّ قال له الشيخ رضي الله عنه ذات يوم : كمْ مِنْ تَعْب أراحك منه يا فلان فقال : جزاك الله عَنّا خيْراً يا سيدي ، فإنّما كانت أعمالنا رياء ، فلغير الله كنا نعبد ، وأراحنا الله من ذلك ببركتك .

وقال لي الشيخ رضي الله عنه يَوْماً : إنّ هذه النوافل إذا لم يفعلها الشخص فإنّها لا يحاسب عليها ، وإنْ فعَلها بنيّة أن يراه الناس ويمدحوه عليها فإنّه يعاقب عليها في الآخرة ويخلى دار أبيه عليها . قلت : لأنّ الرياء معْصية .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إنّ المحجوبَ لا يَخْلُو من الرياء والسمعة إلاّ إذا كان يرى في كلّ لحظة أنّ أفعاله مخلوقة له تعالى ، لا يغيب عنه ذلك في حالة الفعل ، ومَهْما غاب عنه طرفة عين وقع في الرياء والسمعة والعجب . انتهى من عبارته .

ولقد قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره : **لا يخلو الإنسان من الرياء إلاّ إذا وصل إلى مقام يشهَدُ فيه أن لا فاعل ولا محرّك في الوُجود إلاّ الله سبحانه** . انتهى .

قلت : وذلك المشهد يَحْصُلُ للسّالك في مُراقبةٍ ، وحينئذ يضمحلّ كسب العبد لظهور خلق الخالق تعالى على كسبه ، والله أعلم بالصواب .

ولكن قال جامع القطبتين الشيخ محمّد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » في بيان المراقبات : ثم بمراقبة الروح ، وصفائه بظهوره بالنور الأصفر في عالم المثال عند البعض ، وبالأحمر كما في « المكتوبات » وكماله وبتجلي الصفات الثبوتية ، فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه ، بل إلى الله تعالى ، فيأمن من العجب ونحوه من المهلكات . انتهى من عبارته .

فعلى العاقل أن يتدبر في نفسه ويَعْتَبِرَ هل هو مُتَّصَفٌ بذلك المشهد أم لا ؟ فإن كان متصفاً به ! فيجب عليه الشكر دائماً ، وإلاّ ! فاللاّئق له ترك الدعوى وطلبُ مَنْ يدلّه إلى كَسْب ذلك المقام الأسْنى .

ونقل المحقق محمّد علي الچوخي في « فتاواه » من كتاب « أدل الخيرات » أشياء نافعة ، ومن جملتها :

وينبغي للعاقل أن يصحّح نيّة العبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقرّبين ، لأنّهم عبدوا الله تعالى خاصّة من غير عوض ولا غرض ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بجاه النبي ﷺ . انتهى .

وفيه أيضاً في أول الكتاب ما لفظه : منها ؛ أي : من فوائد الصلاة وفضائلها ، امتثال أمر الله تعالى ، وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة ، لأنّها أشرف مقامات العبد ، إلى آخر ما ذكر فيه فراجع .

وعبارة الإمام السنوسي في « شرح أم البراهين » بعد ذكره فضائل الذكر والصلاة ونحوها : وليقصد بذلك كله امتثال أمر الله تعالى وطلب رضائه . انتهى عبارته .

وكتب عليه العلامة الدسوقي ما لفظه : ولا يقصد أن يكون وليّاً ! لأنّه لا ينبغي ، بل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون وليّاً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثيّة ، لأنّ عبدة الأوثان يقصدون بعباداتهم التقرّب إلى الله تعالى وطلب رضاه ، وهذا الشخص إنّما يقصد منفعة نفسه ، لا لاِمتثال أمر مَوْلاه ورضاه ! انتهى عبارته .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » ما له بهذا المذكور شَبِيهٌ فراجعْهُ .

وقال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : **لا فرق بين عبّاد الأصنام وبين مَنْ يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإنّ الأصنام المعنويّة كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء ، لأن كلاًّ من العابدين اتخذ من دون الله تعالى ما لم يأذن به الله** ، وهم في ذلك على طبقات :

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم مَنْ يقصد بعلمه وعمله إعلاءَ الدرجات ، وظهورَ الكرامات ، والتصْريفَ في الكون ، والمشي على الماء ، والطيرانَ في الهواء ، وكشفَ الغيُوب .

ومنهم مَنْ لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنّما يَقْصد بذلك الحورَ الحسان ، ودُخولَ الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم مَنْ يقصد بذلك السلامةَ من النار ، والخوفَ من الحساب والعقاب ، وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله التقربَ إلى الله تعالى ، والرضاء عنه ، والمحبة له .

ومنهم مَنْ لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاقِ مَولاه العبادة والتذلّل والخضوع ، والوقوف عند أمْره ونهيه ، قد تبرّأ من الاعتماد على حوله وقوّته ، وعلمه وعمله ، وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص ، وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور الّتي كُلِّف بها على الوَجه الذي أمِرَ به . ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلّ ذرّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة . فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ٣١٣ .

مهم

قال الشيخ مَوْلانا الجامي في « شرح الفصوص » :

واعلم أنّ عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون الذين يَعْرِفُونَ مَداخِلَهُ ، الواقفون مع الأمر الإلهي لا يبعدون عنه ، والموحِّدون الذين لا يرون لغير الله وُجُوداً ، لا يعلمون الأشياء إلاّ مظاهره ومخاليه ، فتكون عبادتهم وحَركاتهم وسكناتهم كلها بالله لله ، من الله إلى الله ، قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ والذين يعبدون الله من حيث أُلُوهِيَّتِهِ وذاته المستحق للعبادة ، لا من حيث أنّه مُنْعِمٌ أو رحيم ، فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، وعبد الرحيم لا يكون عبد القهّار ، ولا لدُخول الجنة ولا للخلاص من النار ، فإنّه حينئذ عبد حظه وأسيرُ نَفْسه ، فلا يكون عبد الله ، لذلك أضافهم الحق إلى نفسه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ .

وفيه أقول :

وعشنا زماناً نعبد الحق للهوى ... من الجنة الأعلى وحسن ثوابه
فلمّا تجلّى نوره في قلوبنا ... عبدْنا رجاء في اللقاء وخطابه

فمزج أنواع العبوديّة للهَوى سوى من يكن عَبْداً لعزِّ جنابه
ونعبده من غير شيء من الهوى ولا للنوى من ناره وعقابه

ولا بدّ أن تعلم أنّ هؤلاء محفوظُونَ من الأعمال الشيطانيّة ، لا من الإلقاءات والخواطر كما قال تعالى ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾ الآية . انتهى من عبارته .

ولقد لقن بعض المأذونين الذكر القلبيّ لبعض من العلماء الذين كان[1] في دائرة بعض من المتصدرين للإرشاد ، ثم إذا علم ذلك البعض المتصدّر دخوله في عهد ذلك المأذون النقشبنديّ أظهر بين الناس قوته الغضبية ، وهجر منهما ، وتكلّم خلفهما بكلام جاف مغضباً عليهما ، وكتب إلى ذلك المريد مكتوباً بأنّه صار من المجرمين المنكرين ، يعني : لخروجه من دائرته ، ودخوله في طريقة[2] . قال رئيسها وإمامها الغوث الأعظم محمّد نقشبند قدس سره : **المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه** ، ونمّ على ذلك الملقن نميمات هو عنها بريء ، وأفشاها في الورى عند الخواص والعوام . وهذا ليس من أخلاق الكاملين ، بل يجب على كلّ أحد أن يحبّ كل من أطاع الله ولو كان بمصاحبة غيره .

قال الشعراني في « المنن » : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ محبّتي لكلّ مَنْ كان أكثر طاعة لله تعالى مِنِّي **وترجيح محبّته على محبّتي لنفسي** محبّةً في رَبّي عزّ وجلّ ، لأنّي أعلم أنّ من كان أكثر طاعة لله تعالى فهو أحبُّ إليه ، ومن أدب كلّ عبد أن يحبَّ كلّ مَنْ يحبُّه سيّده ، وهذا خلق غريبٌ لا يثبت فيه إلاّ مَنْ خرج عن حُبّ الرياسة ونَشْرِ الصيت ، وأمّا مَنْ يحبُّ انفراده بالصيت فلا يكاد يحبُّ أحداً من المطيعين والمتقين خوفاً منهم أن يُطْفِؤا صيتَهُ ، وكفى بذلك مَقْتاً من الله تعالى ، وما يضرّ

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : كانوا .
(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : الطريقة .

العبد أن لو كان الناس كلّهم صالحين عالمين عاملين وَرعين زاهدين ، فإنّ في ذلك الشرف العظيم لدين محمد ﷺ .

فليمتحن مَنْ يدَّعي الإخلاص نفسه بما إذا فارقه تلميذه الذي يزعم أنّه كان يحبّه ويخدمه سنين ولم يُفتح عليه ، ثم إنّه اجتمع بأحد من الأقران ففتح عليه ، فإن رأى نفسه تنشرح لذلك فليشكر الله تعالى ، وإلاّ ! فليحكم على نفسه بالرياء والنفاق ، فإنّ المخلص يفرح بهداية الناس بأيّ وجه كان ، لا سيّما إنْ قالوا : إنما لم يفتح لذلك الفقير على يَدِ فلان لكون فلان ليس له قدم في الطريق . فإنّ المرائي يكاد يتميَّز من الغيظ بخلاف المخلص ، **وفي الحقيقة الهداية بيد الله ليست بيد أحد من العباد ، وجميع من فتح عليه على يد فقير إنما كان ذلك من باب تعليق الأسباب على المسبّبات** . انتهى من عبارته .

وقال فيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي أفضل الدين - رحمه الله تعالى - يقول : **من علامة المرائي أن لا ينشرح لكثرة المتقين ، إلاّ إنْ كانوا تلامذةً له ، فيفرح حين يَسْمَعُ الناس يقولونَ عنه : فلانٌ أَحْيَا الطريق بعد أستاذه ، ولم يحيها أحد ممّن أخذ عن شيخه غيره** ، وانظروا إلى جماعته ، كلّهُمْ مُتأدِّبُونَ صالحون ، عليهم سكينةٌ ووقار ، بخلاف جماعة فلان . فمتى صَغَى بقلبه إلى ذلك فهو مُراء دقّ المطرقة ، كما أنّه متى انقبض لمدحه ومدح تلامذته دُونَ أقرانه فهو دليل على إخلاصه ، كما أنّه إذا انقبض لذمِّه وذمِّ تلامذته ونسبتهم إلى الرياء والنفاق فهو دليل على عدم إخلاصه كذلك ! فاعلم ذلك . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : من علامة الْمُتَشَيخين بأنفسهم بالدعوى عدم صفاء قلوبهم لبعْضهم بَعْضاً ، لأنّ كل واحد منهم يعتقد في نفسه أنّه هو الشيخ الحقيقيّ ، وأنّ أخاه هو المدّعي للمشيخة بغير حق ، ويُصدّقُهُ أصحابه على ذلك ، وفي

الآخرة يصلح الله تعالى بينهما ، ويكشف لكلّ واحد منهما أنّه ليس بشيخ ، ولا شمَّ للطريق رائحة . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى يقول : **لا ينبغي إخراج هؤلاء المدّعين للصلاح بغَيْرِ حَقٍّ في الاستسقاء** ، لأنّه رُبّما منع الناس السقيا بحضورهم ، إلاّ أنْ يَتُوبُوا ويَرَوْا نفوسهم أحقر الناس ، وربّما كان هؤلاء يدَّعُونَ المشيخة ، ولا يعدّون الكبر الذي في نفوسهم مَعْصِيَةً وهو من أكبر المعاصي .

وكان رحمه الله تعالى يقول : ما دامت نفوس هؤلاء المدّعين لا تنكبسُ لأنْ يتلمّذُوا لأقرانهم ويأخذُوا عنهم الطريق ولو كانوا غير صادقين فالكِبْرُ باقٍ في صُدُورهم ، لأنّ الصادق لا تأبى نفسه من التلمذ للكاذب ولو صورة ، بل يُبادر إلى ذلك لاحتمال أن يصلح الله به حال ذلك الكاذب إذا سارقه بتعليم آداب الطريق شيئاً فشيئاً ، فليتنبّه الفقير لمثل ذلك . انتهى عبارته .

ولقد مشى هذا الفقير – رحمه الله تعالى إفلاسه – مَرَّةً على هذه السياسة إذا لقي بواحِدٍ من المدَّعين فتلمذ له صُورةً ليُسارقه تدريجاً ، ولاطفه بالكلام ليُنَبِّهه على نقصه ، ويُعَلِّمَهُ قواعد أهل الطريق ، فاعترف ذلك المدّعي بأنّه لا يَعْرف كيفيّة تلقين النقشبنديّين وكيفيّة استعمال أذكارهم على اللطائف ، بَلْ وَجَدَهُ جاهلاً بها وبِمَحَالِّها مع أنّه قبل ذلك يدّعي أنّه شيخ نقشبندي مَشْهُورٌ في الأقاليم ، والحمد لله رب العالمين .

وقال العالم أخونا الحاج حبيب الله – هداه الله تعالى إلى ما يَرْضاه – : إنّي تكلَّمْتُ مع شيخين يزعمان أنهما نقشبنديّان مع عدم مَشْيِهِمَا على مصطلح النقشبنديّة ، ثم بَعْدَ إظهار الحق لَهُمَا أَقَرَّا واعْترفا ، ثم قالا : ألاَ نرتقي إلى مقام يجوز لنا فيه أن نعلّم الطريقة النقشبنديّة للمُريدين لَوْ جِئْنَا لدى الشيخ العسلي قدس سره ليتلمّذا له ويروّضا ويجاهدا عنده ؟

انتهى . فإذا أخبر ذلك الأخ ما قالاهُ لهذا الفقير رحم الله إفلاسه قال له : لا والله ! ولو عَبَدَا الله تعالى بالإقامة عنده ألف سنة ! لأنّهما قصَدَا بتلك الإقامة والرياضة أن يكونا شيْخَيْنِ نقشبنديّين ، ومُريدُ هذا الطريق يجبُ أن يكون عَبْداً بلا عِلَّةٍ ، فما أخسَّ همّتهما ! سامحَهما الله تعالى وألهمهما رشدَهُمَا آمين .

وأكثر متشيّخة زماننا في ديارنا إذا سئلوا : إلى أيّة طريقة انْتَسَبْتُمْ ؟ قالوا إلى الطريقة النقشبنديّة ، مع أنّهم لا يستعملُونَ من أصولها وفروعها ولو شيئاً واحداً ، **فكما لا يصيرُ الحنفي مثلاً شافعيّاً إلاّ باستعماله مذهب الشافعيّ ! فكذلك لا يصيرُ الشخص نقشبنديّاً إلاّ بالدخُول في طريقتهم ، واستعمال تلقيناتهم** ، **فهذا مما لا يخفى على عاقل** .

وليس في ديارنا الداغستانيّة أحدٌ يدّعي أنّه شيخ طريقة ما من الطرق ، سوى الطريقة النقشبنديّة أو القادرية ، وأكثر كلامنا في هذا الكتاب مبنيّ على ردّ دعوى من ينتسب إليهما ، ولو ظهر فيهم من يقول أنّه شيخ طريقة من الطرق الباقية سواهما ، **وكان ما يفعله موافقاً بما عليه أرباب تلك الطريقة ، وعلّم ذكر الأسانيد مبتدئاً من أوّلها إلى منتهاها ، وكان بيده الإذن الصحيح المقبول فلا كلام بل نصدّقه ونعترفه ونمدّه بقدر طاقتنا ، ونعينه** ، **وإلا فمفتر كذاب** ، يجب على كل أحد أن ينكره ويعترضه لأنّه ضال مضلّ مفسد متلف .

فحاصل محصول كلامنا في كتابنا هذا : ولم نجد كلّ ما يفعل أهل الدعوى مطابقاً ولو بواحدة من الطرق المعلومة لدينا ، ولذلك أنكرناهم واعترضناهم .

فإن كنتم أيها الإخوان في شك مما قلنا فعليكم الرجوع إلى هذه الكتب الآتية لعلكم تعرفون صدق كلامنا في حقّهم ، ولا تسيّئون بنا ظنونكم .

فأما الطريقة النقشبنديّة فمذكورة في « الرشحات » و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« النفحات » و« الرسالة القدسيّة » و« التاجية » و« الخادمي » والخطاب » لمحمد پارسا ، و« مفتاح المعية » وكذا في « الرسالة الخالدية » و« سلسلة الخواجكان » و« سلسلة الذهب » وشرحه « تحفة الأحباب » و« النفائس السانحات » و« الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغموقي ، و« سلّم المريد » للشيخ إلياس الژدقاري خليفة الشيخ عبد الرحمن حجيوْ الثغوري ، و« تحفة الصفاء لأهل الوفاء » و« بهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » و« الحدائق الوردية » و« الحديقة الندية » و« جامع أصول الأولياء » و« المتممات » و« البهجة السنيّة » و« ماهيّة التصوّف » و« تبصرة المرشدين » و« مكتوبات » محمود الفعال ، و« تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » و« الأنهار الأربعة » و« الدرة المختار » و« الفتوحات الوهبيّة » و« مسيرة الحكم » .

وأما القادرية : ففي « بهجة الأسرار » و« الغنية » و« قلائد الجواهر » و« فتوحات الغيب » و« نفحات القدس » و« المناقب » و« القوسية » . وكذا في « الأنهار الأربعة » ففيه البسط السديد ، و« الفتوحات الوهبيّة » .

وأما الشاذليّة : ففي « المفاخر العلية » و« الكواكب الزاهرة » و« المناقب » و« الواردات » وكذا في « الفتوحات الوهبيّة » و« الأنهار الأربعة » .

وأما الرفاعيّة : ففي « بهجة الرفاع » و« الوصايا » و« المناقب » .

وأما الأحمدية : ففي « بهجة البدوي » وشرح « متن الغاية » و« الوصايا » .

وأما الدسوقية : ففي « الوصايا » و« المناقب » . **وأمّا الأكبريّة :** ففي « الفتوحات المكية » و« الحلية » و« التدبيرات » و« حوض الحيات » و« المناقب » و« الفصوص » . **وأما المولوية :** ففي « المثنوي »

و« السواقب » والمناقب » وفيه ما فيه . **وأمّا الكبروية :** ففي « فقرات نجم الدين » و« التأويلات » و« المناقب » . **وأما السهرورديّة :** ففي « العوارف » و« تعرّف علم التصوف » ، وكذا في « بيان الأسرار » . **وأما الخلوتية :** ففي « معيار العلوم » وشرحه لعمر الفؤادي, و« ترجمة الحال » ، و« المناقب » وكذا في « ترصيع الجواهر » . **وأما الجلوتية :** ففي « خطاب الحفني » و« مجالس الأربعين » و« المسئلة » و« الجاودات » و« المناقب » . **وأما الغزاليّة :** ففي « الإحياء » و« الحجة » و« المناقب » . **وأما الرومية :** ففي « مزكي النفوس » و« المناقب » . **وأما السعدية : والجشتية ، والشعبانية ، والكثنية ، والخمروية ، والبرامية ، والعشاقية ، والبكرية ، والعمرية ، والعثمانية ، والعلوية ، والعباسية ، والزينية ، والعيسوية المغربية ، والبحورية ، والحدادية ، والغيبيّة ، والخضرية ، والشطارية ، والملاميّة ، والعيدرسية ، والمتبولية ، والسنبليّة** ، وسائر الأكابر والأولياء ، فمذكورة في « الكواكب الدريّة » و« نفحات الانس » و« تذكرة الأولياء » و« القاشني » و« طبقات الشعراني » و« نفحات القدسية » و« منقبة الأولياء » و« طبقات القاضي زكريا » و« رسالة القشيري » و« طبقات المشائخ » و« مقامات العارفين » و« كتاب التجلي » و« لطائف الأعلام » و« اصطلاحات الصوفية » و« شمس النوني » و« كشف الواردات » و« درة الموحّدين » و« حقائق الدقائق » و« أسرار السرور » و« محاضرة الأبرار » و« التجلّيات الإلهيّة » و« وصايا قدسية » و« كتاب الأسرى » و« التمهيد » و« مفتاح الغيب » و« مصباح الأنس » و« إنسان كامل » و« منازل السائرين » و« مدارج السالكين » و« كشف الحقائق » و« حدائق الحدائق » و« خالصة الحقائق » و« الميزان » للشعراني ، و« التميز » و« مرآة الأصفياء » و« وصايا إلهيّة » و« كشف الأسرار الأزليّة » و« حاوي الأرواح » و« مقامات بدر الدين » و« روضة الواصلين » و« نبذة الحقائق » . وهذه الطرق المذكورة أكثرها

مما لم يشتهر ، بل مما لم تُسْمَعْ في ديارنا الداغستانية ، وإنما الطريقتان فينا طريقتي النقشبندية والقادرية ، لكن الطرق المسموعة عند القائل في النواحي الجبلية : الطريقة الجستية والسهروردية والعلوية والشاذلية ، وكلها مذكوة في « الفتوحات الوهبيّة » و« المنحات الكسبيّة » ، وأربعة منها مذكورة في « الأنهار الأربعة » فمن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى أعيانها .

فهذا آخر ما كنا أردنا أن نكتب في هذه الألوكة ، فإن يك صواباً فذا من فضل الله ، وإن يك غيره فمن عذر كسب الفقير ، والعذر عند كرام الناس مقبول ، فالمرجوّ ممن اطلع على عذره إصلاحه لمجرد وجه الله تعالى ، فوالله ثم والله أن لا فرق عندنا في أن يظهر الحق بيدنا أو بيد غيرنا ، ونحن نصافح ونقبل من أظهر الحق وأبطل الباطل ، بل نعانقه ونشكره ، ولا نطيق أن نكافئ من ينصحنا ويَعِظُنا ولو خدمناه مدى الدهر .

فلما صارت البدعة في هذه الطريقة في ديارنا الداغستانية كأنها سنّة ، وصارت أصولها الموافقة بالسنّة كأنّها بدعة لتطاول زمن العمل بالبدع وفُقْدَانِ من يظهرها من العلماء ، ولا شكَّ أنّ هذا زمان قرب القيامة بدلالة حديث « لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة » فإذا تُرِكَتْ البدعة يقول الناس تركت السنة ، وأحدث أبعاض أهالي سلسلة هذه الطريقة النقشبيدية من عند أنفسهم بوهميّاتهم الفاسدة مخترعات ، وظنوا أنهم على النهج القويم والطريق المستقم في تحقيق طريقة العزيز العليم ، بسبب تخيّلهم الهوى والشيطان أنهم الأئمة العظام ، وأزمَّة الإسلام في دين الملك العلام ، مع أنّ أمْرَهُمْ معكوسٌ لَدَى ذوي العلم والعرفان من الأنام ، وبسبب قصور نظرهم في نصوص الأئمة المجتهدين وأيات الجبار بإستنادهم على واهيات الأوهام ، وسواقط الأعذار ، ولم نجد من ينبّههم على نقصهم ولو واحداً من العلماء الأبرار ، ألجأني الغيرة إلى تأليف هذا

الكتاب مع علمي عدم أهليّتي لذلك ، امتثالاً بما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه من أنه لا بدّ من ملاحظة جانب الأكابر فإنها ضروريّة ، فإن تتكلّموا في محدثات المدّعين ومخترعاتهم فله مساغ ، وطمعاً في ما ورد في الأحاديث الصحيحة « من أحيا سنة ميتة فله ثواب ألف شهيد » ، فلو راينا في واحد شيئاً يخالف ميزان الشريعة يجوز لنا أن ننكره ونردّه نصرة للشريعة الغراء لا لغرض سواها ، فإن كان صاحب حال صحيح ورددناه فما علينا من ردّه بحكم الشرع . كذا في شرح « تائية السلوك » نقلاً عن إمام الطائفة جنيد البغدادي قدس سره ، ويدلّ عليه إنكار موسى على الخضر عليهما السلام فيما فعله خلاف شريعته في الظاهر .

وفي « المنن الكبرى » في ٢٤٢ من الجزء الأول ما حاصله : يجب الردّ على مَن خالف كلامه صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها . انتهى .

ونقل الشيخ محي الدين العربي في « الفتوحات المكيّة » إجماع المحققين على أن من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة أبداً . انتهى منه عبارته ٢٤٢ .

وما تكلّمت في حقّ هؤلاء المشائخ طعناً في ولايتهم ، فكيف وقد قال الله تعالى « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » ، وذكر الشعراني في « لواقح الأنوار » : لا تجتمع ثلاثة إلاّ وفيهم وليّ لله ، فأعاذنا الله من ذلك بل نعتقد في جميعهم أنهم أولياء أبرار وصلحاء أخيار ، ولكنّ الولاية لا تورث العصمة ، وهي من خصائص النبوّة لا من خصائص الولاية . وقد يخطأ الوليّ والصالح ، فالواجب على من اطلع على خطأ أخيه أن ينبهه على خطئه ويقيمه عن عوجه ، كما هو المرجوّ من كلّ أحد في حقّنا ،

وإنما مرادي من ذكر أصناف المتشيخين المذكورين في هذا الكتاب إعلام أهل الله أنّهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد ، وإن جاز أن يكونوا

من المجاذيب الذين يُعْتَقَدُونَ ولا يؤخذ عنهم ! ولم أقلْ في حقهم قولاً ما سبّاً لهم وعِتاباً ، بل إنما ذكرتهم تنبيهاً وتحذيراً لهم ولمن تبعهم ، ومن هذه الحيثيّة يجوز ذكر أوصاف الناس ، فلا يدخل ذلك في تعريف الغيبة ، ويباح ذكر العيوب إجمالاً وتفصيلاً بقصد النصح والتحذير ، وراجع شرح « سلك العين » من بيت : تحذيراً اسمع ولا سباً أروم . . الخ ، بل قد يجب ذلك على أحد .

ولا أقول قطّ في حق المشائخ الصادقين شيئاً ما فيه رائحة ترك أدبهم تعصّباً بشيخي أو تفاخراً به ، بل أنا أَقَبِّلُ التراب من تحت أقدامهم ، ولا أميّز بين أولياء الله ، بَيْدَ أنه لمّا كان لتقديم تفريد الشيخ حَقٌّ على المريد ، بل كان الأمر كله مَبْنياً على اعتقاده فيه ! مَالَ الأمر إلى تصديق مَا يفعله شَيْخِي ، وتكثير ما يَقُوله ، ولو وَجَدْنا ولو واحداً قام على نهج الاستقامة في تلك الطريقة النقشبندية مثله فَنَحْنُ في إعَانَتِهِ قائمون ، وعلى تصديقه مائلون ، والله يهدي من يشاء ، وهو يتولّى الصالحين . جعلنا الله تعالى وجميع من ذكرناهم من الذين فَنَوْا فَبَقَوْا ، ونظروا فتحقّقوا ، واجتهدوا فغابوا في الوجود ، ونالوا بالشهود . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

قد تمّ الكتاب بعون الله سبحانه وتعالى في . . .

اللهم لا تجعله سبباً لزيادة الوزر على وزري ، واجعله سبباً للمغفرة بدعاء الإخوان ونافعاً لجميع الأمّة ، وهادياً لهم إلى الخير والرشاد ، آمين بحرمة ساداتنا سلسلة الطريقة النقشبيدية العلية قدس الله أسرارهم المجللة ، ونور ضريحتهم المبجلة

آمين .

قول الشيخ العبودي رحمه الله تعالى : الطريقة والسلوك في هذا الزمان متعذرة عند الشريعة وسنة المختار عليه السلام . ولعل السرّ عنده رحمه الله تعالى لكونها متعذراً أحد الأمور الثلاثة : كثرة الفسق والعصيان ، أو عدم إطاقة استعمال الطريقة النقشبندية ، أو صعوبة استعمالها . كما قال بكلّ واحد منها أبعاض من متشيخي ديارنا .

فإن كانت العلة للتعذر كثرة الفسق والعصيان أو المخالفة والطغيان ، فليست حجة مقبولة ، لما قاله رحمه الله تعالى : **لأنّ معنى الإرشاد عند أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد** ، بل إنما وضع الإرشاد لأجل المعوّج الضالّ لا للمستقيم الهادي المهتدي ، ولم يحكموا بوجوب اتخاذ الشيخ إلا على من ليس له قلب سليم ، كما هو مقرّر في كتبهم ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، كذا قاله العالم الرباني والعارف الصمداني الأمير سيف الله الحسيني النژبكري قدس سره .

ولا شك أن الأخلاق المذمومات هي التي تجر صاحبها إلى ارتكاب الفسق والعصيان ، وهي داء والطريقة دواءٌ ، فمِنْ أين يتعذر إنزال الدواء على موضع الداء ، مع أنه – أي الإنزال – واجب . وهكذا الأخلاق المذمومات نجاسات معنوية ، والطريقة كالماء فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة فافهم ، وراجع « المتممات » و« ابن حجر » من كتاب سير و« الرملي » منه و« الفتاى العمرية » وغيرها ، والبسط في « الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » فمن أراد التحقيق فعليه الرجوع إليهما .

ولا يخفى أن هذا وما يأتي مقبول عند الشريعة وسنّة المختار عليه السلام ، فكيف يكون تعليم الطريقة متعذراً عندهما ؟ مع أنها إنما وضعت لتكميلها حاشا ذلك وكلا ! بل الشرع والسنة يقبلانها فكيف لا ! لأنّ بها تجرّ إليهما تدريجاً ، وتكملهما تكميلاً ، راجع « البهجة » من مناقب الشيخ الإمام الرباني قدس سره لتأخذ منه مضمون ما قُلْتُهُ .

وإن كانت العلة له[1] أن قاعدة النقشبندية تلقين الذكر القلبي واستعماله ، ولا يطيق ذلك مَنْ في زماننا لأنّهم لا يفرغون له من الحرف والصنائع صيفاً وشتاءً ؟ !

فتلك أيضاً مما لا يعبأ بها ، ولا تقوم حجة لهذا القائل رحمه الله تعالى ، **فإن مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة ، ولا شك أن أربابها عرشيُّون فرشيُّون ، وكائنون بائنون** ، لأنّ استعمال الذكر القلبيّ يجوز عند كل **وفي كل موضع ، حتى في الخلاء ومحل النجاسة** ، وفي كل حالة ، وفي كلّ وقت . كذا في كتب النقشبندية ، فقد صار ذلك مما لا مانع له في كلّ وقت من كل حال فكيف تكون متعذرة ؟ !

وإن كان العلة له أن الذكر القلبيّ صعبٌ بالنسبة إلى الذكر اللساني ، ولأجله صار متعذراً ، كما قال كذلك بعض آخر من مشائخ ديارنا في تقريره ، فذلك قول ساقط وحكم بلا علم ، بل هو دليل على عدم الذوق للقائل به ، لأنّ الذكر القلبيّ عندهم تفكّر اللفظ الله في القلب أي : تخيّل جريانه فيه ، فأيّ صعوبة لذلك التخيل ؟ بل هو أسهل الأمور وألذّها لمن ذاقها وعرفها ، راجع تفسير الفاتحة و« الفتاوى العمرية » .

قوله رحمه الله تعالى كما قال تعالى ﴿**يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا**﴾ وفي تفسير سلمى في تفسير تلك الآية : قال بعضهم : الحكمة العلم اللدني ، **وقيل** : الحكمة إشارة لما لا علّة لها . **وقيل : الحكمة** إشهاد الحق على جميع الأحوال . وقيل : الحكمة تجريد السرّ لورود الإلهام والوسواس .

وقال أبو عثمان :الحكمة هي النور المفرق بين الإلهام والوسواس . وقيل : الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ، ولا تحكم عليك شهوتك .

---

(١) أي : للتعذر .

وقيل: إنها نبويّة، وقيل: الحكمة هي الخشية. **وقيل**: إنها سرعة الجواب، مع إصابة الصواب. انتهى مع اختصار من سورة البقرة.

فبناء على ما ذكروا في تفسير الحكمة في هذه الآية لا يخفى على من له أدنى إدراك أنّ هذه الآية لا تقوم بها حجة على تعذر الطريقة، وإن كان للقائل معنى آخر هنا يستدل به على ما قاله، فلأي شيء يمنع به إعطاء الحكمة لاهل هذا الزمان، بلٍ هم لإعطائها أهلٌ، كما مرّ آنفاً، حتى يدلّ على كون أهل الزمان أهلاً لها. ما قال صاحب «تصديق المعارف» في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ الآية: اعلم أنّ سبيل الربّ ما يوصل إلى الربّ، لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفية، والحكمة المذكورة هنا هي: فطنة الشيخ المربى وفهمُه لكلٍّ ما يصلح لكلّ أحد من المريدين، فإنّ طباعهم مختلفة متبائنة بوناً عظيماً، **فمنهم** مَن يصلّح له كثرة الصوم وقلّة الصلاة، **ومنهم** من يصلح له كثرة الصلاة وقلّة الصوم، **ومنهم** من يصلح له القيام والصيام معاً، **ومنهم** من لا يصلح له كثرة ذلك؛ إنما يصلح له كثرة الزهد عن الدنيا، **ومنهم** من لا يصلح له الكسب، **ومنهم** من يصلح له الخدمة، **ومنهم** من يصلح له العُنْفُ والشدّة في المجاهدة على النفس، **ومنهم** من يصلح له التَرفيه، والتسهيل، هذا.

وأما الموعظة الحسنة، هي: استعمالهم في أعمال الطريقة بالمدارات بالرفق والشفقة الكاملة عليهم، مع إعلامهم بأنه لا يريد[1] إلا علوّ مقاماتهم وارتفاع درجاتهم وإيصالهم إلى نعيم: لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر ببال بشر. انتهى من عبارته.

فبناءً على هذه المذكورات ليس للقول بالتعذر مجالٌ، بل مضمونها يدلّ على عدم جواز منعهم من تعليم الطريقة، بل اللائق أن يسلكهم ويداريهم، فافهم.

---

(١) الشيخ.

قوله رحمه الله : وقد ورد في صحيح السند « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم » . فلو سلّمنا أنّ المراد : لا تضعوا الطريقة في غير أهلها . .الخ ، فلا نسلّم عدم أهليّة من في زماننا لوضعها ، لما مرّ أنّ الإرشاد إنما وضع للمعوّج الضالّ ، لا للمستقيم الهادي ، مع كون ذلك المراد بعيداً وغير ظاهر من معنى الحديث ، بل الظاهر منه مضمون ما في المحاضرات : لا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها ، فافهم ، وقد مرتْ معاني الحكمة فتدبّر هل يليق هنا ولو واحدة من معانيها ؟ ولو سلمنا عدم أهليتهم أليس[1] فيهم ولو واحداً من الأربعين من يستحق لإعطاء[2] الطريقة له ؟ والحال أنّ هذا القائل رحمه الله تعالى لم يجد ولو واحداً من الناس يصلح أن يعلّمه إياها . والحكم بالتعذّر قولٌ برأي ليس له دليل عقلي ولا نقليّ ، بل هو مخالف لما قاله الأئمة من علماء الحقيقة ، ولما قال الإمام الرباني في « المكتوبات » : إنّ[3] تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أياً من كان مناسبٌ ، بل لازم ، ولما في « البهجة » و« المتممات » فراجعها .

قوله رحمه الله تعالى : غير أنها على ضربين :

اتباعيّة : فهي لأهل الخواص الحذاق فجميع المنكرات والمكروهات ، بل البسط والزينة[4] في الملابس ، ورخص الفروع لهذه الطريقة كالمحرمات الصريحة ، كما أنّ السنة والمندوبات لهم كالفرائض الموقتة .

فهذا قول منه رحمه الله تعالى قولٌ صادقٌ ، لكنهم قالوا : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن لا يستطيع أن يقف في صف القتال فلا يجوز

---

(١) وفي نسخة : ألا يكون .

(٢) وفي نسخة : لتلقين .

(٣) وفي نسخة : ولكن تعليم .

(٤) وفي نسخة : والترفيه في المباح .

منعه من أن يقف في صفّ النعال . ولا يجوز أن توزن أعمال الضعفاء بأعمال الأقواياء ، من خواص أولياء الله تعالى ، بل اللائق بالشيخ أن يرفق بالضعفاء ، ويرخّص لهم ، ولا يطردهم من الطريقة ، بل يعلّمهم الطريقة ، ويرغبهم في الاجتناب عن المحرمات والمكروهات فلعلهم ببركة الطريقة يقدرون على أعمال الأقوياء . كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتبه ، راجع « الدرر المكنونات » و« البهجة السنية » و« لطائف المنن » وقد قالوا : إن تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسطهم في الملابس والمفارش وتلبسهم بالمخالفات ، وذلك أمرٌ حسن ، وسياسة حميدة من أهل الإرشاد ، لأنّه لو قيل لهم : اتركوا الدنيا واخرجوا من كل المظالم وصححوا التوبة في أوّل الأمر ، وإلاّ فلا ألقنكم الذكر ، ولا يكون لكم قبول ينتج الهداية ؛ لنفروا واستصعبوا ، وربما يحصل لهم اليأس .

وهذه السياية موروثة من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأشراف والرؤساء والكبار ، فإنه دخل[١] بعضهم في الإسلام بشرط سقوط الصبح ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، راجع « المتممات » و« قلائد الجواهر » و« البهجة » و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« لطائف المنن » و« تنبيه المغترين » و« فتاوى » ابن حجر و« الأنوار القدسية » و« درر الغواص » و« كتاب الجواهر » و« الدرر » .

ففي هذه الكتب صرائح بأنه لا يجوز للشيخ أن يطرد الضعفاء من الدخول في الطريقة ، فمن أراد أن يتبع أصحاب تلك التأليفات فعليه اتباعهم ، ومن أراد أن يتمسّك بقول هذا البعض الذي يحكم بتعذّر تعليمِ الطريقة لأهلِ زماننا فليتمسك به ، ولا شك **أنّ تلك الأئمة أعرف طريقاً وأعلم شرعاً** وأتقن في التفسير والحديث فليتدبره العاقل .

---

(١) وفي نسخة : أدخل .

قوله رحمه الله تعالى : وأقل ورد هذه الطريقة هو خمسة ألاف بلفظ الجلالة على القلب بتلقين عارف مرشد صحيح المقام والإذن ، وعارف مع استكمال سير الشيخ وتمسك السنة واتباع النبي عليه السلام في جميع الأقوال والأفعال ، والامتثال به عليه السلام في جميع المأمورات والمنهيات ، ولا نهاية لأكثرها .

فهذه الكلام منه رحمه الله تعالى هو عين ما قلناه فلا غبار فيه فجزاه الله عنا خير الجزاء ، آمين .

قوله رحمه الله تعالى : **والثاني** منها : شرعية فهي لأهل العوام وأبناء المعاملة والهوى ، فيرخص لهم المناهي والمكروهات ، ورخص الفروع مما أباحه الفقهاء رضي الله عنهم .

وأقل ورد هذه الطائفة مائة ذكر جهري ، وصلاة كذلك ووحده . . الخ ، والاستغفار كذلك . وأدنى الكمال خمسمائة ذكر جهري بلفظ (لا إله إلا الله) ، والمذكورات مائة مرة ، وألف ذكر بهذا اللفظ وخمسمائة صلاة أو مائة وألف في يوم الجمعة وليلتها ، والبواقي مائة ، والإشراق ، والضحى ، والأوابين ولو أربع ركعات ، وصلاة الوتر ولو خمس ركعات ، والرواتب ، وصلاة التسبيح في كل جمعة ليلاً ونهاراً ؛

والأكثر عشرون ألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، فمن شاء الخفي فليراع الأدب وليجتنب من المكروهات كالمحرّمات ، ومن أراد الجهري فليجتنب عن المحرمات . عبودي رحمه الله تعالى . انتهى .

فالعجب كلّ العجب ! كيف يكون ورد من يرخص له في زعم هذا القائل من العوام أكثر مما[1] لا يرخص لهم ولو للمباحات الشرعيّة ؟ !

---

(١) وفي نسخة : ممن .

وكيف[1] كان رخص لهم لتقليل هذه الأوراد كما رخص لهم لارتكاب المنهيات والمكروهات .

ولقد جرّبنا أن الذكر الخفي القلبيّ بخمسة آلاف ، مدّته خمسة دقائق .

وجربنا أيضاً أن الثلاثين ألف ذكر قلبي بلفظة الجلالة يتمّ فيما بين العصر والمغرب في حالة البسط ، بعد أن يقدّم عليه ثلاث مائة استغفارٍ ، وبعد الرابطة بقدر ربع ساعة .

وجربنا أيضاً مراراً أن الذكر الخفيّ القلبيّ بلا إله إلا الله ألف مرة بحبس النفس ، مع رعاية شروطه وأركانه مدّته قدر ذكره المذكور باللسان مائة مرة ، فما أخف ذكر أهل الذوق والطريق ! وما أقلّ زمنه ، مع كونه أفضل من ذكر اللسان بسبعين مرة ، كما ورد في الحديث – وراجع فتاوى ابن حجر من الخاتمة – ومع كونه أنفع وأفيد في تصقيل القلب وحصول النتيجة كما في « المتممات » .

ولقد صار كلام هذا القائل سامحه الله تعالى سبباً لنزول الناس من الأفضل إلى المفضول ، بل صار سبباً لانقطاع أهل الله عن طريق .قال رئيسها محمد نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه ؛ مع أنه يفهم مما قاله عدم جواز الذكر اللساني لمن لا يجتنب من المحرمات ، والذكر القلبيّ إلا للخواص والحذاق ، وذا مما لم يقله أحد من الأئمة ، ومع أنهم لم يطردوا العاصي من تعليمهم إياه الطريقة ؛ حتى أن منهم من خرج من موضع الفسق والشرب فجعله الشيخ وقتئذ شيخ الأبدال . ومنهم من جعله الشيخ بدلاً من الأبدال ، مع كونه نصرانياً محضاً[2] لا يعلم الإسلام قبل ذلك ، فكيف بالطريق ؟ ! فإذا كان الكافر

---

(١) وفي نسخة : وَلَيْتَهُ .

(٢) وفي نسخة كافراً .

المجرد يقبل التصرف فقبول التصرف في المسلم الذي أبوه مسلم يعلم بالطريق الأولى ، راجع « قلائد الجواهر » و« الآداب المرضية » و« أنيس الجليس » وأيّ فرق بين اللسان والقلب لتعذّر الذكر بأحدهما ، وجوازه بالآخر للعوام وأهل المعاملة مع أنهما جارحتان من جوارح الإنسان ، ومع أنّ الذكر القلبي مما لا مانع له في كلّ وقت وفي كل حال وفي كل موضع ، كما مرّ .

فإن قال قائل : إن الفرق في أنّ الذكر القلبي بتلقين مرشد عارف ولذا لا يرخص له ، والذكر اللساني يجوز له أن يستعمله بنفسه من غير تلقين ، ولذلك رخص له بالمناهي والمكروهات .

قلنا : إن تلقين الذكر اللساني متواتر مشهور يخبره الثقات من هذا البعض المذكور رحمه الله تعالى ، ولذلك يعلم عدم كون مراده ما ذكر . ولا فرق في ذمّ ارتكاب المنهيّات والمكروهات بين العوام والخواص ، والرخص عند العوام هي رخصٌ عند الخواص ، لكن بشدة اعتناء أهل الطريق يعدّون الرخص كالحرام ولا يرتكبونها إلا عند الضرورة ، ومع هذا يسامحونه للضعفاء ، ولا يزنون أعمالهم بأعمال الأقوياء ، فافهم .

ثمّ إنّ تقسيم الطريقة إلى اتباعية وشرعية مما لا يُدْرك سرّه ولم نصادف من قسّمها إلى ذينك القسمين ؛ فالاتباع شرع ، والشرع اتباع ، وما خالف الاتباع فليس بشرع ، فافهم .

ولقد أخبرنا واحدٌ من العلماء الثقات أن بعضاً من شيوخ هذا الزمان قال له : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة .

وقال واحد من مريديه : إنّه قال له : لو جاز إعطاء الطريقة لأعطيتها ، لكنّه لا يجوز أن يعطى لأحد إلا الشريعة . وهكذا وعظ واحد منهم على المنبر وقال عين ما مرّ .

وأنا سمعت واحداً منهم يقول مثله ، **فلعلّهم** أخذوا ما قالوه من هذا التقرير المذكور ، وقد اشتهر منهم تسميتهم ذكر اللسان الذي يلقنونه بأنفسهم شريعة .

فنقول(١) ، والله أعلم : إن الأباء والأمهات قد علّموا الشريعة أولادهم قبل بلوغهم ، وهم الآن على الشرع يصلّون ويصومون ويزكون ويحجّون ويشهدون بأن الله واحد لا شريك له . . والخ والخ والخ أي : فمن لم يعرف الشرع وأحكامه فهو عاص . فلما تعذر تكميل الشرع وضعت الطريقة لأجله فوجب أخذها من أهلها ، **لأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وصاروا قطاع طريق الله من حيث لا يشعرون** .

فالحاصل أنّ هؤلاء طردوا الناس عن الشرع الواجب ، فافهم .

ولا شك أن تعليم أمور الشرع ليس مختصّاً بواحد ، بل هو عامّ يجب على كلّ واحد أن يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما ، وأن التلقين أمر الطريقة مختص بأهله لا يجوز لأحد أن يباشره إلا إن كان مأذوناً من أهله ، فإن كان الملقّن أهلاً له فليلقّن الذكر الذي في طريقة شيخه بلا تحريف ولا تبديل بما أرادوه ، وإلا فالتشيّخ على الناس قائلاً بأنه إنما يعطي الشريعة ، وتلقين ما أراده من الأذكار فذا مما يخاف عليه من الطرد ، والعياذ بالله تعالى ، وقد اشتهر تسمية سائر الطرق التي فيها الأذكار اللسانية طريقة . فبناء على ما قاله هؤلاء يجب أن تسمّونها بالشريعة لا بالطريقة ، فافهم ، وميّز الحقَّ من الباطل والمحق من المبطل .

وقد أشكل الخلق بأمثال هذه التمويهات الحق الذي يجب أن يتمسك به ، ووقعوا حيارى متردّدين لا يعرفون أن يفرقوا بين أقوال أهل الإرشاد وبين أقوال من يدّعي الإرشاد ، ونحن بحمد الله تعالى لم نترك

---

(١) جوابهم .

شيئاً خفيّاً من خفايا الطرائق إلا أوضحناه ، ولا واحداً من أصناف المدّعين إلا أظهرناه ، ولا قولاً ما من أقوالهم إلا رددناه في كتابنا « الدرة اليضاء » و« الجوهرة النفيسة » فمن أراد أن يدرك الحق اليقين فليراجع إليهما ، وقد تكلمنا فيهما بكلام من لا يخاف لومة لائم محضاً لوجه الله وغيرة بهذا الطريقة المحمديّة . ومن لم يرجع عن مألوفاتهم القبلية من متشيخي هذا الزمان ومريدهم بعد ما نظر إلى ذينك الكتابين ، فلا شكّ أنّ داءه عُضَال وعلى عين بصيرته رين ؛ والله ولي التوفيق . من هذا الكاتب المفلس الناصب نفسه عرضة لسهام هذا الخلق : حسن القحيّ رحم الله إفلاسه ، آمين يا مجيب .

هذا الحليم حسن قد حسّن الحججا ... وردّ منـكـرات الديـن والـبـدعـا
بالصدق قد نطقا والحق قد لـفـظا ... والـحقد والاعتساف والهوى بعّدا
صارت أحاديثه في نظم أقوالـهـم ... كـقطر صار في الأصداف درّاً لهم
هــذا التأليف لـه كبحر مـن زئبق ... لازم عـلـى ذوقها بالسوق والقلق
مثل نجم الهـدى لـلاهـتـداء لـنــا ... ما دام شمس الضحى في وسط هذا السماء
له درة نظمت في سرد هذا الفتـى ... ولـؤلـؤ عـلـقت في سلكه يا فتى
سداه من ذهب لحـمـتـه جـوهــر ... كـيـف الإلهام له يا رب ذي القدر
وللإله الـكـريـم دَرُّ هــذا العـليم ... وسعى هذا العارف إلى نعيم العليم
لنيل مثـل هـذا فليعمل العاملــون ... ونـظـم مثل هذا فليصنع الصانعون
تبتْ يدا طاعـن الا يغير بالحـسـد ... وشـلّ رجلا رجال قصدهم حقده

تقريظ الفقير غازي محمد العوري

ولد محمد علي بن أمير خان العوري

وأوصيكم بالدعاء لي ولوالدي . بسم الله الرحمن الرحيم والهادي إلى الصراط المستقيم .

هذا الكتاب « الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء » قد حاء بحمد الله سبحانه وتعالى سبكاً عجيباً ، وسار بمنه تعالى سفراً مطوياً ، فلذلك زال الزيغ عن أفئدة المنكرين سوى من هو رئيس الحاسدين . فللّه درّ مؤلفه ما أحسن تصنيفه ما أحسن تصنيفه . فقلت في حقه بالشوق الظاهر من البحر الوافر .

يجازي الله قوماً منكرينا لهذا الكنز بالنار الحريق
وأصبح دعوى كل الحاسدين كأصوات البهائم والنعيق
لما استنشق الحبر القحي مياها عذبها مثل الرحيق
مشائخه جبال راسيات لإهداء الخلائق للطريق
كأن كتابه بحر محيط بعيد قعره للمستفيق
فوائده نصوص وافرات فرائده جواهر للوميق
كتابته هداية للأنام وعط فاح كالمسك العبيق
فيا لله من فرد عليّ حليمٍ سالكٍ حسّر وثيقٍ
فهذا للفقير أبي حميد عوريّ عاطل طاش عويق

تقريظ العالم العارف أدرة العرادي الهدلي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيق ما أقول وهو السميع العليم .

الحمد لله على الإنعام ... أزكى الصلاة أفضل السلام
على محمد خير الأنام ... وآله وصحبه الكرام
وبعد فالدرّة ثم الجوهرة ... كلتاهما من الكنوز الفاخرة
وفيهما من العلوم الباهرة ... للمفسدين في السلوك زاجرة
عن محدثات هذا العصر رادعة ... وعن محرفات قوم مانعة
ومنهما تمييز شيخ كامل ... عمن تشيخوا بدعوى باطل
لله درّ الحسن المُحْيي لنا ... مندرسات علمهم في وقتنا
أهدى الورى لأوضح الطريق ... أبدى لهم مراتب الفريق
وفّقْ له اللّهمّ للإفادة ... لمن أراد الفوز بالسعادة
بحملهم لأصلح المصالح ... وهَدْيهم بأبلغ النصائح
لكنّما الجهال في غرورهم ... أيضاً وأهل العلم في قصورهم
لا يحفظون حرمة الشريعة ... ولن يبالوا فتنة الطريقة
كم بدعة فيها لا يعبؤون ... وخِدْعَةٍ بها هم يرتضون
بل كلّ مُنْكَرٍ بلا اعتبار ... ولا نصيحة ولا إنكار
لأجله المعروف أضحى باطلاً ... وصار وجه الحق أيضاً عاطلاً
لو لم يسامحوا فيما ذكرته ... ولم يداهنوا لمن أشرْتُهُ
ما كان أَهْلُ وَقْتِنَا في فِتْنَةٍ ... والكلّ كان سالماً عن محنة

لـمـثـلـهـم هـذا مـن الـفـضـيحة　　　ويـنـبـغـي لـهـم بَـذْلُ الـنـصيحة
لله والـــكـــتـــاب والأئـــمـــة　　　ولـــلــرسـول ثـالـثـاً والأمّـــة
مـــن كـان مـنـكـم مـخـلـصاً لله　　　وعـامـلاً بـالـعـلـم غـيـر لاه
كُنْ عن جميع الـمـنـكرات نـاه　　　عـلـى عـبـاد الله غـيـر بـــاه
وبالـمـعـروف آمـراً لـلــنـــاس　　　وعـن مـسـاويـهـم فكن كالناسي
من بـعـده أخـذه لأجـل الـديـن　　　بـالأحْـوط الأتـمّ والـمـتـيـن
هــذا الـذي ذكـرتـه نـصيحتي　　　كـذا لـكـلّ سـامـع وصيَّـتـي
تـذكـرة لـتـذكـرون حَـسْـرَتي　　　عـلـى هـبـات أهـل الدين إخوتي
وحـاجـتـي إلـى دعـاء صـالـح　　　بـلا تـكـاسُـلٍ ولا تـسـامـح
وفّـقْ لـنـا الـلّـهـمّ لـلإنـابـة　　　ولـجـمـيـع الخـيـر والإصـابة
مـع كـلّ مَـنْ بـدعـوةٍ أوْصَـانـي　　　أيـضـاً ومـن فـيـهـا فـلا يَـنْسَاني
وإنّـنـي أُدُورة الـعـــرادي　　　فـارحـمـه ربـي أنـت اعتمادي
بهـاء الـمرء علـم فـاغـتـنمْهُ　　　ومـا فـي العـلم فاعمل وانتشرْه
ورأس الـمال إخـلاص فَقِفْهُ　　　وعـن خـلـقٍ ذمـيـمٍ فَـاجْتَنِبْهُ
ودع شـيـئاً يُـرِيبُك فـرّ منـه　　　إلـى مـا لا يـريـبُك فـاتّخذه
فـقل حَـقّاً يقيـنـاً وامتـثلْـه　　　ودع قـولاً ضـعـيفاً لا تُشِعْه
ونفسُكْ عـن هـواهـا فَامْتَنِعْـهُ　　　فـمن ينطق بـه جَـهْلاً يُهِنْهُ
وبـالمعروف فَـأمُرْ وَاتَّبِـعْـهُ　　　وَعَـنْ أَمْـرٍ كَـرِيـهٍ فانْهَ عَنْهُ
وهـذا مـا أَمَرْتُـكْ فأتَـمِرْه　　　وآخـر مـا نـصحتك فـاحتفظه

كَفَــاكْ بـــما وَعظْتُـكْ فاتّعظْـهُ وهـــذا أدورَةٌ فَــلْتَسْتَمِعْــــــهُ
ويــوصي بـــــالدُعا فـــلا تدعْـه وقـــل فَــارْحَــمْ واغـفر وامتثلْه

من خط خطه .

نعمت الرسالة هذه رسالة عن فهم حقائق معانيها ودقائق رموزها ، ووفّقه الله تعالى للعمل والتمسك ولو بمعشار أعشار ما فيها ؛

ربّ وفق ويسر يا معين وصلى الله وسلّم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، آمين . اللهم اغفر لمؤلّف هذا الكتاب القحي ولوالديه ولجميع أمة محمد ﷺ ، ولمن قال آمين آمين آمين .

كنوز الأمان من فتن الزمان

ويليه

القصيدة في أشراط الساعة

ترجمة الشيخ محمد العسلي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فهذه نبذة يسيرة عن سيرة رجل من رجال تاريخ طريق التصوّف في ديار داغستان ، أَلَا وهو الشيخ الكامل ، والقطب الحقيقي ، المرشد في الطريقة النقشبندية والشاذلية محمّد ابن العالم نور محمد العسلي قدس سره .

مولده : ولد قدس سره في قرية عَسَبْ من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة أربع وثلاثمائة وألف هـ ١٣٠٤ .

نشأته : وكان من صباه محباً للعلم ، رحيماً للصغار ، موقّراً للكبار ، وكان حسن الخلق ، عنده فهم وذكاء ، ذا علم كامل ، كان أناس من قريته متحيِّرين مما يرونه من سلوكه الحسن .

تعلُّمه وتلقِّيه : بدأ بدراسة العلم في صباه عند أبيه ، ثم تابع الدراسة عند العلماء من القرى المجاورة ، وكان متعلِّماً في قرية هُؤُورْ وهُلُوقْ وبَقْلُخْ وغيرها ، وكان يهتمُّ بالعلم كثيراً ، ويحثُّ عليه الناس .

تسليكه الروحي : دخل دِبيرَصُلْ مُحَمَّدْ أَوَّلاً تحت تربية الشيخ عبد الرحمن العسوي قدس سره في صغر سنّه ، ثم بعد انتقاله إلى رفيع الأعلى سلك على يد الشيخ حسن حلمي القحي قدس سره ، وقبل السفر إلى الحج نذر الحاج عبد الرحمن العسوي كُتبه للشاب الصغير دِبيرَصُلْ مُحَمَّدْ ؛ لعلمه بأن له شأناً كبيراً في المستقبل . وفي سنة ١٩٠٥م توفِّي مُروِّج الطريقة في الجبال الأوارية الحاج عبد الرحمن العسلي عند رجوعه من الحج ، ودفن في جدة قرب أمِّنا حواء . رزقنا الله من بركاته . آمين . وكان محمد أفندي من أسبق مريدي الشيخ حسن أفندي قدس سره ، ولذا لقّبه قدس سره بِيَعْسُوبِ أهل الإرادة ، بمعنى أنه هو الذي يتعهَّد سائر مريديه ، بمثابة

رئيس النحل لسائر النحل ، وكان عمره عند ما أجيز له أربعون سنة ، وبذلك أصبح من أصغر من أجيز لهم . وقد أمضى عمره في الإرشاد خمسة عشر أو سبعة عشر سنة .

من كراماته : صحب واحد من مريدي الشيخ دِبِيرَصُلْ محمد اسمه عَلِلْ محمد معه ، وعندما كان محمد يمشي خلف أستاذه تفكَّر في أنه ربما يعجبه صحبة من يرتدي الملابس الجميلة ، فأما أنا فملابسي عتيقة ، فاطلع الأستاذ على خاطره وقال في الحال ملتفتاً إليه : يعجبني القبر المعمور من داخله لا من خارجه .

وفاته : توفي رحمه الله سنة واحدة وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦١ هـ .

وقد حبسته الحكومة الْبَلْشِوِكِيَّةُ مع شيخه حسن حلمي قدس سرهما في سنة ١٩٣٧م ؛ وتوفِّي في سنة ١٩٤٢م في سجن مدينة دِرْبِنْتْ مظلوماً ، وبعد سبعة عشر سنة من موته في سنة ١٩٥٩م نقله من دِرْبِنْتْ إلى قرية غزانش الأعلى ، ودفن في مقبرة قريتهم عند قبر قطب الأنام الشيخ سيف الله قدي قدس سره . وقد ترك مصنّفات جميلة ، منها ؛

١ « الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » .

٢ « الأجوبة العسلية في ردِّ شبهات الوهابية » .

٣ « الفرائد الوهبيَّة في ردّ شبهات الوهابية » .

٤ « الأجوبة الوهبية للمسائل الوهميَّة » .

٥ « كنوز الأمان من فتن الزمان » .

٦ « القصيدة في أشراط الساعة » .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنته ، والحمد لله رب العالمين

كنوز الأمان

من فتن الزمان

وذخيرة النجاة من طوارق الأفات

ألَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد
النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ، الحمد لله الكريم الغفّار الذي كوّنَ الأكوان ، ودبّر الزمان ، يغفر الذنوب ، ويكشف الكرُوبَ ، ويُفرّجُ الخطوب ، صَلّى الله عَلَى سيّدنا محمّد وَعَلَى آله وصَحبه أجمَعين .

وبعد : فلمّا صَار كلّ أحد في هذا الزّمَان مشغُولاً بنفسه ، متفكّراً في طوارقه ، متدبّراً في وُجُوه الخلاَصِ من أليم كروبه ، كلّما طلبَ النجاة من وَاحد منها يقعُ في أعظم منها ، بحيث لا يرجو الخلاصَ ، ولا يقوى الخرُوج منها ، فلا يدري إلى أينَ ينقلب ، وإلى أيّ جهة يتغرب ؛

فأردتُ جمعَ كتاب مبيّناً فيه مصائب الأوان ، وكنوز الأمان من طوارق فتن الزمان ، فجمعته وسمّيته :

بـ « **كنوز الأمان من فتن الزمان ، وذخيرة النجاة من طوارق الأفات** »

ورتبته عَلى مقدّمة ، ومقصد ، وخاتمة ؛ **فالمقدّمة** في فضل الدّعاء وآدابه وشروطه ، وما يتعلّق به من القدر والقضاء وأحكامها ، والمقصد في كنوز الأمان من فتن الأوان وتفريج الكروب مع تخليص المسجون ؛ من الأدعية المفرّجة للكروب والأحزاب المنجية للخطوب ، **والخاتمة** في أشراط الزمان وعلامات الساعة . وأسأل الله تعالى أن يجعله سبباً لتخفيف أثقال الإخوان ، وأعباء[1] الخُلاَّنِ ، إنّه رؤوفٌ مجيبٌ ، وعلى ذلك قدير ، وما ذلك عليه بعزيز .

---

(١) **أي** : أحمال

❋ لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك ، حيث زكيت نفسك ، ورفعت نفسك ، ورفعت منزلتك ، وشمخت بأنفك وشمتّ . وقوله (فيرحمهُ الله) بالنصب جواب للنهي . وقوله (يبتليك) عطف عليه . وما أحسن قول بعضهم رحمه الله تعالى :

جـمـيـع فوائد الدنيا غرور ... فلا يبقى لمسرور سرور
فـقـل للشامتين بنا استعدّوا ... فـإن نـوائـب الدنيا تدور

هذا الحديث معدود من جوامع كلمه ﷺ وأخذ قوم منه ، أن في الشماتة بالعدوّ غاية الضرر ، فالحذر الحذر ، نعم إن مات عدوّك ، ففرحت لأجل الاستراحة من ضرره فلا بأس به . رواه الترمذي . قال العزيزي : قال العلقمي : بجانبه علامة الحسن . « مصباح الظلام » ١٦٢ ج٢ .

المقدمة

في الدعاء وما يتعلّق به . . إلخ

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، وقال تعالى ربكم : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وقال عز وجلّ ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية . قال ﷺ : « ما أذن الله تعالى لعبد في الدعاء حتى أذن له في الإجابة » ، قال أمير المؤمنين علي ﵁ : لا تستحقروا دعوة أحد ، فإنّه يستجاب لليهودي فيكم ، ولا يستجاب له في نفسه . وقال عليه الصلاة والسلام : « أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء ، وأفضل العبادة العفاف » . وعن أبي عبد الله ﵁ قال : « الدعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراماً كثيراً ، فأكثروا من الدعاء ، فإنه مفتاح كلّ رحمة ، ونجاح كل حاجة ، ولا ينال ما عند الله إلاّ بالدعاء ، وليس بابٌ يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه » . وعنه ﵁ قال : « الدعاء كهف الإجابة ، كما أنّ السحاب كهف المطر » . وعنه ﵁ قال : « ما أبرز عبدٌ يده إلى الله العزيز الجبّار عزّ وجلّ إلاّ استحيا الله عزّ اسمه أن يردّها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتّى يمسحها على رأسه ووجهه » . وقال أبو عبد الله ﵁ : أتعرفون طول البلاء من قِصَرِهِ ؟ قيل : لا ، قال : إذا أُلهم أحدكم الدعاء عن هذا البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الدعاء في الرّخاء لينجز الحوائج في البلاء » وقال عليه الصلاة والسلام : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود صلى الله عليه وسلم ؛ اذكرني في سرّائك أستجيب لك في ضرّائك » وقال عليه الصلاة والسلام : « من تخوّف بلاء يصيبه ، فتقدّم فيه بالدعاء ، لم يره الله عز وجلّ البلاء أبداً » . وعن أبي عبد الله وأبي جعفر رضي الله عنهما قالا : والله لا يلحُّ عبد على الله إلاّ استجاب له . وعن أبي عبد الله ﵁ قال : من توضّأ فأحسن الوضوء ، ثم صلّى ركعتين ، فأتم ركوعهما وسجودهما ، ثم سلّم وأثنى على الله عزّ وجلّ وعلى رسول الله ﷺ ، ثم سأل حاجته فقد طلب الخير في مَضانّه ، ومن طلب الخير في مضانه لم يخب . وفي « الفردوس » قال النبي ﷺ : « البلاء يتعلق بين السماء والأرض مثل القنديل ، فإذا سأل ربّه العافية صرف الله عنه البلاء » . وقال ﷺ : « سلوا الله عزّ وجلّ مَا بَدا لكم من حوائجكم حتّى شسع النعل ، فإنّه إن لم ييسّره لم يتيسّر » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع » . وقال الصادق ﵁ : إنّ الله عزّ وجلّ جعل أرزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ، وذلك أن العبد إذا لم يَعرف وجه رزقه كثر دعائه ، وعنه ﵁ قال : من سرّه أن يستجاب له في الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء . وعن علي الرضا ﵁ قال : دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية . وعن أبي عبد الله ﵁ قال : إنّ الله تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ، ولكن يحبّ أن يبده إليه حوائجه . وعنه قال : إنّ الله عز وجلّ لا يستجيب دعاء قلب لاه ، فإذا دعوْت فاقبل بقلبك ، ثم استيقن الإجابة . وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « إنّ الله عز وجل كره إلحاح النّاس بعضهم على بعض في المسئلة ، وأحبّ ذلك لنفسه ، إنّ الله عزّ وجلّ يحب أن يسأل ويطلب ما عنده » .

الدعاء سلاح الأنبياء

وعن الرضا ﵁ أنّه كان يقول لأَصْحابه : عليكم بسلاح الأنبياء ، فقيل : وما سلاح الأنبياء ؟ قال : الدعاء . وعن الصادق ﵁ قال : الدعاء أنفذ من السنان . وعن حماد بن عثمان قال : سمعت الصادق ﵁ يقول : الدعاء يرد القضاء وينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراماً . وعن أبي الحسن ﵁ قال : عليكم بالدعاء ، فإنّ الدّعاء والطلب من الله تعالى عزّ وجلّ يرد البلاء ، وقد قرر وقضى فلم يبق إلاّ إمضائه ، فإذا دعا الله تعالى وسأله صرف البلاء صرفاً ، وقال الصادق ﵁ : عليك بالدعاء ، فإنّ فيه شفاء من كلّ داء ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من قدم الدّعاء استجيب له إذا نزل البلاء .

وقيل : صوت معروف ولم يحجب عن السماء ، ومن لم يقدّم الدعاء لم يستجب له إذا نزل البلاء ، وقالت الملائكة : هذا صوتٌ لا نعرفه » . وعن زين العابدين ﵁ قال : الدّعاء بعْد ما ينزل البلاء لا ينفع . وعن الصادق ﵁ : إذا دعوت فأقبل بقلبك ، وظنّ أن حاجتك بالباب . وقال ﵁ : لا يلحّ عبد مؤمن على الله تعالى في حاجة إلا قضاها . وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبداً طلب من الله عز وجل حاجته وألحّ ، أستجيب له أم لم يستجب ، وتلا هذه الآية ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ . وقال أمير المؤمنين علي ﵁ : ما من أحد أبتلي وإن عظمت بَلواه بأحقَّ بالدعاء من المعافي الذي يأمنُ البلاء . انتهى . وعن أبي عبد الله ﵁ أنه قال : إذا دعى أحدكم فليخلص ، فإنّ القلب لا يرق حتى يخلص . وعنه قال : كان أُبيّ ﵁ إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس ، فإذا أراد ذلك قدّم شيئاً وتصدّق به ، وشم شيئاً من الطيب ، وراح إلى المسجد ، فدعا في حاجته ما شاء الله عزّ وجلّ . وعنه ﵁ قال : إذا اقشعّر جلدك ، ودمعت عيناك فدونك دُونك فقد نجح قصدُك .

وعن جعفر ﵁ قال : إن الله عزّ وجلّ يحبّ من عبده المؤمن الدعاء ، فعليكم بالدعاء في السحر إلى طلوع الشمس ، فإنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، وتقسم فيها الأرزاق ، وتقضى فيها الحوائج . انتهى . « مكارم الأخلاق » عبارته ٩٠ راجعه ، وفي شرح « البخاري » لابن أبي حمزة عن النبيّ ﷺ : « من فتح باب الدعاء ، فتحت له أبواب الخيرات » . وفي « الترغيب والترهيب » عنه ﷺ : « من فتح منكم باب الدّعاء فقد فتحت له أبواب الإجابة » . وعن أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ : « ليس شيء أكرم عند الله تعالى من الدعاء » وعنه أيضاً ﷺ قال : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » .

مهم

عن جابر بن عبد الله عن النبيّ ﷺ قال : « يدعو الله بالمؤمن يوم القيمة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول : عبدي ! إنّي أمرتك بالدعاء ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني ؟ فيقول : نعم ، يا ربّ ، فيقول أما إنك لن تدعوني بدعوة إلا أستجيب لك ، أليس دعوتني كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرِّج عنك ففرَّجت عنك ، فيقول : نعم ، يا ربّ ، فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ، قال : نعم يا ربّ ، فيقول : إني ادخرتها لك في الجنّة كذا وكذا ، ودعوتني في حاجة أن أقضيها لك في يوم كذا فقضيتها ، فيقول : نعم يا ربّ ، فيقول : إنّي عجّلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا لحاجة أقضيها لك فلم تر قضائها ، فيقول : نعم يا ربّ ، فيقول : إنّي ادّخرتها لكَ في الجنّة كذا وكذا » . وقال ﷺ : « لا يَدع الله دعوة دَعا بها عَبْده إلا بيَّن له إمّا أن يكون عجّل له بها في الدنيا ، وإمّا أن يكون ادّخرَ له في الآخرة ، فيقول المؤمن في ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شيء في الدنيا من دعائه » .

مهم

وعن أبي الدرداء عن النبيّ ﷺ : « دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ، ويوكّل الله ملكاً يقول : آمين ، ولك مثل ما دَعَوْت » وقال النبيّ ﷺ : « أسرع الدّعاء إجابة دعوة غائب لغائب » رواه أبو داود والترمذي . وقال النبيّ ﷺ : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهنّ ؛ دعوة المسافر ، ودَعْوة المظلُوم ، وَدَعوة الوَالد لوَلده » رواه أبو داود وَالترمذي . وفي رواية البزار : « ثلاث دعوات حق على الله أن لا يردّهنّ ؛ دعوة الصائم حتّى يفطر ، والمظلوم حتّى ينتصر ، والمسافر حتّى يرجع » . ومنه ﷺ : « دعوة الوالد لولده مثل دعاء النبي ﷺ لأمّته » . وعنه ﷺ : « دعوتان ليس بينهما حجابٌ ؛ دعوة المظلوم ، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب » . انتهى راجع « الإحياء » في ٢٣٤ ج ١ و« نزهة المجالس » في ٦٦ ج ١ .

شروط الدعاء

وقال الشيخ شهاب الدّين أحمد الأبشهي في كتابه « المستطرف » : اعلم أنّ إجابة الدّعاء لا بدّ لها من شروط ؛ فشرط الداعي أن يكون عالماً بأن لا قادر إلا الله ، وأن الوسائط في قبضته ، ومسخرة بتسخيره ، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب ، فإنّ الله تعالى لا يستجيب من قلب لاه ، وأن يكون مجتنباً من أكل الحرام ، ولا يملّ من الدعاء .

ومن شروط المدعوّ فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً كما قال عليه الصلاة والسلام : « ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » ، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب ، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومَظالمهم . قال ابن عطاء الله : إنّ للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتاً ، فإن وافق أركانه قوي ، وإن وافقت أجنحته طار إلى السماء ، وإن وافق مواقيته فاز ، وإن وافق أسبابه نجح . فأركانه حضور القلب والخشوع ، وأجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ، وأسبابُه الصلاة عَلى النبيّ ﷺ .

ومن شروط الدعاء أن يكون سليماً من اللّحن كما قال بعضهم :

ينـادي ربّه باللحـن ليث[1]   كـذاك إذا دعـاهُ لا يجاب

وقيل : إن الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ، ولا شرطي ، ولا جاب ، ولا عشار ، ولا صاحب عرطبة ؛ وهي الطنبور ، ولا صاحب كوبة ، وهي الطبل الكبير الضيّق الوسط . انتهى . راجعه في ٢٣١ من الجزء الثاني .

وقال الشيخ محي الدين الإمام النووي في كتاب « الأذكار » ما لفظه هذا : وروينا في « رسالة الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه » قال : اختلف الناس في أنّ الأفضل الدعاء أم السكُوت وَالرضاء ؛ فمنهم من قال : الدعاء عبادة . للحديث السابق : « الدعاء هو العبادة » ، ولأنّ الدعاء إظهارُ الافتقار إلى الله تعالى ، وقالت طائفة : السكُوت والخمود تحت جريان الحكم أتم ، والرضاء بما سبق به القدر أوْلى . وقال قوم : يكُون صاحبَ دعاء بلسانه ورضاء بقلبه ليَأتي بالأمرين جميعًا . قال القشيري : والأولى أن يقال : الأوقات مختلفة ، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وَهُو الأدب ، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك بالوقت ؛ فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكُوت أتمّ ، قال : ويَصحُّ أن يقال : ما كان للمسلمين فيه نصيب ، ولله سبحانه وتعالى حق ، فالدعاء أولى لكونه عبادة ، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتمّ .

قال : **ومن شروط الدعاء أن يكون مطعمه حلالاً** . وكان يحي بن معاذ الرازي رضي الله عنه يقول : كيف أدعوك وأنا عاص ، وكيف لا أدعوك وأنت كريم . ومن آدابه حضور القلب ، وسيأتي دليله إن شآء الله . وقال بعضهم : المراد بالدعاء إظهار الفاقة ، وإلاّ فالله سبحانه وتعالى ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ .

وقال الإمام ابُو حامد الغزاليّ في « الإحياء » : آداب الدعاء عشرة ؛

---

(١) اسم الرجل

الأوّل : أن يترصد الأزمان الشريفة ؛ كيوم عرفة ، وَشهر رَمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت الأسحار .

الثاني : أن يغتنم الأحوال الشريفة ؛ كحالة السجُود ، والتقاء الجيوش ، ونزول الغيث ، وإقامة الصلاة ، وبعدها قُلت : وحالة رقة القلب .

الثالث : استقبال القبلة ، وَرفع اليدين ، ويمسَح بهما وجهه في آخره .

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر .

الخامس : أن لا يتكلف السجع ، وقد فسّر به الاعتداء في الدعاء ، والأولى أن يقتصر على الدعوات المأثورة ، فما كلّ أحد يحسن الدعاء فيخاف عليه الإعتداء . وقال بعضهم : ادْعُ بلسان الذلة والإفتقار ، لا بلسان الفصاحَة والإنطلاق ، ويقال : إن العُلماء وَالأبدال لا يَزيدُون في الدعاء عَلى سبع كلمات ، ويشهدُ له ما ذكره الله سبحانه وتعالى في آخر سورة البقرة : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ إلى آخرها ، لم يخبر سبحانه في موضع عن أدعية عباده بأكثر .

قُلت : ومثلُه قول الله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ إلى آخره . قلت : والمختار الذي عليه جماهير العُلماء أنه لا حرج في ذلك ، ولا تكره الزيادة على السبع ، بل يستحبّ الإكثار من الدعاء مطلقاً .

السّادس : التضرّع والخشوع وَالرهبة قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ .

السابع : أن يجزمَ بالطلب ، ويُوقن بالإجابة ، ويصدق رجائه فيها .

وَدَلائله كثيرة مشهورة ؛ وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : لا يمنعنّ أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه ، فإنّ الله تعالى أجاب شرّ المخلوقين إبليس ؛ إذ قال : ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

الثامن : أن يلحّ في الدعاء ، ويكرّره ثلاثاً ، ولا يستبطئ الإجابة .

التاسع : أن يفتح الدّعاء بذكر الله تعالى ، قلت : وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى ، والثناء عليه ، ويختمه بذلك كلّه أيضاً .

العاشر : وهو أهمّها والأصل في الإجابة : وهو التوبة ، وردُّ المظالم ، والإقبال على الله تعالى . انتهى عبارته .٧٦ ١ ج . وإن أردْت الزيادة راجع « الإحياء » في ٢٣٤ من الجلد الأوّل ، وفيه البيان الشافي .

مهم

وقال وهْب بن منبه : بلغني أنّ موسى مرّ برَجُل قائم يبكى ويتضرّع طويلاً ، فقال موسى : يا ربّ أما تستجيب لعبدك ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى : لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ، ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما أستجيب له . قالَ يا ربّ لم ذلك ؟ قال : لأن في بَطْنه حرام ! ومرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة ، فاجتمَع الناس إليه ، وقالُوا : يا أبا إسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال : لأنّ قلوبكم ماتت بعشرة أشياء ؛ **الأوّل** : أنكم عرفتم الله فلم تؤدّوا حقّه . **الثاني** : زعمتم أنكم تحبّون الرسول ﷺ ثم تركتم سنّته . **الثالث** : قرأتم القرآن ولم تعملوا به . **الرابع** : أكلتم نعمة الله تعالى ، ولم تؤدّوا شكرها . **الخامس** : قلتم : أن الشيطان عدوكم ، ووافقتموه . **السادس** : قلتم أنّ الجنّة حق ، فلم تعملوا لها . **السابع** : قلتم أن النار حق ، ولم تهربوا منها . **الثامن** : قلتم أن الموت حقّ ، فلم تستعدّوا لها . **التاسع** : انتبهتم من النوم ، واشتغلتم بعُيُوب الناس ، وتركتم عيوبكم . **العاشر** : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم .

وكان يحي بن معاذ يقول : من أقرّ لله بإسائته جاد الله عليه بمغفرته ، ومن لم يمنّ على الله بطاعته أوصله إلى جنّته ، ومن أخلص لله في دعوته منّ الله عليه بإجابته .

وقال علي ﷺ : ارفعُوا أمواج البلايا بالدعاء . وعن أنس ﷺ يرفعه : لا تعجزُوا عن الدعاء ، فإنّه لن يهلك معَ الدّعاء أحد . انتهى . من كتاب « المستطرف » . ٢٣٢ من الجلد الثاني . وفي « مفيد العلوم ومبيد الهموم » : وسُئل بعض العلماء : لم لا يستجاب دعائنا ؟ قال : لأنّ الله تعالى أنعم عليكم فلا تشكرون ، وعَصَيتموه فلم تستغفروه ، وسمعتم العلم فلم تستعملوه ، وصحبتم الزّهاد فلم تعملوا بمثل أعمالهم ، ورأيتم الجبابرة وحالهم فلم تعتبروا . انتهى ١١٣ راجعه . وفيه ما نصه : **وللدعاء وَقْت معلوم** ، فإذا وافقت الوقت يستجاب ، وإن لم يوافق فلا .

حكاية

مرّ عيسى عليه السّلام ببلدة فرأى أهلها مغمومين ، فسأل عن ذلك ، فقيل : ابنة الملك مريضة قد أعيى الأطباء دوائها ، وقد أهمل الملك أمور المملكة ، فارتحل عيسى فنادته شجرة : يا روحَ الله ، إني دواء ابنة الملك فاقطفني لها فاقتطف ثمرتها وسقاها فلم ير فيها أثراً ، فتعجب من ذلك وارتحل ، ثم عاد في العام القابل ، فسأل عن بنت الملك فنادته الحشيشة من جَوْفها : يا روح الله ما كذبت ، إني شفاء هذه الجارية ، إلاّ أنّ سقْيها في غير وقتها ، وأن الله تعالى كتب لكلّ شيء أجلاً ووقتاً ، وقد انقضى وقت بلاها ، وها ترى أعمل عملي في الشتاء ، فمسخ الله بها وعادت صحيحة . انتهى . راجعه في ١١٤ .

قال بعض العُلماء : لا يمنعكم من الدعاء ما تعرفون مِنْ أنفسكم من الشرّ ، فإنّ الله استجاب لعَدوّه إبليس مَع كفره ، ﴿ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ ، فاستجاب دُعائه ، فقال : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾ . منه ١١٤ . وأما إجابة إبليس في انتظاره إلى يوم الدّين فذلك لسبق الوعد لا تكرمة لإبليس ؛ لأنّه لو لم ينظره إلى يوم الدين وأماته قبل ذلك لم يصر لأهل قبضة الشقاء من يوسوس لهم بالمعاصي ، ولا بد لهم منها بحكم القبضتين راجع « منن الكبرى » في ٢٤ .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : من أراد أن يسأل الله تعالى شيئاً فليكثر من الاستغفار ، ثم يدعو ، فإنّ الاستغفار في الأعمال كالعينين في الرأس ، ومن خطر له في نفسه في وقت من الأوقات أنّه مُستغن عن الاستغفار ، أو ثقل على لسانه فليعلم أن ذلك من استحواذ الشيطان على قلبه . قال : وقد سأل شخصٌ من الفقراء ربّه عزّ وجلّ أن يُرِيَهُ موضعَ الشيطان من قلب بني آدم ، فرأى في المنام قلب رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه ، ورَأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه ، وله خرطومٌ طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله تعالى أو استغفره خنس ، وإذا غفل عن الذكر وسوس . انتهى . عبارته ٢٥ .

وقال الشيخ الشعراني في « لواقح الأنوار » ما لفظه : وقد اجتمعت مرّة بإبليس لعنه الله تعالى بساحل نيل مصر في واقعة ، فجادلته وجادلني ، وكان من جملة ما قال لي : لم يسلطني الله تعالى قطّ على إنسان إلاّ بَعْدَ وقوع مَيْل منه إلى ذلك الأمر الذي وسوست له به ، فالإنسان ككفتي الميزان ، وقلبه كلسان الميزان ، وأنا واقف تجاهَهُ أنتظر ميل قلب لمعصية ، فأنفذ قضاء الله تعالى بحكم الإضافة فقط ، فلا آتيه إلاّ إن رأيت لسان الميزان خرج من قُبّتها[1] وتدلى ، فهناك آتيه فأنحيه فعل تلك المعصية ، وما دام لسان الميزان لم يخرج وهو واقف في خطّ استواء القلب فلا سلطان عليه ؛ لأنه إمّا معصوم كالأنبياء ، وإمّا محفوظ كالأولياء . انتهى . قلت : ومن تحقّق بهذا كشفاً وشهوداً فهو الذي يقيم حجة الله تعالى على نفسه ، وإلا فمن لازمه أن يقول : أيّ شيء أعمل ، قدر الله تعالى عليّ ، فلا يكاد يندم إلا قليلاً ، وقد طلب الله تعالى منا في هذه الدار الندم والاستغفار عند كل معصية ، ولم يكتف منا بذلك في الباطن من غير إظهار ، وذلك ليقتدي بنا المريدون ، ويعظمُوا حدود الله إذا وقعُوا في معصية . انتهى ج ٢ راجعه . قال بعض المتقدمين : من تضافرت عليه النعم فليكثر الحمد لله ، ومن كثر

---

(١) **وفي نسخة** : من فيها .

همه فليكثر الاستغفار ، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . وروى جعفر بن محمد رضي الله عنه قال : عجبت لمن أبتلي بأربع كيف يغفل عن أربع ، عجبت لمن يبتلى بالهمّ كيف لا يقول : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وَعجبتُ لمن يخاف شيئًا كيف لا يقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ ، وعجبت لمن خاف الناس كيف لا يقول : وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ إلخ . . راجع « بستان العارفين » في ٢٠٠ .

فصل

في فائدة الدعاء فيما قضاه الله تعالى بالوُقوع ، معَ أنّ القضاء لا مردّ له ؛ قال الشيخ الإمام الغزالي في « الإحياء » ما نصّه ونقله الإمام النووي في « الأذكار » فإن قلت : فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له ؟ فاعلم أنّ من القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لردّ البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أنّ الترس سبب لردّ السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أنّ الترس يَدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبَلاء يتعالجان ، **وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح** وقد قال تعالى : ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ ، وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذر ، فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ،

ربط الأسباب بالمسبّبات هو القضاء الأوّل

بل لربط[1] الأسباب بالمسببات هو القضاء الأوّل الذي هُو كلمح البَصر أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر ، والذي قدّر الخير قدر بسبب ، **والذي قدّر الشرّ**

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلّه بلا لام .

قدر لدفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ، ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر ، فإنّه يستدعي حضور القلب مع الله تعالى ، وهو منتهى العبادات ؛ ولذا قال ﷺ : « الدعاء مخّ العبادات » ، والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلُوبهُمْ إلى ذكر الله عزّ وجلّ إلا عند إلمام حاجة وإرهاق مُلمة ، فإن الإنسان إذا مسَّه الشرّ فذوا دعاء عريض ، فالحاجة تحوِّج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجلّ بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر ، أي هو أشرف العبادات ، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ لأنه يردّ القلبَ بالافتقار والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ ، ويمنع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور ، فإنّ الإنسان ليطغى أن رَآه استغنى . انتهى « إحياء » عبارته ٢٤٨ .

فائدة مهّمة

قال الشيخ أبُو عَبْد الله في « الدرر النظيم في خواص القرآن العظيم » ما لفظه : إنّ العبد إذا كان دائم الذكر والدعاء والتضرّع إلى الله تعالى فإن الملائكة تحفظه من جميع المكاره ، فإذا جاءه ضرر ومكروه من أحد منعته الملائكة وصدَّت عن وجهه المكاره ، فلا يزال محفوظاً من جميع الجهات إلا من جهة الفوق ، فإن القدر والقضاء نازلان منه ، فإذا نزل القضاء والقدر أسلمته الملائكة لذلك ، فينبغي أن تحرس جهة الفوق بالعمل الصالح ، فإنّه لا بدّ لكلّ عبد طريق إلى السماء يَصعد منه عمله ، وينزل منه رزقه ، ومنه تقبض روحه ، ومنه تصعد ، فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات ، كثير الدعاء مَملوءة سبيله بالخيرات فإذا نزل البَلاءُ من السماء نزل على طريقة العبد المعينة ، فيجدها معمورة بالخيرات مملوءة بالطاعات ، فيحتبس ذلك البلاء عن النزول ، ولا يجد منفذاً إليه ، فيكون دعائه وعمله قد حجب عنه البَلاء ؛ لأنّ الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي ، فيتصادم البَلأ والدعاء ؛

فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البَلاء ، فهما كالمتصارعين ، فإن غلب الدعاء رفع البَلاء وخرق السموات وارتقى إلى الله تعالى ، وإن غلب البَلاء أزال الدعاء ونزل على العبد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يزال البَلاء والدعاء يقتتلان إلى يوم القيمة » فهذا معنى كون الدعاء سبباً لرد البلاء . انتهى راجعه في ١٥٢ قبيل بيان شرائط الدعاء من سورة « العمران » .

فإن قلت : يجب على المؤمن الرضاء بالقضاء فما معنى الدعاء ، وكل شدة وبلاء وسراء وضراء بقضاء الله تعالى ؟ **الجواب** : عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء إذا رأيت الليث بارزة ، فلا تظنن أن الليث متبسم ، فلا تظنن أيها المسترشد أنّ مَعنى الرضاء بالقضاء ترك الدعاء ، فالعاقل لا يترك السهم المرسل حتّى يصيبه مع قدرته على المعالجة بالترس والتحرز عنه بوجه ، فمن جملة الرضاء بالقضاء أن يتوسّل إلى محبوبه بمباشرة ما جعَله سببًا ، بل لا تترك الأسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه ، فليس من الرضاء للعَطْشان أن لا يمدّ اليد إلى الماء البارد زاعماً أنّه راض بالعطش الذي هو من قضاء الله تعالى ، بل من قضائه ومحبّته أن يزيل العطش بالماء ، **فمعنَى الرضاء بالقضاء تَرْك الاعْتراض** ، وَلا يخالف قضية الدعاء . انتهى . « مفيد العلوم » عبارته ١١٣ راجعه .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال :« يا نبيّ الله أأعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل على الله ؟ فقال ﷺ : اعقلها وتوكل على الله » كذا في « تنبيه الغافلين » .

فإن قيل : لا شك أن معظم الأدعية وأكثرها لدفع البلايا والمصائب ، وهو مناف للصبر والتوكل والتسليم إلى الله .

قلنا : وإن ذهب بَعض الزهاد إلى أفضليّة ترك الدعاء استسلاماً للقضاء ، لكنّ الصحيح الذي أجمع عليه العلماء وأهل الفتوى أفضلية الدعاء واستحبابيّته كما نقل عن النووي في شرح « مسلم » ،

وأنا أقول : المنافي للصبر هو التضجّر والتشكى وعَدَم تحمّل المحن ، لا المباشرة للسبب العادي منه تعالى ، وأيضاً صرّح بعدم تنافي التشبث بالأسباب الوهمية للتوكل بهذا الشرط فضلاً عن القَطْعيّة ، وبالجملة المباشرة بالأسباب الشرعيّة ولو ظنيّة بل وهميّة لا تنافي التوكّل ، وأمّا إجابة دعوة الكافر فمنعَ الشافعي والجمهور لقوله تعالى ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ﴾ ، ولأنّه لا يعرف الله ، والصحيحُ المفتى به الجواز ؛ لحديث : « اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنه ليس دونها حجابٌ » ، ولأنه تعالى حين قال إبليس : ﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧﴾ ، فأجاب دعائه ، وظاهر ما في « التاتارخانية » هو الإطلاق ، وصرّح علي القاري في شرح « الأمالي » بأنّ المحققّين على أنّه يقبل في أمور الدنيا ، وأما في الآخرة فلا . قيل : التحقيق في توفيق النصوص . انتهى « بريقة » عبارته ٢٥١ .

وفي المكتوبات للشيخ القطب الإمام الرباني بَعْد كلام طَويل ما نصّه : ولهذا ترى طائفة يعتقدون الكمال في رفع الأسباب ودفعها ، وينسبون الأشياء إلى الحقّ سبحانهُ ابتداء من غير توسّط الأسباب ، ولا يدرون أن رفع الأسباب رفع الحكمة التي في ضمنها مصالح لا تحصى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ كيف والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يراعون الأسباب ، ومع تلك المراعات كانوا يفوضون أمُورهم إلى الحق سبحانه وتعالى كما قال يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام وصيّة لبنيه ملاحظاً لإصابة العين : ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ . الآية . ومع وجود هذه المراعات قال تفويضاً أمره إلى الله تعالى : ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ واستصوب سبحانه هذه المعرفة منه واستحسنها ونسبها إلى نفسه حيث قال بعد ذلك : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ الآية .

وأشار الحق سبحانه في القرآن المجيد فيما خطب به نبيّنا محمّداً ﷺ إلى توسّط الأسباب وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بقي الكلام على تأثير الأسباب ، ويجوز أن يخلق الله سبحانه في بعض الأوقات ، فلا يترتب عليها أثراً أصلاً بالضرورة كما أنَّا نشاهد هذا المعنى ، فإنّ بعض الأسباب يترتب عليها وُجود المسبّبات أحياناً ، وفي بَعْض الأوقات لا يظهر منها أثر أصلاً ، فالإنكار على تأثير الأسباب مطلقاً مكابرة ، ينبغي أن يقول بالتأثير ، وينبغي أن يعتقد أنّ وجود ذلك التأثير كوجود نفس السبب بإيجاد الله تعالى ، فلاح بهذا البيان أنّ التمسّك بالأسباب ليس مناف للتوكّل كما ظنّ الناقصون ، بل في التمسّك بالأسباب كمالُ التوكل ، فإنّ يعقوب عليه السلام أطلق التوكل على مراعات الأسباب مَعَ تفويض الأمر إلى الحق جل وعلا حيث قال : ﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . انتهى عبارته ٢٦٦ .

وحاصل ما في « تقريب الأصول » أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تَدْبير وعَمل وسبب ؛ وقد قال النبي ﷺ - للأعرابي الذي أهمل ناقته وقال : توكلت على الله : اعقلها وتوكل كما ذكرنا قبيل هذا . وقال تعالى : ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ ، وقال تعالى لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ والتحصّن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبّب ، واختفى رسول الله ﷺ في الغار ، وذلكَ نوعٌ من التسبّب الذي يَحْصُلُ به الاختفاء عن أعين الأعداء ، واستأجر النبي ﷺ الخفير ، وظاهر[١] بين درعين ، وحمل الزاد في السفر ، واتخذ خندقاً حول المدينة يحرس به من العدوّ ، وكان إذا أرَاد غزوة وَرَّى بغيرها ، فكان سأل عن بعض الطرق التي لا يريد سلوكها وهو يريد سلوك طريق غيرها ، وكان يقول : « الحرب خدعة »

(١) أي : احتاط

ويقول : « التدبيرُ نصف المَعيشة » مَدْحا للتدبير المحمود ؛ بقرينة قوله : « والتودّد إلى الناس نصف العقل » . انتهى راجعه في ٢٣ .

قال ابن ذكر في « شرح الحكم » : وكلّ من تعاطى السبب مَعَ استحضار **أنّ ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن** فقد فرَّ من الله إلى الله كما قال عمر بن الخطاب : نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، قال ذلك حين أراد البُعْد عن محلّ الطاعون الذي كان بالشام ، وقد قال له أبُو عُبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه : أتفر من قدر الله ؟ فقال : نعم ، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله ؛ أي : لأنّ الموضع الذي فيه الطاعون إنما هو بقدر الله ، والمَوضع الذي نفرّ إليه إنما هو أيضا بقدر ، فلم يخرج من قدر الله تعالى على كلّ حال ؛ لأنّا إنّما نشهد حول الله وقوته ، لا حَوْلنا ولا قوّتنا ، فمن كانت له ماشية وأرضٌ مجدبة وأرضٌ مخصبة فإنّه يَرعاها في الأرض المخضبة ، ويترك الأرض المجدبة ، ولا يخرج عن قدر الله تعالى سواء رعاها في هذه أو هذه . **فأرباب الشهود لا يغفلون عن حول الله وقوته** في جميع الأحوال . راجع إلى « تقريب الأصول » في ٢٦ .

وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عملي بالأمور التي علّق الله عزّ وجلّ عليها زيادة العمر أو الموت على الإيمان أدباً مع الله تعالى ، ولا أترك العمل بذلك ، وأقول : إن كان سبق علم الله تعالى زيادة عمري أو رزقي أو موتي على الإيمان فهو وَاقِعٌ لا محالة ، كما عليه طائفة ممن ادّعوا الطريق بلا شيخ ، فإنّ ذلك في غاية الجهل ، لأنّ الله تعالى رتّب الأسباب على المسبّبات ، وألزم الخلق كلّهُم رق الأسباب ، فلا يَصحّ لأحدٍ أن يخرج عن ذلك ، كما هو مشاهدٌ . ومن أدب العبد امتثال أمر سيّده ، وأن يدور معَهُ حيث دار ، فإذا قال : لا أغفر لك إلاّ إن قلت كذا وكذا ، فليس له أن يقول : اغفر لي بلا قول ذلك ، وقس عليه . « منن » راجعه في ٨٠ .

فإن قيل : إن تغيير قضائه تعالى ممتنع ، فالسعي لدفعه بنحو الدعاء من عدم اعتراف قضائه تعالى ، وقد قال ﷺ : « لا يغني حذر من قدر » .

قلنا : إنّ الدعاء أيضاً من قضائه تعالى ، فيكون المسبّب مع سببه من قضائه تعالى ، فالله تعالى قضى بكون الدعاء سببًا مزيلا . وقد قال ﷺ : « لا يردّ القضاء إلاّ الدعاء » وقال في شرح ذلك الحديث : فيستعمل العبد الحذر المأمور به من الأسباب وأدعية الأمراض إلى آخره .

فإن قيل : إن كان المدعوّ عليه خلاف قضائه وعلمه أو كان قضاء مبرماً فلا ينفع .

قلنا : يجوز أن يكون نفعه مؤخرا إلى الآخرة ، ويجوز أن يمنعه تعالى عن الدعاء المرعي شرائطه ، والمنفي موانعه ، ولا يلزم الجبر على قاعدة أفعال العباد من الجبر المتوسِّط .

فإن قيل : ربّ مضطر وضرير عاجز يجتهد في الدعاء ولم يظهر أثر القبول طول عمره .

قلنا : يخرج له الجواب مما ذكرنا ، وإنّ بعض المستجاب يجوز أن يكون خفياً بحيث لولاه لتظهر المخاوف والمكاره ، ويجوز أن يكون مقبولاً في حقّ شيء آخر أنفع له ، وَأن يكون وقته بعيداً ، فيظن أنّه لم يقبل وقد قُبل ، لكن ظهر أثره بعد زمان طويل ؛ كما قيل : **في استجابة دعاء نوح عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام أنّه ظهر أثر بعد أربعين سنة** ، و اضمحل به الإشكال على قوله تعالى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أنّ لفظة (كلّ) تقتضي العموم والاستغراق ، وربّ شخص يَدْعو كثيراً ولا يظهرُ أثر القبُول بلا احتياج إلى ما يقال : أنّه يعطي كلّ سؤال ، لكن البعض لا يَصل للموانع والحجب ، لعدم القابليّة ، وبلا احتياج إلى تخصيص خطابه مع أنه خلاف الأصل . انتهى « بريقة » ٢٥١ ج١ راجعه . وفي « السراج » ما نصّه من الحديث « لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ، وممّا لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عبادَ الله » أي : الزموه يا عباد الله تفلحوا (حم) عبارته ، عن معاذ . قال العلقمي بجانبه علامة الحسن . قوله (فعليكم عبادَ الله) أي ألزموه واجتهدوا فيه .

والدعاء المقبول يرُدّ الأمر؛ أي : القضاء المبرم بالمعنى المار . انتهى ١٧٨ . ومعنى كونه مُبْرماً متقنٌ محكم ، لا أنه لا يغير ، إذ ذاك لا ينفع فيه الدعاء ، منه « الدعاء يردّ البلاء » ، إذ لولا أراد الله ردّه ما فتح له باب الدعاء ، أبو الشيخ والديلمي عن ابي هريرة « سراج » ٢٦٦ ج٢ .

واعلم أنه يعلم الجواب مما ذكرناه إلى هنا عن قول القائل سائلا الجواب :

أيا علماء الدين ذمي دينكم * تحير دلوه بأوضح حجّة * إذا ما قضى ربّي بكفري بزعمكم * ولم يرضه عني فما وجه حيلتي * قضا بضلالي ثم قال ارض بالقضا * فهل أنا راض بالذي فيه شقوتي * دعاني فسدّ الباب دوني فهل إلى * دُخُول سبيل بيّنوا لي قصّتي * إذا شاء ربّ الكفر منّي مشية * فهل أنا عاص باتباع المشية * وهل لي اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين علّتي *

وللعلماء رحمهم الله تعالى في جواب هذا القائل أشعار كثيرة ترجع إلى حاصل ما تقدّم ، بيد أني أورد هنا ما أجابَ به الشيخ صدر الدين القنوي من بين تلك الأشعار ، فإن ذكر الكلّ ، وتطويل الكلام لا يليق بهذا المختصر ، فقال : صدقت قضى الربّ الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة * وهذا إذا حققته متأمّلا * فليس يسدّ الباب من بعد دعوة * فإنّ قضاء الله منه معلّق * بأمر إذا ما كان فالمحو أثبت * كما الريّ بعد الشرب والشبع الذي * يكون عقيب الأكل في كلّ مرة * فليس ببدع أن يكون معلّقاً * قضاء الإله الحق ربّ الخليقة * بكفرك مهما كنت بالكفر راضياً * عليك بأسباب الهدى والسلامة * فمن جملة الأسباب ما قد رفضته * مع الأمن والإمكان لفظ الشهادة * فأنت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعي إذ قضى لي بجَوْعَتي *

وحاصل هذا الجواب : أن ذلك بقضاء الله ، لكن قضاء الله ؛ ما هُوَ معلّق ، وما هُوَ مبرم ، فكفر الكافر لا يعلم أنه مبرم إلا إذا مات على الكفر ، وأمّا في مدّة حياته فيحتمل أنه معلّق قضائه بدوام رضائه ، وعدم تعاطي أسباب الخروج منه ، فإذا تعاطى أسباب الخروج منه بالنطق بالشهادتين انقطع بقائه ، كما أنّ الجائع معلّق دوام جوعه بعدم تعاطي أسباب الخروج منه ، فإذا تعاطى أسباب الخروج منه بتناول الطعام انقطع جوعه ، والعبد لا اطّلاع له على أنّ ذلك القضاء مبرم ، وقد أمر الشارع بتعاطي أسباب الخروج منه ، وسهلها له ، فعليه أن يفعل ما أمره الله به ، ولا يحتجّ بأنّ ذلك بقضاء الله ، لأنّه لم يعلم أنه مقضيّ عليه إلاّ بالنسبة لما مضى لا بالنسبة للمستقبل . فقد قامت الحجّة عليه ولم يبق له عذر ولله الحجّة البالغة ،

وليس للعبد إلاّ مجرّد الكسب ، وهو تعلّق قدرته بالشيء المخلوق لله ، وجعَل الله هذا الكسب مناط الثواب والعقاب ، ولا يُسأل عمّا يفعلُ ، المُلْكُ مُلْكه ، يتصرّف فيه كيف يشاء ، فإذا تحقّق أن الأمور كلها بخلق الله ومشيئته وإرادته ، وأنّ الله تعالى كلّف العبد ، وجعل كسبه مناط التكليف ، فعلى العبد التوجه إلى الكسب ، كما يتوجه لكسب الأكل والشرب وبقيّة مصالحه . وقد أجرى الله تعالى العادة بحُصُول ذلك ،

فقول السائل : دعاني وسدّ البابَ دُوني ، كلامه باطل ، فإنّ الله تعالى دعاه ، وفتح له الباب ، وجعل له الأسباب ، وَلم يمنعه من ذلك إلا رضاه بالكفر ، وعدم توجهه لتعاطي كسبه أسباب الخروج من الكفر ، فعليه أن يتوجّه إلى الله بكليته ليسهل له الأسباب التي يحصل بها كسبه لما يوصله إلى قربه ، لأنّ الأشياء كلّها مستمدّة من فضله سبحانه وتعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾

فعليك بإلتجاء إلى الله تعالى مع التبري من حولك وقوتك والتمسّك بحول الله وقوته : قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ فالإقبال على الله بالذل والافتقار هو الأصل لكلّ خير . انتهى « تقريب الأصول » مع الاختصار ، فإن أردت الزيادة راجعه في ٥٤ .

تنبيه : اعلم أيها الأخ في حبّ الله تعالى أنّ حاصل ما ذكره المحقّقون من علماء أهل السنة والجماعة في ردّ القضاء بالدعاء أقوال ؛

فمنهم من يقول بردّ القضاء والقدر مطلقاً معلّقاً كان أو مُبْرماً ، ويقول : إنّ من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، أمّا رد البلاء المعلّق رده بالدعاء فواضح غنيّ عن البيان ، ورد المبرم وقوعه بسَهُولة ولطف كما بيّنه المناوي .

ومنهم من يقول : إنّ فائدة الدعاء في القضاء المبرم حُصُول الثواب ، **لأنّ الدعاء من العبادة** ، وأيضاً أنه يبدل الله تعالى الداعي بَدل ما دَعى به بما لم يقدر له بما هو مثل ذلك أو أفضل منه كما يليق بجُوده وكرمه أو يكفر عنه السيّئات والخطيئات أو يكف عنه السوء ، كما ورد الحديث بذلك ، فبهذا أجاب الشيخ ابن حجر في « الفتاوى الحديثيّة » .

ومنهم من يقول : إنّه لو كان قضاؤه مبرماً يجوز أن يمنعه من الدعاء ، لأنّه ورد عن النبي ﷺ « من فتح منكم باب الدعاء فقد فتحت أبواب الإجابة » **ومنهم** من يقول : كلّ ما ورد أن الدعاء يردّ القضاء المبرم فمحمول على غير السعادة أو ضدّها ، فلا يُرَدُّ أصلاً ، وإنّ المراد بالمبرم بحسب الظاهر لمن أطلعَ عليه من الملائكة وبعض الأولياء ، وليس مبرماً في علم الله ، كما قاله المناوي ، راجعه في ٣٣٨ .

ومنهم من يقول : إن الناس لا يخلوا من السعادة أو الشقاوة ، فإذا غلبت حسناته وإخلاصه تبدّل جهة الشقاوة إلى السعادة ، وإذا اتبع هواه

انعكس ؛ قال النبيّ ﷺ : « السعيد قد يشقى والشقي قد يسعد[1] » فإذا غلبت الحسنات يكون سعيداً ، وإذا غلبت السيئات يكون شقياً ، وأمّا المقدور في الأزل من السعادة والشقاوة لكلّ أحد جامع ؛ قال النبي ﷺ : « السعيد سعيدٌ في بطن أمّه ، والشقي شقي في بطن أمّه » فليس لأحَد فيه بحث لأنّه من سر القدر ، ولا يجوز أن يحتجّ بسرّ القدر ، لأنه لا يعلم[2] إلاّ بالنسبة لما مضى كما مرّ بيانه ، وإنما اللازم علينا السعي في أسباب الخروج من الشقاوة ، كما قال صاحبُ التفسير البخاري إنّ كثيراً من الأسرار يُعلم ولا يتكلّم به كسرّ القدر . **فإنّ إبليس لما أحال إلى سرّ القدر فلعن بذلك ، وإنّ آدم عليه السلام أضاف عصيانه إلى نفسه** ، فأصلح ورحم ، **وعلى كلّ قول من الأقوال لم يخلو الدعاء من النفع والفائدة** ، إلاّ بعض المبتدعة المردودة والمعتزلة المطرودة ، وسيأتي البيان والزيادة بُعيد هذا . انتهى .

علامة السعادة والشقاوة

قال الشيخ الشقيق البلخي : **علامة السعادة** خمسة : لين القلب ، وكثرة البكاء ، والزهد في الدنيا ، وقصر الأمل ، وكثرة الحياء .

وعلامة الشقاوة أيضاً خمسة : قسوة القلب ، وجمود العين ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل ، وقلّة الحياء . قال النبيّ ﷺ : « علامة السعيد : أربعة : إذا ائتمن عدل ، وإذا عهدَ وفى ، وإذا تكلم صَدق ، وإذا خاصم لم يشتم .

---

(١) **وحكي** : أن رجلا كان يعبد الله تعالى في الزمن الأوّل ، فعجب جبريل عليه السلام منه ، فاستأذن ربّه في زيارته ، فأذن له بشرط أن ينظر في اللوح المحفوظ ، فنظر فيه ، فوجد اسم الرجل مكتوبا مع الأشقياء ، فنزل إليه فأخبره بذلك ، فقال : الحمد لله ، فظن جبريل أنه لم يسمع كلامه فأعاد عليه القول ، فقال : الحمد لله ، لو لم أكن أهلاً لذلك لم يفعله بي ربي ، فالحمد لله على الشدّة والرخاء ، فعجب جبريل من ذلك ، فقال الله تعالى : يا جبريل انظر في اللوح المحفوظ ، فنظر فوجد اسمه تحوّل من الأشقياء إلى السعداء . انتهى « مصباح الظلام » ع ٥ ج ١ .

(٢) سر القدر لا يُعْلم إلا بالنسبة لما مضى .

وعلامة الشقاوة أربعة : إذا ائتمن خان ، وإذا عهد خالف ، وإذا تكلم كذب ، وإذا خاصم يشتم الناس ، ولا يعفو عنهم » . كما قال : « فمن عفى وأصلح فأجره على الله » .

واعلم أن تبديل الشقاوة إلى السعادة أو عكسه يكون بالتربية كما قال النبيّ ﷺ : « كلّ مولود يولد على الفطرة ، ولكن أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه » والحديث يدل على كلّ واحد قابليّة السعادة والشقاوة ، فلا يجوز أن يقال : هذا الرجل سعيدٌ محض وشقي محضٌ ، بل يجوز أن يقال سعيد إذا غلبت حسناته ، وكذا عكسه ، ومن قال غير هذا فقد ظل[1] ؛ لأنه اعتقد أن الناس يدخلون الجنّة بلا عَمل وتوبة أو يدخلون النار بلا معصية ، فهذا القول خلاف النصوص ، **لأنّ الله تعالى وعد الجنّة لأهل الصالحين ، والنار لأهل المعاصي والشرك والكفر كما قال الله تعالى :** ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ وكما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾ . انتهى . كذا في « طفل المعاني » من الفصل الحادي عشر .

والجواب الأسلم عمّا يورده أهل زماننا على القدر وكسب العبد أن يقال : إنّ الله تعالى كتب في اللوح أنّ العبد الفلاني اختار فعل مَعصيَة كذا ، وأنّه شقي بذلك ، ثم إذا وقع نشأة ذلك العبد في هذا العالم يفعل ما اختاره ، هكذا كتبه مُجْملاً ، ثم بَعْد ذلك حين ظهر في هذا العالم المذكور **أن تبدل قصده ، وتغيّرت نيته ، واختار فعل الطاعات يُوفِّقهُ الله تعالى لذلك ، ويَعْمل ذلكَ العمل فيكون سعيداً بذلك** ، وذلك قوله تعالى ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، فإنّ الله تعالى محى كونه شقيّاً ، وكتب سعيداً ، فيكون معنى حديث « فرغ ربكم من العباد فريق

(١) فلعله بالضاد لا بالظاء .

في الجنة وفريقٌ في السعير » إن دَام على ذلك العمَل حين ظهر نشؤه في عالم الملك والشهادة ، وذلك مقيّد بذلك ، فافهم . فلقد وقع بيني وبين واحد من حدثان الزمان في هذه القضية كلام ، وقال : إنّ الله تعالى إذا كتب شقيّاً في الأزل فما فائدة عمله ؟ فقلت له : نعم ، إنّ الله تعالى كتب إنّك اخترت فعلَ معصية كذا في هذا الدار فقط بلا زيادة ، ثم إذا تبدّلت نيّتك ، وتغيّر قصدك ، وَاخترتَ فعل الطاعة ، وَسعيت لذلك تكون سعيداً بذلك ، فإنّه وَرد « أنّ الشقي قد يسعد » . وقال الله تعالى : ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ فسكت ذلك الرجل ، وتحيّر ، وقال : إنّ علمائكم لا يقولون كذا ، وكان مراده أن أقول : له : إنه تعالى كتب أنّك سعيد أو شقي وأنّه لا يتغيّر ، لأجل أن يورد عليه ، إذا كان الأمر كذلك فما فائدة سعيه وعَمله ، فافهم . هذا ممّا ألهمني ربّي في هذا المقام ، فإني اقتصرت على المراد .

فائدة

وَردت إلينا مسَائل عديدة في بَعض السنين الماضية من واحد عُلماء الأوان ، وكانت بين المسائل المذكورة هذه المسألة التي حاصلها مثلاً : إذا كان الله تعالى قرّر في الأزل أهلا للسعادة ، وأهلاً للشقاوة لا بدّ من حدوثهم في هذا العالم في الأجل المؤجّل لهم وفَعْلِهم كلّما قرّره الله تعالى في حقهم ، فإذا كان شأنهم هكذا معلوم أنّ الإنسان لا يقدر أن يغير ما كتبه الله تعالى في الأزل ، فإذا كان الحال كما ذكر ما مَعْنى كون الإختيار للعباد ؟ الجواب مطلوب : فكنت أرسلت تلك المسائل المذكورة إلى وحيد الدهر أستاذنا المخلص أبى عبد الله علي أصحاب الكلوي فوردت إلينا أجوبة شافية للمسائل المذكورة ، وأكتب هنا ما ورد منه في جواب هذه المسألة ، وعبارة لفظه : الجواب الثالث والله أعلم بأسرار قدره **لا منافاة بين كون السعادة والشقاوة مقرّراً في الأزل ، وبين كون الاختيار بيد العباد ، فإنّ ما قرر في الأزل تابع لاختيار العبد منهما إذا خلقوا وكلفوا في الدنيا ، فقرر ما يعلمه** منهم وفق علمه ، فلا يتخلّف علمه ، وإلاّ لكان تعالى غير

عالم بما يكون بعد ، وذا باطل ونقص في حقه تعالى ، فلذلك لا يقع في الدنيا شيء ما بخلاف ما في الأزل ، وليس الشأن إن الله تعالى قرر في الأزل مثلاً **شقاوة عبد ثم خلقه وكلّفه بالعمل المفضي إلى السعادة ليرد عليه أنّه لا يقدر على تغيير ما قرر في الأزل ، فما الفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب بتكليفه** بذلك العمل ؟ ولو كان الأمر هكذا لكان إرسال الرسل . . وإلخ . عبثاً ، فإذا لم يكن كذلك لم يكن عبثاً عبارة « شرح العَقائد » .

فإن قيل : فيكون الكافر مجبوراً في كفره ، وَالفاسق في فسقه ، فلا يصحّ تكليفهما بالإيمان والطاعة .

قلنا : إنه تعالى أراد بهما الكفر والفسق بإختيارهما ، فلا جبر ، فكما أن الله تعالى علم منهما الكفر والفسق بالاختيار ولم يلزم التكليف بالمحال . انتهى . أي : أراد الله تعالى الفسق والطاعة بإختيار عبده ، فيكون إرادته الأزليّة تابعة للإختيار الحادث ، ولا بعد فيه لمن أحاط علمه بالحادث الآتى لمن عَلم اختيار عبده غدا فاختار مختاره « رمضان »عبارته . وكون أفعال العباد بعلم الله تعالى وإرادته وتقديره وكتبه[1] في اللوح **لا يستلزم كون صدورها من العباد بالجبر** ، كما إذا علم زيد جميع ما يفعله عمر يوماً من الأيام ، فأراده وكتبه في قرطاس ، فهل يكون عمر في فعله مجبوراً من زيد ؟ وهل يكون له أن يقول لزيد : فعلت ما فعلت لعلمك وإرادتك وكتابتك إياه ؟ فإنّ عمر فعله باختياره وإرادته ، لا لأجل علم زيد وإرادته وكتبه ، فلا يتصوّر فيه الجبر ، فكذلك فيما نحن فيه ، فتدبّر وكن من الشاكرين ، وهذا الجواب هو الحاسم لهذه الوسوسة « طريقة محمدية » ومثله في « شيخ زاده » وكذلك للمحقق طيب . ولكن هذا البحر عميق والداخل فيه غريق ، ولسنا مكلّفين بالإطلاع على سرّ قدر الله تعالى الذي لا يظهره لأحد إلا بعد البعث .

---

(١) (علّه) كتبته .

فالأسلم لنا أيها المكلّفون امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وامتناعكم عن البحث في أمثال ذلك ، وقد جاء النهي عن الخوض في مسألة القدر ، وطلب معرفة كيفيته . لأنّ البحث في القدر اعتراض على الله ، والاعتراض على الله موجب للعقوبة ، ونحن عبيد مَأمُورون بالسَمع والطاعَة ، وقبول أوامر الشرع من غير سؤال عن كيف ولا اعتراض بلِمَ ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ كذا في « المفاتح » عفى العافي عن فرطاتنا وزلاّتنا ، ورزقنا الإيمان الحقيقي ، واليقين العينيّ بحرمة سيّد الثقلين آمين انتهى من خطه .

أقول : قال محقق أوانه وقطب زمانه أفصح الشعراء أسبق علماء داغستان الشيخ حسن القداري سبط الشيخ الشهير الحافظ محمد اليراغي قدس الله أسرارهما في « جراب الممنون » في كلامه على قول (مريد الخير والشر) ما حاصله : إنّ الأشاعرة قائلون بأنّ إرادته تعالى في أفعال عبيده تابعة لعلمه ، وعلمه تابع لمعلومه ، والمعلوم ما يفعله العبد باختياره حال اقتداره بقدرة خلقها الله تعالى فيه ، فلهذا يجازى العبد بعمله إن خيراً ، فخير وإن شرًا فشرٌّ ، ولعدم إلجائه تعالى العبد لفعل واحد منهما وامتناعه من الآخر ، أطلقوا عليه تعالى أنه مريد الخير والشر ، ولكن لا يرضى بالشرّ ،

مثاله أنّ واحداً من عباد الله تعالى الصالحين- كثر الله تعالى أمثالهم- يعرف بالمكاشفة أن زيداً يفعل غداً أمراً كذا ، فلا يتعرّض له فيما يفعله ، وإن كان ما يكرهه تحقيقاً لمعنى قوله تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ . انتهى راجعه في ٢١٧ . وكذا كم مرات قال تعالى : في كتابه ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ فهل يكون قوله تعالى عبثاً ؟ وهل يخاطب العبد بفعل شيء مّا ، أو يأمر به بعد سلب الاختيار منه ، فافهم وتفطن ، مثاله أيها الملحد المعاند في الدين وفي القدر خاصّة ، أنه لو كتب الفَرَافِسُون الرُوسِيُّون في كَلِنْدَارِهِمْ وجرائدهم أن الشمس تنكسف في يوم كذا من شهر

كذا ، وذلك تكون بتوسّط القمر تماماً بينها وبين الأرض ، ثم انكسفت الشمس في ذلك اليوم الذي قالوه بالانكساف ، **فهل يقول أحمق فضلاً [عن] عاقل إنّ الشمس إنما انكسفت لكتبة الفَرَافِسِينَ في كَلِنْدَارِهِمْ كسوفها** كذلك ؟ ! بل تقولون إن كسوفها كانت بتوسط القمر تماما بينها وبين الأرض ، فيحجب ضوئها عن الجهة المقابلة ، وكذلك الأمر فيما نحن فيه من القدر المذكور فافهم وتفطن لذلك .

مهم

اعلم أن الأذكار والأيات والأدوية التي يستشفى بها في نفسها نافعة شافية البتة ، فمتى تخلّف إمّا لضعف تأثير الفاعل لضعف قلبه وعَدَم إقباله على الله تعالى وَجمعيّته عليه وقت الدعاء كالسهم يخرج ضعيفاً ، وإما لعدم قبول المنفعل والمحلّ ، وإمّا لضعفه في نفسه كدعاء لا يحبّه الله لمحاله وعُدْوانه ، وإمّا لحصُول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ، وغلبة الذنوب والشهوة واللهو .

الدعاء ينفع مما نزل أو لم ينزل ؛ قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ انتهى شرح « دلائل الخيرات » من هامش « الدلائل الخيرات » راجعه في ٢٨ . وفي « تحفة المريد » حاشية « الجوهرة في التوحيد » للعلامة الشيخ إبراهيم البيجوري على قول الماتن : وعندنا أنّ الدعاء ينفع ما لفظه هذا : أي وعندنا معاشر أهل السنة أن الدعاء الذي هو الطلب على سبيل التضرّع ، وقيل : رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ينفع الأحياء والأموات إن دعوت لهم ، ويضرهم إن دعوت عليهم ، وإن صدر من كافر على الراجح لحديث آنس رضي الله عنه : « **دعوة المظلوم مستجابة ولو كافراً** » وأمّا قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ فمعناه أنه لا يستجاب لهم في خصوص الدعاء بتخفيف عذاب جهنّم يوم القيمة .

وروى الحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل ، وإنّ البلاء لينزل ويتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيمة » . **والدعاء ينفع في القضاء المبرم والقضاء المعلّق ،** أمّا الثاني فلا استحالة رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ، ولا في نزول ما علق نزوله منه على الدعاء . وأمّا الأوّل فالدعاء وإن لم يرفعه ، لكنّ الله تعالى ينزل لطفه بالداعي ، كما إذا قضى عليه قضاء مبرمًا بأن ينزل عليه صخرة فإذا دعا الله تعالى حصَل له اللطف بأن تصير الصخرة متفتة كالرمل وتنزل عليه ، وانقسام القضاء إلى مبرم ومعلّق ظاهر بحسب اللوح المَحفوظ ، وأمّا بحسب العلم فجميع الأشياء مبرمة ؛ لأنّه إن علم الله حُصُول المعلّق عليه حصَل المعلّق ولا بدّ ، وإن علم الله عدم حصوله لم يحصل ولا بدّ ، لكن لا يترك الشخص الدعاء اتكالاً على ذلك كما لا يترك الأكل اتكالاً على إبرام الله الأمر بالشبع ، وأمّا عند المعتزلة فالدعاء لا ينفع وَلا يكفرون بذلك ، لأنهم لم يكذّبوا القرآن كقوله : ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ، بل أوّلوا الدعاء بالعبادة والإجابة بالثّواب . انتهى عبارته ٨٤ . وسيأتي البيان إن شاء الله تعالى .

فصل في القضاء والقدر وأحكامهما

اعلم أنّ كلّما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشرّ ونفع وضرّ وإيمان وكفر وطاعة ومَعْصية فكُلّ بقضاء الله وقدره ، وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حَيْوان يدبّ على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ، ولا تسقط ورقة إلا بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك إلا وقد سبق علمه به .

واعلم أنّ كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة ، كما أن ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب ، وما قدر الله وصوله إليك بعد الطلب فهو لا يصل إليك إلاّ بالطلب ، والطلب أيضاً من القدر ، فإن

تعسّر شيء فبتقديره ، وإن اتفق شيء فبتيسيره ، فمن رام أمراً من الأمور ليس الطريق أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربّه وينتظر حصول ذلك الأمر ، بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرع فيه ، وقد ظاهر[1] النبيّ ﷺ بين درعين ، واتخذ خندقاً حول المدينة حين تحزبت عليه الأحزاب يحترس به من العدوّ ، وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن وليد ، وكان يلبس لأمته الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم ، واسترقى وأمر بالرقية ، وتداوى وأمر بالمداواة ، وقال : « الذي أنزل الداء أنزل الدواء »

فإن قيل : قد روي أن النبي ﷺ قال : « من استرقى أو اكتوى فهو بريئ من التوكل » .

قلنا : أليس قد قال : « اعقلها وتوكل » ؟ !

فإن قيل : فما الجمع بين ذلك ؟ **قلنا** معناه : من استرقى أو اكتوى متّكلاً[2] على الرقية أو الكي ، وإن البرء من قبلهما خاصّة ، فهذا يخرجه عن التوكّل ، وإنما يفعله كافرٌ يضيف الحوادث إلى غير الله ، وقد أمرنا بالكسب والتسبب ، ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم عليهما السلام ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ فهلا أمرها بالسّكون وحمل الرطب إلى فمها . وأنشد في ذلك :

---

(١) **أي** : احتاط النبي ﷺ .

(٢) **حكي** : أن سيّدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شكى ألم سنه إلى الله تعالى ، فقال له : خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سنك ، ففعل ، فسكن الوجع في الحال ، ثم بعد مدة عاوده ذلك الوجع ، فأخذ تلك الحشيشة ووضعها على السن ، فازداد الوجع أضعافاً مما كان ، فاستغاثه إلى الله وقال : إلهي ألست أمرتني ودللتني عليه ؟ فأوحى الله إليه : يا موسى أنا الشافي ، وأنا المعافي ، وأنا الضار ، وأنا النافع ، قصدتني في الكرة ؛ أي : المرة الأولى فأزلت مرضك ، والآن قصدت الحشيشة وما قصدتني . كذا في « مصباح الظلام » راجعه في ٨٣ ج٢ .

ألـــم تـــرى أن الله قـــال لـمـريـم وهزي إليك الجـذع يساقط الرّطب
ولـو شـاء أن تـجنيه من غير هزهـا جـنـتـه ولـكن كلّ شيء له سبب .

ولهذا قال رسول الله ﷺ « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا وتروح بطاناً » ، فلم يحمل أرزاقها إليها في أوكارها ، بل ألهمه طلبه بالغدوِّ والرواح ، وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا : إنهما كالعدلين على ظهر الدّابة إن حمل في أحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله ، وتعب ظهره ، وثقل عليه سفره ، وإن عادل بينهما سلم ظهره ، ونجحَ سفره ، وتمت بغيته ، وضربوا فيه مثالاً عجيباً ، فقالوا : إن أعمى ومقعداً كانا في قرية بفقر وضرّ ، لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد ، وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كلّ يوم احتساباً لله تعالى ، فلم يزالا بنعمة إلى أن هلك ذلك الرجل ، فلبثا بعده أياماً ، واشتدَّ جوعهما وبَلغ الضرّ منهما جهده ، فأجمع رأيهما على أن الأعمى يحمل المقعد ، فيدله المقعد على الطريق ببصره ، فاشتغل الأعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده إلى الطريق ، وأهل القرية يتصدّقون عليهما ، فنجح أمرهما ، ولو لا ذلك لهلكا ، فكذلك القدر سببه الطلب ، والطلب سببه القدر ، وكلّ واحد منهما معين لصاحبه ، ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمداً في ذلك على الله واثقاً به أن تلد امرأته من غير مواقعة وأن ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجاً ولأمر الله كارهاً . انتهى . راجع « المستطرف » في ٢٣٨ من الخزء الثاني .

تتمة

كتب واحد من بعض الفضلاء إلى كافة العلماء كلّما كان ظاهره على الجبر من آيات القرآن وأحاديث النبوي مستشكلاً سائلاً منهم الأجوبة ، وحاصل ما كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

﴿ ٱلْهُدَىٰ ﴾ ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . . . إلى غير ذلك من الآيات ، وعن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم من نوره ؛ فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأ ضلّ ، فلذلك أقول : جفَّ القلم على علم الله » الحديث من « المصابيح » ، « فرغ ربّكم من العباد ؛ فريق في الجنّة وفريق في السعير » ، الحديث من « فتح المبين » .

فمع هذه الآيات والأحاديث فما فائدة التكليف ، فإذا لم يشاء إليه هداية العبد وأراد شقاوته فكيف العقاب بما شاء الله وأراده ؟ فإن قلتم بمباشرة العبد وكسبه بالفعل ، فكيف المباشرة والكسب إلاّ بإقدار الله تعالى للعبد وإرادته ، مع أنّه ليس له قدرة ولو لتحريك أصبع نفسه إلا بالله تعالى ، وقلبه عنده كريش في فلاة يقلبها الرياح ظهراً لبطن وبطناً لظهر ؟ وما فائدة الدعاء بما قال به النبيّ ﷺ : « اللهمّ يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي » . . إلخ . و« اللهم اهد قومي » . . إلخ بعد ذلك ، فما فائدة البعثة والإنزال والوعظ للخلائق ؟ . . . إلى آخر ما قال ، فلا ينقطع الإشكال في ظنّ هذا المتلاشي إلاّ أن نلجأ إلى قوله تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ . انتهى حاصل ما قاله .

فأقول بحمد الله تعالى وتوفيقه : إنّ هذا الجواب عن تلك المسائل هو الجواب الشافي لمن هو مطمئنّ بالإيمان ، ومشرّح صدره للإسلام ، ولا كلام لنا على ذلك . وأجاب به بَعْض العُلماء ، بيد أن الملحدين يستهزؤون بنا بذلك الجواب ، والجاحدون يضحكون علينا . ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، ويقولون : إن عادتكم أن تقولوا مثل ذلك القول وقت عجزكم عن الجواب وإقامة البرهان علينا ، ومن عادتهم أيضاً أن يقولوا على وجه الحكاية عنّا : لا تسألوا عن مثل ذلك ، فإنّك تكفر بذلك .

ويقول الآخر : أستغفر الله حكاية منّا على وجه الاستهزاء ، هذا حاصل مقولهم - خذلهم الله- .

ولأجله نجيب لتلك الآيات المذكورة بما أجاب به الفضَلآء من كبار علماء الإسلام ، رزقنا الله وإياهم الفوز بالنعيم المقيم ، ومرافقة النبيين والمقربين ، والحشر مَعَهُمْ آمين . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ . . إلخ . أي : بيّن الله تعالى أنهم أشركوا بمشية الله تعالى فقال : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ ؛ أي : لو أردت توحيدهم لقدرت عليهم ، ولكنهم لمّا اختاروا الكفر وآثروا تقليد أسلافهم واتباع شهواتهم ، وأعرضوا عن اتباع الدليلِ باختيارهم والبرهانِ شئتُ لهم أن يشركوا بمشيتي . وقال الشيخ البيجوري في حاشيته على « تحفة المريد » على قول الماتن (وعندنا للعبد كسب كلّفا) : والضمير في عندنا لأهل السنة والحق بخلاف الجبريّة والمعتزلة المردودة عليهما فيما سيأتي ، وقد أشار المصنف في المتن إلى أنّ في هذه المسألة ثلاثة مذاهب : **مذهب أهل السنة** وهو : أنه ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب[1] فليس مجبوراً ، كما تقول الجبريّة ، وليس خالقاً لها كما تقول المعتزلة .

ومذهب الجبرية : وهو أنّ العبد ليس له كسب ، بل هو مجبور ؛ أي : مقهور كالريشة المعلّقة في الهواء تقلّبها الريّاح كيف تشاء .

ومذهب المعتزلة : وهو أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه ، ولقولهم (بقدرة خلقها الله فيه) لم يكفروا على الأصحّ .

فالجبرية أفرطوا ، والمعتزلة فرّطوا ، وتوسط أهل السنة ؛ وخير الأمور أواسطها ، فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . انتهى ٥٦ .

---

(١) وهو : القصد ، كما قال الإمام الرباني قدس سره (حلمي حقي قدس سره ، من خطه) .

ومع هذا المذكور لا أدري وَجْهَ عدَم انقطاع الإشكال ، فإلى أين نلقي اختيار العبد إذا ارتكبنا على الجبر المحض ، فافهم ، وتدبّر ،

مشيِّة الله تعالى وإرادته إنما تتعلّق بها إذا اختار العبد

وقوله رحمه الله : (**فكيف العقاب له بما شاء الله وأراده**) . **أقول** : فعقاب العبد لكفره بفعله الاختياريّ ، وإنكاره وجحوده الحق . كذا في « الفقه الأكبر » للإمام الأعظم أبي حنيفة .

قوله (**فإن قلتم بمباشرة العبد وكسبه بالفعل ، فكيف المباشرة والكسب إلاّ بإقدار الله تعالى ؟!**) إلخ . **أقول** : لم يجبر الله تعالى على أحد من خلقه على الكفر والإيمان ، ولا خلقهم مؤمناً ولا كافراً . . الخ . « الفقه الأكبر » . يعني : أنّ الله تعالى لا يخلق الكفر والإيمان في قلب العبد بطريق الجبر والإكراه ، بل يخلقها باختيار العبد ، كذا في شرح « فقه الأكبر » أي : كلّ واحد من طاعة الإنسان ومعصيته وإهدائه وضلالته وإن كان منوطاً بمشية الله تعالى وإرادته إلا أنّ تلك المشية إنما تتعلق بها إذا اختار العبد وقصده وسعى في حصول ذلك ، واختيار الطاعة منوط ببعثة الرسول وبيانه ، كما أنّ اختيار المعصية منوط بغلبة الهوى واستيلائه ، فتبيّن أن يكون الحوادث مَنُوطاً بمشيّة لا ينافي البعثة والتكليف ، وأن من زعم ذلك استحقَّ الذمّ واللعْن . راجع « شيخ زاده » على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ من سورة « الأنعام » .

اعلم أنّ مشية الله تعالى . . إلخ . **جواب** : من يقول إنما أعصي الله تعالى لما أراده في الأزل ، فكيف أترك ما أراده الله تعالى في الأزل ، وكيف أكفُّ عما نهى عنه مع كونه مريداً له في الأزل ، ووقوع خلاف مراد الله تعالى باطل ومحالٌ .

وحاصله : أنّه لما كانت الإرادة الأزلية الإليهيّة تابعة لعلمه الأزلي ، وكان علمه الأزلي تابعاً لما يرتكب المكلّف عليه ؛ من الطاعات والسيئات

صحّ أن يقال العتب على العاصي . كذا أجابه المحقق طيّب - طاب الله ثراه - فإن أردت الزّيادة راجع « البريقة » شرح « الطريقة المحمدية » .

واعلم أن مشية الله تعالى وعلمه بما يكون للمشركين والعصاة لا يصحّ أن يكون علّة موجبة للكفر والعصيان ؛ لأنّ مشيّة الله تعالى تابعة لعلمه ، وعلمه تابع لما عليه أعيان المكلّفين قبل وجودهم ، كذا في « البريقة » راجعه من الجلد الأوّل . **وقال الإمام البركوي** في « الطريقة المحمدية » ما لفظه : إنّ الله تعالى وإن كان خالق أفعال العباد كلّها وغيرها لا خالق غيره ، **لكن للعباد اختيارات** جزئية وإرادات قلبية قابلة للتعلّق بكلّ من الضدين ؛ أعني : الطاعات والمعاصي . انتهى عبارته . أي : هذه الإرادة الجزئية ليست من الله تعالى ابتداء ، بل مِنَ العبد ، ولا يلزمٍ كون العبد خالقها لعدم وجودها في الخارج ، والمخلوق ما يكون موجوداً فيه . انتهى راجع « البريقة » في ٥٦٨ .

قوله (وإرادات قلبيّة) . أي : ويدل على هذا أي : وجود الإرادة الجزئية قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ أي : إرادات ملابسة بأنفسهم ، وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية ؛ إذ لو كان العبد مجبوراً لما صح هذا التعبير والتوبيخ ، ولما صحّ اللوم[1] وتعييرها ، وهو سنة قديمة للأنبياء والأولياء حتّى أقسم بها الله تعالى فقال : ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ، ولما كان للختم والطبع معنى زائد على خلق المشيّة ، ولما كانت النفس بالطبع أمارة بالسوء ، وشياطين الإنس والجنّ مُعينة لها ، ولما كان الغالب اختيار الشرّ لولا التوفيق والعناية ، فلذا قال الله تعالى : ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وهذا ممّا ألهمني الله ربي تعالى في تفسير هذه الآيات والحمد لله ربّ العالمين . انتهى « بريقة » ٥٧ .

---

(١) **وفي نسخة** : لوم النفس .

قلت : لو لم يكن وجود الإرادة الجزئية من العبد لكانت التكاليف وأحكام الشرائع عاطلة ، فافهم ، فإنّه نفيس . ذكر الإمام الشعراني قدس سرّه في « اليواقيت » ما نصّه : وقال في الباب الخمسين : **اعلم** أنّ الحق ما كلفنا إلا أن جعل لنا قدرة نجد أثرها في نفوسنا تعجز عنها العبارة ، وإذا فقدت لم يكلّفنا كما لم يكلف الزّمن القيام في الصلاة ، وهذه القدرة هي التي أظهرها النفخ الإلهي في الإنسان بواسطة الملك ، فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ، ولا قيل لأحدنا : قل : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فإنّ الاستعانة إثبات جانب من الفعل للعبد ، فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العبد من وجه واحدٍ بدليل شرعيّ ، وأخطأت في إضافتها الأفعال إليه بحكم الاستقلال ، وصدقت الأشعرية في إضافتها الأفعال إلى الله خلقاً ، وإلى العباد كسباً من الوجهين بدليل شرعيّ وعقليّ . انتهى .

وقال في « باب الأسرار » : ما في الوجود إلاّ أفعاله مع أنه حرّم الفواحش ، ولا تناقش . . إلخ . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : في قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي : إيجاداً وإسناداً ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ يعني : إسناداً لا إيجاداً ،

وتأمل يا أخي قول السيّد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ كيف لم يقل : وإذا أمرضني ، بل أضاف المرض إلى نفسه حيث كان مكروهًا للنفس ، وأضاف الشفاء إلى الله لكونه محبوباً للنفس ، وكذلك تأمل قول أيوب عليه الصلاة والسلام ﴿ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ولم [يقل] أمسستني الضر فارحمني ، بل حفظ أدب الخطاب ، وكذلك تأمّل قول الخضر عليه الصلاة والسلام ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فأضاف العيب إلى نفسه لما كان قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ . انتهى .

وفيه بعد كلام طويل في خلق الأفعال ما نصّه : فإنّ القلب المظلم من لازمه استشكال في الأمور الوَاضِحة ، فضلاً عن مثل هذه المسئلة . وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله : هذه مسئلة لا يزول إشكالها في الدنيا ، وهو معذور في قوله (والله تعالى أعلم) . انتهى .

مهم

فلو قدّر أن عبداً قال : يا رب كيف تؤاخذني بما قدرته عليّ قبل أن أخلق . لقال له الحق تعالى : وهل تعلّق علمه بك إلاّ بما أنت عليه ، ولا افتتاح لعلمي ولا لمعلومي .

مهم

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فأتى بمثل هذه الآية لإقامة الحجة على عباده مع أنه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك في علمه تعالى ، ولكن ما كلّ أحد يبلغ إلى ذوق هذا العلم ، والحجج إنما تقام في الأصل على المحجوبين لا على أهل الكشف ، لعدم نزاعهم للحق تعالى في شيء أضافه الحق تعالى إليه أو إليهم ، فيجب على العبد أن يقيم الحجّة على نفسه إيماناً حتى يعرف ذلك يقيناً وكشفاً ؛ لأنه لا يجري على العبد إلا ما كان عليه في العلم الإلهي ، فما فعل الله تعالى بالعبد إلا ما كان في علمه تعالى ، وما فوق إقامة الحجة هو موضع ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ .

اختيار العباد غير مفوّض إليهم

واعلم يا أخي أنّ مسئلة الكسب من أدق مسائل الأصول وأغمضها ، ولا يزيل إشكالها إلا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية . انتهى . وسمعت أخي الشيخ زين العابدين المرصفي رحمه الله يقول مراراً : اختيار العباد غير مفوّض إليهم قطعاً . وأمّا قوله

تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ وعيد ، وليس بتفويض ؛ لقوله ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لا يقال : إن كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذّبهم ، لأنا نقول الثواب والعقاب إنما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق ، لا على أصل الخلق ، فيعاقب عليه لصرف الاستطاعة التي تصلح للطّاعة إلى المعصية ، لا على إحداث الاستطاعة . راجعه من المبحث الرابع والعشرين ، والخامس والعشرين ، عبارته في ١٢٨ وفي ١٣٩ . وقال السيد جمال الدين الأفغاني في كتاب « منتخبات » ما لفظه : أما من أتاه الحكمة ، ومنحه الهداية فيعلم أن الحكيم الخبير جلّ شأنه وعظمت قدرته قد أناط كلّ حادث بسبب ، وكل مكسوب بعمل ، وإنه قد اختصّ الإنسان من بين الكائنات بموهبة عظيمة ومقدرة روحانية يكون بها مظهرا لعجائب الأمُور ، وهذه القدرة وتلك الموهبة مناط التكاليف الشرعية ، وبهما استحقاق المدح والذم عند العقلاء ، وَالثواب أو العقاب عند واسع الكرم سريع الحساب . انتهى عبارته ، راجع المقالة الثانية في ٦ .

وقال صاحب « المختصر الصغير » ما نصّه : **إن معنى الإيمان بالقدر فهو أن تعتقد أنّ جميع ما يجري في العالم خيراً كان أو شراً كلها بتقدير الله تعالى وإرادته ، ولكن للعباد اختيار ، فالتقدير من الله والفعل من العباد بسبب اختيارهم ، وهما** ؛ أي : الفعل والتقدير **يجريان معاً** : لكن التقدير تابع للفعل ، فأيّ فعل اختار العبد يقدر الله تعالى ذلك الفعل ، وإلا ، أي : وإن لم يكن للعباد اختيار **فيكون بعثة الأنبياء وإنزال الكتب عبثاً** لا فائدة فيهما ، لأنّ الغرض من البعث والإنزال بيان طريق الإسلام للعباد لينقادوا له وينزجروا عن المعاصي والشر ، فلو لم يكن لهم اختيار لم يحصل هذه الفائدة ؛ إذ يكون بعثة الأنبياء وإنزال الكتب والأمر بما فيها على الإنسان كبعثتها وإنزالها ، والأمر بما فيها على الجمادات التي لا اختيار لها ، وإنه سفه ، يجب تنزيه الله تعالى عنه . انتهى من « شرح المحمدية » راجعه .

مهم

وفي « أساس الدين » للحاجّ عبد الرحمن الأختي ما لفظه : فالتقدير من الله تعالى والفعل من العباد ، وهما يجريان معاً زمناً ، وإلا فالفعل أصل للقدر ومقدّم عليه ذاتاً ، أعني : أنّ الفعل بمنزلة الأصبع ، والقدر بمنزلة الخاتم ، فمتى تحرك الأصبع تحرّك الخاتم معه زمنا لا على العكس ، وإلاّ ليصير إنزال الكتب . . والخ . إلى الناس عبثاً . انتهى راجعه .

وكان ابو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى [يقول] : ليس للقدرة الحادثة أثر ، وإنما تعلّقها بالمقدور ، مثل تعلّق العلم بالمعلوم في عدم التأثير ؛ وكان الشيخ أبو طاهر رحمه الله يقول : القضيات العقلية في هذه المسألة **ثلاثة** ، إمّا أن تكون الأفعال مقدورة لله تعالى على الاستبداد ، أو مقدورة للخلق على الاستبداد ، أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معاً ، فالأوّلان معلومتان ، وأما الثانية : وهي أن تكون مقدورة بين قادرين ، فيلزم عليه أن الحركة الواحدة تعلّق بها قدرتان ؛ قديمة وحادثة ؛ وهي إذا تعلّقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية ، فما الفائدة الثانية ؟ ! بقي أن يقال : إنما يلزم المحال إذا تعلّق به القدرتان من وَجْه واحد ، أمّا إذا كان الفعل مُضافاً إلى قادرين من وجهَيْن مختلفين فلا استحالة فيه ، وذلك إنّ تعلّق القدرة القديمة من وجه الإيجاد ، وتعلّق القدرة الحادثة من وجه الاكتساب ، وهذا غير محال ، فيقال : لو جاز ذلك لجاز أن يقع الوجهان في حالتين ، يعني : كأن يقع الوجود بإيجاد القدرة القديمة في حالة ، ويقع الحدُوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية ، وهو محال ، إذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة ، فكيف يقال : تعلقت القدرة الحادثة بها بَعْد وجودها ؟ ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث حتى تصلح للإيجاد والاكتساب كان من أمحل المحال ، على أن الاكتساب للموجد محال ، والإيجاد للمكتسب محال ، وهذا القسم مَعَ دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وممّن تابعه النجار من المعتزلة على

اختلاف بينهما ، قال الشيخ أبو طاهر : وإنما اختار الأشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبهما ، قال : إذا لم يكن إِلاَّ الأَسِنَّةُ مركباً فلا أرى للمضطر إلاّركوبها .

قال : وقد توجهت على الأشعري ومن تبعه أسئلة ؛ أظهرها : إن كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك ، وإن لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء ، فإن قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ، ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن ، فقال بعضهم : لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر ، وقال آخرون : القدرة الحادثة لها أثر في المقدور . وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني ، واستدلّ بأنّ الإنسان يحسّ من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار ، وهذه التفرقة لا ترجع إلى نفس الحركتين من حيث الحركة ، لأنّها مثلان ، بل ترجع إلى أمر زائد عليها ، وهو كون أحدهما مقدورة ومرادة ، والثانية غير مقدورة ولا مرادة . . . إلى آخر ما ذكره . قال الشيخ أبو طاهر : وقد غلا أبو المعالي إذ أثبت للقدرة الحادثة أثراً هو الوجود ، غير أنه لم يثبت للعبد استقلالا بالإيجاد ما لم يستند إلى سبب آخر ، ثم تسلسلت الأسباب في سلسلة الترقى إلى الباري جلّ وعلا المستقلِّ بالإبداع من غير حاجة إلى سبب . وقال في بعض الكتب : إن القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة ، لأنها من أثرها . وقال في « مدارك العقول » : العبد فاعل على الحقيقة ، وإن قدرته مؤثرة في إيقاع الفعل ومقدّمة عليه . وقال في موضع آخر منه : نحن نقول : بأن قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلّها على شرط الإتصال ، وقال : في « الفطامي » : إنّ القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل ، وشبّهها بالعبد في بيع ماله بإذن سيّده في البيع .

قال الشيخ أبو طاهر : وحاصل الأمر أنّ أبا المعالي كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة ، وتارة ينفيه ، هذه نهاية مذاهب الأئمة في هذه المسألة العويصة المشكلة ، فمن تأمّلها وكرّر النظر فيها علم غموض معانيها ،

وصعوبة مراقيها ، وملخّص الأمر أنّ من زعم أن لا عَمل للعبد أصلاً فقد عاند وجحد ، ومن زعم أنه مستبدّ بالعمل فقد أشرك وابتدعَ ، وما بقي مورد التكليف إلاّ ما يجده العبدُ في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه ، فإنّ العبد من طرفي الاضطرار مضطرّ على الاختيار ، والله تعالى أعلم ، هذا أحسن ما وجدته من كلام المتقدمين .

وأمّا كلام الصوفية في هذه المسألة أكثر من أن يحصى ، ولكن نشير إلى طرف صالح منها ، فلعلّ الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق فيها ، وزوال اللبس إن شاء الله تعالى . فنقول : وبالله التوفيق : ذكر الشيخ الأكبر في الباب الثاني والعشرين من « الفتوحات » أن صورة مسألة خلق الأفعال صورة لام ألف ؛ حروف الهجاء ، فإنّ الرائي لا يدري أي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الألف ، ويسمّى هذا الحرف الذي لام ألف حرف الالتباس ، فلم يتخلّص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ، ولكن إن قلت : هو لله صدقت ، وإن قلت : للمخلوق مع الله صدقت ، ولو لا ذلك ما صحّ خطاب الله للعبد بالتكليف ، ولا إضافة العمل إليه بنحو : اعملوا . . إلخ .

وقال الشيخ أيضاً في الباب الثاني والعشرين وأربع مائة : إنما أضاف تعالى الأعمال إلينا لأنّنا محلّ الثواب والعقاب ، وهي لله حقيقة ، ولكن لما شهدنا الأعمال بارزة على أيدينا ، وادعيناها لنا أضافها تعالى إلينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لأجل الدعوى ، ثم إذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلّها لله تعالى ، ولم نر إلاّحسنة فهو تعالى فاعل ما نحن العاملون ، ثم مع هذا المشهد العظيم لا بدّ من القيام بالأدب ، فما كان من حسن شرعاً أضفناه إليه خلقاً وإلينا محلاً ، وما كان من سيئ أضفناه إلينا بإضافة الله تعالى ، فنكون حاكين قول الله تعالى ، وحينئذ يرينا الله عزّ وجلّ وَجه الحكمة في ذلك المسمى سوءاً ، فتراه حسنا من حيث الحكمة ، فيبدّل الله سيّئاتنا حسنات ؛ تبديل حكم لا تبديل عين . انتهى .

وقال أيضاً في الباب التاسع وَالسبعين ومائتين : لولا النسبة بين الربّ والمربوب ؛ يعني : رابطة الاستمداد بالحقّ ما دلّ العبد على الربّ ، ولا قبل التخلقّ بأخلاقه . وقال : وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالأمر والنهي ، وبها بعينها كان المخلوق مكلّفا مأمورا منهيّاً . قال محقِّق : ما نبّهناك عليه ، فإني أظن أنّه ما طرق سمعك قط ، وإن لم تكن كذلك فاتك أدب كثير .

وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين : كنت لم أزل أنفي التجلّي الإلهيّ في الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف **إذا كان** التكليف بالعمل من حكيم عليم ، ولا يصحّ أن يقول تعالى لمن يَعلم أنه لا يفعل : افعل . إذ لا قدرة له على الفعل ، وقد ثبت الأمر الإلهيّ للعبد بالعمل مثل ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ، فلا بدّ أن يكون له في المنفصل عنه تعلّق من حيث الفعل به يسمّى قابلا ، وإذا كان كذلك صحّت نسبته وقُوع التجلّي في الفعل فهذا الطريق كنت أثبته ، وهو طريق في غاية الوضوح ، بل يَدُلّ على أنّ القدرة الحادثة لها نسبة تعلّق بما كلفت عمله لا بدّ من ذلك .

وحاصله أنّ العبد ما صحّت له نسبة الفعل إلا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الأرض ، فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صحّ أن يكون خليفة ، ولما قبل التخلق بالأسماء ، قال : وهذه الفائدة مما نبهنى عليها تلميذي إسماعيل حفظه الله تعالى ، ولما أفادَها لي لم يعرف أحد قدر ما دَخل عليّ من السرور . انتهى ملتقطاً من « اليواقيت » مع الاختصار . راجعه ، في ١٢٨ ج١ .

وبالجملة إنّ حاصل الجواب وزُبدته أنّ أفعال العباد وإن صدرت بقدرته تعالى لكنه بشرط إرادة العبد ، فإن وجد الشرط فيوجد المشروط ، وإلا فلا ، فلا جبر ؛ لعدم استقلال قدرة الله تعالى على عادته ، ولا تفويض ؛ لعدم صدوره من إرادة العبد ، بل شرطاً .

ثم لما لم يكن هذا الجواب حاسماً لمادة الإشكال في الظاهر ؛ لأنّ الشبهة بالقدرة الأزلية والجواب بكيفية صدور الفعل من العبد ، قال دفعاً لذلك : **وكون أفعال العباد بعلم الله وإرادته وتقديره وكتْبه في اللوح المحفوظ لا يستلزم كون صدورها بالعبد بالجبر** ، وظاهر الأمر أنّها تستلزمه ، إذ لو لم يصدر لا نقلب علمه جهلاً ، وإرادته كانت متخلّفة عن مراده ، وينتقض حكمه ، ويكذب كتبه ، وليس مثلها يرى كذلك ؛ لأنّه كما إذا علم زيد جميع ما يفعله عمرو يوماً من الأيّام فأراده ؛ أي : زيد وكتبه في قرطاس ، فهل يكون عمرو في فعله مجبوراً من جانب زيد ؟ وهل يكون له أي لعمرو أن يقول لزيد : فعلت ما فعلت لعلمك وإرادتك وكتبك إيّاه ؟ فظاهر فيه عدمُ الجبر ، فإن عمرا فعله باختياره وإرادته لذلك الفعل ، لا لأجل علم زيد وإرادته وكتبه ، فلا يتصوّر فيه الجبر ، فإذا لم يتصوّر الجبر في عمرو ، فكذلك فيما نحن فيه من الله تعالى بالنسبة إلى العبد ، فلا يجعَل علمهُ تعالى بفعل العبد وإرادته وتقديره وكتابته العبد مجبورًا على ذلكَ الفعل ، لعلّ المراد من المقام أراد المصنف أيضاً ، أو لم يرد أن يقال : أن كتبه تعالى تابع لتقديره وإرادته ، وهما تابعان لعلمه تعالى ، وعلمه تابع للمعلوم ؛ أعني : فعل العبد ، وفعل العبد كما عرفت حاصلٌ بقُدرة الله تعالى وخلقه ، **لكن بشرط تعلّق الإرادة الجزئية من نفس العبد ، بحيث إن تعلقت إرادة العبد بفعل تعلّقت قدرته تعالى ، وإلا فلا تتعلّق قدرته تعالى ، فلا يتصور الجبر أصلاً** ، فتدبر . فإنّ المقام صَعْبٌ والزالّون كثيرون ، وَالفهم خفي ، فإن تدبّرت تصل إلى مراد المقام ، وتزيل غوائل الشيطان ، وتتنعم بوصول لذة المرام ، وكن من الشاكرين ، وهذا الجواب هو الحاسم لهذه الوسوسة ، وهذا معنَى قول السلف (لا جبر ، ولا تفويض ، ولكن أمر بين أمرين) .

اعلم : حاصلُ هذا المقام إجمالاً أنّ الشيطان يقول : آخراً الأعمالُ مقدّرة بتقدير الله تعالى فالعبد مجبور ، والسعي باطل . ويدفعُ السالكُ : **أن الأعمال وإن كانت بقدرة الله تعالى ، لكن الله جَعل تعلّق قدرته بفعل عَبده**

مشرُوطاً بتعلّق الإرادة الجزئية من العبد الصالحة للضدّين ، فما لم تتعلّق تلك الإرادة الجزئية من العبد لا تتعلّق قدرته تعالى ، الإرادة الجزئية ليست بموجودة حتّى يَلزم خلق إرَادة[1] ، وعلمه تعالى تابعٌ لمعلومه ، والإرادة والتقدير تابعان للعلم ، والكتابة تابعة للإرادة .

مهم

فإذا كانت المعلوم صدور الفعل بتعلّق الإرادة الجزئية اختيارا ولو على طريق الشرط لا يلزم الجبر أيضاً بعلمه وإرادته وكتابته ، فاندفع بذلك وسوسة اللعين ، وانطبق قول السلف ، وأمّا على قول الأشعري[2] فلا تندفع ، ولا ينطبق ، إذ عنده الإرادة الجزئية حاصلة من الله جبراً ، فالعبد مختار في أفعاله ، ومضطرّ في اختياره ، فلا فرق بين الجبر المحض وبين قوله . انتهى . هذا حاصل ما ذكره الشيخ أبو سعيد الخادمي في « البريقة » ، فإن أردت الزيادة راجعه من صحيفة ٥٦٦ إلى صحيفة ٥٧٩ تفز المرام ، والحمد لله ربّ العالمين .

المقصد : في كنوز الآمان من فتن الأوان وتفريج الكروب

قال الله تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ وقال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ﴾ ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عند تناهي الشدة يكون الفرج ، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء » وقال علي رضي الله عنه : أفضل عبادة أمتي انتظارها فرَج

---

(١) **وفي نسخة** : وَالْإِرَادَةُ الْجُزْئِيَّةُ لَيَسَتْ بِمَوْجُودَةٍ حَتَّى يَلْزَمَ خَلْقُ الْعَبْدِ إرَادَتَهُ .

(٢) **(منه)** القائل بالجبر المتوسط فلا محيص منها .

الله تعالى ، وقال : الحسن لما نزل قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ قال النبي ﷺ : « أبشروا فلن يغلب عسر يسرين »

ومن كلام الحكماء : إن تيقنت لم يبق همّ . وقال أبو حاتم :

إذا اشتملت على البؤس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست من مكامنها الخطوب
ولم نر لانكشاف الضرّ وجها ... ولا أغنى بحيلتها الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمنّ به اللطيف المستجيب

وقال آخر :

تصبر أيها العبد اللبيب ... لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكلّ الحادثات إذا تناهت ... يكون ورائها فرج قريب

وقال آخر :

لئن صدع البَين المشتت شملنا ... فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمة زالت عن الحرّ وانقضت ... فإن لها بَعْد الزوال رجُوع
فكن واثقا بالله ، واصبر لحكمه ... فإن زوال الشر عنك سريع

انتهى .

مهم

ثم إن حُصُول الأذيّات ، ونزول البَليّات مع تسليط الظلمة والإهانات لما كان غالبه بذنوب أذنبناها ، وأثام استعملناها لزم علينا الاستقصاء في أسبابه ، وإقامة الأعذار على أنفسنا ، والتوبة عن ذنوبنا ، والاستغفار عما وقع سبباً لتلك المذكورات ، دون مقابلة اذانا بآذاهم بنظير فعله ، ثم يشرع[1] في

(١) **أي** : وإن لم ترفع البلية وقتئذ ، فافهم **(منه)** .

استعمال الأسباب التي ترفع بها البليّات ، وتُزال بها الأذيّات ؛ من الأحزاب النافعة ، والأدعية الناجية قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ، وقد تكون تلك البليّات ابتلاء من الله تعالى كما قال عز وجل ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ .

وفي « فتوح الغيب » ما نصّه : إنّ العبد تارة يبتلى بعقوبة مُقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها ، وأخرى يبتلى تكفيراً وتمحيصاً ، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ، ليلحق بأولي العلم من أهل الحالات والمقامات ؛ ممّن سبقت لهم الحسنى وعناية من ربّ الخليقة والبريّات ، فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات عدَم الصبر عند وجُودها ، والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريّات ، وعلامَة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيئات وجود الصبر الجَميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران ، والتضجّر بآداء الأوامر والطاعات ، وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا وطمأنينة النفس والسكوت بفعل إله الأرض والسموات إلى حين الانكشاف على مرور الأيّام والساعات .
راجعه في ٩٢ .

مهم

وقال القطب الشيخ عبد الوهاب الشعراني في « المنن الكبرى » :
وممّا أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ مبادرتي لإقامة العذر لمن أذاني دون اللوم عليه وَمُقابلته بنظير فعله ، وَذلك لعلمي بأنه ما أذاني بقول أو فعل إلا بإرادة الله تعالى بعد تقدّم وقوعي في ذنب يوجب ذلك ، وكان مَطْمَحُ بصَري حضرة الإرادة الإلهية دون حضرات الخلق ، ومن كان هذا مشهده لا يصحّ منه تكدير ممّن أذاه ، ولا سخط على مقدور من مقدّرات الحق تبارك وتعالى ما دام هذا مشهده ، فأمّا عدم تكديره من الخلق فلكونه يشهد

أنّ الخلق كلهم لا يتحركون ولا يسكنون إلا وهم تحت الإرادة الإلهيّة ، فهم كالسوط الذي يضرب به الضارب أحداً ظلماً ، فالعاقل لا يترك إضافة الضرب للفاعل الحقيقي ويضيف ذلك إلى السوط ، وأمّا عدم سخطه على شيء من مقدورات الحق ؛ فلكونه يشهد أن ذلك فعل حكيم عليم أرحم به من والدته على الكشف والشهود ،

وانظر يا أخي إلى الوالدة كيف تضرب وَلَدَها وتشكه بإبرتها إذا خافت عليه وقوعه فيما هو أشدّ ألماً من غرز الابرة أو الضرب ، كل ذلك شفقة عليه ، فإذا كان هكذا فعل الأمّ مع ضعف شفقتها ، فكيفَ بالحقّ جلّ وعلا ؟ ! فعلم أنه لا يصحّ التكدير من عبد آذاه أحد إلاّ إن كان مشهده أن ذلك من فعل الخلق ، وإلاّ فلا يصحّ منه تكدير أبداً حياء من الله تعالى تبارك وتعالى ، أو لعدم إضافة ذلك الفعل إلى الخلق ،

وتأمّل يا أخي إذا وقع العبد في معصية وهتك بين الناس ، كيف يجد قلبه قد تفتت من القهر وشدة الندم ؟ ! فإذا شهد أن ذلك كلّه كان بتقدير الله عليه قبل أن يخلق يخف عليه ذلك الألم .

وسمعت الشيخ أفضل الدين يقول : ينبغي لمن آذاه أحدٌ بغير حق أن ينظر إلى السبب الذي حرّك ذلك المؤذي له حتّى آذاه ، ثم ينظر إلى وجه الحكمة في ذلك حتى لا يسخط ولا يعترض . انتهى .

مهم

فوالله لقد فاز من احتمل الأذى من الخلق بعزّ الدارين ، وكذلك فاز من شهد أنّه لا فاعل حقيقة في الدارين إلا الله جل وعلا ، فإنه يتنعّم بكلّ فعل وقع له ؛ لأنه مع الحقّ لا مع الخلق ، فلا يجد من يُرسل تكدّره وسخطه عليه ؛ كالحكم في حال زبانية جهنّم يوم القيمة حين يكشف الغطاء عن كلّ عاصٍ لا يضيف إليهم أحدٌ فعلاً ، ولا يسمّيهم ظَلَمَة كما في الدنيا أبداً ، بل يراهم كالمجبورين ، فالكامل يرى جميعَ مَنْ ظَلمه في

دَار الدنيا تحت القضاء والقدر ، ولا يضيف إليهم ظلماً قط إلا بقدر نسبة التكليف لا غير ، موافقة للشرائع ، فلا بدّ له من هذه النسبة في هذه الدار ، بخلاف حاله مع الزبانية لزوال التكليف هناك ، فافهم ذلك واعلمه ترشد ، والله يتولى الصالحين ، والحمد لله ربّ العالمين . راجعه في ٢٢٦ ج٢ ،

وفيه أيضاً قبل هذا المنن ما نصه : وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ عدم إتعاب سرّي في تدبير حيلة تؤذي من أذاني بقول أو فعل كما يقع فيه كثير من الناس ، فربما سهر أحدهم الليلة كاملة يدبّر في الحيل التي تؤذي عدوّه ، ويصير يهدُّ ويبني إلى الصباح ، وقد حذر الله تعالى من حيث الإشارة بقوله ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ الآيات .

مهم

ومن فوّض أمره إلى الله نصره من غير أهل ولا عشيرة

وكان سيّدي خضر الكردي رحمه الله تعالى المدفون تجاه جامع الملك الظاهر على الخلج الحاكمي يقول : كلّ كلام مَعي مفسود ، ومن فوّض أمره إلى الله تعالى نصره من غير أهل ولا عشيرة ، وأغناه عن الحيل والمكايد . انتهى .

أقبح شيء يقع فيه العالم . .إلخ .

ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ من أقبح شيء يقع فيه العالم أو الصالح مُقابَلته بالأذى لمَنْ يؤذيه ، أو يكشف سوأته للناس ولو بحق فضلا عن الزّور والبُهتان ، فإن الله تعالى ستير ويحبّ من عباده الستارين ، فكما أنّ الحقّ تبارك وتعالى يرى العيب من عبده ويستره ، فكذلك ينبغي لعبده أن يفعله ، وقد منّ الله تبارك وتعالى عليّ بذلك ، فلا أفتري على من افترى عليّ ، ولا أشيع على أحد نقيصة عمّن أشاع مثلها عنّي ، ولا أفضحه كما

فضحني ، ولو قدّر أنني ترافعت أنا وإيّاه عند حاكم وسألني عنه لا أذكر عنه إلاّ خيراً ، ثم إنّ من سلك مع عدوّه هذا المسلك يخاف على عدوّه الهَلاك ، فمن الأدب مع ذلك مسامحة العدوّ فيما فعل ، وسؤال الله تبارك وتعالى أن يعفو عنه ، وكذلك من لازم من سلك مع عدوّه هذا المسلك النصرة من الله عزّ وجلّ عليه . انتهى .

وسمعت سيّدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا آذاك إنسان أو نقصك بين الناس ، فخذ ذلك من باب تنبيهات الحقّ لتتفكَّر في ذنوبك ، وتأخذ في التوبة والندم على ما فعلته من الزلات ، أو على ما فرَّطت فيه من الطاعات ، أو على ما كنت عزمت عليه من المخالفات أو المقابلات لمن كان آذاك ونحو ذلك ، وإياك أن تتفكر في نقائص من نقصَك ، وتستنبط منها نقائص آخر ، فإنّ ذلك منك جهلٌ بطريق مُعامَلَة الله عزّ وجلّ ومعاملة خلقه ، فإنّه تعالى إذا نهاك عن إشاعة ما رأيته بعَيْنك ، فكيف بما استنبطته بدقيق فكرك ممّا لعلّه لم يخطر ببال عدوّك .

مهم

واعلم يا أخي أنك لولا خرجت من حضرة ربّك عزّ وجلّ ما سلّط عليك أحداً ؛ لأنّ من كان في حضرة الحق تبارك وتعالى ، ويَعْلم أنه يراه فليس لأحد من الجنّ والإنس عليه سبيلٌ ، فكلّ من خرج من حضرة ربّه جلّ وعلا استوحشته الآفات من جميع الجهات .

وسمعته أيضاً يقول : إياك أن تستبطئ نصرتك على عدوّك إذا دعوت الله تعالى أن ينصرك عليه ؛ لأنه تعالى ربّما أبطأ عنك الإجابة ليعاملك بنظير ذلك إذا أذيت أحداً ظلماً ودعا عليك ، فيؤخر الله تعالى إجابة دعائه في حقك لعلّك تستعتب أو تستغفر جزائه وفاقا ، فعلم أنك إذا طلبت من الله تعالى تعجيلَ إجابة دعائك على عدوّك ، فلا تستغرب سرعة إجابة دعاء خصمك عليك . انتهى . فالعاقل هو من يفرح بعدم إجابة دعائه على خَصمه أصلاً أو يبطأ الإجابة ، وذلك ليعامله الله تعالى بنظير ذلك إذا دعا عليه خصمه . انتهى راجعه في ٢٢٢ .

مهم

وممّا أنعم الله تعالى به عليّ مبادرتي إلى إقامة الحجة على نفسي دون الله عزّ وجلّ إذا ظلمني ظالم ، فلا أقول قط : **العبد تحت التقدير والله فعّال لما يريد ، ولا نحو ذلك مما فيه رائحة عدَم إقامة الحجّة على النفس** « منن » ٦٥٧ .

من الأدب إذا نزل البلاء أن يتعرّف سببه

وقد قدّم في هذه « المنن » أنّ مِنَ الأدب إذا نزل على العبد البلاء أن يتعرّف سببه من الله عزّ وجلّ ، فإن رآى سبب ذلك ذنباً بادر إلى التوبة منه ، وإن رآه اختباراً من الله تعالى له استعان بالله تعالى على دفعه عنه ، أو سأل الله تعالى الصبر عليه إن كان قد حق به التقدير في علم الله عز وجلّ ؛ قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

فعلم أن الظالم ما ظلمنا إلا بذنوبنا ، وذلك في الحقيقة جزاء على أعمالنا لا ظلم لنا ، وإن اشتغالنا بسبّ الظالم أو مقابلته جهل منا ، لغلظ حجابنا ، وإلاّ فلو رقت حجابنا لرأينا حكم الظلمة في هذه الدار حكم زبانية جهنم على حدّ سواء ، من حيث أنهم ما عذّبُونا إلا بذنوبنا وسوء أدبنا ، وكما لا يسمّي الناس زبانية جهنم هناك ظلمة ، فكذلك ينبغي لمن كشف حجابه أن لا يسمّيهم بذلك ، فإن البحر واحد بيّن ، لكن لا بدّ من نسبة الظلم إلى من ظَلَمنا في هذه الدار لأجل نسبة التكليف بخلاف الزبانية ، فإنّهم ليسُوا في دار التكليف .

مهم

فمن أراد أن لا ينزل بَلاءٌ ولا يسلّط عليه أحدٌ فليسدّ الباب الذي يدخل منه الجزاء الّذي يسوءه ، وذلك بترك المعاصي جملة ، فلا يكون

في ظاهره ولا في سريرته شيء يكرهه الله أبداً ، وقد قالوا : من عقل العاقل إذا أراد أن ينزح حوضاً من الماء المُنْتن أن يسدّ الميزاب الّذي ينزل ذلك الماء ثم ينزحه ، وإلا فكلّ شيء نزحه نزل من الميزاب بدله .

وسمعت سيّدي عليا الخواصّ رحمه الله يقول : من جهل عظمة الذنب الذي وقع فيه وعوقب من أجله فلينظر إلى كبر العُقوبة ، وصغرها ، فإن كانت العقوبة عظيمة فالذنب عظيم ، وإن كانت صغيرة فالذنب صغير ، يعني من حيث صغره في رأي العين لا بالنظر لما عند الله تعالى ، فقد يؤاخذ الله تعالى العبد على ذنب صغير ويسامحه في الكبير . انتهى .

مطلب

وقد ذكرنا فيما تقدّم في هذه « المنن » أنه ليس **لمن يدّعي أنه مظلوم دواء أنفع له من كثرة الاستغفار ، لأنّ غالب العقوبات كالضرب والحبس والخزي إنما هي من أثر غضب الحقّ تبارك وتعالى ، ولو لم يشعر** بعض العبيد بذلك ، وما خرج عن هذه إلاّ الأنبياء وكمّل ورثتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فليس ما يصيبهم عن أغضاب من الحق تبارك وتعالى لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحفظ الأولياء رضي الله عنهم ، **وليس لمن أغضب ربّه دواء إلا الاستغفار** ، فإذا أكثر العبد من الاستغفار إلى الحدّ الذي يطفئ الغضب الإلهيّ العارض لهُ ذهَبت عنه العقوبة مِنْ وقتها ، وقد علّمت هذه الفائدة للكثير من أهل الحبوس فأسرع بخروجهم ، وقلت لهم : اجعَلُوا وِرْدكم الاستغفار ليلاً ونهاراً ،

مهم

فإنّ طول **مدّة الحبس قد تكون معلّقة على ترك الاستغفار ليلاً ونهاراً وعدَم رؤية الإنسان ذنبه ، فيَطول حبس أحدهم كما عليه أصحاب الجرائم الغلف القلوب** ، فيقول أحدهم : حبسوني ظلماً لا ذنباً ولا سيئة ،

ولذلك طال حبسهم ، ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ عقوبة أهل الله تعالى عزّ وجلّ أشدّ من عقوبة غيرهم لعلوّ مقامهم وعظم زلّتهم التي يستصغرها غيرهم ، بل ربّما كان غير أهل الله لا يعدّون ما يستعظمه أهل الله إذا وقعوا فيه ذنباً أصلاً لصغره في أعينهم .

مطلب

والقاعدة : أنّ كلّما عظمت مرتبته عظمت صغيرته ، فربّما يتناول أحدٌ من أهل الله شهوة مباحة مرة واحدة فتقطع يده ، وربما يسرق غيرهم النصاب مراراً ولا تقطع له يد . انتهى ٢٥٨ .

قول العبد : (أيْشٍ أعمل ، هذا كان مقدّرا عليّ)

سوء أدبٍ مع الله

فعُلم أن قول العبد إن وقع في معصية (أيْشٍ أعمل ، هذا كان مقدّراً عليّ قبل أَنْ أخلق) سوء أدب مع الله تبارك وتعالى لما فيه من رائحة إقامة الحجّة على نفسه ، بل من الواجب عليه أن يفرّ إلى الله تعالى أن يقيل عثراته ، ويغفر زلتّه ، هذا هو الذي كلّف به ، وبإفشائه في هذه الدار ، فإنّ كون الأمور بتقدير الله تعالى تحصيل الحاصل ؛ وقد قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ وقد ذمّ الله تبارك وتعالى الذين قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ وإن كان ذلك القول حقا في نفسه ، لكنّه حق أريد به باطلٌ ، وهذا الخلق غريبٌ في الفقراء ، بل غالبهم يسلم الله تعالى على كره ، ويقول : العبد مجبُور في عين اختياره ، وربّما ينشد قول بعضهم :

ألقاه في اليمّ مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتلّ بالماء

وربما قال أيضاً المثل السائر : لا تقدر على عضّها قبلها . ونحو ذلك ، وكلّ ذلك لا يجوز عند المحققّين ؛ لأنّ فيه رائحة عدَم إقامة العبد حجة الله على نفسه ، فإيّاك من مثل ذلك ، ثم إيّاك ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى ٢٥٨ ج٢ . وفيه أيضاً ما نصّه :

مهم

تسليط الخلق على العبد رحمة في صورة نقمة

وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ عدَمُ اشتغالي بمُقابَلة من آذاني ، وتنقيص مَن نقصني ، وإنما اَرْجعُ إلى تفتيش نفسي ، وأكثر من الاستغفار ، والاشتغال بالله عزّ وجلّ ، وشهودي أنّني جالس بين يدَيْه تعالى ، وهو يرى صنيع عبيده فيّ ، ومن كان مشهده هذا حمل أذى الثقلين ، وأيضاً فإني أعلم أن الحق تعالى لا يسلّط الخلق بالأذى على أحد وهو حاضرٌ بين يديه أبداً ، وإنه ما سلّط على أحد بالأذى إلاّ لغفلته عنه ، فيريد بذلك الأذى رجوع عبده إليه بالالتجاء ليدفع ذلك الأذى عنه ، **وكان في تسليط الخلق على العبد رحمة في صورة نقمة ، وقد جرّبنا فما وجدنا لتسكين الفتن أسرع من الاشتغال بالله ، وتفتيش النفس في جناياتها ، وكثرة الاستغفار ، ولذا قالوا : إذا اشتغل الناس بك فاشتغل أنت بربهم ، فإن بيده زمام أمورهم ، ولا تقابلهم تتعب وتزداد من الأذى .**

غالبُ الناس عنه غافلون

وقد غفل عن هذا المعنى غالب الناس ، فلم يرجعوا إلى الله تعالى ، ولم يستغفروه من ذنوبهم ، واشتغلوا بمقابلة من أذاهم ، فمزّق بعضهم أعراض بعض تارة بأصحابهم ، وتارة بأنفسهم ؛ إمّا باللفظ وإمّا بالتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء عليهم ، فعدموا النصرة من الله تعالى . انتهى . راجعه في ٢١١ ج٢ .

مهم

ثم لا يخفى عليك أنّ تسليط الناس بالأذى عَلى الفقير قد يكون بذنب سلف ، وقد يكون محض اختبار من الله تعالى لا بسبب ذنب ، فاللائق بأمثالنا الأوّل ، واللائق بالأولياء الثاني ، ثم إن الأولياء إذا اختبروا ؛ فمنهم من يتفضّل الله تبارك وتعالى بخروجه كالذهب الخالص ، ومنهم من يخرج كالنحاس فيظهر له بذلك كذبه في دعواه مثلاً ، والاكتفاء به بعلم الله تعالى دون خلقه .

وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول : ابتلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس كفارة لذنب ولا اختباراً ؛ لعصمتهم ، وإنما ذلك ليتأسّى بهم قومهم وأتباعهم . انتهى .عبارته ٢٠٥ .

فائدة نفيسةٌ

قال القطب الشعراني في « منن »ـه ما لفظه : ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ الحق تعالى لا ينتصر قطّ لعبد من عبيده وهو مستند إلى أحد من خلقه إلا إن جَعَله واسطة ولم يقف معَهُ ، فإذا نظر الحق تعالى إلى عبده ورآه مستنداً إليه وحده فهناك لا تتخلّف عنه نصرة الحقّ تعالى ؛ وفي الحديث القدسي « وعزتي وجلالي لا ينتصر بي عبدٌ من عبيدي أعلم ذلك من قلبه يقينا ، فيكيده أهل السّموات وأهل الأرض إلا نصرته عليه » . انتهى راجعه في ٢١٤ .

انتهى إدخال ما أردنا إيراده في هذا المقصد ، ولنشرع

الآن في ذكر ما هو المقصود من المقصد ؛ من أسباب حُصُول الفرج وانكشاف الكرب ، ونقول بحمد الله تعالى وتوفيقه : **فمن ذلك** ما روينا في « صحيحي البخاري ومسلم » عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم

الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ربّ العرش العظيم » . وفي رواية لمسلم : أنّ النبيّ ﷺ كان إذا حزبه أمر قال ذلك . قوله (حزبه أمر) أي نزل به أمر مهمّ أو أصابه غم . وروينا في كتاب « الترمذي » عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه كان إذا أكربه أمرٌ قال : « يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث » قال الحاكم : هذا حديث صحيحُ الإسناد . وروينا فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ كان إذا أهمّه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال : « سبحان الله العظيم » وإذا اجتهد في الدعاء قال : « يا حيّ يا قيوم » ، وروينا في صحيحي « البخاري » و« مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبيّ ﷺ « اللهم آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وزاد مسلم في روايته : وكان آنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها .

وروينا في « سنن النسائي » وكتاب ابن السّني عن عبد الله بن جعفر عن عليّ رضي الله عنهم قال : لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات ، وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها : « **لا إله إلا الله الكريم العظيم ، سبحانه تبارك الله ربّ العرش العظيم ، الحمد لله ربّ العالمين** » وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك ، ويعلّمها المغتربة من بناته . قلت : الموعوك : المحموم ، وقيل : هو الذي أصابه مغث الحمى ، والمغتربة من النساء التي تزوّجت إلى غير أقاربها .

وروينا في « سنن أبي داود » عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « دَعوات المكروب : اللهمّ رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه لا إله إلا أنت » وروينا في « سنن أبي داود » و« ابن ماجه » عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك كلمات تقولينهنّ عند الكرب ، أو في الكرب : الله الله ربّي لا أشرك به شيئا » وروينا في كتاب « ابن السني » عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسيّ وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه

الله عزّ وجلّ » . وروينا فيه عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه ، كلمة أخي يونس ﷺ ؛ فنادى في الظلمات أن : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » ورواه الترمذي عن سعد قال قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دعا ربّه وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين . لم يدع رجُلٌ مسلم في شيء قط إلاّ استجاب له » . انتهى « كتاب الأذكار » النووي .عبارته ٥٦ .

حزب النووي

ومن ذلك الأحزاب التي نذكرها منقولة من كتب السادات قدس الله أسرارهم : فمن ذلك حزب الإمام النووي ﵁ وقال : قال في « مطالع المسّرات » شرح « دلائل الخيرات » بعد قوله (ولا بارّا ولا فاجرا) هذا نحو ما نقل عن الشيخ القطب جمال الدين سيّدي يوسف بن عبد الله ابن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي نزيل مصر فيمن واظب على قراءة حزب النووي بعد الصبح والمغرب ، أو قال بعد الصبح والعشاء لأنّه لا يقدر أن يتصرّف فيه لا من أهل الباطن ؛

أرباب القلوب المتصرّفين بالحقّ أو قال بالأحوال الصحيحة ، ولا من أهل الظاهر ؛ أهل الشطارة والسحر والمكر والحرب والخصام والعداوة والله تعالى أعلم . انتهى ٢٦١ . وهذا الحزب من أجلّ الأحزاب ، وأوّله : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الله أكبر الله أكبر الله أكبر أقول . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دلائل الخيرات » ، ولهذا الحقير إجازة صحيحة لقرائته وتلقينه . انتهى . وسلسلته مذكورة في الثبت ، فراجعه . فإني ذكرت الأحزاب المذكورة بحذف الأسانيد والسلاسل روماً بالاختصار واقتصاراً على المرام ،

حزب البحر

ومن ذلك حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي اشتهر فضله في الأقطار ، وطار في الآفاق كل مطار ، ويكرّره الأولياء والصّلحاء في الحاجات ، وعند الضرورات ، ويستعيذ به العباد عند المخوفات ، وقد ذكر صاحب كتاب « الرماح » أنه هو العدّة الوافية والجنّة الواقية التي فيها تفريج الكروب بألطاف الغيوب ، وما قرئ في مكان إلاّ سلم من الآفات ، وحفظ من حوادث العاهات ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية . انتهى . وخواصّه ومنافعه مذكورة في « المناقب الأحمديّة » و« كشف الظنون » و« رماح حزب الرحيم » . وقد نقل مؤلف « التلخيص » جميع ما فيها بالتمام ، فمن أراد التفصيل فليراجع إليه ، ففيه ما يشفي العليل ، فمن أراد الأمن من حوادث دهره ، وتسهيل أمُور السعادة في حركاته وسكناته فعليه مواظبة قرائة هذا الحزب مع الإذن الصحيح من أربابها ، ومن لم يأخذ الإجازة فهو كراكب البحر من غير سفينة ، فالنفع التام لا يكون إلاّ بالإذن كما هو مذكورٌ في الكتب ، وهو الحزب الذي أخذه الشاذلي وكذا التجاني من النبي عليه السلام كما هو مذكور في « الرماح » ، وسلسلته في الثبت .

حزب الدور الأعلى

ومنها : حزب الدور الأعلى للشيخ الأكبر ، وهو حزب نافع لدفع البلاء ، وقهر الأعداء ، والنجاة من الأهوال . قال صاحب « الفيوضات الربّانية » : من حمله كان آمنا من البليّات الأرضية والسماويّة ، ومصوناً من جميع البليّات والأذيّات الشيطانية والإنسيّة ، وينفع من الطعن والطاعون ، ومن الريح الأحمر ، والسحر ، وعسر الولادَة ، ولحلّ المربُوط ، وَهُوَ حصن حَصِينٌ ، وحرز مكين ، وكنف أمين من كيد الأعداء ، والنصرة

عليهم تكون ظاهرة وباطنة ، خصُوصاً لمن واظب على قراءته بَعْد فريضة الصبح يفتح له الطاعة من العالم العُلويّ والسفلي ، ويرى العجائب والعجب ؛ من نفوذ الكلمة ، وتوجّه الناس إليه ، وإقبالهم عليه بالمحبة والمعزّة والمودّة والاجلال والهيبة ؛ لأنه سرّ من أسرار الله العجيبة ، وكنوزه المصُونة الغريبة ، لكن يحتاج وقت قرائته إلى حضور القلب وإخلاص النية والمواظبة عليه والفوائد في العقائد ، فاعرف قدره ترى بركته وخيره إن شاء الله تعالى ، ويحتاج أيضاً قبل الشروع أن يقرأ الفاتحة وآية الكرسيّ مرة واحدة ، وأوّل سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . . . إلى ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ وبَعْد الختام يقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ ثلاثاً ، ويصلّي على النبيّ ﷺ ثلاثاً ، وهو هذا الدرّ المبارك المسمّى بالدرّ الأعلى : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا حيّ يا قيّوم بك تحصّنت فاحْمِني بحماية كفاية وقاية حقيقة بُرْهان حرز أمان سور بسم الله إلى آخره وهو أيضاً مكتوب في « دلائل الخيرات » ، فمن أراد الاشتغال بقرائته فليطلب ثَمَّ ، ولهذا الحقير إجازة مطلقة في هذا الحزب ، وفي أحزاب الشاذلي كلّها .

حزب الحصين

ومنها : **حزب الحصين** للغزالي رضي الله عنه كما نسب إليه الكمشخانوي في « مجموعة الأحزاب » لكن مؤلف « إغاثة اللهفان » قال بما نصه : وهو من إملاء الشيخ العارف الزاهد الناسك وحيد دَهْره وفريد عصره الشيخ سري الدين محمد بن تاج الدين عبد الرزّاق المراكشي ، نفعنا الله بعُلُومه وبركاته في الدنيا والآخرة ، وقال : هذا الحصن لا يسع شرح خواصه أوراق ، ولكن من بعض خواصّه : تسهيل طرق الحقّ عزّ وجلّ على العبد ، ووصُوله إلى ما لا يَصل غيره في سنين عديدة ؛ في أربعين يوماً أو أقلّ من ذلك ، وترقي روحه في الملكوت الأعلى ، ومصافحة الأملاك ، والتصرّف التام في الملكوتَيْن ، والحفظ ، والأمن ، والعصمة ، والسلامة ، والبركة في

الرزق والعلم ، والتأهل للتلقيات الواردة في باب الفيض الأعظم ، والمدد الشريف الأكرم ، وقبولها للقلب بنور الخصوصية والتفهم ، والحجب على كلّ مكروه ، وتملّك الخلق أجمعين من جميع العالم حتى إن الذاكر به إذا دعى طائراً في الجوّ نزل عليه ، فكيف من يفهم ويعقل ؟ ! ولا يزال ذاكره محبوباً معصوماً مؤيّداً منصوراً مهاباً مطاعاً عند جميع خلق الله ، متصرّفاً فيهم بإذن الله تعالى ، لا يستطيع الواحد منهم أن ينطق في حقه إلا بخير ولا يمدّ يده إلا بخير .

مهم

ومن خواصه أيضاً إنها ما تلا عند مريض أو مسحور إلا عرف ونشط في الحال ، والأسرار عند الأخيار ، وذكره عند طلوع الشمس ، وجواز الصلاة مرّة واحدة ، ويذكر أيضاً بَعْد صلاة العشاء الآخيرة ، وهذا الحدّ اضطراريّ ، والاختيار ثلاث مرّات ، بأن يقرأ بعد صلاة الظهر ، **وهذا الذكر الشريف كاف عَنْ غيره من الأذكار المطولة والمختصرة** ، ولا يخفى ذلك على الطالب المتأهل . انتهى فراجعه ففيه الزيادة .

قال شيخ أحمد ضياء الدين في « مجموعة الأحزاب » بما لفظه : حزب الحصين للغزالي : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله على يميني ، بسم الله على شمالي ، بسم الله على خلفي ، بسم الله على ما فيّ ، بسم الله على فوقي ، بسم الله اكتنفت وفي حرزه الحصين دخلت ، وبحصنه المنيع احتجبت ، وبأسمائه الحسنى تسربلت ، وبسرّ أنوار اسمه الجليل تردّيت ، وبقوّة إمداد أسرار اسمه القوي القاهر علوت وغلبت أعدائي ؛ من الجنّ والإنس وسائر المخلوقين ، واحتجبت وقهرت وانتصرت ، وبجلال بهاء سناء اسمه الأعظم الأكبر الحيّ القيّوم ذي الجلال والإكرام تدرّعت ، وببوارق أنوار أسرار كلامه العظيم احتجبت وتمسكت ، وبخفيّ لطفه الحسن الجميل تعلّقت ، وبركنه القويّ التجأت واستندت ، سبحانه وبحمده ، ليس

كمثله شيء وهو السميع البصير ، فتاح عليم باسط مُعزّ جواد كريم عليّ عظيم ، اللهمّ أسئلك بالكلمات التامّات ، والأسماء المعظمات ، والأحرف النورانيات ، والكتب المنزلات والآيات البينات بما واريت به سرادقات عرشك العظيم من الهيبة والجلال والقدرة والعَظمة ، وبما أودَعْته في الحروف والأسماء من الخواص والأسرار ، وبالحضرة الشريفة والشريعة المطهّرة ، والصّلاة الخمس ، واتصال الأسرار والرحمة للخواصّ من عبادك ، وأسئلك يا ربّ بما دعاك به أنبيائك ، وبما يسبّحك ويمجّدك حَملة عرشك وَالمقرّبون من ملائكتك أن تجعلني محصّنا محفوظاً من كلّ عدوّ من الجنّ والإنس ، وسائر العوالم ما علمت منها وما لم أعلم ، وأدخلني في سرّ أمداد أنوار خزائن حرزك العزيز المنيع ، محجوباً عن كلّ سوء مغموساً في بحر من نور هيبتك ، مؤيداً منك بروح القدس ، وكن اللهمّ لي وليّاً وناصراً وكفيلاً ووكيلاً وحسيباً وحفيظاً برحمتك وفضلك ومنّك وطولك ، واجعل جميع مخلوقاتك طوع يدي ، مَالِكاً أذمّة قلوبهم محجوباً عندهم ومعزّزاً مكرمّاً مهاباً لا يعصون أمري ، ولا أنال منهم مكروهاً أبداً معصوماً من أذاهم بشدّة المحبّة ، والألفة ، والمودّة ، واجعلني في ذلك قريباً من حضرتك الشريفة ، متمسّكاً بالشريعة المطهرة ، متلقياً للعلوم والحكمة التي تقذفها بفضلك في قلبي من فيض أنوارك ، واحفظني اللهمّ من العجب والكبر والرياء والنفاق والشرك الخفيّ ، وطهّرني من الدنس والزلات والعُيوب الباطنة والظاهرة ، واجعلني آمنا من عذاب القبر وفتنته ، وَاجْعل حياتي في طاعتك ، وفهمي في علمك اللدني ، واصحبني في عبادك الصالحين والأبدال والصوفية ، واجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهمّ عافني من كلّ بلية ونجّني من كل هلكة ، ولا تَجْعلني من السافلين ، واسقني كأسا رويّاً من شراب محبّتك ولا تجعلني من القانطين ، يا هُو يا هُو يا هُو يا هيّاً شراهيّاً يا ذا الحجّة البالغة يا ذا العظمة والقدرة يا

حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام ، إلهي ما أعظم شأنك وأعزّ سلطانك ، بك اللهمّ نزلت وأنت خير المنزلين ، وبك اعتصمت وأنت خير الناصرين ، وبك اهتديت إلى صراطك المستقيم فاكفني اللهمّ شرّ كلّ مكروه ، واجعل دعائي مقروناً بإجابتك مع اللطف والرعاية والمنح الجسام والتلقيّات الكرام وترقيات الوصول إلى حضرتك ، وأهّلني لسماع الخطاب يا سريع يا بديع يا رفيع الدرجات يا سامع الأصوات على اختلاف اللغات أسئلك العصمة والأمن والسلامة واللطف والبركة والقناعة ، وأغننا بفضلك عمّن سواك يا أرحم الراحمين (٣) سلام قولاً من ربّ الرحيم (١٦) وصلوات الله البرّ الرحيم على سيّدنا محمّد السيّد الكامل الفاتح الخاتم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريّاته عدد الأنفاس واللحظات والقطرات والنبات وجميع ما في الكائنات ، كلّما ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى ٢٦٧ ج١ .

حزب ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه

ومنها : حزب إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه ذكر صاحب « الإبريز » رضي الله عنه ما نصه : وقد قدم علينا بعض أصحابنا من خيار تلمسان فأخبرني أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول : إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي نفعنا الله به ، فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي نفعنا الله به ، وعلّمه دعاء ، وهو هذا : بسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يلجمه بلجام قدرته ، أحمى حمثياً أطمى طميسًا وكان الله قويّا عزيزاً ، حمعسق حمايتنا ، كهيعص كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم ، فقال له سيّدي إبراهيم : أُدْعُ بهذا الدعاء ، ولا تخف من شيء . انتهى عبارته ١٠ . وأمّا في « مجموعة الأحزاب » للشيخ أحمد ضياء الدين قدس

سره هكذا : كهيعص كفايتنا ، حمعسق حمايتنا ، بتقديم وتأخير بخلاف ما في « الإبريز » والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وقوله (أحمى حميثا وأطمى طميثاً) ليس من لغة العرب ، بل هو من لغة عالم الملكوت والجبروت راجع « الإبريز » .

حزب اللطف

ومنها : **حزب اللطف** للشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سرّه ، وهو حزب نافع يدعى به في الشدائد والكروبات ، فإن له سرّ عجيبٌ لتفريج الكرب ، وإزالة كلّ ألم من أمراض الظاهر والباطن ، وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين . . . إلى آخر الفاتحة ، اللهمّ صلّ أفضل الصلوات وأنمى البَركات في كلّ الأوقات على سيّدنا محمّد أكمل أهل الأرضين والسموات ، وسلّم عليه يا ربّنا بأزكى التحيات في جميع الحضرات ، اللهمّ يا من لطفه بخلقه شاملٌ ، وبرّه لعبده واصلٌ لا تخرجنا عن دائرة الألطاف ، وآمنّا من كلّ ما نخاف ، وكن لنا بلطفك الخفي والظاهر ، يا باطن يا ظاهر يا لطيف نسئلك وقاية اللطف في القضاء ، والتسليم مع السلامة عند نزوله ، والرضاء ، اللهمّ أنت العليم بما سبق منا في الأزل فحفّنا بلطفك فيما نزل ، يا لطيف لم يزل اجعلنا في حصن التحصّن بك ، يا أوّل ، يا من إليه الالتجاء وعليه المعوّل ، اللهمّ يا من ألقى خلقه في بحار قضائه ، وحكم عَليهم بحكم قهره وابتلائه اجعلنا ممّن حُمل في سفينة النجاة ، ووُقي من جميع الآفات ، إلهنا من رعته عينُك كان ملطوفاً به في التقدير ، محفوظاً برعايتك ، يا قدير يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء ارعنا بعين عنايتك ، يا خير من رعى ، إلهنا لطفك الخفي ألطف من أن يرى ، وأنت الذي لطفت بجميع الورى ، وحجبت سريان لطفك في الأكوان ، فلا يشهده الاّ أهل المعرفة والعيان ، فلمّا شهدوا سرّ لطفك في كلّ شيء آمنوا به من سوء كلّ شيء فاشهدنا سرّ هذا اللطف الواقي ما دَام لطفك الدائم الباقي ، إلهنا حكم مشيئتك في العبيد لا يُردّه همّة كلّ

عارف ومريد ، لكن فتحت لنا أبواب الألطاف الخفية المانعة حصونها من كلّ بليّة ، فأدخلنا بلطفك تلك الحصون ، يا من يقول للشيء (كُنْ) فيكون ، إلهنا أنت اللطيف بعبادك ، لاسيّما بأهل محبّتك ووِدادك ، فبأهل المحبّة والوداد خصّصنا بلطائف اللطف يا جواد ، إلهنا اللطف صفتك ، والألطاف خَلقك وتنفيذ حلمك في خلقك ، حقّك ، ورأفة لطفك بالمخلوقين تمنع استقصاء حقك في العالمين ، إلهنا لطفت بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين أفتمنعنا منه مع الحاجة إليه وأنت أرحم الراحمين ، حاشا ، لطفك الكافي ، وجُودك الوافي ، إلهنا لطفك هو حفظك إذا رعيت ، وحفظك هو لطفك إذا وقيت ، فأدخلنا سرادقات لطفك ، واضرب عَلينا أساور حفظك يا لطيف نسئلك اللطف أبداً ، يا حَفيظ قنا السوء وشر العدى ، يا لطيف يا مَنْ لعبدك العاجز الخائف الضعيف ، اللهمّ كما لطفتَ بي قبل سؤالي وكوني كن لي لا عَليّ ، يا أمني وعوني ، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (ثلاثاً) آنسني بلطفك ، يا لطيف آنس الخائف في الحال المخيف ، تأنّستُ بلطفك ، يا لطيف تحصّنت بلطفك يا لطيف وقيتُ بلطفك من الردّى ، وتحجّبت بلطفك عن الأعداء ، بلطفك ربّي اللطيف الحفيظ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ نجوت من كلّ خطب جسيم بقول ربّي ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ سلمت من كلّ شيطان وَحاسد بقول ربّي ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ وُقيت وُكفيت كلّ هم في كلّ سبيل بقولي : حسبي الله ونعم الوكيل ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إلى آخره ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ إلى ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ إلى آخر السورة بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ إلى آخره اكتفيت بكهيعص ، واحتميت بحمعسق ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ أحونٌ قافُ أدُمَّ حم هاءٌ آمين . اللهمّ بحق هذه الأسرار قنا الشرّ والأشرار ، وكلّ ما أنت خالقه من الأكدار ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بحق كلاءة رحمانيتك كلأنا ، ولا تكلنا إلى غير

إحاطتك ، ربّ هذا ذلّ سؤالي في بابك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بك ، اللهمّ صلّ على من أرسلته رحمة للعالمين ، سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيين ﷺ ، ومجّد وشرّف وكرّم وعظّم سيدي ، لا تخلني من الرحمة والآمان ، يا حنان يا منان ، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين . « انتهى مجموعة الأحزاب » ٤٤ ج١ .

حزب الطمس

ومنها : **حزب الطمس** يقرأ لكلّ أعداء ، ودفع كل مضرّة ، رواه ابن الصباغ لأبي الحسن الشاذلي قدس سره وهُو : بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ إني أسألك بأسمائك العظام ، وملائكتك الكرام ، وأنبيائك عليهم الصلاة والسلام ، ونتوسّل إليك بكلّ نبيّ أرسلته ، وكتاب أنزلته ، وعمل تقبّلته ، وحجج أوضحته ، وعسر يسّرته ، ورتق فتقته ، وظلام نوّرته ، وخائف أمّنته ، ومتكلّم أصممته ، أن تصرف كيد من كادني بسوء ، ومن أرادني بضرّ وقصدني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهمّ اطمس على قلوبهم وعلى أيديهم ، وزلزل أقدامهم ، واجعل الدائرة عليهم ، وكن لي عوناً عليهم ، واصرف عني أبصارهم بحق قولك : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ اللهمّ أنت منتهى الأمل ، وعليك في كل الأمور المتكل ، ربّنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير ، وما لنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، اللهمّ إنا توكّلنا عليك ، وأسلمنا أمورنا إليك ، فلا تخب آمالنا فيك ، ولا اتكالنا عليك ، وخذ بنواصينا إليك ، يا غاية النهاية ، يا صاحب العناية ، يا رب الكفاية ، يا دافع البليّات ، يا كاشف الكربات ، يا غافر الزلات ، يا مقيل العثرات أقل عثرتي ، وارحم ذلّتي ، واكشف كربتي ، واغفر زلّتي ، وادفع عني بليتي ، يا من يقبل التوبة عن عباده ، ويعفوا عن السيئات بكهيعص كفيت ، وحمعسق حميت ، وبنونٍ والقلم والنور

والظلم والوجود والعدم واللوح والقلم وآجالي الأمم ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ طسٓ ﴾ حم ، الم ، المص ، المر ، جلبهنا يا رحمان هزجُلَق يا ودود ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله أجمعين . انتهى « مجموعة الأحزاب » ج١ .

حزب الحجب

ومنها : **حزب الحجب** للإمام القطب أبي الحسن الشاذلي ، وهو حفظ لكلّ جبّار وسلطان وشيطان وبلاء وغم وكرب وفساد ، وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائي احتجبت ، وبسطوة الجبروت ممن يكيدوني استترتُ ، وبطَوْل حول شديد قوّتك من كل سلطان تحصنت ، وبدَيْمُوم قيّوم دوام أبديّتك من كلّ شيطان استعذت ، وبمكنون السرّ من سرّك من كلّ همّ وغم تخلّصت ، يا حامل العرش عن حملة العرش ، يا شديد البطش ، يا حابس الوحش احبس عنّي من ظلمني ، واغْلِبْ من غلبني ، كتب الله لأغلبنّ أنا ورُسُلي إنّ الله قويّ عزيز ، اللهمّ إني أسألك بسرّ الذات بذات السرّ هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت ، احتجبتُ بنور الله وبنور عرش الله وبكلّ اسم لله مِنْ عَدُوّي وعدوّ الله ، ومن شر كلّ خلق الله بمائة ألف ألف لا حول ولًا قوة إلاّ بالله ، ختمتُ على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربّي بخاتم الله القدّوس المنيع الذي ختم به أقطار السّموات والأرض ، حسبنا الله ونعم الوكيل (ثلاثاً) وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى . منه عبارته ٦٣ .

حزب الإشراق

ومنها : **حزب الإشراق** ، وهو ممّا جرّب في الحجب عن الأعداء ، ويمنع من شر كلّ سلطان وشيطان وسبع وهامة ، يقراء سبع مرّات عند طلوع الشمس ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم أشرق نور الله ، وظهر كلام الله ، وثبت أمر الله ، ونفذ حكم الله ، استعنتُ بالله ، وتوكلتُ على الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، تحصّنت بخفيّ لطف الله ، وبلطيف صنع الله ، وبجميل ستر الله ، وبعظيم ذكر الله ، وبقوّة سلطان الله دخلت في كنف الله ، واستجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، برئت من حولي وقوّتي ، واستعنتُ بحول الله وقوّته ، اللهمّ استرني في نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي بسترك الذي سترت به ذاتك ، فلا عينٌ تراك ، ولا يد تصل إليك يا ربّ العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقدرتك يا قويّ يا متين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى « حياة الحيوان الكبرى » ٣٤٣ ج٢ ، كذا في كتاب « طب الرحمة » للشيخ العلامة جلال الدين السيوطي .

حزب المصون

ومنها : **حزب المصون** للإمام الغزالي ﵁ ، وهو سرّ الأسرار ، وذخيرة الأبرار ، وبالتمسّك به يبلغ المؤمّل ما أمل ، ويعطى السائل ما سأل ، فعليك أيها المحبّ بكتمه وحفظه وتعظيمه ، فإنه من التحف التي قلّ أن يظفر بها في هذا الزمان ، وعزّ أن توجد في خزانة أمير أو سلطان ، وهو نافع قرائة وحملاً ، وكلّ صعب يصير ببركته سهلاً إلى غير ذلك ، ولم أزل شديد الحرص على معرفة مرتب هذه الآيات من هو ، فأخذتُ بالبحث من ذلك بسؤال كلّ من لقيته من أهل العلم فلم أعثر على ذلك حتى رأيت بخط الفاضل مَنْلا علي القاري الحنفي رحمه الله تعالى الكلام

على ذلك بعينه ، وإنه من جمع حجّة الإسلام أبي حامد محمّد الغزاليّ رضي الله عنه ، فاستمسك منه غاية الاستمساك ، وجعلته عدّة لي في جميع المهمّات ، فرأيت من بركاته وسرعة إجابته في شر الأعداء والنجاة من كيدهم وخذلان كلّ من قصدني بسوء ما يضيق الوقت من الاشتغال بكتابته ، وربما يسمع به أحدٌ ضعيف الاعتقاد فأنكره ، فإني قد كنت أقرأه على من يؤذيني فيقع له من الأمراض ما يوجب بكائي عليه حتّى أصير أدعو له خلف كلّ صلاة بخلاصه ممّا وقع فيه . انتهى من شرح محمّد بن عقيل قدس سرّه من هامش « مجموعة الأحزاب » في ٣١٩ ج١ .

وذلك الحزب أوّله الفاتحة ثم ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ . . إلخ . فإني أعرضت عن الكتبة في هذا المختصر لطوله ، فإن أردت ذلك فاطلبه من الجلد الأوّل من « مجموعة الأحزاب » في ٢٧٠ .

ومنها ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ آية الكرسي وثلاث آيات من الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ إلى قوله ﴿ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَّازِبٖ ﴾ ومن سورة الرحمن من ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ **عصم من يومه من كلّ شيطان من الإنس ومن كلّ سلطان ظلوم** ، ومن كلّ لصّ ، ومن كلّ سبع ضارّ ، ومن قرأهن من ليله فله مثل ذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلته كفتاه » وفي رواية « أجزأتاه عنه قيامه في تلك الليلة » ، وقال الغزالي : أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً لم يعطهنّ أحداً ممّن كان قبله ؛ فرض عليه الصلاة ، وغفر لأمته المقحمات ما لم يشرك بالله شيئاً ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ،

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله سبحانه وتعالى ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش ، فتعلّموهما وعلّموهما نسائكم ، فإنها صلاة ودعاء وقرائة » . انتهى « الدرر النظيم » عبارته ٥٤ .

ومنها ما فيه وهو أن الخائف يدعو ويكثر من دعائه بحرف الحاء والميم ، فإنّ الحاء باردة رطبة والميم حارة يابسة ، ويخصّها من الأسماء الحسنى (الحيّ الحنان المنّان الحليم الحكيم المؤمن) ويكون تكراره ذلك (٤٨) مرة ، ثم يذكر بعد ذلك اسم الله الأعظم الذاتي ، وهو قوله : (يا الله يا الله يا الله) بألف القطع وهاء الرفع المدي (٦٦) مرّة ويسأل الله تعالى أمان خوفه وأمنه مما يخاف ويحذر ، ثم يعود إلى قوله (يا حنّان يا منان يا حليم يا مؤمن) (٤٨) أيضاً ، وهذا العود مخصوص بحرف الحاء وحرف الميم ، كما أنّ تكرار الجلالة (١٦) مرّة بعددها المخصوص بالألف واللاّمين والهاء . . إلخ عبارته ٦٥ .

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلقي العدو فسمعته يقول : « يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ إلى ﴿ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ من كتب هذه الآيات ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء الأخيرة وعلّقه عليه ، ويصبح ، فيدخل على السلطان أو على العدوّ أو على أحد الظلمة والمعاندين كفى شرهم « الدّرر النظيم » عبارته ١٧٠ .

ومنها ما فيه أيضاً من أنه ﷺ « كان إذا خاف قوماً يقول : اللهمّ إنّا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » . وقال عليه

الصلاة والسلام : « إذا جئت سلطاناً أو غيره فقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم لا إله إلا الله عزّ وجلّ ثناؤك » .

وكان إذا حزن أمر بهذا الدعاء وكان يقول : « هو دعاء الفرج ؛ اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بكنفك الذي لا يرام ، اغفر لي ، وارحمني بقدرتك عليّ أنت ثقتي ورجائي ، فكم نعمة أنعمت بها عليّ قلّ لك بها شكري ، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك بها صبري ، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ، ويا من قلّ عند بليّته صبري فلم يخذلْني ، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني ، ويا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً ، ويا ذا النعماء التي لا تحصى أبداً ، أسألك أن تصلّي على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت وباركت وترحمت على إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ، اللهمّ أعني على ديني بالدنيا وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته ، يا من لا تضرّه الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا ينقصك واغفرلي ما لا يضرك ، إلهي أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً ، وأسئلك العافية من كلّ بلية ، وأسئلك دوام العافية ، وأسئلك الشكر على العافية ، وأسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم » قال : كتبه جماعة وجعلوه في جيوبهم فحصل لهم ذلك بفضل الله ، ومن دعا بهذا الدعاء حجبه الله عن قوم شر ، ومن دعا به حجب عن الظلمة وهو : اللهم أسبل علينا كنف سترك ، وأدخلنا في مكنون غيبك ، واحجبنا عن شرار خلقك ، وحُلْ بيننا وبين الرّزايا والبلايا يا أرحم الراحمين . انتهى عبارته ١٧٣ .

وفيه أيضاً : أن آية ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ تنفع لمن كثر همّه وغمّه وضاق صدره وعلم لذلك سبباً أو لم يعلم ، يقرؤها من به ذلك عند أخذ مضجعه (٧) أيام وينام فإذا استيقظ وجد ذلك زال عنه . انتهى راجعه في ١٧٧ .

وفيه : إن هذه الآية لتسكين الريح والإخفاء عن الظلمة ، وهي قوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ . انتهى عبارته ١٨٢ .

وفيه[1] : أن اسمه (الحفيظ) اسم سريع الإجابة للخائفين في الأسفار ، ولا يزال الذاكر يذكره في مواطن الخوف ، فلا يراه الله ما يكرهه ، ومن نقشه في خاتم فضة وحمله معه لو نام في سبعات الأرض ما ناله مكروه ، ويزيد بعد (يا حفيظ احفظني) ومن خاف أن يقع في أمر لا يطيقه فليكثر من ذكره ، ولا يستغني عن حمله ممن يخاف شيئاً . انتهى ٢٠٦ .

وفيه : أن أسمائه تعالى (الحليم الرؤوف المنان الكريم ذوا الطول الوهّاب الغفور الغافر العفوّ المجيد) هذا النمط من الأسماء مدار بقاء الموجودات ورفع الأضداد ، وجمع المتفرّقات ، فاسم (الرؤف والحليم والمنان) ذكر للخائفين ، ما داومه من يخاف شيئاً إلا أوجده الله بردّ الطّمأنينة وسكن رَوْعه ، وذكر لي من له إطلاع أن من استدام على هذا الذكر إلى أن يغلب عليه حال على خلوّ معدة ثم أمسك النار لم يحرق ، ولو نقش على قِدر يغلى بطل غليانه بإذن الله تعالى ، ولا يكتبها أحد ويقابل بها من يخاف منه إلاّ أطفأ الله شره . انتهى عبارته ١٢٤ . واسمه (اللطيف) ، ما أسرعه لتفريج الكروب في أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره ، يظهر من آثاره العجب العجيب ولا يذكره من يؤلمه شيء في نفسه وفي بدنه إلا أزاله الله عنه في أثناء الذكر . انتهى عبارته .

(واللطيف) يؤثر في دفع الشدائد والآلام وإزالة الأوهام . **أقول** : تأثير الأسماء فيما قاله إنما يكون بالذكر أو بالحمل أو العمل بها بشرائط ذلك ، وعلى حسب أعدادها ، وفي وفقها وحروفها . « الدرر النظيم » عبارته ٢١٦ . وفيه : إن قوله تعالى : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ الآية

---

(١) **أي** : « الدرر النظيم » .

خاصيتها لمن يخاف من أسد ومن إنسان ظالم أو عدوّ أو سلطان فليكثر من قرائتها عند دخوله إلى فراشه ونومه ويقظته وعند الصباح والمساء ، فإنّ الله يحرسه ويكفيه جميع ذلك ، وهي وقاية للسفر من أهوال البحر ، فمن أكثر من قرائتها في السفر والسفينة لم يخف شراً ، وحرس من آفات البحر كلّها ، ومن قرأها وهو داخل على سلطان أمن شره ، وكفى وأمن على نفسه وماله ، ومن كتبها وجعلها في حرز وعلّقه على عنق صبيّ يأمن من الأفات . انتهى عبارته ٣٣٨ .

وقوله تعالى : ﴿طسٓمٓ﴾ إلى قوله ﴿خَٰضِعِينَ﴾ ، وفي نسخة : إلى ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ هذه الآيات لخذلان العدوّ وقهره وذله ، إذا قرأتها على كف تراب من أرض لم تراها الشمس ورش التراب على وجه العدوّ خذله الله وقهره وأذلّه ، منه عبارته ٢٧٢ . وفيه : إن قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ما قرأها خائف إلاّ أمن ؛ سواء كان خائفاً من سلطان أو ظالم أو جائر وقي شره . انتهى عبارته ٢٧٨ .

قال حجة الإسلام : من قرأ سورة الحشر أمن في الدين والدنيا ، وذكر بعضهم : أن آخر سورة الحشر دواء من كلّ داء إلا الموت . راجعه في ٣٣٤ .

فائدة

من قرأ سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ على اسم غائب رجع سالماً في أقرب وقت . وإذا قرأت على شيء نسي استعرف عليه .

وسورة « الانشراح » من قرأها على الصدر نفعت من ضيقه . انتهى ما التقطناه من « الدرر النظيم » ، وفيه فوائد أخرى إن أردت الزيادة ، راجعه .

منها

الآيات الخمس فيها خمسون قافاً

ومنها : **الآيات الخمس** التي فيها خمسون قافاً ، قال بعض الخواصّ في خاصيّة هذه الأيات العظيمة لملاقات الأعداء : من حملها معه نصره الله على أعدائه ولا يناله من شرهم ومكرهم وسلاحهم شيء ، ولا يخاصمه أحدٌ إلا قهره الله تعالى ، ويكون له هيبة في قلوب الناس ، وإن دخل على السلطان أو على نوابه أمن من شرّهم ومكرهم ، وهي حجاب من الإنس والجنّ والشياطين وتوابعهم المتمردين ، فاعرف قدرها ، وأحمد على ما أولاك الله تعالى قرائتها وحملها ، وصلّ على سيّدنا محمّد وآله وسلّم .

وروي عن الفقيه الكبير والوليّ المكين أحمد بن موسى ابن عجيل عليه رحمة الله الجليل خمس آيات فيها خمسون قافاً في كتاب الله تعالى ما قرأت في وجه عدوّ إلا غلب وقهر ، ولا في وجه من يخاف من شره إلا كفى الله عنه شره وحفظه من جميع الخطايا والآفات . وقال بعضهم : إذا كتبت وعلقت في رمح أو سلاح وجعلت في مقابلة الأعداء حال الحرب انهزموا وخذلوا جميعاً ، وقد جرّب ذلك مراراً .

وقال الشيخ مجد الدين الكرماني قدس سره : كان في الدنيا أربعة ألاف متصرِّف من رجال الغيب والبدلاء والأوتاد والقطب كلهم يتصرفون بهذه الآيات الخمس ، ومن داوم على قرائتها وحمل وفقها كان من أهل التصرّف ظاهراً وباطناً وعلويّاً وَسُفْليّاً ويلاقي القطب ورجال الغيب . وفي تفسير صاحب « العرائس » : من قرأ هذه الآيات الخمس وحمل وفقها آمنه الله تعالى من السموم والسحر والبلايا والمؤذيات ، ووكّل عليه الجنّ وكان من أهل التصرّف ببركة هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ . انتهى . وقال الشيخ الشاذلي قدس سره : رأيت قطب الأقطاب أوصاني بقرائة هذه الآيات

الخمس مع بسط أوقافها وسألته عن أسرارها قال : من داوم على قرائتها آمنه الله تعالى من الأعداء والحساد ومكر الماكرين ، ولم يظفر به عَدُوّ ولو عَاداه أهلُ السمَوات والأرض ، وتفتح عليه النصرة والظفر وينال إلى درجة القطب ، وقال الشيخ الجميل اليمني قدس سره : رأيت قطب الأقطاب وتكلّمت معه وعلّمني هذه الآيات الخمس وقال : وجدت كلّ شيء ببركة هذه الآيات وقال : لا تخبر أسرارها إلاّ أهلها ، وروي عن الشيخ أبي يزيد البسطاميّ قدس سرّه أيضاً ، وعلّم الشيخ محي الدين العربي أسرار هذه الآيات الخمس ، ثم علم الشيخ حسام الدين فكان من بعد سنة من أهل التصرف ، وقال الشيخ جلال الدين : تعلّمت هذه الآيات وأسرارها وأوقافها عن الشيخ صدر الدين القنوي ، ثم علمني الشيخ محي الدّين العربي ترتيب وفق الشمس وشكل الزهرة ، وقال الشيخ محمود غازي : أوصاني الشيخ موسى السّدراني بهذه الآيات الخمس مع كسر العدد وبسط وفقها وحملها في الحضر والسفر والغزوات ، فعلمتها كما أوصاني ، فبارك الله عليّ وعلى عساكري ، ففتح بيدي بلاد الهند كثير ، وإلى أيّ مكان توجّهت وقصدت كنت منصوراً ومظفراً ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات الخمس في الحضر والسفر والغزوات ، وغلب على الكفار والمنافقين ، ونصره الله وفتح عليه . وعن عائشة الصّديقية رضي الله عنها : قال عليه الصلاة والسلام : « من كتب هذه الآيات الخمس فيها خمسون قافاً يوم الجمعة فشربها أدخل في جوفه ألف شفاء ودواء ، وألف صحة ، وألف رحمة ، وألف رأفة ، وألف يقين ، وألف قوة ، ومائة ألف نور ، ونزع عنه كلّ داء وغلّ والخوف والغم » .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : يا رسول الله منذ عمري عملت العصيان - وكان آخر عمري - علّمني شيئاً أقرؤه حتى يطول عمري ، ويغفر ذنبي ، ويحصُل مرادي ، فعلَّمَه عليه الصلاة والسلام هذه الآيات الخمس ، وحمل كسر بسطها طال عمره وغفر ذنبه وحصل مراده . كذا في تفسير « العرائس » ، وتفسير « الكواشي » ، وبعض كتب خواصّ القرآن .

وتركت من أقوال المشائخ وحكاياتهم الغرائب في خواصّ هذه الآيات الخمس حذراً من التطويل . وفي « خواص القرآن » : **فائدة** : إنّ في القرآن العظيم خمس آيات في خمس سور ؛ أربع متواليات ، أولها سورة البقرة ، وآخرها سورة المائدة ، وإنه في سورة الرعد في كلّ آية عشر قافات ، وخاصيتها للحرب والقتال والنصر على الأعداء والحساد ، ومَنْ كتبها في ورقة وعلقها على رأسه ودخل على أرباب الجاه والأمراء العظام غظّموه وقاموا له وهابوا من هيبته وشوكته ، وهي للقبول ، وإذا كتبت أو جعلت في راية لم ينهزم جيش أبداً ، وقد انتصر على الأعداء ، ويتحفظ بها حفظ العين ، فإنها كنز لا يرام ، وهي هذه الآيات العظيمة الشريفة المباركة بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قدير على ما يريد ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ قوي لا يحتاج إلى معين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قهار لمن طغى وعصى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قدّوس يهدي من يشاء ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ .

قيوم[1] من يشاء القدرة ، وعدد مجموع هذه الآيات ستة وخمسون ألفاً وخمسمائة وخمسة وتسعون على حساب الجُمل وفق صحيح بلا طرح ولا كسر

٤٣٣٥٤٥	[illegible]	١٤٦٧٨٥٠	١٤٦٧٨٥	٣١٤١٥
[illegible]	[illegible]	٤٧٦١٤٠	٦٠٥٤٢٠	١٤٧١٤٧٠
٦٤٢١١٥	[illegible]		٥٠٩٣٠٠	٧٣٥٧٢٥
[illegible]	[illegible]	١٠١٨٧١٠	[illegible]	٥٤٥٦٥
١٤٤١٢٥٥	[illegible]	٣٣٦٥٧٠	٥٤٥٦٥٠	١٤٤١٣٥٥

واعلم أن هذه الآيات إذا قرأت كلّ واحدة منها مرة تكرر الأسماء المذكورة عقب كلّ واحد منها ثلاث مرات مثلاً : قيوم يرزق من يشاء القدرة (ثلاثاً) . كذا أجاز لي شيخ سليمان أدرنوي عن الشيخ أحمد السنادي وعن الشيخ محمود الطنوسي ، قدس الله أسرارهما ، من قرأ هذه الآيات الخمس لقهر الأعداء والحساد صباحاً ومساء ثلاث مرات أو زيادة ، ولو مرة واحدة فهي إكسير في سبب التأثير . انتهى « خزينة الأسرار » مع الاختصار ، إن أردت الزيادة راجعه في ٦٨ .

ومنها ما في « مجربات السنوسي » من أن من أصابه هم أوضيق في معيشة فليكتب هذه الكلمات في قرطاس ويلقيها في ماء جار ، فإن

(١) وفي « مجموعة الأحزاب » هكذا : قيوم يرزق من يشاء بقدرته .

الله يفرج عنه همّه ويوسع رزقه ، وهي : بسم الله الرّحمن الرّحيم من العبد الذليل الفقير إلى المولى الجليل الكبير ، ربّي إني مسّني الضرّ وأنت أرحم الرّاحمين ، اللهمّ بحرمة محمد ﷺ اكشف ضرّي ، وأغن فقري ، واجبر كسري ، وأزل همّي وغمّي ، إنك على كلّ شيء قدير .

ومنها ما رواه عنه ﷺ أنه قال : « ما من عبد يقول هذه الكلمات إلا فرّج الله عنه غمَّه ، وأقرّ عينه ، وأطال فرحه ، وهي هذه : اللهمّ إني أسئلك خوف العالمين بك ، وعلم الخائفين منك ، ويقين المتوكِّلين عليك » . انتهى . كلّ ذلك مجرَّب سهولة ، كيف ؛ وقد قال الصادق المصدق الذي لا ينطق عن الهوى .

فائدة

في القرآن العظيم آيتان جامعتان حروف العجم بأسرها ؛ الأولى في سورة « آل عمران » وهو ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلصُّدُورِ ﴾ ، والثانية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر « الفتح » ، فمن كتبهنّ وحملهنّ كان ملطوفاً في سائر أحواله ، ونصره الله على أعدائه ، وفرج كلّ هم وغم ، وهما ينفعان من الأمراض الظاهرة والباطنة دهناً وشرباً وحملاً ؛ يكتبان في إناء طاهر نظيف ، ويمحى بماء الورد أو الزيت الطيب ويدهن منه كلّ ألم ومرض ؛ مثل الدماميل والثآليل والجراحات وغيرها ، فيزال جميع ذلك سريعاً بإذن الله تعالى . راجعه من هامش « فتح الملك المجيد » في ٧٣ .

فائدة

عن اليافعي عن أبي إسحق عن إبراهيم بن شيبان قال : سمعت أبا عبد الله يقول : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله لي حاجة عند الله تعالى ، فبأيّ شيء أتوسل إليه فقال النبي ﷺ : « من كان له حاجة عند الله فليسجد ، وليقل في سجوده (أربعين مرّة) لا إله إلاّ أنت

سبحانك إني كنت من الظالمين ، مشيراً بذلك بسبابتك نحو السماء ثم تذكر ما تريد ، قضاه إن شاء الله تعالى » . وقال ﷺ : « من دعا بدعوة يونس بن متى استجاب الله دعائه » . (منه) عبارة ٧٢ .

ومنها ما هو المجرّب عندنا ؛ وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق (ثلاثاً) ، بسم الله طريقي ، الرحمن رفيقي ، الرحيم يحرسني من كلّ شيء يلمسني ، (ثلاثاً) ، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء وهو السّميع العليم (خمساً) ، ﴿ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ (ثلاثاً) ، قيل : إن من قالها في الصّباح يحفظ إلى المساء من الآفات السماوية والأرضية ، ومن قالها في المساء يحفظ إلى الصباح ، وإن قرأها المسافر وقت الذهاب والنزول يحفظ ، هذ مما كتبه شيخ الإرشاد قطب أوانه سيف الله قدس سره ، فاحفظه فإنه نفيس .

ومنها الآيات السبع المرويّة عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال : إذا قرأتُ هذه الآيات لا أبالي في هذا اليوم لو نزل من السماء إلى الأرض لأكون ناجياً[1] ببركة قرائتها .

الآية الأولى : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ،

الثانية : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ،

الآية الثالثة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ،

---

(١) وفي « فتح المجيد » : أن من قرأها ، أو حملها لم يقدر أحد على مضرته بإذن الله تعالى . (منه) عبارته ٦٢ .

الآية الرابعة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ ،

الآية الخامسة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ،

الآية السادسة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

الاية السابعة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . انتهى « مجموعة الأجزاب » عبارته ٤٣٥ ج ١ .

ومنها آيات الحفظ المشهورة ، ونصّ ما في « فتح الملك المجيد » .

فائدة

منقولة عن بعض الصّالحين أنه قال : خرجت يوماً إلى البريّة ، فوجدت شاة وعندها ذئب يلاعبها ولا يضرّها ، فلما تقربت منها هرب الذّئب ، فأمسكت الشاة ، فوجدت في عنقها كتاباً مربوطاً ، فأخذته وفتحته ، فوجدت مكتوباً فيه هذه الآيات .﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ﴿ وَحِفْظٗا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾ ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴾ ﴿ وَحِفْظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٖ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٞ ﴾ ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٖ مَّحْفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ﴿ فَمَآ

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ وما أنت عليم بحفيظ ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ له معقات ﴿ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ .

فمن كتب هذه الآيات وعلّقها على رأسه أو عنقه لم يضره شيء ، وحفظ من كلّ مكروه ، ووقي من كلّ همّ وضير بإذن الله تعالى . انتهى عبارته ، راجعه في ٢٦ .

وفي « تقريب الأصول » ما لفظه : وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما كربني أمرٌ إلا تمثّل لي جبريل فقال : يا محمد قل : توكّلت على الحيّ الذي لا يموت ، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له وليّ من الذّل وكبّره تكبيراً » . انتهى راجعه في ٢٨ .

فضيلة لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم

وفي الفشني على « الأربعين النوويّة » : ومن الأدعية المستجابة أنه إذا حلّ للشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ، ثم يفتحها بكلمة (لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ، اللهم لك الحمد ، ومنك الفرج ، وإليك المشتكى ، وبك المستعان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم) ، وهي فائدة عظيمة ، وبالجملة فـ(لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ عظيم) لها تأثير عظيم في طرد الشياطين والجنّ ، وفي جلب الرّزق ، والفناء ، والشفاء ، وتحصيل القوة ودفع العجز « إعانة » عبارته ٣١٢ ج٢ .

وفي « درر الأذكار » ما نصّه : ط ابن عباس جائني جبريل بدعوات ، فقال : إذا نزل بك أمر من أمر دنياك فقدّمهن ، ثم سل حاجتك : يا بديع السّموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا

صريخ المستصرخين ، ويا غياث المستغيث ، يا كاشف السوء يا أرحم الراحمين ، يا مجيب دعوة المضطرّين ، يا إله العالمين ، بك أنزل حاجتي ، وأنت أعلم بها فاقضها . انتهى .

فائدة

ما يقرأ عند حلول الشدائد والكروب . .إلخ .

يقرأ عند حلول الشدائد والكروب سبع مرات وهي هذه : يا سطيع النور الذي وضع المذلّة على رقاب الجبابرة والفراعنة ، فهم من سطوته خائفون ، وصلى الله على سيّدنا محمّد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلّم . انتهى من خاتمة « مجموع الخطب » لابن ميتة . راجعه في ١٠٦ .

وهو من المجرّب عندنا ، بيد أنّ التأثير وفق الاعتقاد بعد القرائة بالحضور ، جعلنا الله تعالى من أهل اليقظة والحضور ، وحفظنا الله تعالى من نكبات الزّمان ، وكدرات الأوان ، آمين .

دعاء المعراج

ومنها دعاء المعراج المشهور ، وفيه أثر ، عن جعفر الصّادق بن محمد عن أبيه محمّد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وهو دعاء عظيم نافع لتفريج الهمّ والغم ، وكشف الشدائد والحظوب وغير ذلك ، وله شرح طويل وهو هذا : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، اللهمّ إني أسئلك ، يا من أقر له بالعبودية كل معبود ، يا من يحمده كل محمود ، يا من يفرع كلّ مجهود ، يا من يطلب عنده كلّ مطلوب ، يا من سائله من فضله غير مردود ، يا من بابه لسؤاله غير مسدود ، يا من هو غير موصوف ولا محدود ، يا من عطائه غير ممنون ولا منكود ، يا من هو لمن دعاه غير بعيد ، وهو نعم المقصود ، يا من رجاء عباده بحبله مشدود ، يا من ليس له شبيه ولا مثله موجود ، يا من ليس بوالد ولا مولود ، يا من ليس يوصف

بقيام ولا قعود ولا بحركة ولا بجمود ، يا الله يا رحمن يا ودود ، يا راحم الشيخ الكبير يعقوب ، يا غافر ذنب داود ، يا كاشف ضرّ أيّوب ، يا منجي إبراهيم من نار نمروذ ، يا من ليس له شريك ولا معه أحد مقصود ، يا من لا يخلف الوعد ، ويعفو عن الموعود ، يا من برّه ورزقه للعاصين ممدود ، يا من هو برّ حليم ونعم المقصود ، يا من هو ملجأ كلّ ملهوف ومطرود ، يا من أذعن له جميع خلقه بالسجود ، يا من ليس عن باب جوده أحد مطرود ، يا من ليس عن بابه أحد مفقود ، يا من لا يحيف في حكمه ، ويحكم على الظالم الجحود ارحم عبداً ظالماً مخطأً لم يوف بالعهود ، إنك فعّال لما تريد ، وأنت المقصود ، يا الله يا الله يا الله يا ربّ (٣) يا رحمن (٣) يا رحيم (٣) يا ودود ارحمني برحمتك يا أرحم الرّاحمين ، يا ربّ يا معبود ، اللهمّ أسئلك بحرمة هذا الدّعاء وعظمته عندك أن تصلّي وتسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آل محمد ، وأن تغفر لي ، ولوالديّ ، وللمسلمين أجمعين ، ثم يسأل حاجته تقضى بإذن الله تعالى .

وفي « مسند » الإمام أحمد و« صحيح » ابن حبّان عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أصاب عبداً همّ أو غمّ أو حزن فقال : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسئلك بكلّ اسم هو لك سميت به أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعَل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصَري ، وجَلاء حزني ، وذهاب غمّي . إلاّ ذهَب الله حزنه وهمّه وَأبْدله مكانه فرحًا » .

ومنها ما يروى عن عبد الله بن أبي زيد القيرواني رحمهُ الله قال : رأيت جملة من الأدْعية ، فما رأيت وَلاَ جرّبت أسرع فى الإجابة من هذا الدعاء ، وكان الشيخ الفقيه أبو إسحق التونسي يدعو به على كلّ سلطان جائر ، وعلى كلّ لصّ خائِن ، وفي المصائب والشدَائد والنوائب ، فمن وقف عَليْه فليحفظه أو يصنه ، لأنّه دعاء الخواصّ ، ولا يدعُو به إلاّ على

مستحقه ، فإنه مجرّب وهو هذا الدعاء المبارك : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، اللهمّ يا موضع كلّ شكوى ، ويَا شاهِدَ كلّ نجوى ، ويَا عَالم كلّ خفيّة ، ويَا كاشف بَليّة ، يا منجي موسى ومحمّد وإبراهيم الخليل صَلوَات الله عليهم أجْمعَين ، أدْعُوك يا إلهي دُعَاء من اشتدّت فاقته ، وضعف قوّته ، وَقلّت حيلته ، دعاء الغريق الملهُوف المكرُوب المشغوف الذى لا يجد لكشف مَا نزل به إلاّ أنت ، ولا إله إلاّ أنت ، فارْحمنا يا أرحم الرَّاحمين ، واكشف عنّا ما نزل بنا من عدوّنا وعَدُوّك الشيطان الرّجيم ، من هؤلاء القوْم الظالمين الباغين ، أو من فلان الظالم إن كان وَاحدًا يا ربّ العالمين ، إنك على كلّ شيء قدير ، واغوثاه (٣) يا الله (٣) اللهمّ يا بارئ لا بارئ لك ، يا دائم لا نفاد لك ، يا حيّ يا محي الموتى ، يا قائما عَلى كلّ نفسٍ بما كسبت ، إلهي إنك أنت الله العزيز الجبَّار الذى لا إله إلا أنت ، إلهنا وإله كلّ شيء إلهًا واحدًا أسْئلك بالكلمات التامّات كلّها الأمن والعفو والعافية والمعافات الدَّائمة في الدنيا والآخرة ، وفى الأهل والجسد والمال والوَلد والمسلمين أجمعين ، يا ربّ العالمين إنك عَلَى كلّ شيء قدير ، وارحمني برحمتك يا أرحم الرّاحمين ، واكشف عَنّي مَا نزلَ بي من ضرّ ، وكلّ مَا أردْت ، وخلّصْني خلاصًا جميلاً يا ربّ العالمين ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعَلى آله وصحبه وسلّم .

حزب النصر

ومنها حزْبُ النّصر لمولى أبى الحسَن الشّاذلى وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، اللهمّ بسَطوة جَبروت قهْرك . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دَلائل الخيرات » و« مجمُوعة الأحزاب » .

دُعاء لقضاء الحوائج

ومنها دُعاء عظيم لقضاء الحوائج يدعو به بعد صَلاة ركعتين ، وإخلاصِ نية ، وحمد الله تعالى ، والاستغفار ، والصلاة عَلَى النبيّ صَلَّى

الله عليه وَسلّم ، ثم يقول : اللهمّ يَا جَامع الشتات ، ويَا مخرج النبات ، ويَا محي العظام الرفات ، وَيَا مجيبَ الدعوَات ، وَيَا قاضيَ الحَاجَات ، ويَا مفرج الكربَات ، ويا سَامع الأصْوات من فوق سبع سَموات ، ويا فاتح خزائن الكرامَات ، ويا مَالك حَوائج جميع المخلوقات ، ويا مَنْ مَلاء نوره السمَوات والأرْض ، وَيا من أحَاط بكلّ شيء علماً وأحصَى كلّ شيء عدداً ، وعالماً بمَا مضى وما هو آت ، أسئلك اللهمّ بقدرتك عَلى كلّ شيء ، وباستغنائك عن جميع خلقك ، وبحَمْدك ومجْدك يَا إله كلّ شيء أن تجُود عَليّ بقضاء حَاجتي ، إنك قادرٌ عَلى كلّ شيء ، يَا ربّ العالمين . ويسمّي حَاجته ، فإنها تقضى إن شاء الله ، وَإلاّ فليكرر العدَدَ (٣) أو (سبعًا) يحصُل المطلوب بإذن الله تعالى .

دعاء سفيان الثوري رحمه الله

ومنها دعاء سفيان الثوري رحمهُ الله وهُوَ هذا : اللهمّ ربّ كلّ شيء ، وإله كلّ شيء ، ووَليّ كلّ شيء ، وَخالق كلّ شيء ، وقاهر كلّ شيء بقدرتك ، يَا مَالك كلّ شيء ، والعَالم بكلّ شيء ، والحاكم على كل شيء ، والقاهر عَلى كلّ شيء بقدرتك عَلى كلّ شيء ، اغفر لي كلّ شيء ، واقض لي كلّ شيء ، وَهَبْ لِي كلّ شيء ، ولا تسألني عن شيء ، ولا تحاسبني بشيء ، ويُرْوى أنّ بَعْض الناس رآى بعض الصّالحينَ فى النوم بَعْد مَوْته ، وكان ممّن يَدْعو بهَذا الدعاء ؛ فقال له : مَا فعل الله بك فقال لهُ : أوقفني بين يَديْه وقال لي : اُدْعني بالدعاء الّذي كنتَ تدعوني به في الدنيا ، فدعوت به حتّى انتهيت إلى (اغفر لي كل شيء) ، فقال : غفرت لك ، ثم قلت : اقض لي كلّ شيء ، فقال : قد قضيت لك ، ثم قلت : وهَبْ لِي كلّ شيء ، فقال : قد وهبت لك ، ثم قلت : ولا تسألني عن شيء ، فقال : وَلاَ أسْألك ، فقلت : وَلا تحاسبني بشيء ، فقال : ولا أحاسبك بشيء ، وبَعْض الناس يزيدُون (ولا يضرّه شيء ، ولا ينفعهُ شيء ، ولا ينقصهُ شيء ، ولا يكدره شيء) وأشياء كثيرة . والأوّل هو المشهور .

من دعا به قوي إيمانه

ومنها دُعاء الشيخ ابن أبي حمزة ؛ عن حذيفة عن النبيّ ﷺ وقال له : « ادع به وقدّمه في أوّل دُعائك ، ثم ادع بَعده بمَا شئت يستجيبُ لك » ومن دعا به قوي إيمانه ، وهُوَ : اللهمّ لا مَانع لما أعطيت وَلا مُعْطي لما منعت ولا رادّ لما قضيت وَلا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ ، اللهمّ لا مُضلّ لمن هديته ، وَلا هَادي لمن أضللته ، ولا مشقي لمن أسعَدْته ، ولا مُسْعد لمن أشقيته ، ولا مُعزّ لمن أذللته ، ولا مذلّ لمن أعززته ، ولا رافع لمن خفضته ، وَلا خافض لمن رفعته ، اللهمّ اهْدنا لما أمرتنا ، ووَفّ لنا بما ضمنت لنا ؛ من خير الدنيا والآخرة ، وقوّ لنا إيماننا ويقيننا فيما رجيتنا ، وانصرنا على أعدائنا في الظاهر والباطن ، وأسئلك بما سألك به خليلك إبراهيم عليه السلام من النور واليقين ، وبما سألك به سيّدنا ومَوْلانا محمّد ﷺ ؛ النصرة ، والتوفيق ، وحقيقة التمكين ، إنك حميدٌ مجيدٌ . انتهى .

دعاء ردّ به بصر عمياء

ومنها ما روي عن الحسن بن سالم رحمه الله تعالى أنه قال : قد كانت لى جَدّة عَمْيَاء لا تبصر شيئاً ، فأتاها آتٍ ، فقال لها : ألا أعلّمك اسمًا من أسماء الله تعالى تدعين به يرد الله عليك بَصرك ، فقالت لهُ : وما هُوَ – جزاك الله عنّي خيراً كثيراً فغفر لك – فقال لها : ارفعي يَديْك إلى السّماء ، وادعي الله عزّ وجلّ ، ثم امسحي وجهك وعيْنَيْكِ بيدَيْك ، قال : ففعَلت مَا أمَرها به ، فردّ الله عليهَا بصَرها أحسَن مَا كانت ، فرأت بَيْن يَديْها شيخاً قائماً ، ثم ذهب عنها وكتمته مدّة طويلة وأخبرت به عند موتها ، وهُوَ من أوّل سورة « الحَديد » إلى إلى قوله ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وآخر « الحشر » .

وسئل عليّ رضي الله عن أحسن ما خصّه به النبيّ من الدعاء فقال : ما ظننت أن أحداً يسألني عن هذا ، ثم قال : إذا أردت أن تسأل الله حاجته فاقرأ ست آيات من أوّل سورة « الحديد » ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله : ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وآخر « الحشر » : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ إلى آخر السورة ، ثم يقول : اللهمّ يا من هو واحدٌ أحدٌ ، ولا يزال كذلك ، ولا يكون كذلك أحدٌ غيره افعل بي كذا وكذا ، فإنه يكون ذلك ، والله على كلّ شيء قدير .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله هل من الدعاء شيء لا يردّ ؟ قال : نعم ، تقول : أسئلك باسمك الأعلى الأجلّ الأكبر . وعن بعضهم : إذا سألت الله حاجة فابدأ بالصّلاة على النبي ﷺ ، وسل حاجتك ، واختم بالصلاة على النبي ﷺ ، فإنّهما دعوتان لا تردّان ، ولم يكن ليرد ما بينهما .

ومن ذلك ما روي عن بعض الصالحين من أهل التجربة أنه قال : إذا كان لك حاجة عند الله تعالى فاعمد إلى مسجد ، وقِفْ في قبلته ، وتوجّه إلى الله ، وقل : اللهمّ إليك قصدت ، وببابك وقفت ، فبجنابك التجأت ، وإياك سألت ، وبمحمّد ﷺ توسّلت ، وبأنبيائك ورسلك وأوليائك تشفعت ، فاقض اللهمّ حاجتي ، ونفّس كربتي ، وما نزل بي من حيرتي ، ثم يسمّي حاجته وما يريد ، ثم بعد ذلك يصلّي ركعتين ؛ الأولى « بالفاتحة » ، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ؛ والثانية « بالفاتحة » و« الإخلاص » ، و« المعوّذتين » ، ويقول في آخر سجدة منها وهو ساجدٌ : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ إلى قوله ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ ، ثم يرفع رأسه ويتشهّد ويسلّم ، ثم يقوم واقفاً في القبلة ويهزّها بيده ، ويقول : اللهمّ علمك فيّ الحال أغناني عن المقال ، وفضلك وجودك والنوال أغناني السؤال ، إلهي إنّ العرب والعجم إذا استجار بها مستجير أجاروه ، وأنت إله العرب والعجم وجميع الأمم ، وقد استجرت بك ، فأجرني ولا تردّني خائباً ، ولا تحرمني ، ومن عثرتي فأقلني ، وقد أملت منك الإجابة فأجبني ، وأعطني أمنيتي ، وما أطلب منك برحمتك يا أرحم الراحمين . ويسأل الله حاجته ، فإنّها تقضى بإذن الله تعالى كائنة ما كانت . والأصل في ذلك حسن النية وإخلاصها ، فقد قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » وبالاعتقاد تصل إلى المراد إن ، شاء الله تعالى .

مهم

ومنها : حديث زيد ابن حارثة حين أراد الكردي قتله ، وقال له : يا زيد تهيّأ للموت ، فقال له : زيد : أمهلني حتى أصلي ركعتين ، فقال له الكردي : هيهات قد صلاهما غيرك ، فلم تفده صلاته شيئاً ، فتوضأ زيد ، وصلّى ركعتين ، ودعا بهذا الدعاء ، فاصطفت حوله الملائكة ، وهو هذا الدعاء ، تقول : اللهم يا ودود ، (ثلاث مرات) يا ذا العرش المجيد ، يا مبدئ يا معيد ، يا فعّال لما يريد ، أسئلك بنور وجهك الّذي ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث ، يا غياث المستغيثين أغثني (٣) . ثم أقبل عليه الكردي ورفع حربته ليقتله ، وإذاً بفارس يركض ، وهو ينادي : لاتقتله فالتفت الكردي فرأى الفارس قد أقبل عليه وبيده حربة ، فضربه بها ، فرماه من أعلى دابته وقتله ، وقال له : يا زيد لَما دعوت المرة الأولى نادى جبرائيل : من لهذا الملهوف ؟ قلت له : أنا ، وكنت في السماء السابعة ، فلما دعوت الثانية كنت في سماء الدنيا ، فلما دعوت الثالثة جئتك وقتلته .

واعلم يا زيد أنه لا يدعو أحدٌ بدعائك هذا إلا استجيب له في الوقت . فلما رجع زيد إلى المدينة أخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال له : « يا زيد لقد لقنك الله اسمه الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ، وإذا سأل به أعطى » . وقد بوّب عليه محمد بن إدريس الرازي في كتابه « الجامع للأدعية والأذكار » فقال : يا ربّ الأسماء التي تزعزعت الملائكة منها . وخرّجه بعضهم في الكتب ولم يذكروا زيداً إلا نادراً .

ومنها : ما نقل عن أبي زيد عمارة بن زيد رحمه الله تعالى . قال عمارة : حدّثني سفيان الثوري عن ابن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها أو حفظها دخل الجنة » . قال عمارة : فكنت أطلبه ، فلم أجد من يخبرني بها عن حقيقتها حتى لقيت رجلاً ذا همة في استنباط العلم من

آل بيت رسول الله ﷺ ، وكان رجلاً ورعاً عالماً مجاب الدّعوة يقال إنه كان يخرج من المدينة إلى مكة يوم عرفة ، فيشهد الموقف مع الناس ، ثم يرجع إلى المدينة في اليوم الرابع من الحج . وأخباره مشهورة إلا أنه سألني أن لا أشهر اسمه . قال عمارة : وإني لما سألته عن أسماء الله العظام التي لا يخيّب من دعا بها ، فقال لي بعد تلوّم وامتناع : يا عمارة لو لا ثقتي بك ما أخبرتك ، فهي أمانة عندك ، فلا تعلّمها إلا لمن ترضى دينه ، يا عمارة إنها موجودة في كتاب الله تعالى ، وبيّنها لي ، وقال : دعوت الله بها غير مرّة ، فرأيتها قريبة الإجابة ، وكتبها عنّي جماعة ، وكلّهم أخبروني أن إجابتها سريعة . ثم قال لي : يا عمارة فإنّ فيها الاسم الأعظم ، فإذا أردت الدعاء بها فصم يوم الخميس ، وادع بها ليلة الجمعة في ثلث الليل الأخير وقت السحر ، فوالله الذي لا إله إلا هو لا يدعو بها عبدٌ مؤمن إلا أجابه الله تعالى في كلّ ما يريد ، حتى لو سأل أن يمشي على الماء أو على الهواء لأجيب له ، وهي هذه : يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا مالك ، يا محيط ، يا قديم ، يا عليم ، يا حكيم ، يا تواب ، يا بصير ، يا واسع ، يا بديع ، يا سميع ، يا كافي ، يا رؤوف ، يا شاكر ، يا إله ، يا واحد ، يا غفور ، يا حليم ، يا قابض ، يا باسط ، يا حيّ ، يا قيّوم ، يا علي ، يا عظيم ، يا وليّ ، يا غنيّ ، يا حميد ، يا وهّاب ، يا قائم ، يا سريع ، يا رقيب ، يا حسيب ، يا شهيد ، يا عفوّ ، يا مقيت ، يا وكيل ، يا فاطر ، يا قاهر ، يا لطيف ، يا قادر ، يا خبير ، يا محيي ، يا مميت ، يا نعم المولى ، ويا نعم النصير ، يا حفيظ ، يا قريب ، يا مجيب ، يا قوي ، يا مجيد ، يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعّال لما يريد ، يا كبير ، يا متعال ، يا حنان ، يا منان ، يا خلاق ، يا رزاق ، يا صادق ، يا وارث ، يا شكور ، يا غافر ، يا قابل التوبة ، يا شديد العقاب ، يا ذا الطول ، يا ذا القوة ، يا متين ، يا بارُّ ، يا مليك ، يا مقتدر ، يا باقي ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا أوّل ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا قدوس ، يا سلام ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، يا عزيز ، يا جبّار ، يا متكبّر ، يا خالق ، يا بارئ ، يا مصوّر ، يا مبدئ ، يا معيد ، يا أحد ، يا صمد . تمت هذه الأسماء الشريفة المستنبطة من القرآن العظيم جميعه .

ومن الفوائد النافعة لقضاء الحوائج ختم القرآن ؛ قال بعض العلماء : وجدت بخطّ بعض العلماء نفعني الله بهم ما مثاله : ختم القرآن لقضاء الحاجة مجرّب لا شك فيه ، وإن قرأه على هذا الترتيب كان أسرع للإجابة ، بأن يبدأ بالقرائة من يوم الجمعة من أوّل سورة البقرة إلى آخر المائدة ، يوم السبت من أول الأنعام إلى آخر التوبة ، ويوم الأحد من أوّل سورة يونس إلى آخر سورة مريم ، ويوم الإثنين من طه إلى آخر القصص ، ويوم الثلثاء من أوّل سورة العنكبوت إلى آخر سورة ص ، ويوم الأربعاء من سورة الزمر إلى آخر سورة الرحمن ، ويوم الخميس من سورة الواقعة إلى آخر القرآن العظيم ، فإذا ختم يسجد ، ويسأل الله تعالى حاجته ، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى .

وأمّا الاستغاثات : فمنها :

إليـك فـانـت الـعـالـم الـشكوى ... وأنت الّذي تدري السّرائر والنجوى
سـألـتـك بالكتب التي منك أنزلت ... وبـالـمـرسلين المنقذين من البلوى
وبـالـعـلـمـاء الـعـامـلين بعلمهم ... وبـالأولـيـاء الـسالمين مِنَ الدّعوى
وبـالـبيت والمسعى وزمزم والصّفا ... وبـالـحـرمـيـن الآمـنين من الأسرا
وبـالمسجد الأقصى وبالجبل الّذي ... تـحـط عـلـيـه السيئات كما يروى
تـقـيـض لـي رزقـاً حلالاً بلا عنا ... وتـرزقني العلم الشريف مع التقوى
وتـحـفـظني من شر خلقك والزنا ... ومـن شـر شيطان ونفس وما هوى
وتـقـبـضـنـي عـنـد مماتي مسلماً ... وتـدخـلـنـي يـا ربنا جنة المأوى
وصل على المختار ما هبّت الصبا ... ومـا هـام مشتقاق إلى نحوه ألوى
كذا الآل والأصحاب ما لاح كوكب ... ومـا فـاح عـطر ثم علم لهم يروى

ومنها الاستغاثة عن سيدي محمد البكري رحمه الله وهي :

يا رب عالم السرائر يا من ... هو لا غيره اللطيف الخبير
أدرك عبدًا ذليلاً حقيراً ... مستجيراً وما سواك المجير
ربّ إني كما ترى وانكساري ... أنت جبْري وأنت نعم النصير
حاشا الله أن أضام وأني ... لك مني مما أخاف أشير
أه أو أه يا إلهي وحسبي ... وملاذي ما لي سواك نصير
إن تكن شدتي لذنبٍ فكم لي ... من ذنوب وأنت رب غفور
أنا في شدة ففرِّجْ ففرِّجْ ... أنا في وهمها ذليل أسير
قد توسّلت بالنبي وحسبي ... إنه المصطفى البشير النذير
فعليه يا رب صل وسلم ... ما أميطت غياهبٌ وستور

ومنها الاستغاثة المنقولة عن الجلال السيوطي رحمه الله تعالى :

يا من إليه بجوده أتوسّل ... وعليه في كلّ الأمور أعول
أدعوك يا ربّ تضرعاً ذليلاً ... فإذا رددت يدي فمن ذا أسأل
قد قادني أملي إليك ودلني ... جود عليك وفاقة وتذلّل
وعلمتُ أنك لا تخيب آملا ... أضحى لجودك يا كريم يؤمّل
فبنور وجهك كن لذنبي غافراً ... فعليك في غفرانه أتوكّل
يا رب ما زال لطف يشملني ... وقد تجدّد بي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرماً ... فمن سواك لهذا العبد يرحمه

ومنها استغاثة مباركة ، ما دعا بها أحد في حاجة إلا قضيت ، ولا توسل بها مريض إلا شفي بإذن الله تعالى وهي هذه :

يـا من يـرى ما في الضمير ويسمع　　أنـت الـمـعـدّ لـكـل مـا يـتـوقـع
يـا مـن يـرجـى لـلـشـدائـد كلها　　يـا مـن إلـيـه الـمـشتكى والمفزع
يـا مـن خـزائـن رزقه في قول كن　　أمـنـن فـإن الـخـيـر عندك أجمع
مـا لـي سـوى فـقري إليك وسيلة　　فـبـالافـتـقـار إلـيـك فـقري أدفع
مـالـي سـوى قـرعـي لبابك حيلة　　فـلـئـن رددت فـأي بـاب أقـرع
ومـن الـذي أدعـو وأهـتف باسمه　　إن كـان فـضـلـك عـن فـقير يمنع
حـاشـا لـجـودك إن يـقنط عاصياً　　الـفـضـل أجـزل والمواهب أوسع
ثـم الـصـلاة عـلـى الـنـبـي وآلـه　　خـيـر الأنـام ومـن بـه يـتـشـفـع

ومنها **استغاثة مباركة** من كررها في جوف الليل استجاب الله دعائه ، وهي هذه :

ليست ثوب الرجا والناس قد رقدوا　　وبـتُّ أشـكـوا إلـى مـولاي ما أجد
وقـلـت يـا أمـلـي فـي كـل نـائبة　　ومـن عـلـيـه لـكشف الضر أعتمد
أشـكـو إلـيـك أمـوراً أنت تعلمها　　مـا لـي عـلـى حملها صَبْرٌ ولا جَلَدُ
وقـد مـددت يـدي بـالـذل مفتقراً　　إلـيـك يـا خـيـر من مدّت إليه يد
فـلا تـردّنـهـا يـا رب خـائـبـة　　فـبـحـر جـودك يـروي كل من يرد

وفيها إشارة إلى قول النبي ﷺ : « إن الله حيّ كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه كفيه ثم يردّهما صفراً خائبين » . انتهى .

ومنها :

إلـيـك رسـول الله أشـكـو نـوائـباً　　مـن الـدهـر لا يقوى لها المتحمل
وإنـي لأرجـو أنـهـا بـك تنجلي　　فـإنـك لـي جاه وحصن ومعقل .

ثم تقول :

يا رسـول الله أنت عمدتي　　فأغثني في شدّتي ألف مرة

فائدة

قال بعض العلماء : من كانت له عند الله حاجة فليواظب على هذه الأبيات ، ويكررّها في جميع أوقاته ، فإنها مجرّبة لقضاء الحاجات وهي هذه :

يـا ربّ هـيّـئ لـنـا من أمرنا رشداً ... واجـعـل مـعونتك الحسي لنا مددا

ولا تـكـلـنـا إلـى تـدبـيـر أنـفسنا ... فـالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا

أنـت الـعليم وقد وجّهت من أملي ... إلـى رجـائـك وجـهـاً سائلاً ويدا

ولـلـرجـاء ثـواب أنـت تـعـلـمـه ... فـاجـعل ثوابي دوام الستر لي أبداً

ونقل عن سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن من قال هذين البيتين (أربعاً وثمانين) مرة فرّج الله كربه :

أيُـدركـنـي ضَـيْـمٌ وأنت ذخيرتي ... وأظـلـم فـي الـدنيا وأنت نصيري

وعـار عـلى راع الحمى وهو قادر ... إذا ضـاع فـي الـبـيـد أعقال بعير

انتهى « فتح الملك المجيد » ٤٠ .

ومنها قرائة السبع المنجيات ، وهنّ : سورة السجدة ، وسورة يس ، وسورة الدخان ، وسورة الواقعة ، وسورة الملك ، وسورة هل أتى ، وسورة البروج ؛ كذا قاله بعض العلماء ،

وقال : من داوم على قرائتهنّ صباحاً ومساء أمن من جميع الفتن ، ونجى من جميع الآفات ، وناهيك تسميتهنّ المنجيات . انتهى عبارته ١٦ **(منه)** .

فائدة

منقولة عن بعض العلماء المحققين أنه قال : مما جرب لإذهاب الخوف والفزع والهمّ والغم أن يكتب بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ هاتان الآيتان ؛ الأولى من سورة آل عمران وهي : ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ**

﴿ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلصُّدُورِ ﴾ ، والثانية : من سورة الفتح ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر السورة . ثم يحملان ، فمن حملها بارك الله في جميع أحواله ، ونصره على أعدائه ، وفرج الله عنه كلّ غم وهمّ ، وهما ينفعان للأمراض الباطنة ، وكلّ ألم يحدث في بدن الإنسان . انتهى .

فائدة جليلة

للخوف والفزع من قطاع الطريق وغيرهم ، قال بعض الصالحين وهو : محمد بن سيرن كما قال بعضهم : نزلنا في بعض الأسفار بنهري تبري ، فأتانا قوم ، فقالوا لنا : كلّ من نزل في هذا الموضع قتل ونهب متاعه أو سرق ، فرحل جميع أصحابي من الخوف ، فتخلّفت أنا لحديث سمعته من ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ ثلاثاً وثلاثين آية من كتاب الله تعالى لم يضرّه في تلك الليلة سبع ضارّ ، ولا لصّ عاد ، وعوفي في نفسه وماله وولده حتى يصبح » فلما أمسيت قرأتها فلم أنم حتى رأيت جماعة قد جاؤوني بسيوف يدنون منّي ، فلم يصلوا إليّ ، فلما أصبحت جائني منهم شيخ راكباً على فرس ومعه قوس عربية وقال لي : يا هذا إنسي أم جني ؟ فقلت : بل إنسي من بني آدم ، فقال ما بالك قد آتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة لنقتلك ونأخذ متاعك فيحال بيننا وبينك سور من حديد فتعجبنا من ذلك ؟ فقلت له : حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ ثلاثاً وثلاثين آية من كتاب الله تعالى في ليلة لم يضره سبع ضار ولا لصّ عاد ، ويكون في أمان الله تعالى إلى الصباح » فلما سمع ذلك مني نزل عن فرسه وكسر قوسه ، وقبّل رأسي ، وأعطى الله عهداً على أن لا يعود أبداً إلى ما كان فيه من السرقة وقطع الطريق .

وهذه الآيات المذكورة أربع آيات من أوّل البقرة إلى قوله : ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، وآية الكرسيّ ، وآيتان بعدها إلى قوله : ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ ،

وثلاث آيات من آخر البقرة ، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ، إلى آخر السورة ، وثلاثة من الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وآخر الإسراء ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ إلى آخرها ، وبسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ لَّازِبٍ ﴾ وآيتان من سورة الرحمن ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ ، وأربع آيات من آخر الحشر : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ إلى آخر السورة ، ومن سورة : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَطَطًا ﴾ كذا ذكره اليافعيّ .

وفي غيره : ومن آخر الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إلى آخرها ، ومن سورة الجنّ : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَدًا ﴾ .

واعلم أنّ هذه الآيات تسمّى آيات الحرس والحرز . ويقال : أن فيها شفاء من مائة داء مثل الجزام والبرص ، ومنافعها لا تُعدُّ ولا تحصى . وروي عن محمد بن علي رضي الله عنهما قال : قرأتها على شيخ قد أفلج فاذهب الله عنه ذلك ببركتها ، وهي حجابٌ عظيم ، وحرز جسيم ، ومن قرأها عند جبّار أمن من شره .

قال بعض العارفين : وينبغي أن يضاف إليها هذه الآيات أيضاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية ، وأوّل سورة الحديد إلى قوله : ﴿ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وآخر سورة التوبة : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ إلى آخرها . « فتح الملك المجيد » عبارته ٢٧ .

اعلم – وفقني الله وإيّاك – أن من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو كان في كرب أو همّ أو نزلت مصيبة فليقم في جوف الليل ويتوضأ ويصلي ركعتين ممّا تيسر من القرآن ، فإذا سلّم من صلاته وهو مستقبل القبلة صلّى على رسول الله ﷺ ألف مرة يقول : اللهمّ صلّ وسلّم على سيّدنا ومولانا محمد ، صلاة تحلّ بها عقدتي ، وتفرج بها كربتي ، وتنقذني بها من وحلتي ، وتقيل بها عثرتي ، وتقضي بها حاجتي ، فإن الله يفرج عنه ما نزل به ، فشدّ يدك على هذه الذخيرة ، فمنافعها كثيرة . قاله العلامة

السّنوسي في « مجرّباته » . انتهى منه ٢٨ .

ومنها : قراءة سورة الأنعام ، فهي من المجرّب عندنا ، فهي سورة جليلة ظهرت بركتها ، واشتهر فضلها في النصر على الأعداء وهلاكهم ، فعليك بالإكثار من قرائتها بقصد ذلك ، وبالدعاء بين الجلالتين بهذا الدعاء ، وهو : إلهي من الذي دعاك فلم تجبه ، ومن الذي سألك فلم تعطه ، ومن الذي استغاث بك فلم تغثه ، ومن الذي توكل عليك فلم تكفه ، وا غوثاه (ثلاث مرات) أغثنا يا مغيث ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا ما نحن أهله ، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة ، يا سريع الحساب ، يا شديد العقاب ، يا غفور ، يا رحيم ، يا فالق الحبّ والنوى ، يا مفتّح الأبواب ، يا مقيل العثرات ، يا وليّ الحسنات ، يا قاضي الحاجات اقض حوائجنا ، واشف مرضانا ، وارحم موتانا ، واستجب دعوانا ، وتب على أحيانا ، اللهم اغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات برحمتك يا أرحم الراحمين .

ويأتي بهذا الدعاء بعد الفراغ من السورة : بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم يا سريع الحساب ، يا شديد العقاب ، يا غفور ، يا رحيم ، يا فالق الإصباح ، يا مفتح الأبواب ، يا مسبّب الأسباب ، يا غافر الخطايا ، يا ساتر العورات ، يا مانع البليّات ، يا مقيل العثرات ، يا محي الأموات ، اقض حاجتي ، وهي كذا وكذا ، يا إله الأوّلين والآخرين ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . « فتح الملك المجيد » ٢٢ .

ومنها : قراءة قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ الآية ، لمن عجز عن تحصيل المطلوب ، وتذهيب المرهوب ، وكشف الهموم ، ورفع الغموم ، والتخليص عن المظلوم ، والنصر على الأعداء ، وقضاء دين ، أو غير ذلك ممّا كان على مقتضى الشرع ، فليقرأ هذه الآية المذكورة ألفاً ومائة وثلاثاً وخمسين مرة بعددها على الدوام في الأيّام أو في الليالي على

نية خالصة متوجهاً إلى الله تعالى ، ومستشفعاً بالنبي ﷺ ومستمدّاً بأرواح المشائخ ، فينال مطلوبه ، ويدرك غرضه بلا شك ولا شبهة فيها ، مجرّب ، واللهِ مجرّب . « خزينة الأسرار » راجعه ٧٦ .

ومنها : ما روي عن بعض العارفين أنه قال : من أراد أن يكفيه الله شرّ خلقه وييسّر عليه رزقه ويلقي محبّته في قلوب خليقته ، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً ، فليقرأ في كلّ يوم : حسبنا الله ونعم الوكيل عدد حروفها ، وهي (٤٥٠) مرة ، ثم يقرأ بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ (٧ مرات) ، وفي المرة السابعة يقول : ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ ، ومن داوم على ذلك كان له سرّ عجيب في تسهيل العسر . راجع كتاب « شرح حسبنا الله ونعم الوكيل » في ٢٩ من خط شيخنا قدس سرّه ، هذا من المجرّب عندنا ، فاحفظه ، فإنه عجيب في هذا الأمر .

ومنها : آيات الحجاب وهي : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . راجع « مفتاح السّعادة » في ٥٨ انتهى من خط شيخنا المذكور .

ومما كتبه إلينا أيضاً ما نصّه : اللهمّ إني أنزلت بك ما يهمني من أمور الدنيا والآخرة ، فإنه لا يرفع البلاء إلا من أنزله . راجع « لطائف المنن » والسلام والوصيّة بالدعاء ، الظن الغالب أن لا يرانا الله ما يرى غيرنا إن شاء الله . انتهى من خطّه ، والحمد لله على ذلك .

ومما كتبه إلينا بخطّه لتفريج الكرب هذه الآية ، ونحن استعملناها من ذلك الزمان ، ورأينا بركتها وهي ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ . انتهى من خطه .

ومنها : قراءة هذه الأبيات المذكورة بعد ، بعددها : وسألتك بالاسم المعظم قدره باج أهوج جلجلوت هلهلت ، من واظب على قراءته في كل يوم خمسة عشر مرّات فاض رزقه ، وانبسط سرائره وأشرق وجهه بالنور ، وأطال عمره وانعقدت ألسنة أعدائه عنه ، راجع شرح « الجلجلوت » للشيخ أبي حامد الإمام الغزالي قدس سرّه في ٥٢٨ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج ١ :

علـيَّ ضـيـاء مـن بـوارق نـوره فـلاح عـلى وجهي ضياء فأبرقت

ومن قرأ البيت وحده كلّ يوم (سبعة وعشرين مرّة) أحجبه الله عن أعدائه وحسّاده ، ويظفر على أعدائه وينصر عليهم . انتهى عينه راجعه في ٥٣٠ .

فـصُـبَّ عـلـيّ شـآبـيـب رحـمة بـحـكمة مـولانـا العظيم فانطقت

هذا البيت من قرأ في كلّ يوم سبعة وأربعين مرة في الصباح وفي المساء تفجرت من قلبه الحكمة ، وانجلت عنه الظلمة ، ونطق بالغيب ، وكان من أصحاب الكشف والأسرار . راجعه في ٥٣١ .

أحـاطـت بـي الأنوار من كل جهة وهـيـبـة مـولانـا الـعظيم بنا علت

هذا البيت من قرأه سبع مرات قبالة حاكم أو ظالم أو جبّار أو سلطان خضع له ، وقضى حوائجه ، وإن قرأه لأيّ حاجة قضيت بإذن الله . انتهى ٥٣٢ .

ألا وألـبـسـنـي هـيـبـة وجـلالـة وكـف يـد الأعـداء عـني بغلمهت

من قرأ هذا البيت كل يوم خمس مرات فإنه يكون في حرز الله وحصنه من جميع الأعداء والماكرين والغادرين والضاربين والناظرين بسوء . انتهى عبارته ٥٣٤ .

وخلّصني من كلّ هول وشدة　　فأنت رجاء القلب الكسير من الخبت

هذا البيت من قرأه سبعة عشر مرّة خلصه من الشدائد ، ونجاه من مصائب الدنيا والآخرة . راجعه في ٥٣٨ .

نرد بك الأعداء من كلّ وجهة　　وبالاسم ترميهم من البعد بالشتت

هذا البيت ، من قرأه في وجه أعدائه (ثلاث مرات) أو في وجوه القوم العادية إلا فرّقهم وبرد شملهم وعمى أبصارهم ، وإن كتبه ثلاث مرات والخطيب على المنبر يوم الجمعة ، ويحمله على زراعه ، ويدخل الحرب والمعركة فلا يستطيعه أحدٌ الوقوف بين يديه ، وتعقد عنه آلات الحديد والسلاح والسيوف والرمّاح ، ويكون مهاباً ذو عز وشرف بإذن الله تعالى . راجعه في ٥٤٣ . وفيه زوائد أخرى أعرضتها خوف الإملال ، إن أردت الزيادة اطلبها منه ، والسلام .

فائدة

إذا دخلت على من يخاف شرّه إقرأ كهيعص ، وحمعسق ويعقد لكلّ حرف من هذه الحروف العشرة إصبعاً من أصابع يديه بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهامها اليسرى ، فإذا فرغ من عقد جميع الأصابع قرأ في نفسه سورة الفيل ، فإذا وصل إلى قوله ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ كرّر لفظ ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ عشر مرات يفتح في كلّ مرّة إصبعاً من الأصابع المعقودة فإذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرّب عجيب من عين « تاريخ إسحق » راجعه .

فمن الفوائد لمقابلة الحكام ودفع ضررهم ، وإطفاء غضبهم ونحو ذلك أن تقرأ عند المقابلة بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ إلى ﴿ يَرْهَبُونَ ﴾ ثم تقول : اللهمّ أسألك بهيبة عظمتك وبسطوة جلالك أن تجعل محبّتي في قلب هذا أو

فلان وألف المودّة والمحبة في قلبه وعطّفه عليّ بفضلك يا كريم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم وذلك مجرّب .

ومنها : أن تقرأ قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ .

ومنها : أن تقول عند الدخول : ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أطفأت غضبك بلا إله إلا الله واستجلبت رضاك بلا إله إلاّ الله واستقضيت حوائجي منك بلا إله إلا الله .

ومنها : لمن غضب عليه سلطان أو ذو جاه أن يقرأ عند دخوله عليه هذه الآية : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ إلى ﴿يَرۡهَبُونَ﴾ ثم يقول أطفأت غضب فلان بلا إله إلا الله واستجلبت مودته بسيدنا محمد رسول الله ﷺ .

ومنها : لمن عرضت له حاجة عند أحد أن يقرأ في ذهابه : ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ إلى ﴿قَضَىٰهَا﴾ يقول ذلك سبعاً ، فإن الله ييسر قضاءه .

ومنها : إذا خفت من حاكم أن يجور عليك في حكمه ، فاقرأ عند دخولك عليه هذه الآيات سبع مرات وهي ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ثم تقول : الله غالب ثلاثاً ، فإن الله يكفيك شره .

ومنها : إذا خفت من حاكم أو غيره أن تقول : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كفيت ، (حمعسق حميت) ، وأن تقبض مع كلّ حرف إصبعاً من أصابع اليد اليمنى من كهيعص ، ومع كلّ حرف إصبعاً من اليد اليسرى من (حمعسق) ، ثم تفتح يديك في وجهه ، فإنّك تأمن من شره ولا ترى منه

مكروهاً بإذن الله تعالى . **ومنها** : إذا خاف من ظالم ، أو سبع أن يقرأ عند خروجه من منزله فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وسورة القدر ، وقريش ، والمعوذتين ، ويكرر ذكر الله بقلبه ولسانه ، ثم يمضي لشأنه يحصل له المراد .

ومن الفوائد النافعة لاستعطاف القلوب أن تقرأ في النصف الأخير من ليلة الجمعة قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ثلاثين مرّة وتقول في آخر كلّ مرّة : اللهمّ يا ربّ أنت حسبي على فلان بن فلانة عطّفْ قلبه عليّ وذلِّلْهُ لي فإنّ الله تعالى يعطف قلبه عليك ويمنع كيده عنك والله على كلّ شيء قدير .

وقال بعضهم : إذا أردت ذلك تقوم نصف الليل الأخير من ليلة الجمعة وتصلّي ركعتين خفيفتين ثم تقرأ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ . . إلخ . ثلاثين مرة ثم تصلّي على النبيّ ﷺ مائة مرة ثم تقول : اللهمّ حبّب إلى فلان بن فلانة حتى يأتي لي خاضعاً ذليلاً من غير مهلة واشغله بمحبّتي إنّك على كلّ شيء قدير . راجع « الفتح الملك المجيد » في ٣٠ .

وفيه أيضاً ما نصّه :

فائدة

عن بعض الثقات من أهل اليمن قال : إذا كنت مسافراً فوجدت حرباً أو معركة أو لصّاً أو جبّاراً فاقرأ سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ واضرب بيدك على الأرض وارم بالتراب في وجه العدوّ ، وامسح بيدك على رأسك ثم اقرأ قوله تعالى : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ حلف الراوي إيماناً مؤكدة أنه وجد الحرب نهاراً ففعل ذلك وقعد تحت شجرة وأنهم وصلوا إليه ولم يروه ، وقال بعضهم لبعض : الساعة كان هنا فاحتفظ بذلك فإنه من الأسرار . انتهى في ٥٥ .

ومنها لخلاص المسجون: دعاء الطير الّذي علّمه الأسير في بلاد الروم ونصّ ما في « حياة الحيوان الكبرى » هذا : **فائدة** روى ابن بشكوال بسند إلى أحمد بن محمد العطاري عن أبيه قال : كان لنا جار فأسر وأقام في الأسر عشرين سنة وأيس أن يرى أهْله قال : فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلّفت من صبياني وأبكي إذاً أنا بطائر سقط فوق

حائط السجن يدعو هذا الدّعاء ، قال : فتعلّمته من الطائر ثم دَعوْت الله ثلث ليال متتابعات ، ثم نمت فما استيقضْتُ إلاّ وأنا في بلدي فوق سطح داري ، قال فنزلت إلى عيالي فسرّوا بي بَعْد أن فزعوا منّي لما رأوني ، ورأوْ ما بي من تغيّر الهيئة والحال ثم إني حججت من عامي فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء إذاً أنا بشيخ قد ضرب يَده على يَدي وقال : من أين لك هذا الدّعاء فإن هذا الدّعاء لا يدعو به إلاّ طائر ببلاد الرّوم متعلّق بهواء ؟ فحَدثته بقصّتي وبما جرى عليّ وأني كنت أسيراً ببلاد الروم وتعلّمت الدعاء من الطائر ، فقال : صدقت ، فسألتُ الشيخ عن اسمه ، فقال : أنا الخضر . وهو هذا الدعاء : اللهمّ إني أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يَصفه الواصفون ، ولا تغيّره الحوادث ولا الدهور ، يعلم مثاقيل الجبال ومكائيل البحار ، وعدد قطر الأمْطار ، وعَدد ورَق الأشجار ، وعَدد ما يظلم عليه اللّيل ويشرق عَليه النّهار ، ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا جَبَل ، إلاّ يعْلم ما في وعره ، وسهْله ، ولا بحر إلاّ يَعْلم ما في قعْره وساحله . اللهمّ إني أسئلك أن تجعَل خير عمري آخره ، وخير عَملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك فيه ، إنك على كلّ شيئ قدير ، أللهمّ من عاداني فعاده ، ومن كادَني فكدْه ، ومَنْ بغى عليّ بهَلكة فأهلكهُ ، ومن أرادني بسوء فخذه واطف عني نار من اشبّ لي ناره واكفني همّ مَنْ أدخل عليّ همه ، وأدْخلني في درعك الحَصينة ، واسترني بسترك الوَاقي ، يا من كفاني كلّ شيء اكفني مَا أهمّني من أمر الدنيا والآخرة ، وصدّق قوْلي وفعْلي بالتحقيق ، يا شفيق يَا رَفيق فرّج عنّي كلّ ضيق ، ولا تحمّلني مَا لا

أطيق أنت إلهي الحق الحقيق ، يَا مشرق البرهان ، يَا قوي الأركان يا من رحمته في كلّ مَكان ، وفي هذا المكان يا مَنْ لا يخلو منه مَكان اُحْرسنِي بعَيْنك الّتي لا تنام ، واكفني في كنفك الّذي لا يُرام ، إنه قد تيقن قلبي أن لا إله إلا أنت ، وأني لا أهْلَكُ وَأنت مَعي ، يَا رجائي فَارْحَمْني بقُدْرتك عَليّ يا عظيماً يُرْجَى لكل عظيم يا عَليم يا حَليم أنت بحَاجتي عليم وعَلى خلاصي قدير وهُوَ عليك يسير ، فامنن عَليّ بقضائها يا أكرم الأكرمين ، ويا أجْود الأجْودين ، ويا أسرع الحاسبين ، يَا ربّ العَالمين ارحمني وارحم جميع المذنبين من أمة محمّد ﷺ إنك على كل شيئ قدير ، اللهمّ استجبْ لنا كما استجبت لهم برحمتك عجّل عَلينا بفرج من عندك بجوُدك وكرَمك وارتفاعك في علوّ سمائك يَا أرحم الراحمين إنك على ما تشاء قدير وصلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم النبيّين وعَلى آله وصَحْبه أجمعين .

وهذا الدعاء روى الطبراني بإسناد صحيح قطعة منه عن أنس أن النبيّ صَلَى الله عليه وسلّم مرّ بأعْرابي وهو يدعو في صلاته ويقول : يا من لا تراه العيُون ولا تخالطه الظنون ولا يَصفه الوَاصفون ، ولا تغيّرالحَوادث ، ولا يخشى الدّوائر ، يَعْلم مثاقيل الجبَال ، ومكاييلَ البحَار ، وعَدد قطر الأمْطَار ، وعَدد ورَق الأشجَار ، وعَدد مَا أظلم عليه اللّيْل ، وأشرق عَليه النّهار ، ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرْضاً ، ولا بحر ، إلا يعْلم مَا في قعْره ، ولا جَبلٌ إلا يَعْلم مَا في وَعْره ، اجْعَل خير عمري آخره ، وخير عَملي خواتمه ، وخير أيّامي يوم ألقاك فيه ، فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابيّ رجلاً فقال : « إذا فرغ من صلاته فأتني به » ، فلما قضى صَلاته أتاه به وقد كان أهْدي لرسول الله ﷺ ذهبٌ من بعْض المعادن ، فلمّا أتى الأعْرابي وهَبَ لهُ الذهب وقال : « ممّن أنت يَا أعْرابيّ » قال : من بني عَامر بن صعصعة ، فقال ﷺ : « هَلْ تدري لم وهبت لك هذا الذهب » قال : للرحم التي بيننا وبينك يَا رسول الله ، قال ﷺ : « إن للرحم حقاً ، ولكن وهبْت لك الذهب لحسن ثنائك عَلى الله عزّ وجَلّ » . انتهى عبارته ٨٣ من الجلد الثاني .

ومنها ما هُوَ المجرّبُ عندنا وعند إخواننا وهُوَ مَا في « زيل التذكرة » من أن بسْم الله الرّحمن الرّحيم إذا تلاهَا المسجُون ، أوْ تليت له ثلاثة أيام كلّ ليْلة وكلّ يَوْم ألف مرّة خلّصَهُ الله تعالى ولو كان في قفل . راجعه ٨٩ .

وفي « خزينة الأسرار » : بلا تعيين الأيَام هكذا : وإن قرأها المحبوس أو المسجوُن أو المكروُبُ فرّج الله كربه وخلّصَ من سجنه وإن وجَب عَليْه القتل وهُوَ تقرأ كلّ يوْم ألف مرّة ليْلاً وَنهارًا ، وكذا يقرأ العَدد المذكور في جَلب المحبّة والمودّة بَيْن الخلاَئق عَلى قدح ماء المطر وسَقاه لمن يريد فإنه يتحَاب خصوصًا إذا سقى البَليد من ذلك الماء كلّ يَوْم إلى سبعة أيّام عند طلوع الشمس زالت عنه البَلادَة ويَحْفظ مَا سمعهُ . . إلخ . ومن دَاوَم على قرائتها كلّ يَوْم ألف مرّة قضى منه حَاجتهُ باليُسر في الدنيا وَالآخرة . انتهى رَاجعْهُ في ٨٤ . وخرج ابن السنى والدّيلمي عن ﵁ عنه مرفوعًا إذا وقعت في وَرْطة فَقُلْ : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العَليّ العظيم فإنّ الله يَصْرف بهَا مَا يشاء من أنواع البَلايَا . وروي عن ابن عباس رَضيَ الله عنهُمَا أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قال بسم الله الرّحمن الرّحيم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العَليّ العظيم صرَف الله سَبْعين بَابًا من أنواع البَلايَا والهمّ والغم واللمم » ، كذا في « الدرر المنثور » . انتهى راجعه في ٧٩ . **وفيه** أيضاً إن من قرأها في وَجْه ظالم أوْ حاكم جَائر خمسين مرّة ذلّ له وخشعَ لهُ ودَخل رعبٌ في قلبه وألقى علىَ القارئ هيبة وأمِنَ من شرُورهم رَاجعْه في ٨٤ .

وفيه أيضاً : أنّ من قرأ سُورة « الكوْثر » ثلثمائة مرّة في موضع خال بنيّة النصر على الأعداء نصَره الله عليْهم وظفر بهمْ ، وكذا يقرأ لإخراج المسجُون وفصْل الحكم ، والدعوى ، فإن قرأها ألفاً يحْصُل المطلوب سريعًا كذا في « بحر المعَارف » . فيقول الفقير أيّده الله القدير : أخبرني الشيخ الحَاجّي محمد الموصلي والشيخ يعقوب مكةَ نفعَنا الله بهَما آمين قرائة سورة الكوثر لكلّ مطلوب ألف مرّة خصُوصاً في جلب الأرزاق والمال ،

وطلب الجاه والمراتب ، وغيْرهَا لفعْل الخيرات وظهور التجلّيات انتهى .
قال الإمام التميمي رحمه الله تعالى : من أدْمَن على قرائة إنا أنزلناه رق قلبه وخشع لرَبّه وثبت عَلى الطاعَة ، وإذا قرأت عند نزول المطر مائة مرّة ودعا القارئ بمَا يحب من أمر الدنيا والآخرة يستجَاب لهُ دعائه علىَ الفور ، وهُوَ من المجرّبات ، ومن قرأهَا عَلى عين مَاء انقطع مَائهُ ونقصَ جَرْيُها في كلّ يوم سبع مرّات عزر مَائهَا وكثر . انتهى « خزينة الأسرار » عبارته ٥٩ .

ومنها مَا في « فتح الملك المجيد » وهُوَ أن قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ إلى ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إن كتبها من طال سجنه وهُوَ مظلوم وله عدُوّ وعَلّقها على عضده الأيمن وكثر من قرائتهَا خلص بإذن الله تعالى . راجعه في ٢٢ .

ومنها آية خلاَص المسجون ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . انتهى ٣٦ .

فائدة

آيَة قضاء الحوائج قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ، وآية الإخفاء عن أعيُن الظلمة قولهُ تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ . كذا في « فتح الملك المجيد » . ومَنْ أرَادَ إهْلاَك ظالم أوْ جبّارٍ فليُصل الصّبح ويقول وهُوَ جالس قبل أن يتكلم : بسم الله الرّحمن الرّحيم ولا حَول ولا قوة إلاّ بالله العَليّ العظيم ، يا قديم يا قائم يَا دَائم يَا فرد يَا وتر يَا أحد يَا صَمدُ يَا حيّ يَا قيّوم يا كريم يا رحيم يا سند من لا سند لهُ يا من إليه المستند يا مَنْ لم يلد ولم يُولد ولم يكن لهُ كفواً أحد يا ذا الجلال والإكرام مائة مرّة وسَأل الله تعالى حَاجته قضيت في الوقت خصُوصاً إذا دعا على ظالم أوْ جبّار ، ويحصُل المطلوب ، ومَنْ حصَل لهُ كرب ، فليُصَلّ ركعتين لله تعالى ويقُول بَعْد ذلك : حسبنا الله ونعم الوكيل أرْبَعَمائة وخمسين مرّة فان الله يفرج كرْبَه ، ولا يخفى عليك ما تقدم من الآيَات والسور فلا تغفل عنه .

ومنَ الفوائد المجرّبة لهلاك الظالم وهُوَ مجرّب صحيحٌ لا شك فيه فاتق الله تعالى فيه لأنّه من الأعْمال الجليلة المهلكة في الوقت والساعة ، فإذا أردت ذلك في عدُوّ الدّين تصُوم لله ثلثة أيام مجتنباً كلّ ذي رُوح وما خرج من روح مُدّة الصيام ، وفي اليوْم الثالث تأخذ ألف حَصْوة من الملح وتقرأ على كلّ حَصْوة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ بغير بسمَلة مرّة وَاحدة إلى أن تكمل مائة حَصْوة ، وعَلى كل رأس كلّ مائة تقرأ الدّعاء مرّة وهكذا تفعَل إلى أن تتم الألف ، ثم تلفهم في خرقة بَيْضاء وترميَها في بئر أو نهر أو أيّ مكان فإنه يهلك لوقته جرّب وصَحّ ، واعْلم أنه كما يستجاب لك يستجاب عَليْك والسلام ، فهلاكه موقوف على إذابة الملح وهذه العزيمة التي تقرأ عَلى رأس كلّ مائة تقول : اللهمّ أهلك عدوّي فلان بن فلانة كما أهلكت أعْداء الأنبيَاء والمرسلين ، واقهر فلاناً بن فلانة في هذه السَّاعة ، اللهمّ يَا قاهر يَا ذا البطش الشديد يَا فعَّال لما يُريد ، اللهمّ أهْلك عَدوّي فلان بن فلانة بحق سورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ وبحرُوف ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ وبكلمات ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ اللهمّ بسرّ أنبيَائك ورُسلك وبسرّ حبيبك محمّد عليه أفضل الصّلاة والسّلام ، وبسرّ قهْر جلالك وبسرّ جيد أسمائك ، وما أنزلته في كتابك مَالك رقاب جميع العبَاد فإنك قلتَ وقولك الحق ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ إنك لا تخلف الميعاد يا قاضي الحاجَات يا مجيبَ الدّعوات يا قادر ، يَا قاهِر ، يَا كبير فإنك عَلى كلّ شيء قدير . انتهى عبارته ٣٤ من « فتح الملك المجيد » .

فائدة

قال صَاحبُ « الدرر النظيم » مَا لفظهُ : إنّ من أسرار الله لكلّ من أهمّه أمرٌ من الأمُور أوْ نزل كرب إمَّا بسبب في الدين أو الدنيا مما لا بُدّ منه أن يتطهّر عند المغرب من ليلة الجُمْعة ويَعْكف نفسه لله في صَلاته ولا يتكلم أحدًا حتّى يصلّي العشاء الأخيرة فإذا أوتر قال في آخر سجْدة من

وَتره : يَا أَللهُ يَا ربّ يَا رحمن يَا رحيم يَا حيّ يَا قيّوم بك أستغيث يَا الله . يقول ذلك مائة مرّة ، ثم يسأل الله حَاجته تقضى ويجتنب أن يدعو بهلاك مسلم ، أوْ عَلى مضرة .

وَرَوى الترمذي عنه عَليْه الصلاة والسلام أنه : « كان إذا أكربهُ أمرٌ قال : يَا حيّ يَا قيّوم بك أستغيث » قال الحاكم : هذا صَحيحُ الإسناد . وفيه ؛ كان إذا أهمّه الأمْر رفع رأسه إلى السماء فقال « سبحَان الله العظيم » وإذا اجتهدَ في الدعاء قال : « يا حيّ يَا قيّومُ برَحْمتك أستغيث » . انتهى عبارته ١٤٢ . وفيه أيضاً : مَا نصّه اللطيفة الأُولى ١١ اسمًا أمَان للخائفين والمستوحشين وإطلاق المسجُونين **الواحدْ الله الرّحمنْ الرّحيمْ الرؤوف الغفار المنان الكريم ذو الطول ذوالجلال والإكرام** . منه عبارته ٢٢ من سورة « الأعراف » .

وفيه أيضاً مَا حَاصلهُ : إن هذه الآيات الخمس المذكُورة بَعْدُ لزوال الهمّ والغم ودفع كيْد الكائدين ، وهي خمس آيَات متفرّقات فمن أهمّه أمرٌ من أمور الدّنيا أوْ ضاقت عليْه أسبَابه فليَرْجع إلى الله تعالى ويَتوب إليه ويستغفره ٧٠ مرّة ويُصَلّي علَى النبيّ ﷺ ثم يتوضّأ وَيُصَلّي ركعتين يقرأ فيهما بمَا أحبّ من القرآن فإذا سلم جلس ويستغفر الله ويصلي علَى النبي عليه السلام كما فعَل أوّلاً ثم يسجدُ ويقرأ الآيات الخمس ويسأل الله زوال الهمّ والغم وتعجيل الفرج فإن الله يفرج عنه ويزيل عنه الآفات . والآيات الخمس قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إلى قوله : ﴿ٱلْوَكِيلُ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ إلى قوله : ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ إلى قوله : ﴿نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ،وقوله تعالى : ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ . انتهى راجعه في ٢٦٣ .

وفيه أيضاً أن مَنْ اَدْمَن على قراءة سورة الفلق يسرَت له الأرزاق ، وحفظ من شرّ الخلق وحسده ، ومَنْ أدْمَنَ عَلى قرئة سورة الناس كان في عَافية وسلامة ومن قرأها على منظور بَرئ ، ومن قرأهَا على مَريض عُوفي ، وإذا كان محضراً هوّن عليه ، ومن قرأهَا عند نومه أمِنَ من الجنّ والإنس والوسواس ، ومن كتبهَا وعَلّقهَا علَى الصغار حفظوا من الجنّ والهوام ، ومن قرأهَا عند الدخول على السّلاطين والحكام كفى شرّهم وكان بقدرة الله تعالى في أمَان وسلام واطمئنان انتهى « الدرر النظيم في خواصّ القرآن العظيم » لأبي محمّد عَبْد الله بن أسعد اليمني الشافعيّ .

ومنها دُعَاء الأميرين ؛ أخبرنا أخونا الشيخ الإمَام الأجَلّ شيخ الإسلام والمسلمين أبُو المؤيّد أبي الفتح بن أبي نصر بن حرب رحمه الله تعالى ، أخبرنا الشيخُ الإمام أبُو سعيد بن محمّد بن علي أخبرنا الشيخ الإمَام أبو سعد بن سعيد بن محمد بن علي أخ الشيخ أبو الحسن الدّينوري ، أخ الشيخ أبو القسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السّهمي ، أخبرنا أبُو أحمد عبْد الله بن عدي الحافظ لفظاً من كتابة أخ أحمد بن حفص بن عمر بن حَاتم السعدي أخ سويد بن سعيد الأنباري أخ سليمان وهُوَ ابن أبي هوذة أخ سفيان الثوري أخ أخ إبراهيم بن أدهم عن موسى بن يزيد عن أويس القرني عن عمر بن الخطاب وعَلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبْد دعا بهذا الدعاء إلا استجاب الله تعالى له » قال النبيّ ﷺ « والذي بعثني بالحقّ إن دعا بهذا الدعاء على مفاتيح الحديد لذابت » ، قال النبي ﷺ : « والذي بَعثني بالحق إنْ دعا بهذا الدعاء عَلى مَاء جَار يسكن له حتى يمرّ عليه ، والذي بَعثني بالحقّ لو أن رَجُلاً دعا عَلى جبَل بينه وبين موضع يُريده لانثقبَ له الجبَلُ حتى يسلك فيه إلى موضع الذي يُريده ، والذي بَعثني بالحق إن من بَلغ إليه الجُوع والعطش ثم دعا بهذه الأسماء أطعمهُ الله وسقاه ، والّذي بعثني بالحقّ لو دعا رجُلٌ في المدينة بهذه الأسماء والمدينة تحرق ومنزله في وسطها لنجا ولم يحترق ، والّذي بَعثني بالحق لو دعا بهَا

أربعين ليْلة من ليَالي الجمعة غفر الله تعالى له كلّ ذنب بينهُ وبين الأدميّين ، والذي بعثني بالحق من دعا على سلطان جَائر لاستجاب الله تعالى لهُ والذي بعثني بالحق من دعا فرّج الله جميع همُوم الدنيا ، والذي بعثني بالحق من دعا على سلطان جَائر ثم دَخل عليه قبل أن ينظر إليْه جعَل الله تعالى ذلك السلطان طوْعاً بيَده ، والّذي بَعثني بالحق من دعاها ثم نام وهُوَ يدعُو بهَا بَعث الله تعالى بكلّ حرْف مائة ألف ألف مَلَك من الروحانيّين وجوههم أحسن من القمر سبعين ألف جزء ويستغفرون له ويكتبُونَ له الحسنات ويمحو عنه السيئات ويرفعون له الدرجات » قال : قال سلمان الفارسي بأبي أنت وأمّي يَا رسول الله ﷺ أيعطى الرجل بهذه الأسماء هذا كلّه ؟ قال : « يا أبا عَبْد الله لا تخبر الناس حتى أخبرُك بأعظم من هذا » يا نبي الله ولم تأمرني بكتمان هذا ؟ ! قال : « يا أبا عبد الله إني أخشى أن يدعوا العمل ويقتصروا على هذه الأسماء » قال : « يا أبا عبد الله من دعا وقد ارتكب الكبائر كلّها وقد دعا بهذه الأسماء فإن ماتت من ليلته فهو شهيد عند الله تعالى وإن مات بغير توبة » وقال : « يا أبا عبد الله يغفر الله تعالى له ولأهل بيته ومؤذن مسجده وإمامه .

مهم

وهي هذه الأسماء : اللّهمّ إنّك حيّ لا تموت وخالق لا تعاب وبصيرٌ لا تُرتاب وبديعِ لا تفقد وصادق لا تكذب وقاهر لا تغلب وقريب لا تُبعد وقادرٌ لا تضاد وغافر لا تظلم وصمد لا تطعم وقيّومٌ لا تنام ومجيب لا تسام وجبار لا تكلم وعليم لا ترام وعالم لا تعلم وقويّ لا تضعف وعظيم لا توصف ووفيّ لا تخلف وعدل لا تحيف ، وغنيّ لا يفتقر ، وكبير لا تهرم ، وحكيم ، لا تجور ، ومنيع لا تقهر ، ومعروفٌ لا تنكر ، ووكيلٌ لا تُخفر ، وغالبٌ لا تغلب ، ووترٌ لا تستأمر ، وفردٌ لا تستشير ، ووهّاب لا تملّ ، وسريعٌ لا تعجل ، وجواد لا تبخل ، وعزيز لا تذلّ ، وباق لا تبلى ، وواحدٌ لا تشبه ، ومقتدر لا تنازع ، يا كريم الجواد المتكرم ، يا قريب

المجيب المتعال ، يا جليل المجد ، يا سلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتعزز ، يا مَنْ ينادى من كلّ فجّ عميق بألسنة شتى ولغات مختلفة وحوائج أخر ، لا يشغله سمع عن سمع ، أنت الذي لا تغيّرك الأزمنة ولا تحيط بك الأمكنة ، ولا يأخذك نوم ولا سنة ، يسّر لي من أمري ما أخاف عسرته ، وفرّج عني ما أخاف ضيقة ، وسهّل لي ما أخاف حزونته ، سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت ذو الجلال والإكرام ، بديع السموات والأرض ، اللهم أسئلك ولا أسأل غيرك ، وأرغب إليك ولا أرغب غيرك ، وأسئلك أمان الخائفين ، وجار المستجيرين ، الفتاح إلى الخير مقيل العثرات ، ماحي السيئات ، وكاتب الحسنات ، ورافع الدرجات ، وأسئلك بأفضل أسمائك كلّها أعظمها وأنجحها التي لا ينبغي للعباد أن يسئلونك إلا بها ، يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، وبأسمائك الحسنى ، وبأسمائك العلى ، ونعمك التي لا تحصى ، وبأكرم أسمائك عليك ، وأحبها إليك وأشرفها عندك منزلة وأقربها منك وسيلة وأجزلها منك ثواباً وأسرعها منك إجابة وباسمك المخزون الجليل الأجلّ العظيم الأعظم الذي تحبّه وترضى ممّن دعاك به ، وتستجيب له دعائه وحق عليك أن لا تحرم سائلك ، وبكلّ اسم هو لك في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وبكلّ اسم دعاك به حملة عرشك ، وملائكتك ، وأصفيائك من خلقك ، وبحق السائلين عليك والراغبين إليك ، والمتعوّذين بك والمتضرعين إليك وبحق كلّ عبد متعبّد لك في برّ أو بحر أو سهل أو جبل ، وأدعوك دعاء من اشتدّت فاقته ، وعظم جرمه ، وأشرف على الهلكة ، وضعفت قوّته ، ومن لا يثق بشيء من علمه ، ولا يجد لفاقته حيلة ، ولا لذنبه غافر غيرك ولا مستعيناً سواك ، جئت إليك معترفاً غير مستنكف ولا مستكبر عن عبادتك ، بائساً فقيراً مستجيراً ، وأسئلك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، إلهي أنت الربّ وأنا العبد ، وأنت الملك وأنا المملوك ، وأنت العزيز وأنا الذليل ،

وأنت الغني وأنا الفقير ، وأنت الحيّ وأنا الميت ، وأنت الباقي وأنا الفاني ، وأنت المحسن وأنا المسيئ ، وأنت العفوّ وأنا المذنب ، وأنت الرحيم وأنا الخاطئ ، وأنت الخالق وأنا المخلوق ، وأنت القويّ وأنا الضعيف ، وأنت المعطي وأنا السائل ، وأنت المؤمن وأنا الخائف ، وأنت الرزاق وأنا المرزوق ، وأنت أحقُّ من شكوت إليه واستعنته وسألته ورجوته ؛ لأنك كم من مذنب قد غفرت له ، وكم من مسيئ قد تجاوزت عنه ، فاغفر لي وتجاوز عنّي برحمتك يا أرحم الراحمين » . « مفتاح السعادة » .

ومنها **حرز جعفر الصادق** : أخبرنا الشيخ الإمام الأجلّ شيخ الإسلام أبو المؤيّد بن أبي الفتح بن أبي نصر بن حرب ، أخبرنا أبو عبد الله بن سليمان بن النصر بن قتية قال : سمعت جفعر بن محمّد الصادق يرويه عن آبائه أنه قال : من دعا بهذا الحزب في يوم أو في شهر أو في سنة أو في عمره مرّة أمن من آفات الدنيا وبوائقها وهو : ربّ استجرت بك ، وتوكلت عليك ، ربّ إني فوّضت أمري إليك ، ربّ إني ألجأت ظهري إليك وضعف قوّتي إلى قوّتك ، مستجيراً بك على ذوي التعزّز عليّ والتشمّر لي والقوّة على ضيمي ،[1] ربّ إني في جوارك ، وإنه لا ضيم على جارك ، ربّ فاقهر عنّي قاهري بقوّتك ، وأوهن عنّي مستوهني بعزّتك ، واقبض عن ضائمي بقسطك ، وخذ لي عن ظالمي بعَدْلك ، وأعذني بعياذك ، فبعياذك امتنع عائذك ، وأدخلني في جوارك عزَّ جارك ، وأسبل عليّ بسترك ، فمن سترته فهو المحسن الذي لا يراع ، واضممني إلى كنفك فمن تكنّفته فهو الآمن المحفوظ ، لا حول ولا حيلة ولا قوة إلا بالله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليّ مِن الذلّ وكبّره تكبيراً ، من لك ذو حيلة في سببه أو حول ينقلبه أو قوة في أمره بشيء سوى الله ، فإن حولي وحيلتي وقوّتي بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، كل ذي ملك مملوك لله ، وكل ذي قويّ ضعيفٌ

---

(١) ضامه مثل ضاره لفظاً ومعنى (مص) .

عند قوة الله تعالى ، وكل ذي عز فغالبه الله ، وكلّ شيء في قبضة الله ، ذلّ كل عنيد لبطش الله ، صغر كلّ عنيد عند عظمة الله ، تضال[١] كلّ جليل عند جلال الله خضع ، كلّ جبّار عند سلطان الله استظهرت واستطلت على كلّ عدوّ لي درأت في نحر كلّ عات عليّ بالله ضربت ، بإذن الله بيني وبين كلّ مثرف[٢] ذي سورة[٣] وجبار ذي نخوة[٤] وول ذي إمرة[٥] ومتسلّط ذي قدرة ومستعيذ ذي أهبة وعدوّ ذي أُبْهة وعنيد ذي قوة وحاسد ذي ضغينة[٦] وماكر ذي مكيدة ، وكلّ معين[٧] أو معان مُغْرية[٨] أو ساعية[٩] مشلية[١٠] أو حيلة مردية إلى كلّ طاغ ذي كبرياء ، أو معجب ذي خيلاء على كلّ سبب وبكلّ مذهب ، واتخذت لنفسي وأهلي وولدي ومالي حجاباً دونهم بما أنزلت من كتابك وأحكمت من وحيك الذي لا يؤتى بسورة من مثله ، وهو الحكم العدل والكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد .

---

(١) تضال - أي : تصغر (م) (هامش الأصل) .
(٢) أثرفته النعمة : أطفأه (م) (هامش الأصل) .
(٣) سورة السلطان - سطوته واعتدائه (م) (هامش الأصل) .
(٤) النخو - الكبر (م) (هامش الأصل) .
(٥) والإمرة بالكسر - أي : صار سيداً (م) (هامش الأصل) .
(٦) أي : حقد .
(٧) عناه : يعني : إذا كلّفه ما يشق عليه (م) (هامش الأصل) .
(٨) أغريت بين القوم : أفسدت (م) (هامش الأصل) .
(٩) وسعى به إلى الوليّ : وشي .
(١٠) وأشليته على الصيد : أغريته . وزناً ومعنى .

دعاء المحبوس

ومنها دعاء المحبوس عن عبد الله بن أيوب قال رأيت يعقوب بن داود في الطواف ، فقلت : أحب أن تخبرني كيف كان سبب خروجك من السجن ، والمهدي من أغلظ الناس عليك ؟ ! قال : إني كنت من المطبق ، وقد خفت على بصري فآتاني آت في المنام ، فقال لي : يا يعقوب ترى مكانك ؟ فقلت : وما سؤالك ، أما ترى ما أنا فيه ليس يكفيك هذا . قال : نعم ، فأسبغ الوضوء ، وصلّ أربع ركعات ، وقل : يا محسن ، يا مجمل ، يا مفضل ، يا ذا النوازل والنعم ، يا عظيم ، يا ذا العرش العظيم ، اجعل ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً . فانبتهت ، فقلت : يا نفس هذا في النوم . فرجعت إلى نفسي ، وتحفظت الدّعاء ، وقمت وتوضّأت وصلّيت ودعوت ، فلما استقرَّ الصبح جاؤوا وأخرجوني ، فقلت : ماذاك إلاّ ليقتلني ، فلما رآني أومى بيده أن ردوه واذهبوا به إلى الحمام ، فنظّفوه وأتوني به ، فطابت نفسي ، وسجدت شكراً لله تعالى ، فأطلت السجود ، فقالوا لي : قم . قال : دعوه ما كان ساجداً ، ثم رفعت رأسي ، فلما ردّوني إليه خلع عليّ ، وضرب بيده على ظهري فقال : يا يعقوب لا يمنن عليك أحد ، فما زلت الليلة قَلِقاً بأمرك « مفتاح السعادة » . عبارته راجعه في ٧٣ .

وفيه ما نصّه أنه يقال للهمّ والوحشة ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . عبارة ٥١ .

وفي « مفيد العلوم » ما لفظه : وفي الخبر : أنّ فرعون كان يخلط السمّ بالأدم ويجعله في طعامه كلّ يوم مرتين ، ثم يقدّم الطعام بين يدي موسى ، فألهمه الله تعالى هذا الدعاء : أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شرّ الشيطان وشريكه . انتهى راجعه في ١١٧ .

ومنها ما حكي من أن بعض الملوك غضب على فقير ، فسجنه في قبّة ولم يجعل لها باباً ، ومنع منه الطعام والشراب ، ثم بعد ثلاثة أيام أخبر الملك بأن الفقير قد خرج من القبة وهو صحيحٌ سليم ، فأمر بإحضاره بين يديه ، قال له : يا الذي نجاك من هذه الشدة ، وفرج عنك هذه الكربة ، وأخرجك من هذا الضيق ، ما سبب خلاصك ؟ ! فقال له الفقير : دعاء دعوت به ، فقال له الملك : وما هو ؟ ! فقال : هو اللهمّ إني أسئلك يا لطيف يا لطيف يا لطيف يا من وسع لطفه أهل السموات والأرض أسألك أن تلطف بي بلطفك الخفيّ (ثلاث مرّات) الذي لطفت به بأحدٍ من عبادك كفى فإنّك قلت وقولك الحق ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ الآية . فألطفه الملك وأحسن إليه . انتهى « نوادر »عبارته ١٤٠ . وفي « مفيد العلوم ومبيد الهموم » ما نصّه :

واعلم أنّ من عوفي في أوّل يومه كوفي في آخره ، فليقرأ في كلّ يوم حتماً مقضيّاً بالغداة (ثلاث مرات) هذا الدعاء : بسم الله وبالله أعددت لكل هول لا إله إلا الله ، ولكلّ همّ وغمّ ما شاء الله ، لا يخلو مكان من قدرة الله ، ذلّ كلّ شيء لعظمة الله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم . ففي الخبر أن من قرأه أمن من السلطان والشيطان وكلّ ظالم جائر وكلّ شيء يخاف ، ويقول كلّ يوم (ثلاث مرات) لا إله إلا الله الحليم الكبير ، ثم سبحان الله ربّ العرش العظيم وربّ العالمين ، اللهم إني أعوذ بك من شر كل ذي شرّ ، وأدرأ بك في نحره ، وأستعينك عليه ، فاكفني شرّ كلّ ذي شرّ بما شئت يا أرحم الراحمين . ففي الخبر من قرأه يدفع عنه قضاء السوء ، وكلّ يوم يقرأ هذه الكلمات حتى لا تعمل عليه النار يوم القيمة : لا إله إلا الله الملك الجبّار ، لا إله إلاّ الله الملك القهار ، لا إله إلاّ الله العزيز الغفار ، لا إله إلا الله الكبير المتعال . وكان الشيخ أبو بكر الكتاني رضي الله عنه من أعلى الناس في طبقات الصوفيّة ، فرأى النبيّ صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : يا رسول

الله ماذا أصنع من الأعمال حتى لا يموت قلبي ؟ فقال النبي ﷺ : « إذا أردت أن يحيا قلبك فقل كلّ يوم (سبعين مرة) : يا حيّ يا قيوم لا إله إلاّ أنت » . انتهى راجعه في ١١٥ .

وفي الخبر : « من خاف سلطاناً ظالماً أو عدوّاً يقصده فليصلّ أربع ركعات ، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وخمساً وعشرين مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ ، فإذا فرغ يقول خمساً وعشرين مرة : يا ربّ يدك فوق أيديهم اكفني شرَّ فلان . فإنّ الله يدفع عنه شرَّه ، ويعطف قلبه عليه بالشفقة . انتهى منه راجعه في ١١٧ .

فائدة

إذا كان لك حاجة عند بخيل شحيح ، أو سلطان جائر ، أو غيرهم[(١)] فاحش تخاف من فحشه ، فقل هذا الدعاء : اللهمّ أنت العزيز الكبير ، وأنا عبدك الذليل الضعيف الذي لا حول ولا قوة إلاّ بك ، اللهمّ سخِّر لي فلاناً كما سخّرت فرعون لموسى ، وليّن لي قلبه كما ليّنت الحديد لداود ، فإنّه لا ينطق إلاّ بإذنك ، ناصيته في قبضتك ، وقلبه في يدك ، جلّ ثناء وجهك يا أرحم الراحمين . « نوادر » راجعه في ١٤٤ .

وفي « الإتحاف » شرح « الإحياء » : أن من خاف سلطاناً يقول : اللهمّ إله جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عافني ، ولا تسلّط عليّ أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لي به . انتهى عبارته . وفي « مفتاح السعادة » : أن من أراد أن يقهر خصمه وعدوّه يقرأ : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ . انتهى .

---

(١) غريم

دعاء الحبس

ومنها : دعاء الحبس المرويّ عن الحكم بن هاشم الثقفي ، قال : أأُخْبِرُك ؟ أن رجلاً أخذ سنين ، ثم ألقي في جبّ ، ووضع على رأس الجبّ صخرة ، فلقن فيها : سبحان الملك الحق القدوس ، سبحان الله وبحمده ؛ فأخرج من غير أن يكون لإخراجه إنسان . انتهى « مفتاح السعادة » راجعه .

ومنها : ما فيه عن إبراهيم ابن الأشعث قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : كان رجل على عهد رسول الله ﷺ أسره العدوّ ، فأراد أن يفدوه فأبوا عليه إلا بشيء كثير ، فشكا بذلك أبوه إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « اكتب إلى ابنك أن يكثر من قول : وتوكلت على الحي الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً » . قال : فكتب الرجل إلى ابنه ، فجعل يقولها ، فغفل عنه العدوّ ، فانساق أربعين بعيراً من إبلهم فقدم بها على أبيه . انتهى منه راجعه في ٦٧ . أخبرنا بعض الفقراء المظلومين أن أميراً كان يسمّى الدم الأسود بمصر قد ظلمه فقرأ المظلوم على نهر جار هذا الدعاء ، فقصمه الله تعالى من ليلته ، وجرّب مراراً فصحّ . وكيفيته أن تجلس على شاطئ نهر جار ، وتصلّي أربع ركعات تقرأ في كلّ ركعة بفاتحة الكتاب (مرة) ، و﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ﴾ (أربعين مرّة) في القيام (عشرة) ، وفي الركوع (عشرة) ، وفي كلّ سجدة (عشرة) ، فإذا سلمت من الصلاة تثني على الله تعالى بما هو أهله ، ثم تصلّي على النبيّ ﷺ وتقول : اللّهمّ أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر ، وأنت الناصر المطلع العالم مالك روح فلان الظالم ، اللهم أهلكه وسربله بسربال الهوان ، وقمّصه بقميص الردّى ، وأقصم عمره ، وكوّر نثيمه[1] ،آيه ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ ، وكذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن

(١) نثم تكلم بكلام قبيح (**هامش الأصل**) .

أخذه أليم شديد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وتقول : يا حادثات الليالي جدي السير إليه فإنّنا بك نرجوا خلاصنا من يديه ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فلان سوّقي إليه الرزايا ، سوقي الرزايا إليه واسلبه سريعاً ، والنائحات عليه دمّر الله دمّر الله عليه . تقول هذا الدعاء ، وتصلّي هذه الصلاة ، وأنت على نهر جار ، وتكتب في ورقة : ربّي إني مغلوب فانتصر . وارمها في النهر ، فإن الله يهلكه عاجلاً . من « زيل التذكرة » . عبارة في ١٧٩ . وفي « مفتاح السعادة » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال لي جبريل عليه السلام : ألا أعلّمك الكلمات التي قالهنّ موسى عليه السلام حين فلق البحر لبني إسرائيل قال : قلت : بلى ، قال : قل اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى ، وأنت المستعان وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بك . قال عبد الله فما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من رسول الله ﷺ . وروي أن موسى عليه السلام لما دخل على فرعون قال هذه الكلمات ، فنصره الله عليه ونجاه وقومه ، وأهلك فرعون وأهله : لا إله إلاّ أنت الحليم الكريم ، سبحان ربّ السموات وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، اللهمّ إني أدرأ بك في نحر عدوّي ، وأعوذ بك من شره ، وأستعين بك عليه ، فاكفنيه ، فأمسكه بما شئت .

ذكر وهب أن موسى وهرون لما دخلا دار فرعون ، ووقفا بين يديه ، لقّن الله تعالى موسى دعوة دعا بها ، وهو هذا ، فتحوَّل ما في قلب موسى من الخوف أمناً ، وتحوّل ما في قلب فرعون من الأمن خوفاً . فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمنه الله تعالى ، وفرّج كربه ، وخفف عنه كرب الموت . انتهى راجعه في ٤٠ .

وعن علي بن الحسين بن زين العابدين عن النبيّ ﷺ : « لما اجتمعت اليهود على عيسى بن مريم عليهما السلام ليقتلوه بزعمهم ، أتاه جبرائيل عليه السلام فغشاه بجناحه ، فطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في باطن جبرائيل : اللهمّ إني أسئلك باسمك الأحد الأعز ، وأعوذ بك اللهم باسمك

الأحد الصمد ، وأعوذ بك اللهمّ باسمك العظيم الوتر ، وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلّها أن تكشف عنّي ما أصبحت وأمسيت فيه . فلما دعا بهنّ دعى الله تعالى إلى جبريل أن ارفع إلي عبدي » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ما دعا بهنّ عَبْدٌ مؤمن مخلصاً إلا اهتزّ لهنّ العرش والسموات السبع ، والأرضون السبع وقال تعالى لملائكته : اشهدوا أني قد استجبت للداعي بهنّ ، وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل أخراه » ثم قال رسول الله ﷺ : « سلوا ربكم بهؤلاء الكلمات ، ولا تستبطؤا بها الإجابة ، فإنما هو خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون » . انتهى « مفتاح السعادة » عبارته في ٤٣ .

ومنها دعاء المكروب والمغموم والمريض والمديون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لأعرابي من بني سُليم « ألا أعلمّك تسعة أسماء علّمني ربي عزّ وجلّ لا مغموم إلا فرّج الله تعالى عنه ، ولا مكروب إلاّ نفّس الله عنه كربته ، ولا غائب إلاّ ردّه الله تعالى ، ولا مريض إلا شفاه الله تعالى ، ولا مديون إلا قضاه الله تعالى دينه ، ولم يكن هذه الأسماء في منزل ولا وطن إلاّ طردت إبليس وجنوده ، فقل إذا أصبحت وأمسيت : اللهمّ إني أسألك يا رحمن يا رحيم ، يا جار المستجيرين ، وأمان الخائفين ، ويا عماد من لا عماد له ، ويا سند من لا سند له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز من لا حرز له ، ويا غوث الضعفاء ، ويا عظيم الرجاء ، ويا منقذ الهالكين ، ويا منجي الغرقى ، ويا محسن ويا مجمل ويا منعم ويا مفضل ويا عزيز ، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار وشعاع الشمس وخفيق الشجر ودويّ الماء ونور القمر ، يا الله يا الله يا الله لا شريك لك أسئلك بهذه الأسماء أن تصلّي على محمد وعلى آل محمد . ثم ادع بحاجتك . انتهى راجع « المفتاح السعادة » في ٧١ .

عن أنس ﵁ ما أصاب النبي ﷺ كربة قط إلا قال : يا أحد . منه ٧١ .

ومنها دعاء الهمّ والحزن المرويّ عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب مسلماً قطّ همّ ولا حرب فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي في يدك ماضٍ فيّ حكمك عَدْل فيّ قضائك أسألك بكلّ اسم لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو أعلمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همِّي . إلا ذهب همّه وأبدل مكان حزنه فرجاً . منه راجعه في ٧١ .

وفي « نزهة المجالس » أن سعيد بن المسيب ﵁ لما هرب من الحجاج استخفى في بعض حجر النبي ﷺ ، فكان لا يعلم أوقات الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبيّ سمع صوتاً يقول : يا ابن المسيب قل : اللهم أنت الملك وأنت على كلّ شيءٍ قدير وما تشاء من أمر يكون . فما قلتها والله في كربة إلا فرّج الله عنّي . انتهى .

حكاية

طلب الحجاج رجلاً من الأكابر ، فلما قدر عليه جعله في السجن وأمر أن يقيد ، فلما صار في السجن ووضع القيد في رجليه رفع رأسه وقال : لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر . فلما جنّ اللّيل غلق السجّان الأبواب ، فلما أصبح وجد القيد مطرُوحاً ولم ير للرّجل أثراً ، فخاف من الحجّاج فجاء إلى أهله فودعهم ، ثم جاء إلى الحجاج وأخبره بأمر الرجل ، فقال : هل قال شيئاً ؟ قال : نعم ، لما جعلت القيد في رجليه رفع رأسه إلى السماء وقال : لا حول ولا قوة إلا بك لك الخلق والأمر . فقال الحجاج : إن الذي ذكره وأنت حاضر خلّصه وأنت غائب . انتهى راجعه في ٧٢ ج ١ .

دعاء الفرج

وفيه في صحيفة ٧٨ ما نصّه : إن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قال أهل الإفك ما قالوا هجرني القريب والبعيد حتّى ، الهرّة وتركت الأكل والشرب ، وكنت أنام جائعة ، فرأيت في منامي رجلاً ، فسألني عن أمري ، فأخبرته ، فقال : قولي دعاء الفرج :- اللهم يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا فارج الهمّ ، يا كاشف الظلم ، يا أعدل من حكم ، يا حسيب من ظلم ، يا وليّ من ظلم ، يا أوّلاً بلا بداية ، وآخراً بلا نهاية ، يا من له اسمٌ بلا كنية ، اجعل من أمري فرجاً . قالت : فانبتهت شبعانة ريّانة ، وقد أنزل الله برائتي . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً أن هارون الرشيد حبس موسى بن الكاظم ﵁ في بغداد ، ثم أمر بإخراجه وإعطاء ثلاثين ألف درهم ، فسئل عن ذلك فقال : رأيت عبداً أسوداً ومعه حربة ، وقال إن لم تخرج موسى وإلا قتلتك ، ثم قال موسى : رأيت النبي ﷺ في المنام وقال : يا موسى حُبسْتَ ظلماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقال : يا سامع كل صوت ويا سابق كلّ موت ويا كاشف العظام ومنشرها بعد الممات ؛ أي : الموت أسئلك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحدٌ من المخلوقين ، يا حليماً بخلقه يا ذا المعروف الذي لا ينقطع معروفه أبداً ولا يحصى له عدد فرّج عنّي . ففرج الله عنه . انتهى راجعه في ٧٣ .

روى الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » بإسناد حسن عن النبي ﷺ : من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ؛ الله لا إله إلا الله والله أكبر ، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى .
قال رجل لأبي الدرداء ﵁ قد احترق بيتك ، فقال : لم يكن الله يفعل ذلك بكلمات سمعتهنّ من رسول الله ﷺ ؛ من قالها أوّل النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح ، وهي :

اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ، اللهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي ومن شر كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراطٍ مستقيم . منه راجعه في ٧٥ .

وفيه أيضاً أن يوسف عليه السلام لما طُرح في الجبّ واستوحش جاءه جبريل عليه السلام بهذا الدعاء : اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كلّ دعوة وجابر كل كسير ويا سامع كل نجوى ويا حاضر كلّ بلوى ويا مؤنس كل وحيد و يا صاحب كلّ غريب لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أسألك أن تقذف في قلبي حبّك حتى لا يكون لي شغل ولا همّ سواك وأن تجعل لي من أمري فرَجاً ومخرجاً فأنت رحيمي يا أرحم الراحمين .

وذكر القرطبي في تفسيره نحو هذا ، ثم ذكر أنه أقام في الجبّ ثلاثة أيّام وكان عمره اثنتا عشرة سنة ، ولما دخل السجن في مصر وكان عمره ثلاثين سنة قال وهبٌ : مَكث يوسف في السجن سبع سنين ، وقيل أقل ، وقيل أكثر . انتهى ٧٧ .

وفي « ذيل التذكرة » ما لفظه : إذا ظلمك إنسان وأردت الانتصار منه من ساعتك فسر إليه حتى تراه واقفاً أو جالساً أو راقداً ، فكبِّر عليه أربع تكبيرات كالجنازة ، واقرأ سورة « الفاتحة » وسورة « الفيل » خمساً وأربعين مرة ، ولا تفصل بين القرائة بكلام ، وقل : اللهم تعلم أعدائنا عدداً فبدّد شملهم بدداً ، وفرق حالهم أبداً ، ونكِّس رؤسهم مدداً حتى لا يبقى منهم أحداً إنك أنت الواحد الأحد الصمد الباقي سرمداً ، ومكروا مكراً ، ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، تدمّر كلّ شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة . انتهى . راجعه في ١٧٩ .

فائدة

عن الشيخ شهاب الدين القيلوبي لهلاك الظالم ؛ تصوم ، وتتطهّر ، وتأخذ ألف حصاة من الأرض ، وتخرج خارج البلد التي فيها العدوّ ، وتقرأ على كلّ حصاة سورة « الفيل » إلى آخره ، وكل مرة تقول هلّك فلان كما هلّك أصحاب « الفيل » ، ثم بعد تمام العدد يرمي الحصاة في بئر مهجور ، وإن أردت العجلة ففي تنور خبزاً وفي مستوقد حمام . انتهى منه ١٧٩ .

حزب إبراهيم الدسوقي

ومنها : حزب شيخ الاسلام العارف بالله تعالى الداعي إلى الله ، شيخ الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، كنز الولاية ، الشيخ الحقيقي سيّد إبراهيم الدسوقي . وحاصل ما في شرحه للشيخ الشمس الرملي أن من قرأه أو حمله يأمنه من شرِّ أهل السموات وأهل الأرض ؛ من الجن والإنس وغير ذلك ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم ، رفعتُ وحجبتُ ومنعتُ عن حامل هذا الكتاب شرَّ كلّ من هدر وبغي من تجبّر وألم وتمرّد وكاد واجتهد وقام وقعد ورمد وهذر وهدّد بألف ألف ألفي بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ رفعت وحجبت ومنعت وصرفت عن حامل هذا الكتاب شر كلّ طارق طرق إلا طارقاً يطرق بخير ، وحجبت عنه شر كلّ من صاح ونعق ورمق وعارض في الطرق وأرعد وأبرق بالمكر والسوء نطق بسرِّ بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق إلى آخره وقل أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون من اللعين إبليس وأتباعه المواديس من أخذ التلبيس ، يرسل عليكما شواذ من نار ونحاس فلا تنتصران ، فهدّد منكم الانساس وتخمر منكم الأنفاس بسرِّ بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس إلى آخره تحصّنت حامل هذا الكتاب بالاسم الذي أسّسه الله صوره لا إله إلا الله بابه محمد رسول الله ﷺ همثاً

لمثاً ميمونة إن الأسد سهمي نفذ منه المدد على طول الأبد ، لا أبالي بأحد بسرِّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخره « مجموعة الأحزاب » ١٩٤ .

حزب الاحتجاب

ومن ذلك حزب الاحتجاب للإمام الغزالي رحمه الله ، وهو : بسم الله الرحمن الرحيم احتجبت بنور وجه الله القديم الكامل ، وتحصّنت بحصن الله الشامل ، ورميت مَن بغى عليّ بسهم الله وسيفه القاتل ، اللهم يا غالباً على أمره ، وقائماً فوق خلقه ، ويا حائلاً بين المرأ وقلبه حُلْ بيني وبين الشيطان ونزغه وبين ما لا طاقة لي به من أحد من عبادك كفَّ عليّ ألسنتهم وأبصارهم ، واغلل أيديهم وأرجلهم ، واجعل بيني وبينهم سدّاً من نور عظمتك وحجاباً من قوتك وحرزاً من سلطانك إنك حيّ قادر ، اللهم غشّ على أبصار الناظرين حتى أرد الموارد ، وغشّ على أبصار النور وأبصار الظلمة حتى لا أبالي عن أبصارهم ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلّب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ، بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾﴾ شاهت الوجوه وعميت الأبصار وكلّت الألسن ، جعلت خيرهم بين عينيهم وشرهم تحت قدميهم وخاتم سليمان بين أكتافهم فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين . انتهى منه ٢٨١ ج١ .

حزب الشاذلي قدس سرّه

ومنها : حزب الدائرة لسيدنا القطب الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره ، يقرأ للتحفظ من أنواع البلايا والكروبات والشدة ، وهو بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بك منك إليك أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليّ ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخره والمعوذتين وفاتحة الكتاب ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وآية الكرسي إلى آخره ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة ، **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إلى ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ إلى آخر السورة ، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ الر كهيعص طس حم ق ن جبرائيل ميكائيل إسرافيل عزرائيل عليهم السلام ، أبو بكر عمر عثمان علي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم الله أكبر (سبعاً) طاء ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ آية ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ ، حكمت على أنفس أعدائي الطاء طهور (سبعاً) لا إله إلا الله (سبعاً) باء سلام قولاً من رب رحيم ، قلقت عقولهم بالقاف بدعق (سبعاً) سبحان الله (سبعاً) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إلى ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ حاء فتحت بها باب الاستمطار من الفتاح العليم مَحْبَهْ (سبعاً) يا سلام سلبت عن نفسي وأهلي ومالي وولدي جميع المضارّ صوّره (سبعاً) الحمد لله (سبعاً) عين ملأت قلبي عزة ونوراً مَحْبَهْ يا سلام (سبعاً) سينٌ أسئلك بالسناء الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي سقفاً ، طيس (سبعاً) الله (سبعاً) رب أعوذ بك من همزات الشياطين

وأعوذ بك ربّ أن يحضرون ، ربّ أسئلك حولاً من حولك وقوة من قوتك وتأييداً من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشهد سواك سقاطيم (سبعاً) أحون قافٌ أدُمَّ حُمّ هَاءٌ آمينٌ ، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ إلى آخر السورة ، بحق محمد وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح عليهم الصلاة والسلام وبحق أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم أن تقضي حاجتي وتكفيني مهماتي ، اللهم يا عظيم عظمتك وقائي من القوم الظالمين وجمالي على العالمين فاعضضني بالملائكة أجمعين ، فاستجب لي إنك أنت السميع العليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين . راجعه « مجموعة الأحزاب » في ٨٩ ج ١ .

حرز الحفظ

ومنها حرز الحفظ لسيدنا أبي الحسن الشاذلي قدّس سرّه اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وشمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به كتابك العزيز ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمالنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به الذكر حيث قلت ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به السماء حيث قلت : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبدك الذي فهّمته وسخّرت له الشياطين ثم قلت : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا ، واحفظ ديننا بما حفظت به السقف المحفوظ حيث

قلت : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ اللهم احفظنا من جيمع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به السموات والأرض ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبادك المحفوظين الذين قلت : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ . اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به السماء حيث قلت : ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت باللوح المحفوظ حيث قلت : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ اللهم احفظنا من جميع أعدائنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا أبداً ما بقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبادك حيث قلت : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ اللهم استحفظك بما يستحفظك به عبدك وابن عبدك ونبيّك يعقوب حيث قال : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ اللهم قنا سيئات ما يمكرون بنا أبداً ما أبقيتنا واحفظ ديننا بما حفظت به عبدك الذي قال : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ اللهم احرسنا بعينك واحفظنا بحفظك ، اللهم احفظنا بحياطتك ، اللهم احفظنا بحسن كلائتك ، أيها المريد بنا سوء أيها المحيق بنا شراً أيها المكائد بنا إساءة إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً ﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ أخذت أسماعكم وأبصاركم بسمع الله وبصره وأخذت قوتكم بقوة الله تعالى بيني وبينكم ، استترت منكم بسر النبوة والأمان الذي كانت الأنبياء يستترون به من سطوات الفراعنة ، فسترهم الله بستره ، جبرائيل عن إيماننا ، وميكائيل عن شمائلنا ، ومحمد ﷺ أمامنا ، والله العظيم مظلّ علينا يحجر عنّا شرّكم

ويمنعنا منكم ، علم الله محيط بنا وبكم ، وعين الله يرعانا ويرعاكم ، اللهم من أراد بنا مكراً أو غشياً أو مكرًا أو مسناً من جنّ وإنس فإنا نسئلك أن تخرج ذلك من صدورهم ، وتختم على قلبه ، وتضرب على أذنه ، وتسدّ بصره وتفخم لسانه وتشدّ يده وتقلّ رجله وتميته بغضبه وتردّ كيده في نحره ، وأن يحيط ذلك السوء به ويحيق ذلك المكر به كإحاطة القلائد على ترائب الولائد ، وكرسوخ السجّيل على هامة أصحاب الفيل ، يا خير الناصرين ، و يا أكرم القادرين ، و يا خير من دعي ، و يا أفضل من أجاب ويا بذل[1] من سئل ، ويا أجود من أعطى ، ويا خير من تجاوز ، ويا أرحم الراحمين ، رميت كل من يريد بنا سوء بحسبي الله ونعم الوكيل ، رميت كلّ من يريد بنا سوء بكهيعص ، رميت كل من يريد بنا سوء بحمعسق ، رميت بكل من يريد بنا سوء بالتوكّل على الحي الذي لا يمُوت ، وكفى بالله وكيلاً وهو أرحم الراحمين ، رميت كلّ من يريد بنا سوء بمحاريز السبع المثاني والقرآن العظيم ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، آمين برحمتك يا أرحم الراحمين .
« مجموعة الأحزاب » ٦٥ ج١ .

ومنها : دعوة قوله تعالى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وهي لتفريج الكروب والخلاص من كلّ غم والنجاة من كلّ مكروه ، وقال ﵁ بِتُّ ليلة في غم عظيم ، فألهمت أن أقول : بسم الله الرحمن الرحيم إلهي مننت عليّ بالإيمان والمحبّة والطاعة والتوحيد ، وأحاطت بي الغفلة والشهوة والمعصية وطرحتْنِي النفس في بحر الهوى ، فهي مظلمة ، وعبدك محزون مهموم مغموم قد التقمه نون الهوى وهو يناديك نداء المحبوب المعصوم نبيك وعبدك يونس بن متّي وهو يقول :

---

(١) **وفي نسخة** : أعدل

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، فاستجب لي كما استجبت له ، وأيّدني بالمحبة في محلّ التفريد والوحدة ، وأنبت عليّ أشجار اللطف والحنان ، فإنك أنت الله الملك المنان ، وليس لي إلا أنت وحدك لا شريك لك ولستَ بمُخلف وعدك لمن أمن بك إذ قلت وقولك الحق : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ وقال : اللهم إنك لم تشهدنا على خلقنا ولا خلق أنفسنا ولم تتخذ أحداً من المضلين عضداً ، ولم يكن لك شريك في الملك ولم يكن لك وليّ من الذلّ ، كبّرتَ نفسك قبل أن يكبّرك المكبرون ، وعظّمت وجودك قبل أن يعظمك المعظمون ، نسئلك بالتعظيم الذي له سبب ولا نسب أن تعزّنا عزّاً لا ذلّ بعده ، وغناً لا فقر معه ، وأنساً لا كدر فيه ، وأمناً لا خوف بعده ، واسعدنا بإجابة التوحيد في طاعتك حسب ما كنا يوم الميثاق الأوّل في قبضتك إنك على كل شيء قدير . انتهى دعوة الشيخ القطب أبو الحسن الشاذلي ، راجع « مجموعة الأحزاب » ١٢٠ ج١ .

الحزب المسمّى بكمياء السعادة

ومنها حزب العارف بالله الإمام العالم العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف السُنوسي الحسني المسمى بكمياء السعادة وهو : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الخالق الأكبر لا طاقة لمخلوق عليَّ مع الله ، اللهم إنني في حماك وتحت لواك ، فاحم حماك فانشر عليّ لواك واصرف عنِّي بلائك النازل من السماء والمنتشق من الأرض ، فإن تولَّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبعاً) اللهم يا من جعل نبيّنا ومولانا محمداً ﷺ بالمؤمنين رؤفاً رحيماً وذَلِّـلْهُ لي ومكّني من ناصيته ومجامع قلبي بخفي لطف الله بلطيف صنع الله بجميل ستر الله دخلت في كنف الله ، وتحصّنت بأسماء الله وتشفعت برسول الله ﷺ بدوام ملك الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ياهٍ ياهٍ ياهٍ ، أهيال أهيال أهيال ، أهياشٍ أهياشٍ أهياشٍ ، حجبت نفسي

بحجاب الله ومنعتها بآيات الله وبالآيات البيّنات وبالذكر الحكيم وبحق من يحيي العظام وهي رميم ، جبرائيل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، وإسرافيل عن خلفي ، وسيدنا محمد ﷺ أمامي ، وعصا موسى عن يدي ، فمن رآني هابني ، وخاتم سليمان على لساني فمن تكلّمت إليه قضى حاجتي ، ونور يُوسف على وجهي فمن رآني يحبّني ، والله محيط بي وهو المستعان به على أعدائي ، لا إله إلا الله الكبير المتعال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبي الأمة وكاشف الغمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . انتهى « مجموعة الأحزاب » وفيه سلسلته ، ومأخذه ، راجعه ١٨٠ ج١ .

فائدة

في « مصباح الظلام » ما نصّه قال الشيخ زروق : أن اسمه **(القهار)** يذكر عند طلوع الشمس ، وفي جوف الليل لأهلاك الظالم بهذه الصيغة يا جبار يا قهار يا ذا البطش . ثم يقول : خذ حقي ممّن ظلمني وتعدّى عليّ . وباسمه **(القابض)** أن من أراد إهلاك عدوّه واتخذه ورداً أهلكه . واسمه **(الرافع)** أن من قرأه (سبعين مرة) عند قدومه على الظالم المتمرّد حصل له الأمن منه ، ومن لازم العدد كلّ يوم لا يصل إليه ظالم ولا باغ ولا لِصٌّ . واسمه **(المذلّ)** إذا قرأ من يخاف من ظالم أو حاسد وقال : اللهم آمني من فلان ، اللهم اكفني شره . آمنه الله منه ، وأجاره من شرّه وحسده . واسمه **(العدل)** من كتبه على عشرين لقمة من خبز ليلة الجمعة وأكلها ذلل الله له الخلائق أجمعين . واسمه **(الخبير)** من كان في يد إنسانٍ يؤذيه فليكثر قرائته . واسمه **(المحصي)** خاصيته تسخير القلوب ، حتى أنّ من قرأه (عشرين مرة) على عشرين كسرة خبز وأطعمها لمن أراد تسخيره له تسخر له بإذن الله تعالى . واسمه **(التواب)** من قرأه على ظالم (عشر مرات) خلص منه مظلومه . واسمه **(المحي)** من خاف الفراق أو الحبس فليقرأه على بدنه عدده . واسمه **(الباقي)** أن من ذكره (ألف مرّة) تخلّص من ضرّه

وغمّه وهمّه ، ومن كان متحيّرا في شيء يصنعه ، وذكره بين المغرب والعشاء (ألف مرّة) اهتدى لما فيه رشده . « مصباح الظلام » في شرح « نيل المرام » للسيد محمد ابن عبد الله الجرجاني . انتهى .

فائدة مهمة

قال الجيشي في كتاب « البركة » من قرأ يس (أربع مرات) لا يفرق بكلام في موضع نظيف خال ، ثم قال ثلاثاً : سبحان المنفِّس عن كلّ مَدْيون ، سبحان المفرّج عن كلّ محزون ، سُبحان من أمْرُه بين الكاف والنون ، سبحان من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، يا مفرِّج الهموم ، يا حيّ يا قيّوم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله افعل بي كذا وكذا قضيت حاجته . انتهى « بغية ٣٢٥ .

فوائدٌ استطراديّةٌ

لا ينبغي أن يخلو الكتاب عنها وهي ما ورد في حفظ الإيمان وحسن الخاتمة .

منها : ما ذكره مؤلّف « بغية المسترشدين » لحفظ الإيمان من قرائة (اللهم إني أعوذ بك أن تصدّ عنّي وجهك يوم القيمة ، اللهم أحيني مسلماً وأمتني مسلماً) خلف تكبيرة الاحرام .

ومنها : ما ذكر فيه لحسن الخاتمة نقلاً عن القطب الحدّاد من قرائة (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم الذي لا يموت وأتوب اليه ربّ اغفر لي) (أربع مرات) بعد المغرب . وعن بعض العارفين من قال بعد صلاة المغرب أيضاً قبل أن يتكلّم (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد كلّ حرف جرى به القلم) (عشر مرات) مات على الإيمان . راجعه في ٤٥ .

ومنها : ما جرّب لحفظ الإيمان ، وهو قرائة (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . . . إلى الوهاب) (سبع مرات) خلف كلّ صلاة كذا في « الدليل التام » من هامش « فتح العلام » .

ومنها : ما ورد في الحديث « أن للقيامة ألف ألف هول ، وأدناها سكرات الموت ، وإن للموت تسعة وتسعين جذبة وألف ضربة بالسّيف أهون من جذبة منها فمن أراد أن ينجو من تلك الأهوال فليقل عشر كلمات خلف كلّ صلاة » ، قالوا يا رسول الله ما الكلمات ؟ قال : « أعددت لكلّ هول ألقاه في الدنيا والآخرة **لا إله إلا الله** ، ولكل هم وغمّ **ما شاء الله** ، ولكل نعمة **الحمد لله** ، ولكل رخاء وشدّة **الشكر لله** ، ولكل أعجوبة ، **سبحان الله** ، ولكل ذنب **أستغفر الله** ، ولكل مصيبة **إنا لله وإنا إليه راجعون** ، ولكلّ ضيق **حسبي الله** ، ولكل قضاء وقدر **توكلت على الله** ، ولكل طاعة ومعصيةٍ **لا حول ولا قوة إلا بالله** » .

وذكر بعضهم أن مما يفيد الإيمان أن يقال عقب كلّ صلاة من الصلوة الخمس (اللهم إني أسئلك إيماناً لا يرتدّ ، ونعيماً لا ينفد ، وقرة أعين لا تنقطع ، ومرافقة نبيك سيدنا محمد ﷺ في أعلى جنات الخلد ، اللهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، يا كريم يا كريم يا كريم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين) . راجع « الفتح العلام » في ٧٧ ج١ ، وفي ٢٨٨ ج١ .

ومنها : ما في « خزينة الأسرار » نقلاً عن « التذكرة » للقرطبي : أن رسول الله ﷺ قال : من قرأ قل هو الله أحد في مرضه التي يموت فيه لم يفتتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيمة بأجنحتها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة . كذا في « الفرائد » . قال ﷺ : إن من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . . . (ثلث مرات) في مرضه التي توفي فيه مات شهيداً ، وعدّه العلماء في الذين ماتوا شهداء لا يسئلون في قبورهم ، ولو لم يقرب موته بل طال مرضه بعد قرائتها . انتهى عبارته ١٥١ .

تأييد

فلقد اجتمعت في بعض الوقائع مع واحد من معارفي الذي مات في السنين الماضية ، وسألت عنه عن كلّ ما وقع له بعد موته ، وأخبرني كلّ ذلك مفصّلاً ، بيد أنه قال : لم يُسأل في قبره ، ولم يحضر عنده الملكان للسؤال عنه ، ونازعته فيه قائلاً كيف يكون ذلك مع أنه ورد في الحديث بالسؤال وحضورهما لدى كلّ من مات ؟ ! فقال : إنه لا يعلم ما في الكتب ، وإنما يقوله لك ما وقع له . انتهى . ثم بعد ذلك أخبرت هذه الوقيعة لشيخنا قدس سره فقال : لعله كان قرأ سورة الإخلاص في مرض موته ، ثم بعد ذلك تفحّصت عمّن كانوا عنده أيام مرضه عن حاله ، فقالوا : إنه لم يزل منذ مرضه إلى أن مات من كونه يقرأ سورة الإخلاص ، فعجبت على ذلك مع أني لم أظهر هذه الوقيعة لأحد مّا ، هذه بشارة لمن مات على قراءة تلك السورة في مرضه التي يموت فيه ، رزقنا الله تعالى ذلك ، وحفظنا من سوء الخاتمة .

تذييل

ينبغي أن يلحق هنا ما في « تقريب الأصول » ونصّه وخلاصته[1] الأمر الذي يتم به المراد الاستقامة ، وخلاصتها امتثال الأمر واجتناب النهي ، ورؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبرّي من الحول والقوّة ، والرجوع إلى حول الله وقوته ، وتسليم أمره إلى مولاه ، ويعلم أن الخيرة له في جميع ما به يتولاّه ، وإن خالف ذلك مراده وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه أمراً يرى أنّ له فيه مصلحة أيقن بالاجابة لا محالة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا أتاه الله ما سأل أوكفّ عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

---

(١) **عله** : وخلاصة الأمر .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته ، أو صرف عنه مثلها سوأ أو حط عنه من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » ،

مهمّ

فإذا الإجابة المطلقة حاصلة لكلّ داع بحقٍّ حسبما ورد الوعد الصادق إلا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء ، وقد يكون المنع وتأخير الإعطاء إجابة واعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعاً أو تأخيراً وإن ألحّ في دعائه وسؤاله ، وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيراً له ، فقد جاء في بعض الأخبار : « يبعث عبداً فيقول الله تعالى : ألم آمرك برفع حوائجك إليَّ ؟ فيقول : نعم ، وقد رفعتها إليك ، فيقول الله تعالى : ما سألت شيئاً إلا أجبتك فيه ، ولكن نجزت لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجزه في الدنيا فهو مدَّخر لك ، فخذه الآن ، حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض له حاجة في الدنيا » .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله « يستجاب لأحدكم ما لم يعجّل ، فيقول قد دعوت فلم يستجب لي » وقد دعا موسى وهرون عليه السلام على فرعون فيما أخبر الله عنهما حيث قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ ثم أخبر أنه قد أجاب دعائهما بقوله سبحانه : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قالوا : وكان بين قوله تعالى لهما ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ وهلاك فرعون أربعون سنة .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ أي على عدم استعجال ما طلبتما ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . انتهى ٢٢٧ .

فالحاصل أن سبب قبول الدعوة هو إطاعة المولى جلّ سلطانه كما قيل : اسم الله الأعظم هو نفس الإنسان . يعني : إذا أطاع الله في الأمر والنهي يطيعه الله تعالى بإجابة ما سأل باسمه الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، فإنّ الردّ إنما يكون من البخيل ، أو ممّن ليس عنده شيء يعطيه ، والله تعالى أيضاً عنده خزائن السموات والأرض ، أو لنقصان شيء بما أعطاه ، والله تعالى أيضاً لا نقص لخزائنه ، تعالى عن ذلك ، ألا ترى أن الله تعالى لا يردّ دعاء الملائكة لكونهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فلم يبق سببٌ للردّ إلا العصيان ، أعاذنا الله تعالى من مخالفة أمره ، وجعلنا من المتبعين لأوامره . آمين .

وينبغي أن يكتب في هذا الموضع ما في « الجواهر المعاني » من الفوائد والوصايا وهي ما نصّه : أما بعد فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلث مهلكات ، فأمّا المنجيات ؛ فهي تقوى الله في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأما المهلكات ؛ فشحّ مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء برأيه » وعلى قوله ﷺ : « ما تحت قبّة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوًى متَّبع » ، وعلى قوله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وعلى قوله ﷺ : « لا تتمنّوا لقاء العدوّ ، واسئلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » الحديث . هذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار ، فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنّى بقلبه وأراد تحريك الشر منه على الناس سلّطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ، وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شرّ الناس وفتنتهم ، فإن تحرك عليه من غير سبب منه فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإسائتهم ، فإن اشتعلت نيران شرّهم فاليدافع

بالتي هي أحسن بلين ورفق ، فإن لم يقدر ذلك فعليه بالهرب إن قدر الخروج عن مكانه ، فإن عوّقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة فاليدافع بالأقلّ فالأقلّ من الإذاية فليفعل ذلك ظاهراً ، ويكثر التضرع إلى الله تعالى والابتهال سراً في دفع شرهم عنه مداوماً ذلك حتى يفرِّج الله عليه .

فائدة

الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم ، والحذر والحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه ، فإن المبادر للشر بهذا وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك العقوبة لإعراضه عن جناب الله أوّلاً ، فإنه لو فزع إليه بالتضرّع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه لَدَفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه ، أو يشغلهم بشاغل يعجزون عنه ، فإمّا أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللّطف العظيم أو الصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور ، بما هو فيه من اللّطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى فيكون مثاباً دنياً وأخرى ، أمّا ثواب الدنيا فبحمد العاقبة وظهور نصره في الخلق على قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين وعده الله تعالى قال سبحانه وتعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقال تعالى حاكياً عن نبيّه يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ . . . إلى غير ذلك من الآيات ، ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ، ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً ، ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والأخرة إلا من حفته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامة لا يرون في تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذي حركه عليهم لِغَيبتهم

عن الله سبحانه وتعالى وعن غالب حكمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإن الكيّس العاقل إذا نصب عليه الشر من الناس ، أو تحركوا له به رآه تجلّيًا إلهيًّا لا قدرة لأحد على مقاومته إلاّ بتأييد إلهيّ ، فكان مقتضى ما دلّه عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالهرب والإلتجآء إليه ، وتتابع التضرّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضُعْفه ، فنهض معتصمًا بالله في مقابلة خلقه ، فلا شك أن هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ، ولو التهبت عليه نيران الشرور من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لاعتصَامه بالله تعالى ، فإن من تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ إلى قوله ﴿ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ .

كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت

وهذا الباب الذي ذكرناه كلّ الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والأخرة ، ومن فارقه وكّله الله إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كلّ الهلاك في عاجله وآجله ، وفيما ذكرناه كفاية . انتهى عبارته .

فإنه الكبريت الأحمر مطلب لمن أهمَّ

فائدة جليلة ذكرها الشيخ السيد أحمد ابن زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول » في ترجمة الشيخ أبي المواهب الشاذلي نقلا منه ، فعبارة ما ذكره فيه : وقال رضي الله عنه ومما جرّبناه فصحّ أن من أراد قضاء حوائجه ودفع مصائبه فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس ، هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أوَّل مرة فاعمل على ذلك ، فإنه الكبريت الأحمر ، والفرج القريب ، والمعين على ذلك الصبر . وقال رضي الله عنه : بلغنا أن يونس عليه السلام اجتمعت روحه بروح قارون لما إلتقمه الحوت ، فرأى قارون نازلا ، فقال ليونس عليه السلام : تعلّق بربك يا يونس في أوّل أمرك

تنجيك ، فقال له يونس : وأنت تعلق ، قال : تعلقت بإبن الخالة موسى ، فوكّلني إليه أي لأنه لما أمر موسى الأرض أن تأخذه كان يستغيث به وهو يقول : يا أرض خذيه . ولهذا قيل : عاتب الله موسى عليه السلام وقال : وعزتي وجلالي لو اسغاث بي لأغثته .

مهم

وقال رضي الله عنه : أحسن الظن بربك من حيث محبة جماله وجلاله ، فإن ذلك وصف له لا يتحوّل ، ولا تحسن الظن بربّك لأجل إحسانه إليك ، فربّما قطع ذلك عنك فتسيئ الظنّ به ، فليحذر السالك من علّة هذا المقام ، انتهى راجعه في ٧٩ .

ولقد اكتفينا بهذا القدر من الأدعية والأحزاب وخواصّ أيات القرآن الشريف ، وفيها كفاية لمن إلتجأ إلى مولاه الكريم وحصنه المنيع ، ولمن له اعتقاد صحيح في خواصها ومنافعها ، وأما من لم يكمل اعتقاد فيها ولم يلتجأ إليه وفق ما ذكرناه بتضرع وانكسار فلا ينفعه الأسباب والوسائط والحمد لله رب العالمين .

خاتمة في أشراط الزمان وعلامات السّاعة

أمّا وقت قيامها فلا يعلمه إلا الله ، وفي حديث جبرائل الذي رواه مسلم : « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل » وفي القرآن العظيم : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ وقال : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ . وروي عن الشعبي قال لقي جبريل عيسى عليهما السلام فقال له عيسى : متى الساعة ؟ فانتفض جبريل في أجنحته وقال : ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ، ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة .

وروى الحافظ أبو نعيم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « للساعة أشراط ، قيل : يا رسول الله ما أشراطها ؟ قالو : علوُّ أصوات الفسق في

المساجد ، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف ، فقال أعرابيّ : فما تأمرني يا رسول الله ؟ قال : دع ما تنكر وخذ ما تعرف ، وقال : كن حلس بيتك ، أي : ألزم الجلوس في بيتك كلزوم الحلس لظهر الدابة . قال العلمآء رحمهم الله تعالى في تقديم أشراط الساعة عليها تنبيه الناس من رقدة الغفلة ، وحثهم على الأخذ بالاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة وتأدية الحقوق إلى أربابها قبل أن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل ، ومن قبل أن يحال بينهم وبين سعادتهم . قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة على أهبة واستعداد لقيام الساعة الموعود بها ، فإن تلك الأشراط قد جعلها الله تعالى علامة على انتهاء مدّة الدنيا . انتهى « تذكرة » .

مهم

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم سترون أثرة وأموراً تنكروها » قال فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا إليهم حقَّهم ، واسئلوا الله حقكم ، وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ

قال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسئلوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملو وعليكم ما حملتم « مصابيح » عبارته من كتاب « الأمارة » يعني : أطيعوا فيما أمركم ، وأعطوهم ما يطلبون منكم ظلماً منهم ، ولا تطلبوا حقوقكم منهم كرهاً ، وإن لم يعطوا حققوكم فلا تحاربوهم ، بل اتركوها ، واسال الله الثواب على ما يطلبونكم « مظهر » عبارته ، يعني : إنما يسألهم على أمرهم ، بل ويسألهم على أمركم ، هذا مثل (لهم ما كسبوا ولكم ما كسبتم) . منه عبارته .

عن أم سلمة إنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلّوا ، ما صلّوا » يعني :

من كره بقلبه وأنكر بقلبه « مصابيح » عبارته ، يعني : سترون أنهم يفعلون أفعالاً ، ويقولون أقولاً تعرفونها من الشرع ، فمن أنكر فقد برئ ، أي : فمن أنكر أفعالهم وأقوالهم القبيحة بلسانه فقد برئ ، ومن لم يقدر أن ينكر بلسانه وكرهها بقلبه فقد برئ من الإثم ، ولكن من رضي وتابع ، يعني : ليس على المنكر بإنكاره إثم ، ولكن الإثم من رضي وتابع أفعالهم وأقوالهم القبيحة « مظهر » .

ونقل اللبودي في « الترغيب والترهيب » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان قوم وجوههم وجوه الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين أمثال الذياب الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفاكون الدماء ، لا يرغبون عن قبيح ، إن تابعتهم ركبوك ، وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ، فإن ائتمنتهم خانوك ، صبيّهم عارم[1] ، وشبّانهم شياطين ، وشيخهم لا يأمرك بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، الاعتزاز بهم ظل ، وطلب ما في أيديهم فقر ، الحليم فيهم غار[2] ، والصادق فيهم متَّهم ، والمؤمن فيهم متضعِّف ، والسنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يسلّط عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب . شرح « سلك العين » على قول المتن : هم الشياطين في قول وفي عمل .

وفيه على قول المتن : نِعَمْ بَلَى[3] أبدلوا الله ما ظُلِمُوا . . إلخ ما لفظه . وروى البزاز حديث : « لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولو لا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد

---

(١) أي : قليل الحياء .
(٢) وفي نسخة : غاو .
(٣) وفي نسخة : بَلاً .

رسول الله إلا سلّط الله تعالى عليهم عدوّهم ، فاخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وإذا لم يحكم أميرهم بكتاب الله تعالى إلا جعل الله تعالى بأسهم بينهم . انتهى ٦٨ عبارته .

وفيه أيضاً على ذلك البيت : نعم بلى . . . إلخ ما نصّه وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون . قوله : ما ظلموا . . . البيت ، يعني : إرسال الرزايات والمصائب عليهم كالمطر من السحاب ليس بظلم من الله تعالى في حقهم يدلّ عليه : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ . .الآية ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ . .الآية . فلا جرم جعل الله بأسهم بينهم وجعل بعضهم لبعض فتنة . وحديث مسلم عن ابن عمر : كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً ، فمنّا من يُصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، أي : يرمي بالسهام ، ومنّا من هو في حشوه ، يعني : المواشي التي ترعى أمام البيوت ، إذ نادى منادي رسول الله عليه الصلاة والسلام : الصلاة جامعة ، اجتمعنا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال : إنه لم يكن نبيّاً قبلي إلا كان حقا عليه أن يدلُّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل الله تعالى عافيتها في أوّلها ، سيصيب آخرها بلاء وأمور ينكرونها ، فتجيئ الفتنة فيدفق بعضها بعضاً ، فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف وتجيء الفتنة ، فيقول هذه هذه فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأت منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحبّ أن يأتى إليه (الحديث) انتهى .

وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلثين ، كلّهم يزعم أنه رسول الله ﷺ ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ويكثر الهرج ؛ وهو : القتل[١] ، وحتى يكثر فيكم المال

---

(١) وفي حديث آخر وهو القتل بغير حق (**منه**) .

فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه ، فيقول الذي يعرضه عليه ، : لا إرب لي فيه ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتني كنت مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً ، ولتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي منه إبله ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمهما » .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : فهذه ثلث عشر علامة رواها أبو هريرة في حديث واحد ولا حاجة لما ورد في الأحاديث الضعيفة من العلامات المؤذية بوقوع أمور معينة في سنين معيّنة كما روى عن رسول الله ﷺ : إن في سنة ثمانين يكون كذا وكذا ، وفي سنة عشر ومائتين يكون كذا وكذا ، وفي العشرين ومائتين كذا ، وفي الثلاثين ومائتين كذا ، وفي سنة ستين ومائتين تكشف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس . انتهى . وقد مضت هذه المدة ولم يقع شيء مما قيل ، ولو أنه وقع لم يخف على الناس نقله لمن بعدهم . وأيضاً فإنّ التاريخ إنما وضع في زمن عمر بن الخطاب بعد موت النبي ﷺ على أنه قد مضى كثير من العلامات في حديث حذيفة الصحيح ، وإنما الكلام في تعيين التاريخ ، وحاصل الأمر أن جميع ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن لا بدّ من وقوعه ، وأما تعيين وقته فيحتاج إلى طريق صَحيح ، والحمد لله رب العالمين .

ومعني حديث « لا تقوم الساعة حتي يمر الرّجل فيقول يا ليتني كنت مكانه » ، أي : لما يرى في ذلك الزمان من شدّة البلاء ، وتعظيم الجهّال ، وظهور رياستهم ، وخمول العلمآء ، وغبن الأولياء ، واستلاء الباطل في الأحكام ، وعموم الظلم ، والجهر بالمعاصي ، واستلاء الحرام على أموال الخلق ، والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حقٍّ .

وقال الإمام القرطبي : قد وجد غالب هذا في زمننا هذا . قال وروينا عن أبي ذر رضي الله عنه : أنه كان يقول : « يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ » ، يعني : الّذي لا أهل له ولا ولد ، كما يغبط اليوم أبو عشرة من الأولاد ، « ويغبط الرجل ببعده عن السلطان كما يغبط اليوم بقربه منه لمصالح العباد ، وتمرّ الجنازة في السوق فيهزّ الناس رؤسهم ، ويقولون : ليت أحدنا مكانه . قال عبادة ابن الصامت : يا أبا ذر إنّ هذا الأمر عظيم ، فقال : نعم ، الأمر أعظم مما تظنون » . انتهى من « تذكرة القرطبي » للشيخ عبد الوهاب الشعراني عبارته ١٣١ .

روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا فعلت أمتي خمسة عشر خصلة حلّ بها البلاء ، وقيل وما هي يا رسول الله عليه السلام ؟ قال : إذا كانت المغنم دولاً ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرمًا » . وفي رواية : « وتعلم لغير الدّين ، وإطاع الرجل زوجته ، وعق أمّه ، وبرّ صديقه وجف أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ؟ وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شرّه ، وشربة الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذ القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها . فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمرآء أو خَسفا أو مسخا » . حديث غريب رواه الترمذي . وفي رواية « فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وقدوم ايات متتابع كنظام إنقطع سلكه فتتابع » .

وأخرج الحافظ أبو نعيم من حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتراب الساعة إثنان وخمسون خصلة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلّوا الكذب ، واستخفوا الدّمآء ، واستعلوا البنآء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ، ويكون الصدق ضعيفا ، والكذب صدقا ، والحرير لباسا ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وائتمن الخائن وخوّن الأمين ، وصدّق الكاذب وكُذّب

الصادق ، وكثر القاذف ، وكان المطر قيضًا[١] ، والولد غيْظًا[٢] وفاض اللّئام فيضا وغاض الكرام ، وكان الأمراء فجرة والوزرآء كذبة ، والأمنآء خونة والعرفآء ظلمة ، والقرَّآء فسقة ، إذا لبسوا مسوح الضأن ، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمرّ من الصبر ، يغشاهم فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة ، وتظهر الصفرآء ، أي : الدنانير وتطلب البيضاء أي الدراهم ، وتكثر[٣] الخطبآء ، وتقلّ الأمنآء ، وحليت المصاحف ، وزخرفت المساجد ، وطوّلت المنابر ، وخربت القلوب ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربّتها ، وترى الحفاة العرات قد صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبّه الرّجال بالنسآء والنسآء بالرجال ، وحلفٌ بالله كاذباً ، وشهد الرجل من غير أن يتشهّد ، وسلَّم للمعرفة ، وتفقه لغير الدين ، وطلب الدنيا بعمل الأخرة ، واتخذ المغنم دُوَلاً ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغرمًا ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه ، وبرّ صديقه ، وجفا أَمَّهُ ، وأطاع زوجته ، وَعَلت أصوات الفسقة في المساجد ، واتخذ القينات والمعازف ، وشربت الخمور في الطرق ، واتخذ الظلم فخرا ، وبيع الحكم ، وكثرت الشطّ[٤] ، واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع خفافا ، ولعن آخر هذه الأمة أوّلها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وخسفا ومسخا » إنتهى راجع شرح « سلك العين » في بيت (في قَرْنِ عاشر الأهوال) . .إلخ .

(١) أي : حارا . (هامش الأصل) .

(٢) أي : يغيظ والديه . (هامش الأصل) .

(٣) ما كثرة خطبآء هذا الزمان أكثرهم الصبيان ، وهم يخطبون في كل ليلة وفي كل يوم في الطرق والمجامع وفي الأشكولات . هذا فافهم .

(٤) والشطّ في القضية جار (هامش الأصل) .

مهم

وكان عبد الله بن مسعود ﵁ يقول : إن من أشراط أن تتخذ المساجد طرقا ، وأن يسلّم الرجل على الرجل بالمعرفة ، وأن يتجر الرجل وامرأته جميعا ، وأن تغلوا مهور النّسآء والخيل ، ثم يرخص فلا يغلوا إلى يوم القيمة . إنتهى عبارته ١٣٣ « تذكرة القرطبي » .

وقال الشيخ حسن العدوي في « مشارق الأنوار » ما نصّه : **اعلم** إن أشراط الساعة كثيرة جدّا ، أوصلها بعضهم إلى خمسمائة ، فمنها بعثة النبي ﷺ لقوله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى .

ومنها : قبض العلم بموت أهله ، وظهور الجهل ، وكثرة الزنا ، ومعاملة الربا ، وكثرة الزلازل ، وانشقاق القمر ، ورجم الشياطين من السمآء ، وتأمين الخائن ، وتخوين الأمين ، وكثرة العقوق ، وإمّارة الصّبيان ، والتطاوُل في البنيان ، وفساد البلدان ، وكثرة الفتن فيها . انتهى « تفراوي » .

ومنها : أن يشرب الخمر ، وتكثر النسآء وتقلّ الرجال ، حتى يكون للخمسين امرأة قيّم واحد أي : رئيس . **ومنها** رفع الأسافل ، قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لُكَعْ ابن لُكَعٍ » ، يعني بذلك السفلة من الناس .

وفي الحديث : « مَا مِنْ عام إلاّ والّذي بَعْده شرّ منه حتى تلقوا ربكم » . انتهى عبارته ١٨٢ .

ومن علامتها : جور الحكام ، وعدم النصفة في الأحكام ، وكثرة المظالم ، وارتكاب المآثم ، وقلّة الأمانات ، وكثرة الخيانات ، وقلّة العلماء ، وكثرة الجهّال . ففي الحديث « إن الله لا يقبض العلم إنتزاعًا ، ولكن بموت العلمآء ، حتى إذا لم يَبْق عالم اتخذ الناس رؤساً جهّالا فافتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا » .

ومنها : كساد الأسواق ، وقلة البركة في الأرزاق ، وكثرة الشكاية من الناس ؛ قلّ من تجده إلا ويظهر لك الشكوى وعنده ما يكفيه .

ومنها : كثرة الرّبا ، وإفشائه في المعاملات فتجد غالب الفجار يعطي الشرة بخمسة عشر ، وما كثر وما قلَّ . ففي الحديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض بيت إلا دخل فيها الربا ، إن لم يصبه منه أصابه من غباره أو من صاحبه أو صديقه أو قريبه .

ومنها : اتخاذ القرآن مغنّىً يغنى به في صُدور المجالس والأسواق والقهاوي .

ومنها : **عمّارة القهاوي** أكثر من المساجد التي هي محلّ العبادة والذكر والفوائد ، **والقهاوي** محلّ الغيبة والنّميمة والمفاسد .

ومنها : ما حَدث في هذا الزمان من شرب الدخان ، فإنها بدعة منكرة في سائر الأديان ، لأنه يلهي عن ذكر الله الواحد الديّان . انتهى .

وقال المحقق العلاّمة الأمير في مجموعه : القهوة والدخان تعتريها الأحكام الخمسة بحسب الأشخاص تحريما وَوُجوباً وكراهَة وندباً وإباحة . انتهى . وهذا لا ينافي كونه بدعة من علامات الساعة . **ومنها** أخذ الرشوة على الحكم ، حتى لو جآء الخصمان إلى الحاكم أحدهما على الحق والآخر على الباطل فوعَده الذي على الباطل بالرشوة لَمال معه وترك الحقّ . وعلى هذا جاء الحديث « القضاة : ثلاثة . قاض في الجنّة وقاضيان في النار » .

ومنها : إنقلاب الشتآء صيفاً والصيف شتآء ، والتكالب على الدنيا وترك الآخرة .

ومنها : رفع الأصوات في المساجد ولو بالعلم لقول مالك : ما للعلم ورفع الصوت وتعليم العلم لغير الدين وإطاعة الرجل امرأته وإقساؤه أباه وأمّه . وهذه بَعْض العلامات الصغرى ، وإلا فقد وصل عدّها إلى خمسمائة . انتهى راجعه في ١٨٢ .

ومنها : ما ذكره الشيخ الشعراني في « مختصر تذكرة القرطبي » وهو قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ ونحوها من الآيات . وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تكون فتنٌ كقطع اللّيل المظلم يصبحُ الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعَرض من الدنيا » . انتهى .

وروي أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة فقال : « يا أصحاب الحجرات سعّرت النار وجائت الفتن كأنها قطع الليل المظلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » . وفي الحديث عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الفتنة تجيئ من هاهنا ، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان ، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « العبادة في الهرج كالهجرة إليّ » . قال العلمآء في حديث : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم » إلى آخره ، وفي ذلك دليل على أن البلآء قد يرتفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون ، فإن كثر المفسدون وقلّ الصالحون هَلك الكلّ إذا لم يكرهوا ذلك ولم ينكروه ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ ، بل يعمُّ شومها من يتعاطاها ومن رضيها ، هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره .

وروي أن الله تعالى أمر ملكاً من ملائكته أن يخسف بقرية ، فقال : يا ربّ إن فيها فلانا العابد ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ ، فإنه لم يتغير وجهه حين انتهكت محارمي . انتهى .

وروى البخاري عن الزبير بن عدي رضي الله عنه قال : آتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج ابن يوسَف الثقفي ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والّذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربّكم ، سمعت ذلك من نبيّكم ﷺ .

وروى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشحّ ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهَرج » . انتهى . قال العلمآء ومعنى « يتقارب الزمان » أي تقصر الأعمال وتقلّ البركة فيها . وقيل : المراد قصر مدّة الأيّام كما يَدُلّ عليه حديث « إن الزّمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كإحراق السعفة » . رواه الترمذي . قال الخطابي : ويحتمل أن يكون يتقارب الزمان من شدّة الالتذاذ بالعيش كما في أيام المهدي عليه السلام . ومعنى « يلقى الشحّ » أي يتلقَّى ، وتتواصى الناس به ، ويدعون إليه ، ويتعلّمونه ، ومنه ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ أي فتعلّمها . قال القرطبي : ومعنى ذلك أن الشحّ يزيد ، لا أنه يوجد ، فإن الشحّ لم يزل موجودا قبل تقارب الزمان والله أعلم .

وروى مسلم عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنها ستكون فتن ، ثم فتن ثم فتن القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فإذا نزلت » أو قال : « وقعت فمن كان له إبل فليلحق بابله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » فقال رجل : يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : « يعمد إلى سيفه فيكسّره بحجر ، ثم ليَنْجُ إن استطاع النجاة ، اللّهمّ هل بلغت » قالها ثلاثا ، فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ، أو إحدى الفئتين فيضرّني رجل بسيفه أو يجيء السهم فيقتلني ، قال : « يبوء بإثمه وإثمك ، فيكون من أصحاب النار والله تعالى أعلم » . **وروى** أبو داود عن أبي موس قال : قال رسول الله ﷺ « إن بين أيديكم فتنا كقطع اللّيل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمنا ، ويصبح كافراً ، القاعد فيه خير من القائم ، والقائم فيها خير من الساعي » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ ، قال : « كونوا أحلاس بيوتكم » أي : ألزموا بيوتكم كما يلزم الحلس ظهر

الجمل . انتهى . وفي الحديث « فتنة الأحلاس » مراده بها فتنة الدوام ، أي : يطول زمنها ، كما يلزم الحلس ظهر البعير ، يقال : فلان حلس بيته . أي : لا يكاد يبرح منه . وأمّا قوله حزب فالمراد به زوال الأهل والمال ، يقال : حزب الرجل ، فهو حزب إذا سلب أهله وماله . انتهى . وفي حديث الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان أمرائكم خياركم ، وأغنيائكم سمحائكم ، وأمركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمرآئكم شراركم ، وأغنيآئكم بخلائكم ، وأمركم إلى نسائكم ، فبطنُ الأرض خير لكم مِنْ ظهرها » .

وروى الترمذيّ عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي على الناس الزمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » . **وروى** أبو داود عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ستكون فتنة تستنطق العرب قتلاها في النار » أي ترميهم ، والاستنطاق : الرمي « اللّسان فيها أشدّ من قتل السيف » . وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون فتنة عمياء صمّآء بكمآء ، من أشرف لها استشرفت له ، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف » . وفي رواية لإبن ماجه « إياكم والفتن ، فإنّ اللسان مثل وقع السيف من حيث الكذب عند أهل الجور ونقل أخبار الناس إليهم ، فربّما نشأ من ذلك النهب والقتل والجلاء والمفاسد العظيمة أكثر من وقوع الفتنة نفسها » . وفي الصحيحَيْن أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخط الله لا يلقي إليها بالاً » . وفي رواية : « ما يتبيّن فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » . وفي رواية « يهوى بها في النار سبعين خريفا » . انتهى مع الإختصار راجعه في ١٨٠ من كتاب « الفتن » عن عبد الله بن عمر ابن العاص رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا ذكر الفتنة فقال : « إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا » وشبّك بين أصابعه ، قلت : فماذا أصنع عند ذلك جعلني الله فداك ؟ ، قال : « إلزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ

ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليكم بأمر الخاصّة ودَعْ عنك أمر العامّة » وذكر في خبر آخر أنه قال عليه السلام : « ذاك أيّام الهَرج » قيل : وما أيّام الهرج ؟ قال : « لا يأمن الرجل جليسه » . وذكر ابن مسعود رضي الله عنه في خبر آخر للحرث من عميرة أنه قال : « ان لم تدفع[1] عن عمرك فسيأتي عليكم زمان كثير خطبائه قليلٌ علمآئه ، كثير سؤاله قليل معطوه ، والهوى فيه قائد العلم ، ومتى ذاك إذا أُهينت الصلاة ، وقبلت الرشا ، ويباع الدين بيسير من الدنيا ، فالنجاة ويحك »

قلت : وجميعُ ما ذكر في هذه الأخبار تراه بعينك في زمانك وأهله ، فانظر لنفسك كذا في « منهاج العابدين » راجعه في ٢٧ . وفي « السراج المنير » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم ، يحدّثونكم ، فيكذّبونكم ويعملون فيسيئون العمل ، لا يرضون منكم » أي عنكم « حتى تحسِّنوا قبيحهم ، وتصدّقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق ما رضوا به ، فإذا تجاوزوا ، فمن قتل على ذلك فهو شهيدٌ من شهدآء الآخرة ، خاطبهم بذلك ليُوطِّنوا أنفسهم ، حتى تلقوه من الأذى فيصبروا عليه » . طب عن أبي سلمة الأسلمي أو السلمي بإسناد ضعيف انتهى في ٣١٤ ج ٢ .

وفيه حديث : « ستكون أمرآء فتعرفون بعض أفعالهم » أي ترضون بها لموافقتها للشرع « وتنكرون » بعضها لمخالفتها للشرع « فمن كره » ذلك المنكر بلسانه بأن أمكنه تغييره بالقول فقال « فقد برئ » من النفاق والمداهنة « ومن ضعف » عن ذلك « وأنكر » بقلبه « سلم » من العُقوبة « ولكن من رضي بالمنكر » وتابع عليه في العمل « لم يبرأ » من العقوبة . م د . عن أم سلمة « تكون بعدي أمراء يقولون » أي : ما يخالف الشرع « ولا يردّ عليهم » أي لا يستطيع أحدٌ ان يأمرهم بمَعْروف ولا ينهاهم عن منكر « يتهافتون » أي يتساقطون « في النار يتبع بعضهم بعضا » أي كلما

---

(١) **أي** : ان طال عمرك (**منه**) .

مات واحدٌ ولي غيره مكانه فعمل بعلمه ؛ منه عبارته في ١٥٧ ج ٢ . قال النبي ﷺ « يأتي على الناس زمان يقال للرجل ما أظرفه وما أعقله وما أجلده وما في قلبه من الإيمان ما يوزن بخردَلة » وقال : « يأتي على الناس زمان يذوبُ قلبُ المؤمن في جوفه كما يذوبُ الملحُ في الماء مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره » وقال : « يأتي على الناس زمان لأن يُربي أحدكم جرو كلب وخنزير خير له من أن يربّي ولدًا من صلبه » انتهى . وقال : « يأتي على الناس زمان هممهم بطونهم ، شرفهم متاعهم ، قبلتهم نسآئهم ، دينهم دراهمهم ودنانيرهم ، أؤلئك شرّ الخلائق » . وقال : « يأتي على الناس زمان يكون السّلطان كالسبع ، ومن قبله كالذئب ، ومن قبله كالثعلب ، ويكون المسلمون كالشاة ، فمتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب ؟ ! » وقال : « يأتي على الناس زمان الموت أحبّ إلى أحدكم من الذهب الأحمر » . وقال : « يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلاّ أن يكون مستندا إلى منافق » . انتهى « مفيد العلوم » ٤١٣ . هذه المذكورات بعض العلامات الصغرى .

وأما العلامات الكبرى

قال الشيخ أحمد النفراوي على « الرسالة » : للساعة أشراط وعلامات يجب الإيمان بها ، وهي على قسمين ؛ صغرى وكبرى ، فالكبرى عشر ، خمس متفق عليها ؛ خُروج الدجّال ، ونزول عيسى بن مريم من السمآء الثانية ، وخروج الدابة ، ويَأجُوج ومَأجوج ، وطلوعُ الشمس من مغربها ، وخمس مختلف فيها ؛ خسف بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ودخان باليمن ، ونار تخرج من قعْر عدنٍ تروح مع الناس حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا حتى تسوقهم إلى المحشر . انتهى .

ثم ذكر العلامات الصغرى كما تقدّم ، **وعدّ منها ظهور المَهْدي ،** وعدّ بَعْضُهم من الكبرى . انتهى سرد ما أردنا سرده في هذا المختصر ، واكتفينا فيه بهذا القدر ، وصار الكتاب بذلك كتاباً حاوياً بجميع المقاصد ، فللّه الحمد أوّلاً وآخراً ، وصلّى الله على سيّدنا محمد تنحلّ به العقد وتنفرجُ به الكُرب وتخرجنا من الظلمات إلى النور ، ولما كان جمعه بإشارة بَعْض الفقرآء أهل التصرف الباطني وفقني الله تعالى في ذلك توفيقاً عجيباً في أسرع وقت على خلاف طبعنا المعهود قبله ، نسألُ الله تعالى أن لا يحرمنا من بركات أنفاسهم العاطرة ، وفيوضاتهم الوافرة ، آمين يا مجيبَ الدعآء ، ويا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكتاب بعَوْن الملك المعبود فريد أحقر الأنام

وأخس الورى عملا اللهم اجعَلْ سعيه

مشكوراً وعمله مقبولاً بحرمةالسادات

الكرام والمشائخ العظام وبحرمة

من خُلق الأكوان لأجله

آمين يا مجيب .

قصيدة هائية

في

أشراط الساعة وأحوال العصر

ألَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد
النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

قصيدة هائية[1] في أشراط الساعة وأحوال العصر

يَـا رَسـوُلاً يَـا سَـيِّدَ الـثَّـقَـلَـيْـنِ   أَنْـتَ حَـسْبِي يَا مُصْطَفَى فِي الْبَرِيَّهْ
أَنَّ أَشْـرَاطَ الْـحَـاقَـةِ الْـمُـفْـزِعَاتِ   قَـدْ أَحَـاطَـتْ وَدَارَ بِنَا الْكُؤُوسَهْ[2]
كَـادَرَتْ[3] عَـيْـشَـنَـا نَـوَائِـبُ دَهْرٍ   أَذْهَـلَـتْـنَـا الْـحَـوادِثُ الْـقَـادِحِـيَّهْ
وَمَـرَرْنَـا عَـلَـى الْـقُـبُـورِ[4] وَقُـلْنَا   لَـوْ قَـضَـى اللَّهُ فِـي رُقُـودِيَ مَقَامَهْ
وَأَهَـانُـوا[5] الْـمَـسَـاجِدَ الْمُرْفَعَاتِ   رَفَـعَـتْـنَـا[6] الأَسَـافِـلُ الـلَّـكِـعِيَهْ
وَتُـبَـاعُ[7] الْـعُـقْـبَى بِعَرْضٍ يَسِيرَهْ   بِاعْـتِـيَـاضِ[8] الْفُلُوسِ عَنْ أَفْضَلِيَّهْ

---

(١) والقصيدة من بحر الخفيف .

(٢) لما شبه أشراط الساعة بالخمر في السكر والدهشة أثبت لازماً من لوازم المشبه به وهو الكأس للمشبه وهي أشراط الساعة .

(٣) إشارة إلى ما ورد في الحديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض إلا دخله الربا ، إن لم يصبه من أصابه من غباره أو من صاحبه أو صديقه أو قريبه » . كذا في « المشارق »

(٤) هذا مأخوذ من حديث : « لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : ليتني كنت مكانه » أي : لما يرى في ذلك الزمان من شدة البلاء وتعظيم الجهال وظهور رياستهم . انتهى كذا في « تذكرة القرطبي » .

(٥) وهو إشارة إلى ما ورد في الحديث من اتخاذ المساجد طرقاً كما سمعنا في ولاية السهل وغيره **(منه)** .

(٦) إشارة إلى حديث ابن عباس في خبر الحرث : « لا تقوم الساعة حتى يكون زعيم القوم أرذلهم ، وحتى تكون الأسافل رؤوساً ، وحتى تكون أسعد الناس ابن لكع » **(منه)** .

(٧) إشارة إلى حديث ابن عباس في خبر الحرث : « فسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه ، كثير سؤاله قليل معطوه ، والهوى قائد العلم فيه ، وذلك إذا أهينت الصلاة ، وقبلت الرشا ، ويباع الدين بيسير من الدنيا ، فالنجاة النجاة ويحك » **(منه)** .

(٨) كما ورد في الحديث : « إنهم يبيعون الدين بالدنيا ، ويقطعون الأرحام » **(منه)** .

طَـالَـتِ الْـحُـفَـاةُ الْـعُـرَاةُ دُؤُوراً[١] وَبَـغَـوْا فِـي الأعِـزَّةِ[٢] ذِي السَّعَادَهْ
فَـحْـتَـرِزْنَـا يَـا رَبَّـنَـا يَــا كَـرِيـمُ مِـنْ هَـلاَكٍ وَدَهْـشَـةٍ هَـائِـمِـيَّــهْ
وَأَعِـذْنَـا مِنْ خِزْيِ دُنْياً وَ أُخْرَى[٣] وَعَـذَابِ الْـمُـسَـعَّـرِ الْـمُـقْـشَعِرَّهْ
فَـسَـدَ الْـبُـلْـدَانُ الْـبَـرِيَّـةُ بَـغْياً[٤] قَـبْـضَ الْـعِـلْـمُ[٥] فَاشَ زِناً رَزِيلَهْ
شَـرِبُـوا الْخَمْرَ[٦] الْخَامِرَ وَالْخَسِيرَهْ وَهُـوَ الأصْلُ فِي الآثَامِ الْخَسِيسَهْ[٧]
كَـسَـدَ[٨] الأسْـوَاقُ الْمُـعَـمَّرَةُ الْعَا ئِـلَـةُ الـذُّخْـرَى الْـعَاجِلُ وَالْمُزَالَهْ
يَـا لَـعُـجْـبُ فِـي شُرْبِهِمْ بِالدُّخَانِ كَـيْـفَ يَـلْـهُوا مِنْ ذِكْرِ رَبِّ الْبَرِيَّهْ
وَزَعِـيـمُ الْـقَـوْمِ[٩] الـرَّذِيـلُ يَجُورُ وَيَـعَـقُّ[١٠] الْـفَـتـىَ أَبَــاهُ الأوِيَّــهْ

---

(١) وهو مأخوذ من حديث جبريل : « وأن ترى الحفاة العراة يتطاولون في البنيان » كما في « الأربعين النووية » (منه) .

(٢) بالإجلاء والحبس وسلب الاختيار والمال من كل أحد (منه) .

(٣) وهو مأخوذ من حديث : « اللهم إني أعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » فإنّ من قاله يموت قبل الوقوع في الفتن . كذا في « المنتجاب » (منه) .

(٤) وفي « النفراوي » ما لفظه من الحديث : « ومنها إمارة الصبيان وفساد البلدان » . . . إلخ (منه) .

(٥) وهو مأخوذ ممّا ورد في أشراط الساعة : « ومنها قبض العلم بموت أهله وظهور الجهل » .

(٦) وهو مأخوذ من حديث حذيفة ، وفيه ما لفظه : « وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخراً » (منه) .

(٧) لأنه كلّ الآثام تنشأ منها كما ورد كذلك وكما رأيناه .

(٨) وأصل الكساد الفساد . راجع « القاموس » .
وهو مأخوذ مما في « مشارق الأنوار » ومثله : « ومنها كساد الأسواق ، وقلة البركة في الأرزاق ، وكثرة الشكاية من الناس » (منه) .

(٩) وصحّ أن من أشراط الساعة أن يكون زعيم القوم أرذلهم ، وإكرام الرجل مخافة شرّه ، وشرب الخمور (منه) .

(١٠) وفي حديث حذيفة في بيان وقت الساعة ما لفظه : « وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه وبر صديقه ، وجفا أمّه وإطاع زوجته » . . إلى آخر الحديث (منه) .

وَيَبِرُّ الأخَ الطَّغِي وَهْوَ جَافٍ أُمَّهُ أَنْهَارَ الْجُفُونِ مُسِيلَهْ

أَمَّنُوا الْخَائِنَ[1] الْبَغْي ذَاكَ خَوَّ نُوا الأمِينَ الْخَاجِي[2] أَخَا الْخَلَدِيَّهْ

عَادَتِ[3] الأيَّامُ الْمُنِيرَةُ حُلْكاً فَكَأَنَّهَا اللَّيْلَةُ الْمُظْلِمَهْ

رَكِبَ الْفُرُوجُ[4] الْجُنَاةُ الْجَرِيمَهْ بِالسُّرُوجِ الْمُزَيَّنَةِ الْبَهِيَّهْ

صَبْرُنَا بِالدِّينِ الْقَوِيمِ[5] الْمُرَامِ مِثْلُ قَبْضٍ بِالْجَمْرَةِ الْمُحْرِقَهْ

وَسَقَانَا أَيَّامُنَا الْهَرَجِيَّهْ[6] غُصَصَ الأكْدَارِ الشَّنِيعِ الْمُعَمَّمَهْ

ذَاتُ أَيْدِينَا[7] فِي تَصَرُّفِ وُلاَّةِ أُمُورٍ صَارَتْ كَذَاكَ الصَّبِيّهْ

أَفْسَدُونَا سَنِيَّةَ الْمُسْنَدَاتِ[8] مَنَعُونَا عَنِ الشِّعَارِ[9] الشَّهِيَّهْ

---

(١) وهو مأخوذ من حديث حذيفة : « إن من أشراط الساعة ائتمان الخائن ، وتخوين الأمين » **(منه)** .

(٢) خجي كرضي : استحي .

(٣) وفي حديث مسلم : « لا تقوم الساعة حتى تكون فِتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا » . « تذكرة القرطبي » .

(٤) إشارة إلى ما ورد : « لا تقوم الساعة حتى ركبت الفروج بالسروج » **(منه)** .

(٥) عن أنس بن مالك ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » . كذا في « مختصر تذكرة القرطبي » .

(٦) إشارة إلى حديث : « إذا رأيتموا الناس مرجت عهودهم » . .إلى آخر ما قاله « وذلك أيام الهرج » . قيل : ما أيام الهرج ؟ قال : « القتل القتل » . وقيل في موضع آخر : « أن لا يأمن الجليس جليسه » **(منه)** .

(٧) وفي « السراج المنير » عن النبي ﷺ قال : « ستكون عليكم أمراء يملكون أرزاقكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملون فيسيؤون العمل ، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدّقوا كذبهم » . . . إلخ **(منه)** .

(٨) من أمور الآخرة .

(٩) **أي** : شعار الإسلام .

وَأَزَالُوا[1] الأهلا كَذَ الْمَالَ سَلْباً	هَمُّهُمْ[2] فِي الْبُطُونِ[3] وَالسَّقِي نَالَهْ
وَيَذُوبُ الْقُلُوبُ[4] فِي أَجْوَافِهْ	فَكَمَا ذَابَ الْمِلْحُ فِي الْمَا الْحَرَّهْ
لَمْ يُسَلَّمْ ذُو دِينٍ دِينُهُم وَيْ[5]	إِلاَّ بِاسْتِنَادِ الْمُنَافِقِ يَالَهْ
وَرَأَيْنَاهُمْ كَالذِّئَابِ فَصَالُوا	وَالْمُوَحِّدُ الْحَائِرُ شَاةً آهْ[6]
فَمَتَى يُسْلِمُ[7] الشِّيَاهُ إِذَا كَا	نَتْ رُعَاةٌ ذِئَابَهَا ذَا الْقَوِيَّهْ
بَيْدَ أَنَّ الْحُكْمَ الْمُحَكَّم كُلَّهْ	لِلْحَكِيمِ الْمُهَيْمِنِ الأَحَدِيَّهْ
نَحْنُ رَاضُونَ مَا قَضَى مَا يَشَاءُ	يَا إِلَهِي بِالْحِكْمَةِ الأَزَلِيَّهْ
يَا حَكِيمِي أَدِمْ لَنَا بَرُّ[8] دِيناً	مَعْ شُيُوخِي وَوَالِدَيَّ الْحَمِيَّهْ
حَالُ يَعْسُوبِكُمْ كَذَلِكَ فَادْعُوا	لَهُ بِالْفَوْزِ رَأْفَةً[9] أَخَوِيَّهْ
رَبِّ حَصِّلْ مُرَامَنَا وَاهْدِنَا مَا	هُوَ خَيْرٌ لَنَا غَدَاةَ الْمَنِيَّهْ
صَلَوَاتُ اللهِ الْكَرِيمِ الْهَا	دِي وَحِيدٍ[10] مُشَفَّعٍ فِي الْخَلِيقَهْ

تَمَّتْ فللّه الحمد والمنة أولاً وآخراً .

---

(١) كما رأيناه بأعيننا والسلام .

(٢) كما رأينا ذلك جهاراً .

(٣) وقال : « يأتي على الناس زمان همّهم في البطون ، شرفهم في المتاع » . (منه) .

(٤) وقال : « يأتي على الناس زمان يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء ، فما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره » كما في « مفيد العلوم » . (منه) .

(٥) وَيْ : كلمة تعجّب . « قاموس » .

(٦) يقال عند الشكاية أو التوجع : آهَ أوَهاً . « قاموس » .

(٧) وهو إشارة إلى حديث : « يأتي على الناس زمان يكون السلطان كالسبع ومن قِبَلُهُ كالذئب ، ومن قِبَلُهُ كالثعلب ، ويكون المسلمون كالشاة ، فمتى تسلم الشاة بين سبع ، وذئب ، وثعلب » . راجع إلى « مفيد العلوم » .

(٨) اسم من أسماء الله تعالى .

(٩) **أي** : بالرأفة الأخوّة الدينية كما ورد : « دعاء الأخ للأخ بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة »

(١٠) اسم من أسماء نبيّنا محمّد ﷺ .

توسّل محمد اليعسوبي قدس سره

إلَهي وغَفَّارِي ورَبِّي وسَيِّدِي ... إلَيْكَ تَوسَّلْتُ بِكُلِّ الأكَابِرِ
خُصُوصًا بِحَقِّ الأبْطَحِيِّ مُحَمَّدٍ ... رَحِيمٍ عَلِيمٍ شَافِعٍ فِي الْمَعَاشِرِ
وَمَنْ خلَقَ الأكْوَان بدْاءً لِأجْلِهِ ... وجَاءَ بِهِ الْأنْوَارُ مَحْوًا لِحَائِرِ
وَبِالْأنْبِيآءِ وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعِهِمْ ... وَحُرْمَةِ أزْوَاجٍ وآلٍ مَنَاوِرِ
وَبِالْخُلَفَآءِ الْمُرْشِدِينَ لِأُمَّةٍ ... وَأَصْحَابِه الْأَبْرَارِ مُبيدي الأكاسِرِ
بِحُرْمَة صِدِّيقٍ وَسَلْمَانِ قَاسِمٍ ... وَجَعْفَرِ طَيْفُورٍ مُزِيلِي السّتائِرِ
أَبِي الحَسَنِ ثُمَّ الإمَامِ أبِي عَلِي ... بِيُوسُفِ هَمْدَانٍ هُدَاة الهَوَاجِرِ
بِشَيْخٍ شَهِيرٍ شَاكِرٍ عَبْدُ خَالِقٍ ... بِعَارِفِ رِوْكِيرِي كَرِيمِ الْعَنَاصِرِ
بِمَحْمُودِ انْجِيرٍ عَلِيٍّ بِرَامِتِني ... بِبَابَا مُحَمَّد مُنِير الشَّراشِرِ
تَشَفَّعْتُ بِالْمِيرِ الكُلاَلِ المُحمّد ... بِحُرْمَةِ قُطْبِ الأَوْلِيآءِ النَّضَائِر
إمَامِ الطَّرائِقِ سِمِّي مُحَمَّدٍ ... وَحُرْمَةِ عَطَّارٍ عَظِيمِ الذَخَائِرْ
وحُرْمَةِ يَعْقُوبٍ عُبَيْدُكَ أحْرَارٍ ... مُزِيحِ القَوَادحِ مُجِيري الدَّيَاجِرِ
بِحُرْمَةِ زَاهِدِي يُسمّى مُحَمَّدا ... وَحُرْمَةِ دَرْوِيشٍ شَهِيرِ النَّوَابِرِ
وَبِالأمْكِنَكِيِّ كَرِيمِ المَوَاكِبِ ... بِحَقِّ مُحَمَّدٍ بِبَاقِ المُنوّرِ
بِحُرْمَةِ غَوْثِ العَالمِينَ مُجَدِّد ... إمَامٍ رَبَّانِيّ مُلاَذِ الغَداوِر
بِحُرْمَةِ مَعْصُومٍ مُزِيلِ الشّقَاوَةِ ... بِحَقِّ حَبِيبِ اللهِ مَاحِ الخَوَاطِرِ
وَحُرْمة عَبْدِ اللهِ عَينِ العِنَايَة ... وَبِالغَوْثِ خَالِدٍ مُبيدي البَوائِر
بِحَقِّ ذَبِيح الله زَيْنِ العِناية ... بِحَقِّ مُحَمَّدْ صَالِحْ ذِي النَّوَاصِرِ
بِحُرْمَةِ إبْرَاهِيمْ أَمِينِ الوِلاَيَةِ ... بِحَقِّ يُونُسٍ فيَسْرِي بِكَافِرِ

بـحُـرْمَـةِ مَحْمُود حَمِيدِ المَحَاسِنِ رَحِـيمٍ مُفِيضٍ فِي الصُدُورِ السَّرَائِرِ
فَـجَـبْـرَائِـيـل الْـجَزِيلِ جَامِع فَائِح آبَـا عَـبْـدِ الـرَّحْمَنِ مُضِيءِ البَصَائِر
خُـصُـوصًـا بِشَيْخِنَا شَهِيرِ المَرَاتِبِ حِـلْـمِي حَبِيبِي فِي البِحَارِ الغذَامِر
تَـوَسَّـلْـتُ يَـا رَبِّ بِسَادَاتِكَ الكِرَام فَـأَسْـئَـلُـكَ الـتَّـقْـرِيبَ مِنْك بِظَافِرِ
إِلَـهِـي أَمِـدَّنَـا بِـكَـشْـفٍ بـكُـرْبَةٍ وَوَصْـلٍ إِلَـيْـكَ يَا مُجِيبَ الجَمَاهِر
وَتُـحـرسْـنَـا مِـن حَـرِّ نَارٍ وَغُصَّةٍ وتـجـبـرَنَـا الكَسْرَ بِكَشْفِ الكَدَاوِرِ
إِلـهِـي كَـريـمِـي كُنْ رَؤُفًا وساتراً لإِثْـم سـلَـفْـنَـاه بـسَـهْـو ودَغـمَرِ
وأنْ تَـدْفَـعَ عَـنَّـا الـمَـفَـاسِدَ كُلَّهَا وتـحـفِـظـنـا مِـن شرّ دُنْيا ومَنْشَر
وتَـخْـتِـمَ أعْـمَـالِـي بِصَالِح ذِكْرِك وَخَـيْـرُ لِـقَـائِـي فِي لِقَاكَ بِمَحْشَرِ
وتَـحْـشُـرَنَـا فِي السَّابِقِينَ الاَمَاثِلِ والـحـقـنـي بـهِـمْ وَبـي بِـالذَّرَائِر
وتـرحـم وَالِـدَيَّ أَهْـلَ مَـوَدَّتِـي كـذا الـمُحْسِنِينَ مِنْ حِزْبِ العَشَائِر
فـقِـيـرٌ فـيَـعْـسُوبِي عَظِيمُ الجَرَائِم قَـلِـيـلُ الـمـكـارم كَـثِـيرُ الْمَوَازِرِ
سَـمِـيٌّ نَـبِـيًّـا سَـقِـيـمٌ فـؤادُهُ فـيـرجُو مِنَ الإِخْوَانِ دَعْوَى لناشِرِ
وَصَـلِّ عـلى خَـيْـر الأَنَـام مُحَمَّدٍ وَآلٍ وَأَصْـحَـابٍ وَكُـلِّ الْأَكَـابِـرِ

تمَّت .

فائدتان : **الأولى** : قال بَعض الفضلآء من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يُلازم أربعة ويجتنب أربعة .

فأما الأربَعة التي يلازمها : فالمحافظة علَى الصّلوات والصّدقة وقرائة القرآن وكثرة التسبيح ، فإن هذه الأشيَآء تضيءُ القبر وتوسّعهُ .

وأما الأربَعة التي يجتنبها : فالكذبُ والخيَانة والنميمَة والبَوْل فإن عَامَّة عذاب القبر منه .

الثانية : ذكر الأستاذ الشيخ محمّد أبو خنسير حفظه الله تعالى في كتابه « نهَاية الأمَل » أنه نقل عن سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أن من كتب هذه الأبيَات ووضعَها في كفنه أمِنَ مِن فتنة القبر ومن سؤال منكر ونكير لكن بشرط أن يَجْعَلَهَا في حرز يحفظها من النجاسة كقصبة أو نحاسٍ وهي هذه :

يـا قـاهـرًا بـالـمـنـايـا كـل قـهّار ... بـنـور وَجـهـك أعـتـقني من النار
إلـيـك أسـلـمني من كان يعهدُني ... من أهل ودّي وأصحَابي وأنصَاري
فـي قـعـر مـظـلمة غبرآء موحِشة ... فـردًا غـريبًا وحيدًا تحت أحجار
أمـسيت ضيفك يا ذا الجُود مرتهنا ... وأنـت أكـرم مـنـزول بـه قـاري
فـاجـعَـلْ قـرائـي منك نيل مغفرة ... أنـجـو إلـيـك بـهَـا يَـا خير غفار

ومثل ذلك للأستاذ البكري حيث قال :

يا ربّ إن ذنوبي في الوَرى كثرت ... وليس لي عملٌ في الحشر ينجيني
وقـد أتـيـتـك بـالـتـوحيد يَصْحَبُهُ ... حـبّ الـنـبـي وهَـذا القدر يكفيني

« مصباح الظلام » ج١ عبارته ١٢٠ .

توسّل آخر لليعسوبي قدس سره

تَـوَسُّـلِـي بـالـنَّـبِـيِّ سَـيِّـدِ الرُّسُلِ ... رَسُـولِـنَـا وَشَـفِـيـعِ الـخَلْقِ كُلِّهِمِ
وَبِـالـصِّـدِّيـقِ أَبِـي بَـكْـرٍ رَفِيق نَبِي ... فِـي غَـارٍ مِـنْ جَـبَلٍ ثَوْرٍ بِلاَ وَصَمِ
وَالْـحِـبِّ سَـلْمَانَ لِلرَّسُولِ كَالْبَصَرِ ... وَالْـقَـاسِـمِ الْـقَـائِدِ الْكَرِيمِ كَالْعَنَمِ
وَجَـعْـفَـرِ الـصَّـادِقِ الإِمَـام سَيِّدِنَا ... وَالْـبَـسْـطَامِي أَبِي يَزِيدَ ذِي الْهِمَمِ
وَبِـالْـمَـحـبُوبِ غِيَاثِنَا أَبِي الْحَسَنِ ... وَالْـفَـارْمَـدِيِّ أَبِي عَلِيٍّ ذِي الحِكَمِ
وَيُوسُفِ الفَاضِلِ الْهَمْدَانِي ذِي السَّبَقِ ... وَالْغُجْدُوَانِي جَلاَلِ الدِّينِ ذِي الْغَطَمِ

وَالرِّوْكَرِي الْعَارِفِ الْمَعْرُوفِ بِالْخُلُقِ والـفَـغْـنَوِي الإِنْجِيرِ الْمُحَمَّدِ الدِّيَمِ
والـرَّامِـتِـيـنِـي عَـزِيزَانِ عَلِيَ الْوَلَهِ ولِلسِّوَى النَّاسِ السَّمَاسِيِّ ذِي القَدَمِ
وَذِي الْـكَـمَـالِ كُـلَالِ مَنْبَعِ الرُّتَبِ وَعُـمْـدَةِ الْـقَوْمِ شَيْخِ الْكُلِّ كَالْعِرَمِ
مُحَمَّدٍ شَاهِ نَقْشُبَنْدِي ذِي الْحُضَضِ إِلَـهِ اجْـعَـلْـهُ لَـنَا مَرْقًا إِلَى الْعِظَمِ
وَالْـعَـطَّـارِيِّ عَـلاَءِ الـدِّيـنِ وَالْمِلَلِ وَذِي الْـكَرَامَاتِ يَعْقُوبِ الْجَرْخِي القَطِمِ
وَالْبَحْرِ أَحْرَارِ عَبْدِ اللهِ ذِي الرَّشَدِي والـزَّاهِـدِ الـزَّائِـدِ الْـمُـحَمَّدِ الْقَرِمِ
وَالـدُّرِّ دَرْوِيـشِـنَـا مُـحَـمَّـدِ السَّنَدِ وَالْلاِمْكِنَاجِي[1] ابْنِهِ الْخَوَاجَكِي الْكَرِمِ
وَالْبَاقِي ذِي السَّكْرِ لِلْبَاقِي مُحَمَّدِهِمْ وَالْـفَـارُقِـيِّ الْـمُجَدِّدِيِّ ذِي الجُزُمِ
وَبِـالْـمَعْصُومِ الْعَلِيمِ الْمُرْشِدِ الْوَلَدِ وَالـسَّـيْـفِ للهِ فِـي الأَدْيَانِ والْهُجُمِ
والـشَّـيْـخِ نُـورْ مُحَمَّدِ الْمَعْزُوِّ إِلَى بَـدْوَانَ ذِي الْـفَيْضِ والْآثَارِ وَالرَّزَمِ
وَالْمرْزَجَانِي حَبِيبِ اللهِ ذِي الْفَـخَرِ وَالدَّهْلَوِي الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ ذِي الرَّدَمِ
وَالسَّائِرِ الْغَوْثِ لِلْإِرْشَادِ ذِي التُّحَفِ مُـحَـمَّـدِ الْـخَالِدِ الْبَغْدَادِي كَالْكُرُمِ
وَالشَّيْخِ إِسْمَاعِيلِ الْكُرْدَمِيرِي الْكَلِمِ وَالْقَائِمِ الصَّالِحِ الشِّرْوَانِي ذِي الْوَجَمِ
وَالْحَاجِ إِبْرَاهِيمِ الْقَدْقَاشِنِي الْعَـطِـرِ وَالحَاجِّ يُونُسْ أَفَنْدِي الْفَائِضِ النِّعَمِ
وَمَنْ عَلَى أَمْرُهُ فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ وَسَـيِّـدِ الأَوْلِـيَـاءِ الْجَدِّ ذِي الْكَرَمِ
الخَالِدِ النَّقْشُبَنْدِي الْخِضْرِي ذِي الْخَبَرِ الشَّيْخِ مَحْمُودْ أَفَنْدِي الْقُطْبِ فِي الْأُمَمِ
وَسَـيِّـدِ الْـكُـمَّلِ السَّادَاتِ ذِي العِبَرِ غَوْثُ الْفُقَرَاءِ كَالشَّمْسِ الْمُضِي الضِّيَمِ
مُـرَبِّـي أَرْوَاحِـنَـا رُوحِ الْـحَـيَاةِ لَنَا اَلْحَاجِّ جَبْرَئِلْ أَفَنْدِي الْحَازِي لِلْحَتَمِ
وَشَيْخِنَا الْجَنَاحَيْنِ الحِبِّ ذِي الأَدَبِ اَلْحَاجِّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَسَلِي الشَّهِمِ

---

(١) علّه : والإمكناكي .

أَعْـلَـى الْإِلَـهُ لَهُ الْمَقَام فِي الْقُرَبِ وَوَسَّـعَ الْـبَـاعَ لِـلـشَّـفَـاعَةِ العَكِمِ
قَـدَّسَ سِـرَّهُمُ الْقُدُّوسُ في الْقُدُسِ فِـي حَـضْرَةِ اللهِ عِنْدَ الْعَرْشِ وَالْقِيَمِ
الـلّـهُـمَّ أَفِـضْ عَلَيْنَا مِنْ فُيُوضَاتِهِمْ وتَـمِّـمْ لَـنَـا مـنْ بَـرَكَـاتِهِمْ آمين .

توسّل آخر لليعسوبي قدس سره

ألاَ يَـا رَحـيماً بِي بِحَالِي وَحَاجَتِي حَـكـيـمـاً بِـصُـنْعِه بَصِيراً بِعَجْزَةِ
لَـطِـيـفـاً بِـفَـضْـلِـهِ قَديراً بهَلْكتِي مُـجِـيـبـاً لِـدَعْـوَةِ مُـزِيـلاً بِـحِيرَةِ
تَـفَـضّـلْ بِـفَـقْدَتِي ترَحّمْ بِوَحْدَتِي تُـؤَنِّـسْ لِـوَحْـشَـتِي تَكَشّفْ بِكُرْبَةِ
تـوَسَـلْـتُ يَـا ربِّ بِسَادَاتِك الكِرَام إلـى دَرْأ قَـسْـوتِـي وَفَـوْزِ الـسّعَادة
خـصُـوصـاً بـحَقِ الهَاشمِيّ محمّدٍ نـبـيّ رَسـولٍ سـيّـدٍ فِـي الـقِـيَامةِ
وحُـرْمـة ِ أزوَجٍ وآلِ كَــرَامَـةٍ وَبِـالأَنْـبِـيَـا وَالـمُـرْسلِينَ بِجُمْلَةِ
وَبِـالأَوْلِـيَـاءِ الـفَـائِـزِيـنَ بِـرُؤيَــة بِـحـقِ عـلـيٍّ ذِي عُـلُـومٍ عَـجِيبَةِ
وبِـالـحَـسنِ الْـعَـالِي عَدِيم بِمِثْلِهِ بِـحُـرْمَـةِ جَـابِـرِ الْـجَزِيل بضرعةِ
أَيَـا بِـالسَّعِيدِ الْفَزَوَانِي ذَوِى الهدى فَـفَـتْـحِ الـسعُودِ مِنْ فِئَامِ الْحَبِيكَةِ
وسـعْـدٍ سَـعِـيدٍ مِنْ ثُقَاتِ السَّوَابِقِ وَبِـالأَحْـمَدِ المرْوَانْ مَلِيحٍ بحِكمةِ
بِحُرْمَةِ زَيْـنِ الـدِّيـنِ زَيْـنِ الْـهِدَايَةِ بِحُرْمَةِ شَمْسِ الدِّينِ شَمْسِ الْوِلاَيَةِ
بِـحُـرْمَـة تَـاجِ الـدِّينِ تَـاجِ الأَعِزَّةِ بِـحُـرْمَـةِ نُـورِ الـدِّينِ نُورِ الْكَرَامَةِ
بِـحُـرْمَـةِ فَـخْرِ الدِّينِ فَيْضِ الْعِنَايَةِ بِـحُـرْمَـةِ تُـقَـي الـدِّينِ دَاوٍ لِبُهْجَةِ
كَـذَا عَـبْـدِ الرَّحْمَنِ حَمِيدِ الْمنَاقِبِ فَـعَـبْـدِ الـسَّلاَمِ مُرْشِدٍ فِي الطَّرِيقَةِ
بِـحَـقِّ أَبِـي الْـحَسَنِنَا الشَّاذِلِيِّ صُنْ مِـنَ الْعُجْبِ وَالْآفَاتِ ذَاتِ الشَّنَاعَةِ
رَئِـيـسِ الْـطَّـرِيـقَـةِ عِمَادِ الشَّرِيعَةِ شَـرِيـفِ الـسَّـلاَسِلِ شَـهِيرٍ بِرُفْعَةِ

بِـحَـقِّ أَبِـي الْـعَـبَّـاسِ عَـالٍ بِنَشْأَةٍ ... وَبِـابْـنِ عـطَـاءِ اللهِ عَــالٍ بِـنَـسْـبَـةِ
بِـحُـرْمَـةِ دَاوُدٍ سُـمِّـي بِـبَاخِلِي ... بِـحَـقِّ مُـحَـمَّـدٍ بِـبَـحْـرِ الْصَفَائَةِ
بِـحَـقِّ عَـلـيٍّ ابْـنِ الْوَفَاءِ أَفِضْ لَنَا ... بِـحُـرْمَـةِ يَـحْـيَا مِنْ دَوَاءِ الْقَرِيحَةِ
بِـحُـرْمَـةِ أَحْـمَـدٍ حَـلِيفِ الأكَابِرِ ... أَجِـرْنَـا عَنْ الْعَجْزِ وَجَوْرِ الْحُكُومَةِ
بِـحُـرْمَةِ إِبْرَاهِيمْ أَبِي سَالِم الصّفِي ... هَـيَـا عَـبْـدِ رَحْـمَـنٍ حَمِيدٍ بِجَذْبَةِ
بِـحَـقِّ عَـلي السَّنْهَاجِ جَانِ الْكَرَامَةِ ... بِـيُـوسُـفِـنَـا الْفَاسِي مُزِيلِ السَّفَالَةِ
أَيَـا عَـبْـدِ الـرَّحْـمَنِ حَقِيقِ الْمَآثِرِ ... بِـحَـقِّ مُـحَـمَّـدٍ حَـكِـيـمٍ لِـمِـلَّةِ
بَـحُـرْمَـةِ قَـاسِـمٍ وَقُـورٍ بِـخَـلْـقَةِ ... بِـحُـرْمَـةِ أَحْـمَـدٍ مُـذِيـعٍ بِحِكْمَةِ
بِـسَيِّدِي فِي الْعرْبِ عَظِيمِ الْوجَاهَةِ ... بِـحَـقّ أَبِـي الْـحَسْنِ سَنِيِّ الْكَمَالَةِ
بِـحُـرْمَـةِ مَـوْلا الـعَـرْبِ هَادٍ لِأُمَّةٍ ... بِـحُـرْمَـةِ فِـنْـجِـيـرٍ جَـلِـيلٍ بِشَأْنَةِ
بِحَقِّ حَبِيبِ[1] الرَّحْمَنِ ذِي الْحِمَايَةِ ... بِـحَـقِّ مُـحَـمَّـدٍ عَـلِي ذِي إِضَائَةِ
بِـحَـقِّ مُـحَـمَّدٍ بِصَالِحِ ذِي الْحِكَمِ ... بِـحُـرْمَـةِ سَـيْـفِ اللهِ وَالٍ بِـعِــزَّةِ
بِـحُـرْمَـةِ شَـيْـخِـنَا شَهِيرِ الشَّمَائِلِ ... حَبِيبِي حَسَنْ حِلْمِي حَدِيدِ الْفِطَانَةِ[2]
وَأَسْـأَلُ يَـا رَبِّ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى ... وَآيَـاتِـكَ الْـعُـظْـمَـى رَفِـيعٍ بِرُتْبَةِ
وبِـالَّـذِي ذَكَـرْتُهُمْ وَرَهْطٍ دَعَوْتُهُمْ ... وَقُـطْـبٍ وَأَبْـدَالٍ وَغَـوْثِ الْخَلِيقَةِ
أَنِـلْـنَـا مُـرَامَـنَـا وَتَـغْـفِـرْ ذُنُـوبَـنَا ... وَأَعْـطِ إِلَـهَـنَـا سُـؤَالِـي بِـمِــنَّــةِ
إِلَـهِـي أَعِـذْنَـا مِـنْ عَـنِـيدٍ عَدَا بِنَا ... وَأَسْـبِـغْ عَـلَيْنَا مِنْ عَمِيمِ السَّمَاحَةِ

---

(١) بقصر الميم، ومد النون من حبيب الرحمن، وكذا بتخفيف الراء من عبد الرحمن للضرورة، فتفطن بمثله.

(٢) عفى الله ذا الشيخ ونال مرامه وفاز من الجنان حورا برحمته ٣٠ كساه الإله ثوب فوز وعزة وشاع علومهم بكل البرية ٣١ .

وَفَـرّجْ عَـنَـا مـا تَرَى مِنْ مَخَاوِفِ وَحَـقِّـقْ مُـرَادَنَـا بِـنَـيْـلِ الـزِّيَـادَةِ
فَـقِـيـرٌ فـيَعْسُوبِي عَدِيمُ الْمَحَاسِنِ عَـظِـيـمُ الْـجَـرَائِـم غـزِيـرٌ بِجُرْأَةِ
سـمِـيُّ نَـبِـيِّـنَـا أَسِـيـرٌ بِـنَـفْسِهِ فَـيَـرْجُـو مِنَ الأَخْدَانِ دَعْوًى بِغَيْبَةِ
وَصَـلِّ عَـلـى خَـيْـرِ الأَنَـامِ محمّدٍ إِلَـى آنِ نَـشْـرٍ مِـنْ مَـقَـابِـرَ رَقْـدَةِ

فهرسة

(١) **لعله** الجلولتية

تمت فهرسة كنوز الأمان من فتن الزمان وزخيرة النجاة من طوارق الا . . فلله الحمد المنة أوّلا وآخرًا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين[1] .

أما بعد : فيقول العبد الجاني على نفسه ، المقصر في عمله ، المفتقر إلى عناية ربه ، حسن بن محمد القحي :

لما أفلس في أعماله ولم يبق عنده سوى مجرد اسم الإسلام وضيع عمره في حالة الشبابة في البطالة والصنعة البهلوانية ، ولم يجد ما يورّق أغصان آماله إلا محبة المشائخ والأولياء والاعتقاد في طرقهم وصحبة العلماء الأمناء ، التجأ إلى الوقوف على أعتابهم الواسعة ، وطلب الدخول في طريقتهم ، وسلك في سلسلة الشيخ ذي الجناحين قطب الإرشاد الحاج العارف عبد الرحمن العسوي قدس سره فأراد أن يذكر مناقب سلسلة مشائخه ، رجاء أن تصل إليه قطرة من بركاتهم ، ورشحة من فيوضاتهم ، وأرجو الله تعالى أن يكون الكتاب مسرة لأعقابنا ومونسة لأتباعنا ، وسبباً باعثاً لدعاء الإخوان بمغفرة ذنوبنا ، وسميته بـ :

« سراج السعادات في سِيَرِ السادات »

---

(١) سَادَاتَلْ رِخْصِزِ صِوْ چِكِ دُنْ وُكِنْچُ خَا | كِنِّكِ اِزُلْ بَرْكَةْ شِيَلْدِ كُلْ لِّنَ خَا
صُلَحَاءَلْ رِخْصَنِ رَحْمَتَلْ رِشْطُلِلَنْ | طَكَزْدَ بَتُلِپْلْ بِسَنَ اِزُلْ سِيرَةْ
أَصْحَابُ الْكَهْفَ زُلْ هِي اِزْدَ خَدُبْ بِلِنْدَلْ | بِچَصْ اِبْ كُّدُ هَبُنْ اِلِيْ سَعَادَةْ شِدَلْ
اِبْ هِدُلْ مَنْزِلَلْدَ هَوِيَلْدَ كُّلْ لِدَلْ | مَشَائِخَزُلْ بِسُنْ هَبُنَ كِتَابْ دَنْدِي
يَا رَبِّ دُصَ اَللهُ اِزُلْ بَرْكَةْ شِزَبِي | حُسْنُ الْخَاتِمَةْ كِ قُنْ إِيمَانَلْدَ خِزَرِي
آمين آمين آمين .

* « ليذكرنّ الله عز وجل قوم في الدنيا على الفرش الممهّدة يُدْخلهم الدراجات العلا* »* (بسبب مداومتهم على الذكر . « سراج » . ٢١٤ ج٣) ، « جامع الصغير » . عن أبي سعيد قال الشيخ حديث حسن . « سراج » .

جعلنا الله تعالى من أرباب الفيوضات والسعادات ، ولا جعلنا من أهل العناد والشقاوات آمين .

فأقول وبالله التوفيق : لقد منّ الله تعالى عليّ من محض فضله بتلقي هذه النسبة النقشبندية التي أثنى عليها خاتمة العلماء ابن حجر بأنها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية عن الشيخ المذكور قدس سره ، وبعد انتقاله من الدنيا سلكت في سلك مريدي الشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره .

وبعد موته سلكت على يد السيّد الأمير خالد سيف الله النژبكري الحسينيّ النقشبندي القادري الشاذلي قدس سره .

وأجاز لي الشيخان السابقان في النقشبندية خاصة ، والشيخ الأخير في جميع ما أجازه أشياخه عامّة ، ولذا أردت أن أذكر مناقبهم ، وأكتب ما ظهر لديّ من كراماتهم ، وكشوفاتهم ، كما ستقف عليها في تراجمهم .

ولقد سبقت تلك الحسنى من مجلاها ومنبعها محمد ﷺ وهو روح الوجود وأصل الكائنات علواً وسفلاً ومدار السعود دنيا وأخرى ، وهو علة الكون ، ولو لاه لدامت الأشياء في غيبها ، وإنه منتهى الفضل في جميع العوالم ، وكل فضل الورى لفضله جزء ، حتى أودع الله فيه كلّ كمال ، ومنه قسم في العوالم نذراً قليلاً ، كل فضل في الناس فرد ألوف نالها من هباته الأولياء .

ومعجزاته مشهورة ، ومناقبه في كتب السير مسطورة ، والقول البالغ في حقه ما قاله صاحب الهمزية قدس سره :

هــو بَعْدَ الله العظيم عظيـم   دون أدنــى مـقامه العظماء

هو أدنى عبيدِ مـولاه مـنـه   مـا لـعـبـد لــم يُدْنِهِ إدناء

مـن أراد الـدخول لله من با   بٍ سـواه جـزاؤه الإقصـاء

يرجع الحب منه فيه إلى الله   تـعـالـى ومـنـه فـيه القلاء

من يحب الحبيب فَهْوَ حبيب   وعـداة الـحـبيب هم أعداء

اللهم يا مولانا صل عليه وعلى آله وأصحابه بعدد معلوماتك ، واجعلنا من أمته وأهل شفاعته آمين .

وقد خصّ النبي عليه السلام الذكر الخفي بأبي بكر ﷺ من بين الصحابة ، وصبّ في صدره جميع المعارف الإلهية ، لكونه في المرتبة الصديقية التي هي أقرب المراتب إلى المرتبة النبوية ، ومنه ﷺ تسلسلت هذه النسبة الشريفة إلى المشائخ النقشبندية ، وفاقت بذلك على جميع النِسَب ، ولله الحمد .

أَبُو بكْر رضي الله عنه

وهو أول من آمن برسول الله ﷺ على الإطلاق ، أو من الرجال على اختلاف من الأقوال ، **وأفضل الناس جميعاً بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام** ، واسمه : عبد الله ، سماه النبي ﷺ بعد إسلامه ، وكان اسمه في الجاهلية عبد رب الكعبة ، ووصفه : العتيق ، ولقبه : الصديق ، آمن بالنبي ﷺ في أوّل أمره ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فاستجاب له طلحة ، وعثمان ، والزُّبير بن العوام ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

بلال عتيق الصديق رضي الله عنه

كان رضي الله عنه يكسب المعدوم ، ويعين الضعفاء ، ويواسي الفقراء ، وقد أعتق ستّ رقاب في الإسلام قبل أن يهاجر ، وبلال رضي الله عنه سابعهم ، وأن النبي رضي الله عنه لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعاً على أبي بكر الصديق

﵁ في سرّه وإعلانه ، وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين ، فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ، وأن الله عاتب أهل الأرض بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ ، سوى أبي بكر الصديق ، ولم يتخلف ﵁ عن رسول الله ﷺ في سفره وحضره ، بل كان ملازماً له ، وكان يؤانس للنبي عليه السلام ، ويبذل نفسه له وكان ثاني رسول الله عليه الصلاة والسلام في أكثر الأحوال .

منها : أنّ النبي ﷺ دعا الخلق للإيمان به فكان أبو بكر أوّل من آمن ، فكان ثانيه في الإيمان ، ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله ، فاستجاب له جماعة ، فكان ثانيه في الدعوة .

ومنها : أن النبي ﷺ لم يقف في موقف من غزواته إلا وأبو بكر معه في ذلك الموقف .

ومنها : أنه لما مرض رسول الله ﷺ قام مقامه في الإمامة ، فكان ثانيه فيها .

ومنها : أنه ثانيه في تربته ﷺ .

ومنها : أن الله سبحانه نصّ على صحبته دون غيره بقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ .

ومنها : أن الله تعالى كان ثالثهما ، ومن كان الله معه لا يشكُّ في فضله وشرفه على غيره .

ومنها :إنزال السكينة على أبي بكر الصديق واختصاصه بها دليل على فضله ، يعني في قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ . قال ابن عباس ﵁ : أنزل السكينة على أبي بكر لأنّ النبي ﷺ كان على السكينة من قبل ذلك . انتهى .

ومما نقل عن أبي بكر الصديق ﷺ في وقفة الغار قوله :

قال النبيّ ولم يجزع يوقرني ... ونحن في سدف من ظلمة الغار
لا تخْشَ شيئاً فإنّ الله ثالثنا ... وقد تكفّل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره ... كسيّد الشياطين وقد كادت لكفار
الله مهلكهم طُرّاً بما صنعوا ... وجاعل المنتهى منهم إلى الغار

ولو لم يرد في صفته ﷺ سوى حديث الهجرة لكفى ذلك دليلاً على رفعة رتبته وعُلوّ منزلته على من سواه ، ولذلك قال عمر بن الخطاب ﷺ حين ذكر عنده أبو بكر الصديق ﷺ : وددت أن عملي كله مثل عمله يوماً واحداً من أيامه ، وليلة واحدة من لياليه ، أما ليلته : فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار ، فلما انتهيا إليه قال : والله لا تدخل حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابني دونك ؛ فدخل فكنسه ووجد في جوانبه ثقباً ، فشقَّ رداءه وسدَّها به ، ووضع رأسه في حجره ونام ، فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ، فسقط دموعه على وجه رسول الله ﷺ ، فقال : « ما لك يا أبا بكر ؟ » فقال : لُدِغْتُ فداك أبي وأمي . فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده ، ثم انتقض عليه فكان سبب موته .

وأما يومه : فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ ارتدّت العربُ ، وقالوا : لا نؤدي الزكاة ، فقال : لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه ، فقلت : يا خليفة رسول الله ! تألف الناس وارفق بهم ، فقال لي : أجبّار في الجاهلية خوَّار[1] في الإسلام ، إنه قد انقطع الوحي ، وتمّ الدين ، أينقص وأنا حيّ . أخرجه في « جامع الأصول » ، ولم يرقم عليه علامة لأحد . انتهى من « الخازن » منتخباً .

---

(١) أرض خوارة : لينة . « مصباح » .

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثمّ قال : « إنه ليس من الناس أحد أمنَّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قُحافَة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن خلة الإسلام أفضل ، سدّوا عني كل خَوْخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر » انتهى .

وفي « طبقات » ابن سعد عن معاوية بن صالح : أنّ ناساً قالوا : أغْلِق أبوابنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله ﷺ : « قد بلغني الذي قُلْتم في باب أبي بكر ، وإنّي أرى على باب أبي بكر نوراً وعلى أبوابهم ظلمة » انتهى .

قال أهل الحقيقة ومشائخ الطريقة قدس الله أسرارهم : فيه إشارة إلى الخِلافة الباطنية ، وأن لأبي بكر رضي الله عنه كمال النسبة الحبية إلى رسول الله ﷺ ، فأشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أن جميع النِسَب والطرق مسدودة في جنب النسبة الحبية ، وما هو الموصل إلى المقصود ليس إلا هذه النسبة الحبية ، والرابطة المعروفة عند أربابها عبارة عن تلك النسبة الحبيّة إلى صاحب دولة لائقة بالوساطة ، وانتساب الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهلها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من حيثية هذه النسبة لاختصاصها بها دون غيرها ، وطريقة هؤلاء الأكابر هي المحافظة على تلك النسبة الشريفة .

ويؤيّد ما اختاره أهل الحقيقة ما ورد في باب علي كرّم الله وجهه من الأحاديث ، منها : حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه « أمر رسول الله ﷺ بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي » . أخرجه أحمد والنسائي ، وسنده قوي . زاد الطبراني في الأوسط ورجاله ثقاة : فقالوا : يا رسول الله ! سددت أبوابنا ؟ ! فقال : « ما أنا سددتها ، ولكن الله تعالى سدّها » انتهى .

وجه التأييد أن الخلافة غير مختصة بأبي بكر وعليّ رضي الله عنهما ، بخلاف نسبة الطريقة والخلافة الباطنة ، فإنها مع كثرة طرقها ينتهي[١] **انشعابها إلى هذين البحرين التيارين** ، وينتمي أنجمها إلى ذينك النيرين السيارين دون غيرهما ، مع تحقق اتصافهم بأقصى مراتب الولاية وبلوغهم في ذلك وراء الغاية ، كما لا يخفى على أربابها ، فصحّت الإشارة بأن الخلافة المعنوية ، ونسبة الطريقة مسدودة أبوابها ، وممنوع انشعابها إلا لهذين الإمامين ، قد علم كل أناس مشربهم ، واستطاب كل فريق مأدبهم ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

وذهبت طائفة أخرى من العلماء إلى أن الإشارة في الحديث السابقة إلى غير ما ذكر ، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » ، إلى هنا من ترجمة « الرشحات » منتخباً مختصراً .

وقال الشعراني قدس سره في كتاب « اليواقيت والجواهر » في الجزء الثاني نقلاً عن الشيخ محي الدين العربي قدس سره مما يدل على فضل أبي بكر الصديق ﵁ على غيره كونه كان مع النبي ﷺ كالمريد الصادق إذا كمل فتحه مع شيخه ، وبذلك استحق الخلافة ، **فما مات رسول الله ﷺ حتى تجرد أبو بكر إلى جانب الحق جلّ وعلا** ، ورأى رسول الله ﷺ عبداً مخلصاً ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون إلا بإذن من الله تعالى .

وقال أبو السعود بن الشبلي رحمه الله : ما مات رسول الله ﷺ حتى صار أبو بكر متعهداً على الله دون رسول الله ﷺ ، فكان يأخذ كل شيء يأتيه من الأحكام من الله على لسان رسول الله ﷺ ، ولذلك لما مات رسول الله ﷺ لم يتأثر كلّ ذلك التأثر كما وقع لغيره ، فإنه ما من أحد من

---

(١) فيه إشارة إلى أنّ مرادهم ليس نفي الخلافة الباطنية عن غيرهم مطلقاً ، بل نذكرها بحيث تنتشر منهم نسبة . انتهى من هامش ترجمة « الرشحات » .

الصحابة إلا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه ، وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه .

وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الأمور ، ولذلك صعد المنبر وقرأ : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** ﴾ الآية ، فتراجع من كان حكم عليه وهمه ، وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ ، فاستحق الإمامة والتقدم ، فما بايعه من بايعه سُدى ، وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله ﷺ أو من كان في محلّ نظر من ذلك ، أو متأولاً .

فإنّ رسول الله ﷺ قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسرّ الذي وقر في صدره ، فظهر حكم ذلك السر يوم موته ﷺ ، وليس السرّ إلا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية ، بحيث إنه لم يخل منه شيء في حقّه ولا في حقّ رسول الله ﷺ .

قال : وكان رسول الله ﷺ قد علم من أبي بكر أنه صار مع الله لا مع رسوله ﷺ إلا بحكم أنه كان يرى ما نخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد ﷺ في كل خطاب سمعه منه ، وكان لأبي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل . انتهى .

فالحاصل أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه وأعاد علينا من فيوضاته العاطرة آمين – أفضل من سائر الأمة المحمدية ، وسائر أمم الأنبياء وأصحابهم . هكذا ذكره الشعراني في « اليواقيت » في ٨٢ .

ويدل عليه ما ورد في حقه : « ما صبّ الله[1] تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر » الحديث .

---

(١) فهذا الحديث وإن كان فيه كلام لأهل الحديث ، لكن أثبت أكابر الصوفية في كتبهم ، كالإمام الرباني وأحمد ضياء الدين وغيرهما ، فراجع . (منه) .

توفِّي ﵁ في المدينة بين المغرب والعشاء في ٢٢ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله تعالى عنه وعن سائر الصحابة أجمعين .

سابق الفُرسان سيّدُنا سَلمان الفارِسيّ ﵁

كان أبوه من أعيان قرية بنواحي أصبهان ، وكان مجوسياً ، فصادف ممر سلمان ﵁ لكنيسة من كنائس النصارى القاطنين[١] في تلك القرية ، فاستحسن دينهم لما رأى فيهم قراءة الإنجيل والخشوع والخضوع ، ورغب قلبه عن عبادة النار والدين المجوس ، فأظهر لهم رغبته في دين النصارى وعجزه عنه لمنع أبيه ، فأخرجوه إلى الشام ، فأقام هناك مدة ، وخالط كبار الرهبان وخدمهم ولما قرب وفاة من صحبه أخيراً استفسره عمن يصحبه بعده ، فقال : والله لا أدري الآن أحداً أدلّك عليه ، ولكن قد قرب زمان بعثة نبي آخر الزمان ، فأخبره بعلامته وشمائله ومبعثه ومحل هجرته ، ودلائل نبوّته ، فصحب قافلة بعد وفاة الأسقف تريد الحجاز ، وأعطى أهلها جميع ما عنده ، ولما وصلوا إلى وادي القرى غدروا به وباعوه من يهودي يُسَمَّى بعبد الأشهل ، ثم ابتاعه منه ابن عمه ، وحمله إلى المدينة ، وقد شرّفها النبي ﷺ بنزوله فيها ، فوصل إلى مجلسه ﷺ وتيقّن بالعلامات التي أخبر بها الأسقف أنه نبي مرسل ، فأسلم ، وحكى له ﷺ قصته ، وما جرى عليه في الطلب ، فتعجب النبي ﷺ منه وأمر أصحابه باستماع قصته ، وذلك في سنة خمس من الهجرة .

فقال له النبي ﷺ : « خلّص نفسك من رقبة المخلوق » ،

فالتمس ذلك من سيّده ، فتقرّر الأمر بعد قيل وقال على أن يغرس لسيده ثلاثمائة نخلة ويربيها حتى تثمر ، وأن يعطيه أربعين أوقية

---

(١) قطن بالمكان : أقام به . « مصباح » .

ذهباً ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فجمعوا له ثلاثمائة نخلة **فغرسها النبي ﷺ بيده الشريفة ، إلا واحدة ، فإنها غرسها عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، فأثمرت كلها في تلك السنة بإذن الله تعالى إلا ما غرسها عمر رضي الله عنه ، فقلعها النبي ﷺ وغرسها بيده فأثمرت في حالتها ، فسلمها لسيده ، وأعطاه النبي ﷺ مقدار بيضة الدجاجة من الذهب من مال الغنيمة فسلمه لسيده ، وخلص نفسه من الرقة ، ثم حضر مع النبي ﷺ الغزوات وشهد الوقائع .

قيل : إنه بيع إلى سبعة عشر شخصاً ، واختلف فيه المهاجرون والأنصار أنه من أي الفريقين ، فقال النبي ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » ، **وكفى بذلك شرفاً** ، ولذلك قيل شعر :

لَعمرك ما الأنسان إلا ابـــن دينـه   فلا تترك التقوى اتِّكالاً على النسب

فقد فاز بالإســـلام سلمـان فارس   وقد حط بالجهل الشريف أبو لهب

ولما سمع النبي ﷺ تحزب الأحزاب(١) أشار إليه سلمان بحفر الخندق في أطراف المدينة ، فقبله النبي ﷺ وعمل فيه بنفسه الكريمة رغبةً في أجره وترغيباً لغيره ، فعرضت لسلمان رضي الله عنه فيه صخرة كبيرة فأعجزته ورسول الله ﷺ قريب منه ، فلما رأى رسول الله ﷺ شدة المكان وعجزه نزل الخندق وأخذ المعول من يده فضربه ضربةً فلمعت تحت المعول برقة ، ثمّ ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثمّ ضرب به ثالثةً فلمعت لمعة أخرى ، فقال سلمان رضي الله عنه : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت من البرق واللمعان تحت المعول حين ضربت ؟ قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان ! ؟ » قال : نعم ، قال : « أما

---

(١) وتحزبوا : اجتمعوا . والأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليه الصلاة والسلام . الحزب : الطائفة ، والجمع أحزاب ، وتحزب القوم : صاروا أحزاباً . « مصباح » . وحزبهم أمراً إلخ : أصابهم . ويوم الأحزاب هو يوم الخندق . « مصباح » .

الأولى : فقد فتح الله لي بها اليمن ، وأمّا الثانية : فقد فتح الله لي بها الشام والمغرب ، وأمّا الثالثة : فقد فتح الله لي بها المشرق » .

ولا يخفى ما في ضمن هذا الحديث من البشارة لأرباب الإشارة من أنه لا بد في هذا الطريق الموروث من صاحب الترجمة من وجود المجاهدات والمشاق ومقاسات الشدائد في أوّلها ، وظهور التجليات في آخرها وترقّب الفتوحات عليها .

ولما فتحت بلاد العجم ، واستولى جيوش الإسلام على مدائن كسرى سلم ولايتها لسلمان الفارسي ﵁ ، فكان بقيّة عمره والياً هناك ، وكان يأكل من شغل يديه ، وقد كان أميراً على ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وعطاؤه خمسة آلاف ، وكان يخطب الناس في عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها ، **ولم يكن له بيت ، بل كان يستظل بالفيء حيثما دار** ، وكان يعجن عن الخادم حين يرسله لحاجة ، ويقول : لا يجمع عليه عملين ، وكان لا يأكل من صدقات الناس ، بل كان لا يكاتب عبداً إذا لم يكن عنده كسب ، ويقول : أتريد أن تطعمني أوساخ الناس؟ وكان يقول : **عجباً لمؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك لا يدري أربّه راض عنه أم ساخط** .

وكان ﵁ يقول : عهد إلينا رسول الله ﷺ وقال : « ليكن بلغة أحدكم مثل زاد المراكب » .

ولما وقع الحريق مرةً في المدائن أخذ سيفه ومصحفه وسجادته ، وخرج مسرعاً ، وقال : كذلك ينجو المخفون .

عاش ﵁ **مائتين وخمسين سنة** ، وقيل غير ذلك . وتوفيّ في خلافة عثمان ﵁ ، وقيل في سنة ثلاث وثلاثين ، والله أعلم . كلها من الباقيات الصالحات بتمام العبارات .

الإمام أبو عبد الرحمن قاسِم بن محمّد بن أبي بكْر الصِّدّيق رضي الله عنه

أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة . قيل : أمّه من ملوك العجم ، وذلك أنه لما أتى عمر رضي الله عنه ببنات يَزْدَجِرد ابن شهريار مسبيات أراد بيعهن ، فأعطاهنّ على يد دلاّل ينادي عليهن في السوق ، فقال عليّ رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ! إن رسول الله ﷺ قال : « أكرموا كريم قوم ذلّ ، وغنيّاً افتقر » ، إن بنات الملوك لا يُبَعْن في الأسواق مثل غيرهنّ من بنات السوقة ، لكن قوّموهنّ فيشتريهن من يختارهن . فقُوِّمْنَ ، فأعطى عليّ أثمانهن ، وقسمهن بين الحسين بن علي ، ومحمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر ، فولدن ثلاثة هم خيار أهل زمانهم ، أعني : الإمامَ عليّاً زين العابدين بن الإمام حسين ، والإمامَ قاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله رضي الله عنهم .

قال ابن رافع : إنه ثقة رفيع عالم فقيه إمام ورع كثير الحديث .

وقال يحيى بن سعيد : ما أدركْنا بالمدينة أحداً نفضله عليه .

وقال أبو الزناد : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة منه .

وقال أبو نعيم في « الحلية » : كان لغوامض الأحكام فائقاً ، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً . وفيها أيضاً عن أيوب قال : سمعت القاسم يُسْأل بمنى فيقول : لا أدري لا أعلم . فلما أكثروا عليه قال : والله لا نعلم كل ما تسألون عنه ، لو علمناه ما كتمناه عنكم ، ولا يحل لنا أن نكتم .

وفيها أيضاً عن يحيى بن سعيد : سمعت القاسم يقول : ما نعلم كل ما نُسْأل عنه ، **ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حقّ الله عليه ، خير له من أن يقول ما لا يعلم** .

وفيها عن محمد بن إسحاق : جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أو سَالِم ؟ قال : ذاك منزل سالم . فلم يزده عليها ، حتى قام الأعرابي : قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم منّي فيكذب ، أو يقول أنا أعلم فيزكي نفسه .

وفيها أيضاً عن رجا بن أبي سلمة قال : مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً ، فقال لابنه : سنّ[1] عليّ التراب سناً وسوِّ على قبري ، ثمّ الحق بأهلك ، وإيّاك أن تقول : كان كان .

ووفاته رضي الله عنه سنة ست ومائة على الصحيح . وذكر صاحب « تحفة الأحباب » أنه رضي الله عنه توفي بالمدينة المنورة سنة ١٠٨ ، ودفن بالبقيع . انتهى .

الإمام الحاذق سيدنا جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام حسين رضي الله عنهم

ولد رضي الله عنه سنة ثمانين ، وقيل : ثامن رمضان من سنة ثلاث وثمانين .

وأقبل رضي الله عنه على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ، وأعرض عن الرياسة والجموع .

عن عمر بن أبي المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين .

وقال مالك بن أنس : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري حين قال : لا أقوم حتى تحدثني : أنا أحدثك – وما كثرة الحديث لك بخير – :

---

(١) وعبارة « الحدائق الوردية » : شنّ تراب علي شناً وشق على قبري . انتهى . وسلنت الماء على الوجه : صببته صباً سهلاً . « مصباح » .

يا سفيان ! **إذا أنعم الله عليك بنعمة ، فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها** ، فإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ، فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ الآيات .

يا سفيان : إذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها مفتاح الفَرَج ، و كنز من كنوز الجنة ، فعقد سفيان بيده وقال : ثلاث وأيّ ثلاث . قال جعفر : عقلها والله أبو عبد الله ، ولينتفعن بها .

وقال سفيان ثوري : دخلت على جعفر بن محمد وعليه جُبَّة خزّ ، فجعلت أنظر إليه ، متعجباً ، فقال لي : يا ثوري ! ما لك تنظر إلينا ولعلك تعجبت مما رأيت ؟ قلت : يا ابن رسول الله ، ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك ! فقال لي : ياثوري ! كان ذلك زماناً مفقراً ، وكانوا يعملون على قدر أفقاره وأقتاره ، وهذا زمان أقبل كل شيء فيه عزّ إليه ، ثم حسر[1] عن ردن[2] جبته ، فإذاً تحتها جبة صوف بيضاء ، فقال لي : يا ثوري ! لبسنا هذا لله وهذا لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

ومن كلامه رضي الله عنه : **أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخْدِمي من خَدِمني ، وأتعبي[3] من خدمكِ** .

وقال : الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والراجي بلا عمل كالرامي بلا وتر ، استنزلوا الرزق بالصدقة ، وحصّنوا أموالكم بالزكاة ، وما غالى من اقتصد ، والتدبير من نصف العيش ، والتؤدة نصف العقل ، وقلة العيال إحدى اليسارين ، ومن

---

(١) عن زراعيه إلخ : كشف . « مصباح » .
(٢) الردن بالضم : أصل الكمّ ، يقال : قميس واسع الردن . « مختار » .
(٣) لعله : وأبقي أي : اهْرِبي . « الحاج » . (هامش الأصل) .

حزَّن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب بيده على فخذيه عند مصيبة حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعةً إلا عند ذي حسب ودين ، والله منزّل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق بقدر المؤنة .

وقال : الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فانهوهم .

وقال : لا زاد أفضل من التقوى ، ولا شيء أحسن من الصمت ، ولا عدوّ أضرّ من الجهل ، ولا داء أودى من الكذب .

وقال : إذا بلغك من أخيك ما تكرهه فاطلب له من عذر واحد إلى سبعين عذراً ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعرفه .

وصية حسنة

وممّا أوصى ابنه الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما : يا بُنيَّ ! من رضي بما قُسم له استغنى ، ومن مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتَّهم اللهَ في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

يا بنيَّ ! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سلّ سيف البغي قُتِلَ به ، ومن احتفر بئراً لأخيه سقط فيه ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتّهم .

يا بنيَّ ! إيّاك أن تزري[1] بالرجل فيذريَ بك ، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذلّ بذلك .

يا بنيَّ ! قل الحقَّ لك أو عليك تُسْتشار من بين أقرانك .

---

(١) زرى عليه فعله : عابه « مختار »عبارته .

يا بنيَّ ! كن لكتاب الله تالياً ، وللسلام فاشياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً .

وإيّاك والنميمة ، فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال والتعرض لعيوب الناس ، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

ومن دعائه رضي الله عنه : اللهم أعِزَّني بطاعتك ، ولا تخذلني بمعصيتك ، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت عليّ من فضلك . انتهى من « الباقيات الصالحات » مع اختصار .

وفي « تحفة الأحباب » : أنه رضي الله عنه وُلِدَ بالمدينة في ثمانين من الهجرة .

وكان أفضل العلماء وأعلمهم ، وقد روى عنه أبو حنيفة ، ومالك وغيرهما من المجتهدين ، وتوفّي بالمدينة المنورة في شوال سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده . انتهى .

سلطان العارفين أبو يَزِيد البِسْطَاميّ رضي الله عنه

اسمه : طيفور بن عيسى بن آدم كان جده نصرانيّاً فأسلم ، كان قدس سره من أقران أبي حفص الحداد ، ويحيى بن معاذ ، ولقي الشقيق البلخي .

قال قدِّس سرّه : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي إلى أن سقتها وهي تضحك .

وقال : رأيت رب العزة في المنام فقلت : كيف الطريق إليك يا رب ؟ فقال : إن تركت نفسك فقد وصلت .

وسئل : بأي شي وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع ، وبدن عار .

وقيل له : ما أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى ؟ فقال : لا يمكن وصفه ؛ فقيل : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟ فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني ، فمنعتها عن الماء سنة .

وقال : الناس كلهم يهربون عن الحساب ويتجافون عنه ، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني ؛ فقيل له : لِمَ ذلك ؟ فقال : لعلّه يقول : فيما ذاك يا عبدي ؟ فأقول : لبّيك .

وسمع مرّةً قارئاً يقرأ هذه لآية : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ فبكى حتى جرى الدمع على المنبر ، وصاح قائلاً : يا عجباً كيف يحشر إليه من كان جليسه !

وقال له رجل : دُلَّني على عمل أتقرب به إلى ربّي ، فقال : **أحِبَّ أولياء الله ليحبّوك ، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه ، فلعلّه ينظر إليك في قلب وليّ فيغفر لك .**

وسئل عن المحبة فقال : هي استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك .

قف على معنى : خضت في بحر وقف الأنبياء على ساحله

وقال العارف الجامي في شرح « اللمعات » أن أبا يزيد كان من الواصلين الواقفين ، فإنه لمّا وصل إلى سمعه خطاب : ارجع ، غشي عليه من خوف الفرقة ، فجاء الخطاب : أن ردّوا إلي حبيبي ، فإنه لا صبر له عني ، ولذلك قال : خضتُ في بحر وقف الأنبياء على ساحله ، يعني : رجع الأنبياء ، وكذلك كمل الأولياء لإرشاد الخلق إلى الساحل بعد الوصول .

وأما من لم يرجع فيُقال له : واصل واقف ، ولذا قيل : النهاية هو الرجوع إلى البداية . فحال الواقف أصفى وأحلى ، وحال الثاني أوفى وأعلى .

رآه واحد في المنام بعد موته ، فقال : كيف كان حالك بعد الموت ؟ فقال : قيل لي :ما ذا جئت به إلينا يا شيخ ؟ فقلت : إذا جاء فقير بباب الملك لا يُقال له ما ذا جئت به إلينا ، بل يقال له : ما تريد .

واختلف في لقائه الإمام جعفر الصادق ﵁ ، والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنه لم يره ، بل ولد بعد وفاة الإمام بمدّة .

منهم : الخواجه محمد پارسا والسيد الشريف الجرجاني ، ومال إليه صاحب « الرشحات » ، وإنما كان تربيته من روحانية[1] الإمام . انتهى من « رشحات » في ١٤ ، وهو أويسي كما في « تحفة الأحباب » .

وكان لقبه عند الصوفية بسلطان العارفين .

وقد وصل في العلوم الشرعية إلى درجة الاستنباط ،فلما كشف الله تعالى له المعارف الإلهية ترك الاستنباط واشتغل بعلم التوحيد .

وقد توفي ﵁ على الصحيح في سنة ٢٦١ ، وقيل :في سنة ٢٣٤ .

تعدد المزارات بتعدد المقامات

ودُفِن بوصيته تحت قدم شيخه الأجلّ المشهور بالكردي ، ولكن اشتهر مزارته في مواضع عديدة ، ولعلها مقاماته . انتهى من « التحفة » .

وقال في مرض موته : إلهي ما ذكرتك إلا عن غفلة ، وما خدمتك إلا عن فترة ؛ قال ذلك ومات ﵁ . انتهى من « رشحات » ١٤ .

وفي كتاب « اليواقيت » للشعراني : أنّه ﵁ كان يقول خطاباً للمنكرين عليه في زمانه : قد أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . انتهى .

---

(١) بل بجسمانية كما في « الكشكول » و« الفيوضات الخالدية » . فإن كونه سقاء في دار جعفر أثبته المحققون . فراجعهما . (منه رحمه الله إفلاسه) .

ومما قاله ﵁ : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئاً أشدّ عليّ من العلم و متابعته ، ولو لا اختلاف العلماء لبقيت . . . . ، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد . انتهى من « الرسالة القشيرية » في ١٦ .

وقال شيخ الإسلام زكريّا الأنصاريّ في شرحه على تلك الرسالة على قوله (من العلم ومتابعته) ، أي : بالأعمال ، لأنّهما لا يتمان للعبد إلا بمخالفة هواه ، واجتهاده في تقواه ، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى ، لا سيّما العلم المتعلق بالقلب من الرياء والعجب والكبر وغيرها من الأخلاق الذميمة ، والورع والزهد والإخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة . انتهى .

وعلى قوله : (ولو لا اختلاف العلماء) ، أي : في المسائل ، (لبقيت) ، أي على اجتهاد واحد وهو ما اتّفقوا عليه ، وكنْتُ في مشية زائدة بالملازمة لنوع واحد .

وفي نسخة : (لتعبت) ، أي : زيادة تعب بذلك . انتهى .

وسُئِل ﵁ عن ابتدائه وزهده ، فقال : ليس للزهد منزلة ، فقلت : لماذا ؟ فقال :لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد ، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه ، اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها ، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله ، فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله فهمت ، فسمعت هاتفاً يقول : يا أبا يزيد ! لا تقوى معنا ، فقلت : هذا الذي أريد ، فسمعت قائلاً يقول : وجدت وجدت .

وقال ﵁ : منذ ثلاثين سنة أصلّي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري .

وذهب ﵁ ليلة إلى الرباط ليذكر الله تعالى على سور الرباط ، فبقي إلى الصباح لم يذكر ، فقيل له في ذلك ، فقال : تذكّرت كلمة جرت على لساني في حال صبايَ فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى . انتهى من « الرسالة القشيرية » في ١٦ مع اختصار وتصرف في العبارة .

الشيخ أبو الحسن الخرقانيّ ﵁

اسمه : علي بن جعفر ، كان قدِّس سره أوحد زمانه ، وغوث أوانه ، وكانت الرحلة في وقته إليه .

قال الشيخ أبو العباس القصاب : قد وقعت سويقتنا هذه إلى خرقان ؛ يعني أن الرحلة والزيارة صارت إلى خرقان ، فكان كذلك ، فإن رحلة الطالبين وقعت إلى خرقان للشيخ أبي الحسن بعد وفاة الشيخ أبي العباس القصاب قدِّس سرِّهما .

أفضل الأشياء

وانتسابه في التصوف إلى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدِّس سرّه ، وكانت تربيته إيّاه بحسب الروحانية[١] كما مرّ ، قال يوماً لأصحابه : ما أفضل الأشياء ؟ قالوا : السماع من الشيخ أولى ، قال : القلب الذي ملئ من ذكر الله تعالى .

وسُئِل ﵁ عن الصوفي ، فقال : الصوفي لا يكون صوفيّاً بالمُرَقَّع ولا بالسجادة ، ولا بإجراء الرسوم والعادة ، بل **الصوفي من كان فانياً عن وجوده في عالم الشهادة .**

---

(١) لأنه كانت ولادته بعد وفاة البسطامي بزمان ، وهو أويسي ، راجع « تحفة الأحباب » (منه رحمه الله إفلاسه) .

وقال : إن الصوفي لا يحتاج إلى الشمس في النهار ، ولا يحتاج إلى النجوم والقمر في الليل ، بل **هو عدم محض لا يحتاج إلى وجود** لاستغراقه في بحر الشهود .

وسئل : إن الإنسان من أين يعرف أنه غافل أم يقظان ؟ قال : إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فكان من الفَرْق إلى القدم من خشية الله مَلآن فهو يقظان .

وسئل عن الصدق ؟ فقال : الصدق أن يتكلم بالجنان ، يعني : يترجم لسانه ما في جنانه .

وسئل : لمن يجوز أن يتكلم في الفناء والبقاء ؟ قال : لمن إذا علقوه بشعرة في الهواء فجاءت ريح شديدة بحيث تقلع الأشجار ، وتهدم الجدار ، وتكدر البحار ، وتحرك الجبال والأحجار ، ولا تقدر أن تحركه من مكانه قيد أشبار يعني : لا يترك ما هو فيه وإن عظمت المصيبة ، وعمّت الحوادث ، لقوّة يقينه .

وقال : لا تصاحبوا شخصاً إن أنتم تقولون : الله ، هو يقول شيئاً آخر .

وقال : إن وارث رسول الله ﷺ شخص يكون مقتدياً بفعله ، ومُتَّبِعاً لأثره ﷺ ، لا من يسوِّد وجه الورق .

وقال : قال الشبلي : إذا قيل لي اختر ، أختار أن لا أختار ، وهذه أيضاً اختيار .

وقال : أنا منذ أربعين سنة على حال واحد ، وينظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبي ، فلا يرى فيه غيره .

وقال : **تريد نفسي من منذ أربعين سنة شربة من الماء البارد ، واللبن الحامض ، فلم أعطها إلى الآن .**

وقال :إن العلماء والعباد كثيرون في الدنيا ، لكن ينبغي أن يكون من الذين يُمْسُون بما يرضى الله سبحانه ، ويصبحون كذلك بما يرضى الله تعالى .

وقال :إنّ أنْوَرَ القلوب قلبٌ لا يكون فيه ما سواه تعالى ، وأفضل الأعمال عمل لا يكون فيه فكر رؤية المخلوقين ، وأطيب الرزق ما يكون بسعيك ، وأفضل الرفقاء من يكون عيشه بالله .

توفِّي قدِّس سرّه يوم عاشوراء[1] سنة ٤٢٥ ، ﵁ وأرضاه آمين .

الشيخ أبو علي الفارمديّ قدِّس سرّه

اسمه : فُضيْل بن محمد ، كان فريد وقته ، وشيخ الشيوخ في خراسان في طريقته الخاصة ، وكان تلميذ الإمام أبي القاسم القشيري قدِّس سرّه في الوعظ والتذكير .

وانتسابه في التصوف إلى الطرفين ، أحدهما : الشيخ أبو القاسم الجرجاني ، والثاني : أبو الحسن الخرقاني .

قال قدِّس سرّه :كنت في ابتداء أمري مشغولاً بطلب العلم في نيسابور ، فسمعت أنّ الشيخ أبا سعيد أبا الخير قد قدم إلى نيسابور ، وفتح مجلس الوعظ ، فذهبت عنده لأراه ، فلما وقع نظري على جماله صرت عاشقاً له ، وزادت محبة هذه الطائفة في قلبي ، وكنت يوماً قاعداً في حجرتي بالمدرسة ، فظهر فيّ شوق رؤية الشيخ ، ولم يكن إذ ذاك وقت خروج الشيخ ، فأردت أن أصبر إلى وقت خروجه ، فلم أقدر ، فقمت وخرجت ، ولما وصلت السوق رأيت الشيخ يذهب مع جمع كثير ، ومشيت أيضاً من أثرهم ، فوصلوا إلى محل ، فجلس الشيخ والجماعة

---

(١) في ليلة الثلثاء . « تحفة » .

حوله ، وجلست أنا في ناحية بحيث لا يراني الشيخ ، ولما شرعوا في السماع وطاب وقت الشيخ وظهر فيه أثر الوجد وشق الجبة ، وفرغوا من السماع ، وقسموا الجبة ، أخذ الشيخ قطعةً منها ، ووضعها بين يديه وقال : يا أبا علي الطوسي ! أين أنت ؟ فلم أجب ، وقلت : لا يراني ولا يعرفني ، ولعل في مريديه من يُسمّى بهذا الاسم ، فنادى ثانياً ، فلم أجب ، ثم نادى ثالثاً ، فقال جمع من أصحابه : إنّ الشيخ يعرفك ، فقمت من مكاني وجئت عنده ، فأعطاني القطعة ، وقال : هذه لك ، فلففتها بشيء ووضعت في محل نظيف ، وكنت أجيء في خدمته على الدوام ، فحصلتْ لي في خدمته فوائد جمّة ، وشاهدت في نفسي أنوارًا ، وظهرت الأحوال ولما خرج الشيخ من نيسابور حضرت عند الأستاذ أبي القاسم القشيري وقلت له : ما ظهر لي من الأحوال ، فقال : اذهب واشتغل بطلب العلم ، ففعلت ما أمرني به ، وكانت تلك الأنوار تزيد يوماً فيوماً ، فاشتغلت بالتحصيل ثلاث سنين أخرى ، حتى أخرجت القلم من المحبرة فخرج أبيض ، فقمت وجئت عند الإمام أبي القاسم القشيري ، وقصصت عليه القصة ، فقال : لما أعرض العلم عنك أعرض أنت عنه واشتغل بالشغل الباطني ، فتحولت من المدرسة إلى الخانقاه ، واشتغلت بخدمة الأستاذ الإمام .

وقال : دخل الأستاذ مرّةً الحمام وحده ، فذهبت وصببت الماء دلاء من الماء الحار في الحمام ، ولما خرج الأستاذ من الحمام وصلى الصلاة قال : من صبّ الماء في الحمام ؟ فسكتّ وقلت في نفسي : أخطأت في هذا حيث اجترأت على صب الماء من غير إذنه ، فأعاد ثانياً ، فلم أجب ، ولما قال ثالثاً قلت : أنا ، فقال يا أبا علي ! قد وجدت بدلو واحد ما لم يجده أبو القاسم في سبعين سنة .

فكنت عند الإمام مدّةً ، واشتغلت بالمجاهدات حتى ظهرت يوماً حالة قوية ، بحيث غبت عن نفسي ، وصرت مضمحلاً ومتلاشياً في تلك

الحالة ، فقصصتها على الأستاذ الإمام ، فقال : يا أبا علي ! إن جياد فكري لم يتجاوز عن هذا المحال ، وما كان فوق ذلك لا أعرف طريقة ، فتفكرت في نفسي أني قد احتجت إذاً إلى شيخ يرقيني إلى مقام أعلى من هذا المقام حتى تزيد تلك الحالة ، وقد كنت سمعت اسم الشيخ أبي القاسم الجرجاني ، فتوجّهت إلى طوس .

ولما وصلت هناك سألت عن منزل الشيخ ، فدلّوني عليه ، ولما دخلت وجدته قاعداً في المسجد مع جماعة من مريديه ، فصليت ركعتين تحية المسجد ، ثم جئت عنده ، فأطرق قليلاً ثمّ رفع رأسه وقال : تعال يا أبا علي وهات ما عندك . فسلمت عليه وقعدت بين يديه وقلت له واقعتي ، فقال : نعم ، يبارك لك الابتداء ، ولم تصل إلى درجة بعد ، لكن إن صادفت التربية تصل إلى درجة عالية ، فقلت في نفسي : إنّ شيخي هو هذا ، فأقمت عنده ، فأمر لي بالرياضات والمجاهدات مدة مديدة ، ثم عقد لي مجلس الوعظ والتذكير ، وزوّجني كريمته .

قال الإمام حجة الأسلام الغزالي قدِّس سرّه : سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي قدِّس سرّه يقول نقلاً عن شيخه أبي القاسم الجرجاني قدِّس سرّه : أنّ الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك ، وهو بعد في سلوكه غير واصل . انتهى عن « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » .

الشيخ الخواجه يُوسُف أبو يَعْقوب الهَمدانيّ قدِّس سرّه

لما بلغ سنُّه ثمانية عشر سنة سافر إلى بغداد وتفقه على الشيخ أبي إسحاق ، وبلغ درجة الكمال في علم النظر ، وكان على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، واشتغل أيضاً بالتحصيل في بخارا ،

وأصفهان ، وكان مقبولاً في بلاد العراق وخراسان وخوارزم وما وراء النهر ، وأقام مدّةً في جبل زر ، ولبس الخرقة من يد الشيخ عبد الله الجويني ، وانتسب في التصوف إليه وإلى الشيخ حسن السمناني ، والشيخ أبي علي الفارمدي رحمهم الله تعالى .

وكان ولادته في سنة ٤٤٠ ، ووفاته في سنة ٥٣٥ ، وكان رضي الله عنه صاحب الأحوال والكرامات .

واستفاد في بغداد ، وأصفهان ، والعراق ، وخراسان ، وسمرقند ، وبخارا ، وأفاد وتعلَّم علم الحديث ، وكان واعظاً ، وانتفع به خلق كثير ، ونزل في مرو وأقام فيه مدةً ، ثم ذهب منه إلى هراة وجلس فيها زماناً ، ثم رجع ثانياً إلى مرو ، ثم خرج بعد مدّة إلى هرات وسكن فيها برهةً ، ثم عزم ثالثاً إلى مرو ، وتوفي في الطريق ، ودفن في موضع وفاته .

وقيل :إن مريده ابن النجار نقل جسده المبارك من مدفنه إلى مرو ، وقبره الآن فيه يُزار ، ويتبرك به .

وحكي أنه لما وصل الخواجه حسن الأندقي[١] إلى ملازمة الخواجه يوسف الهمداني قدِّس سرّه وأخذ منه الطريقة ، وصل حاله من دوام الاشتغال بالذكر والفكر في مدة يسيرة إلى مرتبة صار فيها مغلوب الحال .

ووقع كثير من مهماته الضرورية في التعويق والاختلال ، ولم يتيسّر له كفاية معاش الأولاد والعيال ، فقال له شيخه الخواجه يوسف : إنك محتاج وصاحب عيال ، ومباشرة بعض الأمور ضرورية ، والإهمال فيه والإمهال غير جائز شرعاً وعقلاً . فقال له في جوابه : إن حالي على وجه ليس لي معه مجال مباشرة أمر آخر .

---

(١) وهو ثاني خلفاء الشيخ يوسف الهمداني . (منه رحمه الله تعالى) .

فحصل لخواجه يوسف من هذا الكلام غيرة فعاتبه ، فرأى ليلته في منامه ربّ العزة وهو سبحانه وتعالى يقول : يا يوسف ! إنّا أعطيناك البصارة والبصيرة . المراد من البصارة عين العقل ، ومن البصيرة عين القلب ، فأكرمه الخواجه يوسف بعد ذلك غاية الإكرام ، ولم يكلّفه بشيء من أمور الدنيا . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

ورُوِيَ : أن خواجه يوسف ومشائخه قدّس الله تعالى أسرارهم كانوا من أهل الذكر الجهري ، لكنّه لم يعلم الخواجه عبد الخالق بالذكر الجهري ، بل تركه على ما علّمه الخضر عليه السلام من الذكر الخفي ، فلذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه بحسب تعليم الذكر ، والخواجه يوسف شيخه بحسب التربية والصحبة . انتهى من « تحفة الأحباب » .

خواجه عبد الخَالِق الغجْدَوانيّ قدس سرّه

هو الرابع من خلفاء خواجه يوسف الهمداني قدِّس سرّه ، وقدوة طبقات خواجكان ، ورئيس السلسلة النقشبندية قدَّس الله أرواحهم وروّح أشباحهم .

مولده ومدفنه قرية غجدوان ، وهي قرية كبيرة تقارب البلد على ستة فراسخ[1] من بخارا .

واسم والده : الشريف عبد الجميل ، وعُرِف بالإمام عبد الجميل ، وهو من أولاد الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه ، وكان مقتدى وقته ، وعالماً بعلوم الظاهر والباطن ، وكان أولاً ساكناً في ملاطية من بلاد الروم ، وكانت زوجته والدة خواجه عبد الخالق من بنات بعض ملوك الروم .

---

(١) فرسخ الطريق : ثلاثة أميال هاشمية أو اثنى عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ذراع . « قاموس » ، وهي ثمانية كلامتراً « منجد » .

قيل : **إن الإمام عبد الجميل تشرف بصحبة الخضر عليه السلام ، وبشّره الخضر بوجود حضرة خواجه ، وسماه بعبد الخالق** ، ولما ارتحل الإمام بسبب حوادث الأيام من بلاد الروم والشام إلى ديار ما وراء النهر مع متعلقاته من الخاص والعام قدم ولاية بخارا ، واختار للإقامة قرية غجدوان ، فولد له فيها حضرة خواجه ، ونشأ بها ، واشتغل في مبادئ حاله بتحصيل العلوم في بخارا .

مهم

ولما بلغ قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ الآية ، وقت اشتغاله بقرائة التفسير سئله عن حقيقة هذه الخفية وطريقتها ، وكيفية تحصيلها ، وقال : إن الذاكر إذا ذكر بلسانه جهراً ، أو تحرك شيء من أعضائه وقت الذكر يطلع عليه الأغيار ، وإن ذكر بقلبه فبمقتضى هذا الحديث : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » يطلع عليه الشيطان فلا تتحقق الخفية في حال من الأحوال ، فقال أستاذه : إنّ هذا علم لدني ، فإذا أراد الله لك ذلك يوصلك إلى واحد من أهل الله فيعلّمك كيفيتها وحقيقتها .

فكان حضرة الخواجه بعد ذلك منتظراً لقاء أحد من أهل الله سبحانه وتعالى ، حتى لقي الخضر عليه السلام ، فعلّمه الوقوف العددي ، وذكر في فصل الخطاب أن كيفية اشتغال خواجه عبد الخالق الغجدواني حجة في الطريقة ، ومقبولة عند جميع الفرق .

كان قدِّس سرّه مداوماً على طريق الصدق والصفا ، ومتابعة الشريعة وسنة نبينا محمد المصطفى ﷺ ومجانباً للنفس ، ومخالفاً لهواها ، وكان يستر سيرته السنية عن نظر الأغيار .

تلقن الذكر القلبي أيّام شبابه عن الخضر عليه السلام ، وكان يواظب على الذكر المذكور ، وقبله حضرة الخضر عليه السلام للولدية وأمره بأن يخوض في الحوض[1] وأن يقول بقلبه تحت الماء : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ففعله الخواجه ، وأخذ منه ذلك ، واشتغل به هنالك ، ففتح له أنواع الفتوح والترقيات فوق إدراك المدارك ، وكان كيفية اشتغاله من أوّل حاله إلى آخر أمره ومآله ونهاية كماله مقبولة ومحبوبة عند جميع الخلق . ولما قدم الخواجه يوسف الهمداني قدِّس سرّه إلى بخارا حضر الخواجه عبد الخالق صحبته ، وعلم أن له أيضاً اشتغالاً بالذكر القلبي ، فاغتنم صحبته ، ولازمه مدة إقامته ببخارا .

ولذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه في التعليم والتلقين ، والخواجه يوسف شيخه في الصحبة . وطريقة خواجه يوسف ومشائخه قدس الله أسرارهم ، وإن كانت علانية لكن لما أخذ الخواجه عبد الخالق الذكر الخفي عن الخضر عليه السلام وأمر بذلك ، لم يغيّره شيخه الخواجه يوسف ، بل أمره أن يشتغل على الوجه الذي كان مأموراً به من الخضر عليه السلام .

وذكر في بعض تحريرات الخواجه عبد الخالق قدِّس سرّه : لما بلغت من العمر اثنتين وعشرين سنة فوَّضني محي القلوب الميتة الخضر عليه السلام إلى الشيخ الكبير العارف الرباني يوسف الهمداني قدِّس سرّه ، ووصاه بتربيتي ؛ فما دام ساكناً في ما وراء النهر كنت في خدمته ، وملازمته ، واستفدت منه ، واستفضت ، ثم لما رجع خواجه يوسف إلى خراسان اشتغل خواجه عبد الخالق بالرياضات ، وستر أحواله عن الأغيار ، وبلغ ولايته وكرامته مرتبة كان يذهب إلى مكة في كل وقت من أوقات الصلاة ويرجع .

---

(١) ولعل الأمر بغوص الماء لحفظ النفس والاحتياط فيحسبه « البهجة السنية » عبارته .

وظهر له في ولاية الشام مريدون لا يحصون ، وبُنِيَت رباطات فيها على اسمه ، وجلس مدةً في مقام الإرشاد ودعوة الخلق ، ودلالة الطالبين على طريق الحق . وله رسالة الوصية في آداب الطريقة ، كتبها لأجل ولده المعنوي خواجه أوليا كبير قدِّس سرّه ، مشتملة على فوائد جزيلة ، وعوائد جليلة ، لا بد منها لجميع السالكين والمريدين .

ومن جملتها هذه الفقرات الجامعة نوردها للتبرك والتيمن .

وصية نفيسة مهمة

رشحة ، قال قدِّس سرّه : أوصيك يا بنيّ بتعلم العلم والأدب ، والتقوى في جميع الأحوال ، وعليك بأن تتبع آثار السلف ، وأن تلازم السنة والجماعة ، وتعلم الفقه والحديث ، واجتنب الصوفي الجاهل ، وصلّ الصلوات بالجماعة على الدوام بشرط أن لا تقبل شيئاً من وظائف الإمامة والأذان ، وإيّاك وطلب الشهرة ، فإن في الشهرة آفات ، ولا تكن مقيّداً بمنصب ، واختر الخمولة دائماً ، ولا تكتب اسمك في الحجج والوثائق ، ولا تحضر محكمة القضاء ، ولا تكن كفيلاً لأحد ، ولا تدخل في وصايا الناس ، ولا تصحب الملوك وأبناءهم ، ولا تبن رباطاً ، ولا تقعد فيه ، ولا تكثر السماع فإن الإكثار منه يورث النفاق ويميت القلب ، ولا تنكر السماع ، فإن أصحاب السماع كثير .

وكن قليل الكلام وقليل الطعام وقليل المنام ، وفرّ من الخلق فرارك من الأسد ، والزم الخلوة ، ولا تصحب الولدان والنسوان والمبتدعين والأغنياء المتكبرين والعوام كالأنعام ، وكل من الحلال ، واحذر من الشبهة .

ولا تتزوج ما استطعت فتطلب الدنيا ، ويكون دينك هباء في طلب الدنيا ، ولا تكثر الضحك ، واحذر في الضحك من القهقهة ، فإن كثرة

الضحك تميت القلب ، وانظر إلى كل أحد بعين الشفقة ، ولا تحقر أحداً ولا تزين ظاهرك فإن تزيين الظاهر ينبئ عن خراب الباطن ولا تجادل مع الخلق ولا تطلب شيئاً من أحد ولا تأمر أحداً بالخدمة ، واخدم المشائخ بالمال والبدن والروح ، ولا تنكر على أفعالهم ، فإن منكر المشائخ لا يفلح أبداً .

ولا تكن مغروراً بالدنيا ، ولا بأهلها ، وينبغي أن تكون مغموم القلب دائماً ، وأن يكون بدنك مريضاً ، وعينك باكية ، وعملك خالصاً ، ودعاؤك مقروناً بالتضرع ، ولباسك خَلِقاً ، ورفيقك طالباً صادقاً ، ورأس مالك فقراً ، وبيتك مسجداً ، ومونسك الحقّ سبحانه وتعالى . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

وذكر في « تحفة الأحباب » : أنه حصلت له[1] الجذبة القيومية بفعل ما أمر به الخضر عليه السلام ، ثم تسلسلت الجذبة بالذكر الخفي في هذه الطريقة عند الخواجكان ، فهو أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة ، فلذلك كان رئيس الطريقة في الذكر الخفي . انتهى .

الخواجه عَارِف الريوكريّ قدَّس الله تعالى سره

فهو الرابع من خلفاء الخواجه عبد الخالق قدِّس سرّه ، مولده ومدفنه ريوكر وهي قرية من قرى بخارا على ستة فراسخ منه ، ومنها إلى غجدوان فرسخ شرعي .

وسلسلة نسبة حضرة خواجه بهاء الدين قدَّس الله تعالى سرّه ، تتصل به من بين خلفاء الخواجه عبد الخالق قدِّس سرّه . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

ولم يبلغنا من كراماته ومناقبه شيء ، فلعلّ من ظفر بها أن يلحقها هنا .

---

(١) أي : لعبد الخالق .

الخواجه محْمُود الإنجير فغنوي قدّس الله سرّه

هو أفضل أصحاب الخواجه عارف عليه الرحمة وأكملهم ، وامتاز من بين الأصحاب بالخلافة والإرشاد .

مولده : إنجير فغنى قرية من مضافات وابكن ، وهي قرية كبيرة من قرى بخارا ، مشتملة على قرى كثيرة ومزارع جزيلة على ثلاثة فراسخ من بخارا ، وكان مقيماً بها ودفن فيها .

وكان نجّارا ، وبه كان يحصل كفاية معاشه .

ولما تشرف من حضرة الخواجه بإجازة الإرشاد ، وصار ممتازاً بدعوة الخلق إلى طريق الرشاد ، افتتح بذكر العلانية[1] بمقتضى الوقت ومصلحة حالة الطالبين ، وكان أول اشتغاله به في مرض موت خواجه عارف قبيل احتضاره فوق تل رِيَوْكِرِ ، فقال الخواجه عارف في هذا الوقت : هذا وقت قد أشاروا به إليّ قبْلُ ، ثم اشتغل به بعد وفاته في مسجد على باب قلعة وابكن .

واستفسره مولانا حافظ الدين الذي هو من كبار علماء وقته ، ومن أجداد الخواجه محمد پارسا قدِّس سرّه بإشارة أستاذ العلماء شمس الأئمة الحلواني رحمهما الله تعالى ببخارا عند جمع كثير من الأئمة وعلماء الزمان : إنكم بأيّ نية تشتغلون بذكر العلانية ؟ فقال : بنية إيقاظ النائم وتنبيه الغافل أخي البهائم ، حتى يُقْبِل على الطريقة ، ويستقيم على الشريعة ويرغب في الحقيقة ، فيصير سبباً لتوبته وإنابته التي هي مفتاح جميع الخيرات ، وأصل كل السعادات . فقال له مولانا حافظ الدين : إذاً نيّتكم صحيحة ، فيحلّ لكم الاشتغال به .

(١) كان ابتداء الذكر الجهري من الخواجه محمود قدس سره . هكذا في « تحفة الأحباب » .(منه) .

مهم : حدّ ذكر العلانية

ثم التمس منه في هذا الوقت أن يبيّن حدّ ذكر العلانية ليمتاز الحقيقة بذلك الحدّ عن المجاز . فقال الخواجه : **إن ذكر العلانية مُسَلَّم ممن يكون لسانه طاهراً عن الكذب والغيبة ، وحلقه عن الحرام والشبهة ، وقلبه صافياً عن الرياء والسمعة ، وسرّه منزهاً عن التوجه إلى غير جناب الحقّ .**

قال الخواجه علي الرامتني الآتي ذكره : رأى واحد من الفقراء الخضر عليه السلام في عهد خواجه محمود ، فسأله عن شيخ ثابت جادة الاستقامة من بين مشائخ زمنه ، ليتمسك بزيل إرادته ومتابعته ويقتدي به ؛ فقال له الخضر عليه السلام : إن الموصوف بهذه الصفة الآن هو الخواجه محمود الأنجير فغنوي .

وقال بعض أصحاب خواجه علي : إن الفقير الذي رأى الخضر عليه السلام هو الخواجه علي نفسه ، لكنه تحاشا عن التصريح بأنه رأى الخضر عليه السلام ، فعبَّر عن نفسه بواحد من الفقراء .

كرامة محمود أنجير فغنوي

قيل : إن الخواجه علياً كان يوماً مشغولاً بالذكر في بادية رامتين مع سائر أصحاب خواجه محمود ، فرأوا طائراً كبيراً أبيض يطير في الهواء ، فلما حاذاهم نادى بلسان فصيح : يا علي ! كن رجلاً كاملاً . فحصل للأصحاب من رؤية ذلك الطائر وسماع كلامه كيفية عجيبة ، حتى غابوا عن أنفسهم ، فلما أفاقوا سألوه عن الطائر وكلامه ، فقال : هو خواجه محمود أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة يطير دائماً في مقام كلّم الله تعالى فيه موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بألوف من الكلام ، وكان الآن ذاهباً لعيادة الخواجه دهقان القلتي المار ذكره ، فإنه لما احتضر سأل الله سبحانه أن يوصل إليه أحداً من أوليائه في آخر نفسه ليكون عوناً له في ذلك الوقت ، فذهب إليه الخواجه محمود لهذا السبب . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

وفيما ذكر من مناقب الخواجه محمود قدِّس سرّه ، ما يؤخذ به منقبة الخواجه علي قدس سره وإن لم نذكره في ترجمته على حِدَة ، فلتدبره .

الخواجه علي الراميتني قدِّس سرّه العزيز

هو الثاني[1] من خليفتي الخواجه محمود ، ولقبه في سلسلة النقشبندية : عزيزان ، قيل : إنه لما قربت وفاة الخواجه محمود أحال أمر الخلافة إلى حضرة عزيزان وفوّض سائر الأصحاب إليه .

وسلسلة نسبة خواجه بهاء الدين تتصل به من بين أصحاب خواجه محمود بواسطتين ، وله مقامات رفيعة ، وكرامات عجيبة ، وكان نساجاً .

سأله قدِّس سرّه واحد من أكابر علماء زمانه : إنكم بأيّ نية تشتغلون بذكر الجهر ؟ فقال : إن تلقين المحتضر كلمة : (لا إله إلا الله) جهراً جائز بإجماع العلماء ، لحديث : « لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله » ، وكل نفسٍ نفسٌ أخير عند الصوفية ، فهم في حكم المحتضر .

وسأله أيضاً واحد : إنا سمعنا أنكم تشتغلون بذكر الجهر ، فكيف هذا ؟ فقال : ونحن أيضاً سمعنا أنكم تشتغلون بالذكر الخفي ، فكان ذكركم أيضاً جهراً .

وسُئل قدِّس سرّه : إن الذكر الذي أمرنا به من عند الحق سبحانه حيث قال عزّ من قائل : ﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ هل هو ذكر اللسان أو ذكر القلب ؟ فقال : هو في حقّ المبتدئ ذكر اللسان ، وفي حقّ المنتهي ذكر القلب ، فإن المبتدئ يتكلّف في الذكر دائماً ، ويتعمّل ويبذل روحه ؛ وأما المنتهي : فإنه إذا وصل أثر الذكر إلى قلبه يكون

---

(١) وخليفته الأول هو الأمير خورد الوابكندي قدس سره ، وهو مذكور في ترجمة « الرشحات » . (منه غفر الله ذنبه آمين) .

جميع أعضائه وجوارحه وعروقه ومفاصله ذاكرة، فيتحقّق الذاكر في ذلك الوقت لكونه ذاكراً بالذكر الكثير، **ويكون يومه الواحد في ذلك الحال مساوياً لسنة غيره من الرجال.**

مهم

قال قدِّس سرّه في معنى قولهم: **إن الله ينظر في اليوم والليلة إلى قلب المؤمن بنظر الرحمة ثلاثمائة وستين نظرة**: هو أن للقلب ثلاثمائة وستين روزنة إلى جميع الأعضاء، **وهي عبارة عن ثلاثمائة وستين عِرْقاً في البدن من الأوردة متصلة بالقلب،** فإذا تأثّر القلب من الذكر وبلغ مرتبة يكون منظوراً إليه بنظر خاصٍّ من الحقّ سبحانه تنشعب حينئذ آثار ذلك النظر من القلب إلى جميع الأعضاء حتى يشتغل كل عضو من الأعضاء بطاعة لائقة بحاله، فيصل الفيض الحاصل من تلك الطاعة إلى القلب، وذلك الفيض هو المراد بنظر الرحمة.

وقال قدِّس سرّه: في هذه الآية الكريمة - أعني قوله تعالى: ﴿**تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ**﴾ -إشارة وبشارة، أما الإشارة: فهي التوبة والرجوع، وأما البشارة: فقبول التوبة، فإنه تعالى لو لم يقبل التوبة لما أمر بها، **والأمر دليل القبول، لكن مع رؤية التقصير.**

وقال قدِّس سرّه: ينبغي أن يعمل ويعتقد أنه لم يعمل، وأن يرى نفسه مقصِّراً في العمل، وأن يستأنفه من الأول.

مطلب

وقال: حافظوا على أنفسكم في وقتين: وقت الكلام، ووقت الطعام.

قال: جاء الخضر عليه السلام عند الخواجه عبد الخالق مرّةً، فجاءه الخواجه بقرصين من خبز الشعير من بيته، فلم يأكله الخضر عليه

السلام ، فقال الخواجه : لِمَا لا تأكل فإنه حلال ؟ فقال الخضر : نعم ، ولكن العاجن عجنه على غير طهارة ، فلا يجوز لنا أكله .

وقال : ينبغي لمن جلس في محلّ الإرشاد ودعوة الخلق إلى الحقّ أن يكون مثل من يربّي الطيور ، فكما أنه يعرف طبيعة كل واحد من الطيور فيطعمه ما هو موافق لمزاجه وطبعه ، فكذلك المرشد ينبغي له أن يربّي الطالبين الصادقين على قدر قابليتهم واستعدادهم .

وقال : ينبغي لأهل الطريقة أن يكثر من الرياضة والمجاهدة حتى يصل إلى مرتبة ومقام ، **لكن للسالكين طريق آخر أقرب من جميع الطرق يمكن أن يصل منه إلى المقصود سريعاً ، وهو أن يجتهد الطالب في أن يتمكّن في قلب واحد من أرباب القلوب بواسطة خُلُق حسن ، أو خدمة لائقة به ، فإنّ قلب هذه الطائفة مورد لنظر الحق سبحانه ، فيكون له نصيب منه .**

وقال : ادعوا الله تعالى بلسان لم تعصوا به الله ، حتى يترتب عليه الإجابة ، يعني : تواضعوا أولياء الله تعالى ، وأَظْهِروا لهم الانكسار والافتقار حتى يدعوا لكم فيُسْتَجاب . انتهى من ترجمة « الرشحات » بتصرّف واختصار .

حكاية عجيبة

ومن خوارقه العادات قدِّس سرّه : واعلم أنه كان معاصراً لسيد آتا المار ذكره[1] ، ووقعت بينهما ملاقات ومراسلات كما تقدم - يعني في « الباقيات الصالحات » - وكان لسيد آتا في حقه مناقشة ومناظرة في مبادئ حاله ، فصدرت مرّةً من سيّد آتا صورة مُنافية للأدب في حق عزيزان فاتفق أنّ جميعاً من أتراك دشت قيچاق نهبوا في تلك الأيام أموالاً كثيرة

(١) أي : في « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » . (منه)

من نواحي سيد آتا ، وأسروا ولده ، فتنبّه السيد وتيقّن أنّ هذه الحادثة إنما حدثت بسبب ارتكابه سوء الأدب ، فتندَّمَ على ما تقدّم وأحضر الطعام ودعا حضرة عزيزان على غرض السيد ، وقبل التماسه ، وحضر مجلسه ، وكان ذلك المجلس مملوءاً من الأكابر والعلماء والمشائخ ، وكان في ذلك اليوم لحضرة عزيزان كيفية عزيمة وبسط تام ، فلما مدّ السماط وحضر الطعام قال حضرة عزيزان : إن عليّاً لا يذوق الملح ولا يمدّ يده إلى الطعام حتى يحضر ولد سيد آتا ، ثم سكت لحظة ، وانتظر الحاضرون ظهور أثر هذا النفس ، فدخل ولد سيد آتا من الباب في هذا الوقت بغتة ، فقام من ذلك المجلس صياح ونياح برؤية هذا الحال ، وتحيّر كلهم ، وتعجبوا ، فسألوه عن كيفية نجاته من يد الأشرار ووصوله إلى تلك الديار ؟ فقال : إني كنت الآن أسيراً في يد جمع من الأتراك مربوط اليد والرجل بالحبال ، والآن أرى نفسي حاضراً عندكم ، ولا أعلم أزْيَدَ من ذلك فحصل اليقين لأهل المجلس أن هذا كان تصرّفاً من حضرة عزيزان ، فوضع الكل رؤوسهم على قدميه وسلموا يد الإرادة إليه .

نقل : أنه جاء يوماً لحضرة عزيزان ضيوف لازموا الإكرام ولم يحضر في بيته في ذلك الوقت شيء من الطعام ، فصار من ذلك الحال منكسر البال فخرج من بيته ، فصادف غلاماً من مخلصيه كان يبيع الأكارع ومعه قدر مملوء من الأكارع ، فتواضع لحضرة عزيزان وقال : قد طبخت هذا الطعام لأجل ملازمي العتبة العلية من الأحباب والخُدَّام ، فيُرْجى قبوله ، فاغتنم حضرة عزيزان حضور الغلام بهذا الطعام في هذا الحال وطاب وقته وصار منشرح البال ، وأثنى على الغلام خيراً ، فأطعمه للأضياف ، ثم طلب الغلام وقال : إن خدمتَك هذه قد بلغت من الحسن الغاية ووقعت من القبول في النهاية ، فاطلب الآن منّي أيّ مراد شئت تنلْ مقصودك ؛ وكان الغلام عاقلاً ذكياً ، فقال : إنّي أريد أن أكون مثلك ؛ فقال عزيزان :

إنّ هذا أمر صعب يقع عليك حمل لا تطيقه ؛ فقال الغلام بالتواضع والانكسار : إن مرادي هو هذا ولا أريد غيره ؛ فقال حضرة عزيزان : تكون كذلك ، فأخذ بيده وأدخله في خلوته الخاصّة وتوجه إليه بحسن التوجه ، فوقع بعد ساعة شبْحُ[1] الشيخ على الغلام ، فصار في الحال في صورته وسيرته ظاهراً وباطناً ، بحيث لا يعرف الفرق في البين ولا يمتاز المثل من العين ، وعاش الغلام بعد هذه أربعين يوماً ثم تخلص طير روحه من قفص البدن ، وطار نحو حظيرة القدس ، ولحق برحمة ربه ذي المنن ، رحمة الله عليه رحمةً واسعةً .

مطلب مهم

قيل :إن حضرة عزيزان لما توجه من ولاية بخارا إلى خوارزم بإشارة غيبية ووصل إلى باب البلد وقف هناك وأرسل اثنين من أصحابه إلى خوارزم شاه ، وقال لهما : قولا لخوارزم شاه : إن نساجاً قدم بلدك يريد الإقامة فيه ، فإن أذن له الملك يدخل ، وإلا فيرجع من حيث جاء ، وقال لهما : فإن أذن الملك فخذوا منه حجةً مختومةً بختمه ، فلما دخلا على الملك وعرضا عليه حاجتهما ضحك الملك وأركان الدولة ، وقالوا : إن هؤلاء قوم غلبت عليهم البلاهة والجهالة ، فكتبوا لهما ورقة الإذن على وفق مرامهم استهزاءً بهم ، وختمها الملك وأعطوها لهما .

فجاءا بهما عند حضرة عزيزان ، فدخل البلد وقعد في زاوية ، واشتغل بطريق خواجكان قدّس الله أرواحهم ، **وكان يذهب في كل صباح عند موقف العمال يأخذ أجيراً أو أجيرين ويجيء به في بيته ويقول له : توضأ وضوءاً كاملاً واقعد معي اليوم على الطهارة إلى وقت العصر ، فنذكر الله سبحانه ، ثم خذ مني أجرك ، ثمّ اذهب حيث شئت ؛ فاغْتَنَمَ**

---

(١) والشبح : الشخص . « مصباح » .

العمال ذلك وصاروا يشتغلون في صحبة عزيزان بالذكر إلى وقت العصر بطيب القلب والنشاط ، وصار كل من اشتغل في صحبته يوماً واحداً في هذا الطريق يحصل له حالة عجيبة ببركة صحبته الشريفة ، وتأثير الذكر وتصرفه في باطنه ، بحيث كان لا يقدر في اليوم الثاني مفارقة صحبته ، ولا يمكن له الذهاب من عنده .

حتى مضت مدّة مديدة على هذا المنوال ، فدخل أكثر أهل تلك الديار في طريقته ، فكان الطالبون في بابه لا يحصون كثيرةً ؛ فلما زاد الازدحام سعى اللئام إلى خوارزم شاه بأنه ظهر شيخ في تلك الديار ، ودخل في طريقته وربقة إرادته كثيرون من الأنام ، وقاموا في ملازمته وخدمته على الأقدام ، فيخشى من كثرة أتباعه أن يحدث خلل في المملكة العلية ، وزلل للسلطنة ، أو تقع فتنة لا يمكن تسكينها .

فتأثر الملك من هذا الخبر المفزع ، وعزم أن يخرج حضرة عزيزان من بلاده ، فأرسل حضرة عزيزان الشخصين المذكورين بالورقة المكتوبة المختومة بختمه إليه ، وقال : قولا له : نحن ما دخلنا هذا البلد إلا بإذن منك ، فإن بدلت الآن رأيك وغيرت كلامك ونقضت حكمك نخرج من بلادك .

فصار الملك وأركان الدولة خجلين منفعلين من الصورة المذكورة فوق الغاية ، وذهبوا إلى صحبته لملازمته ، وكان من جملة المحبين والمخلصين له .

قيل : إن عمره بلغ مائة وثلاثين سنة .

وكان له ولدان أمجدان عالمان عاملان عارفان كاملان ، وكان لهما من أعلى مراتب الولاية نصيب تام ، وهما : الخواجه خورد ، واسمه محمد ؛ والخواجه إبراهيم رحمهما الله تعالى ، وهو أصغر سنّاً منه ، وأعطى إجازة الإرشاد له وإن كان أصغر ، لما علم أن الخواجه خورد لا يمكث في الدنيا إلا قليلاً .

توفي حضرة عزيزان بين الصلاتين يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ٧١٥ ، والله أعلم .

وتوفي ولده المذكور الخواجه خورد ضحى يوم الاثنين السابع عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة بعد تسعة عشر يوماً من وفاة حضرة عزيزان .

وتوفي ولده الصغير الخواجه إبراهيم المجاز له في شهور ثلاث وتسعين وسبعمائة .

وكان لحضرة عزيزان خلفاء[١] أربعة غيره ، يسمى كل منهم محمداً . انتهى من « الباقيات الصالحات » بتصرف واختصار .

الخواجه محمَّد بابا السّماسيّ رحمه الله تعالى

هو أكمل أصحاب حضرة عزيزان وأفضلهم ، مولده قرية سماس وهي من جملة قرى راميتن على بعد فرسخ شرعي منه ، ومنها إلى بخارا ثلاثة فراسخ ، وقبره أيضاً هناك .

نُقِلَ : أنه لما قربت وفاة حضرة عزيزان اختار الخواجه محمد بابا السماسي من بين الأصحاب لمقام الإرشاد ، وفوّض إليه أمر الخلافة والنيابة وأمر باقي الأصحاب بمتابعته وملازمته .

وحصل لحضرة الخواجه بهاء الدين قدّس سرّه نظر القبول بالولدية منه .

---

(١) وهم مذكورون في ذلك الكتاب ، أي : في « الباقيات الصالحات » ، فليراجعه . (منه) .

مهم

وكان قدِّس سرّه كلَّما يمرّ بقصر هندوان قبل ولادة الخواجه بهاء الدين يقول : يفوح من هذه الأرض رائحة رجل ، وسيصير قصر هندوان قصر عارفان .

فلما مرّ به يوماً قال : قد ازدادت تلك الرائحة ، أظن أنّه قد وُلِد ذلك الرجل .

وكان قد مضى في ذلك الوقت ثلاثة أيام من ولادة خواجه بهاء الدين ، فوضع جدّه هدية على صدره الشريف ، وجاء به عند خواجه باب ، فقال : إنه ولدنا ، ونحن قبلناه ؛ وقال لأصحابه : إن هذا المولود هو الذي كنت أشمّ رائحته ، فيوشك أن يكون مقتدى وقته . ثم التفت إلى خليفته الجليل السيد الأمير كلال وقال : لا تقصر في تربية ولدي بهاء الدين وشفقته ، ولا أجعلك في حلّ مني إن كنت مقصراً ؛ فقام الأمير على قدمه ووضع يده على صدره ، وقال : **لا أكون رجلاً إن كنت مقصراً** .

وما بقي من تلك الحكاية وكيفية تربية الأمير لحضرة الخواجه مذكور في « مقامات الخواجه بهاء الدين » بالتفصيل .

قال حضرة شيخنا : كان لخواجه محمد بابا بستان صغير في قرية سماس ، وكان يباشر إصلاحه بنفسه أحياناً ، وينقيه بيده الكريمة ، وكان يمتد إصلاحه إلى زمان طويل ، **وذلك أنه كلما وضع المنشار على غصن من الأغصان كان يغلبه الحال ويغيب عن نفسه ، ويسقط المنشار من يده ، ويبقى في غيبته زماناً** . انتهى من « الباقيات الصالحات » .

السيد الأمير كلال قدِّس سرّه

هو أفضل أصحاب الخواجه محمد بابا ، وأكمل خلفائه ، وفيه شرف السيادة ، مولده ومدفنه سوخار ، وكان يصنع الكيزان ، ويُقال في لغة أهل بخارا لمن يصنع الكيزان : كلال .

وذكر في « المقامات » أن والدته الشريفة كانت تقول : إذا أكلت لقمة ذات شبهة مدة حملي بالأمير كلال ، كان يعرض لي وجع البطن بالشدة ، فلما تكرَّر ذلك علمت أنّه بسبب ذلك الجنين ، فكنت بعد ذلك أحتاط في اللقمة راجياً خير ذلك الجنين .

فلما بلغ السيد أمير كلال سن الشباب اشتغل بالمصارعة ، وكان يجتمع حوله جمع كثير للتفرّج ، فخطر يوماً على قلب رجل في ذلك الاجتماع أنه كيف يليق بالسادة الشرفاء أن يشتغل بمثل هذه الصنعة وأن يسلك طريق أهل البدعة ، **فغلبه النوم في الحال ، ورأى في المنام أن قد قامت القيامة ، ورأى نفسه مغموراً في الطين إلى صدره وقد عجز عن الخروج منه ، فبينما هو متحيّر في تلك الحالة إذ ظهر السيّد وأخذ بيده وأخرجه من الطين بسهولة ، فلما انتبه التفت إليه حضرة الأمير في ذلك الاجتماع وقال : نحن إنما نتدرّب[1] المصارعة ونتمرن[2] المجاسرة والتجبر لمثل هذا اليوم .**

روي أن الخواجه محمد بابا مرّ يوماً بمعركة السيد ، فوقف برهةً يتفرج ، فخطر علي خاطر بعض أصحابه أنه كيف ينظر حضرة الخواجه إلى هؤلاء المبتدعة ، فأشرف حضرة الخواجه على خاطره ، وقال : **إن في تلك المعركة رجلاً يصل في صحبته رجال كثيرون إلى**

---

(١) الدارب : الحاذق بصناعته . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) مرنت على الشيء إلخ : اعتدته وداومته . (مصباح) .

درجة الكمال؛ ونظرنا هذا إنما هو لأجله ، ونريد أنْ نصيِّده ، فوقع نظر الأمير في هذا الحال على حضرة الخواجه ، وجذبته جاذبة نظر الخواجه مما كان فيه ، فلما ذهب الخواجه ترك الأمير معركته من غير اختيار ، وتوجه من عقبه ، ولما وصل الخواجه إلى بيته وأدركه الأمير من عقبه أدخله في محلّه وعلّمه الطريقة وقبله للولديّة ، فلم يره أحدٌ بعد ذلك في المعركة والأسواق وسائر مجامع الفساق ، وكان في خدمته وملازمته مدة عشرين سنة متصلة ، وكان يجيء في كل يوم الاثنين والخميس من قرية سوخار إلى قرية سماس لملازمته ، ويرجع من يومه ، ومسافة ما بينهما خمسة فراسخ[1] . **واشتغل مدة ملازمته بطريقة خواجكان قدّس الله تعالى أرواحهم ، بحيث لم يطلع أحد من الأغيار على حاله حتى وصل في ظل تربية الخواجه إلى مقام التكميل والإرشاد** .

ونسبة صحبة الخواجه بهاء الدين وتعلمه الطريقة وآداب سلوكه كانت إليه قدِّس سرّه .

وله أربعة أولاد ، وأربعة[2] خلفاء ، كان كلهم من أرباب الكمال وأصحاب الوقت والحال . وأحال تربية كل من أولاده على كل واحد من خلفائه . انتهى من « الباقيات الصالحات » بعباراته .

وكان أكبر أولاده الأمير برهان صاحب سكر وجذبة قوية ، وكان طريقته وسيرته الانزواء[3] والانقطاع عن الخلق ، ولم يأنس في عمره بأحد أبداً ، ولم يمل قلبه إلى الألفة سرمداً ، ولم يطلع أحد على أطواره وأحواله ، وكان في قوة الباطن بمرتبة كان ينهب من أصحاب حضرة الخواجه أحوالهم الباطنة ، ويتركهم عارين عن اللباس المعنوي .

---

(١) الفرسخ : ثمانية كيلومترات . « منجد » .

(٢) وقيل : للأمير أربعة عشر خليفة . انتهى من ترجمة « رشحات » .

(٣) انزوا : نحاه . « قاموس » ، أي : صرفه . « مختار » .

وحكي الشيخ نيكروز الذي هو من أجلة أصحاب الخواجه بهاء الدين قدِّس سرّه أنه كلما وقعت لي الملاقاة مع الأمير برهان كان يسلب مني أحوالي الباطنية ، ويتركني خالياً عن النسبة متفرق الباطن .

فلما وقع ذلك منه كرّاتٍ ومرات أردت أن أعرض ما في بالي من أخذ الأمير أحوالي على حضرة الخواجه ، فجئت عنده بهذه النية ، فلما وقع نظره عليّ قال : لعلك جئت للشكاية من الأمير برهان ؟ قلت : نعم ، فقال : **متى توجّه إليك لسلب أحوالك توجّه أنت إليّ وقل من قلبك : لست أنا بل هو ، يعني حضرة الخواجه** ؛ فلما لقيت الأمير برهان بعد هذا التعليم وأراد أن يشتغل بسلب أحوالي على عادته القديمة ، توجّهت في الحال إلى حضرة الخواجه ببالي ، وأحضرت صورته الشريفة في خيالي ، وقلت : لست أنا بل حضرة الخواجه ، فرأيته في الحال متغير الأحوال ، حتى سقط في الأرض مغشيّاً عليه ، فلم يكن بعد ذلك متوجهاً إليّ بطريق التصرف . انتهى منه بتصرف قليل .

واعلم أنه يؤخذ من هذه الحكاية أن المريد إذا وقع في صحبة من خاف منه من أن يسلب أحواله الباطنية فاللائق به أن يجتهد في حفظ صورة شيخه في خياله لئلا تنسلب أحواله ، فافهم[1] .

---

(١) وقد قال لي شيخنا العسوي قدسر سره مرة : إنّي أذنت لك أن تذهب إلى زيارة الشيخ زين الله المعموري الترويسكي قدس سره ، فقلت له : كيف أقف لديه يا أستاذي إذا زرته ؟ فقال لي قدس سره : كن عنده على الحضور أكثر مما تكون عندي عشر مرات . انتهى . (منه) .

رئيس هذه الطريقة بهاء الحَقّ والدِّين محمّد المشتهر بالنّقْشبند قدَّسَ الله تعالى سرّه

ولادته في محرم سنة ٧١٨ ، في عهد حضرة عزيزان خواجه علي الراميتني عليه الرحمة ، على قول من قال أن وفاته في شهور سنة ٧٢١ .

مولده ومدفنه قصر عارفان ، وهي قرية على فرسخ من بخارا .

وكانت آثار الولاية واضحة في وجهه ، وأنوار الكرامة لائحة من جبينه في طفوليته . نقل عن والدته أنها قالت : **كان ولدي بهاء الدين ابن أربع سنين ، فأشار إلى بقرة من بقراتنا ، وقال : إنّ بقرتنا هذه تلد عجلاً أغرّ الجبين ، فولدت بعد أشهر عجلاً موصوفاً بالصفة المذكورة .**

وكان لحضرة خواجه نظر القبول للولدية من حضرة الخواجه محمد بابا السماسي حين كان طفلاً ، وكان تعلمه لآدب الطريقة بحسب الصورة من الأمير كلال ، كما أشرنا إليه عند ذكر محمد بابا السماسي .

وأما بحسب الحقيقة فهو أويسي تربى من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدواني كما هو معلوم من واقعته التي رآها في مبادئ أحواله ، وتفصيلها مذكور في المقامات . لا يخفى أن جمعاً من مشائخ سلسلة خواجكان قدَّس الله أسرارهم جمعوا بين الذكر الخفي وذكر العلانية ، وذلك من لدن الخواجه محمود الإنجير فغنوي إلى زمان الأمير كلال ، رحمهما الله ، ويقال لهم في هذه السلسلة الشريفة العلانيون .

ولما كان زمان ظهور حضرة الجواجه بهاء الدين قدِّس سرّه ، وكان مأموراً من روحانية الخواجه عبد الخالق بالعزيمة في العمل اختار ذكر الخفية واجتنب ذكر العلانية ، وكلما شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهري كان حضرة الخواجه يقوم عن هذا المجلس ويخرج ، وكان ذلك يثقل على خاطر سائر الأصحاب ، وكان حضرة الخواجه لا يلتفت إليه

ولا يتقيّد برفع هذا الثقل عن خواطرهم ؛ ولكن كان لا يترك دقيقة من خدمة الأمير كلال وملازمته ، ولا يخرج رأس التسليم والإرادة من ربقة متابعته .

وكان التفات الأمير إلى حضرة الخواجه في الزيادة يوماً فيوماً ، فخاض بعض الأصحاب في طعن حضرة الخواجه وعرضوا على الأمير بعض أحواله وصفاته في صورة القصور والنقصان ، فلم يردهم الأمير بشيء في هذه النوبة ، حتى اجتمع الأصحاب كبارهم وصغارهم زهاء خمسمائة نفس في قرية سخار لعمارة المسجد والرباط ومنازل أخرى ، فلما تمّ أمر العمارة اجتمع الأصحاب كلهم عند الأمير ، فتوجّه الأمير إلى الطاعنين في حضرة الخواجه وقال : إنكم أسأتم الظنّ في حق ولدي بهاء الدين ، وأخطأتم في نسبة أحواله إلى القصور ، وأنتم لا تعرفون أمره ولا تقدرون قدره ، فإن نظر الحقّ سبحانه شامل لحاله دائماً ، ونظر خواص عباد الله تابع لنظره سبحانه وتعالى ، وليس لي صنع واختيار في مزيد النظر في حقه .

وكان حضرة الخواجه في ذلك الوقت مشغولاً بنقل الآجر ، فطلبه الأمير وتوجه إليه في هذا المجمع ، **فقال : يا ولدي بهاء الدين !** إني قمت بموجب أمر محمد بابا في حقك ، حيث قال : كما أني بذلت جهدي في تربيتك كذلك لا تقصّر أنت في تربية ولدي بهاء الدين ، ففعلت ما أُمِرتُ ؛ ثمّ أشار إلى صدره الشريف وقال : قد أفرغت ثدي العرفان لأجلك ، فتخلص طائر روحانيتك من بيضة البشرية ، ولكنّ باز همتك عالية الطيران ، فأجزتك الآن أن تطوف في البلدان ، فإذا وصل إلى مشَامك رائحة المعارف من الترك والتاجك فاطلبها منه ، ولا تقصِّر في أمر الطلب بموجب همتك ، يعني كما في « البهجة السنية » : إن تجد المشائخ فاطلب منهم على حسب استعدادك . انتهى .

قال حضرة الخواجه : إن صدور هذا الكلام من حضرة الأمير كلال كان سبباً لابتلائي ، فإنِّي لو كنت في صورة المتابعة المعهودة للأمير لكنت أبعد من البلاء وأقرب إلى السلامة .

فصحب بعد ذلك مولانا عارفاً سبع سنين ، ثم وصل إلى ملازمة الشيخ قثم وخليل آتا ، وصاحب خليل آتا اثنتي عشرة سنة .

وسافر إلى الحجاز مرتين ، وسافر معه الخواجه محمد(١) پارسا قدِّس سرّه في المرة الثانية ، ولما وصلوا إلى خراسان أرسل الخواجه محمد پارسا مع سائر أصحابه من طريق بأورد إلى نيسابور ، وتوجّه بنفسه إلى هرات لملاقاة مولانا زين الدين أبي بكر التايبادي ، وصاحبه ثلاثة أيام في تايباد ، ثم توجه إلى الحجاز ولحق الأصحاب في نيسابور ، وأقام مدة في مروَ بعد رجوعه من الحجاز ، ثم قدم بخارا ، فأقام بها إلى آخر عمره .

وتفصيل أحواله مذكورة في مقاماته .

ولما أشار الأمير كلال في مرض موته إلى أصحابه بمتابعته قال الأصحاب : إنّه لم يتابعك في ذكر العلانية ، فكيف نتابعه ؟ فقال الأمير : **كل عمل صدر عنه فهو مبني على الحكمة الإلهية ، وليس له اختيار فيه** ، يعني كما في « البهجة » : فلا تخالفوه . انتهى .

قال مولانا علاء الدين الغجدواني قدس سره : كنت حاضراً عند حضرة الخواجه - يعني بهاء الدين النقشبند قدس سره - في مرضه

---

(١) وهو من خلفائه قدس سره . (منه) .

* التدبير نصف العيش ، والتؤدة نصف العقل ؛ والله منزل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق بقدر المؤنة ؛ اختر الخمولة ولا تكن مقيّداً بمنصب ، ولا تكتب اسمك في الحجج والوثائق ؛ ولا تخف أحداً ولا تطلب شيئاً من أحدٍ ، ولا تكن كفيلاً لأحد ، ولا تصحب الملوك وأبناءهم ، ولا تدخل في وصايا الناس .

الأخير ، فدخلت عليه في حالة النزع ، فلما رآني قال : يا علا ! خذ السفرة وكل الطعام ، وكان دائماً يناديني بعلاَ ، فأكلت لقمتين أو ثلاثاً امتثالاً بأمره ، وما كنت قادراً على أكل طعام في تلك الحالة ، ثم رفعت السفرة ، ففتح عينيه ورآني قد رفعت السفرة ، قال : خذ السفرة وكل الطعام ، ينبغي أن تأكل الطعام كثيراً ويشتغل كثيراً ، قال ذلك أربع مرات ، وكان خاطر الأصحاب مشغولاً في هذا الوقت بأن حضرة الخواجه إلى من يفوّض أمر الإرشاد ، وإلى من يسلم أمور الفقراء ، فأشرف حضرة الخواجه على خواطرهم ، وقال : ليش[١] تشوشونني في هذا الوقت ؟ ليس هذا الأمر في يدي ؟ فإن الحاكم هو الله سبحانه ، فإذا أراد الله أن يشرفكم بهذه الحالة يشير إليكم بها .

قال الخواجه علي داماد الذي هو من جملة خدام حضرة الخواجه قدِّس سرّه : أمرني حضرة الخواجه في مرضه الأخير بحفر القبر الذي هو مرقده المنوَّر ، فلما أتممت جئت عنده ، فخطر في قلبي أنه إلى من يحيل أمر الإرشاد بعده ؟ فرفع رأسه المبارك ، وقال الكلام هو الذي قلته في سفر الحجاز[٢] ، وأتممْته : **كل من أراد أن ينظر إليَّ فلينظر إلى الخواجه محمد پارسا** ، فانتقل في اليوم الثاني بعد هذا الكلام إلى جوار رحمة الله سبحانه .

---

(١) أي : لأيّ شيء . (منه) .

(٢) يعني من يريد أن يلحقني فليلحق بالخواجه محمد پارسا . انتهى من « البهجة » . وهكذا ما قاله قدس سره في سفر الحجاز ، مذكور في ترجمة « الرشحات » ، وملخصه أنه قدس سره قال في أثناء وصايا ، مخاطباً لخليفته الثاني من خلفائه محمّد پارسا : إن كل حق وأمانة وصل إلى هذا الضعيف من خلفاء خواجكان قدس الله أرواحهم ، وما كسبته في هذه الطريقة فوّضت كلها إليك ، كما فوّضها أخي في الدين مولانا عارف ، فينبغي لك أن تقبلها وتوصلها إلى خلق الله سبحانه ، فقبلها ذلك المخلص بالتواضع . انتهى . وفيها أيضاً : أن أفضل خلفائه وأكمل أصحابه الخواجه علاء الدين العطار والخواجه محمد پارسا قدس سرهما ، وأصحابه وخدامه لا يضبطهم الحد والعدّ . انتهى باختصار . (منه غفر الله ذنبه ، آمين) .

قال حضرة الخواجه علاء الدين العطار قدس سره : قرأت سورة « يس » وقت نزع حضرة الخواجه ، فلما وصلت إلى نصف السورة أخذت الأنوار في الظهور ، فاشتغلت بالكلمة الطيبة ، فانقطع بعد ذلك نفس الخواجه قدِّس سره ، وقد بلغ سنه الشريف ثلاثاً وسبعين سنةً ، وشرع في الرابعة والسبعين ، وتوفي ليلة الاثنين الثالثة من ربيع الأول سنة ٧٩١ . انتهى من « الباقيات الصالحات » مع اختصار من مواضع .

وفيه أيضاً : إنه لما احتضر رفع يديه إلى السماء بالدعاء في نفَسِه الأخير ، ودعا مدةً مديدة ، ثمّ مسح يديه الكريمتين وجهه الشريف ، وانتقل من العالم في تلك الحالة . انتهى .

ومرَّ في ترجمة الخواجه محمد بابا قدس سره أن بهاء الدين النقشبند قدِّس سره تشرّف في أيام الطفولية بنظره وقبوله للولدية إياه ، **وأنّ محمد بابا أخبر أن رائحته كان يفوح قبل ولادته قدس سره** ، فليراجعها .

نقل الخواجه علاء الدين : عطر الله تربته من لفظ حضرة الخواجه المبارك قدس الله روحه ، أنه قال : إن مبتدأ يقظتي وانتباهي وتوبتي وإنابتي إني كنت في خلوة مع شخص يميل خاطري إليه ، وأنا ألتفت إليه وأكلمه فوقع في سمعي صوت : أما آن وقت أن ترجع عن الكل وتتوجه بوجهك إلى حضرتنا ، فحصل لي حال آخر من ذلك الصوت ، فخرجت من ذلك البيت وليس لي قرار ، وكان في ذلك القرب ماء ، فاغتسلت منه ، وغسلت ثيابي ، وفي حال ذلك الانكسار صليت ركعتين ، ومر بعد تلك الصلاة سنون وأنا أرجو أن يحصل لي مثل تلك الصلاة ، فلم أقدر على ذلك .

نُقِل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : **قيل لي في بداية الجذبة : كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقول وأريد ، فوصل الخطاب : إن كل ما تقول ينبغي أن يفعل ، فقلت :**

ما لي طاقة على هذا إن كان كل شيء أقوله يصير ، يمكنني أن أضع في هذا الطريق قدمي وإن لم يكن كذلك فلا أقدر ، وقع السؤال والجواب على هذا الوجه مرّتيْن وبعد ذلك تركوني ونفسي إلى مدة خمسة عشر يوماً فخربتْ أحوالي ويئست من نفسي ، فبعد ذلك اليأس وقع الخطاب : الذي تريده يكون .

وفي بعض الروايات : **أنّ حضرة الخواجه قال بعد ذلك : أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول ، وفي ذلك بشرى عظيمة للمتمسّك بطريقته** . انتهى من « البهجة السنية » .

وقال قدس سره : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه .

مهم

وقال قدِّس سره : معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي قدس سره .

وقال أيضاً : طريقنا من أقرب الطرق .

وقال أيضاً : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة البتة . وقد أجيبت دعوته ، كما في « الرشحات » عن عبيد الله أحرار قدس سره ، انتهى من « البهجة » من المقدمة .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره : أني في أوائل حالي في الجذبة كنت قريباً من مزار مُزْدخان ومعي الدرويش محمد زاهد ، وكان متكئاً ، ففي ذلك الحال فارقت روحي قلبي[1] وذهبت إلى طرف السماء وهي بتلك الصفة وصلت إلى السماء الأولى ومن هناك إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة ، وكذلك رجعت إلى الأرض ، ودخلت في قالبي ، وليس لمحمد زاهد خبر عن هذه الأحوال .

---

(١) وفي نسخة : من قلبي .

ونقل حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره عن حضرة الخواجه قدس سره : أني كنت في مبادئ الأحوال في مسجد زيورتون ، وكنت متوجهاً عند الأسطوانة لجهة القبلة ، فشرع أثر غيبة الفناء يظهر ، واستولّى عليّ قليلاً قليلاً حتى انمحيت عني بالكلية ، وفي حالة ذلك المحو والفناء الكليّ قالوا لي : استيقظ ، فإنك حصلت ما هو المقصود والمطلوب ، ووصلت إلى ذلك ، وبعد مدة ردوني من تلك الحالة إلى وجودي .

نقل حضرة الخواجه علاء الدين العطار عطر الله روضته عن حضرة الخواجه قدس سره : أنه كان يقول كثيراً : إن فعل سالك الطريق البذل والمسكنة وعلو الهمة أنا أدخلوني من هذا الباب ، وكلَّما لقيته لقيته من هنا .

وقال قدس سره بيتاً بالفارسي ، معناه :

إنّ الهمة توصلك إلى شرفات الكبرياء ، لا تطلب لهذا السقف أحسن من هذا السلم .

قال قدس سره : **كنا مائتي شخص وضعنا القدم في الطريق ، وكان في همتي أني أجاوز الجميع ، فوصلت عناية الحق إليّ فجاوزتني عن الجميع وأوصلتني إلى المقصود .**

ونقل عنه قدس سره أنه قال : في هذا الطريق نفي الوجود وعدم رؤية النفس أمر عظيم ، وهو رأس مال دولة الوصول والقبول ، وأنا في هذا الطور نسبت نفسي إلى كل طبقة من طبقات الموجودات ، فرأيت كل واحد منهم أحسن مني في الحقيقة ، حتى وصلت إلى طبقة الفضلات ، فرأيت فيها منفعة ، ولم أرَ في نفسي منفعة ، فوصلت إلى فضلة الكلب ، فقلت : لا تكون فيها منفعة ، فقررت في نفسي ذلك فعلمت في آخر الأمر أن فيها أيضاً منفعة ، وعلمت بالتحقيق أنه ليس فيّ منفعة أصلاً . انتهى .

ولـه قدس سره بيت بالفارسي ، معناه :

إنّ الكلب أحسن حالاً من شخص يرى لروحه محلاً ولقلبه قدراً . انتهى .

وكان قدس سره يعلّم السالكين علو الهمة ، ويقول : أنا لا أحلّ لكم إلا أن تكون همتكم في طلب المقصود أن تضعوا أقدامكم على رأسي وتتجاوزوا . انتهى .

هذا إشارة إلى أنّ الشيخ بحسب الظاهر والباطن في جميع المقامات والمنازل معراج للمريد فالترقي من كل حال وصفة الواقع للمريد بواسطة مرقاة الشيخ ولطفه الظاهر والباطن ، لأنّ همَّته متوجهة أن يركب المريد على براق الهمة ، ويصعد به من حضيض البشرية إلى أوج البقاع الملكية .

وقد أمر النبي ﷺ أمير المؤمنين علياً رضي الله تعالى عنه بأن يضع قدمه على كتفه المبارك ليرمي الصنم من جدار الكعبة ، وفيه إشارة إلى هذا المعنى . انتهى .

نقل الخواجه علاء الدين – روّح الله روحه – عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : من كلام كبراء الحقيقة : **إن سالك الطريق إن لم يرَ نفسه أقل من نفس فرعون وأخبث منها مائة مرة فليس هو في الطريق** .

وكان قدس سره يشتغل بتحصيل جبر الخواطر وخدمة المطروحين والضعفاء والمنكسرين والذين لا يلتفت إليهم أحد من الخلق .

وكان قدس سره يخدم الحيوانات ، وإن رأى جراحة أو قرحة على ظهر واحد منهم يجتهد في علاجه وواظب على ذلك مدة ؛ **وكان إذا لاقاه حيوان وقف حتى يمر هو أولاً ولا يتقدم عليه؛ وكان يقوم في خدمة تلك الحيوانات على طريق المسكنة والإخلاص** ؛ ومكث على ذلك سبع

سنين ؛ حتى كان قدس سره يخدم الكلاب بالإخلاص والانكسار ، ويطلب منها المدد ، ثم مكث بخدمة الطرق ، فكان كلّما رأى شيئاً في الطريق مما يكرهه الخلق ينظفه ويرفعه ، ومكث في هذا الشغل سبع سنين ، لم يكن في وقت كمُّهُ وزيله خالياً من التراب الذي نظفه عن الطرق .

فانظر يا أخي إلى هذا السلوك ، وتأمّل هذه الشمائل ، وتحلّ بذرّة منها تنال شمة من هذا الطريق ، فإن هذه طريق لا تُنالُ بكثرة صلاة ولا صيام ، وإنما تنال بالفناء التام وقطع العلائق .

وانظر يا أخي هذا التواضع العظيم من هذا الرجل العظيم ، وبهذا نال ما نال وارتقى إلى ما ارتقى ، ومبنى طريقه على ذلك .

وقد أشار الشيخ أبو مدين إلى هذا المعنى في حكمه حيث قال : من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيد عن طرقات المعاملة . انتهى .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : كنت في تلك الجذبات والغيبات أذهب إلى كلّ ناحية ، وتجرحت رجلي من الشوك ، وكان على كتفي فِرْو عتيق ، فاتفق أن كان فصل الشتاء والهواء في غاية البرودة ، فحصلت لي ليلة جاذبةُ صحبة السيد كلال رحمه الله ، فلما وصلت إلى المنزل كان السيد والفقراء جالسين في موضع ، ولما وقع نظره المبارك عليّ سأل : مَنْ هذا ؟ فلما عرفني أشار أن أخرجوه من هذا المنزل سريعاً ، فلما خرجت من المنزل قاربت نفسي أن ترفع رأسها وتعصي ، وتأخذ مني عنان التسليم والإرادة ، فصاحبتني في تلك الحالة إرادة الله وعنايته ، فقلت : هذا الذل أحتمله لرضاء الحقّ سبحانه وتعالى ، الباب هو هذا وليس عن هذا الباب مندوحة ، فوضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة العزّ ، وقلت : أيّ حال يقع لا أرفع رأسي عن هذه العتبة ، وكان الثلج يجيء قليلاً قليلاً ، والهواء في غاية البرودة ، فلما قرب الصبح

خرج السيد كلال من المنزل ووضع قدمه على رأسي ورفع رأسي عن العتبة ، ودخل المنزل وأدخلني معه ، وبشّرني وقال : يا ولدي ! لباس هذه السعادة على قدمك[1] ، وبيده الشريفة أخرج ما في رجلي من الشوك والقشاش ، ونظر الجراحات ، ونظر إليّ بعين اللطف كثيراً . انتهى .

نقل عن حضرة الخواجه علاء الدين طيَّب الله مرقده عن حضرة الخواجه قدس سره : **أنه لما كان يحكي عن رياضاته ومجاهداته أنه ذكر فتور الطالبين ، وقال في الآخر : كل صبح إذا خرجت من المنزل أقول : لعل طالباً يكون واضعاً رأسه على الأعتاب فأجد العالم كلهم شيوخاً ليس فيهم مريد .**

أشار الخواجه رضي الله تعالى عنه إلى أن شرط المريد وآدابه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ليس له إرادة ولا اختيار ، بل يدع نفسه للشيخ يتصرف فيه كتصرف الغاسل في الميت ، حتى يتنظف من الأوساخ الظاهرة والباطنة ، **وهذا المعنى في المريدين أعزّ من الكبريت الأحمر ، فلذلك لا ينتج ويسير في السلوك إلا الفرد بعد الفرد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .**

والحكاية السابقة عن حضرة الخواجه تؤيّد وتوضّح هذا المعنى ، **فما لم يكن المريد على هذا الوصف فهو بمعزل عن الإرادة ، وأكثر المريدين متمسكون بخيالات اعتقادات ، فإذا وجدوا من المشائخ خلاف معتقدهم أنكروا وخالفوا ، ففي الحقيقة هم مريدوا معتقداتهم ومتخيلاتهم ، لا مريدوا مشائخهم ، ومن كان كذلك كان شيخاً لا مريداً ، ولذلك قال قدس سره : كلهم شيوخ ليس فيهم مريد .**

---

(١) القدّ : الشق طولاً ، وبابه ردّ ، والقدّ أيضاً القامة . انتهى « مختار » .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : كنت في بخارا ، وكان حضرة السيد كلال في نسف ، فحصلت لي جاذبة صحبته الشريفة ، فتوجهت إلى جهة نسف ، فلما وصلت إلى خدمته قال لي : يا ولدي ! جئت في وقت مليح ، قد هيأنا المطبخ ونريد من يجمع لنا الحطب ، فشكرت هذه الإشارة وذهبت أحطب ، وجئت بالحطب المشتمل على شوك على ظهري إلى المطبخ وذكر بيتاً بالفارسي معناه : إنّ جمال كعبة المقصود كان يجري بي بالنشاط حتى أني أحس بخشونة شوك الحطب كأنه حرير .

وهذا منه قدس سره موضّح ومبيِّن لما مرّ من الآداب حيث حمل بمجرد إشارة الشيخ الحطب المشتمل على الشوك على ظهره وهو فَرِحٌ مسرور بذلك ، يراه كأنه حرير ، ولذلك نال ما نال وارتفع وترقّى حتى عرج به إلى سماء الوصال ، فإن لم تستطع يا أخي أن تسلك هذه المسالك فتضرّع وانكسر بين أيديهم بظاهرك وباطنك ، واغسل نجاسة المخالفات بماء الاستغفار ، وتحلّ بحلية الاعتذار ، فما لا يدرك كلّه لا يترك كله . انتهى من « البهجة السنية » باختصار من مواضع عديدة وتصرّف في العبارات لتوافق الاختصار ، فمن أراد أكثر من هذه المذكورات فليراجعها .

وفي « الرشحات » : لما توفي حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره بايع أصحابه كلهم حضرة الخواجه علاء الدين ، حتى الخواجه محمد پارسا قدس سره لكمال علوّ مقامه .

حضرة الخَواجه علاء الدّين محمّد العطّار قدّس الله سرّه

اسمه : محمد بن محمد البخاري ، كان أصله من خوارزم ، وكان لوالده خواجه محمد ثلاثة أولاد : خواجه شهاب الدين ، وخواجه مبارك ، وخواجه علاء الدين ، ولما توفي أبوهم الخواجه محمد لم يأخذ خواجه علاء الدين من ميراثه شيئاً واشتغل بتحصيل العلوم في واحدة من مدارس بخارا على التجريد ، وكان لحضرة بهاء الدين صبية ، فقال لوالدتها : إذا بلغت حد البلوغ أخبريني في تلك الساعة ، فلما بلغت أخبرته ،

مهم

فجاء حضرة الخواجه من قصر عارفان إلى بخارا ودخل حجرة الخواجه علاء الدين في المدرسة ، فرأى فيها حصيراً مشقوقاً مفروشاً ، كان الخواجه علاء الدين يضع عليه جنبه أحياناً ، ولبنتيْن كان يتوسدهما ، وقمقمة مكسورة يتوضأ بها ، فلما رآه الخواجه علاء الدين قام من مكانه ووضع رأسه على قدمه تواضعاً وتعظيماً ، فقال له : حضرة الخواجه : إنّ لي صبية وقد بلغت في هذه الليلة ، وأنا مأمور بأن أزوّجكها ؛ فقال الخواجه علاء الدين متواضعاً : إنّ هذه سعادة عظيمة توجّهت إليّ من محض لطف الحقّ سبحانه ، ولكن ليس لي شيء من أسباب الدنيا حتى أصرفه في لوازم الازدواج ، والحال ما تراه وتشاهده ؛ فقال حضرة الخواجه : إنّ لك ولها رزقاً مُقَدَّراً ومقرَّراً عند الله تعالى لا حاجة إلى الفكر والتشويش من هذه الجهة ؛ فتحقق العقد ، فولد له منها بعد زمان خواجه حسن العطار قدس سره ؛

وسمعت من بعض الأكابر أنه لما قبل حضرة الخواجه علاء الدين العطار للولدية أخرجه من المدرسة وأمر بكسر رعونته المولوية ، أو لحكمة أخرى ، بأن يضع مقداراً من التفاح في طبق من طين ، وأن

يحمله فوق رأسه ويبيعه في أسواق بخارا ماشياً حافياً طائفاً في أزقة بخارا بصوت عال ، فقام الخواجه علاء الدين بهذا الأمر على الذوق والنشاط التام بلا تأخير .

وكان أخواه الخواجه شهاب الدين والخواجه مبارك صاحبي عار وناموس ، فحصلت لهما من ذلك غاية الخجلة ونهاية الانفعال ، فلماً أخبروا حضرة الخواجه بذلك قال له : اذهب وضعْ الطبق على جنب دكان أخويك وبع هناك بصوت عالٍ ؛ ففعل ، وبقي على ذلك مدّةً ، ثم علّمه حضرة الخواجه الطريقة وأمره بشغل الباطن .

وذكر في « المقامات » : أنّ حضرة الخواجه **كان يجلس الخواجه علاء الدين في المجالس قريباً منه ، وكان يتوجه إليه آناً فآناً ، فسأله بعض الأكابر عن سرّه ؟ فقال : إنما أجلسه إلى جنبي لئلا يأكله الذئب** ، فإنّ ذئب نفسه في كمينه دائماً ، فأتفحص عن حاله في كلّ لحظة ليكون مظهراً للأسرار الإلهية .

قال الخواجه علاء الدين : سألني الشيخ محمد في راميتن في بداية ملازمتي حضرة الخواجه عن كيفية القلب ، قلت : إنّ كيفيته ليست بمعلومة عندي ، فقال : إن القلب عندي مثل الهلال في اليوم الثالث ، فعرضت تعريفه وتمثيله للقلب على حضرة الخواجه ، فقال : إنه إنما بين نسبة حاله فقط ، وكان حضرة الخواجه قائماً في ذلك الوقت ، فوضع قدمه المبارك على ظهر قدمي ، فظهرت فيّ كيفية عظيمة ، حتى شاهدت جميع الموجودات فيّ ، فلما رجعت إلى حالي الأوّل قال : إن النسبة هي هذه لا ذاك ، فكيف تقدر أن تدرك حال القلب ، فإنّ عظمة القلب يضيق عنها نطاق البيان .

وسرّ حديث : « لا يسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن يسعني قلب عبدي » من الغوامض ، فمن عرف القلب فقد عرف هذا السرّ .

وأحال حضرة الخواجه تربية كثير من الطالبين في حياته إلى حضرة الخواجه علاء الدين قدِّس سره ، وكان يقول : إن علاء الدين قد خفّف عنّي كثيراً من الأثقال والأحمال ، فلا جرم ظهر فيه أنوار الولاية وآثار الهداية على الوجه الأتمّ والأكمل ، ووصل كثير من الطالبين بيمن صحبته ، وحسن تربيته إلى أَوْج القرب والكمال ، ونالوا مرتبة التكميل والإكمال .

نقل : أنّه وقع مرَّةً اختلاف بين طائفة من علماء بخارا في مسألة رؤيته تعالى ، أنها جائزة أم لا ، وكان لهم اعتقاد تام في حق الخواجه علاء الدين ، فجاءوا عنده وعرضوا عليه المسألة ، وقالوا : أنت الحكم فاحكم بيننا بالحق ، فقال حضرة الخواجه لمنكري الرؤية ميلاً منهم إلى مذهب المعتزلة : احْضُرُوا عندي إلى ثلاثة أيام متصلاً ، واقعدوا معي في الصحبة على طهارة كاملة ساكتين ، فأحكم بعد ذلك .

ففعلوا ، فوقعت عليهم كيفية عظيمة في اليوم الأخير ، حتى غشيتهم الغيبة ، وصاروا يتمرغون في الأرض ، فلما أفاقوا قاموا وقالوا بغاية التوضع[1] والانكسار : آمنّا وصدَّقنا أنّ رؤية الله تعالى حق ، والتزموا بعد ذلك صحبته واعتكفوا .

ورأيت بخط الخواجه محمد پارسا قدِّس سره : قال حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره في مرضه الأخير : لو أردت أن يصل جميع الخلق إلى المقصود الحقيقي لوصلوا بعناية الله سبحانه وتعالى .

مهم : الشعور والوقوف أتمّ وأكمل من الغيبة

قال حضرة شيخنا – يعني عبيد الله الأحرار – : كانت الغيبة غالبة على حضرة الخواجه محمد في التوجيهات والمراقبات .

---

(١) وفي نسخة : الذلّ .

وكان لحضرة الخواجه علاء الدين شعور كامل ووقوف تام ، وتلك الصفة – أعني : الشعور والوقوف – أتمّ وأكمل عند أهل التحقيق .

وقال حضرة شيخنا : لما توفي حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره بايع أصحابه كلهم حضرة الخواجه علاء الدين ، حتى الخواجه محمد پارسا قدس سره لكمال علوّ شأنه .

ومن كلماته القدسية التي حكي عنه قدس سره هذه المقولات نوردها هنا للتبرك والتيمن :

قال قدس سره : إنّ المقصود من الرياضات إنما هو نفي التعلقات الجسمانية بالكلية ، والتوجه الكليّ إلى عالم الأرواح ، وعالم الحقيقة ، والمقصود من السلوك : أن يتخلّص العبد باختياره وكسبه عن هذه التعلقات التي هي مانعة للعبد عن الطريقة ، وأن يُعْرِض كل واحد من تلك التعلقات على نفسه .

فإن كان قادراً على تركه فليعلم أنّ هذه التعلّق ليس بمانع عن الحقّ ، ولم يغلب عليه ؛ فإن لم يكن قادراً على تركه ، ورأى قلبه مربوطاً به ، فليعلم أنه مانع له عن الطريقة ، فليتشبت بتدبير قطعه وقلعه عنه .

وقد كان حضرة الخواجه إذا لبس ثوباً جديداً يقول أولاً للاحتياط : إن هذا حقّ فلان ؛ ويلبسه مثل ثوب العارية .

مهم

وقال قدس سره : إن التعلق بالمرشد وإن كان تعلّقاً بالغير واجب النفي في الأخير ، لكنه في الأوّل سبب الوصول ؛ ونفي التعلق عن ما سوى المرشد من اللوازم ، وينبغي للطالب أن يطلب وجوده ورضاه ، وينفي ما سواه تعالى في محله – يعني في الانتهاء – **فإن النفي في غير محله ليس بمفيد** .

وقال قدس سره : قال المشائخ قدس الله أسرارهم : التوفيق مع السعي ، وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد ، فإنه لا بقاء لهذا المعنى بدون السعي ، وليس لتوجه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل ، فإن من المعلوم أن المرشد إلى متى يتوجه إلى الغير ، وكان من اللطف الإلهي أن مولانا دادرك أمرني أولاً بالسعي ، وكان التوفيق رفيقاً حتى صارت أوقاتنا كلها مصروفة في السعي في صحبة حضرة الخواجه قدس سره ، وأنا لا أعرف من كان يوماً واحداً بتمامه في السعي من أصحاب حضرة الخواجه إلا قليلاً .

وقال قدس سره : قد تظهر في أثناء السعي والتوجه أحياناً حالة للطالب ، ويراها الطالب ، ولكن لا يعلم أنه ماذا يرى ، فينظر إلى نفسه فيرى نفسه معدوماً ، فيقع في الحيرة ثم يحتجب عنه تلك الحالة بعد زمان ، ويكون طلوعها سبباً لحديث النفس ، فينبعي للطالب في هذا الحال أن يرى قصور نفسه ، ومطالعة نقصانه ، وأن يكون راضياً باحتجاب تلك الحال من حيث أنه رضا المحبوب ، ومقتضى عزته ، وأن لا يتقيّد بربطها ، فإنّ فخ البشر[1] غير لائق بهذا الصيد ، إلا أن تطلع ثانياً وتكون قوية وباقية ، فيجتهد بالجد التام وكمال الاهتمام ويلتزم المشقة والسعي ثلاثة أيام لا أكثر ، فيكون السعي بعد ذلك ملكة له حتى يصل الطالب باختياره إلى الفناء وفناء الفناء

قال قدس سره : إذا استتر الملك والملكوت عن الطالب ونسيهما الطالب يكون ذلك فناءً ، وإذا استتر وجود السالك عن نفسه يكون ذلك فناء الفناء . امتحن فلان في هذا المعنى ، فاستولت عليه الهيبة ، وتضرع حتى ارتفعت ، لم يجوِّز الأكابر امتحان هذه الطائفة .

---

(١) وفي نسخة : فخ البشرية .

مهم : لا قصور في الفيض الإلهي وإنما القصور في الطالب

وقال قدس سره : إذا جعل الطالب نفسه خالياً بأمر المرشد ومدده عن كل ما يكون مانعاً من محبة الشيخ الذي تمكن في قلبه ، يصير حينئذ قابلاً للفيض الإلهي ، ومحلاً للوارد الغير المتناهي ، ولا قصور في الحقيقة في الفيض الإلهي ، وإنما القصور في طرف الطالب ، فإذا رفع الطالب موانع الفيض عن نفسه يطلع له حال البتة بواسطة روحانية المرشد ، ويكون ذلك الحال سبباً لحيرته ، ولا يمكن إدراك وجوده وحقيقته بوجه من الوجوه ، مصراع : ربّ زدني تحيراً منك[1] .

وحكمة وجود الاختيار في الإنسان كثيرة .

ولما كانت الموانع الطبيعيّة أصلاً في الإنسان ينبغي أن يرفع تلك الموانع بقوة الاختيار والجهد الكثير ؛ والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة ، ومعصومين عن المخالفة قصداً وفعلاً ، لكنهم في الخشية والخوف والاعتبار التام في السعادة والشقاوة ، والترقي والتنزّل ، إنما هو للاختيار .

قال قدس سره : ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائماً ، **وأن يعلم يقيناً أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسّر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه** ، وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه ، وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداءً للمرشد .

(١) وفي نسخة : فيك .

علامة المرشد الكامل

وعلامة المرشد الكامل : أن الطالب لو كان عالماً وعارفاً وساعياً في السلوك بتمام قدرته ، وكمال علمه ، ثم إذا توجّه لروحانية المرشد في حضوره أو غيبته تكون تلك الكمالات والاجتهادات متلاشيةً ومضمحلةً بالكلية ، ويتيقّن أن ما كان حاصلاً له قبل التوجه إلى المرشد ليس بشيء ، بل ليس له حاصل قبل هذا ، ويعلم ذلك بالوجدان ، ويشاهده على التحقيق ، ويرى أن ما قطع من المنازل والمراحل في غاية القلة في جنب مطالعة كمال المرشد ، وقوة سيره وروحانيته التي كانت مبدّلة بالطير عدد الجذبات الإلهية ، بحيث إنّ سَيْرَ سنواته لا يساوي سير ساعة المرشد .

وقال قدس سره : لا رجاء غير مشاهدة قصور الأفعال دائماً في كلّ لحظة ، ينبغي أن يدْخل من باب القصور وأن يلاحظ كرمه تعالى وألطافه مع عدم استعداده وبعده ، وهجرانه ، وأن يلتجئ إلى محض لطفه وعنايته . أمَرَني حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره بهذه الصفة وأمسكني عليها دائماً .

وقال قدس سره : ينبغي لطالب أن يسعى دائماً في طلب رضا المرشد ظاهراً وباطناً في حضوره وغيبته ، وأن يعلم محلّ نظر رضاه بمحض عناية الله تعالى ومعرفة محلّ نَظْرِ رضا المرشد والعمل بموجبه بحيث يقع في محل نظر رضاه ، ومعرفة بقاء نظر رضاه ودوامه في غاية العسرة ، ولكن إذا كان توفيق الحقّ سبحانه رفيق عبده فهو سهل ، وإنه ليسير لمن يسره الله تعالى .

وقال قدس سره : اللازم على الطالب أن يكون بلا اختيار في جميع أموره الدينية والدنيوية ، والكلية والجزئية بالنسبة إلى المرشد ؛ واللازم على المرشد أن يتفحّص أحواله ، وأن يأمر بما يصلح له بالنسبة إلى الزمان والوقت ، وأن يعين أمره حتى يشرع فيه باختيار المرشد .

في مخالطة الأولياء بغير أدب مخاطرة

وقال قدس سره : ينبغي رعاية جانب أهل العلم ، وستر حال نفسه ، والتكلم مع كل واحد من أهل الطريقة بحسب حاله ، وأن يراعي الخواطر والاحتراز عن إيذاء أهل القلوب ، والاختلاط بهذه الطائفة يعسر الأمور ، فإن أحوالهم الباطنية دقيقة جداً ، وإنّما تفيد مخالطتهم ومجالستهم ، وتكون سبباً لزيادة الأحوال إذا حصلت زيادة علم بآداب صحبتهم بواسطة تلك المخالطة وأزادت[1] رعايتهم ، وإلا فالمخالطة تكون سبباً لزيادة المخاطرة ، لا ضرر لمن لا أدب له ، إنما الضرر للأديب ، وضرر الأدب ظهور حظ نفسه بأن يرى نفسه أديباً .

وقال قدس سره : إن أفضل الأحوال الظاهرية والباطنية ، وأكملها : الاجتهاد في التفويض المناسب للحال ، وكان جميع الأنبياء والأولياء على ذلك بأسرهم .

وينبغي للعبد أن يجتهد في كل لحظة دائماً في كسب التفويض بباطنه بالنسبة إلى أحواله الظاهرية والباطنية ؛ وأن يمحو وينفي عنه[2] نفسه جميع أنواع الاختيار الذي يظهر منه بكسب التفويض بحسب أحواله الباطنية ؛ يعني : لا ينبغي للطالب أن يختار شيئاً من أحوال الباطن وأن يريد حصولها ، **بل ينبغي له تفويض اختياره وإرادته لمرشده في حضوره وغيبته** .

وقال قدس سره : إن المقصود من رؤية صفة الجبار ظهور وصف التضرع والانكسار والتوبة والإنابة إلى العزيز الغفار ، وعلامة صحة هذه الرؤية الميل إلى المناجاة لقاضي الحاجات ، والإعراض عن الخرافات ، ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ ؛ والحكمة في ذلك : أن العبد

---

(١) لعله : ازدادت .

(٢) لعله : عن نفسه .

إذا شاهد في نفسه ميلاً إلى ما فيه رضاء مولاه فيشكر ويتوجّه إليه ، وإن رأى ميلاً في نفسه إلى ما ليس رضا مولاه فيتضرع ويرجع إلى ربه ، ويخاف من صفة الاستغناء .

قال قدس سره : ينبغي للعبد أن يرى سبقة العناية الأزلية أولاً ، وأن لا يغفل عن طلب تلك العناية لحظة ، وأن يحفظ نفسه عن الاستغناء ، وأن يعد قليل نعمة الحق سبحانه وتعالى عظيمة وكثيرةً وأن يكون خائفاً ومشفقاً على نفسه عن ظهور الاستغناء الحقيقي .

وقال قدس سره : إن الولاية تكون ثابتة في شخص لا يتركون بنفسه ، فإن ظهر منه قصور ما فإنما يكون ذلك لعذر ، ثم يبادر إلى الاعتذار .

وقال في توجيه هذه الآية : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ : ليس عليهم خوف ظهور الطبيعة بحكم قولهم : الفاني لا يردّ إلى أوصافه .

وقال قدس سره : ينبغي للطالب أن يكون في الباطن معتصماً بالله ، وفي الظاهر معتصماً بحبل الله ، والجمع بين هاتين كمال .

وقال قدس سره : إن زائر مشاهد المشائخ الكرام يقدر أن يأخذ عنهم الفيض بقدر ما يعرف صفة المزور ، ويتوجّه إليه بتلك الصفة ويحضر عنده بها ، وأن القرب الصوري في زيارة المشاهد المقدسة وإن كانت له آثار كثيرة ، ولكن لا يمنع البعد الصوري في الحقيقة عن التوجّه إلى الأرواح المقدسة ، وفي قوله ﷺ : « صلّوا عليّ حيث ما كنتم » بيان وبرهان لهذا المعنى ، ومشاهدة الصور المثالية لأهل القبور عند التوجّه والزيارة ليس لها كثير اعتبار في جنب معرفة صفاتهم ، ومع ذلك كله قال الخواجه بهاء الدين قدِّس سره :إن مجاورة الله أحق وأولى من مجاورة خلق الله عز وجل ؛ وكثيراً ما كان يجري على لسانه المبارك هذا البيت :

تـوتـاكـي كـور مـرد انـراپـرستي   بـكـرد كـار مـردان كـرد رسـتي

ترجمه :

كم تعبدن مراقد الأموات قُمْ وانتهج في منهج السادات .

وينبغي أن يكون مقصود زائر مشاهد الأكابر رضي الله عنهم التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يجعل روح ذلك الولي الذي اجتباه الله إليه وسيلة لكمال التوجه كما أن التواضع للخلق ، وإن كان في الظاهر تواضعاً لهم ينبغي أن يكون المقصود من التواضع في الحقيقة التواضع لله تعالى ، فإن التواضع إنما يكون محموداً إذا كان لله تعالى خاصةً ، بمعنى أنه يرى الخلق مظاهرَ لآثار قدرة الله تعالى وحكمته ، وإلاَّ فيكون تصنّعاً وتكلّفاً وسمعةً وضعةً لا تواضعاً ، ويكون مذموماً جدّاً ، كما ورد في الحديث : « من تواضع لغني لغناه ذهب ثلث دينه » ، وفي رواية : « ثلثا دينه » .

وقال بعض أكابر المشائخ قدس الله سرهم : هذا إذا تواضع بظاهره ، وأما إذا تواضع بباطنه فيذهب دينه كله .

قال قدس سره : إن طريقة المراقبة أعلى وأقرب إلى الجذبة من طريق النفي والإثبات ، ويمكن الوصول من طريق المراقبة إلى مرتبة الوزارة والتصرف في الملك والملكوت والإشراف على الخواطر والنظر بنظر الموهبة وتنوير البواطن ، كل ذلك من دوام المراقبة ، ويحصل من ملكة المراقبة دوام الجمعية ، ودوام قبول القلوب ، ويسمى ذلك بالجمع والقبول .

وقال : لما ذهبت في الابتداء إلى خوارزم كنت مشتغلاً بحسب الباطن مع كل من الأصحاب باختيار باطنه ليعلم أنه هل لهذه الصفة بقاء أمْ لا ، فحصلت من ذلك الاشتغال فائدة عظيمة ، وبقيت تلك الملكة .

وقال قدس سره : ينبغي في السكوت أن لا يخلو عن أحد الأوصاف الثلاثة : إما المحافظة على الخطرات ، وإما مطالعة ذكر القلب إن كان جارياً بالذكر ، وإما مشاهدة أحوال القلب التي تمرّ عليه .

وقال قدس سره : لا تكون الخطرات مانعة ، فإن الاحتراز عنها متعسّر ، وإني كنت في نفي الاختيار الطبيعي مدة عشرين سنةً ، فمرّت خطرة على النسبة ، ولكنها لم تستقر ، فمنع الخطرات بالكلية أمرٌ قويٌّ عسير ؛

مهمات

وذهب البعض إلى أن الخطرات لا اعتبار لها ، ولكن لا ينبغي أن يتركها حتى تصير متمكّنة فإنَّ بتمكنها تحصل السدة في مجاري الفيض ، ولهذا يلزم على السالك التفحص عن أحواله الباطنية دائماً ، وجعل السالك نفسه خالياً بإخراج النفس ظاهراً بأمر المرشد في حضوره وغيبته ، إنما هو لأجل نفي الخطرات التي تمكنت في الباطن ، وسبب تخلية السالك نفسه أن لكل معنى صورةً وهو متلبس بها ، ونفي الخطرات معنى من المعاني ، وله صورة وهي تخلية السالك نفسه بإخراج النفس ، ولذلك ينبغي للسالك أن يخلي نفسه دائماً بإخراج النفس من الخطرات والموانع التي تمكنت فيه .

وكان قدس سره ينقل عن الخواجه بهاء الدين قدس سره دائماً هذه الكلمات : **العبادة عشرة أجزاء ، تسعة منها طلب الحلال** ؛ **وقال : إن الزراعة والاشتغال بالبساتين أقرب إلى الحلال بعد التجارة في هذا الزمان** .

وقال قدس سره : الصحبة سُنَّة مؤكّدة ، ينبغي أن يكون في صحبة هذه الطائفة في كل يوم ، أو في يومين مرّة ، وأن يحافظ على آدابهم ؛ فإن وقع للطالب بُعْد صوريّ ينبغي أن يعلّم أحواله الباطنية والظاهرية في كل شهر أو شهرين بالكتابة إما صراحة وإما إشارة ، وأن يكون مشغولاً بهم في منزله لئلا تقع غيبة كلية .

قيل في صحبة الخواجه[1] علاء الدين قدس سره : إن المطلوب في نهاية العظمة وليس لنا لسان الطلب ، وذلك الطلب أيضاً من عنايتك .

فقال : إن التأخير من جهة زمان القابلية يجدون ويضيّعون ولا يعرفون أنه من أين .

وقال قدس سره : أنا ضامن لمن دخل في هذه الطريقة تقليداً أن يصل إلى مرتبة التحقيق البتة .

وقال : أمرني حضرة الخواجه بتقليده ، وكل شيء قلدته فيه وأقلده الآن أشاهد أثره ونتيجته على التحقيق البتة . انتهى من « الباقيات الصالحات » باختصار من مواضع كثيرة ، وبتصرف في عبارات عديدة .

وفيه أيضاً أنّه قدس سره قال للأصحاب في مرض موته : اتركوا الرسم والعادة وافعلوا خلاف ما هو رسم الخلق وعادة العامة ، وليوافق بعضكم بعضاً ؛ وحكمة بعثة النبي ﷺ إنما هي لإبطال العادات ورسوم البشرية ، وليكن كل واحد منكم مقيماً في جنب الآخر وجواره ، بنفي نفسه وإثبات صاحبه ؛ واعملوا في جميع الأمور بالعزيمة ولا تعدلوا عنها ما استطعتم ؛ والصحبة سنّة مؤكّدة فداوموا على تلك السنة خصوصاً وعموماً ، ولا تتركوها البتة .

فإن استقمتم على هذه الأمور التي أمرتكم بها يحصل لكم على استقامة لحظة ما حصل لي في جميع عمري ، وتكون أحوالكم في التزايد ؛ وإن تركتم هذه الوصايا وخالفتموها تكونوا أذلاء متفرقين . ثم شرع في ذلك الأثناء في تكرار كلمة التوحيد بصوت عال . انتهى .

---

(١) وعبارة صاحب « الحدائق الوردية » هكذا : وقال له بعض أصحابه يوماً : إنّ المطلوب في غاية العظمة ، وما لنا للطلب لسان إلا أن تتفضل علينا به أنت . فقال : الإبطاء من القابلية فإنكم تجدون وتضيّعون ولا تتقيّدون ومن أين جاء لا تعلمون . انتهى عبارته ، فراجعه في ١٤٧ . (منه سامحه الله من فرطاته) .

وكان مرضه الصداع ، ووجع القلب والخاصرة ؛ وكان ابتداء مرضه يوم الاثنين ثاني رجب سنة ٨٠٢ ، وارتحاله إلى دار القرار بعد عشاء ليلة الأربعاء من رجب . ومرقده المنور في قرية نَوَ من قرى حصار .

ورأى فقير من فقرائه في المنام في ليلة العيد خيمةً مضروبة في غاية العظمة ، ورأى حضرة الخواجه بهاء الدين وخواجه علاء الدين قدس سرهما في قربها ، ثم صار له معلوماً أن تلك الخيمة هي خيمة النبي ﷺ فدخل حضرة الخواجه فيها لملاقاة النبي ﷺ ، ثم خرج بعد زمان بكمال البشاشة والبسط التام ، وقال : **قد أكرموني بالشفاعة لمن دفن في أطراف قبري إلى مائة فرسخٍ ، وأعطي العطار الشفاعة من دفن في أطراف قبره إلى أربعين فرسخاً بإذن الله ، ومُنِح أصغر محبينا وأحقر متابعينا شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره** . انتهى منه .

اللهم إنا نرفع إليك أكفَّ الضراعة والابتهال نسألك أن تدخلنا في شفاعتهم ، يا ذا العظمة والجلال آمين يا أرحم الراحمين(١) .

حضرة مولانا يَعْقوب الچرخيّ قدّس الله تعالى سرّه

هو من كبار أصحاب حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره ، وكان عالماً في العلوم الظاهرية والباطنية ، وأصله من چرخ قرية ولاية غزنين ، وقبره المبارك في هلفتو قرية من قرى حَصار .

قال قدس سره : كنت قبل وصولي إلى صحبة حضرة الخواجه قدس سره محبّاً له - وكان في إخلاص تام له - ولما أخذت الإجازة من علماء

(١) وقال ﷺ - أي الشيخ محمد السروي- : يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمْراضه الباطنة وإن كانت قبيحة ، ليدلّه على طريق شفائه منها ، وإن لم يفعل وترك ذلك حياء طبْع فربّما مات بدائه . « تقريب » عبارته ٩٤ .

بخارا للفتيا والإفتاء عزمت أن أرجع إلى وطني الأصلي ، فحصل لي الملاقاة يوماً بحضرة الخواجه ، فأظهرت له التواضع والتضرع ، وتمنيت منه التوجه بخاطره العاطر ، فقال : تحضر عندي الآن في وقت السفر ؛ فقلت : إني أحب جنابك ؛ فقال : من أيّ حيثية ؟ قلت : من حيث إنك عظيم القدر ومقبول عند جميع الخلق ؛ فقال : لا بد من دليل أقوى من هذا ، فإن هذا القبول يحتمل أن يكون شيطانياً ؛ قلت : قد ثبت في الحديث الصحيح أنه « إذا أحب الله عبداً يوقع في قلوب عباده محبته فيحبونه » ، فتبسم وقال : نحن العزيزان ؛ فتغير عليّ الحال من هذا المقال ، فإني قد كنت رأيت في المنام قبل هذا بشهر قائلاً يقول لي : كن مريداً لعزيزان ، وكنت نسيته ، فلما قال ذلك الكلام تذكرته ، ثم قلت له ثانياً : توجه إليّ بحسب الباطن ؛ فقال : طلب شخص توجه الخاطر من حضرة عزيزان ؛ فقال : ما بقي في الخاطر محل للغير ، فاترك عندي شيئاً نتذكرك برؤيته ؛ ثم قال :

وليس عندك شيء تتركه عندي ، فخذ هذه الكوفية واحفظها ، فكلما رأيته تتذكرني ، ولما تذكرتني وجدتني ؛ ثم قال : عليك بزيارة مولانا تاج الدين الدشت كولكي في سفرك هذا ، فإنه من أولياء الله .

فخطر في قلبي بأني متوجه إلى طرف بَلْخ ، ومنه إلى الوطن ، وأين الدشت كولكي من بلخ ، ولما توجهت تلقاء بلخ اتفق لي بالضرورة أن أذهب من بلخ إلى الدشت كولكي ، فتوجهت هناك وتذكرت إشارة حضرة الخواجه وتعجبت من هذا الاتفاق ، ووصلت إلى صحبة مولانا تاج الدين ، فقويت رابطة المحبة لحضرة الخواجه بعد رؤيته ، ووقع سبب المراجعة إلى بخارا ثانياً ، فرجعت وحضرت صحبة الخواجه ، ووقع في قلبي أن أسلّم يد الإرادة إلى حضرة الخواجه ، وكان في بخارا مجذوب ، وكنت معتقده فرأيته قاعداً في الطريق فقلت له : أنا أذهب ، فقال :اذهب واعجل ؛ وكان قد خط بين يديه خطوطاً كثيرة ، فقلت في

نفسي : أعدّ تلك الخطوط ، فإن كانت فرداً فهو دليل على حقيقة هذا القصد بدليل أن الله فرد يحب الفرد ، فعددتها فكانت فرداً فهو دليل على حقية هذا اليقين ، وأظهرت له الإرادة ، ولقنني الوقوف العددي ، وقال : كن مراعياً للعدد الفرد ما استطعت ؛ وكأنه أشار بهذا القول إلى الخطوط الفرد التي جعلتها دليلاً على حقية أمري .

وكتب مولانا يعقوب الچرخي قدِّس سره في بعض مصنفاته : لما ظهرت في هذا الفقير داعية الطلب بعناية الله سبحانه قادني الفضل الإلهي وحداني الكرم الغير المتناهي إلى صحبة الخواجه بهاء الحق والدين قدس سره ، فصحبته في بخارا ووجدت من كرمه العميم التفاتاً كثيرة ، فحصل لي اليقين بأنه من خواص أولياء الله تعالى ، وأنه كامل مكمل وتفاءلت بكلام الله تعالى بعد إشارة غيبية ، وواقعات عديدة ، فجاءت هذه الآية الكريمة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ .

وكنت قاعداً في آخر أيام التردد للإنابة في فتح آباد وببخارا الذي فيه مسكن الفقير متوجهاً إلى مرقد الشيخ سيف الدين ، فبلغ إليّ رسول قبول الحق ، وظهر بباطني القلق والاضطراب ، فقصدت حضرة الخواجه ، فلما وصلت إلى منزله الشريف بقصر عارفان رأيته منتظراً في الطريق ، فتلقاني بالإحسان ، وجلس معي بعد الصلاة وقد استولت هيبته عليّ بحيث لم يبق فيّ مجال النطق ، فقال في أثناء الصحبة : قد ورد في الأخبار : « العلم علمان : علم القلب فذلك علم نافع ، علم الأنبياء والمرسلون ، وعلم اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » ، والمرجو أن يكون لك نصيب من علم الباطن .

وقال : قد ورد في الخبر : « إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق ، فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم وينظرون إلى هممكم » ، وأنا مأمور لا أقبل أحداً باختياري وصنعي ، فننظر بماذا تكون

الإشارة في تلك الليلة ، فإن قبلوك نقبلك ؛ فمرّت تلك الليلة عليّ في غاية الصعوبة بحيث لم أر في عمري أصعب منها من خوف فتح باب الرد عليّ ، فلما صليت معه صلاة الصبح قال :

أبشر فقد حصلت الإشارة بالقبول ، وإني أقبل الناس قليلاً وأتاني في قبوله حين قبلته ، وأنظر كيف يجيء الناس وكيف يكون الوقت .

ثم بين سلسلته - قدس الله أسرارهم - إلى حضرة الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، وأمرني بالوقوف العددي ، وقال : إنّ مرتبة العلم اللدني هو هذا الدرس الذي علمه حضرة الخضر عليه السلام الخواجه عبد الخالق قدس سره ، فكنت بعد ذلك في صحبته أوقاتاً كثيرةً إلى أن صدرت لي الإجازة بالسفر من بخارا ، فقال وقت السفر : كل ما وصل إليك مني بلّغه عباد الله تعالى ، فيكون ذلك سبباً لسعادتك .

قال حضرة شيخنا - يعني عبيد الله الأحرار - : قال مولانا يعقوب الچرخي عليه الرحمة : أمرني حضرة الخواجه أن أصاحب الخواجه علاء الدين العطار ؛ فأقمت بعد وفاته مدةً في بدخشان ، وكان الخواجه علاء الدين العطار متوطناً في صغانيان ، فكتب إليّ أن حضرة الخواجه قد وصّاك بأن تكون في صحبتي ، فماذا ترى الآن من المصلحة ؟ فلما اطّلعت على مضمونه جئت إلى صغانيان ، وكنت في ملازمته إلى أن توفي ، فسافرت بعد ثلاثة أيام وجئت إلى هلفتو . انتهى .

ومما قال قدس سره : إن السالك إذا وقع في الحرام رجع القهقرى رجوع الميشوم[١] إلى طبعه ، ويرجع إلى طبيعته ، وينحرف عن الصراط المستقيم . انتهى من « الرشحات » باختصار في هذا الأخير .

---

(١) ويقولون : يسشوم ، والصواب مشؤوم . « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » .

مُروّج الدَّين ومقوّي المَشْرب النّقْشبنديّ

عُبَيد الله السَّمرقنديّ قدِّس سرّه

المعروف بخواجه أحرار بإضافة خواجه إلى أحرار ، وفي هذا اللقب مدح عظيم قد أفادته الإضافة ، وأحرار جمع حرّ ، والحرّ عند أهل الله تعالى من أقام حدود العبودية على وجه الكمال ، وخرج عن رقّة الأغيار .

وكان مولده في تاشكند في رمضان سنة ٨٠٦ ، وقد توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة ٨٩٥ ، ودفن في كشغير في موضع كان اسم ذلك الموضع محوطة ملايان . انتهى من « تحفة الأحباب » .

قال بعض الأعزة الذي كانت له قرابة قريبة لحضرة شيخنا – يعني عبيد الله قدس سره – وكان من بني أعمامه : **إنه لما وُلِد حضرة شيخنا لم يقبل ثدي أمه حتى تطهر من النفاس وتغتسل ، ولم يرضع من لبنها مدة أربعين يوماً** .

قال حضرة شيخنا : لما كنت ابن سنة وأرادوا حلق رأسي وأولموا ، وقع خبر موت تيمور الأعرج بين الناس ، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ، حتى لم يبق لهم مجال أكل الطعام الحاضر ، فأفرغوا القدور وهربوا إلى رؤوس الجبال .

وكان آباؤه الكرام في تلك الأيام في قرية باغستان ، وكان آثار الرشد وسيماء السعادة ، وأنوار القبول والعناية من الله تعالى ظاهرة وباهرة في جبينه من زمان صباه وصغر سنه .

وكان على وجه إذا وقع نظر شخص على جماله المبارك كان يثني عليه ويدعو له بلا اختيار . شعر :

فإذا رأى ملك السماء جبينه   أثنى عليه جميعهم وكواكبه

وكانت نسبة الحضور بالله حاصلة له في صغر سنه .

قال : كنت أحضر في المكتب في طفوليتي وكان قلبي حاضراً بالحقّ سبحانه في جميع الأوقات ، وكان اعتقادي في ذلك الوقت أن كل من في الدنيا من الصغار والكبار على هذا الوجه ، ودخل رجلي مرةً في طين ، وسقط نعلي وبقي فيه ، وكان الوقت فصل الشتاء والهواء كان بارداً وأنا وقتئذ في الصحراء ، فعرضت لي غفلة مانعة عن نسبة الحضور ، فلُمْتُ نفسي في الحال ، وكنت مكسور الخاطر ، متأثّر البال حتى غلب عليّ البكاء من غير إمهال ، وكان في تلك النواحي غلام يزرع ، فقلت في نفسي : انظر إلى هذا الغلام كيف لا يغفل عن نسبة الحضور بالله مع أنه مشغول بسوق البقر وشق الأرض ، وأنت غفلت عن النسبة بهذا القدر اليسير من الشغل ، وكان ظني في ذلك الوقت أن هذه النسبة حاصلة لكل أشخاص في كل أوقات .

وقال : ما لم أبلغ ببُلوغ شرعيّ ما كنت أعلم أن للناس غفلة .

وقال مولانا جعفر الآتي ذكره : قال حضرة شيخنا : **لما كنت ابن اثنتي عشرة سنة ما كنت أظن أن أحداً يكون غافلاً عن الحقّ سبحناه ، وكان ظني أن الله تعالى خلق الخلق كلهم على وجه لا يغفلون عنه لحظة ، ثم صار معلوماً لي أن هذا الحضور إنما هو عناية من الله تعالى** يختص بها البعض ويتيسر لبعض آخر برياضات شاقة واجتهاد كثير ، ولا يتيسر لبعض آخر بذلك أيضاً .

نُقِل عن حضرة خواجه إسحاق ابن عمّ حضرة شيخنا أنه قال : كلما أردنا مع الأطفال في صغر السن أن نشغله ببعض الأفعال واللعب بمقتضى عادة الصبيان لم يتيسر أصلاً ، وكان يرى نفسه أولاً كأنه سيشتغل فإذا جاء وقت اللعب كان يهرب ، وكان يشاهد فيه معنى العصمة دائماً .

قال حضرة شيخنا : رأيت سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في المنام في صغر سنّي قائماً على مرقد الشيخ أبي بكر الشاشي رحمه الله ، فرميت نفسي على قدمه ، فرفع رأسي عن التراب وقال : لا تحزن فإني أريد أن أربيك ، فوقع على خاطري نوع من تعبير هذه الرؤيا ، ثم قصصتها على بعض أصحابي ، فعبرها بالطب ، يعني قال : يكون لك نصيب من علم الطب ، فلم أرض بهذا وقلت : إن تعبيرك هذا ليس بمرضيّ عندي ، وأنا عبرتها بوجه آخر وهو أنّ سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان مظهراً للإحياء ، وكل من ظهر من الأولياء بصفة الإحياء يقال له أنه في هذا الزمان عيسوي المشهد ، ولما التزم سيدنا عيسى تربية هذا الفقير فلا جرم تحصل لهذا الفقير صفة إحياء القلوب الميتة .

وقال : فشرفني الله سبحانه بعد مدّة يسيرة بموجب هذا التعبير بحالة وقوة حتى ظهر هذا المعنى في عرصة الوجود ، ووصل كثير من الرجال عن مضيق الغفلة إلى فضاء الحضور والشهود . يعني بواسطة صحبته .

وقال : رأيت النبي ﷺ في المنام في مبادئ الحال واقفاً تحت جبل عال ومعه جمع عظيم من الصحابة وغيرهم من الرجال ، فأشار إلى الفقير وقال : تعال ارفعني ، واصعد بي على رأس هذا الجبل ، فحملته ﷺ على رقبتي وصعدت به على قلة الجبل ، فاستحسن النبي ﷺ مني ذلك وقال : أنا كنت أعلم أن لك قوة على هذا ، وإن هذا الأمر يحصل منك ، لكن أردت إعلام ذلك للناس . انتهى من « رشحات » .

قال : كانت لوالدي زراعة في كلس في مبادئ الحال ، فأرسل مرةً عندي غلة مع واحد من الأتراك لأضعها في الأنبار ، فكنت مشغولاً بضبط الغلة ، وانصرف التركي في ذلك الأثناء ، ولما أُخْبِرت بانصرافه ظهر في باطني اضطراب عظيم ، ولمت نفسي على فوت التماس بذل الهمة

منه وعدم تضرع إليه ، ووجدت في نفسي حزناً قوياً على هذا التقصير ، فتركت الغلة على ما هي عليه وتوجهت من خلفه بتمام السرعة ، فلحقته في نصف طريق البلد ، وقمت على ممره بالتواضع والتضرع ، والتمست منه توجه الخاطر والنظر في أحوالي بنظر الالتفات ، وقلت : عسى الله أن يرحمني ببركتك وتنحلّ عقدتي ؛ فقال التركي متعجباً ومتحيراً : أظنك تعمل بقول مشائخ الترك حيث قالوا :

هركم كورسك خضربيل هرتون كورسك قدربيل

يعني :

مطلب مهم

كل من رأيته اعتقده خضراً ، وكل ليال أدركته اعتقده قدراً ؛ وإلا فأنا رجل من الأتراك أسكن البادية ، ليس لي حاصل ، حتى لا أغسل وجهي إلا عن ضرورة ، وليس خبر من المعاني التي أنت طالبها ؛ ولما كثر تضرعي وانكساري ظهر في التركي أثر وكيفية ، فرفع يديه للدعاء ودعا لي بأدعية ، فشاهدت في باطني من أثر دعائه فتوحات كثيرة . انتهى منه .

وقال : إن منتسبي طريقة الخواجه عبد الخالق الغجدواني روح الله روحه يسمعون الذكر من كل أصوات حين يمشون في الأسواق ، ولا يسمعون شيئاً غير الذكر ، **وقد غلب الذكر عليّ في مبادئ الأحوال بحيث كان يخيل لي الأصوات كلها ذكراً أيّ صوت كان** .

أَوْلَمَ رجل من أهل تاشكند يقال له محمد جهانكير ، وكان رجلاً غنيّاً وصاحب جاه ، وأرسل قاصداً إلى سمرقند يجيء بالعواد والزمار والدفاف من تلك الولاية ، وكنت نازلاً في محل قريب منه بضرورة موافقة شخص في ليلة كانت لهم فيها جمعية عظيمة ، فصار يصل إلى أذني صوت ذكر من جميع أصوات المغنيين والأعواد والمزامير والدفوف في ذلك المجلس ، وما كنت أسمع شيئاً غير الذكر ، **وكنت في ذلك الوقت ابن ثمان عشرة سنة** .

قال قدس سره : كنت في هراة في زمن السلطان شاهرخ ، لم أكن مالكاً لفلس ، وكانت لي عمامة خلقة ذات خروق كثيرة بحيث إذا ربطت شقة منها تنسدل الأخرى ، وكنت يوماً مارّاً من سوق الملك ، فسألني سائل شيئاً لله ، ولم يكن عندي شيء أعطيه فأخذت تلك العمامة من رأسي ورميتها إلى طباخ وقلت : إنها طاهرة ، فخذها تمسح بها القدور والأواني ، وأعط في مقابلتها شيئاً لهذا المسكين ، فأعطى الطباخ شيئاً للمسكين وأرضاه ، وردّ العمامة عليّ بتمام الأدب فلم أقبلها ، ومضيت لسبيلي . انتهى من « الباقيات الصالحات » .

وفيه في ١٧٣ : أنه قدس سره لم يقبل هدية أحد من ابتداء عمره إلى انتهائه . انتهى .

وكان غناؤه وتموله في نهاية كماله قدس سره أكثر من أن يحصى ، **حتى كان**(١) **له ألف وثلاثمائة مزرعة** . راجع « الرشحات » ففيه البسط في مقالة غنائه قدس سره .

قال حضرة شيخنا يوماً في معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ : قال المحققون في تفسير هذه الآية : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ : يعني إنا أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة ، **فمن كان مقامه هذا المشهد لا جرم يكون له كل ذرة من ذرات الكائنات مرآتاً يشاهد فيها جمال الوجه الباقي ، ويكون المسمى بالسوى لمثل هذا الشخص سبباً لمزيد الشهود ، وباعثاً على تجلي الوجود ، فكيف تكون الأسباب الدنيوية حجاباً بالجمال المقصود ، وكيف يتصور المحجوبية والاحتجاب لجمال المحبوب المحمود .**

(١) انظر إلى غنى من لم يكن في ابتداء أمره مالكاً للفلس . (هامش الأصل) .

مهمة في خدمة عبيد الله للناس

قال : حين كنت في مدرسة مولانا قطب الدين الصدر بسمرقند كنت أتعهّد اثنين أو ثلاثة أشخاص كانوا مبتلين بمرض الحَصْبة ، ولم يكون لهم شعور لشدة مرضهم ، فيتلوث ثيابهم وفراشهم بنجاسة ، وكنت(١) أغسلها وأدفع عنهم الأذى ، وكان يقع ذلك مراراً ومتعاقباً ، حتى ابتليت أيضاً بمرض الحصبة بسبب تمريضهم ولوازمه ، وكنت محموماً في ليلة ، وجئت بأربعة كيزان من الماء في تلك الليلة وغسلت أثوابهم .

قال : كنت أذهب في الأسحار إلى حمام شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي قدس سره حين إقامتي بهراة ، وأخدم فيها للناس ، وكان يتفق لي أحياناً خدمة خمسة عشر أو ستة عشر رجلاً وما كنت أفرق في تلك الجذبة بين الصالح والطالح ، والأبيض والأسود ، والأحرار والعبيد ، وكنت أخدم في البيت الحار من الحمام خمسة أو ستة من الناس ، **وكنت أهرب منهم عقب الخدمة خوفاً من إعطاء الأجرة في مقابلة الخدمة** . انتهى .

وكان قدس سره حريصاً ومولعاً بخدمة الأحباب والأجانب ، ومبادراً إلى شفقتهم وإعانتهم ورعايتهم في ابتداء حاله وانتهاء مراتب كماله .

قال : ينبغي أن يبذل الهمة وأن يصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت ، **فوَقْت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم ، فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدّمة على الذكر والمراقبة** . وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة ، وليس كذلك ، فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب ، وما قيل : جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها مبيِّنٌ لهذا ، ولا مساواة بين ثمرات النوافل وبين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً .

---

(١) سبحان الله ما أعظم خُلُق هذا الرجل . (هامش الأصل) .

قال : إن سبب عدم قبول حضرة خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سره خدمة الناس بسهولة لكون الخدمة والتواضع من جملة الإحسان ، **وحب المحسن ضروري ، والعلاقة إنما هي على قدر المحبة** ، ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمة وقطع العلائق عنهم يجتهدون بالضرورة في الخدمة ويهتمون في ذلك بقدر الوسع والطاقة ، ويمتنعون عن قبول الخدمة وإنما يقبلونها من شخص يتفرسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم وطورهم يوماً فيوماً لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم والتفات قلوبهم ، فيكون العالم منوّراً ومعموراً من جمعيّة باطنه .

وقال : **ما أخذت هذه الطريقة عن كتب الصوفية ، وإنما أخذتها عن خدمة رجال لا أني أخذتها عنهم بالتعلم ، بل للخدمة تلك الخاصية** .

وقال : قد أدخلوا كل شخص من باب وأدخلوني من باب الخدمة ، ولذلك كانت الخدمة مرضية ، ومختارة لديّ ، وكل من أتوسّم فيه الخير آمره بالخدمة ؛ ثم أنشد هذا البيت ، شعر :

وترقى على أوج المعالي بهمة　　　فليس له سوى ذلك سلما

وقال : أنا أقول هكذا :

وترقى على أوج المعالي بخدمة . انتهى .

وتوجه قدس سره إلى ولاية كش ومعه جمع من أصحابه وخدمه ، وكان الوقت حينئذ أوائل الربيع ، فأدركهم الليل ، فنزلوا على شعب الجبال بالضرورة ، ونصبوا خيمة ، فجاء المطر بعد صلاة المغرب ، فقال حضرة[1] شيخنا : إنّ لي تردداً في طهارة تلك الخيمة ، فلا أقعد أنا فيها ، بل يقعد الأصحاب وبالغ في هذا الباب[2] ولم تكن معهم خيمة أخرى

---

(١) يعني عبيد الله أحرار .

(٢) وفي نسخة : هذا الكتاب .

فقعد الأصحاب والفقراء في تلك الخيمة بموجب أمره ، وحضرة الشيخ خارجها ، واستمر المطر إلى الصبح ، وجرت السيول ، ولما طلع الفجر وصلينا صلاة الصبح ، قال ؛ حضرة شيخنا لطفاً وعناية ببعض أصحابه : استحييت أن أقعد أنا في الخيمة والأصحاب في المطر ؛ فعلم أن ما قاله في حقّ الخيمة كان سراً ولطفاً منه ليقعد فيها الأصحاب بلا تشويش وانقباض .

ونقل بعض الأصحاب أنه توجه شيخُنا مرةً إلى طرف مزرعة بزاورد في غاية شدة الحرارة من فصل الصيف ، ورافقه جمع من أصحابه وملازميه ، وكان لحارثي تلك المزرعة بيت صغير مصنوع من لبد فنصبوه لحضرة شيخنا ، فثقل على الأصحاب قعودهم معه في ذلك البيت الصغير ، ولم يكن مظلة غيره ، ولما شرعت الحرارة في الاشتداد طلب حضرة شيخنا فرسه ، وقال : أريد أن أتفرج بعض مواضع الصيد ؛ فركب وذهب إلى الصحراء ، وطاف في حرارة الشمس ، ولما بلغت حرارة الهواء غايتها انحدر إلى بعض مسيل الماء ومجرى السيول ، واستراح جاعلاً رأسه البمارك في ظل جانب ذلك المسيل وطرف المجاري ، فإن ظله لم يكن بحيث يستر تمام بدنه ، ولما اعتدل الهواء جاء البيت عند الأصحاب ، وكان ذلك شغله ومعاملته في كل يوم مدة إقامته في تلك المزرعة ، **فتيقّن الأصحاب أخيراً أنه إنما يختار ذلك لراحة الأصحاب وفراغهم** . انتهى .

وقال قدس سره : إن الخواجه يعقوب الجرخي قال : إن الخواجه بهاء الدين قدس سره قد أخذ بيده وقال : إنّ يدك يدي ، فمن أخذ بيدك فقد أخذ بيدي ، فخذ بيد خواجه بهاء الدين ، فأخذت بيده بلا توقّف ، ثم قال لي بعد تعليم طريقة خواجكان قدس الله أسرارهم بطريق النفي والإثبات الذي يقال له الوقوف العددي : إن هذا الطريق هو الذي وصل إليّ من خواجه بهاء الدين قدس سره ، فإن بدا لك أن تربّي الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار في ذلك .

قيل : قال بعض أصحاب مولانا يعقوب الچرخي : له لقنت الطريقة طالباً في هذا الوقت ، ثم قلت له عقب ذلك : فإن بدا لك أن تربي[1] إلخ ، فكيف يمكن الإجازة في هذه المدة اليسيرة ؟ فقال له مولانا يعقوب : **ينبغي للطالب أن يحضر هكذا : قد هيّأ جميع أموره ، وإنما كان موقوفاً على الإجازة فقط ، وله قوة لكل ما قيل .**

وكتب مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس سره السامي في « النفحات » ، ووقع الاستماع لي هكذا : أنّ مولانا يعقوب قال : ينبغي لطالب يحضر عند مرشد أن يحضر مثل خواجه عبيد الله قد هيّأ المصباح وملأه بالزيت وأصلح فتيلته ، وإنما هو محتاج للتسريج .

قال حضرة شيخنا : قد أنصف مولانا يعقوب في قوله : إن ما وصل إلينا من خواجه بهاء الدين إنما هو طريق الذكر ، فمن قدر على تربية بطريق الجذبة فهو حسن ينبغي أن يفعل . وقال : لما استأذنت مولانا يعقوب بيّن لي طرق النقشبندية كلها ، ولما بلغ طريق الرابطة قال : لا تخف من تعليم هذا الطريق ، ولا تدهش منه ، بل بلّغه المستعدين . انتهى من « الباقيات الصالحات » باختصار من مواضع وتصرف في العبارات بتقديم وتأخير ليوافق المقام .

ومما قاله قدس سره كما في « الباقيات الصالحات » في معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ : **إن الشكور في الحقيقة هو من يشاهد المنعم في النعمة** ؛ وقال : قال الغزالي : إن التلذذ بالنعمة لا ينافي الشكر لو كان التلذّذ من جهة كونها سبباً للوصول . انتهى .

وقال في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ : إن هذه الآية متضمنة لمعنيين ، **أحدهما** : ما يفهم من ظاهر الآية ، يعني : أعرض عن طائفة يعرضون عن ذكرنا وهم أهل الجحود والغفلة ؛ **وثانيهما** ، **وهو**

---

(١) الطالبين بطريق الجذبة ، فلك الخيار في ذلك ، أمين .

المعنى الباطني : أنه تعالى أمر رسوله ﷺ بالإعراض عن طائفة ارتفع عنهم وصف الذكر بكمال استغراقهم واستهلاكهم في شهود المذكور ، فإن كُلِّفوا بالذكر مثلاً يكون الذكر مانعاً إيّاهم عن شهود المذكور ، فأَمِرَ النبي ﷺ بالإعراض عنهم بمعنى الانتهاء عن تكليفهم بالذكر . انتهى .

قال في معنى قوله تعالى : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ : إن للكينونة معنيين : كينونة بحسب الصورة ، وهي التزام مجالسة أهل الصدق ومصاحبتهم حتى ينوّر باطنه بأنوار صفاتهم وأخلاقهم بسبب دوام الصحبة معهم ؛ وكينونة بحسب المعنى ، وهو أن يلتزم طريق الرابطة بحسب الباطن بطائفة يستحقون الوساطة .

ولا تنحصر الصحبة في المجالسة الصورية والنظر بالعين ، بل ينبغي أن يجعل الصحبة دائماً ، وأن يتجاوز عن الصورة إلى المعنى حتى تكون الواسطة في نظره دائماً ، **فإن رُوعي هذا المعنى على الدوام تحصل لسرّ الطالب مناسبة واتحاد بسرّ المرشد ، ويكون المقصود الأصلي الحاصل حقيقة بتلك الواسطة** .

وقال في معنى هذه الآية أيضاً : وما يفهم من هذا الأمر الواجبِ الامتثالِ لزومُ كون القلب مرتبطاً بواحد من الصادقين ، وهم طائفة قد ارتفع المسمى بالغير عن عيون بصيرتهم ، فإنه يقال : رمح صدوق لرمح يوجد فيه جميع ما يلزم الرمح من الاستقامة ، وأصالة الجوهر وغيرهما ، والذي يلزم الإنسان أن يتحلى به حتى يبلغ درجة الكمال ليس هو غير التوجه الصادق الخالص إلى الله تعالى على الدوام .

وأُنشد في هذا المعنى أيضاً شعر :

عش عاشقاً واقعد مع العشاق   لا تقرب من ليس ذا الأشواق

غيره :

أن من يصحب شيخاً نحوياً　　يـكـن فـي فَـنّ نحو ماهراً

والذي مع شيخ محو جالس　　كـان مـنـه سـر محوٍ ظاهراً

ولما كان للإنسان استعداد تام للتأثر ممن يصحبه ويجالسه كان مأموراً بهذا الأمر ، **وأي عمل يعدل ويقابل جذبةً واردة من طرف الحق سبحانه ببركة صحبة الصادقين ، وجذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين مؤيد لهذا** . انتهى .

وقال في خبر : « التكبّر على المتكبر صدقة » : **إن التكبر على نوعين** ، أحدهما : مذموم ، والآخر : محبوب .

فالمذموم : هو التعظم على خلق الله تعالى ، والنظر إليهم بعين الحقارة ، وأن يرى نفسه فوق الناس .

والمحبوب : عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى ، والتعظم على غير الحق ، بمعنى : أن يرى غير الحق سبحانه حقيراً عديم المقدار ، وقطع العلائقة عنهم . وهذا التكبر أصل موصل إلى مرتبة الفناء . انتهى .

ومما قاله قدس سره في تحقيق ما قاله بعض المحققين : لو أقبل صديق على الله تعالى ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظةً ، فما فاته أكثر مما ناله : أن تلك الطائفة يصلون إلى مقام يكتسبون فيه في نفس واحد جميع كمالات اكتسبوها فيما قبل . انتهى .

قال قدس سره : إن لهذا تمثيلاً وهو أنه لو كان لشخص مائة دينار فاتجر به وسعى واجتهد حتى بلغ ربحه مائة ألف دينار ، فما يحصل له في هذا الوقت من ربح مائة ألف دينار يكون أزيد البتة ، مما حصل له قبل هذا من مائة دينار ، فلو امتنع عن الكسب والتجارة في هذا الحال يكون ما فاته أزيد مما ناله لا محالة .

وقال في معنى قول البعض : **من غمض عينه عن الله طرفة عين لم يهتد طول عمره** : إنه لا يهتدي لتدارك زمان فات وقت الإغماض ، يعني : لا يمكن تداركه لكونه فائتاً لا على عوض .

وقال في معنى قول البعض : (العرفاء أرباب الأحوال يتبرؤون من الأحوال) : إن الاستغراق والاستهلاك لَيْسا بموجبين للترقي ، فإنه قد تحقق وعلم باليقين أن الترقي منوط ومربوط بدوام العمل ، ولا شكّ أن زمان الاستغراق والاستهلاك زمان الامتناع والتعطل عن العمل في الحقيقة ، بل هما من أحكام موطن الآخرة ، وإنما ظهرا في هذا الموطن بطريق الاستعمال ، فإن لم يظهرا في موطن الدنيا يظهران في موطن الآخرة البتة بالطريق الأكمل ، فلا جرم يتبرأ أرباب الأحوال من الأحوال بناء على هذا التحقيق . انتهى .

وقال : إن أهل الإرادة في غاية القلة والندرة .

وقال في تأييد ذلك الكلام : كتب واحد من المشائخ إلى آخر من أكابر عصره : أن المريدين قليلون هنا جدّاً ، فإن أحست علامة من المريد الصادق أرسله إلي . فكتب في جوابه أن المريدين قليلون هنا أيضاً ، فإن أردت شيوخاً أرسلكهم مقدار ما تريد . انتهى .

ومما نقل عنه قدس سره أنه قال : لو نقشوا صورة درويش على جدار ينبغي أن يمرّ من تحت ذلك الجدار بالأدب .

وقال قدس سره : اشتغل سهل بن عبد الله التستري قدس سره بالرياضات الشاقة ، ودوام الذكر مدّةً مديدة ، **حتى تقاطر يوماً دَمٌّ من دماغه وكان يكتب نقش لفظة** (الله) **من كل قطرة قطرت في الأرض** ، ثم أمر شيخه بالمحافظة على نسبة الحضور بعد تلك الاشتغالات .

وقال قدس سره في بيان كون الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة : **وقع يوماً فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره ، فقال لأصاحبه : قد دخل في مجلسنا هذا أجنبي ، قد طرأ عليّ فتور بسببه فالتمسوه . فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغ : ليس في المجلس أجنبي . فقال : التمسوه من بيت العصا . فالتمسوا منه فوجدوا عصا أجنبية فرموها بعيداً ، فكان الشيخ واجداً لوقته في الحال ، وتبدلت تفرقته بجمعية وانشراح البال .**

وقال : وقع الفتور أيضاً يوماً على خواجه أحمد اليسوي قدس سره ، فقال : إن في صحبتنا هذه أجنبيّاً قد انفلت حبل النسبة بواسطته . فوجدوا بعد تفحّص كثير في صف النعال نعلاً أجنبيةً فَرَمَوْها خارج البيت[1] فحصلت له الجمعية وصفاء الوقت في الحال ، وارتفعت عنه التفرقة وكدورة البال .

يقول المؤلف : قال بعض الأصحاب : لبس واحد من الأصحاب ثوباً أجنبيّاً وحضر في مجلس حضرة شيخنا وقت انعقاد الصحبة في السحر ، فقال حضرة شيخنا بعد لحظة : إنه تجيء في هذا المجلس رائحة الأجنبي ، ثمّ قال لصاحب ذلك الثوب : **إنّ هذه الرائحة تجيء منك** ولعلّك لبست ثوباً أجنبيّاً ، فقام من المجلس وخرج ونزع ثوبه ثم عاد إلى مجلسه .

مهم

وقال قدس سره : إن تأثُّر الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمر مقرّر عند أرباب التحقيق . وللشيخ محي الدين بن العربي قدس سره تحقيقات كثيرة في هذا الباب . ويبلغ تأثّر الجمادات حدّاً وغايةً إن أدّى

---

(١) وهكذا ، بل عينه في « ترصيع الجواهر » . (منه غفر الله ذنوبه) .

شخص مثلاً الصلاة التي هي أفضل العبادات في محل متأثر من قبائح أعمال الفساق وأخلاقهم الغير المرضيّة لا تساوي قيمتها وحالها حال عمل وقيمته كان أَدْوَنَ منها رتبةً لكونه مؤدّى في موضع متأثر من جمعية أرباب الجمعية ، ولهذا تساوي الركعتان اللتان أُدِّيتا في حرم مكة - شرفها الله - مائة ألف ركعة أُدِّيتْ في غيره .

وقال : قال الشيخ أبو طالب المكّيّ قدس سره : **اجتهد حتى لا يبقى فيك مقتضى ومتمنّى غير الحق سبحانه** ، فإن كنت كذلك فقد تمّ أمرك ، فإن لم يظهر فيك شيء من الأحوال والمواجيد والكرامات فلا غمّ ولا ضير . انتهى من « الباقيات الصالحات » باختصار .

فلنقتصر على هذا القدر ، فلو أطلنا الكلام في ذكر مناقب الخواجه عبيد الله ومعارفه ومقالاته التي أوردها صاحب « الرشحات » في كتابه ، لاحْتيجَ إلى جمع رسالة خاصة ، جعلنا الله تعالى من السالكين في سلك هؤلاء الأولياء الكرام آمين .

ثم إن العالم الشيخ محمد مراد بن عبد الله القزاني - سلمه الله تعالى عن مضرّة الكائنات وجعله في زمرة المقرّبين مع النبي صاحب المعجزات آمين - قد صنَّف كتاباً في ذكر مناقب المشائخ الذين لم يذكر صاحب « الرشحات » في « الرشحات » ، فنحن إن شاء الله ننتخب منه ما رأيناه من مناقبهم ومعارفهم وكلماتهم أحسن وأولى ، ونختصر منها على ما هو الأنفع والأصلح ، والله وليّ التوفيق .

واسِطَة فَيضَان الفُيوضات السُّبْحانيّة ، ورابِطَة سِلسلة النقْشبنديّة العليّة مَولانا محمّد المعروف بالزَّاهِد الوخشواريّ قدِّس سرّه

هو من أجلّ خلفاء خواجه عبيد الله أحرار قدِّس سره ، أصله من قرية وخشوار وهي قرية من قرى حصار .

قيل : إنه مع كونه متّصفاً بالكمالات المعنوية والقابلية الذاتية ، كان مشغولاً بكسب الكمالات عند واحد من أكابر هذه الطائفة العلية ، ثم جاء إلى سمرقند لتحصيل بركات صحبة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، وأقام في قرية ورسين ، منتظراً لقدومه هناك ، ولما قدم ورأى فيها مولانا محمد الزاهد عظَّمه وأكرمه ، وبايعه مولانا محمد الزاهد ، وأحيَوْا ليلتهم هذه بالصحبة ، ولما كان فيه صفاء ذاتي وقابليّة تامّة نال مرتبة الكمال والتكميل في هذه الطريقة العلية ببركة صحبة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، ورجع إلى موطنه من هذا المحلّ بأمر شيخه ممتازاً بالإجازة والخلافة ، واشتغل بتربية الطالبين هناك إلى آخر عمره . وقبره أيضاً هناك يُزارُ ويتبرك به ، وتوفّي بعد ألف من الهجرة ، كما في « التحفة » .

مَوْلانا دَرْويش مُحمّد الأمكنويّ قدِّس سرّه

هو من أجلّة أصحاب خاله مولانا محمد الزاهد الوخشواري وأكمل خلفائه ، وهو وإن كان ممّن بايع الخواجه عبيد الله أحرار قدس سره من غير واسطة ، لكن كانت تربيته وبلوغه إلى مرتبة الكمال والتكميل وإجازته بالخلافة من مولانا محمد الزاهد عليه الرحمة ، وسكن بقرية أمكنه وهو قرية في ولاية كش ، وقبره أيضاً هناك مشهور ومعروف يُزار ويُتَبَرَّك به .

وفي « التحفة » : أنه كان صاحب الولاية العظمى والمقام الأسنى قد اتفق أهل زمانه على ولايته وعلوّ شأنه . انتهى .

مَوْلانَا خواجه الأمكنويّ قدِّس سرّه

هو خليفة والده الماجد مولانا درويش محمد الأمكنوي قدس سره بطريق الوراثة الظاهرية والباطنية ، وبلغ رتبة الكمال والتكميل بحسن تربيته ويمن همّته وبركة صحبته ، وقد بايع مولانا محمد الزاهد الوخشواري قدس سره من غير واسطة .

واسمه :خواجه عبد الباقي ، اشتغل مدّةً بتحصيل العلوم الظاهرية عند علماء سمرقند وبخارا ، وطالع الكتب المتداولة ، ودرس في العلم الظاهري بعد بلوغه ذروة الكمال فيه ، وحصل رتبة المولوية بسبب التدريس وجعلها ستراً وحجاباً لأحواله الباطنيّة ، **فكان يأمر لمن يحضر عنده لطلب الطريقة بالاستخارة ، ولم يكن يقبل أحداً بدونها** ، وكان معاصراً لمولانا المخدوم الأعظم الدهبيدي خليفة مولانا القاضي محمد ، وكان في صحبته .

وأقام مدةً في دهبيد بعد رحلته إلى دار البقاء لتعزية أولاده وأحفاده وتسليتهم ، ثم رجع إلى وطنه ، وتوفي في شهور سنة عشرة بعد الألف ، وقبره في قرية أمكنة مشهور ومعروف يُزار ويتبرّك به .

مولانا خواجه محمد الباقي بالله قدِّس سرّه

ولد سنة إحدى أو اثني وسبعين وتسعمائة ببلدة كابل ، وكان أبوه القاضي عبد السلام رقيق القلب جدّاً ، كثير البكاء وافر الحظ من قوله تعالى : ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ . وأمّه كانت من بنات السادات ومن النساء الصالحات القانتات ، كانت كثيرة الاعتناء بخدمة الدراويش والفقراء بنفسها مع كثرة الجوار . قال لها ولدها خواجه محمد الباقي قدس سره : إن من يقوم بأمر الخدمة موجود ، فينبغي لك أن تقعدي وتستريحي .

فبكت وقالت : **أيّ جريمة صدرت عنّي حتى يمنعني الله سبحانه عن شرف خدمة طالبيه وعباده الخاصة . فتركها على حالها** .

وكانت آثار الجذبات الإلهية وأنوار الهداية السبحانية ظاهرة في جبينه في حالة صباه ، اشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرية عند أجلّة علماء عصره ، والتزم مولانا محمد صادق الحلوائي الذي هو علامة عصره بلا نزاع ، وقدم ما وراء النهر في رفاقته ، وفاق في ملازمته جميع أقرانه ، ثم بدا له في ذلك الأثناء داعية الدخول في طريق التصوف ، وانبعث من باطنه شوق صحبة أولياء الله الكرام الذين هم في مسارح المشاهدة يسرحون ، وتلى في سرّه : ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ .

وصادف في بداية ترك تحصيل العلوم الرسمية إلى محفل واحد من أكابر أفاضل ذلك العصر ، فقال ذلك الفاضل بتقريب : ما أحسن لو كان خواجه محمد الباقي مداوماً على التحصيل والمطالعة أياماً حتى تبلغ مولويته وملكته في المطالعة إلى مرتبة الكمال والإكمال . فقال له الخواجه : أليس المراد من كمال المولوية والملكة أن تحصل قدرة مطالعة الكتب المتداولة على ما ينبغي ، فأتوني بكتاب لا يقدر على مطالعته إلا صاحب بصر حديد ، فعسى يحصل التشفي التام . **وبالجملة تطرقت إلى طريق تحصيله للعلوم فترة تامة ، وجذبته الجذبات الإلهية إلى محفل قوم أشرقت في ضميرهم شمس** ، « لي مع الله وقت » ، فطاف حول مجلس كثير من كبار مشائخ وقته في بلاد ما وراء النهر التي هي معدن هذه الطائفة العزيز الوجود ، وزف عند بعضهم بعروس التوبة والإنابة .

فأول من تاب على يده وأناب الشيخ خواجه عبيد خليفة مولانا لطف الله خليفة مولانا المخدوم الأعظم الدهبيدي خليفة مولانا القاضي محمد خليفة قطب الآفاق خواجه عبيد الله أحرار قدس سره .

ولما لم تظهر فيه آثار الاستقامة أناب ثانياً على يد الشيخ افتخار حين قدومه بسمرقند ، وكان من كبار مشائخ سلسلة خواجه أحمد اليسوي ، ثمّ طرأت الفترة على عزيمته هذه أيضاً ، وظهر فيه ما ينافي طريق الاستقامة ، ثمّ جدّد التوبة ثالثاً من غير صنع واختيار على يد الشيخ الأمير عبد الله البلخي ، فكان في مقام حفظ الحدود أياماً ، ثم هدم سدّ تلك التوبة أخيراً سيْلُ تأسير[١] اسمه تعالى المضل ، ثم انعقدت صورة التوبة في المنام في شرف ملازمة خواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره ، وظهر فيه ميل إلى طريقة أهل الله ، فبحكم الغريق يتشبث بكل حشيش صار يتوجّه إلى كل طرف ويسير حتى وصل إلى ملازمة الشيخ باباً ولي الكبروي في بلدة كشمير ، وكان منظوراً بنظر عنايته .

ولما كان الشيخ المذكور مجازاً من مشائخ سلسلة النقشبندية أيضاً ، هبت في ملازمته النفحات الربانية من مشرق فيوضات هذه الطائفة العلية إلى روض استعداده ، وظهرت فيه الغيبة المعهودة عند هذه الطائفة بعد انتقال الشيخ المذكور إلى دار القرار ، حتى أخذت أرواح هؤلاء الأكابر في الظهور في المبشرات ، وشرّفوه بالتلقينات ، وظهرت قوّة في نسبته بيمن توجههم ، واتسعت دائرتها ، واتضح له الطريق ، ثم جذبته جذبة عنايتهم إلى خدمة مجمع الحقائق ومنبع الدقائق مولانا خواجكي الأمكنكي قدس سره ، فأظهر له التفات كثيرة وعنايات جزيلة .

ولما تفرّس مولانا علو فطرته وسموّ[٢] استعداده ، وحدس[٣] أحواله العالية ، ومواجيده السامية ، جلس معه في الخلوة للصحبة ثلاثة أيام متوالية ، وأطلعه في أثناء الصحبة على بعض الزوائد والفوائد ، ثم قال :

---

(١) كذا في الأصل ، تدبّر .

(٢) أي : رفعة .

(٣) حدس : إذا ظنّ ظنّاً مؤكداً ، وحدس في الأرض : ذهب على غير هداية ، وحدس في السير : أسرع . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إن أمرك قد بلغ مرتبة الكمال والإكمال بعناية الله المتعالي وببركة تربية روحانية أكابر هذه السلسلة العلية ، فينبغي لك أن تعود إلى طرف بلاد الهند فإنه يظهر فيه رونق هذه السلسلة بواسطتك ، ويبلغ فيه كثير من المستفيدين على القدر كاملي الاستعداد إلى ذروة الكمال ، فاعتذر إليه بأعذار عديدة على طريق الانكسار ورؤية قصور الأحوال ، ولكن لم يترك مولانا إلحاحه وأمره بالاستخارة ، ولما نام رأى في منامه ببغاء ، فقال : إنها طير مخصوصة ببلاد الهند ، فإن كان السفر إلى بلاد الهند مباركاً فلتجئ هذه الببغاء عندي ولتقعد علي ، فجاءت عنده وقعدت على منكبه ، فرمى إلى فمها ببزاقه ، وصبت هي أيضاً سكراً من فمها في فمه ، فوجد منه لذة في دماغه ، فأخبر شيخه بذلك ، فبشّره بما هناك وقال : قم وبادر إلى طرف بلاد الهند فإنه سيحضر فيها صحبتك كامل الاستعداد ينتفع بك ، وتحصل لك منه أيضاً حلاوة ، وتظهر كمالاتك منه .

فتوجه بموجب إشارته إلى طرف بلاد الهند ، وأقام سنة في بلدة لاهور ، واغتنم صحبته فيها كثير من علماء تلك الديار وفضلائها ، ثم ارتحل منها إلى دار سلطنة بلاد الهند الدهلي ، واختار للإقامة القلعة الفيروزية التي هي مشتملة على نهر كبير ومسجد عظيم مزينة بأنواع الزينة ، وموصوفة بصفاء الهواء ، وأقام هناك إلى حين وفاته .

وكان قدس سره صاحب الأذواق والمواجيد العالية ، والأحوال السامية كثير التواضع والانكسار ، **وكان يجتهد في ستر أحواله وسيرته السنية عن نظر الأغيار ، بل عن محرم الأسرار بأنواع الحجب والأستار ، ولا يرى نفسه أهلاً لمقام الإرشاد ، فإذا جاءه شخص لطلب الطريقة كان يقول : ليس عندي شيء من ذلك ، ينبغي لك أن تطلبه من غيري ، فإذا لقيت أحداً من هذه الطائفة مقتدى في الطريقة فنبّهني على ما هنالك .**

وكان يبعد عن نفسه مطلق الدعوى ، بل كان يشتغل بخدمة الزوّار واستمالة قلوبهم ، ولا يتكلّم إلا عن ضرورة ، إلا في مسألة مشكلة من حقائق هذه الطائفة ، فكان يوضّحها حق الإيضاح لئلا يميل صاحبها بلا إدراكها عن النهج القويم ، **وكان يمنع أصحابه عن القيام تعظيماً له** ، ويعدّ نفسه كأحد منهم ، ويحبّ المساواة معهم في سائر حالاته ، وكان يقعد فوق التراب من غير حائل إظهاراً للتواضع والمسكنة ، وكان ذا كيفية عظيمة وتصرّفات عظيمة بحيث **إذا وقع نظره على شخص كان يتغير حاله ويؤول إلى الخير مآله** ، وكان الناس في باب مطروحين سكارى ودائرين حوله حَيَارَى .

قال الشيخ تاج الدين الهندي الذي كان من قدماء أصحابه وأجلّة خلفائه : وقد صحب بعده الإمام الرباني ، ثم جاور الحرمين الشريفين ، واشتهرت هناك صيته وشهرته ، وأخذ عنه أكابر أهل الحرمين الطريقة النقشبندية كابن علان .

وتوفي في الحرم المكي ، ودفن في جبل قعيقعان(١) ، وقبره مشهور معروف هناك .

كان شيخنا الخواجه محمد الباقي مرةً قاعداً على ساحل النهر ، فجئت عنده فقال لي : يا تاج الدين **يُفاض عليّ من الفيض السبحاني ما لو كان هذا النهر مداداً فأكتبه به لا ينفد أبداً ونفد النهر** . أرسل إليه الإمام الرباني مرةً في ليلة من ليالي رمضان فالوذجاً مع خادم له بدويّ غليظ الطبع ، فلما انتهى إليه كان الخدام والأصحاب كلهم في النوم فقام بنفسه وأخذه من يد الخادم وقال له : ما اسمك ؟ قال : باما ، فقال : لما كنت في خدمة الشيخ أحمدنا فأنت معنا فإن معنى باما بحسب الوضع

---

(١) وفي نسخة : قعيعان .

واللغة الفارسية معنا؛ فبمجرد وصول هذا الكلام إلى سمع الخادم تغيّر حاله ورجع باكياً صائحاً كالسكران، ولما رآه الإمام الرباني على هذا الحال سأله عمّا جرى عليه، قال: لا أعرف شيئاً غير أني أرى نوراً لا لَوْنيّاً أخذ الدنيا كلها شرقها وغربها أشجارها وأحجارها سهلها وجبالها وأرضها وسماءها لا أقدر أن أبيّنه، فقال: لعل حضرة شيخنا توجه إلى هذا الجانب وقابل هذه الذرة، فأشرقت أشعة شمسه فيها، وذلك النور من نوره، ولما حضر في الغد صحبته نظر إليه وتبسم، وأمثال ذلك كثيرة يطول ذكرها.

وبالجملة كان يحصل الذوق والشوق والكيفية المعهودة عند هذه الطائفة للطالبين في أول صحبته، ويجري لطائفهم بالذكر في أول التلقين، وكان ذلك للكلّ على سبيل التعميم، وذلك من إلحاقاته، قاله إمام الرباني.

لم يوقظ الهرّة التي نامت على فراشه

وكان شفقته على الخلق على وجه: قام ليلة في أيّام البرد عن فراشه، فلما عاد رأى في لحافه هرة نائمة، فلم يرض بإيقاظها وتحريكه إياها، وقعد إلى الصبح متحمّلاً لنكد البرد.

ووقع الجدب والقحط مرةً في بلدة لاهور حين إقامته فيها فلم يأكل في تلك المدة شيئاً فإذا حضر عنده طعام كان يفرقه ويقسمه على الجائعين ويقنع بنفسه بالتناول من ميراث: «أبيت عند ربي...» الحديث، ولما خرج من لاهور متوجهاً إلى دهلي رأى عاجزاً في الطريق، فنزل عن دابته وأركبه عليها، وصار يمشي متقنعاً[1] لئلا يعرفه أحد، ولما قرب إلى المنزل أنزله وركب بنفسه لئلا يطلع عليه أحد.

---

(١) وقناع المرأة: جمعه قنع مثل كتاب وكتب، وتقنعت: لبست القناع. «مصباح».

وكان في رؤية قصور الأحوال واتهام النفس على غاية لا يميّز نفسه عن العامة فضلاً عن أصحابه الكملاء الفضلاء .

كان في جواره شاب يرتكب كل شيء من أنواع الفسق ، وكان يتحمله مع اطلاعه عليه ، فسعى خواجه حسام الدين في دفعه وتأديبه إلى الحكام فأخذوه وحبسوه ، ولما اطلع على ذلك غضب عليه وقال : لِمَ فعلت كذلك ؟ قال : يا سيدي ! إنّه فاسق لا يبالي يرتكب كل شيء ، واجب التأديب والحبس ؛ فقال : أوّاه ! لما كنتم من أهل الصلاح والصفاء والتقوى رأيتم فسقه ، وإلا فنحن لا نعرف الفرق بيننا وبينه ، فكيف نترك أنفسنا ونسعى به إلى الحكام . ثمّ سعى في تخليصه وإخراجه من الحبس ، فأخرجوه فتاب وصار من صلحاء الأنام .

وهكذا كان عادة الكرام . وقصة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مع جاره الإسكاف الذي كان يجيء كل ليلة إلى بيته سكران مشهورة معروفة .

وكان إذا صدرت زلّة من أصحابه يقول : إنّ هذا من زلاتنا ظهرت منهم بطريق الانعكاس ، فما ذا يصنع هؤلاء الفقراء فيما لا اختيار لهم ؟ !

وكان إذا أشكلت عليه مسألة فقهية يرجع إلى الفقهاء المتورعين ويستفتي منهم ما هو الحقّ والصواب .

وكان يختار الأحوط في العبادات والمعاملات ، ولهذا كان في ابتداء حاله يقرأ الفاتحة خلف الإمام مع كونه حنفي المذهب لكثرة الأحاديث الواردة في قراءتها وقوّة دليلها ، حتى قال صاحب البحر : اخترت الإمامة للعمل بالمذهبين ، فرأى يوماً الإمام أبا حنيفة في منامه ، فأنشد قصيدة مشتملة على مدحه ومشعرة بأنّ أكثر كبار الأولياء كانوا على مذهبه ، **فترك قراءة الفاتحة بعد ذلك** . وهذه المذكورة نبذة من شمائله ، وقطرة من بحر خصائصه .

ولما بلغ عمره الشريف أربعين سنة قال : قيل لي : قد حصل الغرض الذي كان مربوطاً بوجودك . فعرض له المرض في أواسط سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ، وقال في ذلك الأثناء : رأيت في المنام ناصر الملة والدين والشريعة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، فألبسني قميصاً ، فإن تيسرت العافية فذاك ، وإلا فالكفن أيضاً قميص .

قول عجيب في دفن الخواجه محمد الباقي قدس سره

فتوفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، ولما غسلوه وكفنوه ، وحفروا قبره ، حمل نعشه الشريف جمع من مجاذيب أصحابه وتوجهوا به من غير شعور إلى خلاف جهة القبر ووضعوه في محل كان مروره قدس سره صادف في حياته مرة هذا المحل ، فاستحسنه ونزل فيه وصلى ركعتين وانتثر إلى زيله تراب من تلك البقعة ، فقال : إن تراب هذه البقعة يؤخذ بزيلنا ، فتذكر الأصحاب ذلك فحفروا قبره هنالك ودفنوه فيه . فعمل خواجه حسام الدين عليه الرحمة بساتين في أطرافه ، وأجرى عليها المياه والأنهار ، وذلك في قرب أثر قدم النبي ﷺ على ما هو المشهور فيما بينهم ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

غوث الواصلين وقطب العارفين برهان الولاية المحمدية وحجة الشريعة المصطفوية الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي قدس سره

يتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بثمان وعشرين واسطة ، وكان آباؤه الكرام وأجداده العظام كلهم من صلحاء الأنام وعلمائهم وفضلائهم ، كما ذكر أحوالهم بالتفصيل في « الروضة القيوميّة » و« الجواهر العلوية » ، فإن رمت الاستقصاء فعليك بهما ، وإنما نذكر هنا قطرة من ذلك البحر ، كان والده الماجد قدس سره صاحب أحوال عالية وأذواق سامية ، عالماً في العلوم العقلية والنقلية ، وكان في غاية من التفريد والتجريد ، وكان يجوب[1] البلاد مشتغلاً بإرشاد العباد ، ولما صادف مروره سكندرة - وهي قصبة[2] مشهورة في بلاد الهند - وأقام فيها مدّة رأته امرأة من أشراف قبائل تلك الديار صاحبة فراسة صادقة ، وتوسمت فيه أنواع الفضائل وأصناف الكمالات ، وكانت لها أخت موصوفة بالعفّة والقناعة والخصال الحميدة ، فعرضتها عليه ، ولما كان ذلك قدراً مقدوراً جاء إلى عرصة[3] الوجود مع إبائه عن ذلك لتفرده وتجرده عما هنالك ، فولد له منها الإمام الرباني ، منوّر الألف الثاني سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة سرهند ولفظ (خاشع) تاريخ ولادته ، وكان في صباه منظوراً بنظر عناية الشيخ شاه كمال القادري الذي هو شيخ أبيه في السلسلة القادرية ، وعرض له المرض بعد أيام من ولادته ، **فجاء به والده عند شيخه المذكور ، فقال بكمال الجذبة : لا تخف ، فإنه يكون**

(١) وجاب الأرض ، يجوبها جوباً : قطعها . « مصباح » .

(٢) قصبة البلاد : مدينتها . « مختار » .

(٣) عرصة الدار : صاحتها ، وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء . « مصباح » .

عالماً عاملاً صاحب أحوال عالية ومعارف سامية ذا عمر طويل . وجعل الشيخ لسانه في فمه ، ففاضت عليه فيوضات النسبة القادرية من ريق الشيخ في تلك الحالة .

وكانت آثار الرشد والهداية واضحة من جبينه في صغر سنّه ، فإذا رآه صاحب فراسة كان يجري على لسانه في الحال من مشاهدة الآثار والأنوار يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، حفظ القرآن المجيد في مدة يسيرة ثمّ اشتغل بتحصيل العلوم المتداولة عن والده الماجد وتلمّذ أيضاً لمولانا محمد كمال الكشميري في ولاية سيالكوت ولمولانا يعقوب الكشميري الذي هو من أجلّة أصحاب مولانا الشيخ حسين الخوارزمي الكبروي ، ومن جملة خلفائه ، وحصل سند الحديث بأولياته من القاضي بهلول البدخشي وبرع[1] في العلوم كلها على أقرانه ، وأخذ النسبة الجستية والقادرية عن والده الماجد ، وشرف والده بالإجازة والخلافة فيهما ، وصار قائماً مقامه ، وفرغ من تحصيل العلوم الظاهرية والطريقة في سنّ سبع عشرة سنة ، واشتغل بإفادة العلوم الظاهرية للطالبين وتسليك السالكين طريق ربّ العالمين في تينك السلسلتين العليتين سنين ، وصنف في ذلك الأثناء بعض الرسائل ، كالرسالة التهليلية ، ورد الروافض مع كثرة قوّتهم وشوكتهم في تلك الديار في ذلك الوقت وغاية قربهم من سلطان الوقت من كونه ممن يبغض الدين والمسلمين ، ولكن لما كانت له حمية[2] تامة في أمر الدين ، ورأى طغيان هؤلاء الطائفة الباغية الطاغية وتكفيرهم أئمة الدين وأصحاب سيد المرسلين ، وإهانتهم الصديقة وتنقيصهم إياها رضي الله عنها وعن أبويها ، لم يقدر أن يصبر على ذلك ولم يخطر بباله ما يكاد يحصل له من ضررهم هنالك ، فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بهم سوء العذاب .

---

(١) برع الرجل إلخ : إذا فضل في علم أو شجاعة أو غير ذلك . « مصباح » .

(٢) وحميت المريض حمية ، وحميت القوم حماية : مضرّتهم . « مصباح » .

وكان قد أخذ حظّاً وافراً من طريقة أكابر النقشبندية – قدس الله أسرارهم – باستماع أوصافهم من والده الماجد وبمطالعة رسائلهم ، **وكان مشتاقاً إلى ملاقاتهم** ، ولم يزل عطشان الطلب مع وجود تلك الكمالات .

وكان وافر الاشتياق أيضاً إلى زيارة الحرمين الشريفين ، ولكن كان أبوه يمنعه عن ذلك لفرط محبته له ، ولما توفي أبوه سنة سبع بعد الألف ، خرج من وطنه بنية سفر الحجاز سنة ثمان وألف ، ولما دخل الدهلي جاء عنده الشيخ حسن الكشميري ، وكان من أحبابه وخلّص أصحابه ، وكان في ملازمة الخواجه محمد الباقي في ذلك الوقت فدلّه على صحبته ورؤيته ، **وقال : إنه قد قدم هنا في تلك الأيام شيخ كبير من أكابر السلسلة النقشبندية صاحب تصرفات عجيبة يحصل في صحبته في مدة يسيرة ما لا يحصل في أربعينيات كثيرة** ، فبادر إليه وحضر لديه ، ولما رآه الخواجه محمد الباقي أظهر له التفاتاً كثيراً وعظّمه وأكرمه ، ولما شاهد فيه قابلية واستعداداً صار مشغوفاً[1] به في أوّل رؤيته ، واستفسره عن منتهى سفره ، فأظهر له ما أضمر من سفر الحجاز ، فقال له : لو كنت في صحبة الدراويش ولو جمعة ثم توجهت إلى مقصودك مع أنه كان لا يقبل أحداً يحضر عنده لطلب الطريقة بدون الاستخارة النبوية ، فضلاً عمن يريد سفر الحجاز المبارك ، فقبل أن يكون في صحبته جمعةً واحدةً ، فظهرت فيه بعد يومين داعية البيعة في هذه الطريقة وزاد شوقه وذوقه ، فأبرز ذلك للخواجه في الخلوة ، **فقبله من غير تردّد وتوقّف ، وحصلت له في مدة يسيرة كيفيات عظيمة** ، ثم قصّ عليه شيخه في الخلوة ما رآه في منامه بعد الاستخارة حين أمره بها شيخه الخواجكي الإمكنكي قبل ذلك بسنين كما تقدّم ، وغيرها من الرؤيا مما يدل على علوّ شأنه وقطبيته وقال : أرى كل هذه الأوصاف فيك ، فكان كذلك ،

---

(١) وأشغفت هذا على هذا ، أي : فضلت . « مصباح » .

ثم اشتغل بالرياضات والمجاهدات ووظائف الأذكار والمراقبات في تلك الطريقة ، ففتح الله سبحانه له أبواب العلوم اللدنية والمعارف اليقينية وأسرار الولاية والمقامات السنية ، وأنوار الفيوضات والبركات الإلهية التي لا يسعها ظروف العقول ، ويعجز عن إدراكها فهوم الفحول ، في مدّة يسيرة وهي شهران وبضعة أيام .

وكان شيحه الخواجه محمد الباقي يقول مراراً : إنّه من المرادين والمحبوبين ، وسرعة سيره من تلك الحيثية ، فأجازه شيخه للإرشاد وأمره بالرجوع إلى بلاده لهداية العباد ، فرجع إلى وطنه بألوف من الفتوحات وأنواع الحالات والكشوفات ، منشداً بلسان حاله ما صرّح به في بعض مكاتيبه . شعر :

إليك يا منيتي حجي ومعتمري   إن حج قوم على ترب وأحجار

واشتغل بتربية الطالبين وإرشاد المسترشدين .

وهو وإن كان ابتداء طريقه وسلوكه من الطريقة النقشبندية ، ولكن ترقي منها أخيراً إلى مقامات كثيرة عالية جدّاً **حتى صار شيخه محمد الباقي يستفيد منه هذه الطريقة الخاصة به كأحد المسترشدين ، ويعامل معه معاملة المريد مع شيخه من غاية رعاية الآداب ونهاية التعظيم ، ويحث أصحابه على متابعته وملازمته .**

قال مولانا محمد هاشم البدخشي في مقاماته : قال سيدي المير محمد نعمان قدس سره : لما مرض شيخنا محمد الباقي وصى الأصحاب تعميماً وتخصيصاً بمتابعته ، ثم وصاني بذلك تخصيصاً ، فقلت برعونة المشاركة في شيخ واحد : إن قبلة توجه الفقير ليست إلا أنت ، فقال بالغلظة والخشونة : ما تظنّ أنت فيه ، فإنّ ألوفاً من النجوم أمثالنا تتلاشى في أشعة شمس الشيخ أحمد ، وما نال من جاء قبله من المشائخ الكبار من أحوال إلا مقدار الخال ، فلزمت بعد ذلك صحبته ونلت فيها ما نلت والحمد لله على ذلك .

والحاصل أنّه سلم إليه منصب الإرشاد في الطريقة النقشبندية والقادرية والجستية ، وإذا أراد منه أحد الطريقة القادرية كان يعلمها له والجستية كذلك **ولكن مع غاية الاجتناب من لوازم الجستية من الوجد والتواجد والرقص والسماع** وغيرها مما يخالف السنة ، وانتشر صيت إرشاده وفيوضاته وبركاته في جميع أقطار الأرض ، وسار بثنائه الجميل الركبان في الطول والعرض ، وألبس عليه خلعة قطب الأقطاب وأحيل الوصول إلى مدارج القرب ودرجات الولاية إلى التفاته ، وصارت رحلة الأبدال والأوتاد إليه ، وظهرت منه أنوار الهداية وأسرار الولاية ، وحقائق عالية ، ومعارف سامية يعجز عن تقريرها قلم اللسان ، ويفتر عن تحريرها لسان القلم ، فإن أردت الاطلاع على حقيقة الحال فعليك بمطالعة رسائله ، خصوصاً مكتوباته الشريفة تجد فوق ما تصفه ألسنة الأقلام مما قد عجز عن إدراكه ألباب ذوي الأفهام فضلاً عمن تستر بحجب الأوهام . شعر :

إن آثـارنـا تـدلّ عـلـيـنـا فـانـظـروا بعدنا إلى الآثار

وإن كنت معذوراً في الاطلاع على ما حَوَتْه مكتوباته لعدم الذوق فيك فعليك بالتسليم ولوم نفسك قائلاً : كيف لا تشاهد نوراً قد ملأ الأرض شرقاً وغرباً ، وأنار الأنام عجماً وعرباً . شعر :

وإذا لـم ترى الهلال فسلم لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

وهذا أدنى الإيمان لهذه الطائفة ، وإيّاك والاعتراض ، فإن أحست نبذة[1] منه في نفسك فاحكم على نفسك بالشقاوة والحرمان والبعد والخذلان والعياذ بالله من ذلك . شعر :

يـا نـاطـح الـجبل الـعالي ليـكلّمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

---

(١) وجلس نبذة أي : ناحية . « مصباح » .

ولا تصغ إلى ما يقوله الجاهلون الغافلون ، وتفوه به الحاسدون الشامتون لقصور في عقولهم ومرض في قلوبهم ، فإن المرء عدوٌّ لما جهله ، قال الله تعالى - وهو أصدق القائلين - : ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ الآية ، وقال عزّ من قائل : ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ ، **فإذا قيل ذلك في كلام رب العالمين ، فكيف لا يقال في كلام المخلوقين** . شعر :

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً　　وللناس قيل بالظنون وقال

قال الشيخ الأجل شاه ولي الله المحدث المفسر الدهلوي قدس سره في ديباجه « تعريب رسالة رد الروافض » للإمام الرباني قدس سره : ولقد جرت على الإمام قدس سره سنة الله تعالى في عادته في أنبيائه وأوليائه من قبل من الابتلاء بإيذاء الظلمة والمبتدعين ، وإنكار الفقهاء المتقشفين[(١)] ، وذلك ليزيد الله سبحانه في درجاته ، ويلحق به الحسنات من بعد وفاته .

ومنشأ الإنكار في كلماته عدم الوقوف على مقاصده العالية ومصطلحاته السامية ، فحمل المنكرون كلامه على غير محمله ، وبالغوا في الإنكار والتشنيع عليه قدس سره .

والحق أن أصول كلماته وأساس مقاماته مما توارد عليه محققوا أهل الذوق والكشف عن آخرهم ، غير أن له إشارات يستعظمها من يفهمها ، وهو أهلها ويبالغ في النكير عليها من لا يعرف ، وهو محروم من بركاتها ، فلا حاجة لنا إلى الذب والدفع عن الإمام الهمام رضي الله عنه ، ولا إلى إقامة الدلائل العقلية والنقلية على جواز ما ادعاه ، ولله درّ القائل : شعر :

وعـيـرهـا الـواشـون أني أحبها　　وتـلـك شـكاة ظاهر عنك عارها

---

(١) قشف الرجل إلخ : لم يتعهد النظافة . « مصباح » .

وبالجملة قد بلغ أمره إلى أن لا يحبه إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضه إلا فاجر شقي . انتهى .

ولقد قيض الله سبحانه وتعالى له قرناء وأصحاباً صلحاء علماء وفضلاء عرفاء كملاء ، **وبشر في المبشرات بالمجددية في هذا الألف الثاني ، وأمر بإفشائها وإبلاغها الناس ، واشتهر بلقب الإمام الرباني ، والمجدد للألف الثاني ، واعترف بكونه مجدداً أكابر العلماء والأولياء في زمانه وبعده قرناً بعد قرن من غير إنكار من أحد ، إلا شرذمة قليلة لا يعتد بهم** .

وكفى شاهداً على ولايته شهادة شيخه واستفادته منه ، ورعاية كمال الأدب معه ، وتحريض أصحابه على متابعته ، وغاية استقامته على الشريعة الغراء حتى أنه قال في بعض مكتوباته : **إن من طار في الهواء أو سار على الماء ، وترك شيئاً من المستحبات لا قدر له عند هذه الطائفة مقدار شعرة** ، ولكن نكتب هنا نبذة من تصرفاته للتبرك :

قصة غريبة

منها : أنه لما رجع إلى وطنه مأذوناً رأى في استغراقه أن حفيد الشيخ كمال القادري ألبسه خرقة جده ، ففتح عينيه فرآه قائماً بين يديه ، فقام إليه ورحب به وعظّمه ، فألبسه في حال الشعور خرقة جده الشيخ المذكور ، وقال : إن إخراج خرقة جدي من البيت وإن كان في غاية الصعوبة ، ولكن لما صدرت الإشارة بذلك مراراً لم أجد بداً منه ، فلبسها ودخل في حرمه ثم خرج بعد مدة .

وقال لبعض خواص أصحابه : إنّه وقع لي الآن أمر غريب ، وهو أني لما دخلت البيت بعد لبس الخرقة ظهرت أكابر القادرية من الشيخ الغوث الأعظم إلى الشيخ شاه كمال الكبتهلي وأحاطوا به ، فتفكرت

في نفسي أني كنت وجدت التربية ومرتبة الكمال والإكمال من أكابر النقشبندية ، وقد وقع الآن ما وقع ، فبينما أنا في هذا الفكر والتحيّر إذا ظهرت أكابر النقشبندية من لدن الخواجه بهاء الدين النقشبند إلى الخواجه محمد الباقي ، وقالوا لأكابر القادرية : **إنه مريدنا وجد التربية منا وبلغ مرتبة الكمال والإكمال بعنايتنا والتفاتنا وتوجهاتنا ، فقال لهم أكابر القادرية : نعم ، ولكنه كان أوّلاً منظوراً بنظراتنا وملحوظاً بالتفاتنا ، فبهذه الجهة هو منا ، فقام بينهما المشاجرة والمخاصمة ، فظهرت في ذلك الأثناء مشائخ الكبروية والجستية فأصلحوا بينهما** .

وهذا يدل على علوّ شأنه ويشتمل على أنواع من الكرامات كما لا يخفى على المتأمل فيه .

كتب إليه واحد من الدراويش أنّ هذه المقامات التي بيّنتها هل كانت حاصلة لأصحاب رسول الله ﷺ أم لا ؟ فإن حصلت فهل كانت تحصل دفعة أم تدريجاً ؟

فكتب إليه بأنّ جواب هذا السؤال موقوف على حضورك في الصحبة ، فجاء إلى صحبته ، فتوجه إليه ، وألقى إليه جميع نسبه ، ثم قال له : ما ذا رأيت ؟ فوضع رأسه على قدمه وقال : تيقنت أن جميع مراتب الولايات كانت تحصل للأصحاب في أوّل صحبتهم برسول الله ﷺ دخل جماعة من أصحابه بلدة من بلاد الكفار بعيدة من بلاد الإسلام ، ورأوا فيها كنيسة خالية عن الناس ، فكسروا الأصنام فيها ، فهجم عليهم الكفار من جميع الأطراف والجوانب مجردين سيوفهم ، فاستغاث المخلصون بحضرته ، فظهر في الحال وقال : لا تفزعوا يجيئكم المدد من الغيب . فظهرت في الحال طائفة من الفرسان لحمايتهم ، وخلصوهم من أيدي الكفار .

دعاه مرةً عشرة أنفار من أصحابه للإفطار ، فوعد كلهم ، فحضر وقت الإفطار بيت كل منهم في آن واحد .

ولما حبسه السلطان نور الدين جهانكير خان بسبب كلمة حقة عنده كان يخرج إلى صلاة الجمعة مع شدة الاحتراس ، فلما شاهدوا منه تلك الكرامات مرات اعتذروا إليه وتضرعوا بين يديه ، وأخذوا الطريقة وصاروا من المخلصين له والملازمين لديه .

وهذه نبذة من كراماته ، والقليل يدل على الكثير ، والقطرة تنبئ عن البحر الغزير[1] .

ولما أناف[2] عمره الشريف إلى خمسين قال : قد ألهمت أنّ عمري يوافق عمر النبي ﷺ ، فلعله لا يتجاوز ثلاثاً وستين سنة ، ولما كانت سنة اثنتين وثلاثين وألف ذهب إلى مرقد الشيخ معين الدين الجستي قدس سره للزيارة ، فأعطاه متولي المرقد ستارة القبر برسم التبرك ، فأخذها وقال : إنّ الشيخ أعطاني هذه لأجل الكفن ، وفي تلك السنة قام ليلة للتهجد وبكى كثيراً مكرّراً هذا البيت لمولانا الجامي الفارسية : شعر :

ما أقصر الأعمال في عهد الهوى   يا حبذا لو عشت عمراً سرمداً

ثم عرض له ضيق النفس في أواسط ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وألف ، ثم قال في محرم الحرام سنة أربع وثلاثين وألف : يقع الانتقال من هذا العالم في مدة أربعين أو خمسين يوماً ، وقد أريت موضع قبري ، وقال في الثاني والعشرين من صفر : قد بقي من عمري سبعة أو ثمانية أيام ، وقسم الخلعة في الثالث والعشرين للدراويش بيده ، وأوصى أولاده بأن يكفنوه من صداق زوجته الكريمة ، وأن يخفوا قبره . ولما شاهد ملالة أولاده الأمجاد من هذا الكمال وكراهيتهم له قال : ادفنوني عند قبر والدي الماجد ، وقال : اجعلوا بناء قبري من اللبن لينمحي أثره سريعاً .

---

(١) غزر الماء بالضمّ إلخ : كثر . « مصباح » .

(٢) وأنافت الدراهم على المائة : زادت . « مصباح » .

ثم استرضى من الخادم الذي أمرضه في السابع والعشرين من صفر ، وطلب الطست وقت الإشراق في ذلك اليوم لحاجة إنسانية ، ولما لم يحضر الرمل ردها خوفاً من انتشار قطرات البول وصبر وقال : ردوني إلى فراشي ، ولما ردوه اضطجع على شقه الأيمن جاعلاً يده اليمنى تحت خده على الطريق المسنون ، وشرع نفسه في التواتر ، وقال : صليت ركعتين وهما تكفيان لي الآن ، وختم كلامه بلفظ الصلاة التي هي نسبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم غمض عينيه عن الدنيا ، وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وألف ، وجعلوا تاريخ وفاته رفيع المراتب ١٠٣٤ ، نوّر الله مضجعه وقدس سره . ثم صلى عليه ولده الأكبر الشيخ محمد سعيد مع الخواص والعوام ، ودفنوه في قرب المسجد مما يلي قبر ولده الأرشد الأكبر الشيخ محمد صادق قدس سره . انتهى من « النفائس السانحات » منتخباً ومختصراً .

وذكر صاحب « البهجة السنية » من مناقب الإمام الرباني قدس سره ما يزيد به الاعتقاد فيه ، ونحن إن شاء الله تعالى نورد هنا بعضاً منها وإن طال الكلام ، والله ولي التوفيق .

وذكر الشيخ الكامل مير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين الخواجه محمد الباقي أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام على المنبر وهو يثني على الشيخ أحمد السرهندي ويقول : إني أباهي وأفتخر بوجوده في أمته ، وإن الله تعالى جعله مجدداً في أمتي . وقد بشر بظهوره كبار الأولياء ، كما في « المناقب » .

فمن ذلك ما نقله الشيخ بدر الدين السرهندي عن الشيخ الأكمل السيد أحمد الجامي قدس سره أنه قال : يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يسمون بأحمد ، آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم ، وأجمع جمّ غفير من أهل الكشف على أنّ المراد به المجدّد قدس سره .

ومنه ما قاله مولانا الخواجكي الإمكنكي لخليفته الأكمل محمد الباقي قدس سره : أنه يخرج رجل من الهند يكون إمام عصره ، ويصير فتوحه على يديك ، فأسرع إليه فإنّ أهل الله منتظرون قدومه . فلما توجه من بخارا إلى الهند واجتمع به المجدد وأخذ عنه قدس سرهما قال له : أنت ذلك الرجل المبشّر به . وقال له أيضاً : لما وصلت إلى سرهند رأيت رجلاً قيل لي هو قطب زمانه ، فلما رأيتك عرفتك بتلك الحلية[١] والصورة .

وقال له أيضاً : لما دخلت سرهند رأيت هناك مشعلة أوقدت في غاية العظمة والرفعة ، حتى كأنها وصلت إلى السماء وقد امتلأ العالم من نورها شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منها سراجاً سراجاً . قال : وهذا شأنك .

ومنه : أن قدوة الكاملين شاه كمال الكينلي قدس سره أودع الجبة المباركة التي قيل إنها مورثة من الغوث الأعظم عبد القادر الجيلي قدس سره عند حفيده العارف الرباني شاه سكندر ، وقال : احفظها حتى يظهر صاحبها ، فلما ظهر المجدد قدس سره أمره في الواقعة أن يوصلها إليه فإنه أهلها ، فلم يوصلها ، ثم خاطبه في سرّه فلم يفعل ، فعاتبه في المرة الثالثة ، فجاء بها إليه وألبسه إياها ، فترتبت على ذلك أمور عظيمة .

ومنه : أنّ تاجراً صدوقاً أميناً ، على وجهه أنوار الصلاح ، ذكر أنّه كان في بدايته عظيم المحبة والاعتقاد في غوث العالم عبد الخالق الجيلي قدس سره ، قال : وكان يظهر لي أحياناً ويبشّرني بأمور ويعينني بمهماتي فقال لي يوماً في الواقعة : إنك أخذت مدداً عظيماً ، ولكن لا بد من شيخ في الظاهر ، فقلت له : فإلى من أرجع ؟ فقال : إلى الشيخ أحمد السرهندي فإنه اليوم الجامع بين الظاهر والباطن ، وهو قطب زمانه ، فلما اجتمعت به رأيت منه عجائب الكرامات وغرائب الكملات .

---

(١) وفي نسخة : الحالة .

ودخل رجل من أكابر بلخ إلى سرهند فلما رأى المجدد قدس سره قال : إني كنت في بلخ ، فحضرت جنازة اجتمع عليها أولياء ما وراء النهر من السلف والخلف مثل القطب الرباني عبد الخالق الغجدواني ، والقطب الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس سرهما ، وهم منتظرون لقدوم كبير ، فسألت رجلاً عن ذلك فقال : هذه جنازة قطب **وهم منتظرون قطب الأقطاب** ، فبينما نحن كذلك إذ جاء رجل نوراني فقدموه فأمّهم ، فسألت عنه **فقيل لي : إنه الشيخ أحمد السرهندي قدس سره** .

وكان قدس سره يقول : اعلم أن العناية الإلهيّة جذبتني جذب المرادين أوّلاً ثم يسرت لي طيّ منازل السلوك ثانياً ، فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول وسريان ، ثم وجدته سبحانه معها بمعية ذاتية ، ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رأيته سبحانه ، وما رأيت شيئاً ، **وهو المعنى بالتوحيد الشهودي ، وهو المعبر عنه بالفناء ، وهو أوّل قدم في الولاية وأسبق كمال في البداية** .

وهذه الرؤية في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الآفاق ، ثم ثانياً في الأنفس ، ثم ترقيت إلى البقاء **وهو ثاني قدم في الولاية** ، فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي ، ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي ، ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي ، ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي ، **ثم رأيت الأشياء وما رأيت الله تعالى أصلاً وهي النهاية التي هي الرجوع إلى البداية والعود إلى مرتبة العوام ، وهذا المقام هو أتم مقامات دعوة الخلق إلى الحق وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة إلى الخلق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة** .

وكان قدس سره يقول : بشّرني رسول الله ﷺ بأنك من المجتهدين في علم الكلام ، ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة ، وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة ، وقال : لم أكتب قبل لأحد مثله .

وكان قدس سره يقول : كشف لي عن أسماء من يدخلون في سلسلتنا من الرجال والنساء إلى يوم القيامة .

وكان قدس سره يقول : روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال : « إنّ الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لهذه الأمة أمر دينها » ، لكن بين من يجدّد المائة ومن يجدد الألف فرق عظيم كالفرق بين المائة والألف ، بل أعظم من ذلك .

وكان يقول : **نسبتي هذه تبع بواسطة أولادي إلى يوم القيامة ، حتى أن الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة .**

وكان يقول **طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر** مبني على متابعة السنة ، فالواجب أن يزين باطنه بنسبتهم ، ويزين ظاهره كله بمتابعة السنة المطهرة .

مطلب مهم

وكان يقول : الباطن متَمِّم للظاهر ومكمل له ليس بينهما مخالفة أصلاً ، فالأمور التي يشاهدها السالك في الطريق مخالفة للشريعة ، فمبناها سكر الوقت وغلبة الحال ، ولو ترقى السالك من هذا المقام إلى مقام الصحو لما رأى مخالفة أصلاً .

وكان قدس سره يقول : كنت مرةً في حلقة أصحابي ، فخطر لي أني قي قصور ونقص ، فبينما أنا كذلك إذ ألقي في سري : **أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة .**

وكان قدس سره يقول : كثيراً ما يقع لي العروج في هذه الأيام فوق العرش المجيد ، ولقد عرج بي مرة ، فلما قطعت من المسافة مثل ما بين مركز الأرض إلى العرش رأيت مقام الإمام الخواجه نقشبند قدس سره ورأيت فوق ذلك قليلاً بعض المشائخ منهم الشيخ معروف الكرخي والشيخ أبو سعيد الخراز وبعض المشائخ في مقامه وتحته الشيخ نجم الدين الكبري والشيخ علاء الدين وسائر المشائخ دونه ، وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت ، والخلفاء الراشدين وسائر الأنبياء فوقهم على طرف من مقام نبيّنا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ومقامات الملائكة على طرف آخر ، ومقامه ﷺ أرفع وأعلى . وأعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي ، وربما يقع من غير قصد .

وكان قدس سره يقول : **كان تكويني من بقية طينة حبيبه** ﷺ .

وكان يقول : المقصود من الطريقة ازدياد علوم الشريعة حتى يتخلص عن البرهان إلى الكشف .

وكان يقول : **علم اليقين** عبارة عن شهود الدلائل ، **وعين اليقين** شهود الحق بعد كونه معلوماً بالدلائل ، وهو يستلزم الفناء ، **وحق اليقين** عبارة عن شهود الحق بعد ارتفاع اليقين واضمحلال المتيقّن ، وهذا البقاء بالله في مقام : « بي يسمع وبي يبصر . . . » إلخ ، انتهى .

وقال في القلب : **اعلم أن المدار على القلب ، فلا ينتج من مجرد الأعمال الصورية شيء ، وسلامة القلب إنما تكون بعدم التفاته إلى السوى .**

وقال في علاج القلب : أحسن المصاقل التي تصقّل عن القلب محبة السوى متابعة المصطفى ﷺ .

مطلب

الطريقة والحقيقة خادمان للشريعة

وقال في الشريعة : اعلم أن الشريعة متكفلة بجميع السعادات الدنيوية والأخروية ، ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة ؛ **وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة وتحصيلهما لتكميل الشريعة لا غير** ؛ وأما الأحوال والمواجيد والمعارف التي تظهر للصوفية في أثناء الطريق فليست من المقاصد ، بل هي أوهام وخيالات ، لأن تربى بها أطفال الطريقة ، فلا بد من العبور عنها في النهاية . انتهى كلام « البهجة » بانتخاب واختصار وتقديم وتأخير ، فمن أراد الزيادة فليراجعها ففيه البسط .

مولانا مُجدّد الدين محمّد مَعْصوم الملقَّب بالعُرْوة الوسقى

ابن الإمام الربانيّ قدَّس الله تعالى أسرارهما

لا يخفى أنه كان للإمام الرباني قدس سره أربعة بنين ، توفي **أكبرهم محمد** صادق قدس سره بعد وصوله إلى مرتبة الكمال والتكميل ، بل بعد ما بشره الإمام الرباني بقطبية سرهند ، ولكن اخترمته المنية حين شبابه في حياة والده الماجد عام الوباء العام ، فأسف عليه والده أسفاً كثيراً ، سقي ثراه صيب الرحمة والرضوان .

والثاني : الشيخ محمد سعيد قدس سره ، ولقبه في هذه السلسلة خازن الرحمة ، وبشره والده بقطبية ما وراء النهر ، فوقع وفق ما بشِّر به ، فإنّ أكثر أكابر ما وراء النهر كمولانا موسى خان الدهبيدي وخلفائه وخلفاء خلفائه منتسبون إليه ، وكان في ذروة الكمال في جميع العلوم الظاهرية والباطنية .

ورابعهم : الشيخ محمد يحيى قدس سره ، وكان وقت وفاة والده صغير السن ، فاستفاد العلوم والطريقة من أخويه أكبرين ، وبلغ مرتبة الكمال والتكميل .

وثالثهم : هو صاحب الترجمة ، وإليه تنتسب مشائخنا الكرام ، وتنتهي إليه سلسلتهم عند الانتظام ولادته في سنة تسع بعد الألف .

قال الإمام الرباني قدس سره : إن ولادة ولدي محمد معصوم أورثت بركات كثيرة حيث تشرفت سنة ولادته بملاقاة شيخنا الخواجه محمد الباقي بالله والمثول[١] بين يديه ، وظهرت هذه العلوم والمعارف بسبب تلك الملاقاة ، وبالغ الإمام الرباني قدس سره في مدحه بعلوّ الاستعداد ، وقال : إن لولدي هذا استعداداً ذاتيّاً للولاية المحمدية ، **وهو محمديّ المشرب ، ومن جملة المحبوبين أن حاله في تحصيل نسبتي كحال صدر الشريعة** صاحب شرح « الوقاية » **حيث كان يحفظ ما يؤلفه جده بلا تأخير** ، فإن بينت سرعة سيره وسلوكه وطيّه للمقامات وبلوغه أعلى الدرجات ، يكاد القريب يظنّ نفسه في البعد والحرمان ، ويزعم الواصل أنه في قطر الانقطاع والهجران ، **ومن غاية علوّ استعداده تكلم في التوحيد على مذاق الصوفية وهو ابن ثلاث سنين** ، وقال : أنا الأرض وأنا السماء وأنا هذا وأنا ذاك ، وهذا الجدار حق ، وتلك الأشجار حق ، **حفظ القرآن المجيد في مدة ثلاثة أشهر ، وفرغ من تحصيل العلوم العقلية والنقلية وهو ابن ست عشرة سنة** ، ثم اشتغل بإفادة الطالبين ، ولقّنه والده الطريقة في أثناء التحصيل حين بلغ عمره إحدى عشرة سنة وأمره بالذكر والمراقبة ، فواظب عليها ، وجمع بين القال والحال بكمال الاستقامة والورع والتقوى في جميع الأحوال .

---

(١) ومثلت بين يديه مثولاً من باب قعد : انتصبت قائماً . « مصباح » .

ولما بلغ ذروة الكمالات ونهاية المقامات ، وتشرَّف في الأحوال والواردات شرفه والده الإمام الرباني قدس سره بإجازة الإرشاد ، وألبسه خلعة الخلافة ، وأمره بهداية العباد ، وبشره بالقيُّومية وقطبيَّة الشام والروم وما وَالاَها من البلاد ، فوقع الأمر وفق بشارته ، حيث انتشرت خلفاؤه في تلك البلاد بين العباد ، واشتهر صيته وطريقته فيها اشتهاراً تاماً ، وإن عميت أبناؤها عن خفافيش المنكرين ؛ فماذا تقول في مولانا الشيخ أبي سعيد وأولاده الكرام ، وما ذا تظن في مولانا خالد وخلفائه وخلفاء خلفائه قدس الله أرواحهم وأيّد أركانهم وشيد بنيانهم إلى يوم القيامة . شعر :

لقد ظهرت فلا تخفى علـى أحد إلا عـلـى أكـمـه لا يبصر القمرا

نعم ، فما ذنب النجوم إن استصغرتها الغيوم . شعر :

على نفسه فليبك من ضـاع عمره ولـيـس لـه منها نصيب ولا سهم

والحقُّ أنه كان آيةً من آيات الله مثل والده الماجد ، قد نوّر العالم من ظلمات الجهل والبدع بيمن توجهاته العلية ، وأحواله السنية ، وصار ألوف من الرجال محرماً للأسرار الخفية ، وتحققوا بالحالات السنية بشرف صحبته العلية حتى قيل : **إنَّ جميع من بايعه في الطريقة بلغت تسعمائة آلاف ، وعدد خلفائه سبعة آلاف** منهم الشيخ حبيب الله البخاري ، كان أعظم مشائخ خراسان وما وراء النهر في زمانه ، قد نوّر بخارا بنور السنة والطريقة بعد ما غشيتها ظلمة البدعة والهوى .

وشرف بالخلافة والإجازة أربعة آلاف من مريديه بعد إيصالهم إلى رتبة الكمال والتكميل . وله خوارق مشهورة .

ومن خلافائه : الصوفي الله يار صاحب « مسلك المتقين » و« مراد العارفين » و« مخزن المطيعين » بالفارسية ، و« ثبات العاجزين » بالتركية ترجمة « مراد العارفين » .

ولصاحب الترجمة مكاتيب في ثلاث مجلدات ضخمة مثل مكاتيب والده الماجد متضمنة لغوامض الأسرار واللطائف ومبينة لدقائق الآثار والمعارف ، أكثرها في حل مغلقات معارف والده الماجد ، ولننقل من جملتها هذا المكتوب من رسالة سيدنا الشيخ محمد مظهر ، برَّد الله مضجعه للتبرك والاسترشاد :

أما بعد ؛ فإن هذا تذكار من هذا العبد ضعيف الأفكار[1] للأحباب أولي الأبصار : اعلموا أيها الإخوان **المقصود من خلق الإنسان تحصيل معرفة الحق سبحانه الواضح البرهان** ، والناس فيها متفاوتة الأقدام على حسب تفاوت الاستعدادات والأفهام بعضها فوق بعض ، وقد تكلم الكبراء فيها على قدر عرفانهم ، ولكن القدر المشترك بين هذه الطائفة وما أجمعوا عليه الذي لا بد منه في مدارج القرب **أنَّ المعرفة لا تتصور بدون الفناء في المعروف** . شعر :

من لم يكن من نفسه متفانياً   لا يهتدي لحقيقة التوحيد

فينبغي للعاقل أن يتأمَّل في حاصل أمره وأفعاله ومآل اشتغاله وأحواله تأملاً جيداً بإمعان النظر ، فمن حصلت له المعرفة المذكورة ، فطوبى له وبشرى ، وينبغي أن لا يصرف هذا الحاصل إلى أمور ليس منها طائل ، بل اللازم أن يجتهد في التجاوز عن الأصل كتجاوزه عن الظلِّ ، ومن لم يفتح له باب المعرفة وليس فيه ألم الطلب وحزن فقدان هذه الدولة العظمى فالويل له كل الويل حيث لم يخرج عن عهدة ما خلق لأجله ، ولم يؤد ما طولب به في هذه النشأة الدنيا ، بل اشتغل بشيء آخر وعمّر ما أُمِر بتخريبه ، وصرف جواهر أعماره ويواقيت مواقيته في هوى نفسه وما لا يعنيه ، وعطل أرض استعداده مع حصول أسبابه ، فوا

(١) وفي نسخة : ضيق الأذكار .

عجباً ممن شدّ رحله من هذه الدار التي هي محل الدعوة والتبليغ إلى دار القرار من غير تحصيل المطلوب في تلك المهلة اليسيرة مع وجود الدعوة به ، فبأي وجه يذهب إلى حضرة صمديته تعالى في الآخرة ، وبأي حيلة يبسط لسان العذر ، فالانفعال عليه كل الانفعال ، **فإنَّ عذاب البعد والحرمان أشدّ من عذاب الجحيم والنيران ، كما أن لذة القرب والوصال ألذّ من لذة النعيم في دار النوال** ، فيا ويلتا على من أعرض عن الله ، ويا حسرتا على من فرّط في جنب الله ، ولا مجيء إلى الدنيا ثانياً ، ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا** ﴾ .

شعر :

أني علـى خوف من البعد والهجر   فيبقى لـــنـا غـم إلـى غاية الحشر

انتهى .

وله قدس سره خوارق كثيرة وكرامات عديدة ليس هذا محل إيرادها ، وقد أغنى العيان عن البيان .

توفي قدس سره في اليوم التاسع من ربيع الأول سنة تسع وسبعين وألف .

قدوة أرباب الكشف واليقين وسلطان الأولياء والمتقين

مولانا الشيخ سيف الدين قدس سره

هو خامس أولاد الشيخ محمد معصوم ، ولادته سنة خمس وخمسين وألف ، كان متصفاً بالعلم والعمل ، معرضاً عما سوى الله عز وجلّ ، معروفاً بالأخلاق الحسنة ، موصوفاً بالأوصاف الحميدة ، أخذ الطريقة النقشبندية المجددية عن والده بعد فراغه من تحصيل العلوم المتداولة ، وحصل الكمالات المعنوية ، وبلغ إلى أقصى غاية القرب ، ونهاية المقامات الأحمدية ، **وكان له جذب قويّ وتصرف عال بحيث كان الناس يضطربون من قوة توجهاته ، ويبقون بلا اختيار في يده** .

وبالجملة كان ذا حالات عزيزة ، وواردات سنية ، ولما تمّ أمره وكمل بدره ، اختار للإقامة بلدة دهلي بأمر والده بعد ما صدرت بها إشارة غيبية ، فصار هنا مرجعاً للطالبين ، ومجمعاً للسالكين ، وكان مقبولاً عند الخاص والعام ، حتى انسلك في سلك إرادته سلطان بلاد الهند محمد أورنك ذيب عالمكير خان مع أولاده الكرام وأمرائه الفخام ، واستفادوا منه علم الباطن ، وعرض هو أحوال السلطان وترقياته الباطنية على والده الماجد .

وقال : إنَّ آثار ولاية لطيفة الأخفى غالبة فيه جدّاً ، فصحَّح ولده ذلك بنظر الكشف وصدَّقه ، **وكتب والده إليه : إن نزولك يظهر أتم وأكمل وقوة إرشادك وكثرة وصول أثر الفيض إلى خلق الله منك أثر ذلك النزول** .

وقد كتبت أنَّ السلطان وجد مبدأ تعينه صفة العلم ، فاحتظيت من مطالعته فوق الغاية حتى كدت أرقص من غاية الفرح والسرور ، رزقه الله سبحانه حظّاً وافراً من بركات هذه الصفة العالية الشأن ، إنه قريب مجيب . انتهى .

وكان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رتبة لم يكن شيخ من المشائخ مثله ، حتى كادت البدع ترتفع عن بلاد الهند في زمنه وتستأصل ، ولذلك لقبه والده بمحتسب الأمة ، ودعاه السلطان مرةً إلى قصره ، فأجابه اتباعاً للسنة ، **ولما رأى في جدار القلعة صوراً منحوتةً في الأحجار توقف عن الدخول في القلعة ، فأمر السلطان بكسرها فكسروها بأسرها ، ثم دخل فيها** ، وشمّر السلطان ذيله لترويج الشريعة الشريفة وقمع البدعة الشنيعة بيمن صحبته العلية ، واجتهد في اتباع السنة السنية حتى حفظ القرآن في كبر السن ، وكان يحيي الليالي .

وكانت لمولانا سيف الدين قدس سره شوكة ظاهرة أيضاً ، **حتى كان السلاطين والأمراء يقومون على أرجلهم بالأدب التام بين يديه ، ولم يكن لهم مجال القعود لديه** . انتهى .

وقع مرةً على قلب بعض أنَّ له كِبْراً ، فأشرف عليه وقال : **إنَّ كبري من ظلِّ كبرياء الحق عز وجل . وكان يأكل من مطبخه كل يوم أربعمائة رجل وألف رجل مرةً** مما يوافق طبعه ، وترغب فيه نفسه ، وانتفع بفيضه الظاهري والباطني ألوف من الناس من الملوك والصعلوك ، وبلغ جمع كثير مرتبة الكمال والتكميل ، جزاه الله خير الجزاء .

توفي سنة خمس وتسعين وألف ، ودفن في بلدة سرهند .

مولانا سيد السادات السيد نور محمد البداواني قدس سره

كان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن ، أخذ النسبة النقشبندية المجددية عن الشيخ سيف الدين ، وبلغ عنده آخر المقامات الأحمدية ، ثم اشتغل بتحصيل الفيوض عند الشيخ الحافظ محمد محسن وصحبه سنين ، وهو من خلفاء الشيخ محمد معصوم قدس سره ومن أولاد الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ، فتشرَّف بحالات عالية وواردات سامية ، **وطرأ عليه استغراق قوي في أواسط أحواله ، ولم يصح منه إلى خمس عشرة سنة إلا في أوقات أداء الفرائض** ، وكان يحصل له تخفيف في ذلك الوقت ثم يصير مغلوب الحال كالأوّل ، ثم حصلت له أخيراً إفاقة تامة وصحو أكمل ، وكان ممتازاً بكمال الورع والتقوى واتباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، وكان له اهتمام تام في تتبع آثار النبي ﷺ ، والتأدب بآدابه ، ورعاية طريقته ، وكان لا يفارق كتب السير والأخلاق دائماً ليعمل بما فيها .

مطالب مهمات ومنافع جليلات

وضع مرةً قدمه اليمنى في بيت الخلاء على خلاف السنة خطأً ، فطرأ على أحواله الباطنة قبض عظيم ، وامتد إلى ثلاثة أيام ، ثم تبدّل حاله إلى البسط بعد تضرع كثير .

وكان يحتاط في اللقمة احتياطاً بليغاً ، وكان يخبز بيده أقراصاً ويطبخها ويجعلها قوت نفسه أيّاماً ، ويأكل منها عند اشتداد الجوع ، ثم يشتغل بالمراقبة ، وقد احْدَودَب ظهره من كثرة مراقبته .

وكان يقول : ما بقي في الطبيعة تعلق بكيفية الأغذية منذ ثلاثين سنة ، بل آكل وقت الجوع كلما تيسّر .

وكان لا يجمع بين الأدمين من كمال تورعه ، **وكان لا يأكل من طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره من ظلمة الشبهة .**

جاء طعام من بيت واحد من أهل الدنيا فقال : تظهر منه ظلمة ، ثم قال لمولانا مرزا جان جان قدس سره على وجه الالتفات : أمعن النظر في هذا الطعام ، فتوجه إليه امْتثالاً لأمره ، ثمَّ قال : إنَّ الطعام من وجه الحلال تطرقت إليه الظلمة والعفونة بسبب الرياء فيه .

وإذا استعار كتاباً من أبناء الدنيا كان لا يطالعه إلى ثلاثة أيام قائلاً بأنَّ ظلمة صحبة الأغنياء غشيت غلافه وجلده ، فإذا زالت ظلمته ببركة صحبته كان يطالعه حينئذ .

وكان مولانا مرزا جان جانان قدس سره يقول : يا أسفا على أكابر الزمان حيث لم يزوروا حضرة السيد ، فإنهم إن رأوه تزد قوة يقينهم بالقدرة الإليهة بمعاينة قدرته على خلق صاحب كمال مثله .

وكان عيناه تذرفان[1] بالدموع عند ذكره ، ويقول : إن مكشوفاته كانت في غاية الصحة ومطابقة الواقع ، بل يمكن أن نقول : ليس لأمثالنا أن نرى بعين الرأس مثل ما يراه بعين القلب .

وقال : **إنَّ نفسه القدسية كانت خالية عن التغير من مدح الناس وذمهم** .

وكان الرضى والتسليم إلى القضاء من صفته ، سألني مرة الشيخ كلشن خليفة الشيخ عبد الأحد قدس سرهما أنَّ شيخك بأيّ مقام بشَّرك ، وإلى أين بلغ سيرك وسلوكك ، فأظهرت له ما بشر به السيد وما وجدت في نفسي من حالات ذلك المقام وارداته ، فقال على سبيل التعجب والإنكار : إن شيخك يدعي دعاوى كبيرة ، فإن تلك النسبة لا تشاهد في

---

(١) ذرفت العين : دمعت ، وذرف الدمع : سال ، وذرفت العين الدمع . « مصباح » .

مقابر مشهورة ، فشكوت إنكاره إلى السيد ، فقال : لم يضيق به صدرك ، فإنّ علمه ليس بعلم الله حتى يكون محيطاً بكل شيء ، وأنا لست نبيّاً حتى يكون الإنكار عليّ كفراً ، ولا ندعي الولاية حتى ينجرَّ الإنكار إلى الفسق . ومع قوله هذا تركت ملاقاة الشيخ كلشن .

مهم

يقول شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي قدس سره : إذا أحببت من يبغض شيخك واختلطت به فإنَّ الكلب أفضل منك . فوقعت الملاقاة بيننا بعد سنة اتفاقاً ، فقال : لعلك هجرتني لإنكاري على شيخك ؟ فقلت : نعم . فقال : **قد أظهر الله لي كمال شيخك** ، فإني كنت مرةً قاعداً في السوق فجاءت جماعة الركبان فقالوا : إن هذا شيخ مرزاً جان جانان ، فدخلت البيت من خلفه ، فوجدت بيته ملآن من النور والصفاء كأنه بيت الله يظهر من كل حجر ومدر منه كيفيات إلهية لا يظهر مثله في أكثر قبور الأولياء . فذهبت عند السيد وعرضت عليه مدح الشيخ كلشن ، **فكما أنّ ذمّه لم يؤثر فيه كذلك مدحه لم يكن موجباً لانبساطه** .

توفي قدس سره يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة بعد ألف . روح الله روحه ونور ضريحه وأفاض علينا من بركاته .

قيّوم الطريقة الأحمديّة محْي السنة النبوية فريد عصره

شمس الدين حبيب الله مرزا جان جنان قدس سره

هو من السادات العلوية ، ويتَّصل نسبه بسيدنا علي كرم الله وجهه بثمان وعشرين واسطة بتوسط محمد بن الحنفية .

ولادته سنة إحدى عشرة بعد المائة وألف ، وقيل : سنة ثلاث عشرة ومائة وألف يوم الجمعة الحادي عشر من رمضان ، وكانت آثار الرشد والهداية ظاهرة في جبينه ، وأنوار الدراية والولاية لائحة من حركاته وسكونه .

وكان آباؤه الكرام وأجداده العظام من الأمراء الفخام ذوي الاحتشام ، وكانوا موصوفين بالأخلاق الحميدة والأوصاف الجميلة ، ومعروفين بالمروءة والعدالة والشجاعة والسخاوة وكمال الديانة .

ثم لما بلغت النوبة والده الماجد ترك الجاه والمنصب باختياره واختار دولة الفقر والقناعة ، وقسم أسباب المنصب والجاه على الفقراء والمساكين لرضاء مولاه ، واهتم في تربية ولده مولانا مرزا جان جنان اهتماماً تامّاً وأكد عليه في تقسيم أوقاته لكسب الكمالات في صغر سنِّه لئلا يضيع عمره الشريف الذي لا بُدَّ له فيما لا يعنيه ، وعلَّمه الآداب السلطانية ، والفنون العسكرية ، وسائر الصنائع الضرورية والمعارف اللازمة ،

من لم يعرف شيئاً لا يعرف قدر أربابه

وكان يقول له : لو كنت أميراً كما هو دأب آبائك وأجدادك تعرف قدر أرباب الصنائع والمعارف ، فإن من لم يعرف شيئاً لا يعرف قدر أربابه ، كما قيل . شعر :

لا يعرف الوجد إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعاينها

وإن اخترت الفقر والتجرُّد كما هو مرضاي وظني فيك ، فلا تقع حاجتك على أهل المعارف والصنائع .

فصار ماهراً كاملاً في جميع الفنون بحيث إذا التقاه صاحب صنعة من الصنائع كان يعترف بمهارته وكماله فيها ، وكان يعرف خمسين نوعاً من تقطيع السراويل .

وكان يقول : **إذا حمل عليّ عشرون رجلاً مجردين سيوفهم وفي يديّ عصا صغيرة لا يقدر واحد منهم أن ينال مني .**

وقال : رأيت مرةً في المنام سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فأظهر لي ألطافاً وعناية كثيرة ، وكنت وقتئذ ابن تسع سنين ، وإذا جرى ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الأوقات كانت صورته المباركة تظهر لي في الحال ، **وقد رأيته بعين الرأس مراراً** وقال : إنَّ الله سبحانه جعل طبيعتي في غاية الاعتدال وأودع في طينتي حظاً وافراً من رغبة اتباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

ذهبت مرةً في صغر سني لزيارة الشيخ عبد الرحمن القادري عليه الرحمة مع والدي الماجد ، وكان هو شيخه ، وقد ظهرت منه كرامات وتصرفات ، ولكن كان يتساهل في أفعال الصلاة ، وكانت في قلبي نفرة منه من تلك الحيثية ، وكنت خائفاً من تكليف والدي بالبيعة إياه ، **فإنَّ تارك السنة المصطفوية لا يصلح للاقتداء** ، فسألت والدي يوماً : ما سبب مساهلته في أفعال الصلاة ؟ فقال : لغلبة السكر عليه فهو معذور في ذلك ، فقلت : أيصير مغلوب السكر والحال في أوقات الصلاة ويصحو في سائر الأفعال والأوقات ؟ فقال متحيِّراً : إن الحق سبحانه رزقك الفهم والذكاوة للاعتراض على شيخي ، فكان هذا السؤال سبباً لامتناعه مما خفت منه .

وكان العشق والوله مركوزاً في طبيعته ، وآثار الهيام[1] والغرام[2] ظاهرة من سجيته في صغر سنه حتى اشتهر بين الناس بصفة العشق وسمة الوله[3] وهو ابن خمس .

وكان يقول : **الحسن ما حسنه الشرع ، والقبح ما قبحه الشرع ،** فإن كان في طريق الورع والتقوى أنوار وصفاء ، ولكن في طريق المحبة والهوى من لوعة الغرام أذواق وصهباء ، وبالجملة أنه قدس سره ما ترك مسلكاً من مسالك الكمالات إلا سلكها ، وما سلك مسلكاً يطلب فيه الفضائل إلا ملكها حتى فرغ من كسب الكمالات الظاهرية من العلوم النقلية والفنون العقلية بأسرها فروعها وأصولها في سن ثمان عشرة سنة ، ثم مع جميع هذه الكمالات لم يسكن قلبه إليها أصلاً ، بل صرف باز همته إلى طرف الصيد المقصود الأصلي .

وسمع في ذلك الأثناء أوصاف سيد السادات السيد نور محمد البدواني قدس سره الكاملة ، فبمجرَّد سماع أوصافه اشتاق قلبه إلى لقائه ، فوصل إلى صحبته ، فوجده فوق ما سمعه في كمال التشُّرع واتباع السنن النبوية والتخلق بالأخلاق الإلهية ، واستغرق في أنوار صحبته المباركة للورثة لصفاء القلوب الموجبة لجلاء الكروب وقرة عين يقينه من معاينة الشاهد المقصود فيه ، واطمأن قلبه هناك لما بان له أن شهود الحق إنما يتيسر بملازمة عتبة العلية .

فسأله السيد عن سبب مجيئه ، فعرض عليه غرضه من استفادة نسبة الأكابر ، فقبله ولقّنه الطريقة ، وتوجَّه إليه بلا توقُّف مع أنه كان لا يقبل أحداً من غير استخارة ، **فجرت لطائفه الخمس بالذكر في أول**[4]

---

(١) والهيام بالكسر : الإبل العطاش . « مصباح » .

(٢) وأغرم بالشيء بالبناء للمفعول : أولع به . « مصباح » .

(٣) وَلَهَ . . إلخ : إذا ذهب عقله من فرح أو حزن . « مصباح » .

(٤) وقد رأينا واحداً من مريدي شيخنا العسلي قدس سره من تحركت لطائفه كلها بالذكر في أول التوجه أيضاً ، ولله الحمد والمنّة . (منه) .

التوجه ، وذلك من خصائصه قدس سره . وكان مشرفاً بالتجلي الصفاتي **وتأثر باطنه تأثُّراً تامّاً حتى رأى نفسه في المرآة في صورة شيخه وهيئته** ، وظهرت فيه محبة تامة وعقيدة راسخة ولوعة وهيام ، حتى ترك الطعام والمنام واختلاط الأنام بيمن صحبته ، وصار يدور حول الخرابات حافياً حاسراً رأسه ، **وكان يقنع بأكل قليل من أوراق الشجر عند اشتداد الجوع** .

وكان ملازماً له إلى أربع سنين ، ثم شرفه بإجازة تعليم الطريقة ، وإلباس خرقة الصوفية ، ولما توفي السيد اقتبس الأنوار من مرقده إلى ست سنين حتى ترقى حاله بتوجهات روحانيته من السير في الصفات والشؤونات وأصولها ، ووقعت المعاملة في تجليات اسم الباطن ، ووقعت الكيفيات الغريبة والحالات العجيبة في نسبته .

ثم رأى السيد مرة في منامه فقال له : إن الكمالات الإلهية غير متناهية ، واللازم على الطالب الصادق أن يصرف عمره المتناهي في طريق طلب شيء لا يتناهى ، والاستفادة من القبور غير واقع ، فينبغي الرجوع لتحصيل مقامات القرب الإلهي إلى واحد من أكابر الأحياء .

وصدر عنه هذا الأمر غير مرة ، فجاء عند الشيخ شاه كلشن المار ذكره وأظهر له إرادة كونه في صحبته ، فقال : أنا رجل غير مقيد بآداب الطريقة مثل الملامتي أستمع السماع في بعض الأوقات ، وأصلي أحياناً منفرداً ، وأنت كامل التشبث بالسنة النبوية ، والموافقة من شرط الاستفادة ، فعليك بالرجوع إلى محل آخر ، فرجع إلى الشيخ قطب عصره محمد زبير حفيد الشيخ حجة الله النقشبند ، وخليفته ابن الشيخ محمد معصوم قدس سرهم ، فأظهر له التفاتاً كثيراً ، وقال لأولاده : إنَّ ملاقاة أمثال هذه الأعزَّة المتصفين بالآداب الظاهرية والباطنية ، ينبغي أن تعد لازماً ، فقبَّل مولانا قدمه وأظهر له إرادته ، فقال : أنت منا ، ومن شرط هذه الطريقة

دوام الصحبة ، ومحل إقامتكم بعيد ، فلا يمكن حضور الصحبة في كل يوم ، والنسبة التي حصلت لك من السيد أصيلة وغزيرة ، فإن اجتهدت في محافظتها تكفيك .

ثم رجع إلى الشيخ الحاج محمد أفضل قدس سره والتمس منه التوجهات ، فقال له : **إن سلوكك كان على وجه البصيرة ، وحصل لك كشف المقامات ، وليس لنا كثير كشف وعلم بالمقامات ، فلا تكون الاستفادة على أحسن الوجوه** ، ومع قوله هذا اختار الاستفادة منه وأقام عنده مدة عشرين سنة ، وحصل منه فوائد جمة في ضمن تحصيله علم الحديث ، وظهرت قوة في عرض نسبته .

قال قدس سره : كان له استغراق في نسبة رسول الله ﷺ عند ذكر الحديث ، وربما كانت تظهر منه الأنوار والبركات في تلك الحالة ، وكان صحبة النبي ﷺ حصلت معنى ، فإنه كان يشاهد توجه النبي ﷺ في ذلك الأثناء ، وظهر نسبة كمالات النبوة في غاية الوسعة وكثرة الأنوار ، واتضح معنى قوله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » ، فكان الشيخ المذكور شيخه في الحديث وشيخه في الصحبة .

ثم رجع إلى الشيخ الحافظ سعد الله رحمه الله خليفة الشيخ محمد صديق ، فاختار فيه خدمة حمل نعليه ، وصحبه اثنتي عشرة سنة ، وحاز فيها فوائد جمة ، وحصلت وسعة في نسبته ، وقد توجه إليه في تلك المدة مرة واحدة لعدم طاقته وقوَّته على توجُّه لضعفه وكبر سنِّه .

فرجع إلى حضرة شيخ الشيوخ محمد عابد السنامي قدس سره فاستفاد منه إلى ثمان سنين ، وقال : استفدت الولاية الثلاثة مع كيفياتها وعلومها وارداتها من السيد قدس سره ، واكتسب الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة وغيرها بتوجهات الشيخ عابد رحمه الله في مدة سبع

سنين ، ثم توجه إليَّ من جميع المقامات من أولها إلى آخرها في سنة واحدة ، وسلك بي فيها بالسير المرادي ، فحصلت فيَّ كيفيات جميع المقامات وحالاتها قوة أخرى ، فأجاز له الشيخ عابد في الطريقة القادرية والجستية والسهرودية أيضاً ، وبشَّره بضمنيته المعروفة عند هذه الطائفة الموروثة ممن قال له النبي عليه الصلاة والسلام : « ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر »[١] ، وقال : « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، وإنما هو بشيء وقر في نفسه » .

وقال مرة في حقه حين كونه قاعداً في مقابلته : إن شمسين قد تقابلتا لا يمكن تمييز إحديهما عن الأخرى من غاية تشعشع أنوارهما ، فإن توجهتا لتربية الطالبين لنوَّرتا العالمين .

وقال شيخه الحافظ سعد الله في حقه : أنت بمنزلة والدي . وسوى السيد يوماً نعله وقال : إن لك قبولاً تامّاً عند الله . وقام له شيخه محمد أفضل وقال : قمت تعظيماً لنسبتك .

مهم

وقال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي : إنَّ جميع وجه الأرض عندنا كخطوط الكف لا يخفى علينا شيء من أحوالها ، وليس في هذا الوقت مثل مرزا جانجانان أحد في إقليم من الأقاليم ولا في بلدة من البلاد .

وبالجملة استقر في مسند الإرشاد والخلافة بأنواع الكشوف والتصرفات بعد شيوخه الأربعة ، وتزين مسند الخلافة بوجوده المسعود وتعلق ترويج الطريقة بذاته المحمود ، فرجع إليه الطالبون من كل الجهات

---

(١) والحديث وإن عدَّه ابن حجر من الموضوعات فقد أثبته أكابر السادات في كثير من كتبهم ، ولعلهم علموا عدم كونه من الموضوعات ، وإلا لما جازهم أن يذكروه في كتبهم ، والله أعلم . (هامش الأصل) .

والجوانب ، وشاع ذكره بين الأصحاب والأجانب ، وجلس في مسند الإرشاد ودعوة العباد إلى ثلاثين سنة بكمال الاتباع للسنة النبوية ، وغاية الاستقامة في الطريقة الأحمدية ، ونوّر العالم بفيوضاته الباطنية الأسْعَدية ومن أنفاسه القدسية ، **إنَّ الاشتغال بالطريقة إنما هو لحصول المحبة الإلهية ، ويكون فرط المحبة أحياناً من المواهب ، ولكن المداومة على الذكر من فرائض طريق أولياء الله تعالى ، فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإن القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير ، فإن ظهرت غيبوبة أو كيفية أخرى في أثناء الذكر ينبغي أن يجتهد في حفظها ، فإن اختفت ينبغي أن يجتهد في الذكر ثانياً بتمام التضرع وكمال الانكسار ، وليداوم السالك على الذكر بهذا الوجه حتى يحصل له دوام الكيفية والحضور .**

مهم : الإيمان الإجمالي كاف في النجاة

وقال : إن الإيمان الإجمالي بأن يقول : آمنت بالله وبرسوله وبما جاء به النبي ﷺ واجب ، وحبُّ ما يحبُّه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله كاف في النجاة ، وإثبات كل مقدمة بدليل إنما هو شأن العلماء المتبحِّرين ، وليس عامة المسلمين مكلفين بذلك .

وقال : إنّ تعظيم أولياء الله تعالى ومحبة عامة المشائخ الكرام لازم ، ومن اعتقد في شيخه أفضلية على غيره من فرط محبته له لانتفاعه به واستفادته منه لا يستبعد ذلك منه . وقال : إن العمل بالعزيمة وتحرِّي طريق التقوى في غاية التعذر في هذا الوقت لفساد المعاملات ، وكأنَّ العمل بموافقة الشرع الشريف صار موقوفاً ، فإن تيسر العمل بموافقة الرواية الفقهية وطبق ظاهر الفتوى مع اجتناب محدثات الأمور والبدع ، فهو غنيمة في هذا الزمان .

مهم

وقال : ينبغي للسالك أن يعمر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سره وهمته عن التوجه إلى غير مفهوم لفظ الجلالة حتى تكون ملكة حضوره راسخة .

وقال : إن حاصل هذه التكلفات هو تهذيب الأخلاق على وفق مكارم صفات النبي ﷺ ، فإنه لعلى خلق عظيم . وقد ورد في الحديث : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وتنقص الصفات البشرية من تكرار النفي والإثبات ، وطريقته أن ينفي كل صفة من الأوصاف الذميمة على حدة بكلمة (لا) عند تكرار الكلمة الطيبة أياماً ، وأن يثبت مكانها حب الله تعالى حتى تزول عنه تلك الصفة الذميمة .

وينبغي كسب المقامات على خلاف هوى النفس ، فعسى أن تبدل الذمائم بالمحامد عند رعاية ذلك .

وقال : إن الحق أن الصفات الرذيلة تنكسر قوتها بعد التصفية والتزكية ، وأما استئصالها بالكلية فليس ذلك بممكن ، فكيف وقد ورد في الحديث : « إذا سمعتم أن جبلاً انقلع عن مكانه فصدقوه ، وإذا سمعتم أن جبلة أحد زالت عنه فلا تصدقوه ، لا تبديل لخلق الله » ، وقال سيدنا عمر بن خطاب رضي الله عنه : (إن غضبي لم يزل عني ، ولكن كان أولاً في كفر صرف ، والآن يظهر في حماية الإسلام) .

وقال : إن دوام المراقبة يورث القوة في نسبة الباطن وإشراف الملك والملكوت بنظر الموهبة ، وكثرة ذكر تهليل يورث فناء الصفات البشرية ، والإكثار من الصلوات على النبي ﷺ يورث الواقعات الحسنة ، ويحصل الانكسار والتواضع من كثرة النوافل ، ويزيد النور والصفاء من كثرة التلاوة ، وذكر التهليل مفيد في الطريقة بشرط ملاحظة المعنى ، **وأما مجرد تكرار اللفظ فهو من بضائع ثواب الآخرة .**

وقال : إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمر لنسبة الجذبة الإلهية ، ويفيد النفي والإثبات في السير والسلوك وقطع مسافة الطريق .

وقال : إن إدراك كيفيات الحالات الباطنية يرى محفوظاً في مرتبة الولايات ، وأما في مرتبة كمالات النبوة فلا شيء يوجد من أوصاف الباطن غير النكارة والجهالة ؛ وأما فيما فوق كمالات النبوة وإن كانت اللطافة واللا لونية لازمة فيه ، لكن يمكن فيه إدراك كيفيات الأحوال في الجملة .

وقال : إن لطافة النسبة المجددية ولا لونيتها سبب لإنكار الناس عليها ، ولذلك إذا وصل سير السالك إلى الكمالات يحصل لي شكٌّ وتردُّد أنه هل ترك الطريقة وانقطع عن السير والسلوك ، فإن وفى العمر أوصل السالكين إن شاء الله تعالى في المقامات السافلة إلى المقامات العالية .

وقال : ومن أجلة النعماء الإلهية في حق الفقير سوقه عبده هذا نحو المشائخ المكرمين ، وإثبات محبتهم ورسوخ عقيدتهم في قلبي خصوصاً السيد والشيخ عابد رحمهما الله ، **وإن لم أجد شرف صحبته ﷺ ولكن أشكر الله سبحانه ألف ألف مرة على حصول سعادة صحبة هؤلاء الأكابر نائبي رسول الله ﷺ وقد حصل بذلك ثمرة الحياة** .

وكان قدس سره موصوفاً بكمال الزهد والتوكل ، وكان له استغناء تام عن الدنيا وأهلها ، **وكان لا يقبل هداياهم إلا قليلاً** ، وكان يقول : وإن ورد المنع عن رد الهدية ، ولكن لم يرد الأمر بوجوب أخذها أيضاً ، وما هو يقين الحلية فآخذه بركة ، فإن جاء أحد من أصحابي بشيء من الهدايا على وجه الإخلاص والاحتياط ، فأقبله ؛ وأما هدايا الأمراء والأغنياء فلا يخلو أكثرها عن شبهة تعلق حقوق الناس ؛

وما هو كذلك يعسر الخروج عن عهدة حساب يوم الحساب ، لما ورد في سنن الترمذي : « لا يزول يوم القيامة قدما ابن آدم حتى يسأل عن خمس : عن عمره في ما أفناه ، وعن شبابه في ما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم » ، فالتأمَّل في أخذ الهدايا ضروري .

قيل : كان مرة في أيام شدة البرد مرتدياً برداء خلق فقط ، وكان النواب خان فيروزجنك حاضراً فيه ، ففاضت عيناه بالدموع من مشاهدة هذا الحال ، فقال لواحد من مصاحبيه : **ما أسوأ إقبالنا وما أبعدنا عن السعادة حيث إنَّ وليّاً من أولياء الله قد ثبت انتسابنا إليه ومع ذلك لا يقبل هديتنا ، فقال له حضرة مولانا : إني نويت الصوم من قبول هدية الأغنياء ، وقد حان الآن وقت غروب شمس العمر ، فإن أفسدت صومي يلزم عليَّ لكفارته عشرة لكوك من الروبية .**

وكان يقلّ أيضاً من أكل طعامهم قائلاً : بأنّ ظلمة طعامهم تكدِّر نسبة الباطن . ولهذا قيل : شر الطعام طعام الأغنياء .

وكان قدس سره ذا كشف صحيح وفراسة صادقة ، قال : إني أعرف الناس من نظرهم أنه ما جوهره الإنساني ، وكيف استعداده ، وذلك بيمن تربية والدي الماجد وأقرأ بنور الطريقة حرف السعادة والشقاوة من جبينهم ، فأميز بذلك الجنتيّ عن الجهنميّ .

وكان بيانه من الكشف الكوني والكشف القلبي وكشف القبور وكشف المقامات يطابق الواقع ، وتفصيله ينجر إلى التطويل ، وفي ذلك كفاية للمكتفي .

ولما انتفع به ألوف من الرجال ، وتشرَّف زهاء[1] مائتين بالإجازة والخلافة ، وبلغ من جملتهم خمسون رجلاً نهاية المقامات الأحمدية ، وصاروا أدلاء أرباب الطريقة العلية ، وحان له من هذا الحضيض الرحيل نودي إلى جوار الملك الجليل ، وقرع مقرعة[2] التحويل ، فتوفي شهيداً ليلة السبت العاشر من محرم بعد المغرب سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف رحمه الله رحمة واسعة وقدس سره ونور ضريحه . وأرخوا سنة وفاته بهذه الكمالات : عاش حميداً ومات شهيداً ، وأيضاً بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ . ودفن في بلدة دهلي ، يزار[3] ويتبرك به .

قطب فلك الإرشاد وغوث الأبدال والأوتاد ومجدّد المائة الثلاثة عشر نائب خير البشر عبد الله المشتهر بشاه غلام علي الدهلويّ قدس سره

ولادته سنة ثمان وخمسين وألف في قصبة[4] تباله من نواحي ينجاب ، يتصل نسبه بسيدنا علي كرم الله وجهه ، وكان والده الماجد الشيخ عبد اللطيف رجلاً مرتاضاً كثير المجاهدة ، رأى قبل ولادة الشيخ عبد الله سيدنا عليّاً كرم الله وجهه في منامه يقول : سمّ ولدك باسمي ، ولما ولد سماه عليّاً ، فلما بلغ سن التمييز سمى نفسه بغلام علي تأدباً ، واشتهر به ، وكان له عمٌّ جليل القدر ، حفظ القرآن الكريم في شهر واحد ، فسماه بعبد الله بأمر رسول الله ﷺ ، ولعله في المنام ، أو في المبشرات .

---

(١) أي : قدر مائتين ، راجع .
(٢) وقرعته بالمقرعة : ضربته بها . « مصباح » .
(٣) لعله وقبره فيها يزار . .إلخ . (هامش الأصل) .
(٤) وقصبة البلاد : مدينتها . « مصباح » .

طلبه والده عن وطنه الأصلي لأخذ البيعة عن شيخه ناصر الدين القادري ، **وكان ممن صحب الخضر عليه السلام** ، فتوفي هذا الشيخ ليلة وصوله إليه بقضاء الله سبحانه وتعالى ، فقال له والده : كنت طلبتك للبيعة فلم تتيسّر ، فخذ الطريقة الآن ممن تشم منه رائحة الرجال ؛ فتردَّد إلى مشائخ دهلي الموجودين في ذلك الوقت ، ولكن لم يطمئنّ قلبه إلى واحد منهم ، ولما وصل إلى خانقاه مولانا مظهر[1] الشهيد سنة سبعين ومائة وألف ، وكان عمره إذ ذاك قد بلغ اثنتين وعشرين ؛ أنشد لسان حاله على حسب حاله . شعر :

وجـــدت لـســجدات المحبة سدّة　　　وحين قصدت الأرض ألفيت أفلاكا

فالتمس منه الطريقة ، فقال له : اذهب إلى محل فيه ذوق وشوق ، فإن هنا لحس[2] حجر بلا ملح ؛ فقال : هو هذا المنظور لديّ ؛ فقال له السيد : إذاً يبارك لك .

فبايعه في حينه ، وواظب على حلقة الذكر والمراقبات إلى خمس عشر سنة بكمال الرياضات والمجاهدات الشاقة ، والصبر على الفقر والفاقة مع الإكثار من الأذكار والمداومة على الاستغفار ، **وكانت وظيفته اليومية من النفي والإثبات عشرة آلاف ، وتلاوة القرآن عشرة أجزاء ، غير التهليل اللساني واسم الذات وسائر الأوراد والصلوات** .

وقد قاسى الشدائد في بداية حاله ، وكان له أولاً شيء من وجه المعاش ، فتركه واختار التجريد والتوكُّل ، **ولم يترك في حجرته شيئاً غير حصير بال ولبنة يضع رأسه عليها** .

---

(١) وهو حبيب الله المار ذكره . (منه) .

(٢) لحس القصعة وغيرها : أخذ ما عليها بلسانه أو إصبعه . « معجم لغة الفقهاء » .

قيل : أغلق باب حجرته مرة من داخل وقال : إن مت مت في هذه الحجرة ، فوصل إليه تأييد إلهي ، وجاء شخص وقال : افتح الباب ، فلم يفتح ، ثم قال : افتح الباب فإن لي معك شغلاً ، فلم يفتح ، فرمى روبيات من شق الباب ومضى ، ففتح له باب الفتوح من هذا اليوم .

وكان يعمل على وفق الحديث النبوي ، وأخذ السند في الحديث من أولاد الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي ، وحفظ القرآن عند مرشده ، ولكن كان يخفيه عن الناس ولا يطلع أحداً عليه .

وكان قليل المنام وقليل الطعام ، فإذا رأى أحداً من أصحابه في نوم الغفلة وقت التهجد كان يوقظه ، **وكان الأغنياء يرسلون إليه أطعمة مطبوخة بالتكلفات ، فلم يكن يأكل منها ، بل كان يكره أكلها للطالبين أيضاً ، وكان يقسمها على جيرانه** ، وكان يحيي أكثر الليالي بالذكر والمراقبة ، وكان نومه قعوداً على هيئة الاحتباء ، ولم يكن يمد رجليه من غاية الحياء إلا قليلاً ، حتى كان موته على هيئة الاحتباء ، وكانت غلبة الحياء عليه على وجه لم ينظر إلى وجهه في المرآة فضلاً عن النظر إلى وجوه الناس .

وكان بعض أرباب الحاجة يأخذ شيئاً من أملاكه من غير إذنه ، فإذا رآه كان يقلب وجهه إلى جهة أخرى تغافلاً عنه .

وكان بعضهم يأخذ كتابه ثم يجيئون بذلك الكتاب للبيع عنده ، فيعطي قيمته ويأخذه ؛ فإذا قال له شخص أحياناً : إن هذا الكتاب من كتبكم والعلامة موجودة فيه كان يمنعه بالعنف ويقول : إن كاتباً واحداً يكتب كتباً متعددة فيجوز أن يكون مثله لا عينه ، وكان يلبس الثياب الخشنة ، فإذا أرسله شخص ثوباً نفيساً كان يبيعه ، وكان ذلك عادته الكريمة في سائر الأشياء ، فيشتري بثمنه ثياباً متعددة ويتصدق بها ويقول : إن انتفاع أشخاص أفضل من انتفاع واحد .

ولم يكن يذكر شيء من الدنيا في مجلسه الشريف ، وكان مجلسه مثل مجلس سفيان الثوري ، فإن تكلم فيه أحد بغيبة شخص كان يقول : **إن أحق الناس بالذكر بالسوء أنا** .

ذكر شخص مرة السلطان شاه عالم بسوء ، وكان هو قدس سره صائماً ، فقال : يا أسفا ! قد ذهب الصوم ، فقال له أحد الحاضرين : إنكم ما ذكرتم أحداً بسوء ، فقال : نعم ما قلت شيئاً ولا ذكرت أحداً بسوء ، ولكني استمعت والمستمع شريك القائل .

وكان عادته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان لا يأخذه في ذلك لومة لائم ، وكان الملوك والصعلوك سواسية عنده في ذلك ، وكان تركه وتجريده على وجه كان سلطان الوقت وسائر الأمراء كثيراً ما يتمنون تعيين شيء لخرج الخانقاه ، فلم يقبل ذلك منهم أصلاً .

وكثيراً ما كان يقول : إن مطمعنا ومطمح نظرنا المواعيد الإلهية . قال الله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ، فكفى الله جميع مهماته الدنيوية والدينية ، وأرسل مصارف رباطه من الغيب حتى كان يأكل من رباطه زهاء مائتين تقريباً ، وكان معاشهم يتهيأ على الوجه الأحسن ، وكان يقول : **إنَّ في الفقر فاء الفاقة ، وقاف القناعة ، وراء الرياضة ، فمن أعطى كلاً منها حقها فقد نال فاء الفضل الإلهي ، وقاف قربه تعالى ، وراء رحمته سبحانه ، وإلا فقد حصل له فاء الفضيحة ، وقاف القهر ، وراء الرذالة .**

مهم

وقال : لا بد في هذه الطريقة من أربعة أشياء : اليد المكسورة ، والرجل المكسورة ، والدين الصحيح ، واليقين الصريح ، فاليد المكسورة أن لا تمدها إلى الأغيار بالسؤال ، والرجل المكسورة أن لا تذهب بها إلى باب الأغنياء تاركاً باب المولى المتعالي ، والدين الصحيح ما لا ينقص من آدابه شيء ، واليقين الصريح ما لا يعتريه شكّ .

وقال : إنَّ طالب ذوق وشوق وكشوف وكرامات ليس بطالب الله .

وقال : **إنَّ الصوفي** من جعل الدنيا والآخرة وراءه وأقبل بكليته إلى مولاه .

وقال : إنّ البيعة على ثلاثة أقسام : بيعة للتوسل بالمشائخ الكرام ، وبيعة للتوبة عن المعاصي والذنوب العظام ، وبيعة لكسبة النسبة والوصول إلى مرتبة الرجال الفخام .

وقال : الناس على أربعة أقسام : عديم المروءة ، وصاحب المروءة ، وصاحب الجود ، والفرد ؛ فعديم المروءة هو طالب الدنيا ، وصاحب المروءة هو طالب العقبى ، وصاحب الجود هو طالب العقبى والمولى ، والفرد هو طالب المولى فقط . وقال : **إنّ الأولياء على ثلاثة أقسام** : أرباب الكشف والعرفان ، وأرباب الإدراك والوجدان ، وأرباب الجهل والنكران ، يعني بالأحوال الحاصلة والعرفان .

وقال : إن العقل النوراني ما يدل على المقصود من غير دلالة أحد ، والظلماني ما يسلك الطريق بمصباح هداية المرشد .

وقال : ينبغي للطالب أن لا يغفل عن المطلوب لمحةً . شعر :

هذا شرب محبة يا خسروا   من غير بذل الروح كيف تذوقه

وقال : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ورأس كل خطيئة كفر ، فينتج من هاتين المقدِّمتين أنّ حبَّ الدنيا كفر .

وقال : إنَّ علامة زوال العين أن لا يقدر السالك على أن يقول : أنا ، كما قال الخواجه عبيد الله أحرار قدس سره : **ما أيسر أن يقول أنا الحق ، وما أعسر إزالة أنا وما أشكلها** .

وقال : إن في الطريقة المجددية أربعة أنهار جارية : النقشبندية ، والقادرية ، والجستية ، والسهروردية ، لكن الأولى غالبة .

وقد بلغ قدس سره مرتبة التعشُّق برسول الله ﷺ ، **فإذا ذكر اسمه الشريف عنده كان يضطرب من شدة وجده به** . وكان له نهاية الذوق من أسرار القرآن العظيم ، وكان يستمعه في صلاة الأوابين والتهجد من الشيخ أبي سعيد قدس سرهما ، **فإذا استمعه كثيراً في أوقات الشوق كان يمرض من الوجد** ويقول : يكفي ، لا طاقة لي على الاستماع أزيد من ذلك .

وكان يستمع أحياناً أشعار الأشواق ويعرض له الوجد من ذلك ، ولكن لما كان كالجبل في التمكين كان يضبط نفسه عن إظهاره ، ويقول : إن أبا الحسين النوري كان مرةً يرقص وسيد الطائفة الجنيد قاعد فيه ، فقرأ النوري : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ، فقرأ الجنيد : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ ، **فإن الجنيد كان في نهاية الاستقامة ، ولذلك ضبط نفسه عما يخالف السنة ؛ وكان تواضعه وانكساره مع وجود هذه الكمالات على مرتبة إذا دخل كلب بيته كان يقول : إلهي من أنا حتى أتوسل إليك بأوليائك ، فارحمني بحق مخلوقك هذا . وكذلك إذا جاءه شخص لطلب الحاجة كان يتقرب به إلى الله تعالى** .

فجلس بهذه الكمالات في محلّ شيخه على مسند الإرشاد لهداية العباد ، وتوجه إليه الطالبون من جميع البلاد من الأقطاب والأوتاد ، بعضهم بأمر النبي ﷺ في المنام ، مثل السيد إسماعيل المدني ، والشيخ أحمد الكردي ، وبعضهم بدلالة أكابر الأنام مثل مولانا الشيخ خالد الرومي ، والشيخ محمد جان الباجوري وغيرهم قدس سرهم .

والحاصل أنّ خوارق عاداته وكشوفه وكراماته وكثرة إرشاده خارجة عن حد البيان ومستغنية عن التبيان ، وقد انتشر خلفاؤه وخلفاء خلفائه في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، ولا يزالون

متزايدين على مرور الأزمان والأيام ، ولا يخفى ذلك على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وما انفكَّ ينتسب إليه من الخواص والعوام من أدركه اللطف الإلهي وهو عند الله سعيد على رغم من أنكر فضلهم لخبث باطنه وهو عن السعادة بعيد .

توفي قدس سره يوم السبت الثاني والعشرين من صفر بعد الإشراق سنة أربعين ومائتين وألف ، وهو قاعد على هيئة الاحتباء ، مستغرقاً في مشاهدة جمال المولى ، رحمة الله عليه رحمةً واسعة . انتهى من « النفائس السانحات » باختصار ، رزق الله تعالى مؤلفه ما فيه صلاحه في الدارين ، ورفعه بمحض فضله إلى أعلى مقامات المقرَّبين ، آمين اللهم آمين .

الشيخ المشهور خالد شاه أبو البهاء ذو الجناحين ضياء الدين الشهرزوريّ

الأشعري عقيدة ، الشافعي مذهباً ، النقشبندي المجددي طريقة ومشرباً ، القادري السهروردي الكبروي الجستي إجازة ، ابن أحمد بن حسين العثماني نسباً .

وكان قدس سره عالماً متبحِّراً في جميع العلوم ، وصاحب أخلاق حميدة ومناقب سديدة ، وبارعاً[1] في النثر والنظم قبل بلوغ الحلم ، مع تدريب[2] لنفسه على الزهد والجوع والسهر والعفة والتجريد والانقطاع على قدم أهل الصفة .

---

(١) برع : إذا فضل في علم أو . .إلخ . « مصباح » .

(٢) درب الرجل . .إلخ : والاسم الدربة وهي الضراوة والجراءة . « مصباح » . الدارب : الحاذق في صناعته . « مصباح » .

وكان قدس سره يدرس في العلوم ، وينشر المنطوق منها والمفهوم غير راكن إلى الدنيا ولا إلى أهلها مقبلاً على الله تعالى ، متبتِّلاً إليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها ، لا يتردد إلى الحكام ، ولا يحابي أحد[1] في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبليغ الأحكام لا تأخذه في الله لوم لائم ، وكان نافذ الكلمة ، محمود السيرة ، يأخذ بالعزائم حتى صار محسودَ صِنْفِه عزيزاً في وصفه مع الصبر على الفقر والقناعة واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة ، وحيث حل من المدارس كان فيها الأتقى الأورع السابق في ميادين التحقيق كلَّ فارس ، لا يسأل عن مسألة من العلوم الرسمية إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولا يمتحن بغويصة من « تحفة » ابن حجر أو « تفسير البيضاوي » إلا ويكشف عن وجوه خرائد الفوائد النقاب وهو يستفيد ويفيد ، ويقرِّر ويحرِّر ، فيجيد إلى إنصاف وذكاء خارق وقوة حافظة ، بذهن حاذق ، ومهما وقف في درسه على ما يريد يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه القائل لسان حاله : هل من مزيد ، وطالما ألقى السؤال واستشكل الإشكال فلم يكن المجيب إلا هو بأبدع منوال ، هذا مع تصاغره لدى الأساتذة والأقران وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان ، حتى إنه يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك إلى قراءته بتحقيق يتحير فيه أهل مادته ، فاشتهر خارق علمه ، وطار إلى الأقطار حيث تقواه وذكاؤه وفهمه .

مهم

وكل من اجتمع به من العلماء وجدوه بحراً لا ساحل له وأقر الكل بالفضل له ، وكان قدس سره يحل لهم ما أشكل عليهم من المسائل بأبلغ مقال .

---

(١) وفي نسخة : ولا يحابي أحداً .

وكان قدس سره يباشر تدريسه بعد رجوعه من سفر الحج بزيادة على زهده الأول ، وعده الحسنات الأول سيئات ، مستقيماً على أحسن الأحوال ، متشوقاً إلى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال إلى أن أتى السليمانية شخص هندي من مريدي شيخه الآتي وصفه ، فاجتمع به وأظهر احترامه واشتياقه لمرشد كامل يسعفه ، فقال الهندي : إنَّ لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عاملاً ، عارفاً بمنازل السائر إلى ملك الملوك ، خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، نقشبندي الطريقة ، محمدي الأخلاق ، علماً في علم الحقيقة ، فسِرْ معي حتى نرحل إلى خدمته في جهان آباد ، وقد سمعت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المراد .

فانتقش القول في قلبه ، وأخذ بمجامع لبّه ، وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس والوظائف ، فرحل سنة ألف ومائتين وأربعة وعشرين إلى أن وصل دار السلطنة الهندية دهلي المعروفة بجهان آباد ، **وبعد الوصول تجرد ثانياً عما عنده من حوائج السفر ، وأنفق كله على المستحقين ممن حضر ، فأخذ الطريقة العلية النقشبندية** بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها على شيخ مشائخ الديار الهندية ، ووارث المعارف الإلهية والأسرار المجددية ، قطب الطرائق وغوث الخلائق ، العالم النحرير الفاضل والعَلم الفرد ، المكمَّل الكامل ، حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره ، واشتغل بخدمة الزاوية مع الذكر الملقَّن مع المجاهدة ، فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة ، وبشره شيخه بِبَشَارات كشفية قد تحققت بالعيان ، وحل منه محلّ إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم ، وكسره لدعاوى النفس بالرياضات الشاقة ، وتكليفها خطط[1] العدم ، فلم

---

(١) الخطة المكان : المختط لعمارة ، والجمع خطط . « مصباح » . والخطة بالضم : الحالة والخصلة . « مصباح » .

ورمدته رمدا ، من باب ضرب : أهلكته وأتيت عليه ، والاسم الرمادة بالفتح ، ومنه عام الرمادة الذي هلك الناس فيه زمن عمر من الجدب ، سمي بذلك لأنّ الأرض صارت كالرماد من المحل . « مصباح » .

تكمل عليه السنة حتى صار الفرد الكامل العلم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأجازه شيخه المذكور بالإرشاد وخلفه الخلافة التامة في الطرائق الخمسة : النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجستية ، وأجاز له جميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف وأحزاب وأوراد ، واجتمع بإشارة من شيخه قدس سره بالعالم الفاضل المدرِّس الواعظ الصوفي الكامل صاحب التآليف النفيسة في التفسير ورد الروافض بأبلغ تحرير ، الشيخ المعمر المولى عبد العزيز الحنفي النقشبندي ابن العالم العامل المولى الكامل ولي الله الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى ، فأجاز له روايات الصحاح الستة وبعض الأحزاب ، وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله : صاحب الهمة العلية في طلب الحق ، ثم أرسله بعد ملازمته سنة بأمر مؤكَّد لم يمكنه التخلف عنه إلى هذه الأقطار والبلاد ليرشد المسترشدين ، ويربِّي السالكين بأتقن إرشاد ، وشيّعه بنفسه نحو أربعة أميال ليأتي أوطانه ممتثلاً للأمر الواجب الامتثال سائراً في طريقه برّاً مدة ، وبحراً نحو خمسين يوماً لم يطعم طعاماً فيه ولم يشرب الماء ، متغذياً متروياً بالعبادة والذكر والمشاهدة والزهادة ، حتى خرج من بندر مسقط إلى نواحي شيراز ويزد وأصفهان يعلن الحق أينما كان ، وكم مرة تجمع بعض الروافض لضربه وقتله بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله ، فهجم عليهم بسيفه البتار ، فنكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار .

ثم أتى هَمْدَان وسنندج ، فوصل السليمانية سنة ألف ومائتين وستة وعشرين باستقبال أعيان وطنه معزّزاً مكرَّماً ، فقدم في تلك السنة بإشارة من شيخه بلدتنا الزوراء ليزور الأولياء ، فنزل في زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره الأقوم ، وابتدأ هناك بإرشاد الناس على أحكم أساس ، فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً في علمي الباطن والظاهر .

مطلب مهم

كل من تفرّد بالفضل والكمال يكون محسوداً

ولما اطردت سنة الله في الذين خلوا من قبل أن يجعل حساد الكل من تفرد بالفضل ، **وكلما كان الكمال والمحبوبية الإلهية أشد كان الإنكار والحسد أشد ، هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعداوة والبهتان ، ووشوا عليه** عند حاكم كردستان بأشياء تنبو عن سماعها الآذان ، وهو بريء من كلها بشهادة البداهة والعيان ، فلم يقابل صنيعهم الشنيع إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع ، فلم تخب نارهم وما زاد إلا شرهم وعوارهم ، وقد قيل :

كـل الـعـداوات قد ترجى إزالتها   إلا عــداوة مـن عـاداك من حسد

فخلاهم وشأنهم في السليمانية ، ورحل إلى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين مرةً ثانية ، فألف الذي تولى كبر البهتان من المنكرين رسالة عاطلة من الصدق والصواب ، ومهرها بمهور إخوانه المنكرين مشحونة بتضليل الشيخ المترجم وتكفيره ، ولم يخشوا مقت المنتقم الشديد العقاب ، وأرسلها إلى والي بغداد سعيد باشا يحرضه على إهانته وإخراجه من بغداد بسعايته ، **فبصره**[1] **الله تعالى بدسائسهم الناشئة من الحسد والعناد ، وأمر بعض العلماء بردها على وجه السداد** ، فانتدب له

---

(١) وفي « النفائس السانحات » : فلما اطلع الوالي على ما حَوَتْهُ الرسالة من الكلام الخالي كالخشف البالي **رماها من يده ولم يبال ، وقال : إن لم يكن حضرة الشيخ مسلماً فمن المسلم** ، سبحان الله ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنون أو أعمى الله بصيرته من شدة حسده ، نعوذ بالله نعوذ بالله ، هذا بعينه كلام الوالي ، ثم أمر الوالي العلماء بردّ تلك الرسالة وإرسالها إلى المعاند . فألّف العلماء رسائل عديدة مفيدة وختموها بخواتم العلماء وأرسلوها إلى الحساد ، فلم تروج أباطيلهم ولم تؤثر تضاليلهم ، بل انطمست آثارهم وانمحت أخبارهم . انتهى ، فراجعه . (منه غفر الله ذنوبه ، آمين) .

العالم النحرير الدارج إلى رحمة الله القدير محمد أمين أفندي مفتي الحلة سابقاً ، وكان مدرس المدرسة العلوية لاحقاً بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها إعجازهم ، فولتهم الأدبار ثم لا ينصرون ، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ ، ومهرت بمهور علماء بغداد ، وأرسلت إلى المنكرين فسلقتهم[1] بألسنة حداد ، فخبت نارهم وانطمست آثارهم ، ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية محفوفاً بالكمالات الإحسانية .

وبالجملة انتفع به خلق كثيرون من الأكراد وأهل كركوك وإربل والموصل والعمادية وعينتاب وحلب والشام والمدينة المنورة ومكة المعظمة وبغداد ، وهو كريم النفس ، حميد الأخلاق ، باذل الندى ، حامل الأذى ، حلو المفاكهة والمحاضرة ، رقيق الحاشية والمسامرة ، ثبت الجنان ، بديع البيان ، طلق اللسان لا تأخذه في الله لومة لائم يأخذ بالأحوط والعزائم ، يتكفَّل الأرامل والأيتام ، شديد الحرص على نفع أهل الإسلام ، ورحل إليه كثير من الأقطار الشرقية والغربية ، وبابه محطّ رجال الأفاضل ، ومخيم أهل الحاجات والمسائل .

ومن خوارقه : **أنّ من جالسه ولازمه وراعى الآداب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال ، وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال ، واستيقظ من نومه وأفاق متفكراً في المآل وكان أن يهجر الأهل والعيال ، وهذه الخاصية لا توجد إلا عند الكمل من الرجال .**

ثم ارتحل قدس سره من بغداد إلى الشام بأهله وعياله ، واستوطن دمشق واشترى داراً رفيعة بالمحلة المشهورة بالقنوات ، ووقف بعضها مسجداً لله تعالى ، وأقام فيه صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة ، وعمّر

---

(١) وسلقه بلسانه : خاطبه بما يكره . « مصباح » .

فيها كثيراً من المساجد الخربة ، وأحيا فيها كثيراً من الجوامع المندرسة ، وذلك عام ثمان وثلاثين ومائتين وألف ، ولم يزل مترديا برداء الجود والكرم ناشراً للعلم والفضائل والحكم .

ولما قرب ارتحاله قدس سره من دار الفناء إلى دار البقاء ، وآن أوان إجابة روحه الزكية لأمر ربها راضيةً مرضيةً ، **كان الله تعالى كشف له عن ذلك ، فأمر بحفر القبر المبارك** ، وعيّن مكانه في الصالحية خارج دمشق الشام في تل تحت جبل قاسيون مقابل مقام الأربعين ، فاستقاموا في حفره ثلاثة أيام ، فبعد أن تمّ الحفر بيَوْم أو يومين ابتدأه المرض يوم الثلاثاء حادي عشر لشهر ذي القعدة سنة ألف ومائتين واثنتين وأربعين ، وتوفي ليلة الجمعة رابع عشر بالطاعون ، **فجمع الله له بين شهادات متعددة** : الطاعون والجمعة والغربة وطلب العلم ، لأنه قدس سره كان دائماً ناشراً للعلوم الدينية الشرعية ناصراً للملة الحنيفية ، قامعاً للبدعة الردية .

وأقام قبل وفاته وصيّاً على أولاده وعلى طريقته قائماً مقامه ونائباً منابه سيدنا ومولانا الشيخ[1] بن عبد اللهالكردي قدس سره ، وقال قدس سره : **أحب أن لا يخرج خلفائي من رأي إسماعيل** .

وقال قدس سره : أنا ما مت حيث تركت لكم الشيخ إسماعيل . وقال : أنا أضمن لكل من يلازم خدمته وامتثال أمره – يعني الشيخ إسماعيل – أن ينال ما لا يحيط به عقل العقلاء ، ويقصر عنه علم العلماء ، فجزاه الله عنا وعن سائر الأمة المحمدية خير الجزاء .

اللهم يا حي يا قيوم ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، وفقنا للطاعة ، ومنَّ علينا بالاستقامة وانفعنا به وبعلومه الباطنة والظاهرة ، وأمدنا بأمداده في الدنيا والآخرة ، وزدنا من بركات أنفاسه

---

(١) لعله إسماعيل بن عبد الله ، والله أعلم . (هامش الأصل) .

الطاهرة ، واحشرنا مع سائر الإخوان في زمرته ، وثبتنا على طريقته ومحبته ، واجعلنا من أخص أحبته باتباع هديه وسيرته ، آمين . انتهى من « السنية » باختصار من مواضع عديدة ، وانتخاب من عبارات كثيرة ، اللهم لا تؤاخذنا بما ارتكبناه من ذلك الاختصار ، واغفر لنا يا مولانا ما تصرفناه في العبارات ليطابق الكلام بالكلام ، آمين .

مهم

ومن كلماته النفيسة في وصاياه هذه الكلمات :

قال رضي الله عنه : ولا تحقر أحداً ولا تعتقد نفسك فوق أحد ، وابذل جهدك في العبادات القلبية ، واحسب أنك ما عملت خيراً ، إذ النية روح العبادات ولا نية بلا إخلاص ، ولا إخلاص لأكبر منك فضلاً عنك ، وأنا والله لا أعتقد أني عملت خيراً منذ ولدتني أمي ، وأنت تعتقدني خيراً منك .

فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل ، فإذا وجدتك مفلساً فلا تقنط ، لأنَّ فضل الباري تعالى خير للعبد من أن يكون له عمل الثقلين ، ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي يكسبون .

ولا تجعل فضله تعالى سبباً لترك العبادات ، كمن لعب بعقولهم الشيطان . إلى آخر ما قال قدس سره .

ومن بعض وصاياه هذه العبارات : **الإخوان لا ينزلون إلا على إخوانهم في السفر ، فإن لم يكن فيتعذر له** .

وله قدس سره وصايا كثيرة تركناها خوف الإطالة ، وإن كان الكل نافعاً ، والله غفور رحيم . ومن أراد الزيادة من كراماته ومناقبه فعليه الرجوع إلى « البهجة السنية » ، و« النفائس السانحات » ، فلعله يجني من ثمار المنافع رطباً جنياً .

ومن أعظم كراماته قدس سره كما في « النفائس السانحات » ، و« الحدائق الوردية » : انقياد أكابر علماء عصره فيه ، وانقيادهم له وكونهم من جملة مريديه وخدامه ، كما قال بعض الأكابر : **إنّ انقياد علماء الظاهر لواحد من المشائخ من أعظم الكرمات** . انتهى .

حتى قيل : **إنه كان يقف قدامه زهاء خمسمائة نفس من العلماء على أقدامهم ، فقس على ذلك غيرهم من أقوامهم** . انتهى .

وأوصى بثلث ماله يخرج منه ألف غرش لإسقاط الصلاة ، ويصرف الباقي على حوائج المريدين ، وكرر هذه الوصية عند خلفائه مراراً وقال في بعضها بعد ذكر الإسقاط : على أني والله منذ فرضت عليّ الصلاة ما فاتتني الصلاة ولا صلاة الضحى والتهجد . انتهى من « النفائس » .

قيل : لما حان حمامه وقرب من عمره ختامه رأى العلامة ابن العابدين في منامه كأنه يصلي على سيدنا عثمان بن عفان ﷺ في الجامع الأموي ، فلما أصبح وحضر صحبة مولانا قدس سره قصَّ عليه رؤياه ، فتبسَّم مولانا وقال : إنّ تعبير رؤياك أني أموت قريباً ، وأنت تصلي علي في الجامع الأموي ، لأني من أولاد عثمان ﷺ .

فتوفي مولانا بعد أيام قلائل بالطاعون ، وصلى عليه العلامة ابن العابدين في الجامع الأموي كما ذكر ، ودفن هناك في الصالحية . انتهى منه .

غوث خلائق الزمان مولانا الشيخ إسماعيل الشرواني الكردميري قدس سره ونور ضريحه

فقد لازم حضرة مولانا خالد قدس سره في السليمانية ، وسلك علي يديه وحاز الحظوة لديه ، وأحسن السلوك إلى ملك الملوك ، ثم خلفه خلافةً مطلقة وأذن له بالإرشاد ونشر العلوم على وجه السداد ، فانتفع به كثير من الناس ، وخلّف الخلفاء وأرسلهم إلى الأطراف والأنحاء .

ولم يزل متمسكاً بأزيال حضرة مولانا خالد قدس سره ، **بيد أنه سبقت له ذلة**[1] **حيث أمر المريدين أن يرابطوا به ، فلما بلغ ذلك مسامع السيد خالد قدس سره أرسل إليه أمراً مشدداً زاجراً له وبَّخه فيه وهدَّده ، فرجع عن قصده وتبيَّن له غيه من رشده** ؛ ونصه :

من العبد الذليل الأقل من كل قليل إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ إسماعيل عصمه الله تعالى عما وصمه وصانه عما شانه آمين ، أما بعد ، فقد قال كثير من نجوم الاهتداء ومصابيح الاهتداء بأن الكفران هو نسيان المنعم بسبب اشتغاله بنعمته ، **وصرح محققوا طريقتنا** بأنّ رابطة من لم يفن عن وجوده لا يورث الفناء للسالك ، بل قد يورطه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا السلام والكلام عنا ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تواجهونا أحياناً بأنفسكم ، وإلا فتراجعونا في النقير والقطمير ، وتذكرونا دائماً بالتحرير مع السفير ، ومن خدامنا من هو أبعد مشقة منكم وأقدم صحبة وأكثر خدمةً لا يتحرك بدون استشارتنا ، ولا تقس هذه الطريقة بخزعبلات متشيخي العصر وترهات أرباع[2] الخدع والمكر ، **فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربّه ، والإعراض عنه**

(١) علّه زلّة . (هامش الأصل) .

(٢) بمعنى الجمع من الناس .

إعراض عنه ، فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له فإنَّه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلا بأمري فضلاً عن مزاحمتكم لخلفاء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم في هذا التغافل الذي تستعملونه لنعرضن عنكم بالكلية ، وخرط القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ، ختام . انتهى . كذا ذكره شيخنا الحافظ شعيب الباكني في « طبقات الخواجكان » ، فراجعه .

بعد ذلك ترك الشيخ إسماعيل ما كان يفعله قبلُ من أمره برابطة نفسه وامتثل أمر الشيخ خالد قدس سره ، فانتفع به خلق كثير .

وقد غفل في ذلك الأمر عبد الوهاب السوسي وأمر أيضاً برابطة صورته ، **ولم ينزجر بزجر الشيخ خالد قدس سره ، ولذا صار مطروداً عن بابه** .

كذا ذكر أسعد صاحب في حاشيته على « حديقة الندية » ، فراجعه .

ومما وقع للشيخ إسماعيل قدس سره أنه كان داخلاً في الخلوة بأمر الشيخ خالد ، ولم يعلّمه شيئاً ما من أحواله ، ثم إذا خرج من الخلوة أمره بحمل الروث من خلائه وتطهيره ، فامتثل أمره وحمل الغائط بيده ، وظنَّ أنه لا أحد عنده أحقر منه ولا أرذل ، بل ظن الناس بأن ليس عنده أدنى منه ، ثم بعد ذلك توجه إليه الشيخ خالد وعلَّمه جميع الأحوال ، وأراه المقامات كلها ذوقاً ، ثم أذن له وقال : كن هكذا ، يعني : كن حقيراً ورذيلاً ولا تر نفسك فوق أحد .

هكذا سمعت العارف العالم أدرة العرادي قدس سره يحكي هذه الحكاية بعينها .

ومما أوصى به الشيخ محمد اليراغي[1] قدس سره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أوصيك بالتمسك بالكتاب والسنة ، والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية على ما أطبق عليه أئمة الكشف والوجدان ، وأوصيك بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء ، وبسلامة الصدر ، وبسماحة النفس ، وسخاوة اليد ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى ، وكف الأذى ، والصفح عن عثرات الإخوان ، وترك الطمع ، **وبالاعتماد في قضاء الحوائج إلى الله تعالى جل جلاله ، فإنه لا يضيع من عوّل عليه** ، وأن لا ترجو النجاة إلا في الصدق ، ولا الوصول إلى الله تعالى إلا في اتباع محمد ﷺ ، **وأن لا تظن أنك أفضل من أحد ، بل لا ترى لنفسك وجوداً** ، وكل من يتطاول عليك بالنميمة والحسد فوِّض أمره إلى الله تعالى ، والسلام .

كذا في « طبقات الخواجكان » للشيخ شعيب قدس سره من خطه .

الشيخ الفرد الواصل المرشد الكامل
محمد صالح الشرواني قدس سره

كان من كبار الخلفاء الإسماعيلية ، لكن لم نعلم من مناقبه وفضائله شيئاً ، ولم نقف زمان ولادته ووفاته ، ولم نجد من بيَّنَ حقيقته وأحواله من مشائخنا رزقه الله سبحانه وإيانا الزيادة والحسنى فوق المأمول والمنى ، آمين .

---

(١) وهو مريد حليفته الشيخ خاص محمد قدس سره . (منه) .

شيخ الواصلين عمدة الكاملين سيد المهاجرين الشيخ الحاج إبراهيم أفندي القدقاشني قدس سره

ولد في ١٢٣٧ في قريته قدقشين من قرى محال شكي ، وهو من نسل سلالة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد المصطفى ﷺ ، ثمّ هاجر ١٢٦٠ إلى الولاية الدولة العثمانية حين هاجر دانيال سلطان لدى الشيخ الإمام شمويل في تلك السنة وتوطَّن فيها ، وربى في حجر أبيه المرشد الكامل الحاج يحي بيك القدقاشني ، وورث منه الإرث في العلوم الظاهرة والباطنة ، ووصل إلى الكمال والتكميل بحيث يحصل به تربية المريدين وإهداء المسترشدين . انتهى من خط شيخنا شعيب الباكني قدس سره .

وقال في « طبقات الخواجكان » : ولقد رأيت في إجازة الشيخ الواصل الشيخ يونس أفندي اللالي ما نصه هذا بخطه رضي الله عنه :

خادم الفقراء الخالص شيخ المشائخ كهف الحجاج إبراهيم أفندي بن المرحوم المغفور حاج بلابك بن السلطان أحمد القوت قاشيني من محال داغستان من المهاجرين في سبيل الله القادري النقشبندي قدس الله تعالى أرواحهم . انتهى من عين إجازته قدس سره .

وقد أجازه في سنة ١٢٦٧ ، ولكن ما حققه العلامة العالم الولي المرشد الكامل محمد أفندي المنزلوي قدس سره فيما مرَّ وقرَّره يخالفه من أنه نقل عن خط الشيخ محمد ذاكر أفندي الچسطاوي قدس سره أنَّ الشيخ يونس أفندي أخذ النسبة عن الشيخ عبد الله المكي الأرزنجاني قدس سره الفاني ، وما سمع من الشيخ خليل فاشا أن الشيخ يونس أفندي أخذها من الشيخ يحي بك وما لقي الشيخ عبد الله . انتهى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ويجمع بين القولين بأنّ الكمالة للشيخ يونس أفندي وإن كانت من الشيخ حاجي يحيى بيك صدورُ الإذن من الحاج إبراهيم أفندي بإذن والده حاج يحي بيك أو بلا إذنه ، والله أعلم .

وقد علم كل أناس مشربهم ، وما كتبناه من أنّ الحاج إبراهيم أفندي شيخ الحاج يونس أفندي قدس سرهما هو ما قرَّره شيخنا شيخ الزمان بدر الأوان الشيخ حاج أحمد أفندي التلالي قدس سره العالي ، وبه وبالنظر إلى إجازة جعلناه صاحب الترجمة دون أبيه يحي بيك ، وكذلك ما قرر شيخنا المذكور أن أستاذ الحاج إبراهيم أفندي هو الشيخ محمد صالح أفندي الشرواني قدس سره النوراني .

والاعتماد على قول المشائخ واجب إن كانوا كاملين ، كأستاذنا المذكور فإنّهم يرون ما لا يراه الناظرون ، ويدركون ما لا يدركه العلماء المدرسون .

ومن المعلوم أن صاحب الترجمة هو ابن الشيخ يحي بيك أفندي القوت قاشيني ثم المهاجر المكي ، وكتابة اسمه في إجازة الشيخ الحاج يونس أفندي قدس سره ببلابيك لكونه لقباً له إن شاء الله تعالى . انتهى .

معدن رموز الحقائق مفتاح العلوم الرقائق المرشد الكامل والفرد الواصل الشيخ حاج يونس أفندي اللالي الداغستاني قدس سره

ولد ﵁ في ١٢١٩ في قريته اللالية ، ونشأ نشأةً نظيفةً وتربية لطيفة ، ولازم العلوم الظاهرة وحاز المراتب الزاهرة ، ثم لما كمل نصيبه الدنيوي وشوقه الأخروي اشتاق إلى المرشد الكامل ، واجتهد لوصول الإنسان الكامل الواصل لتقرُّبه إلى الله تعالى ووصوله إلى الله تعالى ، واجتمع مع شيخه الكامل المذكور ، وكان يطوف كثيراً إلى أبوابه ويجول دهوراً إلى أعتابه ، وترك جميع نعم الدنيا لأجلها ، وزهد مما سوى المولى باجتنابها .

فبه وصل إلى الله تعالى ، فأجازه شيخه بالإجازة التامة والإنابة العامة ، وجلس في دياره على بساط الإرشاد بهداية أهل الضلالة بالإمداد مدة سنين لا ينازعه أهل أرضين ، **وناهيك لجلالته** وعلوّ مرتبته كون سلطان العارفين محمود أفندي الألمالي تحت تربيته ومقام خدمته ، وكان ذا همة عظيمة وأحوال جسيمة ، وهيبة عند الناس كبيرة ، وجسم ولحية وفيرة ، وكان صاحب الخوارق للعادات ، وذا العبادات والكرامات ، فمنها :

ما تواتر من أخبار الثقات ، وتكلمات الرواة أنّ الشيخ محمود أفندي مع رفيقه الحاج بيرام الألمالي كانا يرافقان كثيراً إلى زيارته وأخذ فيوضه ، وكان الشيخ محمود أفندي وقتئذ يجرّ التتون ، وحين وصل إلى حافة نهر غَافُچَيْ يستره هناك في مخفي ، وكان يوضِّئ ويمضمض ولا يغتسل ، وأما حاج بيرام المذكور فكان يغتسل في كل وقت في تلك النهر ويتطهر تطهراً تامّاً ، وكانا يذهبان على هذه الكيفية إلى زيارة الشيخ حاج يونس أفندي وذهب أزمان هكذا .

ففي يوم ذهبا هكذا إلى زيارته ، فقال حاج بيرام : يا شيخ افندي حضرتلر ، إن أخانا ملا محمود يجر التتون ولا يتركه ولكن يريد تركه ولا يقدره . فأجاب له الشيخ : **يا ولدي حاج بيرام ، إن ملا محمود في مقام لا نرى مقامه بسبب علوه فاحترمه واتركه على حاله ، فإنه وإن كان في تربيتي ظاهراً ، ونحن في تربيته باطناً . وكان الأمر كما قال قدس سره .**

ومنها : أنه كانت له صاحبة كاملة وزوجة عفيفة زاهدة ، وكانت تعينه بلا نهاية ، وتطهر طعامه وشرابه فوق الغاية ، وبسببه بلغ الغاية القصوى والدرجة القوي .

وكان من كراماته مروره على نهر غانق الذي هو قبالة قريته كما على البر ، وكان يمر عليها إذا ذهب إلى خدمائه الذين يحرثون ويزرعون مزارعه الكائنة على طرف ذلك النهر الآخر ، وعرض النهر من شط إلى شط ثلاثمائة ذراع ، وفي أكثر المواضع أكثر من ذلك ، مع زادهم من الخبز والأدم وغيرها من حوائج الحراثة ، فيوماً وقعت المكالمة بينه وبين زوجته العفيفة المذكورة وقالت : إنّ الذي أوصلك إلى تلك الدرجة الله تعالى أولاً بإعانتي وتطهُّر طعامك بعدم فعلي إياه على غير وضوء وعلى غفلة ثانياً ، ولولا أنا ما وصلت إلى ما وصلت . فقال في جوابها : لست معينة لي في شيء ما ، إنما وصلت إليه تعالى بتوفيقه وبذكري إياه . فأضمرت هذه المقالة في قلبها ثم لما كان يوم ذهابه بعد صدور تلك الواقعة طبخت طعامه بلا وضوء وطهارة وعلى غفلة وغباوة ، وأرسلته مع ذلك الطعام إلى الحارثين والزارعين ، وذهب على عادته الماضية إلى الفلاحين ، ومرت خلفه لتنظر ما يفعله وترى ما يصنعه ، ثم لما وضع قدمه المبارك على وجه النهر راس وانغمس فيه وجاس ، ولكن بفضل الله تعالى خرج إلى حافته ، وأعانت له وأخذت يده حين خروجه ، وابتلّ جميع ثيابه وبدنه ، وحملته إلى بيته وقالت : يا شيخ يونس أفندي ، ما الذي أصابك اليوم ولِمَ لمْ تذهب إلى الحارثين كما في عادتك الماضية وسيرتك الخالية ؟ فقال : لا أعلم ولم يصل حقيقته إليَّ ولا أفهم . فقالت : بسبب قولك وتنازعك التي نازعت بها إليّ في اليوم الفلاني والحين الأواني ، **فإن كنت وصلت إلى ما وصلت بقوتك فقط لا بإعانتي لم لمْ تذهب اليوم بقوتك وكرامتك ، وكنت طبخت لك الطعام اليوم بلا وضوء ولا ذكر له تعالى .**

فأقرّ الشيخ لها يومئذ وتاب وإليه تعالى أناب ، ثم عاد حاله وأقبل إقباله ، وطهرت طعامه ، وعادت كرامته . وله من أمثال ذلك ما لا

تحصى ، ومن العجائب ما لا تستقصى ، رزقنا الله تعالى من فيوضاتهم ومن بركات حياضهم بمنه وكرمه .

ومات رحمه الله تعالى في سنة ١٢٧٧ في قريته اللىلالية في طرف النهر الكبير المذكور قبالة القرية ، ونحن ذهبنا إلى زيارته مرات فوجدنا على قبره ما يليق بمقامه ، ورزقنا الله تعالى زيارته وبركاته بعد اليوم كثيراً ، اللهم آمين يا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات بحق سيد السادات . انتهى من « طبقات الخواجكان » من خط مؤلفه قدس سره .

شمس فلك الإرشاد مركز دائرة الإسعاد قطب الهداية والإمداد غوث الأوان شيخ الزمان سلطان العارفين وعمدة الواصلين ذو الجناحين الشيخ محمود أفندي الألمالي الداغستاني ثم الحاج الترخاني قدس الله سره ونور ضريحه ورزقنا فتوحه

ولد ﵁ تخميناً في ١٢٢٥ في قريته الألمالية ونشأ في صغره وصباه نشأةً غريبةً وتربيةً عجيبةً ، كان في شبابه من أعجب الزمان ونادرة الأوان في الفهم والحفظ وتحرير الكتابة وتنظيف الخطابة ، كان محرراً لسلطان زمانه دانيال سلطان وقريبه حاج آغابيك الإيلي سُوِيِّين ، وكان يحرر أمرهما غاية تحرير ويقررهما في نهاية تقرير ، وكانا يتعجبان من وفور عقله وكمال قوله ، وكان حينئذ يعلم علم الكيمياء فبسببه أرسله أكابر الحكماء إلى ولاية سبير وغربوه إليها ، وأقام هناك مدة سنين .

ولما تجلى عليه تجلي الإرادة ، وظهر كونه من الرجال المرادة خدم الحاج يونس أفندي اللىلالي قدس سرهما ، ووصل إلى مقام الولاية الصغرى ، وحال الفناء في الله والبقاء بالله ، ولكن بقي مقامه المقدر في

العلم الأزلي بلا وصول إليه ورجوع عليه لعدم قوة شيخه المذكور لذلك ، ثم لما أرسل بقدر الله تعالى وحكمته إلى ولاية قزان وبلاد الروس ، صادفه هناك شيخ عظيم ووليّ كريم أظنه هاشم أفندي اليمشاني كما قاله محمد أفندي بن عبد الله القزاني المنزلوي ، وبخدمته وصل إلى مقامه المقدر ومنزله المقرر .

ومما شافهنا في حقه نقلاً عن فم الشيخ محمود أفندي أخونا الكبير وصديقنا الوفير الشيخ الحاج شرين[١] أفندي الكُلُّوكي أنه قال له الشيخ محمود أفندي قدس سره : إنّه لما وصل إلى ديار قزان ناداه الشيخ هاشم أفندي اليمشاني للضيافة من مسافة ستة مراحل للكرامة ، ولما وصل

---

(١) بالنون : شعيب أفندي . (هامش الأصل) .

❊ والسيد أبو عبيدة نقله من خط الشيخ محمود الفعال الداغستاني النقشبندي رحمه الله ، وهو أخذ الطريقة عن مولانا يونس أفندي ، وهو أخذ من هاشم اليمشاني ، وهو أخذ من إسماعيل الشرواني ، وهو أخذ عن مولانا خالد قدس سره . .إلخ .

وتلّمذ محمود الفعال رحمه الله تعالى ليحي وهو أخذ عن إسماعيل القريمي ، وهو أخذ عن عبد الله الأرزنجاني المكي ، وهو أخذ عن مولانا خالد قدس سره .

رسمت هذه الأسطر من خط سيف الله قدس سره ، وقال : رسمت الأسطر الأربعة من خطّ شيخنا بالله زين الله النقشبندي أي : من قوله (وهو أخذ الطريقة . .إلخ) ، فافهم .

مطلب مهم

قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ ﴾ إلخ إشارة أخرى وهي أنّه لو كان لطالب صادق ومريد حاذق شيخ يقتدى به وله شأن مع الله عز وجل ، ثم استسعد بخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله عز وجلّ منه وجب عليه اتباعه والتمسك بزيل إرادته حتى يتمّ أمره ولو تجرّد له في أثناء السلوك هذا الاستسعاد بخدمة شيخ آخر أكمل من الأول والثاني ، وهلم جراً يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي ، وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال . .إلخ . (من خط سيف الله قدس سره من ملتقاطاته) .

لديه حفظني عنده في حجرته وأكرمني في خلوته ، ثم حمل عليه بعض مريده وأخص محبيه طعاماً مستوراً وشيئاً مبروراً ، ثم وضعه قبالتهما ، ثم قال الشيخ هاشم أفندي : يا ملا محمود ، انظر إلى ما في السفرة وتأمل بالعبرة لعلك تدرك ؛ قال : فتأملتها بالبصيرة تأمل اعتبارات ، فرأيت كل مرّات بحراً يدور عليه إوَزٌّ كل مرات ؛ فقال : يا ملا محمود ، ألم تنته وألم تدرك ؟ قال : فقلت له : تأملت لكن لا أرى شيئاً ما إليه استندت لأقول لك بحاله أدركت ؛ فقال : قل ما وصل إليه إدراكك ؛ فقلت : إني أرى بحراً كبيراً وإوزّاً يضرب جناحه يسير عليه كثيراً ؛ فقال : بارك الله فيك ، أدركت حقيقتها وكوشفت سريرتها ؛ فكشف السفرة ، فوجد فيها بهتةً وعليها بيض الإوزّ ، ثم أكلا حتى شبعا .

ثم قال الشيخ : يا ملا محمود ، إنك لم تصل إلى المقام وإلى ما قرره الله تعالى لك من المرام ، وإن خدمتنا ووقفت في تربيتنا تصل إليه إن شاء الله تعالى ؛ فقلت : سمعاً وطاعةً حبّاً وكرامةً ؛ ثم ردني الشيخ إلى المكان الأول الذي كنت فيه ، وأعطاني أربعين تمرةً بيده المباركة فقال : اسكن في خلوة حجرتك التي كنت فيها وكُلْ كلّ يوم وقت الفطر تمرةً واحدةً بعد أن تقرأ الصلاة للرسول عليها مائة مرةً ، فبعد تمام أربعين يوماً نحضر إليكم إن شاء الله تعالى .

قف على ما وقع للغوث محمود أفندي من العجائب

ثم قال : فبعد تمام العدة وانتهاء المدة جاء الشيخ وتوجه توجهاً بليغاً ، وقال قبل التوجه : إذا جاء عليك حالة عظيمة ورفعة جسيمة ، لا تخف ولا تفرق عن رسول الله ﷺ وعن الشيخ بالرابطة ؛ ثم بما توجه الشيخ ، وكان حينئذ في حجرتي وأقامني خارجها في طاقة ، وصرت في حال الفناء في الله جاء صوت هائل وكلام غائل مع زمرة الملائكة وفئة الروحانية ، وأجلسوني على سرير عظيم نوراني أخضر وارْفعوني

إلى السماء الدنيا ، ثم منه إلى الثاني ، ثم إلى الثالث حتى انتهيت بهم إلى السماء السابعة ، ثم رفعت بهم إلى العلى **حتى ارتقيت إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى** وخفت وسألت منهم الرجوع ، فرجعوني ووضعوني على المكان الذي كنت فيه .

وأما العجائب التي رأيتها لا يدركها إلا الله تعالى ، ولكن لم ألتفت إليها ولم يسكن في قلبي إلا الله ، فسبحان الله القادر المقتدر . انتهى ما حكاه الشيخ الحاج شرين أفندي عن فمه رحمهما الله تعالى ورزقنا من بركاته .

فبعد ذلك أجاز له الشيخ هاشم أفندي اليمشاني إجازة تامة ، وزوَّجه بنته وأكرمه غاية الإكرام ونهاية الاحترام ، وكان بعد ذلك ذا تصرف عظيم وخوف من الله تعالى جسيم ، **حتى إذا نظر إلى أحد ما من المسلمين أو سلطان من الكافرين بالهيبة كان يصير مطروحاً ، وكل أعضائه مجروحاً ، وإذا تنفس على من ينكره أو أحد يكرهه كان يغشى عليه ، كان الموت يرمي إليه ، وإذا جرّ نفسه إليه كان كل واحد منهما يعقد كالميت القائم من قبره يرتعد بحيث صار جميع أعضائه متفرقة وأعصابه متمزقة . وصدور مثل هذه التصرفات منه كثيرة ، وأخباره شهيرة ، وبه أخبرنا كثير من الثقاة من رجال قريته الرواة** . كذا في « طبقات الخواجكان » .

مهم

وفي بعض مكاتبه قدس سره ما يصرِّح أنه اجتمع مع الخضر عليه السلام وأمره بالصلاة على النبي عليه السلام وبكلمة التوحيد .

وأنه اجتمع مع النبيّ عليه السلام ورآه بعيْن رأسه ولقنه الكلمة الطيّبة ، وأنه وجد الحقائق واليقين بواسطة الخضر عليه السلام ؛ وأنّ تربيته الخاص من النبي عليه الصلاة والسلام بعد وساطة شيخه يونس حيّاً

وميتاً ، لأنه كان سبباً للفناء ؛ وأنه رباه الشيخ مجدد الألف الثاني الإمام الرباني قدس سره ، ثم ابنه الإمام المعصوم قدس سره ، ثم الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني قدس سره ، ثم الغوث ذو الجناحين خالد البغدادي قدس سره بعد تربيته في أول السلوك ، ثم غوث الواصلين الإمام النقشبند قدس سره بعد تربيته في أوائل السلوك ، فانظر إلى مقامه ، واعتبر برفعة مربّيه وكثرتهم رزقنا الله نصيباً من فيوضاته ، آمين .

وقال في بعض مكاتبه : إن مما شاهدناه في أنفسنا أني رأيت في ابتداء أحوالي يوماً من الأيام في حالة اليقظة وأنا قاعد متذكِّراً ومتفكِّراً ومتوجّهاً إلى المطلوب شخصين كريمين كالملائكة المقدسة الموكلة لنظام عالم الملك ، ولكنّهما على هيئتي وعلى صورتي شخصين معروفين عندي وأنا محسن الظن عليهما ، أحدهما قائم حذاء كتفي الأيمن والآخر داخل في جوفي يجري ويسري من لطيفة إلى لطيفة ، ومن جوف إلى جوف ، ومن عظم إلى عظم ، كذلك في جميع أجزاء البدن ، لكنه في بطنه كأنه يريد التخلية والتصفية ، ويهيئ منزلاً أو مقاماً لنزول شخص كريم ، كلما يأخذ من بطني شيئاً من الرذائل يعطيه إلى القائم منهما الذي مرّ ذكره ، حتى وصل إلى تحت الروح الذي يقابله الروح ، ولكنه خارج عن دائرة لطيفة الروح كان فيهما جوف معنوي أو مقام ينتهي إلى العصب المتصل إلى عظم الفخذ الأيمن من مفاصلي مخزن المقتضيات والشهوات ، فأخذ من ذلك المقام مكاتب مفتوحة منتشرة وهو يطويها كطيّ السجل الطويل .

ورأيت إلى المكاتب رأيت ما كتب ما فيها ولم أقدر على قراءته ، بل لم أقدر أن أفرِّق حرفاً من حرف ، فجاء بها من بين الروح والقلب إلى فوق السر فأخرجها مطوية من جوف كتفي الأيسر الواقع بين العنق والكتف فأعطاها إلى الشخص القائم ، ثم غاب عن النظر ، فوجدت في

نفسي حالة مغايرة لأحوال البشر كاني لا عاقل ولا مجنون ، ولا حي ولا ميت ، ولا نائم ولا يقظان ، ولم أكن محتاجاً إلى ما يحتاج إليه البشر كالأكل والشرب والنوم والراحة وغيرها ، ولم يصدر مني شيء منهم ، ولم نباشر إليه ولم يقع بالاقتضاء والاعتناء إلى سبعة أيام .

وفي ذلك الأيام وجدت صورتي مغايراً عن صورة البشر ومن صورتي الأصلي وأوضاعاً شتى وأوصافاً لا يوصف بها البشر ، كأن كلّ الحوادث يحدث مني وبإحداثي ويفنى مني بإفنائي ، ولكن لا بإرادتي ولا اختياري ، ثم بعد سبعة أيام وجدت في نفسي بعض أوصاف البشر وأيضاً وجدت فيها علوماً ومعاني ملء سعة الخيال كأنها يتموج كالبحر ، ولكن لا أقدر لإظهارها وإخراجها ، كالصبي الذي يريد التكلم ولا يقدر ، وكمن بحت نطقه مع أنه يقتضي التكلم ولا يقدر ، وما لقيت في تلك الأوقات شيئاً حيّاً كان أو جماداً ، مؤمناً كان أو كافراً ، إلا رأيته عز وجل معه ، ولكنه بلا كيف .

ولم يطلع أحد على حالي من الناس ولم أظهره إلى أحد أيضاً ، **غير أن شخصاً من المرخصين في هذه الطريقة مع أنه متهم بين الناس ببعض الكبائر لما رآني خاطب إلي وقال : لِمَ لا تقول : أنا الحق** وأنا كنت مغلوباً بحالي لم أطلع عليه ولم آجل[1] في ذلك الحال ؟ ثم فهمت أنه أدرك مني شيئاً من الأحوال ، وأنطقه الله تعالى بالاتفاق .

ولم أجد في تلك الأوقات في نفسي وجداً ولذة سواء في السلوك والأحوال لا في الأعمال الظاهرة ، ولكني عليها بالاستقامة بلا شوق ولا لذة ولا مشقة كحركة الجماد .

(١) من جال يجول . (من خط شعيب قدس سره) .

ثم بعد سنة أو أقل منها رجعت إلى أحوالنا القديمة بتمام صفات البشرية ولوازمها ، وزال عني هذه الحال ، يعني ولم يستعل عليّ ، ولكنّه باقتداري وأنا استعليت عليه كلما لزم وطلبته وجدته بلا تخلف بذكر الحق ثلاث مرات ، لكن لا باختيار ، بل يجري أولاً على قلبي ، ثم يظهر في لساني جهراً بلا فاصلة **كأني صرت اثنين ، واحد مني بين الخلق وواحد في عالم بيضاء بلا شمس ولا قمر كأنه عالم الهواء** بسيط من جهاته الستة ، ولكنّي قائم فيه على صورتي غير أنها مهيبة بهيبة الرحمانية المحبوبة للقلوب المشوقة إليها دون هيبة الرعبة ، مع أني في الصورة في قعر بيتي قاعد ، وفي آن الميل إليها وإلى المعنى في ذلك العراء قائم وقاعد والقاعد واحد يذكر اسم الحق ، والقائم يجيء حال قيامه بلا حركة ، والقاعد يذهب حال قعوده بلا حركة ، كأني أنا ذاهب إليّ ، وجاءٍ إليّ حتى يتحد ، والمسافة التي بيني وبين بيني المعنوي كبير كبَيْنَ السماءِ والأرض ، لكنه يقطع بثلاث خطوات ، وكل خطوة تقطع بذكر مرة من ثلاث مرات ذكر من اسم الحق .

فلما اتحد الأمران زالت الصورة الصورية ، فبقيت على صورتي القائم في ذلك العالم ، **ووجدت الناس على صور شتى** ، منهم ملك ، ومنهم إنسان ، ومنهم طيور بأصنافها ، ومنهم حيوان كالقردة والخنازير والكلاب ، لكنه في صورة البشر حتى إذا تم الحاجة من ذلك الحال والإقبال إليه تعالى وقضي الأمر وجدت نفسي كسائر الناس والناس على حالهم وصورهم التي في الأعيان إلى مدة ثلاث سنين .

ثم وجدت فيّ تسليماً وتفويضاً تامّاً إلى قضاء الله تعالى وقدره ، ولم نحتج إليه ولكن كلما خطر ببالي رجاء شيء انتزع مني شخص وأنا بعينه أو هو عيني ليهيئ ذلك المرجو وأسبابه ، بلا قصد وإرادة مني إليه ، ثم وثم وثم إلى[1] هنا ، فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال .

---

(١) أي : إلى هذا الزمان ، والله أعلم . (شعيب ، خطه) . (هامش الأصل) .

ووجدت ذلة واحتياجاً وفقراً ودناءة ، كأني أرذل كل شيء وأخبثه وأكثرهم ذنباً ومعصيةً وفساداً كأني ممزوج به ، ولكن أعلم أنه أقبح ولا نرغب إليه لعدم الرغبة ، مع أنه تعالى على كل شيء قدير .

مطلب

فاعتبر أيها الأخ والحال ركعة مقبولة من الأوقات الخمسة أحبّ إليّ من جميع ما ذكرنا إن يسرها الله تعالى ، ولكنها كالعنقاء ، ولم أجد غير اسمه نظراً إلى ما علمناه ، ولكن فضله تعالى رجاء كل قانط وعماد كل ساقط .انتهى من « طبقات الخواجكان » من خط مؤلفه قدس سره .

وفيه : أنه قدس سره رجع إلى قريته الألمالية بعد وقوع أمثال هذه المذكورات من ولاية سيبر من نواحي الروس المنحوس في سنة ١٢٧٩ وصار حينئذ قطباً للإرشاد وكهفاً للاستمداد ، وتعلق بزيله ألوف من الناس ، وذهب بسببه عنهم جميع الوسواس الخناس ، وظهر عنه الخوارق العجيبة والكرامات الغريبة . انتهى مع اختصار .

وفيه أيضاً : أنه كان صاحب تصرُّف تام وتفرُّس عام ، **ومن أعجب كمال تصرفاته فيما تواتر إلينا من رجال قريته الحاضرين في مجلسه أنه إذا قصد إلى مجلس منكر ورآه يحضر من بعيد كان ينظر إليه ويرمي نفسه المبارك من أنفه ، وكان ذلك المنكر يسقط حينئذ كالمغشي عليه ، وكان يتركه بقدر ساعة على تلك الهيئة ثم كان يجر نفسه من أنفه إلى الخلف فيقوم المغشي عليه من غشيانه ثم يحضره إلى مجلسه ويقعده قبالته ويخبره بما كان في قلبه ويوبّخه غاية توبيخ .**

فإنه كان في غاية من الشجاعة ونهاية من القناعة ، كان لا يهيب من الأمراء ولا يخضع للأغنياء ، وكان لا يخاف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ومنها : ما أخبرنا به مريده الثقة المأمون الحافظ يوسف أفندي الألمالي وغيره : أن الشيخ محمود أفندي قدس سره كان إذا جاء إلى فمه نخامة كان يقف ساعة بلا رميها إلى الخارج ، وكنا قد تعجَّبنا من ذلك مع أن ذلك عار عظيم عندهم ، ونقول : يا شيخ أفندي حَضْرَتْلَرْ ! ما حكمة توقُّفك بعدم رمي نخامتك ، وكان ﷺ يقول : **أيها الإخوان! إني لا أجد مكاناً لرميها** ولذلك أتوقف في طردها لأن في قبالتي روحانية رسول الله ﷺ ، وفي جهة يميني روحانية الشيخ خالد قدس سره ، وفي يساري روحانية الشيخ شاه نقشبند بهاء الدين محمد البخاري ، وكذا في حولي جماعات روحانية الأولياء قدس الله أسرارهم . ثم بعد ذلك كان رضي الله عنه يرفع قدمه اليسرى قليلاً ويرمي بانحنائه قربها تحتها ، ويضع قدمه على تلك النخامة ، وكان هذا دأبه رضي الله عنه في كل وقت ، فبذلك الأدب وصل إلى منصبه ، وبحفظه ارتقى إلى حسبه ونسبه ، رزقنا الله تعالى حفظ الأدب ووصول الحسب والنسب ، آمين يا إله العالمين ويا أرحم الراحمين .

ومنها : ما أخبرنا به الرجال الثقاة من حضار مجلسه رضي الله تعالى عنه مع بعض أمنائه دُعِي للضيافة إلى بلدة قم نُخُو ، فلما قربوا إليها نزلوا في أيكة قريبة إليها ، وكان بعض رفقائه يجني ثمراً من شجر هناك يسمى بلسان الترك : يَمِشَان ، فضحك الشيخ راكباً على فرسه وقال : يا هذا ! **إن ملا أحمد التلالي الكائن في قرية قَاخْ في سلوكه يضحك عنك ويقول : انظر إلى ترك تأدب هذا الفلان بين يدي شيخه يجني الثمر وأكله** . فتعجب ذلك الجاني وقال : يا شيخ أفندي ! هل يراني ملا أحمد الآن وبيني وبينه مسافة ثلاث ساعات للفرس الجواد ؟ وقال الشيخ : هل أري لك تصديقه ؟ قال : نعم يا أفندي ، قال : أعطني حبةً واحدة من تلك الثمرة ؛ فأعطى ، ثم رمى الشيخ تلك الحبة وقال : يا ملا أحمد ! خذ ما رميتك ، ثم قال الشيخ : والله وصلت الحبة أنف ملا أحمد وأحمرّ موضع وصوله .

وقال بعض رفقائه : ثم لما رجعنا من تلك الضيافة وصرنا سائرين في الطريق عطشنا كلنا عطشاً ، فوصلنا إلى عين في الطريق ، فقال الشيخ لرفقائه : أليس عندكم إناء لأخذ الماء من العين للشرب حال كوننا راكبين بلا نزول من الأفراس ؟ فقالوا : لا ، فنظر إليهم فرأى منخلاً ينخل به الدقيق مربوطاً خلف فرس واحد منهم ، فقال : خذ يا هذا ماءاً بهذا المنخل واملأه ؛ فقال : يا أفندي ! هل يمسك المنخل ماء ؟ فقال : يمسك إن شاء الله تعالى ، واملأه ببسم الله والبركة ؛ فملأ صاحب المنخل ذلك المنخل بالماء من العين ولم يقطر منه قطرة حتى روى الجميع من الرفقاء مبتدأ من الشيخ ، ولما تم النوبة ورووا انصب الماء بغتة وما بقي في المنخل لحظة ولو شيئاً قطرة .

وكان صاحب تلك الحبة المرمية إلى ملا أحمد عاشقاً إلى وصوله ليستخبره عن حقيقته وحقيقته ، فقال : لما رجعنا من الضيافة : وما كان مقصودي غير السلامة ، وصلت إلى قرية قاخ فأسرعت في الوصول إلى حجرة ملا أحمد ، ثم لما اطلعت عليه من كوة حجرته ومكان خلوته ناداني قبل أن أتكلم : يا دنيء الهمة ، ويا منكر المشائخ والحجة ، ألا تعلم أن كرامات الأولياء حق ؟ فنظرته فرأيت موضع وصول تلك الحبة من الأنف محمراً ، ووجدت تلك الحبة محفوظاً في يده مستقراً ، وقال : يا هذا ! إن الحبة التي رماني الشيخ هذه الحبة ؛ فصرت مدهوشاً متحيراً ، ومن كرامات الشيخ ومريده مقهوراً ومنكسراً ، فرحمهما الله تعالى ورزقنا من فيوضاتهما ، آمين .

ومنها : أنّ الشيخ قدس سره **كان لا ينقص عنده في كثير الأوقات من مائة سالك ومريد** ، وكان دأبه في ساعات الليل والنهار التوجه إليهم ، وكان إذا صلى صلاة العصر ، وكان له حاجة لذهابه إلى البيت يقول لمريديه جميعاً حين كانوا في المسجد قاعداً[1] هو في المحراب : اقعدوا

---

(١) حال من فاعل يقول . (شعيب خطه) .

بالحضور مع الله ورسوله وأوليائه ، وإنّي أتوجه إليكم الآن في الساعة بالنوبة ؛ وقال لنا : من كان في تلك المجالس كثيراً كل من وصلت إليه النوبة من المريد يخرج منه الصوت العظيم المزيد بعدم طاقته على توجهه لشدته وقوة تأثّره وتصرفه في ألطافه ، وكان يتوجه في ساعة واحدة أكثر من مائة مريد ومراد ، فانظر إلى قوته وشوكة وسرعة خِبْرَته ؛ **وإنّ أشد شيء وآكده عند الأولياء : التوجه إلى المريد ، واستخبار حاله** ، خاصةً إذا كان المريد قليل المحبة كدير اللبّة .

ومنها أيضاً : أن الرجال الكثير والجم الغفير من الإخوان الكرام والأصدقاء العظام أخبروا أن الشيخ قدس سره لما توجه في السنة التي ذهب فيها إلى الحاج ترخان إلى زيارة الشيخ بَابَارَتْمَا ذهب معه ألف فارس ومائتا دارس سوى الرجالة ، وقرءوا عنده في ليلة الجمعة الصلوات المقروءة لهم في الخلوات ، ثم لما فرغوا منها قال الشيخ ، وكان كل أهالي الزيارة حلقة في حوالي ضريح الشيخ بَابَارَتْمَا جملة : اسكتوا فإني أريد التكلم مع بَابَارَتْمَا حَضْرَتْلَرِي ؛ فسكتوا كلهم ، ثم جرّ نفسه المبارك إلى الداخل والخارج ، فخرج من داخل قبر الشيخ بابا صوت عظيم مثل كُوكُوكُو ، فصار نصف الناس الكائنين هناك مغشيين من الخوف والهيبة من هول تلك الصوت الخارج كميِّتين ، فبعد ساعة جرَّ الشيخ محمود أفندي نَفَسه كذلك ، فسكت الصوت ، فقام الناس كلهم كنفس واحدة .

ثم قال الشيخ : إن بابارتما حضرتلري يقول لِكلِّكم : مرحباً مرحباً ، أهلاً وسهلاً ! وأنه قد رضي عنكم ، وأخبرني برضائه منكم .

ثم ذهب الشيخ إلى الحجر المشهور بأنه ممسوخ من الحية ، ثم لما وصل لديه قال : انصتوا حتى أسأل عن هذا الحجر حاله وشأنه ، وهل هو ممسوخ كما قيل أو مكذوب ؟ فضرب عصاه عليه واستخبر عن باطنه لديه ، فتحرك حركةً عنيفة هائلةً ، وخرج دخان مع رائحة كريهة ،

ثم قال الشيخ قدس سره : **إن هذا الحجر يخبرني أنه كان حيةً عظيمةً ، وكانت تأكل أغنام بابارتما ، وكان يقول لي وقتاً فوقتاً : يا حيوان الله! لا تأكل أغنامي وإنّ معيشتي عنهم وأنستي معهم**؛ ومع قوله لي هذه الأقوال اللينة كنت لا أترك أغنامه وأختلس منهم كل يوم واحدةً ، ففي يوم من الأيام كنت على هذا التلّ أترصد أغنامه للاختلاس ، وكان في ذلك الوادي ، ولكن لم أعلمه ، ورماني قوسه ، فوصل إلى جَنْبِي وخرج من الجنب الأخرى ، ثم جاء عندي وَعَلاَ عليّ بمكعبه ودعى عليّ وقال : كن حجراً بإذن الله تعالى ، فصرت حجراً كما ترى . انتهى ما ذكره الشيخ الحافظ سيدنا الحاج شعيب الباكني في « طبقات الخواجكان » من خطه .

واقعة عجيبة

وقد أخبرنا أخونا المرحوم الحاج محمد الهؤري نوّر الله ضريحه آمين : أنّ واحداً من الثقاة من رجال أشترخان أخبره بأنَّ الشيخ محمود أفندي كان يلبس لباساً حسناً ، وكان يدور على هيئة أهل الفخر والخيلاء ستراً لحاله ، وكان في جوار رجل ذهب ولده إلى الحج ، ففي يوم دعا ذلك الرجل أناساً إلى بيته ليتصدق عن ولده قائلاً : إن هذه الأيام أيام ركوب الحجاج على البحر مع السفينة ، ودعا الشيخ محمود أفندي قدس سره معهم إلى الدعوة ؛ ثم لما رجع ذلك الولد دعا أبوه الناس إلى أكل الطعام ودعا الشيخ معهم ، فلما رأى الولد الشيخ محمود أفندي أسرع إليه وعانقه وقبّله ، ولم يكن ذلك الرجل رأى محمود أفندي قبل ذلك ، فتعجَّب الناس وقالوا له : ما بالك تعانق هذا الرجل المجهول عندك ؟ فخرج وقتئذ ورقةً كتب فيها ما رآه في سفر الحج من الأعاجيب ، فوجد فيه هذه الواقعة مكتوبة : إنا كنا في يوم كذا من شهر كذا في الساعة الفلانية راكبين على السفينة ، وكانت السفينة تجري على البحر ، فخرج من البحر تمساح عظيم فأخذ السفينة ومنعها من الجريان ، فكنا متعجبين

متحيرين خائفين لا ندري ما نفعل ، فوقتئذ جاء رجل كذا صورته كذا ولباسه كذا وعلى رجليه مكاعب من الخشب ، وهو يمشي على الماء فوق البحر ، فطرد التمساح ومنعه ، فجرى السفينة على حالها ولم أر شيئاً أعجب من هذا .

فقال ذلك الرجل : إن هذا الشيخ هو هذا ، وأشار إلى مكاعبه المصنوعة من الخشب بأصبعه ، وقال : كانت هذه المكاعب - أي القبقاب - على رجليه في تلك الحالة المذكورة ، فإذا نظروا اتفق وقوع تلك الواقعة المذكورة في الساعة المذكورة من اليوم الذي دعا والد الرجل الناس إلى الدعوة في المرة الأولى ، فتعجَّب الناس على ذلك ، فصارت الواقعة سبباً لظهور ولايته في بلدة أشترخان . انتهى .

وأخبرنا الحاج حبيب الله القحي قدسر سره : أن رجلاً من أشترخان أخبره بأنّ عالماً كبيراً كان ينكر الشيخ محمود أفندي كثيراً ويتكبر عليه كثيراً ، ففي ليلة نام ذلك العالم ، فجاء الشيخ لديه في منامه وضربه بعصاه ، فاستيقظ العالم ونام ثانياً ، فجاء الشيخ ثانياً فضربه عصاه كذلك ، ثم نام ثالثاً ورابعاً وخامساً وسابعاً ، ففي كل نومة ضربه الشيخ بالعصا ولم يترك العالم[1] ليستريح في تلك الليلة . فتفكر العالم بعد ذلك وندم على إنكاره على الشيخ وتنبه وعلم أن الشيخ صادق في دعواه ، فارتحل صبيحة ذلك اليوم لدى الشيخ ووصل لديه ووقف عند الباب بُعَيْد من الشيخ ولم يتكلم ، فإذا وقع بصر الشيخ إليه ناداه وقال : أي حمار الذي لا يتنبه إلا بالضرب سبع مرات . وبعد ذلك لم يطق ذلك العالم أن يتكلم في مجلسه بكلام . انتهى .

---

(١) أي وقع له مثل ذلك سبع مرات . (منه) .

وفي « طبقات الخواجكان » : أن الشيخ محمود أفندي مرض في يوم الأحد ومات في يوم الأحد الخامس من محرم الحرام سنة ١٢٩٤ . انتهى مع اختصار .

وقبره في مكان بعيد من أشترخان بقدر ساعتين ، وزرناه مرّات ، فللّه الحمد ، وقد كنت أنا وأخونا الحاج محمد الهؤري والشيخ العارف سيف الله الحسيني قدس سره والحاج عبد الهادي الأشترخاني واقفين قبالة قبره الشريف مستفيضين من فيضه العالي متوجهين إليه ، فصرت أنا وقتئذ - ولله الحمد والمنة - في حضور وجمعية ، وزال من قلبي التفرقة بالكلية ، ورأيت بركة صاحب القبر بلا شك ولا مرية رزقنا الله سبحانه الزيارة إليه بعد الآن ، آمين .

وذكر شيخنا الحاج شعيب الباكني في « الطبقات » في ١٨٥ ما حاصله : أن إسماعيل أفندي السواكلي قدس سره كان قد هاجر إلى ديار الإمام شمويل قدس سره ، وكان في تربية الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره ، وكان مأذوناً منه للإرشاد ، ثم إذا وقع ديار داغستان في يد الكفار فارق شيخه جمال الدين ، لأنه مع العيال ذهب مع الشمويل إلى ولاية الروس ورجع الشيخ إسماعيل إلى وطنه الأصلي إلى قريته سَوَاكِل ، فبعد ذلك دخل في تربية محمود أفندي قدس سره ، وسبب ذلك أن الشيخ جمال الدين قال له عند مفارقته منه : يا بني ملا إسماعيل ! أنا القطب الآخر في ديار داغستان فلا يكون بعدي قطب إلى آخر الزمان ، وإن وصلت لمرشد وصل إلى مقام القطبية الكبرى يمكن لك الذهاب لديه للاستفادة ، وإلا لا حاجة لك للإياب إلى غيره ؛ فرسخ مقالته في قلبي .

ثم سمع أن في قرية ألمالُ رجل عظيم يدعي المشيخة ، لكنه كان لا يلتفت إلى أقوال الناس بالنظر إلى ما قال الشيخ جمال الدين قدس سره

وقت المفارقة ، وكان متيقِّناً أنه لا يكون أحد في ديارنا أكبر من الشيخ جمال الدين أفندي ؛ ففي يوم جاءت إليه رسالة من الشيخ محمود أفندي بطلب حضوره عنده فلم يلتفت إليه ، ثم بعد مدة جاءت ثانية هكذا فلم ينظر أيضاً ، ثم جاءت ثالثة : إن كنت تجيء تعال وإلا أجيء عندك ، فإني لا أستنكف عن زيارتك وإن استنكفت عن زيارتي . فتأثَّر هذا القول في قلبه وقال : فماذا يفعل إن ذهبت لديه فهل لا يحصل لي أجر زيارة الأولياء وإن لم يفدني بشيء .

ثم ركب الفرس الأبيض وارتحل ، فوجد عنده جماعة كثيرة ناكسين رؤوسهم من رهبته ساكتين من هيبته كأنّ على رؤوسهم الطير ، ثم لما اطلع على زمرته الكريمة رفع رأسه المبارك من أعلى ركبته وقال : اقعد يا أخي ، فلما قعد قال : يا ولدي حاج إسماعيل أفندي ! إن قول شيخك جمال الدين أفندي الغموقي : أنا آخر القطب في الداغستان الفاروقي حق عندنا وصادق لدينا ، ولكن نحن الأول منه في القطبانية والأفضل في الجيلانية ، ثم لما خرج هذا القول منه صار مغشيّاً عليه باستيلاء حاله لديه ولم يقدر لرفعه ولم يملك لمنعه ، فحين كان في الحال علقه وأدلاه من إبهام قدميه بلا مجال مربوطاً بهما من أعلى شاهق كبير عال لا يدرك قعره بالفكر والمقال ، فوقف الشيخ محمود أفندي على رأسه ناظراً إلى ضيق حاله وسُدَّة بأسه فخاف ونادى شيخه جمال الدين ، فجاء كالبرق الخاطف ووقف عن بعيد منه ، ونادى ثانياً وثالثاً ، فاستغاث له بإخلاصه مما وقع فيه ، فلم يقدر ولم يحضر لديه من هيبة الشيخ محمود أفندي ، فعلم أن الشيخ محمود أفندي أعلى منه ، فناداه واستغاث به ، فمد يده إليه وخلصه ، فبعد ذلك ذهب عنه الحال ووجد نفسه كالطير المذبوح المرمي بين الحلقة ، ووجد جميع أعضائه متألمة متمزقة ، فقعد على هيئته وأدبه .

فقال الشيخ محمود أفندي : يا حاج إسماعيل أفندي ! ما أصابك يا ولدي ؟ قد وقعتَ في حرج عظيم وضيق جسيم ؟ فقال : لا قول لي ولا جواب ، وأنت تعلم كله .

ثم قال : يا بني ! قد وجب عليك دخولك في تربيتنا ولا نكلفك كبيراً في خدمتنا . فلقن له ذكر القلب وما معه من الآداب ، وأرسله إلى بيته ، وكلما حضر لديه كان يجدّد درسه ويكثر ذكره ، ثم في آخر الأمر أجاز له وأذن له ، وبالوصول بشّره . انتهى حاصل ما في « الطبقات » مع اختصار وتغير في العبارات .

وسمعت شيخنا المرحوم العسلي يحكي هذه الحكاية بعينه ، لكنه قال : إن إسماعيل أفندي كان لا ينقطع الحب من جمال الدين ، فحين وقع له هذه الواقعة واستيقظ منها وعاد إلى إحساسه ، أمره[١] بالوضوء ثم سأله عما رآه في واقعته ، وقال له : يا ولدي ! إن فيّ تصرفات هكذا ، فاقطع المحبة من جمال الدين ؛ فبعد ذلك انقطع عنه تلك المحبة وردت إلى محمود أفندي بالكلية وصار من أهل دائرته ، وبذا صار من أهل الكمالة . انتهى .

وروى الشيخ الحافظ شعيب أفندي هذه الحكاية عن فم شيخه قصي أفندي مأذون الشيخ إسماعيل أفندي السواكلي المذكور عن فمه . راجع « طبقات الخواجكان » .

والشيخ قصي أفندي كان مأذوناً من الشيخ خليل أفندي الجنيغي الذي هو مأذون الشيخ جمال الدين الغموقي ، كما كان مأذوناً من الشيخ إسماعيل أفندي المذكور رضي الله عن الجميع آمين .

---

(١) يعني الشيخ محمود أفندي . (هامش الأصل) .

الشيخ الإمام الكامل والفرد الواصل العالم العلم مربي المريدين وضياء السلكين الشيخ الحاج جبرائيل أفندي الزاخوري ثم اللكتي قدس سره

ذكر الشيخ الحافظ مولانا شعيب الباكني قدس سره في « طبقات الخواجكان » أنه كان بسيط الوجه والكلام ، نشيط النطق والمرام ، كل من رآه يحبّه ، ومن جميع الخبائث يجبّه ، كان جسيماً عظيماً وقوراً حليماً ، كما هو دأب المشائخ كالجبال الشوامخ ، ذا خوارق كثيرة وكرامات عجيبة ، وكان يرحم لمريديه كالأب الرحيم لأولاده .

وكان أولاً مريداً للشيخ الأعظم والدرويش الأكرم الشيخ الحاج أحمد أفندي الألمالي ، ثم لما وصل شيخ الزمان محمود أفندي إلى القرية الألمالية من ولاية الروس تسلم ذلك الشيخ وجميع مريديه ، وكانوا ثلاثمائة لمحمود أفندي ، وكان كأصغر مريدي محمود أفندي لديه ، وكان محمود أفندي يحبه حبّاً عظيماً ويحترمه احتراماً جسيماً ، وكان يثنيه قبالة الناس ، وكان من أعاجيب الزمان في تصغير أمور الدنيا وزينتها والزهد فيها وفي ترك حطامها ، وقصصه عجيبة وحكايته شهيرة . ومات قبل(١) ارتحال محمود أفندي إلى الحاج ترخان ، وقبره هناك يزار ويتبرك ، فرحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا وعن جميع الإخوان والمسلمين .

ثم وقع الحاج جبرائيل أفندي في تربية محمود أفندي ، واجتهد اجتهاداً بليغاً ، وجاهد للنفس والشيطان جهداً منيعاً في مدة سبعة أشهر مع رفقائه الخلفاء ، فرفع حجاب البين ووصل الأين إلى الأين ، وأُجيز إجازة تامة ، وأذن لإرشاد الخلق عامة ؛ وكان رحمه الله تعالى من غريب آخر الزمان في جاسوس القلوب واتطلاع الأحوال والريوب .

---

(١) في ١٢٨١ . (هامش الأصل) .

من جملة اطلاعه عليها ما وقع لي معه حين كوني إماماً في قرية زاخور في سنة ١٣٠٧ ، جاء هو والشيخ الحاج حمزة أفندي وشيخنا الحاج قصي أفندي إلى قرية زاخور لزيارة ضريح الشيخ محمود المدفون هناك في قبل الزمان ، وكنت معهم أدور أينما داروا وأذهب حيثما ساروا .

وكان جماعة زاخور يحترمونهم احتراماً عظيماً ، وكانوا يضيفونهم في يوم واحد أكثر من خمس مرات ، وكانوا ينادوني معهم للضيافة ، وللأرض من كأس الكرام نصيب .

وكان الحاج جبرائيل أفندي يقعدني عنده في خوان واحد متصلاً ركبتي بركبته ، وكنت أجر إلى الخلف خوفاً من ترك الحرمة ، ولكن كان لا يتركني إلا متصلاً ، وكان شيخنا الحاج قصي أفندي الجنيغي ينظر إلينا ويتبسَّم ، وكنت هكذا معهم دائراً كالكلب المحبوب الدائر خلف صاحبه .

وفي اليوم السابع ناداه[١] معي مَخْصُوصَيْنِ خاله الشيخ الهرم بابا سعيد الزاخوري للضيافة ، وكنت معه سائراً مستوياً ، ولا أقدر أن أفرق بصري من وجهه ، وإن كان ترك أدب لشدة محبتي له ورسوخ مودتي له ، ثم قال : يا بنيّ شعيب أفندي ! إني أريد أن أذهب غداً إلى قريتي لَكِتِبْ وأستحي من قرابتي وأهل قريتي في هذه القرية الزاخورية لكثرة حرمتهم إلينا وازدحامهم بها لنا ، فوثب في قلبي حينئذ : هل أرى هذا الشيخ بعد اليوم بعد مفارقته منا أم لا ؟ **فبلا مهلة عكس ما في قلبي إلى قلبه ، وضمّني إليه وإلى صدره** ، وكنت في جهة يمنيه ، وبكى وبكيت ، ثم قال : يا بني شعيب أفندي ! إن أعطى الله تعالى لنا مهلة في الأجل نرى إن شاء الله تعالى ، وإلا فلا .

وكنت أخاف بعد ذلك في حقه ، وفي فوته عن يدي لكوني قاصداً قصداً مصمماً لدخولي في تربيته ، ولكن لا يكون إلا ما أراده ، ولم أره

---

(١) حاجي جبرائيل أفندي . (شعيب أفندي ، خطه) . (هامش الأصل) .

بعد ذلك ، ومات في ذلك الشتاء في شهر جمادى الأخير في سنة ١٣٠٧ ألف وثلاثمائة وسبعة ، رحمه الله تعالى آمين . انتهى .

ومما أخبرني العالم العارف أدرة العرادي الهدلي قدس سره : أنه كان في ليلة مع الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره يتكلم في حق الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره ، ووقع في المجلس كلام كثير ، وأسئلة عديدة ، ووقع في قلبه محبة الشيخ جبرائيل أفندي ، ثم ذهب الحاج عبد الرحمن لديه ، فحين وصل لديه قال له : ما كان ذلك الرجل الهرم يقول لك في تلك الليلة الفلانية ؟ فأخبره ما وقع بينه وبين أدرة من المكالمة ، ثم في هذه الليلة التي سأله الحاج جبرائيل هذه الواقعة رأى أدرة في المنام كأنّ رجلين جاءا إلى داره ، فكان في داره شيء من تَنْباك ، فقصد لستره منهما ، فأخذه وفر منهما ، فأخذاه وقالا له : تنباك[1] هذا وهذا ، فأهالاه وخوّفاه وحرّكاه وقالا له : لا بأس ، فإنّ هذا ذنب بينك وبين الله ، لكن لا بدّ لك من أن تجيء خلفنا إلى مكاننا لتلقين الذكر ؛ فسار معهما وجلس بين يديهما ، **ولقن واحد منهما الذكر القلبي له ، فاستيقظ ، فوجد قلبه يتحرَّك بحركات عجيبة ويرتعش بالذكر بكيفية غير معهودة قبل ذلك** .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن قدس سره يقول : إني كنت ذهبت لدى جبرائيل أفندي ، فحين وصلت لديه قال لي : لِمَ لَمْ تذهب لدى ذلك العالم أدرة لسلب حرارة قلبه وأخذ حاله ؟ فقلت له : إن الجُدْري قد عمّ في ريفه ، وخفت من تعديته[2] ، ولذا لم أذهب لديْه ؛ فقال ما معناه : أما أني لو كنت أنا مكانك لما تركته على تلك الحرارة ، ولو كان في محلته طاعون . انتهى .

وقال : هل يمكن لي أن أذهب لديه داخلاً من باب كوّته لسلب حرارته . انتهى .

---

(١) أيْ هَصُلْ تَنْبَاكُكِ هَوْكِ (عجم) . (هامش الأصل) .
(٢) وكان قدس سره لم يمرد بمرض الجدري . (منه) .

وسمعته ﷺ يقول : إن العالم محمد بن شعبان العسلي كان يسير خلفي إلى طرف النهر حين أذهب إلى ولاية زِيْر ، فإذا وصلت لدى الشيخ جبرائيل قال : إن الرجل الذي كان يسير معك وقت خروجك من القرية الأسود[1] لحيته أيّ رجل هو ؟ فقلت له : إنه قريبي ؛ فقال : إنه رجل يحبّك وسيصير مريداً لك . انتهى .

وأخبرني الحاج قُرَ محمد العسوي : أنه كان واقفاً قبالة الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره بالحضور والوقوف ؛ فقال للحاج عبد الرحمن : لِمَ لا تقول لهذا : كن على الحضور كما هو في الحال ؟ فقال الحاج عبد الرحمن قدس سره : إنه رجل غافل لا يكون على الحضور يا أستاذي ! فقال : **لعله يكون غافلاً لظنه أنه يتركني في مكاني هذا**[2] **مع أني أراه أين كان كما أراه في هذه الحالة** . انتهى .

وسمعت الشيخ عبد الرحمن قدس سره يقول : إني كنت أذهب في طريق فصادفتني نساء وبنات ، ونظرت إليهم لا بالشهوة بل لأرى كثرة الفضة الكائنة عليهن[3] ، فحين وصلت لدى الشيخ المذكور قدس سره وضع بين يديّ كتاب « منهاج العابدين » ، فقال لي : انظر إلى هذا الموضع من هذا الكتاب ، فنظرت فإذاً وجدت فيه[4] ما حاصله : إنَّ واحداً انقطع فيضه في مدة أربعين يوماً وسلب حاله لمجرد نظره إلى ثوب امرأة ، ثم قال : ما لك يا ولدي من رؤية فضتهن وكثرتها ، فما لك بكثرتها أو بقلتها ؟ !

---

(١) الأسْوَدِ لحْيَتُهُ : صفة الرجل . (هامش الأصل) .

(٢) أي : فلا أراه . .إلخ .

(٣) تعجباً . (هامش الأصل) .

(٤) لعله في هامشه . (هامش الأصل) .

قال الشيخ عبد الرحمن قدس سره : إنّي قلت له : فإذا لم يجز أن ينظر إليهنّ ولو بلا شهوة فماذا نفعل في ديارنا الجبلية التي تلقى نساءنا في الطريق بحيث تدفع[1] كتفهن على كتف الرجال ؟ فقال : يا ولدي ! افعل الرابطة للشيخ محمود أفندي قدس سره فعساك لا تحب حينئذ أن تنظر إليهنَّ كما لا تريد أن تنظر إلى السلدات الكافر .

قال : إنه لم يبدّل الذكر في هذه المرة ، ثم قال ﷺ : إنه وقع في ليلة بين البنات والنساء واجتمعن لديَّ ينظرن إلى وجهي بوضع مرافقهن فوق ركبتي ويطلبن كتابة التعاويذ لهن ؛ فاجتهدت في الحضور[2] ولازمت الوقوف القلبي ، فبعد ذلك وصلت لدى الشيخ جبرائيل قدس سره ، فتوجّه إليّ وبدّل الذكر من لطيفة إلى لطيفة ، وقال : **انظر يا ولدي الآن ، لم يحصل لك الضرر مع كونك في مجمع من تلك البنات والنساء لأجل كونك حاضراً**[3] . انتهى حاصل ما قال قدس سره .

وقال العالم محمد بن شعبان العسوي رحمه الله تعالى : إنه كان يصلي مأموماً خلف الحاج جبرائيل ، وكان معي الشيخ الحاج عبد الرحمن قدس سره ، فإذا سلم قال لي : إن القسوة التي حصلت لي مما خطر في بالك في الصلاة لم تذهب الآن يا ولدي ، ولو كنت على الحضور كما كنت في الركعتين القبليتين لصرتك في المقام . انتهى .

فما أعظم اطلاعه على الخواطر ، وما أصدق فراسته قدس سره ورزقنا فيضه وبركته .

---

(١) تُنْ كُلِبْ (عجم) . (هامش الأصل) .

(٢) أي : بالرابطة . (هامش الأصل) .

(٣) أي : على الحضور ووقوف . .إلخ . (هامش الأصل) .

ومما سمعناه من أفواه الناس : أنّ واحداً من العلماء ذهب لديه ليمتحنه ، فأمّ ذلك العالم له في الصلاة مع كونه قد طرح في كسائه بَعْر الحمار وصلى الشيخ مع من كان في المجلس خلفه ولم يتكلم بشيء بل ألآن له الكلام وداراه مع علمه ما يفعله العالم معه ، فبعد ذلك قال له ذلك العالم : هل صح لنا هذه الصلاة أمْ لا ؟ فقال قدس سره : **إن صلاتي صحت لعدم اقتدائي بك ، وصلوات هؤلاء قد صحت لعدم علمهم ما طرح في كيسك من بعر الحمار ، وأما صلاتك وأنت تعلم حقيقتها يا ولدي** . انتهى حاصل ما سمعته .

وقد كان شيخنا المرحوم قدس سره يخبرنا من مناقبه وأحواله كثيراً ، وكان يقول : إنه كان قطباً رزقنا الله تعالى من ميامن معارفه ولو قليلاً آمين .

العالم الواصل والفاضل الكامل القطب الحقيقي

الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره

كان قائماً بإذن شيخه المذكور على تربية المريدين وتسليك السالكين وإفاضة المستفيضين وإفادة المسترشدين ، ولم يسمع إلى الآن في ديارنا أكثر منه إرشاداً وأعلى منه مقاماً ، كان في هذه الطريقة مستقيماً ، وفي حفظ الآداب ملازماً ، قد خدم الشيخ الكامل جبرائيل أفندي في سنين عديدة ، وأتمّ السلوك عنده في مدة مديدة ، ولازم الخلوة واجتهد في الرياضة والمجاهدة ، ولم يقع بينه وبين الحضور والوقوف حجاب ، وصار كائناً بائناً عرشيّاً فرشيّاً ، ووصل إلى مقام لا يشغله الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق ، وترقى من ملاحظة الأكوان إلى مراتب الشهود ومراتب التوحيد والتجريد ، فأجاز له شيخه المذكور بالإجازة

المطلقة ، واجتهد بعد ذلك في إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وتحمل مشقة التصرُّف والتوجُّه حتى صار قطب البلاء .

وقد قال لي مرةً : **إن أهل البلدة الكبيرة لا يحملون ما أحمله** .

بل قال لي مرةً أخرى : إني كدت أن أموت بكثرة التوجهات وكثرة تردد الناس لديّ ، وظننت أن الموت يكون خيراً لي من أن أكون حيّاً مع هذه الحالة الشقة ، ولهذا اجتهدت في تلك الساعة في التوجه إلى المريدين رجاء أن يموت بذلك ، لكن الروح كان يخرج إلى الصدر ويدخل في الوقت إلى البدن . انتهى .

فقال : إن رأسه يكون كأنّه يُضْرَبُ بالعصا ، وكان لا يفارق نفسه عن الأمراض ولو ساعة ، فجزاه الله على ذلك وجعله سالكاً في سلك المقرَّبين في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وقد كان قدس سره عجيباً في اطلاع خواطر القلوب ولا يخفى عليه شيء من الأحوال .

وقد كنت أصلي جماعةً مع امرأتي في حجرة ضيقة بحيث لا يجوز بها أن تقف خلفي وفق ما في الكتب ، بل كانت تقف في جنبي الأيمن كالرجل لضيق الحجرة ، فحين وصلت أنا وتلك المرأة لديه قال قدس سره : إن المرأة لا يجوز لها أن تقف في الصلاة إلا خلف الرجل ؛ فتعجبنا في اطلاعه على أحوالنا مع كون قريتنا بعيدة من قريته .

وأيضاً كنت أنا والحاج محمد الهؤري واقفين في غرفة رجل والشيخ قدس سره في بيت يعطي الإنابة لأناس كثيرين ، فقال لي محمد الهؤري رحمه الله تعالى سرّاً : إن توجهت إلى النساء بالذهاب إلى بيت آخر يكون خيراً ؛ فوقتئذ جاء واحد من عنده قائلاً : إنَّ الشيخ يقول لك بأن تتوجه إلى النساء الكائنات هناك بالذهاب إلى ذلك البيت .

وكنت يوماً أذهب لزيارته ، وكان معي واحد من المريدين ، فوقع بيني وبينه كلام كثير في معنى قولهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين ؛ فحين وصلنا لديه تكلم بمعنى ذلك القول بما يحل عنا الإشكال مع كوننا لم نسأله ولم نكلم في حقه ولو بكلمة . انتهى .

وأيضاً كنت أنا والحاج حديث وشعبان العوري نذهب لديه ، فوقع بيننا كلام في حق من يتشيخ بدعوى باطل وفيما يفعله ، فقلت لهما : نحن نمتحن الشيخ في اليوم ، فانظروا ماذا يقول لنا في حق كلامنا هذا ؛ فحين وقفنا قبالته قال لي : لِمَ لَم تذهب لدى ذلك المتشيخ ؟ وقال في حقه كلمات كما كنا نتكلم في الطريق فعلمنا أنه يطلع الأحوال ولو كنا بعيدين عنه .

وأيضاً قلت لرفيق لي حين نذهب لدى الشيخ قدس سره : لِمَ لا تقول للفلان بعدم مجيئه إلى مجلس الختم والصلوات وأنا أكون خائفاً من وقوع الضرر لنا بسببه[1] ؛ فبعد وصولنا لدى الشيخ قال : لا يجوز أن يقول لأحد : لا تجئ إلى مجلس الختم والصلوات . انتهى .

وأيضاً كنت أقف أذكر الله تعالى في مكان مبنيّ في التراب ، فحين زرته قدس سره قال لي : هل تكون في تلك المكان مع أنه لم يصل إلى قريتنا منذ زمان ولم يرَ مكاننا قط ؟ فقلت له : نعم يا أستاذي ، وصرت متحيراً .

وأخبرني العالم أدرة العرادي قدس سره : أنه كان في خلوة ، ففي صبيحة يوم فعلت الرابطة فلم أقدر عليها ، ثم صرت أذكر الله تعالى فلم أطق أن أذكره تعالى ، ووقعت في فتور وقبض ، فقصدت أن أنام ونمت مادّاً رجلاي ، ففي ذلك اليوم اجتمت مع الشيخ قدس سره ، وقال لي : أيَّ شيء كنت تفعله في صبيحة هذا اليوم ؟ فقلت له : لا أدري يا أستاذي ، فأي شيء فعلته ؟ فقال لي : إنّك قصدت لفعل الرابطة فلم

---

(١) أي : لكون ذلك الرجل رئيس القرية محسوداً لا يحبُّه كثير من الحاسدين . (منه) .

تقدر عليها ، ثم دخلت في ذكر الله تعالى فلم تطق عليه أيضاً فنمت بعد ذلك قبالتي بمدّ الرجلين . انتهى .

وقد سمعت أخانا في الله العارف بالله أبْدلو القحي يحكي : أنّ امرأة صالحة عجوزة كانت تذهب لدى الشيخ قدس سره ، فرافق[1] معها رجل وحمل فروتها على فرسه في مدة ثم لقيت برجل آخر فأركبها على فرسه في مدة ثم كانت تسير في الطريق ، فلقيها رجل آخر فأركبها على فرسه في مدة ثم كانت تسير في الطريق ، فلقيها رجل آخر راكباً على فرسه ، فخاف فرسه منها وشرد وتحرك فألقى الرجل من الفرس على الأرض وغضب عليها وقال لها : هل تكوني كالذئب ؟ ! وكانت المرأة مُنْحِيَةً[2] لا تطيق أن تسير إلا منحيةً ، فبعد وصولها لدى الشيخ قال لها : ليس لك منفعة ما من أحد إلا مني في الدنيا ولا في الآخرة ، فإني أكون معك حين يقبض روحك لطرد الشيطان عنك ، وأكون في قبرك لأجيب المنكر والنكير والحال أنت ساكتة ، وأكون معك إذا تسيرين لدي وحين ترجعين من عندي ، أما حمل فروتك رجل كذا من موضع كذا ؟ وأما أركبك رجل آخر على فرسه في مكان كذا ؟ وأما ألقي رجل آخر من فوق الفرس على الأرض بشرده خوفاً منكِ في بقعة كذا في الطريق ؟ فقالت : نعم يا أستاذي . انتهى .

وأخبرتني زوجتي غفر الله ذنبها أنّ هذه المرأة أخبرتها[3] بعينها مشافهة ، وكانت هذه المرأة امرأة صالحة عابدة تذكر الله كثيراً ، وكان الشيخ يلاحظها ويأمرني بذهابي لديها للتوجه إليها ، واسمها : فاطمة ، ولقبها : عِسَلَيْ الطليقة رحمها الله تعالى ، وماتت في غزانش ، ودفنت عند قبر محمد رسول ولد الشيخ المذكور نور الله مرقده ، آمين .

---

(١) وهي في الطريق . (منه) .

(٢) وفي نسخة : منحنية .

(٣) أي هذه القصة .

وأخبرني العالم حجيو البقاچي رزقه الله التوفيق : أنه كان يذهب لزيارته قدس سره ، وكان معه رجل آخر من مريديه ، فسرنا نتكلم بكلمات كثيرة مما لا طائل فيها ، وغسلنا أبداننا في نهر تحت السماء بلا حاجز ولا حجاب ، فبعد وصولنا لدى الشيخ قدس سره قال لنا : لا يجوز للزائر أن يتكلم في الطريق مما لا فائدة فيه ، ولا يجوز أن يغتسل تحت السماء بكشف العورة بل يغتسل في البيت ، ثم يسير على الوقوف والحضور ، فإذا كان الزائر يسير على الحضور لو سقط من شاهق وقتئذ فاللوم على الشيخ لو لم يأخذه ، يعني لو لم يمنعه من السقوط . انتهى . وقال لي أخونا العالم دبر محمد القحي : إني كنت ناظراً إلى امرأة أجنبية تذهب إلى بيته ظنّاً مني أنها تذهب خائنة لزوجتي ، فكنت مترقباً في مدة ، فحين وصلت لدى الشيخ توجه إليّ الشيخ قدس سره ، فقال لي الشيخ : إلى أي امرأة كنت نظرت ؟ فقلت له : إنّ امرأة ضيفي كانت لقيت بي في الطريق ، فكنت تكلّمتها يا أستاذ ؛ فقال : ليست تلك المنظورة من نساء قريتنا ، بل هي من نساء قريتكم ، فتذكرت واقعتي وعلمت أن الشيخ اطلع على أحوالي . انتهى .

وأمثال هذه الحكايات وقعت في نفسي كثيراً ، ويخبر المريدون أنه قدس سره كان يخبرنا كثيراً أن في قلبك صورة شيء كذا مما كنت رأيته وتفكرته ، ولأجل انطباع الصور في القلب الصافي يجب على السالك الذاكر لله كثيراً أن لا ينظر إلا إلى قدميه عند المشي وأن لا ينظر إلى الأشياء المحسوسة ، فإنّ الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة والتفرجات المتشتتة ورؤية الأكوان والأشكال المتنوعة ويستقر في القلب ، فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة ؛ وأيضاً تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتى وسماعه ،

وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة واستماع الغناء والنغمات المطربة ، وهذه المذكورات كلها موجبات للبعد والغفلة عن الله تعالى ، فنفيها واجب على الطالب ، فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد الخيالات الفارغة ليتوجه إلى الله تعالى بقلب صاف كما هو مذكور في « الرشحات » .

وقد كان قدس سره يمنعني عن المطالعة إلى الكتب وقراءة الدرس ولو للولد وقت سلوكي ، وكان يقول : لا شيء أضرّ للسالك من مطالعة الكتب ، وهذا القول حق صادق ، لما أنّ الحضور يفوت لو نظر إلى الكتاب بالتدبر والتفكر ولا يفهم من الكتاب شيئاً لو جمع بين الحضور والمطالعة ، فتوجه القلب بالكلية إلى تدبر الألفاظ والمعاني يصرفه عن الحضور بالله بلا شكٍّ ولا مِرْيَة .

ولا يخفى أن المقصود[1] من السلوك في هذا الطريق كون القلب حاضراً بالله ، ومن أراد حصول هذه النسبة ينبغي له أن يجتنب كل الاجتناب من كل ما يورث الخطرات ، والله وليُّ التوفيق .

وكان قدس سره ذا خوف شديد من الله ، وقد قال لي واحد من أخصّ أصحابه أنه قال : إن قلبه يكاد أن ينشق إذا تفكر في الموت . انتهى .

وقال لي أيضاً : إنه قدس سره قال ما معناه هذا : إني أكون أريد أن أكون مريداً والمريدون يريدون أن يكونوا شيخاً مثلي . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول : إني أكون خائفاً من أن أكون من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ الآية ؛ وكان يقول إذا اشتد عليه الأمراض والأثقال بكثرة التوجهات والتصرفات ما معناه : أرجو الله تعالى أن يكون هذا لي بدل العذاب في القبر . انتهى .

---

(١) راجع « الرشحات » . (هامش الأصل) .

وكان يقول : إني لا أنام في الليل ولا أقدر أن آكل . انتهى .

وقال أيضاً : إنه كان يقدر أن يأكل في مدة من شهر رمضان في سنة ذهابه إلى سفر الحجّ أدرفتين وفي مدّة أدرفة وفي مدَّة نصف أدرفة وفي مدّة ربع أدرفة ، فانظر إلى قلة أكله ، لكنَّه قال لي مرة : إني أجوع جوعاً شديداً ، وإن بقيت حيّاً إلى وصول شهر رمضان من السنة الآتية لما وجب عليَّ الصوم . انتهى .

وكان نحيفاً ليس على بدنه لحم ، ضعيفاً لا يقدر السير في الطريق إلا راكباً ذهاباً وإياباً ، وكان به مرض الخفقان ، وكان ذلك المرض من أصعب الأمراض الكائنة في جسده .

وحين أذن لي لتلقين أذكار السلوك وجدت الأمر صعباً وخفت من ذلك فقلت له : إني لا أرى نفسي أهلاً لذلك ولي خوف من عدم إطاقتي على الاستقامة ؛ فقال رضي الله عنه مرة وهو حزين نادمٌ : أيّ شيء أفعله يا أخي لو لم تفعل ذلك والحال أني لا أقدر عليه ، يعني لشدة ضعفه وعدم إطاقته حمل أثقال المريدين .

وقال مرةً أخرى حين رددت ذلك القول : ألست يا أخي تعلمهم الطريقة الحقة وتلقنهم التوبة ، والحال أن طائفة أخرى من المتشيخين يعلمون الناس ما لا أصل له . انتهى .

ثم بعد مدة قلت له : يا أستاذي ! إني أقول لو تأخذ مني الإذن والإجازة لأريد أن أكون في كهف خال عن الناس مع العيال بترك العقار والمنقول ؛ بيد أنه أكَّد عليّ الأمر ، ولا بدّ لي من الامتثال ، رزقنا الله الاستقامة والتوفيق وهدانا إلى أقوم طريق بمنّه وفضله إنّه وليُّ التوفيق والموصل إلى مقام التحقيق .

وقد كان ﵁ ساتراً لأحواله لا يترك أحداً يطلع على أسراره ، وكان أكثر كلامه بالإشارة ؛ وكان لا يقول قولاً ما ينكسر به قلب أحد من المريدين ، بل كان إذا رأى في أحد شيئاً من الذمائم يشير إليه من مكان بعيد ؛ فقد كان إذا رأى في أحد حبّ الدنيا يقول : إن رجلاً كذا يحب الدنيا ولولاه لكان عالماً ذا أحوال . .إلخ إلخ .

وإذا رأى في مريد آخر بخلاً يذكر ذلك الرجل المذكور ويقول : إنه رجل حسن لولا بخله ، وهكذا وهكذا كان يشير كثيراً بما لا يفهم المشار إليه أنه[١] في حقه .

وكان إذا توجه إليَّ يأمرني بالوقوف وبتوجه القلب إلى قلبه مع ملاحظة روحانية الشيخ بينه وبيني وتحصل الحرارة الشديدة في الألطافه بحيث لا يطاق حملها ، وقد أمرت مرةً زوجتي بوضع الثوم المطحون[٢] على ظهري لظني[٣] أن الحرارة من أثر المرض الحادث ، هكذا كان أثر توجهه ﵁ .

وكنت مرات يحصل لي حرارة القلب حين غاب عنه ، وكنت أتعجب من ذلك ، فإذا وصلت لديه قال قدس سره : إن تلك الحرارة من أثر توجه الشيخ ، يعني ولو كان غائباً .

وفقال له العالم العارف الحاج عيسى القحي رحمه الله : هل ينظر الشيخ إلى المريد حين غاب هو يا أستاذي ؟ فقال ﵁ : نعم ينظر إليه ، فإن وجده على الحضور يلاحظه وينفعه ، وإلا فلا يلاحظه ويتركه على حاله . انتهى .

---

(١) أي : الإشارة . (منه) .

(٢) وفي نسخة : المدقوق .

(٣) مما يلي القلب . (هامشا لأصل) .

وكنت في حالة كون ذكري على لطيفة النفس والجسد **أسمع أصوات الذكر حين ذهبت إلى الإصطبل** لقضاء الحاجة ولا أسمعه في المسجد ، فكنت أتعجب كثيراً من ذلك ، فحين وقفت بين يديه قال لي : إن سماع[1] أصوات الذكر في وقت قضاء الحاجة لكونه حالة تركنا إياه . وكنت لا أفهم المراد من كلامه هذا حتى وجدت في « الرشحات » ما حاصله : أن نفس التوجه إلى الشغل يكون سبباً لستر النسة . انتهى . فجزاه الله عنّا خيراً وغشي قبره نوراً آمين .

وقلت له مرةً : إن الناس يقولون بأنّ في قبورنا قبر وليّ في مكان كذا لكنهم لا يعرفون تعيينه ، فهلا يجوز إظهاره ليكون مزاراً ؟ فقال غيظاً : لا يكون أمثال ذلك حسناً ؛ فندمت على ذلك ، وحصل لي بذلك قبض ، ثم إذا علم انقباضي وانكساري انبسط الكلام وقال : كان الشيخ الحاج جبرائيل والشيخ الحاج أحمد التلالي قدس سرهما يذهبان في بريّة ، وكنت أسير خلفهما ، وكان في موضع من البرية قبر وليّ ليس عليه علامة ولا نصاب ، فحين وصلنا إلى ذلك القبر سار الشيخ جبرائيل أفندي على حاله ، وأما الشيخ أحمد التفت وقال متعجباً : ما هذه الرائحة وما هذا الفيض الكائن ههنا ؟ فقلت له : سِر ، وأَنَا كُنْتُ فَسَقْتُ ، يعني أخرجتُ الريحَ من دبري ، فالتفت إليّ الشيخ الحاج جبرائيل قدس سره وقال لي : قل هكذا ، قل هكذا يا ولدي ، ينبغي أن تقول هكذا ، واستبشر من قولي . انتهى .

وسمعت أن واحداً من أهل الكشف قال له : لِمَ لا تظهر هذا القبر الكائن في هذا المسجد[2] لئلا يصلي عليه الناس ويقف عليه أرجلهم ؟ فقال ﵁ : إن من يعرف القبر لا يصلي عليه ولا يطأ رجله عليه ، وأما من لا يعرفه لا حرج عليه . انتهى .

---

(١) يعني ذكر الجمادات . (هامش الأصل) .

(٢) أي : في مسجد قريته العسوية .

وسمعته قدس سره يقول : إنه كان لا يعرف كيفية النفي والإثبات بحبس النفس على شروطه ، ثم إذا كان في السلوك جاء لديه روحانية الغوث محمود أفندي قدس سره فأمرّ إصبعه من السرة إلى الدماغ ومنه إلى الكتف الأيمن ومنه إلى القلب فصار في الحال خطاً نورانيّاً على صورة لا المعكوسة ، فبعد ذلك سهل لي ذلك وعلّمت المريدين كيفيته بعد ذلك . انتهى .

وسمعت المريد الصادق الحاج قربان العسوي يحكي عن رجل قراخي أنه قال : إن المريدين الكائنين في تربية الشيخ الحاج جبرائيل أفندي قدس سره كان فيهم سوء الظن في حقه لإعطائه الإجازة للحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ، وكانوا يقولون : هل يعطي الجبلي[1] الإذن إلا للجبلي ؟ فحين ذهب هو وإياه في بقعة من الجبل المزار وعظ للناس وعظاً ، فبكوا كلهم بكاءً كثيراً إلا واحداً من الأبساريّين فكان واقفاً وناظراً إلى الشيخ ، فطرأ عليه حال يحركه وبكى بكاءً شديداً ، وعلق[2] على الشيخ جبرائيل وعانقه ، ثم قال الشيخ : أيها الناس ! إنكم تظنون أني أعطيت الإذن لرجل جبلي ولم أعطه رجلاً منكم ، فهل يجوز لي عدم إجازتي إياه مع أني لو نظرت إلى العرش أو إلى الكُرسي أراه هنالك ، وإن نظرت إلى السماء اراه هنالك ، وإن نظرت إلى الأرض أراه هنالك ، وإن نظرت إلى الجنة أجده هنالك ولو كان لي اختيار لإعطاء الإذن لمن أردته لأجيز لفلان وفلان ، يعني من أولاده أوْ أقاربه . انتهى .

وقد أخبر تلك القصة بين يدي الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره .

---

(١) ويفهم من هذا الكلام أنّ أصل جبرائيل أفندي كان من الجبليّ وإن كان هجرة أبائه في قرية لَكِةْ . .إلخ ، فتدبر . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة :وتعلَّقَ . (هامش الأصل) .

وسمعت لشيخنا الحافظ العارف شعيب الباكني يحكي عن الشيخ جبرائيل أنه قال : لو كان لي اختيار لأذنت لِمَلَّل محمد . انتهى . ولعله أنه قريبه . والله أعلم .

وسمعت الشيخ العسوي يقول : **إنّ الحاج جبرائيل قال : يا ولدي! إني لم أعط لك الإجازة إلا بعد إيراد الإذن من الله ورسوله** . انتهى .

وسمعت واحداً يحكي عن واحد من مريدي الحافظ شعيب أفندي قدس سره : أنه ذهب لدى ولد الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره للتعزية حين مات هو في قرية جده ، وكان واضعاً[1] في البيت قبل الدفن ، فقام الرجال الكائنون في البيت إكراماً له وألحّوا له بالقعود كثيراً ، ولم يقعد ، ولو أمروا به وتضرعوا ، بل قام طويلاً ، ثم سأله رفيقه من مريديه : لِمَ لَمْ تقعد يا أستاذي مع كونهم يطلبون منك القعود بالتضرع والإلحاح ؟ فقال : **لم يكن في البيت مكان أقعد فيه** ، ولم يزد فوق ذلك ؛ قال ذلك المريد : ولم أطق أن أسأله هل كان في ذلك البيت ملائكة أو أرواح . انتهى .

وسمعت واحداً يحكي عن واحدٍ من مريدي الشيخ الحاج مصطفى أفندي الغذبري قدس سره أنه قال : إن رفقاء الحاج عبد الرحمن قدس سره أمره بدخوله إلى القبر ليُلْحده ، وألحّوا له إلحاحاً فلم يدخل لوضعه في اللحد ، ثم سأله ذلك المريد : لِمَ لَمْ تدخل أيها الأستاذ مع ذلك الإلحاح والتضرع ، فقال له : **كان في القبر روحانية الإمام النقشبند وروحانية القطب خالد شاه وروحانية الغوث محمود أفندي قدس الله أسرارهم ، ومن يطيق أن يقف بينهم** . انتهى .

ومما أخبره القاضي أحمد الطليقي الذي كان يُدخِل الشيخ في القبر أنه ظن وقت دفنه لو كان كتف الشيخ مائلاً هكذا فوقتئذ **مال الشيخ كتفه**

---

(١) مكفّناً . (هامش الأصل) .

بنفسه وهو ناظر كما أراد ، وكان ذلك العالم المذكور يعتقده بعد ذلك ويخبر مناقبه ودخل بعد رجوعه[1] في دائرة مأذون الشيخ قدس سره .

ورأيت الشيخ شعيب الباكني يبكي كثيراً حين يذكر عنده الشيخ المذكور ويثنيه ثناءً كثيراً ويقول : إنه كان من أحبابنا . انتهى ، فجزاهما الله عني خيراً آمين .

وكان يقول : إنه ذهب لديه[2] - أي : سلك في سلكه بعد موت شيخه أحمد التلاني - وقد كان الشيخ العسوي أخبرني قبل موته أنه جاء لديه وطلب توجهه إليه قائلاً : دِدَ شِوْ بَلَهِلِوْ هَنْجِ مُنْ بَلَهَنِ كُرُكُ . انتهى .

وقد سلكتُ في هذه الطريقة النقشبندية على يد ذلك الشيخ المذكور ذي الجناحين العسوي قدس سره ، ولقنني الذكر بلفظ الجلالة بترتيب اللطائف وعلمني رسوم التفريد بالكلمة الطيّبة ، وأظهر لي مراتب التوحيد بتلقين النفي والإثبات مع حبس النفس على ما هو مقرَّر في كتبهم ، وبعد ذلك لقَّنني المراقبات على الترتيب المعلوم ، وربّاني إلى أن صرت بحمد الله وفضله ومنّه موسويّ المشرب ، وأذن لي للتلقين والتعليم ، وكتب لي مكتوب الإجازة للتصديق والتصويب ، وذهب هو مع ولده محمد رسول إلى الحرمين الشريفين وزيارة بيت الله الحرام .

فمات قدس سره في جدة ، ودُفِن هناك في مكان قريب إلى قبر أُمّنا حوّاء عليها السلام ، ومات ولده أيضاً في قرية غزانش الأعلى ، ودُفِن في مقبرة تلك القرية قبل أن يصل إلى قريته ووطنه ، فغفر الله لهما ونوَّر لحْدَهما ووسَّع قبرهما وأعلى درجتهما آمين .

---

(١) من سفر الحج . (هامش الأصل) .

(٢) أي : لدى الشيخ العسليّ قدس سره . (هامش الأصل) .

وقد كان قدس سره أخبرني بأنّ الشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس سره رجل قد أتم المراقبات ، فحين جاء ذلك الشيخ إلى ناحية هيد ذهبت لديه مع جمع من أحبابنا العلماء السالكين ، فوجدته كما وصف شيخي القبلي ، واعتقدت فيه بأنه الكامل المكمّل ، فطلبت منه الإذن لسلوكي في دائرته وتلقين المراقبات المعلومة عنده فأمرني بالاستخارة ، وفارقت منه ، ومضى من ذلك زمان ، ثم في السنة الآتية جاء هو إلى تلك الناحية ، فزرته ثانياً فطلبت منه ما كنت طلبته من قبل بالتضرع والإلحاح ، فسلكني في سلك إرشاده وقبلني ولداً معنويّاً رُوحيّاً له ، وتوجّه إليّ ولقَّن لي مراقبة فوق مراقبتي ، وبعد ذلك رباني بالجمال ونظر إليّ في الغيبة وفي الحضور وعلمني جميع المراقبات التي علمها له أشياخه ، وقال بعد ذلك : إن الشيخ أحمد التلالي قدس سره كان يقول : إن القطب محمود أفندي لم يعلّم أحداً من خلفائه مراقبة فوق هذه المراقبة ، وبهذا صار الشيخ المذكور أستاذاً لي من هذه الجهة ، ولأجل ذلك أردت أن أذكر ترجمته في أثناء التراجم ، والله ولي التوفيق .

الشيخ الكامل المكمل قطب دائرة الإرشاد في هذه الإقليم ومَوصل العباد إلى الملك العليم حافظ كلام الله المجيد ومزيل الشبهات في ملّة الإسلام والدين مصنّف علم السير والسلوك الفقيه المتصوّف العالم الرباني والعارف الصمدانيّ الحاج شعيب أفندي الباكنيّ القصرخيّ قدس الله سره

قد قرأ العلم على العالم المتورّع والده المحترم إدريس أفندي ، وعلمه القرآن في قرية قنداخ حين بلغ عمره إلى سبع سنين ، ولم يحتج للتعليم بتوفيق الله من فوق سورة الإخلاص ، وهذا من أعجب ما سمع ، وكان والده المذكور يتعجب من سرعة فهمه وغلبة حصول ذهنه إلى حقيقة قرائته ، وكان يحلف كثيراً : إنك لست بابني ، لأنه كان بطيء الفهم ، وكان يؤدّبه تأديباً بليغاً وبذا كان الشيخ قدس سره لا يذهب إلى مكان فيه وليمة ولَغْوٌ ولهْوٌ ، وصار كونه مع العلماء والعقلاء ملكةً طبيعية من زمن صِباه ، فقرأ العلوم المتداولة على العلماء الأعلام ، وصار متبحراً في كل فن من فنون العلوم ، حتى صار مصنفاً يحل المشكلات ويؤلف الكتب العجيبة النفيسة ، وأقرّ له فحول العلماء وانتشر صيت علومه في الأطراف .

وفي ١٣٠٧ ارتحل إلى قرية ژاخور من قرى سمبور ، وكان مدرساً لتلامذتهم ، ثم في أثناء تلك السنة اجتمع في صيفها المشائخ الثلاثة الكمل : الشيخ الحاج جبرائيل أفندي ، والشيخ الحاج حمزة أفندي مأذونيْ الشيخ محمود أفندي والشيخ الحاج قصي أفندي مأذون الشيخ إسماعيل أفندي السواكلي ، فصحب معهم أسبوعاً ، فصادوه عن الدنيا والآخرة ، فما رأى الدنيا إلا كظِلِّ الشخص ، وربط محبته معهم بحيث لا تفارق معهم أبداً .

وعزم لدخوله في تربية الحاج جبرائيل أفندي ، لأنَّ محبته كانت معه أشدّ ، فحين كان على ذلك العزم المصمم مات ﵁ ، وحزن عليه حزناً كثيراً .

ثم ولَّى قاضياً بالتكليف في قرية جنيع ، بيد أنه وإن وقع في أمر القضاء كان لا يرى رسائل الحكام إلا كفحم لمفارقته من حب الرياسة ، ثم استخار الله تعالى في شتاء تلك السنة ليوصله إلى شيخ مرشد كامل ، فوقع استخارته للشيخ الأكمل أحمد أفندي التلالي قدس سره ، ولكن وقع خدمته أوّلاً بلا اختيار منه عند الحاج قصي أفندي ، فربّاه أحسن تربية وجعله في خلوة تسعة أشهر متوالية في قرية مُسْروخ ، وفي تلك الحالة صار حاله مطمئنَّة ، وأجازه إجازة تامة ، وكان ذلك في سنة ١٣٠١ ، تم توفي الشيخ قصي أفندي بعد إتمام جميع المراقبات في سنة ١٣١٤ ، ولكنَّه لم يظهر إجازته لأحد لاستحيائه وخوفه من الله تعالى .

ووقف في ذلك الخمول والخفاء سبع سنين ، ثم دخل في سلسلة الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي ، وبعد ثلاث سنين أجازه للتلقين والإرشاد وجعله خليفة يرشد العباد إلى سبيل الملك المجيد ، وأعطى إلى يده كاغذ الإجازة ، فظهر رحمه الله تعالى اضطراراً بين العباد ، وارتحل إليه كل من أراد السلوك ، فصاروا ألوفاً ، ولم يسمع إلى الآن في ديارنا أكثر نفعاً وإرشاداً منه ومن شيخنا القبلي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس الله أسرارهما ، وبهما صار أقطار ديار داغستان مملوءة من الفيض والإمداد ، وبتصرفهما حصلت التصفية والتزكية لكثير من الناس ، فجزاهما الله عنا خيراً .

وذكر قدس سره في « طبقات الخواجكان » : أن الشيخ قصي أفندي كان يقول له : يا شعيب أفندي ! إنما نظري إليك وفكري عندك ، فلا تنظر إلى غيرك من الإخوان في تساهلهم في أورادهم وآدابهم ، وإن الله تعالى أراني إياك في أداء حقوق الإرشاد والإقامة في مقامي للاستمداد ، وكنت

استخرت الله تعالى قبل هذا بيسير بسنين قبل اجتماع الأجساد بأن أقول : إلهي يا ربي ! هل تهب لي مقيماً يقوم مقامي ويؤدي مرامي ؟ ثم نوديت في سرّي : إني أعطيتك ووهبتك رجلاً داغستانياً شموليّاً ، ووصفني بصفتك ، ولا أريد غيرك .

وكان يقول : يا ولدي شعيب أفندي ! إن شيخي وروحي حاج إسماعيل أفندي قد جعلك ولداً له في عالم الأرواح ، وقال في حجلة الأنس : إلهي يا ربي إني اتخذت هذا ولداً لي فعلمه الكتاب واجعله حافظاً وعرّفه تأويل القرآن ومعالم العرفان ، واجعله من أوليائك وزمرة أصفيائك . انتهى .

وكان الشيخ المترجم رحمه الله محتاطاً في كل الأمور خاصة في حق الإذن والإجازة ، وقد كتب إليّ مرة ما حاصله : إنّ لي من الإخوان عشراً أو أكثر يجتمع النبي عليه السلام في اليقظة ، ومنهم من وضع الشيخ محمود أفندي تاجاً على رأسه ، ومع ذلك لم أعلّمهم ولم أجز أحداً منهم للتلقين خوفاً من أن يكون ذلك مكراً واستدراجاً ؛ وقد قال لي مثله بفمه[1] .

وذكر في « طبقاته » أيضاً عند بيان من منّ الله تعالى به عليه من النعم التي يستحق الشكر عليها ، وذكرها مع الاعتراف كما ذكر السادة مِنَنَهمْ : أن مما منّ الله تعالى عليّ شدة حيائي من أوّل نشأتي ووقت صباي ، حتى أكثر من البكر العذراء ، وكنت في كمالة شبابي لا أقدر أن أنظر إلى وجه رجل فضلاً عن امرأة ، وكنت حين كنت متعلماً في القرى أسأل رفقائي أن لا يرسلوني في حوائج المتعلمين إلى خارج المسجد ، وكنت ألتزم جميع خدمة المسجد ، والتلاميذات تركوني ، « وإن الحياء

(١) وقال : إنّ الذي وضع عليه التاج هو الحاج إبراهيم القشري ، وقبل فراقه من الدنيا أذن له ، رزقه الله التوفيق ، آمين . (منه) .

من الإيمان » ، وإنّي إلى الآن بحمد الله لا أقدر بشدة حيائي أن أنظر إلى وجه امرأة ولو من أخواتي ومن كانت تحت تربيتي ، وما رأيت وجه واحدة منهن إلا ثلاثة وهنّ بفضل الله تعالى أكثر في تربيتنا من ألف .

وهذه الخصلة نادر في مشائخ هذا الزمان بل غير موجود ولا فخر .

ومما أنعم الله تعالى تبارك وتعالى عليّ أيضاً عدم بغضي وحقدي وحسدي لأحد ما من أبناء العصر إلا في حق الله تعالى وحق حدود الله تعالى ، فلو غصب أحد جميع مملوكي المجازى من أهل قريتي مثلاً لا أبغض عليه ولا أترك النطق معه ولا أهجره إلا ما ألقاه الملعون الشيطان وسوسة قليلة ، وإني بحول الله تعالى وقوته أقدر على دفعها ، ومشائخ العصر على العكس ، فلله الحمد ولا فخر .

ومما أكرمني به تبارك وتعالى ما وهبه لي بفضله وكرمه ومنّه لا بحولي وقوتي تماماً وكمالاً من العلوم الظاهرة والباطنة ، وحظاً من العلم اللدني الخضري ، وحفظ كلامه الكريم من ظهر قلبي .

وحين كنت في خدمة شيخي وروحي وريحاني الشيخ حاج قصي أفندي الجينغي قدس سره في الذكر السلطاني توجه إلي وقال : يا شعيب أفندي ! هلا تجيء عندك جنود الجن وهلا لا يضرونك بضرب وعنف ؟ فقلت : لا بحق حرمتك يا أستاذي . فتوجه ثانياً وطال وتأوّه وتنفّس طويلاً رضي الله عنه ، وقال : لا أعجب يا ولدي ، والله إني أرى القرآن كله مكتوباً على قلبك ومنقوشاً على جميع بدنك وبين لحمك ودمك .

واجتماع هذه المراتب الثلاثة في وليّ واحد أمر نادر جدّاً إلا في الأئمة الأربعة والأقطاب الخمسة ، فضلاً في المشائخ الداغستانية ولا فخر .

وجميع المشائخ والمتشيخة والدجالة المضلة في هذا العصر خال عن ذلك ، وليس واحد منها على وجه الكمال فيهم ، والحمد لله رب العالمين .

ومما أنعم الله تبارك وتعالى عليّ محبتي لكل وليّ ونبيّ على وجه الأرض ، حتى من صباي إلى يومنا هذا وإلقاء محبتي في قلوبهم ، وكل وليّ رآني أحبني وأحبه سواء كان من الأحياء والأموات ولا أحقد عليهم ولا أنكرهم فضلاً دراويشهم الذين تركوا الدنيا والعقبى وأخذوا المولى ، وإني أخاف منهم خوف الأسد ، حتى إذا كنت في المدينة المنورة كنت أذهب يوماً إلى المسجد النبوي لصلاة العصر مع رفقائي الحجاج الداغستانيين قد أقبل إلينا العالم العلاة شيخ الزمان الشيخ يس المصري المدني ، فأخذ بيده المباركة يدي وقام متفكراً وقال : بشرى لكم ! قبلكم رسول الله تعالى ؛ فكدت أن أموت بشدة الفرح في ذلك الطريق الواسع بين الجمع العظيم ، فأكرمني الله تعالى بالنظر إلى وجهه ورزقنا الملاقاة له عز وجل ببركته وبركة أمثاله آمين .

ومما منّ الله تعالى به عليّ أيضاً نظر مشائخي إليّ حين كانوا أحياء وأمواتاً ، وكل شيخ وأستاذ رضوان عنّي ، خاصةً شيخي الحاج قصي أفندي والحاج أحمد أفندي ، وأخذ جدي الغوث الأعظم والقطب محمود أفندي الأكرم إيايَّ حفيداً له ، وكونه راضياً عني في كل الحالات وإن كنت غير متأدب معه ومع غيره ، وسببه أني في كل وقت على إنجاز طريقته العلية النقشبندية الخالدية ، وأمري على جميع إخواننا بالدعاء له برفع الدرجات له ولمأذونيه وجميع المشائخ ، وبفضل الله تعالى وتوفيقه وشفاعة رسوله وبركة أوليائه ندبر لإجراء هذه الطريقة العلية ، وقد وصلت بحمد الله تعالى لجميع أقطار داغستان بسببنا وكذا بإخواننا المأذونين من طرف الحاج أحمد أفندي والحاج جبرائيل أفندي رحمهم الله تعالى وقدس الله تعالى أسرارهم العلية ورزقنا الله من فيوضاتهم . شعيب أفندي قدس سره ، من خطه ، ولله الحمد .

مهم

ورضاء المشائخ عن المريد أمر عظيم وفضل جسيم لا يوزن به شيء ، وقد حصل لي ذلك ولله الحمد ، وهذه الخصلة نادرة في مشائخنا ولا فخر .

ومما أنعم الله تعالى عليّ به أيضاً كون سيري إلى الله وتقرّبي إليه من طريق النبوة لا الولاية ، ومعلوم أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وإن طريق النبوة والرسالة أسهل للمريد وأكمل وأفضل ، والفرق بينهما كالفرق بين الرسول والنبي .

وسبب كون سيري سير النبوة لأمرين ، **أحدهما** : إرادة الله تعالى ومشيئته وهو السبب الحقيقي ، **وثانيهما** : كون القرآن في حفظي ، وأن الحافظ نبيّ لا يوحى إليه ، وكأنه أدرجت النبوة بين جنبيه ، كما في الحديث الشريف النبوي ، ولا فخر . انتهى من خطه قدس سره .

ويكفي لمعرفة كمالة هذا الشيخ المحترم كتابه : « الفريدة المخمسة » ، وكتاب « طبقات الخواجكان النقشبندية » ، فإنهما كتابان عجيبان قلّ من يصنِّف مثلهما في هذا الزمان .

ومن شدة زهده في الدنيا أنه كان يشرب الماء الحار[1] وحده ولا يستعمل السكر معه ، فإن الدنيا وإن كان في يده لم يكن في قلبه ؛ وكان ذا مروءة وغيرة ، يتكلم كلَّ من يدعي المشيخة بدعوى باطل ويبين غيّه وضلاله صريحاً ولا يخاف لومة لائم ؛ فالحاصل أن أهل الدعوى نكسوا رؤوسهم بسببه وأطفأ نارهم بقوة علمه وشدة تمسكه بالسنة السنية .

وكان قطب الإرشاد في هذا الإقليم في هذا الوقت على التحقيق ، واجتهد في إرشاد الناس إلى سبيل الملك القدوس ، وجدّ في ليله ونهره

---

(١) أي : چَايْ . (عجم) .

لإخراجهم من أخلاق الشيطان الخناس ، وصفت قلوب أكثرهم من خطرات الوسواس ، ونالوا إلى مرتبة الحضور وفازوا بالغيبة والذهول وتحقُّق كماله وتكميله ، لكن لا بد حينئذ من نقص للكمال ، وذا عادة جارية في أمثاله من السادات والأبرار .

فمات قدس سره في ١٣٣٠ في شهر الله المبارك جمادى الأخير ، ودفن في قريته الباكنية نوّر الله تعالى مرقده وأعلى درجته ورزقنا فيضه وفيوض أمثاله آمين يا مجيب . انتهى في ١٤ من رجب سنة ١٣٣٠ ، الحمد لله أولاً وآخيراً ، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه بعدد معلومات الله دائماً بدوام ملك الله ، آمين .

وبعد انتقاله من الدنيا قصدت أن أتمسك بزيل قطب الإرشاد الشيخ المستور العالم العارف السيد سيف الله قدس سره ، لما أني كنت أعرف أحواله وعلوّ مقاماته ، حتى إنه كان مجدّديّاً يعلم مراقبات الإمام الرباني قدس سره فوق ما كان الإمام النقشبندي قدس سره فصلها من المراقبات المشهورة في طريقته ، فإن المراقبات المجدِّدية وإن كانت داخلة في مراقبات الإمام النقشبندي بالإجمال لكنها خرجت إلى التفصيل على يد الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رضي الله عنه .

وقد سمعت الشيخ العسوي قدس سره يقول : إن شيخه الحاج جبرائيل أفندي قدس سره قال له : يا ولدي ! إني لقنتك جميع المراقبات التي أعلمها ، فإن لاقيت أحداً من المشائخ من يعلم المراقبات المجددية ، فلك مني إذن لتذهب لديه وتأخذ منه . انتهى . فهكذا يجب أن يقول كل شيخ ولا يتحجر على المريد إلا المتشيخ الكذاب .

وقد كتبت من خط الشيخ سيف الله قدس سره من ملتقاته ما نصه : وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

مهم

إشارة أخرى ، وهو أنه لو كان لطالب صادق ومريد حاذق شيخ يقتدي به وله شأن مع الله عز وجل ، ثم استسعد بخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله عز وجل منه وجب عليه اتباعه والتمسك بزيل إرادته حتى يتم أمره ولو تجدد له في أثناء السلوك هذا الاستعداد بخدمة شيخ آخر أكمل من الأوّل والثاني وهلمّ جرّا ، يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي ، وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال . . إلخ . من خطه قدس سره ورزقنا فيضه .

وسمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إنه طلب في سفر الحج من يعلم تلك المراقبات المجددية في استنبول ، فلم يجد فيه من يعلمها ، وشكى لدى واحد من المشائخ المنتسبين إلى القطب أحمد ضياء الدين قدس سره ، لكنه قال له : نحن على تلك المراقبات التي أنت عليها فلا نجد من يعلم ما فوقها .

وقال قدس سره : إنّه طلب في مكة من يعلم تلك المراقبات ، فلم يجده فيها ، لكنه قال : إنه وجد في المدينة من يعلمها بيد أنه كان فيها مريضاً ولم يمكن له الذهاب لديه ولا السلوك على يديه . انتهى .

فالحاصل أن المراقبات التي كان سيف الله يعلمها فوق ما كان الشيخ العسلي والباكني رحمهما الله ، قد وجدتها حين عددتها إحدى وعشرين مراقبةً على ما كتبه في بعض مكاتبه المرسلة لدى هذا الحقير ، وعلى ما ذكره في « كنز المعارف في أسرار اللطائف » ، فإذا كان الأمر كذلك سلكت على يد هذا الشيخ وصحبته مراراً ، ورباني كالولد وأظهر محبَّته ورضاءه عني وإن كنت مقصراً .

وعندي من مكتوباته ما لا تحصى ، وجمعتها في مجلد ضخم .

وأذن لي بالإذن المطلق العام في جميع ما أجازه أشياخه في الطرق الشاذلية والقادرية والنقشبندية ، والثبات العلمية والحديثية ، والأحزاب الشاذلية ، وحزب الإمام النووي ، وحزب محي الدين العربي ، و« دلائل الخيرات » ، و« قصيدة البردة » وغيرها مما يعسر عدها .

ثم انتقل من الدنيا في شهر صفر سنة ١٣٣٨ ، ودفن في غزانش الأعلى ، وقبره فيه يزار ويتبرك .

ولكونه قدس سره آخر مشائخي ذكرته في آخر التراجم ، فقلت :

الشيخ الكامل والقطب الحقيقي ذو الجناحين خالد سيف الله النژبكري الغازي الغموقيّ الحسينيّ النقشبنديّ القادريّ الشاذليّ المجدديّ المحموديّ الأويسيّ قدس سره

قد قرأ العلم الظاهريّ عن علماء أجلة ، فصار متبحِّراً في العلوم العقلية والنقلية ، وكان طبيباً حاذقاً قد شفي بسبب يده الميمونة كثير من المرضى .

وسلك أولاً في الطريقة على يد الشيخ محمّد ذاكر الچسطاوي خليفة محمود أفندي قدس سره ، وبعد موته دار في إستنبول وحلب ودمشق يطلب شيخاً يربِّيه ، فلم يصادف شيخاً ينشرح به صدره ، ثم ذهب لدى قطب الوقت زين الله الشريفي التروسكي وسلك على يده في النقشبندية ، وأجازه بعْد كماله فيها ، ثم سلك في الشاذلية على يد الشيخ محمد صالح وأجاز له فيها ، وكان مجازاً في القادرية وأجاز له زين الله أيضاً في علوم الأحاديث وسائر العلوم النقلية والعقلية والأحزاب

والمسلسلات التي جمعها محمد علي ظاهر الوتري وغيرها ، وكان قدس سره حليماً وقوراً ذا فهم وإدراك يبيّن من العلوم غوامضها ويحلّ من الغوامض مشكلاتها ، ويجيب لكل مسألة بما يتحير العقول والفهوم عن إدراكها ، فكم وكم أجاب لمسائل الحقير بأجوبة مرضية يعلم ناظرها بأن المجيب صاحب نفس راضية وأحوال ذوقية ومقامات عالية ، فجزاه الله عنا خيراً آمين .

مهم

وأنا إن شاء الله أذكر هنا نبذة من كراماته وكشوفاته متفرقة بفصول ، رجاء أن تكون سبباً باعثاً لدعاء الإخوان ، ومن المعلوم أنّ ذكر كرامات الأولياء لا يخلو عن منفعة ، ويزيد به الاعتقاد ويحرك الشوق ، وعند ذكر الصلحاء تنزل البركات وتنبعث الرغبات .

ومن الكرامات الدالة على علوّ مقامه قدس سره التقاؤه بأرواح الأنبياء عليهم السلام في عالم الأرواح ، ورؤيته في الوقائع المنامية أكابر الصحابة والأزواج الطاهرات أمهات المؤمنين ، وخاصةً رؤيته في المنام رب العزة والجلال سبحانه ، ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ورؤيته أكابر السادات الأقطاب القادات رضي الله عنهم .

فمن ذلك ما كتبه قدس سره بهذه العبارات : ومما من الله تعالى على هذا المذنب الفقير إلى إعانة مولاه القدير سيف الله بن حسين بن الحاج موسى بن المجاهد صاحب المزار شيخ باشلار النژبكري رؤية السادات هؤلاء أهل السعادات ، مع ما عليّ من أثقال الذنوب والمعاصي التي ليست ما يساويها من كل شيء سوى رحمة الله تعالى وغفرانه ، وفقنا الله تعالى لرؤيتهم ببصر العين كما وفقني بالبصيرة والمنام .

رأيت مرةً رب العرش سبحانه وتعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه تجلى في موضع ، فزجْتُ في النور ووقعت[1] على الدعاء بالإلحاح والتضرع ، فناداني من وراء الحجاب من بين النور : التمس واطلب الدعاء من معروفك الحاج موسى القكني فدعاؤه مستجاب عندي الساعة ، فتمنّيتُه هناك في تلك الحالة ، فحضر وطلبت منه ذلك وأظهرت له هذه البشارة في النوم ودعا لي وأرجو منه أن لا يتركني في دعائه في اليقظة .

ورأيته سبحانه وتعالى مرةً أخرى ولا أقدر أن أصف وأتكلم .

ورأيت الملائكة المقرّبين ، ووقع الحجاب الساعة على قلبي عن المكالمة في حقهم ولا أطيق . والحمد لله رب العالمين .

ورأيت أبانا آدم وأمّنا حواء ، ونجيّه نوح عليهم السلام ، وإبراهيم الخليل ، ويوسف غير مرة ، وموسى الكليم ، وعيسى الروح الأمين غير مرة عليهم وعلى سيدنا الصلاة والسلام .

ورأيت مرات كثيرة سيدنا ومولانا وشفيعنا سيد الكائنات علم الأنبياء والمرسلين في يوم العرصات محمداً ﷺ بكيفيات متفرقات ، فمن بينها رؤيته عليه الصلاة والسلام في مقبرة بين جمع كثير يتضرَّعون ويستسقون وأنا من جملتهم ، فحضر لديَّ عليه الصلاة والسلام وحملني من بينهم معه وسار وأنا خلفه ، ففي أثناء الطريق أعطى لي بيده المباركة قدحاً كبيراً من اللبن وأسقاني مشربته وذهبنا طريقنا ، فلما وصلنا إلى دار دخل هو في بيت معروف عندي وأدخلني معه ، وصليت النافلة وهو أيضاً ، وأمرني بالصلاة خلفه مأموماً بيد أنه أقام ، أي ألقى بيني وبين ذاته الشريفة المنزهة المقدسة حجاباً أبيض رقيقاً أرقّ ما يكون ، فصار يصلي وأنا أيضاً أصلى خلف الحجاب ، والحمد لله أولاً وآخراً وأشكره شكراً دائماً على ما أولاني ربي بهذه النعمة الكاملة والكرامة الوافية .

---

(١) أي : شرعت . (قحي) . (هامش الأصل) .

ورأيته مرةً أخرى بكيفية أخرى : يأمرني وينهاني ؛ ورأيت مرةً أخرى على غير صفة ، ونسيت الحقيقة ؛ ورأيت مرةً أخرى أنّ نفراً من الرجال ، وظنّي أنهم كانوا حجاباً ، فأروا لي في شيء شيئاً مربوطاً كبيراً جدّاً ، فسألتهم عن ذلك فأجابوا بأنّ في هذه جسم سيدنا محمد ﷺ ، ففتحوا الأثواب المربوطة فإذاً فيها جسد إنسان ميت ، بيد أنه كأنّه حيّ يتحرَّك ، فتغيَّر برئيته مزاجي ، ونظرته غير مرة ، ففي المرة الأخيرة رأيته مسودة الجسم ، فتحيّرت وانتبهت ، فأوَّلت هذه الحالة لنفسي لكونه ﷺ كالمرآة وأعلى منها لكون نفسي مسودة بالآثام مغشاة بالقساوات والران ، وفَّقنا الله لصالح الأمور .

ورأيت مرةً أخرى ﷺ وعظّم وكرّم في بيت مع نسوته أمهات المؤمنين ، والتي منهن في ظني عائشة وسودة وصفية والباقيات لا أعلم أيهنّ كنّ ونسيتهنّ ، وتكلم ﷺ عن الحلم وعن إثم الغيبة وكبيرة البهتان ، وفي أثناء ذلك أنه ﷺ حين تكلمه مدح عن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وقال : كانت كذا وكذا ، فتكلمت عائشة رضي الله عنها غيرةً لها كما هي عادة النساء ، وقالت : تمدح يا رسول الله عن القصيرة الحمراء ، فاغتاظ النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وكأنّه ولّى عنها لغيبتها بذلك .

ثم إنه أعطى لي خلعته الزرقاء ، وقال : قيمته كذا وكذا ولبستها ، فحضر هنالك رجال وتحجبت النساء عنهم ، ولم يرد النبي حضورهم ، فنظراً إلى إرادته خرجت لكي يخرجوا معي ؛ وأعلم أنّ النبي ﷺ يريد رجوعي لديه ، فرجعت بعد الخروج وقلت : إني أبرد ، وألبس فروة الرسول ﷺ . وهنالك كلام طويل اقتصرتها احتياطاً من الخطأ سهواً ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه قدس سره .

ومن ذلك ما كتبه قدس سره بهذه العبارات : ففي اليوم العشرين من شوال سنة ١٣٣١ يوم السبت ساعة ضحوة الأولى من النهار لما غفوت غفوة الطائر بعد صلاة الضحى رأيت أني في طريق الحج ، فصاحبني سيد الكائنات عليه التسليمات والصلوات ، فلما وصلت إلى موضع نسيت اسم الموضع يقيناً ، وأظن أنه ذو الحليفة ، أمرني بالإحرام ، فلبست الإحرام ، أي النبي بيده ﷺ ، وعمّم بي بعمامة بيضاء بيده ﷺ وأنا في حالة عجيبة من أثر الرسول ﷺ ، وصرت أقول : لبيك اللهم لبيك ، ففي أثناء ذلك لبّى ﷺ معي ، أي مشى معي قائلاً : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الخ ، ثم انتبهت وحرمت باليقظة من اللذة التي لا يساويها شيء ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه ﵁ .
ومن ذلك ما وجدته مكتوباً في مجموعة بخطه قدس سره بهذه العبارات : ورأيت ليلة السبت ٣٠ من رجب سنة ١٣٢٥ ، ٢٥ أوغست ١٩٠٧ وأني قتلت بالحجر السبط حسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجههما ورضي الله عنهما عمداً لا خطأ ، وأردت قتل علي ﵁ وتذكرت حديث رسول الله ﷺ : « إن أشقى الأخرين قاتل علي كرم الله وجهه » ، فكففت عن القتل ، لكن أظن جرحته ؛ ثم إني خفت من قتلي قصاصاً ، فصرت أتحصّن وفق طاقتي ، فحضر رسول الله ﷺ فخجلت منه ﷺ بكيف لا مزيد عليه ، وصرت أعتذر قتلته خطأ أو بعروض حال عليّ ، وصار رسول الله ﷺ يلاطفني وهو على صفة شيخي زين الله قدس سره ، وقال : دعوا سيف الله وألينوا له في الفراش والطعام ، فانتبهت ، وإني خفت من هذه الواقعة ، والعلم عند الله . انتهى من خطه قدس سره .

ومن ذلك ما كتبه ﵁ بهذه العبارات ، ففي ليلة الثلاثاء ١٦ من صفر الخير سنة ١٣٢٩ رأيت نفسي عند قبر النبي ﷺ ، ففي النظر إلى القبر حلّ علي أثر ذلك ، وصرت لا أقدر من شدة البكاء كلاماً ، وشاهدت أمراً عجيباً بحيث فنيت فيه ﷺ من نفسي فناء كليّاً ، والحمد لله . انتهى من خطه .

ورأيت أن نبينا ﷺ كان بين جماعة في موضع ، فحملني من بينهم ، فحين وصلنا في موضع أسقاني ﷺ لبناً من إناء مملوءة ومرمراً ودخل في بيت وأنا معه ، فصار يصلي وأنا خلفه وبيني وبينه حجاب أرق ما يكون بيضاء وهو يخاطبني ويأمرني بالضيافة للزوار عليه ويأمرني بالنافلة بركعتين ، وأنا أمتثل أمره ، والحمد لله .

ثم رأيته عليه الصلاة والسلام وأنا معه يأمر لسبطيه بالأذان من فوق المسجد ، وكان معي علي كرم الله وجهه . انتهى من خطه رضي الله عنه .

ففي ٧ فورال سنة ١٨٨٥ إني رافقت النبي ﷺ وسرنا في الطريق ، فوجدنا في الطريق النبي داود عليه السلام ميتاً ملقى ثم إن[1] وصلنا هنالك ظننت قولاً وقلت في نفسي : إن الملائكة والأنبياء كانوا يرحّبون النبي ﷺ ليلة الإسراء ويستبشرون برؤيته ، فكيف هذا داود عليه السلام لا يلتفت لقدوم النبي ﷺ ، فالتفت داود نحو جنابه ﷺ وتكلم مع النبي ﷺ ولم أعلم مكالمتهما سوى أن النبي ﷺ سأل من داود عليه السلام الدعاء لي ، فصار داود يدعو لي بالخير والنبي ﷺ يؤمن لدعائه الذي دعا لي ، فارتحلنا من هنالك ، ولا أعلم ما بعد ذلك ، رزقنا الله تعالى رؤيته ، آمين .

ومن ذلك ما كتبه رضي الله عنه بما هذا لفظه : ورأيت في ٧ ليلة الاثنين مارت لعله ٣٠ محرم روحانية رسول الله ﷺ وتكلمت معه ما شاء الله

---

(١) علّه إذا . (هامش الأصل) .

وكان مولانا صاحب الكرامات والكيمياء محمود الفعال الألمالي المدفون بحاجي ترخان ممن رآه وصافحه يقظة ، وقصّته مشهورة قدس الله سره . وأما الذين اجتمعوا معه في الواقعة والمنام فكثيرة لا تحصى ، وقد اجتمعته في الواقعات والمنام بضعاً وثلاثين مرة ، ورأيته أيضاً مرات على حاله منكسرة الرباعية ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده . « كنز المعارف » عبارته ٤٣٨ لسيف الله قدس سره ، خطه .

يعرفنا من كان من جنسنا ... وسائر الناس لنا ينكرون

« نفحات » ٣٩٧ (من خط سيف الله قدس سره) .

تعالى ، ففي أثناء كلامنا حضر المرحوم الحاج موسى النقشبندي القكني عامله الله بلطفه الرباني ، وكأنه حزين وسلم ليدي عرض حال للإرائة لرسول الله ﷺ فسلمته وطالع في رسالته وكتب ﷺ عليها الجواب بيده المباركة ، ثم إني تحيّرت على كتبة رسول الله ﷺ مع كونه أميّاً ، فطالع ﷺ سري وقال : كتبته بيد القدرة لا بيدي من العلم اللدني ، ونظرت ما في رسالة الحاج موسى وجواب رسول الله ﷺ ورسمه ، لكن نسيت ذلك بحيلولة يوم من الرؤية إلى الكتبة ، وشكرت الله سبحانه وتعالى على التفات رسول الله إليه وقبول عريضته ، وتيقّنّا أن له رحمه الله يداً عند الله وعناية ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى من خطه قدس الله سره عن الالتفات إلى سواه تعالى آمين .

ومن ذلك : ما كتبه رضي الله عنه بهذه الألفاظ الآتية : ففي يوم الأربعاء وقت الإشراق ٦ من صفر الخير سنة ١٣٣١ ، ٧ ينوار ١٩١٣ ، غفوت حين كنت جالساً ، فرأيت رسول الله ﷺ كأنه متكئ ، ونسيت جميع ما وقع بيننا من المكالمة والأحوال سوى أني صرت أقول لواحد من الصلحاء الذي يدعو الله : ادع بالتوسل بهذا السيد النبيل ، وأشيره بإصبعي إلى رسول الله ﷺ ، وانتبهت ، والحمد لله . من خطه .

ومن ذلك : ما كتبه رضي الله عنه بخطه بما لفظه : ففي الليلة التاسعة والعشرين ليلة الثلاثاء من رمضان رأيت رسول الله ﷺ وسألت عن معنى بيت العارف الصفدي :

وافهم إشارات تحقيق الخطاب . . إلخ .

فقلت : فما الخطاب والإشارات ؟ فأجاب ﷺ : ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ ؛ وزادت مكالمات كثيرة نسيتها . انتهى .

ومن ذلك : ما كتبه أيضاً بما نصه : ففي ليلة الأربعاء ١ أكتوبر ٢٥ ذي القعدة سنة ١٩١٤ رأيت كأنّ هرجاً عظيماً وهولاً في الناس ، وكان فيهم رسول الله ﷺ ، وصرت بعده قائماً مقامه والناس كلهم يتبعون آثاري قائلين : أنت في مقام محمد ﷺ ، وكأنهم يستمدّون الشفاعة منّي ، وأنا حزين كئيب أتمنى الموت الحقيقي وكأني أقول : الموت أهون من القيام في البدع والناس لا يسرّون إلا بالبدع ، بيد أنّ تتابع الناس خلفي يزيد ، وأنا أريد العزلة منهم وهم مستمرون قائلين : أنت محمد ﷺ ، أنت في مقامه ، وأنا أكره سماع ذلك منهم ، وبعضهم يكفون يقبّلون يدي ، فصرت محتضر الموت وكأني أطلبها ، ففي أثناء ذلك خرج كالأمواج من اللبن وكأنّ الطوفان قد قام ، وصارت اللبن كاللبن الرائب ، فعمّ ذلك على الناس وعلى خيولهم ، وصارت غرقى وكأنّ اللبن صار في قوام كالجمد عليهم ، والناس في هول من ذلك ولم أقع فيها وأنا أنظرهم غرقي فيه فاعتزلت مع قليل من الرجال إلى بيت نظيف قائلاً : أموت الساعة ، فمت لا بالكلية ، ثم حييت وخرجت من هنالك إلى فضاء ومعي عدة وأنا مغتم من جهة حسن النقشبندي القحيّ قائلاً : إلى أين يؤول أمره مع هؤلاء المبتدعين ؟ فحضر هنالك حسن المذكور مع واحد لعله خليفته الحاج حبيب الله وقبّلا يدي وفرحَا بي شديداً ، ثم حضر آخر هنالك ، ففي أثنائه أخرجت من جيبي كواغذ مربوطة ، فنظر حسن وقال : أسماء أولياء الله مكتوب فيه ، وكان طولانياً ، وقال الرجل الآخر : أين الأولياء ؟ كأنه أنكر على الأولياء ، فغضب حسن أفندي وخليفته غضباً ، وردّا قوله ردّاً عنيفاً وعابا عليه ، ثم بعد ذلك رأيت أنّ جبلاً انصدع وخرج ماء كثير جدّاً والبقعة من أراضي الروس ، وأقول : طوفان يهلك الناس ، ثم تخلصت من هنالك ورجعت وكأني في ولايتنا ، فرأيت جبل قُنْزُنْدُّ انصدع بالماء وشق الجبل وخرج ماء مهولاً عظيماً جدّاً ، وكان بعضها وصلت

إلى بعض أطراف قرية كربكره ، وأنا أقول : هذا طوفان يخرب الدنيا به ، وكان ولدي أرسلان حسين في قرية كربكره ، وأخاف من جهته لئلا يعمّ الطوفان عليه ، بَيْدَ أني أظن أنه تخلّص أيضاً ؛ وانتبهت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى من خطه قدس سره .

وسألته ﵁ ونفعنا بمعارفه آمين : إنّ ورثة الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره أهدى إليّ عمامته وعباءه بعد موته ، فهل يجوز لي أن ألبسه أحياناً أم لا ؟ وأيّ أدب يليق بهما ؟

فكتب في الجواب هذه العبارات : الأدب التام أن تلبسها بقصد إكرام شيخكم ، وبقصد التبرك منها ، وأنت تعلم بالقرينة هل يرضى شيخكم بلبسكم إياها بفرض كون الشيخ حيّاً أو يسخط ، وأظن أن رضاه يكون في لبسك من بيعهم إياها لغيرك ؛ ويحتمل أن الشيخ أمر بتسليمها لكم أو أراد وإن لم يقدر تبليغ الأمر ، فهي تكون حينئذ بحسب الخرقة المتداولة بين السادات ، وقد كتب الإمام الرباني قدس سره حين إرساله الخرقة إلى الملا عبد الغفور السمرقندي بعد التسليمات والنصائح : وقد أرسلت إليكم الثوب الذي تكرر لبسه في الأوقات الطيبة ينبغي أن تلبسه . جعل الله عواقب الأمور خيراً .

تزييل

أذكر هنا كلاماً غير لائق ليكون اطمئناناً وسعة ، ولعلك تحفظها لا مباهاة ولا عجباً : أن السيد سيد الكائنات ﷺ وشرف وكرم روحانيته دعا الفقير وحمله معه وأدخله في بيته ﷺ وأجلسه بين حريمه أمهات المؤمنين ، ووقعت هنالك كلام لا نقدر كشفه ، فأعطاني ﷺ خرقته الأزرق أحب ثيابه له وأخبرني خبر الخرقة من أين حصلت له ﷺ ، فتحيّرت في حقه : هل يمكن لبسه أم لا ؟ .إلخ . ثم بعد شهور رأيت روحانيته ﷺ ، ودعاني وأدخلني بيته بين الحريم أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ ، وأعطاني خرقته الأسود الكبير وأمرني بلبسه ، ثم في المرة الثالثة بعد أيامٍ من ذلك رأيته في الواقعة ﷺ وأعطاني خرقته الأبيض ، فلبس عليه أولاً ثم ألبسني ﷺ بيده المباركة ، ثم بعد مدة رأيت شيخنا ونفسي فداه في الواقعة حضر لدي مع رسول الله ﷺ ، وكان له صفٌّ من مريديه كأنه من المشرق إلى المغرب ، وأنا في أعلى الطرف منهم وهم مضطجعون وأنا قائم ، فقام الشيخ أمامي وفي يمينه رسول الله ﷺ ، فقال الشيخ : إني أعطيك الخرقة قميصي لتلبسك ، فقلت : لا أريدها لِلُّبْسِ ، فلما تكرر منه القول قلت : آخذها للتبرك لا لِلّبس ، قال : بل تلبسها ، فأشار النبي بالقبول ﷺ ، فقبلت منه ذلك ، فألبسني بيده ؛ وهذه الخرقة وصلت لديّ بعينها من يد الشيخ وأمرني بلبسها في بعض الأحوال[١] ، فالحمد لله على نعمه سبحانه وتعالى ، ولك أيها الأخ سعة وبركة في لبسها ، لكن بحرمة وحسن نية ألبسك الله لباس التقوى بأيدي الأقطاب . انتهى من خطه بارك الله في عمره ، آمين .

وذكر الشيخ رحمه الله في « كنز المعارف » ما نصه : وقد اجتمعته - يعني النبي عليه السلام - في الواقعات والمنام بضعاً

---

(١) وهذه الواقعة مكتوبة في المكتوب التاسع من مكتوباته ، فراجعه . (منه) .

وثلاثين مرةً ، ورأيته أيضاً مرات على حاله منكسرة الرباعية ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده . انتهى من خطه قدس سره ورزقنا الله فيضه وبركته ، آمين .

وسألته ﷺ أشياء ، فأجاب لبعض وأمسك عن بعض ، فكنت أتعجب عن ذلك ، لكن ورد إليّ من طرفه مكتوب كتبه بيده الشريفة ببيان الجواب عما كان أمسكه منذ زمان ، وقال في آخر المكتوب : واعلم أيها المحبوب السبحاني ، لقد طال زمن هذا الجواب بوقوع أعذار غير لائقة لذكرها مع ما عليّ من الضعف والوهن في كل شيء ، وعلي فتور عظيم ما كنت أعهده من قبل من جهة الدين خاصة ، ولقد هممت أن أقتصر للجواب بلا أدري ، وهو الحق الحقيق ، بيد أني كتبت مختصر ما في كتابنا موافق السادات العجمية ، ولعلك تنظر في المكتوب بدقة فهمكم الثاقب ، فإن وقع في حيزكم بالقبول فهو المطلوب والمقصود الأصلي ، وإلا فتشير ثانياً لنكتب ما بدى لنا بعد الآن ، والله الموفق ، ولولا حق المحبة الإلهية معكم لما تجاسرت لكتبة الجواب ، لما أن هذا فهمها من المرشد أسرع وأولى من الرسم والرقم .

ففي الليلة العاشرة من شعبان المبارك تفكرت في حق كتبة الجواب وعدمه ، ففي تلك الليلة في أثناء ذكره غفوت فالتقيت مع روحانية فخر الكائنات ﷺ ، فذهبت أكثر الليلة مع المكالمة معه ﷺ ، ففي آخر الأمر نزع خاتمه وأعطى لي ، ثم إن علياً كرم الله وجهه التمس الخاتم للنظر للتبرك فأعطيت ليده فقرأ خطه : محمد بن عبد الله رسول الله ، ورده إلي ، وقرأت مثل ما قرأ ، لكن لم أر اسم عبد الله ، بل رأيت محمد رسول الله ، ثم نزع عمامته البيضاء وأعطى لي أيضاً ، فأخذ صحابي لعله تلك العمامة من يدي ، وأخذ من رأسي القلنسوة وعممها عليها ، ووضع عليّ ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الفريضة إماماً ، وصليت بتلك العمامة خلفه مأموماً ،

وقرأ في الصلاة من طوال المفصلات ، لكن وقع الحجاب ونسيت أي صلاة كانت ، وأي سورة ، والحمد لله حمداً دائماً كثيراً . فانشرح القلب قليلاً صبيحة الليلة ، فكتبت ما كتبت[1] توكلاً على الله ، لعلك تقبلها . انتهى من خطه رضي الله عنه .

وسألته رضي الله عنه بعدما أجازني لتلقين الطريقة الشاذلية مع أني لم أكن في ظني أهلاً لذلك : ما حكمة هذه الإجازة لهذا الحقير ذي الغواية الخائف المقصر في أداء أمور الطريقة النقشبندية التي أجازه فيها أربابها ؟

وسألته أيضاً بهل يجوز لي أن أجيز أخانا الحاج حبيب الله القحي في هذه الطريقة الشاذلية كما هو مأذون ومجاز في الطريقة النقشبندية من شيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ؟ فأجاب رضي الله عنه بهذه العبارات : إن من كان أميناً ومستحقاً في النقشبندية الصديقية فبالأولى في الشاذلية بعد أن رأيته أهلاً لذلك ، لما أنّ لسادات هذه الطريقة وسعة نبوية حصلت من شجرة النبوية جعلنا الله في بركاتهم آمين ، فيدك يدي وقبولك قبولي ، والحق دليلي ودليلك ، فامض ما رأيت فأنت أمين الطريقة إن شاء الله تعالى أبيض العقيدة والعزة مبارك الناصية سعيد الطلعة إلخ .

أيها المخلص! إن الإجازة والتلقين أمر عظيم بل خطر جسيم محتاج إلى الإنصاف مع الاستقامة ليكون أقرب إلى الحق بالحق ، وأبعد من البدعة ، ولا يجوز ذلك إلا بعد تهذيب النفس بخدمة شيخ ومرشد كامل ورث الخلافة من الكمل ، بَيْدَ أني لما حسن ظنّ الفقير فيك ، وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أمانتي لعلم علّمني ربي بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لك وله[2] ، كما قال ذو المعارف السنية الفاني في الحضرة النبوية سيدي محمد البوصيري قدس الله سره :

---

(١) وهو صك الإجازة لهذا الحقير القحي . (هامش الأصل) .

(٢) أي : للحاج حبيب الله . (هامش الأصل) .

أمـا الإمـام الشاذلــي طــريـقـه   في الفضل واضحة لعين المهتدي
فانقـل ولـو قـدمـاً عـلـى آثـاره   فـإذا فعلت فــذاك أخـذ بـالـيـد

وقد سألت من شيخنا وروحي فداه ، فأجاب : الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه ، فامض سبيلك لمصلحة الدين ، وإياك والغش فقد قال سيد الكائنات : « من غشنا فليس منا » ، وحين أن كنت متردداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاحات السادات .

رؤيته نبينا عليه السلام يعطيه خاتمه

ففي تلك الليلة حضر روحانية رسول الله ﷺ وكرم وعظم ، وأقامني مقامه وأنا مستحي منه ﷺ ، ووقعت هنالك مكالمات لا أقدر إفشاء سر النبوة مع بشاشة الوجه . . إلخ .

فتبع جمع كثير خلفي قائلين : أنت المحمد أنت خليفته . . إلخ .

فلم أقنع بذلك ، ووقعت في حياء عظيم وتفكُّر ، فحضر ثانياً ﷺ وسلّمني خاتمه ، وكان معه علي كرم الله وجهه ، ونظر إلى خط الخاتم أخذاً من يدي بمحضره ﷺ ثم رده إلى يدي بعد القراءة بأمره ، وملّكني عليه فسررت ، **وحكمت على رضائه ﷺ على إجازتي** ، والحمد لله . ففي ذلك الحال حضرتما لديّ مستبشرَيْن بملاقاتي ودخل معكم عليّ واحد من المبتدعين المنكرين ، فأغلظتما عليه القول وأفحمتما ، وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته ، فاستعدوا لذلك ، والله ولي المتقين ، بارك الله لكم وله ولسائر صلحاء المسلمين الخ . انتهى من خطه رضي الله عنه اختصاراً من مواضع .

رؤيته نبينا عليه السلام أودعه فاطمة رضي الله عنها

ووجدت في أثناء ما كتبه في بيان وقائعه هذه العبارات : ورأيت حين كنت في نَزْرَان أن النبي ﷺ أودع ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها

عليّ ووصاني بها ، فصرتُ معها ذاهباً ولا أعلم المذهب وكانت أمامي ، ثم إنها قالت : فكم أمور على الحق وكم على الباطل ، فدخلت في بركة ماء إلى أن يجوز الماء ساقها وأنا خلفها ، وقالت : هذا على غير الحق ، ثم بعد ذلك دخلت أيضاً في البركة قائلة : هذا على الحق ، وغاصت مع ثوبها في الماء وأنا معها ، بيد أني آخذ إياها بيدي لئلا تغرق والأمواج تضرب يميناً وشمالاً ، وانتبهت والحمد لله ، انتهى من خطه .

ورأيت فاطمة الزهراء مرات وبشرتني بولد فولدت لي بنت زبيدة أم الفضل ، والحمد لله .

ورأيت مرة أخرى وهي تكلمني بكلام تبشرني بأمر وسلمت ليدي سراجاً منيراً مسرّجاً ، وفي هذا الموضع نسيت بعض النوم ، وهذا النوم بعين ما رأيت مكتوباً في موضع آخر ، والحمد لله .

رؤيته نبينا عليه السلام يريه مهدي الزمان

ففي ٢٠ شوال سنة ١٣١٦ رأيت النبي ﷺ وكان حسن الصورة ، ورأيت سنه المكسور في وقعة أحد ، أي رأيته مكسور سنه كأحسن ما يكون من بني آدم ، وأراني مثله بلا فرق مهدي الزمان ، وقال : هذا المولود مهدي اسمه اسمي وأسم أمه أمي ، ولم يقل اسم أبيه كما في الكتب ، وكان حسناً أبيض جدّاً ، والشكر لله حيث أنعمني به .

ورأيت في ٢٢ شوال المبارك المذكور فاطمة البتول على كيفية عجيبة ، وكأنها زمن زفافها لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ورأيت وجهها برفع حجابها وكأنها ناظرة أمامها ، وقد تكلمت وتكلمت ، ونسيت الكلام ، والحمد لله . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته النبي عليه السلام على صورة شبابته

واقعة أخرى : ففي الليلة الثامنة عشر من شهر رمضان سنة ١٣١٨ رأيت النبي ﷺ ، فتمنيت أن أراه في صورة شبابته ، فرأيته كما تمنيت ،

وكان معتدل القامة مائلاً إلى الطول أسود الشعر بين السمن والهزال ، مائلاً الهزال ، فرأيته والله أبيض من الكاغذ ، ونظرت إلى ذراعه فرأيت كما صبغ من العاج من شدة البياض ، وما بعد ذلك من الكلام معه نسيته ، والحمد لله على كل حال . انتهى من خطه رضي الله عنه .

رؤيته النبي عليه السلام يسأله عن معنى دين العجوز

واقعة أخرى : ففي الليلة الخامسة عشر من مارت سنة ١٩٠٧ سألت في الواقعة عنه ﷺ عن معنى دين العجوز ، فقال ﷺ : لا حاجة لك في معناه بل المراد أن ما التزم فعلها من النوافل تصير عندك كالواجب ، ويجب مراعاة فعلها بلا ترك بفعلها مرةً وبتركها أخرى . وقد فهمت من قوله ﷺ أن التهجد والضحى وأمثالها لا يليق تفويتها أصلاً بل يجب مراعاة فعلها . ثم انتبهت ، فلله الحمد من خطه قدس سره .

رؤيته خاتم النبي ﷺ قد سقط بين أثوابه أوْ فى جوفه

واقعة أخرى : ورأيت ليلة العاشر من ربيع الأول سنة ١٣٢٥ جمعاً من الناس يتشرفون بواحد من آل بيت النبوة ﷺ ، فنظرتهم ثم سمعت من الجهة الأخرى أصواتاً بوجد وبكاء وخشوع من الناس وهم أيضاً مجتمعون كأن أصواتهم تؤثر القلوب الوجلة ، فقلت : من هؤلاء ؟ فأجابوا بأنهم المحترمون لواحد من أهل البيت وهم على الحق على كونه ولد ابنته ، فحضر والدي ، فإذاً ذلك خاتم رسول الله ﷺ ، فأخذته بيدي ، فذهب من يدي ساقطاً ولم أعلم مَسْقَطَهُ : هل ذهب إلى جوفي كما هو الظن الغالب أو سقط بين أثوابي ، فقال واحد من الناس ، أي من بين المذكورين : ذهب الخاتم في جوفك ، وبقيت واحدة في حسرة وبكاء خلفه لما أنها كانت مودوعة عندها ، وكانت تسر بها وتأنس برؤيتها . ثم انتبهت ولله الحمد أولاً وآخراً .

فصل

في ذكر جملة من الوقائع التي رآها شيخنا أبو المواهب خالد سيف الله رضي الله عنه ، وبيان اجتماعه بأبعاض من الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام .

رؤيته النبي سليمان عليه السلام

منها : ما كتبه قدس سره في مجموعة بهذه العبارات : ففي ليلة الثلاثاء التاسع عشر من شوال سنة ١٣٢٢ رأيت في المنام سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ورأيت زوجته ووالدتها ونسيت اسمها ، وتكلمت معه في حق أمور كثيرة ، وملكه مع النبوة بملك لا ينبغي لأحد ، فلم يظهر من ذلك سروراً وأفهمني بأنه وإن كان ملك المشرقين فلا آخذ منها ولو قليلاً لنفسي ، ففي أثناء ذلك طلب واحد من النبي عليه السلام دَيْنه من عباس واحد ، فأجاب بعدم النقد بيده ، وأفهمني أنه لا يأخذ من الملك شيئاً وقد يتعسر عن مثل هذا القدر ، والحمد لله . انتهى من خطه .

رؤيته عيسى عليه السلام

ومنها : ما كتبه قدس سره بخطه بما نصه : ورأيت بعد الفجر يوم السادس والعشرين سنة ١٨٨٢ من شهر ماي أني أذهب من سوق فلانيّ وفي يدي عصا قاصداً زيارة ورؤية عيسى بن مريم عليه السلام ، فقمت على باب دار هو فيها ، فاستأذنت منه للدخول إليه ، فسمعت صوته قائلاً : أتدخل عليّ رسولاً من الله أو وحياً منه تعالى ، أو من جهتك ؟ فأجبته : وحياً من الله ومن جهتي ، وظننت أنّ سؤاله بذلك ظنّاً منه أني من الله لقبض روحه ، فوصلت لديه فسلمت عليه فردّ عليّ السلام بأحسن ردّ وقام وعانقني مرات ، وظني ثلاث مرات ، وهو فرح مسرور وأنا مستبشر به ، واستشفعت وهو يجيبني كما أريد ويصافحني بالبشارة ، ثم أشكل الرؤيا بعد ذلك ، والحمد لله .

ومنها : ما كتبه أيضاً بما لفظه قدس سره : ورأيت أني في الليلة ٢٧ من ماي في السماء السابعة ، وعلمت كونها سابعة بأمارات علمتها هنالك وبخبر صدّيق جاء لدي هنالك ، والتقيت مع النبي عيسى روح الله عليه السلام ، وصافحته وعانقته وقد وقعت بيننا مكالمة شهيّة ما شاء الله تعالى ، فسألني هنالك واحد عن عدد الأفلاك ؟ فأجبته بتسعة أفلاك ، فأنكر السائل على قولي وقال : هي سبعة ، فقلت : بل تسعة ، فقال : أيّ الثِنْتين عديْتُهما ؟ فقلت : الثامنة العرش التاسعة فلك الأفلاك ، فرضي السائل على الجواب ، وانتبهت . انتهى من خطه قدس سره .

فصل

في بيان اجتماعه قدس سره بأرواح الصحابة رضي الله عنهم وبيان الوقائع التي وقعت بينه وبينهم في عالم الأرواح .

رؤيته ابن عباس رضي الله عنه

منها : ما كتبه قدس سره بهذه الكلمات : ورأيت عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما ليلة الجمعة ٢٦ من إيول سنة ١٨٩٦ وصافحته بأحسن مصافحة مع بشاشة وجه وقبلته ثم جلسنا نتحادث وهو طلق الوجه ، وسألته عن عدة مسائل ، فمن بينها مسألة الفاحك والنبيذ ماذا يقول فيها ؟ **فأجاب بأنه حرام بالنص والحديث ، وقال : إثمهما أكبر من نفعهما** ، وفصل الحديث . لكن اشتبه أكثر ما رأيت ، فلذلك تركْتُ ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه .

رؤيته ابن الزبير رضي الله عنه

ومنها : ما كتبه قدس سره بهذه العبارات : ورأيت بيت الله الحرام والمدينة المنورة والروضة الشريفة أزيد من عشرين مرةً ، فمن بينها ما أذكر الساعة : رأيت هنالك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حواري

رسول الله ﷺ ، ويزيد بن معاوية ، ثم لما تدبرت علمت أنه الحجاج وكان في مقام يزيد ، وكان بين الحجاج وعبد الله بن الزبير مشاحنة وعداوة ، فسعيت بينهما سفيراً في الواقعة المعلومة لكلّ أحد ، ورأيت الزبير رضي الله عنه كأنه ينصح ابنه عبد الله وكأنه يريد الموافقة مع الحجاج دفعاً لضرره ، فقال عبد الله رضي الله عنه : إن ذلك الرجل أي حجاج ظلوم غشوم لا يوافقني أصلاً ولا تقع الموافقة وإن ذهبت إليه ؛ فذهبت لدى الحجاج فوجدته مهاباً فصيح اللسان مليحاً في الكلام ، فتكلم معي في حق ابن الزبير وقال : إني أتركه إن أطاع لي وإلا فلا ؛ ثم بعد مكالمات أرى لي يديه وهي مملوءة بالقروح الخبيثة وقال : إنه مبتلى بهذه القروح بسبب ابن الزبير ، لكن أخفى ذلك عن الناس وإن كانت القروح بسبب تلك الواقعة ، وكأن الحجاج قال هذا القول - أي أخفاه - لئلا يميل الناس إليه . وهنالك مكالمات كثيرة اقتصرت بالأحوط صوناً من وقوع خطأ في الرؤيا . فانتبهت والحمد لله .

رؤيته أكابر الصحابة رضي الله عنهم

ومنها : ما كتبه قدس سره بخطه بهذه الألفاظ : ورأيت أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي المرتضى مرات كثيرة ، والحسن والحسين وعبد الرحمن بن عوف وحمزة وعباس ابني عبد المطلب أعمام النبي ﷺ وعليهم الصلوات والتسليمات ملء الأرضين والسماوات ، لكن تفاصيل هذه المنامات كتبتها مع بيان الأوقات التي رأيتها في غير هذا المجموع ، وكتبتها أيضاً هنا مقتصراً لتجديد حمدي وشكري على الله كلما ذكرتها ونظرتها ، وتحديثاً للنعمة التي أنعمني به سبحانه وتعالى ، والله الهادي إلى أقوم طريق .

رؤيته الحسن أو الحسين رضي الله عنهما

ومنها : ما كتبه بيده قدس سر ه بالعبارات الآتية : ففي ليلة الجمعة ٢٧ من سنطابر سنة ١٩١٣ إني دخلت في بيت فاجتمع هنالك جمّ غفير ،

وأكثرهم شيعيّون ، وبينهم أخي حج موسى ، فحضر هنالك خلق مع جنازة حسن ، بل أظن حسين عليهما السلام ، ووضعوا على لوح كأنه مغتسل ، وكأنّ عليه قميص ، ورأيت بياض عنقه وعليه جروح من الضرب بالسيوف ، والناس يبكون عليه بكاء شفقة وحسرة وعلى كونه مقتولاً ، وبعض يترحمون ويقبلونه للتبرك ، وقام أخي حج موسى وقبل ناصيته ، ثم قمت لأقبّله فقبلت بين عينيْه ، ثم لما نظرت بعد التقبيل رأيته مفتوح العينين ينظرني ، فتعجب الناس من ذلك : ما هذه العلامة ؟ ينظر كالحي ، فنظر إليّ نظر مودّة مع تبسُّم ، ثم قام وعانقني وقبلني مرات وصار ينظر إلي جوف قميص مع بشاشة الحال ، وقال : رأيت قُمُص بعض الناس مملوءة من القمل والناس يتعجّبون من ذلك ويحسبون أنّ ذلك كرامة عظيمة وحسن حالي . فانتبهت ، ولله الحمد أولاً وآخراً .

ومنها : ما كتبه أيضاً بخطه قدس سره بهذه الكلمات : ففي ليلة الثلاثاء ٢٦ ماي سنة ١٩٠٧ رأيت في كربلاء جثة الشهداء من آل بيت الرسول ﷺ الذين شهدوا مع السبط عليه السلام وهم ملفوفون بين أثواب ، بيد أن جثّهم - أي أجسادهم - مسودة كجسد الأعراب وصارت كالخشب الجافة ، وعلى البعض شعور غير ساقطة إلا من مواضع قليلة ، وأنا أندب وأبكي عليهم ، ورأيت فيها أجساد الأطفال والرجال والنساء ، وجثة امرأة هرمة ، فقلت : من هذه ؟ فأجاب : واحدة هذه كانت خادمة لأولاد الأسباط ، أي الناظرة إليها . فانتبهت وأنا متأسف على ما رأيت حَرَقان القلب .

رؤيته عثمان وعلي رضي الله عنهما

ومنها : ما كتبه بيده أيضاً بما لفظه : ورأيت مرةً أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأكرمني وأدناني وقال لي : أسأل منك أن تكون معي في الأمور ، ففهمت من كلامه شيئاً كان بينه

وبين علي المرتضى كرم الله وجهه شيئاً من المهاجرة؛ فقلت له: إني أتفكَّر في ذلك وأرجع إليك؛ وأظهر إرادته لرجوعي، فخرجت، فدعاني علي المرتضى كرم الله وجهه وقال: يا ولدي! تكون معي ولا تفارقني، إني كنت أجبت لعثمان كذا وكذا، والآن إنك تطلبني، ولا أعلم بماذا أجيب، بيد إني أريد المشاورة في حق ما طلبتما منّي من سيّديْ كهولي أهل الجنة أهل الجنة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، فذهبت لديهما، فوجتهما في موضع فأدنياني وفرحا بحضوري، ثم حدثت لهما الحادثة الواقعة بين علي وعثمان رضي الله عنهما وما أجبت لهما، وقلت: وقّفت الأمر بينهما حتى أشاوركما؛

فرضيا على ذلك رضاءً وقالا: كن يا سيف الله مع عليّ، فعليّ على الحق والحق يدور مع علي حيث دار؛ فرجعت وأخبرته عليّاً رضي الله عنه ورضي على ذلك وخاصةً على متابعتي له وأظهر سروره.

ثم رأيت عثمان وكأنّ في قلبه من ذلك شيئاً. فانتبهت ولله الحمد. انتهى من خطه.

رؤيته جعفر الصادق رضي الله عنه

وفي الليلة الثالثة عشر من شعبان سنة ١٩٠٨ رأيت الإمام جعفر الصادق، ثم موضع دفنه، والحمد لله. انتهى من خطه.

رؤيته خالد بن وليد رضي الله عنه

ومنها: ما كتبه بخطه بما يأتي: فحين كنت في كفكي رأيت في المنام أنّ جيش المنافقين من الكفار حضروا إلى موضع قريب إلى دارنا العتيقة معسكرين، ووثبوا للإغارة بقصد نهب ما في داري، وعلمت أن قصدهم لنهب قلنسوة أبي سليمان سيف الله خالد بن وليد ابن مغيرة المخزومي الصحابي رضي الله عنه التي فيها ذوابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يغزو الكفار

في جميع الغزوات بتلك القلنسوة وهي التي قال ﷺ : « خالد سيف الله الذي لا يغمد ، لا ينهزم جيش كان فيه خالد وعليه تلك القلنسوة » ، وهذا الحديث ما كنت سمعت قبل فتبادرت للوصول لدى القلنسوة قبل المنافقين ، ووصلت إليها وأخذتها ووضعت على رأسي ، وجاهدت بها الكفار جهاداً في الله ، وقتلت منهم جمعاً وهرب الباقون فتبعت أثرهم ، فحينئذ رأيت خالد رضي الله عنه أمامي ، ففرحت فرحاً برؤيته ، وعلم الكفار حضوره فخافوا وهربوا ، لكن أنهم كانوا يتشجعون قلوبهم ، والقلنسوة حينئذ على رأسي ، ثم حضر هنالك حج موسى ، فأوصيت له هنالك وقلت : إن قتلت في سبيل الله فهذي قلنسوة خالد سلمها ليده ولا تمسها إلا متطهراً ، وذهبت خلف الكفار . وانتبهت ، والحمد لله .

رؤيته عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

ومن ذلك ما كتبه بخطه قدس سره بهذه الكلمات : رأيت في ليلة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه ومعه آخر ، وقد صافحنا وطال الكلام ثم بعد سويعة رأيت في يده عوداً ، فقلت : يا أمير المؤمنين وخليفة حق ! لي من العمر نحو خمسين سنة وما برحت أتمنّى رؤيتكم في النوم لأفوز بذلك ، والآن رأيت في يدك آلة اللهو ، فما هذه ؟ فقال لي : هذا القول منك عدل ولازم أن تنهى لكل واحد كذلك . وانتهبت ، وله الحمد . انتهى .

رؤيته سهل التستري رضي الله عنه

ورأيت ليلة جمعة أني حين كنت في بلدة خَرْكُو سيدنا سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وكان مريضاً وتكلم ، ونسيت كلامه ، بيد أنه رأيت مكتوباً في موضع على باب داره بأنّه ألف كتاباً فيه منفعة للناس . فانتبهت في هذه الحالة ، والحمد لله رب العالمين . انتهى .

فصل

في بيان وقائعه التي رأى فيها أكابر الأولياء العارفين رزقنا الله نصيباً من بركاتهم آمين .

رؤيته قضيب البان وشيبان الراعي رضي الله عنهما

ومنها : ما كتبه ﷺ في مجموعة بهذه العبارات : ورأيت مرةً أني فوق جبل أذهب من موضع وعر وأنا خائف من السقوط ، فوصل هنالك قضيب البان وشيبان الراعي رضي الله عنهما وسلّما عليّ وأخرجاني إلى موضع حسن ، وتَمَّ كلامه . والحمد لله . انتهى .

رؤيته عبد القادر الكيلني قدس سرّه

وفي ليلة حضر لدي قطب الشيوخ الأكابر الشيخ عبد القادر الجيلاني ومعه الشيخ المشهور دمدان المحي رضي الله عنهما ونفعنا من بركات أنفاسهم ، وكانت امرأتي وقتئذ حبلى ، وصافحاني وتكلما معي في الأسرار ، وبشراني بولد صالح . وباقي الرؤيا نسيته وانتبهت ، فلله الحمد أوّلاً وآخراً .

فبقيت بعد ذلك أياماً قلائل أرجو الولد ، فولد لي ولد سميته أرسلان حسين ولقبته بنظام الدين وكنيته بأبي الهدى ، وأرجو الله تعالى أن يكون من صالح عباده المتقين ، وأن يكون بارّاً لوالديه ، إنه الكريم الجواد . انتهى من خطه .

ورأيت مرةً الشيخ الأعظم والقطب الأكرم من انطوى العالم الأكبر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ووقع لي معه محاورات لا أقدر أن أصف هنا ، وسقاني بيده المباركة قدحاً من ماء أحلى من العسل ، وأبيض من اللبن الخ . وكتبت بيانه في موضع آخر ، والحمد لله والشكر على ذلك . انتهى من خطه قدس سره .

رأيت في الليلة الثانية من ربيع الأول سنة ١٩٠٣ - سنة ١٣٢١ وأنا في صحراء قِرْغِز لدى الغني تُرْش رؤيا ، وذلك أني رأيت معي الغوث الشيخ عبد القادر الكيلاني في مجلس الذكر ، فأدخلني بأمره في حلق الذكر مع خواص مريديه ، ففي أثناء ذلك حصل لي وجد ، وصرت أطير من مجلس إلى مجلس من الوجد والعشق في محضره قدس سره ، وأنا على حال عجيب لم أكن أعهده ، والغوث راض عني ، والشكر لله على كل حال .

ثم في الليلة الرابعة من ذلك الشهر صرت في ذلك المجلس وأنا أتكلم في حق حياة خضر عليه السلام ومماته ، فحضر لدينا هنالك ولي من أولياء الله تعالى ، فسألته أيضاً عن حياة الخضر ومماته ، فأجاب بأنه حي باق على حياته ، وقال : وكم لله من ولي لقيه وصافحه ، فقلت : نعم إنه صافحه عدة أولياء كأبي العباس المرسي وأضرابه ، والحمد لله على نعمة الإسلام .

ثم في الليلة الخامسة من ربيع الآخر رأيت عبد الله بن الحاج مَمَ القوبي وقال : رأيت روحانية شيخكم الشيخ الشهير زين الله المعموري ، ورأيته رجلاً وأي رجل ، بيدَ أنه قال لي : أتمنى رؤية سيف الله ؛ وقال لي عبد الله : يا سيف الله ! شيخك يطلب حضورك ويقول : ليس لي مريد لم أره إلا سيف الله هذا . ثم انتبهت ، والحمد لله على كل حال .

ثم سافرت لدى الشيخ وخدمته ، ونالني ما نلت ، وفزت بصحبته ، والحمد لله على كل حال . انتهى خطه .

واقعة أخرى : ففي يوم الأربعاء من ربيع الأول ١١ ماي سنة ١٣٢٣ بعد صلاة الضحى لما غفوت رأيت القطب الغوث الحقيقي الشيخ عبد القارد الجيلاني قدس سره النوراني ، ووقع هنالك أمور ومكالمات ، فلما

أردت كتبة الواقعة وقع الحجاب وتهت كأني لا أقدر المكالمة . . إلخ . وكان عليه عباء سرتيّاً ، وكان مقابل وجهه الشيخ عمر العندي ، ووقع الكلام عليه كراهة شطحاته وقوة حرصه بجمع الدنيا بغير سبيل ، ثم إنّ الشيخ قال : أريد عباء الشيخ للتبرك ، ونهيت له عن إظهار هذا القول للقطب ، وقلت بضحك : من حرصتك في كل شيء ، وقال برفع الصوت : إن الملائكة يأمرونني أن أسأله من القطب للتبرك وهذا القول قال مرتين فلم ألتفت إليه ، وتمنيت عباءه أيضاً ، لكن انتبهت . والحمد لله على كل حال . انتهى خطه .

رؤيته الإمام شمويل قدس سره

واقعة أخرى : ففي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ينوار سنة ١٩١٤ رأيت أني مع الإمام شمويل قدس سره الجليل وكان مباسطاً معي ببشاشة ، وكان جسيماً - أي طويلاً - حسناً ، وكنت عنده قصيراً نظراً إليه ، ثم إنّي صرت جسيماً مهاباً حسناً جدّاً طويلاً ، وكان عندي شمويل قصيراً نظراً لطولي ، وصار يتعجّب من جسامتي مع الهيبة الحسنة ، وتكلم في ذلك معي ، ثم انتبهت ، ولله الحمد . انتهى خطه .

رؤيته ذهابه إلى الجهاد ومعه خلق كثير وأمامهم حسن القحي رحم الله إفلاسه

واقعة أخرى : وفي ليلة الأربعاء الثانية عشر من ربيع الأول سنة ١٣٣٦ رأيت أني أذهب إلى جهة وكأني أذهب بقصد الجهاد ، وخلفي خلق كثير ، وأمامهم الشيخ حسن أفندي الحقي رحمه الله رحمة واسعة ، وهو خلفي أيضاً ، وابتدأنا للذكر الجهري ، فحينئذ عرض علي الوجد ، فصرت أرتفع من الأرض بمقدار رمح وأذهب في الهواء وأسعى معهم - أي أمامهم - بلا وصول إلى الأرض ، ثم بعد الفراغ اعتزلت مع حسن

أفندي وقلت : ماذا رأيت ؟ فأجاب : رأيتك مرتفعاً جسيماً ، ولم أعلم هل كنت تسعى أو تطير ، وانتبهت ، ولله الحمد . انتهى خطه .

رؤيته يصلي الجمعة ويتمّها ومريدي محمد الككني يتركونها

واقعة أخرى : وفي ليلة السبت ١٧ أكتابر رأيت أني في مسجد أصلّي مع الناس صلاة الجمعة ، فحين كنت في الجلوس على التحيات إن الناس تركوا الجمعة وقاموا ، ووقع هنالك هرج ، وأفسدوا صلاتهم ولم أفسد ، بل أتممت الصلاة وسمعت قائلاً : تقبل الله منكم ببركة سيف الله ، فنظرت ما هذه الغوغاء ؟ فإذاً قالوا : إنّ شيخنا محمد حاجي الككني حضر ولأجله قاموا ، فعلمت أنهم جهلوا في دينهم حيث تركوا الفرض بلا ضرورة ، ورأيت محمد حاج جالساً ، فصافحني ببشاشة عظيمة وعانقني ، ووقع هنالك كلام كثير ، وعلمته أنّ صدور هذه الأمور من مريديكم غير جائز ، فلم ينكر على قولي ، بل وافقني ، وانتبهت ، ولله الحمد .

رؤيته شيخه محمد ذاكر قدس سره

واقعة أخرى : ففي ليلة الأربعاء ٢١ رمضان سنة ١٣٣٤ رأيت جامع القطبتين مولانا محمد ذاكر قدس سره على أمر عجيب من الحال والمهابة ، فأدناني لديه وقربني ونصحني بعدة نصائح وأقامني خليفة مقامه وأجازني للإرشاد التام وسلّم لديّ صكّ الإجازة ، وفعل معي أموراً كثيرة وأودع لديّ وديعة ، ونسيت أكثر الرؤيا ، ونسيت عبارة الصك وقد كنت حفظته ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه .

واقعة أخرى : رأيت في الليلة الخامسة من شهر صفر الخير سنة ١٣٢٥ الشيخ الكامل المكمَّل جامع القطبتين شيخنا أبا عبد الرحمن محمد ذاكر النقشبندي الچسطاوي قدس الله سره ، وتوجه بي ، ونظر إلى

جميع اللطائف ، ثم نظر إلى قلبي وقالبي ، ثم بعد كمال نظره أجازني للإرشاد والتلقين ، وأمرني باستكتاب صكّ الإجازة من واحد ، وأظن أن المستكتب أحمد ولي القزاني ، وقال : إن لم يمكن الاستكتاب له فستكتب من مجاور الروضة الشيخ عبد الكريم الغازي غموقي ولقنني بعبارة الكتاب ، لكن نسيتها ؛ وقال بعد الكتابة : ائتني بها لأمضيها ، ولولا الضعف لكتبت بيدي هكذا ، ثم في أثناء ذلك بعد كلام طويل انتبهت ، ولله الحمد . انتهى من خطه رضي الله عنه .

رؤيته شيخه زين الله قدس سره

واقعة أخرى : ورأيت ليلة الخميس ٦ من جمادى الأولى هذه السنة ١٣٠٨ وأنا في اشترخان الشيخ الشهير زين الله المعموري في جهة من البحر وأنا في جهة ، وقد اجتمعنا ولا أقدر أن أقول كيف اجتمعنا ، ثم رأيت أن مريديهم كلهم مضطجعون على القفاء صفوفاً ، ولم أرَ الحد من جهة ، وكان الشيخ يصلح أمورهم ، فوصل لدي وقال : أثبت ركبتيك ولا تبسطها بالكلية فامتثلت ، ثم حضر رجل كان معه دونه في العمر ، وقال : لِمَ أثبتت الركبة بلا بسط ؟ فقلت : الشيخ بذلك أمرني ، ثم أراني كيفية دون البسط والقبض ، الشيح هكذا يأمر ، فحينئذ حضر ونظر إليّ ورأى قميصي الأبيض وقال : إنّ قميصك غير نظيف وأعْطي لك قميصاً ، فقلت : افعل قمصاناً كثيرة ، وليس هذا وَسِخاً يحتمل أنّ عليه أثر عرق ، فقال رفيقه : هذا قميص قبليّ ليس بوسخ ، فقال الشيخ : إنّ لي قميصاً منسوجاً بالخيوط أعطيه لك ، فقلت : لا أريد لألبس بل أريد ذلك لأحفظ للبركة ، فقال الشيخ : أعطي لك لتلبس مع الشيوخ قبل أن تنتقل من هذه الدار وإلى أنْ يخلق ، لا أبقى في الدنيا ، وألبسنيها ، فانتبهت مرعوباً ، وتوضأتُ وجلستُ ، ثم بعد ذلك لما غفلت في السنة رأيته على سرير وعليها - أي قدامه - نعمة من الطعام وأجلسني على السرير وهو طليق

الوجه مستبشراً قائلاً : هات رؤياك ؛ فصرت أقص عليه رؤياي ، ثم قال وهو ضاحك : كيف كان اسم رفيقي ؟ فقلت : نعم كان اسمه محمد الأمين أو محمد المأمون ، ولا أقدر التبيين بين هذين ، فانتبهت ، ثم بعد ساعة غفلت عيني ، ورأيته في دار مرتفع وقدام الدار تلّ صغير مُعْشَوْشب وأنا على التل ، فجذبني إليه ولا أعلم كيف جذبني ، ثم رجعت فرأيت كلباً لعل أسود ، وقال الكلب بلسان فصيح : أنا أستاذك أيضاً ، أنا مرادك وأنا أتباعد منه خوْفاً من مسّه على ثيابي وقال بي أنا إمدادك وقبل عليّ ، ثم ثانياً يلتمس منّي التمكين للتقبيل وكأنه في تلك الساعة على صورة عجوزة سوداء قبيحة وقالت : إني عاشقة لك ، فقبلت علي ، ثم انتبهت ، وهنالك كثير من الكلام ، انتهى من خطه قدس سره عن الالتفات إلى سواه تعالى آمين .

رويته عبد الكريم المجاور

واقعة أخرى : ففي سنة ١٩٠٠ في نزران رأيت في المنام أني والشيخ عبد الكريم الداغستاني مجاور الحرم الشريف ذهبنا في مكة المكرمة في الحرم المبارك الأمين ، فدخلنا فيها وصلينا النافلة ، ثم دخلنا في بيت الله الحرام ونظرنا حوالي بيت الله تعالى وصورتها وأنا قائل : عجباً إن هذا البيت ليس على الكيفية التي رأيتها في المنام ، وصورة البيت وسعتها وسمتها فكأني أراها يقظةً ، رزقنا الله الدخول يقظة وأداء حقوقها آمين يا معين .

رؤيته أنه في مدرسة الحاج موسى

واقعة أخرى : ورأيت في ليلة السبت الثالث والعشرين من إيول سنة ١٩١١ لعله الليلة التاسع من شعبان سنة ١٣٢٩ أني في جوار مدرسة الحاج موسى ، وفي موضعه ، وكان رحمه الله في أحسن حال ، وكان يأمر وينهى ، وكان مطاعاً في أمره ، وصرت أمتثل أمره ونهيه ، لكن حين

كوني في إتمام أمره صرت حفيّاً ، فطلبت نعلاً ، فوجدت نعاله ولبستها ، لكن لم يكن النعال طاهراً ، ولم يكن الرجل أيضاً طاهرة ، بل كانت ملوثة بالروث ، وعلى النعال أيضاً روث ، ولبستها للضرورة مع كراهة عدم طهارتها ، والحمد لله أولاً وآخراً . انتهى .

رؤيته والده المرحوم

واقعة أخرى : في ليلة من ليال شعبان هذه السنة ، وبالرومية إيول سنة ١٩١٢ رأيت عجباً : أخبرني واحد ، ولا أعلم كونه ملكي أو بشري ، قال : إن والدنا الماجد - روح الله روحه - في حالة عجيبة عند الله تعالى ، وقال : والدك الماجد حي في قبره حتى أن شعره لم يسقط ، وعيَّن موضعه ، وفي هذه الساعة هو في برزخ بين السماء والأرض وينتقل الآن إلى موضع كذا وكذا ، وله تطوّر ، ثم رأيت لحيته وجثته وكأنه لم يتغير ولا شعرة مع موته ثم وثم ، والحمد لله رب العالمين على ما أنعم علي برؤية والدي حسين على ما يليق لحاله قدس الله سره وجعله وإيانا في زمرة الصالحين . انتهى من خطه .

رؤيته يدعو الله ويدعو له واحد بالتوسل بأويس القراني رضي الله عنه

واقعة أخرى : ورأيت ليلة السبت ٢٧ ذو القعدة سنة ١٣٣٠ أني أدعو الله تعالى وأتضرع وواحد يدعو لي أيضاً ، وتوسل بالولي الصالح أويس القرني رضي الله عنه ، فحصل لي الاضطراب والاضطرار بذكر اسمه رضي الله عنه وشد علي الوجد والبكاء حتى انتبهت من شدة ما رأيت وشدة بكائي ، ووجدت حلاوة أثر ذلك بعد اليقظة ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته أنه يحج ويعمر مع ولده

واقعة أخرى : ففي الليلة الثاني عشر من شوال سنة[1] رأيت في المنام أني ذهبت مع ولدي أرسلان حسين وأتممت الحج والعمرة بجميع فرائضها وسننها واحداً بعد واحد ، فبعد إتمام المناسك أردنا استصناع العباءات لنا ، واتفقنا كون لونها لون الورد ، فأتممناها ثم بعد الرجوع من الحرم إلى موضع هناك صلينا الصلاة وصرنا ندعو ، فعرض علي حال حسن مع بكاء وخشوع وأنا أقول : أتعبت بالحج ولا أعلم قبوله أو عدمه ، ثم زاد علي الحال والخشوع ، فحينئذ قال واحد : قبل الله حجكم ، فانتبهت ولله الحمد . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته شيخه زين الله وقلنسوته

واقعة أخرى : ففي الليلة السابعة والعشرين من رمضان رأيت أنا في دار ، وعرجت إلى المرتبة الثانية من السلم - أي المرقاة - فوجدت في الدار شيخنا وروحي فداه وهو مضطجع كأنه مريض ، وتكلمته ، ثم رجعت من عنده ونزلت إلى التحت ، فوجدت قلنسوة شيخنا زين الله مع العمامة البيضاء عليها ساقطة إلى الأرض بلا حرمة ، فكرهت ذلك ، ورففت القلنسوة وارتقيت بها لدى الشيخ ووضعته قدامه ؛ ووقعت هنالك مكالمة ، هذا انتهى من خطه قدس سر ه .

رؤيته القطب محمد نقشبند قدس سره

واقعة أخرى : ورأيت في ليلة الأربعاء الخامس من أوغست سنة ١٩٠٩ في الواقعة بعد التهجد في الثلث الأخير مولانا شيخ نقشبند بهاء الحق والدين محمد الأويسي البخاري قدس سره النوري ، فرأيته معتدل القامة جميل الصورة مدوّر الوجه أبيض اللون ، مع سواد الشعر معتدل

---

(١) هكذا في الأصل .

اللحية أسود ، وكأنه الساعة إمامي ، فأجلسني في جهة يمينه قريباً منه وأدناني ، وكان عندنا واحد من الأولياء ، لكن نسيت اسمه ، فتكلم معي ببشاشة وسرور ، وصرت في سرور عظيم من جهته ومن رؤيته وكأني أريد منه الإجازة في الطريقة القادرية ، ثم في أثناء ذلك وقع الكلام في الطريقة النقشبندية ، فقال : إن كلام الإمام الرباني كلامي .

وقال : قد أطنب الشيخ محمد مراد المنزلوي في آخر تعريبه على « الرشحات » بكلامي وسماه : كلام فلان ، لكن نسيت اسم هذا الفلاني ، فهو كلامي ، ثم إني قمت وعانقته وقبّلت فمه وشفتيه ورأسه وصرت أمسّ وجهي لوجهه ورأسي برأسه وأنا أقول في ضمن ذلك : أرجو أن لا يمسّ النار موضعاً مسه القطب ، وقال الشيخ الذي عندنا : بخ بخ ، هذا ساعة التقائه فعل هذا وفاز ولم نظن في هذه المدة ذلك ، ثم إن القطب قال : أعطي لك كلامي ، فأعطاني مكتوباته ، فصرت أتصفح صفحة صفحة وأنظر إلى خطه وغرائب كلامه ، فخرجت من هنالك وأنا أقول : من يريد حرمة الشيخ فليؤدب معي ، فقد خالط ريقي بريقه ، ولحمي بلحمه ، ودمي بدمه ، وذلك سألت أن يتفل في فمي ليتنوّر باطني ويأمن من النار والكلام كثير اختصرت والحمد لله . انتهى من خطه قدس سره .

فصل

رؤيته الجنان والنار

في رؤيته رضي الله عنه الجنة والنار ، ورؤيته أهلهما في الوقائع المنامية ، فمنها : ما كتبه قدس سره بخطه بهذه العبارات : وأما الجنة فقد رأيت مرات ، ودخلتها ورأيت أهلها رزقنا الله الدخول فيها ؛ ودخلت النار ورأيت أهلها أعاذنا الله تعالى .

فمما رأيت من الجنان : رأيتها مرةً ودخلتها ورأيت قصورها وسررها ، ورأيت المرحوم الحاج أبكر بن زخي والد حليلتي على سرير في الجنة ، وسألت عنه عن وصوله هذه الدرجة مع مسامحته في أمور الدين ؟ فأجاب بأجوبة ، فمنها : محبته العلماء العاملين ؛ والأجوبة الباقية نسيت الآن ، وانتبهت . انتهى من خطه .

رؤيته عائشة الخوتية في الجنة

ورأيت عائشة الخوتية المعلومة في الجنة بسيمة عجيبة عليها خلق الجنة مع عدة نساء مزينات محسنات كأنّهن الأقمار ، فتعجبت حين رأيتها ، وقلت : يا عائشة ! ما هذا الجمال ؟ فقالت : خجلت حين رأيتك ، فلو علمت التقاءك لما لبست هذه ، وقلت : فما هذه النسوة ؟ قالت : أصيحباتي ، فقالت الواحدة من بينهن : نحن الحوراء نحن الخالدات ورثنا هذا الجمال لأجل هذه عائشة ، ورأيت فيهن دُشُ ابنة مِرْضَى بُدَّ خالتي . وانتبهت ، والحمد لله على كل حال . انتهى من خطه .

واقعة أخرى : ورأيت مرةً أني دخلت الجنة ومعي خلق ، وأنا على سرير من سررها ، ولعل من كان عندي نحو بضع عشر ، وكأني عليهم رئيساً ، ونظرت في جهنم وعذابها وأهلها يستشفعون بي وأنا أجيبهم ؛ ورأيت أقرأ سورة « يوسف » ثم سورة « يس » ثم سورة « هل أتي » ثم سورة « الواقعة » ثم السور الصغار ثم آخر سورة « القتال » ، كأني أريد النجاة من المهالك بآيتين من آخر سورة « القتال » . من خطه قدس سره .

فصل

رؤيته ظهور نور من جسده قدس سره

في جملة من وقائعه قدس سره : قد كتب في مجموعته بما لفظه هذا : ففي الليلة السادسة من شهر رمضان ليلة الخميس سنة ١٣١٨ رأيت أني في مجلس جالس وعليّ حال ما كنت أعهده ، ففي أثناء ذلك إذ

ظهر من جانب اليمين نور من جسدي ، وبدا ذلك النور للحاضرين قبل علمي ، ثم عمّ النور إلى الجهة اليسرى ، فتغير حالي وكدت للغَيْبة عن الوجود ، ثم إن الناس مالوا نحوي يتبركون وأنا أنهيهم عن إشاعة الأمر كراهة ظهور سر الله ، فانتبهت ، ولله الحمد . انتهى من خطه .

رؤيته الكواكب الدرية في النهار

واقعة أخرى : ورأيت مرةً أني بين الصبيان في موضع بيدرة أي چَرْكلّخ ، فرأيت الناس مجتمعين ينظرون السماء قائلين : عجباً من كواكب درية ترى نهاراً بأضوأ ما تكون ، فقلت : إنها مطيعة مترقبة إليّ ، ونظرت فإذاً أربع كواكب ، فرحلت من هنالك ووصلت إلى قرية خونه وهي تسير موافقة لسيري ، ودخلت مسجد خونه ، واجتمع الناس ينظرونها ويتمنونها ، فقلت : هي لي : ورأيت معها أربعة أخرى ، فمددت يدي إليها ، فوصل واحد في يدي وارتفعت الأخرى ، وانتبهت ، والحمد لله . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته تنيناً عظيماً أسود في السحاب

واقعة أخرى : رأيت في شهر رمضان سنة ١٣٢٧ أنّ في السحاب تنيناً أسود عظيماً طوله نحو نصف ميل ، وكأنه في بعض الأوصاف كالبغل ، وأسنانه عظيمة جدّاً كأن فمه فم عقرب ، وذنبه طويل جدّاً كالحية ، فاضطرب في السحاب سرعة ثم نزل إلى الأرض في محلة قرية ، فخفت من داهيتها مستعيذاً من شره ، ثم خرج إلى الجهة التي كنت هنالك ، فوطأ على جمع من الرجال فقتلوا ، ثم صرت في مخافة من رجوعه نحوي ، ولم يكن علي سلاح سوا سكين ، فقلت : إن حضر نحوي فماذا أفعل ولا يمكن دفعه بالسلاح لكبره ؟ فهمّ نحوي ورجع إليّ ، فلما قرب إليّ قلت له مع ثبات القلب : لا تقرب إليّ فوا الله أحرقك بأن أقول مرة : الله الله ! فرجع بلا إضرار خوفاً من ذلك القول ، فانتبهت .

ثم بعد ساعة من ذلك رأيت كأني أذهب من طريق جادة ، ووافق معي رجلان ولم أعلم أسمهما ، فرأينا في موضع مالاً مجموعاً ، فقال أحدهما للآخر : انظر هذا مال عثمان الفلاني جمعه من غير حله وبقي المال هكذا وبقي على رقبته عقوبته ؛ فأجاب الآخر : إن الإنسان كنود أحمق ، يجمع المال لغيره ويلتزم على نفسه العقوبة وقد قدّر الله له الرزق ولا يزيد ولا ينقص ولو مثقال ذرة مما قسمه وإن اجتهد ، ومع ذلك لا يزال في تعب ؛ ففارقت منهما وذهبت من طريق آخر وأنا أقول : يكون للإنسان ما قسم الله ولا يزيد ولا ينقص ، فوصلت في موضع مخضرة ، فقيل : إن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه فجُعْتُ جائعاً وتمنيت شيئاً فلقي لي شجرة دليك - أي شوك وعليها دليك حمراء - ففرحت وأخذت واحداً أو اثنين وقلت : أترك هذا لله ؛ فسعيت قليلاً فوجدت شجرةً صغيرةً وعليها تين كثيرة أكثرها بلا نضج ، وأخذت منها قليلاً من النضج[1] ، ثم سعيت قليلاً فوجدت شجرةً مملوءة من الثمار الحسنة الشبيهة بالتين وفي اللون بالتمر ، فأخذت قليلاً فوجدت شجرةً بأحسن ما يكون غير شبيهة بأشجار الدنيا وعليها ثمرة عجيبة الشكل والطعم ، وقائل : من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منها ؛ فأكلت منها ما شاء الله ، وانتبهت . انتهى من خطه بارك الله في عمره وعمله آمين .

رؤيته أسد أسود مطاعاً له قدس سره

ففي ليلة الأربعاء ليلة الثاني عشر من مارت سنة ١٩١٤ وأنا في بلدة سراتو أسيراً رأيت أسداً أسود اللون مطاعاً لي في كل ما آمره ، ويتذلل لكل أمر بالسمع والطاعة . انتهى من خطه .

(١) أي : المنضوج . (القحي) .

رؤيته الصاعقة

واقعة أخرى: ففي ليلة رأيت صاعقة وقعد قدام دار عمر بد المرحوم، فصار الناس يقولون: إن حج موسى أحرقته الصاعقة وأحرقته في الأرض، فتبادرت هنالك بكيف لا أقدر المشي من شدة الخوف، فرأيت حاج موسى وعليه قلنسوة أي فاس ينظر إلى جهة قدام داره ويقول: وقعت هنالك صاعقة، ونظرت إلى الموضع فرأيت الموضع منها كأنها حفرة، وانتبهت، انتهى من خطه قدس سره.

رؤيته كأنّ الشمس سقطت إلى الأرض

واقعة أخرى: ورأيت ليلة من سنطابر ١٩١٦ أني في موضع من قرية مجهولة وأنا في موضع كأني أنظر الناس، وصار الوقت متكدرة كأنه مغيّمة أو كسوف، ونظرت إلى السماء فرأيت الشمس تسقط من السماء إلى الأرض مسلوب النور، وقلت: تقع إلى الأرض وتنخسف بها ويقع الهلكة، فسقطت على الأرض وانغمست في الأرض، لكن النهار صار بضوء وأنا أدعو الناس إلى الجهاد وكأن لي موضعاً أدعو إليه الناس. انتهى من خطه.

رؤيته جمعاً من الناس في موضع مزار الولي موسى الكري

واقعة أخرى: ورأيت مرةً أني في قلعة يَلْدَّار، فرأيت جمعاً مجتمعين في موضع مزار الولي لله تعالى موسى الكري، ولم أعلم سبب اجتماعهم، وكان الوقت وقت دخولي في خدمة الروس، ففي أثناء ذلك حضرت لدي من بين أولئك الجماعة زلْمُل أَطَه الغمقية، فسألت منها عن سبب اجتماع الناس هنالك، فأخبرتني للزيارة، فقلت لها: أنا أحق لذلك، فذهبت ولم أجد أحداً برجوعهم من هنالك، فصبرت وتدبّرت، ثم رأيت من الخارج كوةً عريضة مشرفة إلى جهة قرية كور على البيت الذي

على القبر وعليه محجلات حديدية ، فبقيت أتدبر فيها قائلاً : سمعت أنّ على الروضة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام محجلة كذا ؛ فحينئذ ظهر قدامي أثر قبر ، فتعين القبر وعلمت أنه قبر شيخ ، وصرت واقفاً في جانب القبر أدعو الله وأطلب بركته ، فتحرك القبر تحركاً ، وقلت في نفسي ثَمَّ وحشة ، ثم رجعت إلى عقلي ، وقلت : من يتدبر في هول المحشر لا يكون وحشة ، فانشق القبر وطلع أولاً الرجل اليسري ، ثم قام من القبر وإنه ينفض التراب ، وجلس وأنا أدعو الله حينئذ ، وأعلم ذلك الدعاء الساعة ، ثم سألت عنه : من أنت ؟ فأجاب بأنه ولي عبد الله الأُري وأنه هنالك في موضع قدام موسى الكري ، ولما سألته عن سكونه في موضع شيخ موسى بأن لنا التصرف للتنقل إلى أي موضع شئْنا . . إلخ .

ثم لما دعوت قال : آمين ، ثم ثانياً أيضاً وأنا أدعو الله ولم يقل آمين في المرة الثالثة ، فظننت لو أمّن ثالثاً لتمّ المراد ، ثم سألت الله تعالى التأمين لدعائي ، فقال : آمين آمين آمين ثلاثاً ، ثم رجعت بالمصافحة والتقبيل على يديه ، فساعة الانصراف ظننت أني في الخدمة ، فرجعت وهو على حالته الأولى . . .[1] عن خدمتي ، فقال : اخرج من الخدمة ، فلم أرد ذلك وتعلّلت ، وقال : إذا صرت كالثور لا ينفعك الموعظة ولا تقبل المعروف ، وانتبهت ، وهنالك كلام اقتصرت . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته الأحجار العجيبة التي فيها كيمياء السعاد

واقعة أخرى : ورأيت ليلة السبت السادس من شوال سنة ١٣١٥ أني اطلعت على آثار قديمة عجيبة ، وكان بينها رسوم قبور قديمة ، وهنالك أحجار عجيبة ، فأخذت من هنالك حجراً طولانيّاً غير كبير أبيض ، وقال لي الآمر بأخذه : في هذه كيمياء السعادة ، ثم وضعت ذلك الحجر في

---

(١) لعله : وسألته . (قحي) . (هامش الأصل) .

موضع ملقى وذهبت ، فرجعت ثانياً ، وسبق رجال لدى الحجر وقلت : هذه كيمياء السعادة ، فقلبوه فلم يظهر منها شيء ، ثم أخذته معي ثانياً ، فظهر منها موضع يفتح ، وقيل لي : إنّ ما في هذه إكسير الكيمياء إن ألقي على أي معدن شئت ولو أثراً قليلاً فيرجع ذلك المعدن إلى أيّ شيء تريده ، فذهبت به وأنا مسرور بذلك ، ثم وصلت إلى موضع ، فلقيت ولدي أرسلان حسين ومعه آخر ، وفي إبطه خريطة ، وقال لي : في هذه أيضاً كيمياء السعادة إلى أي شيء مست ما في هذه تصير ذهباً خالصاً ، فمسّ جانباً من الخريطة إلى نبات خضراء فرجعت ذهباً خالصاً بلمسه ، وصار ولدي أيضاً مثلي مسروراً بها . ووقع هنالك مكالمة . ثم رجعت إلى دار لنا ، وصليت هنالك ، وأظن صلاة الظهر ، ثم انتبهت ، ولله الحمد أولاً وآخراً . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته في حالة الفناء أن النصرة للعثمانيين

واقعة أخرى : ففي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من سنة ١٣٣٣ بعيد الظهر كنت متوجهاً إلى الله تعالى صرت أني[١] بين قوم خيار من أهل الله تعالى ، أي في وسطهم ، فعرض عليّ الوارد الإلهي بالتجلي ، فحصل لي حال ما كنت عاهدت بفناء الفناء الذي عين البقاء ، فغبت عن الوجود ، فحين أن كنت في أثناء ذلك الحال خطر في باطني أن كل أمر أريده يكون ، ومسؤولي يتمّ في ذلك الحال ، فبه أردت ظهور أمر خارق للعادة كظهور حيوان يشهد لصحة حالي لتصح به اعتقاد الحاضرين ، فحينئذ نوديت في سرّي أن النصرة العظيمة حاصلة للعثمانيّين وتبلغ سلطنتهم مبلغاً لم تبلغ قبل ، وقال ترجمان الهاتف : اكتب تاريخ الأمر ليتحقّق لك الأمر ؛ فقلت : اكتبوا تاريخ هذا اليوم بعد الظهر أن النصرة للعثمانيين ؛

---

(١) كأني . (قحي) . (هامش الأصل) .

ثم توجهت ثانياً مع ما علي من الحال ، فحصل الفناء التام ، ثم البقاء ، وزاد الحال من الأول ، ورجعت إلى حالي الأول وأنا أقول : اكتبوا تاريخ اليوم ، والحمد لله على كل حال .

مما هتفه الهاتف بأن فلاناً مات

واقعة أخرى : ومن الهواتف ما هتف بي في ليلة انتقال أخينا في الدين العالم المتورّع والناسك الموفق في الدين الحقيقي الحاج إبراهيم بن الحاج مرزى النژوكري ، فتأسفت على ذلك تأسفاً أكيداً ، وإن كان الأسف على القضاء عبثاً ، وصليت فيه ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا من بعض الأضغاث وأن يعمره . هذا في محرم سنة ١٣٣٠ ، ثم تيقن الأمر بموته رحمه الله تعالى . انتهى من خطه قدس سره .

واقعة أخرى(١) : ففي الليلة السادسة من شهر رمضان ليلة الخميس سنة ١٣١٨ رأيت أني في مجلس جالس وعليّ حال ما كنت أعهده ، ففي أثناء ذلك إذ ظهر من جانب اليمين نور من جسدي ، وبدى ذلك النور الحاضرين قبل علمي ، ثم عمّ النور إلى الجهة اليسرى ، فتغير حالي وكدت الغيبة عن الوجود ، ثم إنّ الناس مالوا نحوي يتبرّكون وأنا أنهيهم عن إشاعة الأمر كراهة ظهور سر الله . وانتبهت ولله الحمد . انتهى من خطه قدس سره .

واقعة أخرى : ورأيت ليلة الأحد ٢٦ إيول سنة ١٩٠٩ أني في إستنبول ومعي رجالنا ، واجتمعت مع السلطان سلطان محمد رشاد ، وقرّبني وتكلم معي وأحبّني ، ودخلت في الدار معه وهي دار السلطنة ، ودخلت أخرى ، وجلس على سرير ، وكان هنالك المعزول سلطان عبد الحميد ، وكان هو مغموماً محزوناً ، وكان لا يتكلم مع سلطان محمد

---

(١) هذا تكرار مر هذا بقلب ورق . (هامش الأصل) .

رشاد ، ورشاد أيضاً كأنه غير صافي القلب معه ، ورأيت الناس ينظرون للسلطان عبد الحميد كنظر من يكرهونه ، وصرت مع سلطان رشاد في مشاورته ، ثم بعد ساعة لما نظرت إلى مجلسه صرت أهيّئ أشياءه وأكنس داره ، ورأيته غير بشاشة الوجه والسلطنة غير محكمة وغير متقوية ، ورأيت المرحوم سلطان مراد أيضاً ، ووقع الكلام مع عبد الحميد قائلاً : الجزاء من جنس العمل ، ما فعلت لإخوانك رجع عليك ؛ ووقعت هنالك مكالمة كثيرة . انتهى من خطه قدس سره .

واقعة أخرى : ورأيت ليلة الأربعاء ٩ إيول سنة ١٩٠٨ أني قتلت أسداً بالعنف بعد أن خفت منه ، ثم بعد ذلك قتلت أسداً آخر . انتهى من خطه قدس سره .

فصل

في بيان ما رآه واحد من أهل الكشف من الوقائع في حق هذا السيد الشريف قدس سره التي تدل بأنه رضي الله عنه من أهل العناية الربانية .

قال سيدو الخلقري[1] نجاه الله تعالى من الاستدراج آمين : أني كنت في شعبان هذه السنة ١٣٣٧ في الليلة الثلاثين منه ، وكانت ليلة الخميس بعد الرابطة بالشيخ محمود أفندي قدس سره ، منتظراً إلى القلب ملازماً على الحضور ، فحضر لدي سيف الله قدس سره فتوجه إلى سري بالمراقبة السرية مع أني كنت لم يلقن الأستاذ تلك المراقبة قبل ذلك ، فحين كنت أنا وسيف الله على الحضور اجتمعنا مع النبي عليه الصلاة والسلام ، فوقتئذ قال عليه السلام لسيف الله : سر معي لترى القصور التي

(١) وهو رجل له كشف وله وقائع عجيبة صحيحة ، وقد كان في تربية شيخنا العسلي قدس سره وبعد مماته تعلّق بزيل هذا المقصّر الحقير ، وهو الآن في دائرة أتباعه ، فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

تهيأت ذلك ؛ فسرنا معه عليه السلام إلى تحت العرش ، فرأيت العجائب والغرائب ولا أطيق أن أصف تلك القصور ، فأراه النبي عليه السلام بنياناً عجيبة ، وقال له : أنت ستنزل في هذه البيوت ، وكان هنالك خلق كثير بحيث لا يحصى عددهم فجاءوا لدى سيف الله لتهنئة قصوره ، فسأل سيف الله حينئذ النبي عليه السلام : أين بيوت حسن أفندي يا رسول الله ؟ وكان عند بيوته ميدان واسع ، فأشار ﷺ إلى ذلك الميدان فقال : إن بيوته تبنى هاهنا ، وكان ذلك الموضع مكاناً حسناً جميلاً ، بيد أني رأيت في بيوت سيف الله موضعاً قليلاً لم يتم بناؤه ، وقد كان الصانعون يبنون الجدار في ذلك ، وكانت الأحجار تجيء إلى الحائط بأنفسها وذاتها من غير حامل والصناع يضعونها في الجدار ، ثم ذهب النبي عليه السلام وتفرقنا منه ، ثم قرأ سيف الله قدس سره هذه الآية : ﴿ **وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ** ﴾ الآية .

واقعة أخرى : وكتب هذا المريد المذكور رزقه الله التوفيق وأعاذه من المكر والاستدراج آمين ، وكان في السلوك على نية إتمام الأربعينية : إني رأيت في الليلة الثانية عشر من رمضان ١٣٣٧ وكانت الاثنين ، كأنّ القمر قد كسف ، وكان الناس ينظرون إلى القمر المكسوف ، وذهبت لأنظرها وقلت : هل تكسف القمر إلا في ليلة النصف ، فوجدت الخلق ناظرين إلى القمر يبكون قائلين : ليست القمر مكسوفة بل هي باكية لأجل كون سيف الله في مرض شديد[١] ، وكانت السماء والأرض كأنهما نحاسين في اللون ، فحين كون القمر تبكي استيقظت من النوم ثم قمت وغسلت جسدي ، وتُبْتُ إلى الله وصليت ركعتي صلاة التوبة ثم اشتغلت بالمراقبة والحضور ، وفكرت قليلاً في الأساتيذ ، أي رابطت قلبي بهم قبل المراقبة ، وحين كنت في المراقبة قد دخل لدي الحاج حبيب الله وحسن

---

(١) وقد كان قدس سره وقتئذ مريضاً بحيث ينقطع عنه الرجاء . (منه) .

أفندي القحيين ، فقالا : سر إلى رؤية بنيان سيف الله ودؤوره ، فسرنا فوصلنا إلى تلك الدؤور ، فوجدت في البيت سيف الله ومحمود أفندي وأبا الحسن الشاذلي وعبد القادر الكيلاني قدس الله أسرارهم ، وشاب وشابتين وبنتين صغيرتين كأنّ سنهما خمس سنين ، وقال سيف الله : إني كنت جئت هنا لإيصال هذه البنات إلى هنا ، وقال سيف الله للحاج حبيب الله وحسن أفندي : لو وصلتما قبل ذهاب النبي عليه السلام لكان خيراً ، وكان هنا وذهب الساعة ، فقالا نادمين : هل يحصل لنا هذه الدولة العظمى ؟

وقال سيدو المذكور : وقع هنا كلام بين سيف الله وبينهما ، لكن نسيت الكل ، فذهبا وبقيت أنا وسيف الله وتلك البنات المذكورة ، وكانت خارج البيت صبيان كثيرون يلعبون ويتفرجون ، وكان هنالك ميدان ملآن بالأزهار ، وكانت بينهم ابنة ولدي الميتة في هذه السنة ، وطلبت حينئذ الإذن من سيف الله أن أحضر هذه البنت لدى البنتين كانتا في الدار ، فقال سيف الله : إن واحدة من هاتين البنتين هي بنت حسن أفندي ، فنظرت إلى وجه تلك البنت فوجدتها جميلةً جدّاً ، وكانت في خدها نقطة صغيرة سوداء ، فذهبت لدى بنت ولدي وناديتها فجاءت لدي ، فقصدت مصافحتها فمنعت ولم تسلم يدها ، وقالت : إني أشم منك رائحة الدنيا وهذه الصبيان يكرهون تلك الرائحة ولا يتركون أن أقربهم بعد ذلك ، وقد كنت مرةً دخلت إلى زيل أمي ولأجل ذلك منع الصبيان زماناً كثيراً أن أدنوهم ، وقال : سكتو إني لا أقدر أن أكتب جميع ما قالت البنت المذكورة ، وبعد إيصالها لدى تلك البنتين ، خرجت أنا وسيف الله من الدار ، وانتبهت . انتهى مرجماً من خط سيدو بالعرب .

واقعة أخرى: وكتب أيضاً أني كنت في ليلة الاثنين الخامس والعشرين من رمضان تلك السنة المذكورة واقفاً على الحضور بعد قراءة الختم ، فاجتمعت أنا مع النبي عليه السلام ، وسيف الله ومحمود أفندي

قدس الله أسرارهم تحت العرش في قصور سيف الله ، وكانوا يتكلمون بينهم ولم يكلموني ولم أفهم كلامهم ، لكن سيف الله جاء لديّ وقال : ستقع الحروب بعد انتهاء شهر رمضان فقل للأستاذ حسن أفندي : لا تخرج من البيت إلى أن يصل لديه أمر منا ، وبعد ذلك فارقوا مني ، وكانت في القصر حينئذ البنات الصغار التي كانت هنالك ، ورأيتها في الواقعة المذكورة آنفاً ، ولم تتكلم واحدة منهنّ . انتهى مرجماً من خطه .

واقعة أخرى : قال المريد المذكور : وكتب بخطه ما حاصله : أني كنت بعد قراءة الختم وافقاً على الحضور في ليلة الاثنين ، فاجتمعت مع النبي عليه السلام ومع الشيخ محمود أفندي والحاج جبرائيل أفندي والسيّد الأمير سيف الله فأذن محمود أفندي وأقام سيف الله وصلينا خلف النبي عليه السلام بالجماعة ، ودعا وسأل الله تعالى الحاج جبرائيل أفندي ، وكانت الصلاة صلاة الفجر ، وكان الدعاء الذي يدعو به جبرائيل أفندي للإسلام ونصرة أهله ، ثم قال لي سيف الله : قل لحسن أفندي لا تخرج إلى الحروب إلا بعد وصول الإشارة لديه من جهتي ولا تفش ما في قلبه لأحد ، وخاصة لرجال أوارستان وباعد منهم ، ثم تفرّق مني . انتهى .

واقعة أخرى : رآها هذا المريد المذكور : كتب بخطه ما معناه : إني كنت في ليلة الجمعة في شهر ذي الحجة ١٣٣٧ بعد الغسل ولبس اللباس الطاهر أقرأ الصلوات الشريفة ، وكنت بعد ذلك ناظراً إلى القلب بالحضور ، فناديت الله تعالى وناجيته ، فقلت : يا رب ! أنت أعطيتني من الدنيا ما يكفي ولم تتركني محتاجاً إلى أحد وأرحتني وربّيتني بأحسن تربية ، لكنّي أخاف أن يكون مكراً لي واستدراجاً وأن تميتني قبل رؤية بيتك ورؤية الأرض التي خلقت فيها نبيك عليه السلام والأرض التي دفن فيها ، فإن متُّ قبل ذلك ، فكيف أقف بين يديك وبماذا أعتذر لديك . فحينئذ ناداني الهاتف : اخرج إلى الخارج فإنّ الأستاذ حسن أفندي والحاج حبيب الله

وسيف الله يذهبون إلى الحج ، فخرجت فجأة إلى الخارج فوجدت الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، منتظراً إلى قدومي ، وسرنا خلفهم فوجدناهم واقفين في الميدان الذي فيه أزهار حسنة منتظرين إلى قدومنا ، وبعد وصولنا لديهم قاموا وعانقوا بالشيخ عبد الرحمن قدس سره وكان معهم الحاج أذن السلطي رحمه الله تعالى ، فسرنا مع جميعهم إلى مكة المكرّمة ، فأتممنا الحج والعمرمة ، فسرنا إلى العرفة على قصد ذبح الأضحية وذبحناها هنالك ، فوقتئذ صرنا في الروضة الشريفة في المدينة المنورة فوجدنا هنالك خلقاً كثيراً ، ثم سلم النبي عليه السلام كاغذاً مكتوباً قائلاً : سلّم هذا إلى يد حسن أفندي وقل له ليعظ الناس بقراءة ما في هذا ، ثم قام حسن أفندي على درجة من دُرُج المَرْمر ، وكان في جهة اليمني الحاج حبيب الله القحي ، فوعظ للناس وقرأ ما في ذلك الكاغذ ، فبكى الخلق كلهم واندهشوا وطرحوا على الأرض وتحيروا ، وكان يقرأ آيات كثيرة من القرآن ، بيد أني نسيتها إلا هذه الآية : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ إلى ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . انتهى من خط الرائي حفظه الله من المكر آمين .

واقعة أخرى : كتب المريد المذكور زاده الله توفيق آمين : أني كنت في نصف الليل على الحضور نادماً حزيناً ، فجاء لدي شعبان العوري وشمس الدين الطليقي مع إناء فيه لبن فأخذته من يدهما وضربته بهما بذكر اسم القطب محمود أفندي ، فهربا وقتئذ ، فساعتئذ وصل لدي محمود أفندي والحاج عبد الرحمن العسلي والنبي موسى عليه الصلاة والسلام ، فحمّلوني معهم إلى بحر يسمى ببحر النفوس في السماء ، فاضطجعني موسى عليه السلام في طرف ذلك البحر ، فجاء عليه السلام بكأس فيه ماء أبيض كاللبن ودلك به على جسدي ، وصبّ ما بقي منه في فمي ، وسلم عليه السلام إلى يدي هذه الآية : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ إلى ﴿ وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، وقالوا : إنك تجتمع بالنبي عليه السلام في الليلة الأولى من شهر رمضان إن شاء الله تعالى ، فذهبوا بعد ذلك ، وكانت الليلة ليلة اثني عشر من شعبان وكانت ليلة الخميس . انتهى .

وكتب السالك المذكور غفر الله ذنبه آمين ما حاصله : إن الحاج عبد الرحمن العسلي كان قائلاً : في الليلة التي اجتمعت معه ومع موسى ﷺ : إنك تجتمع بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام في أوّل ليلة من رمضان ، فكنت في تلك الليلة على الحضور والمراقبة ناظراً إلى القلب بين المغرب والعشاء ، فناداني الهاتف ثلاث مرات : كن متطهراً وأنت تجتمع بالنبي عليه السلام ، فقمت وغسلت جسدي ولبست لباساً نظيفاً وصليت العشاء وقرأت : صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته مائة مرة ، فوقفت على المراقبة المعية بالحضور ، فاجتمعت بالنبي عليه السلام في سدرة المنتهى ، وكان هنالك القطب محمود أفندي والصديق الأكبر أبو بكر ﷺ ، فسلم النبي عليه السلام إلى يدي خلعتين أخضرين وقال : أعط واحداً منهما لسيف الله والآخر لحسن أفندي ، وسلمني النبي عليه السلام الإحرام الأبيض ، **وقال لي الصديق أبو بكر عليه السلام : نحن لا نجتمع بمجلس يقرأ فيه الصلوات تقسيماً** ، ثم قرأ النبي عليه السلام هاتين الآيتين : ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ وقال بعد ذلك : نجتمع وقتاً فوقتاً ، ثم تفرقوا مني ، فغشي علي بشدة الندم على الفراق منهم ، واحتلمت في وقت الغشيان ، فانتبهت . انتهى .

واقعة أخرى رآها ذلك السالك المذكور حفظه الله من السلب والطرد ورؤية النفس والغش آمين ، كتب رحمه الله تعالى : إني كنت في ليلة الاثنين بعد قراءة الختم واقفاً على الحضور القلبي ، فاجتمت في غار ثوْر مع الأستاذ حسن أفندي ، والحاج حبيب الله ، والشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني ، والسيّد خالد سيف الله ، والحاج عبد الرحمن العسلي قدس الله أسرارهم ، وكان هنالك خلق كثير لا يحصى عددهم ، وكان الجميع منتظرين ومترقّبين بمجيء النبي عليه السلام قائلين : يفعل الديوان بعد مجيئه ﷺ ، فحضر النبي عليه السلام ساعتئذ وكان معه خلق كثير ، فساعة حضوره عليه السلام دعا لديه سيف الله قدس سره أولا وقال له : اذهب إلى داغستان مع الخلق الذين يحضرون معك لاتحاد أهل الإسلام ، ثم دعا سيف الله الحاج أُذُن ، ونسيت ما وقع بعد ذلك . انتهى .

واقعة أخرى : كتب المريد المذكور سامحه الله من فرطاته آمين : رأيت في ليلة الخميس السيد سيف الله والحاج عبد الرحمن العسلي والحاج أذن السلطي وقالوا : هؤلاء القزاق الذين علوا علينا هم أعمالنا السيئة أطلقهم الله تعالى علينا حين غضب ؛ وسألتهم : أليس لنا إمكان ما لخلوصنا منهم ؟ فقال الحاج عبد الرحمن : نعم يمكن أن نتخلص منهم لو قرأ الختم بالتضرّع والإلحاح مع التوبة بالندم والانكسار ، فبعد ذلك قد جاء الجنود الكثيرة وبيدهم رايات بيضاء وسلموا إلى يد سيف الله كاغداً ، ثم قال سيف الله : إن النبي عليه السلام يصل لدينا مع عساكر الترك فهيئوا للقائه ، فذهبوا وقتئذ للقائه ، وانتبهت . انتهى .

واقعة أخرى رآها المريد المذكور أيَّده الله بمدد مشائخه آمين قال : كنت في ليلة الاثنين بعد قراءة الختم واقفاً على الحضور القلبي ، فاجتمعت بالشيخ محمود أفندي والإمام الرباني وسيف الله قدس الله أسرارهم والنبي عليه السلام ، فقالوا لي : سر للقاء الجنود ، وكان فرس

النبي عليه السلام أبيض ولون أفراسهم كان مختلطاً بالبياض[1] والخضراء ، وكان لي بغلتي ، وكان الكفار يهربون منّا ، وحين كنّا كذلك لقينا الأستاذ حسن أفندي والحاج أذن حج مع جنود كثيرة قوية ، فوقتئذ عانقنا حسن أفندي وأذن حج ، ثم قال أذن حج للنبي عليه السلام : قد قتل فلان[2] ، وسماه باسمه ، فأذن لي أن أقتل فلان[3] وسماه باسمه ، فقرأ النبي عليه السلام آيات طويلة من القرآن ، ولم يجب للحاج أذن بنعم أو بلا ، ونسيت تلك الآيات المقروءة إلا هذه : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ، وانتبهت .

واقعة رآها المريد المذكور رزقه الله الاستقامة التي هي من أجل الكرامات : إني رأيت في الواقعة فرساً أسود قد ظهر في السماء من جهة المغرب ، ثم انتفخ الفرس وكبر وكاد أن ينتشر في السماء كالسحاب الأسود ، وكان الناس ناظرين إليه باكين صائحين خائفين ، ثم ظهر فرس أبيض من جهة المشرق فانتفخ وكبر وانتشر في جو السماء حتى كاد يملأ الهوى ، فوقف ذلك الفرس الأسود في مكانه . انتهى .

وهذا الحقير كتب الواقعة بعينه ، وأراه سيف الله حين ذهب لعيادته إذا مرض في رمضان الماضي سنة ١٣٣٧ فتهلل وجهه بالفرح والسرور ، **وأول الواقعة إلى النجاة من الأعداء ووقوف شوكتهم**[4] ، فلله الحمد والمنة .

واقعة أخرى : قال المريد المذكور غفر الله ذنبه آمين : إني كنت في جيش مع الأستاذ حسن أفندي والحاج حبيب الله ، فكنا نحارب الأعداء ،

---

(١) أي : زَحِلَبْ . (عجم) . (هامش الأصل) .

(٢) هو نجم الدين ، فافهم . (هامش الأصل) .

(٣) هو غيتمار ، فافهم . (هامش الأصل) .

(٤) وكان الوقت حين وصل إلينا شوكة القزاق . (منه) .

وكانوا يقاتلون ، فانفصل مني عضدي في حالة القتال ، وأخذها حسن أفندي بيده ، ثم وصل لدينا سيف الله وقال له : لِمَ خرجتم بغير إذن مني ومشاورة معي ، ثم أخذ سيف الله عضدي من يد حسن أفندي فوضعها مكانها فألصقها كما كانت قبل الانفصال ، ثم حاربنا الأعداء فألجأناهم إلى البحر الأسود وكان على البحر دخان أسود . انتهى . وقد صدق الله تعالى رؤياه ، ولله الحمد .

فصل

في بيان الوقائع التي رآها المريد المذكور قبل موت السيد الأمير قدس سره التي تدل على موته والتي رآها في ليلة موته والتي رآها بعد موته .

قال الرائي : رأيت في الليلة التاسعة من محرم سنة ١٣٣٨ خلقاً كثراً ، وكانت هنالك صدقات تقسم ، وكنت أنا وسيف الله هنالك ، فجاء رجل وقال يا سيف الله : إن النبي عليه السلام يدعوك لديه ، فذهب لديه عليه السلام ، وكنت معه ، وتعانق سيف الله بالنبي عليه السلام ، وكنت أنا بعيداً منهما ، ثم قال عليه السلام لسيف الله : أتى أمر الله برجوعك إلى الدار الباقي منتقلاً من الدار الفاني إلى الديار المتهيئة لك وقد تمت بناؤها ، فقال سيف الله جهراً : الحمد لله الذي خلق الخلق لأجلك وخلقك رحمة للخلق ، أنا راض على ذلك وأنا عاشق إلى المجيء إلى تلك الديار ؛ ثم قرأ النبي عليه السلام آية من القرآن ، ونسيتها . انتهى .

واقعة أخرى : قال ذلك المريد هداه الله إلى ما فيه صلاحه : رأيت في ليلة الاثنين ١ من صفر سنة ١٣٣٨ ميداناً فيه أزهار ، ووجدت فيه جنازة سيف الله قدس سره ، وتعلقت بالجنازة وناديت :

وَيْ دِرْ أَستَارَصُــلْ مُـغْ چَلِبْ قُـرُ دُيْـكِ شَـرَبِـشْخَ قُعَبْ خَـلِلْ لِـــرْ

فقال سيف الله : اضطجع هاهنا عندي ، ففي هذه الساعة يجيء لدي النبي عليه السلام مع جنود من أصحابه ليصلوا عليّ صلاة الجنازة ، فجاء النبي عليه السلام مع جنود كثيرة بحيث يملأ بهم الميدان ، فقبّل النبي عليه السلام على وسط جبهته ، فصلى هو والجنود عليه ، ثم قرأ النبي عليه السلام آية : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ ، وأطال في القراءة ، فرجع النبي عليه السلام ، ثم قال لي سيف الله : الآن يجيء لدي جبرائيل مع جنود من الملائكة ليصلوا علي صلاة الجنازة ، فجاء جبريل عليه السلام ، وقبّل على جبهته وصلى هو ومن معه عليه صلاة الجنازة ، فحين يرجع جبريل عليه السلام قرأ آية لكن لم أفهمها ونسيتها ، ثم قال سيف الله : الآن يجيء لديّ محمود أفندي مع أهل الطريقة النقشبندية ليصلوا علي ، فجاء وقتئذ مع جنود من المشائخ ، فقبّل على جبهته سيف الله ، ثم صلى هو ومن معه ، ورجع من كانوا معه ، ثم قال سيف الله قدس سره : إن القطب عبد القادر الكيلاني يجيء لدي مع أهل طريقتين ليصلوا عليّ ، فجاء الكيلاني وقبل على جبهته ، وصلى هو ومن معه عليه ورجعوا ، ثم قال سيف الله : إن القطب أبا الحسن الشاذلي قدس سره يصل لدي مع محمد صالح مع جميع الشاذليين ، فجاء حينئذ وقبل بوسط جبهته ، وصلى هو ومن معه ، فحين يرجعون قال محمد صالح لسيف الله : إني كنت خائفاً من عدم وجدانك من تعطيه الخرقة ، ثم قال : الحمد لله الذي أوجدك من تعطيه الخرقة وأوصلك لدينا . ثم قال سيف الله : إنّ أصحاب النوبة يصلون لدي مع البدلاء ليصلوا علي ، فجاء وقتئذ سبعة من أصحاب النوبة وكان قبلهم رجل له لحية طويلة عريضة بيضاء ، فقبل جبهته وصلى هو ومن معه عليه ، لكن وقف البدلاء خلف أصحاب النوبة وصلوا عليه مأمومين ثم رجعوا . ثم قال سيف الله : نحن نفارق الآن وتحملني الحور العين ، فقل لحسن أفندي : كل ما قلت لي فقد أتممته وسيصل إليك ، **فجاءت الحور العين ساعتئذ فحملت الجنازة وذهب هو معهن** ، وانتهت . انتهى .

أقول والله أعلم : إن هذا الرائي كان بعد ما رأى هذه الواقعة يبكي كثيراً ويقول : إني أخاف من انتقال سيف الله من الدنيا ، فبعد أيام وصل الخبر بموته قدس سره ، **فصادف ليلة موته ليلة رؤية الواقعة ، فقد مات قدس سره وقت فجر تلك الليلة التي رأى فيها الواقعة وهي الليلة الأولى من صفر**[1] ، فما أصدق هذه الرؤيا .

واقعة أخرى : قال المريد المذكور : إني رأيت في الليلة الخامسة عشر من محرم سنة ١٣٣٨ كأني اجتمعت أنا وحسن أفندي والحاج حبيب الله أفندي في البيوت التي كنت رأيتها في الواقعة المذكورة المعدة لسيف الله تحت العرش ، ثم تعانق النبي ﷺ بهم وبي وصافحهم ، وكانوا قاعدين وكنت قاعداً بعيداً منهم ، ثم سألني سيف الله : هل لهذه البيوت شيء متهيئ فوق ما كنت رأيته من قبل ؟ فقلت له : نعم إنّ البيوت لم تكن هكذا من قبل ، والآن كانت البيوت من الجهات يرى الشخص كما يرى في المرآة ، وكانت في سقف البيوت خط القرآن مكتواباً بخط حسن جيد بمداد الذهب ؛ وقال سيف الله لحسن والحاج حبيب الله أفندي : إني أختم القرآن متكئاً على التخت هكذا خمسة عشر مرة في الملوين ، وهل يكون نعمة ما في الدنيا أكبر من هذه . انتهى .

واقعة أخرى رآها المريد المذكور قال : رأيت في الواقعة كأنّ سيف الله يقول لي : إن حسن أفندي يظن هل يصلى على الحي الذي لم يمت صلاة الجنازة ، فقل له : إنه كان لي أرواح كثيرة قد ابتدأ لخروجها منذ شهر رمضان ، وقد كان بقي في أثر قليل من الروح فخرج ذلك في الأخير . انتهى .

أقول : وقد كنت أخطر ببالي : كيف رأى هذا الرائي أن جمعاً من هؤلاء المذكورين يصلون عليه صلاة الجنازة في تلك الليلة التي مات هو

---

(١) من تلك السنة المذكورة . (هامش الأصل) .

في فجرها ، والله أعلم ، وهذا المريد صاحب الوقائع قد كان حين رأى هذه الوقائع في السلوك بنية الأربعينية ، وقد أريت وقائعه لسيف الله حين كان حيّاً ، فنظر إليها وقال : يا ولدي ! يجوز ذلك أن تكتب منها ما رآه في حقي في أثناء ترجمتي ، ولأجل هذه الإشارة الميمونة كتبتها هاهنا ، رزقنا الله تعالى ولو قطرة من فيوضاته ورشحة من بركاته ، آمين .

ومما رآه المريد المذكور حالة سلوكه أنه قال ما معناه : إني كنت في ليلة الاثنين بعد قراءة الختم واقفاً على الحضور القلبي ، فاجتمعت مع الشاه نقشبند محمد البخاري والإمام الرباني ومحمود أفندي الألمالي قدس الله أسرارهم آمين ، فقالوا لي : قل لحسن أفندي : علّم المريدين بقراءة الختم والصلوات في هذا الشهر ذي الحجة ، وفي الخامسة عشر من محرم سنة ١٣٣٨ وبالاجتهاد لقراءتهما لأن في جهة الإسلام خوف شديد ، والمريدون من جهة المغرب ومن جهة الشمال منها في قصور وفتور في تلاوتهما وهم مشغولون بالحرف ، وفي هذه الساعة قد ظهر فرس أسود من جهة المغرب ، فحينئذ قد اجتمع خلق كثير وهم يصيحون ، فذهبوا لملاقاته وبشدة إسراعهم وشدة أصواتهم ، انتبهت . انتهى .

ومن وقائع هذا المريد رحمه الله أنه قال : رأيت في حالة السلوك في ليلة الجمعة بعد قراءة الصلاة المشهورة واقفاً على الحضور القلبي أتفكر في الظلم الذي هو منتشر على الخلق ، فاجتمعت بالقطب محمود أفندي وخليفته الحاج جبرائيل أفندي وخليفته الحاج عبد الرحمن نفعنا الله بهم آمين ، فقالوا لي : سِر إلى أُحُد لزيارة حمزة ﵁ لنسأل الله تعالى عنده برفع هذه البلايا التي على الخلق ، فذهبنا فوجدنا هنالك مسجداً كأنه مسجد حمزة ﵁ ، ودخلنا فيه وكان المسجد صغيراً ، وحين كنا هنالك نسأل الله تعالى وندعو إذ جاء النبي عليه السلام ومعه أبو بكر وحمزة وعباس ، فقال النبي عليه السلام لمحمود أفندي :

تقبل الله دعاءكم إلا أنّ الدماء قد تسفك وإنّ الضرر للخلق قد يحصل وغضب الله عليهم لعدم اتحاد أهل الإسلام ، وبعد ذلك فرق منا النبي عليه السلام وفارقنا . انتهى .

ولهذا السالك وقائع عجيبة جدّاً ، وقد ذكرت هاتين الواقعتين هنا وإن لم تكونا مرئية في حق سيف الله لكونهما من المبشرات ، وقد أوّلناهما على حفظ أهل الإسلام من ضرر الأعداء ، فإنّ الوقائع وإن لم يجز العمل بها لإمكان وقوع الخطأ فيها ولعدم العصمة بخواطر غير المعصوم ، لكنها لا تكون خالية عن المنفعة بالكلية ، وفي الحديث : « ما منكم من أحد يصيبه شيء إلا ويراه قبل ذلك حفظه من حفظه ونسيه من نسيه » . انتهى .

وقد كان خالد سيف الله يخبرنا بالمشافهة ويكتب إلينا بقلمه كثيراً مما سيقع في هذا الخلق وقد وقع الكل كما قال ، وذكر ذلك مما يطول ، وكثير من الناس قد رأى ما قاله عياناً ، فلله الحمد على ذلك .

ثم اعلم أيها السعيد : إني سألت شيخنا سيف الله قدس سره بالرسالة عن مشائخه وعن مشربه ، فأجاب بقلمه بهذه العبارات الأتية : هلا تركت هذا السؤال ، ولو تركته بالكلية لسررْتُ ولكن لا بد لك الآن من الجواب ، إن الشيخ المشهور العالم العلامة الحاج خصبولات أفندي الكستاكي لما لقيته ووقعت بيننا محبة عظيمة جدّاً وأقامني عنده وقرأت عليه كتاب « سلك العين » ، ثم إني أظهرت له قدس سره إرادتي في حق أخذ العهد منه ، وكان هو من خلفاء شيخنا محمود الفعال قدس سره ، فقال : أخبرني روحانية شيخي أن رضاعك يكون من الشيخ العارف محمد ذاكر قدس سره وأمْره في مقام عال وتكون عنده في الربيع ، فتحيرت من ذلك وقال لي ثانياً : كنت تمنيت أن تكون ابني ، بيد أن الأمر لله ، فاشتقت لرؤية محمد ذاكر قدس سره ، فمرضت وبقيت مدة

أربعة أشهر ، وخرجت بالوداع منه في الربيع قصداً إلى العارف محمد ذاكر الچسطاوي ، وأخبرني الشيخ العارف السيد أبو عبيدة الحسيني بأنّ الشيخ أخبره بوصولي في وقت معين ، فوافق حضوري لديه كما قال ، ووصلته بفضل الله تعالى وعنايته ، فوجدته بحراً لا ساحل له والبركة واليمن يفوح من جوانبه والفرح يلوح من جبينه ، وكان عارفاً بالله لا يأخذه في الله لومة لائم ، وما رأيته يتكلم بكلام الدنيا القط ، وكان يفني أوقاته بالمراقبة ، ففرح بحضوري فرحاً ، وكان هنالك من المريدين أزيد من ألف وخمسمائة ، وأنزلني في موضع حسن وما جلس في مجلس قط ما دمت في جواره إلا ودعاني لديه ، وكان من هيبته ما تتحير به العقول ، فبقيت مدة ، وأقامني على سلطان الذكر أربعين يوماً ، ثم بعد أن لقنني النفي والإثبات إن قريبنا سيد أبو عبيدة الحسيني قدس سره خليفته قصد الرجوع بأمره إلى الوطن وأمرني بالقيام لديه ، فكتب إليه السيد عبيدة كتاباً بأنّ والدة سيف الله في قلق فاستطلقني منه ، ولم يكن لي من ذلك خبر ، فكتب إلي : لَكَ الرخصة ، ثم ذهبت لديه فقلت : إني أرجع ثانياً لديك ، فتبسَّم قدس سره وقال : إذاً لا تراني ، فبعد المفارقة منه ندمت ندامة الكسعى حين لا ينفع ، ثم ذهب سيد عبيدة لديه راجعاً ، ومات الشيخ ، فكان رسالته تتوالى لدي كل وقت وقد وصى بأن أكون على ما لقنه برهة حتى يقيِّض لي من يقبلني ، والوصية على ما قال سيد عبيدة ، فبقيت كالحية الملقاة بموت الشيخ لا أدري ما أفعل ، وسعيت لدى من سمعته شيخاً ، فلم يطب قلبي من أحد بعد أن رأيت ذلك الولي العارف ، وبقيت كذلك ، ثم وصلت الإشارة من روحانيته بذهابي لدى الشيخ زين الله المعموري الشريفي الكائن في ولاية سِبِير جهة الشرق فتحيرت ، فوصلت في أثناء ذلك رسالة من سيد عبيدة بكونه لدى القطب العلامة زين الله الشريفي التريسكي ، والتمس مني ملاقاته وفصّل فيه مناقبه وعلو

درجته ، فبقيت بعد ذلك أكتب إليه وهو يأمرني وينهاني ، ووصل إليّ رسالة بإجازة مقيدة ، فبقيت مدة لا أعلم ما أفعل ، ثم في ليلة أتاني روحانية العابد الكبير والوليّ الوفير عبد الله القوبي وقال لي : لازم عليك الذهاب إلى زين الله وهو منتظر لقدومك ، ورأيت روحانية الشيخ محمد الذاكر قدس سره ، ونظر إلى جميع اللطائف وامتحن أموراً ، فأجازني بالإجازة المطلقة وسماني أويسيّاً ، فحين ذلك تهيج أوصالي للذهاب إلى زين الله ، فخرجت توكلاً بالله في السنة الماضية ، فلما وصلت إلى أطراف سِبِير لقي لي واحد وتكلم بالعربية والموضع ليس هنالك أحد من المسلمين ، وقال : إن هنا رجلاً وأي رجل ، فإن لقيته تفرح ، فذهبت لديه وهو على المَشِنة ، ووجدته رجلاً لا يريد المكالمة ، فذهبت لديه مرتين ، وساء قليلاً ظني قائلاً : ما أثقله ، ففي المرة الثالثة قال لي : كأنك تريد مجلس الشيخ زين الله ؟ فقلت : اللهم نعم بالله ، فانشرح من قوله صدري ورافقته فوجدته عالماً متورعاً ومرشداً كاملاً أميناً بارعاً من خلفاء زين الله وهو أيضاً يذهب للزيارة لديه ، فوقع البسط بيننا ورافقنا إلى أن وصلنا إلى بلدة التريسكي ، ونزلنا في مسافرخانه ، وذهب المذكور صديقي لدى الشيخ ورجع مباسط البشارة : يا ولدي ، ولم أعلم مراده وما سألته ، ثم في الصبيحة لاقيت للشيخ زين الله بن حبيب الله خليفة أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، فوجدته قطب زمانه وعلامة عصره خارجاً عن حدّ الوصف والمزاحمة عليه من كثرة الناس فمما لم يسمع قط ، فأدناني وقرّبني وجعل لي من بين الخلفاء مجلساً خاصّاً ، ثم أقامني بعد انتهاء المراقبات في الأربعينيات ، ثم بعد أيام جمع من الأطراف خلفاءه ، وكان المزاحمة بكيف لا يمكن التوسل لدى الشيخ فجعل قرى عظيماً وصرّف نقداً كثيراً في مجلس الضيافة وتصدق بصدقة عظيمة للناس ، وأمر الناس بالدعاء لي وللمسلمين كافةً ، وألبسني خرقة بيضاء تبرُّكاً التي

تموارثها من ساداته وأجازني في بعض أمور ، وسلم ليدي أسانيد العلوم بعد الامتحان وسنده أعلى سند الآن في الدنيا في الحديث ، ثم أقامني مدة ويختلي معي بالتوجه والتلقين ، ورأيت خلفاء من العلماء الكمل ، فوا الله ما رأيت فيهم أحداً ولو أدناهم برأيي ممن يليق أن أجلس معهم لعلو مقاماتهم ، وكنت أحسب نفسي كالكلب عندهم ، **ومع ذلك كانوا لا يتجاسرون للجلوس إليّ حين كنت مع الشيخ ، ولم يكن بيني وبين الشيخ أحد ، ولم يكن الكلام والمصلحة إلا معي** ، وأظن أنّ ذلك لبعد مكاني وكوني غريباً .

تذييل

وقبل أن أصل إلى الشيخ كان يتردد في قلبي الشيخ محمد مراد المنزلوي ، ثم المكي مصنف « المكتوبات » وتعريبها ومعرب « الرشحات » وأمثالها فائق الزمان ، فأخبرني الشيخ في مجلس أنّ محمد مراد يصل عن قريب ، فلم أفهم من قوله مراداً ولم أتفطن ولم أقدر أن أرجع بالسؤال مَنْ محمد مراد ؟ ثم في يوم بشرني الشيخ بوصول محمد مراد وقال : إنّ محمد مراد كما كان اسمه مراداً وجسمه أيضاً مراد ، فوقعت المصاحبة معه والمحبّة ، وكان حضر لزيارة الشيخ زين الله وحضر أيضاً للزيارة حفيد سيد علي المحدّث المدني ، وإنّ المذكور مراد أفندي كان جبلاً في العلم ، **فتشرفت بالطريقة القادرية** قدس الله أسرار أهاليها ، وكان المذكور ممن أخذ الطريقة الصديقية من عدة مواضع كسيد حسين جمال الليل وعبد الحميد الشرواني ومحمد مظهر وشيخ صالح الزواوي قدس الله أسرارهم ، وكذا باقي الطرق ، وكان عند شيخنا في موضع القبول تماماً ، ثم إن شيخنا زين الله متع الله بطول بقائه مسلمين جمع جميع خلفائه والعلماء الأئمة والمشائخ ، وفعل لهم ضيافةً عظيمة يحتمل أن

يكون المجتمعون أزيد من خمسمائة ، فسلمني صك الخلافة في الطريقة المجددية مختوماً بخاتمه ووعظهم بكيف يهيج الأوصال ، ووقعت بينهم بكاء ووجد ، وقال : **هذا مير سيف الله خليفتي وحامل أماناتي وهو ولدي ويده يدي وقبوله قبولي والله وليّي عليه في الدنيا والآخرة ، وأرجو منكم أن تحفظوا حرمتي فيه ورعاية آدابي به** ، ثم دعاني والناس كلهم يؤمنون ، ثم أمر بالدعاء لي للشيخ محمد مراد ، وكذا أمر لعدة من الصلحاء فقاموا كلهم وصاروا يقبِّلون يدي ، فكان نفسي كأنها تذوب من شدَّة الحياء منه ومنهم لكوني بمنزلة الكلب في أبوابهم ثم ألبسني الخرقة المذكورة وأجلسني عنده وأمرني بالقيام على الإرشاد ، فاستعفيته غير مرة ، فقال : هذا أمري بالله لله فافعل ما أنت له ؛ فبعد قيل وقال رجعت من عند الشيخ والمراد والقلب في حرقة من المفارقة ، فبعد وصولي هنا كتبت رسالة بالاستعفاء عن توغّلي في التربية نظراً لحال المريدين والمرادين ، ومع ذلك وصل الأمر في هذه الأيام وكأنه كان يريد أن أذهب إلى جهة بخارا وما وراء النهر لتربية المريدين لكثرة مريديه في تلك الناحية ، وإني أيها الأخ في شغل عظيم في حيرة وأرى صون نفسي في قعر بيتي والعلم عند الله ، والقصور علي لازم كل وقت ، وعلي ضعف ووهن في القوة . **هذا حالي ، وبينت لك قصتي ، وما نطقت بحرف من هذا مع أحد ، ولولا الثقة لما أخبرتك** ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وإنّ شيخنا المذكور أورع خلفاء أحمد ضياء الدين الكمشخانوي وهو أخذ الطريقة من القطب الفرد صاحب المقامات والأحوال الخارقة السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسيني وهو من القطب شيخ خالد الشهرزوري قدس الله أسرارهم ، وإنّ الشيخ زين الله المذكور أخذ أيضاً الإجازة من عدة مشائخ كرام ، ولعلك تفوز بمناقبه ، وفي مناقبه تأليفات ، والله أعلم خير الأمور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى من خطه قدس سره .

وقد أجاز ﵁ هذا الحقير المدعوّ ببَلُوهَان حسن بجميع ما أجازه أشياخه قبل فراقه من الدنيا وألبسه بيده خرقته التي ألبسها عليه شيخه زين الله وأوصى بتسليم خرقته التي ألبسها عليها شيخه في الشاذلية ، وانتقل من الدنيا والحال أنه يذكر الحقير إلى آخر نَفَسِهِ كما أخبرني من كان في حضرته وقت الاحتضار[١] فجزاه الله عني وعن أهلي خيراً ونوَّر قبره ووسَّع لحده ورزقنا فيضه وبركته ، ولا حرمنا من رشحات ميامن روحانيته آمين .

فليكن هذا آخر الكلام ، وأرجو من الناظر والناسخ أن يدعو لمؤلفه بالاستقامة والمغفرة والعافية .

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ، ورضي الله تعالى عن ساداتنا ومشائخنا وحشرنا معهم ورزقنا حسن الخاتمة بمنه وفضله آمين .

فرغ المؤلف في ٢ من شعبان سنة ١٣٣٨ ، فرغه الله وأولاده وأحبابه من هموم الدارين وجعله من ورثة الأولياء والصلحاء آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين . ومما أنشأه صاحب الترجمة هذه الأبيات الآتية ، وكتبتها في آخر الكتاب للتبرك .

قال رضي الله عنه وعنّا به آمين :

شكرتك ربّي شكر من فاز بالحمد ... برقم يفوح المسك من نشره –ندي

إذا هو من شيخي حياتي وسيّـدي ... ومَنْ ذِكْرُهُ في القلب ينمو إلى اللحد

---

(١) ويفرط محبته الكائنة فينا ، كان قد أوصى بحمل نعشه وجنازته للدفن في قريتنا القحيّة ، بيد أنّ العلماء وولده منع من ذلك ، ولعلّ الخير فيما وقع ، وقد كان قدس سره أخبرني بموضع دفنه قبل مرض موته فوقع الأمر كما قال رضي الله عنه وعنا ببركته آمين . (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

فريد زمـــان لا يبالـي مـــن النوى ... ولـو طوّخته في حَزُونٍ من الجهدِ
لباب قلـــوب العارفين وتـاجـهـم ... أمينٌ سليم الصدر من سورة الحقد
شـفـاء صـدور الأوليـاء وزبدهـم ... فـمـا هـو يوماً بالمزيغ عن الرُشْدِ
هو القطب زيـن الله زَيْنُ ضـيـائـه ... يعمّ الورى طراً من القرب والبُعْدِ
فاسعدني ربّي بـرسـم لـــه انتمـي ... بـــكف حباه الله بـالجود والمَجْدِ
فكـــيـف ولا لـمـا نـظـرت لرَقْمِه ... تـهيّج أوصـالـي بذكر هوى النجّد
لعل الصبا تندى على القلـب ندْوَة ... تـبـلّ زفيري أو تنفّس من وجْدي
تلاقي إلينـا حبّـه كـــلّ مـذهـــب ... وإن كان أقصى الأرض مأواه والسدّ
وما الجـــود إلا هـمّـه إن تـمثلت ... لـــه الهمّة القســعاء رائدة القصْدِ
فمن شاء أنْ يُولِي السعادة فليـــرم ... إلــيـــه يفُزْ بالفيض أعلا من الندّ
يصير لـه الـتـقـوى شعاراً ومذهباً ... ويـحـظـى بـأمر الله بالسرّ والورْد
سقى الله من بحر الولاية أنـفـسـاً ... ســرائـرهـــم مقرونة لسما السعْد
وويل لمن قد عاش جـهـلاً بقدره ... يسيء ظنوناً مثل دأب الفتى الوغْد[1]
وهل يخطب الحسناء مَنْ ليس قادِراً ... على مهرها ما ذاك من عادة الجعْدِ[2]
يلين بنظـــر مـنـــه فـاقـــد هـمّـــةٍ ... وإن كـــان قسواه أشـدّ من الصلْدِ
وإنّي لأقسى القلب طَبْعاً ومـذْهـباً ... فـبـدّلني خـوفـاً ومنه بـــه عَهْدي
فمنه قبلـــت الســر طوعاً فهاجني ... لواعج في الإحساء من قبس الوجْدِ

---

(١) الوغد : الدنيء من الرجال . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) جعد الشعر ، بضم العين وكسرها جعوداً إذا كان فيه التواء وتقيض فهو جعد ، وذلك خلاف المسترسل . « مصباح » .

ومـنـه وسعت الفضل لفظاً وغاية   وما ضقت من خال وأرجو إلى اللحْدِ
فكيف أضيق اليوم من وصف عارف   وكـلّ خصال منه تنمي إلى الزُهْدِ
أيهجرنـي قـومــي عفى الله عَنْهُمُ   بما رُمْتُ من مدحي كمنشورة العقْدِ
أرى لرجـال الغــرب عِزّاً ورُفْعَةً   لـفـضـل أتـاهــم بـالواحد الفرْدِ
بلى فيه والرحمن مـا زلــت فانيا   ولا زلت مداحاً وإن عاب ذوالحقدِ
فلو كنت فــي هذا الوجود مـخيّراً   وفـي عـدمي لاخترته آثِراً مفقدي
وغاية جهـدي فـيـه إنـي عـلمته   لمورد رضــوان تــفــرّد بـالـجدّ
فمَنْ رُمْتَ أن تحي برغد من المنى   بــدنياك والأخرى مطيراً من الرفْدِ
فجدّ لخير واجهد النــفــس قُرْبَه   مع الحبّ تَبْلُغْ منتهى شَقَفِ الحمْدِ
مَدَحْـــتُ بـهـذا لا أعـدّ كمـالـه   ومن مَدْحه أرجو الكمال إلى الفَدِ
ســقى الله سيف الله قطرة سيلكم   ومـن بـحـركم ما زال يفرق باليَدِ

سلا به سيف الله عن كل ما سوى وصار السوى سمّاً

انتهى من خطه رضي الله عنه وعنّا به آمين .

ومما رثى به الحقير المؤلف رحم الله إفلاسه حين سمع وفاة الشيخ المرحوم المغفور هذه الأبيات ، وقد كتبتها ههنا ليتسلى بها الإخوان والمحبون :

يا إخوان الحــب إذا مات شيخي   ضــقــت ذرعاً[1] مذ سمعت نعيه
طاش عــقلي واندهشت بعــد ذا   وضـاقت بي الأرض مع وسعته[2]

(١) وضاق بالأمر ذرعاً : عجز عن احتماله . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) أي : وسعتها . (منه) .

كان سرّ روح لـــي ومذهباً　　للكرب كدت أغشى بصعبه
كان لي كالأم التي عطفـت　　ابنـها تـرضـع الثــدي فمه
كم وعظاً وكم نصحاً قد كتبا　　بـاسمي مع كونه في ضعفه
هكـــذا كـــان اعتناؤه بـــي　　وإن كنت كـلباً بَابَ[١] داره
وبذا كنت أبـاهـي مع مـــا　　بي من الخوف سطوة[٢] طرده
فلله الحـــمد ولـــه الشكـر　　عـلـى مـــا عـلـمني مقامه
حشـــرنـــا الله مـــع زمرته　　وأدخـــلـنـا الـجـنـان معه
صرت بعد موته في قبضـة　　غير مـــمدوحة وفي سكرة
سار جزعي في حواسّي وسري　　كدت موتي وزدت في دهشة
ولوأنزل ما بي من حـــرقة　　بجبال تـذوب فـي ســاعة
بيد أن القلب يحـمـل مـــا　　لا يـحمله الجبال مـن شدة
لا أصيب[٣] أحد ما حلّ بي　　مـن أسـف وحـزن و حيرة
حين فـكـرت أنوار وجـهه　　قد تسيل الدموع على خدي
وإذا رأيـت حسـن خـطـه　　يخطر البال كأني في لحدي
أشبه وجهه بوجـه القـــمر　　بعد مـــا رأيته زاد جـهدي
لكن لما مات عني صار لي　　كـــل طـعـم مـرّاً ولذائذي
كـــان لـي مـحسناً ومستنداً　　ومزيلاً للغش في لواذي[٤]

(١) أي : على باب . .إلخ .(هامش الأصل) .
(٢) أي : من سطوة . (هامش الأصل) .
(٣) دعاء . (هامش الأصل) .
(٤) لاذ الرجل بالجبل ، يلوذ لواذاً بكسر اللام ، وحكي التثليث وهو الالتجاء ، ولاذ بالقوم وهي المداناة . « مصباح » .

كان أمري بيني بينه شورى		دام لي سوراً حرزاً لمعازي
خفت خوفاً من طرده بابـه		تبت إلى الله من سوء الأدب
ولعلي صــــدر مني الأذى		ومــع ذا حمل سوء الأدب
لكن أرجو الله عفوه عنــي		وأن لا يقسي قلبي كالجدب
يا مرشد الخلق بعد فقـدك		لا يــطـيـب لمحبك عيش
منذ صاحَبْتك قد نصَحْتَ لي		مــا رأيـــت منك قط غشٌّ
وقد أحسنْتَ لنا كل وقــت		وبـك قــد أزيل عنا عمش
فطــوبــى لِتُرْبٍ دُفِنْتَ فـيه		ولـعـلـه يباهي كــل أرض
ولو أني مدفوناً مـن عـنـده		لأعطيت فرحاً بِذا كُلَّ عِرْض
أغْبِطُ شَخْصاً قــريـبـاً قبْرَهُ		ويُصَلّي بـقـربـه كل فرض
ومـعـــلـوم أنّ قـرب ذاتـه		يـذهب به القصور والفتور
فكيف لا وبمحـض التخيل		يورث للقلب صفوة الحضور
ويـذوق بــربــط القلــب		كــل ذوق ومـرتبة الشعور
كـــم كلام قد أبان من علم		وكم كشف كشّف لي بالمقال
وكم خُلُق حميـد كـان فيه		كان فان باقٍ بالله ذا الحال
وحضور وشعـور وشهــود		حـائـزاً كــل مـقام وفعال
فطوبى لعـين رأت وجـهـه		ولــــي عين قبلها بالسلام
وبشرى لي ولـي فــم مَسَّه		فـم هذا العارف ذا من كرم
ولـي عنق قـــد عانق بــه		حــدّثته شـكراً بفضل النعم
وبه أباهــي أبناء عصــري		لا أرى فوق ذاك من العظم

كيف لا حَكَّ وَجْهَهُ بوَجْهِي		ولله الحمـد ولا فـخْرَ لــي
وعندي مكــاتـب عـديـدة		قـد كـتـبـها وَهْيَ كُنُوزٌ لي
آوي إليها حين ضاق قلبـي		وعـنـد رؤيـتها سال دمعي
أتذكـــــــر أوان صحبتـــي		ولدى ذا ضاقت مني ضِلَعِي
حيـن فكّرْتُ وقــت مَعِيّتي		زاد مني الشوق وعاد جِزْعي
يا أب الروح وقد نِلْتَ المنى		فهنيئاً لـك الحور والغلمان
فزت بكل عَلِيَّ الدرجـــات		صرتَ من أصحاب أهالي الجنان
جعلك الله لـــنـــا شـفـيـعاً		رزقـك قصور أهل العرفان
وأنـــا الآن قـد رفعت القلم		ومـنـي إلـى ولـده السلام
وأرجـوه أن يجمّل صـبـراً		ويـسلك مسلك أولي العزم
وقـــد أعـزّيـه بـسـن القلم		لـمـا أني في أعذارٍ لا أُلام
غفـر الله للوالـد الـجـلـيـل		وجـعـل مـأواه دار السلام

آمين

يا خفي اللطف أدركني بلطفك الخفي

يا معطي من يشاء ما يشاء

أعطني معرفتك يا الله .

جمهورية داغستان

محاچ قلعة شارع عزيز علي ٢

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

فاكس ٦٣٦٤٧٧

هاتف ٦٣٤١٨٥

السفر الأسنى
في الرابطة الحسنى

ويليه

الرسالة الخالدية
في الرابطة النقشبندية

ويليه

هدية الذاكرين
وحجة السالكين

ويليه

الرحمة الهابطة
في ذكر اسم الذات والرابطة

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٨-٩) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً - وبمحض التوفيق الإلهي - الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولبي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله القادي فألبسه خلعة علي - رضي الله عنه - سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان - رحمه الله - دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٥-٦) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصّية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منتظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ،

وأسكنه فسيح جنته

والحمد لله رب

العالمين .

السفر الأسنى

في

الرابطة الحسنى

ألَّفــــه

العلامة الجليل المرشد حسن
بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب ، ولم يَذَرْ[1] رَطْباً ولا يابساً ولا شيئاً ممّا كان ويكون إلاّ أدْخل فيه ، والصلاة والسلام على محمد الذي نزّل إليه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فيقول الفقير حسن القحيّ رحم الله إفلاسه . آمين :

سبب تأليف الكتاب

قد ورد إلينا كواغذ من طرف واحد من طلبة العلم الذي كان في سَالِفِ السنين في دائرة طريقتنا ، والحال أنّه ينصحنا وينصح سائر المسلمين بما عنده من العلم ، وإن كان ما يعلمه من جملة ما لا يفهمه ، وهو عند أرباب العلم اليقينيِّ من المشتبهات .

فكتب أوّلاً : بأن زيارة قبور الصالحين ممّا لا يجوز ، والزوَّار مشركون ، وكتب له نقلاً ممّا قاله ابن القيم ، (تلميذ ابن تيمية) في « إغاثة اللهفان في بيان مصائد الشيطان » ، مع أن ذلك خلاف النقل والعقل . وأطبق علماء الأمة من المذاهب الأربعة على ردّ ذلك القول الظاهر الخطأ .

وأخذ أيضاً من ذلك القول : أن رابطة أهل التصوف عين ما قاله ؛ من أنَّه مشرك بذلك ، وأيّد قوله أيضاً بما في « المجالس الإرشادية » بأنّ رابطة الصوفية خطأ . والحال أن مؤلّفه إنما قال ذلك لعدم علمه معنى الرابطة في اصطلاحهم ، ولو علم لما قال ذلك ، بل كان يقول بحسنها واستحبابها .

---

(١) أي : لم يترك . (هامش الأصل) .

وكتب أيضاً على قول القطب عُبَيْد الله الأحرار في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[1] : أن تفسيره تفسير بالرأي ؛ مع أن ذلك التفسير قد صرّحه غيره قدس سره .

وكتب – أيضاً على قول قطب الأنام خالد البغدادي قدس سره وتفسيره لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ : بأن الرابطة من أقرب الوسائل :- أن المراد منه ليس ذلك ، بل هي الطاعة والعبادة ؛ مع أنّ غيره من أصحاب التفسير عَمَّه ، والرابطة تدخل في العموم[2] ، وقد جعل « الصاوي » تلك الآية حجَّة على من يمنع التوسل وزيارة أولياء الله ، ويَزْعُمَ أنَّ زيارَتهم من عبادة غير الله .

وكتب أيضاً بأن الاستدلال بأقوال العلماء عبث لا فائدة فيه .

---

(١) بل الحضور المعنوي من منطوق لفظ (مع) في قوله تعالى : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إذ ثالث معاني (مع) مرادفة (عند) وهي تكون للحضور المعنوي كما تكون للحضور الحسي . قال « مغني اللبيب » : الثالث مرادفة (عند) . انتهى . وقال أيضاً : **عند** – اسم للحضور **الحسي** نحو : ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ ، **والمعنوي** نحو : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ ، **وللقرب** كذلك نحو : ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ إلخ العبارة .فليتأمل من ينكر الاستنباط . (هامش الأصل) .

(٢) نظير قوله تعال ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فقال رضي الله عنه : ما ذكره الشيخ أبو الحسن وغيره من الصوفية في المكالمة حقّ لا شك فيه ، ولا يعارض ذلك الآية الشريفة **إذ لا حصر فيها** « إبريز » .

ونحن نقول في هذا ؛ أي : كلام الله العام وأمثاله : إن الكلام يكون عامّاً ، ونشاشيب النور التي تكون فيه تخصّ بعض أفراده دون بعض ، فالعارف إذا سمع اللفظ العامّ نظر إلى تلك النشاشيب ، فإن رآها نزلت على فلان وفلان وزيد وعمرو فقط علم أنهم المرادون فقط دون غيرهم ، فلا دخول له فى الكلام ، وإن كان اللفظ عامّاً ونظر إلى النشاشيب فرآها نزلت على جميع الأفراد ولم يشذ منها فرد علم أن الجميع مراد . **قلت** يشير رضي الله عنه إلى العام الذى أريد به الخصوص والعام الذى بقي على عمومه « إبريز » عبارته ١٥٦ . فمن له علم بالخصوص والعموم كما ذكر يصحّ له التكلم على كلام الله تعالى العام . فيه فيه فيه أنّى ذلك ؟ ! (وأنا الحقير القاضي ببلات) .

وكتب أيضاً : إنِّي لا أقبل شيئاً ممّا لا دليل عليه من الكتاب والسنة ، وإن أطبق على استحسانها من على وجه الأرض .

وكتب أيضاً : أني لا أتّخذ العلماء والمشائخ أرباباً أطيعهم في كل ما أمروا به ، وأَنْتَهِي عن كل ما نهوا عنه إلى آخر ما قاله من الكلام الذى لا يصدر من فم رجل له عقل سليم .

وأخبرني الثقاة : أنَّ هذا الرجل قد قام لإبطال ما يفعله أهل الطريقة ، ويمنع الناس من اتباعهم ، وقد صدقوا فيما قالوه ، فإنه كتب إليّ أيضاً ما معناه : بأنّه ليس للطريقة النقشبندية دليل من الكتاب والحديث ؛ مع أنّها هي عين الشرع ، ولبّ الكتاب والحديث كما قالوا .

وإذا كان الأمر كذلك : قصدتُ لكتبة كتابٍ حافلٍ لجميع أقوال العلماء المشيَّدة بنصوص الآيات والأحاديث ، لكن لمّا استخرتُ الله تعالى في ذلك وَقَعَتْ الإشارةُ بقوله تعالى ﴿**وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا**﴾ فأعرضت عن ذلك ، ظنّاً مني أن تلك الآية إشارة إلى عدم حصول المنفعة له بأقوال العلماء التي كنت قصدتُ جَمْعَها .

ثم إني لمّا سمعتُ ما يحصل لأهل الدين من الضرر بأقوال هذا الرجل- عفى الله عنه آمين- ورأيت كلامه يخدِش كلامَ الأكابر ويضرّ أرواحَهم ، شمّرتُ الزيل لكتبة ما يرُدّ أقوالَه وينصر أقوالَهم .

وقد طلب منّي إخوانُ الدين جمعَ رسالة في حقّه وحقّ ما يقول إخوانه الناصرون ، لانتشار بدع المبتدعين ، **فوجب** علينا النصرة والإمداد للسادات ، امتثالاً بأمر الله في قوله ﴿**وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ**﴾ الآية .

وأرجوا الله تعالى أن يكون سعيي محضاً لوجهه ، وأن يغفر منّي ما كان فيّ من حظ النفس وأنا لا أشعر ولا أعلم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

تسمية الكتاب

وسمَّيْتُ هذه الرسالة بـ« **السفر الأسنى في الرابطة الحسنى** »[1] جعلها الله تعالى سبباً لنزول المواهب اللدُنِيَّة على قلوب أهل الإرادة والإنابة ، ولا جعلها سبباً لزيادة الحسد والعناد في هذه الطائفة العلية ، وعفى الله عنّا وعن جميع الأمّة المحمديّة ، آمين .

الشروع في المقصود

اعلم أيها الولد ، قد كنتَ أوّلاً صرتَ من أحبابنا ، بل من جملة إخواننا من الرضاع المعنويّ ، وولداً مقبولاً من النسب الروحيّ ، فما حَمَلَك على هذا العقوق والتقدُّم من بين العلماء على الإنكار بما كان يفعله أصحاب طريقتنا ؟ ! وكنّا نقتدي بأثرهم ؛ لا نزيد ولا ننقص شيئاً ممّا بيّنوه وصرّحوه في كتبهم ، وأمرونا باتباعهم في ذلك .

ألم تر شيئاً ما في الخلق منكراً في الشرع غير هذا ؛ لتنصحَهم ، وتكون آمراً لهم بالمعروف ، وناهياً عن المنكر بدل هذا ؟ ! ولا أرى منك هذا الالتجاءَ إلا أن الشيطان سوّل لك سبيله ، فاتَّبَعْتَ مكره ومكائده ، فلو تدبَّرت لتنبَّهت ، وإلا تكون مُعِيناً وناصراً للشيطان ، وتفرّحه ويسخط عليك أهل العرفان . فالعياذ بالله .

أيها الولد ؛ فهل تظنّ أنك أعلم بالكتاب والسنة ومعانيها من العلماء المتقين الماضين ، والأئمة والأقطاب المجتهدين ، الذين يعلمون العربية ومعاني الآيات والأحاديث التي هي بِلُغَتِهم ؟ فحاشا ذلك ثم حاشا ! فالتفرُّد عن أولئك القوم ، والالتجاء إلى إنكارهم ، لا يكون أصلاً إلا ممّن ليس له عقل سليم وطبع صحيح ، وقد صرَّحت آيات القرآن بالاتباع ؛ قال الله تعالى ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ** ﴾ ، وقال ﴿ **قَالَ لَهُۥ**

---

(١) السِفْرُ : بالكسر ، الكتاب . « مختار الصحاح » . (هامش الأصل) .

مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ، وقال ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ ، والقرآن من أوّله إلى آخره ناطق بذكر الصالحين والأمر باتباعهم ، وأما أنت فقد صرّحت بعدم إطاعتك إيّاهم ، وذا منك رؤيتك نفسك خيراً منهم ، والحال أنّ إبليس إنما لُعِنَ بقوله : أنا خير منه[1] .

وقد قيل : **إنّ من رأى نفسه خيراً من فرعون فهو متكبِّر** ، والله لا يحبّ المتكبرين . فهلاّ صبرت حتى تسأل علماء الطريقة والحقيقة عن معنى الرابطة في اصطلاحهم ؟ !

مهم

فينبغي لك أن تعلم أن معنى الرابطة ليس إلا تخيُّل صورة الصالحين بمحبَّتهم ، وسؤال الله تعالى بإيصاله ما رزقهم بفضله من نور معرفته وذكره ، بل هو دعاء محض والحبّ في الله لا غير ، والدعاء عبادة ، بل هو مُخّها كما ورد[2] ، وقد قال الله تعالى ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فصار السؤال والدعاء بهذا النصّ امتثالاً بالأمر ، وقال تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ إلخ والاتباع صار أيضاً امتثالاً بالأمر أيضاً ، ولا يخفى **أن قلب التابع لا يخلو عن تخيّل المتبوع وقت المتابعة** . وذلك التخيل من اللوازم ، لأنه إذا لم يتخيل التابع المتبوع في حالة المتابعة لا يعدّ ذلك اتباعاً أصلاً ، بل يكون عبثاً . ألا ترى أن من توضّأ بنيّة التبرّد ، بغير نيّة المتابعة بالنبيّ عليه السلام لا يكون ذلك اتّباعاً ، ولا يثاب عليه كما بيّنه الفقهاء[3] !

---

(١) كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ .

(٢) بقوله ﷺ : « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٣) أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسبغ الوضوء صيفاً وشتاءً امتثالاً لأمر الله ، واغتناماً للأجر الوارد في ذلك في الشتاء ، ولأنه ربما استلذّت الأعضاء بالماء البارد في الصيف فيبالغ المتوضئ في الإسباغ لحظّ نفسه ، فينبغي أن يتنبّه المتوضئ لمثل ذلك=

وقد اعترضتَ أيها الولد على القطب المشهور عبيد الله الأحرار على ما فسّره لقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ واستدلاله به لإثبات الرابطة ، وقلت : بأنّ معناه كونوا مصاحبين لهم في الغزوات وسائر الأعمال . أللهمّ نَعَمْ فنَعَمْ ، هذا التفسير أيضاً حجة عليك ؛ لا لك ، لأنّ كون المريد مع الشيخ الصادق في الجهاد الأكبر الذي هو القتال مع النفس الأمّارة التي هي الصنم الأكبر في الحقيقة ، واتِّباعه به في الأعمال الصالحات والأخلاق المرضيات الإلهية التي أمر النبيّ عليه السلام بقوله : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلاَقِ اللهِ »لا يتصوّر أصلاً بعدم تخيّله وتفكّره ، وتصوّره ومحبّته ، كما لا يخفى على عاقل سليم الفطرة ، وذا عينُ الرابطة .

وأيضاً تفسيرك لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي الطاعة والعبادة ، هو أيضاً حجّة عليك ؛ لأنّ السؤال والدعاء بأن يرزقه الله تعالى الفيض الإلهيّ ، ونور المعرفة ، والذكر الذي أفاضه الله سبحانه إلى قلب وليّه عبادة ، وتخيّله حينئذٍ لازم ضروريّ ، وذا أيضاً عين الرابطة في اصطلاح الصوفيّة .

وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يؤيِّد ذلك من أقوال العلماء ، وما قاله جماهير المفسرين في قوله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الآية ، من كونه دليلاً صريحاً للرابطة[1] .

=ويسبغ امتثالاً للأمر لا لاستلذاذ الأعضاء بالماء . وهذا سرّ أمر الشارع لنا بالوضوء ، ليقول العبد لنفسه إذا استلذّ بالماء في الصيف ، وادّعت أنها مخلصة في ذلك : إنما هذا لحظّ نفسك بِدليل نفرتك من إسباغ الوضوء في الشتاء ، فلو كان إسباغك الوضوء في الصيف امتثالاً لأمر الله لكنتِ تسبغين ذلك في الشتاء من باب أولى ، لأنه [أي : الشارع] وعدك بالأجر عليه أكثر . وهذا الأمر يجري مع العبد في أكثر المأمورات الشرعية ، فيفعلها العبد بحكم العادة مع غفلته عن امتثال الأمر ، وعن شهود الشارع ، فيفوته معظم الغرض الذي شرعت تلك الطاعة له ، وهو الفوز بمجالسة الشارع في امتثال أوامره واجتناب نواهيه . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » ص ١٥ . (هامش الأصل) .

(١) قال ابن عباس : مَثَلَ له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله . تفسيره « الجلالين » .

ورد في الحديث : « [مَثَلُ] المُؤْمِنِ مَثَلُ النَخْلَةِ ، مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ » . قال العزيزيّ : وجه الشبه بينهما : أن أصل دين الإسلام ثابت ، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب ، وأنه لا يزال مستوراً بدينه ، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيّاً وميّتاً . انتهى عبارته من « السراج المنير » ٢٧٧ .

وقال أيضاً : **فمعاشرة المؤمن الكامل الإيمان تنفع في الدارين** . انتهى .

فينبغي أن يعلم أنّ تلك المعاشرة تكون بالجسم ، كما إذا كان المتعلم أيضاً يقرأ الدرس على أستاذه ، ويسمع قوله ، ويتصوَّر صورته ، وتكون أيضاً بالرّوح ، كما إذا كان يطالع درسه ويقرر علمه ، وينظر ويتفكّر فيما قاله ابن حجر ، أو المحلي ، أو الرملي مثلاً ، والحال أنّه يتخيّل فيهم ، ولا ينفكّ خاطره عن تصوّرهم ، وطلب إفاضته تعالى ما أفاضهم من العلوم(١) ، فهذا أيضاً عين الرابطة . ومن يدوم على هذا في

---

(١) ورأيت فى « الفتاوى العمرية » ما حاصله : أن الحكماء الفلسفية كانوا يلقّون العلوم العقلية ، كالمنطق والحكمة إلى الطلبة بتوجه الأستاذ إليهم وإلقاءها بالهمَّة إلى قلوبهم بعد رياضة تامة ، فاذا ثبت هذا من الكفرة فلا مجال للإنكار على ثبوت التصرف ونفع التوجه من قلوب أولياء الله تعالى والعلماء العارفين فى قلوب المريدين ، بل معلوم عند كل أحد من الجهلاء فضلاً عن العلماء نفع التوجه والنظر الظاهري ، لأنّ المتكلم إذا ألقى الخطاب إلى المخاطب بالمواجهة لا بالمدابرة له تأثير عظيم ، ألا يُرَى أن الطلبة ينظرون ويتوجهون إلى وجه الأستاذ وفمه حتى يقرّر الدرس ، فلو كان يقرّر الدرس ، بالمدابرة لما يجلس في درسه أحد ، وهذا بَدِيهيّ . فافهم جدّاً . انتهى ملخصاً ، فراجعه . وفي « تبصرة الفاصلين وحجة الواصلين » للزهدي قدس سره : وأما الخواطر التي تجيء للإنسان حال كونه في الصلاة من صور الممكنات ، بإرادته وبغير إرادته من غير قصد عبادة لها ، فما قال أحد من الفقهاء مثلها تفسد صلاة المصلي ، ولا قال يحرم ، بل مثلها معدودة من التكليف ما لا يطاق ، وأما المفسد اتخاذ واحد معيّن معبوداً لنفسه ، وإحضاره في نفسه لقصد العبادة له ؛ وذلك الاعتقاد والنية مخرج عن الدين ومبطل للعمل ، وظاهر الشريعة لا يحكم بالكفر ، بل هو منافق . وأما الصلاة إلى وجه الإنسان فمكروه للمشابهة=

كل حالة وقت المطالعة إلى الكتب ، ولا يَعدّ ذلك من الشرك ، بل يحسّنه ويحمده ، ومع ذلك ينكر أهلَ الله على تخيّل صورة متبوعهم الذي تخلَّق بأخلاق الله ، واتبع رسوله وفَنِيَ في التوحيد ، وحصل له الشهود الذاتي ، وبقي بالله ، ويصرّح بأنه شرك ومذموم ، فعساه لم يدرك حقيقة معنى الرابطة في اصطلاح العارفين ، وأنّ ذلك منه صلابة في الدين .

وأرجوه أنه لا يستقرّ فيما ظنّه من الشبهة ، بل يرج إن شاء الله إذا ظهر له الحقيقة ، ولا يليق بعاقل أن يخرج من اتباع أقوال العلماء والأئمة المتقين ، والفقهاء الصالحين ، الذين عِلْمُنا بالنسبة إلى علومهم كذرّة بالنسبة إلى العرش وما فيه .

صرّح ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » بوجوب اتباعهم . وقال بعد كلام في غير هذا بما لفظه : فيجب الأخذ بأقاويلهم ، **لأنهم عَلَمُ الأمة ، واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ، ومن خالفهم متّبع لهواه** . انتهى . فراجعه ٢٠٣ ج١ .

و في الحديث : « اِقْتَدُوا باللذَيْن مِنْ بَعْدِي ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ » أي : عبد الله بن مسعود .

وفيه : « اِتْبَعُوا العُلَمَاءَ ، فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدنيا ، وَمَصَابِيحُ الآخِرَةِ » .

=لا إلى جنبيه . وفي غير الصلاة من العبادة كالتدريس والوعظ والنصح والخطبة وكتعليم الذكر وتلقينه فالمواجهة من الطرفين مستحبة لأجل الإفادة والاستفادة ظاهراً وباطناً ، **والرابطة من المريد لاستفادة النسبة الباطنيّ والمعنويّ لا لشيء آخر** . وشرط الاستفادة التوجه التام وجمع الخاطر بالاهتمام ، وبهما ينفتح باب الإفادة وبعدمهما ينسدُّ . انتهى عبارته . وأثبت الزهدي فيه استحسان الرابطة بدلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، لكن كتبة جميعها في هذا المختصر صعب ، فمن أراد أن يعلم الحقيقة فليراجع إليه ، وذا كتاب نفيس . (منه) .

ومع هذا صرت تنكر السواد الأعظم ، من الأمّة المحمدية الذين أمر النبي عليه السلام بالكون معهم بقوله : « عَلَيْكُمْ بِالسَوَادِ الأَعْظَمِ » ، وقلتَ : والاستدلال بأقوال العلماء والمشائخ عبث لا فائدة فيه ، وصرت داخلاً بلا ريب في دائرة قوله عليه السلام : « مَثَلُ الذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ مَثَلُ بَعِيرٍ تَرَدَّى[1] وَهُوَ يُجَرُّ بِذَنبِهِ » قال العزيزي : معناه : أنه وقع في الإثم وهلك ؛ كالبعير إذا تردّى في البئر فصار ينزع بذَنَبِهِ ، ولا يمكنه الخلاص . انتهى عبارته ١٧٧ ج٣ . وقال الحفني : أي لكونه تردى بمقدم بدنه ، فلا يمكنه الخلاص ، لأن الذنب لا قوّة له على جذب جميع الجثّة . انتهى عبارته .

وقال العزيزي في تفسير حديث : « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ » . . . إلخ . وفي الحديث النهي عن مجالسة من يُتَأَذَّى بمجالسته في الدين والدنيا ، والترغيب فيمن ينتفع بمجالسته فيهما . انتهى عبارته ٢٧٥ .

---

(١) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ « من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى تردى فهو ينزع بذَنَبِهِ » « مصباح » . تردّى : إذا هلك ، قال الخطابي معناه : وقع في الإثم وهلك كالبعير وقع على رأسه فينزع بذنبه ؛ أي : ينزع الناس ذنبه ليخرجوه من البئر . « مفاتيح » عبارته . تردّى في البئر ؛ أي : وقع فيها منكوثاً ولا علاقة لإخراجه إلا ذنبه . وقيل : القوم كالبعير المتردّى وناصرهم على غير الحق كذَنَبِه . قوله عليه السلام « على غير الحق » يخرج الناصر بالحق بالمفهوم ، وسيأتي المَنطوق بذلك . (تذكرة الفقير علي العوري) .

* قال النبي ﷺ « إياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة » . وهذا وأمثاله أحاديث البدعة يستدلّ المنكرون بها لإبطال الرابطة ، وقد فتحوا أفواههم بهذه العلل الغير المستلزمة للمعلول ، والحمد لله على ذلك . أيها المرشد الحقيقي حسن أفندي القحي فإنهم يصطادون العَنقاء ونحن نأكل الحلواء ، وليكن منك النظر والدعاء إليّ بالعلم والعمل ، فأمر المنكرين سهل عليّ إن شاء الله تعالى ، هذا والسلام . (وأنا الحقير القلژمي القاضي ببلات) .

فتفكر أنت أيها الولد ؛ أنّ أرباب الطريقة أخذوا أصولهم من الكتاب والسنّة ، وأنهم لا يجوّزون شيئاً مّا يخالفهما أصلاً ! **وقد كان الإمام الشافعيّ والإمام أبو حنيفة وغيرهما يتواضعون لأهل وقتهم ، ويتبرّكون بهم** ، كما هو مذكور في كتب الشعراني ، **وإنَّ الإمام الرباني قدّس سرّه هو الذي قيل في حقّه : إنّي لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني . وهو المجدِّد الألف الثاني القائل : بيني وبين مجدّد المائة من الفرق ما بين المائة والألف ، صرّح في « مكتوباته » بالرابطة ، واستحسنها** . وغيره من العارفين والعلماء العاملين قالوا بحسنها . وسأذكر لك إن شاء الله تعالى أسماء من يقول باستحبابها ، مع بيان الكتب .

واعلم أيها الولد ، إن كنت تزعم الاجتهاد ، وأنت تعرف معاني الآيات والأحاديث ، منطوقها ومفهومها ، فما أعظم قلّة عقلك ، وخرافة ذهنك ؟ ! ألم تدر أنّ العلماء ، بل العوام الذين هم كالهوامِّ يضحك عليك ، وتصير عندهم ذليلاً لا حرمة لك عندهم ؟ ! لما أنك صرّحت كلاماً لو ألقي في البحر لتكدّر ، وردّدت أقوال الأغواث والأقطاب ، كخالد البغدادي الذي تضلّع بجميع العلوم العقلية والنقلية ، وقد صرّحوا في مناقبه أنّه **كان يقوم له خمسمائة عالم بأرجلهم ، يخدمونه ويحترمونه ، وكان في زمانه يقطع الحجّة في كل العلوم ، ولا يساويه في البحث أحد من علماء وقته ، وقد عَدُّوا من أجلّ كراماته التي لم تحصل لأحد غيره من قبلُ ، ومن بعدُ إطاعة[1] علماء الظاهر له** .

وفضل الغزالي والشعراني والسيوطي والرازي وغيرهم من أكابر العارفين الذين استحبّوا واستحسنوا التوسّل بالأنبياء والصالحين والرابطة بهم للاستفاضة مشهور ، غنيّ عن البيان ، **ومخالفة هؤلاء مخالفة السواد الأعظم من الأمة المحمّديّة** .

---

(١) مفعول عَدُّوا . فافهم . (هامش الأصل) .

دعوى الاجتهاد

قال السيد الشريف العالم العلامة الفقيه الكامل مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن محمّد بن حسين بن عمر المشهور (باعلوي) - رحمه الله تعالى - في كتابه « بغية المسترشدين » بما نصّه :

مسألة (ك)[1] . شخص طلب العلم ، وأكثر من مطالعة الكتب المؤلفة ؛ من التفسير والحديث والفقه ، وكان ذا فهم وذكاء ، فتحكَّم في رأيه أنّ جملة هذه الأمّة ضلّوا وأضلّوا عن أصل الدين ، وطريق سيد المرسلين ﷺ ، فرفض جميع مؤلفات أهل العلم ، ولم يلتزم مذهباً ، بل عدل إلى الاجتهاد ، وادعى الاستنباط من الكتاب والسنة بزَعْمه ، وليس فيه شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم ، ومع ذلك يُلزم الأمّة الأخذ بقوله ، ويوجب متابعته ؟ فهذا الشخص المذكور المدعي الاجتهاد يجب عليه الرجوع إلى الحقّ ، ورفض الدعاوى الباطلة . وإذا طرح مؤلفات أهل الشرع ، فليت شعري بما ذا يتمسك ؟ ! فإنه لم يدرك النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا أحداً من أصحابه - رضوان الله عليهم - ، فإن كان عنده شيء من العلم ! فهو من مؤلفات أهل الشرع ، وحيث كانت على ضلالة فمن أين يقع الهدى ؟ ! فليبيّنه لنا ، فإن كتب الأئمة الأربعة - رضوان الله عليهم - ومقلّديهم جلُّ مآخذها من الكتاب والسنّة ، وكيف أخذ هو ما يخالفها ؟ !

مطلب مهم

ودعواه الاجتهاد اليوم في غاية البعد ، كيف وقد قال الشيخان وسبقهما الفخر الرازي : **الناس اليوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد** .

---

(١) أي : مسألة الكردي .

ونقل ابن حجر عن بعض الأصوليّين : **أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد** - أي : مستقلّ - وهذا الإمام السيوطي[1] مع سعة إطلاعه وباعه في العلوم ، وتفنّنه بما لم يسبق إليه ادّعى الاجتهاد النسبيّ ، لا الاستقلاليّ ! فلم يسلم له ، وقد فاقت مؤلفاته على الخمسمائة ! !

وأما حمل الناس على مذهبه ! فغير جائز ، وإن فرض أنه مجتهد مستقلّ ، ككلّ مجتهد . انتهى عبارته ٧ . وقال قبيل هذا بما لفظه : قال في « فتاوى » ابن حجر : **ليس لمن قرأ كتاباً أو كتباً ولم يتأهّل للإفتاء أن يفتي إلا فيما علم من مذهبه علماً جازماً** . انتهى عبارته ٦ .

واعلم يا ولدي ؛ لا أرى هذه المسئلة والجواب إلا عين ما تفعله من الدعاوى الباطلة ؛ التي لا يقبلها عاقل عالم ، ولا جاهل ، له أدنى إدراك ؛ لأن الناس لا يعتقدون ولا يظنون ، بل ولا يوهمون أن علماء الأمّة المحمّدية مخطئون ، والاستدلال بأقوالهم عبث لا فائدة فيه ، والمنكر لهم ومخالفهم الذي نشأ في هذه الأمكنة البعيدة من الديار الإسلامية وأضرابه محقّون مصيبون ، **فيا ليتك يا ولدي** لم تقل هذه الأقوال الشنيعة ، التي تقشعرّ بسماعها جلود أهل الله ، ولا أراك إلا محارباً للإسلام والمسلمين ، وقد تجاوزت إلى من قبلنا من أئمّة الهدى والصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - ، لأنك أنكرتَ التوسل بالأنبياء والصالحين بالكليّة ، وعدّدت من يزورهم ويزور قبورهم من المشركين .

وقد قال في « بغية المسترشدين » ما نصّه : وقد ورد في الأثر عن سيد البشر ﷺ أنه قال « مَنْ وَرَّخَ مؤمناً فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهُ ، وَمَنْ قَرَأَ تَارِيخَهُ فَكَأَنَّمَا زَارَهُ ، وَمَنْ زَارَهُ فَقَد اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ اللهِ تَعَالَى فِي حَرُورِ الجَنَّةِ ، وَحَقٌّ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » . . إلخ . (شرع) .

---

(١) وأين مرتبة السيوطي من مرتبة الإمام الغزالي ؟ ! في الفقه وآلاته وقوة الذهن والتصرف ونحو ذلك ، « الآيات البينات » . (هامش الأصل) .

وفي « شرح السُحيمي على الجوهرة » حديث : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ عند قَبْرِ مَيّته (أَللّهُمَّ بِحَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ لا تُعَذِّبْ هذَا المَيِّتَ) إِلاَّ رُفِعَ عَنْهُ العَذَابُ إِلَى يَوْم يُنْفَخُ فِي الصُورِ » .

فائدة : زيارة القبور ؛ لمجرّد تذكّر الموت والآخرة ، فتكون برؤية من غير معرفة أصحابها ، أو لنحو دعاء ، فتسنّ لكل مسلم ، أو للتبرّك فتُسنّ لأهل الخير ، لأن لهم في برازخهم تصرّفات وبركات لا يحصى مددها ، أو لأداء حقٍّ كصديق ووالد ، لخبر : « مَنْ زَارَ قَبْرَ وَالِدَيْهِ ، أَوْ أَحَدِهِمَا يَوْمَ الجُمُعَةِ كَانَ كَحَجَّةٍ » ، وفي رواية : « غُفِرَ لَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَارِ » ، أو رحمةً وتأنيساً لما روي : « آنَسُ ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان أحبّه في الدنيا » . انتهى « إيعاب » . انتهى عبارته ٨٨ .

وفي « الصاوي » في تفسير آية ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ من سورة (الجاثية) : وأما زيارة الصالحين والأنبياء ؛ فليس من قبيل العبادة لهم ، بل هي من التسبّب في نفع الغير ، لأن الترضي عن الأولياء ، والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ، ولا شكّ ذلك الغير ينتفع به ، والمتسبّب له مثله ، لما ورد أن الملك يقول له : (وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ)[1] . فآل الأمر إلى **أن زيارة الصالحين والتوسّل بهم من جملة طاعة الله ، وصاحبها محبوب لله ؛ لأنّ أحبّ عباد الله أنفعهم لعباده** ، وصدق عليهم أنهم يَصِلُونَ ما أمر الله به أن يوصل ، فليست معصية فضلاً عن كونه شركاً ،كما اعتقده ذو الجهل المركّب والعقيدة[2] الزائغة . انتهى عبارته ٥٥ .

وإن أردتَ يا ولدي أن تدرك الأحاديث الواردة في حقّ التوسُّل في حياته عليه السلام وبعد مماته ، وجواز التوسّل بالصالحين الأحياء

(١) تقوله الملائكة للداعي لأخيه المؤمن بظهر الغيب .

(٢) وفي« الفتاوى الكبرى » لابن حجر بسط زائد في إثبات هذا المطلب فراجعه . (منه) .

والأموات ، فراجع « نور الإنصاف » ، و« شواهد الحقّ » ، وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيّدة بالنصوص المؤيدة » .

قال العالم العلامة يوسف النبهاني في « المدائح النبوية » : واعلم أن هؤلاء المَفتونين[1] يدّعون الاجتهاد المطلق ، واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ، ويرفضون المذاهب الأربعة ؛ مع جهلهم المركّب ، وفِسْقهم المحقَّق ، وتهّتكهم في أنواع المعاصي ؛ من الكبائر والصغائر وسائر المعاصي ، وتركهم ما عدا الشهادتين من أركان الإسلام ؛ فلا صلاة ، ولا زكاة ، ولا حجّ ، ولا صيام ، ومع كونهم كالأنعام ، أو أضلّ من الأنعام ، يدّعي كلّ أحد منهم أنّه من أئمة الإسلام ، ويدعو الناس إلى الاجتهاد في الدين ؛ حتى العوام ! وهم مع كلّ ذلك لا يتقيَّدون بالحلال والحرام ، وإنّما دينهم كلام في كلام ، فصارت أحكام الدين عندهم ما خطر ببالهم ، ووافق أغراضهم ، وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمَّقة الملفَّقة . انتهى . عبارته .

وقال بُعيده : **فنصحي لكل المسلمين أن لا يلتفتوا إلى كلامهم ، ويعتقدوا أنهم في هذا العصر من أعدى عُداة الإسلام** . انتهى عبارته .

وقال بُعيد هذا : **أمّا أئمّة الإسلام ؛ فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئاً من عند أنفسهم ، بل جميع أحكام المذاهب الأربعة ؛ إمّا مأخوذة من صريح الكتاب والسنّة** ، وهو أكثر الأحكام ، أو مستندة إلى الإجماع الذي هو مستند إليهما ، أو إلى أحدهما ولا بدّ ، أو مستندة إلى القياس الصحيح عليهما ، أو على أحدهما ، **فليس هناك حكم في المذاهب الأربعة خارجاً من الكتاب والسنة من كل الوجوه** ، ولا يمكن أن يستعملوا القياس إلا إذا لم توجد آية أو حديث للاستدلال . انتهى .

---

(١) أي : الوهابية المتمسّكة ببدع ابن تيمية ، عفى الله عنهم . (هامش الأصل) .

وأطال في حقّ هؤلاء الطائفة ، فراجعه . ففيه كلام كثير في الردّ على هؤلاء القوم .

و في « شواهد الحقّ » بما نصّه : قال : بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليّين أنه **لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقلّ** .

ثمّ قال الشهاب ابن حجر : **إذا كان بين الأئمّة نزاع طويل في أنّ إمام الحرمين**[١] ، **وحجّة الإسلام الغزالي - وناهيك بهما - هل هما من أصحاب الوجوه**[٢] **أو لا ؟! فما ظنّك بغيرهما**[٣] **؟!** ، بل قال الأئمّة في الروياني[٤] صاحب « البحر » : أنه لم يكن من أصحاب الوجوه . هذا مع قوله : **لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري** .

---

(١) ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني - نسبة إلى مسقط رأسه (جُوَيْن) - من أعيان متأخري الشافعية ، بُنيت (النظامية) ببغداد ليَدرس فيها ، فحضر دروسه كِبار العلماء ، من كتبه الكثيرة : « نهاية المطلب في دراية المذهب » اثنا عشر مجلداً . جاور أربع سنين فلقب « إمام الحرمين » قيل عنه : الفقه فقه الشافعي ، والأدب أدب الأصمعي ، وفي الوعظ الحسن البصري ، توفّي (بنَيْسابور) سنة ثمان وسبعين وأربع مائة .

(٢) المراد استخراج وجوه المسائل الفقهية من قواعدها الأصولية ، وأدلتها الأصلية وهذا ما يعرف بتخريج الفروع على الأصول . وهو إحدى طبقات الفقهاء (الرابعة منها) .

(٣) والحال أن من بعدهما لا يلحق غبارهما كما في « الآيات البينات » . (هامش الأصل) .

(٤) فخر الإسلام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني « بلدة بنواحي طبرستان » من أكابر أعيان الشافعية له كتب عديدة ، منها : « بحر المذهب » يعدُّ من أطول كتب الشافعي ، كانت له حظوة عند الملوك ، فتعصب عليه جماعة وقتلوه بعد مجلس إملائه في (آمل) سنة : اثنتين وخمس مائة .

فإذا لم يتأهّل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبيّ ، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدّعي ما هو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم . انتهى .

وفي « الأنوار »[١] عن الإمام الرافعي الشافعي : **القوم كالمُجْمِعين على أنه لا مجتهد اليوم** . انتهى عبارته ٤ .

وفيه : وقد صرّح حجة الإسلام الغزالي بِخُلُوِّ عصره من مجتهد ، حيث قال في « الإحياء » في تقسيمه للمناظرات ما نصّه : أمّا من ليس له رتبة الاجتهاد ، وهو حكم كلّ أهل العصر ، فإنما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه ، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه .

وقال في « البسيط »[٢] : هذه الشروط ؛ يعني : شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي - قد تعذّرت في عصرنا . انتهى عبارته ٥ .

ونقل النبهاني ، عن الكردي ما حاصله : الاستنباط من الكتاب والسنّة لا يجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد ، كما نصّوا عليه . انتهى .

وقال بعد ذلك : إذا علمت ذلك : تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق ، وأنهم تأهّلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة بأنفسهم ، ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة ، حتى تركوا مذاهبهم التي نشؤوا عليها ، وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ، ويقولون : نحن لا

---

(١) للأردبيلي مطبوع في مجلدين .

(٢) أحد أهم أربعة كتب صنفها الغزالي - رحمه الله - ، جعلها فاصلاً بين كتب المتقدمين وكتب المتأخرين - كالنووي وغيره - فكانت عالة عليها وهي : « بسيط » و« وسيط » و« خلاصة » و« وجيز » .

نعمل بآراء الرجال ، وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال ، هو من الوساوس الشيطانية ، والدعاوى النفسانية ، التي حملهم عليها قلة العقل والدين ، ورضاهم عن نفوسهم ، وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب . وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة ، فلم يحصّلوا مطلوبهم[١] من علوّ المنزلة عند الناس ، ومَقَتَهم الله وكرّه فيهم خلقه ، فصاروا عندهم مرذولين يهزؤون بهم .

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ   رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن و« صحيح البخاري » ، فانظر هذا الجهل العظيم ، والضلال المبين . فإيّاك يا أخي من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى ، والزم مذهبك ، وقلِّد أيَّ إمام شئت من الأئمّة الأربعة بدون تتّبع الرخص والتلفيق في الأحكام ؛ بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم ، فإن ذلك ممنوع .

وممّن يدّعون الاجتهاد علماء صالحون ، ولكنّهم مغفَّلون ، يعرفون شيئاً من الحديث والعربية ، وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسّطة ، تُجوِّز في هذا العصر السافل إطلاقَ لفظ العالم على أحدهم ، وهم مع ذلك

---

(١) قال الإمام الرباني قدس سره : وكما أنّ الاعتقاد بموجب الكتاب والسنة ضروريّ ، كذلك العمل بمقتضاهما على نهج استنبطه المجتهدون منهما واستخرجوا الأحكام عنهما ؛ من الحلال والحرام والفرض والواجب والسنة والمستحب والمكروه والمشتبه ، والعلم بهذه الأحكام ضروري ، ولا يجوز للمقلد أخذ الأحكام من الكتاب والسنة على خلاف رأي المجتهدين وأن يعمل بها . انتهى « الدرر المكنونات » عبارته ٣١٣ ج ١ .

وفيه قبيله : فتقديم الكشف على أقوال العلماء ، تقديم له في الحقيقة على الأحكام القطعية المنزلة ، وهو عين الضلالة ، ومحض الخسارة . انتهى عبارته . فراجعه ، (منه رحم الله إفلاسه آمين) .(هامش الأصل) .

بينهم وبين درجة الاجتهاد في أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين ، إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين ، ولكن لغفلتهم ، وقلّة عقولهم ، ورضاهم عن نفوسهم ، وظنّهم فيها الكمال ، ظنّاً ظاهر الزلل ، واضح الخطأ والخطل[1] ، سوّل لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوى الكاذبة . وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحرّي في الدين ، وأنّه لا يجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين ، وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنّة رأساً بدون واسطة أحد ، وقد قرؤوا في بعض الكتب ذمّ الرأي ، والتحريض على اتباع الكتاب والسنة ، فاتخذوه حجّة لما ثبت في نفوسهم من ذلك ، وما علموا من غفلتهم أن الرأي المذموم هو الرأي مع وجود النصّ من القرآن أو الحديث في تلك المسئلة بعينها . وهذا لا يقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم ، وكيف ؟ ! وقد روي عن كل أحد منهم قوله : **إذا صحّ الحديث فهو مذهبي**[2] ! ؟

وهذا إمامنا الشافعي كثيراً ما يكرّر في « الرسالة » ، و« الأمّ » كما قرأته بنفسي فيهما قوله ﵁ : وهل لأحد قول مع رسول الله ﷺ فداه أبي وأمّي ؟ ! فالذي يقول هذا القول ، ويؤيّده بالفعل في كتبه ؛ بالاستدلال بالكتاب والسنّة ما أمكن الاستدلال بهما ، ووجد فيهما دليل على المسألة ، هل يقال في حقّه أنه يقول في دين الله برأي ؟ ! حاشاه من ذلك ! وهكذا باقي الأئمة ؛ **حتى الإمام أبو حنيفة وأصحابه - رضي الله عنهم - الذين اشتهروا بأصحاب الرأي ؛ يقدّمون العمل بالحديث الضعيف - إذا لم يوجد للمسألة دليل غيره - على القياس** ،كما قاله الإمام الشعراني ، ومن راجع تخريج أحاديث « الهداية » للإمام الزيلعي[3] يتحقّق أنَّ مذهب

---

(١) الفساد .

(٢) وقد ألف فيه تقي الدين السبكي كتاباً لإمامه سمّاه « معنى قول الإمام المطلبي : إذا صحَّ . . » مطبوع بتحقيق الأخ علي بقاعي ونشر دار البشائر الإسلامية .

(٣) المسمى « نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية » (ط) وهي في أدلة فقه الحنفية .

الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه هو أيضاً مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب ، **إذ القاعدة عند جميعهم : الاستدلال على المسألة من القرآن ، فإن لم يوجد فيه دليل لها ! فمن الحديث ، فإن لم يوجد ! فمن الإجماع ، فإن لم يوجد ! فحينئذ يقيسون المسائل على أقرب المسائل إليها وأشبهها ممّا ثبت دليله بالكتاب أو السنّة أو الإجماع .**

وهو ؛ أي : القياس كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في « الرسالة » : أن يكون الله تعالى أو رسوله ﷺ حرّم الشيء منصوصاً ، أو أحلّه لمعنى ، فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينصَّ فيه بعينه كتابُ الله ولا السنّة أحللناه ، أو حرّمناه ؛ لأنه في معنى الحلال أو الحرام[1] **. فاعلم ذلك ، وقلِّد مَن شئت من أئمة المذاهب الأربعة ، واجعلهم بينك وبين الله تعالى ، فإنَّهم كلَّهم هداةٌ مهتدون** ، ولا تدع للشيطان عليك سبيلاً ، فإنه يضلّك عن الهدى ، ويوقعك في مواقع الردى ، ويعينك على ذلك معرفتُك الحقّ لأهله ، وعدم رضاك عن نفسك ، واعترافك بقصورها ، ونظرك في العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين ، وتقليدهم إيّاهم[2] وعدم خروجهم عن مذاهبهم ؛ مع أنهم كانوا من أفراد العالَم في العلم ، **وما ادَّعى أحد منهم الاجتهاد المطلق ! فكيف تدّعيه أنت وأمثالك من القاصرين المغرورين ، الذين صاروا سخريّة للناس ، وملعبةً للشياطين ؟!** فاترك ما أنت عليه من الهوس والهذيان ، وقلّد من

---

(١) وقال الإمام الرباني : وأما القياس بالاجتهاد فليس من البدعة في شيء ، فإنّه مُظْهِرٌ لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد ، فاعتبروا يا أولي الأبصار . انتهى من « الدَرر المكنونات » فراجعه في ١٦٠ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

(٢) الضمير الأول (تقليدهم) عائد على العلماء الأعلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين من إضافة الشيء إلى فاعله ، والآخر عائد على الأئمة الأربعة - رضي الله عنهم - وكذا فيما بعده (خروجهم) ، (مذاهبهم) .

شئت من أئمة المذاهب الأربعة ، كسائر علماء الأمَّة وعوامِّها من عصرهم إلى الآن ، فذلك هو سبيل المؤمنين الذي اتِّباعُه ألزمُ وأولى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ** ﴾ . . إلخ . انتهى عبارته . وأطال في ذلك فراجعه في ٦ .

مهم

وفيه ما حاصله : من أقبح الجنون جنون من ادّعى الاجتهاد في هذا الزمان . انتهى .

وذكر الباجوري في أوائل شرحه على « فتح القريب » : أنّ **مجتهد المذهب** : هو من يستنبط الأحكام من قواعد إمامه ؛ كالمزني ، و**مجتهد الفتوى** : هو من يقدر على الترجيح في الأقوال ؛ كالرافعي والنووي ، لا كالرملي وابن حجر ! بل هما مقلّدان فقط .

وقال بعضهم : بل لهما ترجيح في بعض المسائل ، بل وللشَبْرَامُلَّسِي أيضاً .

وعبارة « الفتاوى » : **والمتبحر في الفقه** : من أحاط بأصول إمامه في كل باب من أبواب الفقه بحيث يقيس ما لا نصّ فيه عليه . انتهى « فتاوى الچوخي » عبارته .

وفيه بعيد ذلك : **بل جميع علمائنا مقلِّدون فقط** ، وكيف لا وقد قالوا ذلك في « ابن حجر » و« الرملي » ؟ ! فما ظنّك بغيرهما مِمّن بعدهما ؛ وخاصة بعلماء ديارنا ؟ ! فتدبّر ولا تغفل ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٢٧٤ .

ونقل في « الآيات البيّنات » بعد قول « شرح جمع الجوامع » : (ويجوز خلوّ الزمان عن مجتهد ؛ أي : أن لا يبقى فيه مجتهد) ، عن الكوارني بما نصه :

لو ادّعى إنسان وقوعَ الخلوّ عن المجتهد يجب أن لا يخالفه أحد ؛ لأن مثل إمام الحرمين والغزالي لم يُعَدَّا من أصحاب الوجوه ، فضلاً عن رتبة الاجتهاد ، ومَن بعدهما لا يلحق غبارهما ، إلاّ أن ابن دقيق العيد كان يزعم الاجتهاد لنفسه فأظهر كلاماً مخيلاً لا حاصل له . انتهى . ثمّ قال بعيده : وأما ما ذكره مِن أنّ مَن بعد إمام الحرمين والغزالي لا يلحق غبارهما ! فهو ممّا لا ينبغي الشكّ من العاقل . انتهى عبارته . فراجعه .

مخالفوا أهل السنة

فتدبّر أيُّها الولد فيما ذُكِر ، وتنبَّه من رَقْدتك ، ولا تنظر إلى كتب ابن التيمية واتباعه ، فإنَّها محشوَّة ، مشهورة بالحشو وتخليط البدع المخالفة لأهل المذاهب .

وقد صرّح العالم الشيخ النبهاني في « شواهد الحقّ » بما نصه :

يجب عليك الحذر التام من مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد . انتهى عبارته ١٠٥ . وقال قبله وبعده كلاماً كثيراً في حقه .

وذكر : واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس ، وأن لا يدخل عليه بدَوَاةٍ ، ومات في الحبس . ثمّ حدث من أصحابه من يشيِّع عقائده ، ويُعَلِّمُ مسائله ، ويلقي ذلك إلى الناس سرّاً ويكتمه جهراً ، فعمّ الضرر بذلك . . . إلخ . انتهى عبارته ١٠٥ .

والفرقة الوهابية ؛ الذين هم على عقيدته المخالفة لأهل السنّة والجماعة ؛ والمانعون من زيارة قبره عليه السلام وقبور الصالحين ، إنما نشأت على مذهبه ، ومذهب تلميذه ابن القيم[1] . فإنْ أردت ، أيها الولد - عفى الله عنك آمين - أن تعرف الأجوبة عن شُبه هؤلاء الطائفة الذين يستدلّون بها من الكتاب والسنة ، ويؤوِّلونها على غير محامله فراجع

(١) والشيخ الأفغاني ، وابن عبد الوهاب ، ورشيد رضا ، ومحمد عبده ، وأضرابهم . (منه) . (هامش الأصل) .

* وسئل - أي : ابن حجر - نفع الله به بما لفظه : لابن تيمية اعتراض على متأخري الصوفية ، وله خوارق في الفقه والأصول ، فما محصَّل ذلك . **فأجاب** بقوله : **ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمَّه وأذلّه ، وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله** . ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي ، وولده التاج ، والشيخ الإمام العز بن جماعة ، وأهل عصرهم ، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية ، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما ، كما يأتي .

مطلب مهم

والحاصل أنه لا يقام لكلامه وَزْن ، بل يرمى في كل وَعْر وحَزْنٍ ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضلّ ، جاهل غال ، عامله الله بعدله ، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله ، آمين . انتهى . « فتاوى الحديثية » لابن حجر عبارته ٨٤ .

وأخبرني عنه السلف أنه ذُكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر ، فقال : إنّ عليّاً أخطأ في أكثر من ثلاث مائة مكان . فيا ليت شعري من أين يحصل لك الثواب إذا أخطأ علي بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب ؟ ! والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه ، والأمر إلى مقتضاه [ولا ينفعني] إلا القيام في أمرك ودفع شرّك ، لأنك قد أفرطت في الغيّ ، ووصل آذاك إلى كل ميّت وحيّ ، وتلزمنى الغيرة شرعاً لله ولرسوله ، ويلزم ذلك جميع المؤمنين ، وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء ، وهم أهل الشرع ، وأرباب السيف الذي بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكفّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين . انتهى . « فتاواى الحديثية » عبارته ٨٥ راجعه . ففيه في هذا التاريخ بسط وزيادة ببيان المسائل التي خالف الناس . انتهى . (هامش الأصل) .

« شواهد الحق » ، و« نور الإنصاف » و« المدائح النبوية » ترى العجب ، ولعلّك تخرج بعد ذلك ممّا أنت فيه من الإنكار والاعتراض ، وأنا أنصحك بالحق الحقيق كما نصحتني بالقلم بما هو على الرد بالنصوص حَقِيقٌ .

الجواب عن عبيد الله أحرار

وأنت ، أيها الولد ، كتبتَ بأنّ ما قاله القطب المشهور عبيد الله في تفسير آية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ : هو تفسير بالرأي ، فلعلّك قصّرت في طلبه وَاسْتَرْوَحْتَ ، فانظر إلى كتب التفسير لعلّك تجد ما يشفي غليل صدرك ، وقد ذكر ذلك التفسير صاحب « الرشحات » ، والعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني في « هدية الذاكرين وحجة الواصلين » ، وراجع « الرحمة الهابطة » و« نور الهداية » .

ومعلوم مشهور : **أنَّ الخارج من كونه معهم بالقلب بترك محبّتهم هو الخارج من دائرة الشريعة بلا ريب** ؛ لأنه لو كان محبّاً لمحبوب الله لما ترك تخيُّله ، وذلك الترك هو البغض بما أمر الله ورسوله به ، فانظر إلى قوله عليه السلام « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكونَ أَحَبَّ إِليهِ مِنْ نَفْسِهِ » وإلخ ، **وبغض العلم والعلماء كفر** ، كما هو مذكور في « البريقة المحمودة » فراجعه .

فاذا كان الأمر كذلك ؛ وجب أن نكون مع الصادقين ؛ في فعل ما فعلوه[1] ، وترك ما تركوه من المخالفات ، وهذا يورث ربط القلب بهم بالضرورة ، فعلم أن تفسير الآية ليس برأي ، وبعض الكلام يفسّر بعضاً . قال تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ .

وقولك أيها الولد : لم يوجب الله تعالى عليَّ الاعتقاد في الأولياء ؛

(١) من المأمورات الشرعية . (هامش الأصل) .

قولٌ يُخافُ على قائله من سوء العاقبة ، فعجباً على من يدعي الاجتهاد ، ومع ذلك يجهل ما يلزمه بهذا الكلام البارد ! ! فينبغي له أن يعلم أن من لم يعتقد في أولياء الله يؤذيهم بالقول أو بالفعل ، ومن آذاهم فقد تعرّض لمحاربة الله ، بشهادة : « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » والله تعالى لا يحارب إلا كافراً ، كما صرّح بذلك ابن حجر في « الفتاوى » .

وفي « جامع أصول الأولياء » للقطب أحمد ضياء الدين ما حاصله : ما من نبيّ ولا رسول إلاّ وله من هذه الأمّة وارث . . إلخ ، فكما أمر الله تعالى بالاعتقاد في الأنبياء والمرسلين ، كذلك يجب على كل مؤمن أن يعتقد في الأولياء وكراماتهم . فراجع « العقائد » .

وأيضاً : أن من لايعتقدهم يحتقرهم ، **واحتقار أهل العلم من كبائر الذنوب** ، هذا إن لم يستحلّ آذاهم واحتقارَهم عالماً بذلك ، وإلاّ ! فهو مرتدّ ، يقتل بردّته إذا لم يتب ، كما هو مصرّح في « تلخيص المراد » في ٣٠٥ .

وفيه : **وقد جُرِّب أنَّ مَنْ وقع في العلماء أو طلبة العلم امتُحِنَ بسوء الخاتمة** ، والعياذ بالله . انتهى فراجعه .

فينبغي أن يعلم المنكرُ المعترض أن إذايتهم إنما تكون بعدم محبّتهم ، وعدم محبّتهم إنما يكون بعدم اعتقادهم ، فوجب اعتقادهم ومحبّتهم ؛ ليحترز من الدخول في هذا الوعيد الشديد ، فكما يجب أن يحبّ رسول الله ﷺ ويعتقده ولا يبغضه ، فكذا يجب حبّ تابعيه وعدم بغضهم(١) .

وأيضاً تكلَّمتَ على كلام الغوث الأعظم خالد شاه ، وقصدت بجهدك لردّ كلامه ، ولا أدري ما الذي حملك على هذا ؟ ! وقد نفيتَ ولاية الله عن الأقطاب والأوتاد ، وصرّحت أنّ الاستدلال بأقوالهم عبثٌ لا فائدة فيه ، مع

---

(١) فإنّ بغض العلماء كفر ، كما في « البريقة » . (هامش الأصل) .

أنّ أقوالهم مشيّدة بصريح الكتاب ، ومستنبطةٌ من الأحاديث الصحيحة ، فهذا القول من أعظم الأمور الفاضحة ، فيا ليتك لم تتفوَّه بهذا . عفى الله عنك بفضله وكرمه ، وجعلك من المتأدّبين بآداب أوليائه آمين .

وقد رأيت في « شواهد الحقّ » ما نصّه : وقد تصدّى شخص للردّ على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه ، وعمل في ذلك كراسة ، وأتى بها إليّ يعرضُها عليّ ، فطردته ، ولم أُصغ إلى قوله ، ففارقني ، ووقع من سُلَّمِ بيته - وكان عالياً - فانكسر صُلْبُه ، وخرج زرّ وَرَكِه[1] من مكانه ، فهو إلى الآن مكسور ، يبول ويتغوّط على نفسه ، نسأل الله العافية . وقد أرسل لي مرّات أنّي أعوده[2] ، فلم أفعل ؛ أدباً مع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ؛ أَنْ أُوَالِيَ من أساء الأدب معه . انتهى نقله عن الشعراني فراجعه ٢٨٨ .

وفيه بُعيده : وكان سيدي علي ابن وفا رضي الله عنه يقول : **التسليم للقوم أسلم ، والاعتقاد فيهم أغنمُ ، والإنكار عليهم سمّ ساعة في إذهاب الدين** ، وربّما تنصَّر بعض المنكرين ومات على ذلك ، نسأل الله العافية .

مطلب مهم

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه : فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجْلِ مرآة قلبك ، فإنّك تشهد الصوفية من خيار الناس ، ويقلّ إنكارك ، وإلاّ فمِنْ لازمك كثرة الإنكار ؛ لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورتك . انتهى . فراجعه ١٣٩ .

وقد قال واحد حين يزور يوسف الهمداني : إني لأسألنّه شيئاً لا يدري جوابه أصلاً ، وكان من أجلّ علماء زمانه وأقدمهم ، فتنصّر ومات على ذلك فالعياذ بالله ، كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » لابن

---

(١) وفي نسخة : وخرج وركه من مكانه .

(٢) وفي نسخة : أنّي أدعو له ، ولعله : أن أعوده .

حجر . وقد كان في زماننا هذا عالم ذو جاه ، لا يفوت منه شيء من فنون العلوم العقلية والنقلية ، وكان ذا مال كثير ، بيد أنّه أنكر قطب وقته ، فغضب عليه ؛ وقال : انظروا ما ذا يقع له ولماله وغناه ، فصار أمر ذلك العالم بحيث يرحم عليه كل أحد ، ونفد ماله ، وصار مبتلى من كلّ الجهات . عفى الله عنّا وعنه . آمين .

وكان واحد من أكابر العلماء ينكر شيخنا العسلي قدس سرّه ، وكان ذا جاه ومنصب أيضاً ، فغضب عليه ، فبعد ذلك عزل عن منصبه العليّ ، وطرأ عليه الجنون ومرض الماليخوليا ، فصار أمره إلى أسوأ حال ومات على ذلك ، غفر الله له ولنا . آمين .

وكان في ديارنا أيضاً رجل له علم وذكاء ، ولم يكن في ناحيته أعلم منه في فنون العلوم ، فأنكر الشيخ المذكور ، وكتب إليه كتاباً بكلمات باردة ، وأقوال فاسدة ، لا تصدر قط من أديب ، فطرأ عليه مرض الارتعاش ، فصارت أعضاء جسده تتحرّك ليلاً ونهاراً كآلة المخياط ، وكان لا يقدر أن يحلّ ويعقد حَبْلَ إزاره في وقت قضاء حاجته ، وساء معه ظنون أهله وأولاده ، وصار بعد ذلك من أذلّ الناس وأرذلهم عندهم ، ومات مطروحاً من[١] طرف الغرفة ، عفى الله عنّا وعنه .

وأخبرني بعض من الثقاة من قريته : أنّ ذلك العالم لم يقدر يدُهُ بعد ذلك أنْ يأخذ القلم ويكتب به شيئاً .

وكان فينا أيضاً عالم فقيه مشهور ، فقال لواحد قولاً بارداً في حق الشيخ المذكور قدّس سرّه ، فقلت لواحد : أُنظر ما ذا يحلّ على هذا الفقيه من البلايا ! فطرأ عليه بعيد ذلك بلايا ومصائب عامة في أمواله وأولاده ، وعمي ، ومرض كلّ من الذكور والإناث من أولاده بمرض الماليخوليا ،

---

(١) وفي نسخة : في طرف الغرفة .

ثمّ تنبّه ذلك العالم بفضله تعالى ، وتاب لدينا ، وسلك في الطريقة بعد موت الشيخ المذكور قدّس سرّه وحسن حاله ، ويقول أهل قريته[1] : لم يبق أحد من حساده ومنكريه إلاّ وأصابه مصائب جَمّة ، فهذه من علامة اعتنائه تعالى بأوليائه وأحبابه على وفق ما ورد في الحديث القدسي : « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » . انتهى .

وذكر النبهاني في « شواهد الحقّ » بعد ذكره كلام المعتزلة : وإنما العجب من قوم تسمّوا بأهل السنة ، وزعموا أنهم من حملة تلك المنّة ، ومع ذلك يبالغون في الإنكار ؛ لأنّ كلمة الإنكار حقّت عليهم إلى أنْ ألحقتهم بأهل البوار ، وأوجبت لهم نوعاً من الوبال والخسار ، وهؤلاء أقسام :

فمنهم من ينكر على مشائخ الصوفية ومتابعيهم ، **ومنهم** من يعتقدهم إجمالاً وأنّ لهم كرامات ؛ ومتى عيّن له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك ، لما خيّله له الشيطان أنهم انقطعوا ، وأنّه لم يبق إلاّ ملبّس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبّس عليه ، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً . وقد تهوّر ابن الجوزي بالوقوع في خطرهم إلا أن تكون له نية صالحة ، كقصده قمع مبتدعة في زمانه ، وذلك أنّه صنّف كتاباً سماه « تلبيس الإبليس » ، تكلّم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم ، وزعم أنّ إبليس لبّس عليهم .

قال اليافعي : ولم يدر أنّه هو الذي لبّس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر ، والعجب كلّ العجب منه في إنكاره على سادات ؛ ما بين أوتاد وأبدال وصدّيقين وعارفين بالله تعالى ؛ قد ملؤوا الوجود كرامات وأنواراً ومعارفَ ، أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله ، فحصل لهم في

---

(١) أي : الشيخ العسلي .(هامش الأصل) .

نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله .

مهم

فقول الصغير منهم (**وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله إلاّ رددته**) هذا . وهو ؛ يعني : ابن الجوزي يطول كلامه بحكاياتهم ، وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم ، فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاءً عامّاً ! ! ولا يكون ممّن يحلّونه عامّاً ويحرّمونه عامّاً ! أَمَا عَلِمَ أنّ علماء أعلام الأمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبرّكون بهم ويستمدّون منهم ؟ ! ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنّه قال في حقّ فقير يعتقده ويخضع له : **هو عندي**

خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه . ونقل ابن حجر عبارة اليافعي إلى آخرها . انتهى عبارته ٢٤٢ .

مهم

قال الإمام الرباني : وإن كان الاعتراض مقدار حبّة خردل فإنّه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان ، **وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة** . انتهى . « الدرر المكنونات » ٣٤٧ . ج ١ . فراجعه .

فيا عجباً لمن يقول على كلام رئيس الطائفة القطب خالد[١] : لم[٢] يأمر الله تعالى باعتقاد الأولياء ، ويردّ كلامه بما لا طائل تحته ؛ مع أنّ

---

(١) أي : في قوله في رسالته ؛ وإن كان ممن يعتقد أولياء الله . . الخ .(هامش الأصل) .

(٢) مقول . (هامش الأصل) .

* وقال جلال الدين السيوطي في رسالته « قمع المعارض » : هذا ما اخترته من المقال مما يناسب المقام ، والتقطته من المظان لهذا النظام تنبيهاً على مقام الأولياء ، وإشارة إلى علوّ رتبة الأصفياء ، وتحذيراً مما تأتيه طائفة الأغبياء الظانون أنهم في عداد الأزكياء ، القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لا يفهمون ، والخائضون بقلّة تقوّيهم فيما لا يعلمون ، لا هم وقفوا عند نص القرآن ولا هم امتثلوا ما روي عن سيد ولد عدنان ، لا هم عملوا بما قرّره أئمة الشأن ، ولا هم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحق والعرفان . قال الله تعالى فيما روي فى الأحاديث القدسية بين حفاظ الشرق والغرب « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » ، وفي لفظ « من آذى وليّاً فقد استعجل محاربتي وأنّى بالسلامة » ، وفي حديث مرفوع « من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة » رواه أهل الأمانة ، وفي آخر قدسي « من أخاف وليّاً فقد بارزني بالعداوة وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة » . وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام « من أهان وليّاً ، أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة ، وباراني ، وعرض لي نفسه ، ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، فيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أن يعجز لي ، أو يظنّ الذي يبارزني أن= =يسبقني ، أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ؟ ! لا أكِلُ نصرتهم إلى غيري . انتهى من « هامش الدرر المكنونات » في ٢٨٠ ج١ . (هامش الأصل) .

هؤلاء الأئمة المذكورين كانوا يعتقدون في أولياء زمانهم ويطلبون التبرّك بهم وبرؤيتهم وصحبتهم ! !

موت الأفغاني وتلميذه

وذكر في « المدائح النبوية » ما نصّه : مات جمال الدين الأفغاني في القسطنطينية مفلوجاً بلسانه ، وكذلك مات بعده بسنوات محمد عبده في الإسكندرية مفلوجاً بلسانه ، وعظم الداء فيهما حتّى قطع لسان كلّ منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا[1] شرّ ميتة ، على أسوأ الأحوال – نسأل الله العافية – ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين اتبعوهما على الضلال والإضلال . انتهى عبارته ٣٧٧ .

منام مع رشيد رضا

وفيه أيضاً : قد رأيت في منامي منذ سنوات الشيخ رشيد رضا هذا ، وهو أسود اللون بلون الحبشي ، وعرفت أنا في المنام أنّ هذا من الغضب الإلهي عليه ، وأنّه حصل له بسبب جريدة « المنار » ، فنصحته في المنام بتركها ، وقلت له : تقدر أنْ تستفيد ما تستفيده منها من الدنيا بجريدة أخبارية تُنْشِؤُها عوضاً عنها ، فلم يردّ عليّ جواباً في المنام ، ثم استيقظت ، وجاء إلى بيروت بعد سنوات من رؤياي هذه فأخبرته بها ، فما أثّرت فيه شيئاً . انتهى .

وفيه : لا يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من شيء يدلُّ على أنّه من الحشوية ، ومخالف لأهل السنة . انتهى عبارته ٤١٥ . **وأظنّ** أن سبب اعتراضك على هذه الطائفة الصوفية إنما ظهر من النظر إلى كتب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[2] وأتباعه .

---

(١) وهما من أتباع ابن تيمية في انتشار بدعه – عفى الله عنهم – آمين .

(٢) **ورأيت في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر ما يصرّح بعدم [جواز] الإصغاء**

إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فراجعه وفي « الرسالة الزينية » ما ينشرح به الصدور ويردُّ كلامهما ، فحرّر والله الموفق للصواب . (منه) .

فلئن كان للعلم حرمة فللعلماء أيضاً حرمة ، والمؤمن يلتمس المعاذير ، والمنافق يتبع العيوب ، بل يحدث بها بغير حق ؛ ولا أجهل ممن يتعصب بالباطل وينكر لما هو به جاهل . من هامش « الدرر المكنونات » في ٨٨ ج١ .

وقال الشيخ الشعراني رحمه الله في « لطائف المنن » : وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم وعدم ذوقه لمقاماتهم ، فالعاقل من ترك الإنكار ، وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته ، لاسيّما ومن يُبلغنا عن أحد منهم ما يخالف الشريعة أبداً ، وربّما تكلّم العارف في شعره ، أو غيره على لسان الحق تعالى ، وربّما تكلم على لسان رسوله ﷺ ، وربّما تكلم على لسان القطب ، فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو ، فيبادر على الإنكار .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص يقول : أقلّ درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب ، لا يصدقهم ولا يكذبهم . وكان سيدي علي وفا يقول : التسليم للقوم أسلم ، والاعتقاد فيهم أغنم ، والإنكار عليهم سمّ ساعة في ذهاب الدين ، وربّما تنصّر بعض المنكرين ومات على ذلك - نسأل الله تعالى العافية - . انتهى .

فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجْلِ مرآة قلبك فأنت تشهدهم من خيار الناس ، ويقِلّ إنكارك وإلا فمنِ لازمك كثرة الإَنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك فافهم . انتهى مختصراً في١٠٧ .

وقال في مقدمة « شرح تائية » للإمام العارف الصفديّ : ويجب تحسين الظن بأولياء الله تعالى ، فإنّ إساءة الظن بعموم المؤمنين حرام ، فكيف بأولياء الله تعالى ؟ ! ولله في خلقه أسرار لا اطلاع للعوام عليها ، بل يطلع عليها من شاء من خاصته . انظر إلى ما وقع من الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام ، وقوله بعد ذلك : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ ، فسلّم لهم حالهم ، ولا تتابعهم فيما لا يوافق ظاهر الشرع ، وشرط جواز الاعتراض أن يكونِ ممن أحاط بهم بعلم الظاهر والباطن ، وإلا فهو قاصر فيسعى في إصلاح نفسه أوّلاً . انتهى في ١٠٨ ج١ . =

=وقد صرح غير واحد بأنّ الجاهل باصطلاح الصوفية لا يجوز له أن يخوض في كلامهم ؛ لأنّ ذلك يوقعه في رمي أولياء الله تعالى بالكفر والزندقة ، كما وقع ذلك لغير واحد . في ١٢٤ ج١ .

أيها الولد ؛ إنّ الكتب من كتب أئمتنا كثيرة ، فيا ليتك تقتصر النظر إليها ففيها ما يكفيك في الدين والدنيا ، ولا تنظر إلى كتب هؤلاء القوم الذين صرفوا آيات القرآن عن مصارفها ، وحملوها إلى مقاصدهم الفاسدة الكاسدة ، ويا ليتك تنظر إلى غيرها من الكتب التي ردّ مؤلّفوها جميع ما أثبت أولئك القوم المخطئون ؛ كـ« شواهد الحقّ » وكتب الإمام السبكي ، و« الفتاوى الحديثية » ، و« الفتاوى الكبرى » لابن حجر وغيرها . وأرجوا الله تعالى أن يصرف همتك إلى أحسن الأحوال ، وأن يخرجك عن هذه الورطات ، وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

والمعاند يرغب في إخراج المسلمين من الإسلام بأدنى شبهة ، لاسيّما قوماً مشهورين بالصلاح يرشدون العباد إلى الله تعالى . في ١٢٨ ج١ .

فعلى الحكام وولاة الأمور أن يسعوا في تأديب أمثال هؤلاء المتجرئين بالسعي المَوْفور ، وأن لا يخلوهم في ضلالهم القديم ، بل ينبغي أن يهتموا في التأديب والزجر بالاهتمام العظيم ، حتى ينقطع القيل والقال بين الآحاد ، وينسدّ باب التعصب والتجرؤ ، وينعدم الفساد . في ١٥٤ ج١ . فوجب على كل من بيده القلم والسيف أن ينصر الإسلام والمسلمين ، ويؤيّد أولياء الله تعالى ، فهم في الحقيقة هم العلماء العاملون في١٥٧ ج١ . ولا يتكلف في حمل الكلام على أمر بعيد ؛ من مخالفة الشرع ، وإيجاب التكفير الشديد ؛ والتكفير أمر عظيم لا يتجرأ عليه إلا من هو غافل أوجاهل لئيم . قال في « البحر » : والذي تحرّر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة . انتهى . وباب التأويل لكلام الأولياء مفتوح ، ولا خير في الحكم بكفر مسلم ، فكيف بوليّ من أولياء الله تعالى ؟ ! في١٦٣ ج١ .

مهم في الرابطة

ثم اعلم ، أيها الولد ؛ لما كتبت لدينا ما بَدَا لك في حقّ الرابطة ، وعدّدْتَ من يفعلها من المشركين ؛ لا بدّ لنا من أن نكتب ما ظهر لنا من الأدلة في إثباتها .

قال الإمام الرباني في « مكتوباته » : اعلم أنَّ حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلّف وتعمّلٍ علامة المناسبة التامّة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً ، فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدّس سرّه في « الفقرات » : إنّ ظلّ الدليل أولى من ذكر الحقّ سبحانه باعتبار النفع ، يعني : إن ظلّ الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جلّ وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تامّاً . انتهى عبارته . فراجع « الدرر المكنونات » في ١٦٠ من الجزء الأول .

وفي « جامع أصول الأولياء » ما نصه : الرّابطة هي أقرب الطرق ، ومنشأ ظهور العجائب والغرائب ، فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلاً ، وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة ! فكافية في الاتصال . انتهى عبارته ٥٦ .

ونقل مؤلف « الفتاوى العمرية » قدّس سرّه ، عن « شرح العباب » لابن حجر رحمه الله تعالى بما نصّه : ويخاطب النبيّ عليه السلام كأنه الحاضر ، ليكون حضوره سبباً لمزيد الخشوع . انتهى عبارته . ويسلّم النبي ويمثله بَيْنَ عَيْني قَلْبِهِ . وقد رأى ابن عباس صورة رسول الله ﷺ حين

نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة . « شرح الشمائل » لابن حجر ملخصاً .

ومن آداب الذاكر : أن يخيّل شخص شيخه بين عينه . وهذا من آكد الآداب « نفحات القدسية » للشعراني .

وفي « الفتاوى العمرية » : **ثم اعلم** أنّ الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً ؛ وهي : رابطة الحضور ، رابطة الموت ، رابطة المرشد .

أما الرابطة الحضور ؛ فهي : عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة ، وتفكُّره معيَّتَه تعالى ، وكونه حاضراً وناظراً إليه ، وسميعاً عليماً بصيراً ، على مقتضى : « كَأَنَّكَ تَرَاهُ »[1] ، ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ عاملاً مضمون الحديث : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » . فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها ، بل هي المقصود الأصلي .

وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت ؛ فهي : عبارة عن ربط القلب بالموت والقبر والقيامة ، وتفكر أهوالها وأحوال نفسه ، على مقتضى : « مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا » ، « وحَاسِبُوا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » ، « وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » .

وأما رابطة المرشد ؛ التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم

---

(١) المشار إليه في حديث عمر رضي الله عنه : (بينما نحن جلوس . . . وفيه : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . أخرجه البخاري : ٥٠ ، ومسلم : ٧ - ١٠ وغيرهما . . .

من فيوضات أهل الله الكاملين ، وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين ! !

فهي : عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبي من أنبياء الله تعالى ، أو وليٍّ من أوليائه تعالى ، أو على جميعهم ، أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه ، أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها ، أو شيخه ، ومرشده الكامل الفاني في الله ، أو على من له حسن ظنّه بلا تردّد ، فهذه الرابطة الحبيبة[1] ملزوم ، **وأما لازمها ! فالاستفاضة والاستمداد منهم ، وتخيّل صورهم أو صور روحانيتهم** . وذلك أن المريد إذا ربط قلبه بهم بالمحبة الكاملة بحيث كأنه حاضر معهم في مجلسهم وناظر إليهم ؛ على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، أي : جسماً إن أمكن ، وروحاً إن لم يمكن ، يلزم عليه تخيل صورهم ، وتذكرهم وتخطرهم جسماً أو روحاً بالضرورة والطبيعة ؛ لأن المحبة عبارة عن توجه القلب وميله نحو المحبوب ، وطول الفكر في محاسن المحبوب وصفاته[2] الجميلة ؛ حتى يصير بينهما الائتلاف الروحاني ، ثم تتأكد المحبة فتصير خُلَّة ، ثم تتقوَّى فتصير هوىً ، ثم يزيد الهوى فيصير عشقاً ؛ وهو : إفراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه وذكره وفكره ، ولا يغيب عن خاطره وذهنه ، كما قال اليافعي :

الحب نار سوى المحبوب تحرقه ... فيعقب البرد من عذب الوصالات

فإذا تمّت الرابطة وحصلت الائتلاف الروحاني بين السالك المرابط ، وبين المرابط عليه ؛ فله أن يستمدّ من روحانيته ، ويستفيض من فيضه

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله : الحبيَّة .

(٢) وفي نسخة : أوصافه .

وبركته ، ويتوسل به إلى الله تعالى ، وكذا يطلب الشفاعة والهمة والإعانة به ، وحينئذ يستفيض منهم في الغيبة كالحضور ، وينزجر عن المعاصي والشرور ، فهذه هي الرابطة عندنا ، **بل الرابطة موجودة في قلب كلّ مؤمن ومؤمنة يحبُّ الله ورسوله ، ويحب أولياء الله بالضرورة والطبيعة على حسب محبته واستعداده وقابليته** ؛ كما هي مشاهدة في حقّ النبي عليه السلام وسائر الصحابة ، حتى ينبغي لكلّ مؤمن أن يلاحظ ممدوداً من النور كالتلغراف من قلبه إلى قلب النبي عليه السلام ، ويستفيض منه في كل وقت وعلى كلّ حال ، وكذا تخيّل شخصه الكريم حتّى في تحيَّةِ الصلاة المفروضة .

مطلب مهم

كما قال الغزالي في « الإحياء » : وأحضر في قلبك النبي عليه السلام وشخصه الكريم ، ثم قل : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله) ، وليصدق أملك في أنه بلغه ، ويردّ عليك ما هو أوفى منه . انتهى قول الغزالي ملخصاً .

ثمّ اعلم أن الرابطة الحُبِّية القلبية كانت تحصل للصحابة والتابعين وأتباعهم بلا احتياج إلى التكلّف والتنبيه منهم على وجه الاضطرار ، ثمّ لمّا تمادى الزمان ، وتكدّرت القلوب ، وقلّت المحبة ؛ احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها ، فأمر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ، ثمّ عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة ؛ **لأنّ العشق والمحبة يربط القلب بالمحبوب ويقيِّد به ، فيحصل الارتباط الروحاني بينهما** ، وقد يسمّونها نسبة ، ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة رضاءً لله تعالى ؛ لا لغرض سواه ، كما في الحديث : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله » .

المحبة : اختيارية واضطرارية

وهذه المحبة اختيارية وعقلية ؛ لأنه يختار بحكم العقل منفعته ، بخلاف محبة الأولاد ؛ فإنها طبيعيّة وشهوتيّة ، **وقد تنقلب الاختيارية اضطرارية ، وذلك بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما .**

ثم إنّ الرابطة والمحبة أصالةٌ لرسول الله عليه السلام ، وتبعٌ لورثته الكاملين ، فكيف لا ؟ ! وقد قال الله تعالى ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾ . . . الآية . فانظر كيف أشركهم في الدعوة والإرشاد ! ! فكما جازت الصلاة والسلام عليهم تبعاً ؛ جازت الرابطة إليهم تبعاً . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي البغدادي . « الفتاوى العمرية » عبارته .

وفيه أيضاً : فيلاحظ صورة النبي عليه السلام ؛ أو روحانيته بالملاحظة الإجمالية ؛ إن لم يمكن له ضبط شمائله الشريفة وجليَّته[1] المنيفة على ما بُيِّن في الكتب ، فالاستحضار بقدر الإمكان مع ربط القلب بحضرته العلية بالمحبة الكاملة يكفي في تحصيل المناسبة الروحانية إلى ذاته العلية ، ثم إذا حصل الاستعداد ، وترقى الحال والمقام عسى أن يتجلّى له روحانيته العلية ، فيحصل المرام ، **ومن هنا احتاج السالك إلى انتساب المرشد الحي الذي هو نائبه عليه السلام ؛ ليتوجه عليه بواسطة شيخه الفاني في الرسول وفي الله** ، فإن لم يجد مرشداً حيّاً ! فيتوجه أوّلاً إلى روحانية شيخ من المشائخ المشهورين بالإرشاد كعبد القادر ، وشاه نقشبند ، وجلال الدين الرومي ، أو غيرهم ، أو يتوجه إلى النبي عليه السلام بلا واسطة على قدر الإمكان بالضرورة . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي .

---

(١) وفي نسخة : حِلْيَته .

قال الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في شرح حديث « إنَّ أَوْلَى النَّاس بِي أَكثرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » : لأن كثرة الصلاة تدلّ على شدة حبّه وقوّة متابعته ، لأنّ : « مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ » ، « والمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » وإنّ المحبَّ لمن يحبّ مطيع[1] . فحينئذ قرب روحه من روحه عليه السلام ، وحصل بينهما التعارف والائتلاف والارتباط والمناسبة ، فكان أولى الناس به .

من أجلِّ فوائد الصلاة على النبي ﷺ

ومن أجلّ الفوائد المكتسبة في الصلاة عليه السّلام : انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً متصلاً حتى يُمكَّن حبّه من الباطن تمكّناً صادقاً خالصاً يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي عليه السّلام ، ويُؤْلف بينهما في محلّ القرب ؛ لأن الحب يوجب الاتباع للمحبوب ، والاتباع يؤذن بالقرب والوصال ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وفي الحديث « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ ، فَمَا تَعارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » . انتهى كلام الفاسي رحمه الله .

فكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة ؛ لا يحصل التوجه إلى الله إلاّ باتباع رسوله عليه السلام ، وربط القلب به وبنبوّته ، وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى ؛ دون غيره من الأنبياء ، لأنهم ؛ وإن كانوا أنبياء لكن لا يحصل فيض منهم إلاّ بعد ارتباط القلب بمحمّد ﷺ ، كما لم يحصل الإيمان والفيض لليهود بمجرّد ربط قلوبهم بموسى عليه السلام ،

---

(١) عجز لبيتين من الشعر هما :

تعصي الإله وأنت تـظهر حُبَّه هـذا لعمري في القياس شنيع
لو كنت صـادق حُبِّه لأطـعته إنَّ الـمُـحِبَّ لمن يحبُّ مطيع

مع أنهم يقرّون وحدانية الله تعالى ! ! وفي الحديث : « لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً لَمَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعِي » ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا ﴾ . . إلخ الآية .

وحقيقة الرابطة إلى رسول الله ﷺ : أنْ يتوجّه السالك ويقابل لطائفه لطائف الرسول عليه السّلام ، ويستفيض منه بكمال الأدب والتضرُّع بلا واسطة ؛ إن كان من أهله ، وإلاّ ! فبواسطة المرشد . « فتاوى العمرية » عبارته .

من أدلة الرابطة

اعلم أنّ من جُمْلَة الأدلة الوَاضِحة في إثبات الرابطة قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ ؛ لأنّ الصلاة عليه لاستجلاب رحمة على أنفسنا وابتغاء الوسيلة إلينا ، كما ورد في الحديث : « اِبْتَغُوا إِلَى اللهِ الوَسِيلَةَ بِالصَلاَةِ عَلَيَّ » .

قال عياض : الصلاة من الله رحمة لمن دون النبي ، وأما للنبي ! فهي زيادة مكرمة وتشريف « شفاء شريف » . الصلاة من الله وصلة ، ومن الملائكة رفعة ، ومن الأمّة متابعة ومحبّة .

حكمة مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

وحكمة مشروعية الصلاة عليه ! لأنّ الاستفاضة في اقتباس العلوم اللدنية والمعارف الإلهية من روح رسول الله عليه السّلام تتوقف على حصول المناسبة الروحانية بين المستفيض وبينه عليه السّلام ، إذ هي أمور روحانية فلا بدّ من حصولها بينهما ، ولذلك شرعها ، فإنّ الصلاة والتسليم عليه بحضور القلب والمحبة الكاملة مع تدبّر معناهما والتفكّر في أنه على من يصلّي ويسلّم ، تستلزم التوجه إليه وتصوّره وتخيله بوجه مّا ؛ وربط القلب به لا محالة ، وهذا بَدِيهِيٌّ عند كل من له عقل سليم

وطبع مستقيم ، إلاّ أن يكون القارئ جاهلاً لا يفهم ما يقول ، ولا يعرف اسم الرسول ؛ لأنّه إذا ذكر اسم شيء مّا ، أو رؤي بالعين عنده لا بدّ من تخيل مسمّاه وتصوّره ، سواء كان خيراً أو شرّاً ، وسواء كان بطريق المحبة ؛ أو بطريق البغض والعداوة ، لأنّ الإنسان إذا ذكر عنده واحد أو رؤي مثلاً ؛ كالسلطان ، أو العالم الفلاني ، أو الشيخ الفلاني ، أو البنت الفلانية ، أو اليهودي الفلاني ؛ لا بدّ من تخيّل صورة ذلك المذكور في قلب الإنسان ، أو في خزانة الخيال التي في ناصية الإنسان بين عينيه ، ودخول صورة شخصه فيه بحيث لا يمكن دفعه في ذلك الوقت أصلاً .

لكن إن كان التخطّر والتخيّل والتفكّر بطريق الشهوة والمحبّة المجازية ! تتولّد منه حرارة الشهوة ، حتّى يكاد ينزل المني ، بل ينزل بدوام تفكر المحبوبة وتخيلها كأنه جامعها .

وإن كان بطريق العداوة ! ! يتولّد منه البغض ويتزايد كلما خطر بباله وخياله ، وينفّر منه الطبع وينقبض ، ويؤثّر في القلب تأثيراً بحيث يظهر تأثيره المضرّ إلى ظاهر البدن حتّى يمرض بسببه كما هو مشاهد .

مهم

وإن كان التخيّل والتصوّر والتذكّر والتفكّر بطريق الحبّ في الله ، والاستفاضة والاستمداد والتوسّل والتوسّط ، وطلب انعكاس الفيوضات الإلهية من قلبه إلى قلب المرابط المستفيض ! يتولّد منه أمور عظيمة روحانية مقبولة مرضية عند الله تعالى ؛ من الإعراض عن الدنيا ، والإقبال

على الله ، وانعكاس الفيوضات الإلهية ، والتخلّق بأخلاق شيخه ومرشده ، وتزايد المحبّة الإلهية ، والقرب إلى الله تعالى ، والوصلة والفناء في الله بعد الفناء في شيخه ؛ يعني : بعد التخلّق بجميع أخلاق شيخه المستقيم المرشد ، وتحصيل رضاء الله تعالى ؛ لأنّ المريد إنما يحبّ شيخه بحبّ الله تعالى ، **فلو أعرض شيخه عن الصراط المستقيم ، أو ارتدّ والعياذ بالله فلا يُحِبُّه أصلاً ، بل يبغضه** .

حقيقة الرابطة

فإذا تحقّق هذا فقد تحققت الرابطة وحصلت ، **إذ هي عبارة عن المحبّة الكاملة** ، فيستلزم عليها بالضرورة التوجّه والتصوّر وربط القلب به ، وتذكّره على مقتضى « إذا أحبّ شيئاً أكثر ذكره » ، مع أنّ الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة ، وعالمين بمعنى اللغة والكلام ، فهل يُتصوَّر منهم أن يُصلُّوا على النبي عليه السّلام غافلين من غير تخيّل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم ، وهو قرّة عيونهم وروح أنفسهم ؟ ! وهذا من قبيل المحال . كما قال أهل النظر : **الطلب بلا تصوّر محال** ؛ لأنّ توجه القلب إلى المطلوب . كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم ، وقل : السلام عليك ، وليصدق أملك في أنّه يبلغه ويردّ عليك ما هو أوفى منه .

وأما الصلاة على النبي بلا محبة ولا استحضار شخصه ولا ملاحظة ذاته الكريم فقليل الفائدة ، بل كمشي البهائم . انتهى « الفتاوى العمرية » عبارته .

وفيه : نعم ؛ مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها ، وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب

المقام المحمود ، كذا في « رسالة الرابطة » لمولانا خالد .

ولعلّ معناه : أنّ إحضار صورة الغير عند خطاب (السلام عليك) – [مبطل] ، وإلاّ ؛ **فإن مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب** ، كما قال حجة الإسلام الغزالي في باب الخشوع من « الإحياء » ما معناه :

فإن كان المصلّي لا يخشع في صلاته ؛ فَلْيُلاَحِظْ عنده أو خلفه أو أمامه رجلاً صالحاً يستحي منه ؛ من أستاذه أو شيخه ؛ وكأنه ناظر إليه ، فحينئذٍ يتمّ ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته . « إحياء العلوم » ، فراجعه إن كنت من المذكّرين .

وفي الحديث : « اِسْتَحْيِ مِنَ اللهِ اسْتِحْيَائَك مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صَالِحِي عَشيرَتِكَ » .

وفي الحديث « عِنْدَ ذِكْرِ الصَالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ » . فكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتفكرهم مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ .

ونقول : **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** ، فهل تكون القراءة بلا ملاحظة معنى بحيث لا يعرف توجُّه الضمائر ومرجعها فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبّة الكاملة . وأما الشيطان في **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** وكذا اليهود والنصارى في ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فنذكرهم على طريق العداوة ، ونخيل صورهم حين ذكر اسمهم بالبغض والنفرة . انتهى عبارته .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه في « تبصرة الفاصلين عن

أصول الواصلين » بما نصّه هذا :

واعلم أنّ معاشر النقشبندية والخواجكانية متفقون على أنّ الرابطة[1] أصل من أصول طريقتهم المنتسبة إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه معنعناً ، وهم أهل الله الكرام ، وأهل الأمانة والإحسان وصاحب الحقّ اليقين . انتهى عبارته .

وقال القطب الحقيقي خالد البغدادي في « رسالته » بعد كلام بما نصّه : كلا إنّها - يعني الرابطة - أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبنديّة ، بل أعظم أسباب الوصول بعد التمسّك التّامّ بالكتاب العزيز وسنة الرسول عليه السّلام .

ومن ساداتنا من يقتصر في السلوك والتسليك عليها .

ومنهم من كان يأمر بغيرها ، مع التنصيص على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى .

ومنهم من أثبتها بنصّ قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ .

مهم

فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدّس سرّه ما حاصله :

إنّ الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام ربّ العالمين : الكون معهم صورة ومعنى ، ثمّ فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة ، وهو عند أهله مشهور .

---

(١) فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل هو أصل الأصول « رماح حزب الرحيم » عبارته ١٦٣ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » فراجعه . وفيه في الفصل الخامس والثلاثون ما ينبغي مراجعته . فراجعه في ٢ من الجزء الثاني . (منه) .

وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطور : فكأنّهم لم يتصوَّروا معنى الرابطة اصطلاحاً ، وإلاّ لما وسعهم إنكارها ، إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته ، ليتأدّب معه ، ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ، ويتمّ له باستحضارها الحضور والنور ، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور ، وهو أمر معلوم لا يتصوّر جحوده إلاّ ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران [١] ، واتّسم - والعياذ بالله تعالى - بالمقت والحرمان ، لأنّه إن كان ممن يعتقد بالأولياء ! فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها ، بل واتّفقوا عليها ، كما لا يخفى على من تتبع كلماتهم القدسية ، واستنشق نفحاتهم الأُنسية ، **وإلاّ ! فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع ، وأساطين الأصل والفرع ، فقد قال بها مِن كلِّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** . انتهى .

ثم ذكر وسَرَد بعده كل من قال بها من أئمة المذاهب ، مع تعيين المواضع ، ليراجع إليها من ليس في قلبه مرض ، وأطال في ذلك .

وقال العالم محمّد الحلمي (المدرّس بمدينة كوملجنه) : وإن أخذ هذا القائل من الرابطة - التي هي الاستمداد من شيخه ظاهراً وباطناً ، والمحبة الكاملة له - معنى اتخاذ الشيخ مرشداً ومعبوداً بالذات ومقصوداً للمريد ، فهذا قول نشأ من عدم فرقه بين الرابطة المشروعة المقبولة عند أرباب الطريقة والشريعة وبين الرابطة المردودة التي سوَّاها بالصنم .

نعم؛ إن كان معنى الرابطة بهذا المعنى ! فنحن معه في مردوديَّته وإيجاب الكفر ، لكن الرابطة التي من آداب الطريقة بمعنى ربط القلب ظاهراً وباطناً بشيخه ومرشده القريب ، وبواسطته إلى مرشد مرشده ،

---

(١) كذا في « البهجة » . (هامش الأصل) .

وبواسطته إلى مرشد جميع المرشدين نبينا محمد ﷺ ، وبواسطته إلى خالقنا وهادينا بالذات ، **لأنّ مقصود جميع المريدين والمسلمين الوصولُ إليه** ، والكلام في هذا المرام كثيرٌ ، لكن العارف المنصف يكفيه القليل ، والجاهل المعاند لا يقبل الحقّ وإن تُلي عليه الفرقان والتوراة والزبور والإنجيل . انتهى . فراجع « هدية الذاكرين » من هامشه .

وفي « الرحمة الهابطة » : وقد ورد عليّ السؤال من بعض المعترضين وهو : أن الرابطة التي تأمرون المريد[1] بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب ، أو الندب ، وهما أمران شرعيان لا بدّ لهما من دليل ، والأدلّة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، وغيرها من الأدلّة راجعٌ إليها ، فما الدليل[2] على ندب الرابطة ، أو وجوبها ؟ وأيضاً لا شكّ أنّ النبي ﷺ شيخ الصحابة ، لأنّهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها ،

---

(١) وفي نسخة : المريدين .

(٢) والطريقة عين الاتباع وعين الشريعة لا يحتاج [إلى] السند والدليل من غيرهم ، فإنَّ رجال الطريقة العلية ثقاة . « مجموعة الرسائل » . (ببلات القلزمي) .(هامش الأصل) .

* وقال رضي الله عنه في « لواقح الأنوار القدسية » ؛ وهي العهود الكبرى : أُخِذَ علينا العهْد التامُّ العامُّ من رسول الله ﷺ أن لا نقبل من أَحد من الأشرار هديَّةً ؛ كالظلَمة ، وأهل البدع ، فضلاً عن الكفار ؛ « لأَنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ولا نُحِبُّ أَنْ نُحْشَرَ مع ظالم أو مبتدع ، ولا كافر . فإنَّ مَنْ قبل هديَّةَ هؤلاء مال بقلبه إِلَيْهم ضرورةً إلاّ أَنَّ تحفه العنَاية بالسلوَك على يد شيخ ناصح يسلك به في حضرات التوحيد ، حتى يصير يشهد المُلْكَ لله عزَّ وجلَّ وحده ، ويتحقَّق بذلك ذوقاً أَنَّه إذا تنزَّل لِنسب الشرائع - بكسر النون - أضاف الأمور إلى الخلق من غير وقوف معهم ، وما لم يسلك العبد على يد شيخ لا يشهد الملك ببادي الرأي إلاَّ للخلق ، ولا المنَّة في ذلك إلا لهم دون الله تعالى ، ولا يكاد يشهد المنَّة لله تعالى إلاَّ بعد تأمل وتفكر . . إلخ . « سبيل النجاة » عبارته ١٥ للنبهاني قدس سره .

* روى ابن حبان وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ المؤمنون بعضهم [لبعض] نَصَحَةٌ وادّون ، وإن بعدت منازلهم ، وأبدانهم ، والفَجَرَةُ بعضهم لبعض غَشَشَةٌ متخاونون ، وإن قربت منازلُهم وأبدانُهم » . « سبيل النجاة » عبارته ١٠ (هامش الأصل) .

فلم يبلغنا أنه أمرهم[١] بتصوّر صورته التي هي أكمل الصور الإنسانية ، فلو أمرهم لنقل ، لا سيّما إذا كان ذلك واجباً ؛ لأنّ الواجب ممّا تتوافر الدواعي على نقله . انتهى .

فأقول : الجواب عن هذا السؤال من وجوه :

الأول : أنّ الرابطة التي نأمر المريد بأمر السادة النقشبندية (الذين [طريقهم كما] قال الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الصغرى » : إنها الطريقة السالمة من كُدُورات جَهَلة الصوفية) مندوبة ؛ لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة ، والوسائل لها حكم المقاصد ، والأمر الذي لم يَنْهَ عنه الشرع يَسُوغ فعلُه ، إما على طريق الإباحة ؛ إن أدى إلى مباح ، أو الندب ؛ إن أوجب مندوباً ؛ أو الوجوب ؛ إن حصّل واجباً لا يحصل بغيره ، فقد حصل لنا بالتجربة - ونحن قوم أكثر من عدد التواتر - أنا إذا تَصَوَّرْنَا الرابطة انتفت عنّا الأغيار كلّها وبقي هذا الغير وحده ، فنعرض عنه حينئذ ، وهذا مثل إنسان له أعداء ، فَتَودَّد إلى بعضهم وسلّطه على باقيهم ، فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلاّ واحد ، فيقدر [على] إزالته فيزيله ، وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمّله ، فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع ، **لأن الرابطة ليست مرادة لعينها ، بل مرادةٌ لغيرها** .

الثاني : قولكم (لا تخلو بقرينة الأمر بها ، من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب) .

أقول : لا نُسَلِّمُ أنّ غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الإيجاب

---

(١) وأيّ أمر أبلغ من قوله عليه الصلاة والسلام « وكونوا عباد الله إخواناً » أي : تعاونوا وتحابوا . « البخاري » عبارته . والمحبة ملزوم والرابطة لازمها على مقتضى « إذا أحب شيئاً أكثر ذكره » . فقولنا : رابطة شريفة من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم . (ببلاة القلزمي) . (هامش الأصل) .

أو الندب ، وأن الإنسان قد يأمر غيره بفعل مباح لغرض مّا من الأغراض له أو للمأمور ، وقد يأمر الطبيب المريض بشرب بعض الأدوية ، فإن كان امتثال أمر الطبيب واجباً ؛ أو مندوباً ، فما نستعمله من قبيله .

الثالث : قولكم (وهما الشرعيّان لا بدّ لهما من دليل) ! !

أقول : هذا بناء على قولنا (أنّ الرابطة توصل إلى أمر مندوب ، وما أوصل إلى المندوب مندوب) فالدليل موجود ، لا على قولكم (كل مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب) لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما ويكون لغرض مّا .

الرابع : قولكم (والأدلة الكتاب) .

أقول : وهل يَعْزب عن الكتاب شيء ! وهو قد جمع كل رطب ويابس . قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ، والوسيلة بالأعمال الصالحة ، ولا تكون الأعمال صالحة إلا بالإخلاص ، ولا يكون العمل خالصاً إلا إذا خلا عن الشوائب ، وقد حصل لنا بالتجربة أنّا إذا اشتغلنا بالرابطة خَلَّتْ أعمالنا عن شوائب الغفلة ، **والعمل في الغفلة غير مُعْتَدٍّ به** ؛ لأنه لا يُكْتَبُ للعبد من صلاته إلا ما عقل[1] منها ، فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة ، **وزوال الغفلة مقصود** ، وما أوصل إلى المقصود مقصود ، ومن لوازم زوال الغفلة الحضور ، وهو من أشرف الوسائل ، فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل[2] .

الخامس : قولكم (والسنة) .

(١) يشير إلى قوله ﷺ : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت » .

(٢) من قبيل : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (ببلات القلزمي) . (هامش الأصل) .

أقول : وهل يشذُّ عن كلام النبي ﷺ شيء وتحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصّل به إلى خير ، قال ﷺ : « إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . والأعمال بدنية وقلبية ، فالحركات والتصوّرات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوِّي بها عليها فله ما نوى ؛ ولو لم يدرك مراده ، فكيف إذا تحقّق له حصول المراد ؟ ! ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان : أنت جائع – مثلاً – لا يوجب له جوعاً ، فكذلك قول المعترض : ما نرى صحة ما ترونه ، لا يوجب عدم صحّة رؤيتنا ، فعليه أن يقول : ما تدَّعونه حقّاً ؛ فأنتم وشأنكم ، ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه ! !

السادس : قولكم (والإجماع) .

أقول : قد أجمع أهل من التصوف على عمل الرابطة ، وقرّره منهم الجمّ الغفير ، وهو عندهم طريق مشهور ، **وإجماعهم على عمل في مذهبهم حجة يجب قبولها على من تمذهب بمذهبهم** ، وسنورد أقاويلهم إن شاء الله ، ولا يسوغ لغيرهم الاعتراض عليهم بما لم يحط به علماً .

السابع : قولكم (والقياس) .

أقول : قال الفقهاء : يسنُّ للمصلي أن لا يجاوز بصره إشارته ، وذلك لأنه أجمع للهَمِّ وأدفع للتفرقة . فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور .

الثامن : قولكم (فما الدليل على ندب الرابطة ؟ . . إلخ) .

مطلب مهم

أقول : الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد ، وإنما على المقلد تصحيح النقل ، فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفن فسيأتي على أنه لا

يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية ، كما أنه لا يلزمنا لو طلب منا نصّ لمسألة في الفقه إراد [غير] كلام الشافعية .

التاسع : قولكم (لم يبلغنا . . . إلخ) .

أقول : ما يلزم من عدم بلوغه إيّاكم عدم ثبوته ، ولا يلزم من جهلكم به عدم علم غيركم به ، ولعله بلغكم ؛ وجهلتموه ! ومرّ عليكم ؛ ولم تعرفوه ! ! وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي ﷺ في مرآة القلب الذي رآه مؤمناً ، أو انطباع صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي ﷺ ، ولولا ذلك لم يعدّ من الصحابة من رآه النبي ﷺ ، وهل أمر أوضح من دعاء النبي ﷺ إلى مبايعته المستلزمة للرؤية ؛ المستلزمة لانطباع الصورة ؟ ! وإذا انطبعت الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيلته مهما تذكّر المرئي ؛ شاء أو أبى ، ولو كان عدوًّا ! فاستحضار صورة[1] النبي ﷺ وتخيُّلها الذي هو المراد بقولنا : تصوّرْها محبةً له واشتياقاً إليه ، لا يقول بمنعها إلا أحمق خبيث ، **فالأمر بمستلزِمٍ شيئاً مستلزماً شيئاً آخر أمر بذلك الشيء الآخر** .

العاشر : قولكم : (لا سيما إذا كان واجباً) ؛

أقول : لم يقل أحد من أهل التصوّف بوجوب الرابطة ؛ ولا

---

(١) الرابطة عبارة عن المحبة الكاملة ، فيستلزم عليها بالضرورة التوجه والتصور وربط القلب به وتذكره على مقتضى : إذا أحب شيئاً كثر ذكره ، مع أن الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة وعالمين بمعنى اللغة والكلام ، فهل يتصور منهم أن يصلّوا على النبي غافلين ؟ من غير تخيل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم وهو قرة عيونهم وروح أنفسهم ، وهذا من قبيل المحال ، كما قال أهل النظر : الطلب بلا تصور محال ، لأنه توجه القلب نحو المطلوب ، كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم وقل السلام عليك . « فتاوى العمرية » . (وأنا الحقير القاضي ببلات القلزمي) . (هامش الأصل) .

باستحبابها لذاتها ، بل لما توصل إليه من المحابّ ، والمريد يلقَّنُ الرابطة وهو مخير في فعلها وتركها ، فإن ظهرت له فائدتها تأكّد عليه فعلها ، وإن تركها فقد ترك أدباً من الآداب ، هذا كلّه في البدايات ، وأما في النهايات ! فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ، فما هو صورة تمثُّل ، ولا تقابل ، ولا تقبّل .

الحادي عشر : قدرنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا ، ولا عمِل بهذا العمل أحد قبلنا ، وإنما نحن عملنا لما نرى من فائدته ! فهل ورد فيمن تصوّر صورة محبوبه وتخيّل أنه يقبّل يده ، أو رجله ، أو يضعه على رأسه ، أو جبهته ، أو يعتنقه ، أو يدخله في قلبه ، نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس ؟ ! شعر :

لِي سَادةٌ مِـنْ عِزِّهِـمْ   أَقْـدَامُهُمْ فَوْقَ الجِبَاهْ
إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلِي   فِـي حُبِّهِمْ عِزٌّ وَجاه

وإذا تقرّر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة ؛ فالاشتغال بها من مهمات آداب الطريق ؛ إذ من المعلوم أنّ زوال الغفلة مطلوب ، وهو مفتاح السعادات ، وأن الحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلاّ بنزول رحمة الله تعالى على عبده ، **ومن أسباب نزول الرحمة : ذكر الصالحين ، وَ« عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ »** ، وذكرهم من لوازم محبَّتهم ، ومحبتهم فرض لقوله عليه السّلام : « وَهَل الدينُ إلاّ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله ! ! » الحديث ، ومحبتهم محبة الله ، لقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى : « أَوْجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ . . . » الحديث ، وعداوتهم محاربة مع الله ، لقوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » الحديث ، فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه ﷺ . فالذي أرى أن تصمَّ سمعك عن الافتراء ، ولا تصحب من كذب وافترى ،

وتصون لسانك عن المراء ، وتنقاد للحق وتخضع ، وفي رَدِّي عن طريقي لا تطمع ، وإن تعدل كلَّ عدل لا ينفع . انتهى عبارته ٢٢٧ .

ورأيت في « جواهر المعاني » ما نصه : **فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم ، والمحبة ، والاستمداد ، والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ، ولا يشارك غيره** . انتهى عبارته ١٣٣ ، ج١ .

وفي هذا إشارة إلى معنى الرابطة ، فتدبّره .

وفي « الرسالة الخالدية » في الآداب : ثمّ يتوسل إلى مرشده ويتخيّله مُواجهاً وناظراً بجبهته إلى وجهه الشريف ، بل إلى ما بين عيْنيه لأنه محلّ الفيض ، ولا يقطع النظر عنه ؛ إما بالرؤية إن كان من أهل الرؤية ، أو بالوجدان والإيقان إن لم يكن من أهل الرؤية ، **ثمّ لو لاحظ دخول الرابطة إلى خزانة الخيال وحفظ هنالك كربع ساعة لكان أقوى ، ولو لاحظ وجهه الشريف محاذياً إلى قلبه ونفسه ناظر**[1] **إلى نفسه في وقت الذكر ، لكان أجمع وأبعد عن التفرقة ،**

مهم

ويسمّى ذلك التخيل الرابطة الشريفة ، كما مرّ ذكره في الباب الأوّل ، وهو الركن الأعظم ، ومهذّب النفس ، ومهرب للشيطان ، ومنبع للفيض الإلهيّ من الفياض الحقيقي ، وواسطة للوصول إلى ربّه جلّ شأنه .

وقد قال بعض المحققين : الرابطة خير من الذكر . أي : بنسبة إلى حال بعض المبتدئين ، فلا بدّ من غاية الاعتقاد إلى حدّ : لو يقبلني هو يقبلني الله تعالى ، ولو يطردني يطردني الله تعالى ، فلا نجاة لي في شيء

(١) لعل الصواب : ناظراً .

غير قبوله ، ولا بدّ أيضاً من دوام التضرّع والالتجاء إليه للامتداد والقبول ،

ولو أنزل الرابطة إلى قلبه لجاز أيضاً كما مرّ .

وبعد الرابطة : (البازكشت) ؛ وهو : أن يقول بالقلب أو مع اللسان أيضاً (**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**) ثلاثاً بكمال ملاحظة معناه ، ويتحرّى للصدق في ذلك القول ، وليستغفر من قول لو كان من الكاذبين . انتهى .

وفيه بعد ذلك : وإن لم تندفع - يعني الخطرة والوسوسة - فيتوسّل بالرابطة ؛ واضعاً قدمه الشريف على قلبه لدفع تلك الوسوسة . انتهى عبارته .

وقال الغوث الأعظم الإمام الرباني أحمد الفاروقي مجدّد الألف الثاني :

وينبغي أن يعلم أن سلوك هذا الطريق العالي برابطة المحبة للشيخ المقتدى به الذي سار في هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوّة الجذبة بهذه الكمالات ، وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان ، نظره شفاء الأمراض القلبية ، وتوجّهه رافع العلل المعنوية ، الأقطاب والبدلاء فرحون بظِلال مقاماته ، والأوتاد والنجباء قانعون بقطرة من بحار كمالاته ، نور هدايته وإرشاده فائض على جميع الأشخاص ، كنور الشمس بلا إرادته ، فكيف إذا أراد ؟ ! . . إلخ . انتهى عبارته . من « الدرر المكنونات » في ٢٥٢ من الجزء الأول .

وفي « نور الهداية » ما نصّه : والرابطة الشريفة عند هؤلاء السادة الأبرار والقادة الأخيار طريق مشهور ، وسنن بألسنة أهل السنة مشكور ، وقد قال عليه الصلاة والسّلام : « لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ » ، وقال ﷺ : « مَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ » رواه ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً .

على أنه لا يجب علينا الاستدلال على الرابطة الشريفة بدليل ؛

لأن دليل من قلّدناه من العلماء العاملين والأولياء العارفين كافٍ وافٍ بالمقصود ، كما أن الأئمة المجتهدين أساطين الدين المتين - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - لا يلزم من قلدهم أن يطلب منهم الدليل باتفاق المحقِّقين .

ولا يخفى على اللبيب المنصف أنّ **ما استعمله الصفوة من عباد الله وأجمعوا عليه عين ما حثّ عليه سيّدنا رسول الله ﷺ** ، فهو حجّة لكل من انتظم في سلكهم ، واستوى في ركوب بحر الحقيقة على فلكهم ، فكيف يسوغ اعتراض الأخ المنكر لها - تاب الله عليه - على هؤلاء القوم ؛ منهم : الجنيد ، والجيلي ، والدسوقي ، والغزالي وأضرابهم ممن علا قدره ونما ذكره ، فإنهم في الحقيقة هم الذين قرّروا الرابطة الشريفة ، واستنبطوها بكيفيتها المنيفة ، وشيّدوها بالأدلة العقلية والبراهين النقلية ، لما ثبت عندهم بالوجدان الصحيح والنقل الصريح ، بأنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى .

قال سيدنا سفيان الثوري رضي الله عنه : لا نجاة يوم يخسر المبطلون إلاّ للنبي ، أو تابع النبي ، أو محبّ له ، ولو أنّ عارفاً بالله تعالى في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محبٌّ له في مغربها ، لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته ، وأنّ رجلاً ليعانق الرجل ، وإنّ بينه وبينه لأبْعَدَ ما بين المشرق والمغرب ! وقلب العارفين يكتب ، وقلب المريدين يكتب فيه . نقله الشيخ المحقّق حسين الدوسري البصري في « الرحمة الهابطة » .

وقال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه : **يا أولادي** ؛ إن صحَّ عهدكم معي فأنا قريب منكم ، فإن أخذتم

عهدي وعملتم بوصيّتي وسمعتم كلامي ؛ فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات شيء تستخيرون به ربّكم ؛ فوجِّهوا وجوهكم إليّ ، وأطبقوا أعين حسِّكم وافتحوا أعين قلبكم ، فإنكم تروني جهاراً ، وتستشيروني في جميع أموركم ، فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه ، وليس هذا خاصّاً بي ، هو لكلّ شيخ ، صدقتم في محبّته قد يعلم ذلكم شيخكم ؛ وقد لا يعلمه ، هكذا جرت سنّة الله تعالى مع أوليائه . انتهى نقله الشيخ حسين الدّوسري في « الرحمة الهابطة » . وأقرّه الشعراني في « الطبقات الكبرى » .

مطلب مفيد

وقال إمام العلماء وقدوة الأصفياء ، سيّد الطائفتين ومستند الفرقتين ؛ الجنيد قدّس الله سرّه في بيان شروط الخلوة ما نصّه : **وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ ، واستفادة علم الوقائع منه حتّى يفني بصره في تصرّف الشيخ** . انتهى . نقله الإمام العارف الشيخ محمود عزيز الرومي الإسكداري المشتهر بالهدائي قدّس الله سرّه في كتابه « جامع الفضائل وقامع الرزائل » .

وقال حجة الإسلام وقدوة الأنام سيدنا أبو حامد الغزالي قدّس سرّه في كتابه « المصون الكبير »(١) في فصل الثامن ؛ من الركن الرابع ما نصّه :

---

(١) وفي النسخة : « المضنون الكبير » .

* ويتوسّل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين « بريقة » عبارته ١٨٥ ج٢ . وجوَّز في « البزازية » أن يقول : بحرمة فلان ، وفي « المنية » : وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول : بل الاستحباب ، كما نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم من الله شيئاً فاسئلوه بي ، فإني أنا الواسطة الآن بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي : من كانت له حاجة إلى الله فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثير في الكتب كـ « الحصن الحصين » . « بريقة » عبارته ٣٣٤ ج٢ .

* **الفقه** : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية ، كقوله

فصل ؛ أمّا التقرّب لمشاهدة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسّلام ! فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء عليهم السّلام ، والعبارة عن هذه الإمداد الشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين : الاستمداد من هذا الجانب ، والإمداد من الجانب الآخر ، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين .

تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .« جوامع » .

أقسام الحكم الشرعي

والحكم : خطاب الله المتعلق بفعل المكلّف . « الجوامع » . ويتناول الفعل القلبي الاعتقادي والقولي (منه) . ومن ثم لا حكم إلا لله . (منه) . فإن اقتضى الخطاب ؛ أي : طلب كلام الله النفسي الفعل اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز تركه **فإيجاب** ، أي : فهذا الخطاب يسمّى إيجاباً ، أو اقتضاء غير جازم بأن جوَّز تركه **فندب** ، أو اقتضى الترك لشيء اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز فعله **فتحريم** ، أو اقتضاء غير جازم بنَهْي مخصوص بالشيء **فكراهة** ، أو بغير مخصوص **فخلاف الأولى** ، أو اقتضى الخطاب التخيير **فإباحة** ، **والإباحة** : حكم شرعي ، إذ هي التخيير بين الفعل والترك . (منه) .

والفعل– كالطهارة ، سبباً كان أو شرطاً – المقدور للمكلَّف الذي لا يتمّ أي لا يوجد الواجب – كالصلاة – المطلق إلا به واجب ، إذ لو لم يجب لجاز ترك الواجب المتوقِّف عليه . « جوامع » . وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنّما لكل امرئ ما نوى » ، والأعمال بدنية وقلبية .

والنص : ما أفاد معنى لا يحتمل غيره كزيد ، فإنه مفيد للذات المشخَّصة من غير احتمال لغيرها . **والظاهر** : ما احتمل مرجوحاً كالأسد . « جوامع » . =

=**ومدلول اللفظ** : إما معنى جزئي أو كليّ . **الأول** : ما يمنع تصوره من شركة فيه ، **والثاني** : ما لا يمنع كمدلول الإنسان . « جوامع » . **ولم يقل أحد من أهل التصوف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها ، بل لما توصّل إليه من المحاب ، فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس . (قحي رحمه الله تعالى) . فإن كانت محبة الله ورسوله ومحبة الأولياء والعارفين وربط القلب بهم واجبة ، فلتكن الرابطة واجبة ، أو مندوبة فمندوبة ، أو محرّمة فمحرَّمة ، أو مباحة فمباحة ، ليس إلا . ومن لم يرض على هذا فليكن صامتاً أو ناطقاً ، وهذا حاصل كلامنا وفعلنا** ، والحمد لله على ذلك . والرابطة : فعل قلبي موصل إلى ربط القلب بالله تعالى وبرسوله ﷺ . (وأنا الحقير القلزمي القاضي ببلات) .

أما الاستمداد! فهو بصرف همّة صاحب الحاجة باستلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همَّته مستغرقة في ذلك، ويُقبل بالكليته على ذكره وخطوره بباله، وهذه الحالة سببٌ منبّه لروح ذلك الشفيع أو المزور؛ حتى تمدّه تلك الروح الطيّبة بما يستمدّ منها، ومن أقبل في الدنيا بهمّته وكليّته على إنسان في دار الدنيا، فإن ذلك الإنسان يحسّ بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك، فمن لم يكن في هذا العالم؛ فهو أولى بالتنبّه وهو مهيّء بذلك التنبيه، فإن إطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن، كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة؛ هل هو مثاب أو معاقب؟ فإن النوم صِنْو الموت وأخوه، فبسبب النّوم صرنا مستعدِّين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدّين في حالة اليقظة لها، فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة ومات موتاً حقيقيّاً كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى، وكما تؤثّر مشاهدة صورة الحيّ في حضور ذكره وخطور نفسه بالبال، فكذلك تؤثّر مشاهدة ذلك الميّت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه؛ فإنّ أثر ذلك الميّت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده، ومن ظنّ أنّه قادر على أن يُحضر في نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده؛ فذلك ظنّ خطأ، فإنّ للمشاهدة أثراً بيّناً ليس للغيبة مثله، ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً، ولا تخلو عن أثر مّا، كما قال عليه الصلاة والسّلام: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلّيتُ عَلَيْهِ عَشْراً » و« مَنْ أَجَابَ المُؤَذِّنَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » و« مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » انتهى باختصار.

فإن قال المنكر لها[1] - تاب الله عليه -: إنّ هذا النقل يوجب

---

(١) أي: الرابطة. (هامش الأصل).

الارتباط بمن هو حيّ ويضعف الارتباط بغيره !

قلنا : الارتباط إنما يكون بمن هو فان عن وجوده ، والارتباط بغيره لا يوجب الفناء للسالك ، بل قد يورطه في المعاطب والمهالك ، كما أفاده حضرة سيدي العم في بعض مكتوباته ، فحيث تحقّقنا الفناء في شخص ارتبطنا به ؛ سواء كان حيّاً ، أو ميّتاً ، ولا فرق في ذلك عندنا إلاّ بمقدار ما ذكره حجة الإسلام ، فليعلم ذلك !

وممّا يؤيّد هذا ما قاله الإمام المحقق الشاه أحمد وليّ الله المحدِّث الدهلوي في « الحجة البالغة » : إنّ الإنسان إذا مات كان لنسمته نشأة أخرى ، فينشئ قبض الروح الإلهي فيها قوةً فيما بقي من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام بمدد من عالم المثال ، أعني : القوة المتوسطة بين المجرَّد والمحسوس المنبثة في الأفلاك كشيء واحد ، وربما تستعدّ النسمة حينئذ للباس نورانيّ أو ظلمانيّ بمدد من عالم المثال ، ومن هناك تتولّد عجائب عالم البرزخ . انتهى .

كلام الإمام الرباني في الرابطة

ويرشِّح ما ذكره العلامة العارف الشيخ يونس الكردي الإيراني في « معرَّباته » (مراسلات برهان الولاية المحمدية ، وحجة الشريعة الأحمدية ، المبعوث الرحماني لتجديد الألف الثاني شيخ مشائخنا أحمد الفاروقي السرهندي) المعروف بـ(الإمام الرباني) ما نصّه : فيستوي في هذه الطريقة في إفادتها الأحياء والأموات ، وفي استفادتها الشيوخ والصبيان ، **وذلك لأنّ سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي ، والتصبّغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات** ، فنظره شاف للأمراض القلبية ، وتوجّهه

دافع للعلل المعنوية ، وارتباطنا حبِّيٌّ ، ونسبتنا انعكاسي وانصباغي ، لا يتفاوت في القرب والبعد ، وإذا كان الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حُبِّيّاً وانعكاسيّاً وانصباغيّاً ؛ فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلونه وصبغه ساعة فساعة ، ويتنوّر بطريق الانعكاس بأنواره . انتهى ملخصاً .

وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي المصطفى البكري الصدّيق قدّس الله سرّه في « المنهل العذب » ما نصّه :

وحيث كان مقصود أهل الطريق من هذا الورد - أي الستار - المشاهدةَ والمراقبةَ وحصولَ الجمعيّة الباطنة بواسطة الجمعية الظاهرة ؛ فاستماعه أرفع من قراءته وحده ، فإنّ تلاوته ذكر لسانيّ ، وذكر القلب أرفع منه ، وثمرته المشاهدة ، وهي المقصودة من المجاهدة ، وفي جمع الظاهر والباطن على الله تعالى سرٌّ كبيرٌ .

وقد أسَّس السادة النقشبندية طريقتهم على هذه الجمعية ؛ فيجتمعون على الشيخ ، ويتعلّقون بباطنه تعلّق الرضيع بأمِّه ، ويُقْبِلُونَ عليه ويتحلّقون بين يديه حتى يجعلونه فيهم قلباً ، ويتعشَّقون جميلَ صفاته ، وتختلف منهم المراقبة باختلاف الأحوال ؛ فمنهم المراقب لباطن الشيخ بشهود الحضرة ، ومنهم المشاهد لظاهره ، ومنهم المشاهد لخياله .

ويشتغل الشيخ لشهود الحضرة المحمّديّة والذات العلية الأقدسية ، ويستمدّ منها بواسطة النبي ﷺ ، ويفيض على حُضَّار مجلسه اللابسين من أثوابه وملبسه ، فعند ذلك تشرق فيهم تلك الإمدادات الربانية ، وتبرق عليهم بوارق هاتيك اللمحات الأقدسية ، فيستغرقون في حضور هذا المجلس المختصّ بالتطهير والتقديس عن رؤية أهل الكائنات ، **فهذه** جلسة المريد الصادق مع شيخه والإخوان ، كذا ذكره العالم الرباني سيدي

الشيخ عمر جعفر الشبراوي - قدّس الله سرّه - في كتابه الجليل المسمّى بـ « مفتاح الأسرار على ورد الستار » .

وقال العالم الإمام ، والمحدِّث العارف الهمام ؛ سيدي الشيخ تاج الدين بن زكريا العهندي العثماني معرِّب « النفحات » و« الرشحات » قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة بـ « التاجية الصغرى » ما نصّه : وإذا فرغ من مهماته الدنيوية يتوضّأ - يعني المريد - وضوءً جديداً ، ويدخل خلوته ، وأوّل ما يجلس يستحضر صورة شيخه . انتهى .

مهم أيّ مهم

وقال العالم العلامة قدوة العارفين ، وزبدة المحقّقين ؛ سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس الله سرّه في شرحه للرسالة المذكورة المسمّى بـ « مفتاح المعيّة » عند قول الماتن : يستحضر صورة شيخه على أكمل الأحوال ليحصل له المدد منه ، فإنّ شيخه بابه إلى حضرة الله تعالى ، ووسيلته إليه ، كما قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ولا قدرة للسالك في ابتداء سلوكه أن يعرف ربّه حتى يسقط الواسطة بين الله وبينه ، وإذا لم يعرف ربّه لا يمكنه أن يشهده بقلبه إلاّ مخلوقاً حادثاً ، فإن شهده على أنه ربّه فهو من الكافرين - نعوذ بالله - فالواجب عليه أن يشهد شيخه ويتصوّر صورته حتى يستمدّ من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه المستمدّ منه تعالى ، ويبقى على ذلك حتى يحصل له الفتح الإلهي ، ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربّه هو الأكمل ، ولكن نعلم عن يقين علماً ذوقيّاً وجدانيّاً بحسب ما كنّا عليه أن هذا لا يمكن للمريد في ابتداء سلوكه أبداً بالضرورة ، فإنّ جميع الخواطر والمقاصد لا تقع إلاّ على مخلوق حادث ؛ يعرفه العارف ويجهله الجاهل ، وذلك المخلوق الحادث

هو الربّ عند الجاهل ؛ لعدم معرفته ، ولا عذر في الكفر ، **فيجب عليه اتخاذ الوسيلة** ليفرق بين الحادث المقدور على إدراكه ؛ والقديم المعجوز عن إدراكه ، فرقاً شهوديّاً ذوقيّاً ؛ لا خياليّاً !

ثم بعد ذلك يسقط الواسطة . ولهذا قالوا : (**من لا شيخ له فشيخه الشيطان**) . ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر ، حتى يتّخذ له شيخاً متخلّقاً بأخلاق الرحمن ، قال الله تعالى ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾** ﴾ انتهى .

مطلب

وقال القيوم الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قدّس الله سرّه في المجلد الأول من كتاباته الفارسية ما هذا ترجمته :

اعلم أن المقصد الأقصى ، والمطلب الأسنى الوصول إلى جناب القدس جلّ وعلا ، ولما كان الطالب في الابتداء - بواسطة تعلقات شتى - في غاية التدنس والتنزل ، وجناب قدسه تعالى في كمال التقديس والتنزيه ، والمناسبة التي هي سبب الإفاضة والاستفاضة بين الطالب والمطلوب مسلوبة ، فلا جرم أنه لا بدّ من مرشد كامل بصير بالطريق يكون برزخاً ، ويكون له حظّ وافر من الطرفين ؛ حتى يصير واسطة لوصول الطالب إلى المطلوب ، وبقدر ما يحصِّل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين ، ومتى حصل للطالب المناسبة التامة خرج المرشد من البين بالكلية ، وأوصله إلى المطلوب من غير توسّطه ، ففي الابتداء والوسط لا يمكن شهود المطلوب دون مرآة المرشد ، وفي الانتهاء يتجلّى له جمال المحبوب دون واسطته ، ويحصل له الوصل

العريان ، والذي قال : لو خطر المرشد في ذلك الوقت لقطعت رأسه من جسده من الجنون ، فإن أرباب الاستقامة لا يقولون ذلك ، ولا يسيئون الأدب هنالك ، بل يطلبون مراداتهم من بركات المرشد . انتهى من « زبدة الوسائل الفاروقية وعمدة المسائل الصوفية » ، أعني : معربات العارف الكبير الشيخ يونس بن عبد الرحمن الكردي الإيراني نزيل دمشق الشام قدّس الله سرّه .

وقال القطب العارف[1] من بحر حقّ اليقين ابن عطاء الله الإسكندري ، والإمام تاج الدين الشاذلي قدّس الله سرّه في كتابه « مفتاح الفلاح » في آداب الذكر : قالوا - يعني المشائخ - : وإن كان ، أي : المريد ، تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيه ، فإنه رفيقه في طريقه ، وهاديه ، وأن يستمدّ أول شروعه في الذكر من همته ، معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبي ﷺ ؛ لأنه نائبه . انتهى . نقله الدوسري في « الرحمة الهابطة » .

التصور والتصوير

وقال العالم الإمام ، والفاضل الهمام ؛ مولانا الشيخ أحمد سعيد صاحب زاده المجددي قدّس الله سرّه في كتابه « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » الذي ترجّمه من اللغة الفارسية حفيده العارف المحقق مولانا محمد معصوم نجل الشيخ عبد الرشيد العمري المجددي قدّس الله سرّهما ما نصه :

اعلم أن التصوير في الشريعة المحمدية ممنوع ، والتصوّر محمود ، والمنع من التصوّر ما وجدناه في كتاب قطّ ، بل حصول العلم بأسرها موقوف على التصوّر ، كما لا يخفى على الأذكياء ، **وفي حفظ صورة**

---

(١) وفي نسخة : الغارف .

الشيخ حال الذكر عين حكمة التذكير ، لأنّ المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة ، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ .

وقال المحقق الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالته :

الرابع : أن يستمدّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ، ولو نادى شيخاً بلسانه في الاستعانة جاز . انتهى .

قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي : إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدّ منه ، إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ ، إلى الحضرة النبوية ، وقلب النبيّ ﷺ دائم التوجّه إلى الحضرة الإلهية ، فالذاكر إذا صوّر صورة شيخه في قلبه تفيض الأمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيّد المرسلين ، ومن قلب سيّد المرسلين على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على قلبه استعمال الآلة ، **إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على وجه الذي يؤثّر ويقع محصلاً للغرض ، وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر** ، قال ﷺ : « الذكْرُ سَيْفُ اللهِ » ، ولكن ليس للسيف ضارب إلاّ لقوة مستفادة من حضرة بنيّ السيف ، فإذا استمدّ من شيخه جاءه المدد ، لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه ، هو استمداده من النبي ﷺ ؛ لأنه نائبه . انتهى من عينه .

وقال نور سلالة الهاشمية الكامل السيد مشيخ بن السيد صادق باعبود الباعلوي قدّس الله سرّه المتوفى سنة سبعين ومائة وألف في رسالته « النفحة المحمّدية » في الباب الثاني منها ما نصّه :

فإن حصل للمريد فتور ! ! فليجدِّد الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالتجلي الذاتي ، فإن رؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تفيد فائدة الذكر ، وصحبته بموجب « هُمْ جُلَسَاءُ اللهِ تَعَالَى » تنتج صحبة المذكور ، وإذا تيسّرت صحبة مثل هذا العزيز الوجود ، ورأى المريد أثره في نفسه ؛ فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر المذكور ، وإن لم يحصِّل لمريد من صحبة ذلك الشيخ أثراً في نفسه ؛ ولكن حصل له محبّة وانجذاب إلى الله تعالى ! فينبغي للمريد أن يحفظ صورة شيخه في الخيال ، ويتوجَّه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل له الغيبة والفناء عن النفس . انتهى .

وقال العالم الإمام الكامل الهمام ؛ الشيخ محمّد بن سليمان الحنفي البغدادي في كتابه « الحديقة الندية والبهجة الخالدية » عند بيانه طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند الأئمة النقشبندية ما نصّه :

الطريقة الثانية : الرابطة ؛ وهي : طريق مستقل للوصول ، وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية ، وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ، فرؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تحصل بها الفائدة ، كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » ، ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح .

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة ، يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب : « المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ » فبحفظه الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله .

وقيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله تعالى ، وإن وجد في

استحضار الصورة سكراً وغيبة يترك الالتفات إلى الصورة ؛ فيكون متوجّهاً إلى ذلك الحال ، كما نقل في مقامات الإمام نقشبند قدّس الله سرّه : أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة ، وكان يوماً في مجلسه متوجّهاً إلى الصورة ؛ فوجد أثر الغيبة ، وما التفت إلى الغيبة ، فقال حضرة الخواجه نقشبند : خَلْني ، وكن متوجّهاً إلى تلك الغيبة ؛ لأنّ زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمّونه **زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم . انتهى .**

آداب هذا الطريق ثلاثة

قلت : ومما يرشح هذا أيضاً ما نقله الإمام العارف الخواجه صلاح بن المبارك في كتابه « المقامات البهائية » ؛ عن قطب البلاد وغوث العباد ؛ صاحب العَلَم والبَنْد ؛ مولانا وسيدنا الشيخ محمّد بهاء الدين المعروف بشاه النقشبند قدّس الله سرّه أنه كان يقول : **الطريقة كلها أدب ، وشرط طالب هذا الطريق ثلاثة** آداب :

أدب بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى ، وأدب بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ ، وأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريق .

أما الأدب الذي بالنسبة إلى الحق تعالى ! فهو أن يكون في الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضاً عن السوى بالكلية .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ ! فهو أن تدخل نفسك بالكلية إلى مقام ﴿ **فَٱتَّبِعُونِى** ﴾ ، وتُرَاعِيَ ذلك في جميع الأحوال على سبيل الوجوب ، وتعلم أنه واسطة الحق تعالى في جميع الموجودات ، كلّ شيء وكلّ أحد منطرح على أعتاب عزّته .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى مشائخ الطريقة ! فهو واجب ولازم

على الطالبين ، لأنهم - رضي الله تعالى عنهم - بواسطة متابعة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق ؛ فينبغي للمريد أن يكون في الغيبة والحضور مراعياً لأحوالهم ، مقتدياً بهم ، متمسكاً بأزيالهم . انتهى .

الخلوة

وقال المحقق الهمام ، والمدقق المقدام ؛ قطب العارفين سيدي الشيخ زين الدين الحافي قدّس الله سرّه في كتابه « الوصايا القدسية » ما نصه :

والثاني : دوام الخلوة ، يدخل فيها كما يدخل في المسجد ؛ مُبَسْمِلاً ، مستعيناً من أرواح المشائخ بواسطة شيخه ، مخلصاً لله ، منقطعاً عما سواه إليه ، بجعل الخلوة كأنها قبره يدخل فيها ؛ ذاهباً إلى الله تاركاً ما سواه بقلبه أيضاً ، ويقعد مربعاً ، أو كما يقعد في التشهد ، أو محتبّياً ؛ حَسْبُمَا يستريح قلبه دون تألّم الأعضاء المشوِّش للقلب ، متوجّهاً إلى القبلة ، غير مستند إلى جدار الخلوة ؛ ولا مُتَّكِئ ، مطرقاً رأسه تعظيماً ، مغمضاً عينيه ، ملاحظاً قوله تعالى : « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي » ، ثم جعل خيال شيخه بين عينيه ، فإنه رفيقه في طريقه وهو بمعناه وروحانيته ، فإنَّ من هو **شيخ حقيقة فلروحانيته رفيقية متعلقة بروحانية كل واحد من مريديه؛ ولو كانوا ألوفاً** ، ثمّ قال بعد كلام :

والسابع : دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ، ويكون في اعتقاده : أنّ هذا المظهر هو الذي عيّنه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة عليّ ، ولا يحصل لي الفيض إلاّ بواسطته ؛ دون غيره ، ولو كانت الدنيا من المشائخ مملوءة ، **ومتى ما يكون في باطن المريد تطلّع إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة**

الوحدانية ، فالإنسان في الجهات ، وله بدن وروح ، والله سبحانه تعالى منزّه عن الجهات ، في حكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحقّ الذي ليس في الجهة ؛ أنْ عيّن للبدن الإنساني المركّب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون توجّهه من تلك الجهة الواحدة إلى الحضرة الواحدية ؛ وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان ، وعيّن للروح الإنساني الذي هو مهبط أنوار الصفات الإلهية جهة واحدة يكون توجّهه إليه تعالى من تلك الجهة ، وتلك الجهة هي روحانية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في عالم الأرواح ، وكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة ؛ لا يحصل التوجّه إلى الله تعالى إلاّ باتباع رسوله والتسليم له ، وربط القلب بنبوّته ، وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى ، دون غيره من الأنبياء ، وأنهم وإن كانوا أنبياء الله **وكلهم على الحق ؛ ولكن لا يحصل من الله تعالى فيض إلاّ من ارتباط القلب بمحمّد** ﷺ ، فبتوجّه البدن إلى الجهة الواحدة ، وبالتوجّه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للإنسان استعداد استفاضته من الحضرة الوحدانية .

ومن ههنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلّق بالاستفاضة شرط ، وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشائخ في كتبهم : « إن الشيخ في قومه كالنبي في أمته » ، **فلا بدّ للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ، ويتحقق أنّ الفيض لا يجيئ إلاّ بواسطته** ؛ وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين ، يعتقد[1] بهم كلهم ويدعو لهم ، لكن استمداده الخاصّ واستفاضته يكون من روحانية شيخه وحده ، ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، فإنّ شيخه متعلق مستمدّ بشيخه ، وشيخُه أيضاً ، هكذا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حقيقة وهو من الحق جلّ اسمه . هكذا جرت سنة

(١) وفي النسخة : يقتديهم .

الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل هو أصل الأصول ، ولهذا بالغ المشائخ قدّس الله أرواحهم في رعاية هذا الشرط ، حتى قال نجم الدين قدّس الله سرّه : أنه كالأستاذ بالنسبة إلى الأدوات في صنعة المرآة ، وكما أن المطرقة والسندال والمنفخ والنار وغيرها إذا جمعت ولا يكون ثَمَّة أستاذ يصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة ؛ كذلك الشرائط السبعة (الجنيدية) للخلوة لا يتصفّى بها مرآة القلب بدون ربط القلب مع الشيخ ، **وقد جرّبناها فوجدناها كما قال قدّس الله سرّه : وأكثر المريدين إذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون إلاّ من هذا الجهة ، أعني : عدم ربط القلب بالشيخ ، بالتسليم والإذعان ، والمحبة الصادقة** ، والامتنان . والاعتراض يسدُّ باب الفيض . انتهى .

مطلب مهم

الرابطة بلا ذكر توصل إلى الله ، والذكر بلا رابطة لا توصل

وقال العالم الباهر ، والعامل الفاخر ؛ الخواجه محمّد باقر بن شرف الدين الحسيني العباسي اللاهوري ؛ في كتابه « كنز الهدايات » نقلاً عن قطب دائرة العلوم ، ومركز إحاطة المنطوق والمفهوم ، منار الأولياء ، العروة الوثقى ، شيخ مشائخنا مولانا وسيدنا الخواجه محمد الفاروقي المجددي المشهور بالإمام معصوم قدّس سرّهما ما هذه ترجمته :

مدار الوصول إلى درجة الكمال مربوط برابطة المحبة للشيخ المقتدى به ، فإن الطالب الصادق من طريق محبّة شيخه يأخذ من باطنه الفيوض والبركات ، وينصبغ ساعة فساعة بلون الشيخ ، وبتلك المناسبة المعنويّة قالوا : **الفناء في الشيخ مقدمة الفناء الحقيقي** ، والذكر المجرّد عن الرابطة المسطورة ، وعن الفناء في الشيخ ليس موصلاً ، وإن كان الذكر من أسباب الوصول ، ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ ، والفناء فيه .

نعم ، هذه الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة وتوجّه الشيخ والتفاته من غير التزام طريق الذكر موصلة ،

وأما في السلوك والتسليك الاختياريَّيْن المربوطَيْنِ بطريق آخر ! فمدار الأمر في ذلك على الوظائف والأوراد والأذكار ، وابتناء المعاملة

على الرياضات والأربعينيات ، فليس للطالبين رجوع إلى شيخ الطريقة بتلك المثابات .

وأما في هذه الطريقة التي هي طريقة الصحابة الكرام عليهم الرضوان ! فالإفادة والاستفادة انعكاسيان ، فيكفي في ذلك صحبة الشيخ المقتدى مع رعاية الآداب .

مهم أيّ مهم

وأمّا وظائف الأذكار والطاعات فمن الممدّات والمعاونات ، **وقد كانت صحبة خير البشر صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشرط الإيمان والتسليم والانقياد كافِيَةً في حصول الكمالات** ، ولأجل ذلك صار الوصول في هذه الطريقة أقرب ، وتساوت في أخذ الفيوض والبركات من الشيخ الكامل الصبيانُ والكهولُ والشيوخُ ، والأحياء والأموات ، والرياضة في هذه الطريقة العالية المتضمّنة اندراج النهاية في البداية إنما هي **اتباع السنّة السَنِيَّة ، واجتناب البدعة غير المرضية . انتهى .**

وقال الإمام العالم المحقق ، الهمام العامل المدقِّق ؛ تفتازانيُّ أوَانِهِ ، جرجاني زمانِهِ ، ضوء الشمس والقمر ؛ الشيخ نعمة الله بن عمر في رسالته التي ألّفها في زمان دولة ساكن الجنان ، المرحوم السلطان سليم خان ، لإسعاف العارف الإمام ، والعلاّمة الهمام السيد أحمد المدني الشهير بجَمَل الليل المسمّات بـ « الرسالة المدنية في طريقة السادة النقشبندية » ما نصّه :

فإن خطر في قلب المريد صورة الشيخ في أثناء الذكر بسبب كثرة المحبّة له ؛ فليجعل صورته أيضاً في القلب لأنه يضمحلّ ويمحو بسبب غلبة الذكر الإلهي ويبقى الذكر فقط ، ثم يحصل فيه الحضور والنسبة الذاتية بسبب التوجه إليه . فهذه النعمة منوطة بكثرة الصحبة مع الشيخ

وبالرابطة له ، فلا يفارق عن صحبته إلاّ بإذنه .

وإذا تأمّلت مجرّد ذكر القلب لا يعدل عليه الشيء ، فهذه النعمة ستحصل بالمحبّة بين المريد وشيخه من الجانبين ، **لأنّ الفناء في الشيخ مقدّمة على الفناء في الرّسول عليه السّلام ، والفناء في الرسول عليه السّلام مقدّمة على الفناء في الله والبقاء بالله** . انتهى .

وقال العالم العامل ، والإنسان الكامل ، صاحب التأليفات العديدة ، والتصنيفات المفيدة ؛ التي هي تفوق عن المائة والثلاثين تأليفاً ؛ كما نصّ على ذلك هو بخطّه ؛ مولانا الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي في كتابه « مرآة العرفان ولبّه » شرح رسالة « مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » للشيخ الأكبر قدّس الله سرّهما ؛ بعد ذكر كيفية قطع صفات النفس السبعة في الطريقة النقشبندية ما نصّه :

وقطعها في بعض الطرق بالتنقل في الأسماء السبعة ، وفي بعضها بتوجه الشيخ للمريد كطريقة الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه الأفخر ، وفي بعضها بنظر الشيخ للمريد نظر محبّة كطريقة سيّدي الشريف العلوي ، والقطب النبوي السيد أحمد البدوي قدّس الله تعالى سرّه ، وفي بعضها بفيضان العلم بالمحاذات التامة الصحيحة ؛ كالطريقة الأحمدية والخالدية ، فيمتلئ المريد علماً بالمحاذات ؛ وإن لم يسمع ما يقوله الشيخ ، كما كان يقع وقت حضور درس العلم عند شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ خالد ضياء الدين ، فكنت أَسْتَغْرِقُ في حضرته لا أسمع ولا أرى ، وعند حضوري إلى المدرسة البدرية في دمشق المحمية يسألني بعض العلماء عما قرّره الشيخ في الدرس ؛ فأجد ما قاله وزيادة في حفظي ، فأقرِّر له

ذلك ، فيتعجب . انتهى .

وقال العالم العارف علي بن عبد النبي العشاقي في رسالته « الحبل المتين الموصل للطالب إلى رضا ربّ العالمين » مانصّه :

الطريق الثالث : الرابطة ، **وهي : أن يربط السالك قلبه إلى مرشد كامل ، عالم عامل** ، ويكون كامل المحبة تام الإخلاص والانقياد له ، فإنه رفيقه ودليله ، والهادي له إلى الحق ، والسالك يُطْلَب منه أن ينقاد إليه ، ولا يعترض عليه بما لا يظهر له سرّه ، فإنّ ملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر - على نبيّنا وعليهما الصلاة والسّلام - وحالهما ، فلا ينبغي له أن يعارضه فيما ظهر له حتى تلوح له الحكمة منه ؛ على أن الشيخ الكامل بسبب علمه وعمله وقرب منزلته عند الله تعالى بمنزلة البحر ، فلا يتكدّر بشيء . وأما المريد ! فهو كالحوض الصغير يتكدّر ويتغيّر بأدنى الشيء ، فلا يستنكر صورة مّا من الشيخ ، بل يسلّم له جميعَ ما يصدر منه ، حتى يكشف الله تعالى له عن سرّ ذلك وسببه ، ومتى ظهر السبب بطل العجب .

ولا بدّ للسالك أن يقدم أستاذه على أبيه ، ويحبّه فوق محبة أبيه ، وقد قال بعض الفضلاء : **حق الأستاذ آكد من حق الوالد ، فإن الوالد وسيلة إلى وجود صورة الإنسان ، والأستاذ وسيلة إلى التحقق بحقيقة كمال الإيمان** . انتهى .

وقال العلامة المتبحر الشهاب أحمد بن حجر المكي الهيتمي في شرح « الهمزية » عند قول الناظم :

وَاملأ السَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يـمْـلي   هَـا عَـلَـيْـكَ الإِنْـشَـادُ وَالإِنْـشَـاءُ

ما نصه : فإنها تحدث للسامع سكراً ورائحة وطرباً ، وتحرِّك

النفسَ إلى جهة محبوبها ، فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيُّلُ المحبوب وإحضاره في الذهن ، وقرب صورته من القلب واستلاؤها على الفكر ، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وألذّ من عناق الشواب . انتهى .

أقول : وقد جرى على ذلك أيضاً الإمام الكبير والمفسّر الشهير الشيخ سليمان الجمل ، في حاشيته « الفتوحات الأحمدية على متن الهمزية » عند قول الماتن البيت المذكور بما نصّه :

أحدهما : أنها في نفسها توجب لذة قوية ، **الثاني :** أنها تحرّك النفس إلى جهة محبوبها ، فيحصل الميل للمحبوب وإحضاره في الذهن ، وقرب صورته من القلب ، واستلائها على الفكر ، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وأقوى من لذّة عناق الشواب . انتهى . وناهيك بهذين الإمامين من حجّة وأيّ حجّة ! فإنّ من تأمّل تقريرهما بعين الإنصاف ظهر له أنهما كماء نيسان[1] لأولياء الرابطة الشريفة في قلب الصَدَف ، وكما

---

(١) من الأمثال المشهورة (ماء نيسان يحيي الإنسان) وهو ينبت اللؤلؤ في الصدف .

وأيضاً : فقد ذكر شيخنا الجليل ، القاضي الشرعي النبيل ، أستاذنا السيد الشيخ محمد مرشد عابدين حفظه الله وأمتع بحياته في كتابه « الأدعية والأوراد والذكر » ما نصُّه :

في كتاب « الدور العالي شرح إرشاد المتجلّي عن سنن النبي العالي » للشيخ عثمان وهبي الفونبوي عنوان :

فائدة جليلة في ماء نيسان : نَسيان (بالفتح) : سابع الأشهر الرومية ، محسوب من تشرين الأول ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : بينما نحن جلوس ذات يوم ؛ إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فقال : « ألا أعلِّمكم دواءً علَّمني إيّاه أخي جبريل عليه السلام ، حيث لا تحتاجون معه إلى طبيب » ! فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان الفارسي وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : فما ذلك الدواء يا رسول الله ؟ ! فقال لنا : « تأخذون من ماء نَيسان ، ويقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرَّة ، وآية الكرسي سبعين مرَّة ، وقل يا أيّها الكافرون سبعين مرّة ، وقل هو الله أحد

يحصل في قلب الأفاعي لمنكريها ممن صدّ عنها وصدف ، فلا تغفل .

وقال العالم الرباني ، والعارف الصمداني ؛ سيدي الشيخ محمد المفتي الخادمي قدّس الله سرّه في رسالته العلية في آداب الطريقة ، عازياً إلى « التاجية » بما نصّه :

إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء ذكره تفرقة ، أو وسوسة ، أو قبض ؛ فيغتسل بالماء البارد ، أو يتوضّأ ويصلي في خلوته صلاة الحاجة ، ويستغفر ويدعو ، ويتوجّه لحاله ، وإن لم يندفع ! فيتخيل صورة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، أو صورة شيخه . انتهى .

قال العالم الإمام ، والكامل الهمام ، المحقق البياني ، وحياة سرّ روح المعاني ، مفتي الأنام المستمدّ من الفيض القدوسي[١] ، خاتمة المفسّرين ، أبو الثناء الشهاب محمود الآلوسي في كتابه « الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد » مستطرداً من بحث يتعلّق بنفي الخواطر عند قول الناظم :

وَمَنْ قُدْوَةُ التعْرِيفِ وَالكَشْفِ بَعْدَهُ وَمَـنْ لأَبَالِيـسِ المَـخَـايِـلِ طَـارِدُ

ما نصّه : وأما خاطر الشيخ ! فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب ؛ مشتملاً على كشف معضل وحلِّ مشكل ،

سبعين مرَّة ، وقل أعوذ بربِّ الفلق سبعين مرَّة ، وقل أعوذ بربِّ الناس سبعين مرة ، و(سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليِّ العظيم) سبعين مرَّة ،ويصلِّي على النبيِّ ﷺ سبعين مرَّة ، ويشرب من ذلك الماء سبعة أيام متوالية بكرة وعشيَّة ، والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ؛ لقد أخبرني جبريل عليه السلام عن الذي يشرب من ذلك الماء أنه يذهب كل داء من جسده ، ويخرج الأذى من عروقه وأعضائه وعظامه ، وإن كان به صداع ، وإن كان به وجع العين ؛ يقطر فيه من ذلك الماء . وإن شربت منه امرأة عقيمة حملت بإذن الله تعالى » . انتهى .

(١) وفي نسخة : القدسي .

في وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ ، وذلك داخل تحت الخاطر الحقّاني ، **لأنّ قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب ، وكل لحظة يصل إمداد فيض الحقّ سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ** .

أسباب نفي الخواطر

ثمّ قال بعد كلام : **ولنفي الخواطر أسباب كثيرة** .

منها : إحضار صورة الشيخ على الوجه الذي سمّوه بالرابطة ، قيل هو من أعظم الأسباب ؛

ومنها : إدامة النظر إلى شيء واحد ، فإن ذلك يورث الذهول وفيه سدّ لباب الخطرات ، إلى غير ذلك . انتهى .

قلت : فانظر إلى هذا التحرير من هذا الإمام النحرير ، ومن تأمّل ذلك وتحقّق ما هنالك أسقط ما وقع من سؤال نجله ، وتبيّن له حقيقة انحرافه وميله ، وعلم أنّ ذلك ما هو إلاّ نزغة وَهَّابِيَّة ، وتسويلات غير مرضية ، وحسبك دليلاً على تخطئته ، ولو رجع إلى أقوال والده قدّس الله روحه لكان في غنى عن السؤال والجواب ، والظاهر أنه لم يحط به علماً ، وأغرب من هذا كلّه صدور ذلك السؤال بهذا التعبير من مثل هذا الماجد إلى أمير « بهوبال » الذي شذّ عن مذاهب الأئمة ، وذهب إلى الحجاز معرضاً عن زيارة شفيع الأمة ، كما أفاده الإمام الهمام المولوي عبد الحقّ الكنهوري في كتابه « تذكرة الراشد بردّ تبصرة الناقد » في ردّ على تلفيقات صديق حسن خان . ومن كان في ريب من حقيقة حاله ، وهو لما بيّناه جاحد ؛ فليرجع إلى الكتاب المذكور ليكون بشأنه خبيراً بصيراً وكفى بربّك هادياً ونصيراً .

وقال الإمام المحدّث الشاه أحمد وليّ الله الدِّهلوي في رسالته « القول الجميل » ما يناقض ما نقله عنه صاحب التاج المكلّل من الرسالة

المذكورة أيضاً في موضعين ، فلا بأس بإيراد شيء منها ، ليكون المطلع على بصيرة ، ويتَّضح له الرشد من الغيّ . وهذه عبارته :

شرط الرابطة

وثالثها الرابطة بشيخه ، **وشرطها** : أن يكون الشيخ قويّ التوجّه (دائم الباد داشت)[1] أي دائم الحضور مع الله تعالى . فإذا صحبه المريد خلّى نفسه عن كلّ شيء إلاّ صحبته ، وينتظر ما يفيض منه ، ويغمض عينيه ويفتحها ، وينظر بين عيني الشيخ ، فإذا أفاض شيء فليتّبعه بمجامع قلبه ، وليحافظ عليه ، وإذا غاب الشيخ عنه تخيّل صورته بين عينيه بوصف المحبّة والتعظيم ، فتفيد صورته ما تفيد صحبته .

سمعت سيّدي الوالد يقول : يجب على السالك إذا كان على هيئة وحصل له شيء من هذا المعنى أن لا يغيّر عن تلك الهيئة ، فإن كان قائماً لا يقعد ، وإن كان قاعداً لا يقوم . انتهى بحروفه .

قلت : وقد شيّد أركان هذا التقرير نَجْلُهُ[2] العالم المحقق ، والعامل المدقق ، محدّث الديار الهندية ، وصاحب « التحفة الأثنى العشرية » المفسِّر الوجيز ؛ مولانا الشاه عبد العزيز قدّس الله سره ، كما نقله عنه الفاضل الشيخ صادق المدارسي الهندي في زوائده الواقعة على « القول الجميل » بما نصّه :

فالحقّ أنّ هذه الطريقة أقرب للمريد ؛ ولو لم يكن هو صاحب علم وفهم ، فيتصرّف فيه شيخه بمزيد محبّته فيه ورابطته معه ، لأنه قال مشائخ الطريقة : **كن مع الله ، وإن لم تكن كن مع من كان مع الله** ، وقال تبارك وتعالى في كلامه المجيد ﴿**كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ فيها إشارة إلى الرابطة بشيخه إذا كان الشيخ كاملاً واصلاً للشهود الذاتي ، **فيحصل بتوجّهه في**

---

(١) للاستزادة ؛ انظر « طبقات الخواجكان النقشبندية » .
(٢) أي : ابنه .

أقرب زمن بأسهل طريق ما لا يحصل في الزمن الطويل بعد كلّ صعب . انتهى . **فانظر** رحمك الله إلى هذا الكلام من هذا العالم الهمام .

وإذا تأمّلت هذا المقال ، وأمعنت [النظر] فيما قال ؛ أسقطت ما تورّك عليه صاحب « التاج المكلل » ، وعدلت إلى القول الثاني وهجرت القول الأول ، ونحن إن أخذنا بكلامه وعملنا بمقصده ومراده نأخذ بالثاني ، وإلاّ ! فلا . فتأمّل .

وقال الإمام العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة الأردبيلي شارح « المشكاة » في « رسالته المكية » ما نصّه : **الشرط السابع :** دوام رابطة القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه من جهة الإرادة التامة ، لأنه الرفيق في الطريق . قال الله تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ** ﴾ وَقال تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ** ﴾ .

مهم وأيّ مهم

ثمّ قال : **فصل** : على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيّزة بموضع دون موضع ، وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ ، وإن كانت تفارقه شخصيَّتها ! والبعد إنما يتعلق بالمريد ، فإذا تذكّر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه فتعلّق به قلبه فاستفاد منه ، وإذا احتاج المريد الشيخَ ليحلّ له إشكال واقعته ! يستحضره بقلبه ، ويسأله عما يشاء ، هذا لا بلسان الظاهر ، بل بلسان القلب ، فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال ، وإنما تيسّر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ، ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب ، وينفتح له طريق القرب إلى الله تعالى ، فيجعله محدّثاً . انتهى . نقله الإمام الدوسري قدّس الله سرّه في « الرحمة الهابطة » .

تعلق المحبة

وقال الإمام الأوحد ، والعالم المفرد ، المحقق السري ، سيدي الشيخ حسين بن أحمد الخالدي الدوسري قدّس الله سرّه في الرسالة المذكورة ما نصّه :

اعلم أيها الأخ ؛ وفّقك الله لسلوك الصراط المستقيم ، وعصمني وإيّاك من الشيطان الرجيم :

أن الرابطة عبارة عن تعلّق القلب بشيء على وجه المحبّة ، وهذا التعلّق تارة يكون محموداً ، وتارة يكون مذموماً ، وتارة يكون مباحاً ، لأنه لا يخلو ؛ إما أن يكون مأموراً به ، أوْ لا .

فالأوّل المحمود : كحبّ الله ، وحبّ رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، والحبّ في الله ، وحبّ ما يقرّب إليه .

والثاني : إما أن يكون منهيّاً عنه ، أو لا .

فالأوّل مذموم : كحبّ المحرمات والمكروهات ؛ وإن لم يترتب على المكروهات عقاب ، لأنه يترتب عليها عتاب .

والثانى : المباح ؛ كحبّ الإنسان أهله وولده بالطبع الجبليّ لا انفكاك لأحد عنه .

فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة ، فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب ، والمذموم يتضمّن الحرام والمكروه ، والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهي عنه ؛ وهو قولنا : (أوْ لا) فتعلّق القلب حاصل لكلّ إنسان ، فلو تنبّه المنكر لعلم أن ما ينكره عين ما يستحضره ، وأنّ الذي يجهله هو الذي يفعله ، بل ما يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إيّاها من إساءة الأدب مع الله تعالى ، ما لا يمكن جحده ، ولعلم أنه يتأكد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا

يشعر لشدّة سكره في غفلته ، وذلك أنه إذا كبّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام ، وأعرض عن ربّه ونسي نفسه : ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ ؛ واشتغل إما برابطة وقفه ، أو ملكه ، أو حرفته ، أو زوجته ؛ إن كانت نفسه مفتونة بها ، أو ولده ، أو تقرير مسئلة يلقيها إبليس عليه ليخرجه من صلاته مفلساً ، أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة ، فيقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو مقبل على معبوده الشهودي ، ورابطته التي هي نصب عينيه ، ويستمرّ على هذه الحال حتى يسلّم ، فإذا سلم التسليمة الأولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء والعارفون في وقت مخصوص ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة ؛ حتى يقبلوا على ربّهم في صلاتهم وذكرهم بقلب حاضر ! ! . انتهى .

وقال الشيخ الإمام ، والعارف الهمام ، أحمد بن إبراهيم بن علاّن الصديقي قدّس الله سرّه في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري رحمه الله تعالى التي أوّلها :

مَـنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَاب القوم يَدْرِيهِ وَمَـنْ دَرَاهُ غَـدَا بـالرُوح يَـشْـريـه

عند قول الناظم : (**إذا رؤي ذكر المولى برؤيته . .**) ، ما نصّه : أي إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته ، كما ورد وصف الصالحين : « الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى » ، لأنّ نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومن له ذلك فاز بالسعد والقرب .

قال ابن علوان رحمه الله تعالى :

سَعِدَتْ أَعْيُنٌ رَأَتْـكَ وَقَـرَّتْ وَكَذَا عَيْنُ مَنْ رَأَتْ مَنْ رَآكَا

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على الجدار ، وفي مقابلة ذلك الجدار جدار آخر ، فيشرق ذلك الجدار الآخر لمواجهته للجدار الذي

أشرقت عليه الشمس ، وعنده - أي الناظم - طريقة معروفة عند المشائخ ، يسمّونها **بالرابطة** ، وهي : **رؤية وجه الشيخ** ، **فإنها تُثْمِرُ ما يثمر الذكر ، بل هي أشدُّ تأثيراً من الذكر لِمَنْ عرف شرطها وآدابها** .

ومن ذلك كانت تربية النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم للصحابة رضي الله عنهم ، فكانوا يشتغلون برؤية طلعته السعيدة ، وينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدّة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحبة لا تضاهى ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة ؛ مترتبة بها يتباهى . انتهى .

وقال العلاّمة المحقق ، والفهامة المدقق ، سليل السادة الأمجاد ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب « تحفة العباد » في كتابه آداب المريد ما نصّه :

وعلامة صحّة إرادة المريد : تعلق قلبه بشيخه ، واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور حتى لا يشاهد معه من الخلق أحداً غيره ، فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السَّرْمَدِي ، وهذا الذي لا يشهده إلاّ أهل المعرفة بالله تعالى ؛ لا الغبيُّ الجاهلُ المفتون بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء الذي ليس عنده شيء من الروحانية !

قال بعضهم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى   فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

انتهى

وقال العالم الذي يبهر بفضله الرائي ؛ الشيخ إبراهيم بن عمر المنلا الإحسائي في رسالته ما نصه :

فإن لم تمكِنْه مصاحبة الشيخ ؛ لتعذّره ببعده عنه ؛ فعليه باستحضاره في خياله ، ويعتقد أنه في صحبته وحضرته ، ويتصوّر نفسه كأنها بين يديه ، ويحفظ ذلك التصوّر في خياله ، ويفني في وجود الشيخ بكليّته ،

ثمّ يتوجّه الشيخ إلى الله تعالى ، ويتكلّف ذلك ويكرّره مرّة بعد أخرى ، إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن أسرار معاني ، فيكون بالله ؛ لا بغيره ، ولا بنفسه . انتهى .

وقال العالم الراسخ الناقد ، والماجد الشامخ العابد ، ذو الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي ؛ السيد إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي في كتابه « المجد التالد في مناقب مولانا خالد » ما نصّه :

اعلم أن الرابطة هي : **عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام الشهود** ، فإن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره إلى قلب المرابط ، فإن وجد فتوراً في الرابطة ! فليحفظ صورة الشيخ في خياله ، فإنه بحفظ الصورة يتّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله ، ولها أصل من الكتاب ، وبها قال علماء الأئمة الأربعة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم ، والمنكر لها جاهل بأقوال أعلام الأمة المحمدية . انتهى ملخّصاً « نور الهداية » عبارته .

وفيه : فإن كانت الرغبة في سلوك سبيل أهل المعرفة والتوحيد ! فألق سمعك لما نتلوه عليك وأنت شهيد ، وافتح عينيك لتبصر ما نطلعك عليه من نفائس العرفان ، وما ينتج من مجالسة أعيان أهل الشهود والعيان .

قال سيّد العرب والعجم صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « إنمَا مَثَلُ الجِلَيْسِ السوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكير ، فَحَامِلُ المِسْكِ ؛ إِمَّا أَنْ يُجْدِيَكَ ، وَإِمَّا أن تبتاعَ منه ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرَ ؛ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » . رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ إن لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحه ، وَمَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ ؛ إِن لَمْ

يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ » .

قال الإمام المنذري في « الترغيب والترهيب » : رواه أبو داود والنسائي .

وهذان الحديثان الشريفان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجّه والرابطة أيضاً ، لأنّ من لفظهما ومعناهما ما هو مطابق للواقع ، فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم شبّه الجليس الصالح بحامل المسك ، ثمّ ذكر أنه يحصل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد ، واحدة مقطوع بها ، وهو وجدان الريح ، إذ لا مانع منها ، فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم « إِمَّا أَنْ يُجدِيكَ » أي : يعطيك بلا عوض ، والعطاء هنا على سبيل الإشارة : إفادة علم أو حال ؛ بتوجّه أحد أرباب الكمال ، ويكون منه هذا الفضل الموهوب للمراد الذي سبقت إليه السعادة والمحبوب :

ونظرة منه إن صحّت إليه على ... سبيل ودٍّ بإذن الله تغنيه

وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ » أي : تقدّم له عوضاً على ذلك من نوافل الخيرات وفواضل المبرّات ، وهذا شأن المريد السالك ، وقد يكون ذلك بمجرّد طلب اللسان ، أو استمداد الجنان ، فيلحظك بعين عنايته ، ويمدّك بلطائف روحانيته ، وهذا الأخذ والعطاء المعنويّان مدرك عند أهلهما بالوجدان ، فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه ولا يعوّل عليه ، إذ لا يستوي الأعمى والبصير ، كما لا يستوي حامل المسك ونافخ الكير .

وَمَن يَقُلْ لِلْمِسْكِ أَيْنَ الشَّذَا ... كَذَّبَهُ فِي الحَالِ مَنْ شَمَّا

ولله درّ قائل :

دَلاَئِـلُ العِشْقِ لاَ تَـخْفَى عَلَى أَحَدٍ كَحَامِلِ المسْكِ لاَ يَخْلُو مِنَ العَبَقِ

وأما قوله ﷺ : « وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » أي : يسري إليك من حاله ما تنتفع به ، وهذه الجملة مطابق ظاهرها ، فلعلّ التوجّه إذ هو انعكاس حاصل تارة بالفعل من غير استدعاء ، وإليه الإشارة بـ « تبتاع منه » ، وتارة بانعكاس من غير استدعاء ولا فعل ، وإليه الإشارة بـ « تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » .

وعبّر بالوجدان دون غيره من الألفاظ ! ! لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح ، وفي الحديث « تَعَلَّمُوا اليَقِينَ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ اليَقِينِ » . والجليس إما أن يكون ناطقاً ؛ أو صامتاً ، وحصول الفائدة من الصامت لا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه ، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُأُوا ذُكِرَ اللهُ » ، فإنه إذا رؤي المنسوب ذكر المنسوب إليه - لا سيما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح - فإنه يحصل بها عن القلب رفع الحجاب ، فينتقش فيه ذكر الكريم الوهّاب ، فإذا كانت رؤيتهم ومجالستهم منتجة ذكر علاّم الغيوب ؛ فالتوجّه أبلغ في حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب ، فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ، ولم يذق من شرابه السلسبيل :

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَـنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَـهُ فِيهَا نَصيبٌ وَلاَ سَهْمٌ

وهذه الكيفية عليها مدار أهل الطريق ، لأنها أقرب في إيصال المريد إلى الدرجة العليا من درجات التوحيد على التحقيق . « نور الهداية » عبارته .

وفيه : قال أحمد بن حضرويه : **القلوب أوعية** ، فإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح ، وقال أبو تراب : **ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب** . انتهى .

وإصلاح الخواطر منتجة تطهير البواطن ، وتطهير الباطن لا يتأتّى بدون توجّه الشيخ الكامل ، وتوجّهه عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصبّ ما في صدره أوّلاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيّدنا الصدّيق الأكبر لقوله ﷺ : « مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شيئاً إِلاَّ وَصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » ، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه هو الواسطة في هذه الطريقة العلية الصدّيقيّة النقشبندية المجدديّة الخالدية ، ولم تزل مشائخ هذه السلسلة الذهبية تتوارث الصبّ المذكور كابراً عن كابر إلى يومنا هذا ، لا زالت مرسومة على جبهة الدهر بأحرف نورانية تزيل عن قلوب سالكيها الحجب الظلمانية . انتهى « نور الهداية والعرفان » للشيخ محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي الخالدي العثماني شيخ السجادة الخالدية ، وقائم مقام أبيه وعمّه في دمشق الشام المحميّة . أمدّنا الله بمدده ، وأفاض علينا من بركاته . آمين .

فيكفي للمنصف ما ذكره فيه ، ولا يحتاج بعد ذلك لزيادة أقوال غيره ، لكن أردت أن أذكر هنا أسماء أكابرالسادات القائلين باستحسان الرابطة ، مع بيان كتبهم ، والإعراض عن ذكر أقوالهم بعينها ، لما أن في ذلك طول كلام ، والطول لا يحتمل هذا المختصر ، **ولا يخفى أنّ كثرة القائلين تنبئ حقية الأمر ؛ فأقول وبالله التوفيق :**

من الذين يقولون بحسن الرابطة من **العلماء الحنفيّة** العالم كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث : « من رآني فقد رآني » ؛ **ومنهم** الإمام العارف بالله عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ . وصرّح الإمام المحقق الشريف الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » ، وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين ؛ وأخذهم الفيض منها حتى بعد الموت ؛

ومنهم العالم العلاّمة مولانا عبد الرحمن الجامي قدّس سرّه في « شرح الرباعيات » وفي « النفحات » وفي رسالة توجُّه الخواجكان ؛

ومنهم العالم العلاّمة محمد بن سعيد الخادمي شارح الطريقة في رسالته النقشبندية ؛

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » ؛

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى ؛

ومنهم الإمام العارف بالله تاجد الدين الحنفي في رسالته المعروفة

« بالتاجية » ؛

ومنهم صاحب القاموس في « مقدمة البصائر » ، وقال الشيخ المحقق الإمام نجم الدين الكبري : فالرابطة بالقلب أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تتصفَّى مرآة القلب بدون رابطة القلب بالشيخ . انتهى ؛

ومنهم قدوة المحققين زبدة المتأخرين عبد الغني النابلسي شارح الطريقة في شرحه على التاجية ؛

ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني ، وله قصّة نفيسة وقعت معه ، وهي مذكورة في « مرآة الحامدين » ، فراجعه ؛

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إسماعيل حقي البروسي في عدّة كتبه وفي « التحفة الوسمية » ؛

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إبراهيم حقي الأرضرومي في « معرفة نامته » ؛

ومنهم الإمام العالم العلاّمة الإمام الرباني السيد أحمد الفاروقي السرهندي المجدد الألف الثاني في « مكتوباته » في مواضع منه . وقد ذكرنا ما قاله في موضعين فقلّبه . وكذا ابنه الإمام معصوم العروة الوثقى الحنفي في « المكتوبات » ؛

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكّي النفوس » ؛

ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » . قال فيها كلاماً نفيساً ، فراجعه ؛

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » ؛ هؤلاء من الحنفيّة .

ومن الأئمة الشافعية :

الإمام الغزالي في « الإحياء » ؛ في بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في قلب عند كلّ ركن من الصلاة ، وقد مرّ ما ذكره في كتابه « المصون الكبير » ؛

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين ابن حجر المكي في « شرح العباب » في بيان معاني كلمة التشهد ، وفي « شرح الشمائل » ، ومرّ ما قاله في « شرح الهمزية » ؛

ومنهم خاتمة المحدّثين العلاّمة الحافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحَلَك في رؤية النبي والملك » . وقال أيضاً في « كتاب المنجلي في تطوّر الوليّ » كلاماً ينبغي مراجعته وملاحظته هنا ، نقلاً عن الإمام السبكي ، فراجعه ؛

ومنهم الإمام العالم العلاّمة العارف بالله الشعراني[1] في « نفحاته القدسية » وفي « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » ؛

ومنهم العالم العلاّمة السفيري الحلبي الشافعي في شرحه على « البخاري » في حديث « ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ » ؛

ومنهم الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » . قال زين الدين الخوافي رحمه الله في « وصاياه » عند عدّه وشرحِه الشروطَ الثمانية الجنيدية قال : و**الشرط السابع** دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد

---

(١) الذي اطلع على عين الشريعة الأولى ذوقاً وكشفاً ويقيناً ، وأخذ « الميزان » عن الخضر عليه السلام ، كما صرح به في « ميزانه » . (ببلات القلژمي) .

على وصف التسليم والمحبة والتحكيم . . . إلى آخره ؛

ومنهم الإمام السبكي في « الطبقات الكبرى » وغيرهم ؛

ومنهم القطب المشهور خالد البغدادي في رسالتيه في الآداب والرابطة .

ومن الأئمة المالكية :

صاحب المختصر المشهور خليل العلاّمة الشيخ جليل من أجلّ فقهاء المالكية ؛

ومنهم الشيخ أبو العبّاس المرسي ؛

ومنهم الإمام العالم العلاّمة ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه « تاج العروس » . وقد مرّ ما ذكره في « مفتاح السعادة » ؛

ومنهم من تلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الباقي محي الدّين العربي في باب الثلاثين من « الفتوحات » ؛

ومنهم العلاّمة الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدّة مواضع فراجعه ، ففيها مهمات نفيسات ، وقد ذكرها بالتمام مؤلّف « هدية الذاكرين » ؛

ومن الأئمة الحنابلة : الإمام العالم العلاّمة شمس الدين بن القيم في « كتاب الروح » ؛

ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه ؛ قال ما معناه : إن للفقير السالك طريقَ القوم رابطة قلبية مع الأولياء ، فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً ، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الذي ليس له رابطة معهم ؛ فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب أداب المريدين مع شيخهم وغيرهم .

التصانيف في الرابطة

وقد ألّف في الرابطة العالم فصيح أفندي رسالة نفيسة ، وكذا ألّف فيها رسالة العالم الفاضل وحيد الدهر محمد فوز[1] أفندي المشهور بـ « أدرنه » مفتي السابق ردّاً للمنكر المتعصب سيد خواجه ، وكذا فيها رسالة لملا جامي ، وكذا فيها رسالة لمولانا حضرة خالد قدّس سرّه ؛ وشرح عليها الشيخ سليمان الزهدي شرحاً نفيساً سمّاه بـ « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » ، وكذا فيها رسالة لعبد الغني النابلسي ، وكذا للخادمي وغيرهم ، فراجعها .

وبسط مؤلّف « الفتاوى العمرية » ، وصاحب « الرحمة الهابطة » الكلام في ثبوتها وحسنها .

وفي « تصديق المعارف » ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ قال بعضهم : الوسيلة في الأحياء الشيخ ، والنبي عليه السلام وأهدى وأرشد ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ أي : في سبيل الله ، هذا أمر بمجاهدة الصوفية ، فافهم ، ولأنه يدلّ على تصور التوسل إلى الله ، وهذا مما عرفه العرفاء عياناً . فراجعه من سورة المائدة .

واستدلّ للرابطة مؤلف « هدية الذاكرين » بقوله تعالى : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، وقوله ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ ، وقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ، وقوله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ، وقوله عليه السّلام « تَفكَّرُوا فِي آلاَءِ اللهِ ولاَ تَتَفكَّرُوا فِي ذَاتِهِ » الحديث ، وقوله « تَفكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ وَلاَ تَتَفكَّرُوا فِي الخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُون قَدْرَه » . . .

(١) وفي النسخة : محمود فوز .

وأطال . ثمّ قال : وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه ، فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف آلائه وحبيبه محمد الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم ، وفي خلفائه وأتباعه الكاملين ! ! وقال ﷺ في حديث الأبدال : « بِهِمْ تَقُومُ الأَرْضُ ، وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ ، وَبِهِمْ تُنصَرُونَ » ، وقال : « ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ العِبَادَةِ ، وَذِكْرُ الصَالِحِينَ كَفَّارَةُ الذُّنُوبِ ، وَذِكْرُ المَوْتِ صَدَقَةٌ » الحديث ، ولا يمكن ذكر الشيء إلاّ بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال بالضرورة .

وقيل : **عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ،** قيل : هذا من كلام سفيان بن عيينة ، وقيل : حديث مرفوع له أصل ، وقال عليه الصلاة السّلام : « بجّلُوا المَشَائخَ ، فَإِنَّ تَبْجِيلَ المَشَائِخ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ تَعَالَى ؛ فَمَنْ لم يُبَجِّلْهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي » رواه أنس ، وقال : « مَن لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا[1] فَلَيْسَ مِنَّا » قال شراح الحديث : مَن لم يعظم حرمة من يؤدّبه حرم بركته ، ومن اعترض شيخه لا يفلح أبداً .

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « خَمْسٌ مِنَ العِبَادَةِ : قِلَّةُ الطعم ، والقُعُودُ فِي المَسَاجِدِ ، وَالنظْرُ إِلَى الكَعْبَةِ ، وَالنَظْرُ فِي المُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ ، وَالنَظْرُ إِلَى وَجْهِ العَالِمِ » صدق رسول الله فيما قال .

مهم

وهذه الرابطة واقعة في الصحابة من شدّة محبّتهم واتباعهم له ﷺ ، وكذلك في التابعين وأتباعهم ، ويكفي لذلك شاهداً ما حصل لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث لم يجد محلاًّ خالياً من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين أراد قضاء الحاجة البشرية ؛ فاشتكى من هذه الحالة إلى النبي ﷺ فرخّص له فيه ، وما حصل أيضاً للإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله

(١) سناً أو علماً « السراج المنير » عبارته ٣٦٢ ج٣ .

في مناجاته عند روضة رسول الله ﷺ حيث قال :

وَإِذَا سَمِعْتُ فَعَنْكَ قَوْلاً طَيِّباً   وَإِذَا نَظَرْتُ فَمَا أَرَى إِلاَّ كَا

انتهى عبارته .

وأطال في ذلك ، وقال : والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله ، والسلام على عباد الله الصالحين في الصلاة مشروعة مسنونة ، والآل كلّ تقيّ . وإذا كان في الصلاة كذلك ؛ فكيف يتصوّر كفر من أحبّ أستاذه وتخيّله في قلبه لشدّة محبّته له حالة الذكر والقراءة والصلوات الشريفة ؛ ليكون وسيلة إلى الخضوع والخشوع والحضور ، ودفعاً للخواطر والوساوس الشيطانية ، وهذا أمر مشروع مقبول ؟ ! **وأمّا تفكّر** صورة أستاذه وتخيّله واتخاذه معبوداً من دون الله واختصاصه بالعبودية ! ! أمر لا يفعله إلا الكفرة من أهل الكتاب ، **وأما تكفير من أحبّ أستاذه من حيث أنه أستاذه في الدين ! فكفر ، لأنه تكفير لأهل القبلة والدين** ، ولهؤلاء الأئمة المذكورين ، إلى أن ينتهي إلى الأصحاب حتى النبي ﷺ ، فحاشا ثم حاشا ، اللّهمّ لا هادي لمن أضللت ، ولا مضلّ لمن هديت ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك .

فيا عجباً للقائل بحرمة الرابطة وتكفير أهلها ، هل أخذ من معناها اللغوي ، أو الاصطلاحي ؟ ! أو هل وجدها في الكتب المنزلة ! فليتّق الله ، وليحذر من أن يحرّم ما أحلّ الله ، ويحلّ ما حرّم الله ، ويقع في الخطأ العظيم فيوقع غيره ويمنع الناس عن المعروف ، ثم ليتّق الله ، ولا يكفّر أحداً من أهل القبلة ؛ فيرجع عليه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ صدق الله العظيم .

والحاصل : أنه ليس في الكتب المنزلة ، ولا في الأحاديث النبوية ، ولا في الكتب المعتبرة عبارة تفيد حرمة الرابطة المعتبرة في اصطلاح

القوم ؛ لا صراحة ولا دلالة ، بل فيها إباحتها واستحبابها صراحة ودلالة ، قال البويصري :

لا تَعْجَبَنْ لِـحَـسـودٍ رَاحَ يُنْكِـرهـا   تَجَاهُلاً وهـو عَـيْنُ الحَـاذِقِ الفَهِمِ
قد تُنْكِر العينُ ضوءَ الشمْس مِنْ رَمَد   ويُنْكِرُ الـفـمُ طـعْـمَ الماءِ مِنْ سَقَم

لكن الشمس شمس ؛ وإن لم يرها الضرير .

وأما قول بعض أهل الأغراض بحرمة الرابطة وتكفير صاحبها ! ! فهو من جهله بمعنى الرابطة ، وسوء ظنّه بأهل الذكر والطريقة وأرباب الشريعة ؛ حيث أوقعه جهله وحسده وغرضه في تكفير أهل الطريقة والذكر من المشائخ والمريدين ، والأئمة من الصحابة والتابعين . فنعوذ بالله تعالى .

وأما قول القائل بأن الرابطة بدعة !! فبدعة متوعّد قائله بالخذلان[1] .

وأما تشبيه الرابطة بالصنم ، وأهل الرابطة بأهل الصنم ! ! فهذا ضلال ، ما قاله أحد من الأئمة من أهل السنة والجماعة .

وأما خطأه في بيان أدلّة النقلية والعقلية لإثبات زعمه ! ! فظاهر لأرباب الفهم ، لأن أدلّته النقلية قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ الآية ، وقوله ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا** ﴾ الآية ، وقوله عليه الصّلاة والسّلام : « وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا » الحديث ، وعدم دلالة هذه الأدلّة على حرمة الرابطة المشروعة ظاهر ، كما لا يخفى على أهل الإنصاف والنظر ، وعلى من تتبع معاني هذه الأدلة ومعاني الرابطة ، قال تعالى : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾** ﴾ ،

---

(١) وقول مؤلف « المحاسن الإرشادية » : إن رابطة الصوفية خطأ ، لجهله معنى الرابطة في الاصطلاح - كما جهله غيره من المنكرين - ، ولو علم ذلك لما قال ذلك ، بل استحسنها . (منه) .(هامش الأصل) .

وقال تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ .

رابطة الرحمن ورابطة الشيطان

وأما أدلته العقلية باللسان التركي فمعناه بالعربية : أن الرجل إذا عمل الرابطة بالشيطان يحصل له ما يحصل له من الرابطة بالمرشد وبالشيخ ، وقد أخطأ بهذا القول خطأ ظاهراً بيّناً ؛ لأنه سوّى بين رابطة الشيطان المنهيّ عنها ، وبين رابطة الأنبياء والأولياء المأمور بها ، وخالف قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وقوله ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، و قوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية .

وأما من حصل له الرابطة مع الشيطان ؛ فقد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله ، فيدخل تحت قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ .

وأما من حصل له الرابطة مع الأنبياء والأولياء فيكون من جملة حزب الله : ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ؛ لأنهم إذا رؤوا ذكر الله .

وبتلك الأدلة ظهر عدم فرقه وتمييزه بين الحقّ والباطل ، فرأى الباطل بنظر الحق ! والله تعالى أمرنا وأوجب علينا الحبّ في الله والبغض في الله ، وظهر أيضاً عدم فرقه بين الشهوة النفسانية والقوة الروحانية ، فإنه يحصل للرجل اللذة بالزنا ؛ كما تحصل بزوجته ، ويحصل الطرب باستماع الغناء وآلات اللهو ؛ كما يحصل باستماع القرآن والذكر ، وتحصل الشهوة والمحبة بملاحظة صورة الشابة الحسناء الجميلة ، وكثيراً ما

يقع به الإنزال والاحتلام ؛ كما تحصل المحبة والحضور وتأدب النفس وحياة القلب والروح بملاحظة صور الأنبياء والأولياء ، فأحد الشقَّين يردّ إلى أسفل السافلين ، والآخر يرفعه إلى أعلى العليين ، وأحدها ينعش النفس ويقوّيها ؛ وإنّ النفس لأمّارة بالسوء ، والآخر يحيي الروح والإيمان ويقوّيهما ؛ كما لا يخفى على أرباب الفهم ، ولعلّ ذلك المعترض تاب ورجع عن خطئه ، ولكنَّه كان فتنة للناس ، حيث منع كثيراً منهم عن ذكر الله تعالى ، وأوقعهم في سوء الظنّ بأهل الذكر والطريقة ، وتكفيرهم لهم ، والحال أن تكفير أهل القبلة كفر صريح ، فنعوذ بالله من الشكّ بعد اليقين ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ومن ضرّاء مضرّة وفتنة مضلّة . اللهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلى حُبِّكَ . آمين بحرمة النبيّ الأمين[1] عليه السّلام . انتهى ما قاله العلاّمة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي في « هديّة الذاكرين » فجزاه الله عنا وعن أهلنا ، فقد صرّح ما كان واجباً علينا أن نصرّحه في جواب مسائل المنكر في عصرنا هذا .

ونقل الشيخ عمر الميرطي رحمه الله في « فتاويه » ما نصه :

والثالث : محبة الشيخ الكامل ، وحسن صحبته وخدمته ، ولا يعترض عليه في شيء ولا ينكر ، ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغسال ، كما قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِى فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى عَن شَىۡءٍ** ﴾ ويرابطه ؛ وهو : عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية ، وحفظ صورته في الخيال ؛ ولو بغيبته ، ورؤيته بمقتضى « هُمُ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » .

والجليس الصالح والشيخ كالميزاب ينزل الفيض والنور من قلب

(١) وفي نسخة : الأميّ .

الرسول عليه السّلام الذي هوكالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري ، **وأما قلوب المشائخ ! فكالبحر الذي له ساحل** ، فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول عليه السّلام ، ثم إلى المشائخ ، ثمّ إلى قلب المريد بواسطتهم ، وإن وجد الفتور في الذكر ! فليحفظ صورة الشيخ في خياله بموجب ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، و« الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وقيل : **الفناء في الشيخ مقدّمة الفناء في الرسول ، والفناء في الرسول مقدّمة الفناء في الله** ، وذلك باتّصافه بصفة الشيخ وتخلّقه بأخلاقه ، **وهذا هو الطريقُ المستقلُّ للوصول إلى الله عزّ وجلّ** . « حديقة شعراني » .

الفرق بين المحبة والرابطة

إن قلت : ما الفرق بين المحبة والرابطة ؟

قلت : المحبّة ملزوم ، والرابطة لازم ، فقولنا (رابطة شريفة) من قَبِيلِ ذكر اللازم وإرادة الملزوم ، **فافهم جدّاً** ، كما قال إسماعيل حقي قدّس الله سرّه الجليل : **الرابطة اثنان : رابطة الحق ، ورابطة الطبع** ؛ فمحبة أولياء الله رابطة الحق ، ومحبة الأولاد والأهل والأقرباء رابطة الطبع . وكذا قال في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ؛ أي : من غير رابطة قرابة ، أو رحم . « روح البيان » .

قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « والذِي نَفسِي بِيَدِهِ ؛ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبَوَيْهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ والنَاسِ أَجْمَعِينَ » ، وفي حديث آخر « الآنَ كَمُلَ إِيمَانُكَ يَا عُمَر » ، حين قال عمر : يا رسول الله ؛ إني أُحِبُّك من نفسي .

روي أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ ، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ » فقال المنافقون : لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ، ما يريد

إلاّ أن نتّخذه ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى ! ! فنزلت ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه في الحقيقة مبلّغ ، والآمر هو الله تعالى ، **فعلى المرء أن يحبّ النبي ويتّبعه ويتّبع أولياء الله تعالى** ، فالاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . « روح البيان » . انتهى عبارته .

وقد نقلت منه ما بعد هذا من قبل من الأدلة الواضحة لإثبات الرابطة فلا نعيده .

وفي « الفتاوى العمرية » : وقد صرّح التصرّف والإمداد جماهير المفسّرين ؛ في قوله تعالى : ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ، أي : مَثَلَ له يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته ، وقيل : ضرب بيده في صدره فسكن شهوته ؛ فلم يقربها ، ولولا أن رآى ذلك البرهان ليحتمل أن يجامع ، كما قيل : جواب لولا في الآية محذوف ؛ وهو : لجامع . تفسير « الكشاف » .

تعدُّد صورة الولي

وإذا تحقق ولاية الولي يتصوّر في صور عديدة ؛ وليس ذلك بمحال ، لأنّ المتعدد هو الصورة الروحانية ، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى . « كتاب المنجلى » للسيوطي .

فإن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ، ويقع منهم التصرّف في الحياة وبعد الممات . حموي في « نفحات القرب » .

الروح تظهر في الدنيا في سبعين ألف صورة ، ففي البرزخ من باب الأولى . « رسالة الرابطة » لحضرة خالد .

إنّ الشيطان كما لا يتمثل بصورة النبي لا يقدر أن يتمثَّل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمه .

« فتح الباري » ، شرح البخاري ؛ عند قوله : ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ .

انتهى عبارته .

وفيه بعيد ذلك : **والحاصل :** أن تخييل صورة الشخص بين الحاجبين ، أو بين العينين ، أو بين عيني القلب ، أو في خزانة الخيال ؛ أو غيرها على اختلاف الأقوال في تعيين محل القوة المفكرة ؛ إنما يحصل ذلك بسبب فرط المحبة ، أو فرط العداوة ، أو فرط الشهوة ، وذلك موجود في جميع بني آدم ؛ حتى ترى نفسك ينزل منها المني بتخيّل صورة المحبوبة ، أو الغلام المحبوب في محلّ الخيال ، وترى نفسك أيضاً ترابط الأجنبيَّة الحسناء ، وتخيّلها بين حاجبيك حتى تجامع زوجتك كأنها الأجنبية الجميلة ؛ كما بيّن حكمته الفقهاء بأنّ تخيُّل صورة الأجنبية حالة الجماع قيل : مكروه ، وقيل : لا يكره ؛ لازدياد لذّة الجماع ، وكذا ترى نفسك ترابط العدوّ ، حتى يفرق بذلك من تجسّم صورة العدوّ بين عينيك ، فإذا كان الأمر في الأمور الظلمانية هكذا ؛ فكيف لا تخاف من الله تعالى أن تحكم بأنّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً ؟ ! حسبنا الله ونعم الوكيل .

مهم

وقد اتّفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً ، وكذا التوجّه إلى قبور الأنبياء والأولياء والتوسّل بهم والاستغاثة بهم . انتهى . ويتأدّب الزائر مثل ما لو كانوا أحياء ، **وكذا قراءة الفاتحة بعد الدعاء ،** وقول بعضهم (للنبي أو لفلان) جائز ، بل مطلوب شرعاً ، كما ثبت الزيارة إلى الروضة المطهرة ؛ بلا منكر ولا نكير ، وكذا الاستمداد والاستشفاع من روحه ﷺ ، وكذا الزيارة للخلفاء الأربعة ، وسائر الصحابة ، والاستمداد منهم ، والاستشفاع من أرواحهم ،

وتقبيل ضرائحهم للتبرك غير ممنوع « فتاوى خليلي » .

ويجوز تقبيل ضرائح الأنبياء والأولياء تبركاً « باجوري » .

الاجتماع بالشخص جائز وواقع يقظة ومناماً ، لحصول ما به الاتحاد ، وقد تقوي المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ، ومن حصّل الأصول الخمسة - أي : الاشتراك في الذوات ، وفي الصفات ، وفي الأفعال ، وفي الأحوال ، وفي المراتب - وثبت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين ، اجتمع بهم متى شاء « شرح المشارق » في حديث « من رآني . . . إلخ » .

كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في « المطالب العالية » : سألني الملك الصالح غوري بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور ؟ فكتبت له فيها رسالة ، وأنا أذكر هنا ، ملخّص ذلك الكلام فيه مبني على مقدمات ، وأطال فيها الكلام ، وخلاصته : إنا قد دلّلنا على أنّ النفوس البشرية باقية بعد مفارقة الأبدان مدركة للجزئيات ، بل هي أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه لزوال الغطاء والوطاء ، ولانكشاف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة ، فصارت العلوم البرهانية ضرورية ، وكانت تلك النفوس الروحانية تحت غبار وبخار ، فلما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلّت وتلألأت ، فحصل لها نوع من الكمال . . إلى أن قال : فإذا عرفتَ هذه المقدمات فنقول :

إنّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قَوِيِّ النفس - أي الروح - كامل الجوهر ، شديد التأثير ، ووقف هنالك ساعة تأثّرت نفسه من تلك التربة ، وحصل لنفس هذا الزائر ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقات بسبب اجتماعهما على تلك التربة ، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين وُضِعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى ،

فينعكس نور هذا إلى ذاك ؛ ونور ذلك إلى هذا ، وبهذا الطريق يصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور ، **وهذا** هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة ، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدقّ وأحقّ بما ذكرناه ، وتمام العلم بالحقائق ليس إلاّ عند الله تعالى . انتهى كلام فخر الدين الرازي ملخصاً .

وأما حديث : « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إلى ثلاَثَةِ مَسَاجِدَ » ؟! فالمراد منه : المساجد ؛ لا المقابر .

وفي الحديث : « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي في حَيَاتِي » وفي الحديث : « المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ » أي : ينعكس من مرآة قلب أحدهما إلى الآخر ما في القلوب ، فربّما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر ، كما وقع لداود عليه السّلام ؛ كما قال الله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ، وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال : كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه .

ولِهِمَّةِ أهل الله وتوجّههم وأنفاسهم ومسّهم وصحبتهم تأثير عظيم ، فمن ذاق يعرفه ، ومن لم يذق لم يعرف . انتهى . وأطال في ذلك .

وقد تكلّم واحد على كلام ذلك الإمام فخر الدين الرازي المذكور ، وعدَّ تلك الزيارة من الشرك ، وقال : وهذا سرُّ عبادة الأصنام ، وذلك مُنبئٌ على شذوذ قائله من دائرة أهل السنة والجماعة ، وبناء على هذا كتب إليّ من وقع سبباً للتأليف ؛ بأنّ الرابطة عين الشرك . فحاشا ذلك وكلاّ ! **وكلام الوهابية وأتباع ابن تيمية** يُرْمى في كل وَعْر وحَزْن ، ولا يقام لكلامهم وَزْن ، وقد ردّ النبهاني قدّس سرّه شبهات أولئك القوم في « شواهد الحق » ، فمن أراد الاطلاع فعليه الرجوع إليه ، وإلى « فتاوى الحديثية » لابن حجر « والفتاوى الكبرى » ، و« نور الإنصاف » .

وقد نقلنا منها أقوالاً شافية لمرض القلوب ، ودلائل كافية في إثبات ما أجمع عليه علماء الأمة حديثاً وقديماً في « البروج المشيدة بالنصوص المؤيَّدة » فراجعه .

قال مؤلف « الرحمة الهابطة » بعد ذكره حديث : « إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِير ، فَحَامِلُ المِسْكِ ؛ إمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ إمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً خبيثةً » ، وحديث : « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » ما نصّه : وهذان الحديثان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجُّه والرابطة ، لأنّ من ألفاظهما ومعانيهما ما هو مطابق للواقع ، كما أنهما يرغّبان في صحبة الصالحين . انتهى عبارته . وأطال في ذلك . فراجعه في ١٩١ من هامش « الدرر المكنونات » .

ثمّ قال : لأنّ الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح ، وإذا كانت الطِباع تسرقُ ؛ فمن باب أولى أنّ القلوب المنيرة تسرق وتحصل الفائدة من الجليس الصامت ، ولا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه ، ومن المعلوم أن من جالس شخصاً - سيما إذا كان الجلوس على طريق المحبة والاعتقاد - لا بدّ أن ترسم صورته في ذهنه ، فمهما تذكّره تخيّل صورته ، فإن كان الشخص من أحباب الله ! فتخيّل صورته يدعو إلى محبّته ، والشوق إليه محبوب ، فتخيل صورته محبوب ، إذ من تصوّر موصوفاً تصوّر صفاته ، فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله فتصوّره الموجب لتصوُّر صفاته المحبوبة محبوبٌ ، ولا معنى للرابطة سوى هذا ، ولا يرتاب عاقل في أن الإنسان مختار في حركاته الظاهرة وتصوّراته الباطنة ، إذ لا حجرَ عليه من جهة الشارع إلاّ إن تحرَّكَ في معصية ؛ أو إلى معصية ، وكذا إن تصوَّر فعلَ المعصية ، كمن يصوّر أنه يزني ، فهذا محظور ، بخلاف من تصوّر أنه يأتي حرثه ، فلا منع من

ذلك ، وإنّ قوله ﷺ « خِيَارُكُمْ إِذَا رُؤُا ذُكِرَ اللهُ » ، فهذا كالشرح لقوله : « أَوْ تِجِد مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » ؛ جعل مجرّد رؤيتهم محصِّلة لذكر الله ، وذلك لأنهم منسوبون إلى ذكر الله ، وإذا رأى المنسوبَ ذكر المنسوب إليه ، وهو عين الذكر ، لا سيَّما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح ، فإنه يحصل بها رفع الحجاب عن القلب ، فينتقش فيه ذكر الله ، فإن كانت مع مجالسة ! ! فهذه أبلغ من حصول الذكر ؛ بسبب انعكاس أنوار القلوب .

ولتتيقّن يا أخي وتجزم ؛ بأني لم أذكر لك جميع ذلك عن ظنّ وتخمين ، لا والذي وسعت رحمته كلّ شيء ، بل عن تجربة وتحقيق ، والشفيق يجتهد في النصيحة ، فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ؛ ولم يذق من شرابه السلسبيل :

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ   وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمُ

والحاصل : أنّ صحبة الصالحين محتاج إليها ، وقد قالوا : الرفيق قبل الطريق ، وتطهير القلب عن الصفات المذمومة كالكبر والعجب والرياء ومحبة الدنيا ونحوها فرض على كل مسلم بإجماع العلماء ، لأن جميع الطاعات يترتب وجودها والإحسان فيها على تطهير القلب ، ويكفيك قوله ﷺ : « إِنَّ فِي الجَسَدِ لَمُضْغَةً ؛ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ » الحديث ، وتطهير القلب لا يحصل على وجه المراد إلاّ بصحبة مرشد كامل . وتأمّلْ « عهود الشعراني الكبرى » يتحقق عندك صحة هذا القول . انتهى عبارته . وأطال في ذلك فراجعه في ١٩٥ ، وفي ١٩٤ من هامش « الدرر المكنونات » ج١ .

وقد أثبت فيها[١] الرابطة بدلائل من الكتاب والأحاديث والإجماع

(١) أي : في « الرحمة الهابطة » .(هامش الأصل) .

والقياس ، وأطال القال والقيل في ذلك بالبسط التام .

مهم

وقال : إنّ الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله ، **والوسائل لها حكم المقاصد** . انتهى عبارته .

وقال في آية ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ : والوسيلة بالأعمال الصالحة ، ولا تكون الأعمال صالحة إلاّ بالإخلاص ، ولا يكون العمل خالصاً إلاّ إذا خلا عن الشوائب ، وقد حصل لنا بالتجربة .

أنا إذا اشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا عن شوائب الغفلة ، والعمل في الغفلة غير معتدّ به ؛ لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ، **فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة ، وزوال الغفلة مقصود ، وما أوصل إلى المقصود مقصود** ، ومن لوازم زوال الغفلة الحضور ، وهو من أشرف الوسائل ، فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل . انتهى عبارته ٢٢٢ .

وفيه ما نصه : قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته « مدارج السالكين » :

الأدب السابع : أن يخيّل خيال شيخه بين عينيه ، وهو عندهم من أهم الآداب وآكدها .

وقال أيضاً في « البحر المورود » : اعلم يا أخي ؛ أن ربط أحدنا قلبه بشيخه حيّ أو ميّت ينفعنا ؛ ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخاً ، لأنّ ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله ؛ لا لذاته ، ومحالٌ أن يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنّه الظمآن ماءً ، ويفقد عند عبد من عباده مشهور بالصلاح حقيقة ، بخلاف الصالح له وجوه وحقيقة . فافهم .

انتهى عبارته . في ٢٦٧ ج١ .

وذكر فيها[١] ما قاله العلماء الأعلام في حقها ، وأطال وَبَسط وقال فيها أيضاً ما نصّه : **اعلم أيها الأخ** أرشدك الله ، أن الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله ، والوسائل لها حكم المقاصد . قال سيّدي الحبيب عبد الله باعلوي الحدّاد في كتابه « إتحاف السائل » : الحضور مع الله روح العبادات ، وهو المقصود منها ، وبه يعبأ المحققون ، والأعمال التي تصدر مع الغفلة يرونها إلى العقوبة والحجاب أقرب منها إلى المكاشفة والثواب ، **فالرابطة تفيد رفع** الحجاب ، ورفع الحجاب مطلوب ، وكل ما أفاد المطلوب مطلوب ، فالرابطة مطلوبة ، فقد هلك من لا رابطة له ، وكل إنسان له رابطة ، ولكن شواهد « الرحمة الهابطة » ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ .

فرابطة رسول الله ﷺ دائمة ، وأسناها وأسماها قولُه ﷺ : « لِي وَقتٌ لاَ يَسَعُني فِيه غَيْرُ رَبِّي » .

ورابطة الأولياء قوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى : « مَا وَسِعَنِي أَرْضي وَلاَ سَمَاواتي » . الحديث .

ورابطة المريدين قوله ﷺ حاكياً عن ربه تعالى أيضاً « وَجَبْت مَحَبَّتِي » . الحديث .

وهذا أمر لا يدركه الإنسان إلاّ بالذوق والوجدان ، فإن أحببت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة الهابطة ، وتكون لك على التقوى مرابطة ، فعليك بطريق الرابطة ، فإنها تعلّق القلب ، **وتعلّق القلب بطاعة الله ورسوله منتج لمحبّة الله ورسوله ، والرابطة يحصل بها زوال الغفلة ، وجمع القلب على الله** ، وذهاب القسوة من القلب ، والخشوع ، ونزول

---

(١) أي : في « الرحمة الهابطة » .(هامش الأصل) .

الرحمة ، وكل ذلك يثمر المحبّة . انتهى عبارته ، راجعه في ٢٣٠ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزأ الأول .

مهم

وكان محمد النقشبندي يفعل الرابطة إلى عبد الخالق الغجدواني ؛ وإن كان أستاذه الأميركلال ، وكان أبو يزيد البسطامي يفعل الرابطة إلى جعفر الصادق بلا رؤيته قدّس سرّه (من خط الشيخ العسلي قدّس سرّه) .

والمراد من ربط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان ، وترك الإثم والعدوان ، فإنه إذا همّ بمعصية يتمثّل له الشيخ فينزجر عن فعلها ؛ إن كان ربطه كاملاً على محبّة دائماً ، كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السّلام بقوله ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ وهو أنه مثّل له أبوه يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته ، « جامع الأصول » من خطه قدّس سرّه .

وقال مولانا جلال الدين الرومي قدّس سرّه : **كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب ، إلاّ رابطة الأنبياء والأولياء الذين أفناهم الله عنهم وأبقاهم به ، وتخلّقوا بأخلاقه** ، بل هي خارقة الحجاب ، قاطعة التعلق والأسباب ، **فالرابطة معجزة نفيسة لرسول الله عليه السلام باقية مستمرّة إلى يوم القيامة** ، وكرامة الخلفاء المرشدين الكاملين متجدّدة في قلوبهم ، وفي قلوب السالكين لكلّ وقت وحين . « مثنوي » .

حكي : أن شيخاً من الشيوخ سافر مع أحد من مريديه ، فاعترض على طريقهما ماء كالبحر ، فقال الشيخ : أنا أدخل على الماء ؛ وأقول : يا الله ، وَادْخُلْ أنت وقل أنت : يا شيخ يا شيخ . فلما بلغا وسط الماء ، قال المريد : يا الله ، فتسفّل في الماء ، فقال الشيخ : قل : يا شيخ يا شيخ ، فقال : يا شيخ يا شيخ ، فعلا على الماء ، فلما جاوزا ؛ قال :

يا شيخ ؛ ما سرّ في هذا ؟ قال الشيخ : لأنّك لا مناسبة بينك وبين ربّك في وصول الفيض منه إليك ، فما دام جعلتني واسطة وصل منه إليّ ومنّي إليك ، فلما أخرجتني انقطع الفيض فتسفّلت . « مشكاة » من خط العسلي قدّس سرّه .

ورأيت في « الإبريز » ما حاصله ومُلخَّصه هذا : إنّ مؤلِّفه قال لشيخه - يعني : القطب عبد العزيز الدباغ - ذات يوم : إني أخاف من الله من أمور فعلتُها ، فقال لي : ما هي ؟ فذكرت له ما حصل ، فقال لي رضي الله عنه : لا تخف من هذه الأشياء ، ولكن أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعةٌ ؛ ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك . انتهى راجعه في ٢١٣ .

وفيه قبيل هذا : قال في « العوارف » : وليعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله إلى جناب كرمه ، منه يدخل ومنه يخرج ، وإليه يرجع ، وينزل بالشيخ حوائجه ومهمّاته الدينية والدنيوية ، ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به في ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه ، وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة ، فلا يتصرّف الشيخ في المريد بهواه ، فهو أمانة الله عنده ، ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومَهَامِّ دينه ودنياه . انتهى عبارته .

وفي « الرحمة الهابطة » : **فإن قال الأخ المنكر** - تاب الله عليه - : قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلق القلب ، وهذا لا نقول بمنعه ، والحب في الله واجب ، ومحبة الصالحين ثابتة ، لكن أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن ؛ ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها ؟ وأنّ استحضاركم بسبب تعلق القلب ، وأنه جائز ؟

والجواب عن هذا من وجوه :

الأوّل : قولك : من أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها .

أقول : إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه ، كما حصلت لك أضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبّهناك عليه ، ولكنها ﴿**لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ**﴾ ألا ترى أنك إذا كبّرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة ، أو صدقة ، أو برابطة الحاكم ، أو الوزير ، أو الملك ، أو أهلك ، أو بكلٍّ في ركعة وسجدة ، وتنسى مَن أنت واقف بين يديه ، ولا تستحي منه ، وتنسى نفسك ، وتخرج من الصلاة ؛ ولا تدري أيّ شيء قلت ، أتنكر ذلك ! ! ما أراك تجحد ذلك ! !

الثاني : قولك : أنّ استحضاركم بسبب تعلّق القلب .

أقول : لا يخفى أنّ استحضار الشيء بسبب تعلق القلب به ، وأهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ، ولا يحصل لهم إلاّ بالتكلف ، لأنهم يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة ، ومن كان شغله نفي ما سوى الله لا جرم أنه لا يستحضر أحداً إلاّ بسبب تعلق القلب ؛ مع التكلف للفائدة التي ذكرناها ، وأنت تشهد أنّ سببه تعلق بالقلب ، ولا تكتموا الشهادة . وذلك لأنّك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك ، فإذا كبّرت للصلاة ظهرت لك صورها ؛ وصارت قبلتك التي تسجد إليها ، ونسيت ما سواها لتعلق قلبك بها واستيلائها عليه ، وانتقاشها في نفسك ، فإنه يحصل لك ، ويجوز لك استحضار المطالب وأنت محق ؛ ونحن المبطلون ، أهكذا يكون الإنصاف ؟ ما هذا إلاّ الاعتداء والخلاف .

والثالث : قولك : أنه جائز .

أقول : من المعلوم أن الأصل في الأشياء الحل ما لم تثبت به الحرمة ، **فكل شيء لم ينه الشرع عنه ؛ فهو مباح** ، **وفعله جائز** ، فحركات الإنسان وتصوُّراته المباحةُ فعلها جائزٌ ، فإن أوصلت إلى مندوب ففعلها مندوب ، فالرابطة فعلها باعتبار الأصل جائز ، وباعتبار ما توصل إليه مندوب .

الرابع : عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوّز لك سلبنا ، ولا الإنكار علينا بما لم تحط به علماً ، كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا .

الخامس : قد علم وقرّر واشتهر أنّ المصلّي يسنّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ، ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحلّ سجوده ، والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة ، وهذا من أنواع الرابطة ، أفلا تجعل تخيّل الرابطة كتخيّل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة ! ! فإنّ المقصد واحد ، إلاّ أنّ أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام ، وليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة ؛ وهي أن تعبد الله كأنك تراه .

السادس : إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً وأثبت كل منهم فائدته ، وقرّر منفعته ؛ فهل يجوز لأحد تكذيبهم ؛ مع استحالة تواطئهم على الكذب ؟ مع أن عيونهم عيون الناس أهل العلم والفضل ، وما أنت وعلمك بنسبة إليهم إلاّ كفحام عند جوهري ، أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي ، فالأولى أنّك تعترف لهم ، فإذا فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبتهم ، وإذا لم تحبّهم فلا تسبّهم . شعر :

وَإِذَا كُنْتَ بِالمَدَارِكِ غُرّاً ثُمَّ أَبْصَرْتَ حَاذِقاً لاَ تُمَارِ
وَإِذَا لَمْ تَرَ الهِلاَلَ فَسَلِّمْ لأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِالأَبْصَارِ

السابع : قد علمت أنّ أحكام الشرع لا تثبت إلاّ بدليل ، وأن يكون نصّاً ؛ لا محتملاً ، ولا عاماً مخصوصاً ؛ كـ« كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » لما يلزم عليه من الفساد ، إذ من البدعة ما هو واجب ، ولو تنزلنا وفرضنا أن عمل الرابطة لا دليل لنا عليه ؛ وإنما فعلناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة ! ! فالإنكار علينا من أيّ وجه ، وما دليله ؟ ! ولقد أصبت بقولي في الرسالة المهملة شعري :

حَسَدَ المرء والمراد مراد الله　　ما لإمرئٍ سواه عماد
ما أراد الإله إسعَاد مَمْلُو　　كٍ وأَرْدَى مُرَادَهُ الحُسَّادُ

الثامن : وهو ضرب مثل : أمر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم ، أضرُّها البطن ، حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيام بالخدمة ، وكان الطبيب حكيماً ماهراً ، وعالماً راسخاً ، وعارفاً كاملاً ، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال في نفسه : تنفيذُ هذا الأمر من أهمّ المهمّات وأوجب الواجبات ، وتعليمه لمن يتأهّل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر والمثوبات ، و« خَيْرُ العَمَلِ مَا نَفَعَ » ، و« إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ ؛ أحدها عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ . . . » .

فقصد إلى بعض المرضى ، ممن تفرَّس فيه وعرف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة وتنفيذها على وجه المراد إذا عوفي ، فعالجه حتى عوفي ، ثم علّمه الطبّ والحكمة ، وأخبره بالأدوية وخواصها ، وأعطاه دواء البطن ، وقال له : خذ هذا الدواء وانفع به الناس ، ولا تسأل عليه أجراً ، وكن محتسباً لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك ، فإنّ أحبّ

الأعمال إلى الملك عملُك هذا . فقال : سمعاً وطاعةً . فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو فإذا هو عسل أبيض ، فقال : الحمد لله ؛ فيه شفاء للناس . فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الأخ – بصّرك الله بعيبك ، ووفّقك لترقيع جيبك – ؛ فقال : ما هذا الذي عندك ؟ فقال : دواء البطن للمبطونين ، فقال : أرني إيّاه ، فأظهره له في ظرف مختوم على فيه ، فاشتمَّه من قبله ، فقال له : ما هذا دواء البطن ! هذا سمٌّ أتيت تهلك الناس به ، هذا سمّ ساعة ، فقال : يا أخي هذا عسل مصفّى ، هذا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ فذقه حتى تعلمَ ، فقال له : ما أنت أعلم به منّي ؛ ولا أعرف منّي ، من ذاق هذا هلك .

أيها الناس ؛ هذا ما أنزل الله به من سلطان . وأكثر الناس حمقى ، **وشبه الشيء منجذب إليه** ، فترك الناس التداوي به مع شدّة حاجتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور . فلا يزال يتكلّم في ذم الدواء ، والمداوي والمتداوي ، ويصدّ عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطّله عن خدمة الملك و﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ ، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ .

التاسع : من المعلوم أنا لم نبتكر شيئاً جديداً ، وإنما قلّدنا من تقدّمنا من العلماء العاملين ، والأكابر العارفين ؛ من أهل المذاهب الأربعة ، كما سترى تقريرهم الرابطة ، وكيفيّاتها ، بل أقسم أن جميع حركاتي وسكناتي في الطريقة هو ما عليه أئمة مذهبي الشافعية ، وقد استوفت كتبهم جميع ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة ، فما وجه الإنكار علينا مع اتباعنا أئمة الدين والعلماء العاملين ؛ كالغزالي والنووي ، والقاضي زكريّا وابن حجر ، والشعراني ، والمناوي ؟ ! أتظنّ أن إنكارك ما يتوجّه على أولئك السادة الأبرار ، والأولياء الأخيار ، وأولي الأنوار والأسرار ، أما تخشى محاربة الواحد القهّار ؟ ! أما علمت أن إنكار عليهم يؤول بصاحبه إلى

سوء الخاتمة ودخول النار ؟ أتظن أنّ إنكارك ظاهراً واعترافك باطناً ليس من التلبيس ومشاكلة إبليس ؟ ! ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ تنبَّه لنفسك أيها المغرور ، واخش عواقب الأمور ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ **وإنما** أوردناها نصيحة وإفادة ، وترغيباً وترهيباً ، و« لكلِّ امرِئٍ مَا نَوَى » ، ونسأل الله أن يمنّ عليك بالهداية ، وأن يجنّبك الإصرار في سبيل الأشرار .

سبب الإنكار أحد أمرين

ثم اعلم يا أخي ؛ أن سبب الإنكار أحد الأمرين ؛ لا يخلو من أحدهما كلّ منكر : الجهل ، وهو الأكثر ، وعدم العمل بالعلم ؛ وهو الأغلب على من ينتسب إليه ، فإن كنت جاهلاً يا أخي ! فلا تقف ما ليس لك به علم ، فتقع في الظلم ، ولا تقل (هذا حلال وهذا حرام) ، لتحكم بغير ما أنزل الله به ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ، وإن كنت عالماً ، فاعمل يا أخي بعلمك ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله . انتهى عبارته .

فما أحسن هذا الكلام ! ! وما أصدقه ! فلم يبق بعد ذلك لقائل منكر إلاّ الإقرار والاعتراف ، ولا لمجيب للسائل إلاّ السكوت والاكتفاء به ، فجزى الله تعالى لمؤلّفه خير الجزاء . آمين يا مجيب السائلين ، ويا أرحم الراحمين .

وفي « البهجة السنية » : **ثم اعلم** أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرّف بقوّة الولاية ، لأنّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، فبالرابطة يستفيد الشيوخ عن الصبيان الكاملين ، ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرّفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرّف ولاية

روحانية المفيض ، وتتصرّف فيه الروحانية ، وتفيض عليه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية ، وتبلّغه إلى الحضرات العلية ، سواء كان المفيض ميتاً أو حيّاً ، وسواء عرف ذلك أو لم يعرف .

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات : أن يجرد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ، ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية ، ويعري قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونية ، ثم يتصوّر روحانية ذلك الميت نوراً مجرّداً عن الكيفيات المحسوسة ، ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت ، أو حال من أحواله ، لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات ، فمن أدخل المنبع في قلبه ينال فيضه البتة .

مطلب : الرابط عند قبر الميت

وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت ! فلا بدّ أن يسلّم على صاحب ذلك القبر ، ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ، ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرّته ، ويطرق رأسه على صدره ، ثم يقرأ سورة الفاتحة (مرة) ، وسورة الإخلاص (إحدى عشرة مرة) ، وآية الكرسي (مرة) ، ويهب ثوابها لذلك الميت ، ثم يجلس عنده ، ويتوجه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة كذلك ، لقوله ﷺ : « إِذَا تَحَيَّرْتُمْ فِي الأُمُورِ فَاسْتَعِينُوا مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » فمن توجه من محله إلى روحانية النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورة يستفيض منه ، وكذلك إذا توجه أحد من محله إلى روحانية الأولياء في قبورهم ينتفع بهم ، **فالرابطة من غير توجُّه كافية في الاستفاضة** ، نعم ؛ إذا اجتمعت الرابطة مع التوجه ! فنور على النور ، لكن المدار على قوة الرابطة ، فمن داوم عليها حصل له

جميع أحوال الطريقة ، وكمالات الحقيقة ، ومن اختلّت رابطته انقطعت استفاضته ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهر له أسرار الوصول .

آداب الرابطة

وأما آداب الرابطة! فهي :

١- أن يعتقد المريد أنّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيته ، وأنّ روحانيته ليست مقيدة بمكان دون مكان ، ففي أيّ مكان يتصوّره تحضر فيه روحانيته .

٢- وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى .

٣- وأن يحفظ محبة شيخه .

٤- وأن يراعي نسبته في كل حال .

٥- وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال ؛ لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ؛ لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده .

٦- وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ، ولا يفارقها أصلاً .

ترك الرابطة

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إن لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى ؛ من غير واسطة ، فإن قدر عليه ! يجب عليه أن يترك الرابطة ، لأنّ اشتغال الرابطة حينئذ اعتبار التنزل عن الترقي ، وترجيح مرتبة الحجاب على مقام الشهود ؛ وذلك اعراض عن الله تعالى ، ولكن لا يترك محبة الشيخ ، ولا يترك نسبته ، لأنّ حفظ المحبة والنسبة يزيد المشاهدة ، ويقرب السالك إلى مقام الأنس والمحادثة .

تنبيه : قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين له : هو الذي حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى الأَتَمَّيْنِ ، ولكن هنا مزلة الأقدام ؛ لأن هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ؛ ونهايتها في بدايتها ، فربما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه ؛ فضلاً عن حصول بقائه ، فيظن كمال نفسه ، ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة ؛ فيخسر هو ومن رابطه به ، فلا بدَّ أن يشهد له بحصول الكمال ، وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان ، كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك . انتهى عبارته ٤١ .

وفي أثناء مكتوب القطب خالد شاه ما نصّه : وصرّح محققوا طريقتنا بأنّ رابطة من لم يَفْنَ عن وجوده لا تورث الفناء للسالك ، بل قد تورّطه المهالك . . إلخ . فراجع « البهجة » في ٤٢ تجد المكتوب فيه بالتمام .

وفيه : إن حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدّس سرّه لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلاّ بعد أمر شيخه له بذلك ، وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأَتَمَّيْنِ ، ومن كان كذلك ؛ فيسوغ له ذلك . انتهى عبارته ٤٣ .

وفيه : وقد قدّمنا أن حضرة إمام الطريقة المعروف بـ (شاه النقشبند) قدّس سرّه تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني[1] قدّس سرّه ، وبينهما خمسة وسائط ، وكذلك أبو الحسن الخرقاني قدّس سرّه لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدّس سرّه ، بل ولد بعد وفاته ، وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي تعالى الله عنهم أجمعين وعنّا بهم ، بل ولد بعد وفاته بزمان

(١) يعني : أنهم كانوا يرابطون أرواحهم فيربونهم بذلك ، فافهم . (هامش الأصل) .

طويل ؛ كما قدمنا ذلك مفصّلاً .

خالد النقشبندي واستخلاف مريدين

واعلم أن جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدّس سرّه خرجت روحه الزكية من الدنيا إلى المقامات العليَّة من الآخرة ؛ ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ، ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة - فيما نعلم - ، بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدمنا لك بعضه ، وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول : ما عندي مريد ، بل إسماعيل نصف مريد - يعني : جناب سيدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته قدّس سرّه - وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة ؛ مع أنه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ومنصوب مقامه . انتهى عبارته ٤٣ .

وقد استوفيت في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ما وقع لبعض خلفاء خالد قدّس سرّه إذا أمر المريدين برابطة نفسه من غير إذنه . فراجعه .

ومن هنا أمرني شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه بكتبة الكتاب لدى الشيخ موسى القراني عفى الله عنه ؛ حين سمع أنه يأمر المريدين برابطة نفسه ؛ بأن ذلك ممّا لا يجوز ، فكتبته لديه ، فترك الأمر برابطة نفسه بعده . وأيضاً كان واحد من خلفاء أحمد التلالي قدّس سرّه يأمر المريدين برابطة نفسه ، فأنكر عليه شيخنا قدّس سرّه إنكاراً ظاهراً ، ونصحه نصحاً بليغاً ، لكنَّه لم يقبل نصيحته ، بل استمرّ على ذلك ، فلم ينتج لأحد من مريديه بشيء عفى الله عنه آمين .

رابطة شيخ المؤلف

وكان شيخنا المذكور يقول : إن شيخه الحاج جبرائيل أفندي قال

له عشر مرّات : يا ولدي ؛ لا تسلّط الشياطين على المريدين بأمرك إيّاهم برابطة نفسك ! وقد قلت له : ألا يجوز لنا رابطة نفسك ؟ ! فقال : لا .

وقال لي مرة : يجوز الرابطة بنفسنا حين كان المريد عندنا ؛ لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب بمكان كنا فيه ، وأما إذا غاب المريد ! ! فلا يجوز له الرابطة بنا ؛ لأنّ الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا .

سبب رابطة الشيخ محمود أفندي

وأما سبب رابطة الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه ! ! فقد سمعت شيخنا قدّس سرّه يقول : إنه كان هو ومريدوه يرابطون بالشيخ خالد قدّس سرّه ، لكنه قال : يا أولادي ؛ حصل لي الكمال بالشيخ خالد ، والشيخ محمد النقشبند ، وحصل لي الكمال بالنبي ﷺ ، وأرى الخضر عليه السّلام دائماً ، فالآن كملت عن الشيخ خالد ، فرابطوا الآن بنفسي . فبعد ذلك قال له المريدون : إن البركة تحصل لنا برابطة نفسك ، فأقرّهم على ذلك . انتهى .

وسمعته يحكي عن الشيخ محمود أفندي أنه كان يقول : لو رابط إليّ المريد متوجّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب ؛ لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينه وبينهما ، فإن وقف يحترق بنوري . انتهى .

وكان يقول : إنه كان في الخلوة ، فحين خرجت للوضوء وقف قبالتي شيء عظيم له قرون مرفوعة إلى السماء ، فعلمت أنه الشيطان ؛ فرابطت بالشيخ محمود قدّس سرّه فزال في الوقت ، وغاب عني ، ثم بعد ذلك وقف قبالتي أيضاً شيء عظيم أسود كالمنبر العظيم ؛ فرابطته قدّس سرّه فغاب في الحال . انتهى .

وهذا الحقير الفقير قد كان في السلوك ، فرأى في الواقعة كأنّ

الشياطين داروا حوله ، فحين علم أنهم شياطين قرأ السلسلة الشريفة ، فحين ذكر اسم الشيخ عبد الرحمن المذكور تفرّقوا عني وبعدوا ، فحين أخبره الواقعة قال لي : ذا لأجل كونك فانياً فيّ . ولم يزد على ذلك ، ثم أخبرني ما مرّ من وقائعه قدّس سرّه .

وكان قدّس سرّه يقول لي : إن أطقْتَ أن تفني نفسك في ذات الشيخ محمود أفندي وتتوجَّه إلى المريد وقت التلقين ووقت التوجّه فذا ، وإلاّ فتصوّر صورة روحانيته قبالتك أي : بينك وبين المريد ، ثم تلقّن وتتوجّه . انتهى .

فائدة لا بدّ من كتابته هنا : ذكر الخاني في « الحدائق الوردية » ما حاصله :

أنّ سلطان العارفين أبا يزيد ؛ طيفور البسطامي قدّس سرّه تلقّى سرّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية من الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ، لكن الشيخ محمد أسعد تكلم على ذلك في « الفيوضات الخالدية » ؛ فقال : **أبو يزيد ؛ وهو عن جسمانية إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر بن الإمام محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما ؛ لا عن روحانيته فقط** ، كما أورد كثير من المتأخرين ، فزعم بذلك بعض المعاصرين انقطاع يد السلسلة النقشبندية ؛ ونسبه للواسطي في « روضة الناظرين » المنسوبة للشيخ الوتري . والله أعلم بحقيقة الحال ، **وإنها**[1] **بحمده تعالى واصلة للحضرة الصديقية** ، فإن ملاقات أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما وكونه سقاء في داره ؛ أوردها جماعة من أصحاب التاريخ ، وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية ، والرضيُّ في « كتاب الطرائق » ، والعلاّمة الحلبي في شرحه

---

(١) وعينه في « الكسكول » ، فراجعه . (منه) .

على « التجريد » ، وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب ، كـ « شرح المواقف » ، فقفا ذلك كثير من المتأخرين كالعلاّمة محمد بن سليمان البغدادي صاحب « الحديقة » ، والحيدري ، والخاني ؛ في « بهجته » كحفيده وأضرابهم ، حتى تسبّبوا فى القول المدسوس ؛ على الواسطي من أنها انقطعت يد السلسلة النقشبندية ، والمتسبب كالقائل ، وعدم التثبُّت يوقع في أعظمَ من هذا ، ونظير هذا إقرار الخاني القصيدة القافية التي مطلعها :

تَبَدَّتْ لَنَا أَعْلامُ عِلْمِ الهُدَى صِدْقَا   فَصَارَ لِشَمْسِ الدِّينِ مَغْرِبُنَا مشرقَا

مع أنّ القصيدة في بهجة سيدنا الغوث الجيلاني رضي الله تعالى عنه في مدح سيدنا أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه إلاّ بيتين منها صدرهما :

أَيَا خَالِدُ . . .   إلخ

مع أن بين المؤلفين أحقاباً ، ولو لا ما زعمه أولاده من خلافة أبيهم في الطريقة القادرية وارتقائه على سددها استعذر عنه بعدم وقوفه عليها ، فتبايُنُ الحالين يوجب إحدى الوصمتين ، ثم ربّما يرفع التنافي بين كلام « شرح المواقف » فقط وكلام غيره من البين بجعل المسمّى بهذا الاسم اثنين ، أحدهما طيفور السقاء الذي صحب سيدنا الإمام جعفر الصادق وخدمه ، والآخر شخص غيره .

قال ابن زهرة الأندلسي في تاريخه : أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه سنين عديدة ، وكان يسمّيه طيفور السقَّا ، لأنه كان سقاء داره ، ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام .

هذا ؛ وقد وقع الاشتراك في الأسماء في كثير . انتهى عبارته ،

فراجع في ٣٩ من هامش « نور الهداية » .

وأما اجتماع الحسن البصري بعليّ المرتضى - كرّم الله وجهه - ! ! فقد بسطت الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيدة بالنصوص المسنّدة » في موضعين ، وأثْبتُّ ذلك بالنقول الموثوقة ، فإن أردت الوقوف عليه ؛ فعليك بالمراجعة إليه .

سلسلات النقشبندية

وللنقشبندية ثلاث سلاسل :

الأولى : هي المتصلة من النبي عليه السلام إلى الإمام عليّ رضي الله عنه ، ومنه إلى الإمام حسين رضي الله عنه ، ومنه إلى سيدنا الإمام زين العابدين ، ومنه إلى الإمام محمد الباقي ، ومنه إلى الإمام جعفر الصادق ، ومنه إلى الإمام موسى الكاظم ، إلى علي الرضا ، إلى معروف الكرخي ، إلى سري السقطي ، إلى جنيد البغدادي ، إلى أبي علي الروزباري ، إلى أبي علي الكاتب ، إلى أبي عثمان المغربي ، إلى أبي القاسم الكركاني ، إلى أبي علي الفرمدي شيخ السلسلة الثالثة .

السلسلة الثانية : وهي المتصلة من النبي عليه السلام إلى علي المرتضى رضي الله عنه ، إلى الحسن البصري ، إلى حبيب العجمي ، إلى داود الطائي ، إلى معروف الكرخي شيخ السلسلة الأولي .

السلسلة الثالثة : وهي السلسلة المتصلة من النبي عليه السّلام ، إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى سلمان الفارسي ، إلى سيدنا القاسم حفيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إلى جعفر الصادق ، إلى أبي يزيد البسطامي ، إلى أبي الحسن الخرقاني ، إلى أبي علي الفرمادي ، إلى يوسف الهمداني ، إلى عبد الخالق الغجدواني ، إلى عارف الريوكري ، إلى آخر السلسة . **فبهذا** السند وصل إلينا هذا الطريق العالي ، فلله الحمد والمنة ورزقنا

التوفيق والاستقامة . آمين .

ويكفي للمنصف الغير المتعصب ما ذكرته ، والمعاند المتعصب لا يرجع عن تعصّبه أصلاً . وقد مرّ أنّي حين استخرت الله تعالى في جمع كتاب في بيان أقوال الأكابر في استحسان الرابطة وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية . فحصل لي بذلك قبض شديد خوفاً من دوام الولد العالم السائل على اعتراضه وإنكاره ، لكن الرجاء لا ينقطع ، ولا ييأس من رحمة الله إلاّ القوم الخاسرون .

فتدبّر أيها الولد في جميع ما ذكرته في هذه الرسالة ، واحسب علمك وعلم هؤلاء السادات القادات أكابر العلماء أهل السعادات ؛ تجِدْ ما عندك من العلم كقطرة بالنسبة إلى البحر .

ومن المتيقن المعلوم لدى كلّ عالم عاقل أن هؤلاء الأئمة المذكورين القائلين بحسن الرابطة أعلم منّا بمعاني الكتاب والسنة بآلاف ألوف ألوف .

واعلم أيها الولد ؛ إنما كتبت لك هذا لمجرّد النصيحة لك ولجميع المسلمين ؛ لا عناداً ، ولا حسداً ، فنعوذ بالله من ذلك ، وأنت إن شاء الله تعالى تعلم لو كنتَ ممّن أراد الله بهم الهداية أنّ ما كتبتَ إليّ من الشبه بتحرير الآيات ونقل ما في « إغاثة اللهفان » لابن القيم ليس ذلك واقعاً في موقعه ، بل جميعها شبهات مصروفة من ظواهرها ، والآيات التي أوردها المانعون من التوسّل في إثبات دعواهم واردة في حقّ الكفّار وعبّاد الأصنام ، لا في حق الموحّدين ! كما بسط النبهاني الكلام فيها في « شواهد الحق » ، والفقهاء الأعلام المتّقون في كتبهم في مواضع

عديدة . عصّمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيّئات قبائح أعمالنا . آمين . فإن كان لك بعد الآن شبهة مّا في حق ما كان مشائخنا المتقدّمون يفعلونه ؛ فاكتبها إلينا لننظر إليها ، ونجيبه بعون الله .

وقد كتبتَ إليّ أيضاً أنك لا تقبل ما يفعله النقشبنديّون إلاّ بحديث صحيح ، بل خربت نسبتهم بالكلية ، فشؤم هذا القول قد وصلت قطرته إلى جميع السلسلة ، كما رشح الضرر إليهم بما كتبته في حق الرابطة ، بل أنت نفيت جميع ما استدلّ به العلماء من المذاهب الأربعة ؛ وقلت : إنّ ذلك عبث لا فائدة فيه ، وصرّحت بأنك لا تطيعهم فيما أمرهم ونهاهم ، فهلاّ تركت هذا التصريح وصدّقتَهم وامتثلتهم ؛ ولم تستقلّ بعقلك وعلمك ورأيك ! ! ففي ذلك خير كثير ، فكيف لا ؛ وقد قيل : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله : وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدّقين لأولياء الله تعالى فيما جاؤا به ، وإن قصر عقله عن إدراك ذلك . انتهى عبارته .

وقد مرّ ما قاله ابن حجر من أنّه يجب الأخذ بأقوالهم - يعني : أقوال العلماء المتقين والفقهاء الصالحين - ؛ لأنهم علم الأمة ، واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ، ومن خالفهم متّبع هواه . انتهى .

أيها الولد ؛ إنّك كنت من قبل سلكت على يدنا في تلك الطريقة ، فما ذا رأيت فيها من الخيانة ، والحال أنّ تلك الطريقة هي التي قد شهدها ابن حجر[1] ؛ بأنّها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، كما في « الفتاوى الحديثية » .

---

(١) مع أنه من القادريّة . (منه) .

وقد قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » في حقها :

وأما شرعيّتها وتطبيقها على المذهب ! فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ القرآن وحقيقة العرفان ، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً ؛ كما سيأتي البيان . انتهى عبارته في ١١١ .

وفيه أيضاً : وبالجملة إنه طريق وعلم وعرفان وشأن وكمال ؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، ولا عوج في بدايته ونهايته ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ . انتهى عبارته في ١١٢ .

مهم

قال الإمام الرباني : **اعلم** أنّ الطريق الذي هو أقرب ، وأسبق ، وأوفق ، وأسلم ، وأحكم ، وأصدق ، وأدلّ ، وأعلى ، وأجلّ ، وأرفع ، وأكمل ، هو الطريقة النقشبندية العلية قدّس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، وكل عظمة هذا الطريق ، وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر : بواسطةِ التزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، واجتنابِ البدعة الغير المرضية ، وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم ، كالأصحاب الكرام عليهم الرضوان من الملك المنّان ، وكان شعورهم وحضورهم على سبيل الدوام ، وصار فوق شعور الآخرين بعد الوصول إلى درجة الكمال . انتهى . كذا في « مكتوباته »[1] .

وقد قالوا في حقها أيضاً : **أنها هي الطريقة الباقية على أصلها ؛ لم ينقصوا منها ، ولم يزيدوا شيئاً** – كما هو مذكور في غير كتاب من كتبهم . وقد مدح الشاذليون طريقتهم بكونها عين الطريقة النقشبندية ، وقالوا : إنها أمّ الطرق ، وسلطان الطرق ، كما هو مذكور أيضاً في الكتب .

---

(١) راجع « الدرر » . في ٢٢٣ ج١ .

وقد كنت كتبت إليك ما ورد في حقها من الأحاديث في حق تلقينه عليه السّلام جماعة وفرادى المرويّ بسند صحيح ، الذي رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس ، والحديث الذي أخرج ابن حنبل أيضاً في مسنده عن شدّاد بن أوس بسند حسن .

وكنت كتبت إليك أيضاً : أن النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية التي أخذها الصديق الأكبر رضي الله عنه بالتوجه عن رسول الله عليه السّلام ، وذلك لتعلم أن لهم نسبة صحيحة وسنداً حسناً ، وسلسلتهم متصلة ؛ لا منقطعة ، وليكون جواباً لاعتراضك عليها بعدم كون الحديث لها ، وأنكرت علماء الأمة أجمعين ، ولم يشف قلبك بشيء أثبتها المشائخ ، وأكابر العارفين ، الذين أذهبوا أعمارهم في إحياء سنن سيد المرسلين ، فيا ليتك لم تتكلم خلف هؤلاء الصالحين ، ويا ليتك لم تدخل مداخل المنكرين المحرومين .

ألم تَرَ ما قاله بعض الأكابر : **وأشقى الخلائق الطاعن بهذه الطائفة** . انتهى . وكذا قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : فاحذر أن تكون ممن يتحسَّى كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته ، وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته ، فقد قال على لسان الصادق المصدق : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » ، أي : أعلمته أنّي محاربٌ له .

قال الأئمة : ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلاّ للمنكرين على أوليائه وآكلي الربا ، **ومن حاربه الله لايفلح أبداً** . انتهى عبارته ٢٣٩ .

فما لك أن تنكر جميع العلماء الصالحين ، وتعترض على أولياء الله المتقين ، أليس النبي عليه السّلام قد قال : « عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي

إِسْرَائِيل » ، ولكل نبي نظير في أمّته ونظير أمّتي العلماء ، كما قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . وقال النبي ﷺ « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء » .

طبقات الوراثة النبوية

ثمّ **الورثة** على ثلاثة أقسام :

فالعلماء الظاهرية المحضة بمنزلة ذوي الأرحام ؛

والعلماء الباطنية بمنزلة ذوي الفروض ؛

والعلماء الجامعة للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة ، الأقرب فالأقرب ؛ **القطب** بمنزلة الابن الصلبي ، **وقطب الأنبياء** عليهم السّلام **محمد المصطفى** ﷺ لأنه خاتم النبيين ، **وقطب الأولياء عليّ** رضي الله عنه لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين . فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد ﷺ إلى عليّ ، ومنه إلى المشائخ واحداً بعد واحد على ما بيّنه أحمد الزركراني في رسالته في الفصل الرابع .

وقال رحمه الله تعالى ما نصه : هذا **الفصل الثاني** في بيان إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة ، وإجماع الخواص من لدن رسول الله ﷺ إلى وقت الساعة ، قال الله تعالى في حق أصحاب الصفة ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ .

سبب نزولها : روي في « بستان الشريعة » أن عليّاً رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجّه النبي ﷺ فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني ؛ تنبيهاً على أن هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ، ثمّ قعد جبرائيل مربّعاً كالمعلّم ، فلقّن النبي ﷺ :

« لا إله إلاّ الله » (ثلث مرات) ، ثمّ أمره أن يلقّن عليّاً ؛ لأنه أوّل من التمس التلقين ، ثمّ حضره أربعمائة من الصحابة ، فلقّنهم جميعاً ، ثمّ قال ﷺ : « رَجَعْنَا مِنْ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » ، وقال عليه السّلام : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ حَتَى نَفي مَنْ قَال : الله الله » يعني بالقلب الحي ، **وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر** ، فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً . انتهى عبارته .

هذا دليل المشائخ ، واتصل سلسلتهم بسيد الإنس والجان عليه الصّلاة والسّلام ، فتدبّر في هذا ؛ وفيما يأتي تعلم خرافة قولك بأنك لا تقبل اتصال سندهم ونسبتهم ؛ أيها الولد المرجوّ للرجوع عن هذه الخرافات .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما تلقين المشائخ الذكر على المريدين ؛ فحسن محبوب وثابت بالأدلة الأربعة على وفق السنة المحمدية ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه الذكر جماعة وفرادى .

التلقين الفردي من السنّة المطهرة

فأما تلقينهم فرادى ! فقد روى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح : أن عليّاً بن أبي طالب كرّم الله وجهه سأل النبي ﷺ : دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباد الله تعالى ، وأفضلها عند الله عزّ وجلّ ؟ فقال عليه السّلام « يَا عَلِيُّ ؛ عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي الخَلوَاتِ وَالجَلَوَاتِ » ، فقال عليّ :كيف أذكر ؟ فقال ﷺ « غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ » فقال عليه

السلام « لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » ثلاث مرات ، مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافِعاً صَوْتَهُ ؛ وَعَلِيّ يَسْمَعُ . ثم قال عليّ ﷺ : **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله** ثلاث مرات ، مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافعاً صَوْتَهُ ، وَالنَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم يَسْمَعُ . قال النبي ﷺ « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَبِيُّونَ مِن قَبْلِي : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، ولاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالُ فِي الأَرْضِ : الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس[1] .

فهذه نسبة عليّ كرّم الله وجهه في تلقين الأذكار الجهرية . « فتاوى الخليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ، أي : سواء كان لفظة (الله الله) أو النفي والإثبات والمراقبة ، والحضور ؛ من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصدّيق الأعظم التي اختصّ بها الصدّيق دون سائر الصحابة ؛ أخذها باطناً بالتوجّه عن رسول الله ﷺ لقوله عليه السّلام : « مَا صَبَّ الله فِي صَدْرِي شَيئاً إلاّ وصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » ، وكذا قوله عليه السّلام من ربّه : « مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاً صَلاَةٍ بَل بِشَيْءٍ[2] وقر فِي قَلْبِهِ » .

فالحديث الأول : دليل السادات النقشبندية ؛ لثبوت التوجه ، وإلقاء الذكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة ، **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين** : الصديقية والعلوية ، فهما أصلان ، وعليهما عون الرحمن .

التلقين الجماعي من السنة المطهرة

وأما تلقينهم جماعة ! فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن

---

(١) وأعقب مؤلّف « هدية الذاكرين » بعد هذا بما نصه هذا : وكذا تعليمه لغيره ، مثل أبي بكر الصديق ، فراجعه . (منه) .
(٢) وهو الذكر القلبي ، كذا في « جامع أصول الأولياء » . (منه) .

شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال : كنا عند النبي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ » - يعني أهل الكتاب ، أو من لم يطّلع على أسرار الشريعة - فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب ، فقال : « اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، وَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا كذلك لآ إله إلاّ الله ، ثم وضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده ووضعنا ، ثمّ قال : « الحَمْدُ للهِ ، أَللهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهذِهِ الكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِها ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الجَنَّةَ ، وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ » ، ثم قال عليه السّلام[١] : « أَلاَ أَبْشِرُوا ؛ فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » . قال المنذري : إسناده حسن « مسند إمام حنبلي » . انتهى عبارته .

وهكذا بل عينه ذكره مؤلّف « هدية الذاكرين » ، وذكره أيضاً أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي : **والحاصل** أن التوجُّه الملقَّن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكبار قدّس سرّهم سحاب الفيوضات ، **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ؛ من انتظر بالصدق وصل ، ومن انتهى بالغفلة غفل** . انتهى . فراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » لسليمان الزهدي .

توجُّهات جبريل إلى سيدنا رسول الله ﷺ

وتوجهه إلى أبي بكر

وقال الشيخ الزهدي أيضاً : أوَّل توجه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات : مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار

(١) وهذا الحديث ذكره الشعراني في « النفحات » ونقل في« الحدائق الوردية » برواية الطبراني والإمام أحمد والبزاز وغيرهم بإسناد حسن فراجعه . منه في ٦ .

جبل حراء .

وفي غار ثور توجه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى . فراجع « نهجة السالكين » من هامش في ٢٧ من « مجموعة الرسائل » ، ومثله ذكره في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ فراجعهما .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه بعد ذكره كلاماً : وما ذكر بلفظ منه لم يكن دليلاً لأصول الطريقة العلية ، بل بياناً على أن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة ، وأنها تلقين خاصٌّ إلى أهله ، لا شعور للعوام على تلك الأصول ، من أجل ذلك لا يحتاج السند والدليل من غيرهم . فإنّ رجال الطريقة العلية ثقاة ؛ وصل هذه الأصول والتلقين من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى الرجال الثقات ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية ، وهم البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامّة إلى الآن وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى . والأحاديث المذكورة من الكتب المعتبرة المشهورة بعضها من تفسير « روح البيان » ومن كتاب « كشف الأسرار » ومن « حكمة الإشراق » ، وأكثرها من « الجامع الصغير » ، وكلها مستندة في أصلها ، السلام على من له الهداية والدراية . انتهى . راجع « مجموعة الرسائل » عبارته في ١٢ .

فثبت من هذه المذكورات كون سلسلة السادات النقشبندية متصلة ، وكون الأحاديث الواردة في حق التعليم والتلقين صحيحة وحسنة ، فبطل به قول من كتب إلينا بما نصه : يسلسل النقشبنديون سلسلتهم إلى النبي ﷺ ، وأبي بكر رضي الله عنه ، وسلمان الفارسي رضي الله عنه ، ويقولون : أن النبي ﷺ لقَّن أبا بكر رضي الله عنه الذكر ممتازاً عما سواه ، وأن أبا بكر لقن أيضاً سلمان رضي الله عنه . وأقول : لا بأس أنه مما يجوز أن يكون ؛ ولكن لا نقبل ذلك إلاّ بسند صحيح ، فهلاّ يأتي

النقشبنديون بسند نقبله ؟ ! . انتهى .

ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قاله البعض بـ(أن ليس لأهل الطريقة سند) ؛ ولم يدر أن لهم سنداً صحيحاً ! وأنهم لم يخترعوا شيئاً ما برأيهم ، ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ، ولا يحيط بجميع ما ورد كل أحد ، وما يجهله أحد يعلمه غيره ، فانظر ما ذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكرّاسة ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، **واعلم** أن نور الله لا يطفأ بنفخ ، بل الله يؤيّد دينه ؛ ولو كره المبطلون ، وينصر من ينصره ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ الآية ، والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار ، والمنكرون يريدون إطفائها ، والله متمّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية .

واعلم أن المنكر المتعصِّب لو كان بذل جهده وطاقته لإطفاء ظلمات الخلق ، وتصفية كدورات الناس ، وأنكر بدل هذا الإنكار[1] ؛ على شارب المسكر ، وشارب الدخان ، والحشيش ، ومرتكب الحرام والمكروه ، والخسيس ، وغيرها من اللمم والفواحش ؛ لكان خيراً له ، وأصلحَ لدينه ودنياه وآخرته ، لكنه إلتجأ على هؤلاء السادات ، وأنكر جميعَهم من أولهم إلى آخرهم ، واجتهد في ردّ الناس عن الخيرات ، وأدخلهم بقوله في زمرة المشركين . عفى الله عنه وعنّا آمين .

وأيضاً قد كان في ديارنا متشيّخون كذّابون ؛ يفعلون ما لا أصل له ، ويعلّمون الناس أموراً مخترعة ، ويتصدّرون للإرشاد بأنفسهم بلا إجازة من المشائخ ، وقد عمّت بهم البلوى في الدين والدنيا ؛ بحيث لا يخفى على عاقل ، ومع ذلك سكت هذا المنكر وأضرابه عن إظهار الحق ، وإبطال

---

(١) أي : إنكار أهل الطريقة . (منه) .

الباطل ، ولم يقل لهؤلاء القوم ولو حرفاً مّا على قصد النصيحة ، بل ، داراهم ما كان في دارهم ، ووافقهم في أغراضهم الباطلة . وأمّا نحن ؛ - وإن كنّا ناقصين - فقد سلكنا في مسالك الطريقة إلى مقام المشرب المحمديّ ، وأجازنا مشائخنا ، ولا نفعل شيئاً مّا يخالف أصولهم ، فالإنكار علينا والسكوت عن هؤلاء ليس من الإنصاف ! ولا عجب ! ! ولم يخل عصر من الأعصار إلاّ وفيه الحسّاد والمعاندون لهذه الطائفة ، ولكن الله تعالى أيّدهم بفضله ، وزاد أنوارهم ، فلله الحمد ، فهذا رئيس الطائفة خالد البغدادي الذي أقرّ بفضله وقطبيّته علماء عصره لم يخل في ابتداء حاله من حاسد ، وإن كان الكل من علماء وقته بعد ذلك يحترمونه ، فقام عليه أهل العناد ينحون الناس عن طرق السداد ، لأنه لا بدّ للوليّ من خوارق العادات ، وقد أعماهم الحسد عن تلك الآيات ، فكتب حضرة الإمام الماجد هذا الخطاب المستطاب :

ما قول مشائخ الإسلام والعلماء الأعلام ؛ من أهل الحديث ، والتصوف ، والقضاء والإفتاء ، والتدريس ، والأحكام - نفع الله تعالى بعلومهم وبركات أنفاسهم الأنام ، وأحلّهم أعلى فراديس دار السلام - فيمن كان أشعري الاعتقاد ، شافعيّ المذهب ؛ نقشبنديّاً وقادريّاً في المشرب ، حاثّاً على اتباع السنة السنية النبوية ، محذِّراً عن كل بدعة غير مرضية ، مقتفياً ما استطاع على آثار السلف الصالحين ، معرضاً عن الدنيا وأهلها ، لا تأخذه لومة لائم في الدين ، يحبّب الله إلى عباده ، ويسلكهم طريق العباد ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ومن تردّد إليه بحسن النية استيقظ من سِنَةِ الغفلة ، وبدوام الذكر تجلَّى وتذكَّر ، وله في الباطن قوّة تصرّف يقتدر بها بعون الله تعالى على التأثير في المريدين ، وإلقاء الجذبات الإلهية في قلوب المسترشدين ، ورفع الحجب ونفي ما سوى

الله تعالى أو تقليله عن قلوبهم ، مع أمور آخر من أسرار الطريقة مما ينبغي كتمه على غير أهله ، وحبّ العبادة والشوق إليها مع الخشوع ، والمواظبة على أداء الفرائض بالجماعة ، وعلى سنن الرواتب والإشراق والضحى ، والأوّابين ، والتهجُّد ، وقلَّة الهجوع ، وكثرة الجوع ، ولا أقلّ فيهم من المداومة على الذكر الخفي ؛ الثابت فضله على الجهري بسبعين درجة على الوجه الواضح الوفي ، وكان مأذوناً ، بل مأموراً من طرف شيخه المأمور كذلك ، وهكذا بالتلقين الذكر والإرشاد للطالبين ، وتعليمهم آداب الطريقة النقشبندية ، والطريقة العلية القادرية على سنن الأسلاف الماضين ، وحثّهم على اتباع الشرع الشريف ، والسنن النبوية ، وتحذيرهم عن البدع الرديّة ، فهل يكتفي حينئذ لجواز التلقين والإرشاد بما تقدّم من المكارم والسداد ؟ أم يشترط مع ذلك كله بعض خوارق كونية ، وكرامات حسيّة ، ممّا ألفت طباع العوام بطلبه من المشائخ ؛ كالمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، والإنفاق من الغيب ، وعلى جواز إرشاده للمسلمين من غير اشتراط تلك الأمور على ما هو المقرّر عند أساطين الكشف وأئمة الوجدان من المتقدّمين والمتأخرين ، فهل يحكم بوجوب الإرشاد نظراً إلى قلّة هذه الأمور النفيسة ، وانتفائها ظاهراً في أكثر أقطار الإسلام ؟ أو مندوبة ؛ كما هو ظاهر ، أو بجوازه مطلقاً ؟ أو بتغيره بالنسبة إلى أشخاص المريدين قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة ؛ وندبه أخرى ، وكراهته مرّة ؛ وحرمته أخرى ؟ وهل يجوز الإرشاد بلا تصرّف باطني ؛ قياساً عليهما ؟ وعلى تقدير أن يشترط في حقيقة الإرشاد أمور ؛ فإذا انتفت أيمتنع ، أو يحكم بجوازه عند فقدانها كقضاة الضّرورة الموجودين الآن المحكوم بنفوذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاة أم لا ؟ أفتونا مأجورين بردّ الجواب واضحاً على الوجه الصواب ، لا زلتم موفّقين

لمرضاة العليم الوهاب . انتهى من « الفيوضات الخالدية »[1] عبارته .

فهذا الحقير المؤلّف المرشد المجازي ؛ كالقاضي الضروري يقول ما قاله هذا القطب المذكور ، وإن كان خالفاً عن التخلق بأدنى شيء ممّا ذكره ، بيد أنه قد أجازه مشائخه في تلقين الأذكار في الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية ، واحد منهم في الثلاثة ، واثنان في النقشبندية خاصة ، وله في فنون العلوم النقلية والعقلية ، وعلوم التفاسير والأحاديث فنّاً بعد فنٍّ إجازة صحيحة . وقد أمره أولائك المشائخ بالأمر الأكيد بالاجتهاد لهداية الخلق إلى طريق الحق ، وإن طلب منهم بجهده بإلقائهم هذا الثقل عن ظهره ، وتركهم إيّاه في قعر بيته لا يَدْري ولا يُدْرَى . وقد قال مرّة لشيخه : إنّي أقول يا أستاذي ؛ لو أنك تتركني على حالي ، وتأخذ منّي الإجازة ، وتنفي بعد ذلك أملاكي وأموالي ، وتؤويني إلى كهف من الكهوف بحيث لا مال ولا بنون ؛ لكان ذلك أحبّ إليّ ! فأجاب بعد ذلك : لا يجوز لك أن تترك الإرشاد ، ألا تعلّمهم الاستغفار المحض ! ومجرّد ذلك شيء عظيم .

إخواني ؛ إنّي أريد أن أكون في قعر حجرتي بغلق الباب ، ولا أطلب المريدين أصلاً ، لكنّهم لا يتركونني على حالي ، ظنّاً منهم أني أهل لذلك ، مع أنّي في اعتقادي لست بمقام مريد ؛ فضلاً في مقام شيخ ، ولا يكون لي بدّ من تعليمهم وتلقينهم ؛ مع ما فيّ من المخافة ، ولولا أنهم يعتقدونني ؛ لمّا نزلوا بساحة داري ، ولو لم يكن ظنّهم في الله حسناً ؛ بأن

---

(١) في٦٨ من هامش « نور الهداية » .

❊ فائدة : جاء في الحديث عن النبي ﷺ « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف » وقال رجل لإمام أحمد بن حنبل : هؤلاء الصوفية جلسوا في المجلس بلا علم ، فقال : العلم أجلسهم في المسجد ، إنّ أحدهم يرضى بكسرة ، وما أحسن من يرضى من الدنيا بكسرة ، فقال : أنهم يرقصون ويتواجدون ، قال : من فرحهم بالله تعالى . « نزهة المجالس » عبارته ٧٩ .

الله تعالى يدخلهم في فضله بواسطتي لمّا طلبوا منّي السلوك ، فبناء على ذلك ألقّنهم الاستغفار والصلوات ألفاً ألفاً في المَلَوين[1] ، أو خمسمائة منهما ؛ على وفق حال المريدين ، وأعلّمُهم كيفية الرابطة الشريفة كما علّمني أشياخي ، وأتركهم على تلك الحالة مدّة شهر أو شهرين ، ثمّ بعد حصول الاستعداد لهم ألقّنهم الذكر القلبي بلفظة الجلالة (الله الله) ، وآمرهم بعدم غفلتهم عن تخيّل جريان هذا الذكر المبارك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، **وأعلّمهم أنّ الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله ، وأحثّهم على الاستغفار عن الغفلة كما يستغفرون عن المعصية ،**

فهذا أقلّ ما آمرهم به ، وأرشدهم إليه ، ومن آثر منهم الآخرة على الدنيا ، وأراد أن ينيب إلى الله ، ولازم الذكر وترك الهوى ؛ ألقّنه الذكر على اللطائف بترتيب ، بعد حصول النتيجة على ما هو معلوم عند أهله ، فيسري ذكره في جميع أجزاء البدن ، ويحصل له سلطان الذكر ، ثمّ بعد ذلك ألقّنهم النفي والإثبات ، فإذا حصل لهم نتيجته ؛ أعلّمهم المراقبة ، ثمّ وثمّ . . إلى آخر ما نعلّمه من أمور الطريقة ، وذلك كلّه رجاء أن يكون الله معهم لحسن ظنّهم به تعالى ، واعتقادهم فيّ وفي مشائخي ؛ بأنه تعالى يوصلهم إليه بواسطتهم ، على ما ورد في الحديث : « لَو اعْتَقَدَ أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَه » . قال الشعراني في « العهود المحمدية » : وقد حثّنا الله تعالى على حسن الظنّ به بقوله : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَظُنَّ بِي خَيْراً » فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى ، وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم ، **فإن ظنّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنّوا أنه لا يقدر على**

(١) المَلَوين : الليل والنهار .

حمايتهم؛ فلا يصحّ لهم حماية ، فلذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه ؛ لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له ؛ فهو محفوظ من كلّ آفة ، ومتى غفل عن ذلك جائته الآفات من كلّ جانب ، وممّا جرّبناه نحن أنّ من كان اعتقاده فينا متوفّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومن لم يكن اعتقاده فينا متوفّراً لم تقض له حاجة ؛ ولو كنّا أقطاباً ، **فالمدار على حسن الظنّ المتوجّه للشيخ ؛ لا على الشيخ** ، وربّما تقضى حاجةُ المعتقد ؛ ولم يكن يعلمها الشيخ ، إلاّ إن أعلم به المتوجّه إليه . انتهى عبارته فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » ج ٢ .

وما قاله قدّس سرّه هو الذي يحصل للمرابط من المنافع والفوائد ، فالشيخ الفاني في الذات لو قرب إليه الشياطين يحترقون بنوره ، وإذا تخيّل المريد صورته يحضر روحانيته لديه أسرع من لمح البصر ، فيكون حضوره سبباً لانقطاع الخواطر والوساوس . فافهم .

أيها العلماء والفقهاء؛ إن كنتم ترون فيما نفعله من هذه الأمور شيئاً ما يخالف الشريعة ؛ فنحن مترقّبون للامتثال بأوامر من ينصحنا ويدلّنا على ما خفي فينا من العيوب ، ونشكره وندعوه بالخير ، وإن ارتكب أتباعنا على المنهيّات لا نرضى على صنيعه أبداً ، بل ننصحه بالإشارة وباللطف ؛ لا بالعنف ، على وفق قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ ؛ وآية ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ . ولكن لا طاقة لنا لامتناعه عن بعض المعاصي ، وذلك ليس من شروط الشيخ ، وما لم يصحّ لرسول الله عليه السّلام من أصحابه لا يصحّ لأحد من بعده ؛ كما ذكره الشعراني في « العهود المحمدية » بالبسط التامّ .

وقد قال النبهاني في « شواهد الحقّ بالاستغاثة بسيد الخلق » ما

نصّه هذا : وليس من شروط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات ، فالمنصف يؤدّي كلّ ذي حقّ حقّه ، فحقّ الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم ، فيلزمنا أن نؤديه إليهم ، وحقّ أولائك المارقين أن ننكر عليهم ، ونوجِّه المذام إليهم ، ونبين لهم الحلال والحرام ، وما هو مشروع في دين الإسلام ، فإذا قبلوا وتابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام ، وإذا أصرّوا على ضلالتهم نُصِرَّ على الاعتراض عليهم ، ولا عتاب حينئذ ولا ملام . انتهى عبارته . في ٢٣٥ .

ومن المعلوم أن المريد المعصوم لا يكون أبداً . كما بيّنه مؤلّف « الحديقة الندية » ، ولا يخفى على الحقير[1] أن حاله ناقص عن درجة المرشدين ، ولكن لمّا أجاز له المشائخ الكاملون ؛ لا بدّ له من امتثال أمرهم وإن كان ناقصاً ، لما أنهم قالوا : وقد يعطي الكامل الإجازة للناقص لأنَّ يَدَهُ يَدُهُ ، وتربيَّتَه تربيَّتُه ؛ كما هو مذكور في غير كتاب واحد .

وفي « البهجة السنيّة » : وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدّس سرّه بالإرشاد ! ! مع نقصان فهو جائز من الكامل المكمَّل . انتهى عبارته في ٤٤ .

وفي « التحفة » : ولم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى عبارته . والكلام على هذا كثير .

وكتب القاضي ببلات رحمه الله ما هذا نصّه : ولا يأذن لأحد في الجلوس للمشيخة إلاّ بعد الإذن له من رسول الله ﷺ . « خالدية » .

فيا عجباً على عظم هذا القول فالحمد لله على ذلك دائماً . انتهى من خطّه .

وكتب أيضاً : وأما الحكايات المذكورات في رسائل القوم من أن

---

(١) أي : المؤلف .

كلّ مُسَلِّك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ، ومن كونهم يعطون كلّ جليس حقّه ، ويعرفون من يفتح لهم على يدهم ، وكونهم يراعون تلميذهم ؛ وهو في الأصلاب ، ونظره أحوال مريده ؛ من حين كان في عالم الذّر ، **وأنّ من جالس ولازمه وراعى الأدب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لَحْظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال إلى غير ذلك** ! ! فإنما هي حكايات الأولياء الكاملين من الرجال أصحاب الأنفاس ومرتبتهم ، ولكن ليس الاقتداء مختصّاً بهم ؛ كما سنذكره الآن بهذه العبارات ، والله أعلم .

وتخصيص هؤلاء المذكورين بذلك[١] ! ! إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصر واحد ، لا لنفي الاقتداء عن غيرهم ، إذ الجامعون بين العِلْمين كثيرون ، على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العِلْمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل ، إذ لا خلاف بينهم أن جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم ، سواء حصل السلوك قبل الجذبة ؛ أو بعدها ، وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة ؛ أم لم يعرفوا سوى فرض العين الذي لا بدّ لكلّ مكلّف منه ، أو لبيان من يقتدي في العلمين . « الفتاوى الحديثية » عبارته .

ومثله من أن المتصدي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره ، إن لم يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى ؛ فهو قليل الأدب مع الله تعالى ، ولذلك تراه يلقّن الألف أو أكثر ولا ينتج منهم واحد ، كما هو مشاهد .

واعلم أنه ليس في هذا الباب الذي خشينا عليه ترك الذكر والتلقين ، كما توهم ذلك الضعفاء ، بل المراد منه أن كلّ من يفتح له هذا الباب

(١) أي : بالاقتداء .

ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ، ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك ، وأن في ذلك هلاكه ، فينبغي لمن يلقن الناس الآن أن يراه ابتلاء من الله تعالى ، ويلقّن على سبيل التشبّه بالمتشبّهين . . . بالمتشبّهين . . . بالمتشبّهين (ست مرّات) . « الأنوار القدسية » عبارته ٤١ .

ومشائخ هذا الزمان يلقّنون كذلك بلا خلاف ، وإنهم أشدّ خوفاً ممّن قبلهم . . إلى آخر ما كتبه . انتهى من خطّه ، فجزاه الله عنّا خيراً ، فقد حلّ ما كان مشكلاً منذ زمان . فبناء على ما ذكر لا بدّ لنا من التصدّر لإرشاد الخلق وتعليمهم آداب الطريقة وتلقينهم أذكارها وأورادها ، وكيفية الرابطة وآدابها ، ومعلوم مشهور **أنّ ذلك ليس باختيار منّا ، بل بأمر وإذن من مشائخنا ، فما العيب علينا !!** وقد علم ممّا مرّ في حقّ الرابطة كونها محبوباً مستحسناً عند العلماء والأكابر العارفين ، فرفع عنّا اللوم والعتاب ، ولله الحمد والمنة ، وله الشكر على هذه النعمة .

فائدة نفيسة غفل عنها أكثر الخلق : قد مرّ ما قاله القطب الشيخ خالد قدّس سرّه ما لفظه : أم يشترط مع ذلك كلّه بعض خوارق كونية . . . إلخ ! !

فالجواب : لا يشترط ذلك في الشيخ . فقد سمعت شيخنا العسلي قدّس سرّه يخبر نقلاً من كتاب يقول : لا يكون الشيخ شيخاً بكشفه العرش والكرسي والسموات السبع والأرضين السبع وما فيها ، بل الشيخ الذي يكشف له أحوال مريده . انتهى .

وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله : **الكرامة ليست بشرط الولاية ، ولا من علامة الأفضلية** . كما صرّح به الشيخ ابن حجر في « الخاتمة » ، وربّما تكون له تلك الكرامات لكنه غير مأذون بإظهارها ، فقد يؤذن به لكن لا يعدّه مصلحة ! ! انتهى عبارته .

نقل الخاني في « الحدائق الوردية » ؛ عن الإمام الرباني قدّس سرّه ما هذا نصّه :

وقال قدّس سرّه : **اعلم** أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء ، والخوارق من لوازمها ، ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر يكون ولايته أتمّ وأكمل ، بل تكون خوارقه أقلّ وولايته أتمّ وأكمل ، ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما :

أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر ؛ والهبوط في وقت النزول أقلّ ، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج ، لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطة بها ، ويرى فعل المسبّب من ورائها ، والذي لم ينزل أو نزل ، ولكنّه لم يصل إلى الأسباب ؛ فنظره مقصور على مسبب الأسباب ، والأسباب قد ارتفعت عن نظره ، **والحق سبحانه يعامل كلّ أحد على حسب ظنّه** ، فيقضي أمر من يرى الأسباب بها ، ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها ، قال تعالى في الحديث القدسي : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » ولطالماً كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبد القادر ﵁ لم تظهر على يد كثير من كمل الأولياء السابقين ! ! حتى أطلعني الله تعالى على سرّ ذلك ؛ وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء ، وفي جانب النزول كان نزوله إلى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب .

وممّا يناسب هذا المقام ما حكى الحسن البصري ﵁ : كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة ، فجاء حبيب العجمي ﵁ ؛ فوجده واقفاً ، فقال له : ماذا تنظر ؟ قال : السفينة ، فقال له : وأيّ حاجة إلى السفينة ! ! أما لك يقين ؟ فقال الحسن : أما لك علم ! ! ثمّ مشى حبيب على الماء وبقي الحسن

حتى ركب السفينة ؛ فلمّا كان الحسن نازلاً إلى عالم الأسباب عاملوه بها ، وحبيب لم ينزل ؛ فعاملوه بدونها ، **والفضل للحسن؛ فإنه صاحب علم جَمَع بين علم اليقين وعرف الأشياء** كما هي ، وفي نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة ، وحبيب العجمي صاحب سكر ، وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً ، وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع ، فإن توسُّط الأسباب كائن وحاصل .

وأما شأن التكميل والإرشاد ! ! فهو عكس طريق ظهور الخوارق ، فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل ، لأنه لا بدّ من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد ؛ وذلك منوط بالنزول .

واعلم **أنه كلّ ما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل** ، فلهذا لمّا كان ترقي نبينا عليه الصّلاة والسّلام أعلى وأرقى من ترقي جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ، كان نزوله أقوى من الجميع ، فكان دعوته أتمّ ، ولذلك أرسل إلى كافة الأنام ، فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع ؛ فصار طريق الإفادة فيه أتمّ ، **وربّما تحصل الإفادة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين ما رجعوا** ؛ لأن مناسبة المتوسّط للمبتدئ أكثر من ذاك ، فمدار كثرة الإفادة وقلّتها على الهبوط والرجوع ؛ لا على الانتهاء وعدمه .

وههنا دقيقة ؛ وهي : كما أنه **ليس من شرط الولاية علم الوليّ بنفس ولايته** - كما هو مشهور - كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه ، فربّما ينقل الناس عنه خوارق الشتّى وهو لا علم له بها .

وكان شيخنا قدّس سرّه يقول : **والعجب** أنّ الناس يأتون إليّ من الأكناف والأطراف ، فبعضهم يقول : رأيناك في مكّة ، وبعضهم يقول :

رأيناك في بغداد ، فيظهرون الصحبة والمعرفة ، والحال أنّي ما خرجت من بيتي ! ! فما هذا الافتراء ؟ ! انتهى عبارته ١٨٦ .

وممّا ينبغي أن يكتب هاهنا ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه بما هذا نصّه :

بعد الحمد والصلوات . . . ليعلم الأخ الأعزّ المير محبّ الله ؛ **أن الإيمان بالغيب بوجود الواجب تعالى وسائر صفاته نصيب الأنبياء وأصحابهم عليهم الصّلاة والسّلام ، ونصيب الأولياء الذين ثبت لهم الرجوع بالكلية** ، ونسبتهم نسبة الأصحاب ؛ وإن كان هؤلاء قليلين ؛ بل أقلّ ، ونصيب العلماء ، ونصيب عامة المؤمنين أيضاً ، والإيمان الشهودي نصيب عامة الصوفية ؛ سواء كانوا من أرباب العزلة ، أو من أصحاب العشرة ، فإن أصحاب العشرة ؛ وإن كانوا مرجوعين لكنهم ما رجعوا بالكلية ، بل باطنهم مستشرف إلى الفوق ، ومنجذب إليه دائماً ، فهم بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق جلّ سلطانه ، فالإيمان الشهودي نصيبهم دائماً ، والأنبياء عليهم السلام لما كانوا مَرْجُوعين بالكلية متوجّهين ظاهراً وباطناً إلى دعوة الخلق بالحق جلّ وعلا ؛ كان الإيمان الغيبيّ نصيبهم بالضرورة ، وقد حقّق هذا الفقير في بعض رسائله أن التوجه نحو الفوق مع وجود الرجوع من علامة النقص ، وعدم الوصول إلى نهاية الأمر والرجوع بالكلية علامة الوصول إلى نهاية النهاية .

والصوفية زعموا أن الكمال إنما هو في الجمع بين التوجهين ، **وعدّوا الجامع بين التشبيه والتنزيه من الكمل** .

وللناس فيما يَعْشقون مذاهب !!

أفرغ[1] الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من وظيفة الدعوة ، وتوجّهوا

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : فرغ .

نحو عالم البقاء وتمّت مصلحة الرجوع يكونون متوجّهين بكليتهم إلى الحق جلّ شأنه قائلين بتمام الشوق الرفيق الأعلى متبخترين في مراتب القرب . شعر :

هَنِيئاً لأرْبَابِ النَّعِيـمِ نَعِيمُهَا   وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

والكمال عند الفقير هو : أن ترتفع الكثرة[1] وقت العروج عن النظر بالكلية ، حتى لا تكون الأسماء والصفات أيضاً ملحوظة ، ولا يكون غير الأحدية المجرّدة مشهوداً ، ثم يعامل معه ما يعامل معه ، وأن يقع النظر وقت الرجوع إلى الكثرة ، ولا يكون شهوده كعامة المؤمنين غير الخلق ، ولا يكون شغله دائماً غيرَ أداء الطاعة ، ودعوةِ الخلق إلى الحق جلّ وعلا .

فإذا تمّ أمر الدعوة وودع العالم الفاني يتوجَّه بكليته إلى جناب قدسه تعالى ، ويحول رحله من الغيب إلى الشهادة ، ويبدل معاملة المراسلة بمعاملة المعانقة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

صاحب التوجه وصاحب الرجوع

ولا يخيلن[2] الناقص أن الرجوع الكلي نقصٌ ، ولا يَزْعُمَنَّ أن التوجه بالباطن إلى الحق جلّ وعلا أفضل من التوجّه إلى الخلق لدعوتهم وتكميلهم ، فإن صاحب الرجوع ما جاء إلى مقام الرجوع باختيار نفسه ، بل نزل من أعلى إلى أسفل بإرادة الحق جلّ سلطانه ، ورضي لنفسه بالهجر عن الوصول ، فصاحب الرجوع قائم بمراد الحق جلّ شأنه وفانٍ عن مراد نفسه ، وصاحب التوجه محظوظ بالوصل والشهود ، ومسرور بالقرب والمعية .

شعر :

(١) والمراد من الكثرة : كلّ ما سوى الله .فافهم .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعله يَخالنّ .

إذَا أَرْضَــى مـنـا قَـلْـبِـي بـعـادي فَـهَـذَا الـهَـجْرُ أَحْظَى مِنْ وِصَالِي
لأنِّـي فـي الـوِصَـال عَبْدُ نَفْـسِـي وَفِـي الـهُـجْـرَانِ مَـوْلَى لِلْمَـوَالِي
وَشُغْلِي بَالـحَـبِـيـبِ بـكُـلِّ حَـالٍ أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ شُـغْلِي بِـحَـالِي

وفضائل الرجوع وكمالاتُه كثيرة ، وصاحب التوجّه بالنسبة إلى صاحب الرجوع قطرة بالنسبة إلى البحر المحيط[1] . وهذا الرجوع من فضائل النبوة ، وذاك التوجه من آثار الولاية ، شتان ما بينهما ! ! ولكن لا يدرك هذا الكمال منهم كلّ أحد . ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ راجع « الدرر المكنونات » في ٢٨٤ ج١ .

فالحمد لله ثم الحمد لله ؛ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، جزيلاً جميلاً ، فقد كان الفقير خائفاً من هذه الجهة ، لعدم فراغه للشغل بالله بالكلية بسبب كثرة الشغل بالخلق .

مهمات غفل عنها الخلق

فائدة أخرى : قد يظنّ الناس أن المشائخ يجب أن يكونوا يقتدرون على منع عصيان مريديهم ! ! مع أنه قد مرّ أن ذلك ليس من شرط الشيخ ، وأيضاً يظنُّون أن المشائخ يجب أن يكونوا معصومين من الزلل والعصيان ،

---

(١) وحكي أن الشيخ أحمد التلاني حصل له الفناء ، ولم يفق مدة ثمانية أيام ، وكان وقتئذ في إستنبول ، فلما أفاق قال له الحاضرون : إنك بقيت في الفناء في مدة ثمانية= =أيام ، فأعظم ذلك وأعجبه ، ثم اجتمع بالشيخ محمود أفندي ، ولعله اجتمع معه في الواقعة ، فقال له : يا ولدي ، إن في الأولياء من لا يفيق عن فنائه في مدة شهر أو شهرين أو سنة ، ومنهم من لا يتنفس في العمر إلا واحدة ، فهاهنا - أي : في محلة كذا - رجلٌ لا يتنفس في سنة إلا مرّة ، فذهب الشيخ أحمد لطلب ذلك الرجل فوجده كذلك ، وأخبر رقيبه أنه لا يفيق ولا يتنفّس في السنة إلا مرّة واحدة ، ثم قال له الشيخ محمود أفندي : ياولدي ، إن - ولقوله هذا دلائل من الأحاديث - هداية رجل واحد خير مِنْ أنْ يكون فانياً في جميع العمر مثله ، فافهم . والله أعلم . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

مع أن العصمة من شرط النبوّة ! ! وذلك الظنُّ منهم إنما حصل لسماعهم أنَّ بعض الأولياء منعوا مريدهم عن الفاحشة إذا همّ بها وأمثال ذلك ممّا ذكروه في كتبهم .

ولكن ينبغي أن يعلم **أن وقوع ذلك من بعض المشائخ لا يوجب أن يقع في كلّ واحد منهم .**

وفي « الإبريز » : وسمعته ﷺ يقول : إن الذين ألَّفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم ، وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء ، فقد أضرّوا بهم كثيراً ؛ من حيث أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ؛ ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات ، حتى أنّ الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة ، وتصرّفاً على تصرّف ، وكشفاً على كشف ، توهَّم أن الوليّ لا يعجز في أمر يطلب فيه ، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ؛ ولو ظاهراً ، فيقع في جهل عظيم ، لأنه يظنّ أن الوليّ موصوف بوصف من أوصاف الربوبية ؛ وهو أنه يفعل ما يشاء ، ولا يلحقه عجز ، ويوصف من أوصاف النبوّة ؛ وهو العصمة ، والأمر الأول من خصائص الربوبية ، ولم يعطه الله تعالى لرسله الكرام ؛ فكيف بالأولياء ! ! قال الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ** ﴾ ، وقال ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ ، وقال ﷺ : « سألت ربّي عزّ وجلّ اثنين فأعطانِيهما وسألته اثنين فَمَنَعَنِيهِمَا » ، **قال تعالى** ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ ، فقلت : « أعوذ بوجهك الكريم » **فقال : قد فعلتُ** ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ ، فقلت : « أعوذ بوجهك » فقال : قد فعلتُ ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا** ﴾ فقلت : « أعوذ بوجهك » ، **فقال قد سبق القضاء** ﴿ **وَيُذِيقَ**

﴿ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ ﴾ فقلت : « أعوذ بوجهك » **فقال : سبق القضاء .**

وقال تعالى في سؤال نوح نجاةَ ابنه من الغرق ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وقال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ .

والناس اليوم إذا رأوا وليّاً دعا ؛ فلم يستجب له ، أو رأوا ولده على غير طريق ، أو امرأته لا تتقي الله ؛ قالوا : ليس بوليّ ، إذ لو كان وليّاً لاستجاب الله دعائه ، ولو كان وليّاً لأصلح أهل داره ، ويظنّون أن الوليّ يصلح غيره ؛ وهو لا يقدر على إصلاح نفسه ، قال تعالى ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ .

حفظ الأولياء وعصمة الأنبياء

وأما أمر الثاني ؛ وهو العصمة ! ! فهو من خصائص النبوة ، والولاية لا تزاحم النبوّة . قال رضي الله عنه : **والخير الذي يظهر على يد الوليّ إنما هو من بركته** صلى الله عليه وسلم ؛ إذ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما ذات الوليّ ! فإنها كسائر الذوات ؛ بخلاف الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ، فإنهم جُبلوا على العصمة ، وفُطروا على معرفة الله تعالى وتقواه ؛ بحيث أنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه ، ولا إلى معلم يستفيدون منه ، والحق الساكن[1] في ذواتهم ؛ وهو حرف النبوّة الذي طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم ، قال رضي الله عنه : لو أن الناس الذين ألفوا مع الكرامات قصدوا إلى شرح حال الوليّ

---

(١) لعله : ساكن .

الذي وقع التأليف فيه ، فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية ؛ لعلم الناس الأولياء على الحقيقة ، فيعلمون أن الوليّ يدعو تارة فيستجاب له ؛ وتارة لا يستجاب له ، ويريد الأمر ؛ فتارة يقضى ، وتارة لا يقضى ، كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام ، ويريد الوليّ بأن تظهر الطاعة على جوارحه ، وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس ، وإنما امتاز الوليّ عنهم بأمر واحد ، وهو ما خصّه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات ، ومع ذلك فالمخالفة لمن ظهرت عليه إنما هي بحسب ما يظهر لنا ؛ لا في الحقيقة ، لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة ، وتمنع من المعصية منعاً لا ينتهي إلى حدِّ العصمة حتى تزاحم الولايةُ النبوّةَ ، فإن المنع عن المعصية ذاتيٌّ في الأنبياء عرضيّ في الأولياء ، فيمكن زواله في الأولياء ؛ ولا يمكن زواله في الأنبياء ، وسرّه ما سبق ؛ وهو أنّ خير الأنبياء من ذواتهم ، وخير الأولياء من غير ذواتهم ، فعصمة الأنبياء ذاتية ، وعصمة الأولياء عرضية ، فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صوريّة ؛ لا حقيقية ، قصد بها امتحان مَنْ شاهدها واختباره ، ولذلك أسرار ، فنطلب من الله تعالى أن يوفِّقنا للإيمان بأوليائه ؛ كما وفَّقنا للإيمان بأنبيائه عليهم الصّلاة والسّلام . انتهى عبارته في ١٩٠ ، فراجعه .

فائدة أخرى نفيسة وبشارة عظيمة : قال العالم يوسف النبهاني في كتابه « سبيل النجاة »(١) بعد كلام كثير في الحبّ في الله والبغض في الله : ولا شكّ أن قول النبي ﷺ : « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » جواباً لقول القائل : يا رسول الله المَرْء يحبّ قوماً ؛ ولمّا يلحق بهم ! ! وفي حديث أبي ذرّ : « وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ » ، دليل على **أن المحبّ لقوم معهم ؛ وإن قصر عنهم في الأعمال والأحوال** ، ولذلك اشتدّ فرح المسلمين بذلك ،

---

(١) في ١٧ ، راجعه .

كما قال أنس رضي الله عنه : **فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ** : « أنت مع مَنْ أحببت » ، قال أنس : فأنا كنت أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم .

وروى ابن أبي الدنيا في « كتاب المحتضرين » ؛ عن عبد الرحمن بن صالح العجلي قال : قال ابن السماك عند وفاته : أللّهمّ ؛ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك فإني كنت أحبُّ من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وجعل النجم الغزِيُّ رحمه الله محبّة الظلمة للصالحين من القبيل الأول ؛ أي : من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق ؛ مع الرغبة عنها والأنفة منها ، والمحبة لما سواها حيث قال : ومن هذا القبيل محبّة الظَلَمة والفسقة للصالحين ، وتقرُّبهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم ، وإرسال الهدايا إليهم ؛ وهم مكبّون على ظلمهم للناس ، وإسرافهم على أنفسهم ، فهؤلاء لا تنفعهم محبّة الصالحين ولا تلحق بهم . انتهى كلامه .

قال العارف النابلسي بعده : قلت : بل الإنصاف أن تجعل محبة

الظلمة والفسقة للصالحين وتقرُّبَهم من المباركين من القبيل الثاني ؛ أي : من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين لهم في غيره من الطاعات ، لكن لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم ، ولهذا تقرَّبوا إليْهم وأحبُّوهم ، وأحبّوا طريقتهم وتبرَّكوا بهم ، ولو كان لهم رغبة عن أخلاقهم وأنفة عن أحوالهم لبعدوا عنهم ولم يشاكلوهم أصلاً مثل غيرهم من بقيَّة الظلمة ، بل ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علوّ هممهم ، مع الاعتراف بأنهم ظالمون لأنفسهم ، مسرفون عليها ، واقعون في الذنوب والخطايا والآثام ، يصرّحون بذلك بألسنتهم ويضمرونه في قلوبهم ، ويطلبون من الصالحين الدّعاء بتيسير التوبة والتخلّص ممّا هم واقعون فيه ، ولو تيسَّر للواحد منهم اللحاق بهم في وصف من الأوصاف لم يتأخَّر عن الاتصاف به ، وإنما عاقهم عن ذلك ميل نفوسهم مع جواذب الهوى والطبيعة ، وكون أمور العامة متعلقة بهم منوط بأنظارهم ؛ وهم مبتلون بكلّ ذلك جمعاً وصرفاً ، كما كانت هي حالة ابن السمَّاك في حال صدور المعصية ، كما أخبر هو عن نفسه في وقت وفاته ؛ بقوله كما قدمناه : ألّلهمّ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك ؛ فإنّي كنت أحبّ من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وهؤلاء كذلك في حال عصيانهم لله تعالى واعترافهم بذلك ؛ يحبّون من يطيع الله تعالى ومن يتوهَّمون أنه صالح ، ويتقرَّبون إليه ، ويتأدَّبون معه ، ويطلبون منه الدعاء ، ويهدون إليه أشرف ما عندهم ، وهو المال ، رغبة في حصول دعائهم لهم ، فلعلّ الله تعالى يجعله سبباً لنجاتهم في الآخرة ، وليس هذا الوصف في جميع الظلمة والفسقة ، وإنما هذا في طائفة منهم يرون قُبْح ما هم فيه من الأحوال وحسنَ ما في أهل الخير

والهدى من الصلاح ، وهم مسلمون مؤمنون من أهل الكتاب والسنة ، غير أن الله تعالى ابتلاهم بنفوسهم المنهمكة في جمع حطام الدنيا ، وأخذ كلّ ما قدروا عليه من أموال الناس ، والتبسط في أنواع الشهوات ، فالله تعالى يتوب علينا وعليهم ، ويصلح أحوالنا وأحوالهم وأحوال المسلمين أجمعين . آمين . انتهى . كلام العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه . انتهى عبارته .

خاتمة التصنيف

هذا ما تيسّر لنا جمعه ، ووفّقنا الله تعالى نقله ، فمن لم يرض بهذا القدر ! فعليه الرجوع إلى المطوَّلات ، فالحمد لله أوّلاً وآخراً ، والصّلاة والسّلام على رسوله وآله وصحبه ؛ ليلاً ونهاراً .

أللّهمّ ؛ إنّي أسألك الثبات على حدّ الاستقامة ، وأن تجعلنا من جملة الهادين المهتدين ؛ لا من زمرة الضالّين المضلّين .

أللّهمّ ؛ اجعل آخر كلامنا (لا إله إلاّ الله) ، وآخر دعوانا (أن الحمد لله) ، واجعل سعينا هذا مشكوراً ، وعملنا مقبولاً ، واجعله سبباً لهداية الخلق إلى طريق السداد ، لا سبباً باعثاً لزيادة الحسد والعناد ؛ فإنك على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير !

فرغ الفقير من تأليفه في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان هذه السنة ١٣٤١ وفّقه الله تعالى لاتمام سائر مراداته وقضاء حوائجه . آمين .

يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين !

تذنيب

فبعد أيام من بعد انتهاء الكتاب وصل لديّ ما كتبه العالم الفقيه الصوفي القاضي ببلات القلزمي النقشبندي رحمه الله تعالى ، فأحببت أن ألحقه هنا ليكون كلامه تأييداً لما نقلته شكر الله سبحانه سعيه ، حيث نطق بالصواب ولم يداهن ، وقد أظهر الحق ولم يخف من لومة لائم ، ولعله رحمه الله تعالى سمع ما يقوله المنكرون لأهل الطريقة ، والمعاندون لأرباب الرابطة القائلون بعدم وجوب المتابعة لأهل العلم من المذاهب الأربعة ، المدّعون بأنهم أهلٌ للاجتهاد ، ولهم قدرة على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة ،

قال رحمة الله عليه رحمة واسعة ، وكتب بما هذا نصه :

ورأيت في بعض المجاميع أن الشافعي رضي الله عنه كان يجلس لشيبان

الراعي ويسأله عن مسائل ، فقيل له : مثلك يسأل هذا البدوي ؟ فيقول لهم : هذا وُفِّقَ لما علمناه . وكان شيبان أميّاً ، وإذا كان محلّ الأمي منهم من العلم هكذا ، فما ظنُّك بأئمتهم ؟ ! **وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعي وغيره رضي الله عنهم يعترفون**[1] **بوفور فضل علماء الباطن** . « حياة الحيوان » عبارته .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأنّ القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى ، وقد صار هذا الفنّ غريباً مندرساً ، وإذا تعرّض العالم لشيء منه استغرب واستبعد . « إحياء » عبارته .

وغالب الإنكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية ، إنما هو بين القاصر من كل منهما وبين مثله ، وإلا فالكامل من الفقهاء يسلّم للعارفين ، والعارفون يسلّم للعلماء . « لطائف المنن » عبارته .

فهي[2] أم الطرائق ، ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق ، وهي مما جرى على قبوله الوفاق ، وأقرّ بفضله علماء الأفاق . والآن – ولله الحمد – قد تقرّر الطريق وانخذل أهل الحسد والعناد والتعويق . « بهجة » عبارته .

وأمَّا مشروعيّتها وتطبيقها على المذهب ، فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ، ولبّ[3] القرآن ، وحقيقة العرفان ، وفي حقّها أدلّة جملة وتفصيلاً ، كما سيأتي البيان . « جامع الأصول » عبارته ٣ .

مُهِمٌّ

وقد كان الشيخ النووي ﷺ يخرج لظاهر دمشق لشيخه المراكشي رحمه الله يعرّض عليه مسائل يقف في فهمها عند نقلها ، فلو كان الفقراء

---

(١) فالحمد لله على ذلك . (هامش الأصل) .
(٢) أي : الطريقة النقشبندية .(هامش الأصل) .
(٣) ولعل المنكرون لا ينكرون ، وعلى ما قالوه يندمون . (هامش الأصل) .

لا يفهمون أسرار الشريعة أكثر من علماء الشريعة لما راجع النووي مع جلالته ، وقوة اعتقاده وصلاحه ، ووفور علمه ، شيخه المذكور في الأحكام ! « أنوار القدسية » .

وبالحقيقة الفقهاء هم الصوفية لو عملوا بما يعلمون ، فإنّ الأولياء إنما تميزوا عنهم بالعمل ، فأنتجهم بذلك قوّة العلم والفهم عن الله تعالى دونهم ، ففارقوهم به ؛ فلذلك وقع التنازع بينهم من المقصّرين . فحكمهم مع الأولياء حكم الرصاص[1] في دائرة شبكة الصياد ، والأولياء قانصون حبل الشبكة ، فاذا جذبوا الحبل انجرّ جميع الرصاص ، فالقاصرون من باطنهم ولا عكس ، وقال الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وليس أهله إلا الأولياء والعلماء الراسخون ، ونحن مأمورون باتباعهم ، لأنهم ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على أسراره ، فإذا قالوا شيئاً وجب علينا اتّباعه . « الأنوار القدسية » عبارته .

فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلم من الله تعالى بلا واسطة ، وهو العلم اللدنيّ ، كما كان للخضر عليه السلام ، ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم : قرب النوافل ، دلّ عليه ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ عن الله « ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها » . إلخ ، وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل » .

فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله ، ويأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى ، فلا يلزمه شيء بقوله : أخذت العلم من الله تعالى بلا واسطة ، **فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث**

---

(١) فمن لم يكفه هذا لم يكفه غيره . (منه) .

الصحيح[1] . « مكتوبات » . ويالله العجب من المتفقِّهين الذين ينكرون ما قاله الأولياء ، ويصدِّقون بما وصل إليهم من فقيه واحد ، وربما يكون إسناده في ذلك القول إلى دليل ضعيف ، وما ذلك والله إلا الحرمان . « مكتوبات » عبارته .

وكان رضي الله عنه يقول في قصّة موسى والخضر يعني : أنّ للحقّ عباداً أقامهم لبيان المكتسبات ، وعباداً أقامهم لبيان الموهوبات **ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر** ، ولا يشاركهم فيما أقيم فيه ، وإن كان أحدهما نبيّاً والآخر وليّاً . « طبقات » .

إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة ، وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني ، ففهم رموزها وعرف كنوزها ، وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط ، ولو لا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهَر العقول ، **وأسرارهم موضع سرّ الله** . « طبقات الشعراني » عبارته . وكلّ أصناف هذه العلوم عند الأقطاب علوم إلهية ، ما أخذوها إلا عن الله سبحانه وتعالى . « مكتوبات » عبارته .

ونحن نتعجّب على اعتراضات المعترضين ، وكيف يقبل الناس كلامهمْ ولا يزجرونهم ؟ ! . « مكتوبات » عبارته .

فعُلم أنه ليس فهم كلام المتكلّم أن تعلم وجوه ما تضمَّنته تلك الكلمة بطريق الحصر بما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان ، **إنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها** ، فينبعي لك أن تفرق بين الفهم للكلام والفهم عن المتكلم ، وهو المطلوب . فالفهم عن المتكلّم ما يعلمه إلا مَنْ أنزل القرآن على قلبه ، وأما الفهم للكلام فهو للعامة ؛ فكلّ من فهم من العارفين عن

(١) فتفكّروا في مآل إنكاركم ، أعاذنا الله تعالى من سوء العاقبة . (منه) .

المتكلّم فقد فهم الكلام ، وما كلّ من فهم الكلام فهم عن المتكلّم . « أنوار القدسية » عبارته .

بسم الله الذي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء .

والرابطة عند الفقراء هي تخيّل صورة الشيخ لحظة[١] ليس إلاّ ، **لما أنه**[٢] **آكد**[٣] **الآداب عندهم ؛ ولوكان** [مثل] **التخيل**[٤] **المذكور كفراً** كما تقولون : فكيف حال من يتخيّل صورة البنات والأرامل ، ويكون قلبه دائماً في خيالات شتى وتصورات تَتْرَى ؟ ! فيلزم منه كفركم وكفر العوام ، فتفكروا في مآله وعاقبته ! وكونوا صامتين ، وعن اللغو معرضين ، ثم على الحق تابعين وعلى أنفسكم راقبين .

ومقصودهم بذلك طرد الغفلة وإبعاد وساوس الشيطان عن القلب لا غير ، فمن ذاق يدري ومن لا فلا .

ثم أنتم أيها المنكرون للرابطة بيّنوا لنا بطلانها ؟ ! ومخالفة فَاعِلِيهَا للكتاب والسنة بأدلة سمعية صريحة ، وعدم جواز العمل على كلام الأولياء والعارفين ، وكون الأئمة والمفسرين الذين أثبتوا الرابطة على ضلالة وشرك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كيف لا تتقون الله تعالى لتكفير هؤلاء أهل[٥] الله تعالى ؟ ! مع أن الأولياء تميّزوا عن غيرهم بعلوم لا

---

(١) أي : بُرْهة قليلة .

(٢) أي : التخيّل .

(٣) قبل الذكر .

(٤) وإنكار على التصوّر تصور ، فمن يخرج من التصور والتخيّل . (هامش الأصل) .

(٥) وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين والكفّ عن تكفير المسلمين (ومع أنه لا يكفر بالمحتمل) وحمل كلامهم على سبعين محملاً ، إنا لله وإنا إليه راجعون . « مكتوبات » . (هامش الأصل) .

يشاركهم فيها أحد ، كما نطق به الشعراني[1] [قدس سره] بهذه العبارة .

وفي « لطائف المنن » هذه العبارة : وقد أغلق الله تعالى باب تنزل الأحكام الشرعية بموت محمد ﷺ ، وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه ، **فالتنزُّل الروحانيُّ بالعلم بها باق لهم ، ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله تعالى بها** . انتهى عبارته ٥١ .

(١) الذي اطّلع على عين الشريعة الأولى ذوقاً وكشفاً ويقيناً ، وأخذ الميزان عن الخضر عليه السلام ، كما صرّح به في « ميزانه » . (منه) .

وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن علم المنقول والمعقول والأثر إلى عين اليقين ، فالذي للناس لهم غيوب فلهم ظهور وشهود ، فالناسِ أهل التقليد والاستدلال ، وهم أهل التحقيق والوصال . « روح البيان » عبارته ، (فَاتِحَة) .

ومن أنكر طور الولاية ألزمه أن ينكر طور النبوة ، وقد خلق الخلق أطواراً ، فلا ينبعي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته . « إحياء » عبارته . وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ؛ فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية . « بهجة » عبارته ٤ . (هامش الأصل) .

مهم

وفيه أيضاً : **تفسير أهل الكشف أعلى من تفسير غيرهم** ، لأنّ الكشف إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها لا يتغيّر دنياً ولا أخرى ، بخلاف تفسير أهل الفكر والوهم .

وفي « ميزان الشعراني » : والولي الكامل لا يكون مقلّداً ، وإنما يأخذ علمه من العين التى أخذ منها المجتهدون مذاهبهم . وفي كتاب « أنوار القدسية » : وحرام على الفقيه أن يتكدّر من نصح الولي ، **لأنه أعلى منه فهماً في أحكام الله تعالى** ، ولا يتوهّم أنّ علم الأولياء وغوصهم في فهم الأحكام يتوقّف على الآلات عند غيرهم ؛ كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك . فإنَّ الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه ، فيعطي من شاء ما شاء كيف شاء ، فافهم . وجميع المذاهب من باطنهم . انتهى عبارته .

وفي كتاب « البهجة » : إن العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية ، وبالنسبة إليهم كشفية وضرورية . انتهى عبارته .

وفي كتاب « الطبقات الكبرى » للشعراني : وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر ﴿**هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا**﴾ ، وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة ، كما يجب طلب علم الشريعة : وكلّ عن مقامه يتكلّم ، قال الله تعالى ﴿**وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾ أي أطلعناهم[١] على العلوم المتعلّقة بالعلويّات والسفليّات ، وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت ، وقال تعالى ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ**﴾ ، والرزق نوعان :

روحاني وجسماني ، وقال تعالى ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ**﴾ أي : يعلّمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية .

---

(١) أفأنتم تنكرونه وتمنعونه خلاف آيات الله تعالى . انتهى . (هامش الأصل) .

فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ، ولا تتوّهم فيما يفسرونه به الكتاب والسنة أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآية والحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم . فمن المفهوم ما جلب له الآية والحديث ، ودلت عليه في عرف اللسان . وثَمَّ أفهام أخرى باطنة تُفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالى عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي « إنّ لكل آية ظاهراً وباطناً »[١] **والباطن** هو المعارف الإلهية . والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد ، فيكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي ، فافهم يا أخي .

ولا يصدّنّك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهم العموم من هذه الطائفة الشريفة قولُ ذي جدل ومعارضة [أمثالكم] : إنّ هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ . فإنه ليس بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذى قلناه ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى في نفوسهم ما يُفهمهم بفضله ، ويفتحه على قلوبهم برَحْمته ومنّته .

ومعنى الفتح في كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السرّ ، لما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة ، إذ الولي لا يأت بشرع جديد وإنما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة لم يكن يعرف أحد قبله ، ولذلك يستغربه كلّ الاستغراب من لا إيمان[٢] له بأهل الطريق ، ويقول : هذا لم يقله أحد .

---

(١) إلى سبعة أبطن أو إلى سبعين . (منه) .

(٢) مثلكم . (هامش الأصل) .

على وجه الذم ، وكان الأولى أخذه منه على وجه الاعتقاد . « الطبقات الكبرى » عبارته .

وإنما نهى القوم عن المنازعة لأن علومهم مواجيد[1] **لا نقل فيها** . ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لايجوز للسامع منازعته فيما أتى به ، بل يجب التصديق به . منه عبارته . فإن علوم القوم لا تقبل المنازعة ، لأنها وراثة نبويّة ، ونهى ﷺ عن الجدال ، وقال في المجادل « فليتبوّأ مقعده من النار »[2] والله تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم ، والغالب[3] لمن غالبهم . منه عبارته .

والحق أن كلام أهل الحق حقّ ومقتبس من مشكاة النبوة « مكتوبات الرباني » عبارته .

والعلم اللدني عند الأولياء للورثة الكاملين للنبي ﷺ ، وظاهر النبوة المحمدية خُتمت به ، **وباطنها لا يختم إلى يوم القيامة** ، وهو الولاية

---

* والعجب من العلماء علماءِ الظاهر أنهم لا يقبلون علوماً معلومة بنور الفراسة والكشف الصحيح ، أخبر بها من عاينها وشاهدها (وبلغ مرتبة اليقين بالكشف الصحيح) . (منه) ، ويطلبون إثباتها بأدلّة ظنية متردّدة بين الخطاء والصواب ، أخذها المجتهدون من أهل الظاهر . وأيّ حاجة لإثبات اليقين بالظنون والعمل على السامع بترك المخبر المعاين ؟ ! وأنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً ، ومآل دعواهم إلى ذلك (أي : إثباة اليقين بالظنون) ، فماذا يقال لهم ؟ ! ليس إلاّ هذا . من لم يكن في نفسه مَيْل الهدى * فشهوده وجه النبيّ لا ينفعه * ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ**﴾ * ﴿**رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ**﴾ .

ومن لم يعلم الفرق بين الظنون واليقينيّات لا يعلم الفرق بين الأرض والسموات . ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، والسلام على من اتّبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى . (من الحقير الفقير ببلات) .

(١) فلم يبق لإنكارهم سبيل ، فالحمد لله . انتهى . (هامش الأصل) .

(٢) وناهيكم بهذا المقعد . (منه) .

(٣) فتنبهوا أيها العلماء . ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ . انتهى . (هامش الأصل) .

عموماً وخصوصاً قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقال تعالى ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ . « سلسة الأرواح » عبارته .

مقدمة : في بيان أنّ طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة ، وأنها مبنيّة على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وبيان أنها لا تكون مذمومة **إلا إن خالفت صريح**[1] **القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير** . وأما إذا لم تخالف ؟ فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فيعمل به ومن شاء تركه . وما بقي باب للإنكار إلاّ سوء الظنّ بهم وحملهم على الرياء ، وذلك لا يجوز شرعاً ، فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاًّ صَدَقَ ، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صَدَقَ ، لكن لا يَشْرَفُ على ذوقِ أنَّ علم التصوّف تفرّعُ من عين الشريعة إلاّ مَنْ تبحّر[2] في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية .

وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . « طبقات » .
فويل لقاصر النظَر على جرأتهم ، حيث ينسبون قصورهم إلى الغير .

لو عـابهم قاصـر طع ناً بهم سفهاً ... برِأتْ سـاحتهم عـن أفحش الكلم

هـل يقطع الثعلب المحتال سلسلة ... قيّدت بـهـا أسـد الدنيا بـأسرهِـم

وويل لهم ألف مرة على تعصُّباتهم الباردة وأنظارهم الفاسدة ، يَنفون ما وراء معلومهم ، ويجعلون ما لم يثبت عندهم منفيّاً . « الطبقات الكبرى » عبارته . ومنه :

تـركـنا الـبـحـار الزاخرات وراءنا ... فمن أين يدري الناس أيـن تَوَجَّهْنَا

انتهى .

---

(١) فأنتم تبيّنون الصرائح ، ولا بد لكم من ذلك ! انتهى . (ببلات) .
(٢) يكفي لكم هذا القول . انتهى . (ببلات) .

ومنه أيضاً :

ولا أحد يصطاد عنقاء فاسترح   وإلاّ تكون حال الفخ دائماً

انتهى . فلله درّه .

ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحّر فيه ، أعطاه الله تعالى هناك قوّة الاستنباط ؛ نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء ، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ، وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى ، نظير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً مما لم تصرّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب وليّ الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرّح الشريعة بوجوبه .

وإيضاح ذلك : أنهم كلّهم عدول في الشرع ، اختارهم الله تعالى لدينه ، فمن دقّق النظَر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف يخرج علومهم عن الشريعة ؟! والشريعة هي وُصْلَتهم إلى الله عزّ وجلّ في كل لحظة . ولكن أصل استغراب من لا له إلمامٌ بأهل الطريق أنّ علم التصوف من عين الشريعة ، كونُه لم يتبحر في علم[1] الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . « طبقات » عبارته . وقال القشيري : لم يكن عصر في مدَّة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلاّ وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ ، وتواضعوا له ، وتبرّكوا به[2] ولولا مزيّة وخصوصيّة للقوم لكان الأمر بالعكس .

---

(١) فبارك الله لكم في هذا الأصل الذي أنتم فيه . خطاب للمنكرين . (ببلات) .
(٢) فتبرّكوا أيها العلماء كما تبرك من قبلكم . انتهى . (ببلات) .

قلت : ويكفينا للقوم مدحاً إذعان الإمام[١] الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي . كان يجلس بين يديه كما يقعد الصبي في المكتب ، ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا ، وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك ، وإذعان أبي العباس للجنيد ، وقد كان الإمام أبو تراب النخشي أحد رجال الطريق رضي الله عنه يقول : إذا ألف العبد الإعراض[٢] عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى . « طبقات الكبرى » عبارته .

هيهات هيهات !! قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء ، فالله المستعان ، وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان . « إحياء » عبارته .

كان الفتوى والعمل على الفقهاء ، والعارفون تبعهم قبل القرن العاشر ، ثم بعده فالعمل والفتوى على العارفين ، والفقهاء تبعهم[٣] للآية الكريمة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ولخبر ورد في المعرفة « وأعرِّفه سري الذي أسرته على خلقي » . « كنز الدرر » عبارته .

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك ، فهناك يطلع كشفاً ويقيناً على حضرات الأسماء الإلهية ، ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين .

---

(١) وأيّ اعتبار في إنكاركم مع هذه الإذعانات من هؤلاء الأكابر ؟ ! (منه) .

(٢) فإن لم تبكوا ، فتباكوا على هذا القول أيها المنكرون . انتهى . (هامش الأصل) .

(٣) لأنّ من كان على بصِيرة لا يتطرّق إليه تهمة ، لأنه ليس عن فكر ولا نظَر ، فعلمهم لا يزلزله تجدّد نظَر ، إذ هو حقّ اليقين . فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود ، لا عن نظَر وفكر . « الأنوار القدسية » . وهو مشهد ذوقي لا يدركه إلا أهله . « طفل المعاني » . وعلماء الظاهر قاصرون في دركها . « مكتوبات » . والفرق واضح بين منٍ علم وجود النار بوجود الدخان ، ومن علم وجود النار برؤية الدخان ، فإن هناك علماً بالدليل ، وهنا رؤية الدليل ، أي معناه : إن اليقين الثاني أتمّ من اليقين الأول لقوّة دليله . (ببلات رحمه الله آمين) .

والله تعالى يقذف في سرّ خواص عباده ما لا يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل . « إحياء » عبارته .

فقد أفلح المصدقون وخاب المستهزؤون . « طبقات الكبرى » عبارته .

وبغية طلبة العلم كثيراً الاعتراض على الذاكرين ، ويقولون : الاشتغال بالعلم أفضل ، ولا يتأمّلون المراد من العلم ماذا ، وأيّ غرور فوق هذا . « أنوار القدسية » .

وتعصّبات الفقهاء على الفقراء لم تزل من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ ، ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ فأعاذنا الله تعالى من صحبة أهل الوقيعة فيهم ومجالستهم ، كما قال سيّدنا علي الخواص : **إياك أن تصغي لقول مُنكِر على أحد من طائفة العلماء ، فتسقط من عين رعاية الله تعالى وتستوجب[1] المقت من الله** . « طبقات الكبرى » عبارته . فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع ، والتسليم للقوم في كلّ شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص . انتهى كلام السبكي . « طبقات الشعراني » عبارته .

ويجب الإطاعة لإولياء أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ لأنّ المراد من أولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون . « سلسلة الأرواح » .

[و]إن كنتم لا تعملون كلام الأولياء ، و[تقولون] : لايصحّ العمل به ؛ فلِمَ تعملون في فضائل الأعمال بقراءة أبيات كذا وكذا ، لنيل فضيلة كذا وكذا ؟ ! ذكرها[2] في « شرح البردة » و« شرح نظم أسماء الله الحسنى »

---

(١) ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ والله خبير بما يصنعون .
(٢) أي : الأبيات .

ونحوهما ، وما دليلكم لذلك ؟ ! والحال أنّ تلكم الأبيات حادثة بعد زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، ومن أخبرهم بذلك وهل نزل بهم وحي به ؟ ! انتهى .

ليس علم المذكورات وأمثالها إلا بإخبار الأئمة الأخيار والأولياء الأبرار ، وكرامات الأولياء حقٌّ صادق يجب الاعتقاد به ، ولا تنكروا على ما نقل عنهم . « فتاوى الچخي » عبارته .

ثم إن كنتم - ولا بُدّ - منكرين للأولياء والعارفين فتفكّروا في آيات الله ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ، ويباهون به العلماء ، ويمارون به السفهاء ، لا تتزكى أنفسهم بمجرّد تعلم العلم ، بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهات والممارات والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحبّ الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ التزكيةَ ، ويتهيَّأُ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية ، وهم العلماء الراسخون والمشائخ المحققون ، كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديماً .

والمزكّي هو النبي ﷺ في أيام حياته كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية ، وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه ، قرناً بعد قرن من الصحابة والذين اتّبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا[1] . « روح البيان » عبارته .

وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه يقول : الاعتقاد إن لم ينفع ، لا يضر ، والفقيه إذا لم يكن له إلمام[2] بطريقة القوم ، [وملاحظهم ، واصطلاحهم ، ومؤاخذاتهم ، فهو جاف] . « الأنوار القدسيّة » .

---

(١) فهل المفسّر في هذه الآية على ضلالة وأنتم على هداية ، فالإنصاف ثم الإنصاف . (القاضي ببلات رحمه الله تعالى) .

(٢) وألمّ الرجل بالقوم إلماماً : أتاهم فنزل بهم ، ومنه قيل : ألم بالمعنى ، إذا عرفه ، وألم بالذنب ، إذا فعله ، وألم الشيء ، إذا قرب . « م ص » .

وكلمات أولياء الله تعالى مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمدية ﷺ ، فكما أن تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة ، كذلك تعظيم كلام أولياء الله تعالى لازم أيضاً . « طبقات » .

فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم ، وتلك أمور لا تعارض شيئاً من صريح السنة ، والأمر في ذلك سهل ، **فمن شاء فليصدّقهم ويقتدي بهم كمقلدي المذاهب ، ومن شاء فليسكت ولا ينكر لأنهم مجتهدون في الطريق ، والمجتهد لا يقدح إنكاره على مجتهد آخر** . « طبقات الشعراني » عبارته . وأحوالهم من وراء النقل[1] والعقل ؛ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ . « أنوار القدسية » . ولا ينكر على الفقراء إلا محرّماً[2] مجمعاً على تحريمه . « حديقة الندية » و« بغية » عبارته .

فكما يقال : إنّ جميع ما رواه المحدّثون بالسند الصحيح المتّصل ينتهي سنده إلى حضرة الحقّ جلّ وعلا ، فكذلك ينبعي أن يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة ، وذلك ؛ لأنّ جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة ، ولا شكّ عندنا في ذلك . « ميزان الشعراني » عبارته ٣٥ .

ومن تمسّك بأذيالهم أفلح وأدرك ، ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك . « إبريز » عبارته .

مُهِمٌّ

فإنه ما ثَمَّ لنا دليل واضح يردّ كلام أهل الكشف أبداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا شرعاً ، لأنّ الكشف لا يأتي إلا مؤيداً بالشريعة دائماً ، إذ هو إخبار بالأمر على ما هو عليه في نفسه ، وهذا هو عين الشريعة . « ميزان الشعراني » عبارته ٢٤ .

---

(١) فانتهى القيل والقال على هذا القول بلا امتراء .

(٢) فبينوا لنا الإجماع أيها المنكرون . (هامش الأصل) .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى أيضاً يقول : لا يكمل مقام العالم عندنا في العلم حتى يردّ سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأَدْوار إلى الكتاب والسنة ، ولا يصير عنده جهل بمنزع قول واحد منها لو عرض عليه ، وهناك يخرج عن مقام العوام ، يستحقّ له التلقيب[1] بالعالم ، وهو أوّل مرتبة تكون للعلماء بالله تعالى . « ميزان الشعراني » عبارته ٥٩ . **والعاميّ ليس من مرتبة الإنكار على العلماء لأنه جاهل** . « ميزان الشعراني » عبارته ٥٩ .

وكما حرّم العلماء على الرعيّة الطعن على إمامهم الأعظم إلا بدليل واضح كالشمس ، فكذلك يحرم على المقلّدين الاعتراض والطعن على أئمّتهم في الدين إلا بنَصٍّ واضح لايحتمل التأويل . « ميزان الشعراني » ٥١ .

معنى الرابطة

والرابطة عبارة عن المحبّة . « فتاوى عمريّة » . والمحبة يربط قلب[2] المحب بالمحبوب فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ويستفيض الأرواح . (منه)[3] . وفي الحديث « أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله » .

و الشيء إنما يكون شيئاً بماهيّته ، وليس للرابطة ماهيّة عندنا غير هذا ، ولا غرض لنا بها إلا هذا .

---

(١) ويستحقّ التلقيب علّه

(٢) كأنه حاضر معهم وناظر إليهم على مقتضى ﴿كُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي جسماً إن أمكن ، أو روحاً إن لم يمكن ، والمحبة عبارة عن توجّه القلب وميْله نحوَ المحبوب . « فتاوى عمرية » . (هامش الأصل) .

(٣) أي : « فتاوى عمرية » .

واحضر قلبك[1] النبيّ وشخصه الكريم ، ثم قلْ : السلام عليك أيها النبي .

ومطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب مشروع ، وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكّرهم وتفكّرهم ؟ ! مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ . وإذا غلب على الذاكر التفكر الغير المشروع في الله تعالى يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن منه ، **فهذه من جملة فوائد الرابطة** .

وفي الحديث « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » . وفي الحديث : « كن مع الله ، وإن لم تكن ، فكن مع من كان مع الله ، فإنه يوصلك إلى الله إن كنت معه » . « خزينة الأسرار » .

وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى ، وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه ، فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله ، وأشرف الأمة محمدٍ ﷺ ، وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين ؟ !

وكيف لا تخافون من الله تعالى أن تحكموا بأنَّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً . حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً . « فتاوى عمرية » عبارته .

وقد قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر[2] في قلبك النبي وشخصه الكريم ، وقل : السلام عليك . « فتاوى عمرية » عبارته .

---

(١) ويمثله بين عيني قلبه (منه) لعلّ هذا في التشهّد .
(٢) وإذا جاز هذا التذكر في الصلاة ، فما بالكم في غيرها أيها المؤمنون . (هامش الأصل) .

وهو أمر لا يتصوّر جحوده إلا ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم - والعياذ بالله - بالمقت والحرمان ، لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها ، بل واتفقوا عليها ، كما لا يخفى على من تتبّع كلماتهم القدسية ، واستنشق نفحاتهم الأنسيّة ، وإلا فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع ، **فقد قال بها من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** .
فالرابطة أفضل الوسائل لأنه إما النبي ﷺ ، وإما النائبون منابه ، وقال الله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ ففيه إشارة إلى الرابطة ، لأن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيّله معنى ، وهو غرضنا من الرابطة ، وإلا فلا يُعدُّ اتباعاً .

مهمّ جدّاً

وأما السنة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه شكا للنبي ﷺ عدم انفكاكه ﷺ عنه ، حتى في الخلاء ، أي بحسب الروحانية ، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يأخذه الحياء منه ﷺ . « بهجة السنية » ٤٤ .

ونسبة هذه الطائفة النقشبندية إلى الصديق الأكبر الذي هو أفضل البشر المبشَّر بالجنة ، وأجلسه الصحابة مكان النبيّ بعده ، وخلق من طينته ، وقُبِرَ عند قبره ، فإذا رموه بالكفر والضلالة فما ذا يقال لهم ، وكيف أجلسوا مكانه ضالاًّ ومضلاًّ ؟ ! وماذا أكتبُ زيادة على ذلك . رزق الله سبحانه لهؤلاء المنكرين الإنصاف حتى يكفّوا ألسنتهم عن الطعن في أكابر الدين .

ولا أقول لكم أيها المنكرون أنكم لا تعلمون ما علمنا ، وأنتم جهلاء منّا ، وليس لنا مع كل أحد من المسلمين سوء ظنّ ، وحقد ، فضلاً مع أمثالكم ، بل أنتم تنسبون إلينا الجهل والفجور ، ومقصودكم بذلك إيقاع الخصومة والاختلاف بين أتباع الشيوخ ، وإيساءة ظنونهم في حقٍّ شيوخهم ، ولا عيب عليكم إلا إفشاء هذا الاختلاف بين الخلق[1] ؛ فانتهوا - رحمكم الله - عن هذا المقام لعلكم ترحمون .

وليس غرضنا منكم ، ومن غيركم ، ومن كتبة هذه السطور إلا قطع الفتن من بين الخلق ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ ، ولا يخفى الضمائر والسرائر ، وأنتم تظهرون أقوال المنازعين الضالين قبلكم[2] ، وتكتمون جوابهم من الصادقين السالفين .

وقد أدخلتم نفوسكم في زمرة المعترضين السابقين بلا باعث ولا طائل ، و لا تنهون عما لا يعنيكم ، وتظنون أنكم تحسنون صنعاً جميلاً : ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ ، ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ ، هذا والسلام (وأنا الحقير القلزمي القاضي الضروري ببلات) .

---

(١) وسدّ طرق السالكين سبيل أهل الله . (هامش الأصل) .

(٢) وتعصبات الفقهاء على الفقراء ، التي لم تزل من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد المسطامي . (منه) .

والسنة لإثبات الرابطة؛ فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر ﷺ شكى إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه [حتّى] في الخلاء، أي بحسب الروحانية، وكان يأخذ الحياء منه . « البهجة السنية » عبارته .

وخبر البيهقي أنه تعالى قال ليلة الإسراء « يا محمد، سل تعط » فقال : « يا رب، إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمتَ موسى تكليماً »، فقال « ألم أعطك خيراً من هذا واتخذتك حبيباً، فكان قاب قوسين أو أدنى » . « فتح المبين » عبارته ١٧ .

وقال النبي ﷺ « ألا وأنا حبيب الله ولا فخر » . « فتح المبين » عبارته ١٦ .

وقال آدم : يا ربّ أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي، قال الله تعالى « صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، وإذا سئلتني بحق محمد قد غفرت لك » . « منح المكية » عبارته .

و الله تعالى يحبّ التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين، وما المانع لنا من حبّهم .

واعلم أن أفضل الأعمال وأشرفها وسيلة هو محبة نبينا محمد ﷺ ،

فإنها سبب لكلّ خير دنيوي وأخروي ، وحينئذ فعليك أن تكون ممّن امتلأ قلبه بحبّ النبي ﷺ . « منح المكية » .

وقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ، وأبويه ، وأهله ، وولده ، والناس أجمعين » وفي حديث آخر « الآن كمل إيمانك يا عمر » حيث قال عمر : يا رسول الله ، إني أحبك من نفسي ، وقال ﷺ « من أحبني فقد أحب الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، والمرء مع من أحب » . وقال ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » وعلى المرء أن يحبّ النبيّ ويتّبعه ، ويتّبع أولياء الله تعالى . « روح البيان » عبارته .

« كل المسلم على المسلم حرام ، عِرضه وماله ودمه » . « فتح المبين » عبارته . وفيه أيضاً بلفظ حديث : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » أي : تعاونوا وتحابوا فيما بينكم . « فتح المبين » عبارته . وأما محبة الصالحين سواهم ، فزين في الدنيا ونور في الآخرة . « مظهر » .

والرابطة عندنا محبة الأولياء والعارفين ، وربط قلوبنا عليهم ، وتخيّل صورهم برهة قليلة ، كأنهم عندنا ونحن عندهم ، ثم محبة النبي ﷺ ، وربط قلوبنا عليه وتخيّله كذلك ، ثم النظر إلى القلوب بترك التخيل المذكور ، وذكر الله تعالى بالقلب بالتفكر ، ليس إلاّ . فبعد أن ثبت هكذا ؛ أولاً محبة الله لرسوله بإتخاذه حبيباً ، ومحبة الرسول لربه تعالى ثانياً بحديثه ، ومحبة الصديق لرسوله ثالثاً ، بحيث لا ينفكّ عنه حتى في الخلاء بفنائه فيه ، وبعد أن ثبت عن النبي ﷺ بوقوف محبة الله تعالى على محبته ، ووقوف كمال الإيمان على محبته بحديثه .

وكذا بعد أمره[1] ﷺ بمحبة عباد الله بقوله « وكونوا عباد الله إخوانا » أي بتعاونهم وتحابّهم ، فتُدخِلوا محبَّتنا هذا في البدعة المذمومة ، كيف تُدخِلونها ؟ ! فليس في رابطتنا شيء أحدثناه واخترعناه إلا هذه المحبة المذكورة التى هي أفضل الأعمال ، ولا بأس لنا ببدعتكم إياها ، ولا لنا إلا اقتداء ربّنا ورسولنا في قولنا ولا في فعلنا هذا ، والحمد لله على ذلك ، غير إن كنتم تعلمون معنى الرابطة غير هذا وكيْفيتها دونها ، وتدخلونها في البدعة المذمومة ، وتظنون أنها رابطتنا ، فبيّنوه لنا ، لا عيب عليكم ، فوالله العظيم لا أريد أن أكون من المبتدعين الضالين ، وليس لنا رابطة غير هذا ، وإلا فالسلامة لكم في السكوت .

وإن كنتم تطلبون لمحبة الله تعالى ورسوله والصالحين دلائل سمعية غير هذه الأدلة ، ولا تكتفون بهذه الأدلة ، لاجرم تحتاجون لغيرها إلى الأدلة من الكتب الأربعة ، ومن يطيقها لا فائدة في الكلام معكم ، فماذا نقول لكم وماذا تقولون ، اللهم اسقنا الغيث[2] ولا تجعلنا من القانطين ، واغفر لنا من تضييع الوقت بطول الكلام بعد علم الحقيقة . ولو لم يكن لكم عناد لكنتم صامتين ، وعن الغيبة معرضين ؛ أو كنتم تريدون علم حقيقة الطريقة والرابطة لذهبتم لدى من في يده زمامها ، كما هو دأب غير المعاندين غيركم ، وأيّ عناد وحسد أعظم من إنكار ما نقله أهل الكشف الصحيح الذين يغترفون أقوالهم من عين الشريعة الأولى ، ونسبتِهم إلى ضلالة وكفر ؟ ! يغفر الله لي ولكم أجمعين (وأنا الحقير القلژمي القاضي الضروري ببلات) .

واعلم أنك عاجز عن الإحاطة بفهم كلام جنسك من البشر ، فكيف

---

(١) وقوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ أي : بعد أمره تعالى باقتداء المهتدين ، وكذا بالإتباع بهم بقوله ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ ﴾ . وإلخ وإلخ .

(٢) من قلوب المشائخ . (هامش الأصل) .

لا تعجز عن فهم كلام رب العالمين ؟ ! **فلا ينبغي أن يفسر كلام الله تعالى إلا كُمَّلُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة السلام المبرئين من الهوى ومتابعته** ؛ تسلم[1] من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلّة عن الهدى وحقائقه . « أنوار القدسية » عبارته .

ونظرهم لحقائق الأمور ترى . .

للمخمِّس شعيب أفندي الباكني قدس سره ، لا لظاهر معاني الألفاظ ؛ لأنها من العلوم الرسمية المجازية لا الحقيقية ، لأن العلوم عندهم ما لم يسبق إليها أحد سوى الله تعالى ، تدبّر ؛ ولا تعجلوا أيها العلماء المجازيون الذين ينكرون حقائق المعاني للكتاب والسنة الأصول . . إلخ . (منه) .

فإن كنتم مقلّدين فدليلكم قول المجتهد ليس إلا[2] ، وإن كنتم مجتهدين بزعمكم وتبطلونها[3] ولا تجيزونها ، وتخالفون المجتهدين الماضين فتلك رحمة للعالمين ، ولا يختصّ العمل باجتهادكم ، فما ذا حصل بإنكاركم[4] ، فلستم متبحّرين فضلاً [عن] مجتهدين ، ولستُمْ أتقياء فضلاً [عن] أولياء ، بل أنتم ونحن مقلّدون ، بل من بينهم مقصّرون ، ونحن وأنتم شهود لذلك ، فالسلامة لنا ولكم في السكوت والخروج عن الغيبة المذمومة ، وإعطاء القوس إلى أربابها ؛ ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ، وليس علينا إلا اتباع[5] أقوال المجتهدين[6] والعارفين ، وإذا جاء الصواب ذهب الجواب . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى ما كتبه

(١) وأنتم تقعونها فإنا لله . (هامش الأصل) .
(٢) ومجتهدوا الطريقة يثبتونها ، وأئمة الشرع كذلك . (منه) .
(٣) أي : الرابطة . (هامش الأصل) .
(٤) ومع أن المجتهد لا ينكر على مجتهد . « ميزان الشعراني » عبارته .
(٥) والبكاء على علمنا بلا عمل منا . (هامش الأصل) .
(٦) أهل الظاهر والباطن . (هامش الأصل) .

ذلك العالم الفقيه الصوفي ببلات[1] ، رزقه الله الاستقامة والتوفيق آمين .

وقد كان قد ذكر هاهنا أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في إثبات استحسان الرابطة الشريفة ، مع بيان الكتب ، لكن لما كنت بسطت الكلام من قبل لم أُكرّرْ هَاهنا ، فالحمد لله الذي أوْجَدَ في عصرنا هذا مثله ، أطال الله بَقَاءَهُ ، وجزاه الله عن المسلمين خيراً ، آمين . فهذا والسلام وأصيكم بالدعاء . اللهم ربنا لك الحمد كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حقّ قدره

---

(١) وله تقرير نفيس باللغة العجمية ، والفقير على قصد إلحاقه في زيل الكتاب إن شاء الله تعالى . (منه) .

* **فإن قلت** : فما المراد بحديث ؟ « إن لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم » . **فالجواب** : المراد بهم أرباب العلوم ، وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدي أنبيائهم ، ولكن ليس لهم اتباع لعلوّ مقامهم ، فهم مستريحون يوم القيامة ، لا يحزنهم الفزع الأكبر ، ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ، ولا على غيرهم لأنهم ليس لهم اتباع ، ذكره الشيخ في الباب المذكور أيضاً . « يواقيت » . عبارته ٢٣٨ ج٢ .

والفرق بين علماء الكلام والعارفين أن المتكلم تغيب عنه علومه بالذات والصفات في أكثر الأوقات ، فلا تدوم له تلك الأحوال ، ولو دامت لكان من العارفين ، لأنه يشاركهم في العرفان الموجب للأحوال الموجبة للاستقامة . **وكيف يساوى بين العارفين والفقهاء ؟! والعارفون أفضل الخلق وأتقاهم لله تعالى** . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ومَدْحه تعالى في كتابه للمتقين أكثر من مدحه للعالمين ، والعارفون هم المراد في قوله عز قائلاً ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ دون العلماء بمجرّد الأحكام ، لأن الغالب عليهم عدم الخشية . انتهى « فتاوى الحديثية » عبارته ٩٤ .

وممّا يدلّ على فضلهم ؛ أي : العارفين على الفقهاء ما تكرّم الله به عليهم من الكرامات الخارقة للعادة ، ولايجري شيء من ذلك على أيدي الفقهاء ، إلا إن سلكوا طريق العارفين واتّصفوا بأوصافهم : « وما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في صدره » . « فتاوي الحديثية » ٩٥ .

ومقداره العظيم .

وممّا كتبه ذلك العالم ببلات القلزمي - أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي - هذه العبارات الآتية قال رحمه الله :

أوليس الوصول إليه تعالى بالهبوط والصعود ، بل يكون العبد في التوجه إليه تعالى فانياً [1] عما سواه . « تحفة الأحباب الخالدية » .

وفلاح[2] الدنيا هو الوصول إلى الله تعالى . « تحفة الأحباب » . ٤ . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ، ويراعيه ، ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ، فهو ممّن قال الله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3] . « إحياء » .

واعلم أن حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية ، لأن من قدر على ذلك فقد تصرف ، لأنّ التصرف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه ، وتعطيله عن الأفكار ، فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف[4] حقيقة قلبه ، ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربّه ، كما قال ﷺ « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

---

(١) وذلك الفناء بالرابطة ، وبالوقوف القلبي ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ من ذاق يدري ومن لا فلا ، وقال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

(٢) فأهل الرابطة هم المفلحون ، يعني : أن الرابطة وسيلة الفناء في الشيخ ، وهي مقدمة الفناء في النبي عليه السلام ، والفناء فيه عليه السلام مقدّمة الفناء في الله والبقاء بالله ، ومن فاز بهذا فقد فاز بالوصول والمشاهدة ، وأفلح . فافهم . (قحي) .

(٣) وبالرابطة نجاة من الفسق ، يعني : أن الرابطة سبب الغيبة والذهول ، فإذا حصل له الغيبة عما سوى الله يحصل له النجاة عن الفسق ، فتدبر . (قحي رحم الله إفلاسه آمين) .

(٤) وبالرابطة معرفة قلبه وحفظه ، ولأَزَمه مذكور ، وثبت بهذا أن معرفة القلب بحفظ القلب عن الخواطر المتحقق بالوقوف القلبي ؛ وبمعرفته تحصل معرفة الله ، تدبر . (قحي) .

« البهجة السنية » .

وحماية القلب عن وساوس الشيطان واجب ، وهو فرض عين على كل مكلّف ؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . « إحياء » .

ومن داوم على المراقبة يحصل له دوام جمعية[1] الخاطر ، ودوام قبول القلوب ، ويقال له في اصطلاح الصوفية : الجمع والقبول . « جامع الأصول » عبارته .

والجمعية : اجتماع الهمم في التوجّه إلى الله ، والاشتغال به عما سواه . « جامع الأصول » عبارته .

واعلم أن المراقبة أصل كلّ خير وسعادة ونجاة ، ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى ، وإصلاح[2] وقته الحاضر . « جامع الأصول » عبارته .

والحضور وسيلة إلى المراقبة . « فتاوى عمرية » . والرابطة[3] تجرّ إلى مراقبة ربّه . « جامع الأصول » عبارته .

ومآل معاني القرآن كلها إلى شيئين[4] : حفظ آداب العبودية ، وتعظيم حقّ الربوبية . « جامع الأصول » . عبارته .

(١) والرابطة عين الجمعية المذكورة ، يعني : أن الرابطة سبب الحضور وجمعية القلب مع الله بالغيبة والذهول عما سواه تعالى ، فتدبر . (قحي) .

(٢) وبهذا ثبت أن تحقّق المراقبة المفسر به بالإحسان الصادر من فم الرسول بتحقق الرابطة الشريفة (أي : بحديث : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » . . وإلخ . « قحي ») ، لأنّ بها إمساك القلب عن الغفلات الذي به إصلاح وقته الحاضر ، ولأن الغفلة والمراقبة لا يجتمعان في القلب ، فطرد الغفلة بالرابطة مقدّم على مراقبة الله تعالى . (هامش الأصل) .

(٣) فالرابطة وسيلة إلى المراقبة . (هامش الأصل) .

(٤) وكلاهما في الرابطة . (هامش الأصل) .

فكيف[١] يشرق قلب مَنْ صُوَرُ الأكوان منطبقةٌ في مرآته ، أم كيف يرتحل إلى الله وهو مكبّد بشهواته ، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهّر من جناب غفلاته ؟ ! « جامع الأصول » عبارته .

واعلم أن مخالفة[٢] النفس ، ومدافعة مرادها فرض عين ، وجهاد عظيم ، وأمر فخيم ، قال تعالى :﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ إلخ . وبالجملة : فبمقدار أجنبيّته عن نفسه تحصل معرفته[٣] بربّه . « جامع الأصول » عبارته .

وقد كان[٤] السلف يجتهدون في قطع الخلائق ، ورفع الشواغل والعلائق عن القلوب ، وفي تفرّغ القلب عن عوائقه ينتهي[٥] بفطرته إلى محبّة خالقه . « جامع الأصول » عبارته ؛ لأن التعطيل في حقّ القلب مفقود ، فإذا سدّ عليه طريق ما سوى الله فلا جرم يتوجّه إلى المطلوب . « رسالة » عبارته .

وليس[٦] من العبادة شيء أنفع من إخلاص القلب عن الخواطر . « جامع الأصول » عبارته .

وقال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) وقد ثبت في الوجه التاسع أن الغفلة معصية ، بل هو أصل الخطيئات ، وإذا ثبت أن الغفلة أصل الخطيئات فالرابطة المذهبة للغفلة أصل الحسنات . (هامش الأصل) .

(٢) ففي الرابطة مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

(٣) فبالرابطة معرفة الربّ ، لأن بها مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

(٤) فنحن على إثرهم بالرابطة . (هامش الأصل) .

(٥) وبالرابطة ينتهي القلب بفطرته الأصلية إلى محبّة خالقه ، لأن بها فراغ القلب عن العوائق . (هامش الأصل) .

(٦) فالرابطة تخلص القلب عن الخواطر ، وتفرغه عن العوائق ، وتوصله إلى المطلوب ، فهي مفتاح الحضور الذي هو روح العبادة ، والمعبر عنه الإحسان ، وبها عبادة الرحمن على طريق الإحسان . (هامش الأصل) .

وعلامة السلامة من ذلك نسيان[1] السوى ، فما دام له شعور بالغير فبعيد عن السلامة وقريب من الوقوع في الضيْر ، فمن سلّم أمره لمولاه فلا بد له من السعي حتى يتشرف بسلامة القلب والدخول في الرضوان . « جامع الأصول » عبارته .

والغفلة معصية ، بل هو أصل الخطيئات فلا بدّ من الملاحظة[2] لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين . « جامع الأصول » عبارته .

فإنَّ لكل وقت سهماً في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية . « جامع الأصول » عبارته ٤٣ .

وصلاح[3] القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . « جامع الأصول » عبارته .

وقال الحصرمي : جلسة[4] خير من ألف حجة ؛ أراد جلسة بجمع الهمّ بوصف الشهود خير من ألف حجة بوصف الغيبة . « جامع الأصول » عبارته ١٢٤ .

فحجاب[5] النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية ، فحينئذ لا بدّ لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربّه أن يجرّد نفسه عن التعلّق بالقوى البَدَنيّة ، والتقييد بالحواس الجسمانية . « جامع الأصول » عبارته ١٥٦ .

---

(١) وبالرابطة نسيان السوى ، وسلامة القلب والسعي له . (هامش الأصل) .

(٢) وتلك الملاحظة بالرابطة ، فيا بشرى من أدى حق الله تعالى في كل الأوقات . (هامش الأصل) .

(٣) فبالرابطة صلاح القلوب . (هامش الأصل) .

(٤) وجلسة الرابطة عين هذه الجلسة . (هامش الأصل) .

(٥) فبالرابطة رفع حجاب النفس ، ومعرفة النفس ، ومعرفة الربّ ، لأنها تجرد النفس عن التعلق البدنية : من ذاق يدري ومن لا فلا . (هامش الأصل) .

وإذا تذكّر القلب باطلاع الربّ[1] أناب ، وقال تعالى :﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾[2] « طهارة القلوب » عبارته .

والمجاهدة[3] : منع النفس عن المألوفات وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وعلاج[4] النفس هو كفّها عما تريده من النقائص والغفلات حتى لا تقع فيه ، وتطهرها عما وقعت فيه حتى يزول . « جامع الأصول » عبارته ١٦٧ .

وأفضل العبادات ما يوصل[5] إلى الله تعالى . « جامع الأصول » عبارته .

والتقوى[6] وصية الله تعالى للأولين والآخرين ؛ لقوله تعالى ﴿لَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقّها ، والعناية في تحصيلها لَفِعْلٌ كبيرٌ ، وشأنٌ عظيم . « منهاج العابدين » عبارته .

واعلم أن التقوى من أعظم أركان الدين ، وأجل مقامات السالكين ، وقد كرر الله تعالى في كتابه الكريم الوصيّة بالتقوى ، وهو عند أهل الحقيقة التنزُّه عما يشغل سره عن الحق ، والتبتل إليه . وقيل : هو أن

---

(١) أي : إطلاعه ونظره إليه .(قحيّ) . (هامش الأصل) .
(٢) والرابطة عين الإنابة . (هامش الأصل) .
(٣) والرابطة عين الجهاد . (هامش الأصل) .
(٤) فالرابطة علاج النفس ودوائها . (هامش الأصل) .
(٥) والرابطة سبب باطن للوصول إلى الله تعالى . (هامش الأصل) .
(٦) ففي الرابطة حفظ وصية الله تعالى والمجاهدة في طلبها ، يعني : إن حفظ العبد عما يخالف أمر الله تعالى وخَوْفه واتقاءَهُ عن سخطه عز وجلّ يكون بتوجه القلب إلى الله تعالى ، ومحبته إياه تعالى ، وكلها نتيجة الرابطة ، وهي وسيلة إليها ، فصارتْ أمر الرابطة شأناً عظيماً وفعلاً كبيراً فافهم . (قحي رحم الله إفلاسه) .

يجتنب العبد عما سوى الله . « جامع الأصول » عبارته ٢٦٧ .

وأما المعرفة فهي : ما قطعك عن غير الله تعالى وردّك إلى الله . « جامع الأصول » عبارته ٥١٢ ، **وغاية المعرفة** دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . (منه) .

وحق **التوكل** صرف القلب عن كل شيء سوى الله .

وحقيقة الزهد : فراغ القلب عما سوى الله تعالى . **وحقيقة الورع :** إمساك العين عن التلذذ بالزهرات ، والنفس عن الشهوات ، والقلب عن الغفلات . « جامع الأصول » عبارته . ٥٤٦ .

والمعرفة إنما تحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب وتصفيته . « طفل المعاني » عبارته .

ومن كان على مكارم الأخلاق كان على شرع من ربّه . « الأنوارالقدسية » عبارته .

فالرابطة عين المذكورات في الآيات ، وغيرها كلّها ؛ من التوكل والتبتّل والمراقبة والمعرفة والتوكل والزهد والورع ، وكذا عين الحذر والفرار إلى الله وعين التوبة وقتل النفس والاصطبار وعين المجاهدة التي هي مقدمة الهداية وهل يجب ذكرها في القرآن والحديث صريحاً مع دخولها في الآيات المذكورات المأمورات بها واتحادها معها في مرادها ومع « من سنّ سنة » الحديث ، وأجاز عليه السلام استنان ما هو حسن وجعل فيه الأجر ، وحق أن يقال في المجادلين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩ ٦٢ ﴾ . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبمشاهدة الله تعالى دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره ، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى ضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي « إحياء » .

ولا بدَّ للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه ، وإلا فيكون سَيِّءَ الأدب ، يحجب ولايؤذن له في حضور المجلس والثبوت بالحضرة . « منهاج العابدين » عبارته .

والحاصل أن قطع القلب عن العلائق المألوفة ، وقطع النفس عن العادات الراسخة لأَمْرٌ عظيم ، وعلاج شديد ، وحمل ثقيل ، فلذلك يفرّ عنه الطباع ولا يقبلها .

وقال هل تدري ما علاج [1]من انقطع عن المعاملات ، ولم يتحقق بحقائق المشاهدة ؟ علاجه أربعة . . إلخ . « جامع الأصول » عبارته .

وصفاء القلب : أن يصفي قلبه من الكدورات البشرية ، مثل الغفلات التي تحصل في القلب ، والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله[2] . « طفل المعاني » .

وتصفية القلوب مأمور به[3] بالأدلة الأربعة . « فتاوى عمرية » . من أعظم أبواب الفتح يقظة العبد من غفلته . « طبقات » . ففي الرابطة مشاهدة الله تعالى ، وامتثال لقوله : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ ﴾ . . إلخ . وخروج من الشرك الخفي ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ .

---

(١) فالرابطة علاج المشاهدة . (هامش الأصل) .

(٢) فبالرابطة رقة القلب وصفوته والخشية . فالرابطة باب عظيم من أبواب الفتح . (هامش الأصل) .

(٣) فالرابطة مأمور بها لأن بها تصفية القلوب . (هامش الأصل) .

وإذا صحّحت الرابطة وكملت تخرب خواطر القلوب وغفلاتها ، وتجردها عن التعلق بما دون الحق سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ الآية . فبالرابطة حفظ القلوب من الخواطر ، فصارت سبباً لحفظ أدب الله تعالى وواجباً وجوب : **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** .

مهم

قال تعالى عز وجل : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ فوجب علينا حفظ أدبه ظاهراً وباطناً ؛ فالأدب الظاهر بحفظ الجوارح عن المعاصي والآثام ؛ والأدب الباطن بحفظ قلبك من خطور الأغيار ، سواء كان خيراً أو شرّاً ، فإنَّهُمَا في الحجاب سواء . « بهجة السنية » .

وقال تعالى [في الحديث القدسي] : « أنا جليس من ذكرني » [١] يعني : ذكرني على وجه الأدب والحضور ، ولا يصل إلى حضرة الله تعالى إلا من صحبه الأدب ، والمراد منه انكشاف الحجب للعبد ، كأنّه يدري[٢] ربّه جل وعلا ، وهو يراه ومطلع عليه . فمتى أدام العبد هذا الشهود فهو جليس الله تعالى في حضرته الخاصة . « أدب المرضية » عبارته .

وأما مهمّات المريد فأمور عشرة ؛ العاشر : عمارة القلب بما يحييه بدلاً عن نقيضه وله أربعة[٣] أسباب ؛ **أولها :** ذكر غربتك في الدنيا ، **وثانيها :** ذكر مصرعه عند الموت . **وثالثها :** ذكر وحشة القبر . **ورابعها :** ذكر وقوفه بين يدي الله تعالى . فإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة

(١) فأهل الرابطة جلساء الله تعالى ؛ يعني : أن الرابطة وسيلة الحضور وذكر القلب وقد قال تعالى « أنا جليس من ذكرني » فافهم . (قحي) . (هامش الأصل) .
(٢) هكذا في الأصل ، ولعلّه : يرى .
(٣) والرابطة عندنا عمارة قلوبنا بالأربعة المذكورة ومحبة الأولياء ، ثم ربط القلب مع الله لا غير . (هامش الأصل) .

بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وإياكم وترّهات الباطلين الذين يئيّسونكم من الله ويعوّجون عليكم طريقكم ، فما هي إلا الفرائض المشهورة تؤدى ، والمحرمات المعلومة تترك ، والسنن المأثورة تتبع ، ومحبة الأولياء تؤخذ . « جامع الأصول » عبارته ١٦ .

وحصون القلب من الشر أربعة : ارتباط القلب مع الله ، وبغض الدنيا ، وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرّم الله ، وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجوا ثواب الله . « جامع الأصول » عبارته .

وأصل[١] الدين التوقي من الشرّ . « إحياء » .

أهل الرابطة أهل الله

وأهل[٢] الله : فهم قوم جذبهم الله عن الشر وأصوله ، واستعملهم بالخير وفروعه ، وفتح إليهم سبل المناجات والهدايات ، وهداهم السبيل إليه فسلكوه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ « جامع الأصول » عبارته ٤٦ .

وأما الشفاعة[3] ؛ فاعلم أنّ الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة ، فتنبسط جوهر النبوة إلى الأنبياء والأولياء وتندفع الأنوار من الأنبياء والأولياء إلى الخلق . « جامع الأصول » عبارته .

وأما الشرك[٤] بالله ؛ قال : اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ وقال عليه السلام « اشفعوا تؤجروا في حقٍّ بحقٍّ » . « جامع الأصول » عبارته .

---

(١) فالرابطة أصل الدين ، وحصن القلب بارتباطه مع الله .

(٢) فأهل الرابطة أهل الله . (هامش الأصل) .

(٣) ورأس مالنا كلّه بالرابطة : الشفاعة المذكورة ونحن نُحقها ولا نبطلها .

(٤) ونحن نعلم الشرك المذكور ولا نتخذه ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ .

ماء القدس (١) : هو العلم الذي يطهّر النفس من دنس الطباع ونجس الرزائل . « جامع الأصول » عبارته .

وقال ذوا النون : **الصحبة**(٢) **مع الله بالمرافقة ، ومع الخلق بالمناصحة ومع النفس بالمخالفة ، ومع الشيطان بالعداوة** . « جامع الأصول » عبارته ١٤٨ . والصحبة(٣) مع الله فريضة . « طبقات » .

والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق(٤) ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ

---

(١) وهذا أليق الأسماء بالرابطة وإنما سمّيت بذلك . فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع عنه . ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ .

(٢) فبالرابطة صحبته مع الله ، ومخالفة النفس ، وعداوة مع الشيطان ، ومن يطيق .

* **فإن قلت** : فما حكم من أكل الحلال وترك المعاصي وسلك بنفسه من غير شيخ ، فهل يصل إلى هذا المقام من الموقوف على العين الأولى للشريعة ؟ **فالجواب** : لا يصح لعبد الوصول إلى المقامات العالية إلا بالجذب الإلهي ، أو بالسلوك على يد الأشياخ الصادقين لما في أعمال العباد من العلل .انتهى « ميزان الشعراني » عبارته ١٨ ج١ .

* **فعلم من جميع ما قررناه وجوب اتخاذ الشيخ لكل عالم طلب الوصول إلى عين الشريعة الكبرى ؛ ولو أجمع ~~جميع~~ ألف أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه ، ولقبوه بالقطبية الكبرى ؛ فإنّ لطريق القوم شروطاً لا يعرفها إلا المحققون منهم ، دون الدخيل فيهم بالدعاوي والأوهام** « ميزان » عبارته ١٩ .

* ومن أعظم فتنة تكون على الأمة قوم يقيسون في الأمور برأيهم ، فيحرّمون ما أحلّ الله ويحلّون ما حرّم الله . وكان الشعبي يقول سيجيئ قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الإسلام بذلك وينثلم . « ميزان الشعراني » عبارته ٤٥ .

(٣) وكلما يتوقف عليه فرض ، فهو فرض فالرابطة فريضة . وحكم الرابطة في الدين كالدهن في اللبن ، وكالماء للسمك . هذا آخر الكلام في حقها ، ولا يطاق بكتبتها الأقلام . فهل بقي بعد علم المذكورات كلها إشكال مّا على ثبوت الرابطة في ديننا= =المتين ؟ وعلى كونه من مهمات المسلمين ، لحصون قلوبهم من الشرّ وارتباطها مع الله ؟ ! كلاّ ! ! لا ينكر ذلك إلا من عدم عقله أو غلب عليه هواه وجهله . ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ .

(٤) والرابطة طريقة من الطرق إلى الله تعالى ، وفي ضمن دوام الحضور معنى دوام

﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ « وكل مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له » فلا ينبغي لأحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب إليه إلى الحق . « الأنوار القدسية » عبارته .

والغاية القصوى من سرّ الإيجاد إنما هو التحقّق بكمال الإيمان والإسلام المعبّر عنه بحقّ اليقين ، المحقّق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك « جامع الأصول » عبارته ١٧٦ .

فأهل الرابطة في خوف من الله ، ونظَر إلى نفوسهم ، وحذر منها ، وفي فرار إلى الله تعالى ، وتوبة إليه تعالى ، وقتل في نفوسهم ، واصطبار بالعبادة بالرابطة والمراقبة على ما أمرهم الله تعالى في الآيات المذكورات . فهل يستوي من عمي قلبه عن طريق الرجوع إلى مولاه ؛ ومن وُفّق فأبصر الطريق وسلكه ؟ ! وهل يستوي الغافل والذاكر ؟ ! وهل يستوي من هو مع نفسه ؛ ومن هو مع الله ؟ ! وهل يستوي الإعراض والإقبال ؟ ! وهل يستوي الهجران والوصال ؟ ! وهل يستوي الأعمى والبصير ؟ ! وهل يستوي الظلمات والنور ؟ ! فامنن علينا يا ربنا باشتغال القلب عن كل شيء دونك ، واغفرلنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك ، فيا ندامة من أنفق أيامه في ذكر لَيْلَى وسُعْدَى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ؛ ويا خجلة من نظر إليه مولاه وقد أعرض عن المراقبة ، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فسبحان من بيده الهدى والضلال . (ببلات القلزمي) .

العبودية ، ففي الرابطة دوام العبودية .

كيفيّة الرابطة

وإن أردتم بيان كيفية الرابطة التي يتوسّل بها الصوفية إلى الله تعالى ، فأوّلاً يقول : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** ، متوجهاً إلى القبلة على طهارة كاملة طاهرة ، ثم يتوجَّه إلى طهارة باطنة ؛ أي : إلى تطهير الباطن بإتيان الشهادتين ، ثم الاستغفار خمسة عشر ، ويقرأ سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاثاً ، والمعوذتين مرة ، ويهدي ثواب مثل المذكورات إلى روح النبي ﷺ وأهله وأصحابه أوّلاً ، ثم إلى أرواح مشائخ النقشبندية كلها ، ويدعو إلى الله تعالى بقبول توبته وبإيصال بركاتهم وفيوضاتهم ، ثم تفكّر الموت والقبر والقيامة وأهوالها ؛ كأنه مات وكفّن ودفن ، وليس له ملجأ من الله إلا إليه ، مغمضاً عينيه ، متذلّلاً بين يديه على مقتضى قوله : « موتوا قبل أن تموتوا » ، و« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » ، و« عُدَّ نفسك من أهل القبور » ؛

ثم ربط[١] القلب بمرشد الرابطة وسلسلته ورسوله ، كأنه حاضر في مجلسهم وناظر إليه برهة قليلة على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ جسماً إن أمكن ، أو روحاً إن لم يمكن على وجه المحبة الكاملة ، ويلاحظ انصباب الفيض من الله إلى قلب الرسول عليه السلام ، ومنه إلى السلسلة ، ومنها إلى قلب أستاذه في الرابطة ، ومنه إلى قلبه ، ثم ينظر إلى القلب بنفي الخواطر كلها ، وربطه بالله تعالى كأنه ناظر إليه على مقتضى : « كأنك تراه » ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وكأنّ القلب ينطق بلسان القلب بلفظ اسم الذات (الله) ، ويستمرّ على ذلك فانياً في الله وناسياً سواه حسب الطاقة ويقول في آخرها : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** ، انتهى كيفيتها . وقد قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي : ليعرفونِ .

---

(١) لعله : يربط .

والمعرفة : ما قطعك عن غير الله ، ودوام مناجاته في السرّ . وغاية المعرفة دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . والمعرفة : فعل القلب ، والتبتُّل إلى الله بانقطاعه عما سوى الله بالتوجه إليه والمراقبة والحضور معه في أيّ حال كان ، قال عليه السلام « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل » .

والعبودية لله تعالى ثابت على العبد دائماً ، غير مختصّ بوقت دون وقت ، ولكل وقت سهماً[1] في العبودية يقتضيه الحقّ منك بحكم الربوبية ، فلا بدّ لك من الملاحظة لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين بردّ الجوارح كلّها إلى ما خلق له ، وخاصة بردّ قلبه إلى الله تعالى الذي هو ملك الأعضاء كلّها ، فرابطتنا هكذا ، ورأس مالنا بالرابطة ربط قلوبنا آخراً على الله تعالى ، كما ذكر في الترتيب ، وتعمير أوقاتنا ، كذلك بإصلاح قلوبنا وتطهيرها عن الخواطر .

وأفضل العبادات ما يوصل إلى الله ، وبمقدار اجتنابه عن نفسه تحصل معرفة ربّه ، وأهل الرابطة يفعلونها دائماً حسب طاقتهم ، ليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة وهي : « أن تعبد ربك كأنّك تراه » إلخ . فمن ظفر في هذه الرابطة خللاً مّا للدين فَليُصْلِحُهُ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ وإن ظنوا أنهم من المصلحين ، وكذا بيّن لكم مقصود الطائفة العلية من الرابطة ، وما يقولونه في ثمراتها هو : طرد الغفلة ، ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، وجمع القلب مع الله تعالى والحضور معه ، وكذا يقولون : أن روحانية الكاملين منبع الفيوضات ، فمن أدخل المنبع في قلبه ينال الفيض البتة ، وتتصرف فينا الروحانية ، وتفيض علينا من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية ، وتبلغنا إلى

---

(١) علّه : سهمٌ .

الحضرات العلية ، وببركة صحبتهم توصلنا إلى صحبة الله تعالى ، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وأن طريقتهم طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حبّاً ، مَنْ ذاق يدري ومن لا فلا .

وإذا لم تر الهلال فسلّم لأناس رأوْه بالأبصار ، غير إنْ لم يكونوا صادقين في الواقع فيما يقولونه هذا : ولم ينتفع لنا بالرابطة كما يقولون . فما لمانع من الرابطة المحضة على الكيفية المذكورة بيّنوا لنا ذلك . ثم اعلموا أنّ هذه الرابطة إنما يحتاج إليها السالك قبل أن يقدر[1] على ربط القلب بالله تعالى بلا واسطة الرابطة هذه ، فإذا قدر عليه تسقط الرابطة ، ويشتغل بربط القلب على الله تعالى بلا واسطة ، وهذه معلوم ومشهور لدى أهل الرابطة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . (ببلات) فتدبره .

وأيضاً أن المراد من تلقين الذكر حمل الملقَّنِ على مقام الإخلاص ، فالمريد كالمريض ، والذكر كالدواء ، فكل من اشتغل بالنوافل والسنن مع عدم خلوّ باطنه من الرياء والسمعة ، كالعليل الذي يأكل الأطعمة التي تضرّ علّته ، بل تزيد مرضه حتى يكاد تهلكه ، ولا يخفى أن عادة الأطباء أن يأمروا المرضى بالاحتماء عما يضرّ الداء ، ولا يرخصون لأكل بعض الأطعمة وإن كان لذيذاً .

وقد قال المشائخ في كتبهم : ليس شيء من العبادات أنفع لنفي الإعجاب والرياء وغيرها من المذمومات من الذكر الكثير ، ولم يأمروا المريدين بالاشتغال بالنوافل إلا السنن المؤكدة إلى أن يحصل لهم مقام الإخلاص ، كما هومسطور في كتب عديدة .

فائدة يشعر بها كون الشيخ العبودي يوافق شيخنا العسوي قدس الله سرهما في تلقينه الأذكار السلوكية للعوام والخواص .

---

(١) لأنها وسيلة له . (هامش الأصل) .

قال شيخنا المذكور - وكان معه العالم الرباني شَعْبَانِلْ محمد العسوي رحمه الله - للشيخ العبودي : لِمَ لا تلقّن الذكر موافقاً باصطلاح النقشبنديين ؟ فقال رحمه الله : يا ولدي إني لا أقدر أن أتوجّه إلى الناس ؛ يعني : أن التوجه شرط في طريقتهم ، وهو أمر عسير يحصل للمتوجّه بسببه ثقل عظيم ، كما هو معلوم عند أهل الذوق والوجدان . فلو مَنَعْتهم صرفوا آئسين منكسري القلوب ، ولذا أقول لهم بالذكر اللساني ، فيظنون أنهم صاروا بسبب ذلك من المريدين فيتركون المعاصي ويلازمون الحسنات . انتهى .

قال شيخنا : إنّه قال في ذلك المجلس : ليس لي مريدون في داغستان إلا أربعة رجال . انتهى . ثم بعد ذلك أرشد العبودي الناس إلى شيخنا العسوي ، وأمر من جاء لديه بذهابه إليه وبأخذ الطريق منه ، وعلّمهم بأنه المرشد النقشبندي ، يتوجّه إلى المريد ، ويتصرّف في البواطن بشيء من الأمداد ، وأظهره إظهاراً شائعاً ، ومع ذلك أنكر هذا البعض المنكر المذكور - عفى الله عنه وجعله من المقبولين - شيخَنا المذكور ، وكتب إليّ أنّه لم يكن مرشداً ، فهل هذا إنصاف ؟ ! وقد كان رضي الله عنه يلقّن الأذكار لكلّ من جاء لديه من العوام ويتوجه إليهم ، ولا يأمرهم بترك شيء من المخالفات وإن علم منهم ما علم ، بل كان يتركهم يتردَّدون إليه ، فيسارقهم وطبعهم تدريجاً ، فيحسن حالهم بِيُمْنِ تَصَرُّفه الباطني قريباً ، حتى قال لي قدس سره : إنه جاء لديه سارق وطلب منه الورد ، ثم بعد رجوعه من موضع الأستاذ وجد في طريقه معز واحد فسرقه وذبحه وحمل لحمه إلى قريته ، ولم يقل له الشيخ شيئاً مّا وإن كان يعلمه يقيناً ، وترك ليتردد إليه ولاطفه وألان له الكلام ، وتصرّف في باطنه بالتدريج ، فصار أمر السارق أنه ترك السرقة بالكلية وصار من جملة أهل الإرادة والمحبّين ، هذا .

وأيضاً جاء لديه رجل يترك الصلاة بالكلية ، فلاطفه بحيث يظنّ الناس أنّه من أحبّ مريديه وأسبقهم ، فصار الرجل يصلي ويقضي ما فات منها ، وحسن حاله . فأمثال هذين قد وقع في الناس في حياته رحمه الله كثيراً ، ولوكان لم يستعمل هذه السياسة لفاتت هذه الفائدة ، فافهم . ويوافقه ما في « الطبقات الكبرى » في ٥٩ من الجزء الثاني : من سياسة الداعي إلى الله أن يُؤْلِفَ الناس عليه أوّلاً بالإحسان وطيب الكلام وتخفيف المأمورات ، فإذا رسخوا فله التحكّم فيهم كيف شاء . انتهى من عبارته .

فائدة أخرى : قد رأينا عياناً وتحقَّقنا يقيناً أنّ كلّ من اعترض على شيخنا المذكور قدس سره قد طرأ عليهم الأمراض الشنيعة أو البلايا العامة . فقد أنكره عالم كذا وآذاه أذًى ، فعزل من منصبه المحبوب ، وطرأ عليه ماليخوليا ، فصار أحمق كالمجنون ، فمات في أسوأ حال .

وكذا كتب إليه عالم آخر كتاباً بأنه لا يجوز له تلقين الذكر للعوام ، وكتب فيه كلاماً بارداً ، فطرأ عليه مرض الارتعاش وصار أمره بحيث لا يطيق أن يأخذ الكوز بيده للوضوء ولا لغيره ، ولا يطيق أن يربط حبل إزاره ، وصار جميع أعضائه تتحرّك بحركات عجيبة ، قال أهل جماعة ذلك العالم المذكور : إنّ يده لم يطق أن يمسك القلم بعد كتابة ذلك الكتاب وقد بقي المكتوب المذكور بلا إتمام ، ورأيته فوجدته كذلك . وأيضاً قد تكلّم في حقه واحد من العلماء ، وقال : إنّه جاهل ، وهل يكون كلامه إلا جاهلاً ؟ ! فقلت لواحد : فانظر ماذا يحلّ لهذا العالم . فوالله قد طرأ عليه بعد ذلك مصائب كثيرة في البدن والأولاد بحيث يرحمه كلّ من يحبّه . وقال بعض العارفين رحمه الله الذي لايعرف ما قال في حقّ شيخنا : ولم يقع التنبيه له[1] إلا لمجرّد عدم صلاحية قلبه لورثة السادات

---

(١) أي : لَمْ تَطْرَأ عَلَيْهِ المَصَائِبُ .

باستحسانه ما يقوله علماء الظاهر .انتهى . وهكذا وهكذا هلك بسببه المعترضون ، واهتدى بهديه المعتقدون . ولله در القائل : الولي كنيل مصر ، رحمة للمطيعين وعذاب للمحجوبين وفي « الطبقات الكبرى » في ٧٧ . من الجزء الثاني ، كلّ فقير لا يُقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير .انتهى عبارته .

وفي الحديث القدسي « من آذى وليّاً لي فقد آذنته بالحرب » .

فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأولياء بما عنده من ظاهر علمه ، فإنّ لهم مقاماً يفنون في اسم (الرحمن) وذلك الغالب عليهم ، ولا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً وهادياً ما لم يفن في هذا الاسم ، وقد يطرأ عليهم حال يفنون في اسمه (المنتقم) أو (القهّار) ففي تلك الحالة يهلك كلّ مَنْ أنكر عليهم وآذاهم ، فالعياذ بالله . وقد ينتقم الله[1] لوليّه بغير علمه .

فائدة أخرى : إن واحداً من العلماء لقي شيخنا المذكور ، فوجده قد كاد إلى الهلاك لكونه يعبد الله بغير شيخ حيّ ، فقال له : إنك في بَحْرٍ ، فخِفْتُ عليك من الهلاك . فقال الرجل : أخرجني منه ، ولا تتركني للغرق والهلاك . فدخل في دائرته ، وكان ذا استعدادٍ عالٍ ، فلقَّن له الأذكار بجميع اللطائف ، وعلّمه كيفية الذكر بحبس النَفَس ، فحصل له الفناء في أقرب زمانٍ ، ثم إنّ ذلك الرجل ظنّ أن أمْرَهُ قد تمَّ – ولعلّه ظن ذلك لما رأى في الكتب هذه العبارة : فأذا حصل الفناء فقد تمّ الأمر – . والحال أنه في حق المريد . فقال للشيخ : إني تقدمت منك في المقام ، فقال الشيخ : إنّ في الطريقة مقامات كذائية ، ونصحَ له كثيراً ، فلم يخرج من ظنّه الفاسد ، فكلّمه بكلام جاف ، وقال له مثل ما قال أوّلاً ، بل أزيد وأعجب من ذلك ، فمقته شيخنا حينئذ ، وقال له : إنّ مَنْ تقدَّم منّي لا يليق أن يكون عندي . فطرده عن بابه وأرسله إلى مكانه وقطع عنه النظر .

---

(١) راجع « السير والسلوك » . (منه) . (هامش الأصل) .

قال الشيخ رحمه الله : لو انقاد إليّ واستسلم لأسْلِبُ منه الفناء ، ولكنه اعترض ولم يطع ، ولذا حوّل حاله . انتهى . يعني : أنّ الشيخ وإن كان قطباً أو غوثاً لا يقدر أن يتصرف في من ليس له تسليم وانقياد ، كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » .

وترك واحد من العلماء الرابطة التي أمره بها الشيخ المذكور مع ما لقنه من الأذكار واشتغل بقراءة القرآن زماناً فطرأ عليه الجنون ، وحوّل حاله ، ولم يمتثل بعد ذلك أمره ، فصار بحيث لا يُرْجى له الإصلاح إلا إنْ حفَّته العناية الربانية .

وحكمة هذا الكلام أنّ من دخل الطريقة يصير عدوّاً للشياطين ، فيحتاج إلى حارس يحرسُهُ منهم دائماً ، فلذا يأمره الشيخ بفعل الرابطة إلى الشيخ الكامل الذي لو قرب إليه الشياطين لكادوا أن يحترقوا بنوره ، ليكون له حارساً ورقيباً يحفظه [1] من نزغاتهم ووساوسهم ، فحين علم الشياطين أن لا مجال لهم لإهلاكه ، وأنّهم يحترقُونَ إذا قربوا إلى ذلك المريد الذي دامتْ رابطته بشيخه الكامل يتركونه على حاله ؛ آيسين من إطاقة إهلاكه ، ثم إن ترك المريد تلك الرابطة بالكلية وخرج من دائرة حفظ الشيخ بقي وحيداً فريداً بغير حارس ، فيدخل عليه الشياطين ويهلكونه ، فالشيخ يكون مع المريد ما دام يلاحظه ويحضره بحضور قلبه أسرع من لَمْح البصر ، وإذا ترك المريد تلك الملاحظة وفسد اعتقاده في شيخه انعكس الأَمْرُ ، ولا يقدر الشيخ بعد ذلك على حمايته من الشياطين ؛ كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » راجعه في ١٣١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

---

(١) ومعنى حفظه : أن العبد إذا أطاع الله يطيعه فيما يريده ويحبه ، فالشيخ سبب عادي كالدواء والسلاح . (منه رحمه الله) والمؤثر هو الله ، وهو الحافظ الرقيب المحيط ، وقد يعطي الله تعالى لوليه قول : كن ، فيكون عنده ما يريده إكراماً له ، فراجع « مزكي النفوس » وهو كتاب نفيس و« جواهر المعاني » . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسبه : ذو الجناحين ؛ أبو البهاء ؛ ضياء الدين ؛ خالد بن أحمد بن حسين العثماني : لأنه يتَّصل نسبُه إلى ذي النورين ؛ أمير المؤمنين ، الخليفة الثالث : سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذلك عن طريق الوليِّ المشهور بين الأكراد بـ « صاحب الأصابع الست » .

مولده : وُلِدَ على الأرجح سنةَ : ثلاثٍ وتسعين ومائة وألف بعد الهجرة ، أو قَريباً من هذا التاريخ ، بقصبة : قرة داغ من أكبر سناجق بابان ، وهي عن السليمانية على نحو خمسة أميال .

نشأته : وفي تلك المرابع التي تكتنفها الحدائقُ الجميلة ، وتنبع منها العيون العذبة نشأ رحمه الله تعالى ؛ تبوحُ له النجوم إذا تلألأت ، والنسائم إذا تنفَّست ، والورود إذا تبسَّمت بسرائرها ، فتلقَّى منها أوَّلَ دروسه في التوحيد والتمجيد ، وتعلَّم في مدرستها دوامَ الذكر ، والثناء على الله ، والتسبيح .

وأضاف إلى ما وعاه عن الكون حصيلةً جديدة عندما ارتاد بعض دور العلم ؛ فقرأ القرآن الكريم ، وتعلَّم النحو والصرف ، ودرس الفقه ، وبرع في النثر والنظم ، هذا كلُّه ؛ ولم يبلغ الحُلْمَ بعدُ .

ولم يؤخِّره طلبُه العلومَ عن تربية نفسه ورعايتها ، فراح يدرِّبُها على الزهد والسهر والتجريد والانقطاع على قدم أهل الصفة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

الرحلة العلمية : وما لبث أن حمل زادَ السفر ؛ متنقلاً بين البلاد الشاسعة .

وبعد جولة واسعة في ابتغاء العلم رجع إلى نواحي وطنه ، حيث تتلمذ على الشيخين الأخوين الفاضلين : السيد عبد الكريم البرزنجي ،

والسيد عبد الرحيم البرزنجي ، وعلى العالم الشيخ عبد الله ، وعلى المُحقِّقين : المَلاَّ صالح ، والمَلاّ إبراهيم .

ثم قصد نواحي « كوى » و« حرير » ، فأخذ عن الملا عبد الرحيم الزيادي المعروف « بملازاده » ، وأخذ عن غيره أيضاً . ورجع مرة أُخرى إلى « السليمانية » .

ثم قدم بغداد ، وفيها قرأ « مختصر المنتهى » في الأصول ، ثم عاد إلى محلِّه المأهول .

وحيث حلَّ من المدارس كان فيها الأتقى ، الأورع ، السابق في ميادين التحقيق . . . لا يُسأل عن مسألة إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولا يُمتحن بعَوِيصة من « تحفة ابن حجر » ، أو « تفسير البيضاوي » ؛ إلاَّ ويكشف عن وجوه خرائد فوائده النقاب . وهو يستفيد ويفيد ، ويقرِّرُ ويحرر ويجيد ، إلى إنصاف وذكاء خارق ، وقوَّةِ حفظٍ بذهن حاذق ، مع تواضعه لدى الأساتذة والأقران ، وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان . . . فاشتهر خارقُ علمه ، وطار إلى الأقطار صيتُ تقواه وذكائه وفهمه ، إلى أن رغب بعض الأمراء في نصبه مدرِّساً قبل التكميل في إحدى المدارس ، وأن يوظّف له وظائف ويخصَّه بالنفائس ؛ فلم يجبه إلى هذا المرام ، زاهداً فيما لديه من الحطام ، قائلاً : إنِّي الآن لست لهذا المقام .

وتابع جولته ، فذهب إلى « سنندج » ونواحيها ، وقرأ العلوم الحسابية والهندسية ، والاصطرلابية والفلكية على العالم الشيخ محمد قسيم السنندجي .

ثم عاد إلى وطنه ، وبعد الطاعون الواقع في « السليمانية » سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ، وُلِّيَ التدريس في مدرسة أجلِّ أشياخه السيد عبد الكريم البرزنجي المتوفَّى في هذا الطاعون . وقد قضى مولانا خالد

عهدَه في التدريس ؛ غير راكن إلى الدنيا ؛ ولا إلى أهلها ، مقبلاً على الله تعالى ، متبتِّلاً إليه بأصناف العبادة ؛ فرضها ونفلها ، لا يتردَّد إلى الحكام ، ولا يحابي أحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الأحكام ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو نافذُ الكلمة ، محمودُ السيرة ، يأخذ بالعزائم ، حتى صار محسودَ صنفه ، عزيزاً في وصفه ؛ مع الصبر على الفقر ، والقناعة .

الرحلة الحجازية : وقد جذبه الشوق إلى حج البيت ، وزيارة روضة خير الأنام سيدنا محمَّدٍ ﷺ ، فخرج من بيته متجرِّداً عن العلائق ، قاصداً الأراضي المقدسة عن طريق « الموصل » ، و« ديار بكر » ، و« الرها » ، و« حلب » ، و« الشام » . وفي دمشق اجتمع بالعلماء ، ثم تركها بصحبة مدرس دار الحديث فيها الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى .

وعندما وصل المدينة المنورة ، صلى الله على سيدنا محمد ، ساكنها وسلَّم تسليماً ، مدح سيدنا رسول الله ﷺ بقصائد فارسية بليغة .

وكان فيما يبدو مولَعاً بالصالحين ؛ يسأل عنهم ، ويخفُّ إليهم ، ويتتبَّع آثارهم ، فاجتمع في المدينة المنورة بعالم يمني فاضل ، نصحه بنصائح منها : لا تبادر بالإنكار على ما ترى ! ! (أي : في مكة المكرمة مما يخالف ظاهرُه الشريعةَ) .

ووصل مولانا خالد إلى مكة المكرمة ، وهو مصمِّم على العمل بتلك النصيحة . وباكَرَ الحرم يوم الجمعة ليكون « كَمَنْ قَدَّمَ بَدَنَةً مِنَ النَّعَم » . وبينما هو جالس إلى الكعبة الشريفة يقرأ « الدلائل » ، إذ رأى رجلاً ذا لحية سوداء ، عليه زيُّ العوام ؛ قد أسند ظهره إلى الشاذروان ، ووجهُه إلى مولانا خالد .

قال مولانا خالد رحمه الله تعالى : « فحدَّثتني نفسي أنَّ هذا الرجل لا يتأدَّب مع الكعبة ، ولم أُظهر المَعْتَبَة ، فقال لي : يا هذا ؛ أما

علمت أن حرمةَ المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة ! فلماذا تعترض عليَّ (استدباري الكعبة وتوجُّهي إليك) ؟ ! أما سمعت نصيحة مَنْ في المدينة ؟ ! فلم أشكَّ أنَّه من أكابر الأولياء (وقد تسربل بأمثال هذه الأطمار عن الخلق) ! ! فانكببت على يديه ، وسألتُه العفو ، وطلبت منه أن يرشدني إلى الحق . فقال : فتوحُك لا يكون في هذه الديار ، وأشار بيده إلى الديار الهندية ، وقال تأتيك إشارةٌ من هناك ، فيكون فتوحُك في هاتيك الأقطار . فأيست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني إلى المرام ، ورجعت بعد قضاء المناسك إلى الشام » .

وهكذا توجَّه مولانا خالد إلى دمشق بصحبة الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى ، فسمع من هذا المحدِّث ، وأخذ عنه ، وفي دمشق اجتمع ثانية بعلمائها ، ثم غادرها قافلاً إلى « السليمانية » ، حيث كانت تنتظره مهمّة التدريس هناك .

الرحلة الهندية : وذات يوم أتى « السليمانية » رجلٌ هندي ، اجتمع به مولانا خالد ، وأظهر أمامه الحرقَة والشوق إلى مرشد كامل . فقال الهندي : إن لي شيخاً عارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك ؛ خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، وقد سمعت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المراد . وشوَّقه إلى المُهَاجَرة .

لقد كان ذلك الشيخ هو العالم العامل المتجرِّد عمَّا سوى الله تعالى : حضرة مولانا عبد الله الدهلوي ؛ شيخ مشائخ الديار الهندية ، قدس الله سره .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف رحل مولانا خالد عن طريق « الرَّيِّ » ؛ قاصداً الديار الهندية ، فدخل « بسطام » ، و« خرقان » ، و« سمنان » ، و« نيسابور » ، و« هراة » .

ولمَّا غادر هراة ودَّعه علماؤها بمسير أميال ؛ لما شاهدوا فيه من بديع الحال . وتابع طريقه مارّاً بـ « قندهار » ، و« كابل » ، و« لاهور » . ومن « لاهور » سار إلى قصبة فيها المولى ثناء الدين النقشبندي ، هذا الوليُّ العالم المعمَّر هو أخٌ في الله للشيخ عبد الله الدهلوي .

قال مولانا خالد : « فبتُّ في تلك القصبة ليلة ، فرأيت في واقعة ؛ أي : في حُلْم أنه ؛ أي : المولى ثناء الدين قد جذبني من خَدِّي بأسنانه يجرُّني ؛ وأنا لا أنجر !! فلمَّا أصبحت ولقيتُه قال لي - من غير أن أقصَّ الرؤيا عليه - : سرْ على بركة الله تعالى إلى خدمة أخينا الشيخ عبد الله . فعرفتُ أنَّه قد أعمل همَّته العليَّة ليجذبني ؛ فلم يتيسر له ذلك ، لقوَّة جاذبيةِ شيخي الذي فتوحي على يديه » .

وانطلق مولانا خالد من تلك القصبة ، يقطع الأنجاد والأوهاد إلى أن وصل إلى دار السلطنة الهندية ، وهي المعروفة بـ « جهان آباد » . وقد بلغ مرامَه بمسيرة سنةٍ كاملة .

قال مولانا خالد عن شيخه : وقد أدركتني نفحاتُه وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة ، وهو أخبرَ قبل ذلك بعض خواصِّ أصحابه بوفودي إلى أعتاب بابه .

وليلةَ دخوله « جهان آباد » أنشأ قصيدته العربية الطنانة - من بحر الكامل - يذكر فيها وقائع السفر ، متخلِّصاً إلى مدح شيخه ومطلعها :

كَمُلَتْ مَسَـافَةُ كَعْبَةِ الآمَـالِ   حَـمْـداً لِمَنْ قَدْ مَنَّ بِالإِكْمَالِ

وفيها يقول :

وَأَنَـالَـنِـي أَعْـلَى المَآرِبِ وَالمُـنَى   أَعْـنِـي وِصَـالَ المُـرْشِدِ المِفْضَالِ

مـنْ نَـوَّرَ الآفَـاقَ بَـعْـدَ ظَـلاَمِـهَـا وَهَـدَى الخَـلاَئِق بَعْدَ طُولِ ضَلاَلِ

ويقول أيضاً :

سلَبَ الهَوَى لُبِّي فَمَا فِي خَـاطِرِي غَـيْرُ الحَبِيبِ وَشَـوْقُ طَيْفِ وَصَالِ

قَـدْ حَـانَ حِين تَشَرُّفِي بِـوِصَـالِـهِ مَـنْ لِـي بِـشُـكْرِ عَـطِيَّةِ الإِيـصَالِ

ويدعو الله :

فارْزُقْ ؛ إِلـهَ العَالَمِينَ بِحَقِّهِ أَدَباً يَلِيقُ بِذَا الجَنَابِ العَالِي

وأَمِـدَّنَـا بِـلِقَـائِـهِ وَبَـقَـائِهِ وَعَـطَـائِـهِ وَنَـوَالِهِ المُتَوَالِي

زدنَا حُضُوراً فِي حُضُورِ قِبَـابِهِ أَدِمْ الوَرَى بِحِمَاهُ تَحْتَ ظِلاَلِ

وبوصوله إلى هناك تجرَّد عمَّا معه ، وأنفقه كلّه على المستحقِّين . وأخذ الطريقة النقشبندية عن حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي ، فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة . وبشَّره شيخه ببشارات كشفية قد تحقَّقت بالعيان ، فلم تكُملْ عليه السَّنَة حتَّى صار الفرد العلم .

وأجازه شيخه بالإرشاد ، وخلَّفه في الطرائق الخمس ، وأجازه بجميع ما يجوز له روايته ، ثم أرسله ليرشد المسترشدين ، ويربِّي السالكين ، وشيَّعه بنفسه نحو أربعة أميال ، وقد قضى أياماً طوالاً في الطريق لم يطعم فيها طعاماً ، ولم يشرب ماءً ، وكان مكتفياً بالذكر والعبادة .

فوصل « السليمانية » سنة ست وعشرين ومائتين وألف ، وخرج منها إلى بغداد ؛ فحل في زاوية سلطان الأولياء الباز عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، ثم عاد إلى « السليمانية » .

أحداث السليمانية : وفي « السليمانية » شرع مولانا خالد يُصلح ما فسد ، ويقوِّم ما اعوج ، ويبني ما انهدم ، ونشرت شجرته المباركة ظلالها ، وآتت أكلها ؛ فأقبلت عليه الجموع ، ونابذه فريق بالعداوة ،

وكان كما قال الشاعر :

مـا ضَـرَّ أَهْـلَ الفَضْلِ طَعْنُ مُكَابِرٍ فَـالـغُـصْنُ يُرْمَى بِـالحِجَارَةِ مُثْمِرَا

قال العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى : ولم يزل هذا الإمام مبتلى بعداوة الحساد ، على عادة السادة الأمجاد ، فيشيعون عنه الزور من الكلام ، ويسعون به إلى الأمراء والحكام ، فيتضاءلون عند الأنام حقارة ، ويزداد كوكبه إضاءة وإنارة ؛

حـسَـدُوا الفَتَى إِذْ لَـمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَـالـكُـلُّ أَعْـدَاءٌ لَـهُ وَخُـصُـومُ

كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُـلْـنَ لِـوَجْـهِـهَا حَـسَـداً وَبُـغْـضـاً إِنَّـهُ لَـدَمِـيـمُ

وقد لجأ الخصوم إلى ضروب من أساليب المكر بهذا الإمام ، فناظروه أوّلاً ، لكنَّ الله قد أنزل بهم أشدَّ الهزائم على يديه ، وجعل التوفيق حليفه ، ثمَّ لما استيأسوا من أن تهبَّ عليهم نسماتُ العوز ؛ بعثوا إلى الشيخ يحيى المزوري في « الموصل » يستنصرونه ، ويدعونه لمناضلة هذا الإمام ، قالوا في رسالتهم إليه : « يجب عليك أن تتوجه حالاً إلى طرفنا لإفحامه ، ودفع مرامه ، وإلاَّ ! فقد عمَّ الضلال بين العباد ، وانتشر في البلاد .

وعلى الفور ركب الشيخ يحيى المزوري مع جملة من فحول طلبته ، وتوجهوا إلى السليمانية .

ويبدو أن الشيخ يحيى هو من كبار علماء وقته ؛ يشار إليه بالبنان ، فقد جرى له على أبواب « السليمانية » استقبال كبير اشترك فيه وجوه المدينة ، وبلغ من الحفاوة به أن يتسابقوا في استزارته ! ! لكنَّ هذا الشيخ - لشدَّة اهتمامه بالأمر - توجَّه توّاً إلى حيث يقيم مولانا خالد ، واجتمع به ، وكان

قد أعدَّ في ذهنه مسائل من المشكلات ليختبره بها ، ولشدَّة ما كانت الدهشة عظيمة عندما بدأ مولانا خالد بالكلام قائلاً : إنَّ في العلوم مشكلاتٍ كثيرة ؛ منها كذا وجوابه كذا ، ومنها كذا وجوابه كذا . . . فذكر جميع الأسئلة التي كانت تراود فكر الشيخ يحيى ، وأجاب عليها كلِّها ! فطلب الشيخ يحيى من مولانا خالد أن يعفو عنه ، وصار من خواصِّ رجاله .

ولما كادت حيلهم أن تنفذ ؛ سلكوا سبيلاً أخرى لتنفير الناس عن هذا الإمام ، فاستأجر كبيرُهم رجلاً يُدعى السيد إسماعيل - وكان هذا الرجل فقيراً ، حديد اللسان ، وقح الطويَّة - ولقَّنه رؤيا منامية مختلقة ، وأرسله يقصُّ هذه الرؤيا على حضرة الشيخ بمشهد من خلفائه وأتباعه .

فدخل السيد إسماعيل على حضرة مولانا الإمام بينما كان جالساً مع إخوانه في المسجد ، وانخرط معهم ، ثم صاح قائلاً : يا مولانا ؛ إني رأيتُ رؤيا في هذه الليلة ، وأريد أن أقصَّها عليك .

فقال له مولانا خالد : خيراً رأيت .

قال الرجل : رأيتُك مقلوع العينين ، مقطوع الأنف واللسان والأذنين ، مقطوع الفرج واليدين والرجلين ، وملقى في سباطة قذرة .

فقال مولانا خالد مجيباً له : خيراً لنا ، وشرّاً لأعدائنا .

والتفت إلى الجماعة الحاضرين ، وقال : إخواني ؛ مَنْ أحبَّني فليكرم هذا الرجل . ثم التفت ، وأمر أخاه بأن يدفع لهذا الرجل ألف قران (من النقود الإيرانية) تساوي قيمتها ستة آلاف غرش جائزةً له على تلك البشارة .

واندهش الرجل من هذه المجاملة ، وانقلبت الكراهية الشديدة في أقلَّ من طرفة عين إلى حبٍّ قويٍّ متين ، وانكب الرجل على يدي مولانا

خالد وقدميه . . .

ولما أراد القيام قال له حضرة مولانا خالد : أتحبُّ أن أفسِّر لك رؤياك ، وأعلِّمَك تأويلَها ! ! فقال : نعم ؛ يا سيدي .

فأجابه رضي الله عنه قائلاً : أمَّا قلع عينيَّ ! ففيه إشارة إلى أنِّي ما نظرتُ بهما إلى محرَّم قط . وأمَّا قطع أنفي ! فلأني ما شممتُ به محرّماً قطُّ . وأما قطع لساني ! فلأني ما اغتبت به أحداً قط . وأما قطع أذني ! فلأني ما سمعت بهما غيبة أحدٍ قط . وأما قطع يديَّ ! فلأني ما تناولت بهما مُحرَّماً قط . وأما قطع فرجي ! فلأني ما أتيت به فحشاً أبداً والله على ما أقول شهيد . وأما إلقائي على المزبلة القذرة ففيه إشارة وبشارة بالنصرة على المنكرين ، وغلبة المعاندين بقوة إله العالمين .

وكأنَّ لهذه الكلمات سرّاً خاصّاً ، فقد اختطفت قلب هذا الرجل ، وأسرت لبَّه ؛ فغدا من مريدي مولانا خالد المخلصين ، وصرَّح بأنَّ تلك الرؤيا افتراء واختراع .

وعندما رأى الخصوم أنَّ النار لم تحرق إبراهيم ؛ بل كانت عليه برداً وسلاماً ، ووجدوا أنَّ رجالهم - بل قُلْ : سهامهم - التي صوَّبوها إلى حضرة هذا الإمام ، لا تدخل ساحته ؛ إلاَّ ويجذبها مغناطيسه ، فتصير كالأقمار المنيرة ، تسبحُ وتدور في فَلَكه بيَّتوا أمراً جديداً ، فقد اجتمع رأيُ نحو مائتي رجل على قتله ، واتفقوا على أن يقفوا له بالسلاح يوم الجمعة خارج المسجد ؛ فإذا خرج قتلوه .

وخرج قُدِّس سرُّه خروج الأسد من عرينه ، والتفت إلى صفوف الأعداء ، ونظر إليهم بعين الجلال ، فمنهم من شَرَد وولَّى الفرار ، ومنهم

مَن سقط مغشيّاً عليه ، ومنهم مَن صاح مجذوباً .

وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف رحل مولانا خالد إلى بغداد ، فألَّف كبير المنكرين رسالة مشحونة بتضليل مولانا خالد وتكفيره ، ووجهها إلى واليها : سعيد باشا ، يحرِّضه على إهانة هذا الإمام ، وإخراجه من بغداد ، فرمى هذا الوالي الرسالة ؛ وقال كلمته المشهورة : إن لم يكن حضرة مولانا الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم ؟ ! سبحان الله ! ! ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنون ، أو معاند أعمى الله تعالى بصيرته ! .

وما صنيع مَن يحاول طمس النجم الوقاد ، وإغراقه في أكوام الأقذار ؛ إلاَّ أن يظنّه قد هوى إلى صفحة الماء فيلقي عليها ما استطاع من أوساخ ، فما يكون إلاَّ أن يزول خيال النجم ويختفي ؛ كلما تعكَّر الماء وتكدَّر ، بينما يزداد النجم في أفقه تألُّقاً وضياء ، وإذا الأمر غير ما توهموه ! ! فالنجم الذي ظنّوه في متناول أيديهم ، هو فوق ما ترقى إليه أبصارهم .

أحداث بغداد : وفي « بغداد » حادثتان هامَّتان جرتا لهذا الإمام مع محدِّث بغداد الكبير الشيخ علي السويدي رحمه الله تعالى . فقد كان أمير المؤمنين في الحديث الشيخ علي السويدي يتصدَّر حفلة في بغداد ؛ والحاضرون يصغون إلى حديثه باهتمام ، مأخوذين بسحر بيانه ، وعذوبة ألفاظه . وفي أثناء ذلك دخل عليهم مولانا خالد النقشبندي رحمه الله تعالى ، فانصرفت أفئدة الحاضرين إلى جناب الشيخ خالد ، وتوجَّهت إليه القلوب ، وكأنَّ ذلك قد شقَّ على الشيخ علي السويدي ؛ فقال مخفياً تأثُّره : يا مولانا ؛ بئس ما يفعله أكثر علماء الأكراد اليوم ! !

فقال له مولانا خالد : ولِمَ ذلك ؟ فأجاب : لاشتغالهم في العلوم الفلسفية ، وهجرهم لعلوم الدين ؛ كالتفسير والحديث ، عكس ما يفعله علماء العرب ! !

فقال قدس سره بداهة : كلا الفريقين طالب بعلمه الدنيا الدنية ،

وطلبُها بـ(قال أرسطو) . و(قال أفلاطون) خيرٌ من طلبها بـ(قال الله) و(قال رسول الله) ، فإنَّ الدنيَّ ؛ إن طُلب يُطلب بدنيّ مثله .

نعم ؛ لو كانوا طالبين الآخرة ، فيا حبَّذا ما يفعله أكثر علماء العرب فخجل المحدِّث العلاَّمة السويدي ، وصار في ذلك المجلس لا يبدي ولا يعيد .

وقد حاول هذا المحدّث أن يَسْبُر غور مولانا خالد النقشبندي ؛ فدخل عليه ذات يوم ، وبعد السلام تلا الشيخ السويدي حديث الأولية - وهما واقفان ، ويدُ أحدهما بيد الآخر - وبعد تمام الحديث قرأ مولانا خالد أيضاً حديثاً أوَّلياً .

ثم جلسا ، وقرأ الشيخ علي السويدي ثلاثين حديثاً من الكتب الستة ، وقلب أسانيدها ؛ امتحاناً على سبيل المغالطة ! ! وبعد فراغه شرع مولانا خالد قُدِّس سره وقرأ الأحاديث المذكورة ؛ وذكر أسانيدها الأصلية على وجه الصحة . فاستغفر السويدي الله مما خطر في قلبه ، ثم طلب السلوك على يدي مولانا خالد ، وحصل له ما حصل من منازل أهل التصوف .

الإرشاد في دمشق : وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف حَلَّ هذا الإمام مع جملة مِن أتباعه في مدينة دمشق ، وبادر على إحياء كثير من مساجدها التي آلت إلى الانهدام ، فكان يقيمُ فيها الصلوات والأذكار والأوراد ، ويرشد الخلائق إلى طريق السادة الأبرار ، وينشر علوم الدين ، ويربِّي المريدين .

وفي داره في القنوات بدمشق أقام الدروسَ الخاصَّة التي يحضرها

أهل العلم والفضل ؛ كالمحدِّث الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، وحسين أفندي المرادي (مفتي الشام) ، والسيد محمد أمين ابن عابدين (أمين الفتوى فيها) ، والشيخ عمر المجتهد ، والشيخ حسن البيطار ، والشيخ حسن الشطي ، وعمر أفندي الآمدي ، وولده طاهر أفندي (مفتي الشام لاحقاً) ، وعمر أفندي الغزي العامري (مفتي السادة الشافعية) .

ولم يلهه عن هذا ازدحامُ أبوابه بالناس ، كما لم تشغله الرسائل التي كان يتلقاها من خلفائه ومريديه في أنحاء العالم الإسلامي ، أو المكاتبات التي كان هو يحرِّرُها إلى المدينة المنوَّرة ، وبيت الله الحرام ، والقدس الشريف ، و« إسلامبول » دار الخلافة ، و« دهلي » عاصمة بلاد الهند ، و« شروان » ، و« أزمير » ، و« كوى سنجاق » ، و« ملاطية » ، و« ساوجبلاغ » ، و« ديار بكر » ، و« السليمانية » ، و« بغداد » ، و« البصرة » ، و« طرابلس الشام » ، و« عكا » ، وغيرها . .

وظهر الطاعون في مدينة دمشق ، فقدَّم الشيخ أمامه فلذتي كبده : عبد الرحمن ، ومحمد بهاء الدين ، ثم لحقهما ، ودفن معهما فوق تل النور في سفح جبل قاسيون .

قال ابن عابدين رحمه الله تعالى : « ولقد دخلت عليه أُعَزِّيه بولده الأخير ؛ فوجدته يضحك بوجه مستنير ! ! وقال لي : أنا أحمدُ الله ؛ حيث أجدُ في قلبي الحمدَ والرِّضا أكثر من الاسترجاع على مُرَّ القضا » .

شمائله : إذا ذُكِرَ أولياء الله تعالى ؛ فالناس - عدا المنصفين منهم - بين إفراط مَنْ يغالي في خلع النعوت عليهم ، وبين تفريط مَن يغلو بتنقُّصِهم . وقد عاصر مولانا خالدٌ رحمه الله تعالى بعضَ الناس من هاتين الفئتين : اسمعْه يقول في إحدى رسائله « كما يجب التحرُّز عن إنكار الأولياء ؛ يجب التحرُّز عن الغلوِّ في الاعتقاد بهم » ، ويقول :

« لا ينبغي الإصغاء إلى قول إسماعيل الأناراني فينا ، فوالله أنا دون ما يعتقدني هو بكثير » .

أمَّا ما كان من أمر الخصوم - وكم لقيَ الأذى منهم ! - فإنَّه لم يقابل الإساءة إلاَّ بأحسن صنيع ؛ يشتمونه ، ويدعو لهم في ظهر الغيب . وقد قال : « إني لبريء مما نسبتُم إليَّ من فنون المثالب والفساد والافساد » .

ولئن عَيَّره الخصوم بما ليس فيه ؛ فما كان ليعيِّرَهم بما هو فيهم ! ! أنصت إليه وهو يخاطب أحدَ أتباعه قائلاً ما معناه : « لا جعلنا الله تعالى وإيَّاكم ممَّن فتح الله أبصارهم ، وأعمى بصائرهم ، حتى توغلوا في تنقيص الناس ؛ وغفلوا عن عيوب أنفسهم ، استقصَوا ذنوب إخوانهم ، وما تنبَّهوا لذنب من ذنوبهم ! ! »

طُلب منه طردُ أحدِ أهل الطريقة ، فأجاب : ما أرى أحداً من فسَّاق المؤمنين إلاَّ وأعتقده أحسن مني ، لأنَّ إيمانه ثابتٌ ، وفسقه خفيٌّ عني ، ومثالبُ نفسي جليَّة لديَّ ! ! هذا ؛ والخاتمة مجهولة . . .

بعث إلى الشيخ حسن الشهير بـ« الخطاط القوزاني » **يوصيه بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء ، وبسلامة الصدر ، وبسماحة النفس ، وبسخاوة اليد ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى ، وكفِّ الأذى ، والصفح عن عثرات الإخوان ، والنصيحة للأصاغر والأكابر ، وترك الخصومات ، وترك الطمع ، وبالاعتماد في قضاء الحوائج على الله جلَّ جلاله ؛ فإنه لا يضيع من عوّل عليه ، وأن لا يرجو النجاة إلا في الصدق ، ولا الوصولَ إلى الله إلا في اتباع سيدنا محمد رسول الله ﷺ سيِّد الخلق ، وأن لا يظن أنَّه أفضل من أحد ، بل لا يرى لنفسه وجوداً ، وكلُّ مَن يتطاول عليه بالنميمة والحسد يفوِّض أمره إلى الله . . » .**

كتب إلى خلفائه في مدينة السلام (بغداد) يقول : ولا تتداخلوا مع

الملوك والأمراء والأغوات وأعوانهم ، فإنَّكم لستم ممن له قوَّةُ إصلاح هؤلاء ، ولا تغتابوهم ، ولا تسبُّوهم بَطَراً وغروراً بزعم أنهم ظلمة ؛ وأنتم صلحاء ، فإنه عجبٌ وجهل ، إذا ما منا أحدٌ ليس بظالم ، بل عليكم بالدعاء لوليِّ الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح . . .

وهذه الرقعة التي أرسلها إلى خلفائه في بغداد ذات أهمية خاصَّة ، ففيها يرشدهم إلى الابتعاد عن مواطن التُّهم ، فيوصيهم بترك الترجِّي للعوامِّ عند ذوي السلطان ، قائلاً : لا يوهمنَّكم أنَّ قضاء حوائج الإخوان من أعظم العبادات ، لأنَّه مخصوص بما إذا لم يتولَّد منه ما هو أكبر - أي : ما هو أكبر من تركه - وإذا تعارضت المفسدتان - : مفسدة عدم قضاء حوائج الإخوان ، ومفسدة الترجِّي عند ذوي السلطان ؛ فارتكاب أهونهما لازمٌ ، والسعيد من اتَّعظ بغيره .

وفي هذه الرسالة أيضاً أوصى خلفاءه بأن لا يُدخلوا في الطريقة مَن جعلوا العلم وسيلةَ الجاه وجمع الحطام ، والمتفكهين بالدنيا ، المنهمكين في الشهوات ، والبطَّالين الذين يحملون أثقالهم على رقاب الناس باسم الصلاح ، وقال : اعملوا[1] أنَّ أحبَّكم إليَّ أقلُّكم أتباعاً ، وعلاقةً بأهل الدنيا ، وأخفّكم مؤنة ، وأشغلكم بالفقه والحديث » . وقد ورد في بعض الأحاديث : « مَا ازدَادَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْباً إِلاَّ ازدَادَ مِنَ اللهِ بُعْداً ، وَلاَ كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلاَّ كَثُرَتْ شَيَاطِينه ، وَلاَ كَثُرَ مَالُهُ إِلاَّ اشْتَدَّ حِسَابُهُ » ، وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع ، وحبَ الشهرة والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين ، وجميعُ هذه النيَّات فسادُها غنيٌّ عن البيان .

ولعلَّه من قبيل الحرص على الدين أيضاً ، ما يُعرف عن هذا الإمام من نُدْرة قبوله الهدايا ، فقد أهداه أحدُ مُرَوِّجي طريقته ؛ وهو شيخ

---

(١) علّه اعلموا .

الإسلام في الدولة العثمانية ، ومفتي الأنام فيها : مكي زاده مصطفى أفندي (الموصوف بالعفة والاستقامة والصلاح) نسخة من « القاموس المحيط » ، فأرسل مولانا خالد إليه يقول : (. .وكان الطريق إمَّا الردَّ ، وإمَّا القبول ؛ مع إتحاف أحسنَ منها ، ولمَّا كان في الردِّ مظنَّةَ كسر الخاطر قبلناها ، والقبول عندنا من النوادر ، فخالفنا عادتنا رعاية لحالكم ، وجبراً وتفريحاً لبالكم ، وحبوناكم ببعض الأدعية الفاخرة ، وهي أحسنُ منها عند أرباب الدينا ؛ فضلاً عن أهل الآخرة) .

وربما تكون هذه الغَيْرة على عِزَّة الدين وسؤدده ورفعته من أسباب انقياد الأمراء والسلاطين لهذا الإمام ، يستشيرونه في مهماتهم ، ويسعون في مرضاته ، ويرون دعاءه أحسن عدة لهم ، وأفضل ذخر لمستقبلهم .

ففي العراق ، لما استفحل الخلاف بين حكومة بغداد وبين أمراء البابان ، ووقعت الاضطرابات ، وخيف من دولة العجم المتاخمة ، اتجهت الأنظار نحو مولانا خالد لحسم مادة النزاع ؛ بدل أن تتجه إلى الآستانة مقر الخلافة يومذاك ، وعقدت الآمال على هذا الإمام ، فبعث والي بغداد داود باشا رحمه الله تعالى إلى مولانا خالد يرجوه بإلحاح أن يبادر إلى إطفاء نار الفتنة . وهكذا أصلح الله على يدي هذا الإمام الأمور ، وجمع القلوب ، وأعاد الوئام .

ومن العراق إلى لبنان : لقد أضرمت الفتنة في تلك الربوع أيضاً ؛ فساق حاكم عكا وصيدا الجيش لإطفائها ، وأرسل إلى مولانا خالد مستمدّاً يطلب الدعاء ، فكتب إليه مولانا خالد يوصيه وينصحه ويرشده ، ويقول له :

وَحَـيْـثُ اتَّـجَهْتُمْ صَـادَفَتْكُمْ عِنَايَةٌ   وَيَرْعَـاكُـمُ الرَّحْمَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وسرعان ما يزفُّ هذا الوالي بشارة الفوز إلى مولانا خالد ، فيكتب مولانا خالد إليه قائلاً : أقرَّ الله تعالى عينكم ، وأيَّدكم بنصره ، وحفظكم عن رؤية نفسكم ، وأقامكم في اجتناب نهيه وامتهال أمره .

ولمَّا كتب الوزير عبد الله باشا إلى مولانا خالد يلتمس الدعاء؛ أجابه مولانا خالد: القبول موقوف على صفاء سرِّ الداعي، وحسن استعداد المدعوّ له، فإذا عارض دعاء الفقراء المساكين السهامَ الصائبة من أدعية المظلومين المضطربين؛ فالغلبة لدعاء المضطر، إذ لا حجاب بينه وبين ربه، ولو كان فاجراً أو كافراً؛ فضلاً عن مؤمن وصالح.

ولله درّ ليلى؛ لقد أجمع العشَّاق على استئثارها برائع الحسن، وبديع الخصال!! بيد أنَّ كلَّ صبٍّ منهم لا يفتأ يترنَّم بالجانب الذي رآه وحده، وما انكشف له منها ممَّا يسبي العقل؛ من ضروب الجمال... فإذا استحوذت هذه الجوانب من شخصية مولانا الإمام على إعجابنا، [فـ]ـإنَّ الذي استرعى انتباه العلامة الحيدري هو إسلام بعض النصارى بين يدي هذا الإمام بمجرَّد أن يقع عليهم نظر مولانا خالد رحمه الله تعالى.

تَدْعُو إِلَى الرَّحْمَنِ غُرَّةُ وَجْهِهِ ... وَيَتُوبُ يَوْماً مَا رَآهَا المُذْنِبُ
أَبَداً تَرَاهُ لِلْمَرَاضِي جَانِحاً ... وَلَهُ صَبَابَتُهُ إِلَيْهَا تَجْذِبُ

أمَّا الشيخ محمد بن سليمان البغدادي الحنفي!! فيؤخذ من كلامه: أنَّ مَن لازم هذا الإمام، وجالسه على بساط الأدب؛ انتفع من لَحْظِه؛ كما ينتفع من لفظه، وسرت فيه أحوال هذا الإمام، وغمرته أنواره، فرزق رغبة في الله، وإعراضاً عما سواه.

وهذا من حيث الفضل الإلهي حقٌّ عندي لا مريةَ في ثبوته؛ ولا نزاع، والشواهد على كون هذا الإمام مدرسة حيَّةً من مدارس القرآن الكريم، وكون صحبته مطلبَ الموفقين، فإذا فازوا بها نسوا الأهل والمال والأوطان، ثم لم يبتعدوا عن هذا الإمام إلا بأمر منه، إذا أراد أن يوجِّهَهم إلى الأماكن البعيدة للجهاد والإرشاد، وهم - في واقع الأمر - أقربُ ما يكونون قلباً وروحاً إليه؛ أقول: والشواهد على ذلك كثيرة! - على سبيل المثال - **الشيخ إسماعيل الشرواني الخالدي الداغستاني**، نوّر الله مرقده، الذي أخذ الطريقة عن مولانا خالد، وكان في خدمته حيثما حلَّ أو

ارتحل ، ولما آنس مولانا خالد منه الاستعداد ؛ أمره أن يتوجَّه إلى شروان حاضرة البلاد القفقاسية ؛ خليفة عنه ، ومرشداً مأذوناً منه . . فامتثل ، وربَّى هناك العلماء ، وأرسلهم إلى أقاصي بلاد الروس من القازان والتتر حتى منتهى سيبريا ، ولعلَّ من ألمعهم الإمامين الجليلين الغازيين في سبيل الله : الشيخ شامل الداغستاني الشاشاني ، والشيخ فوزي ملا[1] اللذين حاربا دولة المسكوف مع مريديهما ستاً وثلاثين سنة متوالية بلا انقطاع .

وخلاصة القول : كان مولانا خالد رضي الله عنه وأرضاه كريمَ النفس ، حميد الأخلاق ، باذل الندى ، حامل الأذى ، حلو المفاكهة والمحاضرة ، رقيق الحاشية والمسامرة ، ثَبْت الجنان ، بديع البيان ، طلق اللسان ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يأخذ بالأحوط والعزائم ، يتكفَّل الأراملَ والأيتام ، شديدَ الحرص على نفع الإسلام ، وبابُه محطُّ رحال الأفاضل ، ومخيَّم أهل الحاجات والمسائل ، لم يشغله الخلق عن الحق . . .

وقد انتفع به - رحمه الله تعالى - خلق كثيرون من الأكراد ، وأهل « كركوك » ، و« إربل » ، و« الموصل » ، و« العمادية » ، و« عنتاب » ، و« حلب » ، و« الشام » ، و« المدينة المنورة » ، و« مكة المعظَّمة » ، و« بغداد » .

مؤلفاته : أنشد مولانا الشيخ خالد النقشبندي رحمه الله تعالى الشعر ، وكتب الشروح والحواشي ، وحرر الرسائل .

أما شعره ! فمنه ما كان باللغة العربية ، وله ديوان فارسي . وقد شطَّر الشيخ محمد الفراقي عدداً من قصائد مولانا خالد ، وخمَّس بعضها .

وأمَّا مؤلفاته ؛ فمنها « حاشيته على نهاية » الرملي في فقه

(١) علّه الشيخ الغازي محمد الكمرويّ قدس سره .

الشافعي إلى باب الجمعة ، و« الحاشية الهندية » ، و« حاشيته » على أحد كتب الحديث .

ولهذا الإمام من الشروح شرح مقامات حديث جبريل ، جمع فيه عقائد الإسلام ، وهو باللغة الفارسية . وله أيضاً « شرح مقامات » الحريري .

ومن مؤلفات مولانا خالد أيضاً « جالية الأكدار والسيف البتَّار في الصلاة على المختار » ﷺ . وجُمعت رسائل هذا الإمام في كتاب اسمه « بغية الواجد في مكتوبات حضرة مولانا خالد » . وقد تكون من أهمها رسالة « العقد الجوهري في الفرق بين كسبَيْ الماتريدي والأشعري » ، وكان من دواعي تأليفها التماسُ بعض كبار العلماء من جنابه أن يبسط الفرق بين الكسبين بعبارة تزيل الغموض وتحلُّ الأشكال . ويضمُّ هذا الكتاب رقعتين : الأولى في عقيدة مولانا خالد ، والثانية عريضة رفعها رحمه الله تعالى إلى حضرة سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً .

ومن الرسائل التي يحويها الكتاب « رسالة في الفرق بين القضاء المبرم والقضاء المعلق » ، و« رسالة في آداب الذكر » للمريدين ، ورسالة « في تبيان المراقبات » ، ورسالة « في تحقيق معنى (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) » كتبها إجابة لطلب ثُلَّة من أفاضل دمشق .

ما كتب عنه : كتابان أحسبهما من أقرب الموارد للظمآن : أحدهما مطبوع ، واسمه « بغية الواجد » ، والآخر مخطوط[1] ، ألفه العلامه محمد أمين ابن عابدين ، واسمه « سل الحسام الهندي لنصرة خالد النقشبندي » . ومن حواشي الأول وخاتمة الثاني استقيت أغلبَ المعلومات الواردة في

---

(١) بل هو مطبوع أكثر من مرَّة .

هذه الترجمة . أمَّا إذا ذهبتَ تبحث عن غيرهما ! ! فثَمَّة كتب أخرى ، ورسائل وردود ؛ حرَّرها العلماء للذبِّ عن ساحة هذا الإمام ؛ لا إخالها تضنُّ عليك بفوائدها ، ومن أبرز ما صُنِّف في هذا المضمار كتاب « أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد » للشيخ عثمان سند ، وكتاب « الحديقة الندية ، في الطريقة النقشبندية » ، و« البهجة الخالدية » للشيخ محمد بن سليمان البغدادي الحنفي ، ولا يبعد أن تجد في أحدها أطرافاً لم يتناولها الآخر ، وتزوَّد من كاتب بمعلومات لم يوردها غيره .

وقال العلامة محمد أمين ابن عابدين في مولانا خالد يرثيه ويذكر بعض فضائله :

أَيُّ رُكْـنٍ مِـنَ الـشَّـريـعَــةِ مَــالاَ ... فَـرَأَيْـنَـاهُ قَـدْ أَمَــالَ الـجِـبَــالاَ
مذْ رُزِئْنَا بِأَوْحَـدِ العَـصْـرِ عِـلْـمـاً ... وَبَـهَــاءً وَبَــهْــجَــةً وَكَــمَــالا
وَاجْـتِــهَــادًا وَطَـاعَـةً وَصَـفَـاءً ... وَسَـــخَـــاءً وَعِـــفَّـــةً وَنَـــوَالاَ
هوَ بَحْرُ الـعُـلُـومِ شَـرْقـاً وَغَـرْبـاً ... وَيَـمِـيـنـاً وَقِـبْـلَـةً وَشِـمَـالاَ
فَـإِذَا عَـنَّ مُـشْـكِـلٌ كَـلَّ عَـنْـهُ ... كُـلُّ شَـهْـمٍ فَـذَا يَـحُـلُّ الشِّـكَـالاَ
مُـذْ تَـجَـلَّـى سَـنَـاهُ فِـيـنَـا أَرَانَـا ... كُـلَّ بَـدْرٍ وَقْـتَ الكَـمَـالِ هِـلاَلاَ
وَسَـقَـى أَهْـلَ عَـصْـرِهِ كَأْسِ قُرْبِ ... وَحَـسَـاهُـمْ مِـنْـهُ الرَّحِـيقَ الزُّلاَلاَ
هُوَ قُطْبٌ عَلَيْهِ دَارَتْ رَحَـى الـعِـرْ ... فَـانِ وَهُـوَ الـفَـرِيـدُ قَـالاً وَحَـالاَ
هُـوَ شَـيْـخُ الـسُّـلُوكِ مَنْ نَالَ هَدْيَا ... مِـنْ سَنَـاهُ فَـقَـدْ تَـزَكَّـى فِـعَـالاَ
ولِعُثْمَانَ ذِي الـحَـيَـاءِ وَذِي الـنُّـوْ ... رَيْـنِ صَـحَّ انْـتِـسَــابُــهُ إِجْـلاَلاَ
وَبِـهِ ازْدَانَ دِيـنُـنَـا وَطَـرِيـقُ الـنَّـ ... ـقْـشَـبَـنْـدِيِّ زَادَ مِـنْـهُ جَـمَـالاَ

هدية الذاكرين

و

حجة السالكين

ألَّفـــه

العالم العلامة الشيخ يوسف أفندي شوقي النقشبندي

نفع الله بها المسلمين

آمين

دار الرسالة

ما سرى في الضمير ذكر خفي   وارتـضاه

سبحانه وتعالى[1]

---

(١) هكذا وردت الترجمة بحرفيتها إلا المرثية ، وإنما استفضت بالترجمة موسعة تبركاً بذكر حياة ومناقب هذا الإمام الجليل رحمه الله تعالى وبخاصة رسالة كهذه ترتبط شخصيا بالرابطة الشخصية لتصل بين أنوار متسلسلة يستمدها المخلوق من خالقه جل جلاله .

الرسالة الخالدية في الطريقة النقشبندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

من العبد الفقير المستهام خالد النقشبندي المتمسك باتباع سنَّة خير الأنام عليه أفضلُ الصلاة وأكمل السلام إلى الإخوان المخلصين الكرام من سُكّان دار الخلافة العظمى - لا زالت مصونةً عن كيد الخائنين ، ومقرونةً بنصرة حاميها وحامي بلاد المسلمين إلى يوم الدين ؛ آمين - : السلام التامُّ والتحية والإكرام عليكم .

أما بعد ؛ فقد وردت مكاتبُكم الدالة على صحَّة ذواتكم ؛ فأورثت المسَرَّةَ المشيرةَ إلى ثباتكم على الطريقة السَنية السُّنِّية مع كثرة مزاحمة المنكرين ، فحمدت الله تعالى على ذلك مرة بعد مرة .

وقرع سمْعَ هذا المسكين أنَّ بعض الغافلين عن أسرار حقِّ اليقين يعدُّون الرابطةَ بدعةً في الطريقة ، ويزعمون أنها شيءٌ ليس له أصل ؛ ولا حقيقة ! ! كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العليَّة النقشبندية ، بل هي أعظم أسباب الوصول ؛ بعد التمسُّك التامِّ بالكتاب العزيز وسُنَّة الرسول ﷺ .

أصحاب الطريقة والرابطة

ومن جملة ساداتنا مَن كان يقتصر في السلوك عليها .

ومنهم مَن كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيصه على أنها أقربُ الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدِّمَةُ الفناءِ في الله تعالى .

ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فقال من السادات الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بـ« خواجه » أحرار قُدِّس سِرُّه ما حاصله :

إنَّ الكينونةَ مع الصادقين المأمورَ بها في كلام ربِّ العالمين الكونُ معهم صورةً ومعنى ، ثم فسّر الكينونةَ المعنويةَ بـ« الرابطة » ، وهو عند أهله مشهور ، وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطورٌ ، فكأنهم لم يتصوَّروا معنى الرابطة اصطلاحاً ، وإلاَّ لَمَا وسعهم إنكارُها ، إذ هي في الطريقة : عبارةٌ عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته ؛ ليتأدَّب معه ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ، ويتمُّ له باستحضاره الحضور والنور ، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور ، وهو أمر معلومٌ لا يتصوَّر جحودُه إلاَّ ممن كتب الله في جبهته الخسران والعياذ بالله تعالى ؛ من المقت والحرمان ، لأنه ؛

إن كان ممن يعتقد بالأولياء ؛ فقد صرّحوا بحسنها وعِظَم نفعها ، بل قالوا بها واتفقوا عليها ؛ كما لا يخفى على مَن تتبع كلماتِهم القدسيَّة ، واستنشق نفحاتِها الأُنسيَّةَ .

وإن كان مِمَّن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع ! فقد قال بها مِن كلِّ مذهب من المَذاهب الأربعة أئمةٌ ؛ تصريحاً وتلويحاً .

وها أنا أعدُّ لكم بعضَ ما ذكروه مع تعيين الأماكِين ؛ ليراجعها مَنْ ليس في قلبه مرضٌ ، ولا يُنكر على الأولياء بمجرَّد اتِّباع الهوى والغرضِ ، فأقول ؛ وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق :

قد صرَّح بالتصرُّف والإمداد للروحانيين جماهيرُ المفسرين ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ومنهم صاحب « الكشاف » مع انحرافه عن الاعتدال ، واتصافه بالإنكار والاعتزال ، ولفظه :

وفُسِّر البرهانُ : بأنه-أي : يوسف عليه الصلاة والسلام - سمع صَوتاً : إيَّاكَ وإيَّها ، فلم يكترث له ، فسمعه ثانياً ، فلم يعمل به ، فسمع ثالثاً ، أعرض عنها ؛ فلم ينجع فيه حتى مثّل له يعقوب عليه السلام عاضاً على أنمُلَتِه وقيل : ضربَ بيده على صدرِهِ إلى آخر ما قال .

مطلب

في أصول الاجتماع بالغير يقظة ومناماً

وقال من **الأئمة الحنفية** الشيخُ الإمام أَكمل الدين في « شرح المشارق » ؛ في حديث « مَنْ رآني . . . . » إلخ : الاجتماع بالشحص يقظةً ومناماً لحصول ما به الاتحاد ، وله خمسةُ أُصول كلية : ١- الاشتراك في الذات ، أو ٢ - في صفةٍ فصاعداً ، أو ٣ - في حال فصاعداً ، أو ٤ - في الأفعال ، أو ٥ - في المراتب . وكلُّ ما يتعقَّل من المناسبة بين الشيئين ؛ أو الأشياء لا يخرج عن هذه الخمسة ، وبحسب قوَّته وضعفِه يكثر الاجتماع ويقلُّ ، وقد يقوى على ضدِّه فتقوى المحبَّة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ، وقد يكون بالعكس ، ومَن حصَّل الأصول الخمسة ثبتت المناسبةُ بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضين ، واجتمع بهم متى شاء . انتهى .

وقال منهم : محشي « الأشباه » الشريف أحمد بن محمد الحموي في كتابه « نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال » ما خلاصته : أن الأولياء يظهرون في صور متعددة ؛ بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ، وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح ، قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة » فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه : وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها ؟ ! قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » .

وقالوا : إن الروح إذا كانت كلية قد تظهر في سبعين ألف صورة ، هذا في دار الدنيا ؛ وفي البرزخ من باب أولى ! لأن الروح فيه أغلب وأشد استقلالاً بسبب المفارقة عن البدن . انتهى .

ومن **الأئمة الشافعية** الإمامُ الغزالي في « الإحياء » ؛ في باب تفصيل (ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كلِّ ركن الصلاة) ما نصُّه : وأَحْضِرْ في

قلبك النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم وشخصَه الكريم ، وقل : السلام عليك أيها النبيُّ ، وليصدق أملك في أنه يبلِّغه سلامك ويردُّ عليك ما هو أحسن منه . انتهى .

وقال منهم العلامة الشهاب ابن حجر المكيُّ (شيخُ شيخِ الشهاب الخفاجي) في « شرح العباب » في بيان معاني كلماتِ التشهُّد ما نصُّه :

وخوطب ﷺ كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلِّين من أمَّته حتَّى يكون كالحاضر معهم ، ليشهد لهم بأفضل أعمالهم ، وليكون تذكُّرُ حضوره سبباً لمزيد الخشوع والحضور ، ثم أيَّده بما مرَّ عن « الإحياء » .

ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السَّهْرَوَردي الشافعي في « العوارف » ؛ في (باب صلاة أهل القرب) وعبارته : ويسلِّم على النبيﷺ ويمثّله بين عينَيْ قلبه . أنتهى .

وصرَّح العلاَّمة الشهاب ابن حجر في أواخر شرح « الشمائل » ؛ وفاقاً للجلال السيوطي في كتابه « تنوير الحَلَك في رؤية النبي ﷺ والملك » أنَّه حُكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه رأى رسول الله ﷺ في النوم ؛ فدخل على بعض أُمَّهات المؤمنين ، فأخرجت له مرآته ﷺ ؛ فرأى صورته ﷺ ولم يَرَ صورة نفسه . انتهى .

وهذا هو **الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم** .

ولا يقال ليس الكلام في صورة النبيﷺ !!

لأنا نقول : إنَّ هذا ليس من خصائص الأنبياء ، **وكلُّ ما هو كذلك ؛ فهو مشترك بينهم وبين الأولياء** ، ولا شكَّ في هذا عند أهله .

نعَمْ ؛ مخاطبةُ غيره ﷺ في الصلاة مبطلٌ لها ، وإحضارُ صورته فيها ، والتسليم على صاحبها من خصائصِ حَضْرَةِ روحِ الوجود وصاحب

المقام المحمود؛ عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام من الكريم الودود، وهو غيرُ مرادٍ فيما نحن فيه.

هذا؛ وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلةٍ أَلَّفها في مثل هذه المادة سمَّاها كتاب «المنجلي في تطوُّر الولي» نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في «الطبقات الكبرى»: الكراماتُ أنواع.... إلى أن قال:

الثاني والعشرون: التطوُّر بأطوار مختلفة، وهذا الذي تسمِّيه الصوفية بـ«عالم المثال»، وبَنَوا عليه تجسُّد الأرواح وظهورَها في صور مختلفة من عالم المثال، واستأنسوا له بقوله تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

ومنه قصَّة قضيب البان.... ثم ذكر وذكر غيرَها. انتهى.

وقال منهم الإمام العارف الشَّعْراني قدس سره في كتاب «النفحات القدسية»؛ عند عدِّ آداب الذكر ما نصُّه:

السابع: أن يتخيَّل شخصُ شيخَه بين عينيه، وهذا عندَهم آكدُ الآداب. انتهى بحروفه.

قلت: وليست الرابطة عندنا معاشر النقشبندية إلاَّ هذا، كما يشهدُ له ما في جميع كتبهم المعتمدة.

وذكر العلامة السفيري الحلبي من الشافعية؛ في «شرح البخاري» - عند قوله (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ): إن الشيطانَ كما لا يقدر أن يتمثَّل بصورة النبي ﷺ؛ لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمَّةَ.

وقال من أكابر الحنفية أيضاً العلاَّمةُ الشريف الجرجاني قدس سره؛ في آخر «شرح المواقف» (قبَيْل ذكر الفِرَق الإسلامية)، وفي أوائل حواشيه على «شروح المطالع» بصحَة ظهور صُوَرِ الأولياء للمريدين،

وأخذهم الفيضَ منها ؛ حتَّى بعد الموت ، وكذا ذكر في أوائل حواشيه على « شرح المطالع » .

وقال منهم أيضاً الإمام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين الحنفي النقشبندي العثماني قدس سره ؛ عند بيان طريق الوصول إلى الله تعالى في رسالته المعروفة بـ« التاجية » ما نصُّه :

الطريقة الثالثة : الرابطة بالشيخ الذي وَصَل إلى مقام المشاهدة ، وتحقّق الصفات الذاتية ، فإنَّ رؤيته بمقتضى « هم الذين إذا رؤوا ذكر الله » تفيد فائدةَ الذكر ، وصحبته بموجب « هم جلساء الله تعالى » تنتج صحبة المذكور إلى أن قال :

فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال ، وتتوجَّهَ للقلب الصَنَوْبَرِيِّ حتى تحصل الغيبة والفناء في النفس ؛ وإن وقفتَ عن التَّرقِّي ، فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن ، وتفرض من كتفك إلى قلبك أمراً ممتداً ، وتفرض الشيخ ذلك الأمر الممتد ، وتجعلَه في قلبك ، فإنَّه يرجى بذلك حصول الغيبة والفناء . انتهى بحروفه .

وجرى عليه قدوة المحققين وزبدة المتأخرين الشيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي قدس سره ، وأقَّره في شرحه على « التاجية » المسمى بـ« مفتاح المعية » .

وقال من **أئمة الحنابلة** الغوث الأعظم والإمام الأفخم السيد الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره ما معناه : إنَّ للفقير السالك طريق القوم رابطة قلبية مع الأولياء ، فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً ، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم ، فيجب إكرامه . انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي ؛ في (باب آداب المريد مع شيخه) ؛ من « عوارفه » .

وقال منهم أيضاً : العلامة شمس الدين ابن القيم في كتاب « الروح » : للروح شأن آخر غير شأن البدن ؛ فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سُلِّم على صاحبها تردُّ السلام وهي في مكانها هناك . انتهى نقلاً عن الحافظ السيوطي في كتاب « المنجلي » .

قلت : والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تحصى ، وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرُّفٍ للأولياء بعد الموت . وقد ألف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك ، فليحذر الموفق عن إنكاره فإنه من المهالك .

وقال من **الأئمة المالكية** : الإمام الجليل صاحب « المختصر » المشهور الشيخ خليل رحمه الله تعالى ما نصه : الوليُّ إذا تحقق في ولايته تمكَّن من التصور في روحانيته ، ويعطي من القدرة التصوُّر في صور عديدة ، وليس ذلك بمحال ؛ لأن المتعدِّد هو الصورة الروحانية ، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله . نقله الحافظ السيوطي عنه في الكتاب المذكور . ونقل فيه أيضاً عن الإمامين الهمامين من المالكية ؛ الشيخ أبي العباس المرسي ، وتلميذه ابن عطاء الله السكندري قدس سرهما ما يقاربه .

فكيف يسوغ للعوامِّ إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام الذين هم أهل الحلِّ والإبرام ، ومنهم مَنْ يتلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الذي لا ينام ! ؟ واقتصرت عَلَى هذا القدر من الكلام خوفاً من الإملال والإسآم ، وإلا ! لألَّفت فيه مُجَلَّداً حافلاً بعون الملك المنعام . ولو لا رعاية الشفقة على الإخوان في الدين من وقوعهم في إنكار طور الأولياء الكاملين لما أقدمت على إظهار بعض هذه الأسرار ، لكن ألجأني إليه أمران .

الأمر الأول : الذبُّ عن الطريقة التي هي عروة الوصول ، وسلَّم رضوان الله تعالى واتباع الرسول ﷺ ؛ التي أصولها التمسك بعقائد أهل السنَّة الذين هم الفرقة الناجية ، وترك التقاط الرُّخَص ، والأخذ بالعزائم ،

ودوام المراقبة ، والإقبال على المولى ، والإعراض عن زخارف الدنيا ، بل وعن كلِّ ما سوى الله تعالى ، وتحصيل مَلَكة الحضور المعبَّر عنه في الحديث الشريف بالإحسان ؛ وهو « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ؛ فإنه يراك » . والخلوة في الجلوة ؛ مع التحلِّي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين ، والتزيّي بزيّ عوامِّ المؤمنين ، وإخفاء الذكر ، وحفظ الأنفاس ؛ بحيث لا يخرج ولا يدخل نفس مع الغفلة عن الله الكريم ، والتخلُّق بأخلاق صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة والتسليم .

وبالجملة فهذه الطريقة بعينها هي طريقة الأصحاب الأنجاب عليهم الرضوان ؛ من غير زيادة ولا نقصان ، وهي عبارةٌ عن عزائم الكتاب والسنة ، ولهذا قال إمام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ بهاء الحق والدين محمد البخاري المعروف بـ« شاه نقشبند » قدس سره ما معناه : **من أعرض عن طريقتنا ؛ فهو على خطرٍ في دينه** .

والأمر الثاني : التحذير عن تمويه الغافلين وتزويرهم ؛ لئلا يؤدِّي إلى إنكار هذه الطائفة وتكديرهم ، ويسري من شومه - والعياذ بالله - شومٌ عظيم إلى سدِّ باب الفقر الذي هو طريقُهم إلى الله تعالى ، والفقراء الصادقون لا يزالون متضرِّعين إلى الله تعالى لتأييده وبقائه ، وحفظ طريقهم من فتن الحساد ومكائد أعدائه .

خاتمة الرسالة ووصية المؤلف

وهذا الفقير يوصيكم بجميع ما تقدَّم من الآداب ، ويخبركم بأنه يبرأ إلى الله من كلِّ مَن يخالف السنة والكتاب ؛ ولا يتبَع هدي النبي والأصحاب ، ويأمرُكم بصالح الدعاء في الصباح والمساء ، لدوام تأييد الدولة العليَّة العثمانية التي عليها مدار الإسلام ونصرتها على أعداء الدين من الملاعين ، والأعجام المرتدين اللئام ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام ، والحمد لله الملك العلام . . .

اعلم أيدك الله أن هذه الرسالة اللطيفة في شرائط الطريقة النقشبندية ، وآداب الذكر ، وبيان كيفية الرابطة ومشروعيتها ، وجواز الاستمداد والاستعانة والتوسل بالأنبياء والأولياء ، مع الأدلة وبيان وجه الإنابة والانتساب ، وتعلم الذكر من المشائخ ، والبيعة ، والمصافحة ، ومبايعة النساء ، وتعليم الذكر لهن وللعوام ، والتوجّه للمريدين ، والذكر الجهري والخفي ، والذكر والختم والحلقة بالجمعية والجماعات ، وتخصيص العدد في الذكر ، وغلق الأبواب ، ومنع غير المتعلمين من الختم ، وتغميض العينين عند الذكر والختم ، ورفع الصوت بالذكر والتهليل وبالصلاة على النبي ﷺ ، والاشتغال بالنوافل لمن عليه فائتة ، وبيان

جوازها وأدلتها وأسرارها ومشروعيتها ،

وآداب الختم وأركانه ،

والدعاء عقبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قلوب العارفين معادن الأسرار ، وزيّنهم بالتصفية عن العوارض البشرية والأكدار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بباهر آياته أضاءت الأنجاد والأغوار ، وبمعجزات آياته نطق الكتاب وتواترت الأخبار ، وعلى آله وأولاده وأزواجه وذرياته وأصحابه الذين هاجروا لنصرته ونصروه في هجرته ، فنعم المهاجرون ونعم الأنصار .

وبعد : فشرائط النقشبندية الاعتقاد الصحيح المطابق لاعتقاد أهل السنة والجماعة ، والتوبة الصادقة ، واتباع السنة السنية ، واجتناب البدع المخالفة للشريعة ، وترك الرخصة والعمل بالعزيمة ، ورد المظالم ، والاستحلال من أصحاب الحقوق ، وقضاء الفوائت ، والتزام كثرة ذكر الله تعالى المأمور بذكره كل من آمن به ، واتبع سبيله باسم الذات الجامع لجميع الأسماء والصفات العلية بالذكر الخفي في القلب واللطائف ، وبالنفي والإثبات ، ثم التهليل باللسان .

وأما آداب ذكر المنتسبين لهذه الطريقة التي هي بمنزلة الشروط فعشرون : أربعة عشر منها آداب ، واثنان منها معرفة التأثيرات والواردات بسبب الورد والرابطة ، وأربعة منها أبواب الإلهية .

الأول : الطهارة الكاملة بأن يكون متوضئاً طاهر البدن والثياب والمكان . **والثاني** : استقبال القبلة في مكان خال . **والثالث** : الجلوس متورّكاً على عكس ما في الصلاة ، بأن يعتمد على وركه الأيمن ويخرج قدم رجله اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى . **والرابع** : الاستغفار من جميع المعاصي والمخالفات والغفلات ، بأن يقول : أستغفر الله ، خمساً أو خمس عشرة أو خمساً وعشرين مرة . **والخامس** : قراءة الفاتحة مرة

والإخلاص ثلاث مرات ، وإهداء ثوابها إلى روح سيدنا محمد ﷺ ، وإلى أرواح سلسلة الطريقة العلية النقشبندية الخالدية قدس الله تعالى أسرارهم العلية . **والسادس** : الاستمداد من أرواحهم . **والسابع** : تغميض العينين بلا شدة لاصقاً الأسنان بالأسنان ، والشفة بالشفة ، واللسان بسقف الفم ، منطلق النفس على حاله كما في النوم . **والثامن** : رابطة الموت وهي عبارة عن ملاحظة الموت وأحواله والقبر والسؤال والحساب والقيامة وأهوالها ، كأن الموت قد حلّ به الآن ، وكأن هذا آخر نفس من أنفاسه في الدنيا . **والتاسع** : رابطة المرشد ، من حيث هو مرشده وأستاذه ، وهي عبارة عن المحبة الكاملة له لله وفي الله . **والعاشر** : رابطة الحضور وهي : عبارة عن التفكر بأن الله تعالى حاضر ، ناظر ، محيط ، عالم بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والعظمة ، منزّه عن المكان والجهة والصورة . **والحادي عشر** : الوقوف القلبي ، وهو : عبارة عن التوجه إلى القلب الصنوبري بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى . **والثاني عشر** : الوقوف الذكري وهو عبارة عن تخيل لفظة الجلالة أعني لفظة الله وتخيل نقشه على القلب . **والثالث عشر** : الوقوف العددي ، وهو : عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرته . **والرابع عشر** : القول في رأس كل مائة أو عند غلبة الخواطر مما سوى الله تعالى : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي . **والخامس عشر** : معرفة تأثير الذكر ، أي انتظار الواردات الإلهية على القلوب واللطائف ، بعد تمام الورد بسبب الذكر . **والسادس عشر** : معرفة تأثير الرابطة ، أي انتظار الواردات والفيوضات الإلهية على القلب واللطائف بسبب الرابطة . **والسابع عشر** : الشريعة ، وهي الباب الأول من الأبواب الأربعة الإلهية الموصلة إليه تعالى ، أي : العلم بالشريعة واتّباعها لدخول الجنة والنجاة من النار . **والثامن عشر** : الطريقة ، وهي ثاني الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى لتكميل تزكية الإيمان والقلب . **والتاسع عشر** : الحقيقة ،

وهي ثالث الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى لتكميل الإنسان وكسب العيان . **والعشرون** : المعرفة ، وهي رابع الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى ، وهي المطلب الأعلى ، وهي لسلامة القلب والعرفان .

وهذه الأبواب الإليهة كلها متلازمات لا يخالف بعضها بعضاً ، فإنّه لا ينفع ظاهر إلا بباطن ، ولا يعتبر باطن إلا بظاهر ، لأنه ورد « إنما الأعمال بالنيات » ولا تنفع النية أيضاً إلا بالعمل ، لأنّ النية شرطه مثلاً ، أنّ الرجل إذا نوى الصلاة فلم يصلها لا تجزئه عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلا بالنية ، كما بيّنه الإمام الشعراني في كتابه « الدر والياقوت » .

الطهارة الكاملة

أما الطهارة الكاملة ، فلتعظيم الذكر وللسلاح على الأعداء كما في الصلاة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام « تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله بنى الإسلام على النظافة ، ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف » ، وقوله « أن الله نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم » ، وزاد في رواية « ولا تشبهوا باليهود » ، وقوله « الطهور شطر الإيمان » الحديث ، وقوله « الطاهر النائم كالصائم القائم » ، وقوله « طيبوا أفواهكم فإن أفواهكم طريق القرآن » ، وقوله « أنقوا أفواهكم بالحلال فإنها مسكن الملكين الحافظين الكاتبين » الحديث ، وقوله « أن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك » عن عليّ رضي الله عنه ، وقوله « طهروا هذه الأجساد طهركم الله » الحديث ، وقوله « إذا توضأ العبد تحات عنه ذنوبه ، كما تحات ورق هذه الشجرة » .

استقبال القبلة

وأما استقبال القبلة في مكان خال ، فلتعظيم ذكر الله ودفع الشغل وطلب الحضور والفراغ واجتناب الرياء ، لقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ

﴿ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « خير المجالس ما استقبل به القبلة » ، وقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام « السر أفضل من العلانية » ولمن أراد الاقتداء العلانية أفضل من السر . وفي الحديث القدسي « عبدي إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي » الحديث ، وقوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله خالياً كمبارزة إلى الكفار من بين الصفوف خالياً » وقوله ﷺ لعلي كرم الله وجهه ورضي الله عنه « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » كما في جامع الأصول .

الجلوس متوركاً

وأما الجلوس متوركاً على عكس ما في الصلاة ، فلاتباع الأصحاب رضي الله عنهم ، ولاستراحة البدن ، لأن الأصحاب كانوا يجلسون عند النبي ﷺ على هذه الهيئة ، واتّباع الأصحاب سنة ، وهي أقرب للتواضع وأجمع للحواس على القلب .

الاستغفار

وأما الاستغفار ، فللطهارة من دنس الذنوب ، لأن الذنوب مانعة من الوصول إلى حضور حضرة رب الأرباب ، ورين وحجاب على القلوب ، وذلك فرض على كل مذنب وعاص ، لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ الآية ، ولقوله ﷺ « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وقوله : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة » ، وقوله « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً

ورزقه من حيث لا يحتسب » ، وقوله « ثلاثة معصومون من شر إبليس وجنوده : الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله » . والآيات والأحاديث في فضيلة الاستغفار كثيرة شهيرة .

قراءة الفاتحة ، والإخلاص ، وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة

وأما قراءة الفاتحة والإخلاص وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة ، فللوسيلة للاستمداد منهم ، وللقربة والمناسبة لهم ، لقوله تعالى ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية . ولقوله ﷺ « ابتغوا إلى الله تعالى الوسيلة بالصلاة عليّ » كما رواه القاضي عياض ، وكيفيته أن يقول اللهم بلغ ثواب ما قرأناه أو مثل ثواب ما قرأناه إلى روح سيّدنا محمد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليّة النقشبندية الخالدية قدس الله تعالى أسرارهم العلية . وهذا أمر مشروع مسنون عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة ، كذا صرّح في كتب العقائد والفقه ، وكذا في حاشية « الدر المختار » آخر بحث صلاة الجنائز .

وقال في الأمالي :

وللدعوات تأثير بليغ   وقد ينفيه أصحاب الضلال

وصرح علماؤنا في باب الحج عن الغير بأن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره ، صلاة أو صوماً أو صدقة أوحجاً أو غيرها . كذا في « الهداية » وقال في زكاة التتارخانيَّة عن المحيط : الأفضل لمن يتصدّق نفلاً أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات ، لأنها تصل إليهم ولا ينقص من أجره شيء انتهى .

ويؤيده قوله ﷺ « من قرأ الإخلاص إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات » . وقوله ﷺ « ما الميت

في قبره إلا شبه الغريق المتغوث ، ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة ، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها وإن الله عز وجل ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال – أي : من الرحمة والمغفرة ، لو تجسّمت – وإنّ هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم » .

الاستمداد من أرواحهم

وأما الاستمداد من أرواحهم ، فللخلاص من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان ، وهذا أيضاً أمر مسنون ، لقوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ**﴾ الآية . قال الإمام الأعظم رحمه الله :

فلانت أكرم شـافع ومشفع ومن التجى بحماك نال وفاكا

وقوله ﷺ « إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » وقوله ﷺ « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا عليّ ، يا عباد الله احبسوا عليّ ، فإنّ لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم » رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، وقوله « إذا ضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني ، فإن لله عباداً لا يراهم » رواه عتبة بن غزوان لأنّ روحانية سيدنا محمد ﷺ كجسمانيته في الفيض والنصرة والإمداد ، وكذا روحانية الأولياء والصالحين من أمته معجزة له عليه الصلاة والسلام وكرامة لهم . كما ذكره القاضي عياض والخادمي رحمهما الله تعالى . وفي الأمالي :

كـرامـات الـولـي بدار دنيا لـهـا كـوْنٌ فهم أهل النوال

حكم الزيارة للنساء العجائز

وقال الإمام الغزالي : والرحلة لزيارة قبور الصالحين مندوبة ، ونفع الزائرين بحسب مَعارفهم وأسرارهم .

وقال ابن حجر في فتاويه : ولا تترك زيارتهم ، لما يحصل عندها من المنكرات ، كاختلاط النساء بالرجال ، وغير ذلك . ورخص في « الدر المختار » زيارة القبور للنساء العجائز بطريق الاعتبار والترحم ، وبطريق التبرك بزيارة قبور الصالحين ، ويكره للشواب منهنَّ ، كحضور الجماعة في المساجد .

تغميض العيْنين

وأما تغميض العينين ، فلقطع الخواطر التي يوجبها النظر ، ولكمال الخشوع وهذا أيضاً أمر مسنون لأمره ﷺ علياً كرم الله وجهه حين علمه طريق الذكر بقوله « يا علي غمض عينيك » الحديث ، لكنه في الصلاة يكره تنزيهاً إلا لكمال الخشوع ، فلا يكره بأن خاف فوت الخشوع بسبب رؤية ما يفرق الخاطر ، بل قال بعض العلماء أنه الأولى وأنه ليس ببعيد . كذا في « الحلية » و« البحر » و« الدر المختار » وابن عابدين .

وأما رابطة الموت ، فلتذلل النفس وانكسارها ، وهذه معدودة من الفرائض في رسالة الإمام حسن البصري ، لقوله تعالى ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « كُنْ في الدنيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيلٍ ، وعُدَّ نفسك من أصحاب القبور » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « موتوا قبل أن تموتوا ، وحاسبوا قبل أن تحاسبوا » ، وقوله « أكثروا ذكر هاذم اللذات ، الموت فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه » ، وقوله « أكثروا ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله تعالى قلبه وهون

عليه الموت » ، وقوله « كُلُّكُمْ يحبّ أن يدخل الجنة ! قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فاقصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم » الحديث .

رابطة المرشد

وأما رابطة المرشد ، فلقطع الخواطر والوساوس الشيطانية وللوسيلة إلى السير والسلوك ، وهي : عبارة عن استحضار صورة مرشده الكامل مع روحانيته ، وتخيله والاستمداد منه بالقلب ، لأنه النائب عن النبي ﷺ في التربية والإمداد والفيض ، والإرشاد والتبليغ .

وهذا المعنى عبارة عن المحبة الكاملة له لله وفي الله ، لأنه الواسطة والوسيلة بيننا وبين نبينا عليه الصلاة والسلام ، كما أنه عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبين الله تعالى ، ولأنه أرشدنا إلى سبيل الحق وذكر الله تعالى ، وهذا أمر واجب ، لأن الحب في الله والبغض في الله واجب لقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الآية .

وقال البيضاوي في قوله تعالى ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ الآية ، قال : والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء عليهم السلام .

وروى البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا ، فيسقون . وقال في أسد الغاية : وكذا استقى به في شدة القحط عام الرمادة ، فسقاهم الله به . فقال عمر : هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه ويقول الناس له : هنيئاً لك ، ساقي الحرمين .

وقال في « الحصن الحصين » : ومن آداب الدعاء أن يتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين من عباده . رواه البخارى . ولقوله ﷺ : « وهل الدين

إلا الحبّ في الله والبغض في الله » ، ولقوله أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله ، وتعمل لسانك في ذكر الله عز وجل » الحديث . **ومن الأدلة الدالة** على عدم الاعتراض على أستاذه ومرشده قوله تعالى ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ الآية .

اعلم أن الرابطة وإن كانت أصالة للنبي ﷺ إلا أنه لا شك في جوازها أيضاً إلى أولياء الله تعالى والمشايخ الكاملين تبعاله فإنهم آله ﷺ وأتباعه ونوابه وورثته الذين أمرنا بحبهم وإكرامهم والبرور بهم ، فكما جازت الصلاة عليهم تبعاً للنبي ﷺ جازت الرابطة لهم أيضاً تبعاً له .

وهذه الرابطة موصلة إلى المطلوب عند أهل الشريعة والطريقة وأرباب القلوب ، ليس لأحد ممن آمن بالله تعالى ورسوله واعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة مساغ لإنكارها ، إلا من لا يعرف كيفيته ولا يطلع على حقيقته وأدلته ، وعلامة ذلك ، أنه إذا اطلع على حقيقته يقره ويستسلم إليه ، وحينئذ يشعر أن إنكاره الأول صلابة دينية ، لعدم إطلاعه على أدلته وحقيقته ، فإنّ منكرها إن كان ممن يعتقد بالأولياء وكراماتهم ، فقد قالوا بها وصرحوا بحسنها ، وإن كان ممن يعتقد كلام أئمة الشرع ، فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وتلويحاً .

وها أنا أعد بعض ما ذكر ، مع تعيين الأماكن ليراجعها من ليس في قلبه مرض . قد صرح بالتصرف والإمداد للروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ،

منهم صاحب « الكشاف » مع انحرافه عن الاعتدال واتصافه بالإنكار والاعتزال ، صرح بظهور روحانية يعقوب عليه السلام عاضاً على أنملته ، وقوله ليوسف عليه السلام : إياك وإياها .

وقال من الأئمة الحنفية كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث « من رآني فقد رآني » : الاجتماع بالشخصين يقظة ومناماً ،

لحصول ما به الاتحاد ، وله خمسة أصول ؛ بينها العلامة الفاسي في « شرح الدلائل » وقال : ومن حصل الأصول الخمسة ، وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع معهم متى شاء . انتهى .

ومنهم الإمام العارف بالله عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ . قال ما حاصله : إن الكينونة مع الصادقين الكوْن معهم صورة ومعنى ، ثم فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة والحضور ، وهي عند أهله أمر مشهور .

وصرح أيضاً الإمام العلامة المحقق الشريف الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منها ، حتى بعد الموت .

ومنهم العالم العلامة مولانا عبد الرحمن الفاضل الجامي قدس سره في « شرح الرباعيات » وفي « النفحات » وفي رسالة توجه الخاجكان .

ومنهم العالم العلامة محمد ابن سعيد الخادمي شارح الطريقة في رسالته النقشبندية قال : إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء الذكر تفرقة أو وسوسة أو قبض ، فليغتسل بالماء البارد أو الحار أو يتوضأ ، ويصل في الخلوة صلاة الحاجة ، ويتوضأ بعد الدعاء لذكره ، وإن لم يندفع فيتخيّل صورة النبي ﷺ ، أي : روحانيته ، لأن روحانيته كجسمانيته منبع العون والإمداد ، ومطلع الهداية والإرشاد ، أو يتخيل صورة شيخه مع روحانيته بشرط أن يعتقد أنه خليفة رسول الله في الفيض والإمداد ، ونائب عنه ﷺ في تربية الخلق وإرشادهم إلى الحق . انتهى .

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » أن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ، ويقع منهم التصرف والكرامة في الحياة وبعد الممات .

ومنهم الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في رسالته المعروفة بـ« التاجية » عند عد بيان طريق الوصول إلى الله تعالى . قال الطريقة الثالثة الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق الصفات الذاتية ، فإن رؤيته بمقتضى « هم الذين إذا رؤوا ذكر الله » وصحبته بمقتضى « هم جلساء الله تعالى » تنتج صحبة المذكور . . إلى أن قال : فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال ، وتتوجه للقلب الصنوبري ، حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس إلى آخره .

ومنهم ابن كمال الوزير رحمه الله تعالى قال : الروح في الدنيا كالسيف في الغمد ، وأما بعد الموت فكالسيف المسلول لتجرُّده عن العلائق الجسمانية .

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور . حاصله أنّ النفوس البشرية التي فارقت الأبدان أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه ، وبينها فيها . من أراد التفصيل فليراجع .

ومنهم صاحب القاموس الفيروزابادي في « مقدمة البصائر » ،

وقال الشيخ المحقق الإمام نجم الدين الكبرى : فالرابطة بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تتصفى مرآة القلب بدون رابطة القلب مع الشيخ . انتهى .

ومنهم قدوة المحققين زبدة المتأخرين الشيخ عبد الغني النابلسي شارح الطريقة في « شرحه على التاجية » حيث أقرّ ما مر ذكره في « التاجية » .

ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي ، وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني .

ومنهم العلامة ابن عابدين على شرح « الدر المختار » .

ومنهم العالم العامل العارف بالله تعالى إسماعيل حقي البروسوي في عدة كتبه وفي « التحفة الوسمية » .

ومنهم العالم العامل العارف بالله تعالى إبراهيم حقي الأرضرومي في « معرفة نامته » .

ومنهم الإمام العالم العلامة الإمام الرباني السيد أحمد الفاروقي السرهندي في « مكتوباته » وكذا ابنه الإمام معصوم العروة الوثقي الحنفي في « المكتوبات » .

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكي النفوس » .

ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » قال : إن لهذه الطريقة العلية الصديقية أصلين أصيلين ، من أعطيهما فقد أعطي كل خير ، الأول : كمال اتباع النبي ﷺ ، بكمال الالتزام بالسنة والعزيمة ، وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة . والثاني : محبة الشيخ الكامل ، لكنها ليست توجد بالتكلف ، بل هي من عطاء الله سبحانه وتعالى يمنّ بها على من يشاء من عباده ، فالصحبة بشروطها مع هذين الأصلين كافية للانعكاس والانصباغ ، ثم الرابطة كافية أيضاً ولو بالمغايبة ، وقال يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان ، وفي إفاضتها الأحياء والأموات .

وفي « كنوز الحقائق » روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « صلوا عليّ وسلموا تبلغني حيثما كنتم » أي : في أيّ مكان كنْتم فيه . وقال البيضاوي : وذلك لأن النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ، ولم يبق لها حجاب فترى الكلّ كالمشاهد بنفسها أو بإخبار الملك ، وفيه سرّ يطلع عليه من يسر له ، كما في « المسالك » .

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » ، قال :

من نخواهم لطف حق أزواسطة　　كه هلاك خلق شداين رابطة

أي : الوسائط الأجنبية تكون حجاباً بين الطالب والمطلوب

يا مكرابري كه كيرد خوي ماه　　تانكردد أوحجاب روى ماه

صورتش بنما يدد روصف لا　　همچو جسم أنبياء وأولياء

آن جنان ابري نباشد پرده بند　　پرده درباشد بمعنى سودمند

معنى الأبيات وخلاصتها : كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب إلا رابطة الأنبياء والأولياء ، ليست كذلك ، بل هي خارقة للحجاب وقاطعة للتعلقات والأسباب ، وقال أيضاً :

كراثر پرجان زندبي واسطة　　متصل كردد به پنهان رابطة

پر زنداز جان كامل معجزات　　پرضمير جان طالب جون حيات

وغيرهم .

ومن الأئمة الشافعية : الإمام الغزالي في « إحياء العلوم » في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة ، قال : وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ، وقل : السلام عليك أيها النبي وليصدق قلبك بأنه يبلغه سلامك ويرد عليك ما هو أحسن منه ، ثم تسلّم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين إلى آخره .

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين بن حجر المكي في « شرح العباب » في بيان معاني كلمات التشهد ، قال : وخوطب النبي ﷺ كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلى من أمته ، حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم ، وليكون تذكر حضوره سبباً لمزيد الخشوع والحضور ، ثم أيده بما مر عن « الإحياء » .

ومنهم خاتمة المحدثين العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » أنه حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى النبي ﷺ في النوم ، فدخل على بعض أمهات المؤمنين فأخرجت له مرآته ﷺ ، فرأى صورته ﷺ ولم ير صورة نفسه . انتهى . وقال أيضاً في كتاب المنجلى في تطور الوليّ نقلاً عن الإمام السبكي : الكرامات أنواع . . . إلى أن قال : الثاني والعشرون التطور بأطوار مختلفة ، وهذا الذي يسمونه بعالم المثال ، وأثبتوا عليه بتجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال ، واستأنسوا له بقوله تعالى ﴿ **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾ ومنه قصة قضيب البان ، ثم ذكرها وذكر غيرها . انتهى .

ومنه العالم العلامة شهاب الدين بن حجر في « شرح الشمائل » وفاقاً لما في « شرح العباب » .

ومنهم الإمام العالم العلامة العارف بالله الشعراني في « نفحاته القدسية » عند عد آداب الذكر ، قال : السابع **أن يتخيل شخص شيخه بين عينيه** . انتهى .

ومنهم العالم العلامة السفيري الحلبي الشافعي في شرحه على « البخاري » في حديث : « ثم حبّب إليه الخلاء » قال : **إن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثل بصورة النبي ﷺ لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل** بشروط ذكرها ثمة . انتهى .

ومنهم الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب صلاة أهل القرب وعبارته ؛ ويسلم على النبي ﷺ **ويمثله بين عيني قلبه** . انتهى . قال زين الدين الخوافي رحمه الله في وصاياه عند عده وشرحه الشروط الثمانية الجنيدية ، قال : والشرط السابع دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم إلى آخره .

ومنهم الإمام العلامة السبكي في « الطبقات الكبرى » ، وغيرهم .

ومن الأئمة المالكية : صاحب « المختصر » المشهور الجليل العلامة الشيخ خليل من أجل فقهاء المالكية ، قال : الولي إذا تحقق في ولايته تمكن من التصور في روحانيته ، ويعطى من القدرة التصور في صور عديدة ، وليس ذلك بمحال لأن المتعدد هي الصور الروحانية ، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى وقدرته ، نقله السيوطي في كتابه « المنجلى » .

ومنهم الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى ، قال : إذا كانت السلحفاة تربي أفراخها بالنظر ، كذلك الشيخ يربي مريده بالنظر ، لأنّ السلحفاة تبيض في البر وتتوجه إلى جانب النهر ، وتنظر إلى بيضها فيربيها الله لها بنظرها إليها .

ومنهم الإمام العالم العلامة ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه « تاج العروس » في تهذيب النفوس .

ومنهم من تلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الباقي السيد محيي الدين بن العربي في الباب الثلاثين من « الفتوحات » . ومنهم الإمام العلامة الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدة مواضع منها في قوله في حديث « إن أولى الناس بي » - أي : أحقهم بقربي - « وشفاعتي ، أكثرهم عليّ صلاة » لأن كثرة الصلاة عليه تدل على شدة المحبة له ، وشدة المحبة له توجب المتابعة والإطاعة والمعية ، لأن من أحب شيئاً أكثر ذكره ، وإن المحب لمن يحب مطيع ، والمطيع مع من أطاع ، لقوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية . وإذا حصل لأحد هذا المقام قربت روحه من روحه عليه السلام وحصل بينهما التعارف والائتلاف والارتباط والمناسبة .

قال الشيخ عبد الله الساحلي في « بغية السالك » : إن من أعظم الثمرات وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه ، انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً ، متأصلاً متصلاً ، وذلك بعد تمكن المحبة الصادقة الخالصة بمداومة الصلاة عليه ، وتحصل الألفة بينهما في محل القرب والصفاء . انتهى ملخصاً .

ومنها : في قوله « أنا أسمع صلاة أهل محبتي وأعرفهم » الحديث ، لتألف أرواحهم بروحه وتعارفها منها بالمحبة الرابطة ، « الأرواح جنود مجندة » الحديث ، ولتكرر صلاتهم عليه ، وإكثارهم لها من أجل المحبة المقتضية لذلك .

ومنها : في قوله أنه قيل لرسول الله ﷺ : من آل محمد الذين أمرنا بحبّهم وإكرامهم والبرور[1] بهم ؟ فقال : « أهل الصفاء والوفاء من آمن بي وأخلص » فقيل له : وما علاماتهم ؟ فقال : « إيثار محبتي على كل محبوب ، واشتغال الباطن - أي القلب - بذكري » أي : باستحضاري والحضور معي إلى آخر بعد ذكر الله ، أي : الحضور منه . والمراد بالبعدية التبعية لأن ذكر الله ومحبته بالإصالة ، ومحبة غيره وذكره من نبي أو ولي أو ملك إنما هي بالتبعية ، لنسبته إلى الله تعالى وامتثال أمره سبحانه وتعالى .

ومنها عند قوله : أللهم اجمع بيننا وبينه كما آمنا به ولم نره . قال المراد بسؤال الاجتماع به ﷺ ، وعدم التفرقة هو الاجتماع الأخروي ، وقد يحمل على الاجتماع والاتصال به في الدنيا والآخرة ؛ في الدنيا بالروح ورؤية البصيرة ، وفي الآخرة بالروح والجسد والبصر والبصيرة .

---

(١) البرور : الطاعة وفعل البرّ .

وإنما يحصل الاتصال به ﷺ بتمكن حبه من القلب ، فإذا تمكن حبُّه في النفس لم تغب صورته الكريمة عن عين البصيرة لمحة ، وهي الرؤية الحقيقيّة ، لأن رؤية البصر ربما اختلّتها الأوهام ، ورؤية البصيرة الصافية لا وهم فيها ، ولا خيال فيها ، فافهم .

ثم إن الناس في انطباع صورته الكريمة ﷺ على طبقات ؛ بحسب مشاربهم وأذواقهم في الصدق والحضور . **فمنهم** : من لا يثبت صورته الكريمة في نفسه إلا بعد تأمل وتثبت وإعمال وذكر وفكر . وهذا أضعف القوم وهذا قليل الرؤية له في النوم ، وإن رآه فإنما يراه على غير كمال الرؤية .

ومنهم : من تثبت صورته الكريمة في نفسه أحيان ذكره إياه ﷺ ، لا سيّما في الخلوات ، فإذا فتر غابت عنه . وهذا أنهض من الأول ، وهذا يراه في النوم على صورته الكاملة .

ومنهم : من إذا سدّ عَيْنه يقظة ومناماً رآه بعين بصيرته على كل حال ، وهم أهل النهايات الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله ، حتى رقت نفوسهم إلى فراديس التقريب ، وظفروا بمجاورة ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية .

ومنهم : من هو أعلى درجة من هذا ، وهو أن يرى بعين رأسه عياناً ومباشرة صورته الكريمة في عالم الجفن ، لا سيّما في أوقات الذكر ، وذلك أن الأرواح إذا ائتلفت ائتلافاً بليغاً بكثرة الصلاة عليه فإن روحه الكريمة تتشكل بجسده الظاهر ، حتى ينظره المصلي عليه تارة عياناً ومباشرة ، وتارة إدراكاً بالباطن بحسب قوة ائتلاف الروحين أو ضعفه ، مع أن رؤية البصيرة أقوى من رؤية البصر . وهذا مجمل ما ثبت عن غير واحد من الأولياء من رؤيته ﷺ يقظة ، كما هو مبيّن في كتبهم . وعلى

كل حال فالداعي بما في الأصل طلب الوصلة به ﷺ ، وأنه إذا اتصل به لا يقع له انفصال ولا انقطاع عنه ، حتى يدخل معه الجنة ، دار الوصلة الدائمة ، والنعيم المقيم التام الأوفى ؛ اللهم يسّر لنا بجاه حبيبك محمد ﷺ وبحرمة أحب أسمائك إليك يا أرحم الراحمين . انتهى ملخصاً من « شرح الدلائل » للعلامة الفاسي رحمه الله تعالى .

ومن الأئمة الحنابلة : الإمام العالم العلامة شمس الدين بن القيم في « كتاب الروح » قال : للروح شأن آخر غير شأن البدن ، فتكون في الرفيق الأعلى ، وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم على صاحبها ردت السلام ، وهي في مكانها هناك . انتهى نقلاً عن السيوطي في كتابه « المنجلي » وقصة الإمام الخطيب الشربيني مشهورة متواترة عند العلماء المصريين ؛ أنه خطب وصلى الجمعة في أربعين مسجداً في يوم واحد في جمعة واحدة .

ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني ، قال ما معناه : إن للفقير السالك طريق القوم رابطة قلبية مع الأولياء ، فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً ، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الذي ليس له رابطة معهم فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب آداب المريدين مع شيخهم ؛ وغيرهم .

وقال خالق هذه الأئمة وجميع البرايا جل شأنه ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ وقال ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وقال ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ الآية . ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الآية . وقال ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الآية .

وقال : أصل كل المذاهب وملجؤهم وسندهم سيّد الأولين والآخرين ﷺ « تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته » الحديث ، فإن

التفكر فيه تعالى يؤدى إلى التصوّر والتخيّل وهو سبحانه منزّه عنهما ، وعن كل ما يخطر بالبال ، وإذا غلب على الذاكر هذا التفكر يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن من الشرك ، فهذه من جملة فوائد الرابطة ، ولها فوائد أخرى لا تعرف إلا بالذوق والوجدان . وقال ﷺ « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » ، وقال « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره » . أمرنا الشارع بالتفكر في الخلق استدلالاً من الأثر إلى المؤثر ، ونهانا عن التفكر في ذات الله تعالى لأنا لا نقدر على إدراكه بالتفكر ، بل العجز عن درك الإدراك إدراك ، والبحث عن سر الذات إشراك .

وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغباً فيه بالأدلة ، فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف آلائه وحبيبه محمد الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم ، وفي خلفائه وأتباعه الكاملين . وقال ﷺ في حديث « الأبدال بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون » ، وقال « ذكر الأنبياء من العبادة ، وذكر الصالحين كفارة الذنوب ، وذكر الموت صدقة » الحديث ، ولا يمكن ذكر الشيء إلا بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال بالضرورة . قيل : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، قيل هذا من كلام سفيان بن عيينة ، وقيل حديث مرفوع له أصل . وقال عليه الصلاة والسلام « تواضعوا لمن تَعَلَّمون منه » - بالإجلال والتعظيم - « وتواضعوا لمن تُعَلِّمون » الحديث ، أي : بالعفو والمرحمة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بجلوا المشايخ ، فإن تبجيل المشائخ من إجلال الله تعالى ، فمن لم يبجلهم فليس مني » رواه أنس . وقال : « من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا » قال شراح الحديث : من لم يعظم حرمة من يؤدبه حرم بركته ، ومن اعترض شيخه لا يفلح

أبداً . وقال عليه الصلاة والسلام « خمس من العبادة قلة الطعم ، والقعود في المساجد ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر في المصحف من غير أن يقرأ ، والنظر في وجه العالم » صدق رسول الله فيما قال . وهذه الرابطة واقعة في الصحابة من شدة محبتهم واتّباعهم له عليه السلام ، وكذلك في التابعين وأتباعهم . ويكفي لذلك شاهداً ما حصل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حيث لم يجد محلاً خالياً من رسول الله ﷺ حين أراد قضاء حاجته البشرية ، فاشتكى من هذه الحالة إلى النبي ﷺ فرخص له فيه ، وما حصل أيضاً للإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى في مناجاته عند روضة رسول الله ﷺ حيث قال :

وإذا سمعت فعنك قولاً طيباً وإذا نظرت فما أرى إلاكا

وقول الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقوله :

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالألم

وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، إلا أنه في الصلاة لا يتكلف باحضار الغير مما سوى الله تعالى بغير ضرورة ، مع أن الاستحضار غير مفسد للصلاة ، لأن المصلي إذا قرأ القرآن في الصلاة فلا بدّ له من تفكر معانيه وتدبر ما فيه والقرآن لا يخلو من قصص وغيرها ، كقصة فرعون وهامان ، وقصص الأمم السالفة ، وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والتدبر لمعاني هذه القصص هل تفسد الصلاة ؟ ! أو يقرأ هذه القصص بلا تفكر ، بل يقرؤه تدبراً وتفكراً ، ليعتبر من أحوالهم . وفي قصصهم عبرة لأولي الألباب ، وفي قصص الأنبياء والصالحين رحمة للمؤمنين والمؤمنات ، والصلاة جائزة في مواجهة الرجل مع الكراهة عندنا وعند المالكية ، وأما

عند الشافعية فبلا كراهة ، والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله والسلام على عباد الله الصالحين في الصلاة مشروعة مسنونة ، والآل كل تقي .

وإذا كان في الصلاة كذلك فكيف يتصور كفر من أحب أستاذه ؟ ! وتخيله في قلبه لشدة محبته له حالة الذكر والقراءة والصلوات الشريفة ، ليكون وسيلة له في الخضوع والخشوع والحضور ، ودفعاً للخواطر والوساوس الشيطانية ، وهذا أمر مشروع مقبول .

وأما تفكر صورة أستاذه وتخيله واتخاذه معبوداً من دون الله تعالى واختصاصه بالعبودية فهذا أمر لا يفعله الكفرة من أهل الكتاب . وأما تكفير من أحب أستاذه من حيث أنه أستاذه في الدين فكفر صريح ، لأنه تكفير لأهل القبلة والدين ، ولهؤلاء الأئمة المذكورين إلى أن ينتهي إلى الأصحاب حتى النبي ﷺ فحاشا ثم حاشا ! ! فسبحانك اللهم لا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا حول ولا قوة إلا بك . فيا عجبا للقائل بحرمة الرابطة وتكفير أهلها ! هل أخذها من معناها اللغوي أو الاصطلاحي ؟ أو وجدها في الكتب المنزلة ، فليتق الله وليحذر من أن يحرم ما أحلّ الله ، ويحل ما حرّم الله ، ويقع في الخطأ العظيم فيوقع غيره ، ويمنع الناس عن المعروف ، ثم ليتق الله ولا يكفر أحداً من أهل القبلة فيرجع عليه قال تعالى ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ صدق الله العظيم .

والحاصل أنه ليست في الكتب المنزلة ، ولا في الأحاديث النبوية ، ولا في الكتب المعتبرة عبارة تفيد حرمة الرابطة المعتبرة في اصطلاح القوم لا صراحة ، ولا دلالة ، بل فيها إباحتها واستحبابها صراحة ودلالة ،

قال البوصيري :

لا تعجبنَّ لحصود راح ينكرها   تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الـفـم طـعـم الماء من سقم

لكن الشمس شمس وإن لم يرها الضرير !

وأما قول بعض أهل الأغراض بحرمة الرابطة ، وتكفير صاحبها فهو من جهله بمعنى الرابطة ، وسوء ظنه بأهل الذكر والطريقة وأرباب الشريعة ، حيث أوقعه جهله وحسده وغرضه في تكفير أهل الطريقة ، والذكر من المشايخ والمريدين والأئمة من الصحابة والتابعين فنعوذ بالله تعالى .

وأما قول القائل بأن الرابطة بدعة ، فبدعة متوعد ، قائله بالخذلان . وأما تشبيه الرابطة ، بالصنم وأهل الرابطة بأهل الصنم ، فهذا ضلال ما قاله أحد من الأئمة من أهل السنة والجماعة . وأما خطأه في بيانه أدلة نقلية وعقلية لإثبات زعمه فظاهر لأرباب الفهم ، لأن أدلته النقلية قوله تعالى ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ الآية ، وقوله ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا** ﴾ الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام « وشرّ الأمور محدثاتها » الحديث .

وعدم دلالة هذه الأدلة على حرمة الرابطة المشروعة ظاهر ، كما لا يخفى على أهل الإنصاف والنظر ، وعلى من تتبع معاني هذه الأدلة ومعنى الرابطة قال تعالى ﴿ **أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ** ﴾ .

وأما أدلته العقلية باللسان التركي فمعناه بالعربية : إن الرجل إذا عمل الرابطة بالشيطان يحصل له ما يحصل له من الرابطة بالمرشد وبالشيخ .

وقد أخطأ بهذا القول خطأ ظاهراً بيّناً ، لأنه سوى بين رابطة الشيطان المنهي عنها ، وبين رابطة الأنبياء والأولياء المأمور بها وخالف قوله

تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وقوله ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية .

وأما من حصل له الرابطة مع الشيطان ، فقد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله ، فيدخل تحت قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ ، وأما من حصل له الرابطة والمحبة مع الانبياء والأولياء فيكون من جملة حزب الله ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ، لأنهم إذا رؤوا ذكر الله .

وبتلك الأدلة ظهر عدم فرقه وتمييزه بين الحق والباطل ، فرأى الباطل بنظر الحق والله تعالى أمرنا وأوجب علينا الحب في الله والبغض في الله ، وظهر أيضاً عدم فرقه بين الشهوة النفسانية والقوة الروحانية ، فإنه يحصل للرجل اللذة بالزنا كما تحصل بزوجته ، ويحصل له الطرب باستماع الغناء وآلات اللهو كما يحصل باستماع القرآن والذكر ، وتحصل الشهوة والمحبة بملاحظة صورة الشابة الحسناء الجميلة ، وكثيراً ما يقع به الإنزال والاحتلام ، كما تحصل المحبة والحضور وتأدب النفس وحياة القلب والروح بملاحظة صور الأنبياء والأولياء ، وأحد الشقين يرد الإنسان إلى أسفل السافلين ، والآخر يرفعه إلى أعلى عليين ، وأحدهما ينعش النفس ويقويها وإن النفس لأمارة بالسوء ، والآخر يحي الروح والإيمان ويقويهما ، كما لا يخفى على أرباب الفهم . ولعل ذلك المعترض تاب ورجع عن خطائه ، ولكنه كان فتنة للناس حيث منع كثيراً منهم عن ذكر الله تعالى ، وأوقعهم في سوء الظن بأهل الذكر والطريقة وتكفيرهم لهم ، والحال أن تكفير أهل القبلة كفر صريح ؛ فنعوذ بالله من الشك بعد

اليقين ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ومن ضراء مضرة وفتنة مضلة ، اللهم ارْزقنا حبّك وحبّ من يحبّك وحب عمل يقرِّ بنا إلى حبّك ، آمين بحرمة النبي الأمين .

رابطة الحضور

وأما رابطة الحضور ، فلحصول الفناء في الله تعالى والانقطاع عما سواه ، لقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ وجميع المفسرين فسروا التبتل بالإخلاص والحضور والانقطاع عما سوى المذكور ، ولقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وقوله في الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » وقوله ﷺ « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » وقوله ﷺ « الإحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وقوله « تفكر ساعة خير من قيام ليلة » وقوله « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ذكره السيوطي في « الجامع » ، وقوله « ثلاثة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله . . . رجل حيث توجه علم أن الله معه » الحديث .

وهذه الرابطة عبارة عن التفكر في أن الله تعالى حاضر بصير مطلع على جميع أحوالك ، عالم محيط بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والخوف والعظمة والجلال ، مُنزّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وكل ما خطر ببالك فهو مُنزّه عن ذلك . فسبحان من جعل العجز عن درك الإدراك إدراكاً ؛ اللهم اجعلنا من الذاكرين الله تعالى كثيراً ومن أهل التفكر والحيرة في العظمة ، ومن أهل الحضور والمعرفة ، آمين .

الوقوف القلبي

وأما الوقوف القلبي ، فلقطع العلائق والحجاب ، وهو عبارة عن النظر والتوجه إلى القلب الصنوبري الشكل ؛ الذي تحت الثدي الأيسر

بقدر أصبعين بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى ، بعد تجريد نفسه عن الجسمانية ، ويتصوَّر نوراً بسيطاً وحدانياً مجرداً عن الكيفيات كلها غير متعلق بشيء ظاهر على العالم الجسماني كظهور الشمس على الجسمانيات ، بحيث يكون جميع العالم الجسماني بالنسبة إلى ذلك النور البسيط كالذرَّة في شعاع الشمس ، ويعلق نظر بصيرته بذلك النور البسيط ، ويداوم على ذلك النظر حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعورٌ لغير ذلك ، فعند ذلك يتجلى نور الحق سبحانه وتعالى بلا كيفية ولا كمية

وصورة أخرى من الوقوف القلبي ، أن يتوجَّه إلى قلبه ويلاحظ فيه أنّ نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ، ويجعل قلبه محاطاً بنظر الله تعالى ويستمرّ على ذلك ، وبالاستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود ، فعند ذلك يظهر سرّ قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ويكون فانياً عن وجود الإمكان ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلها إلا وجود الحق سبحانه وتعالى ، فيظهر سرّ قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فيكون واصلاً إلى الله تعالى كذا في « شرح رسالة الخادمي » قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي من تطهَّر ظاهره بالشريعة ، وباطنه عما سوى الله تعالى بالكلية ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ وأن الله تعالى كما لا يقبل الشريك كذلك الذكر في القلب لا يقبل الشريك لقوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ **فلهذا يلزم أولاً تهيئة المحل بالتخلية لمن أراد الذكر والتحلية .**

الوقوف الذكري

وأما الوقوف الذكري فللألفة والأنسيّة مع الذكر ، لدفع الغفلة وجلب الحضور ، وهو عبارة عن تخيُّل نقش لفظة الجلالة ، أعني لفظة (الله) على القلب بقلم النور ، أو تخيُّل جريان الذكر في القلب

بأيّ كيفية شاء ، مع ملاحظة المعنى وهو الذات بلا مثل ، المنزَّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، لا شريك له لقوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ ، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ وقوله ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وقوله ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ أي : انقطع إليه بمجامع الهمّة واستغراق العزيمة في مراقبته . كذا فسّره الرازي . وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » وفيه « عبدي إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي » الحديث .

الوقوف العددي

وأما الوقوف العددي ، فلتمييز عدد الذكر الذي هو أهم ، وهو عبارة عن ضَبْط عدد الذكر الذي ذكرْته ، وهذا أمْرٌ مسنون لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل « يا معاذ ! كمْ تذكر كل يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ ألا أدلك على كلمات هنّ أهون عليك وأكبر من عشرة آلاف وعشرة آلاف » الحديث . وكان ﷺ يعقد التسبيح وقوله « نعم المذكر التسبيح » .

وأنه ﷺ دخل على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فلم ينهها عن ذلك ، وإنما أرشدها إلى ما هو أيسر عليها وأفضل . وجوّز الفقهاء اتخاذ المسبحة ، كذا في « البحر » و« الخزائن » و« الحلية » ، وقال في « المصباح » : السبحة خرزات منظومة ، ولقوله ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » والأحاديث والأدلة في جواز ضبط العدد في الذكر وفضله كثيرة .

إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي

وأما قوله : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي عند غلبة الخواطر وتشتّت النية بما سوى الله تعالى ، بقلبه أو بلسانه مع ملاحظة المعنى فلتصحيح النية وإخلاص العزيمة لقوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ

عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ . وطلب الرضا في الأعمال أمرٌ مشروعٌ ! اللهم وفقنا لما تحب وترضي من القول والعمل والفعل والنية في جميع الأحوال والأعمال كلها ، يا أرحم الراحمين ، وارْض عنا وعن والدينا وعن مشايخنا ، وأرضهم عنا يا رب العالمين . ويا أكرم الأكرمين .

انتظار الواردات والفيوضات الإلهية

وأما انتظار الواردات والفيوضات الإلهية على القلوب ، من التجلّي والأنوار والسكينة حالة الذكر والرابطة ، وبعد تمام الورد بسبب الذكر والرابطة ، فللبصيرة واليقظة ، وللأنس بها وللقيام بشكرها ، وهذا يُسمَّى بالمراقبة عند الأكثر لأنه يرادف معناها قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، قال عليه الصلاة والسلام « إنّ الله يحبّ أن يرى أثر نِعْمته على عبده » .

هذا آخر ما وفقني الله تعالى له من بيان الآداب مع الأدلة ، والحذر كل الحذر عن الاشتغال بالطريقة بمجرد الاطلاع على آدابها في الرسالة ، من غير إجازة من مشائخ الطريقة العلية ، وإلا فيصيبه داء لا دواء له ، فنعوذ بالله تعالى من تسويلات النفس ووسوسة الشيطان ، والله الهادي والموفق ، وهو حسبنا ونعم الرفيق ، والحمد لله أوله وآخره ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وآله كما يليق بشأنه وكماله .

ولنشرع بتوفيق الله تعالى وعنايته في بيان وجه الإنابة والانتساب إلى المشائخ ، وتعلم الذكر منهم ، والأخوّة والبيعة والمصافحة ، وبيعة النساء وتعليم الذكر لهن وللعوام ، وتوجه المشائخ للمريدين ، والذكر الجهري اللساني ، والخفي القلبي ، والذكر والختم والحلقة بالجمعيّة والجماعات ، وتخصيص العدد في الذكر والختم ، وغلق الأبواب عند الختم ، ومنع غير المعلمين من الختم ، وتغميض العينين عند الختم والذكر ، ورفع الصوت بالذكر وبالصلاة على النبي والتهليل ، والاشتغال بالنوافل ، وفي بيان أدلتها وأسرارها ومشروعيتها .

اعلم أن الإنابة هي إما بمعنى الرجوع ، أي الرجوع من الكفر إلى الإيمان ، أو من المعصية والمخالفة إلى الطاعة ، والموافقة لأمر الله تعالى ، أو من الغفلة إلى ذكر الله عز وجل ، وهذا أمر واجب لقوله تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الآية . وأما بمعنى المراجعة ، أي رجوع المكلفين إلى المشائخ العالمين لتعلّم كيفية الإنابة إلى الله تعالى ، وكيفية الذكر على الوجه المسنون ، ولتعلُّم أمور الدين ، وهذا أيضاً أمر مشروع واجب على المكلفين لقوله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وبهذا المعنى تعبيرُ العوام بأخذ الإنابة من المشائخ ، وكذا الإنابة إليهم لا غير .

وأما الانتساب إلى المشائخ فأمْرٌ مشروع لقوله عليه الصلاة والسلام « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسكوا بعهد ابن أمّ عبد ، أي عبد الله بن مسعود » ولقوله « العلماء ورثة الأنبياء » وقوله « اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » ، لأن الانتساب بمعنى الاقتداء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى والهدى إلى صراط مستقيم .

وأما النسبة إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم ، فهي كما قيل لمن آمن بمحمّد عليه الصلاة والسلام واتَّبعه محمديّ ، ومن اقتدى بمسلك أبي بكر الصديق في الذكر القلبي يقال له صديقيّ ، ومن كان على مسلك مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبنديّ ، وكذا مَنْ اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفي ؛ هكذا ورد في اصطلاح السلف وعُرْفهم . وتجيء النسبة بمعنى الإسناد وورد : « الإسناد من الدين » لأن عليه مدار المجتهدين ، **ومن لا سند له فهو لقيط** .

وقال عبد الله بن المبارك : لولا الإسناد لقال من شاء ماشاء ، فلا بد من الوسائط والوسائل ، فلولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط ، **وللوسائل حكم المقاصد** .

وأما تعلم الذكر من المشائخ فأمرٌ مسنونٌ ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علّم النبي ﷺ الذكر الخفي القلبي أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه ، والذكر اللساني علياً كرم الله وجهه ، وهما علماه سائر الصحابة والتابعين .

قال ابن عساكر :

ألا إن الحديث أجل علم وأشرفه الأحاديث العوالي
وإنك لن ترى للعلم شيئاً يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمي من التصحيف بالداء العضال

وروى أحمد والطبراني وغيرهما **أن النبي ﷺ لقن أصحابه جماعة وفرادى** ؛ **فأما** تلقينهم فرادي ! فقد روى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ : دُلَّني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباد الله تعالى وأفضلها عند الله عز وجل ، فقال عليه الصلاة والسلام « يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات والجلوات » فقال عليّ : كيف أذكر ، فقال ﷺ « غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع » فقال عليه الصلاة والسلام « لا إله إلا الله » ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، وعلي يسمع ، ثم قال علي رضي الله عنه : لا إله إلا الله ، ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، والنبي ﷺ وعلى آله وسلم يسمع ، ثم قال النبي عليه السلام « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس . وكذا تعليمه لغيره مثل أبي بكر الصديق .

وأمّا تلقينهم جماعة ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال كنا عند النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام « هل فيكم غريب » – يعني : أهل الكتاب – « أو من لم يطلع بعد على أسرار الشريعة » فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال « إرفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك : لا إله إلا الله ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ، ثم قال « الحمد لله ، أللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد » ثم قال « ألا أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم » . قال المنذرى : إسناده حسن .

فأما تعلم الفرائض وتعليمها لأهلها ففرض ، والواجبات واجب ، والسنن سنة ، **قال** ﷺ « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله » ، بل لا بد أن يتعلم العلم من أهله ، قال الله تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ رواه الطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقال عليه الصلاة والسلام « تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمون منه » ، وقال عليه الصلاة والسلام « تعلموا اليقين كما تعلموا القرآن حتى تعرفوه ، فإني أتعلمه » . صدق نبيّ الله ؛ ولا يمكن تعلم العلم وأخذه في هذا الوقت عن الله تعالى أو عن النبيّ ﷺ بلا واسطة ، كذلك أجرى الله تعالى عادته بين عباده .

الأخوّة واتخاذ الأخوّة

وأما الاخوّة واتخاذ الأخوة فلقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ ولقوله عليه السلام « تواخوا في الله أخوين أخوين » وقد آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين المهاجرين والأنصار ، وكذا بين الأصحاب

مرتين ، فهذه الأخوّة أخوّة خاصة فوق الأخوة العامة ، وكذلك أخوّة المريدين المنسوبين إلى شيخ واحد ! لقوله عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الإخوان » الحديث .

البيعة

وأما البيعة فهي بمعنى المبايعة ، وهي والمقاولة والمعاهدة بمعنى ، وذلك جائز في المعاملات الشرعية كلها ، وأما المبايعة على فعل الواجبات والسنن ، وترك المنكرات والبدع فمشروعة أيضاً لأنه ﷺ فعلها مع الأصحاب مراراً ، مع الذكور والإناث ، فرضي الله تعالى عنهم وأَعْلَمَهُمْ رضاه بقوله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية ، وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الآية . جعل الله النبي ﷺ نائباً عنه تعالى ، وجعل الأصحاب نوَّاباً وخلفاء عن النبي ﷺ ، وكذلك من بعدهم كابراً عن كابر إلى يوم القيامة من غير إنكار نكير ممّن آمن بالله تعالى من أهل السنة والجماعة . فكذلك نبايع أمة محمد عليه الصلاة والسلام على أداء الفرائض والواجبات ، وردّ المظالم ، واستحلال أصحاب الحقوق ، والأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، مع كمال اتباع السنن ، وتمام الاجتناب عن البدع وأهلها ، ودوام الذكر المأمور به من غير ترك .

ثم اعلم أن المبايعين ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى في بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يَجْمَعها القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع شروط يجمعها المتابعة فيما أُمِروا به . ولا تجوز البيعة على المعصية أصلاً ، لأنه ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » كذا في « روح البيان » .

المصافحة

وأما المصافحة عند البيعة وغيرها فمسنونة لأنه ﷺ فعلها مع الأصحاب عند البيعة وغيرها ، دل عليه قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال ﷺ « تصافحوا ، فإن المصافحة تذهب بالشحناء » ، وقال عليه الصلاة والسلام « تمام التحية الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » ، وقال عليه الصلاة والسلام « أول من عانق إبراهيم وكان قبل السجود يسجد هذا لهذا وهذا لهذا ، فجاء الإسلام بالمصافحة » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر الله لهما » . وقال عليه الصلاة والسلام « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبَّهما إلى الله أحسنُهما بشراً بصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة ، للبادئ تسعون وللمصافح عشرة » ، وكان عادة الصحابة إذا تفرقوا تصافحوا ، رضي الله عنهم .

مبايعة النساء وتعليم الذكر لهنّ

وأما مبايعة النساء وتعليم الذكر لهنّ ، فهي مشروعة مسنونة بشروطها وآدابها لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية ، فكيفية المبايعة معهنَّ مذكورة في كتب التفاسير والأحاديث .

قال أبو السعود في تفسيره : واختلف في كيفية مبايعة النبي ﷺ لهنَّ يومئذ ، فروي أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ، ومعه عمر رضي الله عنه أسفل منه ، فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهنَّ البيعة وعمر يصافحهنَّ ، وروي أنه عليه الصلاة والسلام أمر امرأة وقفت على الصفا فبايعتْهُنَّ ، وقيل : دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ، ثم غمسن أيديهن ، وقيل : بايعهُنَّ وبين يديه وأيديهن

ثوب قطري . والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى ، وما مسَّت كفُّ رسول الله ﷺ كفَّ امرأة قط ، وكان يقول إذا أخذ عليهنَّ : « قد بايعتكن » كلاماً ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا هاجر إليه المؤمنات يمتحنهُنَّ كما أمر الله تعالى ، فإذا أقررْنَ بذلك من قولهنَّ قال لهنَّ « انطلقْنَ فقد بايعتكن » . انتهى ملخصاً .

وفي تفسير الكشاف : روي أنّ رسول الله ﷺ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو علي الصفا ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه . قيل في كيفية المبايعة : أنه دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ، ثم غمسْن أيديهُنَّ ، وقيل : صافحهن وكان على يده ثوب قطري ، أي برد يماني . وقيل : كان عمر يصافحهن عنه ، قال البعض : القول الصحيح أنه لم تكن المبايعة إلا بالكلام ، كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها . انتهى . وقال رسول الله ﷺ « إني لا أصافح النساء ولكن آخذ عليهنَّ ما أخذ الله عليهن » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة كقولي لامرأة واحدة » ، وكان لا يصافح النساء في البيعة ، رواه حم عن ابن عمر . وقال المناوي في « شرح الجامع » : أي لا يضع كفه في يد الواحدة منهن ، بل يبايعها بالكلام فقط . قال العراقي : هذا هو المعروف . وروى الطبراني عن معقل بن يسار : كان يصافح النساء من تحت الثوب ، أي : في بيعة الرضوان ، كما صرح به المناوي . قيل هذا مخصوص به ﷺ لعصمته ، فغيره لا يجوز له المصافحة للأجنبية أصلاً ، لعدم أمن الفتنة . كذا في « شرح الجامع » للمناوي . وفي « تفسير الرازي » كان عليه الصلاة والسلام يبايعهن ، وبين يده وأيديهن ثوب . وقيل : كان يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن ، قاله الكلبي . وقيل : بالكلام ، وقيل : دعا بقدح

من ماء فغمس فيه يده ، ثم غمسن أيديهنَّ فيه ، وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط .

وأما تعليم الذكر لهن ، فلعموم الأمر به لجميع المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها . وقال تعالى في حقهن ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية ، وقال في آخرها ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ الآية ، وقال ﷺ « يا نساء المؤمنين عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤلات مستنطقات » .

تعليم الذكر للعوام

وأما تعليم الذكر للعوام ، فلعموم الخطاب بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ . وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، فعلى العلماء والمشائخ أن يعلّموهم أمر دينهم ، ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ، لأنه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ الآية ، وقوله ﷺ « كاتم العلم - أي عن أهله - يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء » . وقوله عليه الصلاة والسلام « من سُئل عن علم فكتمه ، ألجم بلجام من نار » وقال « لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ، ولا تضعوها في غير أهلها - أي غير معتقديها - فتظلموها » ، كذا في « الزواجر » لابن حجر ، وقوله عليه الصلاة والسلام « رحم الله رجلاً تعلم فريضته أو فريضتين أو عمل بهما أو علمهما من يعمل بهما » ، وقوله « حببوا الله إلى عباده يحبكم

الله » وقوله « إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة ، الذين يحبون الله ويحبّبونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبّهم الله » رواه أبو سعيد ، وكثرة الذكر تستلزم محبة الله ، وهو من المعروف ، والأمر بالمعروف واجب حتى على الآحاد . قال تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ الآية .

التوجّه

وأما التوجه ، أي : توجُّه المشائخ إلى المريدين ، فهذا أيضاً أمرٌ مسنونٌ ؛ مخصوص كماله بأهل الطريقة وأرباب الحقيقية ، ونفْعُهُ مشهود لأهله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء »

ولقوله « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » وقوله « إذا رأيتم أهل الجوع والتفكر فاقتربوا منهم ، فإنه تجري الحكمة معهم » ، وقوله « مجالسة العلماء عبادة » ، وقوله « لكل شيء مَعْدن ، ومعدن التقوى قلوب العارفين » وقوله « إن لله تعالى آنية من أهل الأرض ، وآنية ربّكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه ألْينها وأرقها » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكّركم الآخرة عمله » ؛ ولقد كان عمر رضي الله عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول : يا أنس كنت خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته وإن الله تعالى أعلمكم شأن المنافقين وأحوالهم كما قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ الآية ، فانظر يا أنس هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من شدّة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضاً ظنّاً منه أنّ بكاء أنس لرؤية النفاق في قلبه ،

ثم قال أنس : يا عمر لا تبك ، وإنما بكيت أنا من شدة خوفك من النفاق وعدم أمْنك منه بعد ، فقال عمر : يا أنس من أمن من النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

ومعلوم أنّ هذا نفاق رياء لا نفاق شرك . كذا في « الفتاوى العمرية » . وقيل هذه القصة كانت مع حذيفة بن اليمان صاحب سرّ رسول الله ﷺ .

الذكر

وأما الذكر مطلقاً سواء كان سراً أو جهراً باللسان أو بالقلب فمشروع بالاتفاق ، وإنما الخلاف في الأفضلية والأولويّة ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، فقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي الإسرار به . وجمع بينهما الإمام النووي : بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به المصلون أو النيام ، والجهر أفضل في غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب الذاكر ويجمع همته إلى الذكر ، ويطرد النوم وغيرها . وعلى هذا اتفقت الأئمة الأعيان والفقهاء العظام . وكذا ذكره ابن عابدين في حاشية « الدر المختار » والإمام السيوطي في رسالة « الفكر في الجهر بالذكر » وفي رسالة « الأجوبة عن المسائل المائة » وفي « الفتاوى الخيرية » وغيرها .

قال عليه الصلاة والسلام « السر أفضل من العلانية » والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به ، رواه ابن عمر رضي الله عنه .

الذكر والختم والحلقة بالجمعية والجماعات

وأما الذكر والختم والحلقة بالجمعية والجماعات فمشروعة مسنونة لقوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية . وروى

أبو داود والبيهقي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : « جلست في عصابة » أي : جماعة « من ضعفاء المهاجرين وأن بعضهم ليستتر ببعض من العرى » هؤلاء هم أهل الصفة ، منهم مَنْ كان ثوبه أقلّ من ثوب صاحبه ، وكان يجلس خلف صاحبه يستتر به « وقارئ يقرأ علينا ، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا » يعني : كنا غافلين عن مجيئه ، فنظرنا فإذا هو قائم فوق رؤسنا « فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ فسلم » أي : النبي ﷺ « علينا ثم قال : ما كنتم تصنعون ، قلنا : كنا نستمع كتاب الله تعالى ، فقال : الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم » أي : جعل زمرة فقراء مقرّبين عند الله ، بحيث أمرني الله بالصبر معهم بقوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الآية « قال » أي : الراوي « فجلس » أي : النبي ﷺ « وسطنا ليعدل بنفسه فينا » أي : يسوي نفسه ، ويجعلها عديلة لنا في المجلس ، تواضعاً منه ﷺ لربه ورغبة فيما نحن فيه « ثم قال بيده هكذا » أي : أشار بها أن اجلسوا حلقاً « فتحلقوا » أي : جلسوا حواليه كالحلقة « وبرزت » أي : ظهرت « وجوههم له » بحيث يرى عليه السلام وجه كل واحد منهم « فقال أبشروا » أي : افرحوا « **يا معشر صعاليك المهاجرين** » جمع صعلوك ، وهو الفقير « بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم ، وذلك خمسمائة سنة » وإنما دخلوا قبل الأغنياء ، لأن الأغنياء يقفون في العرصات للحساب ويسألون عن جهة تحصيل الأموال وكيفية صرفها ؛ والمراد بالفقراء : الصابرون الصالحون ، وبالأغنياء : الشاكرون المؤدون حقوق أموالهم . كذا في « مشكاة المصابيح » وشرحه ، وقال رسول الله ﷺ « أبشروا يا أصحاب الصُفَّة ، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما هو فيه فإنه من رفقائي يوم القيامة » رواه الخطيب والديلمي عن ابن عباس

رضي الله عنهما ولقوله ﷺ « ما اجتمع قوم على ذكر إلا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة » وقوله « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مُناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سياتكم حسنات » وقوله « إنّ أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإنّ عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني ، وقوله « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال « حلق الذكر » وقوله « إنّ لله تعالى سيّارة من الملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ، فيقول الله : غشُّوهم برحمتي ، فهم الجلساء الذي لا يشقى بهم جليسهم » أخرجه البزار عن أنس ، وقوله كما في الصحيحين وغيرهما « إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا إلى السماء » الحديث بطوله .

تخصيص العدد في الختمات والذكر

وأما تخصيص العدد في الختمات والذكر والصلاة فمشروع أيضاً ، لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كل يوم أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ » الحديث ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من صلى عليّ في يوم مائة قضي له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرة ، وثلاثين منها لدنياه » وقوله عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله عز وجل » وقد مر في بحث الآداب في مشروعية العدد في الذكر والتسبيح أحايث كثيرة ، ويؤيده ركعات الصلوات ، وتسبيحات الركوع والسجود ، والتسبيح عقيب الصلاة والتحميد والتكبير .

غلق الأبواب والكوات عند ختم السادة النقشبندية

وأما غلق الأبواب والكوات عند ختم السادة النقشبندية فلئلا يشغلهم الناظرون عن الحضور والخضوع والخشوع ، ولدفع الخواطر ، فهذا أمر مسنون ، لما روى أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس بإسناد حسن قال : « كنا عند النبي ﷺ فقال عليه السلاة والسلام « هل فيكم غريب ؟ » يعني أهل الكتاب أو مَنْ لم يطَّلع بَعْدُ على أسرار الشريعة ، فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب . الحديث . وقد مر في بحث تعليم الذكر .

ولما ورد في صحيح البخاري في باب غلق أبواب الكعبة والمساجد : أن النبي ﷺ وبلالاً وأسامة وعثمان بن طلحة دخلوا الكعبة ثم أغلقوا الباب فلبثوا فيه ساعة ، ثم خرجوا . قال ابن عمر فسألت بلالاً ، فقال : صلى فيه .

وفي البخاري أيضاً في باب اغلاق البيت عن سالم عن أبيه : أنه قال : دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فأغلقوا عليهم ، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالاً فسألته هل صلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، بين العمودين اليمانيين . وهذا أمر مرغوب في كثير من العبادات ، وذلك أجمع الحواس على القلب وأبلغ في الحضور ، وكما تكره الصلاة تلقاء وجه الرجل وخلف النائم والمتحدث عند الحنفية والمالكية ، يكره الختم في حضور غير المنتسبين لهذه الطريقة العلية ، وكذا ترك الأبواب مفتوحة وهو من آدابهم القديمة .

منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم

وأما منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم ، فلأن هذا الختم أمر مخصوص مشروط بأهل هذه الطريقة العلية ، ليس لأحدنا تبديل

طريقتهم وآدابهم ، ولا تغييرها ولا العمل لا ينفع إلا بالعلم ، ولأنه لا فائدة له في دخوله الختم من غير تعلم ورخصة ، لأن كل واحد يقبل على شغله وذكره ، ويقرأ في نفسه سراً لا يسمعه غيره حتى يستفيد منه ، بخلاف ختمات سائر الطرق ، ولأنه لا فائدة لهم في إدخاله الختم ، بل ذلك مضرّ له ولهم ، لعدم رعايتهم الآداب ، ولأنه إن كان ممن يقر هذه الطريقة ويريد بدخوله العبادة والقربة فلا بد له أولاً من الانتساب والتعلم من أهله ، وإن كان مراده التفرج وامرار الوقت وتضييعه فهذا لا يجوز ، وإن كان مراده الاستخفاف والاستهزاء بالذاكرين فهذا كفر ؛ وعلى كل حال منعه أولى صيانة له ولهم .

تغميض العين عند الذكر والختم

وأما تغميض العين عند الذكر والختم فمسنون ، قد مر بيانه في بحث الآداب ، فليراجع .

الجهر بالذكر والتهليل والقراءة والصلاة على النبي ﷺ عقيب الصلوات وغيرها

وأما الجهر بالذكر والتهليل والقراءة والصلاة على النبي ﷺ عقيب الصلوات وغيرها ، فقد جوّزه الفقهاء مطلقاً سواء كان منفرداً أو مع الجماعة وذكر بعضهم أفضليته ، كما مرّ في بحث الذكر الجهري والخفي . أخرج البيهقي عن جابر « أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر ، فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته ، فقال رسول الله ﷺ دعه فإنه أوّاه » ، وأخرج البيهقي أيضاً عن زيد بن أسلم قال : قال ابن الأدرع « انطلقت مع النبي ﷺ ليلة فمرّ برجل في المسجد يرفع صوته ، قلت : يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائياً قال لا ولكنه أوّاه » .

وقال الإمام النووي في « الأذكار » : أجمع العلماء على استحباب الذكر بعد الصلاة ، وجاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة في أنواع منه

متعددة ، وروينا في صحيحي مسلم والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير » وفي رواية مسلم « كنا نعرف » . وفي رواية في صحيحيهما في بحث الصلاة في باب الذكر بعد الصلاة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته .

وقال النووي : يستحب لقارئ الحديث وغيره ممن في معناه إذا ذكر رسول الله ﷺ أن يرفع صوته بالصلاة عليه والتسليم . وممن نصّ على رفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وآخرون ، وقد نصّ العلماء من أصحابنا وغيرهم على استحباب رفع الصوت بالصلاة عليه . انتهى ملخصاً .

قال في « المورد العذب » : قال النبي ﷺ « من ضج بالصلاة عليّ في الدنيا ضجت الملائكة بالصلاة عليه في السموات العلي » وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى عليّ صلاة وجهر بها شهد له كل حجر ومدر ورطب ويابس » كذا في « النزهة » . وأما قوله تعالى ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ فقد ورد في الدعاء الغير المشروع ، كسؤال المحال عادة وشرعاً ، وتجاوز الحد المأمور به ، واختراع دعوة لا أصل لها ، هذا هو الراجح في تفسير هذه الآية وقيل الاعتداء في الدعاء الجهر به لا الجهر بالذكر ، وكذا حققه الإمام السيوطي في « رسالة الفكر » وابن عابدين في حاشية « الدر المختار » .

وأما من لم يطلع على كتب التجويد والقراءة والأخلاق والشمائل والتصوف ، فقد يعترض على كيفية التهليل والصلاة على النبي ﷺ جهراً عقيب الصلوات الخمس منفرداً ومع الجماعة ، ويقول : لا يجوز مدّ لام (إله) في لا إله إلا الله ، ولام (اللهم) في اللهم صل إلا مقدار ألف

واحد ، وكذا في همزة (آل) في وعلى آل محمد ، وقطع كلمة (على) مما بعده . وهذا الاعتراض من عدم الاطلاع على كتب القراءة والتجويد ، فإن سبب زيادة المد عند أهل التجويد أربعة ، اثنان منها لفظيان ، وهما الهمزة والسكون ، واثنان معنويان ، الأول : التعظيم مع المبالغة ، كما في لفظة الله أكبر ، وإله ، واللهم ، وسائر الأسماء الإلهية . والثاني : المبالغة فقط ، كما في (لا) التبرئة ، مثاله لا ريب فيه ، لا شريك له ، لا نظير له ، وغيرها . فمتى وجد سبب من هذه الأسباب الأربعة يجوز مده مقدار خمس ألفات بلا خلاف ، كذا في « شرح الجزرية » لعلي القاري . وأما مد همزة (آل) مقدار خمس ألفات ، فهو قراءة ورش في كل مدّ البدل ، مثل آمنوا وآل عمران ونحوهما . وأما قطع كلمة (على) مما بعده في وعلى آل محمد فهو أيضاً قراءة حمزة في كل حرف مد وقع بعده همزة منكرة ، كما في يا بني إسرائيل ، ونحوها . وأما الاعتراض بوقوع التغني فيه ، فلعدم الاطلاع على معنى التغني المنهي عنه والمأمور به ، بقوله عليه الصلاة والسلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » .

الاشتغال بالنوافل

وأما الاشتغال بالنوافل التي ورد فيها قول النبي ﷺ وفعله أو تقريره فمسنون ومقبول مطلقاً ، سواء كانت عليه فائتة أو لا ، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي « لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » وروى البخاري عن أبي هريرة « ما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحببته ، فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » ، فهذا شامل للصلاة والصوم والصدقة وغيرها .

وأما من عليه فوائت فاشتغاله بقضائها أولى وأفضل من الاشتغال بالنوافل التي لم ترد في حقها الأخبار والآثار ، قال إبراهيم الحلبي رحمه

الرحمة الهابطة

في

ذكر اسم الذات والرابطة

ألَّفـــه

الشيخ العلامة المحقق الفهامة الإمام الأوحد والعالم المفرد
سيدي الشيخ حسن بن أحمد الخالدي الدوسري الشافعي
قدس الله سره ورفع قدره في دار المسرة
آمين

دار الرسالة

نعمه ويكافئ مزيده ، حمداً كما يليق بشأنه الكريم ، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمد عدد ما في علم الله ، صلاة دائمة بدوام ملك الله ، صلاة يؤدي بها عنا حقه العظيم ، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم وفّقنا لما تحب وترضى ، من القول والعمل والفعل والنية والهدى ، إنك على كل شيء قدير ، وأرض عنا وعن والدينا وعن مشائخنا ، وأرضهم عنا يا أرحم الراحمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تمت هذه الرسالة بعون الله الملك المنعام في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة سنة إحدى وثلثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى كل مُنْتَمٍ إليه .

حرره وجمعه أحقر الورى وأضعف العباد يوسف شوقي بن حسن أفندي ابن علي أفندي الأوفي الحنفي ، عامله الله بلطفه الجليّ والخفيّ راجياً الدعاء من الإخوان ، وخادماً لهم ، وملتمساً العفو عما وقع من السهو والغلط والنسيان ، وطالباً من العلماء المبحرين المشفقين تصحيح ما وقع فيه من الخطأ ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، لأن من ألف فقد استهدف ، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وحسبي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله آمين .

آداب ختم السادة النقشبندية

ثم اعلم أن آداب ختم السادة النقشبندية التي هي بمنزلة الشروط في الاعتناء بها ثمانية :

الأوّل : الوضوء ، والثاني : المكان الخالي ، والثالث : كون الحاضرين مأذونين من هذه الطريقة العلية النقشبندية ، والرابع : الحلقة ،

والخامس : الاستغفار ، والسادس : تغميض العينين إلى آخر الختم ، والسابع : الرابطة ، والثامن : قراءة العشر الشريف والدعاء في آخر الختم .

أركان الختم

وأما أركان الختم فسبعة :

الأول : الخضوع والخشوع والحضور .

والثاني : قراءة الفاتحة سبع مرات .

والثالث : الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة .

والرابع : قراءة سورة ألم نشرح تسعاً وسبعين مرة .

والخامس : قراءة سورة الإخلاص ألف مرة وواحدة .

والسادس : قراءة الفاتحة أيضاً سبع مرات .

والسابع : الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة .

إذا مارمت ختم الخاچكـان فسبعاً اقـرأ السبع الـمـثاني
وصلّ عقيبه مـائـة تـمـامـاً على الهادي الحبيب بلا تواني
وكرر في ألم نشرح بصـدق بـعـدّ الـطاء مع عين العيان
وقل في سورة الإخلاص ألفاً وزده واحـــداً عـنـد الـبيان
وعد للأولين بـصـدق عـزم كـمـا ذكرا تنل كل الأماني
وسل ما شئت من خير تنلـه وتـعطى ما تروم مع الأمان

بيان آداب الختم وأركانه بالتركي

طريقة علية نقشبندية ختمنك آدابلرى يديد أو لكيسي آبد ستلى أو لد يغي حالده تنها يرده أولمق ، أيكنحي ختمده حاضر أو لنلروك جمله سي بوطر يقتدن مأذون أولمق ، أو جنجي حلقه أو لمق ، درتنحي استغفارا تيمك ، بشنجي كوزلريني قبا يوب آخر أو لنجيه قد ركوز لرني آجمامق ، التنحي رابطه وحضور وإخلاص ومحبت وتعظيم إيله أولمق ، يدنجي ختمك آخر نده عشر شريف أو قنوب دعاء أولنمق (أشبو آدا بلره شرط مقامنده اعتنا ودقت لازمدر مخالفتدن حذراولنه) . **أما** ختمك أركانلري دخي يديدر أو لكيسى خضوع وخشوع وحضور إيله أو قمق در ، ايكنحي يدي كره فاتحة شريف أو قمق ، أو جنجي يوزكره صلوات شريف أو قمق ، درتنحي يتمش طقوز كره ألم نشرح لك شريف أوقمق ، بشنجي بيك بركره إخلاص شريف أوقمق ، التنجي يينه يدي كره فاتحة شريف أوقمق ، يدنجي يينه يوز كره صلوات شريفه كتور مك در

بيان آداب الذكر بالتركي إجمالاً

ذكرك آدا بلرى يكر ميدر ، يديسي آداب ظاهري يعني كوزلري آجق أيكن دخي أولور يديسي آداب باطني يعني آنجق كوزلرى قبالي أيكن أولور ايكيسي دخي ذكر ورابطه نك تأثيراتنه آكاهلق درتي دخي أبواب إلهيه در .

آداب ظاهر نيك : أولكيسي طهارت كامله يعني بدني وثيابي ومكاني ، باك أولد يغي حالده آبد ستلي أو لمق ، أيكنجي تنها يرده أو لمق ، أوجنحي قبليه متوجه أوله رق عكس تورك أوزره طورمق ، درتنحي يكرمي بش كره استغفاراً يتمك ، بشنجي برفاتحه وأوج كره أخلاص شريف أوقيوب مثل ثوابني أفنديمز صلى الله عليه وسلمك وسلسلة نقشبندية خالديه نك أرواحلرينه هديه أيتمك ، التنجي أرواح

سلسلة نقشبندية دن استعانة واستمداداً يتمك ، يدنجي كوزلرني قباصق **آداب باطني نك :** أولكيسي رابطة موت يعني سكرات موت وقبر وقيامت أحواللريني تفكرايتمك أيكنجي رابطة مرشد يعني مرشد مزمولانا خالد أفنديمزك روحانيتني استحضارا يله سيرو سلوكه ووصلته وسيله ودليل انخاذا يتمك ، أو جنجي رابطة حضور يعني جناب حقك صورت ومكان وجهتدن منزه أوله رق حضور نده أولد يغني ملاحظه أيتمك ، درتنجي وقوف قلبي يعني قلبني أفكار رديئه لردن وما سوى اللهدن باك أيدوب فيض تجلى إلهيه نك قلبنه ورودريني ملاحظه أيتمك ، بشنحي وقوف ذكري يعني قلبنده ذكر اللهك جريان ونقشنه مطلع أولمق ، التنجي وقوف عددي يعني نقدر ذكر ايتد يسه عددني ضبط أيتمك ، يدنجي يوز باشلرنده يا خود ما سوى غلبه أيتدكده . **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** ديمك أما تأثيرات يعني ذكر الله وورد ورابطه سببيله قلبنه كلان فيوضات وواردات إلهيه يه آكاه أو لمقدر ، أما أبواب إلهيه درتدر شر بعت طريقت حقيقت معرفتد ربونلربر برلر ينه متلازملردر طريقت شريعتسز أصلى يوقد رشر يعت طريقتسزدخي نفع ويرمزبونلرا ولما ينجه دخي حقيقت ومعرفته وصلت أولماز ، والله أعلم بحقيقة الحال .

هذه الأبيات في بيان السلسلة النقشبندية الخالدية

للشيخ عمر أفندي الداغستاني

المصطفى ثـم صـديـق وسـلمـان ... وقـاسـم جعفر طيفور أبو الحسن

أبو علي يوسف والغجدوانـي كـذا ... وعـارف فـغـنـوي عليّ ذو المنن

أيضاً السماسي كلال النقشبند علا ... كذا البخاري وجرخي صاحب القطن

أحرار زاهد محمد خاجكي وكـذا ... بـاقـي مجدد ومعصوم من المحن

وسيف دين وبدواني ومظهـرهـم ... والـدهـلـوي خالد وأحمد الحسن

قطب الزمان وغوث الواصلين ضياء الـديـن مـرشـدنا في السر والعلن

فهـاك سـلـسـلة الأشـيـاخ سادتنا طـوبـى لـتابعهم في النهج والسنن

فحبّهم مـنـهـل عـذب فـرات وذا ـلك محضر الأنس والقدوس واليمن

يا رب أوقد بقلبـي نـار حبـهـم تـحـرق سواتر قـلـب غـافل درن

واخرق حجاب قلوب ليس ندركـه حتى ترى العين عين القلب في الوسن

بيان ترتيب الختم إجمالاً

استغفار عدد ٥ ، رابطة شريفة ، سورة الفاتحة عدد ٧ ، صلوات شريفة عدد ١٠٠ ، ألم نشرح لك عدد ٧٩ ، سورة الإخلاص عدد ١٠٠١ ، سورة الفاتحة عدد ٧ ، صلوات شريفة عدد ١٠٠ ، بعدده عشر شريف ، بعده دعاء ، وليس للختم دعاء مخصوص يعني ختم ايچون دعاء مخصوص يوقدر

هذا دعاء يقرأ عقيب الختم

سبحان ربي العليّ الأعلى الوهاب ، الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين ، اللهم بلغ وأوصل مثل ثواب ما قرأناه ونور ما تلوْناه بعد القبول منا بالفضل والكرم إلى روح منبع الصدق والصفا ، أفضل الخلائق سيدنا محمد المصطفى ﷺ ، وإلى أرواح جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه على نبيّنا وعليهم أجمعين ، وإلى أرواح أصحابه وأصحابهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وإلى أرواح كل من سادات سلسلة الطريقة العلية النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية قدس الله أسرارهم العلية .

اللهم اجعلنا من المنسوبين إليهم والمحسوبين بهم والمحبوبين

لديهم إنك على كل شيء قدير ، اللهم بجاههم حقق إيماننا ويسر أمورنا وفرج همومنا واكشف غمومنا واغفر ذنوبنا واقض ديوننا وانصرنا على أعدائنا يا نعم المولى ويا نعم النصير ، اللهم أغْننا بالعلم وزيِّنّا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجمّلْنا بالعافية ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ،

اللهم ارْزقنا التوفيق والاستقامة على طاعتك وحبّك وحبّ من يحبّك وحب عمل يقرّبنا إلى حبك ، وامنن علينا بالإقبال إليك والإعراض عما سواك ، واختم لنا بذلك آمين ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم ارزقنا منك طول الصحبة ودوام الخدمة وحفظ الحرمة ولزوم المراقبة وأنس الطاعة وحلاوة المناجاة ولذة المغفرة وصدق الجنان وحقيقة التوكل وصفاء الودّ ووفاء العهد واعتقاد الوصل وتجنب الزلل وبلوغ الأمل بصالح العمل وحسن الخاتمة ،

اللهم تولّ أمورنا بذاتك ولا تكلنا إلى أنْفسنا طرفة عين أبداً ، ولا إلى أحد سواك يا أرحم الراحمين ، اللهم اغفرلنا وارحمنا وارض عنا وعن والدينا وعن مشايخنا وأرضهم يا أرحم الراحمين ، اللهم شرّف وأيّد مجلس أستاذنا وآته سؤله وبلغه مأموله وارْفع درجته في الأولى والآخرة ، وآته العافية في الدين والدنيا والآخرة ، وانْفعنا به يا أرحم الراحمين ، اللهم انْصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين ، اللهم انصر سلطاننا واقْهر أعداءنا وأعداء الدين خصوصاً من هجم على

المسلمين وتسلط على بلادهم الآن يا أرحم الراحمين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يصدّون عن سبيلك ، ويكذبون رسلك ، ويقاتلون أولياءك ، إله الحق ، آمين ، اللهم شتت شملهم واجعل الدائرة عليهم ،

اللهم مزْقهم كل ممزق مزقته لأعدائك انتصاراً لأنبيائك ورسلك وأوليائك ، اللهم لا تمكن الأعداء فينا ولا منا ولا تسلطهم علينا بذنوبنا ، اللهم وفقنا ووفق وأيد أميرنا أمير المسلمين ، ووفق وكلاءه ووزراءه وعلماءه وعساكره وجميع تابعيه يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا واجعلهم خاشعين متمسكين بالكتاب والسنة وإجماع الأمة يا أرحم الراحمين ، اللهم ألف بين قلوب المؤمنين وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، اللهم ارْحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا في الدنيا يا أرحم الراحمين ، اللهم يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض ، يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام ، يا من لا إله إلا أنت ، سبحانك أسألك أن تحيي قلوبنا وأجسامنا وأرواحنا وأبداننا بنور معرفتك ووصلك وتجليك أبداً دائماً باقياً هادياً يا الله ، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين .

والحمد لله رب العالمين

تقريظ الفقير عبد الكريم الداغستاني الغموقي مولداً الشافعي مذهباً عفي عنه :

بسم الله وبحمده نثني على ارشاده من شاء من عباده ونصلى على سيدنا محمد وعبده وآله وجنده وحزبه من بعده .

وبعد : لما وقفت على هذه الرسالة الجلية التي هي لإخوان الدين تحفة وهدية ، ولإفحام المنكرين على ما هم عليه حجة قاطعة وبرهانٌ ، ليس وراءه لمبتغي الزيادة آية وغاية . فرأيتها مشتملة على ما يحتاج إليه السالكون ، ويحتاط لأجله الناسكون ، كيف لا ؟ ! وهي خلاصة تأليفات أكابر الأئمة من المذاهب الأربعة ، وزبدة تحقيقات الفقهاء في الكتب المعتمدة ؛ فللّه درّ مؤلفها العالم التقي الوفيّ الماهر الشيخ يوسف شوقي أفندي الأوفى ، عامله الله بلطفه الجلي والخفي حيث أتى بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يعترض المعترض على مؤلفه ، جعله الله تعالى نافعاً للأ نام وذخراً له في يوم القيام .

تقريظ الفقير الضعيف خادم العلم الشريف أحم حلمي بن محمد الأنقروي الحنفي عفي عنه :

بسم الله الملك الوهاب والحمد لله الهادي إلى طريق الصواب ، المنقذ من ظلمات الجهل والشك والارتياب ، والصلاة والسلام على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وعلى آله وأصحابه الذين بينوا آداب الشرع والعبادة والذكر لأولى الألباب .

وبعد : فهذه رسالة شاملة لآداب الطريقة الصديقية مع الأدلة

القطعية ، وموافقة للكتاب والسنة السنية ، وخلاصة كاملة من خزانة كل منتخب وبسيط ، وكنز مغن عما سواه من كل وجيز ووسيط وحقيق بأن طار في الأقطار كالأمطار ، وجدير بأن يقال له ميزان الحق في الأعصار والأمصار : هذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله الموفق وإليه الالتجاء ، ولله درّ جامعها الفاضل الكامل العلامة الشيخ يوسف شوقي الأوفي النقشبندي الخالدي الحنفي ، شكر الله سبحانه وتعالى سعيه ورضي الله تعالى عنا وعنه آمين .

يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة الفقير إلى الله تعالى محمد الحسيني ، أعانه الله على أداء واجبه الكفائي والعيني :

تم طبع هذه الرسالة البهية والدرة النفيسة المضية السالكة بقارئها سبيل الرشاد الموصلة لمطالعها العامل بها إلى ما فيه صلاحه في المبدأ والمعاد ، المبينة لأصول وشروط الطريقة النقشبندية ، وجميع ما يحتاج إليه المريدون الطالبون للوصول إلى الحضرة العلية ، فلله درّ مؤلفها العلم المفرد الأستاذ الهمام الأوحد ذي المزايا الجليلة والأخلاق الجميلة العالم العلامة الحبر الفهامة الشيخ يوسف شوقي الطرابزوني الأوفي النقشبندي الخالدي الحنفي ، عامله الله بلطفه الخفي ، وأجراه على عوائد بره الحفي على ذمة حضرة مؤلفها المذكور ، أجزل الله له على تأليفها الأجور في ظل الحضرة الفخيمة الخديوبة ، وعهد الطلعة العلية التوفيقية ، أدامها الله رحمة لرعيته ونعمة على بريته .

وكان هذا الطبع البديع في المطبعة الكبرى العامرة ببولاق مصر القاهرة ملحوظاً بنظر حضرة ناظرها جليل المقدار الذي عليه في حسن نظامها المدار من عليه أخلاقه تثنى حضرة

حسين باشا حسني في أواخر جمادي الأولى سنة ١٣٠٣ من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

وعلى آله وأصحابه ومحبيه وأحزابه .

الرحمة الهابطة

في ذكر اسم الذات والرابطة

تأليف الشيخ العلاَّمة المحقق الفهامة الإمام الأوحد

والعلم المفرد سيدي الشيخ حسن بن أحمد

الخالدي الدوسري الشافعي قدَّس الله سِرَّه

ورفع قدره في دار المسرَّة

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع لواءَ السنة السنيَّة ، وجدَّد أمر الملَّة المحمديَّة ، وأيَّد الشريعة الحنيفيَّة بظهور أهل المزيَّة وبروز أهل الخصوصيَّة ، ووجود الطائفة المهديَّة والزمرة التقيّة النقيّة ، والتي بها تغاث البريّة ، ويُدفع عنها كلُّ رزيّة ، وتنجو بها من كل بليَّة . أفاض الله على المسلمين برّها ، وغمر بها فاجرَ الأمّة وبَرَّها ، وجبر بها صدع القلوب وكسرَها ، أحمده على ما أولى من هذه النعمة ، وكشف الغُمة عن الأمة ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبمنَّته تكون الباقيات ، وبرحمته تكشف البليَّات . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله منبع العلوم الإلهيَّة ، صلَّى الله عليه وعلى آله سفينة النجاة ، وأصحابه أولي الدرجات ، وسلَّم تسليماً في جميع الأوقات .

أمّا بعد : فهذه رسالة كنت قد ألَّفتها سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ، ووريت نسبتها إلى غيري ؛ لغرض قصدته ، **والأعمال بالنيات** . وقد حصل ذلك الغرض- ولله الحمد - وقد بَدا لي أن أضيف إليها ما لم أُودعْه فيها ؛ من كلام العلماء من غير تغيير وضعها السابق مع تبْيين مَن أَرَدْتُ بقولي فيها :

أمّا بعد : فممَّا منَّ الله عليَّ في هذا السفر- وكان من موافقة القضاء والقدر النافذيْن- مرورُنا على بَنْدَرِ البحرين ، واجتماعنا بجناب الفاضل الماجد الخاشع العابد الناصح الزاهد ، خليفة الشيخ خالد - قدَّس الله سرَّه - ومرادي به شيخنا الشيخ إسماعيل ، وذلك لأني حين خرجتُ من البصرة مررتُ به ، وهو في قرية خارج البصرة ، وقد تقدَّم أمره إيّاي بالسفر ، فلمَّا أتيتُه للوداع أوصاني ببعض الوصايا ؛

فلهذا قلتُ : وانتفاعنا بلفظه ، واستماعنا لوعظه ، واطِّلاعنا على حقيقته ، وإشرافنا على طريقته ، فرأيناها الطريقة المُثْلى ، والقول الذي لم يزل في كل العصور يُمْلى ، جامعةً لحقائق الطرائق وخلاصات الحقائق ، ولا ينكر منها حرفاً إلاّ أحمق أو منافق .

قال إمامنا الشافعيّ - رضي الله عنه- : الإنكار فرعٌ من النفاق . وذلك ؛ لأنَّ المنافقين لو لم ينكروا على رسول الله ﷺ لآمنوا به ظاهراً وباطناً . ولقد طرق سمعي بعض مقالات منقولة عن المزوِّرين ، وجهالات منسوبة إلى بعض المشهورين ، وإنكار أمور عليها مَدار العلماء العاملين ؛ المتقدِّمين منهم والمتأخِّرين ، فوضعت رسالةً مثبتةً لما أنكروه ، ومثبتةً لما زوّروه ؛ احتساباً لوجه الله الأكرم ، وانتصاراً لاسم الله الأعظم ، ونصحاً لأمّة محمد ﷺ ؛ كيلا يقعوا في ورْطة الإنكار ، وكيلا يبقى الأخ المنكر على الإصرار ؛ فيؤول به إلى دخول النار ؛ لما اشتهر أنه يُخشى عليه من سوء الخاتمة ، نعوذ بالله من ذلك . وسمَّيتها :

« الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة »

ورتَّبتها على سبعة أبواب :

الباب الأوَّل : في وصيَّة الأخ البارِّ بمصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار .

الباب الثاني : في النقل الموجب للذات في ذكر اسم الذات .

الباب الثالث : في تعريف رابطة أولي الاجتباء ، وثبوت الرابطة لكلِّ إنسان شاء أو أبى .

الباب الرابع : في القول الأسنى ، واستحباب الرابطة الحسنى .

الباب الخامس : في قول أهل الاصطفاء في رابطة المصطفى ﷺ .

الباب السادس : في القول المجمل في رابطة الأولياء الكُمَّل .

الباب السابع : في نصح المنكرين ؛ الخاصّ والعام لحصول حسن الختام .

وجعلت الخطاب لواحد في جميع الأبواب ؛ رجاء أن يتوجَّه إلى هذا الكلام بقلبه ، وأن يُقبل على ربّه ، ويستغفر من ذنبه ، والله أَسْأَلُ أن يمنّ على من تأمَّلها بعين الإنصاف باتباع الصواب ، وأن يجعلنا وإيّاه ممّن أناب ، وأن يَهَبَ لنا رضاه ، إنه الكريم الوهّاب .

الباب الأوّل

في وصيّة الأخ البارّ بمصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار

اعلم أيّها الأخ – بصَّرني الله وإيّاك طريق الحقِّ والهدى ، وأزال من قلوبنا داء الحسد ، وجَنَّبَنَا الاعتداء – أنّك في زمانٍ دينُ أهله اتِّباع الهوى ، ورفض التقوى ، وطيّ المليح ، ونشر القبيح ، ووصل الطَلاَح ، وهجر الصلاح ، وإشاعة البهتان ، وكتمان الإحسان ، ومجانبة من قَال (الله) ، ومصاحبة من اتَّخذ هواه ، إذا ذُكِّرُوا لاَ يَذَّكَّرُونَ ، وإذا رأوا آية يستسخرون ، ويطنبون بالنميمة ، وعلى الغيبة لا يقتصرون ، وإخوانهم يُمدّونهم في الغي ثم لا يقصرون ، يبارز أَمْثَلُهم المَلِكَ القَدِيرَ ؛ كي يُذْكَرَ عند الأمير والوزير ، ويعمل ما يوجب الخلود في النار ؛ لكي يمدحَ بين الفجّار . فكره وذكره تكريرُ : هَاتِ ، وتقرير الترّهات ، وإضاعة الأوقات ، والحرص على الموبقات ، وبغض المتَّقين ، ومحبّة الفاسقين ، وإخفاء النصائح وإبداع الفضائح ، وإظهار الودّ وإضمار الحقد ، ونزع الحياء والتقمّص بالرياء ، ونفي التواضع والبرّ ، وإثبات العجب والكبر ، إلى قول الزور وإن كَثُرَ يجنحون ، وبه يفرحون ، وعليه ما يبرحون ، وعن ذكر الله وإن قَلَّ يجمحون ، وإذا سمعوه يكلحون ، وعلى فاعله يقدحون ، فلا

جرم أنهم بالخطأ قائلون ، وعن الصواب عادلون ، وإلى المِراء مائلون ، وعلى الافتراء حاصلون ، إذ هم رحلوا عن نوادي العدل ، وفي بوادي الجهل هم نازلون ، فـ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ ، قلوبهم بحبّ الفساد مشغوفة ، وعلى كسب مال العباد ملهوفة ، وعن ذكر ربّهم مصروفة ، يبذل أحدهم في الجهالات والضلالات والتخليطات والتخبيطات جميعَ قواه ، ويُعرض عن ذكر ربّه بائعاً دينه بأقلَّ من نواه ، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ،

إن أطلت بالغيبة لسانك ، وأصغيت لها آذانك عظّموا حينَ رؤيتهم لك شأنَك ، ورفعُوا مكانك ، وإذا غبتَ عنهم أظهروا عداوتك ، وقرّروا بهتانك ، فلا مَليحك شيّعوه ، ولا قبيحك يَدَعوه ، قلوبُهم مملوَّة حسداً ؛ كأنهم لم يَرَوا الحشر غداً ، أكثرهم طوى بساط الهدى ، كأنهم خُلِقُوا سُدًى ، ولا يزالون في قال وقيل ، ومن لم يُوافقهم يرمونه بالأباطيل ؛

فمن التعطيل إن نحن بذكرهم نطيل ، فلا حاجة إلى التطويل . ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ . والاعترافُ بالاقتراف والتوبة إن شاء الله تعالى دَأبي . والرجاءُ وحسن الظنّ بالله تعالى حسبي ، رحم الله الشيخَ القوى حيث يقول ، (**أشعار**) :

فُـؤَادٌ لاَ يَـقِـرُّ لَـهُ قَـرَارُ ... وَأَجْـفَـانٌ مَـدَامِـعُـهَا غِزَارُ

وَلَيْلٌ طَالَ بِالأَذْكَـارِ حَـتَـى ... ظَـنَـنْـتُ اللَيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ

وَلِمْ لاَ وَالتُّقَـى حَلَّتْ عُـرَاهُ ... وَبَـانَ عَـلَى بَـنِـيهِ الانْكِسَارُ

لِيَبْكِ مَعِي عَلَى الدِينِ البَوَاكِي ... فَـقَـدْ أَضْـحَتْ مَوَاطِنَهُ قَفَارُ

وَأَضْحَى لاَ تُقَامُ لَهُ حُـدُودٌ ... وَأَمْـسَـى لاَ يَبِينُ لَـهُ شِعَارُ

وَعَادَ كَـمَـا بَـدَا فِينَا غَرِيـبـاً   هُـنَالِكَ مَا لَهُ فِي الخَلْقِ جَارُ
فَقَدْ نَقَضُـوا عُهُودَهُمْ جِهَاراً   أَسَـرُّوا بِالـعَدَاوَةِ ثُمَّ سَارُوا

فعليك يا أخي بحسن الاعتقاد وسلوك سبيل الرشاد ، ولا يغرّك تخبيط أهل العناد ، قال الفضيل : اتّبع طريق الهدى ولا يضرّك قلّة السالكين ، وإيّاك وطرق الضلالِ ، ولا تغترّ بكثرة الهالكين ، وذلك أنّه ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ، وعن قريب تجتمع الخلائق في الأخرى ، ويمتاز الذين ظلموا والذين ينالهم البشرى ، فعليك بصحبة من ينهضك حاله ، ويدلُّك على الله مقاله[1] ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما نوَّر الأفقَ كوكبُ الفَلْك وهِلالُه « إنَّما مَثَلُ الجَليسِ الصَالح وَالجَليسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافخِ الكِير ، فَحَامِلُ المِسْك ؛ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافخُ الكِير إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خبيثةً » ، وقوله ﷺ : « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » ،وهذان الحديثان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجّه والرابطة ؛ لأنَّ من ألفاظهما ومَعَانيهما ما هو مُطابق للواقع ، كما أنَّهما يُرغِّبان في صحبة الصالحين ، فإنَّه ﷺ شبَّه الصالح بحامل المسك ، ثم ذكر أنه يحصُل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد ؛ واحدة مقطوع بها ؛ وهي وجدان الريح ، إذ لا مانع ، فقال : إمَّا أن يحذيك ؛ أي : يعطيك بلا عوض ، والعطاءُ .

هنا إمّا إفادة علم بلا سؤال ، وإمَّا إفادة حال بتوجُّه من ذي كمال . قيل :

وَنَـظْرَةٌ مِـنْـهُ إنْ صَحَّتْ إِلَيْهِ عَلَى   سَبِـيــلِ وُدٍّ بِـإِذْنِ اللهِ تُـغْـنِـيـهِ

---

(١) وفي نسخة زيادة : واهتد بمقال أفضل مرسل صدق مقاله صلى الله عليه .. إلخ . ولعلّه صحّ .

وأمَّا قوله : « فإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ » ؛ أي :تسأله فيجيبك بما ينفعك ؛ هذا من حيث اللسان ، أو تستمدّ منه فيُمدّك برُوحانيته ؛ وهذا من حيث الجنان ، وقد يجمع بينهما ، وهذا الأخْذُ والإعطاء الروحاني عند أهله مُدْرَكٌ بالوجدان كالمحسوس ، فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه ؛ إذ لا يستوي الأعمى والبصير ، كما لا يستوي المسك والكير . وأنَّى لِلأبْكَم الفصَاحةُ وحُسن التقرير ؟ !

وأمَّا قوله : « وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » ؛ أي : يسري إليك من حاله ما تنتفع به ، وهذه الجملة مطابقة ظاهراً لفعل التوجُّه من وجْهٍ ؛ إذ هو انعكاس حاصل ما يفعل[1] تارة من غير استدعاء ، وإليه الإشارة بـ« إما أن يحذيك » ، وتارة بالاستدعاء والفعل ، وإليه الإشارة بـ« تبتاع منه » ، وتارة انعكاس من غير استدعاء ولا فعل ، وإليه الإشارة بـ« تجد منه ريحاً طيبة » ، عبَّر بالوجدان دون غيره من الألفاظ ؛ لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح ، وإذا كانت الطباعُ تسرق فحينئذ باب الأولى[2] أن القلوب المنيرة تسرق ، وتحصل الفائدة من الجليس الصامت . ولا معنى لها سوى سريان[3] حاله في جليسه .

ومن المعلوم أنَّ من جالس شخصاً سيما إذا كان الجلوس على طريق المحبَّة والاعتقاد لا بدَّ أن ترسم صورته في ذهنه ، فمهما تذكَّره تخيَّل صورته ، فإن كان الشخص من أحباب الله فتخيُّلُ صورته يدعو إلى محبَّته والشوق إليه ، ومحبَّتُه مطلوبة ، والشوق إليه محبوب ، فتخيُّل صورته محبوبٌ ؛ إذ من تصوّر موصوفاً تصوّر صفاته ، فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله تعالى فتصوُّره الموجب لِتصوُّرِ صفاته المحبوبة محبوبٌ .

---

(١) وفي نسخة : بالفعل .
(٢) وفي نسخة : فمن باب الأولى .
(٣) وفي نسخة : سيران .

ولا معنى للرابطة سوى هذا !

ولا يرتاب عاقل في أنَّ الإنسان مختار في حركاته الظاهرة وتصوُّراته الباطنة ؛ إذ لا حجر عليه من جهة الشارع إلاَّ إنْ تحرَّك في معصية أو إلى معصية ، وكذا إن تصوَّر فعل معصية ، كمن يتصوَّر أنه يزني ، فهذا محظور بخلاف من تصوَّر أنه يأتي حَرْثَه فلا منع من ذلك ، وأنَّ قوله ﷺ : « خياركم الذين إذا رُؤُوا ذكر الله » فهذا كالشرح لقوله : « أو تجد منه ريحاً طيبة » ، جعل مجرَّد رؤيتهم محصِّلة لذكر الله ، وذلك لأنهم منسبون[1] إلى ذكر الله ، وإذ رُئي المنسوب ذكر المنسوب إليه ؛ وهو : عين الذكر ، لا سيما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبة والاعتقاد الصحيح ، فإنه يحصل بها رفع الحجاب عن القلب ، فينتقش فيه ذكر الله ، فإن كانت رؤية مع مجالسة فهذه أبلغ من حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب .

ولتتيقَّن يا أخي وتجزمْ بأني لم أذكر لك جميع ذلك عن ظنٍّ وتخمين ، لا والذي وسعت رحمته كلَّ شيء ، بل عن تجربة وتحقيق . والشفيق يجتهد في النصيحة ، فقلْ لمن لم يسلك هذا السبيل ، ولم يذق من شرابه السلسبيل :

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمُ

والحاصل أن صحبة الصالحين محتاج إليها ، وقد قالوا : الرفيق قبل الطريق . وتطهير القلب عن الصفات المذمومة ؛ كالكبر والعجب والرياء ومحبة الدنيا ونحوها فرضٌ على كلِّ مسلم بإجماع العلماء ؛ لأنَّ جميع الطاعات يترتَّب وجودها والإحسان فيها على تطهير القلب . ويكفيك قوله ﷺ : « إنَّ فِي الجَسَدِ لَمُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسد كله » الحديث . وتطهير القلب لا يحصل على الوجه المراد إلا بصحبة مرشد

---

(١) لعله : منسوبون .

كامل . وتأمَّلْ عهود الشعراني الكبرى يتحقَّق عندك صحّة هذا القول .

قال الحبيب سيّدي عبد الله باعلوي الحداد : عليكم بصحبة الأخيار والتأدُّب بآدابهم مع التعظيم البالغ لهم ، وحسن الظنِّ الصادق فيهم . **فإنّما قلَّ انتفاع أهل الزمان بالصالحين** من حيث قلة التعظيم لهم وضعف الظن بهم ، فحرموا بسبب ذلك بركاتهم ، ولم يشاهدوا كراماتهم ، حتى توهَّموا أن الزمان خالٍ من الأولياء ، وهم بحمد الله كثيرون ظاهرون ومخفيُّون ؛ وذلك لأنَّ ظهورهم في كل زمان لا بدَّ منه . ومن اعتقد غير ذلك يخشى عليه تكذيب النبي عليه السلام ، فإنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » . وَصَفَهم بالظهور ، وهو شامل للشهرة كالغلبة والنصرة ، فاعتقاد خلافه مهجورٌ أو مخطور[1] .

فإن قيل : المراد بالطائفة أهلُ السنة ، وهم ظاهرون – ولله الحمد – فيقال : لا شكَّ أن مذهب السنة هو الحقُّ ، وأن أهل السنة بالنسبة إلى فِرَق هذه الأمَّة هم الطائفة ، لكن للحقِّ شروط لا يتمُّ إلا بها . وليس كل فرد من أهل السنة جامعَ الشروط ، فخواصُّ أهل السنة بالنسبة إلى عوامهم هم الطائفة ، ومنهم المجتهدون في الأحكام والعقائد الدينيَّة ، والمجاهدون لإعلاء كلمة الله .

فإن قيل : بل المراد بالطائفة أهل العلم من الفقهاء والمدرِّسين من أهل السنة . **فيقال** : وهذا حقٌّ أيضاً ، وهل الطائفة المحقَّة المهديَّة إلا أهل العلم ؟ ! لكن إن كان هذا الفقيه المدرِّس عدلاً جامعاً لشروط الإسلام ، فضلاً عن الإيمان ، فضلاً عن الإحسان . والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، مع أن هذه المقامات التي وردت بها الشريعة لا يكون العبد مُحقّاً ظاهراً وباطناً حتَّى يتَّصف بها .

---

(١) ففي نسخة : محذور .

وأمَّا الفقهاء والمدرِّسون الذين يقرؤون درس الغيبة ، ويقرِّرون مسائل الريبة ، ويقعون في الأخيار ، ويزدرون بالفقراء ، ويتذلّلون للجَهَلة والحمقى ؛ من الأغنياء والتجار ، وكادوا يعبدون الأمراء مع ما يشاهَدُ من أكلهم الحرامَ والكبر والعجب والترفُّع على الأنام ، فهؤلاء فسقة الأنام . وقد تعرف الفسقةُ جملة من العلوم والأحكام ، وهم أقبح حالاً من العوام ، وأين هم وأين الطائفة الظاهرة على الحقِّ على الدوام ؟ !

وإنَّما المراد بالطائفة العدول من العلماء العاملين ، والمشائخ الكاملين الذين يصدُقُ عليهم قوله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين » . فهذا الحديث مصرِّح بأن العدول يحملونه ؛ لأن غيرهم لا يعرف منه شيئاً ، والعدول بالظاهر والباطن الظاهرون اليوم كالمرشد الكامل العالم العامل العارف الماجد **الشيخ خالد** ، والأكابر من أتباعه وأناسٌ من الحرمين وبغداد واليمن ، نعرفهم والله أعلم بعباده وبلاده ، ومن لا نعرفهم أكثر ، فهؤلاء على هدى من ربّهم ، والسعيد من كان من حِزْبهم .

أمّا الشيخ خالد فلِمَا هو مشاهد من علوّ همّته وعدم مبالاته بما سوى الله ؛ من مَلِك وغيره ، وجميل مروءته وحسن خلقته وغزارة علمه ، وإتقانه العلومَ العقلية ، وتبحّره خصوصاً في العلوم الشرعية ، كما أنه وعاء العلوم اللدنية ، وما يجري لأتباعه وأتباع أتباعه من الأحوال السَنية ، والكشوف الإلهيّة والأذواق والمواجيد وغير ذلك مما رأيناه ووجدناه وشهدناه ، وقد أشرتُ منه إلى جمل في « الأساور العسجدية » لا يُدرك معانيها إلا من له قلبٌ . ومن ذلك عظيم شفقته ورأفته بالمسلمين واعتنائه بأمّة محمّد ﷺ الذي حَمَله على أن وجّه إلى كلِّ قُطْر قطراً يُحيي به أموات القلوب ، وإلى كلِّ أفق بدراً يهدي به إلى المطلوب . فيا لها من نعمة

يجب شكرها على المسلمين ، وكفرها لا يكون إلاَّ من ضعيف الدين عديم اليقين ليس هو من المتَّقين ، فإنَّ المتَّقيَ ما تحمله النفس على الحسد ، ولا يؤول به اتباع الهوى إلى جحود فضائل أهل التقوى .

وأمّا أكابر أتباعه فلمَّا شهدنا من بعضهم الذين رأيناهم ؛ من العمل بالعلم والنصيحة والتعليم وحسن السيرة وإخلاص السريرة التي تدلُّ عليها عدم التفاتهم إلى الخلق إلا لنفعهم ، واعتمادهم على الحقِّ في خفضهم ورفعهم ، واستغراقهم في العبادة ، وانهماكهم فيما يوجب لهم السعادة ، فلا شك أنَّهم من خلاصة الطائفة المذكورة ومُخِّ مَن[١] ذكرهم الله تعالى من آية سورة .

فعليك يا أخي بمحبَّة هذه الطائفة ، وصحبتهم وخدمتهم والانتساب إليهم ، فانهم قوم لا يشقى جليسهم ، فكيف محسوبهم ؟ ! وفَّقني الله وإياك وهو أكرم الأكرمين .

الباب الثاني
في النقل الموجب للذات في ذكر اسم الذات

اعلم أيها الأخ - شغلني الله وإياك بذكر اسمه الأعظم - أنّ أكثر العلماء بالله وأجلَّهم نصيباً من الله ، وأجملهم شهوداً لله ، وأفضَلَهم صحْواً مع الله وأمثلهم محواً في محبة الله الذين تكون بدايتهم (الله) ، ونهايتهم (الله) . وعلى ذلك أكثر العارفين من المتقدِّمين والمتأخِّرين ؛ قال الله تعالى ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ واسمه الجامع (الله) وهو علم الذات الواجب الوجود لذاته .

---

(١) وفي نسخة : وممَّن .

قال ثعلب : اسم مفرد فيه توحيدٌ مجرَّد ، قال تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

فإن قيل : هذا لا دلالة فيه ؛ لأنه نزل ردّاً على من قال : ما أنزل الله على بشر من شيء . فلمَّا ألزم بكتاب موسى فلم يجب قيل له : قل هذا الجواب إن لم يقله . فيقال : ما يلزم من كونه ردّاً أنه غير متعبّد به . فإنَّ قولنا أيضاً (لا إله إلا الله) ردّ على من جعل مع الله إلهاً آخر ، فهما سِيَّان .

وفي « صحيح مسلم » عن أنَس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض اللهُ الله » وفي رواية : « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله» فهذا الحديث مصرّحٌ بأنّ (الله الله) من الأقوال التي تقال ، وأنه إذا انصرم الزمان لم يَبْقَ أحدٌ يذكر الله بهذا القول ، وحينئذ تقوم الساعة . فكلام الله سبحانه وتعالى ، وكلام رسوله ﷺ فيهما الهداية للموفَّق العامل بهذا الذكر ، والكفاية للمشكِّك المنصف ، والنكاية للمتعصِّب المتصلّف .

وأما كلام العلماء المحقِّقين الجامعين بين الفقه وغيره من العلوم الشرعية ؛ فقد قال الإمام حجَّة الإسلام الغزالي في « الإحياء » في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة : وعند ذلك يلقِّنه ؛ أي : يلقِّن الشيخُ المريد ذكراً من الأذكار ، حتى يشتغل به لسانه وقلبه ، فيجلس مثلاً ويقول : (الله الله) ، أو (سبحان الله) ، أو ما يراه الشيخ من الكلمات . انتهى .

قال الإمام الحبر الجليل النواوي الذي قال فيه التقي السبكي شعراً :

وَفِي دَارِ الحَدِيثِ لَطِيفُ مَعْنًى ... أُصَلِّي فِي جَوَانِبِهِ وَآوِي
لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِحُرِّ وَجْهِي ... مَكَاناً[1] مَسَّهُ قَدَمُ النَوَاوِي

في حزبه المشهور (الله الله ربّي لا أشرك به شيئاً ، الله الله

(١) وفي نسخة : تُرَاباً .

ربّي لا إله إلا الله) . انتهى . والكلام على كونه مفرداً أو جملة يأتي إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه « أسرار التنزيل » : وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة (الله) فلهم فيه وجوه ؛

الحجة الأولى : أن نفي العيب عمَّن يستحيل عليه العيب عيبٌ .

الحجة الثانية : أن من قال (لا إله إلا الله) فلعلّه حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهملة[1] ما يصل منه إلى الإثبات ، وحينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات ، وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار .

الحجة الثالثة : أن المواصلة على هذه الكلمة متشعِّبة بتعظيم الحقِّ ، والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار ، وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد . فمن قال : (لا إله إلاّ الله) فهو مشتغل بغير الحقِّ ، ومن قال (الله) فهو مشتغل بالحقِّ ، فأين أحد المقامين من الآخر ؟ !

الحجة الرابعة : أنَّ نفي الشيء إنما يُحتاج إليه عند خطران ذلك بالبال ، وخطور شريك الله[2] بالبال لا يكون إلا لنقصان في الحال . فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك ، امتنع أن نكلِّفهم بنفي الشريك ، بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا في خيالهم إلاّ ذكر الله ، فلا جرم يكفيهم أن يقولوا : (الله) .

الحجة الخامسة : قال الله ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ فأَمَرَه بذكره ، ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم ، والقول بالشريك من الأباطيل ، ففيه خوض في ذلك الكلام ، وكان الأولى الاقتصار على

---

(١) وفي نسخة : من المهلة .
(٢) لعل لفظ (الله) هنا زائدة .

قولنا (الله) . انتهى .

وقال الجهبذ المنوّر ، والعلاَّمة المصدّر ، والنحرير المشتهر الشيخ شهاب ابن حجر في « الفتاوى الصغرى » : وذِكْرُ لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً . هذا بلسان أئمة الظاهر ، أمَّا عند أهل الباطن فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ؛ فمن هو في ابتداء أمره ، ومقاساته لشهود الأغيار ، وعدم انفكاكه عن التعلّق بها ، وعن إراداته وشهواته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي ، حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المترتِّبة على ذلك ، فإذا استولت عليه تلك الجواذب حتى أخرجته من شهواته وإراداته وحظوظه وجميع أغراض نفسه صار بعيداً عن شهود الأغيار ، واستولى عليه مراقبة الحق وشهوده ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حقائق الجمع الأحديّ ، والشهود السرمدي الفرديّ ، فالأنسب لحاله الإعراض عما يذكر بالأغيار ، واستغراقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط ؛ لأن ذلك فيه تمام لذَّاته وتمام مسرّته ونعمته ، ومنتهى إربه ومحبّته ، بل لو أراد قهر نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى ينفيه ، أو تعلَّق به خاطره لم تطاوعه نفسه المطمئنَّة ؛ لما شاهدت من الحقائق الوهبيَّة ، والمعارف الذوقية ، والعوارف اللدنيَّة .

وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراه[1] . فافهم مقاصد القوم السالمين من كلّ محذور ولَوْم ، وسلِّم لهم تَسْلَمْ ، ولا تَنْتقد حقيقةً من حقائقهم تندَم ، بل قُلْ فيما لم يظهر لك والله أعلم . انتهى .

وقال العلامة الشيخ عبد الرؤوف المناويّ في شرحه « الكبير على الجامع الصغير » في شرح قوله ﷺ « اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب » . قال : اذكر الله بالقلب ؛ بأن تقول : لا إله إلا الله مع إخلاصٍ .

الذكر ثلاث

(١) علّه : وراءه .

والذكر ثلاثٌ ، نفيٌ وإثبات ، وإثبات بغير نفي ، وإشارة بغير تعرُّض لنفي ولا إثبات .

فالأوَّل : قول لا إله إلا الله ، والذكر به قوام كلّ جَسد ، وموافق لمزاج كلِّ أحد .

والثاني : اسمه الشريف الجامع ، وهو : الله ، اسم جلال محرق ، ليس كلُّ أحد يطيق الذكر به .

والثالث : ذكر الإشارة ، وهو : هو ، فدوام ذكر (لا إله إلا الله) سبب لليقظة من الغفلة ، وذكر (الله) سبب للخروج عن اليقظة في الذكر إلى وجوه الحضور مع المذكور ، وذكر (هو هو) سببٌ للخروج عما سوى المذكور . وقال أيضاً في شرح قوله ﷺ : « من سرّه أن يحبّ الله ورسوله فليقرأ القرآن » قال : نَظَراً في المصحف ، ثم قال بعد كلام : كان بعض المشائخ الصوفية إذا سلَّك مريداً شَغَلَهُ بذكر الجلالة ، وكتبها له في كفِّه ، وأمره بالنظر إليها حال الذكر . قالوا : هذا أوَّل شيء يرفع ، كما قاله عبادة بن الصامت ، ويبقى بعده على اللسان حجة ، فيتهاون الناس فيه حتى يذهب بذهاب جملته ، ثم تقوم الساعة على شرار الناس ليس فيهم من يقول (الله الله) .

وأما كلام المحققين من الصوفيّة الجامعين بين العلم الظاهر والباطن ؛ فقد قال الشيخ العارف **أحمد الغزالي أخو حجة الإسلام** في رسالته « التجريد في كلمة التوحيد » :

اعلم أن السالك له ثلاث منازل ؛ فالمنزل الأوَّل : عالم الفناء . **والمنزل الثاني** : عالم الجذبة . **والمنزل الثالث :** عالم القبضة . فاجعل ذكرك في عالم الفناء (لا إله إلاّ الله) ، وفي الجذبة (الله الله) ، وفي عالم القبضة (هو هو) . انتهى باختصار .

وقال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابه « الكبريت الأحمر » : **العارفون على أنَّ أفضل العبادات** حفظ الأنفاس مع الله ، ويكون دخولها وخروجها بذكر الجلالة ، وهو قولك (الله الله) ، و(لا إله إلاّ الله) وهو الذكر الخفي الذي لا تتحرَّك به الشفتان . انتهى .

وقال العارف بالله الشيخ عبد السلام بن مشيش في آخر صلاته على النبيّ عليه الصلاة والسلام : الصلاة المشهورة ؛ **الله الله الله إنَّ الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى مَعاد** . انتهى .

وقال ابن عطاء الله الشاذلي في كتابه « مفتاح الفلاح » : الذكر الرابع : الله ، ويسمّى المفرد ؛ لأن ذاكره مُشاهدٌ لجلال الله وعظمته ؛ قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ .

وقال في باب ذكر الخلوة منه : وليكن ذكرك الاسم الجامع ؛ وهو : الله واحذر أن يفوه به لسانك ، وليكن القلب هو القائل ، والأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق في سرّك ؛ فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالتك التي كنتَ عليها . انتهى .

وقال الإمام العارف الشيخ عبد الوهاب الشعراني في « العهود الصغرى » : أخذ علينا العهد أن لا يمضي علينا يوْمٌ ولا ليلة حتى نذكر الله عزَّ وجلَّ بتكرير الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرّة عدد الأنفاس الواقعة في الثلاثمائة وستين درجة . انتهى .

وقال العارف الشيخ يوسف الكوراني في قوله ﷺ « موتوا قبل أن تموتوا » : وظاهر صفات الميِّت أن لا يرى ولا يتكلَّم ولا يتحرَّك ، ولا يعجز أحد أن يغمض عينيه ويسكن ويسكت مقدار ثلاثة أنفاس أو مقدار

استطاعته ؛ فقد قال ﷺ « إذا أَمَرْتُكُمْ فأتُوا منه ما استطعتم » ، فإذا فعل ذلك فقد مات ، وأتى باستطاعته في ظاهره ، فإذا أضاف عليه (الله الله الله) بالقلب دون اللسان فقد شارك الخاصَّ بالقدم ، وأنه جعل ذلك مرجعه في كلِّ ما وجد فراغه صار من السالكين الخواص على قدر أنسه بـ(الله الله الله) ، وعلى قدر ثباته فيه يكون من الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ونقلُ جميع ما ورد من كلام العلماء في ذكر الجلالة أمرٌ متعسِّرٌ جدّاً ، بل متعذرٌ ، إذ يحتاج إلى صرف زمان وتتبُّع جميع الكتب التفسيريَّة والحديثيَّة والصوفية . والكتب في هذه الفنون لا حَصْر لها ، فمن المستحيل الوقوف عليها ، ومن لا يكتفي بإمام واحد من هؤلاء الأئمة لا خير فيه .

وقضية الشبلي المشهورة لا تخفى على من هو له مطالعة في سير الصالحين ، ذكره غير واحد ، منهم : الفخر الرازي في « أسرار التنزيل » ، ومنهم : ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » ؛ إنَّ رجلاً سأل الشبلي : لِمَ تقول (الله) ، ولا تقول (لا إله إلا الله) ؟ فقال : إن الصديق أعطى ماله فلم يَبْقَ معه شيء ، فتخلَّل بالكساء بين يدي النبي ﷺ فقال له : « وما خليتَ لعيالك » ، فقال (الله) ، فكذا أنا أقول (الله) . فقال السائل أريد أعلى من هذا ، فقال الشبلي : أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكلُّ نوره . فقال السائل : أريد أعلى من هذ ، فقال الشبلي : أخاف أن أموت على الإنكار فلا أصلَ إلى الإقرار . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : قال الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ فقام السائل فزعق زعقة ، فقال الشبلي : (الله) ، فزعق ثانياً ، فقال الشبلي : (الله) فزعق ثالثاً ، ومات ، فاجتمع أقارب الفتى وتعلَّقوا بالشبلي ، وادّعوا عليه الدمَ ، وحملوه إلى الخليفة ، فأذن لهم فدخلوا عليه وادّعوا الدم ، فقال الخليفة للشبلي : ما جوابك ؟ ! فقال : روحٌ

حنَّتْ فرنَّت ، وسمت فصاحت ، ودُعيتْ فسمعَتْ ، فعلمَتْ فأجابت ، فما ذنبي ؟ فصاح الخليفة : خلّوا سبيله .

ونظير هذا السؤال ما ذكره الشيخ الأكبر محي الدين في « الفتوحات » : أنه سأل أحد شيوخه : لِمَ تقولون (الله) ، ولا تقولون (لا إله إلا الله) ؟ ! فقال : ما سمعت ولا رأيت أحداً يقول : أنا الله غير الله ، فأنا أقول كما يقول الله . انتهى .

وههنا عبارة جميلة ينبغي أن نوقفك عليها ، لتعلم كيف اعتناء العلماء بهذا الذكر ؛

قال القاضي عياض في « متن الشفاء » : في وصف أولياء الله لهجين بصادق قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ قال الشارح الخفاجي : يعني : أن هؤلاء المخلصين لله المختصِّين به الذين شَغَلوا ظاهرَهم وباطنهم بمحبّته ، وردُهُمْ دائماً ذكر (الله) ، والإعراض عما سواه ممتثلين بهذه الآية ، ومقصود المصنِّف التمثُّل بها تمثّل الشبلي لمن قال له : أوصني ، فقال : عليك بالله ، ودَعْ ما سواه ، وكنْ معه وذرهم في خوضهم يلعبون .

ثم قال : وههنا بحث ، وهو أنه قيل : إنّ ذكر الله بتكرير لفظة الجلالة بدعة لا ثواب فيها .

قال الخطاب في شرح « مختصر الشيخ خليل » : سئل العز بن عبد السلام عمَّن يقول (الله الله) مقتصراً عليه ذلك[1] ، هل هو مثل (سبحان الله) ونحوه ؟ فأجاب : بأنه بدعة ، لم ينقل مثله عن أحد من السلف ، والذكر المشروع لا بدّ فيه من أن يكون جملة مفيدة ، والاتِّباع خيرٌ من الابتداع . ونحوه ما أفتاه البلقيني في قوم لا يزالون يقولون (محمّد محمد) كثيراً ، ثم يقولون : (مكرّم معظم) . فأجاب : بأنه ترك أدب ، وبدعة لم تنقل .

---

(١) وفي نسخة : مقتصراً على ذلك . لعله الصواب .

قال الخفاجي : أقول ما ذكره في اسم النبي ﷺ من كوْنه بدعة ظاهرٌ ، لأنه مع كونه لم يتعبّد بمثله داخل فيما نهي عنه ، لقوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ أما ذكر (الله) ! فقد ورد الأمر به ، ووعَد ذاكره بالثواب في آيات وأحاديث لا تحصى ، كقوله تعالى ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ ، وفي الحديث القدسي « مَنْ شغله ذكري عن مسألتي أعْطيته أفضل ما أعطي السائلين » إلى غير ذلك ، ولم يقيد بقيد على أن الذاكر قصْده التعظيم والتوحيد ، فهو إذا قال (الله) ملاحظاً لمعناه ، فكأنه قال : معبودي واجب الوجود مستحقٌّ لجميع المحامد . ولم يزل العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير ، وكان الأستاذ البكري يفعله ويقول بعده : أستغفر الله مما سوى الله وكل شيء يقول (الله) ؛ وفي مجلسه أجلَّة العلماء والمشائخ ، وهذا هو الحقُّ .

وقد صنَّف في ردِّ مقالة ابن عبد السلام هذه عِدَّة رسائل رأيناها . وممَّن صنَّف فيها : القطب القسطلاني ، والعارف بالله المرصفي ، والشيخ عبد الكريم الخلوتي ، وبه أفتى من عاصرناه ؛ اللهم احشرنا في زمرة الذاكرين ولا تجعلنا من الغافلين . انتهى .

فيكفي ما أوردناه من كلام الخفاجي مع أن الشيخ عبد الوهاب الشعراني ذكر أن العزَّ بن عبد السلام سئل : أيّما أفضل أو أولى للذاكر ؛ الاشتغال بذكر الجلالة أو لا إله إلا الله ؟ فأجاب بأنَّ (لا إله إلا الله) أفضل للمبتدئ ، والجلالة أفضل للمنتهي . انتهى . على أنَّا لا نسلِّم قول (الله) مفرداً ، وإنما هو جملة فعلية ؛ لأنه منادًى ، وياء النداء المحذوفة نائبة مناب الفعل ، فلا شبهة عليك إن كنت جاهلاً ، وإن كنت عاقلاً فاكتفِ بكلام واحد من هؤلاء الأئمة ، فاسمعْ - أسْمَعَك الربُّ قولَ الله من داخل القلب ، ولا جَعَلك ممن يتعصَّب فيحجب - قولَ بعض المتوجِّهين إلى الله - بلَّغه ربُّه ما يتمنّاه - : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، (أشعار) :

إنَّ الـشَـيَـاطِـيـنَ أنـواعٌ مُـنَـوَّعَـةٌ مِـنْـهَـا المَـوْسُوسُ وَالآتِي بِتَلْبِيسِ
وَشَرُّهَا مَنْ كَمِثْلِ النَّـاسِ صُـورَتُـهُ فَـرْخُ الرَجِيمِ أَخُو الأغْوَى بِتَأْسِيسِ
إنْ قُلْتَ اللهُ قَـالَ احْـذَرْ تَقُلْـهُ فَـذَا لاَ فَـضْلَ فِيهِ فَقُلْ مَهْ ضِنْأَ جِغْمُوسِ
اُذْكُر قُلِ اللهَ وَاحْذَرْ أنْ تَمِيلَ إلَـى قَـوْلِ الـغَـوِيِّ وَتَـلْـبِـيـسٍ لإبْلِيسِ
شَرْحُ الخَفَاجِيِّ يَنْفِي كُـلَّ وَسْوَسَةٍ فَـلاَ تُـبَـالِ بِوَسْوَاسِ ابْنِ طَغْمُوسِ
وَاتْـلُ الـعُـهُودَ وَمِفْتَاحَ الفَلاَحِ كَذَا شَرْحَ المَنَاوِي وَاهْجُرْ كُلَّ دَعْبُوسِ
هُوَ الغَبِيُّ الجَـهُولُ وَهْوَ ذُو حُـمْـقٍ يُصْـغِي إلَى كُلِّ ذِي زُورٍ وَتَدْلِيسِ
مِـنَ الـغَـزَالِـيِّ وَالـرَازِيِّ وَالـنَوَوِيْ وَالشَـاذَلِـيِّ الأُلِـي مِـنْ كُلِّ أَرِيسِ
وَالقَسْطَـلانِـيِّ وَالـبَـكْـرِيِّ قُدْوَتِــهِ مَنْ ذَا يُخَالِفُهُمْ مِنْ أَجْلِ جَعْسُوسِ
أَتُنْكِـرُونَ عَـلَـيْـنَـا أَنْ نُـقَـلِّـدَهُـمْ يَـا شِيعَةَ الإفْكِ كَلاَّ زُمْرَةُ السُوسِ
يَا وَيْحَ قومٍ بَغَوْا وَالبَغْيُ مَـهْلِكُهُـمْ عَـلَى كِـرَامٍ أُولِـي ذِكْـرٍ وَتَقْدِيسِ
اَللهُ اَللهُ قُــبْــحٌ فِــيــهِ عِـنْـدَكُـمُ اَللهُ أَكْـبَـرُ يَــا غَــارَاتِ قُــدُّوسِ

فعليك يا أخي بالإقبال على الله ، والاشتغال بذكر الله ، خصوصاً بهذا الاسم الأعظم الذي حصل به الفضل لـ(لا إله إلا الله) ، فلو قالها مكلَّف ولم يُتِمَّها به كفر ، فلا تطع من أنكر ، وعن الحق استكبر ، فتقولُ حينَ تُقبر وتُحشر ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ ﴾ ، وفّقني الله وإياك للإقبال عليه بالذكر الموجب للفوز لديه .

الباب الثالث

في تعريف رابطة أولي الاجتبا وثبوت الرابطة لكل إنسان شاء أو أبى

اعلم أيها الأخ - وفَّقك الله لسلوك الصراط المستقيم ، وعصمني وإياك من الشيطان الرجيم - أن الرابطة عبارة عن تعلُّق القلب بشيء لشيء على وجه المحبة . وهذا التعلّق تارة يكون محموداً ، وتارة يكون مذموماً ، وتارة يكون مباحاً ؛ لأنه لا يخفى إما أن يكون مأموراً أو لا .

فالأول محمود كحبِّ الله ، وحبِّ رسوله ﷺ ، والحب في الله ، وحبِّ ما يُقرِّب إليه .

والثاني : هو أن يكون منهيّاً عنه أو لا . فالأول مذموم كحبِّ المحرّمات والمكروهات ؛ وإن لم يترتب على المكروهات عقاب ؛ لأنه يترتَّب عليها عتاب . والثاني المباح كحب الإنسان أهلَه وولده بالطبع الجِبِليّ الذي لا انفكاك عنه لأحد ، فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة ؛ فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب ، والمذموم يتضمَّن الحرام والمكروه ، والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهيّ عنه ، وهو قولنا (أو لا) . فتعلُّق القلب حاصل لكل إنسان ، فلو تنبَّه المنكر لعلم أنَّ ما ينكره عين ما يستحضره ، وإن الذي يجهله هو الذي يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إياها ، فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى ما لا يمكن جحده ، ولَعَلم أنه يتأكّد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر ، لشدَّة سَكره في غفلته ، وذلك أنه **إذا كبَّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام ، وأعرض عن ربّه ونسي نفسه** ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ واشتغل إما برابطة وقفه ، أو ملكه ، أو حرفته ، أو زوجته إن كانت نفسه مفتونة بها ، أو ولده ، أو تقرير مسألة يُلْقيها إبليس إليه ليخرجَه من صلاته مفلساً ، أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة ، فيقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو مُقْبِل على معبوده الشهودي ورابطته التي هي نُصْب عينه ، ويستمرُّ على هذه الحالة حتى يسلّم ، فإذا سلّم التسليمة الأولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء العارفون في وقت مخصوص ، ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة حتى يُقْبلوا

على ربِّهم في صلاتهم وذكرهم بقلب حاضر .

وقد ورد عليّ سؤال من بعض المعترضين ؛ وهو أنّ الرابطة التي تأمرون المريد بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب ، وهما أمران شرعيّان لا بدّ لهما من دليل ، والأدلَّةُ ؛ الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وغيرُها من الأدلة راجعٌ إليها ، فما الدليل على ندب الرابطة أو وجوبها ؟ وأيضاً لا شكَّ أنّ النبيَّ ﷺ شيخ الصحابة ؛ لأنهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها ، فلم يبلغنا أنه أمرَهم بتصوُّر صورته التي هي أكمل الصُوَر الإنسانية ، فلو أمرهم لنُقل ، لا سيَّما إذا كان ذلك واجباً ؛ لأن الواجب مما تتوفَّر الدواعي على نقله . انتهى .

فأقول : الجواب عن هذا السؤال من وجوهٍ ؛

الأول : أنّ الرابطة - التي نأمر المريد بأمر السادة النقشبندية الذين هم قال الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الصغرى » عن طريقتهم : إنها الطريقة السالمة من كدورات جهَلَة الصوفية - مندوبة ؛ لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة ؛ **والوسائل لها حكم المقاصد** ، والأمر الذي لم يَنْهَ عنه الشرع يسوغ فعله ، إما على طريق الإباحة إن أدى إلى مباح ، أو الندب إن أوجب مندوباً ، أو الوجوب إنَّ حصَّل واجباً لا يحصل بغيره . فقد حصل لنا بالتجربة - ونحن قوم أكثر من عدَد التواتر - إنا إذا تصوّرنا الرابطة انتفت عنَّا الأغيارُ كلها ، وبقي هذا الغير وحده فنعرض عنه حينئذ . **وهذا مثل إنسان له أعداء** فتودّدَ إلى بعضهم وسلّطه على باقيهم ، فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلا واحد ، فيقدر على إزالته ، فيزيله . وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأملَّه ، فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع ؛ **لأن الرابطة ليست مرادة لعينها ، بل مرادة لغيرها** .

الثاني : قولكم : لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب .

أقول : لا نسلّم أن غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب ، وأن الإنسان قد يأمر غيرَه بفعل مباح لغرض مّا من الأغراض له ؛ أو للمأمور ، **وقد يأمر الطبيب المريضَ بشرب بعض الأدوية** ، فإن كان امتثال أمر الطبيب واجباً أو مندوباً ، فما نستعمله من قبيله .

الثالث : قولكم : (وهما شرعيّان لا بدَّ لهما من دليل) . **أقول :** هذا بناءً على قولنا : أنّ الرابطة توصل إلى أمر مندوب ، **وما أوصل إلى المندوب مندوبٌ** ، فالدليل موجود ، لا على قولكم : (كلّ مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب) ؛ لما ذكرنا من أنّ غير أمر الشارع قد يخلو منهما ويكون لغرض مّا .

الرابع : قولكم : (والأدلة ؛ الكتاب) . **أقول :** وهل يعزب عن الكتاب شيء ، وهو قد جمع كل رطب ويابس ؛ قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ والوسيلة بالأعمال الصالحة ، ولا تكون الأعمال صالحة إلا بالإخلاص ، ولا يكون العمل خالصاً إلا إذا خلا عن الشوائب . وقد حَصَل لنا بالتجربة أنّا إذا اشتغلنا بالرابطة خَلَتْ أعمالنا عن الغفلة[1] ، **والعمل في الغفلة غير معتدّ به** ؛ لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ، فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة ، وزوال الغفلة مقصودٌ ، **وما أوصل إلى المقصود مقصود** ، ومن لوازم زوال الغفلة الحضور ، وهو من أشرف الوسائل ، فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل .

الخامس : قولكم : (والسنة) . **أقول :** وهل يشذُّ عن كلام النبي ﷺ

---

(١) وفي نسخة : عن شوائب الغفلة .

وتحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصّل به إلى خير ، قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ، والأعمال بَدَنية وقلبية ، فالحركات والتصورّات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوّي بها عليها ، فله ما نوى ولو لم يُدرك مراده ، فكيف إذا تحقق له حصول المراد ؟ !

ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان : أنت جائع - مثلاً - لا يوجب له جوعاً ، فكذلك قول المعترض : ما نرى صحة ما ترونه ، ما يوجب عدم صحَّة رؤيتنا ، فعليه أن يقول : ما تدعونه حقّاً فأنتم وشأنكم ، ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه .

السادس : قولكم : (والإجماع) . **أقول** : قد أجمع أهل فنّ التصوُّف على عمل الرابطة ، وقرَّره منهُمْ الجَمُّ الغفير ، وهو عندهم طريق مشهور ، وإجماعهم على عمل في مذهبهم حجة يجب قبولها على من تَمَذْهَب بمذهبهم ، وسنورد أقاويلهم إن شاء الله . ولا يسوغ لغيْرهم الاعتراض عليهم بما لم يحط به علماً .

السابع : قولكم : (والقياس) . **أقول** : قال الفقهاء : يسن للمصلي أن لا يجاوز بصره إشارته ، وذلك لأنه أجمَع للهَمِّ ، وأدْفَعُ للتفرق ، فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور .

الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد

الثامن : قولكم : (فما الدليل على ندب الرابطة . .إلخ) . **أقول** : الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد ، وإنما على المقلّد تصحيح النقل ، فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفن فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية ، كما أنه لا يلزمنا إن طلب منا نصّ لمسألة في الفقه إيراد كلام غير الشافعيّة .

التاسع : قولكم (لم تبلغنا . .إلخ) . **أقول** : ما يلزم من عدم بلوغه

إياكم عدم ثبوته ، ولا يلزم من جهلكم به عَدَمُ علم غيْرِكم به ، ولعله بَلَغكم وجَهِلتُمُوه ، ومرَّ عليكم ولم تعرفوه ، وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي ﷺ في مِرآة القلب الذي رآه مؤمناً ، وانطباع[1] صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي عليه السلام ؟ ! ولولا ذلك لم يعدّ في الصحابة من رآه النبي ﷺ . وهل أمْر أوضح من دعاء النبي ﷺ إلى مبايعته المستلزمة للرؤية المستلزمة لانطباع الصورة ؟ ! وإذا انطبعت الصورة في الذهْن ظهرت لرائيها في مخيلته مهما تذكَّر المرئيّ ؛ شاء أو أبى ، ولو كان عدوّاً ، فاستحضار صورة النبي عليه الصلاة والسلام وتخيّلها الذي هو المراد بقولنا : (تصوّرها محبّةً له واشتياقاً إليه) ، لا يقول بمنعها إلا أحمقٌ خبيثٌ ، فالأمر بمستلزم شيئاً مستلزماً شيئاً آخر أمرٌ بذلك الشيء الآخر .

العاشر : قولكم : (لا سيما إذا كان واجباً) . **أقول** : لم يقل أحدٌ من أهل التصوّف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها ، بل لِمَ توصل إليه من المحابِّ ، والمريد يلقَّن الرابطة وهو مخيَّر في فعلها وتركها ، فإن ظهرت له فائدتها تأكَّد عليه فعلها ، وإن تركها فقد ترك أدباً من الآداب . هذا كلُّه في البدايات ، وأما في النهايات فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ليس كمثله شيء ، فما هو صورة تمثُّل ولا تقابل ولا تقبُّل .

الحادي عشر : قدرنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا ، ولا عَمِلَ بهذا العمل أحد قبلنا ، وإنما نحن عملنا لِمَا نرى من فائدته . فهل ورد فيمن تصوَّر صورة محبوبه وتخيَّل أنه يقبِّل يده أو رجله ، أو يضعُهُ على رأسه أو جبهته ، أو يعتنقه أو يدخله في قلبه نهْيٌ من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس ؟ ! **شعر** :

لِي سَادَةٌ مِنْ عِزِّهِمْ أَقْدَامُهُمْ فَوْقَ الجِبَاهْ

(١) وفي نسخة : أو انطباع .

إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلِي فِـي حُـبِّهِمْ عِزٌّ وَجَاهْ

وإذا تقرَّر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة ، فالاشتغال بها من مهمات آداب الطريق ؛ إذ من المعلوم أنّ **زوال الغفلة مطلوب ، وهو مفتاح السعادات ، وإن الحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده ، ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين ، « وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »** ، وذكرهم من لوازم محبَّتهم ، ومحبتهم فرضٌ لقوله ﷺ « وَهَل الدينُ إلا الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ » الحديث ، ومحبّتهم محبة الله ، لقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى « أَوْجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ » الحديث ، وعداوتهم محاربةٌ مع الله ، لقوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » الحديث ، فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه ﷺ . فالذي أرى أنّك تُصِمُّ سمعَك عن الافتراء ،

ولا تصحَب من كذَب وامترى ، وتصون لسانك عن المراء ، وتنقاد للحق وتخضع ، وفي رَدِّي عن طريقي لا تطمع ، وإن تعدل كل عدل لا ينفع . **شعر** :

وَاللهِ أَنَـا مَـا أَقْـنَـعْ بِسِوَى الوَجْهِ المُبَرْقَعْ
فَلْيُوَاصِلْـنِـي بِكُـلِّـي هُـوَ أَوْ يَقْضِي وَيَقْطَعْ
حُبُّهُ مِـلْءَ وُجُـودِي فِـيـهِ أَرْنُـو وَأَسْـمَـع
عَمِيَتْ عَيْنُ حَسُـودِي عَنْ صُعُودِي حِينَ أَطْلَعْ
رَاقِـيـاً نَـحْـوَ حَـبِيبِي قَائِلاً مَا شِئْتَ فَاصْنَعْ
لَسْتُ أَرْوَى مِنْكَ تَاللهِ وَلاَ وَاللهِ أَشْــبَــعْ
مَذْهَبِـي مَذْهَـبُ خِلِّي فِي الهَوَى وَالحَقُّ أَوْسَعْ

فَـأَنَـا الـشَـيْـخُ زَمَاناً   كُـنْـتُ فِيهِ أَنَا مُرْضِعْ
وَأَنَا الـيَـوْمَ رَضِـيـعٌ   لَسْتُ عَنْ ثَدْيِكَ أَرْفَعْ
أَيُّ ثَدْيٍ لَـكَ حَتَّـى   أَنَـا فِـي دَرِّكَ أَكْــرَعْ
أَوَ مَـا تُـنْـظِرُنِي فِـي   كُـلِّ حِـينٍ بِكَ أُفْجَعْ
وَإِلَى حِـجْـرِكَ أَدْنُـو   وَبِـرَأْسِي لَكَ أَخْضَعْ
رَاجِيـاً أَنَّـكَ تَـحْـوِيـ   ـنِي وَذَاكَ العَيْشُ يَرْجِعْ
فَـإِذَا كُـنْـتَ أَنِـيسِـي   وَجَـلِيسِي كَيْفَ أَفْزَعْ
إِنَّـنِـي أَشْـكُـرُ نُـعْمَا   كَ وَفِي ذِكْرِكَ أَخْشَعْ
مَـا دَعَـانِـي لَـكَ إِلاَّ   كَ وَلِـي إِلَيْكَ مَرْجِعْ
فَلِـهَـذَا أَتْـرُكُ الـمُـعْ   تَـكِرَ مَهْمَا شَاءَ يَشْفَعْ
يَدَّعِـي أَنَّ سَـبِـيـلِـي   غَـيْـرُ مَـا لِلْحَقِّ يُشْرِعْ
وَلَعَـمْـرِي أَنَّـهُ الـتَـا   ئِـهُ فِـي بَـيْـدَاءِ بَلْقَعْ
أَيُّهَا الـمُـنْـكِـرُ أَنَّـى   شِـئْتَ فِي الغَيِّ تَقَنَّعْ
أَنْتَ مَا تَبْصُرُ نَهْجِي   بَـلْ طَـرِيقاً فِيهِ تَسْبَعْ
لَيْسَتِ الأَبْصَارُ تَعْمَى   لَـكِـنِ الـقَلْبُ المُطَبَّعْ

هذا ! ونحن لا نستدلُّ للرابطة من دليل ، ودليلُ من قلّدناه من العلماء كافٍ وافٍ بالمقصود ، فالإنكارُ متوجِّه على الجنيد والجيلي والدسوقي ونحوهم الذين قرّروا الرابطة بكيفياتها ، كما ستراها إن شاء الله في باب رابطة الأولياء . عصمني الله وإياك من الإنكار ، ووفّقنا لاتِّباع النبي المختار ومحبة الصادقين الأبرار .

الباب الرابع

القول الأسنى في استحباب الرابطة الحسنى

اعلم أيها الأخ - أرشدك الله تعالى - أنّ الرابطة من الجملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله ؛ **والوسائل لها حكم المقاصد** .

قال سيدي الحبيب عبد الله باعلوي الحداد في كتابه « أتحاف السائل » : الحضور مع الله روح العبادات ، وهو المقصود منها ، وبه يعبأ المحقِّقون ، والأعمال التي تصدر مع الغفلة يرونها إلى العقوبة والحجاب أقرب منها إلى المكاشفة والثواب ، فالرابطة تفيد الحضور ، والحضور يفيد رفع الحجاب ، فالرابطة تفيد رفع الحجاب ، ورفع الحجاب مطلوب ، **وكلّ ما أفاد المطلوبَ مطلوبٌ ، فالرابطة مطلوبة .**

فقد هلك من لا رابطة له ، وكل إنسان له رابطة ، لكن شواهد « الرحمة الهابطة » ؛ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فرابطة رسول الله ﷺ دائمة ، وأسناها وأسماها قوله ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غيرُ ربّي » ، ورابطة الأولياء قوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى « مَا وَسَعَنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَاوَاتِي » الحديث . ورابطة المريدين قوله ﷺ حاكياً عن ربِّه تعالى أيضاً « وجبت محبَّتي » الحديث . وهذا أمر لا يدركه الإنسان إلا بالذوق والوجدان ، فإن أجبت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة الهابطة وتكون لك على التقوى مرابطة فعليك بطريق الرابطة ، فإنها تعلّق القلبَ ، وتعلُّقُ القلب بطاعة الله ورسوله منتجُ لمحبة الله ورسوله ، والرابطة يحصل بها زوال الغفلة ، وجمعُ القلب على الله ، وذهابُ القسوة من القلب ، والخشوع ، ونزول الرحمة ، وكل ذلك يُثْمر المحبّة .

فإني يا أخي قد حقَّقتُ ذلك وأبصرت ؛ رَبِحَ من سَلك هذه المسالك ،

وتيقَّنْتُ أنك غِرٌّ لم تدر ما هنالك ، أو مغرورٌ تُلقي نفسك في الإنكار الذي هو أفضح المهالك ، أَفَتَرَى أنّي أُصغي لِتَعْدالك[1] ، أو أميل إلى زُخرُف أقوالك ، أو يَخْفَى عليَّ دقيق احتيالك ، هيهات هيهات ذلك . (**شعر**) :

فَلاَ تَلْحَنِي فِيمَا أَعَانِي فَإِنَّمَا غَرَامِيَ كَهْلٌ وَالعُذُولُ رَضِيعُ
دَعَانِي الهَوَى حَتَّى ادَّعَى الغَيْبُ أَنَّنِي شَهَادَتُهُ وَالحَاضِرُونَ هُجُوعُ
مَحَانِيَ عَنْ عَيْنِي وَعَنْ عَيْنِ عَيْنِهِ فَصَيْفِي شِتَاءٌ وَالخَرِيفُ رَبِيعُ
وَعَنْ غَائِبِي عَنْ شَاهِدِي وَهُوَ أَنَّهُ كَذَاكَ وَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ صَنِيعُ
فَزَادَ هُيَامِي فِيهِ حَتَّى إِذَا جَنَى سَقَامِيَ ذَنْباً فَالْغَرَامُ شَفِيعُ
وَمَا سَاءَنِي مَا سَاءَ مِنْ سُوءِ مِحْنَةٍ فَمِنْحَةُ قَلْبِي أَنْ تَسِيلَ دُمُوعُ
أَبَى الوَجْدُ إِلاَّ أَنْ يُرِيقَ مَدَامِعِي دَماً وَهُيَامِي فِي الْوُجُودِ يَشِيعُ
هَلْ الحُبُّ إِلاَّ مَا حَوَتْهُ أَضَالِعِي فَلِلَّهِ حُبٌّ ضُمِّنَتْهُ ضُلُوعُ
لِسَيْبِ الحَشَا أَنِّي بِعِشْقِي سَنا الرَّشَا سَلِيبُ الحِجَى مِنِّي الفُؤَادُ لَدِيغُ
فَهَبْ لِيَ أُذْناً تَسْمَعُ القَوْلَ لاَ حِجَى يُرَجِّحُ مَا تَدْعُو لَهُ وَيُطِيعُ

فإن قال الأخ المنكر – تاب الله عليه– : قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلّق القلب ، وهذا القول يمنعه : والحب في الله واجب ، ومحبة الصالحين ثابتة ، لكن من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها ، وأن استحضاركم بسبب تعلّق القلب ، وأنه جائز .

والجواب عن هذا من وجوه ؛ **الأول** : قولك : (من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها) .

---

(١) وفي نسخة : لتعذالك .

أقول : إن هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه ، كما حَصَلت لك أضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبّهناك عليه ؛ ولكنها ﴿ **لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ** ﴾ ، ألا ترى أنك إذا كبّرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة ، أو برابطة الحاكم أو الوزير أو مالك أو أهلك ، أو بكلّ في ركعة وسجدة ، وتنسى مَن أنتَ واقفٌ بَيْن يديْه ولا تستحي منه ، وتنسى نفسك ، وتخرج من الصلاة ولا تدري أيَّ شيء قلت ، أتنكر ذلك ؟ ! ما أراك تجحد ذلك .

الثاني : قولك : (إن استحضاركم بسبب تعلّق القلب) . **أقول** : لا يخفى أنَّ استحضار الشيء سببه تعلق القلب به ، وأهل هذا الفنِّ مع تعلُّق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ، ولا يحصل لهم إلا بالتكلُّف ؛ لأنهم دائماً يسْعَون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة ، ومن كان شغلُهُ نفي ما سوى الله لاجَرَم أنه لا يستحضر أحداً إلا بسبب تعلق القلب مع التكلف للفائدة التي ذكرناها ، وأنت تشهد أنّ سببَه تعلّق بالقلب ؛ ﴿ **وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ** ﴾ ، وذلك لأنك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك ، فإذا كبّرتَ للصلاة ظهرت لك صورها ، وصارت قبلتك التي تسجد إليها ، ونسيت ما سواها ، لتعلّق قلبك بها واستيلائها عليه ، وانتقاشها في نفسك ، فإنه يحصل لك ، ويجوز لك استحضار هذه المثالب ، ونحن يحرم علينا السعي في حبِّ هذه المطالب ، وأنت مُحقٌّ ونحن مبطلون ، أهكذا يكون الإنصاف ؟ ! ما هذا إلا الاعْتداء والخلاف ! !

الثالث : قولك : (أنه جائز) . **أقول** : من المعلوم أن الأصل في الأشياء الحلّ ، ما لم تثبت الحرمة ، فكل شيء لم ينْه الشرع عنه فهو مباح ، وفعله جائز ، فحركات الإنسان وتصوّراته المباحة فعلها جائز ؛ فإن أوْصَلتْ إلى مندوب ففعلها مندوب ، فالرابطة فعلها باعتبار الأصل

جائز ، وباعتبار ما توصل إليه مندوب .

الرابع : عدمُ علمك بحصول مطالبنا ما يجوّز لك سلبنا ، ولا الإنكار علينا بما لم تحط به علمك ، كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا .

الخامس : قد عُلم وقرِّر واشتهر أنّ المصلِّي يسنّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ، ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظَر لمحلِّ سجوده ، والمراد من ذلك جمعُ القلب والحضور ، وعدمُ التفرقة . وهذا من أنواع الرابطة ، أفلا تجعل تخيل الرابطة كتخيل الأعمى النظَرَ إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة ؟ ! فإن المقصِدَ واحد ، إلاَّ أن أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ، ليحصل لهم جمعُ القلب على الدوام ، وليتوصَّلوا بها إلى رابطة الصلاة ، وهي أن تعبد الله كأنك تراه .

السادس : إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً ، وأثبت كلّ منهم فائدته ، وقرّرَ منفعته ، فهل يجوز لأحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب ؟ ! ومع أن عيونهم عيون الناس أهل العلم والفضل ، وما أنت وعِلمُك بالنسبة إليهم إلا كفحّام عند جوهري ، أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي .

فالأولى أنك تعترف لهم ، وإذا فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبَّتهم ، وإذا لم تحبَّهم فلا تسبَّهم . (**شعر**) :

وَإِذَا كُـنْـتَ بِـالمَدَارِكِ غِرّاً　　ثُمَّ أَبْصَرْتَ حَاذِقاً لاَ تُمَارِ
وِإذَا لَمْ تَرَ الهِلاَلَ فَسـلِّـمْ　　لأُنَـاسٍ رَأَوْهُ بِـالأَبْـصَـارِ

السابع : قد علمت أن أحكام الشرع لا تثبت إلا بدليل ، وأن يكون نصّاً ، لا محتملاً ولا عامّاً مخصوصاً ، كـ« كل بدعة ضلالة » ، لما يلزم

عليه من الفساد ، إذ من البدعة ما هو واجب ، ولو تنزَّلنا وفرضنا أنّ عمل الرابطة لا دليل لنا عليه ، وإنما فعلناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة ، فالإنكار علينا من أيّ وجْه ، وما دليله ؟ ! ولقد أصبت بقولي في « الرسالة المهملة الحروف » . (**شعر**) :

حَسَدَ المَرْءُ وَالمُرَادُ مُرَادُ اللهِ ... مَـا لإِمْـرِئٍ سِـوَاهُ عِـمَـادُ

مَـا أَرَادَ الإلـهُ إِسْـعَادَ مَمْـ ... ـلُوكٍ وَأَرْدَى مُـرَادَهُ الحَسَادُ

الثامن : وهو ضرب مَثَلٍ ، أمَرَ المَلِكُ طبيبه الحاذق الحكيمَ بمداواة أهْل مملكته من أمراض غلبتْ على أكثرهم ، أضرّها البطن ، حتى آلت بالأكثرِ إلى عدمِ القيامِ بالخدمة ، وكان الطبيب حكيماً ماهراً ، وعالماً راسخاً ، وعارفاً كاملاً ؛ ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ . فقال في نفسه : تنفيذ هذا الأمر من أهم المهمات وأوجب الواجبات ، وتعليمه لمن يتأهَّل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر والمثوبات ، وخير العمل ما نفع ، و« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : أحدها علم ينتفع به . . . » ، فعَمَدَ إلى بعض المرضى ممن تفرَّس فيه ، وعرف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة ، وتنفيذها على الوجه المراد إذا عوفي ، فعالجه حتى عوفي ثم علَّمه الطبّ والحكمة ، وأخبره بالأدوية وخواصّها ، وأعطاه دواء البطن ، وقال له : خذ هذا الدواء وانفع به الناس ، ولا تسأل عليه أجراً ، وكن محتسباً لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملِك ، فإنَّ أحبّ الأعمال إلى الملك عملك هذا . فقال : سمعاً وطاعةً ، فنظر النائبُ بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو ، فإذا هو عسل أبيض ، فقال : الحمد لله ، فيه شفاء للناس . فأتاه شخص أحمقٌ مثلُك أيها الأخ - بصّرك الله بعيبك ، ووفّقك لترقيع جيبك - فقال : ما هذا الذي عندك ؟ فقال : دواء

البطن للمبطونين ، فقال : أرني إياه ، فأظهره له في ظرف مختوم على فيه ، فاشتمّه من قبله ، فقال له : ما هذا دواء البطن ، هذا سَمّ أتيت تهلك الناس به ، هذا سمّ ساعة ، فقال : يا أخي هذا عسلٌ مصفى ، هذا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فذُقْه حتى تعلم ، فقال له : ما أنت أعلم مني ، ولا أعرف من ذاق هذا هلك ؛ أيها الناس هذا ما أنزل الله به من سلطان وأكثر الناس حمقى .

وشِبْهُ الشيء منجذبٌ إليـه ....

فتركَ الناسُ التداوِيَ به مع شدّة حاجتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور ، فلا يزال يتكلم في ذمّ الدواء والمداوي والمتداوي ، ويصُدُّ عنه مَن أراد شفاء مَرَضه الذي عطَّله عن خدمة الملك ، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ ، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ .

التاسع : من المعلوم أنا لم نبتكر شيئاً جديداً ، وإنما قلّدْنا من تَقَدَّمَنَا من العلماء العاملين ، والأكابر العارفين من أهل المذاهب الأربعة ، كما سترى تقريرهم الرابطة وكيفياتها ، بل أُقسمُ أن جميعَ حركاتي وسكناتي في الطريقة هو ما عليه أئمة مذهبي الشافعيةُ ، وقد استوفتْ كتبُهم جميعَ ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة ، فما وجْه الإنكار علينا مع اتباعنا أئمة الدين والعلماء العاملين ؛ كالغزالي ، والنوويّ ، والقاضي زكريا ، وابن حجر ، والشعراني ، والمناوي ؟ !

أتظنّ أنّ إنكارك ما يتوجَّه على أولئك السادة الأبرار ، والأولياء الأخيار ، وأولي الأنوار والأسرار ؟ ! أما تخشى محاربة الواحد القهار ؟ ! أما علمتَ أن الإنكار عليهم يؤول بصاحبه إلى سوء الخاتمة ودخول النار ؟ ! أتظنُّ أن إنكارك ظاهراً ، واعترافك باطناً ، ليس من التلبيس ومشاكلة إبليس ؟ ! ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ، تنبّه لنفسك

أيها المغرور ، واخش عواقب الأمور ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ وهذا السؤال ما يحتمل هذه الأجوبة ، وإنما أوردناها نصيحة وإفادة وترغيباً وترهيباً ، ولكلّ امرئ ما نوى . ونسأل اللهَ أن يمنَّ عليك بالهداية وسلوك سبيل الأبرار ، وأن يجنِّبك الإصرار في سبيل الأشرار ، إنه ولي المؤمنين .

سبب الإنكار أحد الأمرين

واعلم يا أخي أن سبب الإنكار أحد الأمرين لا يخلو من أحدهما كلّ منكر ؛ الجهل وهو الأكثر ، وعدمُ العمل بالعِلم ، وهو الأغلب على من ينتسب إليه .

فإن كنت جاهلاً يا أخي ، فلا تقف ما ليس لك به علم ، فتقع في الظلم ، ولا تقل هذا حلالٌ ، وهذا حرام ، لتحكم بغير ما أنزل الله ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .

وإن كنت عالماً فاعمل يا أخي بعلمك ، ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله ، وما أحسَنَ ما قلتُ في « الرسالة المهملة الحروف » . أما والله للعلم والعمل هما المراد ، ولإدراكهما أرسِل الرسل إلى الأمم ، **كمحمّد** صلى الله على روحه ، ما عود ماس وآل رماد[1] ، وكصالح ولوط ، ورسول عاد ، ولا أحد أهملهما إلاّ وهلك حالاً وحال المعاد ، وآل أمره إلى أسوء مِهاد ، وهل الهدى حاصل إلاّ لسالك سلكهما ، وواصل إلى سوح وداد ملكهما ، وحلاه الملِك أساور ، هداه وحلّله وأمدَّه ، وأصلح عمله ، لا والله لا ودّ إلاّ ودُّه ، ولا مد إلا مده ، ولا موائد إلا موائده ، ولا عوائد إلا عوائده ، ولا هدى إلا هداه ، ولا معوِّل إلا على ما أسداه . (**أشعار**) :

---

(١) وفي نسخة : وماد .

هُوَ المَلِكُ المُطَاعُ وَمَا سِوَاهُ ... لَـهُ مُـلْـكٌ وَمَـمْلُوكٌ وَطَائِعْ
هُوَ المَوْلَى المُرَادُ وَمَا عَدَاهَ ... كَـآلٍ مَـا عَـلاَ صَحْرَاءُ لاَمِعْ
وَهَلْ آلٌ كَمَاءِ الوَرْدِ أَمْسَـى ... وَهَـلْ أَحَـدٌ رَآهُ وَهُوَ طَامِعْ
أَلاَ وَحِّـدْ إِلَهَـكَ وَادْعُـهُ لاَ ... إِلَـهَ سِـوَاهُ وَهُـوَ اللهُ سَـامِعْ
أَمَـا وَاللهِ مَـا مَـوْلاَكَ سَـاهٍ ... وَلاَ لاَهٍ وَلاَ وَاهٍ وَهَـالِـعْ
هُوَ الحَكَمُ المُصَوِّرُ وَهْوَ عَدْلٌ ... وَحَوْلُ اللهِ مَسْمُوعُ المَسَامِعْ
لَهُ مُلْكُ السَمَاءِ وَكُلُّ مُـلْـكٍ ... وَمَـالِـكِه[1] وَمَرْدُوعٍ وَرَادِعْ
أَمَا وَهُدَاهُ لَهْوَ اللهُ مَوْلَى الـ ... سِوَى طُرّاً مَحَلُّهُمْ المَصَارِعْ
أَمَا وَعُلاَهُ لَهْوَ الدَهْـرَ سَـامٍ ... وَمَعْلُومُ السُمُوِّ لَدَى المَطَالِعْ
أَمَــا وَعُــلُـــوُّهُ للهِ دَاعٍ ... إِلَـى دَارِ السَلاَمِ أَلاَ مُسَارِعْ
أَمَا وَاللهِ مَـا هُـوْ صَـاحٍ إِلاَّ ... إِلَـهٌ وَاحِـدٌ صَـمَـدٌ وَوَاسِعْ
أُوَحِّـدَهُ وَلَـم أَرَ مَـا سِـوَاهُ ... وَلَمْ أَرَهُ سِوَاهُ لَدَى المَطَالِعْ
أَمَـا آلاَؤُهُ دَهْــراً أَرَاهَـــا ... كَـمِـدْرَارِ السَمَاءِ أَمَا أُطَالِعْ
أَلَمْ أَرَ مَا رَأَى[2] الكُرَمَاءُ لَمَّا ... سَمَوْا وَهُمُ الأُولَى حِلْسِ الصَوَامِعْ
أَرَى صَرْحاً لَهُ رَوْحٌ وَرَاحٌ ... وَلَوْلاَ الرَّوْحُ لَمْ أُسِلِ المَدَامِعْ
وَلَوْلاَ[3] الرَّاحُ مَا لِلرُّوحِ سُكْرٌ ... وَلَوْلاَ السُّكْرُ مَا لِلصَّرْحِ صَادِعْ
أَلَمْ أَعْلَمْ وَهَلْ عِلْمٌ كَعِلْمِ امْـ ... رِئٍ[4] أَعْلاَ مَطَامِعَهُ المُدَامِعْ
دَعَاهُ المَحْوُ أَطْـوَاراً عِـدَاداً ... وَصَارَ مَسَامِرَ الصَحْوِ المَطَاوِعْ

(١) وفي نسخة : ممالكه .
(٢) وفي نسخة : ما أرى .
(٣) وفي نسخة : الروح .
(٤) وفي نسخة : أمرا .

أَصَاح اعْلمْ وَعَلِّمْ كُلَّ حُرٍّ ... مُسِرٍّ مَا رَأَى وَلَوِ اللَّوَامعْ
وَدَعْ كُـلَّ امْـرِئٍ أَلْـهَاهُ لَهْوٌ ... أَلاَ وَارْحَلْ إِلَى المَوْلَى وَسَارِعْ
وَوَدِّعْ كُـلَّ مَـا أَلْـهَـاكَ طُرّاً ... وَسَـلْـهُ لاَ سِوَاهُ سُؤَالَ رَاكِعْ
وَصَلِّ عَلَى إِمَامِ الرُسُلِ طَهَ ... وَسَلِّمْ مَا ارْعَوى وَرِعٌ وَطَائعْ

الباب الخامس

في قول أهل الاصطفاء في رابطة المصطفى ﷺ

اعلم أيها الأخ في الله - ألهمك الله رشدك ، وجَعَلك عبدَه لا عَبْدَك - **أنَّ رابطة الشيخ الكامل توصلك إلى رابطة رسول الله ﷺ** ، **وثمرتها الفناء في النبي ﷺ** ، وذلك من أجلِّ النِعَم وأوفر القسم ، وما يلقاه إلا ذو حظ عظيم .

والفناء في النبي ﷺ موجب للولوج في حضرة القدس ، والهيمان في مفاوز الأنس ، والتعرُّضُ لنفحات الله تعالى مأمورٌ به ، ومحبّة رسول الله ﷺ فرضٌ .

روى البخاري في صحيحه عن أَنَس رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » والنفس تدخل في عموم قوله (والناس أجمعين) . وقد وقع التنصيص بذكر النفس في حديث عبد الله بن هشام ؛ وهو أن عمر رضي الله عنه قال للنبيّ ﷺ : لأنت أحبّ إليّ يا رسول الله من كل شيء إلاّ من نفسي ، فقال ﷺ « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك » ، فقال له عمر رضي الله عنه : فإنك الآن أحبّ إليّ من نفسي ، فقال ﷺ : « الآن يا عمر » ويكفيك قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ ، فمن هو أولى

بك من نفسك ، فكيف لا ينبغي أن يكون أَحَبَّ إليك منها ؟ !

قال سهل رضي الله عنه : مَنْ لم يَرَ رسالة رسول الله ﷺ في جميع أحواله ، ويَرَ نفسَه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سُنَّته . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مِنْ أَشَدِّ النَاسِ لِي حُبّاً نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ » .

وفي « الشفاء » : سئل عليّ رضي الله عنه كيف كان حبُّكم لرسول الله ﷺ ؟ قال : كان وَاللهِ أَحَبَّ إلينا مِن أمْوالنا وأولادنا وآبائنا وأمّهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمآن . وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت ، وإذاً عجوز تنفش صوفاً وتقول :

عَلَى مُحَمَّدٍ صَلاَةُ الأَبْرَارْ صَلَّى عَلَيْهِ الطَيِّبُونَ الأَخْيَارْ

قَدْ كُنْتَ قَوَّاماً بَكَّاءً بِالأَسْحَارْ يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالمَنَايَا أطوَارْ

هَلْ تَجْمَعُنِي وَحَبِيبِي الدَّارُ . . . فجلس عمرُ يبكي ، وفي الحكاية طولٌ .

وروي أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله ، فقيل له : أذكر أحَبَّ الناس إليك يَزَلْ عنك . فصاح : يا محمداه[1] ! فانتشرت . قال : واعلم من أَحَبَّ شيئاً آثَرَه وآثَرَ موافقته ، وإلاَّ لم يكن صادقاً في حُبِّه وكان مدّعياً ، **فالصادق في حبّ النبيِّ عليه السلام مَنْ تَظْهَرُ علاماتُ ذلك عليْه .**

قال أَنَسُ بن مالك رضي الله عنه : قال لي رسول ﷺ « يَا بُنَيَّ ، إن قَدَرْتَ أَنْ

(١) وفي نسخة : وا محمداه .

تُمْسِيَ وَتُصْبِحَ [و]لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَد فَافْعَلْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بُنَيَّ ذَلِكَ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحَبَّ سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي ، كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ » .

ومن علامات حُبِّ رسول الله ﷺ كثرة ذكره ، وتعظيمُه وتوقيره عند ذكره ، وإظهار الخشوع والانكماش مع سماع اسمه .

كان أصحاب النبيِّ ﷺ بعده لا يذكرونه إلاّ خشعُوا واقشعرَّتْ جلُودهم وبَكَوْا ، وكذلك كثيرٌ من التابعين .

قال بعضهم : المحبة دَوامُ الذكر للمحبوب . وقال آخر : إيثار المحبُوب على جميع المصحوب . وقال آخر : الميل الدائم بالقلب الهائم . وقال آخر : موافقة الحبيب في المشهَد والمغيب . وقال آخر : أن تهَبَ كلك لمن أَحْبَبْتَ .

وحقيقة الحُبِّ ؛ الميْلُ إلى ما يوافق الإنسانَ ، وتكون موافقته له ؛ إمَّا بإدراكه كحبّ الصور الجميلة ، والأصوات الحسنة ، والأطعمة والأشربة اللذيذة ، وأشباهها ممَّا كلُّ طبْع سليم مائلٌ إليها لموافقتها له ، أو استلذاذه بإدْراكه بحاسة عقله وقلبه مَعانيَ شريفة باطنة ، كمحبّة الصالحين والعلماء وأهل المعروف ، والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة . فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء ، حتى يبلغ التعصّب بقوم لقوم ، والتشيع من أمة إلى أخرى إلى ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس ، وهو ﷺ جامع للمعاني الموجبة للمحبّة كلها . انتهى .

وقال الشهاب بن حجر في شرح « الهمزية » عند قول الناظم :

وَامْلأِ(١) السَمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيـ ـهَا عَلَيْكَ الإِنْشَادُ وَالإِنْشَاءُ

---

(١) وفي نسخة : أفإمْلاء .

فإنها تُحْدِث للسامع سكراً وأريحة وطرباً ، وتُحرِّك النفس إلى جهة محبوبها ، فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيُّلُ المحبوب وإحضاره في الذهن ، وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر ، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وألَذُّ من عناق الشواب . شعر :

سُلُوِّي عَنْ مَحَبَّتِكَ المُحَالُ ... وَلَوْ يَا مُنْيَتِي عَزَّ الوِصَالُ

وَأَيْنَ شَبِيهُ حُسْنِكَ فِي البَرَايَا ... فَتُنْسَى إِذْ يَكُونُ بِهِ اتِصَالُ

عَلَى أَنْ لَيْسَ وَصْلُكَ لِي بِكَافٍ ... فَكَيْفَ وَمَانِعِي مِنْهُ الدَّلاَلُ ؟

فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَنَاكَ بَوْنٌ ... فَعَيْنِي فِي لِحَاظِكَ لاَ تَزَالُ

وَلَوْ أَنَّ الغُبَارُ أُزِيلَ عَنْهَا ... أَحَلَّتْنِي مُحَلاًّ لاَ يُنَالُ

فَوَا عَجَبَاهُ مِنْ سُكْنَاكَ دَارِي ... وَحَقِّ الحَقِّ مَسْكَنُكَ الجِبَالُ

وَوَا أَلَمَاهُ مِنْ هَذَا التَّنَائِي ... وَمَعَ هَذَا لِبَهْجَتِكَ انْفِصَالُ

أَتُبْعِدُنِي لِشُؤْمِ قَبِيحِ جُرْمِي ... حَبِيبِي أَيُّ ذَنْبٍ لاَ يُقَالُ ؟

وَأَيُّ شَفِيعِ حَقٍّ تَقْبَلُوهُ ... وَأَيُّ تَنَصُّلٍ لَكُمُ يُقَالُ ؟

وَحَقِّكَ إِنَّمَا عُذْرِي اِعْتِرَافِي ... بِأَنَّ عَظِيمَ ذَنْبِي لاَ يُزَالُ

وَعِلْمِي أَنَّ مَاءَ مَولِي عَفْوٌ ... وَظَنِّي أَنَّ نَائِلَهُ أَنَالُ

أَلاَ يَالَيْتَ شِعْرِي أَيُّ وَقْتٍ ... أَرَى أَنِّي لأَخْمُصِكَ النِعَالُ

حَبِيبِي كَيْفَ عَنْكَ أُطِيقُ صبراً ... وَأَنْتَ الخَالِصُ المَحْضُ الجَمَالُ

وَهَلْ إِلاَّ جَمَالَكَ شَامَ طَرْفٌ ... بِغَيْرِ إِضَافَةٍ لَوْلاَ الخِيَالُ

ظَهَرْتِ فَبَانَ وَجْهُكَ فِي المَرَايَا ... بِلاَ حَصْرٍ وَذَاكَ هُوَ الظِّلاَلُ

فَمَا هُوَ أَنْتَ إِلاَّ أَنْتَ لَكِنْ ... لأَجْلِ الوَهْمِ قِيلَ بَدَا الهِلاَلُ

فَـتِـلْـكَ ذُكَـا وَبَـدْرُ الـتِمِّ سَارَا وَقَـدْ حَـلاَّهُـمَـا مِـنْـكَ الـنَوَالُ
وَلِي مِنْ صُورَةِ المَحْبُوبِ زِدْبٌ[1] فَـحَـظِّـي مِـنْـكَ يَا أَمَلِي حَلاَلُ
فَجُدْ لِي يَا حَبِيبُ وَعُدْ وُجُودِي وَأَعْـدِمْـنِـي شُـهُـودِي يَا كَمَالُ
وَكُـنْ لِي شَاهِدَ المشهُودِ صَفْواً بِـلاَ كَـدَرٍ فَـلاَ يَـبْـدو الـجِلاَلُ
لأَنْتَ مَنَحْتَنِي مَجْـداً بَـوَجْـدِي فَـمِـنْ قَـبَسِ الغَرام بِيَ اِشْتِعَالُ
أَرَدْتُ الـحُبَّ مِنْ قَدمٍ فَشَوْقِـي لَـهُ فِـي كُـلِّ أَعْـضَـائِـي مَجَالُ
فَلاَ أَنْـفَـكُّ مِـنْ حَـرْقٍ وَوَجْـدٍ فَـأَحْـمَـالِـي مَـعَ الـبَلْوَى ثِقَالُ
فَصَلِّ عَلَيَّ دَهْـرَكَ يَا جَـمَـالِـي لِـتَـحْسُنُ مِنْ مَراحِمِكَ الخِصَالُ
وَأَطْلِعْ شَمْسَ حُسْنُكَ فِي سَمَائِي أَغَـرُّ فَـمَـا مَـعِـي إِلاَّ الـسُّـؤَالُ
فَأَنْتَ ذَخِيرَتِـي وَلأَنْـتَ كَـنْـزِي وَعِـزِّي كُـلُّ مَـا وَقَـعَ الـنِّـزَالُ
وَأَنْـتَ مُـعَـوَّلِـي فِـي كُـلِّ أَمْـرٍ لَـدَيْـهِ لاَ يُـفِـيـدُ الاِحْـتِـيَـالُ
وَفِي اليَوْمِ العَظِيمِ لأَنْتَ غَوْثِي وَحِـرْزِي عِـنْدَمَا يَقُعُ النَّكَالُ
فَلاَ وَاللهِ أَرْغَبُ عَنْكَ حَتَّـى وَلَوْ حُشِيَتْ بِأَجْفَانِي الرَمَالُ
وَصَلَّى اللهُ مَا طَرَفَتْ عُيُـونٌ وَمَـا تُجْنَى غُصُونٌ أَوْ تُمَالُ
عَلَى خَيْرِ الخَلاَئِقِ ذِي المَرَايَا مُـحَـمَّـدٍ المُجَلِّلُكَ بِالجَمَالِ

قال في حسن التوسل في زيارة خير الرسل ﷺ :

ومن فوائد الصلاة على النبي عليه السلام محبّة المصطفى للمُصلّي على رسول الله ﷺ ، بل زيادة المحبة المذكورة اللازمة لها ازديادُ الشوق

(١) الزِّدْبُ بالكَسْر أَهمله الجوهريُّ وصَاحِبُ اللِّسان وقال الصَّاغَانِيُّ : هو النَّصِيبُ ج الأَزدَابُ وهي الأَنصِباءُ وهو غَرِيبٌ .

مع استحضار المحاسن النبوية في القلب والجنان ، بحيث يمثل خياله به ، ولا يكاد يفتر من ذكر القلب واللسان :

لَوْ شُقَّ عَنْ قَلْبِي يُرَى وَسَطَهُ ... ذِكْرُكَ وَالتَوْحِيــدُ فِــي سَطْرِ

وقال الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي في آداب الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام :

تنبيهٌ : اعلم أنه يتأكد على المصلِّي على النبي ﷺ **أن يتصوّر وقت الصلاة عليه صورته النبوية الكريمة في مِرآة قلبه** ، كأنه بين يديه سائلاً من الله تعالى الصلاةَ والسلامَ عليه ، لأنه إذا واظب المصلّي على ذلك تدوم عليه غاديات أنواره الكريمة المحمدية . (شعر) :

بِــأَبِـي أَيُـهَـا النَّبِـيُّ الكَـرِيـمُ ... وَالـرَسُـولُ الـمُطَهَّرُ المَعْصُومُ

وَالحَبِيبُ الأَسْمَى الزَكِيُّ المُرَجَّى ... وَالـمُـرَادُ الـمُـقَرَّبُ الصَّهْمِيمُ

وَالخَلِيلُ الَّذِي نَجَا قَابَ قَوْسَيْـ ... ـنِ وَحَيْثُ الخِطَابُ وَالتَّكْلِيمُ

وَالضِّيَاءُ الَّذِي بِهِ عُمِرَ الكَـوْنُ ... وَمِـنْ قَـبْـلِ رَسْـمِـهِ مَـعْدُومُ

وَالحَلِيمُ الَّذِي لَهُ الخُلُقُ الـمَنْـ ... ـصُـوصُ فِي الذِكْرِ أَنَّهُ لَعَظِيمُ

وَالجَوَادُ الذِي عَلَى كُلِّ مَـخْلُو ... قٍ لَـهُ أَنْـعُـمٌ وَفَـضْـلٌ قَـدِيمُ

وَالشُّجَاعُ الذِي إِذَا صَالَ فَالمَوْ ... تُ لَهُ السَيْفُ وَالغَمَادُ الجَسُومُ

تُهْلِكُ الجَمْعَ بِالإِشَارَةِ إِنْ شِئْـ ... ـتَ وَلَكِنَّكَ الـرَّؤوفُ الرَّحِيمُ

وَالمُطَاعُ الذِي مَتَى تَأْمُرُ السُحْـ ... ـبَ أَتَـتْ حَسْبَمَا تَقُولُ الهَيُومُ

تُرْسَلُ الغَيْثُ حَيْثُمَا تَقْصِدُ الغَوْ ... ثَ فَـمَـا فِي النَبَاتِ قَطُّ هَشِيمُ

فَيُرَى الجَدْبُ هَارِباً خَوْفَ بَطْشِ الْـ ... ـخَصْبِ فَالشُكْرُ فِي الرَخَاء مُقِيمُ

فَلأَنْتَ الغيَاثُ وَالغَوْثُ ذُو الحَظْـ ـوَةِ وَالاِصْـطِفَـاءِ وَالـمَـعْلُومُ
وَالمَلاَذُ الذِي مَتَى أَمَّهُ المكْـ ـرُوبُ زَالَتْ هُمُومُهُ وَالغُمُومُ
وَالمَهَابُ الَّذِي لَـوْ اِنْتَهَرَ العَـا لَـمُ مَـالَتْ أَسْـمَـاؤُهُ وَالرُسُومُ
مَنْ يُجَارِيكَ فِي سَمَاءِ المَعَالِي أَوْ يُـبَـارِيـكَ أَيُّـهَـذَا الـوَسِيمُ
سَـعِـدَتْ أعيُنٌ رَأَتْ مَنْ رَآكَ وَكَـذَا مِـنْ رُؤْيَـا سَـنَاك يَرُومُ
يَدْأَبُ الدَهْرَ فِي رِضَاكَ عَسَى تِلْـ ـقَاهُ مِنْكَ الرِضْـوَانُ وَالتَكْرِيمُ
فَهُوَ سَاعٍ لِلْعَهْدِ رَاعٍ فَيَا خَيْـ ـبَةَ مَـنْ فَـاتَـهُ لَـكَ التَـعْظِيمُ
أَيَّ شَيْءٍ فِي المُلْكِ أَوْ مَلكُوتِ اللهِ مَـا أَنْـتَ أَصْـلُهُ المَـوْسُومُ
أَوَ مَا جَابِرٌ رَوَى عَنْكَ الصِـدْ قَ لِـمَـنْ فِـيـهِ عِـنْدَنَا مَرْسُومُ
أَنَّ نَـور الـنَّـبِـيِّ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ وَمِـنْـهُ الـتَـفْـضِـيلُ وَالتَقْسِيمُ
فَلأَنْتَ الأَصْلُ الأَصِيـلُ وَكُـلٌّ مِـن سَـنَـا نُـورِ ذَاتِهِ مَـبْـرُومُ
وَلأَنْتَ النُورُ الجَلِيُّ وَمِن ضَـوْ ئِكَ نَـارَتْ كَـوَاكِـبٌ وَنُـجُومُ
وَلأَنْتَ الأَخِيرُ وَالأَوَّلُ المُخْـ ـتَارُ وَالمُـعْـتَـنَى بِهِ المَرْحُومُ
وَلأَنْـتَ الرَحِيمُ يَا رَحْمَةَ اللَّـ ـهِ وَمِـنْـهَـاجُ دِينِكَ المُسْتَقِيمُ
وَلأَنْتَ الَّذِي مَحَـاسِـنُ أَوْصَـا فِكَ فِـي الصَّحْفِ كُلِّهَا مَرْقُومُ
وَلَقَدْ كُنْتَ قَاسِـمَ البِـرِّ وَالخَيْـ ـرِ فَـمِنْكَ النَدَى وَمِنْكَ العُلُومُ
طِبْتَ مِنْ طِيبِ أَبِي طَيِّبٍ فِـي طَيِّبٍ فَـالـثَـنَـا عَـلَـيْكَ يَدُومُ
مَنْ يُطِيقُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ وَقَدْ أَسْـ ـمَعَنَا مَدْحَكَ الكِتَابُ الكَرِيمُ
لَكِنِ الحُبُّ يَقْتَضِي الذِّكْرَ لِلْمَحْـ ـبُوبِ وَالحَمْدَ مَا حَوَتْهُ الرَّقُومُ

فَـلَـئِنْ فُـهْتُ وَالبِضَاعَةُ مُزْجَا ـةٌ فَـجُـهْـدُ المُقِلِّ مِنْهُ جَسِيمُ
فَعَلَيْكَ الصَــلاَةُ مَا طَرَفَتْ عَيْـ ـنٌ وَسَــالَتْ عَيْنٌ وَرَثَّتْ غُيُومُ
وَعَلَيْكَ الصَلاَةُ مِنْ مُوجِدِ الخَلْـ ـقِ وَمُحْيِي العِظَامِ وَهِيَ رَمِيمُ
وَعَلَيْكَ الصَلاَةُ مِلْءَ السَـمَـوَا تِ تَـلاَهَـا التَشْرِيفُ وَالتَسْلِيمُ
وَعَلَى الآلِ وَالصَحَابَـةِ وَالأَتْـ ـبَاعِ مَا هَبَّ فِي الوُجُودِ نَسِيمُ

وقال الشيخ أحمد بن عبد الحي أيضاً :

تنبيه أيضاً : واعلم أن من ثمرات الصلاة على النبي ﷺ انطباعُ صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً متصلاً . انتهى . جَعَلنا الله تعالى وإياك من المرابطين على أشرف أنواع الرابطة والمخصوصين بالرحمة الهابطة ، إنه وليُّ المؤمنين .

الباب السادس

في القول المجمل في رابطة الأولياء الكمَّل

اعلم أيها الأخ - مَنَّ الله عليّ وعليك بمحبة أوليائه ، وسلك بنا سبيل المهتدي بضيائه - أنَّ سفيان الثوري قال : لا نجاة يوم يخسر المبطلون إلا لنبيٍّ ، أو تابع نبيٍّ ، أو مُحبٍّ ، ولو أن عارفاً بالله في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ، ورَجل محبٌّ له في مغربها لكان له نصيبٌ من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته ، وأنَّ الرجل ليعانق الرجل ؛ وإن بينه وبينه لأبْعَد مما بين المشرق والمغرب . وقلب العارفين يكتب ، وقلب المريدين يكتب فيه . انتهى .

وقال سيد الطائفة جنيد : **وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ** ، واستفادة علم الواقعات منه ، حتى يَفْني تصرُّفه في تصرف الشيخ . انتهى .

وقال المحقق الأرْدبيلي شارح « المشكاة » في « رسالته المكية » .

الشرط السابع : دوام ربط القلب بالشيخ ، واستفادة علم الواقعات منه من جهة الإرادة التامّة ، لأنه الرفيق في الطريق ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ . وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ .

ثم قال : **فصل** : المريد إن تيقَّنَ أنَّ رُوحانيةَ الشيخ غير متحيِّزة بموضع دون موضع ، وكلُّ ما يكون متحيِّزاً استوت عليه الأمكنة كلّها ، ففي أيِّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارق شخصيتها . والبعد إنما يتعلّق بالمريد ، وإذا تذكر المريد الشيخ بقلبه قرب إليه فيتعلّق قلبه به فاستفاد منه .

فإذا احتاج المريد إلى الشيخ ليحلّ واقعته يستحضره بقلبه ويسأله عما يشاهده لا باللسان الظاهر ، بل بلسان القلب فيلهمُه روحُ الشيخ معنى

الواقعة عقيب السؤال ، وإنما تَيسَّر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ، ومن هذا الوجه يُفْصِح له لسان القلب وينفتح له طريق القلب إلى الله تعالى ، فيجعله محدّثاً . انتهى .

وقال سيدي إبراهيم الدسوقي : يا أولادي إن صحَّ عهدكم معي فأنا منكم قريبٌ ، فإن أخذتم عهدي وعملتم بوصيَّتي وسمعتم كلامي ، فلو أنَّ أحدَكم بالمشرق وأنا بالمغرب رأيتم شبح شخصي ، فمهما ورد عليكم شيء من مشكلات سرِّكم أو شيء تستخيرون فيه ربكم ، فوجّهوا وَجهكم وأطبقوا عين حسِّكم وافتحوا عيْنَ قلبكم ، فإنكم تَرَوْني جهاراً ، وتستشيروني في جميع أموركم ، فمهما قلته لكم فاقبَلوه وامتثلوه وليس هذا خاصّاً بي[1] ، بل عامّ بكلّ شيخ صَدَقْتم في محبَّته ، وقد يعلم ذلك شيخكم وقد لا يعلمه ، هكذا جَرَتْ سُنَّة أولياء الله تعالى مع مريديهم . انتهى .

وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عَلاَّن الصديقي في شرح قصيدة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الشاذلي الشهير بابن بنت الميلق قدس سره التي أولها . شعر :

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابِ القَوْمِ يَدْرِيهِ ... وَمَنْ دَرَاهُ غَداً بِالرُّوحِ يَشْرِيهِ

عند قول الناظم : إذا رُئِيَ ذُكِرَ المولى برؤيته ؛ أي : رئي هذا العبد ذكر المولى برؤيته ، كما ورد في وصف الصالحين الذين « إذا رؤوا ذكر الله » ، لأنَّ نور قلبه مشرق على وَجْهه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومن تمَّ له ذلك فاز بالسعْد والقرب . قال ابن علوان :

سَعِدَتْ أَعْيُنٌ رَأَتْك وَقَرَّتْ ... وَكَذَا أَعْيُنٌ[2] رَأَتْ مَنْ رَآكا

---

(١) وفي نسخة : لي .
(٢) وفي نسخة : وكذا عينٌ .

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على جدار ، وفي مقابل ذلك الجدار جدار آخر ، فيشرق ذلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وعنده ؛ أي : عند الناظم طريقة معروفة مشهورة عند المشائخ يسمّونها بالرابطة ، وهي رؤية وَجْه الشيخ ، فإنها تثمر ما يثمر الذكر ، بل هي أشدُّ تأثيراً من الذكر لمن عرف شرطها وآدابها ، ومن ذلك كان تربية النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ، فكانوا يستغنون برؤية طلعته السعيدة ، وينتفعون بها عن كل رياضة ومجاهدة أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدّة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تضاهى ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى . انتهى .

وقال ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب « تحفة العباد » في كتابه « آداب المريد » : **وعلامة صحّة إرادة المريد تعلّق قلبه بشيخه** ، واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور ، حتى لا يشهَدَ معه من الخلق أحداً غيره ، فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السرمدي ، وهذا الذي لا يشهده إلا أهل المعرفة بالله لا الغبيُّ الجاهل المفتون بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء أو الجامد الذي ليس عنده شيء من الروحانية ، قال بعضهم . (**شعر**) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى   فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَخْرِ جَامِداً

انتهى .

قال ابن عطاء الله الشاذلي في كتابه « مفتاح الفلاح » في آداب الذكر : قالوا - يعني : المشائخ - وإن كان ، أي : المريد تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيْه فإنه رفيقه في طريقه ، وهاديه ، ويستمدّ أولَ شروعه في الذكر من همَّته معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبي ﷺ ، لأنه نائبه .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته « مدارج السالكين » .

الأدب السابع : أن يخيل خيال شيخه بين عَيْنيه ، وهو عندهم من أهمّ الآداب وآكَدها . وقال أيضاً في « البحر المورود » : **اعلم** يا أخي ، إن ربط أحدُنا قلبه بشيخه حيّ أو ميت ينفعنا ؛ ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله تعالى شيخاً ؛ لأن ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله لا لذاته ، ومُحالٌ أن يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنّه الظمآنُ ماءً ، ويفقد عند عبد من عباده مشهورٍ بالصلاح ، مع أن السراب ليس له حقيقة ، بخلاف الصالح له وُجُودٌ وحقيقة ، فافهم . انتهى .

وقال الشيخ تاج الدين الحنفي في كتابه المشهور بـ « التاجية » : **الثانية :** طريقة الرابطة بالشيخ الذي وَصل إلى مقام المشاهدة ، وتحقَّق بالتجليات الذاتية ، فإنَّ رؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال ، وتتوجَّه للقلب الصَّنوبري ، حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس ، وإن وقفتَ عن الترقّي ، فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن في خيالك ، وتعتبر من كتفك إلى قلبك أمراً ممتداً ، وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتدِّ ، وتجعله في قلبك ، فإنه يرجى لك حصول الغيبة والفناء . انتهى .

وقال الشيخ إبراهيم بن عمر الملا الإحسائي في « رسالته » : فإن لم تمكنه مصاحبة الشيخ لتعذّره ببعده عنه ، فعليه بإحضاره في خياله ، ويعتقد أنه في حضرته وصحبته ، ويتصوّر نفسه كأنها بين يَدَيْه ، ويحفظ ذلك التصوّر في خياله ، ويفني في وجود الشيخ بكليته ، ثم يتوجَّه من وجود الشيخ إلى الله تعالى ويتكلَّف ذلك ، ويكرِّره مرةً بعد أخرى إلى أن يُشْرِق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن أسرار المعاني ، فيكون بالله لا بغيره ، ولا بنفسه . انتهى .

طبقات الخواجكان النقشبندية

و

سادات المشائخ الخالدية المحمودية

ألفـــه

شعيب أفندي بن إدريس الباكّني قدس سره
المتوفّى سنة ١٣٣٠

دار الرسالة

ترجمة المؤلف

وصفه المرشد المحقق مريده الشيخ حسن حلمي القحي بقوله :

الشيخ الكامل المكمَّل قطب دائرة الإرشاد في هذه الإقليم ، وموصل العباد إلى الملك العلمي ، حافظ كلام الله المجيد ، ومزيل الشبهات في ملة الإسلام والدين ، مصنِّف علم السير والسلوك ، الفقيه المتصوِّف ، العالم الربَّاني ، والعارف الصمداني : الحاج شعيب أفندي الباكني القصرخي .

والده : العالم المتورع الشيخ إدريس أفندي رحمه الله تعالى .

بدأ حياته بقراءة القرآن الكريم على والده المذكور في قرية قنداخ ، وله من العمر سبع سنين ، وأخذ في قصار السور بادءاً بالمعوذتين ، فظهرت عليه أعجب علائم النبوغ ، حيث لم يحتج لأكثر من سورة الإخلاص من توفيق الله عليه ؛ الأمر الذي أذهل والده متعجِّباً من سرعة فهمه وغلبة وصول ذهنه إلى حقيقة قراءته .

حرص والده على تأديبه زيادة على العلم ، وكان يؤدِّبه تأديباً بليغاً ؛ بحيث لا يذهب به إلى وليمة أو لغوٍ ولهوٍ ، بل يصطحبه إلى مجالس العلماء والعقلاء ، إلى أن حصلت له ملكةٌ طبيعية ، وهو ما يزال في ميعة الصبا .

قرأ العلوم الشرعية على كبار فحول عصره ، وتبحَّر في شتى الفنون ، وصنَّف الكتب ، وحلَّ المشكلات ، وألَّف المصنَّفات القيمة ، حتى أقرَّ له فحول عصره وانتشر صيته .

باشر التدريس في قرية ژاخور من قرى سمبور سنة ١٣٠٧ هـ .

التقى المشائخ الكمَّل الثلاثة ؛ الشيخ الحاج جبرائيل أفندي ، والشيخ الحاج حمزة أفندي ، مأذوني الشيخ محمود أفندي ، والشيخ

الحاج قصيّ أفندي مأذون الشيخ إسماعيل أفندي السواكلي . في السنة المذكورة . وصحبهم أسبوعاً ، فتعلق قلبه بهم ، ودخل في تربيتهم ، لا سيما الشيخ جبرائيل حيث لزمه حتى توفي .

ثم استخار الله تعالى أن يرشده إلى شيخ كامل مرشد ، فوقعت استخارته على الشيخ الأكمل أحمد أفندي التلالي ، ولكن دخل خدمة الشيخ قصي بلا اختيار منه ، فربَّاه أحسن تربية ، وسلكه أجمل تسليك ، وكانت له به عناية خاصة وتوجُّه كبير ليجعله خليفته ، واتخذه ولده الروحي حتى أدخله الخلوة تسعة أشهر متوالية ، ولازمه حتى توفي سنة : ١٣١٤ هـ ، وكانت قد اطمأنت حاله ، وأجازه إجازة تامة سنة ١٣٠١ هـ . ولكنه كتمها استحياءً وأدباً .

وعاد فسلك عند أحمد التلالي تلبية لاستخارته السابقة ، إلى أن أجازه بالرشاد والتسليك ، وعمَّ نفعه تلك الديار ، وانتفع به الكبار والصغار ، وأكرمه الله تعالى بمزيد من العطاء والمواهب والمنن السنيَّة .

ألَّف من الكتب - خدمة لهذه الطريقة العلية - هذا السفر الجليل « طبقات الخواجكان النقشبندية الخالدية المحمودية » وقد ترجم نفسه فيه .

وكذا كتاب « الفريدة المخمَّسة » .

توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة من سنة ثلاثين وثلاث مئة وألف ودفنه في قرية « الباكني » ١٣٣٠ ، وقبره مشهور معروف يزار للتبرك .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه مع سابقيه ولاحقيه ، وأسكنا معهم فسيح جنته وكريم نزله ، إنه سميع قريب مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

على الله في كل الأمور توكلي ولوصل أصحاب العباء توسلي

الحمد لله الذي أرسل إلينا رسولاً سيِّد الإنس والجانِّ ، وأنقذ به أمة الإجابة عن المهاوي والمهالك والنيران ، وجعله باباً أعظم للوصول إلى حضراته ، والتقرُّب إلى نظراته لكل جبان وشجعان ، وجعل علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل ، وكُمَّلِ بني إبراهيم بالفضل والإحسان ، وأقام مشائخ الطرق وأولياء الفرق وسائل للخروج عن خبائث النفس والطغيان ، وفضَّل الطريقة النقشبندية على جميعها كلِّها لبقائها على ما كان عليه جوهرة ولد عدنان ، وعلى ما عليه أصحابه وأتباعه بلا تطرق خلل وخذلان ، بحيث لا يقدر أحدٌ مَّا على قدحه من العلماء الظاهرية ، وإن أمعنوا بالإمعان ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل والغفران ، فسبحان الله الظاهر الباطن المنان ، يهدي من يشاء لما يشاء لما قدَّره في الأزل بلا زمان ، فنحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى الملك الديان ، لإنقاذه إيانا من الإنكار للأولياء والجهل والحرمان ، وإرقائه إيانا بمنِّه وكرمه وشفاعة رسوله وبركات أوليائه إلى ذروة العلم والعرفان ، وسبحان الله الفاعل المختار وكل يوم هو في شأن ، الذي رَشَّ من أنوار تجليات ذاته وكمال صفاته على أراضي قلوب مخلصيه ومحبيه بالمَنِّ واللمعان ، وجعل الخلق مظاهر أسمائه ومرايا ظهوره لنوع الإنسان ، وخصَّ خواصَّ عباده بمشاهدة نور جماله وجلاله بالحق والإيقان .

ونشكرك اللهم يا من بنعمته تتمُّ الصالحات وتعمُّ البركات في البرايا والأكوان ، ونسألك اللهم صل على حبيبك أفضل الموجودات ، وأشرف المخلوقات من أهل السماوات والأرض بالنصوص والقرآن ، صلاةً تنجينا بها عن جميع الأهوال والآفات والأعداء وخيانة الخُوَّان ، وتقضي لنا بها جميع الحاجات بالوصول إلى أعلى الدرجات بالرحمة

والامتنان ، وترفعنا بها أعلى المقامات وتجلي الذات والصفات بالوصول والرضوان ، وعلى آله المُرْتَوِين من رحيق زُلاله وكمال وصاله بالمشاهدة والعيان ، وأصحابه الفائزين المفلحين بمعاينة أخلاقه ومصاحبة أفعاله بالإيمان والإذعان .

أما بعد ؛

فيقول أحقر القرى وأدنى الورى في البلدان ، وأخسُّ أجناس الوجود في الظهور والإمكان ، المحمدي الشافعي الأشعري في المذهب والإيقان ، النقشبندي الخالدي المحمودي الأحمدي في الطريقة والصحبان ، شعيب بن العالم العامل إدريس أفندي المولود في داغستان ، جعلهما الله تعالى مع آبائهما وأحبابهما بفضله وكرمه في روح وريحان : إنَّه طالما كان يختلج في صدري ويدور في خَلَدي في أيام شبابي والعُنفوان ، علم مناقب المشائخ النقشبندية : من أولها إلى آخرها في الكتب بالبيان ، لَمَّا أنْ سلكْتُ مسالكَهم ، وإن لم أكن منهم بالظن والزمان ، وكانت طريقتهم طريقَ محبَّةٍ ، وبها يحصل لهم الحضور والفيوض كالخلجان ، وصار محبتهم مربوطة غالباً لأمثالنا العاجزين الغافلين بعلم مراتبهم ومناقبهم بالمعرفة من الكتاب واللسان ، ولمَّا لم أصادف إلى الآن مَن يعرفها ويُعرِّفها من الخِلاَّن ، ووجدت كتاب « الباقيات الصالحات في تقريب الرشحات » وموشَّى به بـ« نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » لذوي العلوم والإذعان ؛ حداني فكري الفاتر ونظري القاصر إلى اختصارها واقتصارها في الحين والأزمان ، وتعليق مناقب مشائخ السلسلة الباقية إلى شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى في كل وقت وآن قطب الزمان الشيخ الحاج أحمد أفندي بن مصطفى التلالي رحمهما الله تعالى مهدي كلَّ ضالٍّ وغضبان ، ليعمَّ نفعه ويصل خبره إلى الخاصِّ والعامِّ ، وكل جائع وعطشان ، ويكون لي ذخيرة وتذكرة للإخوان في الدنيا ، وقائدي إلى دار الجوار والجنان ، ويدعو لي ولوالدي ولأبنائي أهلُ

الصدق والصفا ، وأخُ الفضل والوفا ، وقتَ المطالعة والأحيان بوصولنا معهم في الدنيا ، وباللقاء في العقبى لحضرات الرحيم الرحمن ، وبحسن الخواتم والتعوُّذ من شرور النفس والأخلاق الذميمة والشيطان ، فإنهم أحرى لاستجابة وإجابة الدعاء ، وأليق لسؤال المسؤول بلا نسيان ، وللأرض من كأس الكرام نصيبٌ بالنص والبرهان ، والصدقات الواجبات والمسنونات مفوَّضات على أهل الكرم والبستان ، فسبحان من ﴿ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ بالعجلان ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ والخسران ، ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ يا حنان ، ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ بالميزان . آمين . استجب بحق الصحف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

ويصيرَ كتابي هذا تحفة للسالكين الصادقين المتعوذين من الجِنان ليحفظوه ويأخذوه بالنواجذ والأسنان ، وهديةً لهم وأستاذاً مرشداً كاملاً في الليل والنهار والإضحيان ، حافظاً للجوارح[1] الجوارح[2] والقلوب والعيون والأذنان ، فلعله يقبله كل أهل الإسلام والملل واليهود والنصارى والرهبان ، فمن علمه وعَمل به يكفيه عن جميع الكتب السلوكية والآدابية في جميع الأديان ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ، لأن فيه ملخص علوم أهل الله تعالى في الطريقة النقشبندية للعاطش والريَّان ، ومن أنكر كلامي هذا فلينظر من أوله إلى آخره من سلسلة الخواجكان ، ومن أبى واستكبر وأنكر وطغى فليس لنا معه نزاع وميدان . ولْيَتَفوَّه بما شاء وليعِش في طغيانه إلى آخر الزمان . ونقول في حقه ﴿ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا

(١) أعضاء . (هامش الأصل) .

(٢) جمع جارحة . (هامش الأصل) .

تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾ ، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ ، فإنهم رجال لهم مساكن وبيوت ليس لها سقوف وأبواب إلا الجدران .

ثم لا يخفى على العالم العاقل والجاهل الفاضل أنَّ تفاضل الناس ليس بالمال والعشيرة والولدان ، ولا بالقوة والفتوَّة والحسب والنسب والأبدان ، بل بقدر تفاوتهم في التقوى ومعرفة المبدئ المعيد الغفران . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ؛ في العبودية ومقام الإحسان ، وبه صار الأولياء الكرام والمشائخ العظام ملوك الأحيان ، بعد الأنبياء والمرسلين والصحابة صلوات الله عليهم ، ورضي الله تعالى عنهم وعنَّا في كل وقت وآن ، فبذلوا الأشباح وأخذوا الأرواح وأذابوا النفوس بالشوق والشكران ، فجزاؤهم بما صبروا جنتان فيهما عينان تجريان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ! وأَنحَلُوا الأجسام بالرياضات وهجروا لأجلها الخلائق والأوطان[1] وسلكوا صراطاً مستقيماً وجاهدوا للنفوس والأخلاق الذميمة والغيلان ، فحازوا قصبات السبق في مضمار المجاهدات وفازوا بمقامات التمكين والإسكان .

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ وتيسّر لهم الخروج من عالم الزور إلى عالم النور الذي فيه ﴿ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ ، فأرادوا بمنطوق ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ إظهارهم بالأقلام ورؤوس البنان نبذة من شكر تلك النعمة الجزيلة اللائقة للتبيان ، وإبراز ثمرة من شجرات تلك المنحة الجليلة بلا كتمان ؛ في ضمن مناقبهم الجميلة رغبة لمضمون ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ بلا نقصان . وقد قيل : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؛ وعند الطالحين اللعان ، مع ما فيه من تكثير الفوائد والفرائد للأقران ، وتخليد ذكر المشائخ الكرام في بطون الأوراق إلى آخر الدوران ، فكتبوا في الباب كتباً كثيرة ورسائل ، وتوسّلوا بها إلى استمطار الفيوض والفيضان .

---

(١) أي : الأوطان الظاهرة والباطنة . تدبر تنل . (منه رحمه الله تعالى) .

ومن أبدع ما صنف في مناقب المشائخ الخواجكان النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم بالإيضاح والبيان كتابُ : « الباقيات الصالحات في تقريب الرشحات » بلا نقص ولا خسران ، للعالم الرباني والفاضل الصمداني مولانا علي بن حسين الواعظ الكاشفي الكاشف للطغيان .

ولعمري إنه لكتاب عزيز ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ فريد في بابه في خانٍ .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ .
وإنه لكتاب كريم ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ ، ولا يدرك حقيقته وطريقته إلا الكاملان ، حقيق بأن يجعله السالك جليسه وأنيسه في غربته وإيابه لمقاصده بالطيران ؛ فإنه لم يترك دقيقة من دقائق الطريقة ؛ فهو كالياقوت والمرجان ، ولطيفة من لطائف الحقيقة إلا مكتوبة فيه ومعلَّقة على نحور البيان .

وكذلك كتاب « نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » لمولانا محمد مراد القزاني المنزلوي صاحب العلوم والعرفان ، كان أصلاً أصيلاً في بابه بحيث يقبله أهل الله بالاطمئنان ، لكونه مأخوذاً عند صفوة مناهل مشارب القوم قبل تكدُّرها باختلاط سائر المياه والهوان ، وقبل ظهور من يدَّعي المشيخة والإرشاد مع كونه ليس أهلاً لها ، بل باتباع النفس الأمَّارة كالسرحان ، ولكن لما كانت كسوتهما منسوجتان بالحشو والتطويل في العبارات واللغات الفارسية واللسان ، وتعذُّر الوصول إلى فهم جميع ما حويا لمن لم يعرفهما ولم يألفهما من رجال ولايتنا الداغستان ، ولم أعثر إلى اليوم على مَن تصدى لتهذيبهما وتنقيحهما بالإيضاح والبيان ؛ شرعت لأخذ زُبدهما من مخيضهما ، والتقاط دُرَرهما من يمّهما قائلاً : منك التوفيق يا سبحان . وشمّرت عن ساق الجد وذراع الجهد مستعيناً من المعين المستعان لاختصارهما على مقاصدهما الأصلية ومعانيهما الأصيلية محيّاة رؤوسها بالتيجان ، وأخرجت سوادهما إلى

بياضهما كما أخرج الليل إلى النهار ، والظلمة إلى الضياء ؛ بتوفيق القريب المجيب المنَّان ، فحصل من دونهما جنتان . ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ و﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾ فصار بحوله تعالى وقوَّته كتاباً لم يكتب مثله في أزمانٍ ، ولم يمرَّ مثل مصنفه ومؤلفه في ميدان ، ولم يُبَن بناءٌ مثل بنائه في بنيان ، وروضة من رياض الحقيقة والطريقة تمايلت منها الأغصان ، وتدلت منها الفروع والأفنان ، ولا يجحد لكلامي هذا إلا الكافران ، ولا يكفره ويعانده وينكره إلا الفاسقان ، لا يجنيان منه أنواع الثمار وأجناس الأزهار مع أن ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾

وسمَّيته[١] :

---

(١) وُجد تحت العنوان في الصحيفة الأولى ما يلي :

مطلب مهم جداً

واعلم أن السر المصون في الدعاء بالأسماء أن نأخذ عدد حروف الاسم بالجُمَّل وعدد صورته الرقمية التي يرسم بها ثم يدعو بعد ذلك .

مثال ذلك اسمه تعالى (الله) فإنه أربعة أحرف وعدده بالجُمَّل ستة وستون ، فيكون مجموع ذلك سبعين فتستغيث به سبعين مرة ثم سل حاجتك . ثم تذكره أيضاً بعد اسم الحاجة ، ويكون ذلك بجمع همَّة وإخلاص ، فإنه يستجاب ذلك في الحين .

(شرح تائية السلوك إلى ملك الملوك للشيخ عبد المجيد الشرنوبي الأزهري رحمه الله تعالى وإيانا ورزقنا من بركته) .

مطلب

ونقل العارف الشعراني قدس سره في طبقاته عن سيدي محمد أبي المواهب الشاذلي قدس سره أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : قل عند النوم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (خمساً) ، وبسم الله الرحمن الرحيم (خمساً) ، ثم قل : اللهم بحق محمد أرني وجه محمد ﷺ حالاً ومآلاً ، فإنك إذا قلت ذلك تراني في المنام ولا أتخلف عنك . (منه في فضائل البسملة) .

مهم

وقال سيدي أحمد الدمنهوري رحمه الله تعالى في « شفاء الظمآن » : من قرأ البسملة في وجه ظالم (خمسين مرة) أذله الله تعالى .

ومن قرأها عند النوم (إحدى وعشرين مرة) أمَّنه الله تعالى في تلك الليلة من الشيطان الرجيم ، ومن السرقة ، ومن فجأة الموت ، ويدفع عنه كل البلاء (منه) .

وأسأل الله تعالى أن يجعله[1] خالصاً لوجهه الكريم الرحمن ، وأن يقبله هو ورسوله وأولياؤه بالفضل والإحسان ، وأن يستر بكرمه العميم وفضله الجزيل عجزي وزللي بالنقص والعصيان ، وأن ينفع به كما بأَصْليْه كل حرٍّ كريم ذي قلبٍ سليم لا سكران ، وأن يصونه عن كل خبٍّ لئيم ذي طبع سقيمٍ وفكرٍ عقيم وشبعان ، وأن يحفظني وجميع إخواني به في جميع أفعالنا وأقوالنا وخواتم أعمارنا من فتنة الشيطان ، وأن يرحمنا به في بيت التراب حين كنا بين ظلمة وضيق وديدان ، وأن يجعله سبباً للوصول في الدنيا واللقاء في الآخرة في دار فيه حور وقصور وغلمان . فسبحان الله الفتاح الوهاب للفتوح لمن يشاء ؛ ولو للنسوان .

وما حداني إلى ارتكاب هذا الأمر الجسيم والخطب العظيم الشان إلا رغبة خدمة مناقب المشائخ الكرام قدس الله أرواحهم العلية بحمل

مطلب

واعلم أن الذكر والدعاء بالأسماء على وجهين :
الأول أن يكون بحرف النداء بأن تقول (يا الله) ، والثاني بإسقاطه أن تقول (الله . . الله) . ثم ينبغي للداعي أن يستحضر المدعوَّ بقلبه وأن يذكر اسمه على أحسن كيفية وهو كونه على طهارة كاملة ؛ مستقبل القبلة ؛ جالساً مثل جلوسه في الصلاة ، مائلاً برأسه نحو القبلة . فإذا قال : (الله) فينبغي أن يفتح الهمزة ، ويمدَّ اللام ، ويسكن الهاء وإلا لم يستفد جميع الخصائص . ومن أكثر من ذكر هذا الاسم على هذه الكيفية في خلوة كان له في العالم الروحاني والجسماني تصريف عظيم عجيب ، وأمر غريب ، ومن تقيَّد به سبعة أيام بصيام وأكثر من ذكره في خلوة صار مجاب الدعوة مطاعاً للروحانيين . (منه) .

* ولد ولدنا الجدير الأعزّ الذي سمَّيناه باسم شيخنا الحاج أحمد أفندي التلاليِّ رحمه الله تعالى وإيانا في اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٢٢ . اللهمَّ أنبته نباتاً حسناً ، واجعله من العلماء العاملين الخالصين المخلصين البارين لأبويه وشفيقاً لهما آمين .

(١) تذكير الضمير باعتبار كونها كتاباً . تدبّر لئلا يخطأ ابن أخت خالتك بالكتابة عليه والله أعلم . (منه رحمه الله) .

مشقة الكتابة وجمع أطراف الفنون للإخوان ، بإشاعة مناقبهم السنيَّة ومراتبهم العليَّة ، فإن من أحب شيئاً أكثر ذكره بلا نسيان ، مع ما فيه من تشويق إخوان الصفا لهم وترغيب الخلان ذوي الوفاء والأخدان .

فإن مطالعة مناقب رجال الحال والوقوف على أحوال الرجال في الأزمان مما تحرِّك القلوب ، وتنوِّر الألباب عن الرجس والأوثان ، وتزيد الرغبة في طلب مطالب أهل الكمال ولو للعميان .

وأيضاً فيه إبطال دعوى النفس بفضله بالاطلاع على فضل غيره بالعيان .

ومن كلامهم : لا تزن الخلق بميزانك ، وزن نفسك بميزان الصديقين بالفكر والإمعان ، لتعلم فضلهم وعلُوَّهم وإفلاس نفسك بالخسران . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا منه البعدان ، وثبت قلوبنا على محبة أوليائك ، ولا تباعدنا عن سواد خُلَّص أصفيائك يا منان ، فإنهم قوم لا يشقى جليسهم ، ولا يخيب أنيسهم من كل إنسان . وإني وإن لم أكن منهم ولكني من محبي زمرتهم وإنك تعلمها يا رحمان ، وإني لمغترفٌ على ساحل بحر التمنّي بِغَرْفة الترجي من بحار معرفتهم في الباطن والظهران .

لي سادة مِنْ عِزِّهم أقدامُهم فوق الجباه
إن لم أكنْ منهم فلي في حبهم عِزٌّ وجاهْ

وأرجو ممن اطلع كتابي هذا أن يدرأ سيئاته بالإحسان ، وما عثر فيه على زلة القدم وعن سمت الصواب على انحراف القلم بالصواب والبيان ، لأني في محافل المصنِّفين هذيان ، وفي مجالس العلماء العاملين بطلان ، وتصنيفي هذا بحماقتي وعدم بضاعتي ضياع وبهتان ، ولكن أصحاب العلوم والتقوى يُروِّجون الأمتعة المزجاة في أسواق العرفان .

ورتبنا الكتاب ترتيباً عجيباً ، ورصفناه ترصيفاً غريباً ، بحيث يقبله الطباع ، ولا يمجُّه السماع ؛ على مقالة وثلاثة مقاصد وخاتمة .

المقالة : في ذكر طبقات أكابر السلسلة النقشبندية قدس الله تعالى أرواحهم ونوَّر ضريحهم من حضرة أبي بكر الصديق إلى شيخنا ومولانا الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي قدس سره الكمالي على الإجمال .

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ .

المقصد الأول : في ذكر المشائخ النقشبندية والسادات الربانية الكائنين في قطعة مولانا عليّ بن الحسين الواعظ الكاشفي المُشْتَهَرِ بالصفيّ ، الذي عرَّب الرشحات من الفارسية إلى العربية جعل الله سعيه مشكوراً ، وسقاه الله تعالى معنا شراباً طهوراً مبتدئاً من أبي بكر الصديق سيد الأبرار ، إلى انتهاء مناقب مولانا خواجه عبيد الله أحرار قدس سره على التفصيل .

المقصد الثاني : في ذكر طبقات الأولياء وسلسلة الأصفياء الذين ذيَّل بهم العالم العامل[(١)] مولانا محمد مراد القزاني –أوصله الله تعالى معنا إلى كل الأماني – مبتدئاً من خواجه محمد الزاهد قدس سره إلى قطب الإرشاد ومعدن الإمداد مولانا خواجه محمد خالد البغدادي ، روَّح الله تعالى روحه المغرديّ .

المقصد الثالث : في ذكر طبقات المشائخ الباقية بلا تحرير في الرسالة ، ولا عدٍّ في الكمالة ؛ مبتدئاً من مولانا وأولانا خواجه إسماعيل أفندي الشروانيّ الكردميريّ ، إلى شيخنا وروحنا مولانا الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي قدس سره الجمالي والجلالي على التفصيل بقدر وسع هذا الفقير ، وطاقة ما وصل إليه من مناقبهم بعناية اللطيف الخبير .

---

(١) لقطعة مولانا عليّ الكاشفي الصفي قدس سره .

والخاتمة في بيان نبذة من كيفية طريقة النقشبندية وآدابهم وقواعدهم وأساليبهم العليَّة . أعلى الله تعالى مقاماتهم الرفيعة ، وأحوالاتهم الجليَّة .

وشرعنا في التحرير ودخلنا في التقرير قائلين[1] ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

المقالة في ذكر طبقات أكابر السلسلة قدس الله تعالى أرواحهم الجلية من أولها إلى آخرها على وجه الإجمال ، فلا يخفى أن هذا الفقير والراقم الحقير أخذ هذه النسبة وتلقَّنها عن مولاه الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي قدس سره عن حضرة قطب العارفين الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره عن شيخه[2] الكامل الشيخ الحاج يونس أفندي اللالي قدس سره عن شيخه الواصل الحاج يحيى بيك القدقاشيني ثم المهاجري المكي قدس سره عن شيخه المرشد محمد صالح الشرواني ، عن شيخه الفاضل إسماعيل أفندي الشرواني ، عن شيخه غرَّة الواصلين الشيخ خالد البغدادي قدس سره .

والفقير أيضاً تلقَّنها عن شيخه الكامل المجذوب الشيخ الحاج قصي أفندي الجنيغي السمبوري ، عن شيخه العالم الألمعي الشيخ الحاج إسماعيل أفندي السواكلي قدس سره ، عن شيخه وقطب زمانه الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره والشيخ إسماعيل أفندي المذكور أيضاً أخذها

---

(١) وإيراد هذا الدعاء من المؤلف الفقير في هذا المقام وإن كان إيراده مناسباً للأخير لتبعته بتمام الكتاب وللتفاؤل به أيضاً والله أعلم . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) والشيخ محمود أفندي قدس سره أخذ أيضاً عن الشيخ هاشم أفندي اليمشاني قدس سره ، عن الشيخ ضياء الدين ذبيح الله الشرواني قدس سره ، عن مولانا خالد قدس سره ، كما سيجيء في ١٣٢ . وهذه السلسة أقرب للضبط وأبعد عن الاختلاف ، فراجعه . (للكاتب الفقير رحمه القدير) .

عن شيخه شيخ المشائخ الداغستانية الشيخ جمال الدين الغازي الغموقي قدس سره البلدي ثم المهاجري الشمويلي ، ثم المهاجري القسطنطني ، المدفون فيها ، عن شيخه الشيخ الفائق الشيخ محمد أفندي اليراغي قدس سره ، عن شيخه الشيخ السابق الشيخ خاص محمد أفندي الشرواني قدس سره عن شيخه شيخ الأولياء الشيخ إسماعيل أفندي الشرواني قدس سره ، عن شيخه غوث الزمان الشيخ محمد خالد البغدادي قدس سره عن شيخه الشيخ المفرد المذكِّر الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره ، عن شيخه الشيخ الكامل الشيخ حبيب الله المرزجاني قدس سره عن شيخه الشيخ نور محمد البداواني قدس سره ، عن شيخه سيف الدين السرهندي قدس سره ، عن شيخه الشيخ محمد المعصوم قدس سره ، عن شيخه الشيخ المجدد أحمد السرهندي الفاروقي قدس سره ، عن شيخه الشيخ محمد الباقي قدس سره ، عن شيخه الشيخ خواجكي الإمكنكي قدس سره ، عن شيخه مولانا درويش محمد قدس سره ، عن شيخه مولانا محمد الزاهد قدس سره ، عن شيخه مولانا عبيد الله أحرار السمرقندي قدس سره ، عن شيخه مولانا خواجه يعقوب الچرخي قدس سره ، عن حضرة الشيخ إمام الطريقة خواجه بهاء الدين المشتهر بشاه نقشبند قدس سره ، عن الشيخ السيد الأمير الكلال قدس سره ، عن الشيخ مولانا محمد بابا السماسي قدس سره ، عن الشيخ خواجه علي الراميتني قدس سره ، عن الشيخ خواجه محمود الإنجير فغنويّ قدس سره ، عن الشيخ الخواجه عارف الريوكري قدس سره ، عن شيخ مشائخ العالم الخواجه عبد الخالق الغجدواني رئيس أكابر السلسلة ، عن الشيخ الخواجه يوسف الهمداني قدس سره ، عن الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره ، عن الشيخ أبي القاسم الجرجاني قدس سره . وانتساب الشيخ أبي القاسم في علم الباطن إلى طرفين :

أحدهما إلى الشيخ أبي الحسن الخرقانيّ قدس سره ، وانتسابه إلى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره ، وولادة الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره بعد وفاة أبي يزيد قدس سره بمدّة كثيرة ، وإنما كان تربيته له بحسب الباطن والروحانية ، لا بحسب الظاهر والصورة . ونسبة إرادة الشيخ أبي يزيد إلى الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنهما وعنا آمين . وقد ثبت بنقل صحيح أن ولادة الشيخ أبي يزيد أيضاً بعد وفاة الإمام بمدة كثيرة ، وتربية الإمام له بحسب المعنى والروحانية ، لا بحسب الظاهر والصورة . ونسبة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه على ما أورده الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه في « قوت القلوب » إلى طرفين :

أحدهما إلى والده الماجد قبلة الأماجد الإمام محمد الباقر رضي الله تعالى عنه عن والده الماجد الإمام عليّ زين العابدين رضي الله تعالى عنه عن والده الماجد سيد الشهداء الإمام حسين رضي الله تعالى عنه عن والده الماجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه ، عن حضرة الرسالة سيدنا محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم .

وتسمى سلسلة نسبة أئمة أهل البيت لعزَّتها وشرفها بسلسلة الذهب عن مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم العلية .

وثانيهما من نسبتي الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه على قول الشيخ أبي طالب المكي رضي الله تعالى عنه إلى جده لأمه ؛ أحد الفقهاء السبعة المشهورة : الإمام قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم وعنا آمين . ونسبته الباطنية إلى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، ونسبته الباطنية مع وجود شرف صحبة معدن الرسالة صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بعد انتسابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وثانيهما من انتساب الشيخ أبي القاسم الجرجاني قدس سره إلى الشيخ عثمان المغربي ، وله لأبي علي الكاتب قدس سره ، وله لأبي علي الروذباري قدس سره ، وله لسيد الطائفة جنيد البغدادي قدس سره ، وله لسري السقطي قدس سره وله لمعروف الكرخي قدس سره وله نسبتان :

إحداهما لداود الطائي قدس سره ، وله لحبيب العجمي قدس سره ، وله للشيخ حسن البصري قدس سره وله لأمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه ، وله لسيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ .

وثانيهما إلى الإمام علي الرضا رضي الله عنه ، وله لوالده الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه ، وله لوالده الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وعن آبائه الكرام إلى آخر النسبة ، كما مر والله تعالى أعلم . انتهى من مولانا عبيد الله أحرار إلى آخره من « الباقيات الصالحات » ومن عبارتها بلا تغيير .

تنبيهات :

الأولى : اعلم أن الله تعالى خلق الخلق لطاعته وعبادته وعرفانه كما قال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، وأفضل العبادات ما يوصل إلى الله تعالى وهو السلوك . ولا بد لذلك من مرشد كامل وأستاذ فاضل ؛ لما أنه طريق غيب غير محسوس ، مبني على مخالفات النفوس ، ألا ترى أن كثيراً من الأطباء يعجزون عند تمرّضهم عن علاج نفوسهم لخفائها على صاحبها ، وهي أعدى أعدائه في ثياب أصدق أصدقائه . ولهذا ورد « المؤمن مرآة المؤمن » فباستعانته بنافذ نظر أخيه المؤمن الحاذق يتسلط على دسائسها ، لكن مع التسليم الصادق ، ولهذا قال الكمَّل : من لم يكن له شيخٌ فشيخه الشيطان . فإن طريق الله تعالى لما كان في غاية الشرف والعزة لكونه موصلاً إلى أعزّ المطالب ، حُفَّ بالقواطع والمهلكات من كل جانب . فإذا عرفت بهذه الورطات المهلكة فلا جرم أن السالك يحتاج إلى المرشد الكامل والشيخ الفاضل ، ليحفظ المريدين عن المهالك ويرشدهم إلى المسالك ، فلا يسلكه إلا مريد متقدّم صادق

بإرشاد دليل كامل . فإذا توجه المريد إلى الله تعالى وصدق في قصده فإنه سبحانه يوصله إلى شيخ كامل ناصح ، ينهضه حاله ولحظه ، وينفعه مقاله ولفظه ، كما هو في مولانا ضياء الدين خالد المجدّد .

وقال نجم الدين الكبريّ : وكما أن المطرقة والسندان والمنفح والفحم وغيرها من الآلات إذا اجتمعت ولم يكن ثمة أستاذ يضع الأشياء في محلها لا يتحقق وجود شيء ؛ كذلك لا يصفى قلب المريد بدون ربط القلب مع الشيخ وترك الاعتراض ، ودوام الرضا بما قدر من القدر والفتح والقبض ، ملاحظاً قوله تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ ويتحقق بأن الله تعالى أرحم بالعبد من الوالدة بولدها ، وأعلم[1] بمصلحة العبد من نفسه ، والشيخ أعرف بمصالح المريد ، والانقياد إلى الشيخ والتسليم شرط أهمُّ بكل وجه . انتهى من « جامع الأصول في الأولياء » للشيخ ضياء الدين أحمد الكمشخانوي النقشبندي قدس سره .

---

(١) ولم أتحقَّق بأنَّ الإنسان لا بدَّ له من شيخ إلاَّ حين اجتمعت بهؤلاء الأشياخ ، وكنت قبل ذلك أقول كما قال غيري : وهل ثم طريق توصل إلى حضرة الله تعالى غير العمل بما في أيدينا من الشريعة ، يعني على مصطلح غير القوم حتى وجدت الأمر بخلاف ذلك . وكفى شرفاً لأهل الطريق قول السيد موسى عليه السلام للخضر عليه السلام : ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ ، واعتراف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه لأبي حمزة البغدادي بالفضل عليه ، واعتراف الإمام أحمد بن سريج لأبي القاسم الجنيد رضيهما الله تعالى . وطلب الإمام الغزالي رضي الله عنه له شيخاً يدلُّه على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام . وكذلك طلب الشيخ عزُّ الدين ابن عبد السلام له شيخاً مع أنه قد لُقب بسلطان العلماء ، وكان الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول لما اجتمع بشيخه : ضيَّعنا عمرنا في البطالة ، يعني : بالنسبة لما ذاقه من أحوال القوم . وكان الشيخ عزُّ الدين رضي الله عنه يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه . فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى . « لطائف المنن » من الباب الأول في ٤٩ .

قال سلطان العارفين وسيد الفقهاء الكاملين عبد الوهاب في « لطائف المنن الكبرى » في مقدمته ، قدس سره ونَوَّر ضريحه : ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل الإمام حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمهما الله تعالى أخذا أدبهما عن شيخ ! مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم : كل من قال إن ثمَّ طريق للعلم غير ما أبدينا فقد افترى على الله عز وجل . فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان : قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب . وأثبتا طريق القوم ومدحاها .

وقد سلك الإمام الغزالي على الشيخ أبي محمد البازغاني ، وسلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله تعالى أرواحهم جميعهم العلية ورزقنا من بركاتهم الجلية ، وصار يقول : مما يدلُّك على أن القوم قَعدوا على قواعد الشريعة وقعَّد غيرهم على الرسوم ! ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ، ولا يقع ذلك على يد فقيه إلا إن سلك طريقهم . انتهى .

فعلم أن مثال من يحفظ تقوُّل أهل الطريق بغير ذوق ولا تخلق ؛ مثال من حفظ كتاباً في علم الطب عن ظهر قلب من غير معرفة الداء والدواء ، فكل من سمعه وهو يقرأ ويقول : الداء الفلاني دواؤه الشيء الفلاني يقول : ما هذا إلا طبيب عظيم ! فإذا قال له : أعلمني باسم هذا الداء الذي فيَّ ، وأخبرني باسم الدواء ، وقال له : لا أعلم ذلك . يقول إنه جاهل بعلم الطبِّ . وقد كان علماء السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وعنا يعملون بكل ما يعلمون على وجه الإخلاص لله تعالى فيه ، فنارت قلوبهم وخلصت من العلل القادحة في الإخلاص . فلما ذهبوا وخلف بعدهم أقوام لا يعتنون بالإخلاص في علمهم وعملهم أظلمت قلوبهم ، وحجبت عن أحوال القوم فأنكروها . وبعضهم إذا سمع شيئاً من أخلاق القوم يقول هذا منزع صوفي لا شرعي ، فيوهم السامعين أن التصوف أمرٌ

خارج عن أصل الشريعة ، والحال أنه لبُّ الشريعة ! فإن حقيقة طريق القوم علم وعمل ، سداها ولُحمتها شريعة وحقيقة ، لا أحدهما فقط ! فينبغي للفقيه إذا قال عن مسألة هذا منزع صوفي أن يعقب ذلك بقوله لا يقدر أحد من أمثالنا على المداومة على العمل به ، ليزيل ما في نفوس السامعين ممن لا يفهم الأمر على وجهه .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول كثيراً :

لا تسلكنَّ طريقاً لست تعرفها بلا دليل فتهوى في مهاويها

انتهى .

ولم تزل طريق القوم عزيزة في كل عصر ، لقلة صبر من يصبر تحت تربية شيخه ومناقشته في جميع أعماله . ولذلك صار الشيخ يرى الأخلاق المحمدية من ورع وزهد وخشية وخوف من الله تعالى ونحو ذلك في يد أهل الله تعالى ، فلا يقدر على الوصول إلى التخلق بخلق منها على وجهه ، لأن طريق القوم كلها مجاهدة للنفس ، وأين من يقدر على التخلُّق والتقيد بمخالفتها إيثاراً لجناب مراد الحق تعالى على مرادها ؟ هذا لا ينال إلا ببذل الروح . فعلم أن الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين هم الصوفية حقيقة .

فإن قال قائل : لو أن طريق التصوف أمرٌ مشروع لوضع فيه الأئمة المجتهدون كتباً ولا نرى لهم قط كتاباً في ذلك . قلت له : إنما لم يضع المجتهدون في ذلك كتاباً لقلة الأمراض في أهل عصرهم ، وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق . ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك ، فكان ذلك في بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب ، وكان معظم همَّة المجتهدين إذ ذاك هو في جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التي هي مادة كل علم ، وبها يعرف موازين جميع الأحكام ، فكان ذلك أهمَّ من الاشتغال بمناقشة

بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين ، وقد لا يقعون فيها بحكم الأصل . ولا يقول عاقل أن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رضي الله تعالى عنهم وعنا أجمعين ، يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجباً أو كبراً أو حسداً أو نفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبداً ! ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم . فافهم ، انتهت عبارة « اللطائف » من عينه .

قال وليُّ الله الشعراني في « لطائفه » أيضاً في الباب الأول قدس سره : وقد كان السلف الصالح لصفاء قلوبهم لا يحتاجون في طريق العمل بعلمهم إلى شيخ لعدم الموانع ، وصار الناس اليوم لهم موانع لا تحصى ، حتى أن بعضهم يرى الأخلاق المحمدية من زهد وورع وخشية ونحو ذلك فلا يصل إلى التخلّق بها ، فلذلك أوجب بعض علماء الشريعة على الطالب أن يتخذ له شيخاً يرشده إلى طريق إزالة هذه الموانع من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وقالوا : من لم يجد له شيخاً في بلده وجب عليه السفر في طلبه ، ومن لم يستطع السفر وجب عليه مجاهدة نفسه بغير شيخ . قال الله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وعنا آمين أو بعضه لا غير . فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلّى أو صام أو حجَّ أو تورَّع أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الاخلاص أو تحبط العمل .

وإنَّ حقيقة الصوفي هو عالم عمل بعلمه على وفق ما أمر الله تعالى به لا غير ، وكان صور مجاهدتي لنفسي من غير شيخ أني كنت أطالع كتب القوم كـ« رسالة القشيري » ، و« عوارف المعارف » ، و« القوت » لأبي طالب المكي ، و« الإحياء » للغزالي رحمهم الله تعالى ونحو ذلك ، وأعمل بما ينقدح لي من طريق الفهم ، ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك

فأترك الأمر الأول وأعمل بالثاني وهكذا . فكنت كالذي يدخل درباً لا يدري هل ينفذ أم لا ، فإن رآه نافذاً خرج منه وإلا رجع ، ولو أنه اجتمع بمن يُعرِّفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بيَّن له أمره وأراحه من التعب ، فهذا مثال من لا شيخ له ، فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد لا غير . ومن سلك بغير شيخ تاه وقطع عمره ، ولم يصل إلى مقصوده ، لأن مقام الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة . انتهى .

وفي « عوارف المعارف » لعمدة أهل التحقيق عمر السهروردي قدس سره : العلماء أدلاء الأمة وعُمُد الدين ، وسراج ظلمات الجهالات الجبلية ، ونقباء ديوان الإسلام ، ومعادن حكم الكتاب والسنة ، وأمناء الله تعالى في خلقه ، وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية ، وحملة عظيم الأمانة ، فهم أحق بحقائق التقوى وأحوجهم إلى الزهد في الدنيا لأنهم لأنفسهم ولغيرهم ، ففسادهم فساد متعدٍّ ، وصلاحهم صلاح متعدٍّ .

قال سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه : أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم ، وأعلم الناس من عمل بما يعلم ، وأفضل الناس أخشعهم . وهذا قولٌ صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم ، لا يغرنَّك تشدّقه واستطالته ، وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة ، فإنه جاهل وليس بعالم ، إلا أن يتوب الله تعالى عليه ببركة العلم ، فإن العلم في الإسلام لا يضيع أهله ، ويرجى بركة العالم ببركة العلم . انتهى .

قلت : هذا صاحب « عوارف المعارف » عمر مات سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، وعبد الوهاب الشعراني قدس سرهما ختم كتاب « اللطائف » مستهل ربيع الأول سنة ستين وتسعمائة ، فإنهما ينطقان بالكلام المتقدم ، ومثله كثير في كلامهما وغيرهما ، فماذا يقولون إذا نظروا إلى جهلائنا الظلمة ، وعلمائنا الفسقة ، الدائمين على جرِّ التتون وشرب النبيذ ويقولون : إنما نُقلِّد في شربه أبا حنيفة رضي الله عنه ، ولا يعتبرون شروط التقليد ولا يعتبرون أيضاً بأن قول أبي حنيفة بذلك مردود وباطل بإجماع أصحابه .

ومن المعلوم أن إجماع المناظرين يرفع الخلاف المتقدم . ولا يقلدون الله تعالى ورسوله في قولهما : « كل مسكر حرام » . « وكل ما أسكر كثيره فقليله حرام » . ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وجعلنا معهم من التائبين الفائزين الفرحين المستبشرين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون آمين .

التنبيه الثاني في ثمرات طريق القوم :

وفي « لطائف » الشعراني أيضاً قدس سره : ومما وقع للجنيد مع ابن سريج قدس سرهما أن حلقة الجنيد كانت الأصوات فيها ترتفع على أهل حلقة ابن سريج وكان ينكر على الجنيد ، فتنكَّر ابن سريج يوماً وحضر حلقة الجنيد ثم رجع إلى أصحابه فقال : لم أفهم من كلامه شيئاً ، إلا أن صولة كلامه ليست بصولة مُبطل ، ثم إنه قال للجنيد : طريقنا أقرب إلى الله تعالى من طريقكم . فقال الجنيد : لا بد أن تأتينا ببرهان . فقال للجنيد : ائت لنا أنت ببرهان . فقال الجنيد : يا فلان خذ هذا الحجر فألقه في حلقة الفقراء ! فألقاه فصاحوا كلهم الله الله . ثم قال له : ألقه بين هؤلاء الفقهاء ، فألقاه فصاحوا كلهم حرام عليك أزعجتنا ، وابن سريج ينظر فقام وقبل رأس الجنيد ، واعترف بفضله . فقال له الجنيد : إنما الفضل لكم فإنَّ أساس طريقنا مما معكم من العلم . فقال ابن سريج : بل لكم الفضل فإنكم زدتم علينا بحسن معاملة الله تعالى . انتهى .

وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في ترجمة أبي علي الثقفي رضي الله عنه وأرضاه قال : لو أن رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس كلهم ، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدِّب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يحلُّ الاقتداء به في تصحيح المعاملات . انتهى .

ومما وقع لابن أسعد اليافعي رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال : مكثت خمس عشر سنة ونفسي تنازعني هل أدوم على الاشتغال بالعلم أم أنتقل عنه إلى صحبة الصوفية واقتفاء آثارهم ؟ فبينما أنا يوماً أمشي في شارع من شوارع زبيد ، إذ لقيني شخص من أرباب الأحوال فقال لي مكاشفاً : يكفيك ما حصَّلته من العلم الظاهر ، واتبع طريق العمل على طريق القوم من اليوم فإنهم أولى . فقلت له : وما وجه كونها أفضل ؟ فقال لي : تعال حتى أريك وجهه ، فدخل زاوية من زوايا الفقراء وأنا معه ، فجلس وقال لفقير : ادع لي العالم الفلاني . فدعاه ، فلما أقبل قال للحاضرين : لا أحدٌ يردُّ السلام على هذا إذا جاء إلا بعد قليل ؛ بحيث لا يطول الفصل ، ولا أحد يتحرك له ولا يفسح له في المجلس ففعلوا فتكدَّر لذلك وقال : يحرم عليكم عدم رد السلام . فقال له الفقراء : لهم عذر في ذلك . فقال : كذبتم ليس لكم عذر . فقالوا له : بلى لنا عذر وهو أنك مستحق للهجر لارتكابك العجب والكبر . فقال : ما أنا عجبت ولا تكبرت عليكم إلا بحق . فقال له الشيخ : الفقراء في نفوسهم منك شيء ! وقال : أنا أيضاً في نفسي منكم أشياء ، وأشار بأصابع يديه كلها ، فخرج وهو يسبُّ الفقراء ومن دعاه إليهم . فقال شخص لليافعي : انظر ثمرة علم هؤلاء ماذا يفعلون . ثم قال لفقير : ادع لنا الفقير الفلاني . فدعاه ، فلما أقبل قال الشيخ للحاضرين : افعلوا معه كما فعلتم مع ذلك العالم ، ففعلوا ، فبادر إلى نعال الفقراء وجعلها في عنقه وعلى رأسه ، ووقف خاضعاً ذليلاً عند النعال ، ولم يمرَّ على خاطره ما قاله ذلك العالم من الإنكار عليهم بعدم المبادرة إلى رد السلام ، وعدم تفسيح المجلس له ، بل ولا خطر على باله أنه من العلماء أبداً . فقال له فقير من الحاضرين : الفقراء في نفوسهم منك شيء . فقال : أقول أستغفر الله تعالى في حقهم ، وأسألهم أن يلحظوني بلحظهم ، فلعل الله تعالى يصلح حالي ، وصار

يبكي وهو واقف حامل نعالهم . فقال الشيخ لليافعي : انظر ثمرة اتباع طريق القوم . قال اليافعي رضي الله عنه وعنا : فقوي عزمي من ذلك اليوم في ذلك المجلس على اتباع طريق القوم حتى كان ما كان . انتهى من « اللطائف » ومثله كثير في كتب السلوك فراجعه . أرشدكم الله تعالى .

التنبيه الثالث في بيان المرشد الكامل :

وشروط الشيخ الذي يلقي المريدُ إليه نفسَه خمسة : ذوق صريح ، وعلم صحيح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة .

فمن فيه خمسة لا تصح مشيخته : الجهل بالدين ، وإسقاط حرمة المسلمين ، والدخول فيما لا يعني ، واتباع الهوى في كل شيء ، وسوء الخلق من غير مبالاة . انتهى من « جامع الأصول » .

وقال الوليُّ الشعراني في « لطائف »ـه قدس سره : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لأحد التصدُّر لتربية المريدين إلا بعد تبحُّره في الشريعة كما عليه السادات الشاذلية . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وسيدي أبو العباس المرسي ، وسيدي ياقوت العرشي ، والشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله تعالى عنهم وعنا لا يدخلون أحداً في الطريق إلا بعد تبحُّره في علوم الشريعة ، بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة ، فإن لم يتبحَّر كذلك لا يأخذون عليه العهد . وهذا الأمر قد صار أهله في هذا الزمان أعزَّ من الكبريت الأحمر ، فعلم أن كل من لم يسلك الطريق على هذه القواعد لا يقدر على التخلُّق بشيء من أخلاقهم . وقد قالوا : مَنْ ضَيَّع الأصول حرم الوصول . انتهى .

قال العارف السهروردي قدس سره وأمثاله السادات الأعيان : إنه لا بد لك من شيخ مرشد إلى طريق الحق ؛ مربٍّ عن الأخلاق السيئة .

مطلب مهم جداً ، وشروط الشيخ

وشروط الشيخ الذي يمكن أن يكون نائباً لرسول الله ﷺ : أن يكون تابعاً لشيخ بصير يتسلسل إلى سيد الكونين ﷺ ، وأن يكون عالماً ، لأن الجاهل لا يصلح للإرشاد ، وأن يكون معرضاً عن حُبِّ الدنيا وحُبِّ الجاه ، محسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، ومتصفاً بمحاسن الأخلاق كالصبر والشكر ، والتوكل واليقين ، والسخاوة والقناعة ، والحلم والتواضع ، والصدق والحياء ، والوفاء والوقار ، والسلوك وأمثالها .

ومثل هذا الشيخ نور من أنوار النبي ﷺ ، يصلح للاقتداء به ، ولكن وجوده نادر أعزُّ من الكبريت الأحمر والترياق الأكبر ، وإن ساعدت السعادة فوجدت شيخاً كما ذكرنا لا تفارقه ، وكن خادماً له ، وافْدِ بنفسك ومالك وأولادك في حقه ، وأَفْنِ أوقاتك فيه ، فإنه يوصلك إلى الله تعالى كما قال الله تعالى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ وأكثر أحوال غالب المشائخ في هذا الزمان على خلافه ؛ يسارعون إلى نوافل الخيرات ، ويتكاسلون عن المفروضات والواجبات ، وذلك من اتِّباع الهوى ، واشتغالهم فيما لا جدوى .

قال الرازي رضي الله تعالى عنه : واعلم أن الشيخ المرشد لم يزل مستوراً بين أولياء الله تعالى ، فضلاً عن غيرهم من العوام فلا يعرفه إلا أرباب البواطن والبصائر دون أهل الظاهر .

وقد ورد أن الله تعالى يقول : إنَّ « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » . وسبب اختفاء الكُمَّل من الواصلين إلى الله تعالى قلة صدق الطالبين ، فصار طلبهم للطريق غير خالص ، بل مشوب بالحظوظ النفسانية ، والأهواء والأغراض الفاسدة ، وكثرة دعوى الناس للمشيخة بغير إذن من أشياخهم ، ومن غير إذن صريح صحيح بنوا عليه أمرهم ، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، وكذب ظنوننا الصلاح بأنفسنا . انتهى .

فأقول : قد اتفق أهل الطريقة وأرباب الحقيقة على أن شرط المرشد الموصل : كونه كاملاً مأذوناً من شيخ مرشد كامل ، ينتهي نسبته إلى رسول الله ﷺ ، وإن لم يكونوا كذلك فاعلموا أنهم قطاع الطريق الموصل إلى الله ، ومن ادعى الإرشاد بغير إذن فهم أولاد الزنا ، وأتباعه هم الفاسقون المغرورون الهالكون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم احفظنا من ادِّعاء المشيخة الباطلة ، وكوننا مع أتباعنا من أولاد الزنا بحرمة السادات النقشبندية ، والأقطاب القادرية ، والأولياء الشاذلية قدس الله تعالى أسرارهم .

التنبيه الرابع :

في ذكر معنى قوله ﷺ : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » وتوجيه أقوال أهل الحقيقة من ولاية صغرى ، وتارة ولاية كبرى ، ومرَّة ولاية النبوة ، وتارة ولاية الملأ الأعلى ، كيف يستقيم المذكور ؟ مع أن المقطوع : لا يبلغ وليٌّ درجة نبي ، وإن بلغ الغاية القصوى وتقطَّب !

فأقول وبالله التوفيق : قال ولي الله تعالى الشعراني قدس سره العالي في « اللطائف » : ومما منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ أنه جعلني من ورثة شريعة محمد ﷺ ، لكونها تجمع مقامات الرسل كلها فلا يخرج عنها مقام ، وقلَّ فقيرٌ يعطى ذلك ! إنما يكون أحدهم وارثاً لموسى ، أو عيسى ، أو زكريا ، أو يحيى ، ونحوهم عليهم الصلاة والسلام ، حتى ربما نطق أحدهم بموسى أو بعيسى عند طلوع روحه ، ويكرِّر ذلك الاسم ، فيعتقد من لا معرفة له بما قلنا أنه تهوَّد أو تنصَّر عند الموت ، ومات على ذلك ، وليس كذلك ! وإنما نطق باسم من كان ورائه من الأنبياء عليهم السلام ، كما ينطق الإنسان باسم شيخه عند الموت ، مع أن شيخه من باطنيَّة محمد ﷺ بيقين ، فلا يضره ذكر اسم ذلك النبي كما لا يضرّه اسم شيخه .

فعلم أن من كان محمدي المقام فقد انطوى عنده جميع مقامات الرسل بقدر حظه ونصيبه منها .

لأنه لا يصحُّ مقام نبي على التمام أبداً .

وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين إبراهيمي المقام ، وسيدي علي الخواص محمدي المقام ، وسيدي إبراهيم المتبولي قدس الله تعالى أسرارهم محمدياً إبراهيمياً ، فكان تارة يقول : شيخي السيد إبراهيم الخليل ، وتارة يقول : شيخي رسول الله ﷺ .

قلت : ويجمع بينهما بأنه كان تلميذاً في بدايته للخليل عليه السلام ، ثم صار تلميذاً لرسول الله ﷺ في نهايته فافهم ذلك ترشد . انتهى من باب الحادي عشر في ٢٨٥ .

وفي « اللطائف » أيضاً : إن بداية مقام النبوة يبتدئ من بعد انتهاء مقام الولاية ، فلا تشترك الولاية مع شيء من أجزاء النبوة . انتهى .

وفيها أيضاً في المقدمة : وكما أن دائرة النبوة تؤخذ بدايتها من بعد نهاية الولاية ، فكذلك علم التصوف ! يبتدئ من بعد نهاية أهل الفهم والفكر ، فلا يسمى صوفياً إلا من عمل بما علم على وجه الإخلاص ، كما عليه الأئمة المجتهدون وصالحوا مقلديهم . انتهى .

وكذا يقال للفاني من السالكين في التجلي الأفعالي : آدميَّ المشرب ، ويقال للولاية القلبية : ولاية آدم . وللفاني في التجلي الصفاتي الثبوتية : نوحي المشرب ، وإبراهيمي المشرب ، ويقال لولاية الروح : ولاية نوح وإبراهيم عليهما السلام . وللفاني في التجلي الشؤوني الذاتية : موسوي المشرب ، ويقال لولاية السر : ولاية موسى عليه السلام . وللفاني في التجلي الصفات السلبية : عيسوي المشرب ، ويقال أيضاً لولاية الخفي : ولاية عيسى عليه السلام . وللفاني في التجلي الشأن الجامع : محمدي المشرب ، ويقال لولاية الأخفى : الولاية المحمدية صلى الله عليه وعليهم وعلينا أجمعين .

ومن المعلوم المحقق عندهم أن التجليات كلها سواء كان للأنبياء والأولياء ! من مدد محمد ﷺ ، فلما حصلت التجليات للأولياء بلا واسطة للأنبياء منه ﷺ ، حَقَّ قوله ﷺ : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل . وفيها أسرار ودقائق لا يعرفها إلا من ذاقها . اللهم أعرفها وأذقها لنا ولإخواننا بجاه السادات النقشبندية قدس سرهم .

أصل الموجودات ، وفخر الكائنات ، قطب الأنبياء وقلب الأصفياء ، وحبيب ذي العزة والكبرياء ، منبع الفيوض والصدق والصفاء ، وسلطان المخلوقات محمد المصطفى عليه وعلى أصحابه وأتباعه وعلينا وسلِّم تسليماً كثيراً .

ولد ﷺ بمكة المكرمة في عام الفيل يوم الاثنين بعد الصبح على الأصح ، في الثاني عشر من ربيع الأول على الصحيح . وأرسله الله تعالى رسولاً إلى الخلق من الجن والإنس اتفاقاً ، والملائكة والحجر والمدر على الأصح ، في السنة الحادية والأربعين من عمره الشريف . ثم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة على الأصح ، ثم أخرجته قريش منها ، وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه حتى أتيا إلى الغار المعروف ودخلا فيه الليلة ، فلما أصبح لقَّنه النبي ﷺ هناك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بالقلب على الكيفية المعهودة ، وكان ذلك التلقين على وجه التثليث . وقد خصَّ النبي ﷺ الذكر الخفي أبا بكر رضي الله عنه من بين الصحابة ، وصبَّ في صدره جميع المعارف الإلهية التي هي أقرب المراتب إلى مرتبة النبوة ، فلذا قال ﷺ : « ما صبَّ الله تعالى في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » . ثم خرجا من الغار وهاجرا إلى المدينة المنورة .

وقد تُوفِّي عليه الصلاة والسلام بعد مكثه فيها عشر سنين وشهرين ، في نصف نهار يوم الاثنين من ثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشر من الهجرة ، ودفن في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها ، عليه وعليهم وعلى سائر الآل والصحب أفضل الصلاة وأكمل التسليمات . انتهى من « تحفة الأحباب » بتغيير قليل .

المقصد الأول :

في ذكر المشائخ الخواجكان النقشبندية من أبي بكر الصديق ﷺ ، إلى انتهاء مناقب عبيد الله أحرار قدس الله تعالى أسرارهم .

ورئيسهم أفضل الأمم مطلقاً بعد الأنبياء والمرسلين اتفاقاً :

سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ

أول من آمن برسول الله ﷺ على الإطلاق ، أو من الرجال على اختلاف من الأقوال . وأفضل الناس جميعاً بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . واسمه عبد الله ، سمّاه به النبي ﷺ بعد إسلامه ، وكان اسمه في الجاهلية عبد رب الكعبة ، ووصفه العتيق ، ولقبه الصديق . آمن بالنبي ﷺ في أول أمره ، ثم دعى الناس إلى الإيمان به ، فاستجاب له طلحة وعثمان والزبير بن العوام وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين . كان رضي الله تعالى عنه يكسب المعدوم ، ويعين الضعفاء ، ويواسي الفقراء ، وقد أعتق ستّ رقاب في الإسلام قبل أن يهاجر ، وبلال رضي الله تعالى عنه سابعهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ السورة وأنزل فيه أيضاً قوله تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية .

دلائل فضل أبي بكر الصديق ﷺ على جميع الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام

قال في « تفسير الخازن » تحت هذه الآية قال الشعبي : عاتب الله تعالى عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر .

وقال الحسن بن الفضل رضي الله عنهما : من قال أن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نصَّ القرآن ، وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعاً لا كافراً .

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر : « أنت صاحبي على الحوض ، وصاحبي في الغار » . أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب .

وقال فيه بعد سرْدِ قصة الهجرة : فصلٌ في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل أبي بكر الصديق ﷺ .

منها : أن النبي ﷺ لما اختفى في الغار من الكفار كان مطّلعاً على أبي بكر الصديق ﷺ في سره وإعلانه ، وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين ، فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله .

ومنها : أن هذه الهجرة كانت بإذن الله تعالى ، فخصّ الله تعالى بصحبة نبيه ﷺ أبا بكر دون غيره من أهله وعشيرته ، وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره[1] .

ومنها : أن الله تعالى عاتب أهل الأرض بقوله تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ سوى أبي بكر الصديق ﷺ ، وهذا دليل على فضله .

ومنها : أن أبا بكر ﷺ لم يتخلَّف عن رسول الله ﷺ في سفره وحضره ، بل كان ملازماً له ، وهذا دليل على صدق محبته له وصحة صحبته به .

ومنها : مؤانسته للنبي ﷺ ، وبذل نفسه له . وفي هذا دليل على فضله .

ومنها : أن الله تعالى جعله ثاني رسول الله ﷺ بقوله ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ وفي هذا نهاية فضيلة لأبي بكر ﷺ .

وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر كان ثاني رسول الله ﷺ في أكثر الأحوال .

---

(١) من الصحابة وجميع الأمم المتقدّمة مطلقاً ، فهذه الخصوص والمزايا تكفي جواباً للروافض الحاكمين بفضيلة عليّ ﷺ على الصحابة مطلقاً ، ويدَّعون الإمامة له مطلقاً .(للكاتب رحمه الله تعالى) .

منها : أن النبي ﷺ دعى الخلق إلى الإيمان فكان أبو بكر أول من آمن ، فكان ثانيه في الإيمان . ثم دعى أبو بكر رضي الله عنه إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له جماعة ، فكان ثانيه في الدعوة .

ومنها : أن النبي ﷺ لم يقف في موقف من غزواته إلا وأبو بكر معه في ذلك الموقف .

ومنها : أنه لما مرض رسول الله ﷺ قام مقامه في الإمامة فكان ثانيه فيها .

ومنها : أنه ثانيه في تربته ﷺ ، وفي هذا دليل على فضله .

ومنها : أن الله تعالى ثالثهما ، ومن كان الله معه لا يشك في فضله وشرفه على غيره .

ومنها : إنزال السكينة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، واختصاصه بها دليل على فضله ؛ في قوله تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أنزل السكينة على أبي بكر لأن النبي ﷺ كان على السكينة من قبل ذلك . انتهى .

ومما نقل عن أبي بكر في وقعة الغار قوله :

قال النبي ولم يجزع يُوقِّرني ... ونحن في سدفٍ من ظلمة الغار
لا تخش شيئاً فإن الله ثالثنا ... وقد تكفَّل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره ... كيدُ الشياطين قد كادت لكفار
الله مهلكهم طُرّاً بما صنعوا ... وجاعل المنتهى منهم إلى النار

ولو لم يَرِدْ في حقه رضي الله عنه شيء سوى حديث الهجرة لكفى ذلك دليلاً على رفعة رتبته ، وعلوِّ منزلته على من سواه ، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ذكر عنده أبو بكر رضي الله عنه : وددت أن عملي كله مثل عمله يوماً واحداً من أيامه ، وليلة واحدة من لياليه .

أما ليلته : فليلةٌ سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال : والله لا تدخل حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكنسه ووجد في جوانبه ثقباً فشق ردائه وسدَّه به ، وبقي ثقبان فألقمهما رجليه ، ثم قال لرسول الله ﷺ : أدخل ، فدخل . ووضع رأسه في حجره ونام . فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال : ما لك يا أبا بكر ؟ فقال : لُدِغْتُ فداك أبي وأمي . فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده ، ثم انتقض عليه وكان سبب موته .

وأما يومه : فلما قبض رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب وقالوا : لا نؤدِّي الزكاة . فقال(١) : لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه . فقلت : يا خليفة رسول الله تألَّف الناس وارفق بهم . فقال لي : أجبَّارٌ في الجاهلية خوَّارٌ في الإسلام إنه قد انقطع الوحي وتمّ الدين ، أينقص وأنا حي ؟ ! أخرجه في « جامع الأصول » ولم يرقم عليه علامة لأحد . انتهى من « الخازن » منتخباً .

وفي « البخاري » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : خطب النبي ﷺ فقال : « إن الله سبحانه خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي : ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ! فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا . فقال : يا أبا بكر لا تبكِ إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته ، لا يُبقَيَّن في المسجد باب إلا سُدَّ إلا بابٌ أبي بكر » .

وفيه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة ، فقعد على المنبر ،

---

(١) أبو بكر .

فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خلَّة الإسلام . سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر » قال الشراح : وأخرج مثله مسلم عن أبي سعيد الخدري ﵁ ، وجندب ﵁ ، غير أن في حديث جندب : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس ليال ، فذكره .

وفي « طبقات » ابن سعد عن معاوية بن صالح رضي الله تعالى عنهم : أن ناساً قالوا : أغلق أبوابنا وترك باب خليله ! فقال رسول الله ﷺ : قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر ، وإني أرى على باب أبي بكر نوراً ، وعلى أبوابكم ظلمة .

فائدة : ذهبت طائفة من العلماء إلى أن هذا الحديث مع كونه محمولاً على ظاهره ، فيه إشارة إلى الخصوصية لأبي بكر ﵁ بالخلافة ، وإنه هو المستخلف بعده دون سائر الناس ، وطائفة إلى أنه مصروف الظاهر ، متروك الحقيقة ، بل هو كناية عن الخلافة ، وسدِّ أبواب المقالة ، وحسم أطماع الناس عنها دون النظر إليها والتطلع عليها . وإلى هذا مال العلامة النوريشي ، وابن حبَّان ، وغيرهما ، وقوُّوا ذلك بأن منزل أبي بكر ﵁ كان في السنح ، واستيفاء المرام بالنقض والإبرام . « فتح الباري » للحافظ ابن حجر وغيره من شروح « البخاري » .

وقال أهل الحقيقة ومشائخ الطريقة قدس الله تعالى أسرارهم : فيه إشارة إلى الخلافة الباطنية ، وأنَّ لأبي بكر ﵁ كمال النسبة الحبِّيَّة إلى رسول الله ﷺ ، فأشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أنَّ جميع النسب والطرق مسدودة في جنب النسبة الحبِّيَّة ، وما هو الموصل إلى المقصود ليس إلا هذه الحبية ، والرابطة المعروفة عند أربابها عن تلك النسبة الحبية إلى صاحب دولة لائقة بالوسائط .

وانتساب الطريقة النقشبندية قدس الله تعالى أسرار أهلها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من حيثية هذه النسبة لاختصاصها بها دون غيرها . وطريقة هؤلاء الأكابر في الحقيقة هي المحافظة على تلك النسبة الشريفة .

ويؤيِّد ما اختاره أهل الحقيقة ما ورد في باب علي كرم الله وجهه من الأحاديث كما سردها الحافظ ابن حجر في شرح « البخاري » منها : حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد ، وترك باب علي » . أخرجه أحمد والنسائي وسنده قوي . زاد الطبراني في « الأوسط » ورجاله ثقات . فقالوا : يا رسول الله سددت أبوابنا ! فقال : ما أنا سددتها ولكن الله سدَّها . وروى مثله أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وابن عباس وجابر بن سمرة ، وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ، أخرجه أحمد والنسائي والطبراني والحاكم وغيرهم ، انتهى مختصراً .

وجه التأييد : أن الخلافة غير مختصة بأبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، بخلاف نسبة الطريقة والخلافة الباطنية ، فإنها مع كثرة طرقها ينتهي[1] انشعابها إلى هذين البحرين التيارين ، وينتمي أنجمها إلى ذينك النَّيِّرين السيارين دون غيرهما ، مع تحقُّق اتصافهم بأقصى مراتب الولاية ، وبلوغهم في ذلك وراء الغاية ، كما لا يخفى على أربابها .

وصحة الإشارة بأن الخلافة المعنوية ونسبة الطريقة مسدودة أبوابها وممنوع انشعابها إلا لهذين الإمامين . قد علم كل أناس مشربهم ، واستطاب كل فريق مآدبهم . وفوق كل ذي علمٍ عليم .

وما قيل من أن متأخري مشائخ النقشبندية يجرون سلسلة أخذهم إلى أبي بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما ،

---

(١) فيه إشارة إلى أنَّ مرادهم ليس نفي الخلافة الباطنية عن غيرهم مطلقاً ، بل نفي كونها بحيث تنتشر منهم نسبة الصوفية وتنتهي إليهم طرق المشائخ ، فلا ينافي ما ذكره بعضهم : من أنَّ في الصحابة وغيرهم من اتصف بالخلافة الظاهرية والباطنية . (منه رحمه الله تعالى) .

ويذكرون ذلك في إجازاتهم - وهذا شيء لم يثبت عند أهل النقل انتهى- فمدفوع ومردود عليه ، فإنك قد علمت مما سبق أن القائل لذلك هو الشيخ أبو طالب المكي قدس سره وأين زمان أبي طالب المكي من زمان قدماء المشائخ النقشبندية ؟ فضلاً عن متأخريهم ! فإن اسم النقشبندية إنما أطلق على هذه السلسلة من لدن الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره ، وقبله كانت تسمى بسطامية وطيفورية نسبة إلى أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ، وقبله كانت تسمى صديقية ، كما لا يخفى على أربابها ، فنسبته إليهم افتراء محض ، وقوله : وهذا شيء لم يثبت . . إلخ . مما يقضي منه العجب ، كيف يصدر هذا الكلام ممن له أدنى حظ من العلم . فإن أهل الطريقة لا ينقلون طريقتهم بواسطة أئمة النقل حتى يحتاج إلى تقريرهم ! بل لهم طريقة خاصة بهم ، ورثوها أكابر عن أكابر ؛ من الأول إلى الآخر .

قال في « آخر الرسالة القشيرية » : والناس إما أصحاب النقل والأثر ، وإما أرباب العقل والفكر ، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة ، فالذي للناس غيب فلهم ظهور ، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود ، فهم أهل الوصال ؛ والناس أهل الاستدلال ، وهم كما قال القائل ، شعر :

لـيـلـي بـوجـهـك مشرق ... وظـلامـه فـي الناس سار
والناس في سدف الظـلام ... ونـحـن فـي ضـوء النهار

انتهى .

وكذلك قوله : وكذا لا يصحِّحون لقاء حسن البصري لعلي رضي الله تعالى عنهما مردود أيضاً بما ذكر في « قوت القلوب » و« تهذيب التهذيب » وغيرهما من كتب المحققين : أنه ولد لسنتين بقيتا من خِلافة عمر رضي الله عنه ، ولقي عثمان وعلياً ، ومن بعدهما من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وناهيك بهم قدوة .

إذا قـالت حذام فصدقوها فـإن القول ما قالت حذام
ومن قـال سـواه فـكذبوه أما هو منكر رعى الذمام ؟

توفي ﵁ في المدينة بين المغرب والعشاء ، في الثاني والعشرين من جماد الأخرى ، سنة ثلاث عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، رضي الله تعالى عنه وعنا آمين .

سابق الفرسان ومقدم الركبان

سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه

كان أبوه من أعيان قرية بنواحي أصبهان ، وكان مجوسياً فصادف ممرُّ سلمان ﵁ مرة لكنيسة النصارى القاطنين في تلك القرية ، فاستحسن دينهم لما رأى فيه قراءة الإنجيل والخشوع والخضوع ، ورغب قلبه عن عبادة النار ودين المجوسي ، فأظهر لهم رغبة في دين النصارى ، وعجز عنه لمنع أبيه ، فأخرجوه إلى الشام ، فأقام هناك مدة وخالط كبار الرهبان وخدمهم ، ولما قرب وفاة من صاحبه أخيراً استفسره عمن يصحبه بعده ! فقال : والله لا أدري الآن أحداً أدلُّك عليه ، ولكن قد قرب زمان بعثة نبي آخر الزمان . فأخبره بعلامته وشمائله ومبعثه ومحلِّ هجرته ودلائل نبوته .

وصحب قافلة بعد وفاة الأسقف تريد الحجاز ، وأعطى أهلها جميع ما عنده ، ولما وصلوا إلى وادي القرى غدروا به وباعوه من يهودي يسمى بعبد الأشهل . ثم ابتاعه منه ابن عمه ، وحمله إلى المدينة المنورة ، وقد شرَّفها النبي ﷺ بنزوله فيها ، فوصل إلى مجلسه ﷺ وتيقَّن بالعلامات التي أخبر بها الأسقف أنه نبيٌّ مرسل ، فأسلم وحكى له ﷺ قصته وما جرى عليه في الطلب ، فتعجب النبي ﷺ منه ، وأمر أصحابه باستماع قصته ، وذلك في سنة خمس من الهجرة ، فقال له النبي ﷺ : « خلِّص نفسك من رِقِّيَّةِ المخلوق » فالتمس ذلك من سيده ؛ فتقرر الأمر

بعد قيل وقال على أن يغرس لسيده ثلاثمائة نخلة ويربيها حتى تثمر ، وأن يعطيه أربعين أوقية ذهباً . فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال لأصحابه : أعينوا أخاكم . فجمعوا له ثلاثمائة نخلة فغرسها النبي ﷺ بيده الشريفة إلا واحدة فإنها غرسها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأثمرت كلها في تلك السنة بإذن الله تعالى إلا ما غرسها عمر رضي الله عنه ، فقلعها النبي ﷺ وغرسها بيده فأثمرت في حالتها ، فسلمها لسيده ، وأعطاه النبي ﷺ مقدار بيضة الدجاجة من الذهب من مال الغنيمة ، فسلَّمه لسيده وخلَّص نفسه من الرِقِّيَّةِ ، ثم حضر مع النبي ﷺ الغزوات وشهد الوقائع .

قيل إنه بيع إلى سبعة عشر شخصاً .

واختلف فيه المهاجرون والأنصار أنه من أيِّ الفريقين ؟ فقال النبي ﷺ : سلمان منا أهل البيت . وكفى بذلك شرفاً ولذا قيل ، شعر :

لعُمْرك ما الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتِّكالاً على النسب
فقد فاز بالإسلام سلمان فارس وقد حَطَّ بالجهل الشريف أبو لهب

ولما سمع النبي ﷺ تحزُّب الأحزاب أشار إليه سلمان رضي الله عنه بحفر الخندق في أطراف المدينة ، فقبله النبي ﷺ وعمل فيه بنفسه الكريمة ، رغبة في أجره وترغُّباً لغيره . فعرضت لسلمان رضي الله تعالى عنه فيه صخرة كبيرة فأعجزته ، ورسول الله ﷺ قريب منه ، فلما رأى رسول الله ﷺ شدة المكان وعجزه نزل الخندق وأخذ المعول من يده ، فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به ثالثة فلمعت تحته لمعة أخرى ، فقال سلمان رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت من البرق واللمعان تحت المعول حين ضربت ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : نعم . قال : أما الأولى فقد فتح الله لي بها اليمن ، وأما الثانية فقد فتح الله بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فقد فتح الله بها المشرق .

مطلب

ولا يخفى ما في ضمن هذا الحديث من الثبات لأرباب الإشارة من أنه لا بدَّ في هذا الطريق الموروث من صاحب الترجمة من وجود المجاهدات والمشاق ، ومقاساة الشدائد في أولها ، وظهور التجليات في آخرها ، وترتب الفتوحات عليها .

ولما فتحت بلاد العجم واستولت جيوش الإسلام على مدائن كِسْرَى سُلِّم ولايتها لسلمان الفارسي رضي الله عنه ، وكان بقية عمره والياً هناك .

وكان يأكل من شغل يديْه .

وقد كان أميراً على ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وعطاؤه خمسة آلاف .

وكان يخطب الناس في عباءة يفرش بعضها ، ويلبس بعضها .

ولم يكن له بيت ، بل كان يستظل بالفيء حيث دار .

وكان يعجن عن الخادم حين يرسله لحاجة ، ويقول : لا نجمع عليه عملين .

وكان لا يأكل من صدقات الناس ، بل كان لا يكاتب عبداً إذا لم يكن عنده كسب ، ويقول : أتريد أن تطعمني أوساخ الناس .

مطلب

وكان يقول : عجباً لمؤمِّل الدنيا والموت يطلبه ! وغافل ليس بمغفول عنه ! وضاحك ولا يدري أربُّه راضٍ عنه أم ساخط ؟ !

وكان رضي الله عنه يقول : عهد إلينا رسول الله ﷺ وقال : « ليكن بُلغَةُ أحدكم مثل زاد الراكب » .

ولما وقع الحريق مرة في المدائن أخذ سيفه ومصحفه وسجادته وخرج مسرعاً ، وقال : كذلك ينجو المخفون .

عاش ﵁ مائتين وخمسين سنة ، وقيل غير ذلك .

وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ، وقيل[1] في سنة ثلاث وثلاثين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الإمام أبو عبد الرحمن قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين

أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة[2] . قيل أمه من بنات ملوك العجم ، وذلك أنه لما أُتي عمر بن الخطاب ﵁ ببنات يزدجرد بن شهريار سبيَّات أراد بيعهن ، فأعطاهن على يد دلاَّل ينادي عليهن في السوق ، فقال علي رضي الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين إنَّ رسول الله ﷺ قال : « أكرموا كريم قوم ذلّ ، وغنيّاً افتقر » . إن بنات الملوك لا يبعن في الأسواق مثل غيرهن من بنات السوقة ، ولكن قوِّموهن فيشتريهن من يختارهن . فقُوِّمن فأعطى عليٌّ أثمانهن وقسمهن بين الحسين بن علي ، ومحمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ، فولدن ثلاثة هم خيار أهل زمانهم . أعني : الإمام علياً زين العابدين ابن الإمام حسين ، والإمام قاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم . قال ابن سعد : إنه ثقة رفيع ، عالم فقيه ، إمام ورع كثير الحديث .

وقال يحيى بن سعيد رضي الله عنهما : ما أدركنا بالمدينة أحداً نُفضِّله عليه .

---

(١) لعلّ قيل هيا زائد من قلم الناسخ في الأصل ، تدبَّر .(من الكاتب رحمه الله تعالى) .

(٢) ممن انتشر عنهم العلم والفتيا في الدنيا ، وقد جمع بعض العلماء هؤلاء في هذين البيتين :

ألا كل مَنْ لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد وسليمان أبو بكر خارجه

« الحدائق الوردية » .

وقال أبو الزناد : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة منه ، وما كان الرجل يعد رجلاً حتى يعرف السنة .

وقال أيوب : ما رأيت أفضل منه .

وقال أبو نعيم في « الحلية » : كان لغوامض الأحكام فائقاً ، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً .

وفيها أيضاً ؛ عن أيوب قال : سمعت القاسم رضي الله عنه يُسأل بمنىً فيقول : لا أدري ، لا أعلم ، فلما أكثروا عليه قال : والله لا نعلم كل ما تسألون عنه ، ولو علمنا ما كتمنا عنكم ، ولا يحلّ لنا أن نكتم .

وفيها أيضاً ؛ عن يحيى بن سعيد رضي الله عنه : سمعت القاسم يقول : ما نعلم كل ما نسأل عنه ، ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خيرٌ له من أن يقول ما لا يعلم .

وفيها ؛ عن محمد بن إسحق رضي الله عنه : جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد رضي الله تعالى عنهما فقال : أنت أعلم أم سالم . قال :ذلك . فنزل سالم فلم يزده عليها حتى قام الأعرابي . قال محمد بن إسحق : كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب ، أو يقول : أنا أعلم فيزكي نفسه .

وفيها أيضاً ؛ عن رجا بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً فقال لابنه : سنَّ عليَّ التراب سناً ، وسوِّ عليَّ قبري ، ثم الحق بأهلك ، وإياك أن تقول كان كان .

ووفاته رضي الله عنه سنة ست ومائة على الصحيح ، رضي الله عنه وعنا وعن جميع إخواننا آمين .

مجمع البحرين وملتقى النهرين الإمام الحاذق سيدنا جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين ابن الإمام حسين رضي الله عنهم أجمعين

ولد رضي الله عنه سنة ثمانين ، وقيل ثامن رمضان من سنة ثلاث وثمانين ، وأقبل رضي الله عنه على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ، وأعرض عن الرياسة والجموع .

عن عمر بن أبي المقدام رضي الله عنه قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيِّين .

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري رضي الله عنه حين قال : لا أقوم حتى تحدثني : أنا أحدِّثك ! وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان ! إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقائها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها ، فإن الله تعالى قال في كتابه ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ، فإن الله تعالى قال في كتابه ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات . يا سفيان ! إذا أحزنك أمرٌ من سلطان أو غيره فأكثر لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة . فعقد سفيان رضي الله عنه بيده وقال : ثلاث ، وأيُّ ثلاث ! قال جعفر : عقلها والله أبو عبد الله ولَيَنتفعنَّ بها .

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه : دخلت على جعفر بن محمد رضي الله عنهما وعليه جُبَّة خَزٍّ فجعلْتُ أنظر إليه متعجباً ، فقال لي : يا ثوري ! مالك تنظر إلينا ولعلك تعجب مما رأيت . قلت : يا ابن رسول الله ! ليس هذا من لباسك ، ولا لباس آبائك . فقال لي : يا ثوري ! كان ذلك زماناً مفقراً ، وكانوا يعملون على قدر إفقاره وإقتاره ، وهذا زمان أقبلَ كلُّ

شيء فيه عزٌّ إليه ، ثم حسر عنه جُبَّته ، فإذا تحتها جُبَّة صوف بيضاء فقال : يا ثوري ! لبسنا هذا لله تعالى ، وهذا لكم ، فما كان لله تعالى أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

ومن كلامه رضي الله تعالى عنه : أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني ، وأتعبي من خدمك .

وقال في قوله تعالى ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ : للمتفرِّسين .

وقال : كيف أعتذر وقد أحججت ، وكيف أحتجُّ وقد علمت ؟

وقال : الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والراجي بلا عمل كالرامي بلا وتر .

استنزلوا الرزق بالصدقة ، وحصِّنوا أفعالكم بالزكاة ، وما غالى من اقتصد ، والتدبير نصف العيش ، والتؤدة نصف العقل ، وقِلَّة العيال إحدى اليسارين ، ومن حزَّن والديه فقد عقَّهما ، ومن ضرب بيده على فخذيه عند مصيبة فقد حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب ودين ، والله تعالى مُنزل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق بقدر المؤنة .

وقال : الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فانْهوهم .

مطلب

وقال : لا زاد أفضل من التقوى ، ولا شيء أحسن من الصمت ، ولا عدوَّ أضر من الجهل ، ولا داء أودى من الكذب[1] .

---

(١) * وقد أجمع أهل الله تعالى على أنه لا يصح دخول حضرة الله تعالى في صلاة وغيرها إلا لمن تطهّر من سائر الصفات المذمومة ظاهراً وباطناً ، بدليل عدم صحَّة الصلاة لمن صلى وفي ثوبه أو بدنه نجاسة غير معفوّ عنها ، أو ترك لمعة من=

وقال : إذا بلغك من أخيك ما تكره ! فاطلب له من عذر واحد إلى سبعين عذراً ، فإن لم تجد له عذراً فقل لعل له عذراً لا أعرفه .

وقال : إذا سمعتم من مسلم كلمة فاحملوها على أحسن ما تجدون حتى تجدوا إليها محملاً ، فإن لم تجدوا إليها محملاً فلوموا أنفسكم .

وقال : لا تأكلوا من يد جاعت ثم شبعَتْ .

=أعضائه بغير طهارة ، ومن لم يتطهر كذلك فصلاته صلاة لا روح فيها لا حقيقة ، كما أنَّ من احْتجب عن شهود الحق تعالى بقلبه في لحظة من صلاته بطلت صلاته عند القوم كذلك . وقد نبّه الشارع ﷺ باشتراط الطهارة الظاهرة على اشتراط الطهارة الباطنة ، فأراد أهل الله تعالى من المريد أن يطابق في الطهارة بين باطنه وظاهره ، لنخرج من صفات النفاق ، فإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وفي حديث مسلم مرفوعاً « إنَّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » . وكذلك أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه لتصحَّ صلاته من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ . ولا شك أنّ علاج الأمراض الباطنة ؛ من حبَّ الدنيا والتكبر والعجب والرياء والحسد الحقد والغلّ والنفاق ونحوها كله واجبٌ ، كما يشهد له الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعُّد بالعقاب عليها . فعلم أنَّ من لم يتَّخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله ﷺ ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب في العلم ! فهو كمن يحفظ كتاباً في الطبِّ ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكلُّ مَنْ سمعه وهو يدرِّس في الكتاب يقول : إنّه طبيبٌ عظيم ، ومَنْ رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفيّة إزالته قال : إنّه جاهل ، فاتَّخذْ لك يا أخي شيخاً واقبل نصحي . وإيَّاك أن تقول : إنَّ طريق الصوفيَّة لم يأت بها كتابٌ ولا سنّةٌ ، فإنّه كفر ! ! فإنها كلها أخلاق محمَّدية ، وسيرة أحمديَّة ، وسنن إلهيَّة .

واعلم أنَّ كلّ من رزقه الله تعالى السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم فلا يحتاج إلى شيخ ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ ، فأحسن يا أخي النظر في هذه . « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » للوليّ الشعراني رحمه الله تعالى .

وصيته لابنه موسى الكاظم

ومما أوصى به ابنه الإمام موسى الكاظم رضي الله تعالى عنهما : يا بُني مَنْ رضي بما قسم له استغنى ، ومن مدّ عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله تعالى له اتَّهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلَّة نفسه استعظم زلَّة غيره ، ومن استصغر زلَّة غيره استعظم زلَّة نفسه . يا بنيَّ ! من كشف حجاب غيره انكشفتْ عورات بيته ، ومن سلَّ سيف البغي قتل به ، ومن حفر بئراً لأخيه سقط فيه ، ومن داخل السفهاء حَقَر ، ومن خالط العلماء وَقَر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم . يا بُنيَّ ! إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك ، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتزلَّ بذلك . يا بني ! قل الحق لك أو عليك تستشار من بين أقرانك . يا بني ! كن لكتاب الله تعالى تالياً ، وللسلام فاشياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً ، وإياك والنميمة ! فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال . والتعرُّض لعيوب الناس ! فمنزلة المتعرِّض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

ومن دعائه رضي الله عنه : اللهم أعزَّني بطاعتك ، ولا تخذلني بمعصيتك ، اللهم ارزقني مواساة من قتَّرتَ عليه رزقك بما وسَّعتَ عليَّ من فضلك .

وقال لسفيان الثوري رضي الله تعالى عنه : إذا بلغت البيت الحرامَ فضع يدك على الحائط ثم قل : يا سابق الفوت ، يا سامع الصوت ، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت . ثم ادع بما شئت .

مات رضي الله عنه بالمدينة المنورة في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودُفن في قبة أهل البيت رضي الله تعالى عنه وعنا ، ورزقنا من بركاتهم وفيوضاتهم آمين .(١)

---

(١) سقط من هذا الموضع صحيفة هذا الكتاب الجليل ١٦ ولعلها كانت جبيرة لا صحيفة ولا ورقة تامة ، فتحيرت في الأمر لتجديدها ، فألهمني الله تعالى أن أتفحصه من تأليف المرشد الكامل قطب زمانه وغوث أوانه حسن أفندي القحي قدس سره « سراج السعادات في سير السادات » فبحمد الله تعالى وجدت فيه ما سقط من هذا الموضع ونقلته في هذه الورقة . (وأنا الفقير الغبي محمد بن العالم علي العوري) .

سلطان العارفين

أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه

اسمه: طيفور بن عيسى بن آدم ، كان جده نصرانياً فأسلم ، كان قدس سره من أقران أبي حفص الحداد ، ويحيى بن معاذ ، ولقي الشقيق البلخي .

قال قدس سره : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي ، إلى أن سُقْتُها وهي تضحك .

وقال : رأيت ربَّ العزة في المنام فقلت : كيف الطريق إليك يا رب ؟ فقال : إن تركت نفسك فقد وصلت .

وسُئِلَ بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع ، وبدنٍ عارٍ . وقيل له : ما أشدَّ ما لقيت في سبيل الله تعالى ؟ فقال : لا يمكن وصفه . فقيل : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟ فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها عن الماء سنة .

وقال : الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه ، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني . فقيل : لِمَ ذلك ؟ فقال لعله يقول فيما بين ذلك : يا عبدي . فأقول : لبيك .

وسمع مرةً قارئاً يقرأ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ فبكى حتى جرى الدمع على المنبر ، وصاح قائلاً : يا عجباً ! كيف يحشر إليه من كان جليسه ؟

وقال له رجل : دلّني على عمل أتقرب به إلى ربي . فقال : أحبَّ أولياء الله ليحبُّوك ، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه ، فلعله ينظر إليك في قلب ولي فيغفر لك .

وسئل عن المحبة فقال : استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك .

قال العارف الجامي رحمه الله تعالى : إن أبا يزيد كان من الواصلين الواقفين ، فإنه لما وصل إلى سمعه خطاب ارجع غشي عليه من خوف الفرقة ، فجاء الخطاب أن ردُّوا إليَّ حبيبي فإنه لا صبر له عني . ولذلك قال : خضت في بحرٍ وقف الأنبياء على ساحله ، يعني رجع الأنبياء ، وكذلك كُمَّل الأولياءً لإرشاد الخلق إلى الساحل بعد الوصول ، وأما من لم يرجع فقيل له واصل واقف . ولذلك قيل : النهاية هو الرجوع إلى البداية . فحال الواقف أصفى ، وحال الثاني أوفى وأعلى .

مطلب

رآه واحد في المنام بعد موته فقال : كيف حالك بعد الموت ؟ فقال : قيل لي ماذا جئت به إلينا يا شيخ ؟ فقلت إذا جاء فقير بباب الملك لا يقال له : ماذا جئت به إلينا ؟ بل يقال له ما تريد ؟

واختلف في لقائه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه ! والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنه لم يره ، بل ولد بعد وفاة الإمام بمدة ؛ منهم : الخواجه محمد پارسا والسيد الشريف الجرجاني ، ومال إليه صاحب « الرشحات » وإنما كان تربيته من روحانية الإمام . وقال في مرض موته : إلهي ما ذكرتك إلا عن غفلة وما خدمتك إلا عن فترة . قال ذلك ومات على الصحيح سنة ٢٦١ . انتهى[(١)] وقيل ٢٣٤ .

---

(١) وفي نسخة : ودفن بوصيته تحت قدم شيخه الأجل المشهور بالكردي ، لكن اشتهر مزاراته في مواضع عديدة ، ولعلها مقاماته . انتهى من « التحفة » .
وقال في مرض موته : إلهي ما ذكرتك إلا عن غفلة . وما خدمتك إلا عن فترة . قال ذلك ومات رضي الله عنه . انتهى من « رشحات » ١٤ . وفي كتاب « اليواقيت » للشعراني أنه رضي الله عنه كان يقول خطاباً للمنكرين عليه في زمانه : قد أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . انتهى . ومما قاله رضي الله عنه : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف العلماء رحمة ، إلا في تجريد التوحيد . انتهى من « الرسالة القشيرية » ١٦ . وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه على تلك الرسالة على قوله من=

الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس الله تعالى سره

اسمه علي بن جعفر ، كان أوحد أهل زمانه ، وغوث أوانه ، وكانت الرحلة في وقته إليه ، وانتسابه في التصوف إلى الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنهما ، وتربيته إياه بحسب الروحانية .

قال لأصحابه : ما أفضل الأشياء ؟ قالوا : السماع من الشيخ أولى . قال : القلب الذي مليئ من ذكر الله تعالى .

وقال : الصوفي من كان فانياً عن وجوده في عالم الشهادة ، وإن الصوفي لا يحتاج إلى الشمس في النهار ، وإلى النجوم والقمر في الليل ، بل هو عدمٌ محضٌ ، لا يحتاج الوجود لاستغراقه في بحر الشهود .

وسئل : إن الإنسان من أين يعرف أنه غافل أم يقظان ؟ قال : إذا ذكر الله تعالى فكان من الفَرْق إلى القدم من خشية الله تعالى ملآناً فهو يقظان .

=العلم ومتابعته : أي بالأعمال ، لأنهما لا يتمّان للعبد إلا بمخالفة هواه ، واجتهاده في تقواه ، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى ؛ لا سيما العلم المتعلق بالقلب من الرياء والعجب والكبر وغيرها من الأخلاق الذميمة ، والورع والزهد والإخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة . انتهى . وعلى قوله : ولولا اختلاف العلماء ، أي في المسائل ، لبقيت ؛ أي على اجتهاد واحد ، وهو ما اتفقوا عليه ، وكنت في مشيئة زائدة بالملازمة لنوعٍ واحد ، وفي نسخة لتعبت أي زيادة تعب بذلك . انتهى .

وسُئِلَ رضي الله عنه عن ابتدائه وزهده فقال : ليس للزهد منزلة . فقلت : لماذا ؟ فقال : لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد ، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه . اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها ، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله ، فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله تعالى فَهِمْتُ ، فسمعت هاتفاً يقول : يا أبا يزيد لا تقوى معنا . فقلت : هذا الذي أريد . فسمعت قائلاً : وجدت وجدت . وقال رضي الله عنه : منذ ثلاثين سنة أصلِّي ، واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصلِّيها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري .وذهب رضي الله عنه ليلة إلى الرباط ليذكر الله تعالى على سور الرباط فبقي إلى الصباح لم يذكر ، فقيل له في ذلك . فقال : تذكرت كلمة جرت على لساني في حال صباي ، فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى . انتهى من « الرسالة القشيرية » مع اختصار وتصرف في العبارات . انتهى .

وقال : إن وارث رسول الله ﷺ شخص يكون مقتدياً بفعله ، ومتبعاً لأثره ﷺ ، لا من يُسوِّد وجه الورى .

وقال : أنا منذ أربعين سنة على حال واحد ، وينظر الله تعالى إلى قلبي فلا يرى فيه غيره ، وتريد نفسي منذ أربعين سنة شربةً من الماء البارد أو اللبن الحامض فلم أعطها إلى الآن .

وقال : إن العلماء والعباد كثيرون في الدنيا ، لكن ينبغي أن يكون من الذين يُمسون بما يرضي الله تعالى ، ويصبحون كذلك بما يرضي الله تعالى .

وقال : إن أنور القلوب قلب لا يكون فيه ما سواه تعالى ، وأفضل الأعمال عملٌ لا يكون فيه فكر رؤية المخلوقين ، وأطيب الرزق ما يكون بسعيك ، وأفضل الرفقاء ما يكون عيشه بالله تعالى .

توفي يوم عاشوراء سنة ٤٢٥ . رضي الله عنه وعنا وأرضاه وإيانا .

الشيخ أبو علي الفارمدي قدس سره

اسمه فضيل بن محمد ، كان فريد وقته وشيخ الشيوخ في خراسان في طريقته الخاصة ، وكان تلميذ الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه في الوعظ والتذكير ، وانتسابه في التصوف إلى طريقين : أحدهما الشيخ أبو القاسم الجرجاني .

والثاني الشيخ أبو الحسن الخرقاني .

قال قدس سره : كنت في ابتداء أمري مشغولاً بطلب العلم في نيسابور ، فسمعت أن الشيخ أبا سعيد أبا الخير قد قدم إلى نيسابور وفتح مجلس الوعظ ، فذهبت عنده لأراه ، فلما وقع نظري على جماله صرت عاشقاً له ، وزادت محبة هذه الطائفة في قلبي ، وكنت يوماً قاعداً في حجرتي بالمدرسة فظهر فيَّ شوق رؤية الشيخ ، ولم يكن إذ ذاك وقت

خروج الشيخ ، فأردت أن أصبر إلى وقت خروجه فلم أقدر ، فقمت وخرجت ، ولما وصلت السوق رأيت الشيخ يذهب مع جمع كثير ، فمشيت أيضاً من أثرهم ، فوصلوا إلى محلٍّ فجلس الشيخ والجماعة حوله ، وجلست أنا في ناحية بحيث لا يراني الشيخ ، ولما شرعوا في السماع وطاب وقت الشيخ ، وظهر فيه أثر الوجد وشقَّ الجبَّة ، وفرغوا من السماع وقسموا الجبَّة ، أخذ الشيخ قطعة منها ووضعها بين يديه وقال : يا أبا علي الطوسي أين أنت ؟ فلم أجب ، وقلت : إنه لا يراني ولا يعرفني ، ولعلّ في مريديه من يُسمَّى بهذا الاسم ! فنادى ثانياً فلم أجب . ثم نادى ثالثاً . فقال جمع من أصحابه : إن الشيخ يعرفك ، فقمت من مكاني وجئت عنده ، فأعطاني القطعة وقال : هذه لك . فلففتها بشيء ووضعتها في محلٍّ نظيف ، وكنت أجيء في خدمته على الدوام ، فحصلت لي في خدمته فوائد جمة ، وشاهدت في نفسي أنواراً ، وظهرت لي الاحوال . ولما خرج الشيخ من نيسابور حضرت عند الأستاذ أبي القاسم القشيري وقلت له ما ظهر لي من الأحوال فقال : اذهب واشتغل بطلب العلم ، ففعلت ما أمرني به . وكانت تلك الأنوار تزيد يوماً فيوماً ، فاشتغلت بالتحصيل ثلاث سنين أخرى ، حتى أخرجت القلم يوماً من المحبرة فخرج أبيض ، فقمت وجئت عند الإمام أبي القاسم وقصصت عليه القصة فقال : لما أعرض العلم عنك أعْرِضْ أنت عنه واشتغل بالشغل الباطني ، فتحوَّلت من المدرسة إلى الخانقاه ، واشغلت بخدمة الأستاذ الإمام .

وقال : دخل الأستاذ مرةً الحمَّام وحده ، فذهبت وصببت دلاء من الماء الحارِّ في الحمَّام ، ولما خرج الأستاذ من الحمَّام وصلَّى قال : من صبَّ الماء في الحمام ؟ فسكتُّ ، وقلت في نفسي : أخطأتُ في هذا حيث اجترأت على صبِّ الماء من غير إذنه . فأعاد ثانياً ، فلم أجب ، ولما قال ثالثاً ؛ قلت : أنا . فقال : يا أبا علي قد وجدتَ بدلوٍ واحد ما لم يجده أبو القاسم سبعين سنة . فكنت عند الإمام مدة ، واشتغلت

بالمجاهدات ، حتى ظهرت لي يوماً حالة قويَّة بحيث غبت عن نفسي ، وصرت مضمحلاً ومتلاشياً في تلك الحالة ، فقصصتها على الأستاذ الإمام فقال : يا أبا علي ! إن جياد فكري لم يتجاوز هذا المحلَّ ، وما كان فوق ذلك لا أعرف طريقه . فتفكرت في نفسي أني قد احتجت إذاً إلى شيخ يُرْقيني إلى مقام أعلى من هذا المقام حتى تزيد تلك الحالة . وقد سمعت اسم الشيخ أبي القاسم الجرجاني ، فتوجَّهت إلى طوس ،

ولما وصلت هناك سألت عن منزل الشيخ فدلُّوني عليه ، ولما دخلت وجدته قاعداً في المسجد مع جماعة من مريديه ، فصلَّيت ركعتين تحية المسجد ثم جئت عنده ، فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه وقال : تعال يا أبا علي وهات ما عندك . فسلَّمت عليه ، وقعدْت بين يديه ، وقلت له واقعتي . فقال : نعم ! يبارك لك الابتداء ، ولم تصل إلى درجة بعد ، ولكن إن صادفت التربية تصل إلى درجة عالية . فقلت في نفسي : إنَّ شيخي هو هذا . فأقمت عنده ، فأمرني بالرياضات والمجاهدات مدة مديدة ، ثم عقد لي مجلس الوعظ والتذكير وزوَّجني كريمته .

مطلب

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى عنه : سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي قدس سره يقول نقلاً عن شيخه أبي القاسم الجرجاني قدس سره : إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك ، وهو بعد في سلوكه غير واصل !

حضرة الشيخ الخواجه

يوسف أبو يعقوب الهمداني قدس سره

أورد الشيخ قطب الأولياء الحافظ خواجه محمد پارسا قدس سره في كتابه المسمى بـ« فصل الخطاب » : رأيت مكتوباً بخطِّ مولانا شرف الملَّة والدين العقيلي الأنصاري البخاري - روَّح الله روحه - وكان من كبار العلماء ومنسلكاً في سلسلة الأكابر النقشبندية العلية : أن الشيخ يوسف الهمداني قدس سره لما بلغ ثمانية عشر سافر إلى بغداد وتفقَّه على الشيخ أبي إسحاق ، وبلغ درجة الكمال في علم النظر ، وكان على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم جميعاً ، واشتغل أيضاً بالتحصيل في بخارى وأصفهان ، وكان مقبولاً في بلاد العراق وخراسان وخوارزم وما وراء النهر . وأقام مدة في جبل زر ولبس الخرقة من يد الشيخ عبد الله الجويني ، وانتسب في التصوف إليه وإلى الشيخ حسن السمناسي والشيخ أبي علي الفارمدي رحمهم الله تعالى .

وكان ولادته في سنة أربعين وأربعمائة ، ووفاته سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

وذكر الإمام اليافعي رضي الله عنه في تاريخه أن الشيخ الخواجه يوسف الهمداني كان صاحب الأحوال والكرامات ، واستفاد في بغداد وأصفهان والعراق وخراسان وسمرقند وبخارى ، وأفاد وتعلَّم علم الحديث ، وكان واعظاً وانتفع به خلق كثير . ونزل في مَرْو وأقام فيه مدة ، ثم ذهب إلى هراة وجلس فيها زماناً ، ثم رجع ثانياً إلى مرْوَ ، ثم خرج بعد مدة إلى هراة وسكن فيها مدة ، ثم عزم ثالثاً إلى مرْو وتوفي في الطريق ، ودفن في موضع وفاته .

وقيل : إن مريده ابن النجار نقل جسده المبارك من مدفنه إلى مرو ، وقبره الآن فيه يزار ويُتبرَّك به . ولما قرب وفاته انتخب أربعة من

أصحابه للإرشاد ، وشرَّفهم بالخلافة والنيابة على رؤوس الأشهاد فكان كلٌّ من هؤلاء الأربعة في مقام دعوة الخلق ، وهداية الطالبين إلى طريق الحقِّ ، وقام الباقون من أصحابه في مرتبة المتابعة والملازمة لهم رعاية للأدب . وسنورد كلاً منهم مع خلفائهم طبقة بعد طبقة إلى آخر السلسلة النقشبندية على الترتيب وبالله التوفيق :

الشيخ الخواجه عبد الله البرَّقي قدس سره أول خلفاء الشيخ خواجه يوسف الهمداني قدس سره ، خوارزمي الأصل كان عالماً وعارفاً ، صاحب الكرامات والمقامات .

وذكر في أنساب الشيخ عبد الكريم السمعاني رحمة الله تعالى عليه : إن نسبة الخواجه عبد الله إلى برَّق بفتح الراء المهملة المشددة ، معرب بره ، لأن بعض آبائه وأجداده كان صاحب غنم وكان يبيع أولادها ، وبره بالفارسية هو ولد الغنم ، وقبره المبارك على رأس شورستان يعني في بخارى ، قريب من مزار الشيخ أبي بكر إسحق الكلاباذي رحمهما الله تعالى .

الشيخ الخواجه حسن الإنداقي قدس سره : ثاني خلفاء الشيخ الخواجه يوسف الهمداني قدس سره وكنيته أبو محمد ، واسمه حسن بن حسين الإنداقي ، وهي قرية على ثلاث فراسخ من بخارى .

وأورد السمعاني في أنسابه أن في مرو قرية على فرسخين من البلد ، يقال لها أيضاً إنداق معرب إندك بالفارسية ، ونسبة الخواجه حسن إلى إنداق بخارى لا إنداق مرو .

وقال فيه : كان الخواجه حسن شيخ وقته ومرشد زمانه ، وكانت له طريقة مقبولة في تربية الطالبين ، ودعوة الخلق إلى الحق سبحانه ، وصفاء الوقت ، ودوام العبادة ، وكثرة الرياضة ، ومتابعة الآثار والسنة النبوية ، وملازمة الآداب المصطفوية ، وصحب خواجه يوسف الهمداني

قدس سره ولازمه سنين ، وكان من خواصِّ أصحابه ومريديه ، وسافر معه إلى خوارزم وبغداد . ولقيته أولاً في خانقاه الشيخ يوسف الهمداني قدس سره بمرو ولكن لم يحصل التعارف بيننا . ثم لقيته ثانياً في بخارى فكنت أتردد إليه ، وأطلب التبرُّك بصحبته والمثول لديه ، وهو يكرمني فوق الغاية . وسمعت منه بعض الأحاديث برواية شيخنا الخواجه يوسف الهمداني قدس سره .

وولادته سنة اثنين وستين وأربعمائة ، ووفاته في السادس والعشرين من شهر رمضان ، سنة اثنين وخمسين وخمسمائة ، وحلَّ في مرقده الشريف في الليلة السابعة والعشرين من الشهر المذكور .

وهو حفيد الإمام العالم الرباني الكامل الفقيه الحقاني : الشيخ عبد الكريم أبي حنيفة الإنداقي ، الذي هو من كبار تلامذة شمس الأئمة الحلواني رحمهما الله تعالى .

وحكى أنه لما وصل الخواجه حسن الإنداقي إلى ملازمة الخواجه يوسف الهمداني قدس سرهما وأخذ منه الطريقة ، وصل حاله من دوام الاشتغال بالذكر والفكر في مدة يسيرة إلى مرتبة صار فيها مغلوب الحال ، ووقع كثير من مهماته الضرورية في التفريق والاختلال ، ولم يتيسَّر له كفاية معاش الأولاد ، فقال له شيخه الخواجه يوسف : إنك محتاج وصاحب عيال ، ومباشرة بعض الأمور ضرورية ، والإهمال فيه والإمهال غير جائزٍ شرعاً وعقلاً . فقال له في جوابه : إن حالي على وجه ليس لي معه مجال مباشرة أمر آخر . فحصل لخواجه يوسف من هذا الكلام غيرةٌ فعاتبه ، فرأى ليلته في منامه ربَّ العزة وهو سبحانه وتعالى يقول : يا يوسف ! إنا أعطيناك البصارة ، وأعطينا الحسن البصارة والبصيرة . المراد من البصارة عين العقل ، ومن البصيرة عين القلب . فأكرمه خواجه يوسف بعد ذلك غاية الإكرام ، ولم يكلِّفه بشيء من أمور الدنيا .

وقبره المبارك في بخارى خارج باب كلاباذ ، قريب مزار الشيخ أبي بكر إسحق الكلاباذي في جانبه الشرقي ، رحمهما الله تعالى وإيانا آمين .

حضرة الخواجه أحمد اليسوي رحمه الله تعالى : ثالث خلفاء الشيخ يوسف قدس سره ويقول له الأتراك أتا يسوي . و« أتا » لفظ تركي بمعنى الأب ، وهم يطلقونه على المشائخ الكبار تعظيماً لهم . مولده يسوى : وهو بلد مشهور من بلاد تركستان . مرقده هناك .

كان قدس سره صاحب آيات ظاهرة ، وكرامات باهرة ، وأحوال سامية ، ومقامات عالية . وكان في صباه منظوراً بنظر كيمياء بابا أرسلان قدس سره الذي هو من قدماء مشائخ الترك ومن كبار علمائهم . وقيل : إن بابا أرسلان اشتغل بتربيته بإشارة النبي ﷺ في المنام . ووقعت له في خدمته ترقيات كلِّية ، وكان ملازماً لصحبته مدة حياته . ولما توفي قدم بخارى ، وصحب الشيخ يوسف الهمداني قدس سره وتمَّ سلوكه في خدمته ، وبلغ درجة الإرشاد . ولما وصلت نوبة الخلافة إليه بعد وفاة عبد الله البرقي والحسن الإنداقي ، واشتغل بدعوة الخلق في بخارى مدة وقعت له العزيمة بإشارة غيبيّة إلى طرف تركستان ، ووصَّى أصحابه وقت سفره بمتابعة الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره وملازمته ، وتوجَّه إلى طرف يسوى .

واعلم أنَّ حضرة الشيخ خواجه أحمد اليسوي قدس سره رئيس حلقة مشائخ الترك ، وانتساب أكثر مشائخهم إليه ، وكان في سلسلته من الأكابر ما لا يحصى ، فنكتفي هنا بذكر سلسلة أصحابه المتصلة بزمان حضرة شيخنا قدس سره ، ثم نشرع بعد ذلك في ذكر الخواجه الغجدواني قدس سره .

واعلم أنه كان لخواجه أحمد أربعة خلفاء ، وأذكرهم بالإجمال :

منصور أتا رحمه الله تعالى : أول خلفائه ، ابن بابا أرسلان من صلبه ، كان عالماً في علم الظاهر والباطن ، وحصَّل التربية في مبادئ أمره من والده ، وبعد وفاته بادر إلى ملازمة الخواجه أحمد بإذن والده ، ووصل بعنايته ورعايته إلى أعلى درجات الولاية .

عبد الملك أتا رحمه الله تعالى ابن منصور أتا : جلس بعده مجلسه ، وتشمَّر لتربية المستعدين ، وكان في مسند الإرشاد سنين .

الشيخ تاج الدين خواجه رحمه الله تعالى ، ابن عبد الملك أتا ، ووالد زنجي أتا الآتي ذكره : حصَّل التربية في الطريقة والحقيقة من والده الماجد بعد تحصيل علوم الرسوم ، وتصدَّى لتربية الطالبين بعد بلوغ درجة الإكمال .

سعيد أتا رحمه الله تعالى : هو الثاني من خلفاء الخواجه أحمد ، ومربي المريدين بإشارته .

سليمان أتا رحمه الله تعالى : ثالث خلفائه ، ومن كبار مشائخ الترك ، وحِكَمُه التركية في معاملات الساكلين مشهورة في بلاد تركستان .

ومن جملة فوائد أنفاسه المباركة هذا المثل الذي أورده في احترام الخلق واغتنام الوقت (هر كيم كورسنك خضِر بيل*هرتون كورسنك قَدْربيل) يعني اعتقد كل من لقيته خضراً ، وتصوَّر كلّ الليالي قدراً . وأيضاً هذا المثل في كسر النفس منسوب إليه (بارچة يخشي بزيمان * بارچة بغدا بِزْحَمان) يعني كل الناس أخيار ونحن الأشرار وكل الناس حنطة ونحن[1] تبن .

حكيم أتا رحمه الله تعالى : رابع خلفائه ، جلس سنين في مسند الإرشاد ، ودعى الخلق إلى طريق الحق بعد الخلفاء الثلاثة ، وكان مسكنه

---

(١) فبارجة بالفارسية معناه : كل الناس ، كما فسره رحمه الله تعالى .

خوارزم ، وفيه ارتحل عن الدنيا في موضع يقال له آق قورغان ، يعني القلعة البيضاء ، وقبره هناك معروف يزار ويتبرك به .

زنجي أتا قدس سره ويقال له أيضاً : زنجي بابا : هو من أعظم خلفاء حكيم أتا وأقدمهم ، مولده ومسكنه بلده تاشكند ، وقبره المبارك أيضاً هناك يذهب الخلق لزيارته ، ويصلون بمدده إلى مراداتهم .

وروى مولانا القاضي محمد عليه الرحمة عن حضرة شيخنا أنه قال : كلما جئت إلى مزار زنكي أتا كنت أسمع من قبره المبارك نداء الله الله . وهو قدس سره ابن تاج خواجه حفيد بابا أرسلان .

وكان سنين في تربية والده الماجد ، وبعد وفاته التزم صحبة حكيم أتا بإشارة غيبيَّة وبشارة لا ريبيَّة مدة حياته ، وتزوج بعد وفاته زوجته المسماة بعنبرانا بنت بُراق خان ، وحصل له منها أولاد وأحفاد ، وكان كل منهم عالماً وعاملاً وصاحب إرشاد ، وكان كل واحد في زمانه مقتدى السالكين .

وإن حكيم أتا كان أسود اللون ، فخطر يوماً على قلب عنبرانا ليت حكيم أتا لم يكن أسود ! فأشرف حكيم أتا بنور الكرامة على خاطرها وقال : ستصحبين بعدي شخصاً أسود مني ! فكانت بعد حكيم أتا نصيب زنجي أتا .

وقال البعض : إنَّ زنجي أتا قدس سره ما لقى حكيم أتا بحسب الظاهر ، بل كانت تربيته له بحسب المعنى والروحانية ، والأول أصح .

وقيل : إن زنجي أتا لم يكن في خوارزم حين توفي حكيم أتا ، بل كان في تاشكند ، ولما سمع خبر وفاته توجَّه إلى طرف خوارزم ، ولم يمكث لحظة إلى أن وصل إليها ، وأدى أداب الزيارة وتعزية أهل المصيبة ، ولما انقضت عدة عنبرانا أرسل إليها واحداً من محارمها يخطبها لنفسه ، فأعرضت عنه بوجهها وقالت : لا أرضى بزواج أحد بعد

حكيم أتا ، خصوصاً بهذا الزنجي الأسود ! فصارت رقبتها معوجَّة إلى جانب قلبت فيه وجهها ، فاضطربت من هذا الحال . ورجع الرسول إلى زنجي أتا وأخبره بما جرى بينه وبينها ، وبما أجابت ، فأرسل إلها ثانياً وقال : اقرأها مني السلام وقل لها : أما تذكرين وقت خطر ببالك : أن ليت لم يكن حكيم أتا أسود ، فأشرف حكيم أتا على ما وقع في قلبك وقال : ستصحبين بعدي شخصاً أسود مني ؟ ! فلما بلَّغها الرسول ذلك تذكرت ما جرى بينها وبين حكيم أتا وبكت وقالت : رضيت بما يريد زنجي أتا . فاستقامت رقبتها في حالتها فتزوَّجها زنجي أتا قدس سره .

وكان لزنجي أتا أربعة خلفاء : أوزون حسن أتا ، وسيد أتا ، وصدر أتا ، وبدر أتا . وكانوا في مبادي الحال في مدرسة بخارى بتحصيل العلوم ، ومشاركين بغاية الاهتمام ، فوقع على خاطر كل منهم في ليلة واحدة بالاتفاق سلوك الطريقة العلية ، ففرَّقوا ما في حجرتهم ، وتوجهوا إلى الصحراء قاصدين لتركستان فصادفوا زنجي أتا قدس سره .

أوزون حسن أتا رحمه الله تعالى : أول خلفاء زنجي أتا .

قيل أن هؤلاء الأربعة لما وصلوا إلى تاشكند رأوا في الصحراء شخصاً أسود غليظ الشفة يرعى بقراً ، وكان هو زنجي أتا ، فإنه كان يرعى بقرات تاشكند في مبادي أحواله لستر حاله ، ويشتغل في الصحراء بعد كل صلاة بذكر الجهر ، وكانت البقرات تتركن الأكل وتتحلَّقن حوله مدة اشتغاله . فلما قرب هؤلاء الطلبة إليه رأوه حافياً يكسِّر أشجاراً ذات شوك برجليه ولا تؤثر الشوك فيهما ، ويربطها بالحبال ليحملها إلى بيته ، فتعجبوا منه ، فجاءوا لديه وسلَّموا ، وردَّ وقال : أحسبكم غرباء ! من أين ساقتكم الأقدار ؟ فقالوا : نحن طلبة كنا في بخارى فوقع الفراغ عنه علينا ، وحُبّب سلوك طريق القوم لدينا ، فخرجنا منها نلتمس المرشد الكامل . فقال لهم : اصبروا حتى أشمَّ أطراف العالم وأخبركم عن مرشد الأنام ، فجعل يستنشق الجهات الأربع ثم قال : شممت جوانب العالم فلم أجد

في الربع المسكون إنساناً يخلِّصكم عن حضيض النقصان ، ويرقيكم إلى ذروة الكمال غيري ، فوقع إنكارٌ في باطن سيد أتا وبدر أتا وقال من قلبه : إني مع كوني سيداً عالماً كيف أتبع هذا الأسود راعي البقر ؟ وقال بدر أتا في نفسه : انظر إلى هذا الزنجي الذي شفته كشفة البعير كيف يدَّعي دعاوي طويلة عريضة ؟ وأما أوزون حسن أتا وصدر أتا فلم يحصل لهما إنكار على دعواه ، بل قالا في نفسهما : يمكن أن يودع الله تعالى نوراً في هذا الأسود . فتعرَّف زنجي أتا في باطنهم مقارناً لهذا الحال ، وجعل قلوبهم متعلقة به .

وأول من قدم للبيعة منهم لزنجي أتا : أوزون حسن أتا . وكان أول من وجد الإذن والإرشاد .

سيد أتا رحمه الله تعالى : ثاني خلفاء زنجي أتا ، واسمه سيد أحمد لكن اشتهر بسيد أتا ، واجتهد في ملازمته بليغاً ، واشتغل بالرياضات الشاقة ، ومع ذلك لم ير في باطنه أثر الرشد والفتوح ، فعرض على عنبرانا وقال : إن كلامك مقبول عند أتا فأرجو أن تشفعين لي بكلمة إليه ، فلعلي أتشرف بنظر عنايته وأكون من المرضيين لديه ، فقبلته وقالت : لفَّ نفسك الليلة باللّبد الأسود ، وكن منتظراً في الطريق ، فلعله يراك وقت ذهابه إلى الطهارة فيرقَّ لك ويرحمك ، ففعل سيد أتا ما أَمَرَتْ به . وقالت عنبرانا في الليلة لزنجي أتا : إن السيد أحمد عالم وكان مدةً في الملازمة ، ولم يكن منظوراً بنظر خاصٍّ من جنابك ، فألتَمِس منك أن ترحم لحاله . فتبسَّم زنجي أتا وقال : إن سبب انسداد طريق الفتوح عليه إنما هو علمه وسيادته ، فإني لمَّا أرشدته إلى نفسي في أول لقائه خطر بقلبه أني مع كوني سيداً وعالماً كيف أتبع هذا الأسود راعي البقر ، لكن لما كنتِ شفيعةً له عفوت عنه . ثم إنه لما خرج وقت السَحَر رأى شيئاً أسود مطروحاً في الطريق فوضع عليه رجله ، وكان سيد أتا فصادف رجل زنجي أتا إلى صدره فقبَّل رجله ، فقال له أتا : من أنت ؟ فقال :

غلامك أحمد . فقال أتا : قم فقد استقام أمرك بهذا الانكسار ، والتفت إليه في هذا المحلِّ بالتفات خاصٍّ ، ولما قام من مطرحه انكشف له مقصوده وفتح له أبواب المواهب .

واعلم أن سيد أتا قدس سره كان معاصراً لحضرة عزيزان خواجه علي الراميتني قدس سره ووقعت بينهما مفاوضات سنورد نبذة منها عند ذكر عزيزان قدس سره .

وذكر في مقامات خواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره : نقل حضرة الخواجه أن سيد أتا مرَّ بزارع الذرة في أرض فقال له : إيش تزرع ؟ فقال : أزرع الذرة ، ولكن لا تنبت هذه الأرض الذرة جيداً . فقال سيد أتا قدس سره خطاباً للأرض : يا أرض أعطي ذُرة جيداً ، فنبتت الذُرة في تلك الأرض سنين من غير إلقاء البذر .

إسماعيل أتا قدس سره : من كبار خلفاء سيد أتا . قال حضرة شيخنا : تعرَّض الناس على إسماعيل أتا في أوائل حاله ، فكان يقول لهم : أنا ما أعرف هذا ولا ذاك . وكان يسكن في نواحي خوزيان قصبة بين سيرام وتاشكند يقال لها : « سچلا تربه وألوغ تربه » يعني التربة الصغيرة والتربة الكبيرة ، وكان موالي تلك الديار يتعرضون إليه ويغتابونه دائماً ، ويقول : إنَّ هؤلاء الموالي صابوننا وأشناننا .

وكان حضرة شيخنا يستحسن هذا الكلام منه غاية الإحسان .

ومن أنفاسه النفيسة : كن ظلاً في الشمس ، ولباساً في البرد ، وخبزاً عند الجوع . قال : كلامه هذا كلامٌ جامع .

وقال : إنَّ إسماعيل أتا كان يقول للمريد بعد تلقين الذكر له : يا درويش ! كنتُ أنا وأنت أخوين في الطريقة فاقبل مني نصيحة : تخيَّل هذه الدنيا كأنها قُبَّة واحدة زرقاء ، ليس فيها أحد إلا أنت والحقُّ تعالى لا غير ، فاذكر الله سبحانه ذكراً كثيراً ، حتى لا يبقى فيها من غلبة التوحيد

وقهرة للنفس إلا الحق سبحانه ، وترتفع أنت من البيت وتكون منك شيئاً في أنوار التوحيد .

قال : تفوح من هذا الكلام روائح عطرية .

وقال إن السيد الشريف الجرجاني قدس سره كان يقول لي : يا شيخ زادة ! يفوح من سجدات مريدي إسماعيل أتا عرق المذاق رحمهم الله تعالى .

إسحاق خواجه ابن إسماعيل أتا رحمهما الله تعالى وإيانا .

كان صاحب صفاء وقت وأحوال عالية ، ومقيماً في نواحي اسبيجاب قصبة بين تاشكند وسيرام .

قال الشيخ عبد الله الخجندي من أصحاب خواجه بهاء الدين النقشبند قدس سرهما : حصلت لي جذبة قوية قبل تشرُّفي بشرف صحبة حضرة الخواجه بسنين ، فوصلتُ إلى مرقد الخواجه محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس سره ، فوجدت منه إشارة مشتملة على بشارة بأن ارجع إلى وطنك ، فإن مقصودك يحصل ببخارى بعد اثني عشر سنة ، وهو موقوف على ظهور خواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره ، فحصل لي من تلك الإشارة جمعية من الجملة ، فرجعت إلى وطني ، ثم بعد زمان قصدت السوق ومررت بشخصين من الأتراك قاعدين على باب مسجد يتكلمان يبكيان ، فملتُ إليهما وأصْغيت إلى كلامهما ، فإذا هما يتكلمان في الطريقة ، فرغبت في صحبتهما ، فجئت عندهما بمقدار من الطعام والثمار ، وأظهرت لهما التواضع . فقال أحدهما للآخر : أرى هذا الرجل طالباً صادقاً ، فاللائق به أن يكون في صحبة سلطان زاده مخدومنا إسحق خواجه ، ولما سمعت منهما الكلام قويت فيَّ داعية الطلب فقلت لهما : مَنْ إسحاق خواجه ، وأين هو ؟ قالا : هو في اسبيجاب . فوصلت إلى صحبته وطلبت منه الطريقة ، وبقيت في خدمته أياماً . وكان له ولد

يلوح من ناصيته آثار النجابة وأنوار الرشد ، فقال يوماً لوالده الماجد شفاعة لي : إن هذا الدرويش رجل متواضع لائق بالخدمة ، فالأنسب أن تشرِّفه بشرف القبول . فقال إسحق خواجه : يا ولدي ! إن هذا الدرويش من مريدي خواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره ، وليس لنا فيه مجال التصرُّف . فلما سمعت منه الكلام زاد يقيني بظهور بهاء الدين قدس سره فاستأذنته وانتظرت ظهوره قدس سره إلى أن ظهر في بخارى فشرفت بصحبته وقبوله .

صدر أتا وبَدْر أتا رحمهما الله تعالى : الثالث والرابع من خلفاء زنجي أتا ، اسمهما صدر الدين محمد ، بدر الدين محمد ، وكانا في بخارى في درس واحد ، ويأكلان من قصعة واحدة ، وينامان على فراش واحد ، ولما وصلا لدى زنجي أتا ظهرت كل يوم آثار الترقِّي في أحوال صدر الدين ، وآثار التنزُّل في أحوال بدر الدين ، فضاق صدره وقال : إنَّ السيد لما توسَّل إلى أتا بعنبرانا كان مظهراً لعنايته ، فاللازم عليَّ الآن أن أذهب إليها ، وألتمس الدواء لدائي من دار شفاء شفقتها ، فجاء عندها حزيناً باكياً ، وأنهى لها حاله متحسِّراً ، والتمس منها الشفاعة لحاله عند زنجي أتا وقال : قولي لجناب أتا إن بدر الدين يقول : كنت أنا ومولانا صدر الدين من غلمان بابه ومتساويين في العبودية ، فما السبب في زيادة عنايته في حقه ؟ فإن وقع مني التقصير فاللازم على جناب أتا التنبيه والتقرير ، أو التأديب والتعزير ، حتى أتبادر لتداركه . فلما جاء زنجي أتا قدس سره من الصحراء في هذا اليوم ، وكان اتفاقاً منبسط الحال ، ومنشرح البال ، بلَّغت عنبرانا عريضة مولانا بدر الدين ، فقال لها أتا : إن سبب تنزُّله أنه في أوَّل ملاقاته إياي وحضوره لدي خطر بقلبه أن انظروا إلى هذا الأسود ، عريض الشفة ، كيف يدَّعي دعاوى طويلة عريضة ! لكن لما كنتِ له شفيعة عفوت عنه وتجاوزت عن ذنبه . فطلبه في حينه والتفت إليه ، فوصل في الحال إلى درجة مولانا صدر الدين ومقامه ،

فكانا بعد ذلك متساوييْن في سير المقامات وقطع منازل السالكين ، ومتشاركيْن في ظهور الأحوال ومواجيد العارفين ، ولم يغلبه بعد ذلك مولانا صدر الدين في وقت من الأوقات ، ولم يسبقه في حال من الأحوال في الطريقة والحقيقة أبداً .

أيمن بابا رحمه الله من خلفاء صدر أتا ، أرشد الطالبين إلى طريق الحق بعد وفاته بإشارته .

الشيخ علي رحمه الله تعالى خليفة أيمن بابا ، وجلس بعده مكانه على مسند الإرشاد .

الشيخ مودود رحمه الله تعالى خليفة الشيخ علي ، وربَّى بعده المستعدين .

الشيخ كمال رحمه الله من كبار أصحاب الشيخ مودود ، وكان مقيماً بولاية شاش .

وقال حضرة شيخنا قدس سره : كان الشيخ كمال من مريدي الشيخ مودود ، وأخا في الطريقة للشيخ خادم .

الشيخ خادم رحمه الله تعالى كان من جملة أصحاب الشيخ مودود قدس سره وكان في مبادئ ظهور شيخنا ، مقتداً جمعٌ كثير في ما وراء النهر ومرشدهم ، وكان مقيماً بولاية شاش ، ووقع بينه وبين شيخنا ملاقاة كثيرة ، رحمهما الله تعالى وإيانا .

الشيخ جمال الدين البخاري خليفة الشيخ خادم وقائم مقامه ؛ قدم هراة ، وأقام مع جمع كثير من مريديه في مرقد مولانا سعد الدين الكاشغري قدس سره ، وتوفي فيه إلى رحمة الله تعالى ، ودفن تحت قبر مولانا المذكور .

وكان هذا الفقير يتشرَّف بصحبته أحياناً في ملازمة مولانا رضي الدين عبد الغفور عليه الرحمة والغفران ، وكان هو ينقل عن شيخه فوائد كثيرة ، ولنذكر بعضاً منها :

مطلب

قال : قال شيخنا الشيخ خادم في قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ : إن طائفة من الناس يحصِّلون من الذكر قساوة[1] القلب ، وذلك أنهم يذكرون الله تعالى من غير رعاية أدب ، وعلى غير الحضور ، بل على الغفلة والفتور ، بمقتضى نفوسهم الخبيثة ، وطباعهم الخسيسة .

ولعلَّ في قوله تعالى ﴿مِن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى أمثال هذا الذكر ، وإن فسَّر المفسرون من بعَنْ ! وقالوا : معناه غفل عن ذكر الله .

مطلب

قال : قال شيخنا : إن الحضور الذي يحصل للسالك في نهاية الذرِّ ، وغاية العبور عن مراتب الذكر ، ربما يحصل قبل الوصول إلى النهاية ، لكن لا يكون لهذا الحضور بقاء ، بل يزول سريعاً بمقتضى بقية أحوال الطبيعة البشرية ، فإن تيسر العبور عن مراتب الذكر الذي هو عبارة عن مشاهدة بعض الأنوار ، ومكاشفة شيء من الأسرار ، تقعد تلك المراتب مقام الطبيعة كالأجسام اللطيفة فيتخلص السالك من قيد الطبيعة البشرية وربط التفرقة .

قال : قال شيخنا إن الدليل على صحة الأحوال الواردة أن يحصل تلك الأحوال وقت الفناء والاضمحلال ، ويزول الكلفة في الأعمال ، ويحصل الميل إلى الشريعة الغرَّاء ، وتتجدَّد المحبة لها حتى يقوم بإتيان أحكام الشريعة بكمال الشوق والبهجة والسرور ، من غير كلفة وكسالة وفتور .

---

(١) تدبروا على هذا ولا تغفلوا .(هامش الأصل) .

الحكمة لعدم انتقاض وضوء أهل الله حال الرقص والسماع

قال : جاء واحدٌ من علماء الرسوم عند شيخنا وقال : إنَّ حال أهل الرقص والسماع لا يخلو من أحد الشقَّين ، فإنهم وقت الرقص إما متَّصفون بصفة اليقظة والشعور ، أم لا ! فإن كانوا متصفين بالشعور فالحركة والرقص وإظهار الغيبة والفناء مع وجود الشعور في غاية القباحة ، وإن لم يكونوا متَّصفين به ! فما بالهم يصلّون بعد الإفاقة من غير تجديد الوضوء ! فهذا أشنع وأقبح من الأول ، فإن وضوءهم قد انتقض بزوال الشعور . فقال له الشيخ : إنَّ واحداً من أسباب انتقاض الوضوء أن يكون العقل مسلوباً كما يقع على المجانين ، أو أن يكون العقل مستوراً ومغلوباً كما يقع في حالة الإغماء والغشي ، وعدم شعور هذه الطائفة حال الرقص والسماع ليس بداخل في واحد من هذين الشقين ، فإنه لا تسلب عقولهم ولا تكون مستورة ، وإنما السبب لعدم شعورهم :

مطلب

أن العقل الكلي يفاض من العالم الإلهي على العقل الجزئي الحاصل في الإنسان وقت السماع ، ويكون حاكماً في مملكة وجود السالك ويغلب عليه ، وفي هذا العقل الكلي قوة تدبير جميع العالم وقدرة ضبطه ، فكيف لهذا البدن الضعيف من بني آدم ؟ فالبدن في هذا الحال يكون في ظلِّ حمايته وكنف تدبيره ، فكيف يتطرَّق إليه شيء من نواقض الوضوء ؟ لأنَّ الطالب الصادق لما كان مدبِّره وحاميه هذا العقل الكلي يخرج في تلك الحالة من أحكام الطبيعة بكليَّته ، ويتخلص من لوازم البشرية برُمَّته ، فلا يحتاج إذاً إلى تجديد الوضوء .

قال : قال شيخنا : قال بعض أكابر النقشبندية قدس الله أرواحهم : إنَّ وجود العدم يعود إلى وجود البشرية ، وأما وجود الفناء فلا يعود إلى وجود البشرية .

ومعناه بالظاهر أنَّ المراد من وجود العدم هو تحقق صفة العدم في الطالب ، التي هي عبارة عن الغيبة التي تحصل للمبتدئين في أثناء مشغوليَّتهم . وبالحقيقة فإن وجود العدم عبارة عن ظلِّ الوجود الحقيقي الذي يلقيه إلى مدركة السالك ، ثم بواسطة كمال شغله الباطني وخلوِّ قلبه عن النقوش الكونية يظهر ذلك الظلُّ بعد غيبته ، وهذا الظلُّ وهو وجود ذلك العدم ، وهذا الوجود يعود إلى وجود البشرية ، أي يزول هذا الظلُّ ثانياً ، ويستتر ويغلب لوازم وجود البشرية ، بخلاف وجود الموهوب الحقَّاني الذي يقال له البقاء بعد الفناء ، فإنه لا يزول لحصوله بعد التحقق بمقام الفناء ، فكما أن الفناء يعقبه وجود البقاء ؛ كذلك هذا العدم يعقبه الوجود ، وذلك الوجود وإن كان بحقيقته ظلَّ الوجود الحقيقي الباقي ؛ فإنه بواسطة عدم التحقق بمقام الفناء يتوارى أحياناً أن يكون ثابتاً راسخاً . اللهم ارزقنا الوجود الحقيقي الباقي . آمين .

خواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره

هو الرابع من خلفاء خواجه يوسف الهمداني قدس سره وقدوة طبقات خواجكان ، ورئيس السلسلة النقشبندية .

مولده ومدفنه في غجدوان ، قرية كبيرة تقارب البلد على ستة فراسخ من بخارى .

والده عبد الجليل من أولاد الإمام مالك رضي الله تعالى عنه إمام دار الهجرة . وكان مقتدى وقته ، وعالم الظاهر والباطن ، وساكناً في ملاطية من بلاد الروم ، وزوجته والدة عبد الخالق من بنات بعض ملوك الروم ، وتشرَّف بصحبة الخضر عليه السلام وبشَّره بوجود حضرة خواجه ، وسمَّاه بعبد الخالق ، ولما ارتحل الإمام بسبب حوادث الأيام من بلاد الروم والشام إلى ما وراء النهر مع متعلقاته من الخاص والعام قدم ولاية بخارى ، واختار للإقامة قرية غجدوان ، فولد له فيها حضرة

خواجه ونشأ بها ، واشتغل في مبادئ حاله بتحصيل العلوم في بخارى ، ولما بلغ قوله تعالى ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ الآية وقت اشتغاله بالتفسير عن أستاذه الإمام صدر الدين سأله عن حقيقة هذه الخفية وطريقتها ، وكيفية تحصيلها ، وقال : إنَّ الذاكر إذا ذكر جهراً أو تحرّك شيء من أعضائه وقت الذكر يطَّلع الأغيار ، وإن ذكر بقلبه يطلع عليه الشيطان ، فلا تتحقق الخفية في حال من الأحوال . فقال أستاذه : إنَّ هذا علم لدنيٍّ ، فإذا أراد الله تعالى لك ذلك يوصلك إلى واحد من أهل الله فيعلِّمك كيفيتها وحقيقتها . فكان خواجه بعده منتظراً لقاء أحد من أهل الله حتى لقي الخضر عليه السلام فعلَّمه الوقوف العددي .

وفي « فصل الخطاب » : إنَّ كيفيَّة اشتغال عبد الخالق قدس سره حجَّةٌ في الطريقة ، ومقبولة عند جميع الفرق ، كان قدس سره مداوماً على الصدق والصفا ، ومتابعة الشريعة وسنة المصطفى ﷺ ، ومجانباً للنفس والهوى .

تلقَّن الذكر القلبي في شبابه عن الخضر عليه السلام فكان يواظب عليه ، وقَبِلَه الخضر عليه السلام للولديَّة ، وأمره بأن يخوض في الحوض ويقول بقلبه تحت الماء : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ففعله الخواجه ، فأخذه واشتغل به ، ففتح له أنواع الفتوح والترقِّيات ، وكان كيفية اشتغاله من أوله إلى آخر أمره مقبولة عند الخلق .

ولما قدم الخواجه يوسف الهمداني قدس سره إلى بخارى حَضَرَهُ الشيخ الخواجه عبد الخالق صحبةً ، وعلم أنَّ له أيضاً اشتغالاً بالذكر القلبي فاغتنم صحبته ، ولازمه مدة إقامته ببخارى ، ولذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه في التلقين ، والخواجه يوسف شيخه في الصحبة .

وطريق خواجه يوسف ومشائخه وإن كانت علانية ؛ لكن لما أخذ عبد الخالق الذكر الخفيَّ عن الخضر عليه السلام وأمر بذلك لم يغيِّره شيخه يوسف ، بل أمره أن يشتغل على الوجه المأمور به من الخضر عليه السلام .

وذكر في بعض تحريرات الخواجه عبد الخالق قدس سره : لما بلغ من العمر اثنين وعشرين فوَّضني الخضر عليه السلام إلى خواجه يوسف قدس سره ، ووصَّاه بتربيتي ، فما دام في ما وراء النهر كنت في خدمته ، ثم لما رجع إلى خراسان اشتغل بالرياضات وستر أحواله عن الأغيار ، وبلغ مرتبة كان يذهب إلى مكة في كل وقت من أوقات الصلاة ويرجع له . وله في ولاية الشام مريدون لا يحصون ، وله رسالة « الوصية في آداب الطريقة » لأجل[1] ولده المعنوي خواجه أولياء كبير ، لا بد منها للسالكين ، ومنها هذه الفقرات :

وصايا عبد الخالق قدس سره

قال : أوصيك يا بُنيَّ بتعلُّم العلم والأدب والتقوى في جميع الاحوال ، وعليك بتبع آثار السلف وملازمة السنة والجماعة ، وتعلم الفقه والحديث ، واجتنب الصوفي الجاهل ، وصلِّ الصلوات بالجماعة على الدوام بشرط أن لا تقبل شيئاً من وظائف الإمامة والأذان ، وإياك وطلب الشهرة ! فإن فيها آفات ، واختر الخمولة دائماً ، ولا تكتب اسمك في الحجج والوثائق ، ولا تحضر محكمة القضاء ، ولا تكن كفيلاً لأحد ، ولا تدخل في وصايا الناس ، ولا تصحب الملوك وأبنائهم ، ولا تَبْنِ رباطاً ولا تقعد فيه ، ولا تكثر السماع فإنَّ كثيره يورث النفاق ويميت القلب ، ولا تنكره فإن أصحاب السماع كثير ، وكن قليل الكلام ، قليل الطعام ، قليل المنام ، وفرَّ من الخلق فرارَكَ من الأسد ، والزم الخلوة ، ولا تصحب الولدان والنساء والمبتدعين ، والأغنياء المتكبرين ، والعوام كالأنعام ، وكُلْ من الحلال ، واحذر من الشبهة ، ولا تزوَّج ما استطعْتَ فتطلب الدنيا ، ويكون دينك هباء في طلبها ، ولا تكثر الضحك ، وفي الضحك من القهقهة ، فإن كثرة الضحك تميت القلب ، وانظر إلى كل

(١) أي : كتبها .

أحد بعين الشفقة ، ولا تحقر أحداً ، ولا تزيِّن ظاهرك فإن تزيين الظاهر ينبئ عن خراب الباطن ، ولا تجادل مع الخلق ، ولا تطلب شيئاً من أحد ، ولا تأمر أحداً بالخدمة ، واخدم المشائخ بالمال والبدن والروح ، ولا تنكر على أفعالهم ، فإن منكر المشائخ لا يفلح أبداً .

ولا تكن مغروراً بالدنيا ولا بأهلها ، وكن مغموم القلب دائماً ، مريضاً بدنك ، باكية عينك ، خالصاً عملك ، مقروناً دعاءك بالتضرع ، وخَلِقاً لباسك ، وطالباً رفيقك صادقاً ، ومسجداً بيتك ، ومؤنسك الحق سبحانه وتعالى .

ومن كلماته القدسية الكلمات الثمان التي بنى عليها طريق أكابر النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية : هَوُش دَرْدَمْ ، نظر بَرْقدَمْ ، سفردَنْ وَطنْ ، خلوة درانجمن ، يادكرد ، بازكشت ، نكاه دشت ، بادِذاشَت . وما وراءه كله ظنون وأوهام .

ولا يخفى أن من جملة مصطلحات هذه الطائفة العليَّة ثلاث كلمات أخرى وهي : الوقوف الزماني ، الوقوف العددي ، الوقوف القلبي . فالكل إحدى عشر كلمة .

ولما كان خواجه عبد الخالق قدس سره رئيس السلسلة النقشبندية أحببت أن أُبيِّن هنا معاني ألفاظه المصطلحة :

هَوُش دَرْدَمْ : يعني أن كل نفس من أنفاس السالك ينبغي أن يكون خروجه على الحضور والشعور ، لا الغفلة والفتور ، وأن لا يكون غافلاً عن الحق سبحانه في كل نَفَس .

مطلب

وقال حضرة شيخنا : جعلوا في الطريقة رعاية النَفَس من أهمِّ الأمور ، ينبغي أن يكون جميع الأنفاس معروفة ، وخارجة على نعت الحضور ووصف الشعور ، فإن لم يكن متحفِّظاً يقولون : إنَّ فلاناً ضَيَّعَ نفسه ؛ أي طريقته وسيرته .

قال حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره : ينبغي أن يجعل بناء الأمر في هذه الطريقة على النَفَس بأن يشغلك أهم الأحوال في الزمان الحال عن تذكر الماضي وتفكر المستقبل ، ولا يترك النَفَس حتى يضيع ، ويسعى في المحافظة على ما بين النَفَسين ؛ وقت خروجه ودخوله ، لئلا يكونا على الغفلة .

قال الشيخ أبو الجناب نجم الدين الكبري قدس سره في « فواتح الجمال » : الذكر الجاري على نفوس الحيوانات أنفاسها الضرورية ، فإن حرف الهاء التي هي إشارة إلى غيب هويَّة الحق سبحانه وتعالى تحصل عند كل أوقات خروج النَفَس ودخوله ، أرادوا ذلك أو لا ، وحرف الهاء في لفظ الجلالة هو هذا الهاء ، والألف واللام للتعريف ، وتشديد اللام للمبالغة فيه . فينبغي للطالب العاقل أن يكون في نسبة الحضور مع الله تعالى ، على وجه تكون هوية الحق سبحانه وتعالى ملحوظة وقت التلفظ بهذا الحرف الشريف ، وحاضراً وقت خروج النفس ودخوله ، حتى لا يقع الفتور في نسبة الحضور مع الله تعالى ، وأن يجتهد في حفظ هذه النسبة ليكون واقفاً لقلبه دائماً من غير تكلُّف ، بل ربما لا يستطيع أن يزيل هذه النسبة عن قلبه .

لا يخفى أن غيب الهوية في اصطلاح أهل التحقيق عن ذات الحق تعالى باعتبار اللاتعين! يعني بشرط الإطلاق الحقيقي ، ولا يمكن أن يتعلق به تعالى في تلك المرتبة علم وإدراك ، وهو تعالى من هذه الحيثية مجهول مطلق .

نظر بَرْقدم : هو أن يكون نظر السالك في جميع أحواله ، في الذهاب والإياب ، والعمران والبادية ، وفي كل مكان إلى ظهر قدمه لئلا يتفرَّق نظره ، ولا يقع على محلٍّ لا ينبغي وقوعه عليه .

سَفَرْدَنْ وَطَن : هو أن يسافر السالك في طبيعته البشرية من صفاتها إلى الصفات الملكية ، ومن الأخلاق الذميمة إلى الحميدة . والإنسان

الخبيث لا يزول خبثه بالانتقال من محلٍّ إلى محلٍّ آخر حتى ينتقل من صفاته الخبيثة . ومشائخ الطريقة مختلفة في اختيار السفر والإقامة ، فبعضهم اختار السفر في بدايةٍ والإقامة في نهاية ، والبعض على عكسه ، وبعضهم الإقامة في البداية والنهاية ، وبعضهم عكس هذا ، ولكلٍّ من هذه الطوائف الأربعة نيَّة صادقة وغرضٌ صحيح . وأما اختيار أكابر النقشبندية في السفر والإقامة : أن يسافر في البداية إلى أن يصل إلى مرشد كامل ، فبعده يكون مقيماً في خدمته ، ملازماً لصحبته ، فإن وُجِدَ في دياره مرشدٌ كامل من هذه الطائفة يترك السفر بالكلية ، ويبادر إلى خدمته ، ويسعى بليغاً في تحصيل ملكة الحضور ، ويجتهد كاملاً في الاتصاف بصفة الشعور ، فإذا تخلَّص عن قيد البشرية وتحقَّق بصفة الملكيَّة فالإقامة والسفر في حقه سواء .

خلوة درانجمن : سئل الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره بأن بناء طريقتكم على أيِّ شيء ؟ قال في جوابه هذه العبارة . ومعناه الخلوة في الجلوة ؛ في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق تعالى .

بـقـلـبـك صـاحِبْنا وجانبْ بظاهر وذا الـسـيـرُ في الدنيا قليلُ النظائر

وقال قدس سره طريقتنا هذا مبني على الصحبة ، فإن في الخلوة شهرة ، وفي الشهرة آفة ، والخير كله في الجمعية ، والجمعية في الصحبة بشرط فناء كلٍّ في الآخر .

قال الخواجه أولياء كبير قدس سره : الخلوة في الجلوة : أن يبلغ الاشتغال بالذكر والاستغراق فيه مرتبة لو مشى الذاكر في السوق لا يسمع شيئاً من الكلام والأصوات ، بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب .

قال حضرة شيخنا : يصل السالك بسبب الاشتغال بالذكر بالجدِّ والاهتمام خمسة أو ستة أيام إلى مرتبة يخيَّل له جميع أقوال الناس

وأصوات المخلوقات ذكراً ، بل يُخيَّل له كلام نفسه أيضاً ذكراً ، لكن لا يحصل ذلك بدون سعي واهتمام .

يادِكَرْد : عبارة عن الذكر اللساني والقلبي .

وكتب شيخنا : إن المقصود من الذكر هو أن يكون القلب حاضراً مع الله تعالى بوصف المحبة والتعظيم ، فإذا حصل ذلك الحضور في صحبة أرباب الجمعية فقد حصل خلاصة الذكر[1] والحاصل أن مخَّ الذكر وروحه حصول الحضور مع الحق سبحانه ، فإذا لم يحصل هذا الحضور في الصحبة فحينئذ يشتغل بالذكر لتحصيله .

ذكر حبس النَفَس

والطريق الذي يُسَهِّل المحافظة عليه هو أن يحبس النَفَسَ تحت السرَّة ، وأن يضم الشفتين ، ويلصق اللسان بالحنك الأعلى بحيث لا يتضيَّق النَفَس ، ويخلي حقيقة القلب التي هي عبارة عن المدرك الدارك الذي يذهب في لمحة إلى أطراف العالم ، ويتفكر الدنيا ومصالحها دائماً ، ويتيسر له في طرفة العين العروج إلى السماء وسير أكناف الأرض عن جميع الأفكار والوسواس ، ويجعلها متوجهة إلى القلب الصنوبري ، ويشغلها بالذكر بأن يمدَّ كلمة (لا) إلى طرف الفوق ، وكلمة (إله) إلى طرف اليمين ، ويضرب كلمة (إلا الله) إلى القلب الصنوبري بالقوة التامة ، بحيث تصل حرارته على جميع الأعضاء .

وينبغي أن يلاحظ في طرف النفي وجود جميع المحدثات بنظر الفناء والترك ، ويلاحظ في طرف الإثبات وجود الحق سبحانه بنظر البقاء والمقصودية . وينبغي أن يستغرق جميع أوقاته بالذكر على هذا الوجه ،

---

(١) المقصود من الذكر .(هامش الأصل) .

ولا يتركه لشغل من الأشغال حتى يستقر صورة التوحيد في القلب بتكرار هذه الكلمة الطيبة ويكون صغته اللازمة .

بازكشت : هي أن يقول السالك بعد تكرار الكلمة الطيبة مرات بلسان القلب : إلهي أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي . فإن هذه الكلمة تنفي كل خاطر حاصل في القلب من الخير والشرِّ ، حتى يبقى ذكره خالصاً ، ويكون سرُّه عن نقش السوى فارغاً . ولا يترك المبتدئ هذه الكلمة بسبب فقدان صدقه في مضمونها في بداية أمره ! فإنَّ بتكرارها يظهر فيه آثار الصدق تدريجاً .

نكاه داشت : عبارة عن مراقبة الخواطر ، بحيث لا يترك خاطره يذهب نحو الأغيار مدَّة تكرار الكلمة الطيبة في نَفَس واحد .

قال مولانا سعد الدين قدس سره في معنى هذه الكلمة : ينبغي أن يحفظ خاطره ساعة أو ساعتين أو أزيد مقدار ما يتيسَّر لئلا يتطرق الأغيار على قلبه .

قال مولانا قاسم قدس سره : إن مَلَكَة مراقبة الخواطر بلغت درجة يمكن أن يحفظ القلب عن خطور الأغيار ؛ من طلوع الفجر إلى الضحوة الكبرى ، على وجه تكون القوة المتخيِّلة في تلك المدة معزولة عن العمل .

ولا يخفى أن انعزال القوة المتخيلة عن عملها ؛ ولو نصف ساعة أمرٌ عظيم عند أهل التحقيق ، ومن النوادر ، وإنما يحصل أحياناً لكُمَّل الأولياء ، كما في الفتوحات المكية لابن العربي قدس سره .

ياداشت : وهذا هو المقصود من جميع ما سبق . وهو عبارة عن الحضور مع الحق تعالى على وجه الذوق ، وهو حضور بلا غيبة ، وهو عند أهل التحقيق : أن المشاهدة التي هي عبارة عن استيلاء شهود الحق على القلب بواسطة الحب الذاتي كناية عن حصول هذا الحضور .

الوقوف الزماني الذي هو حال أهل الطريقة ، ورأس مال السائرين إلى عالم الحقيقة : عبارة عن كون السالك واقفاً على أحواله في كل زمان ، أنها موجبة لشكر ، أم موجبة لعذر .

قال الخواجه بهاء الدين قدس سره : قد بُنِيَ أحوال السالك في الوقوف الزماني على الساعة ليكون واجداً للنفس ، فيعلم أنه يمرُّ بالحضور أو الغفلة ، فإن بنى على النَفَس لما يكون واجداً لهاتين الصفتين .

المحاسبة

والوقوف الزماني عندهم عبارة عن المحاسبة ، وهي أن تحاسب كل ساعة تمرُّ بنا ، فتنظر ما الغفلة وما الحضور ! فإن كان عملنا في تلك الساعة نقصان كلُّه نرجع ، ونأخذ العمل من الابتداء .

الوقوف العددي : عبارة عن رعاية العدد في الذكر ، ورعايتها في الذكر القلبي لأجل جمعية الخواطر المتفرِّقة . وما وقع في كلام الأكابر النقشبندية أن فلاناً أمر فلاناً بالوقوف العددي ، فالمراد به الذكر القلبي مع رعاية العدد ، لا مجرَّد رعاية العدد في الذكر القلبي .

وينبغي للسالك أن يقول في نَفَس واحد ثلاث مرات ، ثم خمس مرات ، ثم سبع مرات ، إلى إحدى وعشرين ، وأن يعدَّ العدد الفرد لازماً .

مطلب

قال الشيخ علاء الدين العطاري قدس سره : الإكثار من الذكر ليس بشرط ، بل الشرط كون الذكر ناشئاً من الحضور والوقوف حتى يترتب عليه الفائدة ، فمتى تجاوز الذكر إحدى وعشرين مرة في نَفَس واحد ولم يظهر الأثر فهو دليل على عدم فائدة العمل . وأثره أن ينتفي الوجود البشري وقت النفي ، وأن تظهر آثار الجذبات الإلهية وقت الإثبات . وما قال الخواجه بهاء الدين قدس سره من أن الوقوف العددي أول مرتبة من

العلم اللدنيِّ ! مراده : أنَّ أوَّل مرتبة العلم اللدنيِّ بالنسبة إلى أهل البداية هو مطالعة آثار تصرفات الجذبات الإلهية المذكورة ، كما قاله الخواجه علاء الدين العطاري قدس سره : أنه كيفية وحالة تتكشَّف فيها مواصلة القرب والعلم اللدنيِّ . وأما كون الوقوف العددي أول مرتبة العلم اللدنيِّ بالنسبة إلى أهل النهاية فهو : أن يكون الذاكر واقفاً على سرِّ سريان الواحد الحقيقي في مراتب الأعداد الملكوتية ، كما أنه واقف على سرِّ سريان الواحد العددي في مراتب الأعداد الحسابية .

وقد قال بعض أكابر المحققين في هذا المضمون نظماً :

لقد جاءت الوحدات عيناً لكثرة ... ولا شكَّ لي فيه وإن أنت جاحد
ففي كل أعداد تفكَّرت ممعناً ... تجده كثيراً وهو في الأصل واحد

وقال في شرح الرباعيات ، شعرٌ :

صاح لدى أهلِ كشفٍ هم لنا سندُ ... في كل رتبةِ أعدادٍ سرى الأحد
أو أنه جاز عن حدٍّ بكثرته ... لكن حقيقة هذا ذلك الأحد

الفرق بين علم اليقين والعلم اللدني

والتحقيق أن هذا الوقوف على سرِّ سريان الواحد الحقيقي في مراتب الأعداد الكونية أوَّل مرتبة العلم اللدني والله أعلم .

لا يخفى أن العلم اللدنيِّ علم يحصل لأهل القرب بتعليم إلهي ، وتفهيم رباني ، لا بدلائل عقلية وشواهد نقلية ، كما ورد في التنزيل في حق الخضر عليه السلام قوله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، والفرق بين علم اليقين والعلم اللدنيِّ هو : أنَّ علم اليقين عبارة عن إدراك نور الذات والصفات الإلهية ، والعلم اللدني عبارة عن إدراك المعاني ، وفهم الكلمات من الحق سبحانه وتعالى بطريق الإلهام .

الوقوف القلبي : على معنيين :

أحدهما : كون قلب الذاكر حاضراً مع الحق تعالى ، فهو بهذا المعنى من مقولة باداشت المذكورة . وكتب حضرة شيخنا : إنَّ الوقوف القلبي حضور القلب مع الحق تعالى على وجه لا يبقى للقلب مقصود غير الحق سبحانه . وقال : ومن الشروط حين الذكر ؛ الارتباط بالمذكور والحضور معه . ويقال لهذا الحضور شهود ، ووصول ، ووجود ، ووقوف قلبي .

والثاني : كون الذاكر واقفاً على قلبه ، متوجِّهاً في أثناء الذكر إلى قطعة اللحم الصنوبري الذي يقال له القلب مجازاً ، وهو في الجانب الأيسر محاذي الثدي الأيسر ، ويجعله مشغولاً بالذكر ، ولا يتركه غافلاً عنه . ولم يجعل الخواجه بهاء الدين قدس سره حبس النَفَس ورعاية العدد لازماً في الذكر . وأما الوقوف القلبي ! فجعله مُهِمّاً بمعنييه وعدَّه لازماً ، فإن خلاصة الذكر والمقصود منه هو الوقوف القلبي .

ترقب لبيض القلب كالطير يا فتى　　　فمن بيض قلبٍ يحصل الذوق والوجد

ولما قربت الوفاة لخواجه عبد الخالق قدس سره انتخب أربعة من أصحابه لمقام الدعوة والإرشاد :

الخواجه أحمد الصديقي قدس سره : أول خلفائه ، بخاري الأصل ، جلس بعد وفاته مكانه ، وكان الباقون من أصحابه في متابعته .

الخواجه أولياء كبير قدس سره : الثاني من خلفائه ، بخاري الأصل ، وهو جلس الأربعين لمراقبة الخواطر ، ولم يزاحم حضوره شيء من الخواطر في تلك المدة . وكان حضرة شيخنا يستعظم ذلك منه ويستغربه ويستحسنه ، ويعضُّ أصبعه المبارك من التعجُّب وقال : إن الاشتغال بالتربية النقشبندية يبلغ مرتبة في مدَّة يسيرة يتخيَّل جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً .

وقال : إن معنى جلوس الأربعين لمراقبة الخواطر ليس المراد به أنه لا يخطر في قلبه شيء من الخواطر مطلقاً ، بل المراد عدم وقوع خاطر مزاحم للنسبة الباطنية ، كما أن الحشيش على وجه النهر لا يكون مانعاً لجريانه .

الخواجه سليمان الكرميني قدس سره : الثالث من الخلفاء خواجه عبد الخالق قدس سره .

الخواجه عارف الريوكري قدس الله تعالى سره : هو الرابع من خلفاء الخواجه عبد الخالق قدس سره ، مولده ومدفنه ريوكر[1] ، قرية من قرى بخارى على ستة فراسخ منها ، ومنها إلى غجدوان فرسخ شرعي . وسلسلة نسبة حضرة خواجه بهاء الدين قدس سره تتصل به من بين خلفاء الخواجه عبد الخالق قدس سره .

الخواجه محمود الأنجيري قدس سره أفضل أصحاب الخواجه عارف ؛ عليه الرحمة ، وأكملهم ، وامتاز من بين الأصحاب بالخلافة .

مولده أنجير فغنوى ، قرية من مضافات وابكِن ؛ قرية كبيرة من قرى بخارى مشتملة على قرى كثيرة ، على ثلاثة فراسخ من بخارى ، وكان مقيماً بها ودفن فيها ، وكان نجَّاراً يحصل كفاية معايشه ، ولما تشرَّف من الخواجه بإجازة الإرشاد ، وصار ممتازاً بدعوة الخلق إلى طريق الحق ، افتتح بذكر العلانية بمقتضى الوقت ومصلحة حال الطالبين ، وكان أول اشتغاله به في مرض موت خواجه عارف ، قبيل احتضاره فوق تلّ ريوكر ، فقال الخواجه عارف في هذا الوقت : هذا وقت قد أشاروا به إليَّ قبل . ثم اشتغل به بعد وفاته في مسجد على باب قلعة وابكن . واستُفْسر بأيِّ نية تشتغلون بذكر العلانية ؟ فقال : بنية إيقاظ

---

(١) ريوكر بالراء المهملة والياء المثناة التحتية والواو الساكنتين والكاف الفارسية المكسورة وقيل تفتح . « حدائق » .

النائم ، وتنبيه الغافل أخ البهائم ، حتى يقبل على الطريقة ، ويستقيم على الشريعة ويرغب في الحقيقة ، فيصير سبباً لتوبته وإنابته التي هي مفتاح جميع الخيرات وأصل كل السعادات . فقال له مولانا حافظ الدين : إذاً نيَّتكم صحيحة ! فيحلُّ لكم الاشتغال به . ثم التمس منه أن يبيِّن حدَّ ذكر العلانية ، ليمتاز الحقيقة بذلك الحدِّ عن المجاز . فقال : ذكر العلانية مسلَّم ممَّن يكون لسانه طاهراً عن الكذب والغيبة ، وحلقه عن الحرام والشبهة ، وقلبه صافياً عن الرياء والسمعة ، وسرُّه منزهاً عن التوجُّه إلى غير جناب الربوبية . قيل : إن الخواجه علياً كان يوماً مشغولاً بالذكر في بادية راميتن مع أصحاب خواجه محمود ، فرأوا طائراً كبيراً أبيض يطير في الهواء ، فلما حاذاهم نادى بلسان فصيح : يا علي كن رجلاً كاملاً . فحصل للأصحاب من رؤية ذلك الطائر وسماع كلامه كيفية عجيبة ؛ حتى غابوا عن أنفسهم ، فلما أفاقوا سألوه عن الطائر وكلامه فقال : هو الخواجه محمود ، أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة ، يطير دائماً في مقام كلَّم الله تعالى فيه موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بألوفٍ منَ الكلام ، وكان الآن ذاهباً لعيادة الخواجه دهقان القلتي ، فإنه لما احتضر سأل الله تعالى أن يوصل إليه أحداً من أوليائه في آخر نَفَسه ليكون عوناً له في ذلك الوقت ، فذهب إليه الخواجه محمود قدس سره لهذا السبب .

وكان لخواجه محمود خليفتان جلسا بعده في مسند الإرشاد ودلالة الخلق إلى طريق الحق :

الأمير خورد الوابكندي قدس سره : اسمه الأمير حسين ، هو أول خليفته . كان من أكابر زمانه ، ومرجع الطالبين في أوانه ، وله أخ أكبر منه يسمى بالأمير حسن المعروف بالأمير كلال .

الخواجه علي الراميتني قدس سره العزيز : الثاني من خليفتي الخواجه محمود قدس سره ، ولقبه عزيزان . قيل أنه لما قربت وفاة الخواجه محمود أحال أمر الخلافة إلى حضرة عزيزان ، وفوَّض سائر

الأصحاب إليه . وسلسلة نسبة خواجه بهاء الدين تتصل به من بين أصحاب خواجه محمود بواسطتين ، وله مقامات رفيعة ، وكرامات عجيبة . وكان نساجاً .

مولده في راميتن ، قصبة كبيرة في ولاية بخارى على فرسخين من البلدة ، مشتملة على قرى كثير . وقبره في خوارزم معروف ومشهور يزار ويتبرَّك به .

كان الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني قدس سره معاصراً له ، وقعت بينهما مراسلات ، أرسل إليه الشيخ ركن الدين ثلاث مسائل :

الأولى : نخدم نحن وأنتم الواردين ! وأنتم لا تتكلَّفون في إطعام الطعام ، ونحن نتكلَّف فيه ، ومع ذلك الناس راضون عنكم وساخطون علينا فما السبب فيه ؟ فقال عزيزان في جوابه : إن من يخدم مع المنَّة في الخدمة كثير ! ولكن من يخدم مع قبول المنَّة قليل ! فاجتهدوا في الخدمة مع قبول المنَّة حتى لا يكون أحدٌ ساخطاً عليكم .

الثانية : إنا سمعنا أن تربيتكم حاصلة من الخضر عليه السلام فكيف ذلك ؟ فقال : إن لله سبحانه عباداً عاشقين له والخضر عاشق لهم .

الثالثة : إنا سمعنا أنكم تشتغلون بذكر الجهر ، فكيف هذا ؟ فقال : ونحن أيضاً سمعنا أنكم تشتغلون بالذكر الخفي ، فكان ذكركم أيضاً جهراً .

سأله مولانا سيف الدين : إنكم بأيِّ نية تشتغلون بذكر الجهر ؟ فقال : إن تلقين المحتضر كلمة (لا إله إلا الله) جهراً جائزٌ بإجماع العلماء لحديث « لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله » وكل نَفَسٍ نَفَسٌ أخير عند الصوفية ، فهم في حكم المحتضر .

سأله مولانا بدر الدين الميداني قدس سره أن الذكر الكثير الذي أُمرنا به في قوله تعالى ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ هل هو ذكر اللسان أو القلب ؟ فقال : هو في حق المبتدئ ذكر اللسان ، وفي حق المنتهي ذكر

القلب ، فإن المبتدئ يتكلف في الذكر دائماً ويبذل روحه ، والمنتهي إذا وصل أثر الذكر إلى قلبه يكون جميع أعضائه وعروقه ومفاصله ذاكرة ، فيتحقق الذاكر في ذلك الوقت بكونه ذاكراً بالذكر الكثير ، ويكون يومه الواحد في ذلك مساوياً لسنة غيره من الرجال .

وسألوه : إن المسبوق متى يقوم لقضاء مافات ؟ فقال : قبل الصبح . يعني ينبغي أن يقوم قبل الوقت حتى لا يفوته شيء من الصلاة .

قال : في الآية ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إشارة وبشارة ؛ الإشارة التوبة والرجوع ، البشارة قبول التوبة ، فإنه تعالى لو لم يقبل التوبة لما أمر بها ، والأمر دليل القبول لكن مع رؤية القصور .

قال : حافظوا على أنفسكم وقت الكلام ووقت الطعام .

قال : جاء الخضر عند الخواجه عبد الخالق ، فجاءه الخواجه بقرصين من خبز الشعير من بيته فلم يأكله ، فقال الخواجه : لِمَ لا تأكل فإنه حلال ؟ فقال : نعم ؛ لكن العاجن عجنه على غير طهارة ، فلا يجوز لنا أكله !

قال : ينبغي لمن جلس في محلِّ الإرشاد أن يكون مثل من يربِّي الطيور ؛ يعرف طبيعة كل واحد من الطيور فيطعمه ما يوافق مزاجه وطبعه ، فكذلك المرشد ينبغي له أن يربِّي الطالبين على قدر قابليتهم واستعداداتهم .

قال : لو كان على وجه الأرض واحد من أولاد الخواجه عبد الخالق في عصر حسين بن منصور[1] لما صلب ! أي لو كان واحد من أولاده المعنوية في عصره لرقَّاه بالتربية من هذا المقام الذي صدر عنه فيه قول : أنا الحق ، وغيره من الكلام ، وخلصه من الصلب بين الأنام .

---

(١) أي : الحلاج .

مطلب مهم جداً

قلب هذه الطائفة مورد لنظر الحق

قال : ينبغي لأهل الطريقة أن يكثر من الرياضات والمحاسبات ليصل إلى مرتبةٍ ومقام ، لكن للسالكين طريق آخر أقرب من جميع الطرق يمكن أن يصل منه إلى المقصود سريعاً ، وهو أن يجتهد في أن يتمكَّن في قلب واحد من أرباب القلوب ، بواسطة خُلْق حسن ، أو خدمة لائقة به ، فإن قلب هذه الطائفة مورد لنظر الحق تعالى فيكون له نصيب .

قال : ادعوا الله تعالى بلسان لم تعصوا به الله تعالى حتى تترتب عليكم الإجابة . يعني : تواضعوا لأولياء الله تعالى ، وأظهروا لهم الانكسار والافتقار حتى يدعوا لكم فيستجاب .

أنشد يوماً شخص عند عزيزان قدس سره هذا المصراع : وللعاشق العيدان في كل أنفاس . فقال : بل ثلاثة أعياد . فالتمس المنشد بيان ذلك . فقال : إنَّ الذكر الواحد من العبد بين الذكرين من الحق سبحانه : الأول التوفيق لذكره ، والثاني قبوله منه ، فيكون التوفيق والذكر والقبول ثلاثة أعياد .

سأله الشيخ نور الدين النوري من كبار ذلك الزمان : أنه ما سبب جواب طائفة في الأزل لقوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بلفظ (بلى) ، وسبب سكوتهم يوم الأبد حيث قال تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ؟ فقال : إن يوم سؤاله في الأزل يوم وضع التكاليف الشرعية وبسطها في الخلق ، وفي الشرع قيلٌ وقالٌ ، وأما يوم سؤاله في الأبد فيوم رفع التكاليف الشرعية وطيّها عن الخلق ، وابتداء عالم الحقيقة ، وليس في الحقيقة قيلٌ وقال ، فلا جرم يجيب فيه الحق سبحانه نفسه بقوله ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ . ومن جملة الأشعار المنسوبة إلى خواجه عزيزان ، وكتبتها بالترجمة وحذفت ما كانت بالفارسية لعدم الانتفاع بها في ديارنا :

النفس طيرٌ قَيْدها الأبدان
فاحفظها يا حبذا الندمانُ

رابط جناحها فإنْ أرسلتها
فيها إذا لا تسمح الأزمانُ

إذا لم تجد جمعيَّة من مُصاحب
ولم تك تنجو من هموم المصائب

فإن أنت لم تترك لقاه تبرِّياً
فأنت إذاً يا صاح لست بصائب

غدا عيدك المضنى بعشقك عانياً
لياليه لم يبرح بمغناك ثاوياً

وإن كان بالذلِّ المسلسل عاجزاً
ولكنه ما زال باسمك نادياً

إذا وصل الأذكار قلباً توجَّدا
هو الذكر ما فيه النبيه تفرَّدا

ولو أنه خاطية النار حائز
ولكن من الكونين قلبك أبردا

إذا رمت وصل الحق استرح أيها البدن
وفي طلب المحبوب اصبر على المِحَن

فإن كنت من روح العزيزان راجِياً
تعال على رأس وواصل برامِتَن

ومن خوارقه للعادات قدس سره : أنه كان معاصراً لسيد أتا المارِّ ذكره ، ووقعت بينهما ملاقاةٌ ومراسلات كما تقدَّم ، وكان لسيد أتا في حقه مناقشة ومناظرة في مبادئ حاله ، فصدرت مرة من سيد أتا صورة منافية للأدب في حق عزيزان ، فاتفق أنَّ جمعاً من أتراك دشت قچچاق نَهبوا في تلك الأيام أموالاً كثيرة من نواحي سيِّد آتا وأسروا ولده ، فتنبَّه السيد وتيقَّن أن هذه الحادثة إنما حدثت بسبب ارتكابه سوء الأدب ، فندم على ما تقدَّم وأحضر الطعام ، ودعى حضرة عزيزان برسم الضيافة للاعتذار ، وأظهر له التواضع والانكسار ، فاطَّلع حضرة عزيزان على غرض السيد ، وقَبِل التماسه وحضر مجلسه ، وكان ذلك المجلس مملوء من الأكابر والعلماء والمشائخ ، وكان في ذلك اليوم لحضرة عزيزان كيفية عظيمة وبسط تام . فلما مُدَّ السماط وحضر الطعام قال حضرة عزيزان : إن عليّاً لا يذوق الملح ولا يمدُّ يده إلى الطعام حتى يحضر ولد سيِّد أتا ، ثم سكت لحظة ، وانتظر الحاضرون ظهور أثر هذا النَفَس ، فدخل ولد سيد أتا من الباب في هذا الوقت بغتة . فقام من ذلك المجلس صياح

ونياح برؤية هذا الحال ، وتحيَّر كلهم وتعجبوا ! فسألوه عن كيفية نجاته من يد الأشرار ، ووصوله إلى تلك الديار ؟ فقال : إني كنت الآن أسيراً في يد جمع من الأتراك ، مربوط اليد والرجل بالحبال ، والآن أرى نفسي حاضراً عندكم ، ولا أعلم أزيد من ذلك . فحصل اليقين لأهل المجلس أنَّ هذا كان تصرُّفاً من حضرة عزيزان قدس سره ، فوضع الكل رؤوسهم على قدميه ، وسلَّموا يد الإرادة إليه .

نقل أنه جاء يوماً لحضرة عزيزان ضيوف لازموا الإكرام ، ولم يحضر في بيته في ذلك الوقت شيء من الطعام ، فصار من ذلك الحال منكسر البال ، فخرج من بيته فصادف غلاماً من مخلصيه كان يبيع الأكارع ومعه قدر مملوء من الأكارع ، فتواضع لحضرة عزيزان وقال : قد طبخت هذا الطعام لأجل ملازمي العتبة العلية من الأحباب والخدام ، فيرجى قبوله . فاغتنم حضرة عزيزان حضور الغلام بهذا الطعام في هذا الحال ، وطاب وقته وصار منشرح البال ، وأثنى على الغلام خيراً ، فأطعمه للأضياف ، ثم طلب الغلام وقال : إنَّ خدمتك هذه قد بلغت من الحسن الغاية ، ووقعت من القبول في النهاية ، فاطلب الآن مني أيَّ مراد شئْتَ تنل مقصودك . وكان الغلام عاقلاً ذكيّاً فقال : إني أريد أن أكون مثلك . فقال عزيزان : إنَّ هذا أمر صعبٌ ، يقع عليك حمل ما لا تطيقه . فقال الغلام بالتواضع والانكسار : إنَّ مرادي هو هذا ولا أريد غيره . فقال حضرة عزيزان قدس سره : تكون كذلك ، فأخذ بيده وأدخله في خلوته الخاصة ، وتوجَّه إليه بحسن التوجُّه ، فوقع بعد ساعة شبح[1] الشيخ على الغلام ، فصار في الحال في صورته وسيرته ظاهراً وباطناً ، بحيث لا يعرف الفرق في البين ، ولا يمتاز المثل من العين . وعاش الغلام بعد هذا أربعين يوماً ، ثم تخلَّص طير روحه من قفص البدن وطار نحو حضرة القدس ، ولحق برحمة ربه ذي المنن رحمة الله تعالى عليه رحمة واسعة .

---

(١) الشبح بفتحتين : الشخص . « مختار » .

قيل : إن حضرة عزيزان قدس سره لما توجَّه من ولاية بخارى إلى خوارزم بإشارة غيبية ووصل إلى باب البلد ، وقف هناك وأرسل اثنين من أصحابه إلى خوارزم شاه ، وقال لهما : قولا لخوارزم شاه إن نسَّاجاً قدم بلدك يريد الإقامة فيه ، فإن أذن له الملك يدخل ، وإلا يرجع من حيث جاء ! وقال لهما : فإن أذن الملك فخذا منه حُجَّة مختومة بختمه . فلما دخلا على الملك وعرضا عليه حاجتهما ضحك الملك وأركان الدولة ، وقالوا : إنَّ هؤلاء قوم غلبت عليهم البلاهة والجهالة . فكتبوا لهما ورقة بالإذن على وفق مرامهم استهزاء بهم ، وختمها الملك وأعطوها لهما ، فجاءا بها عند حضرة عزيزان قدس سره ، فدخل البلد وقعد في زاوية ، واشتغل بطريق خواجكان قدس الله تعالى أرواحهم ، وكان يذهب في كل صباح عند موقف العمَّال ويأخذ أجيراً أو أجيرين ويجيء به في بيته ، ويقول له : توضأ وضوءاً كاملاً ، واقعد معي اليوم على الطهارة إلى وقت العصر فنذكر الله سبحانه ، ثم خذ منِّي أجرتك ، ثم اذهب حيث شئت . فاغتنم العمال ذلك ، وصاروا يشتغلون في صحبة عزيزان بالذكر إلى وقت العصر بطيب القلب والنشاط ، وصار كل من اشتغل في صحبته يوماً واحداً بهذا الطريق يحصل له حالة عجيبة ، ببركة صحبته الشريفة ، وتأثير الذكر ، وتصرّفه في باطنه ، بحيث كان لا يقدر في اليوم الثاني مفارقة صحبته ، ولا يمكن له الذهاب من عنده ، حتى مضت مدَّة مديدة على هذا المنوال ، فدخل أكثر أهل تلك الديار في طريقته ، فكان الطالبون في بابه لا يحصون كثرة . فلما زاد الازدحام سعى اللئام إلى خوارزم شاه بأنه ظهر شيخ في تلك الديار ، ودخل في طريقته كثير من الأنام ، وقاموا في ملازمته وخدمته على الأقدام ، فيخشى من كثرة أتباعه أن يُحْدث خللاً في المملكة العلية ، وزللاً للسلطة السنية ، أو تقع فتنة لا يمكن تسكينها ، فتأثَّر الملك من هذا الخبر المفزع ، وعزم أن يخرج حضرة عزيزان من بلاده . فأرسل حضرة عزيزان الشخصين المذكوريْن بالورقة المذكورة المكتوبة المختومة بختمه إليه ، وقال : قولا

له نحن ما دخلنا هذا البلد إلا بإذن منك ! فإن بدَّلت الآن رأيك وغيَّرت كلامك نخرج من بلادك . فصار الملك وأركان الدولة خجلين منفعلين من الصورة المذكورة فوق الغاية ، وذهبوا إلى صحبته لملازمته ، وكانوا من جملة المحبين والمخلصين له .

قيل : إن عمره بلغ مائة وثلاثين سنة ، وكان له ولدان أمجدان ، عالمان عاملان ، عارفان كاملان ، وكان لهما من أعلى مراتب الولاية نصيبٌ تام .

الخواجه خورد رحمه الله تعالى : أكبر أولاده ، واسمه خواجه محمد ، وبلغ عمره في حياة أبيه الماجد ثمانين ، وكان أصحاب عزيزان يقولون له خواجه بدرك ، ولولده خواجه محمد خواجه خورد ، فاشتهر خواجه محمد بهذا الاسم .

الخواجه إبراهيم رحمه الله تعالى : أصغر ولديه ، قيل إنه لما قربت وفاة حضرة عزيزان أعطى إجازة الإرشاد لولده الأصغر الخواجه إبراهيم ، وأمره بدعوة المستعدين ، فخطر على قلب بعض أصحابه : أنه مع وجود خواجه خورد الذي هو أكبر ولديه ، وعالم في علم الظاهر والباطن ، كيف اختار الخواجه إبراهيم لإرشاد الخلق ؟ وما سببه ؟ فأشرف عزيزان على الخاطر وقال : إنَّ الخواجه خورد لا يمكث بعدنا إلا قليلاً ، ويلحقنا سريعاً .

توفي حضرة عزيزان بين الصلاتين يوم الاثنين ، الثامن والعشرين من ذي القعدة ، سنة خمس عشرة وسبعمائة .

وتوفي الخواجه خورد ضحى يوم الاثنين ، السابع عشر من ذي الحجة من تلك السنة ، بعد تسعة عشر يوماً من وفاة عزيزان .

وتوفي الخواجه إبراهيم في ثلاث وتسعين وسبعمائة . وكان لعزيزان قدس سره أربعة خلفاء غير الخواجه إبراهيم كلٌّ منهم محمد .

الخواجه محمد كلاذور رحمه الله تعالى : من كبار أصحاب عزيزان وجملة خلفائه ، وقبره في خوارزم .

الخواجه محمد حلاَّج البلخي رحمه الله تعالى : من كمَّل أصحاب عزيزان وخلفائه ، وقبره في ولاية بلخ .

الخواجه محمد الباوردي : هو أيضاً من جملة أصحاب عزيزان وخلفائه ، وقبره في خوارزم قدس الله تعالى أسرارهم العلية ورزقنا بركاتهم .

الخواجه محمد بابا السمَّاسي رحمه الله تعالى : أكمل أصحاب حضرة عزيزان قدس سره ، مولده قرية سمَّاس[1] ؛ من جملة قرى راميتن ، على بعد فرسخ شرعي منه ، ومنه إلى بخارى ثلاثة فراسخ ، وقبره أيضاً هناك . ولما قربت وفاة عزيزان اختار الخواجه محمد من الأصحاب للإرشاد ، وفوَّض إليه أمر الخلافة ، وأمر باقي الأصحاب بمتابعته وملازمته .

وحصل لحضرة خواجه بهاء الدين قدس سره نظر القبول بالولدية منه ، وكان كلما يمرُّ بقصر هندوان قبل ولادة الخواجه بهاء الدين يقول : يفوح من هذه الأرض رائحة رجال ، وسيصير قصر هندوان قصر عارفان . فلما مرَّ به يوماً قال : قد ازدادت تلك الرائحة ، وأظن أنه قد ولد ذلك الرجل . وكان قد مضى في ذلك الوقت ثلاثة أيام من ولادة خواجه بهاء الدين ، فوضع جدّه هدية على صدره الشريف ، وجاء به عند خواجه بابا . فقال : إنه ولدنا ونحن قبلناه . وقال لأصحابه : إن هذا المولود هو الذي كنت أشم رائحته فيوشك أن يكون مقتدى وقته ! ثم التفت إلى خليفته الجليل السيد الأمير كلال وقال : لا تقصِّر في تربية ولدي بهاء الدين وشفقته ، ولا أجعلك في حلٍّ مني إن كنت مقصراً . فقام

---

(١) بسينين مهملتين أولاهما مفتوحة بينهما ميم مشددة وألف . قرية من قرى رامتين على ميل منها وثلاثة أميال من بخارى « حدائق » .

الأمير على قدمه ، ووضع يده على صدره وقال : لا أكون رجلاً إن كنت مقصراً . وما بقي من تلك الحكاية ؛ وكيفية تربية الأمير لحضرة الخواجه مذكورة في مقامات الخواجه بهاء الدين بالتفصيل .

وكان لخواجه محمد بابا قدس سره بستان صغير في قرية سمَّاس ، وكان يباشر إصلاحه بنفسه أحياناً ، وينقيه بيده الكريمة ، وكان يمتدُّ إصلاحه إلى زمان طويل ؛ وذلك أنه كلَّما وضع المنشار على غصن من الأغصان كان يغلبه الحال ، ويغيب عن نفسه ، ويسقط المنشار من يده ، ويبقى في غيبته زماناً .

وكان له أربعة خلفاء فضلاء :

الخواجه صوفي السخاري رحمه الله تعالى ، وقبره في قرية سوخار : قرية على فرسخين من بخارى .

الخواجه محمود السمَّاسي ابن الخواجه محمد بابا .

مولانا دانشمدِرْ عليّ رحمه الله ، من كبار أصحاب محمد بابا .

ومن أجلّة خلفائه :

السيد الأمير كلال قدس سره فيه شرف السيادة . مولده ومدفنه قرية سوخار ، وكان يصنع الكيزان ، وكان يقال في لغة أهل بخارى لمن يصنع الكيزان « كلال » . وإنَّ والدته الشريفة كانت تقول : إذا أكلت لقمة ذات شبهة مدَّة حملي بالأمير كلال كان يعرض لي وجع البطن بالشدة ، فلما تكرر ذلك علمت أنه بسبب ذلك الجنين ، فكنت بعد ذلك أحتاط في اللقمة راجيةً خير ذلك الجنين .

فلما بلغ الأمير السيد كلال سنَّ الشباب اشتغل بالمصارعة ، وكان يجتمع حوله جمع كثير للتفرُّج ، فخطر يوماً على قلب رجل في ذلك الاجتماع : أنه كيف يليق بالسادة الشرفاء أن يشتغل بمثل هذه الصنعة ! ويسلك طريق أهل البدعة ! فغلبه النوم في الحال ، ورأى في المنام أنه

قد قامت القيامة ، ورأى نفسه مغموراً في الطين إلى صدره وقد عجز عن الخروج منه ، فبينما هو متحيِّر في تلك الحالة إذ ظهر السيد وأخذ بيده وأخرجه من الطين بسهولة ، فلما انتبه إليه أحضره الأمير في ذلك الاجتماع وقال : نحن إنما نتدرب[1] المصارعة ونتمرن المجاسرة والتجبُّر لمثل هذا اليوم .

روي أنَّ الخواجه محمد بابا مرَّ يوماً بمعركة السيد فوقف برهة يتفرج ، فخطر على بعض أصحابه : أنه كيف ينظر حضرة الخواجه إلى هؤلاء المبتدعة ؟ فأشرف الخواجه على خاطره وقال : إن في تلك المعركة رجلاً يصل في صحبته رجال كثيرون إلى درجات الكمال ، ونَظْرنا هذا إنما هو لأجله ، ونريد أن نصيده ، فوقع نظر الأمير في هذا الحال على حضرة الخواجه ، وجذبته جاذبة نظر الخواجه مما كان فيه ، فلما ذهب الخواجه ترك الأمير معركته من غير اختيار وتوجَّه من عقبه ، ولما وصل الخواجه إلى بيته وأدركه الأمير من عقبه أدخله في محله ، وعلَّمه الطريقة ، وقبله للولديَّة ، فلم يره أحد بعد ذلك في المعركة والأسواق ومجامع الفساق ، وكان في خدمته وملازمته مدة عشرين سنة متصلة ، وكان يجيء في كل يوم الاثنين والخميس من قرية سوخار إلى قرية سمَّاس لملازمته ، ويرجع من يومه ، ومسافة ما بينهما خمسة فراسخ ! واشتغل مدة ملازمته بطريقة الخواجكان قدس الله تعالى أرواحهم العلية بحيث لم يطَّلع عليها أحد من الأغيار على حاله ، حتى وصل في ظلِّ تربية الخواجه إلى مقام التكميل والإرشاد ، ونسبة صحبة الخواجه بهاء الدين ، وتعلُّمه الطريقة وآداب سلوكه كانت إليه قدس سره .

وله أربعة أولاد وأربعة خلفاء كلهم أرباب الكمال ، وأصحاب الوقت والحال .

---

(١) الدارب : الحاذق بصناعته . (هامش الأصل) .

وأحال تربية كل من أولاده على كل واحد من خلفائه ، وكان للأمير أربعة عشر خليفة :

الأمير برهان : أكبر أولاد الأمير السيد . وكان يقول في حق هذا الولد : برهاننا – أي حجتنا – في الطريقة . وهو من أجلَّة أصحاب الخواجه بهاء الدين قدس سره ، وأحال الأمير تربيته إليه ، وإنه كان صاحب سكر وجذبة قوية ، وطريقته الانقطاع عن الخلق ، ولم يأنس في عمره بأحد أبداً ، ولم يمل قلبه إلى الألفة سرمداً . وكان في قوة الباطن بمرتبة ينهب من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره ، ويتركهم عارين عن اللباس الباطن .

وحكى الشيخ نيكروز من أصحاب الخواجه : أنه كلما وقعت لي الملاقاة مع الأمير برهان كان يسلب مني أحوالي الباطنية ، ويتركني خالياً عن النسبة ، فلما وقع ذلك منه مرات أردت أن أعرض ما في بالي من أخذ الأمير أحوالي على حضرة الخواجه ، فجئت عنده بهذه النية ، فلما وقع نظره عليَّ قال : لعلك جئت للشكاية من الأمير برهان ؟ قلت : نعم . فقال : متى توجَّه إليك لسلب أحوالك توجَّهْ أنت إليَّ ، وقل من قلبك : لست أنا بل هو ، يعني حضرة الخواجه . فلما لقيت الأمير برهان بعد هذا التعليم وأراد أن يشتغل بسلب حالي على عادته القديمة توجَّهت في الحال إلى حضرة الخواجه ببالي ، وأحضرت صورته الشريفة في خيالي ، وقلت : لست أنا بل حضرة الخواجه ، فرأيته في الحال متغيِّر الأحوال ، حتى سقط في الأرض مغشيّاً عليه ، فلم يكن بعد ذلك متوجهاً إليَّ بطريق التصرُّف .

الأمير حمزة ولده الثاني : وكانت حرفته الصيد ، وكان يحصل له منه كفاية المعيشة . وأحال حضرة الأمير تربيته إلى عارف الديك كراني وقال : إن أردت رفيقاً يحمل أثقالك فهذا عزيز الوجود وعسير الحصول ، وإن أردت رفيقاً تحمل أثقاله فكلُّ من في الدنيا رفيقك وصاحبك .

الأمير شاه قدس سره : ثالث أولاد الأمير كلال قدس سره وكان طريق تحصيل معاشه بيع الملح ، كان يحمله من الصحراء ويبيعه في الأمصار والقرى ، وكان يقنع من الدنيا بقدر الكفاف ، ويسعى في كفاية مهمات ذوي الحاجات ، ويهتم بقدر الإمكان في تحصيل الخيرات .

الأمير عمر قدس سره : رابع أولاد الأمير كلال قدس سره كان صاحب الكرامات وخوارق العادات ومشتغلاً بأمر الاحتساب ، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، وغيوراً فوق الغاية .

حضرة الخواجه بهاء الحق والدين
محمد النقشبندي قدس الله تعالى سره العزيز

ولد في محرم سنة ٧١٨ في عهد حضرة عزيزان خواجه علي الراميتني ، على قول أنَّ وفاته كانت في شهور سنة ٧٩١ .

مولده ومدفنه قصر عارفان : قرية على فرسخ من بخارى . وكانت آثار الولاية واضحة في وجهه ، وأنوار الكرامة لائحة في جبينه في طفولته .

نقل عن والدته أنها قالت : كان ولدي بهاء الدين ابن أربع سنين فاشار إلى بقرة وقال : هذه تلد عجلاً أغرَّ الجبين ، فولدت بعد أشهر عجلاً موصوفاً بالصفة المذكورة .

وكان لحضرة خواجه نظر القبول للولدية من حضرة خواجه محمد بابا السماسي حيث كان طفلاً ، وكان تعلُّمه آداب الطريقة في الصورة من الأمير كلال ، وفي الحقيقة أوَيْسي ، تربَّى من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، كما هو معلوم من واقعاته التي رآها في مبادئ أحواله .

وجميع مشائخ خواجكان جمعوا الذكر الخفي والعلانية من محمود الأنجير فغنوي إلى الأمير كلال قدس سره ، ويقال لهم في هذه السلسلة الشريفة « العلانيون » .

ولما كان زمان ظهور خواجه بهاء الدين ، وكان مأموراً من خواجه عبد الخالق بالعزيمة في العمل ، اختار ذكراً خفيّاً ، واجتنب علانية ، وكلما شرع أصحاب الأمير كلال في الجهر كان يقوم عن المجلس ، وكان يثقل ذلك على خاطر الأصحاب ، وكان لا يلتفت إليه ولا يتقيد برفع هذا الثقل من خواطرهم ، وكان لا يترك دقيقة من خدمة الأمير كلال قدس سره وملازمته ، ولا يخرج رأس التسليم والإرادة من ربقة متابعته ، وكان التفات الأمير إليه زائداً يوماً فيوماً ، فخاض بعض الأصحاب في طعنه ، وعرضوا على الأمير بعض أحواله وصفاته في صورة القصور والنقصان ، فلم يردَّهم الأمير في هذه النوبة ، حتى اجتمع الأصحاب كبارهم وصغارهم زهاء خمسمائة في قرية سوخار لعمارة المسجد والرباط ومنازل أخرى ، فلما تمَّ أمرها اجتمعوا كلهم عند الأمير ، فتوجَّه إلى الطاعنين في حضرة الخواجه وقال : إنكم أسأتم الظن في حق ولدي بهاء الدين ، وأخطأتم في نسبة أحواله إلى القصور ، ولا تعرفون أمره وقدره ، فإن نظره تعالى شامل لحاله دائماً ، ونظر خواص عباد الله تعالى تابع لنظره تعالى ، وليس لي صنع واختيار في مزيد النظر في حقه .

وكان في الوقت مشغولاً بنقل الآجرِّ ، فطلبه الأمير وتوجَّه إليه في هذا المجمع وقال : يا ولدي ! إني قمت بموجب أمر محمد بابا في حقك حيث قال : كما أني بذلت جهدي في تربيتك ! لا تقصر أنت في تربية ولدي بهاء الدين . ففعلت ما أمرت . ثم أشار إلى صدره الشريف وقال : قد أفرغت ثدي العرفان لأجلك ، فتخلص طائر روحانيتك من بيضة البشرية ، ولكن باز همَّتك غايته الطيران ، فأجزتك الآن أن تطوف في البلدان ، فإذا وصل إلى مشامِّك رائحة المعارف من الترك والتاجيك فاطلبها منه ، ولا تقصر في أمر الطلب بموجب همَّتك .

قال حضرة خواجه : إن صدور هذا الكلام من حضرة الأمير كان سبباً لابتلائي ، فإني لو كنت في صورة المتابعة المعهودة للأمير لكنت أبعد من البلاء ، وأقرب إلى السلامة . فصحب بعد ذلك مولانا عارفاً سبع سنين ، ثم وصل إلى ملازمة الشيخ قثم وخليل أتا ، وصاحَبَ خليل أتا اثني عشر سنة ، وسافر إلى الحجاز مرتين ، وسافر معه الخواجه محمَّد پارسا قدس سره في المرة الثانية ، ولما وصلوا إلى خراسان أرسل مع سائر أصحابه من طريق باورد إلى نيسابور ، وتوجه بنفسه إلى هراة لملاقاة مولانا زين الدين أبي بكر التايبادي ، وصاحبه ثلاثة أيام في تايباد ، ثم توجه إلى الحجاز ، ولحق الأصحاب في نيسابور ، وأقام مدة في مَرْوَ بعد رجوعه من حجاز ، ثم قدم بخارى فأقام بها إلى آخر عمره . وأحواله بالتفصيل مذكورة في مقاماته .

ولما أشار الأمير كلال في مرض موته إلى أصحابه بمتابعته قال الأصحاب : إنه لم يتابعك في ذكر العلانية ! فكيف نتابعه ؟ فقال الأمير : كل عمل صدر منه فهو مبني على الحكمة الإلهية ، وليس له اختيار فيه .

ذكر كيفيَّة انتقال حضرة الخواجه وتاريخ وفاته قدس سره : قال مولانا محمد مسكين عليه الرحمة من أكابر ذلك الزمان : لما توفي الشيخ نور الدين الخلوتي قدس سره في بخارى حضر خواجه بهاء الدين قدس سره مجلس التعزية ، فرفع أصحاب التعزية أصواتهم بالبكاء ، وصاح الضعفاء بما لا يليق ، فحصل منه الكراهة للحاضرين فمنعوهم ، وتكلَّم كل واحد على حسب حاله . فقال حضرة الخواجه : إذا بلغ عمري نهايته أعلِّم الموت الدراويش . قال مولانا مسكين : كان هذا الكلام مركوزاً في قلبي دائماً حتى مرض حضرة الخواجه مرض موته ، فذهب إلى كاروان سرّا يعني الخان وكان مدة مرضه هناك ، ولازمه خواصُّ أصحابه ، وهو قدس سره يبذل لكل واحد منهم شفقة خاصَّة ، ويلتفت إليهم بالتفات خاص . ولما احتضر رفع يديه إلى السماء بالدعاء في نَفَسه الأخير ، ودعا مدة مديدة ، ثم مسح بيديه الكريمتين وجهه الشريف ، وانتقل من العالم في تلك الحالة .

قال حضرة شيخنا : قال مولانا علاء الدين الغجدواني عليه الرحمة : كنت حاضراً عند حضرة الخواجه في مرضه الأخير ، فدخلت عليه في حالة النزع ، فلما رآني قال : يا علا ، خذ السفرة وكل الطعام ، وكان دائماً يناديني بعلا فأكلت لقمتين أو ثلاثاً امتثالاً لأمره ، وما كنت قادراً على أكل الطعام في تلك الحالة ، ثم رفعت السفرة ففتح عينيه ورآني قد رفعتُ السفرة فقال : يا علا ! خذ السفرة وكل الطعام . فأكلت لقيمات ورفعت السفرة . فلما رآني قد رفعت السفرة قال : خذ السفرة وكل الطعام ينبغي أن يأكل الطعام كثيراً ويشتغل كثيراً قال ذلك أربع مرات . وكان خاطر الأصحاب مشغولاً في هذا الوقت بأن حضرة الخواجه إلى مَنْ يفوّض أمر الإرشاد ، وإلى مَنْ يسلِّم أمور الفقراء ، فأشرف حضرة الخواجه على خواطرهم وقال : ليش[1] تشوشوني في هذا الوقت ؟ ليس هذا الأمر في يدي ، فإنَّ الحاكم هو الله تعالى ، فإذا أراد أن يشرِّفكم بهذه الحالة يشير إليكم بها .

قال الخواجه علي داماد الذي من جملة خدام حضرة الخواجه : أمرني في مرضه الأخير بحفر القبر الذي هو مرقده المنوَّر ، فلما أتممت جئْت عنده ، فخطر في قلبي أنه إلى من يحيل أمر الإرشاد بعده ! فرفع رأسه المبارك وقال : الكلامُ هو الذي قلته في سفر الحجاز وأتممته : كل من أراد أن ينظر إليَّ فلينظر إلى الخواجه محمد پارسا . فانتقل في اليوم الثاني بعد هذا الكلام إلى رحمة الله تعالى .

قال حضرة الخواجه علاء الدين العطار قدس سره : قرأت يٓس وقت نزع حضرة الخواجه ، فلما وصلت إلى نصف السورة أخذت الأنوار في الظهور ، فاشتغلت بالكلمة الطيبة ، فانقطع بعد ذلك نفس الخواجه قدس سره .

---

(١) لأيِّ شيء .

وبلغ سنُّه الشريف ثلاثاً وسبعين سنة ، وشرع في الرابعة والسبعين ، وتوفي ليلة الاثنين الثالثة من ربيع الأول ، سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

لا يخفى أنَّ أفضل خلفاء حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره وأكمل أصحابه : علاء الدين العطار ، والخواجه محمد پارسا قدس سرهما وأصحابه وخدَّامه لا يضبطهم الحدُّ والعدُّ . ونذكر في هذه المجموع من أصحابه مَنْ نقل عنه حضرة شيخنا شيئاً من المعارف ، أو لقيه وصحبه ؛ وإن كان أعظم أصحابه قدراً ، وأقدمهم فخراً ، وخليفته على الحق ، ونائبه المطلق والأولى بالتقديم هو : الشيخ خواجه علاء الدين العطار قدس سره لكن نؤخِّر ذكره من سائر أصحابه ، لكون ذكره وخلفائه طويل الذيل قدس الله تعالى أرواحهم .

حضرة الخواجه محمد پارسا : ثاني خلفاء الخواجه ، وأعلم أهل الزمان وأورعهم ، وتذكرة خلفاء خواجكان . ولما التزم ملازمة الخواجه في مبادئ أحواله وأخذ في الرياضات ؛ جاء يوماً في ذلك الأثناء منزل الخواجه وانتظره خارج الباب ، فبينما هو واقف في الباب منتظراً خروجه إذ دخلت جارية من خدم خواجه في المنزل ، فسألها مَنْ في الباب ؟ فقالت : غلام پارسا ، يعني ظريف وعفيف منتظر في الباب . فخرج خواجه ورأى محمداً فقال : كنت پارسا . فوقع هذا اللفظ في أفواه الناس من يوم صدوره من لسانه الشريف ، واشتهر الخواجه محمد بهذا اللقب . وكان في ملازمة خواجه في سفر الحجاز في النوبة الثانية .

وقال : أمر حضرة خواجه في بادية الحجاز مخلصاً بالمراقبة ، وأمره بحفظ صورته الشريفة في خزانة خياله .

وقال : إن طريق هذا المخلص طريق الجذبة ، وصفته بين الجلال والجمال ، ولقَّنه الذكر أيضاً ، وأحال كيفية الذكر إلى علمه ، وأمره بالتمسُّك باللطف الإلهي ورؤية فضله ، وقطع النظر عن جزاء الأعمال ، وأمره أيضاً أن يرمي ما صدر منه من صفة الكمال قولاً وفعلاً في بحر العدم ، وأمره بالمحافظة على رؤية القصور دائماً .

وقال في حق هذا المخلص : هو من المرادين ! ويعامل المرادون في بعض الأوقات معاملة المريدين لأجل التربية .

ولما أمر ذلك المخلص بالتكلُّم في معارف القوم في مبادئ الحال رآه يوماً ماشياً أمامه ، فنظر إليه ثم توجَّه إلى الأصحاب وقال : إنَّ لكلِّ مَنْ يحضر مجلسه يسمع منه كلاماً على حسب فهمه وحاله ، وكان يشرِّفه في بعض الأوقات بالنظر الوهباني ، ويدعو له بتأثير كلامه في كل أحد ، وبحصول ما يريد ويقول .

وقال في وقت آخر : إنَّ الله سبحانه وتعالى يفعل كل ما يقوله . أنا أقول : قل وتكلَّم . وهو لا يقول ولا يتكلم ، يعني : رعاية للأدب .

وشرف هذا المخلص مرة بنظر وهباني بصفة بُرْخُ الأسود ، وهو عبد أسود كان في زمن سيِّدنا موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام وكانت له درجة المحبوبيَّة عند الله تعالى ، قيل أنَّ بُرخاً في بني إسرائيل كان قرين الأويس القرني رضي الله عنه في هذه الأمة .

وقال حضرة شيخنا : إن طائفة من كبراء المتقدمين كسبوا الأمور الحقيقية والمعارف اليقينية بعضهم من بعض ؛ بالمصاحبة من غير واسطة اللسان ، وهم البُرخيُّون ، والطائفة المتصفون بهذه الصفة في الشريعة المحمَّدية هم الأويسيُّون .

وقال حضرة الخواجه محمد پارسا قدس سره : لما عرض المرض لحضرة الخواجه في طريق الحجاز وصَّى أصحابه بوصايا ، وقال في أثناءها مخاطباً هذا المخلص في حضور الأصحاب : إن كل حق وأمانة وصل إلى هذا الضعيف من خلفاء خواجكان ، وما كسبته في هذه الطريقة فوَّضت كلها إليك ، كما فوَّضها مولانا عارف ، فينبغي لك أن تقبلها وتوصِّلها إلى خلق الله تعالى . فقبلها المخلص بالتواضع ، ولما رجع من الحجاز شرَّفه في حضور الأصحاب بنظر الوصية وقال : قد أخذت عني

كلَّ ما جمعتُه ، وكرَّر ذلك ، وازداد نظر عنايته بعد ذلك للمخلص يوماً فيوماً ، وقال في وقت آخر : إني أقول في حقه ما قاله مولانا عارف وأنا على ذلك ، ولكن ظهوره موقوف على اختيارنا ؛ أي سفر الآخرة .

وقال في آخر حياته : إن المعنى الباطن الذي قلته يظهر البتة ، ولكن في طريقه الآن حجر أسود ، فإذا أُميط عن الطريق يظهر ذلك المعنى .

وقال : قال حضرة الخواجه في آخر حياته في حق ذلك المخلص حين غيبوبته : إني ما تأذيت منه أبداً ، وقد حصل لي تأذٍ في الجملة من كلٍّ من الأصحاب ، وأما منه فلم يحصل أبداً ، فإن حصلت المناقشة بيننا في بعض الأوقات فإنما كانت منِّي لمصلحة وحكمة عارضة ، فإن أعرضت عنه أياماً بالباطن فالآن قلبي عنه راض رضاءً تامّاً ، وأنا على قول قلته في طريق الحجاز في حضور الأصحاب ، فلو كان حاضراً في هذا الوقت لقلت في حقه أزيد من الأول ، وأظهر له في هذه الحال نظراً كثيراً والحمد لله على ذلك .

عـنـايتك الجزيلة جرَّأتني   بـأنـواع الـرجـاء العاليات

مولانا محمد الفغانزي رحمه الله تعالى من المقبولين لخواجه بهاء الدين : مولده قرية فغانز ؛ قصبة كبيرة بين بخارى وسمرقند ، وكان غلاماً جميلاً غاية الجمال فصاده خواجه ، وقبِله بنظر العناية والشفقة ، واستكثر هو أيضاً ملازمة محمد پارسا قدس سره . فمن بركة نظر خواجه ، ويُمْنِ همَّة خواجه محمد پارسا حصلت نسبة الجمعية . وكان محمد پارسا يخرج من المسجد بعد العشاء في أكثر الأوقات ويتكئ بعصاه على صدره الشريف ، قائماً على باب المسجد ، ويكلِّم الأصحاب كلمتين أو ثلاث ، ثم يسكت ويغيب عن نفسه في السكوت ، وكثيراً ما كانت تمتد تلك الغيبة إلى أذان الصبح ، فيدخل المسجد ثانياً لصلاة الصبح .

خواجه مسافر الخوارزمي قدس سره من مخلصي خواجه ، والتزم بعده محمد پارسا بإشارته ، وقال : لما توجَّهت إلى هراة في النوبة الأولى رافقت مسافر في الطريق ، كان خوارزمي الأصل ومعمراً ، بلغ عمره تسعين سنة ، وكان مشربه موافقاً للتصوف .

حضرة مولانا يعقوب الچرخي قدس سره

من كبار أصحاب خواجه بهاء الدين قدس سره ، وكان عالماً في الظاهرية والباطنية ، وأصله من چرخ – قرية في ولاية غزتين – ، وقبره في هلفتو ؛ قرية من قرى حَصَار . قال : كنت قبل وصولي إلى خواجه مُحِبّاً له ومخلصاً تامّاً ، ولما أخذت الإجازة من علماء بخارى للفتيا عزمت الرجوع إلى وطني ، فحصل لي الملاقاة يوماً بحضرة الخواجه ، فأظهرت له التواضع ، وتمنَّيت منه التوجُّه بخاطره ، فقال : تحضر عندي الآن في وقت السفر ؟ فقلت : إني أحبُّ جنابك . فقال : من أي حيثية ؟ قلت : من حيث أنك عظيم القدر ، ومقبول عند جميع الخلق . فقال : لا بدَّ من دليل أقوى من هذا ، فإن هذا القول يحتمل أن يكون شيطانيّاً . قلت : قد ثبت في الحديث الصحيح : « إذا أحبَّ الله عبداً يوقع في قلوب عباده محبته فيحبونه » . فتبسَّم وقال : نحن العزيزان . فتغيَّر الحال من هذا المقال ، فإني رأيت في المنام قبل شهر قائلاً يقول لي : كن مريداً لعزيزان ، وكنت نسيته ، فلما قال ذلك الكلام تذكَّرته ، ثم قلت له ثانياً : توجَّه إليَّ بحسب الباطن ! فقال : طلب شخصٌ توجُّهَ الخاطر من حضرة عزيزان فقال : ما بقي في الخاطر محلٌّ للغير ، فاترك عندي شيئاً نتذكرك برؤيته ، ثم قال : وليس عندك شيء تتركه عندي ! فخذ هذه الكوفية واحفظها فكلما رأيتَه تتذكرني ، ولما تذكرْتني وجدتني ، ثم قال عليك بزيارة مولانا تاج الدين الدشت كولكي في سفرك هذا فإنه من أولياء الله تعالى ، فخطر في قلبي بأني متوجِّه إلى بلخ ومنه إلى الوطن ، وأين هو من بلخ ؟ ولما توجَّهت تلقاء بلخ اتفق لي بالضرورة أن أذهب من بلخ إلى الدشت كولكي ،

فتوجَّهت هناك وتذكرتُ إشارة خواجه ، وتعجَّبت من الاتفاق ، ووصلت إلى صحبة تاج الدين ، فقويت رابطة المحبة لِخواجه بعد رؤيته ، ووقع لي سبب المراجعة إلى بخارى ثانياً فرجعت وحضرت خواجه ، ووقع في قلبي أن أسلِّمَ يد الإرادة إلى يده . وكان في بخارى مجذوب ، وكنت معتقده ، فرأيته قاعداً في الطريق فقلت له : أنا أذهب . فقال : اذهب وعجِّل . وكان خطَّ بين يديه خطوطاً كثيرة وظننت أعدّ الخطوط ! إن كانت فرداً فدليل على حقيَّة القصد بدليل أنَّ الله فرد يحبُّ الفرد ، فعددتها فكانت فرداً ، فجئت عند خواجه باليقين وأظهرت له الإرادة ، فلقَّنني الوقوف العددي وقال : كن راعياً للعدد الفرد ما استطعت ، وأشار بالقول إلى الخطوط الفرد التي جعلتها دليل على حقيَّة أمري .

وكتب مولانا الچرخي قدس سره في بعض مصنَّفاته : لما ظهرَتْ في هذا الفقير داعية الطلب بعناية الله تعالى قادني الفضل الإلهيُّ ؛ وحداني الكرم الغير المتناهي إلى صحبة الخواجه بهاء الحق والدين قدس سره ، فصحبتُه في بخارى ، ووجدْتُ من كرمه العميم التفاتاتٍ كثيرةً ، فحصل لي اليقين بأنه من خواص أولياء الله تعالى ، وكامل مكمَّل ، وتفاءلت بكلام الله تعالى فجاءت الآية الكريمة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ وكنت قاعداً في آخر أيام التردد للإنابة في فتح أباد ببخارى – فيه مسكن الفقير – متوجِّهاً إلى مرقد الشيخ سيف الدين فبلغ إليَّ رسول قبول الحق ، وظهر في باطني القلق والاضطراب ، فقصدت حضرة الخواجه ، فلما وصلت إلى منزله الشريف بقصر عارفان رأيته منتظراً في الطريق ، فتلقَّاني بالإحسان ، وجلس معي بعد الصلاة ، واستوْلت هيبتُه عليَّ بحيث لم يبق فيَّ مجال النطق ،

العلم علمان

فقال في أثناء الصحبة : قد ورد في الأخبار : العلمُ علمان ؛ علم القلب فذلك علمٌ نافع علَّمه الأنبياء والمرسلون ، وعلم اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم ، والمرجوُّ أنَّ لك نصيبٌ من علم الباطن . وقد ورد في الخبر : « إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب ، يدخلون في قلوبكم وينظرون إلى هِمَمِكم » . وأنا مأمور لا أقبل أحداً باختياري وصنعي ، فننظر بماذا تكون الإشارة في الليلة فإن قبلوك نقبلك . فمرَّت تلك الليلة عليَّ في غاية الصعوبة ، بحيث لم أر في عمري أصعب منها من خوف فتح باب الردِّ عليَّ ، فلما صلَّيت معه صلاة الصبح قال : أبشر فقد حصلت الإشارة بالقبول ، وأنا أقبل الناس ، وأتاني في قبوله حين قبلته ، وانظر كيف يجيء الناس وكيف يكون الوقت ، ثم بيَّن سلسلة مشائخه قدس الله تعالى أسرارهم إلى حضرة الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، وأمرني بالوقوف العددي وقال : إن أوَّل مرتبة العلم اللدني هو هذا الدرس ؛ الذي علَّمه الخضر عليه السلام الخواجه عبد الخالق قدس سره . فكنت بعد ذلك في صحبته أوقات كثيرة ، إلى أن صدرت لي الإجازة بالسفر من بخارى ، فقال وَقْت السفر : كل ما وصل إليك مني بلِّغْه عبادَ الله تعالى ، فيكون ذلك سبباً لسعادتك . وأمرني أن أصاحب الخواجه علاء الدين العطار قدس سره . فأقمت بعد وفاته مدة في بدخشان ، وكان خواجه علاء الدين متوطناً في صفانيان ، فكتب إليَّ : إنَّ حضرة الخواجه وصَّاك بأن تكون في صحبتي ، فماذا ترى الآن من المصلحة ؟ فلما اطلعت عليه جئت إلى صفانيان وكنت[1] في ملازمته إلى أن توفي ، فسافرت بعد ثلاثة أيام ، وجئت إلى هلفتو .

---

(١) فيه تصريح أنَّ المرشد الكامل إذا جعل مريده مأذوناً ، فإن وجد ذلك المأذون مَنْ هو أعلى منه درجة وأكمل منه تربية ، فالواجب عليه الذهاب لديه والاستفادة منه ، كما صرَّحه هكذا سلطان العارفين عبد الوهاب الشعراني الشاذلي قدس سره=

اعلم أن حضرة مولانا يعقوب الچرخي قدس سره اشتغل بعلوم الرسوم في مبادئ الحال ، وسكن وقت التحصيل بجامع هراة ، وسافر إلى مصر وأقام هناك زماناً ، وقال : أقمت مدة في هراة ، وكنت آكل في مدة إقامتي من طعام خانقاه خواجه عبد الله الأنصاري الواقع في سوق الملك بسبب سعة شرط وقفه ، ولاحتياطه في أصل وقفه ، وسكن فيه الصلحاء المتورِّعون ولم يجتنبوا عن أوقافه . وكان شريكاً في الدرس لمولانا زين الدين الخافي قدس سره وقت إقامته بمصر ، وكانا من تلامذة مولانا شهاب الدين السيرامي رحمه الله تعالى من أكابر علماء زمانه وكانا متحابَّين .

وقيل لمولانا يعقوب الچرخي قدس سره : إن الناس يقولون أن مولانا زين الدين الخافي يعبِّر منامات مريديه ، ويعتبرها ويعتمدها ، فهل عندك علم بهذا ؟ فإنك أقمت بخراسان ! قال : نعم ، هو كذلك ! فأخذ لحيته بيده وغاب عن نفسه ، وكان عادته أن يغيب آناً فآناً ، فمال رأسه المبارك في الغيبة لصدره الشريف ، حتى بقيت شعرات لحيته في يده ، ثم رفع رأسه بعد ساعة وأنشد هذا :

وإنـي غلام الشمس أروي حديثها　　　ومـا لـي ولِلَّـيـل فـأروي حـديثه

خواجه علاء الدين الغجدواني قدس سره من أجلَّة أصحاب الخواجه بهاء الدين قدس سره ، مولده في غجدوان ، وقبره في فيل مرزه قريةٌ جنوب بخارى قريب الجبانة ، وفيها كثيبٌ وهو مدفون فيها .

وتشرَّف قدس سره في شبابه بالقبول من بهاء الدين ، وكان في ملازمته في حياته ، وبعده صحب الخواجه محمد پارسا قدس

=في كتبه ، ونقله النقشبنديون في كتبهم ، قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، ورزقنا من بركاتهم . اللهم إنك على كل شيء قدير ، وإيجادك لي مَنْ هو أعلى منِّي وأستفيد منه فائدة حقيقيَّة ، وأنت له جدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الوهاب الفتاح . (للكاتب الحقير رحمه القدير) .

سره والخواجه أبي نصر پارسا بقيَّة عمره بإشارة الخواجه ، وكان له استغراق تامٌ ، وحلو العبادة . وتقع له الغيبة في أثناء الكلام أحياناً ، وما كان في الناس مشغولاً وحريصاً على شغله مثل علاء الدين إلا حتى كأنه عين النسبة .

ولما أراد محمد پارسا سفر الحجاز أراد أن يأخذ معه علاء الدين قدس سرهما وقد بلغ عمره في الوقت تسعين سنة ، وفيه آثار الشيخوخة ، قال واحدٌ من أكابر سمرقند : ترجَّيْت من محمد پارسا عُذرَ علاء الدين وإعفائه عن السفر ، وقلت : إنه كبير السنِّ ضعيف ، ليس منه كثير فائدة . فقال : لا حاجة لنا إليه ، غير أني كلما أراه أتذكر نسبة المشائخ ، وفيه لنا مددٌ كثيرٌ .

قال حضرة الخواجه علاء الدين : مُذ عرفت نفسي ما طرأت عليَّ غفلةٌ عنه تعالى مدة ما يدخل العصفور منقاره في الماء ، لا في النوم ولا في اليقظة .

قال شيخنا : كان الاستغراق غالباً على علاء الدين ، وكنت في صحبته ، وفي الأثناء توجهت يوماً إلى قصر عارفان ماشياً لزيارة الخواجه بهاء الدين قدس سره ، وفي نصف طريقي راجعاً استقبلني خواجه علاء الدين ذاهباً إلى المزار وقال : ظننْتُ أنك بقيت هناك . فرجعت معه ثانياً ، فقال بعد العشاء : إنك صاحب حاجة فينبغي إحياء الليلة بلا نوم ، فجلس بعدها إلى الصبح ، ولم يتحوَّل من جانب لجانب ، ولم يتحرَّك أصلاً !

قال حضرة شيخنا : إن هذا القعود لا يتيسَّر من غير جمعيَّة تامة ، وكان متولي المزار فقيراً فجاء إلى التربة بكأسيْن من السويق ، ووضع أكبرهما بين يدي الخواجه ، فأكله وقعد من العشاء إلى الصبح ، ولم يخرج لحاجة وتجديد وضوء ، وكنت تعباناً من كثرة المشي ، وقعدْتُ بالضرورة لموافقته ، فلم يبق لي مجال القعود بعد نصف الليل ، فرأيت الأفضل أن أقوم وأُمرِّخ ، فلما شرعت في التمريخ قال : أردت دفع الثقل ؟ قلت : لم يبق مجال القعود فأردت التخفيف بالحركة فأستريحَ .

وعرض لي رَمَدٌ في سمرقند إلى أربعين يوماً ، فأردت الخروج منها فمنعني مولانا سعد الدين الكاشغري قدس سره ولكني ما امتنعْتُ ، فتوجَّهْت إلى بخارى لرؤية الخواجه علاء الدين ، وكنت سمعت أوصافه وما كنت رأيته ، فلمَّا دخلت بخارى خرجت للتفرُّج ، فرأيت مسجداً فدخلت فيه ، فرأيت شيخاً حسن السمت ، فحصل في باطني انجذابٌ قوي ، فجلست بين يديه فأخذني عن نفسي قويّاً ، وكنت أحضر صحبته ثلاثة أيام ، وقال : تحضر هنا منذ ثلاثة أيام ! فما مقصودك ؟ فإن كان رؤية شيخ ذي كرامة فليس هنا ! وإن أردت التأثر من صحبتنا فيبارك لك . وكان ذلك الشيخ هو الخواجه علاء الدين الغجدواني قدس سره .

قال شيخنا : كان لي في بداية الحال اضطراب عجيب ، ما وجدت الاطمئنان إلى أن وصلت إلى صحبته ، ووصلت في بداية الحال إلى صحبة الأكابر ، وشغلني بعضهم بالطريقة ، وكان يظهر لي نسبة الحضور والجمعية في مدَّة يسيرة ، فإذا برزت آثارها في عَرَصَة الظهور كان يشغلني بأمر آخر ، فيزول عنِّي آثار الجمعية فيوجب التفرقة ، وكنت مشوَّشاً من هذه الحيثية كثيراً ولم أدر سببه ، فتبيَّن لي أن مقصودهم من ذلك إظهار أنَّ ذلك الطريق عزيز في الغاية ، والجمعيَّة لا يتيسَّر بسهولة ، فلمَّا وصلت لدى الخواجه علاء الدين ببخارى تخلَّصت من التفرقة ببركة صحبته ، وصار الطريق واضحاً .

وقال شيخنا : كان لي في بداية حالي اعتقاد أنَّ حصولَ المقصود موقوف على التفات مرشد كامل ، وأن المقصود يتيسّر بنظر واحد منه . ولمَّا وصلت إلى صحبة الخواجه علاء الدين قال : ينبغي لك أن تشتغل بما صار معلوماً لك ، فللسعي والاهتمام دخلاً تامّاً ، وكل شيء حصل من غير سعي واهتمام لا يكون له بقاء ودوام .

وقال شيخنا : صحبته أربعين يوماً فذكر لي في الأثناء كمال تصرُّف الخواجه بهاء الدين قدس سره .

ثم قال في الآخر : صحبة أكابر الوقت أيضاً غنيمة ؛ وإن لم يكونوا في مرتبة الماضين !

قال : قال الخواجه بهاء الدين : الهرُّ الحيّ خير من الأسد الميت .

وقال شيخنا : وعظ الخواجه أبو نصر پارسا الناس يوم وفاة الخواجه علاء الدين عليه الرحمة ، وقال في أثنائه : كان الخواجه علاء الدين جارنا ، وكنَّا مأمونين ومستريحين في ظلِّ عنايته وبركة همَّته ، فارتحل الآن إلى جوار الرحمة والرضوان ، فحقَّ لنا الآن الخوف والحذر .

وحكى لي بدر الدين الصرافاني من مريدي خواجه علاء الدين ، ومن محلة صرافان من محلات بخارى : أنه أعطى الخواجه علاءُ الدين إجازة لخواجه ناصر الدين عبيد الله أحرار قدس سره ، قلتُ له : استعجلت في الإجازة له . فقال : إنه جاء عندنا تامّاً ، وذهب تاماً . وكان بدر الدين المذكور يجيء لصحبة شيخنا من بخارى إلى سمرقند دائماً ، وقال هو لبعض كبار الأصحاب : إنه لما فارق الشيخ عبيد الله أحرار عن الخواجه علاء الدين بخارى قال الخواجه : سبحان الله ! ما هذا خواجه عبيد الله ، بل خواجه بهاء الدين ! جاء إلى الدنيا ثانياً مع زيادة ألوف من الكمال .

الشيخ سراج الدين كلال البيرمسي قدس سره

مولده : بيرمس قرية في قصبة وابكن ، ومنها إلى بخارى أربعة فراسخ شرعية ، كان من مريدي الأمير حمزة بن الأمير كلال قدس سرهما ، ثم انسلك أخيراً في سلك أصحاب الخواجه بهاء الدين قدس سره اشتغل بالرياضات الكثيرة فوقعت له مرة غيبة في الأثناء بحيث لم يكن له خبر عن نفسه إلى ثلاثة أيام ، فأخبروا بذلك للأمير حمزة فقال : اذهبوا ونادوا في أذنه بأنَّ الأمير حمزة يقول : ارجع من المقام الذي وصلت إليه . فلما فعلوا ذلك ظهر فيه الحسُّ والحركة بعد لحظة ، وجاء إلى نفسه . ولقيه شيخنا في مبادئ أحواله وصحبه .

وكان يقول : لما بلغت اثنين وعشرين سنة توجَّهت من سمرقند إلى بخارى ، فمررْتُ إلى الشيخ سراج الدين البيرمسي ، فاجتهدت كثيراً لأقيم عنده ولكن لم يطمئن قلبي ، فاستأذنته أن أذهب إلى بخارى ، وكنت ألاحظ أحوال الشيخ سراج الدين مدة إقامتي عنده ، فرأيته في النهار يصنع الكيزان ، وفي الليل يراقب ويذكر .

وقال شيخنا : قدم سراج الدين الهروي قدس سره إلى سمرقند ، وصار مدرِّساً في مدرسة المرزا أُلُغْ بيك ، وكان يقول : رأيت الشيخ سراج الدين البيرمسي ، وكان تتبُّعه للعلوم المتداولة قليلاً ، ومعه كانت في كلامه حلاوة لم تكن في مجلس كثير من العلماء والصوفية .

وكان سراج الدين الهروي المذكور قد رأى كثيراً من الصوفية ، وصحب غير واحد منهم ، وبسبب ملاقاته للشيخ سراج الدين البيرمسي قدس سره ، ولطافة مجلسه وحلاوة كلامه ؛ كان قويَّ الاعتقاد لأكابر خواجكان قدس الله تعالى أرواحهم .

قال شيخنا : كان الشيخ سراج الدين البيرمسي من أهل السلسلة ، فإذا قصد أحد صحبته كان يكنس بيته في الحال . فسألته عن سرِّه فقال : إن لي قريناً من الجن ، فإذا قصد أحدٌ صحبتي يخبرني ذلك القرين بمجيئه .

وقال شيخنا : قال الشيخ سراج الدين : وقعت لي الملاقاة مرة مع أصحاب الشيخ أبي الحسن العشقي قدس سره ، فحسبوا أني أريد أن أجعلهم مريداً لي ! فقالوا : أيها الشيخ ! لا تضيِّع كثيراً من أوقاتك ، فإنا مملؤون من محبة الشيخ أبي الحسن ، وتصرفه إلى هنا وأشاروا إلى حلقهم ولا محلَّ فينا لشيء غيره ، ولا تقدر أن تضع لنا محبتك ، فاقتضت الغيرة أن أتصرَّف في بواطنهم ، فأخذوا يشقُّون جيوبهم ويتمرَّغون في الأرض صرعى ، فكانوا مدة على هذا الحال سكارى ، فاقتضت الهمَّة أن أتصرَّف فيهم ثانياً ليصحوا ، فكان كل منهم بعد ذلك في مقام الاعتذار بغاية الانكسار ، فقلت لهم : لا ضير ؛ فإنا نشرب مع شيخكم الشيخ أبي الحسن من عين واحدة ، فإرادتكم إياه هي عين إرادتنا .

وسمعت من بعض الأكابر أن مولانا سعد الدين الكاشغري قدس سره صحب الشيخ سراج الدين في مبادئ أحواله ، وما ذكره في رسالته من كيفية ذكر (لا إله إلا الله) بأن يعتبر أحد رأسي الألف من السرَّة ، وكرسي (لا) من الثدي الأيمن ، وأحد رأسي الألف من القلب الصنوبري ، ولفظة (إله) متصلة بكرسي (لا) الواقع في الثدي الأيمن ، و(إلا الله محمد رسول الله) متصلة بالقلب ، فيحفظ هذا الشكل بهذه الكيفية ، ويشتغل بالذكر بالطريقة المذكورة عند أهلها ؛ أخذه عن الشيخ سراج الدين رحمه الله تعالى ، ورزقنا الله تعالى من بركاته وفيوضاته . آمين .

حضرة الخواجه علاء الدين محمد العطار قدس سره

اسمه : محمد بن محمد البخاري ، أصله من خوارزم ، ولوالده خواجه محمد ثلاثة أولاد : خواجه شهاب الدين ، وخواجه مبارك ، وخواجه علاء الدين . فلما توفي أبوهم لم يأخذ علاء الدين من ميراثه شئاً ، واشتغل علوماً في بخارى على التجريد .

وكان لخواجه بهاء الدين صَبِيَّة فقال لوالدتها : إذا بلغت حدَّ البلوغ أخبريني في تلك الساعة . فلما بلغت أخبرته ، فجاء الخواجه من قصر عارفان إلى بخارى ، ودخل حجرة الخواجه علاء الدين في المدرسة ، فرأى فيها حصيراً مشفوقاً مفروشاً كان له ، يضع عليه جنبه أحياناً ، ولبنتين يتوسَّدهما ، وقمقمة مكسورة يتوضأ بها ، فلما رآه الخواجه علاء الدين قام من مكانه ، ووضع رأسه على قدمه تواضعاً وتعظيماً ، فقال له الخواجه : إن لي صبيّة وبلغت الليلة ! وأنا مأمور بأن أزوِّجكها . فقال الخواجه علاء الدين متواضعاً : إنَّ هذه لسعادة عظيمة توجَّهت إليَّ من محض لطف الحق تعالى ، ولكن ليس لي شيء من أسباب الدنيا للصرف في لوازم الازدواج . فقال الخواجه : إنَّ لكما رزقاً مقدَّراً عند الله تعالى ، لا حاجة للفكر والتشويش من هذه الجهة ، فتحقَّق العقد فولد له منها خواجه حسن العطار قدس سره .

وسمعت من بعض الأكابر أنه لما قبل حضرة الخواجه علاءَ الدين للولديَّة أمره بكسر رعونته الموْلويَّة ؛ بوضع مقدار تفاح في طبق طين ، وبحمله فوق رأسه ، وبيعه في أسواق بخارى ماشياً حافياً بصوت عال ، فقام علاء الدين بالأمر على النشاط التام .

وكان أخواه خواجه شهاب الدين ، والخواجه مبارك صاحبي عارٍ وناموس فحصلت لهما منه غاية الخجالة ، فلمَّا أخبروا الخواجه بذلك قال له : اذهب وضع الطبق على جنب دكَّان أخويْك وبع هناك بصوت عال ، ففعل وبقي عليه ، ثم علَّمه الخواجه طريقه ، وأمره بشغل الباطن ، وكان يجلسه قريباً منه ويتوجَّه إليه آناً فآناً ، فسُئِل عن سرِّه فقال : إنما أجلسه إلى جنبي لئلا يأكله الذئب ، فإن ذئب نفسه في كمينه دائماً ، فأتفحَّص عن حاله في كل لحظة ليكون مظهراً للأسرار الإلهية .

قال الخواجه علاء الدين : سألني الشيخ محمد في راميتن في بداية ملازمتي حضرة الخواجه عن كيفية القلب ؟ قلت : إن كيفيته ليست بمعلومة عندي . فقال : إن القلب عندي كهلال في اليوم الثالث . فعرضت تعريفه وتمثيله للقلب على الخواجه فقال : إنما بيَّن نسبة حاله فقط ، وكان الخواجه قائماً في ذلك الوقت ، فوضع قدمه المبارك على ظهر قدمي ، فظهرت فيَّ كيفية عظيمة ، حتى شاهدت جميع الموجودات فيَّ ! فلما رجعت إلى حالي الأول قال : إنَّ النسبة هي هذه ، لا ذاك ! فكيف تقدر أن تدرك حال القلب ؟ فإنَّ عظيمة القلب يضيق عنها نطاق البيان ، وسرُّ حديث « لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي » من الغوامض ، فمن عرف القلب عرف هذا السر .

وأحال الخواجه قدس سره تربية كثير الطالبين في حياته إلى علاء الدين قدس سره ، وكان يقول : إنَّ علاء الدين قد خفَّف عني كثيراً من الأثقال ، فلا جرم ظهر فيه أنوار الولاية وآثار الهداية أتمّ وأكمل ، ووصل كثير بصحبته إلى أوج القرب والكمال ، ونالوا مرتبة التكميل والإكمال .

ووقع مرة اختلاف العلماء في بخارى في مسألة رؤيته تعالى أنها جائزة أم لا ؟ وكان لهم اعتقاد تامٌّ في حق علاء الدين فجاؤا عنده وعرضوا عليه المسألة ، وقالوا : أنت الحكم ! فاحكم بيننا بالحق ، فقال لمنكري الرؤية بالميل إلى مذهب المعتزلة : احضروا عندي ثلاثة أيام متصلاً ، واقعدوا معي في الصحبة على طهارة كاملة ساكتين ، فأحكم بعد ذلك . ففعلوا ، فوقعت عليهم كيفية عظيمة في اليوم الأخير ، حتى غشيتهم الغيبةُ وصاروا يتمرَّغون في الأرض ، فلما أفاقوا قاموا وقالوا بغاية التواضع والانكسار : آمنَّا وصدَّقنا أن رؤية الله تعالى حق ، والتزموا بعد ذلك صحبته ، واعتكفوا على عتبته ، وأنشد البعض في المجلس بيتاً :

وقالوا متى وَصْل الإله من العمى   فناولهم سمع الصفا قُلْ وهكذا

ورأيت بخط الخواجه محمد پارسا قدس سره قال حضرت الخواجه علاء الدين في مرضه الأخير : لو أردت أن يصل جميع الخلق إلى المقصود الحقيقي ! لوصلوا بعناية الله سبحانه وتعالى .

قال شيخنا : كانت الغيبة غالبة على الخواجه محمد في التوجُّهات والمراقبات ، وكان لعلاء الدين شعورٌ كاملٌ ووقوف تام ، والشعور والوقوف أتمُّ وأكمل عند أهل التحقيق .

وقال شيخنا : لما توفِّي خواجه بهاء الدين قدس سره : بايع أصحابه كلهم حضرة الخواجه علاء الدين ، حتى الخواجة محمد پارسا قدس سرهم لكمال علوِّ شأنه .

ومن أنفاسه النفيسة الشريفة قال قدس سره : المقصود من الرياضات نفي التعلُّقات الجسمانية بالكلية ، والتوجُّه الكلي إلى عالم الأرواح وعالم الحقيقة .

والمقصود من السلوك أن يتخلَّص العبد باختياره وكسبه عن هذه التعلُّقات المانعة للعبد عن الطريقة ، وأن يُعْرض كل واحد من التعلقات

على نفسه ، فإن كان قادراً على تركه فليعلم أنَّ هذا التعلق ليس بمانع عن الحق ولم يغلب عليه ، فإن لم يكن قادراً على تركه ورأى قلبه مربوطاً به ، فليعلم أنه مانع له عن الطريقة ، فليتشبَّث بتدبير قطعه وقلعه عنه .

وقد كان الخواجه إذا لبس ثوباً جديداً يقول أوَّلاً للاحتياط : إنَّ هذا حق فلان ، ويلبسه مثل ثوب العارية .

قال قدس سره : إنَّ التعلق بالمرشد ؛ وإن كان تعلُّقاً بالغير واجب النفي في الأخير ، لكنه في الأول سبب الوصول ، ونفي التعلق عن ما سوى المرشد من اللوازم .

وينبغي للطالب أن يطلب وجوده ورضاه ، وينفي ما سواه تعالى في محلِّه – يعني في الانتهاء – فإنَّ النفي في غير محله ليس بمفيد .

مطلب مهم

قال قدس سره : قال المشائخ – قدس الله تعالى أرواحهم – التوفيق مع السعي ، وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد ، فإنه لا بقاء لهذا المعنى بدون السعي ، وليس لتوجُّه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل ، فإن من المعلوم أن المرشد إلى متى يتوجه إلى الغير ، وكان من اللطف الإلهي أن مولانا دادرك أمرني أولاً بالسعي ، وكان التوفيق رفيقاً ، حتى صارت أوقاتنا كلها مصروفة في السعي في صحبة حضرة الخواجه قدس سره ، وأنا لا أعرف مَنْ كان يوماً واحداً بتمامه في السعي من أصحاب الخواجه إلا قليلاً .

قال قدس سره : قد تظهر في أثناء السعي والتوجه أحياناً حالة للطالب ويراها ، لكن لا يعلم ماذا يرى ، فينظر لنفسه فيراها معدوماً ، فيقع في الحيرة ، ثم تحتجب عنه تلك الحالة بعد زمان . وطلوعها مسبب لحديث النفس ، فينبغي للطالب في الحال أن يرى قصور نفسه ، وأن يكون راضياً باحتجاب تلك الحالة ، وأن لا يتقيد بربطها ، فإن فخّ البشر غير

لائق بهذا الصيد ، إلى أن تطلع ثانياً وتكون قويَّة باقية فيجتهد بالاهتمام والسعي ثلاثة أيام لا أكثر ، فالسعي بعده ملكة له حتى يصل باختياره إلى الفناء ؛ والفناء الفناء .

قال قدس سره : إذا استتر الملك والملكوت ونسيهما الطالب يكون فناء ، وإذا استتر وجوده عن نفسه يكون فناء الفناء .

قال قدس سره : إذا جعل الطالب نفسه خالياً بأمر المرشد ومدده عن كل الموانعِ من محبَّة الشيخ المتمكّن في قلبه يصير قابلاً للفيض الإلهي ، ومحلاً للوارد الغير المتناهي . ولا قصور في الحقيقة في الفيض الإلهي بل في الطالب ، فإذا رفع موانع الفيض عنه يطلع له حالة البتة بواسطة روحانية المرشد ، ويكون ذلك الحال سبباً لحيرته ، ولا يمكن إدراك وجوده بوجه .

ولما كانت الموانع الطبيعية أصلاً في الإنسان ينبغي أن يرفعها بقوة الاختيار والجهد الكثير ، والملائكة ؛ وإن كانوا مجبولين على الطاعة معصومين عن المخالفة قصداً وفعلاً ، لكنهم في الخشية والاعتبار التامِّ في السعادة والشقاوة والترقِّي والتنزُّل للاختيار .

قال قدس سره : ينبغي للطالب طلوع عجزه ، وعدم اقتداره عند المرشد دائماً ، وإن لم يعلم أن الوصول إلى المقصد الحقيقي لا يتيسَّر إلا من جهته وواسطة رضاه ، وأن يعتقد أنَّ جميع الطرق مسدودة عليه ، وأن يجعل ظاهره وباطنه فداءً للمرشد .

مطلب

وعلامة المرشد الكامل : أن الطالب لو كان عالماً وعارفاً ، وساعياً في السلوك بتمام قدرته ، وكمال علمه ، ثم إذا توجه لروحانية المرشد في حضوره أو غيبته ، تكون تلك الكمالات والاجتهادات متلاشية مضمحلة بالكلية ، ويتيقَّن أنَّ ما حصل له قبل التوجُّه إلى المرشد ليس بشيء ، وليس

له حاصل قبله ، ويعلمه بالوجدان ، ويرى أن ما قطع من المنازل في غاية القلَّة في جنب مطالعة كمال المرشد ، وقوة سيره ، وروحانيَّته المبدَّلة بالطير بالجذبات الإلهية ، بحيث أنَّ سير سنواته لا يساوي سير ساعته .

قال قدس سره : لا رجاء غير مشاهدة قصور الأفعال دائماً ، وكل لحظة ينبغي الدخول من باب القصور وملاحظة كرمه ، مع عدم استعداده وبُعْده وهجرانه ، والتجاء محض لطفه وعنايته .

قال قدس سره : ينبغي للطالب السعيُ دائماً في طلب رضا المرشد ، ظاهراً وباطناً ، في حضوره وغيبته ، والعلمُ بأنَّ محلَّ نظر رضاه بمحض عناية الله تعالى ، ومعرفة محلّ نظر رضاه ، والعمل بموجبه ، بحيث يقع في محلِّ نظر رضاه . ومعرفة بقاء نظر رضاه ودوامه في غاية العسرة ، ولكن إذا كان توفيق الحق سبحانه رفيق عبده فيسهل لمن يسَّره الله تعالى .

قال قدس سره : اللازم على الطالب أن يكون بلا اختيار في أموره الدينية والدنياوية بالنسبة إلى المرشد ، واللازم عليه تفحص أحواله ، وأمره بما يصلح له بالنسبة للزمان والوقت ، وأن يعيِّن أمره ليشرع باختياره .

مطلب

قال قدس سره : ينبغي رعاية أهل العلم وستر حال نفسه ، والتكلُّم مع كل واحد من أهل الطريقة بحسب حاله ، ورعي الخواطر ، والاحتراز عن إيذاء أهل القلوب ، والاختلاط بالطائفة يعسِّر الأمور ، فإن أحوالهم الباطنة دقيقة جداً ، وإنما تفيد مخالطتهم ومجالستهم وتكون سبباً لزيادة الأحوال إذا حصلت زيادة علم بآداب صحبتهم بواسطة المخالطة ، وازدادت رعايتهم ، وإلا فالمخالطة سببٌ لزيادة المخاطرة ، لا ضرر لمن لا أدب له ، إنما الضرر للأديب ، وضرر الأدب ظهور حظِّ نفسه ، بأن يرى نفسه أديباً .

قال ـ قدس سره ـ : أفضل الأحوال وأكملها الاجتهاد في التفويض المناسب للحال ، والأنبياء والأولياء عليه بأسرهم .

اللازم على الطالب دائماً كسبُ التفويض

وينبغي للعبد الاجتهاد في كل لحظة دائماً في كسب التفويض بباطنه بالنسبة إلى أحواله الظاهرة والباطنة ، والنفي عن نفسه أنواع الاختيار الذي يظهر منه بكسب التفويض ، والعلم يقيناً أن اختيار الحق سبحانه له خير البتة من اختياره لنفسه .

واللازم على الطالب دائماً أن يقوم بكسب هذا التفويض بحسب أحواله الباطنية ، أي لا ينبغي له اختيار شيء من أحوال الباطن وإرادة حصولها ، بل ينبغي له تفويض اختياره وإرادته لمرشده في الحضور والغيبة .

قال قدس سره : المقصود من رؤية صفة الجبار ظهور وصف التضرع والانكسار ، وإنابة العزيز الغفار ، وعلامة صحَّتها الميل لمناجاة قاضي الحاجات ، والإعراض عن الخرافات ، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ .

والحكمة فيه : أن العبد إذا شاهد في نفسه ميلاً إلى ما فيه رضا مولاه فيشكر ويتوجَّه إليه ، وإن رأى ميلاً في نفسه إلى ما ليس فيه رضا مولاه فيتضرَّع ويرجع إليه ، ويخاف من الاستغناء .

قال قدس سره : ينبغي للعبد أن يرى سبق العناية الأزلية أولاً ، وأن لا يغفل عن طلبها لحظة ، وأن يحفظ نفسه عن الاستغناء ، وأن يعدَّ نعمته تعالى عظيمة ، وأن يكون خائفاً مشفقاً على نفسه عن ظهور الاستغناء الحقيقي .

مطلب

الفاني لا يرد إلى صفاته

قال قدس سره : الولاية تكون ثابتة في شخص لا يتركونه بنفسه ، فإن ظهر منه قصور ما ! فإنما هو لعذر ، ثم يبادر إلى الاعتذار .

وقال في توجيه الآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ليس عليهم خوف ظهور الطبيعة بحكم قولهم : الفاني لا يُرَدُّ إلى أوصافه .

قال قدس سره : ينبغي للطالب كونه في الباطن معتصماً بالله ، وفي الظاهر معتصماً بحبل الله ، والجمع بينهما كمال .

قال قدس سره : زائر مشاهد المشائخ يقدر أن يأخذ عنهم الفيض بقدر ما يعرف صفة المزور ويتوجَّه إليه بتلك الصفة ، والقرب الصوري في زيارتها ؛ وإن كانت له آثار كثيرة ، لكن لا يمنع البعد الصوري في الحقيقة عن التوجه إلى الأرواح المقدسة ، وفي قوله ﷺ « صلوا عليَّ حيث ما كنتم » برهان لهذا المعنى ، ومشاهدة الصور المثالية لأهل القبور عند الزيارة ليس لها كثير اعتبار في جنب معرفة صفاتهم ، ومع ذلك كله قال الخواجه بهاء الدين قدس سره : إن مجاورة الله تعالى أحق وأولى من مجاورة خلق الله تعالى ، وكثيراً ما كان يجري على لسانه المبارك هذا البيت :

كم تعبُدَنَّ مراقد الأموات قم وانتهج في منهج السادات

وينبغي أن يكون مقصود زائر مَشاهد الأكابر رضي الله تعالى عنهم التوجُّهَ إلى الله تعالى ، وأن يجعل روح ذلك الولي وسيلة لكمال التوجُّه ، كما أنَّ التواضع للخلق وإن كان في الظاهر تواضعاً لهم ينبغي أن يكون المقصود من تواضعهم التواضع له تعالى ، فإنه إنما يكون

محموداً إذا كان لله خاصة ، بمعنى أنه يرى الخلق مظاهر لآثار قدرة الله تعالى وحكمته ، وإلا فيكون تصنّعاً وتكلُّفاً ! وسمعة لا تواضعاً ! ومذموماً جداً ، كما في حديث « من تواضع لغني لغناه ذهب ثلث دينه » وفي رواية : « ثلثا دينه » .

وقال بعض الأكابر : هذا إذا تواضع بظاهره ! وأما إذا تواضع بباطنه فيذهب كل دينه .

مطلب

طريق المراقبة أقرب إلى الجذبة

قال قدس سره : طريق المراقبة أعلى وأقرب إلى الجذبة من طريق النفي والإثبات ، ويمكن الوصول من المراقبة إلى مرتبة الوزارة والتصرُّف في الملك والملكوت ، والإشراف على الخواطر ، والنظر بنظر الموهبة وتنوير الباطن ، كل ذلك من دوام المراقبة . ويحصل من ملكة المراقبة دوام الجمعية وقبول القلوب ، ويسمى ذلك بالجمع والقبول .

وقال : لما ذهبت ابتداء إلى خوارزم كنت مشتغلاً بحسب الباطن مع كلِّ الأصحاب باختبار باطنه ، ليعلم أنه هل لهذه الصفة بقاء أم لا ! فحصلت من ذلك الاشتغال فائدة عظيمة ، وبقيت تلك الملكة .

قال قدس سره : ينبغي في السكوت أن لا يخلوا عن أحد الأوصاف الثلاثة : إما المحافظة على الخطرات ، وإما مطالعة ذكر القلب إن كان جارياً بالذكر ، وإما مشاهدة أحوال القلب التي تمرُّ عليه .

قال قدس سره : لا تكون الخطرات مانعة ، فإنَّ الاحتراز عنها متعسِّر ، وإني كنت في نفي الاختيار الطبيعي مدة عشرين سنة ، فمرَّت خطرة على النسبة ولكنها لم تستقر .

مطلب

منع الخواطر بالكلية أمرٌ قوي عسير

فمنع الخواطر بالكلية أمرٌ قوي عسير ، وذهب البعض إلى أن الخطرات لا اعتبار لها ، ولكن لاينبغي أن يتركها حتى تصير متمكِّنة ، فإن بتمكُّنها تحصل السدَّة في مجاري الفيض ، ولهذا يلزم على السالك التفحُّص عن أحواله الباطنة دائماً ، وجعل نفسه خالياً بإخراج النفس ظاهراً بأمر المرشد ؛ في حضوره وغيبته إنما هو لأجل نفي الخطرات المتمكنة في الباطن .

وسبب تخلية السالك نفسه : أنَّ لكلٍّ معنى وصورةً ؛ وهو متلبس بها ، ونفي الخطرات معنى من المعاني ، وله صورة وهي تخلية السالك نفسه بإخراج النَفَس .

مطلب

ولذلك ينبغي له أن يخلِّي نفسه دائماً بإخراج النَفَس من الخطرات والموانع التي تمكنت فيه .

قال قدس سره : إذا بقي العمر ينبغي لي إحياء طريقة الخواجه بهاء الدين قدس سره .

مطلب

وكان ينقل عنه هذه الكلمات : العبادة عشرة أجزاء ؛ تسعة منها طلب الحلال ، وإنَّ الزراعة والاشتغال بالبساتين أقرب إلى الحلال بعد التجارة في هذا الزمان ، ودوام الصحبة مع أهل الله تعالى سببٌ لزيادة عقل المعاد .

قال قدس سره : الصحبة سنة مؤكدة ! ينبغي أن يكون في صحبة هذه الطائفة في كل يوم أو يومين مرة ، وأن يحافظ على آدابهم ؛ فإن وقع للطالب بعدٌ صوريٌّ ينبغي أن يُعلِّم أحواله الباطنية والظاهرية في كل شهر أو شهرين بالكتابة ؛ إما صراحة وإما إشارة ، وأن يكون مشغولاً بهم في منزله لئلا تقع غيبة كلية .

قيل في صحبة الخواجه علاء الدين قدس سره : إن المطلوب في نهاية العظمة ، وليس لنا لسان الطلب ، وذلك الطلب من عنايتك ، فقال : إنَّ التأخير من جهة زمان القابلية ، يجدون ويضيِّعون ولا يعرفون أنه من أين !

قال قدس سره : أنا ضامن لمن دخل في الطريقة تقليداً أن يصل إلى مرتبة التحقيق البتة ، ولا يمكن معرفة هذه الطائفة في غير مقام التلوين ، ومعرفتهم في مقام التمكين غير واقع ، فمن وجدهم في مقام التمكين وعمل فيه تقليداً لهم يبقى بلا نصيب ، بل خيف من الزندقة ، إلاَّ أن يُظهروا له أنفسهم عناية له . انتهى .

التلوين عندهم : تقلُّب قلب السالك ، وتنقُّله في الأحوال الواردة إلى القلب .

وقال البعض : تقلُّب القلب بين الكشف والحجاب بسبب غيبوبة صفات النفس تارة ، وظهورها أخرى ، فيمكن معرفة السالك في المقام من جهة تلوين أحواله بين الصفتين المتقابلتين ؛ كالقبض والبسط ، والكسر والصحو ، وأمثالها .

التمكين : دوام كشف الحقيقة بواسطة اطمئنان القلب في موطن القرب ، فلا يمكن معرفة السالك في المقام لأنَّ صاحبه وصل إلى مرتبة سعة العلم ، فيشابه لأهل الظاهر في الأكل والشرب والبيع والنوم والصفات البشرية .

والتقليد لأهل التمكين في الأمور الطبيعية ، وترك الرياضات والمجاهدات موجب لخطر الزندقة[1] ، كما قال الخواجه علاء الدين العطار قدس سره .

وأما على ما قاله قطب الموحِّدين وغوث المحققين الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس سره في اصطلاحاته :

التلوين عند الأكثرين مقام ناقصٌ ، وعندنا هو أكمل من كل المقامات ، وحال العبد فيه قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ .

والتمكين عندنا التمكين في التلوين .

قال أستاذي مولانا رضيُّ الدين عبد الغفور عليه الرحمة : معنى كلام الشيخ : التلوين عندنا أكمل المقامات . ليس معناه أن السالك

---

(١) كما قيل لسلطان أهل الحقيقة معروف الكرخي البغدادي قدس سره : إن بشر الحافي قدس سره لا يأكل الدسم والحلوى ، ولا ينال لذيذ الفراش ، فما ترى ! أنت تأكل الدسم والحلوى ، وتنال الفرش المرفوعة . قال : إني لا أدور خلف لذيذ المأكول والمشروب والمفروش . وإذا أعطى الله تعالى ذلك لي من غير طلب آكل وأشرب وأنام ؛ ولا أمنعه ، لأني أخاف منه تعالى من قوله لي : لِمَ لم تاكل ما أعطيتك ؟ ولم تشرب ما منحتك ؟ ولم تنم ما وهبتك ؟ فإني عبدٌ مأمور أقيمُ في مقام يقيمني فيه السيد ، وأقعد في مكان يقعدني فيه السيد وأنوم في فراش يضْجعني فيه السيد . وإن لم أفعل ما ذكر أكون معترضاً على ربي وسيدي ، فمعاذ الله تعالى من الاعتراض عليه ! والخروج من أمره ! انتهى بمعناه .

أقول والله سبحانه وتعالى أعلم : إن أفعاله تلك كانت بعد الوصول إلى مقام التمكين لا قبله ، لأنه كان قبله في المحاسبة الرياضات الكثيرة ، والمجاهدات الوفيرة ، فتأمل يا أخي لئلا تكون مغروراً بأفعالهم بعد الوصول ، لأنهم بحضرة الله تعالى كل وقت ، أكلهم عبادة ، وشربهم عبادة ، ونومهم على الفرش الممهدة ذكر . وأما أنت في خدمة النفس والشيطان ، فلا تنال إلى مقاماتهم إلا بالرياضات والمجاهدات ، فبعد ذلك تأكل ما يأكلون ، وتشرب ما يشربون ، وتنام كما ينامون ، وصرح كلامي هذا في « سلك العين » وشرحه فراجعه . والله تعالى أعلم . (حرَّره المغرور بالشيطان الغرور شعيب الباكني . اللهم وفِّقه ولجميع إخوانه للخروج من خدمة النفس والشيطان ، وللرياضات والمجاهدات حتى ترضى . آمين .)

يتشرَّف في كل آن بتجلِّي من التجليات الغير المتناهية ، أو يدرك في كل زمان مدركاً من المدركات التي لا حدَّ لها ، بل المراد أن حقيقة السالك تكون لا لونية مشابهة للأصل ومطابقة له ، يعني الذات البحث المنزهة عن الكيف والكم .

فكما أن كل يوم هو في شأن واقع فيها كذلك هنا ، يظهر عن حقيقة السالك في كل زمان لون ما ، ويجعل السالك تابعاً لنفسه ، وتكون نسبة حقيقته مساوية لجميع الألوان ، بل يعمل في كل لحظة بمقتضى لون من الشؤنات الإلهية ، ويكون في حقيقته لا لونياً .

كما قيل :

وأنـا الـذي لا لـون لـي مـتـعـيَّن　　　لست أسوداً أو معصفراً أو مزعفراً

فإن معرفة الشخص يظهر بجميع الألوان ، ونسبته مساوية لها ، وفي حقيقته يكون لا لونياً أشكلُ(١) وأعسرُ من معرفة صاحب التمكين الذي هو مقيم في مرتبة واحدة دائماً ، وثابت ومستقيم على لون واحد ، والله أعلم .

ذكر وفاة الخواجه علاء الدين قدس سره : قال في مرض موته : لا تقيسوا أحوالكم على ما يمرُّ عليَّ من تفرقة الظاهر ، بل كوني على الحضور الظاهري والباطني ، فتكونوا متفرقين ومتحيِّرين .

وقال : قد ذهب الأحباب والأعزَّة ويذهبون ، وذلك العالم أفضل من هذا العالم ، وقد رأيت الخضرة في النظر . فقال شخص : نعم الخضرة ! فقال : التراب أيضاً طيِّب ، لم يبق ميل إلى هذا العالم أصلاً ، غير أن الأحباب يجيئون ولا يجدوني فيرجعون مكسوري القلوب .

وقال : اتركوا الرسم والعادة ، وافعلوا خلاف ما هو رسم الخلق وعادة العامة ، وليوافق بعضكم بعضاً . وحكمة بعثة النبي ﷺ إنما هي

---

(١) خبرٌ .

لإبطال العادات . وليكن كل واحد منكم مقيماً في جنب الآخر وجواره ، بنفي نفسه وإثبات صاحبه ، واعملوا في جميع الأمور بالعزيمة ، ولا تعدلوا عنها ما استطعتم ، والصحبة سنة مؤكدة ، فداوموا عليها خصوصاً وعموماً ، ولا تتركوها البتة ، فإن استقمتم على الأمور التي أمرتكم بها يحصل لكم على استقامة لحظة ، ما حصل لي في جميع عمري ، وتكون أحوالكم في التزايد ، وإن تركتم الوصايا وخالفتموها تكونوا أذلاء متفرقين .

ثم شرع في أثناء ذلك في تكرار كلمة التوحيد بصوت عال ، وقال في آخر حياته في حق هذا الفقير في حضور الأصحاب : كان بيني وبينه محبةٌ لله ، وفي الله ، أزيَدَ من مدة عشرين سنة ، ولم تتغيَّر .

وكان كلامه في مرضه الأخير أحياناً في باب الرضا والوجد والمحبة والشوق ، وأحياناً في النصيحة والحكمة ودعاء الخير للخلق .

ومن جملة ما جرى على لسانه في هذا الوقت ، هذا البيت بالترجمة :

ونحن كآجام وعشقك نارُها فننظر وقوع النار ما بين آجام

وقال في شدة مرضه مكرراً : كنت في الخدمة شجيع الصورة والمعنى . وقال : هل من مزيد ؟ هل من مزيد ؟ كثيراً .

ورآه حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره عياناً ، وكلَّمه وسمع كلامه ، وقال : قد كنتم في ذهابي وإقامتي فرقتين ، كونوا متفقين على كلمة واحدة حتى أكون عليها . واختار الذهاب قبل موته بعشرة أو خمسة عشر يوماً ، وقال تأكيداً لذلك : لا أرجع من هذا الاختيار .

وكان مرضه الصداع القويّ ، ووجع الجنب الخاصرة .

وكان ابتداء مرضه يوم الاثنين ، ثاني رجب ، سنة اثنتين وثمانمائة ، وارتحاله إلى دار القرار بعد عشاء ليلة الأربعاء من رجب ، ومرقده المنور في قرية نُوْمِنْ قرى حصار .

وكتب الخواجه محمد پارسا قدس سره أيضاً : أنه رأى حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره بعد وفاته فقيرٌ من فقرائه ومحبيه في المنام ، ليلة السبت الثامنة والعشرين من شعبان ، بعد مضيٍّ أربعين يوماً من وفاته تقريباً ، فقال له : إن الذي أكرمونا به أعلى وأولى مما يعتقده المحبُّون في حقِّنا ، وقد تركت بينكم ما كان لي ، وكان بين يديه إبرة فأخذها وأقامها ، وقال : إن ظهور هذا المعنى متيسَّر لمَنْ يقوم على رأس الإبرة مستقيماً من غير ميل لطرف .

وكتب محمد پارسا قدس سره : توجَّه الخواجه علاء الدين قدس سره قبل وفاته بسبع سنين ، في أوائل شعبان سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، من صفانيان إلى بخارى ، بنيَّة زيارة قبر الخواجه بهاء الدين قدس سره ووصل إليه بعد ثمانية عشر يوماً ثم رجع في أوائل شعبان .

وكان ليلة العيد في بخارى ، فرأى فقيرٌ في المنام فيها خيمة مضروبة غاية العظمة ، ورأى الخواجين أي : بهاء الدين ، وعلاء الدين قدس سرهما في قربها ، ثم صار له معلوماً أنَّ الخيمة خيمة النبي ﷺ فدخل حضرة الخواجه[1] فيها لملاقاته ﷺ ، ثم خرج بعد زمان بكمال البشاشة وقال : أكرموني بالشفاعة لمن دفن في أطراف قبري إلى مائة فرسخ ، وأعطى العطار شفاعة من دفن في أطراف قبره إلى أربعين فرسخاً بإذن الله تعالى ،

(١) أي : بهاء الدين ، لا خواجه علاء الدين كما يصرِّحه بعد .

ومنح أصغر محبِّينا وأحقر متابعينا شفاعةَ مسافة فرسخ من أطراف قبره .

حضرة الخواجه حسن العطار قدس سره ، ابن علاء الدين ، وثمرة شجرة ولايته ، وكان في صباه منظوراً بنظر عناية جدِّه لأمه خواجه بهاء الدين قدس سره .

وكان يلعب يوماً مع جمع من الأطفال في بستان المزار ، وكان راكباً على عجل والأطفال يسرعون في أطرافه ، فوصل الخواجه إلى المحل في الحال ، ورآه[1] مع الأطفال على المنوال ، فقال : يوشك أن يكون هذا الطفل راكباً ، ويسعى السلاطين في ركابه راجلين ، فكان كما قال . فإنه لما قدم خواجه حسن إلى خراسان ولقي السلطان مرزا شاهزخ في بستان زاغان جاءه ببغلة برسم الهدية ، وأراد من غاية خلوصه له أن يُرْكبه عليها بيده ، فأخذ بإحدى يديه الركاب ، وبالأخرى الزمام وأركبه عليها ، فجمحت البغلة ، وأخذ المرزا زمامها بالقوَّة ، ومشى خطوات في ركابه فتذللت بعده ، فنزل الخواجه حسن وتوجه إلى بخارى ، وتواضع وتضرَّع ، وقصَّ على المرزا قصَّة أيام صباه ، من ركوبه على العجل وإخبار خواجه بهاء الدين قدس سره بسعي السلاطين ذوي الشوكة في ركابه ، وظهر سرُّ جموح البغلة . فكان سماع هذه الحكاية ، ومشاهدة الصورة سبباً لازدياد يقين الحاضرين لخواجه بهاء الدين قدس سره .

وأورد مولانا الجامي قدس سره السامي : كان خواجه حسن صاحب جذبة قوية ، ومتصرِّفاً بصفة الجذبة أيَّ وقت شاء ، ويوصل من يتصرَّف فيه من مقام الحضور والشعور بهذا العالم إلى كيفية الغيبة وعدم الشعور ، ويذيقه ذوق الغيبة والفناء المتيسران لأرباب السلوك بعد رياضة

---

(١) أي : بعين القلب لا البصر ! تأمَّل .

شاقة على سبيل الندرة ، واشتهر تصرفه في ما وراء النهر وخراسان اشتهاراً تاماً ، وكلُّ من تشرَّف بتقبيل يده كان يقع على الأرض لعدم قدرته على القيام ، ويتشرَّف بدولة الغيبة وعدم الشعور .

وخرج غداة يوم من بيته فكلّ من وقع نظره عليه ظهر فيه كيفية الغيبة ، وسقط غائباً عن نفسه .

وكان آثار الجذبة والغيبة والحيرة ظاهرة فيه ، وكان يمشي في الأسواق أحياناً ، وكان يفهم منه أنَّ الأمر الباطني قد أخذه عن نفسه بكليَّته ، وغلب عليه بحيث لم يبق له شعور من ذهاب الخلق وإيابهم وتكلُّمهم .

وكتب حضرة الخواجه حسن رسالة مختصرة في طريقة خواجكان قدس الله تعالى أسرارهم ونورد بعضاً منها :

اعلم أنَّ كيفيَّة سلوك الطائفة أعلى أطوار سلوك جميع المشائخ قدس الله تعالى أرواحهم ، وأقرب السبل إلى المطلب الأعلى وهو الله تعالى ، فإنه رفع حجب التعينات عن وجه الأحديَّة السارية في الكل بالمحو والفناء في الوحدة ، حتى تشرق سبحات جلاله فتحرق ما سواه ، وفي الحقيقة نهاية سائر المشائخ بداية طريقتهم ، فإنَّ أوَّل محلٍّ ورودهم هو حدُّ الفناء والسلوك بعد الجذبة ، أعني به تفصيل مجمل التوحيد الذي هو المقصود من خلق العالم وإيجاد بني آدم .

كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي ليعرفوني . فمن أراد الاشتغال بهذه الطريقة ينبغي له أولاً أن يحضر[1] صورة شيخه الذي أخذ النسبة عنه في خاطره ، حتى تظهر فيه نسبة عدم

---

(١) ومن هنا يقال : ويؤخذ أن المحبَّة الكاملة للشيخ كافية في الوصول إلى الله . اللهم ارزقنا الجذبة القوية القيُّومية أولاً ، والأدب الكامل للرسول ثانياً ، والمحبة الراسخة للشيخ الكامل الواصل الموصل ثالثاً . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الأعلى الوهَّاب . (للكاتب الفقير رحمه القدير آمين) .

الشعور ، فيكون ملازماً لتلك النسبة ، ثم يتوجَّه مع هذه الصورة بالخيال الذي مرآة الروح المطلق إلى نقطة القلب ، ويسلِّم نفسه إلى تلك النسبة ، وكلما تقوى هذه النسبة يقل الشعور بهذا العالم ، ويقال لتلك الحالة عدماً وغيبة ، فإذا بلغت النسبة وعدم الشعور مرتبة لا يبقى فيها شعور بوجود الغير يقال لها الفناء .

مهم لدفع الخواطر

فإن خطرت الخواطر فليحضر خيال الشيخ ، فيرجى اندفاعها بإذن الله تعالى ، فإن لم تندفع به ينبغي أن يجذب نفسه ثلاث مرات بالقوة ، كأنه يجذب من دماغه شيئاً ، ثم يشتغل بالطريق المذكور ، فإن عادت ثانياً يقول بعد التخلية[1] بالطريق المذكور : أستغفر الله من جميع ما كره الله تعالى ؛ قولاً وفعلاً ، وخاطراً وسامعاً وناظراً ولا حول ولا قوة إلا بالله . (ثلاثاً) . ويوافق قلبُه لسانه . والاشتغال بتكرار (يا فعَّال) أصل كلي في دفع الوسواس .

وينبغي أن يجتهد في تحصيل النسبة على وجه لا يغفل عنها لحظة ، فإن غفل يستأنف الاشتغال ، وينظر للنسبة بقلبه ، وحاضراً بها دائماً ، في الأسواق والعقود ، والأكل والنوم ، إلى أن تصير ملكة .

وإذا أراد الاشتغال بأمر مهمٍّ ، يقرأ الدعاء بالتضرُّع في حضرته الجامعة : اللهم كن وجهتي في كل وجهة ، ومقصدي في كل قصد ، وغايتي في كل سعي ، وملجئي وملاذي في كل شدة وهمٍّ ، ووكيلي في كل أمر ، وتولَّني تولَّ محبة وعناية في كل حال .

وكان خواجه حسن قدس سره يدخل تحت أحمال الناس وأثقال المرضى ويرفع أمراضهم ، ولما دخل شيراز في سفر الحجاز اتفق أن واحداً من أكابر البلدة مريض ، وكان فيه إخلاص تامٌّ لخواجه حسن ،

---

(١) أي : تخلية النفس . (م) .

فدخل تحت حمل مرضه فبرئ وانتقل المرض إليه ، وتوفي بهذا المرض ليلة الاثنين عيد الأضحى ، سنة ٨٢٦ ، وحملوا نعشه المبارك من شيراز إلى مدفن والده الماجد بصفانيان .

ووقع بينه وبين الشيخ بهاء الدين عمر قدس الله روحهما مراسلات . وذكر في مجلسه أنَّ بعض أكابر الطريقة يأمر بحبس النفس في الذكر ويعده شرطاً فيه . فقال الشيخ : إنَّ حبس النفس طريقة جوكية الهنود ، وإنما الشرط في الطريق حصر النَفْس لا حبس النَفَس ! فبلغ الكلام لخواجه يوسف ابن الخواجه حسن قدس سرهما بأنَّ الشيخ نفى الطريقة ، فكتب إلى الشيخ : سمعْتكم نفيْتم طريقة حبس النَفَس قائلاً : بأنَّ أحداً من مشائخ الطريقة لم يأمر بها .

ومن المقرَّر المحقق أن الخواجه بهاء الدين وخلفائه ـ قدس الله تعالى أرواحهم العلية ـ كانوا يأمرون بحبس النفس في الذكر فكيف تنكر ؟ فكتب الشيخ في جوابه : مقصودنا من الكلام ليس نفي طورهم . فأجمل في الجواب .

الشيخ عبد الرزاق رحمه الله تعالى : من أجلة أصحاب خواجه حسن وأكمل خلفائه ، وكان طريقه السعي والاجتهاد في نسبة الرابطة ، فقال له السيد قاسم التبريزي قدس سره : إنَّ نسبتك وطريقتك المعروفة حسنة ، واستحسن منه حفظ طريقة الرابطة .

مولانا حسام الدين پارسا البلخي قدس سره : من خلفاء خواجه علاء الدين العطار قدس سره ، وكان في مبادي أحواله مشرَّفاً بقبول خواجه بهاء الدين قدس سره وصحبته ، ولكن أحال تربيته على خواجه علاء الدين فوصل درجة التكميل ، وكان متصفاً بكمال الورع والتقوى ، مراعياً لآداب الشريعة ، والمحافظة على الأوقات والأحوال .

قال شيخنا : لما خرجت من هراة لصحبة مولانا يعقوب الچرخي قدس سره لقيت في البلخ حضرة مولانا حسام الدين پارسا ، فاجتهد كثيراً أن يبيِّن لي طريقة خواجكان ، وأن آخذ عنه الطريقة ، لكن لما كان لي نية ملازمة الچرخي لم أقبل منه فبالغ كثيراً في الباب ، لكن لم ينجذب خاطري إليه ، فقال أخيراً : أمهلني قليلاً حتى أبيِّن لك الطريق الخاص ، ولعله يلزمك في وقت لتربية الطالبين ، فينبغي أن يكون معلوماً لك . فبين لي الطريق وقال : إن لكثير من الرجال استعداداً على نهج يحصل لهم في النسبة من الجمعية في وقت يسير ما لا يحصل في غيرها في أوقات كثيرة ، ومعرفة هذا الطريق مهمٌّ لك جداً . فلما قدمْتُ تاشكند اتفق أن جماعة الطالبين طلبوا مني الطريق الخاص . فصار معلوماً أن مبالغة مولانا حسام الدين إنما كانت من هذا الوجه .

وقال شيخنا : كان أوقات مولانا حسام الدين أضبط من أوقات مولانا بهاء الدين عمر ، بل من أوقات الشيخ زين الدين الخافي ـ عليهما الرحمة ـ مع كثرة أوراده وأذكاره ، وكان له كمال الاجتهاد في المحافظة على الأوقات .

وأذن الناس لصحبته من الصبح إلى العصر غير وقت القيلولة ، وبَعْد العصر لا يكون عنده أحدٌ إلى الصبح ، وألزم على نفسه التهجد ، والإشراق والضحى ، وسائر السنن ، وكانت العبادات وجميع آداب الشريعة حاصلة له مع جمعية الخاطر .

وقال مولانا حسام الدين : ينبغي أن لا يترك التسمية وقت الأكل ؛ وإن حصلت جمعيَّة الخاطر فإنها ليست منافية لها .

والذكر في النهاية في طريقة خواجكان لرفع الدرجات ؛ لا لقطع المقامات .

مولانا أبو سعيد رحمه الله تعالى : من كبار أصحاب خواجه علاء الدين قدس سره ، وصحب بعد وفاته خواجه حسن قدس سره .

وكان نظر السيد قاسم التبريزي قدس سره إلى المبدأ دائماً ، ومعنى التوحيد غالباً عليه ، وكلَّما ظهر من حوادث العالم كان راضياً به ومعاملاً بمقتضاه ، بناء على مشرب أهل التوحيد .

ولما قدم خواجه حسن هراة جاء منزل السيد قاسم ، وكان مولانا أبو سعيد في ملازمته ، فلما جلسوا عند السيد خطر في خاطر أبي سعيد دغدغة التصرف في باطن السيد قدس سره ، فعزم على ذلك ، وجمع همَّته لما هنالك ، فتفرَّسه السيد ، واستسلمت نفسه إلى مولانا أبي سعيد بمقتضى مروَّة مشرب أهل التوحيد ، فتصرَّف فيه مولانا أبو سعيد تصرُّفاً تامّاً ، بحيث وقع الذهول للسيد ، وغاب عن نفسه ، وبقي عليه زماناً ، فلما رفع رأسه بعد الإفاقة قال لأبي سعيد : بارك الله ! بارك الله ! أحسنت وأظهرت العناية ! فصار خواجه حسن وأبو سعيد خجلين من الصورة ، فلما خرجا من عنده عاتبه خواجه حسن لإساءته الأدب .

خواجه عبد الله الإمامي الأصفهاني قدس سره : من أصحاب خواجه علاء الدين قدس سره . قال : لما لقيت خواجه علاء الدين أولاً أنشدني البيت :

لا تكن أصلاً إذا رُمْت الكمال وامح فيه النفس إن شئت الوصال

مختصر في الطريقة مفيد

وكتب خواجه عبد الله الإمامي مختصراً مفيداً في الطريقة وهو هذا :

اعلم أن من أراد الاشتغال بالطريقة العلائية ينبغي له أولاً أن يحضر في خياله صورة شيخ أخذ عنه النسبة إلى أن يظهر فيه أثر الحرارة ، ولا ينفي الخيال بعده ، بل يحفظ ويتوجَّه به ، وبأذْنه وسمعه ، وجميع قواه القلب الذي هو عبارة عن الحقيقة الجامعة الإنسانية التي مفصّلها جميع الكائنات من العلويات والسفليات ، وهي ؛ وإن كانت منزَّهة عن الحلول في الأجسام ، لكن لما كانت بينها وبين القلب الصنوبري ارتباطاً ينبغي أن

يتوجَّه إلى هذا القلب ، ويصرف الفكر وجميع القوى إليه ، قاعداً على باب القلب ، حاضراً به .

ولا شك في ظهور كيفية الغيبة والذهول في هذه الحالة ، فإذا ظهرت ينبغي أن يفرضها طريقاً ، وأن يذهب في أثرها ، وينفي كل فكر وارد على القلب بالتوجه إلى حقيقة القلب ، ولا يشتغل بالفكر الجزئي ، ويلتجىء بكليته إلى حقيقته المجملة حتى ينتفي الفكر ، فإن لم يتنفِ بهذا ينبغي أن يلتجيء إلى صورة شخص أخذ عنه النسبة ، ويحفظها لحظة حتى تظهر تلك النسبة ثانياً ، فإن لم يتنف بهذا تنتفي هذه الصورة نفسها ، ومع ذلك ينبغي أن لا ينفيها السالك المتوجِّه ، فإن لم تنتفِ الوساوس بتلك الصورة ! يشتغل من قلبه بتكرار (يا فعَّال) بحسب المعنى ، ويكرِّره مرات ، تندفع بإذن الله تعالى ، وإلا يتأمَّل بقلبه كلمة (لا إله إلا الله) مرات ، بأن يتصوَّر لا موجود إلا الله ، فإن الوسوسة المشوشة أيَّ نوع كانت من الموجودات الذهنية ، ويراها في الحقيقة قائمة بالله تعالى ، بل يراها عين الحق ، فإنَّ الباطل أيضاً من ظهورات الحق ، ويحصل بهذا التأمل ذوق عظيم ، وتتقوى نسبة الخواجكان قدس الله تعالى أرواحهم ، وينتفي في الوقت هذا الفكر أيضاً ، وليتوجه السالك إلى حقيقة ذهوله ويذهب من أثرها ، فإن لم يجد الحضور بتكرار (لا إله إلا الله) بالقلب يكرِّرها جهراً مرات ، ويمدُّ لفظ الجلالة ، وينزلها في القلب ، ويشتغل مدة لا يحصل له الملالة ، ومتى أحسَّ بالملالة يترك الاشتغال ، وما دامت الغيبة والذهول والنسبة في الترقي يكون الفكر في حقائق الأشياء ، والتوجه إلى الجزئيات عين الفكر ، بل لا ينبغي في الحال الفكر في أسمائه تعالى أو صفاته ، فإن عرض الفكر فيها بنفسه ينفيه بالطرق المذكورة .

ولا يلزم في الصورة نفي الحق تعالى ! لأنه يجوز نفي الحق للحق ، فإنَّ الفكر إن كان حقّاً صرفاً لا بد من أن يزيد ولو نفيته ، فإن الحق لا ينتفي بنفي أحد ، وإلا فيزول .

مطلب

ومطلب روحانية هذه الطائفة العلية التوجه إلى المحو والفناء الذي هو مبدأ حدِّ وادي الحيرة ، ومقام تجلي أنوار الذات ، ولا بقاء للموجود في هذا المقام ، وفكر الأسماء والصفات أدنى من هذا المقام بمراتب .

مطلب مهم جدّاً للسالك والله تعالى الموفِّق

وينبغي أن يجعل هذه الحقيقة الجامعة نصْب عينيْه ؛ في الأسواق ، والتكلم ، والأكل ، والشرب ، وجميع الأطوار والحالات ، ويراها حاضرة ، وأن لا يغفل عنها بالتوجه إلى الصور الجزئية ، وأن يرى جميع الأشياء قائماً بها ، ويجتهدَ أن يشاهدها في كل المستحسنات والمستقبحات حتى يصل إلى مرتبة يرى نفسه في جميع الأشياء ، ويشاهد الأشياء كلها مرآة لكمال جماله ، بل يجد الكل أجزاء نفسه ، ولا أن يغفل عن المشاهدة أيضاً في التكلم ، بل يجعل عين قلبه في هذا الطرف ؛ وإن كان في الظاهر مشغولاً بشيء آخر ، كما قيل :

كـــن بـــاطنـاً نحـــو المنـــى وظـــاهـــراً كـــالأجنبـــي

لا ســـيـــرة أمـــثـــال ذا فـــي مـــشـــرق أو مـــغـــرب

وكلما كان الصمت أكثر كانت تلك النسبة أقوى ، فإذا بلغ مرتبة الفرق بين القلب واللسان ، ولا الخلق حجاباً عن الحق ! يمكن في الوقت التصرف في الآخر بصفة الجذبة ، ويجوز الإجازة للإرشاد ودعوة الخلق إلى الحق لمن بلغ هذه المرتبة .

مطلب

كيفية السبب لصفاء الباطن

وينبغي حفظ نفسه عن الغضب مهما أمكن ، فإنه يجعل ظرف الباطن خالياً من نور المعنى ، فإن وقع في الغضب ، وظهر القصور ، وطرأ الكدر ، وضاعت النسبة وصارت ضعيفة ؛ فليغتسل بالماء البارد إن تحمَّل مزاجه فإنه يورث الصفاء ، وإلا فبالماء الحار ، ويلبس ثوباً نظيفاً ، ويصلي ركعتين في مكان خال ، ويخلِّي نفسه بجذب النفس وإخراجه مرات ، ويتوجَّه بعد ذلك بالطريق المذكور ، ويتضرع في الظاهر عند حضرته الجامعة ، ويتوجه بكليته إليها ، ويتيقن أن الحقيقة الجامعة مظهر لذلك ؛ مظهر للذات وجميع الأسماء والصفات ، لا بمعنى أن الله تعالى يحلُّ فيه ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ بل بمعنى أنه كالصورة في المرآة ، فيكون التضرع في الحقيقة عند الله تعالى .

الشيخ عمر الماتريدي قدس سره : من أصحاب خواجه علاء الدين قدس سره ، وكان له قبول تام عنده .

مولانا أحمد مسكه قدس سره من أصحاب خواجه علاء الدين قدس سره ، وملازمي عتبته العلية ، وخدمة سدَّته السنية ، استأذن في مبادي أحواله خواجه علاء الدين لذهابه إلى بدخشان لزيارة أقربائه ، فوصل مرجعه إلى محل قد دخل فيه طائفة من بنات الأتراك في الماء ، فهجست في قلبه رؤيتهن ، وطالبته نفسه بذلك حتى لم يبق له قرار ، فقال في نفسه : أنظرُ إليهن مرة وأخلِّصُ نفسي من القلق ، فجاء عندهنَّ وتفرَّج لحظة ثم مضى لسبيله . فلما تشرَّف بملاقاة خواجه علاء الدين صادف قدومه مجمعاً عظيماً ، ومجلساً عالياً ، فتوجه خواجه إليه وقال : إن في طريق خواجكان محاسبة ! فلا بدَّ لك من أن تبين لنا ما جرى لك في مفارقتك إلى مراجعتك إلينا على الإجمال . فقص عليه جميع ما

مرَّ من الأحوال حين مفارقته ، فلما بلغ قصَّة تفرجه البنات أعرض عنها ولم يتجاسر أن يتكلم بها ، فقال له خواجه : قد بقي شيء لم تقصّه ! لا بدَّ لك من بيانه وإلا أقصه أنا وأفضحك ! فاضطرب مولانا أحمد غاية الاضطراب ، ولم يجد بدّاً من إفشائها ، فقررها بتمام الخجالة ، فأعرض عنه خواجه بوجهه وقال : انظروا لهذا الغلام عديم الحياء . قال مولانا أحمد : كنت في المجلس من الدهشة والخجالة بحيث لم يبق أثر من وجودي ، وكدت أن أذوب داخلي بدني من الروع لولا أن تداركني الله بمنِّه وجوده .

مولانا درويش أحمد السمرقندي رحمه الله تعالى : كنيته : أبو الميامن ، لقبه : جمال الدين ، واسمه : أحمد بن جلال الدين محمد السمرقندي ، وهو وإن كان بحسب الظاهر مريد الشيخ زين الدين الخافي قدس سره ، وكتب إجازة له هكذا : كتب الأحرف العبد الفقير إلى الكرم الوافي زين الخافي ، ثبته الله تعالى على قوانين أهل الطريقة ، وأوصله إلى مقامات الكُمَّل من أرباب الحقيقة ، تذكرة للولد الأعز السيار أحمد السمرقندي فتح الله تعالى له أبواب الحقائق ، ورزقه التمييز بين الدرجات والدقائق ، في رجب سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في بعض نواحي هراة ، حنيث عن الآفات ، لكن غلب عليه مشرب أهل التوحيد الوجودي ، وكان يحب أكابر خواجكان قدس الله تعالى أسرارهم ، ونال صحبة خواجه علاء الدين قدس سره ، وتشرف بها كثيراً قبل مسافرته إلى طرف خراسان والعراق والحجاز وما وراء النهر ، وكان محتظياً من بركات مجلسه الشريف بحظٍّ وافر ، ومظهر الندامة كثيراً دائماً على فوت صحبته الشريفة ، وملازمة عتبته المنيفة ، بعد المفارقة الصورية ، والمهاجرة الضرورية .

كان للشيخ زين الدين الخافي قدس سره اهتمام تام في حق درويش أحمد في مبادىء حاله ، وكان يصرف خاطره إلى ترويج أمره ،

ونصبه واعظاً في مقصورة جامع هراة ، وأقام بالبلد لأجله بضع عشر يوماً ، وحضر مجلسه ، ورغَّب الناس في سماع وعظه ، وأمرهم ببيعته ومجالسته ، ثم تأذَّى منه بعد زمان غاية التأذي حتى كفَّره ، ونفَّر الناس من مجلسه ، ومنعهم منعاً بليغاً ، وأعرض عنه بخاطره بالكلية وذلك أنَّ درويش أحمد كان ينشد أشعار السيد قاسم التبريزي المشعرة بالتوحيد الوجودي فوق المنبر ، ويأمر المطربين أخيراً أن ينشدوها ويغنُّوا بها ، وكان الشيخ يمنعه عن ذلك وهو لا يمتنع ، فكان من تلك الحيثية متألم القلب ، حتى آل الأمر إلى أن لم يبق في مجلسه غير سبعة أو ثمانية .

قال شيخنا : ولما قدمت هراة وسمعت الواقعة صرت مغموماً ، وما كان حينئذ بيني وبين درويش أحمد زيادة معرفة ، فبينما أنا ماش في سوق الملك إذ لقيني فوق الجسر ، ولما رآني رمى نفسه من فرسه وقال : كنت خرجت لزيارتكم ، ومرادي أن أذهب إلى حجرتكم ، وأن أعرض ألم قلبي عليكم ، وكان مفتاح باب الحجرة في يد مولانا سعد الدين الكاشغري قدس سره فقلت في نفسي : عسى أن نلقاه في الطريق ، فتوجهت مع درويش أحمد نحو المدرسة الغياثية التي فيها حجرتي ، وأرسل درويش أحمد فرسه إلى منزله ، فلقينا مولانا سعد الدين في الطريق ، فجئنا معاً إلى الحجرة ، ولما جلسنا شرع درويش أحمد في البكاء قبل الكلام ، ثم أظهر الملامة والشكاية ، وقصَّ القصة بتمامها ، وقال : قد آذاني بكذا وكذا ، ولم يبق أحدٌ في مجلس وعظي ، وبكى كثيراً في أثناء الكلام ، ثم قال : كنت متحيراً في أمري غاية الحيرة فقال لي واحدٌ من الأكابر : إنَّ أمرك إنما يتجلى من يد فلان ، وإنَّ كفاية هذا الأمر الخطير لا تحصل من يد غيره ، وأحالني ذلك العزيز على جنابك ، وإني الآن مددت يد التضرع إلى ذيل عنايتك .

قال شيخنا : لقد أحسستُ في باطني ألماً عظيماً من سماع قصَّته وبكائه ، واحترق قلبي لحاله ، ورأيت خاطري متوجهاً إلى جانبه من

غير اختيار ، وكان مشغولاً بالفعل فقلت : لا بأس ! احضرْ إلى المسجد الفلاني واشتغل هناك بالوعظ ، وقد لاح لقلبي أنَّ الجمعية في مجلسك تكون زيادة في زيادة . فقام الدرويش بطيب القلب ، وشرع في الوعظ في المسجد الذي أشرتُ به إليه ، فاجتمع إليه الناس في أيام قلائل حتى صاروا لا يسعهم هذا المسجد ، فانتقل إلى مسجد آخر أوسع منه ، ثم وثمَّ إلى أن بلغ الاجتماع والازدحام مرتبة لزمه أن ينتقل إلى المسجد الجامع بالضرورة ، ثم زاد الازدحام وهجوم الخلق في الجامع حتى كان ينادي مرات : رحم الله من يجلس قريباً ويفسح قليلاً ، وكان لا يبلغ صوته حاشية المجلس مع جلوسهم متراصفين . فبلغ خبر الازدحام الشيخ زين الخافي ، فسعى سعياً بليغاً في منع الخلق عن مجلسه فلم يقدر ، ولم يسمع أحدٌ قوله ، بل ازداد الإزدحام كثيراً في مجلس الدرويش ، فاشتهر بين الناس أن الغلام التركستاني عارض الشيخ زين الدين الخافي وغلبه ، وكنت بعد ذلك في هراة مشاراً إليه بالبنان ، وكلما رآني مريدو الشيخ زين الدين كانوا يقولون : هذا الذي أمدَّ الدرويش وروَّج مجلسه .

حضرة الأمير السيد الشريف الجرجاني قدس سره : من جملة المقبولين عند خواجه علاء الدين العطار قدس سره ، وذكر مولانا العارف الجامي قدس سره السامي في « نفحات الأنس » : أنه سمع هذا الفقير من بعض الأكابر أن قدوة العلماء المحققين ، وأسوة الكبراء المدققين ، صاحب التصانيف الفائقة ، والتحقيقات الرائقة ، السيد الشريف الجرجاني رحمه الله تعالى كان موفقاً للانخراط في سلك أصحاب خواجه علاء الدين العطار قدس سره ، وكان له إخلاص تامٌّ ، وتواضع عام لخادميه ، ويقول مراراً : ما تخلَّصت من الرفض إلا بعد وصولي إلى صحبة الشيخ زين الدين علي كلا الشيرازي قدس سره ، وما عرفت الله تعالى إلا بعد اتصالي بصحبة خواجه علاء الدين وكان يحضر صحبته في مدرسة أولاد صاحب الهداية بنعل فقط ! في الأسحار وقت برد الهواء في الشتاء !

ويقعد عند الباب زماناً طويلاً حتى الإذن للدخول . وكان خَدَمة الخواجه يتكلفون في طبخ الطعام في السحر بمثل الدجاج المملوء بالبيض ، وأولاد الغنم ، وغيرها من التكلفات . وكان مولانا بهاء الدين الأندجاني يحضر مجلسه أحياناً ؛ وكان من العلماء المتقين ، فأحضروا مرة في السحور من هذا الطعام ، فخطر في قلبه أنه ما هذه التكلفات للدراويش في السحور ، وكيف ينبغي التكلف بأمثال هذه ! فأشرف خواجه لما في قلبه فقال : يا مولانا بهاء الدين ! كل الطعام كيف شئْتَ ، فإن الطعام لا يضرُّ إن كان من الوجه الحلال . وأمر خواجه السيد الشريف قدس سرهما أن يصحب مولانا نظام الدين الخاموش ، فكان السيد في ملازمته امتثالاً لأمره .

قال نظام الدين الخاموش : ولما وصل السيد الشريف إلى صحبة خواجه ، وقبِله طلب السيد منه أن يصحب أحداً من أصحابه لتحصيل الأهليَّة في صحبته لصحبته والمناسبة لأهل هذه النسبة ، فأشار إليه خواجه بصحبتي ، فكان يحضر عندي بعد فراغه من الدرس ، ويقعد على الصمت ، ولما كان يوماً من الأيام قاعداً عندي مراقباً ، ظهر فيه أثر عدم الشعور والاضطراب ، حتى سقطت عمامته عن رأسه ، فقمْتُ ووضعتها على رأسه ، فلما صحا سألته عن سبب ذهوله وعدم شعوره فقال : قد كنت مدَّة مديدة متمنِّياً لأن يكون لوح مدركتي طاهراً عن النقوش العلمية ولو مقدار ساعة لطيفة ، وأن يتخلص قلبي عن فكر المعلومات ولو مدَّة يسيرة ، فظهر هذا التمنِّي في تلك الساعة ببركة هذه الصحبة الشريفة ، فطرأ عليَّ الذهول وعدم الشعور من غاية ذوق هذا المعنى ولذَّته ، وصدر عني إساءة الأدب . وكان السيد الشريف قدس سره يرسل المكاتيب إلى الخواجه علاء الدين العطار قدس سره ، ومن جملتها هذان المكتوبان :

المكتوب الأول : جعل الله سبحانه وتعالى ظلَّ حضرة معدن الإرشاد ، قطب الأقطاب ، محرم حظيرة قدس ربّ الأرباب ، سلطان المحققين ، برهان المدققين ، واقف الأسرار ، قدوة الأخيار ، مرشد

الخلائق ، موضح الطرائق ، ظل الله على العالمين ، مرجع الطلاب والمرشدين ، أعلى الله أمره وشأنه ممدوداً ومبسوطاً على رؤوس كافة الأنام إلى يوم القيام ، ورجاء تيسُّر سعادة استلام الأقدام السنية ، وشرف ملازمة العتبة العلية ؛ على أحسن الأحوال ، لكون هذه الضراعة مرفوعة عن المقام المعلوم ، ومستظهرة بيمن التفات خاطر ذلك الجناب العاطر ، الحائز لخاصيته الكيمياً قوي ومجزوم ، وسائر الأحوال الظاهرية والباطنية موجبة للحمد والثناء ، والاعتصام الكلي بكرم الأعزَّة العميم ، والتمسُّك بعروة نسبتهم الشريفة الوثقى ، والحمد لله على ذلك . والمرجوُّ من المخاديم على الإطلاق ، وعلى الخصوص والخلوص نادرة الآفاق ، كريم الشمائل والأخلاق ، تاج الملة والدين : خواجه حسن أحسن الله تعالى أحوالنا بلقائه ، قبولُ الخدمات ، والمأمول من ملازمي السدة العلياء ، ومبارزي ميدان البقاء بعد الفناء ، مولانا صلاح الدنيا والدين ، مولانا كمال الدين أبو سعيد ، مع سائر إخوان الصفاء ، أن يتأمَّلوا الدعوات والتحيات من غاية الخلوص والاشتياق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته .

المكتوب الثاني :

ومن عجب أني أحنُّ إليهم ... وأسأل عن أخبارهم وهم معي
وتشتاقهم عيني وهم مع سوادها ... ويطلبهم قلبي وهم بين أضلعي

أُقَبِّلُ تراب العتبة العلية مكرراً هذا البيت :

ولو أنَّ لي في كل مَنْبت شعرة ... لساناً يبث الشكر كنتُ مُقصِّراً

وأعْتقد أنَّ ما أشاهده من ألطاف المخاديم وأعطافهم ـ أحسن الله تعالى أحوالنا بيمن صحبتهم ـ أنموذجٌ من اعتناء خاطركم الفياض وألطافه ، والرجاء في التزايد في كل لحظة ، ويديم الله سبحانه ظل حضرة منبع الإرشاد على رؤوس كافة الأنام ، ونخصّ المخاديم بالدعوات ،

خصوصاً الخواجه تاج الملة والدين الحسن ، وملازمي العتبة العلية مولانا صلاح الملة والدين ، ومولانا كمال الدين أبو سعيد ، مع سائر الأبرار والأخيار ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

حضرة مولانا نظام الملة والدين الخاموش قدس سره أفضل أصحاب خواجه بهاء الدين وخواجه علاء الدين ـ قدس سرهما ـ وأكملهم ، وسبب تأخير ذكره ما مرَّ[1] في آخر ذكر خواجه بهاء الدين وعلاء الدين قدس سرهما ، ولقي خواجه بهاء الدين أوان تحصيله في صحبة واحد من العلماء في بعض النواحي بخارى ، ثم التحق بصحبة خواجه علاء الدين قدس سره .

قال مولانا نظام الدين : كان لي قبل وصولي إلى صحبة خواجه علاء الدين وملازمته مجاهدات كثيرة ، ورياضات شديدة ، وشاهدت من آثارها من خوارق العادات ، وكنت إذا وصلت إلى باب مسجد مقفَّل وأردْتُ الدخول فيه كان ينفتح لي بمجرد الإشارة ، وأمثالها مما لا يحصى ، فلما سمعت قدوم خواجه سمرقند خطر في قلبي صحبته ، فجئته ، ولقيت أولاً مولانا أبا سعيد ، فلما رآني قال : يا مولانا ! أنت في غاية النظافة . أما آن لك أن تتخلَّص من هذه النظافة والزهد ؟ فحصل لي كراهة من الكلام وثقل على قلبي ، فلمَّا دخلت على خواجه علاء الدين قدس سره قال هو أيضاً عين العبارة ، لكن لم يحصل لي من كلام خواجه ثقل وكراهة ، بل ارتفعت الكراهة والثقل الحاصلتان قبل ، فعرفت مقصوده من الكلام ، فالتزمت صحبته بتوفيقه تعالى .

قال بعض الأكابر : كنت يوماً قاعداً عند مولانا نظام الدين فمرَّت جارية مليحة من جواريه قدامنا لمهمٍّ ما ! فخطر في قلبي أنه هل يتصرَّف

---

(١) في ٣٢ أواخر الوجه .

مولانا في الجارية بملك اليمين أم لا ! فقال في الحال : لا ينبغي أن تلوِّث قلبك بأمثاله ، فإنَّ أهل الحق يحسون بإذن الله ما يمرُّ على خواطر الناس ، والله سبحانه وتعالى يعلم أزيد من أهل الحق ألف ألف مرَّة .

بالاحتلام يقع الرجوع والتنزُّل

فوالله ما وقع لي احتلام منذ أربعين سنة ؛ بسبب أنَّ جماعة من الروحانيين نزلوا إليَّ وقالوا : ينبغي لك رعاية نفسك ، لئلا يقع عليك الاحتلام فيقع عليك الرجوع والتنزُّل بسببه . فكنت مراعياً لهذا المعنى من هذه الحيثية مدة أربعين سنة ، وما وجب عليَّ الغسل منذ سبع عشرة سنة ؛ مع أنه كان متأهلاً !

ذكر نبذة من لطائف مولانا قدس سره .

كانت لطافته في غاية حدِّ الكمال ، وكان سريع التأثر من أحوال الناس وأخلاقهم ، وكان يدَّعي اللالونية لنفسه ، والحق أنه كان كذلك . وكان لا يرى من نفسه شيئاً ، فإن رأى وظهر فيه شيء من الأحوال كان يقول : هذه نسبة فلان ، وذلك صفة فلان

قال يوماً : إن من طريق أكابر خواجكان ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ ما إذا حضر عندهم شخص ينظرون ماذا يقع في خاطرهم بعد حضوره ، فالأخ في خاطرهم يحكمون أنه وصف ذلك الشخص ظهر فيهم بطريق الانعكاس ، فإنَّ مرايا قلوبهم لما كانت مصفَّاة عن نفوس الغير والسوى بسبب كمال صفائها لا ينسب إليهم ما ظهر فيها ، فإن كان الظاهر فيهم ما يتعلق بالإيمان والإسلام من الصلاة والصوم وتحصيل العلوم الدينية يقولون ظهرت نسبة الإسلام ، ونسبة الديانة ، ونسبة العلم ، وإنْ ظهرت المحبة والعشق ، يقولون : ظهرت نسبة الجذبة .

وقال شيخنا : كان مولانا نظام الدين ضيفنا في منزلنا بتاشكند ، وكنت في خدمته متصلاً مغتنماً لقدومه ، وبينما أنا قاعدٌ عنده شرع أن

يقول : آه آه ظهرت نسبة الثقل ، وسمَّى شخصاً من أعيان تاشكند ، وقال أظن أنه يحضر هنا ، فأخذ يقول سبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فحضر الشخص المذكور بُعيد زمان ، فقال له مولانا : تعال أهلاً وسهلاً ، وقد جاءت نسبتك قبل قدومك ، وأخبرت بمجيئك .

وقال شيخنا : قد بلغ عمر مولانا تسعين سنة ، وكان في آخر حياته إذا حضر عنده من ليس في نسبته ، أو كان ممَّن لا يحبُّ سيرته ، يقول حين وقعت عينه عليه من بعيد : يحضر عندنا فلان بحمل يكاد يهلكني بثقله ، اذهبوا إليه وارجعوه بعذر .

وكنت مرة قاعداً عنده فجاء شخص من أهل الشاش يسمى بالشيخ سراج ، فلما استقر به المجلس ووقع نظره عليه ، ورأى أثر الرياضة في بشرته أعجبه ذلك ، وأكثر من قول : الحمد لله الحمد لله ، وأظهر البهجة والسرور ، وكنت أعرف هذا الشيخ سراجاً ، كان رجلاً معجباً بنفسه ، ومنكراً للأولياء ؛ ولو كانت له رياضة في الظاهر لكنه لم يكن معتقداً في أحد غيره ، وكان بعض الناس يقول : إنه يشتم أكابر الدين . فكلما كان مولانا يقول الحمد لله ، كنت أقول في نفسي سيصير حاله معلوماً ، فلم يلبث إلا قليلاً إذ قال له مولانا : قم عنِّي ، قم عنِّي . وطرده عن المجلس بكمال السرعة وتمام الزجر .

وقال شيخنا : وقع مرة لمولانا وجع البطن ، وأظهر التوجع كثيراً فصار معلوماً بعد التفحص أنَّ ولده أكل السويق مع تفاح غير ناضج .

وقال شيخنا : جاءني مرَّة شخصٌ وقال : إن حضرة مولانا صار مريضاً ، وكان ضيفنا في منزلنا بتاشكند فجئت عنده مسرعاً ، فرأيته قد استولى عليه البرد ، وأوقدوا النار حوله ، وألبسوه لبسة كثيرة ، وغطُّوه باللحاف ، وألقوا فوقه أناساً كثيرة ، وهو يرتعد ويتموج ، كمن عرضته الحمى الباردة ، لا يسكن ارتعاده بوجه من الوجوه ، فصرت مغموماً من مشاهدة هذا الحال غاية الغمِّ ، فبينما هو في الحال ! جاء واحد من

أصحابه الذي له رابطة تامة بعد ساعة من الرحا وقد وقع في النهر ، وابتلت أثوابه ، واستولى عليه البرد ، وصار يرتعد غاية الارتعاد ، فلما رآه مولانا قال : خلوني واستدفئوه ، فإنَّ البرْد الذي فيَّ إنما هو من برده ! وصفة حاله قد سرت إليَّ واستولى عليَّ . فأخرجوا أثوابه المبتلة عنه وألبسوه ألبسة يابسة ، وأدفأوه ، فسكن ارتعاد مولانا ، وعاد إلى حاله ، وقام من غير تشويش .

وقال شيخنا : كنت يوماً قاعداً عند مولانا نظام الدين وفي يده كتاب ، فاستولى عليه بكاء عظيم من غير سبب ظاهر ، وقال : آه ! ماذا طرأ عليَّ ؟ وأظنُّ أنِّي قد وقعت في البداية . وقال شيخنا : كان هذا الكلام في غاية العجب من مولانا ، فإنه كان ينبغي له أن يرى هذه النسبة من أحد المبتدئين الحاضرين في ذلك المجلس ظهرت فيه بالانعكاس .

وظهر يوماً في إصبع رِجْل مولانا نظام الدين ورَمٌ فأمر الخادم بتركيب مَرْهَم ، فلما أحضره الخادم ووضعه على ورمه قال بعد مضي سويعة : قد ظهر في دماغي ما يظهر لآكلي البنج ، وأظن في هذا المرهم شيئاً من البنج ! فقال الخادم : نعم فيه شيء منه .فقال هذا الذي أحسُّه في دماغي ، فنزعه ورماه . ونقل عنه كثير من أمثال الحكايات .

ذكر شيء من أحواله الباطنة :

أورد مولانا العارف الجامي قدس سره في « نفحات الأنس » أنه قال : قال مخدومي خواجه عبيد الله – أدام الله تعالى بقاءه – قال مولانا نظام الدين الخاموش : مرض واحدٌ من أكابر سمرقند ، وكان له في حقِّنا محبَّة تامة ، وإخلاص كامل ، وإرادة خاصة ، وقرب من الموت ، فتضرع أولاده ومتعلقاته إليَّ كثيراً ، فتوجهت إليه فرأيت أنه لا بقاء له ولا حياة إلا في الضنى ، فأخذته في ضمني فصحّ وقام ، ثم وقعت عليّ بعد زمان تهمة مُفْضية إلى الإهانة ، وهو قادر على السعي والاجتهاد في دفعها ، لكنها في حفظ عرضه ومرتبته ، ولم يسع ولم يجتهد في الذب

مخافةً من توهُّم وصول ضرر إليه ، فتألَّم منه خاطري ، فأخرجته من ضمني ، فسقط من ساعته ، ومات على إساءته .

وصاحب الواقعة شيخ الإسلام خواجه عصام الدين السمرقندي ، والتهمة التي اتهم بها مولانا نظام الدين إنما وصلت إليه من طرف ولده ، فإنه كان مشهوراً بقراءة الدعوات والعزائم وتسخير الجنِّ ، وكان يختلط بهذا السبب مع معظم أهل حرم السلطان ، فنسبه بعض أرباب الحسد والغرض إلى محبة بعض أهل الحُرَم واتهموه بها ، فبلغ شيء من ذلك لسمع السلطان مرزا أَلْغَ بيك ، ففرَّ ولد شيخ الإسلام لإنجاء نفسه ، فسرى شامة هذه السعاية والتهمة إلى مولانا ، فطلبه المرزا ألغ بيك بتمام الغضب غيرة منه ، فجاء به القاصدون عند السلطان مكشوف الرأس ، محمولاً على دابة خلف القاصد إلى باغ ميدان ، فقعد فيه مراقباً ، فمرّ به السلطان فلم يلتفت إليه ، ولم يقم له . ولما طلبه السلطان للاستنطاق ، وشرع في العتاب قال له مولانا : إنَّ جواب هذه الكلمات كلمة واحدة ، وهي أني أقول : أنا مسلمٌ فإن تصدِّقني فبها ! وإلا فأمر بما لاح لك ، وافعل ما شئت . فتأثر السلطان من الكلام ، وقام وقال : خلُّوا سبيله .

قال شيخنا : عرض لمرزا ألغ بيك بعد صدور هذه الإساءة عنه كثير من الانكسار والتشويش ، وقتله في هذه الأثناء ولده عبد اللطيف .

وكان مولانا قويّاً غاية القوة ، فبلّغوه مساوىء شخص ، فتأثر منه وتألم وتغيَّر ، فخطَّ في الجدار خطّاً واحداً ، فمات ذلك الشخص من زمانه .

قال سعد الدين الكاشغري ـ قدس سره ـ : كنت يوماً عند مولانا نظام الدين ، فشكى إليه سعد الدين لوْر ـ وكان من العلماء المحققين ، والمخلصين لمولانا نظام الدين ـ من واحد من طلبة العلم ، وقال : إنه عديم الأدب ، خليع الحياء ، متوغل في غيبتكم وإهانتكم دائماً ، وأكثر الشكاية حتى تغيَّر قلب مولانا . فاتفق أن ظهر ذلك الخبيث المنكر في

هذا الحال ، فأشار إليه مولانا سعد الدين لور وقال : هو هذا الخبيث المنكر . فمرَّ من أمامه بلا التفات ولا رعاية أدب ، فاستولى الغضب على مولانا ، وخطَّ بخشب صورة قبر على الجدار ، فسقط ذلك الخبيث في الحال مغشيّاً عليه ، ودخل مولانا بيته ، وأسرع الناس إلى هذا الخبيث ، فرأوه أنه قد أسرعت روحه إلى مرجعه ومصيره .

وقال شيخنا : كان مولانا نظام الدين قاعداً يوماً في مقسم الماء للتوضيء ، فاتفق أن شخصاً سدَّ طريق ماء شخص من الزارعين ، فجاء ذلك الشخص مسرعاً ورأى مولانا نظام الدين قاعداً في مقسم الماء ، فظنَّ أنه هو الذي سدّ الماء ، فجاء بشدة الغضب من ورائه وألقاه في الماء برأسه من غير تأمُّل وملاحظة ، ولما سقط مولانا في الماء ودخل رأسه تحته ، وقع ذلك الشخص من ساعته ميتاً في ساحل النهر .

وقال له مرّة واحد من مخلصيه :إنِّي أريد أن أجعل لك بستاناً ، ثم جاء بعد مدة وقال : ألا تنظر إلى بستانك ؟ فجاء به إلى البستان ، وكان أصله حائطاً واحداً ، فقسمه وجعل نصفه لأجل مولانا ولم يهتمَّ فيه بكثير الاهتمام ، وجعل نصفه الآخر لنفسه وقد اهتمَّ به اهتماماً كثيراً وعمَّره تعميراً . فلما نظر إليه ورأى نصفه الذى جعله لنفسه أفضل وأزهى مما جعله لأجله ظهر من باطن مولانا صوت (بمير) يعني مُتْ ، ولم ينقطع ذلك الصوت أصلاً حتى نظر إلى أنهر كثيرة ، ثم سقط ذلك الشخص مرة واحدة ومات .

وحكى شيخنا أنه لما قبل خواجه علاء الدين العلامة السيد الشريف قدس سرهما ، وصحب السيد مولانا نظام الدين بموجب إشارته ـ كما مرّ ـ عرض بعض أرباب الغرض على خواجه علاء الدين أن نظام الدين داعية المشيخة والاستقلال ، وتكلّم فيه كثيراً بما يوجب الكدورة لخاطره ، ولما تكرَّرت النميمة ، وبلغ تألُّم خاطره الغاية ؛ طلب مولانا إلى حضوره ، وأراد أن يتصرف فيه بنوع تصرُّف ، وكان خواجه وقتئذ

في صفانيان ومولانا في سمرقند ، ولما بلغه أمر خواجه توجه مولانا من غير توقف ، ورافقه السيد الشريف ، وكان مولانا على حمار ، والسيد على بغلة ، فعرض المرض لبغلة السيد في الطريق بسبب الإكثار من أكل الشعير ، وكانت لا يمكن ركوبها ، فتوقفا عن السير ، فأركب مولانا السيد على مركبه ، وركب بنفسه على بغلته لكونه خفيف الجسم ، فمشت في الحال ، فلما شاهد السيد الحال منه أهدى له البغلة ، فدخل مولانا صفانيان ، فبلَّغ أصحاب الغرض خواجه هذه الصورة ، وقال : هذا دليل آخر على أنَّ مولانا يدَّعي المشيخة لنفسه ، حيث ركب نفسه على البغلة وأركب السيد على الحمار ، وجعله مريداً لنفسه حتى أهدى له بغلته في الطريق ، فصار سبباً لحصول ثقل عظيم في خواجه . فلما وصل مولانا مع السيد إلى خواجه قال الأصحاب : هذا يوم يأخذ فيه خواجه من مولانا نظام الدين ما أعطاه له قبل ! وكان اليوم في غاية الحرارة اتفاقاً ، وامتدت الصحبة ، ووقعت الشمس على المجلس ، فقام الناس كلهم ، وبقي خواجه ومولانا جالسين في الشمس على المراقبة متقابلين ، وامتدَّتْ إلى نصف النهار . قال مولانا : وجدتني في المراقبة كمثل حمامة ، والخواجه كالباز الأشهب يطير من ورائي ، وكلما فرَرْت منه إلى مكان قصدني من ورائي فاضطربت اضطراباً شديداً ، والتجأتُ إلى روحانيته ﷺ ، فظهرت في الأثناء الخيمة النبوية ، وأخذني في حجر عنايته ، فصرت ممحواً في أنواره التي لا نهاية لها ، ولما وصل خواجه إلى المقام لم يبق له مجال التصرُّف فيَّ ، وصدر الخطاب عن حضرته ﷺ أنَّ نظام الدين منَّا لا دخل لأحدٍ فيه . فرفع خواجه رأسه بعد ذلك ، ودخل إلى منزله الشريف بعد قيامه بكيفية عظيمة ، وصار مريضاً من الغيرة أياماً ، ولم يطلع أحد على سبب مرضه ذلك .

ثم توجَّه إلى زيارة خواجه محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس سره وأشار إلى مولانا أن يرافقه ، فتوجَّه مولانا أيضاً بموجب إشارته إلى

زيارته ، ولم يعطه مركباً مع كونه ضعيفاً كبير السن ، فتوجه ماشياً من وراء خواجه إلى ترمذ ، ووصل إليها بمحنة كثيرة ، ولما وصل خواجه مرقد محمَّد وجده خالياً ، فصار معلوماً بالتجسس والنفوس أنَّ روح محمد بن علي قد توجه لاستقبال مولانا نظام الدين وخلَّى روضته . فقال حضرة الخواجه : إذا كانت عناية الحق تعالى شاملة لحال شخص فماذا أصنع فيه ؟ ثم بذل الالتفات الكثير في حق مولانا بعد ذلك ، وارتفع الغبار من خاطره الشريف بالكلية .

وحكى شيخنا أنه قدم مولانا نظام الدين إلى ولاية شاش ونزل منزلنا ، وكنت في خدمته في أكثر الأوقات فجاء إليه مولانا زاده الفركتي بجلود أولاد الغنم مدبوغة ، وأهداها له ، فأخذت في ذمَّتي أن أجعل له منها فروة ، ولمَّا أعطيتها للخياط تبيَّن أنها لا تكفي للجيب فكنت في تداركه ، فقال له مولانا زاده على سبيل الملاطفة : إن الخواجه أهمل في إتمام الفروة ، فبمجرَّد سماع الكلام ظهر التغير في باطنه ، وتأثر غاية التأثر ، وقال : إهمال ! والإهمال يخرج الشخص عن النسبة ! ثم شرع يحكي أنه عرض مرض قوي لخواجه عصام الدين السمرقندي حين إقامتنا فيه حتى أشرف الموت ، فجاء أولاده إليَّ وتضرعوا ، والتمسوا مني الحضور عنده ، فذهبت فرأيته قد حان أجله ، فتوقفت في حمل مرضه ، فتجاوز أولاده عن الحدِّ في التضرع ، وبالغوا في الإلحاح ، وجعلوني ملجأً ، فأثبتُّ نفسي صارفاً خاطري له ، وأخذته في ضمني حياتي ، وأدخلته في نسبتي فصحَّ وقام ، ثم وقعت عليَّ بعد مدةٍ واقعةٌ عظيمة ، حتى شدوا يدي في عنقي ، وجاؤوا بي عند المرزا ألغ بيك مكشوف الرأس من وسط الأسواق . وكان خواجه عصام شيخ الإسلام بسمرقند في الوقت ، فلم يقدر أن يشفع لي عند المرزا بكلمة ، ولم يمدّني في تلك الشدة . فأخذني القهر والغيرة من صيانة نفسه وجاهه وإهماله ، فأخرجته من ضمني ، فلما خرج من النسبة سقط في الحال ، ومات بلا

إمهال . ثم توجَّه بعد هذه الحكاية إلى الفقير وقال : يا خواجه ! كن واقفاً فقد خرجْتَ من النسبة ! فبمجرَّد الكلام أحسست في نفسي ثقلاً عظيماً بحيث قمت عن مجلسه بأنواع الحيلة .

ولمَّا لم أكن مريداً له توجهت إلى مرقد الشيخ خاوَنْد طَهور ، والشيخ عمر الباغستاني قدس سرهما ، وقعدت قريباً من قبرهما ، وعرضت حالي عليهما بحسب الباطن ، واستمددت منهما ، فصار معلوماً لي في القعود والتوجه أنَّ الثقل الذي رماه مولانا على هذا الفقير وقع على نفسه ، بمدد روحانية الأكابر ، بسبب الرابطة الصورية والمعنوية بهم ، وزال عني ذلك الثقل بالتمام ، فقمت بخفَّة ونشاط ، وجئت عند مولانا فرأيته قاعداً على حاله ، والصحبة عالية جدّاً مع مولانا زاده الفركتي وجمع من الأصحاب ، وليس له أثر من التشويش ، فقعدت متعجِّباً ومتحيِّراً ، فإنه قد علمت تحقيقاً أن الثقل متوجه إليه ، فما السبب في عدم ظهور أثره ؟ وبينما أنا في الفكر صاح مولانا على أهل المجلس أن قوموا عنِّي ! قد وقع عليَّ ثقل وغلبني ، فقمنا عن مجلسه ، ووقع هو في فراش المرض ، وارتحل من الدنيا في المرض .

وعيَّن شيخُنا لخدمة مولانا نظام الدين وتعهَّده في المرض مولانا قاسم عليه الرحمة ؛ الذي من كبار أصحاب حضرة شيخنا .

قال مولانا قاسم : كان مولانا نظام الدين قدس سره يبكي كثيراً في مرضه ذلك ويقول : قد وجدني الخواجه عبيد الله ضعيفاً وكبير السنِّ فأخذ عني كلما حصَّلته في مدِّ حياتي ، وتركني خالياً مفلساً في آخر حياتي . وقد بذل خواجه علاء الدين قدس سره كمال الجهد ، وتمام السعي في أن يتصرف في نسبتي فلم يقدر على ذلك ، مع أنه كان في نهاية القوة ، وغاية التصرُّف .

معنى النسبة والحمل والثقل

إن لفظ النسبة[1] والحمل قد كثر وقوعها في عبارة خواجكان قدس الله تعالى أرواحهم وإشارتهم ، فأحياناً يطلقون لفظ النسبة ويريدون بها الطريقة المخصوصة بينهم ، وأحياناً يريدون بها ملكة نفس شخص وصفتها الغالبة ، وأحياناً يطلقون لفظ الحمل والثقل ويريدون به الثقل الذي لا نسبة له ، حيث يقولون : إن فلاناً جاء بالحمل والثقل ، أو أنه أثقلني ؛ إذا لقوا شخصاً ليس له مناسبة لطريقتهم وكانوا متأثرين من نسبته ، ولو كان هو من أهل السلوك والعلم والتقوى ، فإن نسبة هذه الطائفة العلية فوق جميع النسب ، وكل ما يغاير نسبتهم يكون ثقلاً على خاطرهم ، وأحياناً يريدون بالحمل والثقل المرض ، كما إذا قالوا : إن فلاناً رفع حمل فلان ، وإن فلاناً رمى عليه حملاً فمرادهم به أنه رفع مرضه ، أو أوقع عليه المرض ، ورماه له ، وأحاله إليه .

حضرة مولانا سعد الدين الكاشغري[2] قدس سره .

اشتغل في أوائل حاله بتحصيل العلوم وجمع الكتب المتداولة ، وكانت له جمعية صورية ، يعني غناء واستغناء عن الخلق ، ولما وقعت له داعية الطريقة التحق بصحبة مولانا نظام الدين بترك الكل والتجديد التام .

قال حضرة خواجه كلان ابن مولانا سعد الدين : قال والدي الماجد : لما كنت ابن سبع سنين تقريباً أخذني والدي في رفاقته في السفر ، وكان

---

(١) ولفظة النسبة يقع في عبارات المشائخ كثيراً ، فمرة يقولون النسبة ، ومرادهم بها دوام العبودية على طريق الاستهلاك ، ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الحال الغالبة على الشخص ، ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الانتساب وهي على قسمين : عامّ وخاصّ ، والمراد بالعموم النسبة : الاشتغالات التي يشتغل بها السالك عند سلوكه في هذه الطريقة العلية ، كالاشتغال بالذكر والرابطة ، والوقوف القلبي ، وغير ذلك . والمراد بالخصوص النسبة : دوام العبودية التي هي نتيجة هذه الطريقة العلية ، قدس الله تعالى أرواح سلسلتهم معنا آمين « تحفة الذهب » .

(٢) بالغين لا بالفاء .

مشغولاً بالتجارة دائماً ، وكان يسافر في الأطراف والجوانب لكسب مهمِّ المعاش ، وكان في هذا السفر الذي أخذني معه غلام في غاية الجمال ، وكان مثلي في السن ، فوقعت عليَّ علاقة المحبة له ، وكنت معه ليلة في خان ، وبتُّ معه في محلٍّ واحد ، فلما انطفأ السراج ونام الأنام خطر لي أن أمسك به وامسحها بعيني ، فانشقت زاوية من البيت قبل أن أمدَّ إليه يدي ، ودخل منها رجل مهيب في يده شمع كبير منوَّر ، ونظر إلى جانبي ، ومرَّ بي مسرعاً ، وانشقت زاوية أخرى من البيت فخرج عنها وغاب ، فتغيَّر عليَّ الحال ، وصرت بعد ذلك منتبهاً ، ولم يبق فيَّ أثر من تلك العلاقة .

قال خواجه كلان : لما بلغ عمر والدي الماجد اثنتي عشر سنة أخذه والده معه في السفر ، وكان يوماً قاعداً عند باب الخان ، وكانت بين جماعة من التجار في قربه محاسبة ومناقشة ، فامتدَّت مجادلتهم إلى وقت الاستواء ، فغلب البكاء على والدي من غير اختيار ، فتركت الجماعة مجادلتهم وتوجَّهوا إليه وسألوا عن سبب بكائه فقال : أنا قاعد في هذا المكان من الصبح إلى الزمان ولم يقع في خاطركم ذكر الله تعالى في تلك المدة فغلب عليَّ البكاء بلا اختيار ترحّماً لكم .

ولما بدى له بعد تحصيل العلوم ذوق هذا الطريق التحق بصحبة مولانا نظام الدين ، وبقي في صحبته وخدمته سنين ، ثم استأذنه لسفر الحج ، وقدم خراسان ، وتشرَّف في هراة بصحبة مشائخ الوقت ؛ مثل حضرة السيد قاسم التبريزي ، ومولانا أبي يزيد البوراني ، والشيخ زين الدين الخافي ، والشيخ بهاء الدين عمر ، قدس الله تعالى أرواحهم .

وقال في وصف السيد قاسم قدس سره : إنه عباب معاني العالم ، وقد اجتمعت عنده في هذا الزمان جميع حقائق الأولياء .

وقال في حقِّ مولانا أبي يزيد البوراني : إنه ليس له شغل بالله تعالى أصلاً ، بل شغله كله على الله تعالى ؛ يعني أنه في مقام المحبوبيَّة .

قال في شأن بهاء الدين عمر قدس سره إن مرآته قد وقعت في محاذاة الذات ، فلا يشاهد شيئا غير الذات .

وكان يمدح الشيخ زين الدين الخافي قدس سره بكمال الشرع .

قال مولانا علاء الدين الذي هو من كبار أصحابه : قال مولانا سعد الدين الكاشغري قدس سره : لما قدمت هراة في مبادي الحال رأيت ليلة في الواقعة مجمعاً عظيماً ، وقد حضر فيه جميع أكابر أولياء هراة ، فأدخلوني في ذلك المجمع ، وأجلسوني فوق جميع الحاضرين غير الاثنين ، أحدهما الشيخ عبد الله الطائي ، والثاني خواجه عبد الله الأنصاري قدس الله تعالى أسرارهم .

وسمعت غيره يقول : إنه قال مولانا سعد الدين : فوجدت في نفسي أثر الرعونة بعد الانتباه من تلك الواقعة ، فأخذت أمشي في نصف الليل إلى الجوانب طلباً لعلاج دفع هذه الرعونة ، فلسعَتْ رجلي عقربٌ بتمام الشدة ، فأصبحت بالأنين والتأوُّه ، فزالت عني تلك الرعونة بالتمام بسبب الوجع والمحنة .

وأورده مولانا الجامي قدس سره السامي في « نفحات الأنس » قال مولانا سعد الدين : قويت فيَّ داعية زيارة الحرمين الشريفين ، بعدما تشرَّفت بصحبة مولانا نظام الدين عليه الرحمة سنين ، فاستأذنته فقال : كلما نظرت إلى القافلة ما رأيتك فيها في هذه السنة . ولقد كنت رأيت قبل هذا واقعات متعدِّدة ، ووقعت منها في التوهُّم . وكان مولانا نظام الدين يقول : لا تخف كثيراً ! فإذا وصلت إلى هراة اعرض الواقعات على الشيخ زين الدين الخافي ، فإنه رجل متشرّع وثابت على جادة السنة ، وكان مراده منه الشيخ زين الدين ، وكان في الوقت مرشداً في خراسان ، ولما وصلت إلى خراسان وقع التوقف عن السفر كما قال ، ثم تيسَّر بعد سنين ، ولما وصلت الشيخ زين الدين عرضت الواقعات فقال : جدِّد البيعة لي . قلت : إنَّ الشيخ الذي أخذت منه الطريقة في قيد الحياة ،

وأنت أمين! فإن تعرف أنه جائز في الطريقة أقبل ذلك، وأفعل بما أشرت به هنالك. فقال: استخر. قلت: لا اعتماد على استخارتي، بل استخر أنت، فقال: استخر أنت، وأنا أستخير أيضاً. ففي الليلة استخرت، فرأيت أن طبقة خواجكان اجتمعوا في مقبرة هراة التي كان الشيخ الآن هناك، وشرعوا في قلع أشجارها وهدم جدرانها، وفيهم آثار القهر والغضب، فتيقَّنت أنَّ هذا إشارة إلى المنع من الدخول في طريقة أخرى، فمددت رجلي ونمت بالاستراحة وفراغ الخاطر. ولما حضرت مجلسَه في الصبح قال لي قبل حكاية الواقعة: إن الطريق واحد، ومرجع الكل إلى واحد، فكن مشغولاً بالطريقة التي أخذتها قبل، فإن وقع عليك إشكال أو واقعة؛ فاعرضه عليَّ، أمددك بقدر ما استطعت. انتهى.

وسمعت بعض الأكابر يقول: إن الشيخ توجَّه في تلك الليلة بناء على وعده بالاستخارة، فرأى شجرة في غاية العظمة؛ ولها أغصان كثيرة، فأراد أن يقلع منها غصناً كبيراً، فاجتهد بليغاً لكن لم يتيسَّر له ذلك، ولما حضره مولانا في الصبح قال له ما قال.

قال مولانا محمد الروجي قدس سره: قال مولانا سعد الدين: لما طلبت من مولانا نظام الدين إجازة سفر الحج قال: رأيت قافلة الحجاج في البادية، ولم تكن أنت فيها. فسكتُّ في هذه النوبة، ثم استأذنته بعد أيام فقال: اذهب. لكن اقبل منِّي وصية: لا تفعل مثل ما فعلْتُ وندمْتُ عليه، وأحمل تلك الخجالة إلى يوم القيامة، إذا ظهر فيك أثر القهر الإلهي لا تستعمل القوة القهرية كما فعلتهُ أنا في حقِّ خوجة عصام الدين، وسائر المنكرين والمعاندين كما مرَّ.

قال مولانا سعد الدين: فقبلت منه الوصية وانتفعت بها، فظهرت فيَّ بعد مدة كيفية عجيبة، وصرت بحيث إذا وقعت على عين أحد كان يصير مدهوشاً، فإن قرب مني يصير هالكاً، فاختفيت في مبادي ظهور هذه الكيفية في زاوية البيت وما خرجت إلى أربعة عشر يوماً، فإذا ظهر

شخص من بعيد وأراد الصحبة معي كنت أشير إليه بيدي ، وأمنعه من صحبتي ، ولم أتركه يقرب منيِّ ، إلى أن تجلَّت عني تلك الكيفية .

ذكر فوائد أنفاسه النفيسة قدس سره :

قال : إن الشغل بالله تعالى أسهل من كل شيء يفرضونه ، فإن الأشياء المطلوبة كلها إنما يطلبها مَنْ يطلبها أولاً ، ثم يجدها بعد الطلب ، بخلاف الحق سبحانه ، فإنه تعالى يجدونه أولاً ثم يطلبونه ، فإنك إنْ تجده أولاً كيف تميل إليه ! .

إن أنــت لــم تــرَ مِـنْ مُـناك جماله لا يـنـتـهـي فـيـك الـقـوام كماله

ومعنى هذا الكلام أن الله سبحانه يتجلى أولاً لباطن العبد بصفة الإرادة ، ويقال لهذا التجلي : التجلي الإرادي . فيكون العبد بعد وجدانه لهذا التجلي مريداً للحق تعالى وطالباً له ، فكان الوجدان مقدماً على الطلب في هذه الصورة .

قال : من أحبَّ شخصاً يريد أن يحبه الناس كلهم ، وإن كان مقتضى غيرة المحبة إخفاء المحبوب ! لكنه يجتهد في غاية محبَّته إليه في أنْ لا يكون له أحدٌ منكراً ، ولا يعرف أنه كيف يحتال ؛ وكيف يدبِّر ؛ وكيف يفكر ؛ لأن يكون الكل معتقداً له وطالباً إياه ، فيصفه بكل وصف ممكن وتيسَّره رجاء طلبهم إياه .

قال : إذا تغيرت شعرة من بدنك وتأثرت بسبب حال من الأحوال فينبغي لك أن تتبع أثرها ، أي ينبغي أن يعتني بشأن الحال وإن كان حقيراً ، وأن يستكثره وإن كان قليلاً في الظاهر .

مطلب مهم جداً لسالكي زماننا

قال : قال الخواجه محمد پارسا قدس سره : إن الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب ، ويزيد هذا

الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة والتفرُّجات المشتتة ، ورؤية الألوان والأشكال المتنوِّعة ، ويستقرُّ في القلب . فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة . وأيضاً تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب ، والتكلُّم بكلام رسمي وكلمات شتى ، وسماعها ، وتتحرَّك هذه النقوش وتتموّج بمشاهدة الصور الجميلة ، واستماع الغناء والنغمات المطربة . وهذه المذكورات كلها موجبات للبعد والغفلة عن الحق سبحانه ، فنفيها واجبٌ على الطالب . فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد الخيالات الفارغة ، ليتوجه إلى الله تعالى بقلب صاف . وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يحصل ذلك المعنى من غير مشقة ومحنة ، وترك لذَّات جسمانية وشهوات حسيَّة . والراحة المطلوبة إنما هي في دار الآخرة ، فإن التزمت مشقة يسيرة في أيام معدودة في الدنيا تسترح في الآخرة أبد الآباد ، فإنه لا قدر لهذا العالم بالنسبة لعالم الآخرة ، وكأنه بذر خشخاش مرمي في صحراء لا نهاية لها .

كان واحدٌ من أصحابه يكتب رسائل في فصل الربيع ، وكان يخطر بباله أن يتنزَّه ويتفرج بعد إتمامها فجاء في الأثناء صحبته فأنشده هذين البيتين :

دخلت بمن أهوى ببستانِ عابراً ... فكنت من الغفلات للورد ناظراً
فقالت لك الويلات يا مدَّعي الهوى ... أترمق ورداً تاركاً خدي زاهراً

مطلب

الكلمة الكافية عن الرسائل كلّها كلمة : كن مع الله

ثم قال : إذا ذهبت للتفرج فإن كنت محتظياً به فأنت غافل عن الحق سبحانه ، وإلا فما الفائدة فيه . وتكتب الرسائل ! فإن أردت العمل

بما فيها فتكفيك كلمة ، وهي : كن مشغولاً بالله تعالى ، وإلا فما الفائدة في تحريرها ؟ !

قال : قال مولانا نظام الدين : السكوت أنفع من الكلام ، فإنه يحصل من كل كلام حديث النفس ، والفيض الإلهي غير منقطع أبداً ، والمانع من إحساسه هو حديث النفس ، فينبغي لك حفظ قلبك في صحبة الأولياء عن حديث النفس ، فإنَّ لهم أذناً يسمعون هذا الحديث به ، فتكون مشوِّشاً لوقتهم .

ألا ترى أن طالع الكتب يتشوَّش بسماع كلام خارج ، بل بوقوع ذبابة في الورق . فالذين توجُّههم إلى الله تعالى وشغلهم به دائماً يكون حديث النفس مشوِّشاً لحالهم البتة ، ولا يتركهم للاشتغال بالله تعالى . فمن كان عنده طفل يبكي ويشوِّش وقته يأمر أمَّه بإرضاعه حتى يسكت .

فينبغي للطالب أيضاً أن يضع ثدي الذِّكر على فم القلب ، ليمصَّ منه اللبن المعنوي ، فيتخلَّص من الخيالات الفارغة وحديث النفس بسبب اشتغاله بالذكر .

وقد يكون الذكر أيضاً حديث النفس بالنسبة إلى بعض آخر .

مطلب

قال يوماً للأصحاب : اعلموا أنَّ الحق تعالى مع كونه في غاية العظمة والكبرياء في غاية القرب منكم ، فكونوا في هذا الاعتقاد ؛ وإن لم يكن هذا المعنى معلوماً لكم الآن ، لكن ينبغي أن تكونوا مع الأدب دائماً ، في الخلاء والملاء فإذا كان أحدكم في بيته وحده لا يمدّ رجليه ، واقعدوا في الخلوة مصاحبين للحياء ، ناكسين رؤوسكم ، وغامضين عيونكم ، وكونوا مع الله بالصدق في السر والعلانية ، فإن قمتم بحفظ الآداب يكون لكم ذلك المعنى معلوماً بالتدريج .

وينبغي تحلية أنفسكم بحلى الآداب الظاهرة والباطنة ، فالآداب الظاهرية القيام بأوامر الشرع ونواهيه ، والمداومة على الوضوء ، والاستغفار ، وتقليل الكلام ، والاحتياط في جميع الأمور ، وتتبُّع آثار السلف . والآداب الباطنية عسيرة جداً ، وأهم الآداب : حفظ القلب عن خطور الأغيار فيه ، خيراً كان أو شراً فإنهما مساويان في كونهما حجاباً عن الحق .

قال : إن الله تعالى علَّم رسوله ﷺ طريق المراقبة حيث قال ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ .

وأصل المسألة أن الله تعالى قال ذلك تعليماً لنبيِّه ﷺ فخلاصة الأمر : كونوا مشتغلين بالله تعالى ، فإنه قريب لعبده من كل شيء ، بل أقرب من أن نقول أقرب ، فإنَّ حال القرب لا تسعه العبارة ، فمتى عبَّروا عن القرب بالعبارة ينقلب القرب بعداً ، والقرب ليس هو قولك قد تقرَّبت إليه حتى تعبِّر عنه بعبارة ، بل القرب كونك ممحوّاً فانياً فيه ، وذهولك عن نفسك وغيرك فيه ، وأن لا يكون لك علم بأنك أيْن كنت ، ومن أين جئت ، وأن لا تقدر أن تعبِّر عنه بعبارة مطلقاً .

قال شخص عند أحد الأكابر : أن الشيخ الفلان يتكلَّم في القرب . فقال : إذا وصلت إليه قل له : إنَّ قرب القرب في المحل الذي نحن فيه بُعد البعد ، فإن القرب عبارة عن عدم كونك ، فإن كنت معدوماً فيه كيف تسعه العبارة ؟ !

ليس قرب بالهبوط والصعود إنما القرب انطلاقٌ عن وجود

قال : إن في كل نفس خزينة ، فينبغي أن يكون واقفاً ، فإن الله تعالى حاضرٌ وناظر ، والاستحياء منه تعالى واجب ، وأن لا يغفل عنه ، فإن الله تعالى يقول تشنيعاً للغافلين وتوبيخاً لهم ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن

﴿قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ أي ليس في جوف بني آدم قلبان حتى يجعل أحدهما مشغولاً بالدنيا وآخر بالحق تعالى ، بل فيه قلبٌ واحد ، فإن جعله مشغولاً بالدنيا يبقى بلا حظٍّ من الله تعالى ، وإن كان متوجِّهاً به إلى الله تعالى ، تنفتح من قلبه كوة إلى الله تعالى ، فتشرق منها إليه شمس الفيض الإلهي ، فكما أنَّ الشمس إذا طلعت تكون كلُّ ذرة من ذرات العالم محظوظة من نورها ؛ من المشرق إلى المغرب ، وينبسط نورها على الكل ، فإن كان بيت لا روزنة له ولا كوة يبقى محروماً من ذلك النور البتة ! كذلك القلب ؛ إن كان حاضراً فحضوره بمثابة الكوة يشرق إليه منها نور فيض الوجود ، وإن كان غافلاً يفوت عنه الاحتظاظ بذلك النور كالبيت الذي لا كوَّة فيه ، شعر :

ولا نقص في فيض الإله ولا بخل ولكنما النقصان في نفس قابل

قال : إنَّ الطاعة سببٌ للوصول إلى الجنة ، والأدب في الطاعة سبب لقرب الحق .

وذهب كمَّل المشائخ إلى أنَّ اللازم للمريد في الابتداء تصفية الباطن ، فيشتغل بالتصفية والتزكية حتى يحصل دوام المراقبة بتمام الحضور ، وألا يزيد دنس القلب ومرضه بكل عمل صالح يؤدِّيه على وجه الكمال . ولا ينبغي للسالك أن يكون أدون من تلامذة النسَّاج ! فإن أحدهم يبقى في مدة في تعلُّم وصْل الخيوط وترتيبها ، وأين له الاشتغال بأمور أخرى !

مطلب أهم لعلماء الرسوم

فكذلك ينبغي للطالب أن يسعى بالجد والاجتهاد حتى يكون أستاذاً في نفي الخواطر ، وماهراً في كيفية نفيه .

ولا ينبغي له في الابتداء الاشتغال بشغلٍ آخر غير نفي الخواطر ، والذين يطالعون الرسائل ويجمعون منها الكلامٍ فلا نفع لهم منها أصلاً ،

بل أمثال ذلك كلها تعطيل وتضييع للأوقات ، فإنَّ طريق الحق سبحانه سلوك وعمل ، لا سماع وجدل وتطويل الأمل . فمن كان في بغداد مثلاً عند السلطان وهو قادر أن يجالسه دائماً ، ومع ذلك يشتغل بمطالعة مكتوب كتبه واحدٌ من كتابه وأرسله إلى الشام ، فهو في غاية الجهل والغفلة والغواية والعماية ، فكيف يبعد عن حضور سلطان باختياره ؟ ويسافر من بغداد إلى الشام لمطالعة مكتوب كتابه ؟

قال : من كان في محل فهو في كل محل ، ومن كان في كلِّ محلٍّ فليس هو في محل أصلاً .

الاحتماء أفضل من الدواء

قال : إن الاحتياط والاحتماء أفضل من الدواء وأنفع ، لأنَّ من أكل فوق الشبع يعرض عليه أنواع المرض ، فيشرب دواء لدفعها ، فإذا برئ يشرع ثانياً فيه ، فيمرض ، فيشرب الدواء ، وهكذا إلى مرات ، فيعرض له منه ضرر كلي في الآخر . فكذلك صاحب ذنب يذنب ويتوب ، ثم يذنب ويتوب ، ثم . . . وثم ، فإنَّ إنابة لا تخلِّصُ صاحبها عن الذنوب بتمامها ، ولم تؤثر فيه أثراً عظيماً مثل ذنب آخر ! فلذلك التزم أهل الله تعالى لأنفسهم احتياطاً كلياً ، واشتغلوا بالحق تعالى بترك الكل خوف الموت في مرض الغفلة .

الهرة أستاذ الجنيد

قال : قال الجنيد قدس سره أستاذي في المراقبة هرَّة .

رأيت هرةً على فم حجر فأرة متوجِّهة إليها بكليتها ؛ بحيث لا تتحرك منها شعرة ، فنظرت إليها متعجباً ، فنوديت في سرِّي : أن يا قليل الهمة ! إني لست بأقل من الفأرة في كوني مقصوداً لك ، فلا تكن أدون من الهرة في طلبي . فشرعت في المراقبة من ذلك اليوم .

قال : داوموا على ذكر الله تعالى حتى تكونوا غائبين عن أنفسكم ، فإنَّ الحق سبحانه ألطف من كل شيء ، فكل من كانت لطافته أزيد يكون شغله بالله أزيد ، فالنساج ألطف من كنَّاس الحمام ، والبزاز ألطف من النساج ، والعلماء ألطف من البزاز فإنهم لا يقدرون على البزازية ، والجماعة المشتغلون به تعالى ألطف من الكل ، فإن سرَّهم وقلبهم لا يتحملان الاشتغال لغيره تعالى ، فإذا ركعوا لا تريد نفوسهم أن يرفعوا عنه رؤوسهم ، وإذا سجدوا لا تطيب قلوبهم أن يرفعوا عنه ، فاللطائف ألطف من الكل ، ويغبط الأنبياء أحوالهم ، لا من جهة أن درجاتهم فوق درجاتهم وكمالاتهم ! بل من جهة شرف حالهم من كونهم في قرب الحق دائماً ، وقد أخفاهم سبحانه وتعالى عن نظر الخلق وأشغلهم بنفسه .

مطلب

الفرق بين مقام النبي والولي

فنبيٌ مِثل مقرَّب سلطانٍ فوَّض إليه جميع ممالكه يتصرَّف فيه بأمره . ووليٌّ كصاحب طهارة السلطان يهييء له الماء وأسباب وضوئه دائماً ، وإن المتصرِّف في الممالك أقرب إلى السلطان من صاحب الطهارة ، وأفضل منه رتبة وأعلى درجة . فلو لم يكن قابليته أزيد لم يكن متصرِّفاً في الممالك ، ولكن لصاحب الطهارة فضل دوام قرب السلطان وحضوره ، والالتذاذ بخدمته الخاصة ، والاختصاص بعدم كونه مشغولاً بغيره ، وإلا فأين مرتبة المتصرف في الممالك من مرتبة صاحب الطهارة ! والمتصرف يحسده من جهة قرب الصوري للسلطان ودوام حضوره ، لا القرب المعنوي ورفعة الدرجة .

قال : إذا تجرَّد الذكر عن الحرف والصوت يبلغ في الوقت مقام الشجريَّة ، ويقدر الطالب أن يأكل منها ثمرة أيَّ وقت شاء . قال الله تعالى ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ والذكر كجنة تنبت منها شجرة المعرفة كما قال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ﴾ الآية .

وكما أنَّ الشجرة تطلع من الحبة ! كذلك التوحيد الصرف المجرَّد عن الحرف والصوت ؛ العربي والفارسي ، والشكل ، واللون ، والكيف ، والكم ، وعن جميع الجهات يظهر من مضمون الكلمة .

ومن خوارقه للعادات : قال مولانا علاء الدين ـ من أجلَّة أصحابه وسيجيء ذكره ـ : كنت مريضاً فجاء مولانا سعد الدين لعيادتي ، وجعل على طرف صُفَّة مراقباً ، وكان في سقف تلك الصفة روزنة حذاء رأسه ، فنشرت فأرة منها تراباً على رقبته وجيبه ، فرفع رأسه إلى جهة الفوق ، ثم راقب ثانياً فنشرت الفأرة تراباً أيضاً فنظر إليها كالأول ، حتى وقعت الصورة ثلاثاً ، فنظر إليها في الرابعة وقال مغضباً : يا فُئيرة يا فويسقة ! ثم قام وخرج . وكنت قاعداً على فراشي ، وصرت خجلاً من هذه الصورة ، فرأيت بعد لحظة هرَّة ظهرت من تلك الروزنة وقعدت في الكَمِين ، فنشرت الفأرة تراباً ، فوثبت الهرة وجرَّت الفأرة بأظفارها من جحرها ، وقتلتها ، وأكلت قدراً منها وتركت الباقية ، وأحصيت في اليوم ما قتلت الهرة من الفأرة في الروزنة فبلغت ثمان عشر ، وأكلت من كل واحدة منها قليلاً وتركت الباقي ثم غابت .

وقال مولانا پير علي أخو مولانا علاء الدين المذكور ؛ وكان من مخلصي سعد الدين قدس سره : كنت أبيع ثوباً في دكّان ، فجاء يوماً محصّل الأمير بمنشور ، وشرع في الغلظة والسفاهة ، ولم تكن لي في الوقت قدرة على أداء ما في منشوره ، فصرت متحيِّراً وعاجزاً ، فظهر مولانا في الحال ، ولما رأى منه التشديد وضع يده المباركة على كتفه وقال : يا أخي احفظ لسانك . وصار مدهوشاً ، وسقط مغشياً عليه في الطريق ، وبقي مدة على الحال ، وجلس مولانا على باب دكاني ، فلما أفاق قام بتمام التواضع ، وألقى نفسه على قدم مولانا ، وتاب من شغله الذي كان فيه ، وأقبل على الطريقة .

وحكى هو أيضاً : أن والدة أولادي كانت حاملاً ، ولما مرَّ من حملها أربعة أشهر قصدت إسقاط الجنين ، فانعكس الجنين وتغيَّر عليها الحال وصارت قريبة من الموت ، فجئت عند مولانا بتمام الاضطراب ، فصادفت عنده جمعاً عظيماً من العلماء والصلحاء ؛ فلم يمكن الوصول إليه للتكلم ، فتحيَّرت ، ولما وقع نظره عليَّ قام في الحال وراح إلى منزله ، وتبعه جماعة من الأصحاب ، فدعاني نحوه وقال : قل لهذه الظالمة : إنكِ تحركتِ بمثل تلك الحركة أولاً في تاريخ كذا فعفوت عنكِ ، والآن أيضاً عفوْتُ ، فإن فعلتِ مثلها أخرى تري جزائك . فرجعتُ مسرعاً بطيب القلب فرأيتها قد صلح حالها ، ولم يبق أثر من ذلك المرض ، فقصصت عليها القصة ، فبكت وقالت : صدق . قد قصدت لهذا الأمر في ذلك التاريخ ونجوت من الموت . ثم عاهدت الله سبحانه أن لا تقصد بمثله .

قال مولانا علاء الدين : جاء قاصدٌ من ولاية قوهستان حين كوني في ملازمة مولانا ، وأعطاني مكتوباً من والديَّ قد طلباني فيه بمبالغة تامة للتزويج ، فصرت ملوماً محزوناً خوف الحرمان من شرف ملازمته ، وقلت في نفسي : لعلّ مولانا لا يتركني أن أذهب إلى قوهستان بل يحفظني عنده إن اطَّلع على المكتوب . فلما حضرْتُ عنده قال قبل عرض المكتوب : إنه لما طلبوك بالمبالغة ينبغي لك أن ترجع . فصرت متحيراً ولم أر بدّاً من الذهاب ، ولما وصلت إلى الوالديْن زوَّجوني في تلك الجمعة ، فبقيت هناك سبع سنين ، وكنت في تلك المَّدة متوجِّهاً إليه دائماً ، ومستفيضاً من باطنه الشريف ، وكان في الديار عامل ظالم قد تعدَّى على كثير من الناس في توجيه الأموال الخراجية ، وجاوز الحد في الظلم ، وعجزت عن دفع ظلمه وتحيَّرت في أمره ، فتوجَّهْت لمولانا بالباطن ، فرأيت في المنام وفي يده قوس مع سهمه ، فظهر ذلك العامل من مقابله بغتة فوضع مولانا السهْم في القوس ورماه إلى طرف الظالم .

فلما استيقظت قلت في نفسي بأيِّ شيء يبتلي هذا الظالم ؟ فجئت عنده غدوة وقلت : تهيأ فقد أقبل عليك بلاء عظيم . فاستهزأ بي وضحك ، وتكلَّم بما لا يليق ، فعرض له الفالج بعد ثلاثة أيام فلم يقم ثانياً .

وقال أيضاً : كان لي وقت إقامتي في قوهستان دود القزِّ ، فصعدت شجرة كبيرة لقطع الأغصان ، واشتغلت في الأثناء بحفظ نسبة الرابطة ، فانكسرت الغصن الذي أنا عليه فسقطت ، فرأيت حضرة مولانا ظهر وأمسكني في الهواء قبل وصولي إلى الأرض ووضعني عليها سالماً ، فحفظت هذا المعنى . ولما تشرَّفت بملازمته ثانياً أردت أن أقص عليه قصة الظالم والسقوط فقال قبل شروعي في الكلام : إنَّ سقوط الظالم ليس كسقوط المظلوم .

مطلب

وقال أيضاً : لما علمني مولانا الذكر القلبي في مبادىء الأحوال بهراة قال : قل عندي مقداراً من الذكر القلبي ، فابتدأت واشتغلت به من القلب ، فقال : لا تفعل هكذا ولا تتحرك قلبك في الذكر ، بل احمل مفهوم الذكر على القلب ، وأَجْرِه فيه إلى أن يتأثر القلب بمفهوم الذكر فيتحرَّك بنفسه . ولم تكن لي وقت إخباره عن حركة القلب عقيدة وجود شخص في العالم يخبر عن باطن الناس ، وأحوال قلب الخلق ، فوقعت منه في الحيرة والتعجُّب ، وعجزت عن الذكر ، فقال في الحال : على ما تتحير ! والله إنَّ لي مريداً في بلخ بقالاً وهو الآن قائم في ما وراء دكة دكانه وأعلم ما في قلبه من مكاني هذا أزيد منه . فبعد اطلاعي على هذا المعنى ظهرت فيَّ كيفية عظيمة ، فأخذت ذيله أخذاً قوياً .

قال مولانا محمد أخو مولانا عبد الرحمن الجامي ـ قدس سره ـ الأصغر : كنت في مبادىء الأحوال مشغولاً بأعمال الإكسير ومشغوفاً به ، وصرفت لأجله أوقاتاً كثيرة ، وحصلت منه تجاريب يقينية ، وشاهدت

منه علامات كثيرة قريبة من الفعل ، ولكن ما ظهر لي ما هو الحق ! فكنت متردِّد الخاطر بين الأخذ والترك ، فجئت في أثناء التفرقة سوق الخوش ، ووصلت إلى قرب وسط السوق ودخلت في الناس ، وجاء شخص من ورائي ووضع يده على عنقي ، فنظرت إليه فإذا هو مولانا سعد الدين ، فوقفت متواضعاً له بين يديه فقال : يا أخي وأنشد :

أخي عندي من الكيمياء نوع جليل الشأن عن كل الصناعة
فالزم للقناعة وادّخرها فلا كيمياء أفضل من قناعة

ثم مضى فزالت عني داعية الشغل بالتمام ، وتخلص الخاطر بكليته عن الدغدغة ، وتيقنت أن هذا التصرف صدر في حق الفقير لمحض شفقته عليَّ .

قال مولانا علاء الدين : لما أخترت ملازمة مولانا في أوَّل الحال أشار إليَّ بترك الاشتغال بالعلوم الرسمية ، فتركت بعض الدرس الذي يتعلق بالعربية والمنطق والكلام بالتمام ، لكن كنت أقرأ من الحديث عند الأمير السيد أصيل الدين المحدِّث ، وقد قرب إلى الإتمام . فقلت في نفسي : إن قراءة الحديث لا تكون منافية للطريقة فأتمُّ الكتاب ، وأخذت جزء من الحديث وتوجَّهت من البلد إلى محلّة چل دختران ، وكان منزل السيد هناك ، ولما وضعت القدم خارج باب الملك ظهر في رجلي قيد ثقيل من حديد فرفعت رجلي بالعسرة ، فصرت به متوحشاً ومتحيِّراً ، ونظرت إلى الناس لأعلم أنهم ما يقولون في حقي ، فرأيتهم غير واقفين على المعنى ، فعبرت عن الجسر بالمحنة ، فرأيت في الأثناء أنَّ عمامتي طارت من رأسي وبقيت مكشوف الرأس ، فزاد تحيُّري ! ولما مشيت خطوات طارت جبَّتي عن بدني ، وهكذا كان يطير عنِّي في كل خطوتين أو خطوات شيء من أثوابي ، حتى بقيت مع السروال فقط ، وكان القيد الثقيل على رجلي ، ووصلت قرب سويقة فقلت في نفسي : إن مشيت

خطوة يطير السروال أيضاً فأفتضح بين الناس . فرجعت فوراً فرأيت القميص قد ظهر في بدني ، وكلما وصلت إلى محل ضاع عني فيه شيء كان يظهر ذلك الشيء في بدني ، ولما وصلت البلد سقط القيد وغاب ، فبادرت إلى ملازمته بقلب تفور عن المطالعة ، فرأيته قاعداً في الجامع مراقباً ، فقعدت عنده فرفع رأسه المبارك ونظر إليَّ مبتسِّماً ، فعلمت أنه من تصرفاته .

وقال مولانا المذكور أيضاً : طرأ عليَّ يوماً قبض عظيم ، فجئت إلى باب قصْره مضطرّاً ، وتوجَّهت إليه ، والتجأت بالتضرع والانكسار لديه ، وقلت : خلصني من هذا الألم والهمِّ والغم بالعناية والكرامة ، فخرج من بيته في الحال وآثار البسط ظاهرة فيه ، وتوجه نحوي متبسِّماً ، وأخذ جيبي بيده اليمنى ، ووضع رأس مسبحته على عاتقي ، فحصل سرور ونور وحضور ، حتى كان قلبي في نهاية الفرح والسرور ، إلى أربعة أشهر ، وكان آثار ذلك السرور ظاهرة في بشرتي بحيث لا أقدر على ضمِّ شفتي من الضحك .

وقال أيضاً : اتفق ليلةً مجلسُ رقصٍ وسماع مع جماعة من أهل الرسوم والعادة ، فجئت إليه بعد الصبح ، ووجدت جماعة من الأكابر من البلد في مجلسه ، فنظر إليَّ بالغضب ، فأحسست ثقلاً عظيماً ، حتى حسبت أنَّ جبلاً عظيماً وقع عليَّ ، وصرت منحنياً بحيث كاد أنفي إلى الأرض ، وضاق نفسي ، وسال العرق ، فخفت من الحياة ، فلما رأى مولانا شهاب الدين أحمد البرجندي عليه الرحمة ـ الذي هو من العلماء المتبحِّرين ومن كبار أصحاب مولانا ـ عجزي واضطرابي تضرّع إلى مولانا شفاعة لي ، فتوجَّه مولانا بعد ساعة إلى طرفه وقال : إن طبَّاخاً يطهِّر الكَرْش الكائن في غاية النجاسة بحيث يرغب فيه الطبع السليم ولست بأدون منه في تطهير النفوس ! فوضع كفَّه اليمنى على كفِّه اليسرى ومسح بعضها على بعض فزال الحمل عن ظهري والثقل في الحال .

وكان أستاذي حافظ غياث الدين المحدِّث ـ رحمه الله تعالى ـ من علماء الزمان ، وأعيان أهل هراة ، وصحب السيد قاسم التبريزي قدس سره ، والشيخ بهاء الدين عمر مدة ، ثم بعده ولده الشيخ نور الدين محمد قدس سرهما ، وكان له قرب تام من السلطان مرزا أبي سعيد ، حتى كان يقعد معه على سرير سلطنته ويقرأ له « المثنوي » . فقال يوماً : حضرت مرة مولانا سعد الدين بالجامع وفي مجلسه كثير من العلماء والفقراء ، وكان فيه رجل فقير من ولاية قوهستان قاعداً في صفِّ النعال أسفل من الكلِّ ، وكان مولانا ساكتاً ، فرفع رأسه بغتة ، ودعى الرجل القوهستاني ، وأخذ بيده وأعطانيه ، وقال : فوَّضت هذا الرجل إليك ، فلا تقصر في حمايته ، فقبلته ولم أعلم سرَّ تفويضه ، ولا غيري ، حتى توفِّي مولانا . وظهر بعد خمس عشر سنة من وفاته شخص في زمان السلطان أبي سعيد ، وكان يأخذ الناس بتهمة اليهودية بإمداد من الأمراء ، ويفديهم بمبلغ كثير . فاتفق هذا الرجل القوهستاني وآل أمره إلى القتل لعدم ماله يفديه به وأعوانه ، فربطوا حبلاً في عنقه ، وجاؤوا به إلى باب العراق لصلبه ، وكنت في الأثناء راجعاً من عند السلطان إلى منزلي ، فلمَّا وصلت إلى باب البلد ورأيت ازدحام الناس سئلت عن السبب ، فقصّوا القصة فتقدمت إليه ، ولما وقع نظره عليَّ صاح وقال : يا حافظ ! أنا ذلك القوهستاني الذي فوَّضه مولانا سعد الدين في المسجد الجامع إليك وقبلته منه ، والآن وقت المدد والحماية ! وعرفته فخلَّصته عنهم في الحال ، وعطفت عنان فرسي من هذا المحلِّ نحو السلطان ، وعرضت عليه قصَّة الفقير وتفويض مولانا ، فأمر السلطان بصلب ذلك الظالم مكان الفقير ، فتخلَّص الفقير وسائر الناس من شره .

وصحب خواجه شمس الدين محمد الكوسوي مولانا سعد الدين ـ قدس سرهما ـ وقال يوما لمولانا : وقع عليَّ إشكالان عظيمان في التوحيد وعجزت عن حَلِّهما ، ولم أدرِ من يحلُّهما ، وتألمت من هذه

الجهة وأردت السفر ، فلعلي ألتقي أحداً يدفع الألم عن قلبي ، فقال مولانا : توجَّه غداً في الصبح إلى هذا الجانب بنية حلّ هذا المشكل فعسى لا يبقى الاحتياج إلى السفر ، فجاءه الخواجه في الصبح ، ولمَّا وقع نظره على مولانا صاح وغاب عن نفسه ، وبقي في غيبته مدة ، فسُئل عن سبب غيبته في ذلك الوقت وترك السفر بعده فقال : لما وقع بصري على حاجبه الأيمن انحلّ أحد الإشكالين ، وعلى حاجبه الأيسر انحلّ الثاني فصدر عنّي صيحة بلا اختيار من لذته وذوقه ، وغبت عن وجودي .

وحكى واحد الفقراء الذي وصل إلى صحبة سعد الدين قدس سره : كان لي تغيُّر كثير في مجالس الوعظ التي تذكر فيها معارف الصوفية ، وكنت ذا صيحة كثيرة ومستحيياً منه ، فشكوت حالي إلى مولانا فقال : إذا وقع عليك التغيُّر أحضرْني في خاطرك ، ولما سافر إلى الحجاز طرأ عليَّ تغيُّر في أحد المدارس من سماع وعظ بعض الأكابر فتوجَّهْت بقلبي إليه ، فرأيته قد دخل من باب المدرسة وجاء ووضع يديه على كتفي ، فغبت عن نفسي وسقطت على الأرض من غير شعور ، ولمَّا صحوت رأيت المجلس قد انقرض وتفرَّق الناس ، وبقيت في حرارة الشمس ، وكان ذلك اليوم يوم الخميس الأخير من رمضان ، فحفظته في خاطري لأعرضه عليه بعد رجوعه من مكة ، فلما قدم من مكة وتشرَّفت بصحبته كان عنده خلق كثير من أصحابه فلم يمكن لي حكاية الحال له ، فتوجَّه نحوي وقال : كان يوم خميس ، ولم يكن بعده خميس آخر إلى العيد .

ومات قدس سره وقت ظهر الأربعاء ؛ السابع من جمادى الأخرى ، سنة ستين وثمانمائة .

وكان له ابنان من صلبه .

أحدهما : خواجه محمد أكبر المعروف بخواجه كلان ، وتشرَّف بتوفيق الانخراط في سلك أصحاب حضرة شيخنا ، وسافر مرتين من هراة إلى ما وراء النهر لملازمته ، وتشرَّفت بصحبته في قرية چل دختران ،

حين توجهي إلى ما وراء النهر لاستلام عتبة شيخنا في أوَّل مرة ، وكان ذلك في سفره الثاني لملازمته ، ولما رآني سألني متعجِّباً : إلى أين تذهب ؟ وما مطلوبك ؟ فعرَّضت عليه ما في البال على الإجمال ، فسرّ بذلك ، وأظهر البشاشة وقال : إذاً ينبغي لك أن لا تفارقني حتى نقطع المسافة على المرافقة والموافقة . فقبلت ذلك ، فأمر بإحضار أحمال متعلِّقاتي وأثقالهم ، وصدر عنه في هذا السفر شفقة كثيرة ، وعناية جزيلة لهذا الفقير ، ولما دخلنا بخارى تركنا أكثر الأحمال مع الخادمين وسائر المتعلقات هناك ، وتوجَّهنا منه مع خواجه كلان وجماعة من أصحاب شيخنا الذين كانوا في مزارع بخارى إلى بلدة نسف ، وتشرَّفنا فيها بملازمته ، وشاهدت من حضرة شيخنا التفاتاً كثيراً في حق خواجه كلان في خلال المجالس ، وتشرَّفت باستماع كثير من لطائف مصاحبته مع مولانا سعد الدين ، وبعض خصائصه قدس سره .

أمر يوماً خواجه كلان في الخلوة بالاشتغال بالنفي والإثبات ، وقال : كن مشغولاً بهذا الطريق ، فإذا رجعت إلى هراة وجاء صحبتك أحدٌ ادعُه إلى هذا الطريق أيضاً ، ولقِّنه الذكر ، فإن والدك الماجد لم يكن أتمَّ السلوك وقت قدومه هراة ، لكن حصل فيه أصحاباً لنفسه وأشغلهم بهذا الطريق ، واشتغل أيضاً بنفسه بتمام الجد والاجتهاد حتى ترقَّى أمره ، وبلغ النهاية سلوكه ، فينبغي لك أيضاً أن تكون مشغولاً بذلك حتى يبلغ الكتاب أجله ، وينتهي المهمّ إلى الإتمام ، ثم أنشد البيت :

أجْمَعُ الأحبابَ من كلِّ البشر وأنْحِتَنْهم نحت آزر من حجر

ثم أذن له بعد مدة بالرجوع إلى خراسان ، وأمر الفقير أيضاً بالوصول إلى ملازمة الوالدين . فجئت بخارى في رفاقته امتثالاً لأمر شيخنا ، فمكث خواجه كلان فيه زماناً ، وتوجَّهْتُ أنا إلى خراسان مسرعاً بإجازته ، وقدم هو أيضاً خراسان بعد شهرين ، وكان ملتفتاً لحال هذا الفقير دائماً ، وكان يظهر لي ألطافاً كثيرة ، حتى زوّجني بعد خمس عشر سنة كريمته ، وقبلني للولديَّة .

الثاني من ولديه : خواجه محمد أصغر المشتهر بخواجه خورد ، وله حظٌّ تام من العلوم الظاهرة ، والأخلاق الباطنة . وكلاهما حفظا القرآن المجيد ، وكان لهما اطلاع على دقائق التفسير ، وحقائق التأويل ، وتوفِّي حضرة خواجه خورد في دلاوية زين داور ، في سنة ستٍّ وتسعمائة ، وحمل بعض الخادمين نعشه إلى هراة ، ودفن تحت المزار خلف قبر والده الشريف . رحمهما الله تعالى وإيانا رحمة واسعة .

حضرة مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي ـ قدس الله تعالى سره الساميّ ـ : لقبه الأصلي : عماد الدين ، ولقبه المشهور : نور الدين ، ولادته في خرجرْد جام وقت العشاء ، الثالث والعشرين من شعبان المعظم ، سنة سبع عشر وثمانمائة ، كما ذكر نفسه في كتابه « رشح البال في شرح الحال » الذي هو كتاب مشتمل على وقائعه وأحواله في مدَّة حياته على الإجمال .

ونسبه الشريف يتصل بالشيخ الإمام العالم العامل محمد الشيْباني ، غشيه اللطف السبحاني ، صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وهو محمد بن الحسن بن عبد الله بن طاوس بن هرمز الشيْباني ، وهو ملك بني شيبان .

أسلم على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان والده مولانا نظام الدين أحمد الدشتي ، وجدّه مولانا شمس الدين محمد الدشتي من مشاهير أهل العلم والتقوى ، منسوبان إلى محلَّة دشت من محروسة أصفاهان ، وارتحلا عن وطنهما المألوف إلى ولاية جام بسبب بعض حوادث الأيام ، واشتغلا هناك بأمر القضاء والفتوى . وكانت جدَّته لأبيه من بنات أولاد الإمام محمد الشيباني أيضاً ! فإن مولانا قوام الدين محمد الذي هو من أولاد الإمام محمد لما قدم من ولايته إلى ديار جام زوَّج كريمته من مولانا الحاج شرف الدين شاه المفتي الفقيه ، فولدت له منها بنت فتزوجها مولانا شمس الدين محمد جدّ مولانا الجاميُّ ، فولد منها مولانا نظام

الدين أحمد الدشتي والد مولانا الجامي ، وكان آباؤه وأجداده يكتبون في السجلات والحجج عبارة الدشتي مدة إقامتهم في ولاية جام ، ولما قدموا هراة صاروا يكتبون لفظ الجامي مكان الدشتي ، وظفر السلطان شاهرخ سنة ولادته بتسخير ممالك العراق وفارس .

ذكر اشتغال مولانا الجامي بتحصيل العلوم في مبادىء حاله ، وتردُّده إلى أهل الفضل والكمال في عنفوان شبابه

لما قدم هراة مع والده في صغر سنِّه أقام في المدرسة النظامية ، وحضر درس مولانا جنيد الأصولي وكان مولانا المذكور ماهراً في العلوم العربية ، وكانت له شهرة تامة في هذا الفن ، ورغب في مطالعة « مختصر التلخيص » ، وكان جماعة من الطلبة يشتغلون بقراءة « شرح المفتاح » « والمطول » في ذلك الوقت ، فاستشعر في نفسه استعداداً لفهم الكتابين المذكورين مع عدم وصوله إلى حد البلوغ الشرعي ، فصرف عنان همته إلى مطالعة المطول وحاشيته ، ثم حضر درس مولانا خواجه علي السمرقندي من أعظم مدقّقي الزمان وأكمل تلامذة السيد الشريف الجرجاني قدس سرهم .

قال مولانا الجامي : كان مولانا خواجه علي السمرقندي عديم النظير في طريق المطالعة ، ولكن كان يمكن أن يستغني عنه في مدَّة أربعين يوماً .

ثم حضر درس مولانا شهاب الدين الحاجوي من أفاضل مُبَاحِثي الزمان ، ومن سلسلة تلامذة مولانا سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى .

قال مولانا الجاميُّ قدس سره : حضرت درسه أياماً فسمعت منه كلمتين صالحتين أن يصغى إليهما : إحداهما في دفع بعض اعتراضات مولانا زاده الخطائي على « التلويح » ، ولمَّا مهَّد في اليوم الأوَّل مقدمات لدفع الاعتراض أبطلتُها . وبيَّن في المجلس الثاني صورة جواب بعد

تأمُّل كثير وكان له وجه في الجملة . وثانيتهما في فن البيان من « مطول التلخيص » قد ناقش فيه قليلاً ، وإن لم تكن لكلامه هذا زيادة نفع لكونه متعلِّقاً بعبارة الكتاب ، لكن كان في توجيهه استقامة .

ثم قدم سمرقند وحضر درس قاضي زاده الرومي الذي هو محقِّق عصره على الإطلاق ، ووقعت بينهما مباحثة في أوَّل ملاقاتهما ، وامتدت إلى مدة طويلة ، ثم رجع قاضي زاده إلى كلامه في الآخر .

وحكى مولانا فتح الله التبريزي ـ قدس سره ـ الذي كان من الحكماء المتبحِّرين ، وكانت له مرتبة الصدارة عند السلطان مرزا ألغْ بيك : أنه لما أجلس المرزا ألغ بيك قاضي زاده الرومي في مدرسته بسمرقند حضر في هذا المجلس جميع الأكابر والأفاضل ، فذكر قاضي زاده بتقريب الأذكياء المستعدِّين ، وقال في وصف مولانا عبد الرحمن الجامي ـ قدس سره ـ : لم يتعدَّ أحدٌ من نهر جيحون إلى هذا الطرف منذ بني سمرقند إلى يومنا هذا مثل الشاب الجامي في جوْدة الطبع وقوة التصرُّف .

ونقل مولانا أبو يوسف السمرقندي الذي هو من أرشد تلامذة قاضي زاده الرومي : لمَّا جاء مولانا عبد الرحمن الجامي سمرقند كان مشغولاً بمطالعة « شرح التذكرة » في فنِّ الهيئة اتفاقاً ، وكان قاضي زاده الرومي قد أثبت في حواشي « التذكرة » أشياء من تصرُّفاته الجيدة ، وبقيت على ذلك سنين ، فصار يعرض كل يوم وكل مجلس كلمة أو كلمتين منها على مقام الإيضاح والإصلاح ، فكان قاضي زاده ممنوناً منه فوق الغاية ، وعرض في ذلك الأثناء على أصحابه شرحه على « ملخص الچغميني » الذي هو نتيجة أفكاره ، وتصرَّف فيه مولانا الجامي بتصرُّفات لم تخطر على خاطر قاضي زاده أبداً .

جاء يوماً مولانا علي القوشنجي إلى مجلس مولانا الجامي ـ قدس سره ـ بهراة في هيئة الأتراك ورسمهم ، وقد شدَّ همياناً عجيباً في

وسطه ، وطرح عليه بالتقريب شبهات كثيرة من أشكل دقائق فنِّ الهيئة . فأجاب عن كل واحد منها جواباً شافياً على البداهة حتى بَهَتَ مولانا علي القوشنجي ، وبقي متحيراً ، فقال له مولانا الجامي في معرض المطايبة : يا مولانا ! أظن أنه ليس في هميانك شيء أفضل وأنفس من هذا ! فقال مولانا علي القوشنجي لتلامذته : قد صار معلوماً لي من هذا اليوم أن النفس القدسيَّة موجودة في العالم .

مطلب

قال بعض الأكابر : إن حصول تلك القوَّة له إنما[1] هو بسبب اشتغاله بطريقة خواجكان ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ ، فإن الاشتغال بطريقهم مُمِدٌّ للعقل ، ومقوٍّ للقوَّة المدركة . وكانت كيفيَّة مطالعته وقوة مباحثته وغلبته على شركائه بل على أساتيذه أمراً مشهوراً ومقرَّراً عند الكل ، وكان أيام تعطيله تمرُّ بفراغ البال وجمعيَّة الحال ، وكان يصرف عنان فكرته الدراكة إلى مهم آخر ، وكثيراً ما كان يكتفي بمطالعة جزء من درسه لحظة وقت ذهابه إلى حضور المدرس ، آخذاً له من بعض شركائه ، ومعه كان يغلب على الكل عند المدرِّس للدرس !

قال مولانا معين التوني : لما حضر مولانا الجامي ـ قدس سره ـ درس مولانا خواجه علي كان يدفع كل شبهة وقعت بين المحصِّلين من نتائج طبع المستعدِّين على البداهة ، وكان يطرح في مجلس الدرس كل يوم شبهتين وأكثر ، واعتراضاً خاصاً من آثار مطالعته ، ويروح .

---

(١) ولقد كنت قبل هذا إذا جاء عندنا طالب للتلقين كنت ألقِّنه الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ كلَّ واحد منهما مائة مرة في اليوم والليلة ، والرابطة لأكابر المشائخ في الصباح والمساء لا غير ، وكنت جرَّبت بهذا عن بعضهم بكون التبرُّك والحفظ والفهم للعلوم ، ثم لمَّا رأيت هذا قوي عزمي وحمدْت ربّي على كون أقوى على الاستقامة ولا حول . . . إلخ . (للكاتب الفقير رحمه القدير) .

والحاصل أنه إنما كان يحضر درس بعض أكابر الوقت لكون بعض العلوم الرسمية متوقفة على السماع ، ومنوطة بالاستماع ، وإلا لم يكن له في نفس الأمر احتياج التلمُّذ لأحد ، بل كان غالباً على جميع المدرِّسين في تلك النواحي .

جرى يوماً كلام في ذكر أساتيذه ومعلِّميه فقال : ما قرأت على أحد درساً على وجه تكون لهم الغلبة عليَّ ، بل كنت غالباً على كل واحد منهم في الأبحاث ، أو كانوا مساوين لي في بعض الأحيان ، وليس لأحد حقوق الأستاذية في ذمتي ، وأنا في الحقيقة تلميذ والدي الماجد حيث تعلَّمت منه اللسان ، فتبين من ذلك أنه قرأ الصرف والنحو على والده ، ولم يحتج بعد ذلك إلى أحد في العلوم العقلية والمعارف اليقينية كثير احتياج .

اتَّفق يوماً مولانا الشيخ حسين ومولانا داود ومولانا معين ـ وكانوا مشاركين في الدرس والبحث ـ أن يذهبوا عند بعض أكابر أمراء مرزا ألغ بيك لتحصيل الوظيفة في أوائل أحوال مولانا الجامي ، وأخذوه معهم على كره منه ، فكانوا منتظرين عند باب الأمير زماناً ، ولما خرجوا بعد ملاقاته قال لهم مولانا الجامي : هذا آخر موافقتي لكم واتفاقي معكم ، ولا يمكن صدور مثل تلك الصورة عنِّي ثانياً ، فلم يتردَّد بعد ذلك إلى باب أحد من أصحاب الجاه وأرباب الدنيا ، وكان دائماً قاعداً في زاوية الفقر والفاقة ، جاعلاً قدم همَّته في ذيل الصبر والقناعة . وقد ظهر فيه مضمون كلام الشيخ نظامي قدس سره :

قد كنت عندك من زمان شبابي ... مارحت عندك لسائر الأبواب
ما كنت أطلب ذرة متأدِّياً ... بل كنت ترسل كلها في بابي

قال قدس سره : ما جعلت نفسي معرضاً للمذلَّة والمذمَّة أصلاً من عهد شبابي ، مثل ما كان يفعل أكثر الفضلاء والمستعدين في سمرقند

وهراة ، كسعيهم في ركاب قاضي زاده الرومي ومولانا خواجه علي راجلين ، وما وافقتهم في ذلك أصلاً ، بل لم أكن راغباً في ملازمة بابهم كما هي ديدن أرباب الدرس ، ولذلك تطرَّق نقصٌ تام في وصول الوظائف إليَّ .

ذكر وصول حضرة مولانا الجامي إلى صحبة مولانا سعد الدين قدس سرهما العزيز : بعد تحصيل العلوم وترك الاختلاط مع علماء الرسوم ، كان قدس سره في مبادىء حاله مبتلىً بمحبة واحد من مظاهر الحسن والجمال ، ومشغوفاً به ، فوقع انحراف الخاطر عنه يوماً ، فسافر من هراة إلى سمرقند ، واشتغل هناك بكسب الفضائل والكمالات أياماً ، فتألم خاطره الشريف ليلة من ألم المفارقة الصورية ، والمهاجرة الضرورية ، فرأى في ليلته تلك في المنام سعد الدين ـ قدس سره ـ قائلاً له ما مضمونه :

اخـلـعْ مـحـبـة فائت واختر لنفـــ ـــسك يـا فتى عشق الجمال الباقي

فتأثر من تلك الواقعة تأثراً بليغاً ، ووقعت على خاطره دغدغة عظيمة ، فتوجَّه إلى جانب خراسان مسرعاً ، وتشرف بشرف صحبة مولانا ، واستسعد بسعادة قبوله ، فظهر له في صحبته شوق عظيم وجذبٌ قويٌّ في مدة يسيرة . كما قال بعض الأكابر من إخوانه ورفقائه في الطريقة متحيِّراً فيه ومتعجِّباً منه : إن طريقة خواجكان جذبته سريعاً . وكان مولانا سعد الدين ـ قدس سره ـ يقعد كلَّ يوم مع أصحابه للصحبة في باب جامع هراة قبل الصلاة وبعدها .

وكان مولانا الجامي قدس سره كثيراً ما يمرُّ بهذا المحلِّ ، وكلما مرَّ كان مولانا سعد الدين يقول : إن لهذا الشاب قابلية عجيبة ، وأحبَّه من تلك الحيثية ، وما أدري بأي حيلة اصطاده ؟

ولما حضر صحبته الشريفة في أول يوم وجَذَبَتْه جذبة محبته قال مولانا سعد الدين : وقع اليوم باز في شبكتنا ، وقال أيضاً في الأثناء : إن الله تعالى قد منَّ علينا بصحبة هذا الغلام الجامي .

قال مولانا شهاب الدين الحاجرمي بعد وصوله إلى صحبة مولانا سعد الدين قدس سره وانجذابه إليها : إنه قد ظهر في أرض خراسان بين العلماء رجل صاحب كمال لم يظهر مثله منذ خمسمائة سنة ، فقطع مولانا سعد الدين طريقه .

فاعتبروا يا أصحاب العلوم الرسميَّة

وقال مولانا عبد الرحيم الكاشغري ـ الذي كان من مشاهير العلماء في هراة ـ : ما دام مولانا عبد الرحمن الجامي لم يترك المطالعة ولم يقبل على الطريقة لم يكن فينا يقين بكون شيء أفضلَ من المطالعة وتحصيل العلوم الرسمية ، وبكون مرتبةٍ أعلى من مرتبة المولوية .

ولما أقبل على الطريقة اختار في ابتداء أمره الرياضة الكثيرة ، والمجاهدة الشاقة ؛ بأمر مولانا سعد الدين قدس سره ، وكان مجتنباً عن الخلق ، ومحترزاً عنهم ، ومتوحِّشاً منهم ، ومتلذِّذاً بالوحدة ، ومألوفاً بالخلوة .

ولما رجع إلى الاختلاط بالخلق بعد تمام أمره وجد طريق المحاورة وأسلوب المكالمة مَمْحوّاً عن خاطره ، حتى صارت الألفاظ المأنوسة وحشيَّة ، إلى أن جاءت إلى خاطره ، وصارت ملكة له بالتدريج ، فحصلت له في آخر الأوقات جذبة قويَّة ، وكيفيَّة عجيبة ، حتى توجَّه إلى مكة المكرمة بلا شعور منه ، ولما وصل إلى كوسو حصل له فيه إفاقة وشعور ، وغلبة إرادة صحبة مولانا سعد الدين وشوق لقائه ، فعطف عنان عزيمته بلا اختيار ، وحضر صحبته بكمال الاضطرار .

خرج مرة في أثناء صحبته مع مولانا سعد الدين إلى جانب قصبة أُوبَهْ للتنزه في فصل الربيع ، فكتب مولانا سعد الدين هذه الرقعة ، وأرسلها إليه ـ نقلتها عن خطه المبارك .

رقعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله سبحانه وتعالى معه لا يتركنا مع غيره ، والمرجوّ عن الأخ العزيز نور البصر مولانا عبد الرحمن الجامي أن لا يبعد هذا الفقير الحقير مضيَّع العمر عن زاوية خاطره الشريف ، وليعلم أن الاشتياق غالب ، ولا أدري ماذا أكتب ؟ فإن ذلك كله اسم ورسم ، ولا يجيئ المقصود في العبارة .

قال الشيخ أحمد الغزالي[(١)] قدس سره : إن تعريفي لهذه الطائفة لا لأجل احتياجي ، بل للتعطش الذي فيَّ ، والعز والشرف اللذان لهم لديَّ .

أترمُق ورداً تاركاً خدى زاهرا ! والسلام ، والتحية ، للفقير الحقير سعد الكشغري .

ولما وصلت هذه الرقعة إليه رجع من فوره ، ولم يفارقه بعد هذا ، ولم يذهب من صحبته .

مطلب

قال قدس سره : ظهر لي الأنوار في بداية الاشتغال بالطريق ، فكنت مشغولاً به ، الذي علَّمنه مولانا سعد الدين ، يعني : لنفي الخواطر ، ونفيتها حتى اختفت وغابت ، فإنه لا اعتماد لظهور الأنوار والكشوف والكرامات ، ولا كرامة أفضل من تأثر شخص وحصول جذبة قوية له ، والتخلَّص عن نفسه زماناً في صحبة واحد من أصحاب دولة أبدية ، وأرباب سعادة سرمدية .

---

(١) أخ الشيخ الأكبر حجة الإسلام الأزفر محمد الغزالي الطوسي قدس سرهما ورزقنا من بركاتهما آمين . (هامش الأصل) .

مطلب

الطريق على نوعين

قال أستاذي مولانا عبد الغفور عليه الرحمة والغفران : سألته مرَّة عن سرِّ انكشاف العوالم لبعض هؤلاء الطائفة ؛ واستتارها عن الآخر ، فقال : إن الطريق على نوعين .

أحدهما : طريق سلسلة التربية ؛ وهو أن يعود السالك إلى وطنه الأصلي من الطريق الذي نزل منه .

والثاني : طريق وجه خاص ؛ وهو : طريق خواجكان قدَّس الله تعالى أرواحهم ، وقبلة توجّه السالك في هذا الطريق ليست غير الذات الأحديَّة ، وكشف العوالم ليس بضروري في هذا الطريق .

وقال مولانا عبد الغفور : إن خاطره الشريف كان أميلَ إلى مشاهدة الوحدة في الكثرة التي هي مشاهدة تفصيلية من المشاهدة بطريق الإجمال .

وقال : إذا جعلت نفسي في مرتبة الإجمال أكون غالباً فيها ، لكن كان توجه مولانا من الإجمال إلى التفصيل قليلاً ، وكان استغراقه غالباً فيه ، وقال : قد غلب عليَّ سرّ الوحدة ومعنى التوحيد ، بحيث لا أرى دفعه عن نفسي ممكناً ، ولا اختيار لي في ذلك أصلاً لا يغلب شيء على هذا الخاطر ، بل غلب هذا المعنى على الكلِّ .

ذكر ملاقاته المشائخ الكبار من صغره إلى نهاية أمره :

إن **أول** من لقي مولانا العارف الجامي ـ قدس سره ـ من الأكابر سوى مولانا سعد الدين ـ قدس سره ـ هو حضرة الخواجة محمد پارسا قدس سره .

وكتب في « النفحات » أنه لما قدم حضرة الخواجه محمد پارسا قدس سره ولاية جام في سفر الحج في أواخر جماد الأولى ، أو أواخر جماد الأخرى تخميناً سنة ٨٢٢ ، خرج والد هذا الفقير مع جمع من المخلصين بقصد زيارته واستقباله ، ولم يتم في هذا الوقت من عمري خمس سنين ، وأمر واحداً من المتعلِّقين أن يحملني معهم ، وأن يوصلني أمام محفَّته المحفوفة بالأنوار ، فالتفت إليَّ هذا الفقير وأعطاني رأساً واحداً من النبات الكرماني . وقد مضت الآن ستون سنة من ذلك وصفاء طلعته المنورة باقٍ في بصري ، ولذة مشاهدته المباركة دائمة في قلبي . ورابطة إخلاص هذا الفقير واعتقاده وإرادته ومحبته لأكابر خواجكان ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ إنما هي ببركة نظره الشريف ، وأرجو من يُمْن هذه الرابطة أن أكون محشوراً في زمرة محبِّيهم ومخلصيهم بمنِّه وجوده تعالى . انتهى .

والثاني : مولانا فخر الدين اللورستاني رحمه الله تعالى : كان من كبار مشائخ الزمان ، وكتب في « النفحات » أيضاً : أنه خطر في البال أن مولانا فخر الدين اللورستاني نزل في خرجردجام الخان المتعلّق بوالد هذا الفقير ، وكنت صغيراً في ذلك الوقت بحيث كان يقعدني على حجره ، ويكتب على الهواء الأسامي المشهورة مثل عمر وعلي بإصبعه المباركة ، وكنت أقرؤه ، فكان يتبسَّم تعجباً من ذلك . وشفقته هذه ولطفه صارت بذر المحبة والإرادة لهذه الطائفة في قلبي ، وتزيد تلك المحبة وتنمو من ذلك الوقت إلى يومنا هذا كل يوم زيادة أخرى ، وأرجو من الله تعالى أن أعيش على محبَّتهم ، وأن أموت على محبتهم ، وأن أحشر في زمرة محبيهم . اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين .

والثالث : خواجه برهان الدين أبو نصر پارسا قدس سره : وقد اتفق له معه صحبة كثيرة ، وكتب في « النفحات » أنه ذكر يوماً في مجلسه الشريف حضرة الشيخ محيي الدين بن عربي ومصنفاته فقال نقلاً عن والده الماجد : إن الفصوص روح ، والفتوحات قلب ، مَنْ عَلِمَ الفصوص علماً جيداً تتقوَّى داعية متابعته للنَّبي ﷺ .

والرابع : حضرة الشيخ بهاء الدين عمر ـ قدس سره ـ قال : كان لحضرة الشيخ استغراق واستهلاك عظيم ، وربما كان ينظر نحو الهواء تترى ، ولعل ذلك من ملاحظة الملائكة المخلوقة من أنفاس الخلائق .

قال قصدت قرية جفارة لصحبته وحضر عنده جماعة من أهل البلد ، وكان من عادته أن يسأل كل من جاء من البلد عن خبر البلد ، فسأل في تلك النوبة على عادته كل واحد منهم على حدة على حدة ، فقال كل واحد منهم شيئاً في جوابه . ثم سألني عن الخبر أخيراً . قلت : ما أدري ما أدري ما الخبر ، ولا أعرف شيئاً . ثم قال : فما رأيت في الطريق ؟ قلت : ما رأيت شيئاً ! فقال : ينبغي لكل من يحضر عند واحد من الفقراء أن يكون هكذا ! لا يكون له خبر عن أحوال البلد ، ولا يرى شيئاً في الطريق ، ثم أنشد البيت :

علّق فؤادك بالحبيب مُوَحِّداً واغمض عيونك معرضاً عن غيره

والخامس : خواجه محمد شمس الدين الكوسوي قدس سره : قال كان له شغل بالوعظ ، وسمعت بعض الكبراء يقول : كلما حضر مولانا الجامي مجلس حضرة خواجه محمد الكوسوي كان يقول : قد أسرجوا اليوم في مجلسنا مصباحاً ، وكانت المعارف والحقائق تجري على لسانه أزيد من سائر الأوقات .

قال مولانا الجامي : كان معتقداً لمصنّفات الشيخ محيي الدين ابن عربي قدس سره ، وكان يقرّر مسألة التوحيد الوجودي موافقاً لمشربه ، ويبيّنها على رأس المنبر في حضور العلماء الظاهرية على وجه لا يكون لأحد الإنكار عليها . وكان سريع الفهم لأسرار القرآن ؛ والحديث النبوي ، وكلمات المشائخ وحقائقها . وكان يفاض عليه معاني كثيرة بتوجه قليل في لمحة يسيرة ما لا يصل إلى خاطر غيره بعد طول التأمُّل والتفكر .

وكان يحصل له وجد عظيم في أثناء الوعظ ومجلس السماع ، ويصدر عنه صيحات كثيرة ، وكان أثر صيحته يسري إلى جميع أهل المجلس .

وكان يرى الناس في صور صفائهم الغالبة على نفوسهم في بعض الأوقات .

قال يوماً : إنَّ أصحابي يخرجون أحياناً من الصورة الإنسانية ولكنهم يرجعون إليها سريعاً ، وكلما حضر هؤلاء عندي يظهرون في صورة كلب ذي عيون أربعة ، وربما كان يُظهر ما يخطر على خاطر الناس في صحبته على وجه لا يعرفه غير صاحب الخاطر .

والسادس : مولانا جلال الدين أبو يزيد البوراني رحمه الله تعالى : كان يذهب كثيراً إلى قرية بوران لمحض صحبته وخدمته .

وكتب : إني صليت مرة في جنبه فوجدته مغلوباً ومستهلكاً على وجه لم يكن له شعور عن نفسه أصلاً ، وكان في القيام يضع يده اليمنى على اليسرى أحياناً ، ويعكسه أحياناً .

والسابع : مولانا شمس الدين محمد أسد رحمه الله تعالى : صحبه كثيراً وكتب في « النفحات » : ماشيته مرة في الطريق فساق كلامه بالتقريب إلى أن قال : إنه وقع عليَّ أمر من منذ أيام ما كنت أظن حصوله لي ، ولم أكن أتوقعه ! وأشار إليه إجمالاً على وجه فهمت منه تحققه بمقام الجمع .

مطلب

قال بعض العارفين : إذا تجلَّى الله تعالى للعبد بذاته يجد جميع ذوات الموجودات وصفاتهم وأفعالهم متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه بالنسبة إلى جميع الموجودات كأنه مدبِّرها ، ويجدها بالنسبة إليه كالأعضاء إلى البدن ، ولا يكون شيء من الموجودات قريباً إلى بعض آخر منها إلا أنه يراه أقرب إليه من الكل ، ويرى ذاته وذات الحق سبحانه وتعالى ، وصفاته وصفات الحق ، وأفعاله مع أفعال الحق متَّحدةً لكونه مستهلكاً في عين التوحيد ، والاستهلاك فيه مستلزم لأنْ يجد ما نسب إلى الحق سبحانه منسوباً إلى نفسه ، وليس للعارفين مقام في التوحيد أعلى من هذه المرتبة ! فإذا انجذبت البصيرة بمشاهدة جمال الذات يختفي نور العقل الفارق بين الأشياء ، والمميز بين الواجب والممكن ، بغلبة نور الذات القديم ، ويرتفع التمييز بين الحادث والقديم لكون الباطل لاشياً محضاً غير ظاهر عند ظهور الحق ، ويقال لتلك الحالة جمعاً .

والثامن : حضرة شيخنا جواجه عبيد الله أحرار قدس سره : ووقعت الملاقاة بينهما أربع مرات : مرتين بسمرقند ، ومرة بهراة حين مجيء شيخنا خراسان في زمان السلطان أبي سعيد ، ومرة في مرْوَ وقت مجيء شيخنا هناك بالتماس السلطان أبي سعيد فجاء مولانا الجامي من هراة إلى مرو لمجرَّد ملاقاته .

ورأيت مكتوباً بخطه المبارك : أنه سَألَ خواجه عبيد الله ـ مدّ الله تعالى ظلال جلاله ـ هذا الفقير في نواحي مروَ : أنه كم مضى من سني عمرك ؟ قلت : خمس وخمسون سنة تخميناً . فقال : إذاً يكون عمري أزيد من عمرك باثني عشر سنة .

ووقع بينهما مكاتبات كثيرة ، ومراسلات عديدة قبل تلك الملاقاة وبعدها .

وكمال إرادته وإخلاصه لشيخنا ظاهر . من مصنفاته « المنظومة » و« المنثورة » للخواص والعوام ، وواضح لدى جميع الأنام في العالم .

ومصنَّفاته أشهر من الاحتياج إلى إيرادها ، وخلوص عقيدته وصفاء محبته ظاهر من رِقاعِهِ ومكاتيبه المرسلة إلى حضرة شيخنا . ولنورد في المجموعة من جملة الرقاع والمكاتيب رقعتين على وجه الاستشهاد ، والتيمُّن والاسترشاد . نقلاً من خطه المبارك :

الرقعة الأولى : بعد أداء العبودية عريضة من هذا العاجز المبتلى إنِّي أريد أحياناً أن أظهر لملازمي تلك العتبة العلية شيئاً من سوء أحوالي ، ولو كان في ذلك إساءة الأدب ، ولكن أخاف أن يكون لك الأحوال التي هي للفقير موجبة لملالة ذلك الجناب المتحمِّل للأثقال ، فإن ذكر الوحشة وحشة ، والرجاء على كل حال أن تنظروا بنظر العناية لسوء أحوال هذا العاجز ، ورعاية طريق الترحم الذي هو من أخلاق الكرام في حق هذا الضعيف ، ولا أدري سبباً أسر نفسي غير هذا . والسلام .

الرقعة الثانية : العريضة أن الاشتياق وتمني تقبيل العتبة العلية كثيرٌ ، وإن كنت أقول لنفسي :

وتلك سعادات تكون نصيب مَن ؟

لكن تمني رؤية نفسي على تلك العتبة كثير ، والمرجوُّ من ألطاف الحق سبحانه التي لا نهاية لها أن يمنح هذا الفقير ـ عديم القدرة ، قليل الهمة ، ومكسور القدم ـ بمحض عنايته قدماً ليكون متوجِّهاً لاستلام العتبة العلية ، تخلّصاً عن مضيق حبس الأنانية ، بأيّ وجه كان . والسلام .

وقدم مولانا الجامي ـ قدس سره ـ سمرقند ثلاث مرات :

الأول في زمان مرزا ألغ بيك كان يحضر فيه درس قاضي زاده الرومي كما مر .

ثم قدم ثانياً لمحض صحبة شيخنا ، وتاريخ سفره هذا على ما نقل عن خطّه البارك ليلة السبت الثامنة من محرم سنة سبعين وثمانمائة .

ثم جاءه ثالثاً لإدراك صحبة شيخنا أيضاً ، واتفق دخوله سمرقند لوقت عزيمة شيخنا إلى طرق تُرْكسْتان لإصلاح ما بين الشيخ مرزا عمر وبين السلطان مرزا أحمد ابني السلطان أبي سعيد ، ولمَّا مضت ثلاثة أيام من ملاقاته حضرة شيخنا وصحبته معه توجه شيخنا إلى تركستان ، وأرسل مولانا الجامي مع أصحابه إلى جانب فاراب ، ثم قدم ولاية شاش بعد إصلاح ما بين السلاطين وطلبهم من فاراب ، وانعقدت في تاشكند صحبات عظيمة ، ومجالس عالية ، وكان مولانا أبو سعيد الأوبهي الآتي ذكره حاضراً في تلك المجالس .

وقال حاكياً عن كيفيَّاتها وخصوصيَّاتها : كان أكثر أوقات شيخنا مع مولانا الجامي يمرُّ على السكوت ، وربما كان شيخنا يتكلم أحياناً .

قال مولانا الجامي يوماً لشيخنا : إن لي في بعض مواضع « الفتوحات » إشكالات على وجه لا يتيسَّر لي حلّها بالمطالعة والتأمُّل . فأمرني شيخنا بإحضار « الفتوحات » ، فأتيت بها إلى المجلس ، فعرض مولانا الجامي ـ قدس سره ـ منها ما هو أشدُّ إشكالاً ، وقرأ عبارة « الفتوحات » فقال : ضع الكتاب لحظة حتى أمهِّد لك مقدمة ، فمهّد مقدمات ، وأورد فيها كثيراً من الكلام العجيب والعريب ثم قال : نرجع الآن إلى الكتاب . فلما فتحوا الكتاب ولاحظوا مرّة ظهر المقصود ، وصار في غاية الوضوح .

وكان إقامة مولانا الجامي في ملازمة حضرة شيخنا بتاشكند خمسة عشر يوماً وليلة ، ثم طلب الإجازة وقدم سمرقند ، ثم منه إلى خراسان

من طريق قرشي ، وتاريخ سفره هذا على ما نُقل من خطه المبارك على هذا الوجه : أنّ الخروج إلى سفر سمرقند في النوبة الثالثة يوم الاثنين غرة ربيع الأول سنة أربعٍ وسبعين وثمانمائة ، ووصلنا يوم الاثنين الثاني إلى أَرْدُو ـ وهو اسم محلٍّ قريب من تخت خاتون ـ ورحلنا منه يوم الخميس ، ووصلنا يوم الثلاثاء إلى أندخوند ، وعبرنا يوم الجمعة نهر آموية ـ يعني جيحون ـ ، ووصلنا يوم الخميس الثاني إلى قرية شادمان ، ولقينا فيها حضرة الخواجة ـ يعني عبيد الله أحرار قدس سره ـ وتوجه هو يوم الأحد إلى طرف تركستكان ، وأرسلنا إلى جانب فاراب ، ووقع التوجه من فاراب إلى شاش في التاسع عشر من ربيع الأول ، ودخلنا الشاش في الثاني والعشرين منه ، ووقع التوجه من شاش إلى خراسان في ثامن جماد الأولى ، ووصلنا إلى سمرقند في الخامس عشر منه ، ورحلنا منه يوم الاثنين الحادي والعشرين منه ، وتوقَّفنا في شادمان يوْم الخميس ، ووصلنا إلى قرشي يوْم الاثنين ، ورأينا هلال جماد الأخرى يوم الخميس في قرشي . انتهى .

قال حضرة مولانا الجامي قدس سره : إن خواجه عبيد الله قدس سره كان كثير الاجتهاد في استمالة الخواطر وتطييب القلوب ، فإن ثقل شيء على خاطره الشريف كان يدفعه بقوته القاهرة ، ولم أسمع كلمات هذه الطائفة من أحد بهذه اللذة التي كانت في بيان حضرة الخواجه .

وسمعت بعض الأكابر يقول : إن شيخنا كان يحيل كثيراً من الطالبين على ملازمة مولانا الجامي ، ويحثّ كثيراً من المستعدين على صحبته .

ولما وصلت إلى ساحل جيحون في سفري الأول إلى ما وراء النهر رأيت ليلة حضرة شيخنا في المنام يقول : عجباً من الناس كيف يسافرون إلى ما وراء النهر لاقتباس النور من المصباح ! والحال أنَّ بحراً من النّور يتموَّج في خراسان ! .

ولما تشرفتُ بملازمة حضرة شيخنا في قرشي قال لي يوماً في ذلك الأثناء : مَن رأيت في هراة من مشائخ الوقت ؟ قلت : مولانا عبد الرحمن الجامي ، ومولانا محمد الروجي ! فقال : إذا رأى شخص مولانا عبد الرحمن الجامي في خراسان فما الحاجة إلى أن يسافر إلى هذا الطّرف من النهر ؟ ثم قال : إني سمعت مولانا عبد الرحمن الجامي لا يأخذ مريداً ويأخذه مولانا محمّد الروجي ! قلت : نعم هكذا .

مطلب

فقال : إنّ من الكلمات القدسية المنسوبة إلى خواجه عبد الخالق الغجدواني ـ قدس سره ـ : أغلق باب المشيخة وافتح باب الأحباب ، وأغلق باب الخلوة وافتح باب الصحبة .

وكتب حضرة أستاذي مولانا رضي الدين عبد الغفور ـ قدس سره ـ في « تكملة النفحات » : إن حضرة مولانا الجامي لم يلقِّن الذكر أحداً مع أنه كان مجازاً من مولانا سعد الدين ، ومأذوناً من جانب الغيب ، ولكن إذا ظهر طالب صادقٌ كان يَدُلّه خفية على هذا الطريق ويرشده إليه . وكان منشأ ذلك كمال لطافته . وكان يقول : لا أتحمَّل ثقل المشيخة . ولكن كان في آخر حياته طالباً لأرباب الطّلب ، وكان يقول : يا أسفا على عدم الطالب . نَعَم ؛ الطالب كثير ! لكنه طالب لحظِّ نفسه .

وأكثرَ والدُ راقم هذه الحروف من ملازمته ، وكان مشرفاً بشغل الباطن المنسوب إلى هؤلاء الطائفة العليَّة ، ببركة التفاته ويمن إشارته .

قال : رأيت في المنام في مشهد الإمام عليّ الرضا رضي الله عنه في ذي الحجة ، سنة ستين وثمانمائة كأني واضع قدمي خارج الروضة ، فظهر واحدٌ من الأكابر من تلقاء وجهي ؛ في غاية النورانية والهيبة ، وعليه جبة موشَّاةٌ في غاية النظافة ، وعمامة خفيفة ، فاستقبلته وسلَّمت عليه ، وتواضعت لديه ، فردَّ عليَّ السلام وقال : متى جئت هذا البلد ؟ قلت :

مذ يومين أو ثلاثة أيام . فقال أين نزلت ؟ قلت : في المحل الفلاني . فقال : اذهب وأتِ بأحمالك وأثقالك إلى منزلي ، فقد هيأت لك منزلاً حسناً . فقلت له متضرعاً : أنا ما أعرفك ولا صحبتك ! فقال : أنا سعد الدين الكاشغري فأعجل وأوصل نفسك إلى منزلي ، ثم مضى لسبيله . فلما قمت في الصبح سألت رجال المشهد : هل في هذا البلد شيخ يقال له سعد الدين الكاشغري ؟ فقالوا : إن هنا شيخاً زاهداً مقتدى جماعة من الطالبين ، يقال له سعد الدين المشهدي ، ولا نعرف سعد الدين الكاشغري . فحضرت عند الشيخ سعد الدين المشهدي ، فلم يوافق شمائله من رأيته في المنام ، ولما خرجت من عنده دخلت قافلة هراة المشهد ، وفيها بعض أحبابي ، فلما لقيتهم واستخبرتهم عن أحوال مشائخ هراة وشمائلهم علمت أن مولانا سعد الدين الكاشغري كان هو مقتدى الخلق في هراة ، ولكن توفي تلك الأيام .

ولما قدمت إلى هراة بعد مدة وصلت إلى صحبة مولانا الجامي عند مرقد مولانا سعد الدين ـ قدس سره ـ وعرضت عليه تلك الواقعة في الخلوة . فقال : ما خطر على قلبك في تعبيرها ؟ قلت : خطر في قلبي أني أموت في هراة ، وأدفن في جنب مرقده الشريف ، الذي هو منزله المنيف . فقال : لم لا تعبّرها بأنه ذلك على منزله المعنوي ، أعني النسبة التي كان هو فيها ، فإن حملها على ذلك وتعبيرها به أفضل وأنسب . فقلت له متواضعا : إنه قد توفي الآن ، وأنت قائم مقامه ، فإن أشرت إليَّ بطريق كان ذلك في غاية الالتفات ونهاية الإرشاد ، فاستبعده على عادته ، واستنزل نفسه عن منزلته ، ولكنه أشار في أثناء الكلام إلى شغل القوم بطريق الكناية .

ولما تيسر لراقم هذه الحروف نسبة المصاهرة إلى حضرة خواجه كلان ابن مولانا سعد الدين في شعبان سنة أربع وتسعمائة . قال والدي عليه الرحمة : هذا تأويل رؤياي التي رأيتها قبلُ بأربعين سنة . والله تعالى أعلم .

ذكر توجه مولانا الجامي إلى سفر الحجاز ،

وبيان ما وقع له في هذا السفر بطريق الاختصار

توجه إليها في أواسط ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثمانمائة ـ وننقل تاريخ ذهابه وإيابه من خطّه المبارك بالتفصيل في آخر هذا الفصل ـ ولما شرع في تهيئة أسباب السفر التمس منه جماعة من أعيان خراسان فسخ عزيمة هذا السفر ، وقالوا : إن بيمن عنايتك العلية ؛ وبركة همتك السنية يقضى في كل يوم كثير من مهمات الفقراء ، وكلّ مهمّ يُكتفى بيُمن همتك من أبواب السلاطين يعدل حجاً ماشياً . فقال لهم على سبيل المطايبة : قد تعبت الآن من الحج ماشياً ، ولم يبق لي فيه مجال ! فأريد أن أحج مرَّة راكباً .

ولما خرج من هراة سلك طريق نيسابور ، وسبزوار ، وبسطام ، ودامغان ، وسمنان ، وقزوين ، وهمدان ، وأكرمه حاكم همدان منُوچهر بكمال الإخلاص ، وتمام التواضع ، وأضافَه مع سائر أهل القافلة إلى ثلاثة أيام بضيافة الملوك ، ثم رافق القافلة مع خدمه وحشمه للحفظ والحماية من بغاة الأكراد ، وأوصلهم إلى حدود بغداد ، فدخل مولانا الجامي ـ قدس سره ـ في غرَّة جماد الأولى ونزل فيه ، ثم توجَّه منه بعد أيام إلى طرف كربلاء بنيَّة زيارة مشهد أمير المؤمنين الإمام حسيْن رضي الله عنه ، ولما وصل إلى كربلاء أنشد هذا الغزل :

حق أن أسعى على عيني يازوْر الحسيْن
كان ذا في مذهب العشاق حقاً فرض عين
إن يطأ خدَّامه خدِّيَ بالأقدام قد
حق من هذه الرأس أن تفوق الفرقدين
قد تطوف الكعبة العلياءُ حول روضته

أيها الحجاج طوفوا أين تمشون أين أين ؟ !

مَن كراماته من قاف إلى القاف امتلت

أيها المحتال عمياناً بها دعْ شين مين

والذي قـد زانه جعد وجيد يا غبي

غير محتاج إلى شعرٍ معار يوم زين

والزَمَن ذا الباب يا جامي ولا تبرح إلى

أن يعيدوا عذب وصل بالتلاقي مربين

ولْتَسِلْ عيناك دمعاً واثقاً بـالنجح إذ

عند أهل الجود أعطاني الأماني مثل دين

ثم رجع بغداد .

ومن غرائب الأمور التي جاءت في أثناء تلك الأيام إلى عرصة الظهور ازدحام الروافض ، واعتراضاتهم على بعض أبيات « سلسلة الذهب » التي هي من مصنَّفات مولانا الجامي قدس سره .

وصورة هذه الواقعة على الإجمال : أنه كان واحد من المبتدئين من سكنة جام يقال له فتحي مقيماً في عتبة مولانا الجامي مدة سنين ، وكان في هذا السَّفر أيضاً في ملازمته ، فوقع مرة بينه وبين واحد من خدام مولانا قيل وقال ، وانجرَّ الحال إلى كدورة البال ، ونزع قوي مفض إلى الجدال . فترك صحبة مولانا وملازمته الأنسية ؛ من غاية غلظة طبيعته الخسيسة ، وكثافة جبلَّته القبيحة ، واختلط بجمع من الروافض ، وارتبط بهم برابطة الجنسية ، ونقل رحل إقامته إلى منزلهم ، وأبداهم أبياتاً من « سلسلة الذهب » أوردها مولانا الجامي في الجزء الأول منها ، في بيان حاصل عقيدتهم بالتمثيل ، نقلاً عن بعض كتب القاضي عضد عليه الرحمة ؛ من أن أكثر أهل العالم يتوجَّهون في عباداتهم إلى ما

تتوهَّمه أنفسهم وتتخيَّله ، وترك أول هذا التمثيل وآخره ، وزاد عليه بعض غلاة الروافض أبياتاً أخرى من كمال تعصبه تأكيداً لهذه القضيَّة ، وتحريكاً لتلك الفتنة . وطفقت جَهَلَة الروافض القاطنين في هذه الأطراف والجوانب يقولون لأهل القافلة بطريق الإشارة والكناية كلمات منبئة عن الفتنة والتزوير ، حتى عقدوا يوماً مجلساً عالياً في أوسع مدارس بغداد ، وحضر فيه مولانا الجامي قدس سره ، وجلس قاضي الحنفية والشافعية عن يمينه وشماله ، وقعد مقصود بك ابن أخي حسن بيك ، وخليل بيك أخ زوجة حسن بيك الذي هو حاكم بغداد من قبل حسن بيك في مقابلتهم ، مع سائر أمراء تركمان ، وازدحم الخاص والعام في باب المدرسة وسطوحها ، وأحضروا فيه كتاب « سلسة الذهب » ، ووقعت صورة المرافعة في مضمون هذه الحكاية ، مع ملاحظة سابقها ولاحقها في حضور هؤلاء الأكابر .

فقال مولانا الجامي على وجه الانبساط : لما مدحتُ في نظم « سلسلة الذهب » أمير المؤمنين ـ علياً رضي الله عنه ، وكرم الله تعالى وجهه ـ وأولاده الأمجاد ـ رضوان الله تعالى عليهم وعلينا أجمعين ـ كنت على وجَل من سُنِّيِّي أهل خراسان من نسبة الرفض إليَّ ، وما أدراني أني أكون مبتلى بجفاء روافض بغداد ، ولما اطَّلع أهل المجلس على مضمون هذه الحكاية على ما ينبغي عضّوا كلّهم أنامل الحيرة ، واتَّفقت كلمتهم على أنه لم يمدح أحد من هذه الأمة أمير المؤمنين علياً ـ كرم الله تعالى وجهه ـ في هذا الحسن ، ولم يبالغ أحد بمثل تلك المبالغة في منقبته ومنقبة أولاده ، فكتب أقضى قضاة الحنفية والشافعية مع سائر أكابر حضّار المجلس محضراً على صحة هذه الحكاية .

ثم قال مولانا الجامي لرئيس الروافض نعمت حيدري في حضور القضاة والأعيان : إنك تتكلَّم معي بالشريعة أم بالطريقة ؟ قال بكلتيهما . فقال : قم أولاً وقُصَّ شاربك الذي لم تقصَّه طول عمرك بحكم الشريعة .

ولما قال ذلك قام جماعة من أهل شروان الذين حضروا هناك لحماية مولانا الجامي ، وأمسكوا ذلك الرافضي ، وقصُّوا نصف شاربه بالسكين فوق العصا قبل إحضار المقراض ، ثم قصوا باقيه بالمقراض . فقال له مولانا بعد ذلك : قد وصلت إليك أيدي الناس ، وبان نقصانك في الشريعة ، فكنت مردوداً عند أهل الطريقة بموجب الطريقة ، وحَرَمْت عليك كسوة الفقر ، فلزم عليك الآن أن توصل نفسك إلى نظر شيخ الوقت بالضرورة حتى يقرأ لك الفاتحة ويكبر في أمرك . وكان لازماً عليه بموجب قاعدة أهل طريقته الفاسدة أن يذهب إلى كربلا ويقيم هناك مدّة ، ويقبل التكبير من السادات حتى يستحق للمجادلة والمعارضة . فقدموه بعد ذلك عند الحكام ، وعاتبوه بأنواع العتاب ، لزيادته أبياتاً بعيدة عن الصواب ، وضمَّه إياها إلى « سلسلة الذهب » بهتاناً وافتراء ، وشدة تعصبه ، وخشونته في الكلام ، وسبقه فيها سائر الأنام ؛ فصار مظهراً لآثار قهر الحكام ، وسياسة حامي حوزة الإسلام ، فألبسوا على رأسه قلنسوة خشب في المجلس ، وأركبوه على حمار معكوس ، وطافوا به مع سائر أقرانه أطراف البلد ، وأزقة بغداد ، وأسواقها ، تعزيراً عليه وتشهيراً ليَعتبر به الباقون . فأنشأ مولانا الجامي هذه الأبيات بعد صدور هذه الواقعة وجفاء أهل الرافضة :

أساقِ أدِرْ كأساً على شطِّ أنهار | أزل عن فؤادي كل غم وأكدار

وناولني أقداح الشمول فإنني | فقدت سروري من جفا قوم أشرار

أترجو وفاءً من لئام وصفوة ! | ومن طبع أغوال سجية أحرار !

وما في طريق العشق أمنٌ وصحة | فطوبى لمعتاد الجفاء وأكدار

إذا عاشق في خلوة الوصل داخلٌ | فذا فارغ عن نبح كلب وغدار

وسيماء أهل العشق إسقاط كلفة | فلست تجد عشقاً بذي الختل مكّار

أجاميُّ قم واقصد حـجازاً فـإن هـ ـذه الأرض لا فـيـهـا مقـام لأبرار

وكانت مدة إقامته في بغداد أربعة أشهر ، ثم توجه إلى الحجاز بعد عيد الفطر من السنة المذكورة ، ووصل في أواخر شوال إلى حرم النجف المحترم ، قبلة أهل العز والشرف والكرم ، وأنشأ في المقام المبارك هذا :

قد بدى مشهد مولاي أنيخوا جملي
كان مشهوداً لعيني منه ذا النور الجلي
وجهه في طرز أصل الأصل صاف مظهره
ظاهر فيه جلا عكس الجمال الأزلي
صار عيني مذ جلالي وجهه مجلوة
حقَّ أن يعمى من الخسران للمعتزلي
عاش بالعيش الذي لا ينقضي أهل الهوى
ذا حياة لا يزالي في كذا لم يزلي
له في الدنيا متاع لا له فيها بدل
من خواصِّ العشق وقت الفوت فقدُ البدل
لا تكن مدَّعياً للعشق يا مَن سيرته
بغض أهل الحق طراً بالخنا والدغلِ
لم يعد نفعاً كثيراً نثر مسك في لبا
سٍ وأنت المحتشي فيه بروث البَغلِ
إن فقدت ذوق شُهد العشق فيك يا دَني
ليس يُجدي فيك تلويث العبا بالعسل
حين تسأل عن أمير العشق جامي قل له
إنَّ في ركب الهوى صاحَ الأمير ذا علي

ونظم قصيدة غرَّاء في منقبة سيدنا علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ بعد زيارة مشهده المقدس ، ومرقده المنوَّر ، واستقبله النقيب السيد شرف الدين محمد الذي كان سيداً لسادات ونقيب النقباء في تلك الديار في هذا الوقت ؛ مع أولاده وأحفاده وسائر الأكابر بالتوقير والتعظيم ، وأضافه ثلاثة أيام بضيافة عظيمة ، وخدمه بخدمات لائقة ، ولما استهلَّ هلال ذي القعدة دخل مولانا الجامي مع أهل القافلة البادية إلى المدينة المنورة ـ على صاحبها الصلاة السلام ـ وأنشأ في أثناء الطريق قصيدة مشتملة على أكثر معجزات النبي ﷺ ، ووصل إلى المدينة بعد اثنين وعشرين يوماً ، وتوجه إلى مكة المكرمة بعد فراغه من وظائف زيارة النَّبي ﷺ ، ووصل إليها بعد عشرة أيام في أوائل ذي الحجة ، وكانت مدة إقامته في الحرم المحترم خمسة عشر يوماً ، ولما فرغ من أداء مناسك حج الإسلام ، مع جميع شرائطه وآدابه اللازمة على الأنام ، توجه ثانياً إلى مدينة النبي ﷺ ، وتوجه نحو الشام بعد إقامته هنا أياماً ، وأقام في دمشق الشام خمسةً وأربعين يوماً ، وصحب فيه القاضي محمد الخضريَّ أقضى قضاة تلك الديار ، وأكمل المحدّثين في زمانه ، وكانت له أسانيد عالية في الحديث ، فسمع منه الحديث وأخذ السند فيه ، وقام القاضي بوظائف الخدمة ورسوم الضيافة على ما ينبغي مدة إقامته عنده . ثم توجه إلى حلب ، ولما دخل فيه أتحفته السادات والأئمة والقضاة بأنواع التحف والهدايا ، وكان سلطان الروم السلطان محمد الغازي ـ فاتح القسطنطنيّة المحمية ، واسطة عقد السلطنة العثمانية السنية ، عليه الرحمة والرضوان ـ قد سمع توجه مولانا من ديار خراسان إلى ولاية حجاز ، فأرسل إليه بعض خواصه مع الخواجه عطاء الله الكرماني ـ الذي كان ملازماً لمولانا الجامي مدة أزمان ومتردداً إلى بابه ـ ، والتمس منه تشريفه لمملكة الروم بقدومه المسعود الميمون ، وأرسل معهم خمسة آلاف دينار لخرْج السفر ، ووعد مائة ألف دينار حين قدومه . فكان من جملة الاتفاقات

الحسنة توجه مولانا إلى جانب حلب قبل وصول رسل السلطان إلى دمشق . وذلك بإلهام ربَّاني ، وإعلام رحماني إياه .

ولما دخل رسل السلطان الشام وأُخبروا بسفر مولانا تأسَّفوا كثيراً ، وسمع مولانا مجيء رسل السلطان لطلبه إلى الشام فتوجه جانب تبريز خوفا من مجيئهم لطلبه إلى حلب ، فيلزم ارتكاب أحد المحذورين : مشقة السفر البعيد في تقدير الامتثال ، ومخالفة أمر السلطان ذي الشان ، وعدم إطاعته عند عدمه . ولما وصل إلى آمد صادف قدومه فيها اختلال أحوال الطرق ، واضطرابها بسبب الحرب والضرب بين عساكر الروم وآذربيجان . وكان الحاكم هناك محمود بيك من أعيان التراكمة ، وكانت له قرابة قريبة من حسن بيك ، فرافق قافلة مولانا لحسن عقيدته ، وكمال خلوصه له ، مع ثلاثمائة فارس من أقربائه وأتباعه ، وتعدّى بهم محل المخافة مع السلامة ، وأوصلهم إلى ولاية تبريز . فاستقبله هناك القاضي حسن ، ومولانا أبو بكر الظهراني ، ودرويش قاسم شغاول . وكان هؤلاء الثلاثة من أعاظم الصدور ، وأجلاء ندماء حسن بيك ، مع سائر الأمراء والكبرياء وأعيان تلك المملكة ، وأنزلوه مع خدمه بالإجلال والإكرام ، والاعزاز والإنعام في منزل مرغوب ، وبلّغوا خبره إلى حسن بيك فحضره عنده وأكرمه غاية الإكرام ، واحترمه نهاية الاحترام ، وأتحفه بتحف الملوك ، والتمس منه الإقامة هناك بالإلحاح التام ، فاعتذر إليه مولانا بعذر ملازمة والدته المسنة . وكان المرزا حسين وقت وصول مولانا إلى هراة في مرو ، ولما بلغه قدومه الشريف أرسل إليه بعض معتقديه الخاص بالتحف اللائقة ، مع مكتوب مشتمل على بيان وفور إخلاصه وتواضعه ، وكتب في صدر المكتوب : أهلاً بمقدمك الشريف ، فإنه فرح القلوب ونزهة الأرواح . ووصلت رقعة الأمير نظام الدين علي شير مقارناً لهذا الحال ، مشتملاً على هذين البيتين ، شعر :

إنصِف يـا فـلك زاهٍ مصـابـيـحـه فـأي هـذيـن قد جمّت تفاريحه ؟
شـمـس بـهـا عالم تمّت مصالحه أم بـدري الـباد من شام لوائحه ؟ !

ورأيت مكتوباً بخطه الشريف على ظهر كتاب : كان ابتداء سفر الحجاز من دار السلطنة هراة في السادس عشر من ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، ووصلنا إلى بغداد في أواسط جمادى الأخرى ، وإلى ساحل دجلة في منتصف شوال ، ورحلت القافلة منه في العشرين منه ، ودخلنا البادية من نجف أمير المؤمنين علي كرّم الله تعالى وجهه في غُرّة ذي القعدة ، وتيسَّر الوصول إلى مدينة الرسول ﷺ في الثاني والعشرين أو الثالث والعشرين ، ودخلنا مكة المكرمة في سادس ذي الحجة ، وارتحلنا منها متوجِّهين إلى المدينة المنورة في السابع والعشرين ، ونزلنا دمشق في أواسط العشر الأخير من محرم ، ووقع التوجه من دمشق إلى طرف خراسان راجعين في رابع ربيع الأول بعد صلاة الجمعة ، وصلنا إلى حلب بعد اثني عشر يوماً ، وتوجهنا منه إلى قلعة بيره يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الثاني ، ووصلنا إلى تبريز في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ، وتوجهنا إلى خراسان في سادس جماد الأخرى ، ورأينا هلال رجب قبل الوصول إلى دارمين ري بمرحلة واحدة ، ونزلنا بلدة هراة يوم الجمعة الثامن عشر من شعبان ، وكان ذلك في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

ذكر نفائس أنفاسه المسموعة في عشرين قولاً :

قال يوماً : ليست الأصالة عند أهل التحقيق أن يكون أبا شخص وأجداده من جنس الأمراء ! ولا أن يكونوا منتظمين في سلك الفسقة والظلمة ! بل الأصالة حسن جوهر يكون في ذات الإنسان ، كالفطرة السليمة ، والسيرة السنية . والذي يظنه أكثر الناس من أصالة أفراد الناس هو عين سوء الأصل .

قال : إذا أراد رجل خبيث الأصل أن يعدَّ عيب إنسان يجري أولاً على لسانه عيوب نفسه التي هي مركوزة في طبيعته الخبيثة ، فإنها أقرب إلى فمه من عيوب غيره .

مطلب

قال : ينبغي إظهار الشفقة على جميع الفقراء والسائلين ، وأن لا يمنع اللقمة من الأخيار والأشرار ، نظراً إلى موجده ، مع قطع النظر عن ذات السائل ووصفه وليس من اللوازم أن يكون المحسن إليه جنيداً أو شبلياً ، فإن عالي الهمة وصاحب الورع لا يتردد إلى أبواب الناس ، ولا يسأل عنهم شيئاً أصلاً .

ولكن من أين يعرف أن لا يكون في هذا اللباس والخرقة صاحب دولة مجهول ؟ بل الواقع في أكثر أولياء الله تعالى أن يستروا أحوالهم بصورة الفقر والفاقة .

سأل يوماً شخصاً : في أيِّ شغل أنت ؟ قال : إنّ لي حضوراً ، وقعدت في زاوية الفراغ ، وجعلت رجلي في ذيل العافية . فقال : ليس الحضور والعافية أن تلفّ رجلك بكرباس وتقعتد في زاوية ! بل العافية أن تتخلص من أسر نفسك . فإذا حصل لك ذلك ! إن شئت فاقعد في زاوية ، وإن شئت فاسكن بين الناس .

مطلب

قال : إن من علامات الفتوَّة والمروَّة كون الإنسان محزوناً ومهموماً دائماً ، فإن القعود على الفراغ في عالم الأسباب ليس بحسن ، والذي ليس له حزن وهمٌّ تفوح منه رائحة الغفلة والفتور ، والذي فيه حزن وهمٌّ يفوح منه طيب الجمعية والحضور . ونسبة أكابر النقشبندية قدس الله تعالى أرواحهم تظهر في صورة الحزن والغمّ .

قال : إن المحبة الذاتية أن يحبَّ إنسانٌ إنساناً ولا يظهر سبب محبته له ، وهذا كثير بين الناس ، فإذا ظهرت لشخص محبة الله تعالى من هذا القسم يقال لها : محبة ذاتية . وهذا القسم أفضل أنواع المحبة . وليس من المحبة أن يحبه وقت رؤية لطفه ، فإذا أحسَّ منه عنفاً لا يبقى له ميل إليه !

مطلب

فضائل الذكر الجهري

قال عنده شخص : إن فلاناً يكثر من ذكر الجهر ، ولا أراه خالياً عن الرياء ! فقال : يا هذا ! يكفيه يوم القيامة ذكره اللساني ! فإنه يظهر من ذكره اللساني نور ينوِّر جميع صحراء القيامة .

ثم قال : قال الأكابر : إن لذكر الجهر خاصية ليست هي للذكر الخفي ، فإن النفس إذا تحقَّقت بتعقل مفهوم الذكر تتأثر القوة المتخيَّلة أولاً بتخيّل لفظه ، وتتأثر القوة الناطقة ثانياً بتكلُّمه ، وتتأثر القوة السامعة ثالثاً بسماعه ، وتتأثر القوة المتخيلة مرَّة أخرى رابعاً يعني بتخيل مفهومه ، وكذلك تتأثر النفس والقوة العقلية . وهذه حركة دورية على وفق الحركة الدورية الوجودية ، والتشبُّث بتلك الحركة الصورية التي هي صدور الحركة المعنويّة مُمِدٌّ لحصول ذلك التحقيق .

قال شخص في مجلسه : إن الله سبحانه قال : « أنا جليس من ذكرني » فإذا كان كذلك كيف يختار ذكر الجهر ؟ فقال : كما أن الحق سبحانه جليس من ذكره ، فكذلك هو حاضر عند من يباشر المعاصي وناظرٌ إليه . فإذا لم يكن حضوره تعالى ونظره ملحوظاً في أوقات المعاصي ؛ فكيف يكون ذلك ملحوظاً وقت الذّكر الجهري ؟ على أن الله تعالى محيط بكل شيء ظاهراً وباطناً . يعني : ينبغي أن يترك الذكر الخفي أيضاً إن لوحظ ذلك ، وذكر الجهر أيضاً حسن .

مطلب

سئل مرة عن سبب تقليله الكلام في التصوف فقال : اعلم أن أحداً إذا تكلم في التصوف فقد لعب مع صاحبه زماناً . يعني أن التصوف من مقولة الحال غير حاصل بقيل وقال ، ولا يسعه نطاق المقال ، وما قدره أحد حق قدره . وما زاد بيانهم غير ستره ، فإن الإعراب عنه لغير ذائقه سترٌ وتلبيس ، والإظهار لغير واجده إخفاء وتدليس ، فالتكلم فيه إذاً يكون كاللعب في كونه مما لا يعني .

اللهم إلا أن يكون مع أهله لإعلام معالم الطريق وعقباته . ليحترز عن الوقوع في آفاته .

وقد أحسن من قال :

علم التصوف علم ليس يعرفه   إلا أخو ثقةٍ بالعلم معروفُ
وكيف يعرفه من ليس يبصره   وكيف يُبصر ضوءَ الشمس مكفوفُ

مطلب

قال : إن كلمات أولياء الله تعالى من مشكاة الحقيقة المحمدية ﷺ ، فكما أن تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة ! كذلك تعظيم كلام أولياء الله تعالى لازم أيضاً ، فينبغي أن يعامل كلامهم بالأدب والحرمة حتى يجد في نفسه التعظيم والاحترام .

كتب الشيخ عبد الرزاق الكاشيّ قدس سره في بعض مصنفاته : بسم الله أي بالإنسان الكامل . فأشكل ذلك على بعض علماء الوقت غاية الإشكال ، بأن تفسير تلك الكلمة بهذه العبارة كيف يستقيم ؟ ! فعرض ذلك يوماً على مولانا الجامي قدس سره ، واستكشف عنه منه فقال : إن هذه العبارة تفسير لفظ « اسم » ، لا تفسير لفظة الله جل جلاله .

قال مرة : خطر اليوم على خاطري ولم أره في محلّ : أن المظهر في الحقيقة إنما هو الصورة المنطبعة في المرآة ، لا عين المرآة ، فإن المظهر هو الحاكي عن حال الظاهر فيه ، ويظهر أوصافه وأحكامه في ذلك المظهر ، وليست تلك الحالة لجوهر المرآة . وكان غرضه من هذا الكلام شيء آخر ولكن طواه في نشر هذا التمثيل .

قال بعض الأعزة الذي كان له رجوع دائم إلى ملازمة مولانا الجامي : كنت يوماً في مجلس وعظ خواجه شمس الدين محمد الكوسوي فقال في رأس المنبر : قد أشكل عليَّ مدة مديدة ما يقوله أهل الشرع من أن ضغطة القبر بالنسبة إلى جميع الناس من المؤمنين والكافرين حقٌّ ، وأنها تكون على وجه ينقلب الجانب الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن ، فإنه لا تردد في كون تلك الصورة تعذيباً محضاً ، فكيف يتصور ذلك في حق الأنبياء والأولياء ؟ بل في حقِّ صلحاء المؤمنين ! ثم خطر في قلبي أن الغرض من انقلاب الأيمن على الأيسر وعكسه هو جعل الروحاني جسمانياً والجسماني روحانياً . ولما كان توجيه الخواجه إجمالياً سألت يوماً مولانا الجامي عن معنى هذا الكلام فقال : إن الصوفية ـ قدس الله أرواحهم ـ يقولون للبرزخ قبر ، والبرزخ عبارة عن مرتبة تكون واسطة بين العالم الجسماني والروحاني ، ومعنى جعل الروحاني جسمانياً هو أن يجعل الروح مصوَّرة بصورة مثالية ، يعني تظهر لها صورة مقدارية يمكن أن تكون عبارة عن كم وكيف ، ومعنى جعل الجسماني روحانياً ليس المراد بالجسم هنا البدن الكائن في حيطة القبر ، فإن الروح المجرّدة قد تركته بالكلية ، بل المراد منه أن طائر الروح الذي كان له تعلُّق بهذا الجسم الكثيف وقيل له من حيثية ذلك التعلّق جسمانياً مجازاً ، يظهر له بعد مفارقته من هذا الجسم تعلّقٌ آخر في هواء الانقطاع في غاية اللطافة ، ويقال له من حيثية ذلك التعلق روحانياً . ووجه آخر لهذا الكلام أن الصفات الروحانية مخفية في هذا العالَم تحت حجاب الصفات

الجسمانية ، والصفات الجسمانية ظاهرة وغالبة ، فكل فرد من أفراد الإنسان في هذا العالم ـ أعني عالم الكون والفساد ـ ظاهرة فيه الصفات الإنسانية ، والصفات السبعيَّة ، والشهويَّة مخفيَّة . وقد قيل : إن جميع المعاني يكون مصوراً في العالم الروحاني على وجه يظهر الشخص الذي كانت صفة من الصفات السبعية مبطنة فيه في صورة ذلك السبع ، فحينئذ يكون الروحاني الذي هو صفة معنوية مستترة جسمانياً البتة ، والجسماني الذي هو صفة ظاهرة الآن روحانياً يعني مخفيّاً ومستتراً فلا يلزم التعذيب على هذين الوجهين .

سأله واحد من الأكابر عن معنى هذا الحديث « يؤجر ابن آدم في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين » ، وقال : يلزم على هذا أن لا يؤجر في الآخرة لبناء المساجد والرباطات والمعابد ، وأمثالها ! ! فقال : يخطر في قلبي في فهم هذا الحديث معنى آخر وهو : يمكن أن يكون المراد من الماء والطين عالم الأجسام ، فيكون المعنى أن الإنسان يؤجر في نفقته كلها إلا في نفقةٍ لا تتجاوز فيها همته ونيته عن عالم الأجسام[1] ، بل ينفقها لفوائد جسمانية ، وحظوظ نفسانية ، ولوازمها وعوائدها .

مطلب

قال : لو جمع شخص علوم الأولين والآخرين لا يكون شيء من تلك العلوم ممداً ومعيناً له في النَفَس الأخير ، بل يكون جميع معلوماته ممحوّاً عن لوح مدركته ، إلا ما حصَّله من ملكة الحضور والجمعية ، وما ينفع في النفس الأخير ويكون ممداً ومعيناً إنما هو الحضور والجمعية لا غير . فينبغي للعاقل أن يغتنم أيام الشباب بالتزام رياضة قليلة في مدة

---

(١) إلى عالم الأرواح ، أي : إلى عالم الآخرة ، أي النفقة التي لا تصل منفعته في الآخرة إليه . فراجعه ، والله تعالى أعلم . (للكاتب الفقير رحمه القدير) .

يسيرة ، وأن يقعد على زاوية حتى تحصل له ملكة الحضور والجمعية ، ويتخلَّص الخاطر عن مزاحمة النفي والإثبات .

مطلب مهم

قال : ما رأيت في طريقة خواجكان ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ مَنْ ليس له ذوق وقبول إلا قليلاً ، فإن بداية هؤلاء الأكابر نهاية الآخرين ، فقلما يقبلون شخصاً ثم يتركونه ويطردونه . فإن وقع في الساحل بغلبة أحكام النفس والهوى يجذبونه ويجرُّونه إلى الوسط .

قال : قد اعتاد بعض الناس أكل أشياء عجيبة وشربها ، مثل البنج والخمر ، لتحصيل الفرح والسرور ، والكيفية المطيبة للنفس . فمن شرب الخمر فقد خرج من دائرة الإسلام وصار عفريتاً أو سبعاً ، ويكون خلق الله تعالى مشوَّشاً ومضطرباً منه . والذي يأكل البنج يكون حماراً أو بقراً لا يعرف شيئاً غير قضاء حاجته[1] من الأكل والشرب ، ومع ذلك يسمون هذه الحالة والكيفية حضوراً وكيفاً !

ولا كيفية أحسن وأطيب من التعقُّل الذي يكون به واقفاً وحاضراً بنفسه . ومن طلب الحضور والكيفية من هذه الأشياء فذانك الحضور والكيفية لائقان برأسه ولحيته ، وأثرهما ظاهر فيهما في هذا العالم . وقد ابتلي بذلك كثير من أناس طيبين .

مطلب

قال : إن زمان الشيخوخة آخر زمان الشباب ، ويظهر في البشرة في زمان الشيخوخة ما كانوا عليه في عهد الشباب .

(١) أي : الشهوة . (هامش الأصل) .

مطلب

جاء يوماً مجلسه الشريف فضولي بارد ، وكان يدّعي الزهد والتقوى ، فأحضروا طعاماً ولم يحضروا الملح اتفاقاً ! فقال الفضولي للخادم : هات الملح حتى نبدأ بالملح . فقال مولانا على سبيل المطايبة : إن في الخبز ملحاً . فشرعوا في الأكل فرأى الفضولي شخصاً يكسّر الخبز بيد واحدة ، فقال له متعرِّضاً : إن كسر الخبز بيد واحدة مكروه . فقال مولانا : والنظر إلى أيد الناس وأفواههم أشدُّ كراهة ًمن كسر الخبز بيد واحدة . فسكت هنيهة ثم قال بعد برهة : إن الكلام وقت الطعام من سنة النَّبيﷺ .

فقال مولانا : تكثير الكلام مكروه ومذموم عند الأنام . فسكت ولم يتكلم إلى انقراض المجلس .

مطلب

التمس منه يوماً شخص أن يعلّمه شيئاً يكون مشغولاً به إلى آخر عمره ، فقال : التمس ذلك شخص من حضرة مولانا سعد الدين ـ قدس سره ـ فوضع يده المباركة على جنبه الأيسر ، وأشار إلى قلبه الصنوبري الشكل وقال : كن مشغولاً بهذا . والأمر ليس إلا هذا ! يعني : ينبغي أن يجعل الوقوف القلبي لازماً لنفسه . وقد تضمّن هذا المعنى هذان البيتان :

أخي كن لأربـاب الـقلوب ملازماً   وفي قربهم حصّل لك القلب سالماً
فإن رُمْتَ مـن خـلِّ قـديم جماله   فقلبـك مـــرآة فقــابلــه دائمــاً

ذكر بعض خوارقه للعادات قدس سره

قال واحد من أكابر العلماء المتقين كان في رفاقته في سفر الحجاز من هراة : كنت مريضاً في بغداد ، وامتدَّ مرضي ذلك واشتدَّ ، وتأخر مولانا الجامي في عيادتي ، وسؤاله عن أحوالي ، فصرت ملولاً من هذه

الحيثية غاية الملالة ، فجاء يوماً واحد من أحبابي وقال : هذا مولانا الجامي قد جاء لعيادتك ، فحصلت لي كيفية من هذه البشارة ، وظهرت قوة في طبيعتي ، فرفعت رأسي من المخدَّة وقعدت على فراشي ، فدخل مولانا وجلس قريباً مني ، وسأل عن حالي وقال : قد امتدَّ مرضك هذا ! فأنشدت :

فـإن جئت في مثوى عـبيدك عائداً فـقد طـاب لي سقمُ الدهور لذلكا

فقال على سبيل الانبساط : أعليّ تنشد بيتاً ! ثم جلس لحظة مراقباً على السكوت ، فظهر العرق مني في الأثناء ، فلما رفع رأسه ورأى في جبيني قطرات العرق قال : استرح لعلَّ مرضك يخفف بسبب العرق ، فاضطجعت على فراشي ، وقام مولانا وخرج ، ولفّني رفقائي بالأثواب فسال عني عرقٌ كثير ، وزال الحمَّى في اليوم ، وقمت عن فراشي بعد ثلاثة أيام وجئت حضوره .

وحكى واحد من العلماء الصالحين الذي كان معه أيضاً في سفر الحجاز : أنه لما دخلنا حلب وقت المراجعة من الحجاز نزل كل من الأصحاب في منزل على حدة ، ونزلت أنا الخان ، فمرضت هناك ، واستولى عليّ الضعف بحيث قطعت طمعي عن الحياة ، واستيأس الرفقاء أيضاً من حياتي ، وكان الوقت حرّاً ، فرأيت يوماً من شق الباب شخصاً فتح الباب قليلاً بحيث يرى منه طرف عمامته ، ولكن لم أعرف أنه من هو ! فقلت في نفسي : إنه واحد من رفقائي جاء للاستخبار عن أحوالي ، وتوقف ظناً منه أني نائم فأنتبه بدخوله ، فقلت : فليدخل البيت من في الباب ، كائناً من كان ! وكنت أعرف أن لمولانا خبراً عن مرضي ، ولكن ما ظننت أنه يعودني . فلما فتح الباب فإذا هو مولانا الجامي ! وقد امتلأت الحجرة من نور وجهه الشريف ، فعرضت لي كيفية عجيبة حتى أردت القيام ، ووجدت في نفسي قوة للقيام ، مع أنه لم يكن فيّ مجال للحركة في هذا الحال . فقال : اقعد ولا تتحرَّك . فاستقررت على حالي ، وجاء

مولانا وقعد قريباً مني ، وسألني عن حالي ، فخطر في بالي من خفة أثقالي برؤية وجهه المتلالي بيته هذا فأنشدته :

غـدا عـبـدك الـجامي بفكرك طيباً ولـكـنـه مـن وصـلك الآن أطيبُ

فأخذ بيدي اليمنى ، وشمَّر كمي إلى مرفقي ، ومسحها بيده الكريمة مرات مثل ما يتوضَّأ المريض ، فغاب عن نفسه في تلك الحالة ، فغمَّضت عيني موافقة له وتوجَّهت إليه ، ثم فتحت عيني بعد زمان طويل لأنظر أنه جاء إلى نفسه من استغراقه أم لا ؟ فرأيته في الاستغراق على حاله ، فغمَّضت عيني ثانياً ، فرفع رأسه بعد ساعة ، ووضع يدي على صدري ، وقرأ الفاتحة وقال : بماذا أمرك الأطباء أن تشرب ؟ قلت : أمروني بشرب شراب السفَرْجل . ولم يكن شراب السفرجل موجوداً في هذا الوقت بحلب . فقال : أنا أرسل لك شراب السفرجل ، وقام وراح ، وأرسل شراب السفرجل . ولما شربته وجدت خفَّة في نفسي من ساعة ، وزال المرض عني بالتمام بعد ثلاثة أيام ، ولم يبق منه أثر أصلا .

قال مولانا رضي الدين عبد الغفور قدس سره عليه الرحمة والغفران : جئت يوماً عنده في خلوته ولم يكن وقته مقتضياً لمجيء ، فلما فطنت به استولى عليّ همٌّ عظيم ، وظهر في جميع أعضائي ثقل قويٌّ حتى لم يبق لي طاقة الجلوس ، فقمت وخرجت ، فأفضت تلك الحالة إلى مرض قوي ، وانجرّ الأمر إلى المشقة حتى يئس الأطباء عن العلاج ، وزاد القلق والاضطراب في اليوم السابع ، وتغيّر الحال على وجه تيقَّنت الموت ، فتمنيت رؤيته المباركة ، فجاء في الحال . وكنت بحيث لم يكن في عضو من أعضائي مجال للحركة ، فعرضت عليه حالي بتمام التشويش ، وطلبت منه تلقين شغلي ، فشرعت فيه بمقتضى إشارته ، وأحضرت في قلبي صورته المباركة بأمره ، وكان هو أيضاً متوجِّهاً إليَّ ، فأخذت تلك الكيفية بعد لحظة في النزول ، وتبدلت إلى حالة طيبة ، ووصلت لذة تلك الحالة إلى جميع أعضائي ، حتى قمت وقعدت على

ركبتي ، فلما رفع رأسه ورآني قاعداً قال : يزول التشويش إن شاء الله تعالى ، وقرأ الفاتحة وراح . ومشيت لمشايعته إلى باب الحجرة فزال عني ذلك المرض في هذا اليوم بالتمام ، ومضى بالخير والسلام .

ولما مضى من هذه القضية سنون حكى واحد من أصحاب شيخنا قدس سره من تصرُّفاته ؛ فقصصت عليه هذه القصة ، فجاء عند مولانا الجامي ، واستدعى منه تفصيل تلك القضية . فقال : لما سمعت شأن حاله وغلبة مرضه حضرت عنده لعيادته ، وكنت مشغولاً بدفع مرضه ، فرأيت المرض قد قام منه وتوجّه إليّ ، فتضرعت إلى الله تعالى وقلت : يا ربي ليس لي طاقة لحمل المرض فادفع عني أيضاً .

مرض واحد من أكابر كيلان وأشرف على الموت فجزع أولاده وعشائره ، واشتغلوا بالتجهيز والكفن ، فظهر فيه الحركة في الحال ، وأفاق من سكرات الموت شيئاً فشيئاً ، وقام من فراشه في اليوم . وتعجب الحاضرون من هذه ، ولم يطلع أحد على حقيقته . فقال الشخص بعد زمان لبعض خواصه : إنه لما اشتدَّ بي المرض ظهر مولانا الجامي وتوجَّه إليَّ فزال المرض ، فأرسل إليه بعده أجناساً نفيسة ما يبلغ قيمتها عشرين ألف ذهب للهدية ، والتمس منه متضرِّعاً الطريقة العلية . فكتب رسالة مختصرة مفيدة في الطريقة النقشبندية ، وأرسلها إليه ، وكتب في آخرها : أنَّ التكلم بأمثال هذه الكلمات وكتابتها وإن لم يكن من وظيفة الفقير ؛ لكن لما وصل إلى مشام الذوق رائحة الإخلاص من الجناب كان باعثاً على تحريرها :

وإني وإن كنت لذا غير قابل ... ولست لما نال الكرام بنائل
ولكنني أبرزت من ذا علامة ... لعلك إن تحظى به أن تحاول

كان لشخص من أكابر بلخ في طريق الحجاز جملٌ ؛ فطمع فيه الأعرابي ، واشتراه منه بعد إلحاح بما أراده مولانا الجامي ، وشدَّ عليه

حمله ، فمرض الجمل في الصحراء ومات تحت كثيب . فجاء الأعرابي لديه ، وبدأ بالغلظة عليه ، وقال : إنه كان معيباً معلولاً وقت بيعك لي ولم تبيِّن لي علَّته ! وبسط اللسان بفحش ، واستردَّ ثمنه بشدة . فقال مولانا : إن الأعرابي قد تغير ، وحتفُه قد قرب . ولما وصلوا إلى هذا الكثيب في رجوعهم من مكة سقط الأعرابي ومات ، فدفنوه في الكثيب .

قال جمع : إن ذلك المبتدئ[1] المسمَّى بالفتحي ـ الذي التحق بالروافض في بغداد ، وأثار الفتنة وصار مطروداً عن نظر عنايته ، ورجع من بغداد إلى تبريز من غير أداء الحج ـ علق مخلاة الشعير على رأس فرسه وقت مغربٍ بتبريز ، ثم جاء وأدخل يده في المخلاة فعضَّ الفرس سبابته وأقلعها عن أصلها فمات به .

قال مولانا شمس الدين الروجي : كنت قاعداً على ساحل وقت طغيان الماء مع مولانا الجامي ، فظهر فوق الماء قُنْفُذة ميتة ، فأخذها من الماء ومسحها بيده فحركت بعد لحظة ، وجاءت جنب مولانا على خلاف طبيعتها ، واستقرَّت على ذيله ، إلى أن توجَّهنا إلى البلد ، فوضعها على الأرض وقام ومضى ، فأخذت تمشي من خلفه متحيرة ، وجاءت مسافة كثيرة ، إلى وصولنا ازدحام الناس ، واختفينا عن نظرها ، واختفت هي أيضاً عنا .

كان غلام صاحب جمال منظور مولانا الجامي فحكى لي فقال : كنت يوماً في ملازمته ، فرحنا معه إلى قرية سياوشان للتفرج ومعنا جمع عظيم من الأصحاب ، وفي الليل نام كل الأصحاب في زاوية ؛ واختار مولانا زاوية واسعة واستراح فيها ، وأسرجوا هناك شمعاً إلى الصباح ؛ ونمت بعيداً عنه ، ولما مضت ساعتان من الليل انتبهت بلا سبب ! ووجتني قاعداً على ركبتي ، ورأيته أيضاً قاعداً في مجلسه مراقباً .

---

(١) كما مرَّ قصَّته في ٦١ ، فراجع في آخر الوجه .

فاضطجعت ثانياً ونمت زماناً ، ثم انتبهت كذلك بلا سبب ! ووجتني مثل الأول ، فزاد تحيُّري ! وتكررت الحالة في الليلة ، فعلمت أنه بواسطة توجه خاطره الشريف إليّ ، فقمت وتوضأت وجئت عنده وقعدت على ركبتي إلى الصباح .

قال واحد من مخلصيه : وقع في قلبي داعية انتقال من بلد إلى رأس المزار ، وكوني مقيماً هناك ، فجئت عند مولانا وعرضت عليه داعيتي فقال : مناسبٌ غاية المناسبة ، فاخرج من البلد سريعاً ، ولا تهمل فيه ، فإن الفرصة غنيمة ، وأظهر فيه اهتماماً تاماً ، حتى طلب الخادم ؛ وأمره بتعيين المنزل ، وبالغ ثانياً بالإسراع . ولما جئت البلد وقع الفتور في الداعية ببعض العوارض المانعة ، حتى رجعت عنها ، فدخل اللصوص بعد جمعة بيتي ، وكان لي ألف دينار شاهرخية ، فأخذوها مع سائر الأمتعة في البيت ، وتركوني عرياناً مفلساً .

جاء يوماً مولانا سيف الدين أحمد شيخ الإسلام الهروي مع أرباب التدريس مجلسه ، فبعد تقديم الضيافات أمر المغنين والزمارين والدفافين ليغنّوا في المجلس ففعلوا ، ثم خرج مولانا بعد ثلاثة أيام إلى المقبرة للتفرج ، فلقي فيه اتفاقاً الشيخ شاه ، وكان من المشائخ المتورعين ، وقد بلغه قبل ملاقاتهما ما وقع في المجلس السابق ، فقال له الشيخ شاه في الصحبة : كيف في مجلسك أسباب الطرب ؟ ويلعبون بما لا يليق لذوي الأدب ؟ ! وأنت مقتدا علماء العالم ، ورئيس عرفاء العرب والعجم ! فجعل مولانا فاه في أذنه ، وكلمه سراً بحيث لم يطلع عليه أحد من أهل المجلس ، فصاح الشيخ صيحة وخرَّ مغشياً عليه ، ولما أفاق تضرع إليه ، ولم يطلق لسانه بأمثال تلك الكلمات ثانياً لديه .

قال والد الفقير عليه الرحمة : طالعت يوماً بعض التفاسير ، ونظرت في معني الآية ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ الآية ، وتأملت فيها ، فحضر في قلبي بأنه يمكن أن يحمل النهار في الآية

بحسب التأويل على نور الوجود ، والليل على ظلمة العدم . فعزمت أن أعرضه على مولانا الجامي قدس سره ، فحضرت عنده في اليوم الثاني ، ولما قعدت هنيهة قال : متى خطر على قلبك وقت مطالعة التفسير معنىً مناسباً لمشرب هذه الطائفة في بعض الآيات القرآنية قرَّره لي . فشرحت له ما في بالي فاستحسنه .

قال عالم فاضل من كبار تلامذة المولى : خرجت يوماً من البلد بقصد ملازمته ، وكان في رأس المزار ، فأقبل في الطريق غلام صبيح الوجه في قرب رباط مولانا محبي ، فنظرت إلى جانبه مرة أو مرتين بلا اختيار ، فمرَّ بي شخص مقارناً لهذا الحال ، وعلى كتفه أثواب من اللبد الملوّن ، فصكَّ طرف لبد عيني اليمنى صكاً شديداً ، فظننت أنه سهم رموني به ، فقعدت مدة على باب الرباط ، وسال من عيني دموع كثيرة . ولما جئت عنده لقيته قاعداً على باب المسجد مع جمع من الأكابر فقعدت معهم ، فرفع رأسه بعد لحظة وقال : إن واحداً من الفقراء أوقع نظره على غلام صاحب حسن وجمال في الطواف ، فظهرت يدُ في الهواء ولطمت وجهه ففاضت إحدى عينيه من الدمع ، وهتف هاتف : نظرة بلطمة ، إن زدت زدناك . ثم توجَّه إلى الفقير وقال : ينبغي أن يحفظ العين حتى يحفظوا أيديهم .

قال واحد من أهل العلم والصلاح ـ وكان له إخلاص تام لمولانا وتردَّد إليه ـ : جئت يوماً منزله على رأس المزار بنية ملازمته ، وكان هو في داخل حرمه ، وكان واحد من صوفية الوقت قاعدا في الباب منتظراً لخروجه ، فجرى بيننا كلام من كل باب ، فنقل في أثناء الكلام عن الشيخ محيي الدين ابن عربي ـ قدس سره ـ أنه قال : ورد فرضية الصوم على شهر من الشهور الاثنى عشر في كل سنة ، أي شهر كان من غير تخصيص بشهر رمضان . فصرت متأثراً من استماع الكلام ، وكنت معتقداً في الشيخ محيي الدين اعتقاداً تاماً ؛ ولم أرض بصدور مثله

عنه ، فقمت من المجلس وجئت البلد ، وجاء صاحبي أيضاً من ورائي ، فجئته في اليوم الثاني لتحقيق الكلام ؛ فبدأ بإلقاء أنواع المقدمات قبل عرض ما في البال ، حتى انجرَّ الكلام إلى أن قال : ينبغي لنا الرضا بطور فقهاء زماننا وطريقتهم .

وكتب الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره في « الفتوحات المكية » في ذم بعض فقهاء الزمان : أنه كتب واحد فقهاء مصر فتوى في الصوم الفرض بناء على مصلحة السلطان ما صورته كذا وكذا ، وقرر ما نقله صاحبي أمس .

جاء واحد من أولاد مولانا جلال الدين الرومي ـ قدس سره ـ من الروم إلى خراسان ؛ وكان شيخاً عالماً عارفاً ، وكان مدة في ملازمة مولانا الجامي ، وكان ينظر إليه بنظر الالتفات ، وعيَّن له منزلاً على حِدَة في المزار ، قال هو : جاء يوماً مولانا الجامي منزلي ليلة ، فصلينا العشاء وجلسنا للصحبة إلى الصبح على السكوت ، ومضت الليلة علي كنَفَسٍ واحد . وقال : إن في طريقة خواجكان ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ لا يحصل لأحد شيء ما دام لم يكن منهم التفات إلى حاله .

وحكى أيضاً : كنت ليلة في الطريق ؛ وكانت مظلمة ، فتوجهت إلى طرفه في حال الاضطرار ، فاستنار الطريق ، وتخلَّصتُ من الظلمة .

اعلم أنه ابتدأ مرضه يوم الأحد الثالث عشر من محرم الحرام سنة ٨٩٨ وضعف صباح يوم الجمعة سادس أيام مرضه ، ولما أذَّن المؤذن أوَّل أذانيّ الجمعة انقطع نَفَسه المبارك .

وكان لحضرة خواجه كلان ابن مولانا سعد الدين الكاشغري ـ قدس سرهما ـ بنتان ؛ كانت إحداهما تحت مولانا الجامي ، والأخرى تحت راقم الحروف . وكان لمولانا الجامي منها أربعة أولاد ، عاش الأول يوماً واحداً ومات قبل التسمية . والثاني خواجه صفي الدين محمد : مات

بعد سنة من ولادته ، فتأثر مولانا من موته غاية التأثر . والثالث خواجه ضياء[1] الدين يوسف :وتاريخ ولادته بخطه المبارك : ولادة الولد الأمجد ضياء الدين يوسف ـ أنبته الله تعالى نباتاً حسناً ـ في النصف الأخير ليلة الأربعاء التاسعة من شوال سنة ٨٨٢ .

وكان مولانا يوماً قاعداً على جنب الحوض في شمال المسجد القديم ، فجاء واحد من الخدمة من طرف الحرم حاملاً لخواجه ضياء الدين على كتفه ، وكان في الوقت ابن خمس سنين تخميناً ، ولما جاءه قال : يا أبت إني لم أر الشيخ خواجه عبيد الله ـ قدس سره ـ . فتبسَّم ، وقال : إنك رأيت الخواجه عبيد الله لكن لم يبق في خاطرك ، ثم قال : رأيت في المنام في هذه الأيام أن خواجه عبيد الله حضر في الموضع ـ وأشار إلى روَّاق في شمال المسجد ـ وجئته حاملاً لضياء الدين على يدي ، والتمست منه أن ينظر إليه بنظر العناية ، وأن يشرفه بشرف التفاته . فأخذه من يدي ووضع فاه في فيه ، وصبّ من فيه شيئاً في غاية البياض في فيه حتى امتلأ فوه وزاد ، ثم أعطانيه فانتبهت من نومي ، ونظم هذه الواقعة .

والرابع خواجه ظهير الدين عيسى : ولد بعد تسع سنين من ولادة خواجه ضياء الدين ، وتاريخ ولادته بخطه المبارك : ولادة الولد الأرشد ظهير الدين عيسى وسط وقت الظهر من يوم الخميس ، خامس محرم سنة ٨٩١ . أنبته الله تعالى نباتاً حسناً ، ورزقه سعادة الدارين ؛ بمحمد وآله الطيبين الطاهرين . وتوفي بعد أربعين يوماً . ونظم البيتين :

لِخَمْسٍ مِنْ مُحَرَّمٍ وَقْتَ ظُهْرٍ ... أَتَى مُسْتَبْشِرٌ بِوُجُودِ عِيسَى
فَطَالَعْتُ اسْمَهَ مِنْ بَيْنِ أَسْمَا ... فَمَا قَالُوا سِوَى ذَلِكَ عِيسَى
فعدَّ مَلْحُوظُ عِيسَى دُونَ خَطِّهِ ... يَكُنْ تَارِيخُهُ ذَلِكَ عِيسَى

---

(١) الذي صنف مولانا الجامي قدس سره « شرح الكافية » لأجله فراجعه . (هامش الأصل) .

مولانا عبد الغفور رحمه الله تعالى :

لقبه : رضي الدين ، وأصله من بلدة لارو من أعيان تلك الديار ، من نسل سعد بن عبادة رضي الله عنه ، من كبار الأنصار وسيد الخزرج .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من أَجِلَّة تلامذة مولانا الجامي ـ قدس سرهما ـ ووحيد عصره في أصناف العلوم العقلية والنقلية ، وقرأ على مولانا الجامي أكثر مصنفاته . وكتب مولانا الجامي ـ بعد مقابلة « شرح فصوص الحكم » في آخر كتاب مولانا المرقوم ـ هذه الكلمات القدسية : تمت مقابلة الكتاب بيني وبين صاحبه ، وهو الأخ الفاضل ، والمولى الكامل ، ذو الرأي الصائب ، والفكر الثاقب ، رضي الملة والدين عبد الغفور ، استخلصه الله تعالى لنفسه ويكون له عوضاً عن كل شيء ، في أواسط شهر جماد الأولى المنتظمة في سلك شهور سنة ٨٩٦ ، وأنا الفقير عبد الرحمن الجامي عفي عنه ، وعبَّر مولانا عبد الغفور عن حاله في « تكملة حاشية النفحات » هكذا .

وقع في قلب واحد من الفقراء إرادة الاشتغال بالطريقة ، فجاء لديه واستدعى منه تعليم الطريقة ، فلقنه ذكر (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، مشروطاً بحفظ صورته . فاشتغل المذكور في تلك الصحبة بموجب أمره ، فظهر فيه الأثر المعهود عند هؤلاء الطائفة في الحال ، ورأى نفسه في فضاء النور ، وحصلت له لذة قوية ، وشوق عظيم ، وبهجة وسرور ، وظهرت علامة : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ، فعرضه عليه فقال : هذا سرٌّ من الأسرار ، لازم الستر والإخفاء عن الأحبَّاء والأخلاَّء ، فضلاً عن الأغيار . ثم زادت فيه كيفية عدم الشعور بسبب تكرار الشغل ، وكثرة العمل . وشكى إليه الشخص يوم بعض الأشغال الذي يكون سبباً لفتور النسبة .

مطلب

فقال : لا بد من أن تجمع هذه النسبة بشيء من الأشغال الظاهرية ، وأن تلازم صحبة شيخ أخذت هذه النسبة عنه ، فإنها ملك الغير ظهرت فيك بطريق الانعكاس ، وينبغي أن تجتهد في السعْي حتى تكون ملكك ، وذلك إنما يتيسر بدوام الصحبة .

وقال : إن الاشتغال بأمر ظاهريٍّ ضروريٌّ للسالك ، لئلا يمتاز عن سائر الخلق فيكون معلوماً ومشتهراً بينهم . أما سمعت أن شخصاً حضر عند واحد من الأكابر والتمس منه الطريقة ؛ فقال : هل عندك شيء من الصناعة ؟ قال : لا . فقال : اذهب وتعلم الخصافة ، فإن معنى سيرة هذه الطائفة لا حصول له من غير صورة شغل ما .

وقال : إن حصول هذه الحالة وتحقُّق هذه النسبة آني ، فإنها من مقولة الإدراك والانفعال ، وحقيقة الحال إعراض عن الخلق ، وإقبال على الله تعالى ، وهذا ممكن الحصول في آن واحد .

مطلب

فإن نفس الإنسان بمنزلة مرآة وجهها إلى طرف آخر ، فينبغي يقلبها إلى طرف الحق تعالى .

وقال : إن واحداً من الأكابر صاح في صحبة واحد من المشائخ وسقط مغشياً عليه ، فلما قام قال : إن بعد حصول ربط القلب بالحق تعالى وتحقُّق الحضور تكون النسبة أحياناً مذهلة لما سواه تعالى ، ويقال لهذه الكيفية (حالاً) ، وأحياناً غير مذهلة ، ويقال لها (علماً) ، ويجعلون العلم مندرجاً في الحال محسوباً منه ، وهذا التفاوت على حسب استعداد الشخص في الصفاء والكدورة . وإذا حصلت الغيبة زمان الذكر ينبغي أن يفرضها خطاً مستقيماً .

ولما كان تخيُّل هذا المعنى واستثقال الخيال بأمر واحد ممدّاً للجمعية ؛ أمر النَّبي ﷺ علياً رضي الله عنه بهذا المعنى وقال : ينبغي أن تفرض الخط مثل الخط المستقيم .

ومن محاسن طريقة أكابرنا النقشبندية التي ليست لغيرها من الطرق : حصول الاشتغال بتحصيل تلك النسبة في كل مكان ، مع كل شخص ، وفي كل حال .

مطلب

وينبغي أن يجعل تحصيل النسبة أصلاً أصيلاً ، واقتصار الاشتغال بغيرها على قدر الضرورة . وهذه النسبة الشريفة لطيفة غاية اللطافة ، وليس لها حدٌّ يضبطها ، ووقت يختص بها ، وربما تزول وتستر بأمر جزئي ، وتظهر أحياناً بلا ترقب ، ومتى وقع الفتور فيها يرجع إلى سببه ، ويلاحظ فيما أفضى إليه ، ويبادر إلى دفعه .

وقال : إن كثيراً من الملاحظة في الأمور الحسية يمدُّ النسبة والحالة ؛ ويقوي الجمعيَّة ، وذلك أمر غير مضبوط ؛ يختلف باختلاف الأحوال والأوقات ، ومن جملة ذلك : أن الصحراء التي في صورة الاطلاق معينة لملاحظة معنى الإطلاق ، ومشاهدة الجبال مورِّثةٌ لمعنى الهيبة والعظمة ، وصورة الماء بالامتداد والاتصال وقت المراقبة مقوٍّ للمراقبة ، وملاحظة تبعية الظلِّ لذي الظلِّ مورثة للخروج عن حول نفسه وقوته ، وملاحظة عيون الحيوانات الوحشية ، وتوحُّشها مورثة نسبة الحيرة ، وملاحظة الجنازة مقوية لنسبة الفناء ، وصوت البكاء يذكر المحبوب المفقود .

وقال : كنت أمشي مع مولانا سعد الدين ، فمررنا على حمار ميت قد فتحت عيناه فقال مولانا : إن له استهلاكاً عجيباً ، وقويت نسبته في حينه غاية .

وقال : عرض لي قبض عظيم فخرجت إلى الصحراء إلى بستان آهو ، فرأيت أشجار الصنوبر ، فخطر في قلبي أن هذه الأشجار يأخذن الفيض من المبدأ الفياض على حسب استعدادهن ! فزال القبض في الحال ، واستولت نسبة عظيمة .

قال مولانا عبد الغفور ـ قدس سره ـ : جئته وشكوت إليه من ضرر اختلاط الناس . فقال : لا يمكن إخراج خلق الله تعالى من العالم ! ينبغي للسالك كونه على وجه لا يكون للخلق تصرُّف فيه . وكان في تلك الأيام مشغولاً بتأليف كتاب « نفحات الأنس » وقال : أكتب صفحة وصفحتين ؛ ومالي شعور بالكتابة ، بل يجري القلم بطريق العادة .

وقال : قال بعض الأكابر : أن التكلم لا يجتمع مع الشغل الباطني . وهذا الكلام في غاية الغرابة[1] منه .

فوائد أنفاسه المسموعة :

أحكام أبو الجن وأحوالات بنيها

قال المولوي عبد الغفور : أورد الشيخ محيي الدين ابن عربي ـ قدس سره ـ وقع الاختلاف في أن أبا الجنِّ هل هو إبليس أم غيره ؟ والتحقيق أنه غيره ، بل إبليس واحد منهم . وكان أبو الجنِّ خنثى ؛ على إحدى فخذيه ذكر ، والأخرى فرج ، ويتولَّد أولاده من سحق إحدى فخذيه على الأخرى . ولما كان تركيبهم من النار والهواء اللتين هما ركنان خفيفان غلبت عليهم السخافة والخفة ، خصوصاً إذا انضم إليهما الروح ، فهم في غاية الخفة ، وسرعة السيرة وكثرة الحركة ، وتركيبهم ضعيف غاية ، يهلكون بوصول أذية يسيرة أو ثقل من بني آدم ، وأعمارهم قصيرة من هذه الحيثية ، فإذا ظهر واحد منهم لشخص بصورة مثالية يهرب عنه سريعاً ويكون غائباً عن نظره .

(١) لأنه شيء ومقام يذوقه أدنى أهل الله من أهل الطريق النقشبنديّ ، فراجعه .

وقال الشيخ ـ قدس سره ـ : وطريق حبسهم عن الهرب أن ينصب العين عليهم من غير التفات إلى يمين وشمال ، وما دام النظر منصوباً عليهم لا يقدرون الغيبة عن النظر بوجه ، ويبقون على مكانهم مثل المحبوس ، ولذا يظهرون أنواع الحركات وأصناف الحالات والتخييلات والتسويلات ليصرف الناظر نظره إلى طرف آخر ، ويتمكنوا من الفرار . وإن تعليم حبسهم بهذا الوجه إنما هو بتعليم الله تعالى إياي بالإلهام .

مطلب

في صفات الجن

وإن العلم والعرفان قليلان بينهم ، وإدراكاتهم قاصرة في الأمور المعنوية غاية ، وخصوصاً في معرفة الله تعالى . وأكثرهم سفهاء أغبياء ، وليس في اختلاطهم فائدة كثيرة ، بل في صحبتهم ضرر كثير يحصل منها صفة الكبر في باطن الإنسان ، لتركيبهم من النار والهواء ، والجزء الناري غالب في تركيبهم ، والكبر من خواص النار ، ولذا قال إبليس في أول ما أظهر الكبر : خلقتني من نار . وإن بعض الإعصار في الصحراء يحصل من أثر مضاربتهم ومحاربتهم ، وهم بين ذلك الإعصار يحارب بعضهم بعضاً ، والفتنة والمجادلة والمحاربة كثيرة بينهم ، بسبب تجبّرهم وتكبّرهم اللازمان لذاتهم ، فإذا مات أحدهم ينتقل إلى البرزخ ولا يمكنه الرجوع إلى النشأة الدنياوية ثانياً ، ويكون في البرزخ إلى الحشر . وإذا استحق واحد منهم عذاب جهنَّم يعاقب بالزمهرير لقلَّة تأثُّره من عذاب النار ؛ وإن أمكن تعذيبه بالنار ! فإن حرارة نار جهنَّم زائدة على حرارة النار العنصريَّة بمراتب كثيرة وشديدة في الغاية .

الشيطان على نوعين

قال في « الخواطر الشيطانية والنفسانية » : أورد الشيخ في « الفتوحات » أن الشيطان على نوعين : شيطان صوري وشيطان معنوي ، فالشيطان الصوري هو إبليس يلقي في خاطر الناس أحياناً أمراً حقَّانيًّا ، فيتصرَّف فيه الشيطان المعنوي الذي هو النفس ويجعله أمراً باطلاً ، وقد يفعل أموراً يعجز عنه الشيطان الصوري .

مطلب مهم

مثلاً يلقي في قلب شخص فعل سنَّة من السنن الحسنة وهو من الأمور الحقَّة ، وقد ورد في الحديث « من سنَّ سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » فيتصرَّف فيه الشيطان المعنوي حتى يحثُّه على وضع الأحاديث وإسنادها إليه ﷺ ، ويسمِّيها سنة حسنة ليعمل بها الناس ، فيكون له أجر منها ، وهو غافل عن الحديث الصحيح المتَّفق على صحته ، البالغ حدَّ التواتر ؛ من قوله ﷺ : « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار » .

والمثال الثاني الذي أورده الشيخ أيضاً : أن الشيطان الصوري يلقي في القلب مثلاً تلاوة القرآن جهراً ، وهو أمر حقاني ، فيضم إليه الشيطان المعنوي إرادة إسماع الغير ليقولوا : أنه قارئ ، فأبطله بإدخال الرياء والسمعة . وأمثالها كثيرة .

مطلب

قال : سأل البعض : إن مقتضى العدل والحكمة أن يكون العذاب على الذنب المتناهي متناهياً ، فما السبب في كون عذاب الآخرة غيرَ متناهٍ على الكفر المتناهي ؟ قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في جوابه : إنَّ علم قدر جزاء الأعمال مختصٌّ بالله تعالى ، وإدراك هذا

المعنى فوق إدراك العقول الناقصة ، والجزاء المماثل للكفر إنما يكون في النشأة الأبديَّة ، وليس لغير الحقِّ سبحانه اطلاع على حقيقة جزاء الأعمال وسرِّه .

وقال بعض : لما كانت نية الكفار المداومةَ على الكفر كان جزاؤهم أيضاً في الآخرة دائماً . فأما الذين لا يقولون بالعذاب الأبدي ولا يقرُّون به قالوا : إن الكفر جهلٌ عارضيٌّ ، وليس بملائم لمزاج الروح ، بل المناسب لمزاجه وإدراكاته أمور حقة ، وصفة الجهل تكون مرتفعة في الأخير . انتهى .

قال شيخنا : ما يصدر من الناس من سوء إن لم يكن في مقابلته حدٌّ وتعزير شرعي ينبغي أن لا يتأذَّى منه ، فإنه صدر عنهم بإقدار الله تعالى إياهم لهذا الفعل وتمكينهم فيه وخلقه .

قال مولانا عبد الغفور قدس سره في توجيه الكلام : إن الأفعال ، وإن كانت كلها من هذا القبيل ، سواء توجَّه إليه حدٌّ شرعي أم لا ، لكن المراد أن في القسم المذكور ينبغي أن ينظر إلى القضاء والقدر لئلا تثور الفتنة والجدال ، وفي الصورة الأخرى ينبغي أن ينظر إلى الأحكام الشرعية لتبقى سلسلة أمور العالم على أحسن النظام ، ولئلا تتطرَّق الإهانة إلى شريعة نبينا محمد ﷺ ، فالتأذِّي في تلك الصورة والإيذاء والفتنة والجدال موجبة لرضا الحق تعالى ومسرَّةِ رسوله ﷺ . وفي ضمن الجدال والإيذاء فيها ألوف من الفائدة صورةً ومعنى ، والإهمال فيها والإمهال ليسا غير زندقة وإلحاد في الشريعة .

قال مولانا عبد الغفور في معنى قول شيخنا ؛ هذا نقلاً عن « الفتوحات » : إن سرّ ظهور العالم لا يكون معلومَ شخص إلا بالمجاهدات الكثيرة ، والرياضات الشديدة ، يصحبها الهمم العالية المراد ممن يصحبها الهمم : أن يكون مرمى قصده وهمَّته ومطمح نظره ذاتُ الحق سبحانه ، فإذا كانت تلك الهمة موجودة لكن ليست لصاحبها مجاهدات كثيرة

ورياضات شديدة لا يتكشَّف له سِرُّ ظهور العالم الذي هو من الأسرار الغامضة ، ومجرَّد وجود الهمة من غير أن يلابس بالمجاهدة والرياضة ، وكذلك مجرَّد حصول المجاهدة والرياضة من غير تحصيل تلك الهمة لا يعطيان نتيجة ، ولا يجديان نفعاً أصلاً .

وقال في معنى قول شيخنا هذا : قد أعطي بعض العارفين قدرة على خلق كل[1] ما أرادوا خلقه ، والفرق بين مخلوق الحق ومخلوق العارف : أن مخلوق العارف يكون باقياً ما دام أثبته العارف في حضرة من الحضرات ، يعني : لا يلزم في بقائه أن يكون العارف متوجهاً إليه بالتوجه الحسي الشهادي ، بل يكفي لإبقاء وجود ذلك الموجود الشهادي الخارجي توجُّهه إلى صورته المثالية في حضرة المثال ، وما بقي التوجه من العارف في حضرة المثال أو حضرة الشهادة إلى هذا الموجود الشهادي يكون ذلك الموجود باقياً ، ومتى انقطع التوجُّه في جميع الخطرات يكون معدوماً صِرفاً .

قال في معنى قول شيخنا : كان الشيخ بهاء الدين عمر يركب فرساً أبيض في أكثر الأوقات ، فسئل عن سببه ؟ فقال : إن اختياره للفرس الأبيض لكون بعض التجليات الصورية مشهوداً كذلك . يعني : أن خصوصية كل صورة بالنسبة إلى أرباب المكاشفات مبنية على اختلاف الاستعدادات ؛ واختلافات المعاني والحقائق المنكشفات لهم في صور الأشياء . مثلاً وقع التجلي الصوري لموسى عليه السلام في لباس شجرة في الواد المقدس ، ووقع لسيدنا محمد ﷺ في صورة شاب مخطَّط الوجه ، كما نطق به بعض الأحاديث انتهى . .

وكتب الشيخ الأكبر محيي الدين في بعض مؤلفاته : رأيت ربي على صورة الفرس .

---

(١) أراد به ما يظهر على يد العارفين من الكرامات ، كظهور الطعام واللباس وقت الحاجة ، كما قال النبي ﷺ « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه » وإسناد الخلق إلى العارف مجازيّ كإسناد الإنبات إلى الربيع . (منه رحمه الله تعالى) .

كيفيَّات تجلِّي الحقِّ للسالك

وقال الشيخ ركن الدين علاء الدولة : إن السالكين يرون الحق سبحانه بالتجليات الصورية ؛ وهي مناسبة للآثار ، وبالتجليات النورية ؛ وهي مناسبة للأفعال ، وبالتجليات الذوقية ؛ وهي مناسبة للذات . ويتجلَّى الحقُّ سبحانه للعبد في التجليات الصورية في صورة جميع الأشياء ؛ من مفردات العنصريات ، والمعادن ، والنباتات ، والحيوانات ، وأفراد الانسان ، فإذا تجلى في واحد من المواليد الثلاثة ؛ ثم أراد أن يتجلَّى في مرتبة أعلى منه يتجلَّى أولاً في أفق ذلك المولود ، ثم يبتدىء بمولود آخر فوق ذلك ، كما أنه إذا تجلَّى من المعادن ثم أراد أن يتجلَّى من النبات يتجلّى في صورة المرجان الذي هو أفق المعادن ، فإنه أقرب المعادن إلى مرتبة النبات ، لنموِّه مثل النباتات .

وإذا أراد أن يترقَّى من النبات إلى الحيوان يتجلَّى في صورة النخل ، لكونها أفق النباتات وأقربها إلى مرتبة الحيوان ، لوجود بعض خواصِّ الحيوانات فيها ، فإنها تصير يابسة بقطع رأسها ، ولا تثمر من غير تلقيح ، وذلك من خواص الحيوان ، حيث لا يحمل إناثه حتى تجتمع مع ذكوره .

ومتى أراد الترقِّي من سائر الحيوانات إلى مرتبة الإنسان يتجلَّى في صورة الفرس ، لكونه أفق سائر الحيوانات بالنسبة إلى الإنسان ، لكونه أقرب الحيوانات إليه ، حيث أن فيه شعوراً وفطنة ، وليس فوق الإنسان صورة في التجليات الصورية . وغاية التجلي الصوري في مرتبة الإنسان أن يتجلَّى الحقّ سبحانه للسالك في صورة صاحب المتجلّى له . وليس للسالك مزلَّة قدم أصعبُ من أن يتجلّى له الحقُّ سبحانه في صورته بحيث لا يرى السالك أحداً غير نفسه ، وكلما نظر يرى الكل نفسه ، ويجد الموجودات كلها محاطة بنفسه .

مطلب

مقام قول العارفين : سبحاني ؛ ما أعظم شاني ، و : أنا الحق

ومنشأ قول (سبحاني ما أعظم شاني) ، و(أنا الحق) ، و(ما في جبَّتي سوى الله) ، و(هل في الدارين غيري) ، وأمثالها كلُّها إنما هو هذا التجلي . وأكثر زلة القدم وقعت لأهل الكشف في التجلي الصوريّ ، حتى اجترؤا على التفوُّه بالكلمات ، ووَقع أكثر مزلَّة الأقدام للحكماء في التجلِّي المعنوي حيث أعرضوا عن متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اغتراراً بمدركاتهم المعنويَّة فهلكوا ، ولما كانت الأولياء محفوظين بيمن متابعتهم للأنبياء عليهم السلام ـ وإن وقع منهم سهو في بعض أوقات غلبة السكْر عليهم ، لكنهم رجعوا عنه في حال الصحو وتابوا ـ فلا جرم رقَّاهم الله تعالى من منازل التجليات الصورية والنورية والمعنوية إلى معارج التجليات الذاتية ، وخلَّصهم من مزلة الأقدام ، وأوصلهم إلى التجلي الذاتي ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

وكان وفاة مولانا عبد الغفور غداة يوم الأحد ؛ الخامس من شعبان ، سنة ٩١٢ بعد طلوع الشمس . رحمه الله تعالى وإيانا ، ورزقنا من بركاته وعلومه وفيوضه . آمين يا ربَّ العالمين .

مولانا شهاب الدين أحمد البرجندي رحمه الله تعالى :

من كبار أصحاب مولانا سعد الدين الكاشغري ـ قدس سره ـ كان عالماً في الظاهر والباطن ، ومن العلماء الكَمَلة في هراة .

مولده : قصبة برجند في ولاية قاتن . حكى والده : رأيت في المنام كأني واقف بطور سيناء ، فظهر شيخ الإسلام أحمد الجاميّ ـ قدس سره ـ فجئته وسلَّمت عليه ، فردَّ السلام وقال : إن الحق سبحانه سيعطيك ولداً صالحاً فسمِّه باسمي ، فإنه منَّا ومن جنسنا . فولد شهاب الدين بعده بيسير ، فسمَّيته أحمد راجياً من خير هذا الاسم وبركته ، فآثار

الزهد والتقوى كانت ظاهرة في صغره ، حتى لم يفت منه صلاة التهجد والنوافل المأثورة في صغره ، ولما بلغ سن الشباب أقام في المدرسة واشتغل بالعلوم ، وحاز قصب السبق ومضمار الفنون على أقرانه في مدة قليلة ، وحضر زمان درس مولانا نور الله الخوارزمي ، ومولانا شمس الدين محمد الحاجرمي ، ومولانا خواجه علي السمرقندي ، وغيرهم ـ قدس سرهم ـ من المحقِّقين والمدقِّقين ، وفاق في الدرس على أكثر المستفيدين ، وحضر مجلس خواجه برهان الدين أبي نصر پارسا ـ قدس سره ـ وقرأ عليه كتب الأحاديث كـ « المصابيح » و« المشارق » ، و« صحيحي البخاري ومسلم » ، وكتب له إجازة رواية الحديث .

ولما فرغ من تحصيل العلوم العقلية والنقلية توجَّه لصحبة مشائخ الطريقة ، وملازمة الصوفية أهل الحقيقة ، ووصل إلى صحبة الشيخ زين الدين الخافي ، والشيخ بهاء الدين عمر ، والشيخ شمس الدين محمد الكوْسوي ، وغيرهم ، ثم آخراً إلى صحبة مولانا سعد الدين ـ قدس سره ـ فانقطع عن مخالطة الأغيار ، وملازمة الأشرار .

وقال : كنت في بدايتي كثير التردد حول مولانا سعد الدين لكن لم أجد في باطني من نسبة الأكابر ، وكنت محزوناً من تلك الحيثية ، فخرجت يوماً للتفرج أمام مقصورة هراة بين ازدحام العوام فرأيته بينهم ، فاستقبلته وتضرَّعت لديه تضرُّعاً بليغاً .

مطلب

فقال : يا أخي ما دامت هذه العلوم في صدرك ولم تتقيأها لا فائدة لك ! وصيَّرني منجذباً إليه بالباطن بالكلام ، ثم توجَّه إلى خارج المسجد ، فمشيت خلفه بلا اختيار ، وكنت أرمقه من بعيد ، فتوجَّه نحو سوق الخوش خارجاً من باب فيروز آباد ، فخرجت خلفه ، فأقبل على دكان يباع الأخشاب ، واشترى منه خشبتين كبيرتين ، كل منهما في

طول خمسة أذرع ، فطبق جبَّته ووضعهما على كتفه المبارك ، وأراد أن يحملهما ، فأدركته واستدعيت منه حمل أحدهما فقال : هو لك ، إن لم يكن ناموس المولوية مانعاً ، فحملت إحداهما على كتفي بالضرورة ، وتبعت إثره بكمال الانفعال ، وتقاطر عرق الخجالة عن جبيني وسال ، وطفقت أفتح عيني أحياناً ، وأغمض أحياناً ، ومولانا يمشي أمامي مع تمام فراغ البال ، وبسط الحال ، قائلاً : ظهرك ! ظهرك ! من غير تحاش ولا مبال ، حتى دخل من باب سور البلد ، فقلت في نفسي : يا ليته يتوجه من محلَّة پاي پاره فإنها خالية بالنسبة إلى السوق ، فتوجَّه على خلاف تمنّي نحو السوق ، فلما وصلنا قرب السوق قلت في نفسي : يا ليته يذهب من سوق الخوش ، فإنه لا يمكن لنا المشي من سوق الملك إلى زقاق نافذ إلى تحت المسجد ، ولما وصلنا إلى باب منزله ووضعت الخشبة على الأرض ظهرت لي في هذا الحال كيفيَّة عظيمة بيمن عنايته ، وبركة التفاته ، حتى حصلت لي نسبة الأكابر . فتشبَّثت بعد ذلك بذيل متابعته ، والتزمت صحبته . وكان الباعث على فراغي من التدريس أني جئت يوماً لملازمة مولانا حيث كوني مدرِّساً في مدرسة خواجه علي فخر الدين خارج باب الخوش ، وانتظرته في باب قصره ، فخرج بكيفية عظيمة ما رأيته بهذه الكيفية أبداً ، فتضرعت إليه ظاهراً وباطناً ، والتمست منه التفات الخواطر فقال :

مطلب

إن القلوب تقسو من المباحثة في العلوم[1] الرسمية .

ولذا قال الشيخ خواجه علاء الدين العطار قدس سره : ينبغي لطالب العلم أن يستغفر عشرين مرة بعد كل مباحثة في العلم ، والتفت إليّ مقارناً لهذا الكلام ، فظهر شمعٌ منوِّر في باطني فنوَّره ، بحيث استنار بنوره قواي وجوارحي ، وسرى أثره في جميع أجزاء أعضائي ، وحصلت لي حلاوة عظيمة . فقال مولانا في المحلِّ : ينبغي أن يحفظ الشمع المنوَّر من الريح المخالفة له لئلا ينطفىء ، فأذن لي بالانصراف ودخل بيته . فكنت مراقباً لهذا الشمع المنوَّر ، ومحافظاً عليه بمقتضى إشارته . وكنت حاضراً للوقت في المذاكرة ، إلى أن وقعت المباحثة يوماً بيني وبين واحد من طلبة العلوم في مسألة ، وتكلَّم فيها بكلام غير موجَّه ، وطال الكلام ، وانجرَّ الأمر إلى الإلزام ، فرأيت بعد الفراغ من إلزام الخصم أن ذلك النور قد أظلم وانطفىء الشمع ، فصرت محزونا غاية الحزن والملالة ، وتركت الدرس في وسطه ، وجئت بابه بنهاية الملالة والخجالة ، فخرج بعد لحظة ، ولما وقع نظره عليّ قال : يا أخي لا اجتماع لتلك النسبة مع استعمال الغضب . أما تعلم أن الغضب يأكل النسبة كما يأكل النار الحطب ! ويجعل ظرف الباطن خالياً عن نور المعنى ! فأطرقت رأسي وتضرَّعت إليه بالباطن تضرعاً تاماً ، وأجريت الدموع من عيني ، فترحَّم لي والتفت إليَّ ثانياً ؛ فتنوَّر الشمع المذكور ، فتركت الاشتغال بالإفادة ، وصرفت جميع همَّتي لحفظ هذه النسبة ، وكل شيء مانع عن ظهورها تركته بالتمام . ولما بلغ عمره خمساً وخمسين سنة تُوفِّي إلى رحمة الله تعالى في شهور سنة ٨٥٦ ، وقبره المبارك تحت مرقد مولانا سعد الدين قدس سرهما .

---

(١) وفي تفسير سلمي في تفسير قوله تعالى ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ في سورة الحديد : إن قسوة القلب من العلم أشد من الفسق (عله القسوة) بالفعل ، فراجعه . (العالم حسن رحمه الله تعالى) .

مولانا علاء الدين الآبيزي قدس سره

اسمه : محمد بن مؤمن .

مولده : آبيز ـ قرية في ولاية قوهستان ـ ، من أصحاب مولانا سعد الدين ـ قدس سره ـ ، ولازم مولانا الجامي بعده ملازمة تامة ، وكان له التفاتات كثيرة في حقه ، حتى قال يوماً : إن طينة مولانا علاء الدين وولده مولانا غياث الدين عجنت من تراب طاهر ، وكان كسبه ومعيشته تعليم الصبيان ، ستراً لأشغاله القلبية وأحواله الباطنية .

قال لمَّا قدم الشيخ خواجه عبيد الله أحرار ـ قدس سره ـ إلى هراة وجئت لملازمته سألني عن اسمي وكسبي . قلت : أنا فقير من فقراء مولانا سعد الدين ، وأشتغلُ بتعليم الصبيان في مُكيْتب . فقال : لا تقل مكيتباً ، ولا تصغِّر اسمه فإنه أمر عظيم .

ثم حكى عن مولانا سعد الدين حكايات كثيرة ، وأظهر لي التفاتات كثيرة ، وقال : كنت في المبادىء مشتغلاً بالعلوم في هراة ، ولما اخترت صحبة مولانا سعد الدين وقع الفتور في المطالعة ، وترددت في ترك التحصيل والاشتغال ، فخرجت يوماً من البلد متفكِّراً ، ووصلت إلى باب مدرسة فيروزشاه ، ودخلت مسجدها وأغلقت بابه عليّ ، وقعدت في المحراب ، وتفكَّرت في ترك التحصيل والاشتغال ، فسمعت من زاوية المحراب قائلاً : اطرح واسترح . فتغيَّر عليَّ الحال ، وخرجت من المسجد إلى خيابان ، ووصلت إلى تلّ الأقطاب ، وهناك مجذوب يسمَّى بنجم الدين عمر يسكن بمقبرة فيه ، فظهر هو لي من بعيد وله زمْزمة في نفسه فقلت : أذهب عنده وأستمع ما يقول ! ولما وصلت قال : ألم أقل لك في مسجد فيروز شاه اطرح واسترح ؟ ! فتحيَّرت من كلامه ورجعت . وغلبت داعية الترك والتجريد ، فجئت مولانا سعد الدين ، فرأيته في محلِّ خال في المسجد مراقباً ، فجئت عنده وقعدت . فرفع رأسه وقال :

اطرح وافرح مثلٌ مشهور ، وعليك بترك التحصيل الذي ليس له حاصل ، ولا يحتوي على طائل ، والتوجُّه إلى هذه النسبة بالكليَّة ، ولما سمعت منه الكلام تخلَّص الخاطر من التردُّد ، وأقبلتُ بجمعِ همَّتي على طريق خواجكان قدس الله تعالى أرواحهم . وحضرت يوماً في ملازمة مولانا سعد الدين فقال : اجلس خلفي . وكان من عادتي الصيحة في مجلس الوعظ ، ولما طلع الخواجه محمد الشمس الدين الكوسوي ـ قدس سره ـ المنبر ، وبدأ بالتكلُّم في المعارف والحقائق ، بلغ الأمر في ذلك الأثناء مرتبة ظهر فيَّ حال مقتضٍ للصيحة ، ولما أردتها لم يظهر منِّي صوت ، ثم ظهرت حالة أخرى مقتضية لها فلم يظهر كذلك ، ووقع ذلك ثلاث مرات ، فعلمت أنه كان محافظاً عليّ ولم يتركني . ثم رأيته في الأثناء قد غاب واستولى عليه الاستغراق والاستهلاك ، فعرضت لي حالة ظهر منِّي ثلاث صيحات متَّصلة ، ولما قمنا من المجلس . قال مولانا : يوشك أن تقعدك تلك الصيحات على زاوية . أي : تظهر فيك واردات وأحوال تحصل الصيحة حين استيلائها بلا اختيار . فمرضت وضعفت ، ولم تبق قوَّة الحركة ، وجزموا بموتي ، وتفكرت في الوقت قول مولانا ،

وأقول : إن قوله حقٌ ، ولم يظهر لي المعنى إلى الآن وأنا في حالة النزع ، فغلبني النوم في الحال فرأيت مولانا جاء عندي وقال : باسم الله ، حسبي الله ، توكَّلت على الله ، واعتصمت بالله ، فوَّضت أمري إلى الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . فاستيقظت وكانت الكلمات جارية على لساني ، فقويت للوضوء والصلاة قاعداً .

وقال : لما أمرني مولانا سعد الدين بالنفي والإثبات ، قال : ينبغي أن تعتقد أن الله سبحانه محيط بالأشياء كلها بالذات ، وآية ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ شاهدة له إن لم يؤوِّلها علماء الظاهر . فوقع عليَّ خوف من الكلام ، فحدس بالفراسة وقال : قال علماء الظاهر : إن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، بدليل قوله تعالى ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾

ينبغي أن يعتقد هذا ! فإنه لا بدَّ من هذا القَدَر ، فطاب قلبي . ولما جئت صُحبتَه قال : يا مولانا علاء الدين ! لا فائدة في ذلك ، بل ينبغي أن تعتقد أن الإحاطة والمعيَّة بالذات ، وهو معتمد أهل التحقيق . انتهى .

وأن إحاطة الحقِّ سبحانه بالأشياء ومعيَّته بها على وجهين : ذاتية وصفاتية .

والذاتية على قسمين : معية الذات بجميع ذرَّات الموجودات من غير كمّ ولا كيف بالعموم ، كما قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ ، ومعيَّة ذاتية اختصاصيَّة ، وهي خاصَّة بالمقرَّبين ، كما قال تعالى ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ .

والمعية الصفاتية معيَّة بحسب العلم والقدرة وسائر صفات الألوهية ، كما قال تعالى ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومقصود مولانا سعد الدين الأول من قسمي المعيَّة الذاتية والله أعلم .

وذكر ملاقاة مولانا علاء الدين الشيخ الكبير الحضرمي اليمني قدس سره إن مولده حَضْرَمَوْت بلد من بلاد اليمن . وساح في مباديء حاله أكثر ديار العجم والعرب ، ثم جاور الحرم الشريف المكي بعد عشرين سنة ، وكان في وقته شيخ الحرم ، ومرجع الطالبين . وكان مولانا علاء الدين مقيماً في الحرم ، ويتردَّد كثيراً إلى الشيخ وينظر بنظر عنايته ، وسمع منه المعارف واللطائف .

مطلب

قال مولانا علاء الدين : سألني الشيخ يوماً عن الظلم . قلت : هو وضع الشيء في غير موضعه . فقال :

القلب محلُّ ذكر الله فمن وضع فيه غير الله فقد ظلم ! وسألني عن الذكر . قلت : لا إله إلا الله . قال : ما هذا ذكر ! هذا عبارة . قلت : فما هو عندك ؟ قال : الذكر أن تعرف بأنك لا تقدر أن تعرفه ، وأن ينوي الصلاة هكذا : أعبدُ الله الذي لا أعرفه ؛ الله أكبر . وقال : ظهرت فيَّ حالة وشهدت أمراً منزَّهاً عن الكم والكيْف لا يمكن التعبير عنه ، فظهر في الحالة مولانا سعد الدين وقال : يا أخي ! احفظ هذه الحالة حفظاً قويّاً ، فإن الحالة معنى كلام الشيخ عبد الكبير حيث قال : ينبغي أن يقبل ويتوجَّه إلى الجهل .

قال : قويت فيَّ محبة الكعبة ، وبينما أنا في الطواف إذ هبَّت الريح أستار الكعبة ، وانكشف بعض جدرانها ، فحصل لي كيفيَّة وصيحة ، وسقطت مغشيّاً عليَّ ، فلما أفقت قمت خجلاً وتوجهت نحو الشيخ ، فقعدت عنده وأردت الشكاية إليه من بعض ما بي من هذه العلاقة ، وقال قبل ابتدائي بالكلام :

مهم

يا عجميُّ إيْش لك مع البيت ؟ فبكيت وتوسَّلت به بحسب الباطن ، فقال : ما ترى في البيت فهو غير محدود ، بل هو في الجبال والجدار ، والسماء والأرض ، والحجر والمدر موجود ، بل كلُّها هو ، هو الأول الآخر الظاهر الباطن ، وهو الله الذي لا إله إلا هو ، ونظرت في المحلِّ لكلِّ ما يشير إليه الشيخ بكمِّه فلاح لي منه ما كان موجباً لعلاقتي بالبيت ، وشوهد لي ذلك المعنى في الأشياء ، وتساوت حبِّي للبيت وغيره ، وتخلَّصت عن قيد الجهة بالباطن .

وقال : قد حضر في مجلس الشيخ جمع من مشائخ الحرم والعلماء والفقراء يوماً وهو يتكلَّم في المعارف ، فاعترض عليه من العلماء متقشِّف غليظ الطبع ، منكر أهل الله وكلامهم ، فناداه واحد من أعيان المجلس

أن اسكت . فقال : إن تكلَّمت بما يخالف الشرع فامنعوني ، وإلا فليش تمنعوني ! ؟ فلما قال الكلام توجه إليَّ وقال : يا عجمي خلصني منه . فقال المنكر : أظلمْتك أم جفوْتك ؛ لتطلب الخلاص ! تكلمت بكلام فحصلت لي منه شبهة ، فيجب عليك الجواب . فرأيت الشيخ توجه إليه بالغضب وقال : قل لي شبهتك . فأراد التكلم فلم يقدر ، فخرَّ على وجهه مغشيّاً . وقام الشيخ ودخل خلوته ، وتفرَّقوا وبقي المنكر مغشيّاً عليه ، فوضعوه في بساط وحملوه ، فقُبض قبل إخراجه من منزله . ولمّا جئته ثاني اليوم خطر لي أن الأولياء أهل الكرم ، وكان الفقيه جاهلاً غافلاً عن أحوال باطن أولياء الله ، فما كان على الشيخ لوعفى عنه ! ؟ فقال الشيخ : يا عجميُّ ! إن سيفاً صارماً ذا وجهين نصبوه على الأرض وأحكموه فيها ، وجعلوا رأسه في جهة الفوق فجاء جاهلٌ أبلهُ عرياناً ، وجعل صدره في رأس السيف ، وضرب عليه نفسه بقوَّته وهلك ، فما ذنب السيف فيه ! ؟

وسألني الشيخ يوماً : أنه ما يقول شيخكم وقت غضبه عليكم ؟ قلت : كان يقول : أنا رجل فقير فإذا حضرتم عندي تكونون على حذر ، ووقوفٍ على أنفسكم ، وحضور بالله ، وإذا خرجتم تنسون الله ولا تعرفونه أبداً ! قال الشيخ : فما تقولون في مقابلته ؟ قلت : نسكت . قال : يا عجباً ! ليس لكم همّة ، ينبغي لكم أن تقولوا : نحن لا نعرف الله بل نعرفك أنت ! . انتهى .

قال بعض الأكابر : إن الشيخ يرى نفسه في مرآة المريد ، والمريد لا يرى نفسه في مرآة الشيخ .

وسمعت شيخنا يقول : إن أنتم لا ترون الله سبحانه وأنا حيٌّ فمتى ترونه ؟ !

ذكر أنفاسه النفيسة قدس سره :

الأول ما نقله عن سعد الدين قال : قال شيخنا : كان الله ولم نكن نحن ، ويكون الله ؛ ولا نكون نحن ، والآن نحن معدومون أيضاً ؛ والله موجود ، فانظروا من تفارقونه بعد مائة سنة ، ومن تصاحبونه ، فكونوا الآن مصاحبيه ، واصرفوا قلوبكم عن كل ما يبلي في سرائركم .

وإن ما قاله الشيخ الهروي ـ قدس سره ـ من أنَّ التصوُّف كأنه تربةٌ ملينة ، قد رشت عليها موهبة ؛ فلا يصل إلى كفِّ الرجل منها ألم ، ولا يقع منها غبار على ظهر القدم ، ليس هو حقيقة التصوف ، بل هو رسم التصوف ، وحقيقة التصوف : الكون مع الله .

مطلب

أفضل العبادة

كان يوماً جمعٌ من الأصحاب على باب قصر مولانا ، فوقعت المباحثة بين شخصين منهم ؛ قال أحدهما : الذكر أفضل من تلاوة القرآن . وقال الآخر : بل التلاوة أفضل . فقال الشيخ : الكون مع الله أفضل من الكلِّ .

من كان حاضراً بالله فهو الآن في جنَّة صرفة ، ومن كان غافلاً عنه فهو الآن في جهنَّم صرفةٍ .

جاء يوماً واحد من ثقلاء الزهاد مجلس مولانا ؛ وفي يده عصاً وعلى منكبه رداء ، وقد ربط عليه مشطاً وسواكاً وسبحة ، فحصلت لي من رؤيته نفرة عظيمة ، واجتهدت في إبعادها عنِّي فلم أجد نفعاً . فلما انصرف قال مولانا : يا فلان ! كما أن أهل الآخرة يتنفرون عن أهل الدنيا ! فكذلك أهل الله يتنفرون عن أهل الآخرة .

امتدَّ يوماً سكوت شيخنا ، ثم رفع رأسه وقال : أيها الأحباب ! كونوا حاضرين ، إن الحبيب عين بعينٍ ، والله إن الحبيب آخذ بيدكم ، ودائر معكم على الأبواب في طلب نفسه .

مطلب

ثلاثة أشياء لازمة على الطالب

والثاني ما قال من نفسه قال : ثلاثة أشياء لازمة على الطالب لا بد منها : دوام الوضوء ، وحفظ النسبة ، والاحتياط في اللقمة .

معنى لا إله إلا الله

قال الأكابر في معنى لا إله إلا الله : إن الذاكر يقول في مرتبة سلوكه أحياناً : لا معبود إلا الله ، وأحياناً : لا مقصود إلا الله ، وأحياناً : لا موجود إلا الله . فما دام لم يشرع في السير إلى الله يلاحظ وقت الذكر لا معبود إلا الله ، وبعد شروعه فيه يلاحظ لا مقصود إلا الله ، وما لم ينته السير إلى الله ولم يضع قدمه إلى السير في الله فملاحظة لا موجود إلا الله كفرٌ .

مطلب

كل طالب لا يعدُّ السنة فرضاً على نفسه فهو من نقصان الدين . وكان بعض السنن فرضاً على النبيّ ﷺ ، وفي قوله تعالى ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ إشارة إلى هذا ، فلا بد من التزام السنة وآداب الشريعة كما ينبغي ، وكلُّ سعادة ظاهرية وباطنية موقوفة عليها . وإن نسبة الأكابر لا تحصل باشتغال بها ولا بغير اشتغال بها ، معناه : لا تحصل باشتغال ؛ إن كانت له قابلية ، ولا تحصل بغير اشتغال ؛ إن لم تكن له قابلية وإذا عمل

كلّ طالب مبتدىء عملاً صالحاً واستحسنه شخص فاستأنست به نفسه وطابت ! فليس ذلك الاستئناس على الطالب أقل من زنا ذي رحم مَحْرم .

وينبغي في الطريق أن لا يكون شيء ملحوظاً للطالب لا الدنيا ولا الآخرة ! فإن لم تكن نفس السالك بهذه المثابة فهو علامة على أنه خلق لمعرفة نفسه ، وإلا فهو مخلوق للجنة أو النار .

ومن لم يتخلَّص في هذا العالم عن قيد نفسه فروحه باقية بعد خراب البدن تحت فلك القمر .

فعرضت الكلام على مولانا الجامي ، لأنه من كلام الشيخ محيي الدين ابن عربي ـ قدس سره ـ وطلبت منه تحقيقه ، لأن أكثر المؤمنين يموتون قبل التخلص عن أنفسهم . فقال : كل من آمن بالله فقد حصَّل نقبة في الفلك ، فيعرج من تلك النقبة أخيراً ، وكمال الإسلام في التسليم ، فإن ألقى طوق اللعنة على عنق صاحب التسليم مثل إبليس ينبغي أن يرضى بفعل الله تعالى ، كما يرضى المؤمن بإيمانه ، فإن العبد الصادق من يرضى بقضاء الله تعالى ؛ لا بفعل نفسه . وإذا عرض لشخص شيء مكروه فإن كان عبد نفسه يغيِّره ذلك الشيء ، وإن كان عبد الله تعالى لا يغيّره ،

إذا كنت من نفع وضرٍّ مؤثراً فلستَ بعبد الله بل عبدُ هواكا

والأصل أنَّ كلَّ من لم يكن له عشق فالأمر حرام عليه . وقد أجاد من قال :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعيرٌ في الفلات سواء

مطلب

مرور النَفَس على غفلة يعدُّونه من الكبائر

ومَرُّ النَفَسِ على غفلة من الكبائر عندهم ، حتى عدّه بعضهم من الكفر . ويؤيده شعر ابن الفارض :

ولـو خـطـرت لي في سواك إرادة   عـلى خاطري سهواً حكمت بردَّتي

قال مولانا أبو يزيد البوراني ـ قدس سره ـ : كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامة ، كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواص . كما أنهم يؤاخذون بالمعصية ، كذلك الخواص يعاتبون على الغفلة .

وإذا جالس جمع فمن كان منهم راسخاً في طريقته يجذب الباقين إلى نفسه ، فإن الحكم للغالب . فينبغي أن تكون همة شخص بحيث إذا اقتدى به كل العالم يجذبه إليه ، ويصبغه بصبغه ولونه .انتهى .

مطلب

قال : إن الصياح من علامة الغفلة ، لأنه يحصل عند الحضور بالمعنى ، فإن كان حاضراً دائماً لا تظهر صيحة منه أصلاً ، فإن الحضور موجب للفناء والذهول ، ولا صياح في الفناء .

الوجد يطرب مَنْ في الوجد راحته   والـوجـد عـند وجود الحقِّ مفقود

قد كان يطربني وجـدي فأذهـلنـي   عن رؤية الوجد من بالوجد مقصود

قال الخواجه بهاء الدين قدس سره : الكاسب حبيب الله ، والمراد بالكسب هنا كسب الرضا . ومعنى الكلام : ينبغي للعبد أن يكسب ملكة الرضا بكل ما يفعله الحقّ سبحانه .

وفي الحقيقة يتيسَّر حصول المعنى إذا تحقق العبد بالفناء الحقيقي . والعوام يعرفون الحق سبحانه بالخلق ، والخواص يعرفون الخلق بالحق .

وقرأ يوماً حديث : « أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان » .

وقال : إن هذا التعليم كاف لمن كان له إدراك .

ووقعت في فكري أن الإيمان الشهودي هل هو من الأحوال الظاهرة أم الباطنة ؟ فسمعت وارداً أنه بالنسبة للعبد من أحوال الباطن ، وإلى الحقِّ من أحوال الظاهر .

فإن العبد يبلغ في الحال حقيقة باطنه ، ويتجلَّى له الحق سبحانه باسم الظاهر وصفة الظاهر .

وإن فرقتَ بين من يضع الحلواء في فمك ، وبين من يضرب بيده على قفاك ، فهو علامة النقصان في التوحيد .

وسألت يوماً مولانا الجامي قدس سره أنه قد ورد في الدعوات المأثورة : « أللهم أشغلنا بك عما سواك » فإن لم يكن سوى ، فما معنى الدعاء ؟ !

قال : إنَّ كاف الخطاب إشارة إلى نفس الذات . يعني اجعلنا مشغولين بنفس الذات عن غير الذات من الأفعال والصفات ، أي : خلصنا بالشهود الذاتي عن التجليات الأسمائية والصفاتية والأفعالية .

ولما قال الحسين بن منصور : (أنا الحق) . أراد به حقيقة نفسه ، وحيث قال فرعون : (أنا ربكم) أراد به صورة نفسه ، فلو عرف فرعون أيضاً حقيقة نفسه ؛ لكان قوله « أنا » مقبولاً .

ومن خوارقه للعادات : كان لمولانا علاء الدين إشراف على الخواطر ، ولما قدمت من ما وراء النهر لزيارته وعنده اثنان من الطلبة

يقرآن عليه « المصابيح » ، وبيده الكتاب المذكور ، وهو ناظر فيه ، فعلمت أن بصره ناظر إلى صورة الكتاب ، وقلبه مشغول بآخر ، فخطر في قلبي أنه كيف هذا التدريس ؟ يقرأ عنده جماعة وهو غير حاضر للدرس ! فأشرف الخاطر ، وقال متبسِّماً : وكثيراً ما قلتُ للأصحاب أنه ليس لي أهليَّة للتدريس ؛ ولكنهم لا يصدقونني ، فقل أنت ذلك لعلَّهم يقبلونه منك ! ! .

وقال ولده الأعز الأرشد غياث الدين أحمد : صعدت ليلة في أيام الحرِّ على سطح البيت للمنام ، وكان الوقت أوائل الشهر اتفاقاً ، فظهر نور القمر يسيراً ، وكان في اتصال منزلنا قصر لبعض أهل القرى ، وكانوا يتركونه خالياً في الأوقات أيام الحرِّ ، فسمعت صوت شخص من البيت فتقرَّبت إلى جنب السطح متعجباً منه ، ونظرت القصر فرأيت فيه رجلاً مع امرأة يتكلمان متقابلين متقاعدين ، فتأخَّرت في الحال ، وجئت إلى فراشي ، فلما صليت الصبح حضرت صحبة والدي وقعدت ، وقال : لا يجوز الصعود على سطح دار الجيران والنظر إلى قصرهم ، ما يصنع الإنسان بالصوت الواصل من بيت الجيران إلى سمعه ؟ ! فحصل لي يقين تام على أن لهذه الطائفة نظرٌ آخر وراء القوَّة الباصرة .

وقال أيضاً : ذهبت يوماً في شبابي مع جمع الطلبة إلى نزهة ، وكان معهم غلام صاحب حسن وجمال ، فنام وقت النوم في طرف رجلي ، ولما انطفى السراج وقع على قلبي وسوسة أن أمدَّ رجلي إلى طرفه ، وزاحم الخاطر مرتين وأكثر ، فقلت أخيراً في نفسي : إنَّ الوالد واقف على حالي ، وحاضر معي في الأوقات فيضرب الأمر على وجهي وقت حضوري عنده غداً ، فقبضت رجلي ونمت . ولما جئت في الصبح البلد وحضرته قال : إذا استحييت من مدِّ رجلك بتوهُّم اطلاع مخلوق عليه ، فالاستحياء من اطلاع الخالق المطّلع على أحوال الخلائق الحاضر معهم أزلاً وأبداً في الدنيا والآخرة ، وترك ارتكاب سوء الأدب أولى من ذلك !

ونقل واحد من أصحابه أنه قال : قد امتدَّ مرضه الذي مات فيه إلى خمسة أشهر تقريباً ، ولما جئت لعيادته في ابتداء مرضه وقعدت عنده قال : يا فلان ؛ قد قطعوا مائنا عن رأس النهر ، وأخبر بموته قبل ارتحاله بمائة وخمسين يوماً ، فسكت ساعة ثم قال : الله موجود ، وصاح مقارناً للكلام صيحة عظيمة ، وقال في صيحته : الله ! ثم قال : اسعوْا واجتهدوا أن تعبدوا إلهاً موجوداً لا إلهاً موهوماً .

وتوفّي يوم السبت أواسط جمادى الأخرى ؛ سنة ٨٩٢ ، ودفن تحت مرقد شيخه مولانا سعد الدين ـ قدس سره العزيز ـ وقيل في تاريخ وفاته ، شعر :

مرشد الخلق العُلا إذ قد مضى ... وترقَّى روحه العرشَ المنير
خاض فكري في حساب رحلته ... قال عقلي ها هو ذا رَفْتُ پير

مولانا شمس الدين محمد الروجي قدس سره .

من أجلَّة أصحاب مولانا سعد الدين قدس سره واشتغل بعده بدعوة الطالبين في جامع هراة سنين .

مولده : قرية روج ـ قرية على تسعة فراسخ من هراة ، على طرف القبلة منها ـ في ليلة براءة من شعبان سنة ٨٢٠ ، وقد توفِّي لوالدته ولد مقبول ابن خمس سنين فصارت من الحيثية مجروحة القلب ، فرأتْ النبيَّ ﷺ في المنام وقال : لا تحزني وطيِّبي قلبك ، فإن الله سبحانه يعطيك ولداً يكون صاحب دولة وعمر طويل .

فولدت مولانا محمد بعد زمان ، وكانت تقول له دائماً : أنت ذلك الولد الذي بشرني به . ومال ـ قدس سره ـ إلى الانقطاع عن الخلق دائماً في صغره ، واتخذ من بيته خلوة لنفسه وخلى فيها أكثر الأوقات ، وكان صنعة آبائه التجارة ، وكانوا أصحاب إبل وما رغب في طريقهم ، قال : كنت دائماً في تمنِّي رؤية النَّبي ﷺ في المنام ، فدخلت

البيت ورأيت والدتي قاعدة مع النساء ، وفي يدها كتاب تقرأه عليهنَّ ، فدخلت فيما بينهن على خلاف العادة ، فسمعت الوالدة تقرأ منه دعاءً وتقول : من قرأ الدعاء ليلة الجمعة مرَّات يرى النَّبي ﷺ في المنام . فلما سمعته زاد تمنِّي ، وكانت الليلة المستقبلة ليلة الجمعة اتفاقاً ، فقلت للوالدة : أنا أقرأ الدعاء في الليلة ، فعسى يحصل المقصود . فقالت : اذهب واقرأ ، وأنا أقرؤه . فقمت وجئت الخلوة ، واشتغلت بالدعاء برعاية شرائطه المذكورة .

مطلب

من صلى على النبي ﷺ ٣٠٠٠ صلاة يرى النبي ﷺ في المنام

وكنت سمعت أيضاً : أن من صلَّى على النبي ﷺ ثلاثة آلاف صلوات في كلِّ ليلة جمعة يرى النَّبي ﷺ في المنام . ففعلته إلى نصف الليل ونمت ، فرأيت في المنام نفسي خارجاً من بيتي ووالدتي قائمة ، فلما رأتني قالت : يا ولدي ؛ لِمَ أبطأت ؟ فإنِّي أنتظرك هنا ، وهذا رسول الله ﷺ نزل في قصرنا ! تقدم أذهب بك عنده ، فأخذت بيدي وذهبت ، فرأيت رسول الله ﷺ قاعداً على جنب الصفة ، جاعلاً ظهره إلى القبلة ، وحوله جمع كثير متحلِّقين ، وهو يرسل المكاتيب إلى أطراف العالم ، وبين يديه رجل يكتب ما يمليه ﷺ ، وأحسبه مولانا شرف الدين عثمان زيارتكاهي ، وكان من العلماء الربانيين وكُمَّل المتقين في زمانه ، ولما جاءت الوالدة بي لم تتوقف مقدار ما يفرغ رسول الله ﷺ ، بل قالت : يا رسول الله ﷺ ؛ إنك وعدتني بولد صاحب دولة وعمر طويل ، هل هو هذا أم لا ؟ فنظر رسول الله ﷺ إلى جانبي وقال مبتسِّماً : نعم ، هو هذا الولد . ثم توجه إلى مولانا شرف الدين عثمان وقال : اكتب له كتاباً ، فكتب مولانا في ورقة ثلاثة أسطر : وأنا أنظر إليه ، وكتب تحتها أسامي

كثيرة ، ثم طوى الصحيفة[1] وأعطانيها ، فلما انصرفت قلت في نفسي : أنا ما أعرف مضمون الكتاب ! فأرجعُ إليه ﷺ فيطلعني على مضمونه ، فرجعت وجئت عندهﷺ ، وقلت : يا رسول الله ؛ أنا ما أعرف ما كتبوا في الورقة ! ، فأخذها ﷺ من يدي وقرأها ، فحفظتها بقراءة واحدة . فطواها فأعطانيها ، ثم أردت أن أسأله ﷺ عن شيء آخر ، فسمعت صرير الباب فاستيقظت ، فرأيت الوالدة دخلت من الباب وفي يدها سراج ، فقمت من فراشي ، فقالت : يا محمد ؛ هل رأيت شيئاً في المنام ؟ قلت : نعم . فقالت : أنا أيضاً رأيت . فشرعت في قصة رؤياها ، وقصصت جميع ما رأيته من أوله إلى آخره بلا تفاوت .

ذكر أحواله :

وقال : كنت في ابتداء شبابي في روج ، فسألت بعض الناس عن أحوال أكابر هراة ومشائخ الطريقة ؛ لأصحب واحداً منهم ، فدلَّني على الشيخ صدر الدين الرواسي ، وقال : هو من خلفاء مولانا زين الدين الخافي ـ قدس سره ـ . فتوجَّهت إلى هراة ، وملت عن الطريق إلى مرقد الشيخ زين الدين ، وكان صدر الدين هناك ، وقدمت اشتغاله بالذكر مع أصحابه اتفاقاً ، فتوقَّفت زماناً في جنب حلقة ذكره ، وشاهدت صياحهم بالذكر ، فلم يناسبني أحوالهم ، فتوجهت منه نحو البلد ، فلقيت في الطريق الحافظ إسماعيل ـ صاحب مولانا سعد الدين ـ وقال لي من أين جئت ؟ وما مطلوبك ؟ فقصصت عليه القصة . فقال : اذهب إلى باب المسجد الجامع ، فإن هناك شيخاً جليلاً يجلس أحياناً في دهليز الجامع مع جمع من أصحابه ، فلعلَّ صحبته تناسبك ! . فتوجهت في الحال إليه ، ورأيت مولانا قاعداً في مقصورة الجامع مع أصحابه الأكابر بالسكوت ، فتوقَّفت خارج الباب ، وكنت أنظر إليهم متَّكئاً على الجدار ،

---

(١) أي : الورقة .

ولما رأيت سكوتهم وسكينتهم تفكَّرت في أحوال حلقة الشيخ صدر الدين وصياح أصحابه ؛ وقلت في نفسي : ما ذاك الصياح والاضطراب ؟ ! وما هذا السكوت والاطمئنان ؟ ! فرفع مولانا سعد الدين رأسه وقال : يا أخي ! تعالى عندي . فجئته بلا اختيار ، فأجلسني بجنبه .

مطلب

هيئة أدب العبيد

وقال :إذا كان واحد من عبيد السلطان شاهرْخ أو عساكره عنده ؛ وقال بصوت عال :شاهرْخ شاهرخ .فذلك نهاية سوء الأدب ، وغاية الحماقة ،فإن أدب العبيد والعساكر أن يكونوا عنده ساكتين ، واقفين من غير صياح ثم أنشد البيت :

ومـن عـادة الجهَّال من سوء فكرةٍ   نِدَاهم على من في حذاهم مصاحب

ثم نظر إلى يدي ورأى فيها خاتماً من قرن فقال :الأولى لمن يمدُّ يد الحاجة أن تكون يده خالية .فأخرجته من إصبعي في الحال . فقام ودخل المسجد ، فأشار إليَّ بعض الحاضرين أن ادخل خلفه فدخلتُ ، فقعد في محلٍّ ؛ وأقعدني بين يديه ، ولقنني الطريقة وقال : إن المسجد الجامع مكان حسنٌ فأقم فيه ، واشتغل بما أُمرتَ به . فاشتغلت بإشارته ، فاحسَّت الوالدة أيضاً هذا المعنى ، فجاءت حضور مولانا من روج ، وأخذت الطريقة . وقعدت ليلة مراقباً بعد التهجد في قبّة المسجد الجامع التى يُصلَّى فيها الصلوات الخمس بعد مرور زمان من ذلك ؛ فظهر نور كسراج ، واستنار به تمام القبة مثل النهار ، حتى شاهدت به تمام القبة ، وشرع في التزايد آناً فآناً ، حتى صار مثل المنار العظيم وبقي على ذلك مدة ، فحصل لي منه نوع غرور وعجب ، ولما أصبحت جئت مجلسه فنظر إليّ بنظر غضب ؛ وقال : أراك مملوء من رائحة الغرور ! وهل ينبغي لإنسان أن يكون مغروراً هكذا برؤية هذا القدر من نور الوضوء ؟ ! وقد

كان حين ملازمتي مولانا نظام الدين خاموشي يشتغل عن يميني وشمالي عشر أو اثنى عشرة مشعلة من نور وقت مشيي في الليلة المظلمة على الطريق ، وتذهب معي أين توجَّهت ، ولم يكن لي التفات إليها أصلاً ، ولم أحسبها شيئاً ! ثم قال : قم ولا تحضر عندي بتلك الصفة ثانياً . وطرَّدني عن مجلسه ، فخرجت مكسور الخاطر ، وبكيت واستغفرت من تلك الحالة ، واجتهدت في تطهير ساحة الخاطر عن رجس هذا الغرور ، فارتفع عنِّي ذلك بيمن التفاته . وظهر مثله لوالدتي أيضاً ، لكنها لم تقدر أن تتخلَّص عنه ، بل حصل لها من ذلك النور حظ تامٌّ وأنْسٌ .

وفي تلك الأيام أكثر شخصٌ من إظهار التواضع والمسكنة لي ، فقلت له : ما شأنك ؟ وما سبب التواضع إليّ ؟ قال : كنت مرة قاعداً في زاوية من المسجد الجامع في ليلة مظلمة ، فدخل فيه شخص من باب السقاية فاستنارت السقاية في نصف تلك الليلة المظلمة ، فلما نظرت إليه كُنْتَهُ ولم يكن معك سراج ! ! ولما خرجت صارت مظلمة أيضاً . فعرفت أنه صادق في تواضعه .

وحصل لي اضطراب قويٌّ لعدم حصول نسبة خواجكان ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ ، وكنت أضرب رأسي على الأرض في الليالي المظلمة في المسجد الجامع ، وأخرج في النهار إلى الصحراء أبكي وأتضرع ، وكنت على هذا الحال ثمانية أشهر تقريباً ، فرآني مولانا مرة باكياً ؛ فقال : ابكِ وتضرَّع كثيراً حتى تكون محلاً للرحمة ، فإن للبكاء والتضرع أثراً عظيماً ، وكان لي بكاء في أيام الشباب كبكائك . ثم نظر إليَّ بنظر التفات ، فظهر أثر من نسبة الطائفة في الجملة .

وكنت قاعداً ليلة في الجامع مراقباً فغلب عليَّ النوم قريباً من نصف الليل ، فقمت لدفع النوم ، فرأيت مولانا قاعداً وراء ظهري مراقباً ؛وأنا غافل عنه غير واقف على تشريفه ،فصرت منفعلاً منه ، وأردت أن أقعد خلفه ، فرفع رأسه وقال : يا فلان ! لم قمت ؟ قلت : غلب عليَّ النوْم

فأردت دفعه عني . فأظهر لي اللطف في تكلُّمه هذا ، حتى حصل لي طريق الأكابر بالتمام .

قال مولانا شهاب الدين البرجندي :حضرت صحبة مولانا سعد الدين فقال : قد حصل اليوم فتح عظيم ونسبة قويَّة لولد راعي الإبل ، حتى غبطته ملائكة السماوات السبع . ومراده بـ(ولد راعي الإبل) :مولانا محمد الروچي ، فإنه كان لأبيه إبل خاصة .قال : كنت في بدايتي في المسجد الجامع وفي يدي كتاب « المثنوي » ، فجاء مولانا وقال :ما هذا الكتاب الذي بيدك ؟ قلت : « مثنوي » ! . قال : لا يفتح الأمر من قراءة « المثنوي » ، بل اللازم السعي والاجتهاد .

وجاء مولانا يوماً حجرتي ورأى مصحفاً في الرف ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قلت : مصحف . قال : إن ذلك علامة البطالة ، وإن وظيفة المبتديء في سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات ، وإن تلاوة القرآن وظيفة المتوسِّطين ؛ والصلاة شغل المنتهين ، وهو(١) أهم المهمات للمبتدئين ، وترك الأهم والاشتغال بغيره بطالة .

وقال : كنت في ابتداء الحال قاعداً متربّعاً مراقباً في صحن المسجد الجامع فسمعت قائلاً : يا عديم الأدب ! أهكذا يقعد العبيد عند السلطان ! ؟ فوثبت بلا اختيار ، وقعدت على ركبتي ، حتى توجَّع توجعاً شديداً من شدة قعودي على الآجرِّ ، ولم أتربع ثانياً من الوقت أربعين سنة .

وتوجَّه مولانا إلى قرية جفاره لزيارة الشيخ بهاء الدين عمر قدس سره ، وكان راكب الحمار ، وأنا ماش أسوق الحمار ، وكنت أكلت الطعام بالليل فغلب عليَّ العطْش ولم يمكن شرب الماء ، فقال مولانا : أبِكَ عطش ؟ قلت : نعم . قال : إني أجد في نفسي عطشاً منذ خرجت من البلد ، وأعلم أنه ليس منِّي ، فاذهب واشرب الماء ، فإن عطشك أثَّر فيَّ ،

---

(١) أي : الاشتغال بالنفي والإثبات .(الأصل) .

فشربت الماء ، ولما نزلنا إلى منزل الشيخ أخذتُ عصاه ونعله ، وقعدت في محلّ بعيد عنهما ، وشرع الشيخ في التكلُّم مع مولانا ، وما كنت أسمع كلامهما لبعد المسافة بيني وبينهما ، فقلت في نفسي : لا ينبغي أن أقعد معطَّلاً ، بل أتوجَّه إلى الشيخ ، فاستقبلت نحو الشيخ ، فلما حاذى قلبي قلبه صاح وتوجَّه إليَّ ، وقال : ما فعل هذا ؟ ثم تبسَّم ، وتبسَّم حضرة مولانا أيضاً . وترتب على ذلك التوجه أثر عظيم مع قلة زمنه ، وعدم زيادته على لحظة ، وظهرتْ فيَّ كيفية عظيمة إلى خمسة ايام .

ثم سألت مولانا : ما وجه عدم طاقة الأكابر حين توجَّه إليهم واحد الفقراء على وجه الإخلاص ؟

قال : إن لهم دوام اتصال بجناب الحق تعالى ، فإذا توجه إليهم طالب يحصل لهم حجاب حائل بينهم وبين الله تعالى في مقدار ذلك التوجه ، فلا يطيقون ذلك .

وكنت قاعداً مرة مستقبل القبلة واشتغلت بالطريقة حينئذ ، فرأيت شَبَحاً ظهر أمام تخت المقرئين ؛ أسود اللون ، نحيف البدن ، طويل القامة ، بحيث يمسُّ رأسه سقف المقصور ، صغير الرأس مثل الجوز الهندي ، مفتوح الفم مملوء بأسنان بيض ، ورقبته رقيقة طويلة ،صغير الجسم ،طويل الرجلين ، وتوجَّه إليَّ وهو يضحك ويمشي إليَّ رويداً رويداً ؛ يعوج مرة ، ويستقيم أخرى ، ويتحرَّك بأنواع الحركات .فقلت في نفسي أنه شيطان يريد منعي من نسبة الأكابر وتضييع شغلي ، فأحكمت نفسي في الطريقة ، وصرت مشغولاً بالجد ، ويجتهد أيضاً في أشغالي عن أشغالي بما يمكن له من الحركات العجيبة ، والأمور الغريبة ، لكنه لم يتيسر له ذلك ، وكلما قرب مني كنت مشغولاً بحالي أزيد من الأول ، ولما وصل إلى غاية القرب مني ورآني غير ممتنع عن شغلي وثب وركب على رقبتي ، ولوى رجليه على خاصرتي مثل الجلود ، وتمكَّنت في شغلي مثل الأول وما اضطربت أصلاً ، فأخذ رجليه عن

خاصرتي بعد زمان ، وصعد إلى هواء كهيئة دخان واختفى ، فلم يظهر لي بعده شيء مثله .

وكنت في مباديء قاعداً عند والدتي ، فتوجه إليَّ واردٌ في غاية القوة ، فتيقنت أنه يسلب عني الشعور فقلت لها : قفوا عليَّ ، وأحصوا الصلوات التي تفوتني .ولما قلتُ ؛ غلبت الكيفية عليَّ ، وغبت عن الحس وسقطت مغشياً ، ولما فتحت عيني رأيت والدتي باكية عندي ، فقلت لها : ما بالك ؟ ولم تبكين ؟ قالت : كيف لا أبكي ! قد صرت ميتاً ثلاثة أيام ، وكلما صببت المرقة والماء في فيك لم يتجاوز حلقك ، فقطعت طمعي عن حياتك . ثم حسبت الفوائت فبلغت خمسة عشر صلاة فقمت وقضيت .

مطلب

الحال والمقام

قال : والحال في اصطلاح الصوفية ـ قدس الله أسرارهم ـ وارد ينزل على القلب بمحض موهبة الحق سبحانه ، وليس لصاحبها اختيار ، ومن جملة شرائطها أن يزول البتة ، وأن يرد عقبه مثله . ومتى كان حال السالكين ثابتاً فيهم ، وملكة لهم ، يقال لها حينئذٍ مقامٌ .

والمقام عندهم مرتبة من المراتب والمنازل ، تدخل تحت قدم السالك ، وتصير محل إقامته واستقامته ، ولا يتطرق إليها زوال . فالحال الذي تعلق وتعوِّق لا تدخل تحت تصرف السالك ؛ بل وجود السالك محل لتصرفه ، والمقام الذي تحت قدم السالك محل لتصرُّفه وتملُّكه ، ولذا قالوا : الحال من المواهب ، والتمام من المكاسب .

وقال لي يوماً مولانا سعد الدين : هل تعرف شيئاً من أحوال فلان ؟ ـ أي طالب علم غريب ، ثم اختار ملازمة مولانا وترك التحصيل ، وكان

على كمال الترك والتجريد ، وقليل الاختلاط بأصحاب مولانا أيضاً ـ . قلت : لا علم لي بحاله . فقال : استخبر عن حاله ولا تتركه حتى يخبرك عن حاله . فجئت عنده وقلت له : كيف حالك وبالك لا تخالط أصحاب مولانا ؟ وما سبب جلوسك في زاوية الحجرة منفرداً دائماً ؟ قال : أنا غريب ولا أرى في نفسي أهلية الاختلاط مع الأصحاب ، فلا أحب أن أزاحمهم وأضيِّع أوقاتهم . فألححت عليه وقلت :إن لك لشأناً ؛ وهو مانعك من الصحبة فلا بدَّ لك من إظهارها لي ! ! فقال : لم هذه المبالغة ؟ فقلت : أنا مأمور به من حضرة مولانا ، ولا أتركك حتى تطلعني على حالك . وقال : يا فلان لي حال عجيب ؛ وذلك أني أصلي العشاء مع الجماعة ، فأدخل حجرتي وأقعد مراقباً لحظة ، وأشتغل بطريقة ساعة ، فيفاض علي نور بلا نهاية ويحيط بي من جميع الجهات ، فأغيب عنده وتمتدُّ الغيبة إلى الصبح ، وأكون في النهار مستغرقاً في لذته وذلك حالي . ولما علمت طريقه كدت أن أحترق من الغيرة حتى جرى الدمع من عيني بلا اختيار ، وأثَّر كلامه في باطني فخرجت . فسألني مولانا في اليوم الثاني :ماذا علمت ؟ ! ومقصوده منه الإعلام لي بأن في أطرافه مثل هذا من الرجال ، وفي أصحابه مشتغل بمثل هذا الاشتغال .

وجاء يوماً الشيخ مظفر الكدكني من أكابر سلسلة الخلوتية مع واحد من مريديه لعيادة مولانا في مرض موته ، فقال بعد لحظة : أريد الاشتغال بالذكر على طريقتي إن أذن به مولانا . فقال له مولانا : يكون حسناً . فاشتغل الشيخ مع مريده بالذكر بالجهر ، ثم سكت وشرع في المراقبة ، ثم رفع رأسه وقال : أنت من السادات . قال مولانا نعم . قال الشيخ : فما وجه إخفائه مدة عمرك ؟ وإخفاء هذا النسب غير جائز ! قال لما توفِّي والدي بقيت شجرة وكتاب نسب فاستحييت القعود بهما وأتَّجر بالسيادة وذهابي بهما إلى الجوانب وأريهما الأحباب ؛ فوضعتهما في شق جدار وأحكمت فمه بطين ، وقرّرت في نفسي أن لا أخفي نسبي

عن السائل . ولما لم يسئلني عنه أحد مدّة عمري لم أظهره أيضاً لأحد . ولما سألتني الآن ما أخفيته عنك . ثم قال الشيخ : ما سبب إستفسارك عن سيادتي ؟ قال : شاهدت في المراقبة أن النَّبي ﷺ حضر وقال : ولدي سعد الدين ؛ أوصل إليَّ اثنين من أصحابه وبلَّغهما مرتبة الواصلين . فقال مولانا متبسِّماً : ينبغي أن يقول النَّبي ﷺ أزيد منه ! فقال مريد الشيخ : إن في أذن شيخنا صمماً يسيراً ، بل قال النَّبي ﷺ اثنين وثلاثين فسمع الشيخ اثنين . فقال له مولانا : الواقع ما قلته .

ذكر صحبة شمس الدين مع الشيخ عبد الكبير اليمني قدس سره قال : لمَّا وصلت إلى صحبة الشيخ أولاً كان في مجلسه أكابر ، فقعدت على عتبة الباب ، فرفع رأسه ونظر إلى جانبي وقال : من هو ؟ قال البعض الذي يعرفني :واحد من سلسلة النقشبندية . فقال هم المخلصون الصدِّيقون . قال : قال الشيخ : كان لي أب كان يمشي في الماء ، ويضع قدمه على الهواء ، ولكن لم يكن له رائحة من التوحيد .

وحضر في مجلسه يوماً العلماء والفقراء فقال الشيخ في سياق الكلام : إن الله تعالى ليس بعالم الغيب . فانفجع أكثر الحاضرين من الكلام ، وارتعدت فرائصهم من الخوف لكونه خلاف نص التنزيل ، ففطن الشيخ وقال :الأشياء كلّها شهادي بالنسبة إلى علمه تعالى ، والمعدوم لا يتعلق به العلم[1] ، وما وقع في القرآن بالنسبة إلينا لا إليه تعالى .

قال : كان الشيخ يحترز عن أكل اللحم ويقول : أتعجب من الناس كيف يضعون السكين على حلق ما له عينان ثم يطبخون لحمه ويأكلون ! وكان في الوقت بمقام الأبدال ، فإن تلك الخصلة خاصَّة بطبقة الأبدال فلا يقتلون شيئاً ولا يؤذونه .

---

(١) أي : الوجودي . أما العلم المطلق فيتعلَّق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على ما هي عليه .

وكان الشيخ صائم الدهر . وكان له خريطة فيها سويق وقدح من خشب ، فإذا جاء وقت الإفطار كان يخرج من الخريطة ويصبّ فيها من ماء زمزم ، ويخرج من السويق بإصبعه ويخلطه بماء زمزم ويأكل . وكان ذلك غذاؤه إلى ليلة ثانية .

قال مولانا شمس الدين : قال مولانا محمد الكوسوي : ينبغي للسالك أن يكون مثل الباز ، فإنه يطير مرة فإذا التقى صيداً فيها وإلا فيستقر ويروح . وأنا أقول : ينبغي أن يكون مثلهما ، فإنه لا يطير أصلاً ، بل يستريح دائماً ويقنع بكسرة عظم . يقول الناس من غاية الكسالة : نفعل غداً أمراً ، ولا يتفكَّرون أن يومَهم هذا غداً أمسهم . فماذا يفعلون في اليوم حتى يسوِّفوا الأمر إلى غدٍ ؟ وهذا مبيِّنة لمضمونه :

وما الدهر إلا ما مضى وهو فائت   وما سَوف يأتي وهو غير محصَّل
وعيشك فيما أنت فيه فإنَّه   زمَانُ الفتى من مجمل ومُفصّل

الخلوة في الجلوة

تكلَّم يوماً في معنى الخلوة في الجلوة ، وفي الكون مع الحق بالباطن ؛ ومع الخلق بالظاهر ، ثم أنشد :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي   وأَبحتُ جسمي من أراد جلوسي

قال : إن مثلي مثل طير مائي قاعدٍ على وجه البحر ، إن شاء يدخل الرأس في الماء ، وإن شاء يمشي على وجه البحر . وفي الكلام تحققه بمقام جمع الجمع ، وهو مقام شهود الحق والخلق معاً .

قال : قال الشيخ محيي الدين العربي قدس سره[1] : سرُّ ظهور العالم ينكشف بعد رياضات كثيرة ، فطلبت أحسن المعنى من الحق تعالى فلم تطق قوتي البشرية لتحمل ثقله ، وكاد أن يفارقني الوجود

---

(١) وراجع إلى ٨٠ .

العنصري ، وقرب خروج روحي من بدني ، فناجيت الله تعالى متضرِّعاً ليرفعه عني ، فأخفاه عني وأثره باق إلى الآن . وكلامي اليوم من قبيل : كلّميني يا حميراء . وتكلم بكلام كثير على خلاف عادته وقال :لو تركوني على اختياري ما أفلح فميّ بكلمة أبداً ، وإنما أتكلّم بالضرورة ، ثم أنشد البيتين :

ولقد أحدّثكم بأسرار الهوى   عـمـداً لـيَشْتُرَ سرّه إعلانُه
ولرّبما كتم الهوى إظـهاره   وَلربّما فضح الهوى كتمانه

ذكر خوارقه للعادات قدس سره

ذكر بعض أكابر رُوْج : كان لوالده جمَّال[1] غليظ الطبع فيتعهَّد إبله ، فركب مولانا محمد في صغره على جمل من جمال أبيه ، وأخذ يسوق الإبل إلى الجوانب ، ولم يكن الجمَّال حاضراً في الوقت ، ولما حضر ورآه شرع في السفاهة بمقتضى طبعه الغليظ الخبيث ، وأناخ الجمل ورماه عن فوقه إلى الأرض بشدة ، حتى صار مجروحاً ، فجاء بيته باكياً ، فعاتبت أمّه عليه ، ولما جاء الليل نام مولانا ونام الجمَّال قُرب معاطن الإبل على عادته ، ولما مضى زمان قام الجمل الذي ركب عليه مولانا محمَّد وجاء عند الراعي وأخذه تحت صدره ، وطفق يدوسه ويدُقه ، فانتبه الجمال وصاح صيحة عظيمة ، فاستيقظ به كلّ من حواليه ، وبادروا إليه ، ولما رأوه على الحالة شرعوا في دفعه ، لكنه لا يقوم ، بل يستمر على دوسه بقوَّته ، وتركوه مغموراً بالتراب . وكان القضية موجبة لزيادة عقيدة والديه وأقربائه .

وكان غلام مولانا مبتلى بالفسق ، فبينما هو على خشبة مربوطة بين مدرسة السلطان مرزا حسين ، مرخياً رجليه حين اشتغاله ببنائه ،

---

(١) أي :راعي الجمالات . (هامش الأصل) .

والناس يمرّون من تحتها ركباناً ومشاة ، إذ قدم مولانا محمد من مرقد مولانا سعد الدين في اليوم ، ومرَّ تحت تلك الخشبة ، ولما قرب إليه قبض الغلام رجليه ، وقام تعظيماً له ورعاية للأدب بناء على حسن ظنّه به ، وأظهر له التواضع . فكان رعاية الأدب منه في المحل في محل القبول عند مولانا ، فتوجَّه إليه وأمعن النظر ، وكان النظر سهماً صاده به ، وظهر فيه اضطراب عظيم ، حتى رمى نفسه من الخشبة إلى الأرض بلا اختيار ، وتوجَّه من ورائه ملطّخة اليد والرجل بطين ونورة ، ولحقه في باب المسجد الجامع ، فدخل مولانا منزله ، وذهب الغلام إلى سقاية المسجد واغتسل وخرج ، وخرج مولانا من منزله في الحال والتفته كثيراً ، ودخل المسجد ، والغلام أيضاً خلفه ، وعلّمه الطريقة بالنفي والإثبات ، وصار من المقبولين ، وترك الاختلاط والخمر ، واجتنب وأغلق باب المعاشرة ، ثم توفي بعد ثلاث سنين من إنابته ، رحمه الله تعالى .

وحكى واحد : كان مولانا قاعداً في الجامع مع أصحابه ، وكانوا مشغولين بما أمروا ، فقعدت مغمض العين ونفيت الخواطر ، فوقع في خاطري أن أكابر السلسلة لهم صرف الخاطر ، وتوجه الناس ، والتصرُّف في بواطنهم ، وما شاهدت شيئاً من مولانا ! وليس ممّن لا تصرُّف لهم ، بل في استعدادي نقصاناً وقصوراً ، وليس فيَّ قابلية التصرُّف . وتكرر الخاطر فارتعدت في قلبي ، وظهر في باطني تغيّر عظيم ،فرفعت رأسي فرأيته ينظر إليَّ متواتراً ، فتغيّر عليَّ الحال ، ونظر إليَّ بالحدة حتى ظهرت منّي صيحة بلا اختيار ، وسقطت مغشياً وبقيت مدّة ، ولما شعرت رأيته مراقباً ، وشاهدت في باطني كيفية عظيمة لم أشاهد مثلها قطّ ، وامتدَّ إلى عشرة أيّام ، ووصلت إليَّ لذّة عظيمة .

وأقول : كنت أذهب إلى الجامع لصحبة مولانا محمّد في مبادي حالي ، فصلَّيت خلفه ، فرأيته قائماً على رجله اليمنى فقط ، فوقع في قلبي أن من آداب الصلاة القيام على رجليه ! إلا أن يكون له مانع شرعي ،

فكيف يترك الأدب ؟ ولما فرغنا من الصلاة سكت لحظة ثم قال إليَّ : توجّه والدي يوماً إلى زيارة الشيخ بهاء الدين عمر قدس سرهما وأخذني معه ، وكان الشيخ حينئذ في زيارة كاه ، وكان الهواء في غاية البرودة حتى جمد الماء ، وأركبوني على حمار وغطّوا رجلي بالملحفة ، ولما خرجنا من البلد انكشف رجلي اليسرى ولم أخبره به حياءً منه ؛ ورعاية للأدب ، ولم أقدر حينئذ على تغطيتها ، وهبّت الريح الباردة وأثّر في رجلي ، ولمّا نزلنا الشيخ لم أجد فيها الحس والحركة اليسيرة إلا بعد مرور وقت كثير ، فتطرق إليها النقصان من اليوم حتى لا أقدر القيام عليها في الصلاة .

رأيت في المنام كأني قائم في صحن جامع هراة ، فظهر مولانا محمد فاستقبلته ، فرأيته عميت عيناه ، فتألّمت من مشاهدة الصورة ، ولما أصبحت جئت عنده مغموماً ، وتأمَّلت في عرض الرؤيا عليه ، فقلت في نفسي : لا أعرضها عليه ، بل أسكت وأنتظر ، ولعلّه يقول شيئاً ينحلّ به المشكل ، فامتدَّ الصحبة على السكوت ، ولم تَزُلْ الدغدغة عن خاطري ، فبدأ بالكلام وتوجَّه إليَّ وقال : إنَّ للإنسان بَصَرين : ناظر إلى عالم الملك ، وناظر إلى عالم الملكوت ، فمن رأى في المنام شخصاً قد كفَّ بصره الأيمن فتعبيره أن نظر ذلك الشخص مكفوف عن عالم الملكوت ، وتوجُّهه منحصر في عالم الملك ، وذلك حال أهل الحجاب . وإن رآه مكفوف البصر الأيسر تعبيره أن نظره منقطع عن عالم الملك ، وتوجَّهه منحصر في عالم الملكوت ، وذلك حال أهل الكشف ومرتبة الخواص . ومن رأى شخصاً من هذه الطائفة مكفوف البصرين فتعبيره أن نظره منقطع عن عالم الملك والملكوت والناسوت بالتمام ، وناظر إلى عالم الجبروت واللاهوت ، وهذا حال الأخص . انتهى .

عالم الملك والملكوت والجبروت
واللاهوت والناسوت

وإن عالم الملك في اصطلاحهم : عالم الشهادة . ويقال له : عالم الخلق أيضاً ، أي : عالم الأجسام والجسمانيات ، وهو من محدث فلك الأفلاك العرش الأعظم في الشرع إلى مركز كرة الأرض ، وهو عالم يتوقف وجوده على مدة ومادة .

وعالم الملكوت : عالم الأرواح والروحانيات من الملائكة وغيرهم ، ويقال له : عالم الأمر أيضاً . وهذا عالم لا يتوقف وجوده عليهما[1] ، بل وجوده بمجرد أمره تعالى بلا واسطة . وتسمية هذا الأمر عالم الأمر لكونه موجوداً بمجرَّد أمره تعالى .وقال الشيخ محيي الدين بن عربي ـ قدس سره ـ لعدم النهي فيه ، بل فيه أمر محض ، فإن استعداد أهل هذا العالم لا يتطَّرق إليهم المخالفة حتى يترتَّب عليه النهي .

وعالم الجبروت : عالم أسماء الله تعالى وصفاته .

وعالم اللاهوت :مرتبة الذات بلا اعتبارالأسماء والصفات .

وعالم الناسوت : عالم الجسمانيات . واللاهوت والناسوت متقابلان ، ومأخوذان من عبارة النصارى واصطلاحاتهم ، ويطلقهما الصوفية أحياناً : مرتبة الغيب والشهادة . والله أعلم .

ذكر انتقاله من الفناء إلى البقاء : وفاته ضحى يوم السبت ، السادس عشر من رمضان سنة ٩٠٤ . وقد سعى سعياً جميلاً في أوائل شعبان من السنة في المصاهرة للفقير مع خواجه كلان بن مولانا سعد الدين ، وحضر مجلس العقد مع مولانا عبد الغفور ـ رحمهما الله تعالى ـ ، فعرض له المرض بعد أربعين يوماً من ذلك . وابتدأ مرضه في التاسع من

---

(١) أي : على مدَّة ومادَّة . (هامش الأصل) .

رمضان ، وجئته للعيادة وقال : لا غلبة لأحد عليك بعد ذلك ، فكن في حمايته ،مرتجياً لعنايته ، ولْيَطِبْ قلبك .

وسأله بعض أصحابه في الأثناء بأن خدامك وأصحابك إلى من يرجعون بعدك ؟

فقال : إلى من كان اعتقادهم أكثر ؟ فقالوا : إن كانوا حولك وتوجهوا إليك . قال : ليس ببعيد ، وإن المتعيِّنين ينتقلون من صفة إلى صفة . فوقع في خاطري أن المتعيِّنين لمرتبة الولاية والإرشاد ينتقلون من الدنيا إلى الأخرى ، ويرتحلون من حال إلى حال ، فإنهم لا يموتون ، بل سينقلون عن دار إلى دار . وليس موجباً لانقطاع إفاضتهم ، بل يقع الفتور أحياناً في إفاضتهم حال كونهم في الوجود البشرية ، فإذا تخلصوا عن ذلك القيد وتخطوا في عالم البرزخ يكون إفاضتهم أكمل .

فسأله شخص عن المراقبة فقال : إن المراقبة التي اخترته نادر جداً ومستحسن ، ولكن حفظه عسير ، فاشتغلوا بالنفي والإثبات ، واطلبوا الحقيقة من أنفسكم دائماً ، ووردي الآن الله الله .

ولما كان وقت وفاته طلب تراباً وتيمَّم وصلَّى بالإشارة ، وفوَّض أمره بتمام الجد إلى نسبة خواجكان ، وفهم من كلامه الله الله . فقال واحد : لا إله إلا الله بصوت عال قاعداً بجنبه . فأشار إلى فمه بيده المباركة أن لا تقل لا إله إلا الله .فقال مولانا عبد الغفور للقائل : قل الله الله . فأشار إليه أن قل هكذا ، فانقطع نفسه قائلاً : الله الله . فحملوا نعشه يوم الأحد السابع عشر من رمضان إلى خيابان ، وصلى عليه الخاص والعام من أهل هراة في الجبانة ، ودفنوه خلف مرقد مولانا سعد الدين ، ثم بعد مدة نقلوه إلى قرب مرقد شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ـ قدس سره ـ وأنشدوا :

شيخ روج كان حقّاً بارعاً   في كمالاته كلّ العارفين
من حضيض الأرض طارت روحه   بالهنا جانب أوج العليّين
كان دهراً مرشدَ عصرٍ لذا   كان هذا تاريخ الموت اليقين

حضرة الخواجه ناصر الدين عبيد الله أحرار قدَّس الله تعالى سرّه ورضي عنه وأرضاه

لا يخفى أن أكثر آبائه من طرف أبيه وأمه كانوا أرباب علوم وعرفان ، وأصحاب ذوق ووجدان .

الخواجه محمد النامي قدس سره جدُّه الأعلى ، كان بغدادياً ، وقيل خوارزمياً ، ومن جملة أصحاب الشيخ العامل العالم الإمام الرباني : أبي بكر محمد بن إسماعيل القَفَّال الشاشي ـ رحمه الله تعالى ـ الذي هو من عظماء علماء الشافعية ، وأنه قال : جاء خواجه محمد النامي لزيارته وصحبته ، ودخل في قيد إرادته ، وقدم في رفاقته إلى شاش مع أحماله وعياله ، وأقام بشاش إلى آخر عمره .

الشيخ عمر الباغستاني قدس سره - باغستان قرية في شعب جبال تاشكند - جده الأعلى من طرف الأم ، ويتصل نسبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بست عشر واسطة ، وكان من كبار أصحاب قطب الواصلين الشيخ المجذوب المحبوب حسن البلغاري قدس سره ؛ مريد الشيخ شمس الدين محمد الرازي قدس سره ؛ مريد الشيخ حسن السقا قدس سره ؛ مريد الشيخ أحمد الغزالي قدس سره ؛ مريد الشيخ أبي بكر النساج قدس سره ؛ مريد الشيخ ابي القاسم الجرجاني قدس سره . ونسبته ذكرت إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم .

مولانا تاج الدين الدرغمي قدس سره من أجداده ، وكانت والدته من بنات أحفاده ، وكان من أكابر زمانه ، وعالماً بالعلوم الظاهرة والباطنة ، ومعروفاً بكمال التقوى والورع والفقر ، وموصوفاً بأوصاف عالية ، وكرامات ظاهرة .

وكتب الخواجه محمد پارسا قدس سره في حاشيته أوائل تفسيره لسورة يٓس : قال مولانا تاج الدين الدرغمي : إن تلاوة القرآن حق تلاوته أن يتلوه بحضور القلب والخشية ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء في نواهيه ، والاعتبار بقصصه وأمثاله ، والفرح والسرور بوعده ، والحزن والبكاء عن وعيده .

خواجه إبراهيم الشاشي ـ قدس سره ـ خاله : كان عالماً عارفاً ، فاضلاً كاملاً ، وله نصيب تام من أذواق هذه الطائفة ، وصحب السيد الشريف الجرجاني ـ رحمه الله تعالى ـ في مبادىء حاله بسمرقند ، واستفاد منه العلوم المتداولة في مدرسة تيمور الأعرج . وكان في ملازمة الخواجه علاء الدين العطار ـ قدس سره ـ مع السيد الشريف ، واستفاض في صحبته العلية هذه النسبة الشريفة ، وكتب البيت على لوح تعليمي :

وحال رجال الله في المهد ظاهر ولكنَّ كتم السرِّ للحر أحزم

مولانا شهاب الدين الشاشي قدس سره جدُّه لأبيه : كان صاحب آيات وكرامات ، وأحوال ومواجيد ، وكثيراً يصاحب المجانين والمجاذيب ، وفي أكثر الأوقات مشغولاً بالزراعة ، ويشتغل أحياناً بالتجارة ، وفي الأغلب لا يرافق أحداً في سفره ؛ بل وحده ، فمتى تعرَّض له قطاع الطريق كان ينادي المجاذيب بأسمائهم واحداً واحداً ويستمدُّ بهم ، وكانوا يحضرون في الحال ، ويخلِّصونه منهم .

خواجه محمد الشاشي قدس سره أخ الخواجه شهاب الدين لأبيه : كان له حظٌّ وافر من ذوق طور الولاية . قال شهاب الدين : ما دام أخي محمد لم يقبل جائزة خدَّازاد الحسني حاكم تلك الديار لم نحتج إلى وساطة أحد بيني وبينه ، بل كنا نعلم مقاصدنا من غير كتابة ولا إرسال قاصد ، ولما قبل منه شيئاً واختلط به فُقِدَ عنا ذلك المعنى بشؤم ذلك الاختلاط ، ومسَّت الحاجة إلى الواسطة من الكتابة وإرسال قاصد . ولا يخفى أن ولادة شيخنا عبيد الله أحرار ـ قدس سره ـ كانت في رمضان

سنة ست وثمان مائة ، وأنه لما ولد لم يقبل ثدي أمه حتى تطهَّر من النفاس وتغتسل ، ولم يرضع من لبنها أربعين يوماً . وقال : لما كنت ابن سنة وأرادوا حلق رأسي وأولموا وقع خبر موت تيمور الأعرج بين الناس ، واضطربوا شديداً حتى لم يبق لهم مجال أكل الطعام الحاضر ، فأفرغوا القدور وهربوا إلى رؤوس الجبال . وكان آباؤه الكرام في تلك الأيام في قرية باغستان ، وكان آثار الرشد وسيماء السعادة ، وأنوار القبول والعناية من الله تعالى ظاهرة وباهرة في جبينه من زمان صباه ، وكان إذا وقع نظر شخص على جماله كان يثني عليه ، ويدعو له بلا اختيار .

فـإذا رأى مـلـك الـسـمـاء جبينه   أثـنـى عـلـيـه جـمـيعهم وكواكبه

وكان نسبة الحضور بالله حاصلة له في صغره ، قال : كنت أحضر في المكتب في طفوليتي ، وكان قلبي حاضراً له تعالى في جميع الأوقات ، وكان اعتقادي في ذلك الوقت : كل من في الدنيا من الصغار والكبار على هذا الوجه ، ودخل رجلي مرة في طين وسقط نعلي وبقي فيه ، وكان الوقت فصل الشتاء ، والهواء كان بارداً ، وأنا وقتئذ في الصحراء ، فعرضت لي غفلة مانعة عن نسبة الحضور ، فلمْتُ نفسي في الحال ، وكنت مكسور الخاطر حتى غلب علي البكاء من غير إمهال ، وكان هناك غلام يزرع فقلت في نفسي ، أنظر إلى الغلام كيف لا يغفل عن الحضور ، مع شغله بسوق البقر وشقِّ الأرض ! وأنت غفلت بهذا القدر اليسير . وكان ظني حينئذ أن النسبة حاصلة لكل أشخاص كلَّ وقت .

ذكر أحواله : وقال : ما لم أبلغ ما كنت أعلم أن للناس غفلة ، ولما كنت ابن اثنتي عشرة سنة ما كنت أظن أن أحداً غافلٌ عنه تعالى ، وكان ظني أنه تعالى خلق الخلق كلهم على وجه لا يغفلون عنه لحظة ، ثم صار معلوماً أن الحضور إنما هو عناية من الله تعالى يختص بها البعض ، ويتيسَّر للبعض برياضات شاقة ، ولا يتيسَّر للبعض بذلك أيضاً .

وقال : كلما أردنا مع الأطفال في الصغر بلعْب ولهو كعادة الصبيان لم يتيسَّر أصلاً ، وكان يرى نفسه كأنه سيشتغل ، فإذا جاء وقت اللعب كان يهرب ويشاهد فيه معنى العصمة دائماً .

وقال : رأيت عيسى عليه السلام في المنام في الصغر قائماً على باب مرقد الشيخ أبي بكر القفَّال الشاشي ـ رحمه الله تعالى ـ فرميت نفسي على قدمه ، فرفع رأسي عن التراب وقال : لا تحزن ! فإني أريد أن أربِّيك . فوقع على خاطري نوع من تعبير هذه الرؤيا ، وقصصتها على بعض أصحابي ، فعبَّرها بالطب ، فلم أرضَ بهذا وقلت : إن تعبيرك ليس بمرضيّ ، وأنا عبَّرتها بوجه آخر : وهو أن سيدنا عيسى عليه السلام كان مَظْهَراً للإحياء ، فكل من ظهر من الأولياء بصفة الإحياء يقال له في هذا الزمان عيسوي المشرب .ولماّ التزم سيدنا عيسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ تربية هذا الفقير فلا جرم تحصل له صفة إحياء القلوب الميتة .

وقال : فشرَّفني الله تعالى بعد مدة بموجب التعبير بحالة وقوة ، حتى ظهر المعنى في عرصة الوجود ، ووصل كثير الرجال عن الغفلة إلى الحضور .

وقال : رأيت النَّبي ﷺ في المنام في مبادىء الحال ؛ واقفاً تحت جبل عال ، ومعه جمع عظيم من الصحابة وغيرهم ، فأشار إلي وقال : تعال ارفعني واصعد بي على الجبل ، فحملته على رقبتي ، وصعدت به على قلَّة الجبل ، فاستحسن مني ذلك وقال : كنت أعلم أن لك قوة على هذا ، والأمر يحصل منك ، لكن أردت إعلام ذلك للناس .

وقال : رأيت في مبادىء الحال خواجه بهاء الدين قدس سره في المنام قد جاء وتصرَّف في باطني ، حتى أعيت رجلي ومضى في سبيله ، وأوصلت إليه نفسي بكل وجه ممكن ، فأقبل إلي وقال : الله يبارك فيك .

قال : ثم رأيت بعد ذلك خواجه محمد پارسا قدس سره في المنام ، فأراد أن يتصرَّف في باطني ، لكنه لم يقدر عليه .

وقال : كان شيخ من مشائخ الوقت جادوشاً على باب مرزا ألغ بيك ، وكان يجلد الناس أحياناً ، ويضربهم سياسة وتأديباً . فأرسل يوماً قاصداً إلى تاشكند وقال : ليجمتع أولاد الشيوخ في المزار فإني أجيء لرؤيتهم . فاجتمع كلهم هناك ، وكانوا سبعة عشر ؛ وأنا أصغرهم ، ولما جاء شرع في المصافحة ، فكل من صافحه ظهرت فيه كيفية عجيبة حتى وقع على الأرض ، ولما انتهت النوبة إليَّ وصافحني ظهرت فيَّ أيضاً تلك الكيفية ، لكني بادرت وتعلقت به ولم أقع ، فعجب عني غاية العجب ، فقدمني على الكل مع كوني أصغر ! وكان في الكلام يتوجه إليَّ ، فوقع على خاطري في الأثناء أنه كيف اختار هذا الأمر الذي هو فيه ؛ مع وجود هذا التصرف والاستيلاء على الباطن ؟ ! فأشرف على هذا الخاطر وقال : إني كنت مريداً لخواجه حسن العطار ، وفي ملازمته بذكر القلب بالجدِّ لكن لم يفتح لي شيء ، فعرضت ألم قلبي على الخواجه حسن فقال : عليك باختيار خدمة في باب السلاطين ، فيمكن أن يصل منك مدد إلى المظلومين ، فأشار إليَّ بهذا الشغل ، وكتب توصيته إلى الأمير سعيد ، وكان من أمراء مرزا ألغ بيك ، وأوصاني أن أكون في كفاية مهمات المسلمين ، وإمداد الفقراء والمساكين بسعي بليغ دائماً ، وقال : إذا وقع مهمٌّ على مسلم وعجزت عن كفايته ينبغي لك أن تكون مغموماً ومحزوناً وأن تنام على ملالة فيرجى تلك المعاملة مفضية إلى فتح ؛ فكنت مشغولاً بموجَب أمره ، فتيسَّر لي في أثناء ذلك الشغل فتح عظيم ، وانحلَّت العقد .

قال : استولى التواضع والانكسار على باطني على وجه إذا استقبل إليَّ أحدٌ من عبيد وأحرار ، وصغار وكبار ؛ كنت أضع رأسي على قدمه ، وأطلب منه بَذْل الهمة والتفات الخاطر ، وكانت لوالدي زراعة في كلس ،

فأرسل مرة عندي مع واحد من الأتراك لأضعها في الأنبار ، فكنت مشغولاً بضبط الغلة ، وانصرف التركي في أثناء ، وظهر في باطني اضطراب عظيم ، ولُمْتُ نفسي على فوت التماس بذل الهمة منه ، وعدم تضرعي إليه ، ووجدت في نفسي حزناً قوياً ، فتركت الغلة وتوجهت خلفه بالسرعة ، فلحقته في نصف طريق البلد ، وقمت على ممره بالتواضع والتضرع ، والتمست منه توجه الخاطر ، والنظر في أحوالي بالالتفات ، وقلت :

عسى الله أن يرحمني ببركتك وتنحلَّ عقدتي ، فقال التركي متعجباً : أظنك تعمل بقول مشائخ الترك حيث قالوا :

وترقَّى على أوجِ المعالي بهمَّة   فليس له شيءٌ سِوَى ذاك سُلَّماً

يعني : كل مَن رأيته اعتقده خضراً ، وكل ليل أدركته اعتقده قَدْراً ، وإلا فأنا رجل من الأتراك أسكن البادية ! ليس لي حاصل ، حتى لا أغسل وجهي إلا عن ضرورة ، ولما كثر تضرعي ظهر في التركي أثر وكيفية ، فرفع يديه للدعاء ودعى بأدعية ، فشاهدت في قلبي من أثر دعاءه فتوحاتٍ كثيرةً .

وقال : لما كنت في هراة لم أكن مالكاً لفلس ، وكانت عمامتي خَلِقة ذات خروق كثيرة ، وكنت يوماً ماراً من سوق الملك ، فسألني سائل شيئاً لله تعالى ؛ وليس لي شيء أعطيه ! فأخذت العمامة من رأسي ورميتها إلى طباخ ، وقلت : إنها طاهرة ، فخذها تمسح بها القدور والأواني ، وأعطي في مقابلتها شيئاً لهذا المسكين . فأعطى الطباخ شيئاً للمسكين وأرضاه ، وردَّ العمامة إلي بتمام الأدب ، فلم أقبلها ، ومضيت .

قال : كان الأستاذ نرج التبريزي رجلاً صاحب عيار ، ورئيس الصيارفة والصباغين ، وكان له محبة تامة لأكابر النقشبندية ، وتشرَّف بأخذ الطريقة من محمد پارسا قدس سره ، وأنا ما كنت آكل طعام أحد في هراة ، ففطن لذلك ، فحلف في غرة شهر رمضان بالطلاق البائن :

ان آكل من طعامه وقت الإفطار ، فكنت أذهب إلى بيته في لياليها للضرورة ، فرأيت منه شفقات كثيرة ، وما كان لي في الوقت استعداد لمكافأته بالخدمة ، ولما حصلت لي قدرة المكافأة توفي إلى رحمة الله تعالى ، فأرسلت إلى ولده عشرة آلاف دينار . وكنت لا أقبل هدية أحد من ابتداء عمري إلى انتهائه .

وقال : لما كنت في هراة في بداية الحال وصلت إلى صحبة السيد قاسم التبريزي قدس سره فأعطاني مرّة نصف كأس من بقية طعامه ، وقال : يا شيخ زاده التركستاني ! كما أن هؤلاء الخبثاء كانوا قِباباً لي ؛ كذلك يوشك أن تكون دنياك قبة لك ، وما كان لي شيء من الدنيا في ذلك الوقت ، بل كنت على تمام الترك .

ولما بلغ عمره اثنين وعشرين جاء به خاله خواجه إبراهيم من وطنه إلى سمرقند ؛ بنيَّة تحصيل العلوم ، ولكن كان غلبة شغله الباطني مانعة له عن التحصيل الظاهري ، فلهذا مال إلى صحبة أعزَّة هذه السلسلة ، وأقبل إلى طلب هذا الأمر ، وطاف حول أكابرهم فيما وراء النهر مدة سنتين ، ثم توجه إلى هراة في سنة أربع وعشرين سنة ، وصحب مشائخ الوقت فيها مدة خمس سنين ، ثم رجع إلى وطنه ، وبلغ تسعاً وعشرين سنة ، واختار هناك أمر الزراعة ، ورزق الله سبحانه بركة كثيرة في زراعته ، وإن أمواله من الضِيَاع والعقار والسوائم والمواشي والأسباب والأملاك غير قابلة للقياس والحدِّ ، وخارجة عن دائرة الحساب . وسمعت بعض وكلائه يقول : إن مزرعته قد جاوزت ألفاً وثلاثمئة مزرعة .

وكان رضي الله عنه حريصاً بخدمة الأحباب والأجانب ، ومبادراً إلى شفقتهم في ابتداء حاله وانتهاء مراتب كماله ، وكان يسبق الجميع بالخدمة في المجالس .

وقال حين كنت في مدرسة قطب الدين بسمرقند كنت أتعهَّد ثلاثة أشخاص مبتلين بمرض الحصبة ، ولم يكن لهم شعور لشدة مرضهم ،

فيتلوث ثيابهم وفراشهم بنجاستهم ، وكنت أغسلها مراراً ، حتى ابتليت بمرض الحصبة بسبب تمريضهم ، وكنت محموماً في ليلة وجئت بأربعة كيزان من الماء وغسلت أثوابهم ، وكنت أذهب في الأسحار إلى حمام شيخ الإسلام خواجه عبد الله الأنصاري الهروي قدس سره ، وكان يتفق أحياناً خدمة خمسة عشر ، أو ستة عشر رجلاً ، وما كنت أفرِّق في تلك الخدمة بين الصالح والطالح ، وكنت أهرب منهم عقب الخدمة خوفاً من إعطاء الأجرة بمقابلتها .

مطلب

الخدمة التي تكون سبباً للقبول مقدمة على الذكر والمراقبة

قال : وينبغي أن يبذل الهمة ويصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت ، فوقت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل بها راحةٌ لمسلم ،فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدَّمة على الذكر والمراقبة .

مطلب

وزعم البعض أن الاشتغال بالنوافل أفضل من الخدمة ، وليس كذلك !فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب ، وما قيل : (جبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها) مبيِّن لهذا ، ولا مساواة بين ثمرات النوافل وثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً .

مطلب

قال : إن سبب عدم قبول خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سرهم خدمة الناس لكون الخدمة من الإحسان ، وحب المحسن ضروري ، والعلاقة على قدر المحبة ، ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمة وقطع العلاقة عنهم ، يجتهدون في الخدمة ، ويهتمُّون في ذلك

بقدر الوسع ، ويمتنعون عن قبول الخدمة ، وإنما يقبلونها من شخص يتفرَّسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم يوماً فيوماً ، لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم ، والتفات قلوبهم ، فيكون العالم منوَّراً ومعمولاً من جمعية باطنه .

وقال : ما أخذت الطريق عن كتب الصوفية ، بل عن خِدمة رجال ، لا أني أخذتها عنهم بالتعلُّم ، بل بخدمة تلك الخاصية . وأدخلوا كل شخص من باب ، وأدخلوني من باب الخدمة ، ولذلك كانت مرضية ومحبوبة ومختارة لديَّ . وكل من أتوسم فيه الخير آمره بالخدمة . ثم أنشد البيت :

وترقَّى على أوجِ المعالي بهمَّة فليس له شيءٌ سِوَى ذاك سُلَّماً

وكان عبيد الله أحرار قدس سره متصفاً بكمال الأدب ظاهراً وباطناً ، في خلاء وملاء ، وكان يراعي الآداب الظاهرية والباطنية ؛ في جلوة وخلوة ، ولم يتثاءب في أربعة أشهر ، ولم يخرج بلغم أو ريق من فمه المبارك بسعال أو غيره ، ولم يتربع في جلوسه في خلاء ولا ملاء في وقت مَّا . وكان قدس سره متصفاً بكمال الأدب ظاهراً وباطناً في خلاء وملاء ، ويراعي الآداب الظاهرة والباطنة . ودمت على ملازمته وخدمته في عتبته العلية أربعة أشهر أولاً ، وثمانية أشهر ثانياً فلم أر تثاؤبه في تلك المدة أصلاً ، وإخراجه ببلغم أو ريق من فمه بسبب سعال أو غيره وامتخاطه ، ولم أره متربعاً في جلوسه في خلاء ولا ملاء في أي وقت .

وقال مولانا أبو سعيد الأوبهي قدس سره : من ملازمي عتبته العلية خمساً وثلاثين سنة ؛ لم أر منه في خدمته إخراج جلد العنب أو بزره ، أو قشر التفاح والسفرجل وأمثالها من فمه المبارك ، وما رأيت منه التمخط ولا إخراج البلغم ، وما شاهدت منه أصلاً ما يكون موجباً لكراهة الطبيعة ونفرتها ، ولم تصدر حركة غير مقبولة عن عضو من أعضائه .

ولما قدم السيد النقيب عبد القادر المشهدي سمرقند في عهد السلطان مرزا أبي سعيد حضر صحبة شيخنا ، وكان يحكي أنه جاء ليلةً الأميرُ مزبد أرغون محلَّة خواجه كغشير لملازمته ، وأراد أن يحيي تلك الليلة في صحبته - وكان عبد القادر نفسه حاضراً في المجلس - ولما صلينا صلاة العشاء ؛ قال الشيخ : إن الأمير مزبد ضيفنا يريد إحياء تلك الليلة معنا ، ورعاية جانب الضيف لازم ، فأريد أن أقعد مع بعض الأصحاب ، وأنت شاب لا تطيق القعود ؛ فاذهب ونم ، وإن أردت أن تقعد معنا تحضر وقت السحر . قلت : إن أذنت أنا أيضاً أقعد معكم . فقال : إن وجدت في نفسك قوة على القعود فلا مانع . فقعدت في المجلس مع ثلاثة أشخاص أخر من أصحابه ، وكنت مترقباً من أول الليل إلى طلوع الفجر لأحواله ، فلم يغير جلوسه على ركبته أصلاً ، ولم تصدر عن عضو حركة مطلقاً ؛ إلى أن قام للتهجد ، ولما فرغ منه قعد أيضاً على الموضع الأول ، وعلى قرار واحد ، بالتمكُّن والوقار ، بلا نوم ونعاس إلى أن طلع الفجر ، وكنت أتقلب في الجلوس من رجل إلى أخرى في كل ساعة أو ساعتين ، مع وجود قوة الشبابة فيَّ ، وأتكلف في دفع النوم وإبعاده ، وقلَّ تحرك الأمير مزبد أيضاً ببركة التفاته ، مع كونه مرطوباً ، ولم تظهر منه أيضاً مقدمات النوم ، وكانوا مراقبين إلى الفجر ، ثم قاموا وصلوا الصبح بوضوء العشاء . فصارت مشاهدة تلك الحالة موجبة لتحيُّر هذا الفقير وتعجُّبه ، وسبباً لزيادة إخلاصه .

واعلم أنه لم يكن لكَرَم شيخنا ولطفه نهاية ، وكان يختار المحنة والمشقة على نفسه دائماً ، ويؤثر خَدَمه وأصحابه بفراغ وراحة على نفسه دائماً .

وكتب المير عبد الأول في مسموعاته : توجَّه شيخنا مرة إلى ولاية كش ، ومعه جمع من أصحابه وخدمه ، وكان الوقت حينئذ أوائل الربيع ، فأدركهم الليل فنزلوا على شعب الجبال بالضرورة ونصبوا خيمة ، فجاء

المطر بعد صلاة المغرب ، فقال شيخنا : إن لي تردداً في طهارة تلك الخيمة ، فلا أقعد أنا فيها ، بل يقعد الأصحاب ، وبالغ في هذا الباب ، ولم تكن معهم خيمة أخرى ، فقعد الأصحاب والفقراء في تلك الخيمة بموجب أمره والشيخ خارجها ، واستمر المطر إلى الصبح ، وجرت السيول ، ولما طلع الفجر وصلينا صلاة الصبح قال شيخنا لطفاً وعناية لبعض أصحابه : استحيت أن أقعد أنا في الخيمة والأصحاب في المطر . فعلم أن ما قاله في حق الخيمة كان لطفاً منه ، ليقعد فيها الأصحاب بلا تشويش وانقباض .

ونقل بعض الأصحاب أنه لما توجه شيخنا مرة إلى طرف مزرعة « بزاورد » في غاية شدة الحرارة من الصيف ، ورافقه جمع من أصحابه ، وكان لحارثي تلك المزرعة بيت صغير مصنوع من لبد ، فنصبوه لشيخنا ، فثقل على الأصحاب قعودهم معه في ذلك البيت الصغير ولم يكن مظلة غيره ، ولما شرعت الحرارة في الاشتداد طلب شيخنا فرسه وقال : أريد أن أتفرج بعض مواضع الصيد . فركب وذهب في الصحراء ، وطاف في حرارة الشمس ، ولما بلغت حرارة الهواء غايتها انحدر إلى بعض مسيل الماء ومجرى السيول واستراح ، جاعلاً رأسه المبارك في ظل جانب ذلك المسيل وطرف المجاري ، فإن ظله لم يكن بحيث يستر تمام بدنه ، ولما اعتدل الهواء جاء البيت عند الأصحاب ، وكان ذلك شغله ومعاملته في كل يوم مدة إقامته في تلك المزرعة ، فتيقَّن الأصحاب أخيراً أنه إنما يختار ذلك لراحة الأصحاب وفراغهم . رضي الله عنه وعنا ، وعن جميع سلسلة السادات النقشبندية ، قدس الله تعالى أرواحهم العلية ، ورزقنا من بركاتهم وفيوضاتهم الجلية ، آمين يا وهَّاب .

وقال قدس سره : اجتهد خالي خواجه إبراهيم لاشتغالي بالعلوم ، وجاء بي من تاشكند إلى سمرقند لهذا ، وكل ما اجتهد في إقرائي عرض لي مرض مانع عن التحصيل ، حتى مَرَضُ الحصبة وقوى ، فقلت له : إن

لي حالاً لا أقدر معه للتحصيل ، وأنت لا تتركني ، فإن زدت في المبالغة أخاف الهلاك ، فتأثر من الكلام وقال : ما كنت عالماً بحالك ، فتركتك بعد ذلك ، فاشتغل بأي طريق يريد قلبك . وكان يداوم على ملازمة مولانا نظام الدين الخاموش ، مع مولانا سعد الدين الكاشغري حين إقامته بسمرقند في أول قدومه .

قال واحد من أصحابه : كنت يوماً عنده فدخل عليه شاب نوراني غاية النورانية ، ومهيب نهاية المهابة ، وجلس زماناً وقام ، ولما خرج سألت مولانا : من هذا الشاب ؟ قال : هو خواجه عبيد الله ، يوشك أن يكون سلاطين الزمان مطيعاً له .

وقال : كان والدي من معتقدي مولانا نظام الدين ، وكان يقيم في منزلنا ، وكنت صغيراً في الوقت ، وكان يوماً مطرقاً مراقباً ووالدي مشغولاً عنه بشيء ، فرفع مولانا رأسه بغتة وصاح صيحة عظيمة . فترك والدي شغله ، وسأله عن سبب صيحته فقال : قد ظهر شخص من جانب الشرق يسمى خواجه عبيد الله ، وأخذ تمام الأرض ، فما أعظمه شيخاً !

ولما قام في مبادئ أحواله زماناً بسمرقند مال قلبه للسفر منه إلى بخارا ، وصادف في الطريق سراج الدين البيرمسي ، وصحبه هناك أسبوعاً ، ثم توجُّه إلى بخارا ولقي فيه حسام الدين بن حميد الدين الشاشي ، وصحب الشيخ علاء الدين الغجدواني هناك مدة ، ثم توجه إلى خراسان ، وقدم هراة من طريق مرو ، وأقام فيها أربع سنين متواليات ، وحضر في تلك المدة صحبة السيد قاسم التبريزي ، والشيخ بهاء الدين عمر قدس سرهما في أكثر الأوقات . وكان يحضر صحبة الشيخ زين الخافي قدس سره أحياناً ، وتوجه بعد تمام أربع سنين إلى ولاية حصار من طريق بلخ بنية نيل شرف صحبة مولانا يعقوب الچرخي قدس سره ، ووصل في بلخ إلى صحبة حسام الدين پارسا ، وتوجه منه إلى صفانيان لزيارة مرقد خواجه علاء الدين العطار قدس سره ، ثم توجه إلى هلفتو ،

ولقي هناك مولانا يعقوب الچرخي ، وبايعه ، وأخذ عنه الطريقة قدس سرهما ، وبقي في سرّه ذلك مدة ثلاثة أشهر ، ثم رجع ثانياً إلى هراة ، وأقام بها سنة تقريباً ، وداوم على صحبة أكابر الوقت ، ثم عاد إلى وطنه المألوف بعد إقامته في هراة خمس سنين ، واختار أمر الزراعة بتاشكند .

نبذة في ذهاب عبيد الله لملاقاة شيخه

مولانا يعقوب الچرخي قدس سرهما

قال : لما وصلت إلى چل دُختُرَان حين ذهابي إلى هراة أول مرة رأيت فيه تاجراً في غاية الحسن والجمال ؛ قاعداً على باب رباط ، وفهمت أنه مشتغل بطريقة خواجكان فسألته : عمن وصل إليك الطريق ؟ فأظهر الحال في الحال وقال : وصلت إليَّ النسبة عن شيخ في هلفتو من خلفاء خواجه بهاء الدين ، يقال له يعقوب الچرخي قدس الله سرهم ، وبيَّن لي فضائله وشمائله . فأردت أن أرجع من المحل ثم أبادر بعد ذلك إلى صحبة مولانا يعقوب ، لكن ذهبت إلى هراة ، فاتفق لي هناك لبث أربع سنين ، فبعده توجَّهت إلى هلفتو ، ولما وصلت إلى ولاية صفانيان لم أقدر أن أخرج منها بسرعة بسبب المرض والحمى الباردة مدة عشرين يوماً . وخاض بعض الناس بنواحي صفانيان في غيبة مولانا يعقوب الچرخي قدس سره ، فوقع فتور عظيم في قصد الملاقاة له بسبب استماع كلماتهم البعيدة عن الصواب وقت المرض ، فقلت في نفسي : قد قطعت هذه المسافة البعيدة فلا يحسن الرجوع من غير ملاقاته ، فتوجَّهت نحوه ، ولما وصلت إليه ولقيته أظهر لي التفاتاً كثيرة ، وكلَّمني من كل باب ، ولما جئته في اليوم الثاني أبرز لي غضباً كثيراً ، وتلقاني بخشونة وغلظة ، فوقع على قلبي أن حكمة غضبه إنما هي لاستماع تلك الغيبة ، والفتور الواقع بسبب ذلك الاستماع ، وإن لم يصرح بها ، ولكن قال : أيسهل أن لا يرى شخصاً قبل شهرين ؟ فتيقَّنت منه أن سبب غضبه

كان استماع هذه الغيبة . ثم أظهر اللطف في تلك الصحبة بعد ساعة ، وأكثر من العناية والالتفات ، وبيَّن كيفية ملاقاته حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره ، ثم مدَّ يده للبيعة بعد ذلك ، وقال : تعال وبايع . فلم تقبل طبيعتي أن آخذ يده لبياض كان في جبهته ، يشبه برصاً موجباً لنفرة طبيعية ، فتفرَّس ذلك ، وردَّ يده بسرعة ، وبدلَّ صورته بطريق الخلع ، وظهر في صورة حسنة بطريق اللبس ، فخرج الاختيار عن يدي حتى كدت أن أتعلق به من غير شعور ، ثم مدَّ يده ثانياً ، وقال : إن الخواجه بهاء الدين قد أخذ بيدي وقال : إن يدك يدي ، فمن أخذ بيدك فقد أخذ بيدي ، فخذ بيد خواجه بهاء الدين ، فأخذت بيده بلا توقف . ثم قال لي - بعد تعليم طريق خواجكان بطريق النفي والإثبات ؛ الذي يقال له الوقوف العددي - : إن هذا الطريق هو الذي وصل إليَّ من خواجه بهاء الدين قدس سره ، فإن بدا لك أن تربِّي الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار في ذلك .

قال بعض أصحاب مولانا يعقوب الچرخي قدس سره له : لقَّنتَ الطريقة طالباً في هذا الوقت ، ثم قلت له عقب ذلك : فإن بدا لك أن تربي . . إلخ ! فكيف يمكن الإجازة في هذه المدة اليسيرة ؟ فقال له مولانا يعقوب : ينبغي للطالب أن يحضر هكذا ، قد هيأ جميع أموره ، وإنما كان موقوفاً على الإحازة فقط ، وله قوة لكل ما قبل .

ذكر المعاني واللطائف المتعلقة بالآيات والأحاديث :

قال في معنى الحمد لله : للحمد بداية ونهاية ، فبدايته : حمد العبد في مقابلة نعمة وردت إليه لعلمه أن الحمد يزيد النعمة ، ونهايته : حمد العبد في مقابلة نعمة كانت سبباً لقرب الحق سبحانه وتعالى ، مثل القوة التي يقوم بها بحق العبودية من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، وأمثالها ، بل نهاية الحمد أن يعلم العبد أن ليس في مظهره غير الحق سبحانه ؛

ولا كمال للعبد غير أن يعلم أنه معدوم صرف ، لا ذات له ، ولا صفات ، ولا أفعال ، وسير نفسه بهذا الفكر ، أعني أنه تعالى قد جعله مظهراً لصفاته .

قال في معنى قوله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ : إن الشكور في الحقيقة هو مَن يشاهد المنعم في النعمة .

وقال : قال الإمام الغزالي قدس سره : إن التلذُّذ بالنعمة لا ينافي الشكر لو كان التلذذ من جهة كونها سبباً للوصول .

قال في معنى قوله تعالى ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إن للكينونة معهم معنيين : كينونة بالصورة ؛ وهي التزام مجالسة أهل الصدق ومصاحبتهم ، حتى ينور باطنه بأنوار صفاتهم وأخلاقهم ، بسبب دوام الصحبة معهم . وكينونة بحسب المعنى ؛ أن يلتزم طريق الرابطة بالباطن بطائفة يستحقون الوساطة . ولا تنحصر الصحبة في المجالسة الصورية والنظر بالعين ، بل ينبغي أن يجعل الصحبة دائمة . ولما كان للإنسان استعداد تام للتأثر ممن يصحبه ويجالسه ، كان مأموراً بهذا الأمر . وأي عمل يعدل ويقابل جذبة واردة من طرف الحق سبحانه ببركة صحبة الصادقين ؟ ! وجذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين مؤيد لهذا .

قال في معنى قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ إن المراد كن متوجِّهاً إلى نفس الذات دون الصفات .

قال في معنى قوله تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ المراد من الملك قلب السالك ، يعني لما تجلىَّ الحق سبحانه للقلب بقهر الأحدية لا يترك فيه شيئاً غيره ، فيلقي إليه صدى لمن الملك اليوم ، فإذا لم ير في تلك المملكة غيره يجيب تعالى بنفسه بالضرورة بقوله : لله

الواحد القهار . وصدى سبحاني ما أعظم شأني ، وأنا الحق ، وهل في الدارين غيري ، وأمثالها كلها من هذا المقام .

القناعة

قال في حديث « القناعة كنز لا يفني » : القناعة عندنا أن لا يميَّز الإنسان بين خبز شعير ناضج وبين غير ناضج حين وجده ، وأن يأكل مه شيئاً ما يقدر به أن يحرك يديه ورجليه للصلاة . وينبغي العيش على وجه تيسير ذلك العيش دائماً ، وأن يقنع في الأكل واللبس بما لا شيء أدنى منه ، ثم فتح يده المباركة وقال : إذا جاع شخص يكفيه كفة من الأرز أو الدقيق . فمن اعتاد هذا استراح .

قال في خبر « التكبر على المتكبر صدقة » : التكبُّر نوعان : أحدهما مذموم ، والآخر محبوب ، فالمذموم : هو التعظم على خلق الله تعالى ، والنظر إليهم بعين الحقارة ، وأن يرى نفسه فوق الناس . والمحبوب : عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى والتعظم على غير الحق ، بمعنى أن يرى غير الحق سبحانه حقيراً عديم المقدار ، وقطع العلاقة عنهم . وهذا التكبر منك يوصل إلى مرتبة الفناء .

قال : ورد في الحديث « شيَّبتني سورة هود » وذلك لورود الأمر فيها بالاستقامة كما في قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ والاستقامة أمر في غاية الصعوبة ، فإنها استقرار في حدٍّ أوسط في جميع الأفعال والأقوال ، والأخلاق والأحوال ، على وجه لا يقع التجاوز عما هو ضروري في جميع الأفعال ، ويكون محفوظاً عن طرفي التفريط والإفراط ، ولهذا قيل :

مطلب

العبرة بالاستقامة ولا اعتبار لظهور الكرامات

قال في معنى حديث « لي مع الله وقت » : أي وقت مستمر شامل لجميع أوقاته ، يعني كان لسرِّه ﷺ اتصال وارتباط بالحق سبحانه على سبيل الدوام ؛ على وجه كان لا يتسع شيئاً غيره أصلاً ، ولكن كان مدركته ﷺ المسماة بالقلب تسع كل شيء في وقت واحد ، من مصالح الدنيا ، ومحاربة الأعداء ، ومباشرة الأزواج ، وغيرها .

وقال البعض : معنى الحديث وقتٌ عزيزٌ نادرٌ ، ويحصل هذا الحال للكاملين على سبيل الندرة .

قال في معنى الحديث « أدبني ربي فأحسن تأديبي » : بأن أعطاني الجامعة لجميع خصال النعوت المرضية ، والخصال الحميدة التي تقتضي ما يلائم حضرة المحبوب ، كيف لا يكون مقهوراً ومدفوعاً ما لا يكون ملائماً ومرضياً لحضرة المحبوب عند ظهور سطوة سلطنة المحبة التي هي قطب دائرة التوحيد ؟ أم كيف لا تحصل الخصال الحميدة والأخلاق المرضية بعد حصول المحبة ؟ بل لا يستعمل المُحبُّ نفسه إلا في مرضيات حضرة المحبوب وملائماته ، لكونه مطلعاً على جميع دقائق مرادات حضرة المحبوب .

ذكر ما يتعلق بمعاني كلمات الأولياء :

صاحبوا الله ، فإن لم تطيقوا فصاحبوا من يصاحب الله . أنَّ المراد الحضور والشعور اللازمان للصحبة .

وورد في التوجه الإيجادي للإنسان : خلقت بيديَّ ، أي بالأوصاف المتقابلة ، يعني فيه من جميع الأوصاف ، ومن جملتها الحضور الذاتي ، فإن الله تعالى حاضر لذاته بذاته أبداً وأزلاً ، فظهر منه أن الحضور والشعور

في أفراد الإنسان ليس منهم ، بل من أشعَّة شمس الحضور الذاتي التي انعكست في جدران المظاهر ونورتها ، ولا كمال للإنسان غير تحقيق حاله ، وعلمه بأن ما حصل فيه من الحضور وغيره ليس منه ، بل منه تعالى ، ولا حقَّ له في ذلك .

قال في تحقيق ما قاله بعض المحققين : لو أقبل صدّيق على الله تعالى ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فما فاته أكثر مما ناله . إن تلك الطائفة قد يصلون إلى مقام يكتسبون فيه في نفس واحد جميع الكمالات التي اكتسبوها فيما قبل .

وفي حكاية أن بعض الأشقياء سعى إلى خليفة الوقت بنميمة أن هؤلاء الطائفة العلية زنادقة يُضلون الخلق ، والأصلح أن تأمر بقتلهم . فجاؤا بهم دار الخلافة ، وأوردوهم في ميدان السياسة ، وأمر بقتلهم ، فلما أراد السياف أن يقتل واحداً منهم جاءه الآخر والتمس أن يقتله أولاً ، فقصده السياف فجاءه الثالث والتمس قتله قبل صاحبه ، فبقي السياف متحيراً وقال متعجباً : ما بالكم تشتاقون إلى القتل ويتبادر أحدكم قبل صاحبه ! فقالوا : نحن من أهل الإيثار ، وقد وصلنا إلى مقام نكتسب فيه في كل نَفَس جميع الكمالات السابقة ، فيؤثر كل منا صاحبه بحياته على نفسه ، ليتنفَّس في تلك الفرصة أنفاساً ، فيكتسب فيها الكمالات . فبلغ الكلام سمع الخليفة ، فتنبَّه وبحث عن أحوالهم بالتحقيق ، ولما اطلع على كمالاتهم قال : لو كان هؤلاء زنادقة ليس في العالم صدِّيق ثم اعتذر إليهم ، وخلَّى سبيلهم ، وأعادهم إلى مكانهم بتمام الإعزاز .

قال : قال بعض الأكابر : مَنْ غمض عينه عن الله طرفة عين لم يهتد طول عمره . معناه أنه لا يهتدي لتدارك زمان فات وقت الإغماض ، أي لا يمكن تداركه لكونه فائتاً لا على عوض .

قال : قال بعضهم : أرباب الأحوال يتبرؤن من الأحوال ، أي أن الاستغراق والاستهلاك ليسا بموجبين للترقي ،

مطلب

فإنه قد تحقق أن الترقي مربوط بدوام العمل ، ولا شك أن زمان الاستغراق والاستهلاك زمان الامتناع والتعطل عن العمل في الحقيقة ، بل هما من أحكام موطن الآخرة ، وإنما ظهرا في هذا الموطن بطريق الاستعمال ، فإن لم يظهرا في موطن الدنيا يظهران في موطن الآخرة البتة بالطريق الأكمل ، فلا جرم يتبرأ أرباب الأحوال من الأحوال بناء على هذا التحقيق .

مطلب

قال : كتب خواجه محمد پارسا قدس سره أن حقيقة الذكر عبارة عن تجلي الحق تعالى لذاته بذاته في عين العبد من حيثية اسمه المتكلم . وقال : لا يتيسر هذا المقام من غير أن يشتغل الطالب بالذكر مدة مديدة ، حتى يحصل في قلبه دوام الحضور ، فإن كرَّ في ميدان الاجتهاد ثانياً وسلب هذه النسبة عن نفسه فهو عناية له من الحق تعالى ، ثم أنشد البيت :

حملت كمرءٍ طالب الثأر مرة ... فجُزت بها علماً إلى عين معلوم

قال : قال الشيخ أبو بكر الواسطي قدس سره : إن كنت قائماً بغيرك فأنت فان بلا جمع ولا تفرقة . قال : الجمع هنا كناية عن رؤية التوفيق في العمل ، والتفرقة عبارة عن أداء وظائف العبودية بوصف نفسه .

قال : قال الأكابر في معنى الجمع وجمع الجمع : إن الجمع ماله عليك ، ومالك عليك ، وجمع الجمع مالك ، وماله عليه .

بيان الحقائق والداقائق التي نقلها عن المشائخ المتقدمين والمتأخرين قدس الله تعالى أرواحهم

قال : إن أهل الإرادة في غاية القلة والندرة .

كتب واحد من المشائخ إلى آخر من أكابر عصره : أن المريدين قليلون جداً ، فإن أصبت علامة من المريد الصادق أرسله إلي . فكتب في جوابه : إن المريدين قليلون هنا أيضاً ، فإن أردت شيوخاً أرسلكم مقدار ما تريد .

ونقل عنه أيضاً أنه قال : لو نقشوا صورة درويش على جدار ينبغي أن تمر تحتها بالأدب .

قال : لما وقعت للشبلي قدس سره إرادة طريقة الطائفة جاء عند الشيخ محمد خير ، فأرسله إلى الجنيد قدس سره ، وإن إرساله إليه ليس لكونه عاجزاً عن تربيته ، بل لحفظ الأدب مع الجنيد ، لأن الشبلي من أقرباء الجنيد . فأمره الجنيد بالكسب إلى سبع سنين ، وبردِّ المظالم التي صدرت عنه في أيام حكومته ، ثم أمره بعده بخدمة بيت الخلاء والمتوضىء ، وبقي فيها سبع سنين ، وكان في تلك المدة يهيىء لأصحاب الجنيد قدس سره أحجار الاستنجاء ومياه الطهارة ، ثم علمه الطريقة بعد أربع عشر سنة ، وأمره بالرياضة .

قال : اشتغل سهل بن عبد الله التستري قدس سره بالرياضات الشاقة ، ودوام الذكر مدة مديدة ، حتى تقاطر دمٌ من دماغه ، وكان يكتب نقش (الله) من كل قطرة قطرت في الأرض . ثم أمره شيخه بالمحافظة على نسبة الحضور بعد تلك الاشتغالات .

مطلب مهم لا تغفله

قال : من كلام خواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره : أغلق باب المشيخة وافتح باب المودة ، وأغلق باب الخلوة وافتح باب الصحبة .

مطلب

قال : قال بعض الأكابر :

إن بعد صلاة العصر ساعة ينبغي الاشتغال فيها بأفضل الأعمال . قال البعض : إن أفضل الأعمال في تلك الساعة المحاسبة ؛ بأن يحاسب الطالب ساعات ليله ونهاره ، كم ساعة منها مرت على الطاعات ، وكم ساعة مرت في المعاصي ، فما صرفت في الطاعات فيشكر ، ومبذولة في المعاصي فيستغفر .

وقيل أفضل الأعمال في تلك الساعة كون الطالب في صحبة شخص يعرض فيها عن ما سواه تعالى ، ويجذبه إلى الله تعالى .

وقال أهل الحق : أفضل الأعمال ما يكون الطالب بسبب الاشتغال به معرضاً عن غير الحق تعالى .

قال في بيان كون الصحبة مع الأغيار موجبة لفتور النسبة : وقع يوماً فتور للشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال لأصحابه : دخل في مجلسنا أحد أجنبي طرأ عليَّ فتور بسببه . فالتمسوه ، فقالوا بعد تفتيش : ليس في المجلس أجنبي . فقال التمسوه من بيت العصا . فالتمسوا فوجدوا عصا أجنبية ، فرموها بعيداً ، فوجد الشيخ في الحال ، وتبدَّلت تفرقته بجمعية .

ووقع أيضاً على خواجه أحمد اليسوي قدس سره فقال : إن في صحبتنا هذه أجنبياً قد انفلت حبل النسبة بسببه ، فوجدوا بعد تفحص كثير في صف النعال نعلاً أجنبية ، فرموها خارج الباب ، فحصلت الجمعية لهم وصفاء الوقت ، وارتفعت التفرقة .

مطلب

قال : قال أكابر الطريقة قدس الله تعالى أسرارهم العلية : إن كل مذمّة ومسبَّة عليك من شخص ينبغي لك أن تعرف على الحقيقة بأنك موصوف بها ، ومستحقٌّ لإطلاق ذلك . مثلاً : إذا قيل لك : يا كلب يا خنزير ! فأيقن أن فيك خصلة من صفات الكلب ، أو الخنزير ، أو غيرهما مما يطلقون عليك . وذلك فإن الإنسان نسخة جامعة ، وكما أن فيه صفات ملكية ، كذلك هو غير خال من الصفات السبعية والبهيمية .

كان واحد من الأكابر قاعداً عند سيد الطائفة الجنيد قدس سره فدخل عليه الشبلي ، فمدحه هذا الشيخ في حضور الجنيد بمدائح كثيرة ، فقال له الجنيد بعد تمام كلامه : أكل هذه التعريفات والمدائح لهذا الخنزير ! فصار الشيخ منفعلاً غاية الانفعال لإطلاق الجنيد لفظ الخنزير على الشبلي بسبب تعريفه ومدحه إياه ، ولكن لم تحصل كراهة للشبلي أصلاً ، ظاهراً ولا باطناً ، ولم يطرأ عليه تغير أبداً ! قدس الله أسرارهم العلية .

قال : خلاصة التصوف تحمُّل الأثقال من الناس ، وكفّ ثقله عنهم . وينبغي للسالك الصبر على بلاء الله تعالى ، بل الشكر عليها ، فإن له تعالى بليات كثيرة بعضها أشد من بعض .

قال : قال الخواجه بهاء الدين قدس سره : رأيت في مكة اثنين ، أحدهما في غاية علو الهمة ، والآخر في نهاية الخسَّة ، أما خسيس الهمة فرأيته في الطواف قد تعلق بحلقة باب الكعبة يسأل الله تعالى شيئاً غيره في مثل هذا المحل الشريف . وأما عالي الهمة فرأيته في سوق منى ، كان شاباً اتَّجرَ فيه ، وحصَّل مقدار خمسين ألف دينار تقريباً ، ولم يغفل قلبه لحظة في تلك الفرصة عن الحق سبحانه وتعالى حتى جاء الدم من باطني من الغيرة من هذا الغلام .

قال : كان الشيخ أبو يزيد قدس سره يمشي مرة على طريق فأقبل عليه كلب قد ابتلت أعضاؤه ، فطوى ذيله تحفظاً منه ، فقال له الكلب بلسان فصيح : يا أبا يزيد ! إن تنجَّس ذيلك لكان يطهر بالماء ، ولكن لما طويته تحفظاً مني واعتقدت نفسك أطهر مني ، فبأي ماء تقدر أن تغسله ؟

قال : نقل عن سيد الطائفة الجنيد قدس سره أنه قال : المريد الصادق من لا يكتب كاتب شماله مدة عشرين سنة . وليس معنى هذا الكلام أن المريد الصادق يكون معصوماً لا تصدر عنه جريمة أصلاً في تلك المدة ، بل المقصود أنه وإن صدرت منه جريمة لكنه يتداركها قبل أن يكتب كاتب شماله ، ويدفعها عن نفسه بوجه من الوجوه .

قال : قال الخواجه محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس سره : إن لحياة القلب درجات ، ولا تحصل إلا بالاقتصاد ، وهو دوام الذكر في النوم واليقظة .

مطلب

والذكر في النوم أن يرى السالك نفسه في المنام ذاكراً ، وهذا الذكر الذي يراه في المنام لا يوجب الترقي عند محيي الدين العربي ، وبعض آخر يرى الترقي منوط بعمل ناشئ عن علم ، وما يراه في النوم ليس من هذا القبيل .

قال : قال الخواجه محمد پارسا قدس سره : إن المداومة على الذكر تبلغ مرتبة تتحد حقيقة الذكر مع جوهر القلب . ويحتمل أن يكون معنى الكلام أن حقيقة الذكر أمر منزَّه عن الحروف والأصوات ، وجوهر القلب عبارة عن لطيفة مدركة منزَّهة عن شائبة كم وكيف ، فيحصل الاتحاد لهذه اللطيفة بهذا الأمر المنزه عن الحروف والأصوات بواسطة كمال الاشتغال ، ويظهر وصف الوحدة والواحدية ، فلا يقدر الذاكر في هذا الحال أن يفرِّق بين جوهر القلب وحقيقة الذكر بسبب استيلاء المذكور وغلبته على مملكة القلب ، وارتباط القلب بالمذكور على وجه لم يبق فيه فكر غير المذكور ، ولا يسعه أصلاً .

مطلب

يمكن لنا أن نبيِّن الشريعة والطريقة والحقيقة في جميع الأشياء .

قال : سمعت مولانا نظام الدين رحمه الله تعالى يقول : يمكن لنا أن نبيِّن الشريعة والطريقة والحقيقة في جميع الأشياء ، فإن الكذب مثلاً منهي عنه ، فمن حفظ لسانه منه بالمجاهدة والسعي على طريق الاستقامة ، بحيث لا يصدر عن لسانه باختياره وغير اختياره ، فهذه شريعة ، ولكن يمكن مع ذلك أن تكون في باطنه داعية الكذب ، فالسعي والمجاهدة في دفع هذه الداعية عن باطنه طريقة ، فإن كان بحيث لا يصدر عنه الكذب باختياره وغير اختياره ، لا من قلبه ، ولا من لسانه ، فهذه حقيقة .

قال لواحد من الأصحاب : إذا حصلت لك نسبة في صحبة خواجه بهاء الدين مثلاً ، ثم وقعت في صحبة شيخ آخر ، ووجدت منه هذه النسبة أيضاً فماذا تصنع ؟ أتترك صحبة خواجه أم لا ؟ ثم قال : إذا وجدت هذه النسبة من كل مكان ينبغي لك أن تعتقد أنها أيضاً من خواجه بهاء الدين قدس سره .

قال : وقع واحد من مريدي قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان جائعاً ، فقلّب وجهه نحو قرية شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر . فاطَّلع الشيخ شهاب الدين على حاله ، وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ، ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب قرية شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسنا حيث ما كنا . ولما جاء الخادم عند الشيخ سأله الشيخ : كيف وجدت هذا الدرويش ؟ قال : أبله ! يأكل طعامك ، ويشكر قطب الدين حيدر . فقال : ينبغي أن تتعلم المريدية منه ، حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنها من شيخه ظاهراً وباطناً ، من أي

مكان جاءت تلك الفائدة . وقال في سياق هذا الكلام[1] : إذا وجد المريد الصادق شيخاً أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ، ويتصل بالشيخ الأكمل .

وقال : قال الشيخ أبو عثمان الحيري قدس سره : كنت متمنّياً من قلبي الاحتظاظ بمواجيد هذه الطائفة وأذواقهم في مبادئ الحال دائماً ، فوصلت إلى مجلس وعظ يحيى بن معاذ الرازي اتفاقاً ، فاطمأنَّ قلبي هناك ، فكنت في ملازمته مدة . ثم وقعت بعد ذلك في صحبة شاه شجاع الكرماني قدس سره ، ولما حضرت عنده طردني عن مجلسه ، وقال : إنه صاحب أمل لا يجيء منه شيء . فقلت في نفسي : هذا رأسي ، وهذه عتبته ، فلا أرفع رأسي عنها أبداً ، فأذن لي بحضور صحبته بعد مدة . فكنت في ملازمته زماناً . ثم توجَّه الشيخ في ذلك الأثناء لزيارة الشيخ أبي حفص الحداد قدس سره ورافقته فيه ، ولما وصلت إلى صحبته أخذني عني بالتمام ، ولكن لم أقدر أن أقول لشاه شجاع أنا أكون هنا . ولما تهيأنا للرجوع قال الشيخ أبو حفص لشاه شجاع : إن لي مع هذا الغلام الحيري لأمراً فاتركه عندي ، فتركني عنده وذهب . فتمَّ أمري في صحبة أبي حفص وخدمته .

قال : قال الشيخ أبو القاسم الجرجاني قدس سره : ينبغي أن تجالس شخصاً تكون بكليتك إياه ، أو يكون بكليته إياك ، أو تكونا فانييْن وممحويَيْن في الله ، بحيث لا تبقى أنت ولا يبقى هو .

---

(١) وفي « الفيض » : إذى ظهر للمريد أنَّ الشيخ الآخر كامل ممَّن يقتدي به فله ذلك . « بريقة » ص ٢٢ . وقال بعض الصوفيّة : ينبغي لمن يخدم كبيراً كاملاً ثم فقده أن لا يصحب إلاَّ من هو أكمل منه وإلا حيل صحبته مع الله ، كما قيل : كن مع الله ، وإن لم تقدر كن مع من كان مع الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، لعلّ ذلك مقيَّد بعدم إذن الشيخ . « بريقة » صحيفة ٢٢ فراجعه . (هامش الأصل) .

وقع مرة على خاطر شخص في مجلس حضرة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره أن ليت حضرة شيخنا يتصرف في باطني . فأشرف على خاطره وقال : إن كمال التصرُّف يقع في وقت أكون أنا إياك ، أو تكون أنت إياي . ثم قال : إن عبد الله كان رجلاً بدوياً ، فذهب لطلب ماء الحياة فوصل إلى الخرقان فوجد فيه عين ماء الحياة ، فشرب منه حتى لم يبق هو ولا الخرقاني .

قال : نقل عن الشيخ أبي سعيد أبي الخير أنه قال : تكلَّم في ماهية التصوف سبعمائة شخص من مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم ، وأتم الأقوال وأحسنها في هذا الباب هو : أن التصوف صرف الوقت لما هو أولى به .

قال : قال مولانا نظام الدين قدس سره : المشيخة أن يقدر الإنسان أن يجمّل نفسه بجمال في نظر المريدين ، فإنه متى لم يوجد الجمال لا تتقوّى رابطة المريد بمراد وجه المحبة التي هي موجبة للجذبة والتصرُّف ، وقد علمت ذلك بتدبير العقل وتجربته ، ولكن لا وقت لي لأن أتكلَّف دائماً وأظهر نفسي بالجمال ، حتى لا يقع فتور على عقائد الناس وعلاقتهم ، ولهذا سُنَّ تسريح اللحية ، وتحسين تكوير العمامة ، وتنظيف الثياب ، وغيرها مما يترتب عليه تحسين الظاهر .

قال في بيان تعظيم السادات وتوقيرهم : لا يطيب قلبي لأن أكون في ديار فيها سادات ؛ فإن حرمتهم وشرافتهم كثيرة جداً ، ولا أقدر أن أقوم بحق تعظيمهم . ثم قال : قام الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه يوماً في أثناء مجلس درسه على قدميه مرات ، ولم يعلم أحد سبب قيامه ، فسأله عن ذلك واحد من تلامذته . فقال : إن طفلاً من السادات العلوية يلعب في صحن المدرسة مع الأطفال ، وكلما يجيء في مقابلة الباب ويقع عليه نظري أقوم تعظيماً له .

قول غريب مهم جداً

قال : قال بعض الأكابر : اجتهد في أن لا تحمل عملك إلى القبر . ومعنى الكلام أنه ينبغي أن تعلم أن شيئاً من عملك ليس بمسند إليك ، بل هو قائم بتوفيق الله تعالى .

قال : عرض ليلة لخواجه باقي ألمٌ فلم ينم فيها ، ولم أنم أيضاً من ألمه ، ثم قال : ينبغي لمن له علاقة بشخص أن يتألَّم ويتأثَّر من ألمه ، بل ينبغي أن يتأثر من كل ألم واقع على كلِّ شيء . وقد ضربوا يوماً حماراً في محضر أبي يزيد قدس سره بعصا حتى سال الدم من ضلوعه ، فسال الدم من ضلع أبي يزيد . وفي هذا الكلام إشارة إلى التحقيق بمقام الجمع .

قال : كنت مرة في مجلس الشيخ بهاء الدين عمر قدس سره فقال له شخص : إنه قال بعض المحققين في أوائل حاله : إن الممكن عين الواجب ، ثم رجع عن هذا الكلام أخيراً وقال : بل الواجب عين الممكن . فما وجه ذلك ؟ قال الشيخ في جوابه : إنه قال كلامه الأول في حال عدم استقامته ، وقال كلامه الآخر في حال استقامته .

ثم قال خطاباً لحضَّار المجلس : إنه ما الفرق بين الكلامين ؟ فلم يتجاسر أحد في الجواب ، ولم يقولوا شيئاً ، ولم يقل الشيخ أيضاً فيه شيئاً لحضور جمع من الأمراء الترخانية عنده .

قال : سألني الشيخ بهاء الدين عمر قدس سره أنه هل الأفضل للمبتدئ السفر أم الإقامة ؟ قلت : لا يحصل للمبتدئ شيء من السفر غير تفرقة القلب ، وإن السفر لمن حصلت له صفة التمكين ، ولا يناسب للمبتدئ في اعتقادنا ، بل اللائق بحاله واللازم له أن يكتسب صفة التمكين قاعداً في زاوية ، بل اللازم كونه في بلده . وذهب بعض المشائخ إلى خلاف ذلك ، وقال : ينبغي للمبتدئ أن يسافر ليتخلَّص عن بعض العادات والرسوم والمألوفات الطبيعية ؛ بسبب مهاجرة الأوطان ، ومفارقة

الإخوان ، وليحصل له بعض التزكية بواسطة الرياضات والمجاهدات التي هي من لوزام السفر . وأما معتقد أكابر النقشبندية قدس سرهم في باب الإقامة والسفر لزوم السفر للمبتدئ إلى أن يصل إلى صحبة واحد من هذه الطائفة ، ثم يلزمه بعد ذلك الإقامة عنده ، والتزام صحبته ، والمداومة على خدمته ، والاشتغال بكمال الاجتهاد إلى أن تحصل له ملكة نسبة هذه الأكابر ، وتكون تلك النسبة ملكة ، فإن وجد في بلده شخص من هذه الطائفة فلا يفارق صحبته ، ولا يسافر إلى طرف مَّا البتة ، فإن فعل شيئاً خلاف ذلك فهو مضيِّع لوقته .

قال : سافر الشيخ أبو يزيد قدس سره في بدايته من بسطام إلى بلد آخر لصحبة واحد من أكابر وقته ، فقال له ذلك الشيخ : ارجع إلى بلدك فقد تركت المقصود فيه . فرجع . وكانت له أم مُسِنَّة ضعيفة ، فقام بخدمتها وطلب رضاها ، فحصل مقصوده بها . وأَوَّلَ الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره هذا الكلام وقال : كانت إشارة هذا الشيخ إلى أن ما هو المقصود الحقيقي محيط بجميع الأزمنة والأمكنة ، لا تختص إحاطته بمكان دون مكان ، فنبَّه أبو يزيد إلى هذا السر ، وأن لا حاجة إلى قطع المسافة في طلبه أصلاً .

قال : ينبغي للسالك أن يلتزم طريق المذلة والمسكنة لتحصيل الفناء والاضمحلال ، حتى يرى جمال الشاهد اللاهوتي في مرآة انعدامه .

قال : كلُّ ما به لا يطيب قلبه من شماتة الناس وشتمهم لا تصل إلى مشامِّ روحه رائحة من معان الرجال ، فإنه قد تقرَّر عند أهل التحقيق أن لا فاعل في الوجود إلا الله .

مطلب

فكل ما وصل من المحبوب من شماتة ومذلة ينبغي للمحب أن يعده من رأس مال سروره ، ومستوجباً لحضوره .

قال : كل مَن تكلَّم في حق شخص بكلام في تنقيصه لا يلائم ذلك في قلب المقول عليه البتة ، فإن الإنسان مجبول على التأثر ، والتنافر عن نسبة النقصان إليه ، والحق إبعاد ذلك التأثر والتنافر ، وذلك لا يتيسَّر بدون الرجوع إلى الحق سبحانه ، لا بالذكر ! ولا بالمراقبة ! والسلوكُ عند أرباب الطريقة معتبرٌ بهذا .

قال : لا شيء في تصفية الحقيقة الإنسانية مثل البلاء والمحنة ، وهما رافعتان للحجب الظلمانية الكثيفة بالخاصية ، ومضمون قوله ﷺ : « إن أشدَّ البلاء على الأنبياء ، ثم على الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل » ناظرٌ إلى هذا المعنى . وأنا معتقد لذلك ، ولا أحد يعتقده من أصحابي .

قال : إذا مشى صاحب وجد وحال في طريق وفيه كلب نائم فأقامه عن الطريق ليمرَّ منه بسهولة ، ثم نظر إلى نفسه ووجد الوجد والحال باقييْن على حالهما ! فليعلم أنه مكرٌ من الحق سبحانه عليه ، واستدراج منه إليه ، حيث لم يأخذ منه الوجد والحال ، مع ارتكابه لهذا الفعل الشنيع .

قال : المكر الإلهي على نوعين : نوع بالنسبة إلى العوام ، ونوع بالنسبة إلى الخواص ، فالذي للعوام : إرداف النعمة مع التقصير في الخدمة . والذي للخواص : إبقاء الحال مع ترك الأدب في الأفعال .

مطلب مهم

قال : ينبغي لمن يجتهد في تحصيل النسبة النقشبندية أن يكون شغله على وجه إذا نازع شركاؤه لسقي الزرع مثلاً ، وبلغ جدالهم

حدَّ المضاربة ، وشجَّ رأسه وسال دمه على وجهه مثلاً ، لا تكون في قلبه كدورة وكراهة أصلاً ، بل يظهر منه النزاع بحسب الظاهر فقط ، ويكون باطنه مسروراً ومنشرح الصدر من أذى الناس وجفائهم ، ويعذرهم في ذلك ، ولا يذهل عن نسبته بما صدر عنهم ، ولا ينقطع قلبه عن الله تعالى .

قال : إن الله تعالى متوجِّه لجميع الموجودات بدوام التجلِّي الاتحادي . فالذي يقعد في زاوية باختياره ويسميه خلوة وعزلة ليس له عذر أصلاً ، فإن عدَّ مثل هذا التجلِّي العظيم الشأن باطلاً فهو جاهل غاية الجهل ، وإن اعتقد أنه حق فلم لا يقوم بحقه ؟ ولا يشتغل بشيء من طرفه ؟

قال : إن السر في ظهور النسبة النقشبندية في ملاء ومواطن تفرقة ، أكثر من ظهورها في خلوة ومواضع جميعة هو أن هذه النسبة محبوبة ، ومن عادة المحبوب الاحتجاب حين دعي إلى الخلق .

قال : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى ! وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنها في غاية الصفاء والنورانية ، ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي هي فوق جميع النسب ، فإن الحكم للغالب . فإن كان حال صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك ، فما ظنك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ؟ ! وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية !

مطلب

قال : جالسوا جماعة لا يغلبون عليكم ، ولا يأكلونكم ، يعني لا يكونون أقوى منكم بحسب النفس والهوى ، ولا يضيعون أوقاتكم ، فإن مَن ضاع وقته وفات ، فقد ضاع بنفسه ومات .

قال : مَن وقعت في قلبه دغدغة هذه الطريقة ، وشوَّش خاطره في ذلك الأثناء دغدغة التأهل ينبغي له الإكثار من الاستغفار ، فإن لم يندفع بذلك فليختر مكاناً بعيداً عن طائفة النسوان ، فإن لم ترتفع به فليداوم مدَّةً على الصيام وتقليل الطعام ، وليعالج نفسه لتسكين قوته الشهوية ، فإن لم تندفع بذلك فليطف في أطراف المقابر ، وليعتبر بالأموات وليستمدَّ من أرواح الأكابر ، فإن لم يتخلَّص عنها بذلك فليطف بين الأحياء ، وليستعن من بواطن أرباب القلوب ، وليخدمهم ، فلعلهم يدفعون ثقلها ويرفعونها عنه ، ولا يضيِّعونه تحت أثقالها .

قال : إن التزوُّج مناسب للأنبياء والأولياء ، فإنهم لا يحتجبون عن الحقّ تعالى مع وجود ذلك . وأيضاً هو مناسب للعوام كالأنعام ، فإنهم يكملون به المرتبة الحيوانية . وأما المتوسطون بين مرتبة الأولياء والعوام وفيهم تمنِّي الطريقة ، فلا يناسب لهم التزوُّج أصلاً ، فإن خروج نَفَس واحد مع الحضور بالله تعالى أفضل من ألف نَفَس من الأولاد ، فإن فيه ألوفاً من الفائدة والنفع ، وفي الأولاد ألوف من الفتنة والضرر .

قال : إن أعطيت خمس مائة سنة من العمر فَرْضاً ، وأصرف جميع ذلك في الاستغفار ، لا أقدر بذلك على تدارك ذنب صدر عني ، وذلك الذنب هو التزوُّج .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : كون التزوُّج سُنَّة محمودة ، وردت في مدحه آيات وأحاديث صحيحة ، فكيف يصحُّ نفيه ذلك ؟ فالجواب : أن النفي هنا ليس على إطلاقه ، بل هو بالنسبة إلى بعض الأشخاص اللائق بحالهم التجردُّ الظاهري والباطني ، ولا يخفى أن

مناسب الطالبين وشأن المريدين بالنسبة لكل زمان يجري على لسان الأولياء أهل الإرشاد ، لكونهم من ورثة العلوم الخاصة المحمدية ، على مصدرها الصلاة والتحية ، ولما كان مناسب المبتدئ في الطريق في الزمان طريق التجرُّد ، لا جرم أشار خواجه عبيد الله – الذي هو الحكيم الإلهي وجامع الحِكم الغير المتناهي إلى التجرُّد ، وأمر بالإجتناب عن التأهل ، فتأمَّل ! ولا تتأهَّل .

قال : إذا حصل الحضور بالله للقلب في صحبة أرباب الجمعية ، واطمأنَّ بها ، لا يحتاج فيها إلى الذكر ، فإن الغرض من الذكر حصول تلك النسبة ، وإنما يحتاج إليه لظهور المحبة المكنونة في القلب .

قال : إذا أخذتم حظاً وافراً من صحبة شخص ، فطريق حفظ آدابه أن تعاملوا معه على وجه لا تحصل لكم كراهة منه . ولهذا قيل : ينبغي للشيخ أن يُري نفسه محبوباً في نظر المريدين ، فإنه هو الذي كان منشأ للمحبة التي هي سبب لظهور تلك النسبة ، فإذا حصلت منه الكراهة التي هي ضد المحبة تزول المحبة ، فتزول النسبة لزوال سببها .

قال : حاصل الطريقة النقشبندية دوام الإقبال على الحق سبحانه وتعالى ، على وجه لا تكون الكلفة في ذلك الإقبال ، والمقصود الكلي أن يحصل الإقبال على الحق سبحانه للطيفة المدركة على الدوام ، ولا بدَّ لك من هذا الإقبال حتى تكون مقبلاً .

الخلوة في الجلوة أن تمشي في الأسواق ولا تسمع أصوات أهلها . وكان لهؤلاء الأكابر أمثال هذه المشغولية والمفاخر .

قال : قلت يوماً لواحد من أكابر سمرقند : إنه إذا رأى شخص في المنام أن الحق سبحانه قد مات ، فما تعبيره ؟ قال : قال الأكابر : إنه إذا رأى أحد موت النبي ﷺ في المنام ؛ فتعبيره وقوع القصور والفتور في تشرُّع صاحب الواقعة ، وكأنه رأى في منامه موت صورة الشريعة . ولهذه الرؤيا أيضاً مشابهة لتلك .

قال شيخنا : يمكن أن يكون تعبيره على وجه آخر : وهو أنه قد يكون لصاحب الرؤيا حضور بالله ، فيزول هذا الحضور ، ويتطرَّق إليه الغفلة والفتور ، فيكون تعبيره انعدام نسبة الحضور والشهود .

يقول الفقير : قد عبَّر مولانا عبد الرحمن الجامي قدس سره هذه الرؤيا بتعبير آخر وقال : يحتمل أن يكون قد زال من قلب صاحب الواقعة وانعدم شيء من أهوائه التي كان يتخذها إلهاً ، بموجب قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فتكون رؤية موته تعالى انعدام ذلك الهوى واضمحلاله ، فعلى ذلك ؛ الواقعة دليل على زيادة الحضور .

قال : إن كشف القبور عبارة عن تمثل روح صاحب القبر بصورة مناسبة لصورته المثالية ، فيراه صاحب الكشف في تلك الصورة بعين بصيرته ، لكن لما كانت في الشياطين قوة التمثُّل والتشكُّل بصورة مختلفة ، وإشكالات متنوعة ، لم تعتبر أكابر النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم هذا الكشف . وطريقتهم في زيارة أصحاب القبور واطِّلاع أحوالهم ؛ أنهم إذا حصلوا إلى قبر واحد من الأكابر يخلُّون أنفسهم عن جميع النسب والكيفيات ، ويجلسون منتظرين لظهور نسبته ، فيعلمون من تلك النسبة حال صاحب القبر . وطريقتهم في صحبة شخص أجنبي أيضاً كذلك ، فإذا جاء عندهم شخص ينظرون إلى بواطنهم ، فما ظهر فيها بعد مجيء هذا الشخص يرون أنه منه ، وليس لهم دخل فيه ، فيعاملون معه بمقتضى ذلك من اللطف والقهر .

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره لمثل هذا الظهور : تجلي المقابلة . وظهور هذا المعنى إنما هو بواسطة صفاء بواطنهم المنوَّرة وجلائها ، ولطهارة مرآة نفوس حقائقهم عن النفوس الكونية ، بحيث لم يبق فيها غير التجلِّي الذاتي بسبب كمال محاذاتها للذات المنزَّهة عن الكم والكيف . فمتى خليت قلوبهم وطبعها لا يظهر فيها غير الأمر المنزَّه ، فما يظهر في بواطنهم غير ذلك لا يكون منهم ، بل من انعكاسه في مرآة قلوبهم بواسطة تقابل شخص هُوَ له .

وقال لتأييده : قال مولانا نظام الدين خاموش عليه الرحمة يوماً : قم بنا نزور اليوم مقابر شاش ، فذهبت في خدمته ، فقعد عند قبر زماناً ، ثم قام بكيفية عظيمة ، وقال : قد كان نسبة الجذبة غالبة على صاحب هذا القبر . وكان القبر قبر خواجه إبراهيم كيمياكر ، وكان من مجاذيب زمنه . ثم جاء عند قبر آخر وتوقَّف فيه لحظة ثم خرج منه وقال : النسبة العلمية غالبة على صاحب القبر . وكان ذلك قبر الشيخ زين الدين كوى عارفان ، وكان من العلماء الربانيين .

قال : قد تقرَّر عند أهل التحقيق أن الترقِّي واقع بعد الموت ، وكلام الشيخ محيي الدين ابن عربي ناظرٌ لهذا حيث قال : اجتمعت مرة في تجلٍّ من التجليات مع أبي الحسن النوري قدس سرهما ، فقبلني وصار ريّاناً مني ، فقلت له : ألم تقل أن عطشان التوحيد لا يروى من الغير ؟ فخجل . فقلت : من أخذ عن العالي لا يقال أنه أخذ عن الغير . ولأرباب التحقيق كلام كثير غير هذا يدلُّ على الترقي بعد الموت . قال الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره في بعض مواضع « الفتوحات » : إن أحد نُفاة الترقي بعد الموت الشيخ أبو الحسن النوري ، ولا يخلو حاله بعد الموت من أحد الأمرين : إما أن يعلم يقيناً أن الترقي واقع ، أو يعلم أنه غير واقع . فإن كان الأول ! ثبت المدَّعى . وإن كان الثاني ! فهو علم آخر حصل له بعد الموت ، فالترقي بعد الموت حاصل على كل حال .

قال يوماً في صفة الفقر : خاطب الحق سبحانه الغوث الأعظم بهذا الخطاب : يا غوث الأعظم ! مُرْ أصحابك باختيار الفقر ، ثم بالفقر عن الفقر ، فإذا تمَّ فقرهم فلا هم إلا أنا .

قال : ومن كلام بعض الأكابر : إن الله تعالى يميِّز نفسه في مرتبة الواحدية إن أراد . ومعنى الكلام : أنه تعالى يعطي الإنسان علماً واستعداداً خاصاً من عنده في مرتبة حقائق المجردات الإنسانية - التي هي عبارة عن مرتبة الواحدية عند البعض - ، فيعرفه الإنسان بذلك العلم والاستعداد الخاص .

ولما لم يمكن معرفته تعالى بغير علمه تعالى ، فلا يكون العارف به تعالى غيره تعالى .

قال : إن لطائفة هذه النسبة على وجه يكون نفس التوجه إليها مانعاً عن ظهورها ، كما أن هذا المعنى ظاهر في المظاهر الجميلة ، فإنهم إذا توجَّه المحبُّون إليهم بإمعان النظر يحتجبون في حينه .

قال : إن لطائفة هذه النسبة على وجه إذا قال صاحبها لكلب هِيْ من غير ضرورة ، تغيَّب في الحال .

والأشياء تتبيَّن بضدِّها ، والشغل بالحق غير الشغل بالخلق ، ولما كان في كل شيء استكراه من ضده ، ينجذب مما يكره إلى ما يحب .

يمشي أهل هذه السلسلة في الأسواق لانجذاب قلوبهم إلى الحقِّ

ولهذا نرى أهل هذه السلسلة ربما يمشون في الأسواق ومواضع ازدحام الخلق ، ويقعدون فيها ، لينجذب قلوبهم إلى الحق سبحانه بواسطة ضدية الخلق ، والاستكراه من شغلهم .

قال شيخنا يوماً خطاباً لواحد من حُضار المجلس في معرض منعه عن التعلُّق والتعشُّق لمظاهر جميلة : شاهدت هذه النسبة إلى نسبة التعشُّق في أوز ؛ كان له تعلُّق بصاحب جمال ، وكان يذهب إلى أين يذهب محبوبه .

وسمعت أن الأسد فيه تلك الحالة أيضاً ، فالتعلُّق بأمر غير ضروري تشترك فيه الحيوانات ، وصرف العمر فيه ليس من مقتضى الهمة ، ولكن لو كان استعداد شخص على وجه يكون أسير النسبة الحبية بلا اختيار فهو أمر آخر .

وهذه العبارة : لا سبيل لنصيحة الناصحين في قلوب المضطرين .

قال : صحبت بعض الأكابر فمنحني بعطائين : أحدهما أن يكون كل ما أكتب جديداً لا قديماً ، والثاني أن يكون كل ما أقوله مقبولاً لا مردوداً .

قال : كان في هراة شيخ يخيط القلانس خارج باب الملك ، فسمعت منه كلمتين نافعتين تفوح منهما رائحة مذاق لهذه الطائفة ، فكنت أراعي معه الآداب بعد ذلك ، بحيث ما كنت أتقدَّمه وقت المشي في الطريق أصلاً ، لأجل إعزاز هاتين الكلمتين .

مطلب

ولو سمعت أو علمت أن رجلاً في أقصى بلاد الصين كافراً يتكلَّم بكلام هذه الطائفة على أصولها لسافرت إليه ولازمته ، وقبلت منه المنَّة . وإن أول كلمة سمعتها من شيخنا ما قالها في قرشي في سفري الأول خطاباً للفقير : إنه قال بعض الأكابر : إن النحو علم يمكن ضبط أصوله في جمعة واحدة ، فتمنَّيت بعد ذلك أن ليت التصوف كُتِب أيضاً في كتاب ! حتى يمكن تعلمه في جمعة ، ويحصل ما هو المقصود بسهولة . ولكن قال شخص من أهل التصوف : إن التصوف أمر يسير ، وهو أن القلب مرآة ووجهه إلى عالم الملك ، والتصوف هو قلب وجه مرآة القلب إلى عالم الملكوت .

ولما وصلتُ إلى شيخنا أول مرة سألني عن وطني . قلت : مولدي سيزوار ، ولكن منشأي هراة ، فتبسَّم وقال على سبيل الانبساط : إن سُنِّياً وصل إلى سيزوار[1] فاستراح هناك في ظل جدار ، ولما رفع رأسه بعد لحظة رأى رافضياً قاعداً فوق ذلك الجدار مُدلِّياً رجليه ، وقد كتب تحتها أسامي أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما إهانة واستخفافاً ، فتحرك برؤيته عرق غيرته الدينية ، فأخذ السكين وضرب به تحت رجله حتى

---

(١) أي : مدينة .

خرج من ظهرها ، فصاح إلى أصحابه وأعوانه إخوان الشياطين : أن الحقوا بي ، قد ضربني خارجي بسكين . فهجم عليه الروافض من جوانب وأحاطوا به وقالوا : لم ضربت صاحبنا بالسكين ؟ فرأى السنّيُّ نفسه على شرف التلف فيما بين غلبتهم وهجومهم فقال : أمهلوني لحظة حتى أقصَّ عليكم قصتي : إني واحد من جنسكم ، غريب في بلادكم ، وقد أردت أن أستريح في ظل ذلك الجدار ، لأدفع عن نفسي تعب الأسفار ، ولما رفعت رأسي بعد استراحة لحظة ، رأيت هذا الحمار مدلِّياً رجله من فوق الجدار ، ولما رأيت فيها هذه الأسامي التي لا أقدر أن أراها أبداً فوق رأسي اضطرب قلبي اضطراباً شديداً ، حتى لم أملك نفسي فضربته بالسكين ليبعدها عن حذاء رأسي . ولما سمع الروافض منه هذا الكلام صاروا يلحسون يديه ورجليه مثل الأنعام ، فتخلَّص عنهم بتلك الحيلة . ثم قال متبسماً : أنت من مثل هذا البلد .

ثم قال : دخل واحد من المشائخ أرض الروافض ، فجاء جمع من غلاة الروافض وسفهائهم إلى أطراف قافلته ، وطفقوا يسبُّون أصحاب رسول الله ﷺ ، فأراد أصحاب الشيخ منعهم وزجرهم عن ذلك ، فقال لهم الشيخ : خلُّوهم ولا تؤذوهم ، فإنهم لا يسبُّون أبا بكر الذي نحبُّه ونعتقد فيه ، وإنما يسب هؤلاء أبا بكر الموهوم الذي ادَّعى الخلافة من غير استحقاق ، وأضمر للنبي ﷺ وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين النفاق ، وسلك سبيل الشقاق ، ونحن أيضاً نسبُّ مثل أبي بكر هذا فإنه غير ما نحبُّه .

ولما سمعت الروافض هذا الكلام من الشيخ تأثّروا وتنبَّهوا ، ورجعوا عن الطريق الباطل ، وتابوا وأنابوا على يد الشيخ .

ثم سألني عن اسم والدي وشغله . قلت : يقال له : مولانا حسين ، ويشتغل بالوعظ . فقال : قد سمعت أوصافه ، يقولون أنه صاحب فضائل كثيرة ، وكمالات غزيرة ، ووعظه مقبول عند الخواص والعوام .

ثم قال : كان مولانا شهاب الدين السيرامي أستاذ الشيخ زين الدين الخافي ومولانا يعقوب الچرخي عليهما الرحمة ، ولما قدم سمرقند أراد أن يعقد مجلس وعظ في الجامع هناك ، وكان مولانا محمد العطار حاضراً في المجلس ، وكان موصوفاً بالعلم والورع ، والزهد والتقوى ، وكان له نسبة قوية ، ولطافة تامة ، ولما أراد مولانا شهاب الدين أن يصعد المنبر قَبَّل قائمته وصعد ، فقام مولانا محمد من المجلس في الحال ، ومن المسجد ، فنزل شهاب الدين من المنبر من غير تكلُّم ، وخرج من خلفه ، وأدركه ، وسأله : ما صدر عني مما ينافي الأدب ويوجب النفرة وخروجك من المجلس ؟ فقال له مولانا محمد : نحن نشتغل بدفع البدعة بالجدِّ على الدوام ، ونجتهد بكمال الاهتمام ، حتى لا تبقى بدعة واحدة بين الأنام ، فمن أين جئت بهذه البدعة ؟ أعني تقبيل قائمة المنبر وقت صعودك إليه . وفي أي كتاب أو سنة ذكر ذلك ؟ ومن فعله من أئمة السلف ؟ فإذا صدر ذلك من أمثالك من العلماء لا ينبغي لنا أن نقعد هناك .

ولما قدمت خراسان بعد ملازمة شيخنا ، وحضرت مجلس وعظ والدي ، رأيته يقبل قائمة المنبر حين صعوده إليه ، فعرضت عليه حكاية مولانا شهاب الدين مع مولانا محمد العطار كما سمعتها من شيخنا ، فبكى وقال : إن هذه نصيحة من الشيخ لي أرسلها بواسطة لسانك ، فألزم بعده على نفسه الملاحظة والاحتياط البليغ في مثل هذه الأمور ، وامتنع من الحركات الزائدة على رأس المنبر ، مثل الضرب بيده ورجله .

وكان شيخنا ينقل ما شاهد من أكابر الوعّاظ لهذا الفقير أحياناً ، بسبب كون والدي واعظاً ، وحسَّن التفاته إلى هذا الفقير .

قال : كان يستحسن وعظ اثنين في سمرقند : السيد عاشق ، والثاني مولانا أبو سعيد التاشكندي . وكان السيد عاشق رجلاً مرتاضاً ، وكان أثر الجوع والعطش ظاهراً فيه دائماً ، وكان يحسن الوعظ ، وكثيراً ما

كنت قائماً على رجلي في حاشية مجلس وعظه ، وكانت آثار الرياضات والمجاهدات واضحة فيه ، وأنوار الطاعات لائحة في بشرته .

وقال : رأى واحد من الأكابر في منامه جمعاً عظيماً ينتظرون مجيء موسى عليه السلام ، قال صاحب الرؤيا : فجئت عندهم لأرى سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فلما جاء كان السيد عاشق . قال شيخنا : كان السيد عاشق مستحقاً لأن يُرى كذلك .

قال : لما قدمت هراة أول مرة خرجت منها إلى زيارة كاه ، وبقيت فيه يومين ، أو ثلاثة أيام ، ودخلت وقت الرجوع قرية مولانا شمس الدين محمد السنوكردي ، وكان من العلماء المتَّقين ، ومن مريدي الشيخ شاه فرهي رحمهما الله تعالى ، فاجتمع في مسجده وقت المغرب خمسمائة شخص ، وعقد في الصبح مجلس الوعظ ، فاستحسنت ذلك المكان غاية الاستحسان ، ولكن كان في رفاقتي اثنان من أهل تاشكند ، ولم أرد توقُّفهما هناك لأجلي ، فجئت البلد ، ثم خرجت إلى القرية المذكورة بعد يومين ، وبقيت فيه جمعة ، وكان يجتمع في ذلك المسجد في أكثر الأوقات أصحاب الطاعات . وعقد مولانا يوماً مجلس وعظ ، وبكى كثيراً في أثناء وعظه ، فأردت أن أعرف سبب بكائه ، فسمعته يقول : إن الناس يقولون أن المرزاشاهرخ سلطان مسلم ، وقد سمعت أنه أمر برمي صاحب الديوان كهرشاه من رأس المنارة بسبب كونه متَّهماً بجارية فرموه . وهذا لا يخلو : إما أن تثبت جريمته بموجب الشريعة الشريفة ، أو لا ! فإن ثبتت يلزمه الجلد والرجم ، وإلا ! فلم قتل مسلماً من غير سبب شرعي بهذا النوع من القتل ؟ والرمي من المنارة ليس بمشروع ، ولو بعد الإثبات . فكان مولانا متألِّماً لعدم صدور هذا الحكم عن المرزاشاهرخ موافقاً للشريعة ، حتى بكى عليه بلا اختيار . وكان أحوال أكابر الدين هكذا ، قد غلب فيهم فكر أمور الدين والمملكة على جميع الأفكار .

قال : استأذن الشيخ أبو عثمان الحيري شيخه أبا حفص الحدَّاد للوعظ ، فقال له شيخه : ما الباعث على هذه الداعية ؟ قال : الشفقة على خلق الله تعالى . قال : فما حدُّ شفقتك ومقداره ؟ قال : شفقتي عليهم على حدّ لو أدخلوني جهنم عوضاً عن جميع عصاة أمة محمد ﷺ لكنت راضياً بذلك ، لخلاصهم من جهنم . فقال الشيخ : يليق النصيحة والتذكير بمثل هذا الشخص ، ويستحق هو الوعظ . فأذن له بذلك ، وجلس عند قائمة منبره ، وافتتح هو بالوعظ . فقام سائل في الأثناء وطلب ثوباً من الناس ، فنزع الشيخ أبو عثمان جُبَّته وأعطاه إياها . فصاح عليه الشيخ أبو حفص وقال : انزل يا كذاب . فنزل عن المنبر قبل تمام كلامه ، وجاء عند شيخه وقال : ما صدر عني من الكذب ؟ فقال : ألم تقل أن الباعث على الوعظ الشفقة على الخلق ؟ فلو كان لك شفقة على إخوانك المؤمنين لتوقَّفت في إعطاء السائل جبتك ، حتى يكون ثواب الإحسان وفضيلته لواحد منهم ، وكان عليك أن تصبر ، فإن لم يصدر الإحسان عن أحد من الإخوان وكان السائل معرضاً للحرمان فعند ذلك كنت تفعل ما تفعله من الإحسان .

خطر يوماً في خاطري أنه قدر لي الوعظ في وقت ، فليجر على لسان شيخنا شيء مما يناسب هذا الباب ، فجئت مجلسه بتلك النية ، فقال بعد لحظة : جاء شخص عند واحد من الأكابر وقال : إني أريد أن أشتغل بالوعظ ، فبأيّ نية أشتغل به ؟ فقال له الشيخ جواباً عجيباً : إنّ النية ليست بنافعة في المعصية ! وهذا الجواب صحيح ، فإنّ الوعظ والنصيحة قبل أوانهما معصية .

ثم قال بعد هذا : فيعلم من ذلك أن درجة الكلام عالية جداً .

ثم قال ننقل الكلام الآن ، ونقول متى يكون وقت الكلام .

ولأكابر الطريقة كلام كثير في باب وقت الوعظ والتذكير . فقال بعضهم : يجوز الكلام في وقت بلغ المتكلّم فيه درجة كأنَّ لسانه نائب عن قلبه ، وقلبه عن الحق سبحانه .

استماع أصوات المزامير

قال : إن سرَّ اختيار بعض الصوفية استماع أصوات المزامير هو أن نظر هؤلاء الأكابر إلى أصل المقصود ، ووجدوا بصفاء الفطرة أن المقصود الأصلي تخلّص الحقيقة الإنسانية عن قيود البشرية ، وحصل لهم هذا المعنى في استماع أصوات المزامير ، فاختاروه لذلك . وحكمة عدم تجويز بعض الأئمة ذلك يحتمل أن تكون لاختيار أرباب الهوى والبدع ذلك ، وجعلهم إياه شعارهم ودثارهم ، فامتنع هؤلاء الأئمة عن استماعه ، ومنعوا عنه العامّة لدفع عار المشاركة بهم عنهم ، وقطعوا نظرهم عن المقصود ، وتمسَّكوا في تحصيل نسبة الجمعية بأسباب أخرى .

وأظهر يوماً شخصٌ نفسه في نسبة الغيبة وكيفية الاستغراق بتعمُّل وتكلّف في مجلس شيخنا ، فتوجَّه نحوه وأنشد البيت :

لا تمش كالسكران مُعوجّاً بزو ... رانٍ لي لعلامة من ساق

مطلب

قال يوماً للأصحاب : أَيُّكم لم يقع تصرُّف في نسبته عشرين مرة أو أزيد ؟ وكلما يقع التصرُّف في نسبتكم تذهبون إلى محلّ آخر وتضيّعونها . ينبغي لمن كان نائلاً حبّة نور من مجلس القرب أن يرى به جميع مصالحه ، وأن يشاهد به ظلمة نفسه ، وأن يرفع أنانيته من البين .

ولما أشار إلى فقير بطريق الرابطة أنشد هذا البيت :

كن مقيماً في قلوب الأولياء ... واترك الأفكار كُلاًّ والعناء

ثم قال : يعني كن ساكناً في قلوب الرجال ، يعني كن متوجِّهاً بكُلِّيتك لأن تجعل منزلاً لنفسك في قلوب الرجال ، وهم مشائخ الطريقة ، وينبغي المحافظة على كلِّ نَفَس كما هو طريقة خواجكان قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، حتى لا يصدر عنك ما يكون سبباً لكراهة خاطر المشائخ ، إلى أن تبلغ مرتبة يكون جميع مرادك مراد الشيخ ، ومراد الشيخ مرادك ، وتتشرَّف بسبب تلك المحافظة بسعادة لا تتصوَّر فوقها سعادة ، وهي الفناء في الله .

قال : كان فقير من الفقراء يكثر النظر إلى وجه شيخنا في المجالس ، وأثناء الصحبة ، فقال يوماً خطاباً له : كان شخص يكثر النظر إلى وجه خواجه بهاء الدين قدس سره فقال له : لا تكثر النظر إلى وجهي فتهلك قلبك ، ثم أنشد المصراع :

ومن يرنو إلى وجهي يهيم ....

قال : إذا قعدتم مع واحد من هذه الطائفة اجتهدوا في معرفة حقيقته ، وأنشد الأبيات :

كنت مشغوفاً بكلّ الاجتماع ... حِرْتُ في صحب الخيار والرعاع
كان كل الناس أصحابي على ... ظنِّهم والقلب بالله اختلى
لم يكن سرِّي بعيداً من أنيـ ... ـني ولكن أين فهمٌ للدَّنيِّ

قال : قال الخواجه علاء الدين الغجداوني عليه الرحمة : قدم الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره إلى طوايس ، وكنا نحن جمع من الأصحاب في غجدوان ، فطُلبْنا عنده فحضرنا ، ولما قرب الليل طلب حضرة الخواجه محمّد الشيخ الدرزي وكان من المخلصين والخادمين ، وقال : اذهب منزلك بالأصحاب واخدمهم ، فذهبنا إلى

منزل الشيخ محمد ، وجاء حضرة الخواجه أيضاً بعد المغرب ، وقعد في جنب الصفة مرخياً رجله المباركة ، ودعى الشيخ محمداً وقال : ماذا تريد أن تطبخ للأصحاب ؟ قال الشيخ محمّد : خطر على قلبي أن أطبخ دُجَيْجات مع الأرز . فقال الخواجه : هات الدجيجات حتى أنظر أنها سمينة أم مهزولة ! فجاء بها الشيخ محمد ، فتفقَّد الخواجه كل واحد منها بيده الكريمة ، وحبسها وقال : حسن . ثم قال للأصحاب : كلوا الطعام ، وناموا[1] في الليل ، واحضروا عندي في الصبح ، ثم قام وانصرف . وكنا في الليل هناك ، وأكلنا الطعام ، ونمنا ليلتنا هذه ، ولما أصبحنا جئنا ملازمة حضرة الخواجه باتفاق من الأصحاب .

مطلب

قال : إن الذكر بمثابة الفأس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب .

إن كان السكوت في الصحبة لأجل حفظ الحضور بالله تعالى وملاحظة الامتناع عن اللغو فتلك الصحبة جنَّة . وفي قوله تعالى ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ إشارة إلى مثل هذه الصحبة ، فمن كان قلبه في أسر محبَّة المحبوب الحقيقي فهو في مقام المكالمة والمناجاة مع محبوبه في كل حال .

قال : إن الحق سبحانه لا يكون مُدْرَكاً ومفهوماً بوجه من الوجوه عند المحققين ، ويكون طريق إدراكه مسدوداً ، والعقل الكامل لا يستريح من طلب إدراكه أصلاً ، فالسكوت والاطمئنان ليسا من مقتضيات العقل على هذا التقدير .

قصد الحبيبة أن تضحي بها ولها   فالسعي في عبَثٍ أولى من الوسن

---

(١) لعله : نوموا .

قال : كانت الأرواح الإنسانية في جوار القدس في المشاهدة دائماً ، فلما أوردوهم في هذا العالم وحبسوهم في قفص البدن الناسوتي كانوا مشغولين بما تحتاج إليه الأبدان ، من المسكن والملبس ، والمطعم وغيرها ، بواسطة تعلُّقهم بها ، ومع ذلك غلب على بعض منهم اضطراب وميل الوصول إلى مقرِّه الأصلي ، ولم تكن التمتُّعات البهيمية والمستلذات الطبيعية مانعة له عن التوجُّه إلى مقرِّه الأصلي ، فمن أين يعلم عدم كون المقصود من الوجود الإنساني حصول هذا الاضطراب ! وإن بينوا في تحقيق المقصود أمراً آخر .

قال يوماً خطاباً لبعض الخدّام والأصحاب كلمات وقال في أثناء الكلام : والحاصل ينبغي أن يجتهد حتى يحصل للقلب توجُّه دائميّ إلى الحق سبحانه ، فيمكن بعد ذلك حصول التنبُّه لصاحب هذا التوجُّه . إنّ التوجُّه من الله تعالى إلى ذاته ، وليس للمتوجِّه دخل في البين .

التصوف

قال : قد نسب الله تعالى بعنايته عدة من الأوصاف إلى عبيده ، وفرّع عليها كثيراً من وعده ووعيده ، ولا كمال للعبد سوى السعي والاجتهاد بكليته في سلوك الطريقة المستقيمة ، وأن يوصل نفسه إلى مرتبة يتيقَّن أن ما نسب الله تعالى إليه ليس منه ، وهذا هو التصوف . ولكن أطال الناس مسافته .

قال بعض لشيخنا : لا وجود غير وجود الحق تعالى الذي هو الوجود المطلق ، وإنّ الظاهر في لباس المظاهر واحد ، فعلى التحقيق ما معنى مخالفة أهل الإسلام أهل الكفر ؟

فأجابه شيخنا : بأنه لما كان وجود الحق الذي هو الوجود المطلق ؛ الذي لا وجود غيره عند الصوفية مقترناً بالتعيُّنات والاعتبارات التي تلحقه بواسطة تعلقه بالمظاهر ، جرى كل أفراد الممكنات بمقتضى مبدأ تعيّنه

الذي هو حقيقته ، فأفضى ذلك إلى نزاع موسى عليه السلام موسى السامري لاختلاف مبدأ تعيّنهما ، فإذا ارتفعت تلك النسب والاعتبارات بحكم : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ يرجع موسى إلى الاتفاق بموسى ، كما كانا على ذلك قبل عروض التعيين ، فأما مومسى الثاني السامري فاسمه موسى أيضاً ، فإن أمَّه رمته بين الجبال ، فربَّاه جبريل عليه السلام .

مطلب مهم لنا معاشر العلماء

ولا ينبغي أن يعدَّ الطريق سهلاً ، ولا تعتقدوا طريقة خواجكان شيئاً سهلاً . وكان خواجه محمد پارسا قدس سره مع كونه في نهاية الكمالات الصورية والمعنوية لا يفارق رسائل خواجكان أبداً . خصوصاً « الرسالة القدسية » منها ، فإنه كان لا يتركها أصلاً ، بل كان يطالعها دائماً لكونها مما لا بد منه .

قال : إن معرفة الخواطر على وجه الكمال منحصرة في طريقة خواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره لكمال احتياط أهلها في حفظ الأنفاس .

قال : إن المقصود من هذا الطريق كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً ، ويكتسب هذا المعنى بأعمال مناسبة ، وأشغال لائقة به ، في البداية وفي النهاية ، فلا مَدْخَل للكسب فيه أصلاً ، بل يكون هذا المعنى فيها ملكة النفس وملكها .

وإذا ظهرت نسبة الإرادة في باطن أحد ينبغي أن يعدّها نعمة عظيمة من الله تعالى ، وأن يتبادر إلى القيام بحقها . والقيام بحقها ليس إلا التوجُّه إليه تعالى بكُلِّيته ! ويصرف وجوده في الله تعالى .

قال : ليس الأمر التوجُّه والمراقبة فقط ، بل الأمر جعل جميع الأمور تابعاً لمقصود واحد ، وتحصيل إدراك خاصٍّ في جميع الأشياء .

قال : ينبغي أن يرى العمل محبوباً دون الحضور والجمعية ، فإنهما من المواهب ، وعزيزي الوجود ، وليسا تحت الاختيار ، وفقدانهما موجب للكسل والفتور ، بخلاف العمل ، فإنه من المكاسب ، وتحت الاختيار ، والمواظبة عليه موجبة للجمعية والحضور ، فإنَّ الفتور متطرق إلى الجمعية والحضور ، وذلك واقع بالخاصية .

ما دام هذا الكلبُ في قلبي سكَنْ ‏ ‏ ‏ هيهات أمن طريق روحي للوطن

فبحكم شرعٍ انْصفَنْ لي منه أو ‏ ‏ ‏ ادْفَعْه عن ملك الفؤاد والبدن

مطلب

وتكلم يوماً بمعارف جاذبة للقلوب ، ولطائف جالبة للنفوس ، وحقائق باعثة على الأشواق ، ودقائق مورثة للأذواق ، فأقبل واحدٌ على الكلام بجملته ، فقال له : قد أراك كثير الميل إلى استماع الكلام ، بل ينبغي لك أن تسلّم نفسك إلى مضمون ما سمعته بالتمام ، فإن الكلام مع كثرته بحسب الأقسام ، واحدٌ بالنسبة إلى المرام ، ولا يحصل شيء من القيل والقال وسماعه من الأنام .

وإن للكلام جمالاً يظهره الله تعالى لمن يكرمه بعنايته ، ولهذا أرسل الله تعالى الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بالكلام لا بالجذبة والتصرّف . واللسان مرآة الجَنان ، والجَنان مرآة الروح ، والروح مرآة الحقيقة الإنسانية ، وهي مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فتصل الحقائق الغيبية من غيب الذات إلى اللسان بقطع هذه المسافة البعيدة ، ثم تصل من اللسان إلى مسامع حقائق المستعدِّين متلبِّسة بصور الألفاظ .

وجمال الكلام أن يأخذ المستمع ، ويجذبه عن نفسه ، ولا جمال لكلام غير الأولياء . ثم أنشد الأبيات :

وثــلاثــة لــلأولـيـاء عــلامــة　　خــذهــا أخــي كـيــلا تـكـون مُعَطَّلا
فــإذا رأيــت وجــوهــهم بين الورى　　ســتــرى فــؤادك نــحــوهــم متمايلا
وإذا تــكــلَّــم واحــدٌ مــنــهــم تــرى　　كــل الــورى عــن نــفــســه مــتـغـافـلا
وأخــصُّــهــا بــالأولـيــاء بــأسـرهــم　　أن لا يــرى مــن فــعــلــهــم ما يَبْطُلا

قال لفقير : خلاصة العلوم المتداولة : التفسير ، والحديث ، والفقه ، وخلاصة تلك العلوم الثلاثة التصوف ، وموضوع علم التصوف بحث الوجود ، وقالوا : ليس في جميع المراتب الإلَهية والكونية إلاّ وجودٌ ظاهرٌ بصورة العلمية ، وهذا البحث في غاية الإشكال ، ونهاية الدقة ، والخوض فيه بالتعقُّل والتخيُّل موجب للضلالة والزندقة ، فإن في هذا العالم كلاباً وخنازير ، وأمثالهما مما لا يحصى من الحيوانات الخسيسة ، وأنواع النجاسات والقاذورات ، وإطلاق الوجود عليها في غاية القباحة والشناعة ، واستثناؤها من الوجود موجب لإبطال القاعدة الكلية ، ومخالف لاصطلاح هذه الطائفة العلية . فالواجب على الأذكياء الاشتغال بتصفية مرايا حقائقهم عن النقوش الكونية ، وعدم الميل منه إلى أمر آخر ، حتى تشرق أشعَّة أنوار الوجود في اللطيفة المدركة ، بواسطة تصفية محلِّها وتزكيتها ، فيظهر لهم ذلك المعنى على ما ينبغي :

لا تــكــن أصــلاً إذا رُمْــتَ الكمال　　وامـحُ فيه النفس إن رُمْت الوصال

وقال : إذا أزيل صور النقوش الكونية عن وجه مرآة القوة المدركة لا يبقى في محاذاتها شيء سوى الذات البُحت .

ومن أخذ عملاً عن كامل مكمل فالمواظبَة والمداومة عليه موجبة للوصول إلى درجات عالية ، وإنَّ الاشتغال بدفع الأخلاق والردية مشكل جداً ، فالأولى أن يلتزم شيئاً من الأعمال الباطنية ، أو ينتظر ظهور أمر يخلِّصه عن الكلّ .

ينبغي لأصحابنا اختيار أحد الأمرين

قال : ينبغي لأصحابنا اختيار أحد الأمرين : إمّا قبول شيء من الوجه الحلال ، والاشتغال بالزراعة بحفظ أنفسهم في جميع أوقات الاشتغال ، كما هو طريقة فقراء أكابر خواجكان قدس الله تعالى أسرارهم العلية . وإما تفويض أنفسهم إلى القضاء والقدر بالكلية ، من غير صرف القوة الفكرية فيما يحصل وما لا يحصل ، والسعي والاجتهاد في إهلاك مقتضياتهم ، وإفنائها في مقتضى الآخر ، فيتشرَّفون بالسعادة العظمى التي هي الفناء في الله . ثم أنشد البيت :

اسقط عن المحبوب قسمك راضياً ۔ واقنـع بـمـا يـأتـيـك منه تقاضياً

قال : يلتزم رجال الغيب في كل زمان صحبة شخص من الصلحاء ، يعمل بعزيمة ، ويجتنب عن رخصة ، ويفرُّون من أرباب الرخصة ، فإن العمل بالرخصة شغل الضعفاء ، وطريقة أكابر النقشبندية عزيمة .

والاحتياط في اللقمة من اللوازم ، حتى ينبغي كون من يطبخ الطعام على طهارة كاملة ، وأن يوقد النار بالحضور والشعور . وكان الخواجه بهاء الدين قدس سره لا يأكل من طعام ، صدر عند طبخه غضبٌ ، أو كلام فاحشٌ ، وكان يقول : إن لهذا الطعام ظلمة لا يجوز لنا أكله .

قال : ما دامت نسبة المريد ضعيفة غير قوية ولم تتمكَّن فيه يعمل معه بالمداراة والمواساة ، ويترك من غير مؤاخذة على ما يصدر عنه من الأفعال الغير المرضية ، وتحمل أخلاقه الردية .

وأما إذا قويت نسبته وحصل له يقين بهذا الطريق فالأمر يقع بعد ذلك على المريد ، ويلزمه حينئذ المحافظة على أحواله ، لئلا يصدر عنه شيء موجب لكراهة الخاطر ونفرته ، فإن صدر منه شيء مناف للأدب يؤاخذ به بذلك ، ويؤدِّبه على ما هنالك .

قال : قال بعض الأكابر : ينبغي للشيخ أن يكون قادراً على أكل المريد ، فإن لم يكن كذلك فهو لا يستحق المشيخة . ومعنى أكل المريد : كون الشيخ بحيث يقدر أن يتصرَّف في باطن المريد ويأكل أخلاقه الذميمة ، يعني يقدر على إزالتها عنه ، ويثبت مكانها الأخلاق الحميدة ، ويوصله إلى درجة الحضور والشعور .

قال : ما لكم لا تسعون أيّاماً يسيرة في مدّة حياتي ، ولا تكونون من مشاهدي الحق تعالى ؟ فمتى تكونون كذلك ؟ فاغتنموا هذه الفرصة ، فإنكم ستندمون على ما فات .

قال : ينبغي أن يكون توجُّه المريد إلى ما بين حاجبي الشيخ ، وأن يعتقده حاضراً معه ، ومطَّلعاً على أحواله في جميع أوقاته وأطواره ، حتى تتصرَّف فيه أُبَّهة الشيخ وعظمته ، ويزول عن باطنه كل ما لا يلائم الحضور ، ويبلغ من رعاية ذلك المعنى مرتبة يرتفع الحجاب من بين الشيخ والمريد ، ويكون جميع مرادات الشيخ ومقاصده ، بل جميع أحواله ومواجيده معايناً ومشاهداً للمريد .

قال : إن طريق النجاة من أسر الخواطر الرديّة ، ومقتضيات الطبيعة البشرية ، يمكن حصولها بأحد ثلاثة أمور :

أحدها : أن يلتزم على نفسه عملاً من أعمال الخير ، ممّا اختاره هذه الطائفة وقرروه ، وأن يختار طريق الرياضة .

الثاني : أن يتبرَّأ من حوله وقوته ، وأن يعلم أنه ليس بحيث يقدر على إنجاء نفسه من تلك البليَّة إلا بالرجوع إلى الله تعالى على سبيل العجز والافتقار ، ودوام التضرُّع والانكسار ، فعسى الله تعالى أن ينجيه من تلك البلية .

والثالث : أن يكون مستمدّاً من باطن الشيخ وهمَّته ، وأن يجعله قبلة لتوجُّهه . ثم سأل الحاضرين أيّ طريق أفضل من الثلاث ؟ فقال : إن

الاستمداد من همَّة الشيخ والتوجُّه إليه أفضل ، فإن الطالب قد اعتقد عجز نفسه عن التوجُّه إلى الله تعالى في هذه الصورة ، وجعل الشيخ وسيلة لتوجُّهه ووصوله إلى الحق سبحانه وتعالى ، وهذا أقرب إلى حصول النتيجة . ويتفرَّع على ذلك ما هو مقصود الطالب بسهولة ، لكونه مستمداً من همَّة الشيخ دائماً .

قال : الجوع الكثير ، والسهر الطويل ، يُضعفان الدماغ ، ويمنعان عن إدراك الحقائق والدقائق ، ولهذا وقعت أغلاط كثيرة في كشف بعض أهل الرياضات ، وإنما لا يضرُّ السهر مَن له فيه فرح وسرور . فإنهما يعملان في الدمّاغ عمل النوم ، ويحفظانه عن اليبوسة . قال : الأمر أن يكون السالك مستغرقاً في الذكر على وجه لا يبقى له شوق الجنة ، ولا خوف النار ، ويكون النوم والسهر عنده متساويان ، فكيف يدنو الشيطان من أطراف هذا الشخص العظيم الشأن ؟

العبادة والعبودية والشريعة والطريقة والحقيقة

قال : العبادة عبارة عن العمل بالأوامر ، والاجتناب عن المناهي .

والعبودية عبارة عن دوام التوجُّه ، والإقبال على الله تعالى .

وقال : قد فرَّقوا بين العبادة والعبودية في بعض الكتب هكذا : إن العبادة هي أداء وظائف العبودية بموجب الشريعة .

والعبودية حضور القلب وشعوره على جهة التعظيم ، والمقصود من الخلقة الإنسانية التعبّد ، وخلاصة التعبّد وزبدته الحضور بالله تعالى في جميع الأحوال على وجه التضرُّع والخضوع .

والشريعة إجراء الأحكام على ظاهرها .

والطريقة تعمُّل وتكلّف في جمعية الباطن .

والحقيقة رسوخ تلك الجمعية .

والمعراج صوريّ ومعنوي ، وهو على نوعين : الانتقال من الصفات الذميمة إلى الخصال الحميدة ، والانتقال إلى الله تعالى عما سوى الله تعالى .

والسير على نوعين : سير مستطيل ، وسير مستدير . فالمستطيل بعد على بعد ، والمستدير قرب في قرب . فالمستطيل طلبة المقصود من خارج دائرة نفسه ، والمستدير هو الدوران حول نفسه ، وطلب المقصود من نفسه .

قال : العلم علمان : علم الوراثة ، والعلم اللدنِّي . فعلم الوراثة ما يكون مسبوقاً بالعمل ، كما قال النبي ﷺ « مَن عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم » . والعلم اللدنيُّ ما لا يكون كذلك ، بل يشرِّف الله سبحانه مَن يشاء من عباده بعلم خاص من عنده ، بمحض عنايته له ، من غير سبق عمل منه ، كما قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ .

وقال : الأجر على نوعين :

أجر ممنون ؛ ما لا يكون في مقابلة شيء من العمل ، بل يكون محض هبة منه تعالى .

والأجر غير الممنون ما يكون في مقابلة شيء من العمل .

الفرق بين العالم والعارف والمتعرِّف

قال : بين العالم والعارف فرق !مَن كان عالماً بمسائل النحو مثل الفاعل مرفوع يقال له العالم بالنحو ، ولا يقال له عارف به ، وإنما يقال له عارف بالنحو إذا أعمل جميع مسائل النحو في محلها ، من غير شائبة تكلُّف وتوقُّف في شيء من تلك المسائل .

وكذلك يقال عالم بعلم التوحيد لمن كان توحيده بحسب العلم ، أي إذا اعتقد توحيد الأفعال والصفات والذات ، وتقرر في قلبه أن لا

فاعل في الوجود إلا الله تعالى . فيقال لمثل هذا الشخص أنه عالم بعلم التوحيد .

وأما من رأى وقت ظهور كل واحد من الأفعال والأوصاف في مظهر نفسه أو غيره أن فاعل ذلك هو الله تعالى فقط من غير تعمُّل وتكلُّف وتوقُّف يقال له عارف ، فإن علم ذلك المعنى بالتعمُّل ، يعني بقوة الإيمان ، يقال له متعرِّف .

قال : قد تصور الناس أن الكمال في أن يقول (أنا الحق) .

وإنما الكمال في رفع (أنا) من البين ، وأن لا يقول (أنا) أصلاً .

الفناء المطلق

قال : ليس معنى الفناء المطلق أن لا يكون لصاحب الفناء شعور بأوصافه وأفعاله أصلاً ، بل معناه نفي إسناد الأوصاف والأفعال إلى نفسه بطريق الذوق ، وإثباته للفاعل الحقيقي جلَّ ذكره .

وما قاله الصوفية إن النفي لا ينافي الإثبات إنما هو بهذا المعنى .

وقال : إن هذه الجبَّة التي أنا لابسها الآن عارية مثلاً ، ولا علم لي بأنها عارية ، بل أعتقد أنها ملكي لعدم علمي بأنها عارية ، ولي تعلُّق بها من تلك الحيثية ، فإذا حصل لي علم أنها عارية ينقطع تعلُّقي بها في الحال ، مع أني متلبِّس بها الآن بالفعل . وقس على ذلك جميع الصفات في أنها عاريات ، حتى ينقطع القلب عما سوى الله تعالى ، ويحصل لك التصفية والتزكية .

قال : الوصل عندي حصول نسبة الحضور بالله للقلب على سبيل الذوق ، والذهول عما سواه تعالى . فإن كانت تلك النسبة متصلة فقد تشرَّف صاحبها بدوام الوصل ، وهذا عقيدتي من صغر سني .

قال : الوصل في الحقيقة اجتماع القلب بالله على سبيل الذوق ، فإن كان حصول هذا المعنى على سبيل الدوام يقال له : وصل دائمي ، وهذا هو النهاية .

وما قاله حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره : نحن ندرج النهاية في البداية . فالمراد به هو ذلك الوصل . وما قاله : إنما نحن واسطة في الوصول لا غير ، فينبغي الانقطاع عنا ، والاتصال بالمقصود .

هو ذلك الوصل .

وقال : لو كان لهذه النسبة قدرُ مَّا عندكم لحملْتُمْ الأحجار فوق رؤوسكم ، يعني لتحصيلها وحفظها .

قال : إذا كان الذكر ملكة على وجه يكون القلب حاضراً دائماً ، ويكون الذاكر متلذذاً به فهو من الأبرار ، ويمكن أن يقال له أنه حاضر بالله ، ولا يطلق عليه واصل إلى الله ! فإن الواصل من ينتفي عنه إسناد الحضور إليه ، ويعتقد أن الحاضر إنما هو الحق بذاته .

قال : إن النهاية التي يصل إليها الأولياء ما لا تكون المشاهدة غائبة عنهم فيها ، فلئن غابت المشاهدة عنهم فإنما تغيب لغاية استغراقهم في الشاهد الحقيقي .

قال : التجلي هو الكشف . ويمكن أن يكون ظهور هذا المعنى على نوعين :

أحدهما : كشف عيانيّ وهو مشاهدة جمال المقصود بعين الرأس ، وهي في دار الجزاء .

وثانيهما : كون الغائب كالمحسوس بسبب كثرة إحضاره أو غلبة محبَّته ، فإن من خواص العشق والمحبة جعل الغائب كالحاضر المحسوس . وهذا نهاية أقدام أرباب الكمال في الدنيا .

إن نهاية هذا الطريق هل هي حضور ومشاهدة ؟ أم فناء وغيبة ؟ وما يفهم من كلام بعض الأكابر أنها حضور ومشاهدة . ولكن الأشبه أن تكون النهاية في الواقع هي الفناء والغيبة ، فإن التعلُّق بالحضور والمشاهدة نوع تعلُّق بالغير أيضاً .

وإن للشهود معنيين :

أحدهما : شهود الذات المقدَّسة المبرَّأة عن الظهور في لباس المظاهر .

وثانيهما : شهود الذات المقدَّسة من لباس المظاهر من غير وصف الكثرة ، بل بنعت الوحدة . ويقال لهذا الشهود عند الصوفية : شهود الأحدية في الكثرة .

وكان النبي ﷺ على هذا الشهود بعد البعثة .

قال : والعجب ممن يقول : لا تنظر إلى مَن قال : وانظر إلى ما قيل . قال : بل كان ينبغي له أن يقول : لا تنظر إلى ما قال ، وانظر إلى مَن قال : يعني أن القائل والمتكلِّم إنما هو الحق سبحانه من لباس المظاهر .

الخاتمة : في ذكر تاريخ وفاة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، وكيفية ارتحاله وانتقاله من الدنيا إلى الأخرى .

إنه تكلم يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وقال في أثناء الكلام : يتمُّ عمري تسعين سنة بعد ثلاث سنين وأربعة أشهر .

وكان ابتداء مرضه في غُرَّة محرَّم الحرام سنة ٨٩٥ ، وتوفي ليلة السبت سلخ ربيع الأول من السنة المذكورة ، فكانت مدة مرضه تسعاً وثمانين يوماً .

وقال قبل وفاته باثني عشر يوماً : لو بقيت الحياة يستكمل عمري تسعاً وثمانين سنة بعد خمسة أشهر ، ويشرع في تسعين . وسرُّ كون

مرضه تسعاً وثمانين يوماً مطابقاً لسني عمره الشريف هو حصول كرامة له من الله تعالى لهذا الحديث : « حُمَّى يوم كفارة سنة » .

وأنه توجه من محلَّة خواجه كغشير إلى قرية كمانكران ليلة الأربعاء ، العشرين من ربيع الأول سنة ٨٩٥ وقت تحويل الشمس إلى برج الحوت ، ونزل بستان محلَّة قوجيان ، وكان فيها ليلة الخميس ، وأراد غداتها أن يتوجَّه إلى كمانكران من طريق مصر ، فبقي في مصر يومه هذا وليلته لشدة مرضه وغلبة الضعف عليه ، وتوجه إلى كمانكران غداة يوم الجمعة ، وكان يقف في الطريق آناً فآناً ، حتى وصل إلى كمانكران وقت العشاء من ليلة السبت ، وكان فيه سبعة أيام ، وزاد ضعفه من صباح يوم الجمعة إلى آخر اليوم ساعة فساعة ، وبالغ في حفظ أوقات الصلاة مدة مرضه مبالغة كثيرة ، وكان يهتمُّ ليصلي الصلاة في أول وقتها اهتماماً كثيراً ، خصوصاً في أيام غلبة الضعف واشتداد مرضه .

لما انتهى به الضعف إلى غايته وقت المغرب من ليلة السبت سلخ ربيع الأول قال : هل دخل وقت الصلاة ؟ قال : نعم . فصلى المغرب بالإيماء ، ولما مضى وقت يسير بعد دخول وقت العشاء انقطع نَفَسه المبارك ، وتوجَّهت روحه إلى جوار رحمة الله تعالى ، وتزلزلت الأرض وقت الظهر من يوم الجمعة بسمرقند حين حصل التغيُّر له ، وقام فيه غبار كثير ، وكان الناس في ذلك الوقت في المسجد الجامع ، وكان لأكثر الخلق خبر عن اشتداد مرضه ، ولما عاينوا تلك الزلزلة والعلامة العظيمة جزعوا بوقوع صورة عليه ، فخرج الخاص والعام من البلد بعد أداء صلاة الجمعة وتوجَّهوا إلى كمانكران ، ثم تزلزلت الأرض زلزلة شديدة بسمرقند ثانياً وقت العشاء ساعة انقطاع نَفَسه الشريف ، ووصل السلطان مرزا أحمد مع جميع أركان دولته وأعيان مملكته إلى كمانكران وقت المغرب ، ولقي السلطان له بعد المغرب ، وجاء المير درويش محمد ترخان ليلة السبت من عند السلطان بتمام الاستعجال ، ووضع

نعشه في المحفَّة ، وتوجَّهوا إلى البلد ، وبلغوا بها محلَّة خواجه كغشير وقت الظهر ، وبادروا إلى غسله وتكفينه وتجهيزه في الحال ، وصلى عليه خواص أهل البلد وعوامهم ، ودفنوا فيها ، وبنى أولاده الأمجاد على قبره الشريف عمارة عالية ، وقُبَّة سامية ، على أحسن الهيئة . ونظم مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس سره السامي مرثية فيه ، وقطعة في بيان تاريخ وفاته .

مرثية :

لـقـد كان في روض الولاية دوحة ... أظلَّت لأهل الفقر في طول عمرها
أتشبهها أغصان سدرة في الـعـلـى ... وقد فاق روض الخلد في بزل ثمرها
تسامت بفيض الجود دوماً فروعهـا ... كـمـا أصـلـهـا أبٌّ لـقاصد قعرها
غدت مفتدى المسترزقين بـتـمـرها ... ومأوى ذوي الحاجات في طول دهرها
أخـواجـه عـبـيـد الله مـا سَـرَّ قلبُه ... بـغـيـر شـهـود الـحق دنيا وغيرها
سرَت صَرْصَرُ الآجال في عام خصره ... فـأوهـت جـدار الـعمر منه بقهرها

فبعون الله الملك المتعال ، وبتوفيق المقتدر ذي الجلال ، انتهى ما اقتصرته بالالتقاط ، واختصرته بالاستنباط ، من كتاب « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » لوليّ الله تعالى بلا نزاع ، وحبيبه بلا دفاع ، مولانا وسيدنا الشيخ علي بن الحسين الواعظ الكاشفي المشتهر بالصفيِّ [١] . ثبته الله تعالى وإيانا على محبة أوليائه ، وشرَّفه وإيانا بكمال متابعة أصفيائه .

فالآن وجب علينا الدخول في اختصار كتاب العالم العارف الرباني ، والفاضل الألمعي الوحداني الشيخ محمد مراد بن عبد الله

---

(١) الذي هو من تلاميذ العارف خواجه عبيد الله أحرار . قدس الله تعالى سرَّهم ورزقنا من بركاتهم وفيوضهم آمين . (منه) .

الغزاني المنْزلويّ ، مضيفاً لما صنَّفه الشيخ علي المذكور تتميماً لسلسلة المشائخ النقشبندية طرَّة ، وصلت إلى شيخنا قطب الكمالات العلية ، والمراتب الجلية ، غوث الإقليم الشامية ، وزين الديار القفقاسية ، شيخي وسيدي وسندي سيد السادات ومنبع الفيوضات ، الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي أطال الله تعالى بقائه ، وأفاض علينا فيوضه وفناءه ، وأعلى الله تعالى درجته يوماً فيوماً ، وشفاه الله تعالى من أمراضه كرماً وكرماً ، وأطاعه الله تعالى جميع أهالينا عصراً فعصراً ، ورزقهم الله وإيانا من بركاته دهراً فدهراً . آمين يا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات ، ويا رفيع الدرجات ، ويا قاضي الحاجات . آمين .

المقصد الثاني

في طبقات الأولياء في كتاب « نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » لمحمد مراد الغزاني قدس سره .

واسطة فيضان فيوضات السبحانية ورابطة السلسلة العلية النقشبندية مولانا المعروف بالزاهد الوخشواري قدس سره

أجلُّ خلفاء خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، وكان مثل مولانا القاضي في اللطافة وكمال الاستعداد ، وإنما لم يذكره مؤلف « الرشحات » لعدم اتفاق نقل المعارف والحقائق عنه ، فإنه إنما ذكر من خلفائه في ضمن نقل شيء من المعارف عنه .

أصله من قرية وخشوار قرية من قرى حصار ، ومع كونه متصفاً بالكمالات المعنوية ، والقابلية الذاتية ، كان مشغولاً بكسب الكمالات عند واحد من أكابر هذه الطائفة العلية ، ثم جاء إلى سمرقند لتحصيل بركات صحبة خواجه عبيد الله أحرار قدس سرهما ، وأقام في قرية ورسين منتظراً لقدومه هناك ، ولما قدم ورأى فيها مولانا محمد الزاهد عظَّمه ، وأكرمه ، وبايعه ، وأحيوا ليلتهم هذه بالصحبة ، ولما كان فيه

صفاء ذاتي ، وقابلية تامة ، نال مرتبة الكمال والتكميل في الطريقة العلية ببركة صحبته ، ورجع إلى وطنه من هذا المحلِّ بأمر شيخه ، ممتازاً بالإجازة ، واشتغل بتربية الطالبين هناك إلى آخر عمره ، وقبره أيضاً هناك يزار ، ويتبرَّك به . رضي الله عنه وعنا ، وقدس الله تعالى سره ، ورزقنا من بركاته الكاملة ، وفيوضاته الفائضة ، آمين . انتهى .

قلت : في كتاب « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » للمحقق العارف المعروف عبد المجيد بن محمد بن محمد بن عبد الخالق الخالدي النقشبندي خلاصة المتَّقين المتْقنين ، وفذلكة المرشدين الراشدين ، وصفوة الأولياء الزاهدين ، ألقت إليه الخلافة الربانية إقليدها ، وأوَّلته السلطنة الروحانية طريقها وتليدها ، جمع بين العلوم الإلهية والشرعية ، واستوعب فضائل الطريقة والحقيقة ، فأصبح مصدراً لواردات الدينية ، ومظهر العلوم والمعارف الغيبية ، فهو المفرد العلم في العلم والقلم ، الذي قام بأعباء الأسرار والإمداد ، وتدبير دولة إرشاد العباد ، فتبارك مَن شيَّد بالإلهامات الصادقة قدس سره ، وسدَّد بالكرامات الخارقة أمره ، وأتمَّ في أوج عرفانه بين أقرانه بدره . كان قدس الله سره من أولياء أصحابه ، وعيبة أسراره ، وقبلة خطابه ، ووارث علومه وأنواره ، صنَّف كتاباً في ذكر فضائله وخصائصه وشمائله سماه : « سلسلة العارفين وتذكرة الصديقين » . يقول فيه قدس الله سره : إني انتظمت في سلك خدمه سنة ثلاث وثمانين وثمان مائة ، ولم أزل حتى انتقل سنة خمس وتسعين ، فكانت مدة تشرفي بخدمته اثنتي عشرة سنة والحمد لله على ذلك .

وكان سبب اتصالي بجنابه أني خرجت مع رجل من طلبة العلم اسمه الشيخ نعمة الله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم ، فلما وصلنا إلى قرية شادمان أقمنا فيها أياماً من شدة الحرِّ ، فبينما نحن كذلك إذ حضر إلينا سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه وقت العصر ، فذهبنا

لزيارته ، فسألني : من أين أنت ؟ فقلت : من سمرقند . فطفق يحدِّثنا أجمل الحديث ، وذكر خلال كلامه جميع ما أكننته في سرِّي فرداً فرداً ، حتى أخبرني عن سبب سفري إلى هراة . فلما وجدت ذلك تعلَّق قلبي به كل التعلَّق . ثم قال لي : إن كان مقصودك طلب العلم فهو متيسِّر هنا ! فتيقَّنت أنه ما من خاطر إلا وقد اطَّلع عليه هذا ولم يخرج من قلبي محبة السفر إلى هراة ، فلما كوشف بذلك قال لي أحد أتباعه : إنه مشغول بالكتابة ، فتربَّصت قليلاً ، فلما فرغ قام من مقامه وأقبل نحوي ، ثم قال : أخبرني بجلية أمرك هل مرادك من هراة تحصيل الطريق أو العلم ؟ فدهشت من جلالته وسكتُّ . فقال له رفيقي : بل الغالب عليه الطريق ، وإنما جعل طلب العلم تستُّراً . فتبسَّم وقال : إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن ، ثم أخذني إلى جهة بستان له ، فلم نزل نسير حتى غبنا عن أعين الناس ، ثم وقف ، ومنذ أخذ بيدي جاءتني غيبة امتدَّت معي حتى استغرقتُ زمناً طويلاً ، فلما أفقت رجع يحدثني رضي الله عنه ثم قال : لعلك تقدر أن تقرأ خطي ، وأخرج من جيبه ورقة ، فقرأها وطواها ودفعها إليَّ ، وقال : احفظها .

مطلب

تجب مجانبة المتصوفة الرقّاصين

وإذا فيها : حقيقة العبادة خضوع وخشوع وانكسار يظهر على قلب ابن آدم من شهود عظمة الله تعالى ، وهذه السعادة موقوفة على محبة الله تعالى ، وهي موقوفة على اتِّباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ، ومن التحيات أتمها ، وهو موقوف على معرفة طريقة ، فلزم لذلك بالضرورة مصاحبة العلماء الوارثين لعلوم الدين ، وتلقي العلوم النافعة عنهم ، حتى تظهر المعارف الإلهية المنوطة بمتابعته ﷺ ، ومجانبة علماء السوء الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع الدنيا وسبباً للجاه ،

والمتصوِّفة الرقاصين وأهل السماع الذين يتناولون ما يجدون من حلال وحرام ، وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من مشكلات علم الكلام والتصوف ، والسلام .

ثم رجع إلى مجلسه ، فقرأ الفاتحة ، ورخَّص لي بالسفر إلى هراة ، فتوجَّهت كما أمرني قاصداً إلى بخارى ، فما سرت خطوات إلا وأتبعني بكتاب إلى حضرة الشيخ كلان - نجل الإمام الجليل مولانا سعد الدين الكاشغري قدس الله تعالى سرهم - وإذا فيه : عليك بملاحظة أحوال حامل هذا الكتاب ، ومحافظته من مخالطة الأغيار ، فلما رأيت منه ذلك أخذ بمجامع قلبي محبة وإخلاص ، ولكن ما انثنى عزمي ، بل أخذت الكتاب ومضيت ، فوجدت في أثناء الطريق زحمة تامة ، ودغدغة قوية ، من جملتها : أني كنت كلما سرت مرحلتين أو ثلاثاً ضعفت دابَّتي وعجزت ، حتى أني بدَّلت ستة أفراس إلى بخارى ، فلما وصلت إليها رمدت عيني رمداً شديداً بقي مدة أيام ، فلما شفيت تهيأت للسفر ، فأصابتني حُمَّى مزعجة جداً ، فنظرت حينئذ في نفسي أني إذا سافرت ربما أهلك ، فرجعت عن ذلك العزم ، وانقطع أملي من السفر ، وعزمت على الرجوع إلى خدمة حضرة الشيخ قدس سره ، حتى إذا وصلت إلى تاشكند أحببت أن أزور الشيخ إلياس العشقي بها أولاً . فأودعت ثيابي وكتبي ودابتي عند أحد الأحباب وذهبت ، فلقيني أحد خدَّامه فقلت له : ارجع معي لنزور الشيخ . قال : وأين دابتك ؟ قلت : قد أودعتها عند فلان . قال : اذهب فأت بها إلى داري ثم نمضي للزيارة . فبينما أنا راجع إذ سمعت قائلاً يقول لي : قد فقدت دابتك بما عليها ، فتحيَّرت وتغيَّرتُ ، وجلست أتفكَّر في ذلك ، فوقع في قلبي أنه يحتمل أن يكون ذلك لعدم رضاء حضرة الشيخ بهذه الزيارة ؛ فإن السادات - رضوان الله تعالى عليهم وعلينا أجمعين - لهم غيرة عظيمة على أتباعهم ، فكيف يكون الشيخ قدس سره متوجِّهاً إليك بهذا التوجُّه وأنت تقصد زيارة

غيره ! فلا بُدَّ أن تصاب بأكثر من ذلك ، فأعرضت عنها ، وعقدت النية على زيارة سيدنا ومولانا قبل كل شيء . فما تمّ هذا الأمر إلا وجاءني شخص فقال لي : وجدت الدابة وما عليها . فأتيت إلى من أودعتها عنده ، فقال لي : يا محمد إني كنت ربطت دابتك هاهنا فبعد لحظة غابت عن نظري ، فطفقت أفتِّش عليها فما وجدتها حتى يئست منها ، ثم رجعت فوجدتها واقفة وسط السوق بين الناس ، ولم ينقص مما عليها شيء مع ما في السوق من كثرة الازدحام ، فعجبت لذلك كل العجب ، ثم أخذتها وتوجَّهت إلى سمرقند ، فلما وصلت عند حضرة الشيخ رضي الله تعالى عنه تبسَّم وقال : أهلاً وسهلاً ومرحباً فلم أفارق عتبته بعد .

وقال قدس الله تعالى سره : كان رضي الله عنه إذا تكلَّم بالحقائق كثيراً ما يوجِّه خطابه إليَّ . وسألني مرة فقال : هل أنت إذا سمعت مني الكلام على الحقائق تتغيَّر عقيدتك التي تلقَّنتها من أبويك في صباك ، وتلقَّيتها من أستاذك ورسخت في قلبك ؟ قلت : لا . قال : إذاً أنت أهل لسماعها .

وكتب فيه أيضاً : إن سيدنا ومولانا مرض مرة فأمرني أن آتيه بطبيب من هراة ، فجاءني مولانا قاسم قدس سره وقال : يا مولانا محمد ! أسرع في ذهابك وإيابك فإني لا أستطيع أن أرى سيدنا ومولانا مريضاً ، وحرَّضني تحريضاً تاماً . فلما جئت بالطبيب وجدت الشيخ قدس سره قد شفي ، ومولانا قاسم قد توفِّي ، وكانت مدة غيابي عنه خمسة وثلاثين يوماً ، فسألت الشيخ عن سبب وفاته فقال : جاءني ذات يوم فقال : إني قد فديتك بنفسي . فقلت له : لا تفعل هكذا فإن المتعلِّقين بك كثيرون ! وأنت رجل شاب . فقال : ما جئتك مستشيراً في هذا الأمر ، بل قرَّرته في نفسي ، وصمَّمت عليه ، وجئت وقد قبل الله تعالى مني ذلك ، ولطالما راجعته في ذلك ونهيته عنه ، فما قبل . وما زال مصِرّاً على جوابه الأول وانصرف . قال : ففي اليوم الثاني انتقل مرض الشيخ بعينه إلى مولانا قاسم وتوفِّي به ، وذلك يوم الاثنين لستٍّ خلت من شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمان مائة ، وبرئ الشيخ برءً تاماً ، فلم يحتج للطبيب الذي أتيت به .

ولما احتضر سيدنا ومولانا رضي الله عنه اجتمع عنده جميع أولاده وأحفاده ، وأصحابه الخاصة والعامة ، فقال لهم : ليختار كل منكم إما الغنى وإما الفقر . فقال له الشيخ محمد قدس سره : اختياري اختيارك . فقال : أنا أختار الفقر . ثم التفت إلى خازنه وقال له : أعطه أربعة الآف شاهرخية ليستعين بها على مؤنة الفقراء الذين يجتمعون عنده ويتفرَّغ لخدمتهم .

أصحابه ومأذونوه

وله أصحاب كالنجوم في هداية الخصوص ، وبركة العموم ، أعظمهم اثنان :

الأول : العارف بالله تعالى مولانا الخواجكي الكاسپاني قدس سره نسبته إلى قرية كاسپان في جانب ولاية الأخصى .

قدم بعد استيفاء حظِّه من كافة العلوم على أعتاب الشيخ ، ونال ببركته أعلى منازل الأولياء الكاملين ، ثم استوطن دهبيدة من أعمال بخارى يرشد السالكين ، ويدعو إلى الله تعالى المؤمنين ، حتى لقي ربه ثمّ ، وذلك سنة تسع وأربعين وتسعمائة . ولمولانا الكاسپاني أربع أصحاب وخلفاء أحباب وهم :

العارف بالله الشيخ دوست الصحاف قدس سره : أصله من ولاية الأخصى ، خدم أعتاب الشيخ حتى صار من كبار المرشدين الكاملين ، ثم رحل إلى بلخ ، وتوفي بها عام أربعة وسبعين وتسعمائة قدس سره .

والعارف بالله تعالى الشيخ خرد قدس سره : اتصل بحضرة الشيخ الكاسپاني ، وخدمه أصدق خدمة ، حتى فاد بأتمّ المناقب العرفانية الجمَّة ، وتوفِّي في بلخ عام خمسة وسبعين وتسعمائة . نوَّر الله ضريحه .

والعارف بالله تعالى مولانا لطف الله الأرجاكتي قدس سره : ولد في أرجاكت من ولاية الأخصى ، وخدم رحاب مولانا الكاسپاني بصدق

وإخلاص ، فنال من مقامات العارفين أعلاها ، ومن منازل الأولياء أسناها ، ولم يزل يدعو الخلق إلى الله تعالى حتى انتقل ، وذلك عام ستة وتسعين وتسعمائة في أرجاكت . نوَّر الله مرقده .

والعارف بالله تعالى الشيخ محمد إسلام الجويباري البخاري قدس سره : ولد في جويبار – بلدة على نصف فرسخ من بخارى – ونشأ بها ، ثم لما أدرك من الفضائل قصارى مرامه قدم لأعتاب سيدنا القاضي محمد ، ولازم خدمته ، ونال نظره وهمَّته . ولما توفِّي اتصل بخدمة مولانا الكاسپاني ، فصار بأدنى مدة من أكابر أصحابه ، وكان بركة زمانه ، وسيد أقرانه ، اشتهر بالولاية اشتهار الشمس ، وصار آية في الإرشاد ، حتى انتقل إلى حظيرة القدس ، وذلك في صفر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، في بلدة سمتين من أعمال بخارى عن ثمان وثمانين سنة . نوَّر الله تعالى ضريحه .

ولمولانا الجويباري ثلاثة أصحاب وهم :

نجله العارف بالله الشيخ كلان قدس سره : تخرَّج على يدي والده ، وسلك عنده حتى بلغ مبلغ الكبراء من الأولياء ، ولما توفي قام مقامه في إرشاد الخلق إلى طريق الحق نوَّر الله روضته .

والإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي قدس سره : وهو أيضاً من أصحاب الخواجه محمد الباقي قدس سره ، وسيأتي في نظم السلسلة بعد الشيخ محمد الباقي ذكر ترجمته مفصّلاً . نفعنا الله تعالى به .

والعارف بالله تعالى الشيخ يونس الترك قدس سره : كان من أجلِّ أصحاب مولانا الجويباري ، وكان كبير الشأن ، رفيع القدر في الإرشاد والإمداد والبركة للعباد . نوَّر الله تعالى مثواه .

الثاني من خلفاء مولانا محمد القاضي قدس سره : شيخ هذه السلسلة وأعظم مَن سرى إليه سرُّ هذه النسبة المبجَّلة ، ابن أخته سيدنا الدرويش محمد قدس سره . انتهى عبارة « الحدائق » .

سيدنا الشيخ درويش محمد السمرقندي الإمكنكي قدس الله تعالى سره العزيز

من أجلاَّء أصحاب خاله مولانا محمد الزاهد ، وأكمل خلفائه ، وهو وإن كان ممن بايع الخواجه عبيد الله أحرار قدس سره من غير واسطة ، لكن كانت تربيته وبلوغه إلى مرتبة الكمال والتكميل وإجازته بالخلافة من مولانا محمد الزاهد قدس سرهما . سكن بقرية إمكنه قرية من ولاية كش ، وقبره أيضاً هناك مشهور ومعروف يزار ويتبرَّك به . قدس سره ، ونور قبره ، ورزقنا من أنفاسه العاطرة آمين .

وفي « الحدائق الوردية » : غوث الأولياء الأعلام ، وغيث علماء الإسلام ، المشرق في المغرب والمشرق نور بركته ، والمشرّف على دولة الإرشاد وإرشاد دولته . تربَّى في حجر خاله ، ونال مزيد فضله وإفضاله ، بما تضلَّع من العلوم الشرعية ، وارتضع من ثدي التربية الربيّة ، إلى أن ارتوى من الحقائق الإلهية والمعارف الغيبية ، وصار بما أوحى إليه هو المعوّل عليه . واشتهر من بعده بالولاية العظمى ، والعلم الأسمى ، والقدر العلى ، والفضل الجلي ، حتى عرف في أيامه بـ« الدرويش ولي » . ولما حوى من الهدى ما حوى ، ومال على محو الضلال كالسيل إذا انهال ، ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ ، بل جمع من الخواطر شتاتها ، ووصل من العزائم بتاتها ، وأحيا من النفوس أمواتها ، وقدَّر فيها من الخير أقواتها ، حتى غدا بركة زمانه ، وإنسان عين الإرشاد وعين إنسانه ، توفِّي في سنة ١٠٠٠ . وله أصحاب كثيرون ، كلهم هادون مهديُّون ، وأعظم مَن سرى إليه سرُّ هذه النسبة المطهرة شيخ هذه السلسلة نجله المبجَّل : سيدنا محمد الخواجكي الإمكنكي قدس سره .

سيدنا محمد الخواجكي الإمكنكي السمرقندي قدس سره العزيز

خليفة والده الماجد مولانا درويش محمد بطريقة الوراثة الظاهرية والباطنية ، وبلغ رتبة الكمال والتكميل بحسن تربيته ، ويُمن همَّته ، وبركات صحبته ، وقد بايع مولانا محمد الزاهد الوخشواري قدس سره من غير واسطة ، واسمه خواجه عبد الباقي . اشتغل بتحصيل العلوم الظاهرية عند علماء سمرقند وبخارى ، وطالع الكتب المتداولة ، ودرس في العلم الظاهر بعد بلوغه ذروة الكمال ، وحصل رتبة المولوية بسبب التدريس ، وجعلها ستراً وحجاباً لأحواله الباطنة ، وكان يأمر مَن حضر عنده لطلب الطريقة بالاستخارة ، ولم يكن يقبل أحداً بدونها ، وكان معاصراً لمولانا المخدوم الأعظم الدهبيدي خليفة مولانا القاضي محمد وكان في صحبته ، وأقام مدة في دهبيد - بعد رحلته إلى دار البقاء - لتعزية أولاده وأحفاده وتسليتهم ، ثم رجع إلى وطنه . وتوفِّي في شهور سنة عاشرة بعد الألف ، وقبره في قرية إمكنة مشهور يزار ويتبرَّك به ، قدس سره .

وفي « الحدائق الوردية » : خلاصة خاصة الأولياء ، وارث علوم الأنبياء ، فهو الإمام المتَّفق على جلالة منزلته ، والمرجو بركة فضله وفضل بركته ، وتخرَّج على حضرة والده ، وفاز بطارق مجده وتالده إلى علوم كالبحر الزاخر ، ومعارف كم تركها الأول للآخر ، ولم يزل في بدايته بعين هدايته ملحوظاً ، وفي ظل سلطنة تربيته محظوظاً ، حتى صار لمناقبه لوحاً محفوظاً ، لا يدع فضيلة جليلة إلا أحصاها ، ولا ضَيْعة وَضِيعَةً إلا أقصاها ، ولا مقامات عالية إلا طواها ، ولا أسرار غالية إلا حواها ، ولا أذواق غامضة إلا جلاها ، فكان تلو والده كالشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها . جلس في دست الخلافة بعده ، وبذل في إحياء القلوب جهده ، ولبس خلعة القطبانية ، فلا ذرّة في العالم

إلا وهو يمدُّها بالروحانية ، فأشرق في همَّته بدر هذا الطريق ، وصار فريق خيره خير فريق ، وطار صيت إرشاده ووفور إمداده وبعد مداه ، فهرع الناس إلى اقتباس هدى أنواره وأنوار هداه ، حتى صار بابه محال العارفين ، وقبلة قلوب الصلحاء المتقين ، ومستغاث الطالبين ، عليه من هيبة الكرامات والكشف أكبر جلاله ، ومن عظمة التجليات الذاتية ما يدلُّ على سموِّ مقامه في الحضرة الإلهية أكمل دلاله .

والخواجكي اسمه الكريم هو نسبة إلى خواجه ، وأبدلت هائه كافاً ! على عادة الفرس .

قال في شرح « سلسلة الذهب » : وفي ذلك الاسم مدحٌ عظيمٌ .

والإمكنكي نسبة إلى إمكنة بكسر الهمزة وسكون الميم وفتح الكاف والنون ثم هاء أبدلت كافاً كذلك قرية من قرى بخارى .

وله خلفاء كاملون أولياء ، وأكمل مَن سرى إليه سرُّ هذه النسبة العلية منهم شيخ هذه السلسلة : الشيخ محمد الباقي رضي الله عنه وعنهم . انتهى عبارة « الحدائق الوردية » والله أعلم .

مولانا خواجه محمد الباقي بالله قدس سره

ابن القاضي عبد السلام ، ولد سنة إحدى أو اثنين وسبعين وتسعمائة ببلدة كابل ، وكان أبوه القاضي عبد السلام رقيق القلب جدّاً ، كثير البكاء ، وافر الحظِّ من قوله تعالى ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرًا﴾ وأمه كانت من بنات السادات ، ومن النساء الصالحات القانتات . كانت كثيرة الاعتناء بخدمة الدراويش والفقراء بنفسها ، مع كثرة الجوار في بيتها ، قال لها ولدها خواجه محمد الباقي : إن مَن يقوم بأمر الخدمة موجود فينبغي لك أن تقعدي وتستريحي . فبكت وقالت : أيّ جريمة صدرت عني حتى يمنعني الله تعالى عن شرف خدمة طالبيه وعباده الخاصة ! فتركتها على حالها . وكانت آثار الجذبات الإلهية ، وأنوار الهداية السبحانية ظاهرة

في جبينه في حالة صباه . اشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرة عند أجلَّة علماء عصره ، والتزم مولانا محمد صادق الحلواني الذي هو علامة عصره بلا نزاع ، وقدم ما وراء النهر في رفاقته ، وفاق جميع أقرانه . بدا له في الأثناء داعية الدخول في طريق التصوف ، وانبعث من باطنه شوق صحبة أولياء الله تعالى الكرام ، وصادف في بداية ترك تحصيل العلوم الرسمية إلى محفل واحد من أكابر العصر ، فقال ذلك الفاضل : ما أحسن لو كان خواجه عبد الله الباقي مداوماً على التحصيل والمطالعة أياماً ، حتى تبلغ مولويَّته وملكته في المطالعة إلى مرتبة الكمال والإكمال ! فقال له الخواجه : أليس المراد من كمال المولوية والملكة أن تحصل قدرة مطالعة الكتب المتداولة على ما ينبغي ؟ فأتوني بكتاب لا يقدر على مطالعته إلا صاحب بصر حديد ، فعسى يحصل التشفِّي التام .

وبالجملة تطرقت إلى طريق تحصيله للعلوم فترة تامة ، وجذبته الجذبات الإلهية إلى محفل قوم أشرقت في حضرتهم المنيرة شمس « لي مع الله وقت » . فطاف حول مجلس كثير من كبار مشائخ وقته في بلاد ما وراء النهر التي هي معدن هذه الطائفة العزيزة الوجود . وزفّ عند بعضهم بعروس التوبة والإنابة ؛

فأول مَن تاب على يده وأناب : الشيخ خواجه عبيد خليفة مولانا لطف الله ، خليفة مولانا المخدوم الأعظم الدهبيدي ؛ خليفة مولانا القاضي محمد ؛ خليفة قطب الآفاق خواجه عبيد الله أحرار قدس الله تعالى أسرارهم . ولما لم تظهر فيه آثار الاستقامة أناب ثانياً على يد الشيخ أفنخار حين قدومه بسمرقند وكان من كبار مشائخ سلسلة خواجه أحمد اليسوي ثم طرأ الفترة على عزيمته هذه أيضاً ، وظهر فيه ما ينافي طريق الاستقامة ، ثم جدد التوبة ثالثاً من غير صنع واختيار على يد الشيخ الأمير عبد الله البلخي قدس سره ، فكان في مقام حفظ الحدود أياماً ، ثم هدم سَدَّ تلك التوبة أخيراً ، ثم انعقدت صورة التوبة في المنام في

شرف ملازمته خواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره ، وظهر فيه ميل إلى طريق أهل الله تعالى ، فبحكم الغريق يتشبث بكل حشيش صار يتوجه إلى كل طرف ويسير ؛ حتى وصل إلى ملازمة الشيخ بابا ولي الكبروي في بلدة كشمير ، وكان منظوراً بنظر عنايته .

ولما كان الشيخ المذكور مجازاً من مشائخ السلسلة النقشبندية أيضاً هبّت في ملازمته النفحات الربانية ؛ من مشرق فيوضات هذه الطائفة العلية ، إلى روض استعداده ، وظهرت فيه الغيبة المعهودة عندهم ، وظهرت قوة في نسبته بيُمْن توجههم ، واتسعت دائرتها ، واتضح له الطريق ، ثم جذبته جذبة عنايتهم إلى خدمة مجمع الحقائق ومنبع الدقائق مولانا خواجكي الإمكنكي قدس سره ، فأظهر له التفاتاتٍ كثيرةً ، وعنايات جزيلة ، ولما تفرَّس مولانا علوَّ فطرته ، وسموَّ استعداده ، وحدس أحواله العالية ، ومواجيده السامية ؛ جلس معه في الخلوة للصحبة ثلاثة أيام متوالية ، وأطلعه في أثناء الصحبة على بعض الزوائد والفوائد .

ثم قال : إن أمرك قد بلغ مرتبة الكمال والإكمال بعناية الله تعالى ، وببركة تربية روحانية أكابر هذه السلسلة العلية ، فينبغي لك أن تعود إلى طرف بلاد الهند ، فإنه يظهر فيه رونق هذه السلسلة بوساطتك ، ويبلغ فيه كثير من المستفيدين عالي القدر ، كاملي الاستعداد إلى ذروة الكمال ، فاعتذر إليه بأعذار عديدة على طريق الانكسار ورؤية قصور الأحوال .

ولكن لم يترك مولانا خواجه ، وأمره بالاستخارة . ولما نام بعد الاستخارة رأى في منامه بَبَّغاء ؛ فقال : إنها طير مخصوصة ببلاد الهند ، فإن كان السفر إلى بلاد الهند مباركاً فلتجيء هذه الببغاء عندي ولتقصد علي ! فجاءت عنده ، وقعدت على منكبه ، فرمى إلى فمها ببزاقه وصبَّت هي أيضاً سكراً من فمِها في فمه ، فوجد منه لذة في دماغه . فأخبر شيخه بذلك ، فبشره بما هنالك . وقال : قم وبادر إلى طرف بلاد الهند ، فإنه سيحضر فيها في صحبتك كامل الاستعداد ؛ ينتفع بك ، وتحصل لك منه

أيضاً حلاوة ، وتظهر كمالاتك منه . فتوجه بموجب إشارته إلى طرف بلاد الهند ، وأقام سنة في بلدة لاهور ، واغتنم صحبته فيها كثير من علماء تلك الديار وفضلائها ، ثم ارتحل منها إلى دار سلطنة بلاد الهند الدهلي ، واختار للإقامة القلعة الفيروزية التي هي مشتملة على نهر كبير ومسجد عظيم مزيّنة بأنواع الزينة وأقام هناك إلى حيث وفاته .

وكان قدس سره صاحب الأذواق والمواجيد العالية ، والأحوال السامية ، كثير التواضع والانكسار ، وكان يجتهد في ستر أحواله وسيرته السنية عن نظر الأغيار ، بل عن مَحْرَم الأسرار بأنواع الحجب والأستار ، ولا يرى نفسه أهلاً لمقام الإرشاد ، فإذا جاءه شخص لطلب الطريقة كان يقول : ليس عندي شيء من ذلك ، ينبغي لك أن تطلبه من غيري ، فإذا لقيت أحداً من هذه الطائفة مقتدى في الطريق فنبِّهني على ما هنالك . وكان يبعد عن نفسه مطلق الدعوى ، بل كان يشتغل بخدمة الزوَّار واستمالة قلوبهم ، ولا يتكلم إلا عن ضرورة إلا في مسألة مشكلة من حقائق هذه الطائفة ، فكان يوضحها حق الإيضاح ؛ لئلا يميل صاحبها بلا إدراكها عن النهج القويم . وكان يمنع أصحابه عن القيام تعظيماً له ، ويعدُّ نفسه كأحد منهم ، ويحب المساواة معهم في سائر حالاته ، وكان يقعد فوق التراب من غير حائل إظهاراً للتواضع والمسكنة ، وكان ذا كيفية عجيبة وتصرفات عظيمة ، بحيث إذا وقع نظره على شخص كان يتغيَّر حاله ، ويؤول إلى الخير مآله ، وكان الناس في بابه مطروحين سكارى ، ودائرين حوله حيارى .

قال الشيخ تاج الدين الهندي الذي كان من قدماء أصحابه وأجلَّة خلفائه : وقد صحب بعده الإمام الرباني ، ثم جاور الحرمين الشريفين ، واشتهرت هناك صيته وشهرته ، وأخذ عنه أكابر أهل الحرمين الطريقة النقشبندية كابن علاَّن . وتوفي في الحرم المكي ، ودفن في جبل قعيقعان ، وقبره مشهور معروف هناك . كان شيخنا الخواجه محمد الباقي مرة قاعداً

على ساحل النهر ، فجئت عنده ؛ فقال لي : يا تاج الدين ! يفاض عليَّ من الفيض السبحاني ما لو كان هذا النهر مداداً فأكتبه به لا ينفد أبداً ونفد النهر . أرسل إليه الإمام الرباني مرة في ليلة من ليالي رمضان فالوذجاً مع خادم له بدوي غليظ الطبع ، فلما انتهى إليه كان الخدَّام والأصحاب كلهم في النوم ، فقام بنفسه وأخذه من يد الخادم وقال له : ما اسمك ؟ قال : باما . فقال : لما كنت في خدمة الشيخ أحمدنا ؟ فأنت معنا .

فإنَّ معنى باما بحسب الوضع واللغة الفارسية معنا ، فبمجرَّد وصول هذا الكلام إلى سمع الخادم تغيَّر حاله ، ورجع باكياً صائحاً كالسكران .

ولما رآه الإمام الرباني قدس سره على هذا الحال سأله عما جرى عليه . قال : لا أعرف شيئاً غير أني أرى نوراً لا لونيّاً أخذ الدنيا كلَّها ؛ شرقها وغربها ، أشجارها وأحجارها ، سهلها وجبالها ، وأرضها وسمائها ، لا أقدر أن أبيِّنه . فقال : لعل حضرة شيخنا توجَّه إلى هذا الجانب وقابل هذه الذرَّة فأشرقت أشعَّة شمسه فيها ، وذلك النور من نوره . ولما حضر في الغد صحبته نظر إليه وتبسَّم . وأمثال ذلك كثيرة يطول ذكرها .

وبالجملة كان يحصل الذوق والشوق والكيفية المعهودة عند هذه الطائفة للطالبين في أول صحبته ، ويجري لطائفهم بالذكر في أول التلقين ، وكان ذلك للكلِّ على سبيل التعميم ، وذلك من إلحاقاته . قاله الإمام الرباني قدس سره وكان شفقته على الخلق على وجه ؛ قام ليلة في أيام البرد عن فراشه ، فلما عاد رأى في فراشه هرَّة نائمة ، فلم يرض لإيقاظها وتحريكه إيَّاها ، وقعد إلى الصبح متحمِّلاً لنكد البرد .

ووقع الجدب والقحط مرة في بلدة لاهور حين إقامته فيها فلم يأكل في تلك المدَّة شيئاً ، فإذا حضر عنده طعام كان يفرِّقه ويقسمه على الجائعين ، ويقنع بنفسه بالتناول من ميراث « أبيت عند ربِّي » الحديث .

ولما خرج من لاهور متوجِّهاً إلى دهلي رأى عاجزاً في الطريق ، فنزل عن دابته وأركبه عليها ، وصار يمشي متقنِّعاً لئلا يعرفه أحد ، ولما قرب إلى المنزل أنزله وركب بنفسه لئلا يطَّلع عليه أحد .

وكان في رؤية قصور الأحوال واتِّهام النفس على غاية تميّز نفسه عن العامة ، فضلاً عن أصحابه الكُمَّل .

كان في جواره شابٌّ يرتكب كل شيء من أنواع الفسق ، وكان يتحمَّله مع اطِّلاعه عليه ، فسعى خواجه حسام الدين في دفعه وتأديبه إلى الحكام ، فأخذوه وحبسوه ، ولما اطَّلع على ذلك غضب عليه وقال : لِمَ فعلت كذلك ؟ قال : يا سيدي إنه فاسق لا يبالي ، يرتكب كلَّ شيء واجب التأديب والحبس . فقال : أوّاه ! لما كنتم من أهل الصلاح والصفاء والتقوى رأيتم فسقه وإلا فنحن لا نعرف الفرق بيننا وبينه ، فكيف نترك أنفسنا ونسعى إلى الحكام ؟ ثم سعى في تخليصه وإخراجه من الحبس ، فأخرجوه ، فتاب وصار من صلحاء الأنام . وهكذا كان عادة الكرام ، وقصة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مع جاره الإسكاف الذي كان يجيء كل ليلة إلى بيته سكراناً مشهورة معروفة .

وكان إذا صدرت زلَّة من أصحابه يقول : إنَّ هذه من زلاَّتنا ظهرت منهم بطريق الانعكاس ، فماذا يصنع هؤلاء الفقراء فيما لا اختيار لهم فيه ؟ !

مطلب

الأحوط الخروج من الخلاف

وكان إذا أشكلت عليه مسألة فقهية يرجع إلى الفقهاء المتورِّعين ويستفتي منهم ما هو الحق والصواب ، وكان يختار الأحوط في العبادات والمعاملات .

ولهذا كان في ابتداء حاله يقرأ الفاتحة خلف الإمام مع كونه حنفي المذهب لكثرة الأحاديث الواردة في قراءتها وقوة دليلها .

قال صاحب « البحر » : اخترت الإمامة للعمل بالمذهبين ، فرأى ليلة الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه في منامه ، فأنشده قصيدة مشتملة على مدحه ، ومشعرة بأنَّ أكثر كبار الأولياء كانوا على مذهبه ، فترك قرءة الفاتحة بعد ذلك .

وهذه المذكورات نبذة من شمائله ، وقطرة من بحر خصائصه .

ولما بلغ عمره الشريف أربعين سنة قال : قيل لي : قد حصل الغرض الذي كان مربوطاً بوجودك ، فعرض له المرض في أواسط جمادى الأخير سنة اثنين وعشرين بعد الألف ، وقال في تلك الأثناء : رأيت في المنام ناصر الملَّة والدِّين والشريعة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره فألبسنى قميصاً ، فإن تيسَّرت العافية فذاك ، وإلا ! فالكفن أيضاً قميص . فتوفِّي يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، ولما غسَّلوه وكفَّنوه وحفروا قبره حمل نعشه الشريف جمع من مجاذيب أصحابه ، وتوجَّهوا به من غير شعور إلى خلاف جهة القبر ، ووضعوه في محلٍّ كان مروره قدس سره صادف في حياته مرة هذا المحلَّ فاستحسنه ونزل فيه ، وصلَّى ركعتين ، وانتثر إلى ذيله تراب من تلك البقعة فقال : إنَّ تراب هذه البقعة يأخذ بذيلنا . فتذكَّر الأصحاب ذلك ، فحفروا قبره هنالك ودفنوه فيه ، فعمل خواجه حسام الدين عليه رحمة بساتين في أطرافه ، وأجرى عليه الماء والأنهار ، وذلك في قرب أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو المشهور فيما بينهم . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، ورزقنا الله تعالى بركته وبركة أمثاله ، وجعلنا من أحفاده وأولاده آمين .

غوث الواصلين قطب العارفين برهان الولاية المحمدية وحجة الشريعة المصطفوية الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني مولانا وسيدنا الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد السهرنديِّ الفاروقيّ النقشبنديّ قدس سرهم العلية يتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثمان وعشرين واسطة .

وكان آباؤه الكرام وأجداده العظام كلهم من صلحاء الأنام وعلمائهم وفضلائهم ، كما ذكر أحوالهم في « الروضة القيُّوميَّة والجواهر العلوية » ، كان والده الماجد قدس سره صاحب أحوال عالية ، وأذواق سامية ، عالماً في العلوم العقلية والنقلية ، وكان في غاية من التفريد والتجريد ، وكان يجوب البلاد مشتغلاً بإرشاد العباد .

ولما صادف مروره سكندرة - قصبة مشهورة في بلاد الهند - وأقام فيها مدَّة ، رأته امرأة من أشراف قبائل تلك الديار ؛ صاحبة فراسة صادقة ، وتوسَّمت فيه أنواع الفضائل ، وأصناف الكمالات ، وكانت لها أخت موصوفة بالعفَّة والقناعة والخصال الحميدة ، فعرضتها عليه ، ولما كان ذلك قدراً مقدوراً جاء إلى عرصة الوجود مع إبائه عن ذلك لتفرُّده وتجرُّده عما هنالك ، فولد له منها الإمام الربَّاني منوِّر الألف الثاني سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة سرهند ، ولفظ (خاشع) تاريخ ولادته .

وكان في صباه منظوراً بنظر عناية الشيخ شاه كمال القادري الذي كان هو شيخ أبيه في السلسلة القادرية ، وعرض له المرض بعد أيام من ولادته ، فجاء به والده عند شيخه المذكور ، فقال بكمال الجذبة : لا تخف فإنه يكون عالماً عاملاً ، صاحب أحوال عالية ، ومعارف سامية ، ذا عمر طويل . وجعل الشيخ لسانه في فمه ففاضت عليه فيوضات النسبة القادرية من ريق الشيخ في تلك الحالة ، وكانت آثار الرشد والهداية واضحة من جبينه في صغر سنِّه ، فإذا رآه صاحب فراسة كان يجري على لسانه في الحال من مشاهدة الآثار والأنوار ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ حفظ القرآن المجيد في مدَّة يسيرة ، ثم اشتغل بتحصيل العلوم ، وأخذ أكثر العلوم المتداولة عن والده الماجد .

وتلمَّذ أيضاً لمولانا محمد كمال الكشميري في ولاية سيالكوت ، ولمولانا يعقوب الكشميري ؛ الذي هو من أجلَّة أصحاب مولانا الشيخ حسين الخوارزمي الكبروي قدس سره ، ومن جملة خلفائه .

وحصَّل سند الحديث بأوليائه من القاضي بهلول البدخشي ، وبرع في العلوم كلِّها على أقرانه ، وأخذ النسبة الچشتية والقادرية عن والده الماجد ، وشرَّفه والده بالإجازة والخلافة فيهما ، وصار قائماً مقامه ، وفرغ من تحصيل العلوم الظاهرية والطريقة في سنة سبع عشر سنة ، واشتغل بإفادة العلوم الظاهرة للطالبين ، وتسليك السالكين طريق ربِّ العالمين في تينك السلسلتين العليَّتين سنين ، وصنَّف في ذلك الأثناء بعض الرسائل كـ« الرسالة التهليلية » ، و« ردّ الروافض » مع كثرة قوَّتهم وشوكتهم في تلك الديار في ذلك الوقت ، وغاية قربهم من سلطان الوقت ، مع كونه ممن يبغض الدين والمسلمين ، ولكن لما كانت له حميَّة تامَّة في أمر الدين ، ورأى طغيان هؤلاء الطائفة الباغية الطاغية ، وتكفيرهم أئمة الدين وأصحاب سيد المرسلين ، وإهانتهم الصدّيقة وتنقيصهم إيّاها رضي الله عنها وعن أبويها لم يقدر أن يصبر على ذلك ، ولم يخطر بباله ما يكاد يحصل له من ضررهم هنالك ، فوقاه الله تعالى سيئات ما مكروا ، وحاق بهم سوء العذاب .

وكان قد أخذ حظّاً وافراً من طريق أكابر النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية باستماع أوصافهم من والده الماجد ، وبمطالعة رسائله ، وكان مشتاقاً إلى ملاقاتهم ، ولم يزل عطشان الطلب مع وجود تلك الكمالات .

وكان وافر الاشتياق أيضاً إلى زيارة الحرمين الشريفين ، ولكن كان أبوه يمنعه من ذلك لفرط محبَّته له ، ولما توفِّي أبوه سنة سبع بعد ألف خرج من وطنه بنيَّة سفر الحجاز سنة ثمان وألف ، ولما دخل الدهلي جاء عنده الشيخ حسن الكشميري وكان من أحبابه وخُلَّص أصحابه ، وكان في ملازمة الخواجه محمّد الباقي في ذلك الوقت فدلَّه على صحبته ورؤيته ، وقال : إنه قد قدم هنا في تلك الأيام شيخ كبير من أكابر السلسلة النقشبندية ؛ صاحب تصرّفات عجيبة ، يحصل في صحبته في مدَّة يسيرة ما لا يحصل في أربعينات كثيرة ، فبادر إليه وحضر لديه .

ولما رآه الخواجه محمّد الباقي قدس سره أظهر له التفاتاً كثيراً ، وأكرمه ، ولما شاهد فيه قابلية واستعداداً صار مشغوفاً به في أول رؤيته ، واستفسره عن منتهى سفره ، فأظهر له ما أضمر من سفر الحجاز ، فقال له : لو كنت في صحبة الدراويش ولو جمعة ثم توجَّهت إلى مقصودك ! مع أنه كان لا يقبل أحداً يحضر عنده لطلب الطريقة بدون الاستخارة النبويّة ، فضلاً عمَّن يريد سفر الحجاز المبارك ، فقبل أن يكون في صحبته جمعة واحدة ، فظهرت فيه بعد يومين داعية البيعة في هذه الطريقة ، وزاد شوقه وذوقه ، فأبرز ذلك للخواجه في الخلوة ، فقبل من غير تردُّد وتوقُّف ، وحصلت له في مدَّة يسيرة كيفيات عظيمة ، ثم قصَّ عليه شيخه في الخلوة ما رآه في منامه بعد الاستخارة حين أمره بها شيخه الخواجكي الإمكنكي قبل ذلك بسنين ، وغيرها من الرؤيا ، مما يدلُّ على علوِّ شأنه وقطبيَّته ، وقال : أرى كلَّ تلك الأوصاف فيك ، فكان كذلك ، ثم اشتغل بالرياضات والمجاهدات ووظائف الأذكار والمراقبات في تلك الطريقة ، ففتح الله سبحانه له أبواب العلوم اللدنيَّة ، والمعارف اليقينيَّة ، وأسرار الولايات والمقامات السنيَّة ، وأنوار الفيوضات والبركات الإلهية التي لا يسعها ظروف العقول ، ويعجز عن إدراكها فهوم الفحول في مدَّة يسيرة ، وهي شهران وبضعة أيام .

وكان شيخنا الخواجه محمد الباقي قدس سره يقول مراراً أنه من المرادين والمحبوبين .

ولسرعة سيره من تلك الحيثيَّة أجازه شيخه للإرشاد ، وأمره بالرجوع إلى بلاده لهداية العباد ، ورجع إلى وطنه بألوفٍ من الفتوحات ، وأنواع الحالات والكشوفات ، منشداً بلسان حاله ما صرَّح به في بعض مكاتيبه :

إليـك يـا منيتي حجي ومعتمري   إن حـج قـوم عـلى ترب وأحجار

واشتغل بتربية الطالبين ، وهو وإن كان ابتداء سلوكه من الطريقة النقشبندية ولكن ترقَّى منها أخيراً إلى مقامات كثيرة عالية جدّاً ، حتى صار شيخه الخواجه محمد الباقي يستفيد منه هذه الطريقة الخاصَّة به كأحد المسترشدين ، ويعامل معه معاملة المريد مع شيخه ، من غاية رعاية الآداب ونهاية التعظيم ، ويحثُّ أصحابه على متابعته وملازمته .

قال مولانا محمد هاشم البدخشي في مقاماته : قال سيدي السيد محمد نعمان قدس سره لما مرض شيخنا خواجه محمد الباقي وصَّى الأصحاب تعميماً وتخصيصاً بمتابعته ، ثم وصَّاني بذلك تخصيصاً ، فقلت برعونة المشاركة في شيخ واحد : إنَّ قبلة توجُّه الفقير ليست إلا أنت . فقال بالغلظة والخشونة : ما تظنُّ أنت فيه ؟ فإنَّ ألوف أمثالنا من النجوم تتلاشى في أشعَّة شمس الشيخ أحمد ، وما نال مَنْ جاء قبله من المشائخ الكبار من أحواله إلاَّ مقدار الحال . فلزمت بعد ذلك صحبته ونلت فيها ما نلت ، والحمد لله على ذلك .

والحاصل أنه سلَّم إليه منصب الإرشاد في الطريقة النقشبندية والقادرية والچشتية ، ولكن كان اعتناؤه في الطريقة النقشبندية ، وإذا أراد منه أحد الطريقة القادرية كان يعلِّمها له ، والچشتية كذلك ، ولكن مع غاية الاجتناب من لوازم الچشتية من الوجد والتواجد ، والرقص والسماع ، وغيرها مما يخالف السنَّة ، وانتشر صيت إرشاده وفيوضاته وبركاته في جميع أقطار الأرض ، وسار بثنائه الجميل الركبان في الطول والعرض ، وألبس عليه خلعة قطب الأقطاب وأصيل الوصول إلى مدارج القرب ودرجات الولاية إلى التفاته ، وصارت رحلة الأبدال والأوتاد إليه ، وظهرت منه أنوار الهداية ، وأسرار الولاية ، وحقائق عالية ، ومعارف سامية ، يعجز عن تقريرها قلم اللسان ، ويفتر عن تحريرها لسان القلم ، فإنْ أردت الاطِّلاع على حقيقة الحال فعليك بمطالعة رسائله ، خصوصاً مكتوباته الشريفة ، تجد فوق ما تصفه ألسنة الأقلام ، مما قد عجزَ عن إدراكه ألباب ذوي الأفهام ، فضلاً عمَّن تستَّر بحجب الأوهام .

إنَّ آثـارنـا تـدلُّ عـلـيـنا　　　فـانـظروا بعدنا إلى الآثار

وإن كنت معذوراً في الاطلاع على ما حَوَته مكتوباته لعدم الذوق فيك ! فعليك بالتسليم ولوم نفسك قائلاً : كيف لا تشاهد نوراً قد ملأ الأرض شرقاً وغرباً ، وأنار الأنام عجماً وعرباً ؟ !

وإذا لـم تـر الهلال فسلِّم　　　لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

وهذا أدنى الإيمان لهذه الطائفة ، وإياك والاعتراض ! فإن أمست نبذة منه في نفسك فاحكم على نفسك بالشقاوة والحرمان ، والبعد والخذلان ، والعياذ بالله من ذلك .

يـا نـاطـح الـجـبل العالي ليكلمه　　　أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولا تصْغ إلى ما يقوله الجاهلون الغافلون ، ويتفوَّه به الحاسدون الشامتون ، لقصور في عقولهم ومرض في قلوبهم ، فإنَّ المرء عدوٌّ ما جهله . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ الآية . وقال عزَّ من قائل ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ فإذا قيل ذلك في كلام رب العالمين فكيف لا يقال في كلام المخلوقين ؟ !

ومَنْ ذا الذي ينجو من الناس سالماً　　　ولـلـنـاس قـيـل بـالـظـنـون وقال

قال الشيخ الأجلُّ شاه وليّ الله المحدّث المفسِّر الدهلويّ قدس سره في ديباجة « تعريب ردِّ الروافض » للإمام الرباني قدس سره : ولقد جرت على الإمام سُنَّة الله تعالى وعادته في أنبيائه وأوليائه من قبل من الابتلاء بإيذاء الظلمة والمبتدعين ، وإنكار الفقهاء المتقشِّفين ، وذلك ليزيد الله تعالى في درجاته ، ويلحق به الحسنات من بعد وفاته ، ومنشأ الإنكار في كلماته عدم الوقوف على مقاصده العالية ، ومصطلحاته السامية ، فحمل المنكرون كلامه على غير محمله ، وبالغوا في الإنكار والتشنيع عليه قدس سره .

والحق أنَّ أصول كلماته وأساس مقاماته مما توارد عليه محققوا أهل الذوق والكشف عن آخرهم ، غير أنَّ له إشارات يستعظمها من يفهمها وهو أهلها ، ويبالغ في التنكير عليها من لا يعرف وهو محروم من بركاتها ، فلا حاجة لنا إلى الذبِّ والدفع عن الإمام الهمام رضي الله تعالى عنه وعنّا ، ولا إلى إقامة الدلائل العقلية والنقلية على جواز ما ادَّعى ، ولله درُّ القائل :

وعـيَّـرهـا الـواشـون أنِّـي أحـبُّها   وتـلـك شـكـاة ظاهر عنك عارها

وبالجملة قد بلغ أمره إلى أن لا يحبَّه إلاَّ مؤمن ، ولا يبغضه إلا فاجر شقي . انتهى .

وقد كتب الشيخ عبد الحق المحدِّث الدهلويّ قدس سره في أوائل حاله اعتراضات لبعض معارفه ، ولكن رجع عنها أخيراً ، وصار من جملة أصحابه ، وصفوة أحبابه .

وكتب إلى الشيخ خواجه حسام الدين خليفة الشيخ محمد الباقي قدس سره : إنَّ محبَّة الفقير في تلك الأيام للشيخ أحمد سلَّمه الله تعالى متجاوزة عن الحدِّ ، ولم تبق في البين الحجب البشرية والغشاوة الجبلية أصلاً ، ومع قطع النظر عن رعاية أخوَّة الطريقة والإنصاف وحكم العقل ، كيف ينبغي الإنكار والخصومة مع أمثال هؤلاء الأعزة والأكابر ؟ ولقد ظهر في باطني شيء أحسه بطريق الذوق والوجدان ، ويعجز عن تقريره اللسان ، سبحان الله مقلِّب القلوب ومبدِّل الأحوال ! ولعلَّ أهل الظاهر يستبعد ذلك ! وإنِّي لا أدري كيف هذا الحال ؟ وعلى أيِّ منوال ؟ انتهى .

قال الشيخ الأجلُّ سيدنا الشيخ عبد الله غلام علي المهدي قدس سرهما بعد هذا الكلام : يفهم من قوله (ولم تبق في البين الحجب البشرية والغشاوة الجبلية) أنَّ تحرير الاعتراضات فيما سبق كان من طريق النفسانيَّة ، لا لإظهار الحق والإنصاف ! وهكذا جميع أحوال المعترضين ،

فإنهم يعترضون عليه من غير تأمُّل وتحقيق ، فإنهم وإن نظروا إلى كلامه بعين الإنصاف لمَّا يرد عليه اعتراض أصلاً . انتهى .

ولقد قيَّض الله سبحانه له قرناء ، وأصحاباً صلحاء علماء ، فضلاء عرفاء كملاء ، وبُشِّر في المبشرات بالمجددية في هذا الألف الثاني ، وأمر بإفشائها وإبلاغها الناس ، واشتهر بلقب الإمام الرباني والمجدد للألف الثاني ، واعترف بكونه مجدداً أكابر العلماء والأولياء في زمانه ، مثل الشيخ فضل الله البرهانفوري ، ومولانا الشيخ حسن الغوثي ، ومولانا عبد الحكيم السيالكوتي ، ومولانا جمال الدين الطالوي ، ومولانا حسين القباداني ، ومولانا مير كشا ومولانا الشيخ مؤمن البلخيَيْن ، ومولانا يعقوب الصرفي الكشميري شيخه وأستاذه في الحديث والتفسير كما مرَّ ، والشيخ عبد الحق المحدِّث المحقِّق الدهلوي أخيراً ، وغيرهم من العلماء والمشائخ في زمانه ، قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وبعده قرناً بعد قرن من غير إنكار من أحد إلا شرذمة قليلة لا يعتدُّ بهم ، وذلك لاجتهاده في إحياء الشريعة النبويَّة ، والطريقة المصطفوية ، وإماتة البدعة القبيحة ، ونشره أنواع العلوم الدينية ، وأصناف المعارف الصادقة اليقينيَّة ، واختصاصه بالمقامات العالية ، والحقائق السامية ، التي تتعلَّق بذات الحقِّ سبحانه وصفاته وأفعاله ، وتتلبَّس بالأحوال والمواجيد ، والتجلِّيات والظهورات وغيرها مما لم يتكلَّم بها أحد من العلماء العظام ، ولا واحد من الأولياء الكرام ، مثل انكشاف حقيقة الكعبة المعظَّمة ، وحقيقة القرآن المجيد ، والصلاة والعبودية الصرفة ، وغيرها من خصائصه مما يطول ذكره .

والحاصل أنَّ مَنْ نظر إلى أحواله في حال حياته من إحياء الشريعة والسُّنَّة السنية ، وإماتة البدعة الشنيعة ، خصوصاً في بلاد الهند المحفوفة بظلمة الجهل والكفر والبدعة ، وما حصل باجتهاده من أنواع أنوار الإسلام وآثار السُّنَّة ، وما وقع بعد وفاته بسبب اجتهاد أولاده وخلفائه وخلفاء خلفائه إلى يومنا هذا في جميع أقطار الأرض من الطول والعرض ، على

وفق إخباره بنظر الإنصاف ، وأبعد عن نفسه الاعتساف ، حصل له اليقين بأنَّ كلامه حقٌّ وصدق ، وأنَّه مجدِّد هذا الألف ، وأنَّ أتباعه خيار هذه الأمَّة المرحومة .

وصدر عنه قدس سره من الكرامات وخوارق العادات ما لا يُعدُّ ولا يحصى ، وفائدة الكرامة إثبات أنَّه وليٌّ كما قال في « العقائد النسفية » لأنها يظهر بها أنَّه وليٌّ ، وكيف يكون وليّاً إلاَّ وأنْ يكون محقّاً في ديانته ؟ وكفى شاهداً على ولايته شهادة شيخه واستفادته منه ، ورعاية كمال الأدب معه ، وتحريض أصحابه على متابعته ، وغاية استقامته على الشريعة الغرَّاء ، حتى أنَّه قال في بعض مكتوباته : إن من طار في الهواء أو سار على الماء ، وترك شيئاً من المستحبَّات لا قدر له عند هذه الطائفة مقدار شعرة . ولكن نكتب هنا نبذة من تصرُّفاته للتبرُّك :

منها : أنَّه لما رجع إلى وطنه مأذوناً رأى في استغراقه أنَّ حفيد الشيخ كمال القادري ألبسه خرقة جدِّه ، ففتح عينيه فرآه قائماً بين يديه ، فقام إليه ورحَّب به وعظَّمه ، فألبسه في حال الشعور خرقة جدِّه الشيخ المذكور ، وقال : إنَّ إخراج خرقة جدِّي من البيت وإن كان في غاية الصعوبة ! ولكن لما صدرت الإشارة بذلك مراراً لم أجد بُدّاً منه ، فلبسها ودخل في حرمه ثم خرج بعد مدَّة .

وقال لبعض خواصِّه : إنَّه وقع لي الآن أمرٌ غريب ، وهو أنِّي لما دخلت البيت بعد لبس الخرقة ظهرت أكابر القادرية من الشيخ الغوث الأعظم إلى الشيخ شاه كمال الكيتهلي ، وأحاطوا بي ، فتفكَّرت في نفسي أنِّي كنت وجدت التربية ومرتبة الكمال والإكمال من أكابر النقشبندية ، وقد وقع الآن ما وقع ، فبينا أنا في هذا الفكر والتحيُّر إذ ظهرت أكابر النقشبندية من لدن الخواجه بهاء الدين النقشبندي إلى الخواجه محمد الباقي ، وقالوا لأكابر القادرية : إنَّه مريدنا ، ووجد التربية منَّا ، وبلغ مرتبة الكمال والإكمال بعنايتنا والتفاتنا وتوجُّهاتنا . فقال لهم أكابر القادرية :

نعم ! ولكنه كان أولاً منظوراً بنظراتنا وملحوظاً بالتفاتنا ، فبهذه الجهة هو منا . فقام بينهما المشاجرة والمخاصمة ، فظهرت في ذلك الأثناء مشائخ الكبرويَّة والچشتية فأصلحوا بينهما .

وهذا يدلُّ على علوِّ شأنه ، ويشتمل على أنواع من الكرامات كما لا يخفى على المتأمِّل فيه .

جميع مراتب الولايات كانت تحصل للأصحاب في أول صحبتهم

كتب إليه واحد من الدراويش : إنَّ هذه المقامات التي تبيِّنها هل كانت حاصلة لأصحاب رسول الله ﷺ أم لا ؟ فإن حصلت فهل كانت تحصل دفعة أم تدريجاً ؟ فكتب إليه بأنَّ جواب هذا السؤال موقوف على حضوره في الصحبة ، فجاء إلى صحبته ، فتوجَّه إليه ، وألقى إليه جميع نسبه ، ثم قال له : ماذا رأيت ؟ فوضع رأسه على قدمه وقال : تيقَّنت أنَّ جميع مراتب الولايات كانت تحصل للأصحاب في أول صحبتهم برسول الله ﷺ .

دخل جماعة من أصحابه بلدة من بلاد الكفار بعيدة من بلاد الإسلام ، ورأوا فيها كنيسة خالية عن الناس ، فكسروا الأصنام فيها ، فهجم عليهم الكفار من جميع الأطراف مجرِّدين سيوفهم ، فاستغاث المخلصون بحضرته ، فظهر في الحال وقال : لا تفزعوا يجيئكم المدد من الغيب . فظهرت في الحال طائفة من الفرسان لحمايتهم وخلَّصوهم من أيدي الكفار .

دعاه مرَّة عشرة رجال من أصحابه للإفطار ، فوعد كلَّهم ، فحضر وقت الإفطار بيت كل منهم في آن واحد .

ولما حبسه السلطان نور الدين جهانكيرخان بسبب كلمة حقة عنده ، كان يخرج إلى صلاة الجمعة مع شدة الاحتراس ، فلما شاهدوا منه تلك الكرامات مرات اعتذروا إليه ، وتضرَّعوا بين يديه ، وأخذوا الطريقة وصاروا من المخلصين له .

وهذه نبذة من كراماته والقليل يدلُّ على الكثير

ولما أناف عمره الشريف إلى خمسين قال : قد ألهمت أنَّ عمري يوافق عمر النبي ﷺ ، فلعلَّه لا يتجاوز ثلاثاً وستين سنة .

ولما كانت سنة اثنين وثلاثين وألف ذهب إلى مرقد الشيخ معين الدين الچشتي قدس سره للزيارة ، فأعطاه متولّي المرقد ستارة القبر برسم التبرُّك ، فأخذها وقال : إنَّ الشيخ أعطاني هذه لأجل الكفن . وفي تلك السنة قام ليلة للتهجُّد وبكى كثيراً مكرِّراً هذا البيت لمولانا الجامي بالفارسية ، شعر :

ما أقصر الأعمال في عهد الهوى   يا حبَّذا لو عشت عمراً سرمداً

ثم عرض له ضيق النَفَس في أواسط ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وألف ثم قال : في محرَّم الحرام سنة أربع وثلاثين وألف يقع الانتقال من هذا العالم في مدَّة أربعين أو خمسين يوماً ، وقد رأيت موضع قبري . وقال في الثاني والعشرين من صفر : قد بقي من عمري سبعة أو ثمانية أيام ، وقسم الخلعة في الثالث والعشرين منه للدراويش بيده ، وأوصى أولاده أن يكفِّنوه من صداق زوجته الكريمة وأن يخفوا قبره ، ولما شاهد ملالة أولاده الأمجاد من هذا الكلام وكراهيتهم له قال : بل ادفنوني عند قبر والدي الماجد . وقال : اجعلوا بناء قبري من اللبن لينمحي أثره سريعاً ، ثم استرضى من الخادم الذي أمرضه في السابع والعشرين من صفر ، وطلب الطست وقت الإشراق في ذلك اليوم لحاجة إنسانية ، ولما لم يحضر الرمل ردَّها خوفاً من انتشار قطرات البول ، وصبر وقال : ردُّوني إلى فارشي . ولما ردُّوه واضطجع على شقِّه الأيمن ؛ جاعلاً يده اليمنى تحت خدِّه على الطريق المسنون وشرع نفسه في التواتر ، وقال : صليت ركعتين وهما تكفيان لي الآن . وختم كلامه بلفظ الصلاة التي هي سُنَّة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم غمض عينيه عن الدنيا . وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من

صفر سنة أربع وثلاثين وألف . وجعلوا تاريخ وفاته (رفيع المراتب) ١٠٣٤ نوَّر الله تعالى مضجعه وقدس سره ، ثم صلى عليه ولده الأكبر الشيخ محمد سعيد مع الخواص والعوام ، ودفنوه في قرب المسجد مما يلي قبر والده الأرشد الأكبر الشيخ محمد صادق قدس الله تعالى سرَّهما ورزقنا من بركاتهما وفيوضهما آمين بحق سيد البشر .

مولانا مجد الدين محمد معصوم الملقَّب بالعروة الوثقى ابن الإمام الرباني قدس سرهما العزيز

لا يخفى أنه كان للإمام الرباني قدس سره أربع بنين .

توفِّي أكبرهم الشيخ محمد صادق قدس سره بعد وصوله إلى مرتبة الكمال والتكميل ، بل بعدما بشَّره الإمام الرباني بقطبية سَرْهَنْدْ ، ولكن اخترمته المنيَّة حين شبابه في حياة والده الماجد عام الوباء العام ، فأسف عليه والده أسفاً كثيراً سقا ثراه صَيِّبَ الرحمة والرضوان .

والثاني الشيخ محمد سعيد ولقبه في هذه السلسلة خازن الرحمة ، وبشَّره والده بقطبية ما وراء النهر ، فوقع وفق ما بشَّر ، فإنَّ أكثر أكابر ما وراء النهر كمولانا موسى خان الدَهبيدي وخلفائه وخلفاء خلفائه منتسبون إليه ، وكان في ذروة الكمال في جميع العلوم الظاهرة والباطنة .

ورابعهم الشيخ محمد يحيى قدس سره وكان وقت وفاة والده صغير السن فاستفاد العلوم والطريقة من أخويه الأكبرين ، وبلغ مرتبة الكمال والتكميل .

وثالثهم هو صاحب الترجمة ، وإليه تنتسب مشائخنا الكرام ، وتنتهي إليه سلسلتهم عند الانتظام .

ولادته في سنة تسع بعد الألف . قال الإمام الرباني قدس سره : إنَّ ولادة ولدي محمد معصوم أورثت بركات كثيرة ، حيث تشرَّفتُ سنة ولادته بملاقاة شيخنا الخواجه محمد الباقي بالله والمثول بين يديه ،

وظهرت هذه العلوم والمعارف بسبب تلك الملاقاة ، وبالغ الإمام الرباني قدس سره في مدحه بعلوِّ الاستعداد وقال : إنَّ لولدي هذا استعداداً ذاتياً للولاية المحمدية ، وهو محمدي المشرب ، ومن جملة المحبوبين ، وإنَّ حاله في تحصيل نسبتي كحال صدر الشريعة صاحب « شرح الوقاية » حيث كان يحفظ ما يؤلِّفه جدُّه بلا تأخير ، فإن بيَّنت سرعة سيره وسلوكه وطيِّه للمقامات وبلوغه أعلى الدرجات يكاد القريب يظنُّ نفسه في البعد والحرمان ، ويزعم الواصل أنه في قطر الانقطاع والهجران ، ومن غاية علوِّ استعداده تكلَّم في التوحيد على مذاق الصوفية وهو ابن ثلاث سنين وقال : أنا الأرض ، وأنا السماء ، وأنا هذا ، وأنا ذاك ، وهذا الجدار حقٌّ ، وتلك الأحجار حقٌّ . حفظ القرآن المجيد في مدَّة ثلاثة أشهر ، وفرغ من تحصيل العلوم العقلية والنقلية وهو ابن ست عشرة سنة ، ثم اشتغل بإفادة الطالبين ، ولقَّنه والده الطريقة في أثناء التحصيل حين بلغ عمره إحدى عشرة سنة ، وأمره بالذكر والمراقبة ، فواظب عليها وجمع بين القال والحال ، بكمال الاستقامة والورع والتقوى في جميع الأحوال .

ولما بلغ ذروة الكمالات ونهاية المقامات ، وتشرَّف بالأحوال والواردات شرَّفه والده الإمام الربَّاني قدس سره بإجازة الإرشاد ، وألبسه خلعة الخلافة وأمره بهداية العباد ، وبشَّره بالقيُّومية وقطبية الشام والروم وما والاها من البلاد ، فوقع الأمر وفق بشارته ، حيث انتشرت خلفاؤه في تلك البلاد بين العباد ، واشتهر صيته وطريقته فيها اشتهاراً تامّاً ، وإن عميت أبنائها خفافيش المنكرين فماذا تقول في مولانا الشيخ أبي سعيد وأولاده الكرام ؟ وماذا تظنُّ من مولانا خالد وخلفائه وخلفاء خلفائه قدس الله تعالى أرواحهم ، وأيَّد أركانهم وشيَّد بنيانهم إلى يوم القيامة .

لقد ظهرتَ فلا تخفى على أحد ... إلاَّ على أكمهٍ لا يبصرُ القمرا

نعم فما ذنب النجوم إن استصغرتها العيون ؟ !

على نفسه فليبك مَن ضاع عمره ... فليس له منها نصيب ولا سهم

والحقُّ أنه كان آية من آيات الله تعالى مثل والده الماجد ، قد نوَّر العالم من ظلمات الجهل والبدع بيمن توجّهاته العليَّة وأحواله السنية ، وصار ألوفٌ من الرجال محرَماً للأسرار الخفية ، وتحقَّقوا بالحالات السنية بشرف صحبته العلية ، حتى قيل : إن جميع مَنْ بايعه في الطريقة بلغت تسعمائة ألف ، وعدد خلفائه سبعة آلاف .

منهم : الشيخ حبيب الله البخاري ؛ كان أعظم مشائخ خراسان وما وراء النهر في زمانه ، قد نوَّر بخارا بنوري السنة والطريقة ، بعد ما غشيتها ظلمة البدعة والهوى ، وشرَّف بالخلافة والإجازة أربعة آلاف من مريديه بعد إيصالهم إلى رتبة الكمال والتكميل ، وله خوارق مشهورة . ومن خلفائه الصوفي الله يار صاحب « مسلك المتقين ومراد العارفين ومخزن المطيعين وثبات العاجزين » بالتركية ترجمة مراد العارفين .

ولصاحب الترجمة مكاتيب في ثلاث مجلدات ضخمة ، مثل مكاتيب والده الماجد ، متضمِّنة لغوامض الأسرار واللطائف ، ومبيِّنة لدقائق الآثار والمعارف ، أكثرها في حلِّ مغلقات معارف والده الماجد .

ولننقل من جملتها هذا المكتوب من رسالة سيدنا الشيخ محمد مظهر - برَّد الله تعالى مضجعه - للتبرُّك والاسترشاد .

أما بعد ؛ فإنَّ هذا تذكار من هذا العبد ضعيف الأفكار ، للأحباب أولي الأبصار : اعلموا أيها الإخوان أن المقصود من خلق الإنسان تحصيل معرفة الحق سبحانه الواضح البرهان ، والناس فيها متفاوتة الأقدام على حسب تفاوت الاستعدادات والأفهام ، بعضها فوق بعض ، وقد تكلَّم الكبراء فيها على قدر عرفانهم ، ولكنَّ القدر المشترك بين هذه الطائفة وما أجمعوا عليه الذي لا بُدَّ منه في مدارج القرب : أن المعرفة لا تتصوَّر بدون الفناء في المعروف . شعر :

من لم يكن عن نفسه متفانياً لا يهتدي لحقيقة التوحيد

فينبغي للعاقل أن يتأمَّل في حاصل أمره وأفعاله ، ومآل اشتغاله وأحواله ، تأمُّلاً جيِّداً بإمعان النظر ، فمن حصلت له المعرفة المذكورة فطوبى له وبشرى .

وينبغي أن لا يصرف هذا الحاصل إلى أمور ليس فيها طائل ، بل اللازم أن يجتهد في التجاوز عن الأصل كتجاوزه عن الظل .

مطلب

ومن لم يفتح له باب المعرفة وليس فيه ألم الطلب وحُزْنُ فقدان هذه الدولة العظمى فالويل له كل الويل ! حيث لم يخرج عن عهدة ما خُلق لأجله ، ولم يؤدِّ ما طولب به في هذه النشأة الدنيا ، بل اشتغل بشيء آخر ، وعمَّر ما أمر بتخريبه ، وصرف جواهر أعماره ويواقيت مواقيته في هوى نفسه وما لا يعنيه ، وعطَّل أرض استعداده مع حصول أسبابه ، فواعجباً ممن شدَّ رحله من هذه الدار التي هي محلُّ الدعوة والتبليغ إلى دار القرار من غير تحصيل المطلوب في تلك المهلة اليسيرة مع وجود الدعوة به ! فبأيِّ وجه يذهب إلى حضرة صمديته تعالى في الآخرة ؟ وبأيِّ حيلة يبسط لسان العذر ؟ فالانفعال عليه كل الانفعال ! فإنَّ عذاب البعد والحرمان أشدُّ من عذاب الجحيم والنيران ، كما أنَّ لذَّة القرب والوصال ألذُّ من لذَّة النعيم من دار النوال . فياويلتنا على مَنْ أعرض عن الله تعالى ، ويا حسرتنا على مَنْ فرَّط في جنب الله ، ولا مجيء إلى الدنيا ثانياً ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ .

وإنّي على خوف من البعد والهجر   فيبقى لنا غمٌّ إلى غاية الحشر

وله قدس سره خوارق كثيرة ، وكرامات عديدة ، ليس هذا محلَّ إيرادها . توفِّي في اليوم التاسع من ربيع الأول سنة ١٠٧٩ قدس سره ورزقنا من فيوضه آمين .

قدوة أرباب الكشف واليقين وسلطان الأولياء والمتقين مولانا الشيخ سيف الدين قدس سره

هو خامس أولاد الشيخ معصوم قدس سره ، ولادته سنة ١٠٥٥ .

كان متَّصفاً بالعلم والعمل ، معرضاً عما سوى الله تعالى ، معروفاً بالأخلاق الحسنة ، موصوفاً بالأوصاف الحميدة ، أخذ الطريقة النقشبندية المجدِّدية عن والده بعد فراغه من تحصيل العلوم المتداولة ، وحصَّل الكمالات المعنوية ، وبلغ إلى أقصى غايات القرب ، ونهايات المقامات الأحمدية ، وكان له جذب قوي وتصرُّف عالٍ بحيث كان الناس يضطربون من قوَّة توجُّهاته ، ويبقون بلا اختيار في يده . وبالجملة كان ذا حالات غزيرة وواردات سنية .

ولما تمَّ أمرُه ، وكمل بدره ، اختار لملاقاة بلدة دهلي بأمر والده الماجد بعدما صدرت إشارة غيبيَّة ، فصار هناك مرجعاً للطالبين ، ومجمعاً للسالكين ، وكان مقبولاً عند الخاصّ والعام ، حتى انسلك في سلك إرادته سلطان بلاد الهند محمد أورنك زيب عالمكير خان مع أولاده الكرام ، وأمرائه الفخام ، واستفادوا منه علم الباطن ، وعرض هو أحوال السلطان وترقياته الباطنية على والده الماجد ، وقال : إنَّ آثار ولاية لطيفة الأخفى غالبة فيه جداً . فصحَّح والده ذلك بنظر الكشف وصدَّقه ، وكتب والده إليه أنَّ نزولك يظهر أتمُّ وأكمل ، وقوَّة إرشادك وكثرة وصول أثر الفيض إلى خلق الله تعالى منك أثر ذلك النزول . وقد كتبت أنَّ السلطان وجد مبدأ تعيُّنه صفة العلم ، فاحتظيت من مطالعته فوق الغاية ، حتى كدت أرقص من غاية الفرح والسرور ، رزقه الله سبحانه حظّاً وافراً من بركات هذه الصفة العالية الشأن إنه قريب مجيب . انتهى .

وكان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رتبة لم يكن شيخ من المشائخ مثله ، حتى كادت البدع ترتفع عن بلاد الهند في زمنه ،

ولذلك لقَّبه والده بمحتسب الأمَّة . ودعاه السلطان مرة إلى قصره فأجابه اتِّباعاً للسنَّة ، ولما رأى في جدار القلعة صوراً منحوتة من الأحجار توقَّف عن الدخول في القلعة ، فأمر السلطان بكسرها ، فكسروها بأسرها ، ثم دخل فيها وشمَّر السلطان ذيله لترويج الشريعة الشريفة ، وقمع البدعة الشنيعة بيمن صحبته العلية ، واجتهد في اتِّباع السنة السنية ، حتى حفظ القرآن في كبر السن ، وكان يحيي الليالي ، وكان لموالنا الشيخ سيف الدين قدس سره شوكة ظاهرة أيضاً ، حتى كان السلاطين والأمراء يقومون على أرجلهم بالأدب التامِّ بين يديه ، ولم يكن لهم مجال للقعود لديه .

وقع مرَّة على قلب بعضٍ أن له كبراً ، فأشرف عليه وقال : إن كبري من ظلِّ كبرياء الحق عزّ وجل . وكان يأكل من مطبخه كل يوم أربعمائة رجل وألف رجل مرتين ، مما يوافق طبعه ، وترغب فيه نفسه . وانتفع بفيضه الظاهري والباطني ألوف من الناس من الملوك والصعلوك ، وبلغ جمع كثير مرتبة الكمال والتكميل . جزاه الله تعالى خير الجزاء . توفِّي سنة خمس وتسعين وألف ، ودفن في بلدة سرهند رحمه الله تعالى وإيانا آمين وعمره ٤٠ سنة .

مولانا سيد السادات السيد نور محمد البداواني قدس سره

كان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن ، أخذ النسبة النقشبندية المجدِّدية عن الشيخ سيف الدين ، وبلغ عنده آخر المقامات الأحمدية ، ثم اشتغل بتحصيل الفيوض عند الشيخ الحافظ محمد محسن وصحبه سنين ، وهو من خلفاء الشيخ محمد معصوم قدس سره ، ومن أولاد الشيخ عبد الحقِّ المحدِّث الدهلوي فتشرَّف بحالات عالية وواردات سامية ، وطرأ عليه استغراق قوي في أواسط أحواله ، ولم يَصْحُ منه إلى خمس عشرة سنة ، إلاّ في وقت أداء الفرائض ، وكان يحصل له تخفيف

في ذلك الوقت ثم يصير مقلوب الحال كالأول ، ثم حصلت له أخيراً إفاقة تامة وصحو أكمل ، وكان ممتازاً بكمال الورع والتقوى ، واتِّباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، وكان له اهتمام تامٌّ في تتبُّع آثار النبي ﷺ ، والتأدب بآدابه ورعاية طريقته ، وكان لا يفارق كتب السير والأخلاق دائماً ليعمل بما فيهما .

وضع مرَّة قدمه اليمنى أولاً في بيت الخلاء على خلاف السنة خطأً فطرأ على أحواله الباطنة قبض عظيم ، وامتدَّ إلى ثلاثة أيام ، ثم تبدَّلت حاله إلى البسط بعد تضرُّع كثير .

وكان يحتاط في اللقمة احتياطاً بليغاً ، وكان يخبز بيده أقراصاً ويطبخها ، ويجعلها قوت نفسه أياماً ، ويأكل كسرة منها عند اشتداد الجوع ، ثم يشتغل بالمراقبة ، وقد احْدَودَب ظهره من كثرة مراقبته ، وكان يقول : ما بقي في الطبيعة تعلُّق بكيفية الأغذية منذ ثلاثين سنة ، بل آكل وقت الجوع كلَّما تيسَّر . وكان لا يجمع بين الإدامين من كمال تورُّعه ، ولا يأكل من طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره عن ظلمة الشبهة .

جاءه طعام من بيت واحد من أهل الدنيا فقال : تظهر منه ظلمة ، ثم قال لمولانا مرزا جانجانان قدس سره على وجه الالتفات أمعن النظر في هذا الطعام . فتوجَّه إليه امتثالاً لأمره ، ثم قال : إن الطعام من وجه الحلال ولكن تطرَّقت إليه الظلمة والعفونة بسبب الرياء فيه .

مطلب

وإذا استعار كتاباً من أبناء الدنيا كان لا يطالعه إلى ثلاثة أيام قائلاً بأنَّ ظلمة صحبة الأغنياء غشيت غلافه وجلده ، فإذا زالت ظلمته ببركة صحبته كان يطالعه حينئذ . وكان مولانا مرزا جانجانان قدس سره يقول : يا أسفا على أكابر الزمان حيث لم يزوروا حضرة السيد ، فإنهم إن رأوه تَزِدْ قوة يقينهم بالقدرة الإلهية بمعاينة قدرته على خلق صاحب كمال

مثله . وكان عيناه تذرفان بالدموع عند ذكره ويقول : إنَّ مكشوفاته كانت في غاية الصحة ومطابقة الواقع ، بل يمكن أن نقول : ليس لأمثالها أن نرى بعين الرأس مثل ما يراه بعين القلب .

وقال : إن نفسه القدسية كانت خالية عن التغيُّر من مدح الناس وذمِّهم ، وكان الرضاء والتسليم إلى القضاء من صفته .

سألني مرَّة الشيخ كلشن خليفة الشيخ عبد الأحد قدس سرهما إن شيخك بأيّ مقام بشَّرك ؟ وإلى أين بلغ سيرك وسلوكك ؟ فأظهرت له ما بشَّر به السيد ، وما وجدت في نفسي من حالات ذلك المقام وارداته ، فقال على سبيل التعجُّب والإنكار : إن شيخك يدّعي دعاوى كثيرة ، فإنَّ تلك النسبة لا تشاهد في مقابر مشهورة . فشكوت إنكاره إلى السيد ، فقال : لا تُضيِّق به صدرك فإن علمه ليس بعلم الله حتى يكون محيطاً بكل شيء ، وأنا لست نبيّاً حتى يكون الإنكار عليَّ كفراً ، ولا ندَّعي الولاية حتى ينجرّ الإنكار إلى الفسق ، ومع قوله هذا تركت ملاقاة الشيخ كلشن لقول شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي قدس سره :

مطلب

وإذا أحببت مَنْ يبغض شيخك واختلطت به فالكلب أفضل منك ! فوقعت الملاقاة بيننا بعد سنة اتفاقاً ، فقال : لعلك هجرتني لإنكاري على شيخك ! فقلت : نعم . فقال : قد أظهر الله تعالى كمال شيخك ، فإني كنت مرَّة قاعداً في السوق ، فجاءت جماعة الركبان فقالوا : إنّ هذا الشيخ مرزا جانجانان . فدخلت البيت من خلفه ، فوجدت بيته ملآن من النور والصفاء ، كأنه بيت الله تعالى ؛ يظهر من كل حجر ومَدَرٍ منه كيفيات إلهيَّة لا يظهر مثله في أكثر مقابر الأولياء . فذهبت عند السيد وعرضت عليه مدح الشيخ كلشن ، فكما أنَّ ذمّه لم يؤثر فيه ! كذلك مدحه لم يكن موجباً لانبساطه .

توفِّي قدس سره يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة بعد الألف . روَّح الله روحه ونوَّر ضريحه .

قيُّوم الطريقة الأحمدية محيي السنة النبوية فريد عصره ووحيد دهره مولانا شمس الدين مرزا جان جانان مظهر الشهيد قدس سره

هو من السادات العلويَّة ويتصل نسبه بسيدنا عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه بثمان وعشرين واسطة بتوسُّط محمد بن الحنفية .

ولادته سنة إحدى عشرة بعد المائة والألف ، وقيل سنة ثلاث عشرة ومائة وألف يوم الجمعة الحادي عشر من رمضان ، وكانت آثار الرشد والهداية ظاهرة في جبينه ، وأنوار الدراية والولاية لائحة من حركاته وسكناته . وكان آباؤه الكرام وأجداده العظام من الأمراء الفخام ذوي الاحتشام ، وكانوا موصوفين بالأخلاق الحميدة ، والأوصاف الجميلة ، ومعروفين بالمروءة والعدالة والشجاعة والسخاوة وكمال الدِيانة ، ثم لما بلغت النوبة والده الماجد ترك الجاه والمنصب باختياره ، واختار دولة الفقر والقناعة وقسم أسباب المنصب والجاه على الفقراء والمساكين لرضاء مولاه ، واهتمَّ في تربية ولده مولانا مرزا جانجانان اهتماماً تاماً ، وأكَّد عليه في تقسيم أوقاته لكسب الكمالات في صغر سنِّه ، لئلا يضيع عمره الشريف الذي لا بدل له فيما لا يعنيه ، وعلَّمه الآداب السلطانية ، والفنون العسكرية وسائر الصنائع الضرورية ، والمعارف اللازمة ، وكان يقول له : لو كنت أميراً - كما هو دأب آباءك وأجدادك - تعرف قدر أرباب الصنائع والمعارف ، فإنَّ مَنْ لم يعرف شيئاً لا يعرف قدر أربابه كما قيل ، شعر :

لا يعرف الوجد إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وإن اخترت الفقر والتجرُّد كما هو مرضاي وظنِّي فيك فلا تقع حاجتك على أهل المعارف والصنائع . فصار ماهراً كاملاً في جميع

الفنون بحيث إذا التقاه صاحب صنعة من الصنائع كان يعترف بمهارته وكماله فيها ، وكان يعرف خمسين نوعاً من تقطيع السراويل .

وكان يقول : إذا حمل عليَّ عشرون رجلاً مجرِّدين سيوفهم وفي يدي عصا صغيرة لا يقدر واحد منهم أن ينال مني .

وقال : رأيت مرة في المنام سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فأظهر لي ألطافاً وعناية كثيرة ، وكنت وقتئذ ابن تسع سنين . وإذا جرى ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الأوقات كانت صورته المباركة تظهر لي في الحال .

وقد رأيته بعين الرأس مراراً . وقال : إنَّ الله تعالى سبحانه جعل طبيعتي في غاية الاعتدال ، وأودع في طينتي حظّاً وافراً من رغبة اتِّباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

ذهبت مرة في صغر سنِّي لزيارة الشيخ عبد الرحمن القادري عليه الرحمة مع والدي الماجد وكان هو شيخه ، وقد ظهرت منه كرامات وتصرُّفات ، ولكن كان يتساهل في أفعال الصلاة ، وكانت في قلبي نفرة منه من تلك الحيثية ، وكنت خائفاً من تكليف والدي بالبيعة إيَّاه ، فإنَّ تارك السنة المصطفوية لا يصلح للاقتداء به ، فسألت والدي يوماً : إنه ما سبب مساهلته في أفعال الصلاة ؟ فقال : لغلبة السكر عليه ؛ فهو معذور في ذلك . فقلت : أيصير مغلوب السكر والحال في أوقات الصلاة ويصحو في سائر الأفعال والأوقات ؟ ! فقال متحيِّراً : إنَّ الحقَّ سبحانه رزقك الفهم والذكاوة للاعتراض على شيخي . فكان هذا السؤال سبباً لامتناعه مما خفت منه .

وكان العشق والوَلَه مركوزاً في طبيعته وآثار الهيام والغرام ظاهرةً من سجيَّته في صغر سنِّه ، حتى اشتهر بين الناس بصفة العشق وسمة الوله وهو ابن خمس .

وكان يقول : مَنْ لم يمسح رأسه ووجهه بتراب ذلّ العشق والمحبَّة كيف يعرف لذَّة شوق السجدة التي صدرت على وفق حديث « إنَّ الساجد يضع رأسه على قدم الله » ؟ ! فإن بعض تجلِّيات الحق سبحانه في لحاظ العيون ، وبعضها في جذب سلسلة الذوائب ، وإنما يُعرف أقسام أذواق التجلِّيات وتأثير جلوة العارض والحال بوجدان المحبَّة الصادقة .

وما أشار الشيخ فخر الدين العراقي والشيخ أوحد الكرماني في أشعارهم وقرَّروه في اصطلاحاتهم إلى التجلِّيات فهو صحيح ، فمن ابتلى بمحبَّة الحسن الظاهري وعشقه فهو في الحقيقة من جذبة جمال الشاهد الحقيقي قد ألقى إليه الظلّ .

مطلب

وقال : إن فائدة العشق المجازي هي حصول الحرارة في القلب ، واشتعال نيران المحبَّة الإلهية فيه ؛ بشرط عدم وقوع الملاقاة في البين ! فإنه متى حصلت الملاقاة تضعف حرارة القلب بماء الوصال .

مطلب

ولذلك قيل : مَنْ ليس له عشق فهذا الطريق عليه حرام ، ومن تلك الحيثية حصلت له مهارة تامة في صنعة الشعر ، واشتهر بشهرة الشاعرية ، وله ديوان في الغزليات وأشعار الأشواق بالفارسية جمعها بالتماس بعض الأعزَّة .

وكان يقول : الحسن ما حسَّنه الشرع ، والقبيح ما قبَّحه الشرع . فإن كان في طريق الورع والتقوى أنوار وصفاء ، ولكن في طريق المحبة والهوى من لوعة الغرام أذواق وصهباء .

وبالجملة إنه قدس سره ما ترك مسلكاً من مسالك الكمالات إلاّ سلكها ، وما سلك مسلكاً يطلب فيه الفضائل والكمالات إلاّ ملكها ،

حتى فرغ من كسب الكمالات الظاهرية من العلوم النقلية والفنون العقلية بأسرها ، فروعها وأصولها ، في سن ثمان عشرة سنة ، ثم مع جميع هذه الكمالات لم يسكن قلبه إليها أصلاً ، بل صرف بازي همَّته إلى طرف الصيد المقصود الأصلي ، وسمع في تلك الأثناء أوصاف سيد السادات السيد نور محمد البداواني قدس سره الكاملة ، فبمجرَّد استماع أوصافه اشتاق قلبه إلى لقائه ، فوصل إلى صحبته ، فوجده فوق ما سمعه من كمال الشرع واتِّباع السنن النبوية ، والتخلُّق بالأخلاق الإلهية ، واستغرق في أنوار صحبته المباركة المورثة لصفاء القلوب ، الموجبة لجلاء الكروب ، وقرَّت عين يقينه من معاينة الشاهد المقصود فيه ، واطمأنَّ قلبه هناك لمَّا بان له أن شهود الحقِّ إنما يتيسَّر بملازمة عتبته العلية ، فسأله السيد عن سبب مجيئه ، فعرض عليه غرضه من استفادة نسبة الأكابر ، فقبله ولقَّنه الطريقة ، وتوجَّه إليه بلا توقُّف ، مع أنه كان لا يقبل أحداً من غير استخارة ، فَجَرَت لطائفه الخمس بالذكر في أوَّل التوجُّه ، وذلك من خصائصه قدس سره . وكان مشرَّفاً بالتجلِّي الصفاتي ، وتأثَّر باطنه تأثراً تامّاً ، حتى رأى نفسه في المرآة في صورة شيخه وهيئته ، وظهرت فيه محبة تامة ، وعقيدة راسخة ولوعة وهيام ، حتى ترك الطعام والشراب والمنام ، واختلاط الأنام ؛ بيمن صحبته ، وصار يدور حول الخرابات حافياً حاسراً رأسه ، وكان يقنع بأكل قليل من أوراق الشجر عند اشتداد الجوع ، وكان ملازماً له إلى أربع سنين ، ثم شرَّفه بإجازة تعليم الطريقة ، وإلباس خرقة الصوفية .

ولما توفِّي السيد قدس سره اقتبس الأنوار من مرقده إلى ست سنين ، حتى ترقى حاله بتوجُّهات روحانيته من السير في الصفات والشؤونات وأصولها ، ووقعت المعاملة في تجلِّيات اسمه الباطن ، ووقعت الكيفيات الغريبة ، والحالات العجيبة في نسبته .

ثم رأى السيد مرة في منامه فقال له : إن الكمالات الإلهية غير متناهية ، واللازم على الطالب الصادق أن يعرف عمره المتناهي في طريق طلب شيء لا يتناهى .

مطلب

والاستفادة من القبور غير واقع ! فينبغي الرجوع لتحصيل مقامات القرب الإلهي إلى واحد من أكابر الأحياء . وصدر عنه هذا الأمر غير مرة فجاء عند الشيخ شاه كلشن المارِّ ذكره وأظهر له إرادة كونه في صحبته . فقال : أنا رجل غير مقيَّد بآداب الطريقة مثل الملا حتى أسمع السماع في بعض الأوقات ، وأصلِّي أحياناً منفرداً ، وأنت كامل التشبُّث بالسنة النبوية ، والموافقة من شرط الاستفادة ، فعليك بالرجوع إلى محل آخر .

فرجع إلى الشيخ قطب عصره محمد زبير حفيد الشيخ حجة الله النقشبندي وخليفته ابن الشيخ محمد معصوم قدس سرهم فأظهر له التفاتاً كثيراً وقال لأولاده : إن ملاقاة أمثال هذه الأعزَّة المتَّصفين بالآداب الظاهرية والباطنية ينبغي أن تعدّ لازماً ، فقبَّل مولاه قدمه ، وأظهر له إرادته . فقال : أنت منَّا ، ومن شرط هذه الطريقة دوام الصحبة ، ومحلُّ إقامتكم بعيد ، فلا يمكن حضور الصحبة في كل وقت ، والنسبة التي حصل لك من السيد أصيلة وعزيزة فإن اجتهدت في محافظتها تكفيك .

ثم رجع إلى الشيخ الحاج محمد أفضل قدس سره والتمس منه التوجُّهات . فقال : إنَّ سلوكك كان على وجه البصيرة ، وحصل لك كشف المقامات ، وليس لنا كثير كشف وعلم بالمقامات ، فلا تكون الاستفادة على أحسن الحال . ومع قوله هذا اختار الاستفادة منه وأقام عنده مدة عشرين سنة ، وحصل منه فوائد جمَّة في ضمن تحصيل علم الحديث ، وظهرت قوة في عرض نسبته .

قال قدس سره : كان له استغراق في نسبة رسول الله ﷺ عند ذكر الحديث ، وربما كانت تظهر منه الأنوار والبركات في تلك الحالة ، وكأنَّ صحبة النبي ﷺ حصلتْ معنى ، فإنه كان يشاهد توجُّه النبي ﷺ في تلك الأثناء ، وظهرت نسبة كمالات النبوة في غاية الوسعة وكثرة الأنوار .

واتضح معنى قوله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » فكان الشيخ المذكور شيخه في الحديث ، وشيخه في الصحبة ، ثم رجع إلى الشيخ الحافظ سعد الله رحمه الله تعالى خليفة الشيخ محمد صديق ، فاختار فيه خدمة حمل نعليه ، وصحبه اثني عشر سنة ، وحاز فيها فوائد جمَّة ، وحصلت وسعة في نسبته ، وقد توجَّه إليه في ذلك المدة مرة واحدة لعدم طاقته وقوته على التوجُّه لضعفه وكبر سنِّه .

فرجع إلى حضرة شيخ الشيوخ محمد عابد السنامي قدس سره فاستفاد منه إلى ثمان سنين ، وقال : استفدت الولايات الثلاث مع كيفياتها وعلومها ووارداتها من السيد قدس سره ، واكتسبت الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة وغيرها بتوجُّهات الشيخ عابد رحمه الله تعالى في مدة سبع سنين ، ثم توجَّه إليَّ من جميع المقامات من أولها إلى آخرها في سنة واحدة ، وسلك بي فيها بالسير المرادي فحصلت في كيفيات جميع المقامات وحالاتها قوة أخرى ، فأجاز له الشيخ عابد في الطريقة القادرية والجشتية والسهروردية أيضاً وبشَّره بضمنيَّته المعروفة عند هذه الطائفة ، الموروثة ممن قال النبي ﷺ : « ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ صببته في صدر أبي بكر » .

وقال : « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، وإنما هو بشيء وقر في نفسه » .

وقال مرة في حقه حين كونه قاعداً في مقابلته : إن شمسين قد تقابلتا لا يمكن تمييز إحداهما عن الأخرى من غاية تشعشع أنوارهما فإن توجَّهتا لتربية الطالبين لنوَّرتا العالمين .

وقال شيخه الحافظ سعد الله قدس سره في حقه : أنت بمنزلة والدي . وسوَّى السيد يوماً نعله وقال : إن لك قبولاً تامّاً عند الله تعالى . وقام له شيخه محمد أفضل وقال : قمت تعظيماً لنسبتك . وقال الشيخ وليُّ الله تعالى المحدِّث الدهلوي : إن جميع وجه الأرض عندنا كخطوط الكفِّ لا يخفى علينا شيء من أحوالها ، وليس في هذا الوقت مثل مرزا جان جانان أحد في إقليم من الأقاليم ولا في بلدة من البلاد .

وبالجملة استقرَّ في مسند الإرشاد والخلافة بأنواع الكشوف والتفرُّقات والكمالات بعد شيوخه الأربعة ، وتزيَّن مسند الخلافة بوجوده المسعود ، وتعلَّق ترويج الطريقة بذاته المحمود ، فرجع إليه الطالبون من كل الجوانب ، وشاع ذكره بين الأصحاب والأجانب ، وجلس في مسند الإرشاد ودعوة العباد إلى ثلاثين سنة بكمال الاتباع للسنَّة النبوية ، وغاية الاستقامة في الطريقة الأحمدية ، ونوَّر العالم بفيوضاته الباطنية الأسعدية .

ومن أنفاسه القدسية : إن الاشتغال بالطريقة إنما هو لحصول المحبَّة الإلهية ، ويكون فرط المحبة أحياناً من المواهب .

مطلب

ولكن المداومة على الذكر من فرائض طريقة أولياء الله تعالى ، فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإن القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير ، فإن ظهرت غيبوبة أو كيفية أخرى في أثناء الذكر ينبغي أن يجتهد في حفظها ، فإن اختفت ينبغي أن يجتهد في الذكر ثانياً بتمام التضرُّع وكمال الانكسار ، وليداوم السالك على الذكر بهذا الوجه حتى يحصل له دوام الكيفية والحضور .

الإيمان الإجمالي كافٍ في النجاة

وقال : إن الإيمان الإجمالي بأن يقول آمنت بالله وبرسوله وما جاء به النبي ﷺ من عند الله ، وأحِبُّ ما يحبُّه الله ورسوله ، وأبغض ما يبغضه الله ورسوله . كان في النجاة .

وإثبات كل مقدِّمة بدليل إنما هو شأن العلماء المتبحِّرين ، وليس عامة المسلمين مكلفين بذلك !

وقال : إن تعظيم أولياء الله تعالى ومحبة عامة المشائخ الكرام لازم .

ومن اعتقد في شيخه أفضليته على غيره من فرط محبته له لانتفاعه به واستفادته منه لا يستبعد ذلك منه .

مطلب

وقال : إن العمل بالعزيمة وتحرِّي طريق التقوى في غاية التعذُّر في هذا الوقت ، لفساد المعاملات ، وكأنَّ العمل بموافقة الشرع الشريف صار موقوفاً ! فإن تيسَّر العمل بموافقة الرواية الفقهية وطبق ظاهر التقوى مع اجتناب محدثات الأمور والبدع فهو غنيمة في هذا الزمان .

وقال : ينبغي للسالك أن يعمِّر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة ، وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سرِّه وهمّته عن التوجُّه إلى غير مفهوم لفظ الجلالة حتى تكون ملكة حضوره راسخة .

مطلب

وقال : إن حاصل هذه التكلُّفات هو تهذيب الأخلاق على وفق مكارم صفات النبي ﷺ ، فإنه لعلى خلق عظيم .

وقد ورد في الحديث : « بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق » وتنقص الصفات البشرية من تكرار النفي والإثبات ، وطريقته أن ينفي كل صفة

من الأوصاف الذميمة على حدة بكلة (لا) عند تكرار الكلمة الطيِّبة أياماً ، وأن يثبت مكانها حبَّ الله تعالى حتى تزول عنه تلك الصفات الذميمة .

وينبغي كسب المقامات على خلاف هوى النفس ، فعسى أن تبَدَّل الذمائم بالمحامد عند رعاية ذلك .

وقال : إن الحقَّ أن الصفات الرذيلة تنكسر قوتها بعد التصفية والتزكية ، وأما استئصالها بالكلية فليس بممكن ! فكيف وقد ورد في الحديث : « إذا سمعتم أن جبلاً انقلع عن مكانه فصدِّقوه ، وإذا سمعتم أن جبلَّة أحدٍ زالت عنه فلا تصدِّقوه » ، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن غضبي لم يزل عني ولكن كان أولاً في كفر صرف ، والآن يظهر في حماية الإسلام .

وقال : إن دوام المراقبة يورث القوة في نسبة الباطن ، وإشراف الملك والملكوت بنظر الموهبة .

وكثرة ذكر التهليل تورث فناء الصفات البشرية .

والإكثار من الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم يورث الواقعات الحسنة ، ويحصل الانكسار والتواضع من كثرة النوافل ، ويزيد النور والصفاء من كثرة التلاوة . وذكر التهليل مفيد في الطريقة بشرط ملاحظة المعنى ، وأما مجرَّد تكرار اللفظ فهو من بضائع ثواب الآخرة .

وقال : إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمر لنسبة الجذبة الإلهية ، ويفيد النفي والإثبات في السير والسلوك وقطع مسافة الطريق .

وقال : إن إدراك كيفية الحالات الباطنية يرى محظوظاً في مرتبة الولايات ، وأما في مرتبة كمالات النبوة فلا شيء يوجد من أوصاف الباطن غير النكارة والجهالة .

وأما فيما فوق كمالات النبوة وإن كانت اللطافة واللالونية لازمة فيه ! لكن يمكن فيه إدراك كيفيات الأحوال في الجملة .

وقال : إن لطافة النسبة المجدِّدية ولا لونيتها سبب لإنكار الناس عليها ، ولذلك إذا وصل سير السالك إلى الكمالات يحصل لي شكٌّ وتردُّد أنه هل ترك الطريقة وانقطع عن السير والسلوك ؟ فإن أوفى العمر أوصل السالكين إن شاء الله تعالى من المقامات السافلة إلى المقامات العالية .

وقال : ومن جملة النعماء الإلهية في حقِّ الفقير سوقه عبده هذا نحو المشائخ المكرمين ، وإثبات محبتهم ورسوخ عقيدتهم في قلبي ، خصوصاً السيد ، والشيخ عابد رحمهما الله تعالى ، وإن لم أجد شرف صحبة رسول الله ﷺ ، ولكن أشكر الله سبحانه ألف ألف مرة على حصول سعادة صحبة هؤلاء الأكابر نائبي رسول الله ﷺ ، وقد حصل بذلك ثمرة الحياة .

وكان قدس سره موصوفاً بكمال الزهد والتوكل ، وكان له استغناء تام عن الدنيا وأهلها ، وان لا يقبل هداياهم إلا قليلاً .

وكان يقول : وإن ورد المنع عن ردِّ الهدية ، ولكن لم يرد الأمر بوجوب أخذها أيضاً ، وما هو يقين الحلِّية فآخذه بركة ، فإن جاء أحد من أصحابي بشيء من الهدايا على وجه الإخلاص والاحتياط فأقبله .

وأما هدايا الأمراء والأغنياء فلا يخلو أكثرها عن شبهة تعلّق حقوق الناس بها ، وما هو كذلك يعسر الخروج عن عهدة حسابه يوم الحساب ، لما ورد في سنن الترمذي « لا يزول يوم القيامة قدما ابن آدم حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم » .

فالتأمُّل في أخذ الهدايا ضروري .

قيل كان مرة في أيام شدة البرد مرتدياً برداء خَلِقٍ فقط ، وكان النُواب خان فيروز جنك حاضراً فيه ، ففاضت عيناه بالدموع من مشاهدة هذا الحال ، وقال لواحد من مصاحبيه : ما أسوأ إقبالنا وما أبعدنا عن السعادة حيث أنَّ ولياً من أولياء الله تعالى قد ثبت انتسابنا إليه ، ومع ذلك لا يقبل هديتنا . فقال له حضرة مولانا : إني نويت الصوم من قبول هدية الأغنياء ، وقد حان الآن وقت غروب شمس العمر ، فإن أفسدت صومي يلزم عليَّ لكفارته عشرة لكوك من الروبية . وكان يقلُّ أيضاً من أكل طعامهم ، قائلاً بأنَّ ظلمة طعامه تكدِّر نسبة الباطن ، ولهذا قيل : شر الطعام طعام الأغنياء .

وكان قدس سره ذا كشف صحيح وفراسة صادقة . قال : إني أعرف الناس من نظرهم ، إنه ما جوهره الإنساني ؟ وكيف استعداده ؟ وذلك بيُمن تربية والدي الماجد ، وأقرأه بنور الطريقة حرف السعادة والشقاوة من جبينهم ، فأميِّز بذلك الجنَّتي عن الجهنَّمي .

وكان بيانه من الكشف الكوني والكشف القلبي وكشف القبور وكشف المقامات يطابق الواقع ، وتفصيله ينجرُّ إلى التطويل وفي ذلك كفاية للمكتفي .

ولما انتفع به ألوف من الرجال - تشرَّف زهاء مائتين بالإجازة والخلافة ، وبلغ من جملتهم خمسون رجلاً نهاية المقامات الأحمدية ، وصاروا أدلاء أرباب الطريقة العلية - وحان له من هذا الحضيض الرحيل ، نودي إلى جوار الملك الجليل ، وقرع مقرعة التحويل ، فتوفِّي شهيداً ليلة السبت العاشرة من محرم بعد المغرب سنة خمس وسبعين ومائة بعد الألف ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وقدس ونوَّر ضريحه ، وأرَّخوا

سنة وفاته بهذه الكلمات (عاش حميداً ومات شهيداً) وأيضاً بقوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ ودفن في بلدة دهلي يزار ويتبرَّك به . رزقنا الله تعالى من بركاته وفيوضاته .

قطب فلك الإرشاد غوث الأبدال والأوتاد مجدِّد المائة الثالثة عشر نائب خير البشر مولانا الشيخ عبد الله المشتهر بشاه غلام علي الدهلوي قدس الله روحه ونوَّر ضريحه

ولادته سنة مائة وخمسين وألف ، في قصبة تباله من نواحي پنجاب يتصل نسبه بسيدنا علي كرم الله وجهه ، وكان والده الماجد الشيخ عبد اللطيف رجلاً مرتاضاً كثير المجاهدة رأى قبل ولادة الشيخ عبد الله سيدنا علياً كرَّم الله وجهه في منامه يقول : سمِّ ولدك باسمي . ولمَّا ولد سماه علياً ، فلما بلغ سنَّ التمييز سمَّى نفسه بغلام علي تأدُّباً ، واشتهر به ، وكان له عمٌّ جليل القدر ، حفظ القرآن الكريم في شهر واحد ، فسماه بعبد الله بأمر رسول الله ﷺ . ولعله في المنام أو في المبشِّرات ، طلبه والده عن وطنه الأصلي لأخذ البيعة عن شيخه ناصر الدين القادري ، وكان ممن صحب الخضر عليه السلام ، فتوفِّي هذا الشيخ ليلة وصوله إليه بقضاء الله تعالى ، فقال له والده : كنت طلبتك للبيعة فلم يتيسَّر فخذ الطريقة الآن ممن تشمُّ منه رائحة الرجال ، فتردّد إلى مشائخ دهلي الموجودين في ذلك الوقت مثل الشخي ضياء الدين ، وشاه عبد العدل خليفة خواجه محمد زبير ، وخواجه مير درد ولد خواجه ناصر ، والمولوي فخر الدين وشاه نانوا ، وشاه غلام من السادات الچشتية وسائر الأعزَّه ، ولكن لم يطمئن قلبه إلى واحد منهم ، ولما وصل إلى خانقاه مولانا مظهر الشهيد سنة سبعين ومائة وألف وكان عمره إذ ذاك قد بلغ اثنين وعشرين أنشد لسان حاله على حسب حاله :

وجـدت لـسـجـدات المحبَّة سدّة وحين قصَدت الأرض ألفيت أفلاكا

فالتمس منه الطريقة ، فقال : لم أذهب إلى محل آخر فيه ذوق وشوق فإن هنا لَحْسُ حجر بلا ملح . فقال : هذا هو المنظور لديّ . فقال له السيد : إذاً يبارك لك . فبايعه في طينه[1] وواظب على حلقة الذكر والمراقبات إلى خمس عشرة سنة بكمال الرياضات والمحاسبات الشاقَّة ، والصبر على الفقر والفاقة ، مع الإكثار من الأذكار ، والمداومة على الاستغفار ، وكان وظيفته اليومية من النفي والإثبات عشرة آلاف ، وتلاوة القرآن عشرة أجزاء ، غير التهليل اللساني واسم الذات ، وسائر الأوراد والصلوات ، وقد قاسى الشدائد في بداية حاله ، وكان له أولاً شيء من وجه المعاش فتركه واختار التجريد والتوكل ، ولم يترك في حجرته غير حصير مبال ولبنة يضع رأسه عليها .

قيل أغلق باب حجرته مرة من داخل وقال : إن متُّ متُّ في هذه الحجرة . فوصل إليه تأييد إلهي .

وجاء شخص وقال : افتح الباب . فلم يفتح . ثم قال : افتح الباب فإن لي معك شغلاً .

فلم يفتح فرمى روبيات من شقِّ الباب ومضى ففتح له باب الفتوح من هذا اليوم .

وكان يعمل على وفق الحديث النبوي ، وأخذ السند في الحديث من أولاد الشيخ وليِّ الله المحدِّث الدهلوي ، وحفظ القرآن عند مرشده ، ولكن كان يخفيه من الناس ولا يطلع أحداً عليه .

وكان قليل المنام وقليل الطعام ، فإذا رأى أحداً من أصحابه في نوم الغفلة وقت التهجُّد كان يوقظه .

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب : حينه .

وكان الأغنياء يرسلون إليه أطعمة مطبوخة بالتكلّفات فلم يكن يأكل منها ، بل كان يكره أكلها للطالبين أيضاً ، وكان يقسمها على جيرانه .

وكان يحيي أكثر الليالي بالذكر والمراقبة ، وكان نومه قاعداً على هيئة الاحتباء ، ولم يكن يمدُّ رجليه من غاية الحياء إلاَّ قليلاً ، حتى كان موته على هيئة الاحتباء .

وكان غلبة الحياء عليه على وجه لم ينظر إلى وجهه في المرآة ، فضلاً عن النظر إلى وجوه الناس .

مطلب

وكان بعض أرباب الحاجة يأخذ شيئاً من أملاكه من غير إذنه ، فإذا رآه كان يقلب وجهه إلى جهة أخرى تغافلاً عنه .

وكان بعضهم يأخذ كتابه ثم يجيئون بذلك الكتاب للبيع عنده ، فيعطي قيمته ويأخذه ، فإذا قال له شخص أحياناً : إن هذا الكتاب من كتبكم والعلامة موجودة فيه . كان يمنعه بالعنف ويقول : إنَّ كاتباً واحداً يكتب كتباً متعددة ، فيجوز أن يكون مثله لا عينه .

وكان يلبس الثياب الخشنة ، فإذا أرسله شخص ثوباً نفيساً كان يبيعه ، وكان ذلك عادته الكريمة في سائر الأشياء ، فيشتري بثمنه ثياباً متعددة ، ويتصدَّق بها .

مطلب

ويقول : إن انتفاع أشخاص أفضل من انتفاع واحد ، ولم يكن يُذكر شيءٌ من الدنيا في مجلسه الشريف .

وكان مجلسه مثل مجلس سفيان الثوري رضي الله تعالى عنهما وعنَّا فإن تكلَّم فيه أحدٌ بغيبة شخص ! كان يقول : إنَّ أحقَّ الناس بالذكر بالسوء أنا .

ذكر شخص مرة السلطان شاه عالم بسوء وكان هو قدس سره صائماً ، فقال : يا أسفا قد ذهب الصوم ! فقال له أحدُ الحاضرين : إنكم ما ذكرتم أحداً بسوء ، فقال : نعم ! ما قلت شيئاً ، ولا ذكرت أحَداً بسوء ولكنّي استمعت ، والمستمع شريك القائل .

وكان عادته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان لا يأخذه في ذلك لومة لائم ، وكان الملوك والصعلوك سواء عنده في ذلك ، وكان تركه وتجريده على وجهٍ كان سلطان الوقت وسائر الأمراء كثيراً ما يتمنَّون تعيين شيءٍ لخراج الخانقاه ، فلم يقبل ذلك منهم أصلاً .

وكثيراً ما كان يقول : إن مطمعنا ومطمح نظرنا إلى المواعيد الإلهية قال الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ فكفى الله تعالى جميع مهمَّاته الدنيوية والدينية .

وأرسل مصارف رباطه من الغيب حتى كان يأكل من رباطه زهاء مائتين تقريباً ، وكان معاشهم يتهيَّأ على الوجه الأحسن .

وكان يقول : إن في الفقر فاء الفاقة ، وقاف القناعة ، وراء الرياضة ، فمن أعطى كلاً منها حقَّها فقد نال فاء الفضل الإلهي ، وقاف قربه تعالى ، وراء رحمته سبحانه ، وإلا فقد حصل له فاء الفضيحة ، وقاف القهر ، وراء الرذالة .

وقال : لا بدَّ في هذه الطريقة من أربعة أشياء : اليد المكسورة ، والرجل المكسورة ، والدين الصحيح ، واليقين الصريح . فاليد المكسورة هي أن لا تمدَّها إلى الأغيار بالسؤال ، والرجل المكسورة أن لا تذهب بها إلى باب الأغنياء تاركاً باب الوليِّ المتعال ، والدين الصحيح ما لا ينقص من آدابه شيء ، واليقين الصريح ما لا يعتريه شك . وقال : إن طالب ذوق وشوق وكشوف وكرامات ليس بطالب الله تعالى . وقال : إنَّ الصوفي مَنْ جعل الدنيا والآخرة ورائه ، وأقبل بكليَّتِهِ إلى مولاه .

وقال : إنَّ البيعة على ثلاثة أقسام : بيعة للتوسُّل بالمشائخ الكرام ، وبيعة للتوبة عن المعاصي والذنوب العظام ، وبيعة لكسب النسبة والوصول إلى مرتبة الرجال الفخام .

وقال : إنَّ الناس على أربعة أقسام : عديم المروءة ، وصاحب المروءة ، وصاحب الجود ، والفرد ، فعديم المروءة هو طالب الدنيا ، وصاحب المروءة هو طالب العقبى ، وصاحب الجود هو طالب العقبى والمولى ، والفرد هو طالب المولى فقط .

وقال : إنَّ الأولياء على ثلاثة أقسام : أرباب الكشف والعرفان ، وأرباب الإدراك والوجدان ، وأرباب الجهل والسكران يعني بالأحوال الحاصلة والعرفان .

وقال : إن العقل النوراني ما يدلُّ على المقصود من غير دلالة أحد ، والظلماني ما يسلك الطريق بمصباح هداية المرشد .

وقال : ينبغي للطالب أن لا يغفل عن المطلوب لمحة .

مطلب

وقال : حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة ، ورأس كل خطيئة كفر ، فينتج من هاتين المقدِّمتين أنَّ حبَّ الدنيا كفرٌ .

وقال : إن علامة زوال العين أنْ لا يقدر السالك على أن يقول أنا . كما قال الخواجه عبيد الله أحرار قدس سره ما أيسر أن يقول أنا الحقّ ، وما أعسر إزالة أنا وما أشكلها .

وقال : إنَّ في الطريقة المجدِّدية أربعة أنهار جاريةٍ : النقشبندية والقادرية والچشتية والسهروردية لكن الأولى غالبة .

وقد بلغ قدس سره مرتبة التعشُّق برسول الله ﷺ ، فإذا ذكر اسمه الشريف عنده كان يضطرب من شدّة وجده به ، وكان له نهاية الذوق من

أسرار القرآن العظيم ، وكان يستمعه في صلاة الأوابين والتهجُّد من الشيخ أبي سعيد قدس سرهما فإذا استمعه كثيراً في أوقات الشوق كان يمرض من الوجد ويقول : يكفي ، لا طاقة لي على الاستماع أزيد من ذلك .

وكا يستمع أحياناً أشعار الأشواق ويعرض له الوجد من ذلك ، ولكن لما كان كالجبل في التمكين كان يضبط نفسه عن إظهاره ويقول : إن أبا الحسن النوري قدس سره كان مرة يرقص وسيِّد الطائفة الجنيد قاعد فيه ، فقرأ النوري ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ فقرأ الجنيد ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ فإن الجنيد قدس سره كان في نهاية الاستقامة ، ولذلك ضبط نفسه عما يخالف السنة .

وكان تواضعه وانكساره مع وجود هذه الكمالات على مرتبة إذا دخل كلب بيته كان يقول : إلهي مَنْ أنا حتى أتوسَّل إليك بأوليائك ؟ ! فارحمني بحقِّ مخلوقك هذا .

وكذا إذا جاءه شخص لطلب الحاجة كان يتقرَّب به إلى الله تعالى .

فجلس بهذه الكمالات في محلِّ شيخه على مسند الإرشاد لهداية العباد ، وتوجَّه الطالبون إليه من جميع البلاد ، من الأقطاب والأوتاد ، بعضهم بأمر النبي ﷺ في المنام مثل السيد إسماعيل المدني والشيخ أحمد الكردي ، وبعضهم بدلالة أكابر الأنام مثل مولانا الشيخ خالد الرومي والشيخ محمد جان الباجوري قدس الله تعالى أسرار جميعهم العلية ، ورزقنا من فيوضاتهم السنية .

والحاصل أن خوارق عاداته وكشوفه وكراماته وكثرة إرشاده خارجة عن حدِّ البيان ، ومستغنية عن التبيان ، وقد انتشر خلفاءه وخلفاء خلفائه في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، ولا يزالون متزايدين على مرور الأزمان والأيام ، ولا يخفى ذلك على ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وما انفكَّ ينتسب إليه من الخواص

والعوام مَنْ أدركه اللطف الإلهي ، وهو عند الله تعالى سعيد على رغم مَنْ أنكر فضلهم لخبث باطنه ، وهو عن السعادة بعيد .

ولنورد هاهنا شيئاً من قصائد قطب ديار الروم ذي الجناحين مولانا خالد الرومي الكردي الشهرزوري في مدحه قدس سرهما على وجه التبرُّك والاسترشاد ، والتيمُّن والاستشهاد :

كـمـلـت مـسـافـة كـعـبة الآمال ... حـمـداً لـمـن قـد مـنَّ بـالإكـمال
وأراح مـركـبـي الطليح من السرى ... ومن اعـتـوار الـحـطِّ والـتـرحال[1]
وأنـالـنـي أعـلـى الـمآرب والمُنى ... أعـنـي لـقـاء الـمـرشـد الـمِفْضال
مـنْ نـوَّر الآفـاق بـعـد ظـلامـهـا ... وهَـدَى جـمـيـع الخلق بعد ضلال
أعـنـي غـلام عـلـيٍّ الـقـرم الذي ... مـن لـحـظـه يـحـيـي الرميم البال
تـمـثـيـلــه مــا ســاغ إلا أنــه ... مـا نـاقـش الأدبـاء فــي الـتـمثال
هـو يَـمُّ فـضـلٍ طودُ طولٍ والكرم ... يـنـبـوع كـل فـضـيـلـة وخـصال
نـجم الهدى بدر الدُجى بحر التقى ... كـنـز الـفـيـوض خـزانـة الأحوال
كـالأرض حـلـمـاً والجبال تمكُّناً ... والـشـمـس ضـوء والسماء تعالى
عـيـن الـشـريـعة مـعـدن العرفان ... عـون الـبـريَّـة مـنـبـع الأفـضــال
قـطـب الـطـريـقـة قـدوة الأوتـاد ... غـوث الـخـلائـق رحـلـة الأبـدال
شـيـخ الأنــام وقــدوة الإســلام ... صـدر الـعـظـام ومـرجع الإشكال
هـادٍ إلـى الأولـى بـهـدي مُخْتَفٍ ... داع إلـى الـمـولـى بـصـوت عـال
مـحـبوب ربِّ العالمين مَنْ اقتدى ... بـهـداه قـل يـا قــدوة الأمــثــال
كم من جهول بالـهـوى مـكـبـول ... نـجَّـاه مـن لـحـظٍ كـحـلِّ عـقـال

(١) إلى أن قال .(هامش الأصل) .

كـم مـن ولـيٍّ كـامـل مَـنْ صـدَّه قـد صـدَّ عـنـه عـجـائب الأحوال
كـم مـنـكـر لـعـلـوّ شأنه قد رأى فـأذاقـه الـمـولـى أشـدَّ نـكـال
مـعـطـي كـمـال تمام أهل نقيصة ومـزيـل نـقـص جميع أهل كمال
أخـفـاه ربُّ الـعـزِّ جـلَّ جـلالـه فـي قـبـة الإعـزاز والإجـلال
يـا أهـل مَـكَّـة حـولـه دُرْ طـائفاً واهـجـر حجازاً إن سمعت مقالي
ومَـبـيـتَ ضيقٍ دعْ ورَكْضَ مَحْسَر ومـنـى مـنـا والـرمـي لـلأمْـيـال
واسكن بذي الوادي المقدَّس خالعاً نـعـلـي هـوى الكونيْن باستعجال
حـجـرُ مقامك بالمطاف بلا صفا مـن طـوف حـضـرة كعبة الآمـال
مـا الـسـعـي إلا في رضاه بمُلتزم ما الطـوف إلا حـولـه بـجـلاله[١]
فـارزق إلَـه الـعـالـمـيـن بـحـقِّه أدبـاً يـلـيـق بـذا الـجـناب العالي
وأمـدَّنـا بـلِـقـائـه وبـقـائـه وعـطـائـه ونـوالـه الـمـتـوالـي
زد مـن حـيـاتـي فـي إطالة عمره أدم الـورى بـحـمـاه تـحت ظلال

إلى آخرها . . .

توفِّي قدس سره يوم السبت الثاني والعشرين من صفر بعد الإشراق ؛سنة أربعين ومائتين وألف ، وهو قاعد على هيئة الاحتباء ،مستغرقاً في مشاهدة جمال المولى .رحمه الله تعالى عليه رحمة واسعة .وتاريخ وفاته (نوَّر الله مضجعه) وغيره أيضاً .

جامع شتات المراتب العلية ؛ حائز قصبات السبق في مضمار البراعة الجلية ؛ مولانا الشيخ أبو سعيد بن الشيخ صفيّ القدر بن الشيخ عزيز القدر بن الشيخ محمد عيسى بن الشيخ سيف الدين بن الشيخ محمد معصوم بن الإمام الربَّاني المجدِّد والمنوِّر للألف الثاني قدس الله تعالى أرواحهم وأسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم .

(١) إلى أن قال .(هامش الأصل) .

ولادته ثاني ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائة وألف[1] في بلدة مصطفى آباد من أعمال رامپور ، وكانت آثار الرشد والسعادة ، وأنوار الولاية والهداية لائحة من جبينه في صغر سنِّه ، بحيث لم يره أحدٌ في اللهو واللعب على عادة الصبيان ، حفظ القرآن في السنة الحادية عشر ، وتعلَّم التجويد عن القارئ ، وكان جيد القراءة حسن الصوت مراعياً لحسن الترتيل ، وكلّ مَنْ سمع قراءته كان يغيب عن نفسه ، وأخذ حظًّا وافراً من العلوم النقلية ،قرأ أكثر الكتب الدرسية على المفتي شرف الدين ، وقرأ بعضها على مولانا رفيع الدين المحدِّث بن مولانا الشيخ وليّ الله المحدِّث الدَّهلوي ، وأخذ سند الحديث عن شيخه الشيخ عبد الله الدهلوي وخاله مولانا سراج أحمد ، وعن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ وليّ الله الدهلوي قدس سرهم . وفرغ من التحصيل وهو ابن تسع عشر سنة ، وأخذ النسبة النقشبندية عن والده الماجد في أيام تحصيله ، ثم التحق بصحبة الشيخ شاه دركاهي بعد تشرُّفه بصحبة والده بأمره ، وتتصل نسبة الشيخ المذكور بالشيخ محمد زبير قدس سرهما بواسطتين ، وكان له استغراق دائم بحيث لم يكن له شعور عن أوقات الصلاة ، بل كان ينبِّهه الناس بذلك ، وكانت حرارة نسبته الباطنية على حدٍّ إذا التفت إلى مائة رجل مرة واحدة كانوا يغيبون عن أنفسهم ، فكان في خدمته وصحبته اثنتي عشر سنة بالرياضات الشديدة ، والمجاهدات الشاقة ؛ مثل دوام الصّوم وترك المنام ، وتقليل الطعام والعزلة عن الأنام ، وبذل الشيخ المذكور له عنايات جزيلة ، ثم شرَّفه بالإجازة والخلافة في أيام قليلة ، وأجلسه في مسند إرشاده ، وظهر له عنده قبول تام فيما بين الأنام ، واجتمع لديه خلق كثير ، حتى بايعه أزيد من ألف رجل في الأطراف ، وظهر في حلقته الغيبة والوَجْد ، والشوق والصيحات ، والإضراب والزعقات .

---

(١) ١١٩٦

ولما كانت هذه الأمور مخالفة للطريقة المجدِّدية ، ولازمة الزوال والارتفاع فيها ، فإن طريقة المجدِّد هي حصول الاطمئنان والسكينة والوقار ، والتواضع والانكسار ، ودوام الحضور والاعتبار ، على ما عليه الصحابة الكرام في صحبة خير الأنام ، حيث كان سماعهم في تلاوة القرآن وحضورهم في الصلاة على وجه الإحسان ، وشيمتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعصيان ، ولا يتعاطاها كل زمَّار ورقَّاص ، ولا ينالها إلا الخواص .

كان يلوح له أن المقامات المجدِّدية لم تحصل بعد ، وقد وجد أصحاب مولانا الشهيد على هذا المنوال .

ولقي مولانا الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره في بلد رامپور ورآه على غاية من هذه الأحوال ، وكلَّما يطالع « مكتوبات الإمام الربَّاني » قدس سره كان عطشه يزيد وعزمه يتجدَّد ، فجاء أخيرًا إلى دهلي بترك الكل ، وكان الدَّهلي في ذلك الوقت مملوءً بالعلماء الصالحين المحقِّقين ، مثل أبناء الشيخ وليّ الله الدهلوي قدس سرهم .

وكان مولانا الشيخ القاضي ثناء الله الباني بتي الذي هو من أجلَّة خلفاء مولانا مرزا جانجانان قدس سره وأقدم أصحابه وخُلَّصهم ، حتى قال في حقِّه : إذا سألني الله تعالى يوم القيامة بأيِّ هدية جئت ؟ أقول : جئت بثناء الله الباني بتي حيّاً في ذلك الوقت ، فكتب إليه للاستشارة في باب اختيار المرشد . فكتب في جوابه بكمال التعظيم : لا أحد في المشائخ الآن مثل الشيخ غلام علي فالتحق بصحبته . فاستقبله الشيخ بالتعظيم والتكريم ، وأشار إليه بأن يجلس في مسند إرشاده . فقال : ما جئت لهذا ! بل جئت للاستفادة والخدمة . فتلقَّاه بالقبول ، وأظهر له التفاتاً كثيراً ، وكان شيخه الأول الشيخ شاه دركاهي حيّاً في ذلك الوقت وكثيراً مَّا كان يقول : لو لم يكن مرشدي الثاني مثل حضرة الشيخ كان الخوف من المرشد السابق كثيراً ، ولكن ما وصل إليَّ ضرر في كنف حماية حضرة الشيخ .

مهم لجواز الانتقال من شيخ إلى آخر

وقد كتب الإمام الربَّاني : إذا لم يجد رشده عند شيخ ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته من غير إنكار على شيخه الأول ، وأيَّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدس سره .

وقال : إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارا .

وكان صاحب الترجمة راسخ الاعتقاد وكثير المحبَّة لشيخه الأوَّل ، وقال : كان فيه كدورة عليَّ أولاً ولكن لما جئت إلى رمپور زالت كدورته بالتمام والحمد لله على ذلك .

ثم شرَّفه الشيخ بالإجازة والخلافة في السلاسل الثلاث :النقشبندية والقادرية والچشتية ، بعد كونه في صحبته شهوراً ، وأحال عليه أكثر مريديه ، وأخذ عنه التوجُّه كبار أصحابه ، مثل مولانا خالد الرومي ، والسيد إسماعيل المدني قدس سرهما ، وكثيراً ما كان يقول لمريديه : ينبغي أن تكون إرادة المريد مثل إرادته حيث ترك المشيخة واختار المريدية .

وكان يبالغ في تعظيمه ومدحه ، فإذا قدم من سفر كان يستقبله حتى كان مرة مريضاً حين قدومه من السفر فقعد على سريره وقال : احملوني إليه لئلا يفوت الاستقبال . فحملوه إلى مسجد الحكيم قدرة الله الواقع خارج الخانقاه بفاصلة يسيرة ، فأظهر له أنواع الالتفات والألطاف .

وكان في صحبته الشريفة على هذا المنوال خمس عشرة سنة ، وتشرَّف ببشارات هذه الطريقة ، مثل الضمنيَّة والقيُّومية المعروفين عند هذه الطائفة ، وكتب رسالة لطيفة في بيان الطريقة باستدعاء بعض أصحابه ، وعرضها على شيخه ، فاستحسنه غاية الاستحسان ، وكتب في آخرها سطوراً في مدحها هذه الرسالة الآن دستور العمل بين الطالبين في الطريقة المجدِّدية المظهريّة السعيدية ، ولا بدَّ منها للطالبين ، وقد عرَّبها بعض الأكابر في مكة المكرمة .

ولما عرض المرض على الشيخ عبد الله الدّهلوي قدس سره طلبه مراراً بمكاتيب عديدة ليجلسه في مسند إرشاده ، وكان حينئذ في بلدة لكنهو .

مكتوب الشيخ عبد الله الدهلوي لمريده الشيخ أبي سعيد

ومما كتب إليه هذا المكتوب – ننقله من رسالة مولانا الشيخ عبد الغني بن الشيخ أبي سعيد قدس سرهما – وبعد الحمد والصلوات فليعلم أن المقامات والاصطلاحات التي قرَّرها الإمام الرَّباني المجدِّد للألف الثاني قدس سره تظهر في كل درجة منها كيفيات وأنوار ، وحالات وأسرار ، واختيار الطريقة بدون تلك الأشياء عبث ، فلم يضيِّعون العمر ؟ فإن لم تكن المقامات العشرة من مقام التوبة إلى مقام الرضا حاصلة في باطن السّالك ولازمة فيه فما الفائدة من هذه الطريقة ؟ !

ويحصل في سير لطائف عالم الأمر أنواع الكيفيات .

ويحصل في سير اللطيفة القلبية – أعني مراقبة الأحدية الصرفة – ومراقبة المعيَّة الغيبة والاستغراق ، وقطع التعلُّقات المقتضيات الطبيعية وغيرها .

ويحصل في سير لطيفة النفس – الذي تستعمل فيه مراقبة الأقربية والمحبة – الاستهلاك والاضمحلال ، وارتفاع الأنانية وغيرها .

ويرد الفيض في سير لطائف عالم الخلق إلى العناصر الثلاثة سوى عنصر التراب ، وتحصل المناسبة لتجلِّيات اسم الباطن والملأ الأعلى عليهم السلام ، وتهذيب اللطيفة القالبية .

وفي الكمالات الثلاثة تحصل اللاَّلونية ، ولطافة نسبة الباطن . وفي الحقائق السبعة تحصل وسعة الأنوار ، وبداهة ما كان نظريًّا محتاجاً إلى الاستدلال ، وزيارة الأنبياء عليهم السلام في المنام ، أو في عالم المثال وأذواق المحبة الذاتية ، مصراع :

. . . . إلـى مَـنْ يـكون ميل ليلى وعطفها

آخر :

ومـا كـلُّ عـبـد يـشتريه الخلائف وما كـلُّ مَـنْ تـحـت الثياب رجال

مطلب

فإن نال سالك هذه الطريقة أمثال هذه العلوم والمعارف ! فمباركة له ، وإلاَّ ! فقد اكتسب العجب والأنانية ، فويل له .

فكل مَنْ حصل في صحبته تلك الحالات فبها ونعمت ، وإلا ! فهو شين على الطريقة ، ويلحق به العار بالمشائخ الكبار .

والعجب من المريدين يشينون الطريقة ، ويزعمون أنهم أصحاب إرشاد ! هداهم الله سبحانه إلى رضائه واشتياق لقائه آمين . الحمد لله أنَّ المولويَّ بشارة الله صاحب ، والحافظ أبا سعيد صاحب – سلَّمهم الله تعالى ، وجعلهم سبباً لإشاعة الطريقة – قد حصَّلوا مناسبة تامَّة لهذه المقامات ، ورزق الله سبحانه وتعالى سائر الأعزَّة توفيق الاستقامة ، واتِّباع السُّنَّة ومحبَّة المشائخ ، والترك والانزواء ، واليأس عن الخلق والرجاء من الحق سبحانه ، وأسأله سبحانه هذه الحالات لي ولجميع أحبابى .

وها أنا أكتب بألف انفعال ما يكتبه المشائخ في تحرير الإجازات من كلا اللفظين ، فأقول : إنَّ يدهم أفضل من يدي ، والبيعة إياهم – التي هي أقوى ذرائع السعادات والنجاة – بيعة إيّاي ، يبارك الله تعالى فيهم بشرط الإعراض عن أهل الدنيا ، والقعود على باب الحقِّ مكسور الرجل ، بتصديق وعد الكريم المطلق ، وهم أركان طريقتي وحاصل توجُّهاتي في طول عمري . اللهم وفِّقني وإيَّاهم لمرضاتك ومرضاة حبيبك ﷺ ، واجعل آخرتنا خيراً من الأولى آمين آمين آمين .

وهذا أيضاً إلى خدمة صاحب زاده عالي النسب ، سامي الحسب ، حضرة شاه أبي سعيد صاحب سلَّمكم ربكم : السلام عليكم ورحمة الله تعالى ، وقد استولى في تلك الأيام على الفقير مرض الحكَّة ، والضعف وشدّة التنفس ، حتى عَسُرَ القعود والقيام ، على أنه عرض الوجع في الخاصرة من مدَّة زمان ، بحيث لا أتمكَّن من الصلاة على الإقعاء .

وقال الشيخ رفيع الدين : إن حضور أحد هذين - يعني المولوي بشارة الله ، ومولانا الشيخ أبا سعيد قدس سرهما - عندك على سبيل البدلية ضروري ، فمجيئكم في الوقت في غاية المناسبة ، فأوصل نفسك هنا مُسرعاً ، وقد استأذن المولوي بشارة الله لتمريض أهل بيته فمجيئه غير معلوم ، وقد أرسلت قبل هذا مكاتيب عديدة في طلبكم مع تبرُّكات جديدة ، ومن العجب عدم قصدكم للمجيء هنا ! فإن الصحة مستحيلة للفقير بحسب الظاهر ، ويا أسفا على تأخُّركم هذا المقدار ! وأرى أنَّ منصب آخر مقامات هذه الطائفة متعلِّق بكم ، ولقد رأيت قبل ذلك في المرض السابق أنَّك قاعدٌ على سريري ، وشرَّفوك بعطاء قيُّومية هذه الطريقة ، ولا قابلية لأحد غيرك لهذه التوجُّهات العجيبة ، فبمجرَّد وصول هذا الكتاب توجَّه إلى هذا الجانب ، وأجْلِسْ مكانك هنا الشيخ أحمد سعيد ، وليكن ممدّاً بالدعاء بحسن الخاتمة ولقاء ربِّ العزة ، ومشغولاً بالصلوات والاستغفار ، وتكرار الكلمة الطيِّبة ، وختم القرآن المجيد ، وختم المشائخ الكبار ، واتِّباع سنن المصطفى ﷺ ، فحضر عنده حين حياته امتثالاً لأمره ، وجلس في مسند إرشاده بعد مماته بكامل التمكُّن والاستقامة ، وتوجَّه إليه الطالبون من أطراف العالم وأكناف الأرض مثل الجراد ، فصار واسطة فيضان الفيض الإلهي على قلوب السالكين ، وتشمَّر لترويج الشريعة المصطفويَّة ، وتمهيد الطريقة النقشبنديَّة الأحمديَّة ، مثل آبائه الكرام ، وأجداده العظام ، وتجرَّع مرارة الفقر والفاقة التي هي من لوازم هذه الطريقة العليَّة ، وشيمتها المرضيَّة ، بسبب كمال إيثاره الجبلِّي .

وكان موصوفاً بالأوصاف الحميدة ، والأخلاق الجميلة ، مثل المسكنة والانكسار ، والتواضع والوقار ، وحفظ مراتب الأنام مع نهاية الاشتغال والتحمُّل والصبر ، وكان تحمُّله على حدٍّ لو كان أحد مثلاً منكراً على شيخه الشيخ عبد الله الدَّهلويّ قدس سرهما كان يظهر المحبة له لغاية تحمُّله ، وجلس في مسند الإرشاد على هذا الوجه تسع سنين تقريباً .

ثم توجَّه إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٤٩ لأداء الحج ، وأجلس مكانه خلفه الصدق الشيخ أحمد سعيد قدس سره ، واغتنم مقدَمه الشريف أهل كل بلد .

ولما وصل إلى أرض ، الحجاز استقبله الشيخ محمد جان الباجوري ـ عليه الرحمة والغفران ، خليفة الشيخ عبدالله الدهلويّ قدس سره ـ من جدَّة ، وكان بمنزلة شيخ الحرم في وقته ، وقبره في المعلّى وراء قُبَّة سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما ولما دخل مكة المكرمة استقبله عظماء البلدة المكرمة ؛ من القضاة والمفتين والعلماء والأمراء بكمال التعظيم ونهاية التكريم ، وكان مدَّة إقامته في مكة المكرَّمة قبل الحج وبعده ثلاثة أشهر تقريباً ، وعرض له أنواع الأمراض من الإسهال والحمَّى في محرَّم الحرام وبلد الله الحرام ، وغلب عليه اشتياق توجُّه المدينة المنورة ؛ لزيارة سيد الثقلين ﷺ ، فتوجَّه إليها ، وكان أيام المولد الشريف فيها ، ونال من خير البريَّة ﷺ أنواع العنايات ، وصنوف الألطاف ، ودخل في ربقة إرادته أكثر سادات البلد الطيب ، واستفادوا منه الطريقة العلية .

ثم توجَّه إلى وطنه المألوف بألوفٍ من الفتوحات والفيوضات .

ولما دخل بلدة لونك من بلاد الهند ـ الواقعة على إحدى عشرة مرحلة من دهلي ـ زاد مرضه ، وظهرت فيه سكرات الموت يوم عيد الفطر من سنة ١٢٥٠ ، فأوصى ولده الأوسط الأمجد الشيخ عبد الغني قدس سره وكان معه في هذا السفر باتِّباع السُنَّة واجتناب أهل الدنيا ،

وقال : إن ذهبت إلى باب أهل الدنيا تكن ذليلاً ، وإلاَّ فهم يهرعون إلى بابك مثل الكلاب ! وأجزتك ، بل أجزت عبد المغني بكل ما وصل إليَّ من الأشغال والأوراد ، ثم قال : وقتُ أيَّة صلاة هذا ؟ فقال له المولوي حبيب الله : أيَّة صلاة يريدها جنابك فلتصلِّ ! يعني وقت مباح . فقال : قد مضت هذه الليلة بتمامها في الصلاة ، ثم أمر القارئ بقراءة سورة يس بعد الظهر ، فاستمعها منه ثلاث مرات ، ثم قال : يكفي ، ما بقي إلاَّ قليل . وكان مسبِّحته تتحرك بالشهادة ، فطار طير روحِهِ نحو عالم القدس ما بين الظهر والعصر يوم عيد الفطر سنة [1] ١٢٥٠ ، فحضر النوَّاب وأهل البلد ، وغسله المولوي حبيب الله مع سائر أهل القافلة ، وصلَّى عليه القاضي خليل الرحمَن مع سائر الناس ، ثم حملوا تابوته إلى دَهْلي ، ولما أخرجوا نعشه من الصندوق في دهلي بعد أربعين يوماً ووضعوه في اللحد علم كأنه غسل الآن ولم يتغيَّر منه شيء ، وكان القطن الموضوع تحت نعشه في غاية الطيب ، فأخذه الناس للتبرُّك ، ودفن قرب تربة شيخه الشيخ عبد الله قدس سرهما بحيث صار قبر الشيخ وسط قبر مولانا الشهيد ومولانا الشيخ أبي سعيد قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وأفاض علينا من بركاتهم ، وتاريخ وفاته « ينوّر الله مضجعه » .

عمدة المشائخ الكرام ، وزبدة الأصفياء العظام ، مرشد الأنام ، وغوث الأيام مولانا الشيخ أحمد سعيد بن مولانا الشيخ أبي سعيد قدس سرهما .

ولادته في غرَّة ربيع الآخر سنة ١٢١٧ في بلدة مصطفى آباد من أعمال رامپور على ثمان مراحل من دهلي ، وكان آثار السعادة والهداية ، وأنوار الرشد والولاية ظاهرة من طلعته السنيَّة حين صغره ، وحفظ القرآن بحسن تربية والده الماجد .

---

(١) وعمره على هذا ٥٤ .

وحين توجَّه والده إلى خدمة الشيخ عبد الله الدَّهلويّ قدس سرهما ما كان بلغ عمره عشر سنين ، فحضر عنده معه ، وأخذ منه الطريقة ، فأحبَّه الشيخ حبَّاً شديداً ، وأظهر له التفاتاً كثيراً لما تفرَّس من علوِّ استعداده ، وكثيراً ما كان يقول : قد طلبت ولداً من كثير من الناس فلم يسمح به أحد إلاَّ الشيخ أبو سعيد فإنه أحال ولده عليَّ ، فجعلته بمنزلة ولدي ، فشرع في تربيته ، وأمره بالجمع بين القال والحال ، فحضر عند علماء وقته امتثالاً لأمره ، وكان يحضر في أوقات الحلقة عند شيخه ، وربما لا يجد مكاناً لازدحام الناس ، فإذا وقع نظره الشريف عليه كان يدعوه لديه بالإشارة ، ويجلسه في طرف مسنده ، ويتوجَّه إليه زماناً طويلاً بتمام قوَّته ، فقرأ أكثر الكتب المتداولة ؛ من المنقول والمعقول ، والفروع والأصول ، على علماء وقته . وكان أكثر استفادته من المولوي فضل الإمام ، والمفتي شرف الدين .

وأخذ الحديث عن ابن الشيخ وليّ الله المحدِّث الدَّهلوي ، مثل المولوي رشيد الدين خان وغيره . وأخذ كتب التصوُّف مثل « الرسالة القشيرية » و« عوارف المعارف » و« إحياء العلوم » و« النفحات » و« الرَّشحات » و« مكتوبات » الإمام الربَّاني قدس سره و« المثنوي » لمولانا الرومي قدس سره عن شيخه ، بعضها بالقراءة ، وبعضها بالسماع .

وقرأ عليه بعض كتب الأحاديث مثل « سنن الترمذي » و« مشكاة المصابيح » وغيرهما . وأدرك الشيوخ الثلاثة ، أعني : الشيخ عبد العزيز ، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد القادر - أبناء الشيخ وليّ الله المحدِّث الدّهلوي . رحمهم الله تعالى وإيَّانا - ، وكان يحضر عندهم إما لزيارةٍ ، وإما لتحقيق مسألة دقيقة ، وإما لاستخراج معاني أشعار عربية ، وكانوا يعظِّمونه غاية التعظيم .

وأخذ سند الحديث عن الشيخ عبد العزيز ، وقرأ بعض الكتب على خال والده المولوي سراج الدين أحمد بن محمد مرشد بن محمد أرشد ابن فرخ شاه ابن محمد سعيد ابن الإمام المجدِّد قدس الله سرهم وكان عالماً عارفاً .

وأخذ عنه مسند الحديث المسلسل بالأوليَّة إلى الإمام الربَّاني بواسطة آبائه الكرام المرقومين ، ومنه إلى سيد الأنام ﷺ .

وتلمَّذ أيضاً على المولوي نور الدين ، وكان المولوي المذكور عالماً ذا نسبة قويَّة .

وكان صاحب الترجمة يحيي أكثر الليالي بالمطالعة في أوان تحصيله ، فإذا رآه والده الماجد في المطالعة عند قيامه للتهجُّد ؛ كان يقرأ هذا الحديث : « إن لنفسك عليك حقاً ، ولعينك عليك حقاً ، ولزوجك عليك حقاً » الحديث ومع هذه الأشغال كلها ! كان لا يترك الذكر والفكر والمراقبة ، وحضور الحلقة في أوقاتها أصلاً .

وكان يأخذ التوجُّه عن والده الماجد ، بأمر شيخه عند المفارقة الصورية منه ، بل في حضوره أيضاً .

وقال : أخذتُ التوجُّه عن والدي من جميع المقامات ، وقرأت عليه بعض الكتب ، ولذلك كان يكتب اسمه الشريف بعد شيخه في بيان سلسلته ، وإلاّ ! فأصل بيعته ، وكسب نسبته وإجازته وخلافته من شيخه الشيخ عبد الله الدَّهلوي قدس سره .

وبالجملة : فرغ من تحصيل المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، بكمال الاستقامة ، ونهاية المتانة ، قبل بلوغ عمره عشرين سنة ، وأقبل بكُلِّيته على الطريقة العليَّة ، وكان شيخه يقول له - من كمال عنايته له - : إن التوجُّه ليس بمضنون منك ،حاضراً كنت أو غائباً ، ولذلك عدَّ مدَّة صحبة شيخه خمس عشرة سنة تقريباً .

وكتب الشيخ عبد الله الدَّهلوي قدس سره في رسالته المؤلَّفة في حدود سنة ١٢٣٧ : إن مولانا أحمد سعيد ابن الشيخ أبي سعيد قريب من والده في العلم والعمل ، وحفظ القرآن المجيد وأحوال النسبة الشريفة . انتهى وكان حينئذٍ ابن عشرين .

وكتب في مكتوبه أيضاً هكذا : سلّمكم الله سبحانه وتعالى أنتم الأربعة أنفار كلكم ، فإن ارتباط المودَّة أفضل من القرابة ، الشيخ أبا سعيد أسعده الله تعالى ، الشيخ أحمد سعيد جعله الله تعالى محموداً ، الشيخ رؤوف أحمد رأف الله تعالى به ، الشيخ بشارة الله جعله الله تعالى مبشَّراً بقبوله ، بارك الله تعالى في عمر هذه الأعزَّة الأربعة ، وجعلهم سبباً لترويج الطريقة ، وأكْثَرَ أمثالهم آمين .

ونقل الشيخ محمد جان من لسانه أنه قال في حقه : إنَّ هذا الولد أفضل من أبيه . انتهى .

وبالجملة : فقد تقرَّرت رتْبته عند شيخه بعد رتبة والده الماجد ؛ بل فوقه باعتبار ما يؤول .

وكان يحرِّر اسمه في كل كتاب كتبه في آخر عمره ، ويصفه فيه بعد وَصْفِ والده ، ولا حاجة إلى الإطناب ، فإنَّ المسك يفوح بنفسه ، لا بما يضعه العطار ، وقد فاح وراح ! ولما عزم والده الماجد على سفر الحج أجلسه على مسند إرشاده - الذي هو مسند أشياخه من قبل كما مرَّ - وقد أناف عمره إذ ذاك على اثنين وثلاثين ، وفوَّض إليه أمور الخانقاه كلها ؛ كلِّياتها وجزئياتها ، ونظارة الكتب الموقوفة ، فتزيَّن بوجوده المسعود مسند الطريقة المجدِّدية ، ونيط بذاته المحمود ترويج السيرة النقشبندية ، وإشاعة المعارف الأحمدية ، فتوجَّه إليه الطالبون من أطراف شتَّى ، ونالوا منه حسب استعداداتهم فوائد جمَّة ، ونشروا أنوار الهداية والعرفان في أطراف العالم من القرى والبلدان ، خصوصاً ممالك الهند وخراسان . وكان يحصل للطالبين في عِدَّة أيام وساعات ، من قوَّة تصرُّفه وكثرة توجُّهه ما لا يحصل من صحبة غيره في مدَّة سنين وطول الأوقات ، وكانت همَّته مصروفة إلى الإفادة والاستفادة ، لئلا يبقى أحدٌ محروماً ، ويربِّي السّالكين بما يناسب استعداداتهم ، خصوصاً وعموماً ، ويحوِّلهم من حال إلى حال إلى أن يرقيهم أوج الكمال والإكمال .

وكان يسلك ببعضهم في ضمن درس علم القال ، ويأمر بعضهم بالانزواء والتبتُّل عن الرجال ، ويترك بعضَهم على حاله من الاشتغال ، ويشرِّف بعضهم بالتوجُّه الباطني[1] على كل حال ، وما كانت شفقته على الطالبين أقل من شفقة الأمهات على الأولاد ، حتى كان ظنُّ كلٍّ منهم أن لطفه الذي به ليس لغيره ، وكان يتفقَّد أحوال كلٍّ منهم على حدة ، ويعامل بهم معاملة مقتضى وقته واستعداده .

وكان لا يلوِّث الطالب الصادق بمتاع الدنيا الفانية ، فإذا كان الطالب ضعيف الاعتقاد ! كان يداريه برعاية ظاهرية ، إلى أن تتقوَّى حرارة طلبه . وكان مَنْ يأكل الوظائف من أصحابه أزيد من ستين نفراً ، وكان يحصِّل كفافهم على أحسن الوجوه .

وكان يشتغل أيضاً بتدريس العلوم الدينية ، وإفادة الحقائق اليقينية ، إلى طالبي الحقِّ جلَّ وعلا من الحديث والتفسير ، والفقه والتصوُّف ، خصوصاً « مكتوبات » الإمام الربَّاني « ومثنوي » مولانا الرّومي عليهما الرحمة .

ومن أنفاسه النفيسة :

مطلب أهم للسالك الصادق

قال : إنَّ حصول هذه الحالات العالية ، والوصول إلى الكمالات السامية ، منوط بمحبَّة الشيخ المقتدى المفرطة ، والعقيدة الراسخة في المرشد المهتدي ؛ التي هي من جملة مواهب الحقِّ سبحانه وتعالى ، حتى يحصل للسَّالك نقد الفناء في الشيخ ؛ الذي هو مقدِّمة الفناء المطلق ، فمن شاء في نفسه شمَّة منها ينبغي أن يغتنمها ، ويجتهد في إتمامها ؛ بالمحافظة على الآداب .

---

(١) الغائبيّ .

حفظ حرمة الشيخ مقدَّم على الكلّ

ولذلك صارت وصية المشائخ الكبار بحفظ حرمة المرشد مقدّمة على الكلّ ، فإنه أصل جميع أركان الطريقة وأساسها .

قال : لا شيء بالمبتدئ أضرُّ من التزوُّج ! فمن ابتلى بذلك أقبل على الدنيا وأعرض عن المولى ، ويزول طلب الحقِّ سبحانه عن قلبه . وأنشد هذا :

تـريـد الله والـدنـيا الدنيَّة   وذلـك من خيالات رديَّة

وقال : إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعُّم سمٌّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدُّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على القلب ، أما ترى كيف وصَّى رسول الله ﷺ محبوبته أم المؤمنين سيدتنا عائشة الصِّدِّيقة رضي الله عنها حيث قال : « إياك ومجالسة الأغنياء ! وأحبِّي المساكين وقرِّبيهم » ؟ بل كان لا يحبُّ أن يجلس الطالب كثيراً فيما بين الفقراء وإخوان الطريقة أيضاً .

وقال : ينبغي لمريد الحقِّ أن لا يلتفت إلى أحد ، بل يتنفَّر عن غيره تعالى . وكان حجرة مولانا خالد قدس سره مغلقاً من ابتداء حضوره صحبة الشيخ قدس سره إلى وقت رجوعه ، وما كان يخرج من غير ضرورة ! ولذلك فاز بمرتبة عالية . ينبغي لمريدي الحقِّ أن يكونوا كذلك . وكان في مريدي أشخاص على الصفة ، فوصلوا بها إلى الكمال .

وقال : قد اشتهر بين الناس أن الإمام الربَّاني قدس سره منكر للتوحيد الوجودي ، وهذا غلط وخطأ منهم ، حاشاه عن ذلك ! بل هو يقول : إن التوحيد الوجودي من معارف مرتبة القلب ، وأربابه من أهل الولاية ، لكنَّ الكمال وراء ذلك ، وهو ظهور أن العبد عبدٌ والربَّ ربٌّ ، كما هو نسبة الصحابة والتابعين وأتباعهم . رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وقال : إنَّ تطبيق معارف التوحيد الوجودي على الشريعة الغرَّاء ممكن بالتأويل ، كما فعله بعض الكبراء ، وأما اعتقاد أنه عين الشريعة ، وتنزيل مشارب الأنبياء عليهم السلام ، والصحابة الكرام إليه من غير تأويل فهو عين الجهالة . فإن قال ذلك مغلوب الحال ! فهو معذور ، كما قال المجنون : الخلافة حقُّ ليلى لا حقُّ أبي بكر وعلي رضي الله عنهما . ولكن صاحب الشعور ملام ومطعون فيه بتفوُّهه به .

وقال : ينبغي في الصلاة رعاية جميع آدابها وشروطها المبيَّنة في الفقه ، والتوجُّه إلى حقيقة الصلاة ، فإن فعل ذلك فلا حاجة إلى تكرار اسم الذات ، والنفي والإثبات ، ويكون حينئذٍ قوله ﷺ : « أن تعبد ربَّك كأنَّك تراه » نَقْدُ وقت المصلِّي ، ويظهر سرُّ قوله ﷺ : « الصلاة معراج المؤمن » . وعندي أن قوله ﷺ « لي مع الله وقت ، لا يسعني فيه ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل » إنما هو في الصلاة .

وكان قدس سره ذا خلق حسن ، حليماً عالماً ، متيناً صبَّاراً ، قنوعاً متواضعاً ، متنافراً عن الدنيا وأهلها ، مستكرهاً لهم بحسب الباطن ، وإن لم يقل لهم شيئاً في الظاهر ، حتى جاءه مرة نوَّاب عالي الرتبة للإرادة ، فأجرى على لسانه كلمات باردة بين يديه ، حتى رجع عن اعتقاده فيه ، وقام من مجلسه . ولما انصرف قال : إن مجلس أهل الدنيا نجس ، وكل مقام واصل[1] فيه قدمهم لا يبقى فيه البركة الباطنية ، ولذلك قلت له كلمات باردة .

وكان كثير الصفح والعفو ، وكان يغضُّ بصره عن زلاَّت الإخوان ، بل كان ينسب زلاَّتهم إلى نفسه ويقول : إن القصور عندي ، فإنه لو كان لي كمال لما صدر هذا الأمر منكم ، بل ظهرت أوصافي الرذيلة فيكم بطريق الانعكاس . وكان في غاية المسكنة والانكسار ، ورؤية قصور الأعمال والافتقار .

---

(١) سبحان الله كيف قدم الكفار في ديارنا ، اللهمَّ افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين . (هامش الأصل) .

وكان لا يذكر أحداً بسوء ، إلاَّ الفرقة الضالَّة الوهَّابية ! فإنه كان يبيِّن قبائح أفعالهم وأقوالهم ، لتحذير الناس عنهم ، بل صنَّف في ردِّ مذهبهم المردود الباطل رسالة سمَّاها : « الحقّ المبين في ردِّ الوهَّابيين » ولم يكن لهم مجال رفع الرأس في دهلي وقت كونه فيه مع قوَّة شوكتهم هناك ! فجلس في مسند الإرشاد على هذا المنوال في دهلي ، وأجاز بالإرشاد من الكاملين مئين ، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين في سنة ١٢٧٣ من وقعة دهلي ، واختار للإقامة المدينة المنوَّرة ، وأقام هناك مفيداً إلى آخر عمره بالاستقامة ، واجتمع إليه علماء الأمة ، وعظماء الملَّة ، من أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، وصار واسطة فيضان فيوض الرحمَن على أمة أشرف نوع الإنسان ، ورابطة انتظام السلسلة النقشبدية العلية الشأن ، وظهر له قبول تامٌّ ، عند الخاصّ والعامّ ، ودخل في ربقة إرادته ألوف من خواص الأنام من بلد الله الحرام ومدينة النبيِّ ﷺ وسائر بلدان الإسلام ، ورقاهم على مراتب الكمال ، وألبسهم حلل الجمال ، وكم من مُتَّجر ترك في صحبته المال والجاه والمناصب ، وأقبل بكُلِّيته على أسنى المطالب ! وكم من رجال بلغ إلى أقصى المقامات ، ومتشرِّفٍ بخلعة الخلافة والكرامات ! وما أحسن ما قال الفاضل النبيل ؛ والكامل الجليل ؛ الشيخ عبد الجليل المدني رحمه الله تعالى :

هكذا فليكن سعي الفتى للمآثر ... وتجديد أعلام المعالي الدوائر
لعمرك هذا الفخر لا ما تعدُّه الـ ... ـملوك ذوو التيجان يومَ التفاخر
ومَنْ مثل سلطان الطريقة أحمد ... سعيدٌ جَلى الأبصار قُلْ والبصائر
منوِّرُ أقطار البلاد بذاته ... وأولاده الغرُّ الكرام الأكابر
هو الشمس في وسط السماء بنورها ... تبدَّت ونور الهدى يبدو لناظر
هو الطَّوْد عِلْماً راسخاً في وقاره ... والبحر علماً زاخراً بالذخائر
وكنز لأهل الفقر أصبح مغنياً ... فيا حبَّذا كنز لسدِّ المفاقر

عـلـى نهجِه إن شئت تظفر بالمنى ومـنـهـاجـه فـاسلك سريعاً وبادر

عـلـى سـيره سِرْ إنْ قدرت مُشمِّراً مُـجـدّاً وعـنـدي لـست أنت بقادر

فـذاك إمـام الـعـصـر أوحد دهره فـحـاشـا يضاهى في الملا بمناظر

لـه الـرتـبـة الـعليا التي دون نيلها لـمـن رامـهـا لا شكَّ شقُّ المرائر

وكـيف لربَّات الخدور وإن سَمَت مـبـادرة الأسـد الـلُّـيُوث الخوادرِ

فـكـم حـائـرٍ لا يـهـتـدي لسبيله أتـاه فـوافـاه الـهُـدى بـالـبـشـائرِ

وكـم وارد لـلـفـيض أصبح هائماً أتـاه فـأمـسـى جـامـداً للمصادر

وكـم مـستغيث في دُجى الليل أمَّه فـصـادف من إحسانه غوث ناصرِ

وكم من مريد جاء يشكـو مـريـده فـخـلَّـصـه مـن شـرِّ أخبث ماكر

تـطـوف بـه عـنـد المساء وغدوة رجـالٌ تـحـامـوا عن قبيح المتاجر

فـيـفـتح من أغلاق حصن قلوبهم مـغاليق تملى من صنوف الجواهرِ

ويـسـعـدهـم مـن نظرة بعد نظرة بـأعلى مقام جلَّ عن وصف شاعرِ

ولا زال مـن خمر الوصال عليهم يـديـر كـؤوسـاً كـالـبدور السوافر

إذا جـنَّـهـم لـيـلٌ تجافت جنوبهم يُـسـيـلـون دمـعاً من عيون سواهر

سكارى ومن أنظاره في وجوههـم عـلامـات صحو غُيِّبت في السرائر

ويـنـقـلـهـم مـن حـالة بعد حالةٍ ويُـرقـيـهم في القرب أسنى المنابر

هم القوم حقّاً ليس يشقى جليسهم ويـسـعـد من يلقاهم في المحاضر

فبادر إليـه واغـتـنـم قـرب وصله ونـافـس إذا مـا نِـلْـتَ ذاك وفاخر

ولُذْ كلَّمـا نـابتك في الكون حاجة بـأعـلـى جناب منه في دفع ضائر

ومن حبِّه كن دائـمـاً مـتـمـسِّـكـاً يفُحْ منك عَرْف[1] فاق طيب المجامرِ

انتهى .

---

(١) أي : ريح طيبة . (منه) .

قال ناعته : وبالجملة فمناقبه الشريفة يكلُّ عن حصرها كل بليغ ، ولو نظم النجوم في كلامه ، وعلوِّ شأنه لا تدركه ضعاف العقول ، فكيف وسماك السماء دون مقامه ؟ ! والتطويل في تعداد مناقب مَنْ هو غني عن المدح تقصير ، ولا يدرك الآمل فيه غاية مرامه .

وبالجملة : استقرَّ على وسادة الإفادة في مدينة النبي ﷺ أربع سنين ، ثم نودي له بالرحيل في سنة ١٢٧٧[1] ما بين الظهر والعصر من يوم الثلاثاء الثاني من ربيع الأول روَّح الله تعالى روحه ، ونوَّر ضريحه . وأرَّخوا سنة وفاته (عاش سعيداً مات شهيداً) . لما ورد في الحديث « إن المبطون شهيد » وأنشد مولانا الشيخ عبد الجليل أفندي المدني سلَّمه [الله تعالى] في تاريخ وفاته هذه الأبيات ، وكتبوها في الرخام ونصبوه على قبره :

قـضى قطب أقطاب الشهير بأحمد ... أسـعيدٌ إمام العلم والحلم والهدى
مـنـار طـريـق الـنقشبندية الـتـي ... لـها جَدُّه في الألف أضحى مُجَدِّدا
ومُذْ حلَّ في ذا القبر ناديت أرِّخوا ... سـعـيـداً شـهـيـداً بـالجنان مخلَّداً

ودفنَ في البقيع الغرقد ، في جوار قبَّة جامع القرآن سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه .

كشاف رموز الحقائق ؛ مفتاح كنوز الدقائق ؛ مرشد الأنام قدوة الكرام إمام العارفين قطب الواصلين ؛مخزن العلوم الإلَهية ؛ ومصدر الفيوض اللامتناهية سيدنا وسندنا الشيخ محمد مظهر ابن الشيخ أحمد سعيد ابن الشيخ أبي سعيد قدس الله تعالى أرواحهم ، وروَّح أشباحهم ، ونفعنا ببركات أنوارهم ، وأروانا من بحر أسرارهم ، وثبَّتنا على محبَّتهم ، وحشرنا في زمرة خدَّامهم آمين .

---

(١) وعمره على هذا ٩٥ سنة .

اعلم أنه كان لمولانا الشيخ أحمد سعيد قدس سره ثلاثة بنين :

أكبرهم مولانا الشيخ عبد الرشيد صاحب رحمه الله تعالى جلس مكان أبيه بعد وفاته ، باتفاق من أخويه وجميع أصحاب والده الماجد ، ثم تحوَّل إلى مكة المكرمة ، واشتغل هناك مدَّة بتربية المريدين ، وتسليك السالكين ، ثم ارتحل منها إلى عالم الحقيقة ، ودفن بالمعلَّى أمام قبَّة أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها في سنة ١٢٨٧ .

وأوسطهم مولانا الشيخ عمر صاحب رحمه الله تعالى اشتغل بتربية الطالبين في الحرمين الشريفين سنين ، ثم توجَّه نحو وطنه الأصلي من الهند ، وارتحل هناك من الفناء إلى البقاء رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وخلَّف كلٌّ منهما ولداً ، وهما الآن مشغولان بالتربية في بلاد الهند .

وصاحب الترجمة قدس سره هو أصغرهم سنّاً .

ولادته ثالث جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ ولد في جوف الخانقاه في دهلي وتاريخ ولادته (مظاهر محمدي) استخرج ذلك جدُّه الأمجد الشيخ أبو سعيد ، وسماه مظهر محمد ، مشيراً إلى كونه محمديّ المشرب ، وكان يحبُّه حبّاً شديداً ، ويقول : يفوح من هذا الولد روائح أولي العزم ، وسيكون ذا شأن عظيم ، وفيض عميم . فلم تخطئ فراسته ، ولم يخب رجاؤه وبشارته ، حيث ظهر صدق مقالته بعد مضي أزمانٍ وسنين ، وبلغ مرتبة حق اليقين ، وكان حين قال له جدّه هذا القول ابن سنة .

قال قدس سره في حاشية هذا القول : وكنت أترقَّب ذلك الشأن ، حتى ظهر بعد ثلاث وثلاثين سنة ، حين تطاول الناس عليَّ ، واستضعافهم إيَّاي ، وتكلُّمهم فيما ليس بحق ، وعدم انزعاجي منها بتثبيت الله تعالى وفضله ورحمته ، فقيل لي ها هنا – فليتنبَّه – :

وكـم لله مـن لطف خفيٍّ   يدُقُّ خفاه عن فهم الزكيِّ

أخذه جدُّه مرة من حِجْر الحاضنة ، ووضعه في حجره ، وقال في أذنه : (الله) فارتعدت منه فرائصه ، واضطرب اضطراباً شديداً ، فنشأ قدس سره في حجر العلم والهداية ، ومهد الفيض والولاية ، وأُرضع من ثدي الأسرار والعرفان ، وسقي من عين الإيمان والوجدان ، ولذلك كان ظاهر الحجة وباهر البرهان ، حفظ القرآن في سنِّ تسع ، وقرأ أكثر الكتب الدينية والآلية والتصوُّف على والده الماجد ، وتلَقَّن الطريقة العلية أيضاً عن والده في صغر سنه ، وأمره بالمراقبة الأحدية ، وتشرَّف بدوام التوجُّه والإقبال إلى الله تعالى ، ودوام انتظار الفيض الذي هو مُقدِّمة دوام الحضور .

وفرغ من تحصيل العلوم الظاهرة والباطنة وهو ابن اثنين وعشرين سنة . وشرَّفه بالإجازة المطلقة ، وأمره بالتوجُّه إلى المريدين في حضوره ، وأحال عليه جماعة من مريديه ، وقرأ « مكتوبات الإمام الربَّاني » قدس سره على والده الماجد بغاية التحقيق ، ونهاية التدقيق مرتين ، ولهذا كان في حلِّ مشكلاتها آية من آيات الله تعالى .

وغلب عليه شوق زيارة الحرمين الشريفين ، فاستأذن والده الماجد ، فأذن له على كُرْهٍ منه بعد اللّتيّا والتي ، فتشرَّف هناك بأنواع العنايات ، وأصناف الكمالات ، من سيد الكائنات وصاحب المعجزات ﷺ ، وعاد إلى خدمة والده بأنواع الفتوحات .

و لما وصل إلى يَمْبى راجعاً أرسل والده الماجد هذا المكتوب إليه ، مستدعياً مثوله لديه : وبعد السلام المسنون والدعوات الموجبة للتَّرقيات من المحترق بنار البعد والهجران ؛ أحمد سعيد المجدِّدي المعصومي فليعلم ولدي الأعزُّ الأرشد حاجّ الحرمين الشريفين - سلَّمه الله تعالى ، وأوصله إلى غاية ما يتمنَّاه - أنَّ مكتوب ذلك الولد قرة العين ومسرَّة الأذنين ، المؤرَّخ بعشرين من صفر ، المشتمل على نزوله من المركب ودخوله في يَمْبى قد وصل ، وأورث القلب مسرّات غير متناهية ، فسجدت الله تعالى شكراً ، وقلت :

أهـلاً لـسـعـدي والـرسول وحبَّذا حـبُّ الرسـول لحبِّ وجه المرسل

غيره :

أنـصِـف أيـا فـلـكٍ زاهٍ مصابيحـه مـن أيِّ هـذيـن قد عمَّت تفاريحه

شـمـس بـهـا عـالم تمَّت مصالحه أم بـدري الـبـاد مـن شـام لـوائحه

فليعجّل الآن منطوق حديث « من قضى نهمته فليعجل إلى أهله » اللازم الوثوق من الطريق الكبير الذي توجَّه منه ، وحيث أن ذلك الولد قد تجاوز الصورة ووصل إلى المعنى فأيُّ مصلحة له الآن في صورة ينبغي أن تجئ بمعيَّة الحقِّ سبحانه ؟ ماذا تصنع معية خواجه آمِزْ ؟ أسرَّ الله سبحانه المشتاقين بإدخال قرَّة العين بالخيريَّة التامة الوطن المألوف ، وينجينا من جذبات الاضطراب ، فإن يوماً واحداً في مفارقة قرة العين يساوي سنة كاملة ، ولا راحة لي بدونه . انتهى .

فعاد إلى خدمته مسرعاً ، وعرض عليه ما عرض له من أنواع الفتوحات في المدينة المنوَّرة ،فصحَّحه وبشَّره بأنواع البشارات ، وتلك العوارض مذكورة مع جواباتها في آخر المقامات السعيدية فليراجع .

ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين مع والده الماجد في وقعة دهلي ، واستفاد هناك واستفاض ، وأفاد وأفاض ، تارة في مكة ، وتارة في المدينة ، وأحياناً في الطائف ، وكان والده يحبُّه حبَّاً شديداً ، ويجعله إماماً في صلاته ، ويسمع منه القرآن ، خصوصاً في مرض موته .

و لما توفِّي والده الماجد وتوجَّه أخواه الأكبران إلى مكة المكرمة ، استقرَّ في وسادة الإفادة بغاية التمكُّن والرشادة ، وتصدَّى للدعوة والهداية .

و كان حينئذ ابن تسع وعشرين ، وتعلَّق بذاته منصب القيُّومية في الطريقة المجدِّدية الأحمدية ، لما كان مظهراً للأسرار الإلَهية ، ومصدراً للآثار النبوية ، ومهبطاً للأنوار اللامتناهية ، وملتقى لبحار العلوم الشرعية والمعارف اليقينيَّة ، فقام يرفع أعلام معالم الشريعة المحمدية ، وبثّ

أسرار الطريقة النقشبندية الأحمدية ، فطار صيت إرشاده في الأقطار ، كاشتهار الشمس في رابعة النهار ، فأكبَّ عليه الطالبون الأخيار ، والسّالكون الأبرار ، والتزموا صحبته المحفوفة بالأنوار ، واعتكفوا في عتبته آناء الليل والنهار ، فانتهت إليه رياسة الإرشاد وتربية المريدين ، وسُلِّمت إليه هداية العباد وإرشاد السّالكين ، فأصبح غوث الوقت حكماً وعلماً وتحمُّلاً ، وناصر الحقِّ قولاً وعملاً وفعلاً .

وكان قدس سره من العلماء الربَّانيّين ، جامعاً بين المعقول والمنقول ، حاوياً للفروع والأصول ، مطلعاً على دقائق المعارف ودقائق الحكم ، ما من فَنٍّ من فنون العلوم إلاّ وقد كان له فيه يد طولى ، وبيان شافٍ ، وحظٌّ وافٍ ، فأفاد العلوم الدينية للطالبين ، ورقى مدارج القرب للسّالكين ، وكم ردَّ إلى الله تعالى عاصياً ! وكم ذكَّر الله تعالى ناسياً ! وكم اهتدى بهديه مَنْ كان يتيه في تيه الضلال حيارى ! وكم صحى بإرشاده مَنْ كان من خمر الغفلة سكارى ! وكم أطلق من أغلال الهوى أسارى .

واجتمع إلى بابه العلماء والصلحاء من جميع الآفاق ، وبذل لهم أنواع الألطاف والإشفاق ، وكان عالماً بأدواء القلوب ودوائها .

وكان طريقته في تربية السّالكين مثل طريقة آبائه الكرام ، ومشائخه العظام ، من غير تبديل بزيادة أو نقصان ، سالكاً فيه طريق الاقتصاد ، شاخصاً بصره إلى « سدِّدوا وقاربوا » ، وملاحظاً معنى « بشِّروا ولا تنفِّروا » ، وكان يأمر كلاًّ بما يناسبه من وظائف الأذكار ، فمنهم يأمره بالإكثار ، ومنهم مَنْ يأمره بالمجاهدة والرياضة والعزلة عن الأغيار ، ومنهم مَنْ كان يفوِّض إلى يده زمام الاختيار .

مطلب

وكان اعتناؤه بالعلماء وطلبة العلوم أكثر ، والتفاته إليهم أوفر ، وكان كثير الحثِّ على طلب العلوم لما شاهد من فشوِّ الجهل وأنواع البدع في العالم ، وكان لا يكلِّفهم بكثرة الأذكار على وجه يُفضي إلى ترك التحصيل ، اللهم إلا مَنْ كان قد قضى وطره من العلوم ، وأراد في زيادة ماله عنه غنى ، فينبِّهه على أن الاشتغال بذكر المولى هو الأولى . وبنى مدرسة عالية في المدينة المنوَّرة بباب البقيع ؛ ثلاث طبقات ، مشتملة على جميع ما يحتاج إليه من خزانة الكتب ، ومحلّ التدريس ، ومحلِّ اجتماع الإخوان للذكر ، وكان ذلك بمجرَّد علوِّ الهمَّة ، ومحض فضل الله تعالى .

وكان عاشقاً لرسول الله ﷺ ، فانياً فيه وأوصافه ، باقياً به وبأسراره وأنواره . وكان صحيح الكشف ، وصادق الفراسة ، وكثير الإشراف على بواطن المريدين ، وقويَّ التصرُّف فيهم ، وصاحب خوارق العادات وأنواع الكرامات .

وكان من عادته الشريفة ختم القرآن الكريم في كل أسبوع مرة واحدة ، وختم صحيح البخارى في كل شهر رمضان ، وختم صحيح مسلم في كل عشر ذي الحجة ، وصوم عشر كل محرَّم ، وصوم الإثنين والخميس وأيام البيض ، وكل ذلك مع اجتماع الإخوان للختم .

وأخذ التوجُّه منه في كل يوم ثلاث أوقات ؛ بعد الإشراق والظهر والمغرب ، وقت زيادة طول اللَّيالي على النهار ، وبعد العصر في عكسه ، وكان يدرس في العلوم الظاهرة في أثنائها من الأحاديث وكتب الصُّوفية ، خصوصاً « مكتوبات الإمام الربَّاني » قدس سره ، وله رسائل لطيفة في الطريقة ، ومناقب والده صغرى وكبرى .

و من كلماته القدسية : إنَّ أهم ما ينصح به الإخوان الكرام أن يكون شغلهم بالله تعالى على الدوام ، وأن يصرفوا جميع هممهم إلى ذكر الملك العلاَّم ، بلا غفلة لمحة عنه حتى يحصل الحضور التام ، ويزول الحبُّ علماً وحبَّاً بما سواه من الأنام .

و خلاصة الحياة الطيّبة تفويض الأمور إلى الله تعالى ، ورؤية تقلُّب الأحوال من تقرير الملك العلاَّم ، وعدم التكلُّم بلم وكيف في الوقائع ، وترك المعارضة والمضايقة مع الحادث ، وتقوية القلب بتفكُّر مواعيد الحق تعالى ، وتذكُّر خزائنه الغيبيَّة ، واليأس من نفسه والخلق بالكُلِّية .

و قال : من آثار المحبَّة إيثار ما تحبُّ لمن تحبّ بكمال الرغبة والسرور ، فمدَّعي المحبَّة إن خالف المحبوب وهرب من بلائه فهو كاذب مغرور ؛ وإن زعم أنه مع ذلك مقبول فهو شقي مهجور ، وإنما يصير الطالب مريد الله تعالى إذا كان جميع مراداته مسلوباً عنه سوى رضا الله تعالى ، وكان تحت قضائه تعالى كميت بين يدي الغسَّال .

أقول : هذا ناظر إلى ما قيل :

تكون مريداً ثم فيك إرادة   إذا لم تر شيئاً فأنت مريد

وكان قدس سره صحيح التوكُّل ، قويَّ الجنان ، زاهداً في الدنيا وأهلها ، ما كان يدَّخر شيئاً من الدنيا ، بل كان يصرف ما يحصل من الفتوح الغيبي في أمور الخانقاه وحوائج فقراء أصحابه ، وما كان يهاب الأمراء والوزراء ، بل كان الكل يهابونه ، وما كان يحصل له الفرح والسرور من مدائح الناس كما يحصل ذلك لأهل الغرور ، ولا الغمُّ والحزن من ذمِّهم أيضاً ، بل كان مدح الناس وذمُّهم عنده على حدٍّ سواء .

وكان قدس سره كثير التواضع ، شديد الحياء والانكسار ، ومعه كان محفوفاً بأنوار الهيبة والجلالة والوقار ، كان مجلسه مجلس علم

وإفادة ، وهداية ورشادة ، لا ينتهك فيه الحرم ، ولا يذكر فيه غيبة أحد ، وكان شديد التحرُّز عن أمثال ذلك ، وترى رسالته المسماة بـ « المقامات السعيدية » مشحونة باتِّهام نفسه الشريفة وذمِّها ، خصوصاً في آخرها . فارجع إليها إن شئت تعرف صدق هذا المقال .

توفِّي قدس سره مبطوناً ليلة الاثنين الثانية عشر من محرَّم الحرام سنة [(١)] ١٣٠١ ، ودفن صباح ليلة وفاته بعد الصلاة عليه بجمعية كبيرة لم يُرَ مثلها ، في البقيع الغرقد ، بجنب قبر والده الماجد قدس سرهما وأفاض علينا من بركاته .

ونظم فضلاء العصر مراثي كثيرة مشتملة على تاريخ وفاته ، ليس هذا المختصر محلَّ إيراد جميعها ، ومن جملتها مرثية العالم الربَّاني الشيخ أَخون جان البخاري سلَّمه الباري ؛ مشتملة على أربعة وثلاثين بيتاً من بحر الرجز مطلعها :

الله حـيٌّ دائـم عـزَّ وجـلّ   وليس للغير وجودٌ في الأزل

إلى اَن قال :

ألا تـرى إلـى جـنـاب الـمـرشـد   فـخـر الـزمـان الشيخ مظهر انتقل
شـمـس سـماء الكشف والمعارف   بـدرُ ذرى الإرشـاد لـلفيض محل
قـطـب مـدار الـديـن والـهـدايـة   شـمـس منار الاقتدا الغوث الأجل
يـنـبـوع أنـوار الـصـفـاء والـوفـا   مـشـكـاة أنـوار الـفـيوض لم يزل
مـنـشـأ أنـوار الـفـنـون والـحـكم   مـبـدأ آثـار الـعـلـوم والـعـمـل
مـصـدر أسـرار الـيـقـين والهدى   مَـظـهـر أطـوار الـمـشـائخ الأُوَل
ذو الـنُّـونِ مِـصْرَه ويـحيى عصره   أبـو يـزيـد أو جـنـيـد فـي الـمثل

---

(١) وعمره على هذا ٥٣ سنة . (هامش الأصل) .

مـجـدِّد الـمـسـلـك لـلـمــجـدِّد　　لـلـنـقـشـبـنـد تـابـعُ نـعـمَ البدل
هـو الـذي بـكـل فـضـلٍ ارتــدى　　ولـلـكـمـالات الـجـلـيـلة اشتمل
وسـار أفـلاك الـمـقـامـات العلى　　حـتـى من الحالات أقصاها وصل
أضـاء عـالـم الــقــلــوب مــدَّة　　بـفـيـضـه مـثـل الـضـيـا ثـم أفل

إلى أن قال :

عـلـيـه رضـوان الإلَـه الـصـمــد　　فـي جـنَّـة الـفردوس منتهى الأمل
لـمـا قـضـى سُـئـلـت عن تاريخه　　فـقـلـت أرِّخـوه بـالـخـلـد دخل

وخمَّسها تخميساً لطيفاً صديقنا مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين أفندي القزاني سلَّمه الله ، وملَّكه نواصي الأماني ؛ المدرس الآن في الحرم النبوي :

لـهـفـي ولـهـف الـناشد والمنشد　　عـلـى ذهـاب الأمـجـد فـالأمجد
يا حسرة الراشد والمسترشد　　ألا ترى إلى جناب المرشد
فخر الزمان الشيخ مظهر انتقل

بحر الهدى غيث الندى للـعـاكـف　　ومـعـدن الإحـسـان والـعـواطـف
ومـنـبـع الإشـفـاق والــعــوارف　　شـمـس سـماء الكشف والمعارف
بدرُ ذرى الإرشاد للفيض محل

لا تـعـجـبـوا مـن فـضـله وفخره　　والأولـيـاء كـلـهـم بـنـصـره
مـنـصـور يـومـه وبـشـر دهــره　　ذو الـنُّـون مـصـره ويحيى عصره
أبو يزيد أو جنيد في المثل

يـدعـى بـفـاروقـيـهـم والأحمدي　　فـي سـلـكـهـم كالجوهر المنضد
بـالـسـنَـد الـعـالـي الـجليِّ الجيِّد　　مُـجـدِّد الـمـسـلـك لـلـمـجـدِّد

للنقشبند تابعُ نعمَ البدل

بـذاك أعــنـي سـيـفـه الـمـهـنَّـدا　　　مـحـمـد الـمـظـهـرَ اِبْـنَ أحـمـدا

وجـدُّه أبـو سـعـيـد الـمــهــتـدا　　　وهـو الـذي بـكـلِّ فـضـلٍ ارتـدى

وللكمالات الجليلة اشتمل

إلى آخره بطوله ، وفي ذلك كفاية للمسترشدين .

ومنها مرثيَّة مولانا الشيخ إبراهيم الغزنوي ، عامله الله تعالى بلطفه الخفيِّ والجليِّ ؛ خليفته الجليل ، ونديمه النبيل ، معدن الفضل الجزيل .

وقد خمَّسها هذا العاجز ، ولنورد بعضاً منها ، مرثيّة :

أشـكـو إلـى مـولاي دهـري باكيا　　　لـمـا غـدا ربـع الـفـضـائل عافيا

مـتـفـقـداً الـجـنـاب مـظهرْ ناديا　　　يـا سـيـدي يـا مـظـهـر الأنوار يا

مَنْ حبُّه أضحى بروحي ثاويا

بـانَ الـعزا مُذْ بنتَ عن ذاك المحل　　　قـد حـلَّ بي ما كنتُ منه في وجل

مـن غـمرةٍ لا تنقضي حتى الأجل　　　أتـراك تـدري أنـنـي أنـا لـم أزل

طول الدهور على فراقك باكيا

وكنت لا أرضى الوصال بما مضى　　　قـنـعـت رغـمـاً بالخيال لا الرضا

أبـقـيـتـنـي مـتـقـلِّـباً جمر الغضا　　　تـركـتـنـي من نار هجرك في لظى

وأحتمي الأسَنَ الطويل الكاويا

شـقُّ الـجـيـوب مـحـرَّم لكنَّ في　　　ذاك الأسـى شـقُّ الـقـلوب لا يفي

أم كـيـف لا أقـضي الأسى بتلهُّف　　　تـبـكي ليالي الصوم حين تراك في

جنات عدنٍ في نعيم لاهيا

أعـظـم بـهـا من رزأة في كل حي　　　مـن إنـسٍ أو جـنٍّ سَرَت بكل شي

أَوْرَثْتَ للعين البكا والقلب كَيْ   والعيد يبكي حين لا يلقاك بي

في الناس في ثوب الملاحة ماشيا

أضحى بك الدين القويم مسدَّدا   طريق جدِّك أحمد متجدِّدا

فمن اقتدى بك سيدي قد اهتدى   يغشاك رضوان الكريم مؤبَّدا

ما ناح قمريٌّ لإلفٍ باكيا

انتهى .

ومنها مرثية مولانا الشيخ عبد الجليل أفندي المدني سلَّمه الله تعالى :

لفقد إمام العصر أظلمت الأرض   وضاق علينا طولها الرَّحب والعرضُ

وزالت عن الدنيا البشاشة والبها   وجفَّ جنابٌ من غضارتها غضضُ

وأصبح من فقدانه القلب ذائباً   به لوعة يكفيه عن كلِّها البعضُ

وصرنا حيارى كاليتامى لفقده   وقد حال من دون الفريص لنا الحرضُ

لئن خصَّنا رزءٌ فقد عمَّنا به   مصاب له تبكي السموات والأرضُ

لعمري هو الغوث المجدِّد مظهر   محمدُ أوصافٍ لأسراره فيضُ

إمام به تجلى القلوب من العمى   ويغسل ما فيها من الدنس الحرضُ

على بابه من كل قومٍ عصائب   بمقصودهم من فيض راحته يمضو

طبيب لأدواء القلوب مجرَّب   إذا اختلت الألباب فهو لها حمضُ

له رأفة بالطالبين ورحمة   فما أحد إلا ومنها له فرضُ

سما وعلا فضلاً ومجداً وسؤددا   ولم يتدنَّس بالعيوب له عَرَضُ

له همم تعلو على الشمس رفعة   وكل كمالٍ كان فهو له روضُ

أياديه بالإحسان والبرِّ فاضتا   وراحته من شأنها البسط لا القبضُ

لقد كملت فيه المكارم كلها   وفيه السخا والجود والكرم المحضُ

حـلـيمٌ سليمُ القلب بالصفح معلنٌ وعـمـن يـسئ الفعل شيمته الغضُّ
وفي نصرة الإيمان والحقِّ لم يخف ولـم يـتـحـرَّك مـن فـرائصه نبضُ
على ما رأى الحسَّاد منه وشـاهدوا من الغيظ في الأحشاء أنملهم عضُّوا
وينقض ما أعـيـى الـرجـال بنقضه ولـيـس لـما قد كان أحكَمَه نقضُ
ويـنـهـى عـن الأمر الذي هو مُنْكَر ويـأمـر بـالـمعروف كان له حضُّ
سـقـى جـدثـاً واراه صَيِّبُ برحمة مـن الـعفو والغفران يهمي ويرفضُّ
فـأعـيـنـنـا تـذري الـدموع سواقيا وأجـفـاننا مُذْ غاب ما مسَّها غمضُ

انتهى .

وخلَّف قدس سره من الأولاد أربعة : أكبرهم الشيخ بهاء الدين أحمد ؛ كان حين وفاته ابن ست سنين ، حفظ القرآن الكريم باجتهاد وصيِّه وخليفته سيدي السيد ، وعمره إذ ذاك عشر سنين ، وحصَّل إلى الآن مباديء العلوم ، ويلوح فيه آثار الرشد والهداية ، والفهم والدراية ، والمرجو من الله تعالى أن يكون مثل آبائه الكرام ، مُحيياً لطريقتهم ، دون أن يضيِّع سعي سيدي السيد ، وأن لا يخيِّب ظنَّه فيه آمين .

وخلفاؤه قدس سره في بلاد الهند ، وخراسان ، وما وراء النهر ، وأضلاع الرّوم ، والقزان ، لا يحصون كثرة ، وهذا المختصر لا يسع ذكر كلهم ، مع عدم وقوف هذا العاجز ، على أحوال كلٍّ منهم ، ولنذكر هنا نبذة من أحوال مَنْ عيَّنه لمكانه بعده .

عمدة العلماء المحقِّقين قدوة الكبراء المدقِّقين ونخبة الصلحاء المتورِّعين وزبدة الكملاء المشرِّعين ؛ العالم الربَّاني مولانا الشيخ عبد الحميد أفندي بن الحسن الداغستاني الشرواني محتداً المكِّيّ موطناً ومدفناً وارى قبره اللطف السبحاني آمين .

كان عالماً في العلوم الظاهرية والباطنية ، مُتقناً محقِّقاً في جميع الفنون ، عارفاً بالألسن الثلاثة : العربية ، والفارسية ، والتركية .

أخذ العلوم أولاً في بلاده ، ثم رحل إلى بلاد الإسلام ، وقدم قسطنطينية ومصر ، وأخذ فيهما عن علماء أجلاَّء وفضلاء أدلاَّء ؛ مثل الشيخ مصطفى الوديني أستاذ الكل ، والشيخ إبراهيم الباجوري صاحب التصانيف المفيدة ، وبلغ من العلوم ذروتها ، ثم قدم مكَّة المكرَّمة واستوطن بها ، واشتغل بالتدريس والإفادة ، وكان فيه عطش طلب الحقِّ في مبادئ حاله ، وتردَّد بهذا السبب إلى مشائخ وقته ، وأخذ منهم التوجُّهات ، ولكن لم يطمئنَّ قلبه إلى أحد منهم .

ولما قدم سيدنا الشيخ محمد مظهر قدس سره مكة المكرمة حاجّاً من بلاده في سفره الأول استدعى منه الطريقة ، فاعتذر إليه في ذلك الوقت بسبب عدم توقُّفه ، ولما قدم مولانا الشيخ أحمد سعيد قدس سره مكة المكرمة مهاجراً من بلاده بايعه في الطريقة بإرادة صادقة ، وعقيدة راسخة ، وترك التدريس ، ولازم صحبته الشريفة ، وصرف الشيخ قدس سره إليه التفاتاً كثيراً ، وتوجُّهات قويَّة .

ولما توجَّه الشيخ إلى المدينة المنوَّرة في ربيع الأوَّل فَوَّضه إلى سيدنا الشيخ محمد مظهر قدس سره ، واختص به اختصاصاً تامّاً ، ونال منها فوائد جمَّة ، وتوجَّه معه إلى المدينة المنوَّرة في رجب من العام المذكور ؛ بسبب شدَّة ارتباطه به ومحبَّته له ، واختصَّ بعناية من سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ، وصدَّق شيخه ما شاهده من عنايته ﷺ ، وقال : قد قبلوه ، والحمد لله على ذلك .

ثم شرَّفه بالإجازة والخلافة بعد ملازمته صحبته مدَّة ، وألبسه جبَّته المستعملة ، ودعا له طويلاً ، وقال : أجزت مولانا عبد الحميد ، ولم آل جهداً في إلقاء نسبة كبرائنا إليه– إن شاء الله تعالى – تترتَّب الثمرات عليها ، وحال هذا السلوك وحصوله يستدعي مدَّة :

الأَوْحَـدي رأى الـمِـحَـن سـتـيـن عـامـاً امْـتَـحَـنْ
حـتـى أتـتــه لــيــلــة فـيـها بدى البُخْت الحسَنْ

وقال : إذا كان حبل المودَّة لأهل النسبة المجدِّدية قويًّا ، فلا غمَّ حينئذٍ يجذبه جميع كمالاتهم تدريجاً إن شاء الله تعالى ، فاللازم صرف الأوقات في الأذكار والأشغال المعمولة .

وقال لسيدنا الشيخ محمد مظهر قدس سره لا تقصِّر في التوجُّه إليه . فامتثل أمره ، وشرَّفه بالتوجُّه الغائبي دائماً ، وصحبه بعد ذلك مراراً في أوقات متفرِّقة ، بل كان كأنه لم تنقطع الصحبة بينهما أصلاً ، بسبب كثرة المراسلات والمكاتبات بينهما ، واشتغل إلى آخر عمره بتدريس علوم الدين للطالبين ، وتربية السالكين في مكة المكرمة .

فرق بين التصلب والتعصب

وكان قدس سره وقوراً مهيباً ، حسن السمت ، كثير الصمت ، وكان يجتمع عنده الإخوان صباحاً ومساء في باب الزيارة ؛ لقراءة ختمات المشائخ المعمولة في هذه الطريقة العليَّة ، وأخْذ التوجُّهات السنيَّة ، وكان بعد حلقة الصبح يشتغل بدرس « التحفة » لابن حجر في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكان شافعي المذهب ؛ شديد الصلابة فيه ؛ حتى إنَّ بعض الجهلة كان ينسبه إلى التعصُّب ، وذلك خطأ منه لعدم معرفته الفرق بين التصلُّب والتعصُّب ؛ فإنَّ الأول محمود ، والثاني مذموم .

وكان أكثر الأولياء الكبار متَّصفين بالصلابة ؛ يظهر ذلك بالمراجعة لتراجمهم ، فإن مَنْ أحسن الظنَّ بنفسه وسكن إلى رأيه واسترسل بعقله لا يجيء منه شيء .

وكان يحبُّ الخلوة ، ويكثر العزلة ، وكان بعد أكل غدائه يذهب إلى حجرته في المدرسة السليمانية ، ويقعد فيها إلى العصر ؛ مشتغلاً بوظائفه

من الأذكار والتلاوة ، والمراقبة والمطالعة ، لا يأذن لأحدٍ بالدخول عنده في حجرته غير أولاده في غير يومي الجمعة والثلاثاء ، فمن كان له حاجة إليه كان يعرضها عليه في هذين اليومين ، وكان محافظاً على أوائل أوقات الصلوات ، ومتحرِّياً للاحتياط ، وكثيراً ما كان يصلِّي في المقام الحنفي أو يمينه أو خلفه لفضيلة قرب الإمام ، وسنِّية اتصال الصفوف ، إلاَّ في أيام الحرِّ للعذر يعني في الظهر والعصر .

وكان في تربية الإخوان سالكاً مسلك الاقتصاد في جميع أحوالهم مثل مشائخه الكرام ، وكانت النسبة العلمية غالبة عليه ، ولذلك ما ذهبت إلى خلوته إلاَّ ورأيته في المطالعة ؛ خصوصاً في تصحيح حاشيته للتحفة ؛ وهي في ثمان مجلدات ضخمة ، مشحونة بفرائد التحقيقات ، وشوارد التدقيقات .

واجتمع عندنا من بلادنا في زمن الفقير ستة أو سبعة أنفار ، ولم يعيِّن لأحدٍ منهم مقداراً معيَّناً من الذكر ، بل كان يكتفي بالحثِّ على صرف الأوقات في الأهم ، والمحافظة على نسبة الحضور في جميع الأمور ؛ لكونهم من طلبة العلوم ، سوى واحد منهم ؛ فأمره بمقدار معين لاحتياجه إلى التكثير ، لكونه من أهل الدنيا .

وكان ذا بيان واضح في تعليم المقامات ، بل ربما كان يرسم الدوائر بيده للتفهيم ، ويكتب تحتها كيلامفية[1] خطة المراقبة ، وكان جسوراً في تعليم ذكر الرابطة ، بل كان يحثُّ عليها عند تعليم كل مقام ، ويعتني بها .

أخذ عنه واحد من جماعتنا الطريقة بواسطة الفقير ، والتزم الصحبة ، فبعد أيام كنت أشاهد منه التغيُّر ، ولم أعرفه سببه ، ولم أسأله عنه لعدم مأموريَّتي به ، فجاءني يوماً وشكى حاله وقال : قال لي

---

(١) لو نفهم هذه الكلمة .

سيدي الشيخ :إنك لا تحسن الرابطة . فسألته حينئذ عن كيفية اشتغاله بالرابطة ، فقال : كلما شرعت في الرابطة تغشي عيني ظلمة كالجبل ، فلا أقدر عليها . فعلمت أنه غلب عليه هيبته قدس سره وجلاله ، فأمرته باستحضاره بصورة اللطف والجمال ، ففعل ، وحسن حاله ، وترقَّت أحواله .

وقد عيَّنه قدس سره سيدي الشيخ محمد مظهر للجلوس مكانه بعده ، كما سنبيِّنه إن شاء الله تعالى فيما سيأتي .

توفِّي قدس سره ليلة الخميس السادسة والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٠١ ، قبل حولان الحول من وفاة سيدي الشيخ محمد مظهر قدس سرهما بستة عشر يوماً ، ودفن في المعلَّى أمام قبَّة سيدتنا أم المؤمنين خديجة الكبرى - رضي الله تعالى عنها وعنا - بجماعة عظيمة ، مع كونها في غير أوقات الفريضة ، واشتغال الناس لخروج القافلة إلى المدينة المنوَّرة في ذلك اليوم ، وامتدَّ إيصال نعشه الشريف إلى المعلَّى إلى أزيد من ساعة ، لازدحام الناس في حمل نعشه . وكان بعض المؤذنين ينادي جنب نعشه بأعلى صوته في الطريق ويقول : أيها الناس إيش تشهدوا فيه ؟ ! فيقولون : إيش نشهد فيه غير الخير ؟ !

وبالجملة كان يوم وفاته ودفنه يوماً مشهوداً . رحمة الله تعالى عليه رحمة واسعة ، وروَّح روحه ، ونوَّر ضريحه ، وجزاه الله تعالى عنا وعن سائر الإخوان خير الجزاء . آمين بحرمة النبي الأمين . ومن جملة ما أنشد هذا العاجز سامحه الله تعالى في صورة المرثيَّة هذه الأبيات ، موريًا في بعضها ، شعر :

لقد حلَّ في دار القرار وحيد عصـ ـره شيخنا عبد الحميد وضيَّما
وآثر ما عند المهيمن تاركاً على شأننا شُهدَ الفتوح محرَّما
وأخْلَفَنَا كل الرزية بعد ما أذاق لنا كأس الهناء وأطعما

وأخلف كل العالمين بحسرة وأحرق سوداء الفؤاد وأضرما
فأضحى لنا باب الزيادة مغلقاً وباب الصفا طرّاً وضاق وأظلما
أعينيَّ جودا بالذي قد بخلتما بأنواعه دُرّاً عقيقاً وعَنْدَما
بأطلال مَنْ كانت رياضاً بفيضه فعادت قفاراً مُذ قلاها وأتهما
فيا ربّ عامله بما أنت أهله وأسكنه في أعلى الجنان مكرَّما

قبلة أرباب الفضائل كعبة أصحاب الفواضل رحلة الفحول والأماثل قدوة العلماء الأفاضل ذو النسب الطاهر والحسب الباهر جامع المآثر ، وحاوي المفاخر ، بقيَّة السلف ، حجة الخلف ، منبع الجود مركز الشرف ، مرشد الأنام ومصباح الظلام ، وملاذ الكرام ، أفضل مشائخ الأيام ، الفرع الباسق من دوحة السيادة ، الصاعد من حضيض العادة إلى ذروة السعادة ، المتمكِّن في وسادة الإفادة ، السيد المطواع ، قائد المسترشدين في خير البقاع بلا نزاع ، ما من فضيلة إلاّ هو لها حاوي سيدنا ومولانا الشيخ أبي عبد الله السيد محمد صالح ابن مولانا السيد عبد الرحمن المعروف بالزواوي مدَّ الله له ظلال جلاله على رؤوس الإخوان ، وأمطر نوال أفضاله مدى الأيام والأزمان .

هو خليفة السيد الشيخ محمد مظهر قدس سره وقائم مقامه ، ووليُّ عهده على الأطلاق ، ونائب منابه ، ورابطة التئام السلسلة النقشبندية المجدِّدية السعيدية المظهرية ، وواسطة عقد انتظامها ، وناشر ألوية الولاية الأحمدية ، ورافع أعلامها ، أصله من السادات الكرام ، ومولده ومنشؤه بلد الله الحرام ، أخذ العلوم في صباه من سادات أجلاَّء ، وأئمة أدلاَّء ، وعلماء أعلام في بلد الله الحرام ، وبرع في جميع العلوم على أقرانه من الأنام ، وله – مدَّ ظلَّه – مهارة تامَّة في سائر العلوم ؛ نقلياتها وعقلياتها ؛ خصوصاً في رياضتها التي هي أعزُّ من الكبريت الأحمر في تلك الديار ، ثم اشتغل سنين بالتدريس وإفادة الطالبين ، وإشاعة علوم

الدين في البلد الأمين ، ثم صرف خاطره نحو تحصيل العلم اليقين ، لما لاح أنه هو المفيد المنجي يوم الدين ، فأخذ الطريقة النقشبندية عن سيدي الشيخ محمد مظهر قدس سره واختصَّ به اختصاص الحميم بالحميم .

قال – مدَّ ظلَّه – في معرض التحريض على الاشتغال بهذه الطريقة والإعراض عن غيرها ، حكاية عن بداية حاله ؛ أنه كان واحدٌ من العلماء يحسدني حين اشتغالي بالتدريس ، ويقول : من أين له هذه العلوم ؟ وكنت له أقول على ما يلزم : من أين ؟ ! فليجيء عندي وليختبرني ، فإن عجزت عن جوابه فليُقمني من مكاني . فما لبث إلاَّ أن دخل في الطريقة ، وأقبل بكُلِّيته عليها ، وترك حسده وكل ما ينافيها ، فصرت أحسده لحاله هذه – يعني أغبطه – ، وظهر لي في هذا الوقت سرُّ قول القائل :

كانت لقلبي أهواء مفرَّقة ... فاستجمعت مُذ رأتك العين أهوائي
و صار يحسدني مَنْ كنت أحسده ... وصرت مولى الورى إذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... حبّاً لذكرك يا ديني ودنيائي

ثم بادرْتُ في إثره أيضاً إلى طريق القوم .

مطلب أهمّ لمدرسي زماننا

و قال : لما كان سيدي الشيخ محمد مظهر مشغولاً بتربية الطالبين في مكة في مبادئ حاله ، وكان حوله جماعة من الهنود والسليمانية ؛ كنت كلما أمرُّ بحلقته أتعجَّب وأقول : ماذا يصنع هؤلاء ؟ ! وما بضاعتهم من العلم والعمل ؟ ! وكنت وقتئذٍ مشغولاً بالتدريس ، وعندي تلامذة كثيرون من أولاد العلماء والخطباء ، وربما كان يحصل لي من هذا الوجه نوع غرور ، كما هو دَيْدَن المدرِّسين ، إلا مَنْ عصمه الله تعالى . وكلما أمرُّ بحلقته كان يُرْفقني ، فألقى الله في قلبي إرادة طريق القوم ، فحضرت عند الشيخ عبد الحميد رحمه الله تعالى وأظهرت له ما هو مضمَر في

قلبي ، وشاورته في اختيار الشيخ ، ففرح غاية الفرح وقال : أين أنت من شيخنا ؟ ! قلت ومَن شيخكم ؟ ! قال : الشيخ محمد مظهر . فلما حضرنا عنده ، وأظهرت له الإرادة ، قال : مَنْ نحن ؟ ! وما بضاعتنا حتى تستفيد منا ؟ ! بل اللازم علينا أن نحضر عندكم لنستفيد . وكأنه عرَّض بما كان يخطر في بالي . انتهى .

وصرف له سيدي الشيخ محمَّد مظهر ألطافاً كثيرة ، وعنايات جزيلة .

قال ـ مدَّ ظلَّه ـ : لما ذهبت إلى المدينة لملازمة الشيخ بنيَّة الإقامة ـ أظنُّه قال إلى رجب ـ كنت أحضر الحلقة في الأوقات الثلاثة ، مع عموم الإخوان ، غير ما كنت ألازمه في سائر الأوقات ، ثم قلت له : إني أريد أن تأمر واحداً من كبار أصحابك أن يتوجَّه إليَّ في وقت خاص . فقال : لا ، بل أنا أتوجَّه إليك بنفسي . فصار يتوجَّه إليَّ فقط بعد العشاء زماناً طويلاً ، ثم لما جاء الوقت الموعود لم يأذن لي بالرجوع ، وتأخَّرت إلى وقت آخر ، ولما مضى الأجل لم يأذن لي أيضاً . وقال : ما حصل المقصود ، فما فائدة السفر ؟ ! فقلت : بماذا تأمرني متى يحصل المقصود ؟ ! فقال : ماذا أصنع أنا ، يحصل في الصحبة ما يحصل ، ثم تذهب عند هذا ، ويجيء عندك ذاك فتضيّع . فلزمتُ بعد ذلك بيتي ، وأغلقت بابي ، والتزمت العزلة ، وتركت الجلوة ، فإذا جاء على عادته الأولى ، كان يصفِّق أهل البيت ، فينصرف ، فلما اطَّلعوا على أن ذلك بقصد مني تركوني على حالي ، فاسترحت ، وبفراغ البال اشتغلت ، ثم أذن لي سيدي الشيخ بعد مدة بالرجوع .

وقال مولانا الفاضل الشيخ جعفر أفندي الداغستاني – سلَّمه الله تعالى – مرَّة بالتقريب : إن التفات سيدي الشيخ محمد مَظهَر وعنايته له لم تكن بأدون من التفاته وعنايته لمولانا المرحوم الشيخ عبد الحميد أفندي ، بل كانت أزيد . وقال بعد هذا : كنت مرَّة في حلقة سيدي الشيخ محمد مظهر قدس سره فشوهد لي نور ساطع من سيدي الشيخ ، وامتدَّ مثل العمود نحو واحد من الأصحاب ، فنظرت ، فإذا هو الشيخ السيد محمد صالح . انتهى .

وبالجملة : إنه نال من العنايات والألطاف ما لم ينل غيره من الأصحاب عُشْرَ عُشيْرِه ، وسافر من مكة إلى المدينة سبعاً أو ثماني مرات لمحض الاستفادة ، ومجرَّد تحصيل صحبته السنيَّة ، غير ما صحبه في مكة والطائف ، وهو شديد الاتِّباع ، راسخ الاعتقاد حريص على الاقتداء به في جميع أحواله وأفعاله ، كامل الاتحاد ، فبهذا نال منه ما نال .

قال : قال سيدي الشيخ محمد مظهر قدس سره مرَّة في الطائف إخباراً عن نفسه تحريضاً لغيره : بأن قلبي على وجه لو مدحني أهل الدنيا بجميع وجوه المدائح لا يحصل في قلبي ذرَّة من الفرح ، ولو ذمَّني جميع من في الدنيا بجميع وجوه المذمَّة وأنا بريء منها لايصيبني شيء من الغمّ .قال فقلت له : فما السبيل إلى تحصيل ذلك ؟ هل هو بكثرة الأذكار والصلوات ؟ أم بالرياضات والمجاهدات ؟ قال : لا بل موهبة من الله تعالى ، فإن لم تكن ! فبالتقليد كتقليد صاحب الجمل .

وكان هذا تلميحاً إلى قصة ، ثم بيَّنها وقال : إن واحداً من الأكابر قال مرَّة لأصحابه : اصعدوا بالجمل إلى سطح البيت ، وفيهم العلماء والفضلاء ، فوقعُوا في التحيُّر والتعجُّب بأن الجمل كيف يصعد به إلى السطح ؟! وقام من بينهم واحد من الفقراء لا يعتدُّ به ، وجاء بالجمل عند الباب ، وأخذ يتفكَّر ويتردَّد في صعود به إلى السطح ، فقال له الشيخ : خلِّ واترك الجمل ، فلم يعلم أحد منهم ما سبب أمره أولاً ، ونهيه ثانياً ، ولكن تبيَّن خلوص المباشر وصحة عقيدته التي يتفرَّغ عليها الامتثال والمبادرة إلى الائتمار ، من غير تفكُّر ونظر في حكمة أمره وعلّته ، وكثيراً ما كان يحكي ذلك وقت التحريض على المتابعة والتقليد بالمشائخ ، وعدم مخالفتهم .

وقال : صحبت سيدي الشيخ مظهر قدس سره خمساً وعشرين سنة على هذا الوجه ، ولذلك امتاز من بين الأصحاب امتيازاً كلِّياً ، ثم لمَّا ظهر له علامة الانتقال من الفانية إلى الباقية – بإعلام من الله تعالى وإظهار له –

كتب كتاباً إلى مكة بتفويض مكانه وجميع أصحابه وأموره إلى أحد ثلاثة من خلفائه الكبار هناك ، وجعل لهم فيه الخيار ؛ أعني مولانا المرحوم الشيخ عبد الحميد أفندي الداغستاني الشرواني ثم المكِّي ، والسيد محمد المكيّ ، ومولانا الشيخ السيّد محمد صالح الزواوي المكي ، فأما السيد محمد فإنه توفِّي قبل سيدي الشيخ محمد مظهر ، وبقي الاثنان بَعْدَه ، وحين توفِّي سيدي الشيخ محمد مظهر قدس الله تعالى أرواحهم كان سيدنا الشيخ صاحب الترجمة في بلاد جاوه ، فالتجأ الأصحاب كلُّهم إلى مولانا الشيخ عبد الحميد أفندي رحمه الله ، ولما أحسَّ هو بأمور كثيرة لازمة التغيُّر ، وتيقَّن أنه لا يقدر على تغييره وردِّه إلى الشريعة في هذا الزمان السوء ، اعتذر إليهم بكبر السن واستيلاء الضعف عليه ، وعجزه عن السفر بهذين السببين .

قصة غريبة عجيبة

ودخلت عليه مرَّة في الأثناء بعد صلاة الجمعة ، ثم دخل عليه بعض كبار تلامذته ، فجرى الكلام في هذا الباب ، فأظهر الأسف على ضعف الإسلام وقلة الأعوان على الحق ، بل على عدمهم وقال على سبيل التمثيل : إن واحداً من الملوك ظهر في رأسه جراحة عجز الأطباء عن دوائها ، فقال حكماء اليونان : إن لها دواء ولكنه عزيز الوجود ، عسير الحصول . فقال الملك – لما هو – : كيف يعسر علينا تحصيله ؟ فقال : هو مرارة إنسان صفاته كذا وكذا ، يوضع فيها تبرأ بإذن الله تعالى . فاستفتى الملك من العلماء هل يجوز قتل إنسان لأجل هذا ؟ فأفتوا بالجواز بارتكاب ضرر خاص لدفع الضرر العام . فأمر السلطان بطلبه ، فَوُجِدَ بتلك الصفة صبي عند فقير ، فعرضوا عليه أموالاً عظيمة لدفع ولده إليهم ، فرضي الفقير وأمُّ ولده أيضاً لمقاساتهما شدة الفقر ، فجاؤوا بالولد الميدان ليقتلوه ، والسلطان مشرف عليه ، فلما تيقَّن الصبي بالقتل ضحك ، فلما رأى الملك ذلك دعاه ، فلما امتثل بين يديه قال : أبك

جنون يا ولد ؟ ! قال : لا . قال : فما سبب الضحك في مثل هذا الحال ؟ قال : تعجَّبت من انقلاب أحوال الزمان ؛ فإنَّ الصبي إذا أصابه ظلم من أحد يشتكي إلى أبيه ، فإن لم يكن أبواه يشتكي إلى القاضي ، فإن لم يجد عنده خيراً يتظلَّم عند السلطان ، والآن باعني أبواي ، وأفتى العلماء بذلك ، ولم يبقَ غير الحق سبحانه مالك الملوك والممالك ، فكيف لا أتعجَّب مما هنالك ؟ ! فلما سمع الملك ذلك امتلأت عيناه بالدموع وقال : خلُّوا سبيله ، فإني رضيت بكل ما يصيبني من هذه الجراحة ، فدعاه عنده وقبَّل رأسه وعينه ، وأعطاه أموالاً جزيلة ، فشفاه الله تعالى لترحُّمه له ، ثم قال : إن الشريعة صارت الآن مثل هذا الصبي ، جيء به في الميدان يقطعونها إرباً إرباً ، ولا يوجد أحد يرحمها وينصرها ، فكتب إلى سيدنا الشيخ الشيخ سيّد - مدّ ظلّه - يعلمه بوفاة سيدي الشيخ محمد مظهر روّح الله تعالى روحه ، ويستدعيه للجلوس في مكانه بالسعادة ، فقدم قبيل الحج مكة المكرمة ، ولما انقضى أيام الحج وتهيَّأ سيدنا الشيخ سيد - دامت إفادته - توفِّي مولانا الشيخ عبد الحميد أفندي نوَّر الله تعالى ضريحه إلى رحمة الله تعالى فظهر من ذلك أيضاً سرُّ اعتذاره واختياره التقاعد عن التوجُّه إلى المدينة ، وبقي مريدو مولانا الشيخ عبد الحميد رحمه الله تعالى حيارى لكونه لم ينصب أحداً مكانه ، فالتجأوا إلى سيدنا الشيخ سيد - مدّ ظله- فلزمه التوقُّف لجمع شملهم بالضرورة ، فجلس بعد أيام التعزية مجلسه ، وانقاد جميع الإخوان أمره ، والتزموا طاعته ، واغتنموا صحبته ، واعتكفوا في عتبته ، وبادروا إلى خدمته ، وقالوا : الله أعلَم حيث يجعل ولايته ، حيث شاهدوا شفقته وحرصه عليهم وعنايته .

وبقي في مكة وقتئذ إلى أواسط جمادى الأخرى لا يفتر عن الإفادة ؛ في كل يوم ثلاث أوقات زاد حلقه بعد الظهر أيضاً ، واستكرى مدرسة من باب العمرة لخصوص هذه الحلقة ، وصار يجيء المكاتيب من المدينة في تلك المدة تترى يستدعونه هناك ، فتوسط في جمادى الأخرى من طريق البرّ بتسعة أجمال توكُّلاً على الله تعالى ، مع أن معه من النقود والأثاث ما

لا يحصى . وقد استأذن في ذلك الوقت واحدٌ من كبراء الهند والي الحجاز أن يُخرج قافلة مشتملة على أزيد من مائة جمل ، فلم يأذن له لعدم أمن الطريق ، فوصل إلى المدينة بالخير والسلامة من غير أن يصيبه شيء من الآفة ببركة توكُّله وانقياده لأمر شيخه ، بل بتوجُّه روحانيته ﷺ وروحانية جميع مشائخه الكرام ، فقرَّت بقدومه المسعود عيون الإخوان ، واستقرَّ في الإفادة بكمال التمكُّن والاطمئنان ، وتزيَّن الإرشاد بوجوده الشريف بعدما تعطَّل منذ أزمان ، واستسلم منصب الإرشاد إليه ، وانقادت رتبة الهداية لديه ، وتذلَّلت ولاية دعوة العباد بين يديه ، واتفقت كلمة الإخوان على تفويض زمام الاختيار إليه ، فأصبح – عمَّ فيضه – شيخ الحرمين ، ومجمع البحرين ، وفائق النيِّرَيْن ، فأنشأ لسان الحال يقول تحدُّثاً بنعمة مَنْ إليه يرجع الأمر كلّه ، ويؤول . قصيدة :

حمداً لمن هو كامل في ذاته ... وفعاله وشؤونه وصفاته
أبدى لنا من دوحة نبويَّة ... فرعاً عديم المثل في بركاته
وهو الذي فاق الورى كأصوله ... بعلوِّ شأنه كلِّه وثباته
مُغنٍ ببذل ثماره لمن اجتنى ... يا سعد مَن يقتات من ثمراته
يروي المكارم كابراً عن كابر ... حلو الشمائل في جميع جهاته
أعني به السيد محمد صالح ... مَن تنهض الأموات منْ لحظاته
هو روض فيض سلَّم التوفيق ما الـ ... ـمنهاجُ إلا بعض تلويحاته
مفتاح كنزُ دقائق غوَّاص بحـ ... ـر حقائقٍ كشَّاف رمز نكاته
مصباح ليل طريقةٍ مِشكاة أنْـ ... ـوَارِ الحقيقة مظهر نفحاته
طور التجلِّي صدره وفؤاده ... وادي شهود الذات دون صفاته
هو قطب بسطام الزمان غير أنـ ... ـه ما بدى سبحاني في كلماته
سيّاح بيداء المقامات العلى ... سياح تيار البقاء بذاته

تـريـاق سَـمِّ جـهـالـة إكـسـير دا ... ء ضـلالـة فـاسـلـك طـريق نجاته
بـشـراكـم يـا مـعـشر الإخوان قد ... عـاد الـطـريـق بـه إلـى حـالاتـه
وتـجـدَّدت آثـاره وتـفـتَّقـت ... أزهـاره فـالـنـور فـي روضـاتـه
وتـعـطَّـرت أرجـاؤه واسـتـثمرت ... أغـراسـه فـانـظـر إلـى نـخـلاتـه
قـل لـلـذي هـو عـاكـفٌ فـي بابه ... نِلْـتَ الـمـنى والقصد في صحباته
طـفْ حـولـه متضرِّعاً بصفاء قلـ ... ـبك واسِـعٌ ثـمَّـة والـزمْ عـتبـاته
أحـرم بـصـدق عـزيـمة وانزع ثيا ... ب هـزيـمـة واصـعد إلى عرفاته
واسـكـن بـوادِ الـجمع ثم مشاهداً ... لـعـجـائـب الـمـلكوت في مرآته
واحلق رؤوس الطمع عن كل الورى ... والـبـس رداء تـوكُّـل وأنـاتـه
فـهـنـاك عـلَّ الله يُـبْـدي ما خفى ... طـولَ الـدهـور عـلـيـك من آياته
لا تخش من عجز عن إدراك المـنا ... زل واعـتـصـم بالحبل من جذباته
لا تـيـأسَـن إن زلـت الأقـدام فـي ... لـيـل الـسـرى والـعفو من عاداته
كـم مـن مـريـد جائه يشكوه أسـ ... ـوء حـالـه نـجَّـاه مـن ورطـاتـه
كـم مـن جـهـول شـانـه بـسفاهة ... فـأذاقـه مـولاه مـن نـكـبـاتـه
يـا مـدَّع نـيـل الـذي قـد نـالـه ... دع عـنـك هـذا والـتـزم خدمـاته
هـل ثـعـلـبٌ يـتنافس الليث الذي ... مـا كـان يـقـرب قـطُّ مـن غاباته
هـب قـد حـكيته في ظواهر حاله ... لـكـنَّ فـاتـك جلُّ مـخـفـيَّـاتـه
أيـظـنُّ لاحٍ أنـنـي أبـغـي بـه ... بـدلاً أراه يـهـيـم فـي جـهـلاته
دع عـنك لومي يا عذول بحبٍّ من ... أسـخطتَ أنصحُ منك في مرضاته
الأمّ فـي حـبـي بـنـي الـزهراء أم ... فـيـمـن سـمـا بـدلائل خـيـراتـه
فـبـحـبـه مـا دمـت في قيد الحيا ... ة لأعـصـيـنـك عـاذلـي وحـيـاته

أعـددتـه ذخـراً لـكـل مـلــمَّـــة   ورجـوتـه لـلـحـشـر في عرصاته
وهـجـرت أحـبـابـي وقمت ببابـه   لأنـال مـا أمَّـلـتُ مــن نـظــراته
وغـدوت أنـشـد قـول آزاد عـلـي   مـتـمـثِّلاً بـالـبـيـت مـن أبـيـاتـه
يـا صـاح إن تـذهـب فأنت مخيَّرٌ   إنـي نـذرت الـمـكـث فـي عتباته
أنـا غـرس روضته سقيت بماء فيـ   ـضـه هـا أنـا ريّـان مـن كـاساته
لـو أنَّ لـي فـي كـل مـنبتِ شعرة   مـن ألـسُـنٍ أثـنـي عـلـى نـعماته
لـم أقـضِ حقّ الشكر من ألف لوا   حـدَةٍ ولـو أطـنـبـت فـي مدحاته
فـالله يـكـلـؤه ويـبـقـيـه عــلـى   عـزٍّ مـنـيـع فـي عـلا درجــاتــه
ويـزيـد مـن عـمـري عـلـى أيامه   ويـمـدُّ إخـوان الـصـفـا بـحـياته
ثـم الـصـلاة عـلـى الـنـبـي وآله   ودُعـاتـه لـطـريـقــه وهـــداتـــه

هذا وإنَّ جرأتنا لمثله وإن كانت غاية إساءة أدب فإن مدحنا لا يفيده غير نقيصة ، ولكن لكل امرئ ما نوى ؛ فإن مرادنا ليس استقصاء أوصافه الجميلة ، بل إظهار شكر نعمه الجزيلة ، والله تعالى يقول ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ ولله درُّ القائل :

ومـا بـلـغـت كـف امرئٍ متطاول   إلـى الـمـجد إلا كان ما نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مـدحة   وإن أكـثـروا إلا ومـا فـيـه أفـضل

وإنه لما تمكَّن في مكان شيخه صرف عنان همَّته لترتيب أمور الخانقاه ، وتقسيم تركته وإجراء الأمور ، خصوصاً في تربية ولده الأكبر ، فإنه قاسى الشدائد في ذلك ، وشرد راحته واجتهد ، وبلغ من الاجتهاد غايته ، حتى أخرجه إلى الفعل بإعانة نجله السعيد مولانا السيد عبد الله ، وقد وقع ما قرَّره مولانا الشيخ عبد الحميد أفندي - طاب ثراه - وخافه من غير تخلُّف ، لتأخُّر الزمان وقلة الأعوان ، ولكن لما كانت نيَّته صادقة ، وعقيدته راسخة أعانه الله تعالى ؛ فإن الحق يعلو ولا يُعلى عليه

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ ؛ فإن مراده ليس إلا إحياء أولاد شيخه وذريته ، وإبداء ما اندرس من آثاره ، والقيام بموجب وصيَّته ، وتربية جميع الإخوان نحو ما كان في وقت حياته ، فإنه شديد الحرص فيها وترقِّيهم ، ويحثُّهم على الاجتهاد في الطريقة ؛ بل كثيراً ما يمدُّهم بماله ، ويقول : لو أن فقيراً به يجيئني لأخذ الطريقة فهو أحبُّ إليَّ من خمسين رجلاً من الأذكياء يطلبون مني قراءة « المطوَّل » مثلاً ، وإن هؤلاء الفقراء الذين لا ثياب لهم غير إزار ورداء خَلِقَين يذكرون الله تعالى ليلاً ونهاراً يملؤون عيني دون أرباب جُبَّاب الحرير .

مطلب

وإن بعض الناس يقول : كيف نضيِّع خمس سنين أو ست سنين في تحصيل هذه الطريقة مع أن العاقبة مجهولة أتحصل في تلك المدة أم لا ؟ وهذا القول يدل على بعدهم عن ساحة السعادة ؛ فإن الإنسان إذا ضنَّ[1] بخمس سنين من عمره في طلب الحق تعالى فبماذا يصرف جميع عمره ؟

وقال في المعنى : ينبغي للسالك أن لا يسأم ولا يضجر عن الطلب ، بل اللازم أن يدوم ويصبر على الشدائد ، والتزام الباب بكمال الأدب قائلاً :

لن أبرح الباب حتى تُصْلِحوا عوجي ... أو تـقـبـلوني على عيبي ونقصاني

ألا ترى أن سائلاً لو قرع باب واحد من كرام الناس وألحَّ في السؤال ؛ فلا جرم يستحي من ردِّه محروماً ، بل يردُّه بكسرة الخبز التي هي مقصوده ، وما يطلبه الطالب من الطريقة لأهون على الله تعالى من كسرة خبز بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردُّ طالباً صادقاً وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟ ولكن لا بدَّ من الجد والصبر .

---

(١) ضنّ بالشيء : بخل . « مصباح » .

وإن بعض السالكين أراه مغموماً دائماً لظنِّه عدم حصول النسبة ؛ وليس الأمر كذلك ! فإن مَنْ داوم الذكر والصحبة لا بدَّ من أن يحصل له النسبة ، ولكن لما كان حصولها على سبيل التدريج لا يظهر له شيء ؛ فيزعم أنه لا يحصل له شيء ؛ فيغتمُّ بذلك . وهذا كمَنْ يعطي ولده للخطاط ليعلمه الخطَّ ، فيستكتب منه الخطاط في ساعته ، ويحفظ ما كتبه عنده ، ثم يترقَّى الولد في الخط شيئاً فشيئاً وأبوه لا يشعر بذلك ، فبعد مضي أيام يقول للخطاط : إن ولدي ما تعلَّم شيئاً ! فيخرج الخطاط ما كتبه الولد أولاً فيقابله بما كتبه في ذلك الوقت ، فيتميَّز الغثُّ من السمين ، وكذلك هنا يعرف المرشد تباين الحالين ، ولكن أمر الطريقة لما كان أمراً معنوياً غير محسوس لا يمكن تفهيمه إلا بالتمثيل .

وقال في بيان سرِّ عدم حصول هذه النسبة دفعة : إنه سأل واحدُ شيخه عن ذلك فقال : لو أن جواداً أعطى مالاً جزيلاً لواحد من الفقراء ربما لا يكون لهذا المال قدر عنده ويصرفه فيما لا يعنيه ، ويفنيه في أيام قلائل ، بخلاف ما إذا أعطى تدريجاً ، فإنه ينفعه ويجد منه بركة عظيمة .

أقولُ : وهَذا كما قيلَ : إن المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب . مع ما في حصولها دفعة واحدة من فوات المقصود – أعني حصول البصيرة – في معرفة عقبات الطريقة ، فإنه كلما كانت مدة السلوك أطول ، كانت البصيرة في معرفة عقباتها ومقاماتها أوضح وأكثر .

قال في بيان مضرَّة الدنيا وماهيتها : دنياك ما يشغلك عن مولاك ؛ فلو أنَّ سبحتك تشغلك عن مولاك فهي دنياك .

وإن واحداً من الصلحاء كان يشتغل باصطياد السمك لقوت عياله ، وكان له ابن ، فسمع مناقب واحد من أكابر زمانه ، فتوجَّه لرؤيته وزيارته ، فلما صار إليه رأى جمعاً عظيماً لديه ، يأمر ذا بذا ، وذا بذاك ، بحيث لا يفرغ من شغل الدنيا أصلاً ، فخطر على قلبه أنه قد ضاع تعبه ، وأن حال أبيه أحسن من حاله ، فأشرف الشيخ على خاطره هذا وقال : نعم !

إنّ حال أبيك أحسن لو لم يكن قلبه مربوطاً بشوك السمك ! يعني بذلك أن الضرر ليس في وجود الدنيا ولا في حصولها ، وإنما الضرر في شغل القلب بها ؛ حصلت هي أم لا .

وقال في ترغيب بعض فقرائه في إفادة المبتدئين وتعليم الطالبين بعدما نقل حديث النبي ﷺ ، وهو « إن أحبَّ عباد الله إلى الله الذين يحبِّبون الله إلى عباده ، ويحببون عباد الله إلى الله » الحديث ينبغي أن يغتنم ذلك ، وأن لا يتساهل فيه ، ولو كان طالباً واحداً من غير سآمة وملالة فيه ، ألا ترى أن واحداً لو قرأ الألفية مثلاً وحفظها ، فطريق المحافظة عليها أن يُقرئها المبتدئين ، فلو فعل ذلك ولو واحداً تتمكَّن في ذهنه ولا ينساها ، وإن استنكف عن ذلك وقال : إن فلاناً عنده جمع عظيم ، وأنا لست بأدْون منه ، فكيف أضيِّع عمري في تعليم واحد فقدْ ضيَّع عمره ؟ وحاصله من حيث لا يدري ؟ وهنا أيضاً كذلك .

وحيث انتهى بنا جياد الأقلام إلى هذا المقام ، وفرغنا من ذكر نبذة يسيرة من أحوال مشائخنا الكرام أفاض الله تعالى علينا من بركاتهم إلى قيام الساعة ، وساعة القيام ، ودفع عنّا بحرمتهم نكبات الدهر وحوادث الأيام عنَّ لنا أن نذكر نبذة من مناقب قطب زمانه وغوث أوانه ذي الجناحين ضياء الدين مولانا خالد قدس سره ، ونوّر ضريحه حسبما التقطناه من موائد كتب الكبراء ، واستفدناه من فوائد تراجم الفضلاء ، وأحوال بعض خلفاء سلسلته الموجودين الآن ، لئلا يخلو الكتاب من ذكر مناقبهم السامية ، وأحوالهم العالية ، وتتميماً للفائدة للإخوان ذوي الوفاء ، ورغبة في دعائهم حين ما طاب قلوبهم وصفا سالكاً في ذلك مسلك الإيجاز والاختصار ، ومجانباً نهج الإطالة والاستكثار ، فإن القطرة تنبئ عن الغدير ، واليسير يدلُّ على الكثير فأقول وبالله التوفيق ، وبيده أزمّة التحقيق :

قطب زمانه وغوث أوانه جامع الكمالات الظاهرة والباطنة واقف أسرار الطريقة والحقيقة مَظهر العناية الإلهية حافظ حدود الشريعة المصطفوية على وفق القرآن . القائد ذو الجناحين ضياء الدين الشيخ خالد قدس الله سبحانه روحه ونوَّر ضريحه ورزقنا فتوحه

وهو ابن أحمد بن حسين الشهرزوري ؛ يتصل نسبه بذي النورين رضي الله تعالى عنه من طرف أبيه ، وأمُّه من السادات العلوية ، ولد سنة ألف ومائة وتسعين تقريباً بقصبة قره داغ من بلاد شهرزور من ملحقات ولاية بغداد ، وهي عن السليمانية نحو خمسة أميال ونشأ فيها ، وقرأ ببعض مدارسها القرآن ، و« المحرر » للإمام الرافعي من فقه الشافعية ، ومتن « الزنجاني » من الصرف ، وشيئاً من النحو ، وبرع في النثر والنظم قبل أن يبلغ الحلم ، ثم رحل لطلب العلم إلى النواحي الشاسعة ، وحصّل فيها كثيراً من العلوم النافعة ، ورجع إلى نواحي وطنه ، فقرأ فيها على العالم العامل والفاضل الكامل السيف الهندي السيد عبد الكريم البرزنجي ، وعلى العالم الصالح ملاّ صالح ، وعلى الكوكب السياري ملاّ إبراهيم البياري ، وقرأ « شرح الجلال على تهذيب المنطق » بحواشيه على العالم النحْرير ملا عبد الرحيم الزيادي المعروف بملاّ زاده ، وقرأ على غيره أيضاً ، ورجع إلى السليمانية فقرأ فيها وفي نواحيها « الشمسية » ، و« المطوّل » و« الحكمة » و« الكلام » وغير ذلك ، وقدم بغداد وقرأ فيها « مختصر المنتهى في الأصول » ورجع إلى محلِّه المألوف ، وراوده بعض الأمراء على التدريس ، فأبى ورحل إلى بعض البلاد ، وقرأ فيه الحساب والهندسة والاسطرلاب[1] والهيئة على الفاضل الشيخ محمد قسيم ، وكمل عليه المادة على العادة ، فرجع إلى وطنه وقد فاق أبناء زمنه ؛ ما سُئل عن عَويصة إلا وحلَّها ، ولا عن مشكلة إلا أزال إشكالها ، وله الصيت العظيم

---

(١) الأَسْطُرْلَاَبُ : جهازٌ استعمله المتقدمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السماوية ومعرفة الوقت والجهات الأصلية . « المعجم » .

في العلوم ؛ المنطوق منها والمفهوم ، وقد مدحه علماء عصره بذلك ، وأقرّوا بفضله ولم ينكروا ما هنالك .

ولما بلغ قدس سره من علوم الظاهر الغاية ، ونصب للتدريس والإفادة أرفع راية ، اشتاق قلبه إلى تحصيل المعارف اليقينية والعلوم اللدنِّية من صحبة أرباب القلوب ، وطلب الدلالة عليهم من علام الغيوب ، لتيقُّنه أن الاقتصار على الأولى من غاية القصور ، وأن الكمال إنما هو في الجمع بينهما حسب المقدور ، فصار يبحث عن أحوال أهل الكمال ، ويفتِّش عن أوصاف رجال الحال ، حتى توجَّه في أثناء ذلك بماله الحلال إلى بيت الله الحرام ، ومدينة النبي ﷺ ، رجاء أن يظفر ببُغيته ، ويفوز بمُنيته ، وتعدَّى في مسيره ذلك من الشام ، فاجتمع بها بمحدّث عصره العلامة محمد الكزبري ، فأجازه العلامة المذكور بجميع مرويّاته ، واجتمع أيضاً بالشيخ خليل مصطفى الكردي ، فأجازه أيضاً بجميع إجازاته الحديثية ، وبالطريقة العلية القادرية ، ثم خرج من الشام فلما وصل إلى مدينة الحبيب محطِّ آمال كل أريب وأديب ، جعل يفتِّش عمَّن يصلح للإرشاد ، ويرشد إلى طريق الصلاح والسداد .

قال قدس سره : فلقيت فيها شخصاً من أهل اليمن ؛ تلوح منه آثار البركة واليُمن ، وعليه سيما الصالحين ، والعلماء العاملين ، فاستنصحته استنصاح الجاهل من العالم المنتصر ، فنصحني بأمور من جملتها ما قال : إيَّاك والمبادرة إلى الإنكار على ما تراه في مكة المكرمة من الأفعال الصادرة من القاطنين بها ، أو من الزوّار ، وإن خالف في بادي النظر ظاهر حاله ظاهر أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ! فلما وصلت إلى مكة المكرمة الشريفة ، وزرت الكعبة المعظمة المنيفة ، بكرت يوم الجمعة إلى الحرم ؛ لأكون كمن تصدق ببدنة من النعم ، فجلستُ مستقبلاً الكعبة الغرّاء أقرأ دلائل الخيرات ، إذ الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القربات ، فرأيت رجلاً ذا لحية بيضاء كالثغام ، وعليه زيُّ العوام من الأنام ، قد

أسند إلى الشاذروان ظهره ، ووجَّه نحوي وجهه ، بل فكره ! فحدثتني نفسي أن هذا الرجل لا يتأدب مع الكعبة ، ولا يراقب في ذلك ربَّه ، ولم أظهر له ما وقع في الضمير ، ولم يطَّلع عليه سوى اللطيف الخبير ، فقال : يا هذا ! أما علمت أن حرمة المؤمن عند الله تعالى فوق حرمة بيت الله المعظم ؟ ! وكعبة فضله أعلى كعباً من الكعبة وأفضل فلماذا تتعرض علي باستدباري الكعبة ، وتوجُّهي إليك ؟ وإدباري عنها وإقبالي عليك ، فهلاَّ راعيت النصيحة التي كنت تلقَّيتها في المدينة ممَّن هو معتمَدٌ لديك ؟ وتركت الاعتراض على ما صدر عني بين يديك ؟ فلما قال ذلك لم أشُكَّ أنه من الأولياء الذين سترهم الله تعالى تحت قبابه ، والصلحاء الأصفياء الذين أخفاهم الله تعالى عن نظر الأغيار بعدما أرواهم من بحر علمه اللدني وعبابه ، فقمت مسرعاً إليه وقبلت يديه ، وسألته أن يسامحني ويعفو عني ، وأن يستر زلَّتي ويغفر لي ما صدر عني ، وطلبت منه أن يدلَّني على طريق الهدى والرشد ، فأشار إليَّ بأنه لا يكون ذلك الفتوح هنا ، بل ذلك في بلاد الهند ، فحصل له يأس من لقاء شيخ مرشد في بلد الله الحرام ، ومدينة النبي ﷺ ، فرجعت بعد أداء المناسك وقضاء المأرب إلى بلاد الشام .

ثم إنه قدس سره رجع إلى وطنه من بلاد السليمانية ، وشرع في تدريس العلوم العقلية والنقلية ، وهو في غاية الشوق والغرام ، ونهاية الظمأ والأوام ، كاشتياق الظمآن إلى الماء الزلال ، إلى لقاء مرشد يرقيه من حضيض النقصان إلى ذروة الكمال ، فبينما هو في هذا الفكر والخيال ؛ إذ ورد إليه واحد من رجال الحال ، يقال له : المرزا محمد رحيم بك الهندي ، ويقال له : محمد درويش العظيم الأبادي السيَّاح في أكثر بلاد الإسلام لملاقاة الرجال ، فاجتمع به مولانا قدس سره ، وبسبب عطشه في الطلب أظهر له سرَّه من مزيد تشوُّقه إلى الطريقة وغرامه ، ووفور رغبته بالسلوك وهيامه ، وشكى إليه من عدم مرشد كامل ، ومربٍّ واصل ،

فقال له : إني دُرت جميع البلاد ، وزرت الصالحين من العباد ؛ فلم أرَ مثل شيخي أحداً يكون عالماً بدقائق الإرشاد والسلوك ، وعارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك ، وهو الآن مقيم من بلاد الهند في دهلي ، يقال له : الشاه عبد الله غلام علي النقشبندي المجددي ، وقد حُقِّقت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المقصود الأبدي ، والمطلوب السرمدي ، فانتقش هذا القول في لوح قلبه ، وأخذ بمجامع لُبِّه ، فرحل سنة ألف ومائتين وأربعة وعشرين إلى بلاد الهند ماشياً على قدميه بترك الكل من الطلبة وسائر الأسباب ، ومرَّ في سيره هذا بكثير من بلاد العجم ، وباحث فيها علماء تلك الأمم ، وألزمهم وأفحم .

قال قدس سره : لما وصلت إلى قصبة فيها العالم النحرير ، والوليّ الكبير ، أخو شيخنا في الطريقة والإنابة إلى مولاه الشيخ المعمّر ثناء الله الفاني فتي النقشبندي ؛ القائل في حقه شيخه حبيب الله مولانا ميرزا جانجانان قدس سره : إذا قال الله سبحانه يوم القيامة بأيّة هدية جئتنا ؟ أقول : جئت بثناء الله الپاني پتي ، فبتُّ عنده ليلة ، فرأيت في المنام أنه قد عضَّ خدِّي بأسنانه المباركة ، يجرُّني إليه وأنا لا أنجرُّ ، فلما أصبحت ولقيته قال لي من غير أن أقصَّ عليه رؤياي : سر على بركة الله تعالى إلى خدمة أخينا وسيدنا الشاه عبد الله ، مشيراً إليَّ أن الفتوح إنما يكون لي عنده ، ويحصل فيه المقصود ، وهناك تؤخذ المواثيق والعهود ، ولديه تنجز الوعود ، فعلمت أنه صرف همَّته ليجذبني إليه ، ولكنه لم يتيسَّر لقوة جاذبة شيخي المحوَّل فتوحي عليه ، فوصلت من تلك القصبة أقطع الأنجاد والأوهاد ، إلى أن وصلت دهلي المشتهر بشاه جهان أباد ، وقد أدركتني نفحاته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة ، وهو أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي إلى أعتاب بابه ، ثم إنه قدس سره أنشد ليلة دخوله قصيدة عربية يذكر فيها وقائع سفره هذا ويتخلص بمدح شيخه قدس سره .

إلى هنا أخذنا أكثره من « الفيض الوارد على روض مرتبة مولانا خالد » للسيد محمود الآلوسي رحمه الله تعالى ، المفتي في بغداد سابقاً .

وقد ذكرنا أكثر القصيدة في ترجمة مولانا الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره ، فليراجع هناك ومطلعها :

كَمُلَتْ مسافة كعبة الآمال حمْداً لمن قَدْ مَنَّ بالإكْمَالِ

وله قدس سره ديوان مشتمل على قصائد عربية وفارسية وكردية في مدح شيخه وغيره من الغزليات والمقطعات ، في غاية السلامة ، ونهاية الجزالة ، خصوصاً قصائده الفارسية .

قال مولانا الشيخ عبد الغني ابن الشيخ أبي سعيد المجدِّدي نوَّر الله تعالى ضريحهما ، في مناقب شيخه الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره في ترجمة صاحب الترجمة : إن حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي كان يقول : إن أشعاره مناسبة بأشعار مولانا الجامي قدس سره السامي والحق أنه كذلك .

وبعد وصوله إلى بابه ، وإلقاء عصا التسيار على أعتابه ، تجرَّد عما عنده من حوائج السفر ، وأنفق جميعه على المستحقِّين ممن حضر ، فأخذ الطريقة النقشبندية المجدِّدية بعمومها وخصوصها ، ومفهومها ومنصوصها ، واختار لنفسه هناك خدمة تهيئة الماء للفقراء ، وكان يقعد وقت اجتماع الإخوان في صف النعال مطرقاً رأسه ؛ كسراً لرعونة النفس ، وبقي هناك مدَّة تسعة أشهر لا يعرف غير شغله ، ولا يختلط بالناس أصلاً ، بل كان يغلق باب حجرته في غير أوقات الحلقة والخدمة ، ويشتغل بوظيفته ، وكان علماء الهند يريدون مخالطته ومجالسته ، وربما كانوا يتوسَّلون إليه بالشيخ أحمد سعيد قدس سره ، فيقول له في معرض الاعتذار : أنا ما جئت هنا لمخالطة الناس ، بل فراراً عن الاستئناس بالناس الذي هو من علامة الإفلاس ، ثم اجتمع أخيراً بالشاه عبد العزيز بن الشاه وليّ الله الدهلوي ملك العلماء في عصره ، وذلك بإشارة شيخه ، فأجازه بجميع ما يجوز له روايته .

أجيز الشيخ خالد في الطرائق الخمسة

ولما تمَّت مدة خدمته على هذا المنوال تسعة أشهر وهي المدَّة التي تتم فيها الخلقة الصورية تمَّت خلقته المعنوية ، وآن أن يتولَّد بالولادة المعنوية الثانوية ؛ بأن يخرج من المقتضيات البشرية ، شرَّفه شيخه بالإجازة المطلقة ، والخلافة التامَّة ؛ بإشارة روحانية المشائخ النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية في الطرائق الخمسة : النقشبندية ، والقادرية ، والسهروردية ، والچشتية ، والكبروية . وأجازه أيضاً بجميع ما يجوز له روايته من الأحاديث والتفاسير والتصوُّف والأحزاب ، وغير ذلك مما يعتني به أولو الألباب ، ثم أمره أمراً مؤكَّداً أن لا يعود إلى وطنه ، والاشتغال بإرشاد المسترشدين ، وهداية المهتدين ، وتربية الطالبين ، وتسليك السالكين ، فقال له : كيف أقدر على الاشتغال بإرشاد العباد في تلك البلاد وفيها السادة الحيدرية والبرزنجية ، وهم في غاية الاعتبار ونهاية الحيثية ؟ فإذا تصدَّيت للإرشاد لا آمن من أن يحصل لي من طرفهم موانع وأذية . فقال له شيخه : اذهب ، فإنهم سيكونون خدَّامك ، وسائر رؤساء تلك البلاد يقبِّلون أقدامك ، ثم قال له : ماذا تريد فأزيد ؟ قال : أريد الدين ، والدنيا لتقوية الدين . فقال له شيخه : اذهب ؛ أعطيتك الكل . فتوجَّه مولانا نحو بلاده ، وشيَّعه شيخه إلى مشهد الشيخ عابد السنامي وهو على أربعة أميال من البلد على ما قالوا ، وبشَّره وقت الوداع بقطبية تلك الديار ، وقال بعدما فارقه : (خالد برد) يعني أخذ خالد . فرجع إلى وطنه بأنواع الفتوحات وأصناف السنوحات ؛ سنة ست وعشرين ومائتين وألف ، فاستقبله علماء البلدة وأعيانها ، وكافة خواصها وعوامها ، وصار ذلك اليوم كالعيد عندهم ، ولم يظهر لهم الإرشاد في ذلك الوقت ، فبعد مدَّة قليلة رحل إلى بغداد بإشارة غيبيَّة من شيخه في أيام ولاية سعيد باشا ، فشرع حينئذ في الإرشاد ، بعد زيارة مشاهد الأولياء الأمجاد ، ثم رحل بعد خمسة أشهر إلى السليمانية بإشارة معنوية من شيخه وسائر

أولياء بغداد ، وأعلن فيها الإرشاد ، فحينئذ تحرَّكت عروق الحسد من الحسَّاد ، فشرعوا إلى تأليف رسائل في ذمِّه وتضليله ، بل وتكفيره! وأرسلوها إلى والي بغداد ، فلما اطَّلع الوالي على ما حوته الرسالة من الكلام الخالي كالخشف البالي رماها من يده ولم يبال ، وقال : إن لم يكن حضرة الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم ؟ سبحان الله ! ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنون ، أو أعمى الله بصيرته من شدَّة حسده – نعوذ بالله ، نعوذ بالله – هذا بعينه كلام الوالي ، ثم أمر الوالي العلماء بردِّ تلك الرسالة ، وإرسالها إلى المعاند ، فألَّف العلماء رسائل عديدة مفيدة ، وختموها بخواتم العلماء ، وأرسلوها إلى الحسَّاد ، فلم تروَّج أباطيلهم ، ولم تؤثر تضاليلهم ، بل انطمست آثارهم ، وانمحت أخبارهم ، وأعلام مولانا منصوبة ومرفوعة ، وأنوارهم مطلوبة ، وأخبارهم على الألسنة مذكورة ، وفي الكتب إلى يوم القيامة مسطورة ، وعلى مرور الزمان منشورة ، وكذلك حال كل المنكرين مع حال أولياء الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الآيات الثلاث . فجلس مولانا قدس سره في مقام الإرشاد بكمال التمكين ، وانكبَّ إلى بابه العلماء من كل قطر بعيد ، وطار صيته في الآفاق ، وانتفع به خلق كثير لا يمكن درج أساميهم في هذه الأوراق ، حتى قيل : إنه كان يقف قدَّامه زهاء خمسمائة نفس من العلماء على أقدامهم ، فَقِس على ذلك غيرهم من أقوامهم ، وأحيا بالتدريس ما اندرس من علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه والتصوف ، واقتفى في ذلك أثر الأئمة المجتهدين ، ثم رحل في أيامِ ولاية داود باشا ببغداد إلى ديار الشام ، وحصل له هناك قبول تام بين الأنام ، من الخواص والعوام ، والعلماء الأعلام كمحشي « الدرّ المختار » السيد العلامة ابن عابدين ، وصنف فيه رسالة سمَّاها « سل الحسام الهنديّ لنصرة مولانا الشيخ خالد النقشبنديّ » . ولما أفاض فيها فيوضات النقشبندية المجدِّدية مدَّة أعوام ، وأرشد مَنْ استرشد من الخاص والعام ، ارتحل إلى دار السلام ورحمة

ربه الملك العلاَّم ، وذلك في شهور سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين وألف[1] من هجرة مَنْ له تمام العزِّ وكمال الشرف ، توفِّي قدس سره بالطاعون الذي بُشِّر بالشهادة لمن مات به .

قيل : لما حان حِمامه ، وقرب من عمره خِتامه ، رأى العلاَّمة ابن عابدين في منامه كأنه يصلي على سيدنا عثمان بن عفان ﷺ في الجامع الأموي ، فلما أصبح وحضر صحبة مولانا قدس سره قصَّ عليه رؤياه ، فتبسَّم مولانا وقال : إن تعبير رؤياك أني أموت قريباً ، وأنت تصلي عليَّ في الجامع الأموي ، لأني من أولاد عثمان ﷺ . فتوفّي مولانا بعد أيام قلائل بالطاعون ، وصلَّى عليه العلامة ابن عابدين في الجامع الأموي كما ذكر ، ودفن هناك في الصالحية رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، ونوَّر ضريحه ، وروَّح روحه ، وأفاض علينا من بركاته وبركات سائر الأكابر ، وهذا من بعض كراماته ، وكراماته قدس سره كثيرة .

ومن أعظم كراماته : اعتقاد أكابر علماء عصره فيه ، وانقيادهم له ، وكونهم من جملة مريديه وخدّامه ، كما قال بعض الأكابر : إن انقياد علماء الظاهر لواحد من المشائخ من أعظم الكرامات .

قال مولانا الشيخ عبد الغني محدِّث عصره ابن مولانا الشيخ أبي سعيد قدس سرهما : قيل أنه نصب أربعة أشخاص في محلِّه متعاقباً ، وقال : يجلس في مجلسي بعدي فلان ، ثم فلان ، ثم فلان ، كما فعله النبي ﷺ في غزوة مؤتة ، فمات كلهم في هذا الطاعون متعاقباً على الترتيب الذي ذكره ، والقائم مقامه الآن الشيخ عبد الله سلَّمه الله نسمع أنه شيخ عظيم ، ومرشد كبير . انتهى .

وخلفاؤه قدس سره وخلفاء خلفائه إلى زماننا هذا كثيرون جداً ، ومنتشرون في الآفاق والأقطار ، ذِكْر كلهم يستدعي كتاباً كبيراً .

---

(١) ١٢٤٢

قال الشيخ عبد الغني وسيدنا الشيخ محمّد مظهر قدس سرهما في رسالتهما : والظاهر أن المراد بالشيخ عبد الله المذكور في كلام الشيخ عبد الغني قدس سره هو الشيخ عبد الله الهروي قدس سره فإنه ذكر في « الزهر الوردي في مناقب الشيخ خالد النقشبندي » قدس سره للشيخ أبي بكر الأحسائي الملخَّص من « أصفى الموارد في أخبار الشيخ خالد » للعلامة الشيخ عثمان النجدي نقلاً عن « حصول الأنس في انتقال مولانا خالد إلى حظيرة القدس » للشيخ إسماعيل الغزِّي رحمه الله تعالى أنه قال : ناداني مولانا خالد وأجلسني أمامه وقال : اسمع ما أقول لك ، ولا تخالفني ؛ إني قد أقمت بعدي على سجَّادة الإرشاد إسماعيل ، وجعلته وصيّاً على أولادي ، وناظراً على كتبي ، وبعده محمّد ناصح ، وبعده عبد الفتَّاح ، وبعده أنت آمراً ناهياً على الجميع ، وأوصيت بثلث مالي يخرج منه ألف غُرْشٍ لإسقاط الصلاة ، ويصرف الباقي على حوائج المريدين ، وكرَّر هذه الوصية عند خلفائه مراراً .

وقال في بعضها بعد ذكر الإسقاط : على أني والله منذ فُرِضَتْ عليَّ الصلاة ما فاتتني صلاة ، ولا صلاة الضحى والتهجُّد ! انتهى .

والشيخ محمّد ناصح توفِّي في ذلك الطاعون ، ولما أصاب الطاعون الشيخ إسماعيل القائم مقام الشيخ قال : أجلست بعدي على سجادة الإرشاد سيدي الشيخ عبد الله الهروي ، وذلك بإشارة سبقتْ من مولانا ، ولما حضرت الوفاة للشيخ عبد الله الهروي أقام مقامه الشيخ العلامة محمد بن عبد الله الخاني رحمه الله تعالى صاحب « البهجة السنية » ، وأقام هو عند وفاته مقام الإرشاد ولده الأكبر الأرشد الأمجد الشيخ محمّد بن محمد الخاني أدام الله تعالى بقاءه .

وأما الشيخ الفاني عن الوجود الإنساني ، العارف الرباني عبد الله الأرزنجاني قدس سره خليفة مولانا خالد . فبعد ما شرَّفه بالخلافة التامة ، أرسل إلى أرزنجان للإرشاد ، ثم أرسله إلى أرض روم ، ثم إلى

القدس ، ثم خصَّه بالإرشاد في مكة المكرمة ، وأوصاه حين أرسل إلى مكة بأن لا يقبل صدقة ولا هدية ، والقيام بأمر الإرشاد حسبة لله تعالى .

وقال : نحن نرسل ما تحتاج إليه من الشام إلى مكة في كل عام ما لم ينشب بنا مخالب الحمام ، وأرسل له ما يحتاج إليه مدّة حياته ، ولما حجَّ آخراً أمر الشيخ سليمان بن حسن القريميّ رحمه الله تعالى أن يصحبه ، وأن لا يفارقه .

ولما حضرت الوفاة للشيخ عبد الله المذكور أقام الشيخ سليمان مقامه ، وأمر سائر أصحابه بالمتابعة والاستقامة .

ولما حضرت الوفاة للشيخ سليمان القريمي أقام مقامه الشيخ سليمان الزهدي بن حسن الميخالچي - أدام الله تعالى بقاءه - وأمر أصحابه بالمتابعة والاستقامة ، وهو الآن في محلِّ شيوخه المذكورين مشغول بإرشاد الطالبين ، وتسليك السالكين .

لقيه الفقير مراراً ، وتشرَّف بصحبته ، وهو - سلمه مولاه - منزوٍ ومنقطع عن الأغيار ، مشغول بذكر الواحد القهار ، عالم في العلوم الظاهرية والباطنية ، وله عدّة رسائل في الفقه والتصوف ، وكذلك مكاتيب فيه نفع الله تعالى به عباده .

ومن جملة مَنْ أدركناه ولقيناه وتشرّفنا بشرف صحبته ، ونظرِ عنايته مراراً من خلفاء الخالدية في مكة المكرمة : الشيخ خليل پاشا - أعطاه الله تعالى ما شاء - قد ترك الرياسة الظاهرية ، واشتغل بنشر الكمالات الباطنية ، وخدمة الفقراء والطالبين ، وتربية المريدين والسالكين ، لما تيقَّن أنه هو الأولى عند المولى ، وأنه هو النافع له في المعاد ، والمحبوب عند رب العباد ، ولا نظير له في السخاء وبذل الموجود ، وكان طينةً عجّنت بماء الجود .

مطلب

ولا يخفى على كل أحد أن ترك الرياسة الحاصلة واختيار طريق الفقراء والدراويش شيء عظيم .

أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله أفندي المكي قدس سره وتشرَّف منه بشرف الإجازة بالإرشاد ، واستفاض أيضاً من والده الماجد الشيخ يحيى بيك المهاجر الداغستاني عن الشيخ عبد الله الأرزنجاني المكي المذكور آنفاً .

والشيخ يحيى بيك هذا ترك الرياسة ، وهاجر من وطنه إلى مكة المكرَّمة ، واختار طريق الفقر ، وزوَّجه شيخه الشيخ عبد الله أفندي المكي كريمته ، وزوَّج الشيخَ موسى أفندي القزاني الاسترخاني أخاه في الطريقة كريمته الأخرى ، وهذا يدلُّ على غاية محبَّته للطريقة وأهلها .

وأقدمهم في زماننا هذا ، وأشهرهم وأسبقهم قدماً ، علماً وحالاً ، وإفادة وإفاضة ، مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين أفندي الكمشخاني قدس سره .

أخذ الطريقة عند الشيخ أحمد بن سليمان الذي هو من عظماء خلفاء مولانا خالد قدس سره بعدما بلغ من العلم غايته ، واشتغل في صحبته باكتساب الكمالات ، مع التزام الرياضات والمجاهدات ، ولما بلغ في صحبته أوج الكمال ، وانتشى من صهباء الوصال ، شرَّفه شيخه المذكور بإجازة إرشاد العباد ، فتشمَّر لتربية الطالبين ، وتحزَّم لتسليك السالكين في قسطنطينية المحمية ، فاشتهر صيته اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وأكبَّ عليه الفضلاء والعلماء من جميع الأقطار ، وبلغ في ملازمته كثيرون مرتبة المقربين الأخيار ، وحازوا قصب السبق على أقرانهم في مضمار علوم المناولة والأسرار ، وانتشروا في الآفاق مثل الجراد ، واشتغلوا في كل قطر من الأرض بهداية العباد ، وله دامت

إفادته تصانيف كثيرة مشهورة مثل : « جامع أصول الأولياء » ، و« راموز الأحاديث » وقد حضرت مجلس إقرائه « راموز الأحاديث » عام ستٍّ وثلاثمائة وألف في قسطنطينية حين مسافرتي إلى طرف الوطن ، وفيه جمعٌ عظيم من الفضلاء ، ثم دخلت خلوته مع اثنين من خواصِّ أصحابه يقرآن عليه الكتاب المذكور ، فكنت في صحبته ما بين الظهر والعصر ، وقد طرأ عليه ضعف كليٌّ لكبر سنِّه ، وكان بحيث لا يقدر على الجلوس إلا مستنداً إلى المساند ، ولا يقدر على المشي إلا متكئاً على أصحابه ، ولا يفهم كلامه إلا مَنْ أَلِفَه ، ومع ذلك يقطر نور الفيض من وجهه الشريف ، وأثر مشاهدة الجمال الحقيقي ظاهر من عينيه ، والغالب على مريديه الحرارة والشوق والاضطراب ، وغيرها من أحوال القلب . أفاض الله تعالى علينا من بركاته وبركات جميع الكبراء آمين .

ومن جملتهم في زماننا :

مولانا الشيخ محمد ذاكر أفندي القزاني الچسطاوي

أدام الله تعالى بقاءه ، ورحمه الله تعالى وإيانا(١)

(١) وأخبرني أخونا العالم الحاج حبيب الله القحيّ أنّ الشيخ محمد ذاكر – مؤلف « تبصرة المرشدين » – كان رجلاً عالماً غنياً غليظاً ينكر على الشيخ محمود أفندي قدس سره ، ففي ليلة من الليالي نام هو ، فجاء الشيخ محمود أفندي لديه فضربه بعصا ، فانتبه من النوم ، ثم نام ، فجاء كذلك فضربه بها فانتبه ثانياً ، وهكذا إلى سبع مرات . ثم بعد ذلك ذهب لديه وقام عنده ساكتاً فقال له محمود أفندي كلمات تبيِّن ما وقع له في تلك الليلة في الواقعة المناميّة ، وبعد ذلك أخذ عنه الطريقة وصار شيخاً كاملاً . وقال ذلك العالم حبيب الله إن رجال أشترخان يخبر هذه الواقعة هكذا ، ويقولون إن محمد ذاكر قدس سره لم يتكلم عنده بعد ذلك حياء منه . انتهى . ولقد قال أخونا الصالح سيف الله النژبكري : إني رأيت مكتوباً كتبه الشيخ محمود أفندي بيده إلى الشيخ محمد ذاكر ، وكان في أثنائه مخاطباً له : سبقتنا بدرجات . انتهى .
وأخبرتني امرأة طليقيّة كائنة في قرية المَال في مدّة حياة محمود أفندي قدس سره أن زوجته قالت لها إنه قدس سره قال في ليلة : تهيّؤوا لي فيْتوناً لأهربَ من هذه القرية في هذه الليلة ، فإني رأيت ثلاثة كلب يقصد إليَّ ، فركب هو عليه وذهب من=

وهو أشهر خلفاء الخالدية في ديارنا ، ومقتدى الكل ؛ بحيث لم يبق ناحية من نواحي بلاد قزان إلا وقد انقاد له علماؤها العظماء ، وفضلاؤها الكرماء ، وهو - سلَّمه مولاه - عالم في جميع العلوم العقلية والنقلية ، تفقَّه على المولى العالم أوحد أهل عصره في مصره الشيخ المغفور المرحوم عبد الله المچكروي رحمه الله تعالى وإيانا ، ثم اشتغل بالتدريس وإفادة العلوم في بلده سنين كثيرة ، وانتفع به خلق كثير ، ثم أخذ الطريقة الخالدية ، وتلقَّن الذكر عن الشيخ محمود أفندي الداغستاني الألمالي قدس سره عن الشيخ يونس الخالدي عن الشيخ عبد الله المكي الأرزنجاني قدس سره ، وهذا الذي ذكرناه نقلناه عن خط الشيخ ذاكر أفندي بيده قدس سره ولكن سماعُنا من الشيخ خليل پاشا أن يونس أفندي أخذ الطريقة عن الشيخ يحيى بيك قدس سره وأنه ما لقي الشيخ عبد الله المكي قدس سره والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ .

وأخذ محمود أفندي أيضاً عن الشيخ هاشم أفندي اليمشاني عن الشيخ ضياء الدين ذبيح الله الشرواني عن مولانا خالد قدس الله تعالى أسرار جميعهم العلية وقد تشرَّف راقم هذه الحروف بشرف صحبته مراراً كثيراً .

انتهى ما التقطته بالاقتصار ، وهذَّبته بالاختصار ، من كلام العالم العارف بالله ، المعتصم بحبل الله ، مولانا الشيخ محمد مراد بن عبد الله القزاني ؛ على ما هو المقصود لنا ، فقط من سلسلة المشائخ النقشبندية ، من رسول الله ﷺ ، ونتمُّه إن شاء الله تعالى حتى يصل سلسلتنا إلى شيخنا المرشد الكامل والغوث الواصل ؛ المتوفَّى في أثناء تحصيلي هذا الكتاب ؛

=الماء ، فانكسر في وسط الماء شيء من الفيتون وكانت الليلة مظلمة ، فنوّر إصبعه كأنه سراج فأصلح صاحب الفيتون ذلك الشيء المنكسر ، فذهب هو ومن معه . انتهى .

في الليلة التاسعة عشرة ، في الساعة الرابعة من ذي القعدة الحرام من سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة مَنْ له كمال العزِّ وتمام الشرف محمّد المصطفى ﷺ ، شيخي وسيدي وقدوتي إلى الله تعالى ؛ سيد السادات ، وقطب القادات الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي .

ونحن إن شاء الله تعالى نكتب له ترجمة بمولده ووفاته ومناقبه ، ثم نكتب ونعلِّق بعد تتميم سلسلتنا ما كتبه الكريم المذكور محمد مراد في آخر كتابه من نبذة من كيفية طريقة مشائخنا النقشبندية .

اللهم وفِّقنا للعبودية اللائقة بربوبيتك ، وتقبَّلها منَّا برحمتك ، وتربية نفسنا الأمَّارة في شريعتك ، ورياضتها في حقيقتك ، وإرشاد طالبيك إلى طريقك ، وإهداء أهل الديار إلى سبيلك ، وأنت الموفِّق للصواب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم الهادي الوهَّاب .

المقصد الثالث

في ذكر بقية مناقب المشائخ من الشيخ مولانا إسماعيل الشرواني إلى تمام مناقب شيخنا المذكور

غوث خلائق الزمان ؛ مفتاح خزائن حقائق الأوان ؛ شيخ مشائخ قفقاز ؛ مولانا الشيخ إسماعيل أفندي الشرواني الكردميري قدس الله تعالى سره ، ونوَّر ضريحه .

كتب حضرة العالم العامل والمرشد الكامل ركن الطريقة الخالدية ؛ ومرجع أجلاَّء المشائخ النقشبندية ؛ الناشر لأعلامها في الخانقاه الخاقانية السليمانية في دمشق الشام ، والقائم مقام أسلافه العظام ، لإرشاد الخاص والعام بالجدِّ والاهتمام ، الإمام الأوحد ، والعَلَم المفرد ؛ مولانا الشيخ محمّد أسعد نجل العالم العامل ، والإنسان الكامل ، مقتدى ذوي الإرشاد والسلوك ، في السير إلى ملك الملوك ، النجم الثاقب ؛ مولانا الشيخ محمود الصاحب ؛ شقيق حضرة ثالث الشمس والقمر ، ومجدِّد

القرن الثالث عشر ؛ الإمام المترجم الأعظم ، والمرشد الأفخم ؛ ضياء الدين مولانا الشيخ بهاء الدين خالد قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، ورزقنا من بركاتهم الجلية في حاشيته على « الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية » لمولانا الشيخ العلامة الكامل محمد بن سليمان الحنفي البغدادي عليه رحمة الرحيم الهادي .

ومنهم أي من مريدي وخلفاء شيحنا غوث الزمان مولانا الشيخ خالد قدس سره : علاَّمة العلماء الأعلام ، مرجع الفضلاء الكرام ، صاحب الأنفاس القدسية ، والأسرار الأنسية ، العارف الصمداني مولانا الشيخ إسماعيل الشرواني قدس سره فإن هذا الذات المستجمع لكمالات الصفات قد لازم حضرة مولانا خالد قدس سره في السليمانية ، وسلك على يديه ، وحاز الحظوة لديه ، وأحسن السلوك إلى ملك الملوك ، ثم خلَّفه خلافة مطلقة ، وأذن له بالإرشاد ، ونشر العلوم على وجه السداد ، فانتفع به كثير من الناس ، وخلَّف الخلفاء وأرسلهم إلى الأطراف والأنحاء .

وقد رأيت له مكاتبات أرسلها لسيدي الوالد قدس سره خلاصتها بأنه لا زال متمسِّكاً بأذيال حضرة مولانا خالد قدس سره وكان في حضرة مولانا العم روحي فداه سبقت له زلَّة ، حيث أمر المريدين أن يرابطوا به ، فلما بلغ ذلك مسامع سيدنا الحضرة قدس سره أرسل إليه أمراً مشدِّداً زاجراً له ، وبَّخه فيه وهدَّده ، فرجع عن قصده ، وتبيَّن له غيُّه من رشده .

ونصُّه : من العبد الذليل ، الأقل من كل قليل إلى خادم بابه ؛ وقدوة أحبابه ؛ الشيخ إسماعيل عصمه الله تعالى وصمه[1] ، وصانه عما شانه . آمين .

---

(١) لعلّه : عما وصمه .(قحي) .

أما بعد ؛ فقد قال كثير من نجوم الاقتداء ومصابيح الاهتداء بأن الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمته ، وصرَّح محققو طريقتنا بأن رابطة مَنْ لم يفْنَ عن وجوده لا يورث الفناء للسالك ، بل قد يورِّطه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا السلام والكلام عنَّا ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تواجهونا أحياناً بأنفسكم ، وإلاَّ فتراجعونا في النقير والقطمير ، وتذكِّرونا دائماً بالتحرير مع السفير ، ومن خُدَّامنا مَنْ هو أبعد مشقَّة منكم ، وأقدم صحبة ، وأكثر خدمة ، لا يتحرَّك بدون استشارتنا .

ولا تقس هذه الطريقة بخزعبلات متشيخي هذا العصر ، وترَّهات أرباب الخداع والمكر ، فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربِّه ، والإعراض عنه إعراض عنه ، فلا تعلِّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له ، فإنه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلا بأمري ؛ فضلاً عن مزاحمتكم لخلفاء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم في هذا التغافل الذي تستعملونه لنعرضنَّ عنكم بالكلية ، وخرط القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ختام . انتهى .

وبالجملة فإن هذا العزيز صار له نفع عظيم للمسلمين ، وعلى الأخصِّ في بلاد الروس ؛ من القازان والقفقاس والداغستان والتتر وغير ذلك من شاسع الأقطار وواسع الخطط ، وله خلفاء أجلاَّء ، ولو لم يكن منهم إلا الإمامان العارفان الغازيان المجاهدان لإعلاء كلمة الله تعالى مولانا الشيخ غازي ملاَّ ، ومولانا الشيخ شامل الداغستاني قدست أسرارهما لكفاه ، كَيْف وقد اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وهو حقيق أن تدرج مناقبه في الأسفار ؟ ! توفِّي في حدود سنة مائتين وسبع وسبعين وألف[1] تقريباً في مدينة « أماسيه » تغمَّده الله تعالى بالرحمة

---

(١) ١٢٧٧ .

والرضوان ، وأدخله فسيح الجنان وقبره فيها يزار ، وعليه قُبَّة عظيمة وجامع شريف عُمِّر بمباشرة قائم مقامه وصهره عيسى أفندي بمعاونة نجله حضرة محمد رشدي باشا الصدر الأعظم سابقاً طيَّب الله تعالى ثراهما . انتهى ما كتبه مولانا محمد أسعد .

ومن مكتوبات مولانا الشيخ إسماعيل الشرواني قدس سره إلى مريد مريده الشيخ محمد اليراغي الكرالي الداغستاني قدس سره ، ونوَّر ضريحه : بسم الله الرحمن الرحيم بحمد مَنْ تجلَّى ذاته لذاته في المرتبة الأحدية ، فظهر منه نقطة الحقيقة الأحمدية ، وفصَّلها لتعيُّنات مختلفة في عالم الجبروت ، وجعله مداراً لفيض الوجود والتقرُّب في عالم الملكوت .

وبعد ؛ فلقد تحقَّقت قبل عندنا محبَّتكم الذاتية إجمالاً ، وبإرسال المراسلة الميمونة تأكَّدت تفصيلاً .

مطلب

ثم اعلم أنه قد اتَّفقت الملل على أن المطلب الأعلى والمقصد الأقصى معرفة الله تعالى وصفاته تفصيلاً ، وذلك لا يحصل إلا بعد تصقيل الروح الإنسانية عن ظلمات النفس الحيوانية ، وتوجيهها إلى مرتبتها الأولى ، وتخلية اللطائف عن منشأ الرذائل ، وتحليتها بمنبع الخصائل ، وتبديل الغياهب الساترة بالأنوار الباهرة ، وجعل عالم الخلق تابعاً لعالم الأمر ، وذلك بعد التشبّث بالانكسار التامِّ والخضوع الأتم ، بيد مرشد بلا واسطة أدبها ؛ حيّ متصرِّف قرباً وبعداً في عالم الملك والملكوت أحياءً وأمواتاً .

فعلم أن تعشُّقكم إلى هذا الظرف المجرَّد التلاقي الجسماني ، وإلا فالتلاقي الروحاني حاصل ، والتصرُّف الباطني إليكم كامل .

ثم لا يخفى عليكم أنَّ خليفة الفقير ، وهو الشيخ الشهير ، ذو الأحوال الظاهرة ، والأنفاس العاطرة ؛ الشيخ خاص محمد الشرواني قدس سره ما أرسل إلا من طرف الحضرات ، بعد العلم بأن ما يحصل عندي يحصل عنده .

فمن يغتنم بصحبته يصل إلى ما لا يدركه عقل العقلاء ، وعلم العلماء . والسلام .

ومن وصاياه إليه أيضاً : بسم الله الرحمن الرحيم :

أوصيك بالتمسُّك بالكتاب والسنة ، والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنة ؛ الذين هم الفِرق الناجية على ما أطبق عليه أئمة الكشف والوجدان ، وأوصيك بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء ، وبسلامة الصدر ، وبسماحة النفس وسخاوة اليد ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى وكف الأذى ، والصفح عن عثرات الإخوان ، وترك الطمع ، وبالاعتماد في قضاء الحوائج إلى الله تعالى جلَّ جلاله ، فإنه لا يضيع مَنْ عوَّل عليه ، وأن لا ترجو النجاة إلا في الصدق ، ولا الوصول إلى الله تعالى إلا في اتِّباع محمد ﷺ ، وأن لا تظن أنك أفضل من أحد ، بل لا ترى لنفسك وجوداً ، وكل مَنْ يتطاول عليك بالنميمة والحسد فوِّض أمره إلى الله تعالى . والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم لا شبهة أنَّ توارد البلايا في الحق من وظائف أولي العزم من الرسل ومَنْ كان في قدمهم ، لأنها في حقهم نعمة ، كما يقتضيه الحديث « أشدُّ البلاء على الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل » مع أن هذه الواقعة خيرٌ ظاهراً وباطناً ، لأن الكثرة تشوِّش حالك ، فلا ينفع التبليغ ، لأن المصباح ما لم يكن منيراً لا يُسْتضاء منه .

مـحبُّ الله في الدنيا عليل   تـطـاول سقمه فدواه دائه
كذا من كان للباري مـحباً   يـهيـم بـذكـره حتى يراه

انتهى

قلت فانظر إلى وعظ العالم العامل ، ونصيحة الشيخ المرشد الكامل ، وتفكَّر إلى قصر كلامه ، وبسط مرامه ، والله لقد صدق الله ورسوله وأولياؤه في جعلهم الشرط للمرشد الواصل الموصل كونه عالماً عاملاً ! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومما ترجمه صاحب الترجمة لكلام الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني من الفارسية إلى العربية ولكونها مما يفيد لكتابنا كتبناه هنا :

مطلب

اعلم أن نهاية هذه السلسلة العلية إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه فكما هو أفضل بني آدم سِوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ! كذلك هذه الطريقة العلية أفضل من نسبة غيرها ! لأن النسبة في هذه الطريقة عبارة عن الحضور التام ، والبصيرة الخاصة ، بخلاف سائر الطرق .

ومن خواصها اندراج النهاية في البداية ، لأن الجذبة فيها مقدَّمة على السلوك ، وابتداؤها سيرٌ من عالم الأمر ، وقطع منازل السلوك مندرج في ضمن طيِّ معارج الجذبة ، وسير عالم الخلق يحصل تحت سير عالم الأمر ، فيصير ابتداؤها الجذبة والسير من عالم الأمر : وهما انتهاء سائر الطرق ، فيكون انتهاء الطرق مندرجاً في ابتدائها أي حاصلاً فيه .

فإن قلت : انتهاء سائر الطرق الوصول إلى الحق فإن كان ابتداء هذه الطريقة فيلزم أن يكون انتهاؤها وراء الحق ، وهو باطل !

قلت : نهاية هذه الطريقة العلية الوصول العُرياني وهو رفع الحجب كلها ، ولما كان أقوى الحجب التجلِّيات المتنوِّعة ، والظهورات المختلفة ، فلا بُدَّ أن تنقضي تلك التجليات على الإجمال ، لأن التجلِّيات التفصيلية في الصفات التفصيلية غير متناهية حتى يصل عرياناً ، بخلاف سائر الطرق ، لأن نهاياتها التجلِّيات الصفاتية ، وهو ما يحصل بملاحظة معنى زائد على الذات ، أو التجلِّيات الذاتية ، لكن بملاحظة معنىً غير

زائد على الذات مثل الشؤونات والاعتبارات ، وعلى كلا التقديرين تكون التجلِّيات وراء الأستار .

ومعنى الاندراج أن يذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ ، حتى يكون على حدِّه .

ومن خواصِّها : الخلوة في الجلوة إن حصل الجمع ، وإلا ! فالتبتُّل أحسن . كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ .

ومنها : أن ابتداء هذه الطريقة حلاوة ووجدان ، وآخرها محوٌ وفقدان ، لأن الحلاوة والوجدان يقتضيان البعد في الجملة . ألا ترى أن حلاوة النفس ووجدانها لا يتصوَّران من كمال القرب ، بخلاف سائر الطرق فإن ابتدائها مرٌّ وفقدان ، وآخرها حلو ووجدان .

ومنها : أن الرقص والسماع والذكر الجهري لا يجوز في هذه الطريقة لأنه بدعة غير مستحسنة ، ولو كان عبادةً ما خلا عنه الأوَّلون مع حرصهم عليها !

ومنها : أن التجلِّي الذاتي دائمي في منتهى هذه الطريقة ، وفي منتهى غيرها برقيٌّ .

ومنها : أن الشيخيَّة ، والمريدية بالتعليم والتعلُّم ، لا بالكسوة والشجرة ، بخلاف سائر الطرق ، فإن أكثرهم اتخذها رسماً ، حتى أن متأخريهم اخْتَصَروا الشيخيَّة والمريديَّة عليهما ، ولذا لم يجوِّزوا تعدُّد الشيخ ، وإن جوَّزوا تعدُّد المرشد ! لأن المرشد معلِّم الطريقة فيجوز تعدُّده ، والشيخ مَنْ يعطي الشجرة والخرقة ، وهو لا يكون إلا واحداً .

الحكمة من إرسال الرسل

ومنها : أن طريق الرياضات والمجاهدات بالنفس الأمَّارة في هذه الطريقة بإتيان الشرائع فقط ؛ فرضاً وسُنَّة وأدباً ، والتزام متابعة سُنَّة رسول

الله ﷺ ، لأن الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب دفع اقتضاء النفس ، ففي الإتيان مجاهدة تامَّة بالنفس ، بخلاف سائر الطرق ، فإنهم ضمُّوا إليها الخلوة والأربعين[1] والرياضات البدنية ، ولا حاجة إليها ، لأنها ما أفادت في حقِّ الفلاسفة إلا ضلالة ! فالاعتمادُ على إتيان الشريعة فقط .

ومنها : أنه لا بُدَّ من تصرُّف الشيخ للطالب ، لأن الطالب لا يحصل له شيء بدون التصرُّف ، لأن اندراج النهاية في البداية أثر توجُّه الشيخ ، وهو شرط في هذه الطريقة ، ولأن هذه مسالك خفيَّة لا يُطَّلع عليها بدون الشيخ ، بخلاف سائر الطرق ، فإن الاندراج ليس بشرط فيه .

ومنها : أن كمال الإفادة والاستفادة بالسكوت على مصداق « مَنْ عرف ربَّه كلَّ لسانه » بخلاف سائر الطرق ، فإن الإفادة والاستفادة بالذكر جهراً . انتهى .

تتمَّة

في بيان مراد قول الفاضل الشيخ محمد أسعد من قوْله : مولانا غازي ملاَّ والشيخ شمويل .

فأقول : إن المقصود من غازي ملاّ هو العالم الحقّق ، والفاضل المدقِّق ، مجدِّد الشريعة النبوية في اندراسها ، ومؤسس السنة المصطفوية في خرابها ؛ الشيخ الشهيد غازي محمّد أفندي الكمثراوي الفريد ، وقد ابتدأ لتجديدها الأصعب في الديار الداغستانية بالسيف الصارم الأغرب في سنة ١٢٤٢ ألف ومائتين واثنتين وأربعين لإعلاء كلمات الله فقط ، وإحياء سنة رسول الله ﷺ بلا شطط ، ثم استشهد[2] في قريته الكِنُويَّة ، واستشهد معه أكثر خيار جنوده الداغستانية ، فهنيئاً لهم ما أعدَّ الله تعالى الغفار ، جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار .

---

(١) الخلوة بالأربعين بدعة في النقشبندية . (هامش الأصل) .

(٢) في ١٢٤٨ في اليوم الخامس من رجب منها . كما في « مغازي محمد طاهر » . (منه) .

ثم قام مقامه أكبر أعوانه وأشدُّ وزرائه حمزة الهژولي الخنزخي ، ثم مات[1] شهيداً في بلدة خُنْزَخْ ، قتله القاتل عثمان ابن عمِّ أبناء عُمَ خان لقَتْله ابنيه عُمَ خَانْ ونُسَلْ خَانْ . غفر الله تعالى لجميعهم ، وستر عيوب كلهم . آمين .

ثم قام مقامه الإمام الغازي الشيخ شمويل أفندي ذوي المغازي ، وجاهد في الله حقَّ جهاده ، وأدَّى لله حقوق عباده ، في مدَّة ثمانية عشر سنة ، ثم لما كثر فيهم الغُلول ، وفسدوا فيها ببيع المسلمين ولم يصدر في الله لأجلهم القبول ، وقعَ في الديار الداغستانية الفتنة الكبرى والبليّة العظمى ، وحبس الشيخ شمويل على شاهق « غُنِبْ » ، وأسره الروس إلى بلادهم لدى سلطانهم وعمادهم في ١٢٧٦ ، وحُقَّ فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي « إذا عصاني مَنْ يعرفني أسلِّط عليه مَنْ لا يعرفني » وقام هناك مكرَّماً معظَّماً اثني عشرة سنة ، ثم هاجر إلى بلاد الإسلام ، وتوجَّه إلى الحج بالحرمين ، ولما أتم حجه وزار قبر الرسول سأل هناك الانتقال ، وفي البقيع الوصال ، فمات ودفن فيها رحمه الله تعالى آمين في ١٢٨٧ كما في « مغازي محمّد طاهر » رحمه الله تعالى .

الفرد الواصل الصمداني المرشد الكامل الرباني الشيخ محمد صالح الشرواني قدس سره السبحاني

أخبرنا شيخنا قطب الواصلين وسيد المرشدين الشيخ الأجلُّ ، وصاحب الحضور التام الأدل ؛ شيخنا ومربِّينا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى ؛ الشيخ حاج أحمد أفندي التلالي قدس سره العالي : أن من كبار الخلفاء الإسماعيلية شيخنا خواجه محمد صالح الشرواني قدس سره . انتهى .

(١) في ١٢٥٠ . (هامش الأصل) .

ومن المعلوم أنه كان للشيخ إسماعيل أفندي الشرواني الكردميري قدس سره خلفاء كثيرون ، وصلحاء مريدون رضي الله تعالى عنا وعنهم وأرضاهم ولكن لم نقف عليهم ، ولم نعلم حقيقتهم وولادتهم ووفاتهم وأسماءهم غير هذين الخليفتين ؛ الشيخ محمد صالح أفندي ، والشيخ خاص محمد أفندي الشرواني قدس سرهما ، ولكن لم نقف أيضاً زمان ولادة الشيخ محمد صالح ووفاته ومناقبه ، ولذا تركنا كتبته في هذا الكتاب ، ولم يصدر عندنا من يبيِّنه ويذكره ، سواء من مشائخنا ، أو من غيرهم ، ولم نجد مَنْ كتبه في كتاب ، ولا مَنْ حرَّره في قرطاس وخطاب ، ولم نقدر على بيانه من روحانية المشائخ ، فأردنا الآن بيان سلسلة المشائخ الداغستانية ، ومناقب الأولياء الجبلية الذين اتصلت نسبتهم بنسبتنا في الشيخ إسماعيل قدس سره ونقول : قد افترق سلسلتنا من الشيخ إسماعيل أفندي إلى محمد صالح أفندي ، وخاص محمد أفندي[1] ، وكانا أخوين في الإذن منه ، ومستوييْن في إرشاد الخلق إلى طريق الحقِّ .

وافترق من خاص محمد أفندي المذكور إلى طرف محمد أفندي اليراغي الكرالي قدس سره .

وسببه أن الشيخ إسماعيل أفندي قال يوماً للشيخ مأذونه الشيخ خاص محمد أفندي : يا ولدي ! إن في بلاد داغستان أرى رجالاً استعدُّوا للوصول ، وتهيَّأوا للحضور ، ومن بينهم أرى أكملهم العالم العامل المدرِّس الكامل محمد أفندي اليراغي ، فلو ارتحلت إليه ، وذهبت لديه ، وتلمَّذت له قليلاً ، تكون لوصوله دليلاً . فارتحل الولي الكبير والشيخ الوفير الشيخ خاص محمد المذكور ، ووصل لديه ، فكان عنده في أزمنة عديدة ، وأوقات مديدة ، على سبيل التلميذ له ، ولم يعلم محمد أفندي حال خاص محمد أفندي ، فرجع إلى الشيخ إسماعيل أفندي وسأل عن

(١) في دمشق مات خاص محمد ، وقبره عند خالد شاه في دمشق الشامي . (هامش الأصل) .

حاله ، فأجاب بعدم الإفادة والاستفادة ، وأمر برجوعه ثانياً ، فرجع ، ثم بعد مدَّة كان خاص محمد أفندي إماماً في الصلاة الجهرية ، فقرأ بعد الفاتحة الشريفة ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فوقع الشيخ محمد أفندي اليراغي مغشياً عليه من أثر الآية ، فتجلَّى عليه الربُّ تعالى بتجلِّي الإرادة ، فسَكِرَ خلف المرشد الكامل حينئذ ، فقال الشيخ خاص محمد أفندي : إني أعلم المرشد الكامل إن أردته . فقال : مَنْ هو ؟ قال : شيخي الشيخ إسماعيل أفندي الشرواني الكردميري وأنا مأذون منه ومُجازٌ ، وأيَّنا أردت فلك ذلك . فأرسل إليهما الشيخ إسماعيل أفندي رسالة بأن الشيخ خاص محمد أفندي الشرواني صاحب العلوم النوراني مأذون منِّي وقائم مقامي ، فأيَّ شيء أردتَ يا أخانا محمد أفندي اليراغي مني تجده عنده ، وإن اعتقدت له وأخلصت فيه تجد الوصول ، وتصل إلى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأنه قد اجتمع روحانيتي مع روحانيتك ، وإن كانت الأشباح بعيدة ، والمسافة كثيرة . فلما سمع الشيخ محمد أفندي كلام الشيخ إسماعيل أفندي اطمأنَّ قلبه ، واستراح لبُّه ، وطلب من الشيخ خاص محمد أفندي الشرواني تلقين الأوراد النقشبندية كما لقَّنه شيخه إسماعيل أفندي قدس سره ، فلقَّنه ، فحصل له من الله تعالى النظر بالعناية الأزلية ، وفتح له بالفتوحات الربانية ، وانكشف له جميع الأحوال والمقامات ، وارتقى إلى كل المقامات ، في عدة سنين ، وأزمان قليلين ، فبلغ درجة الكمال ، ووصل إلى مقام الإكمال ، وأذن الشيخ خاص محمد أفندي الشرواني لتربية المريدين ، وإيصال المستفيدين ؛ بعد الاستخارة التامَّة والمشورة مع المشائخ العامة ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ إنه كان من أهله .

وأخبرنا ثقات عن ثقات أنه كان من أصحاب كماله ، فللَّه درُّه ، وإلى النعيم – إن شاء الله تعالى معنا ببركاته وبركات أمثاله – ردُّه ، فانقاد له أهل الولاية الكرالية ، وجميع الأهالي التفسرانية ، واشتهر بين الناس كاشتهار الشمس حالة الضحى .

ثم قد سمع هذا الخبر والاجتماع وانقياد الخلق إليه والاتِّباع لسلطان الغازي غموقي أسلان حُسَيْن خان ، وكان أكثر أهالي الكرالية رعاياه ، فثقل ذلك عليه ، وكبر بغض الشيخ محمد أفندي اليراغي لديه ، فبعث لطرده عن أمره ، ومَنْعِ الخلق عن اتِّباعه محرَّرَه العالم جمالَ الدين أفندي الغازي الغموقيِ ، فإنه كان محرَّراً عند السلطان حينئذ ، فوصل لدى الشيخ اليراغي ، وقصد الضرب به ، فنظر الشيخ إلى الشيخ جمال الدين فأثَّر فيه ، وسقط السوط من يده وانقاد له ، وأخذ منه الإنابة وأصاب به الإصابة ، ولقَّن له الذكر والأوراد ، وأثَّر في قلبه بالإمداد ، ورجع إلى غازي غُمُقْ ، واختفى من السلطان أسلان خان في عدة أيام ، وتعجَّب السلطان والخلق من أمره ، وتعجَّبوا من فعله ، فأخْبِرَ السلطان بأن الشيخ جمال الدين قد صار من جملة مريدي الشيخ محمد أفندي اليراغي قدس سره ، فأحضر السلطان جمال الدين للقتل ، فلما وصل إلى رحبة السلطان ومكان قتل الرجال نظر السلطان إلى الشيخ جمال الدين ، فرأى أنواراً عجيبة من أصابع يديه العشرة ، فتعجَّب من ذلك وقال : أخرجوا هذا الشيخ من هذا المكان ولا تقتلوه ، وطرِّدوه من ولايتنا . ودار الشيخ جمال الدين أفندي في مدَّة خفياً عن السلطان ، بحيث لا يراه رجال ولا إنسان ، فبعد أزمنة اتَّفق خروج المجاهد الشجاع والأمير المطاع الشيخ غازي محمد الكمثراوي للجهاد على الكفار ، فهاجر لديه لأجل حفظ الشريعة والطريقة ، ولإعلاء الملة المستقيمة القويمة ، واتَّفق هجرته مع هجرة الشيخ محمد[(١)] أفندي اليراغي لدى الشيخ الإمام

(١) فكما جاء الشيخ اليراغي لدى غازي محمَّد حين حاصر قلعة دربند في ١٢٤٥ وسكن معه ، وكان إلى الآن في تفسران ، فرجع معه وأسكنه في إرْفله مدَّة ، ثم في چركه مدَّة ، ثمَّ انتقل إلى إيهلي ، ثم انتقل إلى كمرَاه مدَّة ، ثم انتقل إلى ثغرالِ . (منه) .

غازي محمد الهمام ، فربَّى الشيخ اليراغي هناك الشيخ جمال الدين ، وأوصله إلى المقامات العلية والدرجات الرفيعة ؛ بتوفيق الله تعالى أولاً ، وشفاعة الرسول ﷺ ثانياً ، وبركات المشائخ النقشبندية ثالثاً ، بحيث ثبت قدمه على مقام قطب الإرشاد ، ورحلة النجباء والأوتاد ، وسكن الشيخ اليراغي عند غازي محمد الشهيد في كِمراه مدَّة ، وزوَّج كريمته له ، وأمر له بترويج الشريعة ، والاجتهاد بجهاد الكفرة والفجرة ، فجاهد في الله حق جهاده ، ومهَّد للشريعة حقَّ مهاده ، حتى استشهد في قريته كمراه في[1] سنة ١٢٤٨ ألف ومائتين وثمانية وأربعين[2] ، فبعد ذلك انتقل الشيخ اليراغي إلى قرية تُغْراڨ مع عياله ، وسكن هناك مدَّة ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٢٥٤ ألف ومائتين وأربعة وخمسين[3] ، ودفن في مقبرتهم المباركة الميمونة ، وعلى قبره قُبَّة كبيرة ، ومهابة وفيرة ، وجلالة جليلة ، وبركات جميلة تليق بمقامه رضي الله تعالى عنه وقدس سره . وزرنا قبره مرات رزقنا الله تعالى من بركاته وبركات أمثاله .

ثم لما انتقل الشيخ اليراغي جلس الشيخ المرشد الكامل والقطب الواصل جمال الدين أفندي مقامه على بساط الإرشاد مطلقاً بالاتفاق ، وصار له القبول التامُّ في جميع البلدان والقرى بالوفاق ، وحضر لسُدَّته من أهالي الداغستان ما لا يعدُّ ولا يحصى ، ولا يقدر أن يستقصى ، فكمل بسببه رجال كثيرون ، ووصل إلى المقامات العلية أفراد وفيرون ، كالشيخ ممّ دبير الروجي ، والشيخ حاج يوسف أفندي الخناوي السمبوري ، والشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي الثغوري ، والشيخ محمد الهُخالي ، والشيخ حاج خليل أفندي الجنيغي السمبوري ، والشيخ عمر المحمد

---

(١) في اليوم الثالث من جمادى الآخر . (هامش الأصل) .

(٢) وراجع كتاب « بارقة السيوف الداغستانية في بعض الغزوات الشاملية » تجد فيها كل مرادك . للمحقق محمد طاهر الداغستاني القراخي الذي مات في سنة ١٢٩٨ ألف ومئتين وثمانية وتسعين . (منه) .

(٣) في ١٣ من جمادى الأخرى . (منه) .

الهنوخي القراخي ، والشيخ ملاَّ محمد التفسراني ، وغيرهم قدس الله تعالى أسرارهم العلية ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، وجعل الجنة متقلَّبهم ومثواهم آمين . ورزقنا الله تعالى من بركاتهم وفيوضاتهم .

فأما الشيخ الشاهد وعن كل ما سوى الله تعالى الزاهد ، الشيخ العالم العلامة ، والمرشد الكامل الفهامة ؛ الشيخ مم دبير الروچي الرسعوري فإنه أكمل خلفاء الشيخ جمال الدين الغموقي وأعلاهم مقاماً ، وأجلُّهم حالاً وكمالاً ، كما رأيناه بخطه رضي الله تعالى عنه . ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ إنه كان خمولاً في الإرشاد ، وخفِيّاً في الاستمداد ، ولم يكن يدور في الأسواق ، إلا ما وقع له بالاتفاق . وكان زاهداً في الدنيا ، وتاركاً للعقبى ، ولم يكن مطلوبه إلا المولى ، وكان هذا حاله ظاهراً وباطناً ، وبلغ في زهده وورعه إلى حدِّ إذا خرج خارجٌ من[1] نجاسته كان له ريح كريح المسك والعنبر .

والدليل على كونه أكمل الخلفاء وأتقى الرفقاء أنه إذا قيل للشيخ جمال الدين أفندي قدس سره ، واستخبر عن حال خلفائه ! كان بيَّن عيباً مَّا من عيوب الأولياء منهم ، وأما إذا استخبر من حال الشيخ ممّ دبير كان يرتفع بارتفاع جذبته ، بانعكاس حال الشيخ ممّ دبير له ، ويقول : ما شاء الله ! مبارك ممّ دبير ، أيّ وقت نظرت إليه في شهوده وغيبته أجده على حالة واحدة لم يتغير قطُّ عن الحضور لربِّه ، والشهود لخالقه .

كان الشيخ ممّ دبير رضي الله عنه صاحب الكرامات الغريبة ، والاستقامة العظيمة ، والعجائب اللطيفة ، والخوارق العجيبة ، مثل اطِّلاعه في باطن حال الإنسان وإخباره بما في ضميره ، في السرِّ والإعلان ، وخاصة كان في طيِّ الأرض من أعاجب الزمان ، وغرائب الأوان ، حتى تواتر في حقِّه أنه كان في كل سنة يذهب ويخرج من بيته يوم عرفات إلى عرفات

---

(١) بيان .

للحجِّ والعمرة مع الحجاج ، وهذا أمر مشهور لا ينكره إلا المنكرون لله ، والمعاندون لأولياء الله ، وكرامات الأولياء حقٌّ ، وأقوالهم وأحوالهم - خاصة من أكابرهم - صِدْقٌ ، فللَّه درُّهم ، وإلى معرفة الله تعالى وشهوده من بين الخلق ردُّهم .

ويدلُّ لما ذكر ما حكى لي أخونا في الله ، وصديقنا لله الحاج بالحرمين ، والحائز بزيارة سيد الثقلين ؛ وليُّ الله تعالى بلا نزاع ، العاشق الواله[1] له تعالى بلا دفاع ؛ الحاج محمد المؤذِّن الهچدي القراخي ، فإنه قد كان أولاً من مريدي الشيخ ممّ دبير الروچي ، فإنه قال لي[2] : فحين كان في خدمته وكان الشيخ حيّاً في وقته كان يذهب إلى سوق غازي غمق لاشتراء حوائجه ، فحين وصل إلى أعالي جبل ينحدر منه إلى بلدة غازي غمق التقى ولقيه رجل غموقي صاحب سَمْتٍ حسن ، ونور وجهٍ ، وتكلَّم له وقال : هل لك يا هذا أستاذ ؟ ! فقلت : ما تريد من هذا القول ؟ فقال : إني أرى وجهك وَجْه سالك . فقلت : لي أستاذ . فقال : مَنْ أستاذك ؟ فقلت : الشيخ ممَّ دبير . فوقع الرجل مغشيّاً بذكر الشيخ ممّ دبير ، ثم أفاق فقال : يا هذا ! يا أخي هل تعلم حال شيخك وكمالته وكرامته ؟ ! فقلت : لا ؛ أنا رجل أمي لا أعلم حقيقته ، إلا أني أعلم وأتيقَّن أنه مرشد كامل . فقال ذلك الرجل : هل أُخبرك بقصة شيخك وكرامته ؟ فقلت : نعم ! فقال ذلك الرجل : إنه كان قبل هذا بسنين ذهب إلى زيارة بيت الله الحرام ، فسُرق فضتي هناك ، ولم يبق عندي شيء لوصولي إلى وطني من النفقة والكسوة ! فتحيَّرت في أمري ، وتدهَّشت في ليلي ونهاري ، ثم شاورت ولياً لي صديقاً هناك في حقي ، فقال ذلك الوليُّ : إني لا أعلم لك بُدّاً إلا من وليٍّ داغستاني جاء للحج هنا . فقلت له : مَنْ هو ؟ ! فقال : خذ هذه النعال بيدك ، وشدَّه بقوَّتك ، وإذا حضر لدى نعليه فلا تعطهما إلا بإلزامه

---

(١) ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد . « جوهرة » .

(٢) أي : المؤلِّف .

إتمام مرادك . ففعلت ما أمر به الوليُّ ، فخرج الشيخ ممّ دبير أستاذك من باب المسجد الحرام ، ورأى نعليه في يده ، وقال : أعط نعالي يا أخي . فقلت : لا . فقال : لم ؟ فقلت : إن إعطاء نعالك إليك مقرون بإتمامك حوائجي ، وإنجاحك مطالبي . فقال الشيخ ممّ دبير قدس سره : ما مرادك يا فتى ؟ ! فقلت : إن قصَّتي كَيْتَ وكَيْتَ ، وبقيت هنا حزيناً كئيباً ، خائباً ، خاسراً من متاع الدنيا ، ومن يحملني إلى وطني ؟ ! فأسألك بحق مَنْ رفعك إلى مقامك أن تحملني إلى وطني ، وتوصلني إلى أهلي وعيالي بأيِّ كيفية شئت ، وبأيِّ هيئة أردت . فقال الشيخ قدس سره : جزى الله تعالى بما يليق لمن دلَّك عليّ ، وأرشدك إليَّ ، فقال : أعط نعالي أتمُّ إن شاء الله تعالى حاجتك ، وأوصلك إلى مطلوبك ، فأعطيت نعاله وقضى الله نواله ، فلبس نعليه وقال : خذ متاعك واحضر إلى مكان فلاني من خارج مكة ، ففرحت فرحاً شديداً ، وتدهَّشت من شدة نشاطي تدهُّشاً أكيداً ، فائْتَمرت بأمره ، واستسلمت لقوله ، وحضرت للمكان المعلوم في الزمان الموعود ، فوجدته إليَّ منتظراً ، ومع ربِّه مراقباً مفتكراً ، فقال : اربط على عينيك بشيء . فربطت ، فقال : لا تنظر إلى خارج ، ولا تُخْرج عصابك التي ربط على عينيك حتى قلتُ لك بإخراجه ، وقال : اركب على ظهري . فركبت - وإن كنت مستحياً - فسار في الماء ، وطار في الهواء فوق الجبال والبحار ، ومتون الصحارى والقفار ، وكنت أسمع صوتاً مثل دوي النحل ، وكصوت جناح نسر حين طار خلف صيده ، فصار هذا الأمر هكذا مثل مدَّة ساعة أو أقلَّ أَو أكثر ، فنزل وقال : أَخْرِجْ عن عينيك عصابك الذي عصَّبت عينيك ، وأخرجته فنظرت إلى الدنيا ، فرأيت جبالاً مثل جبال ولاية غازي غمق ، ورأيت من بعيد قرية مثل قريتي ، فقال قدس سره : أتعرف هذه الجبال وهذه القرية المرئية ؟ ! فقلت : إن الجبال مثل جبالنا الغموقيَّة ، وهذه القرية مثل قريتنا . فقال رضي الله عنه : إن هذه القرية قريتكم . أترضى مني الآن ؟ ! فقلت : فكيف لا أرضى مع أنك فعلت معي ما لا تفعله الأبناء مع الآباء ؟ ! فوقعت على قدميه ، ورحَّب

بي ورجع من ذلك المكان إلى قريته الروچية ، فرضي الله تعالى عنه وعنا وعن جميع المؤمنين ، وهذه قصة شيخك معي ، وأستاذك الصادق في وفاء عهدي لديّ ، إن أستاذك رجل أيّ رجل ، وشيخ أيّ شيخ ! فاحْتَرِمْه وكن بين يديه كميِّت بين يدي الغاسل . ليس في هذا الوقت ولا في هذه الديار مثل شيخك . انتهى ما قاله رجل غموقي للمؤذن المرحوم الهچدي رحمهم الله تعالى جميعاً وإيَّانا .

ومن كرامات المرشد الكامل ممّ دبير الروچي أيضاً : ما حكى لي أستاذنا في العلم ، وشيخنا في الفهم والرسم ؛ الشيخ الهرم العالم داود بن شمخال الحروخي رحمه الله تعالى ، الذي مات في سنة ١٣٢٨ ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين أنه قال لي : إني حين كنت متعلِّماً وقارئاً لكتاب « إظهار الأسرار » كنت في قرية روچ ، وكنت أذهب لدى الشيخ لقراءة الدرس ، وكان رضي الله عنه يقرأ لي الدرس ، وكنت أفهم درسي بلا مطالعة ثانياً وثالثاً ، وكان يحصل لي بركات من العلم ما لا يعدُّ ولا يحصى ، فتعلَّق قلبي ، واشتدَّ محبَّتي به ، فأخذت ذيله ، وطلبت نيله ، وطلبت تلقين الأوراد بحيث يحصل لي الإمداد ، فلقَّن لي بعض استغفارات وصلوات ، وخمسة آلاف ذكر جهري ، وكان شريكي في التلقين قاضيهم العالم العامل ، الورع الكامل الحاج يوسف القسردي ، فكنا نقرأ العلم ، ونفعل الأوراد ، فوقع الفترة فينا في الأذكار ، بحيث لا نفعَ لنا بها ولو فعلناها في الأسحار ! فعزم الحاج يوسف على ترك القضاء ، وقصدت ترك قرية روچ حياء من الله تعالى ومن الأستاذ ، فحين كنَّا على هذا العزم والارتحال اليوم اشتدَّ هيجان محبَّتي بعد صلاة الصبح في اليوم الذي نعزم الارتحال ، فقلت : يا أستاذي حاج يوسف ! إني أريد أن أزور الآن بلا توقُّف للشيخ ؛ فقال : يا أخي داود ! ليس هذا وقت الزيارة ، ولا يكون الوقت إلا بعد طلوع الشمس ، فإن الأستاذ يكون إلى ذلك الوقت في المراقبات ، وإن ذهبنا قبل ذلك كان إساءة أدب . فقلت : لا بدَّ – وإن كان الأمر كما قلت

- من الزيارة الآن ، فخرجنا معاً قصداً للزيارة من المسجد ، فوصل إليَّ الفيض والريح كريح الخبز الرطب الحار ، فقلت : يا حاج يوسف ! إني أجد ريح كذا ! فقال : وأمَّا أنا فلا أجد ، وإنه قد وصل لك بركة الأستاذ ، وإني لم يصل لي ذلك . ولأخرجنَّ من أمر القضاء ، وبسبب القضاء لم يصل لي بركة الشيخ ، فارتحلنا للزيارة قبل وقتها ، ووصلنا عتبة بابه الكريمة ، ووقفنا هناك زمناً قليلاً ، فخرجت حليلة الشيخ مريم ، وقالت : ادخلوا ، لكم الإذن من الأستاذ . ولم يكن خبرٌ مّا منّا للشيخ ، فدخلنا فسدّ باب الكوّة المفتوحة ، وقال : كونوا حاضرين الآن مع الله ورسوله ؛ فإن رسول الله ﷺ يدخل عليكم الآن ، ولا تفعلوا معه ما فيه ترك آداب . فاشتدَّ شوقي ، وكثر هيامي وغرامي لذلك ، وصرت كالسكران ، فشرع الأستاذ رضي الله عنه في الذكر الجهري ومدَّها ، فلما أَتَمَّها عشرة ؛ قد شقَّ جدار حجرة الشيخ ، ودخل منه روحانية رسول الله ﷺ ، ووقفتْ قبالة الشيخ متوجِّهاً إليه ؛ هكذا رأيته ببصيرتي ، فرميت نفسي إليه ، فصار حالي كأنه ضُرب على جبهتي جزلة نار ، فصرت مغشيّاً عليَّ ثلاث ساعات من ذلك ، ثم لما أفقت وجدت أستاذي الشيخ ممّ دبير قدس سره يجرُّ رجلي ويقول : قم يا ولدي ؛ فقد آن لقيامك . فقمت ، واستحييت من ترك الأدب مع رسول الله ﷺ ، ومع الشيخ ، فقال : لا بأس يا ولدي بذلك ، إن ذلك لم يكن باختيارك .

فبعد ذكر هذه القصة للمؤلِّف الفقير كان داود المذكور يبكي ويقول : قد كنت يا أخي شعيب أفندي في مثل تلك الحالة ؛ وأما في الحالة فقد وقعتُ فيما وقعْتُ ، ووصلني من الله تعالى والمشائخ بُغضٌ ، ولولا ذلك لما وقعت في خدمة الكفار ، وكان ترك تلك الأذكار والأوراد ، ووقع في الظاهر في الكبائر والفساد ، فرحم الله عليه وعلينا ؛ وإن كنا مستحقين للعذاب والهوان ، بفضله ومَنِّه وكرمه آمين .

وأما كرامات الشيخ الكامل[1] ، والمرشد الواصل مم دبير الروچي فكثيرة ، وعن كتبة كلها عبارتنا قصيرة ؛ نفعنا الله تعالى به وبأمثاله آمين آمين .

مات الشيخ الكامل رحمه الله تعالى وقت العشاء ليلة الخميس الثاني من ربيع الأول ١٢٩٦ سنة ستة وتسعين ومائتين وألف من هجرة مَنْ له كمال العزِّ وتمام الشرف ﷺ ، ولم يكن له خليفة قائم مقامه ، وكان يقول : لم يصدر من مريدي مَنْ اطَّلع على اللوح المحفوظ ، وأستحيي من الله تعالى ورسوله وأوليائه أن آذن لمن لم يبلغ مقام ذلك .

وأما المدَّعون من مريديه بأنَّ لهم الإذن فكلُّهم كاذبون ، وعلى شيخهم يفترون ، وبلا إذن بعضهم يلقنون الذكر ؛ حفظنا الله تعالى من ذلك ؛ وعن أمثاله .

ودفن الشيخ في مقبرة قريته الروچية ؛ لأنه لم يكن يسافر إلى قرية أخرى ، وكان عمره كما أخبرنا به كثيرون من مريديه مائة سنة ، وعلى قبره من الفيوض والبركات ما يليق بمقامه ، وقد زرناه مرات ، ولعل الله تعالى يرزقنا الزيارة بعدُ كرَّات .

---

(١) أي مع مم دبير ، وقد جاورته سنين وتلمَّذت له مدة ، فما رأيت أحداً مثله في رعاية آداب السادات ، مع الذلة والانكسار ، مع لين الطبيعة ، وكان مستور الحال ، مصون السر قدس الله سره ، وطيَّب ثراه . (سيف الله المغبون النثبكري) .

❊ ومما أخبرني الثقة الأمين في حق ممَّ دبر الأرچي قدس سره ، أنه قال : كنتُ بواباً لقلعة دسزاك ناحية رسعور في زمن الإمام الأجل شمويل قدس سره ، وكان ---- مقفلاً مع إقامة الرقباء ، ففي نصف الليل من الزمان دق الباب بعنف فوثبنا إليها ونادينا من الداخل إلى الخارج : من أنت ؟ فأجاب : بأنه مم دبر ، فعرفنا من صوته وفتحنا الباب له ، وقلنا : أيها المبارك إلى أين ، وما الخبر في هذه الساعة التي ليس لنا لفتح الباب اختيار ، فقال : وصل الأمر الإلهي الساعة إليّ بوصولي إلى موت بَغَجْ بد العابد الطلزمي الغازي غمقي ، فقلنا إنه صحيح سالم ، فقال مم دبر : الأمر كما قلتُ ، فذهبنا معه إلى داره فوجدناه محتضراً فحمد الله المريض على وصوله ، ومات في تلك الساعة ، رحمهم الله رحمة واسعة واجعلنا في بركات عباد الله الصالحين آمين . (سيف الله النزبكري سامحه الله من فرطاته) .

وأما الشيخ الفاضل والفرد الواصل الشيخ حاج يوسف الخناوي السمبوري قدس سره العالي

فإنَّ خِنَاوْ قرية كبيرة من قرى ولاية سمبور منها إلى بلدة أَخْتِي مسافة يوم معتدل ، فإن الشيخ حاج يوسف كما أخبرنا رفيقه ضيفنا الحاج شيخ صوفي الجنيغي السمبوري لأنهما كانا مهاجرين عند شمويل . كان أورع أوانه ، وأفضل أحيانه ، ذا كرامات كثيرة ، وخوارق عجيبة ، وقد كان الشيخ أولاً هاجر إلى ولاية السلطنة العلية العثمانية ، فحين كان هناك أمره مشائخهم بذهابه لدى الشيخ جمال الدين الغموقي ، وأن كماله لديه ؛ فرجع منها ، ووصل إلى قرية خِنَاو ، فقام هناك مدة ، ففي ليلة وقت نومه ، ضربه الشيخ جمال الدين برجله ، وقال : إلى أيِّ وقت تقوم في قريتك ، وتنام في غفلتك ؟ ! العجل العجل العجل ! فقام من نومه فزعاً مرعوباً ، وارتحل من وطنه وسط ليلته ، ولم يكن على قدميه غير المكاعب التي لا يمكن معها إلا أقل مسافة ، فبتوفيق الله تعالى وبركات مشائخه مرَّ بالمكاعب من قريته حتى وصل لدى شيخه جمال الدين بلا تعب ، ومن قريته إلى مقام شيخه مثلاً مسافة ستة أيام وأكثر منها ، فلما وصل عنده تبسَّم الشيخ جمال الدين في وجهه ، وقال : هل قال مشائخ الديار العربستانية لك لا يكون للمشائخ الداغستانية كرامات وبصيرة ؟ ! فقال : نعم ! وقد كان قد قيل له ذلك قبلُ . وقال : هل تحقَّق قولهم ؟ ! وصار هذا كرامة من الشيخ جمال الدين أفندي ، واطَّلع على ما قالوه للشيخ حاج يوسف ، فدخل الحاج يوسف في تربيته ، وسلك في سلك سالكيه ، فربَّاه أحسن تربية ، وأكمله بإذن الله تعالى في أزمنة قليلة ، فتمَّ له السير والسلوك ، وحصل له الوصول إلى ملك الملوك . فحبَّذا ما له المقام التام ، وما له من الدرجات اهتمام ، وكان من نادرة الزمان في إدراك حقائق الأمور ، ودقائق العصور .

ومن بعض كراماته : ما أخبرنا به رفيقه المذكور الحاج شيخ صوفي أنهما كانا يمرَّان في واد دُلْتِ ، ووجدنا في طرف الطريق قبراً عتيقاً من قديم الزمان ، فقال الشيخ حاج يوسف : ما أكثر جرّ هذا الرجل المقبور الدخان القاحك المشهور ، وفي قبره دخان كثير غير مفتور ! فقلت له : كيف تعلمه ؟ فقال : لِمَ لا أعلم ؟ ألست ترى دخانه صاعداً من قبره ؟ ! وهل لا يجيء إليك ريح الدخان ؟ ! فقلت : لا .

فقال : إني أرى الدخان ، وأجد ريحه . حفظنا الله تعالى من جرِّه وريحه . آمين .

ومنها أيضاً : ما أخبرنا به حاج شيخ صوفي أنه مع حاج يوسف أفندي وبعض المهاجرين من ولاية شتَّى كنا ذاهبين إلى زيارة الشيخ أبي مسلم عبد الرحمن الشامي ، ثم الخنزخي ، المقبور في مقبرة عند بلدهم ، فوجدنا بيته التي بنيت على قبره قُفِّلت ، فلم نجد لدخول زيارته سبيلاً ، وإلى فتحه دليلاً ، فقال الشيخ حاج يوسف أفندي قدس سره : اصبروا ، نحن نفعل لكم العلاج للدخول إن شاء الله تعالى . فنظرنا إليه ، فذهب قرب باب زيارته ، وقال بنداء ضعيف ، وصوت نحيف : يا شيخ الولايات ، ويا وليَّ الكرامات ! نحن رجال جاؤوا من كل فجٍّ عميق ، وطُرق دقيق ، أليس لنا سبيل للدخول عليك ؟ ونريد الزيارة بالرؤية لقبرك لديك . فنظرنا فإذنْ أقفال بيته فُتحت ، ووقعت على الأرض ، وكذا الأبواب فتحت بلا فتَّاح إلا علاَّم الغيوب ، فقلنا : سبحان الله ! إن الله على كل شيء قدير . وقال الشيخ حاج يوسف أفندي : هذا من فضل ربنا ، وإنه على كل شيء شهيد .

وأمثال هذه كثيرة ، وأشباهها شهيرة ، لا نطيق كتبتها في الكتاب ، ولا نقدر تحريرها في الخطاب ، وليُكتف بما ذكر للتبرُّك رزقنا الله تعالى بركته وبركات أمثاله . آمين بفضله ورحمته .

استشهد حاج يوسف رحمه الله تعالى في قرية سَافُنْ چِي قرية من قرى ولاية چار ، فوق قرية چرداخ في أول محرَّم في سنة ١٢٧٦ ، وحُبس الإمام شمويل بعده بشهر في صفر من هذه السنة فوق شاهق غُنِبْ ، ووقع سرَّة الدنيا الأورية الداغستانية العليا وقراها في يد الكفار ، وانخرب الشريعة الصافية المطهَّرة في يد الفجَّار ، وبقي أحكام الشرع المتين كأيتام بلا والد .

ومن المعلوم المشهور أنه لم يصدر بعد الخليفة السادس من الخلفاء الراشدين المهديين وهو عمر بن عبد العزيز ﵁ ورزقنا من شفاعته حاكمٌ شرعيّ كامل سوى الإمام الأعظم الشيخ شمويل أفندي الكُمَثْراوِي ، ومناقبه لا تحصى ، ومكارم أخلاقه وشجاعته لا تستقصى ، وبعض أحوالاته وغزاواته مبيَّن في كتاب الشيخ محمد طاهر القراخي المسمى بـ« بارقة السيوف الداغستانية في بعض الغزوات الشاملية » فمن اطَّلع إليه يجد مناقبه وافياً وأفعاله كافياً . ومات محمد طاهر رحمه الله تعالى بعد صلاة الصبح ، وقت الضحى يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ذي الحجة في سنة ١٢٩٧ رحمه الله تعالى وإيانا .

وأما الشيخ العالم الربَّاني ، المرشد الفاضل الروحاني ، الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي الثغوري فهو إمام الهدى ، وغصيب الرَّدى ، الحافظ الكامل الألمعي ، الناصح العاقل أبو محمد الحاج عبد الرحمن أفندي كان عالماً ، عَلَمَ العلماء ، وراية الفقهاء ، وسيد الكرماء ، كهفاً للعباد ، وملجأ للبلاد ، ناصحاً لأهل الفساد ، عدوّاً للعناد ، فصيح اللسان ، غريب البيان ، مرشد الداغستان ، ولما حضر شيخ المشائخ كالجبال الشوامخ الشيخ جمال الدين أفندي إلى البلاد الجبلية ، والبلدان الشمويلية ، مهاجراً إلى الله ورسوله ، وتاركاً لأهالي المعصية ومرتكبيه ، تعلَّق الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي بأذياله حتى نال بمناليه ، وارتقى إلى أعلى المقامات ، ووصل لأرفع الدرجات ، ولكن كان ﵁ يتبع

الكشوفات ، ويطلب الكرامات ، وبذلك لاَمَهُ شيخه ببعض الملامات ، كما رأى خطّ شيخه به المؤلِّف الفقير ، والناعق الحقير ، وبسببه بقي في مقامه ، ولم يرتق بعد ذلك إلى أعلامه ، وهو وإن كان كذلك وصل إلى الأهالي الداغستانية والقرى الجبلية نفع كثير ، ودعاء وفير ، حتى سلك في سلكه العلماء الأعلام ، والفقهاء الكرام .

الشيخ حاج محمد العبودي

كالشيخ العالم بالعلم اللدنِّي والفهم الرباني ؛ عليم العلماء ، وسيد الكرماء ، وتاج الأصفياء ؛ الحاج محمد أفندي العبودي ؛ وصل رضي الله عنه إلى مقام ادَّعى به على القطبانية الكبرى ، والولاية العظمى ، وكان رضي الله تعالى عنه في اتباع السنة النبوية ، وانقياد الشريعة المطهَّرة ، وتكميل الطرق المحمدية ، وإحياء مندرسات الكمالات الأحمدية ، وإرشاد الخلق إلى الطريقة المصطفوية ، بحيث يعجز عنه كل عالم عامل ، ووليّ مرشد كامل ، فرضي الله عنه ورزقنا من بركات فيوضاته .

وكان رحمه الله تعالى أيضاً في إدراك حقائق القرآن الإلهية ، ودقائق الأسرار الحديثية ، وفتح الكشوفات الربانية ، بحيث يظن العلماء فضلاً عن الجهلاء أنه جنيد البغدادي وأبو يزيد البسطامي قدس سرهما ، فبسبب كونه على هذا المنوال الرفيع ، والمقام الرفيع ، لم يقم في الديار الداغستانية والبلدان الفسادية ، لعدم استطاعته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك بانعدام المعين له ، والناصر العضد له ، فهاجر إلى الديار العثمانية ، والبلدان الدولة العلية ، ولم يقبل مقامه هناك إلا في الحرمين الشريفين ، فتوطَّن في المدنية المنورة مدَّة ، ثم ارتحل منها إلى مكة المكرمة قائلاً : إني أريد أن أموت في مكة دون المدينة ، لأنها أفضل منها . فسكن في مكة ، ثم ارتحل إلى رحمة الله تعالى ، ودفن في المعَلاّ في ١٣٠٧ ألف وثلاثمائة وسبعة من الهجرة النبوية ، عليه أفضل الصلاة والتحية .

وكالشيخ العالم العابد ، الفاضل الراكع الساجد ، إلياس أفندي الزدقاري فإنه رحمه الله تعالى قد لازم لإذلال النفس والشيطان ، وإحياء القلب والأركان ، فوصل إلى ما وصل ، حتى أذن له الأستاذ الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي الثغوري ، وأرشد الخلق إلى طريق الحق في عدَّة سنين ، بحيث يرضى الله ورسوله وأولياؤه عنه ، ثم أرسله الكفار ، وطرَّده الفجَّار إلى ولاية صبير ، فكان هناك سنين ، وبسببه حصل له المقامات العلية ، والدرجات السنية ، لأن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم العلماء الأولياء ، ثم الأمثل والأمثل ، وحين رجع إلى أوطانه طرق عليه المنيَّة ، والآجال الخفية ، وانتقل إلى الله تعالى رحمه الله تعالى ، ورضي الله عنه في سنة ١٣١٢ ، ولم يكن الحاج عبد الرحمن أفندي مأذوناً متفقاً عليه إلا العبُوديّ(١)

---

(١) بل العبودي لم يتيقَّن عندنا أن الشيخ الثغوري أذن له ، ولقد أخبرنا العالم المتورع حجيو البقاچي أن العالم الكاتب محمد نبي وَلَدُ العالم شَهَوْ الأَنْصُخي قال له : إن رجلاً أخبره بأنه ذهب لدى الشيخ الثغوري مع رجل آخر لطلب الإذن لمحمد حجيو العبودي من طرفه ، فقالا له : نحن نطلب منك أن تأذن للعبودي للتلقين والإرشاد ، ولطلبه منك جئنا لديك ، فقال لهما : يا أولادي ! كيف أجيز له مع أنه ليس لي إذن(أي لأن آذن له ، لأن الخلافة أمر عظيم يتوقَّف على الإذن من الله تعالى ، فمن الرسول . . إلخ ، لا أن معناه ليس لي إذن بالكلية لإرشاد الخلق ، لما يشهد فساده العقل والنقل . فافهم !) ! فحين رجعا من عنده قال الرجل لصاحبه : نحن نقول للعبودي أنه أعطى له الإذن والإجازة . فقال : إني لا أقدر أن أكذب . فقال الرجل له : أنا أكذب ، وأما أنت فكن ساكتاً ؛ فكذب ذلك الرجل عنده ، وسكت صاحبه . فهذا كيفيَّة ما وقع في حق العبودي . انتهى . ومن المعلوم أن ذلك العالم المذكور الأنصُخي من تلامذة الشيخ العبودي لا يريد أن يقول فيه إلا ما كان حقّاً فافهم ! وأيضاً أخبرنا ذلك العالم حجيو البقاچي بأن الحاج محمد البقاچي الذي كان صاحب العبودي في سفر الهجرة قال : إن أحمد ضياء الدين قدس سره سلب حاله بالكلية . وسمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول بعين ما قاله محمد البقاچي (منه) .

وقال أيضاً : إني كنت مع العبودي في مجلس غوث الثقلين إسماعيل الچوخي ، فقال له الغوث : يا محمد حجيو ! إنك عالم وزاهد ، ولكنك لست بمرشد ! فقف قبالتي مع الاعتقاد لأتوجَّه إليك ، فوقف العبودي قبالته ، وتوجَّه إليه ، ولم يتأثَّر له=

والزدقاري[1] ، ولم نعلم هل خلَّفا أحداً مقامهما أو لا ! إلا المنازع الحاج فر محمد الخُشطادي بأنه مأذون العبودي ، والله يعلم حقيقة الحال ، وحقيَّة المقال .

وأما الحاج أوذن السلطي[2] ، والحاج محمد الككني ، والحاج حج موسى القكني الذي مات في سنة ١٣٢٨ في شهر ذي الحجة الحرام فلم

=بتوجُّهه بشيء ، ثم قال الغوث لواحد من الجلساء : اذهب إلى خارج البيت ، وخذ الحجر الذي هناك ، فجاء الحجر لديه ، فوضع قبالته ، فتوجَّه إلى الحجر ، ونحن ناظرون ، فصار الحجر كالغبار بأثر توجُّهه ، ثم قال الغوث : نحن أشد قسوة من هذا الحجر . انتهى . قال الحاج محمد البقاجي : إن الشيخ العبودي قد مات منذ شهرين من هذه الواقعة . انتهى .

والسلام من خادمكم الحقير المعلوم .

وسمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول إنه قال للعبودي : لم لا تلقِّن الذكر القلبي على قاعدة المشائخ النقشبندية ؟ ! فقال له : يا ولدي ! إن أناساً كثيراً يجيئون لدي ، ولا أطيق أن أتوجَّه إليهم ، فلو منعتهم بالكلية رجعوا آئسين ، ولو لقَّنت لهم الذكر الجهري يظنون أنهم صاروا مريدين ، ويكون ذلك سبباً للاجتناب عن المعاصي ؛ ولذا ألقِّن لهم الذكر الجهري . انتهى .

وسمعت شيخنا المذكور قدس سره يقول أيضاً : إن الشيخ العبودي قال له : ليس لي مريد في الداغستان إلا أربعة رجال . انتهى .

ومع هذا كان الشيخ العسلي رحمه الله يثني عليه ثناء كثيراً ، وكان يقول : إنه كان عالماً كبيراً . انتهى .

والسلام من الكاتب خادمكم الحقير القحي حسن أفندي رحم الله إفلاسه .

(١) وأما إلياس الزدقاري فقد أقرَّ في رسالته « سلَّم المريد » بأن الشيخ الثغوري أذن له ، ولم يكن معه أحد يشهده ، ولا يخفى أن الخلافة أمر عظيم لا تثبت بمثل هذا الخبر . فتدبره (منه) .

(٢) ومن عجيب ما قاله الشيخ السلطي هداه الله إلى سواء الطريق إذا قيل له : لِمَ لا تُلَقِّن الذكر الخفيَّ القلبيَّ للناس إن كنت شيخاً نقشبندياً ؟ إن تلقين الذكر القلبي لا يجوز إلا لمن له حضور تام ، فهذا القول من علامة الجهل المركَّب ، وقد يردُّه ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه : إن الحضور الدائمي لا يكون إلا للمنتهي . انتهى كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » . (قحي) .

وقد أخبرنا بعض العلماء المتورِّعين أن واحداً من العلماء قال له : إن الشيخ=

يكن في أيديهم ، ولم يوجد كاغذ الإجازة ، وإنهم يقرُّون بعدم الإجازة ، ولكن يلقِّنون الذكر للعوام الذين هم كالهوام ؛ الذين لا يعلمون تعريف المرشد الكامل ، ولا يطلبون حقيقة المفرد الواصل ، فضلُّوا وأضلُّوا ، ولولا علموا بأن مَنْ يلقّن الذكر للعوام بلا إذن من الشيخ أنه صنم معنوي ، ولقيط وولد الزنا ، وأتباعه أولاد الزنا ، ولم يعلموا .

وإن ديارنا الداغستانية بمثل هؤلاء المشائخ مملوءة ، وإذا نصحناهم بما في كتب الطريقة هم أهل محاربة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ هذا أكبر شرط من أشراط الساعة ، والله لايفسد هذا الدين إلا بفساد العلماء والأولياء ، ولا عيب على الجهلاء ، ولكن العيب الكبير بترك الأمر والنهي على العلماء ! فلنبك على انعدام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل العلماء والجهلاء الآن في حبِّ الدنيا وجمع حطامها خائضون ، والأولياء الجهلاء بدينهم يلعبون ، وكثير الأغنياء والأغبياء بأتباعهم يرقصون ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وفي ضلالتهم عن الله تعالى وطريقه باعدون ، وعن حضرة الله تعالى ورسوله وأوليائه مطردون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشيخ العالم محمد أفندي الثنى

والشيخ العالم الأعلم ، المتورع الحاذق الأكرم ؛ السيد الشجاع ، والفاضل المطاع ، الشيخ العالم محمد بن العالم سيِّدَوْ

=أُذَنْ السلطي قال له : إن الإذن والإجازة من الشيخ الثغوري لم يكن لأحد من الناس ، ولم يأذن له أيضاً في مدَّة كونه في دار الحياة ، بل قال : إنه قال له قبل موته بأيام : يا ولدي ! لم يحصل من مريدي ولو واحداً يأخذ عصاي ، لكنه قال : إن له إذن من روحانيته . انتهى .

وقد يردُّ هذا الكلام ما قاله الإمام المعصوم في مكتوباته : إن الخلافة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى (منه رحم الله إفلاسه) ؛ حسن أفندي القحي ؛ لا شعيب الباكني ! فتنبَّه .

الزني المكراطيّ ، فإنه - والله كما رأيته - كان عزيز الطباع ، ووسيع الباع ، في العلم والعمل ، وكريم الأخلاق في قصر الأمل ، وكان أستاذ والدنا الماجد في العلم .

كان شيخنا الوالد يقول كثيراً : لم أر من أساتيذي أكرم طبيعة وأضوأ طليعة من محمد بن سيدو ، وإذا كانا اجتمعا في المجلس كان مجلسهما خفياً عن الخلق ، وطويلاً في طلب عبادة الحق ، وكانا كجسدين وروحهما واحد ، وكانا أورعا الزمان ، وأكملا الأوان ، ولم يتلذَّذا لقمة من لذائذ الدنيا ، ولم يكن مطلوبهما في كل وقت إلا طلب المولى ، فللَّه درُّهما ، وإلى النعيم ردّهما . رزقنا الله تعالى من بركاتهما .

ومات محمد المذكور في المدينة المنورة بعد تمام حجه وعمرته ، ودفن في البقيع في سنة ١٢٩٣ .

وأما والدنا الشيخ مات في سنة ١٢٩٠ في قريتنا الباكنية . رحمهما الله تعالى .

الشيخ إبراهيم أفندي الشكني رحمه الله تعالى

والشيخ العالم العابد ، الناصح الفصيح الزاهد ، إمام العلماء ، وكريم الكرماء ، شيخي وسيدي وسندي ، والقائم مقام والدي ، الشيخ العالم إبراهيم أفندي بن نور محمد الشكني المكراطي ، والله الذي نفس هذا الفقير المسكين في يده ! إني كنت تلميذاً عنده سنتين وأكثر ، وقرأت أول كتاب « كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين » وكتاب « الفرائض » وغيره .

وكان إذا توجَّه نحو العلم يسبح كالسمك في البحر ، ويطير في أصعب مسائله كالطير في جوِّ القفر ، ويدخل في مشكلاته ، ويخوض في معضلاته .

وكان دأبه ﷺ إذا قرأ الدرس إرادة سؤال الطالب ، ويبغض إذا ترك السؤال ، وكان يحثُّ الطالبين للبحث .

وكان يقول : تكلَّموا في كل وقت بالعربية ، وتبحَّثوا في الفنون الأدبية .

وكان يقول : إني أعلم لكتاب « الجامي » و« المعان » لكل لفظ سبعة معان ، وكان أمهر العلماء فيهما في زمانه ، وأكمل الفصحاء في أوانه ، عاقلاً أديباً نبيلاً ، ولم أر ولم أعلم أحداً مّا من الأشخاص اجتمع فيه كمالة العلم والعقل معاً إلا هو ، فرحمه الله تعالى ورضي الله عنه وعنا . آمين .

مات رحمه الله تعالى في بِلْكَان في سنة ١٣٠٧ .

ومات في خريفه العالم الأعلم ، وزرقان العلماء الأكرم ، فصيح اللسان ، طريف الجنان حمزة المكقي[١] ، وكان العلماء الأعلام إذا رأوه بقوا كالأخرس .

وكان الوالد رحمه الله تعالى يقول : رأيت في بعض الكتب أن الحفظ والفهم لا يجتمعان في شخص ، وإني أرى أخانا العالم حمزة المكقي اجتمع فيه الفهم والحفظ . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى من أعاجيب الزمان في الفهم والحفظ ، وكان يقرأ من ظهر قلبه بغتة وفلتة ، مثل وَرِقٍ من « التحفة » و« النهاية » ، وكذا من غيرهما . فرحمه الله تعالى ، وعجائبه كثيرة ومناقبه غريبة لا نطيق كتبتها وفي كتابنا تعليقها .

---

(١) في شهر محرم سنة ١٣٠٨ . (هامش الأصل) .

مهم

وأما الشيخ الذي ظهر في زماننا في إسلام بول في ألما الآَن المسمَّى بشرف الدين إني أسمع من الثقات وتكلُّمات الرواة أنه يدَّعي القطبانية الكبرى ، والمقامات العليا ، وأنه أرفع مقاماً من الغوث الأعظم عبد القادر الجيلاني قدس سره النوراني وأنه يعلم ما كان من أول الدنيا ، وما يكون إلى انقراض الدنيا ، وهكذا يصرِّح هذا بما كتبه على « سلك العين » .

فمن أعجب العجائب ، وأغرب الغرائب كيف لا يعرف هذا المسكين مقام القطبانية الكبرى ؟ وكيف يكون حاله[1] وخفاؤه من أعين الناس ، وتعريفه وحدُّه ورسمه ؟ وكيف لا يستحي هذا الادِّعاء من العلماء الأولياء الذين يعلمون كيفية القطب الغوث ؟ ! إن كان لا يخاف من الله تعالى فالعجب عليه على هذا الادِّعاء أنه إن صدَّقه الجهلاء العلماء ! لا يؤمن به ولا يصدِّقه العلماء الأولياء ، ألم يسمع ما قاله المحقق والعالم المدقق شيخ الديار الداغستانية وأستاذ العلماء الجبلية محمد بن موسى القدقي رحمه الله تعالى : مَنْ تحلَّى بما ليس فيه يفضحه مجرّبات الزمان ، فها أنا مجرِّب الزمان ، وممتحن الأوان ، في حق المشائخ الحقيقية والدجاجلة المضلة ، كيف لا يطّلع حالي ولا يرسل أجوبة لسؤالي ؟ ! وأن الشيخ الكامل هناك الآن الشيخ موسى الأرفلي المهاجر ؛ القائم في بلدة بُغه . رزقنا الله تعالى بركته .

وأما المشائخ المحققون في المملكة الدولة العلية ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، فكلهم مخفيُّون ، وعن رؤية غير الأهل مستورون ، وكونهم حق صادق لا ريب فيه ، وسترهم لفساد الزمان كما قال العاشق الواله والوليّ الكامل عبد القادر الصفدي قدس سره :

يـكـفـي زمان لنا لم يأتي فيه نبي   والأولـيـاء اخـتـفوا وعظاً ليقظات

(١) قطب . (هامش الأصل) .

فراجعه وشرحه وحواشيه تجد ما قرَّرنا محقَّقاً، وكتبناه مبيَّناً مدقّقاً، وغيرهم من العلماء والجهلاء لا يعدُّ ولا يحصى، لأنه كان للعلوم والمعارف بحراً، ونصيحة الخلائق وإرشادهم دهراً.

مات الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي رحمه الله تعالى في بلدة غزانش في سنة ١٢٩٩، وسبب انتقاله في تلك البلد: أن الأمير الشجاع والإمام المطاع غازي محمد فشا ابن الشيخ شاميل أفندي الذي مات في سنة ١٣٢١ ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين قد أرسل الحاج عثمان الچاري ورفيقيه إلى ولاية داغستان برسائله بفعل المحاربة مع الكفار، والمقاتلة مع الفُجَّار، وإحياء الشريعة المندرسة، وإبداع السنة الأحمدية، فلما اطَّلع أهالي ولاية داغستان لرسائله، ووجدوا أمره بالغزوات، وأنه غاز مع بعض جنود الدولة العثمانية إلى الديار الداغستانية فرح أهاليها فرحاً شديداً، وابتدؤوا لفعل الشريعة في أواخر شهر شعبان المعظم من سنة ١٢٩٤، وكان رؤسائها وابتداؤها من قرية ثغراڇ[1] وطِلقْ، واجتمع معهم أكثر الأهالي الداغستانية ممَّن كان في قبضة الإمام شمويل أفندي، وزاد عليها ولاية غازي غمق وكُرَه وتفسران ودَرْكَ أقوشى وسمبور وغيرها، وكان سر عسكرها الشجاع الإمام الكامل الهمام السيد فتى علي بيك الغازي الغموقي البلدي، ثم لما لم يكن لهم مدَبِّر كامل ونية خالصة، وكان نية أكثر أهاليها الدنيا وحطامها، أخذ الله تعالى من أيديهم، واستشهد الشجاع فتى علي بيك في لَوَشَهْ في شهر رمضان من تلك السنة، وهرب أكثر أهل القرى إلى أوطانهم، ثم جاء عليهم بجنود عظيمة، وعساكر كثيرة، الملعون كُبِرْناطُور مَلكوف الذي كان في تميرخان شورَه مع منافقي الديار الداغستانية، وكان أكبرهم ممَّلو الچوخي وخرشل محمد الثغوري جَزَاهم الله بما يليق بهم وغيرهم لا يعدُّ ولا يحصى، وابتدأ المحاربة

(١) وكان الإمام لجميع الولايات حينئذ الحاج محمد بن الشيخ حاج عبد الرحمن أفندي قدس سره (منه).

على قرية زُدَقَارْ وخرَّبوها ، واستشهد منها كثير وهرب الباقون ، ثم جاء تلك العساكر الروسية إلى بلدة غازي غمق ، وتسلَّموا لهم ، ثم جاؤوا كقطع الليل المظلم على قرية ثغرالِ ، وجاء وقتئذ قبل هذا بأيام اكرَاف نچانيك خنزخ مع جنود عظيمة على قرية طِلْق ، فحاربوا عليهم قليلاً ، ثم انهزموا وهربوا أي : جَوادْخان مع أبيه مرتضى علي ، والحاج حمزة وغيرهم من أكابر طِلْق إلى ثغرالِ ، ووقع الحرب على قلعتها الكائنة في التلّ التي قبالة القرية الثغورية[1] ، وقاتلوا مع بعض المهاجرين في القلعة من أول النهار إلى نصف الليل ، ثم ضعفوا واستكانوا ، وخضعوا لعدوِّ الله وجنوده ، وجُرح الشجاع نور محمد الثغوري[2] ، وكان حينئذ رئيس المحاربة ومدبِّرها ، ثم وقع الفترة بين جماعة ثغور ، وهرب المهاجرون في نصف الليل بعد انقطاع الحرب ، وتسلَّموا لملكوف صبح تلك الليلة ، وربط وأخذ الملعون أكثر أهاليها ، وحملوهم إلى غونه ، فخنق بالحبل المعلوم في ميدان سلَن في شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٥ الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمن ، والعالم الأعلم عبد الحليم ، والزكي الفهم الأكرم حاج عبد الله ، وعمر بن رمضان الثغوريين ، ومرتضى علي ، والحاج حمزة مِن طِلْق ، والسيد الكامل عبد المجيد وزبير الغموقيان ، ونِكَ قَدِ الزدقاري في يوم واحد في ساعتين ، وصار كلهم شهداء وأرسل غيرهم ممن ثبت عليهم التقصير إلى صبير .

العالم الأعلم حجيو الهنوخي

ومن أرسل إليها :

عالم العلماء وفاضل الكرماء الشجاع الهمام نائب الإمام شمويل أفندي وقت ولايته صاحب الورع والتقوى ، ومدرِّس الفنون والعلوم وفي

---

(١) المبنية في زمن شمويل .

(٢) وكذا جواد خان الطلقي ، ومات هناك (منه) .

المصائب العظيمة عديم الشكوى ، الصابر في الحروب والبلوى ، الحاج حجيو بن الحاج دبير الهنوخي القراخي ، رحمهما الله تعالى وإيانا .

وقال شيخنا الوالد : إن الحاج حجيو المذكور كان بارعاً في العلوم كلها ، وفائقاً في الفنون جلِّها ، وكان أستاذه فيها ، والله لم أرَ أحداً راض النفس منه ، وأنه كان خادم الشريعة ، وعبد الطريقة .

وكان يأخذ معه في كل وقت كتاب الوليِّ العارف عبد الوهاب الشعراني « لطائف المنن الكبرى » ، وكان عاملاً بما فيه حسب طاقته في السر والنجوى ، وكان كل أقرانه من العلماء ونوائب الإمام شمويل أفندي عاجزين عن وقوفهم عنده عند المحاربة العظيمة ، والمقاتلة الكبيرة ، وكانوا مقرُّون بذلك اتفاقاً ، ولم يبقَ من نواب الإمام شمويل إلاّ وَصَل منهم خيانة له ، وخداعة لديه ، غير حجيو المذكور ، وزكريا الچوخي وقت حبسه[1] على شاهق غُنِبْ .

والعالم الذكي المتوقِّد ، وعند أقرانه المفرد المذكِّر المتوحِّد أبو بكر الثلدي القراخي .

وعالم الزمان وكامل الأوان ، خاصة في الفنون العربية ، والعلوم الآلية ، مرزا المحمد الطلقي .

والعاقل الفاهم في العلوم الدائم ، صاحب حلِّ مشكلات العلوم ومعضلات الكتب ، شافع بن العالم المرحوم الشهيد بيد الفُسَّاق في ١٢٧٩ محمد بن قربان البژدي رحمهم الله تعالى ، وهؤلاء ماتوا وقت وصولهم في المملكة الروسية قبل ذهاب وقتهم لكونهم هناك في ١٢٩٥ ، رحمهم الله تعالى ، ورزقنا من بركاتهم وشفاعتهم آمين .

---

(١) وقبله أيضاً . (منه) .

وغيرهم من شمس الدين الغموقي المدقِّق المحقِّق الذي هو من أفاضل تلاميذ العلامة مفتي الإمام شمويل مرتضى علي العرادي الذي مات في ١٢٨٢ من العقلاء والكرماء زبدة الرجال الداغستانيين ، حتى وصل عددهم وعدد الذراري والعيال الذين أرسلوا معهم إلى صبير عشرة آلاف ، والذين أرسلوا إلى صبير والذين استشهدوا في القتال قد وصل عددهم تخميناً إلى خمسة عشر ألفاً ، ولم يبقَ في داغستان بسبب تلك الفتنة العظيمة ، والبلية الكبيرة ؛ عالم ورع ، وفاضل متورِّع ، إلا الذين هم كالحيوان والبهائم .

ولكن إن أهالي داغستان لما كانوا أصحاب غيرة في الدين ، وشجاعة ومروءة ورجولية ، قد لازموا العلوم ، وتدرَّسوا الفنون ، حتى صار لهم علماء كالعلماء الذاهبين إلى صبير .

وأما الآن فقد قصد الكفار الملاعين لتخريب العلوم ، وتهديم الفنون ، لأن الدين الإسلام إنما يهدم بذلك ، وقد علموا ذلك ، وابتدؤوا لبناء الصوامع لقراءة علومهم الشيطانية ، وكتبهم الإبليسية ، وصار أهل ضعف الإيمان مائلين إليهم ، ومنتظرين لهم ، قائلين إن المال لا يحصل بقراءة العلوم الدينية ، وإنما يحصل بقراءة الروس في إچْكُول ، فانظروا هل يكون وهل يبقى إيمان هذا القائل ؟

ونحن إن شاء الله تعالى على قصد بناء المدارس في الأماكن المتعدِّدة والبلدان الكبيرة لقراءة العلوم ، ولعل الله تعالى يكون معيناً لنا وناصراً ، وهو المستعان ، وعليه التكلان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولم يبقَ لنا معين إلا هو الله الواحد القهار .

ولعلَّ الله يقرأ على الكفار والأعداء الفجار ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . اللهم فرِّق جمعهم ، وشتِّت شملهم ، وسلِّط عليهم عدوّاً يهلكهم إلى آخرهم كما سلطت عليهم قبلُ سلطان يافونيا إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

وأما الشيخ المرشد الحاج عبد الرحمن أفندي حين أرسل إلى صبير ووصل إلى تمرخان شوره سأله عبد القاهر الغزانشي العليا : مَنْ ملكوفَ ؟ وقال : ما تريد ؟ وما تفعل بهذا الشيخ الهرم بإرساله إلى صبير ؟ ! فهَبْه لي فإني أحفظه عن كل ما لا تريده ولا يليق بكم ، وإني ضامن له . فوهبه له .

وكان الشيخ عند عبد القاهر معظَّماً محترماً سنين ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٢٩٩ ، ودفن هناك أي غزانش .

وأما أبناؤه الآخرون ، وهم : العالم العالي ، حائز رتب المجد والمعالي ، سيد العلماء ، وأزكى الفقهاء ؛ المهاجر الحاج محمد أفندي .

وسيد الكاملين ، ورئيس المدرِّسين العالم العلي أحمد دِبر أفندي .

فإنَّ حاج محمد قد كان قصد لرجوعه إلى الوطن إلى أبيه ، وحين كان على هذا القصد ؛ مرض في كاوُراضمير بلدٌ مشهور في الدولة العلية العثمانية ، وكذا مرض أحمد دِبر في بلكان بلد مشهور في ولاية چار ، ثم مات الحاج محمد فيها ، ومات أحمد في بلكان ، وموت الحاج محمد أفندي تقدَّم على موت أحمد بثلاثة أشهر .

ولما وصل كاغذ الحاج محمد بموته مات أحمد في بلكان ، وذهب كاغذاهما معاً إلى الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي ، فصبر على ذلك ، بحيث يعجب عليه العلماء ، وكل العقلاء .

وكان رضي الله عنه يُصبِّر لمن كان يبكي من أقربائه وأهل قريته ، ولمن جاء للتعزية من إخوانه وأصدقائه ، مع كون مثل موت هؤلاء بلية عظيمة ، ومصيبة جسيمة ، ومن المعلوم أن موت العالم موت العالم ، وماتا في ١٢٨٦ رحمهما الله ، ورزقنا من بركاتهما .

ودفن العالم أحمد عند العالم الكامل والشجاع الباسل الحاج إبراهيم بن أحمد الحروخي ، الذي مات في ١٢٥٦ ، ودفن في مقبرتهم المشهورة الكبيرة .

وأما الشيخ العالي في استغراق نور ربِّه ، الفاني الشيخ محمد الهخالي قدس سره الغالي : فهو الإمام الواصل ، والمرشد الكامل محمد أفندي ، والهخال بضم الهاء والخاء المعجمة اسم قطعة سفلية من بلدة غازي غمق ، فإنه رضي الله عنه كان سيَّاحاً في مدن الإمام الشيخ شاميل ، وناصحاً لهم ، وأهلاً لقبول الموعظة وإيقاع المصلحة ، وكان عارفاً في العلوم العربية ، وماهراً في الفنون الأدبية ، ملازماً لكمالات الطريقة ، ومجتهداً لارتقاء أعالي الحقيقة .

وكان رحمه الله تعالى في كل وقت على طريق رياضة النفس ، حتى جاءه الأجل ، وكان مهاجراً من وطنه إلى ديار ولاية الشيخ شمويل مع شيخه جمال الدين ؛ لكون أهله ووطنه في قبضة الكفار ، وتولية الفجار .

ولقد حكى لي ضيفنا الكريم الحاج شيخ صوفي الذي كان مهاجراً في قرية ژورِب تسع سنين ، أن الشيخ الشهير ، والبدر المنير الشيخ محمد الهخالي قال لامرأته الثغورية : إني أريد أن أسكن في الرياضة والخلوة مدَّة أربعين يوماً ، وإني أريد أن أشتري كيلاً من سلْتٍ لكونه نفقة لي لتلك المدة . فقالت : إني أبيع لك كيل السلت ، ولا تذهب للأغيار . فباعت له كيل السلت بقروش ، ثم نشرته في الشمس فوق سطح دارها ليُبْسه ولكون سويقه أجود ، فلما يَبِستْ قالت امرأته : إني هيَّأت لك نفقتك ؛ فدونكها . فحضر إلى البيت ، ونظر إلى كيل سلته ، فقال : إنا لله ! لم يفد لي هذا الكيل . فقالت : لِمَ ؟ قال : حين نشرته في الشمس نظر إليه امرأة لا تصلِّي ، ووقع بصرها عليه ، ولا يمكن أن آكل ما وقع عليه بصر رجل أو امرأة لا يصلِّي ، فهذا الكيل والقروش الذي سلَّمتُ لكِ فهما لكِ ،

ولا أحتاج إليك . ودخل في رياضته بلا قوت ونفقة ، مع رفيقه العارف بالله الشيخ يوسف الخناوي المذكور ، فلما توسَّط أمرهما في الرياضة جاء السردار الكبير بجنود عظيمة ؛ لا قبل لأحد لها ؛ على الإمام شاميل أفندي على دَرْغ ، فبوصول الآفة من « درغ » من تلك الجنود الخبيثة ؛ لم يقدرا لوقوفهما في رياضتهما[1] ، وخرجا من الرياضة ، وارتحلا إلى « درغ » للجهاد ، فبعد ذلك كان ما كان ؛ فانظر إلى تورُّع العالمين الكريمين ، وطهارة طبائعهما ، وكمالة رياضتهما ، سبحان الله تعالى ! إن هذا لشيءٌ عجاب ، وكرامات الأولياء حق ، ووجب كونها حقّاً ، اللهم ارزقنا بركتهما وبركة أمثالهما .

مهم

وقبل هذا بأربع سنين كنت ذهبت إلى قرية « شِتْلي » من قرى عندلال عند بلدة ثغور ؛ وهي قبيلة منها ، متفرِّقة عنها ودخل في سلكنا حينئذ الشيخ الهرم العالم الشيخ شمخال دبير الشتلي ، فقلت له : يا شمخال ! إني أراك قد بقيت إلى الآن بلا أستاذ ، ولا لأحدٍ بمريد ؛ مع أن في أقرب بلادك ، وأدنى أقرانك كان الشيخ الشهير والعالم النحرير الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري مرشداً للأنام ، وهادياً للعوام ! كيف تأخرت بلا انقياد له ، حتى صرت شيخاً هرماً بلا استسلام له ؟ !

فأجاب لي ، وقال : يا ولدي ! ويا شيخي وأستاذي وقرة عيني ! بسبب تأخُّري حكاية عجيبة ، وقصة غريبة ، وهي أني كنت ذهبت إلى بلدة الإمام شمويل أفندي « دَرْغ » ، حيث كان هناك أميراً على الولايات الأوارية ، وحاكماً شرعياً على البلدان الداغستانية ، ووجدتُ عنده قطب الإرشاد ، وغوث الإمداد ، شيخ المشائخ : الشيخ جمال الدين أفندي ، وجماعة كثيرة حوله في بيت أمير المؤمنين الشيخ شمويل ، من العلماء

(١) في قرية ثغراڤ . (منه) .

الأعيان ، والوكلاء الأعوان ، فجاء بعض مريدي الشيخ من القرى البعيدة لديه - أي الشيخ جمال الدين أفندي - ، وكان عنده حينئذ في ذلك المجلس الشيخ الحاج عبد الرحمن ، وقال الشيخ جمال الدين أفندي لهم : يا أولادي وإخواني ؛ قد طال مسافة بيني وبينكم ، وكثرت الطرق والجبال بيني وبينكم ؛ فإني الآن أرى الآن لكم مصلحة أن تذهبوا حين أردتم زيارتي إلى الشيخين المتروكين عندكم وفي قربكم ؛ الشيخ ممّ دبير الرّوچي ، والشيخ محمد الهخالي قدس سرهما ، فإنكم تجدون عندهما ما تجدون عندي ؛ فمن أطاعني فليطعهما ، ومن أرادني وأحبَّني فليردهما وليحبَّهما ، فإني أقمتهما مقامي في ليلي ونهاري ، وقعودي وقيامي ، ومن اتَّبعهما وانقاد لهما يجد عندهما ما يجد عند أبي يزيد البسطامي ، والشيخ جنيد البغدادي قدس سرهما ، ولم يقل الشيخ جمال الدين أفندي ، ولم يذكر مع الشيخين ممّ دبير ومحمد الهخالي مَنْ كان عنده وفي مجلسه الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي الثغوري ، وحينئذ تغيَّر لونه ، وارتعد أعضاؤه ، ولأجل ذلك يا ولدي الشيخ شعيب أفندي لم أذهب لتلقين الأوراد عند الشيخ الحاج عبد الرحمن ، وتأخَّرت بسبب تكاسلي عن ذهابي لدى الشيخ ممّ دبير ، وفات عني الشيخ محمد الهخالي بلا طول زمان . انتهى ما قاله الشيخ الهرم العالم شمخال الشتليّ .

فقلت له : يا أبي الشيخ شمخال دبير ، أحقٌّ ما يقول الناس أنه لما أراد الشيخ جمال الدين أن يقوم إماماً يوم الجمعة لصلاة الجمعة في « درغ » في ولاية أمير المؤمنين شمويل أفندي جرّه الحاج عبد الرحمن أفندي إلى الخلف ، وقال : تأخَّر إنك لا يجوز لك أن تقوم إماماً لي وإني عالم وحافظٌ ، وفلان وفلان ، إلى آخر ما قال ، فتأخَّر الشيخ جمال الدين ، وأراد قطع النظر عنه وإخراجه عن سلْكه ، ولكن بصبره وكثرة حلمه تركه في ذلك المقام ، وقطع سلكه عنه[1] ، وأخرجه

---

(١) بعده . (هامش الأصل) .

من بين إخوانه ؟ ! فقال : يا ولدي[(١)] هو حق صادق ، وصدر تلك القصة ، ولكن لم تصدر في مجلسي ، وأخبرني بذلك مَنْ كان في ذلك المجلس . انتهى .

ومما يقوِّي هذه الحكاية : ما أخبرني به شيخنا وسيدنا الحاج أحمد أفندي التلالي قدس سره العالي أنه قال لي يوماً : هل تعلم حال ومقام محمد حجيو الككني المهاجر الكائن في اَلْمَاأَلاَن الآن ؟ ! فقلت : لا أعلم . فقال رحمه الله تعالى : إن مشائخ الديار الدولة العلية لا يسلِّمون ولايته ولا مشيخته . فقلت : لِمَ ؟ فقال : لأنهم يقولون له أن سلسلته لم تتصل بشيخ مرشد كامل ، وليس له سلسلة . فقصصت له القصة المذكورة ، فتبسَّم وضحك رحمه الله تعالى وقال : سبحان الله تعالى ! يا ولدي شعيب أفندي ؛ إن انقطاع سلسلته من الشيخ جمال الدين بسببه ، وله عِلَل أخرى ، وأي انقطاع أكبر من هذا ؟ ! فتحيَّرت وقلت : يا شيخي حاج أحمد أفندي ! إن محمد حجيو يدَّعي الولاية الكبرى ، فكيف يمكن له ذلك ! فقال : ستعرف وترى غبَّه وعاقبته . ولله الحمد ؛ رأينا عاقبته ، وسمعنا الآن وقبله حاله وحال مريده ومأذونه الذي مرَّ ادِّعاؤه وذكره ؛ والله إن شاء الله تعالى لا يكون لمن ليس له سلسلة متصلة إلى رسول الله ﷺ ، إلا الخسارة في آخره ، والخيبة في عاقبته ، ويختلط الشيطان في فكره ، ويخبط المريد والشيخ في فعله ، ولا يصل إلى مقامه ، ولا يقرب إلى ربه - ولو عبد عبادة الثقلين - ، ولا يحصل له إلا مطاعم الجنة الأخروية ، وملاذ دار الجلال المدَّخرة ، ومن المعلوم أن المطاعم

---

(١) وسمعت شيخنا المرحوم الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره يحكي هذه القصة بعينها ، ولكن الشيخ إلياس الزدقاري ذكر في « سلَّم المريد » أن الشيخ محمداً اليراغي أذن للشيخ عبد الرحمن الثغوري ، ولم يذكر أن الشيخ جمال الدين أذن له . والله أعلم . (حسن حلمي) . اللهم وإن كان مجازاً منه لكنه لم يمش على ما مشى عليه محمد اليراغي ، وغيَّر الأصول ، ومَنْ غيَّر الأصول ، فليس منهم . كما قال بذلك سيد الطائفة خالد قدس سره (منه حسن حلمي القحي) .

والمآكل والمشارب لا يعتبرها عابد ناسك ، إلا مريد هالك ، فضلاً عن أكابر الأولياء ، وأماثل النجباء ؛ فإنهم لا يعبأون إلا وجهه جلَّ جلاله ، ولا يريدون إلا قربَه ورضاه .

ومن المعلوم أن الصلاة لا تصحُّ إلا بوضوء ، والقربة لا تكون إلا بمرشد كامل اتصل نسبه برسول الله ﷺ ، إلا من جذبه الله إليه بالعناية الأزلية ، والإرادة الربانية ، وذلك نادر في السلف الصالحين ، وكيف في الخلف الفاسقين ؛ الذين أيامهم اتصلت بيوم القيامة ، واختلطت أشراطها بأحيان الطامة .

وبكثرة المشائخ المدّعين تهلك الدنيا ، وغلبة فسق العلماء ينهدم دين الإسلام .

وما أحسن ما قيل :

فسادٌ كبير عالم متهتك وأكبر منه جاهل متنسِّك
هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسَّك

ولنرجع إلى ما نحن فيه ، ولقد كان الشيخ محمد الهخالي ، كما أخبرنا به مَنْ رآه في نصيحة الخلق بلا غاية ، وإرشادهم بلا نهاية ، ولقد أرسله أمير المؤمنين الشيخ شمويل أفندي ، حين خاف عليه وعلى ولايته من ولاية الكفار للنصيحة إلى القرى والبلدان ، ونصح للعوام والأعيان ، فأخذها أقلُّهم ، ورماها أكثرهم .

وكان الشيخ جمال الدين أفندي قال للشيخ شمويل قبل خراب داغستان بسنة : إن هذا الداغستان يقع في يد الدولة الروسية . وقال الشيخ شمويل أفندي : ندعو الله ونتضرَّع ، ولعلَّ الله تعالى يدفع عنَّا ذلك الأمر العظيم الذي لا نقدر تحمُّله . فقال له الشيخ جمال الدين : لا بُدَّ من ذلك أنَّه قد صعد دعاء المظلومين إلى فوق العرش فأجاب الله تعالى له ، ووقع الحجاب بين الله تعالى وبين دعائنا في هذا الأمر ، فكان الأمر كما

قال الشيخ جمال الدين قدس سره ، وصعود دعاء المظلومين إلى العرش سببه أنه كان أكثر وزراء أمير المؤمنين الشيخ شمويل أفندي ووكلائه في آخره ، وخاصة محرِّره الچركادي ، ومديروه ونوَّابه وقضاته خانوا في أحكام الشريعة وإدارة الأمور الإسلامية ، وظلموا الخلق الذي حولهم الذين في يد الدولة الروسية ؛ الذين هم ضعفاء لا يطيقون الهجرة والنصرة لهم ، باختلاسهم ونسائهم وذراريهم ، وبيعهم ، مع أن اختلاس الأحرار وبيعهم لأنفسهم حرام ، وأكلهم أموالهم وأموال غيرهم ممَّن كانوا في ولايتهم ، وغيرها من المفاسد التي لا تحصى ، وحقَّ فيهم مضمون قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ .

ومعنى الحديث القدسي « إذا عصاني مَنْ يعرفني أسلِّط عليه مَنْ لا يعرفني » .

وأما الشيخ شاميل في أول أمره فقد كان في نظام في أمره ، وطهارة في شريعته وإدارة أحكامه ، وكذا كان وزراؤه ووكلاؤه وأمراؤه ، فحين كانوا كذلك كانوا قد فتحوا بتوفيق الله تعالى اثني عشر قلعة من قلاع الكفار التي كانت في ولايته .

وأما في الآخر فصار أحوالهم على عكس أحوالهم في الأول ، فقلَّب الله تعالى عليهم الأمور ، وانعكس التوفيق بالخذلان ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ .

وقال بعض مَنْ كان في مجلس الشيخ شمويل أنه تكلَّم يوماً وقال : إنه كان يعلم من كل مَنْ رآه أن هذا من أهل الجنة ، وهذا من أهل النار ، وأما الآن فلا أعرفه . وإذا كان آخر أمر الشيخ شمويل أفندي جاء السردار الأعظم بجنود عظيمة التي لا قِبَل لأحدٍ بها ، وحارب على قريته الدرغيّة مدَّة شهر ، بحيث كان يرمي إلى الباب الأعظم في القلعة الدرغية مائة مدفع دفعة ، وكذلك إلى غيره ، وكان يظن الرائي لذلك

المكان أنه قد قامت القيامة في هذا المكان ، فخرج الشيخ شمويل مع جنوده وذراريه من الديار الدرغية ، وصعد إلى ولاية « عَنْدِ » ، ثم هرب منه إلى شاهق غُنب ، ثم أمره هناك ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ ولعل الله تعالى يفتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين .

والآن حان أن نقول : ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ والظلمة لا يهلكون إلا وقت كثرة ظلمهم على رعاياهم ، والآن قد كثر ظلم الأعادي ، وظلم الصحاري والبوادي ، من غلبة الكفار ، ومنافقي الفجار ، وامتلأ المدن بهم والبلدان ، حتى لا يسعهم القرى والميدان ، الله الله الله أنت وليُّنا لا وليَّ لنا غيرك ، وأنت وكيلنا لا وكيل لنا سواك ، وأنت تعلم ما في قلوبهم من تبديل دينك القويم ، وتغيير صراطك المستقيم ، فإن حفظته فأنت أولى به ، وإن تركته فمن يتولاه ؟ ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . يا ويلنا وكيف حالنا مع كوننا في آخر الزمان في هذه السنة ١٣٢٩ ! ! اللهم إذا أردت بقوم سوءً وفتنة ؛ أخرجني مع أهلي منهم ، واقبضني إليك ونحن غير مفتون ، وأنت على كل شيء قدير ، وحفيظ ومجيب لكل مضطر .

بشارة عظيمة يحققها الله تعالى إن شاء الله تعالى حكانيها ضيفنا العاقل الطريف ، والشجاع البطل المنيف ؛ الحاج شيخ صوفي الجنيغي رحمه الله تعالى أنه قال : حين كنت مهاجراً في ولاية داغستان الشمويلية ، كان كثير دوراني ، وغالب سيراني ؛ مع الشجاع الهمام ، والبطل الإمام ، ثمرة قلب أمير المؤمنين ، وسيد الموحِّدين ؛ ابن الشيخ الغازي شمويل أفندي الراضي غازي محمد ، ولم يكن شيءٌ مّا له مستوراً مني ، حتى تدبيرات نكاحه وطلاقه ! وكنا كالأخوين الشقيقين والصديقين ، ثم في ١٣١٨ لما ذهبت لزيارة بيت الله الحرام ، ورؤية روضة سيد الأنام ، وصلت بعد إتمام حجي وعمرتي إلى المدينة المنوَّرة ، وحضرة الرسول

المطهَّرة ، ودخلت المسجد النبوي والحرم المحمدي ﷺ ، وجدت هناك صديقي القديم ، وروح جسدي الحليم ، غازي محمد فشا . فقلت له : أتعرفني ؟ ! فقال : لا . فقلت : كيف لا تعرفني وأنا أخوك وصديقك شيخ صوفي ؟ ! فقام واعتنق بي ورحَّب بي وبكى بكاء كثيراً من تزكُّر الأحوال التي كان بيني وبينه ، وحملني إلى بيته وحدي ، وسألني عن أحوال ولاية داغستان ، ورجالهم الذين كان يعلمهم فرداً فرداً ، فأخبرتهم بما أعلم ؛ فقلت : أما أحوال داغستان فخرابة ، وأفعالهم فخبيثة ، وقبائح أعمالهم فكثيرة ، وكفارهم ومنافقوهم فغالبة ، وقد ملأ أوديتها بظلمة العادات ، وكثرة المنكرات ، وقلة العبادات ، وترك الشرائع ، وغلبة البدائع ؛ حبُّهم مع الكفَّار ، إلا من عصمه الله الغفَّار ، وقد ملئت بالفجار . فقال رضي الله عنه : هل وضعوا الخراج على أوقاف المسجد ؟ ! قلت : نعم . فقال : الحمد لله ؛ إن شاء الله تعالى قرب وقت انجلائهم ، وتخريب مَنارهم . فقلت له : كيف تعلم ذلك ؟ ! فقال : إن شيخي ووالدي الشيخ أمير المؤمنين شمويل أفندي قد كان أوصاني بثلاثة أشياء ، وقد خرج وتحقَّق شيئان ، وَوُجدا ، وأظنّ وأعلم أنّ ما قلت لك وقصصْتُ إليك هو الثالث من الثلاثة ، وكما ظهرا كما قال ، يظهر هذا بلا ريب إن شاء الله تعالى . انتهى حكايته .

قلت : ما قاله الإمام الأعظم الشيخ شمويل الأكرم سرّ تحقُّقه ووجوده في الخارج إن شاء الله تعالى أنّ ملكَ شخص إذا وَقفهُ وقفاً عامًّا خرج ذلك الملك من تملُّكه ، ولا يبقى تملُّكه إلاّ بيد الله تعالى ؛ وإن كان الانتفاع بيد الموقوف له ، كما في الكتب الشرعيّة . فالآن إذا وضع سلطانٌ خراجاً على الموقوف - وخاصّة على موقوف المسجد - كأنّه ادّعى الرّبوبيّة ، وقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ كما قاله اللّعين فرعون ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ فيأخذ هذا إن شاء الله تعالى .

وأما الشيخ المنير ، والحبر العالم النحرير حج خليل أفندي الجنيغي السمبوريّ قدّس سرّه السّاري .

ولد ﵁ في ١٢٣٧ ونشأ نشأة لطيفة ، وقرأ العلوم الدينية حتى وصل وارتقى إلى تفنين الفنون اللّدنية .

كان ﵁ شديد الأعضاء ، كثير الإغضاء عن جميع الأشياء ، سوى ربِّه ذي العزة والكبرياء ، وعمّر وكبر في حدود قريته الجنيغيّة والكلوكيّة .

ثم لما اشتد شوكة الإمام شمويل أفندي في الدّيار الداغستانية لإعلام الكلمات الربّانية ، وتجديد الرسوم الإسلامية ، وتحديد الحدود الشرعية المطهّرة بعد اندراسها ، وتكميل الأحكام الإيمانية بعد انخرابها ، لأنّ ولاة الداغستان قبل ولاية شمويل والإمامين الأكرمين غازي محمد الشهيد ، وحمزة الشريد الشهيد ، كانوا أهلاً اعتادوا رسماً شيطانياً ، وكُتباً عادياً ، وكانوا يعملون في كل وقت بالرسم لا بالشرع ، ولا يستمعون إلى وعظ العلماء ونصيحة الخطباء ، وكانوا دائمين على هذا الحال الفظيع ، والأمر الشنيع ، قائمون على أمر العرفاء الجهلاء ، الذين ليس فيهم رائحة من العلم والمعرفة الذين هم أهل النار بنصِّ الحديث والقرآن ، ترك[1] . الشيخ الحاج خليل أفندي الجنيغي وطنَه ، لأنه في ولاية ودولة الروس ، وهاجر مع الأمير دانيال سلطان الإيلِيسويّ مع الأهل والعيال في ١٢٦٠ ، ووصلوا إلى الحضرة الشمويليّة ، والبلدان الشرعية ، ونزلا في قرى « قَرَلَل » ، ثم بعد مدَّة وُلِّي دانيال سلطان مديراً في قرية « عِرِب » ومدبِّراً لمن حواليها من القرى والبلدان على النّواب الأربعة : نائب « قصّر » و« قَرَلَلْ » و« مكراط » و« رسعور » .

وأما حاج خليل أفندي بقي في قرية هچده - قرية من قرى قرَلَلْ ، ودخل في سلك الإخوان للشيخ جمال الدين ، وراض في القُلَّة التي في طرف الوادي هناك - كما رأيتُه - وقال كلُّ أهاليهم : إن هذه القُلَّة مكان رياضة الشيخ حاج خليل أفندي ، ومقام وصُوله .

---

(١) جواب لما .

ثم لما خرج من رياضته ، خرج كاملاً ، وكان دخل كاملاً ، وانفتح قلبه ، ونار لبُّه ، وكان في أيِّ قبر تفكّر يعرف مَنْ فيه وحاله .

وكشَفَ لأهل تلك القرية مكاناً خراباً ليس فيه أثر القبر ، وقال : في هذا المكان قبر رجل صالح لا تواطئوا عليه . ففتَّشوا ؛ فوجدوا الأمر كذلك . ثم اجتهد وارتاض نفسه ، وانقادت له وأطاعت ، بحيث صارت نفسه الأمَّارة مطمئنَّة ، وراضية مرضيَّة ، لا تأمره إلاّ بخير ، كما كانت تأمره من قبل بشرٍّ ، ووصل إلى مقام الكمال والإكمال ، بحيث لا يمكن بيانه إلاّ بالإجمال ، فسلَّم إليه أستاذه الشيخ جمال الدين أفندي أفندي رسالة الإجازة ، وكتاب الكمالة ، وصار من المرشدين الكاملين ، والمشائخ الواصلين ، ثم اجتهد الشيخ حاج خليل أفندي بعد ذلك لتكميل المقامات ، وتجميل المراقبات ، ثم أجاز الشيخ جمال الدين إجازة تامَّة ثانياً لتجديد الإجازة الأولى ، وكانتا مكتوبتين بخط الشيخ جمال الدين نفسه ، كما رأى هذا المؤلِّف الفقير ، والمصنف الحقير تيْنِكَ الإجازتين بين كتب الحاج خليل أفندي .

وكان الشيخ حاج خليل أفندي خمول النفس ، ستور الجسم ، حتى كان وجهه محجوباً عن الناس بالحجاب لئلا يرى ما لا يليق ، ولئلا يقع بصره من المحرّمات ما لا يجوز ؛ وخاصّة من الكفار ، ومن رؤية أهل مودّع الفجار ؛ لأنه كان شديد العداوة لهم ، وكثير التجنُّب منهم ، ولأجل ذلك دسَّ من طرفه بعض مُعانديه ، وقال : إن الحاج خليل الجنيغي قد لبس الخرقة على وجهه ، وأرخى الحجاب على جمسه ، لئلا يرى النائب والنچانيك فنادوه قبالتهم ، وقالوا : يا أيها المريد الشيخ - قاصدين استهزاءه - ما هذا الحجاب الكائن على وجهك ؟ ! وهل يجوز كونه على وجوه رجال دينكم ؛ إلا على وجوه النساء ؟ فإنّا قد سمعنا أنك قد جعلت الحجاب على وجهك حذراً من رؤيتك إيَّانا ، فإنَّا نرسلك إلى ولاية الروس لكي ترى كثيراً مما كانوا هنا . فقال : إنّ الناس قد دسّوا

إليكم ؛ فإني إنما أحجب لأن عيني مريضة ، وإنْ خلعت عنها جلبابها تمرض ، وإنَّ الواشين الذين دسّوا إليكم هم الكاذبون ، وهم لي معاندون . فلم يؤمن الملاعين النائب والنچانيك لقول الشيخ حاج خليل أفندي ، وأرسلوه إلى صبير ، فكان هناك عدَّة سنين ، مع قلَّة الخراجات الكائنة من فاتشاء الروس ، وكثرة مؤنته ، فأعطي العريضة له لإكثار خراجه ، أو تخليته إلى بيته ، فبعد التي واللتيَّا ، خلُّوا سبيله إلى أهله ووطنه ، ثم قصد للزيارة والحج ، ثم لما رجع منهما ووصل إلى تربة « كرجستان » بين بلدة « تفليس » و« صِغْناغ » ، مات هناك ، ودُفن في موضعه ، ولا يُعلم موضع قبره هناك . إنا لله وإنا إليه راجعون ، في ١٢٩١ .

ولقد أخبرني شيخي وسيّدي وروحي وسندي الشيخ العارف بالله والمعتصم بحبل الله ذو الغيرة الشديدة ، والمروّة الأكيدة ، السيف الصارم لأعداء الله ، والرمح المغروز لمعاند دين الله ، الشيخ حاج قصي أفندي الجنيغي – الذي مرَّ ذكره قبلُ – أن الشيخ حاج خليل أفندي كان أستاذه في الطريقة ، وأجازه في الحقيقة ، ووالد حليلته رابعة ، وكان الشيخ حاج خليل أفندي ذا ورع في الدين ، ومتواضع لكل أحد كالطين ، لا يفتر ولو لحظة من ذكر الله ، وأكثر ذكره بالمراقبة مع ربه والحضور بقلبه ، وكان صاحب الكرامات العجيبة ، والكشوفات الغريبة ، ولكن لم يكن يظهرها لأحد ، لأنها حيض الرجال الأكابر ، وتمنع إظهار السرائر ، إلا ما وقع فيه الاحتياج ، بحيث لا يبقى إلا بإظهارها علاج ، أو بإذن المشائخ الأساتذة ، وهو نادر .

ولقد حكى لي شيخي المذكور أن شيخه حاج خليل أفندي قدّس سرّه أرسلني إلى الشيخ الأعظم والقطب الأكرم ؛ الشيخ محمود أفندي الألماليّ إلى القرية الألماليّة لأجل حاجة ضرورية ، فذهبت ووصلت إلى بيت الشيخ محمود أفندي قدس سره فلم أجده ، فسألت أهله عن مكانه ، فقالوا : إنه ذهب إلى البيت الفلاني لأجل إتمام أمر الوليمة ،

فذهبت إلى ذلك البيت ، وكنت في ذلك صغيراً واصلاً حدَّ البلوغ ، ووصلت ووقفت خلف الشبك في الخارج بلا دخول إلى محلّة ذلك البيت ، ونظرت إلى ذلك البيت ، فلم أرَ الشيخ محمود أفندي في المحلّة التي قبالة البيت - والمحلّة : الفضاء الواسع الذي يكون في قرى ولاية چار قبالة البيت ، لوسع أرضهم وأمكنة قراهم - ووقفت كذلك مدَّة ، ثم نظرت من خوارق الشبك ، فإذاً خرج الشيخ محمود أفندي من البيت وخلفه جماعة من الرجال والنساء ، وهو رجل لونه مائل إلى سَواد ، وهيئته هيئة عربيّ طويلٌ نحيفٌ ، نظيف - فلما توسَّط في المحلّة ناداني : يا ابن الجنيغي تعال إليّ ! ولم أكن في مكان يراني ببصره إلا ببصيرته ، فأسرعت وذهبت لديه ، ووقفت قائماً قبالته ، وهو كذلك ، وقام الجماعة كذلك ، ثم قال لي أقوالاً كثيرة ، وضحك لي وتبسَّم تبسُّماً أكيداً ، وذلك بانعكاس حالي له ، وكنت حينئذ كالحطب اليابس المحروق في لهب نارٍ عظيم ، فقمنا كذلك مُدَّة ساعة ، ثم خرج من بينهم رئيسهم ، وقال بالأدبً : يا شيخ أفندي !حَضْرَتْلَرِي أنَّ هذه الخلائق واقفون ، وإليكما ناظرون ، فهل لهم سبيل للمرور ؟ فقال حاج قصي أفندي : فنظر الشيخ محمود أفندي إلى ذلك الرئيس ، والتفت كالتفات رجلٍ مغضبٍ ، وقال : يا فلان ليس لكم خبرٌ أني قد وقفت لأن الجبل العظيمٍ قائم قبالتي ، ولا أقدر الصعود منه ؟ !

ثم قال الشيخ : يا ولدي ! اذهب إلى بيتنا ، وقف هناك حتى أصل ، وإذا وصلت أتمُّ حاجة شيخك وأخينا الشيخ حاج خليل أفندي ، فذهبت إلى بيته ، فبعد مدَّة وصل إلى البيت ، فقضى حاجتي ، وأتمَّ بُغْيتي ، وأرسلني إلى قريتي « كزبَراخ » لدى الشيخ حاج خليل أفندي قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وهذا رؤيتي للشيخ محمود أفندي ببصري ، ولم أره بعد . انتهى ما قاله شيخنا العالم حاج قصي أفندي وحكايته قدس الله أسرارهم ، ورزقنا الله تعالى من بركاتهم وفيوضاتهم آمين يا أرحم الراحمين .

وأما الشيخ الجليل ووليّ الله الجميل الشيخ عمر لمحمد الهنوخيّ القراخي قدس سره .

ولد رضي الله عنه في ١٢٢٩ .

لا يخفى أن أكثر آبائه وأخيه الحاج دبر العلاَّمة في العلم والعمل ، والورع كأبنائه :

العالم العامل ، والتقي النقي الفاضل ، الدرويش الأكبر ، التارك لما سوى الله الأكبر ، دبرصُلْ محمد ،

والعالم الشجاع ، والضرغام الصّنديد المطاع ؛ نائب الإمام الأعظم أمير المؤمنين شمويل الأكرم الذي مرّ ذكر قليل مناقبه الشيخ العالم الألمعي ، والمتورع اللوذعي ، الحاج حجيو .

كانوا كلّهم وأكثرهم أرباب العلوم والعرفان ، وأصحاب ذوق ووجدان ، ومات الشيخ الهرم دِبرصُلْ محمد في ١٣٠٢ وكل أولادهم وأحفادهم في الحين .

كأستاذنا العالم العابد ، والفاضل الراكع الساجد ، سيد الفقهاء ، وسند العلماء ، الحاج بالحرمين ، الحائز بزيارة سيد الثقلين الحاج ابن حجر ، وهو الآن في تصنيف كتاب « الفتاوى » في الفقه .

وأبناؤه العلماء الكرماء العالمين ابن قاسم واخوردلو أدامهم الله تعالى على العلم والعمل ، ووفَّقهم لما ينفعهم ، وقصر الأمل ، في ملازمة[1] العلوم الشرعية ، والفنون الأدبيّة ، أدامهم الله تعالى وذريَّتهم ، وأولادهم وأحفادهم ، وأولادنا وأحفادنا إلى يوم القيامة كذلك على العلم والعمل ، آمين يا رب العالمين ، ويا أرحم الراحمين ، وأرغم الله تعالى أنوف أعدائهم ، وأذلَّ الله أمور حسَّادهم آمين .

---

(١) خبرٌ .

وكان الشيخ الأمين ، والولي المبين ذا ورع متين ، ولسان فصيح مبين .

وكان له محبَّة تامة ومودَّة عامة من كل إنسان وجان ، حتى من كفار وجن وشيطان ، كأنه قرئ عليهم في حقه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ .

ولأجل ذلك كان السلطان الأعظم آغا لارخان ؛ مع كونه في يد الدولة الروسية ، والحكومة الشيطانية ، وأتباع الأهوية النفسانية ، وكذا رفيقه عدوُّ الله تعالى ورسوله ، الذي كان مع جميع جنوده موكَّلاً لمحاربة الشيخ شمويل ، غنارال مايور أرغوت النّصراني ، كانا يُهْديان للشيخ عمر لْمحمد مرَّة عشرة ذهَبٍ ، ومرة عشرين ، [ومرة] ثلاثين ، وكانوا مع كونهم وعلمهم بأنهم أعداء الله تعالى ورسوله يطلبون منه الدعاء ، ولم يكن الشيخ شمويل أفندي يشكُّ في ما فعله الشيخ ، وقبول هديّتهم ، لأنه كان أميناً لا يصدر منه الخيانة ، ولا يصدر منه للدين إلا الإعانة .

وكان الشيخ الشهير ، والبدر المنير ، عمر لْمحمد كهفاً للمظلومين ، وعوناً للمكروبين ، وغوثاً للمضطرين ، كيف لا ؟! وإن أمير المؤمنين وإمام المسلمين الشيخ شاميل أفندي إذا أمر بقتل شخص ، أو بتعزيره ، كان ذلك الشخص المأمور بقتله يلتجئ إلى الشيخ عمر لْمحمد ، ويخلِّصه من القتل والتعزير ما لم يكن القتل ثابتاً عليه بدليل بداهي شرعيّ .

وكان كل نوَّاب الإمام يقولون له : إن الشيخ عمر لْمحمد يمنعنا من إدارة أمورنا ، وتحديد حدودنا ، وفعلنا ما نريده ، وحكمنا بما نقصده ، وكان الشيخ الإمام شمويل أفندي يردُّهم عن أقوالهم ، ويقول لهم : إني أمير لكم وإنكم أمراء الولاية ، وإن الشيخ عمر لمحمد أميرُ كلِّنا ، لا بدَّ لي ولكم من الإطاعة ، إنه رجل خصَّه الله تعالى بالدرجات ، وآمنه على كل المقامات ، وقولوا له قولاً ليّناً ، ولا تقولوا له كلاماً خشناً ، فإنه لا يفعل إلاّ ما فيه صلاح وصواب ؛ فالواجب عليّ وعليكم الإطاعة له ، والانقياد والاستسلام له في كل أمر ونهي والسلام .

وكان بين الشيخ عمر لمحمد وبين قبد محمد الطلقي رحمه الله تعالى شحناء حين كان مديراً في قلعة عرب وقراها وولايتها ، لانعزال دانيال سلطان منها بوقوع العيب مدَّة سنة ، وكان قبد محمد لا يطيع الشيخ عمر لمحمد ، وكان يحقده ويحسده ، وأراد الإضرار له ، ودسّ من طرفه لأمير المؤمنين الشيخ شاميل بأنّ عمر لمحمد خائن في الدين ، وأنه يريد هدم شريعتنا ، وخراب طريقتنا ، وأن لسانه معنا وقلبه مع أعدائنا ؛ فالواجب عليك ، وعلينا أن نفعل له ما يليق بما فعله ويفعله ، وأنه يأخذ من الكفار الهدايا بحيث يملأ الزوايا والخبايا ، فإن لم تفعل له تعزيراً ، فأذَنْ لي أن أفعل ما فيه تنبيه له ولغيره ، فلما عرف الشيخ هذه الدسيسة خاف على نفسه ، وعلى فوت دمه ، فهرب إلى الديار الدّرغيّة ، والحضرة الشمويلية ، فقام هناك وسكن في اطمئنان وراحة ، فلما رجع دانيال سلطان إلى ولايته العريَّة بعدما كان معزولاً منها وَوُلِّي على مقامه الأول رجع الشيخ الكامل عمر لْمحمد إلى وطنه قرية نهوخ ؛ لأن دانيال سلطان كان صديقاً له ، لا يصدر عن أمره ، ولا يخالف عن مرامه ، فرحمهما الله تعالى .

وأنا الفقير المؤلِّف ، والكاتب المصنِّف ، الذي دخل في سلك المؤلِّفين بالتكليف ، وزمرة المصنِّفين بالتعنيف ، قد كنت في ١٢٩٩ تلميذاً لدى العالم الأعلم شيخنا الأكرم المذكور الشيخ الحاج ابن حجر ، فكنتُ وكذا كان كلّ التلاميذ كنّا إذا أشكل علينا مسألة من مسائل العلم ، ووقع لنا إشكال في الدرس ، نذهب إلى ضريح الشيخ عمر لمحمد رجاء لبركته ، وفهمه بلحظته بنظر روحانيته الكريمة ، ففي يوم ذهبت إلى ضريحه وكنت أقرأ « تحفة » العلامة ابن حجر من النذر لزيارته أولاً ، وحلِّ إشكال درسي ثانياً ، فذهبت وقمت خلف قبره الشريف ، وقرأت عليه بعض كلام الله تعالى ، ووهبت له ثوابه ، وقعدت بإذنه في حجرته ، ونظرت إلى درسي ، فبلا مدَّة جاء لعيني نوم ونعاس بحيث لا أقدر أن

أمنعه ، وكنت ناعساً بين النوم واليقظة ، مغمضاً عيني ، فخرج صراخ عظيم وصوت جسيم ، ففتحت جفني ، فإذا صورة امرأة رأيت في كوة حجرته ، فقمت وظننت أن ذلك الصوت صوت تلك المرأة المرئيَّة ، فخرجت غضباناً ؛ وظننت أن تلك المرأة صرخت لتخويفها إيَّاي ، فلم أرَ أحداً مَّا في حوالي الحجرة الشريفة ، وكان في حواليها فضاء واسع ؛ من المقبرة والمزارع ، ولم يكن إمكان إن كانت الصارخة امرأة لهربها بعدم رؤيتها ، فعرفت أن ذلك الصراخ ليس إلا من جهة الشيخ المرحوم صاحب القبر المليح ، وقلت لنفسي باكياً : إن الشيخ لم يقبلك لعدم تأدُّبك بالنوم عند ضريحه ، ولم تعلم إشكال درسك ، ولم تحلَّ عويص علمك ، ولم أرجع بعد ذلك لدى ضريحه ، ولم أدخل داخل حجرته ، وكنت إذا ذهبت لديه أقف خارجه وأرجع ؛ فسبحان الله الفعّال لما يريد ، والحاكم بما يفيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وانتقل الشيخ عمر لمحمد من الدنيا إلى العقبى في ١٢٨٢ فرحمه الله تعالى وإيانا ، ورزقنا من بركاته وبركات أمثاله آمين يا رب العالمين .

الحاج دِبر الهنوخي رحمه الله تعالى

تتمة : في بيان بعض مناقب أخ الشيخ عمر لمحمد ، وهو الحاج دبر الهنوخي .

أنّ مفتي الإمام ، العالم الهمام ، سيد العلماء وسند الفقهاء ؛ العالم المحقق ، والفاضل المدقِّق ، عمدة الكرماء ، وغوث الطلبة النجباء ؛ العالم الألمعي مرتضى علي أفندي الهدليّ الذي مات في ١٢٨٢ لما أتمَّ العلوم الآلية ، والفنون الأدبيّة ، أراد قراءة « شرح العقائد » و« شرح جمع الجوامع » ودار في الولاية الداغستانية ، ومعادن العلوم البلدانية ، فلم يجد له مَنْ يقرأ له « شرح العقائد » سوى العالم الأعلم قربانِلوْ البَرْدي المذكور ، فقرأ عليه « شرح العقائد » وحلّ إشكاله الذي لم يقدر أحدٌ مّا

من العلماء ؛ ثم حضر لقراءة « شرح جمع الجوامع » عند العالم الأعلم الحاج دبير الهنوخي ، فقرأ عليه « شرح جمع الجوامع » بحيث يرضى عنه ولا يبقى له إشكال فيه .

وكان الشيخ حاج دبير شيخاً هرماً لا يقدر لقيامه من قعوده إلاّ بجعل وكِزَيْهِ على الأرض ، وكان العالم مرتضى علي يقول كثيراً : والله الذي خلقني ما رأيت شيئاً ما أحسن من حاج دبير حين قام على وَكزيهِ !

وكان العالم مرتضى علي رحمه الله تعالى بعد مفارقته إلى وطنه إلى قرية « عرده » يرسل رسائل كثيرة ، ومكاتبات لطيفة ، يوصي فيها لأستاذه وشيخه الحاج دبير ، ويقول فيها : إني التزمت على نفسي أن لا أنسى ذِكركم وذُكركم ما دمت حياً ، وإني لأرجو منك أن لا تنساني ، ولو عند قيامك على وكزيك الكريمتين . ورأى هذا الفقير رسالة مكتوبة هكذا من العالم مرتضى علي إلى الشيخ دبير الهنوخي بخطه ، وإن وقع تغيير في بعض العبارات فالمآل واحد ، والله سبحنه وتعالى أعلم .

وأما الشيخ العالم ، والبدر المنير الكامل ، شيخ المحقِّقين ، ومدرِّس المدقِّقين ؛ مأوى المؤمنين في الفتوى ، ومنبع العلوم والفنون والتقوى ،مفتي الإمام وشيخ الإسلام- لأمير المؤمنين الشيخ شمويل أفندي- مرتضى علي أفندي العُرادي الهدلي ،فإنه كان في أول شبابه وعنفوان أوانه من أهل الهوى ، ومتابعة النفس والشيطان والغوى ، وقصد الإمام شمويل أفندي قتله لكثرة فساده ، وتضييع أعماره ، وعدم متابعة ناصحه ، ولكن تركه بلا قتل ، وأمهله بلا فتك ظاناً منه الخير والصلاح ، ويصدر منه العلم والفلاح ، وقد حقَّق الله تعالى ظنه ،ثم ناداه الشيخ شمويل ووعظه وعظاً بليغاً ، ونصحاً أكيدا شديداً ، فأخذ نصيحته ، وقبل موعظته ، فلازم العلوم العربية ، والفنون الأدبية ، ، بحيث كان يطلع الفجر بلا صلاة عشائه ، وكان لا يعلم زمان ليلته إلى طلوع فجره أنه وصل وقت العشاء شوقاً بعلمه .

وكان ﵁ لا يلبس إزاراً ولا سراويل في وقت تحصيله ، لخوف الغرور بتضييع الأوقات في الأمور .

وكان إذا أرسل إليه والده إزاراً للبسه يقطعه قطعاً قطعاً ، ويقول : لِمَ أرسل لي والدي هذا وأنا لا أحتاجه ولا ألبسه ولا أنتفع به ؟ ثم التزم العلوم الآلية ، والفنون الفقهية ، وتبحَّر في العلوم كلها ، وتدرَّس في الفنون الشرعية جُلِّها ، وتفنَّن حتَّى في العلوم الحرفية والعلوم الاثنى عشر كلّها ، وفاق على جميع أقرانه ، وعلا على كل إخوانه ، حتى أقرُّوا كلُّهم له في تحقيق العلوم ، وأذعنوا في كل الفتاوى والفهوم ، وولاَّه الإمام شمويل أفندي ، وجعله قاضي القضاة في المملكة الشمويلية والديار الداغستانية ، وكان يجيء إليه كل مشكل وصعاب ، ومعضل من العلوم وحساب ، وكان يحلُّه بالبداهة ، ويُذهب إشكاله بالبداية .

وكان « التحفة » لابن حجر لايمكن تدريسها ولا قراءتها بالترتيب قبل ظهور ه ، وأما هو فقد جعلها سهل المأخذ ، وقريب النيل لكل أحد ، حتى جعله كبيت العنكبوت شبكاً متعلّقاً ، وشرحاً بعضها لبعض ، وكتب في كلِّ الأماكن المتعلِّقة بعضها ببعض : راجع من هنا إلى مكان فلان وإلى مكان فلان .

وكان إذا سئل عنه حكمٌ يقرأ بقدرِ وجْهٍ أو ورقة أو ورقتين من ظهر قلبه فلتة بلا نظر ولاتفكُّر ، وكان يقول كل حين : كل مفهوم « تحفة » ابن حجر خاصة مرقوم في قلبي ، وأكثر عبارتها مسطور في لُبِّي ، وكان من عجائب الزمان في الفتوة والشجاعة ، وكان الشيخ أمير المؤمنين شمويل أفندي إذا اجتمع معه في خنزاخ وعنده جميع العقلاء والعلماء والوزراء والمديرين والنوَّاب- وكان عادته ﵁ جمعهم في مكان واحد في سنة- يحمده على رؤوس الأشهاد ، ويثنيه على مجمع الاتحاد ، وكان يقول متبسِّما :لولا علمي كونك في مثل هذا الشأن وأعلى المكان في العلم والعمل لقتلتك وقت شبابك ، وأهلكتك في أحيان فسادك .

ولقد أرسل العالم مرتضى علي ﵁ أحكاماً فقهيَّة بيد نور محمد العرادي حين يذهب إلى الحج إلى شيخ الإسلام بالدِّيار المصرية ، وهو الشيخ إبراهيم السقا ، ورجعت ، فنظر إليها وإلى أجوبتها فبكى وأبكى مَن حوله ، فقال : فلنبك على اندراس العلم وقلَّة الشريعة ، فوالله أكثر هذه الأجوبة سقيمة ، وأغلبها عقيمة ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

فالحاصل أن بيان مآثر العالم مرتضى علي العرادي يطول ذكرها ، ولا يمكن الأوراق لكتبها ، فلنقتصر عليه ، ويكفي المذكور للمتأمِّل .

مات رحمه الله تعالى في ١٢٨٢ ، ودفن في قريته العرادية . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وأما الشيخ الخالي عن جميع الخبائث الغالي الشيخ مَلاَّ محمد التفسراني ثم المهاجر الداغستاني رحمه الله تعالى فإنه - كما قال لي مريده وضيفه فطِ المحمد المُشُوِي - كان ضعيف الجسم ، نحيف الوجه والبدن ، نظيف الطبائع ،كريم الطوالع ، زاهد الدنيا ، تارك العقبى ، مقصوده المولى ، ولم يكن مراده إلا الله ، وطلب القربة إلى الله ، حتى قال رحمه الله تعالى : إنه حمله مع جميع متاعه من قرية عرب إلى قرية مشّوب في آخر عمره ، ولم يكن متاعه إلا حمل حمار خفيف ، وحين وصلنا لدى قرية چوشه وقربنا إليها نظر قدس سره إلى متاعه التي فوق حماره وبكى . فقلت : ياسيدي الشيخ ! ما الذي أبكاك وأحزنك ؟ ! فقال : يا ولدي محمد ! ألا تنظر إلى متاعي وكثرته ، وإن متاعي صار حمل حمار تماماً وكمالاً ، فكيف أجيب بين يدي الله تعالى يوم القيامة عن هذا المتاع ؟ ! فتحيَّرت فيما قال ، وقلت : ياسيدي الشيخ ! إن هذه الأمتعة ليست كثيرة ، فلا تحزن ، ألا تنظر إلى كثرة متاع هذا الزمان ، وغلبة زينة أهل الأوان . وبكى أيضاً فقال : ياولدي محمد ! إن هذه الدنيا ليست دارنا ، وزينتها ليست زينتنا ، وإن حمل حمار من متاع الدنيا لأكثر لمن كان على جناح السفر ، وأغلب لمن غلب له ارتحال من القفر ، ويل لنا ، ويلٌ لمن أحبَّ الدنيا وتابع هواه . انتهى .

فانظر إلى تورُّع العالم ، ونصيحة الدرويش الكامل ، فتفكَّر فيما فعله وقاله ، وما يفعله المشائخ الدجاجلة الآن في جمعهم حطام الدنيا بلا تورُّع عن الحرام ، ولا خوفٍ من الملام ، والله لَحسابُهم أشدُّ وعذابهم آكد ، والله إني لمن أكبرهم ، والكاتب الحقير من أكابرهم ، وجامعي حطام دنياهم بدينهم ، والله إننا في الظاهر من آكلي الدنيا بالدين ! إنا لله وإنا إليه راجعون . والله إنَّ لفسادهم في الدين أكبر ، وقبائحهم في أفعالهم أحقر .

وإنما الخراب للدين بفسق العلماء ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكثرة المشائخ الجهلاء الذين لا يعلمون الإيمان والإسلام ، ولم يكن إذنٌ مّا من المشائخ المحقِّقين ، ولا إجازة من الأولياء المدقِّقين ، الذين اتصلت نسبتهم وسلسلتهم بسيد المرسلين ﷺ ، فضلُّوا وأضلُّوا ، حفظنا الله تعالى من شرورهم وردَّ إليهم بلطفه كيْد نحورهم آمين .

وكان الشيخ ملاًّ محمد رضي الله عنه ، كما قال ثقات عن ثقات قليل العلم . كثير العمل ، طويل الذيل في المجاهدة لنفسه ، وكون يومه خيراً من أمسه ، وقصير الأمل .

وكان رضي الله عنه لا يضع جنبه على الأرض في ليله ونهاره ، ونومه وسهره ، بل كان كل جلوسه ونومه مفترشاً متورِّكاً ، كما كان دأب رسول الله ﷺ .

وكان رضي الله عنه من المهاجرين الأوَّلين ، وإلى الوصول من السابقين ، ومن السبعة المشهود لهم بالفلاح من المبشّرين . جعلنا الله تعالى من سلسلة المشائخ النقشبندية ، وممَّن تحقَّق بقدوتهم ، واتَّبع السلف الصالحين والأئمة الهادين المهديين ، ولو ككلب أصحاب الكهف الذي نال مقصوده باتِّباعهم واقتفاء آثارهم .

وكان رضي الله عنه ذا كرامات كثيرة ، وخوارق لطيفة ، وعجائب غريبة . ومما يحكى وتواتر عنه أنه إذا مرَّ بقرية چونه عند مقبرتهم كان يجلس كثيراً في ذلك المكان ؛ مرَّة يضحك ، ومرَّة يبكي ، وكان قيل له : يا شيخ ملاّ محمد ! لم تضحك وتبكي ؟ فكان يقول :إني قد أرى في آخر هذه المقبرة قبراً فيه امرأة ولها ولدان وُلِدتا في القبر ، وكانت رضي الله عنها ماتت بالطلق ، وأيَّ وقت أمرُّ من هذا المكان أرى تلك المرأة وولداها يلعبان معها في القبر ، وإني أضحك متعجِّباً من هذا ، وأما إذا رأيت مَنْ يعذب فيها أبكي . جعلنا الله تعالى في بركاته ونفحاته .

ولقد حكى لهذا المؤلِّف الفقير ، والناعق الحقير ، مريده الأحبُّ إليه من ولده ، وهو فَطِ المحمد المشّوي-رحمه الله تعالى ، المذكور آنفاً- أنه قال : لما قرب وقت انخراب الشريعة المطهرة ، بتولية الملاعين الكفرة الفجرة ، على الديار الداغستانية ، والبلدان الشمويلية ، وقع القحط الشديد بينهم ، وييس كل الكلأ فيهم فخرج للاستسقاء جمع عظيم ، وجم غفير ، على جبل مشّوب عند البِركة العظيمة فيه ، وسمعنا أن في ذلك الجمع الشيخ الكامل الحاج عبد الرحمن الثغوري ، فحينئذ ناداني شيخي ملاّمحمد أفندي وقال : يامحمد ! فقمت وقلت : لبيك ياسيدي ! فقال : يابني ! إن الجمع العظيم والناس الكثير اجتمعوا على جبل مشّوب للاستسقاء ، وفيهم أخونا العارف بالله الحاج عبد الرحمن أفندي ، فالواجب علينا أن نرتحل إليهم ، ونذهب لديهم ، فذهبنا ، فلما قربنا بحيث بيننا وبينهم مكان رمية مكفل ، التفت إليَّ شيخي ملاّمحمد وقال : يامحمد ! إن الناس يقولون إن الحاج عبد الرحمن لمنقطع من بركات شيخه . فكيف يستقيم قولهم ؟ لقد وصل لي رائحة فيضه إلى هذا المكان ، إن هذا لشيء عجاب . فارتحلنا ، ولما وصلنا لدى تلك الجماعة رحَّب المشائخ بعضهم ببعض ، وقال الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي بغتة : يا ملاّ محمد ! إن ذلك الأمر الذي رأيت من بركة كثرة

العبادة ، لا من طرف الأستاذ . انتهى ما قاله فَطِ المحمد المشّوي ، والله تعالى يعلم حقائق الأمور ، وتدابير العصور .

وقال فَطِ المحمد المذكور أيضاً : قد تكلَّما في ذلك المجلس في حقِّ الديار الداغستانية بكلمات كثيرة ، وحقِّ وقوعها في يد الأمراء بعلامات وفيرة ، وما يكون بعد ذلك بآيات عجيبة ، ولقد وقع بعضها كما قالوا ، وأرجو الباقي . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى .

وللشيخ ملاَّ محمد أفندي كرامات كثيرة غير ذلك ، لا يقدرها هذا الكتاب ، وله ابنان كاملان .

أكبرهما الذي سماه باسم شيخه جمال الدين ، وهو الآن في قرية مشّوب ، وزوَّجه فَطِ المحمّد المذكور مريده بنته كريمته ، وهو الآن ذو عيال ، وفي صحة صافية ، وسلامة وافية .

وأما الآخر فقد ولد بعد وفاته ، وسمي باسمه ملاَّ محمد ، وهو الآن في مكة المكرمة صحيح سالم ، وضيف ومعين لكل من جاء من الحجاج من ديارنا الداغستانية ، وخاصة ممَّن جاء من هذه الناحية القنصرية .

وانتقل الشيخ ملاَّ محمد من الدنيا إلى العُقبى في ١٢٨١ ، ودفن في قرية مشّوب ، ولأهل تلك القرية بركات كثيرة ، ونعمة وفيرة ، بسبب كون قبره في مقبرتهم ، وبذلك ينطق كل جماعتهم ، ويعلمون ذلك كل أحد منهم ومن غيرهم ، وبني على قبره قبَّة كريمة ، وعليه من الجلالة والجمالة بركة جسيمة ، ولقد زرنا قبره مرة أو مرتين ، ونزور إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين أفندي قدس سره

وأما شيخ المشائخ ، وزين البرازخ ؛ قطب الإرشاد ، وصاحب العون والإمداد ، الشيخ جمال الدين أفندي ، فإنه لما وقع البلية العظمى ،

والمصيبة الكبرى على الديار الدرغية والنواحي الداغستانية بتولية الدولة الروسية عليهم ، وانتشار الظلمة الظالمة لديهم ، وحُبس الإمام أمير المؤمنين ، انتقلَ الشيخ جمال الدين مع عياله وأمنائه إلى تميرخان شوره ، ولم يرجع إلى ولايته ، وإلى قريته الوطن الأصلي خوفاً من ضياع هجرته ، كالنبي ﷺ فإنه بعد فتح مكة لم يسكن هناك إلا كما يسكن المسافر في سفره قاصراً وجامعاً ـ كما هو مشهور في الكتب ـ وأرسل حليلته الصغرى مع ابنه الصغير أفندي إلى وطنه غازي غمق ، وسكنا هناك ، وبقي الشيخ جمال الدين في شوره مدَّة مديدة مع ابنيه الكبيرين : عبد الرحمن ، وعبد الرحيم ، وزوجته الكبرى .

وكان كريمتي الإمام الشيخ شاميل تحت ابنيه المذكورين ، وكانتا معهم في تميرخان شورة ، ثم جاء أمر الله بانتقالهم ونقلتهم إلى الديار الروسية ، فذهبوا ، ورجع ابناه عبد الرحمن وعبد الرحيم بعد مدَّة إلى الوطن ، وهاجر الشيخ جمال الدين منها إلى الدولة العلية العثمانية والديار الإسلامية ، ووصل إلى إسلام بول ، وسكن هناك مدَّة سنين .

ولقد أخبرني الضيف العاقل ، والعابد الفاضل ؛ الحاج جعفر الثاخوري السمبوري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه ورفقائه الداغستانيون حين ذهبوا إلى الحج ووصلوا إلى إسلام بول ، وعلموا كون الشيخ جمال الدين أفندي هناك ، في أسكُدار ـ طرف من البلدة المباركة الميمونة الإسلامبولية ـ حرسها الله تعالى وديارنا الداغستانية من جميع الآفات والبلية ، وشؤم استيلاء الدولة الروسية ، وتولية الدولة الشيطانية الإنكليزية ، وتسلُّط سائر الدول الكفرية العنادية بمَنِّه وكرمه ، وفضله ورحمته ، وجعل الله تعالى كيد مكورهم في نحورهم ، وشؤم خيانتهم في صدورهم ، وشتَّت الله تعالى شملهم ، وفرَّق جمعهم ، وخذلهم وأخزاهم آمين .

وقال الشيخ الحاج حاج جعفر المذكور : وحينئذ ذهبنا إلى زيارة الشيخ جمال الدين ، ووجدناه في أُسْكدار ، وأعطيناه لحماً مملوء من

لحوم داغستان ، وسائرَ الهدايا ، فنظر إلى اللحوم ، ففاضت عيناه من الدمع ، وسالتا وقال : (أي كِدِ داغستان) بلسان أوار ـ معناه بلسانهم كلمة حسرة تقال بسبب مفارقته ـ كما قال رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة ناظراً إلى مكة متحسِّراً حزيناً : « والله يا مكة إنك لأحبُّ البلاد إليَّ ولولا أن قومك أخرجني ما خرجت منك » انتهى ، وكلمة الشيخ جمال الدين أفندي من هذا القبيل معنى ، ثم خرجنا من عنده ، وذهبنا إلى مكة والمدينة ، ثم لما رجعنا إلى إسلام بول وجدنا الشيخ جمال الدين أفندي انتقل إلى رحمة الله تعالى ، ومدفوناً في أسكدار ـ رحمه الله تعالى وإيانا آمين ـ فبكينا وبكي مَنْ في حوالينا ، وتأسَّفنا شديداً ، وحزناً أكيداً بعدم رؤية جماله ثانياً . انتهى ما قاله الحاج جعفر رحمه الله تعالى .

ومات الشيخ جمال الدين في ١٢٩٢ .

وأما أبناؤه الكرام عبد الرحمن وعبد الرحيم ، فعبد الرحمن مات في ١٣١٧ ، وعبد الرحيم في ١٣٢٢ فرحمهما الله تعالى وإيانا ، ووهب ذنوبهما لهما ولنا آمين بفضله وكرمه .

وأما سائر مناقب الشيخ الكامل ، ذو الجناحين الفاضل ؛ الشيخ جمال الدين فكثيرة لا يطيقها متون الأوراق ، ونحور الأشواق . رزقنا الله تعالى من بركاته وبركات أمثاله .

ثم اعلم أني قد كنت قبل هذا بعشرين سنة أتعجَّب من مشائخ مأذوني الشيخ جمال الدين ، ومن مريديهم ، بأنهم لا يفعلون الأوراد إلا جهراً ، ولا يذكرون الله تعالى إلاَّ قهراً ، مع كونهم نقشبنديين ، وفيهم العلماء العظام الذين يدركون حقائق الشريعة ، ودقائق الطريقة ، مع أنه ليس في الطريقة النقشبندية أذكار جهراً ، بل ذكرهم في كتبهم لا يُرى إلاَّ سرّاً ، وكنت أسأل عن مريدهم ومشائخهم عن حقيقته ، وكانوا لا يجيبون لي بشيء ، ولا يعلمون لي جواباً ، ثم لما كنت ناظراً في كتب الشيخ حاج خليل أفندي الجنيغي المذكور قبلُ وجدت مع إجازتيه مكتوباً بخط الشيخ جمال الدين نفسِهِ ما نصُّه هذا :

قصة جمال الدين مع الشيخ إبراهيم القادري

إن الشيخ الكامل إبراهيم القادري لقد وصل إلى الديار الداغستانية والولاية الشمويلية ، فدار فيهم ، ووجد الشيخ جمال الدين أفندي كاملاً ومكمَّلاً في الطريقة النقشبندية ، فأراد الشيخ إبراهيم المذكور أن يأذن للشيخ جمال الدين لتلقين الذكر الجهري القادري ، فأجازه به . انتهى .

فلما رأيت هذا هكذا طاح إشكالي ، وراح أوصالي ، وظننت وقلت : إن أهالي ديارنا الداغستانية لما كانوا عاشقين للأصوات ، ومتلذِّذين بالنغمات ، وطابق طبعهم بالجهريِّ دون السرِّيِّ لقَّن لهم الذكر الجهري دون السري ، لأنه مأذون من طرف القادري .

وأما مشائخهم ومريدوهم فلا يتنبهون لذلك ، ولا يعلمون ذلك ، ويقولون : إن طريقتنا نقشبندية ، مع أنه ليس في الطريقة النقشبندية ذكرٌ جهري ، فلا يطابق قولهم بما يفعلونه ، سبحان الله تعالى ! إن هذا لشيء عجاب ، وعنقاء غراب ، وإذا قلنا لهم قولاً حقاً حقيقياً يحاربوننا ، وبالمدافع يقاتلوننا ، ونحن نتعجَّب من أن فعلهم غير مطابق لطريقهم ، ومن عدم متابعتهم للائقهم . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

تتمة في بيان المشائخ الداغستانية غير المذكورة :

فاعلم أن المشائخ الداغستانية ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المشائخ العلماء الذين وصلوا إلى الله ، وتقرَّبوا لله ، بسبب تدريس علومهم ، وكثرة الجذبات مع إلههم ، وغلبة العناية الأزلية لهم ، بسبب طهارة أبدانهم ومأكولهم ومشربهم ، وزهدهم فيما سوى ربِّهم .

والقسم الثاني : الذين لا علم لهم بقبولهم ، بل صاروا متقرّبين إلى الله تعالى بالجذبة الربَّانية ، والعناية

الرحمانية ، بلا مرشد كامل سواها ، ولا موصل غيرها .

والقسم الثالث : هم المشائخ المدَّعون بمشيختهم ، ليس لهم علم يعملون به ولامرشد كامل يقتدون به ، ضلُّوا وأضلُّوا كثيراً عن سواء السبيل ، وهم الدجاجلة المتصنِّعون ، والفسقة المتشيِّخون ، الذين يقال في حقِّهم أنهم ومثلهم دجَّال الدين والصنم المعنوي ، وتابعوهم عبدة الأصنام ، ولقيط وقاطع الطريق ، كما بيَّنهم بذلك أهل الله تعالى ، وإن شاء الله تعالى يجيء بيانهم وتحقيقهم .

وأما القسم الأول : فأكبرهم العالم العامل ، والزاهد الفاضل ؛ شيخ العلماء الداغستانية ، وأستاذ الفقهاء الجبلية ؛ رئيس المحقِّقين ، وسيد المدقِّقين ،مولانا ومولى جميع الكرماء الشيخ العامل محمد(١) أفندي بن الكريم موسى القُدُقي– بضم القاف والدال ، قرية من داغستان الأسفل – أخبرنا ثقات عن ثقات أنه كان لمن المصنِّفين الكاملين واحداً ، ومن المؤلِّفين السالفين فرداً ، ومن السلف الصالحين أحداً .

كان جبلاً من جبال العلم ، وبحراً من بحار الفهم ، لا يدرك قعره أحد ، ولا يطلع غوره إنسان ، وكان العلماء الداغستانيون يختلفون في

---

(١) وأما الشيخ الفاضل والعالم الحاذق الكامل محمد أفندي ابن موسى القُدُقي قدس سره فأستاذه في العلوم العربية ، عالم العلماء الأعلام ، وسيد كرماء الأنام ، شعبان أفندي العبودي الخنزخي رحمه الله تعالى ، الذي ولد في ١٠١٧ ، ومات رحمه الله تعالى في ١٠٧٨ .

وفي العلوم الفقهية والحديثية وغيرها ، سيد العلماء ، وسند الفقهاء ؛ الشيخ العالم الأعلم ، وسند الكرماء الأكرم ؛ الشيخ علي رضا أفندي الثغوري الذي ولد في ٩٩٩ ومات في ١٠٨٧ رحمهما الله تعالى وإيانا آمين .

ومعاصرهما أستاذ العلماء المدرِّسين ، وشيخ المحقِّقين الكاملين ؛ الشيخ ملاّ محمد أفندي الغلودي – ولد ﷺ في ١٠٢٥ ومات في ١١٠٨ ، رحمه الله تعالى وإيانا ، (مؤلِّف) – الذي هو أستاذ العالم الأعلم علي أفنديِ القلِّي ثم الهچطي رحمهم الله تعالى ورزقنا من بركاتهم آمين . وهذا مما سمعه المؤلِّف من أفواه الثقات . وتكلُّمات الرواة ، والله أعلم حقيقة الحال ، وحقيقة المقال . مؤلف رحمه الله تعالى .

المراد من كلامه ، وفهم المقصود من مرامه ، كما اختلف أصحاب الإمام الشافعي في فهم المراد من كلامه ، فكم كلام له تحيَّر فيه الفقهاء! وتدهَّش فيه عقول العقلاء ، ووصل في تدقيق العلوم إلى مكان لا غاية له ، وفي تحرير الفنون مالا نهاية له ، حتى فارق ربقة تقليده في علم عقائده عن الإمام الأشعري والماتريدي ، وله مصنفات جليلة ، ومؤلفات جميلة ، وتقريرات غريبة في كل العلوم .

وكان لا ينظر في علم إلا يظن الناس أنه واضعه ، ولا في أيِّ فنٍّ إلا يعرفوه أنه مصنَّفه ، وله حاشية جليلة على الچارپردي ، وحاشية على العصام النحوي ، ووقع في كثير المواضع اعتراض الفاضل العصام على الجامي .

وأما سائر مكتوباته وتقريراته على العلوم فكثيرة من أن يحصى ، وغير ممكن لأن يستقصى ، وكان ذا كرامات عجيبة ، وخوارق غريبة ، وحكايات لطيفة ، وكان في علم الحرف وتصرُّف أسماء الله تعالى وأسرارها كأنه أحمد البوني .

وكان له في ذلك تصرُّفات كثيرة ونفعات وفيرة .

وكان أستاذه في علم الحرف الشيخ العالم دمَدان المحويِّ ، وفي سائر العلوم شعبان العبودي ، وانتشر بتدريسه جميع العلوم في الديار الداغستانية ، وصدر من بركاته وفيوضاته العلماء الأعلام ، وفقهاء الأنام ، بحيث لا يمكن عددهم ، ولايحصى مددهم .

وناهيك كون العلم الشامخ ، والبدر البازخ ،سيد العلماء الشيخ العالم داود أفندي الأسِيشي الأَقُوشي ، الذي مات في ١١٧١ من تلاميذه ، والشيخ العالم علم الكرماء وسيد الفقهاء محاد الچوخي رحمه الله تعالى

من متعلِّميه – ومات في ١١٦٩ – ، والعالم المحقّق والفاهم المدقق محمد الأبْري رحمه الله تعالى الذي مات في ١١٥١ . من تلاميذه وغيرهم[١] ولا يعدُّ ولايحصى .

وأما معاصروه فسلمان القوخي الذي مات في ١١٤٤ ، وطيب الخركي– الذي مات في ١١٤٨ – وعلي القلي ثم الهچطي الذي مات في ١١٥٧ .

ولد الشيخ الفاضل القدقي في ١٠٦٢ سنة ألف واثنين وستين ، وخرج مهاجراً من قرية رغجة مع ابنيه الأعلمين الأكرمين ، والفاضلين الأحسنين دبير وحاج محمد إلى ديار الدولة العليَّة العثمانية ،في١١٢١ سنة ألف ومائة وإحدى وعشرين ، وسكن وتوطن في الشام ، وفي حَلَب ، وانتقل إلى الله تعالى هناك في زوال يوم الأربعاء الحادي عشرمن رمضان ،في ١١٢٩ سنة ألف ومائة وتسعة وعشرين ، وحضر جنازته مفتي الشافعية وغيره من علماء حلب ، ودفن في مقبرتهم داخل سور البلد . رحمه الله تعالى وإيَّانا آمين . وكان بين المحقِّق القدقي وبين الورع المدقِّق محمد أمين الملقَّب بقَزَقِلَوْ الروچي المرحوم في سنة ١١٢٦ ألف ومائة وسادسة وعشرين محاورات ومنازعات في العلم ، ففي وقت وقعت بينهما منازعة ، فتكلَّف فيه القدقي ، وسكت قزقلو ، فلما تفرَّقا علم المدقِّق القُدُقي بطلان دعواه ، وصدْق قزقلو رضي الله عنه .

(١) من حديث أفندي المجدي الهدَلي لأنه كان عند الشيخ القدقي في قرية رغجة يقرأ علم الحرف مع العالم محاد الچَوخي رحمهما الله وعند تعليم الشيخ القدقي له علم الحرف كان ابنه دبير من وراء جدار المسجد ، وتعلّم ما يكفيه من علم الحرف باستماع ما يقرأ أبوه في المسجد له ، لأن ابنه العالم الحاذق دبير كان في الفهم بلا نهاية ، وفي تحقيق الفنون بلا غاية ، وكان يدَّعي لأبيه ويقول : أنت أعلم أم أنا ؟ والله لا أعلم أنك أعلم مني ، وكان أبوه يضحك من قوله ويقول : لو كان لي من يُعلِّم ويقرأ كما كان لك لكنت أعلم منك وأمهر رحمهما الله تعالى .(مؤلف رحمه الله تعالى) .

ومات قزقلو أثناء تلك الأيام ، ثم إذا ارتحل القدقي مهاجراً وصل إلى قرية نقوش زار قبر قزقلو ، وقال : يا أخي قزقلو ! أنا كاذب وأنت صادق في البحث في اليوم الفلاني الذي وقع البحث بيننا ، وحين تفرَّق منه رجع القهقري إلى قبره ، ولم يولِّه بدبره ، حتى توارى من مقبرة قرية نقوش تأدُّباً لقزقلو[1] .

ومن كرامات الفاضل القدقي ما تواتر إلينا منقولاً عن تلميذه المذكور محاد الچوخي رحمه الله تعالى أنه قال : كنت تلميذاً عند المحقق القدقي في قرية رغجَه ، لأنه كان يسكن كثيراً في رُغجه ، لأن حليلته وأستاذه أبا بكر أب حليلته كان منها ، ورُغجة قرية كبيرة عند قلعة غونِب ، وكان الشيخ القدقي رضي الله عنه يَصْعد على سطح مسجده يوم الجمعة ، وينظر إلى قرية چُوخ ، ويقول : إنها تحرق يوم الجمعة . انتهى .

قصة فتح قرية چوخ

وتحقَّق ما قاله رحمه الله تعالى في دولة الإمام شمويل سنة ١٢٦١ ، فإنه لما وصل شوكته رضي الله عنه مبتدئاً من چچان إلى قرية چوخ أرسل العساكر مع النائب قِبد محمد الطلقي رحمه الله تعالى على چوخ فلم يذعنوا له ، ووالوا الكفار ، وتوافقوا لأغارخان والملعون أرغوت يَنَرال النصراني ، وأرسلوا لهم جوائز ليمتنعوا من الشريعة ، وبنوا حول قريتهم سوراً ، فدعاهم النائب قبد محمد إلى طاعة إمام الشريعة ، وترك البدع القبيحة ، فلم ينقادوا ، وأغاثوا إلى آغالارخان ، وولاية أقوشه وژدقار ،

---

(١) وقد قرأ العلم العالِم المتبحِّر ملاَّ محمد ولي أفندي الچاريّ الغلودي على العالم سلمان الطوقي ، وكان ملاَّ محمد المذكور تلميذاً لسلمان ويشهد له ما كتبه ملاَّ محمد ولي المذكور في آخر باب حاشية شرح الشمسية ما عبارته كتبها أي : حاشية شرح الشمسية محمد ولي بن محمد أمين ابن حسين الغلودي عند العالم سلطان المحققين سلمان ابن عبد القادر بن علي بن سلمان الطوقي سنة ١١٣٧ . انتهى من خطِّه . ومات محمد ولي المذكور رحمه الله تعالى في سنة ١١٤٦ . (مؤلف رحمه الله تعالى) .

وجاء الأمير دانيال[1] سلطان معيناً لقبد محمد مع جيشه المنصورة ، وكان في قرية چوخ الحاج الأصم نائباً من طرف الإمام ، فدخل دانيال سلطان بعساكره من أسفل القرية ، وأرسل مدداً إلى الحاج موسى ، لأنه كان مدبِّراً معه ونائباً ، ودخل في چوخ ثلاثمائة رجل من قرية كُدال لنصر المنافقين ، ونزل آغا لار بجنب المقابر ، وجنود أقوشه وژدقار من جانبهم ، فالتحم القتال بينهم ثمانية أيام بلياليها ، وجاء رسول الإمام إلى دانيال برسالته بأن لا ترجع عنهم حتى تسخِّرهم وتذلِّلهم ، أو ينقد مَنْ معك ، وبين ذلك اجتمع لديه النوَّاب ، وكلَّموه الرجوع بترك القلعة والقرية في يد الكفار والمنافقين ، واستصعبوا الأمر ، فغلَّظ دانيال عليهم

---

(١) وكان هاجر لدى الإمام في ١٢٦٠ . (منه) .

❊ وحكى لي نفسه منه أنه روي عن عالمهم المتنسّك السالف قُصير الكرادي أن آخر قتال على الكفار يكون في جتب انتهى . ووجد يحكي عنه واحد في چوخ كابراً عن كابر عن عالمهم الكبير محا وتلميذ المحقق محمد القدقي رحمهما الله تعالى المشهور أنه كان ذلك الأستاذ يخبر أنَّ قرية چوخ يحرق يوم الجمعة . وأنَّ الكفرة تستولي على هذه الديار الداغستانية إلا أدوراً ثم ينحلون يمحقون . وأن آخر قتال عليهم يكون ------ . ثم في أوَّل القرن السابع من المائة الثالثة عشر من الألف الثاني أحرق قرية چوخ عن يد دانيال سلطان مع نوّاب أخر بأمر الإمام شمويل . ثم من السنة السادسة من العشر السابع من المائة الثالثة من الألف الثاني استولى الروس على هذه الديار وتوطَّنوا في مواطنها ، وبقي قولا قصير ومحاد المتقاربان . وقول محاد رحمه الله تعالى بالانجلاء ------ فانتظروا وارتقبوا ، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . ومن تحرَّك أو نهض في زماننا هذا أواخر القرن الثالث عشر لمجادلة هؤلاء الكفرة في هذه الأودية فهو الموقع نفسه ومن يحذو حذوه في فتن الدنيا والدين ، وإلى الله تعالى الرجاء في أن يقينا من شرور أنفسنا ومن شرِّ كل دابة هو آخذ بناصيتها ، وأن يميتنا على الإيمان والإسلام ، فإنه تعالى بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، والله تعالى هو الموفِّق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وحكى لي أيضاً نفسه أن العارف بالله علي الكُلادي كان يخبر عن أمارات آخر الزمان بأنها كذا وكذا مما هي يعاينه ، وأنه كان يحكي حبوس الحجاج من خلف الظهر ، وقد تحقَّق ذلك بحبوس الشيخ الإمام شمويل أفندي الداغستاني المتعمين . وأنَّ آخر قتال على الكفار في أدرل هُزِّ . فهذا منتظرٌ ، والله تعالى على كل شيء قرير . (من خطّ لا أعرف كاتبه) .

القول وعنَّف ، وقال : لا أرجع عن أمر الإمام ولو بقيت وحدي برفقائي ، ففي اليوم التاسع وثبوا على آغالار والمنافقين في القرية وأريافهم ، وعلى عسكر أقوشة وژدقار ، فانهزم الكفار والمنافقون ، حتى تركوا رايتهم وفراشهم وأمتعتهم ، وفرَّ أكثر منافقي قرية چوخ مع ذراريهم وما تيسر لهم من الأموال .

وفي الغد يوم الجمعة أحرقت قرية چوخ ، وظهرت ما قاله الشيخ العالم محمد القدقي قبل بأكثر من مائة سنة .

الشيخ دمَدان المُحُّوي

البارع الفاضل ، وأكرمهم الورع الكامل ؛ العالم الألمعي ، والفاهم اللوذعي ؛ الشيخ دمدان بن تُفَ المُحُّوي .

كان رضي الله عنه ذا علم عليم ، وكرم أديب ، أحلم الناس ، وأعلم الناس .

وولد رضي الله عنه في ١٠٦١ ألف وواحد وستين ، والتزم العلوم الأدبية ، والفنون الشرعية ، وكان رضي الله تعالى عنه ماهراً جداً في علم التوحيد ، وكان يظن الناس أن شرح العقائد في حفظه ، وفي علم الحرف وتصرُّفات الأسماء الإلهية كان كأحمد البوني بلا فرق ، وكان رضي الله عنه بشيخ المحقق القدقي في علم الحرف .

وكان شيخه فيه رجلاً عالماً لا أعلم اسمه ، من ولاية كنجه من نواحي تفليس .

وكان يزور أستاذه في سنة مرة ، وكان ينزل في طريقه لدى الأستاذ الحاج شعبان الچاري ، وكان هذا الچاري أستاذ المكافل المكيْفل ، وكان الشيخ دمدان يعطيه ذهباً للنقش عليها .

وكان رضي الله عنه يعلم الكيمياء ، ونزل مرة لديه وقت الصيف الحار ، وخرج رضي الله عنه للطهارة إلى خارج البيت ، فتأنَّى في الطهارة ، وقال ضيفه

الچاري : ما أبطأك يا شيخ دمدان ! فقال : لم يكن أمر ما . فنظر الضيف الچاري تحت مكاعبه ، فوجد متعلِّقاً تحتها ثلجاً ، فتحيَّر الچاري فقال : يا شيخ دمدان ! بحق مَنْ رفعك إلى هذه المناصب ، ووفَّقك لترقى هذه المراتب ، أين كنت الآن حيث خرجت للطهارة ؟ فأنكر . فلما ألحَّ الچاري عليه قال الشيخ : إن سترْتَ أقول لك . فقال : أستر حتى تموت . فقال الشيخ : إني لما خرجت إلى خارج بيتك ناداني صيدٌ على الجبل الشامخ الذي عليه ثلج في هذه الحين بأنه قد غرز في مكان ضيِّق مشقوق في الجبل لا أقدر الخروج إلا بعنايتك ، فذهبت إليه وأخرجته من مضيقه ، وهذا الثلج المتلاصق تحت مكاعبي من ثلوجه . فتعجَّب الضيف من ذلك . فقال الشيخ دمدان : أتعجب من ذلك وعندي أعجب منه ؟ فقال الچاري : ما هو ؟ قال : إن الكفار ورؤساء الفجار يَبْنون القلعة في هذه القرية ، وفي بيت دكانك يكون الباب للقلعة الكبيرة . فتحيَّر الضيف الچاري أشد مما كان قبل ، وتخلَّى المطرقة الكبيرة من يده ، واشتدَّ هذا الأمر عليه شديداً ، فبعد ساعة قال : يا أخي الشيخ ! هل لا يذهبون بعده ؟ وهل لا يكون الدولة للمسلمين بعده أبداً ؟ فقال الشيخ : يرجع الكفار إلى أوطانهم ، ويخذلون بإذن الله تعالى ، حين اختلط ماء نهركم بنهر قرية كاطيخ . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى .

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه : أن الشيخ المحقق القدقي كان ليلة في قرية قدق ، فلما وصل بعد صلاة العشاء إلى البيت وجد امرأته فعلت أدْرِفة حسنة لينة . فقال : إن أخانا دمدان كان يحبُّ هذه الأدرفة ، فقال هذه المقالة ثلاث مرات ، فلما أتم الثالثة دخل الشيخ دمدان عليه ، فقال الشيخ القدقي : ما أبطأك يا أخي ! فقال : حين قلت أولاً كنت أصلي في بيتي في مُحّب في التشهد ، ولما قلت ثانياً كنت ألبس مكاعبي ، ولما قلت ثالثاً وصلت لديك . وكان بين قريتيهما مسافة يومين وأكثر منها ! وأحواله غريبة ، وحكاياته عجيبة ، وغرائبه كثيرة ، ومصنوعاته شهيرة ، لا يطيق الكتاب كتبها ، ولا القلم تحريرها . رحمه الله تعالى وإيانا .

ومات الشيخ دمدان رضي الله عنه في صفر سنة ١١٣٧ ألف ومائة وسبعة وثلاثين ، في كَنْجه[١] ، ودفن هناك عند شيخه ، وعليه الآن زيارة عظيمة ، وبركات جسيمة ، كما شافه لنا به مَنْ رآه رحمهم الله تعالى .

الشيخ حديث أفندي المجدي

وأعلمهم العلم العالم ، البديع البارع الفاضل ، أفضل المحققين ، أكمل المدرِّسين ، زين العلماء الأعلام ، وعظيم العظماء في الإسلام ؛ الشيخ العالم حديث بن محمد المجدي الهِدلي[٢] .

ولد رضي الله عنه في ١١٠٠ ، وروينا عن ثقات من ثقات أن الشيخ العالم حديث أفندي كان أعلم العلماء ، وأكرم الكرماء ، زاهداً في الدنيا ، راغباً في الأخرى ، وكان لا يطلب إلا قوت يوم وليلة ، وكان في الزهد على غاية ، وفي ترك ما سوى الله تعالى بلا نهاية ، وكان هيئته رضي الله عنه كهيئة الصحابة والسلف الصالحين ، يأكلون ما وجدوا ، ويلبسون ما صدفوا ، وكان لا يطلب زينة اللباس ، ولا يخاف لومة الناس ، ولذلك كانت تستحقره امرأته ، وتقول له : أنت نَسْر . وهيئتك هيئة نَسْر . وكان يبتسم

---

(١) حين فتحها – أي : ولاية كنجه – عثمانكواي فاشا والي تفليس حين كان في يد الدولة العلية العثمانية . (منه) .

* العالم المتبحِّر محمّد چلبي أفنديٍ ابن الشيخ محمد أفندي بن الشيخ إبراهيم أفندي رحمهم الله تعالى القباليين أصلاً ، ثم توطنوا في قرية عليج ، وكلهم علماء متبحّرون شافعيّون مدرّسون ، ومحمد چلبي الذي صنَّف كتاب « تذكرة الإخوان في بيان اصطلاح العلامة الشهاب ابن حجر رضي الله عنه » ومات محمد چلبي سنة ١٢٢٣ رحمه الله تعالى مع أبائه ومعنا آمين . انتهى من « آثار الداغستان التركية » للعالم حسن أفندي الكرالي اليراغي الذي مات في سنة ١٣٢٧ ألف وثلثمائة وسبعة وعشرين رحمهم الله تعالى وإيانا رحمة واسعة آمين . الذي هو سبط الشيخ المرشد الكامل محمد أفندي اليراغي رحمه الله تعالى .

(٢) وقع الطاعون الأكبر في ناحية هيد في أوَّل شوال سنة ١١١١ ، ثم وقع الطاعون الأكبر ثانياً فيها ومات علماءهم الكرام ، من حاجّ إبراهيم وحديث وبغجلو وميمون ، وغيرهم نحو تسع ، رحمهم الله تعالى . سنة ١١٨٤ . (مؤلف رحمه الله تعالى) .

كثيراً حين قالت ذلك القول . ففي يوم قالت له : أنت نَسْرٌ . قال : أتريدين أن ترين نسراً وحال نسْرِكِ ؟ فقالت : نعم . فوقف ﷺ على كوَّة البيت ، وطار كالنسر من جبل إلى جبل ، وكانت تنظر خلفه ، فقالت : والله أنت نسر ، وهيئتك حين تطير هيئة نسر فاعترفت بعد ذلك واحترمت له ، وأقرَّت رحمها الله تعالى وإيانا .

وكان ﷺ في علم العربية وفنِّ المنطق ماهراً ، وفي سائر العلوم كلها باهراً ، وفي تدريس العلوم ومباحثة العلماء قاهراً ، وفي علم الحرف وتصرُّفاته طاهراً ، وفي تقريرات مسائل العلوم ساهراً ، وفي تحقيق مشكلات الفنون ومعضلاتها شاهراً ، وعند أقرانه العلماء باصراً ظاهراً ، وفي جمع حطام الدنيا فقيراً ، وكان كلُّها عنده حقيراً ، دخل في الدنيا فقيراً وخرج منها فقيراً .

مات الشيخ حديث في ١١٨٤ رحمه الله تعالى وإيانا آمين .

ومناقبه كثيرة ، وأحاديثه شهيرة ، وأما ما كتبته في حقِّه وحقِّ غيره مما وصل إلينا فبالتواتر الذي يفيد اليقين ، وما لم يثبت به لم نكتبه عصمنا الله تعالى .

والحاصل أن الشيخ حديث أفندي كان عبرة لتاركي الدنيا ، وموعظة لعبَّاد المولى ، وأستاذاً لطلبة الأخرى ، وناصحاً بفعله للأنام ، لا بالقول للعوام .

الشيخ قربان علي الخرشي

وعلى قدمه وهيئته كان الشيخ العالم للحديث النبوي ، والمحقق لدقائق الأحاديث ، الخرشي ؛ أفندينا وشيخ والدنا قربان علي الملقَّب بـ« زَغَلو » ، ولقد أخبرنا والدنا الماجد أن أستاذه في الفقه زغلو ، وكان متبحِّراً في كل العلوم ، خاصة في علم الحديث ، كان يعلم من الأحاديث خمسمائة حديث من ظاهر قلبه مع أسماء رواته جميعاً ، وكان في الورع

والتقوى بلا غاية ، وفي التحرُّز عن مودَّة الكفار بلا نهاية ، وكان يكتب شرح البخاري « فتح الباري » للعلامة العسقلاني ، وكان يقول لي : يا إدريس ! إذا انتهيتُ من كتبة « فتح الباري » أقرأ البخاري إن شاء الله تعالى لولدي طلحة ، فإذاً يا ولدي تحضر عندي لأقرأه لك . قلت له : حُبّاً وكرامة ، سمعاً وطاعة يا أستاذي . وكان والدنا بعد هذه الحكاية يقول باكياً حزيناً : لم يتَّفق لي ولدي شعيب أن أذهب لديه لقراءة « صحيح البخاري » . بالنظر إلى حوائج الدنيا ومعايش البيت . انتهى .

وحكى لي شيخي وأستاذي إبراهيم دبر الشكني أنه كان تلميذاً عند الشيخ العالم زغلو في الدولة العلية الشمويلية ، وكان زغلو وقتئذ مفتي الناحية ، وإمام قريته ، وكنت أقرأ عنده كتاب « كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين » وكان يقرأ درسي سريعاً ، ويحرِّرها طريقاً ، فقلت له يوماً : يا أستاذي ! إني ابتدأت هذا الكتاب ، ولا أعلم اصطلاح علم الفقه ، ولو قرأت لي درسي بطيئاً ولو يوماً فهو مرامي . فقال رضي الله عنه : هل تريد ذلك يا إبراهيم ؟ فقلت : هو مرادي لا غير . فقال إبراهيم دبر : فشرع شيخي زغلو لقراءة درسي ، فبيَّن لي فيه حقائقه ودقائقه ، وحرَّر لي قواعده وضوابطه ، ولم يترك لي قاعدة من العلوم الاثني عشر إلا قرأه لي في هذا الدرس ، حتى ظننت أني عرفت اثني عشر علماً من أوَّله إلى آخره في هذا اليوم ، فعلى هذه الملكة العظيمة كان الشيخ زغلو ! فانظر إلى علو كعبه ، واتساع اطِّلاعه ، وضبط قواعده من العلوم كلها في درس واحد ، فرضي الله تعالى عنه وأرضاه . انتهى .

وفي سنة ١٢٨٥ كنت - أي هذا الفقير - مع الوالد أصلِّي صلاة المغرب ، فبعدها خرجْتُ إلى خارج البيت ، فرأيت السماء من جهة المغرب حمراء كالطحال ، فناديت وقلت : يا أبتاه ! ألا تنظر إلى السماء كيف احمرَّت ! فخرج الوالد فنظر ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فوالله يا ولدي لقد مات هذا اليوم أكبر العلماء من جهة المغرب . فبعد يومين سمعنا أن زغلو قد مات ، فرحمه الله تعالى وإيانا آمين .

الشيخ محاحجيو المكقي

ومنهم ألزمهم على الله ، وأشدهم في دين الله ، أفضل الزمان وأورع الأوان ، أكمل الأقران ؛ الشيخ الشهير ، والبدر المنير ، الشيخ محاحاجي المُكُقيّ رحمه الله تعالى .

ولد رحمه الله تعالى في ١١١٠ ، ومما أخبرنا أهل قريته من الآباء والأجداد أن محاحاجي كان في غاية من العلم ، وبحراً لا ساحل له في الفهم ، صاحب الكرامات العليَّة ، والخوارق الجليَّة .

وكان كثير الضيفان ، وغالب الرهبان ، وتارك الخلطة من الناس ، ومحترزاً من الوسواس الخناس ، ومدرِّساً في العلوم كلِّها ، وكان له مسجد مستقل بناه للتدريس فقط .

وكان على تلك الهيئة الحسنة ما دام حيّاً ، وبعده قام مقامه ولده العالم الألمعي صاحب العلوم العجائب ، والفهوم الغرائب ؛ أكرم أهاليه ، وأزكى أقرانه ، الشيخ العالم قاضي عبد الله المكقي .

ولد رضي الله عنه في ١١٣٠ ، قرأ العلوم من أبيه ووالده المذكور الحاج مَحَى ، وقد كان رحمه الله تعالى لا يلازم العلوم ، ولا يكرِّر الدروس ، ويقول له والده : يا عبد الله ! لِمَ لا تطالع درسك ؟ وكان يقول : يا أبتاه ! إني أعلم درسي وإن لم أطَّلع عليه ولم أكرِّره . فكان أبوه يُقرؤه ويجده عارفاً لدرسه ، وأعلم منه ومن مصنف الكتاب ! وكان والده يتحيَّر من أمره ، ويقول : يا ولدي علمك وهبيٌّ لا كسبي ، وفهمك إلهي رحماني لا قلبيّ . جعلنا الله تعالى في بركاتهما آمين .

وكان القاضي عبد الله أفندي كثيراً ما يسافر إلى ولاية خراسان وإيران ، ويقع مع علماء الشيعة وبينه مباحثات كثيرة ، ومناظرات غريبة ، وكان يغلب عنهم ، وكانوا لا يمكن لهم إلزامه بفضل الله تعالى وكرمه ؛ كيف ! وكان علمه طبيعية رُصّعت في قلبه ، ونقشت في لُبِّه وخُطَّت بين لحمه ودمه !

وكان للشيخ محى حاج امرأة بذيئة[1] ، وصاحبة ناطقة بألفاظ غير لائقة لجنابه ، وكانت لا تحبُّ الضيف ، وتشكو منه جهاراً ، وكان يعظها كثيراً ، وينصحها وفيراً ، ويقول لها : يا امرأتي إن الضيف يأتي برزقه ، ويرتحل بذنوب القوم ، وهكذا قال رسول الله ﷺ . وكانت لا تسمع لقوله ، فيوماً أخرجها إلى سطح داره وقال لها : أرأيتِ رجلاً يجيئ إلينا من طريق قرية بَاكِنُب ؟ قالت : نعم . فضمها إلى صدره ، وقال : انظري بقلبكِ إلى ذلك الرجل الجائي وما كان يجيئ خلفه . قالت : أرى خلفه شيئاً كبيراً أبيض مثل الثلج يتدحرج وراءه . قال لها : إن ذلك الرجل ضيفنا ينزل في بيتنا . فجاء الرجل ونزل وبات ، ثم وقت الصباح رجع وارتحل الرجل ، ووصل إلى المكان الذي رأته أمس ، وقال لها : اصعدي إلى السطح . فصعدت ، وضمها إلى صدره ، وقال لها : انظري بقلبك إلى ضيفنا . فنظرت ، فقال : هل ترينَ شيئاً مّا خلفه ؟ فقالت : والله أرى شيئاً أسود كبيراً . فقال لها : هل تعرفين حقيقة ما رأيت أمس واليوم ؟ فقالت : لا . فقال : إن الشيء الذي رأيتِ أمس خلف الضيف فهو بركة ونعمة من الله تعالى ، وأما الشيء الأسود الذي رأيت اليوم يذهب خلفه فهو ذنبي وذنبك ! وهذا بركة الضيف ، فلعلك لا تملِّين الضيف بعد اليوم . فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، إن هذا لشيء عجاب . فأقرَّت بعد ذلك له ، وأذعنت أمره ، وكانت بعد ذلك تفرح إذا جاء ضيف .

وكراماته رحمه الله تعالى كثيرة ، فلنكتف بذلك . مات[2] رحمه الله تعالى في ١١٥٨ .

---

(١) في نسخة : بذية .

(٢) ومات ابنه العالم عبد الله أفندي المذكور في ١١٨٠ ، ودفن في مقبرتهم . رحمهما الله تعالى وإيانا آمين « مؤلف » .

الشيخ العالم عبد الله أفندي الباكني

ومنهم أكرم الأكرمين ، وعالم العالمين ؛ الشيخ الهمام ، والبدر الإمام الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن شعبان الباكني قدس سره .

ولد رضي الله عنه في ١١٩٣ ، وقرأ العلوم كلها بكلِّيَّاتها وجزئيَّاتها ، وتبحَّر في الفنون جلِّها ؛ في معضلها ومشكلها ، حتى في علم الحرف ، وكان له حجرة مبنيَّة لأجل قراءة الدرس ، كما رأيته في صغري ، وكان يجمع الطلاب ، ويرضي العوام ، ويعلِّمهم ويؤدِّبهم غاية تأديب ، ويحرِّضهم في طلب العلوم وتفنين الفنون .

وكان من تلاميذه الشيخ العالم المحقق المارِّ ذكره محمد حجيو بن سيدو الثني ، والعالم الفقيه محمد بن تلال القچري ، وغيرهم مما لا تعدُّ ولا تحصى ، وكان الشيخ عبد الله أيُّ رجلٍ ذهب عنده لتحصيل العلوم كان له التوفيق التام للعلم والحفظ ، وكان العلم سليقته وطبيعته رضي الله تعالى عنه .

وكانت امرأته سارة تقول لنا : يا بني ! إن زوجي كان يخوِّفني في كثير من الأحيان ، وكنت إذا فعلت الأدرفة ووضعتها على الأرض كانت ترقص كالإنسان ، وتصعد من البيت إلى العلى ، وكنت أهرب مما رأيت أولاً ، وأخاف ، ولكن كنت لا أخاف آخراً ، وكان عبد الله زوجي ذا عجائب عجيبة ، وكرامات لطيفة ، وكان لا يمكن لي إظهارها وإخبارها للناس . انتهى . مات رحمه الله تعالى في ١٢٥٧ .

ومن العجائب أنه كان مات واحد من أقراني - أي المؤلِّف - وحفر قبره عند رأس عبد الله المذكور ، فصار كوَّة منه إلى قبره ، فنظر الناس إلى قبره ولم يروا شيئاً ، لا عظماً ولا لحماً ! فتعجَّبوا من ذلك ، وأخبروا بذلك والدنا الشيخ العالم إدريس أفندي ، فقال : سبحان الله ! إنه قد نقل من أرضنا إلى أحد الحرمين ، إن هذا أمر عزيز . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الشيخ أبو بكر العيمكي

ومنهم أفقههم في دين الله ، وأحبُّهم إلى الله شمس فلك الهداية ، وقطب دائرة السعادة ؛ نجم العلوم والمعالي ، بدر الفنون والعوالي ؛ عين العناية ، وكنز الهداية ؛ السميُّ باسم الصديق الأكبر والمسك الأزفر الحاج أبو بكر ابن معاوية العيمكي رحمه الله تعالى .

ولد رضي الله عنه في سنة ١١٤٥ ألف ومائة وخمسة وأربعين في قريته العيمكية ، فلما نشأ نشأة حسنة ، وبلغ المقاصد الحسنة ، وبلغ في العلوم منتهاها ، وفي الفنون غايتها ، وله تقريرات كثيرة في الكتب ، ومناظرات لطيفة في الشروح والحواشي ، وألَّف « الشرح المتين لفضائل الحبيب ومناقب الطبيب » بحيث يشفى العليل ، ويسكن الغليل ، كان منبع المعارف الإلهية ، ومهبط الأنوار الربانية .

وكان في نصيحة الخلق كأبيهم ، وتربيتهم في دينهم كأمِّهم ، ولكن كان أهله وكل أهالي الداغستان وقتئذٍ أصحاب جهل غالب ، وذوو عقل كالب ، لا ينظرون إلى أحد ولا يقتدون ، ولا يفترون عن المعاصي ، ولا ينتهون ، وكان أهالي الولاية الداغستانية أهالي صعب ، لم يقدر أحد تذليلهم وتسخيرهم ، إلا أمير المؤمنين شمويل أفندي ، وبعده هؤلاء الملاعين الكفار ، خذلهم الملك الجبار ، وتجلَّى عليهم باسمه المنتقم لا الغفار . آمين .

وكان رضي الله عنه حيث لم يقبلوا النصيحة يقع في غمٍّ شديد ، وحزن أكيد بحيث يكاد يهلك نفسه ، كما قال الله تعالى في حقِّ رسوله ﷺ ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ . وكان ذا غيرة عظيمة في دينه ، وشجاعة شاجعة في قوله ، صاحب سطوة صائلة ، وقولة صائبة ، وكان أهل قريته أهل سكر وسكران ، دائمين على كلِّ لهو ولعب وندمان ، ولأجله هاجر إلى قرية هَرَكان ، ومات فيه[1] في ١٢٠٥ ألف ومائتين وخمسة ، فرحمه الله ورضي الله عنه .

---

(١) وهو وسبطه سعيد في قبر واحد هناك ، ومات سعيد الهركاني في ١٢٥٠ رحمهما الله تعالى وإيانا (منه) .

وكان يقول : إن الكعبة المعظمة حيوان كالإنسان ينطق لمن يريده ، وهكذا في الكتب ، وكانت الكعبة تتكلَّم معه ، ورحَّبتْ له حين ذهب للحج .

وكان أيضاً يقول : إني كنت أرى رسول الله ﷺ في المنام ، ثم لما أكلت طعاماً من مائدة الملعون نادر شاه الشيعي القجاري انقطع رؤيته ، ولم أره مدَّة طويلة ، وحزنت بذلك حزناً شديداً ، فتضرعَّت إلى الله تعالى ورسوله كثيراً ، فبعد ذلك رأيته ﷺ بعيداً عني ، مولياً ظهره إليّ ، فناديت : يا حبيبي رسول الله ما الذي أبعدني عنك ، وطردني عن حضرتك ؟ فقال ﷺ : إني لا أتقرَّب إلى مَن يأكل طعام الكفرة ، وسفرة الفجرة . فتنبَّهت عن ذلك النوم ، فتبت إلى الله تعالى توبة نصوحاً ، وكنت بعدها أرى رسول الله ﷺ في المنام .

وكان معاصره العالم العَلَم ، صاحب الكرم ، محمد أفندي بن موسى الأقشي .

فإنه ولد رضي الله عنه في ١١٤٥ ألف ومائة وخمسة وأربعين ، وكان صاحب العلوم الربانية ، والمعارف الرحمانية ، وكان خاصة في علم المنطق كأنه ابن سينا ، وفي فنِّ المناظرة كساچقلي زاده المرعشي ، وفي سائر العلوم كان متبحِّراً ، وفي تحقيق المسائل نحريراً ، وفي جمعها كان بحراً .

ولقد وقع في زمنهما أمر فظيع في أوله ، وقصة فرحة في آخره : أنه جاء اللعين نادر شاه الخراساني على ولاية داغستان لجعلها رعية له ، وضبطها وتسخيرها كأغنام له ، بجنود كبيرة ، وعساكر كثيرة ، بحيث لا قبل لأحد لهم ، وجاء المخذول الملعون من خيداق وتفسران وكُرا مذللين لهم ، حتى وصل إلى غازي غمق ، فأخذ سلطان سرخاي الثاني وربطه وقيَّده بقيود وأسره ، وجعل حليلته عائشة امرأة فاعلاً بها ما يفعل الرجل بامرأته الحلال ، وكان يفعل ذلك في مرأى من سرخاي خان ، وصعب ذلك على جميع الولاية الداغستانية ، وهرب ابنا سرخاي خان ،

وهما مرتضى علي ومحمد خان إلى قرية سغراڀ ، وجمعا جموع الديار الداغستانية من أولها إلى آخرها ، وقالا لهم : إن ما يفعل الملعون بأبينا وأمِّنا وولايتنا يفعل لكم ، والموت قبله ألف مرة خير لنا . . .[1] كان المخذول شاه إيران (في زمن سرخاي خان الأول) أرسل عسكراً عظيماً إلى وادي سمبول لتسخيرهم وتذليلهم وتحقيرهم ، وكان هؤلاء العساكر المخذولة يفعلون بالنساء وبالولدان ما لا يليق أن يُخبر به ، ووصل مقدمة هؤلاء العسكر إلى جبلٍ قبالة قرية : « هُچُط » التي فيها العالم الشجاع علي أفندي القلّي ، وكان الشيخ العالم حديث المچدي ، وكل علماء داغستان دائمين في الدعاء على الملعون نادر شاه بخذلانه وجنوده ، وكان حديث أفندي الهدلي ارتقى على جبلٍ عال في ولايتهم مع التلميذين الأديبين ، وكانوا عليه أياماً عديدة ، ثم قصد اللعين أن يتخطى إلى ولاية أوَار ، وضرب خيمته القبيحة الفظيعة فوق شاهق دُرْچ ، وصار ينظر إلى عسكره وعسكر الداغستان الحاضرة للمحاربة ، وكانت العساكر الداغستانية مجموعة هناك كلها حتى من سهل ، ووصل مقدمة عسكر اللعين بين قريتي مُخُّبْ وعُبُخْ على تل مرتفع هناك ويقال له الآن تل ، هلك عليها جنوده قجار ، وتحتَ حجر كبير هناك عظامهم الطاهرة ومثل هذا اليوم فاستشار العالم الباسل علي القلي لأهالي ولايته سمبور وقال : ما نفعل بهؤلاء العساكر ، إنهم يفعلون بنا ما يفعلون ؟ وقالوا له : والله لا نعلم ما نفعل وليس لنا طاقة لحربهم وتذليلهم . وقال لهم علي القلي : أنا أعلم ما نفعل . فقالوا : ماذا ؟ قال : أنا وبعض الكبراء نذهب لديهم ونقول لهم : إنا صرنا الآن في قبضتكم واختياركم ونريد أن نضيفكم ضيافة عامة ، وحضرنا الآن لأن ندعو أكابركم ثم ندعو أصاغركم ، ثم إذا حضر أكابرهم في قريتنا نقتلهم إلى آخرهم ، ثم نذهب لدى العسكر حاضرين مسلحين متهيّئين على سبيل المهادنة والمصالحة معهم ، ثم إذا حضرنا لديهم في

(١) هناك سقط في هذا الموضع من الأصل ، الله أعلم بمقداره .

غفلتهم نصولُ عليهم صولة رجل واحد ، وإلى أن يتهيّئوا بأسلحتهم نقتل نصف عسكرهم ثم ينهزمون بإذن الله ، فقالوا : يا أخانا العالم الأشجع علي أفندي هذا هو الرأي الصائب والفهم الثاقب ، ثم فعلوا ما ذكر فقتلوا أولاً أكابرهم ، ثم ذهبوا إلى معسكرهم متهيّئين ثانياً ووثبوا عليهم وثبة رجل واحد قائلين : ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ ،

فالتقى الجمعان والتحم القتال في عُبُخْ ومُحُّبْ وفوق جبل قدَّام قرية هجُطَ قبل هذا بمئة سنة تقريباً في يوم واحد في ساعة واحدة وقت الاستواء فانهزم الملعون بنصرة الله في المكانين معاً وولَّوا مدبرين ، وقُتلوا قتلاً ذريعاً حتى صاروا كالسنبل المحصود ، حتى حُسِبَ أنه قُتل في مزرعة واحدة من مزارع عُبخ يبذر فيها كيلٌ مائة شيعيّ ، وفرّوا وانخذلوا ، وتتابع العساكر المنصورة عليهم ، وضربوا السيوف الصارمة ، والأزلام الصائبة ، وأهلكوا منهم عدداً لا يعلم عددها ، وذهبوا خلفهم قاتلين سالبين ، حتى وصلوا إلى باب الأبواب دربند وكانت مسكنه حينئذ ، وندم اللعين على فعله حيث لا ينفعه الندم[(١)] . وبعد ذلك يكون كثير من العداوة من أهل الشيعة لولاية داغستان ورجالهم ، ولولا خوفهم لما تركوا أحداً حضر إليهم في كنجه وشماخ وإيران وغيرها ، ولم ينسوا ذلك الأمر والقصة إلى الآن ، خذلهم الله تعالى والكفرة الفجرة في كل وقت ، الآن وبعد الآن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصدر هذه القصة في سنة ١١٥٣ .

(١) وفي المزارع التي وقع فيها المحاربة أولاً لم ينبت فيها شيء من النبات والحشيش ، ولم يمكن لأحد من الإنسان أن يمرّ منها سبع سنين من كثرة جيفهم ونتن رائحتهم ، فسبحان الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ . هكذا وصل إلينا أخبارهم بالتواتر الذي يفيد اليقين لا بخبر الآحاد . (انتهى مؤلف) .

ومات العالم المحقق المدقق علي القِلي في سنة ١١٥٧ وكان تلميذاً للعالم العالي حائز رتب المجد والمعالي ملاّ محمد الغلدي في قريته الغلدية المبنيّة على الجبل ، وقرأ عليه المعان في ١٠٥١ وسائر العلوم بعد ذلك عليه .

وله رحمه الله تعالى مكاتبات عجيبة بعبارات غريبة[١] ، التي أرسلها إلى المدقق المحق محمد بن موسى القدقي ، إلا أن علي القلي كان أسنَّ منه ، والمحقق القدقي أصغر منه سنّاً كما يعلم من تاريخ ولادتهما . جعلنا الله تعالى في بركاتهما وبركات أمثالهما آمين يا رب العالمين .

ومنهم وارث النبي الأمي منبع العلم اللدني ، مورد العلوم الزاهرة ومصدر الأخلاق الفاخرة ، الذي طاب مسماه باسمه ، ونال جميع المراتب بتوفيق ربِّه العالم الأعلم وشيخ الإسلام الأكرم شيخ أحمد بن محمد الحروخيّ رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد أفندي الحروخي

ولد رضي الله عنه في سنة ١١١١ ولما تمّ له سبع سنين وتميّز له الفرق بين السماوات والأرضين اشتاق إلى العلوم والمعارف ، وأحب العلماء واللطائف ، وارتحل ودَارَ الديار الداغستانية لقراءة العلوم وتدريس الفنون وكثرة مقامه في ناحية هيد عند علمائهم الأكابر وفضلائهم ذوي المآثر كالحديث والبيمون الهذطيّ والحاج إبراهيم العرادي وغيرهم رضي الله عنهم .

---

(١) وقد وجد بخطه رحمه الله تعالى : قد وقع الفراغ من تنميق شرح العقائد في يد العبد الحقير القلسي علي بن حسين غفر الله تعالى لهما يوم الاثنين من رجب سنة ١٠٥٠ من الهجرة عند مولانا العالم الكامل الفاضل المدقق الحاذق ، الفاهم المتبحر في كل علم الملقب بفيض الله ملاّ محمد الغلوديّ رحمه الله تعالى . انتهى من خطه رحمه الله تعالى (المؤلف) .

وكان كثير مجلسه عند فاطمتلو الحُدطيّ ، وكان أكثر مقامه في طدِب ، فوصل في تحصيل العلوم منتهاه ، وفي كسب المراتب الجليّة غايته ؛ حتى صدرت منه خوارق العادات وأكثر الكرامات ، وأذعنت له أكثر الناس واستفاد منه أكثر التلاميذ ، فبعد فراقه من بيته ذهب مدة خمسة وعشرين سنة ، ولم يذهب إلى بيته في تلك المدة ؛ ولو مرة بكثرة شغله على العلوم وشدة اشتياقه لحيازة مكارم الأخلاق والفنون .

ولما أتمَّ مقصوده وحصَّل مفاده ، قصد زيارة والديه ، ورؤية وجوه الأقارب وأبويه ؛ فارتحل إلى قريته ، ووصل إلى وطنه وقت الظهر ، وصلى الصلاة مع الجماعة ؛ ولم يعرفه أحد من أهل قريته ، فقالوا له : أيها الضيف الكريم هل لك ضيف هنا لنزولك ، أم نعطي لك ضيفاً وذلك عادتنا ؟ فقال لهم : إني كنت وصلت هنا قبل خمسة وعشرين سنة ، وإني أدري بيته وإن لم أعرف اسمه فقالوا : إذن لا بأس تذهب إلى ذلك البيت وتجد لك ضيفاً ، فذهب رضي الله عنه إلى بيته فوجد أبويه فسلَّم عليهما فقعد عندهما ، ولم يدرهما . فقالا له : أيها الشاب هل تعرفنا ؟ فقال : كنت وصلت هنا قبل سنين . فقالا : اجلس مرحباً أهلاً وسهلاً . فكان عندهم يوماً وليلة مع عدم علمهما بأنه ابنهما ، ولم يعرّفهما بأنه ابنهما . وقيل : ذهب كذلك ثلاثة أيام بلياليها ، ثم وقع الخبر والقصة بينهم فقال لهما : هل لكما ابن وأولاد ؟ فقالا : يا أيها الضيف ! إن لنا ابناً لا يريدنا ولا يقصدنا ولا يزورنا ، في بلاد بعيدة ومدائن شاسعة ، وإن الناس يقولون : إنه صار من العلماء الأعلام ، والمشائخ الكرام . فقال : إن رأيتماه ، هل تعرفانه ؟ فقالا : أأنت هو ؟ فقال : أنا ابنكما وقرَّة عينكما ، فبكيا من شدة فرحهما فتعانقا له من اليمين والشمال ، واجتمع إليه جميع الأقارب والجيران ، وكل أهالي القرية والإخوان ، فتوجَّهوا له وأظهروا النشاط له ، فمضى على هذه الكيفية أيام .

ثم إن أمه قد نشرت حنطة فوق السطح لذهاب رطوبته وكمال يبوسته وطحنه ، فنظر رضي الله عنه إلى تلك الحنطة فرأى بعين بصيرته أن تلك الحنطة يأكل بعضه بعضاً ، فنادى أمه ؛ فقال : يا أماه ما هذا ؟ أعطيني عصاي وأمتعتي فإني أفارق عنكم وارتحل . فقالت أمه ؛ ما تقول يا ولدي ، كيف يمكن هذا مع أنك لست قمت هنا إلا أياماً قلائل ، وكنت بعيداً عنّا مدّة مديدة ؛ هل تليق المفارقة بيننا الآن ؟ فقال : يا أماه ، كيف أقيم بين أظهر قوم لا يعطون زكاة أموالهم ، ولا يتصدّقون بفضول أمتعتهم ؟ فقالت : كيف ذاك ! وما رأيت يا بنيّ ؟ فقال : رأيت حنطتك التي نشرتها فوق السطح يأكل بعضها بعضاً ؛ فإنه مال لم يخرج الزكاة منها ، ولم يؤدَّ حق الله تعالى عنها .

فتبادرت وقالت لزوجها : إن ابننا الشيخ أحمد يفارق عنّا إن لم نخرج زكاة من حنطتنا ، فما نفعل ؟ فقال : نخرج ؛ فأخرجوا الزكاة منها ومن غيرها ، وألحَّ كل الجماعة الحروخية له بسكونه بينهم ، فتوطَّن مدَّة هناك وكان كثرة سكناه في المقبرة ، وكان يقول كثيراً لمن حوله من الناس : ألا تسمعون إلى صرير يسمع من الجوّ الأعلى ؟ فقالوا : لا . فقال : إني أرى وأسمع أن سلالم الملائكة الذين يحملون الأخبار من هنا إلى الحرمين الشريفين ، ويحملون الأشرار من هناك إلى الأرض الخبيثة ، وأصوات الصرير من ذلك ، وإني أراه حين قعدت فوق قبور المقبرة . وكان يخبرهم بالمغيبات العجيبة ، والكرامات الغريبة .

وكان رضي الله عنه أمين سرِّ الله المكتوم ، ومودع غرائب العلم المختوم ، وكان كل وقت ينطق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتي هي أحسن ، ويدرس العلوم الفقهية ، ويلازم الفنون الأدبيّة ، ويمارس الأصول والفروع ، ويجالس الوضيع والرفيع ، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا في الأمر بالمعروف سطوة ظالم .

وكان له إخوة كرام ؛ علماء عظام ؛ وفقهاء كرام ؛ خاصة ! أخوه العالم الألمعيّ ؛ صاحب الشروح والحواشي الذي يزيل عن صدور الطالبين الغلّ والغواشي : علي أفندي .

والعالم العلم ؛ علم العلماء ، وراية الفقهاء غازي .

وكان لهم كتب كثيرة ، ودفاتير وفيرة في كل العلوم الاثني عشر . كما رأينا أكثرهم ، ولكن تفرّقت الكتب في البلاد ، بعدم الذريّة لهم والأولاد ، ولم يبق في قرية حروخ منها إلا الأقلّ من القليل ؛ لا يشفي العليل والغليل ، فلله درّهم ، وإلى النعيم مردُّهم .

وكان جميع كتبهم كتبوه ، وكل إشكالها حرّروه ونقّحوه ؛ بكتبة التقريرات على مشكلاتها ، والحواشي على معضلاتها .

وإذا رأى عالم كتاباً منها يعلم ما فيها ، ولا يشكل شيء منها ، ويمرُّ في مشكلاتها كما يمرُّ في الطريق المخوف بأخذ يدٍ فيها . ولكن لا أعلم تاريخ ولادتهم ووفاتهم ، ولم أطلع إلى الآن .

ثم لما أراد الشيخ أحمد نقله وارتحاله إلى الديار الهدَليّة والقرى الجبلية ألحَّ الجماعة الحروخية ، والرجال الأقاربية بالسكون في القرية فأجاب لهم : ما تقولون ؟ إن موضع قبري ليس هنا ، وموضع ضريحتي في هدَلٍ ؛ لا يكون ما تقولون أبداً ! فلما عزم على السير ولم ينفعه الكلام والخبر ؛ أذنوا له فخرج وخرج معه جميع الجماعة ، ووقف عند المقبرة فدعا لهم وأخذ التراب من تحت قدميه فرماه إلى جهة المقبرة ثم مرّ قليلاً إلى أطراف المزارع فوقف فيها متفكراً ، وأخذ كذلك تراباً من تحت قدميه ورماه إلى جهة المزارع ، فتحيَّرت الجماعة والأقارب فيما فعله ، فقال : إني لما سلّمت للمفارقة من أهل المقبرة طلبوا مني الرفقة معي فرميت إلى جهتهم التراب ؛ فأمرتهم بالسكون في مقبرتهم ، وكذا لما عزمت المفارقة عن المزارع خرجت البركة الكائنة فيها وعزمت أن تسافر معي فرميت التراب إلى جهتها ؛ فقلت : لا تفارقي موضعك ولا تسافري معي ، وهذا سرّ رميي التراب في المكانين . انتهى ما قال .

قلت : إن ما فعله هذا الشيخ ؛ وإن أنكره الأغبياء يقبله الأولياء ، وكرامات الأولياء حق صادق ولا ينكره إلا منكر مخذول فاسق . انتهى .

ثم إن الشيخ العالم شيخ أحمد الحروخي ارتحل إلى ولاية هيد وقام فيه ، وفي قرية طِدِب مدة ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى ١١٧٩ وهناك قبره يُزار ويتبرك به .

وأما سائر أحواله وأحوال وأخبار إخوته العلماء لا نطيق بيانه ، ولا نعلم حقيقته . وهذا المذكور نبذة من فضائلهم ، وغرفة من اليمّ من فواضلهم .

وما كتبته هو الذي سمعته من ثقات عن ثقات على سبيل التواتر ، وإن كان فيه ضعف وادّعى عليه العلماء أجيب لهم وأقول : إن ما ذكرت في فضائل هؤلاء المشائخ ، والأولياء الشوامخ ليس فيه حكم من أحكام الله تعالى ولا نسخ من آياته ؛ بل حِكَم وفضائل ، ويجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال . والله أعلم .

الشيخ علي أفندي الچناوي رحمه الله

ومنهم مكامن الأخلاق الحميدة ، والفضائل المديدة ، والكرامات المديدة ، العالم العلم شيخ الكرم شمخصّان علي الدسركي الچناويّ رحمه الله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب ، ورازق الأباعد والأقارب ؛ إنه كان لمن العلماء العاقلين العاملين ، والأولياء الكمل الصالحين . ولد رضي الله عنه في ١١٢٩ ولم يعلم أصله ووطنه الأصلي ، وأما سكونه كان في قرية حروخ أوَّلاً ، وكتب الكلام الشريف هناك ، ووقفه في مسجدهم الجامع وهو الآن موجود يقرأ ويتبرّك به .

ثم لما رأى عدم إطاعتهم لأمر الله وسنة رسول الله ﷺ ، وترك الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ولم يقبلوا نصيحته إلا ما فيه فضيحته ترك قرية حروخ ، وهاجر إلى قرية چنب (وهي قرية صغيرة

فوق الجبل ، لا يصل إليها أحدٌ ما إلا بالقصد وكثرة الاحتياج) ، وتوطّن فيها ، وبنى مسجداً هناك ، وأقام للعماد له جزوعين متقاربين ، وأتمّ المسجد وقال : إن كلّ أحدٍ صاحب المعاصي لا يطيق أن يمرَّ بين هذين العمودين ، وكان كذلك ، وكان لا يطيق أحد أن يمرَّ من بينهما بل كان العمادان يأخذانه ويضيِّقانه ، ولا يمكّنانه لخروجه إلى الطرف الآخر فهذا أمر بارز لكل الخلائق .

وهذه الكرامة الكريمة كانت مشهورة معلومة ولو في زماننا هذا . ثم لما انهدم سقف المسجد وخرب سقط العمودان اللذان أوقفهما الشيخ علي ، ثم اوقفهما الأخيار وفاتت هذه الكرامة بعده ، ولا يكون الأخذ والتضييق إلا نادراً ؛ وأمثال هذه الكرامة شهيرة ، وفضائله كثيرة ، رزقنا الله تعالى من بركاته وبركات أمثاله .

انتقل رحمه الله تعالى في ١١٩٨ في تلك القرية ودفن في طرف مقبرتهم المباركة ، وعليه قُبّة وبركة عظيمة كما رأينا وزرنا .

وأما القسم الثاني من المشائخ الداغستانية الكمل ، والأولياء الجمل ، الذين وصلوا إلى الله تعالى بالجذبة الإلهية والعناية الربانية بلا مرشد كامل حي يرشدهم إلى الله تعالى . منهم فيما وصل إليه علمي ، وطار إليه فهمي :

الشيخ كنت الچچاني رحمه الله تعالى فإنه كان في زمن ولاية أمير المؤمنين شمويل أفندي في ولاية چچان ، وبكثرة جذبته وسطوة الحال عليه كان يرقص في ذكره ، ويصفق في فكره ، وكان الحال يغلب عليه ، والواردات تفوق عليه ، ولولاه لما فعل ذلك ، وخاض في ما هنالك ، ولأجل ذلك لما رأى الشيخ جمال الدين فعله ورقصه لم ينكر عليه . وإنما الإنكار في فعل مثله بلا غلبة حال ولا سطوة معها ، وذلك الإنكار حينئذ واجبٌ كما صرَّحه العلواني في « نور العين شرح سلك العين » وأمثاله كثيرة في كتب التصوف فليراجع إليها المنكر لكلامي والمعاند لمرامي .

ونحن الآن ننكر على أهل الرقص لعدم غلبة حالهم ، وإنما يلعبون بدينهم خذلهم الله تعالى ، وفرّق جمعهم وشملهم ، أو هداهم إلى ما هو خير لهم في الدنيا والآخرة .

والشيخ الشهير والبدر المنير الشيخ ملاّ محمد الهوعيّ فإنه كان راعياً في ريفهم كما تواترت الأخبار إلينا به فوق تلٍّ بعيد من الماء والنهر ، وأجنَبَ ليلة ثلاث مرات ، واغتسل في تلك الليلة ثلاث مرات بذهابه إلى النهر الكبير ، البعيد من ريفه مسافة كثيرة ، ولم يقف حتى الصباح تأدّباً لله تعالى ، فنودي في المرة الثالثة من طرف الهاتف : بشرى لك يا ملاّ محمد إنك كُتبْتَ من الأولياء الكبار .

وكان من كراماته : أنه كان يطرح شيئاً فوق النهر الجاري وكان يصلي عليها ؛ واقفاً غير متحرّك ، وكان النهر لا يحرّكه ولا يختلسه ، وأمثاله كثيرة منه .

وله أخ على قدمه كذلك ، وكذلك في قرية هوع مشائخ مثلهما حتى يقال إنه سبعة أو ثمانية . ولم أعلم تاريخ ولادتهم ووفاتهم .

والشيخ الدرويش شيخ عبد الله الأوريّ رحمه الله تعالى فإنه من معاصري الشيخ شمخُصّان علي الجناوي المذكور .

ولد رضي الله عنه في ١١٣١ ، وكان كما تواتر الأخبار من الدراويش الذين وصلوا إلى الله تعالى بالذلّ والانكسار كما قال الأولياء الكمّل بذلك .

مطلب

فإنه ليس طريق أسهل للعبد للوصول إلى الله تعالى من الذلّ والانكسار . رزقنا الله تعالى الذلَّ والانكسار في الظاهر والباطن والوصول .

وكان صاحب الكرامات الغريبة ، والخوارق العجيبة ، يحكيها قرن بعد قرن إلى يومنا هذا ، والله تعالى أعلم .

ومات رضي الله تعالى عنه في ١١٨٠ فرحمه الله تعالى وإيانا ، ودفن في مقبرة قرية أُورِ ، وعليه قُبَّة عظيمة وبركة جسيمة ، وزرنا عليه مرات كثيرة ، ونزور بعد الآن إن شاء الله تعالى .

والشيخ الخفيّ عن الأغيار ، والمعلوم لدى الملك الغفار : حُسَينلو الحروخي رحمه الله تعالى فإنه كان جدّاً لأمّ المؤلف من طرف الأمّ ، فإنا قد سمعنا من أفواه الثقات ، وتكلّمات الرواة ، أنه كان إذا ذكر الله تعالى كان يجاوبه جدران بيته وعماد سَقفه ، ولكنْ كان دأبه الإخفاء ، ولكن كان يظهره الله تعالى على الملأ ، وقبره في قرية حروخ يزار ويتبرّك .

ولد رضي الله عنه في ١١٧١ ، ومات في ١٢٢٨ رحمهم الله تعالى وإيانا آمين .

والشيخ الأعظم والولي الأكرم : الشيخ سلتان شيخ أمير[١] المشلشي رضي الله تعالى عنه حتى قيل إنه من الأقطاب والله تعالى أعلم حقيقة الحال ، ومات في[٢] ٩٧٠ .

وكذا الولي الكريم شيخ محمود الزاخوري والمشائخ الذين دفنوا في قرية أتّال ، ثمانية مشائخ في حفيرة واحدة ، وكذا الشيخ الكائن في كُرش قد سمعنا أن بعضهم إخوة لبعض ، وأنهم جاؤوا من شروان ، وأصلهم من شروان ولم نعلم حقيقتهم . ولم نعلم هل لهم مرشد كامل أم لا !

وعلى قدمهم المبارك الشيخ فِرْ سليمان الشالبوذي ، والشيخ الأكبر شيخ جنيد الحضراوي الخيداقي رحمه الله تعالى[٣] .

---

(١) ولقب بأنه « قطب الأولياء » (منه هامش الأصل) .

(٢) وكان في القرن العاشر ومات فيه قدس سره ، ورزقنا من بركاته (منه) .

(٣) ولقد وجدنا في بعض كتب التواريخ أن الشيخ الحضراوي كان أصله من بلدة أردبيل من ولاية إيران ، فارتحل منه مع مريديه كالجند لسياسة ولاية داغستان بالأمر=

والدرويش الراعي شيخ بابارَتْما ، والشيخ الأعظم تفلان بابا الجَبليّ ، وغيرهم الذين لا أطّلع عددهم وحقيقتهم ، وكلّهم لا يعلم عددهم إلا الله لأن ديارنا الداغستانية من لدن جاء الإسلام إليها معدن العلم والمشائخ ، وتراب طبائعهم معجون بهما ، وأرضهم مؤلف منهما ، ولم يساويهم في العلم إلا الديار المصرية والولاية الخديوية عمّرهما الله تعالى بعد الآن بالعلم والعمل والتقوى ، كما عمّرنا إلى الآن بالشجاعة والشريعة والهدى ، وطهّرهما من دنس الأنداد ، وتولية الأضداد بحرمة سيد البلاد وسند العباد محمد العماد ﷺ وآله الأوتاد .

فهؤلاء المشائخ المذكورون ، والأولياء المتقون ، هم الأبرار ، وعند الله المصطفون الأخيار ، ليس لأحدٍ ما فيهم الإخْبار ، وظنّي والله سبحانه وتعالى أنَّ الشيخ سلتان شيخ أمير المذكور وأحزابه لهم مرشد وأستاذ ، لكن لم تبق سلسلتهم ولا أثر ، ولم يوجد منهم أحد ولا ثمر ، رزقنا الله تعالى من بركاتهم وفيوضاتهم ، وعمّرنا الله بالعلم والعمل ، والاقتداء بأشباههم .

وأما القسم الثالث من أقسام المشائخ الداغستانيين فهم المدعون المتشيِّخون ، ليس لهم رائحة من العلم ليعملوا به ، وقِطعة قليلة من الفهْم لاتّباعهم لأثر السلف الصالحين ، وليس مقصودهم إلا جمع حطام الدنيا

=بالمعروف والنهي عن المنكر ، بلا خبر ولا علم لنادِر شاه الخراساني ، فإن ولاية داغستان كانت في قبضته في عهده ، فأرسل رسولاً قبَل الشيخ جنيد إلى ولاية باب الأبواب – أي دِرْبند – بقتاله وقتله مع جنوده ، فالتقى جيشه الذي هم مريدوه معهم ، وقاتلوا عليهم حتى صار شهيداً مع أكثر مريديه في قرية غبذه في جانب يسار سمبور ، ثم حمله باقي مريديه إلى قرية حَضْر من ولاية قُوبه فدفنوه في ٨٥١ ثمانمائة وإحدى وخمسين . وكان الشيخ جنيد قدس سره من نسل موسى الكاظم وصفيّ الدين ، ولذا يلقب وينسب الصفوي رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وكذا استشهد ابنه الشيخ حيدر في دربند ، وحمل جسده إلى قرية تنط ودفن فيه مع بعض مريديه في ٨٩٥ ثمانمائة وخمسة وتسعين رحمه الله تعالى وإيانا آمين (مؤلف) .

وحيازة زكوات الأغنياء الفخري ، وحجّتهم العليّة إذا قلنا لهم : لِمَ تلقّنون الذكرَ ؛ مع عدم كونكم مأذونين من شيخ كامل ! ؟ أن يقولوا والذين اتبعوهم من العلماء ، الذين دأبهم ملء بطونهم من حلال أو حرام ، ومداهنتهم معهم ببيع آخرتهم بدنياهم : إنما نعلم الخير للناس ،فهل يكون المنع من تعليم الخير للناس ؟ !

وهؤلاء المساكين لا يعلمون ما يقولون ، وإذا قويت الحجة عليهم وثبت عندهم كونهم غير مرشدين ، يقولون ذلك القول ، وإذا بقي الأمر لهم ووجدوا فرصة مع الجهلاء الأغبياء يقولون لهم : نحن مشائخ كرام ، وأولياء عظام ، فمن أنكرنا فهو المنكر لله ، ومن عاندنا فهو المعاند لرسول الله . فما أحمق هؤلاء وكل ولايتنا الداغستانية بهؤلاء المتشيخة مشحونة ، والديار الأوارية بهؤلاء المفسدين مملوءة ، وليس منهم عالم يأمرهم بأنكم متشيخون ، لا المشائخ المحقّون إلا نادراً ، وإذا قال واحد من العلماء ذلك القول يقاتلونه ، وباليد واللسان يحاربونه ، فوالله الذي لا شيء فوقه لو كان علينا حاكم شرعي ورئيس سنّي ، نعلم أفرس تحتهم أم حمار ؟ ولما كان الأمر على عكس مطلوبنا ، وضد مرادنا بكون الأمر باختيار غيرنا لم يكن لنا بدٌّ إلا أن نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ورئيس هؤلاء المتشيخين الحاج عمر العندي ، ووكيله الحاج عمر الهچدي القراخي ، ووزرائه إبراهيم البهندي الهندي ومحمد اللِبلي وغزيوْ الخنزخيّ وأحزابهم ، والمتشيخ المستقل الحاج[1] محمد الهچديّ .

وهؤلاء يدّعون أن الشيخ « كنت » أمرهم بالرقص والدوران ، ولم يَعلَم هؤلاء المساكين أن الرقص والدوران إنما يكون لمن غلب عليه حاله كما مر . والعجب منهم أنهم يدّعون أنهم قادريّون ، ولا يعلمون ولا يتفكرون هل فعل الغوث الأعظم عبد القادر الجيلاني وأتباعه الرقص ؟

---

(١) وأكبرهم المستقلّ المفسد الذي يهلك الدنيا عيسى التاشيّ (منه) .

والله لم يفعل الغوث الأعظم[١] الرقص والدوران[٢] ؛ ولو مرة واحدة . وإن كانوا قادريين ، لِمَ لا يتبعونه ، وفي أفعاله وأحواله لم لا يقتدونه ؟ ! إنا لله وإنا إليه راجعون .

وإنما الرقص والدوران فيه باختيارهم لا بسطوة الحال ، ورقص ودوران الشيخ « كُنت » إنما كانتا لا باختياره ، بل بسطوة حاله . وأقوال المشائخ إذا غلبت عليهم حالهم مسلّمة ، كما في الكتب الصوفية ، وأما بالاختيار فلا ؛ لأنه يشبه رقص أهل اللعب والمزمار ، واللعب عند الله تعالى ممنوعة ، فالرقص والدوران عند المشائخ مذمومة .

وأما ما يقولونه إن الملائكة يرقصون حول العرش[٣] ، ويوردون له حديثاً ! فحديثه غير ثابت ، ولو كان ضعيفاً ، وإن سلّمنا ضعفه ، لا يمكن لنا العمل به لأن أحوالنا وأفعالنا لا يقاس بأحوال وأفعال الملائكة الكرام لأنهم معصومون ، ومن كل الذنوب محفوظون ، وليس عليهم تكليف في أفعالهم إلا في اعتقادهم .

مطلب

وإنما الواجب على العباد أن يزنوا ما يفعلونه من عبادة وعادة بالشرع الشريف ، والقرآن المنيف وسنن سيد المرسلين ، وأخلاق السلف الصالحين ، فإن وافق فعلنا فعلهم ، وأقوالنا أقوالهم ، وأذكارنا أذكارهم ، فذا هو المرام ونهاية المطلب ، وإن خالف ! فالواجب عليهم تركه والتوبة

---

(١) ويؤيد قول هذا الشيخ المحترم ما في « الطريقة المحمدية » من أن الغوث عبد القادر الجيلاني أفتى بأن مستحلّ هذا الرقص كافر . فراجعه مع شرحه « البريقة المحمودة » من المجلّد الثاني . (قحي رحم الله إفلاسه) .

(٢) وإنما كان الرقص والدوران للخلوتية قبل هذا بقرون ، وقد انقطع ذلك منهم كما في « روح البيان » فراجعه (منه) .

(٣) وفي « البريقة المحمودة » ما يردّ هذا القول بالتمام . فمن أراد أن يعرف ما فيها فعليه بالمراجعة إليها . (قحي رحم الله إفلاسه) .

والإنابة إلى الله تعالى . وإذا كانت عبادتنا أقلّ القليل في هذا الزمان ، وكان ذلك غير موافق لما أنزل الله تعالى في القرآن ، وضاع جميع عمرنا في الخسران ، ولم نتقرب بما فعلنا من الأذكار إلى الرحيم الرحمن ، فذا هو المصيبة الكبرى ، والبليَّة العظمى .

واعلم أيها الإنسان المغرور بالشيطان الغرور ، أنك إذا اغتررت في حقِّ الدنيا بدرْهم يقوم عليك القيامة ، ويقعد على رأسك الطامة ، مع أن الدنيا ليست بدار مقامك ، وأن حطامها ليست بنافعة في دار قرارك ، فما ظنك بغرورك في حق الآخرة التي هي مأواك ودار إقامتك ؟ كيف لا يقوم قيامتك في حق آخرتك ؟ وكيف لا تتفكر بغرورك بأذكارك التي لا ينفع لك في آخرتك ، ورقصك ودورانك التي لا يأخذ يدك في حين قبض روحك ؟ وجواب منكرك ونكيرك ؟ بل تيقَّظ أيها المغرور قبل موتك ، وخذ حظّك في حياتك ، وأسرع لمرشد كامل يأخذ يدك وقت قبضك ، ويقعد عندك وقت سؤالك ، ويشفعك في قيامتك ؛ إن كنت تريد نفسك ، والتقرب لربك الكريم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ وإن لم تفعل ولم تقتد فيما قلت لك تكن من الخاسرين ، وتندم مع النادمين حيث لا ينفع ، وتكون يائساً من الله تعالى ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم اجعلنا ممن أطاعوك ، وفي سبيلك اتبعوك وآمنوك ، وسنة نبيّك اقتدوه ، وفي حفظ حدود شريعته اتبعوه ، ولا تجعلنا من ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ . رزقنا الله تعالى رحمته ، وشفاعة رسوله ، وبركة أوليائه ، والاهتداء بهديهم وسيرتهم .

تنبه على مهم

وإن كنت أيها الأخ المغرور الطامع إلى رحمة الغفور لا تعلم الشيخ والمتشيِّخ ، والعالم العامل والفاسق ، فها أنا أبيّن لك أحوالهما ، وأكتب لك بيانهما ، وأضع لك ميزاناً تزن به أعمالهما ، فلعلك تتبعه ولو بعد الآن ، لئلا يبكي عليك ابن أخت خالتك !

وها أنا بينت لك ما يكفيك في خطبة الكتاب فلعلك تنظر إليه وتتفكر ، وأما ما ليس فيها فأكتب هنا تتميماً لمرادك ، وإنجاحاً لمقصودك ، والله تعالى الموفّق .

وفي « روح البيان » من سورة آل عمران : فعُلِمَ أن العالم الذي لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه كالعامل الجاهل ، فكل منهما ليس من الله تعالى في شيء ، حيث لم تثبت النسبة إلا بالتمسك بالعمل المبنيّ على العلم . قال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان ؛ عالم متهتِّك ، وجاهل متنسك ؛ لأن العالم يُنفّر الناس من العلم بتهتُّكه ، والجاهل يُرغب الناس في الجهل بتنسكه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعوذ بالله من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع » فعلى المعلم والمتعلم أن يطلب بعلمه مرضاة الله تعالى ، وبعمله الربانية . فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ! ضاع سعيه ، وخاب عمله .

والإشارة أن من دأب أهل الحقيقة تربية الأتباع والمريدين ؛ ليكونوا ربّانيين متخلقين بأخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب ، وبما كانوا يدرسون من العلوم ، ولا يقنعون على دراستها ، ولا يغترُّون بمقالة أخذوها من أفواه القوم .

وبعض مدّعي هذا الشأن الذين غلبت عليم أهواؤهم وصفات بشريتهم يدّعون الشيخوخة من رعونة النفس قبل أوانها ، ويخدعون الخلق بأنواع الحيل ، ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات أخذوها من الأفواه ، ويمكرون ببعض أهل الصدق من الطلبة ، ويقطعون عليهم طريق الحق بأن يمنعوهم من صحبة أهل الحق ومشائخ الطريقة ، ويأمروهم بالتسليم والرضا فيما يعاملونهم ، ولا يعرفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله ؛ كما هو دأب أكثر مشائخ زماننا هذا ، فإنه ليس من دأب من يُؤتى الحكمة والكتاب والحكم والنبوَّة ، فأمثالهم يشتهر ذكرهم بين الناس ، وليس ذلك إلا لكونهم خالين عن الحقيقة ، إذ المرء الصادق في طلبه ،

والواصل إلى ربه يحب الخمول والنفرة من الخلق ، فشأنه التجنب عن كل ما سوى الله تعالى ، دون تشهير نفسه وجلب المال من أيدي الناس ، بل من الناس من يرغب عنه وهو مرغوب . انتهى .

مطلب

وفي « روح البيان » أيضاً من « البقرة » قال بعض المشائخ : من ادّعى أنه صاحب قلب وإرشاد بدون تزكية النفس ومعرفة المبدأ أو المعاد لأجل الدنيا الدنيئة ؛ كان عذابه أضعاف عذاب النساء اللاتي رآهنَّ النبي ﷺ ليلة المعراج يقطعن صدورهن بمقاريض ، فسأل جبرائيل عليه السلام . فقال : إنهن الزواني من النساء اللاتي جئن بأولاد من الزنا . فالدعوى باطلة بدون الدليل ، وصاحبها ضالّ مضلّ ، والمدّعي كالزانية ، والتابع له على هواه كولد الزنا ، فإن ولد الزنا هالك حكماً لعدم المربي ، والاتباع لمبتدع لا ينتج إلا البدعة والإلحاد . انتهى من قوله تعالى ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ .

وفي مكتوبات الغوث الأعظم الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره المشائخ ثلاثة :

منهم من ليس في يده تصرُّف في المريد ؛ فهو كالعوام ، بل هم أضلّ من الأنعام ، ليس فيهم المشيخة إلا اسمه ورسمه كما هو دأب أكثر مشائخ الزمان .

وقال مولانا خالد سليمان قدس سره : ويجب الاعتراض على حاله والإنكار ، لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبسهم عن ذهاب باب أهل الكمال ، ومنعهم عنه ، وكونهم سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كان جاهلاً بأمر الدين .

ومنهم من كان في يده تصرّف في عالم الملكوت وتأثر المريد بصحبته ، لكن ليس فيه الاستقامة بقدر ما يخرج من الفسق ، ولا يكون

فيه أدب الشريعة والطريقة ، فهو أيضاً لا يصلح لأن يُقتدى به ؛ وإن كان صادقاً في حاله ، لأن من اقتدى غيرَ أديب يكون غير أديب ، مع أن الطريقة كلها آداب ، لكن يحترم ويعظِّم ولا يتعرّض خوفاً من قهره . فعُلِمَ أن غير الأديب الصادق الحال إذا لم يصلح للاقتداء به فغير الأديب ليس فيه حال صادق فلا يصلح الاقتداء به بالطريق الأولى ، فالاقتداء بهؤلاء شعار جهلاء العصر ؛ على الخصوص إذا كان جاهلاً لفروض العين .

ومنهم من في يده تصرّف وتأثير وعلم بالأحكام الشرعية التي يجب علمها عيناً واستقامة ، فهو ممن يصلح الاقتداء ، وإنه الكبريت الأحمر ، خصوصاً في هذا الأوان ، وله فضائل في كتب السادات . ومثله في « الخطاب » لإسماعيل الحقي قدس سره و« رسالة خالديّة » ، و« الفتوحات المكية » لابن عربي قدس سره .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « أيها الولد » : ولا بدّ للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى وشروط الذي يصلح للتربية : أن يكون تابعاً للرسول ﷺ ، وعالماً يصلح له ، لأن كل عالم لا يصلح له .

وأبيّن بعض علاماته ، لئلا يدّعي كل أحد أنه مرشد فنقول : من يُعرض عن الدنيا وحبّ الجاه ، وقد كان تابعاً بشخص يصير تسلسله إلى سيد المرسلين ، وكان محسناً رياضة نفسه من قلة الأكل والشرب والنوم ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً بمحاسن الأخلاق كالعلم ، فهو نور من أنوار معرفة النبي ﷺ فيصح الاقتداء به ، لكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الأحمر . انتهى باختصار .

وقال في « جامع الأصول » : يجب أن يُقتدى بمن علم بالديانة والصيانة والرحمة والعفّة ، والتقوى والأمانة من البدع والأهواء والخيانة ، بعد أن تحقق أن طريقته موافقة للكتاب والسنة ، وأفعال الصحابة والمشائخ الراسخين ، والعارفين وكبار الأئمة . انتهى .

وفي « روح البيان » في سورة (النساء) : الله تعالى يزكّي من يشاء التزكية ، تهيّأ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية .

مطلب مهم

والمزكّي هو النبي ﷺ في أيام حياته ، وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منهم ، قرناً بعد قرن ، من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا ، ولعمري أنهم في هذا الزمان أعزُّ من الكبريت الأحمر . انتهى .

وقال أيضاً في سورة (الإسراء) : فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى مثل هذا العالم ، فإنه هو المطلب الأعلى ، ولن تصل إليه إلا بقدم العلم والعمل ، والرجوع إلى حال التراب . انتهى .

قال الحقي قدس سره في « الخطاب » : قالوا : لا تكن مريداً إلا لعالم ، ولا كل عالم إلا حيّاً ، يعني لا يجوز أن يكون مريداً لكل عالم ، بل كن مريداً لعالم كان قلبه حيّاً بحياة حقيقية ، ومحلاً للفيض الإلهي ، حتى يحصل لك في صحبته فائدة وحياة باقية . انتهى .

وقال في « روح البيان » : فكما أن العالم غير العامل ، والجاهل غير العامل سواء في كونهما مطرودين عن باب الله تعالى ، وكذا العارف غير الكامل ، والغافل غير العامل سواء في كونهما مردودين من باب الله تعالى .

مطلب

وقال رجب أفندي في شرحه للطريقة المحمدية : وقال أبو يزيد رضي الله عنه وعنّا آمين : لو نظرتم إلى رجل أعطي الكرامات حتى تربَّع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء فعل الشرعية وإلا فهي استدراج .

أقول : قد أجمعوا على أنه لا مقام للعبد يسقط عنه التكليف الشرعية ، وأجمعوا أيضاً على أنه لا يصح النهايات إلا بتصحيح البدايات وهي العلم والعمل . انتهى .

واعلم أن التصوّف تفرّقت على اثني عشرة فرقة ، فواحدة منهم سنّيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء ، والباقون بدعيّون . انتهى كلام رجب أفندي . كذا في « الخادمي شرح الطريقة » . قال في « روح البيان » : هم الموافقون للكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً . انتهى .

مطلب

قال في « جامع الأصول » في سورة النور : واعلم أن من لم تتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النقش الرحماني ، وادّعى لنفسه الكمال والتكميل ؛ فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالك ، لأنه ولد الزنا .

واعلم أن من لا يعرف أباه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبول ، وربما انتسب إلى غير أبيه ، فيدخل في قوله ﷺ : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

وقد أجمع السلف كلُّهم على أن من لم يصحّ له نسبُ القوم ، ولا أُذن في أن يجلس للناس لا يجوز التصدّر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا يلقّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السرُّ في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق عزّ وجلّ ، فمن لم يدخل في سلسلة القوم ، فهو غير معدود منهم . انتهى .

وقال فيه أيضاً : فلما كانت الصحبة من لوازم الطريقة وشروطها ؛ كان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون ، إجازته صحيحة ، مستندة إلى شيخ صاحب الطريقة ، وهو إلى النبي ﷺ . انتهى كلام « جامع الأصول » .

وقال في « تتماته » أيضاً : وقال العارف عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في « المدارج » : اعلم أيها الطالب المريد أن من لم يعرف أباه وأجداده في الطريقة فهو أعمى ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

ولقد دَرَج السلف الصالح كلّهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ، ومعرفة أنسابهم ، وأجمعوا كلهم أن من لم يصحّ له نسب القوم فهو لقيط الطريق ؛ لا أدب له ، ولا يجوز له التصدّر والجلوس لإرشاد المريدين ، إلا بعد أخذه آداب الطريقة من شيخ كامل مجمع على جلالته وخِبْرته بالطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقّن .

ثم قال فيه أيضاً : اعلم يا أخي أن السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله تعالى ، وأقلّ ما يحصل للمريدين إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين ؛ إذا حرّك السلسلة : تجاوبه أرواح الأولياء ، من شيخه إلى رسول الله ﷺ ، فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ، ولا يجاوبه أحد إذا حرّك السلسلة . انتهى كلام « المتممات » .

وقال في « روح البيان » في سورة النور : واعلم أن من لم يتصل نسبه المعنوي بواحد من أهل النقش الرحماني وادّعى لنفسه الكمال والتكميل ؛ فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا ، وربما يكره بعض أهل الطلب على التردد لباب أهل الدعوى ويُصْرفه عن أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً واتباعاً لهواه ، فهو إنما يكرهه على الزنا ، لأنه بملازمة أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة ، نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى .

وقال أيضاً في سورة الفرقان : وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشائخ المدعون ، والدجاجلة المضلون ؛ فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابدي الأصنام ؛

فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً ، فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم .

فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يُرقِّي غيره من الجهل إلى المعرفة ، وأنشأه نشأة أخرى وأحياه حياة طيبة بإذن الله تعالى ، وهي رتبة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ومَنْ يرثهم من العلماء العاملين .

وأما مَنْ سقط عن هذه المرتبة فليس الاستماع إلى كلامه إلا كاستماع بني إسرائيل إلى صوت العجل . انتهى كلام « روح البيان » من عبارته .

قال مولانا الشيخ ابن سليمان الخالدي قدس سره في « كفاية المريد » : فالمرشد الفريد العالم ما يحتاج إليه المريد من الفقه والعقائد والتوحيد ، وفي الحديث المحقق السديد ، وفي الطريق مَن كان عارفاً سلوكها ، وفي النفوس عالماً شكوكها ، وأن يكون ناصحاً عفيفاً ، ذا همّة في حاله لطيفاً ، وأن يكون غاضباً لله ، ينهى عن المعاصي والمناهي . وإن وجدت هذه الشروط فاتبعه وكن في فعله منوطاً . انتهى .

وقال في « روح البيان » في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفيّ قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمكّنهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشد من عذاب النساء الزانيات واللاتي ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنّ وأولادهن (سبعين مرة) ، فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجَدْتَ أكثرهم مدعين ما لم يتحققوا به ، يضلّون الناس بأكاذيب ، ويروون أساليب ليس فيها أثر من المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد ليُميّز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهلِ . عصمنا الله تعالى وإياكم عن الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى .

وقال الإمام معصوم قدس سره في مكتوباته : حرّر أنَّ مَنْ أذن له شيخه في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح السادات الماضية حاضرون ظاهرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقين الذكر وتربية المريدين ؟

مطلب

فالجواب : إن الإجازة لتعليم الطريق أمر عظيم لا يثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى .

وقال في « الرسالة المدنيّة » : لا يبلغ المريد درجة الكمال إلا أن يرى في جميع عباداته عيباً وأنها لا يليق اهداؤها إلى جناب الحق جلّ جلاله ، فحينئذ يجد معنى قوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرفها بالإسلام الحقيقي ، فلا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل .

وبعد هذه المرتبة يستعد لتربية الطالبين وللتوجه ، وهي قبل هذا فمن قبيل خَرَط القتاد وجذب الألم إلى نفسه كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس .

نعم ؛ إذا كان بإذن الشيخ الكامل فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته ؛ إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره .

ثم قال فيه أيضاً : إنه يعطي الكامل للناقص الإجازة ، وليس هذا بمناف للإفادة والاستفادة ، لأنَّ يَدَ الناقص يد الكامل ، لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له ، فبمجرَّد المحبة له يحصل له تربية النفس ، فلذا يلزم عليه رعاية الأمرين فيه : أحدهما : محبة الشيخ المقتدى ، والأخرى : الاستقامة في الشريعة ، والتمسك بالسنة السنية ؛ فإذا لم يكن

تقصيره في هذين الأمرين ، لا يحصل الضرر له ، وإن كان في أحدهما أفضلَ في الأمرين ؟ لا تحصل المعرفة ، بل يبقى تحت تصرف الشيطان ، ولا علاج له سوى الخسران الأبدي . انتهى كلام الرسالة .

لكن الإمام الرباني شرط في مكتوباته في إذن الناقص تأثر المريد في صحبته ، وقسم الإذن على أقسام وبيَّن نفع الإذن للناقص أيضاً ، وفيها كلام كثير الفائدة لأهل الانصاف لا يسعه في هذه الرسالة .

وقال الشيخ الإمام صاحب الهداية[1] : فسادٌ كبير عالمٌ متهتك[2] . الذي يفعل خلاف الشرع من الأفعال الرديئة ، وفساده كبير لأنه يراه الجهال فيعتقدون به فَيَضِلَّ ويُضلّهم ، وأكبر منه جاهل متنسك ، - أي : متعبد - والجاهل المتنسك هو المقلد في معتقده الجاهل في أفعاله وأقواله لا يعرف صحتها وفسادها كصوفية زماننا . وإنما كان أكبر من العالم المتهتك في الفساد ! لأن فساده قد يكون في اعتقاده وعمله جميعاً ، فكان أكبر فساداً من العالم المتهتك في الفساد لأن اعتقاده صحيح .

هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك

قاله في « شرح تعليم المتعلم » . كذا في « الخادمي شرح الطريقة » . ورجب أفندي شرحها .

وطائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديل ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ ، ليسلّم أحوالهم ولا يُصْحبون ، ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر لا يُعْدل (أي : لا يعد عادلاً) عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع فإنه لا طريقة لنا إلى الله تعالى إلاّ الشريعة ، فمن قال بأن ثمة طريق إلى الله خلاف الشرع ! فقوله زور ، فلا يقتدى بشيخ لا أدب له ؛ وإن كان صادقاً في حاله ، قاله في « الفتوحات المكية » .

---

(١) ومرّ في ١٤٧ .
(٢) راجع شرح « تعليم المتعلم » في ٣٠ وفي ٣٢ تجد بيانه وتفصيله .

وقال في « روح البيان » في سورة النحل ، قال الشيخ الشهير بأفتاده أفندي قدس سره : هنا رجل يقال له ديوان چلبى ، يأكل ويشرب ويشتغل بالشهوات ويزعم أن له نظراً إلى الحقيقة من المظاهر ، حفظنا الله تعالى من الإلحاد ، ففي حالة الاحتضار استغرق ، وقال : يا حسرتا ! لم أعرف الطريقة ، ويرجى أن يُعفى لسبق ندامته ، وكان له كشوف سفلية وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ، ولكن الكشوف السفلية مثلها بما كان في مرتبة الطبيعية ، غير مقبولة وعوام الناس يعدّون أصحاب أمثال هذه الكشوف أقطاباً لكونهم على الجهل لا يميزون بين الخير والشر .

وقال أيضاً في سورة آل عمران : وقيل لأبي يزيد رضي الله عنه : إن فلاناً يمشي على الماء ، قال : الحوت أعجب منه ؛ إذ هو شأنه ، فقيل له : إن فلاناً يمشي في الهواء ، قال : الطير أعجب منه ؛ إذ هو حاله ، قيل له فلان يمشي إلى مكة ويرجع من يومه ، قال : إبليس أعجب من هذا ؛ إذ هو حاله تطوى له الأرض كلها في لحظة ، وهو في لعنة الله تعالى . انتهى « روح البيان » .

وقد أجمعوا أن الفوز والنجاة لا يحصل إلا بالعلم والعمل ، وإن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل ، لكن العمل متمم له ، وإن المحققين قالوا : لو رأيت إنساناً يمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالفه الشرع فاعلم أنه شيطان وهو الحق .

اعلم أن سالك سبيل الله قليل ، والمدعي فيه كثير ، ونحن نعرّف لك علامتين تجعلهما أمام عينيك وتعتبر بهما نفسك وغيرك :

فالأولى : أن تكون الأفعال الاختيارية موزونة بميزان الشرع .

الثانية : أن يكون حاضر القلب مع الله تعالى في كل حال ، حضوراً ضرورياً يعظم تلذذه به . انتهت من مكتوبات الغوث الأعظم ، والفرد الأكرم الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره العالي التي جمعها

من الكتب المعتمدة الصوفية ، ومن تقريرات الأئمة الأولياء المشائخ الحقيقية . نفعنا الله تعالى بكلامهم ، ورزقنا من فيوضاتهم ، ووفّقنا الله تعالى لاتباع آثارهم الحميدة وأخلاقهم الكريمة ، بمنّه وكرمه ، وحفظنا الله تعالى من غرور الشيطان وتبعية النفس الأمارة أعلى العدوان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذي الطول والمنان والرحيم الرحمن .

مطلب

قال الرازي رحمه الله تعالى : ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مدّعي المشيخة في هذا العصر البتّة إلا بظهور أمارات الصدق ؛ بإلهام من الله تعالى للطالب ، وبشهادة الصادقين من أهل الطريق .

ولا يخفى أن من تصدر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه وعليه آثم قاطع الطريق ، فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصالحين فضلاً عن المشائخ العارفين . وإياك إياك أن تصحب أحداً من المدعين للطريق بلبس الزي ، أو تدعهم يأخذون عليك العهد ، فإنهم آذى من الثعبان ، وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حِذْرك ، ولا هكذا مَنْ ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زيّ إنسان .

قال : ومن المدّعين للطريق جماعة وسموا أنفسهم بالمشائخ الصادقين كما يقال : الملامية والقلندرية والحيدرية والحريرية ، وكذلك مَن ينسب نفسه إلى الأحمدية والدسوقية والرفاعية والمسلميّة والبسطامية وأشباههم ، فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من انتسبوا إليه ، فإن المنقول عن هؤلاء التقييد بالكتاب والسنة .

مطلب

قال : الضابط في تميُّز الصادقين منهم من غيرهم : إقامتهم الأعمال الشرعية على قانون المتابعة ، والتأدّب بآداب الطريق على وفق سير المشائخ . وكل مَن ادّعى أنه خلّص مع الله تعالى ضميره ونال رتبة في الحقيقة ، وأنه تنزّه عن التقييد بظاهر الشريعة ، وسقط عنه التكليف والارتسام بمراسم الشريعة ، وجعل التقييد بالشريعة للعوام المنحصرين في مضيق الاقتداء ! فاعلموا أنه مفتون في دينه ، ومن أهل الإلحاد والزندقة والفلسفة والإباحة .

فإياكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقدوه فإن ظلمة أنفاسه سمٌّ قاتل لقلوب المريدين . فالعياذ بالله من صحبة أمثالهم . انتهى كلام العارف الخاني قدس سره .

وقال سيدي عمر بن الفارض ، رحمهما الله تعالى :

نسب أقرب في شرع الهوى   بـيـنـنا من نسب من أبوي

وذلك لأن الروح ألصق بك من حقيقتك ، فأبو الروح يليك ، وأبو الجسم بعده ، فكان ذلك أحقّ بأن ينسب إليه دون أب الجسم .

وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم ، وأجمعوا كلهم على أن من لم يصحّ له نسب إلى القوم فهو لقيطٌ في الطريق ، لا أب له ، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مُجْمع على جلالته وخبرته ، ثم يؤذن له صريحاً على شروط ما كان عليه السلف السادات رضي الله عنهم أجمعين . انتهى كلام العارف في « البهجة » .

فاعلم أيها الأخ المتشيّخ المجادل ، والمتحيّر المريض القاتل ، والمتصدّر للإرشاد العليل المتداول ، أني نصحت لك أكمل النصائح ،

وكتبت لك الميزانَ وأخرجتُك من أودية الفضائح ، فإن عملت فبها ونعمت ، وإلا فعليك وزرك ونقمك .

ولقد كتبت هذا الكتاب ، وحرّرت هذا الخطاب هدية مني للعلماء الأعلام وهداة الأنام ، خاصّة لعلماء الظاهر الذين لا يطّلعون السرائر ، ليعلموا بما فيه ويعملوا بمضمونه ، وليقولوا إن كانوا متحيّرين قبلُ : هذا هو الميزان ، يتنبّه به الحيران ، ويعضّه اليقظان . ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ فلعل الفقهاء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقولون للمتشيّخ قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى ، ولا يبيعون دينهم بدنياهم ، وآخرتهم ببطونهم ، ولا يداهنون ، لأنه حرام ، بل يدارون فيما لا يخالف الشريعة فإنه مأمور ، ومعلوم أن أمّتنا إنما تكون خيراً من الأمم للأمر والنهي ، ومن لم يكن في شيء منهما فلا يدخل في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ولولا قوله تعالى يتلى ، وأمره يُحكى ويقتدى بقوله عزّ وجلّ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ وبقوله عزّ قائلاً ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ وأمثاله من الآيات والأحاديث كثيرة شهيرة ما كتبت في هذا الكتاب حرفاً ، ولا حرّرت من كلامنا المتقدّم طرفاً ، ولكن لما لم تثبت الوراثة النبوية ، والولاية المصطفوية ، والقيام مقامه والتبليغ مرامه ؛ إلا بإعلام الجهلاء ، والأغنياء الأغبياء من طريق شريعتهم ، وكمالة طريقتهم وحقيقتهم ، بالنطق والفم للأميين وكتبته الكتاب للعلماء

الغافلين النائمين ، وجب[١] علينا وعلى أمثالنا إبلاغ الأحكام ، وإيصال الشريعة والطريقة إلى الأنام ، وأن لا نخاف لومة اللئام ، وأن لا نأخذ رضا الخلق بسخط الله ، وأن لا نبيع الآخرة بالدنيا ، وأن نخرج من غرور الحرمان والخسران إلى يقظة الغفران ، وأن لا نغفل بركون الدنيا وأهله ، وجمع حطامه وميل غفلته ، فإنه أعظم المصائب وأكدر النوائب ، ولا يليق هذا بالعلماء ، فضلاً لورثة الرسول الكمّل الأولياء ، حفظنا الله تعالى عن الالتفات للأغيار ، وصحبة العلماء المنكرين الأشرار ، فإنهم أشقى الفاسقين وأفسق الخارجين ، فوالله الذي خلق الخلق والقرون الأولين ، وأرسل رسوله رحمة للعالمين ؛ لم أجد في هذا الوقت ، ولم أصادف عالماً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ! إلا أخانا العالم المحقق ، والفاضل المدقق ، الألمعيّ الباسل ، واللوذعي الصائل ؛ وليّ المؤمنين ، عدوّ المنكرين عبد الحميد أفندي ابن العلم العالم الحاج محمد الثرني . وسيد العلماء الكاملين ورئيس الفقهاء المدرِّسين ؛ أخانا العالم الناصح إسرافيل دبر القنادي الكلويّ . وأخانا العالم الشجاع ، والناصح الأمين المطاع ، قرّة عيون الأولياء ، وثمرة فؤاد الكرماء : عبد الله أفندي البكناوي البلكاني . وأخانا الآمر الناهي ، المجتنب عن اللهو واللعب والملاهي ؛ العالم الأسد الهمام بن الأسد الشجاع الأكرم ؛ روح الأرواح طالب الفتح والفتاح : الحاج حمزة بن نور محمد الثغوري . ومن كان على قدمهم وقليل ما هم ! وهذا الفقير قد يتعجب كثيراً من علماء الزمان وفقهاء الأوان بأنهم يقولون : نحن ورثة رسول الله ، والقائمون بأمر الله ودأب أكثرهم الخروج عن أمر الله ، وجرّ الدخان المشهور الذي لعن الله من أحدثه ، ولا يعلمون إنما يكون وارث الرسول من عمل بعمله واهتدى بهديه ، واقتدى بسنَّته .

(١) جواب لمّا .

وإن ظهر بَغْتةً مَن يقول لي : أيها الفقير المجادل ، والمحارب للمتشيّخ المرائي القاتل : يا شعيب ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، وحجة لكونك من الأولياء المرشدين الكاملين ، ومن المنخرطين في سلسلة المشائخ المكرمين ، وممن أجازهم كُمَّل الأولياء الصالحين ، فأقول له مجيباً لسؤاله ، وردّاً لجداله : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ ، ونبيّن أحوالي من وقت صباي إلى وقتي هذا ، فإن كان أحوالي وأموري مطابقاً للكتاب والسنة وأحوال السلف الصالحين قل لي : بارك الله ، ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ ، وإلا ! قل لي : ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ ، ولكن لا تقل أقوالك بالعناد قاصداً للإفضاح في البلاد .

فأقول لك : أحوال ولادتي ورضاعي حاكياً عن والدي ووالدتي . ولقد قال لي الوالد الماجد ، العالم الألمعي العابد إدريس أفندي ابن العالم العامل القرصي علي أفندي الحروخي ثم الباكني :

يا بنيّ ويا قرّة عيني ؛ إني مذ بلغت بلوغي كنت أدعو الله تعالى خلف الصلوات وأوقات المستجابات بأن يهب لي ولداً واحداً صالحاً عالماً عاملاً ، ثم لما وُلدتَ يا بنيّ أمرت لأمّك حبيبة أن لا تسلّمك لأحدٍ ما من النساء للرضاع لئلا تختلط طبائعك ويختلّ مزاجك ، فقد ائتمرت بأمري ، وانقادت لحكمي ، ثم لما وُلدتَ عققت عنك كبشاً ، وسمّيت اسمك شعيب اسم العالم العامل الشجاع ، والفاضل الألمعيّ المطاع قاضي شعيب النقوشي ، لأنه كنت في قرية نقوش ، وكانت كتبه بيدي ، وكنت أنتفع بها كثيراً ، وكنت أقول حينئذ : إن رزقني الله تعالى ولداً صالحاً أسمّيه اسم العالم قاضي شعيب . ثم لما وُلدتَ سمّيت اسمك شعيب . انتهى .

وقالت أمي حبيبة رضي الله عنها : يا بنيّ كنت لك خير أمّ لابن وقت الحمل والرضاع ، وحفظتك عن مسّ الغبار والأغيار ، وما سلّمتك لأحدٍ من النساء للرضاع . انتهى .

ثم لما تم لي ثلاث سنين من عمري أحبّني جدّي علي أفندي حبّاً شديداً بحيث أني كنت لا أفارق عنه إلا مدة قليلة ، وكان يجلسني على حجره ويقول لي : حفيدي هذا والله يكون منه عالم أيّ عالم ، ولا يرث إرثي من العلم من الأحفاد إلا هذا ، وكان يتفاءل لي بذلك . وقد حقّق الله سبحانه فأله ولم يظهر من أحفاده عالم إلا أنا .

ثم لما وصل عمري إلى سبع سنين فرّقني والدي عن أمي ، وأدّبني وعلّمني القرآن في قنداخ (قرية من قرى ولاية چار) ، ولم أحتج للتعليم بتوفيق الله تعالى من فوق سورة الإخلاص . وكان الشيخ الوالد يتعجّب من سرعة فهمي ، وغلبة وصول ذهني إلى حقيقة ما قرأته وكان يحلف كثيراً : إنك لست ابني لأنه كان رحمه الله تعالى بطيء الفهم . وكان يؤدّبني تأديباً بليغاً بحيث لا أذهب إلى مكان ما فيه الوليمة واللعب واللهو حتى صار لي ملكة كوني مع العلماء والعقلاء ، وطبيعة جبلّيّة ؟ فالحمد لله .

ثم علمني رحمه الله تعالى « المختصر الصغير » فحفظته من ظهر قلبي سريعاً ، وكنت أقرأها عند والدتي في بيتي بين المغرب والعشاء ، وأعلّمها ما فيها من أقسام الإيمان والإسلام بصوت كبير ، بحيث كانت تغضب عليّ في بعض الأوقات بعلوّ صوتي ، ثم قرأ عليّ والدي الماجد رضي الله تعالى عنه « تصريف الزنجاني » و« مائة عامل » ، فحفظت مفهومهما وإن لم يتمّ حفظ ألفاظهما ، ثم قرأت « الأنموذج » الزمخشري فحفظت لفظه إلى الفعل ، ومن « شرح المراح » حفظت متنه ومفهومه إلى المضاعف ، ومن « شرح الشافية » ومن الفوائد الضيائية وشرح السلم

حفظت متونهم وكنت بفضل الله تعالى إذا سأل عني سائل شيئاً ، أجيب بقرائتها من ظهر قلبي .

ثم لما أتممت « حدائق الرقائق » انتقل شيخنا الوالد من الدنيا إلى الآخرة وتأسفت عليه بحيث لا يتأسف ولد لوالد بعد ولا قبل ، ونسيت جميع المتون بكثرة غمي وغلبة تأسفي ، وكنت لم أقرأ إلى ذلك الوقت ولو حرفاً واحداً من الأغيار ، وكنت بكثرة تركي الدنيا وغلبة الآخرة عليّ لا أنظر لشيء ما من متاع الدنيا ، وكنت آكل ما وجدت ، وألبس ما صادفت ، وكنت لا أعلم نقشاً ما من نقوش الفضة الروسية وتواريخها بحيث لا أعلم كفيكاً واحداً أو ثلاثاً أو درهماً .

وكنت أكب كثيراً على وجهي على الأرض ، وأبكي لأجل والدي ، وكان يرحمني الوضيع والرفيع ، وكانوا يتعجبون من فعلي وشدة حزني ، ثم بعد ثلاثة أشهر ناداني العالم داود الحروخي لديه لقراءة العلم ، وقال : طالما علمني والدك الكريم علماً ، فالآن يجب عليّ أن أعلِّمَك ؛ وكان الشيخ الوالد أوصاه وقال : يا شعيب لو تركت علمك لتجيئن عندي غداً يوم القيامة مُسودّ الوجه ، ولولا وصيته لم أكن أقدر الذهاب لدى العالم داود ، فذهبت لديه فقرأت عنده « إيساغوجي » وحاشيته « نعمان » ، و« المعان » ، و« البيان » ، و« الفوائد الضيائية » ، ثم تفرقت وذهبت إلى قرية هنوخ لدى الحاج ابن حجر أفندي ، فقرأت عنده « العضدية » ، و« شرح العقائد » ، و« تحفة المحتاج على شرح المنهاج من مواضع المحتاج » ثم تفرقت منه ووصلت إلى قرية عرب في ١٣٠١ لدى الشيخ العالم الحاج أحمد أفندي الريبلي فقرأت عنده « شرح جمع الجوامع » والمناظرة ، وعلم الوضع ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، ثمَّ بعد ثلاث سنين وقعت على أمر القضاء ومواضع التدريس .

وفي سنة ١٣٠٧ ارتحلت إلى قرية ژاخور من قرى سمبور مدرساً لتلاميذهم ، ثم في أثناء تلك السنة اجتمع في صيفها أنوار الدنيا والآخرة

المشائخ الثلاثة الكُمَّل : الشيخ الحاج جبرائيل أفندي والشيخ الحاج حمزة أفندي ، مأذوني الشيخ الأعظم محمود أفندي ، والشيخ الحاج قصي أفندي ؛ مأذون الشيخ حاج إسماعيل أفندي السواكلي ، فصحبت معهم أسبوعاً فصادوني ، وعن الدنيا والآخرة فرقوني ، فما رأيت الدنيا إلا كظل الشمس ، وربط محبّتي معهم بحيث لا تفارقه عنهم أبداً ، وعزمت لدخولي تحت تربية الحاج جبرائيل أفندي ، لأن محبَّتي كانت معه أشد وعلى أثناء كوني على تلك العزم المصمم فارق رضي الله عنه عن الدنيا ، وحزنت عليه حزناً كثيراً ثم وُلِّيت قاضياً بالتكليف في قرية جِنيغ ، وكنت وإن وقعت في القضاء لا أرى رسائل الحكام إلا كفحم ، لمفارقة حبي من حبّ الرئاسة .

ثم في شتاء تلك السنة استخرتُ الله تعالى ليرسلني لدى مرشدٍ كامل فوقعت استخارتي للشيخ الأكمل الحاجّ أحمد أفندي التلالي رحمه الله تعالى ، ولكن وقع خدمتي أولاً بلا اختيار مني عند الحاج قصي أفندي فرباني أحسن تربية ، وجعلني في خلوة تسعة أشهر متوالية في قرية ممروخ وفي ذلك الوقت صارت حالي مطمئنة ، وأجاز لي إجازة تامة ، وكان ذلك في سنة ١٣١٠ ثم توفي رحمه الله تعالى بعد اتمام جميع المراقبات في ١٣١٤ فرحمه الله تعالى .

ولكن لم أظهر إجازتي لأحد لاستحيائي وخوفي من الله تعالى من أن يقول الناس لي : مرشداً ، وذهب من إخفائي سبع سنين ، ثم دخلتُ في سلسلة الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي وبعد ثلاثة سنين أجاز لي كذلك وأعطى لي كاغذ الاجازة وأمر لي بالإرشاد لكلّ من جاء لديّ من العباد ، فابتدأ أمري لإظهار أمر الإرشاد بلا اختيار منّي ولا إعلام لأحدٍ عني ، وإني الآن إذا جاءني أحدٌ لتلقين الذكر يأخذني رعدة شديدة في بعض الأوقات خوفاً من الله تعالى واستحياء من الناس .

ثم في أثناء ذلك مما أنعم الله علي إلهامه إليَّ أن أحرّر وأهذّب وأنقّح كتاب « سلك العين » وشرحه « نور العين » فشرعت فيه بحمد الله وحسن توفيقه بعد استخارة تامة ورضي الشيخان الصفدي والغلواني به عنا رضاء ظاهراً ، وكان هذا أمراً صعباً للعلماء العربية الدولة العثمانية فضلاً لعلماء ومشائخ العجمية الداغستانية ؛ ولا فخر .

فبه يتعجب العلماء تعجباً أكيداً ، وألفت لسلك العين أيضاً تخميساً بديعاً ، ولم يكن أحد ما قبلي ركض في هذا الميدان فرسه ؛ ولا فخر .

ومما أنعم الله عليّ أيضاً تأليفي هذا الكتاب من الشيخ إسماعيل الكرديمري إلى انتهاء سلسلته جميعاً ، وهذا ميدان لم يجر فيه غيري ، وهذه نعمة أنعم الله بها عليّ خاصّة من بين سائر العلماء ؛ ولا فخر .

وكنت حين كنت شاباً متعلماً سألت الله تعالى أربعة أشياء علماً وعملاً وحجّاً واستشهاداً في سبيله ، فأعطاني بفضله الثلاثة الأولى ، وأنتظر الأخير ولعل الله تعالى إن لم يرزقها لي ظاهراً يعطيها لي باطناً .

ومما منَّ الله تعالى علي شدة حيائي من أوَّل نشأتي ووقت صباي أكثر من البكر العذراء ، وكنت في كمالة شبابي لا أقدر أن أنظر إلى وجه رجل فضلاً عن امرأة وكنت حيث كنت متعلماً في القرى أسأل رفقائي أن لا يرسلوني في حوائج المتعلِّمين إلى خارج المسجد ، وكنت ألتزم جميع خدمة المسجد ؛ والتلاميذ إنْ تركوني .

وإنّ الحياء من الإيمان ، وإني الآن بحمد الله لا أقوى بشدة حيائي أن أنظر إلى وجه امرأة ؛ ولو من أخواتي ، ومن كانت تحت تربيتي ، وما رأيت وجه واحدة منهن إلا ثلاثة ، وهن بفضل الله تعالى أكثر في تربيتنا من ألف ، وهذه الخصلة نادرة في مشائخ هذا الزمان ؛ بل غير موجودة ؛ ولا فخر .

ومما أنعم الله تبارك وتعالى عليّ أيضاً عدم بغضي وحقدي وحسدي لأحد ما من أبناء العصر ، إلا في حق الله تعالى وحق حدود الله ، فلو غصب أحدٌ جميع مملوك المجازي من أهل قريتي مثلاً لا أبغض عليه ، ولا أترك النطق معه ولا أهجره إلا ما ألقاه الملعون الشيطان وسوسة قليلة ، وإني بحول الله تعالى وقوته أقدر على دفعها ، ومشائخ العصر على العكس فللّه الحمد ، ولا فخر .

ومما أكرمني به تبارك وتعالى ما وهبه لي بفضله وكرمه ومنّه لا بحولي وقوتي تماماً وكمالاً من العلوم الظاهرة والباطنة ، وحظاً من العلم اللدني الخَضِري وحفظ كلامه الكريم من ظهر قلبي .

وحين كنت في خدمة شيخي وروحي وريحاني الشيخ حاج قصيٍّ أفندي الجنيغي قدس سره في الذكر السلطاني توجه إلي وقال : يا شعيب أفندي ، هلاَّ يجيء عندك جنود الجن ؟ وهل لا يضروك بضرب وعنف ! فقلت : لا بحق حرمتك يا أستاذ ، فتوجّه ثانياً وأطال وتأوّه وتنفس طويلاً رضي الله عنه وقال : لا عجب يا ولدي ؛ والله إني أرى القرآن كله مكتوباً على قلبك ومنقوشاً على جميع بدنك وبين لحمك ودمك ، واجتماع هذه المراتب الثلاثة في ولي واحد أمْرٌ نادرٌ جدّاً إلا في الأئمة الأربعة والأقطاب الخمسة فضلاً في المشائخ الداغستانية ؛ ولا فخر .

وجميع المشائخ والمتشيّخة والدجاجلة المضلّة في هذا العصر خال عن ذلك وليس واحد منها على وجه الكمال فيهم والحمد لله رب العالمين .

ومما أنعم الله تبارك وتعالى علي محبتي لكلّ ولي ونبيّ على وجه الأرض ، حتى من صباي إلى يومنا هذا ، وإلقاء محبتي في قلوبهم وكل وليّ رآني أحبني وأحبّه سواء كان من الأحياء والأموات ، ولا أحقد عليهم ولا أنكرهم فضلاً دراويشهم الذين تركوا الدنيا والعقبى وأخذوا المولى ، وإنّي أخاف منهم خوف الأسد حتى إذا كنت في المدينة المنورة كنت

أذهب إلى المسجد النبوي لصلاة العصر مع رفقائي الحجاج الداغستانيين ، قد أقبل إلينا العالم العلامة شيخ الزمان الشيخ ياسٍ المصري المدني فأخذ بيده المباركة يدي ، وقام متفكراً ، وقال : بشرى لكم قِبَلكم رسول الله ، فكدت أموت بشدة الفرح من ذلك الطريق الواسع بين الجمع العظيم فأكرمه الله تعالى بالنظر إلى وجهه ، ورزقنا الملاقاة له عز وجل ببركته وبركة أمثاله آمين .

ومما منَّ الله تعالى به علي أيضاً نظر مشائخي إليّ حين كانوا أحياء وأمواتاً ، وكل شيخ وأستاذ راضون عني ؛ خاصّة شيخيّ الحاج قصي أفندي والحاج أحمد أفندي ، وأخذ جدّي الغوث الأعظم والقطب محمود أفندي الأكرم إياي حفيداً له ، وكونه راضياً عني في كل الحالات ؛ وإن كنت غير متأدب معه ومع غيره ، وسببه أنّي في كل وقت على إنجاز طريقته العلية النقشبندية الخالدية ، وأمري على جميع إخواننا بالدعاء له برفع الدرجات له ولمأذونيه وجميع المشائخ وبفضل الله تعالى وتوفيقه وشفاعة رسوله وبركة أوليائه ندبر لإجراء هذه الطريقة العليّة وقد وصلت بحمد الله لجميع أقطار داغستان بسببنا[١] ولله الحمد .

مطلب

ورضاء المشائخ عن المريد أمرٌ عظيم وفضل جسيم ، لا يوزن به شيء ؛ وقد حصل لي ذلك ولله الحمد وهذه الخصلة نادرة في مشائخنا ؛ ولا فخر .

ومما أنعم الله تعالى عليّ به أيضاً ، كون سيري إلى الله وتقرُّبي إليه من طريق النبوة لا الولاية .

---

(١) وكذا بإخواننا المأذونين من طرف الحاج أحمد أفندي والحاجّ جبرائيل أفندي رحمهم الله تعالى ، وقدس الله تعالى أسرارهم العلية ، ورزقنا الله تعالى من فيوضاتهم آمين (مؤلف) .

ومعلوم أنّ الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، وأنّ طريق النبوة والرسالة أسهل للمريد وأكمل وأفضل . والفرق بينهما كالفرق بين الرسول والنبي .

وسبب كون سيري سير النبوة لأمرين : أحدهما : إرادة الله تعالى ومشيئته ؛ وهو السبب الحقيقي . وثانيها : كون القرآن في حفظي ، وأنّ الحافظ نبيّ لا يوحى إليه وكأنه أدرِجَت النبوة بين جنبيه ؛ كما في الحديث الشريف النبوي ؛ ولا فخر .

وأمثال هذه الخصال كثيرة ويكفي بهذا للعالم المنصف ولعلّك يا أخي لا تتكدر ببياني هذه الأخلاق منّي ، لأنه إنما بيَّنته اقتداءً بالسلف الصالحين كالشيخ سلطان العارفين عبد الوهاب الشعراني ، وتاج الدين السبكي رحمهم الله تعالى ، وغيرهم ، ليقتدي بهم غيرهم ، لا للفخر والرياء ، وبياني هذا على طريقتهم لا للكبر والتعجب فافهم هذا ولا تغتب . انتهى .

ثم اعلم أيها العالم المتهتك والجاهل المتنسك والمتشيخ الهالك ، تدبر فيما كتبت لك هنا ، هل هذه الأخلاق كاملة فيك لادعائك للإرشاد ؟ فوالله إني مع كوني مأذوناً من شيخين كاملين ، ومأموراً منهما بالإبلاغ والإرشاد ؛ أخاف الله تعالى وأستحي من الناس ، وكيف أنت مع كونك غير مأذون من شيخ ما إذناً معتبراً ؟

والله الذي لا شيء فوقه ! إني لست راضياً عن نفسي ، وإني أراه خنزيراً وكلباً عقوراً ، ولا آمُن من شرِّه وفتنته لحظةً ، مع أني فعلت الرياضة مرةً خمسة أشهر وخمس مرات خمس أربعينات ، ولم يحصل لي بذلك مراد ما في ظني .

وإذا كنتَ غير رائض نفسك ، ولو لحظة فكيف أنت ؟ فتدبر ولا تغفل .

وإني إذا أردت أن أتوجَّه لأحد من إخواني أوقِف روحانية رسول الله ﷺ على منكبي الأيمن ، والشيخ محمود أفندي من قبالتي مرآة لي ، والشيخ بهاء الدين في يساري ، والشيخ خالد في يميني ، ثم أنظر وأتفكَّر بواسطتهم ، ولولاهم لما أقدر لشيء مَّا وأيّ شيء أنا لفعل ذلك وحدي ؟ عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا .

وأيضاً إني لا أتوجّه إلى أحد من النساء إلا بالمحرم معها ، وأصعب شيء ليس لي من ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فلعلك أيها الناظر ؛ لا تعيب عليَّ بطول الكلام ، ولولا شدة الاحتياج لما أطلت ، وجعلت هذه القطعة المكملة التي فيها بيان المشائخ الداغستانية ، هدية لأهالي الديار الداغستانية ، ولولا أنا لما كان خارجاً من العدم إلى الوجود(١) ، وكذا بيَّنت بعض مناقب العلماء الكبار تبعاً واستطراداً فلعلهم له يعيبون عليّ ولا ينسوننا من الدعاء .

وقد انتهت في ليلة الجمعة التاسعة عشر من شهر صفر من سنة ١٣٢٩ ألف وثلثمائة وتسعة وعشرين نفعنا الله تعالى به وبأمثاله ولا يضيع كاغذنا وأقلامنا بمنّه وكرمه إنه بنا رؤوف رحيم غفور حليم ، آمين .

شيخ الواصلين عمدة الكاملين سيد المهاجرين الشيخ الحاج إبراهيم قدس سره ونور قبره .

---

(١) ثم اعلموا أيها العلماء الأخيار والكرماء الأبرار أنّي في جمع هذه القطعة أبو غدرها ، لم يتقدم مني في جمعها في الداغستان إنس ولا جن ، وإنما جمعتها ليكون العلماء على بصيرة ممّن كانوا قبلهم ، وليدعوا لهم فمن وجد فيها خللاً ، ورأى فيها ذلك . فلعله يصلحه وبكتبة الاعتراضات لا يفضحه .

وإنما كتبتها من أخبار الثقات وتكلمات الرواة وليس فيها كلام ما ، إلا نادراً نقلته من الكتاب ، إلا من موضع أو موضعين ، والسلام يقودكم دار السلام . (المؤلف الفقير الكاتب) .

ولد ﵁ في ١٢٣٧ في قريته الأصلية القدقاشينية (قرية من قرى محال شكى) وهو من نسل سلالة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد المصطفى ﷺ ، ثم هاجر في ١٢٦٠ إلى الولاية الدولة العلية العثمانية حين هاجر دانيال[1] سلطان لدى الشيخ الإمام شمويل أفندي الداغستاني قدس سره ، وتوطن فيها ، وربي في حجر أبيه المرشد الكامل والفرد الواصل الحاج يحيى بيك القدقاشيني ، وورث منه الإرث في العلوم الظاهرة والباطنة ووصل إلى الكمال والتكميل ، بحيث يحصل به قربة المريدين وإهداء المسترشدين .

ولقد رأيت في إجازة الشيخ الواصل الشيخ الحاج يونس أفندي اللالي ما نصُّه هذا بخطه ﵁ : خادم الفقراء الخالص شيخ المشائخ كهف الحجاج الحاج إبراهيم أفندي بن المرحوم المغفور حاج بلا بيك بن السلطان أحمد القدقاشيني من محال داغستان من المهاجرين في سبيل الله القادري النقشبندي قدس الله تعالى أرواحهم . انتهى من عين إجازة قدس سره وقد أجازه في سنة ١٢٦٧ .

ولكن ما حققه العلامة العالم الولي المرشد الكامل محمد أفندي المنزلوي القزاني قدس سره فيما مر ، وقرره يخالفه من أنه نقل عن خط الشيخ محمد ذاكر أفندي الجسطاوي قدس سره : أن الشيخ يونس أفندي قدس سره أخذ النسبة عن الشيخ عبد الله المكي الأرزنجاني قدس سره الفاني وما سمع من الشيخ خليل فاشا أن الشيخ يونس أفندي أخذها من الشيخ يحيى بك وما لقي من الشيخ عبد الله . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ثم هاجر دانيال سلطان إلى الدولة العثمانية من بلدة شخد في صفر سنة ١٢٨٦ انتهى .

ومات في إسلام بول بعد أن وضع جميع فضته في بيت المال لئلا يتبذر فيها ابنه موسى بيك ولئلا يرجع إلى الوطن ثانياً في ١٢٨٨ (منه رحمه الله) .

ويجمع بين القولين بأنّ الكمالة للشيخ يونس أفندي ، وإن كانت من الشيخ حاج يحيى بيك صدور الاذن من الحاج إبراهيم أفندي بإذن والده حاج يحيى بيك أو بلا إذنه والله أعلم ، وقد علم كل أناس مشربهم .

وما كتبناه من أن الحاج إبراهيم أفندي شيخ الحاج يونس قدس سرهما ، هو ما قرره شيخنا شيخ الزمان بدر الأوان الشيخ حاج أحمد أفندي التلالي قدس سره العالي ، وبه وبالنظر إلى إجازته جعلناه صاحب الترجمة دون أبيه يحيى بيك ، وكذلك ما قرره شيخنا المذكور أن أستاذ الحاج إبراهيم أفندي هو الشيخ محمد صالح أفندي الشرواني قدس سره النوراني ، والاعتماد على قول المشائخ واجب إن كانوا كاملين كأستاذنا المذكور فإنهم يرون ما لا يراه الناظرون ، ويدركون ما لا يدركه العلماء المدرسون .

ومن المعلوم أن صاحب الترجمة هو ابن الشيخ الكامل الحاج يحيى بيك أفندي القدقاشيني ثم المهاجر المكي وكتابة اسمه في إجازة الشيخ الحاج يونس أفندي قدس سره ببلا بيك لكونه لقباً له ، إن شاء الله تعالى ، وقد هاجر الشيخ حاج يحيى بيك مع الابنين الكاملين الشيخ خليل فاشا ، والشيخ الحاج إبراهيم أفندي المذكور صاحب الترجمة .

والشيخ خليل فاشا المذكور كان ملازماً على الجهاد وصابراً على تحمل مشاق البلاد والعباد ، وكان رئيساً على عسكر عظيم في الديار السلطنة العلية الإسلام بُوليّة ، ثم ترك تلك الرياسة العظيمة والحظوظ الدنيوية الجسيمة ، وأناب إلى الله تعالى ، وتوطن مكة المكرمة وصار من أوليائه .

مطلب

ومن المعلوم أن ترك الرياسة آخر الأخلاق الذميمة التي تخرج من قلوب الأولياء .

ومما شافهني شيخنا الشيخ المجذوب السالك الشيخ الحاج قصي أفندي الجنيغي قدس سره ، ونور قبره ، أنه لما حج في سنة ١٢٨٢ زار الشيخ يحيى بيك المذكور في مكة وقال بعد كلام طويل : إن ابننا الشيخ خليل فاشا صار صاحب دنيا ، ولا يتركها لأجل الله ، وأنا لا أرضى منه لذلك ، وإن حال خليل فاشا المذكور قد كان وقتئذ صاحب الولاية الصغرى . انتهى .

ومما شافهني شيخي المذكور أيضاً أنّه قال : قد سألت عن الشيخ يحيى بيك بعد أن توجه بي وبحالي ، إنك أيها الشيخ الكريم تعلم أن ديارنا الداغستانية قد وقعت في يد الدولة الروسية ، وذهب شوكة الإمام ، فما نفعل الآن ؟ وهل لا يلزم الهجرة علينا منها إلى الدولة الاسلامية ؟ فأجاب رحمة الله تعالى ، وكان وقتئذ عمره مائة وثلاثون سنة ، وكان كاملاً في العلم الظاهر والباطن وقال : لا تجب الهجرة ، ولا يجوز يا بني حاج قصي أفندي والله إني أرجو الخير كله من داغستان بعد الآن .

(بشارة لنا أهل الداغستان)

وفي ديارنا الداغستانية أخلاق حميدة غيريّة مرويّة ، ليس في الحرمين الشريفين فضلاً في سائر البلاد : الأولى : أنه ليس هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رأساً ، والثانية : أنهم ليس فيهم بغض عدوّ الدين رأساً ، والثالثة : أن محبة الدنيا أكثر فيهم دون أهالينا الداغستانية وأنهم ذوو الغيرة في الدين والدنيا . ولو كان لهم حاكم شرعي ذو شوكة يخربون جميع بلاد الكفار ، بخلاف غيرة هؤلاء . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومات الشيخ حاج يحيى بيك رضي الله عنه في ١٢٨٥ رحمه الله تعالى وإيانا ونفعنا ببركاته وبركات الأولياء الكمل مثله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم الحي القيوم ذي الجلال والإكرام .

معدن رموز الحقائق مفتاح العلوم الرقائق ، المرشد الكامل والفرد الواصل ؛

الشيخ حاج يونس أفندي اللالي الداغستاني قدس سره

ولد رضي الله تعالى عنه في سنة ١٢١٩ في قريته اللالية ونشأ نشأة نظيفة وتربية لطيفة ، ولازم العلوم الظاهرة وحاز المراتب الزاهرة .

ثم لمّا كمل نصيبه الدنيوي وشوقه الأخروي اشتاق إلى المرشد الكامل واجتهد لوصول الانسان الواصل لتقربه إلى الله تعالى ووصوله إلى الله تعالى ، واجتمع مع شيخه الكامل المذكور وكان يطوف كثيراً إلى أبوابه ، ويجول دهوراً إلى أعتابه وترك جميع نعم الدنيا لأهلها ، وزهد مما سوى المولى باجتنابها ، فبه وصل إلى الله تعالى ، فأجازه شيخه بالإجازة التامة ، والإنابة العامة ، وجلس في دياره على بساط الإرشاد بهداية أهل الضلالة بالإمداد مدة سنين لا ينازعه أهل أرضين ، وناهيك لجلالته وعلو مرتبته كون سلطان العارفين محمود أفندي الألماليّ تحت تربيته ومقام خدمته ، وكان ذا همة عظيمة وأحوال جسيمة وهيبة عند الناس كبيرة وجسم ولحية وفيرة .

وكان صاحب الخوارق للعادات ، وذا العبادات والكرامات ، فمنها ما تواتر من أخبار الثقات وتكلمات الرواة أن الشيخ محمود أفندي مع رفيقه الحاج بيرام الألمالي كانا يرافقان كثيراً إلى زيارته وأخذ فيوضه ، وكان الشيخ محمود أفندي وقتئذ يجر التتون ، وحين وصل إلى حافة نهر غان چاي يستره هناك في مخفى وكان يوضئ ، ويمضمض ، ولا يغسل ؛

وأما حاج بيرام المذكور فكان يغتسل في كل وقت في تلك النهر ويتطهر تطهراً تاماً ، وكانا يذهبان على هذه الكيفية إلى زيارة الشيخ حاج يونس أفندي ، وذهب أزمان هكذا ففي يوم ذهبا هكذا ؛ إلى زيارته فقال حاج بيرام : يا شيخ أفندي حَضْرتلرْ أنّ أخانا ملاّ محمود يجر التتون ولا يتركه ، ولكن يريد تركه ولا يقدره[1] فأجاب له الشيخ : يا ولدي حاج بيرام إن ملاّ محمود في مقام لا نرى مقامه بسبب علوه ، فاحترمه واتركه على حاله ، فإنه وإن كان في تربيتي ظاهراً ونحن في تربيته باطناً وكان الأمر كما قال قدس سره .

ومنها أنه كان له صاحبة كاملة وزوجة عفيفة زاهدة وكانت تعينه بلا نهاية ، وتطهر طعامه وشرابه فوق الغاية وبسببه بلغ الغاية القصوى والدرجة القوى ، وكان من كرامته مروره على نهر غانق الذي هو قبالة قريته كما على البرّ[2] وكان يمر عليها إذا ذهب إلى خدمائه الذين يحرثون ويزرعون مزارعه الكائنة على طرف ذلك النهر الآخر ، وعرض ذلك النهر من شط إلى شط ثلاث مائة ذراع وفي أكثر المواضع أكثر من ذلك مع زادهم من الخبز والأدم وغيرها من حوائج الحراثة فيوماً وقع المكالمة بينه وبين زوجته العفيفة المذكورة وقالت : إن التي أوصلك إلى تلك الدرجة الله تعالى أولاً بإعانتي ، وتطهير طعامك بعدم فعلي إياه على غير وضوء وعلى غفلة ثانياً ، ولولا أنا ما وصلت إلى ما وصلت ؛ فقال في جوابها : ليست معينة لي في شيء ما إنما وصلت إليه تعالى بتوفيقه وبذكري إياه فأضمرت هذه المقالة في قلبها وجرحت هذه الألفاظ في لبها .

ثم لما كان يوم ذهابه بعد صدور تلك الواقعة طبخت طعامه بلا وضوء وطهارة وعلى غفلة وغباوة وأرسلته مع ذلك الطعام إلى الحارثين والزارعين ، وذهب على عادته الماضية إلى الفلاحين ، ومرت خلفه

---

(١) أي : لا يقدر على تركه .

(٢) أي : كما يمر على البر .

لتنظر ما يفعله وترى ما يصنعه ، ثم لما وضع قدمه المبارك على وجه النهر راس ، وانغمس فيه وجاس ، ولكن بفضل الله تعالى خرج إلى حافته ، وأعانت له وأخذت يده حين خروجه ، وابتلَّ جميع ثيابه وبدنه ، وحملته إلى بيته ، وقالت : يا شيخ يونس أفندي ما الذي أصابك اليوم ، ولِمَ لَمْ تذهب إلى الحارثين كما في عادتك الماضية وسيرتك الخاليةِ ؟ فقال : لا أعلم ، ولم يصل حقيقته إلى ولا أفهم ، فقالت : بسبب قولك وتنازعك التي نازعت بها إلي في اليوم الفلاني والحين الأواني ، فإن كنت وصلت إلى ما وصلت بقوَّتك فقط ، لا بإعانتي ، لِمَ لَمْ تذهب اليوم بقوَّتك وكرامتك ، وكنت طبخت لك الطعام اليوم بلا وضوء ولا ذكر له تعالى ، فأقر الشيخ لها يومئذ وتاب ، وإليه تعالى أناب ، ثم عاد حاله وأقبل إقباله ، وطهَّرت طعامه وعادت كرامته .

وله من أمثال ذلك لا تحصى ، ومن العجائب لا تستقصى ، رزقنا الله تعالى من فيوضهم ومن بركات حياضهم بمنِّه وكرمه .

ومات رحمه الله تعالى في سنة ١٢٧٧ ودفن في قريته الللالية في طرف النهر الكبير المذكور قبالة القرية ، ونحن ذهبنا إلى زيارته مرات ، فوجد على قبره ما يليق بمقامه ، ورزقنا الله تعالى زيارته وبركاته بعد اليوم كثيراً ، اللهم آمين يا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات بحق سيد السادات .

شمس فلك الإرشاد ، مركز دائرة الإسعاد ، قطب الهداية والإمداد ، غوث الأوان شيخ الزمان سلطان العارفين وعمدة الواصلين ذو الجناحين الشيخ محمود أفندي بن محمد أفندي الألمالي الداغستاني ، ثم الحاج الترخاني ، قدس الله روحه ونوّر ضريحه ، ورزقنا فتوحه

ولد رضي الله تعالى عنه تخميناً في سنة ١٢٢٥ في قريته الألماليَّة ، ونشأ من صغره وصباه نشأة غريبة وتربية عجيبة ، كان في شبابه من أعْجب الزمان ونادرة الاوان في الفهم والحفظ وتحرير الكتابة وتنظيف الخطابة .

كان محرراً لسلطان زمانه دانيال سلطان وقريبه حاجي آغابيك الايلي سويين ، وكان يحرِّر أمرهما غاية تحرير ، ويقرِّرهما في نهاية تقرير ، وكانا يتعجبان من وفور عقله ، وكمال قوله وكان حينئذ يعلم علم الكمياء فبسببه أرسله أكابر الحكماء إلى ولاية سبير وغربوه إليها وأقام هناك مدة سنين ولما تجلّى عليه تجلّي الإرادة وظهر كونه من الرجال المرادة خدم الحاج يونس أفندي اللالاليّ قدس سرهما ووصل إلى مقام الولاية الصغرى وحال الفناء في الله والبقاء بالله ولكن بقي مقامه المقدر من العلم الأزلي بلا وصول إليه ورجوع عليه لعدم قوة شيخه المذكور لذلك .

ثم لما أرسل بِقَدَر الله تعالى وحكمته إلى ولاية قزان وبلاد الروس صادفه هناك شيخٌ عظيمٌ وولي كريم أظنّه هاشم أفندي اليمشاني كما قاله محمد أفندي بن عبد الله القزاني المنزلوي ، وبخدمته وصل إلى مقامه المقدر ومَنْزله المقدر .

ومما شافهنا في حقِّه نقلاً عن فم الشيخ محمود أفندي أخونا[1] الكبير وصديقنا الوَفير الشيخ الحاج شريف أفندي الكلوّكي أنه قال : قال له الشيخ محمود أفندي قدس سره : إنه لما وصل إلى ديار قزان ناداه الشيخ هاشم أفندي اليمشاني للضيافة من مسافة ستة مراحل للكرامة ولما وصلتُ لديْه حفظني عنده في حجرته وأكرمني في خلوته ثم حمل إليه بعض مريديه وأخص محبيه طعاماً مستوراً وشيئاً مبهماً ثم وضعه قبالتهما ثم قال الشيخ هاشم أفندي : يا مَلا محمود انظر إلى ما في السفرة وتأمل بالعبرة لعلك تدرك ، قال : فتأملتها بالبصيرة تأمل اعتبارات فرأيت كل مرّات بحراً يدور عليه إوز كل كرّات فقال : يا ملا محمود ، ألم تنته وألم تدرك ؟ قال : فقلت له : تأملت لكن لا أرى شيئاً ما إليه استندت لأقول لك بحاله أدركت ، فقال : قل ما وصل إليه إدراكك ، فقلت : إنِّي أرى بحراً كبيراً وإوزاً يضرب جناحه

---

(١) فاعل شافهنا . (هامش الأصل) .

عليه كثيراً ، فقال : بارك الله فيك ، أدركت حقيقتها وكوشفت سريرتها فكشف السفرة فوجد فيها بهتة[1] وعليها بيض الإوز ، ثم أكلا حتى شبعا ثم قال الشيخ : يا ملا محمود ، إنك لم تصل إلى المقام وإلى ما قدره الله لك من المرام ، وإن خدمتنا ووقفت في تربيتنا تصل إليه إن شاء الله تعالى ، فقلت سمعاً وطاعة حباً وكرامة .

ثم ردني الشيخ إلى المكان الأول الذي كنت فيه وأعطاني أربعين تمرة بيده المباركة ، وقال : اسكن في خلف حجرتك التي كنت فيه ، وكُلْ كلّ يوم وقت الفطر تمرة واحدة بعد أن تقرأ الصلاة للرسول عليها مائة مرة ، فبعد تمام أربعين يوماً نحضر إليْكم إن شاء الله تعالى ، ثم قال : فبعْد تمام المدة وانتهاء العدة جاء الشيخ وتوجَّه توجُّهاً بليغاً وقال قبل التوجه : إذا جاء عليك حالة عظيمة ورفعة جسيمة لا تخف ولا تفرق عن رسول الله ﷺ وعن الشيخ بالرابطة ، ثم لما توجه الشيخ وكان حينئذ في حجرتي وأقامني في خارجها في طاقة وصرت في حال الفناء في الله جاء صوتٌ هائل وكلام غائل مع زمرة الملائكة وفئة الروحانية وأجْلسوني على سرير عظيم نورانيّ أخضر وأرفعوني إلى السماء الدنيا ثم منه إلى الثاني ثم إلى الثالث ، حتى انتهيت بهم إلى السماء السابعة ثم رفعت بهم إلى العُلى حتى ارتقيت إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، وخفت وسألت منهم الرجوع فرجعوا بي ووضعوني على المكان الذي كنت فيه ، وأمّا العجائب التي رأيتها لا يدركها إلا الله ، ولكن لم ألتفت إليها ولم يسكن في قلبي إلا الله ؛ فسبحان الله القادر المقتدر . انتهى ما حكاه الشيخ الحاج شريف أفندي عن فمه رحمهما الله تعالى ورزقنا من بركاتهما .

فبعْد ذلك أجاز له الشيخ هاشم أفندي اليمشاني إجازةً تامَّة وزوَّجه بنته وأكرمه غاية الإكرام ونهاية الاحْترام ، وكان بعد ذلك ذا

---

(١) وبهتٌ : تحير . « مختار » .

تصرُّفٍ عظيم وخوف من الله تعالى جسيم حتى إذا نظر إلى أحد ما من المسلمين أو سلطان من الكافرين بالهيبة كان يصير مطروحاً وكل أعضائه مجروحاً ، وإذا تنفس على من ينكره أو أحد يكرهه كان يغشى عليه ، كأنَّ الموت يرمى إليه ، وإذا جر نفسه إليه كان كل واحد منهما يقعد كالميت القائم من قبره يرتعد ، بحيث صار جميع أعضائه متفرقة وأعصابه متمزقة وصدور مثل هذه التصرفات منه كثيرة وأخباره شهيرة ، وبه أخبرنا كثير من الثقات من رجال قريته الرواة .

وفي بعض المكتوبات التي أرسلها صاحب الترجمة لمريده الشيخ محمد ذاكر أفندي الچسطاويّ قدس سرهما ونور قبرهما :

ثم صلوات النبي ﷺ الذي داومنا عليه ، (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله) ، ثم إذا اشتدت المحبة تجري على اللسان بما رزقنا الله تعالى بلا اختيار أي بلا إرادة بحب القربة .

ولا يخفى أن الصلاة مما أمرنا به خضر عليه السلام شفاهاً في اليقظة وهي مفتاح جميع الخزائن ، ثم أمرنا بكلمة التوحيد ، ثم بعد تلقين الشيخ مرّ سنون .

ومنَّ رسول الله ﷺ عليه بالكلمة الطيبة مكتوبة على رقعة ، ثم جرى بما جرى الله تعالى ومنَّ علينا بلا اختيار .

ووجدت الحقائق واليقين بواسطة خضر عليه السلام وتربيتي الخاص من نبينا ﷺ فضلاً من الله تعالى وتقدس ، لكن بعد وساطة شيخنا الحاج يونس أفندي قدس سره حياً وميتاً لأنه كان سبباً للفناء :

ثم رباني مجدّد الألف الثاني ، ثم شاه ابنه المعصوم ، ثم رباني الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني قدس سره بعد تربية الله تعالى في زمان صبوتي ، ثم شيخنا الغوث ذو الجناحين مجدِّد المائة خالد شاه السليماني قدس سره بعد تربيته في أول السلوك ، ثم غوث الواصلين بهاء

الحق والدين البخاري قدس سره بعد تربيته في أواسط السلوك ، وكلها من رسول الله ﷺ فضلاً من الله تعالى . تهجد أي : تيقظ يا محمد ذاكر أفندي ، ولا تغفل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . انتهى .

فانظر أيها العاشق المحبّ للأولياء ، والواله الصادق للأصفياء إلى مقام القطب الربّاني أبي الفضائل والمعالي الشيخ محمود أفندي الألمالي ؛ فإن كثيراً من الأقطاب فضلاً عن غيرهم لا يصلون إلى هذه التربية في النهايات ، فكيْف يصلون في البدايات ؟ ! فهو محمديّ المقام في الأوائل وموصل الخلائق في الفواضل ، ومحمدي المشرب في الأفاضل ؛ نسأل الله تعالى لنا ولإخواننا ذلك المشرب مشرباً هنيئاً مريئاً آمين .

وقال صاحب الترجمة : ولهذا الفقير في هذا المقام يد يمكن أن يقول : يد بيضاء ، ولكنه تحرقه حضرة الذات بنار البرودة ، كأنه لم يكن ؛ فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال . انتهى .

وقال في بعض المكتوبات : إن مما شاهدناه في أنفسنا أني رأيت في ابتداء أحوالي يوماً من الأيام في حالة اليقظة وأنا قاعدٌ متذكراً أو متفكراً أو متوجهاً إلى المطلوب شخصين كريمين كالملائكة المقدسة الموكلة لنظام عالم الملك والملكوت ، ولكنهما على هيئتي وعلى صورتي شخصين معروفين عندي وأنا محسن الظن عليهما ، أحدهما قائم حذاء كتفي الأيمن ، والآخر داخل في جوْفي ، يجري ويسري من لطيفة إلى لطيفة ، ومن جوف إلى جوف ، وعن عظم إلى عظم ، كذلك في جميع أجزاء البدن ؛ لكنه في بطنه كأنَّه يريد التخلية والتصفية ويهيئ منزلاً أو مقاماً لنزول شخص كريم ؛ كلما يأخذ من باطني شيئاً من الرذائل ، يعطيه إلى القائم منهما الذي مر ذكره ، حتى وصل إلى تحت الروح ؛ الذي يقابله الروح ، ولكنه خارج عن دائرة لطيفة الروح ، كأنَّ فيها جوف معنوي أو مقام ينتهي إلى العصب المتصل إلى عظم الفخذ الأيمن من

مفاصل مخزن[1] المقتضيات والشهوات ، فأخذ من ذلك المقام مكاتب مفتوحة منتشرة وهو يطويها كطيّ السجل الطويل ، ولما رأيت إلى المكاتب رأيت ما كُتِب فيها ولم أقدر على قراءته ، بل لم أقدر أن أفرق حرفاً من حرف ، فجاء بها من بين الروح والقلب إلى فوق السر فأخرجها مطويّة من جوف كتفي الأيسر ، الواقع بين العنق والكتف فأعطاها إلى الشخص القائم ، ثم غابا عن النظر ، فوجدت في نفسي حالة مغايرة لأحوال البشر ، كأنّي لا عاقل ولا مجنون ، ولا حيّ ولا ميت ، ولا نائم ولا يقظان ، ولم أكن محتاجاً إلى ما يحتاج إليه البشر كالأكل والشرب والنوم والراحة وغيرها ، ولم يصدر منّي شيء منهم ولم نباشر إليه ، ولم يقع بالاقتضاء والاعتناء إلى سبعة أيام ، وفي تلك الأيام وجدت صورتي مغايراً عن صورة البشر ومن صورتي الأصليّة وأوضاعاً شتّى ، وأوصافاً لا يوصف بها البشر ، كأنّ كل الحوادث يحدث منّي وباحداثي ، ويفنى منّي بإفنائي ، ولكن لا بإرادتي ولا اختياري ، ثم بعد سبعة أيام وجدت في نفسي بعض أوصاف البشر .

وأيضاً وجدت فيها علوماً ومَعاني ملء سعة الخيال كأنها يتموّج كالبحر ، ولكن لا أقدر لإظهارها وإخراجها كالصبيّ الذي يريد التكلم ولا يقدر ، وكمنْ بحت نطقه مع أنه يقتضي التكلم ؛ ولا يقدر ، وما لقيتُ في ذلك الأوقات شيئاً حياً كان أو جماداً ، مؤمناً كان أو كافراً ؛ إلا رأيته عز وجل معه ؛ ولكنه بلا كيْفٍ ولم يطلع أحدٌ على حالي من الناس ، ولم أظهره إلى أحد أيضاً ، غير أن شخصاً من المرخصين من هذه الطريقة - مع أنه متهم بين الناس ببعض الكبائر - لما رآني خاطب إليّ وقال : لِمَ لا تقول : أنا الحق ، وأنا كنت مغلوباً بحالي لم أطّلع عليه ، ولم أجُل[2] في ذلك الحال .

---

(١) صفة عظم . (هامش الأصل) .

(٢) من جال يجول ، إذا سار به (قاموس) .

ثم فهمت أنه أدرك منّي شيئاً من الأحوال ، وأنطقه الله تعالى بالاتفاق ولم أجد في تلك الأوقات في نفسي وجداً ولذّة سواء في السلوك والأحوال ، لا في الأعمال الظاهرة ، ولكنّي عليها بالاستقامة بلا شوق ولا لذة ولا مشقة كحركة الجماد .

ثم بعد سنة أو أقل منها رجعت إلى أحوالنا القديمة بتمام صفات البشرية ولوازمها وزال عنّي هذه الحال يعني[1] ولم يستعْلِ عليّ ولكنه باقتداري ، وإن استعليت عليه كلما لزم ، وطلبته وجدته بلا تخلف بذكر اسم الحق ثلاث مرات ، لكن لا بالاختيار ، بل يجري أولاً على قلبي ، ثم يظهر في لساني جهراً بلا فاصلة كأني صرت اثنين : واحد مني بين الخلق ، وواحد في عالم بيضاء بلا شمس ولا قمر ، كأنه عالم الهواء بسيط من جهاته الستة ، ولكنّي قائم فيه على صورة ، غير أنها مهيبة بهَيْبَته الرحمانية المحبوبة للقلوب المشوقة إليها دون هيبة الرعية ، مع أنّي في الصورة في قعْر بيتي قاعد وفي آن الميل إليها وإلى المعنى في ذلك العراء قائم وقاعد ، والقاعد واحد يذكر اسم الحق ، والقائم يجيء حال قيامه بلا حركة ، والقاعد يذهب حال قعوده بلا حركة كأنّي أنا ذاهب إليّ وجاءٍ إلي حتى يتّحد ، والمسافة التي بيني وبين بيني المعنوي كبين السماء والأرض ، لكنه يقطع بثلاث خطوات ، وكل خطوة تقطع بذكر مرة من ثلاث مرات ذكرٍ من اسم الحق ، فلما اتحد الأمران زالت الصورة الصوريّة[2] فبقيت على صورتي القائم في ذلك العالم . ووجدت الناس على صور شتى ؛ منهم ملك ، ومنهم انسان ، ومنهم طيور بأصنافها ، ومنهم حيوان كالقردة والخنازير والكلاب ؛ لكنه في صورة البشر ، حتى

---

(١) أي : من الزوال ليس زوالها بالكلية ، بل زوالها بالاختيار عليّ والولاية على جسمي ، أي : صرت بعد أن كنت مغلوباً غالباً ، أي : إلى ذلك الوقت كنت مغلوباً من تلك الحال ، وأما بعده فصرت غالباً عليها ، وصارت تحت تصرُّفي واختياري والله تعالى أعلم للكاتب رحمه الله تعالى .

(٢) صفة الصورة . (هامش الأصل) .

إذا تمت الحاجة من ذلك الحال ، والإقبال إليه تعالى ، وقضي الأمر ، وجدت نفسي كسائر الناس ، والناس على حالهم وصورهم التي هي في الأعيان إلى مدة ثلاث سنين .

ثم وجدت فيّ تسليماً وتفويضاً تاماً إلى قضاء الله تعالى وقدره ، ولم نحتج إليه ، ولكن كلّما خطر ببالي رجاء شيء ؛ انتزع منّي شخصٌ وأنا بعينه هو ، أو هو عيني ، ليتهيأ ذلك المرجو وأسبابه بلا قصد ولا إرادة مني إليه ، ثمَّ وثمَّ وثم إلى هنا[1] فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال وجدْت ذلَّة واحتياجاً وفقراً ودناءةً ، كأنّي أرذل كل شيء وأخبثه وأكثرهم ذنباً ومعصية وفساداً كأني ممزوج به ، ولكن أعلم أنه أقبح ، ولا نرغب إليه لعدم الرغبة مع أنه تعالى على كل شيء قدير .

مطلب

فاعتبر أيها الأخ ؛ والحال ركعة مقبولة من الأوقات الخمسة أحبُّ إليّ من جميع ما ذكرنا إن يسّره الله تعالى ، ولكنها كالعَنقاء ولم أجد غير اسمه نظراً إلى ما علمْناه ، ولكن فضله تعالى رجاءُ كل قانطٍ ، وعماد كل ساقطٍ . انتهى مقولات ، قدس سره .

أقول : ومن المقرر عند أهل الله - روحي فداهم بإذن الله - أنّ تصحيح البدايات تدل على تصحيح النهايات ، فانْظر وتدبَّر على جلالة قدر شيخنا وإنافة شأن مرشدنا وجدّنا غوث الأوان الشيخ محمود أفندي الألمالي روح الله تعالى روحه ونور ضريحه ، وجعلنا الله تعالى من الشاربين من بحار حوضه ، والسابحين في أمواج فيوضه بمحض فضل الله تعالى وجوده وكرمه وسعة رحمته . آمين يا فتاح افتح لنا يا فتَّاح .

ثم بعد وقوع مثل المذكورات وغيرها ما لا تعد ولا تحصى رجع رضي الله تعالى عنه من ولاية سبير من نواحي الروس المنحوس خذلهم

(١) أي : إلى هذا الزمان والله أعلم .

الله تعالى في كل وقت بالبأس والبؤس . في سنة ١٢٧٩ ألف ومائتين وتسعة وسبعين إلى وطنه وقريته الألمالية وصار حينئذ قطباً للإرشاد وكهفاً للاستمداد ، وتعلق بذيله ألوف من الناس ، وذهب بسببه عنهم جميع الوسواس الخناس ، وظهر عنه الخوارق العجيبة والكرامات الغريبة ، وكان صاحب تصرُّف تامّ وتفرُّس عامٍّ .

ومن أعجب كمال تصرفاته[1] فيما تواتر إلينا من رجال قريته الحاضرين في مجلسه ، أنه إذا قصد إلى مجلسه منكرٌ ورآه يحضر من بعيد ، كان ينظر إليه ويرمي نَفَسه المبارك من أنفه ، وكان ذلك المنكر يسقط حينئذ كالمغشي عليه ، وكان يتركه بقدر ساعة على تلك الهيئة ، ثم كان يجرُّ نَفَسَه من أنْفه إلى الخلف ، فيقوم المغشي عليه من غشيانه ، ثم يحضره إلى مجلسه ، ويقعد قبالته ، ويخبره بما كان في قلبه ، ويوبخه غاية توبيخ ، فإنه كان في غايةٍ من الشجاعة ونهاية من القناعة .

كان لا يهيب من الأمراء ولا يخضع للأغنياء .

وكان لا يخاف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة لائم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

ومنها ما أخبرنا به مريده الثقة المأمون الحافظ يوسف أفندي الألمالي وغيره : أن الشيخ محمود أفندي قدس سره كان إذا جاء إلى فمه نخامة كان يقف ساعة بلا رميها إلى الخارج ، وكنا قد تعجبنا من ذلك مع أنَّ ذلك عار عظيم عندهم ، ونقول : يا شيخ أفندي حضرة لَرْ ، ما حكمة توقفك بعدم رمي نخامتك ؟ وكان رضي الله تعالى عنه يقول أيها الإخوان : إنِّي لا أجد مكاناً لرميها ولذلك أتوقف في طردها ، لأنَّ في قبالتي روحانية رسول الله ﷺ ، وفي جهة يميني روحانية الشيخ خالد قدس سره ، وفي يساري روحانية الشيخ شاه نقشبند بهاء الدين محمد البخاري وكذا في حوالي جماعات روحانية الأولياء قدس الله أسرارهم .

---

(١) كما مر الإشارة إليه .

ثمَّ بعد ذلك كان رضي الله تعالى عنه يرفع قدمه اليسرى قليلاً ويرمي بانحنائه قربها تحتها ويضع قدمه على تلك النخامة .

وكان هذا دأبه رضي الله تعالى عنه في كل وقت ، فبذلك الأدب وصل إلى منصبه ، وبحفظه ارتقى إلى حسبه ونسبه ، رزقنا الله تعالى حفظ الأدب ، ووصول الحسب والنسب آمين يا إله العالمين ويا أرحم الراحمين .

ومنها ما أخبرنا الرجال الثقات من حُضَّار مجلسه أنَّه رضي الله تعالى عنه مع بعض أمنائه دُعي للضيافة إلى بلدة مُخُو ، فلما قربوا إليها نزلوا في أيكة قريبة إليها وكان بَعْض رفقائه يجني ثمراً من شجر هناك يسمى بلسان الترك (يمشان) فضحك الشيخ راكباً على فرسه وقال : يا هذا إنَّ مَلاَّ أحمد التلالي الكائن في قرية قاخ في سلوكه يضحك عَنْك ويقول : انظر ترك تأدب هذا الفلان بين يدي شيخه ، يَجْني الثمر وأكله ، فتعجب ذلك الجاني ؛ وقال : يا شيخ أفندي هل يراني ملاَّ أحمد الآن وبيني وبينه مسافة ثلاث ساعات للفرس الجواد ؟ وقال الشيخ : هل أرى لك تصديقه ؟ قال : نعم ؛ يا أفندي ، قال : أعطني حبةً واحدة من تلك الثمرة ، فأعطى ، ثم رمى الشيخ تلك الحبة وقال : يا ملاَّ أحمد خذ ما رميتك ، ثم قال الشيخ : والله وصلت الحبة أنف ملاَّ أحمد واحمرّ موضع وصوله ، وقال بعض رفقائه ثم لمَّا رجعنا من تلك الضيافة وصرنا سائرين في الطريق عطشنا ، كلنا عطشاً فوصلنا إلى عين في الطريق ، فقال الشيخ لرفقائه : أليس عندكم إناءٌ لأخذ الماء من العين للشرب حال كوننا راكبين بلا نزول من الأفراس ؟ فقالوا : لا فنظر إليهم فرأى منخلاً ينخل به الدقيق مربوطاً خلف فرس واحد منهم فقال : خذ يا هذا ماءً بهذا المنخل واملأه ، فقال : يا أفندي هل يمسك المنخل ماءً فقال : يمسك إن شاء الله تعالى ، وأملأه ببسم الله والبركة فملأ صاحب المنخل ذلك المخل بالماء من العين ولم يقطر منه قطرة حتى روي الجميع من الرفقاء مبتدأ من الشيخ ، ولما تمّ النوبة ورَوَوْا انصبَّ الماء بغتة وما بقي في المنخل لحظة ولو شيئاً قطرة .

وكان صاحب تلك الحبَّة المرمية إلى ملاَّ أحمد عاشقاً إلى وصوله يستخبره عن حقيقته وحَقيَّته فقال : لما رجعنا من الضيافة وما كان مقصودي غير السلامة وصلتُ إلى قرية قاخ فأشرعت في الوصول إلى حجرة ملاّ أحمد ثم لما اطلعت عليه من كوة حجرته وخلوته ناداني قبل أن أتكلم : يا دني الهمّة ويا منكر المشائخ والحجّة ألا تعلم أن كرامات الأولياء حق ؟ ! فنظرته فرأيت موضع وصول تلك الحبّة من الأنف محمراً ، ووجدت تلك الحبّة محفوظاً في يده مستقراً ، وقال : يا هذا إن الحبّة التي رماني الشيخ هذه الحبة ، فصرت مدهوشاً متحيِّراً ؛ ومن كرامات الشيخ ومريده مقهوراً ومنكسراً ، فرحمهما الله تعالى ، وزرقنا من فيوضهما آمين .

ومنها : أن الشيخ قدس سره كان لا ينقص عنده في كثير الأوقات من مائة سالك ومريد ، وكان دأبهُ في ساعات الليل والنهار التوجه إليهم ، وكان إذا صلى صلاة العصر ، وكان له حاجة لذهابه إلى البيت يقول لمريديه جميعاً حين كانوا في المسجد قاعداً[1] هو في المحراب : اقعدوا بالحضور مع الله ورسوله وأوليائه وإني أتوجه إليكم الآن في الساعة بالنوبة وقال لنا : من كان في تلك المجالس كثيراً كلٌّ من وَصَلتْ إليه النوبة من المريد يخرج منه الصوت العظيم المزيد بعدم طاقته على توجهه لشدَّته وقوة تأثّره وتصرفه في ألطافه وكان يتوجه في ساعة واحدة أكثر من مائة مريدٍ ومرادٍ .

(١) حال من فاعل يقول . (هامش الأصل) .

مطلب مهم

التوجه إلى المريد أشدُّ شيء عند الأولياء

فانظر إلى قوته وشوكته وسرعة خبرته وأن أشد شيء وآكده عند الأولياء التوجه إلى المريد واستخبار حاله خاصة إذا كان المريد قليل المحبة كدير اللبّة .

ومنها أيضاً : إنّ الرجال الكثير ، والجمَّ الغفير من الإخوان الكرام والأصدقاء العظام أخبرونا إنَّ الشيخ قدس سره ، لما توجَّه في السنة التي ذهب فيها إلى الحاج ترخان إلى زيارة الشيخ بابارتما ذهب معه ألف فارس ومئتا دارس سوى الرجالة وقرؤوا عنده في ليلة الجمعة الصلوات المقرَوَءة لهم في الخلوات ، ثم لما فرغوا منها قال الشيخ وكان كل أهالي الزيارة حلقة في حوالي ضريح الشيخ بابارتما جملةً : اسكتوا ؛ فإني أريد التكلم مع بابارتما حَضْرَتْلَرِي فسكتوا كلهم ، ثم جرّ نفسه المبارك إلى الداخل والخارج ، فخرج من داخل قبر الشيخ بابا صوتٌ عظيم مثل كوكوكو ، فصار نصف الناس الكائنين هناك مغشيِّين من الخوف والهيبة من هول تلك الصوت الخارج كميتين ، فبعد ساعة جرَّ الشيخ محمود أفندي نفسه كذلك ، فسكن الصوت ، فقام الناس كلهم كنفس واحدة ، ثم قال الشيخ : إن بَابَارَتْمَا حَضْرَتْلَرِي يقول لكلّكم : مرحباً أهلاً وسهلاً ، وإنه قد رضي عنكم وأخبرني برضائه منكم .

ثم ذهب الشيخ إلى الحجر المشهور بأنَّه ممسوخ من الحيَّة ، ثم لما وَصَل لديه قال : أنصتوا حتى أسأل عن هذا الحجر حاله وشأنه ، وهل هو ممسوخ كما قيل ؟ أم مكذوب ؟ فضرب عصاه عليه واستخبر عن باطنه لديه ، فتحرَّك حركة عنيفة هائلة وخرج دخان عظيم مع رائحة كريهة .

ثم قال الشيخ ، قدس سره : إن هذا الحجر يخبرني أنه كان حية عظيمة وكانت تأكل أغنام بابارتما ، وكان يقول لي وقتاً فوقتاً : يا حيوان

الله ، لا تأكلي أغنامي ، وإنَّ معيشتي منهم وأنستي معهم . ومع قوله لي هذه الأقوال الليِّنة كنت لا أترك أغنامه ، وأختلس منهم كل يوم واحدة منها ، ففي يوم من الأيام كنت على هذا التَلّ أترصَّد أغنامه للاختلاس وكان في ذلك الوادي ؛ ولكن لم أعلمه ، ورماني قوسه ، فوصل إلى جنبي وخرج من الجنب الأخرى ، ثم جاء عندي وعلا عليَّ بمكعبه ودعا عليَّ وقال : كُن حجراً بإذن الله تعالى فصرت حجراً كما ترى . انتهى .

فمثل هذه الحكايات الصادرة عنه كثيرة ، وكراماته غزيرة عجيبة ، لا يحصرها كتاب ، ولا يتكلم بها لسان وخطاب ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، ونوَّرَهُ بالأنوار ساطعةً .

ثم لما وصل إلى هذه السنة ١٢٨٢ ألف ومائتين واثنين وثمانين ، اجتهد في توجّه المريدين وتسليك السالكين وإيصال الواصلين وتكميل المرشدين ، وكان في ذلك الشتاء يدور على خلفائه الساكنين في الخلوات في نصف الليالي والفَلَوات ويقول : يا بنيّ فلان ، يا بنيّ فلان ، اجتهد للوصول والتقرب ، فإنه لم يبق لي رزقٌ هنا إلا الأيام والتقرب ، قد قرب أجَلي ووقت ارْتحالي .

ثم لما لبس الربيع جلبابها ، وخلع الشتاء رداء بردها ، أجاز ثمانية خلفاء من هذه الديار ، وأعْطى ليد كلِّ واحدٍ منهم كتاب الإجازة لذهاب التهمة وإلا فلا حاجة له ، ثم توجَّه إلى الحاج ترخان هرباً من حبس الروس وكثرة النمامين منه إليهم بالمنحوس ، وأوصى لكلِّ خليفة مقاماً ومكاناً وقال لهم :إذا أشكل عندكم أمرٌ من الأمور الدنياويَّة زماناً فاذهبوا لدى حاج بَبَا أفندي القاخي ، وإذا أشكل عندكم أمرٌ مَّا من أمور الطريقة اذهبوا لدى مَلاَّ أحمد التلالي فإني أقمته مقامي وأطلعته مرامي ، فأيّ شيء أردتم مني فتجدونه عند ملاَّ أحمد قدس الله أرواحهم ،

فأوَّل الخلفاء وأكملهم شيخنا وسيدنا سيّد السادات الشيخ حاج أحمد أفندي التلالي ، ولكن تأخّره لكثرة مناقبه وعدَّة خلفائه .

وثانيهم : الشيخ الإمام الكامل ، والفرد الهمام الواصل ، العالم العلم العامل ، مربي المريدين وضياء السالكين ، الشيخ الحاج جبرائيل أفندي الزاخوري ، ثم اللكيتي ، كان بسيط الوجه والكلام ، نشيط النطق والمرام ، كل من رآه يحبه ، ومن جميع الخبائث يجبّه ، كان جسيماً عظيماً ، وقوراً حليماً كما هو دأب المشائخ ، كالجبال الشوامخ ، ذا كرامات كثيرة ، وخوارق عجيبة ، وكان يرحم لمريديه كالأب الرحيم لأوْلاده ، وكان أولاً مريداً للشيخ الأعظم والدرويش الأكرم ، والشيخ الحاج أحمد أفندي الألمالي ، ثم لمَّا وصل شيخ الزمان محمود أفندي إلى القرية الألمالية من ولاية الروس ؛ تسلم ذلك الشيخ وجميع مريديه وكانوا ثلاث مائة لمحمود أفندي وكان كأصغر مريدي محمود أفندي لديه ، وكان محمود أفندي يحبه حباً عظيماً ويحترمه احتراماً جسيماً ، وكان يثنيه قبالة الناس ، وكان من أعاجيب الزمان في تصغير أمور الدنيا وزينتها والزهد فيها وفي ترك حطامها ، وقصصه عجيبة وحكاياته شهيرة ، ومات سنة ١٢٨١ قبل ارتحال محمود أفندي إلى الحاج ترخان وقبره هناك يزار ويتبرك فرحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا وعن جميع الإخوان والمسلمين .

ثم وقع الحاج جبرائيل أفندي في تربية محمود أفندي ، اجتهد اجتهاداً بليغاً وجاهد للنفس والشيطان جهداً منيعاً في مدة سبعة أشهر مع رفقائه الخلفاء ، فرفع حجاب البين ، ووصل الأين إلى الأين ، وأجيز إجازة تامة ، وأذن لارشاد الخلق عامة ، وكان رحمه الله تعالى من غريب آخر الزمان في جاسوس القلوب واطلاع الأحوال والريوب .

ومن جملة اطلاعه عليها ما وقع لي معه حيث كوني إماماً في قرية زاخور في ١٣٠٧ جاء هو والشيخ الحاج حمزة أفندي وشيخنا الحاج قصي أفندي إلى قرية زاخور لزيارة ضريح الشيخ محمود المدفون هناك في قبل الزمان ، وكنت معهم أدور أينما داروا وأذهب حيثما ساروا ، وكان

جماعة ژاخور يحترمونهم احتراماً عظيماً ، وكانوا يضيفونهم في يوم واحد أكثر من خمس مرات ، وكانوا ينادوني معهم للضيافة ؛ وللأرض من كأس الكرام نصيبٌ .

وكان الحاج جبرائيل أفندي يقعدني عنده في خوان واحد متَّصلاً ركبتي بركبته ، وكنت أجرُّ إلى الخلف خوفاً من ترك الحرمة ، ولكن كان لا يتركني إلا متصلاً ، وكان شيخنا الحاج قصي أفندي الجنيغي ينظر إلينا ويتبسم ، وكنت هكذا معهم دائراً كالكلب . المحبوب الدائر خلف صاحبه ، وفي اليوم السابع ناداه[1] معي مخصوصيْن خاله الشيخ الهرم بابا سعيد الژاخوري للضيافة وكنت معه سائراً مستوياً ولا أقدر أن أفرق بصري من وجهه وإن كان ترك أدب لشدَّة محبّتي ورسوخ مودتي له ، ثم قال : يا بني شعيب أفندي ، إني أريد أن أذهب غداً إلى قريتي لكيت واستحي من قرابتي وأهل قريتي في هذه القرية الزاخورية لكثرة حرمتهم إلينا وازدحامهم بها لنا فوثب في قلبي حينئذ هل أرى هذا الشيخ بعد اليوم بعد مفارقته منا أم لا فبلا مهلة عكس ما في قلبي إلى قلبه وضمَّني إليه وإلى صدره ، وكنت في جهة يمينه ، وبَكى وبكيْتُ ثم قال يا بني شعيب أفندي ، إن أعطى الله تعالى لنا مُهْلة في الأجل نرى إن شاء الله تعالى وإلا فلا ، وكنت أخاف بعد ذلك في حقه وفي فوته عن يدي لكوني قاصداً قصداً ، مُصمّماً لدخولي في تربيته ، ولكن لا يكون إلا ما أراده ولم أره بعد ذلك ، ومات في ذلك الشتاء في شهر جمادى الأخير (في يوم الاثنين الثاني عشر منه) من سنة ١٣٠٧ ألف وثلاثمائة وسبعة ، رحمه الله تعالى آمين .

---

(١) حاج جبرائيل أفندي . (هامش الأصل) .

❊ مطلب مهم : دُنْيَالْ بُقَرَوْ حَاج بَبَا أَفَنْدَ – قاخي – اَسْكُوْ اَ ؛ طَرِيقَتَلُلْ أمُورَلْ لِزِ رُقَّرَوْ أحْمَدُ التَلاَلِي يَصْدَ اَسْكُ اَ . (مَحمود الَفعال قدس سره) ، (هامشَ الأصل) .

وأما حكاياته وكراماته فكثيرة من أن تحصى ولا قُدرة لأن تستقصى .

وخلف بعده للخلافة التامة وأجلس على بساط الإرشاد العامة خليفته أخانا العالم الواصل والفاضل الكامل :

الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي العسوي[1] من ولاية هيد من نواحي الشيخ شاميل أفندي ، وهو الآن على تربية المريدين وتسليك السالكين وإضافة المستفيضين وإفادة المسترشدين ، وفقه الله وإيانا للصالحات ، وجنبنا عن المناهي والمكروهات الطالحات بمنه وكرمه آمين .

وثالثهم : إمام الهدى وتارك الردى مخزن العلوم الإلهية ومصدر الفيوض الربانية ، العالم في الظاهر والباطن شيخنا وجدنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ الحاج اسماعيل أفندي السواكلي قدس سره ونور قبره آمين . وأولاً كان مع أقربائه مهاجرين إلى ديار داغستان في زمن الشيخ شاميل أفندي وتحت سياسته وفي تربية الشيخ الجليل والغوث الجميل شيخ المشائخ الشيخ جمال الدين أفندي الغموقي قدس سره ونور قبره ، فبعد دخوله في ضمن قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ وبلوغه ما بلغ من مقامات الأولياء ودرجات الأصفياء أجازه الشيخ جمال الدين أفندي بالاجازة الكاملة وأجلسه على بساط ارشاد الخلق الراضية المرضية .

ثم لما وقع الفتنة الكبرى والبلية العظمى بحبْس الإمام شمويل أفندي ، وبوقوع ديار داغستان في يد الكفار - خذلهم الله تعالى الجليل الجبَّار - وكان أمر الله قدراً مقدوراً وسرّه حتى عن الأنبياء والملائكة مستوراً ، فارق من شيخه جمال الدين أفندي لأنه مع العيال ذهب مع الشمويل أفندي إلى ولاية الروس والشيخ المترجم له رجع إلى وطنه الأصلي إلى قريته سَوَاكِلْ .

---

(١) ومات الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي في بلدة جدّة في ١٣٢٠ حين ذهبنا معه إلى الحج . فرحمه الله تعالى وإيانا (منه) .

وسببُ كونه ودخوله في تربيّة الشيخ محمود أفندي - كما أخبرنا به خليفته وشيخنا الشيخ الحاج قصي أفندي الجنيغي نقلاً عن فمه - أنه قال : لما عزمت على مفارقتي من شيخي جمال الدين أفندي في آخر الأمر قال : يا بني ملاَّ إسماعيل[1] ، أنا القطب الآخر في ديار داغستان ، فلا يكون بعدي قطب إلى آخر الزمان ، وإن وصلت لمرشد وصل إلى مقام القطبية الكبرى يمكن لك الذهاب لديه للاستفادة ، وإلا لا حاجة لك للإياب إلى غيره فرسخ مقالته في قلبي ، وتمكَّن في لبي ، وكنْت في بيْتي وفي قريتي في زمان .

ثم سمعت بعد مدة مديدة عديدة أنَّ في قرية ألمالُو رجل عظيم يدعي المشيخة ، المسمى بالشيخ محمود أفندي ، وكنت لا ألتفت إلى أقوال الناس بالنظر إلى قول شيخي الأول ، وكنتُ تيقنت أنه لا يكون أحدٌ ما في ديارنا أكبر من الشيخ جمال الدين أفندي ، فيوماً جاءت رسالةٌ إليَّ من الشيخ محمود أفندي ، مضمونها : حضوري عنده ، فلم ألتفت ، ثم بعد مدة جاءت ثانية هكذا فلم أنظر أيضاً ، ثم جاءت ثالثة إن كنت تجيء تعال وإلا أجيء عندك ، فإني لا أستنكف عن زيارتك ، وان استنكفت عن زيارتي ، فتأثر هذا القول في قلبي ، فقلت : فما يفعل إن ذهبت لديه فهل لا يحصل لي أجر زيارة الأولياء ، وإن لم يفد لي بشيء .

ثم ركبْتُ الفرس الأبيض وارتحلت إلى قريته الألماليَّة في الطول والعَرض ، فوجدت عنده جماعة كثيرة ناكسين من رهبته ساكتين من هيبته ؛ كأنَّ على رؤوسهم الطير ، ثم لما اطلعت على زمرته الكريمة رفع رأسه المبارك من أعلى ركبته وقال : اقعد يا أخي بجمال طلعته ، فلما قعدت في حلقته ودخلت في حجاب محبته قال : يا ولدي حاج إسماعيل أفندي ، إن قول شيخك جمال الدين أفندي الغموقي أنا آخر القطب في

---

(١) ولم يكن حجّ حينئذ ، تدبر . (هامش الأصل) .

الداغستان الفاروقي حقٌّ عندنا وصادق لدينا ، ولكن نحن الأول منه في القطبانية والأفضل في الجيلانية[1] .

ثم لما خرج هذا القول منه صِرتُ مغشيّاً علي باستيلاء حاله لدي ، ولم أقدر لدفعه ولم أملك لمنعه ، فحين كوني في الحال علقني[2] من ابهام قدمي بلا مجال مربوطاً بهما من أعلى شاهق كبير عال لا يدرك قعره ، فخفت فناديت شيخي جمال الدين أفندي فجاء كالبرق الخاطف ووقف عن بعيد مني وناديته ثانياً وثالثاً واستغثت له باخلاص مما وقعت فيه ، فلم يقدر ولم يحضر لدي من هيبة الشيخ محمود أفندي ، فعلمت أنَّ الشيخ محمود أفندي أعلى منه ، فناديته واستغثت به فمد يده إلى وخلصني ، فبعد ذلك ذهب عني الحال ووجدتني كالطير المذبوح المرمي بين يدي الحلقة ، ووجدت جميع أعضائي متألمة ممزقة ، فقعدت على هيئتي وأدبي ، فقال الشيخ محمود أفندي : يا حاج إسماعيل أفندي ، ما أصابك يا ولدي قد وقعْتَ في حرج عظيم وضيق جسيم ، فقلت : لا قول لي ولا جواب وأنت تعلم كله ، ثم قال يا بني ، قد وجب عليك دخولك في تربيتنا ، ولا نكلفك كبيراً في خدمتنا فلقَّنني ذكر القلب وما معه من الآداب والمعرفة ، فأرسلني إلى بيتي ، وكلما حضرت لديه كان يجدِّد درسي ويكثر ذكري ، ثم في آخر الأمر أجاز لي وأذن لي ، وبالوصول بشَّر لي . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً وفاضلاً كاملاً ، لا يحمل منة أحد حتى إذا ذهب إلى زيارة مريديه وأحبائه كان يحمل معه شعير فرسه ، وكان لا يستقيم له أمور الدنيا ، ويعلى عليه البلايا الكبرى ، وكان يصبر كلما ابتلي ويشكر كلما أنعم كما هو شأن الأولياء الكمل والأصفياء الفضل فلله دره وإلى النعيم ردَّه .

---

(١) بالفكر والمقال فوقف الشيخ محمود أفندي على رأسي ناظراً إلى ضيق حالي وشدة بأسي .

(٢) أو أدلاني .

وكان يجتهد في إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، ويلازم على الجمعة والجماعة ، ويحمل آفات الخلق لرضاء الحق ، وكان كثيراً ما يقول لأخيه الصغير الحاج عبد الله وكان كثيراً يختفي من الناس ولا يحضر الجماعة خوفاً من آفات الناس وظلمة الخناس : أتعلم الشجاعة والرجولية في العبادة في الخلوة ، وإنما الرجل مَنْ يحفظ نفسه في الجلوة ، ويحضر مع الله تعالى في ملأ الناس ، ويطرد قلبه من الوسواس . وكمالاته كثيرة وكراماته وفيرة ، وحج قدس سره ، ولو كتبنا كلها لحصل كتابٌ ضخم رحمه الله تعالى وإيانا .

وبعد ما أجاز إجازةً تامة لشيخنا الشيخ الحاج قصي أفندي انتقل إلى رحمة الله تعالى وارتحل إلى ما عند الله في شهر رجب في الخامس والعشرين منه في سنة ١٣٠٢ .

وأما سائر خلفائه من أخيه الشيخ الحاج عبد الله أفندي وملاَّ حاجي أفندي القرقايلّي فإنَّ الناس اختلفوا فيهم فمنهم من يزعم أنهما من خلفائه ، ومنهم من يدعى بكذبه ، ولكنَّ العجب العجاب منهما أني سمعت من أفواه ثقات الناس أنهما يدعيان بكونهما مأذوني الشيخ محمود أفندي لأني سمعت شيخنا شيخ السادات وقائد القادات الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي يقول : إن محمود أفندي لم يجز في ديارنا لغير الثمانية فيه المذكورين في الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

وأما شيخنا الشيخ الحاج قصي أفندي ابن عبد العزيز الجنيغي السمبوري كان مجذوباً سالكاً وسالكاً مجذوباً ، وكان من أعاجيب الزمان في الخوف من الله تعالى ، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أني كلما حضرت لزيارته كنت أجده يبكي ولم أبصر عينيه في وقت ما جامداً من الدموع إلا نادراً ، كان عالماً عاملاً فصيحاً ناصحاً ، وكان قدوسيّ آخر الزمان في إنشاد الشعر العربي والفارسي والتركي والديون ، وكان شجاعاً مهاباً وللدعاء مجاباً ، وكان لا يترك القول الحق إلا بقوله ولو كان

المقول له أميراً بحَوْلِه ، ولكنْ كان إنكارُ الناس عليه كثيراً لكون أولاده غير مطيعين لله ولرسوله ، وعاقين لقوله ، وإن كان واحدهم الكبير عالماً ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ وكان تضيقه عليه كثيراً ، وكثيراً ما كان يقول لي : يا ولدي شعيب أفندي ، لو لم تكن امرأتا نوح ولوط عليهما السلام وولد نوح كنعان كافرين لشق قلبي وتفرق روحي ، ولكن لما تأمَّلتهما استراحت نفسي واطمأنَّ لبِّي .

وكما كان مأذوناً ومجازاً من شيخه الحاج إسماعيل أفندي كان مجازاً من شيخه وأب حليلته الشيخ حاج خليل أفندي الجنيغي الذي هو مأذون الشيخ جمال الدين أفندي الغموقي قدس الله تعالى أسرارهم العَلية .

وكان يقول لي قد ناداني شيخي الحاج إسماعيل أفندي إلى قريته وأعطاني الإنابة فوق القنطرة في داخل محلَّته ، ولما ذهبت معه لزيارة الحاج إسماعيل أفندي وضريحه أراني تلك القنطرة وقال : قد قعد شيخي فوق الصك الغربي وقعدت أنا فوق الصك الشرقيّ ، وقال يا ملاَّ قصَيْ : أنا ألقِّن لك ألفاً من الاستغفار ، وألفاً من الصلوات ، وخمسة آلاف من ذكر لفظ الجلالة السرية . قال : فقلت له : يا أستاذي ! أنا رجل مسافرٌ ، وأنا الآن على ساق السفر قاصر ، ولا أقدر إتمامه حتى أصل إلى قريتي جنيغ . فقال : لك المهلة لذلك حتى تصل إلى قريتك . ثم قال لي شيخي : إنّي لمّا وصلتُ إلى قريتي وأدَّيت ورد يوم وليلة كنت قعدت في زاوية مظلمة من مسجد الجامع على سبيل الرابطة ، فرأيت نجماً أزهر كنجم الصباح اطَّلع من الشرق ، ونظرت إليه بعين بصيرتي وفرحت به ، وقلت في نفسي : ما أسهل وصول درجة المشيخة لي !

وكان رحمه الله تعالى يحكي لي هذه الحكاية مرّات في بعض الأوقات ، ويبتسم ويضحك ويعظ لي به ، رحمه الله تعالى ورضي ولو لأجلي ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ أنه كان لي أرحم من والدي وأمي .

وكثيراً ما كان يَقول لي : يا شعيب أفندي ! إني نظرت إليك وفكري عندك ، فلا تنظر إلى غيرك من الإخوان في تساهلهم في أورادهم وآدابهم ، وإن الله تعالى أراني إياك في أداء حقوق الإرشاد ، والإقامة في مقامي للاستمداد ، اللهم صدِّقه وصدِّق ظنه ولا حولَ ولا قوة إلا بالله الفتاح الوهاب .

وكان يقول لي : قد كنت استخرت الله تعالى قبل هذا بسنين قبل اجتماع الأجساد بأني أقول : إلهي يا رب هل تهب لي مقيماً يقوم مقامي ويؤدي مرامي ؟ ثم نوديت في سري أني أعطيتك ووهبتك رجلاً داغستانياً شمويليّاً ووصفني(١) بصفتك ولا أريد غيرك ، اللهم إنك على كل شيء قدير ، اللهم صدِّق ظنون أوليائك وفهوم أحبائك وإن لم نكن أهلاً لذلك .

وكان يقول لي : يا ولدي شعيب أفندي ! إنَّ شيخي وروحي حاج إسماعيل أفندي قد جعلك ولداً له في عالم الأرواح ، وقال في حجلة الأنس : إلهي يا رب ، إني اتخذت هذا ولداً لي ، فعلِّمه الكتاب واجعله حافظاً ، وعرِّفه تأويل القرآن ومعاليم العرفان ، واجعله من أوليائك وزمرة أصفيائك(٢) والله سبحانه وتعالى أعلم كرامات الأولياء ومقامات الكرماء ، اللهم تقبَّل دعوته ، وأجب قولته آمين بحق سيد الورى آمين . وكان شيخنا رحمه الله تعالى مجاب الدعوة ، وفي أي شيء دعا كان يظهر كفلق الصبح ، وعجيباً عنه في إظهار ما في قلوب الناس وخباياهم ، وكراماته عجيبة وحكاياته غريبة ، رزقنا الله تعالى بركته وشفاعته .

ومن مكتوبات الشيخ الحاج إسماعيل أفندي لمريده الشيخ الحاج قصي أفندي : بسم الله خير الأسماء ، حمداً لمن غرس نخيل الوداد في رياض قلوب مَنْ شاء من العباد ، من عبد الله ذي الجلال الداعي الحقير

---

(١) أي : النادي .

(٢) ولولا قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ وسبق عني من حدَّث بنعمته لم أكتب هذا هنا . (من الكاتب الفقير رحمه القدير) .

الحاج إسماعيل إلى حضرة العالم العليم والأخ الأعزّ الحليم ملاًّ قصي ، سلام تام يعطر كالعنبرين ، ودعاء عام يتضوَّء كالقمرين ، عليكم وعلى أهلكم وأحبائكم قاطبة آمين . أمّا بعد ؛ خلف إهداء التحية والسلام لفْت جنابكم الميمونة أولاً أن تكونوا سابحين في أمان الله تعالى دائماً ، وثانياً إعلام لكم عدم النسيان والهجران عن فؤادنا بطول الفراق وترك الاختلاط بيننا وبينكم ، ولأجل ذلك ألتمس منك وأوصيك بالاستقامة في الشريعة المحمَّدية ، ومحاسبة النفس في كل حين ، وترك المعارضة لأهل الزمان ، وترك صحبة الجهلاء خصوصاً صحبة المنكرين ، وموافقة الصالحين ، وترك حبِّ الدنيا ، لأنها رأس كل خطيئة ، وفي حقِّ ذمِّ الدنيا من الآيات والأحاديث مشهورة ، وعلاج ترك حبِّ الدنيا تذكر الموت وكثرة ذكر الله تعالى ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ .

مطلب

وقال ذو النون المصري رضي الله تعالى عنه : لكل شيء عقوبة ، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر والمحبة الوافرة .

قال الشيخ سري السقطي رضي الله تعالى عنه : لا تصحُّ المودَّة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر : ما أنا إلا أنت .

وإن محبة الشيخ كافية في الوصول إلى الله تعالى والسلام هذا فكان انتهى من خطه رحمه الله تعالى .

وأما شيخنا الحاج قصي أفندي - وإن كان وطنه الأصلي قرية جنيغ - كان سكناه في قرية كُدْبَرَكْ - قرية من ولاية چارْ كثيراً ولذا كان وفاته فيها ودفن في المقبرة الكائنة قبالة بيته - وعلى قبره علامة للزيارة الآن يزار ويتبرك - في شهر جمادى الأخرى في سنة ١٣١٤ فرحمه الله تعالى وإيّانا ورضي عنا آمين .

ورابعهم : كعبة أرباب الفواضل ، قبلة الفحول الأماثل ، العالم الفاضل الأجَل ، والواصل الكامل الأدلّ ، الحاج حمزة أفندي الزاخوري ثم الايليسويّ ولد رحمه الله تعالى في قرية زاخور في سنة ١٢٤٧ ونشأ فيها نشأة كاملة ، وكان في براعة النطق والبيان وفصاحة الكلام واللسان من أعاجيب الزمان ، وكانت آثار السعادة والهداية ، وأنوار الرشد والولاية ظاهرة من بين عينيه حين صغره وفي أيام كبره تعلم العلوم والفنون ، ولازم العلماء الكرام والمأمون ، وتضلَّع بالعلوم العقلية والنقلية ، وشبع بمكارم الأخلاق الحسنيَّة ، وكان متوطّناً في قريته الأصلية ، حتى جاء الفتنة الكبرى والبلية الفخرى في ١٢٦٨ بإحراق قرى ولاية سمبور التسعة بيد الملعون المنحوس[١] في زمن ولاية الإمام الشيخ شاميل أفندي في أودية داغستان وكان أهل القرى التسعة المذكورة قد تقدموا حينئذ في القرى والبُلدان في الولايات الكائنة في يد الروس ، وكل ذلك من خوف الروس[٢] من وقوع القرى التسعة في قبضة الإمام الشيخ شاميل ، وحينئذ كان وقوف الشيخ الحاج حمزة أفندي في قريته إيلِي سَوْ ، ولما استولى الملعون المسكوف ولاية الشيخ شاميل بقي الشيخ مع أهله وبعض أقربائه في قرية إيلي سو متوطِّناً ولم يرجع إلى قرية زاخور لكونه مكاناً في غاية المشقة ونهاية ضيق المعيشة ، وكان كالحاج جبرائيل أفندي أولاً مريداً للشيخ الحاج أحمد أفندي الألمالي ، ثم لما رجع الشيخ محمود أفندي إلى قريته رجع إليه واجتهد اجتهاداً بليغاً ودخل في الرياضات الشاقة في تدبير نفسه الأمارة ، فوصل بفضل[٣] الله تعالى إلى مطلوبه ونال إلى

---

(١) عدو الدين غنا رال مايور بارون مع ترخنو عليهما اللعنة إلى وادي زاخور في شهر رمضان وأحرقوا قراها من قردول إلى كسور أي هجطة وخرجت أهاليها إلى ولاية كرجستان أي ولاية چار ، ومات فيها أكثر أهاليها ولم يتفق لهم بعد اجتماع تام في القرى الجبليَّة وكانت هذه الفتنة الكبيرة في سنة ١٢٦٨ (منه) .

(٢) الإضافة إلى الفاعل . (منه) .

(٣) في الأصل بفضله ولعل الصواب بفضل .

مرغوبه ، وأجازه الشيخ إجازة كاملة وأجلسه على بساط الإرشاد وافرة ، وكان رحمه الله تعالى كما رأيته على غاية في حسن خلقه وعَجِيزَة[١] خَلْقه ، وكان جواداً حليماً ، شجاعاً في إدارة أمور الدين وفي استقامة الدين القويم وكان ذا كرامات غريبة وغرائب عجيبة .

منها ما سمعناه من أفواه الثقات : أنَّ محمداً الطويل الباكني الذي كان ساكناً في قرية إيلي سو ، قد أخبر الشيخ بموته قبل أربعين يوماً أنه لم يكن وقت الإخبار مريضاً ، وقال : إني أرى خطَّ وفاته وموته لائحة في جبهته .

ومنها ما وقع معنا ، أني لمَّا ذهبت إلى تعزية الحاج جبرائيل لدى ابنه العالم ملاًّ عبد الرحمن وإخوته إلى قرية لكيت ورجعت من هناك مع رفقائي بتنا في قرية إيلي سو ، وفي صباح تلك الليلة ناداني مع جميع رفقائي ، وكانوا نحو عشرين رجلاً مع التلاميذ ، وذبح لنا شاة ، واحترم لنا ودار على رؤوسنا بنفسه بالخدمة كما هو شأن الصالحين وسيرة الكاملين ، وكان ينظر إلينا في ذلك المجلس سرّاً وجهراً ويتأمَّل في حقِّنا ، وكنتُ أطَّلع على حاله في النظر والتفكُّر ، ولكن لم أعلم لأي شيء يتفكَّر ، ثم لما خرجنا من عنده تخلَّف عنده مريده حينئذ صديقنا الحاج عبد القادر الزاخوري ، ثم لما لحق بنا ضحك فقلت : أضحكك الله تعالى يا صوفي لم تضحك ؟ فقال : كنت أقول لشيخي الحاج حمزة أفندي هل لا يمكن لكم أن تعلقوا قلادة الذكر في عنق شُعَيْب أفندي ؟ فقال : يا ولدي عبد القادر إنه ليس في عنق شعيب أفندي قلادة ذكرنا ! وإني قد كنت أتفكر في المجلس في حق ذلك ، ولكن لا أرى قلادتي فيه ، ولكن في عنقه قلادة غيري ، فليس لي نصيبٌ منه ولأجل ذلك تركته . انتهى .

---

(١) لأنه كانت كلتا قدميه معيبة كما رأيته هكذا (منه) .

وكان رحمه الله تعالى طليق الوجه بسيط الطبع ، وكان صاحب علم الكيمياء ، وكانت أرزاقه مع ضيق قريته واسعة ، ولم يكن سخاء خليل سلطان مثله ، وخلف مقامه خليفةً له ممّاىْ أفندي الإيلي سوي ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٣٠٨ ألف وثلاثمائة وثمانية فرحمه الله رحمة واسعة آمين .

وخامسهم : مصباح الظلام وملاذ الكرام ، الشيخ الأكرم الفاضل ، والدستور الأفخم الواصل ، الشيخ حاج حضرة أفندي ابن الحاج عثمان الزاخوري رحمه الله تعالى ؛ كانت ولادته كما في خط ولده المرشد الكامل الأخ الأعز الواصل عثمان أفندي في سنة ١٢٢٥ تقريباً لا تحديداً ؛ صفته رحمه الله تعالى معتدل القامة ، لطيف الجسم ، نظيف الجُرْم ، أجمل الناس وجهاً وخَلقاً وخُلقاً بياض اللون يضرب إلى الحمرة ، كثّ اللحية سوداء لكن قد تبيض من شعور لحية الملائكة ، وكان معتزلاً عن الناس مؤنساً بالله ومؤتلفاً بزيارة القبور والمشاهد ومشتغلاً بالرياضة بعد الإنابة من الشيخ محمود أفندي قدس سرهما ، وجدَّ واجتهد حتى وجد الله وظهر صلاحه وخيره ، وطار في الفضائل طيرُه ، وحمد في الطريق سراه وسيره ، ثم قدم قريته الزاخورية بعد كوْنه مأذوناً فاضلاً ومرشداً كاملاً ، ولازم العبادة والرياضة ، وسكن في أكثر الأوقات في المسجد الذي عند ضريح الشيخ محمود متصلاً به ، وازداد رياضة يوماً فيوماً حتى مات على تلك الحال ، وأرشد الناس ولم يفارقهم عن تربيتهم وتزكيتهم ، وكان معظم مخلصيه أكابر علماء زمانه .

ومن كراماته رضي الله عنه كما في خط ابنه المذكور أيضاً : أنه لما بلغه الخبر من حكام الروس بتضييقه وحبسه وإرساله إلى سبيرْ قال : فإن شاء الله تعالى لا يصل من أيديهم إلى ضررٌ لأني أرى بحق أن طينتي من طينة قطب العارفين الشيخ محمود أفندي المدفون في زاخور وأنَّ تُرْبتي بإذن الله تعالى تكون لديه . وكانت كما قال !

ومنها أيضاً : أنه كان يعلم مَنْ جاء لخدمته من الزائرين بلا التفاتٍ إليه ويدعوهم بأسمائهم بلا إشارة منهم ، وكان قد علم أيضاً وقت موته ومات في سنة ١٢٨٤ في اليوم الأول من شهر ذي القعدة ، فمدة عمره تسعة وخمسون سنة ، وكان مدة حياته قليلاً بعد كونه مأذوناً ، ومع ذلك أظهر لمخلصيه من عجائب وغرائب ، وبقي منه آثار كثيرة ، وكرامات عظيمة لم أذكره لطول الكتاب وملالة الخطاب ، فرحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا وعن جميع الإخوان والمخلصين آمين يا أرحم الراحمين . انتهى ما التقطتُهُ من كلام ابنه على المرام مختصراً .

وسادسهم : هو الشيخ الإمام والفاضل الهمام والضيف الضرغام والعاقل الشجاع الصمصام ، الحاج بابا أفندي القاخي الحنفي قدس سره ، كان كريماً حليماً صبوراً ، وفي جميع الأمور عاقلاً وفيراً وقوراً ، كان رحمه الله تعالى حِبَّ شيخه وضيف روحه ، وكان قد انتهى إليه رياسة الأمور الدنياوية ، وخاقان الأحوال الأخروية وكان مِضْيفاً لأهل الله ، وخادماً لخدَّام شيخه لأجل الله ، ومأوى الكرام ، وكريم العظام ، وكان قد حق فيه قولهم : (كريم القوم خادمهم) ، وناهيك لجلالته وعلوِّ منقبته إنه كان كثير التواضع ، ووضيع الترافع ، فللَّه درُّه ! وللنعيم رده ، وجاهد في الله حق جهاده ، وراض نفسه حق رياضته فوصل إلى مراده ، وأجاد في مفاده ، وناصح في الله حق نصيحته ، وكان للناس كالأب المشفق لأولاده ، ولم أعلم تاريخ ولادته ! ولكن مات وانتقل إلى رحمته تعالى في سنة ١٣٠١ ودفن في مقبرة قريته ، وقبره يزار عليها ويتبرَّك ، فرحمه الله تعالى وإيَّانا آمين .

وسابعهم : الشيخ الشهير والنجم الزاهر المنير الشيخ نور الله أفندي الليسغي رحمه الله تعالى كان مرشداً للخلق ، ناصحاً للحق ، وقد أخبرني أخونا الحافظ يوسف أفندي الألمالي أنَّ الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره لم يكن قد أذن لنور الله أفندي حين يذهب إلى الحاج ترخان

ولكن هو وأقاربه قد فعلوا له المنة في بلدة نُخُو بالإجازة له لرؤيتهم عاراً بالإجازة لرفقائه دونه ، فأجازه في بلدة نُخُو بشرط ذهابه إلى خدمة الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي حتى يكمل ، ولكن لم يذهب إليه ولم يكمل ، وكان مع ذلك يعطي الإنابة ويرشد الطالبين ، ولذلك لم يكمل به أحد ، ولم يستفد به واحد . انتهى والله أعلم . اللهم احفظنا من شرور أنفسنا ومن سيِّئات قبائح أعمالنا ، ومات في قريته في سنة ١٣١٥ فرحمه الله تعالى وعفى عن عثراته وعنَّا آمين .

وثامنهم : العالم العامل والفاضل الكامل ، الشيخ الحاج محمَّد أفندي الأرچي الداغستاني قدس سره ونور قبره ، وقد أخبرنا شيخنا شيخ الزمان ومجدِّد الأوان الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي أنَّ شيخه قطب حينه وغوث آنه الشيخ محمود أفندي الألمالي قدِّس سرهما أخبره أنه قال : إن أخانا العالم الحاج محمد أفندي الأرچي قد اجتهد اجتهاداً كثيراً ، وراض نفسه وفيراً ، وكذا نحن قد تحمَّلنا التعب في حقه ، ولكن لم يفتح له القلب ولم يرزق له ذلك ، ولا أعلم سرَّ الله تعالى ، ولكن لا شك في كونه وليّاً ، وولداً من أولاد الأولياء راضياً مرضيّاً ، وليكوننَّ له فتح قبل سكراته أو في بيت برزخه . انتهى .

فأقول كما قال الشيخ إسماعيل : حقي في « روح البيان » : ما أصعب هذا الطريق وما أشكله وما أعضله ! اللهم يا مفتح الأبواب ويا مقلب القلوب والأبصار ، ويا خالق الليل والنهار ، ويا دليل المتحيّرين ويا غياث المستغيثين ، توكَّلتُ عليك يا ربَّ العالمين ، وأفوِّض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومات الحاج محمد أفندي الأرچي رحمه الله تعالى في ولاية چارْ في قرية شتوار ، ودفن قبالة مسجدهم الجامع في ١٣١٣ رحمه الله تعالى وإيانا آمين .

وللشيخ محمود أفندي الألمالي مكاتبات كثيرة ومراسلات عظيمة في الطريقة والوَعْظ والنصيحة ، ولا نقدر كتبتها وإحصاءها ، ولكن نكتب واحداً منها منقولاً من خطه المبارك للتبرُّك بها والانتفاع بها ، التي أرسله من حاجي ترخان إلى خليفته الحاج بابا أفندي القاخي رحمهما الله تعالى وإيانا آمين .

بسم الله خير الأسماء ٠٩٠٩٠٩٠ جناب أخ مخدوم عزيز الوجود ، صديق الوعد وفيَّ العهود ، ولو عاقتنا الزمان في الغيب والشهود ، على[1] ما يوافق محاكمة العقول ، ولو كانت في مَعْرض الذهول عن المشيئة التي طلعت من مطالع التقدير بلا تغيير ولا تعبير ، والله على كل شيء قديرٌ ، سبحانه ! لا يجري في ملكه شيء إلا بمشيئة الله تعالى ، وبيده أزمة الأمور وإليه المصير .

مطلب مهم

حاجي بابام يَادِكَارِي حاجي بابام ! أيقظنا الله تعالى عن تسويلات أنفسنا التي غَرَّتنا بطول الأمل وتسويف العمل ، وعن فناء الدنيا ، وعن حُرْمة حبها وحب رياستها إلى ما هو الحطام ، ولقد شاهدنا أنَّ مِنْ محبِّيها جرت القوافل ومضت ، فإنها تركوها بالحرمان ولم يبق منهم سوى التحسُّر والخسران ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ الآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ اللهم ارزقنا الملاقاة بأحسنها .

ثم لما أحاطنا الفراق ، وحال بيننا الافتراق ، واحترقنا بنار الاشتياق ، واكتفينا من المشاهدة بالمذاكرة ، ومن المكالمة بالمكاتبة

(١) حال من فاعل عاقتنا . (منه) .

من الأقارب والمحارم والإخوان والأوطان ، ولم أخل من الأمراض الجسماني والأعراض الروحاني يومين متتابعين إلا وجدْتُ نفسي في السراء والضراء مريضاً بلا سقم ، وفي تعب بلا ألم ، ونسمع البكاء من قلبي في أكثر أوقاتي وأنينها بلا ونين ولا أعلم ما يبكيه ، ولِمَا بكاؤه ؟ حتى فقدت رسوم البشرية ، كيف الخلة والأخوة وما يلازمهما مع هذا إن لم يحرِّك ولا يحرك الإخوان والخلان ، لعلَّ هذا من اقتضاء آخر الزمان ، ولصاحب القلق يكفي الشكاية بمقدارها والسلام .

ثم اعلم أيها الأخ الأعز الألذّ ، وصل مكتوبكم الشريف من مكاتب أهل بيتي في أحسن الأوقات كأنه قام مقام الملاقاة ، وانتشر منه أنواع المكارم وأصناف مراسم المحبة في رعاية المواخاة ، وكان فيه مكتوب الإخبار والإعلام من المصائب التي بيننا وبينكم سواء ألماً ، بل للغريب أشد حزناً وغمّاً ، كانتقال الإخوان من دار الدنيا إلى دار القضاء ، اللهم اغفرهم وارحمهم وعامل معهم بسعة رحمتك يا واسع الرحمة ، واجمع بيننا وبينهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وارحمنا وارحمهم وارحم جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من الذين سبقونا بالإيمان ومعنا في الإسلام ، واللاحقون من الإخوان في الإيمان ، وخاصة جميع أتباعنا الفقراء ، من أمة محمَّد عليه الصلاة والسلام ، اللهم اجعلنا واجعلهم من الذين ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ بحرمة سورة الفاتحة آمين .

اعلم أيها الأخ الأعز ، فإن الصحبة والإرادة والإنابة والمحبَّة الرحمانية لا تنعقد بين العباد إلا بثلاثة مراتب : أدناها أن تعدَّ المريد أو المحب أو الصديق شيخه وحبيبه وصديقه في مرتبة عبده ، وحق العبد على المولى معلوم ، وأوسطها أن تعدَّه أخاً لنفسه ، وحق الأخ أيضاً معلوم ، وأعلاها أن تعدَّ مولاه ونفسه عبداً له ، وحق المولى على العبد أيضاً معلوم ، والثالث والثاني معدوم كعنقاء ، والأول في هذا الزمان يكاد أن يكون معدوماً ولو وُجد يوجد لآحاد الألوف .

ثم المترقب منكم أن تقرؤا السلام منَّا إلى الإخوان كلاً وطرّاً ، قرباً وبعداً ، خواصّاً وعواماً ، أميراً ومأموراً من عباد الله الرحمن . انتهى في أواسط ربيع الثاني في ١٢٨٢ في حاجي طرخان محمود معلوم ألمالي في حاجي طرخاني . انتهى من خطه رحمه الله تعالى باختصار قليل ، اللهم ارزقنا بركته وبركات أمثاله وأَفِضْ علينا وعلى جميع إخواننا من فيوضاته واحفظنا بحرمة جميع الأنبياء والأولياء من مكر الأعداء وشر الأضداد والأنداد ، وردَّ عليهم بحرمتهم كيد نحورهم آمين ، يا حيَّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

وبيان كرامات شيخ المشائخ محمود أفندي لا يطيقه متون الأوراق ونحور الأشواق ، وفضائله جميلة ، ومناقبه كثيرة جليلة ، ولقد خلَّف بعد ذهابه إلى حاجي طرخان هناك مقامه على سجادة الإرشاد ، مطلق العالم العالي ، حائز رتب المجد والمعالي ، الشيخ محمد ذاكر أفندي الچسطاوي وعبد الوهاب أفندي ، وقد انتهى إليه رياسة ديار قزان وما حواليها في الأمور الدينيَّة والدنياويَّة ، وفضائله جمَّة شهيرة كاشتهار الشمس حالة الضحى ، وفي ديارهم متواترة عديدة ، ولمَّا لم نعلم تفاصيلها لم نكتبها في الكتاب ولم نحرِّرها في الخطاب ، غير أنه سمعنا من أفواه الثقات وتكلمات الرواة أنَّ الشيخ محمد ذاكر أفندي وصل إلى مطلوبه وارتقى إلى وصوله لربه في عشرة[1] . أيام ، وأذِن في اليوم العاشر ، فسبحان الله الفعال لما يريد ، والفتاح لما يقود ، فانظروا يا إخواني إلى كمال المرشد

---

(١) وهذا الفقير خادمكم عثمان الزاخوري قد كان سمعه كما كتب المؤلف رحمه الله تعالى ولكنه خلاف ما هو المكتوب في مكتوبات الغوث محمود أفندي إلى هذا العارف محمد ذاكر أفندي قدس الله أسرارهما حيث قال : فاعلم أنك جديد العهد وصلتم ما وصلتم في مدة سنة أو أقل . انتهى ملخصاً ، فمن المعلوم أن ليس الخبر كالعيان ، هذا والله أعلم . أجيب بأن وصوله في مدة عشرة أيام باعتبار الإذن له ، وما قاله في « المكتوبات » باعتبار مقامه العالي الذي يصل له من بعد والله أعلم (مؤلف رحمه الله تعالى) .

الكامل ، وتدبَّروا إلى شدَّة تصرُّف الغوث الواصل والقطب الفاضل ، وإلى كمالة استعداد المريد الأمجد ، والعالم الأوحد ، اللهم اجعلنا منهم ومن أمثالهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

مرض الشيخ محمود أفندي قدس سره في يوم الأحد ومات في يوم الأحد قبيل المغرب ، وكان في لسانه في مرضه وسكراته اسم الذات مادّا له . ودُفن عند الشيخ الكبير شيخ زمان البخاري .

وأخبرنا العالم العامل الحاج عبد الله أفندي الثاخوري ، وفي مكتوبه أيضاً : إنَّ مدفن الشيخ محمود أفندي بعيد عن بلده حاج طرخان بقدر ساعتين ، ومن كثرة الناس وازدحامهم لم أقدر لدخولي تحت تابوت الشيخ ، وكان حضر للدفن من خيار البلد ما لا يحصى ، وكان حضر هناك خمسةٌ وثلاثون فَيْتُوناً لركوب الأكابر في ذهابهم ورجوعهم ، جعل الله تعالى ذنبهم مغفوراً وسعيهم مشكوراً . ومات في يوم الأحد الخامس من محرم الحرام سنة ١٢٩٤ ألف ومائتين وأربعة وتسعين رحمه الله تعالى ونور قبره ووسَّع ضريحه .

ولقد كتب الشيخ العالم ، الذي هو معدود من رجال الغيب الحاج عبد الله أفندي الثاخوري مرثية كريمة ، وكراسة عظيمة ، حين كان في حاج ترخان عند وفاة الشيخ وسماها قصيدة الورود في مدح الشيخ محمود من بحر الخفيف .

صاح[1] دعني أدعُ امرءاً بصباح[2] | لاح بالأرض ضَوؤُه كصباح
أَصِفِ[3] القُطْبَ بالدواعي رُويْداً[4] | أيَّ وَصْف[5] به خلى عن مُزاحٍ
ذا[6] بأرضٍ دلّ الورى[7] وثِماراً[8] | لهم منه قد جَنُوا لفلاحٍ
اسمه محمودٌ يُؤيِّد[9] فحوى[10] | لمديح أنينُه بصُداحٍ[11]
فأمور[12] قد أحكِمت بِشُهُودٍ | لأولى الرأي لم تُقل[13] بمَراحٍ[14]

---

(١) (أي : يا صاحبي ، حذف الآخر للترخيم) .
(٢) قنديل .
(٣) فإذا دَعى له بالكوكب المضيء عاد المرء قطباً فكأنّ القطبية ثبتت له بالدعوة فقيل له أصف القطب (منه) .
(٤) أمهلني .
(٥) وصف : أي وصفاً كاملاً كائناً فيه لم يكن فيه شائبة من مطايبة اللسان بالتمويه بالأقوال المزخرفة التي ليست موجودة فيه (منه) .
(٦) أي : مدحه بالأوصاف المثبتة بالدلائل في المدح كالتحصيل للحاصل ، لأن حقية اتصافه بها يشهد عليها الناس وما وصل إليهم منه من المنافع (منه) .
(٧) فيها .
(٨) مفعوله معه (منه) .
(٩) أي : يدل اسمه مطابقا لمسماه على حقية معنى هذا المديح أي كل ما فيه من الأوصاف (منه) .
(١٠) أي : معنى المديح هو هذا النظم .
(١١) رفع صوت بالغناء .
(١٢) أي : أيّ أمر كان إذا استحْكم بالبينة لا ينكره أحدٌ وإن أنكر يردُّ .
(١٣) أي : لم نحكم بأنها مراح أهل الرأي .
(١٤) موضع الذهاب (منه) .

أهل[1] علمٍ وربٌّ[2] لبٍّ وطبٍّ[3] وجْدُ حقٍّ ونجد سعْدٍ صلاحٍ[4]
جذبُ[5] ذكْرٍ وشُكر برٍّ إليه ذاك[6] فضل الإله يؤتيه داحٍ[7]
صُنْعه الأمرُ[8] النهي طولَ الدهور[9] وهجانا[10] حامٍ هجيناً وماح[11]
كم درى من بضائع العلم والرأ ي أطالوا أكفّ سُؤل النجاح
وتجلَّت آياتُه كنجوم أومَضَتْ[12] في السماء ليلاً صاحٍ[13]
لو رمى[14] سهم الرمق[15] تلقاءَ قلبٍ[16] حين إنقاذ مشرف في جُناحٍ

---

(١) هو .
(٢) صاحب .
(٣) للأمراض الظاهرة والباطنة .
(٤) أي : ذي صلاح وكذا كل المصادر في آخر الضروب أتى به للمبالغة (منه) .
(٥) أي : هو أهل .
(٦) كلها .
(٧) أي : حال كون الله تعالى باسطه لمن يشاء وهو اقتباس من قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .
(٨) وتعريف الخبر تفيد التخصيص أي لا غير .
(٩) أي : كقولهم عدة أيام في إضافة الصفة إلى موصوفها (منه) .
(١٠) جملة حالية بتقدير المبتداء من وهو حام هجاناً . (منه) .
(١١) يعني المراد أي حال كونه حاميا للحسن وماحيا للقبيح (منه) .
(١٢) أشرقت .
(١٣) من الصحو . (منه) .
(١٤) من آياته أنه لو رمى (منه) .
(١٥) النظر .
(١٦) قلب أحدٍ في مجلس التربية والتزكية (منه) .

ليعود[١] الأحشاء موقد نار[٢] ويروح[٣] الهوى مراح انشراح[٤]
وبدور[٥] بدوا سناً[٦] نائبيه[٧] والذين اقتفوا بهم في ارتياح[٨]
هؤلاء[٩] الأولى أتوا بطِباع فيه باتت[١٠] هُدى جناحُ[١١] النجاح
ذو اتساع[١٢] من حيث لم يحتسب رزْ قاً خلى من كدٍّ وتعب اجتراحٍ[١٣]
تُحَفٌ[١٤] قد تواردت نجد مجدٍ[١٥] وأحيطتْ بها سجال السماح[١٦]

---

(١) ليصير .
(٢) أي : به يوقد النار تصلي الأحشاء وتطلع على الأفئدة تكاد تذهب مهج الأكباد (منه) .
(٣) يصير .
(٤) أي : موضع راحة الانبساط (منه) .
(٥) ومنها هؤلاء المأذونون منه ومريدوهم كلهم على هدى من ربهم في الظاهر (منه) .
(٦) ضوء .
(٧) حال كوحده وجهده (منه) .
(٨) نشاط .
(٩) أي : هم على أكثر أخلاقه مثل الجود والعلم ويدل كون أكثرهم حجاجاً على كونه حاجاً في الباطن وفي الظاهر لو خلَّى سبيله من الله تعالى (منه) .
(١٠) صارت الطباع فيه سبب النجح (منه) .
(١١) خبر بعد خبر .
(١٢) مقيس من قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية (منه) .
اتساع : أي له سعة في الرزق بلا تعب ومحنة حصلت بالهدايا وغيرها من كل فج عميق (منه) .
(١٣) اجتراح اكتساب (منه) .
(١٤) ومنها هذا (منه) .
(١٥) مجد أي رفعة عظمة (منه) .
(١٦) وهو لا يدَّخر بل يصرف ماله إلى الخلق بتوقيرهم وإقرائهم والمواساة إليهم (منه) .

وكفاه استفادة الفضل سبياً[١] بنواحي وعَصْر كُفْرٍ سِفاحٍ[٢]
وكذا رمية القضاء[٣] من المو طن حتى أتى المنى بطراح[٤]
وتمنى[٥] إيابه قد أجيبا حين حان الوفاء مَرْئ[٦] صلاح
ودعاه[٧] هُدى المجوسي[٨] طوعاً قائلاً نبّأ العليمُ بناحٍ[٩]
رُبّ سرٍّ تجاهه بات جهراً[١٠] وفَتىً[١١] في بُرَيْهة ذا جناحٍ

---

(١) يعني إكماله رتبة الولاية أسيراً في سبي الكفار في الزمان الذي عاد الإسلام غريباً وإن الأنصار ولّت الأدبار إليه وتولى ، وأقبلوا إلى الكفر يوالون بأهاليه ، ودنوا إليهم بالخدمة وغيرها ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ بل لا يفقهون كون كلها يصليهم نارا ، كيف ؟ لأنه انهماك في المهالك ، حتى مَنْ واليهم بزعمهم هو العاقل ، ومَن بعد سفيه جاهل ، يحترمون لمن وافى راغبته بألفتهم والتفاتهم والتشبه بهم في أفعالهم وأقوالهم ، وهذه الآية كبرت لما ذكر ولكونها يفهم ازدياد رفعته ومتانته لو راح إلى الحجاز بتخلية سبيله ولبث ثمة بضع سنين لكونه منبع الإسلام (منه رحمه الله تعالى من خطه) .

(٢) فجور .

(٣) أي : جرى قلم قضاء الله تعالى تبعيده من الوطن والأحباب والأقارب إلى الأقطار الغريبة ثانياً بعد التخلص من شبكة الكفر وإطالة مكثه فيها حتى مات وهو يتمنى ويسأل الرجوع إلى المنزل لكون حبّ الوطن من الإيمان .

(٤) مكان بعيد .

(٥) وأجيب التمني ولم يمهل وذلك خير وصلاح له عند الله تعالى لأن إنعام الولي في الآخرة .

(٦) مرئ : بالنسبة إلى الله تعالى (منه) .

(٧) (ومنها هذا) .(منه) .

(٨) المجوسي : (أسلم هذا على يده وهو يقول إذا سئل : من أنباك هذا ؟ أي هذا الشيخ قال : نبأني العليم الخبير) (منه) .

(٩) بناح : (من توجه إلى الهدى) .

(١٠) أي : يخبر عما في الصدور وغيرها .

(١١) وفتى : أي تربية المريد وإكماله في أربعين يوماً ، بل أقلّ منه ! كذاكر حضرة الجسطاوي قدس سره) (منه) .

رُبَّ عـاص[١] أسـاءه مَس سـوءً	أيـنـمـا حـلّ ذل ذا بـاطـراح[٢]
والـذي كـذّب الـهـدى[٣] وتـولَّى[٤]	ضـاق ذرعـاً بـه بـكُـلّ مَـراحِ[٥]
ذُبَّ[٦] عـن عَـزْوه الإسـاءة زُعْـماً	بـأمـور لاحَـتْ بـه كـالـقـبـاح[٧]
وهـي[٨] دارٌ مُـرصّـع فُـرشٌ مـرْ	فـوعـة حـبّـها[٩] رؤوس طلاح[١٠]
ودّه[١١] مـوقِـراً[١٢] ألـوفـا[١٣] جَـنُـوفاً[١٤]	كـلُّ بـر وفـاجـر مـن قُـبـاح

---

(١) عاص : فكل من أذاه وهو قليل منكراً له ضل وأضل كثيراً عن سواء السبيل ، وباء بغضب ، ضربت عليهم الذلة والمسكنة وساء سبيلا ، كسيف الدين وسيد جعفر الحاجي ترخاني (منه) .

(٢) تبعيد الولي (منه) .

(٣) ألا يعلم ولا يرى أن كل من ضلَّ فإنما يضل على نفسه (منه) .

(٤) تولى : مقتبس أيضا (منه) .

(٥) مراح : في كل موضع ذهب إليه (منه) .

(٦) أضع واكتف ، أي : يا صاح إياك والقذف وسوء الظن إليه بسراية طيفك إلى بعض أمور لاح عليه كالفاسد لما سيجيء من الأدلة ، وهي قصور مرصّعة وفرش مرفوعة وأرائك مكللة وغيرها من التفات الناس بالإلفة بلا امتياز بين الصالح والطالح ، واحترامهم بالضيافة وغيرها ، كل أولئك كان عنه مسؤولا (منه) .

(٧) جمع قبيح .

(٨) إحداها هذه .

(٩) حبها : فيه إشارة إلى قول « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (منه) .

(١٠) طلاح : ضد صلاح .

(١١) وثانيتها .

(١٢) معظماً محترماً . (منه) .

(١٣) من الألفة مبالغة (منه) .

(١٤) نائلا كثيراً (منه) .

وبأسرٍ[١] وطرد عَصْر وعُسْر كان[٢] كل مسطّراً بالجناح[٣]
قائلاً لو غدا[٤] وليّاً مجاباً[٥] لينال المأمولَ[٦] أهلَ المُراحِ
لأنه لو[٧] أقبلت[٨] بالسوء جهراً لن يُطال الأدبار بالمرضاح[٩]
إنه[١٠] بات منعماً من مليك فاستحق إشاعة حمد امتداح[١١]
والتفات الورى إلى زينة الدنـ ـيا[١٢] وفخر تكاثر وانفساح[١٣]
فالحثّ[١٤] وألفةٍ واتعاظٍ هاربٌ[١٥] راهب[١٦] بجد اجتناح[١٧]

---

(١) وهذا بمنزلة الدليل أي إياك والسوء بأسر لأنه أمر مقدر في علم الله تعالى في أم الكتاب ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (منه) .

(٢) كان اقتباس من ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ (منه) .

(٣) أي الكتاب مجازاً (منه) .

(٤) صار .

(٥) مجاب الدعوة .

(٦) أي : ليرزقه الرجوع إلى وطنه (منه) .

(٧) علة للإبائة .

(٨) أي : إن لم تأب بقولي بل أقبلت بالسوء تدبَّر على السرعة بالبراهين القوية (منه) .

(٩) دليل .

(١٠) وذلك الدليل هذا أنه أي أوله .

(١١) والأول عام والثاني خاص فحينئذ جاز الإضافة (منه) .

(١٢) اقتباس من قوله تعالى ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ (منه) .

(١٣) انفساح : أي ميلهم فيها لا في إقامة الدين .

(١٤) أي : إذا كان الأمر كذلك جعلت لحث (منه) .

(١٥) من الضلالة .

(١٦) خائف من الله تعالى .

(١٧) ميل .

جعلت كلها ذريعة[1] فوز مُدْبرٌ[2] مقبل[3] جناح نجاح
وكذا[4] أعدّها مفاسد شرعاً بالذي غرَّها بزعم صَلاحٍ[5]
وغدا مشغولا بها عن إله[6] بئس بأساً[7] مرعاه بالإضراحِ[8]
بيد ذا محمودٌ[9] كفيلٌ كفاكا[10] مرشداً مغنٍ[11] مبتغي الإيضاح
كيف[12] لا تفويت التفاوت بين الـ ـدُّر والدَّر[13] دأب أهل الصلاح
مع ما فيها[14] محملاً[15] يذكر الله[16] الورى في فرش على أبراح

---

(١) وسيلة .
(٢) فاعل فوزه أي من زينة الدنيا (منه) .
(٣) أي : إقامة الدين .
(٤) أي : كالجعل المذكور للحث في كون كلٍّ دليلاً (منه) .
(٥) أي : أنها خير له . (منه) .
(٦) غافلاً عن الله تعالى .
(٧) عذاباً (منه) .
(٨) بإبعاده من رحمة الله تعالى بالغفلة (منه) .
(٩) عطف بيان لا خبر (منه) .
(١٠) إشباع .
(١١) خبر بعد خبر .
(١٢) أي : كيف لا يغني مع أن تفويق (منه) .
(١٣) قطر المطر .
(١٤) في الأمور المذكورة أي : بينه وبين الذهول بون بعيد بمراحل ، وأنى يأتيه الغفلة وهو من أكابر الطريقة النقشبندية الذين لا يلتفتون بميل القلب والألفة إلى التفاوت بين الذهب والخزف وإن كانوا يتقلبون على فرش بطائنها من إستبرق ، لأنهم متصفون بكمال الإخلاص واتباع السنة وترك البدع والإعراض القلبي عن متاع الدنيا والميل إلى نعيم الآخرة ، بل يستوي عندهم الذهب والخزف . (منه) .
(١٥) هو قول يذكر الله .
(١٦) اقتباس من حديث رواه أبو سعيد الخدري ﷺ « ليذكرن الله عز وجل أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم على الدرجات العلى » (منه رحمه الله تعالى) .

وتحايا[١] العدى لدفع شرارٍ   ووليُّ[٢] أماليها بـرواح[٣]
تـزل[٤] واردٌ عـلى قيـد مصطادٍ[٥]   خـلى موقـراً[٦] لـقباح القشاح[٧]
لـو أتـاهـا قصداً وبالذات[٨] حمداً[٩]   لالـتوى[١٠] آثـار الـهدى والفلاح[١١]
ومـتى سُـلّمت مـفاسـد حقاً[١٢]   جـاز جـزئيُّها[١٣] هدًى للصلاح[١٤]

---

(١) إشارة إلى قول « سلك العين » إني أحيّي عدوي عند رؤيته .إلخ .

(٢) أي : رئيس الطريقة النقشبندية قدس الله سره . قيل هذا الحديث دليل على صحّة ما عليه النقشبندية قدس الله سرهم من الميل إلى نفائس النعم (منه) .

(٣) وجدان السرور . (منه) .

(٤) وهذا نظيرٌ لكون التفات الطالحين واحترامهم بالضيافة والمصافحة ليست من صميم الفؤاد ، كما أنَّ الأطعمة التي أتى بها الصياد على قيد وضع لاصطياد السباع ليست لإكرامها واحترامها ولتتغذى وتتناولها بل لتهجم وتقبل إلى القيد وتدخل إلى يده (منه) .

(٥) صياد . (هامش الأصل) .

(٦) حال كوحده أي : مضيفاً للسباع (منه) .

(٧) القشاح : ذئب .

(٨) من محبة القلب (منه) .

(٩) وحمدها حمداً . (منه) .

(١٠) لأعرض . (منه) .

(١١) أي : لو كان اختيار تلك الأمور لنفسه بميل القلب إلينا خلت عن كونها ذريعة ووسيلة إلى منفعة لهم وله في العقبى لما بقي فيه من آثار الولاية شيء ، لأنها في معرض الزوال ممن أدبر عنها بإقباله إلى متاع الدنيا واغتراره بها لأنهما ضدان لا يجتمعان (منه) .

(١٢) وهذا أيضاً مفعول مطلق لمحذوف منها .

(١٣) إشارة إلى قولهم : مفسدة جزئية لمصلحة كلية جائزة (منه) .

(١٤) ولو سُلّم كونها مفاسد مطلقاً فلا يرد عليه أيضاً ، لأنَّ الارتكاب إلى مفسدة جزئية لمصلحة كليَّة جائز شرعاً ، كما لا يخفى إذا كان الآتي بها أهلاً للمصالح والخيور ، ومن المعلوم أنّ الشيخ أهل لذلك (منه) .

مـع[١] مـا فـيـهـا مـوجباً نزْلَ اليوْ　　م[٢] وذا نـاويـاً بـهـا لـكــفــاحٍ[٣]
أصـبـح الـنافي[٤] مُفحَما ذا خسار　　حـيـث هاوى[٥] جُبّاً أتى للإكاح[٦]
كـل ضُـرٍّ أتـى بـه عـاد[٧] نـفـعـاً　　إذ يُـقـوِّي دلـيـلَ دعوى الصُّبَاح[٨]
أنَّ[٩] مـن شـأنـه[١٠] إضـاءَ النواحي　　مـا خـلى[١١] الجَوُّ عن عنان الصِّراح
فـمـتـى[١٢] خُـلِّـي الـسـبيل إلى ما[١٣]　　لـم يَـرِدْ دار فـيـه فـيْـضُ فـلاحٍ

---

(١) إن في ذلك نفع أخروي ظاهراً من التصدق وهو ناوٍ إليها لمحبة ، والميل القلبي . (منه) .

(٢) إجلالاً له يوم القيامة (منه) .

(٣) لكفاح : لأشياء كثيرة ومصالح . (منه) .

(٤) أي : من ينكر ولايته . (منه) .

(٥) سقط ؛ لأنه حفر حفرة لقصد إهلاك الغير ولكن الله أسقطه إليها (منه) .

(٦) إهلاك الغير .(منه) .

(٧) عاد : صار .

(٨) أي : كأنَّ دلائله عليه لا له فوقع فيما فرَّ فيه ؛ لأنه غلب وعيب لأن العيب للعائب عيب (منه) .

(٩) لأنَّ ؛علة .

(١٠) أي القطب الحقيقي .

(١١) ما دام خلوّه عن سحاب دافع الصحو . (منه) .

(١٢) ولو رزقه الله رؤية الأمكنة الممكنة لم يرها من الحجاز والروم وغيرها لاشتهر أنوار تجلياته فيها (منه) .

(١٣) إلى مكان لم يرزقه . (منه) .

وكـذا[١] ذا يـدعـو ازديـاد جـلال إذ أذَى ناب[٢] صالحاً[٣] مـن صـــلاح[٤]
كم سلوف[٥] مسَّتهم البأسُ والضر راء مـا[٦] فـيـهـا الذُل غـيـر ارتياحٍ
والـهـوى راح كـارهـاً[٧] وتولَّـى فعسى[٨] أن يحبَّ ماحي[٩] الصَّلاح
إذ غـوى بـالغَناء يَصْلي[١٠] المناهي وهي سجن لهم خلى عن صُبَاحٍ[١١]
وكـذا مـوتـه غـريـبـاً مـجـابــاً[١٢] رحمةٌ عن[١٣] مسرّة[١٤] في المُراح[١٥]
إن مـولاه لـم يـشـأ أن يُـنـيــبـا فـرح وصـل مـناب سعدِ طراحٍ[١٦]

---

(١) (علة أيضاً) ؛ فكما كان الرمي والطرد يدل كل إلى قطبيَّته كذلك يدل على رفعة أخروية ؛ لأنَّ كلَّ ما أصاب المؤمن من محن الدنيا رفعة له فلذلك ابتلي الأنبياء والصلحاء الأقدمون كلٌّ بكل . (منه) .

(٢) أصاب . (منه) .

(٣) إشارة إلى قول الإمام : كلّ أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة . (منه) .

(٤) مصلحة .

(٥) سلف .

(٦) نفي .

(٧) ولكن النفس لا تريد الشدَّة (منه) .

(٨) مقتبس من قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ .

(٩) مزيل .

(١٠) يدخل .

(١١) شعاع القنديل .

(١٢) أي : بعد تخلية السبيل (منه) .

(١٣) بدل المسرة بملاقاة الإخوان لو ذهب إلى الوطن (منه) .

(١٤) الدنيا .

(١٥) أي : الوطن .

(١٦) أي : لم يشأ الله تعالى استبدال فضيلة الغربة في الآخرة بمسرَّة الدنيا بالرجوع إلى وطنه والمواصلة بالأحباب والأقارب (منه) .

فبكلٍ[1] يزول ريبَ مريبٍ كزوال الظلام[2] بالإصباح
من[3] أتى بعد ما تلى[4] بعناد كفمٍّ ماحي[5] طعمَ[6] ما[7] بالبُطاح
صاح إياك والذهول طروباً يا أسفي على انطفا المصباح[8]
جزعٌ[9] بانكساف قطب مضيءٍ حَلَّ يا حَبْرُ[10] جيء وعظه بماحٍ[11]
وهواه إن لم يُعَقْ[12] من جِماحٍ كاديصلي[13] من اصطفى[14] في جُناحٍ[15]

---

(١) أي : كل ما ذكر من الدلائل الثابتة (منه) .
(٢) ظلام الليل .
(٣) أنكر وأقبل بالعناد بعد إقامة الشواهد مثله كمثل فم مريض ينكر طعم الماء فعاد العيب للعائب (منه) .
(٤) من التلاوة .
(٥) منكر .
(٦) منكر ؛ إشارة إلى قول الإمام :
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم (منه) .
(٧) ما : لغة في الماء بالقصر (منه) .
(٨) أي : أبعد من الميل والتمسك إلى الدنيا الفانية ؛ لأن مصباحاً قد طفئ فلا فائدة في المصباح ليس فيه ضوء على أن موته موتك ؛ لأن موت العالم موت العالم فكما مات هو تموت أنت (منه) .
(٩) سلام في وقوعه مبتدأ منكراً (منه) .
(١٠) تمام الأسبوع .
(١١) الجذع .
(١٢) يُمنع .
(١٣) يدخل .
(١٤) اختار
(١٥) ذنب .

لـم يَـقـف عن إضائةٍ[1] غير أسبو ع ســرى خــلـفـه وراء الوَحاح[2]

خامساً[3] من محرَّم غرصَد[4] الحو ل قـبـيـل الغروب وقت القماحِ[5]

مُـورِدَ[6] الـحمد لم يزل[7] يذكر الله كـمـا اعـتـيـد قـبـلـه بـانشراح[8]

فـإذاً أدلَـج[9] الـنـهـار[10] كـلـيـل وعُيون[11] سالت[12] سيول[13] البطاح[14]

فـانـتقال له خلاصٌ[15] من السجـ ـن[16] وجور العدى رؤوس القباح

---

(١) أي : التربية .

(٢) حجاب .

(٣) بدل من خلفه أي : يوماً خامساً . حذف الموصوف (منه) .

(٤) أي في سنة ألف ومائتين وأربع وتسعين . (منه) .

(٥) أي في الشتاء .

(٦) حالة وفاته في سكراته ملازماً على اسم الذات بجرِّ النفس إلى الدماغ ، وفي الآخر جرَّ ولم يعد فقبض بذلك (منه) .

(٧) لسانه .

(٨) بانشراح : على عادته في حياته أي النشاط والانبساط (منه) .

(٩) أظلم .

(١٠) علينا .

(١١) جملة حالية .

(١٢) فيها .

(١٣) أي : دموعها كسيول .

(١٤) أودية .

(١٥) وفوز بحلول المؤجّل من أجور الأعمال .

(١٦) من الدنيا ؛ لأنه سجن للمؤمن ومن شبكة أولي القهر والجور ومن مقاساة الشدائد والمحن والفتن (منه) .

ولـنـا كـآبـةٌ[١] نـجـيـبـة[٢] رَجْوٍ[٣] باجتناب الهوى غوى[٤] بجماحٍ[٥]
فـلـه الـحـمـد[٦] إذْ أرانـيه بالنصـ ـح[٧] وسـمـع الندى وتقبيل راحٍ[٨]
قـــــدَّس الله ســـرَّه وثـــــراه[٩] وأنـار الـضـريـح بـالـمـصباح[١٠]
فـاقـه[١١] الله فـي[١٢] هداة مَـعَـادٍ[١٣] وحـواه شـفـاعــة[١٤] الارتـيــاحِ
ربِّ هَـبْ لـي شـفاعة الشافع الها دي وهـذا الـولـيّ داع الـصلاح[١٥]
دُفـن الـشـيـخ عـنـد شـيـخ شهير[١٦] حـاج ترخانٌ اسمُ مثوى[١٧] السِّماح[١٨]

---

(١) انكسار حال .
(٢) بلا اقتراف ربح ولا اجتناء ثمر ولا اجتناب إثم وتخيب الآمال . (منه) .
(٣) رجو : رجاء إلى الخلاص من الإثم بالتوبة على يده . (منه) .
(٤) حال .
(٥) بسبب جماح .
(٦) أي : الله تعالى .
(٧) بالنصح : أي ناصحاً .
(٨) بسماع كلامه إليَّ وتقبيل يده . (منه) .
(٩) ترابه أي : النبي ﷺ .
(١٠) بنور من ربّه .
(١١) أي : أعلاه الله تعالى . (منه) .
(١٢) كائناً .
(١٣) أي الذين ابيضَّتْ وجوههم يوم القيامة . (منه) .
(١٤) التي فاز بها من رزقه الله تعالى إليه فوزاً عظيماً (منه) .
(١٥) أي الخير .
(١٦) يدعى بشيخ زمان البخاري .
(١٧) مثواه .
(١٨) أي : ذي السماح ، أي : الشيخ . (منه) .

ورد الـوارد[1] الــمــراد فــعــادا[2] لـم يـفُـزْ مـن زوال ظلِّ الجناح[3]
أُلْـهـم[4] الـزاخـوريّ بـالكَتْب هذا[5] بـدلاً[6] بـاعـثـاً إلـى الانـشـراح[7]
سـؤلـه[8] أن يدعوهما[9] الناظرُ النا صِـرُ بـالاهـتـداء والإسـجـاح[10]
وبـتـوبـيـخ لا يـرده حَـسُـوداً حـسـنٌ[11] عـشـر والأذى بـجُـناحٍ

---

(١) أي هذا الشيخ السفيه الأسبق على التحقيق الآتي من كل فج عميق . (منه) .

(٢) فعاد كما ورد خالياً عارياً من النفع (منه) .

(٣) أي : الشيخ .

(٤) أي : وقع في قلبه حين راح تارة إلى مرقده للزيارة ورجع وعظم إلى نظم نحو عشرين بيتاً فبعد الشروع طال القصيدة من غير نية منِّي إلى الإطالة . (منه) .

(٥) هذا ؛ أي النظم .

(٦) بدلاً : ليكون تسلِّياً وتسكيناً للقلب ، وهو راج إلى وصول نفع منه به ومن الذين خلفوا ومالوا إليه وانتفعوا منه من الخلفاء والمريدين وغيرهم من الذين يحسنون ويدعون بالخير فلعل الله تعالى يهديني ببركته وبأدعيته مثل هؤلاء المؤمنين الغير الحاسدين المعاندين (منه رحمه الله تعالى من خطه) .

(٧) أي : شرح الصدر . (منه) .

(٨) أي : مأمولي وسؤالي من المطلع إليه أن يدعو بالخير من صميم قلبه ، لا بالغفلة في أثناء وخلال الكلام ، لأنه هو السبب الحامل الباعث إلى الشروع لكتبته لا بدَّ من الإجابة للسؤال ؛ لأن الترك يؤدي إلى إثم ، لأنَّ معنى الترك أنه - أي : السائل - أحمق سفيه ، فالذي يتكلَّم مع الأحمق يكون أحمق الناس ، فاللازم أن يترك الجواب ، وترك جواب الجاهلين جواب ، وجواب الأحمق السكوت فيكون ظاناً بالحماقة ، وإن بعض الظن إثم ، وهذا القول وارد في كلام الله تعالى . (منه رحمه الله من خطه) .

(٩) الكاتب والممدوح .

(١٠) والإسجاح : حسن العفو والرحمة والمغفرة (منه) .

(١١) حسن : فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي : إن دعاهما بالخير والرحمة والمغفرة فيكون على خير من ربه وإن أتى بالهجو والهزل والاستهزاء فوباله عليه ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ ﴾ الآية ولكلِّ امرئ ما اكتسب وكلٌّ بما كسب رهين ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (منه من خطه رحمه الله تعالى) .

تم بحمده وإفضاله فسبحان من لا انقضاء لملكه وهو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل . انتهى من خطه رحمه الله تعالى وإيانا .

شمس سماء الطريقة الغُجدوانية النقشبندية ، بدر الحقيقة المجددية الخالدية المحمودية ، شيخنا وقدوتنا وشيخ المشائخ المتأخرة ، مجدد المائة الرابعة المتضررة الشيخ الحاج أحمد أفندي ابن مصطفى التلالي

ولد رضي الله عنه في بلدة تلا القريبة إلى بلدة چَارْ متصلاً به وبقلعته في سنة ١٢٥١ ، نشأ في حجر أبيه ثم مات فبقي يتيماً ضعيفاً ، ونحيلاً نحيفاً ، فقيراً مسكيناً ، لم يكن له في ملكه واختياره شيء ما من حطام الدنيا كزهَّاد الأنبياء والأولياء ، ثم في شباب زمانه خدم العلوم النقلية والعقلية ، واكتسب منها ما يكفيه لدينه الفرضي والكفائي ، وكان تلميذاً في كثير من الأوقات في قرية إيلي سو عند العالم إسماعيل أفندي ، ولكن محبَّته الكثيرة ، ومودّته الوفيرة ، كانت للعلم الباطن وفقاً لما كتب له في العلم الأزليِّ ، وكان طلبه واستمداده في طلب المرشد الكامل ليوصله إلى مطلوبه الفاضل ، فسمع الشيخ الحاج أحمد أفندي الألماليّ رحمه الله تعالى واشتاق سرّاً إلى لقائه ، فعلم أستاذه المذكور ، واطَّلع على حاله المستور ، وقال : يا مَلا أحمد ! يا بُنيَّ ! إني أرى أنه لا نفع لك عندي ، ونفعك عند الشيخ محمود أفندي الألماليّ وهو الآن في قريته ، فاذهب إليه واطلب منه الإرشاد ، وكونك من أهل الاستمداد ، فقال : فذهبت ، ولكن لم يكن في نيَّتي الشيخ محمود أفندي ! إلا الحاج أحمد أفندي ، فوصلت إلى قرية قَاخْ لأذهب منها قرية ألمالي ، فحضر قبالتي رجل غير معلوم فقال : إلى أين تروح ؟ فقلت : أروح لدى الشيخ الحاج أحمد أفندي الألمالي . فقال : إنَّ الشيخ الأكمل محمود أفندي الألمالي الآن هنا في قريته قَاخْ ، فاذهب لديه . فقلت : نعم . ولكن لم أذهب وأسرعت إلى قرية المَالُو ، فلمَّا وصَلْتُ وسط قرية قَاخْ قطَعَ طريقي ذلك الرجل وقال : ألم أقل لك بذهابك لدى محمود أفندي ؟ فقلت : أذهب .

ثم تولَّى عني ، وأسرعت في انحطاطي إلى قرية المالي ، ووصلتُ إلى أسفل القرية ، فقطع طريقي ثانياً فقال : يا هذا ! ألم أقل لك بذهابك لدى شيخ محمود أفندي ؟ فقلت له حينئذ : لا أعلم مكانه . فقال : تعال معي ، ورجع ، وذهبت خلفه حتى وصل إلى باب حاج بابا أفندي القاخي وقال : أدخل وأنا أرجع من هنا إلى تلك الغرفة والخانة والشيخ محمود أفندي في داخلها ، فدَخلتُ إلى المحلَّة ، ونظرت لخروجه فخرج بعد مدَّة فإذا هو رجلٌ طويل القامة ، صغير الهامة ، عظيم الهيبة ، جسيم الأهبة ، يشبع الجامع من نظره ، ويكمل السالك من لحظه . فقال لي بالإشارة : اجلس حتى آتيك بعد الطهارة . ثم رجع وناداني وأجلسني قبالته ، وسألني عن حالي واسمي وقريتي ، ثم قال : يا ملاَّ أحمد ، هل لك أستاذٌ في الطريقة ؟ فقلت : لا . فقال : يا بنيَّ ! لِمَ تقول ليس لي أستاذ ؟ ألا تعلم مَنْ يوقظك في نومك برجله في أواسط الليل بقوله ؟ وكان قبل ذلك في كثير من الليالي رجل يضرب رجله إلى جنبي ، ولكن كنت لا أعلمه ! وقال : وأنا ذلك الرجل ، وإني منتظرٌ إليك إلى الآن قبل هذا بسبع سنين . فقال رحمه الله تعالى : لما خرج من فمه هذا الكلام ، وقعت مغشيّاً عليَّ ، وأحاطني فيوض المحبة وأغرقني ، ثم قال : يا بُنيَّ ملاَّ أحْمد من الذي حملك إلى هنا ؟ فقلت : لا أعلم . فتبسَّم ، فظننت أنه خضر عليه السلام .

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى أمر ضيفه الحاج بابا أفندي بحفظي في قصره ، وخدمته لي في كل ما أحتاجه حتى يتم مرامي ويحصل مرادي ، وكنت جميع مدتي في أحوال رياضتي هناك ، آجره الله تعالى وجعل سعيه مشكوراً ، وذنبه مغفوراً ، وعمله مقبولاً مبروراً . آمين .

وكان شيخنا رحمه الله تعالى ذا هيبة عند مريديه ، ومجاب عند مُناديه ، ولذلك - أي بسبب استغراق هيبته - كان محبَّة مريديه له قليلاً لاستهلاكها بالهيبة ، ولكن كانت هيبته أكمل في تربية المريدين وأنفع لهم .

وكان أيضاً حليماً وقوراً ، ومن الأخلاق الذميمة كلها بعيداً صبوراً ، وكان على مقام يضرب به المثل في الحلم والعفَّة والنجابة والنقابة ، ذا كرامات عجيبَة ، وخوارق غريبة ، وكنا إذا حضرنا عنده وخطر في خطورنا شيء ما يأخذ في يده المباركة كتابه « مفتاح القلوب » ويخبرنا بما في قلوبنا بالنظر إليه ، ويقول : يا ولدي ! قد صعب علينا الإخبار لكم من فمِّنا لعدم وثوقكم إلا بما في الكتب ، أتظنون أنه يخرج من أفواهنا زورُ كلام ؟ كلا والله ! ولولا قلة المحبة والإخلاص في قلوب العلماء لأوْصَلتهم إلى مقاماتهم ولو إلى أربعين يوماً إن لم يحصل في أقل من ذلك !

وكان رحمه الله تعالى من عجائب الزمان ، وغرائب الأوان في إرشاد المريد ، وعلم كيفية استفادة المفيد ، وكان يُربِّي كل أحد بتربيته الخاصة ورحمته العامة ، وكان يكلِّم الناس بقدر عُقولهم ، ويؤانسهم بحساب فهومهم ووصولهم ، ويعاشر الخلائق بالمعروف ، ويداريهم ؛ ولو مع الكفار بالحسن والكفوف ، وكان بابه كباب السلطان الأعظم ، والخليفة الأرْحم في ازدحام الناس إلى بابه . وكان دأبه في الأوقات كلها توجُّه المريد وإفاضة المستفيد .

وبعد تمام فطامه على عادة أهل الله تعالى وإلا فلا فطام أصلاً عن شيخه محمود أفندي قام في قريته التلالية على بساط الإرشاد ومراتب الإمداد ، ثم دسَّ عنه بعض أكابر مُجْرمي قَرْيَته وفسّاق نمَّام محلته فأرسله حاكم ولاية الروسيّ إلى سِبير إلى أقصى بلاد الترك ، وقام هناك عدّة سنين وقال : لما كنت هناك رأيت في المنام كأنّي على شاطئ البحر وعليه سفينة متوجهة إليَّ وفيها ثلاثة رجال يتلألأ وجوههم نوراً ، فلما قربَتْ إليَّ نظرتُ وعرفتُ أنَّ أحدهم أستاذنا غوث عصره وقطب دهره

محمود أفندي الألماليّ قدس سره العالي ، والآخران منهم لم أعلمهم ، ثم دعاني شيخي المذكور وأركبني كأنه يقول : جئناك لنحملك . وقلت : أيها الشيخ ! كيف أركب وفي البين ماء ؟ فمدَّ الشيخ يده اليمنى المباركة ووضعني عندهم في السفينة ، ثم انطلقت معنا إلى انتهاء البحر ، وسألت منه : مَنْ هؤلاء ؟ قال : يا ولدي ! أحدهما خضر ، والآخر إلياس على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، فلمَّا استيقظت طبت نفساً وألهمني ربي بالخلاص عن أيدي الكفار ، ثم جاء البشير بذلك ، وخلصت عنهم ، فالحمد لله رب العالمين . انتهى .

وممَّا أخبرنا به ابنه العزيز محمّد أفندي عن فم أبيه شيخ الزمان الشيخ حاج أحمد أفندي أنه كان يقول : إذا رأى ليلة القدر يسأل عن الله تعالى ثلاثة : رضائه عنه ، والعلم النافع ، ورؤية ليلة القدر متى أراد رؤيتها . وبعد ذلك رآها خمسة عشر سنة متوالية .

ومما سمع الفقير أيضاً أنّي لما كنت في حجرته عنده وعندنا رجال كثيرون قال لي : يا شعيب أفندي ، هل يكون ليلة القدر في شهر رمضان إلا في العشر الأواخر ؟ فقلت له : إني رأيت في بعْض الكتب – وأنت أعلم به – أنها تكون في الليلة الخامسة عشر نادراً وقليلاً ، فتبسَّم رحمه الله تعالى وقال : إنّي رأيتها فيها مرَّة واحدة ؛ وأيقظني في تلك الليلة لرؤيتها شيخي محمود أفندي ، فلولا إيقاظه إيّاي لكانت فاتت عن يدي فالحمد لله رب العالمين .

وممّا أخبرنا به ابنه أيضاً : إن أبانا كان يقول : كنت لا أعلم ليلة البراءة وقدرها ، ففي سنة رأيت في ليلة نوراً ساطعاً إلى السماء من جهة القبلة فعرفت أنها ليلة البراءة في نصف شعبان وكان نصفه .

ومنه أيضاً : أن والدي رحمه الله تعالى كان يقول : لم أخدم لشيخي محمود أفندي إلا ستة أشهر ، وكان ذا توفيق للوصول بعنايته مع إراءته إليَّ جميع المنازل والمقامات ، والأنوار والأسرار والكرامات ، وإمضائه بي عن كل العقبات والأستار . انتهى .

ومما أخبرنا أخونا الأكرم ؛ المرشد الكامل الأفخم ؛ عثمان أفندي الزاخوري أنه قال : سمعت منه أنه يقول : إنه لما كنت في إسلام بول فيوماً غبت بفضل الله تعالى وصِرْت وبقيت في الفناء في الله هكذا ثمانية أيّام ، فلمّا أفقت استخبرت من أصحابي عن حالي فقالوا : كذا وكذا . ففرحت فرْحَ شكر ، فنمت نوم استراحَةٍ ، فرأيت فيه شيخي محمود أفندي يقول لي : يا ولدي ! هل استعجبت من حالك ؟ ! فاذهب بجامع كذا ففيه عبد يتنفَّس في سنة واحدة مرتين ، فلما كان يوم الغد طلبت الجامع وذهَبْت إليه فوجدت الرجل المذكور في زاوية منه ، عليه رقيبان من طرف السلطان ، ولم يشعر حضوري وإيابي ، وسألت عنهما من حاله ، فأجابا أنه لا يتنفَّس في السنة إلا مرَّتين ، فخطر ببالي أن أمثاله يكونون أعظم درجة من هؤلاء المشائخ ، فنظر شيخي إليّ وقال : ما خطر ببالك ؟ قلت : كذا وكذا . قال : يا ولدي ! ليس الأمر كما خُطِرْتَ لأنهم يرعون أنفسهم ، وهؤلاء يرعون أنفسهم مع رعاية جميع العوالم فهم أعظم درجة وكمالاً منهم . انتهى .

ومما أخبرنا به الزاخوري أنه قال : سمعت مولاي يقول : أنّه لمّا كان في خدمة شيخه رأى في النوم كأنه على جبل عال ؛ أسفله واد مُظلم عميقٌ لا يمكن الوصول إلى قعره ، ولكن فيه رجال كثير فحينئذ أُعطي إلى يده حبل طويل نوراني ، وأشير إليَّ بإخراجهم بالجبل فأخرجتهم به واحداً بعد واحد إلى أن لم يبْقَ منهم فيه أحدٌ ، فاستيقظت ورأيت أنّي في أَلْمَالي كنا في بيت ضيفي فالان أي : في سنة ١٣١٥ شاهدت أن أولئك الرجال الذين رأيتهم في قعر الوادي رجال أخذوا الآن من يدي ووصلوا بواسطتي إلى درجة الكمال ، فالرؤيا إشارة إلى هذه القضية . انتهى .

ومنه أيضاً : أن الشيخ عبد الرحيم أفندي الدموراniّ قدس سره جاء لديَّ أي عند شيخنا . وقال : رأيت في النوم أن الإسلام قائم على منكبي ومنكبك ، فألهِمتُ بأني أكون أحَدَ القطبين وأنت الآخر ، فقلت له إن القطبية أُعطيت وأخذت ولم تبق لك ولا لي ، ولكن أنا وأنت نَحُجُّ

في سنة واحدة ، فتبقى هناك بقصد الإقامة وأنا أرجع بعد الحج ، فلما رأيت في وجهه أثر عدم قبول تعبيري قلت له : يا شيخ ! آخذ من يدك إن شاء الله تعالى في طريق الحج . ثم بعد سنين قصدت الحج فصادفته في السفينة وأخذته وقلت له ما قلته في منزلي ، فبعد الحج رجعت وبقي هناك في المدينة المنورة وكان الأمر كما قلت . انتهى .

ولقد حج شيخنا المذكور أربع حجات .

ومن خوارق العادات التي لم يقع نظيرها لمرشد كامل غيره ولو شيخه غوث الزمان محمود أفندي الألماليّ ، طاعة العلماء الأعلام ، وانقياد عُقلاء الأنام ، وإخلاص جميع الخلائق له في جميع أقطار الأرض التي في حوالينا حتى تبعه كُلُّهم ، وأخلصوه جُلُّهم ، وكان مريدوه وخلفاؤه في جميع نواحي قفقاز ، وديار السلطنة السنية إسلام بول ، حتى أقام في كل ناحية من نواحيها خليفة يُربِّي المريدين ، ويرشد السالكين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وأتباعه ، بلا تطرُّق خلل وضَلل كما كان في سائر الطرق غيرِهِ منِ الفرق ، مبتدئاً من چچان وچركِص وغازي غمق وأواروكره وخيْداق وأَخْتِه وبشلي وشروان وكذا في دياره چار ، فرحمه الله تعالى رحمة عامة ، ووصل إلينا فيوضة عامة ، وجزاه الله تعالى أفضل ما جوزي مرشد عن مريديه ، وشيخ عن سالكيه ؛ وكلّ ما ذكر بسبب دعاء شيخه الألماليّ له بطول بقاءه ورجوع جميع إخوان الزمان إلى بابه ، وجعله قبلة الحاجات ، وكعبة المرادات ، ومأوى السادات ، وسيد القادات ، فلله درّه وإلى النعيم ردّه .

وكان رحمه الله تعالى جسيماً حليماً ، صبوراً رحيماً عاقلاً كاملاً ، بحيث يَرْجع إليه ذوو العقول في مشاوراتهم ، وذوو الأفهام في تدبيراتهم ، حتى كفار الديار - خذلهم الله تعالى - في محاوراتهم ؛ وستوراً غفوراً لعيوب مريده ، وملازماً في تربية أولاده وسالكيه حتى قال : واتفق فضلاء الزمان وكرماء الأوان أنه لم نر ولياً مَّا أكملَ منه في تربية المريدين وإحاطة مراد السالكين ، وكان يربيهم كلّ واحدٍ واحدٍ

على حسب ما في نفسه مما يتفق له طبيعته ، ويوافق له مزاجه ومروّته ، وكان يقول لي في حجرته حين كنت معه ولا غير معنا : يا بُني شعيب أفندي ! إن هذا الزمان آخر الزمان ، فكوننا على يقظة فيه واجب ، وعلى حفظ مرادات الناس ما لم يخرج عن الشرع بالمداراة حتم لازمٌ ، ولولا ذلك لكنت أرى كل مريد لي هيئة صورته الروحانية ، بعضهم على صورة الإنسان ، وبعضهم على صورة الكلب أو الخنزير أو الثعلب أو الأسد على ما يوافق أخلاقه الذميمة .

ولكن لما كان الزمان وأحوال أهاليه في يد الكفار ، وكان الناس نمامين حتى السالكين ، تركنا تلك الإراءة ، وفوّضنا جميع أمورنا وأمورهم إلى الله تعالى .

وكان يقول كثيراً : يا بُنيَّ ! لو حضر عندي للتربية عالم كامل بالإخلاص والمحبة ، وأعطى الاختيار لي وقام عندي كالميت عند الغاسل لأوْصلته إلى المقام المعلوم عند أهل الله تعالى . وحضرة الوصول إليه تعالى في أقلّ من أربعين يوماً ولا يزيد المدة عنه البتة ، ولكن أنتم معاشر العلماء ليس فيكم كمال الإخلاص وتمام المحبة والإيناس .

وكان رُصِّع جواهر معاني الأسماء التسعة والتسعين في قلبه وشكله مقرّراً ، وجميع الأخلاق الحميدة محمودة بكونها في جسمه محرّراً ، فسبحان الله الفعال لما يريد ، والحاكم بكن فيكون .

وكان قدس سره ذا كرامات كثيرة ، وخوارق وفيرة واستقامات قريرة ، ومن أكملها كما مرَّ انقياد كافة العلماء له ، ووصول كثير العلماء إلى مرادهم ومفادهم كما قرروه في كتبهم بتوجُّهاته وتصرُّفاته ، وقام على تلك الكيفية العلية والمقامات السنية دائماً قائماً على بساط الإرشاد ، ومفيضاً بالفيوضات على قلوب السالكين وعلى طريق الإمداد ؛ تسعاً وثلاثين سنة أباً طبيباً للقلوب المرضى ، ومرشداً للخلائق بطلب الرضى ، ولم نعرف مرشداً فيما سمعنا قائماً على بساط الإرشاد في تلك المدة الطويلة والسنين المزيدة .

ومن خوارق العادات التي صدرت منه : أنّه لما كان وقت السلوك في قرية قاخ في حجرته نازع أكابر الرجال من القرية الألمالية لحمود أفندي قدس سره وقالوا : أنت تربّي رجال الأغيار وتترك من قريتك من الأخيار ، وتنظر الأجانب وتترك الأقارب ، فهل يليق هذا لك أيّها الكريم المخاطب ؟ ! فأجابهم سريعاً ، وبالكلام اللائق بَريعاً : إنكم تتكبَّرون عليّ ، وتنكرون المشائخ لديّ فصرتم عن جناب الله تعالى بُعَداء ، وإلى خدمة النفس والشيطان قرناء ، فلذلك تركتكم ، وعن جناح الرحمة باعدتكم ، فهل أريكم العبرة من الأغيار ، وما فيهم من الاعتبار ؟ فقالوا : نعم . وكانوا وقتئذ في بيته أضيافاً وتكلَّم لهم إنصافاً فقال : يا ملاّ أحمد ذو القناعة ! احضر يا بنيّ لديّ الساعة ، بحيث لا يسمعه إلاّ مَنْ كان حاضراً في المجلس ، ومُستمعاً في المَدْرس ، فجاء بعد ربع ساعة من وقت النداء . فقال : يا بنيّ ! ما هذا التأخّر والرخاء ؟ فقال : لما ناديت لي كنت في الحجرة فشرعت في لباس الخرقة ، وبسبب غسلي في نهر كُرْمُوك تأخرت ، وبين القرية الألماليّة وقرية قاخ مسافة بعيدة بحيث لا يقطعها الفرس الجيّد إلا في ساعتين ، فتعجَّب الحاضرون ، وتحيَّر الجالسون ، فنظر بعضهم إلى بعض تعجُّباً ، وتكلّموا فيما بينهم : طيّاً[1] وتغرّباً . وقال الشيخ محمود أفندي : كلْ يا ملاّ أحمد يا ولدي من البهته ، وأشبع بطنك من الجوعة ، وكان وقته إذ ذاك لا يأكل شيئاً مّا مما يخرج منه الروح ، ثم استأذن منه فأذن ، وارتحل بلا توقف إلى الصبح ، وكانت ليلة مُظلمة ، وساعة مُغْيمَة ، ثم التفت الشيخ إلى الحاضرين فقال : يا هؤلاء ! أرأيتم حال يتيم أَحمد التلالي ؟ ! فإنْ كنتم على ما كان عليه من الإخلاص والمحبة أَنْظُر إليكم ، وإلا - فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ثم صاروا مُقِرِّين ، وبأمثال تلك المقالات تاركين .

ومن خوارق عاداته أيضاً الصادرة منه قبل وفاته بشهر : أنه كان يُصلّي في حجرة بيته إماماً لبعض الإخوان لصلاة الظهر ، فأقام في الركعة

---

(١) أي : للأرض . (هامش الأصل) .

الثالثة قياماً طويلاً بقدر نصف ساعة وأتم الصلاة واستحى من إخوانه المأمومين بطول قيامه ، ثم لمَّا تفرَّقوا قال لحليلته أمّنا وأمّ مؤمني زماننا الحاجّة بالحرمين ، والحائزة بزيارة سيد الثقلين الحاجّة عاشوراء : والله قد استحييت من الناس اليوم بطول صلاتي وقيامي ، وإن بعض السفن السائرين على بحر غَرهْ دَنْكيز بين القسطنطينيّة والجِدَّة قد قرب إلى الغرق واستغاثوا بي فأغثتهم وأنجيتهم وبقيت قائماً بشغل ذلك الأمر الهائل ، وانتظار سؤال السائل ، فرحمه الله تعالى وأفاض لنا من فيوضاته .

فالحاصل من مقاماته الحاصلة لنا والمعلومة لدينا أنه كان رئيس الأبدال السبعة ، وواحد الأوتاد الأربعة .

وإن أخذنا في تعداد شمائله الشاملة ، وطبائعه الحسنة الكاملة ، وكراماته البريقة الفائقة الرائقة ، لاحتجنا إلى كتبة الكتاب الضخم ، وتسويدها بالكتابة كالفحم ، ولكن تركناها خوف الإطالة ، وتحرُّزاً عن الملالة .

وبقيَّة أهل بيته وقت وفاته ابنان وأربع بنات غير الحاجَّة المذكورة ، أحدهما الأديب الكريم ابن الكريم العالم الطالب الرشيد ملاًّ محمّد أفندي والآخر ابنه الفائق على الأقران ، والبارع على الإخوان ، ملاّ عبد الله ؛ وأمّا البنات فثنتان منهما متزوِّجتان واثنتان صغيرتان ، أطال الله تعالى عمرهم وجعلهم تذكرة لنا من الأستاذ وسبباً للفيوض والاستمداد . آمين .

وله خلفاء أجلاَّء حكماء كرماء ، وأجلهم سلطان العلماء المدرسين وإمام الأئمة المكملين عالم الزمان وفقيه الأوان ، سيدي الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي الغازي غُموقي ، وكان عالماً جليلاً ، ومناظراً جميلاً ، فصيح اللسان ، نصيح الإنسان ، فائق الأقران ، عجيب البيان ، بحيث كان مأذوناً للتدريس في كل العُلوم من جهة السلطنة العلية والدولة السنيَّة بيضة الإسلام والمسلمين ، ظلّ الله على أرضه ، وخليفة رسول الله ﷺ في دينه وأمره ونهيه ، السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني بن الغازي المجدّد المجاهد عبد المجيد رحمه الله تعالى ، أطال الله بقاءه وأدام

دولته ، وأعزّ شوكته وشدّ شكيمته ، وأذلّ عدوّه وأرزل حسوده آمين ، بحرمة سيد المرسلين محمد ﷺ .

ثم أنه لما رجع إلى دياره وأقام في داره اشتاق إلى الله تعالى ، وكمل استعداده مع أحبّاء الله تعالى وصار أوّلاً مريداً للشيخ الحاج جبرائيل أفندي ، ثم لمّا لم يُطِق إلى إرقائه إلى مقاماته العلية ودرجاته السنية ، حضر لدى شيخنا ووصل إلى مقصوده ، وترقى إلى مقاماته ، بحيث تجاوز فناؤه من سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، وله كرامات كثيرة ، وخوارق عديدة ، لا يحصيها الكتاب ، ولا ينطق بها الخطاب ، فرحمه الله تعالى وأفاض علينا من فيوضه ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في السنة التاسعة بعد ألف وثلثمائة في اليوم الثالث من شوال . رحمه الله تعالى ، ودفن في مقبرة قرية تَله عند الطريق الكبير ، وعلى قبره من الجلالة ما يليق بحاله ، يُزار ويُتبرَّك .

ومنهم : العالم الألمعيّ ، والفاضل اللوذعي ، رأس العلماء وسلطان الفقهاء ، عجيب الزمان غريبُ الأوان ، الحاج مصطفى أفندي الغدبري الداغستاني ، فإنه قد برع في العلوم العقلية والنقليّة ، وفاق في الفنون الآليَّة والفقهيَّة ؛ ثم لما كان الواجب على كل عالم - وإن بلغ الغاية القصوى - أخذ يد المرشد الكامل لخروجه من الوحشة إلى الأنسة ، ومن الأنسة إلى الوحشة ، وتبديل الأخلاق السيئة بالأخلاق الحميدة ، سلك في يد شيخنا الفاضل ، وقام بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ، فأوصله إلى ربّه ، وأناله إلى إربه بفضل الله تعالى وشفاعة رسوله وبركة أوليائه ، ثم أجاز له بالإجازة التامة ، وأقامه على بساط الإرشاد العامة ، وهو الآن على إرشاد المريدين وتسليك السالكين ، وتربية السالكين وإهداء الضالِّين المُضِلِّين ، وفَّقه الله تعالى لما يحبُّ ويرضى ؛ وحجَّ أربع حجَّات ، وفاق على إخوانه أربع درجات ، فلله درّه وإلى النعيم ردُّه[1] .

---

(١) مات الشيخ العالم الحاج مصطفى أفندي الغدبري في الشام سنة ١٣٢٨ بعد تمام حجِّه ، وقد كان حجَّ قبل ذلك خمس مرات ، والله أعلم .

ومنهم أخونا العالم الأعلم ، والفاضل الأكرم ، شيخ دياره ومرشد أوانه ، الشيخ عثمان أفندي بن الشيخ الحاجّ حضرة أفندي الزاخوري السمبوري ، فإنه لمّا كمل من الفنون العربية والعلوم الرسمية اشتاق إلى الفنون الدقيقة والعلوم الحقيقية ، وأخذ ذيل الأستاذ الأعظم والدستور الأكرم شيخنا سيد السادات ، وقائد القادات ، الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي قدس سره ونوّر قبره ، وفي رأس ثلاث سنين من اشتغاله أجازه إجازة تامة ، وأقامه على بساط الإرشاد عامة ، وأجاز الشيخ لي وله في أسبوع واحد في شهر صفر سنة ١٣١٨ فإنه كان كامل الاستعداد وطالب الاستمداد ، فبه وصل إلى مقصوده سريعاً ، وإلى مآربه جميعاً .

صفته : معتدل القامة ، عظيم الهامة ، كبير اللحية ، نحيف الجسم ، حديد الفهم ، فوالله إني كنت حين كنت في زاخور أقرأ له « شرح العقائد » و« شرح جمع الجوامع » إلى الكتاب الأوّل ، فلقد كان أسرع فهماً منِّي ، وأجود بصيرة عنّي ، فلقد كنت أقول له وأوبِّخه من كثرة جرّ التتون ، فكان يجيب لي : فأنّي أتركه ؟ وفي الوقت المعلوم أطرحه . فلذلك أمضاه شيخه عن كل المنازل والعقبات سريعاً ، بإراءته ما فيها من الأنوار والأسرار جميعاً ، حتى أن شيخه أشار له بالإجازة في أوائله ، فكيف في أواخره ؟ وقد انتهت إليه رياسة المشيخة السمبورية والشكوية والديار الولاية الچارية ، فوالله إنه على ذلك حقيق ، وعلى كل الكمالات لائق .

فهو الآن على إرشاد المريدين وتسليك السالكين وفّقه الله تعالى للاستقامة ، ولنا وله على ثبوت الهداية ، وسدَّدنا الله تعالى في الأوامر والنواهي ، وجنَّبنا عن المحذورات والملاهي آمين .

ومنهم : أخونا الكبير الأكرم الدرويش الأفخم العالم العامل عبد الوهاب أفندي بن ملاَّ إسماعيل الزاخوري فإنه كان أولاً في خدمة الشيخ الكبير الشيخ الحاج حضرة أفندي الزاخوري ، قدس سره ، الذي هو والد أخينا الصغير عثمان أفندي المارّ آنفاً ، ثمَّ لمَّا انتقل إلى المولى ، وأصاب له هدف المنية الأعلى ، تحوَّل إلى خدمة قريبه

العالم العابد الشيخ الحاج حمزة أفندي الزاخوري قدس سره ، ثم لمّا انتقل إلى رحمة الله ؛ ووصل إلى ما عند الله ، تحوَّل إلى خدمة مولانا وشيخنا ، فلما خدم له عدَّة سنين ، وتحمَّل مشاقَّ المعيشة في أرضين ، بحيث لا يطرق به أحدٌ إلا هو ، ولا يَصْبره ولا يشكره ولو واحد من إخواننا وخِلاَّننا إلا هو ، وصار هو على النفس والشيطان غالباً ، وحق عليهما قوله تعالى ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾ ورآه شيخنا أهلاً للإرشاد ولائقاً للاستمداد أجازه ، ومن جميع المكاره أعاذه ، أعاذنا الله تعالى من فتنة النفس والشيطان ، وحفظنا من كيدهما ومكرهما الرحيمُ الرحمنُ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الموفِّق المنّان .

ومنهم : أخونا الكبير الشيخ الهرم الشهير الشيخ الحاج شريف أفندي الكلُّوكي رحمه الله تعالى ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ إنه كان شديد المحبة وكثير المودّة لله تعالى أوّلاً ، ولرسوله ثانياً ، ولأوليائه ثالثاً ، فإنه رأى كثير المشائخ ، وزار عديد الأولياء الشوامخ ، فإنّه قال لنا : أنّه رأى وزار الشيخ جمال الدين الغموقي رحمه الله تعالى وكثير خلفائه .

وكان أوّلاً مريداً للشيخ الحاج أحمد أفندي الألماليّ ، ثم لمّا وصل قطب العارفين محمود أفندي الألمالي قدس سره إلى بيته خدم له سنين ، ثم لما ارتحل إلى ولاية حاجّ ترخان صار مريداً للشيخ المرشد والكامل الممدّ الشيخ الحاجّ جبرائيل أفندي الزاخوري .

ثم إنّه لمّا رأى أنّه ليس له منه كمالة الإرشاد ، وفضل الإمداد ، تحوَّل بلا إذن منه إلى خدمة شيخنا ، فبسببه وقع بين الحاجّ جبرائيل أفندي وشيخنا فترات ، ولكن وقع الصلح بمَنِّه وكرمه مرَّات وكرّات ، بذهاب شيخنا إلى بابه ، وزيارته تلقاء وجهه ، لوصول الحظِّ الأوفى له ، والقدح المعلّى له ومات[1] في بلدة جدة في طريق الحج في سنة ١٣١٨ .

---

(١) أي : الحاج شريف أفندي .

ومنهم : أعلم علماء دياره ، وأكمل كاملي أعصاره ، أخونا الكبير الشيخ الحاجّ عمر أفندي الإقراوي الكرالي قدس سره ، فوالله إنه كان كما سمعنا من رجال قراه بسيط اليد وكثير العطاء ، وكان دأبه في كل وقت أكل الخبز مع الملح ، وكان لا يترك عنده شيئاً ما من الإدام والفواكه إلاَّ لأجل الأضياف ، وإكرام أهل الإضعاف ، وكان له مريدون كثيرون .

وكان رحمه الله تعالى دائماً على بساط الإرشاد ، ولا يفتر عنه لحظة ، ولا يغفل عنه فلتة ، ووصل بسببه بركات كثيرة إلى النساء والرجال ، ففي أثنائه انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٣١٥ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأناله إلى مقاصده تامة . آمين .

ومنهم الشيخ العالم ، والعابد الفاهم ، أشجع الإخوان ، وأبرّ الخلاّن أكمل الأوان ، أخونا الكبير ، وصديقنا الوفير ، الشيخ حسن دبر التاشيّ الداغستانيّ فلقد كان صادق الموعود ووافي العهود ، وكثير نجوى يوم الموعود ، ورفيق أهل الوُفود ، ومع كونه شيخاً هرماً كان مُلازم الذكر والأوراد ، وفائقاً في العبادة على أهل البلاد ، ورعاً تقياً نقياً ، وكاملاً راضياً مَرْضيّاً ، أحسن الله تعالى أحوالنا وأحواله ، وجعل خواتمنا خيراً ، ووقانا ضَيْراً آمين[١] .

ومنهم : أخونا الكبير ، وصديقنا العالم النحرير ، الفرد الواصل ، المرشد الكامل ، مماى أفندي الايلي سويّ رضي الله عنه وعنّا وعن جميع إخواننا في الدين ، فإنه قد كان أوّلاً في تربية مولانا وسيدنا الحاجِّ حمزة أفندي الژاخوري ثم الأيلي سويّ ، ولازم على خدمته نحو اثنتي عشرة سنة ، وأجازه وأقامه على مقامه ، ثم لمَّا ارتحل من الدنيا إلى العُقبى ، وأراد الكمالة فوق الكمالة ، لأن المقامات لا تتناهى ، وبالدرجات العلى بها تُتباهى ، خدم ثانياً لشيخنا ، ولازم على تربيته وَالِد روحنا ، وجاهد

---

(١) مات العالم حسن دبر في ولاية بسواز في شهر شوال سنة ١٣٢٤ رحمه الله تعالى . (منه) .

في الله حقَّ جهاده ، وراض نفسه حَقّ رياضته ، وأجازه شيخنا أيضاً وجعله من خلفائه ، وفقه الله تعالى وإيّانا للسّداد ، وللاستقامة في الدين والرشد والإرشاد آمين .

ومنهم : أخونا الصغير ، الفاضل البطل المنير ، موسى دبير بن العالم عمر دبير القراني القنصرخي ، رحمهم الله تعالى وإيّانا ، فلقد كان أوَّلاً في عنفوان شبابه مع أقرانه وطُلاَّبه من أهل العشق المجازي ، ثم لما صادف شيخنا ولازم خدمة أستاذنا صار من أهل العشق الحقيقيّ ، وفَّقه الله تعالى ولنا لملازمة الأوامر وترك المناهي ، وأخرجنا من تسويلات النفس والشيطان ، ومن محبَّة الرياسة والطغيان ، بمنِّه وكرمه يا منان .

ومنهم : أخونا الأديب ، وصاحبنا الأريب ، أفضل أهله ، وأمثل دهره في مصره ، الحاج مصطفى أفندي الملاخي رحمه الله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ لقد وجدته مرَّة في حجرة شيخنا الواحد الوَدود ، متواضعاً منكسراً في الأخلاق والقعود ، فيكفيه هذا السلوك ، والارتقاء إلى ملك الملوك ، جعله الله تعالى معنا من أهل الوصال ، ومن القربة والنوال ، آمين لما يريد يا فعّال .

ومنهم : الكريم المطاع الفاضل الشجاع ، شيخ الديار ، حاج عبد السلام أفندي الخچمازيّ رحمه الله تعالى ورزقنا من بركاته آمين ، فلقد لازم لخدمة شيخنا ، فبه وَصَل إلى ربَّنا ، فيكفيه منقبة لكماله كون أعلم الديار وأفضل الأعصار محمَّد الملقَّب بضمير الكقلي التلالي من مريديه ، وصيرورته خادماً له وفي تربيته وسالكيه ، وفقه الله تعالى للصالحات ، وجنَّبنا عن الطالحات آمين يا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات .

ومنهم : الفاضل العابد ، زين المنابر والمساجد ، أخونا حاج كُولْ محمد أفندي المثولّى مولداً والمهاجر العثماني مسكناً ، وفّقه الله تعالى وإيانا لفعل الخيرات وترك المنكرات ، وإهداء أهل الضلالات آمين .

ومنهم : أخونا الكبير العالم الشيخ الهرم النحرير العالم بكري أفندي[1] المُشلشيّ السمبوريّ فلقد لازم أولاً للعلوم الظاهرية نقلاً وعقلاً ، فلما أكملها أخذ ذيل شيخنا وسيدنا وقدوتنا إلى الله ، وأجازه حفظه الله تعالى وإيانا من المُكُورَات ورزقنا من الفتوحات بحرمة سيّد السادات .

ومنهم : العالم الفاهم ، والحاذق القائم ، كريم الكرام ، موسى أفندي[2] الكينوليّ الشكوى ، كان صاحب الآداب والمعرفة ، وذا السخاوات والمغفرة ، وفَّقه الله تعالى وإيانا لمحبة الله ، وملازمة سُنَّة رسول الله ، ومتابعة طريقة أهل الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنهم : الشيخ الغريب ، والكامل القريب ، أخونا وخليلنا تميرخان أفندي القرچاوي الچركيصي ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ إنه لمن أعلاها ، وفي الأنوار أغلاها وأنواها ، فللَّه دَرُّه حيث تحمَّل المشاقَّ في الوصول إلى المرشد بالميثاق ، فلما لازم خدمته في ثمانية أشهُر ، واجتهد في رياضة نفسه بشراب تسعة أبحر أجازه ، ومن العقبات أعاذه ، اللهم احفظنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

ومنهم : العالم الكامل والفاضل الواصل ، عبد الرحمن أفندي الأنحديّ ، رحمه الله تعالى ، فإنه لمن أحسن الإنسان أخلاقاً ، وأجودهم أرزاقاً ، وأكمل ديارهم اتفاقاً ، وفقه الله تعالى وإيانا لإخراج محبة الدنيا عن القلب ، وترك ما سوى المولى آمين[3] .

ومنهم : العامل الكامل والفاهم الفاضل أخونا الصغير والبدر المنير ، شاميل أفندي الباتوني رحمه الله تعالى وإيانا ، فلقد اجتهد في الله

(١) مات بكري أفندي في ١٣٢٤ في قريته .

(٢) ومات في ربيع الأخير سنة ١٣٢٣ ودفن في بلده رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

(٣) وقد انتقل إلى رحمة ربه في أواخر شهر صفر سنة ١٣٢٣ ودفن في قرية شيخه وشيخنا الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي في زاويته قدس سرهما ونور قبرهما آمين .

حق جهاده ، وجاهد نفسه جهاد عباده ، وصار أولاً حين كان في الخلوة مجنوناً وغروره اغتراراً عجيباً ، بحيث انقطع عنه الرجاء ، ثم بفضل الله ذي الكبرياء ، وشفاعة سيد الأنبياء ، وبركة الأولياء ، وكمالة أستاذه سيد الأصفياء رجع عنه وطاب ووصل ، وبفضل الله تعالى ورحمته نال ، وفَّقه الله تعالى ولنا للوقوف على الشريعة الغرَّاء والاستقامة البيضاء .

ومنهم : الشيخ الأمين ، والحبر المبين ، الشيخ أندال حاج الهدلي العرادي ، فإنه الآن كما أخبرني به رجالهم على الخلوة وعلى الحفظ عن المخالطة لغيره تعالى والأنس به ، وفقه الله تعالى وإيانا للخلوات في الجلوات ، والحضور في الفلوات .

ومنهم : الشيخ السمي باسم العلامة ، ووصف الفهامة ، ابن حجر العكاخي ، حفظه الله تعالى وإيانا في حق الأعمال عن التراخي ، ووفقنا للوصول له تعالى ولأوليائه بالتواخي ، فإنه تعالى هو الموفق الوهاب ، والمهدي من يشاء إلى طريق الصواب آمين .

ومنهم : الشيخ المنير والعالم النحرير ، جنيد أفندي القوبالي ، فإنه من إخواننا البعيدة في المسافة ، ولم أعلم حقيقته في العبودية والكرامة ، فيكفيه رؤية شيخنا وخدمة سيدنا عن كل الكرامات ، والاستقامة على الشريعة كل الكرامات كما اتفق عليه أهل الله ، ولم يبالوا بغيره بأمر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنهم : المؤلف الفقير ، والكاتب الحقير ، غريب الغرباء خادم نعال الفقراء : فلقد ولد رحمه الله تعالى في سنة ١٢٧٤ فلما تقْرع ووصل إلى ثمانية سنين قرأ القرآن بفضل الملك المنان ، وبعنايته تعالى لم يحتج لمعلّم فوق سورة الإخلاص ، ثم لازم العلوم النقلية حتى قرأ كتاب « الحدائق » على والده الشيخ العالم إدريس أفندي رحمه الله تعالى ، فلما وصل إلى سبع عشر سنة مات وانتقل وبقي يتيماً وفات ، ثم برحمة الله تعالى سخَّر له بعضُ أقاربه للنظر إلى أحوال بيته ، وتمَّ له العلوم النقلية والعقلية ، وأصول الفقه والتوحيد ، وفروع الفقه ، في ثمانية وعشرين

سنة من عمره كما في عادة ديارنا الداغستانية ، ثم في تلك السنة حفظ القرآن المجيد بفضل الفتاح الحميد .

ثم لما كان على سجادة الإمامة في قرية ژاخور حضر إليها المشائخ الثلاثة : الشيخ الحاج جبرائيل أفندي ، والشيخ الحاج حمزة أفندي الژاخوريين الساكنين في قرية لكيت وأيلى سو ، وشيخنا الحاج قُصاي أفندي الجنيغي ، قدس الله تعالى أسرارهم العليَّة وضرائحهم السنيَّة ، وكان في مجلسهم نحو أسبوع توقَّد في قلبه نيرانُ المحبة لهم بالوفود ، واشتاق إلى ربه ، وتاق إلى أربه ، ثم حين كان قاضياً في قرية جنيغ اشتد الاشتياق لرؤية الأولياء وخدمتهم بالتلاق ، واستخار في طلب الاستاذ ، ووصوله للمدد والاستمداد ، فجاء في المنام شيخنا التلالي في ثلاثة ليال إلى مجمع النهرين ، وكنت أخرج إليه من المسجد حافياً وأقبله مجمع الحاجبين ، ثم في نصف الربيع وفعل التربيع قصد للحضور إلى جنابه ، ووصوله إلى خيامه وأطنابه ، لقيني الشيخ الحاج قصي أفندي الجنيغي قدس سره وسدَّ طريقي وضل رفيقي ، وحملني إلى المسجد الكدبراكية والبقعة البركية ، ولقَّنني ألف استغفار ، وألف صلوات ، وخمسة آلاف ذكر جلاليّ خفيّ ، وبشَّرني بأن أكابر الأولياء قد اتَّخذوني ولَداً ، وصاروا لي كل واحِدٍ والداً ، وصرْتُ كرجل وضع على كاهله جبل قاف ، ومبتدئاً بذكر الألطاف ، ثم في رأس سنتين أجازني ، وبالكمالة بشرني ، وكان له مريدون كثيرون علماء عابدون ، ولكن لم يكن له رحمه الله تعالى اجتهاد على غيري ، وكان يقول لي : يا ولدي ! إنّ أمري كله محصور فيك ، وليس لي مَنْ يقوم مقامي غيرُك ، وفي عالم الأرواح لم يُرِني الله تعالى سواك ، هكذا كان يؤدِّبني في كل وقت ، ويحذِّرني عن كل فوتٍ ، ويؤدّبني بالآداب الدنياويّة ، والعبادات الأخراوية ، كالأب الرحيم الشفيق ، للولد الحبيب الشقيق .

فالحاصل أني بفضل الله تعالى ورحمته لم يكن له منظراً سواي ومحبوباً إلا أنا . اللهم صدِّق ظنه وبلغه مقامّه ومَنّه ، ولو لأجلي ، ولو كتبت جميع الحكايات الصادرة منه لدي لحصل بها كتاب ضخمٌ ، ومُسَوَّد فخمٌ فرحمه الله تعالى ونور ضريحه .

ثم لمَّا انتقل إلى رحمة الله ، ووصل إلى ما أعدَّه له الله صرت يتيماً في ثلاث سنين ، فبعده بالقدرة الإلهية والقضية الربانية رجع لي المحبة المنقطعة من شيخنا شيخ المشائخ التلالي ، رحمه الله تعالى ، فذهبت عنده للخدمة ، وحضرت لديه للتربية ، فلامني ببعض الأفعال ، وعابني بالأقوال ، وصرتُ بها مقرّاً بكوني عليها مُصرّاً ، فعفى عني - عفى الله تعالى عنه - وجعلني من مريديه ، وأسلكني تحت خرذة سالكيه وجعلني - وإن لم أكن أهلاً - من إخوانه وأحبَّاء أولاده ، وعلى رأس ثلاث سنين في ١٣١٨ من تربيته أجاز لنا ، وأعطى بيدنا كاغذ الإجازة وأوصى علينا وأمرنا بالتقوى ، وفي كل حال مع الله تعالى بالنجوى ، ووصَّانا بالاستقامة ، وبكوننا آمرين للخلائق بالشريعة والإقامة وتعليم العوامّ أصول الدين وشرائع الإسلام ، ولو أحاط بنا جميع الأنام .

وصايا الشيخ أحمد أفندي

وكان رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول لنا : يا ولدي شعيب أفندي ! إنّ لله تعالى ملائكة على وجه الأرض مسخَّرون لسَوْق الخلق لدى الأولياء للإنابة والتربية ، بيد واحد منهم سلسلة من نور ، وبيد واحد حربة من نور ، وبيد واحد سوْطٌ من نور ، وكذا يُعْطى كل مرشد كامل وسالك واصل تلك الثلاثة لاصطياد عوام الناس ، وإيصالهم إلى المحبة والاستئناس ، فإن كنت رجلاً من رجال الله ، ووليّاً من أولياء الله ، لا تلتفت سوى الله ، واترك الدنيا وأهلها لرضاء الله ، ويعطيك الثلاثةَ اللهُ ، ويطيعك جميع الخلق بإذن الله فلا تقل لأحد ما : خذ مني ذكر الله ، إلا

إذا صار مسوقاً ومُصطاداً بأمر الله ! فإذا بلغتَ مبلغ الرجال ، وصرت من أهل الكمال والإكمال ، يدور خلفك جميعُ خلق الله ، وإن هربت منهم لا يتركونك محبَّة في الله وشوقاً إلى الله ، ومودَّة في رسول الله ؛ وإن لم تحفظ وصيتي هذه تبعد من حضرة الله ، وتخرج من زمرة أولياء الله ، وتطرد منّي ومن إبائي بطرد الله ، وكن للناس كالأب النبيل ، وفي حقِّ الدنيا كعابري سبيل . انتهى .

اللهم احفظني عن الالتفات لغيرك والمحبة عن سواك ، وأَخْرِج عن قلبي حبّ الدنيا ولا تنزعه من يدي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الموفِّق الوهَّاب الفتَّاح المهدي للصواب .

ومن وصاياه لنا وجميع إخواننا أيضاً : أن لا نذهب إلى مكان ما لم نُدْع إليه ، وأي مكان دعينا إليه أنْ نتفحَّص من أحواله ، وأن نجيب إليه بقراءة الصلوات الشريفة ، وأن نفعل المداراة مع الناس ، وأن نؤثر رضاء الله تعالى على رضا الخلق ، وأن نكون على الحضور والمشاهدة حين كنَّا بين الناس موافقاً لما قالوا : كن بين الناس لا بالاستئناس ، وأن لا نوافق الخلق في مجالسهم بكثرة كلامهم وضحكهم لذهاب هيبتك حينئذ عن قلوبهم وغفلتك عن ربِّك وربِّهم ، وأن لا تنطق بكلام مّا بينهم إلا بما يطابق الكتاب والسنة أو كلام أهل الله ، وأن تعلم كلاماً فيه مصلحة للناس ، وكلِّمهم به فيما فيه نفع الدنيا والآخرة ، وأن نستر نساءنا عن غير محارمهنَّ حسب طاقتنا ، وإن كان أصعب الأمور في ديارنا وزماننا ، وأن يعلم أن هذه الأخلاق أخلاق الأولياء ، ويجب الاشتغال بها والعضُّ بالنواجذ عليها .

وأن لا نفعل شيئاً مَّا يسقط به مروّتنا ، لئلاّ يذهب أثرنا على الناس ، والواجب علينا كوننا ذا هيبة عليهم بحيث إذا رأونا تقع في قلوبهم هيبتنا . انتهى .

وإن سلكنا لكتبة ما صدر عن فمّه وما تخلَّق به من أخلاقه يطول الكلام ، ويقصر حبر الأقلام .

إنتقل شيخنا التلاليّ رحمه الله تعالى إلى رحمته في اللّيلة التاسعة عشر من شهر ذي القعدة الحرام حين ذهب أربع ساعات منها المنخرط في سّلك شهور سنة ١٣٢١ ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين ، وحضر لصلاة جنازته ألف وخمسمائة رجل في مجمع واحد ، وأمَّا من صلّى بعده قبل الدفن وبعده لا يحصيه إلا الله ، وسِنُّه حينئذ ثلاث وستّون سنة كسِنِّه ﷺ وسنِّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولم يُطِق أكثر الخلق الذين جاؤوا للدّعاء والتعزية للدعاء قبالة أهل بيته وأقربائه ، ولم يصدر منهم إلاّ العويل والبكاء ، والأصوات الهائلات والنداء ، وكان يحضر كل يوم في أوائل أيام موته إلى عشرة أيام خمسمائة رجل وأزيد منه بكثير ، وكان يحضر في أربعين يوماً على قبره الشريف في الصباح والمساء نحو خمسمائة رجل ، فالحاصل كان يوم موته يوماً مشهوداً ، ولم يكن مثل ذلك اليوم لمَنْ قبله معهوداً ، فرحمه الله تعالى ورزقنا من بركات فيوضه وأنفاسه ، وأن لا يقطعنا عنه وعن أجدادنا الأولياء الأماثل بمَنِّه وكرمه ، آمين يا أرحم الراحمين .

وممّا رثى به له أخونا العالم العامل ، والدرويش الكامل ، الحاج إسماعيل أفندي المكوخيّ رحمه الله تعالى :

سبحان مَنْ خلق الأراضي والسما ... وات العلى لرسوله المختار
وهَدَىَ مَن اتَّبع الشريعة واهْتدى ... بوسيلة الأقطاب والأبرار
أبدى لنا الوُرّاثُ من أنفاسهم ... حِكَماً تُزيل غِشاوَة الأبصار
بذلوا نفيساتٍ من الأوقات في ... إرشاد ناسٍ ضائع الأعمار
قطب الزّمان أتمَّ وعدَ السّجن مِن ... هُم ثم شدَّ الرَّحل للغفّار
قطع المنازل عاد نسبته إلى الـ ... سموليِّ فولاَّه مع الأخيار

كـهـف الـخـلائق كـقبة الآمال بل غـوث يُـسـمَّـى أحـمـد الـمختار
نـسـبـوا إلـى فخر الأماكن والقرى بـلـد الـهـدايـة مـنـبـع الأحـبـار
بـاسم الـتّـلا لُـقـبَـت لـتكثير التّلا وة فـيـه بـالـقـرآن والأخــبـــار
شـيـخٌ وقـورٌ مـرشـدٌ ومــجـــدِّدٌ ولـمـورد الإخـوان والأغــيـــار
دهَـش الـزّمان بَدَى إلى كلِّ الورى وتــزلــزل الأفــلاك بــالأســرار
حدَث المآثرُ والمصائبُ في القرى رَعْـدُ الـمُـصيبَة صاحَ في الأقطارِ
لـبِس البهائمُ والجَمادُ ثِيابَ حَسـ ـرتِـهـا الـتي طُويَت مدى الأعْصار
بـكـت الـعـيـون بـدمعها ودمائها وتـأسَّـفَ الأبــرار بــالأفــكـــار
مـن صـادف الـذات الشريف بمرَّة لا يُـهـتـدي سـبـلا إلــى الإنـكار
جـمَـعَ الـعـلوم ظـواهـراً وبـواطناً فـكـلامـه بـالـوحـي والأســـرار
بـالـرّمـز والألـطـاف كـلُّ كـلامه لا بـالـهـوى والـعبث في الإخبار
أخـلاق رُسْـل الله قـد جـمعت له نـفـسٌ لـهـا لـنـفـائـس الأنـــوار
أعـيـى الأمـاثل عن إحاطة وَصفه وتـقـاصـرَ الآمـال فـي الإحـصار
مـنْ رام عـدَّ مـنـاقـب العُظمى له رَغـمَ انْـفُـه وأطـال فــي الإهـذار
فـتـحـت لـه حـصْنُ المشيَّد قائماً بـوَّابُـه بــالــرُّمـــح والأوتـــار
بهت الأميرُ تـحيَّـرَ الـرهـبـانُ مِـنْ خَـرْقٍ بَـدَى فـي الـسجن للكفَّار
لأنَ الـحـديـد تـفسّحَ الحيطان عنـ ـد خـروجـه بـالكوز في الأسحار
أقـفـالـه سـقـطـت كـأوثـان لهم فـي لـيـلـة الـمـولـود[1] والأبشار
طـيّ الأراضـي بـل أطـاع طيورها ووحـوشُـهـا فـي الغاب والأوكار
مـا تـمَّ سـتـةُ أشـهـر فــأجــازه ربَّـاه خِـضْـرٌ دار فــي الأقــفـــار

(١) النبي ﷺ .

ثـمَّ اسـتـوى خـمل وعشر[1] عنده فـرأى الـهـدايـة أوفـر الأسـتـار
فـأطـاعـه كـلّ الـورى مـا شذَّ منـ ـهم عـالـم ذو الـرأي والإبـصـار
أشـراف عـصـر والأكـابـر لـلـزِّيا رة عـاكـفٌ بـالـذُّلِّ والإقـرار
ولـسـبـحـة الـسير المروق قد غدا مـدراً بـلا نـوع مـن الإبـحـار
خـرق بـدى للنَّجم من نجم السما نـورٌ تـخـيَّـل قـدرة الـقـهَّار
ابـنـاه والـدّهـلـيـز بـل كـل البنا يـفـضـي إلـيـنـا حـكـمـة الجبَّار
نـرجـو الـهـدايـة منهما وحفيده سـرجٌ أنـاروا ظـلـمـة الأسفار
يا نـور عـينٍ بمَ الأفول وهـل ترى سـبـبـاً سـوى هـذا مـن الأكـدار
دهْر السرور مضى فهل يرجو المسر رَة بـعـدُ بـالإقـبـال والإدبـار
أرجـى الجـوابـر يـا أخي قولي له يـا سـيـدي خـذ مـن يـد الـعَـثَّارِ
أرَّخْـتُ بـالـقلب الحَزين المنكسر لا نَـشْتفي[2] بالوعي[3] والإصبار[4]

انتهى من خطه رحمه الله ، بحروفه ، وفقه الله تعالى ولنا لما يحب ويرضى .

ومما كتبنا مرثية في حقّه رضي الله تعالى عنه وقدّس سرّه حين انتقل من دار الغرور إلى دار القبور حين ضاقت عليّ الأرض بما رَحُبَتْ :

(١) لعله ستر (منه) .
(٢) لا نشتفي – ٨٧١ .
(٣) بالوعي – ١١٩ .
(٤) الإصبار – ٣٣١ . والمجموع – ١٣٢١ .

لقد غاب شمسٌ شامِسٌ[1] في البَرَازخ[2] وكـلُّـه نـورٌ يـا أخـي لـلـيـوافخ[3]
وفـي فـجـأة غارت مياه الشوامخ[4] وقـد مات عن أيدينا شيخ المشائخ
وقد حلَّ في دار القرار فريدُ عَـصْـ ـره شيخنا أَحْمَدُ أفندي التلالي بصّ[5]
وآثر مـا عـنـد الإلـه الكريم خَصْ وقـد فـات لـلأبصار بدر البوازخ[6]
فأشـكـو إلـى مولى الموالي مناجيا وأبكي وأدعو في الدّياجي[7] منادياً
فـإنّـي حـريـق بـاشـتـيـاق هوائيا[8] فـأهمي دموعي في الخدود السوالخ[9]
لـفـقـدي إمـام عصرنا ذي المآثر طـبـيـبُ الصدور للصُّدا والتفاخُرِ
وفـخـر الـزمـان الـمـرشد للأكابر بـكـاء الكئيب الكاتب المتمادخ[10]
ويـنـبـوع أنـوار الـطـريـق السرائر[11] ومـشكاة[12] أنهار الفيوض الغزائر[13]

---

(١) ومن قواعد العربية إذا أرادوا المبالغة في الشيء : يشتقُّون منه الفعل ويقولون : ليل الليل ، ويوم اليوم ، كما في قوله تعالى ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ فراجع الشيخ زاده ، وهناك تجد البيان . (منه) .

(٢) البرزخ الحاجز بين الشيئين ، ومن وقت الموت إلى يوم القيامة ، من مات دخله . (قاموس) .

(٣) أفخه : ضرب يافوخه ، وهو حيث التقى عظم مقدَّم الرأس ومؤخَّره ، جمع يوافيخ .

(٤) شمخ الجبل : علا وطال . (قاموس) .

(٥) بصَّ يبصُّ : برق ولمع وولَّى بيسير ببرق . (قاموس) .

(٦) شرف بازخ عال ، وجبال شوامخ . (قاموس) .

(٧) أي : في الليالي المظلمة .

(٨) أي : مهويّاً .

(٩) إلى ذي الجلود السوالخ ، كجلود الحيات ، فراجعه . (منه) .

(١٠) المتمادخ : من يعمل الشيء بعجلة . (قاموس)

(١١) صفة الانوار .

(١٢) المشكاة : كلُّ كوَّةٍ غير نافذة . (قاموس) .

(١٣) الغزير : الكثير من كل شيء ، والغزيرة : الكثيرة الدَّر . (قاموس) .

ومـفـتـاح أسـرار الـيـقين الغمائر[١] نـداءُ الـغريب الرَّاقم ذي التناسخ[٢]
وجـوهـرُ رشـدٍ لـلأنـام المُـنَضِّد[٣] ومـعـدنُ إهـداء البلاد وعَسْجَدُ[٤]
وكـبـريـت أعـلـى للمريد وصِنْدِدُ نـيـاحُ الـحـقير الحادر ذي التربُّخ
ومَـظـهـرُ أطـوار الـكـرام المُجَدِّدِ وسـائِـرُ أفـلاك الـمـقـام الـمُمَهِّدُ
إلـى سدْرةِ مَن انتهى في المقاصد كـلامُ الـغريق النامق المتصالخ[٥]
سـماءُ العُلى فضلاً وجُوداً وسؤدداً ولـم يـتـدنَّـس قـطُّ عـيـبـاً مُسْنَداً
وذو همَّة تعلو على العرش محَتدا صُـرَاخ السَّقيم الصَّائر للتواضخ[٦]
وقد كان بحراً للـفيوض الفوائِـضِ[٧] مـعـادنُ كـلٍّ لـلـعلوم الغوامض[٨]
مـنـيـراً مـضـيئاً للقلوب القوابض[٩] حـلـيماً غفوراً في قفال الممالخ[١٠]
وكـم[١١] عـالم يبكي بفوت الهداية وكـم سالك يكبوا[١٢] انعدام الكمالة

---

(١) الغمر : الماء الكثير ومعظم البحر .
(٢) وتناسخ : الأزمنة تداولها .
(٣) والنضد محركة : ما نضد من متاع .
(٤) العسجد الذهب والجوهر كله كالدرّ والياقوت . (قام)
(٥) أي : المتصامّ . (قام) .
(٦) التواضخ : التباري في السقي والسيرة ، تباريا تعارضا . (قاموس) .
(٧) بالفاء لا بالغين جمع فائض أي سائل م .
(٨) الغامض : المطمئن من الأرض ، جمع غوامض . (قام) .
(٩) قبض ضد بسط .
(١٠) مالخه : لاعبه . (قام) .
(١١) للتكثير أي الخبرية .
(١٢) أي : يكبُّ على وجهه باكياً على انعدام كمالته بفوت شيخه وانتقاله إلى الآخرة (منه) .

وكم من خَليفٍ خاف خوف الغواية[١] بـأن غـالبته النفس ذات التواطخ[٢]
وقـد كـان قـطباً للأراضي بأجمعا وغـوثـاً لأوتـادٍ[٣] كـرام بـأكـتـعا
وعـونـاً لأفـرادٍ شـداد بـأبـتـعـا ووارث كـل الأولـياء المواضخ[٤]
وطيفورهم[٥] في الحال صُبْحَ أوَانِه جُـنـيْداً[٦] مقيماً من المقام وحينه
ومـنْ لـحـظِـهِ يُـحْـيى رَمِيمَ زمانه ومَـنْ لفظه يُهدي طَويلَ التناجُخ[٧]
وقد كان يمّاً[٨] للخصال المحـامِدِ ونـجـمَ الـهُدى بَحْرَ التُّقَى والفَرائد
وكـنـزَ الـكُـنُـوز لـلـعَوَام الشوارد[٩] وفـي بَـغْتَةٍ قد غاب دارَ التوارُخ[١٠]
وقـطـب الـطـريـق قُدْوةً للأماجد ورحـلـة أبْـدالٍ لـشام[١١] مراشد[١٢]
مـحـطَّ رِحـال الـنـجـبـاء الموَارِدِ رئـيـسَ الـرجـال النقباء النواسخ[١٣]

---

(١) غوى يغوي أي طغى وتمرَّد .

(٢) تواطخ القوم الشيء تداولوه بينهم .

(٣) لأنه كان رحمه الله تعالى فيما وصل إليه علمنا واحد الأوتاد الأربعة ، ورئيس السبعة كما مرّ في مناقبه ، فراجعه (منه) .

(٤) المواضخة المبادرة في الاستقاء والعدو . (قاموس) .

(٥) أي أبا يزيد البسطامي قدس سره السامي (منه) .

(٦) أي جنيد البغدادي الذي هو رئيس الطائفة الصوفية في زمانه (منه) .

(٧) التناجخ : التفاخر .

(٨) أي : بحراً . (منه) .

(٩) عن الحق (منه) .

(١٠) توارخ : يتوارخ من باب التفاعل التاريخ ما يكتب على ألواح القبور لعلم زمان موت الميت ، والله أعلم (منه) . أي التاريخ المقيد لا المطلق تدبَّر (منه) .

(١١) وتقييد الأبدال بالشام لكونه معدّاً لهم في أكثر الأوقات وخاصة في آخر الزمان لأن الصلحاء في مصر ، والأبدال في الشام حينئذ . تدبر ! (منه) .

(١٢) صفة الابدال . المراشد : مقاصد الطريق . (منه) .

(١٣) النواسخ : جمع ناسخ على غير القياس (منه) .

وشمس العلى غيثَ النَّدى للعواكِفِ ومصباحهم ضوءاً ومأوى العواطف
بَسِيطَ الأيادي مُعْطياً للمعارف كراماته في جسمه من فراسخ[(١)]
فتمثيله ما ساغ إلا بأنَّه وحيد الأقاليم المقيم طريقه[(٢)]
منوِّر آفاق الظلام وإنَّه معاليم عرفان سراج البرازخ[(٣)]
إلى الآن أبداه[(٤)] الجليل جلاله وفي قبة الإعزاز جل جماله[(٥)]
وفي فتية الإكمال عز كماله وبات بتحت[(٦)] العرش ضيفاً لناسخ[(٧)]
فاخلق كلَّ العالمين بحسرة وأحرق سوداء[(٨)] الفؤاد بجمرة
وأضحى لنا باب الوصول بفترة بأن طار[(٩)] ياقوت العظام المشائخ
ولولا بقي فينا الأهالي[(١٠)] لنقتدي كذا مَنْ أُقيموا[(١١)] في المقام لنهتدي
لشقَّت علينا كل أمر ونعتدي بأن فات عن أيدينا نورُ البوازخ

---

(١) أي : كراماته كانت تظهر من جسمه من مقدار فراسخ لأهله تدبر (منه) .
(٢) أي : طريق الله تعالى (منه) .
(٣) جمع برزخ ، كما تقدم .
(٤) في الدنيا .
(٥) أي : تجليات جماله تعالى له لأنه قد كان رحمه الله تعالى قد يتجلى له الجلال مرة ، والجمال أخرى ، والذات أخرى ، كما هو شأن الأولياء الأكابر دون الأصاغر (منه) .
(٦) من قبيل صليت بالمسجد (منه) .
(٧) أي : ناسخ الأحكام الذي هو كل يوم هو في شأن (منه) .
(٨) السوداء من القلب حبة كسودائه .
(٩) أي : بطيران روحه الكريم إلى العرش العظيم (منه) .
(١٠) أي : أهالي الشيخ قدس سره .
(١١) أي : خلفاؤه قدس سره . (منه) .

ومـوت الـرسـول أعـلى كل البليَّة	بـه يـتسلَّى المرء قذى[١] القضية[٢]
ونـسـعـى صـبوراً في فوات البقية[٣]	ونـرضَـى بـفوتانا[٤] لزين الشوامخ
فـيـا رب عـامـلـه بـمـا أنت أهله	وأَعْـلِ الـمـقـام فـي العُلى وكمالَه
وأكـرمـه بالرأي العظيم[٥] خصـالـه	مع الناظم الباغي البغي[٦] ذي التباذخ[٧]

خاتمة

في بيان سلسلتنا النقشبندية بالنظم الذي كنا نظمناه قبل تتميماً للفائدة وطلباً للعائدة وتسهيلاً للحفظ الزائدة

تَـوَسُّـلـي بـالـنـبـي سـيِّـدِ الرُّسُلِ	رَسُـولِـنـا وشـفـيـع الـخلق كلِّهم
وبـالـصِّـدِيـقِ أبـي بـكرٍ رفِيقِ نَبي	فـي غَـارٍ مِن جَبَلٍ ثَوْرٍ بلا وَصَمٍ[٨]
والحِبِّ سلمانَ للرَّسُولِ كـالبَـصَـرِ	والـقـاسـمِ القائدِ الكريم كالعَنَمِ[٩]
وجَـعـفَـرِ الـصّـادقِ الإمـامِ سيِّدِنا	والـبـسـطاميِّ أبي يزيدَ ذي الهِمَمِ
وبـالـمـحـبوبِ غِيَاثِنا أبي الحَسَنِ	والـفَـارْمَـدِيِّ أبي عَلِيٍّ ذي الحِكَمِ

---

(١) القذي ما يقع في العين وفي الشراب ، قذيت عينه قذياً وقع فيها القذى . قاموس م .
(٢) القضاء : الحكم . قضى عليه يقضي قضياً وقضاء وقضية ، وهي الاسم أيضاً .
(٣) أي بقية المشائخ (منه) .
(٤) وإضافة المصدر إلى المفعول . (منه) .
(٥) صفة جرت على غير من هي له .
(٦) بغى الشي نظر إليه كيف هو . « ق م » .
(٧) تباذخ الأمر تقاعس وتقاعس تأخر .
(٨) الوصم : العيب والعار . « مختار » .
(٩) العَنَم : بفتحتين شجر لين الأغصان تُشَبَّهُ به بنان الجواري ، وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى : هو أطراف الخرنوب الشامي ، « مختار » .

ويوسفِ الفاضلِ الهَمْدَاني ذي السَّبَقِ وَالغُجْدُوَانِي جلال الدّين ذي الغَطَم[1]
والرِّيوْكِري العارِفِ المعروف بالخُلُقِ والفَغْنَوي الإنجيرِ المحمودِ الدِّيَم[2]
والـرامِـيـتـنـي عـزيزان علي الوَلِـهِ وللسِّوَى النَّاسي السّماسِي ذي القَدَم[3]
وذي الـكـمـال كُـلالِ منبع الرُّتبِ وعمدة القَومِ شَيخِ الكُلِّ كالعَرِم[4]
محمَّد شاهِ نقشبندي ذي الحُضُضِ[5] إلـهي اجعل لنا مَرْقًى إلى العِظَم[6]
والـعَطَّـاريِّ علاءِ الدِيـنِ والـمِـلَـلِ وذي الكُرَامَاتِ يعقوب الچَرْخِي الفَطِم[7]
والبَحْرِ أحْرارِ عـبد الله ذِي الرَّشَـدِ والـزَّاهِـدِ الـزَّائِـدِ المحمد القَرِم[8]
والـدَّرِ درويـشِـنَـا مـحـمـد السَّنَدِ والإمكناجِي ابنِهِ الخَوَاجَكِي الكَرِم
والبَاقِي ذِي السَّكْرِ للباقِي محمَّدِهِمْ والفارُوقِيِّ المجدّدي ذي الجُزُم[9]
وبالمَـعْـصُـومِ العَلِيمِ المُرشد الوَلَدِ والـسَّـيْفِ لِلَّهِ في الأديانِ والهُجُم[10]

---

(١) العظم : البحر العظيم . « ق م » .

(٢) الديم : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق أقله ثلث النهار أو ثلث الليل ، وأكثر ما بلغ من العدة والجمع الديم ثم يشبه به غيره .

(٣) أي : الثبات .

(٤) وفي التهذيب : قيل : العرم السيل الذي لا يطاق . « مختار » .

(٥) والحضض بضم الضاد الأولى وفتحها : دواء معروف . « مختار » .

(٦) عظم الشيء بالضم يعظم عظماً بوزن عنب ، أي : كبر فهو عظيم . « مختار » .

(٧) فطام الصبي فصاله عن أمّه ، يقال : فطمت الأم ولدها تفطمه بالكسر فطاماً وفطمت الرجل عن عادته . « مختار » .

(٨) المقرم البعير المكرَّم ، لا يحمل عليه ولا يذلّل ، وكذا القرم ومنه قيل للسيد : قرم مقرم تشبيهاً به ، « مختار » .

(٩) جزم الشيء قطعه ومنه جزم الحرف . « مختار » .

(١٠) هجم على الشي بغتة من باب دخل . « مختار » .

والـشـيـخ نـور محمد المَعْزُوِّ إلى ... بَدْوَانَ ذي الفيض والآثار والرَّزَمِ[١]
والـمرْزَجَانِي حَبيبِ الله ذي الفَخَرِ ... والدَّهْلَوِي الشيخ عبد الله ذي الرَّدَمِ[٢]
والسائِرِ الغَوْثِ للإرشَادِ ذي التُّحَفِ ... مُـحَـمَّد الخَالِدِ البغدادي كالكُرَمِ[٣]
والشيـخِ إسمَاعِيلِ الكُرْدَمِيرِي الكَلِم ... والقائم[٤] الصَّالح الشِّرْوَانِي ذي الوَجَمِ[٥]
والحـاج إبراهِيمِ القُدْقاشني العَـطِرِ[٦] ... والـحـاج يونس أفندي فَائِضِ النِّعَمِ
ومـن علا أمرُهُ في الشرق والغرب ... وسـيِّـدِ الأولـيَـاءِ الجَدِّ ذي الكَرَمِ
الخالدي النقشُبَنْدِي الخِضرِي ذي الخبر ... الشيخ مَحْمُودْ أفَنْدِي القطبِ في الأمم
وسـيِّـد الـكُمَّل السادات ذي العِبَـرِ ... غَوثِ الأقاليم كالشَّمسِ المُضِي الضِيَمِ
مُرَبِّنا شـيـخـنـا رُوحِ الـحَـيَـاةِ لَنَا ... الحَاجِّ أحْمَدْ أفندي الحازي للحِتَمِ[٧]
وسرهم قَدَّسَ القُدُّوسُ في القُدُسِ[٨] ... فـي حضرة الله عند العَرْشِ والقِيَمِ
وشيخنا ذي الجلال الحِبِّ ذي الأدَبِ ... الحَاجِّ قُصَيْ أفندي العَالِي والشَهِمِ[٩]

---

(١) رزم الشي جمعه . (مخ) عبارته .
(٢) ردم الثلمة سدها ، وبابه ضرب . « مختار » .
(٣) والكرم : شجر العنب ، والكرم أيضاً القلادة يقال : رأيت في عنقها كرماً حسناً من لؤلؤ . « مختار » .
(٤) أي : القائم مقام إسماعيل .
(٥) الواجم الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام . « مختار » .
(٦) العطر الطيبة يقال : عطرت المرأة من باب طرب فهي عطرة ومتعطرة أي : متطيبة « مختار الصحاح » .
(٧) الحتم : إحكام الأمر . (مختار) .
(٨) أي في حضرة قدسه المعلوم عند أهله .
(٩) شهم من باب ظرف فهو شهم أي جلد زكي الفؤاد . (مختار) .

أعـلا الإلـهُ لـه الـمقام في القُرَبِ وَوَسَّـعَ الـبَـاعَ لـلـشفاعة العَكِمِ[1]

يرجو شعيب الفَقِيرُ الأحْقَرِ الكَسِلُ فُـيُـوضَـهـم بـالنَّبي والنُّون والقَلَمِ

كذا الإخوان جَمِيع السالكينَ طريـ ـقَ اللهِ مـن طُرُقٍ في الحِلِّ والحَرَمِ

انتهى . اللهم ارزقنا شفاعة الرسول المصطفى ، والنبي المرتضى ، وآله أهل العبا ، وجميع أصحابه أهل التّقى ، وبركات جميع الأولياء الكرام ، وخاصة مشائخ النقشبندية العظام ، بفضل الله الملك العلام ، ورحمته بحق سيد الأنام .

الخاتمة

في تعليق نبذة حرَّرها العالم الفاضل الواصل ، محمد مراد بن عبد الله القزاني المنزلويّ قدّس سرّه ونوّر قبره ، ونفعنا بعلومه ومعلومه ، وفيوضات وبركات ساداتنا النقشبنديّة والأولياء الخواجكانية إلى الآباء المحموديّة ، والأحمديّة آمين يا مُعين .

ثم أردنا أن نبيِّن نبذة من كيفية طريقة مشائخنا الآن على سبيل الإجمال ، فنقول وبالله التوفيق ، وبيده أزمَّة التحقيق

قال الأكابر رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم : إن أول ما يتنبَّه العبد لطلب الحق سبحانه وتعالى وسلوك طريقه بخطرة سماويّة من الله تعالى ، وتوفيق خاصٍّ إلهي ، ويقال لتلك الخطرة في اصطلاحهم : تجلِّياً إرادياً ، يعني تجلِّي الحق سبحانه وتعالى لعبده بصفة الإرادة كما مرّ .

مطلب

وتلك نعمةٌ عظيمة ، يجب على صاحبها أن يقومَ بحقها ، وأن يجتهد في حفظها ، فإنها سريعة الزّوال وطريق حفظها أن يسلِّمها إلى كامل مكمّل عالم بالطّريق ، فإن لم يفعل ذلك فقد ضيّعها على ما حكمت

---

(١) العِكْم بالكسر العِدْل . وعَكَمَ المتاع : شدَّه وباب ضربه . (مختار) .

به المشاهدة وشهدت به التجارب ، من زمان السلف إلى زماننا هذا قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل .

ومعرفة هذا الكامل المكمّل إنما هو بالاستدلال بظاهر حاله من استقامته في الشريعة المصطفويّة ، واتِّباعه للسُّنَّة النبويّة ، وتمكّنه في طريق السادات الصّوفية ؛ فإن انضمّ إلى ذلك وجود الأحوال والتصرفات في بواطن المريدين فهو الغاية ، فإذا وجد مثل هذا الشخص وحضر عنده وأظهر له إرادته

مطلب

فأوَّل ما يلقّنه هو التوبة ، فإنّها أوّل المقامات ، وأساس الكلّ ؛ وكيفيتها : أن يظهر الندم بالصدق والخلوص على ما فَرَط منه فيما سبق ، وأن يردَّ المظالم إن أمكن ، وأن يستغفر ويدعو لصاحب الحق بالخير إن لم يمكن ، وقضاء حقوق الله تعالى كالصلاة والصوم والزّكاة ، والندم والاستغفار على ما لا يمكن قضاؤه كشرب الخمر والزّنا ، وأن يعزم بقلبه على أن لا يعود إلى الذنوب أبداً ، وأن يقول بلسانه بتلقين المرشد آخذاً بيده امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ فإن المشائخ ورثته ونوَّابه ﷺ ، بعد ما قرأ الفاتحة مرة ، والإخلاص ثلاثاً ، وإهداء ثوابها إلى أرواح المشائخ الكرام ، والاستمداد منهم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه (ثلاثاً) ، لا إله إلا الله محمد رسول الله (ثلاثاً) ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبيّاً ورسولاً .

ويقرأ المرشد هذا الدعاء أيضاً من شاء ثلاثاً : اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، وهذا يقال له في اصطلاحهم البيعة في الطّريقة والدّخول فيها وتلقُّنها وأخذها .

وللتوبة شروط كثيرة لا تكاد تحصر ، ذكرت في المطوّلات كـ« الإحياء » و« عوارف المعارف » و« قوت القلوب » وغيرها ، وكلّها لازمة هنا ، فينبغي تتبُّعها والعمل بموجبها ، ومن أهمِّها تصحيح النيَّة ، فإن بها يحصل تصحيح البداية ، وبتصحيح البداية يحصل تصحيح النهاية .

قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي قدّس سرّه في كتابه « منازل السائرين » : واعلم أن العامّة من علماء هذه الطّائفة والمشيرين إلى هذه الطريقة اتفقوا على أن النّهايات لا تصحّ إلاّ بتصحيح البدايات ؛ كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساس .

وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السّنة ، وتعظيم النّهي على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة ، والشّفقة على العالم ببذل النّصيحة وكفّ المؤنة ، ومجانبة كل صاحب يُفْسِد الوَقْت وكل سبب يفرق القلب . انتهى ما تعلق به الغرض .

وقال في « حدائق الحقائق » : أول مقام التوبة هو الانتباه ، وثاني مقدّماتها هجران رفقاء السوء ، فإنهم يمنعون عن التوبة والاستقامة عليها ، ويدفعون التائب في المعاصي قولاً وفعلاً وحالاً ، ويضيّعون بضاعة انتباهه لكونها ضعيفة في أول الأمر . انتهى مع زيادة .

وقال الشيخ أبو مدين المغربي قدّس سرّه : من علامات صدق المريد فراره عن الخلق ، وهذه حالة الرسول في خروجه وانقطاعه عن الناس في غار حراء للتحنّث ، أي للتعبُّد .

وقال مولانا الجاميّ قدّس سرّه في شرح هذا القول : أجمع محقّقوا الصّوفية على أن العُزلة بالجسم سنّة كاملة واجبة على أهل الطريق في بداية الحال ! إلا من صُحْبة المرشد وخدمته . انتهى .

وقال النيسابوري قدّس سرّه الباري في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ الآية ، قيل علامة قبول التوبة هجران إخوان السّوء وقرنآء الشر ، ومجانبة البقعة التي باشر فيها الذّنوب

والخطايا ، وأن يبدّل بالإخوان إخواناً ، وبالأخدان أخداناً ، وبالبقعة بُقْعةً ، ثم يكثر الندامة والبكاء على ما سلف منه ، والأسف على ما ضيّع من أيامه ، ولا تفارقه حسرة ما فرط وأهمل في البطالات ، ويرى نفسه مستحقّة لكلّ عذاب وسخط .

مطلب مهم عنه غافلون

وقال سيدي الشيخ محمد مظهر ، روّح الله روحه ونوّر ضريحه : ولا يصحبون الأغيار ، وهم الّذين لا يعتقدون في مشائخ الطريقة ؛ خصوصاً مع من يتكلم في شيخه أو لا يحبُّه ، أو يكون الشيخ معرضاً عنه ، فإن المجالسة معهم سمٌّ قاتل ، فليجتنب ذلك أشدّ الاجتناب . انتهى .

فعلم من ذلك أنّ مَنْ خالف ذلك لم يدخل في الطريق بعد وإن سرد في الظاهر إلى آخر المقامات ، بل حفظ أساميها دون أن يضع قدمه فيها .

ثم طريق السّلوك ثلاثة : طريق الصّحبة ، وطريق الذكر ، وطريق المراقبة ، كلّ ذلك موصل بنفسه برعاية شروطه من غير توقف أحدهما على الآخر .

والصّحبة على نوعين : صحبة بحسب الظاهر ، وصُحبة بحسب الباطن ، ويسمى الأخير عندهم رابطةً ، يعني ارتباط المريد بالشّيخ بحسب المحبّة والعَلاقة المعنويّة الرّوحانية وتقويه به ، على ما قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ وقوّيناها بالصبر على هجران الأوطان ، والفرار بالدّين إلى بعض الغيران ، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق ، والتظاهر بالإسلام ؛ وكلّ مَن صَبَر على أمرٍ فقد ربط نفسه عليه .

وحاصلها : تألُّف قلب المريد بقلب شيخه وهو نعمة عظيمة ، ولو بواحد من آحاد المؤمنين حيث قال الله تعالى :﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

الآية . فما ظنّك لو كان ذلك بواحد من صاحب دولة لائقة بالوساطة بين المريد المستوطن في حضيض البُعْد والهجران ، وبين الملك المنّان !

أو هي توسّل المريد بشيخه إلى الله تعالى ، وهو أيضاً أمرٌ مطلوب ومحمود ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ الآية ، والوسيلة تعمّ كل ما يصلح أن يتوسَّل به ، طاعةً كان أو واحداً من أولياء الله تعالى ، يدلّ على ذلك آية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال المفسرون : هي القربة إلى الله تعالى عز وجل ، والدرجة العليا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعنّا آمين : هم عيسى وأمّه وعزير والشمس والقمر والنجوم (أيّهم أقرب) ، بدل من واو يبتغون ، وأيّ موصولة ، أي يبغى مَنْ هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله ، فكيف بغير الأقرب ؟ أو ينظرون أيّهم أقرب إلى الله فيتوسلون به .

مطلب

ولا ينكر على ذلك إلا أهل الغرّة بالله ، فكيف وقد قال العلماء في مفتتح الكتب في بيان حكمة الإتيان بالصلاة على النبي ﷺ وآله وأصحابه : ينبغي للعاقل أن يستعين في جميع أموره وكل شؤونه بجناب الحق تعالى ، ويسأله إفادة طلبه وإفاضتها ، وإنجاح بغيته دنياويّة كانت أو دينيّة ، عاجلة كانت أو آجلة لكن لا بد من نوع الملاءمة والقرب المعنوي بين المفيض والمستفيض ، ولكوننا متعلِّقين غاية تعلّق بالعلائق البشرية والعوائق البدنية ، ومتدنِّسين بأدناس اللذات الحسيّة ، والشهوات الجسميّة ، وكونه تعالى في غاية التقديس والتنزّه ، تكون الملاءمة منتفية رَأساً ، فاحتجنا في سلوك سبيل الاتسفاضة منه جلّ وعلا إلى متوسّط له وجه تجرُّد ووجه تعلُّق ؛ فبوجه التجرُّد يستفيض من الحق ، وبوجه التعلّق يفيض علينا .

وهذا المتوسِّط أشرف أصحاب الوحي وأعظمهم رتبة ، نبينا ﷺ ، ولما كانت ملائمة الآل والأصحاب بالنبي ﷺ أكثر من ملاءمتنا له

وملاءمتنا للآل والأصحاب أكثر من ملاءمتنا له ﷺ ، جرت العادة بالتوسل بهم بالصلاة والسّلام ، وكلما كانت الملاءمة أكمل وأوفر ، كان أمر الاستفاضة أتمَّ وحصول الاستفاضة أكثر ، ولا شك أن ملاءمتنا بالمشائخ الكرام أكثر من ملاءمتنا بالآل والأصحاب العظام ، فضلاً بالنبي ﷺ والملك العلام ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ .

وقد صنّف في هذا الباب رسالات كثيرة ، ومرّ في مواضع عديدة ما فيه شفاء للمتبصِّر ، ورسالتنا هذه ليست للمنكر حتى نحتاج إلى إقامة الحجة وإتيان الدليل ، وإنما أوردنا هذا القدر للتوضيح والتنبيه ، والاستبصار والاسترشاد ، وإلا فكيف ينكر على ذلك ؟ وقد مرّ توسُّل الشيخ عبد الله الدهلوي قدّس سرّه بذوي الحاجات والكلاب ، عند ترجمته .

ونقل عن الخواجه بهاء الدين قدّس سرّه أنه كان يضع وجهه المبارك تواضعاً وتوسُّلاً إلى الله تعالى بها لكونها مخلوقة لله تعالى ؛ وأمثال ذلك كثيرة لا تخفى على من تتبَّع أحوالهم .

وكيفية الرابطة : استحضار صورة شيخه في خياله ، وملاحظة معيّة المعنوية الروحانية معه في جميع حالاته برعاية كمال الأدب وغاية التعظيم له ، على ما مر عند ذكر خواجه عبد الله الإمامي الأصفهاني ، وخواجه حسن العطار في غير موضع فارجع هناك تجد البغية .

وأمّا الصحبة بحسب الظاهر : فهي أن يلتزم المريد صحبة شيخه الذي أخذ عنه الطريقة دائماً ، برعاية الآداب الظاهرية والباطنية ، ونفي وجوده بأنّه لا شيء محض ، وليس عنده شيء من الكمالات ، من غير إلتفات إلى غيره من المشائخ ، معتقداً أنّه الباب الذي يدخل منه إلى عالم الحقيقة ، وأن غيره من الأبواب قد سدَّ دونه ، فينعكس ما في قلب شيخه على قلبه بجاذبة المحبة ، وتأخذ أنوار المشاهدة الإلهية في اللّمعان في قلبه .

وقد قال المشائخ : إن هذا الطريق أسهل وأشدُّ إيصالاً إلى المطلوب من بين الطرق الثلاثة ، ومر ذلك أيضاً في « الرشحات » : ولا بد من دوام الصحبة ، ودوامها بحسب الظاهر متعسِّر ، وأما بحسب الباطن ! فلا تنقطع أصلاً لمن راعاها .

وأما طريق الذكر : فهو أيضاً على نوعين : ١ ذكر اسم الذات ، و ٢ ذكر النفي والإثبات ، فذكر اسم الذات هو الاشتغال بذكر لفظة الجلالة (الله) من اللّطائف السبعة على الترتيب المعهود عندهم ، فأوّلها لطيفة القلب : وهي لطيفة ربَّانية مودعة في الجنب الأيسر مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، ونِسْبَتُهَا إلى القلب الجسماني الصنوبري الشكل ؛ الموجود في جميع الحيوانات نسبة الصبي إلى المهد ، وتلك اللّطيفة هي حقيقة الإنسان عند الأكثر ، وتسمّى حقيقة جامعة ، وتسمّيها الحكماء بالنفس النّاطقة ، ويسمّيها بعضهم لطيفة إنسانية .

وكيفية الاشتغال بالذكر منها : أن يخلِّي القلب عن الخواطر وحديث النفس ، بل عن جميع ما سوى الله تعالى بقدر الإمكان بعد تقديم الرّابطة ، ويقول بلسان الخيال من هذا المحل : الله ، الله ، ملاحظاً مفهومه بأنّه ذات موصوفة بجميع صفات الكمال ، ومنزَّهة عن سمة النّقصان والزّوال ، كما آمنا به وصدقناه ، من غير أن يتصور صورة قلبه وبلا حبس نفسه ؛ بل يترك نفسه على حاله ، ولا يلاحظ صفة من صفاته سبحانه وتعالى لئلا ينزل عن ذروة الذات إلى وادي الصّفات ، فإنَّ مطمح نظر هذه الطائفة العلية ، هو أحدية الذات دون الأسماء والصفات ، بخلاف سائر الطرق ، ولا يحرِّك رأسه وسائر أعضائه باختياره ، ولا بد من توجُّه السالك إلى قلبه بكليته ، وبقلبه إلى الله تعالى في جميع أنوار الذكر ، فإن حصول النسبة بدون هذين الأمرين محال ، ويقال لهذا : الوقوف القلب ، كما مرَّ في أول المقالة ، ولا بدَّ أيضاً من حفظ القلب من هجوم الخطرات إليه ، ويقال لذلك نكهداشت كما مرّ .

وأما العزلة عن الناس : فليس ذلك بشرط في الطّريقة النقشبندية إلا عن الأغيار ، فهو من أهم المهمَات بإجماع المشائخ كما مرّ آنفاً ، ولا

يشترط أيضاً غضُّ البصر ، مع ذلك لو فعل هذين الأمرين يكون حسناً ، فإنهما أجمع للهمِّ وأنفى للخواطر ، وقد ورد بهذين آثار كثيرة عن كبراء هذه الطائفة ، وليس هذا موضع إيرادها ، ولا يقال : إن بناء طريقة هؤلاء الأكابر على الخلوة في الجلوة لأن تلك الجلوة ليست مع كلّ أحد بل مع المرشد وَالإخوانِ .

وأما القعود في الأربعينيات فليس هو من مختارات مشائخنا الكرام من لدن شيخ شيوخ العالم ، الخواجه عبد الخالق الغجدواني ، إلى هذه الأيام ، وإنما اعتناؤهم بالصحبة برعاية شروطها ، ففي اختيار الأربعين تفويت هذه الصحبة التي هي سنة النبي ﷺ من غير نكير .

قال الإمام الرباني قدّس سرّه السّامي في بعض مكاتيبه : إنّه لما كان بناء الطريقة النقشبندية على اتِّباع السنة اختاروا الصحبة لكونها سنة ، واجتنبوا الأربعينات لعدم كونها في الصّدر الأوّل ، فكلّ صحبة عند هؤلاء الطائفة تعدل أربعيناً ، وقد اختار الأربعين من كبار متأخّري النقشبنديين مولانا خالد الشهرزوري قدّس سرّه لشيء بدا له ، ومشى أتباعه على ذلك ، ولا يعترض عليه إلا مَن تعرض لحتفه ، فإنه مولانا خالد فيشتغل السالك بكمال الجِدِّ وتمام الاجتهاد بعد سدِّ مجاري الوسواس والخطرات أعني الحواس الخمس الظاهرة بحفر حوض قلبه بمعول ذكر اسم الذات ، وتطهيره من الأنجاس والأدناس ، لينبع من أطرافه ينابيع الحكمة والحقائق الإلهيّة والمعارف اليقينيّة ، صافيةً عن كدورات الوساوس الشيطانية والخطرات النفسانية ، فإن استصعب عليه شيء ممّا تصلَّب في قعره وتحجّر فيشتكي إلى شيخه ومرشده ، كما فعل سلمان الفارسي رضي الله عنه رئيس هذه السلسلة وقت حفر الخندق ، فإن الشيخ يدفعه بمعول توجُّهه فعسى أن تلمع من تحت معوله برقة يشاهد السالك بها قصور صنعاء عالم الأرواح وحدائق شام عالم الحقيقة ، وما ذلك على الله بعزيز ، ويداوم على الذكر على هذا الوجه إلى أن تجري لطيفة قلبه بالذكر ، بمعنى أنه متى توجّه إلى قلبه تجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنه تحصل له الحركة ، فإن ذلك ليس بلازم ولا مستحيل الحصول .

والعمدة في كل الأذكار هي الوقوف القلبيّ ، وتعيين العدد ليس بشرط ، فإن ذلك لم يرد من المتقدِّمين كما عرفت ، بل اللازم استغراق الأوقات بالذكر والمداومة عليها آناء الليل والنهار .

مطلب

ولكن لما رأى مشائخنا المتأخّرون تقاعد الهمم وتكاسل المريدين عن المداومة تداركوا ذلك بتعيين العدد ، واختلفوا في مقداره ، فمنهم مَنْ كلَّف بالكثير من غير فرق بين مستعدّ وغيره ، ومنهم مَن تمسَّك بقول النبي ﷺ على ما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَنْ يُنْجِي أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغدوا وروحوا وشيء من الدلجة ، والقصدَ القصدَ تَبْلغوا » .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : سدّدوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدَكم عملُه الجنة ، وأنّ أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » .

وعنها أيضاً : سألت رسول الله ﷺ : « أيّ الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : أدومها وإن قلّ » ، وقال : « كلفوا من الأعمال ما تطيقون » .

وعنها أيضاً عن النبي ﷺ : « سدّدوا وأبشروا » ، وهذا اختيار مشائخنا قدّس الله تعالى أسرارهم فإنهم كانوا يعاملون مع كلّ واحد من الطالبين على حسب استعدادهم ، كما مرّ في تراجمهم ، ولكن لا ينبغي أن ينقص من خمسة آلاف في الملويْن من كلّ لطيفة ، وينبغي أن يزيد شيئاً فشيئاً بالتدريج ، وذلك مع مصاحبة حضور قلب ، وبدونها لا فائدة للذّكر معتدّ بها غير ثواب الآخرة ، وهو نصيب الأبرار ، ونظر هذه الطائفة ليس في غير الحقّ سبحانه ، ورضائه ، ورجآء الثّواب عندهم يُعدُّ من الذنوب ولهذا قيل : حسنات الأبرار سيّئات المقربين .

وينبغي أن يقول بعد مائة أو مائتي مرة من كلّ ذكر بلسان الخيال بغاية التواضع والتضرع والانكسار والاستحياء والانفعال : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، أعطني محبّتك ومعرفتك .

مطلب

ولينظر هل هو صادق في هذا الكلام أم لا ؟ وليجتهد أن يكون متَّصفاً بمفهومه في الواقع ، ويتضرع إلى الله تعالى دائماً ، ولا يفارق التضرُّع أبداً ، وليكن وقت اشتغاله بالذكر فارغ القلب من جميع الأشغال والتفرقة والأهوال ، خصوصاً في حضور المرشد .

فإذا حصل للقلب نسبة الحضور مع الله تعالى ، وجرى بالذكر على ما مرّ ، فليشتغل من لطيفة الروح على هذا المنوال بأمر شيخه وتلقينه .

ولا يسأل ذلك عن شيخه بل ينتظر أمره فإنه أعلم بحاله منه .

وهي لطيفة مودعة في الجانب الأيمن ، مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، وهي في مقابلة لطيفة القلب .

ثم بعد تمام أمرها يشتغل من لطيفة السرّ على المنوال السابق بأمر شيخه ، وهي لطيفة مودعة في جنب الثدي الأيسر مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة إصبعين .

ثم يشتغل من لطيفة الخفيّ ، وهي لطيفة مودعة في جانب الثدي الأيمن مائلة منه إلى وسط الصّدر كذلك بفاصلة إصبعين .

ثم من لطيفة الأخفى وهي لطيفة مودعة في وسط الصدر .

ثم من لطيفة النفس وهي لطيفة مودعة من وسط الجبهة .

ثم من لطيفة القالب ومحلّها تمام البدن حتى يجري الذكر من كل منبت شعرة ، ويقال له : سلطان الأذكار .

وإنّ خمسة من هذه اللطائف السبعة عند هذه الطّائفة من عالم الأمر أعني : لطيفة القلب والروح والسرّ والخفي والأخفى ، (والخمسة) الباقية أعني : النّفس والقالب الذي هو مشتمل على لطائف العناصر الأربعة من عالم الخلق .

ولكلّ لطيفة من لطائف عالم الأمر أصل فوق العرش متعلّق باللاّمكان ، وحصل لتلك اللّطائف نسيان وذهول عن أصولها بسبب العلائق الجسمانية ، والعوائق الدنياويّة والحظوظات النفسانيّة ، فاحتيج لتذكير أصُولها إلى شيخ كامل مكمَّل ، وذكر كثير حتى يحصل لها ميل إلى أصولها وتنجذب بالجذبات الإلهية ، فتصل إلى أصولها ، ثم إلى أصول أصولها ، ثم وثم إلى أن تصل إلى الذات البحت من غير احتجاب بالصّفات والشّؤونات ، ويقال له : التجليّات الذاتية ، فيحصل له الفناء الأتمُّ والبقاء الأكمل ، وأمَّا قبل وصولها إلى أصولها لا تحصل لها الفناء .

فأصل القلب : الأفعال الإلهيّة ، فيكون فناؤه من التجلّي الأفعاليّ ، وعلامة فنائه اختفاء أفعال السالك وأفعال جميع المخلوقات عن نظره ، وعدم رؤيته غير فعل فاعل حقيقي ، ويقال للولاية القلبية ولاية آدم عليه السلام ، ويقال للسالك الواصل من هذه الولاية آدميّ المشرب .

وأصل الرّوح : الصّفات الثبوتيّة ، ففناؤه في التجلي الصفاتي الثبوتية ، وعلامة هذا التجلّي اختفاء صفات السالك ، وصفات جميع الممكنات عن نظره ورؤيته إيّاها مسلوبة عن الممكنات ومنسوبة إلى الحق سبحانه ؛ ويقال لولاية الروح : ولاية نوح ، وولاية إبراهيم عليهما السلام ؛ ويقال للسالك الداخل من تلك الولاية : إبراهيميّ المشرب .

وأصل السرّ : الشؤونات الذّاتية ، ففناؤه في التجلّي الشؤوني الذاتية وعلامته وجدان السالك ذاته مستهلكاً في ذاته تعالى ، ويقال لولاية السرّ : ولاية موسى عليه السلام ، وللسالك الواصل منها ؛ موسويّ المشرب .

وأصل الخفي : الصفات السلبية ، ففناؤه في التجلّي الصفات السّلبيّة ، وعلامته مشاهدة السالك تفرّده تعالى وتجرّده عن جميع العالم وما يناسبه ، ويقال لولاية الخفي : ولاية عيسى عليه السلام وللسّالك الواصل منها : عيسويّ المشرب .

وأصل الأخفى الشأن الجامع ، ففناؤه في التجلّي الشأني الجامع ، وعلامته حصول التخلّق بأخلاق الله تعالى للسالك ، ويقال لولاية

الأخفى : الولاية المحمدية ، وللسّالك الواصل منها : محمّدي المشرب فاحفظ ذلك فإنه كثيراً ما يقع في كلام هذه الطائفة : الولاية الآدمية والولاية الإبراهيمية وغيرها ، فمن لم يعرف هذا لم يعرف ذلك .

وربّما يراقبون بملاحظة أصول هذه اللّطائف بأن يجعل قلبه في مقابلة قلب نبينا محمد ﷺ ، ثم يعرض على الحق سبحانه بالخيال أنْ أفِض عليّ من فيض التجلّي الأفعالي الذي وصل من قلب سيدنا محمد ﷺ إلى قلب آدم عليه السلام ، ويقول في الروح : أفض عليّ من فيض التجلّيات الصفات الثبوتية الذي وصل من روح نبيّنا محمد ﷺ إلى روح سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام ؛ جاعلاً روحه في مقابلة روح سيدنا محمد ﷺ ، وهكذا في البواقي ، ويجعل في تلك المراقبة لطائف المشائخ كالمنظرة . ولكل لطيفة من لطائف عالم الأمر نور على حدة ، ربما يظهر في أثناء السّلوك لمن له كشفٌ ، فنور القلب أصفر ، والروح أحمر ، والسرّ أبيض ، والخفي أسود ، والأخفى أخضر ، ونور النفس بعد التزكية يظهر بلا كيف ولون .

وأصل كلّ ليطفة من لطائف عالم الخلق أصلٌ لطيفة من لطائف عالم الأمر ، فأصل النفس أصل القلب ، وأصل الهواء أصل الروح ، وأصل الماء أصل السرّ ، وأصل النار أصل الخفي ، وأصل التراب أصل الأخفى .

وأمّا النفي والإثبات فقد مرّ تفصيله مستوفى مع شروطه فلا نعيده هنا ، لكن لا يشتغل به إلا بعد دخوله في المراقبة .

وأما طريق المراقبة : وهي في اللّغة بمعنى الانتظار ، وفي اصطلاح هذه الطائفة : حفظ القلب عن الخواطر ، وانتظار الفيض الإلهي من غير ذكر ورابطة مرشد ، واستدامة علم السّالك باطّلاع الرب عليه في جميع أحواله ، ويدلّ على ذلك آيات من القرآن كقوله تعالى ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ وقوله تعالى :﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ ﴾ وقوله

تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وأمثال ذلك كثيرة وردت في القرآن لتعليم الله تعالى عباده أنه حاضرٌ معهم ، وناظرٌ إليهم ، لا تخفى عليه خافية ، فمن لاحظ ذلك في جميع أوقاته يحصل له حضور عظيم البتة ، ومَنْ لم يلاحظ بل لاكها بين لحييه لا يحصل له شيء غير الخسارة ، قال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ .

وعلامة الإيمان بالشيء : الجريان والعمل بموجبه ، وترك الجريان والعمل بموجبه من علامة الظلم بالكفر به ، فيستحق الخسارة كل الخسارة ، ومن الظالمين مَن يسمّيها صمتاً كاذباً من غاية جهالته ونهاية غوايته ، ويدلُّ عليها أحاديث كثيرة منها ما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وعن النبي ﷺ أنه قال : « فكر ساعة خيرٌ من عبادة سبعين سنة » أخرجه أبو الشيخ . كذا في « الجامع الصغير » .

وعنه ﷺ : « إنَّ لله في أيام دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلاَ فَتَعَرَّضُوا لَهَا » .

وانتظار الفيض من الله تعالى هو عيْن التعرّض لنفحات الله تعالى ، فمن لم ينتظر لا نصيب له منها ، كمن دخل تحت السقف والجدار وقت نزول الأمطار ؛ ونسبة فيض رحمة الله تعالى متساوية للكلّ ولكن النقصان من القابل . نسأل الله سبحانه وتعالى كمال القابلية .

فأوّل : مراقبة في الطّريقة النّقشبنديّة هي : مراقبة الأحدية ، وهي ملاحظة ورود الفيض من الذّات الأحد الموصوفة بجميع صفات الكمال ، المنزّهة عن جميع النّقائص والزّوال ، على لطيفة القلب بواسطة الشيخ ، وفيها يحصل الحضور مع الله تعالى ، والغفلة والذّهول عما سواه

سبحانه وتعالى ، فإن امتدّ الحضور إلى ساعتين فهو علامة لقطع تمام دائرة الإمكان التي هي أول دوائر تنكشف للسالك حين سلوكه إن كان له كشف عيانيّ ، فكلّما قطع شيئاً من الدائرة تظهر للسالك بالنورانية والتشعشع على قدره ، والّذي لم يقطع بعد يرى مظلماً بلا نور كطرف الشمس حين الكسوف ، فإن قطع كلها تظهر له تمامها كقرص الشمس ، وإن لم يكن له كشف فعلامة قطع تمامها حصول الحضور على ما قلنا ؛ وبعضهم جعل رؤية الأنوار علامة لقطع تمامها ، ونصف دائرة الإمكان هذه من مركز الأرض إلى محْدب العرش ، ونصفها الباقي فوق العرش حيث لا خلاء ولا ملاء ، وهو المراد من قولهم اللاّمكان وهذه صورتها : ١ وانكساف مقامات القرب لأهل الكشف في صورة الدائرة إنما هو لعدم اتصافها بالجهة ، وإلا فأين الدائرة هناك ؟

والثانية : مراقبة المعيّة على وفق قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بأن يلاحظ ورود الفيض من الذّات التي هي معه ومع كل ذرّة من ذرّات العالم بلا كيفيّة على لطيفة القلب أيضاً ، وفي هذا المقام يوجب التّرقي للسّالك التهليل اللسانيّ مع رعاية الوقوف القلبي وملاحظة المعنى ، بأن يلاحظ وقت النفي نفي وجوده ووجود جميع ما سوى الله تعالى ، أو ما يراد نفيه بخصوصه ، ووقت الإثبات ؛ إثبات الحق تعالى على ما مرّ في النفي والإثبات . ويستعمل هذه المراقبة في الولاية الصّغرى التي هي ولاية الأولياء ، ومورد الفيض فيها لطيفة القلب ؛ وتنكشف لأهل الكشف هنا دائرة ثانية يقال لها : دائرة الأسماء والصفات ، ودائرة الولاية الصغرى وهذه صورتها : ٢ والسّير هنا يقع في تجليات الأفعال الإلهية ، ويحصل أيضاً في هذا المقام التوحيد الوجوديّ ، والذوق والشوق والتأوه والصيحات ، والاستغراق والغيبة ، ودوام الحضور ، ونسيان السوى الذي هو عبارة عن فناء القلب ، وفي هذا المقام علامة من جميع المقامات الفوقانية بطريق الظليّة ؛ فإذا قطع السالك هذه الدائرة بعناية الله سبحانه ،

وتوجّه المرشد وجذبه وحصل له الحضور التام ، يشرع في تزكية النفس التي محلّها وسط الجبهة ، ويضع قدمه بعون الله تعالى في دائرة الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء عليهم السلام ، وهي دائرة كبيرة مشتملة على ثلاث دوائر صغيرة وقوس ٣

الأولى : دائرة الأقربية التي أشير إليها بقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ فيلاحظ فيها ورود الفيض من ذات الحق سبحانه باعتبار كونها أقرب إليه من حبل الوريد ، ومنشأ للدائرة الأولى من الدائرة الكبرى على لطيفة النفس وسائر اللّطائف الخمس بواسطة ، والمداومة على تكرار التهليل باللّسان والخيال برعاية شروطه تورث الترقّي في هذا المقام ، وهنا يحصل الحضور ودوام التوجّه إلى الله تعالى سبحانه ، والعروج والنزول والجذبات مثل مقام القلب ، بل يحصل الانجذاب هنا لجميع البدن بالتدريج ؛ وأحوال هذا المقام ليس فيها كيفيّات أحوال مقام القلب وذوقها ، ولكن إذا حصلت قوة لنسبة لطيفة النفس تكون أحوال القلب منسية بالكلية ، وإلى هذا تنتهي الطريقة النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية .

ومن بعد هذا ما يدق بيانه   وما كتمه أحظى لدَيّ وأجمل

مطلب

وما فوق ذلك من المقامات ، فممّا اختصّ به الإمام الربّاني ، ويقال لمن سلكه مجدِّديًّا ، وقد قطع جميع المقامات المجددية أولادُه وأحفادُه وخلفاؤُه وخلفاء خلفائه إلى يومنا هذا ، وتحقّقوا بأحوالها كلّها ، لكن بعد جهد بليغ ، واجتهاد كثير ، ورياضة شاقّة ، ومجاهدة شديدة ، وترك مقتضيات النّفس والطّبيعة ، وبذل الرّوح والمهج في أزمنة طويلة كما وقفت عليها في تراجمهم ، والآن قد تقاعست الأمم ، وتقاعدت الهمم ، وصار السّالكون بحيث لو وجد فيهم من يتم سلوك الطّريقة النقشبنديّة

على وجه التفصيل فهو غاية الغنيمة ، وانحصرت همّتم في أخذ التوجّه إلى آخر المقامات المجدّدية ، ويزعمون أنّ ذلك هو السير والسّلوك ، هيهات هيهات ! أين الثرى من السماك الأعزل ؟

فلا جرم لا يحصل لهم غير العجب والغرور والأنانية ، لهذا اقتصر أكثر مشائخ ما وراء النهر على طريقة النقشبنديّة القديمة من منذ أزمان ، أعني زمان الشيخ موسى خان الدهبيدي خليفة الشيخ عابد السّنامي وأخي مولانا مرزا جانجانان في الطريقة قائلين أنه لا مصلحة من الزيادة على ذلك ، وقد أردت أن أكتفي ببيان هذا القدر قائلاً :

ويكفيك من ذاك المسـمّى إشـارة فـدعـه مـصُـونـاً بالجمال محجّبا

ولكن لمّا ورد الأمر من سيدي ببيان جميعها مكرراً لم أجد بدًّا من الامتثال ، وبيانها على الإجمال بالضرورة فأقول مستعيناً بالله سبحانه :

والثانية من دوائر الولاية الكبرى دائرة المحبة التي أشير إليها بقوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ فيراقب فيها ورود فيض من ذات الحق سبحانه من حيثية كونها محبّة له ، وكونه محبًّا لها ، وباعتبار كونها منشأ للدائرة الثانية من الولاية الكبرى التي هي أصل الدّائرة الأولى منها على لطيفة النّفس فقط .

والثالثة : أيضاً دائرة المحبة ومراقبتها مثل مراقبة الثانية إلا أنه يبدل هنا قوله للدائرة الثانية إلخ بقوله للدائرة الثالثة منها التي هي أصل الدائرة الثانية منها على لطيفة النفس .

والقوس هو أيضاً قوس المحبة ، فيفعل فيه ما فعل فيما قبله ، بتبديل قوله للدائرة الثالثة إلخ بقوله للقوس الذي هو أصل الدائرة الثالثة منها ، وهذه الأصول الثلاثة المذكورة اعتبارات في حضرة الذات ومباد للصفات والشؤونات ، ويحصل في هذا المقام انشراح الصدر والصبر والشكر والرضا والتسليم ، ويرتفع الاعتراض على قضاء الحق سبحانه وقدره ، وتصير الاستدلاليات بديهيات بحيث لا يبقى الاحتياج إلى الدليل

في قبول التكليفات الشرعية ، ويحصل أيضاً الاستهلاك والاضمحلال ، والتوحيد الشهودي وانتفاء الأنانية ، لحصول اليقين بكون الوجود وتوابعه منسوباً إليه تعالى ، بحيث لا يقدر على إطلاق أنا على نفسه ، وغير ذلك من ارتفاع الرذائل وحصول الخصال الحميدة .

وبتمام قطع دائرة الولاية الكبرى يتم السير في الاسم الظاهر ، فيقع السير والسلوك بعد ذلك في الاسم الباطن ، ويضع السالك قدمه بعنايته تعالى في دائرة الولاية العليا التي هي ولاية الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام .

٤ ويشرع هنا في تزكية العناصر الثلاثة التي هي أجزاء هيكله الجسماني سوى عنصر التراب ، وتكرار التهليل والمداومةُ على صلاة النوافل يورث الترقي في هذا المقام ، وهنا يحصل التوجُّه والحضور والعروج ، والنزول للعناصر الثلاثة المذكورة ، وتحصل للباطن وسعة عجيبة ، وتحصل المناسبة أيضاً بالملأ الأعلى ، بل ربما تظهر الملائكة الكرام وتدرك أسراراً لائقة بالإخفاء والستر ، قال الإمام الرباني قدس سره : ولما انتهى سيري إلى نهاية الولاية الكبرى توهَّم لي أن قد تمَّ الأمر ، فنوديت في سرِّي أن كل ذلك تفصيل الاسم الظاهر الذي هو أحد جناحي الطيران ، والاسم الباطن أمامك بعد ، ولما أتممت السير في الاسم الباطن تيسَّر جناحا الطّيران إلى عالم القدس ومحل الأنس ، فإذا حصل للسالك ذلك يقع سيره في كمالات النبوة .

٥ وهي عبارة عن دوام التجلي الذاتي من غير حجب الأسماء والصفات ، فيراقب هنا ورود فيض من ذات الحق سبحانه البحث باعتبار كونها منشأ لكمالات النبوة على لطيفة عناصر التراب فقط ، وفي هذا المقام العالي قطع مسافة نقطة أفضل ، وأولى من قطع جميع مقامات الولاية ، وهنا يحصل الحضور بلا جهة ، ونزول أمثال الاضطراب في الطلب والانتظار والوجد ، ولا مجال هنا للحال والمقامات والمعرفة ، فإن من لوازم هذا المقام نكارة نسبة الباطن وجهالتها ، والوجدانُ والإدراكُ من علامة عدم الوصول ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ شاهد عدل لهذه الأسرار ، ويحصل هنا

أيضاً صفاء الوقت وحقيقة الاطمئنان ، وكمال الوسعة في نسبة الباطن ، ومعنى التجلي الذاتي بلا حجب الأسماء والصفات ليس هو ظهور الذات تعالت وتقدست ؛ هيهات ! فإنّ معنى التجلي ظهور شيء في مرتبة ثانية أو ثالثة أو رابعة إلى ما لا نهاية ، بل هذا مبني على اصطلاحات الإمام الرباني قدس سره من أنّ فوق الأسماء والصفات شؤونات واعتبارات . كما بيَّنه في مكاتيبه ، ويشير إليه قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ وقوله ﷺ : « إن لله سبعين ألف حجاب » الحديث ، وما قال القائل :

تبارك الله وارت ذاته حجب فليس يعلم غير الله ما الله

صادقٌ في هذا المقام .

فإذا قطع ذلك يقع سيره في كمالات الرّسالة .

٦ فيراقب هنا ورود فيض من ذات الحق سبحانه البحت باعتبار كونها منشأ لكمالات الرسالة ، ومورد الفيض من هنا إلى آخر المقامات الهيئة الوحدانية التي تقدَّرت وثبتت بعد تزكية اللّطائف العشرة وتصفيتها ، وفوق ما تقدم ، وتلاوةُ القرآن المجيد ، والصلاة بطول القنوت تورث الترقي في الكمالات الثلاثة وما فوقها إلى آخر المقامات ، ثم تقع في كمالات أولي العزم .

٧ فيراقب ورود فيض من ذات الحق سبحانه من حيثية كونها منشأ لكمالات أولي العزم على الهيئة الوحدانية ، ويشرع في الأذكار والأوراد المأثورة المستعملة صباحاً ومساءً من هذه المقامات ، وتورث فائدة عظيمة ، لا ينبغي أن تكون تلاوة القرآن انقص من ثلاثة أجزاء ، وكلما كانت أزيد كانت أنفع وأولى ، ثم مراقبة حقيقة الكعبة الربانية التي هي عبارة عن ظهور سرادقات عَظَمة الذات الإلهية وكبريائها .

٨ فيلاحظ ورود فيض من ذات الحق سبحانه باعتبار كونها مسجودة لجميع المكوّنات ، ومنشأ لحقيقة الكعبة ، وهنا تكون عظمة الحقّ وكبرياؤه تعالى مشهودة ، وتستولي الهيبة على باطن السّالك ، فإذا

حصل الفناء في هذه المرتبة المقدسة والبقاء بها يجد السالك نفسه متصفاً بهذا الشأن ، ويترتم لسان حاله بأفصح تبيان .

وكلّ الجهات الستِّ نحوي توجَّهَت   بمـا ثـمَّ مِـن نُـسـك وحجٍّ وعمرة

ثم مراقبة حقيقة القرآن المجيد ٩ بأن يلاحظ ورود فيض من ذات الحق سبحانه المقدسة ، والمنزَّهة عن الكيف ، باعتبار كونها منشأ لحقيقة القرآن المجيد ، وتظهر هنا بواطن كلام الله تعالى ، ويجد السّالك كل حرف من حروف الكلام المجيد موصلاً إلى المقصود ، ويكون لسان القارئ وقت قراءة القرآن كالشجرة الموسَوِيَّة ، وعلامة انكشاف أنوار القرآن المجيد عروض الثقل لباطن السالك ، وكان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ إشارة إلى هذا .

ثم مراقبة حقيقة الصلاة : ١٠ بأن يلاحظ ورود فيض من كمال وسعة الذّات المنزَّهة عن الكيف المنشأ لحقيقة الصّلاة على الهيئة الوحدانية ، ويضيق نطاق البيان عن وصف علوّ هذا المقام .

ثم مراقبة المعبودية الصرفة التي هي أصل الكل وملاذ الجميع ١١ ولا مجال هنا للوسعة أيضاً ، إلى هنا ينتهي السير المقدس ، ولكن لا منع للسير النظري ، فيراقب هنا ورود فيض من الذّات المعبوديّة الصّرفة ، وهنا تتحقق حقيقة الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) ، ونفي عبادة الآلهة الباطلة ، وإثبات المعبود الحقيقي الذي لا مستحق للعبادة سِواه ، ويظهر هنا كمال الامتياز بين العابديّة والمعبوديّة ، والترقي في هذه المرتبة المقدسة موقوف على المواظبة على الصلاة التي هي وظيفة المنتهين ، وإلى هنا ينتهي السير في الحقائق الإلهية ، والترقي فيها إنما يكون بالتفضُّل الإلهي ، وبعده يقع السّير في حقائق الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، والترقي فيها منوط بمحبّة سيّد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

مطلب

اعلم كما أنَّ الحق سبحانه يحبُّ ذاته كذلك يحبُّ أسماءه وصفاته ، وكل واحد من هذه المحبّة لها اعتباران : المحبيّة يعني المصدر المبنيّ للفاعل ، والمحبوبيّة يعني المصدر المبني للمفعول .

وظهور كمالات المحبيّة والمحبوبيّة الذاتِيَتَيْن إنما هو في الحبيب الأكرم ﷺ .

وظهور كمالات المحبية الذاتية في كليم الله عليه السلام ، وظهور كمالات المحبوبية الصّفاتية والأسمائية في خليل الله على نبينا وعليهما الصلاة والسلام .

فيكون أوَّل شروع سير السالك في الكمالات الصفاتية والحقيقة الإبراهميَّة التي مقام الخلة كناية عنها ١٢ فيراقب هنا ورود فيض من ذات الحق سبحانه باعتبار كونها منشأ للحقيقة الإبراهيميّة ، والإكثار من الصلوات المعهودة المستعملة بعد التشهُّد يورث الترقي في هذا المقام ، ويحصل هنا الأنس الخاص بالله تعالى ، ثم يقع السالك في الحقيقة الموسويّة التي هي كناية عن المحبية الصرفة ، فيراقب هنا ورود فيض من ذات الحق سبحانه باعتبار أنها محبية لنفسها ومنشأ للحقيقة الموسوية على الهيئة الوحدانية ١٣ ومن لوازم هذا المقام ظهور الدّلال ، والاستغناء مع وجود المحبيّة الذّاتية كما صدر عن موسى عليه السلام ، إن هي إلاّ فتنتك ، والإكثار من هذه الصّلوات ، (اللهم صلي على محمد وآله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين خصوصاً على كليمك موسى) يورث الترقي في هذا المقام وفوق هذا المقام ، مرتبة حقيقة الحقائق التي هي عبارة عن الحقيقة المحمّدية ١٤ فيراقب ورود فيض من ذات الحق سبحانه باعتبار كونها محبّة محمَّدية لذاتها ومنشاءً للحقيقة المحمّدية ، وإنما قيل للحقيقة المحمدية حقيقة الحقائق ، لأن سائر الحقائق سواء كانت حقائق الأنبياء الكرام أو الملائكة العظام كالظلّ لتلك الحقيقة ، ثم الحقيقة الأحمديّة ١٥ فيراقب ورود فيض من ذات الحق سبحانه

باعتبار كونها محبوبة لنفسها ومنشاءً للحقيقة الأحمدية ، والإكثار هنا من (اللهم صلّ على سيدنا محمّد وأصحاب سيدنا محمد أفضل صلواتك وعدد معلوماتك ، وبارك وسلم) كذلك يورث الترقي في هذا المقام ، وبعد طيّ مقام الحقيقة الأحمدية يقع السير في مرتبة الحبّ الصّرف الذي هو أوّل ما ظهر من غيب الذات المطلق ، والمنشأ لظهور الخلق وإيجاد المكوِّنات ، كما يشير إليه في الحديث القدسي « كنت كنزاً خفياً فأحببت أن أعرَف فخلقت الخلق لأُعرف » ١٦ فيراقب هنا ورود فيض من ذات الحق سبحانه باعتبار كونها منشأ للحبّ الصّرف ، هذه المرتبة هي الحقيقة المحمدية في التحقيق ، وما تقدم فإنما هو ظلها ، وفي قول : لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولاك لما أظهرت الربوبيّة ، رمز إلى هذا .

نهايات المقامات المجدّديّة

وبعد ذلك مرتبة اللاتعيّن وحضرة الإطلاق ١٧ فيراقب هنا ورود فيض من حضرة الذات المنزهة المقدسة عن جميع التعيُّنات ، ويقال لهذه المرتبة غيب الهُويّة ، وغيب المطلق ، وابطن البُطون وهي مرتبة استهلاك جميع النّسب والاعتبارات والشؤونات .

وهذا هو نهاية المقامات المجدّدية المعمولة في طريقة مشائخنا ، وهنا مقامات أخرى مثل دائرة السّيف القاطع الواقعة حذاء دائرة الولاية الكبرى ، ودائرة القيومية الناشئة من كمالات أولي العزم المختصّة بالقيُّوم ، ودائرة حقيقة الصّوم الواقعة حذاء حقيقة القرآن لكنّها غير مشهورة وغير معمولة في طريق مشائخنا الكرام ، ولهذا ضربنا عن ذكرها صفحاً .

واعلم أنّه قد كثر السؤال بين الإخوان عن معنى المنشأ وعن حقائق الأنبياء ، أنّها قديمة أو حادثة ، ممكنة أو واجبة .

وجواب الأوّل : إن المنشأ اسم مكان من نشأ بمعنى مكان الظهور والطلوع والصدور ، وكثيراً ما يستعمل في معنى العلّة والسبب والباعث

لظهور شيء ووجوده ، كما يقال : منشأ هذا الأمر كذا ، بمعنى سبب ظهوره وعلته والباعث عليه .

وجواب الثاني : قال الإمام الربّاني في المكتوب الحادي والعشرين من الجلد الثالث : فإن قيل : إنّ هذا التعيُّن الحبّي الذي هو التعيُّن الأوّل والحقيقة المحمدية هل هو ممكن ، أو واجب ، حادث ، أو قديم ؟ !

قلت : إنَّ ذلك التعيّن تعيُّن إمكانيّ ومخلوق حادث ، قال عليه الصلاة والسلام : « أوّل ما خلق الله نوري » وكما هو مخلوق ومسبوق بالعدم فهو ممكن ، وكلّ ممكن حادث ، فإذا كانت حقيقة الحقائق ممكنة حادثة ، تكون سائر الحقائق ممكنة وحادثة بالطريق الأولى . انتهى منتخباً . كيف لا ؟ وقد قال الشريف العلامة في « شرح المواقف » بعد بسط الكلام في الماهية التي مرادف الحقيقة : فالمجعولة بمعنى الاحتياج إلى الفاعل من لوازم الماهية الممكنة مطلقاً ، فإنها أينما وجدت كانت متصفة بهذا الاحتياج . انتهى . وكل ما هو محتاج مجعول ممكن حادث .

وأمّا على مذهب الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر فماهِيَّات الممكنات عبارة عن الصور العلمية ، ويقال لها الأعيان الثانية ، يعني في علم الواجب لا في الخارج ، فإنها ما شمَّت رائحة الوجود عنده ، فلا تكون مجعولة ، لأن كل مجعول موجود ، وما ليس له وجود كيف يكون مجعولاً ؟ ! وكيف يكون واجباً قديماً ؟ ! فحقائق الممكنات لها ثبوت في علم الله تعالى ، لا وجود ! كذا قال العارف الجامي في « شرح اللمعات » وها هنا مزلّة الأقدام بتوهم تفضيل الإمام الربّاني وأتباعه الذين بلغوا نهاية المقامات المجدّدية على مشائخهم العظام ، مثل الخواجه بهاء الدين النّقشبند ، لأنّا قلنا : إن نهاية الطريقة النقشبندية هي مراقبة الأقربية ، وما فوقها مجدّدية ، ولا شك أن صاحب المقام الفوقاني أفضل من صاحب التحتانيّ .

ودفعها منع عدم وصولهم إلى آخر المقامات المذكورة ، غاية ما في الباب أنهم ما قطعوها على التفصيل ، ولا يلزم من ذلك عدم حصولها تدريجاً ، كيف لا ؟ وقد قال الشيخ موسى خان الدهبيدي قدّس سرّه : وهذا القدر إجمال جميع المقامات ، فإن وجدت الاستقامة بعد تكميله يخرج هذا الإجمال إلى التفصيل ، وهذا بعينه مثل قول الإمام الرباني قدس سره :

مطلب

وفي هذا المقام - يعني الولاية الصغرى - علامة من جميع المقامات الفوقانية بطريق الظلية .

قال مولانا ميرزا جان جانان قدس سره على ما نقل عنه مولانا الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره في مقاماته : لا ينبغي أن يعتقد مساواة الإمام الرباني أكابر المشائخ أو أفضليته عليهم بسبب بيانه للطّريقة الجديدة ، وكثرة تحريره لمقامات طريقته وكمالاتها ، وكثرة إرشاده بحيث قد زاد مَنْ وصل إلى تلك المقامات وفاز بالواردات من زبدة أصحابه على ألوف ، ولا شبهة في تلك المقامات أصلاً ، وبلغ ثبوتها حدّ التواتر بإقرار ألوف العلماء والعقلاء ، فإن هؤلاء الكبراء من مشائخه .

هل الإمام الرباني أفضل أم عبد القادر الجيلاني قدس سرهما ؟ !

وقال في بعض مكتوباته في جواب سائل سأله عن فضل الإمام الرباني على الغوث السبحاني الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سرهما ، وعن عكسه : إن الفضل على قسمين : جزئي وكلّي ؛ ومن الظاهر أنّ السؤال ليس من الفضل الجزئي ، ومناط الفضل الكلّي زيادة القرب الإلهي ، وذلك أمر باطني ، لا مدخل للعقل في مثل هذه الأمور ، والقدر الممكن سؤاله قلة المناقب وكثرتها ، ويمكن إدراك المطلوب بذلك ، لكن لا مجال للقطع ، والنقل عبارة عن الكتاب والسنّة وإجماع الأمة في القرن السابق ، ووجود هذين الشيخين متأخر من زمان ورود الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فالأصول الثلاثة الشرعية ساكتة عن هذا ،

والكشف محتمل للخطأ لا يكون حجة على المخالف ، وأقوال المريدين لا تخلو من غلوِّ المحبَّة لمشائخهم ، فهي ساقطة عن الاعتبار ، وليس في نظرنا صاحب كشف يحيط بكمالاتهما ويحكم جزماً بالفضل الكلّي لأحد الطرفين ، فالطريق الأسلم تفويض هذا الأمر إلى العلم الإلهي ، والسكوت عن هذا الفضول ، والإقرار بفضائلهما ، وعدم تحرك اللسان ملازماً للأدب ، فإن هذه المسألة ليست من ضروريات الدّين حتى يكون التكلم بها ضرورياً .

وقال أيضاً في جواب من سأل عن ذلك جواباً شافياً : إن كلاً منهما مرشدي وهاد إلى الطريق ، وغمامَي رحمة إلهيّة يمطران على الفقير ، ويكفي لإروائي أحدهما ، ولا أدري أنّ أياً منهما أقرب إلى السماء ؟ ! انتهى . وهذا الذي بيَّنَّاه هو من لوازم الطريقة ، بل هو نفسها لا بد من رعاية كله للسالك .

وأما هذه الختمات فالمرويُّ منها من قدماء أكابر النقشبندية هو ختم خواجكان ، وكانوا يستعملونه عند ظهور حادثة ووقوع بلية ، برعاية شروطه من عدم الزيادة على الأعداد المعيَّنة والنقص عنها ، ويصرفون همتهم لدفعها ، لأنهم كانوا يستعملونه في جميع الأوقات ، وإنما كان استعماله واستعمال غيره من الختمات على سبيل الدّوام عند مشائخنا المتأخرين ، ويمكن اختيارهم ذلك على الدوام لأمرين : أحدهما : كثرة الحادثات والبليَّة في زماننا بحيث لا يخلو منها وقت كما يحكم به المشاهدة ، والثاني : أنّ لكل مقام مقالاً ، ولكل ميدان رجالاً ، فإنهم لما رأوا عدم تأثر بعض الطالبين من طريق الخفية واحتظاظهم به اختاروا المداومة على تلك الختمات من أجلهم ، وذلك جائز ، بل مطلوب ! وليس بتغيير للطريقة .

وكيفيته : أن يقرأ أولاً سورة الفاتحة سبع مرات ، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة ، وألم نشرح لك تسعة وتسعين مرة ، والإخلاص ألفاً ثم الفاتحة سبعاً ، ثم الصّلاة مائة ، ويزاد في آخره هذه الكلمات السبع ،

مائة مرة ، يا قاضي الحاجات ، يا كافي المهمّات ، يا دافع البليَّات ، يا رافع الدرجات ، يا شافي الأمراض ، يا مجيب الدّعوات ، يا أرحم الراحمين ، ثم يهدي ثوابه إلى أرواح المشائخ ، خصوصاً الخواجكان ، أعني من الخواجه عبد الخالق إلى الخواجه بهاء الدّين النقشبندي قدس سرهم ، ويسأل حاجته يستجاب بإذن الله تعالى .

ثم ختم الإمام الربّاني قدّس سرّه وهو (لا حول ولا قوة إلا بالله) خمسمائة مرة ويزاد في رأس كل مائة (العليّ العظيم) و(الصلاة) في أوّله وآخره مائة مرة ، ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم محمد مظهر قدّس سرّه وهو : المعوذتين ، وبينهما الاستغفار بهذه الصيغ : (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) ثلثمائة وعشرين مرة ، ثم يهدي ثوابه إليه .

وهذه الختمات تستعمل عندنا في حلقة المغرب .

ثم ختم الغوث الجيلاني قدّس سرّه ، وهو (حسبنا الله ونعم الوكيل) خمسمائة مرة ، و(الصلاة) في أوّله وآخره (مائة مائة ، ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم الخواجه النقشبند قدّس سرّه وهو : (يا خفي الألطاف أدركني بلطفك الخفيّ) خمسمائة مرة و(الصلاة) أوّلاً وآخراً مائة مائة ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم محمد معصوم وهو : (لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين) خمسمائة مرة ، والصلاة أولاً وآخراً مائة مائة ، وهذه الختمات الثلاث تستعمل عندنا في حلقة الصبح .

وأمّا عدهم بالحصاة فإنما هو للتسهيل ، فإنه كلما يحضر شخص يعطونه عدداً معيناً من الحصاة فيستعمل بقدره ، بخلاف ما إذا استعملوه بسبحة ، فإنه كلّما يحضر واحد في أثناء الختم يحتاج حينئذ أن يقول لكل من الحاضرين أن استعملوا الآن هذا القدر ، وهذا كما ترى .

قلتُ لنا ختم الآن أي في أوائل القرن الرّابع عشر يسمّى ختم المحموديّ الأعظم لقطب زمانه وغوث أوانه شيخي وسيّدي سيّد السادات ومحطّ البركات جدّي الأقرب ، الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره العالي ، وهو أن يقرأ توبه نامه المشهور عندهم ، ثم الاستغفار (خمساً وعشرين مرة) ، ثم الفاتحة بـأعوذ ، ثم الإخلاص (ثلاثاً) بـأعوذ ، ثم يهب ثوابها لروح نبينا محمد ﷺ وأهله وأصحابه ، ثم إلى جميع أرواح المشائخ النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العليّة ، وخاصّة لخواجه بهاء الدين محمّد البخاري ، والإمام الربّاني ، والشيخ محمّد خالد السّليماني البغدادي ، والشيخ محمود أفندي الألمالي ، والشيخ شيخنا وروحنا الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي ، قدس الله أرواحهم ونوّر ضرائحهم ورزقنا الله من بركاتهم وفيوضاتهم ، وروحي وأرواح جميع آبائي وأقربائي وأولادي فداهم ، ثم الرابطة الكاملة بقدر ربع ساعة ، ثم الاستغفار (مائة مرة) .

مطلب مهم جداً لنا يا معشر الإخوان

ثم الصلاة على رسول الله ﷺ بهذه الصيغة : (صلوات[1] الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيدنا محمد ، وعلى آل سيّدنا محمّد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) ثم (لا إله إلا الله) مائة مرة ، ثم الصلاة المشهورة عشر أو خمس عشر ، ثم الآية الشريفة ، ولو قرأ من أواخر البقرة فهو المشهور ، ثم يدعو ، ثم يهب ثوابه لجميع المشائخ كما مرّ ، ثم يقفون ربع ساعة على طريق الرّابطة ، ثم يقومون ، ثم يصافح بعضهم بعضاً ، وهذه الختمة نستعمله في ليالي الجمع والأثانين نسأل الله تعالى بركاتها بحق السادات النقشبندية . انتهى قولي .

---

(١) وقال عليّ رضي الله تعالى عنه : مَنْ قال كل يوم ثلاث مرات ويوم الجمعة مائة مرة : (صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه ، على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) ، فقد صلَّى عليه صلاة جميع الخلائق ، وحشر يوم القيامة في زمرته ، وأخذ بيده حتَّى يدخله الجنة . « نزهة المجالس » من الجزء الثاني في ٩٤ .

وإنما قلنا أن ما بيناه هو الطّريقة دون غيره لتنبيه الطائفتين ، أعني القاصرين عن إدراك حقيقة الطريقة ، المغترِّين بظاهر صورتها ، المتشبِّهين بأهلها ، المقتصرين على تلك الختمات زعماً منهم أنها هي الطريقة ، وقد عمّ ذلك أكثر البلدان ، خصوصاً ديار ما وراء النهر التي هي كانت أوّلاً معدن هذه الطريقة ومقرّ أهلها ، بل منبع العلوم وروضة جميع الفضيلة ، وصاروا الآن يقفون الضياع والعقار لهذه الختمات ، ويحضرون يومين من كل أسبوع في المساجد والرّباطات ، ويستعملون هذه الختمات ، وينفقون محصول الوقف على مَنْ يحضر فيها ويحسبون أن ذلك هو الطريقة مع أنّ الوقف والوصيّة بالختمات باطلة ! والأكل منه حرام في مذهب الحنفيّة ، وقد علمت أن هذه الختمات ليست من حقيقة الطريقة ولا من لوازمها .

والطائفة الثانية المنكرون المفترون على الطريقة وأهلها لما رأوا من أحوال الطائفة الأولى زعماً منهم أنّ هذه الختمات هي الطريقة لا غير وأنها بدعة ، حتى سمعت أنّ بعضهم ألف رسالة في ردّها ، ونحن نساعدهم في ذلك فإنهم لا يردُّون على الطّريقة ، بل يذبون عنها في الحقيقة بالردّ على الطائفة الأولى .

ونقول : ليت مشائخنا قدس الله تعالى أسرارهم العليّة لم يكثروا من ذلك ، فإنّ المتوسِّط الذي لم يبلغ مرتبة دوام الحضور ، ولم يتميّز ظاهره من باطنه ، يتضرّر منها وتوجب له الوساوس والخطرات ، ولا مردّ لذلك ، فإنه مما حكمت به المشاهدة وشهدت به التجارب ، ولكن لهم في ذلك غرض صحيح كما مرّ .

ثم هاهنا شيء آخر موجبٌ لزلّة قدم هاتين الطّائفتين ذكره الإمام الغزالي قدّس سرّه في بعض مصنّفاته ، ولا بأس بإيراده هنا على وجه الاختصار وهو هذه :

وقد علم مما سبق شرف جوهر القلب ، وصار طريق الصّوفية واضحاً ، وأظنّك قد سمعت من الصوفية قولهم : إنّ العلم حجابٌ عن

هذه الطّريقة فتنكر عليهم بأنه : إذا كان شيء بحيث يكون العلم حجاباً عنه كيف يقوم عليه أم كيف يرغب فيه ؟ ! وأيّ فضيلة له ؟ ! فلا تنكر على ذلك ، فإنّه حقّ وصدق ، فإنّ الاشتغال بالعلم الذي يحصل من طريق المحسوسات يكون حجاباً عن هذه الأحوال البتّة ، فإنّ القلب مثل الحوض ، والحواس الخمس مثل الأنهار الخمسة ينصبُّ منها الماء فيه ، فإن أردت أن تملأ الحوض بالماء الطّاهر الصافي ! فتدبيره أن تسدّ هذه الأنهار أوّلاً حتى لا ينصب فيه ماء من خارج ، ثم تفرغ الحوض من الماء والطين الأسود ثانياً ، ثم تحفر قعر الحوض ثالثاً لينبع الماء الصّافي من داخل الحوض ، فإنّ الحوض ما دام مشغولاً بالماء الذي ورد عليه من خارج لا يمكن نبع الماء من داخله ، وإن سلّمنا لا يكون طاهراً صافياً لاختلاطه بالماء النّجس ؛ وكذلك لا يحصل العلم من داخل القلب حتى يكون خالياً من كل علم حصل من خارج ، وأمّا لو امتنع العالم عن تعلُّم العلم ولم يشتغل قلبه بما تعلّم سابقاً فلا يكون علمه السّابق حجاباً له عن الطّريقة ، بل يمكن أن يكون سبباً للفتوحات ، وكذلك إذا خلّى السالك نفسه عن الخيالات والمحسوسات ، لا تكون الخيالات السّابقة حجاباً له ، وسبب كون العلم حجاباً هو أن شخصاً لو تعلّم علماً مع دلائله وبراهينه على ما بيَّنّا في فن الجدل والمناظرة ، وأقبل عليه بكليّته واعتقد أن ليس وراء هذا علم أصلاً ، فإن وقع شيء على قلبه من خطرات سماويّة يقول : إن هذا خلاف ما أنا سمعته وعلمته ، وكل ما هو خلافه فهو باطل ، فلا يمكن لمثل هذا الشخص انكشاف حقيقة الأمور .

مطلب مهم غفل عنه غالب علماء الزمان

فلينتهوا خيراً لهم ولا حول . . إلخ .

فإنّ هذه الاعتقادات التي يُعلّمونَها عوام الخلق إنما هو صورة الحقيقة لا عينها ، والمعرفة التامة هي خروج تلك الحقائق من الصّورة إلى العين كخروج اللبّ من القشر ، ومن المعلوم أن مَن تعلّم طريق الجدل في نصرة الاعتقاد الحق وحراسته لا تنكشف له الحقيقة أصلاً ،

فكيف يظنّ أنّ هذا هو الحقيقة لا غير ؟ ! فمن ظنّ ذلك يكون ظنّه حجاباً له عن الحقيقة ؛ ولما كان هذا الظن غالباً فيمن تعلّم شيئاً من هذه العلوم لا جرم يكون هذا القوم محجوبين غالباً ، فمن خرج من هذا الظن لا يكون العلم حجاباً له ، فإنه معتقد أن وراءه شيئاً آخر أعلى من علمه ومتطلّع عليه ، وإن تيسّر لمثل هذا الشخص فتح ، فلقد بلغت درجته الكمال ، ويكون طريقه أشد أمناً وأوضح ممن لم يترسّخ قدمه في العلم قبل ، فإنه يمكن أن يبقى في عقدة الخيال الباطل مدّة مديدة ، بل تكون شبهة يسيرة حجاباً له ، والعالم يكون محفوظاً من مثل هذا الخطر .

يقول الفقير راقم الحروف : لما ورد واحدٌ من الإخوان من المدينة المنورة عام وفاة سيدي الشيخ محمد مظهر – نوّر الله تعالى ضريحه – سأله مولانا الشيخ عبد الحميد أفندي روح الله تعالى روحه : إن قلوب الإخوان تميل إلى من من بينهم للجلوس في سند الإرشاد على تقدير عدم توجه المعينين ، فسمى ثلاثة أشخاص ، فقال : نعم ، إنَّ فلاناً لا عيب فيه غير أنه لا علم له ، وهذا المقام لا بدَّ فيه من علم كثير ، وهذا مطابق للواقع ، فإن كل واحد من أكابر هذه السّلسلة ، من أوّلها إلى آخرها ، كالجبل الشامخ في العلم ، والحمد لله على ذلك . وهذا الذي ذكرناه آنفاً حال مَنْ له علم ! فقس على ذلك حال من لا علم له ويظن أنه من أهل العلم ، وأنه حاز جميع الكمالات ولم يفته منها شيء .

وقد علم أنّ في « شرح المقاصد » و« شرح عقائد التوحيد وبراهينه » ، وزعم أن مَنْ لم يعرفها لا يصح إيمانه ، ويزدري بالعوام ويعدُّ نفسه من الخواص ، ولا يدري المسكين أنَّ معرفة الدلائل ليست هي معرفة أنها مسطورة في الكتب الفلانية ، بل هي معرفة ترتيبها بشروطها ولوازمها المقررة في كتب الميزان ، وهو عاجز عن ترتيب برهان التطبيق الذي هو أشهر دلائل إبطال التسلسل الموقوف عليه إبطال جريان سلسلة الكائنات لا إلى نهاية ، المستلزم لقدم العالم ، المستلزم لعدم استناد الممكنات إلى الواجب ، فكيف بأصعبها ؟ وكيف يظنّ أن الدليل العقلي

يعطي أعلى المطالب ويفيد أسنى المقاصد ؟ خصوصاً على أصول الأشعري ، وإلا فما فائدة البعثة ، وقد أُلّفت في إثبات وجود الواجب بطريق الدليل العقلي رسائل كثيرة ، ومن أحكمها وأمتنها ، رسالة العلامة الدواني ، وقد أورد المُحَشُّون على كلّ دليل منها إشكالات كثيرة ، كما لا يخفى على أربابها .

ولهذا قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى : ليت كتيبة فنّ العقليات وابن بجدتها وأبو عذرتها أشعاراً :

نهاية أقدام العقول عقال ... وغاية سَعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذًى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيلٌ وقال

حتى نقل عنه أنه قال حين احتضاره بعد قصّة طويلة : اللهم إيماناً كإيمان العجائز .

فلنرجع إلى ما كنّا فيه ، ولنبيّن بطلان زعم الطائفة الأولى أعني : القاصرين المغترين .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : ومعنى لا تنكر على قولهم : « إنَّ العلم حجاب » . إذا سمعته من صاحب استقامة بلغ مرتبة المكاشفة ،

مطلب

وأما من عري عن لباس التقوى والاستقامة وتشبَّه بالقوم في الجلوس على السّجادة ، وأطلق لسانه بمذمة العلم والعلماء ، فهم شياطين الإنس يضلُّون الخلق عن الطريق المستقيم ، وأعداء الله تعالى ورسوله ، فإنهم يذمُّون ما مدحه الله تعالى ورسوله ، فإن الله تعالى ورسوله دعا الخلق بالعلم لا بالحال ، وهؤلاء المتشبِّهون المبطلون ، إذا لم يكونوا من أهل الحال وخلوا عن حلية العلم ، كيف يصح لهم التقوّل بهذا الكلام ؟ بل ينبغي أن لا يفصل كل أحد حصل له شيء يسير من أحوال الصوفية وإن

كان صاحب استقامة في الواقع على كل عالم ، فإنه يرى لأكثر الصّوفية شيء من أوائل الأحوال فيقعون فيه ويتعلّقون به ، فلا يتمُّ أمرهم .

مطلب

بل الفضل على العلماء لشخص كان كاملاً في الأحوال بحيث يعلم كلّ علم يتعلق بهذه الأحوال ، من غير تعلم يعلمه غيره بالتعلم ، ومثل هذا نادر جدًّا .

فينبغي أن يعتقد في أصل طريق الصّوفية وفضل أهله . وأن لا يسيء الاعتقاد فيهم بسبب هؤلاء المتشبّهين المبطلين ، وكل مَن يطعن منهم في العلم والعلماء فاعلم أنه لا حاصل له . انتهى .

أقول : ولهذا ينبغي لسالك أن لا يتطلع على الأحوال ، وأن لا يغتر عند ظهورها ، فإن مَن تطلّع على شيء يسكن إليه قلبه عند حصوله البتة ، فإنّ المقصود ليس هذه الأحوال ، بل هو وراءها ، فإن ظهر منها شيء ينبغي أن يغتنمها ويشكر الله تعالى ، فإنه علامة صحة سيره وسلوكه ، ثم ينبغي أن يترقَّى منه ، وإن لم يظهر منها شيء ينبغي أن لا يغتمَّ لذلك لعدم كونها مقصوداً ، بل قال المشائخ : « إن عدم ظهورها أسلم للسالك » ، لما مرَّ آنفاً .

وقالوا : إنَّ هذه الأحوال بمثابة السكر والزّبيب ، يُعطاها أطفال الطريقة ليتسلُّوا بها ، فكما أنّ الأطفال لا يعطون السكر والزّبيب إلاّ عند بكائهم ، كذلك أطفال الطّريقة لا يعطون الأحوال غالباً إلا ضعاف القلوب منهم دون الأقوياء ، فإن مطمح نظرهم وراء الأحوال . وقد مرَّ في ترجمة الشيخ عبد الله الدّهلوي قدس سره : « إنَّ طالب الأحوال ليس بطالب الحق عزّ وجلّ » .

وقال رئيس أهل المعقول في إشاراته : إنّه مَن آثر العرفان للعرفان ، فقد قال بالثّاني ، يعني من طلب المعرفة لأجل المعرفة نفسها فقد قال بالثاني حيث لم يجرِّد نيته للمعروف ، يعني الحق سبحانه ، بل طلب شيئاً معه يعني المعرفة ، ومَنْ وجد العرفان كأنه لم يجده ، فقد خاض لجّة

الوُصُول ، يعني لو كان وجود المعرفة مساوياً عنده مع عدمها لكونها غير مقصودة في نفسها بل لغيرها ، فهو علامة على أنّه خاض في لجة بحر الوصول ، حيث لم ير غير المعروف ، فكيف يرى غيره تعالى مَنْ استغرق في شهوده وغاب عن وجوده ؟ ! رزقنا الله تعالى سبحانه من هذا الحال بمَنِّه وكرمه ولطفه .

وهذه نبذة من بحر آداب الطّريقة التي لا بدَّ من رعايتها لمن سلكها ، ووراءها أشياء كثيرة لا مطمح لاستقصائها ، فمن أراد الاطلاع عليها فعليه بـ« الرسالة القشيريّة » و« عوارف المعارف » و« إحياء العلوم » وغيرها ، بل لا بدّ من تتبع هذه الكتب للسّالك الحقيقي ، والعمل بما فيها بقدر الإمكان ، وهذا الكتاب من أوله إلى آخره مشحون ببيان آداب هذه الطريقة النقشبندية العلية خاصة ، فمن ظفر به وعمل بما فيه فقد صادف البغية فإن فيه غنية . وكل صيد في جوف الفرا .

وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده في هذه المجموعة ، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً ، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وخيار أمته أجمعين إلى يوم الدين .

والمرجوّ من كرم الكرام ، وفضل ذوي الفضل العظام ، أن يُصلحوا ما عثروا فيها من الخطأ والخلل ، وإن يستروا ما وقع فيها من الزلل ، وأن يردّه إلى الصواب دون استعجال باللّوم والعتاب .

فإنَّا لا ندَّعى أن كلّ ما حررنا مصون عن الخطأ والشبهة والارتياب ، بل إن أصبنا الهدف فليس ذلك على الله بعزيز ، وإن أخطأناه فليس ذلك من شأننا بغريب ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومما زلَّ به الأقدام وطغى به الأقلام شعر :

أستغفر الله من قول بلا عمل　　　لقد نسبت به نسلاً لذي عقَمِ

والمسؤل ممّن طالع هذا الكتاب ، وانتفع به وصفى وقته وطاب ، أن يذكر هذا العاجز بدعاء حصول كلّ خير ، واندفاع كل شر وخير .

وصلّى الله تعالى على أشرف المرسلين سيّد الكونين ، محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأولياء أمّته أجمعين .

وقع الفراغ من نقله إلى البياض ، ضحى يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب سنة ثلاث وثلاثمائة وألف ، في بلد الله الحرام ، شرفه الله تعالى إلى قيام الساعة وساعة القيام ، بجاه نبيه وحبيبه عليه الصلاة والسلام ، على يد جامعه الفقير محمد مراد القزاني ملَّكه الله سبحانه نواصي الأماني .

ولنختم الكلام بالتوسل إلى الله سبحانه بمشائخنا الكرام امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الآية . نسألك اللهم متوسلاً بجاه سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وبجاه سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وبجاه سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، وبجاه سيدنا قاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم ، وبجاه سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا أبي الحسن الخرْقاني رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا أبي علي الفارْمَدي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا أبي يعقوب يوسف الهمداني رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا عبد الخالق الغجدواني رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا عارف الريوكري رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا محمود الأنجير فغنوي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا عزيزان علي الراميتني رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا محمد بابا السماسي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا السيد الأمير كلال رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا إمام الطريقة وبرهان الحقيقة السيد بهاء الدين النقشبند رضي الله تعالى عنه ، وبجاه سيدنا علاء الدين العطار رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا يعقوب الجرخي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا عبيد الله أحرار رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا محمد الزاهد رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا درويش محمد رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا خواجكي الإمكنكي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا محمد الباقي بالله رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا محمد معصوم رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا سيف الدين رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا السيد نور محمد البداواني رضي الله عنه ،

وبجاه سيدنا حبيب الله مرزا جانجانان مظهر الشهيد رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا عبد الله الدّهولي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا أبي سعيد الأحمدي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا أحمد سعيد الأحمدي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا محمد مظهر الأحمدي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا عبد الحميد أفندي الشرواني المكي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا السيد محمد صالح الزواوي المكي رضي الله عنه .

قلت : وبجاه سيدنا قطب الإرشاد ورحلة الأوتاد الشيخ خالد البغدادي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا الشيخ إسماعيل الشرواني رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا يحيى بيك القدقاشني المكي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا الحاج يونس أفندي رضي الله عنه ، وبجاه قطب الأولياء المتأخرين الشيخ محمود أفندي الألمالي رضي الله عنه ، وبجاه سيدنا الشيخ الحاجّ أحمد أفندي التلالي رضي الله عنه . مدَّ الله تعالى ظلال جلاله وأفاض علينا من نوال أفضاله ، أن تنظر إلى عُبَيْدِك العاجز الفقير الحقير اللاشئي ، محمد مراد ، والمختصِر والمقتصر غريب الغرباء ، خويدم نعال الفقراء ، شعيب بنظر العناية والرحمة والرأفة ، وأن تفيض على قلوبهم من بحار معرفتك ومحبتك رشحة ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما إلتأم الأرواح بالأشباح ، وما انتشى عارفٌ بكؤوس الأسرار وصاح وباح .

انتهى كلام المحقق العَلاَّمة الرَّبَّاني ، ومنظوم العارف النّوراني ، الكامل الواصل ، محمد مراد القزاني ابن عبد الله رحمه الله تعالى وإيّانا بفضله وكرمه ، وجعلنا من زمرة أوليائه بأمنه ومَنِّه إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جديرٌ . آمين .

وهذا آخر ما قصدته وتمام ما أردته ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

ولمّا تم سيران جياد الأقلام بعون المعين العلاّم المانّ بالإيمان والإسلام ، المنعم المفضّل المنعم ، وختم نقوش مناقب سلسلة المشائخ النقشبندية العظام ، إلى شيخنا شيخ الزمان والمقام ، وقواعد الصوفية الصّافية من الظّلام ، وما به يتوسَّل إلى ملك الملوك والإنعام على طبق

الكتاب وسنّة سيّد الأنام ، على يد مؤلفه ومختصره خويدم نعال الفقراء في الأقوام ، بتوفيق مَنْ خلق الخلائق ودبَّرهم إلى يوم القيام ، فسبحان الله الواحد القهار ، العفوّ الرؤوف الغفار لمثل الكاتبِ الحقيرِ الفقير ، السّتارُ العليمُ الحكيمُ الفاعلُ المختار ، فأرجو من الله المؤمن السّلام أن يجعله قائدي إلى دار السّلام ، وسبباً لسلكي في سلك الكرام ، وفيضان فيوضهم كالبحار في اللّيالي والأيّام ، وتذكرة لمشائخي وأساتيذي إلى آخر الزّمان ، ورجاء لدعاء إخوان الصفا وخلاّن الوفا في الأحيان ، اللهم اغفر لمن دعاني بالعفو والغفران ، حين كنت في ضيق اللحود والديدان ، واستر عيوب من سترني بالإصلاح والإحسان .

اللهمّ تقبل ما كتبتُه ، ولا تردَّ ما جمعته ، إنّك الكريم المنَّان ، ولا تجعله مسرَّة لعدوِّك اللّعين والشيطان الرّجيم ، وأنت الرحيمُ الرحمَن ، بل اجعله مقبولاً بمنِّك وكرمك وفضلك وجودك يا حنّان ، ولا تجعله رياء وسمعة للتكبُّر على الأقران ، بل خالصاً عندك وعند رسولك وأوليائك برحمتك يا غفران ، وسُلَّماً لوصولي إلى معرفتك ، وطيراني إلى جوارك وإلى الوطن الأصلي لي تحت عرشك ، وأنت المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الديَّان .

حرَّمنا الله تعالى على النَّار ، وجعلنا من جملة أوليائه المقربين الأبرار ، وأجارنا من جميع محن الدّنيا والدّين ، وأدام لنا رضاه إلى أن نفوز بشهوده في أعلى عليّين ، مع النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين ، وجعلنا من أهل الفناء فيه والبقاء به بحرمة سيّد المرسلين ، ومنَّ علينا بالإخلاص ، وبالنجاة من سائر العلائق حين لا مناص ، ونفع بما أَلَّفناه الخاصَّة والعامة ، وتقبَّله من فضله لنرى من آثاره غاية الراحة من أهوال الحاقة والطامّة ، إنّه أكرم كريم وأرحم رحيم ، وأنْ يمن علينا بتوفيقه والهداية إلى سواء طريقه ، ونتوسل إليه به وبإسمه الأعظم وبكل إسم هو له إستأثر به في علم غيبه ، أو علَّمه أحداً من خلقه ، وبشرف كتبه المنزّلة ، وأنبيائه ورسله ، وبخاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ وآله

وبالملائكة كلّهم والمقربين ، أن يختم لنا بالحسنى ، وأن يُبلّغنا من فضْله المقام الأرفع الأسنى بحق جيمع أسمائه والأسماء الحسنى ، وأن يوفِّقنا من القول والعمل لما يحبُّه ويرضاه ، وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها ، وخير أيّامنا يوم لقاه ، وأن يقرِّبنا لديه ولا يخجلنا بين يديه ، إنه الجواد وغافر أهالي يوم الميعاد .

يا ربّنا لك الحمد حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه كما تحبُّ وترضى ، الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وبعدد خلق الله تعالى ما علمت منه وما لم أعلم ، وبعدد نعم الله تعالى ما علمت منه وما لم أعلم ، وبعدد علم الله تعالى ما علمت منه وما لم أعلم حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، سبحانك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد دائماً أبداً عدد خلقك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك .

وصَلِّ يا ربنا وسلِّم وبارك أفضل صلاة وأزكى سلام وأعظم بركة على أشرف مخلوقاتك وعين أخِصَّائِك محمد ﷺ عبدك ونبيّك ورسولك ، أكرم الخلق ورسول الحق ، المؤيّد من ربّ العالمين بالصدق ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرِّيَّته الطيبين الطاهرين ، كما صلَّيت وسلَّمت وباركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد ، عدد معلوماتك ، ومداد كلماتك ، كلّما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وقد وقع الفراغ ووصل البلاغ في نقله من السَّواد إلى البياض ليلة الخميس ، العشرين من شهر ذي القعدة الحرام ، من السنة التاسعة والعشرين بعد ألف وثلاثمائة من هجرة مَن له تمام العزَّة وكمال الفئة ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ .

فهرس طبقات خواجكان النقشبندية

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (٩-١٢٦٨) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

---

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً - وبمحض التوفيق الإلهي - الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولبي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله القادي فألبسه خلعة علي - رضي الله عنه - سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (٦–١٣٥٥) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أمّا بعد؛ فيقول الفقير حسن حلمي القحيُّ[1] غفر الله له : قد طلب مني ولدي محمد عارف - سلكه الله تعالى بفضله في سلك العارفين آمين - أن أجمع له مختصراً في أسرار وظائف الطريقة ؛ ليكون له ولغيره ترغيباً فبناءً على ذلك قصدت أن أؤلف كتاباً لطيفاً ملخصاً من كتب السادات على طريق الاختصار ، وسميته :

بـ« تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف »[2]

---

(١) وفي نسخة : حسن حلمي القحيُّ بن الحاج محمد القحي النقشبندي الشاذلي سامحه الله تعالى من فرطاته ، آمين .

(٢) وجد في صحيفة العنوان من الأصل الخطي ما يلي :

ثم اعلم أن الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً ؛ وهي رابطة الحضور ، رابطة الموت ، رابطة المرشد .

أما رابطة الحضور : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة ، وتفكره معيَّته تعالى ، وكونه حاضراً وناظراً إليه تعالى ، وسميعاً عليماً بصيراً على مقتضى « كأنك تراه » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث « أفضل الأعمال أن تعلم أن الله تعالى معك حيثما كنت » فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها بل هي المقصود الأصلي ، وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت : فهي عبارة عن ربط القلب بالموت ، والقبر ، والقيامة ، وتفكر أهوالها ، وأحوال نفسه على مقتضى « موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا قبل أن تحاسبوا » ، « وكن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل وعدَّ نفسك من أهل القبور » . =

لِما أنه وقع سبباً للتأليف ، وأرجو الله تعالى أن يجعله سبباً لتشميره لحوز الهداية ، والاجتناب عن الغواية . ورتبته على ترغيبات ، وخاتمة ، وتذنيب ، **الترغيب الأول** : في اتخاذ الشيخ ، وبيان فوائده ، ومنافعه . **الترغيب الثاني** : في بيان فضائل الاستغفار . **الترغيب الثالث** في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه[1] السلام . **الترغيب الرابع** : في بيان فضيلة الذكر مطلقاً . **الترغيب الخامس** : في بيان فضيلة لفظة الجلالة (الله) . **الترغيب السادس** : في بيان فضائل (لا إله إلا الله) . **الترغيب السابع** : في بيان وظائف الشاذليين . **الترغيب الثامن** : في بيان آداب الذكر . **الترغيب التاسع** : في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد . **الترغيب العاشر** : في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم من ترتيب الشغل ، ووظائف الأعمال . **والخاتمة في الترهيب**[2] ، والتخويف ، وفي الوصايا التي لابد للمريد من رعايتها .

فأقول وبالله التوفيق :

=**وأما رابطة المرشد** التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله المكملين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبيّ من أنبياء الله تعالى ، أو وليّ من أولياء الله تعالى ، أو على جميعهم ، أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه ، أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها ، أو شيخه و مرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنه بلا تردد . فهذه الرابطة الحبية ملزوم ، وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم . انتهى من « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » .

(١) وفي نسخة : عليه الصلاة والسلام .

(٢) وفيه فضائل الكسب والحرفة . (منه) . (هامش الأصل) .

الترغيب الأول

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ وبيان فوائده ومنافعه

اعلم أيها الولد رزقك الله الاستقامة ، وجعلك من ورثة العلماء العاملين . آمين .

أن أول ما يجب على السالك بعد التوبة ، والندم على ما فرّط في جنب الله تعالى : أن يتخذ له شيخاً يرشده ويهديه ، مع التسليم والانقياد له ، وسلب الاختيار معه ، والاعتقاد فيه أنه وليّ الله وأنه دليل له إلى الله ، ولولاه لَما يصل إلى الله ، وأنه أشفقُ عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه ، فإن لم يعتقده كذلك فمحبته نفاق ، ولا ينتفع بشيء من أخلاقه ؛ وإن صحبه أكثر من ثلاثينَ سنة . هذا حاصل ما « في رماح حزب الرحيم » . راجعه في ١٢٨ من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأوّل .

وينبغي للمريد أن يعتقد ويجزم بأن ما قاله الشيخ ووعده يكون حقاً لا بد من وقوعه ، فقد نقل عن الشيخ أحمد التجاني ﷺ أنه قال : **إذا وعد الصادق أحداً بشيء من أمور الآخرة أو الدنيا ، فإنْ كان في وقت سماعه للوعد ساكناً مطمئنّاً جازماً بصدق الوعد فهو علامة على أنه يدرك ذلك الشيء لا محالة ، وإن كان في وقت سماعه للوعد مضطرباً مرتاباً في صدق الوعد؛ فهو علامة على أنه لا يدرك ذلك الشيء** ، فالجزم علامة أهل الصدق والتحقيق ، كما هو مذكور في « رماح حزب الرحيم » أيضاً في ١١٥ ج١ .

وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنني أعطي أحدهم القشّة من الأرض إذا طلب منّي الدّعاء لمريضه ، أو كتابة ورقة وأقول له : بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن

الله تبارك وتعالى ، فأعرفُ أنه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة ؛ **فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهية بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه** ، حتى أن بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أن تلك القشة تنفعه ، فلا تنفعه . انتهى ، راجعه في ١٧٠ ج١ .

وقد ذكر السادات كلاماً كثيراً في حق وجوب اتخاذ الشيخ ومنافعه ، ومن ذلك ما في « عقد اليواقيت » راجعه في ١٣٨ ج١ بهذه العبارات :

وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدي به ، **ومَنْ لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى مهاويه** .

وقال أبو الحسن المرسي : من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع(١) ، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له ، وَدَعِيٌّ(٢) لا نسب له . وقال أبو يزيد : **من لم يكن له أستاذ فأستاذه الشيطان** . انتهى عبارته ، راجعه في ١٣٨ ج١ .

يا ولدي إن أردت الزيادة فراجع « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فقد بسطت الكلام فيه .

وذكر في « عقد اليواقيت » راجعه في ٥٦ ج١ كلاماً نفيساً طويلاً يحصل به الحث على المجالسة والمصاحبة مع أهل الخير ، فقال في الباب الثاني : فأقول والعبارة لسيّدنا علي بن أبي بكر السّكران باعلوي استعرت بعضها تبركاً : وقد حصل لي بحمد الله مع تأخّر عصري ، وضعف حالي ، وقِصَر باعي ، وقلة متاعي اجتماع بشيوخٍ أجلّة ، وسادات أئمة ، وصحبة لهم ، وصدق محبة ، ووداد وقربة ، وكثرة مجالسة ، وقراءة ومذاكرة

---

(١) والقناع ، غشاء القلب « ق م » .

(٢) الدعيّ كغني ، المتهم في نسبه : من يدعي النسب لغير أبيه الحقيقي . « ق م » .

وإلباس خرقة ، مقروناً بالإذن مقدماً باللبس محفوفاً بالأنس ، كما سيأتي ذكر ذلك ، فلقد حظيت بقربهم وبلغت آمالي إن شاء الله تعالى بهم ؛ وإني وإن كنت خالفاً عنهم ومتخلفاً عن فعلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم فأرجو أن يلحقني الله تعالى بهم ، ويسقيني بكأس شربهم ؛ فهم القوم لا يشقى بهم الجليس ، وإن كان فعله[١] مثلي[٢] دنيء خسيس ، غير أنَّ لي فيهم إن شاء الله تعالى المحبةَ الصادقة والإيمان بأذواقهم ومواجيدهم الفائقة ، وقد ورد في الحديث « المرء مع من أحب » ، وورد أيضاً « المرء من جليسه » ، و« المرء على دين خليله » ، والطبع يسرق من الطبع ؛ وإن أبت النفس .

وقد قيل : **من صحب الأخيار جعله الله من الأخيار ؛ وإن كان من الأشرار ، ومن صحب الأشرار جعله الله تعالى من الأشرار ؛ وإن كان من الأخيار .**

قال سيّدنا القطب الأشهر العيدروس الأكبر في كتابه « الكبريت الأحمر » : سلوك الطريق على الحقيقة بالعبادات[٣] ، أو بالمقامات ،

---

(١) علّه فعلي .

(٢) كذا في النسخة التي بأيدينا ، ولعل في العبارة زيادة أو نقصاناً . (منه ، سامحه الله) .

* وظنّ الفقير ذي التقصير القاضى حبيب الله رحمه الله تعالى أن العبارة تستقيم كما في المتن بإرجاع ضمير الغائب في قوله (فعله) إلى قوله (الجليس) ويكون لفظ (مِثْلَيْ) صيغة تثنيةِ مثلٍ ، وهو مضاف إلى لفظ (دنيء) في الظاهر وإلى لفظ (فعل) محذوف في جانب المضاف إليه في التقدير ، ويحتمل أن يكون الواو في قوله (وإن كان) للعطف على مقدّر تقديره : هم القوم لا يشقى بهم الجليس إن كان فعله مثلَ فعلِ الدّنيء ، وإن كان فعله مِثلَيْ فعل دنيءٍ خسيسٍ أو للتأكيد فالمعنى : لا يشقى بهمِ الجليس وإن كان فعله مثلَيْ فعل دنيءٍ خسيسٍ ، فضلاً عمن كان فعلُه مثلَ فعل الدنيء ، والله تعالى أعلم ، وعلمه أحكم .

(٣) قوله (سلوك الطريقة على الحقيقة بالعبادات) : أي بفعل العبادات والطاعات بالإخلاص وحسن النيات . (أو بالمقامات) : أي بالاتصاف بمقامات الأبرار=

=والصالحين ، كالحلم وكظم الغيظ والرفق والتوكّل وغيرها من أخلاقهم وصفاتهم . (أو بالأحوال) : والحال عند أهل الحق ؛ معنى يرد على القلب من غير تصنّع ، ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة ، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا .فإذا دام وصار ملكة يسمّى مقاماً ، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود . (أو بالأنفاس) : أي بوصول أنفاس الصلحاء . فقد ينتفع المريد المستعد بمجرد ملاقاة نَفَس الصّالح ونظره وكلامه ورؤيته ، ويصل بذلك إلى الله تعالى ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ . (أو بالمعارف) : أي بمعرفة أحوالهم ومعارفهم ومقاماتهم وعلومهم . فقد يتشوّق المستعدّ أيضاً عند سماع معارف الصالحين إلى الاتصاف بتلك الصفات فيسعى ويتشمّر لذلك فيصل بذلك إلى ما وصلوا إليه : ومن طلب وجدّ وجد . (أو بضرب الأمثال) : فقد يضرب الشيخ المثل للمريد ، ويقول مثلاً أن مثل الدنيا كالعجوزة القبيحة ، المستورة حالها بألبسة حسنة ، المزينة بزينة الحلل والأساوير ، وقد يتشوّف إليها من رأى زينة ظاهرها ، مع أنه لايعرف قباحة باطنها ، والحال أنه سكران مندهش فأكبّ إليها ومسّها ولامسها وجامعها ، وقبّل وجهها ، واضطجع معها في جملة من اللّيل إلى الصباح ، ثمّ إذا زال ما به من السكر ، وحصل له الصحو ، وأصبح ورأى حقيقة باطنها ، ورآها وعلم أنها عجوزة قبيحة المنظر ، منتنة الرائحة وقد يجرى من فمّها الصديد والقيح والبصاق والمخاط فحينئذ يندم على ما فعل حين لا ينفع الندم . فمثل هذه الأمثال يحصل للمريد المستعدّ التنبّه من سِنة الغفلة ، ويتشمّر إلى السلوك في طريق الأبرار ويزهد في الدنيا ، كما وقع أمثال ذلك لكثير من الناس ، والله وليّ التوفيق والهداية . (وحفظ القلوب) : أي بحفظ قلوب الأبرار والمشائخ عمّا تتكدّر ، وذلك يكون بحفظ الآداب أو بخدمة لائقة بهم . فقد يتأدب المريد لدى الشيخ أو يخدمه فيميل إليه قلبه ، فينجذب بمجرد ذلك إلى ما انجذب هو إليه ، ويصير ذلك سبباً للوصول وباعثاً للحصول . (أو بالمقابلات) : أي بمقابلة القلب بالقلب ، للاستفاضة ؛ **فقد يقابل القلب الظلماني بالقلب النورانيّ فينعكس النور كما ينعكس نور الشمس من الجدار الذى وصل إليه نور الشمس إلى الجدار المقابل به** . (أو بالقابليّات) : وقد يكون في ذات المريد قابليّة ، واستعداد موافقة بحال الشيخ ، وبمجرّد الملاقاة ينعكس إليه ما في باطن الشيخ من نور المعرفة فيصير ذلك سبباً للوصول . (أو بالمناظرات) : وقد يبحث واحد مع واحد من أهل المعرفة ، ويسأله ويناظره فيسوق إليه من العلوم والمعارف والأسرار ما هو اللائق بحاله . فإن كان ممّن أراد الله به الخير ينتفع به ويكون سبباً للسلوك إلى طريق الوصول إلى الله تعالى . (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظنّ وهو مؤمن بالأخلاق المحمديّات) : وقد يجالس ويخالط واحدٌ بواحد من أهل=

أو بالأحوال ، أو بالأنفاس ، أو بالمعارف ، أو بضرب الأمثال وحفظ القلوب ، أو بالمقابلات أو بالقابليات أو بالمناظرات ، أو بالمجالسات ، أو بالمحبات ، أو بالمخالطات والمودات ، مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات ، أو بالمذاكرات ، أو بالتصديق والاعتقادات ، أو بالانقطاع والخدمة ، أو بالتربية ، بالعلوم اللّدنيات ، وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف سالك مجذوب ، واصل محبوب ، واصل موصول ، عارف بالنقل والعقل ، عارف بالله تعالى وبنفسه ، حاضر غائب

=الخير والصلاح أو يحبه ويودّه فينعكس إليه بسبب ذلك حاله ، وينجذب إلى الله قلبه ؛ فإن الأحوال سارية والطبيعة سارقة ، وللصحبة والمخالطة تأثير عظيم لا يخفى على أهل الذوق والوجدان . (أوبالمذاكرات) : أي بذكر أوصاف أهل الخصوصيّة ومعارفهم ، والمباحثة عن حقيقة أحوالهم وأفعالهم وقصصهم تَنْبَعِثُ الهمَم إلى الدخول في سيرتهم ، والسلوك في طريقتهم ، والوصول إلى ما وصلوا إلَيه . (أو بالتصديق والاعتقادات) : بطريقهم وولايتهم ؛ وقد قيل **التصديق بطريق الولاية ولاية** . وقال أبو يزيد قدس سره : من يؤمن بكلام القوم فقل له يدعو لك **فإنّه مجاب الدعوة** . (أو بالانقطاع) : إليهم بالاجتناب عن مخالطة غيرهم ، والملازمة بصحبتهم ، ورؤيتهم وسماع كلامهم . (والخدمة لهم) : فإن خدمتهم من أجل ما يوصل المرء إلى ما وصلوا إليه . وقيل : إن الخدمة أفضل من نوافل العبادات . (أو بالتربية بالعلوم اللدنيات) : أي بذكر تلك العلوم على ما ألهمهم الله وأنطقهم بحسب استعداد الطالبين . (وهذا لا يمكن إلاّ بقصد شيخ عالم) : بأحكام الشرع وأموره التي لا بد للسالك من معرفتها . (عارف) : بالأخلاق ، حميدها وذميمها ، وما يعالج به ذمائمها . (سالك) : في مقامات الطريق ذائق بنتائجها . (مجذوب) : حصل له جذبة القلب وجذبة الروح إليه تعالى لا يريد شيئاً سواه تعالى في حركاته وسكناته . (واصل محبوب) : أي الذي حصل له الوصول بمحبّته تعالى إيّاه ، وصيرورته محبوباً ، فإنه لو لم يتقدم محبته تعالى له لما أحبّه ، وقوله تعلى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ شاهدٌ عدلٌ على ذلك . (واصل) : إليه تعالى بالغيبة عما سواه والفناء فيه سبحانه . (موصول) : إليه بتواتر هباته ، وترادف جذباته بذكره إذا ذكره ، وإطاعته إذا أطاعه ، كما قال تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ ، وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . فالواصل يكون موصولاً إليه وملحوظاً بعنايته وحفظه وعونه وتوفيقه وتلاحق وارداته جزاء وفاقاً على جهده وجهاده قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية . (عارف بالنقل) : أي نقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو ومريدوه إليه ليوافق ما يفعله بالشرع . فهذا ما وصل إليه فهم الحقير في بيان معاني هذه الألفاظ ، فإن يك صواباً فذا ، وإلاّ فالعفو من الله مسؤول . (منه قدس سره من خطه) .

في الخلوات والجلوات بقلبه في عوالم الشهادة والغيوب . انتهى .

فقد علمتَ من قوله رضي الله عنه (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات) أن ذلك يرفع الوضيع إلى أعالي الدرجات والمَحَالِّ الساميات[1] .

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي في كتابه « البرقة المشيقة في ذكر لبس الخرقة الأنيفة[2] » : وبالجملة فالمحب للصوفية والمتشبه بهم ، والمتشبه بالمتشبه بهم ، واللابس لخرقتهم ، والمتبرك بنسبتهم ، والمتّصل بسلسلتهم ، والعاشق لهم ، والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضل من غيره لحسن ظنه فيهم ؛ وإن كان خالفاً عنهم ، ومتخلفاً عن فعل مثلهم ، ومائلاً عن سنن استقامتهم ، فالخالف منهم في بركة السالف ، فمدد هممهم العالية على مَن تعلق بهم ، وصدق في حبهم وصفا ودهم وتشبه بهم ، وانتسب إليهم طامية[3] ، والكل في دوائر نفحات[4] بركاتهم الشاملة وحصون عنايتهم الكاملة ، غمرنا الله بفيض بركاتهم ، وشملنا بعموم ألطافهم وخصوص رأفاتهم وأحبابنا ومحبينا والمسلمين آمين .

وقال رضي الله عنه : **فالصوفية المخلصون الصادقون مع الله تعالى في جميع** الحركات والسكنات ، في ظواهرهم وبواطنهم هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة وكظموا[5] على مجامع كمال محاسن الشريعة .

---

(١) وسما سموّاً : ارتفع « ق م » .
(٢) أنف من الشيء أنفاً – أي : استنكف وهو الاستكبار . (مصباح) .
(٣) طمى الماء : علا ، وهمته علت « قاموس » .
(٤) نفحت الريح نفحاً من باب نفع : هبّت ، وله نفحة طيبة « مص » .
(٥) كظمت الغيظ : أمسكت علي ما في نفسك « مص » .

وهم أهل الله وخاصَّته وأمناء أسراره ، وخزائن أنواره ، ووراّث رسله ، وغياث خلقه ، وخلفاؤه في أرضه فطوبى لهم ، بل طوبى لمن أحبَّهم والتمس بركتهم ، وخص بدعائهم ، وأجاب دعوتهم ، وبذل الجهد في خدمتهم ، وحفظ حرمتهم ، واقتبس من أنوارهم ، وفيض نفحاتهم ، ونظر إلى وجوههم ، وقَبَّل الثرى من تحت أقدامهم ، ورُزق ودادهم ، وشَمَّ شذاهم[١] ، وشام[٢] برق سناهم[٣] ، وحام حول حماهم ، وقَبِل نصحهم ، وعشق سيرتهم ، واستنزل الرحمة بذكرهم ، وارتجى المغفرة بحبّهم ، واستمدَّ الفيض بودِّهم ، واستعدَّ بكمال الأدب بقربهم ، ورعاهم بباطنه ، وقوة حسن ظنه ، وصفاء اعتقاده ، وحفظهم بسرِّ قلبه وظاهره ، وانقاد لحكمهم في مجامعه ، وسلّم الأمر لهم جميعاً .

وقال أيضاً بعد كلام طويل يحث فيه ويرغب في انتهاج نهج[٤] ذلك الجيل[٥] قال : وعلى الجملة مَنْ قَرُب إليهم آووْه ، ومن ركن إليهم حملوه ، ومن التجأ إليهم جملوه ، ومن أحبَّهم أحبّوه ، وبباطن سرهم أمدُّوه ، وبمدد أنفاسهم أصلحوه ، وببركاتهم شملوه ، ومن ألبسوه منهم خرقة فبسلسلة أرباب المواصلة وصلوه ، وفي حلقة نسبةِ سندِ سلسلتهم أدخلوه .

وقال السيد الإمام عقيل بن عمر باعلوي في كتابه « فتح الكريم الغافر في شرح جَلْبة المسافر » : قصيدة الشيخ العارف سعيد بن عمر

---

(١) الشذو : المسك « ق م » .

(٢) شام : أي نظر .(قموس) .

(٣) السنا ؛ ضوء البرق « ق م » .

(٤) النهج : بوزن الفلْس ، والمنهج بوزن المذهب ، والمنهج الطريق الواضح . « مختار » .

(٥) جيل من الناس أي : صنف « مختار » .

المُكَنَّى لحاف[1] حاكياً عن الشيخ أحمد بن علوان اليماني أنه قال : **كل يحتاج إلى من هو فوقه** فينبغي أن يكون مفتقراً إليه ؛ وإن لم يعرفه ، كافتقار الأوتاد إلى الأقطاب ، وافتقار الأبدال إلى الأوتاد ، وافتقار الصالحين إلى الأبدال ، وافتقار الجهال إلى الصالحين ، فينبغي لكل سالك أن يأتمَّ هؤلاء ، ويحبّهم ، ويتشفّع إلى الله تعالى بحبّهم ، ويتمسّك بنسبهم ، ويتسبّب بسببهم ، وإن لم يعرفهم فإنّ الله تعالى **إذا عرف ذلك منه أخبرهم عنه فكان على خواطرهم وجملتهم بين يدي رب الأرباب** . انتهى كلام الشيخ أحمد بن علوان .

قال السيد عقيل المذكور **قلت** : هذا فيمن لم يعرفهم في الظاهر فما ظنك بمن تقرّب وتحبّب إليهم في الخدمة والصّحبة والمحبّة ، وأحسن الظن بهم ، وأدخل السّرور على قلوبهم والانتساب إليهم ، فكيف لا يكون في خواطرهم ويعتنون به ! ! ! كما روي عن سيّدنا الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي أنه قيل له : أتى خبر وفاة فقير له اسمه أبا خريصة في أرض بعيدة ؛ وقد شاع الخبر بموته ، فأطرق ساعة فقال : إن عاده[2] حيٌّ[3] فقيل له في ذلك فقال : إني طُفْتُ الجنان ولم أجده ، **وليس لي فقير يدخل النار!** انتهى كلام السيد عقيل .

وقال سيّدنا قطب الإرشاد الحبيب عبد الله الحدّاد مما نقله عنه سيدّنا الحبيب أحمد بن زين في « سفينته » ونقلته هنا بتصرف يسير :

فائدة : منهم من يصحبهم – أي الأكابر – ويخالطهم محبّة لما هم عليه من إيثار دين الله وإقامة أمره ، والاشتغال بطاعته والعمل بما يقرب منه .

---

(١) كنيته « مص » .
(٢) أي إن عاده يعرفون أنه حيّ ، ولعلّ المراد هكذا (منه) .
(٣) وفي نسخة : أن عاده حيٌّ . وفي نسخة أخرى : أن عاده حيّاً .

ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم ، من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم ، فذلك لا يخلو من بركة وخير كثير ، وهو داخل في عمُوم ما ورد في الحديث القدسي : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » حتى إن الذي يجالسهم ليتحصن - بيُمْنِ صحبتهم وبركتها - من الظالمين والمعتدين من شياطين الإنس والجنّ ، لا يخيب ولا يحرم بركتهم ، وإنّما يحرمُ ويخيب من تكون نيته في صحبتهم والاختلاط بهم أن يُعْرف بذلك بين الناس ، فيوصل به إلى شيء من الأمور المحظورة المحرمة في الشرع ، على توهّم منه وظنّ فاسد أنّ الناس إذا عرفوه بخلطة أهل الخير والصلاح ، ومحبتهم لا يظنّون به ولا يتوهّمون فيه أنه يرتكب المحرّمات ، ويقتحم[1] المحظورات فلا يستبعد مثل ذلك ، وأنه قد يكون من بعض المخذولين المسخوط عليهم . انتهى .

وقال بعض الأكابر : **إنَّ حسن الظن والمحبةَ الصافية يلحقان الأصاغر بالأكابر في إعلاء المقامات العلية .**

مهم
التصديق بعلمنا هذا ولايةٌ

وقال الشيخ شاه الكرماني : **ما تعبد المتعبدون بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى** ، لأنّ محبة أوليائه دليل على محبته ، وإذا أحسنت الظن بهم وآنست بطريقهم حصلتَ على الولاية المشار إليها بقول الجنيد رحمه الله تعالى : التصديق بعلمنا هذا ولاية .

وقال بعضهم : من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محبّ

(١) اقتحم الفرس : ركبه ، النهر دخله « مخ » .

حقيقة ؛ وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ، ففي الحديث « قيل يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أنت مع من أحببت » وقد ورد في الحديث عن محبة الأخيار والصالحين الأبرار وصحبتهم من الأحاديث والآثار شيء كثير يعرفه من طالع الأسفار[1] وتتبع الآثار . قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد باعلوي نفع الله تعالى به : صحبة أهل الدين وأهل الخير من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين ومخالطتهم ومجالستهم محبوبة ومرغّب فيها ، وفيها منافع عاجلة وآجلة .

وقال رضي الله عنه : للصحبة والمخالطة والمجالسة[2] أثر كبير في الصلاح والنفع ، وكذلك في الفساد والضرر عند مصاحبة ومخالطة ومجالسة الصالحين والأخيار ، والفاسقين والأشرار ، ولكن قد لا يظهر مرة واحدة بل بالتدريج ، وطول زمان الصحبة والخلطة في الخير مع أهله ، وفي الشر مع أهله .

وقال رضي الله عنه : واعلم أن مخالطة أهل الخير ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل ، كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حبّ الشرّ والعمل به .

وأيضاً مَنْ خالط قوماً وعاشرهم أحبّهم ضرورة سواء كان أخياراً أو أشراراً ، **والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة** . انتهى .

وممّا لخصته من « العوارف » للشيخ عمر السُهْرَوَرْديّ قال رضي الله عنه : الصّحبَة مع الأخيار مؤثِّرة جداً ، والتألُّف والتودد يؤكدان أسباب الصحبَة

---

(١) والسفر بالكسر : الكتاب والجمع الأسفار « مخ » .

(٢) وفي « جواهر المعانى » ما حاصله : إن مجالسة الأشياخ لا يعادلها شيء ، وهي أفضل من النوافل والأذكار ، فجلْسَتُكَ بين يدي وليّ أفضل من الدنيا وما فيها ، انتهى فراجعه في صحيفة ٧٧ من الجَزء الأول « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

والمحبة ، وقد قيل : لقاء الإخوان لقاح . ولا شكّ أن البواطن تتلقح[1] ويقوى البعض بالبعض ، بل مجرد النظر إلى أهل الصّلاح يؤثِّر صلاحاً ، والنظر في الصور يؤثِّر أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه ؛ كدوام النظر إلى المحزون يحزن ، ودوام النظر إلى المسرور يُسِرُّ .

مطلب مهم

وقد قيل : **من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه** ، والجَمَلُ الشرود يصير ذلولاً ، بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان ، والنبات ، والجماد ؛ والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف ، والزروع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات ، لموضع الإفساد بالمقارنة ، وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيراً .

وقيل : سُمّي الإنسان إنساناً ؛ لأنه يأنس بما يراه من خير ، وشرّ ، والتألُّف والتودّد مستجلِب للمزيد . وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ، ويكتسب الإنسان بِها علم الحوادث والعوارض . انتهى ما من « العوارف » .

وإذا علمت ذلك وتحققت ما هنالك فعليك بصحبة من يرشدك إلى هذه الطريق ، كي يزيل من قلبك الحرج والضيق ، فإنه وإن لم ينفعك بمقاله جذبك إلى مولاك بحسن سيرته وفعاله .

قال بعضهم : كنت إذا كسلت في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع نظرةً فأعمل بها إلى الأسبوع .

وقال بعضهم : دخلت على ذي النون فانتفعت برؤيته قبل أن أتشرف بمخاطبته .

---

(١) وتلقيح النحل مصروف ، يقال : لقح النخلة تلقيحاً وألقحها . « مختار » .

وهكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ينالون المراتب العلية من السلوك برؤيته ﷺ .

مهم

ولذا قال بعضهم : **يبلغ المريد بنظر الشيخ**[1] **إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة** . قال سيّدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به : هذا بنظرة الناظر إليهم ، وأمّا نظرُهُم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت : وفي الحديث وَرد ذلك في قوله ﷺ « **إن لله عباداً من نظر في أحدهم نظرةً سعدَ سعادة لا يشقى بعدها أبداً** » .

الرابطة أشدّ تأثيراً من الذكر

وقال بعضهم : إن لله عباداً إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه السعادة ، **ورؤية الشيخ – وتسمّى الرابطة عند القوم – أشد تأثيراً من الذكر** إذا استجمعت شروطها ، لأن أنوار العارف تسطع[2] في محياه[3] ، ومن شهد ذلك النور وخضع له أحياه ، وأشار إلى ذلك الشيخ العارف أحمد بن علوان بقوله :

سعدَتْ أَعينٌ رأتك وقرّتْ وكذا أعين رأت من رآكا

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع الله به : وينتفع المريدون بشيوخهم ؛ وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة ، وأسبابُ

---

(١) الإضافة إلى المفعول .

(٢) سطع الغبار والرائحة والصبح ، يسطع بفتحتين ارتفع ، وسطعتُ الشيء ، لمسته براحة الكف أو باليد ضرباً « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) والمحيا : الوجه . « مختار » . (هامش الأصل) .

الاستعداد من الجانبين بصدق الود وشغف[1] الحب واصلة متواصلة .

وقال ﷺ : وقد ينتفع المريدون بالشيوخ وإن لم يعرفوهم ويروهم ، بل بمجرد قوةِ محبةٍ صادقة في الله تعالى معهم ، وصفوِ عقيدة بهم ، وقوّة حسنِ الظن بهم ، وقد يكون التعلق بشيخ كامل قد استولى على قلب المريد **قوة حبِّه وصدق ودِّه وشغف**[2] **عشقته ، وكمال صفاء الاعتقاد فيه أقرب في النفع** ، وأشمل في الدفع ، وأعمُّ سرايةً في التفرقة والجمع . انتهى .

ومن كلام « الزهر الباسم شرح روض السيد حاتم » للسيد الإمام عبد القادر بن شيخ العَيْدَروس قال : **اعلم** أن وجود الشيخ من منح الله تعالى على المريد وهداياه حالاً ومآلاً ، يؤيِّد به المريد إذا صدق في إرادته وبذل في المناصحة جهد استطاعته ، ومتى حصلت للمريد من شيخه رشحة[3] نظره أَسْمَى الله تعالى بها قدره ورفع ذكره وأصلح أمره ، وإن أدرك منه دعوة صالحة صارت مطالبُه ناجحة ، وتجارته في سوق الآداب رابحة ، وأنفاس العناية إليه غادية رابحة ، وريّا[4] القبول لأعماله فاتحة ، ونسمات[5] تكميل النفس بحسن العمل فيه عليه نافحة .

قال المؤلف : ويستفاد من كلام الأستاذ حاتم ﷺ أنّ توجه المريد شرط في الإرادة ، وأنّ جذبة الشيخ له تكون سابقة على توجهه كالأمر مثلاً ؛ يكون في عالم الغيب ثم يظهر في عالم الشهادة ، وإنه إذا توجه إلى شيخه انتقشت في قلبه المعارف والأسرار كما هي منقوشة في قلب الشيخ وحينئذ يكون الوارث لحاله بحق ، والنائب عنه في مقامه بصدق .

---

(١) شغفه المال : زيّن له فأحبه ، فهو مشغوف به . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) رغب فيه كلّ الرغبة مع تجاوز فيه . « منجد » . (هامش الأصل) .
(٣) وفلان يرشح : أي يربي ويؤهّل (منه) . (هامش الأصل) .
(٤) ريّاً : المنظر الحسن « منجد » .
(٥) النسيم : الريح الطيّبة « مختار » .

قال الشيخ محمد بن حسين البجلي : رأيت رسول الله ﷺ **في** المنام فقلت يا سيدي يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « **وقوفك بين يدي وليّ لله** » إلخ .

مطلب مهم

قال بعضهم في معنى هذا : لأن الواقف بين يدي الوليّ يندرج فيه ، ويدخل تحت استيلاء شموله فيكون الوليّ واسطته إلى الله تعالى ، فيحصُل بتلك الوقفة بواسطة الوليّ ما لا يحصل بعبادته حتى تنقطع إرْباً إرْباً[1] .

قال بعض العلماء : ويكون الحاصل على قدر استعداد الوليّ : **فإن الإمدادات على قدر الاستعدادات .** انتهى .

وسأل سيّدنا الحبيب القطب أحمد بن زين الحبشيّ شيخه إمام الإرشاد عبد الله بن علوي الحدّاد نفعنا الله بهما بما لفظه : هل يكون للمتعلق بشيخ من مشائخ الطريق ترقّ بواسطة شيخه من حيث لا يعلم المتعلق ؟ فإن كان كذلك فما السبب في ذلك هل هو المحبة للشيخ ولطريقه والميل إلى ما هو عليه من السيرة وشهود الكمال فيه ؟ فإن كان كذلك فهل لهذا السبب من مُقوٍّ ومعضدٍ ؟

فأجابه : نعم يترقى بنظره وتعظيمه وحسن الظن فيه من حيث يعلم ، ومن حيث لا يعلم ، **وترقِّيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهداته وأعماله ، فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى للانتفاع .** وأمّا الذي يقويه فهو أن ينظر المريد فيما يولد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية .

وبالجملة **فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشيخ وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه** ، والقليل من التوجُّه والمجاهدة مع ذلك كثير ،

---

(١) الإرب بالكسر : العضو « مختار » .

وبالعكس حكمُ العكس . انتهى .

وطريق الرابطة - كما قالوا - هي ربط القلب مع الشيخ فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة من الذكر بموجب « هم جلساء الله » **لأن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط** ، وإن وجد الفتور في الرابطة فيحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المرء مع من أحب » فبحفظ الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف وأحوال الشيخ ما كان له .

قال بعضهم : **والركن الأعظم في السلوك ربط القلب بالشيخ على وجه المحبة والتعظيم وملاحظة صورته** . انتهى .

قال الإمام الشعراني : وكان أشياخ الطريق يقولون : **كل من لم ينتفع برؤية شيخه لم ينتفع بصحبته** . انتهى . من « عقد اليواقيت » راجعه في ٦٠ ج .

وفيه بعيد هذا : فإذا فهمت ذلك وتحققت ما هنالك علمتَ أنه كما قالوا : « **لا يمكن المريد الصّادق الوصول إلا بشيخ كامل** » ؛ لأنه المتخلق بأخلاق الله تعالى متصف بأوصافه ، ينفّذ أمره ويسوس خلقه ويدبّر أمره فليلزم الحضور معه ، ولا يفارقه إلا بإذنه فإن قلبه حضرة الله تعالى ، وحواسُّه أبوابها ؛ فمن تقرّب منه فتحها ، ولا تردّ له دعوة عند الله ؛ لأن من أرضاه أرضى معروفه ، ومن أغضبه أغضب معروفه ؛ كما جاء في الحديث : « إن الله يرضى لرضا عمر ، ويغضب لغضبه » فكيف يشتغل[1]

---

(١) قوله فكيف يشتغل إلخ ؛ كذا في الأصل الذى نقلناه منه ولعل المراد هكذا : (فكيف يشتغل الإنسان) بأمور معرضاً (عن دلالة) من له قلب سليم ، مما سواه تعالى الذى (وصفها الحق) تعالى بأنّه (بيت وضعه لخلقه) وكل من دخله بحبّه ينظر إليه ، ويوصله ، يعنى : أن القلب موصوف بأنه بيت الله وعرش الله الذي جعله تعالى محلاً لمعرفته ونظره ، كما ورد « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى=

عن دلالة وصَفَها الحق ببيت وضعه لخلقه ؟ وكيف يفارقه لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي دونه ؟ فالسير إليه قدماً أحسن من مائة فرسخ لغيره ، إذ هو المحبوب الذي قال فيه رسول الله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل « فإذا أحببته كنت سمعه » إلخ . . فعليه أن يعرف قيمة الشيخ ؛ ليكون عزيزاً مثله ، وإذا أفشا سرّه كان معكوساً رجيماً ، **فمن جعلت له الرحمة في قلب الشيخ لم يحتج إلى معالجة الخلوة والأوراد ، فإذا كان المريد لا يمكنه الاجتماع بالشيخ أو إخباره بوقائعه فليتوجه إليه بالقلب** ، لأن الأرواح يستوي عندها جميع الأمكنة ، ولا يكون بُعْد المريد من الشيخ إلا بسبب إدبار روحانيته عن التعلق بروحانية شيخه ، **وعلى قدر تعلق الروحانية بالروحانية يأتي المدد** ، فإذا توجهت روحانية المريد إلى الشيخ ، حضرت معه روحانية الشيخ ، ويمد الله روحانية المريد بواسطة روحانية الشيخ ، فالأمر كلّه لله تعالى ؛ ولكن من سرّ حكمته تعالى جعل أرزاقاً جارية على أيدي خلقه ، فليكن المريد ملازماً للباب الذي رزقه الله تعالى منه وهو شيخه ، فهو باب[1] عظيم والشيطان قاعد عليه بالمرصاد ؛

=أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » وفي الحديث القدسي « ما وسعني أرضي ولا سمائي ، بل وسعني قلب عبدي المؤمن » انتهى ، هذا ما فهمت من المراد من هذا الكلام المنقول ، ويحتمل أن يكون فيه سقط في العبارة بسهو ، والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) فكما أنه لا دليل ولا موصل إليه تعالى إلاّ فضله ، كذلك لا دليل ولا موصل إلى أوليائه إلاّ فضله ، فإنهم أبواب الحق . وإذا دعاك الكريم إلى بابه فلا يردّك خائباً ، فالزم يا ولدي بواحد منهم ، وعفّر الخدّ بثرى تلك الأعتاب ، فقل : لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي ، وتقبلوني على عيبي ونقصاني ، فان رضيتم فيا عزي ويا شرفي ، وإن أبيتم فمن أرجوا لعصياني . وقد ذكر ابن علان في شرح قصيدة ابن بنت الميلق مثل ما مرّ ، فراجعه .

وفي « الصاوى » ما نصه فإن اتخاذهم – يعني الأولياء – بمعنى التبرك بهم ، والالتجاء لهم ، والتعلق بأزيالهم مأمور به . وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم ، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرّك بهم شرك . انتهى عبارته=

ليقطعه عليه ، كما قال الشيخ محمد البكري :

واعلم أن الشيطان إذا أحسَّ بإقبالك على من عنده وديعتك ولديه بغيتك يحشد[1] أجناده ويجلب عليك ، ليصرفك عما يوجب اتصال نفعه إليك حسداً منه ، وأنفة[2] من أن يصل أحد إلى الحق ويأخذ عنه . انتهى عبارته ٦١ ج١ .

وفي « الرسالة العجمية » لشيخنا السيد سيف الله النِّژَبْكري الحسيني قدس الله تعالى سره ونوّر ضريحه آمين ما حاصله :

اعلم أيها الكريم دام لك النعيم إذا أراد الله تعالى أن يظهر سعادة عبده ، وأحبَّ أن يهديه إلى سبيله وينفذ إرادته بحكمته المعلومة عنده ! ألهم الله على قلبه أن يطلب طريق نجاته فيقصد إليه ، وذلك القصد مما يوجع بطن الشيطان فيجتهد الشيطان أن يعكس ذلك القصد ويصرفه منه إلى[3] أن يصل إليه نظر الشيخ الكامل ، فإذا وصَلَ إليه نظره يحترق كما يحترق بالرجم . انتهى .

ولأجل هذا كان بعض الشيوخ يبادر إلى النظر إلى المريد حين جاء لديه لطلب الدخول في طريقته خوفاً من أن يصرف الشيطان قصده . انتهى .

وفي « المنن » وقد كان سيدي الشيخ ياقوت العرشي رضي الله عنه يقول : **النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة**؛ وإن كانت مخالطةُ الصغير للكبير

=فراجعه في سورة العنكبوت (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

(١) حشد : أي جمع . « قاموس » .(هامش الأصل) .

(٢) وأنفة محركتين : استنكاف . « قاموس » .(هامش الأصل) .

(٣) فراجعه في فصل في الأمور التي يجب على المريد رعايتها .

مخاطرةً بالروح ، ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى . انتهى[١] عبارته ١٣٩ ج١ .

وقال أحمد بن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد قوله : « إِذَا رُؤوا ذُكِرَ المَوْلَى بِرُؤْيَتِهِ » أي : إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته ، كما ورد في وصف بعض الصالحين الذين إذا رُؤوا ذكر الله ، لأن نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فمن رآى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ينعكس عليه ما في باطنه ، ومن تمَّ له ذلك فاز بالسعد والقرب . قال ابن علوان رضي الله عنه :

سَعِدَتْ عَيْنٌ رَأَتْكَ وَقَرَّت وَكَذا عَيْنٌ رَأَت مَنْ رَآكَ

ومثلوا ذلك للشمس إذا أشرقت على الجدار أنار الجدار الآخر ، لمواجهة[٢] تلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وهذه طريقة معروفة عند المشائخ يسمونَها بالرابطة **وهي رؤية وجه الشيخ فإنها تثمر ما يثمر الذِّكر بل هي أشد تأثيراً من الذكر** لمن عرف شروطها وآدابها ؛ وذلك إنما يكون للشيخ الكامل المستشرق[٣] بالتجليات الذاتية ، ومن ذلك كان تربيته ﷺ للصحابة وكانوا يستغنون برؤية طلعته[٤] الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة ، وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تتضاهى[٥] ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة **بها يتباهى**[٦] .

---

(١) راجع (الإبريز) .
(٢) وفي نسخة : لمواجهته ذلك الجدار .
(٣) وفي نسخة : مستشرق .
(٤) والطلعة : مُحَيَّا ، هيئة . « قاموس » .
(٥) المضاهاة : المشاكلة بهمز ويلين وقرئ بهما « مختار » .
(٦) المباهاة : المفاخرة ، وتباهوا – أي تفاخروا « مختار » .

اجتمع شخصان في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر : تقدم . فقال له : بما أستحق التقدُّم ؟ ! قال : لأنك صاحبت الجنيد نصف يوم . فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم ، فضيلةً يستحق بها التقدم عليه ، وهكذا أهل الإنصاف . انتهى .

وقال أيضاً في ذلك الشرح بعد بيت :

وكُـنْ مُـحِبَّ مُحِبِّيه[1] وَنَاصِرَهُمْ   وَالزَمْ عَدَاوَةَ مَنْ أَضْحَى يُعَادِيهِ

واعْــلَمْ يَـقِـيناً بِـأنّ الله نَاصِرُهُ   إنْ لَـمْ تـكـن نَاصِراً فَاللهُ يَكْفِيهِ

وقال بعضهم : وقع جدب في بعض البلدان فاستسقوا ولم يسقوا ، فخرج إنسان وقال : يا رب بحق ما في هذا الرأس اسقنا . فسقوا وارتووا ، فقال له بعضهم : وما في هذا الرأس ؟ ! قال : عينان رأتا أبا يزيد . فقال له ذلك القائل : أنا جار أبي يزيد . فقال : أنت أحقُّ مني بالإجابة . **فانظر يا أخي** إلى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله فكيف بقلب احتشى بحبه ، وجوارح وحوَاسّ لم تزل ممتلئة بقربه ؟ فكيف لا تكون أيها الطالب محبّاً لهياكِلَ تزيَّنت بهذه القلوب ، ومبغضاً[2] لأبدان حرمت النظر إلى هذه المحاسن وبَعَّدتها الذنوب . انتهى عبارته .

وقال رحمه الله بُعَيْد هذا : والسعيد من أسعده بخدمتهم ووفقه لنصرهم ومحبتهم .

وَإذا سَخَّر الإله أناسَاً   لِسَـعِـيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

انتهى .

---

* فإنه إن كان أحد من أهل الورع في مملكة ، يستفيد من في حواليها من بركة وجوده . كذا في « مقصد الطالبين » ، فراجعه (منه) .

(١) وفي نسخة : محبيهم .

(٢) وفي نسخ : منفضة ، مبغضة ، منقصة عطفاً على ممتلئة .

وقال في « الخلاصة المرضية » : فالمشائخ لما اهتدوا أُهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوس الشيخ نفوس المريدين كما يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ؛ فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ ، كما أن الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة الثانية ولادةً معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : **لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين**[1] ، وصدق اليقين على الكمال يحصل بهذه الولادة ، وبهذه يستحق ميراث الأنبياء ، ومن لم يصله ميراث الأنبياء فما ولد . فمن المشائخ من تكثر أولاده ويأخذون عنه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي ﷺ بواسطة الصحابة ، ومنهم من تقلّ أولاده ، ومنهم من ينقطع نسله . انتهى . كذا في كتاب « رماح حزب الرحيم » في١٦٠ ج١ فراجعه .

مهم

أيها الولد! إني ذكرت لك في هذا الباب منافع جمة ، وأرجوك أن تتدبر فيها ، وأن تتأدب مع المشائخ فإن النفع لا يحصل إلا بالأدب ، **وأن تعتقد بأن كل خير يحصلُ لك إنما هو ببركة الشيخ .**

وفي « المنن » : إن **من شرط المريد** أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه ، لأن كل مريد محبوس في دائرة شيخه لا يمكنه أن يتجاوزها ، فلا يمد بمدد إلا وشيخه واسطة له . انتهى عبارته في ١٤٠ ج١ .

مطلب مهم

وقع واحد من مريدي الشيخ قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان جائعاً ، فقلب وجهه نحو قرية شيخه

---

(١) الإيلاد الأول إيلاد طبعة ، والإيلاد الثاني إيلاد الروح في سماء المعارف . « طبقات كبرى » عبارته ١٦ للشعراني .

وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر فاطلع الشيخ شهاب على حاله وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ، ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا حيث ما كنا ، ولما جاء الخادم عند الشيخ سأله الشيخ : كيف وجدت هذا الدرويش ؟ قال : أبله ، يأكل طعامك ، ويشكر قطب الدين حيدر ! ! فقال : ينبغي أن تتعلم المريدية منه **حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنَّها من شيخه ظاهراً وباطناً من أيّ مكان جاءت تلك الفائدة .** انتهى من « رشحات » ١٩٤ .

واعلم أيها الولد المرجوّ للاستقامة أنَّ حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال - كما قاله الشعراني في « العهود المحمدية » - كحكم من يمرّ بالمريد على جبال الفلوس الجدد[1] ، فإذا زَهِدَ فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الفضة ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمر به على جبال الذهب ، ثم الجواهر ، فإذا زهد فيها المريد أوصله إلى حضرة الله فأوقفه بين يديه بلا حجاب . فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم الدارين ، وهناك لا يُقدِم على الوقوف بين يدي الله تعالى شيئاً أبداً ، **وأما بغير شيخ** فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم . انتهى نقله صاحب « رماح حزب الرحيم » . فراجعه في ١٠٥ ج٢ .

الجنة المعجَّلة

يا ولدي! إني أُحدثك ما وقع لي مرة حين كنت في الخلوة امتثالاً بقوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ لا افتخاراً ولا رياء ولا عجباً ، قد طرأ

---

(١) والجُدّة بالضم : الطريقة والجمع جُدَدٌ ، قال الله تعالى ﴿ **وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ** ﴾ أي : طرائق تخالف لون الجبال . « مختار » . (هامش الأصل) .

عليَّ مرة وقت العصر حضور تام وأنس بالله تعالى ، وحصل لي وقتئذ لذة عجيبة بحيث لا يمكن تعبيرها ولا إدراكها إلا مَنْ ذاقها وأنعم الله بها فظن والدك حينئذ ؛ هل يكون في الدنيا أوفي الآخرة ! **ولو في الجنان لذة ألذ من هذا !** وقد ظن في تلك الحال أنه لو أمره بدخول الجنة بَدل هذه اللذة لا يدخل فيها باختياره ، ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة وهذه اللذة هي التي يسمونها **بالجنة المعجلة** . وأرجو الله تعالى يا ولدي أن يذيقك منها شيئاً لو دمت على الذكر القلبي .

واعلم أيضاً أنَّه لا يصل السالك إلى حضرة الله وحضرات أسمائه وصفاته ولو جمع علوم الأولين والآخرين ، وصحب طوائف الناس أجمعين ، وعبد عبادة الثقلين إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص . كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٠٤ ج١ . فإذا كان الأمر **كذلك ينبغي للسالك أن يتكلّف على الحضور والتوجه إلى وسط القلب في دوام الأوقات** ، ودفع الخواطر عنه بقدر الوسع والطاقة وكثرة الوقوف قبالة الشيخ ؛ ليتوجه إليه ويخرج بمِعْول[1] توجهه أوساخ الأغيار وكدورات السّوى ، ويذهب عنه حديث النفس المذموم ، فبالدوام على هذه المذكورات يصير القلب بحيث لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ويتحقق له الخلوة في الجلوة فيصير عرشياً فرشياً وكائناً بائناً . وهذا مقام الكمّل الذين لا يشغلهم الخلق عن الحق تعالى .

قال الشعراني في « العهود المحمدية » : فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك أروح كذا ، أفعل كذا ، أقول كذا ، ونحو ذلك وإلا فمن لازمك حديث النفس في الصلاة ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لا فرض

---

(١) والمعول : الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر ؛ والجمع المعاول . « مختار » .

ولا نفل . **فاعلم ذلك** وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ كما عليه طائفة المجادلين بغير علم ، فإن ذلك لا يصح لك أبداً . انتهى عبارته ، راجعه ٥١ ج١ من هامش « المنن » .

وأقوال المشائخ في حق اتخاذ الشيخ وما يحصلُ منه للسّالك من المنافع والفوائد كثيرة فلا نطيل بذكرها ، فمن أراد الزّيادة فليراجع إلى كتب القوم .

يا ولدي! لا أرى من المشائخ إلا المنفعة والخير لكل من تعلق بهم أو ذَكَرَهم بخير ، أو بشرٍّ ، أو عرفهم فكيف وقد نقل صاحب « الإتحاف » في ٢٢ ج٤ رضي الله عنه عن « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر رضي الله عنه ما حاصله : **أن المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات ، أو يطلبه له من الله تعالى بهمته ، وأن الشيخ لا ينسى من سلّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** ، بل لا ينسى من يعرف الشيخ ، ولا يعرفه الشيخ فيسأل الله أن يغفره ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه أو سبَّه ووقع فيه[1] ممن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه . انتهى ، فراجعه ففيه البسط .

قال العلامة الشيخ ابن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد بيت :

وِلِلْفَقِير وُجُوه لَيْسَ يَحْصُرُهَا   عَدٌّ وَكُلُّ وُجُودٍ فَهُوَ وَادِيهِ

الفقير : هو الفاني الخارج من أوصاف بشريّته المتحقق بعبوديته ، ومثل هذا تشرق عليه أوصاف الربوبية ، وتسطع عليه من مشرقة أنوار الخصوصية ، وتصدر من مظهره القدرة الإلهية ويكون متخلقاً بأوصاف مولاه . كما ورد : « تخلّقوا بأخلاق الله تعالى » ، فَتَعُمُّ رحمته الخلق

---

(١) أي اغتابه .

وتواضعُه لكل فرد حتى **كأنَّ الخلق كلهم أجزاؤه** ، فيتنعَّم إذا تنعموا ويتألَّم إذا تألموا ، ويقابل السيئة الحسنة ، ويصلُ من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، كما وقع للنبي ﷺ حيث شجّ الكفار رأسه الشريف وكسروا رباعيته ، فقال الصحابة : ادعُ عليهم يا رسول الله فقال : « اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون » فدعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بعدم العلم ، وكذلك ينبغي لورثته إذا بلغه من أحد سيئة أن يقول : (اللهم اهدِ فلاناً فإنه لا يعلم) ، فمن اقتدى به ﷺ في مثل هذه الخصلة كان له من الإرث النصيب الوافر ، ومن تحقق بهذا المقام كانت أوصافه تحصر ، ومحاسنه تتزايد في كل وقت وتظهر . انتهى عبارته .

يا ولدي إن والدك الحقير المفلس المقصر قد ورث من مشائخه بفضل الله تعالى هذا الخلق المذكور ، فقد يحمل من الخلق إذايتهم ولا يقابل سيئاتهم سيئة مثلها أصلاً ؛ وإن فعلوا معه كل أذية ، بل يسأل الله تعالى المغفرة والعفو عمن ظلمه أو اغتابه وذكره بسوء أو نَمَّه ، فضلاً عمن أحسن إليه قولاً وفعلاً ، ولم يظهر قط في عمره ولو لأحد من أعدائه وحساده أنه يكرههم ولا يحبهم ، بل كان يداريهم[1] ويدفع عنه

---

(١) أي : يلاطفهم بالقول والفعل . (منه) .

المداراة : هي بذل الدنيا لحفظ الدين أو العرض والحرم ، بخلاف المداهنة فهي بذل الدين لحفظ الدنيا فهي : محرمة (إلا ما استثني فراجع « هداية المريد ») بخلاف الأولى فإنها مشروعة (أبو بكر العيمكي) . (منه) من هامش « المنن » .

*وكان سهل يقول : المريد يخاف من المعاصي ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . « رماح حزب الرحيم » عبارته ٢١٦ ج٢ . وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به ، قال يوماً في مجلسه : من كان يحبّني لله تعالى ولرسوله فليحبّني ، ومن كان يحبّني لغرض فبالله الذي لا إله إلا هو أنا عامي صِرْفٌ لم يكن لي شيء وغفله سيدي محمد الغالي حتى قبّل رجله وقال : مرحباً بالعاميّ الصرف الذي فاق أصحابه أكابر الأقطاب ، فأجابه الشيخ – رضي الله عنه وأرضاه وعنا به – نعم وأيّ شيء في ذلك عند الله . « رماح » عبارته ٤٨ ج٢ .

بالحسنة السيئة ، وأنه يسأل الله تعالى لكل من مات من معارفه وزوَّاره من أهل الإرادة وغيرهم بإعلاء مقامهم ودرجتهم عند الله تعالى والعفو عن زلاتهم . ولله الحمد على ذلك .

مهم جداً

فأرجوك يا ولدي أن ترث هذا الخُلق من أبيك وأن لا تقابل أحداً أبداً بسوء ؛ وإن ظلمك أو شتمك أو ضربك أو اغتابك ، وأن لا تشاهد كل أذيَّة وبلية إلا رشحة سوء أعمالك قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ الآية ، بل أحسن إلى المحسن وكافئه بإحسانه بقدر طاقتك ، وكِلْ أمر المسيء إلى الله تعالى ، فإن إساءته ستكفيه .

حكاية غريبة

وقد قال بكر بن عبد الله : كان رجل يثني بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك وقال : إن هذا الرجل يزعم أن الملك أبخر ! ! فقال الملك : وكيف يصحّ ذلك عندي ؟ قال : تدعو به إليك فانظر فإنه إذا دنا إليك وضع يده على أنفه أن لا يشم ريح البَخَر فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك ، فقال على عادته مثل ما قال ، فقال له الملك : ادن مني . فدنا منه واضعاً يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك في نفسه قول الساعي .

قال : وكان الملك لا يكتب بخطه إلا لجائزة ، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل له : إذا أتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث

به إليّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب ، فأخذه منه بأنواع التضرع والامتنان ، ومضى إلى العامل فقال له العامل : إن في كتابك أن أذبحك وأسلخك ! قال : إن الكتاب ليس هو لي الله الله ! في أمري ! حتى أراجع الملك . قال : ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ، ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال : ما فعلتَ بالكتاب ؟ ! قال : لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته . قال الملك : إنه ذكر لي أنَّك تزعم أني أبخرُ ! فقال : كلا ! قال : فلِمَ وضعت يدك على أنفكَ ؟ قال : كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمَّه ، قال : صدقت ارجع إلى مكانك ؛ فقد كفى المسيء إساءته . كذا في شرح « شرعة الإسلام » و « الإحياء » فراجعهما فتدبر في هذه القصة واعمل بما ذكر .

وأرجو الله تعالى أن يمدك بمدده وأن يوصِّلك إلى ما وصل إليه أولياؤه ، والله تعالى ولي التوفيق وبيده أزِمة التحقيق . ولأجل كون الاستغفار مما يلقنه المشائخ في أوّل الأمر أردتُ أن أذكر ما فيه من الأحاديث والآثار عقب الترغيب الأول فأقول مستعيناً بالله تعالى :

الترغيب الثاني

في بيان فضائل الاستغفار ومنافعه وفوائده

اعلم أيها الولد أن التوبة أول قدم للسالك ، وأحد مقامات اليقين وأهم قواعد الدين ، **ولها شروط** . قال شيخنا خالد سيف الله قدس سره في « كنز المعارف » : إن شروط التوبة المسقطة للإثم ظناً لا قطعاً أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية ، وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصاً لله تعالى ، وأن يقلع عنه حالاً إن كان متلبساً به أو مصرّاً على المعاودة إليه ، وأن يخرج عن المظالم والزكاة ، إن كانت يردها ، أو

بَدَلَها إن تلفت لمستحقها ما لم يبرئه منها ، ومنه قضاء صلاة وصوم ؛ وإن كثرا ، **فإن اختل شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته** ، وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهراً ، وبقلبه باطناً – على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب المَأوَرْدِيّ – . انتهى عبارته .

وقال قدس سره :

تنبيه : التوبة واجبة فوراً من كل ذنب ولو صغيراً ، **فمن أخَّرها زمناً يسعها كان عاصياً بتأخيرها .**

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم ، **ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة منها** – على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني – فإن لم يجدّدها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها . ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ، **ولا يكفيه توبة واحدة .** فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة . قال الزركشي : هذا ظاهر .

وقال ابن عبد السلام : يتذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكره ، وما تعذر فلا يلزمه ما لا يقدر عليه .

وقال القاضي أبو بكر : **إن لم يتذكّر تفصيل الذنب فليقل : إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني تائب إلى الله** . انتهى راجعه في فصل التوبة .

وقال الفضيل بن عياض : الاستغفارُ بلا إقلاع توبةُ الكذابين .

وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير .

وقال بعض الحكماء : من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً

على الله تعالى وهو لا يعلم .

ومعنى المغفرة : ستر القبائح والذنوب بإخفائها[1] ، وفي الآخرة بالتجاوز عنها ، وقد أمر سبحانه وتعالى بستر القبائح والذنوب والعورات فهو أولى بذلك من عباده وهو أرحم بهم من أنفسهم ، ومن أسمائه الغفور ، الغفار ، و الغافر ، والتواب ، والرحيم . انتهى . « **ذخيرة المعاد** » عبارته في ٢ ج٢ من « عقد اليواقيت » .

توبة العوام؛ توبة الخواص؛ توبة خواص الخواص

وفيه : **واعلم** أن توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من غفلة القلوب ، وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب . انتهى عبارته في ٤ ج٢ .

وقال الشيخ الشعراني في « اليواقيت » : المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص ، وبيان أنها تصح ؛ ولو بعد نقضها ، وأنها تصحّ من ذنب دون ذنب أي : تصح من ذنب ولو كان صغيراً مع الإصرار على ذنب آخر ولو كان كبيراً - كما قاله الجلال المحلي - قال : **وإذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة ، بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى** . هذا ما عليه جمهور العلماء ، ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنها لا تصحّ بعد نقضها وهو عوده إلى المتوب منه ، وقيل : إنها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير . وقيل : لا تصح مع الإصرار على ذنب كبير .

قالوا : ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن ، والوصلة بأهل الله تعالى من الأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين ، وأنه إذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين .

---

(١) في الدنيا لعله . (منه) .

ثم من الواجب الإتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس .

ومعظم شروطها الندم على المعصية ؛ أي : من حيث أنها معصية ؛ ليخرج **ما لو ندم على شربه الخمر مثلاً من حيث إضراره بالبدن ، فإنّ ذلك ليس بتوبة .**

وعرّف بعضهم التوبة بأنه تحزُّن وتوجّع لما فعَل ، وتمني لكونه لم يفعل .

قال الكمال في حاشيته على « شرح جمع الجوامع » : ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الأزمنة ، بل يكفي استصحاب الندم حكماً بأن لا يصدر منه ما ينافيه ، لأن الشارع أقام الأمر الثابت حكماً مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الإيمان ، فإن النائم مؤمن بالاتفاق ، وأيضاً فلِمَا في التكليف بتذكر الندم في جميع الأزمنة من الحرج المنفي في الدين .

قال الجمهور : **وتتحقق التوبة بالإقلاع عن المعصية** وعزم أن لا يعود إليها ، وتدارك ممكنِ التداركِ من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلاً فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف ، أو وارثه يستوفيه أو يبرىء منه ، فإن لم يمكن تدارك الحق كأن لم يكن مستحقه موجوداً سقط هذا الشرط كما يسقط أيضاً في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق الآدمي .

قال العلماء : وكذلك يسقط شرط الإقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها ؛ كشرب الخمر مثلاً .

قال الجلال المحلي : فالمراد بتحقق التوبة بهذه الأمور أنها لا تخرج عما يتحقق به عنها ، لا أنه لا بد منها في كل توبة . انتهى .

قال الكمال في « حاشيته » : وقولهم (وتدارك ممكن التدارك) إلى

آخره هو المشهور عند أصحابنا ، والذي جرى عليه الآمديّ وصاحب « المواقف » و« المقاصد » : أن التدارك واجب برأسه ، فمن قتل وظلم أو ضرب ؛ فعليه أمران : التوبة ، والخروج من المظلمة ؛ وهو تسليم نفسه مع الإمكان ؛ ليقتصّ منه ، ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الإتيان بالواجب الآخر .

وقال في « المقاصد » : إنه التحقيق ، إلا أنه قد لا يصحّ الندم بدونه كردّ المغصوب . انتهى .

قال ابن السبكي وغيره : وإذا أحس الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به ؛ وإن احتاج إلى استغفار آخر ! **لأن اللسان إذا أَلِفَ ذِكراً يوشك أن يألفَه القلب فيوافقه فيه** .

وكان الإمام السهروردي يقول : **اعمل ؛ وإن خفت العجب مستغفراً** .

قال العلماء : ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء إذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، قالوا : وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر ، لأن النفس تريد هلاكك الأبدي باستدراجك من معصية إلى معصية أخرى . وفي الحديث « المعاصي بريد الكفر » أي مقدِّمته ، فإن غلبتك نفسك الأمارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوباً على الفور ، ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة إن شاء الله تعالى ، فإن لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذمومِ لِكَسلٍ يَعوقك[1] عن الخروج منه ؛ أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم[2] اللذات وهو الموت وفجأته ، فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسرَ مع الخاسرين ، وإن كان عدم إقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه لشدة

(١) عاقه . . إلخ : منعه « مصباح » .

(٢) هذم يهذم : قطع « قاموس » .

الذنب الذي سبق منك ، أو لاستحضار عظمة من عصيتَ ! فخف عقاب ربك على هذا فإنه لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا القوم الخاسرون ، واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها إلا هو ؛ لترجع عن قنوطك ، فإن جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجَحُ[1] من جانب عقوبته لهم . هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله تعالى في مبحث التوبة .

واعلم يا أخي أن التوبة من أعظم ما مَنَّ الله تعالى به على عباده ، فإن لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة ، فإن لم يَصحَّ لنا التوبة من ترك التوبة ، وجب علينا التوبة من الإصرار على ترك التوبة من الإصرار ، وهكذا أبداً ما عِشْنا ؛ وما ثَمَّ لنا دآء بلا دواء أبداً ، فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله **فلله تعالى رحمة خاصة يمنّ بها على من مات مُصرّاً من أهل الإسلام** .

واعلم أن حقيقة التوبة : هي الرجوع إلى شهود أن الله تعالى هو المقدّر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ، ومعنى حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة أو الرابعة افعل ما شئت فقد غفرت لك » أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني ، أغفر لك ، **فلا يكفيه العلم بأنَّ له رباً يغفر الذنب من غير ندم** فافهم .

قال الشيخ محي الدين في الباب الرابع والسبعين من « الفتوحات » : ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فوراً قوله تعالى ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ .

فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة إذا خالفوا بإعلامهم بمضمون قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ** ﴾ ليقولوا إذا سئلوا عن

---

(١) وقد قال الله ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ** ﴾ الآية من سورة الرعد .

ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا ، مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ليقول غرني كرمُك يا رب . فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجّه بها إذا كان محبوباً ، وليس هذا التعليم إلا للسعداء خاصة فافهم .

قال : **واعلم** أن توبة الله تعالى على العبد مقطوع بها ، وتوبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها ، والجهل بعلم الله تعالى فيها ، فكل عارف يسأل ربه تعالى أن يتوب عليه ، وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير ، فمعنى قوله تعالى ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ أي ارجعوا إلى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه الصلاة والسلام تعليماً لكم بالفعل والصورة ، **لأنه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة ، وإنما كان محض نفوذ أقدار لا غير** .

قال : وأما الرجوع إلى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ! ففيه خطر عظيم ، فإنه إن كان بقي عليه شيء من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد ، فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم ﴿ **ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ** ﴾ .

ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه ، **وما نقل أنه عاهد الله تعالى على أنه لا يعود** – كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة – فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام ، فإن في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادّعاء القوة ومقاومة الأقدار الإلهية ، إلا أن يقصد بذلك أنه لا يعود إن وكل الأمر إليه استقلالاً ، وذلك محال . انتهى . فليتأمل وليحرّر .

وقد وقع لبعض الأكابر من عُبَّاد بني إسرائيل أنه قال : يا ربِّ لو

فرغتني لعبادتك ووكلتني إلى نفسي لأريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ، ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه ، فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة .

وما قص الله تعالى علينا وقائع الأكابر إلا لنتأدّب بما أدَّبهم الله تعالى به ، فعلم أن العبد لم يكلَّف إلا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه ، فما كان من طاعة فليشكر الله تعالى ، وما كان من معصية فليستغفر الله تعالى ، وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه ، فإن كان عارفاً قلّب المباح بالنية إلى شيء محمود .

وفي بعض الهواتف الربانية : ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل ، وإنما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه ، فإن كان طاعة حَمِدَنا على قسمتها له واستغفرَنا من تقصيره فيها ، وإن كان معصية حَمِدَنا على تقديرنا عليه واستغفَرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا ، وإن كان غفلة وسهواً فعل ما هو اللائق بمقامه . انتهى .

وقوله (ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل) لا ينافي مجاهدة النفس وردَّ خواطرها لأن ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان ! لأنها وجدت .

وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شيء في المستقبل ، لأن الاستخارة مأمور بها ، وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم .

وقال الشيخ محي الدين في « الفتوحات » بعد كلام طويل : وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربّه على ترك شيء أو فعله في المستقبل ؛ إما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على أنه لا يقع منه زلة في المستقبل أم لا ، فإن كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الإلهام الصحيح ؛ فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود ، وإن كان

لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله تعالى أنه لا يعود ! فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضاً عهد الله وميثاقه ؛ وإن كان أطلعه الله على أنه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للأقدار ؛ فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل ، لا الذي عَلِم ولا الذي جهل ، وليست التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده إلا أن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام ، وما بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلّف به إلا عدم الإصرار على الذنب ، والتوبة منه لإشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل .

وحدَّ بعضهم الإصرار على الذنب بأن يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب .

وقال بعضهم : من لم يتب عقب الذنب فوراً فهو مصرٌّ ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين ، فإنه ورد أنهم ينتظرون العاصي ساعة ، وما عرفنا مقدار هذه الساعة : هل هي الفلكية أو غيرها ؟ ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به » إلى آخره ، فإنه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ، ولعل مَنْ شَرَطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأفرده بالشرطية ، كما أفردوا الإقلاع عن الذنب بالشرطية مع أنه من لازم وقوع الذنب ، وكذلك إفرادهم ردّ المظالم إلى أهلها . والله أعلم . انتهى كلام الشعراني في « اليواقيت » في ١٣٣ ج٢ .

وفيه بُعَيد هذا : وقال[(١)] في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم : « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها » الحديث ، فيه الأمر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة ، فإن التوبة من

---

(١) يعني الشيخ الأكبر قدس سره (منه) (هامش الأصل) .

الفرائض الواجبة حال التكليف ، فإن أخَّرها إلى الاحتضار لم تقبل ، ولهذا لم يقبل إيمان فرعون . انتهى راجعه في ١٣٣ ج٢ .

وفيه : وكان الشيخ محي الدين رضى الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ .

اعلم أن من علامة من قبل الله تعالى توبته وبدّل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيئاً من ذنوبه لكونها مُحِيَتْ ، وكل ذنب تذكره العبد فليعلم أنه لم يُبَدَّل . انتهى .

ويؤيده حديث الطبراني « إذا تاب الله تعالى على عبد أنسى حَفظَته ذنبه ، وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض أن تشهد عليه » ، وهي قاصمة للظهر ، فليتأمل ويحرر والله أعلم . انتهى .

ورأيت في « اليواقيت » في موضع آخر من الجزء الثاني ما حاصله : إذا اعتنى الله تعالى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكُّره وأنساه إياه ، لأنه لو تذكره لاستحى ، **ولا عذاب على النفوس الطاهرة أعظمُ من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه** . انتهى في ٨ .

وفيه : **فإن قلت** فهل يلزم من كون الحق تعالى يُنسي عبده سيئاته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار إليه قوله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾؟ **فالجواب** : لا يلزم ذلك ، ولكن قال بعض العارفين : إن في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله أنه بدل سيئاته حسنات ، فإن من علامة التبديل نسيانَ الذنب ، وذلك أن الذنب إذا بدله الله تعالى بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الأربع . ويؤيد ذلك قول بعض العارفين :

مهم جدّاً

(**كل ذنب لم يذهب من ذهن الإنسان فليحدث له توبة جديدة ، فإنه إلى الآن لم يبدَّل ، وليكثر الاستغفار طول عمره ، فوالله ما خلقنا إلا لأمر عظيم**) انتهى في ٨ عبارته .

وفيه أيضاً : **فإن قلت** ما صورة تبديل السيئات بالحسنات ؛ هل تصير نفس المعصية التي وقعت في صحيفة العبد ، أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه ؟ **فالجواب** - كما قاله بعض أهل الكشف - : أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة ، ويكتب مكانها حسنة تشاكلها ، **فإن كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة** ، أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة[1] ، وهذا الأمر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد إن صحَّ لأنه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ، ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته أعمالاً صالحة لم يعمل عينها ، فعلم أن الله تعالى إذا بدل سيئات العارف حسنات ، رأى ذلك من أكبر النعم[2] عليه . انتهى عبارته في ٩ .

وأما ما حدَّه البركوي رحمه الله تعالى للإصرار ؛ هو دوام قصد المعاصي والمناهي ولو صدرت منه أحياناً أو مرة . انتهى .

---

(١) وتكون الأعمال الصالحة التى عملها بعد التوبة أرفع درجات عند الله عزّ وجلّ ، كذا في كتاب « الجواهر » و« الدرر » فراجعه في ١٧٣ من هامش « الإبريز » (منه) .

(٢) ورأيت في « الكبريت الأحمر » ما نصّه : وإذا بدل الله سيآت عبده حسنات يودّ أنّه لو أتى بقراب الأرض خطايا أو حمل ذنوب جميع ذنوب البرايا لِمَا يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ، ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى ، وفي الآخرة بجنة المأوى ؛ وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المذنبين فيبدو للمذنبين ما لم يكونوا يحتسبون ، وأكثر الناس في الدّنيا بهذا لا يشعرون . انتهى ٢٧٧ من « هامش اليواقيت » ج٢ فراجعه . (منه) .

وقال: ولو تخلل الندامة[1] والرجوع عنها[2] فليس بإصرار، ولو صدرت في يوم واحد سبعين مرة. هكذا ورد عن النبي ﷺ: «ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة». وضرره غني عن البيان، ويكفيك جعله الصغيرة كبيرة لورود: «أن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار» انتهى.

قال الخادمي: لأنه يجعلها كبيرة بالمواظبة، **فعفو كبيرة واحدة لا يتبعها مثلها أرجى من صغيرة يواظب عليها**. انتهى عبارته «بريقة». وفيه: ثم إن الصغائر إنما تكون واحدة صغيرة إذا كان مستعظماً لفعلها خائفاً من عقابها، وأما إذا فعلها متهاوناً بها فكبيرة - كما في «الإحياء» - **واستخفاف الصغيرة كفر إذا ثبت بقطعي**، وإصرار الصغيرة غلبة المعاصي على الطاعات على المعتمد. وقيل: المواظبة على صغيرة من نوع أو أنواع. انتهى عبارته.

وضده - أي الإصرار - الإنابة والتوبة وهي الرجوع عن قصد المعصية، والعزم على أن لا يعود إليها تعظيماً لله تعالى، وخوفاً من عقابه تعالى؛ لا لغرض دنيوي كالضرر لنفسه أو لماله.

اعلم أنه تصحّ التوبة من بعض مع الإصرار[3] على الأخرى، وتصح ولو بعد نقضها مراراً.

والكبيرة لا تكفرها إلا التوبة، وأما الصغائر فلها مكفرات؛ كالصَّلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج والاستغفار واجتناب

---

(١) بينهما. «بريقة».

(٢) «بريقة».

(٣) وفي «الفتوحات» في ٢٣٧ ج٢: إنه لا تنفع التوبة من ذنب مع ارتكاب مثله، راجعه من سورة النساء (منه).

الكبائر على أحد القولين ، وقبول التوبة من الكفر قطعي اتفاقاً ومن المعاصي أيضاً عندنا ، وعند الشافعي ظنيٌّ ، والأصح أن الحج المبرور لا يكفّر الكبيرة ، ومراد مَن قال بالتكفير ! ليس سقوط قضاء العبادات والمظالم والديون ، بل يكفّر إثم التأخير ، فإن لم يفعل حين فراغ الحج فقد ارتكب الآن كبيرة ، وهذا مما يجب حفظه . كذا في « الزينة » أيضاً انتهى « بريقة » في ٢٢٧ ج٢ .

وفيه قال المناوي : ورد في الخبر أنه يكفر حتى الدماء والمظالم ، وأخذ به جمع . انتهى عبارته .

ثم **اعلم** أن المعاصي إما كفر ونفاق وارتداد ؛ فتوبته ندم كامل وإسلام خالص ، فهل يثاب على حسناته حال الكفر بعد إسلامه أو لا ؟ قيل : نعم لكن بلا تضعيف بعشر حسنات ، وقيل لا .

وإما بدعة في الاعتقاد فتوبته أيضاً ندم كامل واعتقاد حق .

وإما معاصي فرعية فإن [كانت] بترك الفرائض كالصلاة ففيه معصيتان : معصية التأخير فتوبته ندم كامل ، ومعصية الترك فتوبتهُ قضاء فوراً ، فتأخير القضاء معصية أخرى فيتوب له أيضاً . وإن لم يساعده وقته كمرض موته ؟ فيوصي بالفدية . **وأما الصلاة التي أديت بالكراهة التحريمية** كترك تعديل الأركان والطمأنينة في القومة والجلسة ، فقضاؤها ليس بفرض لكن واجب على ما نقل المصنف[1] في « الجلاء »[2] عن « الهداية » والواقع في مواضع من « معدَّل الصلاة » له : **اللازم هو الإعادة** ، فليتأمل . وكذا الصلاة التي أفسدها ولو نفلاً ، ثم الزكاة وصدقة الفطر

---

(١) وهو الإمام البركوي قدس سره مؤلف « الطريقة المحمدية » متْنِ « البريقة » (منه سامحه الله) .

(٢) أي كتاب : « جلاء القلوب » .

والنذور والضحايا ، فتقضى لكن لا بحيلة ! إذ الصحيح أنها مكروهة ، فالتصدق إلى الفقراء ثم الصوم إن قضاه فقط أو مع الكفارة فكذا ، ثم الحج فعليه الأداء ، فإن لم يمكن فيوصيه ، وإن حج ! لاحتمال صدور الكفر على ما اختاره المصنف ، لكنه لا يخلو عن خفاء ، وإن أفلس بعد القدرة فعليه الكسب أو السؤال للحج ، وإن صدر عنه الكفر اعتقاداً أو عملاً أو قولاً ! فعليه إعادة الحج دون الزكاة والصوم والصلاة وغيرها فلا تجب بعد الكفر ؛ وإن بطل ثوابها !

مهم

وإن كانت المعاصي بفعل المنهيات فإنْ[1] مما بينه وبين الله تعالى بلا تعلُّق حقِّ عبد ، كالقعود في المسجد ، وقراءة القرآن جنابة ، وكلام الدنيا والأكل والشرب والنوم لغير المعتكف والمسافِر ، ومس المصحف بلا وضوء ، وكضرب الملاهي ، وشرب الخمر ، والزنا طوعاً ، **فيتوب توبة نصوحاً** بلا لزوم أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي الاستيفاء ، بل يستر ويقيم حدوده تعالى على نفسه بالمجاهدات والتضرعات في الخلوات سيما الأسحار ، ولو رفع أمره إلى الوالي ليقيم عليه الحدّ لكان أفضل كماعز بن مالك رضي الله عنه ، وإن مما بينه وبين الله تعالى بتعلق حق الحيوان كالوطء والقتل والضرب بلا عذر ، وكضرب وجهه ولو بعذر ، والركوب والحمل فوق الطاقة ، وعدم إعطاء العلف والماء فمشكل جداً فليس له إلا التوبة النصوح والتضرع والبكاء . **وإن بمظلمة العباد** فخمسة : مالي ، ونفسي ، وعِرْضِي ، ومحرمي ، وديني .

فالمالي كالسرقة والغصب والغبن وترويج زيف ، وإتلاف مال الغير باليد أو بشهادة الزور ؛ أو بالغمز إلى الظالم ، أو بالحكم جَوْراً أو بالرشوة

---

(١) أي : إن كان ، فافهم .

وغيرها ، فيتوب ثم يستحلُّ **ولو حبة أو ذرة ؛ وإن صدر حال الصبا ، إذ الغرامات المالية لازمة على الصبي** ، فإن لم يسترض في الدنيا فيعطيه في الآخرة ، فإن مات المالك فيعطيه إلى وارثه ، وإن لم يوجد ، أو لم يعلم المالك ! فيعطيه إلى الفقير بنية وديعة عنده تعالى ، ويوصلها إلى صاحبها يوم القيامة ، أو يصرفه إلى المصالح نحو القناطير ، ولو صرف إلى فقراء الوالدين أو المولودين لكان معذوراً كما قيل ، وإن عجز فبمشيئة الله تعالى ؛ إن شاء يعطي من حسناته ، أو يحمل سيئاته عليه ، وإن شاء يرضيه عنه . وأما حق الكافر إن لم يسترض فمشكل جدّاً قيل يجوز إرضاؤه تعالى بتخفيف عذابه .

وأما النفسي ؛ فإنْ مما يوجب القود في النفس أو في الأطراف فيتوب أولاً ، ويسلّم نفسه إلى وليّ الجناية ثانياً إن شاء عفا وإن شاء أخذ حقه ، وإن شاء صالح على مال ، وإن مما يوجب الدية فيتوب ويعطي أيضاً أو يستحل .

وأما العِرْضي ؛ كالغيبة والبهتان والاستهزاء والشتم ! فالتوبة والاستحلال ، وشُرِطَ في البهتان تكذيبُ نفسه عند من بَهَته عندهم ، ولا يمكن الاستحلال بالوارث في هذا النوع .

وأما المحرمي ؛ كالخيانة لأهل الغير أو ولده أو نحو ذلك ! فيتوب ويستحل ، وإن خاف تهيُّج فتنةٍ فيتضرع ربَّه ويبكي ويدعو لصاحب الحق ويتصدق له .

وأما الديني ؛ كالتكفير والتفسيق ! فيتوب ويسترضي ويكذِّب نفسه كما مرَّ .

واعلم أن فيما ذكر كله إن لم يعلم ما عليه من الحقوق يقيناً فيعمل بغلبة ظنه من أوان البلوغ ، أو أوان الوجود في الحقوق المالية إلى أوان

التوبة ، ثم الاستحلال المبهم لا يكفي عند الغزالي ، ويكفي على الأصح على ما في « الفتاوى » .

وفي « الخلاصة » قال : حلِّلني من كل حق لك عليّ فأبرأه فإن علمه صاحب الحق برئ مطلقاً بالإجماع وعليه الفتوى ، فبرئ قضاء إجماعاً ، وأما ديانة ! فعند محمد لا يبرأ ، **وعند أبي يوسف** : **يبرأ ، وعليه الفتوى** . ولهذا قيل : الاستحلال المبهم من خواص هذه الأمة .

قال رجل : له على آخر دين وهو لا يعلم بجميع ذلك . فقال المديون : أبرئني مما عليَّ . فقال : أبرأتك . قال النصر : لا يبرأ إلا مقدار ما يتوهم أنه له عليه . وقال محمد بن سلمة : يبرأ من الكل . وعن أبي الليث : ما قاله النصر حكم الآخرة ، وما قاله محمد حكم القضاء . قال : (أبرأت جميع غرمائي ، أو كلُّ غريم لي فهو حلّ أو ليس بالدين شيء) لا يبرأ ! وقيل : في المسئلتين يبرأ . وتمام ذلك قبيل الثلاثين من كتاب الاستحسان « للتتارخانية » .

اعلم أن الأفضل هو الإبراء لا سيما المعسر ، ولذا جاء في الحديث « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلَّه الله تعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه » انتهى « بريقة محمودة » من الجزء الثاني في ٢٣٠ .

فوائد فيها ترغيب السالك إلى التوبة .

قال شيخنا خالد سيف الله الحسيني النقشبندي القادري الشاذلي في كتابه « كنز المعارف في أسرار اللطائف » : وأخرج الشيخان والترمذي عن الحرث يزيد قال : قال ابن يزيد قال : قال ابن مسعود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض وبيئة[1] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ

---

(١) أرض منقطع قليل الماء . « منجد » .

وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتدّ عليه الحر والعطش ، أو ما شاء الله تعالى قال أَرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذاً راحلته عنده ، عليها زاده وشرابه ! فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » ، ومسلم « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فإني أتوب إليه مائة مرة » .

وابن ماجه « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء[1] ثم تبتم لتاب الله تعالى عليكم » .

والطبراني والبيهقي « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك . فيمسك ست ساعات ، فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئاً ، وان لم يستغفر الله تعالى كتب عليه سيئة واحدة » .

وابن أبي حاتم وابن مردويه « التوبة النصوح : الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً » .

والطبراني وأبو نعيم « الندامة توبة . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه » .

والترمذي « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[2] » .

ومسلم « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

والشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أهل العلم فدُلَّ

---

(١) من الكثرة والعظمة ، كما في « البريقة » (منه) .

(٢) الغرغرة : تردّد الروح في الحلق « مختار » .

على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمَّل مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ! ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا أنصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : ولم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكّم بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « إن المؤمن إذا أذنب نكت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر صقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه - أي تغشاه وتغطيه - تلك النقطة السوداء ، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ اللهم إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك . انتهى كلام سيف الله من خطه قدس سره ونوَّر ضريحه آمين .

وفى « **الجامع الصغير** » قال الله تعالى : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو أنك لقيتني بقراب[1] الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

---

(١) ولو جاء بقراب الأرض أي : بما يقاربها « مصباح » ، يقال لو أن لي قراب هذا ذهباً أي : ما يقارب ملأه « مصباح » .

وعن الترمذي عن أبي موسى الأشعري أنه قال صلّى الله تعالى عليه وسلم : « كان في الأرض أمانان من عذاب الله تعالى فَرُفِع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به » .

أما المرفوع فرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأما الباقي منهما فالاستغفار ، قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ انتهى . « بريقة » في ٢٣١ ج٢ عبارته .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال « من قال : **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** ، خمس مرات غفر له ، وإن كان عليه مثل زبد البحر » . انتهى « جواهر المعاني » .

وكان ﷺ يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً ، فمن أحب أن تسرَّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » . انتهى « كشف الغمة » .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله تعالى في يوم سبعين مرة إلا غفر له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

وكان أنس ﵁ يقول : جاء رجل إلى رسول ﷺ فقال : واذنوباه ! واذنوباه ! يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً . فقال له رسول الله ﷺ : « قل : **اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي** » . فقالها . فقال له رسول الله ﷺ : « قم فقد غفر الله لك » انتهى . راجعه في ٢٨٨ من الجزء الأول .

قال الغزالي في « منهاج العابدين » : وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة ، فاتخذ التوبة أيضاً والعود إليها حرفة فلا تكن في التوبة أعجز

منك في الذنب ، ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك[1] فإنها دلالة الخير ، أما تسمع قوله ﷺ « خياركم كل مُفْتَنٍ تواب » أي كثير الابتلاء بالذنب ، كثير التوبة منه والرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار . وتذكَّر قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ انتهى . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ الآية .

وقال الغزالي في « منهاجه » : ثم عليك يا طالب العبادة - وفقك الله تعالى - بالتوبة وذلك لأمرين : أحدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان ، وإن قيد الذنوب يمنع من المشي إلى طاعة الله تعالى والمسارعة إلى الخير وخدمته ، وإن ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط إلى الطاعات ، وإن الإصرار على الذنوب يسوّد القلب فتجده في ظلمة وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاء ، ولا لذة فيها ولا حلاوة ، وإن لم يرحم الله تعالى فيستجرُّ صاحبها إلى الكفر والشقاوة ، فيا عجباً كيف يوفق للطاعة مَن هو في شؤم وقسوة ! وكيف يُدعى للخدمة مَن هو مصرّ على المعصية ومقيم على الجفوة ! وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطّخ بالأقذار والنجاسات ! ففي الخبر عن الصادق المصدّق رسول الله ﷺ أنه « إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه » .

وكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز وجل ؟ ! فلا جرم لا يكاد يجد المصرُّ على العصيان توفيقاً ، ولا تخفّ أركانه لعبادته ، فإن اتفق فبكدّ لا حلاوة معه ولا صفوة ، وكلّ ذلك بشؤم الذنوب وترك التوبة .

ولقد صدق من قال : إذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم

---

(١) أي : العود إلى الذنب (منه) .

أنك مكبول[1] قد كبّلتك خطيئتك فهذه هذه .

والثاني من الأمرين : إنما يلزمك التوبة ، لتقبل عنك عبادتك ، فإن رب الدّيْن لا يقبل الهدية ، وذلك أن التوبة عن المعاصي وإرضاء الخصوم فرض لازم ، وعامة العبادة التي تقصدها نفل ، فكيف يقبل منك تبرعك والدَّين حالّ لم تقضه ؟ ! أم كيف تترك لأجله الحلال والمباح وأنت مُصرّ على فعل المحظور والحرام ؟ وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو - والعياذ بالله - عليك غضبان ؟ ! فهذا ظاهر حال العصاة المصرّين على المعصية والله المستعان انتهى عبارته .

يا ولدي إني جمعت لأجلك في هذا الباب أقوال العلماء الواردة في حق التوبة ؛ لتكون سبباً لانتباهك عن سِنة الغفلة وحرصك على التوبة ، مع أنك في حال القدرة لفعل الذنوب .

يا ولدي ؛ **اعلم** أن التوبة ؛ عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله كما ذكره الغزالي في « الإحياء » « والمنهاج » أيضاً .

فإذا كان أحد يقطع الطريق ويذهب في الفلاة ويأخذ أموال الناس ثم عجز عن أن يذهب إلى الفلاة ويقطع الطريق ، فتوبته إنما تحصل بترك مثل ذلك القطع منزلة وهو السرقة . كذا قرّره الفلدي في هامش « منهاج العابدين » والبسط في « الإحياء » في ٣٣ ج٤ راجعه .

يا ولدي إنّ رحمة الله تعالى واسعة ، وقد غفر لكثير من العصاة وجعلهم من أوليائه ، **فقد كان الفضيل - رحمه الله تعالى - شاطراً يقطع الطريق** بين أبي ورد وسرجس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينما هو يترقى في الجدران إليها سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ

---

(١) مقيّد . (هامش الأصل) .

﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فقال : يا رب قد تبت . فرجع فآداه الليل[1] إلى خربة فإذاً فيها رفقة فقال بعضهم : نرتحل . وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا . قال : فتاب الفضيل وآمنهم وجاور الحرم حتى مات . كذا في « البريقة » فصار أمر الفضيل بعد التوبة أنه كان أزهد الناس وأعبدهم وأورعهم في زمنه كما هو مذكور في مناقبه .

وإن الناس يسألون الله تعالى بحرمته قضاء حوائجهم ويتوسلون به جعلنا الله تعالى في بركته وبركة أمثاله آمين .

يا ولدي يجب على التائب أن يكون الباعث على التوبة تعظيم أمر الله تعالى ، والخوف من سخطه وأليم عقابه ، لا رغبة دنياوية ، أو رهبة من الناس ، أو طلب ثناء ، أو صيت ، أو ضعفاً في النفس ، أو فقراً ، أو غير ذلك ، فلو ندم على الذنب لسقوطه عن الجاه بسبب فعله ذلك الذنب ، أو ندم على الذنوب ، لعوده إلى الفقر وإلى عدم المال بسبب إنفاق المال في الذنوب فقط ، ولم يندم لتعظيم الله وخوف عقابه ، فإن ذلك لا يكون توبة بلا ريب ؛ اللهم ارزقنا ولأولادنا وأحبابنا وزوّارنا وإخواننا في الدين توبة نصوحاً وثبتنا وإياهم عليها إلى الممات واغفر لنا وإياهم آمين .

(١) فآواه علّه . (هامش الأصل) .

الترغيب الثالث

في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه السلام

اعلم يا ولدي أن فضل الصلاة على النبي ﷺ مشهور ومعلوم ، والأحاديث الواردة في حقها كثيرة ، وقد نقل مؤلف « أفضل الصلوات » عن السيد أحمد دحلان ما نصه : إن الصلاة على النبي ﷺ نافعة بأي صيغة كانت ولا شيء أنفع لتنوير القلوب ووصول المريدين إلى الله تعالى منها[1] ، فإن المواظب على الصلاة على النبي ﷺ يحصل له أنوار كثيرة ، وببركتها يتَّصل بالنبي ﷺ ، أو يجتمع بمن يوصله إليه ، خصوصاً إذا كان مع الاستقامة ، **وخصوصاً في آخر الزمان عند قلَّة المرشدين** والتباس الأمور على الناس ، **فمن أراد هداية الخلق وإرشادهم** فعليه أن يأمر الناس عوامهم وخواصهم بالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ . انتهى عبارته ١٥٥ .

وفي « حاشية الباجوري » على متن « السُلَّم » في المنطق : والأحاديث في فضل الصلاة عليه ﷺ جملةً وتفصيلاً لا تنضبط ، وخصائصها لا تنحصر ،

فمن ذلك قضاء الحاجات ، وكشف الكُرَب المعضلات ، ونزول الرحمات .

ومن ذلك[2] **أيضاً ما جرب من تأثيرها في تنوير القلوب** حتى قيل **أنها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه**[3] ، كما حكاه سيدي أحمد

---

(١) وفي « الصاوي » : إنها توصل إلى الله تعالى لأنها تعرض عليه ويصلّي على المصلّى ، بخلاف غيرها من الأذكار ! فلا بُدَّ فيها من العارف ، وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها . انتهى فراجعه من سورة الأحزاب (منه) .

(٢) ومثله في « البجيرمي » في ٢٨ ج١ .

(٣) ومثله في « أفضل الصلوات » في ٣٤ فراجعه (منه) .

زروق والشيخ السنوسي في شرح « صغرى الصغرى » وأشار له الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني ، لكن قال الشيخ الملوي : المراد أنها تكفي عنه وتقوم مقامه في مجرَّد التنوير ، **أما الوصول لدرجة الولاية فلا بُدَّ فيه من الشيخ** كما هو معلوم عند أهله .

واختصت من بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطباع بخلاف غيرها فإنه يثيرها . انتهى ١٤ فراجعه .

وفي « تقريب الأصول » راجعه في ٥٦ وفي ٨٤ نظير ما مرَّ وفيه : وإن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ **فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له** ﷺ . وحكي اتفاق العلماء على ذلك . انتهى فراجعه في ١٠ .

وقطع الإمام الشاطبي والسنوسي على ذلك[١] **ولو قصد الرياء** كما في « أفضل الصلوات » في ٣٤ ، لكن ينبغي للعاقل أن لا يقصد بشيء من الصلاة على النبي ﷺ إلا التعظيم والإجلال لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وامتثال أمر الله تعالى ، فقد رأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : أن مَن صلّى على النبي ﷺ بهذه النِّيَّة كانت المرة الواحدة من صلاته لو ضرب العالم في نفسه مائة ألف مرة وقسمت صلاته عليهم لكفَّرت جميع ذنوبهم . انتهى فراجعه في ١٤٥ من الجزء الثاني .

وقد ذكرت نبذة[٢] من هذه المذكورات في كتابنا « تنبيه السالكين » في المتن وفي الهامش بالتمام ، فإن أردت الزيادة فراجعه .

وفي « جواهر المعاني » في ١٣٢ ج١ : ثم اعلم أن في الصلاة عليه ﷺ تكفَّل الله بمن صلّى على حبيبه ﷺ أن يصلّي عليه عشر مرات بكل

---

(١) أي : على أنه يحصل الثواب له . فافهم (منه) .
(٢) وأصاب الأرض نبذ من مطر ، أي : شيء يسير . « مختار » .

صلاة من تلك الصلوات التي مَنَّ الله عز وجل على العبد . لها[1] سرّان :

السر الأول : أن المصلّي عليه ﷺ يجب على نبينا ﷺ مكافأته على مَن صلّى عليه ، على قاعدة حكم الكرم عند الكريم أن الإحسان إلى الكريم لا يضيع الإحسان عند الكريم باطلاً ، فهو ﷺ بما اتصف من الكرم وجب عليه مكافأة مَن صلّى عليه من هذه الحيثيّة ، فلما توجَّه عليه ﷺ هذا ناب الحق سبحانه وتعالى عنه في مكافأة من صلّى عليه ﷺ على إحسانه ؛ أن يصلّي عليه سبحانه وتعالى بكل واحدة عشراً .

والسر الثاني : أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ ، فمن رآه سبحانه وتعالى توجّه بالصلاة على حبيبه ﷺ اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ﷺ ، **وكانت تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالى** - إذا ثابر[2] على الصلاة عليه ﷺ - لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله[3] ، وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى ، وكان حكمه في الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله تعالى بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة : إن له عناية بحبيبنا ﷺ لا تكون سيئاته كسيئات غيره ! ولا تقع المؤاخذة عليه في سيئاته كما

---

(١) عله ولها سران . (هامش الأصل) .

(٢) المثابرة على الأمر : المواظبة عليه .

(٣) وفي « جواهر المعانى » في ٢٥٥ ج٢ : واعلموا أنّ الذّنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنّها تنصب على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفرات الذنوب ، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق . .الخ فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، وكصلاة التسبيح ، ومما هو في هذا المعنى يلازمه الإنسان في كلّ يوْم ثلاث مرات . اللّهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي . انتهى عبارته فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

تقع على غيره من أصحاب السيئات ! فإذا عرفت هذا عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتها فقط ، لا أنها هي أرفع درجة من القرآن ! فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى ، لكن لمن صفت أعماله وأحواله مع الله تعالى ؛ فيكون تاليه حينئذ من أكبر السابقين وأعظم الفائزين برضاء الله تعالى ، ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فإنه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول ، فإن لله سبحانه وتعالى غيرة على كتابه ؛ لكونه حضرة القرب والتداني ، **فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته** لكونه لم يعط الحضرة حقها ، فإذا عرفت هذا عرفت النسبة بينه وبين الصلاة عليه ﷺ . انتهى عبارته فراجعه .

يتضرر العامة بتلاوة القرآن

وفي « جواهر المعاني » في موضع آخر : فبان لك أن **الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن** ، فإن القرآن مرتبته مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بأخلاق الروحانية ، فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك ، وأما الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلا التلفُّظ بها باستصحاب تعظيم النبي ﷺ بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسية ثوباً وجسداً ومكاناً ، وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن ، فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلّي عليه ، ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه .

ولا وسيلة عند الله تعالى أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الربِّ عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ وإن تدافعت العلماء في القطع بقبولها ؛ فمن قائل بأن قبولها قطعي ، ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال ، **والذي نقول به** بأنها مقبولة[1]

(١) ورأيت في « مطالع المسرات » ما نصه : قال الشيخ أبو إسحق الشاطبي في

قطعاً ، **والحجة** لنا في ذلك أن الله تعالى يقول للنبي ﷺ : « مَن صلّى عليك صلّيت عليه ومن سلّم عليك سلّمت عليه » وهذا الوعد صادق لا يخلف ، وهو لا من حيثية العبد ! بل من حيثية العناية سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ ، وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلّى عليه ﷺ لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء ، **وهو معنى قبول الصلاة من العبد** وبالله التوفيق الخ... انتهى ٢٥٥ ج٢ .

قال الإمام الهمام شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ببلد الله الحرام السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول »[١] في أثناء ذكر كلام لأبي المواهب الشاذلي قدس سره ما نصه : وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله صلاة الله عشراً على مَن صلّى عليك مرة واحدة هل ذلك إن كان حاضر القلب ؟ فقال : لا ، بل لكل مصلّ عليّ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

قال بعض العارفين : مَن فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه من صلّى على النبي ﷺ مرة صلى الله تعالى عليه عشراً فلو فعل الإنسان جميع الطاعات وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة[٢] لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله جميع عمره من جميع الطاعات ، لأنك تصلّي على حسب وسعك والله تعالى يصلّي عليك - أي يرحمك - على حسب ربوبيته ؛ (**عطية القوم على قدر أقدارهم**) . هذا إذا

شرح « الألفية » : الصلاة على رسول الله ﷺ مجابة على القطع فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله تعالى . انتهى فراجعه في ٩٧ (منه) .

(١) وهو كتاب نفيس قيل فيه أنه لم يصنّف في الإسلام مثله ، جزى الله عنا مؤلفه آمين .

(٢) ومثله في « تاج العروس » (منه) .

كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلّى عليك عشراً بكل صلاة ؟ ! فما أحسن عيش من أطاع الله تعالى بذكره والصلاة على رسوله ﷺ ! فكم من صنائع صنعت لك وأنت لا تدري .

وفى « جواهر المعاني » : وأكبر ذكر الله فائدة ، وأعظمه جدوى وعائدة ؛ هي الصلاة على رسول الله ﷺ مع حضور القلب ، فإنها متكفِّلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة ، دفعاً وجلباً في كل شيء ، وإن مَن أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله تعالى . انتهى . فراجعه في ١٤٤ من الجزء الأول .

وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة وردت بها أحاديث لا تحصى ، ويفهم من مجموعها حُصُول فوائد للمصلّي عليه لا تحصى .

فمنها امتثال أمر[1] الله تعالى حيث قال ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ﴾ وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة لأنها أشرف مقامات العبد .

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ موافقة العبد لربه في الصلاة عليه ﷺ وإن اختلف معنى الصلاتين .

ومن فوائدها صلاة ملائكة الله على العبد ما دام يصلّي عليه .

ومنها أنه يحصل للمصلّى عليه عشر حسنات بواحدة ، وتكفير عشر سيئات ، ورفع عشر درجات .

ومنها عتق عشر رقاب .

ومنها كونه ﷺ شفيعاً وشهيداً للمصلّين عليه يوم القيامة .

ومنها أن الملائكة يكتبون ذلك بأقلام الذهب وصحائف الفضة

(١) ومرّ آنفا ما في هذا من الفائدة العظيمة ، فتذكره (منه) .

ويقولون للمصلّين زيدوا زادكم الله تعالى .

ومنها كتابة براءة من النفاق وبراءة من النار .

ومنها أن المصلّي يُسكنه الله تعالى مع الشهداء يوم القيامة .

ومنها أن كتفه يزاحم كتف النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها أنها زكاة للأعمال وكفارة .

ومنها أن الملائكة تستغفر للمصلّي وتقرُّ بها عينه .

ومنها إذا مات تكون الصلاة عند قبره تستغفر له .

ومنها أن له بالصلاة الواحدة قيراطاً[1] من الأجر كجبل أُحُد .

ومنها أن الملائكة تبلِّغها النبي ﷺ فيردُّ على المصلّي ، فكل صلاة المصلين تعرض عليه ﷺ .

ومنها أنها تكون سبباً للكيل بالمكيال الأوفى من الثواب .

ومنها أنها سبب لكفاية المهمات في الدنيا والآخرة ، وقضاء الحاجات ، وكشف الكربات ، وغفران الذنوب ، وإن مَن جعل صلاته كلها للنبي ﷺ كُفِيَ همَّه من أمر دينه ودنياه وغفر ذنبه .

ومنها أنها أفضل من عتق الرقاب ومن ضرب السيف في سبيل الله .

ومنها أنها تكفُّ الكاتبين أن يكتبوا على المصلّي ذنباً .

ومنها أن المصلّي يحفظ من دخول النار وجاء في بعض صيغها أن صلاة واحدة تكفر ذنوب ثمانين سنة .

---

(١) والقيراط : نصف دانق وأما القيراط الذي في الحديث فقد جآء تفسيره فيه أنه مثل جبل أحد « مختار » .

ومنها أنها سبب لرضاء الله تعالى وسبب لغشيان الرحمة .

ومنها أن الملائكة إذا وجدوا حلقة المصلّين يحفُّون بهم ويغشونهم بالرحمة .

ومنها أنها موجبة للأمن من سخط الله تعالى ، وسبب لثقل الميزان وللأمن من العطش يوم القيامة .

ومنها أنها تأخذ بيد مَن يعثر على الصراط .

ومنها أن من صلّى على النبي ﷺ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وحتى تبشِّره الملائكة بالجنة .

ومنها أنها تعدل عشرين غزوة في سبيل الله تعالى .

ومنها أنها سبب لتكثير الزوجات في الجنة .

ومنها أنها تقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة .

ومنها أن مَن صلّى مائة مرة في كل يوم قضى الله تعالى له مائة حاجة سبعين لأخراه وثلاثين لدنياه .

ومنها أن المداومة عليها كالمداومة على العبادة طول الليل وطول النهار .

ومنها أنها أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى ، وأنها زينة المجالس ، ونور يوم القيامة ، ونور على الصراط .

ومنها أنها تنفي الفقر .

ومنها أن المصلّي يكون أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة وإن أكثر الناس عليه صلاة أكثرهم نوراً يوم القيامة .

ومنها أن العبد إذا أكثر منها يكون أحب ما يكون إلى الله تعالى

وأقربه إليه .

ومنها أن المكثر منها قد لا يسأله الله تعالى يوم القيامة فيما افترض عليه .

ومنها أن مَن صلّى عليه في كل يوم خمسين مرة صافحه النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها جلاء القلوب من الصدأ وطهارتها من النفاق .

ومنها أن الإكثار منها سبب لورود الحوض يوم القيامة .

ومنها أنها سبب لإجابة الدعاء وسبب لنجاة المؤمن من خطئه طريق الجنة .

ومنها أنها سبب للبركة في ذات العبد وعمره وأسباب مصالحه .

ومنها دوام محبته ﷺ وزيادتها ومضاعفتها .

ومنها أنها سبب للنصر على الأعداء .

ومنها أنها سبب لمنع الغيبة من الناس وموجبة لمحبة الناس للمصلّي .

ومنها نمو المال ببركتها ويلقى العبد بسببها وجوه الخير .

كل هذه الفوائد جاءت بها أحاديث ذكرها العلماء في كتبهم ، وزاد كثير من العارفين **أنها تقوم مقام الشيخ في التربية** ، وزاد بعض أنها تمنع العطش مطلقاً وكذا في وقت الحمى وغيرها .

قال الشيخ عبد الغني النابلسي : بشرط أن لا يكون في تلك الصيغة التي يصلي بها ذكر الله تعالى لأنه حارّ ، ومثل ذلك بأن يقول الصلاة والسلام على سيّدنا محمد خير الأنام .

فعليك بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ ، واتخذها ورداً في ليلك ونهارك تَفز بكل خير في الدنيا والآخرة .

وأسأل الله تعالى التوفيق [لنا] ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إن الله تعالى على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم انتهى في ٨٤ .

وفي « العقد الثمين » : وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتب غزاته بأربعمائة حجة » قال : فانكسر قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج فأوحى الله تعالى عز وجل إليه « ما صلّى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة » أخرجه أبو حفص الميافشي في « المجالس المكية » انتهى ٣٠ .

وكان ﷺ يقول : « مَن صلّى عليّ تعظيماً لحقي جعل الله عز وجل من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض ، وعنقه ملتوٍ تحت العرش ، يقول الله عز وجل له : صلّ على عبدي كما صلّى على نبيِّي . فهو يصلّي إلى يوم القيامة » .

وفي رواية « فما من عبد يصلّي عليّ حبّاً لي إلا انغمس ذلك الملك في الماء ثم ينتفض ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلّي عليَّ إلى يوم القيامة » . انتهى « كشف الغمة » ٢٧٨ ج١ .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « مَن صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرّات ، وكل ليلة ثلاث مرات كان حقّاً على الله تعالى أن يغفر له تلك الليلة وذلك اليوم » . انتهى .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « الصلاة عليّ أمحق للخطايا من الماء للنار ، والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب ، وحُبّي أفضل من مهج

الأنفس » أو قال : « من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل ، ومَن صلى عليّ واحدة حبّاً لي وشوقاً إليّ أمر الله تعالى حافظيه أن لا يكتبا عنه ذنباً ثلاثة أيام » انتهى ٢٧٩ ج١ .

وفي « مناهج السعادات » : وَوَرَدَ : « أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » انتهى .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَن صلّى عليّ يوم الجمعة مائة مرة غفر له خطيئة ثمانين سنة » . « دلائل الخيرات » والمراد غفران الصّغائر . انتهى « مناهج السعادات » في ٥ .

وقال الحافظ السخاوي : إن امرأة جاءت إلى الحسن البصري فقالت له : يا شيخ ! توفِّيت لي بنيَّة وأريد أن أراها في المنام . فقال لها الحسن البصري : صلّي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وسورة ألهاكم التكاثر مرة ، وذلك بعد صلاة العشاء الأخيرة ، ثم اضطجعي وصلّي على النبي ﷺ حتى تنامي . ففعلت ذلك فرأتها في النوم وهي في العقوبة والعذاب ، وعليها لباس القطران ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من النار ، فلما انتبهت جاءت إلى الحسن فأخبرته بالقصة . فقال لها : تصدَّقي بصدقة لعل الله تعالى يعفو عنها . ونام الحسن تلك الليلة فرأى كأنه في روضة من رياض الجنة ، ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت : يا حسن أتعرفني ؟ ! فقال : لا . فقالت : أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة على النبي ﷺ . فقال لها الحسن : إن أمك وصفت لي حالك بغير هذه الرؤية ! فقالت له هو كما قالت ! قال : فبماذا بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت : كنا سبعين ألف نفس في العقوبة والعذاب كما وصفت لك والدتي ، فعبر رجل من الصالحين على قبورنا وصلّى على النبي ﷺ مرة وجعل ثوابها لنا

فقبلها الله تعالى عز وجل منه وأعتقنا كلنا من تلك العقوبة و ذلك العذاب ببركة الرجل الصالح ، وبلغ نصيبي ما قد رأيته وشاهدته . ذكرها القرطبي في « التذكرة » بغير هذا اللفظ انتهى . « أفضل الصّلوات » ٥١ .

قال السخاوي : ويروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد مسرف على نفسه ، فلما مات رَمَوْا به ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السلام أن غسّله وصلِّ عليه فإني قد غفرت له . قال : يا رب وبماذا ؟ قال : إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد ﷺ فصلّى عليه ، فقد غفرت له بذلك . كذا في « أفضل الصلوات » ٧٧ .

حكى بعضهم : أن رجلاً شوهد يكثر الصلاة على النبي ﷺ في مواقف الحج والمطاف فقيل له : لم لا تستعمل المأثور الأفضل ؟ قال : آليت على نفسي أن لا أترك الصلاة على النبي ﷺ على أي حالة كنت . قال : وسبب ذلك أنه كشف وجه والده عند الموت فرأى وجهه وجه حمار ، فحزن عليه ، فرأى النبي ﷺ فتعلق به مستشفعاً لوالده سائلاً عن سبب حصول حالته المذكورة فقال له : إنه كان يأكل الربا . وأن من أكله يقع له ذلك دنياً وأخرى . لكن والدك كان يصلّي علي كل ليلة عند نومه مائة مرة فشفعت فيه . فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ، ثم لما دفنه سمع قائلاً يقول سبب العناية بوالدك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . ذكره الجريري في « كنز الإدخار » انتهى « العقد الثمين » في ٣٠ . ومثله في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » فراجعه .

يا ولدي انظر إلى عِظَم فائدة الصلاة على النبي ﷺ **!** فقد انتفع بها من ارتكب الذنب الذي أيسره كناكح أمه وهو الربا ، وقد ذكرت نبذة من فضائل الصلاة في كتابنا خلاصة الآداب » وفي « تنبيه السالكين » فإن أردت الزيادة فعليك بالمراجعة إليهما .

وفي « أدلِّ الخيرات » و« دلائل الخيرات » و« كشف الغمة » أكثر

من هذه وفَقك الله تعالى للدّوام على الصلاة عليه ﷺ ، وجعلك من ورثة أوليائه وأصفيائه ، آمين .

فائدة في بيان فضائل صيغ الصلاة عليه ﷺ التي أوردها السادات في كتبهم وذكروا لها الفضائل الكثيرة والأجور العظيمة ؛ **فمنها صلاة الفاتح** لما أغلق وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه حقَّ قدره ومقداره العظيم) .

وذكر أن مَن صلّى بها مرة واحدة في عمره لا يدخل النار انتهى . وقال بعضهم المرة منها تعدل عشرة آلاف وقيل ستمائة ألف إلخ كذا في « أفضل الصلوات » راجعه في ١٤٢ .

وأما ما ذكره صاحب « رماح حزب الرحيم » فبهذه الألفاظ : (اللهم صلّ على سيِّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى اله حق قدره ومقداره العظيم) انتهى .

وفي « جواهر المعاني » في ٩٥ ج١ : وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ . فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما اغلق . . حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها ؛ وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في « وردة الجيوب » . وقد ذكر صاحب « الوردة » أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر - وكان قطباً رضي الله عنه - قال : إن مَن ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون ، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من « دلائل الخيرات » تركت الفاتح لما أغلق إلخ . واشتغلت بها

وهي : **اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم .** لما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق ، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاء ، كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار انتهى .

صلاة الفاتح لما أغلق

وفيه بُعيد هذا : ثم قال سيّدنا رضي الله عنه وأما صلاة الفاتح لما أغلق إلخ فإني سألته ﷺ فأخبرني أولاً أنها بستمائة ألف صلاة ، فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر مَن صلى بصلاة مفردة ؟ فقال ﷺ ما معناه : نعم يحصل في كل مرة منها أجر مَن صلّى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسألته ﷺ هل يقوم منها طائر واحد على الحدِّ المذكور في الحديث لكل صلاة ؛ وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث ؟ أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي ﷺ ؟ فقال ﷺ : « بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة » . ثم قال رضي الله عنه فسألته ﷺ عن حديث أن الصلاة عليه ﷺ مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة ؛ كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ ! فقال ﷺ : صحيح . فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة أربعمائة غزوة ؟ أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟ فقال ﷺ « ما معناه » : « إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة من الستمائة صلاة بأربعمائة ألف غزوة » .

مهم

ثم قال بعده ﷺ : إن مَن صلّى بها أي بالفاتح لما أغلق إلخ . مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلّى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفُّظ الذاكر بها ؛ أي كأنه صلّى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلاة المصلّين عموماً ملكاً وجنّاً وإنساً ، وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة ، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات ، وأن الله تعالى يصلّي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة ، فكيف مَن صلّى بها مرات ؟ ماذا له من الفضل عند الله تعالى ؟ ! وهذا حاصل في كل مرة منها ! !

حكمة فضل صلاة الفاتح لما أغلق

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري « أي صلاة الفاتح لما اغلق . . . إلخ ولكنه توجَّه إلى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصَّلوات وسر جميع الصَّلوات ، وطال طلبه مدة ، ثم أجاب الله تعالى دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادةُ جميع الجن والإنس والملائكة انتهي . فراجعه ففيه البسط الزائد وراجع أيضاً إلى كتاب « الرماح » الذي في هامشه ترى العجائب .

وفي « جواهر المعاني » أيضاً **واعلم** أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجَّهت بجميعها مائة ألف عام كل

يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ .

فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك ، فإنها كنز الله الأعظم لمن ذكرها . انتهى . فراجعه في صحيفة ١٥٧ ج٢ .

ومنها صلاة تسمى **بصلاة العالي** ؛ وهي : « اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلّم » .

نقل الشيخ الصاوي في شرحه على صلوات الدردير والعلاّمة محمد الأمير الصغير في ثبته عن الإمام السيوطي : أن من لازم عليها كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ .

وذكر فوائد هذه الصلاة السيد أحمد دحلان في مجموعته بأبسط مما ذكر ونص عبارته : ومن الصيغ الفاضلة التي ذكر كثير من العارفين أن مَن داوم عليها ليلة الجمعة ولو مرة واحدة كشف لروحه مثال روح النبي ﷺ عند الموت وعند دخول القبر حتى يرى أن النبي ﷺ هو الذي يلحده .

قال بعض العارفين : وينبغي لِمن داوم عليها أن يقرأها كل ليلة عشر مرات ، وليلة الجمعة مائة مرة حتى يفوز بهذا الفضل والخير الجسيم إن شاء الله تعالى انتهى . « أفضل الصّلوات » ١٥٢ .

وفي « فتح الرسول » : مَن قرأها بعد العشاء سبع مرات فهو كمن أحيا تلك الليلة كلها . انتهى . « جواذب » انتهى ٤٦ .

ومنها صلاة تسمى **صلاة السعادة** وهي (اللهم صلّ على سيدّنا مُحمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

نقل سيدي أحمد الصاوي عن بعضهم : أن هذه الصلاة بستمائة

ألف صلاة . انتهى . « أفضل الصّلوات » .

وعن الشيخ منصور بن يوسف المذكور هذه الصلاة المرة الواحدة منها بستمائة ألف ، مَن قالها كل يوم سبعين مرة تكون له فداء من النار وهي : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

وقال سيدي علي الوفائي قدس الله تعالى روحه : مَن قالها كل يوم ألف مرة يكون سعيد الدارين .

وأيضاً هذه الصلاة عن سيدي عبد المعطي صاحب « الذخيرة » وهي سبعة وسبعون مجلداً في قطع الربع في الصلاة على النبي ﷺ ، وهي هذه : مَن قالها بعد صلاة العشاء عشر مرات غفر الله له ألف ذنب من الكبائر وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) . ألف مرة . « عقد اليواقيت » ٧٤ ج١ .

ومنها صلاة شريفة قد ذكر مؤلف « الإتحاف » أنه بُشِّر أن قائلها مائة مرة يأمن به الإقليم الذي هو فيه ببركة تلاوته لهذه الصيغة الشريفة وهي هذه : (اللهم صل على سيّدنا محمد بكل صلاة تحب أن يصلَّى به عليه ، في كل وقت يحب أن يُصَلَّى به عليه . اللهم سلّم على سيّدنا محمد بكل سلام تحب أن يسلّم به عليه ، في كل وقت يحب أن يسلّم به عليه ؛ صلاةً وسلاماً دائمين بدوامك عدد ما علمت ، وزِنَةَ ما علمت ، وملىء ما علمت ومداد كلماتك وأضعاف أضعاف ذلك . اللهم لك الحمد ولك الشكر كذلك على ذلك في كل ذلك وعلى آله وصحبه وإخوانه » . انتهى . راجعه في ٢٩٠ ج٣ .

وقال فيه : وقد ألهمت هذه الصيغة ووجدت لها من الخواص ما

لله المنّة عليّ فيه ببركته ﷺ ، وعرضتها عليه ﷺ مستأذناً في استعمالها فتبسَّم ﷺ ، وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم على نبيك وحبيبك سيّدنا محمد وعلى إخوانه وآله صلاة وسلاماً نقرع بهما أبواب جنانك ، ونستجلب بهما أسباب رضوانك ، ونؤدي بهما حقه علينا بفضلك آمين) انتهى . فراجعه ٢٩٠ .

ومنها صلاة ذكرها صاحب « مناهج السّعادات » راجعه في٦٧ بأنه ورد أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعداً غُفر له قبل أن يقوم ، وهي هذه (اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم) .

ومنها صلاة تسمى **بالكمالية** وهي من أشرف الصيغ ، قال بعضهم هى بسبعين ألف صلاة ، وقيل : بمائة ألف صلاة ، وأنها تقرأ بين المغرب والعشاء لدفع النسيان وجلب الحفظ كما هو مذكور في « أفضل الصَّلوات » في ١٥١ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدّ كماله) . انتهى .

ومنها صلاة قال صاحب « أفضل الصّلوات » في ١٥٠ : إن ثوابها لا نهاية له ، وإن ثوابها يعدل أربعة عشر ألف صلاة وهي هذه : « اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله » انتهى .

ومنها صيغة صلاة على النبي ﷺ . ذكر شيخنا الشهاب أحمد الملوي المصري عن القطب الشاذلي أنها بمائة ألف وأنها تفكُّ الكرب وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد النور الذاتيّ والسر السّاري سره في جميع الأسماء والصفات) ذكره مؤلف « عقد اليواقيت الجوهرية » فراجعه في ٨٧ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » : فالإكثار من هذه الصيغة ينوِّر البصر والبصيرة انتهى . فراجعه في ٢٨ .

ومنها صلاة منسوبة إلى محي الدين العربي رضي الله عنه قيل فيها أن مَن قرأها مرة واحدة كان له ثواب أفضل من سبعين ألف صلاة ، ومن قراءة « دلائل الخيرات » كل يوم . نقل هذا من الجامع الأزهر من مصر بيد شافع الثغوري وهي هذه : (اللّهمّ صلّ على الذات المطلسم ، والغيب المطمطم ، لاهوت[1] الجمال[2] ، ناسوت الوصال ، طلعة الحق كثوب إنسان الأزل في نشر مَن لم يزل ، في قاب ناسوت الوصال الأقرب ، اللهم صلّ به منه فيه عليه وسلّم) انتهى .

ومنها هذه الصلاة : (اللهم صلّ على روح سيّدنا محمد في الأرواح ، وعلى جسده في الأجساد ، وعلى قبره في القبور ، وعلى آله وصحبه وسلم) قال الإمام الشعراني في حقها : كان ﷺ يقول : « مَن قال

---

(١) لاهوت – هو المقام الذى يتجلى ذات الرب على العبد – الجمال – أي صاحب المقام المتجلى فيها الرب المرتقى إلى قاب قوسين – ناسوت الوصال – أي المتحرك بالوصول إليه تعالى لإرشاد الخلق – طلعة – مصدر بمعنى الطالع –الحق – هو الله تعالى أي الطالع على علمه الأزلي ويجوز جعله ضدّ الباطل – كثوب إنسان – الكثب الجمع والدخول من اجتمع مع روحه كل انسان – الأزلي – أي فيه يشهد لذلك قوله تعالى : ألست بربكم قالوا بلى ، وقوله عليه الصلاة والسلام : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين – في نشر – أي إشاعة دين – من – أي الله تعالى – لم يزل في قاب ناسوت الوصال الأقرب اللهم صلّ به – أي بسبب كلّ واحد من الصفات المحيطة به نازلة – منه – أي من لاهوت الجمال – فيه – لفظة في بمعنى اللام أي لأجل نشر الدين – عليه – أي على الذات المطلسم وسلم – مطلسم – أي العابس وجهه على أهل الضلال على كونه اسم فاعل أو المسلط بالسيف على الكفار على كونه اسم مفعول وعلى كليهما من باب دحرج – مطمطم – أي المدرك للغيوب ، أي السابح فيه ، يقال : طمطم في البحر ، إذا سبح . من شرح « أدل الخيرات » للولي العارف إسماعيل بن إدريس الأَبْدَنْجكليّ قدس سره .

(٢) أي على المنفرد في الجمال

هذه الكيفية رآني في منامه ، ومَن رآني في منامه رآني يوم القيامة ، ومَن رآني يوم القيامة شفعت له ومَن شفعت له ، شرب من حوضي وحرّم الله جسده على النار » . وذكر ذلك شرَّاح « الدلائل » أيضاً بزيادة سبعين مرة عن الفاكهاني .

قلت : وقد جرَّبت هذه الصلاة قبيل النوم حتى نمت فرأيت وجهه الشريف ﷺ في داخل القمر ، وخاطبته ثم غاب في القمر ، وأسأل الله العظيم بجاهه عليه الصلاة والتسليم أن يحصّل لي باقي النعم التي وعد بها ﷺ في هذا الحديث الشريف « أفضل الصلوات » ٥٨ .

ومنها صيغة صلاة لها فضل وهي هذه : (وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون) .

قال في « أفضل الصّلوات » : فقد روي عن عبد الله بن الحكم قال : إني رأيت الشافعي رضي الله عنه في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزفَّت إليَّ الجنة كما يزف العروس . ونثر عليّ كما ينثر العروس فقلت : بمَ نِلتَ هذه الحالة ؟ فقال لي قائل : بقولك في كتاب « الرسالة » : وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . قال : فلما أصبحت نظرت « الرسالة » فوجدت الأمر كما رأيت . انتهى فراجعه في ٧٧ ففيه البسط .

ومنها صلاة قال فيها صاحب « كنوز الأسرار » راجعه في ٢٢ : إنها بمنزلة مائة ألف صلاة وهي هذه : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين) .

ومنها صلاة قيل فيها : أن مَن قرأها مرة واحدة غفر الله له مائة ألف ذنب من الكبائر انتهى . كما هو مذكور في « كنوز الأسرار » أيضاً

٢٩ وهي : (اللهم صلّ على سيدّنا محمد السابق للخلق نوره ، والرحمة للعاملين ظهوره ؛ عدد مَن مضى من خلقك ومَن بقي ومَن سعد منهم ومَن شقي ، صلاة تستغرق العدّ وتحيط بالحدِّ ، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء وتُنِيلُنَا بها منك الرضا ؛ صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك ، اللهم صلّ على سيّدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك ، وعينه من جمالك ؛ فأصبح فرحاً مؤيداً منصوراً وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً) والحمد لله على ذلك . انتهى .

ومنها صلاة تعدل بمائة صلاة كما في « كنوز الأسرار » في ٣٠ ؛ وهي هذه : (اللهم صلِّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تزن الأرضين والسموات ، وعدد ما في علمك ، عدد جواهر أفراد كرة العالم وأضعاف ذلك إنك حميد مجيد) . انتهى .

ومنها صلاة مَن قالها يوم الجمعة ألف مرة فإنه يرى في المنام ربه أو نبيه أو منزلته في الجنة ، فإن لم ير فليفعل إلى خمس جُمَع ، وجُرب فصح قاله في « كنوز الأسرار » ١٣٠ ، وهي (اللهم صل علي محمد النبي الأمي جزى الله عنا محمداً ما هو أهله) .

ومنها صلاة روي أنها تعدل خمسمائة صلاة ، وكانت له فداء من النار كما في « كنوز الأسرار » ٣٠ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الكامل صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله) . انتهى .

ومنها صلاة مَن قرأها مرة واحدة فكأنما قرأ « دلائل الخيرات » أربعين مرة . انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٣ وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك وكرِّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته عدد ما في علمك صلاة دائمة بدوام ملكك) انتهى .

ومنها صلاة المرة منها بخمسمائة صلاة؛ وإذا قالها خمساً كانت له فداءً من النار . انتهى « فتح الرسول » : ٤٧ وهي : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آل سيّدنا محمد ما اتّصلت العيون بالنظر ، وتزخرفت الأرضون بالمطر ، وحج حاج واعتمر ، ولبّى وحلق ونحر ، وطاف بالبيت العتيق) .

ومنها صلاة المرة منها باثني عشر ألف صلاة وهي هذه : (اللهم صلّ على سيدّنا محمد وعلى آله صلاة أنت لها أهل وهو لها أهل) انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٩ .

ومنها صلاة عظيمة النفع جليلة القدر قد ذكرها صاحب « فتح الرسول » رحمه الله تعالى وقال : إن هذه الصلاة المرةُ منها بعشرة آلاف مرة كما في « القول البديع » ، وقد كتب إلي سيدي العارف بالله عبد الله المدهر العلوي ما لفظه :

فائدة عظيمة جداً

وجد بخط سيدي الشريف شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر علوي ما قوله : يقول : سمعت القاضي العلامة المغربي جمال الدين محمد بن علي الإسكندري يقول : كان وِرْده من الصلاة على النبي ﷺ ألف ألف ومائة ألف ألف مرة في اليوم والليلة حتى استغرق ليله ونهاره بهذا الورد ، فرأى النبي ﷺ فقال : إني أُعلِّمك كلمات إذا قلتهن كفيت بهن عن وردك ، ويحصل لك من الأجر مثل ذلك . فقال : نعم . فقال : قل : (اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد السَّابِقِ لِلخَلْقِ نُورُهُ ، وَرَحْمَة لِلْعَالَمِيْنَ ظُهُورُهُ ، عَدَدَ مَنْ مَضي مِنْ خَلْقِكَ ومَنْ بَقِيَ ، ومَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ ومَنْ شَقِيَ ، صَلاةً تَسْتَغْرِقُ العَدَّ وتُحِيطُ بِالحَدّ ، صَلاةً لا غَايَةَ لَهَا وَلا انْتِهَاءَ ، وَلا أَمَدَ لَهَا وَلا انْقِضَاءَ ، صَلاةً دَائِمَةً بدَوَامِكَ بَاقِيَةً ببَقَائِكَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبهِ كَذَلِك ،

وَالحَمْدُ لله عَلَى ذَلِك ، اللهمَّ يَا رَبِّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَاجْزِ مُحَمَّداً عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ ، اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آل مُحَمّدٍ عَددَ مَا عَلِمْتَ ، وَزِنَةَ مَا عَلِمْتَ ، ومِلْءَ مَا عَلِمْتَ . اللهمَّ صَلِّ وَسَلّمْ وَبَاركْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى كُلِّ نَبيٍّ ، وَعَلَى جِبْرِيلَ ، وَعَلَى كُلِّ مَلَكٍ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَلِيّ) ، عَشْراً انتهى . فراجعه في ٣١ .

ومنها صلاة لسيدي الشيخ عبد المعطي المالكي نفعنا الله تعالى به ؛ ذكر أن المرَّة منها مائة ألف مرة كما في « فتح الرسول » في ٣٠ ؛ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد صلاة وسلاماً أنت لهما أهل وهو لهما أهل ؛ عدد ما علمت ، وزنة ما علمت ، وملء ما علمت ، وأدِم ذلك أبداً بدوامك ، وعلى آله وصحبه كذلك ، والحمد لله على ذلك) .

ومنها صلاة قيل فيها : مَن أراد أن يرى النبي ﷺ فليقل : (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما أمرتنا أن نصلّي عليه) إحدى وسبعين مرة . انتهى . كذا في « فتح الرسول » في ٩٥ .

ومنها صلاة يقال لها « **صلاة أولي العزم** » مَن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم الكتاب يعني « دلائل الخيرات » كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » في ١٤٨ وهي : (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

ومنها صلاة القطب العارف أحمد البدوي قدس سره وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية ، ولمعة القبضة الرحمانية ، وأفضل الخليقة الإنسانية ، وأشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الأصلية ، والبهجة السنية ، والرُّتبة العَلية ، مَن اندرجت

النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه ، وصلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأمتّ وأحييت إلى يوم تبعث فيه من أفنيت ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

وجدتُ في مجموعة العالم محمد طاهر القراخي رحمه الله تعالى ما معناه وحاصله هذا : إن سيدي محمد التلمساني قرأ « دلائل الخيرات » مائة ألف مرة فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له : لو قرأت صلاة السيد أحمد البدوي قدس سره لكفتك عن « الدلائل » ثمان مائة ألف مرة . انتهى باختصار .

ورأيت فيه ما حاصله أيضاً أن قراءتها مائة مرة لأيّ حاجة قضيت . انتهى .

وفي « أفضل الصلوات » : قال سيدي أحمد الصاوي : ذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعاً ، وأن كل مائة منها بثلاثة وثلاثين من « دلائل الخيرات » فراجعه .

وفيه أيضاً ما حاصله : أنها سبب لحصول كثير من الأنوار ، وانكشاف كثير من الأسرار ، وهي من أعظم الأسباب للاتصال بالنبي ﷺ في المنام واليقظة ، وهي سبب في وصول كثير إلى مرتبة القطبانية ، وفيها أسرار في تسهيل الرزق الظاهري ، وهي رزق الأشباح والباطني ، وهي رزق الأرواح أعني العلوم والمعارف ، و بها يحصل النصر على النفس والشيطان وسائر الأعداء ، ولها خواص كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وذكروا أن قراءة ثلاث مرات منها بقراءة « دلائل الخيرات » ، وينبغي لقارئها أن يكون في وقت قراءتها مستحضراً لأنوار النبي ﷺ وعظمته في قلبه ، وأنه السبب الأعظم في وصول كل خير ، والواسطة العظمى والنور الأعظم ، ولا يقرأها الشخص إلا وهو متطهّر ، فمن واظب على قراءتها بهذه الشروط في كل يوم مائة

مرة واستمر على ذلك أربعين يوماً مع الاستقامة يحصل له من الأنوار والخير ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ، ومَن واظب على قراءتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح وثلاثاً بعد المغرب يرى لها أسراراً كثيرة ، والله الموفق للصواب انتهى . راجعه ٨٤ .

ومنها صلاة جرت عادة مشائخنا بقراءتها في كل ليلة من ليالي الجمعات مع اجتماع المريدين ، وقد كان الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي والشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس الله أسرارهما يأمران المريدين بقراءتها في تلك الليالي ويأكدان بذلك .

قال في « نهج المتقين » : قال علي ﵁ : مَن صلّى على النبي ﷺ بهؤلاء الكلمات في كل يوم ثلاث مرات وفي كل جمعة مائة مرة فيقول : (صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد ، عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) فقد صلّى بصلوات جميع الخلق ، وحُشِرَ يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ يأخذ يده حتى يدخل الجنة . انتهى . ومثله في « نزهة المجالس » في ١٣٠ فراجعه . فلله در هذين الشيخين المذكورين - نوّر الله تعالى ضريحهما آمين - حيث وقعا سبباً لقراءة هذه الصلاة الفاضلة ، فقد يجتمع المريدون في ديارنا وناحيتنا في ليلة الجمعة لقراءتها وفي ذلك بركة عظيمة لا تخفى .

وفي « مطالع المسرات » في ٣٨ روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : ما من موضع يذكر النبي ﷺ ويصلّى عليه فيه إلا قامت منه رائحة تخرق السماوات السبع حتى تنتهي إلى العرش ، ويجد ريحَها كل من خلق الله تعالى في الأرض إلا الجن والإنس ، فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ، ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ، ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ، ويرفع لهم بعددهم درجات ، سواء

كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأبقى . انتهى . ومثله بل عينه في « إعانة الطالبين » فراجعه .

وقد قال لي العالم المرحوم دبر محمد القحي - نور الله تعالى مرقده وغفر ذنبه آمين - : إن شيخه الحاج العسوي سألني عن ذهابي إلى مجلس قراءة الصلاة المذكورة فقلت له : يا أستاذي ! أذهبُ إليه إلا إذا لم أتفرَّغ في اليوم لفعل وردي ، فلو ذهبت إلى ذلك المجلس لفاتت مني أورادي في تلك الليلة ، فلذا أتخلَّف عن الذهاب لهذه العلة . قال الأستاذ رحمه الله تعالى : الذهاب إلى ذلك المجلس خير ولو فات الورد . انتهى .

وكان قدس سره يأمرنا بقراءتها ويهدّدنا عن تركها ، وقلت له : يا أستاذي ! هل في قراءتها منفرداً أو جماعة فرق ؟ فقال قدس سره : نعم فإن البركة في الجماعة . انتهى .

ومنها صلاة تسمى **بجوهرة الكمال** وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم على عين الرحمة الربانية ، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ، ونور الأكوان المتكونة الآدمي ، صاحب الحق الرباني ؛ البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرِّض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأتَ به كونك الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صلّ وسلّم على عين الحق التي تجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم ، إحاطة النور المطلسم ، اللهم صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم ، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ، صلّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه) انتهى .

قال في « رماح حزب الرحيم » قال[1] ﷺ وأرضاه وعنا به : أعطاني

---

(١) يعنى أحمد التجاني قدس سره .

رسول الله ﷺ صلاة تسمى بـ« جوهرة الكمال » مَن ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله، فكأنما زاره في روضته الشريفة، وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته. انتهى. فراجعه في ٥٢ ج٢.

وفيه: قال رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: « إن مَن لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه ﷺ يحبُّه محبة خاصة، ولا يموت حتى يكون ولياً ». انتهى في ٥٢.

وفيه أيضاً: قال رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به أن النبي ﷺ قال: « مَن قرأها سبعاً فأكثر يحضره ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها » انتهى ٥٢ ج٢.

وفي « الرماح » أيضاً وقال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به: من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ. انتهى ٩٠ ج٢.

وفيه: في ٢٢ ج١ ولا تقرأ « جوهرة الكمال » إلا بالطهارة المائية من الحدث والخبث، وطهارة الثوب والمكان، ويكون بها جالساً، فإن فقد شرط من هذه الشروط فإنها لا تقرأ في الوظيفة، وتقرأ صلاة الفاتح لما أغلق بدلها عشرين مرة. انتهى.

فائدة: ذكرها صاحب كتاب « الرماح » قال: وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته! فمن بعض فضائله **أن مَن داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت.**

وقد أخبرني محمد الغالي رضي الله عنه وأنا معه في المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - أن الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول: إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً. انتهى.

قلت قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة انتهى . فراجعه في ١٠٥ من هامش « جواهر المعاني » ج٢ .

أيها الولد المحبوب المرجوّ لحوز السلامة والفوز بالهداية إني قد جمعت لك في هذا الكتاب عدة منافع ، فأرجوك أن تعض عليها نواجذك ، وأن تتخذها وظيفة لك وورداً ، فعساك تفوز بالمقامات ، وتصل إلى أعلى الدرجات ، ببركة الصلاة على النبي عليه أسنى التحيات وأزكى التسليمات ، وإياك يا ولدي والتفرط في الصلاة على النبي ﷺ ! وإياك ثم إياك وتركها بالكلية ! فإن الصلاة عليه ﷺ عظيمة النفع جليلة القدر . وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم ومَن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل فيه .

يا ولدي أوصيك بالملازمة عليها فعساك تجتمع به ﷺ يقظة أو مناماً .

وقد رأيت في كتاب « الرماح » في ٢٠١ ج١ ما حاصله : أن مَن أكثر الصلاة على النبي ﷺ يجتمع به عليه الصلاة و السلام يقظة ، وأن الأولياء يرونه ﷺ يقظة ، وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ، وأنه يتصرَّف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت ، وأنه بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مُغَيب عن الأبصار كما غُيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله تعالى أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها . انتهى ملخصاً ، رزقنا الله الاستعداد لرؤيته واجتماعه ولا حرمنا من بركته وشفاعته آمين يا مجيب .

الترغيب الرابع

في بيان فضيلة الذكر مطلقاً

اعلم يا ولدي أن الذكر مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، وهو العمدة في الطريق ومعول أهل التحقيق ، وماهيّته : هو التخلص عن الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق . وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان ، وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو استدلال على شيء من ذلك ، أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه ، أو مَن انتسب إليه أو تقرَّب إليه ، وسبب[1] من الأسباب أو فعل من الأفعال ، بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية ، فالمتكلِّم ذاكر ، والمدرس ذاكر ، والمفتي ذاكر ، والواعظ ذاكر ، والمتفكِّر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسَمواته ذاكر ، والممتثل بما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه ذاكر . هكذا ذكره ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » .

وقد قال الإمام الرباني : الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيّ وجه تيسَّر ، لا أن الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات ، أو على تكرار اسم الذات ، فكل ما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كله داخل في الذكر ، ولكن الّذي يقع باسم المذكور وصفته سريع التأثير ومورث لمحبة المذكور ، وقريب الإيصال ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعاة الحدود الشرعية ، فإن مراعاة الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسَّرة بدون محبة تامة لناصب الشرع ، وهذه المحبة التامة مربوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ؛ فلا بد أولاً من ذلك الذكر حتى يحصل بسببه هذا الذكر الذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى . « الدرر المكنونات » ٨٠ ج١ .

وفيه أيضاً في ٣٨ ج٣ : أنه **لا بدَّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من**

---

(١) وفي نسخة : أو سبب .

الذكر فإن ترقيه مربوط بتكرار الذكر بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمَّل . انتهى .

قال ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » : الذكر نار لا تبقي ولا تذر ، فإذا دخل بيتاً يقول أنا لا غيري ، وهو من معاني لا إله إلا الله ، فإن وجد فيه حطباً أحرقه فصار ناراً ، وإن كان فيه ظلمة كان نوراً فنوَّره ، وإن كان فيه نور صار نوراً على نور . والذكر مذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الإسراف في الأكل ومن تناول اللقم الحرام ، وأما الحاصلة من الحلال فلا يَدَ له عليها ، فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكراً كأنه ينفخ في البوق .

وأولاً يقع الذكر في دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكؤوس ، **والذكر سلطان** إذا نزل موضعاً نزل ببوقاته وكؤوساته ، لأن الذكر ضد ما سوى الحق ، فإذا وقع في موضع اشتغل بنفي الضد ، كما تجده من اجتماع الماء والنار . انتهى ما هو المقصود ، فراجعه من أوله[1] .

وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الرابع والعشرين في فضل الذكر مطلقاً وفوائده ، والحثّ عليه والترغيب فيه من غير تعرُّض للاجتماع له والجهر به وغيره : فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق :

اعلم أن الذكر أشرف العبادات ؛ لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى .

وفي « لواقح الأنوار في الأدعية والأذكار » لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ﷺ أنهم - يعني أهل الجنة - مداومون على الذكر فيها ،

---

(١) أي : من أوّل « مفتاح الفلاح » .

لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى فإنه لا ينقضي ، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة . جعلنا الله تعالى من الذاكرين الفائزين الفرحين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال بعد كلام كثير : وقد روي أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النَّفَس ؛ يقولون سبحان الله والحمد الله متلذِّذين لا متعبدين ، كما يتلذَّذ من به داء العطش بالماء البارد .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في « أسرار التنزيل » :

اعلم أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة ، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عن المؤمن ، وكيف يمكن زوالهما عنه والقرآن يدلّ على أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد ؟ ! وإنما قلنا مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن المؤمنين في الجنة : ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ** ﴾ ، ﴿ **وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ** ﴾ ، وقال ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ** ﴾ الآية ، ﴿ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ** ﴾ فثبت أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر ، فعلمنا من هذا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ** ﴾ إنها علامة بين أهل الجنة وبين خدمهم في الطعام ، فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم ، فيحضرون لهم في الوقت ما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل ، على كل مائدة ألوان من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً ، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى ، قال : فذلك قوله تعالى ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ انتهى .

وإذا تقرر هذا **فاعلم** أن الذكر سبب السعادة في الدنيا والآخرة ، ومطردة الشيطان ويرضي الرب ، ويجلب الرزق وييسره ، ويكسو الذاكر مهابة ، ويورث محبة الله تعالى ومراقبته ويورث الإنابة والقرب من الرب ، ويفتح باب المغفرة ، ويورث العبد إجلالاً لربه ويورث ذكر الله تعالى للعبد ، وبه تحيا القلوب كما يحيا الزرع بالمطر ، وهو قوت الأرواح وجلاء القلب من الصدأ ، ويورث النور في الفكر ويَحُط الذنوب ويزيل الوحشة بين العبد والرب ، وما يذكره[1] العبد والرب وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتحميد يذكرن بصاحبهن حول العرش ، والعبادات كلها تزول عن العبد في الحشر والجنة إلا ذكر الله تعالى ، والتوحيد والحمد والذكر تقرب إلى الله تعالى ، وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه ، وحفوف الملائكة به ونزولها لديه ، وغشيان الرحمة ، وهو للإنسان شاغل عن الغيبة والكذب وكل باطل ، والذاكر لا يشقى به جليسه ، ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة ، والذكر مع البكاء سبب لنيل ظل العرش الظليل[2] ، ومن شغله ذكر الله تعالى عن المسألة أعطي أفضل ما يعطى السائلون ، وهو غراس الجنان وسبب العتق من النيران والأمان من النسيان ، وهو نور للعبد في دنياه وقبره ونشره ومنشور الولاية ، وهو يُرقي العبد إذا رسخ في القلب ، ويجمع على الذاكر قلبه ويُقَرِّبُ من قلبه الآخرة ويبعد عنه الدنيا ، ويستعدُّ لما هو آت ويثمر المعرفة والولاية والتوفيق والحماية ، ويعدل عتق الرقاب والجهاد والقتل في سبيل الله وإنفاق الورق والذهب ، وهو رأس الشكر ويدخل الجنة ويُذهب من القلب القساوة ، والذكر شفاء القلوب ، وهو أصل موالاة الله

---

(١) هكذا في نسخة الكتاب الذى بيدنا وأما عبارة « مفتاح الفلاح » : ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الربّ وبين العبد الغافل وما يذكره العبد من نحو تسبيح إلى آخره ، فتدبّره ولعل الجملة وقع فيها التكرار (منه) .

(٢) وظل ظليل ومكان ظليل أي : دائم الظل . « مختار » .

تعالى ، والغفلة أصل معاداته ، وهو رافع للنقم وجالب للنعم ، وموجب لصلاة الله تعالى وملائكته عليك ، ومجلس الذكر رياض الجنة ويباهي الله تعالى ملائكته بالذاكرين في السماء ، وهو ينوب عن سائر الأعمال ويقوي الجوارح ويفتح مغلق الأبواب ، وهو أمن ونجاة وسيف ، وهو سبب لتصديق الرب لعبده ، والذكر سدّ بين العبد وبين النار ، ونار لا تبقي الأجزاء النابتة من الفضول والحرام ، ويثبت الأنوار في القلوب ، والملائكة يستغفرون للعبد إذا لزمه ، والبقاع والجبال تتباهى به إذا مرّ بها ، وهو شيمة المؤمن ، وله لذَّة أجلُّ من لذة المطعومات والمشروبات ، ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نوراً ونضرة ، وفي الآخرة يكون وجهه أشد بياضاً من القمر وهو يرفع إلى أعلى الدرجات ، والذاكر حيّ وإن مات ، والغافل ميت وإن كان حياً ! ويورث الريّ من العطش عند الموت قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ وقال ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ وقال ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ وقال ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ وقال ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ . إلى قوله ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

روى البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى . قال : « ذكر الله » .

وروى ابن حبّان والإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً : « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « إن الله عز وجل قال : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه » انتهى ١٦٣ ج١ .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى ؛ لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكره . وقد اختلى مريد سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت لها كرامة ، فذكر ذلك لشيخه ! فقال : أتريد كرامة أعظم من مجالسة الله تعالى ؟ ! ثم قال : ما رأيت أكثر حجاباً منك ، لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بِها ! ! انتهى .

وقال القشيري : الذكر ركن قوي في طريق الحق ، بل هو العمدة في ذلك ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في حال سلوكه .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ، ومن سلب الذكر عزل ، **وذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين** يقاتلون به أعداءهم[1] ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وإن البلاء إذا أضل العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد[2] عنه في الحال كل ما يكرهه .

وقال ذو النون المصري : من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنبه كل شيء ، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : أليس الله تعالى يقول : « أنا جليس مَن ذكرني » ما استفدتم من مجالسة الحق ؟ !

ومن **خصائص الذكر** : أنه غير موقت ، بل ما من وقت من الأوقات

---

(١) من النفس والشيطان والهوى . « البروج المشيدة » .

(٢) أي : يتنحى ويبعد ، راجع « المصباح » .

إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى فيه إما فرضاً وإما نفلاً ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فلا تجوز في بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ .

ومن **خصائص الذكر** : أنه جعل في مقابلته الذكر ، قال الله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

ونقل القشيري : أن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه .

وروى السهروردي أن النبي ﷺ قال حاكياً عن ربه « إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همَّه ولذَّته في ذكري فإذا جعلت همَّه ولذَّته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه ؛ لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال الأبدال حقاً ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرفته عنهم » . انتهى « رماح » ١٦٤ وفيه : ١٦٥ .

وقال أبو سليمان الداراني : إن في الجنة قيعاناً[١] فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار ، فربما يقف بعض الملائكة فيقال له : لم وقفت ؟ فيقول : فتر صاحبي .

وقال الحكيم الترمذي : ذكر الله يرطب القلب ويلينه ، فإذا خلا عن القلب أصابته حزازة النفس ونار الشهوات فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة انتهى .

أيها الولد المرجو هداك الله تعالى إلى سبيل التقوى وجنَّبَك عن متابعة الهوى إني اكتفيت في بيان فضائل الذكر بهذا القدر فأرجوك أن تلازمه بقدر الطاقة ، ولا سيما في الغدوّ والآصال ؛ لكن لا تظن أن المواظبة

---

(١) القاع : المستوى من الأرض ، والجمع أقوع وأقواع وقيعان « مختار » .

على الذكر صباحاً ومساءً مع الغفلة في طول الليل والنهار يحصل لك بها التراقى ، وتدبَّر فيما قاله مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما نصَّه : وقد يقنع بعض المريدين بمجلس الذكر صباحاً ومساء مع الغفلة عن الله تعالى فيما بينهما ، ويحتجُّ بحديث « إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له ما بينهما » إذ المغفرة لا ترقي فيها ونهايتها أن تُلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب ، لا أنه تُلحقه بمن يفعل الطاعات . فافهم . انتهى ١٦٦ ج١ .

واعلم يا ولدي إن إلحاق المذنب بمن لا يذنب دولة عظمى ؛ وإن كان الترقي إلى المقامات درجة أسمى ، فينبغي للعاقل أن يشتغل في هذين الوقتين بالخيرات ، ويشتغل فيهما بشيء من مكفرات الذنوب فعساه تصل إليه رشحة من البركات ؛

منها ما في « رماح حزب الرحيم » بِما لفظه : وأخرج ابن منصور الديلمي عن أنس بن مالك ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : « إن لله عز وجل بحراً من نور حوله ملائكة من نور على خيل من نور ؛ بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر : **سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح** . فمن قالها في يوم مرة أو في شهر مرة ، أو في سنة مرة ، أو في عمره مرة ، غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ، ومثل رمل عالج[١] ، أو فرَّ من الزحف » . انتهى في ١٦٥ ج٢ .

ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر الحشر ، فإن صاحبها

---

(١) عالج جبال متواصلة أعلاها بالدهناء ، والدهناء بقرب اليمامة وأسفلها بنجد ويتسع اتساعاً كثيراً . « مصباح » .

يغفر له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر .

وكذا من مكفرات الذنوب : الصلاةُ عليه ﷺ ثمانين مرة ليلة الجمعة ويومها بعد العصر ، فإن الثمانين التي في الليل تكفر ذنوب أربع مائة سنة ، وإن التي في النهار بعد العصر تكفر ذنوب ثمانين سنة . ومن مكفرات الذنوب : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ملء ماعلم ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم ، فإن المرة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى كذا في « الرماح » ٢٦٤ ج٢ .

وفيه في موضع آخر : وأما فضل (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) إلخ . فمن ذكره مرة واحدة يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ، ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار ، وينظر الله تعالى إليه ، ومَن نظر الله إليه لم يعذّبه ومحا عنه ذنوبه ، ويكون له غرساً في الجنة أيضاً ، وزوَّجه الله من الحور العين . انتهى فراجعه في ١٠٠ ج٢ .

تنبيه : اعلم أيها الولد قد وجدنا كثيراً من المريدين يتركون الأذكار الواردة خلف الصلوات المكتوبة معلّلين بما رأوه في الكتب من أن وظيفة المريد أن يواظب بما أمره به شيخه من الذكر لا اشتغال النوافل ، لكن والدك الحقير - سامحه الله من فرطاته آمين - يرى الخير في المواظبة على هذه الأذكار الواردة في دبر الصلوات لما فيها من الفضائل والمنافع ، ولو كان المريد لا يعطل أوقاته عن الأذكار الملقَّنة له إلا في وقت الاشتغال بهذه الدعوات والأذكار لارتقى إلى المقامات العلية ، لكنه يكون في أوقات كثيرة في الغفلات مشتغلاً بما لا يعنيه من الأقوال والأفعال الغير المرضيات ، فتفويت فضيلة الاتِّباع بدليل أنه مشتغل بالذكر الذي أمر به شيخه مع كونه في أودية الغفلة في أكثر الأوقات من علامة القصور والفتور والتعطيل ، ولذلك أوصي الولد بأن يواظب على هذه الأذكار

الواردة من سيّد الثقلين عليه الصلاة والسلام ولو بأقل ما ورد لئلا يبقى محروماً من فضائلها .

من ذلك ما ذكره الإمام العلامة السيد علوي بن أحمد السقاف شيخ السادات بمكة المكرمة في « الباقيات الصالحات والدروع السابقات » بما **نصه هذا** :

النوع الأول في جملة صالحة من أذكار المكتوبات وأدعيتها : **يُسَنُ الذكر والدعاء سراً عقبها بحيث لا يفحش الطول بينهما** ، بل بحيث ينسبان إليها عرفاً ، **ولا يضر الفصل بالراتبة** لكن الأفضل[1] لغير الحنفي تقديم الوارد منها على رواتب الفرائض البعدية إن كانت ، واتصال الذكر بسلام الفرائض ؛ وبتأخيرها عن ذلك يفوته كمال الفضيلة أما أصلها فلا يفوت ما دام الوقت ، وأما الحنفي ! ! فالأفضل في حقه تأخير الذكر عن راتبة إن كانت ، ويقتصر قبلها على نحو مقدار (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) وإذا صلى جمعاً أَخَّرَ ذِكْر الأولى إلى فراغ الثانية ، والأكمل أن يأتي لكل منهما بذكر **ويحصل أصل السنة ولو بغير مأثور ولكنه بالمأثور أفضل** فيقدم منه ما معناه أَجَلّ ، ثم الأصح ، ثم الأكثر رواية ، فإذا سَلَّم مسح جبهته بيده اليمنى وقال : أستغفر الله ثلاثاً . ثم : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً ، ويمسح بيمينه على رأسه ويقول : باسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، اللهم أذهب عني الهم والحزن ، ثم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم لا إله إلا الله وحده إلى قدير - من غير يحيي ويميت - اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله

---

(١) راجع « العود الوثيقة » (منه رحم الله إفلاسه) .

إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، ثم آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين ، ويسبِّح ويحمد ويكبر عشراً عشراً ؛ وهو الأقل ، **والأكمل ثلاثة وثلاثين في كلٍّ وتمام المائة : لا إله إلا الله** إلى **قدير - بلا يحي ويميت - والأحسن كون التكبير أربعاً وثلاثين** ، ثم ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن له حق علي (خمساً)[١] ، ويزيد بعد الصبح : اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل ، اللهم إني أسألك علماً نافعاً وعملاً مقبولاً ورزقاً طيباً ، **وبعده وبعد المغرب :** اللهم أجرني من النار (سبعاً) . **وبعدهما وبعد العصر بل بعد جميع المكتوبات** - كما في « الجامع الصغير » وأقرّه المناوي قبل أن يثني رجليه ؛ بأن يبقى على هيئته في الصلاة وقبل أن يتكلم بغير ذكر ودعاء وقرآن : لا إله إلا الله إلى قدير بزيادة يحيي ويميت (عشراً) ، **ويفوت ذلك وغيره من المشروط بما ذكر بالقيام ؛** ولو لصلاة[٢] جنازة . كذا في « بشرى الكريم » . وفي « بشرى الأعلام » لشيخنا الأهدل

(١) أي : لِما في خلاصة التحصين للإمام الفاكهي : إنه ورد في ذلك أحاديث . انتهى (منه) .

* لأن الاتّباع أي : اتّباع رسول الله ﷺ يربو ويكثر ثوابه عن ثواب الكثرة والمشقة كما في ابن حجر من صلاة النفل . « فتاوى » . وعبارة ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » ، لأن في زيادة الاتباع ما يربو على زيادة العمل كما صرحوا به . ومن ثم قال ابن عبد السلام قد يكون قليل العمل البدني وخفيفه أكثر من كثيره وثقيله ، كتفضيل القصر على الإتمام ، وصلاة الصبح على سائر الصلوات عند من يراها الوسطى ولو كان الثواب على قدر النصب لما كان الأمر كذلك ، ولما فضلت ركعة الوتر على ركعتي الفجر . انتهى (منه) .

(٢) ورأيت في « بغية المسترشدين » ما نصّه هذا : ولا تفوت سنة المسبعات والأذكار المأثورة عقب صلاة الجمعة بكلام أو انتقال ، نعم يفوت ثوابها المخصوص ولو بجعل يمينه للقوم ، كما نقله الكردي عن ابن حجر ، وقال : وقال بعضهم : لا يفوت الثواب بل بكماله . انتهى « فتاوى سودان » انتهى فراجعه في ٧٧ . والسلام على من اتبع الهدى (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

نقلاً عن المناوي : عدم الفوات بها .

ولو زاد في المشروع على قدر الوارد ! فإن كان لنحو شك عُذِرَ ، وإلا فلا يحصل الثواب المترتب عليه . وقال كثيرون يحصل ثواب المشروع وثواب الزيادة .

ثم يدعو الله تعالى بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، وبمأثوره أولى وهو ما أورده العامري في « بهجته » قال : كان عليه الصلاة والسلام يقول دبر المكتوبات : « اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم أذهب عني الهمَّ والحزن ، اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها ، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنّه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت ، اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . انتهى . وذكر مثله ؛ بل عينه في « ترشيح المستفيدين » بعينه .

ومما ينبغي أن يذكر هنا ما ذكره العلامة[١] السيد محمد ابن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بالمرتضى قدس سره في « إتحاف السادة المتقين » شرح « الإحياء » بما لفظه :

تنبيه : قال شمس الأئمة الحلواني من أصحابنا : لا بأس بقراءة الأوراد بين الفريضة والسنة . قال ابن الهمام في معنى هذا الكلام : وإنما قال : لا بأس لأن المشهور من هذه العبارة استعمالها فيما يكون خلافهُ

(١) فذلك العلامة من الحنفية .

أولى منه ، فكان معناها أن الأولى أن لا يقرأ الأوراد قبل السنة ، فلو فعل لا بأس به فلا تسقط بقراءته ذلك ، حتى إذا صلاها بعد الأوراد تقع سنة مؤدَّاة لا على وجه السنة . انتهى .

وقال في « الاختيار شرح المختار » : كل صلاة بعدها سنّة يكره القعود بعدها والدعاء ، بل يشتغل بالسنة ، وأورد حديث عائشة السابق ذكره[1] ثم قال : أي فيندب الفصل بهذا لهذا . انتهى . قال ابن الهمام : فمن ادَّعى فصلاً أكثر مما ذكر في حديث عائشة فلينقله ، ولا يقتضي الأكثر ما ورد من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلخ . والحديث الوارد في الأمر لفقراء المهاجرين بالتسبيح وأخواته دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين إلى غير ذلك ، لأنه لا يقتضي وصل هذه الأذكار بالفرض ، بل كونها عقب السنة من غير اشتغال بما ليس من توابع الصلاة ، فصحَّ كونها دبرها . ثم قال ابن الهمام **والحاصل** : أنه لم يثبت عنه عليه الصلاة و السلام الفصل بالأذكار التي يواظَب عليها في المساجد في عصرنا من قراءة آية الكرسي والتسبيح وأخواته ثلاثاً وثلاثين وغيرها ، بل ندب هو إليها ، والقدر المتحقق أن كلاًّ من السنن والأوراد له نسبة إلى الفرائض بالتبعيّة ، والذي ثبت عنه وهو ما روته عائشة عند مسلم والترمذي وتقدّم ذكره قال : فهو نص صريح في المراد ، وما يتخايل منه أنه يخالفه ! لم يقوَ قوَّته فوجب اتِّباع هذا النص .

واعلم أن المذكور في حديث عائشة هذا لا يستلزم سنية هذا اللفظ بعينه دبر كل صلاة إذ لم تقل (حتى يقول) ! و(إلا أن يقول) ، فيجوز كونه ﷺ كان مرة يقوله ومرة يقول غيره من قوله : لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلخ . . ومقتضى العبارة حينئذٍ أن السنة أن يفصل بين الفرض والسنة

(١) وهو أنّه ﷺ لم يكن يقعد إلاّ مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، راجعه .

بذكر قدر ذلك ؛ وذلك تقريباً ، فقد يزيد قليلاً وقد ينقص قليلاً وقد يدرج وقد يترسَّل ، فأما ما يزيد مثل آية الكرسي وعدد التسبيحات فينبغي استنان تأخيرها عن السنة البتة ، على أن ثبوت مواظبته ﷺ لا أعلمه ، بل الثابت عنه ندبه إلى ذلك ، ولا يلزم من ندبه إلى شيء مواظبته عليه ، وإلا لم يفرق حينئذ بين السنة والمندوب ! !

وعندي قول الحلواني حكم آخر لا يعارض القولين يفيد عدم سقوط السنة بقراءة الأوراد بين الفرض والسنة فقط . انتهى .

تنبيه آخر : قال نجيم من علمائنا في « البحر » : **إذا تكلم بكلام كثير أو أكل أو شرب بين الفرض والسنة نقص ثواب السنة ولا تبطل هو الأصح** ، ولذا لو أخَّر السنة بعد الفرض ثم أداها في آخر الوقت لا تكون سنة ، وقيل : تكون سنة والأفضل في السنن أداؤها في المنزل إلا التراويح ، وقيل : إن الفضيلة لا تختص بوجه دون وجه وهو الأصح ، ولكن كلما كان أبعد من الرياء وأجمع للخشوع والإخلاص هو الأفضل . كذا في « النهاية » انتهى كلام صاحب « الإتحاف » فراجعه في ٢٠٩ من الجزء الثالث وقال صاحب « ترشيح المستفيدين » بعد ذكره ما ورد من الأذكار في دبر الصلوات المكتوبات :

واعلم أن كل محل طلب فيه ذكر بخصوصه فالاشتغال به أولى من غيره ولو من قرآن أو مأثور آخر ، كما في « ق ل » على المحلي ، فاشتغال أقوام بأحزاب ونحوها بعد المكتوبات عن واردها جهل بفضائل الاتِّباع وأسرار التوقيفات النبوية ﴿ **وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ انتهى ٧٤ .

قال صاحب « فتح المعين » : وقال الشافعي في « الأم » : **أختار للإمام والمأموم أن يذكرا الله تعالى بعد السلام من الصلاة ويخفيا**

الذكر إلا أن يكون إماماً يريد أن يُتعلَّم منه فيجهر ؛ حتى يرى أنه قد تُعلِّم منه ، ثم يُسِرّ فإن الله تعالى يقول ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني والله أعلم[1] الدعاء ولا تجهر حتى تسمع غيرك ولا تخافت حتى لا تسمع نفسك . انتهى .

فائدة : قال شيخنا : **أما المبالغة في الجهر بهما في المساجد بحيث يحصل تشويش على مصلٍّ فينبغي حرمتها** . انتهى . راجعه في ٧٤ من هامش « الترشيح » .

ومن الفوائد الجليلة ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام : إن ربك يقول : مَن قال دُبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نَفَس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض و كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله : **﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾** إلى **﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾** فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلى فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك . انتهى . كذا نقله صاحب « ذخيرة المعاد » فراجعه في ٨٦ من هامش « عقد اليواقيت » من الجزء الأول . ومثله بل عينه في « تنوير الصدر » .

ثم قال صاحب « الذخيرة » : وقد وقع السؤال عن قوله (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس) . . . إلى آخره ما المراد منه ؟ فأجبت أن المراد تكثير المضاعفة والتحصين بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذر حصرها ، ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر

---

(١) أي : أن المراد من الصلاة الدعاء إلخ .

لها تقدير في الزمن ، فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ وما فيها من الثواب من كل ما ورد واختصت به مما علم وما لم يعلم يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن ، لتشتمل الإحاطة والتحصُّن والحفظ والثواب العظيم ، فيكون ذلك معدوداً ومعدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات . انتهى ٨٦ .

ومنها ما في الحديث الصحيح : « خصلتان لا يحافظ عليهما عبد إلا دخل الجنة ، ألا وهما يسيرٌ ، ومَن يعمل بهما قليلٌ يسبح الله تعالى في دبر كل صلاة عشراً ويحمده عشراً ويكبره عشراً وذلك خمسون ومائة[1] باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان ، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا دخل مضجعه ، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان ، فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة ؟ » حم خد عن أبى عمر . كذا ذكره جلال الدين السيوطي في « الجامع الصغير » وراجع « السراج المنير » في ٢٢٩ من الجزء الثاني .

وأما فضل (لا إله إلا الله وحده) إلخ . . فقد روى الترمذي - واللفظ له وقال حسن صحيح - مرفوعاً : « مَن قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات) كتب الله له عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم يتبع بذنب يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى » وزاد فيه النسائي : بيده الخير . وزاد في رواية أخرى : وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة . وزاد في رواية أخرى له « ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر أُعطيَ مثل

---

(١) أي : في كل يوم بمجموع الصلوات الخمس .

ذلك في ليلته » . كذا ذكره الشعراني في « لواقح الأنوار » فراجعه في ٩٧ من هامش المنن ج١ .

وفيه أيضاً : وروى النسائي والترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير على أثر المغرب بعث الله تعالى له ملائكة مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح وكتب له بها عشر حسنات موجبات ، ومحى عنه عشر سيئات موبقات وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات » . انتهى .

فأرجوك يا ولدي أن تسعى بجهدك في حوز هذه الفضائل ، وإياك ثم إياك والغفلة بالكلية فإنها من أعظم الذنوب عند أهل الله ، فإن كنت في شكّ من ذلك فتدبر فيما أتلو عليك من المثال لعلك تصدِّق قولي : فلو فرضنا ملكاً له جمال باهر وسمت حسن وعلم وعقل وغنى ومال ، وقد عشقت عليه النساء كلهن ، ويذكرنه آناء الليل والنهار لا يفترن عن ذكره بألسنتهنَّ وعن فكره بقلوبهن ، ومع ذلك لو كانت له زوجة تغفل عنه ولا تذكره بل تنظر إلى كل من رأته من الشبان وتعشقهم ، ألا يكون سعي تلك الزوجة جريمة عظيمة عند الملك ؟ بلى والله و تصير مستحقة للطرد والقتل . وهكذا إن الله تعالى غيور لا يحب أن يَرى في قلب عبده غيره وقد قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ . الآية فإذا كان كل شيء حتى الجمادات تذكر الله تعالى دائماً مع عدم كونها مكلّفة بالعبادة والطاعة بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وكان عبده الذي أمره بذكره وعدم غفلته عنه بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في غفلة عنه تعالى .

فقد استحق أن يعدَّه من جملة المذنبين ، وقد كان والدك الحقير - غَفر الله له آمين - في تحيُّر لا يدرك حقيقة كون الغفلة من الذنوب مع كون الإنسان لا يخلو منها بطبعه ، بيد أنه قد كشف الله تعالى له بفضله وكرمه في حالة كونه في سلطان الذكر وحصل له الشهود بالذوق بأن جميع الأشياء تذكر الله وتسبّحه بحمده وكان وقتئذ يسمع أصوات أذكار الجمادات كصوت النهر الجاري وكأصوات النحول في الهواء فعلم بعد ذلك أن كون الغفلة من أعظم الذنوب هو عند أهل الكشف والشهود ، وإن كان أهل الفتور لا يعرفون ما هنالك ! فصغائر الأبرار كبائر المقربين . فتيقّظ يا ولدي من سِنَة الغفلة . **واعلم** أن جميع العبادات إنما شرعت ؛ لتحصيل وجهة القلب إلى الله وحضوره معه تعالى .

وقد قال شيخنا سيف الله قدس سره ما معناه : أنه لا يساويه الدنيا[1] والآخرة . انتهى . يعني أن أجر الحضور والذكر القلبي أعلى وأرفع مما في الدارين ، ألا وهو المشاهدة والوصول عند مليك مقتدر . أذاقنا الله تعالى وجميع أحبابنا حلاوة هذه المشاهدة والمواصلة آمين .

ولأجل ما ذكر **أوصيك يا ولدي** بالاشتغال على ما يجلب به الحضور وقت الذكر ، فإن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر ، والحضور لا يمكن إلا بمعرفة معاني الأذكار ؛ وهو[2] روح[3] الأعمال ، فاحتياج الذاكر إلى معرفة معاني ما يذكر إذاً أمر ضروري لا محالة ،

---

(١) ونقل قدس سره أيضاً في « كنز المعارف » عن « الرسالة المدنية » بأن ذكر القلب لا يعدل عليه شيء ، انتهى فراجعه .

(٢) أي لو خلت جميع الأعمال والعبادات عن الحضور فهي كصورة بلا روح ، فافهم (منه) .

(٣) وسيأتى بعيد الخاتمة ما ينبغى مراجعته .

راجع « رماح » في ١٠٧ ج٢ . والفيوضات الربانية غير منقطعة في ليل أو نهار ، والمانع من إحساسها ووصولها هو الغفلة وعدم التوجُّه إلى نقطة القلب ، ومن المعلوم أن المطر ؛ وإن كان ينزل دائماً لا يصل منه ولو قطرة إلى من وقف تحت السقوف ، وكذا الشمس وإن كان نورها منتشراً في أقطار الأرض لا يصل إلى دار ليس فيه كوة ، وكذلك لا يصل الفيض إلى قلب قد طبق عليه سقف الغفلة ، **فإن للقلب بابيْن باب من جهة الفوق يفتح إذا توجَّه إليه بالحضور ويصل إليه الفيض والنور والبركة** ، وباب من جهته السفلى ينفتح بالغفلة ويجد الشيطان إليه حينئذ سبيلاً . **فافهم يا ولدي** وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وأيضاً إن القلب كبلدة بين عسكرين متحاربين ؛ عسكر الملائكة وعسكر الشياطين ، فمتى غفل السالك يظلم القلب فيتبادر إليه عسكر الشياطين فيفتحونه ويجعلونه مسكناً لهم ومعششاً ، وإذا حضر يحصل للقلب نور فيتبادر إليه الملائكة فيفتحونه وحينئذ يصير القلب محلاً لنزول الفيوضات ومهبطاً لوصول الأسرار والبركات ، فلذلك يجب عليك يا ولدي ملازمتك على الوقوف القلبي ليحترز قلبك من نزول الشياطين ، فهذا هو الجهاد الأكبر ، الذي لا آخر له إلا الموت . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا وجعلنا من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان . آمين .

الترغيب الخامس

في بيان فضيلة لفظة الجلالة الله

اعلم يا ولدي - جعل الله تعالى مسماك مطابقاً باسمك آمين - أن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن قدس سره كان يأمرنا بتكثير لفظة الجلالة وتكريره بالقلب لا باللسان في كل وقت وفي كل حال ، فامتثالاً بأمره كنا نجتهد في المداومة على الحضور ، وطرد الغفلة والفتور ، قياماً وقعوداً وعلى الجنوب كما قال الله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ . . . الآية وقد فُسِّرت أي : على كل حال ، **وقد رأيت في مريديه من زالت من إصبعه السبابة قطعة من الظفر والجلد على قدر حبة السبحة**[1] ، ورأيت بعضهم قد تورَّم إصبعه بكثرة طرح حبات السبحة وتكرار حركة الإصبع ، وقد حصل لهم الحضور[2] بحيث لا يشغلهم الخلق عن الحق والحق عن الخلق ؛ فصاروا بذلك عرشيين فرشيين كائنين بائنين ، وهكذا يجب على السالك أن يلازم الذكر حتى يصير ذا حضور بحيث لا يغفل عن الله تعالى إلا في أوقات نادرة ، فكن أنت يا ولدي من أهل هذا المقام الرفيع الشأن العظيم البرهان الذي ليس فوقه كرامة أعظم منه ، ولا أعزّ ولا أرفع منه .

وقد قال واحد من الأكابر - حين قيل له : ما الكمال عندك ؟ - : أن تكون مع الحق في الباطن مع كونك مع الخلق في الظاهر . أو ما هذا معناه ، وقد قيل : للإمام النقشبندي : ماذا طريقك ؟ فقال : الخلوة في الجلوة .

فإذا فهمت هذا ينبغي لك أن تدوم على تكرار لفظة الله الله الله[3]

---

(١) جُمَلْ (هامش الأصل) .

(٢) بسبب دوامهم على الذكر (منه) .

(٣) وسئل عن قول القائل في مجلس الذكر الله الله في حال صحوه من استغراق هل=

بالقلب حتى في الخلاء ووقت الجماع ، **فليس في الأذكار أعظم نفعاً في جلب الحضور وطرد الغفلة من ذكر الاسم الله** ؛ لأنه لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم كما بيّنه الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » وقد فُسِّرَ لقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي : كرروا هذا الاسم كثيراً ، ولقوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم الله كما هو مذكور فيه ، وقد اتخذه الأكابر ورداً ؛ لأنه يصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار كما سيأتي ، وهو أول ما يلقِّنه النقشبنديون للمريد المستعد ؛ وهو عندهم بالقلب .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما معناه : إن ذكر لفظة « الله » يكون في هذا الطريق يعني النقشبندية مناسباً في الابتداء ، ثم يستعمل بعده النفي والإثبات ، عكس سائر[1] الطرق ، ورأيت في « شموس الأنوار » أنه هو الاسم الأعظم على الأصح .

وفيه : أنه هو ذكر القطب من أهل الدائرة الربانية . انتهى . وقد ذكرنا كلاماً كثيراً في حقه في « تنبيه السالكين » فراجعه في الباب الرابع عشر تجد البسط التام .

وقال الشعراني قدس سره في « لطائف المنن الكبرى » : ومما منَّ

=يسمى ذكراً أو لا وإذا قلتم بأنه لا يسمى ذكراً هل يثاب عليه أم لا فأجاب بأنه لا يسمى ذكراً عرفاً* لعدم إفادته لكنه يثاب لقصد الذكر كما أن ذا الحدث الأكبر آثم بنطقه بحرف واحد من القرآن بقصد القراءة لأنه نوى معصية وشرع فيها وإن لم يسم قارئاً « فتاوى الرملي » عبارته ٣٥٧ من هامش « الفتاوى » لابن حجر ج٤ .

* ولكن الإمام الرباني قدس سره قال : الذكر عبارة عن طرد الغفلة . والقول بأنه لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ممنوع . راجع « الحدائق الوردية » و« الرحمة هابطة » ، والسلام .

(١) كما هو مبسوط في « مكتوباته » في ٣٧ .

الله تبارك وتعالى به عليّ مواظبتي أوائل دخولي في محبة[1] طريق القوم على ذكر الله تبارك وتعالى **بلفظ الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة؛ عدد الأنفاس الواقعة في الثلاثمائة وستين درجة**، وكنت أذكرها تارة في مجلس واحد، وتارة في مجالس على نية أن الله تبارك وتعالى يبسطها على جميع الأنفاس الواقعة في الليل والنهار؛ ليكون حكمي إن شاء الله تعالى حكمَ من لم يغفل عن الله عز وجل نَفَساً واحداً، ولم أزل على ذلك حتى استحكمَ فيَّ الحضور مع الله تبارك وتعالى في أكثر أوقاتي، فكانت لي كالمادة يستمد الإنسان منها المراقبة لله عز وجل والحضور معه تبارك وتعالى طول عمره، **فإن الذكر باللسان وسيلة لحضور القلب**؛ لأنه يجلي القلب من الظلمات والأدناس والرعونات[2] المانعة من دخول حضرة الله تبارك وتعالى، فإذا انجلى القلب كذلك صار ليلاً ونهاراً يستحضر في نفسه أنه بين يدي الله جل وعلا والله تبارك وتعالى ناظر إليه، **فهذا هو الذكر الحقيقي الذي تصل إليه الفقراء في سلوكهم بالذكر والخلوة والرياضة، فلا يحتاجون بعد ذلك إلى ذكر اللسان**؛ إنما ذكرهم به تطوّع ليزيِّنوا جوارحهم الظاهرة بالذكر، أو ليقتدوا[3] بهم المريدون، وإلا **فَمَن كان يستحضر دائماً أن الله يراه فمِن أدبه الصُمْتُ والهَمْس**[4]، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي: من شدة الهيبة والحضور مع الله تبارك وتعالى، فعلم أن مَن لم يحصل له مادة الحضور مع الله تعالى كما ذكرنا فلا يقدر على تكليف نفسه الحضور على الدوام إنما هو تارة وتارة، بخلاف من حصل له المادة، فإنه لا يتكلّف للحضور كما أنه

---

(١) وفي نسخة: في محبتي.

(٢) الرعونة الحمق والاسترخاء، ورجل أرعن، وامرأة رعنآء، بيّنا الرعونه «مختار».

(٣) وفي نسخة: وليقتدي بهم.

(٤) الهمس: الصوت الخفي، وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم «مختار».

لا يتكلَّف لدخول النَّفَس وخروجه .

وقد أرشدت الأخ الشيخ يوسف الطهواني إلى هذا الذكر لما طلب مني الإرشاد ، وذكر أنه حصل له أمارة **الفتح وهو رسم الجلالة بالنور في مَحل تصوره وحضوره ،** ثم انتشر من الجلالة نور تتلألأ الأفق أو أكثر من غير وجود شيء آخر معه ، هذا وهو ملاحِظ للجلالة بعين الروح مع التلاوة لها باللسان حتى يتمكَّن تمكّن الرجال وتنتفي عنه الخواطر والأكدار ؛ **إذ الجلالة مصقلة تصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار** . انتهى فراجعه في ٢٧٣ من الجزء الأول ففيه أزيد من هذا .

وحديث « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله » انتهى ، يشعر جلالة قدر هذا الاسم الأعظم ، لأنه لولا أن قدر هذا الاسم عظيماً لَمَّا حفظ الله تعالى العالم من الزوال بمن يذكر به فافهم .

ومن الفوائد أن مَن ذكره سبعين ألف مرة في موضع خال عن الأصوات لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه . انتهى كذا في « إعانة الطالبين » في : ٦ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » : ومن كتب لفظة الجلالة أي : اسم « الله » ستّاً وستين مرة على كأس نظيف ثم يسقيه شفاه الله تعالى من أي مرض كان . انتهى عبارته ٨٧ .

وفي « الحدائق الوردية » ما حاصله : أن الذكر الخفي وهو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نَفَس الاسم الأعظم الله الله فقط ، بدون ملاحظة أن الاسم الأعظم مبتدأ محذوف الخبر أو منادى بحرف نداء مقدّر أو غير ذلك ، وهو ذكر جليل له شأن عظيم في تنوير قلب السالك وطي منازل السلوك ، **وهو أفضل من الجهري بمراحل** . انتهى عبارته ٢٩٠ .

يا ولدي أوصيك بأن تلازم على هذا الذكر متى استطعت .

فكيفيته : أن تتوجه إلى القلب وأن تجري الاسم المبارك الله عليه[1] ، ولا تحرك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد إلا الإصبع الذي تجرُّ السبحة ، واقعد متوجهاً إلى القلب بالكلية ، ولا تخيل صورة القلب بالقوة المتخيلة أصلاً ، ولا تلتفت إليها قطعاً ، فإن المقصود التوجه إلى القلب لا تصور صورته ، **ولاحظ معنى اللفظ المبارك** « **الله** » **بِليس كمثله شيء** ، ولا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية . هذا ملخص ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه ، راجعه في ١٦١ ج١ .

يا ولدي إن الوقوف القلبي بمعنى الملاحظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف ، بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال حتى في الحمام ووقت القربان ، وحتى في الكنيف ، وفي الخلوة والجلوة ، **ولكن عند الناس بفتح العين ستراً للحال مع عدم خلوّ البال** ، وهذا المعنى يحصل أولاً بالتكلف من الظاهر ، وبدون هذا المعنى الذكرُ قليل الجدوى ، بل لا يوصل إلى مقصود وهو غلبة المذكور واستيلاؤه ، وهي الذكر الحقيقي والمقصود الأصلي المعبّر عنها تارة بالفناء وتارة بالعبودية كما هو مذكور في « تبصرة المرشدين » ، فإذا تحرك القلب بالذكر وصار وصفاً لازماً بحيث لا يقدر على إسكانه يلقن الشيخ بهذا الذكر « الله » على لطيفة روح المريد ، ولقد كان شيخنا العسليّ قدس سره يقول : كان الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره يقول له : اترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن تنعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث يثقل لك حملها من قلب المريد انتهى .

وسمعته رضي الله تعالي عنه يقول : **إن الذكر القلبي يكفي لأهل ديارنا الداغستانية** . انتهى . مع أن الانتساب إلى النسبة العلية يكفيه فقط .

---

(١) بأن تفكر اللفظ في القلب أي تخيل جريانه فيه (منه) .

كما في « تبصرة المرشدين » ، ولأجل ذلك نترك كثيراً من المريدين المشتغلين بالحرف والصنائع على مجرد لطيفة القلب وذلك لهم أثر عظيم ، وفي الشغل بذلك نفع جسيم ، فكيف لا وقد ورد في الحديث « **الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً** »!! انتهى .

ورأيت في شرح « تائية السلوك » ما نصه : **فرب ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب** . انتهى . فما أعظم هذه المنفعة التي هو المقصود من هذا الطريق !

وقد قال في « الرشحات » : **إن المقصود من هذا الطريق في اعتقادي كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً .** انتهى عبارته ٢٠٢ .

فائدة مهمة غفل عنها أكثر المريدين

رأيت في « الرشحات » ما نصُّه : ينبغي أن يرى العمل محبوباً دون الحضور والجمعية فإنهما من المواهب وعزيزي الوجود وليسا تحت الاختيار وفقدانهما موجب للكسل والفتور ، **بخلاف العمل فإنه من المكاسب وتحت الاختيار والمواظبة عليه موجبة للجمعية والحضور** ، فإن الفتور متطرق إلى الجمعية والحضور وذلك واقع بالخاصية . انتهى عبارته ٢٠٢ .

ولقد وجدنا كثيراً من المريدين يطلبون الأحوال ويريدون علم حركة القلب وارتعاشه وحصول الذوق واللذة في الذكر وظهور الأشياء في النظر ، لكن الإمام الرباني قال : إنه[1] **داخل** في اللعب واللهو ، **بل كلما توجد المشقة في الذكر يكون أفضل وأنفع** . انتهى . من « مكتوباته » في ١٤ ج٣ .

---

(١) أي طلب ذلك .

فينبغي للمريد أن يعلم أن علم الأحوال لا يعطى لكل أحد ، فمن المريدين من يعلم ، ومنهم من لا يعلم ، **وعدم علم الأحوال لا يضر في شيء ، بل العدم المحض أسنى الأحوال** كما قال به شيخنا سيف الله قدس سره . وقد قيل : إن طالب الأحوال ليس بطالب للحق تعالى . وقيل : مقصودك[1] معبودك .

وإذا علمت هذا فاللازم عليك يا ولدي أن تذكر الله تعالى ، لمجرد امتثال أمر الله تعالى لا طلباً للعوض ولا للغرض ، وكل شغل من أشغال الطريقة كالرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ينبغي لك أن تؤدي جميعها بملاحظة امتثال الأمر لا غير ، ففي جميعها ورد الأمر الإلهي ، قال تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[2] وقال ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وقال ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ إلخ . . وقال ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ إلخ . . وقال ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ إلخ .

واعلم يا ولدي أن ذرة واحدة مِن عبادة[3] مَن أخلص عمله لله تعدل عبادة ألف سنة من عبادات أهل الأغراض الذين يقصدون بها الحظوظات النفسانية ، فالعاقل لا يضيِّعُ الجواهر النفيسة بجوز الأحوال الذي هو الثواب المعجل الذي ينقص به الثواب في الآخرة ، ولا ريب أنّ من علم الأحوال تلذَّذ بها ، **وكل من تلذَّذ بشيء في الدنيا ينقص الله تعالى له بقدره الثواب في العقبى**[4] . والله ولي التوفيق .

وأما أقوال العلماء الربانيين في كون لفظة الجلالة ذكراً منفرداً

---

(١) يعنى إن كان مقصودك الأحوال فأنت عبد الأحوال ، فافهم (منه) .

(٢) هذا دليل الرابطة ، فافهم .

(٣) راجع « المنن » .

(٤) كما هو مذكور في « منهاج العابدين » (منه) .

فكثيرة ، وذكرُ الجميع عسير لكني أذكر هنا نبذة منها ، فقد قال صاحب « الرحمة الهابطة »[1] : وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وفي رواية « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله » فهذا الحديث مصرّح بأن الله الله من الأقوال التي تقال ، وأنه إذا انصرم الزمان لم يبق أحد يذكر الله بهذا القول وحينئذٍ تقوم الساعة . انتهى .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة : وعند ذلك يلقنه - أي يلقن الشيخ المريد- ذكراً من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس مثلاً ويقول : (الله الله) ، أو : (سبحان الله) أو ما يراه الشيخ من الكلمات . انتهى .

وفي حزب الإمام النووي : الله الله الله ربي لا أشرك به شيئاً ، الله الله الله ربي لا إله إلا الله . انتهى .

وفي الصلاة المشيشية : الله الله الله إن الذي فرض عليك القرآن . . إلخ والكلام على كونه اسماً مفرداً أو جملة كثيرٌ ، وقولُ بعضهم : (الذكر لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ، حتى يثاب عليه وإلا فلا) ممنوعٌ كما ذكره الخاني في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ .

وفي « الرحمة الهابطة » : وقال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه « أسرار التنزيل » : وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة (الله) فلهم فيه وجوه :

الحجة الأولى : أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب .

الحجة الثانية : أن مَن قال لا إله إلا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي

---

(١) راجعه في ٢٠٠ من هامش « الدرر » ج١ .

لا يجد من المهلة ما يصل منه إلى الإثبات ! وحينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات ! وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار .

الحجة الثالثة : أن المواصلة على هذه الكلمة متشعبة بتعظيم الحق ، والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار ، وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد ، فمن قال : لا إله إلا الله فهو مشتغل بغير الحق ، ومن قال : الله فهو مشتغل بالحق ، فأين أحد المقامين من الآخر ! !

الحجة الرابعة : أن نفي الشيء إنما يُحتاج إليه عند خَطَران ذلك بالبال ، وخطور شريك نقصان في الحال ، فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نكلفهم بنفي الشريك ، بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا في خيالهم إلا ذكر الله ، فلا جرم يكفيهم أن يقولوا (الله) .

الحجة الخامسة : قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ فأمره بذكره ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم ، والقول بالشريك من الأباطيل ففيه خوض في ذلك الكلام وكان الأولى الاقتصار على قولنا « الله » . انتهى راجعه في ٢٠٢ من هامش الدرر ج١ .

وقال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابه « الكبريت الأحمر » : العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الأنفاس[1] مع الله ، ويكون دخولها

---

(١) وإجماع العارفين على هذا ، وهو صحيح ومعناه ظاهر وهو مقام الكمل ، وما ذكره النووي أن الأفضل الذكر باللسان والقلب جميعاً فهو مقام دون هذا المقام كما صرحه الإمام الرملي في « فتاواه » ، فراجعه في ٣٦٢ من هامش « الفتاوى الكبرى » لابن حجر من الجزء الرابع ففيه زيادة . وهذه بشارة عظيمة للنقشبنديين فإن بدايتهم نهاية سائر الطرق . ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة والسلام « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

وخروجها بذكر الجلالة وهو قولك (الله الله) و (لا إله إلا الله) وهو الذكر الخفي الذي لا تتحرك به الشفتان . انتهى « الرحمة الهابطة » عبارته ٢٠٧ .

وفيه : أن رجلاً سأل الشبلي : لِمَ تقول (الله) ولا تقول (لا إله إلا الله) ؟ فقال : إن الصديق أعطى ماله فلم يبق معه شيء ، فتخلل الكساء بين يدي النبي ﷺ فقال له : « وما خليت لعيالك ؟ » فقال : الله . فكذلك أنا أقول الله . فقال السائل أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : أخاف أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ** ﴾ فقام السائل ، فزعَق[1] زعقة ، فقال الشبلي : الله . فزعَق ثانياً . فقال الشبلي : الله . فزعق ثالثاً ومات ، فاجتمع أقارب الفتى وتعلَّقوا بالشبلي وادّعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فدخلوا عليه وادّعوا الدم ، فقال الخليفة للشبلي : ما جوابك ؟ فقال : روحُ حنَّت[2] فرنَّت[3] وسمّت[4] فصاحت ، ودعيت فسمعت ، فَعلِمَتْ فأجابت ،

(١) صاح صيحة « منجد » .

(٢) عطف الله قلبه « منجد » .

(٣) رفع صوته بالبكاء (منه) .

(٤) حسن الخلق (منه) .

*وأخرج البخارى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » . انتهى . وأخرج ابن ماجه عن أم هانئ قالت قال رسول الله ﷺ « لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » « خزينة » عبارته ١٨٤ .

فما ذنبي ! فصاح الخليفة : خلّوا سبيله . انتهى عبارته ٢١٠ .

يا ولدي إن أردت أن تعلم أزيد من هذا فراجع « الرحمة الهابطة » ففيه البسط الزائد ، ولم أذكره هنا خوفاً من الإطالة والسآمة ، فعليك الاشتغال بذكر هذا الاسم الأعظم الذي حصل به الفضل لـ(لا إله إلا الله) فلو قالها مكلف ولم يتمها به عمداً كفر ، وأَعْرِضْ عمن أنكر وعن الحق استكبر ، وادع لوالديك واتق الله تعالى ما استطعت ، ولازم العلم النافع ودع الناس جانباً ولا تكن من الغافلين . وفقك الله تعالى لاتباع السنة واجتناب البدعة . آمين .

ولم أذكر سائر اللطائف اكتفاءً بما في كتب النقشبنديين ، ويكفي للمشتغل بذكر اللطائف نفعاً حفظُه من زوال الإيمان كما هو مذكور في هامش « المناقب الأحمدية » . ورفع الحجب السبعين ألفاً ، بكل لطيفة عشرة آلاف حجاب ؛ كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » في ١١٦ فراجعهما .

الترغيب السادس

في بيان فضائل (لا إله إلا الله)

قال الشيخ أحمد بن زيني دحلان رحمه الله تعالى في « تقريب الأصول » في ١١٦ : وعن محمد بن علي الترمذي قال : يأتي العبد يوم القيامة فلا يجد لا إله إلا الله في الميزان فيقول : يا رب لا أجدها في ميزاني ! فيقال له : لا يسعها الميزان ولا تسعها السماوات ولا الأرض ، بدليل قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده تملأ ما بين السماء والأرض والحمد لله تملأ الميزان » فإذا امتلأ الميزان « بالحمد لله » لم يسع ما بعدها ، وما من عبد يقبض إلا شخصت له ملائكة السماوات والأرض تنظر بماذا يختم له ، فإذا قبض على الإيمان فرحوا . قال ابن عطاء الله : وكيف لا يفرحون وقد قال تعالى ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ؟ أتحسب أنك إذا قلت لا إله إلا الله تفرغ أو تنقضي آثارها ! ! كلا ، ومثال ذلك كالنجار يعمل الباب ويفرغ منه ويبقى بعد موته دهراً طويلاً فقوة الذكر ، على حسب الذاكر فإن كانت همته قوية يتوجّه ذكره إلى الله ، **ليس الشأن لمن اتَّجَر لنفسه بل الشأن لمن اتجر الله له ،** لأنه يخلق من (لا إله إلا الله) ملائكة ثم يخلق من تلك الملائكة ملائكة آخرين .

قال ابن الصباغ : أعرف من يقول (لا إله إلا الله) فتخرج منها دائرة ثم يخرج من الدائرة ملك يقول لا إله إلا الله وعنى به نفسه ، ولا عبادة أنفع من الذكر ؛ لأنه يمكن المريض والشيخ الكبير الذي لا يستطيع القيام والركوع . انتهى عبارته .

ورأيت في « جواهر المعاني » أن الحروف اللفظية يوجد منها عالم الأرواح ، معناه أن كل كلمة تلفَّظ بها خلق منها ملك يسبّح الله تعالى ، فإن تكلم بكلمة من الخير خلق منها ملك رحمة ، وإن تكلم بكلمة شر خلق

منها ملك عذاب ، وكان من جملة ملائكة العذاب ، فإن قدر الله وتاب من تلك القولة خلعت على الملك الذي خلق منها خلعة وانقلب بها مَلَك رحمة . انتهى عبارته راجعه في ١٩٩ ج١ .

مهم في تطور الأعمال على صور الملائكة

وقد ذكر الشعراني كلاماً في حق تطور الأعمال في « مننه الكبرى » وقال بعد كلام في ذلك :

وسمعته رضي الله عنه – يعني شيخه عليّاً الخواص – مرة أخرى يقول : لا يكمل إيمان العبد الكمال المتعارف بين القوم حتى يصير يشهد تطور كل حرف يقوله من القرآن أو غيره ملكاً على صورة حاله فى الإخلاص أو الرياء من حسن أو قبح ، ولا يخلو ذلك من موافقته لأحكام الدين الخمسة ، فإن المندوب يقارب الواجب في الحسن ، والمكروه يقارب الحرام في القبح ، فالملك الحسن الصورة يصعد مستغفراً لمن نطق به ، والملك القبيح يصعد لاعناً من نطق به .

وسمعته يقول : إذا كمل جلاء قلب العبد من الشهوات المذمومة صار يرى تطور الآيات وهي صاعدة ، حتى أن بعضهم كان يسأل الآية إذا غلط فتردُّ عليه الآية الغَلْطَة .

قال الشيخ : وقد رأيت الآية مرة تطورت في صورة أبي قردان فردت عليّ الغلطة ، فقلت له : يا سيدي القرآن كلام الله تعالى فكيف قَبِل الصورة ؟ ! فقال : الذي تطور إنَّما هو تلاوتي لا المتلو . انتهى .

ويؤيد ذلك حديث « إذا قال العبد لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أبيض فيرفرف[1] تحت العرش فيقال له : اسكن . فيقول : وعزتك لا أسكن

(١) رفرف : الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه « مختار » .

حتى تغفر لقائلها » انتهى عبارته في ٢٣٠ ج٢ .

وقال بعيد هذا : وأخبرني الشيخ أحمد السروي أنه رأى الملائكة بأقلام من نور يكتبون كل حرف يلفظ به المصلّون على رسول الله ﷺ في صحيفة .

وقال لي مرة أخرى : رأيت مرة كل حرف نطق به العبد يتطور ملكاً يذكر الله تعالى بذلك الذكر ، ثم يتطور كل حرف من أذكار الملك ملكاً كذلك ، ثم يتطور من أملاك الدور الثالث ملائكة وهكذا ، فلو كشف للعبد لرأى الجو مملوءاً ملائكة من تطورات أفعاله وأقواله . انتهى عبارته في ٢٣١ .

فهذه المذكورات مما ينبغي للمريد أن ينصبها بين عينيه ولا ينساها ولا يغفل عنها ، وقد كتبتها هنا لكونها من أجلِّ المسائل التي غفل عنها أكثر الناس والله ولي التوفيق .

وقال الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » .

وأما خواصها[1] : فروي أن من قالها سبعين ألف مرة فداه الله تعالى من النار .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما قال أحد (لا إله إلا الله) مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر » .

وعن الصحابة : مَن قال (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه ومدَّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر .

ومن كان يخشى شيئاً فليقل بعد صلاة الصبح أستكفي كل شر بـ« لا

(١) أي لا إله إلا الله

إله إلا الله » مائة مرة فإنه يكفى ما يخاف .

ومن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة انشرح صدره وانبسط فكره وتيسَّر أمره وزال همه وانجلى كربه ، ولا يقع بصر أحد إلا أحبه .

ومن كتبها في جام بعدده ومحاه بماء وشربه على الفطور أحيا الله تعالى قلبه بنور الإيمان ، وفجَّر من صدره أنوار العرفان .

ومن داوم على شربه وقاه الله تعالى شر قساوة القلب ، وشرح باطنه لقبول الحقائق الإيمانية[١] والأسرار الروحانية .

٥٢	٥٥	٥٤
٥٧	٥٥	٥٤
٥٧	٥١	٥٨

ومن كتبها على خاتمه وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه رأى ما رآه في نومه بشرط العزلة والطهارة ، وهذا وَفقه .

وفي « المعارف » : إن من قالها ألف مرة على الطهارة في صبيحة كل يوم يسَّر الله له أسباب الرزق .

ومن قالها عند منامه ألفاً باتت روحه تحت العرش .

ومن قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن .

ومن قالها عند رؤية الهلال أَمِنَ من أسقام الأجسام .

ومن قالها عند دخول مدينة أمن من فتنتها .

ومن قالها بجمع فكره وأرسلها لظالم أو لجائر قطعته .

ومن قالها بقصد التطلع إلى العلويات كُشف له عن غيب ما قصده ولها خواص كثيرة وهذه نبذة ترغيب . انتهى عبارته ٣٣ .

---

(١) وفي نسخة : الحقائق الربانية .

وفي « النور الساطع » : ولا إله إلا الله رأس الذكر وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ، ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ورياضة النفس وتهذيبها ، ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب[1] نفوسهم . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » انتهى عبارته .

وفي « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به . قال : قل لا إله إلا لله . قال : يا رب كل عبادك يقولون لا إله إلا الله ! قال : قل لا إله إلا الله . قال : يا رب إنما أريد شيئاً تخصُّني به ! قال يا موسى : لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة[2] ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله » . انتهى عبارته .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « ما من عبد قال لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » . انتهى .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « يستخلص الله تعالى رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ، حتى إذا ظن أنه هالك أحضرت له بطاقة[3] فيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتوضع في كفة والسجلات في كفة ، فتطيش[4] السجلات وتثقل البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء » . وكان ﷺ يقول :

---

(١) التهذيب – التنقية ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق « مختار » .
(٢) الكف – واحدة الأكُف وكفة الميزان بكسر الكاف وفتحها والجمع كفف بكسر الكاف ، والكافة الجميع من الناس « مختار » .
(٣) البطاقة بالكسر رقيعة « مختار » .
(٤) الطيش – الخفة « مص » .

« لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » . انتهى عبارته فراجعه . من الخاتمة في الجزء الأول .

قال الشيخ في كتاب الوصايا في « الفتوحات » : إيّاكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه[1] ، وأطال في ذلك . ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك . والله تعالى أعلم . انتهى « يواقيت » عبارته ٤٦ ج١ .

ويؤيده قول الإمام الرازي رحمه الله : إن العبد يأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به . انتهى .

اعلم يا ولدي لما وجدت عادة مشائخنا النقشبندية والشاذلية تلقين الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر بلفظة الجلالة والنفي والإثبات ذكرت ما في جميعها من المنافع والفضائل لتكون سبباً للحث وباعثة للمواظبة عليها ، وقد أجازني **شيخنا العسلي** في تلقين الطريقة النقشبندية ، وكذا أجازني السيد الشريف **سيف الله الحسيني** في الشاذلية والنقشبندية[2] وكتب لي صك الإجازة بيده المباركة ، وأمرني أمراً أكيداً بتلقين الشاذلية خاصة ، لكونها موافقة لأحوال الناس في هذا الزمان ، وكذا أجازني في القادرية بالمشافهة ، وكان قدس سره يقول بلسانه ويكتب إلينا بقلمه ويوصينا بالاجتهاد لإدارة الطريقة النقشبندية والشاذلية

---

(١) والإزراء – التهاون بالشيء يقال أزرى به إذا قصر به وازدراه أي حقره « مختار » .
(٢) وفي نسخة : والنقشية .

خاصة لما أنه لم يكن في ولايتنا من له الإجازة التامة في تلقين الطريقة إلا النادر فالنادر ، وكان يقول إن ذلك يكون سبباً لمنع الناس عن وقوعهم في شبكة المتشيّخين وقيدهم ، وكان قدس سره يستعيذ منهم وممن وقع في أيديهم[1] ، وقد أمرني بلسانه وكتب إلي بقلمه **الشيخ الحافظ شعيب الباكني** بالنظر والتوجه إلى مريديه والالتفات إليهم ، ولأجل كوني مأموراً من هؤلاء المشائخ بهداية الخلق إلى طريق الحق وجب عليّ أن أُبيِّن للناس ما يحضُّهم ويرغِّبهم إلى السلوك[2] في سبل الخيرات .

ومما ينبغي أن يعلم أني وإن خاطبت كثيراً[3] في هذا الكتاب لمحمد عارف خاصة لوقوعه سبباً للتأليف ، لكن يدخل فيه كل من أخذ مني الطريقة ، لأنه لا فرق بين ولد الجسد وبين ولد الروح ، والأستاذ في الحقيقة هو الأب الحقيقي بل هو مقدم على أب الجسد ، لأنه أب الروح كما هو مذكور في الكتب في غير موضع .

وأما بيان كيفية أوراد النقشبندية فقد أعرضت عن كَتْبتها لأني قد بينتها في تأليفاتي[4] بالبسط التام ، والقادرية قد عرضت إليها في « تنبيه السالكين » .

وأما الشاذلية فأورادها كما في « النور الساطع » : (أستغفر الله) مائة مرة ، (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) مائة مرة ، (لا إله إلا الله) مائة مرة ، سيدنا

---

(١) فقد جاء لدينا أبعاض من مريدى هؤلاء القوم ولم نجد منهم من حصل له حياة القلب وإن دام على ما علّمه شيخه في زعمه عشرين سنة ، فهذا علامة عدم كون ذكرهم تلقينيًّا غفر الله لنا ولهم آمين « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

(٢) سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل « مختار » .

(٣) بقولي يا ولدي أو أيها الولد ، فافهم .

(٤) كـ« خلاصة الآداب وتنبيه السالكين » (منه) .

محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة ، وذلك مرة في الصباح ومرة في المساء ، وما كتبه الشيخ بعد المغرب[1] .

وأما الشيخ خالد سيف الله قدس سره كتب في صك الإجازة بدل أستغفر الله : (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) بغير (العظيم) . انتهى . وذلك هو الأكمل في الاستغفار . وأما في الصلاة فلم يبين الصيغة بل أطلق وقال والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . فهذه الأوراد أراها مثل أوراد الطريقة التجانية بلا فرق كثير فقد قال محمد الغالي في « جواهر المعاني » أما أوراده[2] رضي الله عنه الذي يلقِّن لكافة الخلق الذي رتَّبه له سيد الوجود وعلم الشهود هو : أستغفر الله مائة مرة ، والصلاة على رسول الله ﷺ بأي صيغة كانت ، ثم الهيللة مائة . وهذه الأذكار بعينها هي التي رتب له ﷺ وأمره بتلقينها لكل من طَلَبَه من المسلمين على أي حالة كان ؛ كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى ، **طائعاً أو عاصياً** لا يمنعه من أحد طلبه منه ، وكون الصلاة على رسول الله ﷺ بـ« **صلاة الفاتح لما أغلق** » أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم[3] الذي لا يقدر قدره إلا الذي امتنَّ به من فيض فضله العميم وفضلها سيأتي في محله إن شاء الله تعالى ، وبعدها في الفضل (روح الصلوات) وهي : (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً) ، ثم (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله) . فأنت مخير ، وباجتهاد الملقِّن الذي يلقن الورد فله النظر إن كان مَنْ يأخذ الورد من أهل الدين والصلاح وفيه أهلية ونسبة فيلقنه الفاتح لما أغلق ، ويأذنه

---

(١) وهو داخل في المساء فإن المساء ما بين العصر ونصف الليل ، فراجع (منه) .

(٢) أي الشيخ أحمد التجاني .

(٣) وقد جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام بالضم وبابه ظرف والجسام بالكسر جمع جسيم « مختار » .

في مرتبتها الظاهرة فقط لا غير ، وإلا يلقن روح الصلوات ! ووقته بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، **ومن فاته في هذين الوقتين لعذر فالنهار كله له وقت والليل كذلك ، ومن فاته ورد فليتداركه على ممر الدهر ، ومن أخذ هذا الورد وتركه تركاً كليّاً أو متهاوناً به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك** . انتهى عبارته .

وفي كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » ومن ترك هذا الورد[١] ولم يفعله حتى غربت الشمس فلا قضاء عليه ، ومن أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك ، وفيه فضل عظيم لأن المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق وقت السحر تعدل خمسمائة مرة منها في غير وقت السحر . انتهى ما هو المقصود فراجعه .

وفيه : قال في « جواهر المعاني » : وسألته[٢] رضي الله عنه : فمن احتلم في السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه ؛ هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد ؟ ! فأجاب رضي الله عنه بقوله أنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره ، إلا الفاتحة بنية الاسم فلا يقرأها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة . انتهى عبارته ٩٠ ج٢ .

وقال في « جواهر المعاني » : **ومن ترك الورد فعليه قضاؤه ومن ترك الوظيفة**[٣] **فلا قضاء عليه** . انتهى عبارته ٨٧ ج١ .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : أن من أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك . انتهى .

---

(١) أي : الورد الخاصّ الذى هو يرتب في ذلك الوقت المخصوص في يوم الجمعة لا مطلقاً (منه) .

(٢) أي : التجاني (هامش الأصل) .

(٣) وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية الشاذلية من الوظائف (منه) .

ورأيت فيه أيضاً وللمسافر إذا صلى الظهر أن يقدم ورد المساء ويفعله بعد صلاة الظهر لمشقة تداركه في التأخير . انتهى .

قال مؤلف « النور الساطع » قدس سره بعد ذكره ما مر من أوراد الشاذلية : فإن تهذبت منه الأخلاق وشد للخدمة النطاق ، وانشرح للذكر قلبه واطمأن به لبه يلقَّنه حينئذ الذكر الخاص المقصور على الخواص ، لأن ذاكره يحتاج إلى استعداد كبير ، وتخلٍّ عن كل ما يشغله من جليل وحقير ؛ مع مخالفة هواه ومفارقة ما يهواه ، وتقليله من لغو الكلام والأكل والشرب ليقل نومه ويخف بدنه فيسهل عليه القيام والتهجد والناس نيام ، **ويكون في حال الذكر طاهر البدن والثياب على وضوء مستقبل القبلة حاضر القلب مع الله بالحضور التام** ، مستوحشاً من الخلق مستأنساً بالحق ، سائراً بالصدق مخلصاً في أعماله إخلاصاً كاملاً لمولاه لا يريد بها سواه ، صارفاً همّته في الوصول ، غاضّاً نظره عمن سواه ، وهو المأمول ، مشمراً عن ساعد الجد . انتهى عبارته .

وفي « الرسالة » في فضائل الذكر : **وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء** ، وكذلك التسبيح والتحميد والتهليل . انتهى عبارته في١١ .

وفيه في ١٢ : فيؤكد ذكر الله تعالى في جميع الأحوال لكن يستثنى من الذكر القرآن حال الجنابة بقصده ، فإنه حرام ويستثنى من عمومه أيضاً المجامع وقاضي الحاجة فيكره لهما الذكر اللساني ، **أما القلبي فمستحب على كل حال** . انتهى عبارته .

وفيه في ١٣ أن أفضل ما أعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر ، وأفضل ما أعطاهم في العقبى النظر إليه سبحانه وتعالى . **فذكر الله في الدنيا كالنظر إليه في الآخرة .**

وفيه في حديث « اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب » أي لأنه مساعد لك في تحصيل مطلوبك ، لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يذكر ولو من فاسق ، فإذا ذكره ثم دعاه أعطاه ما تمنَّاه ، ولهذا قال بعض الصوفية : الإعراض عن الذكر يشوش الرزق المعنوي ويضيق المعيشة الروحانية . انتهى ١٣ .

وكتب الشيخ خالد سيف الله قدس سره إذا سئل عن الاسم الخاص المذكور آنفاً بما نصه : الاسم المفرد الخاص هو الله الله . ثم اعلم أيها المأمون هو مقام عظيمُ الأَسْمى عليٌّ المرمى يحتاج إلى بسط بسيط فاكتفينا عن ذكره عملاً بالأسهل ، لكن نختصر بأخصر عبارة بإتيان بيان قليل وإن كان خارجاً عن المراد : إن للأسماء حقائق وخصائص ليس هذا محل ذكرها ، فالمقامات مثلاً محصولة على سبع وسبعة سير مع أذكار وأسماء .

فالمقام الأول : النفس الأمَّارة مقام الظلمات والكدورات المتعلقة للأغيار والذكر في البدن لا إله إلا الله ، ووارده الشريعة وسيره إلى الله .

والمقام الثاني : نفس لوامة مقام الأنوار وذكره الله الله ، ووارده الطريقة وصفاته اللوم والحسد ، عالمه البرزخ ، حاله المحبة ، سيره من الله .

والمقام الثالث : نفس ملهمة ذكره هو هو هو ، وارده المعرفة ، عالمه الأرواح ، محله الروح ، سيره على الله ، وصفاته العلم والسخاء ، وحاله العشق .

والمقام الرابع : مقام كمال نفس مطمئنة ، ذكره حق حق حق ، وارده بعض أسرار الشريعة ، عالمه حقيقة محمدية ، محله سر سيره مع الله ، حاله الاطمئنانية الصادقة ، صفاته الجود والإيثار والتوكل .

والمقام الخامس : نفس راضية وهو مقام الوصال ، ذكره حي حي ، ليس له الوارد ، وعالمه اللاهوت ومحله سر السر ، وسيره في الله ، وحاله الفناء .

والمقام السادس : نفس مرضية وهو مقام تجليات الأفعال ، ذكره قيوم قيوم ، وارده الشريعة ، وعالمه الشهادة ، محله الخفي ، سيره عن الله ، وحاله الحيرة ، وصفاته التخلق بأخلاق الحق .

والمقام السابع : نفس كاملة مقام تجليات الصفات والأسماء ، ذكره قهار قهار ، وارده هي الواردات التي تبين جميع النفوس ، وعالمه الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة ، ومحله الأخفى ، وسيره بالله ، وحاله البقاء ، وصفاته هي الأوصاف الحميدة من جميع صفات النفوس .

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ويقال لها الأسماء الإلهية ، وهي أيضاً أصول الأسماء ، فلكل نفس اسم خاص ، وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية يستعملون كذلك ، ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى من خطه قدس سره .

وأما فضل طريق الإمام الشاذلي فمذكور في الكتب ، ولأجل الترغيب كتبت هذه الكلمات وفق ما فيها ، ومن أراد له فوز عز الدارين فليدخل في طريقه يوماً أو يومين ، وفي رواية عنه : من أراد غنى الدارين فليدخل في مذهبنا يومين ، فطريق الإمام الشاذلي فإنه واضح في الفضل[1] عند من

---

(١) قال محمد المغربي : أعطي الشاذلية ثلاثاً لم تحصل لمن قبلهم ؛ ولا لمن بعدهم . الأول : أنهم مختارون في اللوح المحفوظ ، الثاني : أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو ، الثالث : أن القطب منهم إلى يوم القيامة .

وقال – أي الشيخ الشاذلي قدس سره – : أعطيت سجلاً مدَ البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار . « متمات » « جامع الأصول » ١٠٢ .

في المشرقين ، فضع ولو قدماً على ما آثره فإن ذاك كالأخذ منه باليدين ، وهو أفضل الطرق وأسهلها بعد النقشي[1] عند أرباب العِلْمين[2] ، ويأخذ يدَ من سلكه سريعاً وليس فيه مشقة الرياضتين[3] ، وقد قال : إن ابتداء طريقه نهاية طريق الكيلاني بلا مَيْن[4] فإن طريقه على الشكر مبني ورؤية الفضل والمن وعلى اللين ، وليس فيه كدُّ المجاهدة ولا عَناءُ رياضةٍ وتعب دفع رَيْن ، بل الاعتدال في الأمور ، يصحبها أهل السلوك بغير غبن ولا غين ، انتفت عن نفسهم هموم الرياضة ، فينبغي للأحرار المشي إليه بالرِّجْلين ، فكل صعب في غيره من الطرق ففيه سهل فخذه تملأ اليدين ، واشكر للخالق حيث أن أُهِّلت له ، أطعه يطعك واحمده على المنن ، تمسك بحبهم تشرب من مشربهم ولا تعدُ عنهم عيناً يوماً أو يومين . انتهى .

ولما كان في هذا الطريق السماع والوجد خلاف طريق النقشبندي كتب إلينا الشيخ المحترم سيف الله هذه الأبيات ليقرأها المريدون في مجالس الاجتماع للذكر ، وأنا أوردها هنا للتبرك ، وينبغي للسالك أن يحفظها ليقرأها في أثناء الذكر ليزيد بها الشوق والنشاط ، لأهل المجلس : قال رضي الله عنه :

---

(١) أي : بعد طريق النقشبندي ، وأما هو فهو أم الطرق وسلطانها كما هو مذكور في الكتب (منه) .

(٢) أي علم الباطن والظاهر .

(٣) وقال - أي الشيخ الشاذلي قدس سره - : لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد لأنه عين طريق النقشبندية

(٤) كذب .

الله الله الله[١] الله الله الله الله الله الله الله الله الله الله

يازُمْرَةً قَدْ تَاهُو | قُولُوا جَمِيعاً يَاهُو | الله الله الله | بالقُوَّةِ الـقَـلْبِيَّةْ
فَنَحْـنُ الشَـاذِلِيَّةْ | كُؤسُـنَـا مَـلِـيَةْ | مِنْ كَـفِّ شَاذِلِيٍّ | حَامِي حِمَى البَرِيَّةْ
غَوْثِي أَبُـو الحَسَنِ | قُطْبُ الهُدى اليَمَنِى | سُـلاَلَةُ الـمَدَنِي | مِنْ نَفْحَةِ السبطِية
يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي | يَا نُورَ عَيْنِ العَلِي | يَا بَهْجَةَ البَتُولِي | ذُو الهِمَّةِ السَّنِيَّةْ
أَشْعـارُهُ أَسْـرَارُ | آثَـارُهُ أَنْـوَارُ | أَتْبَـاعُـهُ أَبْـرَارُ | أَعْلاَمُ الإِسْلاَمِيَّةْ
دَانَتْ لَـهُ الرِّقَابُ | وَذَلَّـتِ الصِّعَابُ | وَزَالَـتِ الـعتابُ | بِالـوَارِدِ الـغَيْبِيَّة
هُنَّا لَـه الأَحْبَابُ | وَارْتَفَعَ الخِطَابُ | فَدَارَتِ الأَكْوَابُ | بِالخَمْرَةِ الهُوِيَّة
بِـذِكْـرِهِ طَـرِبْنَا | مِنْ راحِـهِ شَرِبْنَا | مِنْ حُـبِّـهِ سَكَرْنَا | بِالْجَذْبَةِ الفَـيْضِيَّةْ
بِذَوْقِهِـمْ قَدْ طَابُوا | عَضُوالِمَا اسْتَطَابُوا | بوَجْدِهِمْ قَدْ غَابُوا | فِي اللَذَّةِ الأُنْسِيَّة
يَا رَبَّنَـا وَفِّـقْنَا | بِقُرْبِكُـمْ حـقِّـقْنَا | بِالشَّاذِلِـي رَوِّقْنا[٢] | شَرَابَ الـوَاحِدِيَّة
طَيِّبْ لـنَـا المُذَاقَا | وَزِدْ لَنَا التَّوْفِيقَا | وَعَافِنَـا النِفَـاقَا | بِلُطْفِـكَ الـوَفِيَّة
كَمْ هَـامَ فِي هَوَاهُ | كَمْ حَامَ فِي حِمَاهُ | كَمْ فَازَ مَنْ لاَقَاهُ | بِالصُّحْبَةِ المَعِيَّة
كَمْ قَدَّ مَنْ آذَاهُ | كم شَذَّ مَنْ شَاذَاهُ | كَمْ نَالَ مَنْ وَالاَهُ | لـلخـط القيومية
وَكَـمْ لَـهُ آيَـاتُ | بَـدَتْ وَكَـرَامَاتُ | وَكُـلُّـهَا أَثْـبَاتُ | بِالغَوْثِ وَالفَرْدِيَّة
يَا رَبَّنَـا مَتِّـعْنَا | فِي فَيْضِ شَاذِلِينَا | بِـخُلْقِـهِ أَيِّـدْنَـا | يَـا بَاسِطَ العَلِيَّة
صَلَـى اللهُ وَسَلَّمْ | عَلَى الهَادِي المُكَرَّمْ | مَعْ صَفِّهِ المُفَخَّمْ | وَالسَّادَةِ الصُّوفِيَّة
مِسْكِين خَالِد سَيْفُ اللهْ | أَقَـلُّ عِـبَـادِ اللهْ | رجائهُ عَفْوُ اللهْ | مِنْ فَرْطِه النَّفْسِيَّة

---

(١) وفي نسخة : الله الله الله و .
(٢) وراق الشراب صفّاً وبابهما قال « مختار » .
❊ وأما سلسلته وإنه لبس الخرقة من الشيخين الإمامين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن المعروف بابن حرازم ومن الشيخ أبي عبد الله عبد السلام بن مشيش والأول منسوب إلى الصديق الأعظم والثاني إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . « متممات » « جامع الأصول » عبارته ١٠١ .

وذيله الحقير بذكر سلسلة المشائخ على وزن نظمه قدس سره فقال :

حَسَنْ حِلْمِي عَبْدُ الله مُحِبُّ رِجَالِ اللهْ مَطْلُوبُهُ فَيْضُ اللهْ بِالرَأْفَةِ الوَهْبِيَّة
وَإِنَّهُ مُفْلِسٌ مِنْ نَفْسِهِ آيِسٌ فِي الوِزْرِ مُنْغَمِسٌ بِالفِطْرَةِ الأَصلِيَّة
لَكِنْ يَرْجُو النَّوَالاَ وَيَطْلُبُ الافْضَالاَ وَيَكْرَهُ الفُضُولاَ بِالهِمَّةِ العَقْلِيَّة
يَا رَبِّ اغْفِرْ أَوْزَارَا وَإِنْ عُدْنَا مِرَارَا وَاقْبَلْ مِنَّا أَعْذَارَا بِحَقِّ الشَّاذِلِيَّة
وَكُنْ لَنَا يَا رَبِّي وَارْضَ عَنَّا المُرَبِّي وَشَيْخَنَا المُذَبِّي وَسْوَسَةً صَدْرِيَّة
وَارْزُقْ لَنَا القَبُولاَ وَدُلَّنَا السَّبِيلاَ وَحَرِّزِ الأَعْمَالاَ عَنْ حَظَّةٍ نَفْسِيَّة
بِجَاهِ مَنْ قَدْ بَدَا مِنْهُ الكَوْنُ وَهَدَى مُحَمَّد قَد عَدَا أَعْدَاءً شَيْطَانِيَّة
عَلَيْهِ أَذْكَى الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ وَلاَ تَطْرُدْ لَنَا الأَعْمَالاَ بِالسَّادَةِ العَلِيَّة
بِحَقِّ عَلِيِّنِ الـعَلِيّ ثُمَّ ابْنِهِ الـحَسَنِ وَالجَابِرِ المَيْمُونِ بِالتَّبْعِيَّة
وَالقُطْبِ الشَّيْخِ سَعِيدْ وَالقُطْبِ فَتْحِ السُّعُود وَسَعْدٍ ثُمَّ سَعِيدْ أَكْرِمْنَا بِالفَيْضِيَة
بِأَحْمَدَ المَرْوَانِي وَإِبْرَاهِيمَ البَصْرِي زَيْنِ الدِّينِ القزْوِينِي قِ الحَالَةَ الفَحْشِيَّة
بِحقِّ شَمْسِ الدِينِ بِحَقِّ تَاجِ الدِينِ عَلِيٍّ نُورِ الدِّينِ جَمِّلْنَا بِالمَرْضِيَّة
بِحُرْمَةِ فَخْرِ الدِّين بِحَقِّ تُقَيِّ الدِّين عَبْدِ الرَحْمَانْ مَجْدِ الدِّين ذِي السُّنَّةِ السَّنِيَّة
وَالقُطْبِ عَبْدِ السَّلاَمْ عَلِيٍّ قُطْبِ الأَنَامِ وَالمُرْسِي سَامِي الكَلاَمْ أَدِرْ لَنَا العَطِيَّة
ومُظْهِرِ الحِكَمِ مُحَكِّمِ الكَلِمِ ابْنِ العَطَا الفَهِمِ ذِي الشِّيَمِ الرَّضِيَّة
وَدَاوُدَ البَاخِلِي فِي فَيْضِهِ أَمَلِي بَدْرِ الرَّشَادِ الجَلِي ذِي الخَصْلَةِ البَهِيَّة
مُحَمَدْ بَحْرُ الصَّفَا عَلِيُّ بْنِ الوَفَا وَيَحْيَ زِدْ شَرَفاً يَا بَارِئَ البَرِيَة
بِأَبِي العَبَاسِ أَحْمَدْ وَسَيِّدْ زَرُّوقْ أَحْمَدْ إِبْرَاهِيم مُعْطِي المَدَدْ بِالجَذْبَةِ الوَهْبِيَّة
سَيِّد عَلِي الصّنهَاجِي عَبْدِ الرَّحمَنِ النَّاجِي يُوسُفِ الفَاسِي الرَّاجِي لِلرَّحْمَةِ القُدْسِيَّة
عَبْدِ الرَّحمَنِ سَيِّدِي مُحَمَّدْ مُعْتَمَدِي غَوْثِي قَاسِمْ سَنَدِي ذِي الخُلْقَةِ العِلْمِيَّة
أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدْ سَيِّدِي العَرَبِي قَدْ حَظَى الفَيْضَ وَالمَدَدْ مِنْ حَضْرَةٍ ذَاتِيَّة
بِحَقِّ أَبِي الحَسَنْ أَطْلُبُ مِنكَ المِنَنْ فَطَيِّبْ مِنِّي العَلَنْ وَالخَطْرَةَ القَلْبِيَّة
بِسَيِّدِي العَرَبِي وَزِدْ بِكَ جَذَبِي مُحَمَّدْ فِنْجِير أَبِي أَرْوَاحُنَا العُلْوِيَّة

ثُمَّ حَبِيبِ الرَّحْمَنْ بَحْرُ أَهَالِي الإِيمَانْ إِلَيْهِ كُلُّ الأَمَانْ بِالنَظْـرَةِ الجَلِيَّة
مُحَمَّدْ عَلِي ظَاهِرْ مُحَمَّدْ صَالِحْ طَاهِرْ وَسَيْفِ اللهِ البَاهِرْ بِالكِسْوَةِ القُطْبِيَّة
وَقَدْ فَازَ سَيْفُ اللهْ حَظّاً من تَجَلِّي الله فَـانٍ وَبَاقٍ بِالله بِالرَّحْمَةِ الوُسْعِيَة
وَتَـمَّ بَقَـاؤُهُ نَقْشُبَنْدِيٌّ وَهُـوْ كِيـلاَنِيٌّ رَبَّـاهُ لاَقَـاهُ بِالرُّوحِيّة
فَصَـارَ أُوَيْسِـيّاً رَاضِيـاً وَمَرْضِيّاً حَازَ حَظّاً وَهْبِيّاً فِي الزُّمْرَةِ العُلْوِيَّة
لَكَ الحَمْدُ يَا رَبِّي لَكَ الشُكْرُ يَا رَبِّي وَجِّـه لَنَـا المُرَبِّي بِالوِجْهَـةِ الكُلِّيَّة
وَصَلِّ عَلَى الهَادِي مُحَمَّـدٍ سَيِّدِي وَآلِهِ المُـهْتَدِي بِالـسُنَّةِ الشَّرعِيَّة
انتهى .

اعلم يا ولدي أن لكل طريق مطلباً خاصّاً ، ولكل شيخ مقصداً خالصاً ، فمن المشائخ من يجتنب السماع والرقص والاضطراب كالإمام النقشبندي رضي الله عنه . قال قدس سره ما معناه : نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطريق الخاص بنا ، ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشائخ آخر . انتهى . **فينبغي لمن أراد الوصول إلى المطلب الخاص بهذا الطريق**(١) **المتوسط أن يجتنب عن هذه الأمور** ، ومنهم من يجوزون السماع والتواجد ويجعلون الآثار المترتبة عليهما من المطلب الخاص بطرقهم وينشدون الأبيات والأوزان لما فيها من التأثير ، ففي « الإحياء » إن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه ، أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب القلب وتشوش ، **فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر** . انتهى عبارته ٣٠٠ ج٢ .

وفيه : والسماع يؤثر في تصفية القلب . انتهى .

---

(١) أي : الطريق النقشيّ .

وفيه : وينبعث نشاط القلب بقوة السماع . انتهى .

وفيه : وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي ، واستجلاب العازب من الأفكار ، وحدة الكال من الأفهام والآراء ، حتى يثوب[1] ما عزب[2] وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويخرج في كل رأي ونية ، فيصيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطىء . انتهى عبارته .

ومن عادات السادات الشاذلية إنشاء الأشعار ليحصل بسماعها الوجد والحال ، **لكن ينبغي للسالك أن يتفطن وينضبط نفسه مع القدرة إلا عند غلبة الحال** لئلا يقع في التصنع والرياء ، وهي أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك .

وفي « الإحياء » : إن ذلك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة . فراجعه في ٢٠٤ ج٢ .

وفيه : فإن قلت : الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ، ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ، ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً و مصاحباً في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده ، **فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود** فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ، ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق ﵁ : كنا[3] كما كنتم ثم قست قلوبنا . معناه قويت قلوبنا

(١) أي : يرجع « اتحاف » .

(٢) أي : غاب (منه) .

(٣) قال ذلك حيث رأى الأعراب يقدمون من سكان البوادي إلى المدينة فيسمعون=

واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال ، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا ، طارئاً علينا حتى نتأثر به . انتهى عبارته .

وقد أنشدت هذه الأبيات ليقرأها النقيب[١] في مجلس الاجتماع لقراءة ختم الشاذليين فقلت[٢] وبالله التوفيق :

شَاذِلِي چَكُ وُكِبْ زَمَانَ نِجِي شِچُ   اِصُـــلْ هُـرْمَدَ بِرْچَنْ فَيْدَ بُسِز شچ[٣]
اِصْدِ خُنْ صُحْبَةْ هَبُنْ بَرْكَةْ طَلبْ هَبزِي   اِصُـلْ زَمَنَيلْدَ رِجُنْـكِ نِـج رُكِنْجُ[٤]
كِنِّك اِوْ وُقِيَلِ اِصُـلْ اَثَـارَلْ هَـرُنْ   بِچَصْدِ عَكَرْ لِـزِ اِوْ وَاسِـطَه لُِـنْ كُـّنَ[٥]
يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي اَمَنْ نِجِيْ شَفاعَةْ   كِعَنْ عَـصِيَلْ نِـكِ هَـبِ نِجِي كُـمَكْ[٦]

=القرآن ويبكون (منه) .

(١) والنقيب - العريف وهو شاهد القوم وضميمهم وجمعه نقباء وقد نقب على قومه ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة « مختار » .

(٢) هكذا وردت الأبيات في الأصل . ووردت في أصل آخر وتحت كل بيت ترجمته ، وحرصاً مني على ضبط النص كما ورد مع إكمال الفائدة من الترجمة فقد أوردت ترجمة كل بيت في هذا الهامش هكذا :

(٣) وقد قيل : النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى من « المنن » ٩٣١ ج١ . وفي الحديث « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله » . انتهى .

(٤) فقد يصل المريد بصحبة واحدة مع شيخ إلى ما لا يصل إليه بمجاهدته في سنين عديدة ، لأن الشيخ يتصرف في المريد ويزيل عنه ما يحبط عمله من الرياء والعجب من حيث لا يشعر أو يقله بحسب استعداده وقد قيل إن للصحبة تأثيراً عظيماً والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة . راجع .

(٥) قيل : إن محبة الشيخ كافية في الاستفاضة ، وفي الحديث « المرء مع من أحب » . وقال الشاذلي قدس سره : من أراد عز الدارين فليدخل في طريقنا هذا يوماً أو يومين وقال : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا . انتهى « أي فله مالنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة » « هامش » .

(٦) وقد قيل : ادعوا الله بلسان لم تعصوا الله تعالى به ، وذلك إذا توسل إلى الله=

مُنْكِ رَقُلٍ وُقَرَبْ بَيْتُ الْمَالْ هَبْ دُنِيالْ   بِرْدَ مُنْ وِكُّلَرِبْ چُنْتَرَبْ هَبْ زَمَنَ[1]

اُرْخُّلَ شَهَرَلْدَ شَاذِلِي طَـدْ كّـدَرَبْ   عِشْقُلَ دُنْ رَقَلْدِ اَبُو الحَسَنْ وُقَرَبْ[2]

عَجَبَا هَلْ عُرَلْكُ لِـمْ قُنْ رَقَـنْ أُنَـرِلْ   فَيِـضْ شَـخُـلِبْ رَلِّدْ رَقُلٍ قَـرَلْدَصَ

تَمَشَ هَبْ رَقَلْدَ عُـرْشَّنَبْ خِرْ بِـجُـلِبْ   بَرْكَةْ شَخُلِبْ سَحَابْ دُنْيَالْ تُنْ نَقْلُ لِدَلْ[3]

=بالولي يقول الملك للولي إن فلاناً قد سأل الله كذا وكذا بك ، ثم يسأل الله تعالى بقضاء حاجته ، راجع « لواقح الأنوار » . وقد قال الشاذلي قدس سره : إذا عرضت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم بي عليه . قال واحد : فكنت والله لا أذكره في شدة إلا تفرجت ، ولا في أمر صعب إلا هان . كذا في « الأنوار القدسية » في ٣٧ .

وقال الإمام محمد النقشبندي قدس سره : أُعْطِيتُ من الحق سبحانه مرتبة عظيمة تقضى بي الحوائج وتدفع بي البلايا فالجؤوا إلى تقض حوائجكم . كذا في « المناقب الأحمدية » . فراجعه في ٦ .

(١) فكيف لا يتأسف على موت الولي ، وقد قيل : موت العالم موت العالَم ، وبموته تبكي السماوات والأرض فكلما بعد الزمان من الأخيار تقل البركة وتزيد الأشرار ، وفي الحديث : « ما من عام إلا الذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربكم » وفيه : « ما من عام إلا ينقص الخير فيه و يزيد الشرّ » . الحديث . وفي « الحفني » حاشية « جامع الصغير » قوله : ما من عام بل ولا يوم إلاّ واليوم الذي بعده شرّ منه – أي غالباً فلا يرد زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج وزمن سيدنا عيسى آخر الزمان ، فراجعه في ٧٦٢ من هامش « السراج المنير » من الجزء الثالث ، (منه رحمه الله إفلاسه آمين) .

(٢) وذلك أن بركة الولي يصل إلى كل موضع نزل به ، وقد يتبرك بما مسه أو قعد عليه أو وضع قدمه عليه ، كما هو مذكور في الكتب ، ولذا ينبغي أن يغتبط بمكان وصل إليه قدمه و دفن فيه جسده ، وقد يؤخذ الفيض من القبور ، ومن الأمكنة التى جلس عليها الأولياء ومن اللباس الذي لبسوه ، و لذا جرت عادة بإلباس الخرقة كما هو معلوم . انتهى (منه) .

(٣) يعنى إنما تمطر السماء وتنبت الأرض ببركة الأولياء ، وهم يكونون في الدنيا بعدد الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، ولو نقص واحد منهم لما أمطرت السماء قطرة ، ولما أنبتت الأرض ، نظرهم شفاء للعلل المعنوية ، وكلامهم دواء للأمراض الباطنة ، بهم يمطرون ، وبهم يرزقون كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » راجعه (منه) .

اِبِلْ خُنْ نَخِ تَرَلْ أَيْتَامَلْ عَدِنْ نِجْ تُنْ اَرَوِشْخَ شَاذِلِي مَلأُ الاَعْلَى يَلْدِي[١]

بَرْكَ دُيِ هِبْ أَلْجَنْ شَرَبْ دُيْ هَنْجِ رَاحَةْ أَمَنْ نِجِيْ شَفَاعَةْ شَ نِجْكِ دُرْ رَكَلْدِي[٢]

يَا رَبِّ نِجِرْ اَللهْ شَـاذَلِيَـصِ عُلُ هَـبْ نِجِرْ مَجْلِسْ دُصَ لِكَبْ مَجْلِسْـلِرْنْ هَبِ[٣]

كِنَلْـكُ شَـاذِلِيَلْ شَـيخْ زَبَــزِ عُـلُ مُنْ كُرِبْ خِيَالْ دُصَ رَكَلْدِ شِّزِتُكِ[٤]

يَادَنْ دِلِرَبْ قُوَ رِخْـصِ نُجُـصَّ اَللهْ اَللهْ كُرِبْ كُجُنْ تُنْ رُصَ نُجْ اَللهَ صْدِ

مَرْلْدَ رَكْـكِ رِقُـنْ اَبِ نُـجْ اَللهْ اَللهْ كَمِلَبْ حُضُورْ هَبُنْ حَلْقَيَلْدِ دَنْ دِلُنْ

سُسَزُلْ[٥] كِرَلْـكِ كُّنْ كِـنَـزْكُ اَبِ اَللهْ بِجَصُلْ حَضْرَتَلْدَ رَخُنْ جُنْ خُشُوعَلْدَ

---

(١) والمريدون كالصبيان عند المشائخ ، وهم لهم آباء أرواحهم ، وقد قالوا : إن أبا الروح - وهو الشيخ - مقدم على أبي الجسد فإذا ماتوا يبقى المريدون كالأيتام بل أضعف منهم وأفقر لما أن لبن ثدي فيوضاتهم قد انقطع منهم فيبقون كالرضيع ماتت أمه اللهم إلا إنّ كمل المريدين يأخذون الفيض من الشيخ الميت برابطة المحبة والاعتقاد وقليل ما هم . (منه) .

(٢) وإذا مات المؤمن يفتح إلى قبره باب من أبواب الجنة ويصير روضة من رياضها بل الشهداء أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنان كيف شاءوا ونرجوا منهم الشفاعة لأنهم يشفعون لمن توسل بهم أو ذكرهم بخير وإن لم يعرفوه ولم يروه . راجع « الإتحاف » و« عقد اليواقيت » . (منه) .

(٣) وفي الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وفي حديث أبي ذر ﷺ إن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض . انتهى . (منه) .

(٤) لأن الخطرات هي الحجب المانعة عن الحضور والمشاهدة ، والحضور روح العبادات ولو خلت عن الحضور والوقوف القلبيّ فهي كصورة بلا روح ولا يمكن توجه القلب إلى الله تعالى إلاّ بنفي الخواطر فينبغي للسالك نفيها والاجتهاد في جلب الحضور وأسبابه وقد قال الشعراني في « المنن » : فإن الذكر باللسان إنما هو وسيلة لحضور القلب . انتهى . وفي « شرح تائية السلوك » فرب ذاكر لله لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى (منه) .

(٥) لما أن العادة قد جرت بين الشاذليين على أنهم يتحلّقون يذكرون الله بـ(لا إله إلا الله) ثم ينشد واحد منهم شعراً لائقاً بالمجلس ليحصل لهم به النشاط والوجد=

غَفْلَةْ نَخ اِنْزَبُنْ اَحْـدِ نُـجْ اَللهَ صْـدِ   اَللهْ اَللهُ يَاهُو اَللهْ اَللهُ يَاهُو

عَلِي الشَّاذِلِيَصُلْ بَرْكَةْ شِّزَبِ يَاهُو   نِجْ اِصُلْ طَرِيقَلِّلِ رِطُنْ جِّزَرِ يَا هُو

دُيْ عُلُ دَنْدِلِّرَلْ نِجْ چُرُكُ رِشَّـكِ   اِسْتِقَامَةْ تَوْفِيقْ قِ يامَنْ لَيْسَ إلاَّ هُو

اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ

=ثم يذكرون الله تعالى بلفظ الجلالة وبـ(هو هو) والحال أنهم قائمون آخذون بأيدي بعضهم بعضاً وذلك للتفاؤل ليأخذ الناجح* منهم يد الهالك (يوم الفزع الأكبر) كذا ذكره شيخنا خالد سيف الله الحسيني قدس سره و نور ضريحه و رزقنا فيضه وبركته آمين (منه رحم الله إفلاسه) .

* النجح بوزن النصح والنجاح بالفتح الظفر بالحوائج « مختار » .

وكان أبوهما صالحاً وفيه دليل على أن تقوي الأصول تنفع الفروع « صاوي » عبارته ١٩ .

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ﴾ . . إلخ . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمّته فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم والقرآن من السطور بل التلقي له سر آخر . « صاوي » عبارته ٥١ .

الترغيب السابع

في بيان وظائف الشاذليين[1] الذي أجازني فيها الشيخ الكامل خالد سيف الله قدس سره وفي بيان منافعها وخواصها وفضائلها

فمنها حزب[2] **البحر** لسيدي أبي الحسن علي الشاذلي نفعنا الله به آمين .

قال مؤلف « رماح حزب الرحيم » : وأما حزب البحر فهو من إملاء رسول الله ﷺ عن شيخ الطريقة والحقيقة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه ثم أخذه شيخنا وسندنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وقيل : إن فيه اسم الله الأعظم وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه ، وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه ، ومن أرادها فليطلبها من أربابها ويأت[3] البيوت من أبوابها . انتهى . وفي « جواهر المعاني » .

قلت[4] : فها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه ، أما فضله فيتبين بوجوه :

أولها : أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وقد تضمن نحواً من ست وثمانين آية من كتاب الله تعالى ، ومن الأذكار المذكورة ست أحاديث ، ونحواً من أربعين اسماً من أسماء الله تعالى ، وقال بعض أكابر الأولياء إن فيه اسم الله الأعظم في ثلاثة مواضع .

---

(١) غير ما ذكر من الأذكار (منه) .

(٢) الحزب : الورد يعتاده الشخص من صلاة ، وقراءة ، وغير ذلك . وهو الطائفة من القرآن وغيره يوظّفها على نفسه يقرؤها . « مطالع المسرات » ١٣٤ .

(٣) وفي نسخة : ويأتي .

(٤) وفي نسخة : انتهى ما في « جواهر المعاني » . قلت . . . إلخ .

وثانيها انتشاره وشهرته في الأقطار حتى لقد أتهم[1] وأنجد وغار وطار في الأفاق كل مطار ، وشاع في البدو والحضر ، وسار في الناس مسير الشمس والقمر ، مشرقاً ومغرباً وشاماً وحجازاً ومصراً ، وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها ، وكم من قرية هو مشهور فيها ، وقد حفظه الكثير من الصالحين والأولياء والصديقين يكررونه في الحاجات وعند الضرورات ، وفي المساء والبكرات ، ويستعيذون به عند المخوفات ، قد حفظه الأكابر والعلماء ، واعتنى به الأخيار والصلحاء ، وقد صار تمائم على الصدور ، وجعل حرزاً على النحور ، وعلى الدواب والحيوان ، ومسطوراً في البيوت والجدران ، وشاع في الناس وذاع ، وملئت به الأفواه والأسماع والأماكن والبقاع ، كما قيل :

وأتهم[2] حزب الأحمدية مشرقاً ... كبدر تمام في الأنام وأنجدا[3]
وسار به من لا يسير مشمراً ... وفاه به من لا يفوه مردداً
وتسمعه إن شئت مشرقاً ومغرباً ... وشهرته في الخلق كالنجم موقداً
وفي الركب إن ساروا تلوه تبركاً ... وفي القوم إن خافوا به يأمن العِدَا
وفي الطفل إن يرقى تجده مباركاً ... وفي الحاج أن برجاً ترى النجم قد بدا
وفي البحر فاذكره يريك عجائباً ... وتيسير أسباب وأمراً مسدداً
ترى البحر مطواعاً ترى الريح ليناً ... ترى اللطف من قرب ترى الوقت مسعداً
فأكرم بهذا من دعاء مبارك ... عظيم حجاب ظاهر النفع والحدا

(١) (حتى) غاية (لقد) اللام للتأكيد ، وقد للتحقيق (أتهم) أي : دخل واشتهر وانتشر في بلدة أَتْهَمَ (وأنجد) أي : في بلدة نجد وبلدة (غار) . راجع (منه) .
(٢) أي : دخل في تهامة .
(٣) وانجد أي : دخل في نجد . وتهامة ونجد هما بلدتان من بلاد العرب (منه) .

وإنما قلت : (وأتهم حزب الأحمدية) مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال (وأتهم حزب الشاذلية) ! ! ليكون شيخنا أحمد التجاني ﵁ أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ مشافهة ، يقظة لا مناماً ، فلذلك نسبته إليه ﵁ وإلى أهل طريقته رضي الله عنهم أجمعين .

ولهذه الكثرة والانتشار سرٌّ باطن وعناية من الله تعالى ، ولولا وجود نفع به وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار ، والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان .

والوجه الثالث : تجربته في الحالات وعند الضرورات ، وهذا باب واسع فكثير من الناس وجدوا البركة وحالة صادقة وأموراً ظاهرة ، وحكايات تجربته كثيرة منتشرة يضيق الوقت عن ذكرها .

قال بعضهم : وقد اتفق لي منه أمور في بعض الحالات ، ولا سيما في الحروب ما يطول ذكره .

وأما بعض خواصه! فقد جاء عن الشيخ أنه قال : لو قُرِىء حزبي في بغداد لما أُخِذَت ، وهو العدة[1] الوافية والجنة[2] الواقية التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب ، وما قرىء في مكان إلاّ سلم من الآفات وحُفِظَ من حوادث العاهات[3] ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومَن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله تعالى دعوته وفرج كربته ، ورفع بين الناس قدره ، وشرح بالتوحيد صدره ، وسهل أمره ويسر عسره ، وكفاه شر الإنس والجن ، وآمنه من شر طوارق الليل والنهار ، فلا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ، وإذا قرأه عند

(١) والعدة ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح « مخ » .
(٢) والجنة بالضم ما استتر به من سلاح (منه) .
(٣) العاهة : الآفة « مختار » .

جبار أَمِنَ من شَره ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله تعالى عن خلقه ، وآمنه من حوادث دهره وييسر عليه أسباب السعادة في حركاته وسكناته ، ومن أراد أن يبلغ مراده فليقرأ عقب صلاة الصبح سورة يس عشر مرات ، ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة ، فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه ، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله تعالى محبته في القلوب .

قال بعض العلماء : من كتبه على شيء يكون محفوظاً بحول الله تعالى وقوته ، ومن استدام قراءته لا يموت غريقاً ولا حريقاً ولا بريقاً[١] ولا شريقاً[٢] ، وإذا احتبس الريح على أهل سفينة وذكروه جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى ، ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار مديراً عليها حرس الله تعالى تلك المدينة من شرِّ طوارق الحدثان والآفات .

وله منفعة جليلة في الحروب ، وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم .

قال الشيخ أحمد زروق : **وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمة**[٣] يتصرف به في الجلب والدفع ، وينوي المراد عند قوله : (وسخر لنا هذا البحر) كما قال ابن عباد رحمه الله تعالى فيما رأيته بخطه ، وهو صحيح ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه لذكرت هنا العجائب والغرائب وفي ما كتبناه كفاية . انتهى عبارته ٩٦ ج٢ .

وفي « كشف الظنون » وهو دعاء مشهور ؛ سمي به[٤] ! ! لأنه وضع في البحر للسلامة فيه حين سافر[٥] في بحر القلزم ، فتوقف عليهم الريح

(١) أي : بإصابة البرق .
(٢) وقد شرق من باب طرب أي غصّ « مخ » .
(٣) الهمة تطلق على العزم القوي فيقال له همة عالية « مصباح » .
(٤) أي بحزب البحر .
(٥) شاذلي .

أياماً فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه فقرأه فجاء الريح ، ويسمى أيضاً (بالحزب الصغير) انتهى عبارته ٤٣٤ ج١ .

قال العلامة زين العابدين المناوي في شرحه للحزب المذكور : نقل بعض المشائخ الراسخين في تلاوة هذا الحزب أن التأثير موقوف على الإجازة والاستئذان ، ومن لم يستأذن فهو كالقاصد لجواز البحر من غير سفينة « فتح الملك المجيد » عبارته في ٥٧ .

شروط قراءة حزب البحر

وفي « الفيوضات الربانية » اعلم أن من الشروط في الدعوة بهذا الحزب الشريف التوبة النصوح وتقديم الصدقة بشيء من الحلال ، وأن يكون على طهارة كاملة هو وثيابه ، ويقعد مستقبل القبلة بالخضوع والخشوع ، ويقرأ الحزب بالحضور قبل طلوع الشمس وبعد العصر مرة ، ويبدأ أولاً بالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص ثم قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ الآية ثم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الفتح ثم ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ إلى آخر السورة ثم حروف الهجاء ٢٩ حرفاً بنفس واحد وهي أ ، ب . إلخ ثم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم الصلاة على النبي ﷺ وهي « اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله بعدد العدد والمدد من الأزل إلى الأبد » ، ثم يستحضر روحانية سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره العالي كأنه حاضر لديه ويستمد منه ، ويسأله العون على كل ما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا علي إلخ انتهى عبارته ١٠١ .

ورأيت في هامش « مجموعة الأحزاب » ما نصه : وكيفية قراءة هذا

الحزب أن تستفتح بالآيات الثلاث الآتي بيانها : الأولى[1] : من الأنعام ، والثانية[2] : من آل عمران ، والثالثة : من آخر[3] الفتح ، ثم تقرأ الحروف التسعة والعشرين ، ثم يقرأ الحزب المبارك . انتهى .

ورأيت في هامشها أيضاً ما نصه : فإذا وصلت إلى قولك حم السبع توجهت إلى الجهات الست : يمين وأمام ويسار وخلف وفوق وتحت ، ثم تقول رفعت بالله كل بلاء يأتي من هذه الجهات الست واستجلبت بها كل خير يأتي من هذه الجهات الست ثم قل حم السابعة وخُط بها نفسك وجوانبك وامسح بها وجهك ، واستحضر مرادك في قلبك ، وكذا في موضع الإشارات المشار إليها في الحاشية بِـ (قِفْ) . انتهى .

وفي هامشه أيضاً في موضع الحواميم ما نصُّه : محل الإجابة يقرأ هنا هذا الدعاء سمعنا من الأستاذ : اللهم لا تقتلني بغضبك ولا تهلكني بعذابك وعافني قبل ذلك ، اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني وكفّ أيدي الظالمين عني يا حفيظ احفظني ويسر أموري وحصل مرادي .

وفي هامشه أيضاً ثم عند قولك (كهيعص كفايتنا) تضم إصبعاً من أصابع يدك اليمنى عند كل حرف منها وتبتدىء بالخنصر وتجعله للكاف وللهاء البنصر وللوسطى الياء وللسبابة العين وللإبهام الصاد لا تزال ضامّاً للأصابع إلى أن تصل إلى قولك (حمعسق حمايتنا) فتفتح الذي ضممت أخرى واعتمد على ذلك . انتهى بحروفه .

وسألت شيخنا خالد سيف الله عن القول المار (وخُطَّ بها نفسك)

---

(١) ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلخ .
(٢) ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ ﴾ إلخ .
(٣) ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلخ .

إلخ وعن كيفيته فأمرَّ إصبعه على وسط نفسه ودارت بحم السابعة وخَطَّ بها نفسه كالدائرة . انتهى .

وسألته رضي الله عنه أيضاً عما مرَّ من ضم الأصابع عند قوله (كهيعص) وانفتاحها عند قوله (حمعسق) فقال ما معناه : يبتدىء بالضم من الخنصر[١] إلى الإبهام ، وفي الافتتاح يبتدىء من الإبهام إلى الخنصر . انتهى . لكن المفهوم من « المناقب الأحمدية » أن يبدأ بالخنصر[٢] في القبض والبسط كما يأتي .

وأردت أن أورد هنا ما وصل لديَّ من فوائد « حزب البحر » وإن طال الكلام ولعل ذلك لا يخلو عن فائدة .

قال مؤلف « المناقب الأحمدية » في ١١٣ :

المقام الرابع في بيان بعض الفوائد والإشارات في دعاء حزب[٣]

---

(١) فقال مُسَبِّحَةَ لْطَلُنْ رَهِ أَبُنْ كِ بُكُ خَ دِرْ وَسْ . انتهى (منه) .

(٢) أي : في غير هذا الموضع ، أي : في قوله (كهيعص) (حمعسق) فافهم (منه) .

(٣) ومما ينبغي أن يعلم أن قراءة الأحزاب ليس من وظائف المريدين بل هي وظيفة الخليفة الذي صار مرجع الطلبة ويفيد بتلك الأحزاب أرباب الحوائج والمضطرّين ، وأما المريدون فلا يلتفتون إليها إلاّ إذا وقعت الحاجة لدفع مكروه أو جلب محبوب لأن الواجب عليهم الذكر والفكر كما هو المفهوم مما في هامش « المناقب الأحمدية » في ١١٣ . وفي « تقريب الأصول » : ما رأينا قطّ أحداً وصل إلى الله تعالى بمجرّد قراءة الأحزاب والأوراد . انتهى . وفيه أن أمثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلاً ونهاراً أن الله تعالى يزوجه بنت السلطان . انتهى عبارته راجعه في ٩٢ . فالحاصل لا شيء أنفع للمريد المبتدىء من ملازمة الذكر في جميع الأحوال والأوقات . ومما يوضح لك ذلك أن السيد علي بن ميمون المغربي لما تصرف في الشيخ علوان الحموي وهو كان مفتياً مدرساً ، فنهاه عن الكلّ وأشغله بالذكر فطعن الجهال فيه بأنه أضلّ شيخ الإسلام ومنعه عن نفع الأنام ، ثم بلغ السيّد أنه يقرأ القرأن أحياناً ، فمنعه منه فقال الناس : أنه زنديق يمنع من تلاوة القرأن الذي هو قطب الإيمان وغوث الإيقان لكن طاوعه المريد إلى أن حصل له المزيد وانجلت مرآة قلبه وحصل له مشاهدة ربه ، فأذن في قراءة القرآن ، فلما فتح=

البحر على ما هو معمول حضرة سيدي الوالد أسكنه الله تعالى في أعلى الدرجات : كان يقول ﷺ طريق نصابه أن يقرأ ثلاثمائة وستين مرة ، وإذا أراد أن يكون عاملاً به فليقرأ في ثلاثة أيام في كل يوم مائة وعشرين مرة مع ترك الحيوانات الجلالية[1] والجمالية ؛ أي اللحم واللبن والسمن والعسل ، وترك الثوم والبصل وأمثالهما ، وإذا أراد أن يشرع في الحزب المذكور لا بد أن يغتسل أولاً ، ويستعمل الطيب على بدنه وثوبه ، ويلبس غير مخيط ؛ جديداً كان أو غسيلاً ، ويشتغل بالقراءة في المسجد معتكفاً صائماً ومستقبلاً ، فإن سبقه الحدث يتوضأ ويصلي شفعاً ويتم الحزب ويغتسل عند شروعه في كل يوم ، ويجعله ورداً بالشرائط المذكورة ، وإلا خيف عليه الرجعة ! فلا بد أن لا يجعل شرطاً منها مفقوداً إلى إتمام الدعوة ، وبعد فراغه الأفضل أن يجعل القراءة مقررة في الأوقات الخمسة ، أي : عقيب الصلوات الخمس ، ولو لم يؤدّ في وقت تداركه في وقت آخر .

وبالجملة لا ينقص من خمس مرات في كل يوم وليلة ، فلو لم يستطع فلا يجعل أقل من ثلاث مرات ؛ بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب ، وإذا وقعت حاجة أحياناً فليقرأ فقرة من الحزب المذكور مناسبة لمطلبه مع اسم من الأسماء الإلهية ، أو آية من الآيات القرانية ملائماً لمقصوده سبعين مرة ويكررها جاعلاً صورة المطلوب في نظره ؛ بأن يشرع في الحزب أولاً وإذا انتهى إلى الفقرة قرأها بالطريق المذكور ، ثم يتم الحزب ، هكذا يفعل سبع

=المصحف فتح عليه الفتوحات الأزلية والأبدية وظهر له كنوز المعارف والعوارف الظاهرية والباطنية ، فقال السيّد : أنا ما كنت أمنعك من القرآن وإنما كنت أمنعك من اللقلقة والغفلة عما فيه من البيان في هذا الشأن ، والله المستعان . رواه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه ، انتهى كلام « المرقات » كذا في « كنز المعارف » لسيف الله من خطه ١٤٢ .

(١) قوله : (الجلالية) وبالجملة الحيوان جلالي ، وما يخرج منه جمالي عند المتقدمين من هامش « مناقب الأحمدية » .

مرات في الخلوة بعد الغسل والصلاة بالحضور والتوجه التام ليتوجه حين القراءة إلى روح الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره مستمدّاً منه حتى يكون مؤثراً تامّاً .

وقال جماعة من أهل الدعوة : من أراد العمل في حزب البحر يصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة مع الإعتكاف وترك الحيوانات الجلالية والجمالية بنية النصاب ، ويقرأ كل يوم بعد الغسل والصلاة مائة وعشرين مرة ، ويقرأ في اثنى عشر يوماً أيام ازدياد نور القمر [كلّ] يوم ثلاثين مرة .

يقول الفقير عفى الله تعالى عنه : اختيار هذا العدد لأجل أن درجات الشمس ثلاث مائة وستين في ضمن المثلثات الأربعة ، أو البروج الاثني عشرية والله أعلم .

وإذا خاف من السلطان أو السبع فليقرأ هذا الحزب سبع مرات ، فينفخ على يده اليمنى فيمسح بها جميع بدنه .

ولو تحير في أمر يقرأ في مقام خال نظيف بعد الغسل والصلاة خمس مرات أو سبع مرات . وللحب اثنى عشرة مرة أو سبعة يقرأ على ماء الورد وإذا بلغ إلى قوله (وهب لنا) كرر سبعين مرة قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ثم يقول : يا رب اجعل محبة فلان ابن فلان في فلان ابن فلان ويفعل على هذا الترتيب ثلاثة أيام ، وإذا استقبل ذلك الشخص فليأخذ قليلاً من ماء الورد يدلكه على كفه ويمسح به وجهه .

ولقهر الأعداء يقرأ اثنى عشر يوماً في كل يوم ثلاثاً ، وعند بلوغه إلى قوله و(اطمس على وجوه أعدائنا) و(شاهت الوجوه) يشير إلى العدو والله تعالى أعلم .

وأيضاً يقول رضي الله عنه من قوله (**يا علي**) إلى قوله (**رحيم**) هذه الفقرة

داخلة في الجمال بمعنى أن للصورة المثالية التي تظهر من طلب هذه الفقرة مناسبة لإصلاح النفوس ، فالمناسب أنَّه إن كان ملكاً أو رئيساً وكان في خاطره أن لا يخالفه الرعايا بل أن يوافقوه ويحبوه وتظهر تربيته لهم على وفق الشرع والعقل ويتهيأ أموره من الغيب فليداوم على هذه الفقرة وليعتمد عليها .

ومن قوله (**نسألك**) إلى قوله (**الغيوب**) من وقع من حسن الحال إلى خلافه كالتبذير والفسق واللهو والجبن والعي أو يشوِّشه حديث النفس تناسبه هذه الفقرة كثيراً ، فإكثارها منج من البليات المذكورات .

ومن قوله **فقد** : ﴿**ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**﴾ إلى ﴿**غُرُورًا**﴾ يصلح لمعنيين باعتبار أعمال تصريفه : **الأول** : أنه يعالج به من ابتلي بحزن القلب ، وتشتت الخاطر ، وحديث النفس وهجوم الخواطر ، فليقرأ هذه الفقرة مع سابقها كثيراً . **والثاني** : من وقع في حادثة واتفق أحباؤه مع أعدائه في القيل والقال فأراد تدارك هذا الخلل لا بد من تلاوة تلك الفقرة مع فقرة (**فثبتنا وانصرنا**) مع المبالغة ، ويتذكر صورة الأحباب ومقاولاتهم عند التلفظ بهذه الفقرة إلى قوله تعالى ﴿**شَدِيدًا**﴾ أو يشير بيده إلى الرد والإبطال ، ويلاحظ صور الأعداء ومجادلاتهم حين التكلم بقوله ﴿ **وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ**﴾ إلى ﴿**غُرُورًا**﴾ مشيراً إلى الرد والإبطال .

ومن قوله (**فثبتنا**) . . إلى ﴿**بِكُلِّ شَيۡءٍ**﴾ إذا تحارب جمع مع أعدائهم ، وهيأ كلٌّ عدداً حسب وسعهم طالباً للغلبة على الآخر بجهدهم وهممهم ، فهذه الفقرة بكثرة تلاوتها صالحة لأن يتحقق حال الحرب لطيفة غيبية ويحصل الفتح على الأعداء ، وكذا إذا استقبله أمر مغلق عجزوا عن تدبيره ، أو مرض صعب لا يقدر الأطباء على معالجته ، فبإكثار تلاوة هذه الفقرة تظهر لطيفة غيبية يحصل حل الأمر المشكل بها والشفاء عن عضال الداء .

ومن قوله ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ إلى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذه الفقرة داخلة في سعادة الزهرة ؛ ففي باب الزروع وحسن نبات الأشجار لابد من جعله مكسراً في مثمن ليحصل سعادة المشترى أيضاً ، وليكتب على لوح من الخشب بالخط الجلي ، وليعلق على البساتين والزروع في موضع عال ، وليكتب لثمر الشجر المعين على ورق بعصارة ثمره ، وللجمال والقبول ولفرح الشخص يكتب على كاغذ بالمسك وماء الورد فيشده على رأسه ، وإن كانت امرأة تكتب مخمساً بهذه الصفة من (انصرنا) إلى (ارزقنا) .

ومن قوله ﴿وَهَبۡ لَنَا﴾ . . إلى ﴿قَدِيرٌ﴾ ، هذه الفقرة بإكثار تلاوتها صالحة لوصول اللطيفة الغيبية في كل وقت ومكان من حيث لا يدري ، ويكون سبباً للنصرة على أعدائه ، ولإزالة الآفات والمصائب ، فإن كان نفقة الغيب ! فليقرأ أربع عشر مرة يا وهَّاب ، وثلاثاً ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ، وإن كانت الفراسة[1] والإشراف على القلوب مرغوبة يقول أربع عشر مرة يا عليم يا مبين يا خبير ، وثلاثاً ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ . . إلى ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ .

وإن طلب ظهور آثار الرقي والدعاء يقرأ أربع عشر : يا مجيب ثم ثلاثاً : ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ .

ومن قوله (**اللهم يسر لنا**) . . إلى (**يرجعون**) هذه الفقرة صالحة لوصول أنواع اليسر لداعيه من الغيب في كل ما توجه إليه ، وإذا شرع في أمر يقرأ قبله واحداً وألفا في كل مجلس وقعت فيه خصومة في مسألة من المسائل الدينية أو في قضية من القضايا الدنيوية ، وكان الحق في جانب الداعي والخصم بطلاقة اللسان والجسارة[2] غالب أمره ، يقرأ

---

(١) والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيراً . . إلخ . وفي الحديث « اتقوا فراسة المؤمن » « مختار » .

(٢) وجسر على كذا : أقدم ، يجسر بالضم جسارة بالفتح وتجاسر أيضاً ، والجسور=

ثلاثاً : (**واطمس على وجوه أعدائنا**) . . إلى (**ولا يرجعون**) . وينفخ إلى جانب الخصم يظهر الإسكات والتحيُّر والاعتقال فيه .

ومن قوله ﴿ يسٓ ﴾ . . إلى : ﴿ ظُلْمًا ﴾ . من ابتلي بحزن أو كيفية لا يلائم استقامة النفس ؛ كالخوف والغضب والحقد والتشويش في أمر المعاش وغيرها فَلْيَتْلُ منها خمس آيات إلى ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ ، وينفخ على قلبه .

وإن أراد عالم أو قاض أن يقع درسه أو قضاؤه على نهج مستقيم فليكتب تلك الآيات في مثمَّن ويحفظ معه ويلازم تلاوتها بعد كل صلاة .

ومن أراد أن يمر بين الأعداء من غير أن يروه ويتعرضوا له فليقرأ ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ . . إلى ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وينفخ على الحصى ويرميهم به ، أو يأفف[1] نحوهم .

ومن أبق عبده وأراد تحيره فليتل تلك الآيات أو يكتب اسم العبد على ورقة أو خرقة ويكتب حوله تلك الآية بطريق الدائرة ويعلقها في مكان كان العبد فيه ، أو يلقي في القدر ويجعل اسمه في مُومٍ ويدفن في الخلاء في مقبرة قديمة .

ومن خاصمه أحد بغير حق يقرأ هذه الآيات ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾ . . إلى ﴿ ظُلْمًا ﴾ سبعاً ويأفف إليه ، أو يكتب على ثوبه ويدفنه في مقبرة قديمة أو صحراء غير معمورة ، أو يقرأ على خزف مأخوذ من مقبرة ويلقي في بيته .

وبالجملة أول الآيات إلى ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ صورتها المثالية مناسبة لسعادة المشترى ، وآخرها إلى ﴿ ظُلْمًا ﴾ مناسبة لنحوسة زحل ، وفي

=بالفتح المقدام « مختار » .

(١) أي : ينفخ .

جميع أعمال المشتري وزحل تستعمل هذه الفقرة .

ومن قوله ﴿طسٓ﴾ . . إلى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ هذه الفقرة صالحة في أنه إذا وقع التناشز بين الزوجين وأشرف نظم صحبتهما على الانقطاع ، أو تخاصم الشريكان في المعاملة فبالتمسك بهذه الفقرة تلاوةً وحملاً يسكن الشغب[1] وتحبس الألسن من المخاصمة والمشاتمة .

ومن قوله ﴿حمٓ﴾ . . إلى ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ هذه الفقرة في إسكات الأعداء وطلب الحشمة[2] والجاه مؤثرة تأثيراً كثيراً ، يقرأ سبعاً فينفخ إلى الخلق أو على سبع حصاة فيرميها إليهم .

ومن قوله ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ . . إلى (**مصير**) نافع من مكائد الشيطان ولطخات السوء ؛ كالسحر وشر العين ، ولاستمطار الجود الإلهي ، وكفاية المهمات وتوسيع الرزق ، ورفع الصيت[3] وعظم الجاه كآية الكرسي .

ومن قوله (**بسم الله بابنا**) . . إلى (**حمايتنا**) هذه الفقرة حصن منيع للداعي من آفات اللصوص والشياطين والظلمة ، ويتخيل حين القراءة إحاطة نور القرآن وليدير يده على أطرافه وحواليه ، ويخط بالعصا حول أمتعته .

وإذا ذهب عند ظالم وغلب عليه خوفه وسطوته يقرأ : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليمنى ويقول : كفايتنا ، ويقرأ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليسرى ويقول : حمايتنا . فإذا وصل إلى مقابله يفتح يديه ويأفف[4] إليه .

---

(١) الشغب بالتسكين – تهييج الشرّ « مختار » .
(٢) أي : الحرمة .
(٣) أي ذكر جميل بين الناس .
(٤) أي ينفخ .

ومن قوله ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ، هذه الآية أنفع الأشياء لطلب الكفاية من شر الأعداء ، فإن كان الداعي ذا حظ من الصلاة يقرأها على نهج صلاة التسبيح في أربع ركعات ثلاثمائة مرة ، أو في ركعتين في كل ركعة خمسين ، وإن كان ذا حظ من الذكر يقرأ واحداً وألفاً إلى سبعة أيام ، وإن لم يتيسر يقرأ بعدد اسم « كافي » مائة وإحدى عشر .

ومن قوله (**ستر العرش**) . . إلى (**محفوظ**) حصن بليغ من شر العين وضرّ الجن والسحر وكل لطخة سوء ، ومن قوله ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أبلغ سبب في حفظ النفس والأموال والأولاد من الشر المتوقع . فمن أراد حفظ متاعه من السوس أو اللصوص فليكسره في مربع على كاغذ أو خزف فيجعله في متاعه . ومن خاف قطاع الطريق أو اللصوص أو ظالم يريد التعدي عليه فإن وجد أكثر الحلاوة في الصلاة يصلي على صفة صلاة التسبيح أربع ركعات ويقرأ هذه الكلمات فيها ثلاثمائة ، وإن كان لذته أكثر في الذكر يقرأها واحداً وألفاً إلى سبعة أيام ، وإن قدر كل يوم يقرأ في أحسن الساعات كنصف الليل أو الزوال أو بعد العصر أو قبل الطلوع .

ومن قوله ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، لهذه الآية تأثير بليغ في نفقة الغيب وتحصيل النظام البدني والمنزلي ، فإن كان الداعي من أهل الصلاة يقرأ على هيئة صلاة التسبيح ، وإن كان من أهل الذكر يقرأ بعدد اسم (ولي) بعد كل صلاة .

ومن قوله ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ للحفظ من المضار وطلب نفقة الغيب والنصرة على الأعداء ، هذه الكلمة كيمياء عجيب التأثير ، يقرأ بعدد « رزاق » وبعدد « كافي » وبعدد « حفيظ » وبعدد[1] . . .

---

(١) كذا في الأصل ، والله أعلم .

وبالجملة بعدد كل اسم مناسب لحاجته مؤثر .

ومن قوله (**بسم الله**) . . إلى (**عليم**) لهذا الدعاء تأثير بليغ في حبس كل ضار عن ضرره كالسبع والهامَّة[1] ، والماء البارد للمبرود والحار للمحرور ، ودواء وغذاء يحتمل ضرراً أو عيناً عليه ، أو السحر والأوجاع والأورام وأمثالها ، وإن خاف من وقاحة من له سوء الخلق يقرأ ثلاثاً وينفث على ما يخاف منه أو إليه ، وإن لم يكن حاضراً يستحضر صورته في الخيال ويقرأ بنيته مكرراً .

ومن قوله (**لا حول**) . . إلى (العظيم) مؤثر بليغ في رد السحر والعين ، والرجعة في دعاء السوء وهمة أهل الهمة وأمثالها والتأثير العميق .

(باسم الله الذي) إلخ . . في دفع المضار المحسوسة ، وأغلب تأثير (لا حول) في غير المحسوس .

وأيضاً يقول رضي الله عنه : يقرأ حروف الهجاء من أولها إلى آخرها بنَفَس واحد ، ويتصور الشيخ أبا الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى ويستمد منه .

وفي (سخِّر لنا هذا البحر) يشير إلى المقصود ، وإذا قرأ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كرره ثلاثاً ويضم في المرة الأولى مع كل حرف أصابع يده اليمنى ويتخيل حصول المطلوب ، ويفتحها في الثانية متخيلاً فتح المطلب ، ويفعل في الثالثة كالأولى .

وإذا قرأ (انصُرنا) فتح الخنصر ، ويفتح البنصر في آخر (وافتح لنا) ، والوسطى في آخر (واغفر لنا) ، والسبابة في آخر (وارحمنا) ، والإبهام في آخر (وارزقنا) وليبدأ بالخنصر في القبض والبسط .

---

(١) والهامة : من طير اللّيل « مختار » .

ومن (واطمس) . . إلى (ولا يرجعون) يشير باليد اليمنى إلى الأعداء والشياطين متخيلاً لهم ، ويكرر ثلاثاً (شاهت الوجوه) ويضرب يده اليمنى على الأرض ملاحظاً هلاكهم ، ويفتح بـ﴿حمٓ﴾ الأول : أمامه ، والثاني : خلفه ، والثالث ، يمينه ، والرابع : يساره ، والخامس : فوقه ، والسادس : تحته . ثم يقرأ على نهج الدعاء رافعاً يديه من (رفعت) . . إلى (عاهات) ويلحظ مطلبه ، ثم يقرأ سابع الحواميم وينفخ على يده فيمسح تمام ما يصل إليه اليد من البدن .

وفي ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الثاني يضم أصابع اليد اليمنى بكل حرف فيقول (كفايتنا) ويفتحها في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ بكل حرف فيقول (حمايتنا) ويكرر ثلاثاً كل واحد من ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ومن ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ومن ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ وعند بعض سبعاً في الآخر وهو أولى ومن (**بسم الله الذي**) إلى (**العليم**) ثلاثاً وكذا من (لا حول) إلى (العظيم) ويكرر آمين ثلاثاً .

الأسماء الجمالية والجلالية

وأيضاً يقول ﵁ **وقدّسنا بسره الأقدس** : يقرأ في الأمور الجمالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجمالية مثل يا ناصر يا فتاح يا غفار يا رحيم يا رزاق يا حافظ يا وهاب ، وفي الجلالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجلالية مثل يا قابض يا خافض يا مُذلّ يا جبار يا قهار ، مثلاً من (يا علي) إلى (رحيم) فقرة واسمها « يا كافي المهمات » يقرأ لكفاية المهام سبعين مرة .

ومن (نسألك) إلى (الغيوب) فقرة ، والاسم يا حفيظ يقرأ للمحافظة وترقيات الباطن سبعين ، وكذا (يا عاصم) اسم هذه الفقرة يقرأ للعصمة

عن المناهي والمعاصي سبعين .

ومن (فثبتنا) يا مثبت القلوب للطمأنينة وسكينة القلب . وفي (انصرنا) يا ناصر للنصرة سبعين ، وفي (سخر لنا) إلى (كل شيء) يا مسخر لتسخير القلوب بالعدد المذكور ، وفي (وافتح لنا) إلى (الفاتحين) يا فتاح للفتح بالعدد المذكور ، وفي (واغفر لنا) إلى (الغافرين) يا غفار للمغفرة سبعين ، وفي (وارحمنا) إلى (الراحمين) يا رحيم للترحّم سبعين ، وفي (وارزقنا) إلى (الرازقين) يا رزاق ارزقني للرزق ، أو آية ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أو اسم يا رزاق ارزقني رزقاً طيباً واسعاً بغير حساب (سبعين) ، وفي (واحفظنا) إلى (حافظين) فقرة ، والاسم يا حفيظ يقرأ سبعين للمحافظة ، وفي (واهدنا) إلى (الظالمين) الاسم يا هادي للهداية (وهب لنا) إلى (قدير) يا وهَّاب للهبة وإعطاء المقاصد .

وفي (يسر لنا) إلى (أبداننا) يا ميسر لكلِّ عسير لسهولة المشكلات .

وفي (وكن لنا) إلى (أهلنا) يا حافظ للمحافظة في السفر .

وفي (واطمس) إلى (يرجعون) يا شديد الانتقام لهلاك العدو أو يا مذل للذلة .

وفي « يس » إلى « حم » يا عليم لزيادة العلم ، وفي (حسبي الله) إلى (العليم) لتليين قلوب المؤمنين .

والعدد في كل واحد سبعون ، ومن قرأ هذه الفقرة سبعاً في الصبح وسبعاً في المساء لكل قصد جعله الله تعالى صادقاً فيه صادقاً كان أو كاذباً . انتهى ما في « المناقب الأحمدية » ١٢١ .

حزب النصر

ومن وظائف الشاذلية حزب النصر للإمام الشاذلي .

قال رحمه الله تعالى وأمدنا بمدده : من قرأه أو حمله رزقه الله النصر على أعدائه ، وكفَّت أيديهم عن أذيته ، وعقدت ألسنتهم عن غيبته ، وطمست قلوبهم عن ذكره ، وإذا كان في جيش لا ينهزم بإذن الله تعالى كما جرّب وصح ، ومن قرأه أو حمله فقد نجا من كل بلاء وسوء ، وله فضائل لا يعلمه إلا الله تعالى . انتهى من خط محمد طاهر القراخي قدس سره .

وفي « الأنوار القدسية » : حزب النصر وهو لتدمير الظالم وله سرٌّ عجيب وأمر غريب ، يقرأ في المهمات وللتبرك في سائر الأوقات . انتهى عبارته ٢٢٥ . وله شرح لطيف وخواص كثيرة ولم أذكرها هنا خوف الإطالة والملالة فإن أردت الاطلاع عليها فاطلبها من هامش « مجموعة الأحزاب » للقطب أحمد ضياء الدين قدس سره من الجزء الأول تجد البيان .

الحزب الكبير « حزب البر »

ومن وظائف الشاذلية أيضاً الحزب الكبير المسمى بحزب البر الذي كان الشاذلي يقول في حقه : إنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه ، وقال : من قرأ حزبي هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

قال سيدي عبد الله رحمه الله تعالى : يعني له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة . انتهى .

وقال : من حفظه فإنه من أصحابي . نفعنا الله بِمنّه وكرمه وله شرح نفيس عجيب سمّي بـ« تنوير الصدر » قد جمع فيه مؤلفه رحمه الله من

العلوم والفوائد كل مهم ، وهو مكتوب في هامش « مجموعة الأحزاب » من أول الجزء الأول .

وفي « الإتحاف » شرح « الإحياء » ما يصرح أن لمؤلفه رحمه الله شرحاً لهذا الحزب لكن لم نره ولم نصادفه ، و للشاذلي أحزاب كثيرة وكلها مجموعة في « الأنوار القدسية » و« مجموعة الأحزاب » فمن أراد فليراجع إليهما .

الصلاة المشيشية

ومن وظائف الشاذليين الصلاة المشيشية الْمَمزوجية التي جرت عادتهم بقراءتها صباحاً ومساءً ، وقد أجازني بقراءتها وتلقينها الشيخ المحترم سيف الله قدس سره ، وكتب لي بذلك مكتوب الإجازة بخطه الشريف . وذكر صاحب « أفضل الصلوات » كلاماً في حق الصلاة المشيشية فقال : هذه صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش وهي من أفضل الصيغ المشهورة ذات الفضل العظيم .

قال العلاَّمة السيد محمد عابدين صاحب « حاشية الدر » في ثبته : صلاة الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى والدال عليه ذي الطريقة السنية المستقيمة ، والأحوال السنية العظيمة ، شريف النسب وأصيل الحسب سيدنا ومولانا السيد الشريف عبد السلام ابن بشيش - يقال بالباء فى أوله وبالميم - الحسني المغربي ، التي أولها : اللهم صل على مَن منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار . . إلخ . قد أوردها الشهاب أحمد النخلي وتلميذه الشهاب المنيني في ثبتيهما ، وذكر النخلي أنها أخذها عن الشيخ أحمد البابلي والشيخ عيسى الثعالبي قال : وأمراني أن أقرأها بعد صلاة الصبح مرة وبعد صلاة المغرب مرة .

قال ورأيت في بعض التعاليق : يقرأ ثلاث مرات بعد الصبح وبعد

المغرب وبعد العشاء ، وفي قراءتها من الأسرار ومن الأنوار ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبقراءتها المدد الإلهي والفتح الرباني ، ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر ميسَّر الأمر محفوظاً بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبليات والأمراض الظاهرة والباطنة ؛ منصوراً على جميع الأعداء ، مؤيداً بتأييد الله تعالى العظيم في جميع أموره ، ملحوظاً بعين عناية الله الكريم الوهاب وعناية رسوله ﷺ وعلى الآل والأصحاب ، وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ** ﴾ انتهى .

وقد زاد بعض أكابر العارفين من مشائخ الطريقة الشاذلية فيها زيادات شريفة مزجها بها وجعلها وظيفة له يقرؤها أهل طريقته العلية صباحاً ومساء ، نفعنا الله بهم . انتهى عبارته ١١٠ .

ورأيت في هامش « دلائل الخيرات » ما لفظه هذا : ومن واظب على قراءتها بالنية الخالصة يكون من أهل الحظوة . انتهى .

اعلم أيها الولد – جعلك الله ممن يقر عيني به آمين – أن الشيخ المحترم خالد سيف الله قدس سره بعد ما أجازني في تلقين الطريقة الشاذلية كتب إليّ مراراً بتلقينها وتكثير أربابها ، والاجتماع لقراءة أورادها ووظائفها ، بيد أنّ الناس في ديارنا لما كانوا منذ زمان قد أَلِفوا بالنقشبندية والحال أنهم لم يعرفوا الشاذلية ولم يسمعوها ولأجله كنت قصّرت في إجرائها وتلقينها نظراً إلى قلّة رغبة الطالبين إليها ، ولعله قدس سره اطلع على هذا بكشفه فحينئذٍ كتب إليَّ ما نصه : **واعلم أيها المحبوب أظن أنكم تستقلُّون قدر الشاذلية وتسامحون في إدارتها ، فأسألكم بالله تعالى أن تجتهدوا في إدارتها وتحضُّوا إليها الناس ، فشمس هذه الطريقة تطلع وتقوى يوماً فيوماً** ، ولا تغرب شمسها بعد ويكثر أهلها ومحبّوها ، ففضائلها غير معدودة ، وهي معنعنة من الأغواث والأقطاب ، وفيها

فضائل مخصوصة ليست في غيرها ، وعَضَّ عليها بالنواجذ ، ولأجل عدم أهلها صارت الآن كعنقاء مغرب ، فعن قليل يتشعشع نورها ويزيد نماؤها ويكثر أربابها ولعلك لا تترك ختمها بل توسع دائرتها وفق الإمكان ، والله المستعان . انتهى . من خطه رضي الله عنه .

وسألته رحمه الله تعالى : هل يجوز اجتماع الشاذليين والنقشبنديين في مجلس واحد ؟ وهل يجوز أن يقرأ كل منهم ختم الآخر أم لا ؟ فكتب قدس سره في الجواب بما نصه :

ولقد سرّني هذا الخطاب الذي يُعْلن محبة اجتماع بعضهم بعضاً في الذكر ، لما أنَّ ذلك إن شاء الله تعالى من **علامة الجمع والوداد الذي هو رأس الدين الحنيفيّ** الذي قال تعالى في حقهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ إلخ . .

فاعلم أيها الأعز أنَّمَا مرادنا الأهم الجمع لا الفرق ، فتحرضهم على الجمع كيف كان ليجمع عند الله وعند الناس شملهم[١] ، **وترخِّص للنقشبنديين للذهاب والجلوس في الختمات مع الشاذليين وبالعكس ،** فأما ذهاب الشاذليين لختمات النقشبنديين فأمره واسع بل هو مستحسن حيث كانوا من والد واحد خاصة ، ومن آبائنا المعنوية من له الإجازة التامة في خمس طريقة[٢] ، بل في عشر بل أزيد حتى قال شيخنا وروحي فداه - : **كان شيخنا سيدي السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني قدس سره مأذوناً في أربعين طريقة .** هكذا سمعت من فمه ، ومَنْ التقانا من السادات في عدة[٣] طرائق كثيرة من مشائخنا ، وكذا من مريديهم ،

---

(١) وجمع الله شمله أي : ما تشتت من أمره ، وفرق الله شمله أي : ما اجتمع من أمره . « مختار » .

(٢) عله طرائق (هامش الأصل) .

(٣) أي الكائنين (منه) .

وأما في حق ذهاب النقشبنديين لختمات الشاذليين فذلك ليست بمحال ، بل يحتمل أن يفوزوا بكلتا الحسنيين وينالوا بذلك فوز الدارين ، ولقد سألت العارف ذا الجناحين الحاج خَصْبُلات أفندي النقشبندي الكُستاكي خليفة القطب محمود الفعال قدس سره عن جلوس المريدين بعد الصلوات المفروضات معه بالحلقة بالذكر الجهري وفيهم الأجنبيون الذين نهى السادات عن دخول أجنبي لكن[١] في الختم وهل[٢] لذلك وجه ؟ فأجاب لي ولله الحمد ، وقال : سألت شيخنا العارف القطب الغارف من بحر الفيوضات شيخنا ومرشدنا محمود الفعال صدوق المقال قدس سره عن ذلك السؤال بعينه ، **فأجابه** : إن كان المريد أتم أوراده المعتادة فله اختيار حينئذ للجهر والجلوس في الحلقة بإذن الشيخ ورأيه ، وكفى لنا هذا من هذا العلامة ، وسوى ذلك أن الشيخ في ذلك أمين ، وطبيب للقلوب القاسية والقدسية ، فله أن يأمر المريدين بالمعروف عنده مصلحةً للدين والطريقة .

وأما اصطلاح النقشبنديين بإخراج الأجنبي في الختم ! فهو أمر

---

(١) أي : لكن النهي ، والله أعلم .

(٢) ورأيت في هامش « مناقب الأحمدية » ما نصه : تنبيه ، لا يشترط في الختم والتوجه غضّ البصر ، ولا التخلية من الأغيار ، لأن الأصل عندهم الخلوة في الجلوة ، وهي المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة الطرق قولاً وفعلاً . اللهم إلا أن يشوش الحال ولا تحصل الجمعية التي هي المقصود الأصلي أو يكون موجباً للفتنة في محل . وأظن أن اختراع حضرة مولانا خالد عليه الرحمة إنما يكون لذلك فلا يعمّ فاعرفه ، فراجعه في ٨٤ . ومعلوم متيقن أن الخلوّ عن الأغيار في الختامات والتوجهات أولى وأنسب في زماننا هذا ، ولأجل ذلك مشى أشياخنا على ما مشى عليه القطب خالد قدس سره ، وقد أخذ في جواز منع الأغيار عن مجلس ختماتهم ولو من المساجد فتوى من خاتمة المفسرين محمود الألوسي ، فإن أردت ذلك فراجع « نور الهداية » في ١١ نسختي لمحمد أسعد قدس سره ، ففيه البسط التام (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

ورد من سيد الكائنات ﷺ خوفاً من الأجنبي عن الانتقاد[1] والإنكار ، ولئلا يقع الاختلاف والطعن بسببهم بين المريدين خوفاً من التلفيق ، وأما إذا كان مريدو الطرق من منبع واحد وأمن من الوحشة والفرق ولم يخف من الانتقاد ، فجمعهم هو الجمع الجامع ما لم يخرجوا من اصطلاح القوم ، بأمثال البدعات المخترعة من أنفسهم . وأنت إن شاء الله أمين في حقهم ، وفي حق طرقهم ، ومأذون بالإذن التام المطلق العام ، وأمرهم مفوّض إليك في حق تربيتهم كتربية الطيور نظراً إلى الأحوال والزمان ، وفقك الله ولأتباعك لما يحبه ويرضاه .

وأما قولكم : وإلا[2] فينقبضون ويطلبون ببواطنهم دخولهم في سلك النقشبنديين إلخ . . عياذاً بالله تعالى أيها الموفق عن انقباضهم وتركهم الطريقة العلية ، فمن شذ ! فقد شاذَّ الشاذلي ، فكم قتل بأمثال ذلك ، وكم أمات وأحيا ! فليتوبوا من ذلك ، فإنما هو قطعة كبد الرسول ﷺ ، ونور حدقة[3] عين البتول ، وملجأ الأقطاب ، وفصل الخطاب ، أذاقنا الله تعالى وإياكم من محبته ، ومحبة محبيه آمين .

وأما المريدون الذين ينقبضون بعدم إدخالهم في الختمة فلا تثريب عليهم ، لشربهم بالذوق محبة سماع النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها ، ولقرب العهد لهذه الطريقة الشاذلية **فيعلو أمرها ثانياً** ، **ويتلذذون يوماً فيوماً** ما دامت نياتهم صحيحة وطويتهم صادقة ، فيا لله أيها العزيز ! تجاهد بالله في جمع كلمة المريدين وفق طاقتك ، بل أرجو أن تقع بينهم محبة راسخة نبوية ما دامت إخلاصهم ، **فليذهب كل أحد من الطرفين إلى الآخر بلا إنكار** ، لكن إن قوماً من المبتدعين الدَجَّالين يختمون الختم

---

(١) وناقده : ناقشه في الأمر . « مختار » .

(٢) أي : وإن لم يرخصوا للاجتماع في مجلس النقشبنديين فافهم . (منه) .

(٣) حدقة العين : سوادها الأعظم . « مختار » .

كيف كان بما رأوا في الكتب ، ثم يقومون وقد أدوا جميع ما عليهم ! كأنهم خرجوا من قيد التكليفات فلا يبتئسون بشيء من الذكر وعدمه ، فبه عليكم تعليم المريدين بأنه يلزم عليهم الاجتهاد في الذكر ، خاصة بعد الختمات ! ليكون شكراً لله وذكراً على ما رزقهم من النعم التي لا يقابلها شيء ، لما **أن الختم كأنه كأداء الفدية لجبر ما نقص أو أفرط في ذكرهم** ، ليسألوا عند الختم من الله العفو مما أفرطوا في جنبه تعالى ، وأداء حقوق آداب السادات ؛ أدرجهم الله تعالى مدارج الكمالات ، وأذاقهم حلاوة العرفان والفيوضات ، وأحيانا الله تعالى وإياكم وحيَّانا بالأعمال الصالحات آمين .

فكن أيها الأعز ضنيناً على الختمات . فكما أن الحج من واجبات الإسلام ! والختم أيضاً من لوازم بعض الطرق ووظائفها ، على ما تواتر إلينا من السادات باستجاب الدعوة وإجابتها فضلاً من الله تعالى ، **وهو السبب السني لحضور أرواح السادات** - قدس الله أسرارهم آمين - إلى مجلس الختمات إن كانت سالمةً من البدع . انتهى من خطه قدس سره .

مطلب : كيفية ختم الشاذلية

وسألته ﷺ عن ختم الشاذليين وكيفيته ، فأجاب بما نصه : **فاعلم أيها الولد** الأعز نعم إن لهم ختماً ! وكيفية الختم هكذا قدس الله أسرار أهاليها وذلك أن الختم يكون في يوم الجمعة .

وأكملها أن الشيخ بعد تمام صلاة الصبح يشتغل بالورد وقراءة الصلاة المعهودة ، فبعد إتمام بالجلوس يقوم الشيخ ويفعل الحلقة مع المريدين ، وبقيامه في وسط الحلقة يتوجَّه إلى قلب كل أحد من المريدين بالدوران ، ثم يقول في تلك الحلقة (لا إله إلا الله) كم عدد شاء ، ثم بعد ذلك يقول : الله الله باسم الذات ، ثم يجلس الشيخ مع أولئك المريدين في الحلقة ، ويقرأ قدراً من القرآن وبعض ينشد من القصائد اللائقة للمجلس ، ثم بعد

تمام صلاة الجمعة يجتمع الحلقة ويقول : (لا إله إلا الله) بالإخلاص قائماً ، وهم أيضاً يقولون ثم يجلسون بالذكر ، ثم يقومون ويأخذ كل أحد يد مَنْ يليه ويقومون متحلقين متسلسلين بالأيدي ، وفي أخذ أيدي بعضهم يد بعض معنى لطيف[1] بينهم ، ولا يأخذ يد الشيخ أحد ، ولا الشيخ يأخذ يد أحد لكن الشيخ يكون في الوسط قائماً حينئذ ويكون ذكرهم : (لا إله إلا الله) ، ثم : (الله الله) بقدر الطاقة ، والشيخ يدور في وسط الحلقة بالذكر المذكور معهم ، ثم بعد ذلك يجلسون ويقرأ القرآن الكريم مَنْ هو اللائق من بينهم للقراءة ، ثم بعض منهم برأي الشيخ يقرأ القصائد ، وينشد أبياتاً لتحريك الشوق مما كانت لائقة بالمجلس ، كقصائد سادات الطرق يُحرِّض المريدين إلى الشوق والوجد ولا ضرر في ذلك في اصطلاح هؤلاء السادات ، ثم يتممون أورادهم من بعد صلاة العصر إلى المغرب .

وأما القيام والقعود بعد القيام ! فمفوض لإرادة الشيخ ورأيه ؛ متى شاء يأمرهم بالقيام أو الجلوس .

وللشيخ أن يجلس في طرف الحلقة جهة القبلة ؛ ناظراً إلى جهة المريدين وإقامة خليفته في الوسط للتوجه إليهم قائماً معهم ، وهذا القول وإن لم يكن في رسالة الشيخ مذكوراً لكن العمل كان كذلك ! وسادات الطريقة وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقام التربية لاختلاف الأزمنة والأمكنة وأحوال المريدين فالمقصد الجامع واحد ، وهو الإخلاص في

---

(١) وكتب قدس سره في مكتوب آخر بما نصه : وإن لهذه الطريقة العلية المدنية - يعني الشاذلية - قدس الله أسرار أهاليها ختم يوم الجمعة بعد صلاة المغرب أو العصر ، لكن بالوقوف على الأقدام بربط القلب بأخذ يد كل أحد من المريدين أيدي بعضهم كوضع السلسلة ، مع وقوف الشيخ في الوسط ، **وذلك منهم على سبيل التفاؤل** ، ليأخذ الناجح يوم الفصل الأكبر يد الآخر ، وقد يحصل هنالك المواجيد والصياحات من البعض كما من المجذوبين ، فلا تبتئس بما كانوا يعملون ، انتهى من خطه قدس سره (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

العبادة لما أن لكل وقت دولة ورجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل طريقة اصطلاح وقتيٌّ يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ، ولذلك ترى في كل طريقة ما يخالف الأخرى اصطلاحاً ، كاختلاف اصطلاح النقشبندية السنية الصديقية قدس الله أسرار أهاليها مع اصطلاح هذه الطرق **وإن كان مرادهم واحداً ألا وهو التقوى** ، كما ترى ذلك من كتب القوم ، فيلزم علينا وعلى أمثالنا التسليم في حقهم لأنهم عاملوا الله بقلب سليم ، وما جهلنا من أمرهم أو عثرنا بعدم إدراك العقول يسعه حسن الظن بهم ، وفوق كل ذي علم عليم . كما قال بعضهم : **الاعتقاد ولاية ، والانتقاد جناية** . نرجو الله أن يجعلنا في سلك مسالكهم ، ويحفظنا كما حفظهم عن الخروج في رعاية أدبهم .

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة إلى أن يصل إلى المقام الحقيقي .

واعلم أيها الأمين أن أكثر أمثالنا جلسوا على بساط التربية بالرسم ، ورضوا من النسبة بمجرد الاسم ، وادَّعوا أنهم وصلوا إلى الكمالات ، وخلصوا من رقِّ الشهوات ، وإن كانت طريقة القوم مصونة من الآفات ، ومحفوظة من الدعاوي والارتباكات[1] . ونحن منهم أيضاً ، بل أدناهم ودونهم إلا أن تداركنا رحمة ربنا بحسن ظننا بالله وبعباده الصالحين فقط . فلأجل ذلك لازمٌ علينا القيام التام على رعاية الأذكار والأوراد ، مستعدين وفق الطاقة بكمال الاستعداد .

ومن الناس من يتعرَّضون عن الطرق بناء على اختلاف الواقع في الطرق - كما كان الفقير كذلك مدة - إلى أن يمنّ الله لنا حصة حسن الظن لجميعهم ، وذلك التعرُّض إنما يقع منه[2] - سامحهم الله تعالى منهم - لجهلهم اصطلاحات أربابها ، لما أنه يقع الاختلاف في التعليم حتى

---

(١) وفي نسخة : الارتكابات .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي نسخة (منهم) سامحهم الله تعالى .

باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح ، وسبب الاختلاف فيه مع انفراد القصد وعدم ما ينافيه هو اتساع المجال في طريق الأعمال ، خاصة في هذه الطريقة الشاذلية السنية ﴿**فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ**﴾ وكلها مقررة في كتب القوم ، كما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وقد قالوا : إن للذاكرين قواعد اصطلاحية فللنقيب أن يراعيها ، وعلى حالة مرضية وأصول شرعية يلزمه أن يجريها ، وعلى الخصوص اسم الصدر[1] يراعي فيه عدم تغيير الاسم ما دام المريد مالكاً لحاله ، وله قوة على ضبط أحواله ، وأما إن غلب عليه الغرام ! وحكم على ذاته سلطان الاصطلام[2] فالأمر واسع عند أربابه وللعارفين حكم على أسبابه ، فلله درُّ من قال :

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا   وخامرنا خَمر الغرام[3] تَهتكنا

فلا تلم السكران في حال سكره   فقد رُفِعَ التكليف في سكرنا عنَّا

وأما إن كان الجمع قليلاً أو حصل مانع فيقتصرون على قراءة الصلاة المشيشية المذكورة ثم يشتغل كلُّ بورده منفرداً .

وذكر السر ليس له حدٌّ محدود ، **ومن استغرق في الذكر فقد استغرق في بحر مدد الله العظيم** ، ﴿**وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ**﴾ وهكذا مذكور في « الأنوار » ، والله يحكم في عباده ويختار .

ثم إن من المعلوم لديكم **أن نور الذكر وترقِّيه قدره يكون على قدر**

---

(١) وهو الله ، علّه .

(٢) الاصطلام : الاستئصال . « مختار » .

(٣) والغرام : الولوع ، وقد أغرم بالشيء أي : أولع به « مختار » .

حال الذاكر ومقام المريد وترقِّيه يكون بقدر مقام شيخه عنده ، لما أن مقام المريد عند الشيخ يكون على قدر مقام الشيخ عند المريد بلا فرق ، وقد يتعرض[1] المريد على الشيخ ، بقلة ملكة الشيخ أو بعدم حصول نتيجة ما من الصحبة معه ، وذلك لجهالته وعدم ذوقه وخراب عقيدته ، **لما أنه يريد من الشيخ أمانيه ولا يريد تخليص اعتقاده** ومحبته للشيخ إلا أثراً كاذباً من الظاهر ، **وليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرد إرادته** مع عدم خلوصه ومع خراب اعتقاده ، وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط ، واستعداده لذلك بالصدق المرغوب وإلا فلا يحصل له المراد ، ولا يصل إلى المقام بمجرد المصاحبة بالانتقاد ، ولو كان شيخه قطباً أو غوثاً فرداً جامعاً ! ويكفي شاهداً لأمثاله ما شاهد في النبي ﷺ وأصحابه ؛ لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى عليه بقوله عز وجل ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ كيف لم يقدر منه ﷺ إتيانه إلى الحق بذلك الاجتهاد والجهاد العظيم لعدم رؤيتهم إياه رسولاً ؟ بل ساحراً أو مجنوناً ! وكيف فاز من فاز بمجرد رؤيته حتى عُدَّ من أهله ! كسلمان رضى الله عنه ، وبمجرد سماعه ؟ كأويس القرني حتى صار معشوقاً لرسول ذي الجلال ، كما قيل :

فموسى[2] الذي ربّاه جبريل كافر ... وموسى الذي ربّاه فرعون مرسل

---

(١) يعترض عله (منه) .

* ويقال أن الأخوين إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل ﴿**أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ « الإحياء » ١٥٨ ج٢ من الجلد الكبير .

(٢) وهو السامريّ ، كان ولد الزنا وقد طرحته أمه إلى الصحراء فربّاه جبريل عليه السلام ، وكان اسمه موسى ، راجع (منه) .

ثم اعلم أيها المأمون أن المحققين من أهل هذه الطائفة قالوا : إن وجود الصادقين في هذا الزمان قليل لاختفائهم حذراً من فتنة أبناء الزمان ، وذلك لكثرة المدعين لهذا الشأن فالمدَّعون كثيرون ، والمخلصون قليلون ، ولا نزكي أنفسنا أيضاً ، وقد اشتبه الأمر على طلابها وتاهوا من الدخول في بابها ، وعمَّت الفترة ، وما نفعت الكثرة ، لأجل استغراقهم في أسباب جمع الحطام حلالاً أو حراماً ، فإذا كان أكثرهم على هذا ! فالويل لأمثالنا المفلسين ، سوى أنا كيف كان لا نيأس من رحمته لمجرد حسن الظن على الله تعالى وعباده ، فلعل الله تعالى أن يجود لنا بفضله ، ويعاملنا بكرمه والله تعالى ولي التوفيق .

وقولكم لقَّنت أوراد الشاذلية إلخ ، لكن علَّمتهم بأنّ كيفية ذكر النفي والإثبات على ما هو المفهوم من كتبهم هكذا مع نقش دائرة هكذا[1] :

مثلاً أقول : جزاك الله تعالى عني بخير حيث تتبعت آثارهم عند الضرورة بما في كتب القوم ، بيد أن الفقير معذور عن الإجابة لهذا الأمر ، لأجل أن ساداتنا لم يفصلوا لي ذلك كذلك ، ولم أقع على مخلص[2] ذلك في الكتب ، إلا أن قالوا : قولوا (الله الله) ، أو (لا إله إلا الله) بالقوة القلبية . فأمر ذلك مفوّض إليك فأنت أمين سرّ الله سبحانه وتعالى - إن شاء الله تعالى - فيما لا يخالف الشرع النبوي عليه الصلاة والسلام . ونسأل الله تعالى ونرجوه بجوده

(١) يبتدئ بـ (لا إله) من السُّرَّة إلى الجنب الأيمن ويجرُ منه (إلا الله) ويضربه على القلب كما هو مذكور في « النور الساطع » . (منه) .

(٢) كذا في « الأصول الخطية » ، وفي هامش أحدها : علّه ملخص .

وفضله وكرمه أن يفتح بصائرنا للحق بالحق والصدق ، ويجعلنا معكم أمناء الدين الحق ، والله تعالى يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم إني أوصيكم بما أوصى به ساداتنا بتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلانية ، ورعاية المداراة التي لا تخالف الشرع مع أبناء الزمان لأجل المصلحة العامة ، وأن تدعو لولاة الأمور بالتوفيق والنصر ، وبصلاحية ذات البين ، والأمر لله تعالى وليس لنا من الأمر شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

وأوصيكم أيضاً بالاجتهاد التام لتوسيع نطاق الحلقة ، ولو بإقامة آحادٍ من الخلفاء في كل محلَّة ؛ مَنْ هو متأهل لذلك لأجل المصلحة ، وعسى الله تعالى أن يبقي لكم محاسن هذه الطريقة في ديارنا مدى الزمان ، ويكون سبباً لاندراس طرق المبتدعين والبدع ، وما ذلك على الله بعزيز .

ولقد كنت من قبل أدعوكم بالله بتقليل الأتباع في الطريقة النقشبندية بناء على قلة رعاتها فضلاً من الخلص الصادقين ، وذلك لئلا يكثر الشياطين بكثرتهم ، كما كان أربابها يوصون قبلي بذلك ، بيد أن **بعض الأحكام يختلف باختلاف الزمان لأجل المصلحة الدينية** ، وسوى ذلك : أن في هذه الطريقة وسعة عظيمة ، وذلك من الله تعالى فضل ورحمة ، ومع ذلك لا بدَّ لكم من تلقين النقشبندية ، ولو لبعض المتأهلين من رأيت لذلك أهلاً بلا تركها بالكلية ، فساداتهم شموس الهدى ، وأتباعهم نجوم في الاهتداء . قدس الله أسرارهم وجعلنا في بركاتهم آمين ، انتهى من خطه رضي الله عنه .

وسألته رضي الله عنه عن ترتيب أوراد الشاذلية ، من الاستغفار ، والصلاة على النبي عليه السلام ، والنفي والإثبات ، والصلاة المشيشية الممزوجة ، فبأيٍّ نبتدىء ونقدم من هذه الأوراد ؟ فأجاب بقوله رضي الله عنه : **لك اختيار للتقديم**

والتأخير نظراً إلى حصول الحضور بأيِّ كيفية رأيتها . ولقد كنت سألت من الشيخ حين عاهدت معه بتقديم الصلاة المذكورة المعهودة بينهم عن الذكر بالنفي والإثبات فأجاب : بأنه ﷺ هو الوسيلة المحمودة إلى ذكر الله تعالى ، **فتقديم الوسيلة للتوسل إلى ذكر**[1] **مستحسن** . وكان يقدّم الصلاة من الذكر مرة ، ويؤخّر مرة . وفي بعض الأوقات كانوا يقدِّمون الصلاة المعهودة[2] من الذكر ثم بعد الذكر كانو يصلّون بالصلاة المعروفة : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم . يصلون بها عدداً ، فأنت تفعل في حق ذلك بما رأيته حسناً . والله ولي التوفيق . انتهى من خطه نفعنا الله تعالى به آمين .

وسألته رضي الله عنه عن كيفية توجُّه الشاذلية . فأجاب بقوله : **أقول إنَّ التوجُّه هو التوجه المعروف في النقشبندية** ، بيد أن الرابطة من خصوصها ، ولم يأمرني الشيخ بالرابطة في هذه الطريقة سوى قوله : ينظر الشيخ بنظر روحانيته إلى روحانية المريدين . ومراده من ذلك توجُّهه بالقلب إلى قلوبهم ، لما أن **للشيخ وقتاً يفنى في المريد كفنائه في الشيخ** . **وهذا دقيق** فتأمله . انتهى من خطه رحمه الله تعالى .

وسألته رضي الله عنه عن الرابطة في هذا الطريق بذاتِ مَنْ يفعلها المريد فأجاب : أما الرابطة بذاتي فحاشا بذلك ، وأستعيذ بالله تعالى من الاستدراج والأمر بذلك وبأمثاله ! وإن كنت تريد التوجه كيف كان بالرابطة وإن لم أعهد منهم ذلك فالأليق لك بالقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذلي قدس سره العلي فمنه بلوغ المأمول ، وبواسطته حسن الوصول ؛ وصورته في الكتب مسطورة والله تعالى يوفقك إن شاء الله تعالى برؤية روحانيته أو بروحانية جدِّه عليه الصلاة والسلام . وما لي أن أتكلم وراء ذلك لئلا تقع

---

(١) وهكذا في « مفتاح الفلاح » . (منه) .
(٢) وهي الصلاة المشيشية .

العثرة أو الهفوة إن تجاوزت ، والله أعلم بالصواب . انتهى من خطه قدس سره . وسألته ﷺ مرة أخرى عن هذه المسألة المذكورة فقال : إني أرابط مرة بالشيخ محمد علي الظاهري الوتري ، ومرة بالشيخ أبي الحسن قدس سره . انتهى . قال ذلك بفمّه مشافهة .

وسألته ﷺ مرة أخرى عن تلك المسألة وقد كررت السؤال ، لما أنّ بعض الناس يطلبون الرابطة حين رأوا النقشبنديين يفعلونها . فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : **وأما ما قلت في حق الرابطة للشاذليين فمستحسن ، بل هي من محسّناتهم وهي كما عند النقشبنديين!** ويرابط السالك إما بذات القطب الغوث الفرد أبي الحسن الشاذلي - جعلنا الله تعالى في بركاته - أو بذات السيد محمد علي الظاهري الوتري المدني .

وأما قولكم : هل لا يجوز لي ولهم أن نفعل الرابطة بذاتي[1] ؟ فالجواب لذلك أيها الأمين : **إني لا آمر لأحد أن يفعل الرابطة بذاتي ما دمت في قيد الحياة ، وبعد الممات يفعل المريد على من شاء من السادات ، بذات من رسخت في قلبه محبته ، كما قال لي بذلك مولانا زين الله الشريفي المعموري قدس سره** ، وإني أستعيذ بالله من أمر لم يأمر بها ساداتنا سرج الهدى ومصابيح الطرق ، فإنما نحن في منهجهم وفق الإمكان ففي ذلك الغنيمة والإحسان . انتهى من خطه رضى الله عنه . **ومن هذا الكلام يفهم كون الإذن لرابطة ذاته قدس سره بعد مماته** . والله أعلم .

ومما ينبغي إيراده هنا - وإن كان خارجاً عن المقصود - ما كتبه قدس سره إلى الفقير الحقير قال ﷺ في أثناء مكتوبه : **ثم اعلم أيها الولد الأمين أن الطريقة العلية النقشبندية أفضل الطرق وأعلاها ، وأحوط المسالك وأصفاها** لخواصّ اشتهر لأربابها ، وأمور لا يعرف إلا ذويها ،

(١) أي بذات سيف الله (منه) .

لكن مع ذلك طفقت غريبة واقعة بأيدي الجهال مقلوبة ، وعن مسماها متفرقة بكثرة دعاويها مع عدم معرفة اسمها ومسماها ، وجهل اصطلاحاتها ورسومها ، **فلم يبق ظاهراً من أهل هذه الطريقة العلية إلا النادر فالنادر** ، وذلك مع التسمية لعالمها بالكذَّاب الغادر ، وإنْ اجتهدتم إلى جمع الناس إليها فمحال أن يقبلوا إلا بتخليط بعض البدع المستحسنة من الدجَّالين ، وإلا ! فلا يقبلون تلك الطريقة بسبيلها الواضح وسندها الناجح ، إلا الفرد بعد الفرد من الرجال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ! فإن صرت لا تقبل إلا المستعد الصادق ، أو الصالح الصَّفي الفائق ، فتبقى حميداً وحيداً ، وعن تربية السالكين جليداً جميداً إلخ . .

وإذا كان الحال كذلك لازم عليكم قطع النظر عن ذلك إلا إلخ . . وتربية الراغبين كيف كان ، وتكثير السواد منهم بجمعهم على مقتضى الإمكان . وقد كنت نهيتكم عن ذلك من قبلُ ، رعايةً لآداب أهل العرفان ، والله تعالى كل يوم في شأن .

ومع ذلك **لما كان تلقين الذكر للمريد في هذا الزمان في الطريقة النقشبندية باسم الإرشاد لقلة الصادقين خطراً ، وتلقين المراقبة لغير أهلها خطأ وعذراً ! رأيت أن نصحب معها الطريقة العلية الشاذلية الجهرية ، مستمنحاً من فيض فضله تعالى ونواله** ، بناء على أن سادة القوم ممن اختصهم الله تعالى بمحبته . وقد وردنا من أشياخنا السادات أن أكثر القوم يعكفون[1] في آخر الوقت إليها لأجل وصول أثرها سريعاً للسالكين المبتدئين ، لجهرها وسهولة مأخذها ، إلا لبعض النوادر الصادقين في الاستعداد ؛ الذين لهم قوة للخوض في أي بحر شاء .

وقد كنا تربصنا زماناً للجواب لاستعفائي عن إظهار هذه الفضيلة

---

(١) وعكف على الشيء : أقبل عليه مواظباً ، وبابه دخل وجلس « مختار » .

وإشاعة هذه الموهبة ، **فلما ظهر نور السعادة ولاح ، وكاد أن يرتفع غيم الظلمة وقرب الصباح ، بلغني الأمر المهم من سادات القوم بإجراء أمور الشاذلية ، من طريق الموهبة اللدنية** ، وإن كانت القسمة الكاملة والإجازة التامة في ذلك أزلية ، فأردت إظهارها – إن شاء الله تعالى – لما أن « كلٌّ ميسّر لما خلق له » . **فالتفت يميناً وشمالاً ، وجرَّبت فحولاً وجيلاً ، فلم أرَ أميناً لوضع هذه الأمانة ، وحافظاً لجوهرة هذه القلادة أعزَّ عندي ثقة وخلوصاً منك! فوضعت هذه السلسلة على مفاصلك لتؤدي حقوقها رغماً للدهر وأهله ، وإعانة لمشقة العصر وجورهِ** ، وأرجو أن تقبلها بقلب صحيح ورأي صميمٍ صريح ، فخذها نافلة لك عسى أن يبعثك مقاماً محموداً ، ويجعل سعيك مشكوراً ، فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمين ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، **فيدك يدي ، وأمرك أمري ، وأنت خليفتي في حياتي وموتي** . وأرجو منك تقوى وإطاعته ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، إلى آخر ما قاله قدس سره من خطه .

وسألته رضي الله عنه حين طلب الناس مني المجيء إلى قراهم للتلقين والتعليم ، هل يكون الخير في الإجابة ، أم في القعود في البيت وعدم الإجابة لدعوتهم ؟ فكتب في الجواب بهذه العبارات :

أقول : إني التمست منك ذلك غير مرة ، وكم مرة كتبت إليكم بهذه العبارات ! كنت آمركم من قبل بتقليل الأتباع ، فالآن أسألكم بتكثيرها **فاعلم أيها الولد** أن الأمور مرهونة لأوقاتها ، وفي كل يوم هو تعالى في شأن ، وهذا الوقت وقت لا أقدر أن أصفها كما هي ! بيد أن الفقير يلتمس منك الاجتهاد بالكلية بالسعي والتلقين والتعليم وفق طاقتك ، **وأن تشمِّر ذيلك في نشر طريقتك ولو بأيِّ جدٍّ؛ لما أن ذلك منك جهاد عظيم ، خاصة في هذا الزمان الذي آل إلى الفساد والفتن** . فعليك أيها الولد بذلك المهم العظيم ، وكن مغناطيس الوقت لجذب القلوب إليكم ، والله تعالى

يوفقكم إلى صالح نياتكم . انتهى من خطه نوَّر الله تعالى ضريحه .

ومما كتبه قدس سره هذا المكتوب الآتي ، وهو آخر مكتوب كتبه بيده الشريفة باسمي ، وخاتمة رسالة أرسلها لديّ قبيل موته . ختم الله لنا بخير ، ونوَّر ضريحه ، وجعله فرطاً لنا ولأحبابنا آمين .

قال قدس سره : من العبد الآبق من مولاه خالد سيف الله إلى ولده وقطعة خَلَده ، أمين سره ، وسرور قلبه ؛ حسن أفندي وإلى حليفه ، وخليفه ومهربان[1] سره وسروره ، حبيبنا الحاج حبيب الله ، وإلى أولادهما وعيالهما ، والمرادين والمريدين أهل التقى والدين . السلام عليكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم ، وكان الله معكم ، وجعلكم من شرذمة السادات القادات الذين قال تعالى في حقهم : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وبعد ! فإني أستودعكم الله تعالى من كل ما يورث لكم الندامة ، ومن كل ما يطغيكم ، وأسأله تعالى أن يجعلكم خلَفاء في الأرض ، ورثة للأنبياء ، وأسوة حسنة للمقتدين والمتجردين والصالحين ، وأوصيكم بالاستقامة وترك الدعاوي بالكرامات ، فإن نسبتكم السنية النقشبندية والشاذلية تدوم وتنمو يوماً فيوماً ، وتبقى هاتان النسبتان إلى آخرها صافية عن الكدورات ، مصونة عن البدعات ، رغماً لباقي المتشيخين . فإنّ آثارهم عن قليل تزول ، ولا يحصل لهم منها إلا الفتن والنزول . فاجتهدوا فيما كنتم عليه من الوراثة العظيمة ، وإن سبب أفول نجوم المتشيخين إنما هو بسبب كثرة دعاويهم بالمشيخة[2] مع عدم الإذن من شيخهم ، إلا بالافتراء على شيخهم بالأكاذيب القولية والعملية لمجرد حوز الحطام ؛ كما هو معلوم لكل أمين لبيب ، وسيظهر لكم بعد الآن منهم رجلٌ يكون سبباً عظيماً في إبطال الطريقة باختراع بدع فيها ، ولا يطول أمره أيضاً ؛

---

(١) وفي نسخة : قهرمان .

(٢) مَشْيَخَة : بفتح الميم والياء بوزن متربة . « مختار » .

فأصحابه يكونون فتَّانين للخلق زمناً يسيراً ، والله تعالى يحفظ دينه القويم . ثم اعلم أيها الولد الحبيب أنّ شأن الدنيا هكذا ! كل وقت تؤخر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص . وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم ، بيد أن الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ، ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته دهري بَلعَلَّ وعسى ، بيد أن الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا من خصه الله تعالى لها . **وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده وفي جميع الإجازات التي أجزت فقد أجزتك في جميعها** . وكذا في الثبات العلمية والطريقية والأويسية ، فإن ساعدني الإله في الأجل ولو قليلاً فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح الخان كرماني ، ومحمد نور البخاري ، وشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني ، وما لم تصل لنا الشجرة[1] بالرسم إلا بالقول المحض فلا نذكره ، فلا حاجة لذكرها وإطالة القول ، والله تعالى ولي التوفيق ، وبيده أزمَّة التحقيق .

ثم إني في هذه الأيام لفي ضعف ووهن ، والحامل ولدي غَزَمِّ يخبركم عن الحقيقة ، ولقد هممت غير مرة لدعوتكم لأراكم قبل أن أرتحل من هذه الفانية ، بيد أن أموراً مَنَعَنِي عن ذلك ، **ورؤية القلب والبصيرة آكد وأولى من الرؤية بالبصر ، وأنتم عن فؤادي لا تزالون ، وفي صميم قلبي نازلون** ، وقد أودعتكم ولدي أرسلان حسين ، فكونوا له آباء وإخواناً ، ولا تقطعوا عنه نصائحكم ، فعسى الله تعالى أن يجعله من صلحاء الأمة ، كما أخبرني وبشرني به سيدنا ومولانا الكيلاني قدس سره ، وعسى الله تعالى أن يظهر سرّه ، وذلك على الله يسير .

---

(١) وهي كناية عن صك الإجازة ، فافهم . (منه) .

وأما أمور هذا الزمان فهي كالطوفان تعمُّ الخلق ، ولا يخلص منها إلا النادر الشاذ - وأرجو أنكم منهم - فكونوا على بصيرة في كل أهبة مع مَن تبعكم كما قال تعالى ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وإياك والاستعجال بالإجابة بدعوة كل أحد ! لما أن الداعين ليسوا إلا لأغراضهم الشخصية ، وعسى أن يدعوكم داعي الحق للحق بالحق ، والله مع الصابرين . واقتصرت في الكلام بالضرورة لعدم الطاقة لرسمه ؛ هذا والسلام عليكم ومن العيال ألوف التسليمات ، وصنوف الدعوات ، وأوصيكم بالدعاء ، وباقي الأحوال منوطة للحامل غَزَمِّ يخبركم ، ثم إن ما كتبت في حق فلان[1] فقد قطعت النظر عن كتبتها فقد ابتلي بالتلبيس - عياذاً بالله تعالى - ولا يطول أمره ، بيد أن المداراة مع أمثاله من علاجات أمراض الزمان فافهم . ومني التسليمات لجماعتكم صغاراً وكباراً ؛ ذكوراً وإناثاً ، وأوصيهم بالدعاء . انتهى من خطه قدس سره . فهذا آخر مكتوب كتبه لديَّ قبل وفاته .

---

(١) قوله فلان ، قد كان الشيخ قدس سره كتبه بذكر اسمه صريحاً ، لكني كرهتُ أن أذكر اسمه في الكتاب إلاّ بالكناية خوفاً من الفتنة ، وكان الرجل ممن أخذ عنا أوّلاً ، بَيْدَ أنّه أساء معنا الأدب ثم ذهب لدى الشيخ سيف الله قدس سره وعلّمه الشاذلية لكن أساء أيضاً معه الأدب ، وقال له : لو علمتُ أنّك لا تلقنني إلاّ الشاذلية لما جئتُ لديْك أبداً . وقد رأيت في المكتوب الذى كتبه الشيخ بخطه ما حاصله : أنّه تكلم بكلمة لو ألقيت في البحر لا نكدر به . فبشؤم سوء أدبه مع أشياخه قطعوا عنه النظرات فتغيّر حاله وادعى بعد ذلك القطبانية العظمى ، وزعم أنّه خليفة النبي عليه السلام وتكلّم بكلمات عجيبات مموّهة مزخرفة ، وارتكب أموراً ليس لها أَصْل ولا أثر . وقال : إنّه ليس في الدنيا طريق يفتح به باب الوصول إلا طريقته ، وإن طريقته ناسخة لجميع الطرق ، وصَنَّفَ كتاباً كأخبار الجنّ ، فلذا كنت سألت الشيخ رحمه الله عن أحواله بالقلم ، فكتب في الجواب هذه العبارات وقد ظهر الآن أمره بين الناس كنار على علم ، وافتضح وودعه الخلق بالسلام ، فللّه در القائل : من تزيّن بما ليس فيه فهو يفضحه مجربات الزمان . فنعوذ بالله من تلبيسات الشيطان وتسويلات النفس . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

لكن لاقيت معه بعد ذلك ، وألبسني خرقته البيضاء التي أورثها من شيخه قطب الوقت زين الله الشريفي المعموري الترويسكي قدس سره بيده المباركة ، والحال أنه قائم وأنا أيضاً قائم ، ودعا لي بـ : اللهم ألبسه لباس التقوى ، ولم أفهم من دعائه إلا هذا اللفظ . وقال بعد ذلك : يا ولدي إن واحداً من قوم فرعون لبس عليه مثل لباس موسى عليه السلام ، استهزاءً به وسخرياً ، ولأجل ذلك نجا من الغرق حين يغرق فرعون وقومه . قال ذلك لإعلام حصول البركة من لبس تلك الخرقة ، فحصل لي بعد لبسه حيرة ودهشة وبكى الحاضرون ، بل بكى بسبب رؤيتها الناظرون ، وكان هنالك الحاج حبيب الله وسَكِتَوْ وغزم ، وحين خرجت من المجلس لاقاني أخونا المحبوب العالم القاضي حبيب الله القحي فصاح صيحة ، وبكى بكاءً . وهكذا قد أثَّر برؤيتها الناس ، وأقرَّ الكل بتأثيرها . وقال الشيخ قدس سره وقتئذ : هذه الخرقة ألبسني الشيخ محمد مراد القزاني[1] صاحب « معرب الرشحات والمكتوبات » بأمر الشيخ زين الله المذكور ، لأنه كان لا يقدر أن يقوم لوهنه وضعفه ، وقال : هذه خرقة النقشبندية وسيصل إليك يا ولدي خرقة الشاذلية . انتهى .

وبعد المفارقة مرض هو في أيام ، وقال مَن كان معه بأنه لم يزل يذكر هذا الحقير الأقلَّ من كل قليل إلىٍ آخر نَفَسِهِ ، حتى قال قبيل خروج روحه : هَيْ أَمَنْ حسن ما رأيتك جمعنا الله تعالى معك في دار السلام . انتهى . وأوصى قدس سره قبيل الموت بإعطاء تلك الخرقة إلى يد هذا الحقير ، فجزاه الله تعالى عنا وعن أهلنا وأحبابنا خيراً ، ولا حرمنا من بركاته وبركات أشياخه آمين . وقد كان قدس سره يَحُلّ[2] لنا كل إشكال ،

(١) وفي نسخة : المنزولي .

(٢) حلّ العقدة : فتحها ،فانحلت وبابه ردّ « مختار » .

ويكتب إلينا الغرائب وينصحنا ، وعندنا من مكاتبه ما يعسر عدُّها ، وقد جمعتها في مجلد ، وكان قدس سره يلاطفنا ويدارينا ويلاحظنا في المضرات والمسرات ، ويظهر الرضاء عنا ، وإن كنا غافلين قاصرين . أعاذنا الله تعالى من المكر والاستدراج آمين .

ومما كتبه قدس سره باسم الفقير الحقير هذه الأبيات الآتية وقد كتبتها هنا للتبرك .

يا حبيب القلب بالي في الخطوب[1] في أمور ليس لي غير الصعوب
يا أنيس الروح مالي مونس غيرك المرجوُّ في خطب الكروب
طيفك الميمون في قلبي سرى سيرك المحمود علام الغيوب
أنت نِعْمَ الِخل يا نجم الهدى أنت سرِّي أنت مفتاح القلوب
كيف لا أنت سرور الفقراء يا وَصيَّ القطب مفتاح الشعوب
عجباً كيف أتى تاريخكم جاء فيَّاضاً لإحياء القلوب
سيفك المغلول ساهٍ بالضنى يا حبيب القلب بالي في الخطوب

وكتب أيضاً :

أنا راضٍ منك يا كلَّ المنى بالذي تهوى على حكم الغرام
لست أبغي من زماني حاجة غير أن تحيا سعيداً والسلام

انتهى من خطه

غيره :

سلام على شوقي لمن كان غائباً سلام على صبري وإن ساءه فعلي

---

(١) الخطب : سبب الأمر ، تقول ما خطبك ، قلتُ قال الأزهري أي ما أمرك ، وتقول : هذا خطب جليل وخطب يسير ، وجمعه خطوب . انتهى « مختار » .

سلام عـلى نــور الهـدى وأمـينه   سلام على حاوي الـمحاسن والفضل
أودِّعكـم والـقـلـب غـير مـودّع   وأدعو لكـم بالخير في سَجف الليل

انتهى من خطه .

وقد أكثرت الكلام في هذا الترغيب بكتبة مهمات من مكاتب الشيخ المذكور قدس سره مع أن مقصود الكتاب ليس إلا الترغيب ، لأن في هذه المذكورات تنبيهات نفيسات لمن تأمَّل وتدبَّر ، فلعل الولد المعلوم لا يسأم ، **فإن سآمة الولد لكلام الوالد من علامة سوء الخلق ، والاعتراض على فعله سمٌّ قاتل من حيث لا يدري** ، وإني ما كتبت في هذا الكتاب شيئا ما إلا لحكمة أعلمها ، فمن كانت بصيرته صافية يدركها وينتفع بها ، ومَنْ لا فلا ، والله ولي الهداية ومولي النعمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

الترغيب الثامن
في بيان آداب الذكر

أيها الولد قد مرَّ أن الذكر عبارة عن طرد الغفلة ، وأن الداعي والسائل ذاكر . . وإلخ وإلخ ، فينبغي لك أن تتعلم الآداب وتستعملها في مواضعها سواء كنت في الذكر ، أو في الدعاء والسؤال ، أو في التعليم والتعلم ، أو فى القراءة والتفهم فإن التصوُّف كله أدب ، وبه وصل من وصل ، وبتركه حُرِمَ من حُرِمْ ، ومن المعلوم أنّ من أساء الأدب عند الملك أو السلطان من خدمائهما رُدَّ إلى الباب ، ومن أساء عند الباب رُدَّ إلى إصطبل الدواب . فكلَّما يعده الناس أدباً مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى ، وعكسه بالعكس فافهم . فأقول وبالله التوفيق : قال سيدي عمر بن

سعيد الفوتي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم » اعلم أن للذكر آداباً لا بد من مراعاتها ، ثم اعلم أن المراد من الذكر تحقيق الأنس بالله تعالى والوحشة من الخلق . **وآدابه اثنان وعشرون** : خمسة منها سابقة على التلفظ بالذكر :

أولها التوبة : وحقيقتها ترك ما لا يعنيه ، قولاً وفعلاً وإرادة .

والثاني : أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث .

والثالث : السكوت والسكون .

والرابع : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر همَّة شيخه ، ويستحضره ، ويلاحظه ، ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ، ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الحاجة جاز . قال الشيخ جبريل الخرمابازي[1] قدس الله تعالى سره العزيز : فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدُّ منه ، إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية ، وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية ، فالذاكر إذا تصوَّر شيخه واستمدَّ من ولايته تفيض الإمدادات من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ﷺ ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على استعمال الآلة أي الذكر ، إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث[2] ويقع محصِّلاً للغرض ، وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر ، قال ﷺ : « الذكر سيف الله » ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة بني السيف ؟ فإذا استمد من شيخه جاءه المدد

(١) وقد مرّ فى الترغيب الأول . (منه) .

(٢) وهكذا في النسخة التي عندنا ولعله يؤثر ، فافهم . (منه) .

لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ ، لأنه نائبه .

واثني عَشر منها في حال الذكر :

أولها : الجلوس على مكان طاهر متربعاً ، أو كجلوسه في الصلاة مستقبل القبلة إن كان وحده . وإن كانوا جماعة فيتحلَّقون . وفرَّق بعض المتأخرين بين المبتدىء والمنتهي ! فقال : إن المبتدىء يكون كجلوسه في الصلاة ، والمنتهي يكون متربعاً .

والثاني : أن يضع راحتيه على فخذيه .

والثالث : تطييب مجلس الذكر ، والبدن ، والفم ، وبعد الرائحة الكريهة ، لأن مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمني الجن ، **والروحانيون لا يقبلون الروائح الكريهة ، فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق** .

والرابع : لبس اللباس الطيب حلاًّ ورائحة .

والخامس : أن يكون المكان مظلماً ، حتى أن لو كان هناك سراجاً أطفأه إن كانوا في خاصة أنفسهم ، وهذا إن أمكن المكان المظلم .

والسادس : تغميض العينين لأنه أسرع في تنوير القلب ، فبتغميض عينيه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، **وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب** .

والسابع : أن يخيِّل خيال شيخه بين عينيه . وهذا آكد الآداب .

والثامن : الصدق ، وهو استواء السر والعلانية .

والتاسع : الإخلاص ، وهو تصفية العمل من كل شَوْب[١] ، بأن يفرغ قلبه عما سوى الله تعالى ، حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ، ولا ثواباً ولا ترقياً ، وإنما يذكر الله تعالى حباً في الله كما قال :

أحبُّك لا لي بل لأنك أهله   وما لي في شيء سواك مطالع

وبالصدق والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصِّدِّيقية[٢] وهي أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه ، وإن لم يظهره كان خائناً[٣] والله لا يحب الخائنين .

والعاشر : أن يذكر بهمَّة تامة ويميل برأسه إلى الجهة اليمنى بـ(لا) ويرجع بـ(إله) إلى جهة صدره ، وبـ(إلا الله) إلى جهة القلب وهو اليسار تحت الصدر الأيسر ، ويقتطفها من سُرَّته إلى قلبه ، حتى تنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديّة ، ويخفف ويمد الألف مداً طبيعياً أو أكثر ، ويفتح الهاء من (إله) ويسكِّن الهاء من (الله) .

قال الشيخ يوسف العجمي رحمه الله تعالى : قد اعترض بعض الفضلاء على الذكر بالجهر مستدلاً بقوله تعالى ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** ﴾ وقوله ﷺ : « خير الذكر ما خفي » وأجاب الشيخ يوسف المذكور فقال : إن الله تعالى خاطب عباده بمثل قوله ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ وخاطب الخاصة بقوله تعالى ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ** ﴾ وخاطب سيد أهل الحضرة محمد ﷺ بعد أن عرَّفه بنفسه وبربه

---

(١) الشوب : الخلط وبابه قال ، والشائبة واحدة الشوائب ، وهي الأقذار والأدناس « مختار » .

(٢) عبارة « المتممات » : التاسع : الإخلاص لأنه يصل به الذاكر إلى درجة الصديقية ، بشرط أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه . . إلخ . وراجعه في١١٧ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وحرم الفتح « متممات » .

بقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ فمن لا يعرف نفسه ولا ربه فكيف يذكر ربه في نفسه ؟ بل هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وأما الذكر الخفي ! فهو ما خفي عن الحفظة ، لا ما يخفض به الصوت ! وهو أيضاً خاص به ، وبمن له أسوة . وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته ! فقال النبي ﷺ : دعه فإنه أوَّاه والأوَّاه رقيق القلب .

وروي : أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر ، فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب ﷺ أن قوُّوا الذكر أي ارفعوا أصواتكم . قال الشيخ يوسف المذكور : والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما ، وبين الحديث والأثر : أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة ، وأما إذا كان الذاكر وحده ! فإن كان من الخواص فالأولى في حقه الإخفاء ، وإن كان من العوام فالأولى في حقه رفع الصوت .

والحادي عشر : إحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة ، ويصغي حال الذكر إلى قلبه مستحضراً للمعنى ، حتى كأن قلبه هو الذاكر .

والثاني عشر : نفي كل موجود من القلب سوى الله تعالى بـ (لا إله إلا الله) ليتمكن تأثير (لا إله إلا الله) بالقلب ، ويسري إلى الأعضاء .

وخمسة بعد الفراغ من الذكر :

الأول : أنه إذا ختم سكت وسكن ، واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه ، مترقباً لوارد الذكر ، فلعله يرد عليه وارد في لمحة ، ويغمر وجوده في لحظة ما لا تغمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع ، أو تحمل أذى ، أو سخاء ، أو كشف ، أو محبة ، أو غير ذلك . فإذا سكت وسكن وختم نفسه مراراً دار الوارد في جميع

عوالمه ، فيجب عليه التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب .

والثاني : مراقبة الله تعالى كأنه بين يديه .

والثالث : أن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة ، كحال الهرة عند اصطياد الفأر .

والرابع : يذم نَفَسه مراراً حتى يدور الوارد في جميع عوالمه ، لأنه أسرع في تنوير البصيرة ، وكشف الحجب ، وقطع خواطر النفس والشياطين ، **لأنه إذا ذم نفسه وعطّل حواسَّه صار يشبه الميت ، والشيطان لا يقصد الميت** .

والخامس : عدم شرب الماء إثر الذكر ولا في أثنائه ، لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجلِّيات والواردات والشوق والتهييج إلى المذكور ، وشرب الماء يطفىء تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية ، وكلما كثر كان أحسن ، حتى إن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية . انتهى ملخصاً من « الوصايا القدسية » و« تحفة الأحباب والخلان » والله تعالى الموفق بمنه للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب . انتهى عبارته ٤ ج٢ .

أقول - والله المستعان - قول يوسف العجمي المار ذكره آنفاً : (وأما الذكر الخفي) إلى (وبمن له أسوة) دليل صريح للنقشبنديين ، فإن مبنى طريقتهم على إخفاء الذكر ومنع الجهر ، وقد تعنعن الذكر الخفي من الصَدِّيق الأكبر رضي الله عنه ووصل إلى المشائخ بالتسلسل ، وبكابر عن كابر ، وهم الذين لهم أسوة بالنبي عليه السلام ، وابتداء طريقتهم انتهاء غيرها ، وقد بقي هذه الطريقة على أصلها لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها شيئاً ، وأخذوا العزيمة التي لا إمكان لحصول الآفة فيها بنحو رياء أو عجب ، ولا مجال لإحباطها ، وهي الذكر الخفي القلبي الذي يزيد ثوابه على غيره

بسبعين ضعفاً ، كما ورد به الحديث ، وقد قال صاحب « شرح تائية السلوك » : فرُبَّ ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى . فإن قلت : فقد قيل إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ، ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد ، فلمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري ؟ أقول إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع ، فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ، ولكل واحد منهم وجهة مقبولة ، ولهم دلائل من الكتاب والسنة ، وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع . فإذا فهمت هذا علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها ، فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر ، وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء ، وعدُّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية ، وإن كان مستحسناً من وجه أخر ، ولذلك اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا[1] أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه لما أنه لم يرد في طريقتهم الخاصة وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة . والله أعلم .

وأيضاً أنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر[2] لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ، ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية ، فأخذوا حبل الاحتياط ، وتمسكوا عرى الإخلاص ، ولازموا على إخفاء الذكر الذي لا تسمعه الحفظة فيكتب ولا يطلع عليه الناس

---

(١) إلى أن يصلوا إلى مرتبة الإخلاص ، ويأمنوا من الرياء والعجب . وهذه لا تتم إلا في مراقبة الروح ، وحينئذ يُرخصون للجهر لمن تحقق له تلك المرتبة . والله تعالى أعلم (منه) .

(٢) مع أن طريقتهم ليست طريقة الشوق والوجد ، ليحتاجوا إلى ما يحركهما بل هي طريقة السكون والحضور وجذبهم وشوقهم مصروفان إلى بواطنهم ، فمن حضر لا يصيح ولا يتحرك ومن غفل قد يصيح ويتحرك ، فافهم (منه سامحه الله) .

فيرائي ويحبط ، ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذي يقول أهل الجهر إنه مبدأ الذكر الخفي القلبي ، وأنه وسيلة إليه ، ألا وهو التوجه المعروف عندهم ، المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ ، فقد قال الإمام الرباني : **فإن توجُّههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة ،** أو ما هذا معناه . راجع « المكتوبات » . فبالتوجه يحيى القلب ، كما يحيى القلب بالملازمة والمداومة على الذكر اللساني ، ولذلك قيل : **إنما يحيى القلب بقلب حي .** وأما الذين يجهرون في الذكر فلهم فيه دلائل يتمسكون بها ، ومقاصد يعولون عليها ، فلأجل كوني مأذوناً في الشاذلية[1] ، وكذا في القادرية اللتين جرت عادة أربابهما باستعمال الذكر الجهري ، كما كنت أيضاً مأذوناً في النقشبندية أردت أن أذكر هنا كلاماً في الجهري والاجتماع له ، كما هو المعلوم المشهور في الطريقة العلوية ، فأقول والله المستعان :

الترغيب التاسع

في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد

قال في كتاب « الرماح » : اعلم أن الاجتماع للذكر حضَّ عليه الشارع ، ورغَّب فيه ﷺ ، وجرى به عمل أهل الطريق من أهل الله شرقاً وغرباً .

وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم مرفوعاً : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » .

---

(١) من طرف سيف الله . (منه) .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً قال الله جل ذكره : « لا يذكرني العبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من الملائكة ، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى » .

وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات » . ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني ، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل ، ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل فيه فيقومون حتى يقال لهم : قوموا قد غفر الله لكم ، وبُدّلت سيئاتكم حسنات » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة » رواه أحمد بإسناد حسن . وعن جابر ﵁ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس إن لله تعالى سرايا(١) من الملائكة تحلُّ وتقف على مجالس الذكر في الأرض ، فارتعوا في رياض الجنة . قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ، فاغدوا وروحوا في ذكر الله ، واذكروه في أنفسكم . من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر منزلة الله تعالى عنده ، ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزاز والطبراني والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد . والرتع هو الأكل والشرب في خصب وسعة .

وعن أبي الدرداء ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء

---

(١) جيوش .

ولا شهداء . قال : فجثى أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم ! فقال : هم المتحابُّون من قبائل شتى وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه » . أخرجه الطبراني بإسناد حسن .

وعن عمر بن عنبسة ﵁ قال : سَمعت رسول الله ﷺ يقول : « عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - رجال ليسوا بأنبياء ولا بشهداء ، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل . قيل يا رسول الله ﷺ من هم ؟ قال : هم جماع من نوازع القبائل ، يجتمعون على ذكر الله تعالى ، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى الثمر أطايبه » رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به ، وجماع بضم الجيم وتشديد الميم أي أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ، ونوازع جمع نازع وهو القريب . ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة ، وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى .

وعن أنس بن مالك ﵁ : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال حلَقُ الذكر » أخرجه الترمذي .

وأخرج الحسن البصري ﵁ أنه قال : ذكر الله خير لا شك فيه ، يذهب بالذنب ولا ذنب فيه .

وعن ابن عبد الرحمن الجيلي - أحد التابعين - أنه قال : إذا اجتمع قوم على ذكر الله تعالى خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد ، يقول لهم : هل قاموا بعد ؟ فيقولون : لا . فيضرب بيده فيقولون : مالك ؟ فيقول إنما أخشى عليهم الرحمة أن تنزل فلا يعذبون أبداً .

ويكفي في أفضلية الاجتماع للذكر ما تقدم في الفصل الذي قبل هذا الفصل من أن الجنيد رأى إبليس في المنام فقال : هل تقدر أن تمرَّ على

مجالس أهل الذكر ؟ فقال : كما أن أحداً منا يمرُّ على أحد منكم ويمسَّه ويصير مصروعاً ومجنوناً ! فمنَّا من يمرُّ على مجلس الذكر فيصير مصروعاً ونسميه بيننا مأنوساً ، كما تسمُّون المصروع بينكم مجنوناً ، انتهى . وكفى بهذا منقبة لمجلس الذكر والذاكرين جماعة .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : يقول الله عز وجل يوم القيامة : « سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرم ، قيل من أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر » .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه حضور مجلس الذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وشهود ألف جنازة ، وعيادة ألف مريض . انتهى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم قال : فيحفّوُنهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم منهم - ما يقول عبادي ؟ قال : فيقولون يسبِّحونك ويكبِّرونك ويَحْمَدُونَكَ ويمجِّدونك . قال : فيقول[1] : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول[2] : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشدّ لك تحميداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال : فيقول الله : فما يسألونني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله يا ربي ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمِمَّ يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : فيقول : فهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : يقول : فكيف

(١) أي : الله .

(٢) أي : الله .

لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة . قال : فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة[1] . قال : هم **الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**[2] » رواه البخاري واللفظ له . انتهى عبارته ١٦٩ ج٢ .

وقال صاحب « الرماح » أيضاً بعيد هذا في ١٧٠ : فأما الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالي عنه « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر » . الحديث . وفي آخره : « فيسألهم ربهم : ما يقول عبادي ؟ فيقولون يسبِّحونك ، ويحمدونك ، ويكبِّرونك ، ويهللونك ، ويمجِّدونك » ، الحديث وهو صريح في باب الجمع لعين الذكر بالترغيب في سياقه ، وما وقع في آخره من أن فيهم مَنْ ليس منهم . فيقول تعالى : هم القوم لايشقى جليسهم . فأخذ منه جواز قصد الاجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله كحديث : « ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيهم إلا حفت بهم الملائكة وتنزَّلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » ، والذكر يؤول بالعلم مرة ، وبذكر الآلاء أخرى ، وحمل على ظاهره أيضاً ، فسقط التمسك به في أعيان الأذكار كدلالته على ما تأوَّل به لاحتماله .

قال : فإن قيل : يجتمعون وكلّ على ذكره . فالجواب : إن كان سرّاً فجدواه غير ظاهرة ، وإن كان جهراً فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلاً عن ذكر الله تعالى ، فلزم جوازه ، بل ندبه بشرطه .

---

(١) يريد به أنه لا يستحق المغفرة لأنه ليس من الذاكرين . « رسالة » في فضائل الذكر ، عبارته ١٧ .

(٢) وفيه أي : في هذا الحديث : أن مَنْ خالط السادات ينال السيادات ومَنْ جالس أهل السعادات يفوز بالسعادات رسالة في فضائل الذكر ، عبارته ١٧ .

نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذكار بالتوحيد من أبعد البعيد ، فتأويله غير معقول لبعده عن الأفكار ، إذ لا يخطر إلا بالإخطار ، وذلك من مقاصد الشرع بعيد جداً فافهم .

ثم قال بعد إتمام هذه القاعدة وإتمام قاعدة أخرى : فأما قول ابن مسعود ﷺ لقوم وجدهم يذكرون الله تعالى جماعة : لقد جئتم ببدعة ظلماً أو لقذفتم[1] أصحاب محمد ﷺ علماً .

فالجواب عنه : أنه لم يبلغه حديث الترغيب فيه ، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها ، وإلا فلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث . انتهى عبارته ۱۷۰ « رماح » .

وقال صاحب كتاب « الرماح » رحمه الله تعالى بعد كلامه : ثم قال في « كشف القناع » وسئل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل ، هل ذلك مكروه أم لا ؟ فأجاب : بأنه لا كراهة في شيء من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار بذلك ، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، كما جمع النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن ، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها .

قال : - أي السيوطي - بعد أن أورد ما أورده من الأحاديث الواردة

---

(۱) كذا في الأصل بحروفه ولم أعلم معناه (منه) . اللهم إلا أنّه في « المصباح » قذف بقوله : تكلّم من غير تدبّر ، انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون من المراد تكلمّهم في أصحاب محمد من غير تدبّر ولا تأمّل فتدبّره . (منه) . وأيضاً في « المختار » القذفة : واحدة القذف والقذفات ، مثل غرفة وغرفات ، وهي الشرف . انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون معناه : أو لقد شرفتم على أصحاب محمد ، والله أعلم ، فتدبر (منه قدس سره) .

باستحباب الجهر : إذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه **لا كراهة البتة في الجهر بالذكر** ، وأما معارضته بحديث : « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث « المسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة » .

وقد جمع النووي بينهما **بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام ، والجهر أفضل في غير ذلك** ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ويوقظ قلب القارىء ، ويجمع همَّه إلى الحضور ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط .

قال : وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القرآن والإسرار ببعضه لأن المسرَّ قد يملُّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلُّ فيستريح بالإسرار . قال : وكذلك نقول في الذاكر على هذا التفصيل ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

قال : **فإن قلت** : قد قال الله تعالى ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ** ﴾ وقد قال تعالى ﴿ **ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾ وقد فسر الاعتداء بالجهر بالدعاء .

فالجواب في الآية الأولى من ثلاثة أوجه أحدها : ما ذكره السادة الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ ، الكامل المكمل ، وأما غيره ممن هو محلّ الوساوس والخواطر الردية فمأمور بالجهر ، لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

والجواب في الآية الثانية من وجهين .

أحدهما : أن الراجح في تفسير الاعتداء أن يجاوز المأمور به ، ويخترع دعوة لا أصل لها في الشرع .

الثاني : على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر ، والدعاء

بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ، ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً . انتهى .

ومن كلام سيدي علي الخواص : ينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر ، فإنه أشد تأثيراً في جمع شتات قلبه ، وينبغي له أيضاً أن يذكر مع جماعة ، فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيراً في رفع الحجب ، لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد ، لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، **وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه ، وثواب سماع رفقته** . انتهى .

وفي « البحر المورود في المواثيق والعهود » للشيخ الشعراني : أخذ علينا العهد أن نكون هينين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعاً ، وفي الحديث الوارد في الأمر بتسوية الصفوف : « ولينوا في يد إخوانكم » .

واعلم يا أخي أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة والعجم أو الشناوية أو الرفاعية أو **غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت** ، ولا تخالفهم فتشوِّش عليهم ، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود أن نبسط لكلٍّ من تعرَّف بنا من أبناء الدنيا بساط التشوق إلى طريق الفقراء ، وإلى محبة ذكر الله تعالى صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً ، فإن أحب ذلك وواظب عليه قرَّبناه وعددناه من جملة الأصحاب ، وإن لم يجب لذلك ! فإن اشتغل جلوسه معنا في مجالس الذكر ونحوها وتعلَّل بالنوم مثلاً ، عددناه من معارفنا لا من أصحابنا ! وذلك لأن الصاحب شرطه أن يشرب من مسقاة صاحبه ، مع ارتفاع

الحاجز بين قلبه وبين صاحبه كما يرتفع الحاجز بين الحوضين ويصيران حوضاً واحداً وماء واحداً . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود إلى أن قال : وينبغي للشيخ معاتبة كل من غاب من الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ، ولو بالنوم في البيت بحجة الوفاء بحق العيال ، **وإذا كان الفقراء في مجلس وردهم فلا ينبغي لأحدهم الانصراف إلا بإشارة شيخ المجلس** ، ﴿**وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾ ، ومجلس الذكر أمر جامع بيقين . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بتعظيم الذاكرين لله تعالى والذاكرات من[1] نسبتهم إلى مجالسة الحق عز وجل حال ذكرهم في قوله تعالى : « **أنا جليس من ذكرني** » أي أنا معه ، ومن كان الحق معه لا ينبغي لمن له دين أن يتعرَّض له بأن ينوي له سوءاً في وقت من الأوقات ، وهذا الأمر وإن كان واجباً في حق المسلمين ! فهو في حق الذاكر أشد وجوباً . قال : **وما رأينا أحداً آذى الفقراء أو الصالحين ، أو أنكر عليهم بغير طريق شرعي ومات على نعت استقامة أبداً** . وفي الحديث القدسي : « من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . انتهى .

قال : **وعلامة الولي** الذي لا شك فيه : أن يكون مكثراً بذكر الله تعالى ، ويؤيِّده قول أبي على الدقاق رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطي منشور الولاية . انتهى . قال : فعلم أنه **لا ينبغي لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت بالذكر في المساجد ونحوها إلا بطريق شرعي** يسوغ له الإنكار فيها ، كأن يشوش على نائم ، أو مصلٍّ ، أو مطالع في علم شرعي ، ونحو ذلك ، فليبتعد المانع لهم نفسه ! والله بكل شيء عليم . انتهى كلام الشعراني[2] رضي الله عنه ، وهو نفيس . انتهى عبارته .

---

(١) أي : لأجل نسبتهم . .الخ .

(٢) من « رماح » ١٧٣ ج١ .

أيها الولد رزقك الله التوفيق والاستقامة آمين . قد يسأل كثير من الناس : هل يجوز أن يذكر الله تعالي في حالة قراءة القرآن في المسجد ، كما هي العادة الجارية في ديارنا بين المغرب والعشاء ، أم لا ؟ يقول والدك في الجواب : قال محمد حقي النازلي في « خزينة الأسرار » : إن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن ، وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرىء بناءً على قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ ففي الصلاة نعم ، وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابه . انتهى ٥٤ . وفي فتاوى محمد علي الچوخي رحمه الله تعالى أن استماع القرآن مندوب بشرط كونها صحيحة ، وصلاة التحية أيضاً مندوب لداخل المسجد ، فلا يترك مندوب لمندوب آخر ! على أن الإنصات المأمور به في الآية : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ إنما هو الإنصات بترك الكلام اللغو ، لا بترك مندوب آخر مثله كالصلاة والقراءة ونحوهما ! كما صرح به المناوي . انتهى عبارته ٥٨ .

والاستماع مستحب لا واجب . رملي . ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن . جمالين . وفي « الفتوحات » بسط في ذلك فراجعه .

وفي « رماح حزب الرحيم » وأما قول[١] القائل : إذا لم يستمعوا[٢] القرآن خالفوا قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ . وقد اختلف العلماء في هذا الأمر ، هل للوجوب مطلقاً ؟ أو للندب ؟ أو للوجوب في بعض الصور دون بعض ؟ مع اتفاق جمهورهم على أنه مخصوص بحالة الصلاة .

---

(١) أي : جوابه هذا .

(٢) أي : لم يستمع الذاكرون . (منه) .

وزاد بعضهم وفي الخطبة .

وقال بعضهم إنما ذلك في الصلاة المفروضة . أخرجه ابن جرير الطبراني بإسناد رجاله ثقات . ومن طريق طلحة بن عبد الله بن زكريا قال : رأيت عبد الله وعطاء يحدثان والقاصُّ يقصُّ فقلت ألا تستمعان ! فنظرا إلي ثم حدثا . فقلت ذلك ثلاثاً : فقالا : إنما ذلك في الصلاة .

وعن بعض الفضلاء : أن الأمر خاص بالنبي ﷺ وهو المأمور بالإنصات عند نزول الوحي بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال ابن عباس : أي انصت له فكان بعد ذلك إذا جاء الوحي أنصت له . الحديث . وعلى تقدير حمل الأمر على عمومه فلا يليق بمن له دين أن يعمد إلى الناس في عبادة فيتسبَّب في قطعها عليهم .

وقال العلماء فيمن صلى إلى غير سترة فى طريق المارة ، وكانت له مندوحة[1] في أن يصلي في غير ذلك المكان : أنه لا إثم على المارة ، لأن المصلي تسبَّب إلى ذلك . فكذلك هنا إذا تعمد قراءة القرآن – عند من يذكر الله تعالى ؛ لاعتقاده أن استماع القرآن واجب ، فيقطع الذاكر ذكره

(١) أي : وسعة ، وفسحة . « مصباح » .

* ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق ، وجميل البشر عند التقاطع . أنشدنا بعض العلماء الحكماء في معناه :

إن الكريم إذا تقضي وده   يخفى القبح ويظهر الإحسان

وترى اللئيم إذا انصرم حبله   يخفي الجميل ويظهر البهتاناً

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية ، ألم تستمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في أوله : يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر

فكذلك صفات المؤمنين على معاني اختلاف المؤمن الأعلى « قوت القلوب في معاملة المحبوب » من عينه في ٢١٥ من الفصل الرابع والأربعين في كتاب الأخوة في الله تبارك وتعالى .

ويستمع القرآن – لا يجب عليه في هذه الحالة أن يستمع ! وقد قال العلماء في الداعي المستغرق في الدعاء لا يشرع السلام عليه ، ولا يجب الردُّ في ذلك الحال . وكذلك هذا الذاكر إذا استغرق في ذكرهِ! وإذا سقط عنه ما هو واجب لولا الذكر فيسقط الاستماع عنه وهو واجب عليه في هذه الصورة المذكورة . انتهى عبارته ١٧٦ج١ .

وهذا الكلام لخصته من ذلك الكتاب من أجوبة ابن حجر العسقلاني لأسئلة فراجعه .

ووجدت في آخر مجموعة الرسائل لسليمان الزهدي قدس سره ما نصه : قال السيد ابن عابدين في « حاشية الدر المختار » : وفي شرحه « المنية » : والأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية ، لأنه لإقامة حقه بأن يكون ملتفتاً إليه غير مضيع ، وذلك يحصل بإنصات البعض ، كما في رد السلام . انتهى .

وكذا ذكر في « حاشية الحموي » عن الإمام الشعراني : **أجمع العلماء خلفاً وسلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها ، إلا أن يشوِّش جهرهم على نائم ، أو مصلٍّ أو قارىء .** انتهى . راجعه في ١١٠ .

أيها الولد إني ذكرت في هذا الترغيب نبذة قليلة من فضيلة الذكر والاجتماع ، ولنا في هذا المقام من كلام السادات ما يطول ذكره ، وقد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » و« خلاصة الآداب » نبذة نافعة أيضاً ، فإن أردت الزيادة فراجعهما .

يا ولدي! أوصيك بملازمة مجالس الذكر ففي تلك المجالس فوائد جليلة وكيف لا ؟ ! وقد ورد في الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وورد أيضاً « إن أهل الذكر

ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإن عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني .

يا ولدي إن لك في هذين الحديثين كفاية لو كان فيك شيء ما من العناية . رزقك الله تعالى الهداية والإنابة وجنَّبك عن الضلالة والغواية آمين .

الترغيب العاشر

في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم

من ترتيب الشغل ووظائف الأعمال

فاعلم يا ولدي أن أعمال الآخرة كأعمال الدنيا على حد سواء ، فقد يكون **بعض** العمل الكثير الشاق في الدنيا قليل الأجر بمقابلته ، والعمل القليل اليسير كثير الأجرة ! ألا ترى أن النجار أو الحداد مع المشقة التي يذيقانها قد لا يكون لهما إلا اليسير من الأجرة كالدراهم المعدودة أو غيرها ! وأن الفضاض ومهيئ الساعة قد يأخذان الأجر الكثير مع قلة التعب والعناء ، وكونه في ظل الدار والبناء ، فهكذا قد جعل الله تعالى بمنِّه وفضله وجوده الأجر الكثير في مقابلة بعض العمل اليسير . ألا ترى ما ورد في صلاة الفاتح لما أغلق على ما سبق ذكره ، وسورة الإخلاص ، أنها تعدل ثلث القرآن .

وقد قال عز الدين بن عبد السلام ما حاصله : إن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ، بل قد يأجر الله تعالى قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها . انتهى . كذا في « الرسالة » في فضائل الذكر ،

فراجعه في ١٢ . فإذا كان الأمر كذلك اختار أشياخ الطرق في طرقهم كل عمل مشقته وعناؤه قليلة يسيرة سهلة ، وجزاؤه وأجرته عظيمة جليلة كثيرة ، وذلك أخذاً واستنباطاً من الأحاديث والآثار لا اختراعاً منهم وابتداعاً ، فجزاهم الله تعالى عنا خيراً آمين . فكم وكم فضيلة سردوا[1] فيها ! وكم وكم وظيفة نافعة رتبوها ! فها أنا أردت أن أبيِّن لك يا ولدي ما في كل شغل من أشغال هذه الطريقة مما بقي ولم أذكره فيما سبق ،

فأقول وبالله التوفيق : فأولاً يأمر الشيخ المريد بإتيان خمسة ، أو خمسة عشر ، أو خمس وعشرين من الاستغفار ، والحكمة في تقديمه هذا : أن المتنجس بالأدناس والرذائل لا يصلح له الوقوف بباب الملك ، فضلاً عن الدخول ! فحينئذ الخدمة له أولى وأحرى ، وأما طمعه في دخوله مداخل الخاصة فسوء أدب وجراءة على الملك ، فكان اللائق بصاحب هذا الحال اشتغاله بما يطهره ، ويزيل عنه ما عليه من النجاسة والدناسة ليصلح للخدمة ، ومع هذا لا بد له من الوسيلة ، والوسيلة لا يجترىء على توصيله إلى الملك وهو متلطخ بالنجاسة ! والتطهر من تلك النجاسات لا يحصل إلا بالتوبة والاستغفار ، ولذا أمروا مريدهم بالشروع في الاستغفار .

ثم إنه لما أكمل من الاستغفار وتاب ، وعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له - كما ورد - قوي رجاؤه على أن يصلح الآن للوقوف بين يدي سيده وخدمته ، ولكنه مع ذلك في خوف شديد ، ووجل عظيم ، لما علم من عظمة هذا الملك وكبريائه وعلو شأنه ، وكونه مختاراً يفعل ما يشاء ، ولما علم ذلك خاف من الاستبداد[2] بنفسه ، والاستقلال بأمره ، لأن مثله لا يستحق بذلك إلا الطرد والإبعاد من الملك ، وهذا - والعياذ بالله - هو الذي كان يخاف أن يلحقه من جناب سيده ، ولعلمه أنه هو

(١) سردت الحديث سرداً من باب قتل : أتيت به على الولاء . « مصباح » .
(٢) استبدّ بالأمر : انفرد به بغير مشاور له « مصباح » .

وجميع الخلق في هذا الميدان على حد سواء رجع إلى التوسل إلى الله تعالى برسوله الذي هو وسيلة جميع المخلوقات إليه تعالى في جميع التوجهات والمطالب ، لعلمه بعلوِّ مقداره عند الله تعالى ، وشفوف[1] مرتبته لديه ، وعلوِّ اصطفائه على جميع خلقه ، وعلمه بأن الله تعالى لا يقبل العمل من كل عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ ، فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجُّه إليه دون التوسل به ﷺ ، معرضاً عن كريم جنابه ، ومدبراً عن تشديد خطابه ، كان مستوجباً من الله تعالى غاية السخط والغضب ، وغاية اللعن والطرد والبعد ، وضلَّ سعيه ، وخسر عمله ، ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به ﷺ . فإذا كان الأمر كذلك ! وخاف المريد أيضاً من أن يجترىء على جنابه ﷺ ، ويتخذه إلى الله تعالى وسيلة بنفسه وانفراده ، شرع في التوسل إليه ﷺ بواسطة المشائخ ، وبالتوجُّه إليهم معتقداً أنهم باب الفيوض وميزابها ، وأن قلوبهم مجرى الإمداد وقناتها ، وأن التقرُّب إليه عليه الصلاة و السلام بغير وساطتهم محال ، وقصد إلى الإلتجاء إلى أبوابهم رجاء أن يكونوا له ممدين ، فشرع في قراءة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، لعلمه ما في قراءتها من الثواب العظيم ، فأهدى ثوابها إلى النبي ﷺ وإلى أرواح أولئك المشائخ ، امتثالاً بأمر النبي ﷺ بقوله « تهادوا تحابوا » ، ثم إنه لما قصد التوجُّه إليهم والقرب منهم زاد خوفه ، فاستغفر الله ثانياً مائة مرة ، ليستحكم الطهارة عما بقي عليه من الدناسة ، فلما كان مراده من جميع ما ذكر أن يستفيض من شيخه ، ويجعله رفيقاً في طريقه ، ووسيلة إلى الوصول إلى جنابه ﷺ ، ويطلب غرفاً من فيوضاته وإمداداته ، ويصير أهلاً ببركة الوسائط للقرب إلى الله تعالى ووصوله ، مع علمه أن الفيض لا يؤخذ إلا من قلوبهم وأن قلوبهم موازيب الحكمة والمدد ، وقصد الشروع في ربط قلبه بقلب شيخه للاستفاضة ، ووجد قلبه

---

(١) أي : زيادة .

مملوءاً بالخواطر ، ومدنَّساً بحديث النفس ، احتاج لا محالة أن يشتغل أولاً بما يزيلها ليصفو توجُّهه إلى شيخه ، ويسهل تصوُّر صورته قبالة وجهه ، ولا شك أن علاج زوالها هو ذكر هازم(١) اللذات(٢) ومكدّر التنعمات ، ألا وهو الموت ! الذي هو القيامة الصغرى ومفرق الأحباب . وباب البلية الكبرى . وقد سمعت شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : **إذا أطاق المريد أن يتصوَّر صورة شيخه كما هي يحضر لديه ، وإلا فلا !** فهذه المذكورات هي الحكمة التي وصل إليها عقل الحقير رحم الله إفلاسه ونوَّر الله تعالى ضرائح مشائخنا ، حيث أرشدونا إلى هذه المنافع آمين ، مع ما فيها غير ما سبق من الثواب الجزيل ، والأجر الكبير . **فتأمل يا ولدي** فيما أتلو عليك ، فأرجوك أن تكون من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه .

أما فضائل الاستغفار! فقد مرَّ في بابه .

مطلب : فضائل سورة الفاتحة

وأما قراءة الفاتحة ! ففضائلها كثيرة ، فمن ذلك ما نقل من عين « الرسالة » من حاشيته : روي أنه لما أنزل الله تعالى فاتحة الكتاب على محمد عليه الصلاة والسلام(٣) بكى إبليس بكاءً شديداً حتى اجتمع عليه أولاده قالوا : وما يبكيك ؟ فقال : إن الله تعالى أنزل على محمد وأمته سورة أئسْتُ منهم . فقالوا : لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يتركوا شكر ما أنعم الله عليهم ، فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون لأن في أول تلك السورة الحمد لله رب العالمين . فقالوا : لا تَغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى ينكروا البعث ، فيعاقبهم الله تعالى ويعذبهم

---

(١) وفي نسخة : هادم .

(٢) ورأيت في « شرح عين العلم » ما نصه : وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت : أكثري ذكر الموت يرقَّ قلبك . ففعلت فرقَّ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، انتهى عبارته ٨٨ ج٢ (منه) .

(٣) وفي نسخة : وأمته .

كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا : مالك يوم الدين . فقالوا : لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يعبدوا الأوثان ، فيعاقبهم الله تعالى ويعذبَهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا : إياك نعبد . فقالوا : لا تغتمَّ فإنا نجتهد كل الجهد حتى يتكاسلوا ويتركوا ما أمر الله ، فيعاقبهم ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالي علمهم أن يقولوا : وإياك نستعين فقالوا : لا تغتم فإنا نجتهد كل الجهد حتي نضلهم من الطريق فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأنهم يقولون : اهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخر السورة ، فقالوا : إنهم ليسوا بأفضل من آدم وحواء ، ومكانهم لا يكون أفضل من الجنة ! وأنت أخرجت آدم وحواء من الجنة . فصاح صيحة ، وانغمس في البحر انغماسة ومكث أولاده سنة ، فخرج من بعد السنة وقال : أبشروا يا أولادي ! جئت بشيء نهلكهم ونضلّهم . فقالوا : وماذا ؟ قال : نزيِّن المعاصي في قلوبهم ، ونمنع ألسنتهم من الاستغفار ، فيعاقبهم الله تعالى ، ويهلكهم كالأمم الماضية . فضحكوا كلهم مسرورين ، وأرادوا أن يرجعوا مسرورين ، **فنادى الله تعالى : يا لعين! إن منعتهم عن الاستغفار فمن يمنعني من الغفران ؟ أغفر لهم بقراءة هذه السورة ولا أبالي ، وإن ماتوا بغير الاستغفار! ليعلم عبادي أني أنا الغفور الرحيم** . انتهى .

ورأيت في « ذخيرة المعاد » أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل : لأعلمنّك أعظم سورة في القرآن . فسأله عنها . فقال له : الحمد لله رب العالمين ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم أوتيته . انتهى عبارته ٦٢ .

وقال في حديث السرية ، لما رقوا بها الملدوغ وأعطوهم قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة « إنها رقية حق ، حتى اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم ، وإنها شفاء من كل داء » . وفي أخرى « من السمِّ » .

وعن أنس ﷺ أنه قال عليه الصلاة والسلام : « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت » .

وفي أخرى « من قرأ أم الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فكأنما قرأ ثلث القرآن »

وفي أخرى « أنها تعدل ثلثي القرآن » . انتهى « ذخيرة المعاد » عبارته ٦٤ .

وفيه : وفي حديث آخر « إن الملائكة لا تقرأ من القرآن إلا الفاتحة ، وإِن قراءة القرآن خاصة بالبشر دون الملائكة ، وأنهم حريصون على سماعه من الإنس » .

فضائل بسم الله الرحمن الرحيم

وقال في فضل البسملة : عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق ، وسكنت الريح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، **وحلف الله بعزته وجلاله لا يسمى على شيء إلا بارك فيه .**

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ليجعل الله تعالى بكل حرف منها جُنَّة من كل واحد .

وعن ابن عباس ﷺ مرفوعاً : « إن المعلم إذا قال للصبي قل : بسم الله الرحمن الرحيم . كتب للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار » . وأخرج الديلمي عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ، ومحى عنه

أربعة آلاف سيئة . ورفع له أربعة آلاف درجة » ، هذه الأحاديث والآثار ملخصة من « الدر المنثور » . انتهى عبارته ٦٤ .

وفيه : وقيل : خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش ، رأسه كرأس الآدمي ، له سبعون ألف جناح أمة . . من الملائكة ، مكتوب على خدِّه الأيمن آية الكرسي ، وعلى الأيسر ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ الآية . وعلى جبهته الفاتحة ، وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة يقرؤون الفاتحة من جبهته ، فإذا قالوا : إياك نعبد وإياك نستعين سجدوا . فيقول الله تعالى : ارفعوا رؤوسكم ، فقد رضيت عنكم . فيقولون : ربنا ارضَ عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ﷺ فيقول : أشْهِدُكم أني قد رضيت عنهم .

وقال نجم النسفي رضي الله عنه لما نزلت الفاتحة نزل معها سبعمائة ألف ملك . انتهى ٦٧ عبارته .

وفيه : فائدة : خلق الله تعالى القلم من درَّة بيضاء ، طوله خمسمائة عام ، النور منه ينبع كما ينبع المداد من قلم الدنيا ، ثم أمره أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فكتبها في سبعمائة عام ، فقال الله تعالى ، وعزتي وجلالي من قالها من أمة محمد ﷺ مرة واحدة ، كتب الله تعالى له ثواب سبعمائة عام . انتهى ٦٨ عبارته . قاله النسفي رحمه الله تعالى .

وذكر أيضاً أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج قبّة من درَّة بيضاء ، لها باب من ذهب ، وقفل من ذهب ، لو أن الجن والإنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل ، فأراد أن يرجع ، فقيل له : لِمَ لا تدخلها ؟ قال : لأنها مقفولة . فقيل مفتاحها معك ! وهو بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم فانفتحت ، فرأى فيها أربعة أنهار : من ماء غير آسن - أي غير متغير - يخرج من ميم بسم الله الرحمن الرحيم ، ونهر من لبن يخرج من هاء الجلالة ، ونهر من خمر

لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن ، ونهر من عسل مصفًّى يخرج من ميم الرحيم . فقال الله تعالى : يا محمد ﷺ من ذكر بهذه الأسماء من أمتك سقيته من هذه الأنهار الأربعة .

وقد مرّ أن من أسماء الفاتحة : « الماحية » لأن فيها خمسة عشر ميماً بالبسملة . فإذا قرأها العبد خرجت الميمات كالطيور ، فيتعلق بالعرش فيثقل على الحملة ، فيقولون : ربنا ما هذا الثقل ؟ فيقول الله تعالى : هذا ثواب سورة قرأها عبدي . فتقول الميمات : ربنا ما جزاء من قرأنا ؟ فيقول الله تعالى : انطلقوا إلى ديوانه وكل ميم تمحو عشر سيئات . فيقولون : ربنا زدنا ، فيزيدهم إلى المائة وعشرين سيئة إلى المائة ثم يزدادون فيزيدهم عشرين فيكون جملة ذلك ألفاً وثمانمائة ، **فيحصل لكل قارىء الفاتحة في اليوم والليلة في الصلوات الخمس ثلاثون ألفاً وستمائة حسنة .**

قال النيسابوري وغيره : أسقط الله تعالى من الفاتحة سبعة أحرف : الثاء من الثبور ، والجيم من جهنم ، والخاء من الخزي ، والزاء من الزفير ، والشين من الشهيق ، والظاء من اللظى ، والفاء من الفراق ، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلَّصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ، ولأن آياتها سبع أيضاً . انتهى عبارته ٦٩ .

وفيه ما نصه : مرَّ أن في وصل البسملة بالحمدلة - عن القرطبي - أن الله تعالى قال : وعزتي وجلالي وجودي وكرمي أن من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بالفاتحة مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت له ، وقبلت منه الحسنات ، وتجاوزت عن السيئات . انتهى عبارته ٦٩ .

وفي كتاب « الفيوضات الحسنى من مشاهدة الحبيب الأسنى »

للشيخ حسين بن عبد الشكور المدني رحمه الله تعالى يتضمن شرح صلاة أهل القرب وهو شرح قصيدة له سماها « الهدية السنية » وشرحها الأصل « الموارد الهنية » و« الفيوضات » كالحاشية على الشرح ، وهو كتاب جليل على نمط ، هو على غير مَنْ لم يعلمه الله تعالى العلم اللدني مستحيل ، أهداه مؤلفه لشيخنا الإمام الحبيب : عمر بن عبد الرحمن البارّ الأخير ، وقد عده في فهرسة مشائخه .

قال فيه : ذكر سيّدي الشيخ الأكبر في كتاب الوصايا من « فتوحاته » نفعنا الله به .

فائدة عظيمة ، وعائدة عميمة ، قال ﷺ وصية : إذا قرأت فاتحة الكتاب فَصِلْ بسملتها بها في نَفَسٍ واحد ، فإني أقول بالله العظيم ! لقد حدثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكتاري بمدينة الموصل سنة إحدى وست مائة إلى آخر سنده به ، وكل واحد من الرواة للحديث يقول بالله العظيم ! لقد سمعت فلاناً يقول إلى أن قال لقد حدثني أنس بن مالك ﷺ لقد حدثني المصطفى ﷺ وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! قال الله تعالى : يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة[1] بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على أني قد غفرت له ، وقبلت منه الحسنات ، وتجاوزت عنه

(١) هذا الوصل إنما هو في قراءتها في غير الصلاة ، وأمَّا فيها ! فالأفضل الفصل . كذا أفادني شيخنا القحي رحمه الله تعالى وأمرني بتعليقه هنا هكذا ، والسلام .

وأمَّا ما نقله ابن حجر عن المجموع من أنه يُسنُ وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . اتهى . فلم يرض به واعترضه برواية البيهقي والحليمي وغيرهما بأنه يُسنُّ الوقف على رؤوس الآي إلخ ، انتهى فراجعه (منه) .

السيئات ، ولا أحرق لسانه بالنار ، وأجيره من عذاب القبر ، وعذاب النار ، وعذاب القيامة ، والفزع الأكبر ، ويلقاني قبل[1] الأنبياء والأولياء أجمعين . انتهى « ذخيرة المعاد » ٧١ .

وفي حاشية الشيخ محمد الزرقاني على شرح المنظومة المسماة « بالبيقونية » في مصطلح الحديث : قال السخاوي : هذا الحديث باطل متناً وتسلسلاً ، وقد أثبته أهل الكشف ، وأجاب بعضهم عن أسباب بطلانه . انتهى . فراجعه في ٣٦ . لكن مؤلف « خزينة الأسرار » ذكره في الأحاديث الصحيحة . فراجعه في ١٠٥ .

وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني كلام كثير في حق الحديث ، وفيه ما حاصله : أن هذا الحديث قد ثبت عند ابن عربي وأضرابه من طريق الكشف . فراجعه في ٥٠ .

وفي « ذخيرة المعاد » : أن المتمرِّن[2] على حبس النَفَس في قراءة الفاتحة كلها مع البسملة في نَفَسٍ إذا تمادى عليه توسع له ضيقه ، فيمكنه أن يقرأ سورة الإخلاص ثلاثاً في نَفَسٍ واحد ، فيأتي على قراءة الفاتحة في ضمن القرآن لأنها أمه ، وأوله فاتحة الكتاب ، ويتحصل له في فضل الله تعالى ما وعده على الفاتحة بكرمه ، ويرجى له تحصيل قراءة القرآن كله معها في نفس واحد ، إلخ عبارته .

وفيه بعيد هذا : وفي الوارد الآخر تجزي[3] ما لا يجزي شيء من القرآن . ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان ، وجعل القرآن في

---

(١) وفي رواية : مثل الأنبياء .
(٢) مرن على الشيء من باب دخل ، ومرانة أيضاً تعوّده واستمرّ عليه . « مختار » .
(٣) يعنى الفاتحة .

الأخرى ، لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات في نفس واحد .

ولعل هذا أيضاً مما يرشد إلى حصول بيان شيء من فضل حصر[1] النَفَس بأمِّ القرآن في نفس واحد مع البسملة ، فتحصل قراءة القرآن سبع مرات للقارىء في نفس واحد . انتهى . ملخصاً في ٧٢ على ما هو المقصود ، فتدبر فيما ذكر .

ولكن قال في « فتح المعين » : ويُسنُّ وقفٌ على رأس كل آية ، حتى على آخر البسملة ، خلافاً لجمع . انتهى عبارته . قوله : ويُسنُّ وقف على رأس كل آية إلخ . وذلك لما صح أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ؛ يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف ، الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف ، قوله حتى على آخر البسملة غاية لسنية الوقف على ما ذكر وهي للردّ . وقوله خلافاً لجمع أي قائلين : إنه يسن وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . وتعجب منه في « التحفة » للحديث السابق . انتهى « إعانة الطالبين » ١٤٨ج١ .

قوله حتى في آخر البسملة هو معتمد « التحفة » قوله خلافاً لجمع أي في قولهم يسن وصل البسملة بالحمدلة وهو معتمد « المغني » و« فتح الجواد » . انتهى « ترشيح المستفيدين » عبارته ٦٣ .

وفي « جواهر المعاني » : وأمَّا فضل فاتحة الكتاب ! فقد ورد في الحديث أنها أعظم من القرآن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، إلى غير ذلك مما ورد في فضلها عن سيد الوجود ﷺ . قال[2] رضي الله عنه : « وأما الفاتحة ! فقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أن فيها بكل مرة ختمة من القرآن ، فقلت له ﷺ : إنه بلغني في بعض الأخبار أن من تلاها مرة فكأنما سبَّح الله بكل تسبيح سبَّحه به جميع خلقه في كورة العالم ! فهل يحصل فيها

(١) وفي نسخة : حبس .

(٢) أي : أحمد التجاني رضي الله عنه .

هذا الثواب كله ؟ فقال ﷺ : أكثر من ذلك ! ويحصل لتاليها في كل مرة بعدد حروفها وحروف القرآن بكل حرف سبع قصور ، وسبع حور . قلت : وقد قيل إن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون ألفاً وخمسة وسبعون ، فإذا ضربت في سبعة - وهي عدد الحور لكل حرف سبعة - يخرج ألف ألف ومئتا ألف وسبع وأربعون ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراً . انتهى .

وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفاً لكونها فيها فضل صيام رمضان ، وكل يوم منه باثني عشر ألفاً ، وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون ألفي ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرون . انتهى . فهذا في غير الصلاة ، وأما في الصلاة ! فيتضاعف مرتين إن صلى جالساً ، وأربع مرات إن صلى قائماً ، وهذا للفذِّ[1] فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات ، فإذا نظرت إلى عدد ركعات وهي سبعة عشر ركعة بين الليل والنهار يصير ثمانية عشر مائة وستة وثلاثون أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف وهو ألفي ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ، ومثله تسبيح العالم ، ومثله قيام ليلة القدر ، ومثله عبادة سنين ، ومثله ختمات من القرآن . الحاصل مَنْ قرأها في صلاة الجماعة ، فيعطى من الأجر في اليوم الواحد **أربعة آلاف ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وسبعمائة ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وستة وثمانون ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وثلاثة وستون ألفاً وتسعمائة حوراء**[2] ، مع الأجر المتقدم من تسبيح العالم ، وختمات القرآن ، إلى غيرها .

قال الشيخ رضي الله عنه : وفي الحديث : « من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة » . انتهى . ثم قال سيدنا رضي الله عنه : وهذا لمن لم يفهم معنى

---

(١) أي : للمنفرد .

(٢) هو بالرقم الكتابي ٤٨٧٦٠٦٣٩٠٠ .

التفسير ، وأما من علم التفسير فيتضاعف له الأجر مرتين وهو مئتا حسنة لكل حرف ، ثم قال سيدنا رضي الله عنه : ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة - أعني قارىء الفاتحة - ثم قال - رضي الله عنه - وهذا في غير نية الاسم[1] .

وأما قراءة الفاتحة بنيّة الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله تعالى ، ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله ، فإن فضل الله لا حدَّ له والسلام .

ثم قال رضي الله عنه : قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : **ويجاورني في عليِّين .**

وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة ، وأما من تلاها وهو يعتقد أنه يتلو الاسم الأعظم معها - لكون حروف الاسم تامة فيها - فإنه يحصل له في كل مرة ثواب تلاوة الاسم وثواب تلاوتها ، وكل من تلاها فقد تلاه معها ، وهذه الخاصية في الفاتحة فقط ! دون ما عداها من المتلوات التي كملت فيها حروف الاسم .

واعلم أن من تلاها متعبداً لله من غير شعور بتلاوة الاسم معها كان له الثواب الأول ، ومن تلاها معتقداً أنه يتلو الاسم معها لوجود كمال حروفها فيها ، كان له ثواب تلاوتها وتلاوة الاسم في كل مرة ، لكن مع اعتقاد أنه الاسم الخاص بالذات العلية ، وليس للذات العلية المنزهة غيره . انتهى .

فهذا ما أبرزه لنا رضي الله عنه ، وما هو مكتوم فيها ، فلا يعلم قدره إلا الله تعالى . انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه . انتهى كلام « الجواهر » راجعه في ١٠٧ ج ١ .

وأخرج الخلعي في فوائده عن عبد الله بن جابر رضي الله عنه أنه قال عليه

---

(١) أي : قراءة الاسم الأعظم ، والله أعلم .

الصلاة والسلام : « **فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام** » والسام : الموت . انتهى . « خزينة الأسرار » عبارته في ٦٤ .

وفيه : وأخرج ابن قانع عن رجال الغنوي قال : قال رسول الله ﷺ « استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه ، وبما مدح الله به نفسه . قلنا : وما ذاك يا نبي الله ؟ قال : الحمد لله ، وقل هو الله أحد ، **فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله تعالى** » . انتهى عبارته ٦٤ .

وفي تسمية الفاتحة بالسبع المثاني(١) أقوال :

فمنها ما ذكره محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينة الأسرار » بما نصه : وقيل لأن آياتها سبع ، وأبواب النيران سبعة ، فمن قرأها غلقت عليه الأبواب السبعة ، والدليل عليه ما روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : يا محمد ! كنت أخشى العذاب على أمتك ، فلما نزلت الفاتحة أمنت . قال : لِمَ يا جبريل ؟ قال : لأن الله تعالى قال ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾** ﴾ وآياتها سبع فمن قرأها صارت كل آية طبقاً على باب من أبواب جهنم ، فتمرّ أمتك عليها سالمين . انتهى عبارته في ٩٤ .

وفيه في ١٠٦ : وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن » انتهى عبارته .

---

(١) والمثاني يحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء ، لما فيها من الثناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الاستثناء ، لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ، ويحتمل أن يكون من التثنية ، قيل لأنها تثنى في كل ركعة ، وقيل لأنها نزلت مرتين ، وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء ، وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية أثنى عليه الله بالإخبار عن فعله ، وقيل لأنها اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني ، وقيل لأنها مستثناة من سائر الكتب ، وقيل غير ذلك ، راجع « خزينة الأسرار » في ٩٤ (منه) .

وفيه في ١٠٨ وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ بالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وكأنما تصدق بكل آية قرأها بملء الأرض ذهباً في سبيل الله وحرَّم الله جسده على النار ، ولا يدخل الجنة بعد الأنبياء أغنى منه » . انتهى عبارته .

وفيه في ١٠٩ : وروي عن حذيفة اليماني ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : « إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً ، فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب : الحمد لله رب العالمين ، فيسمع الله تعالى ، ويرفع العذاب بسببه أربعين سنة » . كذا في تفسير الفاتحة ، وتفسير ابن عادل .

وفيه ١٠٩ : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى منزله فقرأ سورة الحمد ، وسورة الإخلاص نفى الله عنه الفقر ، وكثر خير بيته » كذا في تفسير الفاتحة . انتهى .

وفيه في١١٣ : وقال صاحب « درَّة الآفاق في علم الحروف والأوفاق » : من داوم على قراءة الفاتحة مع البسملة عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات بعدد آياتها فتح الله عليه أبواب الخيرات ما دام يقرؤها ، وكفاه الله ما أهمَّه من أمر دينه ودنياه ، ومن قرأها سبع مرات على قطن يتفل[1] عليه ثم يضعه على جراحة شفاه الله تعالى ببركة الفاتحة .

ومن داوم على قراءتها عقب كل صلاة مكتوبة عشرين مرة يبلغ كل يوم إلى مائة وسَّع الله تعالى رزقه ، وحسن حاله ، ونوَّر سرَّه على قدره ، ويسَّر أمره ، وفرَّج همَّه ، وكشف ضرَّه ، ويعطي قارئها مأموله من العزِّ والهيبة والعلو والرفعة والسيادة ، وبها تنزل البركات ، وترفع الحاجات ،

---

(١) تَفِلَ يَتْفِلُ ويَتْفُلُ : بَصِقَ . « قاموس » .

وفيها أسرار لأرباب البدايات ، وأنوار لأصحاب النهايات ، وهي تدل على الدين والصدق والإنابة ، والتوفيق والنصر والقهر والغلبة والطاعة ، والعطف والمحبة والكفاية والوقاية ، والأمن والتمليك والإرادة والعلم والبسط والسرور والفهم ، والزيادة في المال والجاه والأهل ، والحياة الطيبة ، وحفظ الخدم والأولاد من الضرر والفساد ، والاطِّلاع على لطائف العلوم ودقائق الفهوم بالغرائب والحكمة ، والتكلُّم بالحقائق والمعرفة ، وغيرها من المنافع والمراتب ، كلها ببركة الفاتحة والخصائص فيها ، وفتح الله عليه أبواب الخيرات بالزيادات ، ونفذت كلمته في الرياسات ، وآمنه الله تعالى من حوادث الدهر ، وشرِّ نكبات[1] الجوع والفقر ، وألقى محبته في القلوب ، ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ما سأل . ولا تحصل هذه الخواصُّ إلا بالمداومة عليها .

وبها الإجازة لمن داوم عليها كما أخذ الإجازة عن المشائخ عند حضرة النبي عليه الصلاة والسلام . وفي رواية إن الفاتحة تقرأ بعد صلاة الصبح ثلاثين مرة ، وبعد الظهر خمساً وعشرين ، وبعد العصر عشرين ، وبعد المغرب خمسة عشر ، وبعد العشاء عشر مرات ، تبلغ كلها إلى مائة فاتحة . وكلا الطريقين محمود . ومن داوم على قراءة الفاتحة مائة مرة دبر كل صلاة مكتوبة نال مقصوده سريعاً ، ومن دوام على قراءتها بعد صلاة الصبح بعدد حروفها - وهي مائة وخمس وعشرون مرة - أدرك غرضه ، ونال مطلوبه بلا شك ولا شبهة ، ولهذا الترتيب خواص عجيبة ، وأسرار غريبة . انتهى .

---

(١) النكبة بالفتح : المصيبة « قاموس » .

مطلب مهم لقضاء الحاجة مجرَّب

وفيه فى ١٤٤ وروي عن الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره : من كان له حاجة فليقرأ الفاتحة أربعين مرة بعد صلاة المغرب ، عند الفراغ من الفرض والسنة ، ولا يقوم من مكانه حتى يفرغ من قراءة الفاتحة ، وبعده يسأل مراده ، فإن الله تعالى يقضيه لا محالة . وقد جُرِّب فوجدناه نافعاً ، ثم يقرأ هذا الدعاء بعد الفراغ من قراءة الفاتحة : « إلٰهِي عِلْمُكَ كَافٍ عن السُّؤَالِ ، اِكْفِنِي بحَقِّ الْفَاتِحَةِ سُؤَلاً ، وَكَرَمُكَ كَافٍ عَنِ الْمَقَالِ أَكْرِمْنِي بِحَقِّ الْفَاتِحَةِ مَقَالاً ، وَحَصِّل مَا فِي ضمِيري » .

قال رسول الله ﷺ : « فاتحة مفتوحة لمقصد المؤمنين ، ومن قرأها بالوضوء سبعة أيام في كل يوم سبعين مرة ونفخ على ماء طاهر فشربه رزقه الله تعالى بفضله العلم والحكمة ، وطَهَّر قلبه عن الأفكار الفاسدة ، وجعله ذكياً لا ينسى أبداً ما سمعه » كذا في « سرِّ الفاتحة » .

فائدة : ومن خواص الفاتحة أنها إذا قرأت إحدى وأربعين مرة بين سُنَّة الصبح وفرضه على وجع العين يبرأ بإذن الله تعالى معجلاً ، وهذا الترتيب في هذا الزمان نافع بليغ للعين ، وغيرها من الأمراض ، وذلك قد جُرّب وصح ، والحمد لله ، **والسرُّ في ذلك كله حسن الظن من الوجيع والعازم .**

ومن قرأها بالعدد المذكور على الضرس الوجيع يبرأ بإذن الله تعالى .

ومن قرأ بالعدد المذكور في قفا المسافر حفظه الله تعالى وردَّه سالماً إلى وطنه .

فائدة : من خواص الفاتحة : مَنْ قرأها مائة وإحدى وعشرين مرة وهو مقيد - والعياذ بالله تعالى - ويتفل بعد القراءة عشر مرات على القيد فان القيد ينفكُّ بإذن الله تعالى . وقد جَرَّبه مَنْ كان مقيداً

وعلى الترسم فانفك القيد وخرج ، والحراس رقود ، ونجا بلطف الله تعالى وببركة هذه السورة .

ومن خواصها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال : **من وضع يده على موضع الوجع وقرأ الفاتحة سبع مرات** وقال : « **اللهمَّ أَذْهِبْ عنِّي سُوءَ ما أَجِدُ وَفُحْشَهُ بدَعْوَةِ نَبيِّكَ مُحمدٍ ﷺ اَلْمُبَارِكِ المكين الأَمِينِ عِنْدَكَ** » سبع مرات شفاه الله تعالى . وقد جُرِّب ذلك وصح . كذا في « فتح المجيد » . انتهى .

وقال العلامة ابن القيم في كتابه « كل داء له دواء » : وأنا أحسنت المداواة بالفاتحة فوجدت لها تأثيراً عجيباً في الشفاء ، وذلك أني مكثت بمكة مدة ، يعتريني أدواء لا أجد لها طبيباً ولا مداوياً ، فقلت : يا نفس دعيني أعالج نفسي بالفاتحة ! ففعلت ، فرأيت لها تأثيراً عجيباً وكنت أصف ذلك لمن اشتكى ألماً شديداً فكان كثير منهم يبرؤون سريعاً بمكة ببركة الفاتحة ، ثم قال : **وقد يختلف الشفاء لضعف همَّة الفاعل أو لعدم قبول المحل** أن يتداوى بكتابة الفاتحة أو أن يتداوى بقراءة الفاتحة ، فكذلك يختلف الشفاء بضعف همة القارىء ، أو لتغيير القارىء في المخرج والصفات ، أو لعدم قبول المحل ، وإلا فالآيات والأدعية في نفسها نافعة شافية .

عدم إصابة المقصود لأمرين

واعلم أنه قد يعمل كثير من الناس شيئاً من ذلك ولا يقع على مقصوده وغرضه ، وذلك إنما يكون لأمرين :

أحدهما : أن يكون العامل من العصاة غير أهل للانفعالات والمكاشفات .

والثاني : عمله على سبيل التجربة والشك ، وأما إذا حدث من آثار

النفوس الخبيثة من ذوات السموم القاتلة ، والعيون المعرِّضة المهلكة أمر وقابلته النفوس الزكية الشريفة بحقائق الفاتحة وأسرارها ومعانيها ، وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله سبحانه وتعالى ، دفعت أثر تلك النفوس الشيطانية ، وحصل البرء بلا شك ولا شبهة . كذا في « شمس المعارف » . انتهى « خزينة » عبارته في ١١٨ .

أيها الولد : إن فضائل الفاتحة وخواصها كثيرة ، وكتبة الجميع عسيرة ، ولعل في هذا القدر كفاية ، فإن أردت الزيادة فراجع « فتح الملك المجيد » و« خزينة الأسرار » و« شمس المعارف » وغيرها . وقد كان شيخنا المرحوم المغفور سيف الله قدس سره أجازني لكتبة الفاتحة مقطعة الأحرف بلا طمس للحروف محواً وتعليقاً لكل داء ومرض ، وكذا لقراءة يا سلام مائة وعشرين مرة على المريض نافثاً عليه من الريق بعد القراءة للعدد المذكور .

وكتب ﵁ هذه الإجازة بخطه في أثناء صك الإجازة :

يا ولدي إن والدك أجازك في هذا كما أجازني به شيخي المذكور ، رزقك الله تعالى الاعتقاد التام ، ونفع الله تعالى بك العباد بالنفع العام ، آمين .

فضائل سورة ا لإخلاص

وأما قراءة سورة الإخلاص ففضائلها أكثر من أن يحصى .

فمن ذلك ما ذكره محمد حقى النازلي قدس سره في « خزينته » في ١٥١ في فصل الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل قراءة سورة الإخلاص إلخ بالسند المتصل إلى أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا : كيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : اقرؤا قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن » .

وبالسند المتصل إلى أنس ﵁ قال : قال رجل لرسول الله ﷺ : « إني أحب هذه السورة : قل هو الله أحد . قال : حبَّك إياها أدخلك الجنة » كذا في « المعالم » .

وعن أبي ابن كعب ﵁ عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله من الأجر كمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأُعطي من الأجر كمثل أجر ثواب مائة شهيد » كذا في « التفسير الكبير » .

وأخرج مسلم وغيره عن حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وفي « اللباب » عن جماعة من الصحابة كذا في « الإتقان » .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص بإخلاص حرَّم الله جسده على النار » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﵁ عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » .

وأخرج عقيل عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى عبارته .

وفي « الخزينة » أيضاً وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل وأنس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وأخرج الطبراني والدارمي عن أبي هريرة ورواية أخرى عن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بني له قصر في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في

الجنة . فقال عمر بن الخطاب ﵁ : والله يا رسول الله إذاً لنكثرنَّ قصورنا ! فقال عليه الصلاة والسلام : رحمة الله واسعة من ذلك » كذا في « تفسير الحنفي » و« مشكاة المصابيح » .

مهم

وروي عن علي ﵁ أنه قال : من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ، ولو اجتهد الشيطان . كذا في « روح البيان » .

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات ، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » كذا في « الإتقان » انتهى عبارته ١٥٢ .

وفي « الخزينة » أيضاً ١٥٢ : وأخرج ابن نصر عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » .

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة قم يا مادح الله فادخل الجنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس ﵁ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاماً ما اجتنب خصالاً أربعاً : الدماء ، والأموال ، والفروج ، والأشربة » كذا في « الجامع الصغير » .

وأخرج الطبراني والديلمي عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو في غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج الترمذي عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو

الله أحد مائتي مرة كل يوم كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة ، ومحا عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين ! ومَنْ أراد أن ينام على فراشه ، فنام على يمينه ، ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول الرب : يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة » كذا في « الإتقان » .

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر الله له ذنوب مائتي سنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قرأ في يوم قل هو الله أحد مائتي مرة كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » .

وأخرج الخارجي في « فوائده » عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى عبارته ١٥٢ .

وفي « خزينة الأسرار » ١٥٣ أيضاً ، وروي عن وكيع عن إسرائيل عن إبراهيم عن عبد الله الأعلى عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « كنت أخشى العذاب على أمتي بالليل والنهار ، حتى جاءني جبريل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد ، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يعذب أمتي بعد نزول قل هو الله أحد لأنها نسبة الله عز وجل فمن تعهَّد قراءتها تناثر البر عن عنان السماء على مفرق رأسه ونزلت عليه السكينة ، وتغشاه الرحمة وله دويّ حول العرش ، حتى ينظر الله إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبداً ، ثم لم يسأله شيئاً إلا أعطاه ، وجعله في حرزه وكلاءته ، ويكون له من يوم قراءته إلى يوم القيامة من كل خير أعدَّه الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته من خيري الدنيا والآخرة النصيب الوافر ويوسع الله عليه الرزق ، ويمدُّ له في العمر ، ويكفيه في المهم من الأمور كلها ، ولا يذوق سكرات الموت ، وينجو من عذاب القبر ، ولا يخاف إذا خاف العباد ، وإذا وافى للجمع أتوه بنجيبة

من درَّة بيضاء فيركبها فيمرّ به حتى يقف بين يدي الله تعالى ، فينظر الله تعالى إليه بالرحمة ، ويكرمه بالجنة ، يتبوأ منها حيث يشاء ، فطوبى لقارئها ، فإنه ما من أحد يقرأ قل هو الله أحد مرة إلا وكَّل الله الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، ويستغفرون له ، ويكتبون له الحسنات إلى يوم يموت ، ويغرسون له بكل حرف من قل هو الله أحد نخلة طولها ألف فرسخ ، وعلى كل نخلة ألف شمراخ[١] وعلى كل شمراخ بعدد رمل عالج بُسْرٌ ، كل بُسْرَةٍ[٢] منها مثل قلة من قلال الجبال يضيء بريقها غصناً كما بين السماء والأرض ، والنخلة من الذهب الأحمر ، والبسرة درَّة بيضاء مختلفة الألوان حلَلُها وحليُّها ، ومن قرأ قل هو الله أحد وكّل به ألف ملك يبنون له مدائن وقصوراً ، ويغرسون حول المدائن والقصور أشجاراً من الرياحين والثمار ، ويمشي على الأرض والأرض تفرح به ، ويموت مغفوراً للذنوب ، فإذا قام بين يدي الله تعالى يقول له : أبشر وقِرَّ عيناً بما لَكَ عندي من الكرامة ، فيتعجب الملائكة من قربه من الله تعالى وكرامته إياه ، فيأمر الله تعالى اللوح المحفوظ أن يقرأ عليه ثوابه بقراءته قل هو الله أحد ، فيقرأ عليه اللوح ، فيتعجب منه سكان السماء ، فيقولون سبحان ربنا ! هل يكون في الجنة مثل هذا ؟ فيقول الله تعالى : فإني أستعدُّ لعبدي هذا . فارغبوا في قراءة قل هو الله أحد ، فإن قراءتها براءة من النار ، فمن قرأ قل هو الله أحد مرة شهد له سبعون ألف ملك بالجنة ، وكتب له ثواب سبعمائة ألف ملك فيقول الله تعالى : انظروا ما يريد عبدي فأعطوه ، وهو أعلم بحاجته . فمن حافظ على قراءته كتب عند الله تعالى من الفائزين القائمين الصائمين ، فإذا كان يوم القيامة قالت الملائكة : يا رب ! هذا يحب صفاتك . فيقول لهم : لا يبقى منكم ملك إلا شيعه إلى الجنة ،

---

(١) والشمراخ : ما يكون فيه الرطب . « مصباح » .

(٢) البسر من ثمر النخل معروف . « مصباح » .

فيزفُّونه[1] إلى الجنة كما تزفُّ العروس إلى بيت زوجها ، فإذا دخل الجنة ونظر الملائكة إلى درجاته وقصوره فيقولون : يا ربنا ! ما بال هذا أرفع درجة ومنزلة من الذين كانوا معه فيقرؤون كتابك كله ؟ فيقول الله تعالى : أرسلت أنبيائي وأنزلت معهم كتبي ، وبيَّنت لهم ما أنا صانع بمن آمن بي من الكرامة ، وما أنا معذب لمن كذبني ، وأنا أجازي كلهم بقدر أعمالهم من الثواب ، لأصحاب سورة الإخلاص ! فإنهم كانوا يحبّون قراءتها آناء الليل والنهار ، فلذلك فضَّلتهم على سائر أهل الجنة . فمن مات على حبِّ قل هو الله أحد يقول الله تعالى : من يقدر على أن يجازي عبدي غيري ؟ أنا المليء بجائزته فيقول : عبدي ! ادخل جنتي أَرْضَ عنك . فإذا دخلها يقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ إلى ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ فطوبى لمن أحب قراءة قل هو الله أحد ، فإن من قرأها كل يوم ثلاث مرات يقول الله تعالى : عبدي وُفِّقْتَ وأحببتَ ما أردتُ ! هذه جنتي فادخلها حتى ترى ما أعددت لك من الكرامة والنعيم بقراءتك **قل هو الله أحد!** فيدخل فيرى ألف ألف قهرمان على ألف ألف مدينة ما بينها قصور وحدائق . ارغبوا في قراءة سورة الإخلاص فإنه ما من مؤمن يقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات إلى خمس مرات إلا وقد استوجب رضوان الله الأكبر ، وكان من الذين قال الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ إلى ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ . ومن قرأها عشرين مرة فله ثواب سبعمائة ألف رجل أهريق دماؤهُم في سبيل الله ، وبورك عليه وعلى آله وماله وداره .

ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثون ألف قصر في الجنة .

ومن قرأها أربعين مرة جاور النبي ﷺ .

---

(١) زفت النساء العروس إلى زوجها زفا ؛ من باب قتل والاسم الزفاف مثل كتاب ، وهو إهداءها إليه « مصباح » .

ومن قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

ومن قرأها مائة مرة كتب الله له عبادة سنة .

ومن قرأها مائتي مرة فكأنما أعتق مائة رقبة .

ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد .

ومن قرأها خمسمائة مرة غفر الله له ولبيته ومَن ولد .

ومن قرأها ألف مرة فقد أدَّى دَيْنَهُ إلى الله تعالى وصار عتيقاً من النار .

واعلموا أن خيري الدنيا والآخرة في قراءة قل هو الله أحد ، **ولا يتعاهد قراءتها إلا السعداء ، ولا يعجز عن قراءتها إلا الأشقياء** . كذا في « تفسير الحنفي » .

وأخرج الديلمي مرفوعاً « من صلى الفجر في جماعة ، وجلس في محرابه ، وقرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفرت له الذنوب التي بينه وبين ربه التي لا يطلبها إلا الله » .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة بُشّر له بالجنة » . كذا رواه أبو عبيدة ﵁ .

وقيل من قرأ قل هو الله أحد في المنام أعطي التوحيد ، وقلة العيال وكثرة الذكر ، وكان مستجاب الدعوة .

وأخرج الحافظ أبو محمد بن الحسن بن أحمد السمرقندي ﵁ في فضائل قل هو الله أحد عن أنس ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهل بيته ، ومن قرأها ثلاثاً بورك عليه وعلى أهل بيته وجيرانه ، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له في الجنة اثني عشر قصراً ، ومن قرأها عشرين مرة

جاء مع النبيين هكذا وضم الوسطى والتي تلي الإبهام ، ومن قرأها مائة مرة غفر الله له ذنوب خمس وعشرين سنة إلا الدين والدم ، ومن قرأها مائتي مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة ، ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد ؛ كلّ عقر جواده وأهريق دمه ، ومن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، أو يرى له » . انتهى عبارته ١٥٤ .

وفيه في ١٥٥ وأخرج ابن النجَّار عن علي ﵁ عن رسول الله ﷺ قال : « من أراد سفراً فأخذ بعضادتي[1] منزله فقرأ إحدى عشرة مرة قل هو الله أحد كان الله له حارساً حتى يرجع » .

وأخرج ابن عدي والبيهقي عن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كطهارة الصلاة ، يبدأ بفاتحة الكتاب ، كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وبنى له مائة قصر في الجنة ، وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، وهي براءة من الشرك ، ومحضرة للملائكة ، ومُنَفِّرة للشياطين ، ولها دويّ حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله تعالى إليه ، وإذا نظر إليه لم يعذبه أبداً » . انتهى عبارته .

وفيه في ١٥٨ وأخرج البيهقي عن أبي أمامة الباهلي ﵁ قال : أتى رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام وهو بتبوك فقال : يا محمد ! اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني . فخرج رسول الله ﷺ ، ونزل جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة ، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ، ووضع جناحه اليسرى على الأرضين فارتفعت ، حتى نظر عليه الصلاة والسلام إلى مكة والمدينة شرفهما الله تعالى إلى دار القيام ، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليهم السلام ، فلما فرغ قال عليه الصلاة

---

(١) العضادة بالكسر : جانب العتبة من الباب « مصباح » .

والسلام : يا جبريل ! بمَ بلغ معاوية هذه المنزلة ؟ قال : بقراءة قل هو الله أحد قائماً وراكباً وماشياً » . كذا رواه البيهقي في « الدلائل » انتهى .

وفي « التذكرة » للقرطبي : أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ، وأَمِنَ من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة » .

كذا في « الفوائد » قال ﷺ : « إن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في مرضه الذي توفي فيه مات شهيداً » . وعدَّه العلماء في الذين ماتوا شهداء ، لا يسألون في قبورهم ، ولو لم يقرب موته بل طال مرضه بعد قراءتها . انتهى « خزينة » عبارته ١٥٨ .

أيها الولد ! نفع الله تعالى بك العباد ، ولا جعلك من أهل العناد آمين . إني ذكرت في فضيلة قل هو الله أحد ما هو الأهم عندي ، فإن أردت الزيادة فعليك الرجوع إلى الكتب .

وأما إهداء ثواب فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص إلى روح النبي ﷺ وإلى أرواح سائر المشائخ والنداء إليهم بـ يا أساتيذي ويا مشائخي أطلب منكم العون لأذهب إلى الله تعالى ويتقبلني الله تعالى ! فللوسيلة للاستمداد منهم وللقربة والمناسبة لهم ، وقد ورد في الحديث « تهادوا تحابوا » وطلب المحبة والمودة بين المتلاقيين مرغوب ، والهدية تذهب الشحناء ، وتلك الهدية كالصدقة ، والتصدق قبل النجوى محمود . وقال الله تعالى : ﴿ **إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً** ﴾ الآية . والأدب مع ورثته ﷺ كالأدب معه ﷺ فافهم . ومن المعلوم أنه لو كان واحد يهدي إلى واحد مثلاً بشيء من الدنيا صباحاً ومساءً ، ثم إن المهدي لو طلب من المهدى إليه جلب نفع إليه أو دفع ضرٍّ عنه ! يقصد المهدى إليه بهمَّته لقضاء حاجة المهدي ، وإن أمور الآخرة عند الأموات أعلى من أمور

الدنيا ، فإن الميت كالغريق ينتظر دعوة ملحقة من أب أو أم أو صديق ، فإذا لحقته كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها ، والميت قد عرف قدر الطاعة وندم على ما فات منها ، وأنه يكون حريصاً على الطاعة ومتحسِّراً على ما فرَّط في ذكر الله تعالى وقراءة كلامه ، فإذا أهدى واحد إليه شيئاً ما مما قرأه من القرآن كان ذلك عنده أحبّ إليه مما طلعت عليه الشمس . والمشائخ رحمهم الله تعالى ، وإن ماتوا فهم أحياء عند الله ، ويسمعون نداء الأحياء ويجيبونه ، ويمدّون لمن طلب منهم المدد .

وقد رأيت في « المنن » ما حاصله : ومن شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده **وإن كان بينهما مسيرة ألف سنة** ، أو ما هذا معناه .

وكان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بأن نقول بعد إهداء ثواب قراءة الفاتحة والإخلاص إلى أرواح المشائخ ، وبعد نداء إليهم بيا أساتيذي . . إلخ : بيا رب لا تطردني عن بابك بحرمة هؤلاء المشائخ إلخ . . فإذا سأل الله بالنبي ﷺ ! فإن الملك يبلغه ذلك للنبي عليه السلام ويقول له : إن فلاناً سأل الله بحقك في حاجة كذا ، فيسأل النبي ﷺ ربَّه في قضاء تلك الحاجة ، فيجاب ، لأن دعاءه ﷺ لا يردُّ . وكذا السؤال بالأولياء ! فإن الملك يبلغهم أيضاً ، فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » مبسوطاً فراجعه في ١١ من هامش « المنن » ج٢ .

ولا يخفى عليك أن جعل الوسيلة لله[1] إنما هو من إعظام جانب

---

(١) أي : إلى الله .

* وجوّز في « البزازية » أن يقول : بحرمة فلان ، وفي « المنية » : وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول بل الاستحباب . نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم من الله شيئاً فاسألوه بي ، فإني أنا الوسيلة ، أنا بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي : من كانت له حاجة فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثيرة في الكتب ، كـ« الحصن الحصين » . « بريقة » عبارته ٣٣٤ . =

التوحيد ، فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه ، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق ، فتجتمع همَّته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه ، اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب ، وإعظاماً لقدره وإيماناً بأنه هو الفعال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية ، لاتِّباعهم بنبيَّه الكريم ، ولوقوفهم عند أمره العظيم . وقد ثبت في الأحاديث التوسل به ﷺ ، وبالنبيين والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وفي « نور الإنصاف » بسط فراجعه .

ورأيت في « فتاوى » الرملي ما نصه هذا : وسئل عما يقع من العامة من قولهم في الشدائد يا شيخ فلان ! يا رسول الله ! ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا ؟ وهل للرسل والأنبياء والصالحين والمشائخ إغاثة بعد موتهم ، وماذا يرجح ذلك ؟ فأجاب : بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم ، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم . انتهى فراجعه في ٣٨٢ من هامش « فتاوى » ابن حجر من الجزء الرابع . وفي « الفتاوى العمرية » : وقوله : يا سيدي يا بدوي ! ويا شيخ فلان ! ليس من الإشراك لأن القصد التوسل والاستغاثة . قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ . انتهى نقله من الشيخ الإمام

=خاتمة : سئل عز الدين : هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبيّ والملك والوليّ .

فأجاب : بأنّه جاء عن النبي ﷺ أنّه علّم الناس (اللهم إنّي أقسم عليك بنبيك محمّد نبيّ الرحمة) ، فإن صح فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه السلام لأنه سيد ولد آدم ، ولا يقسم على الله غيره من الأنبياء والملائكة ، لأنهم ليسوا في درجته ، ويكون هذا من خواصه . انتهى . والمشهور أنه لا يكره بشيئ من ذلك . « مغني » عبارته ١٨٥ .

العلامة أبو العز أحمد العجمي الشافعي الوفائي رحمه الله تعالى .

وفي « الفتاوى العمرية » أيضاً في موضع آخر : وأما قوله : يا شيخ عبد القادر فهو نداء ، وإذا أضيف إليه شيء لله فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب لحرمة ذلك ؟ « فتاوى خليلي » انتهى عبارته ، راجعه تجد البيان .

وقد خطر لي على جواز ذلك دليل قوي لم أر من ذكره ، وهو أنه ورد في الحديث القدسي « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر » الحديث .

ولا شك أن من يسمع بالله ويبصر بالله يستوي عنده القريب والبعيد من المسموعات والمرئيات ، إذ الأمر يرجع إلى أنّ الله تعالى يمنّ ذلك السامع وذلك المبصر بقوة عظيمة يسمع بها ويرى البعيد والقريب ، كما سمع النبي ﷺ الذي استغاث به من بني كنانة ، وأخبر بكثير من المغيبات التي رآها حتى النار والجنة ومن فيهما رآهما في عرض الحائط ، كما صح في الحديث . وذلك أيضاً يتفاوت بتفاوت الناس ، فالأنبياء بذلك أعلى من الأولياء ، ولهم أيضاً درجات ؛ وأعلى درجاتهم سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ . « شواهد الحق » عبارته ١٥٠ .

وأما التفكر في الموت وما بعده بعد ذلك وقبل تصور صورة الشيخ وربط قلبه بقلبه ! **فلأنّ قلب المريد مملوء بنقوش الأغيار ،** ومتدنِّس بدنس الأفكار ، فلا يكاد أن يخطر فيه سواها ، فلا يصفو له تصور صورة شيخه .

فإذا تفكر في الموت وما بعده تقل عنه الخواطر النفسانية والأفكار الفاسدة الكامنة في وسط القلب ، أو تنفى بالكلية ، فيقدر أن يتصوّر صورة

الشيخ ، فإنَّ تذكر الموت علاج لذهاب الخواطر . وفي شرح « عين العلم » وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت : أكثري ذكر الموت يرقُ قلبك . ففعلت ، فرقَ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى عبارته ٨٨ ج٢ ، وعينه في « الإحياء » في باب ذكر الموت .

وفائدة تذكر الموت والتفكر وفضائلهما كثيرة ، فمنها ما ذكره سليمان الزهدي النقشبندي الخالدي في هامش « صحيفة الصفا لأهل الوفا » بما نصُّه : عن مقداد بن أسود ﵁ قال عليه السلام لأبي هريرة ﵁ كيف تفكُّرك ! وفيماذا ؟ قال : في قوله : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : تفكُّرك خير من عبادة سنة . ثم سأل عليه الصلاة والسلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكُّره فقال : تفكري في الموت وهول المطلع . قال عليه الصلاة والسلام : تفكرك خير من عبادة سبع سنين . ثم قال عليه الصلاة والسلام لأبي بكر ﵁ كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول يا رب اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصدَّق وعيدك لا تعذب أمة محمد ﷺ . فقال عليه الصلاة والسلام : تفكرك خير من عبادة سبعين سنة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ﵁ . انتهى عبارته في ٥ .

يا ولدي ! ويا قرة عيني تدبَّر في جميع ما للمريد من المنافع والفضائل بمجرد الاشتغال بمقدمات الرابطة ، من الاستغفار ، وقراءة سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، وإهداء ثوابها لروح النبي ﷺ ، ولأرواح المشائخ ، والتفكر في الموت وما بعده صباحاً ومساءً في كل يوم ، مع أنه لا ينقص له من أجر ما قرأه شيء وإن أهدى إليهم ثوابه ، كما هو[1] مذكور في « التتارخانية » عن « المحيط » . فكم وكم فضيلة

---

(١) أي : عدم النقصان .

* ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن أبي الحمائل يرى النبي ﷺ ، ثم=

يحوزها المريد! فجزى الله تعالى عنا وعن أهلنا المشائخ حيث علمونا أمثال هذه الفوائد، ولولاهم لبقينا في واد الجهالة متحيِّرين محرومين عن هذه الفضيلة. فالحمد لله رب العالمين.

وأما الرابطة: فقد كان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بعد إتمام ما ذكر من ترتيب الشغل بالرابطة، أي بتصوُّر صورة الشيخ محمود أفندي قدس سره، وربط القلب بقلبه للاستفاضة، صباحاً ومساءً في كل يوم. وكان يقول: **إن حكمة تعيين تينك الوقتين** المذكورتين للرابطة كون أرواح المشائخ فيهما يدورون مشرقاً ومغرباً، فإذا وجدوا أحداً يرابط واحداً منهم يقف ذلك الواحد ويتوجه إليه، فيقف حينئذٍ كلهم وينظرون ويتوجهون إليه، فيحصل لذلك المرابط البركة من جميعهم. انتهى.

وكان رحمه الله تعالى يقول: إنه كان يراهم يدورون كذلك في

=يدخل رأسه في جيب قميصه ثم يقول: قال النبي ﷺ فيه كذا، فيكون كما أخبر، لا يتخلف ذلك أبداً. فاحذر من إنكار ذلك فإنه السمّ. قال النابلسي: وليس هذا بأمر عجيب، ولا شأن غريب، فإن أرواح الموتى مطلقاً لم تمت ولا يموت أبداً، ولكنها إذا فارقت الأجسام الترابية العنصرية تصوّرت في صورها كتصور الروح الأمين جبريل عليه السلام في صورة أعرابي، وفي صورة دحية الكلبي. وإذا كان هذا في أرواح عامة الناس فما بالك بأرواح النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وليس الموت بإعدام للأرواح وإن بليت أجسامها وسؤال القبر حق، وكذلك نعيمه وعذابه حق في مذهب أهل السنة والجماعة. والسؤال والنعيم والعذاب إنما يكون في عالم البرزخ لا في عالم الدنيا، وعالم البرزخ بابه القبر، وليس في القبور إلا أجسام الموتى، لأن القبور من عالم الدنيا. وأرواح الموتى في عالم البرزخ أحياء بالحياة الأمرية، وإنما كانت الأجسام في الدنيا أحياء بأرواحها، فلما عزلت عن التصرف فيها ماتت الأجسام، والأرواح باقية في حياتها على ما كانت. وإنما الموت نقلة من عالم إلى عالم فالأرواح المكلفة غير المرهونة بما كسبت تسرح في عالم البرزخ، وهي في صور أجسامها وملابسها، وتظهر في الدنيا لمن شاء الله تعالى أن يظهرها له، كأرواح الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى. وهذا أمر لا ينبغي للمؤمن أن يشك فيه لأنه مبنيّ على قواعد الإسلام وأصول الأحكام. «أفضل الصلوات» عبارته ٣٢.

حالة كونه في الخلوة والسلوك . انتهى .

وهذا الحقير الفقير رأى مرة في واقعة كأن النبي ﷺ يطير في الهواء راكباً على الفرس ، وكان معه وخلفه جمع كثير من المشائخ ، وكانوا يطيرون كما يطير الطير سريعاً من جهة المشرق إلى جهة المغرب ، وقد نزل من بينهم واحد[1] منهم إلى منزل واحد من قريتنا وداره ، فأخبرتُ الشيخ المذكور قدس سره هذه الواقعة . فقال : ألم تطر معهم ؟ فقلت له : لا . انتهى . فما أسرع أرجل فرس النبي ﷺ ! فقد كانت تسرع بحيث لا تدركها البصر . فحين سمعت الشيخ قدس سره يقول ما قاله ظننت أن سبب نزول ذلك الواحد[2] منهم إلى دار ذلك الرجل كونه وقتئذ يرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره ، وقد كان الرجل من المريدين المرابطين به ، والله أعلم .

ومما يؤيّد قول شيخنا المذكور ما قاله شيخ الطائية[3] بما نصه : **واعلم** أن المشائخ **ينظرون بعيون أفئدتهم ، ويراقبون بنور قلوبهم إلى أحوال المريدين في الأوقات الشريفة ، كوقت السحر ، وبعد صلاة الصبح** إلى وقت الإشراق ، فطوبى ثم طوبى لمن تقدم في هذا الوقت ! فويل ثم ويل لمن تأخر عن عيون قلوبهم ! فانظر أيها المريد كيف يكون حالك مع أنك في أودية الغفلة والنعاس ! وهو مطلع على سريرتك ! فواخجلتاه ويا حسرتاه من نظر رسول الله ﷺ . انتهى .

وسمعت شيخنا العسلي رضي الله عنه يقول : إن الشيخ ينظر إلى المريد وإن كان غائباً ، فإن وجده في حضور ووقوف فيتوجَّه إليه ويحصل له البركة ،

(١) أو اثنان ، شكّ .

(٢) أو الاثنان ، شك .

(٣) كذا في الأصل ولعله الطائفة ، تدبر .

وإن وجده في غفلة وفتور يتركه كما وجد . انتهى .

يا ولدي إن نظر الشيخ إلى المريد وتوجُّهه على قدر توجه قلب المريد إلى الشيخ ومحبته ، فذلك التوجه والمحبة هو يجر الفيض والمدد من حوض قلب الشيخ إلى قلبه ، وهما كالمغناطيس يجر الحديد إلى جانبه ، **فعلى قدر كينونة الشيخ في قلب المريد يكون المريد في قلب الشيخ** ، وتصرُّف الشيخ يكون بحسب صدق مَنْ توجه إليه[1] . فافهم فإنه[2] نفيس .

ويحتمل أن يكون سبب تعيين وقت الصباح ووقت العصر للرابطة ما ذكره الشعراني في « المنن » راجعه في ٢٦٢ ج١ : من أن الأرزاق المحسوسة تقسم بعد الصبح ، **والأرزاق المعنوية تقسم بعد العصر**[3] .

---

(١) راجع « المنن » في ١١٣ ج١ .

(٢) ورأيت في « نور الهداية » ما نصّه : على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيزة بموضع دون موضع ؛ وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيّتها . والبعد إنما يتعلّق بالمريد ، فإذا تذكر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه فتعلقت به قلبه فاستفاد منه . وإذا احتاج المريد الشيخ ليحلّ له إشكال واقعته يستحضر بقلبه ويسأله عما يشاء . هذا لا بلسان الظاهر بل بلسان القلب ، فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال . انتهى نقله من « الرسالة المكية » فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) . من خطه ، وراجع « نور الأبصار » من مناقب إبراهيم الدسوقي .

(٣) وقد أخبرني واحد من أهل الكشف أنّه كان في وقت الصبح يفعل الرابطة ففاجأه النوم فرأى واحداً يقسم شيئاً فأعطى القاسم منه للناس ولم يعطه شيئاً منه ، فانتبه من النوم فنظر في المسجد فوجد فيه المريدين قاعدين على الحضور . وأخبرني أيضاً أنّه كان في يوم في وقت العصر يرابط محمود الفعال قدس سره فطرأه النوم أيضاً ، فرآى في المنام كأنّ واحداً يقسم الأخباز المملوءة بالجبن فأعطاها لمن خلفه ولم يعطه شيئاً منها ، فانتبه من النوم فنظر خلفه فوجد خلفه رجلاً رآه قاعداً واقفاً على الحضور القلبي . انتهى . وقال أيضاً أنه يرى كثيراً في هاتين الوقتين نظير هذه الوقائع . والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

انتهى . أعني أن الذي يطلب الرزق ويحتاج إليه ينبغي أن يقف في حالة القسمة على الحضور ، لا على الغفلة والقصور ، ليكون مستعدّاً لنزوله ، متأدِّباً متضرعاً بين يدي القاسم . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب . فإذا كان الأمر كذلك أرجوك أن تلازم على الأوراد والرابطة في وقت الصبح ووقت المساء ، وأن تطلب من الله تعالى الفيض الخاص الذي يهبه تعالى في هاتين الوقتين خاصاً ، فإن الفيوض وإن كانت لا تنقطع دائماً لكن لله تعالى في أوقات مخصوصة سيول من الرحمات والنفحات ، كالأمطار تنزل في أوقات كالسيول ، وفي أوقات كالقطرات ، والمتعرِّض للنفحات(١) لا تكاد تخطؤه شآبيب الهبات . والشأن كله في صحة القصد والنية ، وتزكية الأعمال من الشوائب الردية والأخلاط البشرية ، فعساه تعالى إن طلبت بعلوِّ الهمَّة وصرف العزمة أن يوصل إليك رشحة من تلك الهبات والفيوضات ، فالمداومة على ذكر الله تعالى وطاعته مطلوب مع شهود التقصير في التشمير ، وعدم رؤية الأعمال قليلها والكثير ، إذ قليل العمل مع شهود ذلك خير من كثير ، ورؤية الأعمال والإعجاب بها محبطة لها كاسفة لنور البال . وعليك بالصبر والاحتمال ، وسلامة الصدر وسعة البال ، والعفو والصفح وكظم الغيظ في كل حال ، والرحمة والشفقة على عباد الله تعالى ، **فالراحمون يرحمهم الرحمن** ، وإنما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء ، « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » هكذا وردت الأحاديث .

واعلم يا ولدي أن الأبرار والمقربين ما نالوا إلى ما نالوه من الأذواق والمشاهد والمقامات السوامي والفوائد ، وتلقي الهبات والموارد ، وغير ذلك مما يقرب من الصمد الواحد ، بالترجي والمنا ، والتكاسل والهوينا ، بل ببذل المجهود في خدمة المولى الودود ، فإن أردت اللحوق بذلك الملأ

---

(١) نفح الطيب : فاح ، وله نفحة طيبة « مختار » .

فاسلك طريقهم المُثْلى[1] ، واتبع منهجهم الأعلى ، واقتف آثارهم وآدابهم ، واقتبس من نورهم ونارهم ، وتشبَّه بهم في شعارهم ودثارهم[2] ، فمن تشبَّه بقوم فهو منهم وإن بعدت حقيقته منهم ، ومن أحبَّ قوماً كان منهم ومعهم ، وإن أردت أن تحظى بقلب منوَّر صافٍ عن غير الله تعالى فلازم ذكره ، وواظب عليه في الليل والنهار ، في كل حال باللسان أو بالقلب ، فإن لازمته بتوجُّه تامٍّ يظهر لك نور وارد من الله تعالى كنور الشمس ﴿**مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ الآية . **فذكره تعالى غذاء لكل قلب مهتد ، وهو دواء لكل قلب موجع** ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية . والكون كله حجاب ، فبملازمة الذكر يصفو القلب عن نقوشاتها ، والنظر إليه ورؤيته عماء من الله تعالى ، وتيقَّن يا ولدي **أن القلب المشحون بالأغيار لا يصلح أن يكون محل نظر الله تعالى ،** ألم تسمع ما في الحديث « رماح » في ١٧٤ ج١ « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أعمالكم ، بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » **وأن الذاكر لله جليس الحق تعالى ،** فمن جلس معه فالأدب أن لا يلتفت إلى غيره .

والرابطة من أنفع الوسائل إلى الحضور ، وأجلِّ ما يدفع به الخواطر ، فقد مرَّ في الترغيب الأول أنها تثمر ما يثمر الذكر ، بل هي أشد تأثيراً من الذكر .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلُّف وتعمُّل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد ، التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً . فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظل الدليل

---

(١) أي : الفضلى « قاموس » .

(٢) الدثار بالكسر : كل ما كان من الثياب فوق الشعار « مختار » .

أولى من ذكر الحق سبحانه وتعالى باعتبار النفع ، يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً ، والسلام أولاً وآخراً . انتهى كذا في « مكتوباته » فراجعه في ١٦٠ ج١ .

يا ولدي أوصيك بالمداومة على الرابطة ، فإني سمعت شيخنا قدس سره يقول ويأمر أمك : داومي على الرابطة بالشيخ محمود أفندي على كل حال ، وفي كل وقت ، فلولا كان علم ما في المداومة عليها من النفع لما أمرها بذلك ! وقد أمرني قدس سره في حالة سلوكي أيضاً بالمداومة عليها[1] ، وعدم الغفلة عن تصوُّر صورة الشيخ محمود الفعال ولو في وقت ما . انتهى . وكان يقول : إنه غفل مرة حين كان في السلوك عن تخيُّل صورته ، فرأى شيئاً كبيراً ، كأنه جمل كبير فتذكر وقتئذ صورة محمود أفندي فغاب ، ثم بعد ذلك غفل عنه ثانياً فقام بين يديه شيء أسود كأنه منبر عظيم ، فطرأ عليه من ذلك خوف شديد ، فرجع حالتئذ إلى الحضور ، فغاب عنه في الوقت . انتهى . يعني أن ما رآه كان من الشيطان وقت غفلته عن الرابطة .

والسرُّ في ذلك أن الشيطان يحترق إذا دنا الشيخ الكامل الفاني الباقي ، فإذا رابط المريد قلبه به ، وتخيَّل كأنه بين يديه يحضر لديه روحانية الشيخ أسرع من لمح البصر ، فيهرب الشيطان حينئذ ، فهذا من أعظم فوائد الرابطة . فما أجلّ حال من له شيخ يقتدي ! وبه يرابط ويقتفي !

ولله در سيدي علي وفا رضي الله عنه حيث قال : **لا يظفر بأستاذ إلا مخصوص عند الله تعالى !** لأنه يوصلك إلى الله تعالى ، فسلم له إن وجدته تسلم وتغنم . فأستاذك بالنسبة إليك هو فضل الله تعالى عليك ورحمته بك ،

---

(١) أي : على الرابطة .

فتحققك به خير من جميع ما استفدته . ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقال ﷺ : من رأيته على عظم مرتبته وعلوِّ قدره عندك يتواضع لعظمة الله تعالى ، ويتصاغر من خشيته علماً وحكمة **فالزم قدمه** ، فإنه الذي ينفخ الأنوار في صور صدرك ، وسلام على إسرافيل ، وما أدراك[1] ما إسرافيل ! والسلام . انتهى . من « تقريب الأصول » عبارته ٧٠ .

وأما الوقوف في الرابطة في قدر ربع ساعة - وهو أقلها - فالسرُّ فيه أن قلب الشيخ مثل الميزاب . والفيض الجاري منه مثل الماء ، وقلب المريد مثل الإناء الذي وضع تحته ، فإن وضع الإناء تحت الميزاب لحظة مثلاً لا يصل إلى الإناء إلا قطرات من الماء لا يكفي للشرب ولا يسع للوضوء ، وإذا وضع تحته ولو قدر ربع ساعة يصل إلى الإناء ما يكفي للشرب والغسل والوضوء ، **فهكذا إذا صبر المريد في حالة الرابطة في ذلك القدر المذكور يصل إلى قلبه من الفيض الذي هو النور ما يكون سبباً لطرد الشيطان من الصباح إلى المساء ، ومن المساء إلى الصباح ، فإن الشيطان لا يدخل موضعاً فيه النور** ، لأن مسكنه ليس إلا الظلمة . وإن لم يصبر بل أسرع فيها لا يصل إلى القلب إلا شيئاً يسيراً من النور ، فيزول سريعاً ويجد الشيطان إلى قلب المريد سبيلاً .

وأيضاً إن مثال ذلك مثال الحطب الجاف الشديد الصلب إذا طرح إلى الماء وخرج منه سريعاً يجف سريعاً ، ويعود إلى حالته الأولى من الشدة والصلب ، وإذا تركه فيه زماناً يسري الماء في جميع أجزاء الحطب ، إلى أن يصل إلى اللب ، فلا يجف بعد ذلك إلا بعد زمان طويل ، فكذلك القلب القاسي .

---

(١) وفي نسخة : وما أدريك .

ومثال آخر أن القلب كالأرض الجاف الصلب ، والفيض كالمطر ، فإذا نزل إليها الماء زمناً ينبت عليها النبات الحسن ، وإلا ! فتبقى الأرض كما هي قبل ذلك . لكن النبات على قدر استعداد الأرض ، فإن كانت الأرض صلبة لا ينبت عليها إلا بالمطر الكثير والماء الغدير[1] ، وإن كانت سهلة مستعدة فيكفي لها القدر اليسير من الماء فينبت عليها ﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ الآية . . وهكذا القلب فافهم .

وقد سمعت شيخنا قطب الإرشاد العسلي قدس سره يقول : **إن سبب عدم وصول الحال إلى قلب المريد تهاونه في الرابطة ، وعدم صبره فيها** إلى أن يحصل له الغيبة . انتهى .

أقول والله تعالى أعلم : إذا وجد المريد في إحضار صورة الشيخ سكراً أو غيبة[2] يترك الالتفات إلى صورته[3] ، ويكون متوجِّهاً إلى ذلك الحال ، لأن الرابطة وسيلة إليها ، والغيبة هي المقصود منها ، ويسمُّونها زمان الوصول[4] في اصطلاح القوم . فراجع كتبهم .

وفي « المعربات » قال الغوث الصمداني : ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته ، الذي قطع

---

(١) الغدير : قطعة من الماء يغادرها السيل « مختار » .

(٢) أي : غيبة عما سوى الله (منه) .

(٣) أي : بعد تمكن ذلك الحال كما يأتى آنفاً (منه) .

(٤) ومما ينبغي أن يعلم أن منفعة الرابطة إنما تحصل إذا رابط المريد قلبه بقلب الشيخ مع ملاحظة صفاته ؛ من كونه فانياً في الله وباقياً به ، وتخلّقه بأخلاق الله وأخلاق رسوله عليه السلام . فإن حصول الأثر بملاحظة الصفات معلوم مشاهد مجرب ، ألا ترى أن واحداً لو تذكر رجلاً مضحكاً بمجرّد ذاته لا يحصل له به الضحك ، ولو تذكر مع ذاته ما يضحك به ، من صفاته وأفعاله وأقواله يحصل له الضحك والتبسّم ، وكذلك الحزن والبكاء . فيقاس على ذلك حال الرابطة ، فافهم فإنه نفيس (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شفاء للأمراض القلبية ، وتوجُّهه رافع للعلل المعنوية . انتهى . فالشيخ بقوة تصرُّفه ترتفع الظلمات البشرية عن المريد ، وتثبت أنوار الجمال الإلهي . **فمن داوم على الرابطة حصل له جميع أحوال الطريق وكمالات الحقيقة ، ومن اختلت رابطته انقطعت استفاضته** ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهر له أسرار الوصول !

ومما ينبغي أن يعلم : أن روحانية الشيخ ليست مقيدة بمكان دون مكان ، ففي أيِّ مكان يتصوَّره تحضر فيه روحانيته ، وينبغي للمريد أن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكن فيه ذلك الحال ، لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ، لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً ، إلى أن يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة . فافهم ، وراجع ، وتدبَّر ، ولا تكن من الجاهلين .

يا ولدي! قد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إن العلامة التي تحصل وقت الرابطة وحين حضور روحانية محمود أفندي هي الحرارة القلبية ، أو الارتعاش[1] والحركة ، أو شمُّ الرائحة الطيبة ، أو إلخ . ومن المريدين من لا يعلم شيئاً من الأحوال ، ومنهم من يعلمها بالذوق والوجدان . **وعدم العلم لا يكون نقصاً في الحال** ، بل العدم المحض أسنى الأحوال ، كما كتبه شيخنا سيف الله قدس سره بقلمه . فينبغي للمريد أن لا يكون قصده من الأشغال والوظائف إلا العبودية المحضة ، فكل شغل من أشغال الطرائق مما ورد به الأمر الإلهي فافهم . فهذه الترغيبات العشرة مما ينبغي اعتناؤها ، لينبعث عليها طالب السلوك ، فمن علم ماله فيما يفعله من المنفعة هان عليه السعي في طلبها . والله تعالى ولي التوفيق .

---

(١) أي : ارتعاش القلب وتحركه (منه) .

الخاتمة في الترهيب ونبذة من الوصايا

اعلم أيها الولد! - رزقك الله تعالى التقوى آمين - أن الشرع كله قد ورد مبنياً على الترغيب والترهيب ، فإن الترغيب للعبد كالملح للدابة الجموحة ، والترهيب كالسوط لها . وقد ذكرت في هذا الكتاب من الترغيبات ما فيها كفاية . وأنا الآن إن شاء الله تعالى أذكر هاهنا شيئاً من الترهيبات ، ليكونا للسالك كالجناحين للطائر . وكنت كتبت في الترغيب الأول ما في اتخاذ الشيخ من الفوائد ، لكن لما كان اختلاط الصغير بالكبير لا يخلو من خطر ولو في الجملة أردت أن أنبّه الولد على كيفية ما يجب عليه من الاحترام ، وما يطرأ عليه إذا ترك الحرمة .

قال : « في رماح حزب الرحيم » في ٣٣ ج١ : قال أبو المواهب التونسي : وإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت ! فتستوجب الطرد والمقت ، فإن من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه . انتهى . فلهذا قال شيخنا رضي الله عنه كما في « جواهر المعاني » ومن أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام مَنْ تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان ، وكان مثله كمن أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا قبله ، فيسجل[1] عليه بطابع الكفر . انتهى . وذلك لأن **الشيخ في قومه كالنبيّ في أمته ،** ومبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائباً عنه ﷺ ، راجع « رماح » في ١٢٦ ج١ ، فللمريد من الأدب مع شيخه والمحبة له بحكم الإرث نحو ما كان له ﷺ ، وذلك ليحصل له كمال الانقياد ويعتقد فيه أنه أشفق عليه من نفسه ، كما كان النبي ﷺ كذلك . قال تعالى ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ **وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في المحبة نفض يديه**[2] **منه .**

---

(١) أي : يضرب « مختار » .

(٢) وفي « جواهر المعانى » فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم=

وقد ذكر مثله صاحب كتاب « الرماح » في الفصل الثامن عشر .

وفيه : ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عديٍّ بن مسافر قدس الله سره . اعلم أنك لا تنفع قطّ بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذِّبك بأخلاقه ، ويؤيِّدك بإطراقه[1] ، وينوِّر باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء .

وقد ذكر سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى في كتابه المسمى « بالوصايا » . **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال ، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي ! لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه من إشراك أحد معه في المحبة ، لا يزيله إلا ذلك ، لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك . فافهم . انتهى .

=والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره . ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه ، لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يحنّ إلى مركزه ، وهي الحضرة الألهية التى برز وفيها نشأ . ولكلّ شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها غيره ، فإذا أورد منها نور بأمر من الأمور التى ذكرناها ، ونسب إلى غير تلك الحضرة الإلهيّة اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه ، وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهيّة أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل واحد إلى الله قال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهيّة فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذّب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب فإذاً يطرد ويسلب ، والعياذ بالله تعالى ، انتهى ١١٣ من الجزء الأول فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) من خطه .

(١) وفي نسخة : بأطرافه .

فعلم أن كل من لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قطّ بترك شيء إلا ليعطيه أنفس منه ، فمحبته نفاق ، ولا يمكن لشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار التي يترقى هو بها ، فإن مَنْ لم يصلح لأن يكون محلاً للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم ، وكذلك إذا كان الشخص يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام : وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال : والله لا آمنكم على إخراج ريح ! فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريقة ؟ **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر ، لا يفلح منهم أحد بعده لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم . انتهى من كتاب « الرماح » راجعه في ١٢٨ ففيه بسط وهو منقول من كلام الشعراني .

يا ولدي أعلمك بأن الأولياء(١) لا يعرفهم إلا مَنْ هو مثلهم ، أو من أراد الله تعالى أن ينفعه ببركاتهم ، فيستر عنهم الصفة البشرية ، ويشهد فيهم الحقيقة الربانية ، فيُقبل حينئذٍ إليهم بالكلية ، فيقبل إليه الشيخ بعد ذلك بالهمة فينتفع به ، ويسري إليه حاله .

ويؤيّد ما ذكر قول ابن عطاء الله : **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ، ولكن اطلب أن يكون الشيخ ببالك** ، فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله . انتهى .

وفي « رماح حزب الرحيم » في ١٣١ : اعلم أنه لا شيء أضرُّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم ، والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم ، وعدم قبول

---

(١) « رماح » ١٢٩ .

إشارتهم فيما يشيرون به . انتهى .

وفيه في ١٣٤ ج١ : وإياك أن تعترض عليه في شيء من أقواله ! ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظن ، وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً ، فإنهم قالوا : **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** . وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك ، واحمله على قصور علمك ونظرك ، فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك ، وأشد اهتماماً بها من غيره ، وكلما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكَر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض .

والحق أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكرت لظفرت به غالباً . انتهى عبارته ١٣٤ . ومن كان مسلِّماً بالظاهر معترضاً بالقلب فيعدّ من جملة الخداعين والمنافقين في الطريقة ، **فيكون مثاله مثال من يتكلم بلسانه : أنا أحبك ، وأنا معتقد فيك ، وفي جوفه رجل آخر يقول : أنا لا أحبك ، وأنا لا أعتقد فيك . والمشائخ يطلعون أمثال ذلك ، ولهم أذن يسمعون كلام الباطن** . فالحذر الحذر من أمثال ذلك يا ولدي ! فإن بها ينقطع الرابطة بين الشيخ وبين المريد ، فلا ينفذ تصرُّفه فيه ، ولا ينجع[1] كلامه ، فتزلَّ قدمه ! وينحرف عن جادّة الطريق ، ويقع في الهلاك ، فالعياذ بالله تعالى . فينبغي أن يعلم أن من **نظر إلى ظاهر الوليّ يخسر دنياً وأخرى ، ومن نظر إلى باطنه يفلح ويسعد** ، فإن في باطنه العجائب والغرائب ، لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ، فيكون عرشيّاً فرشيّاً وكائناً بائناً ، لا يخرج عن حضرة ربه ، ولا يزحزحه عن محلّ قربه ، ولا يحطُه عن كمال أدبه . حققنا الله تعالى هذه المرتبة ، وأكرمنا بالوصول إلى هذه الدرجة آمين .

---

(١) ونجع الدوآء إلخ : ظهر أثره « مصباح » .

وقال الإمام الرباني قدس سره : إن إنكار هذه الطائفة سمّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمُّ الأفعى[١] يؤدي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السّرمدي ، فكيف إذا كان هذا الإنكار والاعتراض راجعاً إلى الشيخ ؟ وكان سبباً لإيذائه ؟ ومنكر هذه الطائفة محروم من بركاتهم ، والمعترض عليهم خائب وخاسر في جميع الأوقات ، وما لم يكن حركات الشيخ وسكناته مستحسنة في نظر المريد لا ينال نصيباً من كمالاته ، فإن نال يكون استدراجاً ، ويكون عاقبته هلاكاً وبواراً[٢] ، وفضيحة ودماراً[٣] ، فإن وجد المريد في نفسه مجال الاعتراض على الشيخ مقدار شعرة مع وجود كمال محبته وإخلاصه له فليتيقَّن أن ذلك ليس إلا خيبته وخسارته ، وحرمانه من كمالات الشيخ أو رذالته[٤] ، فإن خطر في قلب المريد فرضاً شبهة في فعل من أفعال الشيخ ولم يندفع بالدفع فليستفسره عنه على نهج يكون خالياً عن شائبة الاعتراض ، ومبرءاً عن مظنة الإنكار . وحيث كان المحق والمبطل ممتزجان وملتبسان في هذا الزمان ، فلو ظهر من الشيخ أمر مخالف للشريعة أحياناً ينبغي للمريدين أن لا يقلِّدوه فيه ، بل يطلبون له محملاً بحسن الظن مهما أمكن ، ويبتغون وجه صحّته ، فإن لم يظهر وجه الصحة ، ينبغي أن يلتجئوا ويتضرعوا إلى الحق سبحانه وتعالى في دفع هذا الابتلاء عنهم ، ويطلبوا منه تعالى سلامة

---

(١) أي : الحية .

(٢) بار : هلك « مص » .

(٣) أي : هلاكاً .

(٤) ورأيت في كتاب « الرماح » ما نصه : وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للآداب مع الشيخ من كل وجه ، فتعرض للشيخ النفرة منهم ، فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمكة ، فيصير يسخر بالشيخ ، فإنهم قالوا : حكم الشيخ حكم الصياد الذي يصطاد المريدين من أفواه الشياطين ، ويخرجهم من تحت أسنانهم . انتهى . فراجعه في ٢٠١ من الجزء الثاني (منه) .

الشيخ وعافيته بالبكاء والابتهال ، فإن عرض للمريد شبهة في حق الشيخ لارتكابه الأمر المباح لا تعتبر تلك الشبهة ، ولا يُعبأ بها **فإنه إذا لم يمنع مالك الأمور جل سلطانه عن إتيان المباح ، ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه وتعالى أن يعترض عليه من قبل نفسه** ؟ وكم من مواضع يكون فيه ترك الأولى أولى من إتيانه . وقد ورد في الحديث « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصُه كما يحب أن تؤتى عزائمه » انتهى عبارته . « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ ج١ .

يا ولدي! قد سمعت ما في اعتراض الشيخ من الضرر ، وإياك ثم إياك أن تنكر الطريق أيضاً ! فإن الطريقة والشريعة عين الآخر ، وهما متلازمان لا فرق بينهما ولو في شيء .

وقد نقل عن سيدي أبي المواهب الشاذلي أنه قال : سمعت شيخنا أبا عثمان ﵁ يقول بالدرس على رؤوس الأشهاد : لعن الله من أنكر على هذا الطريق ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل : لعنة الله عليه .

وكان يقول : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . انتهى . « تقريب الأصول » عبارته ٨١ .

يا ولدي ! إن أردت الزيادة عمّا ذكرته في هذا الترهيب فراجع تأليف والدك « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » تجد فيه ما يكفي لك ، وقد ذكرت فيه قصة ما وقع لابن السَّقا من الشقاوة لمجرد تركه أدب الشيخ يوسف الهمداني قدس سره بكلام واحد فراجعه .

ترهيب آخر

يا ولدي! أوصيك بحفظ العين ، فإنها سبب كل فتنة وآفة ، وقد روي عن النبي ﷺ « إن النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس ، فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسرُّه » ، وإن وجدان حلاوة العبادة ولذَّة

المناجاة عند العارفين درجة عالية ، ومن المجرّب أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه يجد لذَّة العبادة ، وحلاوة الطاعة ، وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك ، كما ذكره الغزالي في « منهاجه » وعليك بصيانة سمعك عن استماع الشر والفضول ، واعلم أن المستمع شريك القائل ، وأن الاستماع إلى الخنا[1] والفضول يهيج الخواطر والوساوس في القلب ، وربما يبقى ما سمعه من الكلام فيه ولا ينساه ، ولا يصفى القلب عنه ، ولا يتفرغ لذكر الله تعالى والتفكر في آلائه .

ثم عليك يا ولدي بحفظ اللسان وضبطه وقيده ، فإنه أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً ، وأكثرها فساداً وعدواناً .

واعلم أن التكلم بما لا يعنيك يورث القساوة في قلبك ، والوهن في بدنك ، والحرمان في رزقك ، فالتكلم باللغو تضييع للوقت ، وبالغيبة إحباط للعمل ، فإنها هي الصاعقة المهلكة للطاعات . وفي الصمت سلامة في الدين والدنيا والآخرة .

وأوصيك أيضاً بترك مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة الضرورية ، فإني وجدت **كل الآفات محفوفة بالمعاشرة والمخالطة** ، وقد جرت عادة المشائخ بمنع المريدين عن مخالطة المريد الغافل فضلاً عن غيره .

فإن قلت أن الطريقة النقشبندية مبنيّة على الخلوة في الجلوة ، وإن العزلة ليست بشرط فيها .

أقول : إن الخلوة في الجلوة لا تكون مع كل أحد ، بل مع المرشد والإخوان ، وأما **العزلة عن الأغيار من أهم المهمات** بإجماع المشائخ ، كما ذكره محمد مراد في « ذيل الرشحات » وقد يمنع المشائخ المريد عن نظره إلى وجوه الغافلين ؛ لأن غفلة الغافل تنعكس

---

(١) الخنا : الفحش ، وأخنى عليه في منطقه أي : أفحش . « مخ » .

إليه فيتكدّر بذلك القلب الصافي .

وفي « كنز المعارف » ما حاصله : إذا أنت مع شخص جلست ولم تجد حضورك ينمو فاجتنبه وفارق ، ولا تصحب الأغيار ، واختر مصاحباً يفيدك جمع[1] القلب من غير عائق . انتهى راجعه ١٩١ .

ورأيت في « الرشحات » ما نصّه : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى . وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي هي فوق جميع النسَب ، فإن الحكم للغالب ؛ **فإن كان صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ، وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية** ! ! انتهى عبارته .

وفيه : **جالسوا جماعة لا يغلبون عليكم ولا يأكلونكم ؛** يعني لا يكونون أقوى منكم بحسب النفس والهوى ، ولا يضيعون أوقاتكم ولا يفوتونها ، فإن من ضاع وقته فقد ضاع هو بنفسه ومات . انتهى عبارته .

وقد ذكرت ما في صحبة الأغيار من الضرر في « تنبيه السالكين » فراجعه ففيه ما ينبغي مراجعته .

يا ولدي خذ من العلم ما ينفعك ودع ما سواه ، والزم العمل بما علمت ، فإن لم تعمل به فهو حجة عليك ولا يزيدك به إلا العقوبة .

واعلم أن العلم المجرد عن العمل لا يأخذ يدك يوم القيامة فـ :

---

(١) أي : مع الله (منه) .

عالـم بعلمه لـم يعملَنْ مُعذَّب من قَبْل عابد الوثنِ . . إلخ .

واذكر ربك كثيراً ولا تغفل عنه لحظة ، فالغفلة عن الله **من أعظم الذنوب عند أهل الله** ، والزم الوقوف القلبي فإن فيض الله لا انقطاع له ، والمانع من وصوله إلى القلب وإحساسه هو الخلوّ عن الوقوف والحضور ، فإذا حضر وصل وإن غفل رجع ، والجلسة الواحدة مع الحضور ، والوقوف خير من عبادة سنين بغير حضور[١] فالعبادة التي خلت عن الوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح ، ولا تترك الورد ما استطعت فقد قال في « الرشحات » : من أخذ عملاً عن كامل مكمّل فالمواظبة عليه موجبة للوصول إلى درجات عالية انتهى . وتيقَّن أن الذكر بمثابة الفأس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب ، ودوامُ الحضور منوط بترك المألوفات وهجر المأنوسات ، والقلب لا ينجلي إلا بذكر كثير ، ولا تترك السنن فإن كل طالب لا يعدّ السنة فرضاً على نفسه فهو ناقص ليس له في سهام أهل الكمال نصيب ، ولا تصحب الأغنياء وأرباب التنعم ! فصحبتهم سمّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب كما قاله صاحب « الرشحات » نقلاً عن بعضهم .

وقد قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه في مذمّة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها : لا يكونَنَّ ولدي الأرشد مغروراً بهذه الدنية المبغوض عليها ولا يضيعنَّ بضاعة الإقبال إلى جناب قدس الحق جلّ سبحانه ينبغي التفكر أيّ شيء يُباع وأيّ شيء يُشترى تبديلُ الآخرة بالدنيا ، والامتناع من طلب الحق بالخلق من السفاهة والجهالة ، والجمع بين الدنيا والآخرة من قبيل الجمع بين الأضداد .

---

(١) ومر قبيل الترغيب الخامس ما ينبغي مراجعته (منه) .

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا ؛

فاختر ما شئت من هذين الضدين ، وبع نفسك من أيهما شئت ؛ عذاب الآخرة أبدي ومتاع الدنيا قليل ، والدنيا مبغوض عليها عند الحق سبحانه والآخرة مرضيّة له تعالى وتقدس :

عِشْ ما شئت فإنك ميت والزم ما شئت فإنك مفارق

ولا بد من ترك العيال والأولاد أخيراً وتفويضهم إلى الحق سبحانه وتعالى ، فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً وأن تفوضهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ نص قاطع . وقد سمعت مكرراً أن نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور إلى متى يمتد ، فلا بد من التنبه والتيقظ .

واعلم أن **صحبة أهل الدنيا والاختلاطَ بهم سمّ قاتل** ، وقتيل هذا السمّ ميت بالموت الأبدي ، العاقل تكفيه الإشارة فكيف التصريح مع هذه المبالغة والتأكيد ! وطعام الملوك وإن كان لذيذاً ولكنه يزيد مرض القلب فكيف يرجى الفلاح والنجاة ؟ الحذر الحذر الحذر . شعر :

وما هو من شرط البلاغ أقوله فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملالة

فِرَّ من صحبتهم أكثر مما تفر من الأسد ، فإن الفرار منهم وإن أوجب الموت الدنيوي ولكنه قد تفيد في الآخرة ، واختلاط الملوك يوجب الهلاك الأبدي والخسارة السرمدي ، فإياك وصحبتهم وإياك ولقمتهم وإياك ومحبتهم وإياك ورؤيتهم ! وقد ورد في الخبر الصحيح : « من تواضع لغنّي لغناه ذهب ثلثا دينه » ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم أو من جهة شيء آخر ؟ ولا شك في أنه من جهة غناهم ، ونتيجته ذهاب ثلثي الدين فأين أنت من الإسلام ؟ وأين أنت من النجاة ؟ وكل هذه المبالغة والإبرام[1] ليعلم ولدي أن لقمة غير الجنس

---

(١) الإبرام أي : الإحكام كما في قولهَ تعالى ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ الآية .

وصحبتهم تحجب قلبه عن تذكر المواعظ وتعقُّل النصائح فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام ، فالحذر الحذر من صحبتهم ! والحذر الحذر من رؤيتهم ! والله سبحانه وتعالى الموفق . نجانا الله تعالى وإياكم عما لا يرضى عنه ربنا المتعالي ؛ بحرمة سيد البشر الممدوح بما زاغ البصر عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها والسلام . انتهى عبارته في ١٢٩ ج١ « الدرر المكنونات » .

وفيه في ٨٢ ج١ : **أيها الولد!** إن الدنيا محل الامتحان والابتلاء ؛ ظاهرها مموَّه ومزيَّن بأنواع المزخرفات[١] ، وصورتها منقشة وملونة بالخيلان[٢] والخطوط والذوائب والخدود الموهومة ، حلوة في بادي النظر ، متخيلة بالطراوة[٣] والنضارة[٤] في البصر ، ولكنها في الحقيقة جيفة مرشوش عليها العطر ، ومزبلة ملآنة بالذباب والدود سراب يرى كالسراب ، وسمّ في صورة سكر ، باطنها خراب وأبتر ، ومعاملتها مع أبنائها مع وجود هذه الدّمامة[٥] والوقاحة[٦] شر من جميع ما يقال ويذكر ، عاشقها سفيه ومسحور ، ومفتونها مجنون ومخدوع ، من افتتن بظاهرها فقد اتسم بسيمَة الخسارة الأبدية ، وكل من نظر إلى حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامة السرمدية ، قال سيد الكائنات حبيب رب العالمين عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « ما الدنيا والآخرة إلا ضَرَّتان إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى » فمن أرضى الدنيا فقد أسخط الآخرة على

---

(١) الزخرف الذهب ، ثم يشبه كل مموّه مزوّر ، المزخرف المزيّن « مختار » .

(٢) والخال الذي في الجسد جمعه خيلان « مصباح » .

(٣) طرو الشيء بالواو إلخ أي : غض بيّن الطراوة « مصباح » .

(٤) نضر الوجه :حسن « مصباح » .

(٥) دمَّ الرجل : دمامة قَبُح منظره وصغر جسمه « مصباح » .

(٦) قلة الحياء من « مص » .

نفسه ، فلا جرم لا يكون له نصيب من الآخرة . أعاذنا الله سبحانه وتعالى وإياكـم من محبتها ومحبة أهلها .

أيها الولد هل تدري ما الدنيا ؟ ! كلما يعوقك ويحجبك عن الحق سبحانه وتعالى من النساء والأولاد والأموال والجاه والرياسة واللهو واللعب والاشتغال بما لا يعني فهو داخل في الدنيا والعلوم التي لا دخل لها في علوم الآخرة فهي أيضاً من الدنيا ، فلو نفع تحصيل علم النجوم والمنطق والهندسة والحساب وأمثالها من العلوم التي لا طائل فيها لكانت الفلاسفة أهل النجاة .

قال النبي ﷺ : « علامة إعراضه تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه » ، شعر :

من كـــان في قلبه مقدار خردلة   سوى هوى الحق فاعلم أنه مَرض

إلى آخر ما قاله قدس سره .

يا ولدي إنى إنما أمرتك بقراءة كتاب « إحياء علوم الدين » ومنعتك عن قراءة غيرها من الكتب التي أكثر مسائلها مربوط بالدنيا وأهلها لأجل هذه العلة السابقة ، فعليك بالمواظبة عليه والعمل[1] بما فيه ، فإنه كتاب نفيس أثنى عليه أكابر السادات ، ففي ذلك كفاية لك وفقك الله تعالى للعلم والعمل ، آمين .

يا ولدي أوصيك أن لا ترى نفسك فوق أحد وكن حقيراً ذليلاً أديباً حسن الخلق ، كريماً سخيّاً لا شحيحاً بخيلاً ، ولا تتَّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، واحذر من أن يـخدعك نفسك فإنها لا تأمر بطبعها إلا بالسوء والشر ، ولا تطيع خالقها إلا بالتكلف والمجاهدة ، وفي القرآن

---

(١) وقد رأيت في « أذكار النووي » ما نصّه : إنّ تعلّم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة . فراجعه (منه قدس سره) .

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وإذا كان أمر النفس هكذا أردت أن أكتب هنا ما قاله الإمام الرباني[1] قدس سره في بعض مكاتيبه فأرجوك أن تصغي إليه بسمع القبول :

قال رضي الله عنه : فاعلم أيها المخدوم المكرم أن النفس الأمارة الإنسانية مجبولة على حب الجاه والرياسة ، وجميع همتها الترفع على جميع الأقران ، ومتمنّاها بالذات أن يكون الخلائق كلّهم محتاجين إليها ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى شئ ومحكومة لأحد أبداً ، وهذه كلها هي دعوى الألوهية منها والشركة مع خالقها المنزه عن المثل والشبه جل سلطانه ، بل هي البعيدة عن السعادة غير راضية بالشركة ، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير ويكون الكلّ تحت حكمها ! وقد ورد في الحديث القدسي : « عادِ نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي » فتربية النفس بإعطاء مراداتها من الجاه والرياسة والترفع والتكبر إمدادها في الحقيقة لعداوة الله تعالى عز وجل وتقويتها لذلك ! فينبغي أن يدرك شناعة هذا الأمر جداً ، وقد ورد في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما أدخلته في ناري ولا أبالي » .

وإنما كانت الدنيا الدنية مبغوضة عند الحق سبحانه وتعالى وملعونة ! بسبب أن حصولها ممدّ ومعاون في حصول مرادات النفس ، فمن أمدّ العدو لا جرم يستحق اللعن والطرد ، **وإنما صار الفقر فخراً**[2] **محمّديّاً** عليه وعلى آله الصلاة والسلام فإن في الفقر عدم حصول مراد النفس وحصول عجزها .

---

(١) راجع « الدرر » في ٦٦ ج١ .

(٢) هو إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله ﷺ « الفقر فخري » ، فافهم .

والمقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكمة في التكليفات الشرعية : هو تعجيز هذه النفس الأمارة وتخريبها ، وقد وردت الشرائع لرفع[1] الهوى النفساني ، وكلّما يعمل شيء بمقتضى الشريعة يزول من الهوى النفساني بقدره ، ولهذا كان فعل شيء من الأحكام الشرعية أفضل في إزالة الهوى النفساني من رياضات ألف سنة ومجاهدتها التي كانت من قبل النفس ، بل هذه الرياضات والمجاهدات التي لم تقع على مقتضى الشريعة الغرّاء مؤيدة ومقوية للهوى النفساني ، ولم تقصر البراهمة والجوكية في الرياضات والمجاهدات شيئاً ، ولكنها لما لم تكن على وفق الشريعة لم ينتفعوا بها أصلاً ولم يحصل لهم غير تقوية النفس وتربيتها ، فمن صرف مثلاً دانقاً بنية أداء الزكاة التي أمر بها الشرع فهو أنفع في تخريب النفس من صرف ألف دينار من قبل نفسه ، وكذلك أكل الطعام يوم عيد الفطر بحكم الشريعة أنفع في دفع الهوى من صيام سنين من قبل نفسه ، وأداء ركعتي الفجر مع الجماعة التي هي سنة من السنن أفضل من قيام تمام الليلة بالنافلة مع ترك الجماعة في الفجر .

وبالجملة إن النفس ما لم تتزك من خبث ماليخوليا دعوى السيادة والرفعة فالنجاة محال ؛ ففكر إزالة هذا المرض ضروري كيلا يفضي إلى الموت الأبدي وكلمة (لا إله إلا الله) التي وضعت لنفي الآلهة الآفاقية والأنفسية أنفع في تزكية النفس وأنسب لتطهيرها .

واختار أكابر الطريقة قدّس الله تعالى أسرارهم لتزكية النفس هذه الكلمة الطيبة ، شعر :

ما دمت لم تضرب بلا عنق السوى   في قصر إلا الله لست بواصل

وما دامت النفس في مقام البغي والعناد ونقض العهد والفساد ينبغي

(١) وفي نسخة : لدفع .

أن يجدد الإيمان بتكرار هذه الكلمة ، قال ﷺ : « جدّدوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله » بل لا بد من تكرار هذه الكلمة في جميع الأوقات ، فإن النفس الأمارة في مقام الخبث دائماً .

وقد ورد عن النبي ﷺ في فضائل هذه الكلمة حديث : « لو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان وهذه الكلمة في كفَّة لترجحت هذه الكفة على الأخرى » والسلام على من اتبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة الأكمل والسلام الأوفى . انتهى .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما قاله الشيخ المرحوم خالد سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه إلى واحد من إخوانه في الدين فقال قدس سره :

طلب المال

أيها الولد إني أقول لك أن تجتهد أن تكون من القوّامين للتكسُّب لأجلك ولأجل عيالك بالوجه الحلال ، فذلك مزية عظيمة من الله تعالى لخواص عباده ؛ لما أن كمال المقام لا يتحقق إلا بالزهد عمّا في أيدي الناس ، والكامل من يسلك الناس وهم في حِرَفهم ، وإنَّ زهد الكمّل ليس بخلوِّ اليدين من الدنيا ، وإنما الزهد بخلوّ القلب ، وأكابر الأولياء يسارعون إلى التكسُّب بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوزوا بلذة الخطاب[1] لا لعلة أخرى ! قال تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . . إلخ ، فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإقراضهم من فواضل كسبهم كلّ محتاج . مفهومه أن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء الحبالى ، وإن كان له لحية كبيرة وسبحة طويلة وسجادة وعزبة ومرقعة وشفاعات عند الحكام وغير ذلك ، وليس له في الرجولية

(١) أي : بقوله تعالى ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . . إلخ فافهم .

نصيب كما قال تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ فعلم أنه لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجراً أو زراعاً ، بل ذلك أكمل له ، فإياك يا أخي أن تنكر على فقير التكسب والتجارة والزراعة أو معاملة الناس أواخر عمره ! وقد ختم عمره بمحبة الدنيا بعد أن كان زاهداً فيها وفي أهلها ، فربما يكون مشهد ذلك الفقير ما قلناه أو غير ذلك من النيات الصالحات وإيثار الزهد مع خلو اليدين ربما يكون لعلة الفقد .

وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرداً عن الدنيا بالكلية ؛ بأن يخلو يده منها ؛ وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إمّا بالحال وإما بالمقال ، بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منه المحتاجين من مريديه وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم ، ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، وفي الحديث « عزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه في قيام الليل » انتهى من خطه قدس سره وكلامه هذا زبدة كلام الأكابر وملخص ما ذكروه في كتبهم ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

مهمات في ترغيب الكسب الحلال

وقال صاحب كتاب « الرماح » ٤٣ ج١ رضي الله عنه بعد نقله مثل[1] ما مرّ عن الشعراني قدس سره قلت : وفي الحديث أيضاً أن « من طلب الدنيا قليلاً تعففا عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالبدر » .

وفيه أيضاً : أنه ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى

(١) أي : وكلام سيف الله مستنبط من كلام الشعراني وصاحب « الرماح » نقله أيضاً وقال بعد ذلك ما يأتي ، فافهم (منه) .

شاب ذي جلدة وقوة وقد بكَّر يسعى فقالوا : يا ويح هذا ! لو كان جَلَده وشبابه في سبيل الله . فقال ﷺ : « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفَّها عن المسئلة ويغنِيَها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان » .

وفيه : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله مِنْ فَضْلِهِ فيسأَلَهُ أَعْطاه أوْ منعه » .

وقال حذيفة : خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه .

وفيه : « لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ! عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر » .

وفيه : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول[1] » .

وفيه : « الفارّ من عياله كالفارِّ من الزحف » .

وفيه : أن الصحابة أثنوا عند رسول الله ﷺ على رجل بالعبادة ، فقال ﷺ : « فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعته » ؟ قالوا : نحن يا رسول الله ﷺ . فقال : « كلّكم خير منه » ، وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك ، إنما الشأن أن تحرز رغيفك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بأيِّ داق للباب ، بخلاف من قام يصلي في بيته وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول : إن معه رغيفاً .

وقال الثوري : عليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة .

---

(١) أي : ابدأ بعيالك ، فافهم .

وقال عبد الله بن المبارك : لا يُخرِج العبد من الزهد إمساكُ الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس .

وقال في « عرائس البيان » عند قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ : ولا تظن يا أخي أن العارف المتمكّن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من جملتهم ، إنه يريد الله برغبة المعرفة والشوق ، ويريد الدنيا للكفاف والعفاف يرزقه الله حياة حسنة طيبة ؛ بأن يجعل الدنيا خادمة له ويبجله في أعين الخلق ويوقع هيبته في قلوب الناس ، قال الله تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

وقال عليه السلام « من أحسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة » .

وقال لقمان لابنه : يا بنيّ حملت الصخور والحديد فلم أرَ شيئاً أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وعانقت الحسان فلم أرَ شيئاً ألذّ من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمرّ من الحاجة إلى الناس .

وقال الشعراني : من أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما دخلته الشبهة .

وقال سفيان الثوري : لأنْ أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس .

المال تُرس المؤمن

وقال : المال فيما مضى يكره ، وأما اليوم فهو ترس المؤمن . وقال حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدُّقك وطلبِك لما في يد غيرك .

وقال : خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما ؛ درهمه

لمعاشه ودينه لمعاده .

وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه : عليكم بالكسب الحلال ، فإنه يسرّ الصديق ويكدّ العدو ، وتستغنون به عن سؤال الناس لا سيّما اللئيم ، وإياكم وسؤال الناس فإن ذلك كسب العاجز .

وقيل للثوري : أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال ؟ قال : نعم ! إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر .

وقال أبو قلابة : لأن أرى في معاشي أحبُّ إليَّ من أن أرى في زوايا المسجد .

وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لن تزالوا كِراماً على إخوانكم ما لم تحتاجوا إليهم . انتهى .

ياولدي ذكرت لك هذه الفوائد المتضمنة للترغيب والترهيب ؛ لترغب في التكسب والحرفة ؛ لتصون وجهك عن التعرض إلى ما بأيدي الناس وتكون على حذر من الإنكار ، إذا رأيت من مشائخك من يطلب الدنيا ويحفظها ! ! وقد عُلِم مما مرَّ **أن زهد العارفين يكون بالقلب ولا يضرُّهم إمساك الدنيا بحذافيرها** فلهم في ذلك نيات صحيحة . و« إنما الأعمال بالنيّات » ، وكم من عمل يتصور بصورة الدنيا ويصير بحسن النية من أعمال الآخرة ، كما ورد به الخبر !

أيها الولد المتعطش إلى كل عطاء رحيب وفتح قريب من القريب المجيب ، بواسطة أهل الاختصاص والتقريب ، قد طلبت كتبة ما ينفعك من أمور الدنيا والدين فاستبشر بها الخاطر ، وقرَّ بها الناظر ، وأرجوك أن لا يغرَّنَّك ما ذكرته في حق الدنيا ! بل لاحظ ما هنا بما مرّ قُبَيْلَهُ وبما يأتي آنفاً وخذ المسائل مع العلل لأن **الحكم تدور مع العلة وجوداً وعدماً** ، وإياك ثم إياك والانهماكَ في جمع حُطام هذه الفانية وملاذها ! إلا بقدر

الضرورة ، وهو ما يكفيك ويكفي لمن يجب مؤنته من الزوجة وغيرها ، فإن الانهماك فيها وفي زخرفها يستر أنوار النفس كما يستر الغمامُ نور الشمس ، فإذا انقشعت الغمام عن نفسك ظهرت لك العلوم المستورة اللدنية وانتقشت الحقائق في لوح نفسك ، واللوح إذا كان ملآناً لا ينتقش فيه غير ما فيه ، فامح عنه الأخلاق المذمومة وحب الدنيا ترى العجائب من نفسك .

واعلم أنك إذا لم تطلق الدنيا فهي تطلقُك ، فاتركها عن اختيار ولا تتركها عن إجبار ، وما الدنيا إلا كظلك إن أردت أخذها عجزت ، وإن توليت عنه تبعتك وجاءت راغمة ؛ كما قال المشرع حاكياً عن ربه : « يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه » وبمثله نطق بعض الأكابر وهو عند والدك مجرب صحيح ، قد سعى خلف الدنيا كثيراً فهربت عنه وولت عنه الأدبار ، ثم تركها فسعت خلفه والحمد لله الملك الجبار .

ياولدي لا تترك الكسب والحرفة ! بل اطلب الدنيا وصحح النية ، ولا تبخل بها ولا تمنعها عن المحتاجين ، وفقك الله تعالى لما يحبه ويرضاه آمين .

قال الغزالي في « الإحياء » في بيان فضيلة الكسب : أما من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ . وقال تعالى ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال ﷺ « من الذنوب ذنوب لا يكفِّرها إلا الهمُّ في طلب المعيشة » .

وقال عليه السلام « من طلب الدنيا حلالاً وتعفُّفاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر » انتهى عبارته ٣٩ ج٢ .

وفيه في ٣٩ ج٢ : وقال ﷺ : « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنيَ بها عن الناس ، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة »[١] وفي الخبر « إن الله تعالى يحب العبد المحترف » .

وقال ﷺ : « أحلُ ما أكل الرجل من كسبه ، وكل بيع مبرور »

وفي خبر آخر : « أحلّ ما أكل العبد كسب يد الصانع » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » .

وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبَّد . قال : من يعولك ؟ قال : أخي . قال : أخوك أعبد منك .

وقال : نبينا ﷺ « إني لا أعلم شيئاً يقرِّبكم إلى الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ، وإني لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقرِّبكم من النار إلا نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل : اتركوا الطلب .

ثم قال في آخره « ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن

---

(١) أي : لأن العلم من عمل الآخرة ، فإذا امتهنه ليحصِّل به دنيا فقد وضع الشيء في غير محلّه وقد ورد في ذلك وعيد شديد . ففي « المعجم الكبير » للطبراني من حديث الجارود بن المعلى مرفوعاً « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في ديوان أهل النار » والحديث المذكور أورده هكذا صاحب « القوت » . « إتحاف » ٤١٥ ج٥ .

تطلبوه بمعصية الله تعالى ! فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته » .

وقال ﷺ : « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال عليه السلام : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » .

وقال : « من فَتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » . انتهى عبارته ٣٩ ج٢ .

وأما الآثار في حق الكسب فكثيرة ! واكتفيت بهذا القدر من الأحاديث .

فإن قلت : فقد قال ﷺ : « ما أوحي إليّ أن اجمع المالَ وكن من التاجرين ، ولكن أوحيَ إليَّ أن سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقيل لسلمان الفارسي : أوصِنا فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجّاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجراً ولا خائناً .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول : لسنا نقول : التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء ، ولكن التجارة إمّا أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة والزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادّخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التي حُبها رأس كل خطيئة .

فإن كان مع ذلك ظالماً خائناً فهو ظلم وفسق ! وهذا ما أراده سلمان بقوله : لا تمت تاجراً ولا خائناً . وأراد بالتاجر طالب الزيادة .

فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ! فالتجارة تعففاً عن السؤال ، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال !

وكان يُعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يُعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية .

وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعملٌ بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر ومما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسِّر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصّدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبِّح بحمد ربك ، وكن من الساجدين . ولم يوح إليه أن كن من التاجرين ! لأنه كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بِها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله تعالى عنه بترك التجارة لما ولّيَ الخلافة ، إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ، ورأى ذلك أولى . ثم لما توفي أوصى بردّه إلى بيت المال ، ولكنه رآه في الابتداء أولى « إحياء علوم الدين » عبارته ٤٠ ج٢ فراجعه ففيه الزيادة .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » فقد فسّر الحفني لقوله مسكيناً أي : متواضعاً متذلّلاً . انتهى .

وقال العزيزي في « السراج المنير » : المراد به استكانة القلب ، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر . فراجعه في ٢٧٩ ج١ .

وورد في فضيلة الزراعة والحراثة وسقي الزرع أحاديث منها : « إن

الله تعالى يطلع كل ليلة على الزرع ويقول : باركت عليك وعلى صاحبك ، ثم يوكِّل الله تعالى على كل ورقة من الزرع ملائكة يسبِّحون الله تعالى ، ويستغفرون لصاحبه حتى يؤكل » .

ومنها : « أول من يكسى يوم القيامة بعد الأنبياء المؤذنون ، والعلماء ، والشهداء ، والحرَّاثون فإن الله تعالى يغفر ذنوب الحرَّاث أول حبته وأول سقي زرعه . ومن سقى زرعه كتب الله تعالى له ما دام زرعه رطباً كل يوم ألف حسنة ، ومحى عنه ألف سيئة » انتهى .

ياولدي! عليك بحسن الخلق مع الناس ، وحسن المعاشرة والألفة بين الإخوان والأقران ، ففي ذلك فضل عظيم .

قال الغزالي في « الإحياء » : **اعلم** أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرُّق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحابَّ والتآلف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة ، وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته ، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « أكثر ما يدخل الناس الجنة : تقوى الله ، وحسن الخلق » .

وقال أسامة بن شريك : قلنا يا رسول الله ! ما خير ما أعطي الإنسان ؟ فقال : خلق حسن .

وقال ﷺ : « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » .

وقال ﷺ : « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن » .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « ما حسَّن الله خَلْقَ امرئ ولا خُلُقَه فيطعمه النار » .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة ! **عليك** بحسن الخلق » . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : « تصِلُ مَنْ **قطعك** وتعفو عمن **ظلمك** ، وتعطي مَنْ حرمك » . انتهى عبارته ١٠٩ ج٢ .

ياولدي! أوصيك بأن تجتنب عن معاشرة الأضداد وأهل الفساد والضلال ، لئلا ينعكس إليك أحوالهم الخبيثة ، وأخلاقهم المذمومة .

وقد قيل ما معناه :

لا تسأل عن المرء وأبصر قرينه فإن القرين بالقرين مقارن

وفي « الإحياء » : وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان في عِشْرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال : فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك ! فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ! ثم طارا فإذاً هما أعرجان ! فقال : من ههنا اتفقا . ولذلك قال بعض الحكماء : كلّ إنسان يأنس إلى شكله ، كما أن كلّ طير يطير مع جنسه . وإذا اصطحب اثنان بُرْهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا . انتهى عبارته ١١٢ ج٢ .

وفيه في ١١٩ ج٢ وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب . انتهى عبارته ١١٩ .

وفيه : وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه : لا تصحب خمسةً **الكذاب :** فانك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرِّب منك البعيد ويبعد منك القريب . **والأحمق :** فإنك لست منه على شيء ؛ يريد أن ينفعك فيضرك . **والبخيل :** فإنه يقطع بك أحوج ما تكون . **والجبان :** فإنه يسلمك ويفرُّ عند الشدة . **والفاسق :** فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها .

فقيل : وما أقل ؟ قال : الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد : لأن يصحبني فاسق حسن الخلق ، أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق . انتهى عبارته ١٩ .

أيها الولد! كن مصلحاً بين الناس ، ولا تكن فتّاناً بينهم ، ففي الإصلاح فضيلة عظيمة .

روي في الحديث : « من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة » .

وفيه : « من أصلح بين المسلمين استوجب أجر شهيد » .

وفيه : « أفضل الأعمال إدخال السرور على قلوب المؤمنين » وكن أيضاً خادماً لهم ، وخاصة للعلماء والفقراء ، ففي الحديث : « من خدم عالماً سبعة أيام فكأنما خدم الله سبعة آلاف سنة ، وأعطاه بكل يوم ثواب شهيد » وفيه : « مَنْ قضى حاجة أخيه المسلم قضى الله له اثنتي وسبعين حاجة من حوائج الدنيا والآخرة » .

وفيه : « من خاط ثوب مسلم أو غسله ، أو خصف على نعليه أو على ثوبه حِسْبَةً لله ضَمِنْتُ له الجنة » وفيه : « الخادم في أمان الله تعالى ما دام في خدمة المؤمن ، وللخادم بخدمته أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل ، وكأجر الحاجِّ والغازي والمرابط في سبيل الله » .

وقال ﷺ : « يا أنس ! خادم السوء أفضل عند الله من عابد مجتهد » .

وقد بيّنت فضائل الزيارة في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » نبذة فإن راجعت إليه تجد فيه ما تقر عينك .

وقد قال كعب : مَنْ زار فقيراً أو مسكيناً - أي زاره يريد تواضعاً - وكَّل الله به ألف ملك يستغفرون له إلى أن يمسي .

وفي الحديث : « من عاد مريضاً فله بكل خطوة يخطو بها سبعون ألف حسنة ، ومحي عنه سبعون ألف سيئة ، ورفع له سبعون ألف درجة ، ويوكل عليه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » .

قال الغزالي في « الإحياء » : وأما اليتيم فقال ﷺ : « من ضم يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة » .

وقال عليه السلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » وهو يشير بإصبعيه .

وقال ﷺ : « من وضع يده على رأس يتيم ترحُّماً كانت له بكل شعرة تمرُّ عليها يده حسنة » . انتهى عبارته ١٤٢ ج٢ .

ياولدي! عليك بالنصيحة لكل مسلم ، والجهد في إدخال السرور على قلبه ، ففي ذلك منافع .

قال ﷺ : « المؤمن يحبُّ للمؤمن كما يحبُّ لنفسه » .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئاً فليُمِطْه عنه » .

وقال ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله في عمره » .

وقال ﷺ : « من أقرَّ عين مؤمن أقرَّ الله عينه يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليلٍ أو نهارٍ قضاها أو لم يقضها ، كان خيراً له من اعتكاف شهرين » .

وقال عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن مغموم ، أو أعان مظلوماً ، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » . انتهى الأحاديث من « الإحياء » فراجعه في ١٤٢ ج٢ .

وفي الحديث : « إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم » .

وفيه : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ! إصلاح ذات البين » « الجامع الصغير » حتى تكون أحوالكم أحوال صحبةٍ وألفةٍ واتفاق « السراج المنير » .

وفيه : « خيركم خيركم لأهله » .

وفيه : « خيركم مَنْ أطعم الطعام للإخوان والجيران والفقراء » .

وفيه : « خير الأصحاب عند الله خيركم لأصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

وفيه : « خير الناس أنفعهم للناس » أي بما يقدر عليه من الإحسان بماله وجاهه وعلمه « سراج » والأحاديث في ذلك كثيرة ، وأرجوك أن تعمل بها وتكون من المحسنين للناس بالإعانة والإنفاق .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في قوله ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه . كذا في « الإحياء » .

وفيه : قال ابن عمر رضي الله عنهما : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : أخي فلان أحوج منّي إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

وروي أن مسروقاً أدان ديناً ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دَيْن ، قال : فذهب مسروق فقضى دَيْن خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة

فقضى دَين مسروق وهو لا يعلم . انتهى ١٢١ ج٢ .

وشكى بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له : لو اقتنيت هراً ! فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبّ لنفسي « إحياء » عبارته ١٤٥ ج٢ . وحقوق الجوار مبسوطة فيه فراجعه .

يا ولدي ! لا يغرّنك حسن خلق المشائخ مع ما فيك من عدم صفاء الاعتقاد والتسليم والانقياد . فإن لهم تلوّنات في الأحوال ؛ ففي وقت يتسعون وفي وقت آخر يضيقون . ولذا ينبغي لك أن تحترز من الخطرات النفسانية والشيطانية في حالة صحبتهم .

وقد رأيت في « تقريب الأصول » في ٦١ أن أبا العباس المرسي كان يقول : إذا ضاق الوليّ هلك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم بسببه ضرر . ولحوم الأولياء مسمومة ولو لم يؤاخذوك ! فإياك ثم إياك . انتهى عبارته .

وفيه في ٦٠ : أن أبا الحسن الشاذلي قدس سره كان يقول : من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أُخَر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس ، ثم لا يجد من يرحمه منهم . انتهى عبارته .

ويؤيده ما قاله بعض الأكابر : الولي كنيل مصر ؛ رحمة للمطيعين ، وعذاب للمحجوبين ، انتهى .

ورأيت في « طبقات » الشعراني في ٧٧ ج٢ ما نصه : كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير . انتهى .

وإياك ثم إياك يا ولدي ! أن ترى نفسك فوق أحد من المسلمين ،

فإن رأيت ذلك يسلب منك المشائخ أحوالك . فإنهم كما يقدرون بإذن الله تعالى على إعطاء الأحوال ، فكذلك يقدرون على سلبها ، وقد قال الشعراني في « منته الكبرى » في ١١١ ج١ : إن كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب . انتهى عبارته .

وفيه : لا يؤخذ الفقير ويسلب العالم إلا عند رؤية أحدهما نفسه على إخوانه ، أو غفلته عن الله تعالى انتهى . راجعه في ١١٠ ج١ .

وفيه : في ٢٠٧ ج١ وكان سيّدي علي المرصفي رضي الله عنه – يقول : من شقاء المريد في الدنيا وعنوان شقاوته في الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه ، وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة إلى صلحه والدخول في طاعته . وقد تهاون جماعة بغيظ أستاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبداً ؛ لا على يد شيخهم ولا على يد غيرهم . انتهى .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : من أقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا ، والإدبار عن الآخرة ، فيصير مكبّاً على جمع الدنيا من أيّ وجهٍ كان ، ويعادي كل مَنْ صدّه عنها ولو كان شيخه .

وكذلك من أسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى ، وقلّة تلاوته للقرآن ، وقلة عمله بالعلم ، وعدم تقيده بالأوراد وسهر الليالي ، وقلة المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس ، وغير ذلك ، وربما فارق شيخه وصار مداوماً على الأوراد التي كان عليها حال صحبة شيخه ، لكنها قليلة النفع ! فهي في عينه كأمثال الجبال ، وفي عين المكاشفين بأحوال الآخرة كالذَّرة .

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى في

حال طاعته أبداً .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين : اكتبوا عمل عبدي فلان ، واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ، ليأخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضراً معه . انتهى .

فَعُلِمَ أن من عقل العاقل أن لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلاً قالها وقلبه غافل سارح في أودية الدنيا ، **فإن ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى** .

وقد بلغنا أن بعض السلف الصالح قرأ سورة طه في الليل ، فجهر بآية منها ليسمع جاره بغير نية صالحة ، فرأى بعد ذلك أن القيامة قامت ، ونشرت له صحيفة تلك الليلة ، فلم ير تلك الآية فيها ، وقيل له : خذ أجرك ممن رفعت صوتك لأجله . انتهى فافهم عبارته .

لا ينتفع بالشيخ أولاده

يا ولدي! إن والدك قد حمل المشقة لأجلك في جمع هذا الكتاب ، فعساك أن لا تتخذ نصائحه مهجورة ، وأن لا تلقيها وراء ظهرك محقورة ، ويحتمل أن لا ترى والدك إلا بصورته الظاهرة ، وكونه على تلك الصورة مغموساً في الأخلاق الغير المرضية ، ومتدنِّساً بأدناس النفس الأمارة بالسوء هو الحق الذي لا ريب فيه ، وإن انتفاع الولد بتعليم الوالد ومواعظه ونصائحه من النوادر ، وقَلّ من ينفع بالشيخ من أولاده وأهل بيته ، وخدَّامه[1] وأقاربه وأهل قريته ، لما أنهم لا يرون فيه الخصوصية ، ولا ينظرون إلا

(١) وفي « لطائف المنن » : والقاعدة أن كل من كثرت مشاهدة الناس له هَانَ في العيون ولذلك قالوا : أقل الناس نفعاً بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ، ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول إلى معرفة قلبه وما فيه من الأسرار والمشاهدة النفيسة . انتهى عبارته فراجعه في ١٠١ من الجزء الأوّل (منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين) .

إلى ظاهره وأحواله البشرية ، ولا يعرفون أحوال باطنه ، بل يجدونه يأكل كما يأكلون ، ويشرب كما يشربون ، ويغضب كما يغضبون ، وينام كما ينامون . فقد يستر الله تعالى عن الأكثر خصوصية أوليائه ، ويحجب بينهم وبينهم بحجب البشرية بحكمته ، فلذلك يقلّ نفعهم بالشيخ ، ولو أنهم نظروا إليه بعين الكمال ولم يَزِنُوا حاله بميزان حالهم ، وتفكروا فيما ورد في الحديث القدسي : « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » لكانوا أسبق حالاً ، وأكثر نفعاً به ، ولا عجب .

وقد قيل : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى .

وقالوا في حق سيد الكائنات عليه الصلوات والتسليمات ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الآية . **فمن نظر إلى الشيخ بعين الإجلال والتعظيم معتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية ، وأنه صاحب مَدَدٍ ودعاء مستجاب انتفع ووصل إلى رتبة الولاية ، ومن نظر إليه بأنه فلان ابن فلان ، يأكل ويشرب ، وينام ويغضب مثله ، فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به ، كما لم ينتفع بالنبي ﷺ الأبعاض من أقاربه وعشيرته .**

اعلم يا ولدي! أن المراد من القباب في الحديث القدسي الذي مرَّ ذكره آنفاً ليس إلا أوصافهم البشرية ! فكل ما يحتاج إليه أفراد البشر يحتاج إليه الأولياء والأكابر ، وكونهم في مقام الولاية لا يخرجهم من الاحتياج المذكور ، وغضبهم أيضاً مثل غضب سائر الناس ، وإذا قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام : « أغضب كما يغضب البشر » كيف لا يصدر من غيره الغضب ؟ فالأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم التي هي من لوازم البشر لا تزول عن العوام والخواصّ .

وقد قال تعالى في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ **فمن اقتصر نظره على ظاهر الشيخ صار**

محروماً من بركته ، ومن كفَّ نظره عن ظاهره ونفذت حدّة نظره إلى أوصافه الباطنة واقتصر عليها صار سعيداً ومحتظياً من إمداده وفيوضاته . راجع « رسالة المبدأ والمعاد » تجد البيان مبسوطاً .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر كلام سيدي علي وفا : و قال ﷺ : من كان لا يرى من أستاذه إلا وجه البشرية فلا يزيده ما كشف له من الحق المبين إلا إعراضاً وتكذيباً ونفوراً ، ومن ثَمَّ لا تجد محققاً يظهر لقوم إلا من حيث يشهدونه وما دام في ظهور المماثلة لهم لا يكلِّمهم إلا بلسانه ، ولا يزن منهم إلا بكيلهم وميزانهم .

ومن ثَمَّ قال النبي ﷺ لعموم أصحابه : « لا تفضلوني على موسى ، ولا تفضلوني على يونس » .

وقال لخواص أصحابه أنه أفضل من جميع المرسلين والملائكة المقربين .

وهكذا كل وليّ لا يقبل منه إلا ما كان على نهج طريقة النبي ﷺ ، من تكليمه كل فريق بلسانهم ، ووزنهم بميزانهم ، وكيلهم بكيلهم . انتهى عبارته ٧١ .

وفيه في ٧٣ : و قال ﷺ : يوم من أيام الأستاذ عند ربه كألف سنة مما يعدُّ المريدون عند ربهم ، وأنوار المريدين رقائق أنوار أساتيذهم ، وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم ، فكما أنه ليس في مرآة البدر إلا الشمس فيضيء الليل كله ! كذلك ليس في المريد الكامل إلا أستاذه فيفيده المدد القبولي كله ، فافهم واعرف والزم تغنم . انتهى .

وفيه أيضاً : وقال ﷺ : **اطلب من نفسك الصدق في معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنال منهم ما تريد ، ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك وتهمل أنت أمر نفسك! فإن ذلك قليل الجدوى** . انتهى عبارته ٦٦ .

وفي « الطبقات » للشعراني في ٧ من الجزء الأول :

لكل وليٍّ أستار فلا يعرف حقيقته

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ يقول : لكل وليّ ستر أو أستار نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الحق تعالى حيث أنه تعالى لم يعرف إلا من ورائها ، فكذلك الولي ! فمنهم مَنْ يكون ستره بالأسباب ، ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر ، على حسب ما يتجلّى الحق تعالى لقلبه ، فيقول الناس : حاشا أن يكون هذا وليّاً لله تعالى وهو في هذه النفس ! وذلك لأنّ الحق تعالى إذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهاراً ، أو بصفة الانتقام كان منتقماً ، أو بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقاً رحيماً وهكذا . ثم لا يصحب ذلك الولي الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والانتقام من المريدين إلا من مَحَقَ الله تعالى نفسه وهواه ، ولم يزل في كل عصر وأوانٍ أولياء وعلماء تذلّ لهم ملوك الزمان ، ويعاملونهم بالسمع والطاعة والإذعان ، ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر ، والخمول على ظاهر النقول ، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين .

ومنهم مَنْ يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا ، وتظاهره بحُبِّ الرياسة والملابس الفاخرة ، وهو على قدم عظيم في الباطن .

ومنهم(١) من يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأمراء والأغنياء ،

---

(١) ورأيت في كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني قدس سره ما لفظه هذا (فيروزج) سمعت شيخنا ﵁ يقول : من عباد الله تعالى من لا يستره حجاب ومع ذلك فلا يعرف ما في جيبه وربما يتكلم على الخواطر وما هو على الخاطر وإن من عباد الله من تقودهم المعرفة إليه به ، وهم يجولون في ميادين المخالفات ، وإن من عباد الله من تهب على قلوبه منفحات إلهيّة لو نطقوا بها كفَّرهم المؤمن ، وجهّلهم صاحب الدليل . انتهى عبارته . فراجعه في ١٦٩ من هامش « الإبريز » ، (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وسؤالهم الدنيا ، وطلبه الوظائف من تدريس وخطابة وإمامة وعمالة ونحو ذلك ، فيقوم فيها بالعدل ، ويتصرَّف في ذلك بالمعروف ، على الوجه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال وآحاد الفقهاء ، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئاً ، أو يأكل منه سدّ الرمق[1] لا غير ! فيقول القاصر في الفهم والإدراك : لو كان هذا وليّاً لله عزّ وجلّ ما تردد إلى هؤلاء الأمراء ! ولجلس في زاويته أو بيته يشتغل بالعلم وبعبادة ربه عزَّ وجل . ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا ، ونحو ذلك من ألفاظ الجور . ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقد[2] عليهم ، فربما كان يتردّد إليهم لكشف ضرّ أو خلاص مظلوم من سجن ، أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله تعالى العاجزين ؛ الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء ، فيسألون في ذلك منْ يعتقد فيه من الأولياء والعلماء ، فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح ، ويحرم عليهم التخلف عنهم ، لا سيما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهداً فيما في أيديهم ، متعزّزاً بعزّ الإيمان وقت مجالستهم ، آمراً لهم بالمعروف ، ناهيا لهم عن المنكر ، لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم ، فإن هذا من المحسنين ، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص ﷺ يقول : إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليه صحبتهم والدخول إليهم ، وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر . انتهى .

قلت : ومن الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ، ويعلّم الناس بأن ذلك كله

---

(١) والرمق : بقيّة الروح « مختار » .
(٢) وناقده : ناقشه في الأمر « مختار » .

من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ، ويوهم الناس أنه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء ؛ بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء ولا يحدِّث نفسه بانتقاص شيء منه ، ولا يسعنا كلنا إلا العفو ويكون مأكولاً مذمولاً ؟ وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ، فإنه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به ، فإن الرجل إذا قبل من الخلق صغر في أعينهم ضرورة ، كما أن من رَدَّ عليهم كبر في أعينهم ، ولعلّ ذلك الرادّ إنما ردّ رياء وسمعة واستئلافاً لقلوب الناس عليه ، ليتوجّهوا إليه بالتعظيم والتبجيل ، ويطلقوا ألسنتهم فيه بالثناء الحسن .

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنى يعبد : يطيع .

وكان يقول أيضاً : ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الردّ أن يأخذ ، ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ، ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً ، فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى : ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلَّة ممن تزيّا بزيّهم ، وانتسب إلى مثل طريقهم ، والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجل ، وقد قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فمن أين يلزم من إساءة واحد أن يكون جميع أهل حرفته كذلك ؟ ! ما هذا إلا محض عناد وتعصّب بباطل ! كما قال بعضهم في ذلك شعراً :

استتار الرجال في كل عصر تحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضرُّ الهلال في حندس[1] الليل   سواد السحاب وهو جميل

قلت : ومن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله عزَّ وجلَّ شهود المماثلة والمشاكلة ، وهو حجاب عظيم وقد حجب الله تعالى به أكثر الأولين والآخرين كما قال تعالى حاكياً عن قوم ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ إلى آخر ما قاله الشعراني في طبقاته فراجعه[2] .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر شيء من الحقائق لسيدي أبي العباس الشاذلي ﷺ : وكان ﷺ يقول : العامّة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى الولاية جاء من البراري والقفاري أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم ، وكم من بدَلٍ ووليّ بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالاً ! مع أن هذا هو الذي يحمل أثقالهم ، ويدافع الأغيار عنهم ! فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش ، يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخطيط جلده وحسن صورته ، والحمر التي بين أظهرهم تحمل أثقالهم إلى موضع أغراضهم ، وتنقل ترابهم وآلات بنائهم ولا يلتفتون إليها . انتهى ٦٤ .

وفي « طبقات الأولياء » للشعراني في ترجمة الشيخ محمد بن جمرة ﷺ وكان ﷺ يقول : ثلاثة لا يفلحون في الغالب :

١-ابن الشيخ . ٢-وزوجته . ٣-خادمه .

أما ابنه فانه يفتح عينه على تقبيل المريدين يده ، وحمله على أعناقهم ، والتبرّك به ، ويطيعونه في كل ما يطلبه ، فتكبر نفسه ، ويرضع من حبِّ الرياسة من صغره ، فتتوالى عليه الصفات المظلمة ، فلا يؤثر فيه وعظ واعظ ، ويتجرَّأ على الأكابر ، وينفي مشيختهم عليه ، فإن جاء صالحاً فاق والده ! وانتفع بوالده أكثر من كلّ أحد ، وأما الزوجة فإنها

---

(١) والحندس بكسر الحاء والدال : الليل الشديد الظلمة « مخ » .

(٢) ففيه كلام جليل في حق هذا (منه) .

ترى الشيخ بعين الأزواج ، لا بعين الولاية ! فتعتقد أنه محتاج إليها في الشهوة ، فإن نوّر الله تعالى بصرها ورأته بعين الولاية انتفعت به قبل كل أحد ، لملاصقتها له ليلاً ونهاراً .

وأما الخادم فلتكرار رؤية الشيخ ، واطلاعه على أحواله من المأكل والمشرب والمنام ، ولذلك قالوا : لا ينبغي للشيخ أن يأكل مع المريد ولا يجالسه إلا عند ضرورة ، خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه ، فيُحرَم بركة الصحبة ، فإن نظر الخادم إلى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك وأفلح أكثر من غيره . انتهى عبارته ١٣٦ ج١ .

أيها الولد! لا تظننَّ أن كلامي هذا إنما أوردته لأجل اعتقادي في نفسي أني رجل معدود من جملة المشائخ ، وأني أريد منك اعتقادك فيَّ بأني رجل وضع قدمه في دائرة الولاية ، فحاشا ذلك وكلا ! بيد أني خادمهم في موائدهم ، ووزيرهم وشريطهم في عتبة أبوابهم ، ولكنهم أذنوا لي في تقسيم قطرات موائدهم ، وكسرات أخبازهم المتساقطة في قصعاتهم ، وأمروني ورخَصوني بإعطاء تلك الكسرات والقطرات للمحتاجين الطالبين ، فمثالي مثال من يقسم صدقة الأغنياء في المحافل والمجامع والمساجد ، ويعطيها إلى أيدي الفقراء والمساكين ، فمنْ طلبها منه ومدَّ يده إليها يعطيه منها ، ومَنْ تكبر وافتخر من أن يأخذ تلك الصدقة من يد القاسم بظنّ أنه حقير فقير ، وأنف منه واستكبر قائلاً إنه لا يأخذ إلا ما أعطته أيدي الأغنياء حُرِمَ منها وخسر . انتهى .

ومثال آخر : أن النبي عليه الصلاة والسلام بحر الفيوضات والبركات ، ومنبع الأسرار والتجليات ، والمشائخ كالموازيب المصنوعة من الجواهر واليواقيت والذهب والفضة والمعادن النفيسات ، فلو وضعت الموازيب المفعولة منها مثلاً في موضع ليجرّ الماء من منبعه إلى موضع آخر وفُقِدَ ميزابٌ واحدٌ من الموازيب النفيسة فصار مكانه بدلاً عنه ميزاب

خشب ، فإن وضع واحد إناءه تحت ذلك الميزاب وإن كان من الخشب يصل إلى الإناء الماء الجاري من تلك الموازيب النفيسة ، وإن أَنِفَ من أن يأخذ الماء من ميزاب الخشب فيحرم من الماء ويبقى عطشاناً أبداً .

ومثال آخر : إن المرأة التي ليس لها ثدي ، أو التي لها ثدي لكن جفَّ لبنها ، ومع ذلك ولدت ولداً فإنها تعطي ولدها للرضاع إلى يد المرأة التي في ثديها لبن .

فهكذا أنا الناقص المأذون له من الكامل المكمَّل المأمور بإيصال ما وصل إليه منه إلى الخلق ، ولست صاحب فيض ومَدَد بل أنا كالمرأة المذكورة أَلِدُ الأولاد(١) وأسلِّمهم للتربية إلى يد محمود أفندي ذي الفيوضات ، فافهم . فكم وكم مرات استعفيت من شيخي العسوي قدس سره وطلبت منه عزلي من هذا الأمر ! لعلمي نقصي وعجزي ، وعدم كوني أهلاً لذلك . وكم وكم كرّرت لديه تصريحاً بأني لا أرى نفسي لائقة لتحمُّل أعباء الدعوة ! بيد أنه قد أكد الأمر بذلك ، وأذن لي ، وكتب لي صكَّ الإجازة وقلَّد على عنقي قلادتها . وحين كنت في السلوك رأيت في الواقعة كأني في مزرعة كبيرة محوّطة ، عندها طريق إلى مكان مرتفع وجبل ، فصرت أنبش من تلك المزرعة بالمعوال شيئاً يقال له بلغتنا (قَلِ) - عجم - ، فوجدته فيها كثيراً ، ومُلىءَ كيسا جُبَّتي منه ، وكان ذلك الشيء أجود ما يوجد في المزارع وأحسنه ، فظننت أني أستره عن الناس ، فإن أظهرتها لهم يلتجئون إليه وينبشونه بالمعاول ، ولا يبقى فيها شيء منه ، فأذهب غداً مع ولدي محمد حجيو لنخرج منه شيئاً كثيراً ، وننبشه ، فوقتئذ صارت المزرعة مملوءة من الناس بحيث لا يحصى عددهم ، فظهر فيهم النبي عليه السلام فقام على حائط المزرعة الذي يلي الطريق متوجّهاً إلى طرف الطريق ، وصار الناس

---

(١) وهم المريدون (هامش الأصل) .

يذهبون من تلك المزرعة إلى ذلك الطريق الذي كان النبي عليه السلام متوجهاً إليه ، فجاء لديّ رجل مجهولٌ منهم ، فأمرني بارتقائي إلى سور المزرعة وحائطه ، وقيامي عند النبيّ عليه السلام ، فخفت من أن أقف لديه عليه الصلاة والسلام ، لما أني لم أر أهلاً للقيام معه ، فأكّد الرجل المذكور الأمر ، بل أقامني بيده عنده ﷺ ، فحين رقيت إلى ذلك السور وأقمت عنده ﷺ ظننت أني خليفته ، فقلت حينئذ : يا رب هذا نبيك ! وهذا خليفته ! وهذه أمة قليلة فارحمهم . وبكيت بكاء فخطر في قلبي لِمَ أقول هذه أمَّة قليلة مع أن الناس كثيرون ؟ فأجبت في نفسي أن مرادي من ذلك أنهم قليلون بالنسبة إلى أمم الأنبياء الماضية ، لا أنهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم . فانتبهت وكتبت الواقعة فأخبرتها الشيخ ذا الجناحين العسليّ – نوّر الله ضريحه – آمين فقال : إن هذه واقعة حسنة ، فإن شاء الله تعالى تكون خليفة النبي ﷺ . انتهى .

في كتبة صك الإجازة

وأما الشيخ القطب الرباني خالد سيف الله قدس سره كتب إلي بعد كتابة صك الإجازة في الطريقة الشاذلية ، وشكايتي في حق هذا الأمر المخوف بما حاصله هذا : لما حسن ظن الفقير فيك وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ! ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أمانتي ، لعلم علمني ربي بإذن من رسول الله ﷺ إلخ . وقد سألت من شيخنا[1] وروحي فداه فأجاب : الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه فامض سبيلك لمصلحة الدين ، وإياك والغش ! فقد قال سيد الكائنات ﷺ : « من غشنا فليس منا » وحين أن كنت متردداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاح السادات ففي تلك الليلة حضر روحانيته ﷺ ، وكرم وعظم ، وأقامني مقامه ، وأنا مستحي منه ﷺ ، ووقعت هنالك مكالمات

---

(١) يعني عن ذلك الأمر (منه) .

لا أقدر إفشاء سرّ نبوة ، مع بشاشة الوجه إلخ . .

فتبع جمع كثير خلفي قائلين : أنت المحمد ، أنت خليفته إلخ . . فلم أقنع بذلك ، ووقعت في حياء عظيم وتفكر ، فحضر ثانياً ﷺ وسلّمني خاتمه ، وكان معه علي - رضي الله عنه ، وكرم الله وجهه - ونظر إلى خط الخاتم آخذاً من يدي بمحضره ﷺ ، ثم ردَّه إلى يدي بعد القراءة بأمره وملكني عليه **فسررت وحكمت على رضائه** ﷺ **على إجازتي والحمد لله** ، ففي ذلك الحال حضرتما[1] لدي مستبشرين بملاقاتي ، ودخل معكم عليّ واحد من المبتدعين المنكرين ، فأغلظتما عليه القول وأفحمتما[2] ، وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته عليه السلام . انتهى من خطه قدس سره .

والشيخ إنما هو لأهل التفريط

وكتب قدس سره بعد ذلك ما حاصله : إني كنت كل وقت أنهاكم عن تكثير المريدين ، وآمركم بتقليل الأتباع ، إلخ . . والآن أراكم أن لا تردوا أحداً ممن يطلب منكم الإسلاك ، ولا تنظروا إلى ظواهرهم ، **وإنما الشيخ إنما هو لأهل التفريط** لإرشادهم إلى الصراط السّوي ، حتى تجتهدوا لتكثير سوادهم ولو بطلبكم ، لما أنَّ لكلّ زمان رجال ، ولكلّ وقت أحوال . انتهى من خطه .

ياولدي! إني أخاف كثيراً من أن أكون سبباً لإتلاف أرض قلب المريد وإفساد بذره ، فكيف لا ؟ وقد قال الإمام الرباني قدس سره :

اعلم أيها الأخ القابل لظهور الكمالات أظهر الله سبحانه فعلكم من القوة أن الدنيا مزرعة الآخرة ، فويل لمن لم يزرع فيها وعطل أرض

---

(١) يعني الحاج حبيب الله وهذا الحقير الفقير (منه) .

(٢) أفحم : أسكت .

الاستعداد وأضاع بذر الأعمال .

ومما ينبغي أن يعلم أن إضاعة الأرض وتعطيلها إما بأن لا يزرع فيها شيئاً ، أو أن يلقي فيها بذراً خبيثاً فاسداً . وهذا القسم من الإضاعة أشد مضرة ، وأكثر فساداً من القسم الأول كما لا يخفى ، **وخبث البذر وفساده بأن يأخذ الطريق من السالك الناقص** ويسلك مسلكه ، لأن الناقص صاحب هوى متبع ، **وما يشوب بالهوى لا يؤثر** وإن أثر أعان على الهوى ، فيحصل ظلمة على ظلمة ، لأن الناقص لا يميز بين الطرق الموصلة إلى الله سبحانه و بين الطرق التي لا توصل إليه سبحانه ؛ إذ هو غير واصل قط . وكذا لا يميز بين الاستعدادات المختلفة للطلبة . وإذا لم يميز طرق الجذبة عن طرق السلوك فربما يكون استعداد الطالب مناسباً لطريق الجذبة غير مناسب لطريق السلوك ابتداء ! والناقص لعدم تمييزه بين الطرق وبين الاستعدادات المختلفة يسلكه طريق السلوك ابتداء فأضلّ عن الطريق كما ضلَّ . فالشيخ الكامل المكمل إذا أراد تربية هذا الطالب وتسليكه احتاج أولاً إلى إزالة ما أصاب من السالك الناقص وإصلاح ما فسد بسببه ثم ألقى البذر الصالح المناسب لاستعداده في أرض الاستعداد فينبت نباتاً حسناً ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فصحبة الشيخ الكامل المكمَّل كبريت أحمر ، نظره دواء ، وكلمته شفاء ، وبدونها خرط القتاد[1] انتهى « الدرر المكنونات » في ٣٢ ج١ .

يا ولدي! إن هذا الكلام المذكور قاصم لظهر والدك ، وكان هذا الكلام سبب ردّه مراراً إجازة شيخه العسلي ، بيد أنه قدس سره اطّلع على ما في سرّي فسلم إلى يدي كتاباً ، فنظرت إليه فوجدت فيه ما حاصله : أنّ الكامل قد يعطي الإجازة للناقص فلا يحصل منه الضرر ، لأنّ

(١) والقتاد : شجر له شوك « مختار » .

يده يده ، وتربيته[1] تربيته . انتهى . فبعد ذلك اطمأن القلب وسكن عن الاضطراب ، فأسأل الله سبحانه تعالى أن لا يجعلني سبباً لإتلاف استعداد السالكين وإفسادهم ، وأن لا يحرمني وإياهم من بركة السادات القادات أهل الإرشاد والكمال آمين .

ياولدي ! إن والدك لا يرى نفسه فوق أحد فلله الحمد على ذلك ، بيد أنه يرجو الله تعالى أن يجعله من المتشبهين بالمتشبه وينزله منزلة كلب أصحاب الكهف ، فإنه قد خطى خطوات خلف من وحد الله تعالى فأكرمه الله لذلك .

ورأيت في « نزهة المجالس » أنّ رجلاً من قوم قارون كان يحاكي عمامة موسى عليه الصلاة والسلام ويلفُّ الصوف على إصبعه ، فلمَّا خسف الله تعالى بهم الأرض أخَّر ذلك الرجل عن الخسف لمشابهته بموسى في العمامة . انتهى في ١٣٥ ج٢ .

وليس لي عمل مرجو ولا خلق حسن – فيما أعلم – إلا محبة هؤلاء الصوفية الصافية ، واعتقاد كلامهم ، وتصديق علمهم ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره **إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة** دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجة هذه المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ! بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان ،

---

(١) ورأيت في « المناقب الأحمدية » ما نصه يجوز للشيخ إجازة المريد المستعد قبل وصوله إلى مرتبة الإجازة المطلقة التى هي بعد فناء النفس والقلب وإن لم يبلغ إلى الكمال ، كما أجاز حضرة الشيخ بهاء الدين النقشبند مولانا يعقوب الچرخي رضي الله عنه ، فراجعه (منه) .

وينبغي أن يعدَّه استدراجاً . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ ج١ .

وقال الجنيد : **التصديق بعلمنا هذا ولاية** ، وإذ فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك . فان لم يصبها وابل فطل .

وقال أبو يزيد : **من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فانه مجاب الدعوة** . انتهى من « منية الفقير المتجرد » .

وفيه : **من[1] لم يكن له من هذا العلم - أي علم الباطن - نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة . انتهى** .

وفيه : التصديق[2] بطريق الولاية ولاية . انتهى فراجعه . الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الجليلة حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

يا ولدي ! أوصيك بملازمة الجمعة والجماعة ، وأن لا تصلي منفرداً إلا عند الضرورة ، وأن لا تتساهل في أداء السنن في الصلوات المفروضات .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : **أن أداء فرض واحد مع الجماعة أفضل من ألوف من أربعينياتهم** . انتهى من « الدرر » عبارته ٢٤٩ ج١ .

وقال أيضاً : واعلم أن مقربات الأعمال : إما فرائض ، وإما نوافل ، فالنوافل لا اعتبار لها في جنب[3] الفرائض أصلاً ! فإن أداء فرض من

---

(١) هو قول بعض العارفين (منه) .

(٢) هو قول الجنيد رحمه الله (منه) .

(٣) واعلم أيضاً أنّ رتبة الصلاة مثل رتبة الرؤية في الآخرة ، فنهاية القرب في الدنيا إنما هي في الصلاة ، ونهاية القرب في الآخرة في عين الرؤية . وأيضاً إن سائر العبادات وسائل للصلاة والصلاة من المقاصد ، كذا ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، لكنه بالنسبة إلى أرباب النهاية ، فإن الأمر العظيم للمنتهي هو أداء=

الفرائض في وقت من الأوقات أفضل من أداء النوافل ألف سنة ، وإن أديت بنية خالصة أيَّ نفل كان ! من الصلاة والصوم والذكر والفكر وأمثال ذلك :

بل أقول : إن رعاية سنة من السنن وأدب من الآداب حين أداء الفرائض لها ذلك الحكم أيضاً .

نقل أن سيدنا عمر رضي الله عنه صلَّى يوماً صلاة الصبح بجماعة ، ثم نظر إلى القوم وتفقّدهم[1] ، فلم يرَ فيهم شخصاً من أصحابه فقال : ألم يحضر فلان الجماعة ؟ فقيل : إنه يسهر أكثر الليل فيحتمل أن يكون قد غلبه النوم في هذا الوقت . فقال : لو نام تمام الليلة وصلى صلاة الصبح مع الجماعة لكان أولى وأفضل . فرعاية الأولى والاجتناب عن المكروه وإن كان تنزيهيّاً أولى من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب كثيرة ، فكيف إذا كان المكروه تحريميّاً ؟ ! نعم إن جمع هذه الأمور مع هذه الرعاية والاجتناب فقد فاز فوزاً عظيماً ، وبدونه خرط القتاد[2] . فكما أن تصدق دانقٍ مثلاً في حساب الزكاة أفضل من تصدّق مقدار جبال عظام من ذهب بطريق النفل بمراتب ! كذلك رعاية أدب في تصدق ذلك الدانق ! كأن يعطيه إلى فقير مستحق أفضل منه أيضاً بمراتب . انتهى . من « الدرر » عبارته في ٣٧ ج١ .

يا ولدي إن زيادة الإطناب موجبة للملالة والسآمة ، بيد أني لفرط إرادتي حصول المنفعة لك كتبت لأجلك النصائح ، فأرجوك أن لا تملَّها ، فلو كنت عطشاناً لا تسأمها بل تقول : زدني زدني . هل من مزيد ؟ وأحسن ما يملى حديث الأحبة ، وإلا فكثرة الكلام لا ينفع ، فأهمّ الأمور ملازمتك

=الفرائض ، كما بيّنه قبيل هذا ، فراجع « الدرر المكنونات » في ١٢٨ من الجزء الأول (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(١) أي : طلبهم .

(٢) خرط العود : قشره ، وبابه ضرب ونصر ، وخرط الورق حته ، وهو : أن يقبض على أعلاه ثم يمرّ يده عليه إلى أسفله . وفي المثل دونه خرط القتاد « مختار » .

على الأوراد من الاستغفار والصلاة على النبيّ عليه السلام ومواظبتك على الذكر القلبيّ؛ فإن الذكر القلبي مؤيّد لإتيان الأحكام الشرعية، ودافع لعناد النفس الأمارة، وأن لا تحزن على عدم الإطلاع على أحوالك، وأن لا تجعله دليلاً على عدم الحاصل فيك، **فإنّ علم الأحوال لا يعطى لكلّ أحدٍ**، والمقصود حصولها لا اطِّلاعها. **وغياب الحال أكمل في المعرفة، وأوفر في الثواب**. فكن عبد الله لا عبد الحال، ولا تكن كالصبيّ إن أعطاه السكر والجوز يجيب وإلا فلا!

وقد قال الإمام الرباني: إن المقصود من حصول الأحوال التعلق والارتباط بمحوِّل الأحوال، فإذا حصل هذا التعلق فلا ضرر من عدم حصول الأحوال[1]. انتهى من «الدرر» ٢١٩ ج١.

وفي «الجواهر والدرر» للشعراني. إن ما يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار نقص، لا سيما إن كان ذلك بميل منهم! وذلك لأن الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب، وإنما محلها الدار الآخرة. انتهى ١٨٢.

وفيه: غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة.

فالحاصل أن ذرّة واحدة من عبادة من لا يعلم حاله ولا يميل إليه أعلى وأفضل رتبة من كثير من عبادة من ظهر له الأحوال ومال إليها. «لواقح» ٢٠٩ ج١. ولا يخفى أن من ظهر له حاله أَنِسَ به وتلذّذَ فيكون

(١) ولا يتسلى بجوز الحال وموزه إلاّ أطفال الطريقة، وأما عند رجال الطريقة لا يكون حصول الأحوال محلاًّ للسرور ولا يكون زوالها موجباً للغمّ والانفعال والهموم، بل يكونون مُنْتَظِرينَ للمقصود المنزه عن الكيف والمثال. فإن جعل وجه القلب متوجهاً إلى سوى الحق تعالى يكون أشدّ تكدّراً من كلّ شيء، وإن وجّه وجهه نحو الحق سبحانه فيكون أشد صفاء من كل شيء، فينبغي الاعتناء لتحصيل حريّة القلب من التعلقات بالسوى والله ولي التوفيق (منه رحم الله إفلاسه آمين).

الباعث على ملازمة الذكر ومواظبة الورد هو التلذّذ لا التعبد المحض، ولذا عد العارفون التلذذ في العبادة شركاً فافهم.

وقد قال الإمام الرباني قدس سره: والعبادة التي منشأها الرغبة والرهبة فتلك العبادة هي عبادة النفس في الحقيقة، فإن المقصود منها إمّا حصول نجاة النفس أو سرورها. شعر:

مادمت مفتوناً بنفسك يا خلي   دعوى المحبة منك دعوى كاذب

انتهى «درر» ٨٠ ج١.

أيها الولد! استمع لما أتلو عليك بالتفكُّر والتدبّر بسمع القبول وقد طلبت مني كتبة الوصايا، فأرجوك الاتعاظ والقبول، فعدم القبول بعد الطلب ليس بلائق، بل هو مخلٌّ للشجاعة، ومنبئ عن عدم المروءة.

قال الإمام الرباني قدس سره: المرء مع من أحب، فطوبى لمن لم يبق لقلبه حبّاً إلا مع الله تعالى سبحانه، ولم يرد إلا وجهه تعالى وتقدّس، فيكون هو مع الله تعالى جلَّ سلطانه وإن كان في ظاهره مع الخلق واشتغل بهم صورة، وهو شأن الصوفي الكائن البائن؛ أي الكائن مع الله سبحانه وتعالى، والبائن من الخلق حقيقة.

أو المراد الكائن مع الخلق صورة، والبائن منهم حقيقة.

والقلب لا تتعلق محبته بأكثر من واحد فما لم يزل التعلق الحبي بذلك الواحد لم يتعلق بما سواه محبته، وما يرى من كثرة مراداته وتعلق محبته بالأشياء المتكثرة كالمال والولد والرياسة والمدح والرفعة عند الناس فَثَمّة أيضاً لا يكون محبوبه إلا واحداً وهو نفسه، ومحبة هؤلاء فرع محبته لنفسه فإن هؤلاء الأشياء لا يريدها إلا لنفسه، لا لأنفسهم! فإذا زالت محبته لنفسه زالت محبتهم بالتبعية أيضاً. فلهذا قيل: **إن الحجاب**

بين العبد والرب هو نفس العبد ، لا العالم ! فإن العالم في نفسه غير مراد للعبد حتى يكون حجاباً ! وإنما مراد العبد هو نفسه ، فلا جرم يكون الحجاب هو العبد لا غير . فما لم يخل العبد عن مراد نفسه كلية لا يكون الربُّ مراده ، ولا يسع قلبه محبته سبحانه وتعالى ، وهذه الدولة القصوى لا تتحقق إلا بعد الفناء المطلق المنوط بالتجلّي الذاتي ، فإن رفع الظلمات رأساً لا يتصوّر إلا بطلوع الشمس بازغة .

المحبة الذاتية

فإذا حصلت تلك المحبة المعبر عنها بالمحبة الذاتية استوى عند المحب إنعام المحبوب وإيلامه ، فحينئذ حَصَل الإخلاص فلا يعبد ربه إلا له ، لا لأجل نفسه من طلب الإنعام ودفع الإيلام ! لأنهما عنده سواء . وهذه مرتبة المقربين ، **فإن الأبرار إنما يعبدون الله خوفاً وطمعاً** ، وهما راجعان إلى أنفسهم لعدم فوزهم بسعادة المحبة الذاتية ، فلا جرم يكون حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فحسنات الأبرار حسنات من وجه ، وسيئات من وجه ، وحسنات المقربين حسنات محضة .

نعم من المقربين من يعبد الله خوفاً وطمعاً أيضاً ! بعد تحققهم بالبقاء الأكمل وتنزُّلهم بعالم الأسباب ، لكن خوفهم وطمعهم غير راجعين إلى أنفسهم ، بل إنما يعبدون طمعاً في رضائه سبحانه وتعالى ، وخوفاً من سخطه تعالى ، وكذا إنما يطلبون الجنة لأنها محل رضائه تعالى ، لا لحظوظ أنفسهم ! وإنما يستعيذون من النار لأنها محل سخطه تعالى . لا لدفع الإيلام عن أنفسهم ! لأن هؤلاء الأكابر محرَّرون عن رقِّيَّة الأنفس ، وصاروا خالصين لله سبحانه وتعالى . **وهذه الرتبة أعلى من بين رتب المقربين** ، ولصاحب هذه المرتبة نصيب تام من كمالات مقام النبوة بعد تحققه بمرتبة الولاية الخاصة ، ومن لم ينزل إلى عالم الأسباب فهو من الأولياء المستهلكين ، فلا نصيب له من كمالات مقام النبوة ، فلا يكون

أهلاً للتكميل ! بخلاف الأول . رزقنا الله سبحانه محبة هؤلاء الأكابر بحرمة سيد البشر عليه وعلى آله وأتباعه من الصلوات أفضلها ، ومن التسليمات أكملها ، فإن المرء مع من أحب . انتهى « الدرر المكنونات » عبارته ٣٤ ج١ .

أيها الولد! إن هذا الميدان مما لا مجال لك ولوالدك أن نسْرح جواد نفوسنا فيه ، لكن معرفة مقامات القوم لا تخلو عن فائدة ، فإن العاجز عن العروج إلى تلك المراقي لا يخلو عن الاعتراف بالتقصير ، أو التشمُّر للارتقاء إلى ذلك المقام العالي .

واعلم يا ولدي أنه لا بد للإنسان من ثلاثة أشياء حتى تتيسر النجاة الأبدية ١ - العلم ، ٢ - والعمل ، ٣ - والإخلاص . كما قاله الإمام الرباني قدس سره وقال بعد كلام :

وبالجملة إن العلم والعمل مستفادان من الشريعة **وتحصيل الإخلاص الذي هو بمنزلة الروح للعلم والعمل مربوط بسلوك الطريق الصوفية** ، وما لم يقطع السالك مسافة السير إلى الله تعالى ولم يتحقق له السير في الله تعالى فهو بعيد عن حقيقة الإخلاص ، ومحروم من كمالات المخلصين أهل الاختصاص . نعم قد يتحقق الإخلاص في بعض الأعمال لعامة المؤمنين بالتعمُّل والتكلُّف ولو في الجملة ، ولكن الإخلاص الذي نحن بصدد بيانه هو الإخلاص في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات ، من غير تعمُّل وتكلُّف فيه . وحصول هذا الإخلاص منوط بانتفاء الآلهة الآفاقية والأنفسية الذي هو مربوط بالفناء والبقاء ، والوصول بالولاية الخاصة والإخلاص الذي يحتاج فيه إلى التعمُّل والتكلُّف لا يكون له دوام ، ولا بد من سقوط التكلُّف في حصول الدوام الذي هو مرتبة حق اليقين .

وأولياء الله تعالى كلما يفعلونه يفعلونه لله جل وعلا ، لا لحظوظ نفوسهم ! فإن نفوسهم كانت فداء الحق سبحانه ولا حاجة لهم إلى تصحيح النية في حصول الإخلاص ، فإنّ نيتهم قد صحَّت بالفناء في الله ، والبقاء بالله ، **فإن شخصاً مثلاً إذا كان أسيراً في يد نفسه فكلما يفعله يفعله لحظِّ نفسه نوى أو لم ينوِ** . ومتى زال تعلقه بنفسه وتخلص من رقِّيَّتها وحصل بدله التعلق بالحق جلَّ وعلا فلا جرم يفعل كلما يفعله لله تعالى ، نوى أو لم ينو ! فإن النية إنما يحتاج إليها في المحتمل ! وأما المتعين فلا حاجة فيه إلى التعين ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

وصاحب الإخلاص دائماً فهو من المخلَصين بفتح اللام ، ومن لا دوام في إخلاصه بل هو في كسب الإخلاص دائماً فهو من المخلِصين بكسر اللام وشتان ما بينهما ، والنفع الذي يحصل في العلم والعمل من طريق الصوفية هو أن يكون العلوم الكلامية الاستدلالية كشفية ، وأن يحصل اليسر التام في أداء الأعمال ، وأن يزول الكسل الناشيء من جانب النفس والشيطان ، وهذي سعادات تكون نصيب من ؟ ! والسلام أولاً وآخراً . انتهى من « الدرر » في ٧١ ج١ .

والمقصود من إظهار أمثال هذه الأحوال والمقامات هو ترغيب الولد الأعزِّ ، وتنفيره عن الاشتغال بحظِّ النفس في جميع الأعمال[(١)] شعر .

من أجل كونك في البداية أحولاً   لا بد من شيخ يقودك أولاً

ياولدي! إني كتبت في هذا الكتاب كثيراً من الوصايا رجاء أن تعمل ولو بواحد منها ، وفقك الله سبحانه للعمل بجميعها آمين . وبنيته على أساس الترغيب والترهيب ، لما أنك في الحال مثل الدابة الجموحة فإنها تحتاج مرة لإعطاء الملح والشعير ، ومرة أخرى لضرب السوط والقضيب ، لأنها لا تنقاد إلا بهما . وبيّنت لك آنفاً منتهى مقامات الإخلاص لتصرف

(١) وفي نسخة : في جميع الأحوال .

همَّتك عن الرغبة والرهبة ، وتطلب الترقي إلى إخلاص أهل القربة والوصلة .

يا ولدي ! مكّن نفسك في وسط دائرة الاستقامة ، **ولا كرامة أعلى وأفضل من الاستقامة !** وإياك والابتداع ! وبالابتداع يهبط المرء عن درجة أهل الكمال . رزقنا الله تعالى والمسلمين الهداية والتوفيق آمين .

وإني وإن حرضتك على طلب العلم مراراً لكن ينبغي لك أن تعلم أن فضل العلم لا يكون إلا إذا طلبه الإنسان على وجه الإخلاص ، فإن طلب العلم على وجه الإخلاص أفضل من صلاة النافلة عند إمامنا[١] الشافعي ، وإنما أجور الأعمال بالنيات ! فكلّ ما صلحت فيه النية من الطاعات فهو أولى بالاشتغال به ، سواء كان علماً أو عملاً .

وفي « لواقح الأنوار » قال داود الطائي رحمه الله تعالى : طالب العلم كالمحارب ! فإذا أفنى عمره في تعليم كيفية القتال فمتى يقاتل ؟ فمن عقل العاقل أنه كلما رأى نفسه عملت بكلّ ما علم واحتاجت للعلم أن يقدِّمه على سائر الطاعات التي لم يأمره الشارع بتقديمها عليه ، وكلّما رأى نفسه مستغنية عن العلم وعلمها زائد على حاجتها أن يقدِّم غيره عليه ، كما كان عليه السلف الصالح . فلا بدَّ لكلّ إنسان من العلم والعمل ، والاشتغال بواحد منهما دون الآخر نقص .

واعلم أن جميع ما ورد في فضل العلم وتعليمه إنما هو في حق المخلصين في ذلك ، فلا تغالط في ذلك ، فإن الناقد[٢] بصير . انتهى عبارته ٦٧ ج١ .

يا ولدي ! أوصيك بمطالعة كتب الحديث ، وكتابته وإسماعه

---

(١) كذا في « العهود المحمدية » في ٢٠١ ج١ .

(٢) ونقد : الدراهم ، وانتقدها : أخرج منها الزيف « مختار » .

للناس ؛ ففي ذلك فوائد عظيمة .

ومن أعظمها الفوز بدعائه ﷺ لمن بلّغ كلامه إلى أمته في قوله : « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها » ودعاؤه ﷺ مقبول بلا شك ، إلا ما استثني ! كعدم إجابته ﷺ في أن الله تعالى لا يجعل بأس أمته فيما بينهم كما ورد .

قال الشعراني : ومعنى نضَّر الله الدعاء بالنضارة ، وهي النعمة والبهجة والحسن ، تقديره جَمَّلَهُ الله وزيَّنَهُ بالأخلاق الحسنة والأعمال المرضية .

وقيل غير ذلك « الأنوار القدسية » عبارته ٣٢ ج١ .

وفيه : **وناسخ العلم النافع له أجره وأجر مَنْ قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به** ، لحديث مسلم مرفوعاً : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به » الحديث . انتهى ٣٣ ج١ .

يا ولدي! هذا في نسخ العلم النافع وأما نسخ غيره فتضييع للوقت .

قال في « الرشحات » في بيان أقوال سعد الدين الكاشغري قدس سره : كان واحدٌ من أصحابه يكتب رسائل في فصل الربيع ، وكان يخطر بباله أن يتنزه ويتفرج دائماً بعد إتمامها ، فجاء في ذلك الأثناء صحبته فأنشده هذين البيتين ، شعر :

بادوست باكلذار شدم رهكذري بركل نظري فكندم ازبيخبري دلدار

باطعنه كفت شرمت بادرا رخسار من اينجا وتودر كل نكري

ترجمة :

دخلت بمن أهوى ببستان عابراً فكنت من الغفلات للورد ناظراً

فقالت :

لـك الـويـلات يـا مـدعي الهـــوى   أترمـق ورداً تـاركـاً خـــدي زاهراً

ثم قال : إذا ذهبت للتفرُّج فإن كنت محتظياً به فأنت غافل عن الحق سبحانه ، وإن لم تكن محتظياً به فما الفائدة فيه وتكتب الرسائل ؟ فإن أردت العمل بما فيها فتكفيك كلمة وهي : **كن مشغولاً بالله** . وإن لم ترد العمل بما فيها فما الفائدة في تحريرها ثم قال : يك ني هزارآساني ، يعني أن في كلمة (لا) وحدها ألف سهولة وهذا الكلام جارٍ في جميع المقام ، ففي كل شيء غير الحق سبحانه قلت (لا) فقد تخلصت . انتهى عبارته .

أيها الولد ! ينبغي لك أن تصرف وقتك بعد ما سئمت من مطالعة العلم النافع إلى نفي الخواطر ، والاشتغال بالأسباب الجالبة للحضور والجمعية .

وقد قال بعض الأكابر : لَحُضورُ قلبي في استغراق نور ربي خير من علوم الأولين والآخرين . انتهى .

بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، كما هو نصّ ما في « الإحياء » في ١١٤ من الجزء الرابع .

وقال صاحب « الإتحاف » في تفسير ما ذكر ما نصه : ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » .

وقال صاحب « القوت » : إذا جاوز الخوف الحدَّ خرج إلى أن يسري إلى النفس فيحرقها ، فيكون له شهادة . وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات ! إلا أنه قد قال بعضهم : ما شهداء بدر بأعظم أجراً ممن مات وجداً . وهذه

صفات ضعاف المريدين ! إذ للعلماء المؤمنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد ، وبكلّ معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر ، ومن كل قصد محجة بتعظيم حجة ، وبكلّ عمارة قلبٍ بحال محبة عمرة . انتهى من عبارته فراجعه في ٢٠٢ من ج٩ .

وفي « الرشحات » : ولا ينبغي للسالك أن يكون أدون من تلامذة النساج ! فإن أحدهم يبقى مدة في تعلُّم وصل الخيوط وترتيبها ، وأين له الاشتغال بأمور أخرى ؟ فكذلك ينبغي للطالب أن يسعى بالجدِّ والجهد حتى يكونَ أستاذاً في نفي الخواطر ، وماهراً في كيفية نفيه ، ولا ينبغي له في الابتداء الاشتغال بشغل آخر غير نفي الخواطر ، والذين يطالعون الرسائل ويجمعون منها الكلام فلا نفع لهم منها ، بل أمثال ذلك كلها تعطيل وتضييع للأوقات ، فإن طريق الحق سبحانه وأمره سلوك وعمل ، لا سماع وجدل وتطويل الأمل !

فمن كان في بغداد عند السلطان مثلاً وهو قادر أن يجالسه دائماً ومع ذلك يكون مشغولاً بمطالعة مكتوب كتبه واحد من كتَّابه ورعاياه وأرسله إلى الشام ومحتظياً به فهو في غاية الجهل والغواية ، ونهاية الغفلة والعماية ، فكيف يبعد إنسان عن حضور السلطان باختياره ، ويسافر من بغداد إلى الشام لمطالعة مكتوب كُتَّابه ؟ ! انتهى عبارته .

وهذا الكلام يشير إلى ما ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فتدبره .

وأهمُ ما أنصح به الولد أن يكون شغله بالله تعالى على الدوام ، وأن يصرف جميع همَّته وقصده إلى ذكر الله تعالى بلا غفلة عنه لمحة ، حتى يحصل له الحضور التام ، ويزول التعلق حبّاً وعلماً بما سواه تعالى من الأنام ، وأن يواظب على الأوراد ، وأن لا يتركها إلا عند الضرورة ،

لأن مدد الشيخ وفيضه في ورده الذي رتَّبه له ، فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد والفيض ، وهيهات أن يصح في الطريقِ ! كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٨٠ ج١ نقلاً من « تحفة الإخوان » .

واعلم أن قلب الشيخ مثاله كالحوض ، وأوراده كالميازيب الموضوعة لجري الماء ، وقلب المريد كالإناء الذي وضع تحت طرف الميزاب ، فلو خرج الميزاب الذي هو الورد مثلاً ينقطع جريان الماء الذي هو المدد والفيض بالكلية ، أو وقع في وسط الميزاب شيء ما من التراب أو الحصاة أو غيرهما يقل جريان الماء إلى ذلك الإناء بحسب ما وقع فيه قلة وكثرة ، ولطافة وكثافة ، فلأجل ذلك ينبغي لك أن تلازم الأوراد ، وأن لا تتركها لئلا ينقطع عنك رشحات الفيوض والأمداد بالكلية ، وأن تحترز عما يقلُّها أو يكدِّرها أو يقطعها بسدِّ مجاريها ، وذلك يكون بالوقوع في المخالفات فعلاً أو قولاً أو سمعاً أو نظراً ، فلا ريب أن نفع الذكر يكون منوطاً بفعل المأمورات واجتناب المنهيات . ثبتنا الله تعالى على جادّة الاستقامة آمين .

وأيضاً قد يكون السبب لانقطاع الفيض أحياناً من طرف الشيخ نفسه ، لما أنه قد يقع في هفوة أو زلة ، أو مخالفة للأمر أو قبضة ، وذلك لظهور بشريته ، وغلبة جسمانيته على روحانيته ، فإن الجبلّة التي جبل عليها الإنسان لا تستأصل بالكلية ! بل تصير في حالة الاعتدال بكثرة الرياضات والمجاهدات ، والملازمة على الأذكار والصلوات ، فربما تظهر تلك الجبلّة في غير الأنبياء عليهم السلام في أوقات نادرة ، فيقع الخلل حينئذ من جهة الشيخ ، ويحرم المريد من الفيض وإن كان مستعدّاً لقبوله وأخذه . ألا ترى أن الحوض ربما يقع فيه الخلل ، ويحصل في أطرافه آثار من الثقب ، فيخلو عن الماء الذي كان يجري منه الماء إلى الموازيب ومنها إلى الإناء !

يا ولدي! إن هذا الأمر مما كان والدك في خوف وَوَجل دائماً، لكون أحواله في أكثر الأوقات في نقص وتنزُّل، فكيف لا؟ وقد كان الشيخ العسوي قدس سره لا يتوجه إلى المريد أحياناً حين طرأ عليه القبض بحصول الكدورة بسبب كثرة التوجهات قائلاً: لا نفع حين مات الباطن، انتهى. وقد قلت له مرة: يا أستاذي! إني أكون في أوقات في قبضة وفتور، وأخاف حينئذ أن تنعكس للمريد مني تلك القبضة، فماذا أفعل في ذلك الوقت؟ فقال قدس سره: افعل الرابطة بالشيخ محمود أفندي، واعتقد كأنه واقف بينك وبين المريد، فحينئذ لا يحصل لك الضرر منه، ومنك له. انتهى. فالحمد لله الذي جعل لكل داء دواءً وشفاءً ولكل ضيق وإشكال فرَجاً ومخرجاً.

يا ولدي! قد علم مما مرّ أن الوارد لا يكون لمن لا ورد له، **ومن ليس له ورد فهو قرد** ليس له نصيب من المدد.

وقد رأيت في «النور الساطع» ما حاصله: أن ترك الأوراد اختياراً كسلاً فسوق، ومن لازم أوراد شيخه فاز بمقاصد الدارين. فراجعه. والقلب المحشوّ بنقوش السّوى لا ينجلي ولا يصفو إلا بملازمة الورد، ومداومة على الذكر الكثير.

قال الخواجه محمد پارسا قدس سره: إن الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب، لا غير! ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة، والتفرجات المتشتة، ورؤية الألوان والأشكال المتنوعة، ويستقر في القلب فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة. وأيضاً قد تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب، والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتّى وسماعها وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة، واستماع الغناء والنغمات المطربة[1]، وهذه المذكورات

---

(١) وطرب في صوته بالتضعيف: رجعه ومده «مص».

كلها موجبات للبعد والغفلة عن الحق سبحانه ، فنفيها واجب على الطالب . فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد في الخيالات الفارغة ليتوجَّه إلى الله تعالى بقلب صافٍ . وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يحصل ذلك المعنى من غير محنة ومشقة ، وترك لذات جسمانية وشهوات حسية ، والراحة المطلوبة إنما هي في دار الآخرة .

فإن التزمت مشقة يسيرة في أيام معدودة في الدنيا تسترح في الآخرة أبد الآباد ، فانه لا قدر لهذا العالم بالنسبة إلى عالم الآخرة ، وكأنه بذر خشخاش مرميّ في صحراء لا نهاية لها . انتهى من « رشحات » عبارته .

يا ولدي! اعلم أن قلوب المشائخ تكون مملوءة بالعلوم والمعارف ويجعلون ألسنتهم كشجرة موسى عليه السلام ، فينطقهم الله تعالى بما يليق بحال الجليس على قدر همَّته واستعداده ، فإن كان المريد ممن أراد الله تعالى به خيراً ينطقهم الله تعالى بما له فيه المصلحة ، وإلا ! تخرس ألسنتهم ، ولا ينطقون إلا بما فيه طرده ولعنه ! فالعياذ بالله . ومن ها هنا قيل : **الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي** . وقد ينسد باب المعارف بمصاحبة أهل الاعتراض والإنكار ، والاحتراز عن الاعتراض واجب . فإن الاعتراض بالقلب أو باللسان سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ وبين المريد ، فإن رأى المريد من شيخه ما لا يوافق الشرع ظاهراً أو باطناً فليعلم أن هنالك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها المريد ، والشيخ يجري على منوالها ، فكزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، فينبغي أن يعلم أن الشيخ لا يخرج عن حضرة ربه ، ولا يزحزحه[1] عن محل قربه ، ولا يحطُّه عن كمال أدبه ، وإن ظهر منه شيء من نقصان حاله بظهور بشريته ! ومن طلب مرتبة لا يكون فيها نقص لا مطمع له في دخول الحضرة ، لأنّ المراتب لا بد لها من نقص ، فلا يظهر

---

(١) زحزحه : باعده « مص » .

كمال أصلاً ليس فيه نقص إلا في مرتبة الرسالة والنبوة والقطبانية ، كما هو مذكور في الكتب .

مهم

ومثال الشيخ كقائد الأعمى ، ومثال المريد كالأعمى ، فقد تزلُّ قدم القائد فيقع على الطريق ، مكبّاً ويبقى الأعمى قائماً في الطريق ، وقد يضرب قدم الأعمى على حجر مرتفع في الطريق فيسقط مكبّاً على وجهه والحال أن يده حينئذ في يد القائد . ومن طلب من القائد أن لا تزلَّ قدمه أصلاً فقد أخطأ ، ومن ظنَّ أن الأعمى لأجل كون يده في يد القائد لا تزلُّ قدمه أبداً فقد أخطأ أيضاً ، وما يفعله أرباب الاستقامة من الجانبين ، هذا ؛ أن القائد إذا زلت قدم الأعمى يقيمه ويعينه ويقوده خلفه في الطريق إلى أن يتمَّ أمره ، ويوصله إلى مآربه ، وإن الأعمى إذا زلت قدم قائده وسقط علي الأرض مكبّاً علي وجهه لا يفارقه بل يأخذ بيده ويتبع خلفه إذا قام إلى أن يصل إلى مقاصده هذا هو الصواب . فافهم هذه الإشارة وكن من الشاكرين .

واعلم أنه ليس من شرط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم[1] من المخالفات . كما صرحه يوسف النبهاني في « شواهد الحق » فراجعه في ١٣٥ . وقد بسط صاحب « الإبريز » الكلام في حق هذا المطلب فجزاهما الله تعالى عنا خيراً .

يا ولدي ! قد أمرني شيخنا المرحوم قطب هذا الإقليم خالد سيف الله قدس سره بأن أُشْغِلك على طلب العلم النافع ، وقال يحصل لك الفتح بعد ذلك في سائر العلوم إن شاء الله تعالى . فبناء على أمره أشغلتك

(١) وراجع « اليواقيت » في ١٨٣ ففيه بسط مهم في ردّ قول : من قال لو كان الواعظ صادقاً لأثر وعظه . . إلخ (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

بهذا العلم ، وإياك ثم إياك أن تصرف همّتك عن هذا العلم إلى غيره من علوم الدنيا ! لكن لا بدَّ لطالب العلم من علم اللغة ، فقد ذكر في « عقد اليواقيت » ما نصه : والحذر الحذر من ترك الاشتغال بعلم اللغة ! مثل النحو والصرف فإنها أساس العلوم ، والموصلة لك إلى فهم سائر العلوم . انتهى فراجعه في ٢٤ من الجزء الثاني .

واعلم أن مجرد النظر إلى كتب أهل السلوك[١] **جند من جنود الله تعالى** ، وأن التضلُّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، والاشتغال به أولى وأنسب من الاشتغال بغيره ، والأدب مع المعلم والأستاذ[٢] من آكد الأمور ، وبتركه يحرم الطالب من البركات . فقد كان الإمام زفر أسبق علماً وفهماً من سائر أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه لكن صار مذهبه ضعيفاً لمجرد تركه أدبه مرة واحدة بعدم قيامه له حين جاء لديه ، بعذر أنه كان حينئذ يتوضَّأ . فتدبَّر فيما حصل له من الضرر بهذا الشيء اليسير . رزقنا الله تعالى التوفيق .

وفي « المناقب الأحمدية » ما نصُّهُ قال المؤلف – عفي عنه – : كتب الإمام الرباني قدس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » : **إن شرافة العلم ومرتبته بقدر شرافة المعلوم**[٣] فكلما كان المعلوم شريفاً كان العلم به

---

(١) وفي نسخة : التصوف .

(٢) قال في« نزهة المجالس » قال رسول الله ﷺ « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل الله تعالى » ، فتجب مراعاة الأدب معهم وإن لم يُراع الأدب معهم فقد ضلّ عن سواء السبيل . قال الشيخ جنيد قدس سره من جالس مع هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الإيمان . كذا في سلسلة خواجكان ، فراجعه قبيل الباب السادس (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وقال الشيخ العلامة السيد محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينته » : فاعلم أن الذكر والعلم فضلهما يتبع المذكور والمعلوم ، وكلما كان المذكور أعظم والمعلوم أشرف كان الذكر أعظم والعلم أشرف ، ولا مذكور أعظم من ربّ العزَّة ، ولا معلوم أشرف منه . انتهى عبارته راجعه في ١٢٧ .

أعلى ، فالعلم الباطني الذي امتازت به الصوفية أشرف من العلم الظاهري الذي هو نصيب علماء الظاهر ، على قياس شرافة علم الظاهر على علم الحجامة والحياكة . فلتكن رعاية آداب الشيخ المستفاد منه علم الباطن زائدة أضعافاً عن رعاية آداب الأستاذ المأخوذ منه علم الظاهر ، وهكذا رعاية أستاذ علم الظاهر زائدة على رعاية أستاذ الحجامة والحياكة ، وهكذا التفاوت جارٍ في أصناف العلوم الظاهرة ، فأستاذ علم الكلام والفقه أولى وأقدم من أستاذ علم النحو والصرف ، وأستاذ علم النحو والصرف أفضل من أستاذ علم الفلاسفة ، مع أنّ علوم الفلاسفة ليست داخلة في العلوم المعتبرة ، إذ أكثر مسائلها غير مفيدة ولا طائل تحتها ، وأقل مسائلها المأخوذة من الكتب الإسلامية المتصرفة فيها ليست خالية عن الجهل المركّب ، لأنّ العقل لا مجال له هناك ، فإن طور[1] النبوة فوق طور العقل والنظر .

مهم في أدب الشيخ

فليعلم أن حقوق الشيخ فوق حقوق سائر أرباب الحقوق ، بل لا نسبة لحقوق الغير بحقوق الشيخ بعد إنعامات حضرة الحق سبحانه وتعالى وإحسانات رسوله عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات ، بل الشيخ الحقيقي للكل رسول الله ﷺ ! **فالمادة الصورية وإن كانت من الوالدين لكن الولادة المعنوية مخصوصة بالشيخ ، والولادة الصورية لها حياة أيام معدودات ، وأما الولادة المعنوية فلها الحياة الأبدية** ، فإن الكَنَّاس للنجاسات المعنوية للمريد هو الشيخ ، فبقلبه وروحه يكنس ويطهر كرشه ، ويحسُّ ويدرك في بعض التوجهات الواقعة إلى بعض المسترشدين في تطهير النجاسات الباطنية منهم أنه يحصل التلوث لصاحب التوجه

---

(١) الطور : الحال والهيئة ، والجمع طوار « مصباح » .

أيضاً ويتكدَّر إلى مدة . فالشيخ يوصل الطالب بتوسُّله إلى ربه عزَّ وجل الذي هو فوق جميع السعادات الدنيوية والأخروية ، والشيخ بتوسُّله تتزكى النفس الأمارة الخبيثة ذاتاً ، وتطهر وتخرج من الأماريّة إلى الاطمئنان ، ومن الكفر الجبليّ إلى الإسلام الحقيقي « كربكويم شرح اين بيحر شوه » .

فليعلم أن سعادته في قبول شيخه ، وشقاوته في ردِّه . نعوذ بالله سبحانه من ذلك . ورضاء الحق سبحانه خلف سترة رضاء شيخه ، حتى أن المريد لا يصل إلى مرضيات الحق سبحانه ما لم يجعل نفسه محواً في مراضي شيخه . **وآفة المريد في سخط شيخه ، وكل زلَّة يمكن تداركها! إلا سخط الشيخ فإنه لا يمكن تداركه وسخط الشيخ أصل شقاوة المريد** عياذاً بالله سبحانه من ذلك والخلل في المعتقدات الإسلامية ، والفتور في إتيان الأحكام الشرعية من نتائجه وثمراته ، فكيف الأحوال والمواجيد الباطنة ؟ وإن بقي أثر الأحوال مع وجود سخط الشيخ فليعدّ ذلك من الاستدراجات يؤول آخره إلى الخراب ، ولا ينتج شيئاً سوى الضرر . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى .

وقال سيدي الوالد رضي الله عنه : كان المشائخ الكبار قدس الله أسرارهم إذا رأوا من الطالب سوء الأدب ومزلَّة القدم ينبِّهونه و يعزرونه ، ولا يلتفتون إليه حتى يتوب توبة نصوحاً ويتضرع تضرعاً كثيراً ، وإن هذا العبد من غلبة الحياء لا يقول بحسب الظاهر شيئاً ، ولكن يعرض الباطن عنه حتى يتنبَّه من تغيُّر باطنه وأحواله ، ويهتدي إلى صراط مستقيم . وإن عاد وأصرَّ عليه أعرض عنه ظاهراً وباطناً ، وما أتوجه إليه ما لم يتب ، وإن تمرّد واستكبر أسلب نسبته وأطرده . معاذ الله تعالى عنه .

وقال رضي الله عنه : **ينبغي في تربية الباطن صفتي الجلال والجمال** ، فالجمال الصرف نقصان كالجلال الصرف . فالشيخ الذي يكون متصفاً بهما على وجه الاعتدال ينفع منه المريدون نفعاً عظيماً ، ويسلكون سلوكاً سريعاً .

وقال ﵁ : **الإشراف على قلوب المريدين من لوازم مقام المشيخة .**

كان حضرة المظهر الشهيد وحضرة شيخنا رضي الله تعالى عنهما ينبِّهون المريدين على خطراتهم ، ولا يرضون أن يخطر في مجلسهم الشريف خطرة غير الحق سبحانه أصلاً . وهذا الفقير يسامح عن ذلك أيضاً ، ويمنع بالهمة التامة والتوجه القوي ورود الخطرة على قلب المريد ، وينبّه أحياناً عند تراكم الخطرات على الطالبين بضرب السبحة أو المروحة على الأرض وأمثال ذلك . انتهى عبارته .

يا ولدي ! قد مرَّ مراراً ما في اقتداء الشيخ من المنافع ، وفي مخالفة أمره من المضارِّ والمكاره .

فاعلم أن الشيخ الكامل لا يأمر قط بشيء إلا لعلمه بأن ذلك الشيء أصلح وأنفع ، ولا ينهى عن شيء إلا لعلمه بأنّ فيه الخطر والضرر ، فتدبَّر فيما حكي أن بعض تلامذة الشيخ النصر استأذن منه ليتزوج فأصرَّ[١] زيادة ، فمنع الشيخ ، ثم تزوج بلا إذن ، فحصل أربع بنات جلسن كلهنَّ في الدكان للعمل السوء ، فحمل ذلك على فراسة الشيخ وكرامته . انتهى . كذا في « الخادمي على النصائح الولدية » للغزالي في ١٠٣ .

يا ولدي! اترك الإنكار ظاهراً وباطناً ، فإن الإنكار يسدُّ باب الفيض ، فلو تكلَّف في الاستفاضة مع وجود الإنكار لا يستضيء المريد من أنوار الشيخ أصلاً . ومن قال لأستاذه : لِمَ لا ؟ لا يفلح أبداً . وما وصل من وصل إلا بالأدب ، وما سقط من سقط إلا بترك الأدب . وقد كان الشيخ نظام الدين يقرأ « المشارق » على شيخه ، لكن لغاية سقامة نسخته كان يتكلّف الشيخ ويتعب نفسه ، فقال نظام الدين يوماً لشيخه : نسختك غلط جداً ! إن تأمرني أطلب من فلان ونسخته صحيحة . فكان ذلك صعباً

(١) أي : دام على الإستئذان وزاد ، فافهم .

على الشيخ فغضب عليه ، قال نظام الدين : زال بهذا حالي ، وسقطت عن مقامي ، حتى خفت من الإيمان الشرعي ، فاستشفعت من زوجته ، فرجعت إلى حالي ومقامي بعده . كذا في الخادمي في ١٠٢ .

في ضرر ترك أدب الشيخ

وفي « الحدائق الوردية » ما ملخصه : زار الشيخ أبو تراب النخشي إلى أبي يزيد قدس سره فقدم له الخادم طعاماً . فقال له أبو تراب : اجلس وكل معي . فقال : إني صائم . فقال : كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى . فقال : كُل ولك صيام سنتين . فأبى . فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله . فانقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله ، حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه . انتهى راجعه في ١٣٦ .

وقال بعض الأكابر رضي الله عنه الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي بهم . انتهى من « تقريب الأصول » في ٦٤ .

ورأيت في « الرشحات » ما ملخصه هذا : كان للخواجه بهاء الدين قدس سره مريد يقال له مولانا سيف الدين ، ولكن صدر منه في الآخر ترك أدب موجب لكراهة خاطر حضرة الخواجه وكدورة قلبه الشريف ، فصار بواسطته محروماً من شرف صحبته ، وصار مهجوراً ومقهوراً .

وصورة الواقعة أن حضرة الخواجه كان يوماً يمشي في بعض أزقَّة بخارى ، وكان مولانا سيف الدين في الإخانة في ملازمته ، فلقيه الشيخ محمد الحلاَّج وكان شيخاً معتبراً في زمان حضرة الخواجه بهاء الدين ، وله مريدون لا يحصون ، وكان من منكري حضرة الخواجه فلما دنا منه توجه حضرة الخواجه إلى جانبه بموجب كرمه الذاتي ومروَّته وشايَعَهُ خطوات ، فلم يناسب هذا القدر من التشييع لمولانا سيف الدين ، ولم يكتف به بل شايعه خطوات أخرى من قبل نفسه ، فحصلت لحضرة

الخواجه غيرة عظيمة من فعله ذلك ، وتأثَّر غاية التأثُّر ، وتغيَّر نهاية التغيُّر ، ولما رجع مولانا سيف الدين إليه قال له حضرة الخواجه عتاباً : شايعت الحلاج وجعلت نفسك بسبب ترك الأدب هباء ، وأخربت بخارا بل جميع العالم . فمات مولانا سيف الدين بعد أيام قلائل من تغيير حضرة الخواجه وقهره وغضبه ، وجاءت قبيلة توقمق من طائفة أوزبك ، وحاصرت البخارا وقتلت أناساً كثيرة ، وأفسدت كثيراً من تلك الناحية بالنهب والتخريب . انتهى عبارته .

وفي « الرشحات » أيضاً ما ملخصه هذا : كان من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره رجل يقال له أيضاً بمولانا شمس الدين الخوارزمي ، وكان في مبادي أحواله من محبي حضرة الخواجه ومخلصيه ، ولكن صدرت منه أخيراً صورة منافية للأدب مستلزمة لعدم الالتفات ، فكان مهجوراً ومحروماً من شرف صحبة حضرة الخواجه ، وصار بعيداً من توجُّه قلبه .

ونقل بعض الأكابر عن حضرة شيخنا سبب حرمانه ومردوديته أنه كان يشتغل أحياناً بالتجارة ، ولم يكن خالياً عن البخل والإمساك ، فدعى يوماً حضرة الخواجه مع جماعة من أصحابه إلى منزله للضيافة ، وكان دأب حضرة الخواجه وأصحابه إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه بعد الطعام ، فإن لم يحضر بعد الطعام شيء من ذلك كانوا يقولون لهذا الطعام ناقصاً ، وإنه طعام بلا ذنب ، فلم يتَّفق في هذا اليوم لمولانا سيف الدين إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه يعني مع علمه عادة حضرة الخواجه وأصحابه فقال له حضرة الخواجه على وجه الملاطفة والمطايبة : يا مولانا سيف الدين ! إن طعامك هذا ليس له ذنب . فوقعت في قلبه كراهة من هذا الكلام ، فأشرف حضرة الخواجه على خاطره فقال له : كيف أنت إن حصل لك اثنا عشر ألف دينار من النقود ؟ وكان في خاطره دائماً أنه

نِعْمَ المعيشة إن حصل لي اثنا عشر ألف دينار فأعرض حضرة الخواجه بعد ذلك بخاطره الشريف ، فلم يبق له ميل وإقبال الى صحبته الشريفة ، ولم ينجذب إلى مجلسه ، فآل الأمر إلى أن تكون أحوال باطنه الحرص التام على جمع الحطام ، والإقبال على الدنيا الدنية متاع اللئام ، حتى لم يبق له استراحة لأجل طلب الدنيا ولا منام ، وترك صحبة الخواجه وملازمته ، وتوجه بالكلية إلى التجارة . انتهى فراجعه ففيه الزيادة .

وفيه أيضاً **ما ملخصه** هذا : كان أيضاً من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين رجل يقال له شمس الدين ، كان شابّاً طالب علم ، وكان في خدمة حضرة الخواجه وملازمته ، ولكن وقع منه مرة قصور في الخدمة وإهمال بسبب الكسالة فسقط بشآمته عن نظر حضرة الخواجه فلم يفلح بعد ذلك ولم يصلح أبداً .

وصورة الحال : أنه قدم يوماً لحضرة الخواجه ضيوف يجب إكرامهم ، ونزلوا منزله فاحتيج إلى الماء ، فأمر حضرة الخواجه مولانا شمس الدين أن يسدَّ طريق النهر من طرف آخر ، وأن يفتح من هذا الطرف ليجري الماء إلى منزله ، وأمره بالاستعجال ، فأهمل مولانا شمس الدين في ذلك وتأخَّر ، ثم جاء بعد مدة عنده وقال : لم أقدر أن أسدَّه بسبب الضعف الذي فيّ . فحصلت كراهة عظيمة لحضرة الخواجه من إهماله وتقصيره ، وقال : لو قطعت أوداجك وأجريت دمك من هذا النهر لكان خيراً لك من هذا الكلام . فعرض له بعد ذلك مرض دماغي ، فترك خدمة الخواجه وذهب إلى « فركت » عند خاله مولانا سيف الدين وعرض عليه حاله ، فقال له مولانا سيف الدين : اذهب عند حضرة الخواجه علاء الدين العطار والتمس منه الشفاعة لك عند حضرة الخواجه فلعله يرحمك ، ويسأل العفو لك من حضرة الخواجه فعساه يقبل معذرتك ببركة شفاعته ، فلم يعمل هو بما أمره به خاله ، بل جاء عند الخواجه

محمد پارسا ، وعرض عليه حاله . فقال : إن هذا الأمر لا يفتح من عندنا فعليك أن تذهب عند الخواجه علاء الدين العطار . فلم يعمل هو أيضاً بكلام الخواجه محمد پارسا ، بل رجع ثانياً إلى بخارا وجاء عند الخواجه محمد پارسا ، فأحاله أيضاً إلى الخواجه بهاء الدين ، فلم يعمل بإشارته ، بل رجع إلى « فركت » ولم يذهب بعد إلى خاله ، فكان بعد ذلك مبهوتاً ومدهوشاً ، وعرض له النسيان ، وصار بحيث لم يبق في خاطره شيء من معلوماته ، وبلغ إلى حدٍّ كان لا يعرف أسامي أولاده وكان لمولانا شمس الدين هذا مودة تامة مع الخواجه عماد الملك من أقرباء حضرة شيخنا وسيجيء ذكره[1] وصار لا يعرف اسمه ، بل كان يقول له : آتا .

قال حضرة شيخنا بعد نقل هذه الحكايات : **إن حفظ خواطر الأولياء وامتثال أوامرهم والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين ، وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهم المهمات وألزم اللوازم** .

قال مولانا عبد العزيز البخاري عليه الرحمة وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره : **ينبغي لطالب صحبة حضرة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب :**

الأول : أنه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي له أن لا يرفع رأس الأنانية ، وأن لا يرى عمله ، بل ينبغي له أن يتصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرة ، وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل ، وترك الأمل .

الثاني : أنه إذا صدر منه عمل موجب للرد عنهم ينبغي أن لا يكون مأيوساً ، وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرُّفه حفظاً بليغاً لئلا يتردد ، ولا

---

(١) أي : في « الرشحات » ، فافهم .

يذهب إلى طرف آخر .

والثالث : أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه ، وأن يقوم به بكمال النشاط والفرح ، ليبلغ مقصوده ، وإلا ! فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى عبارته ٦٧ من ترجمة بهاء الدين قدس سره .

أقول ولله الحمد : سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول ما حاصله : إني أتعجب كيف كان المتقدمون يطردون المريدين هكذا ! ولعلهم كان المريدون في وقتهم وزمنهم يلازمون الآداب جدّاً ، فلذا كانوا يرون الأقل من سوء الأدب كثيراً . وكان يقول لي : إني أحمل من المريدين أخلاقهم وسوء أدبهم ولا أطردهم ، فاحمل يا أخي كما أحمل ولا تطردهم كما لا أطرد . انتهى .

وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس سره يقول : **كان في الزمان الماضي يمتثل المريدون أوامر شيوخهم ويتبعونهم ، وأما في هذا الزمان ! ينبغي للأشياخ أن يتبعوا مريديهم ، وأن يستعملوا المداراة معهم** يعني ليجروهم إلى الإصلاح تدريجاً . انتهى .

وحين ذكرت ما قاله لدى الشيخ المحترم سيف الله . قال : صدق يا ولدي صدق يا ولدي في قوله هذا . وكان رحمه الله تعالى يأمرني بالمداراة والملاطفة مع المريدين ، لكنه كان ينهى عن كثرة المباسطة معهم ، **لأن كثرة الانبساط توقع حرمة الشيخ من قلوبهم** ، فيحرمون من بركته ومدده ، **ولا بدَّ للمريد من احترام شيخه** ، وإن بلغ ما بلغ من المراتب وانتهى سيره ، ووصل إلى الحضرة الإلهية ، وانفصم عنه شيخه ، وحصل له الفطام عن رضاع ثدي فيوضاته ، لأن فلاح المريد وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه شيخه ، وعدم مقاطعته واستهانته ، مع أنه قد زال تقيُّده بالشيخ ، وصار مستقلاًّ بنفسه ، وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه

إذا تأهَّل لذلك تأهُّلاً كاملاً لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال والعياذ بالله تعالى . هذا ملخص ما في « رماح حزب الرحيم » فراجعه في صحيفة ١٤٤ من الجزء الثاني ففيه البسط .

ومما أوصي به الولد الأعز : أن يشتغل بخدمة أصحابه ورفقائه ، وأن يشفق على الخواص والعوام ، وأن لا يفرق بينهم ، فإن الله تعالى قد أخفى خاصية ولايته في خلقه . فعسى أن يلقاه من فيه تلك الخاصية ، فينبغي له أن يرى كل أحدٍ أنه ولي الله ، وأن يخدمه ويحترمه .

قال واحد من كبار المشائخ : ينبغي أن يبذل الهمَّة وأن يصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت ، فوقت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم ، فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدَّمة على الذكر والمراقبة . وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة ! وليس كذلك ! فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب ، وما قيل : جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها . مُبيِّن لهذا . ولا مساواة بين النوافل وبين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً ! قال : إن سبب عدم قبول حضرة خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سرهم خدمة الناس بسهولة لكون الخدمة والتواضع من جملة الإحسان ، وحبُّ المحسن ضروري ، والعلاقة إنما هي على قدر المحبة . ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمَّة وقطع العلاقة عنهم يجتهدون بالضرورة ، ويهتمون في ذلك بقدر الوسع والطاقة ، ويمتنعون عن قبول الخدمة ، وإنما يقبلونها من شخص يتفرَّسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم وطورهم يوماً فيوماً لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم والتفات قلوبهم ، فيكون العالم منوَّراً ومعموراً من جمعية باطنه .

وقال أيضاً : ما أخذت هذه الطريقة عن كتب الصوفية ! وإنما أخذتها عن خدمة رجال ، لا أني أخذتها عنهم بالتعلُّم ! بل للخدمة تلك

الخاصية . كذا في « الرّشحات » فراجعه في ١٧٥ .

وفي « المناقب الأحمدية » : إن خدمة المشائخ للمريدين أفضل من نوافل العبادات . انتهى عبارته ٨ .

وكان الإمام محمد النقشبندي قدس سره إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه ، واعتنى به كلّ الاعتناء ، وخدم دابته أحسن خدمة ، وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها . كذا في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٧٥ .

أيها الولد ! اعلم أن الإمام الرباني قال : وطريق النجاة والخلاص هي متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والسلام في الاعتقاد والعمل ، والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة ، وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما ، لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ويأكلوا ما شاؤا[1] ، ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار ويمنع عنهم العذاب ! فإن هذا المعنى تمنّي محض ؛ لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله تعالى . ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد . وإنما يكون مرتضى إذا كان عاملاً بمقتضى الشريعة ! فحينئذ إذا صدرت عنه ذلّة بمقتضى البشرية فتداركها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل : بأي اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى ؟ !

أجيب : أن الحق تعالى إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه ، فهو مرتضى في حقيقة ، وإن كان مذنباً في الظاهر ! والله سبحانه الموفق . ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ والسلام انتهى . من « الدرر المكنونات » عبارته .

أيها الولد! - نفع الله تعالى بك العباد آمين - أوصيك **أن لا تغترَّ**

---

(١) وقد قال بعض العارفين : من لعب بالطريق لعبت به الطرق (منه) .

بمجرد اسم المريدية ، واعلم أن الوصول إلى المقامات لا يكون إلا بارتكاب[1] المجاهدات ، ومجرد الانتساب إلى المشائخ مع عدم الاجتهاد قليل الجدوى ، فجاهد لتصل ، ولا تعطّل لئلا تُحْرَمَ ، وتَفَكر فيما ذاقه الإمام النقشبند قدس سره في ابتداء أمره ، فقد ذكر صاحب « الحدائق الوردية » أنه قال قدس سره : خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي ، أذهب كل مذهب ، ولطالما تجرّحت قدماي من الشوك ، حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدس سره وذلك في فصل الشتاء وشدّة البرد ، وليس على ظهري إلا فروة عتيقة ، فلما وصلت إلى منزله وجدته جالساً مع أصحابه ، فحيث ما أبصرني سأل عنّي ، فعرّفوه بي . فقال : أخرجوه من هذا المنزل . فلما خرجت أوشك أن تنفر نفسي وتطغى ، وتجذب مني عنان الانقياد والتسليم ، ولكن تداركتنى عناية الله ورحمته فقلت : إني لأتحمل مذلة في ابتغاء مرضات الله تعالى ، وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه ، ثم وضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة العزِّ وقلت لنفسي : إني لا أرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل[2] ، ذلك والثلج ينزل شيئاً فشيئاً عليّ ! والهواء شديد البرد . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر ، فخرج السيد قدس سره فوقع قدمه الشريف على رأسي ، فلما أحسَّ بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشَّرني فقال لي : يا ولدي ! إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة ما في قدمي من الشوك ، ويمسح ما أصابها من الجراحة ، ويـمدُّني بفيوضاته الوافرة ، وألطافه الباهرة .

وقال قدس سره : كنت في بخارى والسيد كلال في نسف فوجدت في نفسي داعية لزيارته ، فبادرت لذلك في الحال ، فلما وصلت إلى

---

(١) وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ شاهد عادل على ذلك (منه) .
(٢) كذا في النسخة التي بيدنا ولعله ما حصل ، تدبر (منه) .

مقامه وسلَّمت عليه قال لي : **يا ولدي !** لقد جئت في وقت الحاجة ! فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا . فشكرته على هذه الإشارة ، وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري ، وفيه من الشوك ما فيه ، وأنا أنشد ما نشد[1] ؛ بيتاً بالفارسية معرَّبه :

جمال كعبة مقصودي ينشطني فالشوك كالخزِّ عندي حين أحمله

انتهى من « الحدائق الوردية » ١٢٧ .

وقال العالم إمام غزالي الهنوخي رحمه الله تعالى : إنه سمع الشيخ ، خالد سيف الله قدس سره يقول : إن شخصاً ذهب لدى واحد من المشائخ ، فطلب منه الإذن ليدخل عليه فلم يأذن له وقال : هل يدخل عليَّ راعي المواشي ؟ فرجع الرجل وقام راعياَ للمواشي سبع سنين يعني كان كذلك متبرِّكاً بما صدر من فم الشيخ . ثم رجع لديه فطلب منه الإذن للدخول عليه فلم يأذن . وقال : أيدخل عليَّ طبيب المواشي ؟ فرجع وذهب لدى المواشي فقام بينها طبيبا يداوي مرضاها سبع سنين ، ثم رجع لدى الشيخ وطلب الإذن للدخول ، فلم ياذن له الشيخ قائلا : هل يدخل عليَّ الكلب ؟ فرجع وقام بين الكلاب في أطراف القرية سبع سنين ، ثم رجع لديه وقال لمن على الباب : قل للشيخ إن كلبه قد رجع إليه في هذه المرة ، فهل له إذن للدخول ؟ فأذن له الشيخ ، فلاحظه وتوجَّه إليه ولاطفه وقبله . انتهى .

وكتب الشيخ المذكور سيف الله قدس سره إلى واحد ما نصه : إن النظر إلى كتب السلوك جند من جنود الله ، واستفادة آداب السادات قسم من سعادة عباد الله ، ولا بدَّ للسالك الصادق من رعاية الآداب وصونها . اللهم أيِّدنا عليها آمين .

وإن مكث الصادق على الرياضة عمر الدنيا ليس بكثير لمن يرجو

(١) وفي نسخة : أنشد .

لقاء الله **وعمل صالحاً** ، **وإن الذهاب خلف المرشد الناصح من المشرق إلى المغرب ليس بكثير** أيضاً ، ولا أعزَّ لبصير لما يحصل له من الفقراء لله من الحضور الذي لا يساويه الدنيا والآخرة .

ولقد صبر سيدنا ومولانا خالد سليماني قدس سره في البراري والقفاري أزيد من عشرين سنة يتطلع على شيخه وهو يطرده بالشماتة والسبِّ حتى في آخر الأمر بالضرب بأن أخرجه من عنده ؛ ومع ذلك لم يكد يختلَّ قلبه ، بل صبر صبر أولي العزم ، فنال بذلك المرتبة الأسمى ، والقطبانية العظمى . انتهى من خطه قدس سره .

وقد وقف إبراهيم ابن أدهم ﵁ مع جلالة قدره ورفعة سلطنته بعد التوبة والرجوع إلى الله تعالى حمَّالاً للحطب ، وخادماً على باب دار الشيخ في سبع عشرة سنة ، حتى كانت على ظهره جروح يسيل منها القيح والصديد بكثرة حمل الحطب عليه ، وذلك رجاء أن يأذن له الشيخ للدخول عليه وقبوله إياه ، ومع ذلك طرده الشيخ عن بابه ، وعزله عن تلك الخدمة ، وذهب إلى سبيله نادما ، لكن لم يطق أن يصبر عنه ورجع إليه ، ووقف أصحاب الشيخ على الطرق بأمر منه ليطردوه ويمنعوه عن دخوله قرية الشيخ ، ولم يطيقوا أن يمنعوه وإن ضربوه وشتموه ، ثم أخبر الأصحاب حاله لدى الشيخ ، فحين علم الشيخ صدق إرادته أذن له وقبله . وتوجَّه إليه فوصل ابن أدهم قدس سره إلى الدرجة العليا ، حتى صار أمره أنه قال لواحد يقع من القنطرة المرتفعة إلى النهر : قف . فوقف في الهواء . والقصة بتمامها وطولها مذكورة في « مزكي النفوس » فراجعه .

أيها الولد ! لا تظننَّ أن الوصول إلى المقامات العاليات سهل يسير ، ولا يخفى أن الوصول إلى المراتب وإن لم يكن إلا بفضل الله وتوفيقه في الحقيقة لكن التوفيق مع السعي . وآية ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ شاهد عدل على ما ذكر .

أيها الولد! أوصيك بقراءة هذا الدعاء المبارك على قدر الطاقة في الصباح والمساء، وهو هذا: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ بالْجَرِيرَةِ[1] وَلَمْ يَهْتِكِ السَّتْرَ، وَيَا عَظِيمَ الْعَفْو، وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، وَيَا وَاسعَ الْمغْفِرَةِ، وَيَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بالرَّحْمَةِ، وَيَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى، وَيَا مُنْتَهَى كلِّ شَكْوَى، وَيَا كَرِيمَ الصَّفح، وَيَا عَظِيمَ الْمَنِّ، وَيَا مُقِيلَ العَثراتِ، وَيَا مُبتدئاً بالنِّعَم قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبِّي وَيَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلاَيَ، وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِي أَسْألكَ أَنْ لاَ تُشَوِّهَ[2] خِلْقَتِي بِبَلاَءِ الدُّنْيَا، وَلاَ بعَذَاب النَّارِ. ففي «جواهر المعاني» قال الراوي: جاء به جبريل عليه السلام إلىَ النبي ﷺ وقال له: أتيتك بهدية. قال: وما تلك الهدية؟ قال: فذكر هذا الدعاء. فقال ﷺ: ما ثواب هذا الدعاء؟ قال له: لو اجتمعت ملائكة السموات السبع على أن يصفوا ما وصفوا إلى يوم القيامة وكل واحد يصفه بما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه!

ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول: أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السموات السبع، وفي الجنة والنار والعرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار، وعدد الحصى والرمل. ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق.

ومن جملتها أيضاً: أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيّاً كلهم بلغوا الرسالة، إلى غير ذلك. وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. صححه الحاكم ورواته كلهم مدنيون. انتهى من «رماح حزب الرحيم» فراجعه في ١٠٠ ج٢.

---

(١) أي ذنب.
(٢) أن لا تشوّه أي لا تحقّره.

وأوصيك أيضاً أن تلازم الباقيات الصالحات لأنهن من المكفرات للعثرات . فقد نقل صاحب « الرماح » راجعه في ١٠٠ ج٢ عن أحمد التجاني رضي الله عنه بأنه قال في رسالته :

ومن مكفرات الذنوب : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ملء ما علم[1] ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم) ، فإن المرة الواحدة منها تكفِّر الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى .

قال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبَّائه من تجار فارس : واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم ، وعدد ما علم وزنة ما علم) فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله تعالى . انتهى عبارته ٧ ، وقد مر نظيره قبيل الترغيب الخامس ، فتذكره .

وأوصاني شيخنا السيد سيف الله قدس سره بقلمه بالمداومة على هذا التسبيح سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . انتهى فجزاه تعالى عني خير الجزاء .

وقد رأيت في صكِّ الإجازة المكتوبة له من طرف شيخه زين

---

(١) **فائدة عظيمة**

قد ذكر ابن حجر في « فتاواه الكبرى » في ١٤٨ من الجزء الأول بما نصه : وسئل نفع الله به عن شخص سبح بنحو سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلخ . هل المرة منه أفضل ممن يسبح بسبحان الله وبحمده ويعدد من ذلك ألف مرة مثلاً . فأجاب بقوله : نعم ، هو أفضل من ألوف مؤلفة كما دل عليه الحديث الصحيح : « أنه ﷺ دخل على بعض أمهات المؤمنين وعندها حصوات كثيرة سبحت بها فقال : لقد قلت كلمة عدلت جميع ما قلت سبحان الله وبحمده عدد خلقه » الحديث .

الله قدس سره سطرات تصرِّح أنه أوصاه بمداومته على هذا التسبيح المذكور ، فاقتداء بهما أوصى الولد بملازمته عليه فإن له فضلاً ذكره المحدثون في كتبهم .

فقد قال الشعراني في « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « من قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة ، ومن قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله يوم القيامة . فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ قال : إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله عزَّ وجل فتكاد أن تستنفذ إلا أن يتطاول الله برحمته » . انتهى عبارته .

وفيه : وكان ﷺ يقول : من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ، وهي أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه الرجل في سبيل الله . ومن قالها حطَّ الله عنه ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة ؟ فقال : كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح الله مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، ويحطُّ عنه ألف خطيئة » .

وكان ﷺ يقول : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس » انتهى عبارته .

فإن قلت يا ولدي! هل يكون المرة من التسبيح وغيره إذا قالها الرجل بذكر نحو (ألف مرة) أو (عدد خلقه) أفضل من غيره أم لا ؟

أقول - والله الموفق - : قال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : وسُئِلَ - نفع الله به - عن شخص سبَّح (سبحان الله وبحمده عدد خلقه) هل مرة منه أفضل من أن يسبِّح الله ويحمده ويعدِّد من ذلك ألف مرة ؟ **فأجاب** بقوله : نعم هو أفضل من ألوف مؤلفة كما دلَّ عليه

الحديث الصحيح : « أنه ﷺ دخل على بعض أمهات المؤمنين وعندها حصوات كثيرة سبَّحت بها فقال : لقد قلتُ كلمة عَدِلت جميع ما قلت : سبحان الله وبحمده عدد خلقه » الحديث .

ولما سُئِلَ عبد السلام نحو ما في السؤال قال : قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها وشمولها لجميع الأوصاف الثبوتية والسلبية والذاتية والفعلية ، فيكون القليل من هذا النوع أفضل من الكثير . كما جاء في قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » . ولهذا سأل عليه الصلاة والسلام بـ : يا ذا الجلال والإكرام ، لأن الألف واللام فيها قد أفادت الاتصاف بكل جلال وكمال ، فأعطت استغراق الجنس في الإكرام والجلال فإذاً لا إكرام إلا منه ، ولا جلال وكمال إلا قد اتصفت به . انتهى .

وفيه رواية أنه ﷺ قال لبعض نسائه حين دخل عليها فوجدها تسبح بالحصى : « أدلُّك على ما هو خير من ذلك ، فقولي سبحان الله عدد ما في السموات ، سبحان الله عدد ما في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مثل ذلك » وفيه دليل على أن من قال ذلك يكتب له مثل ذلك العدد الذي ذكره ، وبه تقاس الصلاة عليه ﷺ .

فمن قال : (اللهم صل على سيدنا محمد عدد خلقك) كتب له صلاة بعدد الخلق .

وهذا كله من فضل الله تعالى ومنته ، ومن مزيد كرمه وسابغ منَّته . انتهى فراجعه في ١٤٩ .

وفي « دلائل الخيرات » كلام كثير في حق هذا المطلب المهم فإن أردت الزيادة فراجعه في صحيفة ٢٦ .

فأرجو الولد أن يشتغل في طرفي النهار ولو بأقل شيء من هذه المذكورات ، ليفوز شيئاً من فضائلها ، ويصير من عباد الله المغفورين ، المحفوظين من شرِّ الجنِّ والإنس ، ووساوس مَرَدَة الشياطين ونزعات إبليس .

ففي « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « ما من حافظين يرفعان إلى الله عزَّ وجلَ ما حفظا من ليل ونهار فيجد الله في أول الصحيفة وفي آخرها خيراً إلا قال للملائكة : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » .

وكان عروة بن الزبير رضي الله عنه يقول كلما أصبح وأمسى ثلاث مرات : (آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) . فخرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل فسمع ضجة[1] عظيمة ، ثم جيء بسرير ، فجاء شيء فجلس عليه واجتمع عليه جنوده ، ثم صرخ : مَنْ لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد . فسألهم : ما يمنعكم عنه ؟ فقيل : إنه يقول إذا أصبح وإذا أمسى كلمات . فذكرها والله تعالى أعلم . انتهى فراجعه .

وفيه : وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « من قرأ آية الكرسي حين يمسي أجير من الجنِّ حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح أجير من الجِنة حتى يمسي » انتهى .

يا ولدي ! إنّ والدك قد قصد الآن للاستراحة وملّ عن الكتابة ، فاعلم أنه وإن كان غافلاً عن الله ! يريد أن تكون حاضراً بالله ، وإن كان أيضاً مسيئاً يريد أن تكون محسناً . فأرجوك أن لا تذهب عمرك في البطالة ، وأن لا تضيِّع أوقاتك كما ضيَّع أبوك وقد أمضى عمره في حالة

(١) صيحة .

الشباب في البطالة ، وفي حالة الشيوخة والكهولة هو أيضاً متبع بالنفس الأمارة بالسوء ، وكأنه لم يشمَّ رائحة الإيمان إلى مشامِّه ، ولم يتخلص قلبه من التعلق بغير الله ، وعلمه زائد من عمله ، وعمله قليل مشوب بحظوظه . وحديث : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » كأنه ورد في حقه .

لكن رجاءه لا ينقطع عن ربه ، وحسن الظن به يحمله على دعائه وسؤاله ، فيا ربي إنك تعلم ما في نفسي ، ولا يخفى عليك شيء من أموري ، ولا ينقطع منك رجائي ولو بلغت ذنوبي عنان السماء ! ولكن مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، ورحمتك سبقت على غضبك ووسعت كل شيء ؛ فكن لي كما كنت لأحبابك ، وعاملني بما أنت له أهل ، فإن لم أكن أهلاً لرحمتك فأنت لها أهل ؛ فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة . اللهم ما كان مني في تأليف هذا الكتاب من تصنُّع أو تزيُّن أو تغيير كلمة عن موضعها مع إبقاء معناها للاختصار ، أو إيقاع زيادة ، و إطالة في الكلام لتفهيم المراد فاعف عني ، واغفر لي ، إنك على كل شيء قدير . اللهم اجعل كتابي هذا صدقةً جارية إلى يوم الدين ، وسبباً باعثاً لدعاء الإخوان أهل الدين ، ولا تؤاخذني بما صدر مني من خطأ وخلل ، أو تحريف وزلل ، ولا تجعلني مطروداً عن بابك بحرمة مشائخنا قدس الله أسرارهم ، واجمعنا معهم في دار السلام ، وارزق لنا ولأولادنا ولأحبابنا ولمشائخنا ووالدينا خاصة الجنة الفردوس برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحمد لله كما يليق لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ورضي الله عن ساداتنا مشائخ الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية والچستية والكبروية والسهروردية والخلوتية والتجانية ، ورزقنا بركة جميعهم وثبتنا على آدابهم آمين .

تذنيب في كيفية التوجه

قد سألني الولد الأعزُّ ـ جعله الله تعالى في دائرة العارفين آمين ـ بعد انتهاء الكتاب عن كيفية التوجُّه ، وكيفية وقوف المريد قبالة الشيخ للاستفاضة ، ولأجل ذلك أعقبت ههنا جواب هذه المسألة ، ليكون تذنيباً للكتاب ومتمماً له ، وقد كان ذكرها من أهم الأمور التي لا بد للسالك من معرفتها ، بيد أني غفلت عن ذكرها ، ولم أتذكر إلا بعد السؤال .

فأقول : إن كيفية توجُّه المرشد إلى المريد بنية تلقين الذكر على ما سمعناه من مشائخنا أن يبتدىء بالصلاة على فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام ، ثم يستغفر الله ٢٥ مرة ، ثم يقرأ الفاتحة مرّة ، والإخلاص ثلاث مرات ، ثم يهدي ثوابها إلى روح النبي ﷺ وباقي الأنبياء والمرسلين وأصحابه وأصحابهم وأرواح سادات هذه الطريقة العلية الصديقية وباقي أهالي الطرق ، ثم يقول : يا رب ! من بحر فيض جودك وكرمك وعنايتك ؛ ومن حضرة رسولك الأكرم ﷺ الواصلة إلى قلبي بواسطة قلوب المشائخ الكرام ، من الفيض وأنوار الذكر فألقها في قلب هذا الطالب بفضلك وعنايتك يا الله .

وبملاحظة هذه الكيفية يتوجَّه الشيخ إلى قلب المريد بالاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات مقدار عشر دقائق ، ويأمر المريد بجذب أثر هذا التوجُّه بالهمَّة القوية ، ثم بعد مدة يسيرة يظهر من هذا التوجُّه في قلب الطالب الصادق أثر عظيم ، ومحبة إلهية بعناية الله تعالى .

وكذلك إنّ الشيخ يجعل لطيفة روحه مقابلاً للطيفة روح المريد كما مر ، ويؤمر بالتوجُّه والهمَّة هنا وفي باقي اللطائف على المنوال المذكور ، فإذا تمكَّن في قلب المريد ولطائفه من الذكر الملقن ، وتنورت اللطائف بصيرورة الذكر في لطائفه ملكة ! يلقن الشيخ له بالنفي والإثبات لجمعية النسبة والحضور .

هذا حاصل ما ذكره شيخنا سيف الله قدس سره في « كنزه » .

وأما كيفية ما كان الشيخ العسوي قدس سره يفعله هذا : كان يقول حين التلقين بعد الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص كما مر ، وإهداء ثوابها إلى روح النبي عليه السلام وأصحابه الأربعة وأرواح سائر المشائخ : يارب دُرْ رَخَلْدَصَنْ دُرْ خِريَوْ أَوَرَكَصُلْ رَخَلْدَصَنْك مشائخزَبَزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَيَلْطَلِنْ خَصْكُ محمود أفندِيَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَيَلْطَلِنْ دِرْ رَكَلْدِ شَرَبْ فيض وأنوار الذكر هَوْ طالِبَصُلْ قَلْبُيَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمدٍ ﷺ .

ثم كان يقول(١) للمريد : قل ثلاث مرات (الله الله الله) بالقلب ملاصقاً

---

(١) بعد تلقينه له ، على ما هو المذكور في الكتب (منه) .

* بيان كيفية التوجه : إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد يصلي أولاً على النبي عليه السلام ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات ، والفاتحة مرة ، وبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ولأرواح أصحابه ولأصحاب مشائخ الطريقة الصوفية وسائر مشائخ الطرق العلية ، يقول : يا رب من جانبك الشريف وجانب حبيبك الشريف أوصل الفيض ونور الذكر الذي حصل لي بواسطة المشائخ الكرام ووَصَل إلى قلبي إلى قلب هذا المريد وأعنه . فيرمي بتلك النية إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق فبهذه الأسلوب يتأثر قلب الطالب في توجه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبة الله تعالى . وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر الألطاف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجه كما سبق . ثم إذا أجرى الذكر على القلب أو على سائر اللطائف يلقنه الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجه إليه بالجمعية والحضور ويحصل له الجمعية والحضور . معرّب من « حسبحال السالك » .

ثم إن الشيخ يلقن الذكر على قلب الطالب ويتوجه إليه به قدر ربع ساعة أو ثمن ساعة فحينئذ يحصل له أثر الذكر . وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . معرّب « حسبحال السالك » .

بيان نقل الذكر في اللطائف إذا واظب الشخص على ذكر القلب . فالنسبة الشريفة الحاصلة له يسري إلى الروح فيحصل له قوة ، ومنه ينتقل إلى سرّ وإلى الخفي ، ومنه ينتقل إلى وطنه الأصلي سويدة القلب وتسمية تلك المرتبة بالأخفى هي منقولة من المشائخ . فقد اعترض مشائخ سمرقند على قول مشائخ بخارى بأنّ النسبة=

لسانك بالحنك الأعلى ، وهكذا إلى ثلاث مرات . انتهى .

وأما إن أراد الشيخ إلقاء شيء من الأخلاق المحمودة إلى قلب المريد فكيفيته أن يتوجه إلى قلب المريد بنية إلقاء ذلك الخلق المحمود إلى قلبه ، سائلاً من الله تعالى إيصاله إلى قلبه ، ويقف زماناً بملاحظة هذا الأمر بالهمَّة القوية ، ويقف المريد أمامه بإمالة قلبه إلى قلبه بنفي الخطرات متجرداً عن جميع التعلقات ؛ سائلاً بقلبه إيصال النور الكائن في قلب الشيخ إلى قلبه ؛ متضرعاً متذلِّلاً متخشعاً فحينئذٍ يتصف المريد بصفة ذلك الخلق المحمود إن شاء الله تعالى على وفق استعداده .

وأما إن أراد الشيخ إخراج الخلق المذموم من قلب المريد ! فيتوجه إلى قلبه بالتضرع والإلحاح ؛ سائلاً من الله بإخراجه من قلبه ، ويجمع همته ، وينسى غيره من جميع التعلقات .

وفي « المناقب الأحمدية والمقامات السعيدية » في ١٥٦ : أما طريق التوجُّه إلى طالبي الحق جلّ وعلا فأن يتوجَّه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقائها على الطالب ، ثم يستعمل همَّة تامة لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنتقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأما إذا كان غائباً ! يتصوَّر صورته ، ثم يتوجه إليه ويبلغ أمره إلى النهاية .

=الشريفة ينتقل من الخفي إلى وطنه الأصلي ؛ قائلين : بأن كون القلب تحت الثدي الأيسر حق ، وكونه موضع وقوع نظر الله حق أيضاً ، لكن أيّ سبب لتخصيص انتقال النسبة إليه ثانياً . وأجاب مشائخ بخارى بأن مظهر كمالات غير متناهية ، فالرجوع إليه ثانياً مما بدأ منه أنسب بما هو مقتضى قول : بدأ الأمر وإليه يعود . معرّب « حسبحال السالك » .

* قال تعالى لداود (تريد وأريد وإنما يكون ما أريد ، وإن سلّمتَ لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم أتعبتك في ما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد) . « جواهر القرآن » عبارته .

مطلب

وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمَّة ، ويسألون الله تعالى حلَّه ، فيظهر على حسب مُتَمَنَّاهم .

وأما طريق الكشف من نسبة أهل الله فأن يجلس مقابله إن كان حياً ، وقريباً من قبره إن كان ميتاً ثم يخلِّي نفسه من نسبته ، ويجعل روحه متصلاً بروحه زماناً ، ثم يرجع إلى نفسه ، فكلما وجد في نفسه من الكيفية فهي نسبة ذلك الإنسان .

مهم

وأما طريق الإشراف على خاطر إنسان ! فأن يخلِّي نفسه من كل خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطره ظهر بطريق الانعكاس .

وأما طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة ! فكذلك يخلِّي نفسه من كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وتمادى انتظاره كطلب الماء للعطشان يلحق نفسه بالملائكة الكرام ، فتكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ؛ إما بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو المنام .

وأما طريق دفع البليّة النازلة ! فأن يلاحظ تلك البلية بصورتها المثالية ، ويتوجه لدفعها بالهمَّة القوية ، فتندفع بإذن الله تعالى . انتهى عبارته .

وأما إن قصد الشيخ **إزالة الظلمة من قلب المريد !** يجمع همته ، ويتوجَّه بالحضور التام إلى قلب المريد بنية إزالتها .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول حين يتوجَّه إلى المريد : توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي ، ومن قلبه إلى قلب هذا الطالب ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبه . انتهى .

وأما المريد يقول : توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبي ، ويطلب بهمَّته من الله تعالى إيصال نور الذكر ونور المعرفة من قلب المرشد إلى قلبه ، وإزالة الظلمة منه .

ويقف المريد قبالة الشيخ ؛ ملتصقاً ركبتيه بركبتيه ؛ خاشعاً متذلِّلاً ، كأنه عبد آبق وقف بين يدي سيده ، ولا يحرك شيئاً من أعضائه ، ويطلق نَفَسَه من أنفه ، ولا يجب عليه حبسه ؛ لكن يطلقه يسيراً بحيث لا يسمع الشيخ صوته ، ويكون كالميت بين يدي الغَسَّال ؛ ملاحظاً أنه عبد ذليل حقير مفلس ؛ لا علم له ولا عمل ، ولا مقام له ولا حال ، **ويعتقد أن الشيخ باب الفيوض ، ولا يصل إليه الفيض إلا منه . والفيض كالماء لا يجري إلا إلى الجهة السفلية ، فإن رأى المريد لنفسه عند الشيخ قدراً ما! لا يصل إليه فيضه . وإن اجتهد الشيخ لإلقائه ، واجتهد المريد لجرّه ، كما لا يجري الماء إلى الجهة الأعلى . فافهم .**

قال الشيخ علاء الدين العطار قدس سره : إذا خلا قلب المريد بأمر المرشد عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكَّن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير المتناهية عليه ، فإن القصور لا يكون من الفيوضات ، بل من الطالب ! فمتى ارتفعت عنه الموانع ! لا جرم يصل إليه بهمَّة المرشد حال يتحيَّر في إدراكها من مقولة : ربي زدني فيك تحيُّراً .

كمال الاعتبار للاختيار

ثم إنَّ في جعل العبد مختاراً حكماً كثيرة ، فإنه لما تمكَّنت الموانع

الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره إلى إزالتها . والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة ، مستغرقين في الخوف والخشية . غير أن كمال الاعتبار للاختيار في السعادة والشقاوة ، والترقِّي والتدلِّي[1] . انتهى . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٦ و« الرشحات » فراجعهما .

فالحاصل أن الاعتقاد في الشيخ ومحبته كل منهما هو المغناطيس الجالب للفيض .

وفي « الحدائق الوردية » : ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم ، لا يزيحه كل شيء عما هو فيه ، ولا يتبدل اعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً ، **حتى لو رأى الخضر عليه السلام ! لا يلتفت إليه** . انتهى عبارته ١٣٩ .

وفي « الرشحات » وقال قدس سره يعني علاء الدين العطار : ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائماً ، وأن يعلم يقيناً أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسَّر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه ، وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه ، وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداءً للمرشد . انتهى فراجعه .

ومن العجائب : أن بعضاً من المشائخ كان يتحمل الأمراض بتوجُّهه ؛ وقد تحمل شيخ عن مريض مرضه فعوفي ، ومرض الشيخ وتوفى في ذلك المرض . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٨ .

وكان واحد من المريدين وقع على الفراش ، قد أخذته الحمى بشدة وجع الأسنان ، وقد تورَّم طرف واحدٌ من وجهه ، فتوجَّه إليه شيخه ، فانتقل المرض من أسنان الغلام إلى أسنانه ، وتورَّم وجهه من الجانب

---

(١) وفي نسخة : التدني .

الذي تورَّم منه وجه المريد ، فقام مع وجع الأسنان وحرارة الحمى ووجع الضرس ، وخرج الغلام مع تمام الصحة والعافية لتشييعه إلى باب القصر ، فكان الشيخ مبتلى بوجع الأسنان مدَّة نصف شهر . كذا في « الرشحات » فراجعه في ٩٥ .

وقد رأيت في كتاب ما حاصله : أن المتوجِّه لو توجَّه إلى المريض لتحمُّل مرضه قبل نزول ملك الموت لقبض روح المريض ، ينتقل إليه المرض ويُعافى المريض ، وإن توجَّه إليه حالة نزوله يُعافى المريض ويقبض روح الشيخ المتحمِّل مكانه . لكن لا أتذكَّر الآن عين ذلك الكتاب لتعيين موضعه .

ورأيت في « الرشحات » ما حاصله وملخصه : أنَّ شيخ الإسلام عصام الدين السمرقندي النحوي كان مريضاً حتى أشرف على الموت ؛ فجاء أولاده إلى الشيخ نظام الدين وتضرَّعوا لديه ، والتمسوا منه الحضور عنده ، فذهب نظام الدين لديه ورآه قد حان أجله ، فتوقف في تحمُّل مرضه ، فتجاوز أولاد عصام الدين عن الحدِّ في التضرُّع والابتهال ، وبالغوا في الإبرام والإلحاح وجعله ملجأً ، فأثبت نظام الدين نفسه صارفاً خاطره إليه ، وأخذه في ضمن حياته ، وأدخله في نسبته ، فصحَّ(١) عصام الدين وقام ، ثم وقع على نظام الدين بعد مدة واقعة عظيمة ، حتى شدُوا يده في عنقه ، وكان عصام الدين شيخ الإسلام في سمرقند ، فلم يقدر أن يشفع له عند المرزا بكلمة ، ولم يُمِدَّهُ(٢) في تلك الشدَّة والنكبة ، فأخذه

(١) أي : صار صحيحاً .

(٢) أي : لم يعنه .

* والمريد إن لم يسلم جسده إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ويبتلى بسوء حاله ، وإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريقة . والمرشد إلى هذه الطريقة هو النبي عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ=

القهر والغيرة من صيانة نفسه وجاهه ، فأخرجه من ضمنه ، **فلما خرج من النسبة سقط في الحال ، ومات بلا إمهال** . انتهى باختصار . والقصة بتمامها مذكورة في « الرشحات » فراجعه في ٩٤ .

وأعجب من ذلك ! ما رأيت في « المناقب الأحمدية » ما حاصله هذا : أن شخصاً قال لبهاء الدين النقشبندي قدس سره : مات عمِّي . فقال قدس سره : لم يمت عمُّك ، فإني لا أريد موته ؛ فأطرق ﷺ رأسه الشريف وقال : إحي فقام عمُّ الشخص ، ثم قال نفعنا الله به : أخذت روحه من يد الملك في السماء الرابعة ، ورددتها إلى جسده . انتهى فراجعه في ٦ .

وفيه أيضاً ما حاصله : أنه قال لخادمه محمد زاهد : مت . فمات ، ثم قال : إحي . فقام . انتهى عبارته في ٦ .

=الشيخ ؟ فالجواب المرشد في الحقيقة هو القرآن وعلم الشريعة والنبي عليه السلام ولطف الله ، لكن المريد في أول الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطب ، وجميع الأدوية ومعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء ، كذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنوية . معرب من « حسبحال السالك » .

* المسألة الرابعة : ما الطريقة إلى تلك السعادة العظمى ؟ وجوابه التصرف في الجذبة الإليهة عبارة عن ظهور ذوق محبة الله تعالى ، ولا سبب أقوى في وصول طريق الجذبة من صحبة الكامل في سلوك طريق الجذبة . (منه) .

التوحيد : خلوص القلب في علمه ، ونظره في عدم غير الله تعالى في حضرة الوجود . (نقل منه ملخصاً) .

* ما أصل الطريقة ، وما مبناه ؟ فجوابه : أنّ أصله التوجه إلى الله تعالى بصدقه وكماله وجلاله والاقتداء بسنة النبي ﷺ بإكماله . (منه) .

معتقد مشائخ النقشبندية هو اعتقاد أهل السنة والجماعة . ما اعتقاد أهل السنة والجماعة وما عزيمة خلاصتهم ؟ وجوابه : دوام العبودية لله تعالى ، وكونه تعالى خالصاً من الصفات الرزيلة . (منه) .

وفيه : قال[1] رضي الله عنه : أعطيت من الحق سبحانه مرتبة عظيمة ؛ **تُقضى بي الحوائج ، وتُدفع بي البلايا . فالتجئوا إليَّ تقضى حوائجكم بفعل الله سبحانه** . انتهى في ٦ .

قصة عجيبة

وقد وقع للغوث عبد القادر الكيلاني - نفعنا الله تعالى به - مثل ما وقع للنقشبندي .

قال في « تفريج الخاطر » في ١٦ روي عن السيد الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الرفاعي رضي الله عنه أنه قال : توفي أحد خدام الغوث الأعظم ، وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرَّعت والتجأت إليه ، وطلبت حياة زوجها ، فتوجه الغوث إلى المراقبة ، فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فقال : يا ملك الموت ! قف وأعطني روح خادمي فلان وسماه باسمه ، فقال ملك الموت : إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأؤديها إلى باب عظمته ، كيف يمكنني أن أعطيك الروح الذي قبضته بأمر ربي ؟ ! فكرر الغوث عليه إعطاء روح خادمه إليه ، فامتنع من إعطائه ، وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فبقوَّة المحبوبيّة جرَّ الزنبيل وأخذه ، فتفرَّقت الأرواح ، ورجعت إلى أبدانها ، فناجى ملك الموت عليه السلام ربه وقال : يا رب ! أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر ، فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم . فخاطبه الحق جل جلاله : يا ملك الموت ! إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي ! لِمَ لا أعطيته روح خادمه ؟ وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد ! فتندَّم ملك الموت . انتهى عبارته .

---

(١) أي النقشبندي (منه) .

مهم عجيب

ومن غريب ما نقل من أثر التوجُّه ما ذكره صاحب « الحدائق الوردية » من أن أحداً من السادات جاء يوماً لزيارته - يعني العزيزان علي الراميتني قدس سره - ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً ، فجلس معه وهو مهتمّ لذلك ، فما لبث أن جاءه أحد مريديه - وكان أبوه طبّاخاً - بقصعة من ثريد ، فوضعها بين يدي الشيخ ، ثم وقف بالذلّ والانكسار ، وقال له : إني صنعت هذه على اسمك فأرجوك أن تتقبَّلها . فتهلَّل وجه الشيخ قدس سره سروراً بصدق خدمته وانكساره ، وأكل هو وضيفه منها ، ثم لما انصرف نادى الغلام وقال له : بارك الله لك في رزقك ، وتقبَّل هديتك . اطلب مني ما تحب ، فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى . وكانت همَّة الغلام عالية جدّاً فقال : إن أقصى مرادي أن أكون مثلك صورة وسيرة . فقال الشيخ : هذا أمر صعب لا تطيقه . فقال : لا أريد غيره . فأخذ الشيخ بيده ، وأدخله إلى خلوته وتوجَّه إليه بكُلِّيَته ، وتفضَّل عليه بعليّ همَّته ، فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة ، لا يقدر أحد أن يميز بينهما . وعاش أربعين يوماً ، وقيل أقل ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى عز وجل . انتهى راجعه في ١٢١ .

ومثله في « الرشحات » لكن مع بعض مخالفة في العبارات . وأمثال هذه التأثيرات والتصرُّفات ! مما أظهره الله تعالى على أيدي من يشاء من عباده ، والله على كل شيء قدير .

ورأيت في « صحيفة الصفا » أن التوجُّه ؛ وهو أن يلاحظ قلبه - يعني المريد - تحت قلب المرشد يسيراً ولطائفه كذلك إن كان أهل لطائف ، وينتظر بواسطته الفيض ، ولو أهل نفي وإثبات ! كذلك . انتهى عبارته .

ورأيت في هامشه : وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام

توجَّه النبي ﷺ في غار جبل حراء ، والنبي ﷺ توجَّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور .

والحاصل : أن التوجُّه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ سحاب الفيوضات ، **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان** ، **مَنْ انتظر بالصدق وصل** ، **ومن انتهى بالغفلة زهل** . انتهى .

مهم

ورأيت في هامش « بهجة السالكين » إن أول توجُّه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات ؛ مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي .

وأما المعنعن : فتوجه النبي ﷺ إلى الصِّدِّيق الأكبر في غار ثور . انتهى فراجعه .

وأما التوجُّه من طرف الشيخ! فهو عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصب ما في صدره إلى صدره أولاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه .

ومثله في « نور الهداية » في ٩٢ وفيه : والتوجُّه أنواع ، والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب المريد بتوجُّهٍ جذبيٍّ يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه . انتهى . فراجعه .

يا ولدي! إني ذكرت هنا ما ينبِّهك على معرفة التوجُّه وكيفيته ، فينبغي لك أن تعلم أن التأثر بالتوجُّه إنما يكون على قدر استعداد الطالب ، ألا ترى أن الخرقة الجافة المستعدة مثلاً لو وضعت على حجر الزناد وضرب عليه الحديد يخرج من الحجر النار ويقع عليها ، فيوقد عليها النار ساعتئذ لكونها مستعدة للإيقاد ! وأما إن كانت الخرقة مبلولة غير مستعدة فلا يوقد عليها النار ! فهكذا القلب بلا فرق .

ورأيت في «كنز المعارف» لشيخنا المرحوم سيف الله قدس سره ما حاصله : أن الطالب الصادق والمريد المتحقق إذا استعدَّ قلبه لكمال النسبة ، وعرض حاله للمرشد بالهمة الكاملة ، فما حصل هنالك من توجُّهه فهو الفيض ! أي يعبّر عن ذلك الأثر الحاصل **بالفيض** ، وما نسبت إلى المريد أي توجُّهه باستعداده ليأخذ من الشيخ أثراً يعبر عنه **بالاستفاضة** ، وما نسبت إلى الشيخ بأن يتوجَّه الشيخ إلى الطالب بقوة همَّته بالنظر إلى قلبه وقالبه وتصرُّفه في قلب طالبه يعبّر عنه **بالإفاضة** . وذلك على مثابة الناظورة البلورية ؛ إذا نظرها إلى شعاع الشمس ثم أطلق ذلك الشعاع بواسطة تلك الناظورة إلى شيء لين له قابلية لتوقد النار ، فيحصل من ذلك الشيء أي يظهر منه النار بمجرد وصول شعاع الشمس ، فإن كان الشيء الذي وقع عليه شعاع الشمس قوياً صلباً كالحجر والشجر فلا يظهر منه النار غالباً ولا يفيد شيئاً ، لكن بقوة شعاع الشمس قد يعرض له الحرارة الشديدة .

كذلك إنَّ **الشيخ كالناظورة!** إذا نظر إلى قلب المريد الذي له الاستعداد الكامل والقابلية يظهر في قلبه من نظر الشيخ نار المحبة الإلهية التي هي سبب الوصول ، ويسمى له **بالفيض** ، وإن كان قلب الطالب صلباً أو أقسى وليس له استعداد ولا قابلية ! فلا يحصل له من النظر نتيجة ما ، ولا نار الفيض ، إلا إذا اجتهد بالكلية وجاهد ! فيمكن منه أن ينتفع بالشيخ ، كالحرارة الحاصلة من الحجر والشجر بطول وقوع شعاع الشمس بواسطة الناظورة المشهورة «بالپرتوز» ، فإذا كان الحال كذلك ! لازم على كل طالب سالك أن يجتهد في إيجاد مرشد كامل لإحياء رسوم قلبه الميتة ليقوم أمامه بجميع قوة استعداده كيف **وإن نظر المرشد إلى المريد نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، ونظر رسول الله ﷺ نظر الله بعينه ؟!** فإذا نظر الله إلى قلب عبده بالرحمة فلا بدَّ من حصول نتيجة مطلوبة في قلب

العبد . فتفكَّر أيها الأخ السعيد أن النعامة إذا أرادت إنبات أفراخها في البيضة ينظر بهمَّتها إلى بيضتها بقيامها من بعيد على ساقيها فتتولَّد فيها الأفراخ بقدرة الله بمجرد ذلك النظر ! كذلك إن الله تعالى لما نظر إلى قلب عبده بواسطة الشيخ فيتولَّد في قلب العبد نتيجة المطلوب التي هي نار المحبة والاستقامة ! وذلك من الله فضل عظيم . انتهى .

فالحاصل أن التوجُّه من الشيخ الكامل لو وقع إلى قلب طالب له استعداد كامل يعمل عمل مائة من الأربعينيات أي الوقوف في الرياضة والمجاهدة في تلك الأيام العديدات . كما قال مثله الإمام الرباني في بعض مكاتيبه .

مهم

وقد كان في الزمان الماضي يكفي للمريد التوجُّه الواحد ، أو الكلام الواحد ، وكان الشيخ يضع فمه في أذن المريد ويتكلَّم فينعكس إليه أحواله الباطنة ، وكذا كان يتوجَّه إليه مرة واحدة فيصير المريد بذلك كشيخه في الأخلاق .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إنه أوصل القطب خالد شاه كذا وكذا مريداً إلى مرتبة الإرشاد بتوجُّه واحد** ، لكون المريدين في زمنه مستعدين لقبول أثر توجُّهه ، فانظر الآن إلى قلَّة المرشدين ، وعدم حصول الاستعداد للمريدين ، مع هذه الأذكار الكثيرة ، وملازمة الرابطة الشريفة ! انتهى .

لم يبق إلا التربية بالهمة

وقد انقطعت هذه التربية المذكورة في زماننا هذا بالكلية ، وبقيت التربية باستعمال الأذكار ، وكثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

وقد أجاب عبد العزيز الدباغ قدس سره إذ سئل عن معنى قول الشيخ زروق قدس سره : انقطع التربية بالاصطلاح ، ولم يبق إلا التربية بالهمَّة . . إلخ بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات ، وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر ، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها ، وقطع علائق الباطل عن وجهتها ، ثم قطع الباطل عنها .

تارة يكون بصفائها في أصل خِلْقَتِها بأن يطهرها الله بلا واسطة ! وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون ، فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه ، إذا ناموا ناموا عليه ! وإذا استيقظوا استيقظوا عليه ! وإذا تحركوا تحركوا فيه ! حتى أن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله وبرسوله ؛ باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما فلهذا كثر فيهم الخير ، وسطع في ذواتهم نور الحق ، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيَّف ولا يطاق ، فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها ، وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرِّه ووارث نوره ، فيكلمه في أذنه ، فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك ! لطهارة الذوات ، وصفاء العقول ، وتشوُّفها إلى نهج الرشاد .

وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه ؛ أعني قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة ، حيث فسدت النيات ، وكسدت الطويات ، وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات ، واستيفاء اللذات ، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه وينظر إليه ، فيجد عقله متعلِّقاً بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك ، فتلهو مع اللاهين ، وتسهو مع الساهين ، وتميل مع المبطلين ، وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة ، من حيث أن العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق ! فإذا وجده على

هذه الحالة أمره بالخلوة ، وبالذكر ، وبتقليل الأكل ، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه ، وبتقليل الأكل يقلُّ البخار الذي في الدم ، فتقلُّ الشهوة ، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ﷺ ، فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته فهذا غرض الشيوخ من التربية . . إلخ ، كما هو مذكور في « الإبريز » فراجعه في الباب الخامس في ١٧٥ .

وقد ذكرت في هذا التذييل ما يتنبّه به الولد المرجو المحبوب لمعرفة معنى التوجُّه وأنواعه وكيفيته ؛ سواء كان من جهة المرشد ! أو من جهة المريد ! ومعنى الإفاضة والاستفاضة والفيض وكيفيتها ، ومعنى الاستعداد وما هو المراد منه ، وأجبت عن جميعها تصريحاً أو تلويحاً ، على وفق سؤال الولد المذكور . وأرجوه أن يجني ثمار شجرة الكتاب ، وأن يهيىء أرض الاستعداد ، لينبت عليها بذر الفيوضات وأن يجتهد في دفن البذر في خفاء تربة الإخلاص ، فإن ما ظهر وما لم يدفن من البذر لا ينبت ! بل يلتقطه الطيور أو يتلف ويفسد ، **وذرَّة واحدة مما خفي من الأعمال خير من عدة ألوفٍ مما ظهر** ، وإبقاء العمل وسلامته من الإحباط أشد وأصعب من العمل . رزقنا الله تعالى التوفيق والإخلاص آمين .

أيها الولد : إن والدك قد ألّف الكتاب باسمك ، وأشار إلى المآخذ في كل مسألة لترجع إليها إن أشكل عليك شيء منها . ومن المعلوم أن الأكثرين من الناس لا يثقون أقوال أمثالنا إلا بالتشييد بالنقول ، ولو أتينا جميع المسائل بلا ذكر المآخذ بناء على ما فتح الله لنا بمحض فضله وجوده ومَنّه من علمه اللدني ! لكان جمع الكتاب أيسر وأسهل ، لكن بينَّاها لتكون كالعمود للبنيان ، وكالأساس للجدران ، جعلنا الله تعالى من أهل الاستقامة ، ولا جعلنا من الأئمة الضالين المضلين . آمين يا مجيب .

ورحم الله امرءاً رأى في هذا الكتاب خللاً فأصلح ، أو عاين زللاً فسمح ، فإن الخطأ والخلل غير مستغرب من الإنسان المطبوع على عدم الإحسان ، وخصوصاً من مثلي قليل العلم ، قصير الباع في الحفظ والفهم . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . وقع الفراغ في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

بشارة

فحين شرع الحقير الفقير في تأليف هذا الكتاب رأى واحدٌ من المريدين في الواقعة - يقظة لا مناماً - رجالاً كثيراً ، مجتمعين في بيت واسع ، وكان عند ذلك البيت حجرة صغيرة له باب من جانبه ، وكان فوق الباب كوة مفتوحة ، وعلى الكوة سكتو الخلقري ، وكان في تلك الحجرة النبي عليه السلام . فقال سيّدو : إنه عليه السلام يدعو لديه المؤلف[١] ، فذهب لدى النبي عليه السلام ، فحين دخل من باب الحجرة انفجر من تحته ماء صافٍ ، فجاء من لدنه عليه السلام لدى أولئك الرجال الكائنين هنالك ، مع قدح فيه ماء أبيض ، وقال : إن النبي عليه السلام أمرني أن أقسم هذا الماء بينكم ، فقسمه بينهم واحداً بعد واحد ، وشربوه .

وقد أُوِّلَتْ تلك الواقعة على حصول النفع للناس من هذا التأليف ، فلله الحمد والمِنَّة ، وله الشكر ومنه النعمة . اللهم اجعل عاقبة أمورنا خيراً ، ولا تجعل سعينا مكراً واستدراجاً ، واغفر لنا ولوالدينا ولمشائخنا خاصة ، ولأحبابنا وأصدقائنا عامة ، آمين . يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين . حرر في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

---

(١) وكان عليه لباس أبيض (منه) .

الفصل التاسع عشر

في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعد امتثال أوامرهم حاضراً كان أو غائباً ، والاعتراض عليه سرّاً وجهراً

فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق .

اعلم أنه لاشيء أضرّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم و عدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه .

قال في « تحفة الإخوان » فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ حبّه وتعظيمه و توقيره ظاهراً و باطناً وعدم الاعتراض عليه في شيء فَعَلَه ولو كان ظاهره أنه حرام ويؤوّل ما انْبَهَمَ عليه ، وتقديمه على غيره ، وعدم الإلتجاء إلى غيره من الصالحين .

ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف ، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محلّ الضرورات ككونه معه في مكان واحد ، وأن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ، ولا يجلس على سجادته ، و لا يسبّح بسبحته ، ولا يجلس في المكان المعدّ له ، ولا يلحّ عليه في أمر ، ولا يسافر ولا يتزوّج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمّة إلا بإذنه ، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشئ كقلم أو أكل أو شرب ، بل يسلّم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره ، وأن لا يمشي أمامه ولا يساويه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادمة ضرر ، وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لحقدهم فيه .

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره ، وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفراً أو حضراً لتَعُمَّهُ بركته .

ومنها أن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرّده الشيخ عنه وبالجملة يجب أن يحبّ من أحبّه ويكره من يكرهه .

ومنها أن يرى كلّ بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته .

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ، ولا يقول : لم يفعل لفلان كذا ولم يفعل بي ؟ ! وإلا لم يكن مسلّماً له قياده إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهراً وباطناً أخاطب بذلك أهل الله الصادقين .

ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر فإذا قال له : اقرأ كذا ، أو صلّ كذا ، أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة ، وكذا إذا قال له وهو صائم : أفطر ، وجب الفطر أو قال له : لا تصلّ كذا ، إلى غير ذلك .

واعلم أنّ الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفّف عليهم العبادة فإذا شمّ فيهم رائحة الصدق والاجتهاد ربّما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفني في حبّ الله تعالى ، وربّما اختبرهم هل يصدّقون معه أمْ لا ؟

ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه ، **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصحّ في الطريق** .

ومنها أن لا يتجسّس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة ، فإن في ذلك هلاكه و الله تعالى أعلم ، وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذن ، ولا يرفع الستّارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك كما وقع لكثير ،وأن لا يزوره إلا وهو على طهارة ، لأن حضرة الشيخ حضرة الله ، وأن يحسن به الظنّ في كلّ حال ، وأن يقدّم محبّته على محبّة غيره ما عدا الله و رسوله فإنهما المقصود بالذات ومحبّة الشيخ تابعة لهما ، وأن لا يكلّفه شيئاً ، حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى على الشيخ فلا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه ليسلّم عليه .انتهى .

وفي« الخلاصة المرضية » : **ومن شرط المريد** أن لا يصحب من الشيوخ إلا من تقع له حرمة في قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكره ، وأن لا يكتم عن شيخه شيئاً ممّا يخطر له ، وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه . والصدق في طلب الشيخ ، وأن لا ينظر في أفعال الشيخ ، ولا يتعدى أمر شيخه ولا يتأوّل عليه كلامه ، بل يتوقّف عند ظاهر كلامه ، ولا يطلب علّة الأمر الذي يأمره به ، بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سوآء عقل معناه أو لم يعقل وليفعل ما أمره ، ومتى تأوّل على الشيخ ما أمره أو يقول : تخيّلتُ أنك أردت كذا فليعلم أنه في إدبار ، فليبك على نفسه فإنه ما أتى على أكثر المريدين إلا من التأويل . ولا يطأ سجادة شيخه برجله ، ولا يلبس ثوباً لبسه شيخه **إلا إذا كساه الشيخ إياه** ، **ولا يسأله عن شيئ سؤالَ من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقصّ ما وقع له فإن أجابه كان ، وإلا فلا** ، وإن وصف ذلك على أن يجيب عنه الشيخ فقد جعله سؤالاً وإذا جعله سؤالاً فقد أساء الأدب ، ولا يخون شيخه في أمر مأمور به . ويجب على المريد أن لا يدخل على الشيوخ ولا يقعد بين أيديهم إلا على طهارة ظاهراً وباطناً : مسلمين مستسلمين هكذا شأنهم .

ومن شرط المريد : أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل ، إن غسل عضوا من أعضائه قبل عضو آخر أو حرّكه أو تصرّف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة ، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزاً(١) كجلوس العبد بين يدي سيده ، وإذا أمره بفعل شيء فيثبت فيه حتى يعرف مراده ، ولا يبادر وهو غير عارف بما أمره ، ولا يتحمّل فيه

---

(١) استوفز : قعد غير مطمئن . « منجد » .

قول القائل ، وإذا عرف له عَدُوّاً فليهجره في الله تعالى ، ولا يجالسه ولا يعاشره . **وإذا رأى من يثني عليه ويحبّه فيحبّه ويقضي حوائجه** . وإن طلّق امرأة فمن الأدب أن لا يتزوّجها من غير أن تحرم عليه ، ويتلمّذ ويخدم كلَّ من قدّمه عليه شيخه وإن كان أقلّ علماً منه ، ولا يقعد مقعداً حيث كان إلا ويتيقّن أنّ الشيخ يراه فليلزم ذلك ، ولا يمشي أمامه إلا بليل ،ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلّة الأدب والحياء ، ويخرج الأحوال من القلب ، ولا يكثر مجالسته ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها ، ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبّلَ يده وأطرق ، ويتحبّب إليه بإمتثال أمره ونهيه ، وليكن حافظاً شحيحاً على عرضه ، وإذا قدّم إليه طعاماً فليقله[١] أمامه بجميع ما يحتاج إليه ، وليقف خلف الباب فإذا دعاه أجابه وإلا فليتركه حتى يفرغ فإذا فرغ أزال المائدة ، فإن بقي من طعامه شيء وأمره بالأكل فليأكل . **ولا يُؤْثِرُ بنصيبه أحداً** .

وليجتهد أن لا يراه إلا فيما يسرّه ولا يتمنّ عليه ، وليحذر مكر الشيخ فإنهم يمكرون بالطالب ، فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه فإن وقعت منه زلّة في حقّ أدب مع الشيخ وعرف أنه قد عرف بها وسامحه فيها ولم يعاقبه فليعلم أنه قد مكر به ، وعلم أنه لا يجيء منه شيء ولهذا سكت عنه ، وإذا عاقبه على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليستبشر بالقبول والفتح والرضى ، ولا يُبْدِ الله عليه إلا بسطة له كما انبسط معه ، فليزدد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام ، كلّما ازداد بسطة وخشوعاً زاد فيه مهابة وجلالاً .

ومن شرط المريد : أن لا يردّ على الشيخ كلامه ولوكان الحقّ بيد المريد ، فإنّ الشيخ إنما يقول ما فيه مصلحته فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماره ، ومتى وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاعه في خاطره ، فالنزاع وإن كان في نفسه فهو عين الاعتراض **والاعتراض على**

---

(١) علّه فليلقه (هامش الأصل) . أو فليقد .

الشيوخ حرام على المريدين وقوعه ، فهذا مريد مسخرة للشياطين ساع في هوى نفسه ، سَوْءته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى .

ومن شرط المريد : إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأمّل ولا توقّف ولا يصرفه عنه صارف ، حتى قال بعض المشائخ لبعض المريدين : أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررتَ بمسجد فقام فيه الصلاة فما تصنع ؟ فقال : أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه ، فقال له : أحسنت . ولهم في ذلك خبر يستندون إليه ، وهذا بشرط أن لا يخرج الوقت فإن خشي خروج الوقت صلى وذهب إليه .

ومن شرط المريد : الوفاء بكلّ ما يشترط عليه الشيخ سواء كان ذلك صعباً أو سهلاً . فإن طريق الله تعالى مجاهدة ومكابدة ليس طريق الراحة ، وليس للمريد أن يشترط على الشيخ ، **وإيّاك أن تعترض في شيء من أقواله ، ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظنّ** ، وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً ، فإنهم قالوا : **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** ، وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتّهِمْ نفسك واحمله على قصور علمك ونظرك ، فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك وأشدّ اهتماماً بها من غيره ، وكلّما خطر لك شيء من هذا الجنس ، تذكّر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض ، والحقُّ أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكّرت لظفرت به غالباً ، ولكنّ النفس لا تساعدك على هذا بل تغطي عليك وجه الصحة وإن كان واضحاً بيننا ، وتلقّنك وجه الفساد وتزينه وإن كان ضعيفاً لتستوفي حظّها ، فلو صدر منك ذلك الفعل بعينه أو أقمت على صحّته دلائل مثل الجبال الرواسي وتساعد النفس فيه ، وفوق ما ذكرنا من الاعتراض أن يكون مسلّماً بالظاهر معترضاً بالقلب ، فتنقطع الرابطة ويقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنويّة ، **فلا ينفعه**

التسليم باللسان مع وجود الإنكار في الباطن ، إذ الرابطة أمر معنويّ لا يتعلّق باللسان ، وإنما يتعلّق بالقلب . فإذا تمكّن الإنكار فيه زال اتّصال الباطن والمحكوميّة وهو المعنى من الرابطة ، فلا يبقى بين قلب المريد وبين قلب الشيخ علامة ، فينسدّ طريق الفيض الذي يصل إلى قلبه من قلب الشيخ في الحقيقة وإن كان قريباً ، فكم بينه وبين من يكون بعيداً في الصورة قريباً في الحقيقة ؟ ! هيهات مثل هذه المحبّة لا تزيد إلا شقاوة وردّاً على ردّ فيعود الأمر على موضعه بالنقص ، ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس و الشيطان فيعد من جملة الخادعين والمنافقين في الطريقة .

والمريد إنما يتعلّق بإرادة الشيخ ليتخلّص من الكفر الباطنيّ ويشفي من المرض الخفي القلبيّ ، وإلا فهو مسلم شرعاً لا شكّ في إسلامه ، وإذا حققت وجدته ترك الاعتراض على الله تعالى لأنه إذن كان مسلماً للشيخ ، مطيعاً لحكمه ظاهراً وباطناً ، فمن حصل عليه خاطر لاعتراض على الله تعالى ، فالشيخ يخرجه من هذه الورطة بحسن تربيته وإرشاده وإن كان في قلبه نوع إنكار واعتراض على الشيخ ، فإن وقع في مضيق الاعتراض على الله تعالى كيف يخرج عنه ، ومن يأخذ بيده ، فيحصل غرض النفس إذ مقصوده من الاعتراض على الشيخ ليس إلا أن تنقطع الرابطة ، فإذا دخل عليه خاطر الاعتراض على الله تعالى وأراد الشيخ أن يغيّره عن هذه العقبة لا ينفذ فيه تصرّفه ، ولا ينجع كلامه ، فتزلّ قدم المريد وينحرف عن جادة الطريق ، إذ الثبات ليس إلا بقوة ولاية الشيخ ومحكومية المريد ، فيكون الأمر كما تحب النفس وتشتهي .انتهى مخلصاً .

وفي« الإبريز » للشيخ أحمد بن المبارك ، وسمعته – يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ – [يقول] : **لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الوليّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى . فإن في باطن الوليّ العجائب**

والغرائب ، وما مثاله إلا كخنشة صوف في وسطها خنشة حرير لا تنظر إلا في الآخرة وغير الولي بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صُوف . والعياذ بالله تعالى .

قال : ولنثبت أسباباً كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ سمعناه من الشيخ ﷺ مفرقة فلنجمعها هنا .

فنقول : سمعْته ﷺ يقول : كان لبعض الأولياء الصادقين مريد صادق فكان يحبّه كثيراً ، وأطلعه على أسرار ولايته حتى أفرط في محبته ، وكاد يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوّة ، فأظهر الله تعالى على الشيخ صورة معصية الزنا رحمة بالمريد المذكور ، فلما رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ونزل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد .

قال ﷺ : وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبي ﷺ من نحو قوله في قضيّة تأبير النخل : لو لم تفعلوا لصلحت ، ثم تركوا التأبير فجاءت الثمر شيصاً أي غير صالحة ، ومن نحو قوله ﷺ « رأيت في منامي انا ندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين مقصرين » ثم خرج النبيّ ﷺ مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم فصدّهم المشركون ، ولم يدخلوا إلا في عام آخر ؛ ونحو ذلك ، ففعل الله سبحانه هذه الأمور مع نبيّه الكريم لئلاّ يعتقد الصحابة فيه الألوهية ولذا قال تعالى ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾ ونحو ذلك فإنّ المقصود من ذلك كلّه هو الجمع على الله سبحانه والله تعالى أعلم .

قال : وسمعته ﷺ يقول : إنّ الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونياتهم ، فمن صفت نيته رآه في عين الكمال ، وظهر له منه الخوارق وما يسر له ، ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك وفي

الحقيقة ما ظهر لكلّ واحدٍ إلا ما في باطنه من حسنٍ وقبح ؛ والوليّ بمنزلة المرآة التي تتجلى فيها الصورة الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمال ودلالة على الله تعالى فليحمد الله تعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه .

قال ﷺ : وإذا أراد الله شقاوة قوم ، وعدم انتفاعهم بالوليّ سخر الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنّون أنّه على شاكلتهم وليس كذلك ، حتى أنّه يتصوّر في صور الولاية أن يقعد الوليّ مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنونه أنه شارب الخمر ، وإنما تصوّرت روحه في صورة من الصوّر ، وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء ، وإنما هو ظلّ ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلمتْ ، وإذا أخذتَ في الأكل أكلتْ ، وإذا أخذتَ في الشرب شربت ، وإذا أخذتَ في الضحك ضحكت ، وإذا أخذتَ في الحركة تحرّكت وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره لأنها ظلّ ذاتك وليست بذاتك الحقيقيّة ، فإذا أراد الله تعالى شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظلّ ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون ؛ والله تعالى الموفق .

وقال : سمعتُ ﷺ يقول : إنّ الوليّ إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم ، وأمّا ظاهرهم فلا عبرة به عنده .

والقاصدون على أربعة أقسام :

قسمٌ يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد ، وهذا أسعدهم . **وقسمٌ** يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد ، وهذا أبعدهم . **وقسم** ظاهره معتقد وباطنه منتقد ، وهذا أضرّ الأقسام على الوليّ كالمنافق بالنسبة إلى النبيّ ﷺ ، لأنه إذا نظر إلى ظاهره يريد نفعه منعه الباطن . وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمعه ظاهره .

قال ﷺ **: والوليّ يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر** فيكون هذا القسم عنده بمثابة من جلس إليه رجلان ، أحدهما في جوف الآخر **فيقول الرجل الظاهر** : أنت سيدي وأنا عند أمرك ونهيك ، وعلى طاعتك وتصييرك ، **ويقول الذي في الجوف** : أنت لست بوليّ والناس أخطؤوا فيما يظنون فيك ، وأنا على شك في أمرك وفيما يقولون فيك ، ونحو هذا . فالجاهل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم ، والقسم الأوّل . فإذا رأى القسم الأوّل ربح ، وحصل له الخير الكثير من الوليّ ، قال في نفسه : ولم لم يربح القسم الثالث مع أنه يتأدّبُ ويخدم بنفسه ، ويقف عند الأمر والنهي كالأوّل ؟ فيقول : لعلّ الخلل والنقصان من الوليّ فيكون هذا باباً واسعاً للكلام في الأشياخ ودخول الوسوسة فيهم .

وأما القسم الرابع : وهو ما يكون باطنه معتقداً وظاهره منتقداً ، فلا يتصوّر إلا مع الحسد ، نسأل الله تعالى السلامة والله تعالى أعلم .

وقال ﷺ : إنّ الوليَّ الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه ، لا يحجب عنه طرفة عين ، وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة فمن قسم له رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر ، وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا يكيف من الخيرات ، ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف .

وقال ﷺ : وما مثل الوليّ مع القاصدين إلا كحجر بني إسرائيل ، فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتي عشرة عيناً ، وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة .

وقال ﷺ **: إنّ الوليّ الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في**

المعصية فليست بمعصية ، لأنها إذا أكلت حراماً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت ، وسببُ هذا المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين ، والعياذ بالله . فإذا رأيت الوليّ الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد على الحاضرين لأن الله تعالى أراد بهم الخير ، أو معصية فاشهد بشقاوتهم ، وكما أن أرواحهم هي التي تتولّى معاصيهم الظاهرة ، والله تعالى أعلم .

وقال ﷺ : إنّ الوليّ قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي ، فيستعمل أموراً تردّه إلى حسه وإن كان فيها ما يعاب عليه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما ، فإذا رآه شخصٌ ارْتَكَبَ ذلك الأمر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله . ربما بادر إلى الإنكار عليه فيحرم بركته وقد تقرّرَ في الشرع أي في الشريعة المطهّرة أنّ العضو إذا أصابته الأكلة ، وخيف على الذات منها فإنه يباح قطعه لتسلم الذات ، مع أن العضو معصوم ، ولكنه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما ، وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدّة الجوع فإنه يباح أكلة الميتة حتى يشبع ويتزوّد منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة . وهذه الأمور التي تردّ ذات الوليّ إلى حسها هي المعتادة لها قبل الفتح وكل ذات وما اعتادت ، فافهم بالإشارة ففي التفصيل والتصريح وَحْشَةٌ ، والله تعالى أعلم . انتهى مخلصاً . وإلى معنى جميع ما تقدم أشار شيخنا ﷺ وأرضاه عنا به كما في « جواهر المعاني » بقوله : وأما ما يقطعه - يعني المريد - عن أستاذه فأمورٌ : **منها** الاعتراض . **ومنها** الاعتراض بالقلب واللسان . **ومنها** كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة .

ومنها سقوط حرمته من قلب فأما الاعتراض سواء كانت دنيوية أو أخرَوية وذلك أنّ الشيخ لا يعرف ولا يصحب إلا لله عزّ وجلّ ، لا لشيء

والصحبة في أمرين :

الأول : أن يواليه لله تعالى بأن يقول : هذا وليّ الله تعالى وأنا أواليه لله سبحانه ، وسرّ ذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي طيّه : من والى لي وليّاً لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وليّاً ؛ وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى .

والأمرُ الثاني : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجبُ للحضرة من الأدب ، وما يفسد المريد فيها من الأوطار والأرب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى وعلى ما يقرّبه إليه ، والصحبة في هذين لا غير ، **وأما من صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة** .

فإذا عرفت أنّ الرب سبحانه يُعْبد لا لغرض بل لكونه إلهاً يستحقّ الألوهيّة والعبودية لذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهيّة - وهذه هي العبادة العليا - وكذلك الشيخ يُصْحب لا لغرض ، بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرّف منه الأدب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى ؛ **وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محموداً فهو شينٌ على العبد في حضرة الله تعالى** ، ولهذ أمرت الأشياخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقلّ قليل ، **لأنّ المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله تعالى صريحاً لا تلويحاً ، لكونه نصب نفسه إلهاً وعصى أمر الله تعالى وخالفه ، فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله في شيء ، وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال : كذبت بل أنت مشرك** . ومن هذ القبيل خرج قوله ﷺ « ما تحتَ قبة السماء إله يعبد من دون الله تعالى أعظمُ من هوًى متبع » ، فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغيّر إذا لم يوافق هواهُ في غرضه .

فإنّ الشيخ أعلم بالمصالح وأدرى بوجوه المضار ،

والتلميذ جاهلٌ بذلك ، فإذا طلب منه غرضاً من أيّ فنّ كان ، ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه منه لأجل مصلحته ودفع مفسدَته ، فإذا عوّد نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ . فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغييره[1] انقطع انقطاعاً كليّاً لا رجوع له أصلاً .

وأما الاعتراض بالقلب أوْ باللسان فإنه سيف صارم يقطعُ الحبْلَ بين الشيخ ومريده ، فلا يعترض شيئاً من أمور الشيخ . فإن لم يوافق ما عنده من ظاهر العلم وباطنه فليعلم أنّ هناك دقائق بين الشيخ ورَبّه لا يدْريها التلميذ والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه ، فإذا خالف صُورَة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشيخ من حيث لا يدريه الخلق .

وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجلّ به في غيرها من المراتب ، وذلك التجلّي تارةً يكون كمالاً في نسبة الحكمة الإلهيّة ، وتارة تكون صورتها نقص في نسبة الحكمة الإلهية ، فلا محيد لتلك المراتب من ظهور التجلّي فيها بصورة ذلك النقص لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية ، وكلّ تعلقات المشيئة يستحيل تحرّ لها لغير ما تعلّقت به ، **فلا بدّ لكل عارف من ظهور النقص في ذاته ، ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال الدقائق التي بينه وبين رَبّه** ، وتارة يلابسه معتمداً أنه نقص ، وليس له في هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث لا محيد للعبد عنه . فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما

---

(١) علّه : بعد تغيّره .

شرعيّاً أو مما يخلّ بالمرُوءة فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها ، وليعلم أنّ ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربّه ، ولا يزحزحه عن محلّ قربه ، ولا يحطّه عن كمال أدبه فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية ، وكلّ مريد يطلب مرتبة من الحق يتعلّق بها للقرب والوُصول يريد أن لا يظهر فيها نقص ، كان لسان حاله ينادي عليه : **لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى** ، لأنّ كل المراتب لا بدّ لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحساً بريئاً من النقص بكلّ وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط ، لا ما عداها ، وهي : **الرسالة** لمن دخل حضرتها ، **والنبوّة** لمن دخل حضرتها ، **والقطبانية** لمن دخل حضرتها ، فإن هذه الثلاث لا صورة للنقص فيها ، والباقي من المراتب يظهر فيها النقص في الغالب ، وقد لا يظهرُ .

فإنّ هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرءِ فيها صورة النقص **فذلك هو غاية الكمال** ، وإنما ينتقصها المرء لجهله وإليه يشيرُ قوله ﷺ « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله فوالله إني لأعلمهم بالله وأخشاهم له » .

وأما سقوط حرمته فهو أكبر قاطع عن الله تعالى ، وسقوط الحرمة هو عدم ظهُور المبالاة إذا أمرَه أو نهاهُ .

ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشارك في محبته غيره ، ولا في تعظيمه ، ولا في الاستمداد منه ، ولا في الانقطاع إليه بقلبه ، ويتأملُ ذلك في شريعة نبيّه ﷺ : فإنّ من سوّى رتبة نبيّه محمد ﷺ مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافراً ، إلا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية .

فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره به في هذه الأمور ، ولا يشركه .

ومن أكبر القواطع عن الله تعالى أن ينسب ما عندَه من الفتح والأسرار لغير شيخه ، لأنّ تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كلّ نورٍ منها يحنّ إلى مركزه ، وهي الحضرة الإلهية التي منها برز ومنها نشأ ، ولكل شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشاركه فيها غيره ، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه . وصورة ذلك في نسبة الحكمة الإلهية أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه قال تعالى ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق ، وكذب على الله تعالى ، والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويسلب ؛ والعياذ بالله .انتهى والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب آمين . « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » عبارته ١٣٩ ج١ .

ولا تقْدِمَنْ قبل اعتقادك أنه ... مربّ ولا أولى به[١] منه في العصر
فإن رقيب الالتفات لغيره ... يقول لمحبوب السراية لا تسري
وإن تسم نحو الفقر نفسك فاطرح ... هواها وجانبه مجانبة الشرّ
وضعها[٢] بحجر الشيخ طفلاً فما لها ... خروج بلا فطم عن الحجر والحجر
ومن لم يكن سلب الإرادات وصفه ... فلا يطمعن في شمّ رائحة الفقر
ولا تعترض يوماً عليه فإنه ... كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل ... يرى النقص في عين الكمال وما يدري

---

(١) وفي نسخة : أولى بها .
(٢) وفي نسخة : وضعفاً .

ومن لم يوافق شيخه فـي اعـتقاده   يظل من الإنكـار فـي لـهب الـجمـر
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى   عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيــره   ولاتــمـلأن عـيناً مـن النـظـر الـشـزر
ولا تنطـقـن يـوماً لديه فـإن دعا   إليـه فـلا تـعـدل عـن الـكـلم النزر
ولا ترفعوا أصواتـكـم فـوق صـوته   ولا تجـهروا جهر الذي هو في قفر
ولا تـقــعـدن قـدامـه مـتـربـعـــاً   ولا بـاديـاً رجـلاً فبـادر إلى السِتْر
ولا بـاسـطـاً سـجـادة بـحـضـوره   فـلا قـصـد إلا السعي للخادم البرّ
وسـجـادة الـصـوفـيّ بـيت سكونه   ولا وكـر إلا أن يـطـيـر عـن الوكر
وفرّ إليه فـي الـمـهـمـات كـلـهـا   فـإنّك تـلـقى الـنصر في ذلك الفر
ولا تـك مـمن يـحسن الفعل عنده   فيـفـسـد إلا أن يـفـر إلـى الـكـرّ
ومن حـلّ مـن صدق الإنابة منزلاً   يـرى الـعيبَ فـي أفعاله وهو مستبرّ

« جواهر المعاني » عبارته ١٤٤ من الجزء الأوّل .

مهم

قال في « الوصايا القدسية » : وينبغي أن يكون - يعني المريد الذاكر - صادقاً يخلص بهمته نفسه من التعلقات بالكائنات ، والميل إلى المشتهيات والمستلذات التي هي المعبودات الباطلة ، ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية فلا طائل تحتها ، ويطلب الحق وحده وينزه طلبه من المزج بهوى النفس ، فإن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات من جملة هوى النفس وهواها ، ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك فهو مدرج فيما بين الممكورين ، بل وإن وقعت بلا طلب يخاف عليه من الاستدراج . « رماح حزب الرحيم »

عبارته ١٣٩ ج١ من هامش « جواهر المعاني » من خط أبي حسن أفندي .

فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره « جواهر المعاني » عبارته ١٣٣ ج١ من خطه رزقنا فيضه .

الفهرس

الموضوع	**الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الترغيب الخامس

الترغيب السادس

الترغيب السابع

الموضوع	الصفحة

الترغيب الثامن

الترغيب التاسع

الموضوع **الصفحة**

الترغيب العاشر

الموضوع	**الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

تنبيه السالكين

إلى

غرور المتشيخين

العلامة الولي الكبير

حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي

المتوفى سنة: ١٣٥٦هـ

روسيا

الجمهورية داغستان

محاچ قلعة شارع عزيز علي ٢

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

فاكس ٦٣٦٤٧٧

هاتف ٦٣٤١٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمَّد سيِّد الأوّلين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدنيا إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلِكَوْن ذكر السادات سبباً لنزول الرحمة ، والمحبَّة بهم وسيلة للوصول إلى الدرجة العلية ، والارتقاء إلى المراتب الجليّة الإلهيّة ، ووسيلة إلى الرسول سيد البريّة ؛ أردت أن أبيّن آثار شيخنا وشيخ مشائخنا ، قطب الإرشاد ، ومنبع الفيض والإمداد ، المشتهر في الأقطار والبلاد بإرشاد الخلق إلى سبيل الرشاد ، قطب الأولياء الربّاني ، وإمام الطريقة الصَمداني ، صاحب التأليفات المستطابات ، ومبيّن أسرار الطريقة العلويّات ، وحيد زمانه وفريد أوانه ، مجدّد الطريقة النقشبندية العليّة ، والشاذلية السنية ، والقادرية الجليّة ، ومحقق أسرار الطرق الحقيقية المحمَّدية والشريعة الأحمدية ، وحافظ السنن المختارية ، المتورع في جميع أموره الدينية والدنيوية ، المتخلّق بالأخلاق الحميدة الحسنة المختارية ، ذي الطبع السَليم ، والمؤدّب الحليم ، حاوي المكارم والفضائل ، الحامي عن الغوائل والرذائل ، ذي الغيرة والمروءة والصبر على البلاء ، والرضاء على القدر والقضاء كثير الإخفاء فيما وهبه الله تعالى من الكشوفات الإلهية والفتوحات الرَبَّانية ، والمشمّر في طلب العلم عن ساعد الجدّ والاجتهاد ، ولازم الأخذ والتلقّي عن أبطال الرجال ذوي البصيرة والإمداد ، الفاني الباقي في الله ، العالم الفاضل البارع جامع الكمالات ؛ أبونا المعنوي :

حسن حلمي أفندي بن محمد بن حسين القحي الداغستاني

النقشبندي الشاذلي القادريّ قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته . آمين .

مولده ولد في قرية « قحِب » من قرى ناحية « هِدْ » سنة ألف ومئتين وثمانين من هجرة خير البرية محمد المصطفى ﷺ .

نشأته وكان ابناً مسعوداً وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً ، ذا أحوال حميدة ، وشمائل جميلة ، ذا عقل وغَيْرة كاملة وفطنة عجيبة ، يغبطه كلّ من رآه ، ويحبّه كلّ من لقيه ، وكان ذا أدب بلا تأديب ولا مؤدِّب ، وإنّ أباه المذكور الحاج محمدا ؛ مات وهو في المهد في بلدة جِدَّة وقت رجوعه من الحج ، ودُفن فيها قرب قبر أمّنا وأمّ بني آدم حوّاء رضي الله عنها ، وصار هو رحمه الله تعالى يتيماً في تربية الوالدة ، وأنها جزاها الله تعالى خيراً ربَّته بأكمل تربية ، وترعرع في نظرتها الحسنة العفيفة كما يربَّى أولاد أهل الثروة والمعيشة الواسعة ، وكانت له دليلة إلى كلّ خيرٍ ، ومانعة من كل ضرٍّ ، ومقدِّمة لكل فضل ، وحافظة من كل ذُلٍّ .

تلقيه العلوم فلما بلغ إلى سبع سنين ابتدأ لقراءة القرآن بنفسه بلا داعٍ ولا هاد إليها ، فبعد إتمام فرائضه وتصحيحه ابتدأ لطلب العلم ، واختار للتدريس العالمَ الورع المخلص والد صاحبته وخادمته القاضي « حسن بيك » ، وكان يقرأ الدرس معه صبيحة كل يوم ، ويذهب إلى الفضاء راعياً لأنعامهم ، ويأخذ الكتاب معه ، ويتعلّم الدرس إلى المساء ، ثم إذا رجع إلى البيت لا يخرج مع أقرانه إلى الملاعب ، ولا يضيّع أوقاته بالتعطيل مع الصبيان ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌّ جسيم حسن جداً ، وكتب كلّ ما قرأه من الكتب بخطه ، واجتهد لتحصيل العلوم حتى كان لا ينام إلا قليلا ، ويسهر الليالي كثيراً ، وكان لا ينام تحت اللحاف

واللفاف بل يضطجع في حالة يكون نصف جسده خالياً من الأغطية ، كي يسهل له القيام في السحر .

وأنه أيضاً طلب العلم من العلماء الأجلّة المخلصين الورعين ، فصار ماهراً حاذقاً في جميع العلوم والفنون بحيث يعترف له فحول العلماء والعقلاء لذكاء فهمه وعلمه وعقله ، وإن لقيه أمير أو كافر خضع له وخشع ، وما بقي فيه مسلك من مسالك الكمالات إلاّ حازه ، فإن سئل عن مسائل العلوم ؛ وإن كان غريباً ، كان يجيب بأحسن جواب ويقول بلسان حاله : هل من مزيد ؟ ! هذا منه مع صغره وقبل تمام نشأته ، ومع تجاهله عن كثير من العلوم .

ثم بعد ذلك في وقت كمال النشأة والبلوغ دخل إلى الوظيفة البهلوانية[١] ، بسبب سرٍّ من أسرار الله تعالى قذفه جل وعلا إلى قلب والدته زهيدة حين رأت بهلواناً حاذقاً بأن تريد أن يكون ابناً لها ، فأجاب الله تعالى لسرّ خاطرها ، ووهب لها ابناً فائقاً منه ، وكان هو حاذقاً ماهراً في تلك الصناعة ؛ ولم يكن في زمانه مثله في تلك الوظيفة .

وكان يقرأ قبيل الصعود إلى الحبل سلسلة المشائخ وأسماء الأولياء ، ويعظ الناس ويذكّر لهم أهوال القيامة ، ويمثّل الحبل المربوط بالصراط ، ويقول : أيها الإخوان لابد لنا من المرور على الصراط مثل هذا يوم القيامة ، صعوداً وهبوطاً بلا ريب .

وقال واحد إذا سمع مايقرؤه من أسماء المشائخ بأنه يكون من الأولياء المذكورين . وأنه قدس سره كان يبكي وقت الصعود إلى الحبل بكاءً شديداً خوفاً من الصراط . وكان هو أيضاً يبكي في الخلوات والجلوات في أكثر الأوقات ويُبكي الحاضرين معه في المجلس ، فإذا

---

(١) هي لعبة على الحبل .

تخلَّى عن الناس كان يبكي بكاءاً شديداً خوفاً من الله بتضييع الأوقات على هذه الوظيفة الخسيسة ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة إلهية ، وكان ما يفعله من تلك الصناعة اللهوية صوريّاً لا حقيقيّاً ، وحصل له بسبب تلك الوظيفة ذُلٌّ وانكسارٌ ؛ وإن كانت حلالاً ، لما في « التحفة » بهذه العبارة : وإن كان في الوظيفة صورة محرّمة ، لكن ذات أنواع اللعب الخطرة الكائنة من الذين تغلب سلامتهم عنها حلال ، وكذا في الرملي ، وإذا مات يموت شهيداً ؛ كذا في « حواشي عبد الحميد الشرواني » رحمه الله ، وأن المعصية التي أورثت ذُلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً ، وبه قال أئمة الصوفية ، وأن الذنب للعبد قد يكون خيراً من الطاعة التي توقعه في العجب ، وبقاء العجب في الطاعة أكبر من كلِّ سيئة ، ومن كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يؤهّله لتربية المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره ولو في نية مخالفة ، وذلك ليصير عنده حلم على العصاة ، وصبر على تقويم عِوَجهم ، وأنّ من سبقتْ له العناية لا تضرّه جناية ؛ كذا بيَّنه رحمه الله تعالى في تصنيفاته بعد أن صار هو على منصِب الإرشاد بفضل الله تعالى .

ملازمته الاستقامة ثم بعد ذلك نزل عن تلك الوظيفة ، ولازم على العلم والعبادة في حال شبابه ، وكان آثار الجذبات الإلهية وأنوار الهداية ظاهرةً في جبينه ، واشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرة عند أجلَّة علماء عصره المخلصين الورعين من أهل السنة والجماعة ، وفاق في ملازمته على جميع أقرانه ، وكان يحفظ جميع متون الكتب ، فإذا سئل شيئاً من أيّ علم يجيب ببيان الصحيفة والسَطْر ، وكان يعرب ويفسِّر مثل أعرب العرباء ، فمع كونه كذلك كان يُظهر فيه الجهالة وعدم العلم ، ويسأل العلماء الذين كانوا أدنى منه درجات في العلوم عن أسئلة العوام .

طريق سلوكه ثم بدى في أثناء ذلك داعية الدخول في سلك سادات الصوفية المسلسلة من سيّد الأمّة ، وانبعث من باطنه شوقُ صحبة الأولياء الكرام والمشائخ العظام ؛ أهل الطريقة المحمدية ذوي الاحترام ، ففي يوم حين كان هو متعلِّماً في قرية فلانية ذهب لدى واحد من مريدي الشيخ المرشد الحاج عبد الرحمن العسلي لتعليم الدرس فوجده يذكرالله بالذكر الخفي القلبيّ ، ويجرّ السبحة على قاعدة النقشبنديين ، فوقع المكالمة بينهما في تلك المثابة ؛ وقال له : إن شئت أدلّك إلى من يرشدك ويهديك إلى هذه المرتبة ، فاشتاق بفضله تعالى إلى لقائه وقصد الذهاب إلى حضرته ، ففي تلك الليلة استخار الله تعالى في حقّ ذهابه لديه ؛ فرأى في المنام أن المسجد الذي كان هو فيه مملوء من القماش الأبيض ، وكذا رأى في هذه الليلة كأنّ ماء صافية تسيل من موضع الوضوء إلى المسجد ، فأوَّل الواقعة إلى صلاحية الدخول في تربية المرشد المذكور العسلي ، فبعد صبح ذلك اليوم خرج باكراً زائراً إلى جناب حضرة الخليفة من سادات الصوفية قطب الإرشاد ومنبع الإمداد الحاج عبد الرحمان العسلي ، ولقيه بالفرح والبِشْرِ ببسط الوجه ونَشْطَةِ الكلام . وقال الشيخ قدس سره : لم أفرح في عمري أزيَدَ من هذا اليوم ؛ لاطّلاعه على أحواله الباطنة والظاهرة ، إن الله يعطي الحكمة لمن يشاء ، ما أحسن وأعجب فِراسة الشيخ ؛ قد علم من أوّل رؤيته قدره وجلالته واستفادته منه ، وعلّم الرابطة الشريفة والاستغفار والصلاة على كيفية النقشبنديين ، وساعتئذٍ قد علم حياة قلبه ، فبعد أيَّامٍ قلائل ذهب ثانياً لدى حضرة الشيخ ، وتوجّه إليه ولقّنه الذكر القلبيّ ، وعَلِم حياة سائر اللطائف بحركة عجيبة وارتعاش أكيدة بذكر الله تعالى ، وكان المرشد العسوي أعلى الله درجته وأفاض علينا من فيوضاته يُربّيه أحسنَ تربية ويلاطفه ، ويحبّه أشدّ حبّاً من سائر

المريدين ، ويقدّمه ويشرّفه على خواصِّ أمنائه وأحبّائه ، وربّاه إلى أن يصل إلى مراقبة السرِّ التي يكون مشرب السالك فيها موسويّ المشرب .

وأجازه بالإجازة المطلقة في الطريقة النقشبندية الصديقية في مجمع العلماء والعارفين من مريديه ، وأظهر علوّ مقامه وكراماته في ذلك المجلس مع كونه على خجَل ووجَل خاشعاً من الله تعالى يكاد أن تذوب أعضائه من شدة الحياء من المرشد والمريدين ، وكان خائفاً كارهاً أمر الإرشاد والخِلافة ، لكونه رأى في نفسه عدم الأهلية لذلك المنصِب العظيم ، وكان يقول : فلولا أن أمر الشيخ من واجب الاقتداء لما أجبته لذلك ؛ ولا قبلته ، بيد أنه لم يصحَّ ردُّ ما ألزمه الشيخ ، فقبله بالحياء الشديد ، فأمضى من بعده زمناً مديداً نحو سبع سنين بإخفاء هذا الأمر عن الناس ، وتزهَّد في ذلك الزمن ولم يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً بحيث يسدُّ الرمق ، ولم يلبس إلا منخرقاً ، ونهى النفس عن الهوى ، وانعزل عن الناس ولازم البيت ، وكان هو فقيراً ذا عيال ، وعلم الشيخ حقيقته ودعاه لديه فقال : إنّي جعلتُكَ خليفتي وخليفة الرسول ، وسلطان السلاطين وأمير الأمراء ، وأعطيتك الدنيا والآخرة ، فأمر بالإرشاد وأكَّد الأمر به ، فاستعفى قدس سره كرّات ومرّات وكان لا يريده ؛ وقال : يا أستاذي ، لو رددتَ عنّي هذا الأمر العظيم لكنت في كهف خال عن الناس مع العيال بترك العقار والمنقول ! ! فأكّد الأمر ثانياً بحيث لا يكون له بدّ لردّه . فامتثل قدس سره أمره ، وقَبِلَ ذلك المنصِب العظيم ، وأمره الشيخ بخلع تلك الملابس المنخرقة ، وبلبس اللباس الحسنة الجديدة ، وبإرشاد الخلق إلى سبيل الحق ؛ وقال : أنت خليفتي ، فيدُك يدي وقبولك قبولي . فقال قدس سره : يا أستاذي لست أهلاً لهذا الأمر الرفيع . ثم أغلظ القول ؛ وقال : افعل ما تُؤمر . ثم قبل قوله سمعاً وطاعة ، فبعد ذلك ابتدأ لإرشاد الخلق ، وقعد على

سجادة الخِلافة : مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسول الكريم ، ومتوسِّلاً بالسادات الكرام ؛ أهل الطريقة ذوي الاحترام .

اشتهار أمره واشتهر أمره بين العباد ، وارتحل إليه كلُّ من أراد السلوك إلى سبيل الحقّ حتى من أقصى البلاد ، فبعد ذلك قد كثر المريدون الحاضرون ، وسعى إليه الطالبون من كلِّ جانب ، وجاؤوا من القرى البعيدة والبلاد الشاسعة حتى صار الحاضرون في كلِّ يوم جمّاً غفيراً ، واجتهد لهداية مَن حضر لديه من الطالبين السالكين في تربيته لله تعالى ، ولأجل رسوله ﷺ ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ ، ولقوله ﷺ « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » كذا في « الإحياء » في صحيفة ٩ ، وقال عليه السلام : « الدالُّ على الخير كفاعله » . فبعد إقامته على هذا المنصب العظيم ذهب الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره إلى الحج وفوَّض أمر الإرشاد إليه ، ومات هو رحمه الله في جِدَّةَ إياباً بعد إتمام الحج ، ودفن فيها عند قبر حواء رضي الله تعالى عنها وأفاض الله علينا من فيضه العميم ، وكان هذا السفر منه ثانياً إلى الحج .

لحوقه بالشيخ شعيب الباكني ثم بعد نقله من هذه الفانية إلى جوار رب البرية ذهب الشيخ حسن أفندي لدى الشيخ الشهير الحافظ الحاج شعيب أفندي الباكّني قدس سره ، وقَبِلَه بالتحيّة والإكرام ، وربّاه بأحسن تربية وأوصله إلى المشرب المحمديّ ، وأذن له بالإذن الصحيح ، وأجازه بالإجازة المطلقة كما أجازه أشياخُهُ ، وكتب له صكّ الإجازة في الطريقة النقشبندية العلية ، وانتقل الشيخ الباكني إلى جوار ربّ العزة قدس الله سره العزيز ، ونور الله ضريحه ، وأفاض علينا من فيوضاته .

لحوقه بالنزبكري ثم ذهب لدى حضرة القطب المستور مير سيف الله النقشبندي الشاذلي القادري الأويسيّ الحسينيّ النزبكري الغازي غموقي

قدس سره العزيز ، وقبله قبولاً حسناً وتفطّم منه بالرضاع المعنوي ، وصبَّ ذلك القطب الأعظم والشيخ الأكبر ما في صدره إلى صدر الشيخ حسن حلمي أفندي ؛ وقال : صَبَبْتُ ما في صدري إلى صدرك . وأجاز له في الطريقة الصديقية العلية ، والشاذلية السنية ، والقادرية الجليّة ، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكات المصابيح » ، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ، وفي « دلائل الخيرات » و« الطريق العالية » ، و« البردة الشريفة » ، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي ، و« حزب الإمام النووي » و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وسائر الفنون النقلية والعقلية ، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العالية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبت ، وفي سائر العلوم والأحاديث ؛ حتى لكتابة التمائم والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً بائناً ، عرشياً فرشياً ، فانياً باقياً .

وفاة النزبكري ثم بعد ذلك انتقل الشيخ الأكبر والقطب الأعظم سيف الله قدس سره من هذه الفانية إلى الدار الأبدية الباقية ، ودفن في غزانش الأعلى ، نوّر الله مرقده وأفاض علينا من فيوضاته . آمين . وكان قدس سره يقول قبيل خروج روحه هَيْ اَمَانْ حَسَنْ ما رأيتك ! جمعنا الله معك في دار السلام .

ثم تفرَّد في ديار داغستان في المَشْيَخَة الصادقة الصديقية ، وتوحَّد في الطريقة الشاذلية السنية ، ولكن لم يُظهر الطريقة القادرية الجلية لعدم وصول صكّ الإجازة من الشيخ المذكور المرحوم المغفور له ؛ وإن كان مجازاً فيها بالإجازة الصحيحة المطلقة مشافهة ، وذلك لشدَّة

إنصافه وصفائه في الطريقة النبوية ، وإن الوثيقة وصكّ الإجازة ولبس الخرقة مما جرت به عادات سادات الصوفية المسلسلة من صاحب الشريعة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم .

وصار هو مجدداً للقرن الرابع عشر ، وشهد له بذلك أشياخه المذكورون قبلُ ، وازدحم المريدون السالكون في الطريقة النقشبندية الخالصة من كدورات جهلة الصوفية ، وفي الطريقة السنية الشاذلية العلية في زاوية داره وعَتَبَة بابه ، وأقرَّ له العلماء والعقلاء والصلحاء ، وانتشر صِيته في الأقطار والبلاد ، وتواترت آثاره وأخباره بين العباد ، وجاء لديه من أراد الوصول إلى حضرة الخالق من بلاد الشرق والغرب ، ومن أبعد الطريق ، بل من كلّ فجّ عميق .

بداية تصنيفه فبعد ترصّده على هذا المنصب العظيم قد طلع أنوار العلوم الباطنة اللدنية من صدره ، وأشرق شمس الهداية من جبينه ، وصنَّف كتباً عديدة مستطابة بالعرب والعجم ، وبها حصَّل للجهلاء علوماً ، وللعلماء فهوماً ، وشاعت العلوم الباطنة وآداب السلوك في جميع أقطار داغستان ؛ كما شاع ضوء الشمس في بَسْط الأرضين والسماوات والآفاق والبلدان ، وتوجه إليه من النواحي الحوالية الخواصُّ والعوام وفداً وفداً ، وأخذوا منه العهود فرداً فرداً ، وأرشد من حضر لديه بالنية الخالصة والاعتقاد الكامل صغيراً وكبيراً ، ذكراً وأنثى ، جاهلاً وعالماً ؛ فصاروا من الذاكرين الله والذاكرات كثيراً ؛ منهم عرشيين فرشيين ، واصلين مواصلين ، لا يشغلهم الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق .

مريدوه وكان له من المريدين والمرادين مَن وصل إلى الولاية الصغرى والولاية الكبرى ، وإلى المشرب المحمدي ؛ إذا رأيتهم عجبتهم بالعبادة الخالصة السرية الصافية عن العجب والرياء ، وأقرَّ له كلّ معاند وملحد ، وكل عالم حاذق ، وسَعَوا إليه بعد أن كانوا معاندين ومنكرين ، فكم من

عالم ذكي وفاهم لبيب كانوا يرسلون الرسائل إليه بسبِّ طريقته وذم أخلاقه ؛ وإذا رأوه وجاؤوا لديه أقرّوا له ودخلوا في دائرة تربيته ! ! وأخذوا منه العهود ، ولازموا عليها ، ووصلوا إلى المراتب العلية ، وذلك من شدَّة تصرّفه وقوّة سرّه وسريرته .

من أخلاقه وكان يتكلم مع من جاء لديه بالمداراة ، ويحسن أخلاقه بحيث يوافق حاله ، وإنه كان لا يقبل إلا ما خفي وسُتِر ، ولا يأذن لإظهار الكشوفات والخوارق ، ويقول : الكشف حيض الرجال ومنصب الشيطان . وكان لا يُظهر ما ظهر له من الكشوفات الإلهية ؛ وإن كان هو أسبق الأولياء المكاشفين .

وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يخالف الشريعة ؛ ولو أدنى شيء . وكان ذا أخلاق حميدة ومناقب سديدة ، وطبع سليم وحياء عظيم ، بارعاً حاذقاً في جميع العلوم ؛ نثراً ونظماً ، عرباً وعجماً . وكان بسيط الوجه نشيط النطق ، يحبّه كلُّ من رآه ، وقوراً حليماً ، سخياً جواداً ، مطابقاً مسماه باسمه ، معرضاً عن حبّ الدنيا وحبّ الجاه .

وكان محسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، ومتواضعاً صادقاً ، ذا وفاء ووَقار .

وكان رؤوفاً عطوفاً على الفقراء والمساكين والأيتام ، ذا مروءة وغَيْرة ، جميل الصوت مدوَّر الوجه ، أبيض اللون مائلاً إلى السواد ، طويل اللحية كثيف الشعر قد ابيضَّ ، نحيف الجسم معتدل القامة .

وكان تقياً نقياً ، فقيراً صابراً حُسَينياً ، وكان ذا عيال وأولاد ، لا يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً حلالاً ، لا يقبل هدية إلا حقيراً مثل الكعك والرغيف .

وكان شديد المنة ؛ كثير العفة ، وكان يزجر الأولاد والأحباب

عن قبول الهدايا والإحسانات ، ويقول لهم : إني أريد أن أكون كالتيس ؛ ولا أريد أن أكون كالمعز . الإنسان عُبيد الإحسان .

وكانت عادته إذا أحسن إليه المحسن بقدر عَبَّاس واحد يكافئه بعشرة عبابيس بل أزيد منه ، وكان يقول للمريدين : هلاَّ تقسمون ما أهديتم إلينا للفقراء والمساكين ! ! وكان لا يترك عنده ولو قدراً يسيراً من الهدية ، بل يسلم ما جاء به واحدٌ لآخر .

وكان قدس سره ساتراً لأحواله بحيث لا يقدر أحد أن يطّلع على أحواله وأسراره ، وكان أكثر كلامه بالإشارة ، وكان يخبر بالمشافهة مع الإشارة الغريبة ما سيقع بعد سنين ، وقد وقع الكل كما أشار . ذَكَرَ ذلك كثير من الناس إذ رأوا ما قاله عياناً .

تصانيفه وناهيك دليلاً لكماله مُصَنّفاته الحسنات المباركات مثل :

١ « تنبيه السالكين » عرباً وعجماً منظوماً

٢ « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف »

٣ « خلاصة الآداب » عجماً منظوماً

٤ « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة »

٥ « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى »

٦ « سراج السعادات في سير السادات »

٧ « الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء »

٨ « جهد المقل »

٩ « فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن »

١٠ « وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد »

فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، ونوّر العالم بيُمْن توجُّهاته العلية وأحواله السنيّة ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعدما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات ؛ بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيّخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلّت البدعات وانهدمت المبطلات .

من توفيق الله له وأنه رحمه الله تعالى شيّد مصنّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة المأثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليها بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللدني ، وأنه صنَّف كتابه « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » مدة ثلاثة عشر يوماً بالتصنيف والتحرير ؛ مع تربية المريدين الواردين كل يوم أزيد من أربعين رجلاً ، وذلك بما فتح الله له وبتوفيقه .

هيبته وسَمته وكان ذا هيبة عظيمة ، كثير البركة في شَيمه ؛ لا يشبع أحد من كلامه وألفاظه ومعارفه القدسيّة ومن الجلوس معه ، كما لا يشبع أحد من مجلس رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وسنته .

وكان قدس سرّه يحسن الظنّ ويليّن الكلام عند كل أحد ، ولم يصدر منه البتّة كلمة ؛ ولا كلام يسوء به ظنّ أحد ؛ في أيّ حال كان .

وكان يقول : إن أستاذي المرشد الحاج عبد الرحمن العسوي قال لي قبيل إعطاء الإجازة : يا ولدي ؛ لا تقل على أحد بما ينكسر به القلب ؛ وإن وجدت الزاني والزانية بالمواقعة ؛ إلا بالسؤال من الله تعالى بمنعهما من الفاحشة المحرّمة . وأنه رأى امرأة في أيكته تأخذ

وتسرق الخشبة اليابسة ؛ فضرب الفأس على الشجر مرّاتٍ ، وتنحنح ليُسمع المرأة ثم تركها تأخذ الحطب ، ولم يذهب لديها ؛ ولم يتكلّم لئلا تستحيي منه .

وكذا من طبيعته أن يقول ـ للّذي يعيب الناسُ عليه بارتكابه على الذنوب والمنكرات ـ : أحبّك حباً شديداً ، لأجل كوني سمعت الناس يقولون بكونك تمنع وتحفظ من المحرمات كذا وكذا ، وإنّي أردت كون الناس يقولون مثل ذلك في حقّك . ويقول على مريده الصادق عند الذي يعيب عليه الناس : لما لا تفعل كذا وكذا تنبيهاً له وإيقاظاً من الغفلة .

وأخرى : أنَّ جاره سرَق دجاجته وعلم سرقتَه جارُهُ الآخرُ ؛ فقال لابنه : إنه سرق دجاجتكم ، فأخبر الابن لأبيه ، فهدَّد له وخوَّفه ، وقال : لا تعلِّم على السارق علمنا ما فعله ، إيّاك وإيّاك أن تعلِّمه .

وأيضاً : أخبر لرجل سارق من قرية أخرى بأنه سُرِق ثوره كذا في زمن كذا ، وبيّن صفته ! ! فقال ذلك الرجل : إنّ ذلك الثور سرقناه فنغرم لك ، فاصبر إلى أن أرجع إلى القرية ، فقال قدس سره : إنّ الثور الذي سرقتم لعلّه لم يكن ثوري ! ! وقال السارق : إني أعلم يقيناً كونه لكم .

وأخرى : كان الناس يعيبون عليه بإقامة الصلاة خلف الجاهل والفاسق ! ؟ وقال : إني أقيم الصلاة خلفه لئلا يسوءَ ظنه وإن وقع لي التردُّد والإشكال ، فإن شككتُ صحتها وظننت بطلانها ، فهل لا يجوز أداؤها بعد الفراغ من صلاته بحيث لا يعلمه ! ! .

وأخرى : قال له واحدٌ : فإنّ مريديك يفعلون كذا وكذا من المحرمات والمحظورات ، فلِمَ لا تقول لهم بتركها ؟ ! فقال : أنا الداعي

إلى الله تعالى ؛ فإن قلتُ أمثال ذلك يفرُّون منّي ، فحينئذ أكون من الذين يمنعون الناس من الله عز وجل ، وذاك مما لا يجوز ! ! فإني قلتُ على واحدٍ منهم شيئاً يسيراً فلم يرجع إلينا بعده ، فلا يمكن لي إلا السؤال من الله تعالى ، ولم أقل على أحد إلى الآن : لِمَ فعلت كذا وكذا ! !

وكان يقول : لا بُدَّ للمرشد أن يكون له رجل للمدح ، ورجل للذمّ .

وكان يمدح من يعمل عملاً صالحاً للمسيء ، ويذمّ من يفعل عملاً سيّئاً للمحسن تنبيهاً لهما . وإنه كان يقول على أولاده : مَن لطم وضرب على وجوهكم قولوا له : اِضرب ثانياً ؛ إن كنت غاضباً ، ولا تضربوه ، فإن ضربتم لستم أولادي .

ملبسه وكان أكثر لباسه في أكثر الأوقات من منسوجات الصوف أي « صُغُرْ » عجم ، ولم يفعل قطّ شيئاً ما للزينة ، وكان لا ينهَر السائل ؛ وإن سأل منه ما يحتاج إليه بالضرورة في الحال . وكان يُتمُّ أمور المساكين والأيتام ويتفقَّد ويتفحَّص عن حوائجهم بالاستقراء . وكان الناس يقولون بعضهم لبعض : إن كان عندكم شيء لا يشتريه الناس فأعطوه محاباة للأستاذ فإنه يعطى قيمته الزائدة .

وإنه إن كان على قصد شراء شيء ما من السوق أو غيره كان لا يتفحّص عن قيمته من المالك ، بل ممن حوله ، ويسلّم ما قاله خوفاً من إعطاء صاحبه بقيمة رخيصة بالحياء منه ، وإنه كان يقول على أولاده : لا تعيبوا على أحد لفعله شيئاً منكراً ، واحملوه محملاً حسناً ، لعلّ له وجهاً ولو ضعيفاً ! !

وإنه قدس سره كان يبكي بكاء شديداً إذا حلّت البلاء ؛ ويقول :

تلك بسبب معصيتي .

وكان يقول : لا تحقّروا أحداً ممن لقيكم ، وعليكم أن تظنوا أنه من أولياء الله تعالى ، أو هو الخضر عليه السلام ، وبه يحصل لكم منه البركة كما يحصل من الخضر عليه السلام .

وكان لا يحب القيام له إذا حضر إلى مجلس ما ؛ مسجداً أو غيره ، ويقول : إنّي أحبّ أن يلطم أحدُكم وجهي من قيامه ، فاضربوني بلا قيام ، كذا كان ينصح للناس في غالب الأوقات .

وإنه كان يستفيض من مريديه ويوصي بالدعاء على من لقيه ؛ ولو فاسقاً .

وإنه كان يُخفي كشفه ولا يعمل به ، ويقول : إن الكشف لا يكون صادقاً ولو واحداً في المئة ، وينكر على من يقول بأنه يعلم بالكشف كذا وكذا .

وإنه كان يقول : إذا كنا في مجلسه وصحبته : ألا إني أعلم أحوالكم حين كنتم في مجلسي هذا ، بل أعلم أحوالكم وإن كنتم في المغرب وأنا في المشرق ، فإذا لاحظتموني يطرأ عليّ أحوالكم وقتئذ ، وكان يطلع على أحوال الناس سريعاً ، ويجيب لما أشكله المريد بلا سؤال .

معاشرته وكان يعاشر الخلق بالمعروف ، ويداريهم ؛ ولو مع الكفار والفساق بالحسن والكفوف ، وكان بابه كباب السلطان الأعظم والخليفة الأفخم في ازدحام الناس إلى زاويته ، وكان يتكلّم مع الناس بقدر عقولهم ، وموافقاً على ظواهرهم وبطواطنهم ، ويؤانسهم وفق فهومهم .

وكان في الحلم والعفة والنجابة والنقابة بحيث يضرب به المَثَلُ

بين الناس ، وكان ذا كرامات عجيبةٍ وخوارق عديدة ، وإذا خَطَرَ لنا في مجلسه خَطْرة مّا ينبّهنا بالإشارة ويخبر بما في قلوبنا بالمثال الغريب بحيث لا يفهم إلا أهل الذكاء والفطانة . وكان لا يمرّ بين من لقيه في الطريق ولو صبيّاً ، وكان يسبق بالسلام والكلام .

وكان حليماً عاقلاً كاملاً بحيث يرجع إليه ذوو القول في مشاوراتهم وتدبيراتهم ؛ حتى الولاة والكفار خذلهم الله تعالى .

حاله مع شيخه ومن أعظم كراماته كونُه خليفةً ومأذوناً من السادات المذكورين قبلُ ، وإن القطب المستور السيد الأمير سيف الله النژبكري قدس سره قد أثنى له بالعبادات التي تدهش العقول بسماعها ، وتتحير الأفكار بتفكّرها ، وتنشق القلوب بقراءتها ، وأنه قدس سره كتب إليه مكاتيب عديدة بحيث لا تحصى بالنظم والنثر ؛ ثناءً عليه ، وقال :

يا حبيب القلب بالي في الخطوب   في أمور ليس لي غير الصعوب
يا أنيس الروح مالي مؤنسٌ   غيرك المرجوّ في خطب الكروب
طيفُكَ الميمون في قلبي سرى   سيرك المحمودُ علام الغيوب
أنت نعم الخلّ يا نجم الهدى   أنت سرّي أنت مفتاح القلوب
كيف لا أنت سرور الفقراء   يا وصيّ القطب مفتاح الشعوب
عجبا كيف أتى تاريخكم   جاء فيّاضاً لإحياء القلوب . . .(١)

وكتب قدس سره في مواضع عديدة من « مكتوباته » : أنت وسيلتي إلى الله ، وأنا بكم وأنا دونكم ، ولا تنساني في دعواتكم .

وألبسه الخرقة البيضاء في مجمع من العلماء والخواص التي ألبسه شيخه قطب الوقت زين الله الشريفيّ المعموريّ بيده المباركة ،

---

(١) الأبيات بتمامها في آخر « مكتوبات خالد سيف الله » قدس سره .

ودعى له بـ« اللهم ألبسه لباس العزّ والتقوى » فحصل له مع الذين كانوا في المجلس بعد لبسها حيرة ودهشة ، وبكى الحاضرون والناظرون عند رؤيتها ، وقال مراتٍ وكراتٍ : أنت خليفتي ، وخليفة الرسول ﷺ ، ويدك يدي وقبولك قبولي ، أنت وارثي ووارث الرسول في حياتي وبعد مماتي ، وكان له الإجازة لـ« دلائل الخيرات » من العالم العارف الشيخ محمد عبده المكي مع سنده الصحيح إلى المؤلف محمد من سليمان الجزولي رحمه الله تعالى ونفعنا به . آمين .

وكان له أيضاً من الشيخ العسلي إذن كذلك .

وإنه رحمه الله تعالى كان يترحَّم على الضعفاء ، ويتم أمور الفقراء ، إذا حضر لديه مريده كان يترك حرفته ويشتغل بمراده ويقوم على خدمته ويشيّعه عند خروجه من عنده ، ويخدم المريدين بنفسه ، وهذا الخلق يشعر كونه يرى نفسه أقلّ وأذلّ من مريده ومن جميع الخلق .

من كراماته ومن كراماته : إقرار العلماء الأعلام . وكان علماء عصره راجعين على عتبة بابه ، داخلين في دائرة تربيته ، طالبين منه الإجازة للتدريس في العلوم الظاهرة كما هو مذكور في مصنّفاته ببيان أسمائهم ، وكان لا يخالف الشريعة الأحمدية .

من ورعه وقال للواحد الذي هو أمينُ سره : إنّي لم أعمل عملاً يخالف الشرع ولو قدر شعرة . ويكفي شاهداً لذلك ما رأى رفقاؤه الذين كانوا معه في السفر حين نزلوا في رِيفٍ من أرياف ناحية « كُيَدَ » لضرورة ملجئة مهلكة بمصادفة ريح عاصف في زمن الشتاء شديد البرْد ؛ بحيث كانوا خائفين واجلين من هلاك أنفسهم ؛ خاصّة على نفسه رحمه الله تعالى بشدة ذلك الريح العاصف البارد الممزوج بالثلج ، بحيث لا يرى

أحد رفيقه ، والحال أنه قد اشتد البرد على أجسادهم وأفراسهم بحيث لا يعلم لون الفرس سواداً أو بياضاً ، ثم دخلوا في بيت هناك ، وكانت أياديهم لا يقدرون إيقاد النار لتسخين أنفسهم وأياديهم ، ثم أوقدوها على قطعات السرجين التي وجدت فيها ، واستووا حول النار إلا الشيخ فإنه لم ينظر إلى النار ولم يقرب إليها ، وكان في زاوية البيت بعيداً منها ، ثم احتاج هو إلى الماء للطهارة ، فأذاب الثلج لإخراج الماء بإيقاد النار على الخرقة الملطّخة بالشمع التي كانت معه أي « صُل حُرت » ولم يُذِبْ الثلج بتلك النار الكبيرة الموقدة بِقَطَعَاتِ سرجين صاحب الريف ، ولم يقرب إليها مع كونه من أضعف الرفقاء وأكبرهم سناً ؛ وبلغ عمره إلى سبعين سنة بل أزيد منه ، ومع كون جسده مريضاً بالأمراض الثقال كالخافقان الذي هو أصعب الأمراض ، وكان عليه مرض في المثانة ، وبه كان يقوم للحاجة[1] ليلاً بحيث لا يعلم عدد الخروج ، وكان لا يلبس إلا لباس الشتاء المصنوعة من أجلاد الأغنام غالباً ، ولو في الأوقات الحارّة الصيفية ، ولذلك كان يقول : « لا يجد من جسده إذا تفحّص موضعاً فيه السخونة إلاّ الإبط » .

ثم إذا قصدوا الخروج من ذلك البيت قد كتب الكتاب هكذا أو ما معناه بالعجم : وأنا الفقير حسن القحي وابنُه محمد عارف والرفقاء : قاضيهم وفرصداتيل قريتهم قد أوينا إلى هذا البيت للضرورة الشديدة ؛ حين كنا راجعين من غُونِب ، فنسأل العفو والاستحلال من صاحب البيت عن الدخول فيها بلا استئذان ، وعمّا أتلفناه لإيقاد النار ، وأوصيكم بالدعاء . هذه الخصلة العجيبة والورع الخالص قلّما يوجد في نوع بني آدم ؛ حتى في الأشياخ والأولياء الكرام إلاّ فيمن منّ الله تعالى عليه بفضله وكرمه ، وكان القاضي المذكور يخبر ذلك

---

(١) أي لحاجة البول .

في المحافل والمجامع : وقد وقعت هذه الواقعة سبباً للانتباه من سنة الغفلة .

وكان رحمه الله تعالى يعيد الوضوء في أيّ حالة كان ، دائمَ الوضوء في كل الأوقات .

وكان ـ قدس سره ـ يطّلع على خاطر من حضر لديه ، فإنّ واحداً قد توضأ عند حضرته في وقت حارٍّ وصبّ الماء البارد على العضو بنية التبريد ؛ فقال قدس سره : إن ما صببت لا يكون سنة إلا ما نوى فأتمم السنة بصبّ الماء رابعة لتحصل لك سنة التثليث ؛ مطلعاً على خاطره ، فالمريدون كانوا يقولون بأنه لا يجوز بحضرته أن تخطر خطرة ؛ ولو قليلاً .

وقال واحد من مريديه : إني كنت في قرية بعيدة قدْر مسيرة ست ساعات للماشي ، فوقت الضحوة كنت أذكر الله على لطيفة السرّ ، فطرأ عليّ حضور تام وحرارة مثل النار بحيث لا أطيق الصبر ، فصرت حيراناً لا أعلم ما أفعل ، فخطر في قلبي أن أنادي إلى المرشد وأتضرّع برفع هذه الحرارة مني ، وناديت بسرّي : يا أستاذي ويا مرشدي ؛ أسأل من حضرتكم العلية رفع هذه الحرارة مني ، فساعتئذ ذهبت الحرارة كما صُبَّ عليها الماءُ البارد ، ورجعت إلى الذكر حامداً لله تعالى .

فبعد أيام لقيته وصافحته ؛ وقال : هل ذهبت الحرارة منك ؟ ! فقلت : لا ؛ لعدم فهم كلامه ، ثم إذا وصلت لدى زوجته قالت : إني كنت معه آكلين ، فإذا به ترك الطعام والكلام وأوَّه بـ « آه » فقلت له : ماذا طرأ عليك ؟ فقال عجبت كيف يحتمل هذه الحرارة ، فإني كدت أن أحرق . وقلت له بعد ذلك : كيف تعلم حال من هو بعيد عنك ؟ قال : أعلم حال من كان في المشرق وأنا في المغرب . فدهشت بموافقة

هذا الزمان على الزمن الذي ناديت ، فسألني : هل تطرأ عليك الحرارة ؟ قلت : تطرأ إن أكثرت الذكر ، ولا أقدر على الذكر الكثير بالحرارة . فقال : اذكر الله تقسيماً إلى الأوقات صباحاً وظهراً ومساءً والخ ؛ فلا تطرأ الحرارة . هذا من ذكاء فراسته قدس سره .

من أسلوب تنبيهه وقال واحد : إنه كان يصلي صلاة العصر مع الجماعة في المسجد فأتمَّ الركعتين الأوليين بلا حضور مسترسلاً قلبه في أودية الخطرات والأفكار الرديئات ، وحين قعد للتشهد الأول سمع صوت تفخيم طاء الطيّبات من الصفّ الثاني ، وعلم كونه من الشيخ ، ثم صعب عليه إقامة الصلاة كذلك بلا خشوع ولا حضور ، وعلم اطلاع الشيخ على حاله ، فتفطَّن وصلى الركعتين الأخيرتين بالحضور التام ؛ كما أن الله ناظر عليه ، وملك الموت مترصدٌ له لقبض الروح ، وكأنه يمرّ على الصراط الممدود فوق جهنم ، وكأنّ الجنة يمينه والجحيم شماله ، ثم بعد زمان سمع الشيخ يقول ويعظ للناس في المسجد : إنَّ واحداً منا صلى ركعتين هكذا هكذا ، فلما سمع تنحنحي من ورائه أتم الركعتين الباقيتين بالحضور التام ؛ قال ذلك إظهاراً بلزوم الحضور في الصلاة وفي غيرها ، وبعدم الفائدة في العبادة بلا حضور ؛ وتنبيهاً إلى أن العبادة بلا حضور كالجسد بلا روح ، فهل تكون الفائدة من الجسد بلا روح ، هكذا كان رحمه الله تعالى ينبّه المريدين إلى عيوبهم بالإشارة .

وقال له أخصُّ أصحابه : هلا كنتَ أيها الأستاذ تقول بالصراحة بدل الإشارة ، فإنا لا نفهم الإشارة غالباً ! ! فأجاب له ؛ ليس الأمر علينا إلا بها .

مكاشفته الخطرات وكان رحمه الله تعالى عجيباً في الاطلاع على الخطرات ؛ فمن ذلك ما قاله لواحد كان يأكل معه في البيت : لا تفعل

شيئاً ما لأجل فلان . فظن في خاطره أنه يفعل لأجله قدس سره ؛ فقال وقتئذ : ولا لأجلي ، بل لله . فذلك علامة إخلاص قلبه من الأغراض لكونه لا يقبل إلا الخالص من الأعمال .

وقال واحد : إني كنت جالساً معه في مكان فمرّ بنا بالسلام واحد مع الكبش الضخْم ، فقال : إنه كشف ذلك الكبش في صورة حيّة عظيمة ، وقال : إنه في الحقيقة حيّة ربّاها ليأكل لحمنا وكان مراده بذلك كثرة الدود والحيّات في القبر بكثرة اللحم على الأبدان . هذه إشارة غريبة منه . انتهى .

علمه بالمهد وقال مرة في مجلس الختم بعد النصيحة للمريدين : إنه كان في حالة صباه يعرف أشياء رآها ويدركها بعلم علَّمني الله تعالى ، ففي يوم من الأيام كانت امرأة عجوزة تربّيني وتحرّك مهدي حين كنت في المهد طفلاً صغيراً مفطّماً ، وكان المهد الذي كنت عليه على السطح عند البرْج ، فبكيتُ ، فخوّفتني حينئذ بضرب يديها على جَنْبَيْ المهد بالكلمات المعتادة بتخويف الصبيان بـ « عَمْ عَمْ » ثم خرجت من عندي وتباعدت قليلاً من المهد ، فنظرت يميناً وشمالاً فبالت وأهالت عليه التراب وكنت أعلم كون ما فعلته عارا .

وكان يقول : يكون من الأولياء من يعلم ما رآه في عالم الأرواح ! وفهم من كلامه كونه كذلك ، هذا إشارة إلى ما علَّمه الله كما علَّم الله عيسى عليه السلام حين كان في مهده أن يقول : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ .

وقال واحد من المريدين : إنه كان يأكل معه ، فتناثر شيء من الطعام الذي بيده إلى أرض فيها نداوة بسبب ما تقطّر من ملعقته ، فثقل عليه وقوعه ، وكان في التردد في الأخذ وأكله لتنجسه بالنداوة ، فاطلع

قدس سره على خاطره ؛ وقال جواباً للخاطر : أليس في الكتاب « إلا إن تنجّس » ؟ ! أي : لا يأكل إن تنجّس ، وإلا يُؤكل . هذا إشارة على اطلاعه بما في الأفئدة . انتهى .

وقال واحد أيضاً من المريدين : إني كنت عنده ثم قصدت الخروج ، فقال لي : هلاّ تحرُث بُرّاً خريفيّاً في الحال ؟ ! ثم خطر في قلبي : ألا تضرُّ الجرادات للبُرّ إن حُرث الآن ! ! فأجاب وقتئذ : هل رأيت ولو واحداً منها ؟ فحرَثت ؛ وكانت العاقبة خيراً . وأيضاً قال لواحد من أحبائه في زمن الشتاء : إني رأيت في المنام أنه نبت في المزارع التي في رِيفك باقلاء طويلاً متمايلاً إلى الأرض ؛ أي كِّبكَّرَبْ فاتبع إشارته ، وحرَثَ الباقلاء في الربيع زمن الحراثة ؛ فنبت بِقدرة الله تعالى بأحسن ما يكون في تلك السنة في الطول والنماء وكثرة أكمام الحبوب ، وكان كما قاله متمايلاً بعضها إلى بعض ، وحصل ببذر أربعة آصع أربعون كيلا ، فما أحسنها وما أعجب اطلاع الشيخ على ما سيقع ! ! انتهى .

وقال واحد : إني كنت أطرح شيئاً من الصدقة سرّاً في نقب جدار بيته فيعلم ذلك ويشكر لي ، ويشتكي بالحياء مني . وأيضاً قال آخر : إنه ألقى مرة ثلاثة أشياء من الفجل سرّاً ، فشكر لي بذلك بلا كلام ولا خبر قبل ذلك ، فعجبت من علمه ذلك ، وإني لم أكن من المعتادين بتسليم أمثاله له ! ؟ .

وقال واحد أيضاً : إنه كان مع واحد في بيته قدس سره على قصد الذهاب إلى قرية فلانية ، وكانت تلك القرية على موضع مرتفع ، فحين قصدنا الخروج من عنده أخبرَنا رحمه الله : ففي الحال قد ناداني هاتف بهذه الكلمات : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ . انتهى .

وقال واحد من المريدين : إنه كان في بيته مع أضيافه ، فخرج هو من بيننا بأخذ الوَضُوء إلى الخلاء ، ثم ستر واحد منهم جلداً من النطاع المدبوغ في مكان لا يرى ، راجياً على قبوله إذا وجده ، فجاء من الخلاء وسلّم ولم يتكلم وأخرج النطاع من الموضع الذي ستره وقال مشيراً إلى صاحب النطاع : أيها الولد لِمَ توقعني في حياء عظيم بمثل هذا ، وأن تلطِم وجهي أَحبّ إليّ من أن تحمّلني مثل هذه المنة العظيمة . وكان الشيخ لا يقبل ذلك ، والضيف يلحّ عليه بتقبّله ، فخرجت خائفاً من سطوته ، ولا أدري ما وقع بعده ؛ أَقَبِلَ ذلك أم لا ؟ !

وكان رحمه الله يقول كثيراً : إني لا أنسى إحسان المحسن ، وأنسى إساءة المسيء ، وإن الإحسان يستعبد الإنسان . انتهى .

وقال واحد من الثقات : إنه ذهب يوماً من الأيام لعمل الحِراثة للشيخ في زمن الربيع مع آلاته المحتاجة لها المملوكة له من الأثورة والفَدان وغير ذلك ، وكان الثور الواحد لا يأكل ولا يشرب إلا قليلاً ؛ وكان يضعف يوماً فيوماً ويَهزِل ، وكان متحيّراً في حقه لا يدري ما به ، وكان ذلك الثور يتغوط في أثناء الروث دماً ، فلذا قال : كنت على تردد في الذهاب لحرفة الشيخ ؛ خوفاً على عدم قدرة الثور للحراثة ، وتوكلت على الله وذهبت إلى مزرعته بلا إعلام له ، وكنت أحرُثها فبعد زمان حضر هو رحمه الله وصافحني ولاطفني وأقعدني ، وأظهر لي الاستحياء الأكيد والمنة العظيمة ، ووقع المكالمة بيننا واسترحنا مع الأثورة برهة قليلة ، وكنت أريد الخروج للحِراثة ولا يقبله ، وأنه تكلم مشيراً إلى الأثورة أنّ واحداً منهما سمين قوي والآخر مهزول ضعيف ؛ وقلت له : إنه لا يأكل إلا قليلا ، ولا أعلم ما به من المرض الظاهر ! ثم قام ومسح يده المباركة على ظهره ودعى له سرّا بما شاء الله ، ثم أذن لي للعمل وقمت وحرثتُ ، وسار الثور مع قرينه في ذلك اليوم بلا

فرق من الآخر ، وزال ما به من الثقل وعدم حرث المعقود بالسوية ، ثم بعد تمام حراثة ذلك اليوم خليتهما من القِلادة ، فذهب الثور المهزول راقصاً وصائحاً بصياح الأثورة المستريحة ، فحمدت الله تعالى وشكرت للشيخ ثانياً ، وعلمت بركته ، فبعد ذلك اليوم لم يمرض الثور وقوي يوما فيوما ، وصار مثل الآخر سميناً . انتهى .

وأخرى : إن واحداً من أولاده أخذ فضة قدر ثلاثة قروش من فضة الفادشاه النيكّالوية سرّاً وخفية ، وكان يذهب إلى قرية أخرى متعلماً ، وارتحل فرِحاً مسروراً محدّثاً بحديث النفس بشراء الأقمشة للقميص والإزار والقلنسوة الجديدة وغيرها من الحوائج الضرورية ، فوصل طرف النهر الكبير وجلس للوضوء لصلاة الظهر ، فبعد تمام الوضوء أخرج الفضة للرؤية مع الخريطة التي وُضِعَت الفضة فيها ، فإذا سقطت الخريطة في الماء الكدر بلا اختيار منه فسارع لطلبها وأخذها واجتهد فلم يجدها . . وإنه طلب مدة ساعة فتحيّر ، وعلم أن ذلك من تصرف الوالد ، فندم ندماً أكيداً بحيث لا يطيق الصبر ، وبكى بكاءاً شديداً مثل بكاء الكسعى والثَكْلَى ، ثم بعد ذلك عزم إلى التوبة واستغفر الله مما صدر منه من الأمر القبيح ، وترحل قانطاً عنها ، ثم تحدث في السرّ أن يطلبها ثانياً ؛ فرجع وأدخل اليد في الماء فوجدَ وقتئذ ، فيا شدة فرحه ! ! وسار إلى القرية المقصودة المتوجه إليها ، فبعد ذلك قصد أن يردها إلى أبيه بيد المتوجه نحوه للزيارة ؛ وقال : كنت أجففها فإذاً هبّت الريح وأخذت الأوراق من يدي فأسرعت لأخذها وأخذت قروشاً واحداً وسقط الآخران إلى سطح بيت جار المسجد فوثبت إليهما ؛ ولم يفارقا من ذلك المكان ، وسكنا إلى أن أفوز عليهما وإن اشتدّ هبوب الريح ؛ كأنما وضع عليهما الحجر ! ففي اليوم الثاني حضر لديّ رجل ؛ وقال : إن والدك غضبان عليك في حق الفضة ، فعليك إرسالها لديه

بيد المرتحل نحوه ، وقال : إن فلاناً يذهب إليه غداً . فسلّمت الأقراش إلى يد ذلك الرجل وألزمته إرسالها بيد المرتحل ، فحين كنت في حيرة أكيدة وحياء شديد لما وقع منّي من هذا الأمر الفضيح وصل إليّ كتابه بطلب حضوري لديه ، فذهبت لديه بالاستحياء ؛ وكانت جوارحي تكاد أن يتميّز بعضها عن بعض خوفاً من توبيخه ، فوصلت لديه فلم يوبّخ بشيء ، بل أظهر الفرَح وتكلم ببشاشة الوجه ، وسلّم لي قميصاً حسناً وإزاراً جديداً وقلنسوة بيضاء التي كنت أحبّها ، وقال : خذها ولا تفعل بعد الآن مثل ما فعلت ، وقال : إن تلك الفضة كانت من فضة أولاد فاطمتنا ، فطلبت منه العفو عما صدر منّي ، فعفى ، فيا حسرة ندامتي على ما فرّطت في جنبه ، وقال : كانت هذه الواقعة أوّل ما وقعت لي سبباً للتنبيه والإيقاظ من الغفلة . رزقنا الله التوفيق لما يحبّه ويرضاه . آمين .

وأخرى : قد أخبر بعض الثقات من أتباعه وأمنائه : أن زوجته مرضت في يوم بمرض البطن ؛ بحيث لا صبر ولا قرار لها ، وكانت تضطرب وتشتكي ، فصرت متحيّراً في دوائها ، وظننت أني أذهب لدى الشيخ بأخذ الماء في الكوب ليدعو عليه ، فذهبت لديه قدس سره فدعا على الماء سرّاً وأعطانيه ، وقال : أسق الماء لها ؛ لعل الله أن يشفيها ! ! فأسرعت عَدْواً إليها فإذا شرِبتْ شفتْ ساعتئذ بمَنّ الله تعالى وفضله .

وكذا أخبر واحد ؛ أنه كان مريضاً بمرض الرمد بحيث لا يصبر ولا ينام ، فبات الليلة يقظاناً ، فلما أصبح ذهب لديه قدس سره ، فدعا سراً ونفث في عينيه ، فلحظة ذهب الرمد وشفت عيناه ، وقال : كان ذلك الرمد في عينيّ منذ سنين عديدة ، فبعد ذلك لم تمرَض قط . فالحمد لله على ذلك .

وأخرى : قال واحد من مريديه : إني كنت مريضاً في الرِيف ،

وكان لي صديق طبيب يحضر لديّ كل يوم للعيادة مع الأدوية الكثيرة ، ولم أنتفع بها ولو بأدنى نفع ، ففي يوم حضر المرشد الحلمي رحمه الله تعالى للعيادة ودعا سراً ، ففي الليلة القابلة قد تعرَّق الجسد بحيث يتقطر تحت الفراش ، ونمت في الليلة بالراحة ؛ كأني لم أكن مريضاً ، فحمدت الله تعالى لكوني بحيث يقنَط من رآني بشدة مرضي وبُطء بُرئي ، وعلمت كون ذلك من تصرف المرشد بفضل الله تعالى . فللَّه الحمد .

وأخبر واحد من الثقات : أن الشيخ حميد أفندي قدس سره أخبرني : أن أستاذنا الحلمي رحمه الأبديُّ قال لي يوماً : أتاني واحدُ من المريدين مربوطاً على لَحييه خرقةٌ بيضاء ، مريضاً أضراسه وأسنانه بحيث لا يقدرُ الأكل والكلام ، وتوجهت إليه ، فإذا جاء المرض على أضراسي وأسناني وشفا هو ساعتئذ ، وقال : يا أستاذي قد ذهب المرض مني بلا بقاء شيء ما ، ومرِضت بذلك برهة قليلة ، وأذهب الله عني ذلك المرَضَ بمنه وفضله ، وقال : يكون للمرشد الحقيقي قوّةٌ لأخذ المرض عن المريد ، وإنه يقدر أن يعزِله عنه حين حلّ فيه . انتهى . وقد وقع كثيراً في المريدين مثل هذه الوقائع . والحمد لله دائماً .

وأخرى : إن واحداً من الذين توطَّنوا طرف النهر الكبير أخبر وقال : إن رجالَ وشُبان قريته كانوا على قصد الذهاب لحمل الحطب من « أياكي » الجبلية من النهر ، وكان هو معهم على ذلك القصد ، وذهب لدى الشيخ ليشاور معه في حق ذلك ، وشاور معه وقال : كان أغنامنا خليطاً في السائمة مع واحد من قريتنا ، وأراد أن يرسل الأغنام إلى السهلية ، وكنت لا أرى المصلحة في ذلك ، فمثّلت له ورددت قوله مرات وكرات ، ولكن لم يرض بقولي فقلت له : فإن شئت فأرسل أغنامك ؛ فإني لا أرسل في هذه السنة . ففرَّق أغنامه من بين أغنامنا ، وأرسلها إليها ولم يرجع منها

ولو فرداً واحداً . وقال : إن كثرت الأمطار وسالت السيول وكبرت الأنهار يمكن أن يفسد الحطب والجزوع ويضيعه . وفهمت إشارته ورجعت من عنده ، وتركنا تلك الحرفة المقصودة ، وكنت مترقباً على إشارته فوقع الأمر كما قال ؛ ففي تلك السنة نزل المطر وسال النهر كبيراً بحيث لا يحصى له من الكِبَر ، ولم ينتفع صاحب الأحطاب من ذلك الحطب وحمله النهر حتى يصل أوّله إلى البحر . انتهى .

وأخرى : إن واحداً من المتشيخين قد روّض نفسه مدة عشرين سنة صائماً وقائماً ، وكان له من المريدين عددٌ كبير ، وكان ورده ما لا يطيق وصفه ، ولم يحصل له أثر مما لقنه شيخه ولو بأدنى شيء ! ! ففي ليلة قد رأى في المنام قائلا : إنّك لو كنتَ على حالك هذا ألف سنة لا يحصل لك نصيب من الواهبة ، ولا تصل إلى خالق البريّة ، فإن كنت تريد سبيل الله فعليك بملازمة عَتَبَة الشيخ الحقيقي حسن أفندي القحيّ وانتسبه ، وتعشَّقْ إليه ، فساعتئذ قصد بإرادة الله تعالى إلى تلك الجهة العليّة ، وشاور مع واحد من معارفه فلم يقبل ، فقال : هل تبدّل المريدية بالمشيخة ؟ ! وبه وبخوف من عيب المريدين وقع التأخير للحضور لديه ! ! لكن بفضل الله تعالى هداه إلى الحق ، واشتد شوقه إلى لقاء الشيخ بحيث لا يطيق الصبر ، فخرج بنية خالصة سرّاً من المريدين ، ووصل إلى قرية قَحِبْ ونزل في زاوية جامعهم ، ولقي هناك مؤذّن قريتهم ، وطلب منه التوصيلَ إليه ، فحالتئذ ذهبا معاً إليه . فقعد الشيخ قبالته وصافح ، وقال : أيها الأخ ؛ لم جئت إلينا ؟ ! وإنه كان لا يعرف كونه مرشداً ، فتفطّن وتدبّر ، وعلم من كلامه كونه مرشداً ، وقال الشيخ : أيها الأخ ؛ ما تريد مني فاطلب ما تريد ، فبعد علمه يقيناً قام وقبّل يده وتعانق ، واستحيى منه حياءً شديداً . ثم وقعت المكالمة بينهما ونصح له الشيخ بالموعظة الحسنة المرضية عنده وارتعش

فرائصه بشدة حيائه منه ، وتضرع له بقبوله مريداً وقَبِلَه ، ووصل إلى مآربه ومطالبه ، وسلك في دائرته ولقَّنه الرابطة الشريفة ، ففي تلك الليلة بات في بيت المؤذن ورابط إلى الشيخ محمود أفندي ، ففي صبيحة تلك الليلة كان هو في المسجد يرابطه ، وذهب المؤذن إلى البيت وقال : إذا تمّ وردك فاحضر إلى البيت ، ففي الرابطة تحرك قلبه بحيث لا يطيق وصفه ، فبعد زمان قليل حضر الشيخ وكان لا يلتفت إليه بشدة ذوق الذكر القلبي ، وتكلم الشيخ وقال : سر معي . فنظر إليه واستحيى حياءً أكيداً وسار معه إلى بيته ، فقال : أيها الأخ ؛ ما حصل لك في البارحة ؟ هل علمت كيفية الرابطة ! ! فقال : علمتها وفعلتها ، وقد حصل لي ما لم يحصل مدة عشرين سنة ، وعلمت حركة القلب وارتعاشه ، ثم لقَّنه الذكر القلبيّ ، وهداه إلى الطريق الحقيقيّ ، وقال : عليك إخفاء وصولك لديّ للمريدين ، وكن دائماً على الذكر حتى تصير في كل لحظة تذكر الله . فبعد برهة قليلة قد حضر مع من شاوره قبلُ فلقَّنه الذكر على لطيفة الروح ، ثم على السر ، ثم . . . وثم . . . ألخ ولقنه المراقبة ، وصار ذا حضور تام بحيث لا يشغله الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق ؛ متورعاً مخلصاً ، وترك المشيخة وأمر المريدين بالمراجعة إلى هذا المرشد الكامل الحقيقي ، وصاروا كلهم داخلين سالكين في دائرة الشيخ ، وعلموا بطلان ما كانوا يعملون ، وشكروا الله تعالى لهدايتهم إلى الصراط المستقيم . انتهى .

وأخرى أخبر واحد من علماء قرية « هلوق » أن واحداً معانداً على الشيخ وعلى الطريقة النقشبندية من الوهابية المنكرين حضر إلينا يوماً من الأيام راكباً على البغلة وعليها حقيبة مملوءة بالكتب العربية ، ونزل بنا ضيفاً وبات الليلة فينا ، وكان ذلك الرجل من أكابر المعاندين وأسبق علماء الوهابيين . فتفحَّصت عنه مرادَه

ومذهبه ؛ فقلت له : يا أخي ؛ إلى أين تذهب ؟ وماذا تطلب وتريد ؟ وما هذه الكتب الكثيرة معك ؟ فأجاب بكونه يذهب إلى قَحِب ، وقال : مقصودي منها امتحانُ شيخكم والمناقشة والمجادلة معه في حق الطريقة ، ولإعلامه بطلان ما هو عليه عتيد ، ولإظهار الحق الذي هو منه بعيد ، ولي مشكلات كثيرة وأسئلة عديدة نحو مئة سؤال ، وحمَلت الكتب لأرِيَه الحقَّ والصواب ، فحين أصبح الليل وأضاء النهار قد خرج هو منها وودّع ضيفه ، وقال ضيفه حين يهديه إلى الطريق : يا أخي إني أريد منك وأرجو من حضرتك الحضورَ لديّ وقت إيابك من قَحِب لتبيت عندي ، ولأعلم ما وقع بينك وبين الشيخ من المناقشة والمجادلة ، فأجاب لذلك بنعم ، فذهب وسار نحوه وقصد إلى قريته ، فلمّا وصل إلى طرف قرية قحب ، وجد فيه أي : على طرف القرية شيخاً هرماً قاعداً على شفير الطريق ، ذا هيبة عجيبة فسلّم له حينئذ ، ثم قام ذلك الشيخ الهرم من مكانه وأخذ يده قائلا : مرحباً بك يا ولدي ؛ كيف حالك وما حاجتك ومطلوبك ؟ فقال : إن لي حاجة مع شيخكم حسن أفندي ، فإن أَرَيْتَني مكانه ووطنه فذا مرادي . فقال الشيخ : نعم إني أدلّك عليه وأريك مكانه ، سِرْ معي يا ولدي ؛ فأخذ زمام بغلته وجذبها خلفه بنفسه ، وسار أمامه تأديباً له ، ثم وصل إلى بيته وأقعده على مقعد حسن ، وأراح بغلته وأمر ولده بوضع أحماله منها ، وأن يُعلّق لها مخلاة العلف ، ووضع الحقيبة في موضع نظيف ، ثم قال : أنا مطلوبك يا ولدي ، وأنا ذلك الشيخ الناقص كالقاضي الضروري الذي أردت رؤيته ولقاءه ، فهذا مسكني ووطني فكن على طيب القلب ، واقعد على حسن هيئة ، وأرحْ فؤادك من الظنون والخواطر ، واسأل مني ما شئت ؛ فإني إن شاء الله تعالى أجيب لك بما عندي ، الكوزُ يرشَح بما فيه ، فإنّي أحب الحق ولا أريد

الباطل ، فإن كنتُ على الباطل فعليك الإهداء إلى الحق ، وإن كنتُ على الحق فعليك الاقتداء والطاعة ، فحينئذ أخذ ذلك الرجل كتبه الكائنة معه واطّلع عليها ، فصار يسأله وهو يجيبه إلى أن بلغ إلى خمسين سؤالا ، وأجاب الشيخ لكلها بحيث يعجزه عن السؤال ثانياً ، ففي تلك الحالة ؛ يسأل ويجاب صار النهار ظَلاَماً ، وزال الضوء تماماً ، وحبس لسانه كلاماً ، وارتعدت فرائصه وخفَّت كلامه وتحيّر ، وصار مغشياً عليه ، ثم بعد زمان انتبه ونظر إلى سقف الحجرة فرأى مكتوباً عليه بخط نوراني قوله تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ فتعجّب من ذلك وخاف على نفسه الهلاك ، وعلم كون الشيخ من الذين فتح الله لهم بالفتح الإلهي ، وندم على الذهاب لديه وأسرع للرجوع من عنده قهقرى ، وخرج وترك السؤال له ، وجمع كتبه الكائنة عنده وأدخلها في الحقيبة الكائنة معه ، وتهيأ للرجوع وقتئذ في تلك الليلة المظلمة ، ثم قال له الشيخ : يا ولدي ؛ إلى أين تذهب في هذه الليلة المظلمة ! ! فلِمَ ترجع بلا إتمام المشكلات والأسئلة ، فاسأل جميعَ المسائل واطلب أجوبتها بالتمام ، فبتْ عندنا في هذه الليلة فنحن إن شاء الله تعالى نهديك غداً إلى الطريق راشداً مهدياً ، فلم يستمع قوله ؛ ولم يطلب منه الجواب ، بل سار من عنده نادما حزينا ، ووصل إلى قرية « هلوق » سحر تلك الليلة ، ونزل على ضيفه بوفاء عهده ، وأخبره ما وقع له مع الشيخ المذكور كما ذكر قبلُ ، وقال : أيها الأخ ؛ فوالله ندمت على الذَهاب لديه والمجادلة معه ، فإنه بحر عميق ومرشد كامل ، والمناقشة معه هو الأمر الباطل ، وإني رأيت منه ما رأيت وعلمت صدقه ! ! فيا له من عجب ، ولله درّه . انتهى . هكذا أخبر ضيفه الهلوقي ؛ وإنه قال : فبعد زمان لقيته فقلت له تجديدا : ماذا وقع بينك وبين الشيخ حسن القحي ؟ ! وقال : جوابا ؛ فاترك التفحص في حقه واقصر الكلام والسؤال ، فوقع ما وقع ، وإنه أمين الله ؛ لا عناد عليه .

محنته بالحبس وغيره ومن علامة أسوته برسول الله ﷺ تبعيده عن الوطن والأقارب والأحباب ؛ محبوساً مسجوناً ، قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة » ، وقال : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، فإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم ؛ فمن رضي فله الرضاء ، ومن سخط فله السخط » وقال : « لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة » حديث صحيح « مصابيح » ؛ في « الجنائز » .

وعن سعد قال : سئل النبي ﷺ : أيّ الناس أشد بلاء ! ! قال : « الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ؛ يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة هون عليه ، فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب » حديث صحيح « مصابيح » ؛ من الجنائز » .

قال الشعراني : في خاتمة « المنن » حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : أن سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يقول : لا يعمل عالم في مقام العلم ؛ حتى يبتلى بأربع : شماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجهال ، وحسد العلماء . فإن صبر على ذلك جعله الله تعالى إماما يقتدى به . « نور الأبصار » .

ونقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه « التحدث بالنعمة » ما صورته : ومما أنعم الله به علي أن قام لي عدو يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون أسوة بالأنبياء والأولياء ، قال رسول الله ﷺ : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون » رواه الحاكم في « مستدركه » . وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : « لا يفقد نبي حرمته إلا في بلده » . « يواقيت » ص١٣ .

وإن النعمة للأولياء في الآخرة ، كما قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، وإن أفضل نعمه تعالى لخواص عباده في الآخرة ، و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ ، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ .

وإن هذا الأمر الواقع إنما هو من محن هذه الفانية الرذيلة ، وإنه رحمة ومسرّة له ولأمثاله ، وفي تحمله رفعةٌ ودرجة عند الله في الآخرة ، وإن أولياء الله تعالى يرون ما يجري في العالم – خيراً كان ؛ أو شراً – بتقدير الله تعالى ، وأنهم راضون على ما أصابهم ؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وأنه رحمه الله تعالى كان يخبر واقعة حبسه قبل شهرين ، وقال لأولاده : أنا راض بما قدر الله تعالى ، فكونوا راضين على ذلك . وإن جميع ما يجري في العالم خيراً كان أو شراً بتقدير الله تعالى ؛ وجرى به ما قضى الله ، وكان يخبر بالمشافهة ويكتب بالقلم كثيراً مما سيقع ، وقد وقع الكل كما قال .

وكان قد أشار لولده بما سيقع من أمور زوجة ولده قبل عشر سنين ، ولم يفهم ذلك إلا بعد الوقوع ، فكم وكم نبَّهَنا لما سيقع ؛ ولم نفهم إلا بعد الوقوع ! !

في أمر الدين والدنيا لا حدَّ لكشوفاته الصحيحة الإلهية ، وفتوحاته العجيبة الربانية ، ووقائعه الإلهامية ، أعلى الله درجته وأفاض علينا من فيوضاته . آمين .

وإنه كان ذا ورع أكيد ، قال : إنه لم يستنج بالحجر الذي أخذه من حائط الغير .

وكان أيضاً أشد ورعاً في نظافة لباسه ، وكان ينهانا عن مسّ

شعرات الفروة التي على الأرض في بيته مع كونها نظيفة ليس فيها أثر الغبار والبلل .

وكان يأمر بملازمة فتوى الورع ؛ لا بفتوى الشرع ؟

وكان ينهانا عن ملاحظة الأغراض والحظوظ في العبادات والأعمال ، مثل التهليل والأذكار والدعوات المعتادة قراءتها ؛ مثل يس وسائر السور خاصة من قراءة القرآن على شفير القبر بالأجرة ، وكان يقول : لا يثاب القارئ إلا برضاء وجهه تعالى ، فارغاً قلبه عن اعتبار الحظوظ النفسانية دنيا وأخرى ، فإذا لم يحصل ثوابه للقارئ ؛ فكيف يثاب للغير حيا وميتا ! ! مع أنه لا يصل للميت إلا مثل ما وصل للقارىء ؟ ! وقال رحمه الله : أنه كان يقرأ القرآن على قبر ؛ فرأى في المنام كأنه تطأ قدماه على القرآن العظيم ويدسه ، ثم انتبه خائفاً وجلاً فازعا ، فتاب بعد ذلك ولم يقرأ بالأجرة ؛ ولو حرفاً واحداً .

وقال : إن واحداً من الأكابر قال : لا فرق بين الصنم المدور وبين الصنم المربع مثل الأصنام ، وكان يقرأ مراراً هذا الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل إلى قلوبكم ونيّاتكم » انتهى .

وقال : كنت أتفكر بما في كتب الأولياء ؛ بأنه لا ثواب بالعبادة لأجل الأغراض الدنيوية والأخروية والحظوظات النفسانية ، وخطر بخاطري : فإذا كان كذلك فكيف سأل النبي ﷺ الجنة بنحو قوله : « اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها . . . إلخ » ؟ ! مع كونه عليه الصلاة والسلام من أكرم وأشرف الخلائق ؟ ! ومع كونه لا يطلب سوى الله تعالى وأبعد من الحظوظات النفسانية ! ! فناداني هاتف هكذا : اللهم إني أسألك الجنة لكونها محلّ رؤية الله ، وأعوذ بك من النار لكونها محل حجاب الله . وبمثل هذا كان يعظ وينبه كل من لقيه في كل الأوقات .

وكان أشدّ حرصاً لهداية الخلق إلى سبيل الحق ، وكان يوصينا دائما بحفظ الحضور خاصة عند الأكل والقِربان ، وفي أوقات السحور والبكور والرواح ، لكونها وقت تقسيم الأرزاق الحسية والمعنوية ، وانصباب الفيوضات الرحمانية ونزول الرحمة الربانية . انتهى .

وقال قدس سره : إنه وصل لدى السيد المرشد مير سيف الله قدس سره ؛ وكنا قاعدين في حجرته الشريفة بالمكالمة والمشاورة ، ثم بعد ذلك ذهب هو وغاب ، فبقيت فريداً وحيداً ، ثم بعد زمان حضر وقال : يا ولدي ؛ قد مضى مني زمان بلا رؤية النبي ﷺ فسألت الله تعالى أن يرينيه عليه الصلاة والسلام لحرمة هذا الضيف ، فأجاب الله تعالى وأرانيه عليه السلام ، وتكلمت معه بما شاء الله ، ولله الحمد والمنة .

وكان رحمه الله تعالى يعتقد فينا هكذا ، ويكثر الثناء علينا ويقول في حقنا أشياء . ولعل ما قاله الحلمي مما قال له الشيخ ؛ إنما قال لما قيل (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه) وإلا لم يكن عادته أن يظهر أمثال هذه الكلمات التي أثنِي عليه ، بل كانت عادته أن يتكلم بتصغير نفسه ويعدها من أسفل الأسافل . فلحكمة قلة اعتقادات المريدين فيه وفي أشياخه ؛ وعدم مبالاتهم في آداب الطريقة وسادات الصوفية كان يتكلم بأمثال ما ذكر خوفاً على وقوعهم في الانحطاط والسطوة والسقوط بشؤم ذلك . انتهى .

وأخبر شيخنا الحالي العالم محمد بن حسين العوري رحمه الله تعالى المتعالي ما لفظه : ففي يوم فلاني كنا مع رفيقي صديق حجيو نذهب زائرين إلى شيخنا ، فحين خرجنا من قريتنا قال رفيقي المذكور : سمعت أنه لا يرى أنوار الألطاف ، فحين وصلنا لديه توجه إليه ، ثم توجه ثانيا إليّ ؛ فقال لي : إن أنوار ألطافك كلها خارجة ، فحين خرجنا من عنده ؛ قال رفيقي : إن قولي قد ضرب علي .

وأخرى : كنت مع الرفيق المذكور نذهب إليه للزيارة ، وكنا أخفينا خبزا في المصلَّى الذي في الطريق إلى جبل قحب على قصد الأكل حين رجعنا من عنده ، فحين تم مقصودنا خرجنا من عنده ووصلنا إلى باب غرفته ، فجاء هو خلفنا وبيده خبزين فقال : خُذا هذين الخبزين ، فلم نأخذ ، فقال ثانيا وثالثاً ورابعاً ؛ فلم نأخذ ، فقال اذهبا سننظر إن لم تحزُنا . فحين وصلنا إلى ذلك المصلَّى ، لم نجد الخبز المخفيّ هنالك ، وتذكرنا ما قاله وحزنَّا حزْناً أكيداً بعدم أخذنا ما أعطاه .

وأخرى : كنت[١] كتبت لضيفي السهلي الغزانشي في قريتنا العوري : اللهم إني أقدّم إليك بين يدي كل نفس . وكنت كتبت حين وصلت إلى كل شيء : « وكل شيء » بضم اللام – فحين وصلت لديه قال لي : فإن كل شيء معطوف إلى كل نفس ؛ فانتبهت حينئذ إلى ما كتبته وعلمت غلطه .

وأخرى : وأنه قدس سره كان يذهب إلى قلعة « أنجه » باستطلاب الحكومة وبدعوتهم ، وكان معه أولاده ، وقريبه هطحم ، وجاؤوا إلى قرية « غزانش العليا » زمن صلاة العصر ، فقال هو لي : نحن لا نسكن هنا في هذه الليلة ، نحن نذهب إلى « شوره » . فقلت له : سيروا ، فأنت تعلم المصلحة فيها . وذهبت معهم إلى أن نصل إلى زيارة الشيخ سيف الله قدس سره ؛ فقال هو : ارجع أنت . فرجعت ، ففي صبيحة تلك الليلة ذهبت خلفهم إلى « شوره » ، فحين وصلت إلى باب بيت ضيفه فتحت الباب فرآني فقال وقتئذ : ذهب القبض الذي كان عليّ في هذه الليلة البارحة ، فلا بأس لنا في هذه الدعوة ، ففرحت فرحاً شديدا ؛ وقلت : الحمد لله . فوقع كما قال .

وأخرى : كنت راجعاً من قرية « غزانش » إلى قريتنا ؛ وكنت

---

(١) الذي يخبر هذه القصة محمد العوري قدس سره .

هناك مؤذنا لهم ، فحين كنت في البيت سمعت أنهم أي أهالي قريتهم أقاموا مقامي رجلاً للأذان ، فذهبت إليها بعد مضي زمن كثير لأخذ كتبي فوجدت مكاني رجلاً آخر ، ورجعت منها مع الأمتعة ، ثم بعد زمان وصلت لدى الشيخ فقال لي : ألا يكون لك خيراً أن تذهب إلى خدمتك ! ! فقلت : لا أعلم ، ولكن لا أريد ولا زوجتي ذلك . وقال في المرة الثانية ما قاله قبلُ ، وفي الثالثة قال هو مثل الغضبان : هَنْجِكِّ إِنَ هِجُخَ مُنْ فقلت : أيها الأستاذ كنت لا أحب ذلك ؛ ولكن أظن الآن إن لم أذهب يحرمني ويفوت مني فائدة كبيرة ، أو يوقعني إلى ضرر كبير ؛ أذهب الآن إن شاء الله تعالى . فقال هو : فإن أخانا حبيب الله حاج لا يتكلم بكلام لا ينفع ، فذهبت إليها ووجدت مكاني خاليا بلا مؤذن ، ودخلت في تلك الخدمة الحسنة ؛ ففي تلك السنة انتشر القحط والجوع والعري على جميع الأقطار والقرى ، فإني مع أهلي لم يمسّ علينا أثر الجوع ، واكتفينا بما حصل من تلك الخدمة بحيث نقدر الإعانة للأقرباء والأمناء . الحمد لله على كل حال ، فلو لم أذهب إلى هنالك في تلك السنة لوقعت إلى ضرر كبير بحيث لا أقدر دفعه . وأخرى : وقد كنت في زمان قديم سلّمت إليه كتاب « الأنوار القدسية في طريق الشاذلية » فبعد زمان طويل سلم هو ذلك الكتاب إلي قائلا : ستحتاج إليه . قد تم ما أخبره رحمه الله تعالى[1] .

ذكاؤه وفراسته ومن ذكاء فراسته وخلاصة كشفه : أن مريدين صادقين حضرا لديه معاً للزيارة ، فتحسن خلقه معهما ، وثنى لهما بثناء حسن ، وقال لهما : فعليكما الملازمة والاجتهاد لإتمام الأوراد والوظائف في هذه الأيام ، فإني إن شاء الله تعالى أحضركما لديّ بعد مضي عشرين يوما وأدخلكما في الخلوة عندنا مدة أربعين يوما ، فودّعا له فرحين

(١) أي محمد العوري قدس سره .

مسرورين ، وهداهما إلى الطريق ، ونظر قدس سره خلفهما فبكى بكاءً شديداً ، وأنهما رحمهما الله تعالى بلغا إلى الوطن واجتهدا لذكر الله تعالى وإتمام ما ألزمهما الشيخ ، وماتا قبل مضي تلكم الأيام العديدة المذكورة غفر الله لهما ، فيا عجبا من فَطانة فراسته وخلاصة كشفه ؛ حيث حثّهما إلى اجتهاد الخدمة الإلهية الواجبة ، وأنه قدس سره أحسن بالهما بكلام يليق على الحال والمآل ، ويسرّ به البال وينفى البلبال .

وأخبر أن أحدهما الحاج قر محمد الخلقري والآخر رجل كّراطي . وكانا رحمهما الله تعالى ذاكرين لله تعالى بحيث لا يشغلهما الخلق عن الحق والحق عن الخلق ، كائنين بائنين جزاهما الله تعالى أحسن الجزاء .

ومنها أيضاً أن واحداً من طلبة العلم وصل لديه طالباً منه أن يطلب من قاضي قريتهم القحية تسليكه بين طلبة المدرسة ، وأنه قدس سره أمره بذهابه إلى « هؤر » لدى العالم القاضي إبراهيم ، وكتب كتاباً يطلب قبوله وتدريجه بين الطلبة ، فذهب هو لديه وقبله قبولاً حسناً ، ودرّس له وأدّبه وبقي عنده سنين عديدة ، وحصل له منه من العلوم ما يكفيه ، وأنه رباه في بيته بعد تغليق المساجد ومنع التدريس مثل ولده بقراءة الدرس ؛ سراً وخُفْية عن الناس وعن وُلاة الزمان .

هذا ؛ وأخبر من خواص مريديه أنه قدس سره قال : فحين كنت في الجبل – أي : في الريف – أربّي المريدين كنت أعلم أعداد أنفاس المريدين ، ففي الحال لا أعلم ذلك ! !

وقال أيضاً : كنت في السلوك وخرجت إلى الحدث في السطح ، وكنت أتوضأ ، فإذا جماعة من النساء اجتمعت حولي وبأيديهن مائدة من الهريسة – أي من هريسة البرِّ – وعجبت عليهن وعلمت كونهن من الجن ، وناديت إلى محمود أفندي فلم يؤثرهن ولم يفارقن من حولي ،

وناديت إلى الحاج جبرائيل أفندي فلم يؤثر ، ثم ناديت إلى الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي فهربن وانقطع أثرهنّ .

وأخبر ولده : إني كنت على سوء ظن على الوالد في حق تزوّجه الشابة ابنة الحاج حبيب الله لكون أمي العجوزة على سوء حال ، فيوما من الأيام قال لي والدي : ألا تنظر إلى « تنوير الصدر »[1] فهو كتاب نفيس ولم أنظر إليه ، ونسيتُ كلامه . وقال يوما آخر كما قال ؛ فلم أنظر ، ففي يوم جاء لدي ومعه ذلك الكتاب ووضع قبالتي ، وقال : انظر إلى هذا ، هذا نفيس ، وذهب هو ونظرت موضعاً أشاره رحمه الله عليّ بالنظر ، فوجدت فيه ما حاصله : أن القطب إذا رأى الحور والغلمان في الجنان يقوى شهوته ويحتاج إلى الجماع ، فانتبهت وتبت عن سوء الظن ، وعلمت كونه كذلك .

وأخرى : أخبر العالم عمر الهلوقي أنه قال : إنا خرجنا للزيارة لدى الشيخ فخبئنا الجراب الذي فيه حوائج الدخان فزرنا إليه ، فحين رجعنا قال لي : يا أخي عمر ؛ لا تنس الذي خبئتم من آلة الدخان .

وأيضاً أخبر حاج بن حمزة الهلوقي أنه قصد مع زوجته للزيارة إليه ، وكانت زوجته تسعى لديه وله أول سفر إليه ، وقال لزوجته : أنا لا أثق أحداً إلا إذا أراني ما يوثقني من الكشوفات ، فإذا وصلنا إلى قرية « قحب » نزلنا على ضيفنا ، وأنه قرانا من مشروباتهم النبيذ ومعه للأدم لحم الجنب من شق الضأن بالكلية ، فإذا أصبح خرجنا إليه وجلسنا معه ، فحينئذ قال الأستاذ مشيرا : إن من عادة قريتنا أن يقروا الأضياف بالنبيذ وبلحم الضأن من الجنب كله ، فحين قال الشيخ ذلك القول صار هو مغميا عليه بحيث لا يتحرك من الأعضاء شيء ، فبعد برهة انتبه وفهم ما قاله وتيقن كونه من الكمّل ، وصار واثقاً عليه ، وسلك في

(١) وفي نسخة : « تصديق المعارف » .

تربيته وأخذ منه العهد ودام على ذلك إلى الممات .

وأيضاً أخبر واحد من المريدين من أهل الثقة في مجلس مذاكرة المشائخ وكشوفاتهم : أن واحداً من مريدي الشيخ حسن أفندي الذي هو من قرية « بَقَاهِـچْ » كان من أسبق المريدين وأكثرهم سعيا لديه ، وأنه حين وصل لديه مرة أراد أن يظهر له كشفه ؛ وقال : يا شيخي ؛ إني منذ أعوام دخلت في عهدكم وأتممت ما ألزمتموني حسب طاقتي ؛ ولم أر منك ما يطمئنّ قلبي من المغيبات والكشوفات ! ! هلا يجوز منكم إراءتنا منها ؟ !

وقال له : يا ولدي ؛ لماذا تسأل هذا ؟ أولم تكن واثقا ! ! وقال : لا بل ليطمئن قلبي . وقال قدس سره : ليس لنا من الكشوفات فائدة ما ، بل وظيفة المريد إتيان ما أمر به الشيخ .

وقال : أيها الولد ؛ فإن أردت إراءته فاذهب أنت راجعاً من عندنا فحين وصلتَ إلى قريتكم تلقاك الجنازة المحمولة إلى المقبرة ، وإذا لقيتها فاذهب مع الجماعة وأدخلها مع الداخلين في قبرها ، فانظر إلى القبر حين توضع الجنازة في القبر ، فإذا ترى ما تطلبه . فرجعت من عنده ووصلت إلى القرية ولقيت كما قال قدس سره جنازة واحد من مريديه مع الجماعة ، وذهبت خلفها فإذا تصدى المتصدون لدفنه شاركت معهم ودخلت في القبر ؛ فإذا الشيخ حسن أفندي واقف أمامه .

هذا ؛ فإني قصرت الكلام في ذكر مآثره ، وإن هذه المذكورات في هذه الكراسة نبذة من شمائله ، وقطرة من بحر خصائصه ومآثره ، ولو أطلنا الكلام بذكر مناقبه وآثاره كلها بالتمام لاحتجنا إلى جمع كتاب ضخم ، وتفصيلها يجرّ إلى التطويل .

تم بحمد الله من كتاب « السفر الأسنى

في الرابطة الحسنى »

تنبيه السالكين

إلى

غرور المتشيخين

العلامة الولي الكبير

حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي

المتوفى سنة: ١٣٥٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور ، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطات الغرور ، والصلاة والسلام على محمد مخرج الخلائق من الديجور[١] ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرّهم الحياة الدنيا ولم يغرّهم بالله الغرور ؛ صلاة تتوالى على ممرّ الدهور ، ومكرّ الساعات والشهور .

أما بعد ؛

فيقول الحقير الفقير حسن ابن العالم الحاج محمد القحي الهِدَلِيِّ النقشبنديّ الخالديّ الشاذليّ : لمّا كان أهل هذه الطريقة النقشبندية العلية وقعوا في هذه الديار الداغستانية غربآء بواسطة شيوع البدعة ، فمن ذلك اِختَرَعَ أبعاض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات ، وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البدعات ، وظنُّوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة ، حاشاه وكلاّ ! بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة ، وتضييعها ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطريقة وأكثرهم يجرّون مريدي الأغيار الى جَوَانبهم بالأقوال المموّهات ، والحيل الباطلات ، عياذاً بالله من هذه الغرورات ، بل هم يسعون خصوصاً لجرّ الأغنياء لمجرّد غناهم[٢] أو لتكثير سواد مريديهم ، ليشتهر بهم اسمهم بين الناس ، وكثير منهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل ، وليس في أيديهم صكّ الإجازة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم

---

(١) الظلمة .

(٢) قلّب إلى آخر الباب الثالث لتعلم ما يترتّب على من يصحب الأغنياء (منه رحمه الله) .

سالكين ومأذونين من شيخهم بيقين ، لكنهم تصدّروا للإرشاد بأنفسهم ، واشتهروا على طبقات شتّى ، وَادَّعَوا على أمور ليس لها من لَدُنْهُمْ فتوى ، وتفرّقوا في البلاد ليأخذ كُلٌّ صنف منهم فِرْقَةً من العباد .

فمنهم من يزعم أنّ شيخه هو النبي عليه السلام وأنه أخذ منه بلا واسطة في المنام .

ومنهم من يزعم أن روحانية الكامل أذِن له في المنام .

ومنهم من يقول إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبٌ على كل أحد وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع جائز ولا مانعَ منه ، وإن لم يكن بيده إذن من المشائخ .

ومنهم من يقول : إن تلقين الذكر القلبىّ على قاعدة النقشبنديين للعوام حرام ، ولا يجوّز ذلك إلاّ لمن له نفس مطمئنّة ، ويُلَقِّنُ الذكر اللسانيّ للعوام قائلاً إنه من الشريعة وذا من الطريقة(١) .

ومنهم من يلقّن الذكر اللسانيّ أيضاً ، وإذا أنكر عليه الطائفة النقشبندية يقول إنّ تلقينه هذا لمجرّد حصول الاستعدادِ ، ولا يزعم(٢) على أصل الطريقة وعلى جواز تلقين الذكر القلبيّ .

ومنهم من يزعم بأنّ في يده إذن من السادات القادريّة ، مع أنّ شيخه في زعمه نقشبندىّ يلقّن طريقة نقشبنديّة .

---

(١) ولا أدري قولاً أعجب من هذا أليس الذكر القلبي من أعمال الشريعة فتسمية ذكر القلب طريقة وذكر اللسان شريعة من علامة الجهل المركّب فكيف لا وقد قال الإمام الرباني قدس سره : والذكر الإلهي (والمراد منه ذكر القلب لأنه ليس في هذا الطريق ذكر اللسان كما هو مذكور في مكاتيبه قدس سره . منه) جلّ شأنه الذي هو العمدة في هذا الطريق من المأمورات الشرعية كذا في الدرر في ٨٤ من الجلد الثاني (منه رحمه الله) .
(٢) وفي نسخة : ولا يدّعي .

ومنهم من يُرْسِلُ الأوراد إلى البُعَدَاءِ ويلقّن الأذكار التي ليست في طريقته التي ينتسب إليها .

وسمع واحد منهم خَبَرَ مَوْتِ شيخه فذهب إلى قريته للتعزية ، فتفحّص عن مأذونه فلم يُوجَدْ ، لكن قيل له : إنّا سمعنا أنّ في ناحيتكم من أذن له من طرفه ولم يعيّنوا[١] ، فظنّ هذا المسكين غفر الله له أنّ هذا الذي أذن له شخصُه ونفسه ، ثم شاور مع عالم من علماء ناحيته في حقه[٢] فَمَنَعَه ذلك العالم من ذلك[٣] ، فلم يستمع قوله ، فتصدّر لإرشاد الناس ولقّن من الأذكار ما أراده ، واختاره على خلاف ما كان عليه شيخه النقشبندىّ .

وكان بعض منهم عالما متبحّراً مشهوراً بأنه شيخ نقشبندىّ ، لكن لم يمش على ما مشى عليه شيخه ، وتبدّل الأذكار وغيّر[٤] قواعد الأوراد قائلاً إنه لا يستطيع أن يتوجه إلى كلّ من جاء لديه من المريدين كما هو[٥] شرط في الطريقة النقشبندية ، فلو منعهم رَجَعُوا آئسين ، وإن لقن لهم ذكر اللسان[٦] رَجَعُوا طامعين مسرورين ظانّين أنهم مَقْبُولُونَ وصاروا بذلك مريدين ، فيتركون المعاصي ويلازمون[٧] الأوامر .

---

(١) وفي نسخة : ولم يعَيَّنْ .

(٢) أي في حق تلقين الذكر بنفسه (منه) .

(٣) أي من التصدر للإرشاد .

(٤) وفي نسخة : وتغيّر .

(٥) أي التوجّه (منه) .

(٦) أي على خلاف ما عليه النقشبنديون . فافهم .

(٧) وقد جهل هذا البعض رحمه الله تعالى قول سيد الطائفة خالد البغدادي : (من غيّر أصول طريقتنا فليس منّا) . وقول الامام الرباني : (فإن لتقليد شيخ الطريقة ثمرات ، وفي الخلاف خطرات ، والاّ فلا مجال لاحد أن يغيّر الاصول كما هو معلوم . فتدبّره ! وأخبرني بعض العلماء أن واحداً من العلماء المشهور بالورع والتقوى : قال له إن سبب شيخوخة هذا الشيخ المذكور أن إثنين من محبيه قد ذهبا لدى الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري رحمه الله تعالى فقالا له : أعط الإذن لهذا العالم فقال رضي الله عنه : كيف أعطي الإذن له يا أولادي مع =

وأوصى واحد من المشائخ حين موته لولد شيخه عصاه وعباءه، ثم قيل إنه أذن له للتلقين والإرشاد، وتلك الوصيّة أمارة على ذلك، ولم يكن هذا الولد[1] المذكور وَقْتَئِذٍ داخلاً في الطريقة ولا عارفاً كيفيّة التلقين، فاهتمّ حينئذ واغتمّ، ثمّ اعتزل عن الناس وراضَ نفسه وجوّع بطنَه، وتهيّأ للإرشاد، ثم بعد زمان جاء واحد لديه ليطلب منه الوردَ فتحيّر وتردّد، ولم يدر ما يُلقّنه وجهل ما يفعله، فسأل أخاً له في الدين: أيّ شيء أعلّمه وأي ورد ألاَزِمُهُ؟ فقال: قل له أذكر لا إله الا الله كذا مرّة، واستغفر الله كذا، وصل على النبي عليه السلام كذا. وعوّل هذا المسكين ـ هداه الله تعالى إلى ما يرضاه ـ أمر تلقين التوبة إلى ذلك الأخ المذكور، ولقن لهذا الجائي شيئاً ممّا دله عليه، وذهب هو إلى مكانه مسروراً، وبعد ذلك اِشتهر مُشَيْخَتُه[2] في النواحي، والتجأ اليه الأبعاض من أطراف النواحي، واعتقدوا فيه وظنّوا أن ليس على وجه الأرض شيخ مثلهُ.

وهذه الواقعة أخبرني من كان معه حين إعطاء العصا والعبآء إلى يده، وهو الذي شاوره في حقّ التلقين وعوّل إليه أمر تعليم التوبة. انتهى، ولقّن آخر أوْرَاداً وأسماءً برَأْيِهِ، فقال له وَاحِدٌ: لقِّن الأذكار السلوكيّة على قاعدة النقشبنديّين. فقال لا إذن لي في ذلك ولا رخصة،

= أنه لم يكن لي إذن؟! فانصرفا من عنده وبعد ذلك قال أحدهما للآخر نحن نقول له إنه أعطى الإذن له فقال الآخر: إني لا أقول زوراً ولا أقدر أن أكذب. فقال له: إني أقول كذلك وأما أنت فكن ساكتاً فحين وصلا لديه كذب واحد وسكت آخر فاشتغل ذلك العالم على وظيفة الإرشاد بمجرد هذا القول وزعم أن الشيخ الثغوري لم يأذن لآحد غيره وكتب كذلك بخطه غفر الله لنا وله آمين. والله اعلم (منه رحمه الله).

(١) وأقر غفرالله له في مجمع من العلماء وقال إنه لم يكن داخلاً في الطريقة ولم يكن ذلك الشيخ الذي أذن علّمه شيئاً ما من الأوراد والأذكار لكنه وجد قد أذن له حين موته فتعجّبت بذلك وتعجّب الكائنون في المجلس (منه رحمه الله).

(٢) هكذا في الأصل.

ولا يجوز أن أفعل ما لا رخصة لي ! وهذا أحسنهم قولاً وإن كان في صَنيعِهِ شينا هداه الله إلى الحق . . آمين .

وتصدر آخر بلا إذن من الكُمّل وأظهر من نفسه صورة الكشف والكرامة ليتوجه إليه وجوه الناس بالوقارة ، ويعتقدوا فيه بالخصوصيّة ، مع أنه في الحقيقة لم يشمّ رائحة من الخلوصية ! حتى قال لي بعض من الثقات في هذا الزمان : إن زوجته كانت تخرج من البيت إذا جاء لديه مريد أو غيره فتمنعه من الدخول عليه فجأة قائلة : إنه على ورده فيجب الإمهال إلى فراغه ، ثم تقول له : ما اسمك ؟ ومن أيّ قرية أنت ؟ وهل أنت عالم أو جاهل ؟ ! فلما علمت منه ما هو مقصودها كانت تدخل إلى بيت في جانب حجرته وتخبره مطّلعة من الكوّة كل ما قال لها ذلك الجائي ، وبعد ذلك كان يأذن للدخول ويقول له : مرحباً يا فلان من قرية فلانية ، ويلاقيه بوجه طلق ، فيظنّ أن ذلك علم بكشفه ، لأنه لم يعرف ما فعلت زوجته ! فصار ذلك الرجل يعتقده ويذكره في المحافل والمجامع . وهذا أسوأهم حالا ، وأغرّهم ناساً إنا لله وإنا إليه راجعون ! فما أعظم ما حلّ بهذه الأمة المحمديّة في هذه الديار الداغستانية بانتشار هذه البدعات والاختراعات ! فالعياذ بالله من أمثال هذه التمويهات والتلبيسات ، وهي عين الكذب على الله ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات ، قال تعالى ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا** ﴾ الآية ، وقال ﴿ **وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ** ﴾ الآية وفي تفسير سلمى من هذه الآية قال يوسف بن حسين : أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة مَن ادّعى في الله ما لم يكن له ذلك ، أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها .

وورد : « من غشّنا فليس منا » فبظهور هذه الدعاوى من هؤلاء المتشبهين في هذه النواحي ـ مع أن أكثرهم في العلوم متبحِّرون ، وفي

العبادة مجتهدون ، وعلى الرياضة مطيقون ـ امتنع الصلحاء الأبرار من أخذ الطريق الحقّ من السادات النقشبندية الأخيار ، وانقطعوا عن المنافع الحاصلة لمريديهم من طرد الغفلة من قلوبهم ، ودوام الحضور مع مولاهم ، ظانّين[1] أن ما أخذوه من هؤلاء المتشيّخينَ هو عين الطريقة ، وأن من أخذ من شيخ لا يجوز له الأخذ من آخر ، مع أنه لم تحصل لهم النتيجة مما أخذوه منهم ، ولو كانوا يذكرون الله ليلاً ونهاراً ! وإذا كان الحال هكذا أردت أن أؤلف كتاباً يعين لإزالة هذه البدعات والمنكرات ، ببيان نصوص أئمة الطرقات ، ليكون نصيحة لمحدِثي البدَع في دين رب العالمين ، لكي لا يدوموا على منهاج الشيطان الغرّار ، ولا يخرجوا عن طريق الأئمة الأخيار ، ما لم يكونوا على ذلك الوصف في لوح الملك الجبار شعر :

نظمت لؤلؤة بها الهداة لهـــم — بالاقتباس من النصوص والحجج
إن حافظوا ضوأها قعر الصماخ فهم — فـــي رَحْبَة ليس فيها الشوك والعوَجُ
وداوموا نفعها بها العروج لهـم — إلى المقام العلى من جُمَع النَهج
فالفكر فيها لهم رَغـمٌ لأنُوُفهـم — لازمْ على خزنها إن كنت ذا عَلَج

وسمّيته :

(بتنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين)

وقصدت أن أنقل لإبطال أقوال وأفعال ومستندات كلٍّ من أولئك المذكورين ، ولإزالة البدْعات والمنكرات عن أمثالهم المغرورين ، مآخذ صريحة ، وأقوالاً صحيحة ، متفحِّصاً من كتب المعتمدين ، وأقوال المرشدين ، لعل الله تعالى يرفع بها الإنكار عن قلوب المعاصرين ،

---

(١) حال من فاعل امتنع (منه) .

بحيث لا يقع بعدها الإشكال في ظنون الناظرين .

وقد أكثرت فيه[١] النقول والنسخ لردِّ جميع ما ذكر من البدعات ، نُصْحاً للعباد أهل الريبات ، **لأن كثرة القائلين**[٢] **تشعر كون المقول معتمداً** ، وكثرة النسخ[٣] تقوم مقام التواتر ، فعلى الناظر أن ينظر إليه بعين الإنصاف ، متجنّباً عن الاعتساف ، ويَعْتَبِرَ المقول لا القائل ، والمرجوّ من الله تعالى أن يحمله إذَنْ أن يقول إنه زبدة نصوص الأئمة الأخيار ، وحاصل محصول أقوال المجتهدين الأبرار ، جعله الله سبحانه نافعاً للعباد ، وهاديا إلى الحق بلا عناد ، إنه هو الموفّق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

فإن قال قائل : إن مطالعة كتابك هذا تكشف عَوْرات الفقرآء[٤] من أهل العصر ، فهلاّ أسبلت ذيل الستر على إخوانك فإنه لا يدع أحداً يعتقد فى أحد من مشائخ هذا العصر ؟ ! **فنقول** له كما قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : إن جمهور العلمآء والصوفية من السلف قد سبقونا إلى التأليف في مثل ذلك ، وبيَّنوا أخلاق الصالحين من الطالحين ، والصادقين من الكاذبين والمتفعّلين ، ولم يلتفتوا إلى كون ذلك يلزم منه كشف سوأة مَن كان بخلاف الصفة من أخلاق السلف الصالح . قال الله تعالى ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ فهو وإن لزم من بيان صفات الصالحين هَتْكُ أستار الكاذبين ، فلا حرج عليهم

(١) بل وقع فيه التكرار في بعض الأشياء المهمة فلا بأس به لأنه لا يخلو عن فائدة زائدة (منه) .

(٢) راجع « مغني المحتاج على قول المنهاج » وقد التزم مصنّفه أن ينص على ما صححه معظم الأصحاب ، اه ، والأنوار وشرح الروض وقليوبي على شرح التحرير وح زكريا على الجوامع من بحث التواتر وابن حجر على قول المنهاج المذكور (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) راجع « الدرر المنتشرة » للسيوطي وكذا في « الفتاوى الحديثية » في ٦٨ (منه) .

(٤) أي المريدين (منه) .

في ذلك لقصدهم بالأصالة الخير للمسلمين ، **ومعلوم أن الإثم تابع للقصد** نظير ما قاله العلمآء في الجُنُب يقرأ القرآن لا بقصد القرآن أنه لا يأثم ، لأنه لايكون قرآناً إلاّ بالقصد .

ويؤيّد ذلك ما ذهب إليه جمهور علمآء الأصول أنّ لازم المذهب ليس بمذهب ، ولعل العاقلَ المنصف المتدبّر يعلم أن مقصودي من ذكر سوأة مشائخ العصر وإظهار ما ارتكبوا عليه إنما هو رفع همّة الإخوان إلى أرفع مما هم عليه من الحقِّ الذي كان عليه السلف الصالح ، وإحياء الطريقة المندرسة ، لا التشفِّي للنفس منهم ! ولا طلب الرياسة وانتشار الصيت عليهم ، حاشا ذلك وكلا ! فالحمد لله رب العالمين .

ويجوز ذكر سوأة الغير لو ناط به فائدة دينيّة بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة للمسلمين . كذا في « البريقة » في ٢٨٢ من الجلد الثاني .

وقال الشعراني في « الأنوار القدسية في بيان آداب العبوديّة » : واعلم أنه لا بأس[١] بتبيين بعض عيوب أهل الدعاوى[٢] لينزجر مَن يريد أن يتبع طريقهم كغالب تلامذة هذا الزمان ، لغلبة الهلاك فيمن ينسب إلى الطريق ، مع أن أهل الطريق كلهم يلعنونه لتصنّعه . انتهى راجعه في ٣٥ .

وأرجو من الله تعالى أن يحشرني في زمرة المحيين لسنّة نبيه والمحبين له عليه الصلاة والسلام فقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في ٤٩ : إنه ﷺ يحبّ مَن يبلِّغ سنته التي اندرست إلى من

---

(١) ومثله في حاشية عبد الحميد عليٍ ابن حجر فراجعه في ٢١٨ من الجزء التاسع (منه) .
وقلّب إلى ما يأتي في الباب الأوّل نقلاً من هداية البداية في الهامش (منه قدس سره العزيز) .

(٢) وقد قال ابن حجر في كتابه « كف الرعاع » المرة بعد المرة في حق واحد : أنه كذاب خبيث لا يعتمد عليه ولا ينظر إليه . فراجعه من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . (منه) .

يجهلها من أمته ، ومن أحبه ﷺ حشر معه لقوله صلى الله عليه وسلم « يحشر المرء مع من أحبّ » ومن حشر مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يلحقه في مواقف القيامة كُرَبٌ . انتهى . ثم اعلم يا أخي أنه لا يجوز لأحد أن يسكت عن إظهار العلم إذا ظهر له من يخالف أصول الطريقة وأساسها ، ويدُسُّ فيها شيئاً من البدع والاختراع بنبْذ ميزان الشريعة والحقيقة وراَء ظهره ، لأن السكوت عنه مداهنة ! وهي حرام . وقد ورد في الخبر « أن الساكت عن الحقّ شيطان أخرس » .

وورد : « إذا لعن آخرُ هذه الأمة أوَّلهَا فمَن كان عنده علم فليُظْهره ، فإنَّ كاتمَ العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » رواه جابر .

قال الخادمي في « البريقة » : إن المداهنة في الشرع عدم تغيير المنكر مع القدرة عليه رعاية لجانب مرتكبه ، أو لجانب غيره ، أو لقلّة المبالاة بالدين انتهى .

وفي « المتممات » ما حاصله : أن العمل على طريقة البدعة مُبعّدَة عن الجذبة ، ولذا قبّحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية انتهى .

روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيّين ، مَنْ عَلِم علماً فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من النار » . وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ الآية .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إن الله لا يعذِّب العامَّة بعمل الخاصَّة ، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحقّ

القوم جميعاً العقوبة .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « أو قلت يا رسول الله تخسف الأرض وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ! بإدهانهم وسكوتهم عن أهل المعاصي » .

وعنه عليه السلام « إن ناساً من أمتي يحشرون من قبورهم على صورة القردة والخنازير بما داهنوا[1] وآكلوهم وشاربوهم وجالسوهم » انتهى من « البريقة » من الجزء الثاني في ٢١٢ .

قال الإمام الربّاني قدس سره : إنّ ترويج البدعة موجب لتخريب الدين ، وتعظيم المبتدع باعث على هدْم الدين . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٤ من الجزء الثاني .

وفيه في الجزء الأول في ١٦٨ . إنّ فساد صحبة المبتدع أزيد من فساد صحبة الكافر . انتهى .

وروى البيهقيّ في « شعب الإيمان » عن إبراهيم بن ميسرة : مَن وَقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . انتهى .

وأورد ابن حجر في « خاتمة الفتاوى » حديث « مَن أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له في الله ملأ الله قلبه أمْناً وإيماناً ، ومَن انتهر صاحب بدعة أمّنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومَن أهان صاحب بدعة رفعه الله تعالى في الجنة مائة درجة ، ومَن سَلَّم على صاحب بدعة أوْ لَقِيَهُ بالبِشْرِ أو استقبله بما يسره فقد استخفَّ[2] بما أنزل الله على محمد[3] » انتهى .

---

(١) أي أهل المعاصي انتهى .
(٢) أي فلم يعمل بما يجب عليه من الأحكام « شرح عين العلم » ٣٢ .
(٣) وذكر الغزالي هذا الحديث بعينه في « الإحياء » في صفحة ١٢٧ من الجزء الثاني فراجعه (منه) .

وقال فيه : إن البدعة الشرعية ضلالة . انتهى .

وقال ابن حجر في « الصواعق » : قال ﷺ « إذا ظهرت الفتن ـ أو قال البدَعُ ـ وسبَّ أصحابي فَعَليْه لَعْنَةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً » . انتهى .

وقال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » : إن البدعة في العبادة وإن كانت دُونَ الاعتقاد لكنها منكرة وضلالة . انتهى مع تصرُّف ، بل هي فوق سائر المعاصي[1] . انتهى « بريقة » .

وقال الإمام الرباني قدس سره : ولا أرى في فرد واحد من أفراد البدعة حسناً ، ولا أحسُّ فيها شيئاً سوى الظلمة والكدورة .

قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « كل بدعة ضلالة » وأجد السلامة في هذه الغربة وضُعْفِ الإسلام منوطة بإتيان السنة ، والهلاك مربوطاً بتحصيل البدعة أية بدعة كانت ، وأرى البدعة كمُعوّل[2] يهدّ به[3] مباني الإسلام ، وأجد السُنّة مثل كوكب مشرق يهتدي به في ديجور الضلالة ، انتهى من « الدرر المكنونات » ٣٤ .

وإذا كان الأمر هكذا وجب علينا أن نتوجه بجميع الهمة وتمام النهمة[4] لترويج هذه الطريقة السنية الصديقية ورفع البدع منها بقدر الطاقة وإقامة مراسم أصولها المندرسة في هذه الأوقات ، رجاء أن ندخل في أثناء دائرة حديث « من أحيا سنة ميتة فله ثواب مائة شهيد » ومن المعلوم أن التقرُّبَ إليه[5] سبحانه إنما يكون بما شرع من الدين

(١) وسيأتي في الباب الأوّل زيادة على هذا إن شاء الله (منه رحمه الله) .
(٢) هكذا في الأصل .
(٣) أي يهدم به (منه رحمه الله) .
(٤) نهم في الشيء الخ ، بلغ همته فيه ، (مص) .
(٥) كذا في النور الساطع (منه) .

بواسطة الرسول عليه السلام ، وإن اللازم على[1] من انتسب إلى وليٍّ من أولياء الله تعالى أن يتشبه في أصول طريقته وفروعه المهمّة ، وأنّ مَن[2] لم تتصل سلسلتُه إلى الحضرة النبويّة فإنه مقطوع الفيض ، ولا يكون وارثاً لرسول الله عليه السلام ، ولا تؤخذ عنه المبايعة والإجازة ، وأن الإسناد[3] من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، وأنّ إسناد[4] الحال كإسناد الأحكام ، فعلى[5] السالك أن يَزِنَ أعمال وأحوال وأقوال وتلقينات شيخه بميزان الشريعة والطريقة ، فإن وافقت بهما فذا ، وإلاّ ! فليفرّ منه فراره من الأسد ، وليطلب مَن يدله على الله متمسّكاً بذلك الميزان . قال الله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية وقال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية ولا حجّة لأحد مع قول رسول الله ﷺ وإن كثروا ، لا في قياس ولا في شيء ، فإنّ الله تعالى لم يَجعَل لأحد معه كلاماً ، وجَعَل قوله يقطع كلّ قول ، وإذا ثبت عنه عليه السلام شيء لم يحلّ لنا تركه . كذا في « لواقح الأنوار » في ١٦٠ راجعه .

فبناء على هذه المذكورات لم يَبْق لأحد وَجْهٌ ليترك الطريقة الصدّيقية المعنعنة السالمة الباقية إلى الآن على أصلها ، من غير زيادة ولا نقصان مَطْروحَةً ورآء ظهره ، ويحدثَ طريقةً جَدِيدَة برأيه واختياره[6] .

قال عليه الصلاتان ما دامت النَيِّران تدُورانِ « مَن استغنى برأيه ضلّ » .

---

(١) كذا في « جامع الأصول » (منه) .
(٢) كذا في خزينة الأسرار (منه) .
(٣) كذا في الفتاوى العمرية (منه) .
(٤) كذا في « الخزينة الأسرار » (منه) .
(٥) كذا في شرح « تائية السلوك » في ٦٠ (منه) .
(٦) فإن الوقوف على حد ما ورد أفضل من الابتداع ولو استحسن على ما في « لواقح الأنوار » في ٨٨ وإن لم يكن في خصوص ما عليه كلامنا فتدبره (منه) .

وروى الإمام مالك بلاغاً أن رسول الله ﷺ قال « تركت فيكم أمرَيْن لن تضلّوا ما تمسَّكتم بهما : كتاب الله وسُنَّة رسوله » .

وروى الترمذيّ مرفوعاً « إِنّي تركْتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا : كتاب الله ، وعِتْرَتي أهل بَيْتي » زاد في رواية « فأنظروا كيف تخلفوني فيهما » .

وفي حديث أبي داود وغيره مرفوعاً « فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفآء الراشدين المهديّين تمسّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإيّاكم ومحدثات الأمور ! فإنّ كلّ مُحْدثٍ بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة » .

وروى البخاري عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها » .

وروى أبو داود مرفوعاً « مَنْ فارق الجماعة شبْراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » .

وقال الإمام الرباني – قدس سره ورزقنا نصيباً من فيوضاته وحَظّا من معارفه آمين – : إن إحداث[1] شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقلّ من إحداث بدعة في الدين ، وبركات الطريقة إنما تفاض وتعود على أهلها ما لم يحدث فيها مُحْدَثٌ ، فإذا حدث[2] فيه مُحْدَثٌ ينسدّ

(١) قال الشافعي رضي الله عنه : ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو البدعة المحمودة وإن البدع السيئة وهي ما خالف شيئاً من ذلك صريحاً أو التزاماً قد تنتهي إلى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى وإلى ما يظن طاعة وقربة فمن الأول الانتماء إلى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك إباحية لا يحرمون حراما لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم الشنيعة القبيحة فهم باسم الكفر أو الفسق أحق منهم باسم التصوف أو الفقر . « إعانة الطالبين » ٢٧٧ من الجزء الأول .

(٢) والزيادة على الطريقة وكذا النقصان لا تنتجان فائدة أصلاً بل يخيب ويخسر من دخل=

طريق الفيوض والبركات ، فحفظ الطريقة من المحدثات[1] من أهمّ المهمات والاجتناب عن مخالفة الطريقة من الضروريات ، فكل موضع رأيت فيه مخالفة الطريقة ينبغي زجره ، ومنعه بالمبالغة والاجتهاد في ترويج الطريقة وتقويتها والسلام . انتهى من « الدرر المكنونات النفيسة » من صحيفة ٢٨١ من الجزء الأول .

وفيه في آخر المكتوب السادس والثمانين والمأتين في صحيفة ٣١٤ : فكل طريق مخالفة النفس أكثر فهو أقرب الطرق ولا شك أن رعاية مخالفة النفس في طريقة النقشبندية أكثر منها في سائر الطرق ، فإنّ هؤلاء الأكابر اختاروا العمل بالعزيمة ، والاجتناب عن الرخصة ، ومن المعلوم أن كلاًّ من اجتناب المحرّم والفضول موجود في العزيمة ومرعي فيها ، بخلاف الرخصة فإن فيها اجتناب المحرّم فقط .

فإن قيل : يمكن أن يكون المختار عند أرباب سائر الطرق أيضاً العزيمة !

قلت : إن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ، وقد يبلغ الأمر فيه حدّ الرخصة بعد تمحُّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة ؟ ! وكذلك ذكر الجهر لا يتصوَّر فيه ما فوق الرخصة ، وقد أحدث مشائخ سائر الطرق أموراً محدثة في طرقهم لبعض نيّات صحيحة ، نهايةُ التصحيح في تلك الأمور الحكمُ بالرخصة ! بخلاف أكابر هذه السلسلة[2] العلية فإنهم لا

= في الطريقة ولم تراع الآداب ويخترع فيها ما ليست منها فافهم وراجع « تحفة الأحباب » تجد المأخذ (منه من خطه قدس سره) .

(١) وفي « الدرر المكنونات » أيضاً في صحيفة ٢٥٣ من الجزء الأول ونور هدايته المذكور يسرى إلى مريديه بلا واسطة أو بواسطة أو بوسائط ما لم تلوّث طريقته المخصوصة بلوث التغييرات والتبديلات ولم تخرب بإلحاق المخترعات والمبتدعات بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ . انتهى فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) أي النقشبندية (منه) .

يجوّزون مقدار شعرة من مخالفة السنة ، فتكون مخالفة النفس في هذا الطريق أتمّ ، فيكون أقربَ الطرق ، فيكون اختيار هذا الطريق للطالب أولى وأنسب ، لأنّ الطريق في نهاية الأقربيّة والمطلب في كمال الرفعة .

وقد ترك جماعة من متأخري خلفائهم أوضاع هؤلاء الأكابر ، وأحدثوا في هذا الطريق بعض الأمور ، واختاروا السماع والرقص والجهر[1] ، ومنشأ ذلك عدم الوصول إلى حقيقة نيّات أكابر هذه الطريقة العليّة ، فخالوا أنهم يكمّلون ويتمّمون هذه الطريقة بهذه المحدثات والمبتدعات ، ولم يَدْرُوا أنهم يَسْعَوْنَ بها في تخريبها ، ويَجْتَهِدُونَ في إضاعتها ، والله يحقُّ الحقَّ وهو يهدى السبيل . انتهى .

وفيه في صحيفة ٢٧٨ قبيل المكتوب السابع والستين والمئتين : واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب . لأن هؤلاء الأكابر قد التزموا متابعة السُنَّةِ السَنيَّة ، واجتناب البدعة الشنيعة ، ولهذا تراهم يفرحون ويستبشرون إذا كان فيهم دولة المتابعة ، وإن لم يكن لهم شيء من الأحوال ! ومتى أحسّوا فتوراً في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغونها ، **ومن هاهنا لم يجوّزوا الرقص والسماع** ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر[2] بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتّب عليه .

كُنْتُ يوما في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا فقال الشيخ كمال الذي هو من مخلصي حضرة شيخنا ـ بسم الله الرحمن الرحيم جَهْراً حين شرع في الأكل ، فلم يُناسب ذلك حضرة شيخنا ، حتى قال بالزجر البليغ : امنعوه ! لا يحضر مجلس طعامنا .

---

(١) أي في الذكر .
(٢) لأنه لم يرد في هذه الطريقة إلا السرّ فافهم وراجع (منه قدس سره) .

وسمعت حضرة شيخنا : يقول : إن الخواجه النقشبند قدس سره جَمَعَ علماء بُخَارَى وجاء بهم إلى خانقاه شيخه الأمير كلال ليمنعوهم من ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه . فقال في جوابهم : لا أفعل . فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر ، فما تقول في السماع والرقص ، والوجد والتواجد ، والأحوال والمواجيد التي تترتّب على أسباب غير مشروعة ؟ ! فهي من قبيل الاستدراجات عند الفقير ، فإن الأحوال والأذواق قد تحصل لأهل الاستدراج أيضاً . انتهى .

وفيه في صحيفة ٣٨٢ في آخر المكتوب الثالث عشر والثلاث مائة : إن النفي[(١)] والإثبات في هذا الطريق بالتخيّل لا دخل فيه للسان والحنك أصلاً . انتهى .

وفيه في تلك الصحيفة : إن كلّ ذكر يستعمل باللسان في هذا الطريق يستعمله المبتدؤن في هذا الطريق بالقلب . انتهى .

وفيه في صحيفة ٨٩ في المكتوب الرابع والخمسين من الجزء الثاني في أثناء بيان درجات المتابعة : وهذا الطريق الآخر ـ بزعم الفقير ـ هو التزام السنّة السنيَّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة ، والاجتناب عن اسم البدعة ورسمها ، **ومن لم يحترز عن البدعة الحسنة احترازه عن البدعة السيئة لا تصل إلى مَشامِ رُوحه رائحة من هذه الدولة** . وهذا المعنى متعسّر في هذا اليوم ، فإن العالم مستغرق اليوم في لُجَّة بحر البدعة ، ومطمئنٌّ بظلماتها لِمَنْ المجال في التكلّم في رفع البدعة وإحياء السنّة ، أكثر[(٢)] علماء هذا الوقت يروّجون البدعة

(١) وفيه أيضاً في موضع آخر أن ذكر الجهر ممنوع في هذا الطريق انتهى راجعه (منه) .
(٢) أي والحال أن أكثر (منه) .

ويمْحُون السنة ، ويفتون بجواز بدعات واسعة ، بل باستحسانها بعلّة تعامل الخلق ، ويدلّون الناسَ عليها ، ليت شعري ماذا يقولون لو شاعت الضلالة وصار الباطل متعارفا ؟ تكون تعاملا ! أما يعلمون أن كلّ التعامل ليس هو دليل الاستحسان ، **والتعامل المعتبر إنما هو ما جاء من الصدر الأوّل وحصل بإجماع جميع الناس**[1] ، كما ذكر في « الفتاوى الغياثية » .

قال شيخ الإسلام الشهيد رحمه الله سبحانه : لا نأخذ باستحسان مشائخ بلخ ، وانما نأخذ بقول أصحابنا المتقدمين رحمهم الله سبحانه ، لأن التعامل[2] في بلدة لا يدل على الجواز ، وإنما يدل على الجواز ما يكون على الاستمرار من الصدر الأول ، ليكون دليلاً على تقرير النبي عليه الصلاة والسلام إيّاهم على ذلك ، فيكون شرعاً له عليه الصلاة والسلام ، وأما إذا لم يكن كذلك ! لا يكون فعلهم حجة إلا إذا كان ذلك من الناس كافة في البلدان كلها ليكون إجماعا ، والإجماع حجة . ألا ترى أنهم لو تعاملوا على بيع الخمر وعلى الربا لا يفتى بالحلّ ؟ ! ولا شكَّ أن العلم بتعامل كافة الأنام والوقوف على عمل جميع القرى والبلدان خارج عن حيطة قوّة البشر ، بقي تعامل الصدر[3] الاول الذي

---

(١) وفي « الرحمة الهابطة » ما قاله الفضيل رحمه الله تعالى بهذه العبارة : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإيّاك وطرق الضلال ولا تغترّ بكثرة الهالكين ، نقله عن الفضيل (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي « شيخ زاده » والباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعليه وكونه دائما قديما ألا ترى أنّ الرسوم العادية المخالفة للشرع قد مضى عليها دهور وأزمان مديدة وتبدل بأخذها وتمسكها قرنٌ بعد قرن فليس ذلك مما يستدلّ عليه بأن ما جرى طول الدهر بين الناس جرى بحق ، فإن ذلك فيما ليس مخالفاً للشرع (منه) .

(٣) وراجع شرح « شرعة الإسلام » من صحيفة ٩ ففيه ما حاصله إن كل ما كان على خلاف مناهج وطريقة مَن عاصر النبي عليه السلام ثم الذين بعدهم من التابعين والأئمة المجتهدين فهو بدعة وضلالة . انتهى (منه) .

هو في الحقيقة تقريره ﷺ وراجع إلى سنّته فَأَيْنَ البدعة وأين حسنها ؟ !

وكانت صحبة خير البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ كافية في حصول جميع الكمالات للأصحاب الكرام عليهم الرضوان ، وكل مَنْ تشرَّف من علماء السلف بدولة الرسوخ بدون اختيار طريق الصوفية وبلا قطع مسافة بالسلوك والجذبة كان ذلك بواسطة التزام متابعة السُنّة السنية ـ على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ـ والاجتنابِ عن بدعة غير مرضية . اللهم ثبّتنا على متابعة السنة ، وجنّبنا عن ارتكاب البدعة بحرمة صاحب السنة عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، انتهى .

وفيه أيضاً في صحيفة ٩٥ من الجزء الثاني في المكتوب الخامس والخمسين : **إن المعتبر في إثبات الأحكام الشرعية** هو الكتاب والسنة ، وقياس المجتهدين وإجماع الأمة أيضاً مُثْبِتَانِ للأحكام ، وبعد هذه الأدلة الأربعة الشرعية لا يكون شيء من الدليل مثبتاً للأحكام أصلا ، لا يكون الإلهام مثبتاً للحلّ والحرمة ، ولا كشف(١) أرباب الباطن للفرض والسنة .

وأرباب الولاية الخاصة مساوية لعامة المؤمنين في تقليد المجتهدين ، لا يوجبهم الكشوف والإلهامات مزيّة على غيرهم في ذلك ، ولا يخرجهم عن ربقة التقليد فيما هنالك ، وذوالنون والبسطامي والجنيد والشبلي مساوُون لزيدٍ وعمرٍو وبكر وخالد الذين هم من عوام المؤمنين في تقليد المجتهدين في الأحكام الاجتهادية ، نعم ! إن مزيّة هؤلاء الأكابر في أمورٍ أخرى . انتهى .

فعلم من هذه المذكورات التي قرّرها الإمام الرباني والغوث

---

(١) وقال الإمام الرباني رحمه الله تعالى : وعلامة صحة الكشف والإلهام مطابقتهما بعلوم علماء أهل السنة والجماعة فإن وقعت المخالفة ولو مقدار شعرة فخارج من دائرة الصواب ، انتهى كذا في الدرر المكنونات في ١١٦ من الجزء الأول (منه) .

الصمداني مجدّد الألف الثاني ـ قدس سره ـ في مكاتيبه عدمُ جواز إحداث بدعة مّا في الطريقة ، كما لا يجوز في الدين ، وعدم جواز اتخاذ تعامل الخلق في البدع ولو كان على طول زمانٍ دليلاً ، وإنّما التعامل المعتبر ما جاء من الصدر الأوّل وحصل بإجماع ، وكذا المعتبر في إثبات الأحكام إنما هو الكتاب والسنة والقياس والإجماع وليس بعدها شيء مّا يثبت الأحكام أصلاً لا الكشف ولا الإلهام . فرُدّ بها قولُ من يقول من[1] متشيّخي ديارنا « إن مشائخه غيّروا اصطلاح النقشبندية » ولذا أثبت الأذكار الجهريّة فيها والصياحات .

وقد قال الشيخ العارف بالله سيف الله الحسيني النقشبندي قدس سره من الالتفات إلى ما سواه تعالى : إنّ واحداً منهم قال في محضره : إن السفهاء لعنهم الله يقولون إن الذكر في الطريقة النقشبندية سرّيّ وذلك منهم كذب ! بل الذكر فيها جهريّ . انتهى من خطه . فانظر إلى قوله بلعنه على الناس بهذا الكلام المفترى ! ! ولا يخفى أن قائل هذا الكلام هو المعرض عن هذه الطريقة على التحقيق ، فينبغي أن يعلم أنّ المعرض عنها على خطر من الدين ، لقول إمام الطائفة وسيد الصوفية الشاه النقشبند قدس سره : **المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه .**

وقد حدثتْ أمثال هذه الأقوال في ديارنا الداغستانية من الذين يزعمون أنهم مأذونون من طرف الشيخ عبد الرحمن الثغوري قدس سره ورزقنا فيضه وبركته ، مع أنهم على التحقيق ليسوا بمأذونين منه قدس سره ، بل هم انتحلوا وتصدّروا بأنفسهم ، وافتروا عليه وغيّروا طريقة

---

(١) وقد قال لي أخونا المرشد المأذون الحاج حبيب الله قدس سره إن هذا القائل أنكر ذكر القلب وأبعد كونه ولا شيء أعجب من شيخ لا يعرف ذكر القلب فأفٍّ له ثم أفٍّ والعياذ بالله من الدعوى (منه) .

إذا قيل له : لم تستعملون الأذكار الجهرية في هذه الطريقة النقشبندية مع أنه ليس فيها إلاّ الأذكار القلبية واللطائفية (منه) .

مشائخه القائمين على جادة الاستقامة فيها .

ومعلوم انّ الشاه النقشبند بهاء الدين البخاري الأويسي قدس سره ومن بعده من أكابر هذه الطريقة إلى يومنا هذا أعْرَفُ بالله وبالطريق من هؤلاء بيقين ، فما بالهم لا يمتثلونهم ! بل يغيّرون أصولهم وأوضاعهم ! ! فوالله إنهم حقيق على الطرد والإبعاد ! فكيف يَعدّون أنفسهم من جملة مشائخ الطريقة السنيّة ؟ !

وقد قال الغوث الأعظم خالد البغداديّ قدس سره : من غيّر أصول طريقتنا فليس منا .

وقال الإمام الربّاني : إنّ إنكار هذه الطائفة سمّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمّ الأفْعَى يؤدّي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السرمديّ(١) انتهى . من « الدرر المكنونات » من صحيفة ٣٨٢ من الجزء الاوّل .

وحيث أن أهل هذه السلسلة العلية عَزِيزُوا الوُجُودِ في هذه الديار ، بل صارت تلك الطريقة النقشبندية السالمة من الكدورات الباقية على أصلها بلا زيادة ولا نقصانٍ كأنها لم تكن في أكثر بلاد هذا الداغستان(٢) ، وذا لتطاول الأزمنة من فُقْدَانِ منْ يُشَيِّدُهَا ، ينبغي

---

(١) وقال أبو عثمان المغربي قدس سره : لعن الله من أنكر هذا الطريق ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل لعنه الله ، وقال أيضاً : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . كذا في « تقريب الأصول » في ٨١ ، راجعه (منه) .

(٢)
وهــذا القول منه حق صادق   وبــالقـبول فـي المقام لائق
وحــكمــه لحــالنا مطابق   وما لنا سوى تقصير عــائـق

فيا أيها الإخوان الكرام * والخلان العظام * والعلماء الفخام * عليكم بقبول هذه الوصية * وبذل النصيحة * والتزام المجاهدة * وترك المداهنة * وإزالة البدع عن الطريقة المحمدية * وحفظها عن المحدثات الردية * لأن إظهار الحق * وهداية الخلق * فرض لازم على كل قادر * وحتم واجب على كل ماهر * لا سيما في حق هؤلاء الملتزمين المقتدين بعزائم الشريعة * والمتعلقين بأذيال مشائخ الطريقة * الذين هم خيار هذه الأمة المحمدية * وأفضل=

لمريدي هذه السلسلة ومحبّيهم إِمْدَادُ(١) هؤلاء الأكابر وطلبة هذا الطريق وإعانتهم ، فإن الإنسان مدنيّ بالطبع ، مجبول على التمدُّن ، محتاج في تعيّشه إلى بني نوعه . قال الله تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فإذا كان في كفاية خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات دخلٌ للمؤمنين فما المضايقة على الآخرين . جعلنا الله سبحانه من الممدّين والمعينين لإحيآء هذه الطريقة العليّة ، وخلّصنا والمنكرين من ورطة الدعوى والشكوى ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ولقد أخبرني بعض العلماء العارفين أنه لقي واحداً يتشيّخ باسم الطريقة النقشبندية بدعوى باطل ، فقال : إن ذكر القلب لم يحصل لي مع أني في الرياضات والمجاهدات من منذ سبع سنين في حجرتي ! فكيف يحصل ذلك لأحد غيري ؟ ! انتهى .

وقال بعضٌ آخر من العلماء : إنه قال إن شيخه قال : إن الشيخ

=صلحاء هذه العصور المتأخرة * لأن في وقوعهم في قيود قطاع الطريق * واصطيادهم في شبكة سراق هذا الفريق * وحرمانهم عن مقامات أهل الطريقة * وانحطاطهم عن كمالات أهل الحقيقة * فتنة عظيمة * ومضرة عميمة * فيلزم على كل أحد إزالة شبهتها * وإبانة صفوتها * ويتأكد الاهتمام لشأنهم * والاعتناء لأمرهم * في مثل هذا الوقت الذي كثر فيه المتشيخون * وقلّ من ينبههم على حالهم وهم يعلمون * وبهم مال عن الحق كثير من الورى * وذلك مما عمّت به البلوى * وبث به الشكوى * وأنا أسئل الله تعالى الإعانة على البر والتقوى * هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى * ولا حول ولا قوة إلا بالله * هذا والسلام * وأوصيكم بالدعاء * انتهى « رحمه الله » .

(١) قال صاحب « اتحاف السادات المتقين » بشرح « أسرار إحياء علوم الدين » في أثناء ما نقله من كتاب الذريعة أن العالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين فالجهاد جهادان جهاد باللسان وجهاد بالبنان انتهى فراجعه في ٣١٩ ج ١ . وقال الإمام الرباني قدس سره : إن الجهاد القولي أفضل من جهاد القتل كذا في الدرر في ٧٧ من ج ١ . وقال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ أن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف ، راجعه من سورة الفرقان (منه) .

الحاج عبد الرحمن العسلي ـ قدس سره ـ لم يصل إلى درجة نفوذ الذكر في قلبه ، فكيف يصل إلى درجة الإرشاد ؟ ! انتهى .

فأقول : لو قام هذا الرجل غفر الله ذنبه قبالة الشيخ المذكور العسلي ـ قدس سره ـ ليتوجه إليه مرّة واحدة وترك الرياضة الشاقة في تلك السنين العديدة لعلم حياة قلبه ، بل يرتعش بالذكر ارتعاشاً عجيباً ، فإنه ـ قدس سره ـ توجه إلى هذا الفقير[٢] مع عدم الاستعداد في أول يوم وصل لديه بتوجه واحدٍ فصار القلب حياً يتحرّك بحركات لا يثق بها غير من ذاقه ورآه .

وله قدس سره مريدون كثيرون وصلوا إلى مرتبة الولاية الذين ربّاهم من الابتداء بتلقين الذكر على جميع اللطائف ، الأمريّة والنفي والإثبات ، والمراقبات .

وقد كان هو أتمّ الطريقة النقشتندية بالسلوك إلى أن يصل إلى الانتهاء ، ولا أدري شيئاً أعْجَبَ من نسبة هذا القائل إليه قدس سره عدمَ نفوذ الذكر في قلبه ! مع كونه قطب الإرشاد على التحقيق في هذا الإقليم ! ومن تصدّره هو للإرشاد والتلقين مع اعترافه أنه لم يصل إلى مرتبة[٣] ذكر القلب ولا يدري ما هي ؟ ! فهذان القولان من هذا البعض هداه الله إلى سواء الصراط ناشئان من عدم إدراك حقيقة معاملة أكابر السادات النقشبندية ، بل هما منبئان من عدم خروجه من دائرة الجهل المركب إلى حيطان العلم المفصَّل .

---

(٢) يعني مؤلف هذا الكتاب .

(٣) مع أن أول قدم يضعونه في الذكر القلبُ كما هو مذكور في كتبهم راجع الحديقة في ٩ ، ولو كان شيخ هذا القائل شيخاً لحصل له حياة قلبه . وعدم حياة قلبه ، دليل على عدم كون قلب شيخه حيّاً . لأنهم قالوا : إنما يحيي القلب بقلب حيّ وطريقتهم انعكاسية وانصباغية وانصبابية من قلب إلى قلب لا تحصل نسبتهم بلقلقة اللسان كما هو متعارف لدى كل من له ذوق ووجدان (منه رحم الله إفلاسه) .

فها أنا أفصّل لك كيفيّة معاملة النقشبندية .

مبحث مهم في طريق النقشبندية

قال الإمام الرباني قدس سره : إن هذا الطريق الذي نحن في صدد[1] قطعه كله سبع أقدام بعدد اللطائف السبع الإنسانية ، قدمان منها في عالم الخلق يتعلّقان بالقالب ـ أعني البدن العنصري والنفس ـ ، وخمسة منها في عالم الأمر مربوطة بالقلب والروح والسرّ والخفيّ والأخفى ، وفي كل قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب ، نورانية كانت تلك الحجب أو ظلمانية ! « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة » ففي القدم الأولى التي توضع في عالم الأمر يظهر التجلّي الأفعالي ، وفي الثانية التجلّي الصفاتي ، ويقع الشروع في التجليات الذاتية في الثالثة ، ثم ، وثم على تفاوت درجاتها كما لا يخفى على أربابها ، وفي كل خطوة من الخطوات السبع يبعد السالك عن نفسه ويقرب من ربِّه سبحانه ، حتى يتمّ القرب بتمام هذه الأقدام ، فحينئذ يتشرَّف بالفناء والبقاء ، **ويبلغ**[2] **درجة الولاية الخاصة.**

واختار مشائخ النقشبندية العلية قدس الله أسرارهم السنية ابتداء هذا السير من عالم الأمر ، وهم يقطعون مسافة عالم الخلق أيضاً في ضمن هذا السير ، بخلاف مشائخ سلاسل أخر قدس الله أسرارهم ، ولهذا كان طريق النقشبندية أقرب الطرق ، فلا جرم صارت نهاية غيرهم

---

(١) وفي نسخة : في صدده .

(٢) ورأيت في « المناقب الأحمدية » أن الوصول إلى مقام الولاية وحصول المقامات العشرة التي هي التوبة والإنابة والزهد والقناعة والورع والصبر والشكر والتوكل والتسليم والرضاء في الطريقة النقشبندية بالإجمال فإن نسبتها إجمالية جذبية وفي السلاسل الأخر بالتفصيل فإن نسبة أهاليها تفصيلية سلوكية فراجعه من ص ١٠٥ (منه أعلى الله درجته ورزقنا نصيباً من فيوضاته) .

مندرجة في بدايتهم ، « يدل على حسن الزمان ربيعه » .

وطريق هؤلاء الأكابر هو بعينه طريق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، فإنّ ما حصل للأصحاب في أوّل صحبة خير البشر ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ بطريق اندراج النهاية في البداية قلّما يحصل لكُمّل الأولياء في النهاية ، **ولهذا كان الوحشيّ قاتل حمزة رضي الله عنه أفضل من أويس القرني** الذي هو خير التابعين لنيله صحبة النبيﷺ مرة واحدة .

سئل عبد الله بن المبارك : أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله للغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا مرة .

فينبغي أن يتأمّل في أنه إذا كان بداية جماعة بحيث اندرجت فيها نهاية غيرهم ماذا تكون نهايتهم ؟ وكيف يسعها إدراك الآخرين ؟ ! ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ . انتهى من « الدرر المكنونات » من صحيفة ٧٠ من الجزء الأول في المكتوب الثامن والخمسين .

وفيه أيضاً في ٣٠٤ في المكتوب الحادي والثمانون والمائتان : إنّ الخطوة الواحدة في هذه الطريقة أفضل من سبع خطوات في طرق آخر . انتهى . وفي « الحديقة النديّة » في ١١ من هامش « أصفى الموارد » إن التزكية – يعني تزكية النفس – باستعمال الخدمات والرياضات[1] الشاقات التي تنكسر بها النفس مقدّمة[2] على التصفية – يعني تصفية

---

(١) والرياضات والمجاهدات في هذا الطريق إنما هي بإتيان الأحكام الشرعية والتزام متابعة السنة السنية ورفع أهواء النفس الأمارة مربوط بإتيان الأحكام الشرعية واجتناب البدعة الغير المرضية كذا في « الدرر » في ٩٩ من الجلد الأول (منه رحمه الله) .

(٢) وفي « الحدائق الوردية » في ١٨٤ ما ينبغي مراجعته لمن أراد أن يدرك حقيقة هذا الكلام (منه) .

القلب مما سوى الله – عند أكثر المشائخ ، بخلاف النقشبندية ! فإن طريقهم على العكس[1] قالوا بعدما يتوجه الإنسان إلى التصفية ، والتوجُّه الحقِّ بالصدق يحصل له من التزكية بإمداد جذبة من جذبات الرحمن في ساعة ما لا يحصل لغيره من الرياضات والسياسات في سنين ، بناء على تقديم الجذبة عندهم على السلوك ، **فإن سلوكهم مستدير لا مستطيل** ، وإنّ أوّل قدمهم في الحيرة والفنآء .

كما قال بهآء الدين النقشبند – قدس سره – : **بدايتنا نهاية الطرق الأخر** .

وقال أيضاً : معرفة الحق حرام على بهآء الدين لو لم تكن بدايتُه نهايةَ أبي يزيد البسطامي .

وفيه أيضاً : إن صحبة الحق تعالى بالقلب إذا تحقق لا تنافي خلوتك ولا جلوتك ، بل تكون مع الناس في الظاهر ، وقلبك مع مولاك بصحبته ظافر ، وهذا هو مبنى الطريقة النقشبندية رضي الله عنهم في ابتدائهم وانتهائهم ، خلوتهم في جلوتهم ، يتم سلوك السالك منهم وهو مع الناس يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه[2] ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ** ﴾ انتهى ١٠ .

---

(١) فإن تزكية النفس إنما هي بعد تصفية القلب في هذا الطريق ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٧٠ من الجلد الأول (منه) .

(٢) وقد ذكر صاحب « الحدائق الوردية » في ترجمة بهاء الدين النقشبندي قدس سره أنه قال له ملك من الملوك وأنكر : هل في طريقكم ذكر الجهر والخلوة والسماع ؟ قال : لا . قال : فماذا طريقكم ؟ قال : هو كما قال سيّدنا الشيخ عبد الخالق الغجْدُوَاني – قدس الله سره العزيز – : الخلوة في الجلوة . قال : ما معناه ؟ قال : هو أن يكون العبد في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق .
وأنشد بالفارسية بيتاً عرَّبه في « المناقب » فقال :
ففي باطن كُنْ صاحباً غير غافل وفي ظاهر خالط كبَعْض الأجانب
قال الملك : أوَيُمْكِنُ هَذَا ؟ قال : نعم فإن الله تعالى يقول ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ . انتهى فراجعه من صحيفة ١٣٦ (منه رحم الله إفلاسه) .

فهذه هذه مَنْ تمسّك بمضمونها فقد تمسّك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومن خالفها وأنكرها فسوف يردى في الهاوية بحيث لا رجاء للخلاص منها ، عياذاً بالله من مخالفة الله ورسوله وأوليائه آمين .

ولأجل وُجدان البدعة في هذه الطريقة النقشبندية في هذه الديار الجبلية - كما بيّنتُ لك أصنافاً من المرتكبين بها - قد صارت كأنها سُنَّة ، وصارت أصولها الموافقةُ بالسُنَّة كأنها بدعة ، لتطاول زمن العمل بالبدع وفُقْدَانِ مَن يظهرها من العلماء ، ولا شكَّ أن هذا زمان قرب القيامة بدليل حديث « لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة » فإذا تُرِكَتْ يقول الناس تركت السنة بسبب إحْدَاثِ أبْعَاض أهالي سلسلة هذه الطريقة النقشبندية من عند أنفسهم بوهميّاتهم الفاسدة مخترعاتٍ ، ظانِّين أنهم على النهج القويم والطريق المستقيم ، بسبب تخيُّلهم[1] الهوى والشيطان أنهم الأئمّة العظام ، وأزِمَّة الإسلام ، مع أنَّ أمْرَهُمْ معكوسٌ لَدَى ذوي العلم والعرفان من الأنام ، وقصور نظرهم في نصوص أئمّة الطرق باستنادهم على واهيات الأوهام وسواقط الأعذار ، ولعدم مَنْ يُنَبِّهُهُمْ على نَقْصِهِمْ ولَوْ وَاحِداً من العلماء الأخيار ، ألجَأني[2] الغيرة الإلهيّة إلى تَأْليف هذا الكتاب ، مع علمي عدمَ أهليّتي لذلك رَجَاء أن يكُونَ عَوْناً لجانب أكابر الطريقة ، وسبباً لإحياء السنة السنية .

وقد قال الإمام الربَّاني في بَعْض مكاتبه : لا بدَّ من مُلاحظة جانب الأكابر فإنها ضروريّة ، فإن تتكلَّمُوا في محدثات المدَّعين ومخترعاتهم فله مساغ . انتهى .

وما تكلَّمت في حق مَنْ ذكرتهم في هذا الكتاب طعناً في ولايتهم ،

---

(١) وفي نسخة : تخييلهم .

(٢) وفي نسخة : ألجأتني .

فكيف وقد قال تعالى : « أوليائي تحت قبابي[١] لا يعرفهم غيري » ؟ ! فأعاذنا الله من ذلك ، بل نعتقد في جميعهم أنهم أولياء أبرار ، وصلحآء أخيار ، ولكن الولاية لا تورث العصمة ، وهي من خصائص النبوَّة لا من خصائص الولاية ! وقد يخطأ الوليُّ والصالح ، فالواجبُ على مَنْ اطّلع على خطأ أخيه المسلم أن ينبِّهه على خطئه ، ويقيمه عن عوجه ، كما هو المرجوّ من كلّ أحد في حَقِّنا .

وإنما مُرَادِي من ذكر أصناف المتشيّخين إعلامُ أهل الله أنهم ليسوا من أهْل التربية والإرشاد ، وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين يُعْتَقَدُونَ ولا يؤخذ عنهم ! ولم أقل في حقهم قولاً ما سبّاً لهم وعِتاباً ، بل إنما ذكرتهم تنبيهاً وتحذيراً[٢] لهم ولمن تبعهم ، ومن هذه الحيثيّة يجوز ذكر أوصاف الناس فلا يَصْدُق عليه تعريف الغيبة ، بل قد يجب[٣] ذلك على كل أحد إذا تطرَّق الخلل في ظاهر الشرع ، فإذا رأينا في واحد شيئاً يخالف ميزان الشريعة[٤] يجوز لنا أن ننكره ونردَّه ، نصرة للشريعة الغرّآء ، فإن كان صاحبَ حال صحيح وردّدناه فما علينا من رده بحكم

---

(١) وفي نسخة : قبائي .

(٢) راجع شرح « سلك العين » من بيت : تحذيراً لا سباً أروم الخ (منه) .

(٣) وقد قال الشعراني في « الأنوار القدسية » : واعلم أنه لا بأس بتبيين عيوب أهل الدعاوى لينزجر من يريد أن يتبع طريقهم انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

* وليس من شرط وليّ الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، ولذا لا يجب على الناس أن يعمل بجميع ما يقول من هو وليّ لله إلا أن يكون نبيّاً ، بل ولا يجوز لوليّ الله أن يعقد على ما يلقى إليه في قلبه إلا أن يكون موافقاً وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ ، فإن وافقه قبل وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه . كذا في « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » للشيخ الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي . فراجعه من صحيفة ٨٢ وفي ٠٣ . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٤) وميزان الطريقة أيضاً (منه) .

الشرع ، كذا في « شرح تائية السلوك[1] » . ويدلّ عليه[2] إنكار موسى على الخضر عليهما السلام فيما فعله خلاف شريعته في الظاهر .

وفي « المنن الكبرى[3] » ما حاصله : يجب الردّ على مَن خالف كلامه صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها . انتهى .

ونقل الشيخ محي الدين العربي في « الفتوحات المكيّة » إجماع المحققين على أن من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة . انتهى (منه) ٢٤٢ ولا أقول[4] قطّ في حق المشائخ الصادقين شيئاً مَّا فيه رائحة ترك أدبهم تعصّباً بشيخي أو تفاخراً به ، بل أنا أُقَبِّلُ التراب من تحت أقدامهم ، ولا أميّز بين أولياء الله ، بَيْدَ أنه لمّا كان لتقديم تفريد الشيخ حَقٌّ على المريد ، بل كان الأمر كله مَبْنياً على اعتقاده فيه ! مَالَ الأمر إلى تصديق مَا يفعله شَيْخِي وتكثير ما يَقُوله ، ولو وَجَدْنا ولو واحداً قام على نهج الاستقامة في تلك الطريقة النقشبندية غيره فَنَحْنُ في إعَانَتِهِ قائمون ، وعلى تصديقه مائلون ، والله يهدي من يشاء ، وهو يتولّى الصالحين . جعلنا الله تعالى وجميع من ذكرناهم من الذين فَنَوْا فَبَقَوْا ، ونظروا فتحقّقوا ، واجتهدوا فغابوا في الوجود ، ونالوا بالشهود . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وبالنظر إلى شطحات أهل هذا العصر واختراعاتهم سنح لي أن أرَتِّب هذا الكتاب على أبواب ، مبيّناً فيها خرافات أهل القصور ، وخزعبلات أهل الفتور ، مع ردّ ما يفعلونه بمجرَّد الرأي والظنون ،

---

(١) وراجع « الفتوحات المكية » في الباب صحيفة ١٨٥ و« الكبريت الأحمر » في صحيفة ٩٠ من هامش « اليواقيت » (منه) .

(٢) أي على جواز الإنكار إذا . . . الخ .

(٣) في ٥٤٢ من الجزء الأول .

(٤) وفي نسخة : ولم أقل .

بسيوف الدلائل والنصوص ، وقد أَوْضَحْتُ فيها كيفية الطريقة النقشبندية ومبناها ، وبسطت فيها كلاما يشعر مطابقتَها على الكتاب والسُنَّة وتلك منتهاها ، وعدمَ كون شيء من أصولها وفروعها يخالف قواعد أهل الإرشاد من الأئمة وما اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا ، وأوقعت في أثنآء الأبواب أموراً غامضة ومهماتٍ نفيسةً لا بدَّ لسالكي طريق الله من التطلّع إليها[1] والتَمَسُّكِ بمضمونها ، فصار جميع الأبواب تسعاً وعشرين :

الباب الأول : في بيان عدم جواز التصدّر للإرشاد لمن ليس له إذن صريح من الشيخ الكامل ، ووجوب الاعتراض على حاله .

الباب الثاني : في بيان عدم جواز كون المجذوب شيخاً مرشداً .

الباب الثالث : في بيان إقامة الناقص على مقام الإرشاد لَوْ أذن له الكامل .

الباب الرابع : في بيان أنّ مقام الأخذ عن النبي عليه السلام مقامٌ عزيزٌ قلّ مَن يقع له في هذا الزمان الفاسد .

الباب الخامس : في بيان كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم جواز القيام بأمر التلقين بقول إنه آمِرٌ بالمعروف .

الباب السادس : في بيان بطلان دعوى من يدّعي أن تلقين أذكار السلوك للعوام حرام للشيخ النقشبندي . وهو بابٌ جامع للمطالب التي أكثر الخلق عنها غافلون .

الباب السابع : في ردّ دعوى مَن يقول لا يجوز للشيخ النقشبندي تلقين الذكر إلا لمريد له نفس مطمئنة ، فهذا الباب وإن كان مَآله داخلاً في الباب السابق ! لكن جعلته باباً على حِدَةٍ نظراً إلى انفراد من يَزْعَمُ

(١) وفي نسخة : عليها .

بخصوص[1] التلقين بمن له نفس مطمئنة .

الباب الثامن : في بيان جواز تلقين الذكر للتبرّك والانتساب لا للسّلوك والتربية ، وهذا وإن كان مفهوماً ممّا ذكر في الباب السادس ! جعلته باباً منفرداً ليتطرّق إليه ردّ من يزعم أن تلقين ذكر التبرّك يجوز لعالم أو صالح أو وليّ وإن كانوا غير مأذونين من المشائخ .

الباب التاسع : في بيان فوائد الانتساب إلى النسبة العلية ولو كان للتبرّك والتشبه .

الباب العاشر : في بيان كيفية تلقين الأذكار على قاعدة القادريين .

الباب الحادي عشر : في بيان جواز انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر حين غاب الشيخ الأول أو مات أو كان حيّاً وحاضراً وفيه من المطالب ما ينبغي أن يقف عليها كل من له اهتمام بالدين .

الباب الثاني عشر : في بيان أن الطريقة النقشبندية سالمة من البدع باقية على أصلها وأنها أقرب الطرق وأسهلها وأفضلها وفيه وَصْلٌ في بيان خصائصها ولطائفها ومحاسنها وفيه أمور نفيسة ، لا بدّ للسالك من الاغتراف ممّا فيها والاكتراع من شراب زُلالها .

الباب الثالث عشر : في بيان أفضليّة الذكر الخفي على الذكر الجهري وأفضلية الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة وفيه من المهمات ما ينحلّ به الإشكال عن قلوب علماء الظاهر فعليهم الاحتظاظ من غنائم ما فيه .

الباب الرابع عشر : في بيان فضيلة لفظة الجلالة وخواصه وبيان الاختلافات في أن الذكر القلبي هل يثاب عليه أم لا ؟ وهو باب طويل

---

(١) أي جوازه .

فيه عِدَّةُ مَنَافِعَ ينبغي التفطّن لها والعِلْمُ بها .

الباب الخامس عشر : في بيان عدم جواز الإرشاد في بلدة مثلاً إلاّ للشيخ السابق فهذا الباب مما غفل عنه أكثر الخلق في هذا العصر فلا بدّ لكلّ ناظر إلى هذا الكتاب أن يطّلع عليه ويوزِنَ أحوال متشيّخة ديارنا بميزان ما فيه .

الباب السادس عشر : في بيان أن أخذ الطريقة والذكر من المتشيّخ الغير المأذون يضرّ للآخذ والمأخوذ منه كليهما .

الباب السابع عشر : في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد وبيان أن شرط الذكر النافع أخذه من أهله .

الباب الثامن عشر : في ذكر المواعيد الواردة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى وفي بيان من يصلح للإرشاد ومن لا .

الباب التاسع عشر : في بيان سبب اعتقاد الناس في المتشيّخ الناقص وعدم اعتقادهم في الشيخ الكامل وفي بيان أنّ الأمور كلها تابعة للاعتقاد لا للمشائخ ! ولو كانوا من أقرب المقربين .

الباب العشرون : في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظنّ الناس أنهم على شيء .

الباب الحادي والعشرون : في بيان قاعدة التلقين وكيفية أخذ الذكر .

الباب الثاني والعشرون : في بيان أن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّا مرشداً وفي بيان أن ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع عياذاً بالله .

الباب الثالث والعشرون : في ردّ دعوى من يقول لا يجوز اتخاذ

الشيخ وأخذ الطريقة منه . ويطعن على المريدين ويستهزئ بهم . وفي هذا الباب أشياء نافعة لا غنى عنها لكل من له اهتمامٌ في الدين .

الباب الرابع والعشرون : في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخه من الذكر .

الباب الخامس والعشرون : في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا ؟ !

الباب السادس والعشرون : في بيان عدم جواز كون الجاهل داعياً إلى الله وبيان بعض أوصاف الشيخ المرشد .

الباب السابع والعشرون : في مسائل متفرقة متعلقة بأحوال المتشيّخة من عدم جواز طلب الحظوظات بشيء من أعمال الآخرة ووجوب كون الدعوة[1] خالصة لوجه الله .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية وفيه من الأمور المهمّة ما لا بدّ للسّالك الحقيقيّ من المراجعة إليها .

الباب التاسع والعشرون : في بيان كون ما يفعله النقشبنديون في طريقتهم من الآداب وغيرها موافقاً بالأدلة من الكتاب والسنّة أو آثار السلف من أهل السنة والجماعة .

فَوَفْقَ ما مرّ في الفهرسة من الترتيب **أقول في التفصيل** ، والله وليّ التوفيق .

---

(١) أي دعوة الخلق إلى الله تعالى (منه قدس سره) .

الباب الأول

في بيان عدم جواز التصدر للإرشاد لمن ليس له إجازة صحيحة وإذن صريح من طرف الشيخ الكامل

وفي بيان وجوب الاعتراض على حاله

قد كتب وَاحِدٌ من العلمآء العارفين ـ رزقه الله التوفيق والاستقامة ونفع الله تعالى به العباد إنه وليّ الهداية ـ حين ظهر له في واحدٍ كونَهُ من أهل الدعوى ما حاصله : إني اجتمعت بهذا الرجلِ وسألته عن أشياء فلم يعلمها بل أجاب بأكاذيب مختلفة يناقض بعضها بعضاً وقال : إنه شيطان الدين وإنه خليفة مُسيلمة الكذّاب وكلّ ما يقوله من قبيل الخرافات والخزعبلات . وقد هَمَمْتُ مرة أن أكتم أمره لولا تذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي مضمونه : « أنه ستظهر أهْوآء وبدع فعلى العالم الذي سكت عن إنكارها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . فأظهرت إنكاره على رؤوس الأشهاد لأخرج عن عهدة السكوت على البدعة والضلالة فالواجب أولاً استتابته فإن أصرّ على ما ادّعاه ولم يتب عن أساطيره المخالفة أكثرُها للشرع فيجب تقديم قتله على الوثنيّ والمجوسيّ ، إِذْ ضرره للدين أعظم من ضررهما . انتهى من خطه اختصاراً .

وكتب أيضاً لرَدِّ قول مَنْ يُصدّقه أنه بَوٌّ[1] لا عقل له وهو والحمار في المعرفة سواء فلا عبرة بقوله ، فلعنة الله على الكاذبين . انتهى .

وقد كان الحقير الفقير ـ مؤلف الكتاب ـ ثقل عليه هذا الكلام أوّلاً من هذا العالم المذكور لكنه وجد كلامه حقاً صادقاً وقبوله واجباً

(١) البوّ ـ جلد ولد الناقة المملو بالتبن وغيره كذا في « سعد الله » .

مطابقاً للنقل لما أن أكثر الفتنة في هذه الديار من جهة أهل الدعوى ومن أقوالهم وهم قطاع طريق الله ، ونوّاب الدجّال أخلى الله البلاد عن أمثالهم . آمين .

وقد نقل ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » (راجعه في ٢٧) عن الغزالي وقال : وقد قال الغزالي رحمه الله تعالى في نحو هؤلاء الفرقة : إن قتل الواحد منهم أفضل من قتل مائة كافر[١] . أي : لأنّ ضررهم بالدين أعظم وأشدّ إذ الكافر تجتنب عنه العامة لعلمهم بقبح حاله ، فلا يقدر على غواية أحد منهم ، وأما هؤلاء فيظهرون للناس بزيّ الفقرآء والصالحين مع انطوائهم على العقائد الفاسدة والبدع القبيحة ، فليس للعامة إلا ظاهرهم الذي بالغوا في تحسينه وأما باطنهم المملوء من تلك القبائح والخبائث ! فلا يحيطون به ولا يطَّلعون عليه[٢] لقصُورهم عن إدراك المخايل الدالّة عليه فيغترون بظواهرهم ويعتقدُونَ بسببها فيهم الخير فيقبلون ما يسمعُونَ منهم من البدع والكفر الخفي ونحوهما ، ويعتقدونه ظانِّين أنه الحقّ فيكون ذلك سبباً لإضلالهم وغوايتهم فلهذه المفسدة العظيمة قال الغزالي ما قال من أنّ قتل الواحد من أمثال هؤلاء أفضل من قتل مائة كافر ، لأن المفاسد والمصالح تتفاوت الأعمال

(١) ونقل ابن حجر مثله في التحفة في كتاب الردة فراجعه (منه) .

(٢) وفي « هداية البداية » أن المبتدع الذي يدعوا إلى البدعة ويزعم أن ما يدعوه حق فهو سبب لغواية الخلق فشرّه متعد ، فالاستحباب اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه . انتهى فراجعه (منه) .

* وقال مصطفى محمد العروس الشافعي في آخر عقائده بعد إيراده كلاما في حق المشائخ الصادقين ، غير أنّي بذلا للنصيحة أحذرك عن متابعة مشائخ هذا الوقت ممّن لا يثمر الاجتماع بهم سوى المقت ، إذ هم قطاع طريق الله على عباده وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشاده حيث لا همّة لهم إلا جمع العرض الفاني ولا سعي لهم إلاّ في تجريد القاصي والداني أزاحهم الله من جميع البلاد وأراح عنهم الدواب والعباد ، فانهم قد سوّلت لهم أنفسهم أشياء وهميّة فانتصبوا بذلك مفسدين للطريقة المحمدية . انتهى . (منه رحمه الله تعالى) .

بتفاوتهما وتتزايد الأجور بحسبهما . انتهى .

فتفكَّر الآن فيما يترتب على أهل الدعوى وقد فشى[1] بسببهم البلوى وعمّت بهم الشكوى وخرّبوا طريقة الإمام النقشبنديِّ بالكلية وقالوا : إنّ العامي لا يطيق حملها ، ولا يجوز أخذها إلاّ لمن له حضور تام ، وإنّ الذكر القلبي حرام إلا لمن له نفس مطمئنة كما صرح به بعضهم لدى الفقير مراراً وكتب إليه بعضهم بعَيْنِهِ فبسبب أقوالهم اجتنب الأكثرون من أخذها وفاتت منهم المنافع الحاصلة للدّاخل فيها من الحضور والجمعيّة وَحَيَاة القلب وطرد الغفلة ، فأيّ فتنة أشدّ من هذا وأيّ ضرر أعظم من طرد الناس عن السلوك في طريق الله ! ! فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال بعض العارفين[2] قدس سره في مكتوباته في الفصل السادس قالوا : المشائخ ـ أي ما يطلق عليه اسم الشيخ ـ ثلاثة ؛ منهم من ليس في يده تصرّف في المريد وتأثير فيه ؛ فهم كالعوام بل هم أضلّ من الأنعام ليس فيهم المشيخة إلاّ اسمه ورسمه كما هو حَال أكثر مشائخ الزمَان .

وقال مولانا خالد السليماني مجدّد المائة السابعَة : ويجب الاعتراض على حَالهم والإنكار عليهم لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذهاب باب أهل الكمال ومنعهم عنه ، ولكونهم سبَبَ حِرْمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصُوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين انتهى . وقال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره : إنهم يحسبُونَ أن الطريقة وضع رسم وتصاوير ، وأنّ المشيخة تصنُّعٌ وتدابر ، بكمال

---

(١) وفي نسخة : ظهر .

(٢) وهو محمود أفندي قدس سره (منه) .

جهلهم عن أسرار المشيخة وحكم الإله ، وقلّة عقلهم بما يُعينهم إلى الصلاح ، وهم قُطَّعُ طَرِيق الأوّاب ، وَمُفرِّقوا جَمْع الأحْبَاب ، بل هم أضرُّ على الإخوان من المنكِر المغتاب ، ووقع شباكهم بعض الحدأة والغراب .

عن ابن عمر رضي الله عنه « إنما أهلك مَنْ قبلكم الفِرَقُ » .

عن عرفجة بن شريح : ستكون هنَّات وهنَّات فمن أراد أن يفرّق أمْرَ هذه الأمّة فاضربوه بالسيف كائناً من كان . وهو شاملٌ مِثْلَ هذه الفِتَنِ والتفريق عصمنا الله بالتوفيق . انتهى من مجموعة الرسائل .

وقال خاتمة المرشدين محمد بن عبد الله الخاني في « البهجة السنية » : قال الرازي رحمه الله تعالى : **ولا يخفى أنّ مَنْ تصدَّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثرُ مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق** ، فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين ؛ فضلاً عن المشائخ العارفين .

قال : وإيّاك أن تَصْحَبَ أحَداً من المدّعين للطريق بلبس الزيّ[1] ،

(١) وقد قال الإمام الرباني أحمد الفاروقي مجدد الألف الثاني قدس سره : إن المرشد من تستفيد منه طريق الوصول إلى جناب قدس الحق جل سلطانه وتجد منه مَدَداً وإعانة في هذا الطريق ومجرّد لبس الكلاء والخرقة وأخذ الشجرة وغيرها مما صار عرفاً ورسماً بين الناس كلها خارجة عن حقيقة المرشدية والمريديّة وداخلة في الرسوم والعادات إلاّ أنّ الخرقة إن حصلت من الشيخ الكامل المكمّل وعاملت بها بالاعتقاد والإخلاص فاحتمال حصول الثمرات والنتائج قويّ في هذه الصورة كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦٢ من الجلد الأول فراجعه ومعنى الكلاء والشجر كتاب رسم فيها اسمآء المشائخ وذلك القول جار بين الفقرآء والمشائخ جريان المثل السائر وذلك أن بعض السالكين يسعى خلف الإجازة كما هو غالب زماننا ثم يجتهد في تحصيل صك الإجازة كيف كان من بعض المتشيّخين ويعطون ذلك حين طلبه منهم ويحسب أنه صار بذلك مرشداً وبعضهم يعطى له لباساً من ثيابه فبعد مدّة يسعى خلف المريدين قائلاً أنه مأذون من شيخ كذا ويخبر أن في يده صك الإجازة وأنه مجاز وفي يده الشجرة بأسماء المشائخ فلأجله يقولون في حق أمثالهم ولا يكون الطريقة بالخرقة والشجرة بل بتهذيب وفي بعض النسخ بالكلاء والشجر كذا ذكره بعض العارفين في بعض مكاتبه قدس الله سره (منه قدس سره) .

أو تَدَعَهم يأخذون عليك العهد ، فإنه آذى من الثعبان ، وذلك أنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ، ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زيّ إنسان . انتهى .

وفي كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » قبيل الفصل الخامس عشر : قلت : والتصدر للشيخوخة بغير إذن شيخ كامل خطر جداً لأنه يكون سبباً لسوء الخاتمة ، وإنْ لم يتب فاعله فلا يموت إلا كافراً .

وفي « جواهر المعاني » : ذكر أهل الكشف أموراً أنّ مَن فعل واحدة منها ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ، وهي دعوى الولاية بالكذب وادعآء المشيخة ، وهي التصدر لإعطآء الورد من غير إذن انتهى ، والله تعالى الموفق بمنه للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب انتهى . راجعه في صحيفة ١١٠ من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأوّل .

وورد إليَّ كتابٌ من طرف أخينا المعنويّ العالم الأوحدي الأمير سيف الله الحسيني النقشبندي القادري الأويسي الغازي الغموقيّ رحمه الله تعالى ؛ ومن جملة ما كان فيه من النصائح هذه العبارات : وأوصيكم أيّها الأخ ، وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت له أهل : أن لا تعاشر مع أكثر مشائخ هذا العصر ومريديهم ، وإيّاك والمجادلة معهم ، ولقد سافرت أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أشرّ ولا أقبح ولا أبعد من جناب الله تعالى من طائفة يَزْعَمُونَ المشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية ، أو في النوم وليس هذا إلاّ افترآء منهم لعن الله جميعهم ،

فالله الله يا أخي أن لا تسكن[1] في قرية فيها واحدٌ منهم لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ وليس لهم همّة واعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية عياذاً بالله منهم . انتهى من خطه . ومثله في « البهجة » .

وورد إليّ رسالة أخرى من طرفه رحمه الله تعالى وفيها هذه العبارات : وإيّاك إيّاك النظر إلى مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذرَ من الجلوس معهم ، فذلك والله هو الفتنة الظاهرة ، وَمُلاقاة الشيطَان أسلم من مُلاقاتهم . انتهى من خطه .

وفي « البهجة » : قال الرازي : ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مُدّعي المُشَيْخَة في هذا العصر إلا بظهور أمارات الصدْق ، بإلهام من الله تعالى ، أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ . انتهى .

فمضمون هذه المذكورات مما يوجب الاعتراضَ على كثير من متشيّخي هذا العصر تصريحاً أو تلويحاً . فليتدبّر المنصف فيها .

وأما التصدّر للإرشاد بغير إذن والسُلُوكُ بغير شيخ ! ! فممّا لا يخفى فساده ، وقد قال أحمد ضيآء الدين قدس سره في « جامع الأصول » : إن السالك مُبْتلى بنفسه ، فإذا عمل وَحْدَهُ ربّما ظفر منه الشيْطَان بخيالات وأوهام ، وعقائد فاسدة ، وأفكار كاسدة[2] ، وكسل ومكر وحيل وزندقة واستدراج وغيرها ، ويوهمه أن ذلك من الأحْوَالِ والأصُول ، وهو لا يدري لاسيّما المبتدىء ، فإنه يشوّش عليه هذه الحالة ، **فلا بدّ من شيخ بشروطه السابقة** لِيَنْجُوَ من هذه الورطة وعقباتِ الطريق وَتوَقُّفِهِ .

---

(١) أي أنشدك الله ، ثم أنشدك الله – أي أسألك بالله « تحفة المريد » أن لا تسكن .
(٢) أصل الكساد الفساد (مص) .

وأمّا التلقين وسنده ! ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ، وكان الانتساب[1] إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة ـ مستندة إلى شيخ صَاحب طريقٍ ، وهو إلى النبيّ عليه السلام ـ وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بَلْ جَعَله الأكثر شرطاً ، وكان الشيخ في الدين مقدّمَ النسب على الأب في الطين كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شرْع الهوى　　بيننا من نسبٍ من أبَوَيْ

وكان السالك لا بدّ له من مرشدٍ حسّيٍّ كالشيخ ، أو معنويّ كالإلهَام ، وحسن التفقه في الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعَدة التوفيق واللطف والعناية ، أو يغنيه الله عن ذلك كله بمنح من فضله ، وَجذبة بها يَصل من غيْر مشقّة ، وجب ذكر الأسانيد في كلّ طرق إلى الرسُول عليه السلام .

واعلم أن من لا يعرف أباه وأجداده في الطريق فهو مَطْرُودٌ وكلامه دعوى غير مقبُولة ، وربّما انتسب إلى غير أبيه فَيَدْخل في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

وقد أجمع السلف كلهم على أنّ من لم يصح له نسب القوم ولا أُذِن[2] في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدّر إلى إرشاد الناس ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسُول عليه السلام

---

(١) وكان إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي للفقير أن ينتسب إلى أحد من مشائخ الفرق كالقادرية والرفاعية والبسطامية والأدهمية والسهروردية وغيرهم إلا إن مشى على قواعدهم فإن لم يمش على قواعدهم فأوّل من يتبرّأ منه شيخه الذي انتسب إليه اهى . كذا في إظهار الحق نقلاً عن الأجوبة المرضية للشعراني فراجعه (منه قدس سره العزيز) .

(٢) صريحاً راجع « المدارج » (منه) .

إلى حضرة الحقّ جَلّ جَلاله ، فمن لم يَدْخل سلسلة القوم فهو غير مَعْدُودٍ منهم . انتهى ٢١ وهكذا في « المدارج » و« تحفة السالكين » .

وقد أشكل وَاحِدٌ[١] من العلمآء رحمه الله تعالى بما في سلسلة الخواجكان بهذه العبارات ، ومن تخلّق بمجْمُوع هذه الأخلاق . الخ . فصحّ له دعوة الخلق إلى الشريعة وهداية السالكين إلى الحقيقة . انتهى وبما في « سلك العين » من بيت :

والإِذن فَتْحٌ ببسط القلـب يفهم ما   يلـقي عليه من أسـرار الـسنيّات

انتهى

فقال ذلك العالم : لو سلك واحد في سلسلة الشيخ النقشبندي وسعى بما أمره الشيخ وفتح عليه من الرحمن الخ . ولم يأذن له الشيخ أو كان الشيخ على قصد إعطاء الإذن له ففاجأه الموت فمات الشيخ قبل[٢] إعطاء الإذن له مع كاغذ الإجَازة ألا يمكن له إرشاد الخلق واتخاذ المريدين وتعليم الأوراد لهم أمْ لا ؟ وإن لم يمكن فما معنى قول[٣] خواجكان ! ! والخ . هذا حاصل ما كتبه مستجيباً منا .

فأردت أن أجيب عنه وأدْخله في هذا الموضع تتميماً للفائدة وتعليماً للحقيقة ، بإذهاب الإشكال في تلك الدقيقة .

فأقول والله أعلم : لا يجوز إرشاد الخلق وتعليم الأوراد وتلقين الأذكار لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ، ولو مشى على جميع مقامات

(١) وهو خلّ أحمدلوْ العراديّ رزقه الله الاستقامة آمين (منه قدس سره من خطه) .
(٢) ولو كان الشيخ مثلاً رأى مريده أهلاً لإعطاء سرّه لكن المريد لم يكن مستعداً لقبوله ولا مطيقاً لحمله ، ففاجأه الموت قبل تمام استعداد ذلك المريد يترك الشيخ سرّه في يد واحد من أهل التصرف ، ليعطيه إلى ذلك بعد ما صار يطيق أن يحمله ويصير كمال المريد على يد هذا الشيخ المتصرف الأخير ، والله أعلم راجع الإبريز (منه قدس سره) .
(٣) أي المذكور انتهى .

الطريق بالتفصيل ، وفتح له فيه بلا ترديد ، وتخلّق بالأخلاق المحمودات بلا تعطيل ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين عارف يَعْرف أسرارَها ، مَأذون من قبل شيخه ، وهكذا إلى أن يتصل إلى النبي عليه السلام ، والسرّ في ذلك ارتباط القلوب بعضها ببَعْض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مرّ آنفاً . فلوْ جَلس واحد للإرشاد[١] بغير إذن شيخه لا يجاوبه[٢] أرواح المشائخ ، **ولا يجذبُونه إلى الله ولا يحفظونه من وساوس الشيطَان، بل يقطعُونَ عنه المدد بالكليّة** ، ولا يفيضون عليه شيئاً من الفيوض ، وَيَطْرُدُونَهُ طرداً بَليغاً ، فكيف يصل الفيض والمدد منه لمن تبعه من مريديه ؟ ! حاشا ذلك وكلاّ ، لأنّ الشيخ واسطة بين الله وبين المريد و« متى طرد الواسطة لم يَبْقَ للمريد سبيل للإتصال بشيء من فيض الموسُوط وإذا ذهب الواسطة ذهب الموسوط » مَثَلٌ مشهُورٌ أي هذا القول .

فحاصل محْصُول كلام أئمة الطرق أن اسم الولاية يطلق على مَنْ تخلّى من الأخلاق المذْمُومَات ، وتحلّى بالمحمودات ، ويطلق في أصْطلاحهم على مَن حصلت له التخليَةُ والتَحْلية إنه فَانٍ وَبَاقٍ ، ولا يَحْصُل الفناء والبقاء إلاّ بالسير الآفاقيّ والسير الأنفسي ، وبحصُولهما يحصل نفس الولاية والكمال والاسترشاد ، ثم إن حصل للسالك بعد ذينك السيْرَيْن سيْرٌ رُجُوعيّ وهو السير عن الله[٣] بالله ، وكذا السير الذي يقال له في اصطلاحهم سيْرٌ في الأشياء بالله ! !

فذا لأجل التكميل والإرشاد ، وَيُقال لمن حَصَل له السيران

---

(١) ولا يخفى أن التصدر للإرشاد بغير إذن ، أمارة حب الرياسة ولا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً إلا إذا ساوى عنده الشهرة والخمول وحبّ الرياسة وإرسال الستور ، ومن جلس على بساط الملوك قبل أوانه عوقب بحرمانه . قول مشهور ، والله اعلم (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) لا يجيبه

(٣) وفي نسخة : على الله .

الأولان : وَاصِلٌ وَاقِفٌ ، ولمن حصل له السيران الأخيران : واصلٌ رَاجِعٌ ، أي راجع إلى دعوة الخلق إلى الله[1] .

وهكذا الفتح اثنان ظلمانيٌّ ونورانيٌ وفي الظلماني يشترك أهل الحق وأهل الباطل ، وأكثره شيطانيّ ، كما وقع ذلك لكثير من الأوليآء .

ولا يخفى أن الوصول والوُقوف أو الرجُوع وكذا الفتح بالفتح النوراني الرباني الخاص بأهل الحق أو الظلماني الشيطاني المشترك بينهم وبين أهل الباطل لا مجال لمعرفتها إلاّ من شيخ كامل مكمّل قد خبر[2] الطريق وعرف المهالك والمقاطع ، شيطانية كانت أو نفسانية ، فلا بدّ أن يشهد له بحُصُول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهْلُ[3] الفضل والعيان ، كشيخه ومرشده الكامل ، ويَأمُرَه بالإرشاد والتلقين ، **وليس له إلاّ بشهادته نصيب**[4] **من مقام الإرشاد، بإجماع القوم** كما مرّ ؛ فعُلِمَ

(١) ولذا قيل النهاية هو الرجوع إلى البداية ، فحال الواقف أصفى وأحلى وحال الثاني أوفى وأعلى « رشحات » ١٤ .

(٢) أي أبصر وعلم . (منه) .

(٣) فاعل يشهد ، راجع « البهجة » (منه) .

(٤) وكذا الحال في العلم الظاهر فإنه لا بد من التكميل ثم الإذن من الأستاذ للتدريس « الفتاوى العمرية » . قال بعض الأكابر : إن الإنسان ينبغي أن يعمل ما يعمله بأمر صاحب الزمان حتى تترتب عليه النتيجة ولو كان أمراً مشروعاً انتهى . قال الإمام الرباني قدس سره أن المراد من النتيجة نتيجة معتد بها لا مطلقاً كذا في « الدرر » في ٢٣٣ من الجلد الأول . وفي « ح » عبد الحميد على ابن حجر : وينكر على من تصدى للتدريس والفتوى والوعظ وليس من أهله لئلا يغترّ به انتهى فراجعه في ٢١٧ من الجلد السادس . وفي « عقد اليواقيت الجوهرية » في ١٣٨ من الجزء الأول وقد جرى جمع من العلماء على منع التصدّى للإفتاء والتدريس في فنون العلوم إلا لمن أذن له إجازة وأذن من الشيوخ المتأهّلين ، فراجعه . لكن المحقق حسن القدري نقل عن كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي إنّ الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدى للإقراء والإفادة فمن علمه من نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجز أحد وعلى ذلك السلف الأوّلون والصدر الصالح وكذلك في كل علم وفي الإقرآء والإفتاء خلافاً لما يتوهّمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً الخ . كذا في « جراب الممنون » . فراجعه في ٥٩ ومثله بل عينه في البريقة في ٤٠٣ من الجزء الثانى فراجعه (منه قدس سره العزيز) .

مما ذكر أن الإطْلاقات التي في نحو سلسلة الخواجكان وغيره محْمُولة إلى هذه المقيّدات ، وإلاّ فيخرق بها الإجماع كما هو مَعْلُومٌ لدى كلّ من مارس كتبهم ، وتقييد البعض[١] مقدّم على إطلاق البعض[٢] إذا فرع عليه أو كان له دليل ، كما هو مفهوم ما في الشهاب من أوّله في ١٢ .

وفي ح ر م : يجب العمل بإطلاقهم حتى يُوجد صارف عنه . انتهى . وفي ابن حجر من الأيمان : العام يجري على عمومه ما لم يخصّص . انتهى .

ولقد وجَدْنا دليلاً يصرف تلك الإطلاقات إلى ذلك المقيّد ، بل ظهر لنا ما يخصص ذلك العام بالإجماع . راجع « المدارج » و« المواهب البريقة » و« المتمّمات » و« درر الغواص » و« البهجة » و« الحدائق الورديّة » . والتقييدُ في هذا الذي كلامنا فيه من المجمع عليه فيما بين القوم ؛ لا من بعضهم .

قال في « الأنوار » و« شرح الروض » : ويرجّح أيضاً بالكثرة ، فلو جزم مُصنّفان بشيء وثالثٌ مُسَاوٍ لأحدهما بخلافه رَجّحناهما عليه . انتهى .

وفي « القليوبي على شرح التحرير » : وكثرة النَقَلة تفيد الترجيح ، فلا يُعَارضه تصحيح الأقلّ لمقابله . انتهى .

وفي « حاشية زكرياّ » على « الجوامع » من بحث التواتر : إنّ ما عليه الأكثر هو الحق . انتهى . وفي ابن حجر من أوائله : الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير . انتهى .

(١) وهكذا قال م ر العرادي والحاج الهنوخي رحمهما الله (منه) .

(٢) وصرحوا بأن ما دخل في إطلاقات الأصحاب مُنزّل منزلة تصريحهم به ، كذا في « الفتاوى » لمحمد علي الچوخي قدس سره فراجعه من باب المسح في ١١ (منه) .

فهذا والسلام والوصيّة بالدعاء لهذا الملام ، واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق إذ مِن لازمه استشكال الأحكام بعضها بَعْضاً ، ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثاً ولا أثراً ولا قولاً للأئمة يناقض آخر ، كذا قال الإمام الشعراني قدس سره .

وفي « خزينة الأسرار » في ١٦٦ : فمن لم تتصل سلسلته إلى الحضرة النبويّة فإنه مَقْطُوعُ الفيض ، ولم يكن وارثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تؤخذ منه المبايعة والإجازة ، لما ورد في الحديث : « العلماء ورثة الأنبيآء » بأسانيد صحيحة ، ولما أخرجه الطبراني عن عبد الله بن بسرى رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن رآى من رآني ، ولمن رآى من رآى من رآني وآمن بي ، وطوبى لهم وحسن مآب » قال الشيخ عبد الله السلمى قدس الله سره : قوله « طوبى لِمَنْ رَآني وَطُوبى لمن رأى مَنْ رآني » !! أي طُوبى لِمَنْ أثّر فيه بركات نظري وَمُشاهدتي ، ولمن أثّر فيه مشاهدة أصْحَابي . . وهكذا حالاً بعد حال إلى أن بلغ حكماء الأمّة وأوليآء الله تعالى في أزمنته ، **فكلّ مَنْ أثّر فيه نظر حكيم أو مشاهدة وَليّ فإنما ذلك التأثير من نظر النبيّ** ﷺ إلى أصحابه على اختلاف أحْوَالهم فأثّر كلّ واحد بحسب حَاله ، ولهذا جرت التأثيرات من المشائخ للمُريدين ويجري إلى آخر الدهر ، لأنّ إِسْنَادَ الحال كإسناد الأحكام . انتهى .

وفي « الطبقات » : مَنْ لم يأخذ آدابه عن المتأدّبين أفسد كلّ مَنْ تبعَهُ ، ومَن كان فيه أدْنى بدْعَةٍ فاحْذَرُوا مجالسته لئلا يَعُودَ إليك[١] **شؤمها ولو بعد حين** . انتهى كذا في « سُلّم المريد » .

---

(١) قوله لئلا يعود إليك ، كذا في النسخة التي بيدنا ولعلّ الصواب إليكم فتدبّر (منه قدس سره) .

وقال الإمام الربّاني في بعض مكاتبه : وأقوى أسباب وقوع الفتور على طلب الطالب هو الإنابة إلى الشيخ الناقص ، وهو الذي جلس على مسند المشيخة بدون إتمام أمره بالسلوك والجذبة ، فصحبته سمّ قاتل للطالب ، والإنابة إليه مرضٌ مهلك ، ومثل هذه الصحبة تورث الانحطاط والتنَزل للاستعداد العالي ، بل ترميه من الذروة إلى الحضيض . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات النفيسة » في ٧٣ من الجزء الأول . وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في ترجمة أبي علي الثقفي رضي الله تعالى عنه وأرضاه أنه قال : لو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس كلهم ، لا يبلغ مَبْلغ الرجال إلاّ بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح ، ومَن لم يأخذ أدبه من أستاذٍ يريه عُيُوبَ أعماله ورعوناتِ نفسه لا يحلُّ الاقتدآء به في تصحيح المعاملات . انتهى من « المنن » . وفي « المواهب البريقة » ما مَعْناه : أن شيخ هذه الطريقة النقشبندية يجب أن يكون متحققاً بمقامات الطريق ، بمروره عليها بالسلوك على يد شيخ صادق ، حتى ينكشف له حجابه بأن يتشرّف باتّصافه بالولاية الكبرى ، لأنّ من خصائصها اندراج النهاية في البداية ، وذا لا يَحْصُل إلاّ من تصرّف الشيخ للطالب بالتوجه إليه ، ليذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ ، وهو شرط فيها ، وأن مَن ليس على تلك الولاية لا يقدر على ذلك التصرّف وَمَنْ لا يقدر عليه لا يصلح أن يكون شيخاً في هذه الطريقة لكونه ممّا لا بدّ له منه فيها فحينئذ لم يَبْقَ وَجْهٌ للتصدّر فيها لتوجُّه المريدين الذي لا بدَّ منه فيها إلاّ بارتكاب الفساد من المخادعة والطمع والشهْرة والجاه وأخذ الدنيا بالدين وغير ذلك ، لعدم القدرة له على التصرّف به فيهم بعدم تشرّفه بتلك المَرْتبة . فتأمّله وتدنّق وراجعه .

ورأيت في « سلسلة الخواجكان » ما يؤخذ منه أن مَنْ كان على

المراقبة يصحّ له التربية والتلقين ويقدر على إرشاد الناس . راجعه قبيل الفصل الثاني : أي لو أذن له شيخه وإلاّ فلا . والله أعلم .

وفي « الباقيات الصالحات » ما يؤخذ منه أن مَن بَلغ مرتبة لا يكون الخلق حجاباً[1] عن الحق يمكن في هذا الوقت أن يتصرف في الآخَرِ بصفة الجذبة . ويجوز الإجازة للإرشاد ودعوة الخلق إلى الحق لمن بلغ هذه المرتبة . انتهى ٨٠ من فصل في طريق التوجه .

وقال شيخنا قدس سره : **إن من بلغ مرتبة المراقبة المعيّة لو حصل له الفنآء يجوز للشيخ أن يأذن له** . انتهى . أي : لو كان فيه سائر الشروط الواجبة في الشيخ المرشد ، وإلاّ فلا ؛ كما صرّح قدس سره بذلك في وقت آخر ، فبالنظر إلى هذه المنقولات يبطل ما يفعله أبعاض من المشائخ من إعطآء الإذن لمن[2] أرَادُوهُ مع تلقين الذكر[3] فقط كما هو مشهور .

---

(١) فإن قيل : الذهن بسيط لا يتعلق في زمان واحد بأكثر من شيء واحد كما استدِل عليه بقوله تعالى ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ ؟ !
قلنا : قالوا يتيسّر التوجّه التام دُفْعَةً إلى شيئين للمجرِّدين عن العوائق البشرية « ومن هذا الكلام يؤخذ أن الآية المذكورة إنما نزلت في حق غير المجردين عن العوائق فتدبره ، منه » ولذوي النفوس القدسية القوية ، ولهذا كان ﷺ يدبر أمر الجيش وهو في الصلاة مع حضور الصلاة وخشوعها . كذا في « البريقة » في« ٢٠٩ » من الجلد الأول فراجعه . وفيه أيضاً ما حاصله أن عدم المنع عن توجه القلب إلى عالم القدس والنور بشيء من العوائق الجسمية والشواغل البشرية المادية هو الدرجة العليا من الكمال . فراجعه والسلام (منه سامحه الله من فرطاته ، آمين) .
(٢) وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يردّه مبسوطاً في الباب الخامس عشر (منه) .
(٣) وقد سأل واحد بعضَ العارفين : أن واحداً من المكيّين قد أذن لواحد من الداغستانيين وقت تلقين الذكر بلا مهلة ، وقال : أنت خليفتي في الداغستان ؛ فهل وقع مثله في اصطلاح السادات ؛ أم لا ؟ وهل يصير هذا الرجلِ بمجرد هذا الخبر مرشدا ؛ ام لا ؟ فأجاب رضي الله عنه : نعم ، يصير بمثل ذلك مرشداً إلى طريق الشيطان ؛ لا إلى الطريقة والحقيقة ، وطريق الهادي إلى الرحمن ، ولا تنال أيدي هؤلاء المتشيخين بهذه الخزعبلات إلى مقام الإرشاد الذي هو أعلى المقامات وإن من المكيّين لشدّة حرصهم وقلّة أمْنيّتهم يفعلون مع جهلة الداغستانيّين أمثال هذه علماً منهم همّة رجالنا وشدّة حرصهم للوثبة على المشيخة=

نعم يجوز أن يتصرّف الشيخ في المريد المستعدِّ في برهة قليلة ، وأن يبلّغه إلى مرتبة الإذن والإرشاد ، لكن ليس في ديارنا ممّن فيهم كلامنا مَن حصل له نتيجة واحدة من الذكر الأول في هذه الطريقة ، فضلاً عن غيرها من المقامات ، وليس فيهم ولو واحداً يعلم كيفية التوجّه والتصرّف ، بل وَجَدْتُ فيهم مَنْ لا يعلم محال اللطائف ، ولقيت واحداً منهم ينكر على ذكر القلب مع أنهما يزعمان أنهما شيخان في الطريقة النقشبندية .

ويعلم بما ذكرنا بُطلان قول من قال « لا نعطي طريقة التربية بل إنما نعطي طريقة التبرّك ، وهي ليست مختصّة بشيخ ، بل يصح أن تؤخذ من عالم أو وليّ أو شيخ » ، هكذا كتبه واحدٌ منهم بهذه العبارات لتصديق ما يفعله من تلقين الأذكار مع فقد الإجازة بيده ! ولا يخفى على مَنْ له أدنى إدراك بقواعد هذه الطائفة السنيّة وممارسة ما بعلوم هؤلاء الأئمة أن ما قاله هذا البعض قول بالرأي ، وحكم مخالف لاصطلاح أئمة الطرق ، فكيف لا وقد قالوا إن من شرط الذكر النافع أن يكون بتلقين شيخ مقبول[1] مأذون ! .

وأما الذين يزعمون أنهم مجازون للإرشاد والتلقين من الشيخ

=وذلك لحرصهم على الدنيا ؛ ليكون الإجازة سبباً لجمعها وكثير أمثالهم هنالك من معارفنا . انتهى مع بعض اختصارٍ . وأخبرني بعض العلمآء عن بعض الثقات أنّ واحداً من المتشيخين قد أخذ من واحد ستين توماناً ليحترزها ، فحين طلب تسليمها إلى يده لم يسلّمها إلى يده ولو ألحّ وتضرّع ، فحين أيس من الإعطآء قال له : كيف أعيش ؟ وأيّ شيء أفعل ، وأنت لم تسلّم فضّتي ؟ ! فوقتئذ كتب له صكّ الإجازة وقال له : يكفيك هذا . وهذا فضتك فأخذ ذلك المسكين صك الإجازة وترك تلك الفضة في يده وسعى في البلدان باسم المشيخة والحال أنّه يمدح ذلك الشيخ فوق الحدّ ولا يصدّق غيره ، ولو كان على الحقّ فهذا من أعجب ما سمع غفر الله لنا ولهم . آمين . (منه رحمه الله) .

(١) كذا في « النور الساطع » وغيره (منه) .

الكامل النقشبنديّ لكن لا يلقِّنون أذكار السلوك كما كان شيخهم يلقّنها ؛ قائلين إن إعطاء الطريقة لا يجوز في هذا الزمان الفاسد ، بَيْدَ أنّهم يلقِّنون أذكاراً جَهْريّة[1] وأوراداً لِسانيّةً قائلين إنها للتبرّك ، فخطؤهم أظهر ، وفساد دعواهم أشهر ، لأنهم خالفوا أصول طريقة أشياخهم ، وبدّلوا أذكارها وأورادها ، وبذلك صاروا مطرودين من الانتساب إلى السلسة المعنعنة ، لما قال سليمان الزهديّ قدس سره : إن المخالفين لأصول

(١) مع أن الذكر الجهريّ ممنوع في طريقتهم ، كما هو مذكور في كتب عديدة ويأتى في هذا الكتاب في مواضع كثيرة ، ولله در الإمام الرباني قدس سره حيث قال قد صارت هذه النسبة الشريفة في هذه الأوان كعنقاء المغرب وتوجهت نحو الاستتار تحت الحجب حتى سلك جماعة من هذه الطبقة من عدم وجدان هذه الدولة العظمى وفقدان تلك النعمة القصوى ، كل مسلك وفرحوا بنيل قطعات خزف بدلاً من الجواهر النفيسة واطمأنت قلوبهم بالجوز والموز مثل الأطفال حتى أنهم من غاية الاضطرار والتحيّر تركوا طريقة أكابرهم وصاروا يطلبون التسلى أحيانا بذكر الجهر وآونة يرومون الاطمئنان بالرقص والسماع والدور ولما لم تتيسر لهم الخلوة في الجلوة اختاروا الأربعينيات ، وأعجب من ذلك زعمهم هذه البدعات الشنيعة متممة ومكملة لهذه النسبة الشريفة وعدّهم هذا التخريب عين التعمير . أعطاهم الله سبحانه الانصاف انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » فراجعه في ١٤٨ من الجلد الأول .
وفي « النصائح الدينية والوصايا الايمانية » للشيخ الإمام بركة الأنام عبد الله الباعلوي الحداد قدس سره . واعلم أنه كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا في دينهم فقد تفرقت هذه الأمة واختلفت أيضاً على وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . وقد افترقت هذه الأمة على هذا العدد من زمان قديم وتمّ ما وعد به الصادق الأمين على وحي الله تعالى وتنزيله صلى الله عليه وسلم ولما سئل عليه السلام عن الفرقة الناجية ، من هي ، قال : التى تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابي ، وأمر عليه السلام عند الاختلاف بلزوم السواد الأعظم وهم الجمهور والأكثر من المسلمين ، ولم يزل أهل السنة بحمد الله تعالى من الزمان الأول إلى اليوم هم السواد الأعظم ، وصح أنهم الفرقة الناجية بفضل الله انتهى . فراجعه من صحيفة ٧ . وقد يقول أبعاض من الناس إن الطريقة النقشبندية لا يجوز للشيخ تلقينها مع أنها السالمة من البدع الباقية على أصلها والحال أنّهم يعتقدون أن تعليم غيرها ممّا لم يرد به في طريقتهم نصّ ولا أثر بل هو مما اخترعوه بأنفسهم ، هوالذى ينبغى أن يتمسك به وهو اللائق أن يعتبر ويعتنى به واللازم أن يعض عليه النواجذ ويأخذه . فهل هذا إلا افتراق واختلاف وهل هذا إلا ابتداع واختراع . فإنا لله وإنا اليه راجعون فالحكم لله العلي الكبير (منه من خطه قدس سره العزيز) .

الطريقة خارجون منها ، بل هم معدودون من المبعودين . انتهى من مجموعة الرسائل ، ولما قال أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » من أنه ينبغي لمن انتسب إلى وليّ من أولياء الله تعالى أن يتشبّه به في أصول طريقته وفروعه المهمة . انتهى ، ولما قال رئيس الطريقة خالد البغدادي قدس سره : **منْ غيّر أصول طريقتنا فليس منّا** . انتهى ، ولما في « هديّة الذاكرين وحجة الواصلين » : ليس لأحدنا تبديل طريقتهم . انتهى ، فما بال إماتة الطريقة السالمة المسلسلة المباركة واختراع الأوراد الغير الواردة في تلك الطريقة الصدّيقيّة قائلين إنه للتبرّك ! ! كلا وكلا بل البركة فيما ورد عنه عليه السلام ، وهو أعرف بأسرار الأسماء ومنافعها وبركاتها من هؤلاء المدّعين[١] . إنا لله وإنا إليه رأجعون فالحكم لله العلي العظيم .

فائدة

قال صاحب « الحديقة النديّة » : والمرشد بعد تأهله للإرشاد ، وتبحّره في علوم الشريعة والحقيقة ، وأمر أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ، ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمةٌ للخليقة ، **يحرم عليه الإخفاء ، وكتم ما عنده من الفوائد والآلآء** ، إذ قال ﷺ : « إذا ظهرت البدع أو الفتن فليظهر العالم علمه » . الحديث ، وقال : « من كتم علما ألجم بلجام من نار يوم القيامة » فالظهور في حق مثل هذا امتثال المأمور ، والإخفآء عين القصور ، فسبحان من جعل المحاسن مساويء ، والمساويء محاسن في أعين المنكرين أهل الغرور . انتهى ١٠٢ من هامش « أصفى الموارد » .

---

(١) ومرّ ما قاله الإمام الرباني وبركات الطريقة إنما تفاض إذا لم يحدث فيها محدث وإذا أحدث فيها محدث ينسد طريق الفيوض اهى فتذكر هنا (منه) .

وفيه أيضاً في ١٠٣ ما حاصله أن ملخص باب المشيخة هو نصح المسلمين ومحبّة الخير لهم لا غير ، فالتارك لهذه الأمور مع كونه عارفاً بالطريق ومأذوناً من الشيخ الكامل عاص لله تعالى انتهى .

ونقل صاحب « البهجة السنية » راجعه في ٣٨ عن المجدد للألف الثاني قدس الله أسرارهما ما كتبه في بعض مكاتيبه مجيباً لمن كتب إليه من بعض خلفائه : أعلِّم الطريقة امتثالاً لأمركم العالي ، ولم يظهر في الطالبين أحد لم يتأثَّر بالتوجُّه ، بل الأكثرون يتأثَّرون في أول الهمّة والإقبال . إِحْمَدِ اللهَ[1] سبحانه على ذلك ، وجب عليك الشكر لهذه النعمة العظمى والاجتناب والتحرز عن الغرور والخيلاء ، والاعتراف بالقصور ، والإقرار بالفتور ، وعليك أن لا تتساهل في تفقد الطالبين[2] والتوجّه إليهم ، فإن ذلك من أعظم العبادات ، وإذا فرغتم من هذا التعليم والتبليغ فافزعوا إلى وظائف العبادات من الأذكار والتدريس لله سبحانه وتعالى ، **فإن أحب عباد الله إلى الله من حبب الله إلى عباده.** قال العبد الراجي رحم الله إفلاسه : وهذا من آداب النبي ﷺ التي أدّبه بها ربه جلّ ذكره وعظم شأنه حيث قال ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ انتهى . وقد نبّهتك على هذه الفائدة في آخر الباب لئلا تظن السوء بمن يسعى لإرشاد الناس من أهل الحق والصدق[3] بالجدّ والجهد ، كأمثال أشياخنا قدس الله أسرارهم العلية .

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) فإن كثرة إخوان الدين سبب لمزيد القرب بتحصيل كثرة الثواب لأن ثواب أعمالهم يصل إلى المرشد . كذا في « المناقب الأحمدية » في ٢٢٨ فراجعه (منه من خطه قدس سره العزيز) .

(٣) فلعلك لا تقيس أحوال الصادقين على أحوال غيرهم فما يكون مذموماً عند غيرهم يكون ممدوحاً لديهم بل يكون ما يعده الناس رياءً محضاً عين الإخلاص في حقّهم فافهم . (منه) .

الباب الثاني

في بيان أنّ المجذوبَ المجرّد لا يجُوزُ له أن يتشيّخ ولا أن يكون مُربّياً للخلق.

قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : ومعنى الوليّ على وجهين : **الأوّل** مَن ثبت له تصرّف ولاية على مصلحة دينية . **والثاني** مَنْ لَيْسَ له ولاية التصرُّف بالفعل بل ثبتت له ولاية التصرّف بالقوة .

فإن قيل : كيف يكون وليّاً وليس له ولاية التصرّف ؟ !

الجواب يجوز أن يكون وليّاً على معنى أن الله تعالى قد تولّى وتصرّف بجميع أموره ، وهذا الولي وَليّ بالقوة ، إن سمع فبالحق يسمَعُ ، وإن أبصر فبالحق يبصر ، وإن نطق فبالحق ينطق ، فهو في عالم المحبُوبيّة ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى « كنت له سمعاً وبَصَراً » ، وهذا الوليّ لا يَصْلحُ أن يكون مُرَبِّياً للخلق ، لأنه في قبضته تعالى مَسْلُوبُ الاختيار عن نفسه وإذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يَصْلح أن يكون مُربّياً للغير ، لأنّ التصرّف في غيره يستدعي ولاية التصرّف في نفسه ، وهذا الوليُّ مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرُّف في نفسه ، فكان مسلوب التصرُّف في غيره ، ألا ترى في عرف الشرع أنّ مَن ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ، ومَنْ لا فلا ؟ ! فالعاقل البالغ لمّا ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ، فالطفل والصبيّ والمجنون لمّا لم يثبت له الولاية على نفسه لم يثبت له الولاية على غيره ، والمجذوب في قبضته تعالى بمنزلة الصبيّ الرضيع تتصرّف فيه يد القدرة كتصرّف الوالدة في وَلَدِهَا ، فهو في حجر تربية المحْبُوبيّة

يرضع بلبن كرم الربُوبيّة وهم أطفال ، ويقول فيهم قد يربُّون في حجر تربية إرادتنا ويرضعون بلبن كرَمنا .

وأما الولي السالك فيصلح أن يكون مُرَبِّياً ، فهو تام التصرّف والتدبير على نفسه وغيره وهذا وليٌّ بالفعل ، لأنه بمنزلة البالغ الذي ثبتت له الولاية على نفسه ، ومَن له الولاية على نفسه جاز له الولاية على غيره ، وإذا جاز ذلك في عرف الشرع جاز في عرف الحقيقة ، فإن الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما كفرٌ ، فمثال المجذوب في مقام المحبُوبيّة كمثل مَن سلك به طريقاً مَسْدُودَ العين ، فهو لا يرى موضع قدمه ولا يدري أين يذهب ، فإنّ هذا الرجل إذا قطع المسافة ووصل إلى مُراده وسُئِل عن منزلة من المنازل لم يكن عنده علم ولا خَبَرٌ ، وكما أنّ هذا الرجل لا يصلح أن يكون دليلاً في البادية فكذلك المجذُوبُ لا يصلح أن يكون دليلاً في طريق الآخرة . انتهى .

وفي « المواهب البريقة » : إنّ المجذوب لا يصلح أن يكون مسلّكاً للمريدين لجَهْله بتحقيق مَقامات الطريقة ، فحكمُهُ كمَن خطف من مصرَ في الهواء فوَجد نفسه بمكّة ، فإذا سُئِلَ من مَناهل الطريق ومراحلها رُبّما جَهل شيئاً منها ، بخلاف مَنْ سافر مع دَليل الحجّاج ، فافهم انتهى .

وفي مكتوبات محمود الفعال قدس سره : إن المجذوب الغير السالك ليس من أهل الكمال ، ولا يطمع منهم[1] التربية وإن باشروا إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم الغير المتممة بقوة إخلاص الطالب . انتهى .

وقال الإمام الرباني في بعض مكاتبه ما حاصله : لا يجوز لشيخ مقتدى به أن يأذن لمثل هذا المجذوب المتمكِّن بالإجازة العامة ،

---

(١) أي من المجاذيب (منه) .

وأن يجلسه في مقام التكميل والمشيخة ، فإنّ بعض الطالبين يكون استعدادهم عالياً جداً ، وتكون قابليتهم للكمال والتكميل على الوجه الأتمّ ، فإن وقع مثل هذا الطالب في صحبة ذلك المجذوب يحتمل أن يضيّع ذلك الاستعداد فيها ، وأن تزول عنه تلك القابلية ، كما إذا كانت للأرض مثلاً قابليّة تامة لزراعة البرّ فيها فإن زرعوا فيها بذراً جيداً من الحنطة تنبت زرعاً جيّداً على قدر استعدادها ، وإن زرعوا فيها بذر قمح رديء أو بذر حمص تكون مسلوب القابلية ، فضلاً عن الإنبات . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٣١٩ في الجلد الأول .

الباب الثالث

في بيان جواز إقامة المأذون الناقص على مقام الإرشاد ولو لم يبلغ درجة الكَمال

قال في « الرسالة المدنيّة » : لا يبلغ المريد درجة الكمال إلى أن يرى في جميع عباداته عيباً ، وأنها لا تليق إهداؤها إلى جَناب الحق جَلّ جلاله ، فحينئذ يجد معنى قوله تعالى « من عرف نفسه فقد عرف ربّه » ، وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرّفها بالإسلام الحقيقيّ ، فلا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجّه ، وأما قبل هذا فمن قبيل خَرَط القتاد ، ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه ، كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس ، **نعم** إذا كان بإذن الشيخ الكامل فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره .

ثم قال فيها أيضاً : واعلم أنه يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمُناف للإفادة والاستفادة ، لأنّ يَدَ الناقص

يَدُ الكامل ، لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له ، فمجرّد المحبة له يحصل له تربية النفس ، فلذا يلزم عليه رعاية الأمرَيْن فيه : أحدهما : محبة الشيخ المقتدى ، والآخر : الاستقامة في الشريعة ، والتمسّك بالسنّة السنيّة ، فإذا لم يكن تَقْصِيرُهُ في هذين الأمرين لا يحصل الضرر إليه . انتهى .

لكن الإمام الرباني في مكتوباته شَرَط في إذن الناقص تأثّر المريد في صحبته ، وقسّم الإذن على أقسام ، وبيّن نفع الإذن للناقص أيضاً . انتهى .

وفي « البهجة السنية » : وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا[1] قدس سره بالإرشاد مع نقصانهم ! ! فهو جائز من الكامل المكمّل كما صرّح به الغوث الصمْداني قدس سره في بَعْض مكتوباته أيضاً بقوله : وربّما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، وغرضه من ذلك أن يبلغ كتابه الأجل باجتماع أهل الذكر عليه ، كما أجاز خواجه بهاء الدين النقشبندي ليعقوب[2] الچرخي قدس سره قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ما وصل مِنِّي إليك فليَصِلْ منك إلى الناس ، ثم تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين . انتهى . وينبغي أن يعلم أن النقص وإن كان ينافي الإجازة – لما فيه من ضرر الطالبين – لكن لَمَّا صدر من كامل مكمّل يكون هذا نائباً منابه ، ويكون يدُه يدَه فلا يتعدّى ضرره . والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

وفي « رسالة المبدأ والمعاد » للإمام الرباني قدس سره : إن بعض الكملاء يُجيزُ بتعليم الطريقة لمريد فيه استعداد درجة واحدة من درجات الولاية بعد حصول تلك الدرجة ، وذلك المريد كامل من وجه

(١) أي خالد شاه (منه) .
(٢) بعد تعليم الطريقة وتسليكه بعض المنازل « الدرر » ١١٩ ج ١ فراجعه (منه) .

وناقص من وجه ، وكذلك حال مريد فيه استعداد درجتين أو ثلاث درجات من درجات الولاية في أنه كامل من وجه وناقص من وجه ، فإنه ما لم يوصل إلى نهاية النهايات يكون في كل درجة من الدرجات كمال من وجه ونقص من وجه ، ومع ذلك يجيزه الشيخ الكامل بتعليم الطريقة بعد حصول مرتبة استعداد ، فلم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى من ٩٣ من هامش « الدرر » من الجزء الثاني .

ومما ينبغي أن يكتب في هذا الموضع ما كتبه الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتبه ليكون نصِيحةً لأمثالنا الضعفاء الناقصين وهو هذا : اعلم أن اللازم لأمثالنا الفقراء اختيار الذلّ والافتقار ، والتضرع والالتجاء إلى الحق والانكسار دائماً ، وأداء وظائف العبودية ، والمحافظة على حدود الشريعة ومتابعة السنة السنيّة - على صاحبها الصلاة والسلام والتحية - وتصحيح النيات في تحصيل الخيرات ، وتخليص البواطن وتسليم الظواهر ورؤية العيوب ، ومشاهدة استيلاء الذنوب والخوف من انتقام علاَّم الغيوب ، واستقلال الحسنات وإن كانت كثيرة ، واستكثار السيئات وإن كانت يسيرة ، وكراهة الشهرة وقبول الخلق ، قال عليه الصلاة والسلام : « بحسب امرىء من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله » واتّهام النيّات والأفعال ، وإن كانت صحيحة مثل فلق الصبح ، وعدم الاعتماد عليها .

ولا ينبغي أيضاً استحسان مجرد تأييد الدين وتقوية الملّة ، وترويج الطريقة ودعوة الخلق إلى الحق جلّ وعلا ، فإنّ هذا القسم من التأييد قد يكون أحياناً من الكفار والفجار ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وكلّما يجيء مريد لطلب الطريقة وإرادة الإنابة ينبغي أن يرى في النظر مثل النمر والأسد ، وأن يخاف من أن يراد به مكيدة واستدراج ، فإن وجد الفرح والسرور في

النفس عند قدوم المريد ينبغي أن يعتقده شركاً وكفراً ، وأن يتداركه بالندامة والاستغفار ، إلى أن لا يبقى أثر من هذا السرور ، بل إلى أن يجيء محل السرور والفرح الخوف والحزن .

وينبغي أن يجتنب غاية الاجتناب عن ظهور الطمع والتوقّع في مال المريد ومنافعه الدنيوية ، فإنه مانع لرشد المريد ، وباعث على كون الشيخ خراباً ، فإن المطلوب هناك كله الدين الخالص ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾ لا مجال للشركة في جناب الحضرة الإلهية بوجه من الوجوه .

واعلم أن كل ظلمة وكدورة تطرأ على القلب فإزالتها تتيسَّر بالتوبة والاستغفار ، والندامة والالتجاء إلى الحق سبحانه وتعالى بأسهل الوجوه ، إلاّ ظلمة طرأت على القلب من طريق محبّة الدنيا الدنيئة ! فإنها تجعل القلب خراباً وإزالتها في غاية التعسُّر ، بل في نهاية التعذُّر ، صدق رسول الله ﷺ حيث قال : « حبّ الدنيا رأس كل خطيئة » . نجانا الله سبحانه وإياكم من محبة الدنيا ومحبة أبنائها ، والاختلاط بهم والمصاحبة معهم ، فإنها سمّ قاتل ومرض مهلك ، وبلاء عظيم وداء عميمٌ انتهى . كذا في « المكتوبات » في ١٥٠ من الجلد الأول .

وأيضاً إن الاختلاط مع الأمراء أهل الثروة والغنى وأكل طعامهم يزيد مرض القلب ، **فإيّاك وصحبتهم** ، **وإيّاك ولقمتهم** ، **وإيّاك ومحبتهم** ، **وإيّاك ورؤيتهم** ، وقد ورد في الخبر الصحيح : « مَن تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه » ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم ، أو من جهة شيء آخر ، ولا شك في أنه من جهة غناهم ، **ونتيجَتُهُ ذهاب ثلثي الدين** ، **فأين أنت من الإسلام!!** وأين أنت من النجاة ، ولقمة غير الجنس تحجب القلب عن تذكر المواعظ وتعقل النصائح ! ! فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام . كذا في « الدرر[١] » مع

(١) وراجع « الباقيات الصالحات » في ١٠٦ (منه) .

بسط وزيادة في ١٢٨ .

ومما ينبغي أن يَعْلَمَ المجاز الناقص أنّ هوى نفسه ما زال عنه ، وأنّ الشيخ إنّما أجاز له لأجل مصلحة معلومة عنده ، لا لكونه كاملاً ومكمّلاً ! ! فإذا علم أنّ الطالب قد بلغ نهاية الاستفادة منه وغاية إفادته إياه ، وفي استعداد الطالب قابلية ينبغي أن يظهر له هذا المعنى ، وأن يأذن له ليُتمّ أمره من شيخ آخر ، ولا يظهر له أنّه مِنّتُه لئلا يكون قاطعاً لطريق الناس بهذه الحيلة . راجع « المكتوبات » في ٣١٩ من الجلد الأول .

ومما يجب على مَنْ أجِيزَ أن يُعَلِّمَ كما عُلِّمَ ، ويُلَقِّنَ كما لُقِّنَ ، من غير تغيير ولا تبديل مما كان في طريقة شيخه الذي أجازَ له ، فإن خالف وبدّل فقد ارتكب كبيراً ، واستحق وعيداً[١] ، ودخل في دائرة هذا الحديث دُخولاً ، « من أحدث في أمرنا » - وفي رواية « في ديننا - هذا ما ليس منه فهو رَدّ » ، أي : مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به .

وأخرج[٢] أبو داود عن حذيفة : كل عبادة لم تفعلها الصحابة رضي الله تعالى عنهم فلا تَفْعَلُوهَا .

وورد عنه ﷺ أنّه قال : « عمل قليل في سنَّة خير من عمل كثير في بِدعة » .

وروى مسلم : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمْرُنا ، « أي : حكمنا وإذننا » فهو ردّ » ، « أي : مردود عليه » وإن لم يكن هو المحدث له . . . الأحاديث من « فتح المبين » .

ومعلوم أنّ مَن خالف شيخه فقد أساء الأدب معه، ومن أساء

(١) أي للوعيد .
(٢) أي روى .

الأدب مع شيخه فقد أساء الأدب مع جميع السلسلة إلى حضرة الرسول عليه السلام! ومن أساء الأدب معهم ينقطع ترقِّيه، وربّما رجع إلى حالة هي أنقص ممّا كان عليه قبل صحبته له ، لأنّ الأدب مع الشيخ سُلّم للأدب مع الحق جل وعلا ، فمن لم يتأدّب مع الوسائل لا يشمّ رائحة من الأدب مع المقاصد ، وأقلّ ما يحصل من الهَلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا والإدبار عن الآخرة . كذا في « المنن الكبرى » .

وقال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » ما حاصله : إنّ من أحدث حكماً في دين الله فقدْ أَحْدَثَ في نفسه رُبُوبيّة ، ومن أَحْدَث في نفسه رُبُوبيّة فقد انتقص من عُبُوديّته بقدر ذلك الحكم الّذي أَحْدَثه ، وإذا انتقصَتْ عُبُوديّتُه انتقصَ من تجلّي الحق تعالى له بقدر ما انتقصَ مِنْ عُبُوديّته ، فإنّ أخلاق العبُودية على الضدّ من أخلاق الربُوبيّة ، وإذا انتقص من تجلي ربّه له انتقص من علمه لربّه ، وجهل من معرفته بقدر ما نقص . انتهى . فهذه مهمّات ، فعَلى مَنْ يَزْعَمُ مِنْ مشائخ ديارنا أنهم خلفاء من طرف أشياخهم النقشبنديّين أن يتفطّنوا ويتدبّروا لئلاّ يكُونوا من ﴿الأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ فالعجبُ منهم كيف لا ينظرون إلى « الآداب المرضيّة »[1] لشيخهم جمال الدين الغموقيّ قدس سره ورزقنا فيضه وبركته وكيف لا يستعملون قواعد التلقين كما بيّنها في ذلك الكتاب ! مع أنهم ليسوا أعْلى مَقاماً منه بيقين ، ولا أدري سبَبَ اجترائهم على مخالفته ، إلاّ أنّ الشيْطَان زيّن لهم مَا كانوا يَصْنعُونَ ، سامحهُمُ الله أنّى يؤفكُونَ .

(١) وذلك الكتاب كتاب نفيس وهو خلاصة ما في كتب النقشبنديّة فجزى الله مؤلّفه عنّا خيراً (منه من خطه قدس سره العزيز) .

الباب الرابع

في بَيان أنّ مقام الأخذ عن النبيّ عَليْه السلام مقامٌ عزيز قلّ مَنْ يقع له في هَذا الزمان الفاسد

قال الشعراني في « المنن » في ٢٦ : وكان سيدي ياقوت العرشيّ رحمه الله يقول : من ادَّعى أنه يأخذ عن رسول الله ﷺ الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له ، فإن قال : رأيت نوراً مَلأ المشرق والمغرب ، وسمعت قائلاً يقول لي من ذلك النور في ظاهري وباطني لا يختصّ بجهة من الجهات ، اسمع لما يأمرك به نبيّي ورسولي فصدّقوه ، وإلا فهو مفتر كَذَّابٌ ! ! انتهى . فعُلم أنّ مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز لا يناله كلّ أحد .

وقد سمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مئتا ألف مَقام وسبعة وأربعون ألف مَقام وتسعمائة وتسعة[١] وتسعون مَقاماً ، وأمّهاتها مائة ألف مقام ، وخاصّتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها لا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى .

وقال فيه أيضاً في موضع آخر : فإن غالب فقراء الزمان اليوم صاروا يجلسون[٢] بلا إذن من شيخهم ، وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له ، فادّعى أنه جاءَه في المنام وقال له : ابْرِزْ للناس . وبعضهم ادّعى أنّ رسول الله ﷺ أذن له ، وهو بعيدٌ ! ! فإنّ بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ما أظنّ أنّ هذا حصّل له منها مقاماً واحداً ! كما مرّ تقريره في المقدّمة . انتهى .

---

(١) فمن ادّعى ذلك طالبناه بهذه المقامات فإذا رأيناه لا يعرفها كذّبناه فى دعواه ذلك « تنبيه المغترين » ٦٥ .

(٢) اي للإرشاد (منه) .

وقال ابن حجر في « خاتمة الفتاوى » وفي « المدخل » لابن الحاج المالكي رُؤيته ﷺ في اليقظة باب ضيّق وقلّ مَنْ يقع له ذلك : إلاّ من كان على صفةٍ عزيز وُجُودُهَا في هذا الزمان ، بل عدمت غالباً ، مع أننا لا ننكر منْ يقع له من الأكابر الذين حَفظَهُمُ الله تعالى في ظواهرهم وَبَواطنهم[1] . انتهى ٢١٨ .

وقد لقيت من يدعي أنّ شيخه هو النبي عليه السلام بالحلف المُشدّدِ ، وصرّح ذلك الحلف بين مَجْمَع من النَاسِ ، ومع ذلك وَجَدْتُه جاهلاً[2] بالطريق جَهْلاً مُرَكَّباً فسألته عن كيفية ما وقع له ؟ فقال : إنه رأى النبي عليه السلام في المنام ، ولذا صار هو شيخَهُ ، فَزَعْمُهُ هَذا باطل مردود ، وإنْ كان وقع له فهو غَيْرُ مقبول ! لما في الرَملي من « الصيام » ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته ﷺ وأنه أخبره في النوم بأن غدا من رمضان ، ولا يصح الصوم به إجماعاً لا لشك في رؤيته ، وإنما هو لعدم ضبط النائم ! ! انتهى ٢٠٨ . وهكذا في ابن حجر[3] قال الشَبْرامُلسي في ح ر م[4] : زاد ابن حجر : وفيه وجه بالوجوب ككل ما يأمر به ولم يخالف ما استقر في شرعه لكنه شاذ ، فقد حكى عياض وغيره الإجماع على الأول أي **وهو عدم العمل بقوله فلا يعمل به من حيث أنه أخبر** ﷺ **به** ، ثم إن كان له وَجْهٌ مجوّز للعمل به لكونه نفلاً مندرجاً تحت ما أمر به الشارع أو جوزه ؛ جاز العمل ، وإلاّ فلا . انتهى ٢٠٨ .

وفي « البجيرمي على شرح المنهج » : ولا عبرة برؤية نائم له ﷺ قائلا : إنّ غداً من رَمَضَان ونحوه من سائر المرائي ، لان النائم لا يضبط

(١) وفي « الأنوار القدسية » في بيان آداب العبوديّة أن من ادّعى الإذن الخاصّ من النبي ﷺ فكأنّه ادّعى أنه القطب الغوث الفرد الجامع . راجعه من صحيفة ٣٩ . (منه رحم الله إفلاسه) .
(٢) بل أنكر ذكر القلب وأبعد كونه وقال هل له لسان (منه من خطه قدس سره) .
(٣) وراجع « ترشيح المستفدين » فى ١٥٩ (منه) .
(٤) « حاشية الرملي على المنهاج » .

وإن كانت الرؤيا حقاً . انتهى زي .

وقال الشعراني في « اليواقيت » في ١٦٩ من الجزء الثاني : فإن قلت : فهل يجب على الرائي العمل بما يَسْمَعُهُ من هذه الصورة يعني من صورة النبي عليه السلام ؟

فالجواب : لا يجبُ على أحدٍ العملُ بمثل ذلك لعدم العصمة ، ولخوف تطرق الخلل إلى الشرع الظاهر ، لا سيّما إن خالف نصاً صريحاً . انتهى .

وفي الشهاب : **ولا يجوز الصوم بإخبار غير المعصوم** في النوم ، لعدم ضبط النائم أفعاله . انتهى .

وفي « مغني المحتاج » للخطيب الشربيني قدس سره « من الآذان » نظير ما مرّ ، فإذا لم يجز العمل بالرؤيا في هذا الأمر اليسير ، فعدم جوازه في حق الخلافة التي خطرها جسيم وأمرها عظيم يُعْلَمُ بالطريق الأولى ، وهكذا لا يقبل من أحدٍ دعوى الإذن بالإلهام أو في الواقعة .

قال ابن حجر في (كتاب الردة) ما حاصله : **إنّ الإلهام ليس بحجّة عند الأئمة** إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . انتهى .

وفي فتاواه من الخاتمة بسطٌ في ذلك فراجعه ؛ وسيأتي في الباب الثامن ما قاله الإمام معصوم من **أنّ الإجازة لتعليم الطريقة** أمر عظيم لا تثبت بالواقعة .

وقال الإمام الرباني في المكتوب الذي أرسله إلى المرزا حسام الدين أحمد في بيان أنه ينبغي للسالك أن يكون ثابتاً ومستقيماً على طريق شيخه ، غير ملتفت إلى طرق آخر ، وأن لا يعتبر الوقائع التي

تظهر على خلافه ، فانها من الشيطان العدو وما يناسب ذلك :

الحمد لله[١] الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، عليهم من الصلوات أتمها ، ومن التسليمات أكملها ، قد حصل السرور والابتهاج بوصول صحيفة الالتفات المرسلة باسم هذا الفقير على وجه الكرم ، جزاكم الله سبحانه خير الجزاء ، وقد اندرج فيها : إنه لو كانت المبالغة في منع السماع متضمنة للمنع عن سماع المولد الذي هو عبارة عن قراءة القرآنية النعتية والأشعار غير النعتية يعسر ترك استماع المولد على الأخ الأعز المير محمد نعمان وبعض الأصحاب الموجودين هنا ، لأنهم رأوا النبي ﷺ في الواقعة ، وهو ﷺ راضٍ عن مجلس المولد ، ويصعب عليه ترك ذلك جداً .

أيها المخدوم : لو كان للوقائع اعتبار ، وعلى المنامات اعتماد لا يحتاج المريدون إلى الشيوخ ، ويكون اختيار طريق من الطرق عبثاً ، فإنّ كلّ مريد يعمل حينئذ بما يوافق وقائعه ويطابق لمناماته ، سواء كانت تلك الوقائع والمنامات موافقة لطريقة شيخه ؛ أو لا ، وسواء كانت مرضية عنده أو لا ، فعلى هذا التقدير تبطل سلسلة الشيخوخة والمريديّة ، وكل ذي هوس يستقلّ بوصفه ، ويستبدّ[٢] بطوره .

والمريد الصادق لا يكون عنده لألف واقعة صادقة مقدار نصف شعرة من الاعتبار مع وجود شيخه ، وتلك المنامات عند الطالب الرشيد مع دولة حضور المرشد معدودة من أضغاث أحلام ، ولا يلتفت إلى شيء منها أصلاً ؛ الشيطانُ عدوٌ لا يأمن المنتهون من كيده ولا يزالون خائفين وجلين[٣] من مكره ، فماذا نقول في حق المبتدئين والمتوسطين ! ! غاية

---

(١) مقول .
(٢) واستبد بالأمر انفرد به من غير مشارك له فيه (مص) .
(٣) ولا يدخل الخلوة لقصد كشف كونيّ وتحصيل كرامات عيانية ، فإنّ من دخل الخلوة على=

ما في الباب أن المنتهين محفوظون ، ومن سلطان الشيطان مصونون ، بخلاف المبتدئين والمتوسطين فلا تكون وقائعهم مستحقة للاعتماد ، ومحفوظة عن مكر عدوّ شديد العناد .

فإنْ قيل : إنّ الواقعة التي يرى فيها النبي ﷺ صادقة ومحفوظة من كيد الشيطان ومكره فإنّ الشيطان لا يتمثل[1] بصورته كما ورد فتكون وقائع ما نحن فيه صادقة محفوظة من مكر الشيطان ! ؟ .

أجيب : إنّ صاحب « الفتوحات المكيّة » جعل عدم تمثل الشيطان مخصوصاً بصورته ﷺ الخاصة به[2] المدفونة في المدينة ، ولا يجوز الحكم بعدم تمثله مطلقاً على أيّ صورة كان ، ولا شك أن تشخيص تلك الصورة ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ خصوصاً في المنام ، مُتعسّر جداً ، فكيف تكون مستحقة للاعتماد ، فإن لم نجعل عدم تمثل الشيطان مخصوصاً بصورته ﷺ الخاصة به ؛ وجوزنا عدم تمثله به على أيّ صورة كان ـ كما ذهب إليه كثير من العلماء ـ ومناسب أيضاً لرفعة

=هذه الأماني ولم يراع شرط الإخلاص الصِرف يتصرّف فيه الشيطان ويلعب ويسخر به ويريه الأشياء الباطلة بصورة الحق . دخل واحد من الأصحاب في خراسان الخلوة بلا إذن وبلا وقت ، فجاء إليه الشيطان على صورة الخضر ، فقال : أتريد أن تحصل لك العلوم اللدنيّة ، فقال : نعم ؛ وكان مائلا إلى أن يتكلّم بالمعارف على جري اللسان ، فقال له : افتح فاك ، ففتح فاه فرمى الشيطان بصاقة في فيه . ثم بعد ذلك صنّف كتاباً مشتملاً على أبواب من المعارف ، فلما وصل إلى الملاقات أعرض على ما صنّف وحكى واقعته ، فقلت : يا مسكين ذلك الشيطان جاء إليك في صورة الخضر لعب بك وشغلك عن طاعة الله تعالى وذكره ؛ اغسل الكتاب وتب إلى الله تعالى من الاختيار . انتهى . كذا في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » . من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الثاني . (منه خطّه قدس سره) .

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه (منه) .

(٢) وفي « تحفة البارى » إنما تعتبر رؤيته صلى الله عليه وسلم إذا رآه الرائى على صورته التى كان عليها في حياته . قضيّته أنه إذا رآه على غير صورته ، لم يكن رؤيا حقيقة . والمشهور أنه حقيقة لكن إن رآه على حقيقته كان إدراكه لذاته أو على غيرها كان إدراكه لمثاله . راجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

شأنهﷺ ، نقول : إنّ أخذ الأحكام عن تلك الصورة وإدراك المرضيّ وغير المرضيّ له من المشكلات ، فإنّه يمكن أن يكون العدوّ اللعين متوسطاً في البين[1] ، ومُرِيئاً لخلاف الواقع واقعيّاً ، وموقعاً للرائي في الاشتباه والالتباس بتلبيس عبارته وإشارته بعبارة رسول الله ﷺ ، وإشارته كما روي : إن سيد البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام كان يوماً جالساً وكان عنده صناديد قريش ورؤساء أهل الكفر ، وكثير من الأصحاب أيضاً ، فقرأ النبي ﷺ سورة « والنجم » ؛ ولما بلغ ذكر آلهتهم الباطلة ضمّ الشيطان اللعين كلمات في مدح آلهتهم الباطلة إلى قراءتهﷺ ، على نهج ظنها الحاضرون أنه من قراءته عليه الصلاة والسلام ، ولم يجدوا إلى تمييزه سبيلاً أصلاً ، ففرح الكافرون وقالوا : إنّ محمداً صالَحَنا ومدح آلهتنا ؛ وتحيّر منه الحاضرون من أهل الإسلام أيضاً ، ولم يطلع النبيﷺ على كلام الشيطان اللعين هذا ، فقال النبيﷺ : ما الواقعة فعرض الأصحاب الكرام عليه ﷺ إنّ هذه الفقرات قد ظهرت في أثنآء كلامك ، فحزن النبيﷺ على ذلك ، فجاء جبريل عليه السلام بالوحي لبيان أنّ ذلك الكلام كان إلقاءً شيطانياً ، وذلك قوله تعالى ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾[2] الآيات الأربع ، فإذا ألقى الشيطان كلامه الباطل في أثناء قراءته ﷺ ، فمن أين يدري أن تلك الواقعة محفوظة من تصرّف الشيطان ومصونة من تلبيسه مع كونها بعد وفاته ﷺ وفي حالة المنام التي هي حالة تعطيل الحواس ، ومحل الاشتباه والالتباس ، ووجود انفراد الرأي عن سائر الناس ، أو نقول : إنّ كونه ﷺ راضياً بهذا العمل

---

(١) وفي « البريقة » في ١٢٥ من الجزء الأوّل : إن الشيطان قادر على أن يقول : أنا رسول الله ، وإن لم يتشكّل بشكله الشريف ، فراجعه (منه) .

(٢) وفي « الإبريز » ما ينبغي ملاحظته في تفسير الآية الشريفة . فراجعه (منه) .

كما يرضى الممدوح عن المادحين ، لما كان متمكناً في أذهان قارىء القصائد وسامعها ومنتقشاً في متخيّلاتهم ؛ جاز أن تكون تلك الصورة المرئيّة في الواقعة هي الصورة المنتقشة في متخيّلاتهم من غير أن تكون لتلك الواقعة حقيقةٌ وتمثّلٌ شيطانيّ ، وأيضاً إن الواقعات والرؤيا قد تكون محمولة على ظاهرها وحقيقتها ، وهي التي يراها الرائي بعينها ، كما[1] إذا رأى صورة زيد مثلاً في المنام وكان المراد بها هو عين حقيقة زيد ، وقد تصرف عن الظاهر وتُحمل على التأويل والتعبير ، كما إذا رأى صورة زيد مثلاً في المنام وأريد بها عمرو مثلاً بعلاقة المناسبة بينهما ، فمن أين يعلم أن واقعة الأصحاب محمولة على الظاهر غير مصروفة عنه ؛ ولِمَ لا يجوز أن يكون المراد بها الوقائع المحتاجة إلى التعبير ؟ ! وأن يكون كناية عن أمور أخرى من غير أن تكون لتمثل الشيطان فيها مجال .

وبالجملة : ينبغي أن لا يكون مدار الاعتبار على الواقعة ، فإنّ الأشياء موجودة في الخارج ، فينبغي السعي حتى ترى الأشياء في الخارج ، فإن ذلك هو اللائق بالاعتماد وليس فيه مجال التعبير ، وما يرى في الخيال فهو منام وخيال ، وأصحابنا هناك يعاملون بوضعهم ورأيهم من مدّة مديدة ، وزمام الاختيار بأيديهم .

وأما المير محمد نعمان فما المخلص له غير الانقياد ، فإن توقفوا عن الامتناع فَرضاً لمحة بعد المنع عياذاً بالله سبحانه ، فننظر إلى من يفرّون وَبِمَنْ يلوذون ؟ ! ومبالغة الفقير ، إنما هي بسبب مخالفة طريقته ، سواء كانت المخالفة بالسماع والرقص أو بقراءة الموالد[2] ، وإنشاء القصائد .

---

(١) الوقائع والرؤيا قد تكون محمولة على الظاهر وقد تصرف عن الظاهر .

(٢) قال الإمام الرباني في جواب من استفسر منه عن قراءة المولد : ما المضايقة في نفس قراءة القرآن وقراءة القصائد النعتيّة والمناقب بصوت حسن ، والمنهي عنه هو تحريف حروف القرآن وتغييرها والتزام رعاية أوزان النغمة وترديد الصوت بها بطريق الألحان مع تصفيق مناسب لها=

ولكل طريق وصول إلى مطلب خاصّ به ، والوصول إلى المطلب الخاصّ بهذا الطريق المتوسط منوط بترك هذه الأمور ، فكلّ مَنْ فيه طلب مطلب هذا الطريق ينبغي أن يجتنب عن مخالفة هذا الطريق ، وأن لا تكون مطالب طرق آخر منظورة في نظره . قال الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره :

مانه أين كار ميكينم ونه انكار منكينم

يعني : نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطّريق الخاص بنا ، ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشائخ آخر ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ فإذا حدث أمر مخالف لهذه الطريقة العلية في فَيْرُوزْ آبَادْ ، الذي هو ملجأ وملاذ لأمثالنا الفقراء ، ومقرّ قدوة أرباب المتابعة الضعفاء ، لاجرم يكون موجباً لاضطراب أمثالنا الفقراء البتة ، كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٩٣ من الجزء الأول .

وفي الأنوار القدسية للشعراني : ومن شأنه إذا جلس لإرشاد الخلق بإذن خاصّ من النبي ﷺ أن لا يرى له بذلك مزيّة وتخصيصاً على من لم يحصل له ذلك من أقرانه وغيرهم ؛ فهو مساوٍ لمن لم يحصل له ذلك ، بل ربّما كان ذلك يجرّه إلى المكر والاستدراج ، وجميع الخلق مأمورون بنصح الخلق في اليقظة بنصّ القرآن والسنّة ، وما ثبت في

=غير مباح في الشعر أيضاً ، فإن قرؤوا على نهج لا يقع تحريف في كلمات القرآن ولا تتحقق الشرائط المذكورة في قراءة القصائد ؛ وكانت قراءتها بغرض صحيح ، فما المانع حينئذ أيها المخدوم ؟ ! قد يقع في خاطر الفقير أنّه مالم ينسد هذا الباب مطلقاً لا يمتنع عنه المهوسون ، فلو جوّزنا في القليل لينجرّ إلى الكثير ، قليلهُ يفضي إلى كثيره . قول مشهور والسلام ، كذا في الجلد الثاني « وفي نسخة : الثالث » من المكتوبات في « ٨٩ » وقال المرجّم محمد مراد قدّس سرّه في هامشه : إعلم أنّه قد مرّ المنع عن قرائة المولد مطلقاً في مكاتيب عديدة ومراده يعني مراد الإمام الرباني قدس سره هو هذا الذي ذكره هنا ، وإنما أطلق هناك للعلة المذكورة هنا ، فلا سند في منعه عنه للوهابيّين ، خذلهم الله ومن يحذو حذوهم . اهى (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

اليقظة أصحُّ مما ثبت في النوم ، لعدم ضبط النائم ، على أنّ العارفين من المحققين اتفقوا على أنّ الإذن الخاص من النبيّ ﷺ لا يكون إلا للقطب الحاوي الوراثة المحمديّة ، وأما غيره فإنّه راجع إلى أرباب النوبة وغيرهم من أصحاب التصريف[1] . انتهى في ٢٩ .

الباب الخامس

في بيان كيفيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم جواز القيام بأمر التلقين لأحد بقول[2]: إنه آمر بالمعروف

الأمر بالمعروف واجب على كل أحدٍ ، لكن يحتاج مَنْ قام به إلى معرفة طرق السياسة ليدخل منها إلى حضرة إنقياد الناس له ، فإن كثيراً من الناس يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر من غير سياسة ، فيزداد المنكر بقيام نفس ذلك العاصي أو الظالم مثلاً ، ويحتاج أيضاً قبل ذلك إلى اتخاذ الشيخ الذي يعرف كيفية تلك الطرق . كذا قاله الشعراني في « لواقح الأنوار » في ٦١ .

وقال فيه أيضاً : وقد جعل الشارع لتغيير المنكر ثلاثة طرق : اليد واللسان والقلب . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : تغيير المنكر باليد للولاة الذين إن ضربوا العاصي لا يقدر ضربهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، فيأمرون الناس وينهَوْنهم فيمتثلون قولهم ، وتغييره بالقلب لكمّل العارفين ، فيتوجّه العارف إلى الله في كسر جرّة

(١) وفي نسخة : التصرّف .
(٢) إلا مع الإذن والإجازة من المشائخ (منه) .

الخمر ؛ فتنفلق نصفين بنفسها ، وإلى الظالم فتيبس يده التي يضرب بها ذلك المظلوم . انتهى . فراجعه من ٦٢ .

وفي ابن حجر في كتاب « السير » تنبيه : ظاهر كلامهم أن الأمر والنهي بالقلب من فروض الكفاية ، وفيه نظر ظاهر ، بل الوجه أنه فرض عينٍ ، لأن المراد منهما به[1] الكراهة والإنكار به ، وهذا لا يتصوّر فيه أن يكون إلا فرض عين ، فتأمله فإنه مهم نفيس . انتهى .

وكتب عليه ابن قاسم هذه العبارات أقول : الوجه المتعيّن أن مرادهم بقولهم السابق : فالقلب إنّه إذا تعذر المرتبتان[2] الأوليان اكتفى بالقلب ، وهذا لا ينافي تعين الإنكار به بالمعنى المذكور مطلقا ، ولو حال الإنكار بغيره ، فتأمله ، فانه بهذا يزول إشكال كلامهم ، وأما ما ذكره ! فليس دافعاً لإشكاله .

والحاصل : أنّ الإنكار بالقلب بالمعنى المذكور فرض عين مطلقا ، ثم إن أمكنت الزيادة عليه بنحو اليد وجبت على الكفاية وإلا فلا ، فتأمله سم . انتهى .

وقال الشيخ عبد الحميد الشرواني قدس سره بعد نقله الكلام المذكور : وعبارة السيد عمر قوله : بل الوجه . .الخ محل تأمّل ، إذ مستندهم في الترتيب المذكور الحديث ، وهو « من رأى منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه » فمعنى فبقلبه : على ما يعطيه السياق ، فليغيره بقلبه ، بأن يتوجّه بهمَّته إلى الله تعالى في إزالته ، وهذا لا يلزم تحققه في عموم الناس ، فحَسُن عدّ رتبة الأمر بالقلب المراد ليطابق الحديث النبوي ، فتأمله إن كنت من أهله ، وبفرض تحققه في عموم الناس ، وأنّ الفرضَ التوجُّه سواء صدر عمن

(١) قوله به ، أي : القلب ، والجار متعلّق بضمير المثنى الراجع للأمر والنهي (حميدية) .
(٢) أي التغيير باليد واللسان . (منه) .

جرت عادة الله تعالى في أن لا يخيّب توجّهه ، أم من غيره ، فظاهر أنّه يكتفى بتوجه البعض ، ولا يشترط توجه الجميع ، بخلاف الكراهية ، لأن انتفائها في فرد ينافي الإيمان ، والعياذ بالله تعالى . انتهى .

أقول : توجيهه الأخير بعده ظاهر ، وتوجيهه الأول الجاري على مشرب الصوفيّ ، وجيه في ذاته ، لكن يبعده عموم « من رأى منكراً » فليتأمل . انتهى في ٢٢٠ من الجلد التاسع .

وقال شيخنا جامع فرقان المحامد والمكارم الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره : إني كنت في مجلس الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره ، وكان في ذلك المجلس جماعة من المريدين فكُوشِفْتُ أنّ جميعهم صاروا خنازير ، ثم قُلْتُ له يا أستاذي : أيّ سرٍ في صَيْرُورَتِهِمْ على تلك الصورة ؟ فقال رحمه الله : إنهم كانوا قبل ذلك قد تركوا الصلاة ، ثم قال لي : يا ولدي ، لا تُفْشِ لأحدٍ ما كُشِفَ لك من حاله ، ولو رأيته يزني وهو يَعْلُو امرأةً ، بل قل له : إنك على أحسن حال ، ولا تقل له قولاً ما ينكسر به قلبه ، بل توجّه بالهمة إلى الله ، واطلب منه إخراجه من تلك الذلّة ، واسْتَمْدِدْ على ذلك من روحانية الشيخ محمود أفندي قدس سره ، انتهى .

وقد قدم رحمه الله تعالى هذه الحكاية : ثمّ أذن لي للتلقين والإرشاد ، وأوصاني بتليين الكلام ، وحَمْلِ أخلاق الناس بلا ملام ، وكان قدس سره يقرأ أحياناً قوله تعالى ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ الآية وكان قدس سره لا يقول لأحد : اترك الشيء الفلاني ، وهو شيء منكر ، بل كان يلاطفه ويداريه[١] ، ثم بعد زمان يصير يتركه ، ويكرهه بطبعه ببركة صحبته

(١) وذلك لأن الرفق واللطف ومجانبة الغلظة والعنف أصل كبير في قبول الحق والانقياد له كما هو مذكورفي « النصائح الدينية » فراجعه في ٧ (منه قدس سره)

وأثر توجهه ، فالحمد لله رب العالمين ، هكذا قاعدة ذوي الإرشاد وهم أهل التصرف والإشارات لا أهل العتاب على المنكرات ، كما هو عكس ما عليه متشيّخو هذه الديار الداغستانية . **ثم اعلم** أن تعليم الطريقة وتلقين أذكارها أمر مختصّ[1] بأهله ، لا يجوز لأحد أن يباشره بقول إنه آمر بالمعروف لسرّ في التلقين إلاّ إن كان مأذوناً ، وقد علم في الباب الأول أنّ مَنْ لم يؤذن له لإرشاد الناس لا يجوز له أن يأخذ عهداً ولا أن يلقن ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، فينبغي لك أيها الأخ أن تتجنّب من ذلك ، لكن يجوز لك أن تقوم على مقام الحسبة بغير ذلك وتخبر الناس بما في الآيات والأحاديث ، وآثار السلف من فضائل الأذكار ومحاسن الطاعات ، من النوافل والمسنونات ، وغيرها من مكارم الأخلاق ومحامد السجيات ، وعليك أن تحث الناس على فعل المبرات ، وتدلهم على المشائخ الذين يرشدون الناس إلى الإخلاص في العبادات ، ولا تقيّدهم في دائرة ما دلّلتهم إليه[2] من أنواع الأذكار الغير الواردات ، قائلا : إن أوراد الطريقة مما لا يطيق عليها إلا أهْلُ النُفُوسِ المطمئنّاتِ ، كما قال كذلك أبعاض من أهل الجدال ، بمجرد حب الرياسات لتخرج من دائرة قُطَّاع طريق سيد الكائنات ، وإيّاك ثم إيّاك ومكايد الشيطان ، فإنه قد يغرّ الحمقى من أمثالنا بأمور : ظاهرها مقبول وباطنها مكر وغرور .

قال في « خزانة العلوم » : ومن مكائد الشيْطان أن يعرض الشر في مَعْرِض الخير ، كما يقول للعالم بطريق الوعظ : أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل ، هلكى من الغفلة ، مَالَكَ رَحْمَةٌ على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك ! ! وقد أنعم الله عليك بقلب بهير

(١) وفي نسخة : خاص .

(٢) وفي نسخة : عليه .

ولسان ذلق ، فكيف تكفر نعمته ! ! وتسكت عن إشاعة العلم ، ودعوة خلق الله إلى الصراط المستقيم ؟ ! فكذلك لا يزال يستجرّه بلطائف الحيل ، إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه إلى أن يتزيّن ويتصنع ، وهو في أثناء ذلك يؤكد فيه شوائب الرياء ، وقبول الخلق ، ولذّة الجاه ، والتعزز بكبر العلم ، واحتقار الخلق ، فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك ، وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول ، ويظن أنه عند الله بمكان وهو عنده مما قال فيهم رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » . انتهى .

فالأولى للضعيف أن لا يباشر منصب الوعظ والتذكير ، لأنّه لا يهتدي إلى دسائس النفس الأمَّارة ، ومكائد الشيطان ذي الغواية ، فيأمر لحظّ نفسه ، وينهى لا لأجل خالقه .

الوعظ قبل الأوان معصية

وفي الرشحات : جاء شخص عند واحد من الأكابر وقال : إنّي أريد أن أشتغل بالوعظ فبأي نية أشتغل به ؟ فقال له ذلك الشيخ جواباً عجيبا : إنّ النيّة ليست بنافعة في المعصية . وهذا الجواب صحيحٌ ، فإنّ الوعظ والنصيحة قبل أوانهما معصية ، انتهى . وقال بعضهم : يجوز[1] الكلام والتكلم في وقت بلغ المتكلم فيه درجة كأنّ لسانه نائبٌ عن قلبه . وقلبه عن الحق سبحانه . انتهى . وفي حاشية عبد الحميد على ابن حجر في ٢١٨ من الجلد التاسع : وينكر على من تصدى للتدريس والفتوى والوعظ وليس ٣هو من أهله ويشهر أمره لئلا يغترّبه . انتهى .

فإن قلت : فبما ذكر ينسد باب الأمر والنهي ، مع أنّه ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة ؟ ! حتى قال رسول الله ﷺ : « لأن يهدي

(١) إذا سئل متى يكون وقت الكلام (منه) .

الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها » ، وقال ﷺ : « أيّما داع إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من تبعه[1] » إلى غير ذلك من فضائل العلم ، فينبغي أن يقال للعالم : اشتغل بالعلم وانتشاره ، والوعظ وإتيانه ، واترك مراآت الخلق . كما يقال لمن عاجله الرياء في الصلاة : لاتترك العمل : ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك .

فاعلم أنّ فضل العلم كبير ، وخطره عظيم ، كفضل الخلافة والإمارة ، ولا نقول لأحد من عباد الله : اترك العلم وإظهاره ، والوعظ للناس وإخباره ؛ ما دام يجد في نفسه باعثاً دينيّاً ممزوجاً بباعث الرياء ، وإنما نقول : إن في ذلك غرورَ الشيطان ومكائده ، فينبغي لمن باشره أن يجتهد في إدراكه ، ويتفحَّص عن باطنه ، هل فيه شيء من حظوظاته وأغراضه ؟ أو هو قائم على الحسبة خالصاً لوجه خالقه ، فإذا لم يحركه إلاّ الرياء فترك ذلك أسلم له وأنفع ، ومعلوم أنّ جميع الواعظين لا يمتنعون عن الوعظ ، ولا يتركون لذة الرياسة والجاه ، فإن لم يكن في البلد إلا واحدٌ ؛ وكان وعظه نافعاً للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر ، وتخييله إلى العوام أنّه إنّما يريد الله بوعظه ، وأنّه تاركٌ للدنيا ومُعْرِضٌ عنها فلا نَمْنَعُهُ مِنْهُ ، ونقول له : اشتغل وجاهِدْ نفسك فإن قال لَسْتُ أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجَاهِدْ ، لأنّا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم ، إذ لا قائم به غيره ، ولو واظب ـ وغرضه الجاه ـ فهو الهالك وحده ، وسلامة دين الجميع أحبُّ عندنا من سلامة دينه وحده ، فنجعله فدآء للقوم ، ونقول : لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم » وكلامنا هذا في واعظ حسن الوعظ ، جميل الظاهر ،

(١) وفي « الزواجر » أمثال هذا الحديث ، فراجعه في ٧٩ من الجزء الاول (منه قدس سره) .

يبطن في نفسه حب القبول ، ولا يقصد غيره الذي يرغب في الآخرة ، ويزهد في الدنيا ، بكلامه وبظاهر سيرته ، وأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة ، والألفاظ المسجّعة المقرونة بالأشعار ، مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف المسلمين ، بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت ، وبعبارات يفهم منها عدم جواز اتخاذ شيخ ؛ وأخذ الذكر منه بقول : إنّ ذلك ممّا لا يطاق ، لأنّ الطريقة تكليف أهل النفوس المطمئنات ، وبإشارات تمنع الناس من صحبة أهل الله (الذين لا يشقى بهم جليسهم) و(إذا رُؤُوا ذكر الله) ! ! فيجب إخلاء البلاد منهم فإنهم نوّاب[1] الدجّال وخلفاء الشيطان .

وفي المنن : ورد في بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس ، والناس لا يشعرون أن ذلك الواعظ شيطان . انتهى .

ولقد أخبرنا ثقات : إنّ واحداً من المتصدرين للإرشاد بنفسه قال في أثناء وعظه على المنبر : إنّ أخذ الطريقة مما لا يجوز ، مع أنّ الإجماع منعقد على وجوب ذلك على كلّ من ليس له قلب سليم ، ثم علّم ذلك الرجل غفر الله له على الناس يومئذٍ أوراداً وأذكاراً قائلا : إنها من الشريعة ، وإنّه يعطي للناس من أورادها ، فتدبر يا أخي في غرضه الفاسد ، هل يَعِظ هكذا إلا مَنْ أراد إقبال النَاس إليه ، وصرفهم عن أبواب أرباب الكمال ؟ ! فما بال خروجه على المنابر ، ودورانه في أطراف العوالم ؟ ! بلبس الزيّ من زيّ المشائخ مع أنّه في قرانا قضاة أقِيمُوا في المساجد ليعلّموا الناس أمور الشرع الشريف ، فأي فرق بينهم وبين من يتشيّخ بالوعظ والتذكير ، ولا نعلم في حقه سرّ الخصوصيّة ، إلا أنّ اللعين قد حمله على حبّ الشهرة والرياسة ؛ في معرض الإصلاح

(١) كذا قال الغزالي في « الاحياء » (منه) .

والنصيحة ؛ وذا آخرما يخرج من قلوب العارفين ، وأنّى يتخلّص منه من سداه ولحمته أنانيّة ، من أمثالنا المغرورين بحبّ هذه الفانية ! !

قال الشعراني في « البحر المورود » : أخذ علينا العهود أن لا نمكّن أحداً من إخواننا الذين هم تحت التربية ، أن يتصدّر لوعظ الناس في المحافل ، ولا أن يكون خطيباً إلا لضرورة ، لأنّ ذلك يقطعه عن الترقي ، فإن الوعظ لا يليق إلا بالكمّل الذين فرغوا من تهذيب نفوسهم ، حتى ماتت تحتهم ؛ فلم يصر لها رأس يقام ، فمن مكث مريداً له من قبل ذلك فقد غشّه ، وفي الحديث : « من غشّنا فليس منّا » وإن كان الشيخ صادقاً ! فمن شأنه أن لا يَغُشَّ ، فليعلم المريد أنّه ما أذن له في ذلك إلا لكونه لم ير فيه أهليّة لطريق الله عز وجل ، والله أعلم . انتهى من عينه . ٢٩٨ من هامش « لواقح الانوار » .

ولقد يجد[١] الواعظ في وعظه ، وتأثر قلوب الناس به ، وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذّة ، فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام ؛ وإن كان باطلاً ، ويفرُّ عن كلّ كلامٍ يستثقله العوام ؛ وإن كان حقاً ، ويصير مصروف الهمّة بالكليّة إلىٰ ما يحرّك قلوب العوام ، ويُعظم منزلته في قلوبهم ، ولا يسمع حديثاً ولا حكمة إلا ويكون فرحه به من حيث أنه يصلح أن يذكر على رأس المنبر ؛ وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث أنه عرف طريق السعادة ، وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولاً ، ثم يقول : أنعم الله عليّ بهذه النعمة ، ونفعني بهذه الحكمة ، فأقصُّها على المنبر ليشاركني في نفعها إخواني المسلمون ، فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه[٢]

(١) وراجع « الإحياء » (منه) .

(٢) لأن الطاعة قد تنقلب معصية بفساد النية ، وإذا تعارض الواجب مع الحرمة يرجح جانب الحرمة . كذا في « الخادمي » في ١٣٠ (منه قدس سره العزيز) .

ويخالف الهوى فيه ، إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة ، فعند ذلك يعود إليه ، وله على ذلك أجْر عظيم ، وفي الحديث[1] : « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ » .

علامات الواعظ المخلص

ولمن أراد أن يعرف أنه صادق مخلصٌ في وعظه غير مريد رئاء الناس علامات ؛

إحداها : لو ظهر من هو أحسن منه وعْظاً وأغزر منه علماً ؛ أو الناس له أشد قبولاً فرح به ؛ ولم يحسده ، نعم لا بأس بالغبطة ، وهي : أن يتمنى لنفسه مثل علمه . **والأخرى** : أنّ الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغيّر كلامه بل بقي كما كان عليه ، فينظر إلى الخلق بعين واحدة ، **والأخرى** : أن لا يحبّ اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق ، ولذلِك علامات يطول[2] إحصاؤها .

الباب السادس
في بيان بطلان دعوى من يدّعي أنّ تلقين أذكار السلوك للعوام حرام للشيخ النقشبنديّ

قال العالم العلامة الحبر الفهّامة يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفى الحنفي النقشبندي في كتابه « هدية الذاكرين وحجة السالكين » :

---

(١) ونقلت هذا الحديث من « البريقة المحمودة » من الجزء الثانى فراجعه (منه قدس سره) .
(٢) هكذا في « الإحياء » (منه) .

وأما تعليم الذكر للعوام! فلعموم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ . انتهى .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم أحمد ضيآء الدين في « المتممات » : **واعلم** أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابتٌ ، من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرّك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبّسهم بالمخالفات ، فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي ؛ على طريق التبرك ، وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة ، حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ، ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ، وليسارق الشيخ نفسه الأمارة الآبية بالتدريب والتوطين ـ لئلا تنفر وتملّ وتيأس من الإصلاح ، وتقطع الرجاء ؛ فتصرّ على المعاصي ـ أمْرٌ حَسَنٌ ، وهو من سياسات الإرشاد ، ولو قال له من أوّل الأمر : اترك الدنيا واخرج من كل المظالم وصحّح التوبة ، وإلاّ فلا ألقّنك الذكر ولا يكون لك قَبُولٌ ينتج الهداية لنفر لاستصعابه كل ذلك ، ويحرم تلك الفائدة وربما يصل إلى حد اليأس ، وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤسآء والكبار ، فإن بعضهم قال : أدخل الإسلام بشرط سقوط الصبح عنيّ ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، فقبل منهم سرّا ليدرجهم على تمام الهداية تدريجا ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض[1] وأوحى الله إلى داود عليه السلام لمَاَّ أَنِف من مجالسة

---

(١) وقد جاء عن آنس رضي الله عنه قال : كان الرجل يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لشيء يُعْطَاهُ من الدنيا فلا يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها ، هذا كلام ابن الجوزي انتهى . كذا في « انسان العيون » في ١٣٥ » من الجزء الثالث يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل منه إسلامه وإن كانت نيته فاسدة ليدرجه إلى الإسلام الخالص تدريجاً=

بعض الفُسّاق ونهاهم عن مجلس وعظه : يا داود ، إن المستقيم لا يحتاج إليك ؛ والمعوّج إن لم تقمه فلِمَ أرْسِلْتَ ! ! . فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة إفادته[1] ، فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبية ؟ ! وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوّج الضال ؟ ! وهل يلزم أن يكون جميع المُلَقَّنِينَ الذكر أهلاً للتبرك والتجريد والاستقامة ؟ ! أم منهم الواصل والسائر المخلص المتوسّل ، ومنهم المتبرك المتخلف الساقط ؟ ! وهذه السياسة الحسنة مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليها المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامة المسلمين ، وإن كنت في شك مما بيّناه ! ! فارجع في « الإحيآء » و« المنن الكبرى » في ١٥٤ ، و« طبقات الصوفية » للشعراني .

وقد كان أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول : **ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا** إلا بعد[2] أن يمهّد له بساطاً قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع القربات الإلهية ، واللطائف الربانية ،

=والله أعلم (منه رحمه الله من خطه الشريف قدس سره) .

(١) وصار يجالس عصاة بني إسرائيل ويحسن إليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة ، فانقادوا له كلهم إلا من حقت عليهم كلمة العذاب . وعلم مما قرّرنا أن محل قولهم « يحرم إيناس العصاة » إذا لم يكن لغرض شرعي . فافهم . « المنن الكبرى » .

ومن شرط الفقير أن يتواضع لإخوانه المسلمين ، ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الأرض . انتهى (منه) .

وفي شرح « شعب الايمان » للقصرى لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الأرضين السفليات اهى (منه) وفيه : فحال العارفين كحال العصاة اهى راجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وكان لا يأمر أحداً بترك حرفته وتجارته بل يعرّفه الطريق وهو باق على حاله وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له وكان أبو العباس يحث على الحرفة ويقول عليكم بالسبب انتهى . كذا في « المتممات » في ١١١ من هامش « جامع الأصول » في النسخة القديمة وفي لواقح الأنوار القدسية أن سيدي إبراهيم المتبولي كان لا يحب للفقير عدم التكسب . فراجعه من ٨٧ من هامش « المنن » في الجزء الثاني وسيأتي الجميع (منه) .

والعلوم اللدنية ، وهناك يتنبّه المريد لطلب ما يدعو الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره ، وتهبّ عليه ريح التوفيق فلا يصير يقف مع شيء يَحْجُبُهُ عن حضرة ربه عز وجل .

قلنا : والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصْراً ؛ فمنهم من يمهّد له بمدّة قليلة ، ومنهم من لا يتمّ تمهيده له إلا بمدة طويلة بحسب تفرّس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم ، وقالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات[1] المباحة للنفس ، إذا ضَعُفت عن القيام بالعبادة ، كما أنه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى ، وكما أنه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء البارد لأجل استجابة الأعضآء للشكر بعزم وقوّة ، كما عليه السادات الشاذلية[2] فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه : كلوا من أطيب الطعام واشربوا من ألذّ الشراب وناموا على أوطأ الفراش والبسوا ألين الثياب وأكثروا من ذكر ربّكم ، فإذا فعل أحدكم ذلك وقال : الحمد لله يستجيب كلّ عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فإنه يقول : الحمد لله ، وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله .

---

(١) وقال ابن عطاء الله في « التنوير في إسقاط التدبير » ما حاصله : أن الحق تعالى لم يطالب العبد بعدم تناول الملذوذات وإنما طالبهم بالشكر عليها إذا تناولوها فقال تعالى ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ وقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ وقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾ ولم يقل لا تأكلوا وإنّما قال كُلوُا وَاعْمَلوُا انتهى . قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله قال لى شيخي : يا بنيّ برّد الماء فان العبد إذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة وإذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كلّ عضو منه بالحمد لله . اه . اختصاراً فراجعه في ٣٥ » ففيه كلام في حق هذا المطلب (منه من خطه أعلا الله درجته)

(٢) وفي « الإبريز » في ١٧٨ » ما يصرح أَوْلَوِيَّة وأحسنيّة هذا الطريق المبنيّ على الشكر على الطريق المبنيّ على الرياضات والمجاهدات وسيأتي في هذا الكتاب إنْ شاء الله (منه من خطه قدس سره العزيز)

وقال علي القاري : ليذكرن الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدَة يُدخلهم الله الجنات العلى ، وفيه دليل على أن الملوك والأمرآء ومن يجري مجراهم لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى ، وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الدرجات ، وفيه إيمآء إلى طريقة بعض السادات الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية . انتهى .

وفي « الرشحات » : قال بهآء الدين النقشبند : **كل الطعام جيدا، واشتغل جيداً** وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى كلام المتممات ١٨٤ وقال جامع القطبتين الشيخ الفاني محمد ذاكر في « تبصرة المرشدين » ثم يلقن[1] الذكر باسم الذات من غير فرق بين مريد ومريد على ما اختاره الإمام الرباني[2] في الأخير على ما قرّر في مكتوب العروة الوثقى الإمام محمد معصوم الفاروقي . وقال الشيخ محمد مراد في « الدرر المكنونات » مُترجما من كلام الإمام الرباني قدس سراهما : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارات والتوجهات أيّاً مَنْ كان مُناسِبٌ بل لازم . انتهى ١٤٧ من الجزء الثالث .

وفي رسالة العالم سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره : قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه ؛ مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق ، وأكثر الطالبين كذلك : وأنى يوجد الصادقون ! ! ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريقَ بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان ، وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا ، وإلا ! ! فالضرر راجع إليهم ؛ لا إليكم انتهى من خطه . وهكذا ، بل عينه ، في البهجة السنية في ٣٨ فراجعه .

---

(١) أي الشيخ .

(٢) راجع « الدرر المكنونات » في ٣٥ » من الجزء الثاني (منه) .

ولا يترك الخير لأجل كثرة الذنوب

وفي الفتاوى العمرية قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ولم يقل يا أيها الصالحون[1] ، وكذا الخطاب في ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربما يحصل له أجر جزيل ، وفي الحديث : « إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله ؛ وإن عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » . رواه أحمد ابن حنبل في « الزهد » ، انتهى .

يقول الفقير ذو العجز والتقصير : إذا أطلق الذكر يَعُمّ القلبيَّ واللسانيَّ ، بل إطلاق الذكر على ذكر اللسان مجازي فإن حقيقة الذكر طرد الغفلة ، **فافهمه**[2]، وراجع « تفسير سلمى » و« تصديق المعارف » ، و« الفتاوى العمرية » و« مكتوبات الإمام الرباني » .

وفي « الروض الفائق » في ٢٥٨ : وعن أبي الأسود الدؤلي : إن أبا ذرّ رضي الله عنه حدثه أنه قال : « أتيت النبي ﷺ وهو نائم وعليه ثوب أبيض ، ثم أتيته ثانيا فإذا هو نائم ، ثم أتيته ثالثا ، وقد استيقظ ، فجلست إليه فقال : « ما من عبد قال (لا إله إلا الله) ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال : « وإن زنى وإن سرق » قلت : وإن زنى وإن سرق ! ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » ثلاثا ، ثم قال في الرابعة : « على رغم أنف أبي ذر » . فخرج أبو ذر وهو يقول : على رغم أنف أبي ذر » ! ! انتهى .

---

(١) وفي « إتحاف السادات المتقينٍ » بشرح « أسرار إحياء علوم الدين » في ١٧٨ من الجلد الثالث إنّ المؤمن ليس بفاسق أصلاً ، إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محلّ العاصي انتهى . ويوافقه ما في « مناهج السعادات » : من أنّ الصالح يطلق على الفاسق بمجرّد إيمانه . فراجعه من صحيفة ٣٢ ومن ٤٥ (منه) .

(٢) أي فلا فرق في جواز الذكر القلبي أو اللساني لكل صالح وطالح وحصول النفع ومغفرة الذنوب ، فافهم (منه) .

وفيه أيضاً في ٢٥٧ : وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ـ في قوله تعالى « غافر الذنب » ـ : لمن يقول : لا إله إلا الله ، « وقابل التوب » لمن يقول : لا إله إلا الله ، « شديد العقاب » لمن لم يقل لا إله إلا الله انتهى .

وفي حديث آخر عن الديلمي : « الحسنة تدخل صاحبها الجنة ، والخلق الحسن يدخل صاحبه الجنة ، والجوار الحسن يدخل صاحبه الجنة » . فقال رجل : يا رسول الله ؛ وإن كان رجل سوء ؟ قال : « نعم على رغم أنفك » . انتهى من « بريقة » من الجزء الأول ٥٢٥ ، وفي هذه الأحاديث إيمآء إلى أن الذكر ينفع العاصي ، فتدبّر .

وفي « السير والسلوك » : وأعظم أسباب الندم المداومة على ذكر الله بكلمة (لا إله إلا الله) ، لأنه إذا داوم عليها يوقد في قلبه مِصْباحاً ملكوتيا ، فتزول به ظلمة الباطن ، فيَظْهَرُ ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة عن نيل السعادات ، وهو ؛ وإن كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل الندم الذي هو التوبة ، وقد روي عن سلطان الأوليآء وقدوة الأصفيآء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له : أكثر من ذكر (لا إله إلا الله) . ويأتي آخر فيشكو له الزنى أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل منهي عنه إلاّ أمره بالذكر . انتهى .

قال الشعراني في « البحر المورود » : أخذ علينا العهود أن نليّن القولَ ، ونخفض الجناح لجميع أصحاب الكتب ، كالظلمة ، والخمارين ، والحشاشين ، والمقامرين وأصحاب المكوس ، وجباة الظلم فإن ذلك أسرع لانقيادهم لنا ، وأقرب طريق إلى حصول التوبة منهم ، وإلى تقويم عوجهم ، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام

حين أَنَفَتْ نفسه من مجالسة العصاة : « يا داود ، المستقيم لا يحتاج إليك ، والأعوج أعرضت عن تقويم عوجه ، فلماذا أرْسِلْتَ ! ! » . ثم إنه تعالى أعقب ذلك بما وقع له من إثم الخطيئة ، فتنبّه داود عليه السلام واستغفر وصار يقول : اللهم اغفر للخطائين حتى تغفر داود معهم ، وكان قبل ذلك يقول : « اللهم عاجل بالعذاب من عصاك » .

ومن كلام ابن عطآء الله رضي الله عنه : معصية أورثت ذلاًّ وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً . فارحم يا أخي أهل المعاصي بقلبك ، وعظهم باللين من قولك ؛ تكن حكيم الزمان ، وخالطهم إن وجدت من قلبك ثباتاً على الدين مع خلطتهم ، وإن نفروا منك فاتبعهم ، ثم لا تزال تسارق أحدهم وتصرعه عن محبة كتبته من حيث لا يشعر ، حتى يقوم عوجه إن شاء الله ، وأما إذا هجرت أهل المعاصي ونفرت منهم ، أو لم تتبعهم فمن يقوم عوجهم ومن يبغضهم في كتبهم ؛ وقد قالوا : أحوج ما يكون أخوك إليك إذا عثرت دابته . فعلم أن أصحاب الكتب ضالة كل داع إلى الله عز وجل ، ولو أن الداعي ترك سياستهم وتركهم يتمادون في غيّهم ، لربما أخذه الله بهم يوم القيامة ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك . انتهى .

فهذه السياسة الحسنة هي التي مشى عليها المشائخ قديما وحديثا ، وهي المعالجة الكبرى من أصحاب الطب الروحاني رضي الله تعالى عنهم . وقال شيخ زاده في شرحه على « البردة » في ٣٩ : فإن تزكية النفوس كمعالجة الأبدان ، فكما لا يجوز استعمال الأدوية إلا بنظر طبيب حاذق ذي تجربة في المعالجة كذلك تزكية النفس لا تتيسّر إلاّ بنظر نبيّ أو وليّ ذي تجربة في هذا الشأن انتهى .

وقال الخربوتي في « عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة » في

٣٩ : إن للمرشد إرشاد كل من استغرق في الهوى ، ولم يعلم ذلك إلا النبي أو الولي ، وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً وأوفر العاصين زاهدا ، **بل كل رجل يلزم له أن ينيب إلى مرشد كامل** . انتهى . ولا شكّ أنّ ما يستعمله مشايخ الطريقة لشفاء العِلَلِ المعنويّة ؛ أو الحسيّة هو الذكر الكثير ، ولذا قال الشعراني في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدوآء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ؟ ! فقلت : الإكثار من ذكر الله حتى يتجلّى في قلبه التوحيد الحقيقي ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ؛ ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبّر على أحد من العصاة ، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دوآء غير التوحيد من الأعمال ؟ **قلت** لا أعلم له دوآء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فَطَوَوْا به الطريق ، وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي ! وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقّف على جلاء القلب ، **فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدّى** وحكم غيره كالصابون . انتهى وهكذا في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية خمسمائة سنة ، وأن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : يا رب بل بعملي ، فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى دون عمله وإن كان

لزم الأدب مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » في ٣١٢ : وسمعتُ سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : مراد الشارع ﷺ ومشائخ الطريق من مريديهم ، إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب ، أن يحصل له الأنس ويصيرَ قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر ، بل يكون الحق مشهودَه على الدوام ، تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله ، وأن الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، **وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس** ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة .

مطلب

خاصية تمكن الذكر في القلب

وسمعته مرة أخرى يقول : من خاصيّة تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر . والله عليم حكيم . انتهى .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾من سورة العنكبوت : أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوْصاف الذميمة الفاحشة كلها ، وذلك مجرب عند المشائخ ، ولاسيّما ذكر الله بكلمة لا إله إلا الله ، فإني جرّبتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها ينقلب من البدن كانقلاب[1] الطير من قبضة الصيّاد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة فافهم . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : تنفلت من البدن كانفلات الطير .

وفي « مزكي النفوس » : الذكر أفضل من صلاة النافلة لأن الصلاة تنهى عن الفحشآء الظاهرة ، والذكر تنهى عن الفحشآء الباطنة ، وما يطهّر الباطن الذي هو منظر الله ومُدْرك أمر الدنيا والآخرة يكون أفضل من غيره . انتهى ملخصاً وبالمعنى راجعه .

وفي « السير والسلوك » : فالسالك إذا كان في المقام الأوّل ـ يعني النفس الأمارة ـ وتلقن الاسم[١] الأوّل ، وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل والنهار ، جَهْراً وسرّاً ، قياماً وقعوداً ، أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتيّاً ، فيرى بعين قلبه القبائح التي هو مُنْطَوٍ عليها كارهاً متنكراً إتّصافها ، مُتحسّراً على ما فاته من الأوقات بعد ما كان في غفلة ، لا يعرف القبيحَ من الحسن إلا باللسان ، فيتشمّر حينئذ ويَسْعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة ؛ كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك ، وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة ؛ كالكبر والحقد والشحناء وأمثال ذلك ، وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته[٢] الأفعال القبيحةَ ، وزاد سعيه في الخلاص منها ، وهذا أمرٌ متحقّق لا ينكره إلاّ مَنْ لا يُجَرِّبُهُ ، وهذا أوّل كرامة يكرم بها الله تعالى هذا السالك ، يستعينُ على قطع الطريق وله في كلّ مقام كرامة بل كرامات لِيثبت ، والمصباح المذكور هو أوّل الجذبة الرحمانيّة ، وكلما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب ، حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال فيقوى على حمل الأمانة وعلى المتجلّيات . انتهى .

وفيه في ٣ أيضاً ما حاصله : أنه لا بدّ للسالك من سلاح ، وهو

(١) من الشيخ .

(٢) والذكر يهذب أخلاق الذاكر وطبائعه المذمومة ويؤدّب بآداب السادات كذا في « منية الفقير المتجرد » في ٣٩ فراجعه (منه) .

الأسْماءُ[1] ليُهْرِبَ عَدُوّيْه وهما الشيطان والنفس . انتهى .

وقال الإمام اليافعيّ في « نشر المحاسن » : وقال بعضهم : ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الأفات التي تقصدُهم .

وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان ، صَرَع كما يَصْرَعُ الإنسان إذا دنا[2] منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : مالهذا ؟ فيقال : قد مسَّهُ الإِنْسُ . انتهى .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله . وقال الحكيم : قد أُعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي ، وتزيين ما في الأرض له ؛ طمعاً في غرابته ، فهو يزعجه عن مقرّه ، ولا يعتصم بشيء أوثق من الذكر ، لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار ؛ فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيّج العدو نار الشهوات ، وإذا رأى العدوّ هيجان الذكر من القلب ولّى هاربا ، وخمدت نار الشهوات ، وامتلأ نوراً ، فبطل كيده . انتهى . كذا في « البريقة المحمودة » في ٥٦ .

وفي « العوارف » : وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقآء أحدنا النار . فراجعه في ١٠٤ من هامش « الإحياء » من الجلد الرابع .

---

(١) الإلهية (منه) .

(٢) فالحاصل إن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفى عنه حديث النفس بالتدريج ويرى الإصغاء إليه ذنباً فيتقيه ويتقد القلب عند هذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب في كبد السماء ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك بعد الشيطان ويندر في حق هذا العبد الخواطر الشيطانية ولمّاته ، فراجع « العوارف » . وأما قطع حديث النفس والخواطر المشغلة عن خطاب الحق جل وعلا بغير سلوك على يد شيخ ناصح مما لا يصح أبداً كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » فراجعه في ٥١ من هامش المنن الكبرى من الجزء الأول (منه من خطه قدس سره) .

وبالجملة : فالذكر أشرف العبادات وأفضلها وأعظمها وأكملها ، من حيث تصفية القلوب وتحليتها ، وتزكية النفوس وتكميلها ، لأن العابدين لو اشتغلوا بجميع العبادات في جميع أوقات الليل والنهار قلّما يَحْصُل لهم تصفية قلوبهم وتذكية نفوسهم ، وتهذيب أخلاقهم وأما الذاكرون ! فلما اشتغلوا بذكر الله على الدوام ، لا يشذّ منهم أحدٌ إلاّ قد حصل ذلك مع كثير من الأسرار وأنواع الوُصلة ، لأن الذكر عَمَلٌ جامع لأحوال القلوب وأسرار القرب ؛ من مقامات اليقين ومشاهد الشهود ومراتب كشف الغيوب ، وهو حِصْنُ الله الأعظم ومن دخله كان آمنا من الآفات الظاهرة والباطنة كما قال الله تعالى : « لا إله إلا الله حصني ، ومن دخله كان آمنا » ، وكما جآء في الحديث : « يقول الله تعالى لملائكته : قرِّبُوا منيّ أهلَ لا إله إلا الله ، فإنيّ أحبّهم » ، وقال عليه السلام : « لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه » ، وقال تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ : كذا في « المتممات » في ١١٤ فيقول الفقير أخذاً من هذه المذكورات آنفاً ومما يأتي في الباب السادس عشر : إذا كانت الأسمآء الإلهيّة للسّالك كالسلاح ، فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها ، فتكون حُجُباً يمنع بها الشيطان ، ومؤثّرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبيةُ ، فيقوى السالك على الشيطان ؛ وعلى النفس ، ويَضْعَفانِ ، كما يقوى المقاتل الذي معه سلاحٌ جيّدٌ وسيف قاطعٌ حادٌّ على العدوّ المحارب ، وإن أخذها من غير عارف مأذون[1] ؟ ! تكون الأسماء خالية عن الأنوار ، فلا يقوى بها على الشيطان الغرّار ، ولا تَصيرُ حُجُباً بينه وبينه[2] ولا تكون مؤثرة لانكسار النفس وهواها ، بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه ، ويُوقعُه في العُجْبِ والريآء ؛ ولو بعد حين من الأحيان . والله أعلم .

---

(١) صفة عارف (منه) .

(٢) لعله أي بين الشيطان انتهى .

قال في « المواهب البريقة » ؛ نقلاً عن الشعراني : فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب في آخر عمره فحبط عمله كله ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية ، فسرح على شجر الحنظل سرحة ثم مَجَّ ذلك على الخلية ؛ فأفسد كل ما فعله تلك السنة . انتهى .

ولقد سألني بعض العلمآء منكراً على شيخنا قطب الأولياء بركة الزمان قدس سره : هل يجوز تعليم الذكر للعريف ؟ .

فقلتُ له : إذا أراد الكافر أنْ يسلم فأيّ شيء يجب عليه أولاً ؟ فقال أن يقول (لا إله إلا الله) ! فقلت له : فهل يكفي له أن يذكره باللسان بلا تصديق بالقلب ولا إذعان أم لا ؟ فقال : يجب عليه أن يذكره باللسان مع موافقة القلب ، فقلتُ : إذاً ، يُعلَم بالطريق الأولى جواز الذكر بكلا نَوْعَيْهِ لمسلم نشأ في الإسلام ! فتحيّر ذلك العالم وتدبّر ، ولكن قال : هل يجوز أن يذكر الله بتلقين شيخ مع رابطة ؟ فقلت : نعم ، إنما وضع الإرشاد لأجل المعوجّ ، والأذكار الملقّنة أشدّ تأثيراً وأكثر نَفْعاً ، وبها يصير المعوجّ مستقيماً . فسكت مَلِيّاً ، ثم أورد عليه ما في « الإحيآء » قبيل بيان الدوآء النافع في حضور القلب في ١٣ من الجلد الأوّل .

وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : « قل لعُصاة أمّتك لا يذكروني ، فإنّي آلَيْتُ على نفسي أنّ مَن ذَكرني ذكَرْتُهُ فإذا ذكروني ، ذكرْتُهُم باللعنة » . انتهى ، فقال : ما تقولون في هذا ؟ ! فقلت له : لعلّ ذلك في حقّ قوم[1] مخصوصين[2] قد ذكروا الله تعالى

---

(١) في زمن موس عليه السلام مع أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا على الأصح كذا في « فتح المبين » ومثله في « الخادمي » وفي « فتاوى الرمالي » : ليس شرع من قبلنا شرعاً لنا وإن ورد في شرعنا ما يقرره ، لأن شريعة نبينا ﷺ ناسخة بجميع الشرائع انتهى فراجعه في ٣١٨ من هامش « فتاوى ابن حجر » من الجلد الرابع (منه من خطه رحمه الله) .

(٢) ويؤخذ كون المراد ممن ذكر ، قوما مخصوصين ، مما في رواية أخرى ، أن الله أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أنْ مُرْ ظلمة بنى إسرائيل أن يقلّوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة حتى يسكت ، فإن ضمير منهم يرجع إلى الظلمة الكائنين في زمنه عليه=

استهزاءً وسخريّاً مع إصرارهم على المعاصي ، وعدم مبالاتهم بارتكاب المناهي . ولقد كان الله تعالى شدَّدَ لأمم بعض الأنبياء بأشياء لا طاقة لهم بها ، وقد رفع ذلك التشديد بفضله عن هذه الأمة المحمديّة المرحومة ، كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ الآية ، وإلاّ ! فيُعَارض كلام الإحياء على كثير من الأحاديث وآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾[(١)] وقد قال السفيري في شرح البخاري : إنّ موسى عليه السلام قال في بعض مُناجاته : يا ربّ ، قال له تعالى : لبّيك يا موسى . فقال له موسى : يا ربّ أنت أنت ، ومن أنا حتى أُجَاوَبَ بالتلبية ؟ ! فقال : يا موسى ، إنّي آليت على نفسي أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبيّة إلاّ أَجَبْتُهُ بالتلبية ، فقال موسى : يا رب هذا لكل عبد طائع . قال : ولكل عبد مذنب . قال : يا رب الطائع بطاعته ، فما بال المذنب ! فقال الله تعالى : يا موسى إذا جَازيت المحسن بإحسانه وضيَّعْتُ المُسِيءَ بإساءته فأين جُودي وكرمي » ! ! . انتهى . هكذا في « تنوير الصدر » شرح حزب البر في ٢٧٤ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

وعن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ، علّمني عملاً يُقرّبني إلى الجنة ويُبَاعدني من النار ! . قال : « إذا عملت سيّئة فأتبعْها حسنة » ، قال قلت : أمِنَ الحسنات قول « لا إله إلا الله » ؟ قال : « نعَمْ هي من أحسن الحسنات » . انتهى . من أربعين حديثاً .

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة على كل مؤمن عاصياً كان أو

=السلام فتدبره (منه رحمه الله إفلاسه) .

(١) اي إن في المؤمنين عاص وصالح ومع ذلك أمرهم بهذه الآية بذكرهم إياه ، وما مر يخالف عموم هذه الآية الكريمة ويعارضها لو كان على العموم ، فتدبره (منه) .

مطيعاً ، والصلاة ذكر بدليل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فلو كان الله تعالى يَلْعَنُ الذاكر العاصي وأَمَرَهُ بعدم ذكره إيّاه ، لَمَا جَازَ للعُصاة والفساق من المؤمنين أن يقيموا الصلاة ، ولم يقل به أحد من الأئمة ! ! مع أنّ المشائخ قدس الله أسرارهم لا يلقنون الذكر إلاّ بعد تلقين التوبة ، وتعليم الإنابة احتياطاً ، فإن استقام المريدون فازوا ونالوا وإلاّ فالضرر راجع إليهم ، لا إلى المشائخ ، فأيّ رجل خرج من العِصْيان مع أنّ العصمة من خصائص النبوّة[1] . انتهى . وبعد ذلك لم يرِدْ إليّ[2] من طرفه سُؤال مّا ، فلا أدري أرَضِيَ بالجواب أم لا ! ! فالحمد لله رب العالمين .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : أخذ علينا العهد العام عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو ما أمكن ، وإن وقعنا في ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى ، بما ورد أنه يُكَفّر ما وقع في ذلك المجلس ، وذلك أنّ الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلاّ بعد ساعة[3] أو ثَلاَثِ ساعات كما ورد ، فإن استغفر لم يكتبها . وإن لم يستغفر يكتبها وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده ، من حيث كون[4] رحمته وحلمه سبق غضبَه

---

(١) ولقد قال المحشى الحفنى في ٢٤٠ إن أصل الولاية تحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة وهم أولياء الله وإن أخطؤا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً ، فإن الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة انتهى ٢٤٠ من هامش « المنح المكية » ، فليتدبره القائلون بعدم جواز إعطاء الطريقة لأهالى داغستان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) أي العالم المذكور .

(٣) وفي « الإحياء » وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات ، فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها انتهى . فراجعه في ٤١ من الجلد الرابع (منه) .

(٤) وقال بعض السلف ما من عبد يعصي إلاّ استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن=

وانتقامَه ، فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه الرحمة والانتقام ، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق ، فتأتي أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام ، فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير . والحمد لله رب العالمين . وقد كان الشيخ محي الدين العربي يقول : إذا عَصَيْتَ الله تعالى في أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيراً ، كقولك (لا إله إلا الله) ، أو (سبحان الله) ، أو (الحمد لله) . فكما صارت البقعة تشهد عليك ، كذلك تشهد لك يوم القيامة ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى أبو داود والترمذي - واللفظ له - والنسائي وابن حبان في « صحيحه » والحاكم ، وقال الترمذي : حديث حسن مَرْفوعا : « من جَلَسَ مَجْلِساً كثر فيه لَغْطُهُ ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه : (سُبْحَانَكَ اللَهُمَّ وبِحَمْدِكَ ، أشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أنْتَ ، أسْتَغْفِرُكَ وأتُوبُ إِلَيْكَ) ، إلاّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك » . انتهى ٣١٦ .

ولقد أمر الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن بالاستغفار والتوبة ، ومَدَح المستغفرين والتوابين ، والاستغفار ذِكْرٌ ، وأمثال هذه كثيرة وكلّها يُعَارض كلامَ « الإحياءِ » المذكُورَ . فتدبره . فالحاصل أن العبد مأمور بتقوى الله في سرّه وعلانيته ، لكن لا بدّ أن يقع منه أحياناً تفريطٌ في التقوى ، إمّا بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات ، ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى ، كما[١] دَلّ عليه نظم سياق

=سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفّا عن عبدي وامهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعلّه يتوب إليّ فاغفر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ في « الإحياء » في ٤١ من الجلد الرابع (منه) .

(١) وكذا لا ينافي وصفه بالصلاح لأن الصالح يطلق على المؤمن ولو فاسقاً بمجرد إيمانه ، كذا في « مناهج السعادات » شرح « دلائل الخيرات » في ٤٩ وفي ٣٢ راجعه (منه) .

آيات ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى أن قال في وصفهم : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية . فلذا أمَرَ صلى الله عليه وسلّم بأن يفعل العبد ما يَمْحو به ما فرط منه بقوله : « وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها » . كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي فلا تعجزن أيها الإنسان إذا فرطت منك سيّئة أن تتبعَها بحسنة ، من نحو صلاة أو صيام أو ذكر ، وفي الحديث : « كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم » فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، إني أصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عليَّ ، فأعرض عنه ، ثم كرّر ذلك مراراً ، وهو يعرض عنه ، فقال : يا رسول الله إنه أتتني امرأة أجنبيّة تشتري منّي تَمْراً ، فأدْخَلْتُهَا البيتَ فأَصَبْتُ منها ما يصيب الرجل من امرأته ، غيرَ أني لم أجَامِعْها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « تَوَضَّأْ وُضُوءاً حَسَناً » فتوضَّأ وصلّى مع النبي صلى الله عليه وسلّم فنزل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي : عظة لمن اتّعظ ، فقال مُعاذ : يا رسول الله هذا له خاصّة أم للناس عامة ؟ ! فقال : « بل للناس عامة » . انتهى من « فتح المبين » ملخصاً . وبالمعنى من الحديث الثامن عشر فراجعه في ١٤٦ إن أردت البسط الزائد .

واعلم : أنّ ما يَدُلّ على جواز الذكر لكلّ واحدٍ من المؤمنين صالحاً وطالحاً كثيرٌ في الكتب[١] ، والمشائخ هم الأطباء يُعالجون المرضى بالأمراض المعنويّة ، بأدوية الأذكار الواردة من سيّد البشر عليه السلام ، كما قال صلى الله عليه وسلّم : « ذكر الله شفاء القلوب » ، أخرجه الديلمي في الفردوس عن آنس رضي الله عنه .

---

(١) وقد قال الإمام الرازي قدس سره ما حاصله : إن العبد يأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به انتهى (منه رحمه الله) .

والقول بعدم جواز إنزال الدواء على موضع الداء ممّا لا يقبله عقل ، ولا نقل ، ولا يشترط في مقام الاتباع له عليه السلام عدم الوقوع في المعصية ، وإنّما الشرط عدم الإصرار . كذا في كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني ، راجعه في ١٤٩ من هامش الإبريز .

ولا يخفى أنّ مُرْتَكِبَ المعاصي أحْوَجُ من غيره إلى تكثير الخيرات وزيادة المكفِّراتِ من الأذكار والأوراد وغيرها من أنواع[1] الطاعات ، فلعلّ ميزان حسناته يرجح فيفلح فلاحاً لا شقاوة ولا خسران بعده ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ الآية . ولقد سمعت شيخنا ذا الجناحَيْن قدس سره يَقُولُ – مُقْتَبِساً من قوله تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الآية – : إنّ مَنْ ذَكر الله تعالى خمسة آلاف مَرّة – وهو أقلّ وِرْدِ مَنْ له شيْخٌ – فله خمسون ألف حسنة ، فمن ذكر الله تعالى بذلك العدد في كل يوم ، فسَيفرح يوم القيامة إذا وجد تلك الحسنات في صحيفته ، ومن ليس له شيخ لا يطيق على ذلك . انتهى .

قلت – والله أعلم – : إن ذكر القلب يُضاعف على ذكر اللسان بسبعين ضعفاً كما ورد بذلك الحديث ، فاحْسِبْهُ إلى أين يُرْتقى ثوابه ، واشكر مَوْلاَكَ واسْألْ مِنْهُ القبول بِلا حِرْمَانٍ ، إنه هُوَ الجواد الوهَّاب . فها أنا يا أخي طَوَيْتُ لك في هذا الباب عدّة منافع فعليك الاستغفار لهذا المذنب الخاطىء .

---

(١) وقد نقل الشيخ الشعراني في« اليواقيت » عن « الفتوحات » للشيخ الأكبر أنه قال في باب الوصايا إيّاكم ومعادات أهل لا إله إلا الله ، فإن لهم الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعه بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين الله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه وأطال في ذلك ، ثم قال وإذا عمل أحدكم عملاً توعده الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيمة لا بد من ذلك . انتهى فراجعه في ٤٦ قبيل المبحث الثاني من الجزء الأوّل (منه من خطّه قدّس سرّه) .

وَصْلٌ[1]: في بيان رفق المشائخ وملاطفتهم لضُعَفاء المُريدين ومُسامحتهم لمن لا يقدر منهم على عمل العزيمة .

قال في « الحدائق الوردية » في ٢٠٣ : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعْبٌ لفساد المُعامَلات وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة . انتهى . ومثله في « النفائس السانحات » فراجعه في ٦٦ من هامش الرشحات .

وفي « المتممات » في ١٧٩ للقطب أحمد ضياء الدين قدس سره : وإن لم يمكن العمل بالعزيمة بأن يكون[2] من أهل التجارة أو الحرفة أو الخدمة أو الزراعة أو صاحب عيال ، فليعمل بالرخصة . انتهى . وهكذا في الخادمي و« الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغازى الغموقي قدس سره .

وقال الخاني في « البهجة السنية » في ٣٠ : ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريق ، فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيُسامحه ، ولا يَرُدّه عن الطريق ولا يثبت رقم الشقاوة على جبينه ، لأنه مَنْ جلس معه بالصدق والصفاء لا يكون شقيّاً ، إن لم يتصل بمقام الكمَّل فهُمْ قوم لا يشقى بهم جليسهم ، فينبغي أن يأمرهم بالرخصة فيمنعه من الرياضة الشاقة حتى لا ينفر من صحبة السعداء ، فيجلسه باللطف والكرم ، فبصحبتهم وكثرة المخالطة مَعَهُمْ يتأثَّرُ وتقوى همته . وبحكم المناسبة والمجالسة تحصل له المحبة وداعي تحمّل المشقّة والرياضة والمجاهدة ، فيَرْتقي من حضيض الرخصة إلى ذِرْوَةِ العزيمة ، ويحمل جميع المشاق .

---

(١) قوله وصل ، هو بالواو ، لا بالفاء ، تدبر (منه) .
(٢) مريد .

جاء رجل من أبناء الملوك إلى شيخ وخرج من جميع المال والأسباب كلها مرّة واحدة ، فتفرّس الشيخ بفراسته حالَهُ ، فبحسب الأوقات يحضر له الطعام اللذيذ ويقول الشيخ : تربيته كانت بالنعمة ، وتأنس بها ، فلا بدّ من الرفق به ، ولا ينبغي المنع من حظوظات النفس من الحلال حتى تحصل له الرغبة إلى المجاهدات ومخالفة النفس . انتهى .

وفي « قلائد الجواهر » في ١٤ ، و« ترصيع الجواهر » في ٢١ نظيرُ ما مرّ فراجعْهُمَا .

وفي« المتممات » في ١٩٦ : وقيل : متى رأيت المريد يشتغل بالرخص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجيء منه شيء ، وأما عند النقشبندية بعد الحضور لا يضرّ . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » أيضاً ما حاصله : إن المشائخ مأمُورُونَ باستمالة قلوب الناسِ ، ولو قلب كافر ، وأما الأمر بإهانة الكافر والعاصي المجاهر ! ! فهو في حق غير المرشد ، ولذا قال سيّدنا عبد القادر : لا يضحَك في وجه الفاسق غير العارف يضحك في وجهه ليتألَّفه ويخلِّصه من فسقه ، وليستنقذه من يد الشيطان ، لأنه طبيبٌ والطبيب يَصْبِرُ على صحبة المرضى . انتهى في ٣٤ .

وفي « المنن » : لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلاّ الدعاة . انتهى .

وفي « البهجة » في ٣٧ : ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي ، فإنّ الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مُدّة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام ، قال العبد الراجي رحم الله إفلاسَه : إن للشيوخ الكرام قُدِّسَتْ أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلّم حيث ثبت أنّ المبايعين أرادوا المبايعة له صلى الله عليه

وسلّم على أربع صلوات أو على أقلّ من ذلك فبايعه على ذلك وقال : « الصلاة لا تُتْرَكُ » ، فكذلك الشيُوخ يقنعُون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتماداً منهم على أنّ النور الإلهيّ إذا تمكّن من قلبه يأبى أن يكون كلّ حَرَكة وسكنة منه إلاّ بالله سبحانه وتعالى ، ثم يُلقّنه ذكراً مناسباً لحاله ويُمدُّه في ذلك بتوجُّهه وهمّته ، ويُبيّنُ له آداب الطريق وشرائطه ، ويرغِّبُه في متابعة الكتاب والسنة ، ويقطع عنه الكلمة بأنّ الوصول إلى المطلوب لا يمكن إلاّ بهذه المتابعة ، وينبّهه على أن الوقائع والكشوف المخالفةَ أدنى مخالفة للكتاب والسنة لا يلتفت إليها أولوا الأبصار ، ولا توزن بميزان الاعتبار . انتهى من عينه ٣٧ .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض مكاتيبه ، مجيباً لمن سَأله : إنّ بعض الرجال والنساء يلتمسون الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رِبا ، ويظهرون أن هذا الأخذ منهم ليس إلاّ بالحيلة الشرعيّة ، هل يتأهلون لتعليم الطريقة ؟ : **لقِّنوهم الذكر وعلِّموهم ورَغِّبُوهم في الاجتناب عن المحرم، ولعلّهم يتخلّصونَ من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة** . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٣١ من الجزء الثاني و« البهجة السنية » في ٣٧ المعنى في هذا ما قد سبق عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، ومن هنا قالوا : إنّ الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمْعَة والرياء لا يترك العبادة ، بل يستغفر الله تبارك وتعالى . انتهى . « بهجة » ، ملخصاً في ٣٧ .

مطلب

وقد قيل : الرياء قنطرة الإخلاص ، ولهذا قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره : قد تحمل المشائخ المريدَ إلى الرياء في العبادة

ليجرُّوه تدريجاً إلى الإخلاص . انتهى .

وفي « المنن » : ولمّا ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالرسالة لم يأمر أحداً بترك الحرفة التي بيَدِهِ ، بل أقرّهم على حِرَفهم وأمرَهم بالنُصح فيها . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : الكامل مَنْ يسلك الناس وهم في حِرَفهم . انتهى .

فالواجب على الشيخ أنْ يَرْفق ويلطف بِمَنْ كثرت معاصيه وقسَى قلبه ، وغلب وقوعه في المخالفات ، ولم ينشرح صَدْره للتوبة ، فإنّه كالمريض الذي يَشْكُو أمْرَاضه للطّبيب فلا ينبغي أن يزجره وينفر منه بل يَصْبِرُ حَتّى يفرغ من أن يَشْكُوَ ضرورته ومَرَضه ثم يصف له الدواء ، وهذا الخُلق قلّ مَنْ يعمل به ، لاسيّما أهل الحِدَّة والغيرة على الشريعة ، ولو أنّهم نظروا في أخلاقه صلى الله عليه وسلّم لتلطّفوا[١] بجميع العصاة ، فإياك يا أخي ونَهْرَ أحَدٍ من العُصاة إذا سَألك عَنْ دَوائه . ولا يمتحنهم الشيخ في الصدق ، لأنّ الامتحان إنما يكون إذا تمكَّنوا في الطريق وعلّقت بهم صنارتها وأمّا قبل ذلك فربّما امتحنهم الشيخ فرجعوا عما كانوا قصَدوه وقالوا : ما لَنا ولهذا الطريق ؟ ! وفترت همّتهم . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر : إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يُلَيِّنُ القول لمن يَرْجُو إسلامَه لأنّه أرجى للهداية . انتهى .

وفي « تنبيه المغترّين » : مَن لم ينظر للعُصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى . وفيه أيضاً : الفاسق ضالّة كلّ داع إلى الله[٢] . انتهى . يعني أيْنَمَا وجدَها يلتقطها . والله أعلم . انتهى . فعامل يا أخي إخوانك في هذا الزمان كما تعامل الأطفال الذين ليس لهم عُقولٌ ، ولا

---

(١) وفي نسخة : لتفطنوا .

(٢) فهو يطلبهم ليصحبهم ويسارقهم بتقويم عوجهم ويتخوّلهم بالموعظة الحسنة « لطائف المنن » من في٢٦١ من الجزء الثاني راجعه (منه) .

تُقِمْ عليهم ميزان الصدق فينفروا كلهم من صُحْبَتك انتهى « المنن » .

وفيه : لا لوم على الدعاة إلى الله تعالى من العلماء العاملين في تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح كَأنْ يقصِدُوا بذلك تمييلَ قلوبهم إلى محبتهم حتى يَصْغَوْا لنُصْحهم ، فإنّ التكبّر على الفسقة وإظهار احتقارهم مما ينفرُ قلوبهم ، وتأمّل يا أخي الصيّادَ إذا اصْطادَ سمكة كبيرة وخاف على خيْطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخي لها الخيط على تَبَعُّدٍ ثم يَسْحَبُها مُسارقة شيأ فشيأ حتى تَدْخل تحت يَدِه ويقبض عليها ، وكذلك العُصاة . انتهى .

فائدة : ومن السياسة الحسنة أن لا يعاهد الشيخ المريد بأن لا يَعُود إلى عصيان الله تعالى ، وأنْ يُوفِّي ما لقَّنه له من الأوراد ، بل يأمُرهُ بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير مُعاهدة ، لأنه لا يأمن صَاحِبُ المُعَاهدة من الوقوع في الخيانة وعدم الوفاء ، فيصير عليه إثم المعصية وإثم خيانة العهد ، ولو أنه لم يقع في مُعَاهدة لكان عليه إثمٌ واحدٌ . ومثله في « درر الغواص » وكتاب « الجواهر والدرر » فراجعهما ، ومشى شيخنا العسليّ قدس سره على هذه السياسة ، وكانت عادته رضي الله عنه أن يلقن الذكر لكلّ مَنْ جاء لديه من أرباب الحشيش وأهل السعُوط وشَرَبة النبيذ وغيرهم من أهل الفسق والمعاصي ، ولا ينهاهم عن تلك القبائح ، بل كان يُلاطفهم ويداريهم ويمزحهم كأنّه مثلهم ، ثم بعد زمان كانوا يتركون الشرور والمناهي ولا يرتكبون الفسق والمعاصي ، فيتدَرّجون إلى الخيرات ويتسارعون إلى الحسنات ويتيقَّنون بركة الأذكار ، ولا يزالون يذكرون الله بالقلب واللسان ، فلو كان قدس سره منعهم من أوّل الأمْر من ارتكاب على تلك القبائح لنفروا منه ولفاتت عنهم تلك المنافع واستمرّوا على العصْيان ، وبعضُ الخير يجرّ إلى الخير ، كما أنّ بعض الشرّ يجرّ إلى

الكلّ ، فافهم ، ولهذا قال المحققون : من شرط الداعي إلى طريق الله تعالى مَعْرفته السياسةَ قبل الدعاء ليدعوا كل إنسان من الطريق التي يسهل عليه انقياده له منها . انتهى .

واعلم : أنّه قد يكون الذنْبُ للعبد خيْراً من الطاعة ، وقد يدخل الرجل الجنة بسبب المعصية ، ولا علم لنا في أيّ الأمرين صَلاحُ الإنسان ، وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » في ٢ : فالمعصية مع الذلّ والافتقار خير من الطاعة مع العزّ والاستكبار[١] . انتهى .

وقال في « حِكَمِهِ » : ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول ، وربما قضي عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول . انتهى .

قال الشرقاوي في شرحه في ٦٩ : وذلك أنّ الطاعة قد تقارنها آفاتٌ قادحة في الإخلاص فيها ، كالإعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبُولها ، والذنب قد يقارنها الالتجاء إلى الله والاعتذار إليه واحتقار نفسه وتعظيم من لم يفعله ، فيكون الذنب سبباً في مغفرة الله له ووصوله إليه . انتهى .

وفي « شرح الحِكم » في ٢٩ : ينبغي أن لا ينظر العبد إلى صور الأشيآء ولينظر إلى حَقائقها ، فصور الطاعات لا تقتضي وُجُودَ القبول لها ، لِمَا قد تضمّنَتْهُ من الآفات القادحة في الإخلاص فيها ، وذلك مَانِعٌ من وُجُود القبول لها ، ووجود صور الذنب لا يقتضي الإبعاد والطرد ، بل ربّما يكون ذلك سبباً في وصوله إلى ربّه وحصوله في حضرة قربه ، كما قيل : رُبَّ ذنب أدخل صاحبه الجنةَ ! وقد جاء في

(١) والاستكبار هنا هو : ما يخطر الطائع من كونه أحسن من فلان الفاسق ، فهناك يكون الفاسق أحسن حالا منه . فافهم كذا في كتاب « الجواهر » للشعراني . فراجعه ٢٣٤ من هامش « الإبريز » (منه) .

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجآء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » . انتهى .

وفيه : وقال أبو حازم رضي الله عنه : إنّ العبد ليعمل الحسنة تسرّه حين يعملها وما خلق الله له من سيّئة أضرَّ منها ، وإنّ العَبْدَ ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفعَ له منها ، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسرّه فيتمنّى بها ويرى أنّ له فضلاً على غيره ، ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً ، وإنّ العبد ليعمل السيّئة تسوءه حين يعملها ، ولعلّ الله أن يحدث له بها وَجلاً حتى يلقى الله تعالى ، وإنّ خوفها في جَوْفِهِ بَاقٍ .

ثم بيّن المؤلّفُ رحمه الله هذا المعنى بقوله : معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً . الذلّ والافتقار من صفات العُبُوديّة ، والعزّ والاستكبار مُناقضان لها لأنّهُما من صفات الربوبيّة ، ولا خَيْرَ في الطاعات إذا لزم عنها شيء ممّا يناقض صفات العُبُوديّة ، لأنها تُحْبِطُها وتبطلها ، كما لا مُبالاة بالمعصية إذا لزمتها صفات العُبُوديّة ، لأنّها أيضاً تَمْحُوهَا وتُزِيلُها . قال سيّدي أبو مَدْين رضي الله عنه : انكسار العاصي خيْرٌ[1] من صولة المطيع . وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثيرَ الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة ، وكان[2] يكرم الناس على قدر رُتْبَتِهم عند الله

(١) وفي « الطبقات » : روعة عند انتباه من غفلة وانقطاع عن حظ نفس وارتعاد من خوف قطيعة أفضل من عبادة الثقلين . انتهى راجعه في ٩٤ من الجزء الأول (منه) .

(٢) وقال القطب الرباني أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي قدس سره في كتاب « التنوير في إسقاط التدبير » في ٤٩ واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله=

تعالى ، حتى أنه رُبّما دَخل عليه مُطيع فلا يَعْبَأ به ، وربّما دَخل عليه عاص فأكرمه ، لأنّ ذلك الطائع أتى وهو متكبّرٌ بعمله ناظرٌ لفعْله ، وذلك العاصي دخل عليه بكثرة مَعاصيه وذلّة مخالفته . انتهى ٧٠ .

وفيه في ٧٠ : إنّ رَجُلاً من بني إسرائيل أتى عابداً من بني إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجدٌ ، فقال له العابدُ : ارْفَعْ ، فوالله ، لا يغفر الله لك ، فأوحى الله عزّ وجلّ : أيّها المتألّي عليّ ، بل أنت لا يغفر الله لك . قال[١] الحرث المحاسبي رضي الله عنه : لأنه إنّما تألّى على الله عزّ وجلّ أنْ لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده ، وأنّ الإساءة إليه عند الله عز وجَلّ عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده ، لأنه عدّ نفسه عظيم القدر[٢] عند الله عز وجلّ فجمع بَيْنَ عجب وكبر واغترار بالله عز وجلّ . انتهى .

=فيغفر لهم » وقوله عليه السلام « شفاعتي لاهل الكبائر من امّتي » ، وجاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن رحمه الله ، فقال ياسيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال : يا هذا كأنك تريد أن لا يعصى الله في مملكته ، من أحبّ أن لا يعصى الله في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه السلام . انتهى كلام الشيخ . وكم من مذنب كثرت إساءته وزلة مخالفته أوجبت له الرحمة من ربّه فكن له راحماً وبقدر إيمانه وإن عصى عالما انتهى . وفيه قبيل هذا فإذا نظرت أهل التخليط والإساءة فاعلم أنه محكوم عليهم بسابق العلم ونافذ المشيئة وإن لم تفعل خيف عليك أن تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كقطيعتهم واسمع ما قال الشيخ أبوالحسن رحمه الله أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززاً عليهم وقال رحمة الله عليه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنّك بنور المؤمن المطيع انتهى . فراجعه من صحيفة ٤٨ (منه من خطه قدس سره ورزقني الله نصيباً من علومه وفيوضاته وعمله وورعه) .

(١) في ٢٠٥ وقال فيه بعد ذكر هذه الحكاية : وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العباد قلوبهم .انتهى . (منه رحمه الله) .

(٢) وفي « الطبقات » في ٨٩ تكبر المطيعين على العصاة بطاعتهم شرّ من معاصيهم وأضرّ عليهم منها ، كما أنّ غفلة العبد عن توبة ذنب ارتكبه شرّ من ارتكابه . انتهى فراجعه (منه) .

وفيه في ٧١ أيضاً : إنّ عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل ، فتبعهما رجل خاطىء مشهورٌ بالفسق فيهم ، فقعد مُنْتَبِذاً[١] عنهما منكسراً ، فدعا الله سبحانه وتعالى وقال : اللهم اغفر لي ، ودعا هذا الصالح وقال : اللهمّ لا تجمع بيني وبين هذا العاصي ، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام : إني قد استجبت دُعَاءَهُمَا جميعاً ، رَدَدْتُ ذلك الصالح ، وغفرت لذلك المجرم .

مطلب

خليع بني إسرائيل

وروي عن الشعبي أيضاً ، عن الخليل بن أيّوب أنّ رَجُلاً كان في بني إسرائيل يُقال له : خليع بني إسرائيل لكثرة فَسَاده ، مرّ برَجُلٍ آخر من بني إسرائيل يقال له : عابد بني إسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظلّه ، فقال الخليع في نفسه : أنا خليعُ بني إسرائيل ، وهذا عابد بني إسرائيل ! فلو جَلَسْتُ إليه لعلَ الله عز وجل أن يرحمني به ، فجلس إليه فقال العابد في نفسه : أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل يجلس إليّ ! ! فأنف منه ، وقال : قُمْ عَنّي ، فأوحى الله عز وجلّ إلى نبيّ ذلك الزمان : مُرْهُمَا فليستأنفا العمل ، فقد غفرت للخليع وأحْبَطْتُ عمل العابد . وفي حديث آخر : فتحوّلت الغمامة على رأس الخليع . قال الحرث المحاسبي : وإنما أراد الله عزّ وجلّ من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعاً لقلوبهم ، فإذا تكبّر العالم أو العَابِدُ وأنف ، وتواضع الجاهل أو العاصي وذلّ هيبةً لله عزّ وجلّ وفَرَقاً منه ، فهو أَطوَعُ لله عز وجلّ من العابد أو العالم بقلبه . انتهى ٧١ .

---

(١) وانتبذت مكاناً : اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم « مصباح » .

الباب[1] السابع

في ردّ دَعْوَى مَنْ يَقولُ : لا يجوز للشيخ النقشبندي تلقين الذكر إلا لمن له نفس مطمئنّة وهذا القول من هذا البعض عكس النقل وخلاف العقل

اعلم : أنّ المقصود من السير والسلوك كما في « الرشحات » تصفية وجه القلب وتصقيله عن كُدُورات الصُوَر الكونيّة وظلمات المقتضيات الطبيعيّة لكي يقبل التجلّيات والمشاهدات ، فكل من حصل له تلك التصفية بالفطرة الأصلية ، أو الجذبة الربانية لا يحتاج في قبول التجلّيات الذاتيّة والصفات والشؤونات الإلهيّة إلى السير والسلوك ، لأنهما عبارتان عن تلك التصفية ، وليس وراءها للسالك شيءٌ يُسارُ ولا مَقامٌ يُسْلَكُ ، كما لا تحتاج[2] المرآة الصقيلة في انطباع صورة الناظر فيها إلى أن تتحرّك وتذهب إلى جانب الصورة .

فإنّ قبُولَهَا للصّورة لأجْل نورانيّة وَجْهِهَا وصَفائها ، فكلّ شيء يُقابلها تنطبع صورته فيها وتظهر من غير حركتها إلى جانب الصورة .

وفي مكتوبات الإمام الرباني : إنّ المقصود من السلوك والجذبة تطهيرُ النفس من الأخلاق الردية والأوصاف الرذيلة ، ورأس جميع تلك الذمائم التعلقُ بالنفس وتحصيل مراداتها وهواها ، فحينئذ لا يكون بدّ من السير الأنفسي ، ولا مندوحة من الانتقال من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة . انتهى ٦٧ من الجزء الثاني ، فتدبّر ! فإنه كلام نفيس مهمّ لمن أهمّه ، ولا يخفى أنّ صاحبَ النفس المطمئنّة هو الرشيد

---

(١) وقد كان في الباب السادس كفاية في حق هذا المطلب لكن جعلت هذا باباً منفرداً نظراً إلى انفراد من يدعى ويزعم بأن تلقين الأذكار لا يجوز إلا . . . الخ فافهم (منه) .

(٢) وراجع « جواهر القرآن » في القسم الثاني (منه) .

المهتدي ليس له افتقارٌ إلى المرشد الهادي ، وإنما يفتقر إليه مَنْ له نَفْسٌ أمّارة لتزكية رُعونتها بِتَرْبِيَتِهِ ، فإنّ الأشياخ هم الأطبّاء ولا يحتاج إلى الأطبّاء إلاّ أصحاب الأمراض ، ولهذا قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في ١١ : **واعلم** أنّ كلّ مَنْ رزقه الله تعالى السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين فلا يحتاج إلى شيخ . انتهى .

وفي « اليواقيت » في ١٠٤ : وقد كان سيدي إبراهيم[1] الدسُوقي رحمه الله يقول : لو أن الفقيهَ أتى العبادات والمأمورات[2] الشرعية بغيْرِ علّة كما أمَرَه الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات بِعِلَلٍ وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يُداويه حتى يحصل له الشفاء[3] . انتهى[4] .

وفي « الدرر المكنونات في تعريب المكتوبات » في ٨٠ في الجزء الأول[5] ما **حاصله** : إنّ الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيّ وَجْهٍ تيسَّر ، لا أنّ الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات ، أو على تكرار اسم

---

(١) ومثله في « الطبقات الكبرى » في ١٤٨ من الجزء الأول فراجعه (منه) .

(٢) وفي « تنوير الصدر » ما خلاصته إن السير في الشريعة على الاستقامة والإخلاص لا يتم إلا بصحبة شيخ عارف أو الخ . راجعه من هامش مجموعة الأحزاب في ١٨٥ (منه) .

(٣) ولهذا قال الإمام الرباني وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة وتحصيلهما لتكميل الشريعة اه . وقال أيضاً لا تحصل حقيقة الإيمان إلا بعد تزكية النفس والاطمئنان انتهى . كذا في البهجة في ٧٦ وفي ٧٧ ، ولا بد للطالب من المراجعة إليه في هذه الصحيفة ، ولا تحصل تصفية النفس إلا بعد تزكية اللطائف « هكذا في الأصل وفي نسخة : ولا تحصل تزكية النفس إلا بعد تصفية اللطائف » بالأذكار السلوكية المأخوذة من الشيخ المرشد فتدبره وراجع « مسيرة الحكم » و« مكتوبات » الإمام الرباني من الجلد الأول (منه) .

(٤) وفي « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » فاسلك يا أخي على يد شيخ لتكمل عبادتك ويزيل عنك النقص الواقع فيها فإن مقصود أهل الطريق كلهم بالمريدين إنما هو ليلحقوهم بالسلف الصالح في إتمام عباداتهم على الوجه المشروع لا غير ، والله عليم حكيم . انتهى من عينه من صحيفة ٣١١ . راجعه (منه) .

(٥) وفي نسخة : الثاني .

الذات ، فكلّما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كلّه داخل في الذكر ، ولكنّ الذكر الذي يقع باسم المذكور « الله » ، وصفته سريع التأثير ومُورِثٌ لمحبّة المذكور وقريب الإيصال ، ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعاة الحدود الشرعية ، فإنّ مُراعاتِ الأحكام الشرعية في جميع الأمور غيرُ ميسّرة بدُون محبة تامّة لناصب الشرع ، وهذه المحبّة التامّة مَرْبُوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ، فلا بدّ أوّلاً من ذلك الذكر حتّى يَحْصُلَ بسببه هذا الذكر الّذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى .

وفيه أيضاً في ٣٨ في الجزء الثالث : إنّه لا بدّ لمبتدئي طلبة هذا الطريق من الذكر ، فإنّ ترقِّيه مَرْبُوطٌ بتكرار الذكر **بشرط أن يأخذَهُ من الشيخ الكامل المكمّل،** فإن لم يكن بهذا الشرط ! فكثيراً ما يكون من قبيل أوراد الأبرار التي نتيجتها الثواب لا دَرَجَة القرب التي تتعلَّق بالمقرّبين ، فإذا تمّت المعاملة التي كانت مَرْبُوطة بالذكر بفضل الله سبحانه وتيسّر الخلاص من التعلق بآلهة الهوى وصارت الأمارة مُطْمئنّةً فحينئذ لا يحصل الترقي من الذكر ويكون حكم الذكر حكم أوراد الأبرار ، وقطعُ مراتبِ القرب في ذلك الموطن مَرْبُوطٌ بتلاوة القرآن وأداء الصلاة بطول القنوت ، ولكلِّ مقام موسم ، فإن أدّى في موسمه يكون له حُسن وملاحة ، وإلاّ فكثيراً ما يكون خطأ ، وإن كانت حسنة في ذاته ، ألا ترى أن قراءة الفاتحة في التشهّد خطأ ، وإن كانت أمّ القرآن ، فكان الشيخ في هذا الطريق من الضروريّات وتعليمُهُ من أهمّ المهمات ، وبدُونه خَرَط القتّاد ، قال واحد من الأعزة شعرا :

مـن أجل كونك في البداية أحولا   لا بـد مـن شيـخ يَقُـودُك أوّلا

انتهى ملخصاً واختصاراً .

وفيه أيضاً من الجزء الثالث في ٢٦ : إنّ المقصود الأصليّ من الذكر زوال التعلّق بما دون الحق سبحانه الذي المرض القلبي عبارة عنه ، ومالم يحصل هذا الزوال لا يكون نصيبٌ من حقيقة الإيمان ، ولا يتيسّر اليسر والسهولة في أداء الأحكام الشرعية . انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٩٧ من الجزء الأول ما **حاصله** : إن الذكر القلبيّ مؤيد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس ، فينبغي إجراء هذا الطريق . انتهى . وفي « تنوير الصدر » شرح حزب البرّ للقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذليّ أنّ من حارب النفس باسم الذات أعني « الله » نجى منها ، فتتصف بالملهمة ، يعني : النفس الملهمة انتهى . فراجعه من ١١٠ في هامش « مجموعة الأحزاب » .

وفي رسالة الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغمُوقي قدس سره : إنّ معنى الإرشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد لا إرشاد المرشدين ولا المرادين ولا القائمين على حدّ الرشاد ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كلّ أحد أمّارة إلاّ مَن خصّه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهيّ بالحظ الوهبيّ ، كيف لا وقد قال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ** ﴾ وذلك خطاب نبيّه عليه السلام الذي لا يبلغ الوليّ رتبة عُشْرِ معْشارِهِ ، فحينئذ يكون مُراد الإرشاد إخراجَ طالب السلوك عن رعونة الأمّارة وحضيضِها إلى سبيل الهداية بواسطة تَرْبِيَتِهِ بتزكية اللطائف حتى تصير الأمّارة لوّامة ، ثم وثم إلى أن ترتقي(١) إلى المطمئنّة ، ويصير المريد مُراداً ، ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غَيْبَةً عن الوجود . انتهى . من خطه ، وهو كلام نفيس في غاية التحقيق .

---

(١) وفي نسخة : تترقى .

مطلب مهم

ومعلوم أنّ السالك إذا صارت نفسه مُطْمئنّة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجّه ، ويجوز للشيخ أن يأذن له ، لكن لا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، كذا في « الرسالة المدنية » ، وراجع « السير والسلوك » و« ترصيع الجواهر » .

ولقد لقيت أشخاصاً من ديارنا الداغستانية الذين لقن لهم الذكرَ القلبيَّ القطب الربّانيّ والغوث الصمدانيّ أحمد ضياء الدين ذي التأليفات النفيسات ، كـ« جامع أصول الأولياء » ، و« المتممات » ، و« نجاة الغافلين » ، و« روح العارفين » ، و« رموز الأحاديث » ، وهم أحْياء في هذا الوقت ، حَتّى قال لي العالم العارف بالله الحاج نور محمد العروخي رحمه الله تعالى : إنّ القطب أحمد ضياء الدين لقّن الذكر القلبيّ لجَمْع كثير من رجال داغستان ، وكان فيهم العلماء والجهَلاء ، وقال : إنّهٌ قدس سره لقّنني الذكر القلبيّ ، وكنت ألازمُ على ذلك مُدَّةً من الزمان ، ثم طَلَبْتُ من الشيخ العسوي قدس سره نظره إلى أحْوالاتي ، وتسليكه إيّاي في سلك مُريديه ، فلم يقبل ، ثمّ بعْدَ مدة مات ذلك القطب رحمه الله تعالى ، وعُدْتُ ثانياً إلى العتبة العلِيّة صاحب المعارف السنية ، الحاج العسوي المذكور[1] فطَلَبْتُ منه ما كنت أطلبه أوّلاً ، فَسَلَكَنِي في سلك مُريدِيه ، وتوجّه إليّ وربّاني بتلقين الذكر على جميع اللطائف والنفي والإثبات إلى أَنْ يُلقّنني المراقبة المعيّة . انتهى .

ولقيت أيضاً امرأة لقن لها الذكر القلبيّ الشيخ ممّ دِبِر الروچي قدس سره ، ولقن لها شيخنا رحمه الله الذكر إلى ما بَعْدَه ، وهي الآن في دائرته

(١) وسمعته – أي العصوي – رضي الله عنه يقول : إن شيخه الحاج جبرائل قدس سره كان يقول له : لا يجوز لي ولك أن تنظر إلى مريد الشيخ أحمد ضياء الدين ما دام حياً ، فانه قطب عظيم ولعله رضي الله عنه رد هذا العالم أولا وقبله آخرا لهذه العلة المذكورة ، فافهم . (منه) .

يُرَبِّيها ، وما كان الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره يفعله يُعْلَمُ من مُطالعة كتابه « الآداب المرضيّة » ، وقال الشيخ إلياس الزدقاري في « سلّم المريد » : إن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره كان يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يُلَقِّنُهُ بالذكر القلبيّ ، ثم باللطائف المذكورة ، ولبعضهم يلقن الذكر القلبيّ أوّلاً ، وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهري(١) في المساجد والمجامع والمواليد ، ولا ينهاهم عنه . انتهى . فما(٢) بال مَنْ يزعم أنّهُمْ خلفاؤه لا يمتثلُونَ بما كان شيخهم يَفْعَلُهُ ! ! وليت شعري ؛ هل كان الناس مُدَّةَ حَياةِ

---

(١) بَيْدَ إن الذكر الجهري في هذه الطريقة ممنوع ، ولعله رضي الله عنه لم يمنعهم من ذلك لشيء بدا له في ذلك ، والله اعلم (منه) .

(٢) وقد قال العالم العارف الشيخ المحقق المستور أخونا الصالح الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي في بعض مكاتيبه : ثم اعلم أيها الموفَّق أني أشكر الله تعالى على بقاء المحبّة الإلهية في هذه الطريقة بين أبناء مولانا محمود أفندي الفعال وبين أولاد مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهم ؛ مع ازديادها بينهم يوماً فيوماً ، وذلك يعلن كمالة المرشدَيْن المذكورَيْن ، وكونهما في مقام التكميل ؛ خلاف أولاد باقي أكثر المشائخ . فانظر إلى آداب مدعي المشيخة من أولاد العارف المحقق المحدّث الحافظ الحاج عبد الرحمن الثغوري لأجل تركهم أدبه بفعله أموراً لم يصدر من شيخهم . ومن أعظم الأمور ادّعاء على الإذن والمشيخة كل أحد ، ووقع بينهم التعصّب البليغ بحيث يكذب أحدهم الآخر ، وليس من بينهم من يصدّق الآخر سوى الزعم بكونهم أعلى من الجميع مقاماً ، وبعدم أحد مثله . وقد كتبوا خوارق منهم كأنها أخبار الجنّ نسمع ولا نرى . وليست فتنة وثلمة في الدين إلا بهم وبأتباعهم . اللهمّ وفّقهم لفهم ما خلقوا لما خلقوا ونبّههم على اتّباع السنة وترك الفتنة . انتهى من خطّه . وليس في واحد من هؤلاء مكتوب الإجازة من شيخهم المذكور . ولو كانوا مأذونين من طرفه لكان في أيديهم صكّ الإجازة المكتوبة بخطّه ، المختوم بختمه قدس سره . وقد قال الإمام الرباني : كتاب الإجازة للخلفاء من عادة المشائخ . كذا في « الدرر » في ١٤٩ من الجلد الثالث . وأخبرني بعض العلماء أنه سأل ابنته قدس سره : هل لأحد من أبيك إذن ؟ فقالت له : لا أدري إلا أن واحداً جاء لديّ يطلب مني عباءه – قدس سره – فبعت له عباءه بكذا قروشاً ، ثم قال لي : ألا تقولين أنه قدس سره أذن لي ؟ فقلت له : إني لا أكذب . انتهى . ومرّ هامش ديباج هذا الكتاب ما وقع لواحد منهم ، فاطلبه ثمّة . (منه خطّه قدس سره العزيز) .

هؤلاء الأشياخ المذكورين مسلمين خالصين ، وبعد انتقالهم من الدنيا صاروا كافرين مشركين ، ليمنع مَشائخ هذا الزمان تلقين الذكر القلبي ، ولو لواحد قائلين : إنه حرام كما صرّح به[1] أبْعاضُهم ، لا والله ، بل إنّهم ليسوا من فُرْسان هذا الميْدَانِ ولم يَذُوقُوا طُعْماً مَّا ممّا ذاقه أهل العِرفان ، ولم يشمّوا رائحة مِنْ عَنْبَرِ هذه الطريقة ، فَمِنْ أَيْنَ يَعْرِفُونَ كيفيّة ما لم يكُونوا يَسْتعمِلُونَهُ ! ! فلمّا عجزوا عن إدراك قواعدها وعن الإنكار بما في الكتب لم يَبْقَ لهم سوى أن يقولُوا ذلك القوْل العجيب ، ولقد تفحّصْتُ من واحد يزعم أنه من مشائخ هذه الطريقة فلم أجدْه يَعْرف محالّ اللطائف ، وقال لي : إنّي لا أعْرِفُ شيْئاً مما تقول ، فهذه هذه ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الثامن والعشرين أنّ الإنسان إنما احتاج إلى الشيخ وأخذ الذكر منه لتطهير تلك اللطائف بتَرْبيته باستعمال الأذكار السلوكيّة عليها عن دنس الحظوظات الجسمانيّة والشهوات النفسانيّة وكُدُورات إرتكاب الهوى ، فالقول بعدم جَواز استعمال الأذكار على تلك اللطائف لمن له نَفْسٌ أمّارة قولٌ مخالف وحكم بالرأي ، مع أن تلك الأذكار إنّما وُضِعَتْ لمجرّد تهذيبها من أمّارتها ، فلو لم يَجُزْ أخْذُ الطريقة إلاّ لمن استقام في الشريعة الغرّاء ولم يَصْدُرْ منه ما يخالف إتباع النبيّ المختار ، فلا مَعْنَى للتربية ولا للشيخ المربي[2] ولا

---

(١) فأي فرق بين القلب واللسان لعدم الجواز الذكر بأحدهما وجوازه بالآخر بل هما جارحتان من جوارح الإنسان فكما يجوز باللسان يجوز بالقلب .
وأما قول من يقول من أهل الدعوى أن تلقين الذكر القلبي لا يجوز إلا لمن حصل له الحضور التام ففساده ظاهر ، فكيف لا وقد قال الإمام الرباني إن دوام الحضور لا يكون إلا لمنتهي ، كما هو مذكور في « الدرر » من الجلد الأول في ٣٣٧ فراجعه . اللهم اخرجنا من هذه الظلمات آمين (منه رحم الله إفلاسه) .
* اللباس إذا انقلب لا يبقى له شيئ من الباطن إلا انعكس إلى الظاهر فكذلك الشيخ إذا خالف الشريعة والطريقة لا يبقى له شيء إلاّ مخالف للشريعة قاله صهيب الشالى رحمه البارى .
اخفوا أعمالكم كما يخفى السرقة السراق الحاذقون (منه) . ظنوا نفوسكم أشرّ من الخلق وإنْ ظننتم أشر من كل الخلق فإن الناس « أي المشائخ » يعرفكم ويكفى لكم معرفتهم (منه) .
(٢) وينبغي أن يعلم أن من صحب الأولياء لا يخلو عن فائدة ، ولو لم يأخذ منهم الذكر=

للإرْشادِ والمرشد فتدبّر فإنّ مَعْنَى التَرْبِيَّة يَشْبَهُ فعل الفلاح – أي : الحرَّاث – الذي يقلع الشوك الذي يَضرّ بقاؤه نبات الزرع ، ويخرج النباتاتِ الأَجْنبيّة ليحسن نباته ويكمل ريعه ، لأنّ الله تعالى أرْسَلَ إلى العباد رَسُولاً للإرشاد إلى سبيله ، فإذا ارتحل عليه السلام من الدنيا قد خلف الخلفآء في مكانه ، حتى إنهم يرشدون الخلائق إلى الله تعالى لأجْلِ هذا المعنى ، فلا بدّ للسالك من شيخ يربّيه ويرشده ، هكذا بل عينه في « النصائح الولديّة » للإمام الغزاليّ فراجعه مع شرحه للخادمي في ٩٠ ، وبسط هذا الكلام في « الذهب الإبريز » في الباب الخامس أيضاً فراجعه في ١٧٥ .

الباب الثامن

في بيان جواز تلقين الذكر للتبرّك والانتساب لا للسلوك والتربية

قال صاحب الإبريز ؛ نقلاً عن شيخه **ما حاصله** : إنّ أهل العرفان من أوليآء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتاً طاهرة قابلة لحمل سرّهم مطيقة له ؛ فإنّهم لا يزالون معه بالتربية بتلقين الذكر وغيره ، ويكون هذا المطيق للسّرّ هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء

=والطريقة ، وأن توجّههم ، ولو كان إلى كافر محروم كافٍ في حصول الأثر ووصول النفع فقد ذكر صاحب « الفيوضات الخالدية » أن الشيخ صاحب كان ذات يوم في ربوة خارج السليمانية مع جمع من أصحابه ، فبينما هو فيها إذ بيهودي مقبل من ربوة ، ومعه حمل حطب ، فقال جناب الشيخ : إنّي أريد أن أتوجه لذلك اليهودي وأجذبه إلى حضائر النزل الشهودي ، فاربطوا قلوبكم بحضرة الصديق الأكبر ذي السر الأبهج الأنور ، وتوجه إليه فجاءه اليهودي ، وهو يصيح بكلمة الشهادة وقد لاحت عليه لوائح السعادة ، ثم أمر به إلى الخانقاه ، وعين الله ترعاه ، وحفظه ووقاه ، حتى صار من أهل القلوب وشعشع عليه نور الحبيب المحبوب . اهى . فراجعه في ٧٦ من هامش « نور الهداية » (منه من خطه) .

إلى الشيخ غيره ممّن ليس بمطيق وطلب منه التلقين فإنّه لا يمتنع لأنّه لا يقطع على أحد ، فلذا تجد الشيوخ يلقنون كلّ أحد مطيقاً كان أم لا[1] ، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة وذلك أنّه ﷺ يكون بيده يوم القيامة لوآء الحمد ، وهو نور الإيمان ، وجميع الخلائق خلفه من أمّته ومن غير أمّته مع سائر الأنبياء ، وتكون كلّ أمّة تحت لوآء نبيّها ، ولوآء نبيّها يستمدّ من لوآء النبيّ ﷺ ، وهم مع أممهم على أحد كَتْفَيْهِ ، وأمّته الطاهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ، ولهم أَلْوِيَةٌ مثل ما للأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ويستمدّون من النبي ﷺ ، ويستمدّ أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلّم ، فالمريد إذا لم يكن مطيقاً فإنه ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقّنه ، قال[2] رضي الله عنه : ولا ينتفع منه بمجرّد التلقين فقط ، ومطلق تلفّظه بالذكر ، بل حتى يتعلّم منه كيفيّة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وينتفع منه بعض النفع في الباطن . انتهى ٢١٧ .

وقال صاحب « ترصيع الجواهر » في ١٢ : وأمّا غالب مشائخ الزمان إنّما يلقنون الذكر بقصد التبرّك حتى يدخل المريد في سلسلة القوم ومحبّتهم والتسليم أو الاعتقاد لمقالاتهم ، ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه . انتهى . وقال في هامشه : وفائدتها محبّة القوم وارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله صلي الله عليه وسلّم ، وبذلك يجري المدد للمريد من الحضرة المحمّدية . انتهى . وقال فيه أيضاً : بل يجب عليهم إعلام من أراد الأخذ عنهم بأنّهم متشبّهون بأهل الطريق ؛ لا متحقّقون بهم . انتهى .

(١) وقد قيل : من صحب الأخيار جعله الله من الأخيار وإن كان من الأشرار . كذا في « عقد اليواقيت الجوهريّة » في ٧٥ من الجزء الأوّل . (منه) .
(٢) أي شيخ صاحب « الإبريز » (منه) .

وفي « الطبقات » : إنّ الشيخ محمّد الشناوي أذن بتلقين الذكر لجماعة قبل وفاته وقال : قد صار معكم الإذن إذا فتح الله عليكم ، وأمّا الآن ، فتلقنوا كلمة لا إله إلا الله تشبّهاً وتبرّكاً بطريق القوم فراجعه من صحيفة ١١٦ في الجزء الثاني .

مطلب

طرق الانتساب والأخذ

وفي « جامع الأصول » في ١٥ : فاعلم أنّ الأخذ والانتساب إلى الطرق وغيرها على أربعة أقسام : **أحدها** : أخذ المصافحة ، والتلقين للذكر ، ولبس الخرقة ، والعذبة للتبرّك أو للنسبة فقط ، **وثانيها** : أخذ رواية وهى قراءة كتبهم من غير حلّ لمعانيها وهو قد يكون أيضاً للتبرك أو للنسبة فقط ، **والثالثها** : أخذ دراية ، وهو حلّ كتبهم لإدراك معانيها ، كذلك فقط ، **ورابعها** : أخذ تدريب وتهذيب وترقٍّ في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء ، وهو المراد العزيز وجوده ، وعلى هذا معوّل أكثر الطرق ، خصوصاً النقشبندية والشاذلية ، ويصحّ الانتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ؛ ولو في شيء يسير[1] مع المحبّة

(١) قال سيدنا القطب الأشهر العيدروس الأكبر في كتابه « الكبريت الأحمر » سلوك الطريق على الحقيقة بالعبادات أو بالمقامات أو بالأحوال أو بالأنفاس أو بالمعارف أو بضرب الأمثال أو بالأمثال وحفظ القلوب أو بالمقابلات أو بالقابليات أو بالمناظرات أو بالمجالسات « فقد علمت من قوله رضي الله عنه أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات أن ذلك يرفع الوضيع إلى أعالى الدرجات والمحال الساميات « عقد اليواقيت الجوهرية » ٥٧ أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظنّ وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات أو بالمذكورات أو بالتصديق والاعتقادات أو بالانقطاع والخدمة أو بالتربية بالعلوم اللدنيات وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف سالك مجذوب واصل محبوب واصل موصول عارف بالنقل والعقل عارف بالله وبنفسه حاضر غائب في الخلوات والجلوات بقلبه في عوالم الشهادة والغيوب انتهى ، كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في صحيفة ٥٧ من الجزء الأول منه فراجعه (منه من خطه قدس سره) .

لهم ، كتلاوة حزب من أحزابهم ، ولذا قال الشاذليّ : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا ، يعني : فله ما لنا من الحرمة ، وعليه ما علينا من الرحمة ، أو أعمّ منهما ، وهذا جارٍ في الكلِّ .انتهى .

وفي « تبصرة المرشدين » : إنّ الانتساب إلى النسبة العليّة يكفيه فقط إن حفظه راجعه .

فعلى الشيخ أن يسلك المريدين في سلك طريقته بالحكمة والموعظة ، وأن يدارِيَهم وينصحَهم بحسب طاقته ، فلعلّهم يتخلّصون من ارتكاب المنهيّات ببركة الطريقة ، والله وليّ الهداية .

قال صاحب « تصديق المعارف » : في قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ الآية ، ما حاصله :

اعلم أنّ سبيل الربّ ما يصل إلى الربّ تعالى ، لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة ، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفيّة ، **والحكمة** المذكورة هنا هي : فطنة الشيخ المربىّ وفهمُه لكلِّ ما يصلح لكلّ أحد من المريدين ، فإنّ طباعهم مختلفة متبائنة بوناً عظيماً ، فمنهم مَن يصلح له كثرة الصوم وقلّة الصلاة ، ومنهم من يصلح له كثرة الصلاة وقلّة الصوم ، ومنهم من يصلح له القيام والصيام معاً ، ومنهم من لا يصلح له كثرة ذلك ؛ إنما يصلح له الزهد عن الدنيا ، ومنهم من يصلح له الكسب ، ومنهم من يصلح له الخدمة ، ومنهم من يصلح له العُنْفُ والشدّة في المجاهدة على النفس ، ومنهم من يصلح له التَرْفيه والتسهيل والخ .

وأما **الموعظة الحسنة** ، هي : استعمالهم في أعمال الطريقة بالمداراة بالرفق والشفقة الكاملة عليهم ، مع إعلامهم بأنّه لا يريد إلاّ علوّ مقاماتهم وارتفاع درجاتهم وإيصالهم إلى نعيم « لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . انتهى . فبما ذكر بان لك جواز تلقين الذكر لمجرّد الانتساب ، وظهر لك أيضاً جواز استعمال المريدين في أعمال الطريقة بالمداراة والرفق والشفقة .

ثمّ **اعلم** أيّها الأخ المنصف الغير المتعصّب أنّ التلقين ـ ولو كان للتبرّك والانتساب ـ لا يجوز إلاّ لمن في يده إذن وإجازة ، لأنّ مَن لم تتّصل سلسلته إلى الحضرة النبويّة فإنّه مقطوع الفيض ، ولا يكون وارثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولا تؤخذ منه المبايعة والإجازة كما مرّ ، ولا يجري بذلك[1] المدد منه عليه السلام ، ولا يتبرّك به ، لأنّه منقطع السلسلة ، ولا يكون معه نور النسبة الحاجب من الشيطان ، **فافهمه** .

الباب التاسع

في بيان فوائد الانتساب[2] إلى النسبة العلية، ولو كان للتبرّك والتشبّه

قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » **ما حاصله** : إن المتشبّه بهم ، ـ وإن كان على قصوره عن القيام بما هم عليه ـ يكون معهم لموضع إرادته ومحبّته ، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : « المرء مع من أحب » ، فقال له أبو ذرّ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ؛ ولا يستطيع أن يعمل كعملهم ! ! . قال : « يا أبا ذرّ ، أنت مع من أحببت » ، قال : فإني أحبّ الله ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت » .

قال الشهاب السهرورديّ : جاء فتى إلى الشيخ أحمد الغزالي « ابن أخ حجة الإسلام » يريد منه أن يلبسه الخرقة ، فأرسله إلى شيخنا أي : والظاهر أنه عمّه أبو النجيب ليذكر له معنى الخرقة ، فجآء إليه ،

(١) أي التلقين .

(٢) وقد تكون الصحبة للتبرك بمجرد الدعاء ولانتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه . كذا في « الإحيآء » في صحيفة ١١٩ من الجزء الثانى فراجعه (منه) .

فذكر للمبتدىء له شروطها وآدابها وحقوقها ، فَجَبُنَ الرجل عن ذلك ، ورجع إلى الغزالي فاستحضره وقال له : ما ذكرته صحيح ، ولكن إذا ألزمنا المبتدىء بذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبّه بالقوم ويتزيّا بزيّهم ، فيقرِّبَه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ، فببركة مخالطته بهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم ، يحبّ أن يسلك مسلكهم ، ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم .

قال الشهاب السهرورديّ : فالمتشبّه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعملٌ بمقتضاه وسلوكٌ واجتهاد ، لأنه صاحب مجاهدة ومحاسبة كما مرّ ، ثم يصير متصوّفاً صاحب مراقبة ، ثم يصير صوفيّاً صاحب مشاهدة ، فأما من لم يقصد أوائل مقاصدهم بل هو على مجرّد تشبّه ظاهر من ظاهر التشبّه والمشاركة في الزيّ والصورة دون السيرة ! ! فليس متشبهاً بالصوفية ، لأنّه غير محاكٍ لهم في الدخول في بدايتهم ، فاذاً هو متشبه بالمتشبه يعزى[1] ، إلى القوم بمجرد لبسه ، ومع ذلك « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » وقد ورد : « من تشبه بقوم فهو منهم » . انتهى كلام ابن حجر .

وفي « شرح الجامع الصغير » للمناوي ؛ في قوله صلى الله عليه وسلم : « من أحبّ قوماً حشره الله في زُمرتهم ، ومن أحبّ أولياَء الرحمن فهو معهم في الجنان ، ومن أحب حزب الشيطان فهو معهم في النيران » : وفيه بشارة عظيمة لمن أحب الصوفية ، ومن تشبّه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إياهم ، ومحبته لهم لا تكون إلا لتنبّه روحه كما تنبّهت له أرواحهم ، لأنّ محبة الله تعالى محبة أمره ، وما يقرّب إليه ، ومن تقرب منهم يكون بجاذب الروح ، لكنّ المتشبّه تعوق بظلمة النفس ،

---

(١) أي ينسب .

والصوفيّ خلص من ذلك . انتهى كذا في « الحديقة الندية » في ١٠١ من هامش « أصفى الموارد » . ونقل صاحب « نزهة المجالس » عن « زهر الرياض » للنسفي رضي الله عنهما أن رجلاً من قوم قارون كان يحاكي عمامة موسى عليه الصلاة والسلام ويلف الصوف على إصبعه فلما خسف الله تعالى بهم الأرض أخّر ذلك الرجل عن الخسف لمشابهته بموسى في العمامة . انتهى . فراجعه في ١٣٥ من الجزء الثاني .

وفي « منية الفقير المتجرد » : المقصد الأوّل فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم ؛ وأنه أحق ما يوجّه إليه الفكر والعزم : يكفي في ذلك أمران : **أحدهما** : أن التضلّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة ويحمله على التوبة والإنابة وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة ، فلقد نقل الشيخ أبو طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » : والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : **من لم يكن له من هذا العلم ـ أي: علم الباطن ـ نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة** ، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله ، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه : من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر ؛ وهو لا يشعُرُ .

الثاني[1] : أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور ، وبه يكثر الحسنات

---

(١) قال بعضهم : كنت إذا كسلت في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع نظرة ، فاعمل بها إلى الأسبوع . وقال بعضهم : دخلت على ذي النون فانتفعت برؤيته قبل أن أتشرّف بمخاطبته . ولذا قال بعضهم : يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة ، كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ٥٩ من الجزء الأول . ومن فوائد الانتساب إلى الشيخ : أنّه إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات ويطلبه له من الله بهمّته . انتهى ملخّصاً . وفيه أيضاً ما ملخّصه : أن الشيخ لا ينسى من سلّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه ، بل لا ينسى من يعرف الشيخ ولا يعرفه الشيخ ، فيسأل الله أن يغفر ويعفو عمّن سمع يذكر الشيخ ، فأثنى عليه أو سبّه ووقع فيه ممّن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه ، كذا في كتاب « الشريعة » للشيخ الأكبر قدس سره . ونقله صاحب « الإتحاف » في كتاب الصوم فراجعه في ٢٢٩ من الجلد الرابع ، ففيه الزيادة مع البسط التام في حق هذا المطلب والله أعلم . (منه قدس سره) .

ويرتقي بفضل الله إلى أعلى الدرجات ، لأنّ الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم ، وهو سبب محبّتهم ، ومحبّتهم تؤدّي إلى الشوق إلى مجالستهم ، ومجالستهم تؤدّي إلى النظر في وجوههم ، وفي هذا من الفضل ما لا يخفى .

أمّا التصديق بطريقتهم فقد تضمّن ولاية الله لعبده ، لقول إمام الطريقة أبى القاسم جنيد رضي الله تعالى عنه : **التصديق بطريق الولاية ولاية** .

وأما محبتهم فقد تضمّنت الحشر معهم ، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أحبّ قوماً حشر معهم » . وقوله : « المرء مع من أحبّ » .

وأما الشوق الى مجالستهم فقد تضمّن الاتصاف بسيرتهم ، لقولهﷺ : « المرء على دين خليله » لأنّ الطباع ، تسرق الطباع **وأما النظر إلى وجوههم** على وجه المحبة فقد تضمّن خير عبادة العابدين ، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « نظرة في وجه أخ في الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة » . انتهى .

وعن بعضهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ؛ قال فقلت له : أنا المتطفّلُ في هذا العلم يا رسول الله ، قال : إقرأ كلام القوم ، فإن المتطفل في هذا العلم هو الوليّ ، وأما العامل به فهو النجم الذي لا يُدْرَك .

وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك ،﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ ، وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقُلْ له يدعولك ، فإنه مجاب الدعوة . انتهى .

ونقل الشعراني رضي الله عنه في « المنن » ؛ عن الشيخ ياقوت العرشيّ رحمه الله تعالى أنّه كان يقول : النظر في وجه الوليّ على جهة التعظيم ساعةً واحدةً خيرٌ للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى . ١٣٩ .

كلمتان تحت العرش

وفي « مرشد السالكين » ؛ عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال : إنّ الله تعالى كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلق الأرض[١] ؛ لم تعلم[٢] الملائكة من علمهما وأنا أعلم بهما . قيل له : يا أبا إسحاق ، وما هما ؟ قال : **أحدهما:** أيّما رجل يعمل عمل العالمين[٣] بعد أن يكون صحبته مع الفجار ؛ وهو يحبّهم فإني أجعل عمله إثماً وأحشره مع الفجار . والآخر : لو أن رجلاً عمل عمل الأشرار بعد أن يكون صحبته مع الصالحين والأبرار وهو يحبّهم ، فإني أجعل سيّئاته حسنات وأحشره يوم القيام مع الأبرار . انتهى .

مطلب مهم
في محبة القوم

وقال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغى أن لا يغتم أصلاً بل ينبغى أن يكون راجياً ولو أفيضت أمثال

(١) وفي نسخة : الخلق .
(٢) وفي نسخة : لم يعلم .
(٣) وفي نسخة : عمل جميع الصالحين .

الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغى أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان وينبغى أن يعدّه إستدراجا . انتهى كذا في « الدرر » في ٢١٧ من الجلد الأول .

قال النبي ﷺ : « مَن مشى خلف عالم خطوتين وجلس عنده ساعتين وسمع منه كلمتين ؛ وجبت له جنتان » كذا في كتاب الأذكار . وفي « تقريب الأصول » في بيان أقوال بعض العارفين رضي الله عنه أنه قال رضي الله عنه في حديث « من اغبرّت قدماه في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين عاماً » يدخل فيه من مشى مع وليّ لوجه الله تعالى وابتغاءَ مرضاته ، فإنّ الله تعالى يبعد وجهه عن النار حقاً . انتهى في ٧٣ .

مهمة في فضل الزيارة

قال في « درّة الناصحين » في ٢٣٤ : وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تعالى عباداً يوضع لهم يوم القيامة المنابر يقعُدون عليها ، هم قوم لباسهم نورٌ ، ووجوههم نورٌ ، ليسوا بأنبيآء ولا شهدآء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء » ، فقالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « المتحابّون في الله والمتزاورون في الله والمتجالسون في الله » انتهى .

وفيه في ١٣٥ أيضاً : وروي عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا : قال النبي ﷺ : « من زار أخاه المسلم فله بكلّ خطوة عتق رقبة حتى يرجع ، ويحطّ عنه بها ألف سيئة ، ويكتب له ألف حسنة ، ويرفع له نور كنور العرش عند ربه » رواه الحارث بن أبي أسامة ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ! قلنا : بلى يا رسول الله ، قال

النبي عليه السلام : « النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهدآء في الجنة ، ورجل يزور أخاه المسلم في ناحية المصر لا يزوره إلاّ لله » رواه أبو نعيم .

وروي عن بريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وبالعكس ، أعدّها الله للمتحابّين والمتزاورين لله والمتباذلين » رواه الطبراني .

وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال عليه السلام : « المتحابّون والمتزاورون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود فيه سبعون ألف غرفة ، تضيء على أهل الجنة كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابّين في الله ، فإذا أشرفوا عليهم أضاءت وجوههم كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، عليهم ثياب خُضْرٌ من سندس ، مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابُّون في الله ، والمتزاورون في الله » . انتهى .

وروي أن أخوين في الله التقيا ؛ فقال أحدهما للآخر : من أين أقبلت ؟ قال : حججت بيت الله الحرام ، وزرت قبر النبيّ ﷺ ، فأنت من أين أقبلت ؟ قال : من زيارة[1] أخ أحبه في الله ، فقال : فهل تهب لي فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حجّي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليّاً ، فاذا بهاتف يقول : زيارة أخ في الله أفضل عند الله من مئة حجة نافلة . انتهى من ٢٣٦ .

وفي « كشف الغمة عن جميع الأمة » : قال أبو هريرة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقول : زار رجل أخاً له في قرية فأرسل الله تعالى على مَدْرَجَتِهِ ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد

(١) واعلم أنه ينبغى للمزور أن يتلقَّى الزائر بالبشاشة وأن يكرمه بقدر الطاقة وأن يقدّمه مما عنده من الأطعمة كما بيّنته في رسالتي « خلاصة الآداب » فراجعه (منه من خطه قدس سره) .

أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربّها[1] ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عزّ وجلّ . قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه . وكان ﷺ يقول : « من عاد مريضاً أو زار أخاً له في قريةٍ ناداه مناد أن طِبْتَ وطاب مَمْشاك وطابت لك الجنة ، وإلا قال الله في ملكوت عرشه عبد زار فيّ وعليّ قِرَاه ، فلم يَرْضَ له بثواب دون الجنة » . انتهى . وفيه : وكان ﷺ يقول : « من زار أخاه المسلم شيّعه سبعون ألف ملك يصلّون عليه ؛ يقولون : اللهم كما وصله فيك فصِلْهُ » . انتهى .

وقال ﷺ : « من مشى إلى فقير ليزوره سبعين خطوة كتب الله بكل خطوة سبعين حجة مقبولة » . انتهى . كذا في كتاب « الأذكار » فهذه المذكورات تصرّح بأنّ زيارة الأخ للأخ من فضائل الأعمال ، **وأما** إذا كانت الزيارة لدى الأستاذ ! فهي أفضل وأنفع ، وقد قال صاحب « تنوير الصدر » : **إنّ المجيء لخلفائه كالمجيء له** ﷺ . فراجعه في ١٣ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

الباب العاشر

في بيان كيفية تلقين الأذكار على قاعدة القادريّين

ولقد زعم بعض مشائخ ديارنا بأن في يده إذن من طرفيْ النقشبندية والقادرية ، وقال : إنّ تلقين الذكر الجهري لحصول الاستعداد لتلقين الذكر القلبي . لكن لم نجد مِنْ مريديه مَنْ لقن له الذكر القلبي ؛ ولو للمجتهدين منهم آناء الليل وأطراف النهار ، بل ولو لمن أذن له

(١) وفي نسخة : ترجوها .

للإرشاد ! ! وقال مرة أخرى : إنّ تلقينه هذا بناء على قاعدة[1] القادرية ، لكن ليس ما يفعله موافقاً بها على ما في « الأنهار الأربعة » للشيخ أحمد سعيد المجددي نسباً وطريقة بهذه العبارات :

اعلم أن مشائخ هذه الطريقة ـ يعني القادرية ؛ قدس الله أرواحهم يأمرون الطالب أولاً بالذكر جهراً متوسطاً ، وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة ؛ **وصفته** : أن يقول (الله) بالشدّ والمدّ والجهر بقوة القلب والحلق ثم يتوقّف حتى يستقرّ النفس ثم يقول أيضاً على الطريق المذكور ولا يزال[2] هكذا متخذاً ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين ؛ وطريقه : أن يجلس جلسة[3] الصلاة على ركبتيه ويضرب باللفظ المبارك مرّة على الركبة اليمنى وأخرى على القلب ، ويكرّر ذلك بلا فصل . وينبغي أن يكون كل من الضربتين بكمال القوّة والشدّة ، وخصوصاً الضربة التي تكون على القلب لتأثر القلب وتحصّل الجمعيّة .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث ؛ **وكيفيته** : أن يجلس متربعاً ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة[4] على القلب ، ولتكن الضربة الثالثة أشدَّ وأجهر .

---

(١) أي على قاعدة الطريقة القادرية (منه) .
(٢) وفي نسخة : ولم يزل .
(٣) ليس في « المناقب الأحمدية » ١٠٤ .
(٤) وفي نسخة : والثالثة .

والنوع الرابع : ما كان بضربات أربع ؛ وفي هذا كذلك أن يجلس متربعاً ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ومرة[١] على الركبة اليسرى ومرّة في القلب ومرة[٢] أمامه وليكن[٣] الرابع أشدّ وأجهر من الأوليات .

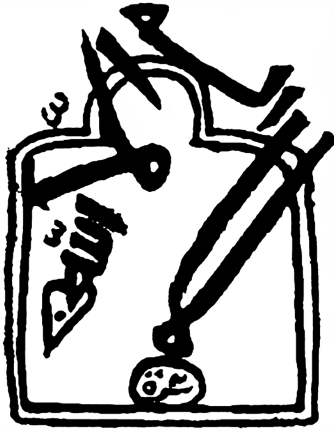

القسم الثاني ؛ وهو النفي والإثبات ، وهو قولنا (لا إله إلا الله) وصفته : أن يجلس على ركبتيه متوجهاً إلى القبلة ويغمض عينيه ويقول (لا) كأنّه يخرجها من سرّته ، ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول (إله) كأنه يخرجها من أمّ[٤] الدماغ ثم يضرب[٥] (إلا الله) بالشدّة[٦] والقوّة على القلب ، ويلاحظ[٧] نفي المحبوبية والمقصودية والموجود[٨] عن غير الله تعالى وإثباتها[٩] له تبارك وتعالى انتهى[١٠] ٦٤ .

وفيه[١١] أن الحكمة في اشتراط الضربات الشديدات ومراعات مواضعها في الذكر أنّ الإنسان لمّا كان مجبولاً على رؤية الجهات الست

---

(١) وفي نسخة : وأخرى .
(٢) والرابعة مقابل وجهه « المناقب الأحمدية » ١٠٧ .
(٣) ولتكن الضربة الرابعة .
(٤) وفي نسخة : أصل .
(٥) وفي نسخة : يقول .
(٦) وفي نسخة : يضربها .
(٧) وفي نسخة : وعند النفي ينبغي .
(٨) وفي نسخة : أو الوجود .
(٩) وحين الإثبات يلاحظ إثبات الحق سبحانه وتعالى « مناقب » ١٠٧ .
(١٠) وهكذا مع زيادة بسط في الأنهار الخمسة للشيخ علي نائلي مغنيساوي فراجعه (منه) .
(١١) وفي نسخة : واعلم .

واستماع الأصوات والنغمات ومبتلى بخطور الخواطر على قلبه وحديث النفس قرّر مشائخ الطريقة قدس الله أرواحهم تلك الشروط والأوضاع سدّاً للتوجه إلى غير نفسه حتى يخلو بذلك من الخطرات الخارجيّة ويتوجّه إلى الذات الإلهيّة ، وينبغي لأهل السلوك أن يجتمعوا ويقعدوا حلقة بعد صلاة الصبح والعصر يذكرون الله تعالى على وجه الجمعيّة ، لأن **في الاجتماع فوائد كثيرة لا توجد في الانفراد** ، فإذا ظهر للسالك أثر الذكر الجهري وشوهد فيه نور الذكر ـ يعني متى كان نقد وقته الذوق والشوق وارتفاع الخواطر وانتفاء حديث النفس واطمئنان القلب باسم الله تعالى وإيثار الحق على كلّ ما عداه ؛ فحينئذ يأمر الشيخ بالذكر الخفي وهو[١] على قسمين .

اسم الذات[٢] مع أمّهات الصفات .

وصفته : أن يغمض عينيه ويضم شفتيه ويقول بلسان القلب (الله سميع ، الله بصير ، الله عليم) كأنه يخرجها من سرّته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ، ومنه إلى العرش ثم يقول (الله عليم ، الله بصير ، الله سميع) هابطاً على تلك المنازل المذكورة كما صعد عليها فهذه دورة واحدة ثم ، يفعل هكذا هكذا . ومن أهل[٣] هذا الشأن من يزيد[٤] (الله قدير) . و[٥] النفي والإثبات ، **وصفته** إمّا كما ذكرنا[٦] في الجهر ، وإما

---

(١) أي الذكر الخفي عند القادرية على قسمين .

(٢) وفي نسخة : القسم الأول .

(٣) وبعض من أهل هذه الطائفة العلية ١٠٨ .

(٤) على تلك الكلمات المسطورة . « مناقب أحمدية » ١٠٨ .

(٥) وفي نسخة : القسم الثاني .

(٦) إما على الطريق الذي بيناه في الذكر الجلي ، وإما على طريق آخر ، وهو أن يكون متيقظاً مطلعاً على أنفاسه في خروجها ودخولها ، فيقول بلسان القلب عند خروج النفس من غير قصده وإرادته (لا إله) بلسان القلب وعند دخوله (إلا الله) وهذا يسميه الأكابر : پاس أنفاس . « مناقب الأحمدية » ١٠٨ .

بأن يكون متيقظاً مطّلعاً على أنفاسه فإذا خرج النَفَس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه (لا إله) بلسان القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله (إلا الله) قال الأكابر : هذا (پاس أنفاس) وله أثر عظيم في نَفْيِ الخواطر وزوال حديث النفس ، فإذا ظهر أثر الذكر الخفي وشوهد في الطالب نوره يأمر الشيخ بالمراقبة ، والمراد من هذا الأثر الشوق وغلبة المحبة وانصراف عنان عزيمته إلى الفكر وإيثار الله عز وجل ، واجتماع الهمة على طلبه وَوُجْدَانُ الحلاوة في السكوت والنفرة عن الكلام والاشتغال عن الدنيا . انتهى كلام « الأنهار الأربعة »(١) .

وفي الفيوضات الربانية في المآثر القادرية للسيد الحاج إسماعيل الجيلاني البغدادي أنّ كيفيتها عند القادرية : أن يأخذ كلمة (لا) أولاً من طرف الأيمن مادّاً بها إلى جبهته في كلمة (إله) ثم يفرغ (إلا الله) في طرفه الأيسر ، وهو محل الروح مغمضاً عينيه . انتهى ٣٢ . وفيه أسماء أخر تستعمل في الطريقة القادرية : الأول : (لا إله إلا الله) . الثاني : (الله) . الثالث : (هو) . الرابع : (حق) الخامس : (حي) . السادس : (قيوم) . السابع : (قهّار) . وتستعمل في النفوس السبعة : الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة ، فراجعه من صحيفة ٣٨ ومن ٣٤ تجد البيان التام فبطل بهذه المذكورات قول من يزعم أن تلقينه موافق لما عليه القادرية ، وتيقّن عدم كون ما يستعمل أذكار تلك الطريقة هكذا في هذه الديار الداغستانية ، وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

وأخبرني شيخنا قدس سره أن خليفة الغنكار الأعظم نصره الله تعالى قال له : إن صاحب هذه الدعاوي جاء لديه ، وأنّ طريقته ليست

---

(١) وهكذا في « الأنهار الخمسة » للشيخ علي نائلي مغنيساوي مع زيادة بسط فراجعه (منه) .

بطريقتنا النقشبندية ولا هي طريقة نعلمها بعينها . انتهى . لكن قد أذن في رسالته لأخذ مريديه من غيره حين غاب هو ، وقال : إذا وجدت من يدلّك على الله فعلّق على ذيله ولا تفارقه فإنه شيخك وأستاذك لا فرق بيني وبينه انتهى . باختصار فلعل الله يغفر له ما جناه ويعفو عما أبداه من الاختراع في هذه الطريقة ، فإنه لم يمنع أصحابه[1] من الخيرات ، بل حث عليها بتلك العبارات ، وهكذا يجب أن يقول كلّ شيخ وداع إلى الله ، ولا يتحجّر على المريد إلا من غلب على قلبه حبّ الشهرة والرياسة ، ولا يخلو عنه إلا العارفون ، ولا يبالي المخلص اهتدى الناس بهداه أم بهدى غيره ، بل يفرح ويشكر على الهادي والمهتدي ، كيف لا وقد شبَّه الغزالي في « الإحياء » المريد بالميت المطروح والشيخ كمن وجب عليه حمله فاللازم على الشيخ أن يفرح ويشكر إذا وجد مَن يحمل ميتاً وجب عليه حمله .

مطلب مهم

وعلامة الصدق في دعوة الخلق إلى الله تعالى والإخلاص في تلقين الأذكار هذا[2] : لو ظهر غيره ممّن هو في زمنه أعرف طريقاً وأرشد خلقاً ، ووقع ذلك الغير موقع القبول في قلوب الناس ، وظهر به أثر الصلاح ، فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته ، هذا المهمّ كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه ، فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لدعوته وإرشاده على دعوة غيره وإرشاده فهو مغرور ودعوته معلول **فليتفطن لهذا المطلب العزيز وليتدبره المنصف** فإنه ميزان صادق يتميّز به المخلص من غيره .

---

(١) كما منع غيره من أمثاله (منه) .

(٢) أي هذا الذي أذكره بقولي : لو ظهر . . الخ .

وفي « المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى وإنما تقع من قاصرين ، ومن قاصر وعارف . انتهى .

وفي « الأنوار القدسية » : قال بعض الأكابر اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فردوا انتهى . وهذا عين ما يقوله شيخنا العسوي قدس سره وأمثال هذه كثيرة في كتب الشعراني فليرجع إليها .

الباب الحادي عشر

في بيان جواز انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر حين غاب الشيخ الأول أو مات أو كان حيّاً وحاضراً

قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ؛ مجيباً لمن سأله بعين المسألة : إنّ المكتوب قد وصل وسألت أنه مع وجود حياة الشيخ إذا حضر الطالب عند شيخ آخر لطلب الحق جل وعلا هل يجوز له ذلك أم لا .

اعلم ؛ أنّ المقصود هو الحق سبحانه والشيخ وسيلة الوصول إلى جناب الحق تعالى ، فإن رأى الطالب رشده عند شيخ آخر ووجد قلبه في صحبته حاضراً مع الحق يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأول بلا إذنه ويطلب منه رشده ، ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخه الأول ولا يذكره إلا بخير خصوصاً في هذا الوقت فإنه لَمْ يَبْقَ فيه المريديّة والشيخوخة غير الرسم والعادة ، فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر[1]

(١) أي علم أحوال أنفسهم .

عن أنفسهم ولا يقدرون أن يفرقوا بين الإيمان والكفر فكيف يكون لهم خبر عن الله عز وجل وعلى أي الطريق يدلّون المريد . شعر :

مـن لم يكن ذا خبرة عن نفسه   لا يقـدر الإخبـار عن هـذا وذا

يا ويح مريد يقعد عند مثل هذا الشيخ معتقداً له ولا يرجع إلى غيره ولا يعرف طريق الحق جل وعلا . وهذا من الخطرات الشيطانية الواردة من جهة الشيخ الناقص لمنع الطالب عن طلب الحق سبحانه كل موضع رأى الطالب رشده وجمعيّة قلبه فيه ينبغي الرجوع فيه بلا توقف وأن يستعيذ من الوساوس الشيطانية . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ١٠٧ من الجزء الثاني .

ورأيت في « المناقب الأحمدية » في ١٤٦ ما نصّه : الداخل في طريقة أخرى إن أراد الدخول في الطريقة النقشبندية جاز له بشرط عدم الإنكار للمرشد الأوّل إذ المقصود هو الله سبحانه ، وهذا الطريق أقرب الطرق في الوصول إلى الله تعالى سيما في هذا الزمان الذي لم يبق من السلاسل الأُخر إلا الاسم والرسم فليلتزم هذه الطريقة الشريفة انتهى ، وقال بعض الصوفية : ينبغي لمن يخدم كبيراً كاملاً ثم فقده أن لا يصحب إلاّ من هو أكمل منه وإلا جعل صحبته مع الله كما قيل : كن مع الله وإن لم تقدر كن مع من كان مع الله كما في قوله تعالى ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ لعل ذلك مقيّد بعدم إذن الشيخ كذا في « البريقة المحمودة » في ٢٢ من الجزء الثاني . وفيه أيضاً : وفي « الفيض » : إذا ظهر للمريد أن الشيخ الآخر كامل ممّن يُقتدى به فله ذلك انتهى ٢٢ .

وفي « الرشحات » : إذا وَجَدَ المريد الصادق شيخاً أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل . انتهى ١٩٤ .

وقد كتب الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إنّ الطالب إذا لم يجد رشده عند شيخ ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته من غير إنكار على شيخه الأول ، وأيّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدس سره وقال : إنّه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارى . انتهى . كذا في « النفائس السانحات » وهكذا في « البهجة » .

وفي « المتممات » في ١١٢ : وقال الشيخ الأكبر قدس سره : يجبُ على الشيخ إذا رأى شيخاً آخر فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذته فإنه صلاح وسعادة في حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف وناصح نفسه ولا صاحب همّة بل هو ساقط الهمّة وضعيفها ، بل ربّما يكون محبّاً للريّاسة والتقدّم وهذا في طريق الله نقص ألا ترى قوله عليه السلام : « لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتّباعي » وإلياس وعيسى ـ بل كل الأنبياء ـ تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ في الدنيا وفي الآخرة تحت لوائه ، وهكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريقة .

وقال الشعراني قدس سره : ثم إذا رأيتُ أحدهم أعرفَ منّي بالطريق تتلمذت له ولو كُنْتُ مأذوناً لي قبل ذلك من شيخ آخر ، لأن المقامات ليس لها حدٌّ يقف عليه العبد . قلت : فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه وكان حال الشيوخ التَتلْمذ لمن هو أعرف منهم بالطريق ؛ ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع الخضر عليهما السلام ، فما تقول فيمن لم يشمّ رائحة من أسرار الطريقة ! أو شمّ وهو ناقص عن ذروة التحقيق ! ؟ فتبصّر وأنصف . انتهى .

وفي « البهجة » : وتقدم عن سيدي يوسف العجميّ أنّه كان عندهم في بلاد العجم شيخ فبرع له تلميذ وفاق شيخه فرجع شيخه وأخذ عنه وترقّى على يديه وصار يخدمه كآحاد المريدين . أفاده

العارف الشعراني قدس سره في « النفحات القدسية » . انتهى . وراجع « المنن » . و« شرح تائية السلوك » .

مطلب

وسمعت شيخنا ومولانا ذا الجناحين العسوي قدس سره يقول: العلم علمان علم الظاهر وعلم الباطن ، فكما يجوز تعلّم العلم الظاهر من أستاذ آخر ؛ فكذلك يجوز أخذ الطريقة وعلم الباطن من شيخ آخر ولا مانع منه . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » ما **حاصله** هذا : أن الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره أخذ الطريقة القادرية من الشيخ حبيب الله ثم بعد زمان أخذ منه الطريقة النقشبندية . قال : وقد تردّدت أوّل الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن أَشْتَغِل في الطريقة النقشبندية أو لا ! فرأيته في الواقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه تلقاءه فخطر لي أن أحضر عند شاه نقشبند ، فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فلا مضايقة . انتهى ٢١٠ بتصرف واختصار .

وقال سليمان الزهدي خليفة قطب الأقطاب خالد شاه قدس الله أسرارهما :

اعلم : أن الطريقة الموصلة المشهورة المعنعنة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقاً من غير تلفيق للعاميّ ، وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه والاستقامة بآدابه ، ولكن يجب على الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع[1] المنكرة . انتهى من

(١) ألا وهي الطريقة النقشبندية كما قال ابن حجر في آخر « فتاويه الحديثية » (منه) .

« مجموعة الرسائل » .

فنقول[1] ـ والله أعلم ـ أخذا ممّا في « المنن » في الجزء الأوّل : إنّ الممنوع أن يتردّد المريد لدى هذا ويأخذ منه ، ولدى هذا فيأخذ منه ويتّخذ له شيخين كليْهما معاً ، فمثل هذا لا يجوز ؛ بل لا يصل إليه الفيض والمدد من الجانبين ، ويسقط من قلبي الإثنين ، لأنّ الأمر في وصول الفيض تابع لاعتقاد المريد لا للمشائخ ، فالتردّد إلى الشيخين معاً من علامة تردّد الاعتقاد في الطرفين وعدم توفّره في أحد من الجانبين ، وتفريد الاعتقاد في الشيخ واجب **فافهم وراجع** . وفي « المواهب البريقة » ؛ قالوا : ولا بدّ للمريد من توحيد القصد والإذعان والعمل بكل ما يقول له الشيخ ، ومن لم يوحّد القصد وأشرك مع الشيخ غيره فهو مشرك في القصد ؛ لا يجيء منه شيء في الطريق ؛ ولو كان شيخه من أكبر الأولياء . انتهى .

مطلب مهم

المقيم في محل مقيم

ولا بد من أن يراعي المريد توحيد قبلة التوجه فإن جعل قبلة التوجه متعدّدة ألقى السالك نفسه إلى التفرقة ، ومن الأمثال المشهورة « أن المقيم في محلّ في كل محلّ ، والمتردّد بين المحال ليس في محلٍّ أصلاً » كذا في « الدرر المكنونات » في ٨٧ من المجلد[2] الأول ، فلأجل

---

(١) هذا جواب لسؤال : إنا نحن نجد في بعض الكتب خلاف هذه المنقولات فهل للجمع بينهما سبيل ؟ (منه) .

(٢) وفيه في ٢٨ من الجلد الثالث ينبغي أن يعلم أن الدولة من أي محل يحصل في الصورة ينبغي إرجاعها في الحقيقة إلى شيخه لئلا تتفرق قبلة توجهه ولا يتطرق الخلل إلى المعاملة ومن أي محل يحصل الفيض ينبغي أن يراه من شيخه فإنه جامع ، فبأي صورة تظهر تربيته فهي في الحقيقة منه . وهذا المقام من مزالق أقدام الطلاب ينبغي أن يكون واقفاً متيقظاً حتى لا يجد العدو اللعين سبيلاً ولعلكم سمعتم أن من كان في محل واحد فهو في كل محل ومن=

هذه المنقولات ولِفَقْد الشيخوخة في هذه الديار الجبلية غير الرسم والعادة ولاختلاط الأبعاض في هذه الطريقات شَيْئاً من البدعات مما لم يجدوا لها نصوصات قَبِل شيخنا العسلي قدس سره مريدي الأغيار ولم يقل لهم : قيّدُوا في دائرة شيخكم بل لقّن لهم الذكر السلوكي فارتقى أكثرهم إلى مقامات الولاية الصغرى ، فلعلّ الله يرزقهم الكبرى والعليا وهو خير وأبقى ! ! فأقرّ جميعهم وتحقّقوا ورأوا تأثيرات تصرفه وتيقّنُوا وعلموا حال كلا[١] التلقينين وميّزوا ، بل قالوا : ضيّعنا عمرنا في البطالة وشهدوا ، ولا شك أن حال الشيء لا يعرف إلا بالنسبة إلى ضدّه ، وإذا قابلوا أدركوا ؛ وظهر عندهم حقيقة الأمرين ، وعاينوا هذا بعد ما كانوا منكرين قبل ما دخلوا وكانوا يقولون : هل ثمّ طريق غير ما بأيدينا ، وهل ثمّ شيخ غير شيخنا ! ! فالحمد لله رب العالمين .

وقال لي واحد من العلماء الذي كان في اعتقاد الناس كالقطب

=كان في كل محل فليس هو في محل أصلاً انتهى (منه) . وفيه في ٣٤٨ من الجزء الأول : وكل فيض وفتوح يرد عليه فليعتقده : أنه بواسطة شيخه ، فإن رأى في الواقعة أن الفيض يرد عليه من مشائخ آخر فليره أيضاً من شيخه ، وليعلم أن الشيخ لما كان جامعاً للكمالات والفيوضات وصل إليه منه فيض خاص مناسب لاستعداده الخاص الملائم لكمال شيخ من الشيوخ ؛ أعني الذي ظهرت منه صورة الإفاضة ، وإن لطيفة من لطائف شيخه لها مناسبة بذلك الفيض ظهرت في صورة ذلك الشيخ ، فتخيل المريد تلك اللطيفة بواسطة الابتلاء شيخاً ، وظن أن الفيض منه ؛ وهذه مغلطة عظيمة . انتهى فراجعه .

وفي « الرشحات » في ١٩٤ : وقع واحد من مريدي قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان جائعاً ، فقلّب وجهه نحو قرية شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، فاطّلع الشيخ شهاب الدين على حاله وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ، ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب قرية شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا حيثما كنّا . ولما جاء الخادم عند الشيخ سأل الشيخ : كيف وجدت هذا الدرويش ؟ قال : أبله ، يأكل طعامك ويشكر قطب الدين حيدر ، فقال : ينبغي أن تتعلّم المريدية منه ؛ حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنها من شيخه ظاهراً وباطناً من أيّ مكان جاءت تلك الفائدة . انتهى من « رشحات » ١٩٤ .

(١) وفي نسخة : كِلَي .

وكان قد أخذ الطريقة من الشيخ عمر العندي وبعده من الشيخ الحاج محمد الكِكُني هداهما الله إلى الحق : إني اجتمعتُ مع واحد[1] من المشائخ النقشبنديين فوقع بيني وبينه كلام كثير في الطريقة ، وقال لي : ألا تنظرون في الكتب لتعلموا هل أنتم سالكون في الطريقة أم لا ؟ وهل مشائخكم لقنوا لكم أذكار الطريقة أم لا ؛ وأنتم علماء عقلاء ؟ ! فبعد ذلك طلبت كتب النقشبندية والقادرية وكتب أهل التصوّف ونظرت فيها فلم أجد ما لقن لي ولغيري من مشائخي موافقاً بما في تلك الكتب كلّها ، فدُرْتُ في القرى الداغستانيّة ، وذهبت لدى كل من سمعت أنّه يتشيّخ ، وتفحصت عنهم كيفية أورادهم وعن شيوخهم وعن طريقتهم ؛ فلم أجد كلّ ما يفعلونه ويلقنونه موافقاً على ما في كتب النقشبندية وغيرها ، فإذا سألتهم عن كيفية عدم الموافقة أقرّوا وتحيّروا ، وعلى ما في الكتب لم ينكروا ، وأيّ شيءٍ يقولون لم يَعْلَمُوا ، ثم بعد ذلك رجعت لدى ذلك الشيخ المذكور فتفحّصْتُ منه كما تفحّصْتُ من غيره ؛ فأَخْبَرَ جميع ما سُئل وأجاب الكل وما خجل ، ولم أجد كلّ ما يفعله ويقوله يخالف بما في الكتب ؛ ولو ذرة واحدة ، فعلمتُ حينئذ كونه شيخاً حقيقياً ، وأخذت منه الطريقة النقشبندية ، فتوجه إليّ ذلك الشيخ فحصل لي من الأحوال بذلك التوجُّه ما لم يحصل لي ولو بالدخول في الخلوة بإشارة[2] شيخي القبليّ في ثمانية أشهر كاملة مع الرياضة الشاقة والمجاهدة التامة . انتهى . وكيفية[3] مجاهدته ورياضته حين كان مقيّداً في دائرة شيخه القبليّ أنه كان يأكل شيئاً قليلاً من السويق الذي اختلط فيه صمغ الصنوبر ، وكان يعلّق الحبل في سقف خلوته

(١) وهو ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره (منه) .
(٢) ولا عجب فإن التوجه الواحد من شيخ نقشبندي يعمل في المريد المستعد عمل مائة من الأربعين راجع « الدرر المكنونات » وسيأتي في الكتاب إن شاء الله تعالى (منه) .
(٣) هكذا أخبرني صاحب الواقعة (منه) .

ويربط به نفسه من وسطه لئلا يقع على الأرض عند غلبة النوم ، وكان يجتهد في الأذكار والقراآت والدعوات لا يفتر عنها في الليل والنهار ، ومع هذا لم يحصل له من أحوال القوم ؛ ولو ذرّة ، ولم يذق مما ذاقه النقشبنديون ؛ ولو طُعْمَةً ، إلى أن يتوجه إليه شيخه الآخر . انتهى . وهو الآن يستغفر الله تعالى عن الحالة التي كان عليها قبل هذا كما يستغفر من كبائر ذنوبه مع كونه قبل ذلك معدوداً من أولياء الله في اعتقاد الناس ، وصار بعد ذلك يقول : هذا هو الحق المبين وليس غيره إلا إضاعة العمر العزيز انتهى .

واقعة عجيبة

ومن غريب ما وقع للعالم الرباني أدرة العرادي رحمه الله تعالى أنه قال : إني رأيت في المنام كأن الغوث محمود أفندي والشيخ الحاج جبرائيل أفندي قُدّس سرّاهما قد أتيا إلى محلّتي وتوّجه إليّ واحدٌ منهما ولقّنني الذكر القلبيّ ، فانتبهت خائفاً ؛ فوجدت قلبي يتحرك ويضطرب إضطراباً عجيباً يذكر لفظة الجلالة مع أنه لم يكن قبل ذلك يذكره كذلك ! مع كوني مأذوناً من طرف شيخ آخر ! ! . انتهى . ثم تعلّق ذلك العالم رحمه الله تعالى بذيل شيخنا قدس سره وأخذ منه الطريقة وحَسُن حاله وارتقى إلى مقام المراقبة رزقه الله وإيّانا الزيادة ، آمين .

وأغرب منه ما وقع لمريد آخر في عهد واحد من مشائخ العصر ، سألني عن أحوال شيخنا العسوي قدس سره وعن طريقته وعن ورده الذي يضع على مريديه فقلت له : إنه يلقن الذكر على القلب وما بعده من اللطائف ، وثم وثم . . . إلخ . وأَرَيْتُهُ مواضع اللطائف بوضع إصبعي وقلت له : إنّ جميعها ترتعش وتتحرك وتذكر الله باسم الجلالة ، فتعجّب وتحيّر وظنّ أن ذلك مما لا يكون أبداً ، ثم اجتمعت معه بعد

يوم ولقيته وهو مسرور[1] فرح فقال لي : إنّي توجهت ونظرت إلى قلبي متفكراً فصار يذكر الله تعالى ويتحرّك ، ثم نظرت إلى جميع اللطائف فوجدتها كذلك سوى لطيفة الأخفى ، وشكر لي وقال : إن ذلك من بركتك ، وأثنى عليّ ، فقلت له : لا بل لعلّ ذلك بتوجه روحانية شيخنا العسلي قدس سره ، فلو ذهبْتَ لديه كان خيراً لك ، فوقتئذٍ ذهب ذلك المريد لديه ولقن له شيخنا الأذكار على جميع اللطائف بتوجّهٍ واحدٍ ، فصار حال صاحب الواقعة بعد ذلك بحيث تضطرب جميع أجزاء جسده بالذكر ، حتى كان يجد نفسه إذا انتبه من النوم تهتزّ بجريان الذكر في جزئيات أعضاء بدنه كالطير المذبوح المطروح قبل خروج الروح . انتهى .

ولو كان غيرهم من متشيّخي ديارنا يتدبّرون وينظرون في كتب أهل التصوّف ولا يكسلون ويفعلون كما فعل هؤلاء ويتتلمذون للكامل المكمل كما تلمّذوا لكان خيراً لهم ، ولكن إنهمكوا فيما هم فيه ألفوا ، وما زالوا عما هم به آنسوا وزين لهم الشيطان ما ابتدعوا أصلح الله تعالى أحوالهم وألهمهم رشدهم وغفر لنا وإيّاهم ؛ إنه هو الغفور الرحيم . فرضي الله تعالى عن سيدي ابن الفارض حيث قال :

تعرض قوم للغرام وأعرضوا ... بجانبهم عن صحتي فيه واعتلوا
رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلّوا
فهم في السُرى لم يبرحوا من مكانهم ... وما ظعنوا في السير عنه وقد كلّوا
وعن مذهبي لمّا استحبوا العمى ... على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

اهى من « ديوانه » ١٠٩ .

---

(١) أي : والحال أنه مسرور (منه) .

الباب الثاني عشر

في بيان أن الطريقة النقشبنديّة سالمة من البدع باقية على أصلها وأنها أقرب الطرق وأسهلها وأفضلها

قال الإمام الرباني قدس سره : **اِعلم** ؛ أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل هو الطريقة النقشبندية العلية قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، وكل عظمة هذا الطريق وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر بواسطة التزام متابعة السنّة السنيّة على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة واجتناب البدعة الغير المرضية ، وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم كالأصحاب الكرام عليهم الرضوان من الملك المنان وكان شعورهم وحضورهم على سبيل الدوام وصار فوق شعور الآخرين بعد الوصول إلى درجة الكمال . كذا في « المكتوبات » في ٣٣٣ من الجلد الأول .

قال الخاني في « البهجة السنيّة » والقطب أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » : وأما كيفية الطريقة النقشبندية ! ! فإنه قد اشتهر وتحقق بالتجربة والعيان لدى أساطين العلم والكشف ، والشهود أنّ الطريقة النقشبنديّة أقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد ، لأنّ مبناها على التصرّف وإلقاء الجذبة المقدّمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته ﷺ في قوله : « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر أبي بكر رضي الله تعالى عنه » ، وهو واسطة[1] هذا العقد ومؤسِّس هذا المجد على اتباع السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلّي عن الرزائل والتحلّي بمحاسن الأخلاق

(١) وبهذا الاعتبار قال أكابر هذا الطريق إن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره الذي هو فوق جميع النسب والحضورات كذا في « الحدائق الوردية » نقلاً عن الإمام الرباني فراجعه في ١٨٨ (منه قدس سره) .

والفضائل ، **فتلخص** من هذا كلّه أنّ الجذب في هذه الطريقة مقدّم على السلوك ومن تلبّس بهذا الحال فلا شك يكون أقرب وصولاً من المتلبس بالعكس كما أنه شتّان ما بين المجذوب السالك والسالك المجذوب ، ومبنى بقيّة الطرق على تقديم السلوك على الجذب في الأغلب ولذا قالوا : **بداية الطريقة النقشبندية نهاية سائر الطرق** إلا من كان له قدم المحبوبية والمرادية كبعض الأولياء الذين تقدّم فتحهم على السلوك .

تنبيه : لا يظن من هذا البحث تفضيل أولياء النقشبندية عموماً على أولياء بقية الطرق عموماً ، إذ البحث في بيان أقربية الطريق للوصول من حيث هي هي ، ولا يلزم من ذلك تفضيل سالكيها على سالكي غيرها مطلقاً ، بل العموم والخصوص من وجه كما إذا قلنا (الرجل خير من المرأة) مراداً بها الحقيقة تدبّر .

مطلب

فأوّل قدم يضعونه في الذكر القلب ؛ وهو المرتبة الثانية من مراتب الذكر في سائر الطرق ، وليس فيها كثرة الجوع وكثرة السهر بل الاعتدال يصحبها وخلوتهم في جلوتهم وكل المجامع لهم زاوية[1] ، يحضرون في المجالس ؛ وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ومن السوى خالية فيعتزلونهم بقلوبهم ويجالسونهم بأجسامهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ .

مطلب

طريقة الصحابة

واعلم : أنّ طريقة النقشبندي قدس سره هي طريقة الصحابة

(١) أي خلوة .

على أصلها لم تزد ولم تنقص ، وهي عبارة عن دوام العبودية[١] ظاهراً وباطناً مع كمال الالتزام للسنة والعزيمة ، وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة ؛ في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك ، فهي طريق الانصباغ والانعكاس لكمال ارتباطهم بها[٢] مع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان وفي إفاضتها الأحياء والأموات ، ويندرج انتهاؤها في الابتداء وابتداؤها انتهاء غيرها ؛ لما فيها من انجذاب المحبّة الذاتية مما فضل به[٣] واسطتها الصديق الأكبر رضي الله عنه فهذه أمّ الطرق ومعدن الأسرار الصديقيّة والحقائق ، ولا جرم أمرها كبير وشأنها خطير ترى منكري الأولياء مذعنين لها لاستقامتها واعتدالها ؛ فضلاً عن الموقنين المعتقدين لتحرُّزها عن الشطح والرقص وسفاسف السماع ، وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوّفة وزخارف الرقاع والابتداع ، وتحليها من السنّة السنية بالاتباع وغلبة العلم والاستماع له من الاتباع وهي مما جرى على قبوله الوفاق ، وأقرَّ بفضله علماء الآفاق .

وبالجملة فهي الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتمُّ الأكمل الأحكم الأوضح والمشرب الأعذب المصون عن كل قادح ، بيت :

لا يدرك الـواصف المُطْرِي خصائصه   وإن يـكون سابقاً في كل ما وصفا

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم بطابع أنوار أسرار العلوم ،

---

(١) ألتي هي دوام الحضور (منه) .

(٢) حبّا (خ) راجع « البهجة » في ٨ (منه) .

(٣) وفي « الحدائق الوردية » وقال الإمام الرباني قدس سره : أيها الأخ رأس هذه الطريقة العلية ورئيس هذه السلسلة السنية الصديق الأكبر الذي هو بعد النبيين أفضل البشر رضي الله عنه وبهذا الاعتبار قال أكابر هذا الطريق إن نسبتنا فوق جميع النسب إذ نسبتهم عبارة عن الحضور الخاص ونسبتهم وحضورهم نسبة الصديق وحضوره الذي هو فوق جميع النسب والحضورات انتهى . فراجعه في ١٨٨ (منه رحمه الله تعالى) .

فمِنَ السالكين فيها مَن وصل في لحظة ، ومنهم من وصل في يوم ، ومنهم من وصل في أسبوع ، ومنهم من وصل في شهر ، ومنهم من وصل في سنة ، ومنهم من وصل في سنين كما في « منهاج العابدين » .

وأما شرعيتها وتطبيقها على المذهب ! ! فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ القرآن[1] وحقيقة العرفان ، وفي حقها أدلّة[2] جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان .

قال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله : إنّ هذا الطريق ليس في طوله وقصره مثل المساحات التي تسلكها الأنفس فتقطعها بالأقدام على حسب قوّة النفس وضُعفها ، بل هو طريق روحاني تسلكها القلوب فتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر وأصله نور سماويّ ونظر إلهيّ يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين بالحقيقة ، ثم هذا النور ربّما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي فلا يجده ولا أثر منه . انتهى كلام « المتممات » ٩٧ .

وكان الإمام الرباني قدس سره مأذوناً للإرشاد في الطرق الثلاث القادريّة والسهروردیّة والچشتية ، ومع ذلك اجتهد لتحصيل نسبة الطريقة النقشبندية لعلمه بفضلها على سائر الطرق حتى قال : إنّ **الإمام المهدي**[3] **يكون على هذه النسبة الشريفة** . وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة . انتهى . وقال شاه نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه . انتهى . من « البهجة » و« النفائس السانحات » ، وقال الشاذلي : لقد جئت في

---

(١) فراجع إلى هذه الصفحة تجد البيان في آخر الصحيفة ٥٢ .

(٢) وفي « المناقب الأحمدية » في ٢ إن الطريقة النقشبندية خلاصة الطرق وأوفق بالكتاب والسنة وإنها سالمة من كدورات جهلة الصوفية وفيها ما في جميع الطرق وزائداً (هكذا في الأصل وفي نسخة : وزائدٌ) فراجعه مع ما في الهامش (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) ومثله في « المناقب الأحمدية » في ٢١ فراجعه (منه) .

هذه الطريقة بما لم يأت به أحد لأنه عين الطريقة النقشبندية وهي **سلطان الطرق** . انتهى « متممات » ، وقال شاه نقشبند قدس سره : قيل لي في بداية الجذبة : كيف تدخل في هذا الطريق ! فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فقيل لي : كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل . فقلت : لا أطيق ذلك ، بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا . وتكرّر ذلك مرّتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً فحصل لي يأسٌ عظيم ثم بعد ذلك قيل لي : إن الذي تريده يكون . فقلت : أريد طريقةً كلُّ من دخلها تشرّف بمقام الوصول . انتهى من « الحدائق الوردية » في ١٣٦ . وفي « البهجة » أنّه قدس سره قال : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة إلى الله ألبتّة . وقد أجيبت دعوته ؛ كما في « الرشحات » انتهى .

فائدة مهمة

إن علاء الدين العطاري قدس سره قد زار ضريح سيّدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ومعه زمرة من أصحابه ؛ فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت قال وعلمت أنّ هذه الخيمة لرسول الله ﷺ فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ وخرجا بعد ساعة فرحَين شاكرَين وسيدنا شاه نقشبند يقول : أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع[١] ، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخا ، وأحبّائي وأتباعي إلى فرسخ ، نقل من « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٤٨ .

فائدة جليلة لنا معشر النقشينديين[٢]

(١) ومنح أصغر محبينا وأحقر متابعين شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره « طبقات الخواجكان النقشبندية » .

(٢) فائدة جليلة لنا معشر النقشبيديين إن وإن . . إلخ . ولا حول . . إلخ . (شعيب الباكني=

وفيه في ١٤١ : قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبد الوهاب قدس الله سره : لما دفن حضرة الشيخ نقشبند رضي الله عنه فتح من جهة وجهه المبارك له طاقة إلى الجنة كما ورد « القبر روضة من رياض الجنة » فدخلت عليه حوريّتان وسلّمتا عليه وقالتا له : نحن منذ خَلَقنا أكرم الكرماء لك ننظر خدمتك . فقال قدس الله سره : عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت إلى شيء مّا من الأشياء ما لم أتشرّف برؤيته التي بلا كيف ولا مثال ؛ وأشفع بجميع من اتصل بي وسمع مني القول وعمل به . انتهى .

وقال الإمام الرباني قدس سرّه : كنت مرّة في حلقة أصحابي فخطر لي أنّي في قصور ونقص ، فبينما أنا كذلك إذ ألقي في سرّي أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إلي بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة ؛ كذا في « البهجة » و« رسالة المبدأ والمعاد » فراجعهما ففي هذه المذكورات بشارة أيٌّ بشارة لمن تمسّك بذيل هذه الطريقة النقشبندية العلية حشرنا الله تعالى تحت ألوية ساداتها الظاهرة ونفعنا بمدد أرواحهم الطاهرة في الدنيا والآخرة . آمين .

وَصْلٌ[1] في بَيَانِ خَصَائِص ولَطَائِفِ وَمحاسن الطريقة النقشبَنْدية :

قال الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدس سره في بعض مكاتيبه : ومن خواص هذه الطريقة أيضاً تقدُّم الجذبة فيها على السلوك[2]

=قدس سره من خطه) .

(١) بالواو لا بالفاء . تدبر .

(٢) وقال الإمام الرباني قدس سره في « المكتوبات » ما نصه :

إن أكابر النقشبندية قدس الله أسرارهم اختاروا الطريق الغير المسلوك وصار هذا الطريق عندهم طريقاً مسلوكاً معهوداً وهم يوصلون خلق العالم من هذا الطريق إلى المطلب بالتوجه والتصرّف ، والوصول لازم لهذا الطريق إذا رعي فيه آداب الشيخ المقتدى به ، والشيخ والشاب متساويان في هذا الطريق في الوصول ، والنسوان والصبيان متساويان فيه بل الموتى=

وإنّ ابتداء سيرها من عالم الأمر ؛ لا من عالم الخلق ، بخلاف أكثر[1] الطرق وكون قطع منازل السلوك فيها مندرجاً في ضمن طيّ معارج الجذبة وتيسّر سير عالم الخلق في سير عالم الأمر ، فلهذا لو قيل : إنّ قطع منازل السلوك في هذا الطريق مندرج البداية في النهاية لساغ ذلك أيضاً ، فعلم أنّ سير الابتداء في هذا الطريق مندرج في سير الانتهاء ؛ لا أنه يتنزّل في سير الابتداء إلى سير الانتهاء وبعد تمام سير النهاية يكون سير البداية .

وقال الإمام الرباني أيضاً في بعض مكاتيبه : وحصول هذه الدولة يعني الإقبال على الله تعالى بالكلية والإعراض عما سواه عز وجلّ موقوف في هذا الوقت على الإخلاص للطّائفة النقشبندية والتوجه إليهم ، فإن الذي يحصل في صحبتهم الواحدة لا يتيسّر بالرياضات الشديدة والمجاهدات الشاقة في مدّة مديدة[2] وذلك لأنّ في طريق هؤلاء الأكابر اندراج النهاية في البداية بحيث يعطى في أول صحبتهم ما يقع في يد المنتهين في نهايتهم ، وطريق هؤلاء الأكابر هو طريق

=راجون من هذه الدولة انتهى فراجعه في ١٧١ من الجزء الأول .
قلت : إن المراد من الطريق المسلوك الطريق الذي هو عبارة عن طريق الجذبة والمحبة وطريق الاجتباء وهو غير مشروط بالإنابة وتقدم فيه التصفية ـ أي : تصفية القلب عن الأغيار ـ على التزكية ـ أي : تزكية النفس ـ عن الأخلاق الرذيلة ، وأما الطريق المسلوك هو الطريق الذي بطيّ المقامات العشرة المشهورة بالترتيب والتفصيل وتزكية النفس مقدمة في هذا الطريق على تصفية القلب ، والإنابة فيه شرط الولاية والهداية ؛ كما بينه الإمام قبيل هذا فافهم وراجعه (منه) قدس سره العزيز .

(١) يعني أن مشائخ سائر الطرق يبتدئون من عالم الخلق ثم بعد طي عالم الخلق يضعون القدم في عالم الأمر ويصلون إلى الجذبة . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٤ راجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي هذه الطريقة بالعمل القليل تفتح فتوحات عظيمة كذا في « المناقب الأحمدية » في ١١ (منه) .

الأصحاب الكرام فإنه كان يحصل لهم في أول صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات ما يندرج حصوله لأولياء الأمة في النهاية وهذا طريق اندراج النهاية في البداية فعليكم بمحبّة هؤلاء الأكابر فإنها ملاَكُ الأمْرِ . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٩٨ من المجلد الأول .

وفيه أيضاً في المكتوب الثامن والعشرين : فينبغي أن يتأمل في أنه إذا كانت بداية جماعة بحيث اندرجت فيها نهاية غيرهم ، ماذا تكون نهايتهم ! وكيف يسعها إدراك الآخرين ؟ ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ انتهى ٧٠ .

ومن خواصّها :

أنّ الحجب المذكورة في حديث : « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة » ترتفع بالتمام بتمام اللطائف السبع : القلب والروح والسرّ والخفي والأخفى والنفس والبدن العنصري ، ففي كل قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب ؛ نورانية كانت ، أو ظلمانية ، وفي كل منها يبعد السالك من نفسه ويقرب من ربه حتى يتمّ القرب بتمام هذه الأقدام ، فحينئذ يتشرّف بالفناء والبقاء ويبلغ[1] درجة الولاية الخاصة . كما مر بسطه قبيل الباب الأول .

ومن خواصّ هذه الطريقة : أنها أيضاً أقرب الطرق وأنها موصلة البتة ؛ قال الشاه النقشبند قدس سره : طريقتنا أقرب الطرق . وقال أيضاً : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة ألبتّة . وقد أجيبت[2] دعوته ،

---

(١) قال الشيخ محمد مظهر في هامش « المناقب الأحمدية » وما لهم لا يحصلون ذكر اللطائف الذي هو بذر المحبة الالهية وموجب لبقاء الايمان من واحد من المشائخ النقشبندية فإنه في طريقتهم تيسر في مدة قليلة بلا تعب فراجعه من صحيفة ٤٥ (منه) .

(٢) يعني أنه قدس سره سأل الله تعالى طريقة سهلة على الطالبين تكون موصلة البتة وسجد وبقى ساجداً كذلك اثني عشر يوما فاستجاب الله دعاءه وألهمه طريقة جديدة ليس=

كما في « الرشحات » .

عن عبيد الله أحرار قدس سره : وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج[1] في ابتدائها ، فالمحروم من يدخل هذا الطريق ولا يستقيم ويروح لا نصيب له ، وما ذنب الشمس إذا لم تكن هناك عين تُبْصِرُ ! ! ، نعم إذا وقع طالب في يد ناقص فأيّ ذنب للطريق ؟ ! وأيّ تقصير للطالب ؛ إذ الموصل في الحقيقة في هذا الطريق هو المرشد[2] ؛ لا نفس الطريق .

وفي « المكتوبات » للإمام الرباني في ٦٥ من الجلد الثاني **ما حاصله** :

إنّ هذا الطريق موصل البتة ، وعدم الوصول مفقود فيه ، فإنّ أول قدم هذا الطريق الجذبة التي هي دهليز الوصول . ومواقع التوقفات إما منازل السلوك أو مواطن الجذبات التي لا تكون متضمّنة للسلوك وكلا المانعين مرتفعان في هذا الطريق ، فإنّ السلوك طفيلي يحصل في ضمن الجذبة فههنا ليس سلوك خالص ولا جذبة أبتر حتى يكون الطريق[3] مسدوداً . انتهى .

=فيها حرمان لأحد ولا مجاهدة ، يكفي فيها اتباع السنة والعمل بالعزيمة كذا في « المناقب الأحمدية » في ١١ (منه قدس سره العزيز) .

(١) فيجد أهل هذه الطريقة في أول قدم ما يجد غيرهم في النهاية . فإن كان بينهما فرق فإنما هو بالإجمال والتفصيل والشمول وعدم الشمول . كذا في « الدرر » في ١٨٢ من الجزء الأول . (منه) .

(٢) ومما ينبغي أن يعلم أنّ عدم حصول التأثر يكون كثيراً من عدم امتثال المريد بما أمره شيخه فإن الشيخ حكيم المريد فإذا لم يعمل المريض بقول الحكيم لا يحصل له شفاء فافهم (منه) .

(٣) وقد يتمهّل ويتأخر التأثر لأبعاض من السالكين لكون عالم الخلق فيهم قويّا وعالم الأمر ضعيفاً ولذا قال الإمام الرباني قدس سره : المانع من سرعة تأثر بعض سالكي هذه الطريقة العلية ووجدانهم اللذة والحلاوة التي هي مقدمة الجذبة مع أنّ ابتداء سيرهم من عالم الأمر ! ! هو أنّ عالم اللأمر فيهم ضعيف بالنسبة إلى عالم الخلق الذي فيهم ، ولا يزال هذا الضعف فيهم حتى يقوي عالم الأمر فيهم على عالم الخلق ، والذي يناسب لعلاج هذا الضعف في هذه الطريقة العلية التصرّف التام من المرشد الكامل* وفي سائر الطرق تقديم تزكية النفس والمجاهدات والرياضات الشاقة الموافقة للشريعة المحمّدية على صاحبها الصلاة والتحية كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٤ فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

مطلب مهم

ومن خواص هذا الطريق أيضاً : أنه يكون في ابتدائها الحلاوة[1] والوجدان وفي انتهائها عدم اللذة والفقدان الذي هو من لوازم اليأس ، بعكس سائر الطرق إذ في ابتدائها عدم اللذة والفقدان وفي انتهائها الحلاوة والوجدان ، وكذا يكون في هذه الطريقة في ابتدائها القرب والشهود وفي انتهائها البعد والحرمان ، ومن هنا يعلم تفاوت الطرق وعلوّ شأن هذه الطريقة ؛ إذ القرب والشهود والحلاوة والوجدان يخبر عن الهجر والبعد والحرمان ، وعدم اللذة والفقدان يخبر عن نهاية القرب ، فهم من فهم . ويكفي في شرح هذا السر أنه لا أقرب إلى الإنسان من نفسه ، فالقرب والشهود والحلاوة والوجدان بالنسبة إليه مفقود وبالنسبة إلى غيره موجود ، والعارف تكفيه الإشارة ؛ وإنّ أكابر هذه الطريقة جعلوا الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعيّة ، والأذواق والمعارف خادمة للعلوم الدينيّة ، لا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال ، ولا يغترون بترَّهات الصوفية ولا يفتنون بها ، ولا يريدون الأحوال التي تحصل من ارتكاب المحظورات الشرعية ومن مخالفات السنة السنيّة ولا يقبلونها ، ومن هنا لا يجوّزون السماع والرقص ولا يقبلون على الذكر الجهري[2] ، حالهم على الدوام ، ووقتهم على الاستمرار ؛ التجلي الذاتي الذي لغيرهم كالبرق . . . لهم دائم ، والحضور الذي يعقبه غيْبة ساقطٌ عن

---

* والمداومة على الوقوف القلبي مما جرّ به لهذا الفقير لتحصيل التأثر ، ولأجل ذلك قد يأمر به بعض المشائخ كما هو مذكور في الكتب .

(١) وقال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه : إن مقدمة هذا الطريق الالتذاذ والسكون الذي هو سبب الغيبة عن الحسّ ، وباعث على الذهول عن الشعور . انتهى فراجع « الدرر المكنونات » في ٦٩ من الجزء الأول (منه) .

(٢) فإن الجهر ممنوع في هذا الطريق « الدرر المكنونات » ١٤ من الجزء الثاني .

حيّز الاعتبار عند هذه السادات الأخيار ، بل كانت حالتهم أعلى من الحضور كما أشار إليه عبيد الله أحرار وقال : إنّ سادة هذه السلسلة العلية ما لهم نسبة إلى كل زراق ورقاص وكانت حالتهم أعلى ، انتهى كذا في « البهجة » في ٧ .

ومن خواصها أنّ الولاية الكبرى إنما تعطى فيها ، وفي غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط لما فيه من المخالفة في آداب السنة . كذا في سلسلة الخواجكان .

ومن خواصها أنّه لا بد فيها من تصرّف الشيخ الكامل للطالب بالتوجه ، لأنّ الطالب فيها لا يحصل له شيء بدون تصرّفه ، لأنّ اندراج النهاية في البداية ـ الذي من خصائصها أيضاً ـ أثر توجه الشيخ وهو شرط فيها ، ومعنى الاندراج أن يذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ ، ولهذا يجب أن يكون شيخ تلك الطريقة متشرفاً بالولاية الكبرى ، لأنّ من لم يتشرف بها لا يقدر على التصرّف . كذا في « المواهب البريقة » .

فائدة : قال في « البهجة » ما **حاصله:** لا ينبغي للشيخ أن يتوجَّه[1] لورود الحال لئلا يحمل استعداده[2] ذلك الحال ويزول عقله . انتهى . وفيه أيضاً : فإن كان استعداده قوياً وسلك السلوك سريعاً فيمنعه من سلوكه ، يعني يضع على استعداده ظلمة حتى يسكن عن الترقي ويتأخر سلوكه إلى أربعين يوماً ، فإن تأخر أكثر منها فأحسن وأولى ، انتهى فراجعه في ٣٠ .

---

(١) إلى المريد السالك (منه) .
ومنح أصغر محبينا وأحقر متابعين شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره « طبقات الخواجكان النقشبندية » .
(٢) أي مريد .

ومن محاسنها التي ليست لغيرها من الطرق : حصول الاشتغال بتحصيل تلك النسبة[1] في كل مكان ومع كل شخص وفي كل حال ؛ كذا في « الرشحات » في ١٢٩ .

وفيه **وينبغي** أن يجعل تحصيل هذه النسبة أصلاً أصيلاً ، وأن يقتصر الاشتغال بغيرها على قدر الضرورة ، وهذه النسبة الشريفة لطيفة غاية اللطافة ، وليس لها حدّ يضبطها ووقتٌ يختصّ بها ، وربّما تزول وتستر بأمر جزئيّ وتظهر أحياناً من غير ترقب . . . إلخ فراجعه من ١٢٥ .

وبهذا يعلم فساد قول من قال (لا يجوز لمن له أشغال دنيويّة وصنائع كثيرة أن يأخذ هذه الطريقة ولا يقدر أن يوقع الذكر إلى قلبه) ، وهو كلام من لا يعرف كيفيّة إيقاع الذكر إلى القلب ، وقد علم مما مرّ أن نسبة هذه الطريقة التي هي الحضور إنما تحصل من أثر التوجه من الشيخ المرشد وأن **الموصل إلى الله هو نفس المرشد** ؛ لا نفس[2] الطريق ، وأنها طريق الانعكاس والانصباب من صدر إلى صدر ، وأنها تجوز في كل مكان وفي كل حال ، **ولا يخفى حينئذ أنّ كثرة الأشغال والصنائع لا تكون مانعة في حصول تلك النسبة التي هي أثر التوجه فافهم** ، اللهم نعم لا يكون المشتغل بالحرف كالمتجرّد عنها في القابليّة وعدمها ، فمن له استعداد وقابلية فيظهر له أثر التوجه سريعاً ، ومن لا ! فيتمهّل ، ولذا قيل : إن هذا المهم ـ يعني نسبة الأكابر ـ لا تحصل باشتغال بها ولا بغير اشتغال بها ، معناها لا تحصل باشتغال[3] إن كانت له قابلية ولا تحصل

---

(١) أي التي هي الحضور القلبي (منه) .

(٢) رشحة : قال : ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلاً ، فإن بداية هؤلاء الأكابر نهاية الآخرين ، فقلما يقبلون شخصاً ثم يتركونه ويطردونه ، فإن وقع في الساحل بغلبة أحكام النفس والهوى يجذبونه ويجرونه إلى الوسط . « رشحات » ١٢٢ .

(٣) ولعل معناه أنه لا يحتاج إلى الاشتغال بها إن كان له قابلية ، بل تحصل بمجرد التوجه كما يحصل النار في الخرقة المستعدة الجافية بمجرد ضرب الزناد على الحجر . فافهم والله أعلم . (منه من خطه قدس سره ورزقني بركة علومه وعمله) .

بغير اشتغال إن لم تكن له قابلية . كذا في « الرشحات » في ١٤١ .

وقد مرّ في « الديباج » نقلاً من « الحديقة النديّة » : أن مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة يتمّ سلوك السالك منهم وهو مع الناس يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه ، ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ . ومرّ أيضاً في الباب السادس أنّ تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاحي والتجار والراعي والقروي أمْرٌ حَسَنٌ ، مع زيادة بسط وإكثار نقول ، وفي « المتممات » : إنّ بعض العارفين[١] كان لا يأمر أحداً بترك حرفته ، وتجارته بل يعرّفه الطريق ؛ وهو باق على حرفته ، **وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له** ، وكان أبو الحسن يحث على الحرفة ويقول : عليكم بالسبب ، ولا يجعل أحدكم مأكوله سبحته أو تحريك أصابعه . انتهى .

ولا يجب أن يكون جميع الملقنين[٢] بالذكر أهلَ ترك للدنيا وتجريد كذا في « المتممات » وقد مر بسطه في الباب السادس أيضاً .

مطلب مهم
في تكسب الحلال

وفي « الرشحات » في ٢٠٨ : ينبغي لأصحابنا اختيار أحد الأمرين ؛

إما قبول شيء من الوجه الحلال والاشتغال بالزراعة بحفظ أنفسهم في جميع أوقات الاشتغال ؛ كما هو طريقة فقراء أكابر خواجكان قدس الله أسرارهم .

وإما تفويض أنفسهم إلى القضاء والقدر بالكلية من غير صرف

---

(١) وهو أبو الحسن الشاذلي قدس سره ، وعينه في الأنوار القدسية (منه) .
(٢) وراجع في « التنوير في إسقاط التدبير » في ٣٥ (منه) .

القوة الفكرية فيما يحصل وفيما لا يحصل . انتهى .

وقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : فاسلك ؛ يا أخي على يد شيخ يفطمك عن محبة الدنيا يعني عن الميل إليها ، إذ الدنيا لا تبغض لذاتها ، وإنما المطلوب الزهد في الميل إليها ؛ لا في ذاتها ، إذ لو كان الزهد مطلوباً في ذاتها لما جاز لأحد إمساكها ولا قائل بذلك ، فإنّ المحذور إنما هو في إمساكها ، محبة لذاتها ، إذ هو الذي يتفرع منه الحجاب(١) والشحّ والبخل ، فيمنع العبد من إخراج زكاته ، وقد غلط في هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا أصلاً ورأساً ، فاحتاجوا إلى سؤال الناس(٢) تعريضاً وتصريحاً ، ولو أنهم سلكوا على

---

(١) وكثرة الأموال في الدنيا لا تحجب العارفين عن ربهم . كذا في كتاب « الجواهر والدرر » في ٢٤٠ فراجعه من هامش « الإبريز » . وقد قيل : في الإنسان جزء لا يزال يضرب – لعله يضطرب . منه . والله أعلم – في الدنيا ، فإذا وجدت عنده سكن ، ولهذا كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين يدخرون ويبقون عندهم شيئاً من الدنيا .

ومن دعاء بعض السلف : اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا . وعنه ﷺ « إن الفاقة لأصحابي سعادة وإن الغنى في آخر الزمان سعادة » . وسبب ذلك أن جلّ الناس الآن ناظرون إلى الدنيا وأهل الصدر الأول كان نظرهم إلى الآخرة وقد شحت أهل الدنيا بها في هذا الزمن حتى بالقدر الواجب ، فاحتاج أهل العلم والصلاح إلى الدنيا ليستغنوا بها عن أهلها ، فإن من احتاج إليهم هان عليهم قدره لديهم . كذا في « تيسير الأصول » فراجعه في صحيفة ٢٧ (منه قدس سره) .

(٢) وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن شخص يريد أن يجلس في بيت كان تاركاً للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال إن كان له يقين كيقين سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فليفعل وإلا فليخرج إلى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا كذا في « تنوير الصدر » فراجعه من صحيفة ٢٣٨ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

وفي « لواقح الأنوار » وسمعت سيدي عليا الخواص يقول اسع على عيالك ليلاً ونهاراً ولو سمَّوْك دنياوياً ، فإنه خير من أن يُسَمُّوكَ صالحاً وأنت تأكل صدقاتهم وأوساخهم وناظر لما في أيديهم وكل من لم يعطك شيئاً تصير تكرهه مع أن تلك الكراهة من غير حق . اهى ٣٥ من هامش الجلد الثاني من « المنن » (منه من خطه قدس سره) .

يد الأشياخ حتى فطموهم عن الميل إليها ؛ لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين وحصل لهم خير الدنيا والآخرة .

وقد حكي أن فقيراً دخل في زاوية سيّدي إبراهيم المتبولي[1] فجلس للعبادة ليلاً ونهاراً ، وترك الكسب ؛ وكان الشيخ لا يحبّ للفقير عدم التكسّب ، فقال له يا ولدي : لِمَ لا تحترف وتقوم بنفسك وتستغني عن حمل الناس لك الطعام ؟ ! فقال : يا سيدي لمّا دخلت زاويتكم رأيت في تلك الطاقة بُومَةً عمياء لا تطيق أن تسعى مثل ما يسعى الطيور ، ورأيت صقراً يأتيها كل يوم بقطعة لحم يَرْمِيهَا لها في طاقتها ، فقلت : أنا أولى بالتوكل على الله من هذه البومة ، فقال سيدي إبراهيم : ولِمَ تَجْعَلُ نفسك بومة عمياء ؟ ! هلاّ جعلتها صقراً تأكل وتطعم البومة ؟ ! فقال الفقير : التوبة ! وخرج للكسب . انتهى . ٨٧ من هامش « المنن » في الجلد الثاني .

وفيه أيضاً في ١٥ : إن التكسّب الشرعيّ أولى على كل حال . وقد ورد أنّ الله تعالى علّم آدم عليه السلام ألف حرفة وقال له : « يا آدم قل لبنيك يكتسبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم » . انتهى .

وفيه في ١٧ : وروى ابن ماجه مرفوعاً : « ما كَسَبَ الرجل كسباً أطيب من عمل يده ، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » .

وروى الإمام أحمد والبزاز والطبراني : أن رسول الله ﷺ سُئل عن أفضل الكسب فقال : « بيعٌ مبرور وعمل الرجل بيده » . وروى الطبراني ورجاله رجال الصحيح والبيهقي مرفوعاً : « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف » . وفي رواية أيضاً عن كعب بن عجرة قال : مرّ على النبي ﷺ

(١) وفي « الطبقات كبرى » في ٧٧ من الجلد الثاني أن إبراهيم المتبولي رضي الله عنه كان يقول لا أحب الفقير إلا إن كان له حرفة تكفه عن سؤال الناس انتهى . فراجعه .

رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جَلَدِهِ ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ لو كان هذا في سبيل الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان » . وروى الطبراني **مرفوعاً** : « من أمسى كالاًّ من عمل يده أمسى مغفوراً له » انتهى .

وفيه أيضاً في ١٧ : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نبكّر في طلب الرزق مبادرة لقطع خاطر الاهتمام بأمر الرزق ، لا حبّاً للدنيا من حيث هي دنيا ، فإنّ في الآدمي ـ ما عدا الأكابر ـ جزءٌ يهتم بأمر المعيشة ، ويضطرب ولا يسكن حتى يحصل العبد كفايته ذلك اليوم . انتهى .

وفيه في ١١٨ ما حاصله : إنّ الزهد الذي يطلب من العبد هو الزهد عن تعلّق القلب بالدنيا ؛ لا الزهد فيها باليد ، فليس ذلك[1] هو الزهد المشروع ، وإنّ حقيقة الزهد فيها إنما هو زوال محبة المال والطعام والمنام والكلام ، ولأجل خروج المريد من الميل إليها بالقلب وجب على السالك أن يتخذ له شيخاً يخرجه من محبتها شيئاً فشيئاً ، انتهى مع بعض تصرف واختصار .

وفيه في ١٢١ : إنّ من طلب من المشائخ أن يكون جميع أصحابه مستقيمين متجرّدين عن الدنيا واه واه ، فهو أعمى البصيرة ، وإنما وظيفة جميع الدعاة إلى الله تعالى أن يبلّغوا الآداب الشرعية إلى قومهم لا غير ، فهم مأجورون على كل حال سواء امتثل الخلق أمرهم ؛ أم لم

---

(١) ومثله في كتاب « الجواهر » و« الدرر » .

يمتثلوا ، وقد أرسل النبي ﷺ إلى الناس كافة ، فَأَقَرَّ كلَّ مَن كانت له حرفة على حرفته ، ولم يأمر أحداً منهم[1] بالخروج عما أقامه الله فيه من الحرف ، بل سلكهم وأرشدهم ؛ وهم في حرفهم . انتهى .

وفيه بعيد هذا : فإنّ شيئاً لم يصح لرسول الله ﷺ من أصحابه كيف يصح لأحد بعدهم . انتهى .

ومن محاسنها : أن بناءها على الشكر والإخلاص من غير ملاحظة الحظوظ ، كما أن بناء الطريقة الشاذلية كذلك ، ولهذا مرّ عن الشاذلي قدس سره أن طريقته عين الطريقة النقشبندية وهي **سلطان الطرق** ، فإن مبناهما على سير القلوب الذي هو التوجه القلبي إلى جناب الحق تعالى ؛ لا على سير الأبدان الذي هو الرياضات والمجاهدات[2] ، والرياضة فيهما تعليق القلب بالله تعالى والدوام على ذلك[3] ، وإن كان الظاهر غير متلبس بكثير من العبادة ، ولذا يكون صاحبهما يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويقارب النساء ، ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان ، وأيضاً إنّ النية فيهما خالصة لا مطلوب ولا مقصود لمن تلبَّس بهما سوى الله ، وفي الطرق اللواتي فيها التعب والمشقة والسهر والجوع مَشُوبَةٌ ، يعني : لمّا علم الله من سالكي تينك الطريقتين الصدق والإخلاص أثابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح في معرفته ونيل أسرار الإيمان به ، فلما سمع أهل الرياضة بما حصل لهؤلاء من الفتح ؛ جعلوا ذلك مطلوبهم ومرغوبهم ، فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام

---

(١) ونظيره في « التنوير » لابن عطاء الله . فراجعه في ١٦٥ (منه من خطه قدس سره) .

(٢) ومن هنا قال بعض الشاذلية : بداية طريقتنا نهاية الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه فإنه حصل منه مجاهدات كثيرة في بداية أمره ثم لما حصل له كمال المعرفة قال ما نفعني الله إلا برؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبري من الحول والقوة لا بتلك المجاهدات كذا في « تقريب الأصول » في ٨ فراجعه (منه) .

(٣) ورؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبري من الحول والقوة (منه) .

والسهر ودوام الخلوة ، فصارت نياتهم مشوبة غير خالصة ، والفتح فيها[1] هجُومِيٌّ لم يحصل من العبد تشوّف إليه ، فبينما العبد في مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين من غير طلب وقصد منه . كذا أفاده صاحب الإبريز ، مع زيادة بسطه في ١٧٨ ، وإن كان كلامه في خصوص الطريقة الشاذلية ؛ بيد أنها والطريقة النقشبندية عين الآخر[2] كما مرّ آنفاً ، فافهم ولا تعجل .

وذكر العلاّمة السيد محمود بن أشرف الحسينيّ النقشبنديّ في « نجعة السالكين في ذكر تاج العارفين » ما ملخصه هذا : إنّ الشيخ تاج الدين العثماني الهندي النقشبنديّ كان لا يلقن أحداً إلاّ بعد إدخاله في الخدمات والرياضات الشاقة التي تنكسر بها النفس وتحصل بها التزكية ، فإنّ التزكية مقدمة على التصفية عند أكثر المشائخ بخلاف النقشبندية ، فإن طريقهم على العكس[3] ، ونقله الشيخ الكامل محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في « الحديقة النديّة » وقال : ولعلّ الشيخ تاج الدين قدس سره كان في تقديم إدخال المريد في الخدمات والرياضات الشاقة والتزكية على التلقين بمشرب مشائخه الأول[4] في الطريقة العشقيّة والكبرويّة ، ثم لما دخل الطريقة النقشبندية وسلكها على يد الشيخ محمد الباقي النقشبندي قدس سره وأذن له في الإرشاد فيها ؛ أبدل معاملته الأولى وحصر إرشاده وتأديبه فيها . انتهى .

وأيضاً ليس في الطريقة النقشبندية كثرة جوع[5] ولا كثرة سهر ،

---

(١) وفي نسخة : فيهما .
(٢) راجع « المنن » ، ومبناهما واحد راجع « المتممات » في ١٥١ (منه من خطه قدس سره)
(٣) يعني أن تصفية القلب عما سوى الله مقدمة فيها من تزكية النفس مما يكرهه الله من الأوصاف المذمومة والأخلاق الغير المرضية . فافهم (منه) .
(٤) لعله : الأولين .
(٥) والسر في تركهم كثرة الجوع ، أن كثرة الجوع مورثة للصفاء البتة ، تورث طائفة صفاء=

بل الاعتدال يصحبها ، وخلوتهم[1] في جلوتهم ، فكل المجامع لهم زاوية ، يحضرون المجالس وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ، ومن السوى خالية . كذا في « الحديقة » في ١٠ من هامش « أصفى الموارد » . فقد تحقق وتيقّن من هذه المذكورات عدم جواز الرد على مشائخ الطريقة لتلقينهم الذكر للعوام الذين لم يتجرّدوا عن العلائق بالكلية ، ولم يقدّمُوا الرياضات والمجاهدات بما في « رسالة الإمام[2] القشيري » رضي الله عنه بهذه العبارات : ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق . . إلخ . وإذا أراد الخروج عن العلائق ، فأولها : الخروج عن المال . . إلخ . وما لم يتجرّد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار ، بل يجب عليه أن يقدّم التجربة له . . إلخ . لأنّ مبني[3] هذه الطريقة

=القلب ، وجماعة صفاء النفس . وصفاء القلب يزيد الهداية ويورث النور ، وصفاء النفس يستتبع الضلالة ، ويزيد الظلمة . ومن المقرر عند العقلاء أنه يترك المنافع الكثيرة لاحتمال المضرّة اليسيرة فافهم . فإن أردت أن تدرك حقيقة هذا العلم فعليك بالرجوع إلى « الدرر » في ٢٨٠ من الجلد الأول (منه) .

(١) أي خلوة السالكين فيها (منه) .

(٢) في ٣١٤ وفي ٣١٥ (منه) .

(٣) فقد قال جامع القطبتين محمد ذاكر الجسطاوي قدس سره إن أصول الطريقة العلوية تخالف أصول النقشبندية التي هي الطريق الصديقي وإن ابتداء سير الطريق النقشبندي من عالم الأمر ومن السير النفسي والسير الآفاقي يتم في ضمنه على ما قالوا بخلاف سائر الطرق فإن ابتداءهم من عالم الخلق ومن السير الأفاقي مقصوداً انتهى .

وقال الإمام الرباني قدس سره ولما وصل جماعة من سلاك هذا الطريق بالرياضة الشاقة والمجاهدة الشديدة إلى ظل من الظلال ظنوا أن الوصول إلى المطلب منوط بالرياضات الشاقة والمجاهدة الشديدة ولم يعلموا أن له طريقاً آخر أقرب من هذا الطريق وموصل إلى نهاية النهاية وهو طريق الاجتباء (وهذا الطريق هو الطريق الذي إختاره أكابر النقشبندية كما هو مبين في المكتوبات في ١٧١ فراجعه من الجزء الأول منه من خطه قدس سره) الذي هو منوط بمجرد الفضل والكرم والطريق الذي إختاره هؤلاء الجماعة هو طريق الإنابة مربوط بالمجاهدة والواصلون من هذا الطريق أقل قليل والواصلون من طريق الاجتباء جم غفير منهم الأنبياء عليهم السلام كلهم ساروا على طريق الاجتباء وأصحابهم رضوان الله عليهم أجمعين أيضاً وصلوا من طريق الاجتباء بالتبعية والوراثة ورياضات أرباب الاجتباء إنما هي لأدآء=

ومبني غيرها[1] مختلفان كما علم ممّا مرّ ، مع أنّه يحتمل أن يكون مراد الإمام القشيريّ ـ رحمه الله تعالى ـ من كلامه هكذا : ومالم يتجرّد قصد المريد من دخول الطريقة ، وطلب تلقين الذكر عن كل علاقة[2] ، كطلب الدنيا ومتاعها وإرادة الصيت والجاه وحبّ الرياسة والمكانة في قلوب الناس وحصول الشهرة والخ والخ ، لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً

=شكر نعمة الوصول ، قال عليه الصلاة والسلام في جواب السائل عن وجه رياضته الشديدة مع كون ذنوبه المتقدمة والمتأخرة مغفورة : أفلا أكون عبداً شكورا ، ومجاهدات أهل الانابة لأجل حصول وصول شتان ما بينهما . وطريق الاجتباء الحمل والجذب على الطريق وطريق الإنابة السير على الطريق وبين الجذب والسير فرق عظيم يجذب سريعاً ويوصل به بعيداً والسائر يسير بطيئاً ربما يبقى في الطريق . قال حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره : نحن المفضلون ، نعم . لو لا الفضل كيف يمكن أن تكون نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم . ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٦٥ من الجزء الأوّل فراجعه . وهذا الكلام يوافق ما مرّ آنفاً منقولاً من « الإبريز » فتدبّره ، فإنه نفيس يندفع به إشكال من يعترض على مشائخ الطريقة النقشبنديّة متمسّكاً بما في « الرسالة القشيريّة » والله أعلم (منه قدس سره) .

(١) مما سوى الطريقة الشاذلية (منه قدس سره) .

(٢) والعلاقة ما يتعلق بها قلب العابد من طلب الدنيا وحب الرياسة والخ . . والخ . . بعمل الآخرة والتجرد منها لا يعطاه العبد إلا بعد دخوله طريق القوم وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » .

وقد قال العارفون رضي الله عنهم من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد في نعيم الآخرة فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربه عز وجل ويشتغل بالله وحده خالصاً مخلصاً لا يطلب على عبادته وخدمته عوضاً في الدارين وسيأتي في هذه « المنن » إن هذه النعمة يعني عدم طلب شيء من مناصب الدنيا والخ . لا يعطاها العبد إلا بعد دخوله طريق القوم فليس لغير من دخلها غالباً قدم في ذوقها إنما هو يطلب العوض على عبادته في الدنيا أو الآخرة ولذلك كان اسمه عند القوم عبد الدنيا أوعبد الآخرة لا عبد الله جل وعلا . انتهى . قلّب ٨٥ انتهى من الجزء الأول .

وفي « تنبيه المغترين » في ٥٢ : إنما أكثر القوم من ذكر الله تعالى لتبعّد عنهم الدنيا ، فإنهم إذا ذكروا الله بعدت ، وإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم . وفي « لواقح الأنوار » في ٢٥٣ من هامش « المنن » من الجلد الأول : يجب عليك أن تتخذ لك شيخاً ليسلك بك الطريق حتى يخرجك من محبة الدنيا . اهى . فليتدبره . (منه خطه قدس سره) .

من الأذكار . انتهى . بل ينبغي أن يكون مراده رضي الله عنه هكذا[١] ليوافق قوله أقوال سائر الأئمة الصوفية قدس الله أسرارهم وكذا ينبغي أن تحمل سائر عباراته قدس سره إلى نحو ما ذُكِرَ ، يعني : إنّ المراد يعمل السالك في حذف العلائق والشواغل كطلب شيء من الدنيا وإلخ وإلخ ، أي لا يكون قصده ونيّتُهُ من السلوك ذلك ، فإنّ بناء هذا الطريق على فراغ القلب من طلب شيء من الأغراض والأعواض دنيوية كانت أو أخرويّة ، أي : لا يجوز أن يطلب السالك شيئاً مّا من سلوكه إلا الذات البُحْت جلّ جلاله وتعالى شأنه ، فإذا أراد الخروج فأولها الخروج من المال ، أي : بالقصد والنيّة أيضاً ، وإلا فيخالف ما في « المتممات » و« الطبقات » و« المنن » و« البهجة » و« الحديقة الندية »[٢] وغيرها[٣] .

ويجوز أن يكون كلامه رحمه الله تعالى في حق أهل العزلة والخلوة وأرباب السلوك في الأربعينيّات لا مطلقاً ، فإنّ في أهل الإرادة متبركين مترخصين لكونهم متأهلين[٤] وفيهم المتجردون[٥] المعتزلون

---

(١) أي كما ذكرته (منه) .

(٢) ومر بعض ما فيها في الباب السادس (منه) .

(٣) فالحاصل من كلام الأكابر : أن قطع العلائق الدنياوية ليس شرطاً لجواز تلقين الذكر ، بل الذكر وتكثيره سبب لقطعها ووسيلة للزهد في الدنيا وما فيها . فقد قال الشعراني في « اليواقيت » في المبحث الثامن والأربعين : ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة إلى العمل بالكتاب والسنة ، فإذا قلتَ لهم : إن مقصودي أن أَزْهَدَ في الدنيا بحيث لا يبقى عندي ميل عاديّ لها ، يقولون لك : أكثر من ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً حتى يرق حجابك ، فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لِمَنْ يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم ، كما وقع لإبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ، فإذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ، ولو قال لك جمهور الناس : ارغب في الدنيا ، لا تصغى لهم ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك : إن الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ، ولا يهتدى للطريق إلى ذلك ، فحكمه حكم طبيب يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف علاج المرض . اهى ١٠٢ ج٢ فإنه نفيس . (منه خطه رحمه الله) .

(٤) أي لكونهم أرباب أهل وعيال (منه) .

(٥) من الأهل والخ .

السالكون ، فافهم[١] .

ثم إني قد وجدت بعض العارفين فسر كلام القشيري بعين ما فسّرتُهُ ؛ وقال : إنّ حمل كلام القشيري إلى هذا المحمل[٢] صادق وحسن ؛ وإلا فإن كان المريد متجرّداً بالكلية يصير في مقام البقاء بعد الفناء ، وهو مقام الكُمَّل فما الحاجة حينئذ إلى التلقين وإلى المرشد ؛ وقد قال الإمام القشيري في موضع : لا بد للمريد من مرشد ليخرجه من الأوصاف الرديّة إلى الأخلاق . . . إلخ . وأمثاله كثيرة منه . فإن كان المراد منه مثل ما فهم من ظاهره فكيف يخرجه وهو خارج بنفسه . . . إلخ . انتهى ما قاله العارف المذكور في بعض رسائله .

وقال فيه أيضاً بُعَيْدَ هذا : المريد هو الذي صحّت إرادته بتصحيح قصده ومقصده . انتهى . ونقله ذلك عن العارف ابن بنت ميلق فراجعه .

ولا يخفى أنه ليس المراد[٣] المنع من التجارة والكسب والحرفة بالكليّة ، فكيف ؛ وقد قال الخادمي في شرحه على « النصائح الولديّة » في ٧٨ للإمام الغزالي رضي الله عنه : طلب[٤] المعاش أحبّ من زوايا المساجد وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أيّما رجل طلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه لسعر يوم كان عند الله عز وجلّ بمنزلة الشهداء ، ثم قرأ : ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ؛ وقال ﷺ : « من طلب الدنيا حلالاً تعفّفاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطّفاً على جاره ؛ لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » . وقال عليه السلام : « التاجر

(١) وراجع « الأنوار القدسية في تنزيه القوم العلية » في ٩٣ (منه) .
(٢) أي إلى ما ذكر آنفاً (منه) .
(٣) أي من كلام القشيري فافهم .
(٤) وفي « الإحياء » في ١٨٥ من الجزء الرابع والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط انتهى فراجعه (منه) .

الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصِدِّيقين » . كما في بعض التفاسير . وفي خطبة « الأربعين » : « من وقف موقف مذلّة في طلب الحلال وجبت له الجنة » . « من بات تعباً في كسب الحلال وجبت له الجنة والله عنه راضٍ » . انتهى .

وفي « طبقات » الشعراني قدس سره في ٢٢ من الجلد الأول : أنّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، صاحب سرّ رسول الله ﷺ ، كان يقول : ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، ولكن خيركم الذين يتناولون من كل منهما ، انتهى . وفيه أيضاً في ٢٦ : أنّ سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان يقول : لا خير فيمن لا يجمع الدنيا يصون بها دينه وجسمه ويصل بها رحمه . انتهى . وفي الحديث : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة والآخرة للدّنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه » . رواه ابن عساكر والديلمي بلفظ : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً ، فإنّ الدنيا بلاغٌ للآخرة ؛ ولا تكونوا كلاًّ على الناس » . وأخرجه الخطيب في « تاريخه »[(١)] ، والديلمي من وجه آخر ، وأبو نعيم في « الحلية » ، كذا ذكره ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » ، فراجعه في ١٢٥ . ومر ما قاله الشيخ أحمد ضياء الدين ؛ من أنّ الاشتغال بالرخص وبالكسب عند النقشبندية بعد الحضور لا يضرّ . انتهى . فتدبّر في هذه المنقولات واجتهد في أن تدرك الحق ؛ ولا تتبع الهوى فتضلك عن الهدى ، ولا تطعن أيضاً على مشائخ الطريقة لتلقينهم الأذكار لكل خاص وعام[(٢)] قائلاً : إنّي رأيت

(١) وفي « هداية البداية » قال صلى الله عليه وسلم أن الله ليطلع كل ليلة على الزرع ، يقول باركت عليك وعلى صاحبك ثم يوكل الله تعالى على كل ورقة الزرع ملائكة يسبحون الله ويستغفرون لصاحبه حتى يؤكل انتهى (منه رحم الله افلاسه) .
(٢) وفي نسخة : عاميّ .

منهم الإسراف على أنفسهم سابقاً ببعض الذنوب أو قد أرآه لاحقاً في بعضهم ؛ وصدور بعض الذنوب يناقض خشوع القلب ؛ فقد قال الشيخ الكامل في « الحديقة الندية » : إن الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الوَارِدَةُ الإلهيّة وهم في الإسراف والمعصية ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير بل كان الأمر على العكس ! فلا يحكم على هلاك صاحبه جزماً . انتهى .

وقال بعيد هذا : وربّما طعن بعضهم في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل من **غلب خيره على شرّه فهو الكامل** ، بل في الحديث الشريف النبويّ ما هو أبلغ من هذا ، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير فضلاً عن غلبته على الشرّ أو كونه نصفاً أو رُبُعاً ، قال ﷺ : « إنكم في زمان من ترك منكم عُشْر ما أمر به هلك ، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » . رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره الأسيوطي[١] في « الجامع[٢] الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل العشر ، وهي بشارة عظيمة لكل من سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان ، وقلّ من يسلم من ذلك في زماننا هذا . انتهى . فراجعه من صحيفة ١٠٥ من هامش « أصفى الموارد » .

مطلب مهم
في عدم الكفر بارتكاب الذنوب

وقال الإمام الرباني قدّس سرّه : ولا يخرج المؤمن بارتكاب

(١) قوله الأسيوطي هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله السيوطي فتدبر (منه) .
(٢) ومثله في « الدرر » في ١٦٥ من الجزء الأول (منه) .

المعاصي من الإيمان ؛ ولو كبيرة ، ولا يدخل في دائرة الكفر .

نقل أن الإمام الأعظم كان يوماً جالساً مع جمع من العلماء ، فجاء شخص فقال : ما تقولون في حق مؤمن فاسق قتل أباه وقطع رأسه ، وشرب الخمر في كأس رأسه ، ثم زنى بأمه ، هل هو مؤمن أو كافر ؟

فتكلّم كلّ واحد من العلماء في حقه بما ليس بصواب ووقعوا في غلط ، فقال الإمام الأعظم في ذلك الأثناء : إنه مؤمن لم يخرج بارتكاب هذه الكبائر من الإيمان ، فثقل قول الإمام على العلماء . فأطالوا لسان الطعن فيه والتشنيع عليه ، ولكن لما كان قول الإمام حقاً قَبِلَهُ كلّهم[1] أخيراً . انتهى . كذا في « الدرر » في ١١٤ من الجزء الثاني .

وفيه أيضاً في ١٦٤ من الجزء الأول : فإن وقع ـ عياذاً بالله سبحانه خلل على مسألة من المسائل الاعتقادية الضرورية فقد تحقق الحرمان من النجاة الأخروية ، بخلاف العمليات ، فإنها إذا وقعت المساهلة فيها يرجى العفو والتجاوز عنها ؛ ولو بلا توبة ، ولئن أخِذَ بها ، ولكنّ النجاة متحققة في آخر الأمر . انتهى .

وكتب واحدٌ من المنكرين علينا : إنّ الطريقة تكليف أهل الراضية وهي المقام الخامس ، ومن لم يصل إلى ذلك المقام لا يجوز له الدخول فيها نقله عن الشيخ العبودي ، وذلك قول عجيب . فيردّه ما قاله الإمام الرباني في رسالة « المبدأ والمعاد » ، من أنّ

(١) وفي « البجيرمي على الإقناع » في كتاب الحدود ما نصّه : إن ارتكاب الكبائر لا يسلب الإيمان ولا يحبط الطاعات ، إذ لو كانت محبطة لذلك للزم أن لا يبقي لبعض العصاة طاعة . والقائل بالإحباط يحيل دخوله الجنة . قال السبكي : والأحاديث الدالة على دخول من مات غير مشرك الجنة بلغت مبلغ التواتر ، وهي قاصمة لظهور المعتزلة القائلين بخلود أهل الكبائر في النار . ذكره المناوي . انتهى . فراجعه في ١٣٢ من الجزء الرابع (منه خطه قدس سره) .

الوصول إلى النفس الراضية لا يكون إلا بتجلي الذات ، وحصول مقامات التجلّيات بالتفصيل والترتيب مخصوصٌ بالسالك المجذوب . انتهى . يعني السالك في الطريقة الذي حصل له الجذبة . فراجعه في ٣١ من هامش « الدرر » . وقد مر في الكتاب ما يردّ هذا القول في مواضع عديدة .

ويعلم من أمثال هذه الكلمات عدم كون هؤلاء من أهل الذوق والوجدان ، ولو كانوا من أهل الذوق والوجدان لعلموا أنّ تجلّي الذات هو المقام الذي ينتهى إليه مقامات أهل الطريقة ، وأن جميع منازل الطريقة وسيلة إليه ولا أدري معنى طلب الوسيلة لمن بلغ إلى المقصود بالكليّة ، فافهمه . وقد أطلت الكلام في هذا الموضع رغماً لأنوف المنكرين ، نجّاهم الله سبحانه من ورطة اللوم على الأولياء ، آمين .

ومن محاسنها أنّ أربابها يتخيّلون من جميع الأصوات ؛ سواء كانت أصوات المياه والرياح وأصوات المزامير[1] والطبول أو غيرها من

---

(١) راجع « الرشحات » في ١٧١ تجد البيان . وفيه في ٢٠٧ : إن سرّ اختيار الصوفية استماع أصوات المزامير ، هو أن نظر هؤلاء الأكابر كان إلى أصل المقصود ووجدوا بصفاء الفطرة أن المقصود الأصلي تخلص الحقيقة الإنسانية عن قيود البشرية ، وحصل لهم هذا المعنى في استماع أصوات المزامير ، فاختاروه لذلك . وحكمة عدم تجويز بعض الأئمة ذلك يحتمل أن تكون لاختيار أرباب الهوى وأصحاب البدع ذلك وجعلهم إياه شعارهم ودثارهم . فامتنع هؤلاء الأئمة عن استماعه ومنعوا عنه العامة لدفع عار المشاركة بهم عنهم ، وقطعوا نظرهم عن المقصود وتمسكوا في تحصيل نسبة الجمعية بأسباب أخرى . اهى . فالأولى لمن ليس من أهل الذوق الإعراض عن الاستماع مطلقاً ، لأن غاية ما فيه حصول لذة نفسانية ، وهي ليست من المطالب الشرعية ، وأما أهل الذوق فحالهم مسلّم إليهم ، وعلى حسب ما يجدونه في أنفسهم ؛ من أنهم لا يفهمون أصوات المزامير وغيرها إلا الذكر ، كما هو معلوم مجرّب لدى أصحاب شيخنا المرحوم العسلي قدس سره . وفي « الزواجر » لابن حجر المكي ما يؤيد ما ذكرناه ، والله أعلم . ومثله في « كف الرعاع » في ١١٣ فراجعه من هامش « الزواجر » ج١ . (منه قدس سره) .

أصوات المخلوقات وكلامهم(١) الذكرَ المُلَقَّنَ لهم ، حتى قال بَعْضٌ من مريدي شيخنا ـ قدس سره ؛ إنه لا يفهم ولو من صوت الكلب النائح إلا الذكر بلفظة الجلالة . انتهى . بل يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدّ ولازم الذكر في مدّة خمسة أو ستة أيّام ، كذا في « الرشحات » ، وفيه في موضع آخر : إن الاشتغال بالطريقة النقشبندية يبلغ مرتبة في مدة يسيرة يتخيل جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً فراجعه في ٣٣ .

ومن محاسنها أنّ أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرّك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات يتخيّلون معها الذكر بغير اختيار ، ولا يرون تلك الأشياء المتحرّكة إلا ذاكرة لله تعالى ، فهذه مما يحصل للسالك إذا رسخ الذكر في قلبه وتمكن وصار الحضور ملكة له بحيث لا يقدر أن يخطر في قلبه(٢) سواه تعالى ؛ ولو تكلّف ، وصيرورةُ القلب هكذا شرطٌ لتبديل الذكر إلى لطيفة الروح ، ثم إذا حصلت النتيجة له يتبدّل الذكر إلى السرّ ، ثمّ وثمّ وثمّ إلى أن يصل إلى لطيفة الجسد ، فحينئذ يتحرّك الجسد من أسفله إلى أعلاه بالذكر بسبب جريان الذكر في جميع أجزاء البدن ومنابت الشعر وذرات البشر حتّى يعم الذكر إلى جميع ذرات الآفاق ، فلا يرى حجراً ولا مدراً ولا شجراً ولا غيرها ؛ إلا ويراها ذاكرة لله تعالى .

فإن قيل : كيف تذكر الله تعالى تلك الأشياء ؟ ! وهل لها أَلْسن أم

(١) بل يخيل له كلام نفسه « رشحات » .

(٢) وينبغي أن يكون معناه أنه لا يخطر شيئاً ما يضر الحضور ويزاحمه كما أن الحشيش على وجه النهر لا يكون مانعاً لجريانه راجع « الرشحات » في ٣٣ . وقد يكون القلب أحياناً بحيث لا يخطر شيئاً سواه تعالى لكنه لا يدوم بل يزول والحضور الدائمي لا يكون إلا للمنتهي الواصل كما في « الدرر » وقد كان شيخنا قدس سره يقول لي توجه إلى قلب المريد فإن لم ينعكس إليك من قلبه الخطرة سوى الله ولم يخطر بقلبه سواه تعالى بقدر ربع ساعة فيجوز حينئذ تبديل الذكر إلى لطيفة الروح ، (منه من خطه قدس سره) .

كيف تسمع أصواتها ؟ .

قلنا : هذا مما لا يعرف كنهه إلا من ذاق ، ولا مجال للتعبير عن ماهيتها[1] باللسان أو بالكتبة .

قال صاحب « الإبريز » نقلاً عن شيخه : إنّ للجمادات لغات وألسن تليق بذواتها وجماداتها ، وسماعُنا لها بالذات كلّها لا بالأذن التي في الرأس فقط . ثم قال رضي الله عنه : وهذا المشهد إنما يكون للوليّ في حال بدايته ، وأمّا بعد ذلك ! فإنّما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه ، فيشاهد الحق سبحانه يخلق فيه كلاماً وتسبيحاً وغير ذلك مما يكون فيها ، ويشاهدها ظروفاً خاوية وصوراً فارغة ، انتهى . في ١٠٢ .

وفيه أيضاً : وكنت ذات يوم خارج باب الفتوح بناحية ضريح أحمد اليمني رحمه الله تعالى جالساً تحت زيتونة ، فبينما أنا كذلك إذا بجميع الحجر صغيره وكبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغاتها ، فَكِدْتُ أهْرُبُ ممّا سمعتُ ، قال : وجعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتاً عديدة ، فقلت : حجرٌ واحد وله أصْوَاتٌ عَدِيدَةٌ ، فتأملته فإذا هو حجر معجونٌ اجتمعتْ فيه عدّة أحجار فلذلك تعدّدت الأصوات . انتهى .

وفيه أيضاً : وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول : كم أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء ، فأرجع من غير قضائها لما أسمع من ذكر الماء لاسم الجلالة . انتهى من ١٠٣ .

وفي « التلويح » ما حاصله : إنّ التسبيح ألفاظ وحروف لا يمنع صدورها عن الجمادات بإيجاد القدرة الإلهيّة كما روي عن الحصى والجذع ، وكذا شهادة الأعضاء والجوارح . انتهى .

---

(١) كذا في « خزينة الأسرار » (منه) .

وفي « خزينة الأسرار » في ١٢٠ : فإن رأيت هؤلاء العوالِم مشتغلين بالذكر الذي أنت فيه فكشفك خياليّ لا حقيقيّ ؛ أقيم لك في الموجودات ، وإذا شهدت في هؤلاء تنوّعات أذكارهم فهو كشف صحيح . انتهى .

قف على ما وقع بين السيلكوتي وبين الإمام الرباني

وفي كتاب « تفريج الفلق » في تفسير سورة الفلق في ٣٦ أن الفاضل السيلكوتي قد ذكر عنده إن واحداً من خواجكان النقشبندية ؛ وهو الإمام الرباني يعطي إنابةً للمريدين ، فمن أناب إليه فيذكر قلبه ويقول الله الله أو لا إله إلا الله حتى يسمع صاحب ذلك القلب ذِكْرَهُ بأذنه الظاهر ، فأنكره السيلكوتي وقال : هذا لا يجوز لأنّ القلب إنما هو عبارة عن قطعة لحم فكيف يذكر حتى يسمع ذكره ! فكتب مكتوباً إلى الإمام الرباني قدس سره في طلب الحلّ لهذا الإشكال ، وختم عليه وأرسله إليه مع واحد من طلبته ، فلما رأى الإمام ذلك المبلّغ من بعيد فدعى ابنه الإمام المعصوم لديه وقال : يا ابني هذا الرجل الذي تراه من بعيد يأتي إلينا من طرف السيلكوتي ومعه مكتوب مختوم ، فانْزِل إلى الباب واكتب جواب ذلك المكتوب فأرجعْه إلى جانب السيلكوتي . فنزل الإمام المعصوم إلى باب دار أبيه فأتى إليه المبلّغ وسلّم إلى الإمام فردّ الإمام سلامه ، ثم قال له : من أين تجيء يا أخي ، فقال : من جانب الإمام السيلكوتي أتيت بمكتوب منه إلى الإمام الرباني ، فأخذ الإمام المعصوم المكتوب من يده فكتب ظهرَه بلا فتح الختم بأن قال : يا أيها السيلكوتي ، إن الذي أعطى القدرة للسان على النطق بأنواع الكلام ، وعلى ذكر اسم الملك العلام ـ وهو أيضاً قطعة لحم ـ قادر على أن يعطي تلك القدرة للقلب الذي هو عبارة عن قطعة لحمٍ ، فلما وصل ذلك المكتوب إلى الفاضل السيلكوتي مكتوباً عليه جواب سؤاله ولم

يفتح ختمه سارع إلى دخول مجلس الإمام والإنابة إليه حتى صار من أهل الكشف واليقين . انتهى .

قلت : ولله الحمد والمنّة ، قد تحقّقْتُ وتيقّنْتُ ذكر الأعضاء ، وسمعتُ ذكر الجمادات حتى كنتُ أجدُ نفسي وقت الانتباه من النوم تتحرّك وترتعش كالطير المذبوح المطروح إلى الأرض قبل خروج روحه ، وكنت أحياناً أسمع ذكر الجمادات وأصواتها كأصواتِ النهر الجاري[1] بحيث يحصل لي بسببها السآمة . هذا في حال حصول سلطان الذكر ، وأمّا الآن فهو مستورٌ وقد يظهر في أوقات فَأَعُدُّهُ تنزّلاً وأطلُبُ ستره ، ولا أراه الآن شيئاً عظيماً ، بل المقصود أعلى منه والاشتغال به يشغل عن المقصود ، **فافهم** .

وقال شيخنا العسلي قدس سره : إن السالك إذا لُقِّنَ له النفي والإثبات ينقطع[2] عنه أثر سلطان الذكر ويستره . انتهى . ولا شكّ أنه بالنسبة إلى نتائج النفي والإثبات تَنَزُّلٌ ، وهي أَنْزَلُ وأدنى بالنسبة إلى ثمرات المراقبات ، ولا يعرف كنهها إلا من ذاق ، فإنّ العبارة عنها لا تزيد إلا غموضاً وانغلاقاً ، لأنّ الأمور الذوقيّة يستحيل إدراك حقائقها بالعبارات النطقيّة ، فيؤدّي ذلك إلى الإنكار والقدح في علوم السادات الأخيار ، وقد قال بعض إخواننا رحمه الله : إني لَأَرْحَمُ من مات ،

---

(١) أي في الضج والجهر ، حتى في الخلاء وموضع النجاسات (منه) .

(٢) يعني تسكن اللطائف عن حركتها وقت ظهور نتيجة النفي والإثبات ويؤيده ما في « الخالدية القصيرة » من أنه يدوم على الذكر حتى يحصل له المحوية وفي وقت المحوية يكون ساكناً عن أذكار اللطائف ولا تتحرك لأن أذكار اللطائف في هذه الحالة غير مقصودة ، ومن شروط المحوية سكون اللطائف عند ظهورها . انتهى فراجعه . وقد كان قدس سره يمنعنا عن ترك الساعة في الخلوة بعد ما علّمنا النفي والإثبات والمراقبة قائلاً أن صوتها يحرك اللطائف بالذكر انتهى (منه من خطه قدس سره العزيز ورزقني نصيباً من علومه وعمله) .

ولم يذق[1] لذة من نتيجة المراقبة المعيّة . انتهى . رزقنا الله تعالى تلك اللذات ، وجعلنا من أهل الشهود بإذاقة هذه الحلاوات . آمين .

ورأيت في « مسيرة الحكم » أن الدنيا وما فيها والسماوات السبع والكرسي والعرش والجنة والنار في نظرة من كان على المراقبة المعيّة[2] كالذرّة في شعاع الشمس . انتهى . بتصرّف ، فالواجب على من لم يشمَّ من روائح هذه المذكورات شيئاً التسليم لمن شمّها والإعراض عن التكلم خلف من يطلبها ، وقد قيل : إنّ من انكر شيئاً من أحوال القوم حرم من ذوقها عقوبة عليه ، فإنّ من أعمى الله بصيرته فهو محروم عن درك هذه الأسرار ، ولا يذوقها إلا من صحب الرجال وقبّل التراب من تحت أقدامهم ، ومن لم يقدر على هذه فليسلم للرجال فيما رمزوا به وأشاروا إليه ، شعر :

وإذا لـــم تـر الهـلال فسلـم   لأنـــاس رأوه بـــالأبصــــــار

ولله درُّ الشيخ عبد الرحمن الجامي حيث قال بالفارسيّة في مدح هذه الطريقة ما معرّبه هذا :

للنقشبندية العــلـم العجيب بمـــا   يحل ركب الهدى بالسرّ في الحرم
تَمْحُو بصُحْبَتها عن قلب سَالِكِهَا   هَمّ الرياضات والخَلْوَاتُ بالهِمَمِ

(١) ومن العجائب أن واحداً من المريدين يخبرنا مراراً أنه إذا استغرق في المراقبة يخرج منه المنيّ ويتلذذ كما يتلذذ وقت الجماع . ورأيت في « شرح البردة » ما يصدق قول هذا القائل ويؤيده . فراجعه (منه من خطه قدس سره) .

(٢) ولا تظننّ أنها مقام أعلى بل هي الثانية من مقامات المراقبات وسيأتي بيان الجميع في موضعه إن شاء الله تعالى ، لكن في هذا المقام يخاف عليه بأن ينكر على شيخه ويرى نفسه أفضل وأكمل منه كأنه هو مالك الملك والتصرفات كلها تحت يده والحال أن النفس مزينة بجميع كمالات الأفعال والأسماء الظاهرة وقائمة بالرياسة ودائمة بالأنانية ولا بد من مرشد كامل يخلصه عن هذه البلية العظيمة انتهى . كذا في « مسيرة الحكم » (منه من خطه قدس سره العزيز) .

يحتال ثعلبة في حَلّ نظمهم لها سلاسل من نظم الأسُود فَهَلْ
إنْ يُنْسب القَاصِرُ الفَهْمِ القصور لها فحاشى لله أن يُجْري بذاك فمي[1]

ومن محاسنها أنه يستوي في استفاضتها الشيوخ الذين بلغوا إلى حدّ الشيب والصبيان الذين لم يبلغوا إلى حدّ البلوغ ، لأنّ هذه الطريقة طريقة الجذبة الروحانية من غير توقف على العبادات الجسمانيّة ، يستوي في استفاضتها المكلّف وغير المكلف لإمكان استفاضتها بالروحانية ، فهذه من جملة الدلائل التي تردّ بها قول من يقول : إنّ هذه الطريقة لا يجوز أخذها لأصحاب الحرف والصنائع من العوام ، فليتدبّره ؛ ولاحظْه مع ما مرّ ويأتي آنفا .

ومن محاسنها أيضاً أنه يستوي في إفاضتها الأحياء والأموات ، لأنه قد تفيض الأموات هذه الطريقة العليّة إلى المستعدين من حيث الروحانيّة ، كما تفيض الأحياء إليهم من حيث[2] الجسمانية ولهذا يُرَابِطُ بَعْضُ المريدين إلى روحانية الميّتِ ويستفيض منها كما هو مشهور عند أصحاب شيخنا العسوي قدس سره .

ومن محاسنها أنها طريق الانعكاس والانصباغ ، لأنّ نسبتها المعهودة فيها لا تحصل إلا بالصب والتوجّه كما هو شرط فيها ، وبه تنعكس صور المعارف الإلهيّة من مرايا قلوب الواصلين إلى قلوب السالكين كما تنعكس الصور[3] المحسوسة إلى الذوات الصقيلة ، وتنصبغ صدور المريدين بصبغ أنوار معارف صدور المشائخ العارفين ، وروي عنه عليه السلام : « ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته

---

(١) فميّ (بيان) .
(٢) راجع « تحفة الأحباب » (منه) .
(٣) راجع « تحفة الأحباب » (منه) .

في صدر أبي بكر » وهو رضي الله عنه مؤسّس هذه الطريقة ، ولذلك كانت هذه النسبة فوق سائر النسب ، **ويصدّقه** ما في « الرشحات » من أنّه لما حضرت الوفاة لمولانا حميد الدين دخل عليه ولده حسام الدين ووجده في غاية التشويش ونهاية الاضطراب ، فقال : يا أَبَتِ ، ما هذا التشويش ؟ فقال : يَابُنَيَّ ، يطلبون منّي ما لا أملكه ولا أعلم طريق تحصيله ، يطلبون مني قلباً سليماً ، فقال مولانا حسام الدين : كن حاضراً معي لحظة ، يعني : كن متوجّهاً إليّ يكون الحال مَعْلُوماً لك ، ثم توجَّه إلى والده فوجد مولانا حميد الدين بعد ساعة اطمئناناً في نفسه وسكونة في قلبه ، ففتح عَيْنَيْهِ وقال : يَا بُنَيَّ جزاك الله عني خيراً ، ولقد كان اللازم عليّ أن أصْرِف جميعَ عمري لتحصيل هذه الطريقة . فيا أَسَفِي على عمر قد ضيّعته ! فارتحل عن الدنيا بجمعيّة تامّة ببركة الولد الصالح . انتهى .

وبالجملة إنّ نظر همم أهل هذه الطريقة عَالٍ جِدّاً لا نسبة لكل زرّاق[1] ورقاص إليهم ، ولهذا صارت نهاية الآخرين مندرجة في بدايتهم ، ونال مبتدئوا طريقتهم منتهى طرق أخرى ، وتقرّر سفرهم في الوطن من ابتداء الأمر ، وحصلت لهم الخلوة في الجلوة ، وكان دوام الحضور نَقْدَ وقتهم ورأس بضاعتهم ، وهم الذين صارت تربية الطالبين مَرْبُوطَةً بصحبتهم العلية ، وكان تكميل الناقصين منوطاً بتوجّهاتهم الشريفة ، نظرهم شفاء للأمراض القلبيّة ، والتفاتهم دَافِعٌ لِلْعِلَلِ المعنويّة ، ويعمل توجّههم الواحد عمل مائة من الأربعين ، والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين ، شعر :

ما أحسن النقشبنديين سيرتهم — يمشون بالركب مخفيّين بالحرم

كذا في « المكتوبات » في ٣٦ من الجلد الثاني .

---

(١) أي خداع .

وفيه أيضاً في موضع آخر في ٦٦ : ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى .

فالحاصل أنّ الموصل إلى الله في هذا الطريق هو المرشد ؛ لا نفس الطريق كما مرّ ، وإنما الطريق ممدّ ومعاونٌ له فافهم وراجع « البهجة » و« نور الهداية » ، وفي « الدرر » عين ما مرّ في ١٩٨ من الجلد الأول .

قلت : ولله الحمد ، قد رأيت أثر التوجّه في أول يوم توجّه إليّ شَيْخُنَا العسوي قدس سره مع عدم كوني من أهل الاستعداد والقابليّة ، فصار قلبي بَعْدَ ذلك التوجّه يَتحرّك تحرّكاً عجيباً وترتعش ارتعاشاً بديعاً بحيث لَا يَثِقُ عليه من لم يره ولم يذقه ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، آمين .

ومن محاسنها أنّ الوجد والاضطراب لا يكونان قطّ في أربابها ؛ شيوخاً كانوا أو مريدين ، ولا يتحرّك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذي يجرّ السبحة ، لأنّ الجذبة فيها مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن بالصبّ من صدر إلى صدر ، والتوجّه من قلب إلى قلب ، ولذا لا يظهر أثرها على الظواهر سواء بالاضطراب والحركات ، أو بالصيحة والنغمات ، فإنّها من علامات الغفلات ، وأهلُ هذه الطريقة أهل الحضور واليقظات ، ولا يدري ذلك إلا أصحاب الإدراك والفراسات ، والحركة الاختياريّة تنقص من حال كلّ متحرك منهم شيخاً أو مريداً ، وهي عندهم حرام . راجع « المتممات » و« المجالس الإرشاديّة » ، وسيأتي إن شاء الله في بيان قراءة الختم : أنّ كلّ ذلك[1] مدخل للشيطان

(١) أي الحركة والتواجد والخ .

وحظوظ للنفس ، وكثيرٌ من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك ، ويَهْتَمّ المرشد منع ذلك . انتهى .

وفي « كشف الوجوه الغرّ لمعاني نظم الدر » ؛ شرح تائية ابن الفارض في ٤٢ من هامش الجزء الأوّل من شرح ديوانه : إنّ الوَجْد لا يكون إلا لأهل البدايات لأنه يرد عقب الفقد ، فمن لا فقد له فلا وجد له ، والواجد صاحب التلوين ، يجد تارة بغيبة صفات النفس ، ويفقد أخرى بوجودها . انتهى . وراجع « المناقب الأحمدية » في ١٨ .

فالحاصل : لا وَجْدَ مع الوُجْدَانِ ، ولا خبر مع العيان ، فالوَجْدُ بعَرْضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال ، **فافهم** ، وفي ذلك قيل :

قد كان يطربني وجدي فأَقْعَدَنِي　　عن رؤية الوجد مَنْ في الوَجْدِ مَوْجُودُ

والـوجد يطرب مَنْ في الوجد راحته　　والوجد عند حضور الـحق مفقود

البيت من « عوارف المعارف » .

فمن هذه المذكورات يعلم أنّ الوَجْدَ لا يكون إلا للناقصين ، وأن الصياح لا يظهر إلا من الغافلين ، لأنّ الصياح يحصل عند الحضور بالمعنى ، فإن كان السالك حاضراً دائماً لا تظهر صيحة منه أصلاً ، فإنّ الحضور والشهود موجبان للفناء والذهول ، ولا صياح في مقام الفناء ، وحكم صاحب صيحة كحكم حطب رطب ، فإنه إذا ألقي في النار يظهر منه صوت ما دام رطباً ؛ كذا في « الرشحات » في ١٤٢ .

ومن أعظم محاسنها أنّ توجّه أربابها الكبراء إلى الأحديّة تعالت وتقدست ، لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات تعالت وتقدست ، ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم . كذا في « المكتوبات » في ٣٦ من الجزء الثاني .

ومن محاسنها أنّه يحصل في هذه الطريقة الحضور والجمعيّة في وقت يسير لكثير من المستعدّين ما لا يحصل في غيرها في أوقات كثيرة ؛ كما في « الرشحات » في ١٢٢ .

وفيه : ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلا ، فإنّ بداية هؤلاء الأكابر نهاية[١] الآخرين . انتهى . بل **أقول** : إنّ هذا الطريق مُوصِلٌ البَتَّةَ ، واحتمال عدم الوصول مفقودٌ فيه . كذا في « الدرر » في ٦٥ من الجزء الثاني . ومر في هذا الكتاب البيان التامّ .

ومن خواصها أنّ خلوتهم في الجلوة ، لأنّ خلوتهم من حيث الباطن عند جمعيّة الناس كما قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس الله سره العزيز : طريقتنا الصحبة والخيرُ في الجمعيّة ، وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة ، لأنّ النبيّ ﷺ اختار الجمعيّة على الخلوة ، وقال : « المؤمن الذي يخالط الناس ويَصْبِرُ أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس » .

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره : ليس الكامل من صدر منه أنواع الكرامات ، وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوّج ويختلط بالناس ، ولا يغفل عن الله لحظة واحدة ؛ وهذه هي الخلوة الحقيقية المشار إليها في قوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ هكذا في « البهجة[٢] السنية » .

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره : إنّ فلاناً يمشي على الماء ، قال : إنّ السمك والضفدع كذلك ، وقيل : إنّ فلاناً يطير في الهواء ،

---

(١) فإن حصل قليل فهو كثير فإن السالك له خبر في البداية من النهاية كذا في « الدرر » في ٢٥ في الجزء الثالث (منه رحمه الله تعالى) .
(٢) ومثله في « تقريب الأصول » في ١٠ فراجعه (منه) .

فقال : إنّ الطيور كذلك ، وقيل : إنّ فلانا يصل إلى الشرق والغرب في آنٍ واحد فقال إن إبليس كذلك . فقيل : فما الكمال عندك ؟ قال : أن تكون في الظاهر مع الخلق ؛ وفي الباطن مع الحق . كذا في « خزينة الأسرار » في ٢٤ .

وقد كنت مرّة في الخلوة بأمر أستاذي الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ، بَيْدَ أنِّي لم أطق أن أصْبِرَ فيها لصُعُوبة أمرها على النفس الأمارة ، فأرسلت الرسالة لديه بطلب الإذن للخروج منها ، فورد إليّ رسالته الشريفة المكتوبة بخطّه المبارك بهذه العبارات : وعليكم السلام أزيد ممّا أرسلت إليّ ألف مرّة ، **وبعد** ؛ فإذا كان الحال كما أنْبَأْتَ وَأخْبَرْتَ ، لا خير لك في تلك الخلوة والعزلة ، وافعل الخلوة بالقلب ؛ أي : كُنْ مع الحضور في كلّ حال ، وأخلط الناس ليكون ظاهرك مع الخلق وباطنك مع الله ، كما قال الوليّ كائن[١] بائن[٢] وكما قال : خلِّ قلبك من الأغيار . فلا حاجة لطلب المحبوب[٣] ، القلب بيت الله ، القلب عرش الله . وقال عبد الخالق الغجدواني : حرست قلبي عشرين ليلة فحرسني قلبي عشرين سنة ، احفظ قلبك من الخواطر ليكون جهادك جهاداً أكبر ، هذا ، والسلام ، وأنا داعيكم بالخير ؛ عبد الرحمن . انتهى . من خطه قدس سره .

فقد تحقّق وتيقّن بهذه المنقولات المذكورات أفضلية هذه الطريقة النقشبنديّة العليّة من سائر الطرق الباقية[٤] ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ولو اجتمع جميع العالَم في تغيير وتبديل شيء

(١) مع الله .
(٢) أي : فارق من الخلق .
(٣) الله .
(٤) فكيف لا وقد قال الشيخ محمد مظهر : إن فيها ما في جميع الطرق وزائداً راجع « المناقب الأحمدية » (منه) .

من أوضاعها وأصولها لم يجدُوا إليها سبيلاً ، ولكل شيء يفعلونه فيها من الآداب والأركان والشروط أدلّة موافقة بالمذاهب الأربعة[1] ، وإنها لبّ القرآن وحقيقة العرفان ، فلا جرم لإنكار المنكر عليها وعلى من استقام على أصولها وفروعها ، رحم الله امرأً عرف الحق فأنصف ، ووقف على الحدود وما تعسّف ، فإن الحق أحق أن يتبع ، والباطل عن هؤلاء الطائفة قد اندفع ، وَوَصْفها يكلّ عنه اللسان ، فمن أراد الزيادة فعليه بكتب أهلها فلعله يجني من ثمارها رُطَباً جَنِياًّ ! .

الباب الثالث عشر

في بيان أفضليّة الذكر الخفي على الذكر الجهري وأفضليةُ الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة مشهورةٌ معلومةٌ بالآيات القرآنيّة والآحاديث النبوية

ونحن إن شاء الله تعالى نذكر هنا بعضاً منها ليكون للمنصف المحق نافعاً ، وللمحبّ العاشق داوياً ، وللمنكر الحاسد قاطعاً وراغماً ، قال الله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ قال في تفسير سلمى في تفسير هذه الآية : لا تظهر ذكرك فتطلب به عوضاً ، وأشرف الذكر ما لايشرف عليه إلا الحق تعالى ، وما خفي من الأذكار أشرف ممّا ظهر ، انتهى .

وقال صاحب « تصديق المعارف » ؛ في تفسير تلك الآية : اذكر الله تعالى بقلبك لا بلسانك ، وفسّر أيضاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ أي : عن ذكر الله في الباطن[2] انتهى .

---

(١) وسيأتي إن شاء الله تعالى (منه) .

(٢) وقال رسول الله ﷺ : ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين كذا في مكاشفة في ١٧٣=

وقال البيضاوي ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أي : ذَوُوا تضرّع وخفية ، فإنّ الإخفآء دليل الإخلاص . انتهى . وفي شيخ زاده : والمراد بذكر الله في نفسه أن يذكر عارفاً بمعاني الأذكار التي يقوله بلسانه ، مستحضراً لصفات الجلال والعزة والعظمة والكبريآء ، وذلك لأنّ الذكر باللسان إذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة ، ألا يرى أنّ الفقهآء أجمعوا على أنّ الرجل إذا قال : بعت واشتريت ، مع أنه لا يعرف معاني هذه الأقوال ؛ ولا يفهم منها شيئاً ، فإنه لا ينعقد البيع والشراء ! ! فكذا ههنا . انتهى . فراجعه من آخر سورة « آلمص » .

مطلب

من الأعمال ما لا اطلاع عليه للحفظة

وقال ابن حجر في « التحفة » : العمل القلبي لعدم تصوّر الرياء فيه أفضلُ من غيره . انتهى ؛ من صلاة النافلة . ظاهره : وإن قلّ كتفكر ساعة من صلاة ألف ركعة ، « ابن قاسم »[1] .

وقال أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » : عبادة السرّ تفضل على عبادة الجهر بدرجات . انتهى . وفي « الحدائق الوردية » في ٢٩٠ : وهو ، أي : ذكر القلب أفضل من الجهري بمراحل . انتهى . وفيه : أنّ الجنيد قدس سره قال : من الأعمال ما لا يطّلع عليه الحفظة ، وهو ذكر الله بالقلب . انتهى ٢٩٠ . وفي « مختصر التذكرة » للشعراني :

=(منه من خطه قدس سره وأفاضنا فيضه) . وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . « مكاشفة القلوب » ١٧٣ (منه من خطه قدس سره) .

(١) ونظيره في « البجيرمي » فراجعه في ٣٣٥ من الجزء الأول منه قدس سره ورزقني بركة علومه وعمله وحلمه .

والمدار على القلب ، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون به النجاة ، وأما حركة اللسان فإنما هي ترجمة عما في القلب ، وإلا فلا[1] فآئدة فيه . انتهى من ١٠ .

وفي الخبر العام : « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين[2] ضعفاً » . وعن جمادى المكي أنه قال : ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفاً على ذكر اللسان ، وقال عليه السلام : « الذكر الذي[3] لا تَسْمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » . أخرجه البيهقي عن عائشة .

وقال عليه السلام : « خير الذكر الخفي » . وقال أحمد ضياء الدين في تفسير هذا الحديث : والمعنى فيه أنه أخلصُ لله وأبعد عن الرياء وأكثر فائدة وأفيد ثَمْرَة بالتجربة ، وأعظم وأقوم وأسعد أجراً وذخراً ، وأتمّ درجة وأكمل مقاماً وأزكى طهارة وأسرع نجاة ، وأسبغ

---

(١) وفي « البريقة » في ٥٥٥ ؛ من الجزء الأول ما حاصله : إن مجرد ذكر اللسان لا نفع له أصلاً . انتهى . وفيه أيضاً : قال أحمد الغزالي في رسالته « التجريد على كلمة التوحيد » : والله ؛ إن ذلك لا ينفع ذرّة ولا يعدل جناح بعوضة ، وإنّ الأصحّ الموافق لما في الفتاوى ما ذكر محمد الغزالي أنه أولى من السكوت والاشتغال بشيء آخر ، سيّما عند كون نيته التقرب إلى الله تعالى ، وأما بالقلب فقط فهو مختار بعض السادة الصوفية ، وأن الأكثر ترجيح اجتماعهما لتكثير العمل ولجمع العزيمتين ، لكنّ هذا عسير ووجوده صعبٌ ، إذ عند شغل اللسان قلّما يخلو القلب عن الغير ويتجرّد للذكر ، وأما عند تمحُّضه بالذكر يسهل تجرّده له كما يشهد به التجرّب والوجدان ، فافهم . انتهى فراجعه في ٥٥٥ ، من ذلك الجزء (منه ؛ من خطه قدس سره العزيز) . وقال ﷺ قال الله عز وجل « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » « مكاشفة القلوب » ١٧٣ (من خطه قدس سره) .

(٢) كذا في « الإحياء » في ٦١٦ من الجزء الأول . (منه) .

(٣) قال السيد ونقله ملا علي القاري الذكر نوعان قلبي ولساني والأول أعلاهما وهو المراد في الحديث كذا قال صاحب « المناقب الأحمدية » فراجعه من الهامش في ١٩٤ . والمتبادر « أي من الحديث منه قدس سره » إرادة الذكر القلبي انتهى مناوي ونقله العزيزي في « السراج المنير » فراجعه في ١٧٦ من الجزء الثانى (منه) .

رضىً وأجزل معرفة وأبلغ وُصلاً . نقل من « المتممات » فراجعه . وقال عليه السلام : « أيّها الناس اِرْبَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائباً » .

قال أبو تراب : ليس من العبادات شيء أنفعَ من إخلاص القلب عن الخواطر وقال ذو النون : صلاح القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . وقال الحصري : جَلْسَةٌ[1] خيرٌ من ألف حجّة .

وفي « تصديق المعارف » ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يعني أن الملائكة الحفظة ، يكتبون ما تكلّم به العبد وسمع أذنه وحرك به شفتيه وعمل العمل فإذا ذكر الله تعالى سرّاً[2] لم تكتبه الملائكة . فادخل[3] الجنة قال : عبدي ، إنّ لك عندي كَنْزاً وأنا أجزيك ، قال : يا ربّ ، وأيّ خير لم تعطنيه ، قال : فيقول : عبدي ، إنك ذكرتني في نفسك سرّاً ؛ فلم تكتبه الملائكة الحفظة لك . قال : فيعطيه من الثواب ما يحتقر به ما كان أعطاه قبل ذلك بذكر الله تعالى في نفسه سرّاً . هكذا روى جرير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهم[4] . انتهى .

---

(١) أي بجمع الهمة بوصف الشهود كما هو معلوم لدى النقشبنديين (منه) .

(٢) وفي « مفاتح الجنان شرح شرعة الإسلام » ما حاصله : إن الذكر القلبي لا يعرف إلا بالريح الطيّبة التي جعلها الله خاصّة له ، فإن المريد الطالب إذا وصل إلى الذكر الخفي يكون أنفاسه في آوان توحيده تفوح كالمسك الأذفر ، يدل عليه ما يحكى عن كثير من الأكابر إنه إذا ذهب عن مكان يشمّ من مواضع قعوده رائحة المسك الخالص ، مع القطع بأنه ليس معه شيء من المسك ونحوه ، بل ربما يرى تلك الأنفاس الخارجة من فيه في تلك الأوان على هيئة النور اللامع . اهى فراجعه في ١٥٥ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) لعله فإذا دخل انتهى فتدبره والله اعلم .

(٤) ومما يستدل به على أفضلية العمل السري ما رواه الغزالي رحمه الله في « الإحياء » إنه ﷺ قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد والصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلى في زاوية بيته=

وقال صاحب « تفسير سلمى » في قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ قال الجنيد : الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرد الغفلة عن القلب ، قال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى .

وفي « الحدائق الورديّة » : إنّ القلب إذا تأثر بالذكر صارت

=ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل انتهى راجعه في ١٤٥ من الجزء الأول . وراجع شرح « عين العلم » لعلي القاري منه قدس سره . وفي « الإتحاف » قال العراقي أخرجه أبوا شيخ الأصبهاني في كتاب الثواب من حديث أنس : « صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلوات بأرض الرباط تعدل بألفي صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل » واسناده ضعيف . انتهى . راجعه في ٤١٩ من الجزء الرابع .
ومما يستدل به على ذلك ما ذكره الغزالي أيضاً في فضيلة السجود من أنه قال ﷺ : « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » انتهى ١١٠ من الجزء الأول . قال صاحب « الإتحاف » أي من صلاة نفل في بيته حيث لا يراه الناس انتهى ١٨ من الجزء الثالث . وقال أيضاً قال المناوي : وهذا يفيد أن عمل السر أفضل من عمل العلانية ومن ثم فضل قوم طريق الملامتية على غيرها من طرق التصوف وهي تعمير الباطن فيما بين العبد وبين الله تعالى . قال صاحب « العوارف » : الملامتية قوم صالحون يعمرون الباطن ولا يظهرون في الظاهر خيراً ولا شراً ، ويقال فيهم النقشبندية . ومن أصلح سريرته أصلح علانيته . قال الفاكري ومن تعمير الباطن إشتغاله بالذكر سراً سيما في المجامع وبه يرقي إلى مقام الجمع وفي لزوم كلمة الشهادة تأثير في نفي الأغيار وتذكية الأذكار وفي كلمة الجلالة عروج إلى مراتب الجلالة ومن لازم ذلك صار من أهل الغيب والشهادة وآل أمره إلى أن يصير كل جارحة منه يذكر الله يقظة ونياماً .

قال العارف أبو العباس المرسي : من أراد الظهور فهو عبد الظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ، وعبد الله سوآء عليه أظهره أم أخفاه انتهى . وهو سياق حسن إلا أن جعل النقشبندية من الملامتية غير صحيح فإن بينهما بوناً بعيداً . ولقد كان المصنف ممن أخذ على أبي بكر الروذباري وهو أحد مشائخ النقشبندية ومن أصول سلسلتهم ومبناهم على إسرار الذكر وإخفائه في المجامع وغيرها وهذا الاسم حدث لهم فيما بعد . ومن طالع كتب القوم ظهر له الفرق التام والله أعلم . انتهى كلام « الإتحاف » راجعه في ١٨ من الجزء الثالث (منه قدس سره) وفي « الإتحاف » ما يفهم منه كون مؤلفه من نقشبنديين فراجعه في صحيفة ٢٧ من الجزء الثالث والسلام (منه رحمه الله) .

جميع أجزائه ذاكرة ، فحينئذ يتحقق الذكر الكثير فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . انتهى ١٢٠ وهكذا في « الباقيات الصالحات » في ٣٧ ، وفيه أيضاً :

رشحة : قال قدس سره : إن معنى قولهم « إن الله ينظر في اليوم والليلة إلى قلب المؤمن بنظر الرحمة ثلاثمائة وستين نظرة » ، هو أنّ للقلب ثلاثمائة وستين روزنة إلى جميع الأعضاء ، وهو عبارة عن ثلاثمائة وستين عروقاً في البدن من الأوردة والشرايين متصلة بالقلب ، فإذا تأثر القلب من الذكر وبلغ مرتبة يكون منظوراً إليه بنظر خاص من الحق سبحانه ، تنشعب حينئذ آثار ذلك النظر من القلب إلى جميع الأَعْضآء حتى يشتغل كلّ عضو من الأعضآء بطاعة لائقة بحاله ، فيصل الفيض الحاصل من تلك الطاعة إلى القلب ، وذلك الفيض هو المراد بنظر الرحمة . انتهى من ٣٧ .

وفي كتاب « بغية أولي النهى شرح غاية القصوى » ـ عند قول الماتن : صلاة التطوّع أفضل تطوّع بدن لا قلب ـ : وقوله : لا قلب إشارة إلى أنّ عمل القلب أفضل . انتهى . وهكذا في « البهجة »

مطلب

سلطان الأسماء والاسم الأعظم

فالاسم المفرد (الله) وهو سلطان الأسمآء وهو اسم الله الأعظم ، فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويَهْتَزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ويسري أنواره في كليّاته وجزئياته ، فيتحد الذاكر والمذكور ، فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السرّ ، فحينئذ يخرس اللسان ويحصل على محلّ الشهود والعيان ، فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب « حسنات الأبرار سيئات المقربّين » ؛ انتهى كذا في « منية الفقير المتجرد » .

قلت قوله : فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتزّ به إلى آخره : وأمّا عند النقشبنديّين[١] فأول شيء يلقنونه ذكر القلب[٢] ولا يجوز الاهتزاز عندهم وقت الذكر كما مرّ والله أعلم .

وفي « تنوير الصدر شرح الحزب البرّ » في ١٦٧ : قال بعض العارفين : وإذا قوي الذكر القلبي ربّما تضرّر صاحبه من الذكر اللساني لغلبة تجلي الحق على قلبه ، فلا يذكر به إلا في نحو الصلاة[٣] . انتهى .

وفي سلسلة الخواجكان : فقلّ ما وقع المرء بالذكر إلا وقد وصل ، لاسيّما بالذكر القلبيّ الذي هو شهود وزلفى ، وحضور وقربى . وهو ذكر حقيقي يبدّل الغيبة بالحضور ، ويفني الذاكر في المذكور ، لكن مع هذا لابد أن يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذي عرف أسرار الأذكار وخواصها بتلقين شيخ آخر ، وهو كذلك إلى رسول الله ﷺ . . . إلخ . انتهى .

مطلب مهم

وفي بعض مكاتب قطب الأقطاب وغوث الأنام خالد البغدادي قدس سره :

اعلموا أنّه ثبت بالكشف الصحيح والوجدان الصريح عند جهابذة الكشف والشهود وبَذَلَةِ الروح ونقاد الوجود ، أنّ أجلّ السعادة وأفضل العبادات **بعد تصحيح العقائد** عن تُرَّهات أهل الفساد والقيام بالفرائض

(١) أي لعل القائل ممن مبدأ طريقتهم ذكر اللسان (منه) .

(٢) فإن طريقهم يخالف طريق العلويّين ؛ كما قال به الجسطاوي في « مكتوباته » (منه قدس سره) .

(٣) وبعد تمكن الذكر من القلب يصير ذكر اللسان رخصة ؛ وعلامة تمكنه من القلب أن يجري على لسانه حال غفلته من غير قصد . كذا في « تنوير الصدر » فراجعه في ١٦٧ من هامش « مجموعة الأحزاب » من الجلد « الأول منه قدس سره العزيز » .

على مذهب أحد الأمجاد ، **المواظبة على الذكر الخفي** مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى بأنه يراك ؛ وإن لم تكن تراه إلى آخر ما قال . . . انتهى من مجموعة الرسائل[1] .

وفي « فتح الأسنى » : حظُّ العبد من هذا الوصف أن يكون قلبه حيّاً بذكر الله على الدوام ، فإن الذاكر لله بين الغافلين كالحيّ بين الأموات ، وليس ذكر الله بلقلقة[2] اللسان . . . إلخ ما قال . وفيه أيضاً : إنّ موت القلب هو الغفلة عن الله فراجعه .

وفي « الرشحات » : كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامّة كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواصِّ ، كما أنّ العامة يؤاخذون على المعصية كذلك الخواصّ يعاتبون على الغفلة . انتهى .

واعلم أنّ من المشائخ الصوفية مَنْ يختار الجهر لدفع[3] الوساوس الرديّة والكيفيات[4] الجسمانية[5] وإيقاظ القلوب الغافلة وإظهار الأعمال الكاملة ، ومنهم من يختار الإسرار بمجاهدة النفس وتعليمها

(١) لسليمان الزهدي

(٢) وفي « تقريب الاصول » في ١١٥ » إقبال القلب على لا إله إلا الله خير من ملء الارض عملاً مع الإعراض عن الله تعالى . ورؤية الغافل سم قاتل . ومن أعظم أبواب الفتح يقظة القلب من غفلته فهي في الذكر أولى . ومثال من يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه غافل كَمَلِكٍ طَلبك فتبْعَث إليه غلامك لتكون ممتثلاً أمره ؟ بل أنت مخالف انتهى . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) وقلب إلى الباب الثامن والعشرين من هذا الكتاب (منه) ولاحظ ما فيه بعيد قوله الطريقة الثالثة الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار (منه) .

(٤) وأما المشائخ النقشبنديون ، اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه كما في « الدرر المكنونات » في « ٢٧٩ » من الجزء الأول بل أنهم اختاروا العمل بالعزيمة والاجتناب عن الرخصة وقد قال الإمام الرباني : إن ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة كما هو مذكور في « الدرر » في ٣١٤ من الجزء الأول أيضاً . منه رحمه الله ورفع الله درجاته واحشرنا معه وارزقنا شفاعته يوم الميعاد « من خطه قدس سره » .

(٥) وفي نسخة : النفسانية .

طرق الإخلاص وإيثارها الخمول . وقد ورد أنّ عمر رضي الله عنه كان يجهر ، وأبو بكر رضي الله عنه كان يسرّ فسألهما النبي ﷺ ، فأجاب كلٌ منهما بنحو ما ذكر ، فأقرّهُما ؛ هكذا في « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر في ٥٧ فراجعه . وفي « وفق المراد » : إن الإخفآء والإسرار في الذكر أولى لأنه بعيدٌ عن الرياء والنفاق . انتهى بالمعنى .

مطلب مهم

الإسرار في الذكر عزيمة

ومبنى الطريقة النقشيندية على الأخذ بالعزيمة والأحْوَطِ مهما أمكن ، ومَعْلُومٌ أنّ الإسرار[١] عزيمة وهو في حقّنا أهلِ الديار الداغستانية أحوط وأليق ، لما في الجهر من خوف الرياء وغيره ، **ودَرْءُ المفاسد مقدّم على جلب المصالح .**

فينبغي لمن مَالَ قَلْبُهُ إلى إظهار أعماله أن يراقب قلبه ، فإنّه ربما يكون فيه حُبّ الريآء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعُذْرِ الاِقْتِدَآء ، وإنما شهوته التجمّل بالعمل وبكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين . وقليل مّا هم ، فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر ، فإنّ الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة[٢] ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى يَتَشَبَّثُوا[٣] به ؛ فهلكوا وهلك ، والغرق بالمآء أَلَمُهُ ساعة ، وليت كان الهالك بالرياء مثله ! ! لا بل عذابه دائم مدّة مديدة ، وهذه مزلة أقدام العباد والعلمآء والتفطّن لذلك غامضٌ ، ومحك ذلك أن

---

(١) راجع « الرشحات » في ٥٠ (منه) .
(٢) وفي نسخة : سياحة .
(٣) وتشبث به أي علق (مص) .

يعرض على نفسه أنه لو قيل له : أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السرّ أجر الإعلان ، فإنْ مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريآء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير ، فإنّهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره ، وأجرهُ قد توفَّر عليه مع إسراره ، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لِأعْيُن الخلق ومراآتهم ؟ ! فليحذر العبد خِدَع النفس ، لأن النفس خَدُوع ؛ والشَيْطَانَ[1] مُتَرَصِّدٌ ، وحبّ الجاه على القلب غَالِبٌ ؛ قلّما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات ، فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء ، وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الإظهار أولى بنا وبأمثالنا الضعفآء . هذا ملخص ما قاله الغزالى في « الإحيآء » وإن لم يكن في خصوص ما عليه كلامنا .

فإذا قال الغزالي هكذا ، فالحذر منه لنا أولى فأولى ، بل الإخفاء في زماننا هذا أوْجَبُ وأحرى[2] ، وأنفع وأسلم وأهدى ، والله أعلم .

---

(١) وله ثلثمائة وستون صكاً فيها غروره ومكائده ببني آدم ففي كل يوم يعرضها على قلوبهم واحداً بعد واحد فالعياذ بالله من غروره ومكائده . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من الكاتب الفقير الحاج حبيب الله نقلاً من « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره .

(٢) وقد ذكر ابن حجر قدس سره في « الزواجر » ؛ أن في كتم العمل فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء وفي إظهاره فائدة الاقتدأء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه أفة الرياء وقد أثنى الله على القسمين فقال عز قائلاً ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، لكنه مدح الأسرار لسلامته من تلك الآفة العظيمة التي قل من يسلم منها وقد يمدح الإظهار فيما يتعزر الإسرار فيه كالغزو والحج والجمعة والجماعة فالإظهار المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شائبة رياء .

والحاصل أنه متى خلص العمل من تلك الشوائب ولم يكن في إظهاره إيذاء لأحد ، فإن كان فيه حمل للناس على الاقتدآء والتأسى به في فعل ذلك الخير والمبادرة إليه لكونه من العلماء والصلحاء الذين تبادر الكافة إلى الاقتداء بهم فالإظهار أفضل لأنه مقام الأنبياء ووراثهم ولا يخصون إلا بالأكمل ولأن نفعه متعد ولقوله ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة . وإن اختل شرط من ذلك فالإسرار أفضل . وعلى هذا التفصيل يحمل=

قال ابن حجر[1] في « الفتاوى » : **إن ما كانت مصلحته فيه أرجح كان أفضل** ، وقال أيضاً فيه : « وما سبقكم أبو بكر بصوم وصلاة ولكن بشيء وقر في قلبه » وذلك الشيء هو الذكر الخفي كما في « جامع الأصول » في ٢٢ . ولا يخفى أن أفضلية الرجل بأفضلية أعماله ، وأن المصلحة في الذكر السري أرجح في حق أمثالنا ، فكان ذلك أي الذكر الخفي أفضل ، فتأمله فإنه نفيس .

وفي « تفسير سلمى » ؛ في قوله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ : حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور ، وفيه أيضاً : حقيقة الذكر أن ينسى كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه . انتهى .

مطلب

أنواع الذكر ثلاثة

وفي « المتممات » : إنّ الذكر على ثلاثة أنواع :

ذكر اللسان مع غفلة القلب : ويسمّى ذكر العادة ؛ وهو ذكر العوام ، وثمرته العقاب ، لأنّه ذنب .

وذكر باللسان مع حضور القلب : ويسمّى ذكر العبادة ؛ وهو ذكر الخواص ، وثمرته الثواب .

وذكر بجميع الجوارح والأعضاء : ويسمّى ذكر المحبّة والمعرفة وهو ذكر خواصِّ الخواصِّ وثمرته لا يمكن التعبير عنها ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلا الله . انتهى .

=إطلاق من أطلق أفضلية الإسرار . نعم مرتبة الإظهار الفاضل مزلة قدم للعباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامضٌ انتهى . فراجعه في ٣٩ من الجزء الأول (منه رحمه الله سبحانه ورزقنا فيضه) .

(١) ومثله في « الإحياء » في ٢٢٣ من الجلد الرابع . (منه) .

قوله وثمرته العقاب لإنه ذنبٌ لعله بالنسبة[1] إلى حسنات المقربين ، لأن الغفلة[2] عن الله عندهم من أعظم الذنوب ، والله أعلم . وفي « منية الفقير المتجرّد وسيرة المريد المتفرّد » ما يدل على أفضليّة الأعمال القلبيّة ، وملخص ما فيه هذا : إن رجلاً سمع آخر يقول :

إذ العشرون من شعبان وَلَّتْ فواصل شُرْبَ ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمانُ على الصغار

فهام على وجهه وذهب إلى مكّة فبقي بها مجاوراً حتى مات رضي الله عنه ، فهمّ أنّ العمر إذا ذهب جلّه فقد قرب الأجل وضاق الزمان على العبادة الصغرى ، فطلب الموضع الذي تكون فيه العبادة الكبرى ، فيضاعف فيه الأعمال ، وهذا الرجل كان من العلمآء المجتهدين ، ولو كان من العارفين لما احتاج إلى ذهاب مكة ، بل عبادة القلوب مضاعفة بأضعاف كثيرة في أيّ موضع كانت . ولذا قال بعضهم : الذرة[3] من أعمال القلوب أفضل[4] من أمثال[5] الجبال من أعمال الجوارح . وقال عليه الصلاة والسلام : « ركعة من عالم بالله

---

(١) لا مطلقاً (منه) .

(٢) أخذ من « لواقح الأنوار » (منه) .

(٣) وإن الأعمال القلبية أفضل من البدنية « فتح المبين » لابن حجر ١٠٧ قبيل الحديث السابع .

(٤) قال بذلك كثير من العارفين ، وكتبهم طافحة بذكر تفضيل أعمال القلب على أعمال البدن ، وأعمالُهم كلهم كان أكثرها قلبيّة .

قال شيخ الشيوخ القطب سيّدنا عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه لأصحابه : اجتهدوا في الأعمال القلبيّة ، فإن الأوقية من أعمال الباطن تعدل بهاراً (والبهار : أربع مئة رطل راجعه منه) من أعمال الظاهر . كذا في تقريب الأصول ٢٠ فراجعه (منه) .

(٥) ونظيره في « الإحياء » في ٢٢٣ من الجزء الرابع (منه) .

أفضل من ألف ركعة من جاهل بالله » . انتهى . وفي « أسباب الفلاح » في ١١١ : إنّ القلب أشرف من الجوارح ، ولا شكّ أن عمل الأشرف أشرف ، وراجع « الإحياء » في ٢٢٣ في بيان ترك التداوى قد يحمد . . الخ من الجزء الرابع ، و« فتح المبين » في ١٠٧ قبيل الحديث السابع[1] .

الباب الرابع عشر

في بيان فضيلة لفظة الجلالة وخواصِّه

وبيان الاختلافات في أنّ الذكر القلبي هل يثاب عليه أم لا ؟

قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » في ٢٨٠ من هامش الإبريز : وسمعته رضي الله عنه يقول في حديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَنْ يَقول الله ، الله » : المراد به الإنسان الكامل وحده في كل زمان ، وهو الذي لو قدّر أنّ جميع العالم غفل عن الله عزّ وجلّ قام ذكر هذا الكامل مَقام ذكر الكلّ ، فقلت له : فَلِمَ كَرّرﷺ الاسم العظيم بقوله « الله الله » ولم يكتف بذكره مرّة واحدة ؟ ! فقال رضي الله عنه : إنما كرّر ﷺ الاسم مرّتين لِيُثْبِتَ لنا أنّه ذكرٌ على الانفراد ، فإنه لم ينعته بِشَيْءٍ وسكن الهاء منه فكان ذلك كالتفسير لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي كرّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أي ذكركم الاسم « الله » أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروع الطالبة لوُجُود الأغيارِ ، كالرحمن والغفور والرزاق

---

(١) وراجع شرح « عين » في ٨٣ من الجزء الأول و« إتحاف السادات المتقين » في ١٦٩ من الجزء التاسع (منه رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا فيضه) .

ونحوها ، فما في الأذكار كلها أعظم فائدة من ذكر الاسم الله[1] ، لأنّه جامع لجميع الحقائق ، ولا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم ، ولولا أنّ قول « الله ، الله » له حفظ العالم لم يقرن صلى الله عليه وسلم زوال الكون بزوال مَنْ يَذْكر به ، ولذلك أيضاً اتخذه الكمّل[2] من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله ، لأنهم لا يشهَدون شيْئاً من الأسماء لا يفرق قلوبهم[3] غيره . انتهى . ونظيره في الفتوحات المكية لمحي الدين العربي في الباب ٣٦١ راجعه .

فلا شكّ أنّ كل ما يؤدّي إلى خلوّ القلب[4] عن الأغيار خيْرٌ مما لم يؤدّ إلى ذلك ، إذ روح العبادة هو الحضور ، وبذلك يدرك مَعْرفة الله ، ومَعْرفته هي المقصودة من جميع العبادات ، فليتدبّر .

---

(١) ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله إن الأذكار نوعان نوع ؛ منها تقطع وتزيل كل حجاب عن الروح من أيّ أمر كان . ومنها أذكار لا تقطع ولا تزيل إلا حجاباً واحداً من نوع واحد . فأمّا التى تقطع وتزيل كل حجاب فهى لا إله إلا الله أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو بسم الله الرحمن الرحيم أو الله لا إله إلا هو الحي القيوم . وأمّا الّتى تقطع وتزيل حجاباً واحداً فهي سائر الأسماء الحسنى . وكل اسم يذهب بجزءٍ من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر . اهى . ١٦ راجعه من هامش « جواهر المعانى » من الجزء الثانى وهو عين ما قاله أحمد بن محمد التجاني قدس سره ورزقنا فيضه وبركته آمين (منه قدس سره وأفاضنا فيضه آمين) . وراجعه في ١٦٧ ج ٢ ففيه نظيره (منه قدس سره) .

(٢) كالنقشبندية .

(٣) ونقل الشعراني عن « الفتوحات المكية » في « الكبريت الأحمر » ما نصه : لم نعرف من الأسماء الإلهية اسماً يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة إلا الاسم (الله) على خلاف في ذلك ، لأنه اسم علم لا يفهم منه إلا ذات المسمى ، اهى . وأطال في ذلك فراجعه من ٨٦ من هامش « اليواقيت » وذكر الشعراني مثله في « اليواقيت » في ٩٨ من الجزء الثانى فراجعه لكن الشيخ الأكبر تناقض كلامه في « الفتوحات المكية » في قوله أن الاسم (الله) علم أو غير علم . راجع « اليواقيت » في ٩٩ من الجزء الثانى أيضاً (منه) .

(٤) فإن لفظة (الله) تصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار ، كذا في « لطائف المنن » في ٢٧٣ ج ١ (منه) .

وفي « الحدائق الوردية » في ٢٩٣ وذكر اسم الذات ، أي : الله ، هو مذهب الإمام أبي حامد الغزالي ، وعلى ذلك شيوخ « الرسالة » كالجنيد البغدادي ، وشيخه سَرِي السَقطي ، ومعروف الكرْخي ، وداود الطائي ، وإبراهيم بن أدْهَم ، وعبد الله بن حنيف ، وفُضيل بن عياض ، والمحاسبي ، والحافي ، وغيرهم قدس الله أسرارهم . انتهى .

وقال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » في الباب ٣٦٢ : ثم إنّ الله تعالى جعل العالم الجسميّ والجسماني في مَنْزِلَيْنِ ، مَنْزِلٌ يسمّى الدنيا ، ومنزل يسمّى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان ، والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكمّل لا غير ، وهم الذين ذِكْرُهُمْ الله[1] لا يزيدون عليه في نفوسهم هذا ذكرهم في نفوسهم . انتهى .

وفيه أيضاً في الباب ٣٦١ فَاتّخَذَهُ ، أي : ذكر لفظة (الله) أهل الله) ذكراً وحده ، فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأسمآء . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » : وقال في كتابه « كيميآء السعادة » : ولا تظنّ أنّ هذه الطاقة تنفتح من عين القلب بالنوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة ، وخرج عن أسْرِ الشهوة ، فإذا جَلس في مكان خال مع تعطيل الحواس وفتح العين والسمع الباطنين وقال دائماً : الله ، الله[2] ، بالقلب دون اللسان إلى أن يصير لا خَبَر له من نفسه ولا من العالم ، وبقي لا يرى إلاّ الله ، انفتحت طاقة في القلب يرى

(١) أي لفظه (منه) .

(٢) وقول بعضهم الذكر لا بد من أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية حتى يثاب عليه وإلا فلا ممنوع كذا في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ راجعه وراجع « الرحمة الهابطة » في الباب الثاني من ١٩٩ من هامش الجزء الأول من « الدرر المكنونات » و« الفيوضات الخالدية » من صحيفة ١٧ من هامش « نور الهداية » و« المناقب الأحمدية » في ١٩٤ (منه) .

فيها يقظة ما يرى في النوم من أرواح الملائكة والأنبياء والأولياء والصور الحَسْناء وما لا يمكن شرحه ، وهو أيضاً مذهب جماعة ، ولقيتهم على ذلك الذكر (الله ، الله) وأمَرُوني به . انتهى ٣٩٢ .

وفي « شمس المعارف » للإمام البُوني رحمه الله تعالى في ٢٤ من الجزء الرابع : أن هذا الاسم - يعني (الله) - هو اسم الله الأعظم باتفاق جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين . انتهى . وهكذا في الجزء الثاني منه في صفحة ١٩ . وفيه أيضاً في ٢٣ من الجزء الأول : قال بعض الأوليآء لبعض العلماء : أريد أن أعلّمك فائدة ، لعلّك تقدر عليها ، فقال : نعَمْ ، فقال له : تداوم على ذكر الله تعالى وهو قولك : (الله ، الله ، الله)لا تذكر سواه ، وتصوم نهارك بشرط الرياضة ، وتَقُومَ ليلك ما استطعْتَ ، ولازم على الذكر لا تفارقه ليلاً ولا نهاراً ، ولا تكلّم أحداً ، واخْتَلِ عن الناس سبعة أيام يظهر لك عجائب الأرض ، ثم لازم سبعة أيام أخرى تظهر لك عجائب السموات ، ثم لازم عليه سبعة أخرى تظهر لك عجائب الملكوت الأعلى ، وإن بلغت أربعين يوماً أظهر الله الكرامات وأعطاك التصريف في المَوْجُودات . انتهى . وفي « شموس الأنوار » : اعلم أيّها الطالب والأخ في الله تعالى أنّ اسم الله العظيم الأعظم على الأصح هو اسم الجلالة[1] ، وهو سلطان الأسماء ، ومعاني الأسماء كلها راجعة إليه ، وهو اسم الذات ، ولو قصَدْنا تفسيره على الحقيقة لم تحمله الدواوين . انتهى ، من الباب الثاني . وفيه أيضاً : إنّ هذا الذكر - يعني : لفظة (الله) - هو ذكر القطب من أهل الدائرة الربانية . انتهى .

وفي « إعانة الطالبين شرح فتح المعين » في ٦ من الجلد الأول :

(١) ومثله في منية الفقير المتجرد في صفحة ٣٩ فراجعه .

إنّ مَنْ ذكره[1] سبعين ألف مرّة في مَوْضع خال عن الأصْوات لا يَسْأَلُ الله شيئاً إلاّ أعطاه . انتهى . وفي « المتممات » في ١١٨ : والأصح أنه أي : لفظة (الله) اسم الذات ، وجميع الأسماء والصفات والكمال مندرجة تحته ، **وهو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة** ، وإنّ لكلّ نبيّ من الأنبياء اسماً مخصوصاً تجلّى الله عليه ، ولنبيّنا ﷺ هذا الاسم الشريف ، وبه تجلّى الله عليه ، فلهذا كانت مرتبة نبيّنا عليه السلام أعْلى من جميع رُتب الأنبياء عليهم السلام كما كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رُتَبِ سائر الأسماء الإلهيّة . انتهى .

ونقل الشعراني في « اليواقيت » عن سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه أنّه كان يذهب إلى التفاضل في الأسمآء ويقول ، في قوله تعالى ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ : هو الاسم (الله) فإنّه أعلى مَرْتبة من سائر الأسمآء ، ولذلك تقدّم في التسمية ، وفي نحوه قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ على ما ذكر مما يعطف عليه من الأسمآء ، وأجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء كلها ، قال : ونظير ذلك أيضاً ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، أي : ولذكر الاسم (الله) أكبر من ذكر سائر الأسماء . انتهى . فراجعه في ١٠٠ ففيه أزيد من هذا .

وقال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٤٥ : وذكر لا إله إلاّ الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً ، هذا بلسان أئمة الظاهر ، وأما عند أهل الباطن ! ! فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهوته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستوليَ عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المرتبة على ذلك ، فإذا استولت عليه تلك الجوادبُ حَتى أخرَجتهُ عن شَهَوَاتِهِ

(١) الله .

وإرادته وحُظُوظِه وجميع أغراض نفسه صارَ بعيداً عن شهُود الأغيار واستولى عليه مُراقبة الحق أو شهُوده ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حَقائق الجمع الأحدي والشهُود السرْمَديّ الفرديّ ، فالأنسَبُ بحاله الإعراض عمّا يذكره بالأغيار ، والاستغراق فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة[1] فقط ، لأنّ ذلك فيه تمام لذّته ودوام مسرّته ونعمته ومنتهى إربه[2] ومحبّته ، بل إذا وَصَل السالك لهذا المقام وأراد قهْرَ نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى يُنْفيه أو يتعلّق به خاطره لا تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبيّة والمعارف الذوقية والعوارف اللدنية ، وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراءه **فافهم مَقاصد القوم** السالكين من كل محذور ولوم ، وسلّم لهم تسلم ، ولا تَنْتَقِدْ حقيقة من حقائقهم تندم ، بل قل فيما لم يظهَرْ لك : والله أعلم .

وكذلك يقال في الذكر باللسان وبالقلب ، أو بالقلب فقط ، فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضل مُطْلقاً ، وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل تفهَمُهُ ممّا قبله إن وَعَيْتَهُ وتأمَّلْتَهُ ، فإنّ المستغرق قد يعرض له من الأحوال ما يلتجمُ به لسانه ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش ، فلا يستطيعُ نطقاً أو يتفرق بسبب نطقه ما هو مُتمثّل له من مَعالي تلك الأحْوال وما هو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال .

---

(١) وقال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : إن ذكر النفي والإثبات يكون في طرق الآخرين مناسباً لحال المبتدئين وذكر (الله) الذى هو كلمة الإثبات المحض يكون مناسباً بعد ذلك ليحصل بتكرار كلمة الإثبات استقرار واستمرار للمثبت المكشوف بخلاف طريق هؤلاء الأكابر يعنى النقشبندية فإنه على عكس ذلك لأن فيه إثباتاً أوّلاً ونفي ذلك الإثبات ثانياً . فيكون ذكر اسم الله في هذا الطريق مناسباً في الابتدآء ثم يستعمل بعده النفي والإثبات . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٦ من الجزء الثانى فراجعه ، لا بد لك أيها الأخ الناظر إلى هذا من المراجعة إليه لتدرك حقيقة الكلام ، ولصعوبة كتابته لكثرته اختصرت حاصله فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) الإرب . . الخ . الحاجة (مص) .

والحاصل : أنّ الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، فإنه هو **الطبيبُ الأعظم** ، فبمقتضى مَعارفه الذوقية وحِكَمه الربانية يعطي كلّ بَدَنٍ ونفس ما يراه هو اللاّئق بشفائها والمصلح لغذائها ، فإن لم يكن له أستاذ كذلك ؟ ! فلا يَعْدِلُ عن ذكر (لا إله إلاّ الله) بلسانه وقلبه ، بل يديم ذلك إلى أن يفتح الله له ما يَعْلَمُ به خير الأمرين في الترقي إلى شهود العين ، حَقّق الله لنا ذلك بمنه وكرمه ، آمين .

والذكر الخفي قد يطلق ويُرادُ به ما هو بالقلب فقط ، وما هو بالقلب واللسان ، بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره ، ومنه : « خير الذكر الخفي » ، أي : لأنه لا يتطرق إليه الرياء ، وأمّا حيث لم يسمع نفسه ! ! فلا يعتدّ بحركة لسانه ، وإنما العبرة بما في قلبه ، على أنّ جماعة من أئمتنا وغيرهم يَقولون : لا ثواب في ذكر القلب وَحْدَه ، ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه ، وينبغي حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص .

أما اشتغال القلب بذلك وتأمُّل مَعانيه واستغراقه في شهودها ! ! فلا شك أنّه بمقتضى الأدلّة يُثاب عليه من هذه الحيثيّة الثواب الجزيل ، ويؤيّده خبر البيهقيّ : « الذكر الذي لا تسمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين[١] ضعفاً » هذا . انتهى كلام ابن حجر .

أقول : إنّ هذه الزيادة من جهة الفضيلة والتأثير[٢] ، لأنّ الحضور التام للذاكر إنما يحصل بالذكر القلبي غالباً ، وإن كان بالذكر اللساني

(١) قال شارحه العلامة المناوي المتبادر إرادة الذكر القلبي كذا قال صاحب « المناقب الأحمدية » في هامشه في ١٩٤ فراجعه (منه) .

(٢) وقال الغزالي في « الإحياء » : إن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر فراجعه في ١٤٠ من الجزء الرابع (منه) .

نفع عظيم إِلاَّ أنّ الحضور قَلَّ ما يحصل به كما هو معلوم لدى الذاكرين المستغرقين ، كذا في تفسير الفاتحة المسمى بـ « مرآة الحامدين » .

وفي « الفتاوى العمريّة » في تفسير هذا الحديث : يعني أن الذكر القلبي الذي لا تسمعه الكرام الكاتبون مِنَ الملائكة يزيد ثوابه على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً ، وذلك لبعده عن الرياء والسمعة ، وخلوصه عن كثير من الخواطر الدنيويّة ، بسبب الجمعيّة القلبيّة ، وقصر الهمّة على الذات الأقدس بالملاحظة التامّة ، انتهى .

ومن المشائخ من يقول : إنّ كل ذكر يشعر به قلبك فتسمعه الحفظة ، فإنّ شعورهم يقارن شعورك ، وفيه سرّ ، حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكليّة فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة ، وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه ، فهو معرض عن الله ، وغير منفكّ عن شرك خفيّ ، حتى يصير مستغرقاً بالواحد الحق ، فذلك هو التوحيد ، ذكره الغزالي في « جواهر القرآن » .

وللطائفة النقشبنديّة من هذا الذي ذكره نصيب ، فإنّ أوّل قدمهم في الحيرة والفنآء ونسيان السوى بالاستغراق في المذكور[١] جل وعلا ، ولذا قالوا : بدايتنا نهاية الطرق الأخرى ، وكثير من المشائخ قالوا : إنّ الحفظة لا يسمعون الذكر القلبي ، مستدلّين بهذا الحديث المذكور ، وبما روى جرير عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهم ، ومرّ آنفاً ، منهم سيد الطائفة جنيد وخالد شاه والكمشخانوي والخاني وابن حجر وغيرهم .

وقال الغزالي في « الإحياء » : فقد قال بعض المكاشفين : ظهر

---

(١) ومما ينبغى أن يعلم أن الذكر بالنسبة إلى المذكور يعده أهل هذا الذوق من السوى ، فإن المراد من الذكر هو المذكور فقط ، فإذا توغل القلب في ملاحظة الذات المقدس واستغرق لا يجوز له حينئذ الرجوع إلى الذكر ، كذا في « الخالدية » فراجعه (منه) .

لي الملك فسألني أن أمْلِيَ عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد ، وقال : ما نكتب لك عملاً ونحن نحبّ أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل ؟ فقلت : ألستما تكتبان الفرائض ؟ قال : بلى ، قلت : فيكفيكما ذلك .

وهذه إشارة إلى أنّ الكرام الكاتبين لا يطّلعون على أسرار القلب ، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . انتهى . فراجعه في ٢١ من ربع المهلكات .

وقد كُنْتُ كَتَبْتُ في الرسالة العجميّة المنظومة أنهم لا يطلعون على الذكر الخفي القلبي متمسّكاً بأقوال المشائخ المذكورين وغيرهم ، فطعن عليّ بذلك بعض العلماء المنكرين ، هداه الله إلى الطريق المستقيم ، وكتب إليّ بخطّه أنك مجنون لا تَعْرِفُ المرادَ من الحديث المذكور ، ولعلّه رأى[١] ما نُقِلَ عن الغزالي ، فالطعْنُ عليّ غير سديد ، لأني لم أقله برأيي ، بل بنقلٍ وَثيقٍ من كتب الأئمة العارفين كما ترى ، ولي بهم أسوة ، والله أعلم . وفي الحديث : « فكر ساعةٍ خير من عبادة ستّين سنة » .

ويدلّ على أفضليّة الذكر القلبيّ - بِنَاءً على ما ذُكِرَ في الفتاوى العُمَريّة - : إنّ ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه ، كما قيل : الفكر ذكر القلب . انتهى .

وهكذا في « مرآة الحامدين » ، وقد عمّم ابن حجر رحمه الله تعالى في « الفتاوى الحديثيّة » التفكّر في الحديث المذكور إلى الذكر القلبيّ[٢] ، فراجعه .

---

(١) وهو الذي مرّ آنفاً نقلاً من « الجواهر » مع معارضته ما في « الإحياء » ، فتدبّر (منه) .

(٢) ويؤيده ما في « تنويرالصدر » شرح « حزب البر » في تفسير قول الشاذلي قدس سره : اللهم إنا نسألك لساناً رطباً بذكرك ، انتهى بهذه العبارة . وهو - يعنى الذكر - ترديد اسم=

وقال الشبليّ : والذي نفسي بيده ؛ لَحُضُورُ قلبي في استغراق نور رَبّي خيْرٌ من علوم الأولين والآخرين ، كذا في « الفتاوى العمريّة » والخادمي .

وفي « الرسالة القشيريّة » قال الأستاذ : الذكر ركنٌ قويّ في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلاّ بدوام الذكر .

والذكر على نوعين : ذكر اللسان ، وذكر القلب .

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ، والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه ! فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه . انتهى .

قوله ذكر القلب ؛ فإن اقتصر على أحدهما فالثاني أفضل ، كذا في « شرحه » لزكريا الأنصاري ، وفيه : **إنّ الذكر الكامل هو الاستغراق في المذكور . انتهى .**

وفي[1] « الفتاوى الحديثيّة » ؛ في ٣٦ لابن حجر : **وسئل** رضي الله عنه عن قول النووي - لطف الله به - في آخر باب مجالس الذكر ؛ من « شرح مسلم » : ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب .

=المذكور باللسان أو القلب وسوآء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو استدلال على فعل من أفعاله فالداعى والقارئ والمستمع والمتفقه والمدرس والمتفكر في عظمة الله تعالى ذاكر اهى من ١٦٩ من هامش « مجموعة الأحزاب » فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(١) وبهذا يجاب عما في « إعانة الطالبين » في باب الجهاد من الجزء الرابع في ١٩٤ ، وفي آداب داخل الخلاء من الجزء الأوّل في ١٠٩ . من قوله : وليس لنا ذكر قلبي* يثاب عليه من غير لفظ إلا هذا . فتدبره . وبعض الكلام يفسّر بعضاً ، فلله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة . (منه رحمه الله) .

* أي من حيث لفظه لا مطلقاً (منه) .

انتهى ، فهل يؤخذ من كلامه أنه إذا ذكر الله بقلبه دون لسانه أنه ينال الفضيلة إذا كان مَعْذُوراً أم لا ؟ وهل إذا قرأ بقلبه دون لسانه من غير عذر ينال الفضيلة أم لا ؟ .

أجاب بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه ؛ من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه ، وإنما فيه فضيلة من حيث إستحضاره لمعناه من تنزيه الله وإجلاله ، وبهذا يجمع بين قول النووي المذكور وقولهم ذكر القلب لا ثواب فيه ، فمن نفى عنه الثواب أراد من حيث لفظه ، ومن أثبت فيه ثواباً أراد من حَيْثُ حُضوره بقلبه كما ذكرناه ، **فتأمّل ذلك فإنه مهمّ** ، ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره ، والله أعلم . انتهى .

وفي « إظهار الحقّ » نقلاً من « شرح المشكاة » لابن حجر : ونفي الثواب فيه - أي في الذكر القلبي المحض من حَيْثُ الذكر ؛ أي : من حيث الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان - لا ينافي حصوله من حيث المراقبة وحضور القلب فيه ثواب أيُّ ثواب[1] . انتهى .

مطلب
الذكر القلبي واللساني

وقال الإمام اليافعيّ في « نشر المحاسن » : والذكر في الأصل على خلاف الغفلة ، والمقصود منه ذكر القلب ، فإن أضاف إليه ذكر اللسان فهو أفضل وأكمل ، وأما ذكر اللسان وَحْدَه فقليل الجدوى ، لكنّ الاستدامة على ذلك يكون سبباً لذكر القلب . انتهى .

وفي « البريقة » : الذكر باللسان لا نفع له أصلاً ، لكنه أولى من

(١) فإذا حصل الثواب من حيث حضور القلب في الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان خاصة ، فحصوله بالذكر القلبي الذى ورد بواسطة الصديق الأكبر ، الذى هو أفضل الأمة ، بعد النبيّين يعلم بطريق الأولى فليتدبره (منه رحم الله إفلاسه) .

السكوت والاشتغال إلخ . انتهى .

وقال الغزالي : حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه يحصل الثواب ، لأنه خيرٌ من حركة اللسان بالغيبة ، بل هو خير من السكوت مطلقاً . أي : المجرّد عن التفكّر . قال : وإنما هو ناقصٌ بالنسبة إلى عمل القلب . انتهى .

وفي « الأذكار النوويّة » : فضل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما ! فالقلب أفضل .

قال المصنف في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : ذكر ابن جرير الطبريّ وغيره أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيّهما أفضل ، قال القاضي عياض : وإنما يتصوّر[1] الخلاف عندي في مجرّد الذكر بالقلب تسبيحاً وتهليلاً وشبههما ، ويدلّ عليه كلامهم ، لا أنهم اختلفوا في الذكر الخفيّ الذي ذكرناه ، فذلك لا يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله[2] ! ؟ والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب ، وإن كان لاهياً فلا ، واحتج مَن رجَّح ذكر القلب بأنّ عمل القلب أفضل ، ومن رَجّح عمل اللسان[3] قال : لأنّ العمل فيه أكثر ، لأنه زاد باستعمال اللسان ، فاقتضى[4] زيادة أجر[5] .

---

(١) وراجع شرح « المشارق » لأكمل الدين (منه) .
(٢) فإن الذكر باللسان إنما هو وسيلة لحضور القلب « لطائف المنن » ٢٧٢ ج ٢ . ومثله في « الفتاوى العمرية » (منه) .
(٣) وراجع شرح « المصابيح » و« الأذكار » للنووي في ٥ مع شرحه (منه) .
(٤) لكن تقضيل العمل الكثير على القليل إنما هو أمر أغلبيّ فقط ، فيجوز أن يكون بعض الأعمال القليلة أفضل من بعضها الكثير ، ألا ترى أن من قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً مع قلّة حروفها وكلماتها كتب له ثواب القرآن كله ، كلّ حرف بعشرة ، كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » في ١٨ فتدبره . ولا يستبعد مؤمن حصول الأجر العظيم على العمل . فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس ، فللحق أن يجعل الثواب الجزيل على العمل القليل . كذا قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » فراجعه من هامش « المنن » من الجزء الأول (منه) .
(٥) ولأنّ فائدته تتعدى إلى السامعين فاقتضى زيادة أجر والصحيح الأول ، لبعده وخلاصه=

قال القاضي عياض : واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب ؟ ! فقيل : تكتبه ، ويجعل الله لهم علامة[١] يعرفونه بها ، وقيل : لا تكتبونه[٢] ، لأنه لا يطّلع عليه إلاّ الله تعالى .

قال المصنف في « شرح مسلم » : الأصحّ أنهم يكتبونه ، وإنّ ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل[٣] والله أعلم ، وقول القاضي عيّاض : (وإن كان لاهياً ، فلا) ! مرادُهُ : فلا خلاف في فضل الذكر بالقلب حينئذ ، وليس مرادُهُ : فلا فضل فيه ، لأنه قال قبله : وأما ذكر اللسان مجرّداً فهو أضعف الأذكار ، وفيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث . انتهى . ونقله المصنف في شرح مسلم . انتهى كلام ابن علان .

وفي البجيرمي قوله : حمد الله بقلبه ، أي : ويثاب عليه : كما مرّ ، وقولهم : (الذكر القلبيّ لا ثواب فيه) ! محمول على ما لم يطلب بخصوصه ، وهذا مطلوب فيه بخصوصه ، « ع ش م ر » .

قال بعضهم : يؤخذ من هذا صحّة ما ذهب إليه السادة الصوفية

=عن الرياء . أقول وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما تقدم ذكره . أما الأذكار التى وردت فيها الأخبار والآثار كالتسبيح والتحميد والتكبير عقب المفروضات فلا بد من تلفظها باللسان انتهى نووي . أقول وكذا قراءة القرآن والتسابيح والتكبيرات في الصلاة وكذا تشميت العاطس وإجابة المؤذن والسلام مع عدم العذر وإلاّ فبالقلب فقط . كما في الخلاء ومحل النجاسات ، كما في « الباجوري » في أداب الخلاء وأما غير المأثورات ، فجائز مطلقاً انتهى من « الفتاوى العمرية » فراجعه . (منه رحم الله افلاسه) .

(١) وهي الريح الطيبة كما في « شرعة الإسلام » وراجع شرحه في ١٥٥ (منه) .

(٢) ويحتمل أن يجمع بين كلاميهم بأن مراد القائلين بعدم كتبته : إن الملائكة لا يعرفون عين الذكر القلبي ولا يكتبون عينه وإن كتبوه حسنة ، لمعرفتهم بطيب الريح أن القلب عمل حسنة . ومراد القائلين بكتبته واطلاعهم عليه : أنهم يعرفون بتلك الريح الطيبة أن القلب عمل عملاً حسناً فيكتبونه حسنة مطلقة لا معينة . هذا والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) لعله عند أهل الظاهر وإلا فذكر القلب وحده ففيه تفصيل ومرّ آنفاً نقلاً عن ابن حجر فليتذكره (منه) .

من جواز الذكر بالقلب والثواب عليه ، بل هو أفضل من ذكر اللسان لخلوصه من الريآء ، ولو لم يكن فيه ثواب لما أمر السادة الفقهآء بالحمد به في المواضع المكروه فيها ذكر اللسان ، وهو الحق الذي ينبغي اعتقاده .

وفيه : إنّ ما قاله الفقهآء إنما هو في الموضع الذي يكره ذكر اللسان ، وأجاب الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الحديثيّة » بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه مِنْ حَيْثُ كونه ذِكْراً مُتعبّداً بلفظه ، وإنما فيه فضيلة من حيث استحضاره لمعناه . . . إلخ . ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره انتهى . ومرّ آنفاً نقلاً من عين الفتاوى مع تمام عبارته .

وفي حسب[١] حال السالك الذكر قسمان :

الأول : التذكر وهو التكلّف ؛ أي : تكلّف السالك على لسانه ذكر الله .

والثاني : الذكر الحقيقي ، وهو جريان القلب بالذكر دون اللسان ، فتسمية الأول بالذِكر مجازٌ من قبيل تسمية السبب باسم المسبّب ، وأكثر الناس عنه غافلون . انتهى كذا في « الفتاوى العمريّة » .

وفيه : وفي « روح البيان » : الذكر على مراتب ، والذكر اللسانيّ بالنسبة إلى الذكر القلبيّ تنزّلٌ . روي أنّ عيسى عليه السلام حين ترقى إلى مراتب الذكر جاءه إبليس عليه اللعنة فقال : يا عيسى ، اذكر الله تعالى ، فتعجّب عيسى عليه السلام من أمره بالذكر مع أن جبليّته وطبيعته المنع من الذكر ، ثم ظهر له أنه أراد أن ينزله من مرتبة الذكر القلبيّ إلى مرتبة الذكر اللساني ، وذلك كان تنزّلاً بالنسبة إلى مقامه ، لأنّ الأنبيآء

(١) قوله (حسبحال السالك) هو اسم كتاب نفيس في بيان قواعد الطريقة النقشبندية ، لكنه بلغة الترك . (منه) .

وكمّل الأولياء ذكرهم الحضور والمراقبة والمشاهدة بالقلوب والأرواح بلا إتعاب الألسنة والأشباح . انتهى .

وفي « المتممات » في ٢١٦ : **واعلم أنّ الذكر الخفي والتفكر هما الغاية القصوى** . انتهى . وفيه أيضاً في ٢١٧ : **والحاصل** أنّ الذكر الخفي أفضل من كل ذكر وعبادة عند كل العلماء والسلف[1] . انتهى . ومثله في « تفريج الفلق » في ٣٦ .

مطلب

قشور الذكر ولبُّه

واعلم أنّ الذكر أفضل الأعمال ، وله قشور ثلاثة ، بعضها أقرب إلى اللب من بعض ، وله لبّ ورآء القشور الثلاثة ، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه ، فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط . **والثاني** : ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى مراقبته حتى يحضر مع الذكر ، ولو تركه وطبعَه لاسْتَرْسَلَ في أودية الأفكار . **والثالث** : أن يستمكن الذكر من القلب ويستولي عليه بحيث يحتاج إلى صرفه عنه إلى غيره كما احتيج إلى تكلّف في الثاني : في قراره معه ودوامه عليه . **والرابع** : وهو اللباب ، أن يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى ، وهو اللباب المطلوب ، وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب ، بل يستغرق المذكور جملته ، ومهما ظهر له في أثناء ذلك الالتفاتُ إلى الذكر ، فذلك حجاب شاغل ، وهذه الحالة هي التي عبّر عنها العارفون بـ(الفناء) كذا قاله الغزالي في « جواهر القرآن » ، وهذا المقام الأخير قد تملكه النقشبنديون في ابتدائهم ، فإنّ أول قدمهم على الحيرة والفناء

---

(١) وعليه إجماع العارفين ، كما ذكره السيد عيدروسي في « الكبريت الأحمر » ، فراجعه . (منه) .

وبدايتهم نهاية غيرهم[1] كما مرّ . فالحمد لله رب العالمين . يا رب كَمْ مِنْ نعمة أنعمت بها علينا قلّ لك بها شكرنا **فحاصل مَحْصُولِ عِبَارات العُلماء** : أنّ الكلام في أفضليّة الأذكار اللسانيّة إنما هو عند أهل الظاهر الّذين لا يَعْلَمُونَ حقيقة الأذكار القلبيّة ، وأمّا عند أهل الباطن ! فالأذكار اللسانيّة بالنسبة إلى الأذكار القلبيّة ممّا يعدّونها نزولاً عن المقام الأسنى[2] والدرجة العليا ، ولا مجال لوقوع الاختلاف بين مَنْ ذاقوا حقيقة ذكر القلب ، فإنّه ذكر محقّق يسمعه الذاكر من باطنه بلا شكّ ولا ارتياب ، فإنّ القلب كلّه[3] لسانٌ ينطق به وكلّه سمْعٌ يسمعُ به ، وكلّه بَصَرٌ يُبْصِرُ به ، ولقد طرأ عليّ في أيّام سلوكي حالٌ قويّ ؛ وكنت حينئذ لا أطيق أن أسكن القلب عن الذكر بلفظة الجلالة ولو تكلّفْتُ ، وصار طَبْعُهُ جَرْيانَ الذكر بلا اختيار ، فكلّما توجَّهْتُ إليه كنت أجِدُهُ ناطقاً بها متحركاً بحركات عجيبة سريعة بحيث لا تطيق الحاسَّةُ الخياليّة أن تدرك سُرْعَتَهُ كما لا تطيق حاسّة البصر أن تدرك سُرْعَةَ جَنَاحَيِ النحل حين قام في باب الكوارة رافِعاً دُبُره إلى السمآء ، وقد كنتُ في ذلك الوقت أسْمَعُ صَوْته[4] ، ولا يخفى عليّ شيءٌ منه ، ولو كان الناس يقرؤون القرآن في المسجد جَهْراً ، فهذا ما رأيته في نفسي وذُقْتُهُ في حال سلوكي ، لكن لا مجال لتعليمه وتفهيمه لمن لم يذقه ؛ بالنطق والعِبارة أو بالرقم في السطور والكتابة ، وأحْوَالُ سائر

---

(١) وقد مر أن التوجه هو الذى يوقع الذكر إلى القلب عندهم وهو يقوم مقام ذكر اللسان في سائر الطرق بل التوجه الواحد منهم يعمل في القلب عمل الرياضات والمجاهدات في سنين متعددة ، ولأجل هذا المعنى يحصل لهم في الابتدآء ما لا يحصل لغيرهم إلا في الانتهآء فافهم (منه) .

(٢) ولذا قال صاحب « طهارة القلوب » : ذكر اللسان حسنات وذكر القلب قربات ودرجات . راجعه من صحيفة ٥٠ من هامش نزهة المجالس (منه غفر الله له آمين) .

(٣) كذا في « تحفة الأحباب » (منه) .

(٤) ذكر .

اللطائف كأحْوال القلب على حدٍّ سواء ، فلله الحمْدُ والمنّة ، وله الشكر على هذه النعمَة . فهذا مِنْ مَذاقِ الطائفة النقشبندية لا خبر عنه لغيرهم من الطوائف السِوَائِيَّةِ .

واعلم أنّ طائفة من[1] الطرق الأخر إذا تنزّلوا عن ذلك المقام قَدْ يتوسّلون إليه بالأذكار اللسانية[2] لأنها عندهم[3] وسيلة لتحصيل ذكر القلب كما هو[4] مذكور في « مرآة الحامدين » ، و« لطائف المنن » ؛ وأحياناً يستعملون الذكر باللسان جَهْراً ليقتدي بهم غيرهم ، وينتفع به سواهم ، وأما إذا تجلّى الله لهم بالمعيّة والوصلة ، وحصلت لهم أعلام المشاهدة ، سقط الذكر بكلا نَوْعَيْهِ ، فيَبْقَوْنَ حينئذ حَيارى مستغرقين في المذكور سبحانه وتعالى ويعدّون الذكر في تلك الحالة ذنباً من الذنوب ، وحِجَاباً واقعاً[5] بينهم وبين المذكور ، وفي ذلك أنشدُوا :

بذكر الله[6] تزداد الذنوب ... وتنكشف الرذائل والعُيُوبُ
وترك الذكر أفضل كلّ شيء ... وشمس الذات ليس لها مغيب

وأنشدُوا أيضاً :

لا يترك الذِكرَ إلاَّ مَنْ يُشاهدُهُ ... وليس يَشْهَدُهُ مَنْ لَيْسَ يَذْكُرُهُ
والذِكر سَتْرٌ على مذكوره أبداً ... فحين أذكره في الحال يستره

(١) وفي نسخة : من منتسبي .
(٢) وكما في طهارة القلوب والذكر المطلوب ذكر القلب وإنما اللسان طريق إليه اهى من ٤٤ من هامش نزهة المجالس من الجزء الأول وكما في « جواهر القرآن » للغزالي ومبدؤه ذكر اللسان . اهى . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .
(٣) أي عند غير النقشبنديين .
(٤) أي كونها وسيلة إليه (منه) .
(٥) راجع « جواهر القرآن » (منه) .
(٦) وفي نسخة : اللسان .

فلا أزال مع الأحوال أشهَدُه ولا أزال مع الأنفاس أذكره

الأبيات من « كشف الحجاب » للشعراني .

وفيه : أنّ الذكر دليل ، فإذا جَمَعَك المَدْلُولُ سقط شهود[1] الدليل من قلبك . انتهى .

وفي « الميزان الكبرى » للشعراني : ويؤيّد ذلك قول الشبلي حين **قالوا له** : **متى تستريح ؟ فقال** : **إذا لم أرَ لله تعالى ذاكراً** ، أي لأنّ الذكر لا يكون إلاّ في حال الحجاب عن شهود المذكور[2] ، فما تمنّى الشبليّ إلاّ حضرة الشهود ، لأنها هي الّتي لا يرى لله تعالى فيها ذاكراً بلسانه إكتفاء بمشاهدته تعالى ومُناجاته بالقلب ، وحضرة الحق[3] هي حضرة بُهْتٍ وخرسٍ قال الله تعالى ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ انتهى .

وأنشدوا أيضاً :

فتــرك الذكر أولــى بالشــهود وذكــر الله أولــى بالــوجود

فكــن إن شئت وُجْدان الوجود وكن إن شئت في فضل الشهود

انتهى .

وفيه أيضاً في ١٢٩ : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ذكر الله تعالى على نوعين : ذكر لسان ، وذكر حضور ، كما أن ترك الذكر على نوعين : ترك من حيث الغفلة ، وترك من حيث الحضور والدهشة .

---

(١) وراجع « الطبقات » للشعراني في ٩٠ من الجزء الأول ، ففيه مثله (منه) .

(٢) فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور . فلو ذكر العبد ربه في تلك الحضرة كان غير لائق بالأدب كما أن من اطلع السلطان وتمثل بين يديه لا يناسبه تكرار اسمه على التوالى بل ربما نسبوه إلى الجنون واخرجوه من حضرة السلطان ، كذا في « كشف الحجاب » فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) أي حضرة مشاهدة الحق . راجع « المنن » في ١١٨ من الجزء الأول (منه) .

فالأول من الذِكرين مفضول ؛ والثاني فاضل ، والأول من التركين مَذْمُومٌ ؛ والثاني مَحْمُودٌ وهو الذي حَمَلْنا عليه قول الشِبْليّ آنفاً انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٤١ من الجزء الرابع : قال بعضهم : إني أقول : يا ربّ يا ربّ ، فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال ، لأنّ النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه ؟ ! انتهى . وهكذا في « عوارف المعارف » ، فراجعه في ٢٠٠ من هامش الجزء الرابع من « الإحياء » .

وفي « الإحياء » أيضاً في ١٤١ من الجزء الرابع : **إذا بلغ الرجل في هذا العلم**[1] **الغاية ، رَمَاهُ الخلق بالحجارة** ؛ أي : يخرج كلامه عن حَدِّ عقولهم ، فيَرَوْنَ ما يقوله جُنوناً وكُفْراً ، فمقصَدُ العارفين كلهم وصْلُهُ[2] ولقاؤه فقط ، فهي قرّة العين التي لا تعلم نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم منها ، وإذا حصلت انمحقت الهُمُوم والشهوات كلّها ، وصار القلب مستغرَقاً بنعيمها .

مهم

فلو أُلقي في النار لم يُحسّ بها لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبُلُوغه الغاية التي ليسَ فوقها غاية . انتهى . ولذلك قال بعضهم :

وهـــجره أعــــظم مــــن نــــاره ... ووُصْــــلُهُ أطــــيب مــــــن جنَّته

انتهى .

وهذه أحوال أرباب المشاهدة من العارفين الذين يؤثرون التبتّل والتفرُّد والفكر والذكر حتى ينغمسوا في بحار المشاهدة ، ويَدْخلوا في

(١) أي علم المعرفة والمشاهدة (منه) .
(٢) أي الله .

جنّة المعرفة التي ثمارها غيرُ مقطوعة ولا ممنوعة ، بل هي أبدية لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يَهْدم محلَّ مَعرفة الله . قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ الآية . قال الغزالي في « الإحياء »[1] : **ولا تظنّ أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة ، فإن للعارف بكل نَفَسٍ دَرَجَةُ ألف شهيد** . انتهى .

وفيه أيضاً : أن جميع أقطار ملكوت السماوات والأرض مَيْدانُ العارف ، يتبوَّأ منها حيث شآء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه . انتهى . رزقنا الله تمام المعرفة ، وجعلنا من جملة أرباب الوصول والمشاهدة إنه ولي التوفيق والاستقامة ، آمين .

فائدة : قال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبِّئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الوَرق والذهب ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم ؟ ! قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله عز وجلّ دائماً »[2] . الحديث ، ذكره الغزالي في « الإحياء » في ٢٢٩ من ج ١ .

وفيه في ٢٣٢ من ذلك الجزء : فإن قلتَ : فما بال ذكر الله سبحانه – مع خِفَّته على اللسان وقلّة التعب فيه – صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟ ! !

فاعلم أنّ تحقيق هذا لا يليق إلاّ بعلم المكاشفة ، والقدر الذي يَسْمَحُ بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، **فأمّا الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليل الجدوى** .

(١) في ٢٤٠ من الجزء الرابع (منه) .
(٢) قوله دائماً ليس فيما رواه الشعراني في « كشف الغمة » فراجعه في ٢٧٤ من الجزء الأول (منه) .

وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً ، وحضور القلب في لحظة بالذكر ، والذهول عن الله عز وجلّ مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى ،

الحضور ثمرة العبادات العملية

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام، أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات ، بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العمليّة ، وللذكر أول وآخر ، فأوّله يُوجبُ الأنسَ والحبَّ ، وآخره يوجبه الأنْسُ والحبُّ ، ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الأنس والحبّ ، فإن المريد في بِدايَةِ أمْرِهِ قد يكون متكلِّفاً بصَرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى الله عزّ وجل ، فإن وُفِّقَ للمداومة أنس وانغرس في قلبه حبّ المذكور . ولا ينبغي أن يتعجَّب من هذا ؛ فإن من المشاهد في العادات أن تذكر غائباً غير مشاهد بين يَدَيْ شخص وتكرّر ذكر خصاله عنده فيحبّه ، وقد يَعْشِقُ بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلّف أوّلاً صار مُضْطَرّاً إلى كثرة الذكر آخِراً بحيث لا يصبر عنه .

فإنّ من أحبَّ شيئاً أكثر ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء ، وإن كان تكلُّفاً أحبّه ، فكذلك أول الذكر متكلَّف إلى أن يثمر الأنسَ بالمذكور والحبَّ له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخِراً فيصير الموجب به مُوجَباً ، والثمر مثمراً ، وهذا معنى قول بعضهم : كَابَدْتُ القرآن عشرين سنة ثم تنعَّمت به عشرين سنة . ولا يَصْدُرُ التنعُّم إلاّ من الأنس والحبّ ، ولا يصدر الأنس إلاّ من المداومة على المكابَدة والتكلُّف مُدّة طويلة ، حتى يصير التكلُّف طبعاً ، فكيف يستبعد هذا ؟ ! وقد يتكلّف الإنسان تناول طعام يَسْتَبْشِعُهُ[1] أوّلاً ، ويكابد أكله ويواظب عليه فيصيرُ مُوافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه ، فالنفس مُعْتادة متحمّلة لِما تتكلّف :

---

(١) وطعام ، بشع فيه كراهة ومرارة (مص) .

هـي النـفس ما عَوَّدْتَها تتكلف

أي : ما كلّفتها أوّلاً يصيرُ لها طبعاً آخِراً .

ثم إذا حصل الأنس ، انقطع عن غير ذكر الله ؛ وما سوى الله عز وجلّ هو الذي يُفارقه عند الموت ، **فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ، ولا ولد ولا ولاية ، ولا يبقى إلاّ ذكر الله عز وجلّ** ، فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذَّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدُّ عن ذكر الله عز وجل ، ولا يبقى بعد الموت عائقٌ ، فكأنّه خلى بينه وبين مَحْبوبه ، فعظمت غبطته ، وتخلَّص من السجن الذي كان مَمنوعاً فيه عمّا به أنسه ، ولذلك قال ﷺ : « إنّ روح القُدس نفث في روعي : أحْبِبْ ما أحْبَبْتَ فإنك مُفارقه » ، أراد به كلّ ما يَتعلّق بالدنيا ، فإنّ ذلك يفنى في حَقّه بالموت فـ : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾** ﴾ وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى نفسه عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الأنس يتلذّذ به العبد بَعْدَ مَوْته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقآء ، وذلك بعد أن يُبَعْثِرَ ما في القبور ، ويحصَّل ما في الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول : إنه أعدم ، فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل ؟ ! **فإنه لم يَعْدِمْ عدماً يمنع الذكر ، بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة ، لا مِن عالَم**[1] **الملكوت** ، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ : « القبر حفرة من حُفَرِ النار ، أوْ رَوْضة من رِياض الجنّة » وبقوله ﷺ : « أرْواحُ الشهَدَآء في حواصل طيور خضر » وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين : يا فلان ، يا فلان ، وقد سمَّاهم

(١) وأرواح الموتى في عالم البرزخ أحياء بالحياة الأمريّة . كذا في « أفضل الصلوات » فراجعه في ٣٢ (منه) .

النبيﷺ ؛ هل وَجَدْتم ما وعد ربكم حقّاً ؟ فإني وَجَدْتُ ما وَعَدَني ربي حَقاً ، فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف يسمَعُون وأنّى يجيبون ؛ وقد جِيفُوا ؟ فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » ، والحديث في الصحيح ، هذا قوله عليه السلام في المشركين ، فأمّا المؤمنون والشهداء ! فقد قال ﷺ : « أرواحهم في حواصل طيور خُضرٍ مُعَلّقة تحت العرش » وهذه الحالة وما أشِيرَ بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل ، وقال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية ، ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عَظُمَتْ رُتْبَةُ الشهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله ، والقلب مستغرق بالله عز وجل ، منقطع العلائق عن غيره ، فإن قدر عَبْدٌ على أن يجعل همَّه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلاّ في صَفِّ القتال ، فإنه قطعَ الطمع عن مُهْجَتِهِ وأهله ومالِهِ ووَلده بل من الدنيا كلّها ، فإنه يريدها لحياته ، وقد هوَّن على قلبه حياته في حُبِّ الله عز وجل ، وطلبِ مَرْضاته ، فلا تجَرُّدَ لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظُم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى . انتهى .

وفي « بيان الأسرار » للسُّهْرَوَرْدِيِّ رحمه الله تعالى في الفصل الرابع عشر : والقلب[1] لا ينام ولا يموت ، وهو مشغول في النوم واليقظة بحياة القلب بلا صوتٍ ولا قيام ولا قعود ، فهو يخاطب الله تعالى بقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ مُتابعاً للنبيّ ﷺ : قال في

(١) أي القلب الحي (منه) .

تفسير القاضي : في هذه الآية إشارة إلى حال العارف وانتقاله من حالة الغيب إلى الحضرة .

مهم

واستحق بمثل هذا الخطاب كما قال النبي ﷺ : « الأنبياء والأولياء يصلُّونَ في قبورهم كما يصلُّون في بيوتهم » أي مشغولون بالله ومُناجاته بحياة قلوبهم . انتهى من عينه اختصاراً .

ولقد أخبرنا ثقات من الناس أنّ امرأة مَنْسُوبَةً إلى طريقة شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ماتَتْ ، فوضع أخُوها يَدَهُ على صدرها فوجد قلبها يَرْتَعِشُ ارْتِعاشاً لَطيفاً ، فقال وقتئذ لأختها الكائنة عنده : انظري إلى حال قلبها ولا تبك على موتها ، وَضَعِي يَدَكِ على قلبها . فوضعت يدها على قلبها ، فوَجَدَتْهُ كذلك ، ثمّ وَضَعَتْ امرأة أخرى يَدَها على قلبها فوجَدَتْ كذلك ، فبعد ما سمعت هذا الخبر تفحَّصْتُ مِنْ أخِيها المذكور ؛ ومن النساء اللواتي وَضعْنَ أيديهنّ على قلبها فأخبَرُوني كذلك ، وصَدَّقوا الخبر المذكور(١) ، غفر الله لنا ولها آمين . فإذا وقعت المكالمة في حَقّ هذه المرأة وعدَّدنا ما وقع لها من الأعاجيب ، استكتَبَ منّي شيخنا - قدس سره - من كتاب « مزكي النفوس » ما مُعَرَّبهُ هذا :

(١) وهكذا أخبرنى العالم العارف القاضى حميد الهندخى رحمه الله قال : إنه كان يغسل واحداً من مريدى الشيخ العسلي قدس سره إذا مات وكان معه اثنان فوضع أصبعه على قلبه فوجداه ترتعش كعِرْقِ الدَم ثم أمر رجلين آخرين بوضع يدهما على قلب ذلك الميت فوجداه كذلك ، وقال : أنه وضع أصبعه في مواضع من بدنه ظنا منه إحتمال كون ذلك الارتعاش في أجزآء سائر الجسد فلم يجد إلا فيه . وقالت زوجتى فاطمة غفر الله لها أنها وجدت قلب إمرأة (وكانت من الذاكرات لله كثيرا) يرتعش حين تغسلها وأرته من معها من النساء فصدّقن ذلك (منه) .

مات في زمان رسول الله ﷺ رَجُلٌ من أهل الذكر ، فأراد أصحابه أن يغْسِلُوهُ ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أغسله . وقال أنس رضي الله عنه : أنا أغسله . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : أنا أغسله . ثم قال – عليه السلام – : إنه كان من أهل الذكر فأينَ سلمان الفارسي ؟ فقالوا : إنه مَشْغُولٌ بالذكر في بَيْتِهِ ، فأرْسل – عليه السلام – واحداً لِيَدْعُوَهُ إليه فقال – عليه السلام – : يا سلمان ، إنّ هذا الرجل من أهل الذكر ، وأنت من أهل الذكر فَاغْسِلْهُ بِحَمْلِهِ إلى الخلوة ، أنت من أهل التجريد ، وهو من أهل التجريد ، ويظهر لأهل الذكر من خوارق العادات وأنت تطلع عليه ، فاغسله في الخلوة ، لئلا يطلع عليه غيرك ، فحمله سلمان رضي الله عنه إلى الخلوة ، وخلع منه لباسه ، وألقى على عورته منديله ، ثم مَدَّ يَدَهُ تحت المنديل إلى العورة ليغسلها ، فطرّد الميت المذكور يد سلمان من عورته ، فوقع سلمان مكبّاً على صَدْرِه ، باكِياً متعجّباً ، فوجد قلب الميت يذكر الله تعالى وإذا سمع بكاءً شديداً ، وتعجَّب عليه ، وقال : كيف يتحرك الميت ؟ وكيف يذكر قلبُ الميتِ اللهَ تعالى ؟ فحينئذٍ فتح الميت عَيْنَهُ ، وقال : يا سلمان ، هل يموت الكائنون مع الله ؟ فالذين حَيِيَتْ قلوبهم بذكر الله ، تموت أجسامهم ، ولا تموت قلوبهم ، وأنا لَسْتُ بميت ، وحصل لقلبي حياة ، فتفرَّقْ منّي بعد تجهيزك إيّاي ، ثمّ إذا أخبر تلك الواقعة للنبي ﷺ قال : المؤمنون لا يموتون ، بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقآء » . انتهى .

وممّا يَشْبَهُ هذا ، ما قاله الإمام اليافعيّ رحمه الله تعالى ، في « نشر المحاسن » ؛ من أن السيّد الجليل العارف ، نجم الدين الأصبهاني رضي الله عنه ، طلع مع جماعة جَنازة بعض الصالحين ، فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يُلَقِّنُ الميت ، ضحك الشيخ نجم الدين ، ولم

يكن الضحك عادته ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : سَمِعْتُ صاحبَ القبر ، يقول : ألا تعجَبون من ميت يُلقِّن حَيّاً ؟ انتهى .

وفي « **بيان الأسرار** » : فكما لا ينام القلب الحيّ ، فكذلك لا يموت ، كما قال عليه السلام : « **تنام عيني ولا ينام قلبي** » انتهى .

وأيضاً ذكر في « الرسالة القشيرية » في ٢٠١ : أن أبا يعقوب السوسي قال : غسلت مريداً ، فأمسك إبهامي وهو على المغتسل ، فقلت : يا بني ، خلِّ يدي ، أنا أدري أنك لست بميت ، وإنما هي نقلة من دار إلى دار . فخلّى يدي .

وفيها أيضاً : أن إبراهيم بن شيبان ، قال : صحبني شاب حسن الإرادة ، فمات ، فاشتغل قلبي به جداً ، وتوليت غسله ، فلما أردت غسل يديه ، بدأت بشماله من الدهشة ، فأخذها مني ، وناولني يمينه ، فقلت : صَدَقتَ يابني ، أنا غلطتُ .

وفيها أيضاً : أن أبا يعقوب السوسي قال : جاءني مريد بمكة ، فقال : يا أستاذ ، أنا غداً أموتُ وقت الظهر ، فخذ هذا الدينار ، فاحفر لي بنصفه ، وكفِّنِّي بنصفه الآخر ، ثم لمّا كان الغد ، جاء وطاف بالبيت ، ثم تباعد ومات ، فغسَّلتُه ، وكفَّنتُه ووضعته في اللَحد ، ففتح عينيه ، فقلتُ : أحياة بعد موت ؟ ! فقال : أنا حيٌّ ، وكل محب لله فهو حيٌّ . انتهى . مع بعض اختصار .

فهذه أخبار من حصلت لهم حياة قلوبهم ، **فالواجب على العاقل طلب الحياة القلبية الأخروية ؛ من أهل التلقين في الدنيا ، قبل فوت الوقت** ، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، فإذا لم يزرع في هذه لم يحصُدْ في الآخرة ، والمراد من المزرعة أرض الوجود ، لا الآفاقي . كما قال بمثله الإمام السُهروردي في « بيان الأسرار » في الفصل الثامن .

واعلم يا أخي ، أن الداعي إلى إكثار الكلام وجمع النقول في حق هذا المهمّ ، كثرة القيل والقال بين علماء الظاهر ، ووُجْداني إياهم يتكلّمون بمجرّد ما رأوه في الكتب ، ظانّينَ أنْ ليس فيها سواه ، مع أنّهم لا يفهمون مآل ما رَأَوْهُ ، ولا يُدْركون مضمُونَ ما علمُوه .

فها أنا أطنبت الكلام ، وأكثرت النقول والمقالات ، فعليهم أن يأخذوا من هذه الجَرَّةِ الصَافِية الدُهْنَ الخالص بلا شائبة . فالحمد لله رب العالمين .

ولا يخفى أنه لم يَصِلْ أحَدٌ إلى هذه المعارف الإلهيّة ، والأسرار الربانيّة ، إلاّ بالأعمال القلبيّة ، والعمل الذي يُتَوَسَّل به إلى النَفائس فهو نفيسٌ بلا ريب .

فلعلّ هذه المنقولات ، من كتب الثقات ، تكون عَوْناً لتحقيق ما يفعله السادة النقشبنديون ، من اختيارهم الأذكار القلبية ، واجتنابهم من الأعمال الجهريّة ، والحال أن إخفاء الذكر من أصُول طريقتهم ، كما هو مذكور في « جامع الأصول »[1] في ١٤ .

فاللازم على مَنْ يعترض عليهم أنْ يتوبوا ويرجعوا والله غفور رحيم .

وإيّاك ثم إيّاك يا أخي أن تغيّر أصُولَهُمْ . بأنْ تقولَ : اللاّئق لأهل الطريقة النقشبنديّة ترك تلقين الذكر الخفيِّ لأهل داغستان ، فإنّ مَنْ ضيَّع الأصُول[2] ، حُرم الوُصُول . ومَن غيَّر الأوضاع ، لا ينال منازل الأبرار .

قال الإمام الربَّاني قدس سره : إن الجهر ممنوع في هذا الطريق

---

(١) وكذا في « الآداب المرضية » (منه) .
(٢) ومن غير الأصول فليس منهم كما مرّ وسيأتى (منه) .

وقد علمتم بَقيّة طرز الطريقة وأوضاعها ، وإيّاكم والعُدُولَ عن طريق التقليد ما استطعتم ، فإنّ لتقليد شيخ الطريقة ثمرات ، وفي الخلاف خطرات ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٤ من الجزء الثاني .

ولا تقل يا أخي إذا رأيتَ مُريداً نقشبنديّاً مطرقاً رأسَهُ ، مُتوجِّهاً إلى قلبه ، إنِّي أحِبّ أنْ أقطع رَأْسَهُ ، كما قال كذلك واحدٌ من المنكرين ، فإنّ إطْراقَ رأسه ، وتوجّهَهُ إلى قلبه ، حاضراً بالله لا يَضرُّك أبَداً ، وقد يَعْرِضُ للسالك النقشبنديّ في حالة إدامَتِهِ على ذكر القلب حالة ، لو تكلّف بإخطار غير الله سبحانه في قلبه لا يخطر ، فكيف يكون حال مَنْ ترقى إلى ما فوق القلب ؟ ! وهذا أمْرٌ مُتحقق لا يُنكره إلاّ مَنْ لا يجرّبه **فوالله لو يعلم المنكرون ما عليه هؤلاء النقشبنديون ، لضاربوهم في طلبه السيُوف** ، كيف لا وقد يرد عليهم من لذّة أحوالهم ، ما لو قيل لهم : اخرجوا من هذا الشغل لِتَدْخُلُوا الجنة ، لا يخرجُون ؟ ! ولله درّ من قال **لو بِعْتُ لحظة من لَذَّةِ سَحَرٍ ، بملك قارون ، في عمر نوح ، لكنتُ مَغْبُوناً** . انتهى من « الخادمي » .

ولهم فوق هذا مَقامٌ ، يعُدُّون هذه اللذة المرغوبة من الشرك ، ولا يعرف ذلك إلاّ أهْلُهُ .

ولقد قال لي واحدٌ من مريدي شيخنا قدس سره : إنِّي كنت لدَيْهِ فطرأ عليَّ لذّة من غلبة الحال ، بحيث أنسى جميع اللذات بالنسبة إليها ، فقلتُ للشيخ : هل يكون في الجنة لذة مثل هذه يا أستاذ ؟ فقال لي : **لو فُتِحَتْ أبواب الجنان الثمانية ، ورأى جميع ما فيها من النِعَم ، لا تعدل لذّة ذلك هذه اللذة** . انتهى . وهذه هي التي يسمّونها « **بالجنة المعجَّلة** » رزقنا الله تعالى منها نصيباً ، آمين . ولا يُدرك كنهها إلاّ مَنْ ذاقَ ، وهل يعلم حلاوة العسل إلاّ من ذاق ، وكيف يظهرُ ما على

السطوح غير مَنْ راق ، ولا يعرف ذا الفضل إلاّ مَنْ فاق ، وما بعد ظهور الشمس ضياء باق ، وقد ينكر الأعمى أنوار يوم بَرَّاقٍ ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ ﴾ لا يجد له واقٍ ،

ولا شكّ أنّ مَنْ أنكر الحقّ إذا ظهر ، واعترض أهْلَهُ بَعْدَ ما تبيّن ، ومنع الناسَ عنه إذا حَسَدَ ، وعبس وجهه حين حَقَدَ ، فهو شَيْطَانٌ في زيٍّ إنسان ، وذئبٌ من الذئاب ، لُبِسَ عليه شيء من الثِياب ، وإن كان عالماً وعليه عبآء ، وهذا هو الذي حذَّر منه رسول الله ﷺ في قوله : « أخوف ما أخاف على أمّتي ، كلّ مُنافق ، عليم اللسان ، جاهل القلب » ، وهَرْوِلْ يا أخي ولا تقرب منه ، لئلاّ يخطفك بحلاوة لسانه ، ويحرقك بنار مَعَاصيه ، التي ظنَّ أنها حسنات ، ويقتلك بنتن باطنه ، الذي مُلِيءَ بحب الرياسات .

وقد لقيت واحداً يَقول : بأنّ الدخول في الطريقة النقشبندية ممَّا لا يجوز ، بل ممَّا يحرم ، وأخبرني واحدٌ من المعتقدين به أنه طلب منه الرخصة للدّخول في عهد الشيخ النقشبندي ، والأخذ منه ، فقال له : أنْتَ إذاً على قَصْدِ شِراء الكَرْبِيتِ(١) الأخَسِّ بَدَلَ الذهب الإبريز الأنفس .

وسمعتُ هذا البعض المذكور يقول : إنّ شيْخَهُ – في زعمه – كان يقول : إنِّي أريد أنْ أقتل مُريدي ، الّذي ذهب لدى شيخ آخر ، قبل أن أقتل سَلْداةً كافِراً . انتهى .

وقد قال هذا الكلام مِراراً في مجمع من العلماء ، فتعجّبُوا به ، ولعلّه افترآء محض على شيخه ، أو كان ذلك الشيخ على حدّ الاستقامة ، وكان غيره على نهج الابتداع والضلالة ، بمجرَّد التعصُّب والدعوى والمجادلة ، ولذلك قال ذلك تهديداً وترويعاً ، وتنفيراً وتحذيراً ، وإلاّ

(١) وفي نسخة : الكبريت .

فلا مجال للشيخ أن يقول مثل ذلك ، ولا أن يحجر على المريد ، **بل يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلَّ من كلّ أحد** ، حَتّى من مريديه ، وأعصى وأفسق منهم ، بَيْدَ أنه ينصحهم إمتثالاً بالأمر الإلهي ، مع شهُود أنهم أحْسَنُ منه حالاً ، وأكثر متشيّخة هذا الزمان يهجرون مريدَهم إذا انتقل إلى شيخ آخر ، ويحطُّون فيه ، ويقولون : إنّه صار مُرْتَدّاً ، مع أن ذلك الآخر أَحَقُّ مِنْهُ وأَرْشَدُ ، وأعْرَفُ منه وأصدق . ومَنْ هذا حاله ! ما مشى على قواعد أهل الطريق ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

وما أَلذَّ ما قاله الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٧٤ في الجزء الثاني ، وما أَصْدَقه ، وما أحسنه ! ومما أنعم الله تعالى به عليّ ، شهُودي كثرة غِشِّي لأصحابي كلّما كثروا ، لأني لو نصحتهم لفَرُّوا منّي ، ولم يَبْقَ معي إلاّ القليل ، وهذا الخُلُق قلّ مَنْ يتنبّه له من الفقراء ، بل ربّما يرى مَقامه يَعْظم بكثرة المريدين والمعتقدين ، فليتفقّد الفقير نفسه ، ولا يغترّ ، لأنّه لولا مُسامحته التلامذة بالإخلال بآداب الطريق ، ما كثروا حَوْلَهُ .

بل سمعتُ سَيِّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يَقول : مَنْ خطر في باله أنّ إخوانه وتلامذته أدنى مَرْتبة منه عند الله ، وأنه أعرف منهم بالطريق ، فقَدْ خرج عن الطريق ، وهُمْ أحسَنُ حالاً منه[1] لأنه لم يخطر لهم أبداً أنه تلميذهم .

المتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له

وسمعتُ سيِّدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يَقول : متى رأى الفقير أنّ له تلميذاً دُونَهُ في الدرَجة ؛ فقد ادَّعى الكِبْرَ ، والمُتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلتُ له : فما يُخلِّصه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه ؛ مع شهُود أنّ أخاه أحسن حالاً منه ، وأكثر طاعة منه . انتهى .

---

(١) أي من الشيخ .

وسمعتُه مِراراً يقول : من شرط الصادق ؛ أن يرى غيْرَ جماعته بالعين التي يرى بها تلامذته على حدٍّ سواء ، ومتى رَجَّح نسبة تلامذته إليه على نسبة تلامذة غيره إليه ؛ فقد خرج من مراسم أهل الطريق . انتهى . وهذا الأمر لا يتنبّه له إلاّ القليل من الناس انتهى .

وقد وقع الكلام بيننا وبين واحد ممّن يزعم أن شيخه هو النبي عليه السلام بلا واسطة ، ويقول : إنه لم يتخذ له شيخاً مّا إلاّ أنه رأى النبي ﷺ في المنام بَيْدَ أنه أخبر رؤياه هذه لشيخ[١] فصَدَّقها وقبّله واعتنقه ، ولذا اتّصلت سلسلتُه إليه ، وحلف بالحلف المشدَّد لدى مجمع من الناس ، بتأييد مشيخته بتلك الرؤيا ، فردّدْتُ كَلامَهُ بما في « مغني المحتاج » وغيره ، من أنّ الحكم لا يثبت بالرؤيا ، وبما في « البريقة[٢] » : لا مانع[٣] من أن يقول الشيْطانُ : أنا رسول الله . وبما مرَّ قُبيل الباب الخامس ، وقلتُ له : فما المقام الأوّل من المقامات التي شَرَطَها العارفون للأخذ عنه عليه السلام بلا واسطة ؟ فقال : الجذبة والمحبّة . ثمّ ردَدْتُ كلامه بالدلائل ؛ وبعد ذلك لم يجد له بُدّاً إلاّ أن يقول : لا يعمل بالكتب إلا العوام ، وأما أهل الكشف فإنما عملهم بما كشف لهم ، ويتركون المذاهب الأربعة ، فردّدْتُ مَقالته هذه بنقول معتمدة تصرح بعدم جواز العمل بالكشف ؛ ثم قال : لا يكون الوليّ وليّاً إلاّ إن رأى الله سبحانه في المنام في كلّ ليلة وكلَّمه ، ورأى اللوح المحفوظ ، فمن هذا حاله لا يحتاج إلى الكتب[٤] ، ولا إلى العمل بما

---

(١) وهو العارف العُبُودي رحمه الله (منه) .

(٢) راجعه في ٢٦٨ من الجزء الثاني ، وفي ١٤٥ من الجزء الأول . (منه) .

(٣) وقال خواجه زاده في حاشيته على « الطريقة المحمّدية » إن الشيطان قادر على أن يقول : أنا رسول الله ، ولكن لا يتشكل بشكله الشريف . انتهى فراجعه في ١١ من هامش « الطريقة » . (منه) .

(٤) ويردّه ما في« الكبريت الأحمر » نقلاً من « الفتوحات المكية » اعلم أن ميزان الشرع=

فيها ، فإنها مما يجوز أن يكتبها السارق والزاني ، ولم يقبل كلامي ، بل أيَّد بعد ذلك مُشَيْختَه بكثرة الأتباع ، وأحصى أعْدَادَ مُريديه ، فقلت له : لو كان الأمر في كثرة الأتباع ، لما سبق أَحَدٌ في المشيخة من الشيطان ، فإنه ليس لغيره تابع إلاّ واحِداً مِنْ ألْفٍ ، ثم قال : ليس على وجه الأرض أحدٌ أحقُّ مني في الشيخوخة ، وأقدم مني رُتْبَةً في الولاية ، إلاّ أني لا أتكلّم قُرَيْشِياً ولو كان صَبيّاً ، وكلّ مَنْ سواه فهو دُوني ، وتكلَّم بكلمات عجيبات ظاهرها يكفر الإنسان والعياذ بالله ، وأخبر مجاهدَته من زَمَنِ صباه ، ومَدَح نفسه بكثرة الرياضات ، وشدّة الملازمة على الطاعات ، والزهْد في الدنيا ، **فَلاطَفْتُهُ بالكلام** ، وألَنْتُ له الأقوال ، ولم يرجع بَعْدُ مِنْ دَعْواهُ[1] فَكِدْتُ أنْ أبْكِيَ نَدَماً على ما حَلّ به من هذه البلية العظمى ، بإيقاع الشيطان له في هذه الورطة الكبرى ، فكلّ مَن كان في ذلك المجمع من العلماء تيقّنُوا حقيقته ، وتبيَّنوا أنّه مُدَّع كذّاب ، وأبْعاضٌ آخرون من جُهَلاء مُريديه انتفخوا واستكبَرُوا ، وفرحوا وافتخروا ، وبَعْضٌ آخر من مُريديه تدارك به اللطف الإلهي وتحقّق بفطانته حقيقة حاله ، وقصد الانقطاع من دائرته ، وزاد شوقه للاتّصال بذيل الشيخ جامع القطبتين ، ذي الجناحين العسلي قدس سره ثمّ بعد المفارقة من المجلس تكلَّم هذا المدّعي بكلمات يحطُّ بها سواه من مَشائخ الديار ، ونسبهم إلى النقائص ، وعدَّ ما كُنّا نَرْتَكِبُهُ في حالة الشباب من المنكرات

=الموضوعة في الأرض ، هى ما بأيدى العلماء من الشريعة فمهما خرج ولىّ عن مزان الشرع المذكورة أنكرنا عليه ذلك . انتهى . راجعه في ٩٠ من هامش « اليواقيت » ولا بد من المراجعة إلى « ابن حجر » مع « الحميدية » في ٨٨ من الجزء التاسع (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) وفوق هذه قال : لا يجوز إعطاء أوراد الطريقة النقشبنديّة لأحد ، وكذَّب ذكر القلب والألطاف بالكلية ، وقال : هل لها ألسن تذكر الله ؟ ! وإلخ . وصنّفنا في حقِّ هذا الرجل برد جميع مقالاته رسالة لطيفة وسميناها « جهد المقلّ في رد شطحات المنكر المضل » ، فمن أراد إدراك الحق ، وتمييزه من الباطل ، فليقف عليها ، ووقع هذا الرجل باعثاً أولاً لجمع هذا التأليف « تنبيه السالكين » رزقنا الله الإنصاف آمين (منه قدس سره العزيز) .

البَهْلَوَانيّةِ[1] . فلعلّه هَداهُ الله إلى الحق ، أنه ظنّ أن الفضل الإلهيّ خاصٌّ بأمْثالِهِ المجتهدين ، لا نصيب له لأحد من أمثالنا العاصين المقصِّرين ، وتكبَّر علينا وعلى جميع مَشائخ الطريقة بكثرة زهده وقلة أكله ، ومُلازمة عبادته ، وصرّح ذلك في المجامع والمحافل رزقه الله الإنابة من هذه الجناية ، وأرشدنا وإيّاه إلى أحسن طريق ، بلُطْفِهِ ومَنِّه ، إنه هو الجواد الكريم ، فإن لم أكُنْ أهْلاً للسّلُوك في دائرة المشائخ ، فلي عَزْمٌ على محبّتهم فلله الحمد ، وقد قيل : إن المقصّر[2] في سلك المحبّين[3] و« لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون » . قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

صَاحِ[4] لاَ تَأْسَ إِنْ ضَعِفْتَ عَنِ الطَا عَـةِ واستـأثرتْ بهـا الأقوياء
إنّ لِلَّـهِ رحـمةً وأحَـقُّ الناسِ منه بـالرحمة الضعفاء
فابق في الْعَـرْجِ عن[5] مُنْقَلَبِ الذوْ دِ ففـي الْعَوْدِ تَـسْبِقُ العَرْجَاء

انتهى « همزية » ؛

(١) اللهم وإن كانت في وظيفة البهلوان صُوَر محرَّمة لكن ذات أنواع اللعب الخطرة من الذين تغلب سلامتهم عنها حلال ، كما هو مذكور في « ابن حجر » و« الرملي » في كتاب المسابقة . ومن تلك الأنواع ما يفعله البهلوان ، كما صرح بذلك ابن قاسم وأعقبه الشبراملسي في حاشيته على الرملي بهذه العبارات : ومنه البهلوان ، وإذا مات يموت شهيداً ، وذكر عبد الحميد الشرواني عين ما مرَّ حرفاً بحرف وفي حاشية « أسنى المطالب » : ومشيُ البهلوان كركوب البحر ، إن غلب السلامة جاز ، وإلا حرم . انتهى . فلله الحمد والمنة .
بيد أني وجدت بسبب تلك الوظيفة أشياء محرمة ، فينبغي مجانبتها ، وأستغفر الله منها كثيراً ، وهو الغفور الرحيم (منه رحمه الله تعالى ونفعنا بفيوضاته) .
(٢) والحال أن رحمة الله ونظره إلى المرموق في أعين الناس بعين الاحتقار أكثر من رحمته ونظره إلى المرموق في أعين الناس بعين الجلال ، فلهذا كان أهل الاحتقار أحقَّ بالأسرار ، كما هو مذكور في « الإبريز » فراجعه في ٢٦٥ . (منه) .
(٣) وفي نسخة : مقبول .
(٤) اي يا صاحبى .
(٥) وفي نسخة : عند .

فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربّما أوْجَبَ لك سبق المكثر منها ؛ لأنه قد يَصْحَبُهُ من الذلّ والافتقار[1] والإخلاص ما يخلف تأخُّرَك ، بخلاف المكثر ! قد يَصْحَبُهُ من العجب والافتخار ما يوجب تأخُّرَهُ . انتهى « المنح المكية » لابن حجر في ٦٧٥ .

مهم

وفي « الحفني » في ٦٧٥ ، ومن مقام العارفين ما حُكي عن الإمام أبي محمّد النيسَابُورِي أنه دخل المسجد مرّة يعتكف في رَمَضان ؛ فرأى المتعبِّدين يجتهدون ، والقرَّاء يقرؤون ، فقطع الاعتكاف وخرج ، فقيل له في ذلك ! فقال : **لمّا رأيْتُ تعظيمهم بعباداتهم ، واعتمادهم عليها دُونَ الله ، لم يَسَعْني إلاّ الخروج ؛ خوفاً من نزول البلاء عليهم**[2] . انتهى .

وفي « المنح » أيضاً في ٢٧٦ فقد يُنتج القليل ما لا يُنْتِجُهُ الكثير ، بواسطة مزيد إخلاص وانكسار . انتهى .

وقال الإمام الرباني : ومعرفة الله سبحانه حرام على من يرى نفسه خيراً من كفار الأفرنج ، فكيف من أكابر الدين ؟ كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٥٦ من الجزء الأول ،

---

(١) ولهذا قال سيدى أحمد الرفاعي رضي الله عنه : الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وأقربها الذل والانكسار . وقال سيدى عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال : ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا بصيام نهار ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر والندآء بلسان الذل والافتقار ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبرى من الحول والقوة كذا في « تقريب الأصول » في ٩ فراجعه (منه) .

(٢) والمعصية المستعقبة ندماً خير من الطاعة المستعقبة عجباً ، لاضمحلالها مع حصول الندم « عين العلم » راجع شرحه في ٤٩ ج ٢ .

مهم

وفي « المنن الكبرى » في ١٧٧ من الجزء الثاني : **وقد أجمع العارفون بالله تعالى، على أنّ العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين ، فلا يصحّ له دُخُول حضرة الله تعالى أبداً ؛ لأنها محرّمة على مَنْ فيه شيء من الكِبْرِ بإجماع** . انتهى .

شرط العمل الصالح

وفي « لواقح الأنوار القدسية » في ١٧٧ : من شرط العمل الصالح ، أن لا يرى نفسه على أحد من خلق الله تعالى ، فمتى رأى له به فضلاً على أحد ؛ خرج عن كونه صالحاً . انتهى .

وفيه أيضاً : الظهور يقطع الظهور ، ورُبّما استوفى مَنْ أظهرَ صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلّها ، من كثرة الاعتقاد فيه وقضاء حَوائجه ، وإرسال الهدايا له ونحو ذلك ، فيذهب إلى الآخرة صُفْرَ الْيَدَيْنِ من الأعمال الصالحة . انتهى .

وبما ذكر يُعْلَم أنّ الذنب قد يكون للعَبْدِ خيْراً من طاعته التي توقعه في العجب[1] ولو كان هذا العابد الزاهد المدّعي المذكور قد وقع في المعاصي لما ادّعى هذه الخلافة العظيمة بهذه الأكاذيب الباطلة ، ولَمَا جرَّ الناس إلى جانبه بذكر السواقط والأعاجيب .

مهم

فإنه سامحه الله لم يعرف أن صورة الطاعة قد تكون مَعْصِيَةً بفساد النيات والبواعِثِ ، فأيّ معصية أكبر ممّا طرد به إبليس عليه

(١) وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة أكبر من كل سيئة كما هو مذكور في « شرح عين العلم » لعلي القاري فراجعه في ٤٩ ج ١ (منه) .

اللعنة عن باب الله تعالى ورحمته بسببه ؟ ! وهو قول : ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ كما هو مذكور في كلام الله تعالى عز وجل .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٦٦ : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نُرَغِّبَ جميع أهل المعاصي في التوبة ، ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابُوا ، وأنه لا يتعاظم عليه تعالى ذَنْبٌ أن يغفره ما عَدا الشرك ، ونلين لهم الكلام ، ونحسن إليهم كل الإحسان ، حَتّى يحكوا ذلك لِرفقَتِهِمْ في المعاصي ، فلعلّ قلوبهم تلين للتوبة ، وكذلك لا نؤيِّسُ أيضاً أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظ السيادة[1] . ونراهم أطهرَ منّا قلباً ؛ لأنهم قَرِيبُوا عَهْدٍ بالتوبة ، وهي تجبّ ما قبلها من الذنوب بنصِّ الحديث بخلافِنا ! فَرُبَّما كان أحدُنا بعيدَ عَهْدٍ بالتوبة ، أو كثيرَ الطاعات المتوالية ، فيَقول بَعِيدٌ أن الله تعالى يُعذِّب مثلي ، وغاب عنه أنّه في تلك الحالة من أبْعَدِ الأبْعَدِين عن حضرة الله عزّ وجلّ ؛ لعدم انكسار قلبه ، وأنّ الله يقول : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » أي من مخالفتهم لأمْرِي ، ودُخُول النقص في طاعاتهم ، فهم لا يَرَوْنَ لهم وَجْهاً عندي .

وسمعت سيدي علياً الخواص يقول : إنّما بَدَأ[2] الإمام القشيريّ في رسالته ؛ لمَّا ذكر رجال الطريق بابن أدهم والفضيل بن عياض ! تقويةً لقلب المريدين ، لكَوْن ابن أدهم والفضيل سبق لهما زَمَنُ قطيعَةٍ ، فكأنَّ الشيخ بذلك يقول : **إنّ مَنْ سبقت له العناية لا تضرّه الجناية** ، حتى لا يستبعد المريد الذي سبق له زمن قطيعة ، بكثرة الفتح عليه من الله ، ومحو تلك الذنوب كلّها انتهى .

---

(١) أي سيدي (منه) .

(٢) ومثله في « تقريب الأصول » في ٣٠ ، راجع « لطائف المنن » لابن عطاء الله (منه) .

مطلب مهم

كمال المرشد وُقوعه في البداية ولو في نيَّة المخالفات

وسمعته مرّة أخرى يَقُولُ : كلّ مَنْ لَمْ يَذُقْ من الفقراء مَرارة القطيعة ؛ لا يَعْرف مقدار حلاوة الوِصال ، فكان من كمال حال الفقير الذي أراد الله أنْ يُؤهِّله لِتَرْبِيَةِ المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمْرِه ؛ ولو في نيَّة المخالفات ، وذلك ليَصِيرَ عنده حِلْمٌ على العُصاة ، وصَبْرٌ على تقويم عوجهم ، **وأيضاً فإنّه بوقوعه في المَعْصِيَة يَزُولُ عنه الإعجاب بعمله ، ويَعْرف سَعَة حلم الله عليه ، ويقوم بين يَدَيْه بالذلّ والإطْراق والأدب، الذي هو مَهْرُ دُخُول الحضرة الإلهية** ، ولو أنّه لم يسبق له معصية لم يَعْرف ذلك وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله ، كما هو مُشاهد فيمن تربَّى على التورُّع ، وعَدَمِ ابتلائه بشيء من القاذُورات ، فتراه يرى الخلق كلّهم هالكين إلاّ هو ، وهذا عَيْنُ الكبر الذي أدْخل الله به المتكبّرين النار .

ويؤيّد ذلك حديث العابد ؛ الذي عبد الله تعالى في جزيرة في البحر خمسمائة سنة ، وأنّ الله تعالى يَقُول له يوم القيامة : ادْخل الجنّة برحمتي ؛ فيقول : يا ربّ ، بل بعملي . فيقول الله تعالى للملائكة : قايسُوا بين عبادته الخمسمائة سنة ، وبين نِعْمَةِ البصر . ففعَلُوا ، فرجحت نعمة البصر ، فأمر به إلى النار ، فقال : يا رَبّ ، أدْخِلْني برَحْمَتِكَ ، فأدخله .

مطلب : حكم المعاصي حكم الزبل

وسمعت أخي أفضل الدين يَقُول : **حكم المعاصي حكم الزبل الّذي يوضع في أرض شجر الفواكه ، فيحلّيها ويُطيب طُعْمَها** ، أو كحكم الأنفحة للَّبن ، فإنه مع حلاوته وطيب طُعْمِه ؛ يحتاج إلى الأنفحة المنتنة الخبيثة الطُعمِ لِتُثْبِتَهُ ، وتصُونَه عن الفسادِ ، فعَلى العاقل

أن يتفكَّر في حكم مَصْنُوعاتِ الله عز وجل ، ويعطي كلّ فعْل حَقَّهُ على الميزان الشرعيّ .

حكاية مهمة

وقد مكث شَخْصٌ من أهل الجدال في سُوق أمير الجيوش في حانوتٍ ، فصار يُنْكِرُ على أهل السوق من تُجَّار ودَلاَّلِين[١] ، ويحكم ببُطلان بَيْعهم وشرائهم ؛ بأشياء لم ترد صريحة في الشريعة ، ممّا يخفى على كثير من الناس ، فشَكَوْا ذلك لي بحَضْرَةِ أخي أفضل الدين ، فقلت لهم : إن شآء الله أكَلِّمُهُ لكم ، فقال أخي أفضل الدين : الكلام لا يُؤَثِّرُ في مثل هذا ، إنما يؤثر فيه صَدمَةٌ إلهيّة ! ففي تلك الليلة وجَدُوهُ مع جارية جاره ، فقبضوا عليه بالوالي ، وأرادُوا يَجْرِسُونَهُ[٢] بها وهي راكبة على ظهرِه ، فاجتمعَ عليه التجَّار والدلاّلُونَ ؛ وشَفَعُوا وخلَّصُوه بعد علقة[٣] شديدة ، وغرامة فلوس ، فمن ذلك اليوم سكت عن الإنكار ، وصار هو يطلب منهم السكوت عنه ، فقال سيدي أفضل الدين : وعزَّة ربّي ؛ هذه الذلّة أنْفَعُ له من عبادته الّتي كان يتكبّرُ بها على الناس ، فإيّاك يا أخي وتَنْفيرَ مَنْ تاب من العُصاة بكلامك الجافي ، وعدم إحسانك إليهم ؛ فإنّ إبليس رُبّما قال لهم : أيّ فائدة لكم في صُحْبَة هؤلاء الفقهاء ؟ ! وتركتم أصْحَابَكُمْ الذين يحبُّونكم ويسترون عليكم زلاَّتكم ، وجئتم إلى مَنْ يحتقركم ويزدريكم ويكشف عَوْراتكم ، ويجيء لكم بحيلة الوالي ، فإذا صَغَوْا إلى كلام إبليس طلبُوا الرجوعَ إلى حالتهم الأولى ضرورة ، فَرَغِّبْ يا أخي مَنْ تاب من إخْوانِكَ في التوبة كل الترغيب ، وأحْسِنْ إليه كلّ الإحْسانِ ، واذكُرْ له ما وَرَدَ في قبول التوبة من الآيات

---

(١) دَرَمْ زِخْلِلْ چ (عجم) .
(٢) أي يفتضحونَه .
(٣) أي عقاب .

والأخبار ، تَكُنْ حَكِيمَ الزمان . والله يتولى هُداك . انتهى .

وقد طَوى هذا العارف الشعْراني قدس سره في هذه العبارات عِدَّةَ مَنافِعَ ، فعلى المتفطِّن البَصِيرِ أنْ يَتدبَّر بما فيها كلَّ التدبُّر ، ولا يَأمَنَ مكر الله ولو كان على عبادة الثقلين ، ولا ييأس عباده من رحمته ؛ ولو بلغت الذنوبُ عنان السمآء ، فالحمد لله رب العالمين .

وسمعت شيْخَنا قطب الإرشاد ، العالم الربَّاني والعارف الصمْداني ، ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ، يُوصِي مُريديه بالدعاء له ، بل رَأيْتُهُ يقبل على يَدِ بَعْضِ المريدينَ . وكان قدس سره يقوم دائماً إذا جاء لديه مُريدُهُ بتَرْكِ حِرْفته التي كان يَفْعَلُها ، وكانت عادَتُهُ أن يُشَيِّعَهُ قليلاً حينَ يَرْجِعُ مِنْ لَدُنْهُ ، وكان يخدم المريد بنفسه ، فهذه الأخلاق المرضيّة تشعر بأنّ صاحبَها يرى نفسه في نظره أقلّ مِنْ مُريديهِ . فجزاه الله عنا وعن أهلنا خَيْرَ الجزآء ، ورزَقَهُ العافية إلى يوم اللقآء آمين .

وسمعته رضي الله عنه يُصرِّح بأنه يكون خائفاً من أن يكون من الذين يأمرون الناس بالبرّ ويَنْسَوْنَ أنفسهم ، وكان يقرأ قوله تعالى ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ . وقوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ . وقوله تعالى لداود عليه السلام : « عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ الناس ؛ وإلاّ ! فاستحي منّي » . وهذه رَشحَةُ ما رسخ في قلبه من رؤية حَقارة نفسه عنده ، وعظمة خوفه من مَوْلاه ، وكلّ إنآء ينضحُ بما فيه .

وسمعته رضي الله عنه يقول : لو أكبّ جميع الناس على عُتْبَتِي ، أوْ رَجعَ عني جميعُ مَنْ في دائرتي إلى شيخ آخر ؛ لا أبالي ولا أتأثر . فالعياذ بالله من التفرقة بَيْنهما . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول : **الأنانِيَّةُ هي التي تمنع الرجل من الترقي إلى المقامات ، ويسقط من الأحْوالات** . انتهى .

وأخبرني واحد من أخصِّ أصحابه أنه قال له : إني أريد لو كنت مريداً ، والمريدون يريدون أن يكونوا شيوخاً .

وكان رضي الله عنه يُهَدِّدُنا بالإشارة من طلب المريدين ، وطلب الشُهرة ، ولم أسمعْ منه قطّ ؛ ولو كلمة واحدة فيها رائحة كبر أو إعجاب ، بل كان سُداهُ ولَحْمَتُهُ تواضع وخشوع . وله مريدون علومهم كالجبال الشامخات ، ومعارفهم كالأمْطار الجاريات ، وأنا لم أسْمَعْهُ يذكرهم ولو مرّة ؛ بل إنّما عَرِفْتهم من جهة أنفسهم . رزقه الله التوفيق للتخلّق بأمثال هذه المحامد يَوْماً فيوماً آمين . ولا هكذا أحوال أهل الدعوى من رجال هذا الورى في عَصْرِنا هذا .

وقد لَقِيتُ واحداً منهم فسمِعْتُهُ يقول : إنّ مِنْ مُريديه مَن يجتمع بالخضر عليه السلام ، ومنهم مَنْ يرى النبي عليه السلام ، ومنهم مَنْ يذكر الله تعالى ستّين ألف مرّة في المَلوين .

وسمعته أيضاً يقول : إنّه شيخ ديار كذا وإقليم كذا ، أي قال ذلك على قَصْد المَدْحِ والثناء ؛ ظانّاً أنّ الناس بذلك القول يعتقدُونه .

وسمعته يقول : إنّ له إذناً من طرف أربعة مَشائخ ، ومع ذلك قد وَجَدْته عند التجربة لم يضع قدماً واحداً في مَوضع الإرادة ؛ فضلاً عن مقام المشيخة ، حتى أنّي وَجَدْته لا يَعْرف مواضع اللطائف وما هي ! وما كيفية جريان الذكر بها ! مع أنه يزعم أنه شيخ نقشبندي ، وقد أقْبَلَ إِلَيَّ إقبالاً أكيداً ، وطلبَ منّي أن أكونَ مُريداً له ، فلاطفته بالأقوال ؛ وألَنْتُ له الكلام ، لِكَيْ أسارقه تَدْرِيجاً ، فأقَرَّني آخِراً أنه لا يعلم قواعد النقشبنديين وأصولهم ، وآلَ أمرُهُ إلى أن يَرْجع إلى العتبة العليّة ،

صاحب المعارف السنية ، سيّدي الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي ، قدس سره ووَعَدَني بذلك ، والله يَعْلَمُ حقيقة ما سيقع في حَقّه ، غفر الله له ولنا ، وسامحنا وإيّاه ، بجاه نبيّه عليه أفضل الصلوات ، وأزكى التحيّات ، آمين . فكم وكم مَرّاتٍ طَرَّدُوا الناس عن أبواب الصادقين ! وكم وكم بليّة أفشَوْا في هذا الورى في حق هذا الدين السليم ! خوْفاً من سقوط منزلتهم عند الناس ، فوالله إنّهم ألْفَوْا أمثالهم المتقدمين المتشيّخين مُكبّين على هذه المفاسد ، ظانّين أنهم هادُونَ مهتدون ، وهم الآن على آثارهم مُقْتدُون ، يعتقدون أنهم إلى ربّهم يرشدون . كلاّ وكلاّ ! بل إنهم ليَصُدّونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون ، عافاهم الله أنّى يؤفكون . وزعم بعضهم أنهم من السادات القادريّة ، لمّا عجزوا عن فهم اصْطلاحات السادات النقشبنديّة ، ويفعلون أمُوراً لم يرد بها نصٌّ ولا حديث ، حاشا عن صدورها من السادات ، وما ذلك إلاّ لمجرّد جَلْبِ ما عند الناس من هذه الفانية ، ولا يَدْرُونَ أنّ ذلك أشدّ من قبضة النار ، وخرَط القتاد دونه ، ويُكثِّرون بهذه التمويهاتِ سَوادَهم ، ويزعمون أنهم على شيء ، وأنهم إلى الله راشدون . وزعم بَعْضهم أنهم أويسيّون ؛ لمّا عجزوا عن الجواب إذا سُئلوا ؛ من أين أخذوا الطريقة ، وإلى أيّ شيخ انتسبُوا ؟ مع أنهم لا يدرون معنى الأويسيّة ، وكيف التلقّي مع الروحانيّة ، وبأيّ شيء صَدَّرُوا طريقتَهم من الروحانيّة ! فما مَبْدَأ طريقتهم وما منتهاها ؟ ! ومتى يستحق للإذن والتصرُّف ؟ وما اصطلاح الروحانيّين في تلقينهم الطريقة ، ولازَمَ أن يكون التلقين مُرْتَبِطاً بالنبيّ ﷺ ؟ فإن كنت في شكٍّ ممّا قلناه ، فاسألْهم عن هذه الأشيآء ، وجَرِّبْهم ليطمئنّ قلبك بمَعْرفة ما عندهم ، فلعلّهم لا يدرون عن أيّ شيء يجيبون ، بل إنهم لا يكادون يفقهون قولاً ، وهم عن أمر ربّهم مُعْرضون ، وإنهم في رَيْبهم يتردّدون ، وبالمَجْهُول يعملون ،

وفي غفلتهم يَعْمهون ، وعن دخول الناس في طريق الله يطردون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وورد إليَّ من طرف أخينا[1] في الله العالم الربانيّ ، الأمير سيف الله الحسينيّ الغازي الغموقي النقشبندي رحمه الله مكتوبٌ ، ومن جملته هذه العبارات : **ثم اعلم** يا أخي في الدين ، ومُوَاخِي في طلب اليقين ، أوصيكم عن المخالطة مع هذه الطائفة - يعني المتشيّخين بنفوسهم بالدعوى - وأحَذّركم منهم ، لما أنّ أكثر الفتنة في هذا الزمان في الدين والدنيا منهم ، وثَلْمَةُ الإسلام بهم ، والجهلاء يتمايلون معهم تمايل الغصن ، والنفس أمَّارة لا تتبع إلاّ المنكر المخالف للدين ، وإيّاك والمجادلة معهم ، والاستماع لخزَعْبلاتهم ، والوثوق لأحد في حقهم ، والقرب معهم ، والنصيحة لهم ؛ فإنهم لا يُطيعُون لأحد ولو أوحي إليهم من ربّهم ، إلى آخر ما قاله قدس سره ، وقوله هذا حقٌّ صادق وجرَّبناه مراراً فوجدنا الأمر[2] كما قال ، جزاه الله عنا خَيْراً آمين .

فقد نصَحَ واحدٌ لِواحدٍ منهم[3] ، فكاد أن يَمُوتَ غَيْظاً ، وأخبرني أبْعاضٌ من الناس أنّه قال : إنّ خِنْزِيراً خَيْرٌ من ذلك الناصح . وبعد ذلك أرسل إليه مكتوباً مَشْحُوناً بالقذف والبهتان عليه وعلى شيخه ، وأوّل ما كان فيه هذه العبارات : إلى الحبشيَّيْنِ الأسْوَدَيْنِ ، والجَسوسَين الأسْحَرَيْنِ فلان وفلان إلخ وقال فيه مخاطباً له : الحمار الأسْوَد .

---

(١) (أخينا في الله) إنما قال المؤلف ذلك لأنّ الكتاب كان مؤلفاً قبل دخوله في تربيته ، ولذا لم يقل من طرف شيخنا ، فافهم . (منه قدس سره العزيز ونفعنا بتربيته ، آمين) .

(٢) أي : وجدناهم لا يطيعون لأحد ، ولا يقبلون النصيحة . . إلخ ، والحكمة في ذلك : أن النزول عما يتلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جداً ؛ حقاً كان أو باطلاً ، كما قال به أبو طالب القزويني في « سراج العقول » ونقله الشعراني في « اليواقيت » راجع « تنوير الصدر » في ٣٧ من هامش « مجموعة الأحزاب » (منه) .

(٣) أي من أهل الدعوى .

وبعد ذلك كتب مريده إليه مكتوباً آخر ، قائلاً في حقه بقطب أقطاب الشياطين ، والكلبة الحَبَشيّة واه واه .

وأخبرني بعض العلماء ؛ ممّن أثِقُ به ، أنّ واحداً من مريديه حَلَفَ بطلاق زَوْجَته طلاقاً بائناً ، بأن ما يَفْعَلُهُ شيْخُ ذلك الناصح ، من تلقين أذكار الطريقة النقشبندية مما لا يجوز .

وهكذا كان واحدٌ مُريداً لمتشيخ ، وكان من العلماء العارفين ، وكان مأذوناً لتلقين الذكر منه ، ثم أدركه اللطف الإلهي ، وعرف حقيقة ما يفعله[1] ، بل تيقَّن أنّ الحق ليس إلاّ بيد شيخنا العسلي ، فدخل في عهده وأخذ منه ، وترك منصب شَيْخُوخَتِه ، وبَعْدَ ما عرف حقيقته مُريدٌ آخر الذي كان في دائرة ذلك المتشيخ مثله قَصَدَ لِقتال ذلك العالم ، وحسده حسداً بَليغاً ، وهجر منه ، وهكذا كان واحدٌ من أهل الدعوى قال لذلك العالم المذكور : افعل كذا وكذا وِرْداً ، واقرأ سورة الإخلاص كذا وكذا مرة ، من غير أن يطلب منه ، لكنْ لم يكن يفعل ما أمره به ، لعلمه بعدم كونه شيخاً ، بَيْدَ أنّ ذلك المتشيخ ظنّ أنه في عهده ، وأنه ممتثل أمره .

ثم إذا علم دخوله في عهد شيخنا تكلّم ذلك المتشيّخ خلف ذلك العالم بكلام جافٍّ توبيخاً له وعتاباً في مجمع من الناس ، وبعد ذلك أرسل إليه مكتوباً بأنّ ذلك العالم صار من المجرمين ، يعني لأجل دُخُوله في الطريقة النقشبنديّة .

وقد رأيْتُ ذلك المكتوب بعَيْنَيْ رأسي ، وسلّمته إلى أيدي العلماء الربانيين ، فتعجَّبُوا به وبكاتبه ، وحكموا بالنظر إلى جميع ما فيه من الكلمات التي كالأعاجيب ، بأنْ ليس ذلك الكاتب من أهل الذوق والوُجْدانِ ، غفرالله لنا وله آمين .

---

(١) من أنه ليس بطريقة مّا من الطرق انتهى .

وأيضاً إني رأيت مكتوباً كتبه واحد منهم بخطه ، ليدور في القرى بما حاصله : أن الذكر الخفي لا يثاب عليه فاحذروا من الاغترار بأهله ، وكان الكاتب يزعم أن له من طرف القادرية إذناً ، فلعله أراد أن يتوجه إليه الناس مدبرين إلى أرباب الذكر القلبي ، ولا يخفى أنْ ليس هذه من أحوال أهل الطريق ، وأخلاق أرباب التحقيق ، عصمنا الله تعالى من أمثالها بمنّه وكرمه .

وأمّا أحْوالُ مريدي تلكم المتشيّخين ! فهم غَضْبانٌ على مَنْ سِواهُمْ من مريدي شيخ آخر ولو كان حقاً ، ويتكلّمونَ خلفهم بالغيبة ، ويحطّون فيهم بالنقص والقصور ، ويَجْعَلُونَ بينهم الغَوْغاء والشحناء ، فجميع هذه المفاسد مُتَرشّحَةٌ من عدم كيْنُونة تلكم المشائخ على الحق والاستقامة ، ومن تضييعهم أصُول مشائخ الطريقة ، ولو كانوا مشائخ لما دَخَلُوا في ناحية فيها شَيْخٌ سابِقٌ ! ولما جَعَلُوا فيها ولو واحداً من المريدين ! فإن تعدُّد التلقين في بلدة خلاف الأصول في كل الطرق ، كما يعلم ذلك مما يأتي آنفاً .

الباب الخامس عشر

في بيان عدم جواز الإرشاد في بلدة مثلاً إلا للشيخ السابق

قال الشيخ سليمان الزهدي : ومن وصية مولانا خالد قدس سره للخلفآء المأمورين بالإرشاد على شروطه : أن لا يستقلّ المأموران على التلقين والإرشاد في بلدة واحدة ؛ إلا أن تكون البلدة في حكم بَلْدَتَيْنِ ! مثل إسلامبول ، أو يكون اللاحق يتبع السابق ! فلا بأس به ، فلما أجاز لي الشيخ إسماعيل أفندي في ثمان وستين ، في البروسة ، أراد الحقير[1] الحرمين الشريفين ، فاستأذنت منه ، قال لي : كيف مرادك ؟ قلت : إنما

(١) أي أن يذهب إلى . انتهى .

مرادي التردُّد والزيارة بين الحرمين حتى أموت ، فقال لي : لو غير الحرمين[1] ما رضيت لك الخروج من بروسة ، ثم قال للحقير : فاستقم بأمر الإرشاد في المدينة المنورة ، عسى الله أن يفتح لك في ذلك الخير والثبات ، بجاه الرسول ﷺ ، فإنا ما سمعنا ثبات خليفة فيها إلى الآن ، وأمّا في مكة المكرمة ، مَا يَصْلُحُ لك غير اتباع قَائِم مقام الشيخ عبد الله أفندي ، ثم أذن لي السلوك عند سيدي الشيخ سليمان أفندي ، والصُحْبَةَ معه ، ما دُمْتُ فيها ، ويسَّر الله لنا السلوك في يده .

وفي أواخر السلوك قال للحقير : رأيت البارحة شاه نقشبند ، ومولانا خالد قدس سرهما ، جالسان في هذا المحلّ ؛ كأنيّ أدخل عليهما من باب الصُفّة ، قال لي مولانا خالد : أرسل سليمان ، أرسل سليمان ، فإذاً رأيت بلدة فيها مسجد كبير جداً ، وفي جهة قبلته حمام ، وقال : فانتبهت ولكن اشتبه البلدة التي رأيتها ، وقال الحقير : خير إن شآء الله تعالى .

وفي سنة تسع وستين بعد الحج ؛ أراد الحقير المدينة المنورة ، فاستأذنت منه إليها ، وقال لي : فاشتغل بأمر الطريقة فيها ، ولم يكن من خلفاء الخالدية أحَدٌ فيها ، والذي اشتبه عليّ في الرؤيا هي المدينة المنورة ، في أمْر حضرة مولانا ، واعتذرت عن حالي ، وعدم لِيَاقَتِي عند سيد الكونين ﷺ ، ودعا لي ، وأوصى ببعض الأشيآء إليَّ ؛ وعبد الحميد أفندي الداغستاني معنا في السفر ، وهو مأذون منه ، فلما دخلنا المدينة اشتغلت بالختم والتوجّهات ، قَدْرَ ما يسّر الله عزّ وجلّ ، وكذلك عبد الحميد أفندي ، اشتغل بهما ، وكتب لسيدي الشيخ تشكراً عن حاله ، فكتب له الجواب : إني قد أمرت ذلك لسليمان أفندي فيها ، وتعدُّد التلقين ، والحلقة في بلدة واحدة خلاف أصول الخالديّة ؛ ما

(١) أي لو كنت تقصد غير الحرمين . فافهم (منه) والله اعلم .

دمتَ فيها فاتبع لسليمان أفندي ! وبعد ما وصل له الجواب ، جاء عند الحقير وأخبرني القصة ، واعتذر مني ، وداوم هو ومن معه في الحلقة عندي .

وفي حج سنة أربع وسبعين ، أمرني سيدي الشيخ في مكة المكرمة بأن يكون الحقير عنده فيها ، وقال لي : اكتب لعبد الحميد أفندي أن يشتغل في مقامك في المدينة المنورة ، وكتب الحقير له بذلك ، حماه الله تعالى وإيانا والمسلمين آمين .

وفي سنة أربع وسبعين جاء سيدي الشيخ سليمان لزيارة سيد الكائنات ، عليه أفضل التحيَّات ، وعلى آله الطيبات ، فَسُئِلَ عن الحقير عن جمعيّتنا وجماعتنا ، فَأَخْبَرْتُهُ ، وقلت : إذا وجد الماء بطل التيمّم ؛ أنا والجماعة لكم ، وعلى نظركم ، فقال : سمعت الشيخ عبد الله ، عن مولانا خالد قدس سره قال : لو أرسلت خليفة إلى بلدة ، وأَمَرْتُهُ بالإرشاد فيها ، ولو دخلت فيها لحاجة ، لا[1] استقلّ بإرشاد فيها لأجل خليفتي ، الذي أرسلته أولاً ثم قال : فاستقم كالأول بالختم والتوجهات في الأوقات التي اخترتَها ، والإخوان الذين معنا كلهم يحضرون الختم والتوجُّهات في المحلِّ الذي عينتَه ، وأنا عاجز عن مجيء ذلك المحل ، وبعد صلاة العصر كلكم تعالوا عندنا في البيت ، يكون الختم الخواجكان كما في مكة المكرمة ، وعادتنا في المدينة المنورة بين العشائين ، عند باب المجيدي ، في مكتب الصبيان ، على شروطه ، وسمع الحقير من الشيخ محمد بن الشيخ محمد خاني قائم مقام حضرة مولانا قدس سره ، في موسم الحج ، قال[2] في حياة الوالد رحمه الله تعالى جاء واحد من خلفاء الأكراد إلى الشام ، وباشر أمر الطريقة بالختم والتوجّهات ،

---

(١) وفي نسخة : لما .

(٢) وفي نسخة : جاء .

والوالد ساكت عنه وهو يطيل لسانه على الوالد قال الوالد يوما : فجّعنى أمر الرجل ، فصلّيْتُ البارحة لله عزّ وجلّ ، واسْتَمْدَدْتُ من روحانية الحضرة[1] ، وقلت : عدم التعدد من أصول طريقتك ، عليك محافظة الأصول ، وعلى الله أمر الرجل الذي يخالف أصولنا ، فإذاً ما بقي عشرة أيام ؛ إلا توفّي الرجل ، وتفرَّق أمره ، ونظير ذلك كثير في مكة المكرمة ، من مشائخ الحجاج ، ومن المتشيّخين المجاورين ، الذين لا يعرفون أصول طريقتهم[2] ، وهم خارجون من الطريقة بتلك المخالفة ، بل معدودون من المبعودين ، ولكن الحقير ما يقول فيهم إلا مثل قول سيدنا إبراهيم عليه السلام : فمن تبعنا فإنه منا ، ومن يخالف أصولنا فإنك غفور رحيم ، وبإصلاحهم قدير وجدير ، ربنا هب لنا من لدنك رحمةً ، وهيّىء لنا من أمرنا رشداً ، وهذا الأصل من مولانا خالد قدس سره ، بل هو أصل في كل الطرق مُشارٌ بقوله ﷺ ، عن أبي هريرة : « ما بعث الله من نبيّ ، ولا استخلفه خليفة ، إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه » ، والمعصوم من عصمه الله .

الخليفة : تشمل الأمرآء بالشرع الشريف ، في كل بلدة ، ولا يصلح تعددهم إلا بالتبع ،

وتشمل الأمنآء بأسرار الحقيقة ، من كل الطرق ، وكذلك لا يصلح تعددهم في بلدة ، إلا بما كان منصوصا ، كما ذكر . انتهى كلام الزهدي من هامش « نهجة السالكين » ٣ .

وفي « مجموعة الرسائل » في ١٠٧ لسليمان الزهدي ، رحمه

---

(١) أي خالد شاه .

(٢) وفي « إظهار الحق » وكان إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : لا ينبغى للفقير أن ينتسب إلى واحد من مشائخ الفرق كالقادرية والرفاعية والبسطامية والادهمية والسهروردية وغيرهم إلا إن مشى على قواعدهم ، فإن لم يمش على قواعدهم فأوّل من يتبرأ منه شيخه الذى انتسب إليه .اهى . (منه رحم الله إفلاسه) .

الله تعالى أيضاً . بسم الله الرحمن الرحيم : وسئل هكذا : ما قولكم دام علاكم يا سادتنا مشائخ النقشبندية الخالدية ؛ فيما إذا اجتمع الخلفآء المأذونون من المشائخ الخالدية في مكان واحد ، كما في بلدة واحدة ، كل واحد منهم في محلّ قريب بعضهم لبعض ، واتّفقوا وتراضوا على أن يلقِّنوا الطالبين بالذكر المعهود عندهم ويسلكوهم ، وحصل منهم اجتماع الرأي من غير عداوة كلٍّ[1] على حِدَّته ، فهل ذلك مَرْضِيٌّ عند ساداتنا الخالدية أو لا ؟ كما هو مذكور في رسائلهم أنهم لا يجيزون تلقين المريد إلاَّ للسابق ، ويكون اللاحق تابعاً له ؟ أفيدونا أثابكم الله ، ثم إنهم بعد ما كثروا نحو المأتين أو أكثر ، اتّفق رأيهم على أن يشتغلوا ختم خَوَاجَكَان في مكان واحد ، في وقت واحد ، وجعلوا حلقتين أو أكثر ، في كل حلقة واحدٌ من الخلفآء يُرَتبهم بذلك الختم ، فصار كلّ حلقة يختم ؛ لأنهم لو اجتمعوا في حلقة واحدة فلا يكفيهم الأحجار المعهودة ، فلا يقرأ الختم أكثرهم ، فهل يجوز ذلك أم لا ؟ أفيدونا ، وبيِّنوا لنا بالنصّ من الأصول ، أثابكم الله ثواباً جزيلاً .

أجاب بقوله : بعد الحمد لوليّه ، الجواب كما هو المذكور بعدم الجواز ، فإن في عصر مولان خالد قدس سره ، اجتمع خلفاءه في السليمانية في بلدته ، وقدم عليهم الشيخ عثمان الطويل ، وكذا في البغداد ، قدم عليهم الشيخ عُبَيْدُ الله الحيدري ، **وكلهم تابعون للمقدم عليهم في التلقين والتقديم ، على حسب العادة** .

وبعد انتقال مولانا خالد قدس سره جرى الأمر كما في السابق ، بوصيّة لهم ، وبأمره بذلك لخلفآئه وخلفآء خلفائه المأمورين بالإرشاد . وأما المتشيّخون فقائمون بنقض الأصول ـ أصلحهم الله ـ وما دلّ على هذه الأصول أيضاً .

---

(١) وفي نسخة : من غير عداوة ، كلٌّ على حدته .

حكاية سيدى الشيخ سليمان في امتحان السيد الشيخ عبد الله ، واختباره لخصوص بعض خلفائه ، وذلك أنه جمع الشيخ سالم والشيخ إسماعيل في حضوره ، وقال لهما : إني جعلت سليمان هذا قائم مقامي بعد وفاتي في أمر الإرشاد ، كل مَنْ يريد الانتساب للطريقة من جماعتكم تأتي به إلى سليمان ، وإن أبى أحد منكم ، لكونه التركي ، أجزت لكما بالتلقين للذي أبى ، كيلا يكون محروماً ، وقالا في جوابه : أنت شيخنا لا نخالفك[1] في ذرّة من أمر الطريقة ، وإذا أتى عليك أمر الله ، والقائم مقامك ، هو شيخنا مثلك لا نخالف أمرَه وأمرَ طريقتنا أبداً . فتشكّر الشيخ بما قالوهُ ودعا لهم بالثبات في رضاء الله تعالى .

وجرى عين القضيّة من سيدي الشيخ سليمان لمحمد أفندي قريمي خليفته ووكيله في حياته .

وكتب الشيخ أسرى لسيدي الشيخ سليمان إلى الطائف : طائفة من الحجاج يريدون الانتساب ويَرْجون أن تأمر لوكيلكم أن يلقِّن الذكر لهم . وأجاب : إن تيسّر لهم الطلوع إلى الطائف فنعم ، فإن لم يتيسَّر فيأخذونها من خلفآء بلادهم ، فكلّنا واحد ، فلا يمكن بالوكيل[2] .

والشيخ إسماعيل أرسل الواحد من جماعته للانتساب ، والواحد لتقرير إجازته السابقة إلى الطائف ، وهذا الذي جرى من سَلَفِنَا ، فمن أراد الاتباع فنعم الغنيمة . وظهر مما ذكر أن الاتفاق والتراضي مخالفة

---

(١) أي : لا نخالفك بترك أمره فإن مخالفته مخالفتك ، والله أعلم .

(٢) وقد طلب واحد من الإمام الرباني قدس سره الإجازة من جانبه قائلاً إنّ لنا إجازات من مشائخ السلاسل الآخر ونريد من جانب النقشبندية أيضاً إجازة ، فكتب في جوابه هذه العبارات : أيها المخدوم المكرم إنّ المشيخة والمريدية في الطريقة النقشبندية العلية بتعليم الطريقة وتعلّمها لا بالكلآء والشجرة كما هو متعارف في سلاسل أُخر . وطريق هؤلآء الأكابر صحبة وتربيتهم انعكاسية إلى آخره ، والمرجو مسامحتكم ؛ والعذر عند كرام الناس مقبول والسلام انتهى .كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٨ من الجزء الثاني (منه) .

للأصول والسلف ، وأمّا تعدد الحلقة لتعدد الختم خواجكان ! فلم يكن في زمان مولانا قدس سره ولا بعده ، مع كثرة الجماعة ، فأصل المقصود حضورهم في الحلقة ، إن جآء من تقسيم الحجر يقرأ بقدره ، وإلا فيجلس بالوقوف ! ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وأتمم لنا نورنا ، وثبتنا في رضاك أمين ، وأنا المسكين المستهام ، سليمان الخالدي النقشبندي ، المجاور ببلد الله الأمين ، قد حرّر بسال خذ انتهى في ١٠٦ .

وفيه أيضاً في ١٠٦ في أثناء مكتوب : ومن جملة آداب طريقتنا ، أن الإخوان الذين أنابوا من المأمور بالإرشاد بيد صحيحة ، ويلازمون بالعهود والشروط كلهم كجسم واحد ، وحلقتهم واحدة ، ولا يمنع أحد عن الحلقة على شروطها وآدابها إلا جماعة المتشيّخين برأيهم ، أو المطرودين بسبب ترك أصول الطريقة العليّة ؛ فإنّهم ناقضون العهود ، ومغيّرون الشروط ، والصيانة عنهم لازم لأهل الاستقامة . انتهى .

وفيه أيضاً فى ١٠٠ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أوجب التحابب لعقود الأخوّة ولو بِمُرَاسَلَةِ الكتاب ، والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي أوعد على من كتم جواب سائل بلجام العتاب ، وعلى آله المقدّسين عن زيغ المتشابهات بتمسُّك محكم الكتاب ، وباتباع فصل الخطاب .

أسئلة مهمات وأجوبة مرضيات

أما بعد : فهذه أسئلة وردت من بعض خلفاء الخالدية هكذا ؛ ما قولكم دام علاكم في شخص باشر الاشتغال بإجرآء الطريقة الخالدية ، وانتسبَ منه جماعة وأدخلهم ربع السلوك الأربعينيّة ، وبعد فراغهم أجاز لبعض منهم ، وأدخل الناس على يده في السلوك ، فهل يكون

المجاز له بمجرّد ما ذكر مرشداً كاملاً ؟ و[1] تصح خلافته ؟ و[2] مضى مثله ما بين معاشر السادات النقشبندية ؟ وكذا ، هل يكون المريد من غير سلوك الأربعينية أو نصفها أو رُبُعِها مريداً كاملاً لائقاً للخلافة وإعطائه الخلافة ؟ و[3] جرى مثله في إجرآء أصول الطريقة المزبورة ؟ وكذا الفتى إذا لم يبلغ عمره الحلم ، هل يجوز تلقينه الطريقة والإذن له للخلافة ؟ وكذا ، هل يجوز للخلفآء الخالديّة إظهار أورادهم المعهودة ،

---

(١) أي هل .

(٢) أي هل .

(٣) أي هل .

* فإن قيل نحن نجد في قول بعض العارفين رحم الله تعالى ؛ من لم يدر بنظرة من المريد ابتداءه وانتهاءه فليس له سبيل للمشيخة . . . الخ . ومن المعلوم أن الناقص المأذون لا يكون له تلك النظرة فما ذا يجب عليه ، فاعلم أن الناقص يستخير من أرواح السادات الأعيان فإذا ظهر له علامة القبول وانشرح الصدر يلقن المريد وإلا فلا . ويؤيّده ما قال الإمام الرباني مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين . . .الخ . ينبغى تعليمهم الطريق بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا وإلا فالضرر راجع إليهم لا إليكم . وقال أيضاً في موضع آخر إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّا من كان مناسب بل لازم انتهى . راجع الدرر في ١٤٧ من ٣ والبهجة من ٣٨ .

وقد قال بعض العارفين في رسالته : أن هذا القول وأمثاله وإن كان حقاً لكن على سبيل الفراسة الظنية الأغلبية وإلا فلا يطلع على حقيقة العاقبة إلا الله سبحانه ومن شاء من عباده . كيف لا وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد القبول التام لبعض الوافدين لديه مؤمنين ثم بعد ذلك ارتدوا على أدبارهم . انتهى . وقال في بعض رسائله أيضاً : ولكل وقت أهل يليق له هؤلاء السادات القادات أرباب القلوب والمشاهدات وهم جواسيس القلوب ومن فتحت بصائرهم من الغيوب كان لهم ملكة لتمييز الصلحاء من الطلحاء وتفريق الأصفياء من الأخبثأء ، ومن أين لنا ذلك التصرف في هذا الزمان الذى اختفى الأولياء الكمل عن الأبصار وغابت الأخيار بشؤم الأشرار . فإنما نحن على سبيل التطفل أو الوكالة نلقن الحاضرين امتثالاً لأمر مشائخنا فقط ، ونرجوا الله تعالى أن يوفقنا للسداد ويجعلنا أهلاً للإرشاد إنه ولي التقوى ومولى القوي . ولقد ارتدّ ممن آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قبلهم ، وكذا من أتباع السادات من رجع إلى العصيان قهقرى . فليس عليك أيها الأخ أن يكون جميع المريدين صلحاء أتقياء ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ فعليك الاجتهاد في إصلاح أحوالكم وأحوال المريدين ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ انتهى .

كالتوجُّهات والختم خواجَكان ، بَيْنَ أعْيُنِ الناس ومواضع اجتماعهم ؛ كالأسواق وما أشبهها ، أم يكونون بفعلهم ذلك تاركين أصول الخالدية وآدابها ؟ أفيدونا بالجواب في هذه الأسئلة ؛ لأن تكون للغافل تذكرة ولكم الثواب .

الحمد لله رب العالمين ، رب زدني يقيناً وألحقني بالصالحين ، وبعد : فإن هذه الأسئلة لا تقتضي الجواب لمن كان له في أصول الخالديّة ممارسة واطلاع في كتبهم ورسائلهم ، ولكنّ الحقير يجيب بحَوْل الله لمن لا اطلاع له بذلك ، وليكون نصيحة للمبتلى به .

اعلم أن جواب هذه الأسئلة يوجب معرفة الخلفآء المأمورين بالإرشاد ومقامهم ، وآداب مسلكهم ، فالخليفة إما أن يكون قائماً مقامَ شيخه ، بأمره له وبوصيّته إليه ، وهو كشيخه في مقامه وحالاته كلها ، فلا يجوز تخلُّف الخلفآء والمريدين[1] عنه أبداً ؛ بل يتبعون القائم مقام الشيخ هلُمّ جرّاً ، أو باتفاق آراء الخلفآء والمريدين على واحد منهم ، فيقيمونه مقام الشيخ كذلك بشرط الصلاح بتكميل المقامات المعروفة عندهم ، وإما أن يكون مأموراً بالإرشاد من شيخه لبلدة مخصوصة ، أو ما تيسّر له الإرشاد من البُلدان أو الناحية ، بشرط أن لا يوجد غيره مأموراً بالإرشاد قبله في ذلك ، فإذا وجد غيره ! يتبع له ويلازم في حلقته ؛ فإن المقصود الاستقامة لله فهى حاصلة بالاتباع فانهم كجسد واحد ، فإذا استعمله السابق في الحلقة فهو بنظره ، كما بيناه في هامش « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » ، رواية عن مشائخنا ؛ فإنّ تعدّد المأمور في بلدة واحدة ممنوع إلا ما استثناه مولانا خالد قدس سره وهو إسلامبول ، فهو ثلث قطعة حاجزها البحر . وإما مأذوناً لنفسه ؛ فهو لا يصلح للخلافة ، بل المأمول منه الاستقامة بالاتباع على كلّ حال ، فلو

---

(١) وفي نسخة : والمأمورين .

استعمله مرشده في الحلقة فهو لمصلحة الاستقامة له ، فأصل الأربعين في الطريقة من آدابها ، ولكن لا يستكمل النفس ، ولا تتم التربية في زماننا إلا بالأربعينيّات بشروطها وآدابها ، وأما استحقاق الخلافة بأربعين واحد للمبتدىء ! ما سمعناه من مشائخنا ، ولا رأيناه ، فلا يحصل في هذا الزمان أصلاً ، فلا يغرّ قصة العزيزان ! فإن ذلك خارق للعادة ، فلا يجوز طلبها . وروي أن العزيز ما طاق بما استحمله من الأحوال ، فتوفي في ظرف أربعين يوماً ، وكذلك استكمال حضرة مولانا خالد قدس سره فإنه من جهة علومه العقلية والنقلية ! إمام زمانه ، وفريد عصره ، وفائق أقرانه ، ومن جهة طريقته ! كان قادرياً مأموراً بالإرشاد ، ولكن ما نال أحوال النقشبندية ، ثم دخل فيها وحاز الإكمال بعد التكميل والقطبية ، وتمهيد الأصول بالتجديد ، ببيان مشايخه له قدس سرهما ، وذلك في سنة واحدة وأربعين مُتَعَدِّدٍ ، فلا يقاس عليه غيره . وقال قدس سره : ملكتُ نصفَ مريد في عمري . أراد به الشيخ إسماعيل ، القائم مقامه .

والحقير أمْعَنَ أحوال المريدين في المدينة المنورة ومكة المكرمة أربعاً وعشرين سنة ، فلم يجد أحداً من الصلحآء يستحق الخلافة في عشرة أربعينيّات ، إلا نادراً .

والحال أن أربعيناً واحداً في مكة المكرمة ، يعدل مائة ألف أربعينيّات في غيرها ، كما ورد في مضاعفات الحسنات فيها ، بل بعض الخلفاء يجيء عندنا ويدخل الأربعين فلم يتحقّق له أحوال حقيقة القلب فيه ، فكيف الاستحقاق للخلافة ؟ قال سيدي الشيخ سليمان قدس سره : إن السيد الشيخ عبد الله قدس سره أجاز لبعض من لم يستكمل المقامات بقاعدة : خير الناس من ينفع الناس[1] . وكذا جرى

---

(١) ومن هاهنا يعلم بطلان ما يفعله البعض من إعطاء الإجازة للمريد وقت تلقين الذكر من غير مهلة وتراخ ، مع عدم استكماله المقامات وعدم وصوله الى درجة « مع أن الشيخية=

مني لبعض المريدين ، ولكن ما رأيت منهم خيراً ، بل جرى منهم الضرر على الطريقة وعلى أهلها ، ثم قال للحقير : لا تعط الإجازة لمن لا يستحقّها .

نعم أمر مولانا خالد قدس سره بختم خواجكان فقط لخمسة نفر اجتمعوا من المريدين يباشر أحدهم ، وما دونهم مخيّرون في الفعل والترك ، ونهى قدس سره عن تلقين الطريقة للأمرد الصبيح ، وإذا لم يكن الأمرد صبيحاً رخص تلقين الذكر له ، وأما الإرشاد منه إذا استكمل العلوم العقلية والنقلية ، وحاز المقامات والخلافة بشرائطه ، فلا بأس بالإرشاد ، ولكن لم يسبق مثله في السلسلة النقشبندية فافهم ، ولا تك كحمّاق الزمان .

وكذا منع قدس سره الجهال عن الإرشاد ، ولو استكمل المقامات ، فهي لنفسه .

وأما إظهار الأحوال للأجانب لا يجوز عند الخالدية ، فكان اشتغالهم في محلهم مسدوداً بالباب ، ومستوراً عن نظر الناس ، كما هو المشهور عندهم ، ومن خالف أصول ساداتنا الخالدية ؛ وتخلَّف عن المأمور بالإرشاد منهم ، وترك آدابهم ، فهو ناقض عهده عنهم ، وخارج عن بيعتهم ، ومطرودٌ عن طريقتهم ، وبذلك كان مقطوعاً عن فيوضاتهم ، ومحروماً من بركاتهم ، وإذا عمل المشيخة مع هذه الحالة المهلكة والتخلُّف فهو متشيّخ ؛ زيِّن له الرسم والصورة كسراب بقيعَة ، أو كشجرة اجتثت في الأرض ما لها من قرار ، وهو قطاع الطريق على

=والمريدية بتعليم وتعلم في هذا الطريق » من دراجات الولاية ويردّه أيضاً ما ذكره الإمام الرباني في « رسالة المبدأوالمعاد » من أن بعض الكملاء يجيز بتعليم الطريقة لمريد فيه استعداد درجة واحدة من دراجات الولاية بعد حصول تلك الدرجة ، إلى آخر ما قاله فيها وراجعه في ٩٣ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الثاني (منه رحم الله إفلاسه) .

طالب الحق ، وضل سعيه ، وأضلّ تابعيه ، فيجب للخلفآء المأمورين بالإرشاد صيانة مريد الحق عنهم ، وحماية الحلقة عن جماعتهم ، كي لا يسري شناعة الطرد للمخلصين ، وشيْنهم للمريدين ، فإن المتشيّخين المتشبهين كثر في زماننا ؛ حتى في مكة المكرمة ، فإن سيدي الشيخ سليمان قدس سره منع المخلصين عمّن أسآء الأدب ، وكان من المطرودين عن طريقتنا بتخلّف قائم مقام شيخه ، ومخالفتِهِ الأصول ، وكذا مَنَعهم الحقير عن صحبة من اتبع بإساءةٍ ، وهم المتشيّخون في مكة المكرمة ، والمطرودون عن طريقتنا بسبب التخلُّف ، والمضلّون على طالب الحق ، ولكن المعصوم من عصمه الله تعالى . عصمنا الله عزّ وجلّ والمخلصين عن كيد المتشبّهين المشتبهين ، ومكر المتشيّخين المرتسمين ، بفضله العميم ، آمين . وعلم الجواب ممّا ذكر ، أن المذكورين في السؤال والحال ما ذكر فيه ؛ إن هم إلاّ من المتشيّخين ، ومن أصحاب المرتسمين الخارجين عن طريقة الخالديّة المجدديّة الضيائيّة ، بهذه الحالة المهلكة ، والرسوم الملجئة إلى تهاون الأصول ، بسدِّ المسالك عن أهل الوصول ، الناجي المحفوف تحت قباب الله عزّ وجلّ ، فيجب عليهم التوبة ، والرجوع عن إجرآء الرسوم المذكورة ، بتحديد الانتساب من المأمور بالإرشاد بيدٍ صحيحة في زمانهم ؛ لصلاحهم وفلاحهم ، بتكميل المراتب والمقامات ، والاستقامة على الأصول المعهودة ، هذا والحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين والتابعين الفالحين ، آمين .

قد بيّض في ذي الحجة رضوع[1] وأنا المسكين المستهام ، سليمان الزهدي الخالدي المجددي النقشبندي ، ابن حسن عفاً الله عنهما وعن المؤمنين المجاور ببلد الله الحرام . انتهى .

---

(١) أي معناها ١٠٧٦ وفي نسخة : رصوغ .

وفيه في ٩٥ أيضاً : هذه حادثة الحال لبعض الخلفآء ، من ترك أمر الإرشاد في بلدة بلا عذر ، واستقام غيره فيها به سنِينَ ، حين ترك الأول ، أفيدُونا كيف الحال ؟

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لوليّه ، والسلام على نبيّه ، وعلى آله ، وبعد : ربِّ زِدْني علماً ، وهيّيء لنا من أمرنا رشداً .

نعم ، والحال ما ذكر ، فإن ترك المأموريّة من غير عذر ، مع وجود الطالب نقض العهد ، وتخلّف البيعة ، وهو مسقط السابقيّة ، بل مسقط المأموريّة بالإرشاد ، فليتدارك المبتلى إلى تحصيل مَنْزلته الأولى بالملازمة إلى المرشد المأمور به ، وإذا حصّل منزلته الأولى ، لم تحصل السابقية له ، فيتّبع لمن سبق عليه في حال فترته ، وذلك غنيمة له . . الخ . انتهى .

فبهذه المذكورات يُعْلم عدم جواز ما يفعله متشيِّخوا ديارنا الداغستانية من دورانهم في البلدان اللواتي فيها شيخ مأذون سابق ، وأخذهم فيها المريدين والمريدات ، فكلهم سببٌ لإيقاع الفتنة بين الناس ، ونقض نظامهم فيما بينهم ، وطردهم عن أبواب أهل الكمال والتكميل[١] ، ولو لم يكن فيما فعلوا إلا منع الناس عن أخذ الطريق الحق

---

(١) ومما يجب على الشيخ إذا طرأ على ناحية فيها شيخ مثله ، أن لا يَبُشّ وجهه لأحد فيها ولا يفعل شيئاً ماّ يميل إليه قلوب الناس ويصرف به اعتقادهم من شيخ تلك الناحية ، بل يحثهم إليه ويمدحه في وجوههم لكي يزيد اعتقادهم فيه ، وإنْ طلبوا منه الدعاء فلا يدعولهم أو التمسوا قضاء حاجة فلا يقضى لهم بل يدلهم على ذلك الشيخ ويوهمهم أنّ مقامه أعلى من مقامه وأنه أعرف طريق منه وأنّه كتلميذه ، هذا . ولا يجوز لشيخ أن يفسد مريداً على شيخه ولو بإقبال أو بشاشة أو ترحب إلا إن كان يعلم أنه أعرف من شيخ ذلك المريد بالطريق . فمن الأدب أن يقطب وجهه له وذلك حتى لا يقع له ميل إليه فيقع في الخيانة بين الفقراء ، فإنْ بشّ ذلك الشيخ وجهه لذلك المريد مقتا والعياذ بالله . راجع « المنن » في ٢٠٥ و« بحر المورود » في ٢٩٥ تجد المأخذ وراجع أيضاً تقريرات الشيخ الحاج تَشَوْ قدس سره (منه رحمه الله تعالى) .

عن الكاملين المكمّلين لكان الأمر عليهم سهلاً ، ولكن تلقينهم الذكر المختار في رأيهم خلاف ما ورد عن رسول الله ﷺ ووصل عنه إلى المشائخ ، معنعناً مسلسلاً ، لمجرّد جلب الناس إلى جوانبهم طمْعاً بما في أيديهم ، أو حبّاً لاشتهارهم بينهم ، فذا أشدّ وأبغض . وبذلك الذكر يهلك المنتسبون إليهم من حيث لا يشعرون ، ولا تحصل لهم النتيجة ، ولا يصلون ؛ بل يتعدّى إليهم جميع ما في بواطنهم من المذمومات ؛ لأن للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة ، ولا يتدبّرون فيما يترتّب على ما فعلوا ، بل يظنّون أنهم على إحيآء الطريقة قائمون ، وعلى انتشار الدين مجتهدون ، حاشا ذلك وكلا ، فَسَيَعْلَمُونَ أيّ منقلب ينقلبون .

الباب السادس عشر

في بيان أنّ أخذ الطريقة والذكر من المتشيّخ الغير المأذون يضرّ للآخذ والمأخوذ منه كليهما

قال في « تصديق المعارف » ، في سورة يوسف : ولو كان الشيخ والعياذ بالله غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمةً ، من غير أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ، ويسلب أوصافه الشريفة ؛ ويقدمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرّب . انتهى .

ونقل عن القشيري رضي الله عنه أنّه قال : إنّ الشيخ إذا لم يكن عارفاً بالسلوك وما يطرأ على المريد ، وأخذ الطريق من الكتب ، وقد يربِّي المريدين طلباً للمرتبة والرياسة ؛ فإنّه مهلك لمن تبعه ، فلابدّ أن

يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء ، وسياسة الملوك . انتهى . كذا في « رماح حزب الرحيم » راجعه في ١١١ج ١ .

وقال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » : وقد وقع أنّ الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرّة : قل لا إله إلا الله ، فقال عيسى عليه السلام : أقولها لا لقولك لا إله إلاّ الله . فرجع الشيطان خائباً .

وإنّما قال : لا لقولك ، لعلمه عليه السلام أنّ الشيطان ليس غرضه إلاّ أن يجهِّل الخلق الخواطر الربانيّة ، ويأخذوا منه . انتهى ومثله في « خزانة العلوم » فافهم منه وتدبّره .

وقال نجم العرفان الحافظ سيدي أحمد بن المبارك ، عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدبّاغ رزقنا الله تعالى من معارفهما نصيباً في « الإبريز » :

مهم

وسمعته رضي الله عنه يتكلم على أسمائه تعالى ، وعلى الذين يذكرونها في أورادهم ، فقال رضي الله عنه : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضَرَّتْهُمْ ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ فقال رضي الله عنه : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحقّ سبحانه وتعالى ، فإذا أردت أن تذكر الاسم ؛ فإن كان مع الاسم نوره وأنت تذكره لم يضرّه وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب العبد من الشيطان ، حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً ، وهو في حضرة الحق دائماً ، وإذا أراد أن يعطي إسماً من أسماء الله الحسنى لمريده ، أعطاه ذلك النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضرّه ، ثمّ إنّ النفع به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ؛ فإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها ، أو بنية إدراك

الآخرة ، أو بنية معرفة الله تعالى أدركها .

وأمّا إذا كان الشيخ الذي يُلقِّن الاسم محجوباً فإنّه يعطي مُرِيدَهُ مجرَّد الاسم من غير نور حاجب فيهلك المريد ، نسأل الله السلامة ، فقلت : فالقرآن العزيز فيه الأسماء الحسنى ، وحَمَلتُهُ يَتْلُونَهُ ويتلون الأسمآء الحسنى التي فيه دائماً ولا تضرُّهم ، فما السبب في ذلك مع أنّهم لا يأخذونها عن شيخ عارف ؟ فقال رضي الله عنه : سيّدنا ونبينا ومولانا محمّد ﷺ أرْسَلَهُ اللهُ بالقرآن لكلّ من بلغه القرآن من زمانه ﷺ إلى يوم القيامة ، فكلّ تال للقرآن فَشَيْخُهُ فيه هو النبيّ ﷺ ، فهذا سبب حجب حملة القرآن ـ نفعنا الله بهم آمين ـ ثم هو ﷺ لم يعط لأمّته الشريفة القرآن إلاّ بقدر ما يطيقونه وَيَعْرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها ، ولم يعطهم القرآن بجميع أسراره وأنواره وأنوار الأسماء التي فيه ، ولو كان أعطاهم ذلك بأنواره لما عصى أحد من أمّته الشريفة ، ولكانوا كلّهم أقطاباً ، ولَمَا تضرَّر أحد بالأسماء قط . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ السلوك في الطريق لا يكون إلاّ بواسطة الذكر ، وهو لا يفيد إفادة تامة إلاّ إذا أخذه من تلقين مرشد كامل لسرٍّ في التلقين يعرفه أهله ، ولعله هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يعطى الاسم بنوره فيعمل في تنوير القلب عمله ، وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير ، حتّى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ، ولو لا ذلك لهلك من وطأ عليه في الحال .انتهى من ١١ .

وفي « الأنهار الخمسة » للشيخ علي النائلي المغنيساوي قدّس سره : وأخْذُ الطريق من الشيخ الناقص مُضرّ للطالب . كما قال الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني قدّس سره في مكاتيبه الشريفة . انتهى .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله أنّ المتعرِّض لهداية غيره الهداية المشار إليها بغير علم قبل أن تحصل له حقيقة الوراثة فهو لما عنده من الشره والجهل هالك ضالٌّ مُضلٌّ انتهى فراجعه ١١٠ من الجزء الأول من هامش « جواهر المعاني » ،

وفيه بُعَيْدَ هذا : ومَنْ تعرَّض لهداية غيره بغير معرفة فهو خائن ، ومَنْ طبَّ غيره بغير علم فهو ضامن ، إذ بما عنده من الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها وعدل عن مقاديرها ، فساق المريض إلى الهلكة وعاجله بالمنية . انتهى .

وفيه أيضاً : حذَّر الأشياخ من الاغترار بكل مدّع ناهق ، واتِّباع كل متحيِّل بما ليس له ناعق . وقالوا : الاغترار أصل كل غواية ، والحذر أصل كل هداية ، والمراد بالاغترار التسليم لكل مدّع . وإنّما يسلم لمن ظهرت عليه آثار الخصوصية ، لا لكل مدّع ! بل أجمعوا على أنّ مَنْ ادَّعى رتبة من الرتب كُلِّفَ بإقامة الدليل على صدق دعواه ، وبنصب ميزان الشرع هل يصدق فيما ادَّعاه ؟ ! ولا يُسلِّم للمدعين ! إذ لو سلّم لهم لفسد الدين من أصله ، ولتولّى الأمرَ غيرُ أهله ، ولهذه الطريقة حفّاظ يحفظونها ، وحرّاس يحرسونها ، هم أهل الله تعالى وأنصار دينه ؛ أيَّدهم الله بالعلم الباطن والظاهر ، وأمدَّهم باسمه الحفيظ والناصر ، وما أوتي على كثير من الناس إلاّ من الغلط في التسليم ، فسلَّموا لكلّ مدّع دعواه ، مُحِقّاً كان أو مبطلاً ، ورأوه التسليم المأمور به ، والحق أنّه إنّما يسلِّم إن لاحت له آثار الخصوصية وتأدب بآداب الطريقة . انتهى .

وفيه أيضاً بُعَيْدَ هذا بعد نقل كلام الشيخ عبد العزيز الدبّاغ قدّس سرّه وإذا فهمت هذا علمت أنّ المغترَّ بكلّ مدَّع خائبٌ خاسرٌ ، وأنّ ظهور

مَنْ لم يكن صالحاً للظهور ضرر عظيم ، وعطب جسيم ، وعذاب أليم ، عاجلاً وآجلاً لمتَّبعيه إلاّ إذا مَنَّ الله تعالى عليهم بمرشد صادق ينقذهم ويخلِّصهم بصحبته ، ويردُّهم إلى طريق الفلاح . انتهى راجعه ١١١ ج ١ .

البَابُ السابع عشرَ
في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد
وبيانِ أنّ شرط الذكر النافع أخذه من أهله

قال في « المجالس الإرشادية » في المجلس السادس والخمسين : فإن قيل : هل يجوز الذكر بلا إذن ولا انتساب إلى الشيخ ؟ قلنا : الأفضل الإذن والانتساب إلى شيخ مرشد إن وجد ، وإذا لم يُوجَدْ

فجائز . انتهى .

المعنى في هذا ما مرّ آنفاً من أنّ كلّ تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي صلى الله عليه وسلّم فافهم .

وفي « شرح تائية السلوك » أنّ شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريدون من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولقّن الصحابة التابعين ، ولقَّن التابعون المشائخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم الساعة . انتهى . وهكذا في « المتممات » و« النور الساطع » .

وفي « جامع أصول الأولياء » أنّ الذكر لا يفيد فائدة تامّة إلاّ بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ! انتهى . ولا تحصل تصفية القلب بالأذكار السلوكية إلا إذا تلقَّنها من شيخ عارف . انتهى . وراجع « المتممات » .

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : هل يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ وأستاذ ؟ قلت : نعم ! يمكن ذلك إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية كمثل مُرْكَب[1] الرحى يظنّ أنه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنّه يدور دائماً دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وفيرة . انتهى .

وفي « تعريف الأحْيآء فضيلةَ الإحيآء » : وكما أنّ الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون رُتْبَةً فوق غيرهم ، كذلك جعل لِمَا يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأنّ ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليّة ، وإشاراتهم سَنيّة ، حتى يكون للقرآن أثَرٌ عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وحَلاوة ، وللمواعيظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوارٌ ونفع متظاهر . انتهى .١١

إذا لم يأخذ الإنسان الذكر من شيخ مرشد لا يستحضره عند الموت .

وقال العلامة الشيخ محمد بن يحيى التادني الحنبليّ رحمه الله في « قلائد الجواهر » : قال سيدنا الشيخ عبد القادر ـ رضي الله ـ : إنّ الإنسان إذا لم يكن تلقّن الذكر الشريف الذي هو التوحيد من شيخ مرشد له نسبةٌ متّصلة بالنبي صلى الله عليه وسلّم فإلاّ فَبَعِيدٌ أن يستحضرها عند الحاجة إليها في وقت مصيبة الموت . ولهذا كان الشيخ رضي الله عنه كثيراً ما ينشد :

مليحــة التكـــرار والتَثنّـــي   لا تغفليـــن فـــي الـوداع عنّـي

---

(١) راكب ، عله (منه) .

وقال علي رضي الله عنه هذه الابيات :

إِذِ المَـرْءُ ربّـى نفسـه بمُرَاده ... لقد شـاد بُنْيَـانـاً على غيـر أسِّه
ومـن لـم تربّه الرجال وتُسْقِهِ ... لبـاناً لهـم قدْ ردّ من ثدي قدسه
فـذاك لقيـط ما له نسبة الورى ... ولـن يتعـدّى غير أبنـاء جنسه
إذ المرءُ لم يرتد ردآء مـن التُقى ... على يـد أستـاذ خـــبير بنفسه
يُـريـه رعونات النفوس وكيـــدها ... ويشهـده المحجـوب عنـه بحسِّه
ولـم يـك مجذوباً علـى يد قدرة ... وتحفظـه الألطـاف من غير لُبْسه
ويَبْـدُو له المكنـون من سرِّ كـونه ... وتجلّى له الكأسات في حـال أنسه
ويحسن مـنه الخَلق والخُلْق والحجى ... ويثمـر معنـاه بـإينـاع غـرسـه
فذاك لعمري ناقص الحـظِّ عـاجز ... يـريـد سبيلاً وهـو يأتي بعكـسه
أقـلُّ مبـادي القوم أن يك هــكذا ... ومَنْ جآء بـالبهتـان راح بجنسه

انتهى ١٤

وقال الإمام السهروردي في « بيان الأسرار » في ٩ : اعلم أنّ المراتب المذكورة لا تحصل إلاّ بالتوبة النصوح ، وبالتلقين من أهله ، كما قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي كلمة لا إله إلا الله بشرط أخذه من قلب تقيّ نقيّ مما سوى الله ، لا كلّ كلمة تَسْمَعُ من أفواه العامّة ، وإن كان اللفظ واحداً لكن في المعنى تفاوت ، لأنّ القلب إنما يحيى إذا أخذ بذر التوحيد من قَلْبٍ حَيٍّ فيكون بَذراً كاملاً ، وبذر غير البالغ لا ينبت انتهى .

وفي « الرسالة القشيرية » : وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تُورِق لكن لا

تثمر ! كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نَفَساً فنَفَساً فهوعابد هواه لا يجد نفاذاً انتهى رسالة قشيرية عينه من صحيفة ٢١٤

مطلب مهم

الذكر المأخوذ من الشيخ أفضل من الصلاة على النبي ﷺ ومن سائر النوافل

والذكر الذي أخذه الطالب عن شيخ كامل مكمّل وداوم عليه بشرائط الطريقة أفضل من الصلاة على النبي عليه السلام ، ومن الاشتغال بسائر النوافل .

والفيوض التي تصل إليه عليه السلام من طريق الذكر المذكور الذي يكون حقيقاً بالقبول زائدة بأضعاف على البركات التي تصل إليه عليه السلام من طريق الصلوات ، وأمّا الذكر الذي ليس كذلك فللصلاة مزيّة عليه ، ووصول البركات منها حينئذ أكثر . كذا في « الدرر المكنونات » في ٩٨ من الجزء الثاني .

وقال الشيخ جمال الدين الغموقي في كتابه « الآداب المرضيّة » : ولو أنّ ذاكراً يذكر الله تعالى بجميع الأذكار في جميع الليل والنهار بنفسه من غير تلقين الشيخ فلا يبلغ مبلغ الرجال ، ولا يصل إلى مرتبة الكمال . انتهى .

الباب الثامن عشر

في ذكر المواعيد الواردة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى وفي بيان من يصلح للإرشاد ومَنْ لا يصلح له

ولقد علم أنهم أجمعوا على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً يرشده ، لكن يجب أن يكون ذلك الشيخ المرشد مأذوناً بالإذن الصريح من الشيخ المعتبر ، في اليقظة لا في النوم ولا في الواقعة ، على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم ، ولا يجوز أن يتصدَّر لذلك لمن لا استناد له إلى السلسلة العليّة لما قيل : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ماشآء ، والإسناد سلاح المؤمن ، والإسناد سنة من السلف . قاله أحمد بن حنبل ، وقال صاحب « شرح تائية السلوك » على بيت :

ويـدعـى لقيطـاً أين حلَّ معطلاً وإن كـان ذا علم كـزوج عقيمة

قوله معطلاً أي : من التحلية بالاندراج في سلك القوم ، وإن كان ذا علم ! لأنّه حينئذ يكون هو كزوج امرأة عقيمة ، لأنّ علمه لا ينتج له شيئاً كالمرأة العقيمة التي لا تلد لزوجها ، ولذا قال الغزالي : إذا وَجَدْتم الرجل قد طبق الأرض علماً ولم يكن له شيخ يُوصله إلى سلسلة القوم فهو عقيم لم يكن يُلقي الحكمة . انتهى . وحينئذ يدعى دَعِيّاً مع السادات ، أي غير منسوب لهم في كل موطن ، فهو كابن الزنا عند القوم . انتهى .

وفي « روح البيان » إنّ من لم تتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرحمني وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زَانٍ في الحقيقة ، ومَنْ هو في تربيته هالكٌ لأنه ولد الزنا[1] .

---

(١) ومثله في « مزكي النفوس » (منه) .
ـ يعني أن الاتصال والانتساب وأخذ العهد والمبايعة عند أهل الحقيقة كالنكاح عند أهل الشريعة على حد سواء ، فكما يكون من ولد بغير نكاح ولد الزنا في عرف الشرع ، فكذلك ما نحن فيه في عرف الحقيقة بلا فرق ، فافهم راجع « المتممات » (منه) .

وربما يكره بعض أهل الطلب على التردُّد لباب أهل الدَعوى ، ويَصْرفه عن أهل الحق عناداً ، وغرضاً ومرضاً ، واتباعاً لهواهُ ، فهو إنّما يُكرِهه على الزنا ، لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى .

مهم

المشايخ المدّعون هم الأصنام المعنوية والدجالة المتصنعون

وفيه أيضاً في سورة الفرقان ، وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنويّة ؛ وهم المشائخ المدّعون ، والدَجَّالة المتصنِّعون ، فإنهم ليسوا بقادرين على إحيآء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان ، **فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء مَتْبُوعاً** ، فأنّ الموت الأكبر الذي هو الجَهْلُ إنّما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق بالعلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يُرْقِى غَيْرَهُ من الجهل إلى المعرفة ، وأنشأه نشأةً أخرى ، وأحْيَاهُ حياة طيّبة بإذن الله تعالى ، وهم رتبة الأنبيآء ومَنْ يَرِثُهُمْ من العلماء العاملين . انتهى .

وفيه أيضاً ، في سورة آل عمران قال الشيخ الصفيُّ قدّس سره : إنّ الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ولدْنَ أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهنَّ(١) سبعين مرّة ، فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وَجَدْتَ أكثرهم مدَّعين ما لم يتحققوا به ، يضلُّون الناس بأكاذيب ، ويَرَوْنَ أساليب ليس فيها أثر المعانى والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترَّ

(١) ومثله في « مزكي النفوس » (منه) .

بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يُمَيِّز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى .

ونقل الشيخ جامع القطبتين محمّد ذاكر قدّس سره هذه العبارات من « عوارف المعارف »[1] : إنّ الصالحين ، والسالكين ينقسم على أربعة اقسام :

سالك مجرد ومجذوب مجرَّد ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك **فالسالك المجرّد لا يؤهَّل للمشيخة،** ولا يبلغها ، لبقآء صفة نفسه عليه ، فيقف عند حظِّه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة[2] ، **والمجذوب المجرّد من غير سلوك**[3] **أيضاً لا يؤهَّل للمشيخة** ، فيقف عند حظه[4] من رحمة الله تعالى **والسالك الذي هو متدارك**[5] **بالجذبة يؤهل للمشيخة** لأنّه أخذ في طريق المحبِّين في حال من أحوال المقرَّبين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ، ويمكن للأتباع أن ينقل منه إليهم علوم ،

---

(١) راجعه في ١٨١ من هامش « الإحياء » من الجزء الأول ففيه البسط وأما ما هنا فهو مختصر منه .

(٢) ولا يرتقي إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة « عوارف » ١٧٩ .

(٣) يبادئه الحق بآيات اليقين ، ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب ، ولا يؤخذ في طريق المعاملة الخ (منه) ١٧٩

(٤) مروّجاً « وفي نسخة : مروحاً » بحاله غير مأخوذ في طريق أعماله ما عدا الفريضة (منه) ١٧٠ .

(٥) والسالك الذي تدارك بالجذبة هو الذي كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة ، والمعاملة بالإخلاص والوفاء بالشروط ، ثم اخرج من وهج المكابدة إلى روح الحال ، فوجد العسل بعد العلقم ، وتروح بنسمات الفضل ، وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة ، وأونس بنفحات القرب ، وفتح له باب من المشاهدة ، فوجد دوآء وفاض وعاؤه ، وصدرت منه كلمات الحاكمة ، ومالت إليه القلوب ، وتوالى عليه فتوح الغيب ، وصار ظاهره مسدوداً ، وباطنه مشاهداً ، وصلح للجلوة وصار له في جلوته خلوة ، فيغلب ولا يغلب ، ويَفترس ولا يُفترس ، يؤهل مثل هذا للمشيخة انتهى . « عوارف » ١٨٠ (منه) .

ويظهر بطريقته بركة ، ولكن قد يكون محبوساً في حاله ، محكماً حاله فيه ، لا يطلق من وثاق الحال ، ولا يبلغ كمال النوال ، يقف عند حظِّه ، وهو حظٌّ وافرٌ ، وأمر سنيٌّ ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ .

ولكنّ المقام الأكمل في المشيخة القسم الرابع : وهو المجذوب المتدارك بالسلوك ، يبادئُهُ الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ، وينفسح قلبه ، ويتجافى عن دار الغرور ، ويَرْتوي من بحر الحال ، ويتخلَّص من الأغلال والأعلال ، ويقول مُعْلناً : لا أعبد رباً لم أره ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعنآء ، بل بلذاذة وهنآء ، ويصير قالبه بصفة قلبه ، لامتلاء قلبه بحبِّ ربِّه ، ويلين جلده كما لان قلبه ، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيريده الله تعالى إرادةً خاصّةً ، ويرزقه محبّةً خاصّةً من محبة المحبوبين المرادين ، ينقطع فيواصَل ، ويعرض عنه فيراسل ، يذهب عنه جمود النفس ، ويصطلي بحرارة الروح ، وتنكمش عن قلبه عروق النفس ، قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أنّ الجلود تلين كما أنّ القلوب تلين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . انتهى .

ثم قال قدس سره بعد نقله كلام « العوارف » : لكنّ الكلام والحكمة مملو فيها لأنّ شيخنا وسيدنا ممّن وافق اسمه مسمّاه ، وهو أعلم في هذا الباب جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة ، بأنّ يده يد شيخه . انتهى . وقال الإمام المعصوم في مكتوباته ماحاصله : حُرِّر أنّ من أذن شيخه له في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح

السادات الماضية ظاهرون حاضرون هل يجوز لهذا الشخص ، اعتماداً على هذا ، تلقين الذكر وتربية المريدين ؟ فالجواب : **إن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه**(١) **إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ مُعْتبر مأذون إذناً صحيحاً** . **انتهى** .

فإن قيل : هل يجوز لأحدٍ أن يأخذ أمُور تَرْبِيَتِهِ من الشيخ الميّت في اليقظة أو في المنام ! قلنا ـ والله أعلم ـ : قال الشعراني في « المنن » : ومما منَّ الله تبارك وتعالى به علي كثرة إرشادي لفقرآء الأحمدية والبرهانية ، وغيرهم من أصحاب الخِرَقِ أن يتتلمذوا لشيخ يربِّيهم من الأحيآء ولا يتقيَّدوا على مَنْ مات ، فإنّ الأموات صارت وجهتهم في البرزخ إلى الآخرة وظهرهم إلى الدنيا ، فلا عليهم إن خربت الدنيا أو عمرت ، اللهم إلا أن يكون ذلك الشيخ ممّن يقتدى به في أقواله ، كالأئمة المجتهدين وأصحاب الرسل ، فمثل هذا لنا الاقتدآء بأقواله ، لكنه اقتدآء ناقص ، من حيث أنّ لكلّ واحد منَّا أمراضاً لا تعرف إلا بالمشافهة من شيخ حيٍّ يَدُلّنا على كيفيّة الدوآء ، ويخاطبنا ونخاطبه . وممّن بلغنا أنه يُرَبِّي مريده وهو في البرزخ سيدي أحمد البَدَويّ رضي الله عنه ، لكنّ ذلك خاص بمريده الصادق الذي يسمع كلامه من القبر كسيّدي وشيخي محمد الشناوي رحمه الله تعالى ، فإنّي زُرْتُ معه سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه فشاوره الشيخ محمد على سفره إلى مصر في حاجة ، فقال له سيدي أحمد البدوي من القبر : سَافِرْ وتوكَّل على الله تعالى : هذا كلامه سمعته أنا بأذني الظاهرة ، وكذلك بلغني عن الشيخ عزِّ الدين الأصفهاني قال : كنت أجتمع بسيّدي أحمد الرفاعي في المنام كثيراً فيأمرني وينهاني ويربيني ، فقال لي يوماً :

---

(١) وفي « المكتوبات » في ١٢٤ من الجزء الأول : لا اعتبار للوقائع المنامية في الطريقة النقشبندية فراجعه (منه) .

لَسْتُ أنَا بشيخك الذي يفتح عليك ، وإنما شيخك عبد الرحيم القناوي . فسافرت إليه ، فأوّل ما اجتمعْتُ به حكى لي جميع ما وقع لي في المنام مع سيدي أحمد الرفاعي ، ثم قال لي : لا أصْحَبُكَ حتى تصير ترى رسول الله ﷺ يملأ الوجود كلّه ، فقلت له : وما السبيل إلى ذلك ؟ فقال سافر إلى بيت المقدس ، فإنّك ستراه كذلك ، ثم تعال . ففعل ثم جآء فقال له : ما وَصَل أحد لشيء من المقامات إلا بعد شهود ذلك انتهى .

فمن صحّ له هذا القدم قلنا الكفُّ عن أمره بأن لا يتلمَّذ لأحدٍ من الأحيآء ، لاكتفائه بذلك الشيخ وقيامه مَقام الحيِّ في الخطاب والمراجعة في الأمور ، وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يجوز العمل بقول الأشياخ الذين ماتوا إذا تصوّر أنهم خاطبوا مريدَهم بأمْرٍ أو نهي إلا بعد عرض ذلك على علمآء الشريعة ، فربّما كان الناطق من قبر شيطاناً ، لعدم عصمة الولي عن مثل ذلك ، وكان رحمه الله تعالى يقول كثيراً : لا يشترط في صحّة الاقتدآء بأقوال العلمآء معْرفة صورتهم الظاهرة ! فإننا قد اقتدينا برسول الله ﷺ وبأصحابه وبالأئمة بعدهم وما أحدٌ منا اجتمع بأحدٍ منهم ، ولم يمنع جمهور العلمآء من مثل ذلك ، **فعلم أنّ الاحتياط للفقير أن لا يأخذ عن شيخ ميت أمُورُ تربيته وأدوية أمراضه** . فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين انتهى في ٢٨٩ من ج ١ .

ومن الأويسيّين الإمام النقشبند فإنّه أخذ الذكر الخفيَّ عن روحانية عبد الخالق الغجدُواني ، وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني أخذ الطريقة عن روحانية الإمام أبي يزيد البسطامي ، وذلك في ظهوره له في عالم السير إلى الله تعالى ، فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات ، وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام ، وأرواح الخلق كلهم الأحيآء والأموات في ذلك العالم ،

منهم من يدبّر الله له جسماً في عالم الأجسام وهم الأحيآء ، ومنهم من لا يدبّر الله له شيئاً من الأجسام وهم الأموات ، ومن لم ينفخ فيه الروح مما لم يسوّ جسمه ، وكل من أخذ من الروحانية كهؤلاء الأئمة يسمى أويسيا كذا في « البهجة » في ١٣ .

فإن قيل : فهل يقبل قول مَنْ يقول : إنّي أخذت الطريقة أو الإجازة من روحانيّة الشيخ في المنام أو بالإلهام أم لا ؟ قلنا : لا يقبل . لأنّ الإلهام ليس بحجّة ، لعدم ثقة مَنْ ليس معصوماً بخواطره ، لأنّه لا يأمن دسيسة الشيطان فيها ، كذا في « شرح جمع الجوامع » .

ويقرب من الإلهام رؤيا المنام[١] ، فمن رأى النبي ﷺ في نَوْمِهِ يأمره بشيء أو ينهاه عنه لا يجوز اعتماده[٢] ، مع أنّ مَنْ رآه حقاً ! لعدم ضبط النائم حينئذ ، ومرّ البسط في حقّ ذلك في الباب الرابع فليلاحظه هنا .

وذكر في « الحديقة النديّة » أنّ العلامة محمد أمين السويدي قال في « السهم الصائب » : ولقد جرى لي مع حضرة مولانا خالد قدّس سرّه بَحْثٌ في الإلْهَام فقال : الإلهام عندنا معاشر النقشبنديّة غير معتبر في الأحكام الدينيّة لعدم جواز العمل به . فقلت له : إنّ علمآء الكلام والأصُول يقولون باعتباره إذا كانَ مُوَافقاً للكتاب والسنة . فقال قدّس سرّه : إذا كان الإلْهَام مُوَافِقاً للكتاب والسنة فالعمل حينئذ ليس بمقتضى الإلهام نفسه ، بل بما دلّ عليه الكتاب والسنة الموافق لهما . انتهى . راجعه في ٦٥ من هامش « أصفى الموارد » وقد مرّ في « الديباح » ما قاله الإمام الربَّاني قدّس سره من أنّه لا يكون بعد الكتاب والسنة وقياس المجتهدين والإجماع شَيْءٌ من الدليل

(١) وفي « الأنوار القدسية » واعلم أن الكشف المحسوس إذا كان لا يجوز الوقوف معه فكيف برؤية المنامات انتهى فراجعه (منه) .

(٢) والشيطان قادر على أن يقول : أنا رسول الله . وإن لم يتشكل بشكله الشريف . « بريقة » ١٤٥ من الجزء الأول ، راجعه (منه) .

مثبتاً للأحكام أصلاً ، سوآء كَانَ إِلْهَاماً أو كشفاً ! فَلاحِظْهُ هُنَا .

وفي « الأنوار القدسية » للشعراني في ١٤ : أنّ الأحكام الشرعية لا تثبت بالكشف . انتهى . فإن قيل : فلو ادَّعى واحدٌ أنَّ له إذناً من رجال الغيب أو من الخضر عليه السلام فماذا يُقال له ؟ قلنا ـ والله أعلم ـ : إن ظهرت عليه أمارات الفتح وعلامات الخير ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، ووقع للمريدين الفتح على يَدَيْه ، ومَشى على قواعد أصُول الطريقة المنتسب إليها بلا مخالفة فهو شيخ مقبُولٌ ، كما هو مذكُورٌ في « الإبريز » .

وأمّا المشائخ المنتحلون في عصْرنا وفي ديارنا ليسوا من أهل فرسان هذا الميدان ، وليس فيهم شَيْء مّا من العلامات المذكورة ، بل ليس منهم ولو واحداً تحقَّق له المقام الأوّل من الطريقة فضلاً عن غيره ، ولم يوجد في مريديهم مَنْ حصل له نتيجة الذكر الأول من الطريقة فضلاً عمّا فوقه ، بل لم يستعملوا ولو ذرَّة مما يستعمله أهل الطرق في طرقهم أصلاً ، إلا أنهم ابتدعوا واخترعُوا ، وعلّموا الناس مما لم يرد به نَصٌّ ولا أثَرٌ من السادات .

ومعلوم مشهور أنّ الخضر عليه السلام ورجال الغيب لا يأذنون للإرشاد والتلقين إلا بما ورد به النصّ من سيّد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، إن كانت طريقة مَنْ كمل على أيديهم نقشبندية ! فنقشبنديّة ، أو قادرية ! فقادريّة ، أو . . الخ .

مهم

من شرط من يجتمع بالخضر أن لا يدخر قوت غد

وأيضاً **إنّ من شرط من يجتمع بالخضر عليه السلام من الأوليآء** أن لا يدَّخر قوت غدٍ ، فمن خبَّأ قوت غدٍ لم يجتمع به ، ولو كان على عبادة الثقلين ! كذا في « تنبيه المغترِّين » في ٥٤ فليتدبَّره .

وفي « الطبقات » في ١٠٩ من الجزء الثاني : أنّ الخضر لا يجتمع إلا بمَنْ حقَّت له قدم الولاية المحمديّة . انتهى .

وفيه أيضاً لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن اجتمعت فيه ثلاث خصال ، فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط ولو كان على عبادة الثقلين : الخصلة الأولى : أن يكون العبد على سننه في سائر أحْوَاله ، والثانية : أن لا يكون له حرص على الدنيا ، والثالثة : أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل ولا غش ولا حسد(١) . انتهى فراجعه .

الباب التاسع عشر

في بيان سبب اعتقاد الناس في المتشيِّخ الناقص

وعدم اعتقادهم في الشيخ الكامل

وفي بيان كون الأمور كلّها تابعة لاعتقاد المريدين لا للمشائخ ولو كانوا من أقرب المقرّبين ، فلقد وَجَدْنا هذا الخلق لا يفرِّقون بين المحقِّ والمبطل ، وبين مَنْ يصلح للإرشاد ومن لا يصلح له ؛ بل وجدنا أكثرهم يميلون إلى جوانب أهل الدعوى ويأخذون منهم مالاً أصل له في طريقة ما

---

(١) ورأيت في « فتاوى الرملي » أن السيد الخضر ، فالصحيح كما قاله جمهور العلماء نبيّ لقوله تعالى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ ولقوله تعالى ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي : الوحي والنبوة الأولى وإن خالف بعضهم ، فقال : لم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم ، والصحيح أيضاً أنه حي . فقد قال ابن الصلاح : جمهور العلماء والصالحين على أنه حيّ ، والعامة معهم في ذلك . وقال النووي : والأكثرون من العلماء على أنه حيّ موجود بين أظهرنا ، وذلك متّفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح . وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تحصى . انتهى . والصحيح أيضاً أنه من البشر لا من الملائكة . انتهى فراجعه في ٢٢٢ من هامش « فتاوى ابن حجر » من الجزء الرابع ففيه البسط . (منه رحمه الله تعالى من خطّه النفيس) .

من الطرق المأثورة ، ولا يقربون إلى أبواب أرباب الكمال والتكميل زاعمين أنهم ليسوا بمقام مريد من مريدي أشياخهم في زعمهم .

وأظنّ ـ والله أعلم ـ أنّ سبب ذلك كون الكامل كصورة العوام لا يتميَّز منهم ، ولو بشيء من الأعمال والأقوال ، وهذا[١] حاله في الظاهر ، ففي « المنن » في ٢٣ من الجزء الأول : إنّ نهاية كل عارف ترجع إلى صورة بدايته . انتهى وفيه أيضاً في ٦٨ من الجزء الثاني : الفقير كلّما ترقَّى في مَقام العرفان صار غريباً في الأكوان لا يكاد أحد أن يعرف له مقاماً ، ولا يعرف صفات الوليِّ إلا الأولياء . كذا في الطبقات في ٦ من الجزء الأول .

وفيه أيضاً في ٧ من الجزء الأول : وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : لكلّ وليٍّ ستر أو أستار نظير السبعين[٢] حجاباً التي وردت في حقِّ الحقِّ تعالى ، حيث أنّه تعالى لم يُعرف إلا من ورائها ، فكذلك الوليّ ! راجعه انتهى . فكيف وقد يتلوَّن بحسب الجالسين معه ، ويكون موافقاً بحال كلّ مَنْ صحبه واجتمعه ، ويلاطف الحاضرين معه ويداريهم كأنّه مثلهم ، ويعطي الظاهر لأهل الظاهر ، والباطن لأهل[٣] الباطن ، كما حكي أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس سره كان إذا جاء لديه فقير زائر يخرج ويفتح جانب الباب ، ويصافح الفقير ويسلّم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وأما إذا جاء لديه أحد ممّن ليس من الفقراء يخرج إليه ويجلس[٤] معه . كذا في « العوارف » في ٢٨١ من هامش « الإحياء » ، ولا يضرُّ لكامل أهل الدنيا أو البحث[٥] عنها فإنّه في مرتبة الذين لا يشغلهم الخلق عن الحقِّ[٦] ، ولا الحقُّ عن الخَلْقِ ، وكذا

(١) أي كونه في صورة العوام .
(٢) راجع « تلخيص المعارف » في ١٣٧ .
(٣) فإنهم يقطعون الظاهر عمن يحبونه « خالدية » .
(٤) أي فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش كذا في « عوارف المعارف » في ٢٨٢ (منه) .
(٥) راجع « الخالدية » في ٨ من الأداب الثالث (منه) .
(٦) كذا في « الرسالة الخالديّة » في ١١ من الآداب الثالث (منه) .

قد يراه الناس في أوقات على شاكلتهم بحسب صفاء بواطنهم أو خُبْثِهَا .

مهم

قال في « الإبريز » في ١٩٥ : إنّ الوليَّ الكامل يتلوَّن على قلوب القاصدين ، فمَنْ صَفَتْ نيَّته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق ، ومَنْ خبُثَتْ نيَّته كان على الضدّ من ذلك ، وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح ، والوليُّ بمنزلة المرأة التي تتجلَّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمالٌ ودلالة على الله فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليراجع على نفسه .

قال رضي الله عنه :

مطلب مهم

« وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليِّ سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنُّون أنّه على شاكلتهم ، وليس كذلك ! حتى أنه يتصوَّر في طور الولاية أن يقعد مع قوم يشربون فيظنون أنه شارب الخمر ، وإنما تصوَّرت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما ظهرت ، وفي الحقيقة لا شيء ، وإنما هو ظل ذاته . تتحرَّك فيما تحرَّكوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلَّمت ، وإذا أخذت في الأكل أَكَلَتْ ، وإذا أخذت في الشرب شربت ، وإذا أخذت في الضحك ضحكت ، وإذا أخذت في الحركة تحرَّكت ، وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يَصْدر منها أَكْلٌ ولا غيره ، لأنهّا ظلٌّ ذاتك ، وليست بذاتك الحقيقية ، فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الوليُّ معهم بظلِّ ذاته ويجعل يرتكب ما يرتكبون . والله الموفق . انتهى . فتدبَّره فإنّه كلام نفيس قلّ مَنْ يتفطَّن له في هذا الزمان .

وفي « الفيوضات الإحسانية »[1] روي أنّ محمود الغازي دخل على الشيخ أبي الحسن ـ رضي الله عنه ـ لزيارته ، وجلس ساعة ثم قال : يا شيخ ، ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي ؟ فقال : هو رَجل مَنْ اتَّبعه اهتدى واتصل[2] بالسعادة الأبديّة . قال محمود : وكيف ذلك ؟ وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة ! فقال الشيخ في جوابه : إنّ أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ ، وإنما رأى محمداً ﷺ ابن عبد الله يتيم أبي طالب ، ولو كان رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ، ثم قال ومِصْدَاق ذلك قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجب السعادة ، بل النظر بعين السرّ والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك . الخ . فمن نظر شيخه بعين الإجلال والتعظيم مُعْتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية وأنه صاحب مدد ودعاء مستجاب انتفع ووصل إلى مقام الولاية ورتبة الصلاح ، ومَنْ نظره بأنّه فلان ابن فلان يأكل ويشرب مثله فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به كما في الحديث : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . انتهى . ولهذا قال عبد العزيز الدباغ ـ قدس سره ـ : لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الوليَّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنياً وأخرى ، فإنّ في باطن الوليِّ العجائب والغرائب ، وما مثاله إلا كخيشة[3] صوف في وسطها خيشة حرير لا تظهر إلا في الآخرة ، وغير الوليِّ بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صُوف والعياذ بالله . انتهى من « الإبريز » ١٩٥ .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة ـ أي على حسن الظن مع أشياخهم ـ فإن ظنُّوا بشيخهم أنّه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا أنّه لايقدر

---

(١) ومثله في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٠٦ منه .
(٢) ومن رآه اتصل انتهى . نسخة ، راجع الحدائق الوردية ص ١٠٦ (منه) .
(٣) وفي نسخة : كخنشة .

على حمايتهم فلا يصح لهم حماية ، ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنه مادام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب . ومما جرَّبناه نحن أنّ مَنْ كان اعتقاده فينا مُتَوَفِّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومَنْ لم يكن اعتقاده فينا متوفِّراً لم تقض له ولو كنّا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنِّ المتوجِّه لا على الشيخ ! وربّما تقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلاّ إنْ أعْلَمَهُ بها المتوجِّه إليه . انتهى ١٣١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني . فهو كلام نفيس مهمّ أيَّ مهمّ .

ومن هنا قيل : كل من رأيته فاعتقده خضراً . وقيل أيضاً : الأمر تابع لاعتقاد المريدين[١] لا للمشائخ . والله الموفق للاستقامة ، وإليه يرجع الأمر كله وهو ولي الهداية .

قصة مهمة

وممّا يدلّ على هذا ما وقع لامرأة مع قطب الأقطاب سيدي عبد القادر الكيلاني قدس سره قال في « منتخب جواهر القلائد »[٢] : جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست من حضرته الدعاء ليعطيها الله ولداً ، فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم يَرَ لَها ولداً مكتوباً فيه ، فسأل الله أن يعطيها ولدين ، فجاءه النداء من الله ليس لها ولد مكتوب في اللوح وأنت تطلب لها ولديْن ! فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد ، فجاءه النداء مثل الأول ، فسأل أن يعطيها أربعة أولاد ، فجاءه النداء أيضاً مثله ، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد ، فجاءه النداء مثله فسأل أن يعطيها ستة أولاد ، فجاءه النداء كالسابق ، فسأل أن يعطيها سبعة أولاد ، فجاءه

---

(١) وإذا توصل واحد بوليّ وناداه يخبر الملك بأن فلانا قد توصل بك في قضاء حاجة كذا ثم يمده الوليّ لقضاء تلك الحاجة .
(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله « قلائد الجواهر » والله أعلم (منه) .

النداء : يكفي يا غوث لا تطلب الزيادة . فبهذه الإشارة جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد ذكور ، فأعطاها الغوث مقداراً من التراب وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدق والاعتقاد في حضرة الغوث ـ فوضعت تلك التراب في فضة وعلَّقتها في عنقها كالتعويذة ، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور ، وبعد مدّة فسد اعتقادها في حق الغوث وقالت : التراب الذي أعطانيه الغوث أيّ فائدة تحصل منه ، فبمجرَّد تفوُّهها بهذا الكلام مات أولادها ، فجاءت إلى الغوث باكية وتضرَّعت فقالت : يا غوث أغثني . فقال الغوث : كان ذلك الزمان زمانه ، ففي هذا الزمان ليست فيه فائدة .

وفي رواية : قال لها الغوث : ارجعي إلى بيتك ، فبأي نيَّة جِئْتِ بها إلينا تجديهم . فراحت إلى بيتها فوجدتهم أحياء ، فشكرت الله تعالى . اللهم انفعنا ببركاته آمين رضي الله تعالى عنه انتهى . كذا في « تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر » في ٣٨ من المنقبة السادسة والأربعين .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ إنني أعطي أحدهم القَشَّة من الأرض إذا طلب مني الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة ، وأقول له : بخِّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن الله تبارك وتعالى ، فأعْرِفُ أنه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله مريضهم بدُخان تلك القشَّة ، فإنّ الأمور تجري بها المقادير الإلهية سرعةً وبُطْأً بحسب قوة الاعتقاد وضعفه ، حتى أنّ بعض مَنْ لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القَشَّة وعنده شكٌّ في أن تلك القَشَّة تنفعه فلا تنفعه ، وقد جاءني مرّة فقيه يأخذني سياقاً لصهره لمّا غضبت زوجته ، وكان قد جعل لها خمسين ديناراً فلم يَرْضوا أن يَرُدُّوهَا له ، فقلت له : خذ هذه القَشَّة وأعطها لصهرك فإنّه يردُّها لك بلا فلوس . فقال لي : لا تمزح معي فإنّي مكروب . فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض

الاعتقاد ، فأخذ القَشَّة ، فبمجرد ما أعطاها لصهره قال له : اذهب فخذ امرأتك . فتعجَّب الفقيه من ذلك وقال : **أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل**[1] . انتهى ١٧٠ من الجزء الأول .

فائدة : قال الإمام الربَّاني في رسالة « المبدأ والمعاد » : ينبغي أنّ اعتقاد المريد أفضلية شيخه وأكمليته من ثمرات المحبة ونتائج المناسبة التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولكن ينبغي أن لا يُفضِّل شيخه على قوم قد تقرَّر أفضليتهم في الشرع ، فإنّه إفراطٌ في المحبة وهو مذموم ، وقد كانت خرابيَّة الشيعة وضلالتهم من جهة إفراطٍ في محبة أهل البيت ، واعتقد النصارى عيسى عليه السلام إلهاً من إفراط محبَّتهم إياه ووقعوا في الخسارة الأبدية ، وأمّا إذا فضّل شيخه على مَنْ سواهم فهو جائز ، بل هذا واجب في الطريقة ! وهذا التفضيل ليس باختيار المريد ، بل ولو كان المريد مستعدّاً يظهر فيه هذا الاعتقاد بلا اختيار منه ، فيكتسب كمالات الشيخ بواسطته ، فلو كان هذا التفضيل باختيار المريد وبالتكلُّف فهو غير جائز ، ولا ينتج شيئاً . انتهى ١٣٨ . راجعه من هامش « الدرر » .

فإذا كان حال الشيخ الكامل المكمَّل رجوعه إلى صورة بدايته ، وكان غالب عاداته تلوُّنه بلون جلسائه ! ينظر الخلق إلى الكامل فيرونه

---

(١) ومن أغرب ما وقع بسبب الاعتقاد ما رَوَوْهُ عن بعض الأولياء الكبار : أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له إلى الله عز وجل أن يرزقه ولداً ، فقال له : إن أحببت ذلك فسلّم للفقراء مائة دينار ، فسلّم إليه ذلك ، فجاءه بعد ذلك بمدة وقال له : يا سيّدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت إلا أنثى ، فقال له الشيخ : الدنانير التي سلمتها ناقصة ، قال : يا سيدي ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً ، فقال له الشيخ : ونحن أيضاً ما نقصناك إلا شيئاً يسيراً ، فإن أحببت أن يوفى لك فأوْف لنا ، فقال : نعم يا سيدي ، ثم ذهب وعاد إليه بتوفيته ذلك النقصان ، فقال له الشيخ : اذهب فقد أوفيناك كما أوفيْتَ ، فرجع إلى منزله فوجد الولد غلاماً بقدرة الله وإكرامه لأوليائه سبحانه وتعالى . كذا في « نشر المحاسن » للإمام اليافعي قدس سره (منه رحمه الله تعالى) .

يتكلم ويتبسّم وينبسط[١] ، ولا ينقبض كالعوام ، ولا يعلمون ما في باطنه من دوام الحضور والمراقبة ، وسياحته في بحار المشاهدة ، وكونه مع الحق في الباطن مع كونه مع الخلق في الظاهر كما هو شأن الكامل ، وكونه في مقام لايشغله الحق عن الخلق والخلق عن الحق وقد قيل لأبي يزيد : ما أعظم آيات العارف ؟ قال : أن تراه يؤاكلك ويشاربك ، ويمازحك ويبايعك ويشاربك ، وقلبه معلق بالله ليس له هَمٌّ سواه[٢] .
وينظرون إلى الناقص المدَّعي الغرَّار الطمَّاع الجرّار فيَرَوْنَهُ على صورة شيخ كأنّه حزينٌ عاشق إلى مولاه ، متفكِّر في أمر أخراه ، مدبر عن أمر دنياه ، خالص من أسر شهواه ، مُنْفَلِتٌ عن سجن هواه ، ويراقب ذلك الغرَّار ، على ترك ما ينقصه لدى الحاضرين معه ، ويطأطىء رأسه كأنّه مهموم مغموم ، متدبِّر في جلال الله وجماله ، والله خبيرٌ بما في قلبه ، مطلع على ما في سريرته ، ويجهر صوته بالأذكار ، ويصيح بصيحات ، ويتحرّك بحركات ويدعو لهم بدعوات ، بحيث يسمعهم بالأصوات ، فيظنون حينئذٍ أنه هو الكامل الفريد ، مع أنه عند الكامل في الحقيقة ليس بمقام مريده ، ولا عجب ! فإنّ الناس لا يعلمون إلاّ ما ظهر لهم ، ولا يكاد أحدٌ منهم أن يرى من الكامل عملاً إلاّ بقدر ما يقتدي الناس به فيه لا غير ، **وما عدا ذلك فهو عمل قلبيّ لا يطلع عليه إلا الله تعالى، وربّما تكون الذرة من هذا العمل أرجح من القناطير** . كذا في « البهجة » في ٢١ .

وفيه أيضاً : إنّ عمل المريد يسير وإن كان كأمثال الجبال ، وعمل

---

(١) وفي « الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » في ٢٣ : أنه ليس للأولياء شيء يتميّزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميّزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً ، ولا بحلق شعر وتقصيره أو ظفره إذا كان مباحاً ، كما قيل : كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء فراجعه . (منه) .
(٢) نقل من « الحدائق الوردية » من صفحة ١٠٤ (منه) .

العارف كثير وإن كان كمثقال ذرّة . انتهى .

وقال شيخنا العارف بالله ودليلنا إلى الله الحافظ العالم الحاج شعيب بن العالم العَلَم إدريس أفندي الباكني ـ أدخله الله سبحانه في دائرة الاستقامة وروّج بين يديه الشريعة والطريقة آمين ـ في تخميسه لسلك العين :

ولو حقيقتهم للخلق عنها أروا[1]

لأشركوا عُبِدُوا[2] عن الإنسان عَرَوْا

وهم لمنكرهم مقامهم صروا[3]

انتهى ٤٧ .

وفي « روح البيان » من سورة التغابن : قال بعض العارفين : معرفة مقام الأولياء أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى ، لأنّ الله تعالى معروف بكماله وجماله ، وجلاله وقهره ، بخلاف الولي الكامل ! فإنّه ملآنٌ من شهود الضعف ، يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ، ولا كرامة له تظهر إلا بأن يناجي ربه ، وانّى للخلق معرفة مقامه ! ووالله لو كشف للخلق عن حقيقة الوليِّ لَعُبِدَ كما عُبِدَ عيسى عليه السلام ، ولو كشف عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ، ولكن في ستر الله تعالى لمقام الوليِّ حِكَمٌ وأسرار ، وأدنى ما في الستر : أن لا يتعرَّض أحد لمحاربة الله تعالى إذا آذاهم بعد أن عرفهم أنهم أولياء الله تعالى ، فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق ، وفتحاً لباب اغترار مَنْ آذاهم من غالب الخلق ، فإنّ الأذى لم

(١) أي بإزالة الحجاب عنها (منه) .

(٢) راجع « جواهر المعاني » و« رماح حزب الرحيم » (منه) .

(٣) صراه . .إلخ قطعه و منعه ودفعه « قاموس » .

يزل من الخلق لهم في كل عصر لجهلهم بمقامهم . انتهى .

وقال الإمام الربَّاني ـ قدّس سره ـ في رسالته « المبدأ والمعاد » : إنّ قباب أولياء[1] الله تعالى هي أوصافهم البشرية ، حيث أن كلَّما يحتاج إليه سائر أفراد البشر يحتاج إليه هؤلاء الأكابر أيضاً ، والولاية لا تخرجهم من الاحتياج ؛ وغضبهم أيضاً مثل غضب سائر أفراد الناس ، وإذا قال سيد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام « أغْضِبُ كما يغضب البشر » كيف لا يصدر الغضب من الأولياء ؟ ! وكذلك هؤلاء الأكابر شركاء لسائر الناس في الأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم ، فإنّ التعلُّقات الشتى التي هي من لوازم البشرية لا تزول عن العوام والخواص . قال الله سبحانه في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ وقال الكفار الذين اقتصر نظرهم على الظاهر ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ فمن اقتصر نظره على ظواهر أهل الله صار محروماً ، وكان مصداق مَنْ خسر الدنيا والآخرة ، واقتصار النظر على الظاهر هذا هو الذي جعل أبا جهل وأبا لهب محرومين دولة الإسلام ، ورقاهما[2] في الخسران الأبدي ؛ والسعيد هو الذي كفَّ نظره عن ظواهر أهل الله ، ونفذت حدَّة نظره إلى أوصافهم الباطنة واقتصر عليها ، فَهُمْ كنيل مصر ! بلاء للمحجوبين ، وماء[3] للمحبوبين ، والعجب أن الصفات البشرية تظهر من أهل الله على حدٍّ لايظهر مثلها من سائر الناس ! ووجهه أنّ الظلمة

---

(١) أي التي هي في الحديث القدسي : « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري . . الخ » . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي نسخة : ورماهما .

(٣) وفي « الإبريز » في ١٩٩ : الوليّ مع القاصدين كحجر بن إسرائيل فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه إثناتا عشر عيناً . وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة انتهى (منه رحمه الله) .

والكدورة يكون ظهورهما في محل طيب مصفًّي أشدّ وأزيد وإن كانتا قليلتين ، بخلاف المحلِّ الغير المصفَّى ! فإنهما لا يظهران بتلك المثابة وإن كان أزيد ، ولكنّ ظلمة الصفات البشرية تسري في كلية العوام وتحيط بقوالبهم وقلوبهم وأرواحهم ، وأمّا في الخواص ! فهي مقصورة على القالب والنفس ، وفي أخصِّ الخواص مقصور على القالب فقط ، والنفس مبرَّأة عنه ؛ وأيضاً إنّ هذه الظلمة في العوام موجبة للخسارة ، وفي الخواص موجبة للنضارة والرجحان ، وظلمة الخواص هي التي تزيل ظلمة العوام ، وتورث التصفية لقلوبهم والتزكية لنفوسهم ، فلولا هذه الظلمة لما كانت في الخواص مناسبة للعوام ، فيكون طريق الإفادة والاستفادة مسدوداً ، وهذه الظلمة لا تمكث في الخواص كثيراً حتى تجعلهم مكدَّرين ، بل يظهر من وراها(١) ندامة . واستغفار يغسل ظلمات وكدورات أخر كثيرة ، ويورث الترقي ، وهذه الظلمة مفقودة في الملائكة ،

طريق الترقي مسدودة في الملائكة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾

ولهذا كان طريق الترقّي مسدوداً فيهم ، وإطلاق اسم الظلمة عليها من قبيل المدح بما يشبه الذم ، والعوام كالأنعام يعدُّون الصفات البشرية الصادرة من أهل الله كصفاتهم البشرية ، فيحرمون بهذا الاعتقاد بركاتهم ، وقياس الغائب على الشاهد فاسد ! ولكل مقام خصوصية على حدة ، ولكل محلٍّ لوازم مستقلة ، والسلام على مَنْ اتبع الهدى واتبع متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات . انتهى ٨٢ من هامش « المكتوبات » من الجزء الثاني راجعه .

وقد سألني بعض إخواننا المعنويين رحمه الله تعالى : ما السرُّ في

(١) هكذا في النسخة التي نقلناه منها ولعله من ورائها والله أعلم (منه) .

ميل الناس إلى الأخذ عن شيخ يجهر بالأذكار ، ويبتدع في الأوراد ، مع أنه لم يكن شيخاً أذن له شيخ ؟ وعدم ميلهم إلى الأخذ ممّن لا يجهر مع أنّه أفضل وأحقُّ وأقدم رُتْبَةً في مقام المشيخة ؟ فقلت له : السرُّ فيه وجود الحظوظات النفسانية في الأذكار اللسانية والدعوات الجهريّة ، وتخليط البدعات في تلك الطريقات ، وإذا ابتدع عمل في العبادة حلاّه الشيطان كما ورد : « من عمل ببدعة حلاّه الشيطان في العبادة ، وألقى عليه الخشوع والبكاء » ، فقال : صدقتَ واللهِ ! ولقد صدّق مَنْ قال من أهل التحقيق : **النفس أمارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين** . انتهى .

الباب العشرون

في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظن الناس أنهم على شيء

قال الغوث الأعظم أحمد ضيآء الدين في « المتممات » : وللشيطان وساوس كثيرة ، فإنّه يحسن لبعض الناس إظهار التواجد عند الذكر أو سماع القرآن ، ويدخل عليه بصورة نصيحة ، وهو أنك إذا تشبَّهت بالواجدين تكون منهم ، ويتلو له البيت الذي قاله بعضهم :

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالرجال فلاح

ثم إذا تواجد وتبع ما أمر به الشيطان تجلّى له من المِصْرَاعِ السفلي ، فينفخ فيه ، فيحصل له حرارة فيسوّل له أنّ هذا من تجلّي الحق فيصْرخ ، فيحصل الانقباض[1] لمن سمعه من أهل الباطن ، وعلامة

(١) ففي يوم ذهبنا إلى زيارة مرقد الشيخ الأعظم والقطب الأفخم محمود الفعال قدس=

ذلك ! لو كان وجده صحيحاً لأثَّر في جميع من كان حاضراً ، نعوذ بالله من اتباع الشيطان . انتهى .

وفي « الإبريز » ما ينبغي إيراده هنا لنفاسته لعل الإخوان ينتفعون به وهو هذه العبارات : وكنت معه يعني مع عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ذات يوم بموضع فجلس معنا رجل ، وبينما الشيخ رضي الله عنه يتكلَّم إذ جعل[1] الرجل يصيح صياحاً منكراً . وطال ذلك من أمره ، فقال لي الشيخ رضي الله عنه بعد ذلك : هو شيء كبير لولا أن الشياطين تلعب به ويفسدون عليه صلاته . فقلت : يا سيدي وكيف ؟

مطلب مهم

فقال رضي الله عنه أنّ وجهة القلوب إلى الله تعالى هي صلاتها

كما أنّ ركوع الذات وسجودها هو صلاتها ، وإنما شرعت الصلاة

=سره مع أخينا العالم العارف العامل بعمل أهل الله سيف الله الحسيني الغازي الغموقي رحمه الله تعالى ، فدخلنا إلى مرقده مع إتمام ما يجب من الآداب فوقفنا قريباً من قبره متوجّهين مشتغلين على الوقوف القلبي ، مستمدّين من حضرته العالية متضرّعين بقدر طاقتنا ومتوسّلين به إلى حصول الجمعية واجتناب التفرقة ، فحصل لنا بحمد الله تعالى حالاً وحضوراً وظهر فينا أثر الفيض بمحض فضل الله سبحانه وذهب من قلوبنا التفرقة بالكلية .

ثم دخلنا إلى مرقد الشيخ زبّان قدس سره الذي عند مرقد الشيخ محمود أفندي قدس سره فوجدنا فيه واحداً من المتصدرين للإرشاد يذكر الله تعالى وبيده السبحة فقبّلنا يده وصافحناه فجلسنا متأدّبين مستمدّين من حضرة الشيخ زبّان ومتوسلين به ، فأقبل وقتئذ ذلك الرجل للدعوات الجهريات والأذكار اللسانيات واشتغل بالتباكي والصياحات فزالت الجمعية القبلية « بتقديم الباء على اللام أي الجمعية الكائنة قبل الدخول عليه » وتضاعفت التفرقة القلبية ولم أطق أن أحضر بعد ذلك مع الله ولو اجتهدتُ متضرعاً إلى الله فسرنا منه مع الإنقباض بلا بقاء شيء من الإنبساط ظناً مني أن ذلك حصل بسبب ذلك الرجل ، فأقبل إلينا أخونا سيف الله المذكور قدس سره وصرّح ما حصل له من قبض الأحوال وقال أن ذلك بصنيع ذلك الرجل وهكذا قد جربناه مراراً ووجدناه صادقاً ، والله الموفق . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) وفي نسخة : صار .

وسائر الطاعات لتحصّل هذه الوجهة فهي نتيجة العبادات وفائدتها التي هي سبب ربح العبد ورحمته ، فإذا رأت الشياطين شخصاً أراد أن تحصل له هذه الوجهة من ذكر أو سماع كلام رقيق أو نحو ذلك نفذوا على قلبه فأفسدوا عليه وجهته حَسَداً لبني آدم وبُغْضاً فيهم ، فتحصل لهذا الصائح مفاسد منها فساد الوجهة التي هي سبب ربحه ، ومنها أنه يظنّ أنّه على شيء ، ومنها ما يخشى عليه من الانقطاع لأنّه بذلك الصياح يظن أنّه على شيء وكذلك الناس يظنّون أنه على شيء فيشيرون إليه ، **وويل لمن أشارت إليه الأصابع**.

قلت ومما يؤيِّد هذه ! الحكاية التي ذكرها الشيخ زرُّوق رضي الله عنه ، وملخصها أنّ قوماً من الفقرآء كانت عندهم بفاس مبيتة فكلّموا[(١)] شخصاً صادقاً في الذهاب معهم وكان أعمى ، فذهب معهم إلى الموضع ، فبينما هم يذكرون إذ قال الشيخ الأعمى رضي الله عنه : يا قوم قد دخل عليكم الشيطان في صورة عنز بقرونها ، ثم قال : فمن هو صاحب الغفارة الحمارة منكم ؟ فإنيّ رأيت الشيطان يَشُمُّهُ شَمّاً عنيفاً ، ثم صاح الأعمى وقال : إنّه نطحه بقرونه حتى غاصت فيه ، فلم يفرغ كلامه حتى صاح صاحب الغفارة وخرج عن حسِّه ، ثم قال الأعمى : ومن هو صاحب اللباس الفلاني فيكم فإنّي رأيت الشيطان قد انتقل إليه يشمّه ، ثم صاح[(٢)] لقد نطحه والله بقرونه نطحة منكرة ، فصاح المشموم وغاب عن حسِّه . انظر تمام الحكاية ، فافتضحوا بحضور ذلك الصادق معهم ، وكانوا قبله يحسبون أنهم على شيء ، فكانوا على جهل مركَّب .

وقد اتّفق أنه صاح بعض الناس بحضرة شيخ عارف فقال له

(١) وفي نسخة : فتكلموا .
(٢) أي قال .

الشيخ : إني تبعتُ صَيْحَتَكَ حتى دَخَلَتْ إلى قبر بمقبرة كذا . فقال الصائح ولم يكن من أصحاب ذلك الشيخ : صدقت يا سيدي لمّا مررت بكم فوجدتكم تذكرون محبوبكم ذكرتُ أنا محبوبتي ، وكانت ابنة عمّ لي ماتت ، وذلك هو قبرها ، فلما تذكّرْتها صحت من أَلَمِ فراقها ، والله أعلم . انتهى من ١٧١ .

ولعلّ أحوال هذا الخلق في هذه الديار الجبلية وتواجدهم حاصلة من مكائد الشيطان ، والحال أنهم يظنّون أن ما حصل لهم من الحزن والبكآء والتأوُّه والصياح والحركة والاضطراب وقْتَ الذكر في المجامع والمحافل هو من الله ، مع أن أكثرها في الحقيقة من تلبيس إبليس ، أو من تسويلات النفس ، وأكثر شغل مشايخهم في زعمهم الوعظ والنصيحة في المساجد والمجالس ، والإقبال على الأذكار الجهريات والدعوات الظاهرات لكي يحصل بها للناس الصيحات والحركات ، وهذا شيء مخوّف ينبغي للمشتغل بها أن يتفطَّن لئلا يكون سعيه تابعاً لمكائد الشيطان وتزييناته من حيث لا يشعر .

فائدة مهمة : سُئِلَ الشَيْخُ سليمان الزهدي قدس سره بهذه العبارات : هل يجوز الرقص والسماع في الطريقة الخالدية النقشبندية أو في الطرق المشهورة ؟ ! أفيدونا بالنقل الصريح عن السلف الصالحين والفقهآء العاملين .

فأجاب بقوله : أما الرقص في الطريقة الخالدية النقشبندية ! لا يجوّزونه أصلاً إلا تحريك إصبع بالسبحة في حالة الذكر لتعيين عدد الذكر المشروط لهم ، كما هو المشهور في كتبهم ورسائلهم ، **وأمّا غير النقشبندية** من الطرق المشهورة اختار بعض سلفهم الرقص والسماع لتهييج قلوب الغافلين إلى محبة الله تعالى ، ووجدوا فائدته فكان الارتكاب للمنافع بقيودات وشروط ، ولما روي من تمايله ﷺ

حين سماع ، ولكن قال : « لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب ولا نبي مرسل » فافهم .

وسئل الجنيد سيد الطائفة ـ قدس سره ـ عن تركه السماع فأجاب : بفقدان أهل السماع وفقد شروطه وقيوده وآدابه ، وقال : إنّ المريد الطالب للسماع فيه بقية بَطالة ، ولذا قيل لا يصح إلاّ لعارف مكين ، ولا يباح لمريد مبتدىء . كذا في « عوارف معارف » ومعاشر النقشبندية لا ينكرون ذلك على سلفهم ، ولا يقرّونه لخَلَفهم ، بل أصولهم اتّباع السنة النبويّة ، والعمل بأقوال الأئمة المرضيّة ، والفرار عن البدع الرديّة . قيل من كان وجدُه صحيحاً فلم يحتج إلى قول المغن :

له في ذاتــه طـــرب قديم وســـكر دائــم من غير دَنٍّ

وأمّا أقوال الأئمة كما في كتاب « الطريقة المحمدية » للبركوي ونكتفي بذكر بعض نصوصه بعبارته :

الصنف التاسع في آفات بدن غير مختصّة بعضو معيّن مما ذكر ، وهذه كثيرة جدّاً ومنها : الرقص وهو الحركة الموزونة ، والاضطراب وهو غير الموزونة ، فكلّ[1] من لعبٍ غيرِ مستثنى[2] ، ويدخل فيهما ما يفعله[3] بعض الصوفية في زماننا ، بل هو أشدّ من كل ما عداه منهما ، لأنهم يفعلونه على اعتقاد العبادة فيخاف عليهم أمْرٌ عظيم . قال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل : قد نصّ القرآن على النهي عن الرقص فقال ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وذمّ المختال ؛ والرقص أشدُّ المرح والبطر .

وقال الطرطوشي حين سئل عن مذهب الصوفية : أمّا الرقص

(١) أي كل واحد من الرقص والاضطراب ، « بريقة » ٥٧١ ج ٢ .
(٢) من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : كل لعب حرام غير الرمي والمسابقة والملاعبة لأهله ، « بريقة » ٤ .
(٣) بلا وجد حقيقي ، « بريقة » .

والتواجد[1] فأول من أحدثه أصحاب السامري! لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون عليه ويتوجدون، فهو دين الكفار وعبّاد العجل.

وقال في «التتارخانية»: الرقص في السماع لا يجوز.

وفي «الذخيرة» إنه كبيرة،

وقال الإمام البزازي رحمه الله في فتاواه: قال القرطبي رحمه الله: إن هذا الغنا وضرب القضيب والرقص حرام بالإجماع عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمه الله في مواضع من كتابه، وسيد الطائفة أحمد النسوي[2] رحمه الله صرّح بحرمته.

ورأيت فتوى شيخ الإسلام جلال الملة والدين الكيلاني ـ رحمه الله ـ أن مستحلّ هذا الرقص فاسق[3]. إلى آخر ما في الكتاب. ونظيره في كتاب «تبيين المحارم» وفي غيره كثير. قيل يرقصون رقص الفجار، وينعقون مثل الحمار، ويظنون أنهم على طريق الأبرار، بل هم أضلّ من الكفار.

أقول والسلامة في اتّباع السلف، وحقيقة العلم عند الله. قال تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ ولذلك كتب الحقير جواباً للسؤال، لا لأهل الجدال! فإنّ زماننا زمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ والعاقبة للمتقين. قد بُيّض في محرم ستة وتسعين بعد الألف والمائتين وأنا المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي

(١) وقال ابن حجر في «كف الرعاع» نقلاً عن السهروردي: التواجد من الذنوب. فليتق الله ربه ولا يتحرّك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك. فراجعه من هامش «الزواجر» من الجزء الأوّل (منه رحمه الله).

(٢) وفي نسخة: النسوي.

(٣) وفي نسخة كافر راجع البريقة في ٥٧٣ ج ٢ (منه).

المجدّدي ابن حسن بن سليمان بن محمود عفا عنهم وعن جميع الأنام ؛ المجاور ببلد الله الحرام . انتهى . من مجموعة الرسائل ١٠٤ .

ووجدت في هامشه من منهوّاته هذه العبارات : وأجمل جواب السؤال ، وجمّله في بيان حال كلّ فرقة وهم ثلاث ، منهم من يجوّزون الرقص[١] والسماع مطلقاً لتحصيل المنافع المعيّنة عندهم ، وأيّده بتمايله ﷺ ، ومنهم من يجوّزونهما لعارف مكين لا للمبتدىء ، وأيّده بقوله لي مع الله وقت ، ومنهم من لا يجوزونهما كالنقشبندية[٢] ـ والسائل منهم ـ وأيَّده بقول الفقهآء : فإن درْء المفسدة مقدم على جلب المصلحة . فكان الجواب كفصل الخطاب . انتهى . من مجموعة الرسائل .

ولقد كان في هذه المذكورات كفاية ، لكن لما كان هذا البحث مما كثر فيه القيل والقال بين الناس أردت أن أورِدَ هنا أقوال الفقهاء والصوفية لينظر إليها من أراد التحقيق .

وقال الخادمي في « البريقة المحمودة »[٣] وعن منيرة ابن الكمال عن « جواهر الفتاوى » : السماع والرقص الذي يفعله الصوفية في زماننا حرام ، ولا يجوز الجلوس معهم في مجلسهم ، والرقص والغناء والمزامير في الحرمة سوآء . انتهى .

وفيه في ٥٧٤ : وفي النصاب هل يجوز الرقص في السماع ؟

---

(١) راجع إحياء علوم الدين من ٢٢٨ من الجزء الثاني . ففيه ما حاصله : أن الرقص والتباكي مباح إذا لم يقصد به المراآت لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ، فكل سرور مباح فيجوز تحريكه . اهي (منه) .

(٢) قال الإمام الرباني قدس سره أن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ويبلغ الأمر فيه حد الرخصة بعد تمحل كثير وأين فيه المجال للعزيمة بعد وكذلك ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة اهي كذا في الدرر المكنونات في ٣١٤ من الجزء الأول راجعه (منه) .

(٣) في ٥٧٤ ج ٢ .

الجواب : أنه لا يجوز . وعن « الذخيرة » ومن أباحه من المشائخ[1] فذلك الذي حركاته كحركات المرتعش ، أي ما يكون بلا اختيار . ونقل عن « حاوي المنية » **الرقص وضرب الرجل على الأرض والمشي في الذكر والدوران كفر** . انتهى . لعلّ مراده استحلاله ، واعتقاد كونه عبادة .

وعن السهروردي وهو عن أبي العباس السقا يقول : تطوف الشياطين عراة بأطراف قوم يشتغلون بالسماع والرقص ، ويلعبون بينهم ، وينفخون في فيهم فيتواجدون . انتهى .

وفيه أيضاً : وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى ومشى بها على المذاهب الأربعة ، ولفظه : ما تقول السادة الفقهآء أئمة الدين وعلمآء المسلمين في جماعة من المسلمين وردوا على بلد ، فقصدوا إلى المسجد وشرعوا يصفقون ويرقصون ، فهل يجوز في المساجد شرعاً ؟ أفتونا مأجورين يرحمكم الله . فقال :

قالت الشافعية : الغنآء لهو باطل ـ أي يشبه الباطل ـ من قال به تردُّ شهادته .

وقالت المالكية : يجب على ولاة الأمور زجرهم ورَدْعهم وإخراجهم من المساجد وحبسهم حتى يتوبوا ويرجعوا .

وقالت الحنابلة : لا يصلَّى خلفه ، ولا تقبل شهادته ولا حكمه .

وقالت الحنفية : الحصير التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل ، والأرض التي يرقص عليها لا يصلى[2] عليها حتى يحفر ترابها ويرمى . والله أعلم انتهى ٥٧٥ .

---

(١) وما قيل عن بعض الصوفية بجوازه مع التكسر فهو كذب محض وخيال باطل ، أو محمول على ما ليس بالاختيار « شهاب » ٣٠١ من الجزء الرابع . (منه) .

(٢) ولكن في الفتاوى العمرية ما حاصله أن هذا « أي قول هذا القائل » باطل لا أصل له فراجعه (منه) .

وفي « بغية المسترشدين » مسألة (ك) التصفيق باليد وضربُ للدُّف والرقص وضرب الصنج في حال الذكر ليس بمطلوب ، لا سيما حال القراءة ، إلا إن غلبه الحال وخرج عن الاختيار ! فلا لوم عليه .

ونقل ابن حجر عن الطرطوسي[١] ما حاصله : أن مذهب السادة الصوفية أنّ الرقص وضرب الدُف والشباب بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأمّا الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري حين اتخذ لهم العجل فقاموا يرقصون ويتواجدون[٢] ، وإنما كان مجلس رسول الله ﷺ مع أصحابه كأنّ على رؤسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوَّابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، أو يعينهم على باطلهم . هذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة[٣] المسلمين انتهى .

---

(١) قوله عن الطرطوسي هكذا في النسخة التي نقلناه ولعله القرطبي لأن ابن حجر قال في « كف الرعاع » تتمة نقل القرطبي عن الإمام السيوطي الخ ، ثم ذكر عين ما يأتي حرفاً بحرف ولهذا ترجيت ، والله أعلم (منه قدس سره العزيز) .
وذكر ابن حجر أيضاً في « الزواجر » ما حاصله هذا : إن نحو الرقص والدف فيه خلاف ، وإنه لم تأت شريعة قط بأنه قربة ، وإن من قال بحلّه إنما جعله مباحاً ، وإن من اصطفاه لدينه متعبداً بحضوره فقد باء بحسرة وخسارة ، وإن العارف المشتاق إذا هزّه وجد فهام في سكراته لا يلحقه لوم بل يحمد حال لطيب ما يلقاه من اللذات . انتهى . نقله عن بعض ثم قال : قال غيره : أما سماع أهل الوقت فحرام بلا شك ، ففيه من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وافتتان العامة باللهو ؛ ما لا يحصي . فالواجب على الإمام قصرهم عنه . انتهى . فراجعه في ١٧٣ من الجزء الثاني . وأما ما ذكره الغزالي في « الإحياء » فحاصله : أن السماع والغناء الذيْن يحركان مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين فغير جائز ، وأما ما يحرّك الشوق إليه أو السرور بالعيد أو حدوث الولد وقدوم الغائب ، فجائز والله أعلم . فراجعه في بيان حجج القائلين بتحريم السماع ، والجواب عنها في صحيفة ١٩٤ من الجزء الأوّل (منه رحمه الله) .
(٢) وهو – أي : الرقص دين الكفار وعباد العجل ، « كف الرعاع » لابن حجر .
(٣) قال ابن حجر في « كف الرعاع » بعد نقله هذا الكلام إلى هنا : فتأمّله واحفظه فإنه حقّ ، وغيره باطل الذي غايته القطيعة والآثام ، فراجعه في ٥١ من هامش « الزواجر » من الجزء الأوّل . (منه من خطه) .

وما ذكره من التصفيق وما بعده فقد اخْتُلفَ في تحريمه . أمّا التصفيق باليد خارج الصلاة من الرجل فقال م ر بحرمته حيث كان للّهو أو قصد به التشبُّه بالنساء ، ومال ابن حجر إلى كراهته ولو بقصد اللعب ، وأمّا الضرب بالدُف فصرّح ابن حجر بأنّ المعتمد حلُّه بلا كراهة في عرس وختان وغيرهما ، وتركه أفضل ، وأمّا الرقص بلا تكسُّر وتثنٍ فالذي اعتمده ابن حجر أنه مكروه ونقل عن بعض أصحابنا حرمته إن أكثر منه أما هو بتكسر وتثن فحرام مطلقاً حتى على النساء ! كما صرح[١] به في « كف الرعاع » .[٢]

وأما ضرب الخشب بعضه على بعض فقد نقل (سم) حرمته كالضرب بالصفاقتين ـ وهما قطعتا صفر تضرب إحداهما على الأخرى

---

(١) وعبارته في « كف الرعاع » هذا : وقال بعض أصحابنا : إنْ أكثر منه حرم وإلا فلا . انتهى من ٤٥ من هامش الجزء الأول من « الزواجر » . وفيه : وأشار القاضي حسين في « تعليقه » والغزالي في « الإحياء » إلى أن محلّ الخلاف ؛ فيمن فعله باختياره ، بخلاف منٍ كان من أهل الأحوال ، فحصل له وجد اضطرّه إليه . فإن هذا لاحرمة ولا كراهة عليه اتفاقاً . وعلى هذه الحالة يحمل ما حكي عن العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى ورضي به : أنه كان يرقص في السماع . وممّا يعين هذا الاحتمال المذكور ويردّ على من توهّم من فعله أنه يفعله عن اختياره فجعله حجة لدعواه الفاسدة وبضاعته الكاسدة : قوله نفسه في « قواعده » التي لم يصنّف مثلها : أما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا أرْعَنُ أو متصنّع جاهل . ويدل على جهالة فاعلهما : أن الشريعة لم ترد بها لا في كتاب ولا سنة ، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ، وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء . وقد حرّم بعض الفقهاء التصفيق على الرجال لقوله ﷺ « التصفيق للنساء » . انتهى كلامه . فبعد صدور هذه العبارة منه وهو أخشى لله وانقاه من أن يتكلّم في كتابه الذي هو نتيجة علومه ومعارفه بما يفعل خلافه على رؤس الأشهاد هي لعلة ، وكيف يتوهم فيه صدور ذلك منه . وبفرض صحّته عنه يتعيّن حمله على أنه إنما فعله اضطراراً لعروض حال أزعجه وأخرجه عن اختياره : وقد عرفت أن هذه الحالة ليست من محلّ الخلاف ، فاحفظ ذلك . وردّ به من زلّ في هذه المسألة قدمه ، وطغا في حكمها فهمه وقلمه . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجع في ٥٦ من هامش « الزواجر » من الجزء الأوّل . (منه قدس سره) .

(٢) عن محرمات اللهو والسماع هو كتاب ألفه ابن حجر راجع « فتاويه » في ٣٦١ ج ٤ .

ويسمى الصنج ـ وأفتى ابن حجر بحرمة ضرب الأقلام على الصينيّ وضرب قطعة منه على الأخرى ، وبالجملة فكل ذلك إما حرام ، أو مكروه ، أو خلاف الأولى . انتهى فراجعه في ٣٠٢ .

وقال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » مجيباً لمن سأله : هل لرقص الصوفية أصل أم لا ؟ نعم له أصل ! فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لمّا قال له اشبهت خَلقي وخُلقي . وذلك من لذة هذا الخطاب . ولم ينكر عليه السلام ، وقد صحَّ القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ، منهم : عز الدين[1] ـ شيخ الإسلام ـ ابن عبد السلام . انتهى فراجعه من صحيفة ٢١٧ .

وقال النووي في « المنهاج » : ويحرم ضرب الكوبة الخ لا الرقص ! إلا أن يكون فيه تكسُّر كفعل المخنَّث . انتهى .

وقال المحلي في شرحه : فيحرم . قال الشهاب : قوله : فيحرم أي على الرجال والنسآء ، وما ورد من أنه ﷺ وقف لعائشة يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون ـ والزفن بالزاء المعجمة والفاء الرقص محمول على أنه كان بغير تكسُّر ، وما قيل عن بعض الصوفية بجوازه مع التكسُّر فهو كذب محض ، وخيال باطل ، أو محمول على ما ليس بالاختيار . انتهى فراجعه في ٣٠١ من الجزء الرابع .

وقال ابن حجر أيضاً في « الفتاوى الكبرى الفقهية » : **وأما الرقص فلا يحرم ، لفعل الحبشة له في حضرته ﷺ مع تقريره عليه . وقال جماعة يكره لخَرْمِ المروءة** . وفصّل الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ بين

(١) وهذا محمول على أنه قدس سره إنما فعله اضطراراً لعروض حال أزعجه وأخرجه عن اختياره ، كما بينه ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٥٦ من هامش « الزواجر » من الجلد الأول (منه قدس سره) .

أرباب الأحوال الذين يقومون بوجدٍ فيجوز لهم ، ويكره لغيرهم .

ونقل عن القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ ردَّ الشهادة به لغير أرباب الأحوال ، وهو متَّجه حيث كان لهم منصب أو فخامة تقتضي أن ذلك خارم لمروءته غير لائق به تعاطيه ، وإلا فلا وجه لردِّ الشهادة به لأنه غير خارم للمرؤة حينئذ .

قال البلقيني رحمه الله تعالى : ولا حاجة لاستثناء أرباب الأحوال لأنّه ليس[1] بالاختيار ، ومحلُّ ذلك كله حيث لم يكن فيه حرمة كفعل المخنثين ، وإلاّ حرُم !

وأما التصفيق باليد للرجال ! فنقل ابن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ عن بعضهم أنّه حرام . وجزم به المراعي ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه نظر ! ونيّة التقرُّب بذلك لا يخفى على أحد أنّه حرام . . الخ فراجعه في ٣٥٦ من الجزء الرابع .

وقال ابن حجر أيضاً في « التحفة » في شرح قول « المنهاج » : (لا الرقص) فلا يحرم ولا يكره لأنه مجرَّد حركات على استقامة أو اعوجاج ، ولأنه ﷺ أقرّ الحبشة عليه في مسجده[2] يوم عيد . رواه الشيخان .

---

(١) فلا يوصف بإباحة ولا غيرها وهذا ظاهر إذا كانوا موصوفين بهذه الصفة وإلا فتجد أكثر من يفعل ذلك ليس موصوفاً بها . ولذا قال ابن عبد السلام : الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء انتهى . « حميدية » ٢٢١ فراجه (منه) .

(٢) ولكن المحقق ابن حجر ذكر في كتابه « كف الرعاع » كلاماً شافياً يؤخذ منه منع الرقص في المساجد ، فقال : قال الأذرعي في « توسطه » واعلم أن طوائف من المغرورين بالرقص من المتفقرة ؛ أي : المتصوفة ومنحذا حذوهم من المتفقهة ، توهموا أن حديث الزفن حبشة بالمسجد ؛ وهو بالزاي والفاء والنون : الرقص دليل على جواز الرقص في المساجد مع ضمية الفناء والطارات إليه ، وذلك خطأ صريح وجهل قبيح ، يعرف ببيان الحديث والجواب عنه . كما هو مذكور في كلام القرطبي . أما الحديث ؛ فالذي رواه البخاري ومسلم فيه : أن ذلك كان يوم عيدٍ يلعب السودان بالدَرَقِ والحراب في المسجد . فقال رسول الله ﷺ لعائشة : « تشتهين تنظرين ؟ » فقالت : نعم . فأقامني رسول الله ﷺ وراءه ، خدي على خده وهو=

واستثنى بعضهم أرباب الأحوال فلا يكره لهم ، وإن قلنا بكراهته التي جرى عليها جمع . وردَّه البلقيني بأنه إن كان باختيارهم فهم كغيرهم ، وإلاّ فليسوا مكلَّفين ! ثم اعتمد القول بتحريمه إذا كثر بحيث اسقط المروءة ، وما ذكره آخراً[1] فيه نظر ! وأوّلاً[2] واضح جليٌّ يجب طرده في سائر ما يحكى عن الصوفية مما يخالف ظواهر الشرع فلا يحتجُّ به لأنّه إن صدر عنهم في حال تكليفهم فهم كغيرهم[3] ، أو مع

=يقول : « دونكم يا بني أرفدة » ووجه تمسكهم أنهم رقصوا في المسجد وأمرهم النبي ﷺ بل أغراهم بقوله : دونكم يا بني أرفدة هم أباح لعائشة النظر إليهم فكان دليلاً على إباحة الرقص وجوازه . والجواب : إن هذا الحديث لا يتناول محال النزاع ، فإن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً على غناء ولا ضرباً لأقدام ولا إشارة بالأكمام ، بل كان لعباً بالصلاح وتأهباً للكفار تدريباً على استعمال سلاح في الحرب وتمريناً على الكر والفر وطعن والضرب . وإذا كان هذا هو الشأن ، فليس أفعال المخانث والمخنثين من أفعال الأبطال والشجعان . وأما إباحة النظر إليهم ، فلأنه لم يكن بحضرتهم منكر يغير ولا عورة تظهر . وتمسكوا أيضاً بأنه ﷺ قال لعلي : « أنت مني وأنا منك » فحجل وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » فحجل ، وكذلك حجل جعفر لما وصى له بابنة حمزة حين خاصمه فيها علي وزيد والحجل مشي المقيد . وهو وثب واهتزاز وهو الرقص . والجواب إن هذه كلها أحاديث منكرة وألفاظ موضوعة مزورة ، ولو سلمت صحتها لم تتحقق حجتها ، أي : لأن المحرم هو الاحتجاج على إباحة الرقص بحديث رقص الحبشة في المسجد ، وبأن علياً وجعفر وزيداً حجلوا لما بشرهم النبي ﷺ . ووجه خطأه ما تقرر ؛ من أن رقص الحبشة لم يكن من الرقص المختلف فيه ، وأن ما ذكر هؤلاء الثلاثة رضوان الله عليهم كذب مختلف ، لا تحل روايته ولا الاحتجاج به . إذا تقرر أن فعل الحبشة ليس من المختلف فيه وأن ما روي عن أولائك الأئمة كذب ، بطل قول صاحب الكتاب إن القياس على ذلك حجة على إباحة الرقص . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٤٩ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . وفي « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » : إنه لم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط ، لا بكف ولا بدف ولا تواجد ، ولا سقطت بردته بل كان ذلك كذباً باتفاق أهل العلم بحديثه . وكان أصحاب النبي ﷺ إذا إجتمعوا عمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون . انتهى فراجعه في ٧٧ (منه خطه قدس سره العزيز) .

(١) أي اعتماد القول بتحريمه إذا كثر ، « حميدية » ٢٢٢ ج ١٠ .

(٢) أي ردّ بأنّه إن كان باختياره الخ . « حميدية » .

(٣) أي : في الإباحة على الراجح والكراهة على خلافه « حاشية عبد الحميد » ٢٢٢ ج١٠ .

غيبتهم لم يكونوا مكلّفين به . وقد مرّ في الردة في ردّ كلام اليافعي[1] ما يجب استحضاره هنا .

ونقلُ الاسنوي عن العز بن عبد السلام أنه كان يرقص في السماع ، يحمل على مجرّد القيام والتحرُّك لغلبة وَجْد وشهود وارد ، أو تجلٍّ لا يعرفه إلاّ أهله ، نفعنا الله بهم . آمين .

ثم قال الإمام إسماعيل الحضرمي في « موقف الشمس » لما سئل عن قوم يتحرّكون في السماع : هؤلاء قوم يروِّحون قلوبهم بالأصوات الحسنة حتى يصيروا روحانيين ، فهم بالقلوب مع الحق ؛ وبالأجساد مع الخلق ، ومع هذا لا يؤمن عليهم العدوّ ، فلا يرى عليهم فيما فعلوا ، ولا يقتدى بما قالوا . انتهى .

---

(١) تنبيه ثالث : قال الغزالي : من زعم أن له مع الله حالاً أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم نحو شرب الخمر وجب قتله ، وإن كان الحكم بخلوده في النار نظر ! وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر ، لأن ضرره أكثر . انتهى . ولا نظر في خلوده لأنه مرتد لاستحلاله ما عُلمت حرمته ، أو نفيه وجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما . ومن ثم جزم في « الأنوار » بخلوده ، ووقع لليافعي مع جلالته في « روضه » لو أذن الله تعالى لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلاً وعلم الإذن يقيناً فلبسه لم يكن منتهكاً للشرع ، وحصول اليقين له من حيث حصوله للخضر بقتله الغلام إذ هو ولي لا نبي على الصحيح . انتهى . وقوله مثلاً ربما يدخل فيه ما زعمه بعض المتصوِّفة الذي ذكره الغزالي . وبفرض أن اليافعي لم يُرد بـ(مثلاً) إلا ما هو مثل الحرير في أن استحلاله غير مكفر لعدم علمه ضرورة فإن أراد بعدم انتهاكه للشرع أن له نوع عذر وإن كنا نقضي عليه بالإثم بل والفسق إن أدام ذلك فله نوع اتجاه ، أو أنه لا حرمة عليه في لبسه . كما هو الظاهر من سياق كلامه ، فهو زلَّة منه . لأن ذلك اليقين إنما يكون بالإلهام ، وهو ليس بحجة عند الأئمة ، إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . وبفرض أنه حجة فشرطه عند من يأذن بالقول به أن لا يعارضه بنصّ شرعي كالنص بمنع لبس الحرير المجمع عليه ، إلا من شذ ممن لا يعتدُّ بخلافه فيه ، وبتسليم أن الخضر وليّ ، وإلا فالأصح أنه نبي فمن أين لنا أن الإلهام لم يكن حجة في ذلك الزمن ؟ وبفرض أنه غير حجَّة فالأنبياء في زمنه موجودون ! فلعل الإذن في قتل الغلام جاء إليه على يد أحدهم . ابن حجر ٨٨٠ . ومن هامش ج عبد الحميد الشرواني من المجلد التاسع ، فراجعه ، ولأجل أن تراه نقلته هنا والسلام (منه) .

وعن بعضهم : تقبل شهادة الصوفية الذين يرقصون على الدُف ، لاعتقادهم أنَّ ذلك قربة ، كما تقبل شهادة حنفيٍّ شرب النبيذ لاعتقاده إباحته . انتهى . ورُدّ بأنه خطأ قبيح ، لأن اعتقاد الحنفي نشأ عن تقليد صحيح ؛ ولا كذلك غيره ، وإنما منشؤُه الجهل والتقصير ، فكان خيالاً باطلاً لا يلتفت إليه انتهى . فراجعه من كتاب الشهادة .

وأما[1] نفس السماع ! فقد ذكر فيه القشيري في « رسالته » في ١٧٨ كلاماً شافياً ، فقال :

واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظوراً ، ولم يسمع على مذموم في الشرع ، ولم ينجرَّ في زمام هواه ، ولم ينخرط في سلك لهوه مباحٌ في الجملة ، ولا خلاف أنّ الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله ﷺ وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها ، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة ، فلا يتغيَّر الحكم بأن يسمع بالألحان ، هذا ظاهر من الأمر ، ثم ما يوجب للمستمع توفُّر الرغبة على الطاعات ، وتذكُّر ما أعدَّ الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ، ويحمله على التحرز من الزلات ، ويؤدي إلى قلبه في الحال صفاء الواردت ، مستحبٌّ في الدين ، ومختار في الشرع[2] ، انتهى .

---

(١) راجع « جواهر المعاني » في ١١١ من الجزء الأول . (منه) .

(٢) قال بعض الأئمة من أهل اليمن : وأما سماع أهل الوقت فمحرم بلا شك ، ففيه من المنكرات وافتتان الرجال بالنساء وافتتان العامة باللهو ما لا يحصى . فالواجب على الإمام قصرهم عنه . كذا في « كف الرعاع » فراجعه في ٦٠ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . وفي « الفرقان بين الأولياء الرحمن وأولياء الشيطان » في صحيفة ٧٨ : وأما السماع محدث سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحصان ، وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة . حتى قال الشافعي : خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التفيير يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم . ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة يؤثر في النفوس أعظم من تأثير=

وقال الإمام الرباني ـ قدس سره ـ : والسماع والوجد مضرٌّ للمبتديء ، ومناف لعروجه ؛ وإن وقع بالشرائط ! وسيحرِّر نبذة من شرائط السماع في آخر هذه الرسالة إن شآء الله تعالى . **ووجد المبتدئ معلول ، وحاله وبالٌ ، وحركته طبيعيّة ، وتحركه مشوب بالهوى النفساني**؛ وأعني بالمبتدىء[1] من ليس من أرباب القلوب ؛ وأرباب القلوب متوسِّطون بين المبتدىء ، والمنتهي هو الفاني في الله والباقي بالله ، وهو الواصل الكامل ؛ وللانتهآء درجات بعضها فوق بعض ، وللوصول مراتب لا يمكن قطعها أبد الآبدين .

وبالجملة : إن السماع نافع للمتوسطين وطائفة للمنتهين أيضاً[2] كما مر آنفاً ، ولكن ينبغي أن يعلم أن السماع لا يحتاج إليه أرباب القلوب أيضاً مطلقاً ، بل جماعة منهم لم يشرفوا بعد بِدَوْلة الجذبة ، ويريدون قطع المسافة بالرياضات والمجاهدات الشاقة ، فالسماع

=الخمر ، ولهذا إذا قويت سكر أهل نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألسنة بعضهم ، وعملت بعضهم في الهواء . وقد تحصل عداوة فيهم كما تحصل بين شراب الخمر ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر ، فيقتدونه ويظن الجهال أن هذا من كرامة الأولياء الله المتقين ، وإنما هذا بعد لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال الشياطين . فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله ، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أوليائه ، وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة . انتهى (منه رحمه الله) .

(١) وفي « الإحياء » في ٢٢٧ من الجزء الثاني ، قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوّال يقول خير لهم من أن يغتابوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك شرّ من أن يغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك انتهى ، « وذلك أن زلة السماع إشارة إلى الله تعالى وترويج للحال بصريح المحال وفي ذلك ذنوب متعدد ، منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئاً وما وهب له والكذب على الله أقبح الزلات ، ومنها اه ، كذا في « عوارف المعارف » في ١٣ من هامش « الإحياء » ج ٢ منه » .

(٢) ومن وصايا الغوث عبد الخالق الغجدواني ولا تسمع الأنغام إلا قليلاً فإن كثرة السماع تولد النفاق وتميت القلب اه ، كذا في « الحدائق الوردية » في ١١١ راجعه (منه) . وفي « عوارف المعارف » فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق انتهى ، فراجعه في صحيفة ١٢٩ من هامش « الإحياء » من الجزء الثاني (منه) .

والوجد مُمِدٌّ ومعاون لهؤلاء الجماعة في هذه الصورة ، وأما إذا كان أرباب القلوب من المجذوبين ! فقطع مسالك سيرهم بمدد الجذبة ، وليسوا محتاجين إلى السماع .

مطلب

شروط السماع مفقودة في سماع أبناء الزمان

وينبغي أيضاً أن يعلم أنّ نفع السماع لأرباب القلوب الغير المجذوبين ليس على إطلاقه ، بل الانتفاع به مشروط بالشرائط ، وبدونها خرط القتاد ، فمن جملة الشرائط عدم الاعتقاد لكمال نفسه ، فلو كان معتقداً لتمامية نفسه فهو محبوس .

نعم ! قد يورثه السماع أيضاً من العروج ، ولكنّه يهبط من مقام عرج إليه وقت السماع بعد التسكين .

والشرائط المبينة في كتب الأكابر مستقيمي الأحوال كـ « عوارف المعارف » أكثرها مفقودة في سماع أبنآء هذا الزمان ، بل مثل هذا السماع[1] الذي شاع في هذا الزمان ، وهذا الاجتماع الذي صار متعارفاً في هذا الأوان لا شك في أنّه مضرٌّ محضٌ ، ومنافٍ صِرْفٌ ، لا طمع للعروج فيه ، ولا يتصور الصعود والترقي به ، وإمداد السماع مفقود في هذا المحل ، والمضرة موجودة في ذلك المحفل . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٠٦ من الجزء الأول فراجعه .

مطلب

أرباب التجليات الذاتية لا يحتاجون إلى الوجد والسماع

(١) وفي « الشهاب » في ٣٠٠ من الجزء الرابع وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر أو غير ذلك فهو من تهورهم وضلالهم فلا يعول عليه ، انتهى فراجعه (منه) .

وفيه أيضاً قبيل هذا في ٣٠٦ : إنّ السماع والوجد[١] نافع لجماعة متّصفون بتقلُّب الأحوال ، ومتَّسمون بتبدُّل الأوقات ، ففي وقت حاضرون ، وفي وقت غائبون ، وأحياناً واجدون ، وأحياناً فاقدون ، وهم أرباب القلوب ينتقلون في مقام التجليات الصفاتية عن صفة إلى صفة ، ويتحوَّلون من اسم إلى اسم ، تلوُّن الأحوال نَقْدُ وقتهم ، وتشتّت الآمال حاصل مقامهم ، ودوام الحال محال في حقهم ، واستمرار الوقت ممتنع في شأنهم ، فزماناً في القبض وزماناً في البسط ، فهم أبناء الوقت ومَغْلُوبُوهُ ، فمرَّةً يعرجون ، ومرّة يهبطون .

وأمّا أرباب التجليات الذاتية الذين تخلّصوا من مقام القلب بالتمام ، واتصلوا بمقلّب القلوب[٢] ، ورجعوا بكليتهم من رقيّة الأحوال إلى محوّل الأحوال ، فهم ليسوا محتاجين إلى الوجد والسماع ، فإن وقتهم دائمي ، وحالهم سرمدي ، بل لا وقت لهم ولا حال فهم آباء الوقت واأرباب التمكين وهم الواصلون الذين لا رجوع لهم أصلاً ، ولا فقد لهم قطعاً ، فمن لا فقد له لا وَجْد[٣] له ، نعم إنّ طائفة من المنتهين

(١) وقال الشيخ الشعراني في « الكبريت الأحمر » نقلاً عن « الفتوحات المكية » للشيخ الأكبر قدس سره : إنه قال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة : لا ينبغي للأشياخ أن يتسلّموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الإحساس بمن في المجلس ، ولا تسلم له حركته إلا إن غاب ، ومهما أحسّ بمن في المجلس تعيّن عليه أن يجلس إلا أن يعرّف الحاضرين أنه متواجد لا صاحب وجد ، فيسلّم له ذلك على أن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها . انتهى راجعه في ١٩٠ من هامش « اليواقيت » في الجزء الأول وفي « مكاشفة القلوب » في الباب الثامن والتسعون في بيان السماع كلام طويل في حقّ السماع والغناء فراجعه في ٢٩٤ . ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي نسخة القلب . .

(٣) فإن قلت : هل الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً ومصاحباً في الأحوال كلّها فلا يتبيّن للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال . فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد=

ينفعهم السماع أيضاً مع وجود استمرار الوقت ، انتهى . فراجعه[1] ففيه البسط النافع[2] .

ولنرجع إلى الكلام في الرقص ، قال الخادمي في « البريقة المحمودة » شرح (الطريقة المحمدية)[3] :

وحين استفتي من شيخ الإسلام چوي زاده أفتى : أنّ الرقص والدوران حرام في المذاهب الأربعة ، وحرمته بالكتاب والسنة

=دائم فهو المرابط للحقّ والملازم لعين الشهود ، فهذا لا تغيّره طوارق الأحوال . ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصدّيق رضي الله عنه : كنّا كما كنتم ثم قست قلوبنا ؛ معناه : قويت قلوبنا واشتدّت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال ، فنحن في سماع القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا طارئاً علينا حتى نتأثر به فإذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يغلب أحدهما للآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك ، فلا تظننّ أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجداً من الساكن باضطرابه ، بل ربّ ساكن أتمّ وجداً من المضطرب كذا في « الإحياء » في ٢٠٨ من الجزء الثاني . وفيه بعيد هذا : إن سهلاً بن عبد الله سمع مرّة قوله تعالى ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ فاضطرب ، فسأله ابن سالم وكان من أصحابه ، فقال : ضعفت ، فقيل له : فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال ؟ فقال : أن لا يرد عليه حال إلا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيّره الواردات وإن كانت قويّة . وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود . فراجعه (منه قدس سره) .

وفي « الإحياء » في ٢٢٧ من الجزء الثاني وفيه بعيد هذا أن سهلاً بن عبد الله سمع مرة قوله تعالى ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضعفتُ فقيل له فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيّره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود . انتهى فراجعه (منه قدس سره) .

(١) في المكتوب الخامس والثمانين والمأتين ، ومثله في « الحدائق الوردية » في ١٨٨ (منه)

(٢) وفي نسخة : الزائد . وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في « الزواجر » كلاماً طويلاً في السماع ، وقال بعد نقله كلام العلماء في حقّ السماع والرقص : وبما ذكره يتبين تحريم السماع والرقص على أكثر متصوّفة الزمان لفقد شروط القيام بآدابه . انتهى فراجعه في ١٧٤ من الجزء الثاني . وآدابه مذكورة في « الإحياء » فراجعه في ٣٠٧ من الجزء الثاني (منه قدس سره) .

(٣) في ٥٧٦ من الجزء الثاني (منه) .

والإجماع ، فيكفر مستحلّه بالاتفاق .

ثم **اعلم** أن الشارح الطالح استدلّ على إباحة الرقص بوجوه اعتراضاً على المصنف بقوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ** ﴾ فإن معناه على ما قال المفسرون ـ على كلّ حال ، والرقص من جملة تلك الأحوال .

أقول أوّلاً : لسْنا مأمورين باتِّباع المفسرين ، بل كنّا مأمورين باتباع الفقهآء ، وقد عرفت أقوالهم .

وثانياً : إنّ كل الحال لو أريد على إطلاقه يشمل على حال اللهو واللعب والهَزَيَانات ، وقد صرّحوا بكفره .

وبقوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الآية . فإنّ دوران الصوفية ورقصهم شبيه بالملائكة الحافّين من حول العرش ، والحجّاج الطائفين بالبيت الحرام .

أقول : إنّه قياس شاهد على غائب ، ورأيٌ في مقابلة نص قطعيّ كما عرفت ، وأن الاحتجاج بالنصوص سيّما في مثل هذا الأمر الخفيِّ والمجتهد[1] فيه إنما هو للمجتهدين ، وإنّ مدار القياس على العلة المتعدِّية ، وليس هنا شيء يصلح لذلك ، بل تعبُّدي محض . وإنَّ دوران الملائكة ـ لو سُلِّم انفهامه من تلك الآية ، ودوران الحُجّاج ـ خارج عن سُنن القياس فلا يقاس عليه غيره .

وأجيب بأنّ فعل الحجَّاج عبادة مخصوصة بمكان مخصوص فلا يتصوَّر عبادة في غيره . ألا يرى أنّ من طاف حول المسجد ينوي به الكعبة يخشى عليه الكفر ! ! انتهى .

وأنا أقول : لو لا خشية تفصيل الباطل بلا ضرورة لحكيت باقي

---

(١) عله والاجتهاد فيه (منه) .

أباطيله ، مع بيان وجه بطلانه ، انتهى .

نعم ! الذكر قياما وقعوداً وعلى جنوبهم جائز إذا كان بأدب وسكونِ أعضآء بلا لحنٍ[1] ولا تغنٍّ ، وأما تحريك الرأس فقط يُمْنَةً ويُسْرَةً تحقيقاً لمعنى النفي والإثبات في (لا إله إلا الله) ! ! فالظن الغالب جوازه ، بل استحبابه إذا كان مع النية الخالصة الصالحة فيخرج عن حدِّ العبث واللعب . انتهى « الطريقة المحمدية » من صحيفة ١٧٥ . لأنّ العبث ما لا فائدة فيه والتحقيق المذكور من أعظم الفوائد انتهى « بريقة » ٥٧٧ .

وفي « الفتاوى العمرية » : **والحاصل** أنّ الرقص المجرّد مباح عند الشافعي مطلقا ، إلا إذا كان في محل فسق وفجور ، أو كان بتكسر أو تثني كفعل المخنّثين .

ثم الرقص على ثلاثة أقسام : إن كان سببه حراماً فحرام ، وإن كان مباحاً فمباح ، وإن كان محموداً فمحمود ، وكذا السماع . انتهى فراجعه .

والكلام في جواز الحركة والاضطراب والرقص والدوران وعدم جوازهما كثير في المصنفات ، ففي هذه المذكورات كفاية لمن أراد الوقاية عن الوقوع في المشكلات والمتشابهات .

---

(١) وفي « حاشية الرملي » : ومن الصوفية قوم مبتدعة يغيّرون ما فعل البني ﷺ وأصحابه ، خصوصاً في شهادة أن لا إله إلا الله لتجهير أصواتهم وأنواع ألحانهم ، و تحريكهم واهتزازهم وحلقتهم ، وربما يجاوز لحنهم إلى أن عدل ، فما يقبح هذا اللحن في شهادة يبدأ الإسلام . وربما يجاوز التحريك إلى القيام والدور كالرحى إلى أن وقع مغشياً عليه ويزيل عقله بارادته كما يزيل الفاسق بشرب الخمر ؛ ما أشد حكاقة من يتعب نفسه بهذه البدعة كالجاهل الذي قصد بلهو الدنيا . انتهى فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

الباب الحادي والعشرون

في بيان قاعدة التلقين، وكيفية أخذ الذكر

وفي شرح رسالة الخادمي : وكيفية التلقين بعد ثبوت صِدق المريد أن يأمره الشيخ بالاستخارة ، وأن يستخير هو أيضاً ، فإن وافقت استخارتهما ! يأمر الشيخ المريد أن يغتسل غسل التوبة ، ثم يصلّي المريد صلاة التوبة ركعتين ، ثم يتصدّق بصَدَقةٍ ، ثم يجيء عند الشيخ فيجلسه الشيخ بين يديه ، ويلصق ركبتيه بركبتيه[١] ، ثم يأخذ الشيخ بيده اليمنى يد المريد كالمصافح له ثم يستتيبه عن جميع المعاصي والمخالفات التي أضاع عمره بها ، ويأخذ عليه العهد على الاستحلال مع أرباب الحقوق ، وردِّ المظالم ، واسترضاء الخصوم ، ويأخذ العهد على التقيُّد بمتابعة السنة والعمل بالعزيمة ، والاجتناب عن كل رخصة ، والتباعد عن كل بدعة ، والإعراض عن جميع القبائح من المنكرات والصفات المذمومات ، ثم يستغفر هو والمريد بهذا الاستغفار وهو : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، بديع السماوات والأرض وما بينهما ، من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وأتوب إليه . ثم يقرأ الشيخ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية ، ثم يضع الشيخ والمريد أيديَهما على ركبتيهما ويغمضان عَيْنَيهما ،ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات[٢] على نية التعليم والتلقين لقلب المريد ثلاث مرّات ، ثم يرفعان معاً أيديَهما للدعآء ، فيدعو الشيخ له ويؤمّن المريد ، ثم يمسحان[٣] بأيديهما وجوههما ، وبعده يقبِّل المريد ركبة الشيخ ، ويقوم

---

(١) كما فعل جبرائيل عليه السلام مع النبي عليه السلام « متممات » .

(٢) بالمد والحضور كأنّه يشاهد الملك الغفور « متممات » .

(٣) ثم يأمر بالاستغفار والفاتحة والإخلاص إلى السلسة والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد=

من محلّه ويستأذن الشيخ ويذهب ، ويشتغل بما أمره به الشيخ ، ويحفظ نسبة الشيخ في كل حال ووقت ، ويوفي العهد والميثاق ولا ينقضه إلى أن يموت[1] . انتهى . كذا في « المتممات » ١١٧ .

وكذلك الحال في تلقين النفي والإثبات إلاّ أن المريد في تلقن النفى والإثبات يحبس نفَسه ويأخذ كلمة (لا) من فوق السرة ويمدُّ طرفيها إلى الدماغ ، ثم يأخذ منه كلمة (إله) إلى الكتف الأيمن ، ثم يأخذ منه كلمة (إلا الله) ويضربها إلى القلب الصنوبري حتّى يتاثَّر منها جميع البدن ، ويكرِّرها على هذه الكيفية ثلاث مرّات كذلك ، ثم يرفع الشيخ يديه ويدعو للمريد ويقول : اللهمّ خُذْ منه وتقبَّل منه ، وافتح عليه أبواب كلّ خير التي فتحتها على أنبيائك وأوليائك وأهل طاعتك ، واهده إلى صراطك المستقيم ، وكُنْ له عَوْناً ومُعِيناً يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهى . من « تحفة الأحباب » .

وفي « حسبحال السالك »[2] إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى

=أنّه خليفة النبي عليه السلام في الفيض والإمداد وأنّه نائب عنه في تربية الخلق والإرشاد ، « متممات » من موضع آخر .

(١) لما في نقض العهد من الوعيد . ففي « روح البيان » قال أوحد المشائخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول : من طرق طريقاً إلى الله تعالى فسلكه ثم رجع عنه عذّبه بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين . وقد قالوا إن مرتدّ الطريق أعظم ذنباً من مرتد الشريعة . وقال الجنيد قدس سره لو أقبل صديق على الله تعالى ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله . انتهى . راجعه من سورة الفتح . ولذا قال شيخنا الرشد الكامل الحافظ شعيب الباكني قدس سره في « الفريدة المخمسة » :
وقرّروا أن مرتدّ الطريق بلا ا   أشدّ من ردّة الشرع القوى وشدا   واشتدّت فرحة الملعون منه عدا . انتهى .

وسمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول فكم من بلية أصابت على من ترك ما أمرته عليه في دار الدنيا ، فكيف في الآخرة ؟ اهى . فينبغى التفطن في هذا الأمر . وفي « البحر المورود » في ٣٤٧ من هامش « لواقع الانوار » وقد فتشوا فلم يجدوا قط مريداً خرج من تحت التربية وأفلح أبداً . اهى فالعياذ بالله سبحانه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وهو اسم كتاب (منه) .

المريد ! يصلي أولاً على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات والفاتحة مرة ، فبعد إعطاء ثوابها لروح النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأرواح أصحابه ، ولأرواح مشائخ الطريقة الصديقية وسائر مشائخ الطرق ، يقول : يا ربّ ! الفيض ونور الذكرِ الواصل من جانبك الشريف ، وجانب حبيبك الشريف إلى قلبي بواسطة قلوب المشائخ الكرام ، أوصله إلى قلب هذا المريد وَأَعِنْهُ ، فيَرْمي بتلك النيّة إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق ، فبهذا الأسلوب يتأثّر قلب الطالب في توجُّه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبَّة الله تعالى ، وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر اللطائف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجّه كما سبق .

ثم إذا جرى الذكر على القلب وعلى سائر اللطائف يُلقِّن الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجّه إليه بالجمعية والحضور ، فيحصل له الجمعية والحضور . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ثم إنّ الشيخ يُلَقِّن الذكر على قلب الطالب ، ويتوجّه إليه به قدر ربع ساعة أو ثُمُن ساعة ، فحينئذ يحصل له أثر الذكر ، وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ[1] . انتهى .

---

(١) **مطالب مهمة للمرشد**

وكيفية ما يفعله هذا الفقير الحقير : أنه يقرأ ـ بعد الاستغفار ـ أوّلاً الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاثاً ، ثم يهدي ثوابها إلى روح النبي عليه السلام ، وإلى أرواح أصحابه الأربعة ، وإلى أرواح أصحاب النوبة ، وإلى أرواح مشائخ الطريقة النقشبندية ثم يقول : دستور يا رسول الله ، دستور يا أصحاب النوبة ، دستور يا مشائخ الوقت ، دستور يا أستاذي والآذن لي ، أطلب منكم الإذن لألقِّن الذكر لقلب هذا الطالب نيابة ، فمدّوني لأمدّه ، واجعلوني تحت نظركم . انتهى .

وقد استكتب هنا شيخنا العسوي ـ قدس سره ـ كيفية التلقين حين وصل إليه الرسالة من=

فائدة مهمة : قال صاحب « الأنهار[1] الأربعة » : **اعلم** أنّ للمشائخ النقشبندية ـ قدس الله تعالى أرواحهم ـ تصرّفاتٍ عجيبةً ، وحالات غريبة ، كجمع الهمّة على المراد فيحصل ذلك المراد على وفق همّتهم ، والتأثير في الطالب ، ودفع المرض عن المريض ، وإفاضة التوبة على العاصي ، والتصرُّف في قلوب الناس حتى يحبّونه ويعظمونه ، وفي مداركهم حتى يتمثل فيها واقعات عظيمة ، والاطلاع على نسبة أهل الله من الأحيآء والأموات ، والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور ، وكشف الوقائع المستقبلة ، ورفع البلية النازلة ، وغيرها ، وكل ذلك من خصائص هذه السلسلة العلية النقشبندية . شعر :

تسامت شؤون النقشبندية الـملأ　　فليـس لـــهم بين الأعاظم أكفاء

=الشيخ المرشد الحاج مصطفى ـ قدس سره ـ يعني أنه طلب من شيخنا بيان كيفيته فطلب مني كتبة الجواب لسؤاله فافهم . (منه) . فكتبت نظير ما ذكر ، فلم ينكر عليه وأقره . فبعض الألفاظ مأخوذ مما في « لطائف المنن » ، وبعض منها مأخوذ من « ترصيع الجواهر » فراجعهما .
ومما كتب إلينا شيخنا ـ قدس سره ـ بخطه هذه العبارات : إن جاء لديك المريدون طالبين منك التوجه ! توجّه إلى محمود أفندي بكلّيتك ، واعدم نفسك ، ولاحظ أنك في نوره البسيط ، ثم توجّه بقلبك إلى قلب المريد ينعكس إليك بما فيه من القبض والبسط والاختلاج والحرارة ، انتهى .
وكتب إلينا أيضاً : لا تلقّن إلا بعد انعكاس حياة القلب ؛ أي الأثر . انتهى من خطه .
وحين سألته : هل نفعل المبايعة أم لا ؟ كتب في جوابه لي : لم أر المبايعة من جبرائيل أفندي إلا التلقين كما فعلت لكم . انتهى من خطه .
وسألته رضي الله عنه : هل أفعل الاستخارة قبل التلقين أم لا ؟ فكتب في جوابه ببيان ما يفعله : إذا جاء المريد لديّ لطلب الورد مني فلا أفعل الاستخارة في حقه وألقِّنه الذكر والرابطة ، لكون التلقين للتبرّك ، لا لأجل السلوك ! وبعد وصول البركة وهيَّجوا وصاروا أهل الجذب ألقِّن الذكر على أرواحهم ؛ ـ أي لطيفة أرواحهم ـ ، وقت تمكِّن الذكر القلبيّ . اهى من خطه قدس سره .
وكان يأمرني بفعل الرابطة قبل التلقين والتوجِّه ، وكتب إلينا مرة : إن أمرتَ عليهم ـ أي : على المريدين ـ بغسل أبدانهم ، وصلاة التوبة ، قبل التلقين يكون حسناً . اهى من خطه قدس سره (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .
(١) قبيل الخاتمة (منه) .

يسيرون بالركبان في مهيع الخفاء إلـى حرم القدس النزيه كما شاؤوا
بصحبتهم تمحى وساوس خلوة وللجذب فيـــها للبواطن إهدآء
وإن قَاصِـــرٌ يــومـاً تكلَّم فيهم فـمالي بما قد فاه نطق وإصغاء
أللثعلب المحتال قطـع بالحـيلة لـسلسلة فيـها من الأسد إملاء

مطالب مهمات

لا بد للمرشد من أن يقف عليها

وأما طريق التأثير[1] في الطالب ! فأن يتوجّه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقاؤها على الطالب ، ثم يستعمل همّة تامة قويّة لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأمّا إذا كان الطالب غائباً يتصوّر صورته ، ثم يتوجَّه إليه ، ويبلغ أمره إلى النهاية .

وأمّا جمع الهمة[2]: فهو عبارة عن اجتماع الخواطر وتأكُّد العزيمة بصورة التمنّي والطلب ؛ بحيث لا يحصل في القلب خاطر سوى هذا المراد ، ويسأل الله تعالى حصوله، فيتمُّ على حسب متمنَّاه .

وأمّا طريق الكشف عن نسبة أهل الله : فأن يجلس مقابله إن كان حياً ، أو قريباً من قبره إن كان ميتاً ، ثم يخلِّي نفسه عن كل نسبة ، ويجعل روحه متّصلاً بروحه زماناً ، حتى يتَّصل بها ويختلط ثم يرجع إلى نفسه ، فكلّما وجد في نفسه من الكيفية هي نسبة ذلك الإنسان .

---

(١) أما طريق التوجّه إلى طالب الحق جل وعلا « المناقب الأحمدية » .
(٢) وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمة ، ويسألون الله تعالى حلّه فيظهر على حسب متمنّاهم . « المناقب الأحمدية » ص ١٠٦ .

وأمّا طريق الإشراف على خاطر الإنسان : فإنه يخلِّي نفسه من كلّ خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطر ظهر بطريق الانعكاس .

وأمّا طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة : فكذلك يخلِّي نفسه عن كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة[١] المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وصار انتظاره كطلب المآء للعطشان يلحق إلى الملائكة الكرام ، فتنكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ؛ إمّا بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو في المنام .

وأمّا طريق رفع البليّة النازلة : فبأنْ يلاحظ تلك البليّة بصورتها المثالية ، ويتوجّه لرفعها بالهمة القويّة ، فيندفع بإذن الله تعالى . انتهى كلام « الانهار الأربعة » .

فهذه المذكورات مما لا خبر عنها إلاّ للأوليآء الذين صفت سرائرهم وقلوبهم عن كدورات[٢] السوى ، ومن أراد الزيادة وكان أهلاً للتصرُّف فعليه الرجوع إلى « البهجة السنية » في فصل ؛ في ٥٩ في طريق التصرّف ففيه البسط الشافي .

---

(١) وسألت شيخنا قطب الأولياء العارف الحافظ شعيب الباكني عن كيفية الاطِّلاع إلى حال المريد ؟ فكتب في الجواب هذه العبارات : فإذا أدخل المريد ـ أي الشيخ ـ في وسط القلب ـ أي قلب الشيخ ـ بعد تلوُّن الشيخ بلون محمود أفندي ـ قدس سره ـ يعلم أخلاق المريد بطريق الانعكاس ، ويتصوّر أخلاقه في صدره ، ويتصوَّر صوراً حسنة أو سيئة ، ويتغيَّر حال الشيخ بحسب حاله ، أو يرى بينهما غباراً أو دخاناً إن كان في قلبه أثر الإنكار ، ولكن لا ينحصر أمر الانكشاف في أفراد ، ويكون ذلك بحسب حال المريد ، ويتنوَّع بتنوُّع الرجال والنساء وأفرادهم . انتهى « من خطه »

(٢) راجع « الرشحات » من صحيفة ١٩٦ (منه) .

الباب الثاني والعشرون

في بيان أن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّاً مرشداً وبيان أنّ ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع والعياذ بالله تعالى.

اعلم أن ظهور الكرامات والكشوفات على أيدي أبعاض من متشيِّخي عصرنا فيخبره المنتسبون إليهم ، ولكن لا نجد من رآه منهم بعينه ، ولو سُلّم ظهورها على أيديهم فلا نُسلّم أهليّتهم بذلك للإرشاد ، لأنه لا يصير الشخص شيخاً بالكشف وخرق العادة ، فإن للشيطان كشوفاتٍ وخوارق ! وليس هو بمكان عند الله ، بل هو أَبْغَضُ خلق الله إليه تعالى وأبعدهم من جنابه ، وليست الكرامة شرطاً في الولاية ، وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف[1] كما في « الرسالة الخالدية » و« أعلام الهدى » للسهروردي .

وقال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٥ : ليس ذووا الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق ، بل قد تنبىء الكرامة عن ضعف يقين[2] أو همّة فتعجل لمن أريد به عناية حتى يزول عنه كلٌّ من

---

(١) فالكامل لا كشف له ، أي لأنه مشغول بأداء أوامر ربه عزّ وجلّ التي عليه في كل نَفَس فلا تدعه الأوامر المتوجّهة إليه يتفرّغ لغيرها كذا في « لطائف المنن » للشعراني راجعه من ٩٣ من الجزء الثاني (منه) .

(٢) وفي « عوارف المعارف » ومن مُنح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات انتهى . فراجعه من صحيفة ١٦٧ من هامش « الإحياء » من الجزء الثاني (منه) ، وراجع « المناقب الأحمدية » من هامشه في ١٩٥ (منه) .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما معناه : أن من لم ير الكرامات ولا يرى أفضل ممن يراها ، لسلامته من مفسدة الدعوى التي يموت صاحبها ـ إن لم يتب ـ كافراً ، ومن الوقوف عنده القاطع به في تحصيل المقصود بالذات . اهى . فراجعه ١٤٤ ، من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأول .

وفيه بعيد هذا ما لفظه : وليس من لم ير شيئاً ولا يرى في واقعة بأقل مرتبة ممن رأى أو يرى=

ذينك أو أحدهما ، **بل قد تقع الكرامة لمحبٍّ أو زاهد ولا تقع لعارف** ؛ مع أن المعرفة أفضل من المحبَّة عند الأكثرين ، وأفضل من الزهد عند الكل ، لأنّ الزهد من أوائل المقامات ، والمحبَّة أول الأحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات .

مطلب مهم

وهم عنه غافلون

ويؤيد ذلك قول أبي يزيد رضي الله عنه : العارف طيّار ، والزاهد سيّار .

وقال غيره : وأنّى يلحق السيّارُ الطيارَ ، وقال ذو النون المصري : الزهَّاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء العارفين ، فعُلِم أنَّه لا دخل للكرامة في الأفضلية ، وإنما منشأ الأفضلية قوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى ، فكلُّ مَنْ كان أقوى يقينا وأكمل معرفة كان أفضل ، ولذا قال سيّد الطائفة أبو القاسم الجنيد ـ قدس سره ـ : مشى رجال باليقين على المآء ، ومات بالعطش من هو أفضل منهم يقيناً .

وقال أيضاً : ارتفاع الريب في مشهد الغيب .

وقال سهل التستري : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله .

ولا يشكل عليك مامرّ من حكاية الإطلاق في التفضيل بين المحبِّ والعارف مع أنَّ العارف لا بدَّ أن يكون محبّاً ! ! لأن المراد من ذلك إنما هو التفضيل بين غلبة المحبّة وغلبة المعرفة ، لأنَّ بعضهم يغلب عليه سكر المحبَّة ، وشدة الهيَمان والوَلَه في محبوبه ، وبعضهم يغلب

=بل أفضل ، فإن ضعفاء اليقين إذا رأوا يقوى يقينهم ، وأما القوي الكامل فهو لا يلتفت إليها انتهى . فراجعه (منه ؛ سامحه الله من فرطاته آمين) .

عليه المشاهدة وظهور الأسرار والمعارف ، وكثرة التجليات مع اعتدال حاله في المحبَّة في غالب الحالات ، فيكون أكثر معارفاً ، وأكثر وَلَهاً وسكراً ، ومن ثمّ قال المحققون : المحبّة استهلاك في لذّة ، والمعرفة شهودٌ في حيرة ، وفنآء في مِحْنةٍ ، انتهى .

وفي « بيان الأسرار » : إنّ كرامة الأوليآء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر »إنّ تعلُّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله . انتهى بالمعنى .

وفيه : أن العبودية مع استقامةٍ خيرٌ من ألف كشف وكرامة ، انتهى . فراجعه من الباب السابع .

وفي « روح البيان » في سورة النحل : إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة ، وعوام الناس يعدّون أمثال هذه الكشوف الأقطابَ ، لكونهم على الجهل لا يميِّزون بين الخير والشر . انتهى .

وفي « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان »[1] في ٧٩ : ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همَّته ، ولا يتبجَّح بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ؟ ! انتهى .

---

(١) فمؤلف الفرقان وإن كان حشوياً خارجاً عن أهل السنة في مسائل فليس كل كلامه باطلاً ولذا نقلت منه أقوالاً توافق أقوال العلمآء السنّيّين . فافهم (منه رحمه الله تعالى) .

وفيه أيضاً في ٧٦ : والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام :

قسم يُكذِّب بوجود ذلك لغير الأنبياء ، وربمّا صدّق به مجملاً وكذَّب ما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء .

ومنهم من يظن كلَّ مَنْ كان له نوع من خرق العادة كان وليّاً لله ، وكلا الأمرين خطأ ، ولهذا تجد أنَّ هؤلاء يذكرون أنّ للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله تعالى ، وأولئك يكذِّبون أن يكون معهم مَنْ له خرق عادة .

والصواب القول الثالث وهو : أنّ معهم من ينصرهم من جنسهم ، لا من أولياء الله عز وجل ! كما قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وهؤلاء العبّاد والزهّاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتَّبعين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حالَه ، لكنَّ خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً ، وإذا حصل مَنْ له تمكُّن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ، ولا بُدَّ أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً ، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبِّهين بهم من أولياء الشياطين ، انتهى . فراجعه ففيه البسط .

وقال الخادمي في ٦٩ في « شرح النصائح الولدية » : إنّ جماعة هربوا من عبد الواحد لقوّة تكليفه إياهم بالمجاهدة ، فرأى أحدهم بعد مُدّة فقال : أين كنت ؟ فقال : نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل من نعيمها ، فقال : خذوني الليلة معكم ، فأخرجوه معهم إلى الفضآء ، فلمّا جنَّ الليل إذا بقوم عليهم ثياب خضر وإذا بساتين وفواكه ، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم : أين تذهبون ؟ أليس الجنة دار خلود كإدريس

عليه السلام ؟ فلمّا أصبحوا إذا هم على مزبلة بين روْثِ الدواب فتابوا كلهم[1] .

وفيه أيضاً عن الديلمي : إنّ واحداً من السالكين رأى في برّيَّة طريق مصر الشيطانَ على عرش بين السمآء والأرض فسجد له ، فظنّ أنه الربّ تعالى ، ثمّ حكاه بجماعة من المشائخ فقالوا : هو الشيطان لحديث : « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض » . . . الحديث ، فأعاد الرجل صَلواته وجدّد إيمانَه ، ثمّ عاد إلى المكان الذي رآه فيه ، ولعنه وأنكر عليه . انتهى .

حكي أن عبد القادر الكيلاني اعتزل عن الناس وتوحَّش للعبادة ، فليلة من الليالي امتلأ العالَم بالأنوار فنادى مناد : يا عبد القادر ، اجتهدت للعبادة لي وعبدت حق العبادة ، فإنّي قد رفعت عنك حرمة الأشياء ، وأبحت لك جميع الأشياء ، فافعل ما شئت فيما بعد وقد غفرت لك . فقال عبد القادر : أعوذ بالله من شَرِّك يا شيطان ، فإذا ركد الظلام واضمحلت تلك الأنوار وقائل [يقول] قد نجوت بعلمك يا عبد القادر ، إنّي قد أهلكت في هذا المقام عُبَّاداً وزهَّاداً . كذا في « البريقة » فراجعه

---

(١) **لا يسمع عذاب القبر من يخبره**

ومما ينبغي أن يُنْكر قول من يقول من أهل الزعم والدعوى : أني أسمع عذاب القبر وأعرف أحوال الموتى فإنه كذب محض ، لا يجوز لأحد أن يثق به فكيف لا وقد قال الشعراني في « مختصر تذكرة القرطبي » وكان بعض العارفين يقول لا يسمع عذاب الموتى إلا من اتصف بكتمان الأسرار كالبهائم ، فإنها ليست من عالَم التعبير عما ترى ، أما من يخبر الناس بما رأى فلا يسمع شيئاً من ذلك فما كتم الله تعالى ذلك عن الإنس والجن إلا لحكمة إلهيّة كما أشار إليه الحديث لغلبة الخوف عند سماع عذاب القبر ومن يطيق سماع عذاب الله في القبر من أمثالنا في هذه الدار مع ضعفنا . وقد بَلَغَنا أنه مات خلق كثير من سماع الرعد القاصف والزلازل الهائلة وهي دون صيحة الملك على الميت بيقين . وفي الحديث « لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات » . نسأل الله تعالى العافية ، انتهى فراجعه من صحيفة ٣٤ (منه) .

في ٣٨٩ من الجزء الأول . ومن دسائسه أيضاً : أنه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ، ويقنع منه أن يَجهَل مَنْ أتاه به . ومن دسائسه : أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ، ويهتك به أستارهم ، ويظهر به عوراتهم ، فيظن ذلك المكاشَف أنّه نال درجة عظيمة ، وإنّما ذلك من الشيطان ! لأنّ الشيطان صار سمعه وبصره ، فيجب على ذلك المكاشَف المبادرة للتوبة وإلا هلك . ومن دسائسه التي تخفى على غالب الأولياء : أنَّه ينظر إلى قلب الوليِّ فإن رآه يستمدُّ من العماء مثَّل له عماءاً وأتاه منه ، أو عرشاً فكذلك ، أو كرسياً فكذلك ، أو سماءاً فكذلك ، فإن كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد ، أطلعه على أنّ ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيردُّ خاسئاً ، وإن لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين . كذا في « اليواقيت » في ١٧٤ من الجزء الأول فراجعه .

وفي « كشف المرام » في شرح أجوبة الأستاذ : وإذا توجّه العبد إلى مولاه الجليل ، وقصد الانقطاع عن كلّ ما سواه ، وركب سفينة الذكر فالشيطان المارد اللعين ـ أي : المطرود عن باب الله تعالى ورحمته ـ يريه بسحره ومكيدته وتخيُّله اللوح المحفوظ ليخدعه أنه وصل إلى ما لا يصل إليه المجتهدون ، ويطمئنُّ به ويستريح عن تحملّ العبادة والاجتهاد فيها ؛ فيغوى به ، أو يرى اسمه هناك مكتوباً في ديوان السعدآء الذين ليس لهم شقاوة ، فيتساهل في العبادة والاجتهاد ، أو يتكبّر به على المجتهدين الذين لا يرونه ، فيغوى أيضاً ، أو يحصل به العجب فيغوى ، أو يدَّعي به الولاية الكاملة فيضلُّ ضلالاً كبيراً ، إلى غير ذلك من الأحوال العارضة عليه ـ أعاذنا الله تعالى من الغرور والاتِّباع عليه ـ ويخيِّل بحيلته صفتي الجنة والنار بما فيهما ، فعلى العبد حينئذ الخوف من حيلته ـ أي الشيطان الرجيم ـ انتهى من عينه اختصاراً .

وفي « الإبريز » : وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن فلان من أهل القرن العاشر وكيف ذلك ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : إنَّه فتح عليه ووقف به الحال ، فرجع ساحراً من جملة السحرة . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : **أوّل ما يفتح على العبد يرى معاصي العباد وأسبابها ، وكيف يقعون فيها ، والضبابة الظلمانية التي تستمدُّونها[1] ذوات أهل الظلام** ـ والعياذ بالله ـ ونحو هذا الأمور ، فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شراً ركن عقله إليها ، وأدام الفكر فيها ، فإن وقف به الفكر فيها ساعة واحدة انقطع عن الله ـ والعياذ بالله ـ فلا يبقى في نظره سوى ما سبق ذكره في الفتح ، وذلك الذي سبق هو مخيَّم الشيطان ومحلٌّ فتنتهم لبني آدم ، فيصير مشهده ومشهد الشياطين واحداً ، فيصيرون معه يداً بيد ، فيسخِّر على يده السحر ، ويرجع من جملة السحرة ؛ وإذا أراد الله بصاحب الفتح خَيْراً فتح عليه ما يشغل فكره عمّا سبق ، وهكذا لا يزال يُرْقيه في كلّ لحظة إلى ما لا نهايةَ . والله أعلم . انتهى .

وفي « المواهب البريقة » : **فائدة** : سيأتي أنهم أجمعوا على أنّه لا يشترط في الشيخ أن يكون يطَّلع على معاصي المريد الباطنة حتى يكاد كشفه باستعمال ما يزيلها وشهوتها من قلبه ، وأوجبوا على المريد أن لا يكلِّف شيخه بمثل ذلك ، لأنَّه كشف شيطاني[2] يجب على الشيخ التوبة منه فوراً لو وَقَعَ ، إذ لا يطَّلع على عورات الناس إلاّ الشياطين ، بل يذكر له ما عنده من الأمراض ليُدَاويه منه ، فلو قُدّر أنّ شيخاً اطّلع

(١) هكذا في الأصل ، لعله تستمدّها .

(٢) قال الشعراني في « لطائف المنن » : ولو أن الكامل اطلع على عورة أحد من الخلق لكاد أن يذوب حياءً من ذلك لأنه كشف شيطاني انتهى راجعه من ٩٣ من الجزء الثاني ، وفي « الدرر الغواص » للشعراني : ومن علامة مكره (أي إبليس) بالعبد أن يكشف له معاصي العباد في قعور بيوتهم وهتك أستارهم وهو كشف صحيح لكنه شيطاني يجب على العبد التوبة منه انتهى راجعه من ٨٣ من هامش « إبريز » (منه) .

على عورة مريده فهو من قبيل الإلهام من الله تعالى بواسطة صدق المريد في طلب الطريق . انتهى .

الفتح اثنان :

الفتح الأول : أن يشاهد صاحبه في أول الأمر الأرضين السبع وما فيهنّ ، والسماوات السبع وما فيهن ، وأن يشاهد أفعال العباد في دورهم وقصورهم ؛ لا يرى ذلك ببصره وإنما يراه ببصيرته التي لا يحجبها ستر ولا يردها جدَارٌ ، وكذا يشاهد الأمور المستقبلة مثل ما يقع في شهر كذا أو سنة كذا ، وهؤلاء وأهل الظلام في هذا الفتح على حدٍّ سوآء ، لكنَّ المقصودَ به مختلف ! فإنَّ القصد به لأهل[1] الظلام طردهم عن بابه تعالى ، ولأهل الحق ازديادهم فيه محبَّة وإرقاؤهم من درجة إلى درجة . انتهى .

وأما الفتح في ثاني الأمر فهو أن يفتح عليه في مشاهدة أسرار الحق التي حجب عنها أهل الظلام ؛ فيشاهد الأولياء العارفين بالله تعالى ، ويتكلَّم معهم ويناجيهم على بعد المسافة مناجاةَ الجليس لجليسه ، وكذا يشاهد أرواح المؤمنين فوق القبور ، والكرامَ الكاتبين والملائكة ، والبرزخ وأرواح الموتى التي فيه ، ويشاهد قبر النبي ﷺ وعمود النور الممتدّ منه إلى قُبَّة البرزخ ، فإذا حصلت له مُشاهدة ذات النبي ﷺ في اليقظة حصل له الأمان من تلاعب الشيطان .

---

(١) ورأيت في « عوارف المعارف » ما نصه : وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعده ، وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ، ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه ، وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ، ويظن أن المقصود من العبادة : ذكر الله تعالى ، ويترك متابعة الرسول ﷺ ، ثم يتدرّج من ذلك إلى تلحّد وتذندق . نعوذ بالله من الضلال . انتهى فراجعه في ١٨٦ من هامش « الإحياء » ج٢ وراجعه في ١٨٤ (منه) . وأما الأولياء : فما مالوا لخرق العوائد إلا لضعفهم عن تحمّل أعباء الحضرة الإلهية ، وعدم اطاقتهم لصعوبة تجلياتها . « جواهر المعاني » ١٨١ ج١ (منه) .

فهذا الفتح الثاني هو الفاصل بين أهل الحق وأهل الباطل .

وأما الفتح الأول فإنّه كما يقع لهم يقع لأهل الظلام ، فيقع لهم الفتح في مشاهدة الأمور الفانية ، ويتمكَّنون من التصرّف فيها ، فترى المبطل يمشي على البحر ، ويطير في الهوآء ، ويُرْزَق من الغيب ، وهو من الكافرين بالله عزّ وجلّ ، وذلك أن الله تعالى خلق النور ، وخلق منه الملائكة وجعلهم أعواناً لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العادت ، وكذلك خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم أعواناً لأهل الباطل بالاستدراج ، والمزيد في الخسران والتمكُّن من الخوارق ، هكذا في « الإبريز » في الباب التاسع فراجعه في ٢٩٠ .

وفي « تقريب الأصول » في [1]٢٦٦ : إنّ انخراق حجب البشرية قد يحصل بالرياضات ، فيلوح بسبب ذلك شيء من أنوار الروح ، فيرى الشخص بعض الآيات والمعاني المعقولة . وقد كان لبعض الفلاسفة[2] ولكن حيث لم يوجد الإيمان ! فعاقبة ذلك إلى الخزي والهوان . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأمّا الكرامة فليست بشرط للمرشد ، لأن الكرامة[3] ما نقلت عن الصحابة[4] والتابعين إلا عن بعضهم ، حتى

---

(١) وفي نسخة : ٢٢٦ .

(٢) وفي « فتاوى ابن حجر » : لو ظهر على أحد كرامات مع فسقه ، هل تقبل شهادته ؟ الجواب : لا تقبل . قال الشافعي : لو رأيت صاحب بدعة يظهر في الهواء لم أقبله حتى يتوب من بدعته ، ذكره أبو نعيم . وقد تظهر الكرامات على يد فاسق كالسامري ، فإنه رأي جبرائيل حتى أخذ من تراب حافره وجعله في العجل ، فخار . ونقل ابن العباد عن أبي محمد أنه قال : يجب على الولي إخفاء الكرامات . انتهى . فراجعه من الشهادة . وهذه الأمور الخارقة للعادة تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليّ لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلّ عليه الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة . كذا في « الفرقان » في ٣٤ فراجعه وراجع « العوارف » في ١٧٤ من هامش « الإحياء » ج٢ (منه) .

(٣) وراجع « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٣ (منه) .

(٤) وفي مكتوبات الجسطاوي قدس سره : إن الكرامات والكشوفات ما هي سبب التفاضل=

لم تنقل[1] عن الصديق الأعظم مع أنه أفضل الأمة .

أفضل الكرامة الاستقامة

والحاصل أن أفضل الكرامة هو الاستقامة ، كما قالت به رابعة العدويةُ ، حتى أنّ بعض الأوليآء لم يقبل الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارْتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » .

وقد قال عبد الله القرشي : من لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات فهي أيضاً سبب للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » . انتهى كلام « الفتاوى » .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر بسط زائد في حق هذا المطلب فراجعه .

ولقد أخبرني واحد أنّ شخصاً من مريدي متشيِّخ كان داخلاً في الخلوة بأمره ، فإذا خرج من الخلوة قال لي : إني رأيت جميع منْ مات ممنْ كنت أعْرفهم في مدّة حياتهم ! وحكاه متعجِّباً به ، ظاناً أنه شيء عظيم يدلّ على الخصوصية والخلوصية ، فقلت له : ليس ذلك من علامة الخير ، بل هو من علامة الانقطاع عن الله عز وجلّ ، لأنه إذا كانت هذه الأشيآء الظاهرة الدنيوية والمخلوقات المرئيّة حجباً عن الله وسبباً شاغلاً عن توجّه القلب إلى ذاته عزّ وجلّ فظهور الأموات

=بل سبب التفاضل هو التقوى لما قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقال قدس سره : إن الكشوفات والكرامات ما هي من لوازم الطريقة . اهى . وراجع « روح البيان » . (منه) .

(١) وفي « الدرر » في ١١٢ ج ١ : أن ظهور الخوارق لم ينقل من أكثر المتقدمين في طول عمرهم أزيد من خمسة أو ستة خوارق حتى أن الجنيد سيد هذه الطائفة لم يدر هل نقل عنه عشرة خوارق أو لا فراجعه (منه) .

وأحوالهم والكشف عما هم فيه من الأمور البرزخيّة يكون سبباً لزيادة الحجُب فوق الحجب والخطرات فوق الخطرات ، وإنّما الكرامة قلّة الحجُب القلبيّة ، وحصول الجمعيّة بربّ البريَّة ، والغيبَةُ عما سوى الله بمحْوِ الكون[1] كله عن صفحة القلب بالكليَّة ، فانتبه القائل ورجع عما كان متعجِّباً به وصدَّق قولي ، ولله الحمد .

مثال من وقف عندما ظهر له من الكرامات

وفي « السير والسلوك » : وقد مثّلوا حال مَنْ وقف عند ما ظهر له من الكرامات بحال مَنْ طلب بيت الله الحرام وسار مع الحجاج وقطع من الطريق أكثره ، فعند ذلك عرضتْ امرأة حسنآء لم ير الراؤن مثلها ، فأدْهَشَتْه وأخذت عقلَه ، فأراد الإقامة عندها ليمتلىء منها[2] ويُواصلها ، فقام إليه أمير الحجاج وقال له : لا تقُمْ هنا فتنقطع عن الحاجِّ ولكن اذهبْ معنا وزرْ بيت الله ، فإذا رجعنا تعقد عقادك[3] وتدخل عليها بالحلال ، وإن أقمْتَ فلا يحصل لك الوصال ، وإذا وصل ولا بدَّ فبالحرام لا بالحلال! فتنقطع عن بيت الله وتعصيه ، فغلب عليه هَوَاهُ وانقطع عن رفقته ، فدلى[4] منها ، وأزال البَرْقع عن وجهها ؛ فإذا هي عجوزة مقلقلة الأسنان ، قبيحة المنظر منتنة الفم ،

---

(١) وهو – أي المحو – المقصود الأعظم من السلوك في هذا الطريق ومتى لم يحصل للسالك شيء منه فهو بمثابة من لم يدخل فيه كشف له الكون كله أولاً ، لأن الكون كله حجاب عن الله ومراد أهل السلوك فقد الحجب المانعة عن الوصول إلى الله ولا يحصل ذلك لمن لم يسلك في طريقهم ولو عبد الله سبعين ألف سنة ، لأن قلبه مملوءٌ بالأغيار ولا يسعى في إذهابها عن قلبه ولا يريد ما أراده السالكون بل يطلب ما وعده الله في الجنة ، هذا إن قبل الله عبادته أعطاه وإلا فلا . وأما السالك فيعطيه الله التجليات في الدنيا وله في الآخرة أعلى المقامات كذا في السير والسلوك راجعه (منه رحمه الله) .

(٢) وفي نسخة : بها .

(٣) هكذا في الأصل ، لعله عقدك .

(٤) أي تحير .

فندم حيث لا ينفعه الندم ، فأراد أن يلحق رفقته فما قدر ، فصار يبكي الليل والنهار ، فالمرأة مَثَلٌ للكرامات التي يطلبها السالك في سلوكه ، وبيت الله الحرام مَثَلٌ لحضرة القرب ، وطريق الحج مثال لطريق القوم رضي الله تعالى عنهم .

فالسالك لا شكَّ أنَّه إذ وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلّها طَوْعَ يديه ، وإن غلب هوى السالك عليه وطلب الشيء قبل أَوَانِه وتعرَّض لطلب الكرامات أَتْعبَ نفسه فيما لا يعنيه ، وانقطع عن مطلبه ، فإذا حصلت له الكرامة وجدها كوناً من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة ، فإذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنه تَقَهْقَرَ عن مقامه الذي تعب عليه حتى حَصَّلَه . انتهى .

فاللائق على منْ ظهر على يده أنواع الكرامات وأصناف الكشوفات أن لا يغترّ بها ولا يدعي المشيخة ، فإنه لا يصير الإنسان شيخاً مرشداً إلا إن سلك في مقامات الطريق وتحقَّق بها ، وأذن له الشيخ الكامل للإرشاد بالإذن الصَريح ، ولو وقع على يديه شيءٌ منها أكثر من أُلوفٍ !

قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، لِيَطِبْ قلب الأخ الأعزِّ السيد مير محمّد نعمان ، وليعلم أنّ ظهور الخوارق والكرامات ليس من شرط الولاية ، وكما أن العلماء ليْسوا مكلَّفين بحصول الخوارق ، الأولياء أيضاً ليْسوا مكلَّفين بظهور(١) الخوارق ! فإن الولاية عِبَارة عن قرب إلهيٍّ

---

(١) حفظ العبد آداب الشريعة والوقوف بمكارم الأخلاق والاجتناب من سفسافها والتحلية بالمراقبة في الأنفاس من أعظم الكرامات التي لا تدخلها مكر ولا استدراج ؛ كذا في « تنوير الصدر » في ٢٢٦ من هامش « مجموعة الأحزاب » .
وفيه أيضاً في ٢٣٢ أنّ الولي لا يجب عليه إظهار الكرامة ، فراجعه (منه) .

جلّ سلطانه ، يكرم بها أولياؤه بعد نِسْيان السوى ؛ شخص يُعْطى هذا القرب ولا يعطى الاطلاع على أحوال المغيَّبات والمحدثات ، وشخصٌ ثان يعطى هذا القرب ويعطى الاطلاع على المغيَّبات والمحدثات ، وشخصٌ ثالث لا يعطى من القرب شيئاً ! ويعطى الاطّلاع على المغيَّبات ، وهذا الشخصُ الثالث من أهل الاستدراج وجعله صفآء النفس مُبْتلى بكشف المغيَّبات وألقاه في الضلالة ، وآية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ علامة حالهم ، والشخص الأول والشخص الثاني اللذان مشرفان بدولة القرب من أولياء الله تعالى لا يزيد كشف المغيبات شيئاً في ولايتهم ولا ينقص عدم الكشف شيئاً من ولايتهم ، والتفاوت بيْنَهم إنَّما هو باعتبار دَرَجات القرب ، كثيراً ما يكون صاحب عدم كشف الصور الغيبية أفضلَ من صاحب كشف تلك الصور ، وأسبق منه قدَماً بواسطة مَزيّة القرب الحاصل له ؛ صرّح بهذا المعنى صاحب « العوارف » الذي هو شيخ الشيوخ ومقبول عند جميع الطوائف في كتابه « العوارف » ، فمن لم يصدّق هذا الكلام منّي فليراجع ذلك الكتاب فإنَّه ذكر فيه بعد ذكر الكرامات والخوارق ، وكل هذه مواهب الله تعالى ، وقد يكاشف بها قوم ويعطى[1] ، وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيءٌ من هذا ، لأن هذه كلَّها تقوية اليقين ، ومن مُنِح صرف[2] اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكل هذه الكرامات دُون ما ذكرناه من

(١) المعجزة يجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحدى بها ويظهرها ، والكرامة يجب على الوليّ أن يخفيها ويسرها إلا عن ضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية يقين بعض المريدين ، وهذا الاستثناء لا بد منه فلا يجب عليه أن يخفيها مطلقاً . وإطلاق المحققين أنه يجوز له أن يظهرها وأنها لا تفارق المعجزة من هذا الوجه يحمل على ما إذا وجد بعض هذه الأشياء التي استثناها ، « نشر المحاسن » . ومثله في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر في ٢٢٢ فراجعه إن شئت البيان (منه) .

(٢) وفي نسخة : صدق اليقين .

تَجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات . انتهى .

قال إمام هذه الطائفة **الخواجه عبد الله الأنصاري** الملقب بـ« شيخ الإسلام » في كتابه « منازل السائرين » : إنّ الفراسة على نوعين فراسة أهل المعرفة ، وفراسة أهل الجُوع والرِياضة :

ففراسة أهل المعرفة في تمييزهم من يصلح لحضرة الله جلَّ وعلا ممّن لا يصلح ، ومعرفتهم أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بذكر الله سبحانه ووصلوا إلى حضرة الجمع .

وفراسة أهل الرياضة وأرباب الجوع مخصُوصة بكشف الصور والإخبار عن المغيَّبات المختصة بالمخلوقات ، ولَمّا كان العالَمُ أكثرهم أهلَ انقطاع عن الله سبحانه واشتغال بالدنيا مالتْ قلوبهم إلى أهل كشف الصوَر والإخبار عما غاب من أحوال المخلوقات ؛ فعظَّموهم واعتقدوا أنهم من أولياء الله وخاصّته وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتّهموهم فيما يخبرونه عن الله سبحانه ، وقالوا : لو كان هؤلاء أهلَ الله كما يزعمون لَأخبرونا عن أحوالنا الغيبيّة وأحوال سائر المخلوقات ، وإذا كانوا لايقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمورٍ أعلى من هذه ؟ ! وكذَّبوهم في فراستهم المتعلِّقة بذات الواجب وصفاته جلّ وعلا بهذا القياس الفاسد وعميت عليهم الأنبآء الصحيحة ، ولم يعلموا أنّ الله قد حَمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق[1]

---

(١) قال الشيخ : من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير ، وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الأبصار في الدنيا ، ومن جعل الله كرامته في الأفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة ، انتهى . كذا في « اليواقيت » فراجعه في ١٩٨ من الجزء الأول ؛ (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

وقد قال في الباب الخامس والستين من « الفتوحات » : اعلم أن سبب غلط منكري النبوّة من الحكماء قولهم : إن الإنسان إذا صفى جوهر نفسه من كدورات الشهوات وأتى بمكارم الأخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوّة ، ونطق بالغيوب=

وخصّهم بجناب قدسه ، وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم ، **ولو كانوا ممن يتعرّضون لأحوال الخلق ما صلحوا للحقّ سبحانه،** انتهى كلامه .

وقال ـ قدس سره ـ أيضاً : وأنا سمعت حضرة شيخي قدس سره يقول : كتب الشيخ محيي الدين بن العربي أنّ بعض الأولياء الكرام ـ الذي ظهرت منه كرامات وخوارق كثيرة ـ ندم في آخر النفس من ظهور تلك الكرامات ، وقال تمنِّياً : ياليت هذه الكرامات لم تظهرْ منيّ ! فلو كان التفاضل باعتبار كثرة الخوارق لا يكون للندامة على ذلك الطور مَعْنى .

فإن قيل :إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطاً في الولاية كيف يتميّز الوليّ من غير الوليّ ؟ وكيف يتبيّن المحقُّ من المبطل ؟ !

أجيب : لا يلزم التمييز ، بل يكون المحقُّ ممتزجاً بالمبطل[1] فإنّ اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشأة الدنيوية ، والعلمُ بولاية وليٍّ ليس بلازم أصلاً ، وكثير من أولياء الله تعالى لا اطّلاع لهم على ولايتهم ، فكيف يكون الاطّلاع على ولايتهم لازماً لغيرهم .

وفي النبيِّ لا بدَّ من الخوارق ليتميَّز النبيُّ من غير النبيِّ ، فإنّ

=واستغنى عن الوسائط . قال الشيخ : والأمر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وإن جاز وقوع ما ذكروه في بعض الأشخاص ، وذلك لم يبلغنا قط عن أحد من نبيّ ولا حكيم أنه أحاط علماً بما يحتوى عليه حاله في كل نفس إلى حين وفاته أبداً ، بل يعلم بعضاً ويجهل بعضاً . بل ولو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق فيه من العلوم ، ما عرف ذلك إلا أن يشاء الله « يواقيت » ٥٠ من الجزء الأول . وفي هذا الكلام دليل على عدم كون كل كاشف شيخاً محققاً وعلى عدم جواز ظهور الكشف على أيدي المبطلين الكفرة والفجار . فإن صفاء النفس غير معتبر ، وإنما المعتبر صفاء القلب . فتدبره فإنه مما زلت به أقدام السالكين . (منه قدس سره ، خطه) .

(١) والفرق بين الكرامة والسحر فإن ظهر على يد صالح ـ وهو القائم بحقوق الله وحقوق خلقه ـ غير مقترن بتحدِّي النبوَّة فهو الكرامة ، أو على يد مَنْ ليس كذلك فهو السحر أو الاستدراج ؛ كذا في « الفتاوى الحديثية » مع زيادة بسط (منه) .

العلم بنبوَّة نبيٍّ واجبٌ . والوليّ لما كان داعياً إلى شريعة نبيِّه كفاه معجزة نبيِّه ، فلو كان الوليّ يدعو إلى ما ورآء الشريعة لما كان له بدّ من خارق ، وحيث كانت دعوته مخصوصة بشريعة نبيٍّ لا يلزم الخارق أصلاً ، العلماء يدعون إلى ظاهر الشريعة ، والأولياء يدعون إلى ظاهر الشريعة وباطن الشريعة ، يدلُّون المريدين والطالبين أولاً على التوبة والإنابة ، ويرغِّبونهم في إتيان الأحكام الشرعية ، ويهدونهم ثانياً إلى طريق ذكر الحق جلّ وعلا ، ويؤكّدون في استغراق جميع أوقاتهم بالذكر الإلهي جلّ سلطانه ، إلى أن يستولي الذكر ولا يبقى في القلب غير المذكور أصلاً ليحصل النسيان عن جميع ما سوى المذكور ، حتى لو كُلِّف بتذكر الأشيآء لا يكاد يتذكّر .

ومن اليقين أنَّه لا حاجة للوليِّ لأجل هذه الدعوة التي تتعلَّق بظاهر الشريعة وباطنها إلى الخوارق أصلاً ، والشيخوخة والمريديَّة عبارتان عن هذه الدعوة التي لا تعلُّق لها بالخوارق ، ولا مساس لها بالكرامة ، مع أنّا نقول : إنّ المريد الرشيد والطالب المستعدّ يحسُّ في كل ساعة في أثناء سلوك الطريق خوارق شيخه وكراماته ، ويستمدُّ منه في المعاملة الغيبيّة في كل زمان ويجد منه فيها مَدَداً ، وظهور الخوارق بالنسبة إلى الأغيار ليس بلازم .

الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق

وأما بالنسبة إلى المريدين ! ! فكرامات في كرامات ، وخوارق في خوارق ، وكيف لا يحسُّ المريد خوارق الشيخ ؟ ! فإن الشيخ أحيا القلبَ الميت ، وأوصل إلى المكاشفة والمشاهدة ، فإذا كان عند العوام الإحيآء الجسديّ عظيم الشأن فعند الخواص الإحياء القلبي

والروحي برهان رفيع البنيان .

كتب الخواجه محمد پارسا قدس سره في « الرسالة القدسية » : ولما كان الإحياء الجسديّ معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله ، واشتغلوا بالإحياء الروحي ، وتوجَّهُوا إلى إحياء القلب الميت ، والحقُّ أنّ الإحيآء الجسديّ بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق ، وداخل في العبث بالنظر إليه ، فإن هذا الإحياء سبب حياة أيام معدودة ، وذاك الإحياءُ وسيلة للحياة الدائميّة ، بل نقول : إنّ وجود أهل الله في الحقيقة كرامة من الكرامات ، ودعوتهم الخلق إلى الحق جلّ سلطانه رحمة من رحمات الله تعالى ، وإحياءَهُمْ القلوب الميتة آيةٌ من الآيات العظمى ، وهم أمان أهل الأرض ، وغنائم الأيام ؛ بهم يُمْطرون ، وبهم يُرْزَقُون ، وَارِدٌ في شأنهم ، كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم جلساء الله ، وهم قوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يخيب أنيسهم ، والعلامة التي يتميَّز بها محقّ هذه الطائفة من مبطلهم هي : أنّه إذا كان شخص له استقامة على الشريعة ويحصل للقلب في مجلسه مَيْلٌ وتوجُّه إلى الحق سبحانه وتعالى وَيُفْهَم حصولُ بُرُودة عما سواه تعالى ، فذلك الشخص شخص محقٌّ ، ولأنْ يُعَدَّ من الأولياء على تفاوت درجاتهم مستحق ، وهذا أيضاً بالنظر إلى أرباب المناسبة[1] والذي لا

(١) فإن كان في ذلك خفاء فإنما هو بالنسبة إلى العوام كالأنعام دون الطالبين ، والخفاء على العوام ساقط عن حيز الاعتبار عند الخواص فإن منشأه مرض القلب وغشاوة البصر ، كذا في « الدرر » في ١١٢ من الجزء الأول (منه) .

وقال في الباب السادس والثمانين ومائة : لا يكون خرق العادة إلا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه ، وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر ، وقال : هذا هو الكيد المتين . قال : واعلم أن خرق العوائد على وجوه ؛ منها : ما يكون عن قوى نفسانية ، فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسيّة . ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقلنطريات وغيرها ، وبابها معلوم عند العلماء بها . ومنها : ما يكون عن نظم وحروف بطوالع وذلك لأهل الرصد . ومنها : ما يكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها ، فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الأمر . وهذا كلها تحت قدرة المخلوق=

مناسبة له فهو محض محروم مطلق . شعر :

من لم يكن في نفسه مَيْلُ الهـــدى فَشُهُودُهْ وجْـــهَ النَبـي لا يـــنفعُهْ

انتهى « الدرر[1] المكنونات النفيسة » .

الباب الثالث والعشرون

في ردّ دَعْوى مَنْ يَقول : لا يَجوزُ اتِّخاذُ الشيخ وأخذ الطريقة منه

ويَطْعَنُ على المريدين ، ويَسْتهزئ بهم – والعياذ بالله – فتلك شأن[2] بعض العلماء من ديار ولايتنا – سامحه الله تعالى ، وألهمه رشده وهداه إلى ما يرضاه ، آمين . وهي مما يتوجَّه إليه ضرره دنيا وأخرى ، لأنه قد ارتكب كبيراً ، وأنكر مجمَعاً ، وصرّح بالرأي قَوْلاً ، كيف لا ؟ وقد قال بوجوب اتِّخاذ الشيخ لمن ليس له قلب سليم أئمةٌ من المذاهب الأربعة ، وأجمع عليه العلماء السلف والخلف ، حتى أنّ أبا حنيفة – رحمه الله تعالى – أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسَنَتَيْنِ فقال حين وَفاته : لولا السنتان لهلك النعمان .

=بجعل الله ، وليس صاحبها عند الله بمكان ، وإنما ذلك بفعل خاصية ما ذكرناه كالدواء المسهل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان . « الكبرت الأحمر » من هامش « اليواقيت » (منه) .

(١) من صحيفة ١٤٠ من الجزء الثاني (منه) .

(٢) وكان سيدي علي المرصفي – رحمه الله – يقول : ما قطع بعض أهل الجدال عن الوصول إلى مقامات الأولياء وكراماتهم إلاّ دعواهم أنهم أعلم بالله منهم ، وخوفهم على علمهم الذي به رياستهم أن ينسى حين يتَّبعون طريق الفقراء ، وهو خديعة من النفس والشيطان ، فإنّ طريق الفقراء لا تزيدهم إلا علماً على علمهم ، وجلاء لقلوبهم ، وحضوراً في عباداتهم كذا في « لواقح الأنوار » فراجعه من صحيفة ١٨٥ من هامش المنن من الجزء الثاني (منه) .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يَرَى بكشفه نجاسة الذنوب الّتي تسيل مع ماء الوضوء كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل ، كذا في « ميزان » الشعراني ، ومع ذلك أخذ الطريق .

وكان الشافعي - رضي الله عنه - يجلس بين يدي شيبان الراعي الأميّ كالصبيّ بين يدي المرضعة .

وكان الإمام ابن حنبل - رضي الله عنه - يقول لولده لمّا صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم : يا ولدي ! عليك بمُجالسة هؤلاء القوم ، فإنّهم زادُوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمّة ؛ انتهى . بَعْضُها منقول من « الفتاوى العمرية » ، وبعضها من « المتممات » ، وبَعْضها من « مكتوبات » الإمام الرباني فراجعها .

وفي « الحديقة النديّة » : اعلم - أسعَدَك الله بالتوفيق وحلاّك بالتصديق - أنّ تَعلُّم علم الباطن ؛ من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرضُ[1] عينٍ على كل مَنْ لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ ، والعلم اللَدنيّ ، والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليلٌ ما هم ، وأحكام الدين إنّما تُبْنَى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يُغْنِي عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين من الحنفيّة ؛ كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي (مُحشي الأشباه) وأمثالهم .

ومن الشافعية ؛ كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام والإمام الغزالي وتاج الدين السبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري والعلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي وأضرابهم .

---

(١) ومثله في « فتاوى الرملي » فراجعه في ٣٧١ من هامش « الفتاوى الكبرى الفقهية » لابن حجر من الجزء الرابع وقد قال ابن حجر في « تحفته » مثله فراجعه في كتاب السِيَر ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

ومن المالكية ؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين اللقاني والشيخ العلاّمة المحقق العارف أحمد زروق البرلسي وغيرهم .

ومن الحنابلة ؛ كالشيخ عبد القادر الجيلي وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم ؛ فإنّ هؤلاء العلماء الأجلَّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة ، والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية عن الرزائل ، والتحلية بالفضائل ، انتهى . وراجع « البهجة » في ٤ و« المتممات » في ١٦٢ .

قال الفخر الرازي : ولمّا قال الله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهذا يدل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلاّ إذا اقتدى بشيخ يَهْديه إلى سواء الصراط[1] ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بإدراك الحقِّ ، وتمييز الصواب عن الغلط ؛ فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوَّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك [الكامل] ، فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكرامات[2] . فراجع « تفسير الكبير » ؛

(١) وقد قال صاحب « مطالع المسرّات » : إن أمر الاستقامة لا يتمُّ إلاّ بشيخ ناصح ، أو أخ صالح ، فراجعه من صحيفة ٢٣٣ . (منه) .

(٢) وفي « الأنوار القدسية في العهود المحمديّة » حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال ، كحكم من يمرّ بالمريد على جبال الفلوس الجُدَدِ ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الفضة ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الذهب ثم الجواهر ، فإذا زهد فيها أوصله إلى حضرة الله تعالى ، فأوقفه بين يديه من غير حجاب ، فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم الدارين . وهناك لا يقوم على الوقوف بين يدي الله تعالى شيئاً أبداً . وأما بغير شيخ فلا يخرج أحد من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم . انتهى . « رماح حزب الرحيم » ١٠٥ ج ٢ من هامش « جواهر المعاني » .

انتهى . من « الفتاوى العمرية » .

وكان شيخنا رضي الله عنه يستكتب منّا أشياء من كتاب « مزكي النفوس »[1] ومن جملتها هذه العبارات : يجوز الذهاب في طريق في موضع له زمان ومكان ، وقد يقع المريد في وقت من الأوقات في درجة ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ، وإذا وقع في تلك الدرجة التي ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ، ولا طريق ولا رفيق ، يلزم عليه بالضرورة أن يصحب بالرجل الكامل . والمرشد والمربِّي الذي ذهب ، ورفق مع المرشد كرَّات ومَرَّات بجذب إلهيّ وتوفيق ، ومُوافقة مرشد .

ثم العشق درجة لا مكان ، وجذبة الحق كذلك لا مكان ، وتوفيق إلهيّ لا علامة ؛ أي هي أشياء لا يتصرَّف فيها ؛ النفس والعقل والحال والروح ، وتصرُّفها في عالم البشر يعني في عالم الظاهر ، وأمّا تصرُّف العشق فوق عالم البشرية ، ومَنْ أراد أن يذهب في هذا الطريق الذي ليس له مكان ولا زمان ولا علامة لا بدَّ من أن يذهب إلى مرشد كامل ، وهو الذي وقع في عالم العشق ، ليُفْنِيَ ذلك المرشد بشريَّته بتلقين الذكر والتربية ، فلو ذهب واحد إلى طريق ليس فيه علامة فيبقى بلا وصول إلى الله ، فوَقْتاً يصل من الله تعالى ما يعجز عنه المخلوقات ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم يقع سير الطالب إلى عالم الأنفس ، فإذاً يقع في عجائب عالم الأنفس ويبقى فيها مغروراً بذوقه ، ويذهب أكثرون في عالم الأنفس إلى الكفر ، - والعياذ بالله - ، وكذلك لا يكون الهمَّة لمن يبقى في عالم الأنفس ، وقد يحصل لهم الترقِّي في وقت مّا ؛ لكن تغلب عليهم الأنفس فلا يصلون ولا يقفون في عالم الأرواح ، فلو أرادوا

(١) قوله من كتاب « مزكي النفوس » : هو كتاب تركيٌّ وقد كان الأستاذ المرحوم قدس سره يترجم منه بالعرب بفمه وأكتب كما قال . فافهم . وكان - قدس سره - يكتب منه أشياء بيده ويسلمها إلي جزاه الله عنا خيراً ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

أن يصلوا إلى عالم الأرواح ينبغي لهم أن يتخذوا مرشداً كاملاً . انتهى .

واستكتب رضي الله عنه أيضاً من ذلك الكتاب ما حاصله هذا : لاحظوا إلى حكم الله تعالى أنّ الخضر – عليه السلام – أدنى مقاماً من موسى – عليه السلام – بدرجات ومع ذلك ذهب هو لديه لطلب العلم اللَدنِّي ، والمستحيون حرموا من العلم اللَدنِّي ، وأنت تقول مع كونك عالماً كبيراً : ما الحاجة إلى الذهاب لدى المرشد ؟ فجميع الأنبياء الذين بعثوا من لدن آدم إلى نبينا – عليهم السلام – ، والأولياء الذين جاؤوا بعدهم سَعَوْا على هذا التوحيد ، لكن لم يذهب منهم إلى هذا الطريق ولو واحداً بغير مرشد ، وكل مَنْ قصَدوا أن يذهبوا إلى هذا الطريق بغير مرشد وقعوا في الشبهة ، وماتوا على سوء الخاتمة ، نعوذ بالله ، وكلهم صاروا ضالِّين ومضلِّين .

وإذا كان الحال كذلك ! يجب على الطالب ألبتّة طلب الشيخ المرشد المأذون الذي إجازته صحيحة ، ولا يكون الوصول بكثرة العلم والعقل ، ألا ترى أنّ كلب الصيد المعلّم إن دلّ خلف الصيد بقول « بسم الله » يجوز عند الحنفيّ أكل لحم ما قتله من الصيد ، وإن لم يكن الكلب مُعَلّماً يكون ما قتله نجساً ولا يجوز أكل لحمه ، وهكذا كل مَنْ لم يصل إلى المرشد ، انتهى .

وفي « حسبحال السالك » ما حاصله : إن لم يسلّم المريد نفسه إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ، ويبتلى بسوء حاله .

فإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريق ، والمرشد إلى هذا الطريق هو النبي عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتّخاذ الشيخ ؟

فالجواب : المرشد في الحقيقة هو القرآن ، وعلم الشريعة والنبي عليه السلام ولطف الله ، لكنّ المريد في أول الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطب وجمعَ الأدوية والمعْجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية ممّا يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطبّاء ، فكذلك الداخل في طريق السلوك ! يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : إنّي لا أتّخذ شيخاً بل أطالع كتب الشرع والتصوُّف ، وأتعلَّم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها ! !

قلت : نَعَمْ ، ولكنّ اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر والوُجُودِ خَيْرٌ لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .

قال حضرة خواجه نقشبند قدس سره الأمجد : أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى ، لكن لا يتمُّ الوصول بها إلاّ بنفي الوجود .

وقد قيل : وُجُودُكَ ذنب لا يقاس به ذنب آخرُ .

فلذلك كان للسالك من المدَد في الظاهر والباطن ما لا يجدُه في الصوم والصلاة ، فلا تلتفِتْ أيّها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض والواجبات والرواتب ، واجتهد لقطع علائق القلب والفناء ؛ إن كنت تريد الوصول إلى المعبود .

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : جلسة خيْرٌ من ألْفِ حجّة . أي الجلوس ساعة متفكراً في عظمة الله تعالى منقطعاً عن سائر الخواطر خيْرٌ من ألف حجة في غفلة ، لأنّه ربّما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب ذلك التفكر ، وأمّا الأخير فكالحمار يحمل

أسفاراً ، يذهب إلى الحج ويرجع ولا يتفكَّر في شيء من عظمة الله تعالى ، ووعده ووعيده ، ولا يتخلَّص من الأخلاق الذميمة . انتهى .

واعلم يا أخي أنّ علماء الشريعة والحقيقة قد أَجْمَعُوا على وجوب مجاهدة النفس ، وتطهّرها من الأمراض الباطنة كالكبر والحسد والغِلِّ ، ومحبّة الدنيا ، وما لا يتمُّ الواجب إلاّ به فهو واجب . قالوا : ولا طاعة للوالِدَيْنِ في ترك المجاهدة ، ولا يصير الولد بذلك عاقّاً لهما ، كما لا يصير عاقّاً بمخالفتهما في تعلُّم العلم الواجب .

فإن قيل : فما الدليل على وجوب رياضة النفس ومجاهدتها ؟

فالجواب : الدليل على ذلك ما ورد في عقوبة المتكبِّر والحاسد ، والمعجب والمرائي ، والمنافق ونحو ذلك ، **وما توعَّد الله تعالى عباده عليه بالعقوبة يجب عليهم الخروج منه في هذه الدنيا** ، **وإلاّ ! فلا يطهِّرهم من ذلك إلا النار** . وأيضاً فإنّه كما يجب على العبد الخلوُّ من الأدناس النجسة في بدنه وثيابه ومكانه قبل دُخوله في الصلاة ؛ فكذلك يجب عليه التطهُّر من صفات الشياطين التي في باطنه لِتُمَكِّنَهُ ملائكة الحضرة الإلهية من الوقوف بين يدي الله تعالى ، **فإنّ كلَّ مَنْ فيه خصلة من النفاق والكبر أو العجب مثلاً لا تُمكِّنه الملائكة من دخول حضرة ربِّه أبداً** ، لأنّها كالنجاسات الظاهرة على حدّ سواء . انتهى . من « المواهب البريقة »[1] .

وفيه أيضاً : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : يجب على كل مكلَّف أن ينظِّف ظاهره وباطنه من صفات الشياطين ، لتمكِّنه الملائكة من دُخول حضرة الله تعالى التي لا تصحُّ الصلاة عندهم إلاّ بدُخولها ، ومعظم غرض جميع الداعين إلى الله تعالى أنّ العبد يُطَهِّر

---

(١) نقلاً عن الشعراني (منه ، رحمه الله تعالى) .

باطنه كما يُطَهِّر ظاهره ، ويطابق في جميع طاعاته بين الظاهر والباطن ، فيخرج عن صفات النفاق ويتخلَّق بالإخلاص ، فهذا مُعْظم قصدهم من تسليك المريدين ، وذلك لِيُلْحِقوا المريدَ برائحة التخلُّق بما كان عليه السلف الصالح[1] من الصدق والإخلاص في جميع الأحوال ، واتِّهام النفوس بعد ذلك بأنّها لم تَصْدُق ولم تُخْلِص ؛ ولا يتمُّ ذلك لأحد إلاّ على يد شيخ صادق ، ولو بلغ في العلم الغاية وكان على عبادة الثقلين ، فربّما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه . انتهى .

أول عمر الإنسان

وفيه أنّ أول عُمر العبد دخوله في طريق القوم ، ومَنْ لم يدخل فيها فكأنه لَمْ يُولَدْ ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق .

وفي كلام عيسى - عليه الصلاة والسلام - للحواريين : بحقٍّ أقول لكم : لن يلج ملكوت السماء مَنْ لم يُولد مرّتين ؛ أي : وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى .

وفيه : وكان علي المرصفي - رضي الله تعالى عنه - يقول : لو أنّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور ، لجهله بمَعْرفة دسائس الأعمال الظاهرة ؛ فضلاً عن الباطنة ، بل ولا يعرف الطريق الموصلة إلى ذلك حتى يتطلَّب معرفة كيفية التطهُّر ، وذلك لأنّ معظمَ طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يكاد يدرك دسائس أعماله إلاّ مَنْ كشف الله تعالى حجابه . انتهى . (منه) .

---

(١) وذكر الشيخ سليمان الزهدي في منهوّاته على هامش كتابه « صحيفة الصفا لأهل الوفا » ما ملخصه هذا : لا يحصل حضور مقام الإحسان إلا بعد تصفية القلب عما سوى الله تعالى ، ولا تحصل التصفية والإخلاص إلاّ بالطريقة ، وهما فَرْضٌ أوّلٌ بعد الإيمان على الرجال والنساء . اهى . فراجعه ؛ (منه رحمه الله تعالى) .

وكان سيدي عليٌّ الخواص - رحمه الله تعالى - يقول : لو أنّ عَبْداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم .

وسمعت سيدي علياً الخواص - رحمه الله تعالى - يقول : مَنْ لم يكن له شيخ في هذا الزمان يخرجه من ظلمة الشكوك والأوهام فبَعِيدٌ أن يذوق شيئاً من مقام كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى . (منه) .

ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف ، أو بعضه لا غير . كذا في « لطائف المنن » في ٤٧ .

وفيه أيضاً : وقالوا : مَنْ لم يجدْ له شيخاً في بلده وجب عليه السفر[1] في طلبه . انتهى . (منه) .

ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلّغك هذه المآرب ، ولو كان بينك وبينه بُعْدُ المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » .

وفي شرح « تائية السلوك » في ٥٢ : فمن لم يصاحب شيخ صدْق ملقِّن يكون له الشيطان[2] شيخاً مُلقِّناً ، انتهى .

وقال العالم المحقّق محمّد علي الچوخي في فتاواه ؛ مجيباً لمن

(١) مع وفور علمه من المشرق إلى المغرب حتى يجد كاملاً ومكملاً متصرفاً بحسب الحال إذ لايؤخذ الكمياء من الكتب وكم من أضاع عمره وماله ولم يحصل منه رائحة منه فأخذ الأحوال أدق وألطف من ذلك ، « رسالة خالدية » .

(٢) راجع « الأضواء البهجة في إبريز الحقائق المنفرجة » في صحيفة ٢٦ ففيه نظيره (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

سَأله : الذي نفعله اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ؛ ولو بالسفر إليه بصَرْف ما يَجِبُ صرفه لسفر الحج . انتهى .

وقال الشعراني في « المنن الكبرى » : وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يَدُلّه على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عزُّ الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنه قد لُقِّبَ بسلطان العلماء ، فكان شيخَ الإمام الغزالي الشيخُ محمد البازاغاني ، وشيخ الشيخ عزّ الدين الشيخُ أبو الحسن الشاذلي ، وكان الإمام الغزالي يقول لمّا اجتمع بشيخه المذكور : ضيَّعْنا عمرنا في البطالة ؛ يعني : بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق .

وكان الشيخ عز الدين – رضي الله عنه – يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلاّ بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى .

وقد كُنْتُ قبل اجتماعي بأهل الطريق أَتَّخِذُ أعمالي كُلَّها وَسائلَ إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ثَبَتُّ على ذلك ، وإلاّ ! تحوَّلت منه ، فلمّا اجتمعْتُ بأهل الطريق قالوا لي : اجْعَلْ أعمالك كلّها مَقاصدَ لتحضُرَ فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذْها وسائل فتمُوتَ ؛ ولا تصلُ إلى مقصودك ، فقرَّبُوا عليَّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلاّ هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى ٤٩ .

وقال فيه أيضاً : ومما منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ بعد المجاهدة ظهور أنّ جميع ما كنت علّمتهُ من العلوم كلها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنما هو مخلوط بالحظوظ النفسانيّة . انتهى ٥١ .

وفيه : وقد بلغنا عن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة - أنّه لمّا دَخل طريق القوم كان يقول : قد وجدنا علوم الفقهاء حجاباً ، فيا ليتنا لم نضيّع عُمْرَنا[1] فيها . انتهى ٥١ .

وإنّما يكون حجاباً لمن لم يخلص لله عز وجلّ في تعلّمه وتعليمه . انتهى . ٥١ .

ولهذا قال النووي : إنما لم يظهر على العلماء كرامات كالعُبَّاد مع أنهم أفضل منهم ! ! لِما يدخل عليهم من الرياء . كذا في « بغية المسترشدين » في ٥ فراجعه .

وفي « منية الفقير المتجرّد » في ٦ : وقد بلغنا عن الإمام حجة الإسلام الغزالي - رضي الله تعالى عنه - أنّه قال ؛ لمّا اشتغل بعلم النظر واشتغل بمجاهدة نفسه على مُصْطلح أهل الله : ضيَّعْنا عُمْرَنا كلّه في البطالة ، فيا خَيْبَة مَسْعايَ في تلك الأيام ! ! . فقيل له : أَلَسْتَ قد صِرْتَ بذلك حجة الإسلام ؟ فقال : دَعُونا من هذه التُرَّهات ، أما بلغكم قوله عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » ! ! قال : وقد انكشفتْ لي الآن أنّ جميع تلك الأسفار التي كنت أسافرها في تحصيل العلوم وجمعها وكتابتها وتأليفها ؛ إنما كان لحبّ المحمدة والثناء بها عليّ بين الناس ، ولأقَدَّم بذلك على أقْرَاني ، وأهل عصري ، لا لله ؛ ولا لِأجْلِ أن أعمل أنا بها ! ! .

فقيل له : أما كان أحد ينهاك من مشائخك عن شيء من هذه النقائص التي انكشفت لك الآن ؟ ! . فقال : لا ، بل ربّما كان الشيخ يَسْتَغِيبُ أقرانه ، فنقع معه تَبْعاً له ، ما عَدَا شيخنا إمام الحرمين - رضي

---

(١) وهكذا كان العالم المحقِّق ، الفقيه المدقِّق ، أستاذنا في العلم الظاهري ، الحاج عيسى القحي يقول بعدما دخل في الطريقة وذاق شيئاً من علوم أهلها : وَا ندامتي على العمر الذي ذهب في طلب العلم الظاهري . انتهى (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

الله تعالى عنه - ، فكان مجلسه مُطهَّراً من ذكر نقائص الناس رحمه الله ، انتهى .

وكان الطيبي صاحب « حاشية الكشاف » يقول : لا ينبغي للعالم ولو تبحَّر في العلم حتى صار واحدَ أهل زمانه أن يقنع بما عَلِمَهُ ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلُّوه على الصراط المستقيم ، حتى يكون ممّن يحدِّثهم الحقُّ في سرائرهم من شدّة صفاء باطنهم ، وليُخَلِّصوه من الأدناس ، وأن يجتنب ما شاب علمه من كدورات الهوى ، وحظوظ نفسه الأمَّارة بالسوء ، حتى يستعدَّ لفيضان العلوم اللَدنيّة على قلبه ، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوَّة . انتهى منه ٦ .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حَضْرة الله تعالى بقلبه لتصحّ صلاته ؛ من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ ، ولا شكّ أنّ علاج أمراض الباطن كلّه واجب[(١)] كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيد والعقاب عليها ، فعلم أنّ كلّ مَنْ لم يتخذ له شيخاً يرشدُهُ إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنّه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغير شيخ ، ولو حفظ ألف كتاب ! فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ؛ ولا يعرف تنزُّل الدواء على الداء ، فكلّ مَنْ سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنّه طبيب عظيم ، ومَنْ رآه حين يُسْأَلُ عن اسم المرض وكيفيّة إزالته قال : إنّه جاهل . فاتَّخذْ لك شيخاً ولا تعْصِ ، وتفكّر أبديّة الآخرة ، **وإيّاك أن تقول إن طريق الصوفية لم يأت بها كتابٌ ولا سُنة ، فإنّه كُفْرٌ!! فإنّها كلّها أخلاق**

(١) الشيخ يُحتاجُ إليه ما دام ثَمَّ هوًى وإرادة لكسرهما ، وأما بعد زوالهما ! فلا ، لأنّه لا كدورة ولا نقصان . « فتوح الغيب » لعبد القادر الجيلاني ٢٥ ؛ من هامش « قلائد الجواهر » .

محمديّة ، وسيرة أحمدية ، وسُنَنٌ إلهيّة . انتهى . نقله أحمد ضياء الدين في « المتممات » .

وفي « ترصيع الجواهر » في ٩ : فنقول - وبالله التوفيق - : أجمع العارفون على أنّه لا يمكن سلوك طريق القوم من دُونِ المرشد . قال سيدي عبد القادر الجيلاني : مَنْ لا يرى المفلح لا يفلح ، واستدلّ على ذلك بقوله ﷺ : « مَنْ استغنى برأيه ضلّ » ، وبقوله ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن » ؛ وقال : السبب لا بُدَّ منه ، كان الله تعالى قادراً على أن يهدي إليه بلا أنبياء ! وحَضَّ - رضي الله تعالى عنه - على طلب المرشد حضّاً شديداً فقال : كل واحد منكم إذا جنّه الليل فليقم وليتوضأ ، وليصلِّ ركعتين ويقول : يا رب دُلَّنِي على عبد من عبادك الصالحين المقرَّبين حتى يدلَّني عليك ، ويعرِّفني طريقك . انتهى . نقل ذلك عنه في كتاب « الفتح الرباني والفيض الرحمني » .

وقال الشعراني في « المنن » ؛ بعد ذكر مَنْ اجتمع عليه من مشائخ الطريق وما فتح الله تعالى به على أيديهم : فعلمت وتحقَّقت أنّ الإنسان ولو بلغ في العلم الغاية فلا بدّ له من شيخ عارف في طريق العمل به ، كما وقع للإمام الغزالي والشيخ عزِّ الدين بن عبد السلام واليافعيّ وغيرهم . انتهى ؛ أي : لأنّ العلم بتدبير الإكسير لا يغني عن العمل على العيان ، وإذا كانت الأمراض الظاهريّة المدلول عليها بالعلامات المحسوسة من الحرارة والبرودة لا يفيد استعمال أدويتها المَعْرُوفة إلاّ بمَعْرفة الطبيب الحاذق الذي مارس صناعة الطب عِلْماً وعملاً ، وإذا استعمل المريض الدواء بنفسه رُبّما كان سبب هلاكه ، لأنّ هناك أموراً آخر تجب مراعاتها ، من اعتبار الزمان والمكان ، ودرجة المرض وغير ذلك ممّا يتوقَّف معرفته على الطبيب الحاذق ، فكيف بأمراض القلوب التي هي غيب محض ليس لها أمارات مَحْسُوسَة ؟ ! وأكثر الناس راضون عن

أنفسهم ، يظنّون أنّهم على الاستقامة المطلوبة ، كالذي في وَجْهه برص ولا مرآة عنده يُبْصِرُ بها وجهه لا يعلم أنّه أبرص إلاّ ببصير آخر يُعَلّمه بعَيْبه ، ويكون له بمنزلة المرآة ، بل سُلوك الطريق المحسوسة لا يمكن بدون دليلٍ خَبِرَ الطريق وسار فيها ، وعرف أعلامها ومظان الهلاك ، ومحلّ المياه ومحل عدمها ، والمواطن المسبَّعة والمواطن المأهُولة ؛ وإذا سَلك السالك الغَمْر فيها بنفسه من دُون مُرافقة الدليل كان ضلاله أكثر من هدايته ، وهلاكه أقرب من نجاته ، فكيف بهذا الطريق الذي هي غيب محض ، لا نظر لسالكه ، ولا قدم ولا قوّة ؟! وتكثر فيه السرّاق وقطّاع الطريق من زخارف الدنيا والنفس والهوى ، وشياطين الجنّ والإنس الذين هم إخوان السوء!! وإنما ضلَّ نحو الطبائعيّين والدهْريّين وأهل التشبيه والتعطيل وأهل البدع والأهواء وأهل الإباحة! لانفرادهم في السلوك ، فما قَدَرُوا على قطع العقبات والشبهات التي لا يمكن الخلاص منها إلاّ بحماية المرشد الكامل .

منها أنّ مرآة القلب إذا صفت يتجلَّى الرُوح[1] فيها مجرَّداً عن الكسوة البشريّة ، ومُتَّصفاً بالصفات الربَّانية ، فيجد العبد في هذا المقام ذوق (أنا الحق ، وسُبْحاني) فيظنّ أنّه لا مَقام فوقه ، لا لوليٍّ ولا لنبيّ ، فلو لم يكن له شيخ يبيِّن له المقامات ، ويكشف له ما فوق هذا المقام ويرغِّبه فيه ، ويشوِّقه إليه وإلا بقي[2] في مقامه ذلك أبدَ[3] الآباد ، ومنه يخاف عليه زوال الإيمان والقول بالحلول والاتحاد ، ولقد ذُقْتُ شيئاً

---

(١) وفي « الدرر » في ٢٣٣ من الجزء الأول قال واحد من السالكين في هذا المقام : عبدت الروح ثلاثين سنة على ظنّ أنّها الحق سبحانه وتعالى اهى ١٣٣ فراجعه لترى البسط الزائد ؛ (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعل الصواب بقي بإسقاط كلمة وإلا ، فتدبره (منه) .

(٣) وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدي به ، ومَنْ لم يكن له شيخ يهديه ! قادهُ الشيطان إلى مهاويه . كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ١٣٨ من الجزء الأول (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

من هذا المقام وأنا في سُجُود الصلاة فلم يمكنِّي أن أقول سبحان ربّي الأعلى ، لأني أرى ذوقاً في ذلك المَشْهَد أنّ الله تعالى هو الذي يتكلَّم على لساني ، ولا ربّ له تعالى ، ولو قلت في ذلك المقام (سبحاني) لسهل عليّ ، فلم يَسَعْني إلاّ السكوت إلى أن انقضى ذلك المشهد ، وهذا من جملة الامتحان والابتلاء الذي يَعْرض للسالك ولا يمكنه العبور عنه بدون[1] تصرُّف الشيخ[2] الكامل ، بل يعرض للسالك في هذا الطريق عِلَلٌ وأمراض من انحراف مزاج الطلب والإرادة ، فيحتاج للطّبيب الروحي لإزالتها بالأدوية الصالحة ، وإلاّ ينقطع عن الطريق ! وكذلك يظهر للسالك في طريقه ما يشير إلى الزيادة والنقصان ، وصفاء القلب وكدورته ، والحجب الدنيويّة والأخرويّة ، والأحوال والخواطر الرحمنية والشيطانية والنفسانيّة ، وسائر المعاني الحاصلة من الوقائع التي لا تعدُّ ولا تحصى ، والمبتدىء لا معرفة له بها لأنّها لسان الغيب لا يعرفه إلا أهله ، فيحتاج لمن يكون مُؤَيَّداً بتأييداتٍ إلهيّة ، وعالماً بالتأويلات الغيبيَّة . حتى يعرّفه ذلك ، فلا يكون محروماً من تلك الإشارات والمعارف ، ولا يتعذَّر عليه معرفة المقامات ، لأمُورٍ شتّى ؛

منها أنّ السلوك في الطريق لا يكون إلاّ بواسطة الذكر ، وهو لا

---

(١) وفي « الإتحاف شرح الإحياء » في ٣٢٤ من الجزء الأول : وأشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى ، وهو بَحْرٌ لا يدرك منتهى قعره ؛ قد تاهت فيه أَلْبابُ العارفين ، وكلٌّ منهم نال فيه مقاماً بحسب همَّته وقوَّته ، وتطهيره وتقرُّبه ، وليس كلَّ معرفة ، ألا ترى إلى الذي رأى الله تعالى سبعين مرة - لعله في المنام ! فتدبر - فقيل له : لو رأيت أبا يزيد لأغناك عن رؤيتك الله تعالى ! فتعجب من هذا القول ! فلما وقع بصره عليه ظهر له سرُّ المعرفة على غير الوجه الذي كان عرف فائدتها ، ولم يتحمَّل فمات لوقته . انتهى فراجعه وفيه سبب هذا (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

(٢) وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدى به ، ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى مهاويه . كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ١٣٨ من الجزء الأول .(منه قدس سره) .

يفيد إفادة تامَّة إلاّ إذا أخذه من تلقين مرشد كامل ! لسرٍّ في التلقين يعرفه أهله ، ولعلّه هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يعطيه الاسم بنور فيعمل في تنوير القلب عمله ، وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير ، حتى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ، ولولا ذلك لهلك مَنْ وطأ عليه في الحال .

ومنها أنّ السالك إذا سلك بنفسه طالَ عليه الطريق لأنّ مَشْيَهُ أضعف من مشي النملة ، وكلُّ عقبة مسافة كذا وكذا عاماً ، ويحتاج في بعض المقامات إلى الطيران ولا يمكنه ذلك ، لأنّه على شكل البيضة وهي لا تطير إلاّ إذا صارت طَيْراً ، ولا تصير طيراً إلاّ بتصرُّف طَيْرٍ آخر فيها ، وهو المرشد الكامل . انتهى . كلام صاحب « ترصيع الجواهر » .

من كتب أهل التحقيق

فهذه المذكورات قَطَرات من البحار ، ومن أراد الزيادة فعليه بكتب أهل التحقيق من الفقهاء الصوفية ، فقد بسطوا فيها الكلام ، وأثبتوا فيها الدلائل والنصوص ، بحيث لا يبقى بعدها إنكار ، ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكالٌ ؛ كـ « التحفة » لابن حجر والرملي من كتاب « السير » و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة و« المتممات » و« جامع أصول الأولياء » و« الحديقة الندية » و« الحدائق الوردية » و« لطائف المنن » و« الميزان الكبرى » و« الميزان الصغرى » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » وكتاب « اليواقيت والجواهر » للشعراني و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري و« الفتاوى العمريّة » و« الفتاوى الچوخيّة » ؛ فقد بسط مؤلفه رحمه الله تعالى فيه الكلام بأبلغ بسط ، و« النور الساطع » و« الأنوار القدسية » و« عوارف

المعارف » و« الإحياء » و« البهجة السنيّة » و« المواهب البريقة » و« ترجمة الرشحات » و« النفائس السانحات » و« روح البيان » و« سلك العين » وشرحه و« تصديق المعارف » و« شرح تائية السلوك » و« بيان الأسرار » و« الخادمي على النصائح الولدية » و« الرسالة الخالدية » و« الذهب الإبريز » وغيرها ، فهذه الكتب المذكورة ممّا قلّبنا أوراقها ، ورأينا أعْيانها[1] ، وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه لكثرته ، فهذا سلطان العارفين ، ومعتمد العلماء العاملين في المذاهب كلّها يُوصي بذلك ، فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرّب أوقاته في الفلوات ، وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده من أمثالنا أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ؟ وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ؟ ! رزقنا الله - والمنكرين - التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق ، فكم وكم مرّات تكلَّم أبْعاضٌ من الفقهاء في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم ، وكم وكم افتروا على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من أكاذيب ، فغفر الله لنا وإياهم آمين .

والمقصود من سُلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقِّيَّة المعتقدات الشرعيّة الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمْرٌ آخر وراء ذلك[2] . كذا قال الإمام الربَّاني في

---

(١) إلا بعضاً منها (منه) .

(٢) وفي « جامع الأصول » في ١٥ ما حاصله إن الطريقة ليس هي إلا أدآء الفرائض المشهورة وترك المحرمات المعلومة واتباع السنن المأثورة ومحبة الأولياء البررة انتهى . فما بال هؤلاء المنكرين أن يعترضوا على من هذه المذكورات دأبهم ولله در الشعراني حيث قال إن ردّ العلماء على الصوفية إنما هو لدقة مدارك الصوفية لا غير ، فلا يلزم من الرد عليهم فساد

بعض مكاتيبه . راجع « الدرر المكنونات » في ١٩٠ من الجزء الأول .

وفيه في ١٠٢ : وكما أنّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، ويمكن أن يكون في قوله تعالى ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ رمزٌ إلى هذا المعنى ، فأنّ كلمة « حتّى » كما أنها تكون للغاية تكون للعلّة أيضاً ؛ أي لأجل أن يأتيك ، وكان الإيمان المتقدِّم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عبّر عنها باليقين ، قال الله عزَّ شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ أي : الذين آمَنوا صورةً ، آمِنُوا حقيقةً بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى .

وقال الإمام الربَّاني أيضاً في مكتوب آخر : أيها السَعيد النَجيب ! إنّ الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة ، أو عرضت من أعراضه آفة يسعى سعياً بليغاً حتّى يندفع عنه ذلك المرض ، وتزول عنه تلك الآفة ، وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلُّق القلب بما دون الحق جلّ وعلا على نهج كادَ يُوقعه في الموت الأبدي ، ويلقيه في العذاب السرمدي ، وهو لا يتفكَّر بَعْدُ في إزالته أصْلاً ، ولا يسعى في دفعه قطعاً .

عقل المعاش وعقل المعاد

فإن لم يعلم أنّ هذا التعلُّق مرض فهو سفيهٌ محض ، وإن علم ! ومع ذلك لا يبالي به فهو بَليدٌ صِرْفٌ ، ولأجل إدراك هذا المرض لا بُدَّ من عقل المعاد ، فإنّ عقل المعاش لقصور فكره مقصور على إدراك الظاهر لا يتعدَّاه إلى بواطن الأمور ، فكما أنّ عقل المعاش لا يدرك

قولهم في نفس الأمر كما قال الغزالي رضي الله عنه كنا ننكر على القوم أموراً حتى وجدنا الحق معهم . اهى (منه رحمه الله تعالى) .

المرض المعنويَّ ، أو لا يراه مرضاً بواسطة ابتلائه بالتلذذات الفانية ، وانغماسه فيها ، كذلك عقل المعاد لا يحسُّ الأمراض الصُوريّةَ ، ولا يعدُّها أمراضاً بسبب رجائه المثوبات الأخروية . عقل المعاش قصير النظر ، وعقل المعاد حديد البصر ، عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام ، وعقل المعاش مرغوب الأغنياء وأرباب الدنيا ، شتان ما بينهما ! ! .

والأسباب المحصّلة لعقل المعاد ذكر الموت ، وتذكر أحوال الآخرة ، ومجالسة قوم تشرَّفوا بدولة فكر الآخرة ، شعر :

دلّلتك يا هذا على كنز مقصد   فإن أنا لم أبلغ لعلّك تبلغ

ينبغي أن يعلم كما أنّ مرض الظاهر مُوجبٌ للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعية ، كذلك مرض الباطن أيضاً مستلزم لذلك ، قال الله تبارك وتعالى ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ والمستلزم لذلك العسر في الظاهر ضعفُ القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلاّ فليس في التكاليف الشرعية عُسْرٌ أصْلاً ! بل فيها كلّها تخفيف وتمام اليسر والسهولة ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى ، شعر :

ما ضرّ شمس الضحى في الأفق طالعة   أن لا يرى ضوءها مَنْ ليس ذا بصر

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذّاق فرضاً ، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ والسلام والإكرام ؛ كذا في « الدرر المكنونات » في ١٩١ من الجزء الأول .

وقال قدس سره في مكتوب آخر في ١١٠ من الجزء الأول : **قد تقرَّر**

عند الحكماء أنّ المريض ما دام مريضاً لا ينفعه غذاء أصلاً ، ولو كان من أعزِّ الأكل وأحسنه ، بل هو مقوٍّ لمرضه ، الأكل ما نال العليل عليل[1] ؛ فيشتغلون أولاً في فكر إزالة مرضه ، ثم يجتهدون في تحصيل القوّة بأغذية مُناسبة لمزاجه وحاله بالتدريج ، **فكذلك الإنسان ما دام مبتلى بمرض القلب** كما قال الله تعالى ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ لا تنفعه عبادة وطاعة أصلاً ، بل هي مُضِرَّة له « رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » حديث معروف ، و« رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والظماء » خبر صحيح . فأطباء القلوب أيضاً يأمرون أولاً بإزالة المرض ، وذلك المرض عبارة عن تعلُّق القلب بغير الحقِّ سبحانه وتعالى ، بل هو تعلُّق القلب بنفسه ، فإنّ الإنسان كلما يحبُّه ويطلبه إنما يحبُّه ويطلبه لنفسه ، فإن أحبَّ أولاده يحبُّهم لنفسه ، وكذلك الأموال والرياسة والجاه ، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه ، فما دام الإنسان لم يتخلَّص من هذا التعلُّق والارتباط لا وجه لرجاء النجاة ، ففكر إزالة هذا المرض لازم للعلماء أولي الألباب ، والحكماء ذوي الأبصار ، ويكفي مَنْ له فهمٌ إشارةٌ ! ! انتهى من « الدرر المكنونات » من صحيفة ١١٠ من الجزء الأول .

مهم

وفيه أيضاً في ١١٤ : اعلم أنّ أهل الله أطباء الأمراض القلبيّة ، وإزالة العلل الباطنية مَنُوطَة بتوجُّه هؤلاء الأكابر ؛ كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم قوم لا يشقى جليسهم ، وهم جلساء الله ، بهم يمطرون ، وبهم يرزقون ، ورأس الأمراض القلبية ، ورئيس العلل الباطنية هو تعلُّق القلب وارتباطه بما دُونَ الحق سبحانه وتعالى ، ومالم يتيسَّر التخلُّص من هذا التعلُّق بالتمام فالسلامة محال ، فإنه لا مجال للشركة في جناب الحق جلّ سلطانه ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾ فكيف إذا جعل الشريك غالباً ؟ وجعل محبَّة غير الحقِّ تعالى غالبة على محبته

---

(١) وفي نسخة : الأكل ما زال العليل عليلاً .

تعالى على نهج تكون محبته تعالى معدومة في جنبها أو مغلوبة غاية الوقاحة ، ونهاية عدم الحياء ، ولعل المراد من الحياء في قوله عليه السلام : « الحياء من الإيمان » هو هذا الحياء .

وعلامة عدم تعلُّق القلب بما سواه تعالى نسيانه بالكلية ، وذهوله عنه جملة ، على وجه لو كُلِّف بتذكُّر الأشياء لما تذكَّر ! فكيف يكون لتعلُّق القلب بالأشياء مجال في ذلك الموطن ؟ ! **وهذه الحالة مُعبّرة عنها عند أهل الله بالفناء ، وهو أول قدم يوضع في الطريقة** ، ومبدأ ظهور أنوار القوم ، ومنشأ ورود المعارف والحكم وبدونها خَرَط القتاد . انتهى .

وقد أطلنا الكلام في هذا الموضع ، وزدنا تحرير النقول في هذا الباب ! لكونه مما كثر فيه القيل والقال بين عباد الله ، فلعلّك لا تسئم ، ثم لعلك لا تلوم على هذه الطائفة النقشبندية قائلاً : هل يجوز أن يُعلِّموا الطريقة إلا بعد إتمام الشريعة ؟ فإن تعليم الطريقة إنما هو لتكميل الشريعة ، بل لتكميل حقيقة الإيمان[1] كما هو المأخوذ من الكلام السابق ، وإيّاك ثم إيّاك أن تبغضهم ! فإنّ بغضهم سمٌّ قاتل ، والطعن فيهم موجب للحرمان الأبدي ؛ قال شيخ الإسلام الهروي : إلهي كلّ مَنْ أردت سقوطه فأسقطه علينا ، يعني أوقعه بغيبتنا وملامتنا . انتهى .

ولا تظنّ أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر فوقه ! فإنّ كلاًّ منهما عين الآخر ، كذا قال الإمام الربَّاني - قدس سره - ورَدَّ قول مَنْ

---

(١) ولذا قال الإمام الرباني قدّس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » : والمقصود من السير والسلوك خرق الحجب ؛ وجوديةً كانت أو إمكانية حتّى يتيسر الوصل العريان ، وليس المقصود منه أن يصيد المطلوب ويقيِّده . اهى فراجعه من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الثاني في ٧٦ (منه) .

قال : الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبُّ الشريعة[1] لإيهامه المخالفة بينهما ، بَلْ أوَّله وحَمَلَهُ على وجه حسنٍ .

وقال أيضاً : إنّ حصول الطريقة مقدَّم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٤٩ من الجزء الأول .

وفيه في ١٨٢ : إنّ طريق الصوفية خادم للعلوم الشرعية ، لا أنه أمر مُبَايِنٌ لها . انتهى .

فينبغي لكلّ واحدٍ أن لا يتكلَّم خلف الأولياء إلاّ بعد أن يُحصِّل مِنْ علومهم شيئاً ، ومِنْ أذْواقهم حالاً ، وإلاّ فيُورِطهُ في الهلاك ، والعياذُ بالله .

البابُ الرابع والعشرون

في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخُه من الذكر

ولقد سمعْنا أنّ واحداً من العلمآء المنكرين قد طعن فيمن يلازم على ما وضع عليه أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، ولا ينتقل إلى الأذكار والدعوات خلف الصلوات ، قائلاً : إنّي أبارز وأباحث على مَنْ أمَرَ بتلك الملازمة ، وأسْألهُ من أين أخذ هذا الأمْرَ ؟ وفي أيّ كتاب وجَدَه ؟ ! فقد تحقّق وتبيَّن قول مَنْ قال : مَنْ اكتفى بالفقه تفسَّق !

---

(١) وهذا الكلام وإن كان منبئاً عن عدم استقامة قائله ، ولكن يمكن أنّ يكون المراد به أن المجمل حكمه بالنسبة إلى المفصَّل ؛ كحكم القشر بالنسبة إلى اللبِّ ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللبِّ .
وأما الأكابر المستقيموا الأحوال فلا يجوِّزون التكلُّم بأمثال هذه العبارة الموهمة للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف ؛ سَألَ سائل الخواجه بهاء الدين النقشبند – قدس الله سره الأقدس – أنه : ما المقصود من السير والسلوك ؟ فقال : كون المعرفة الإجمالية تفصيليّة ، والاستدلاليّة كشفية . هكذا ؛ بل عينه في « الدرر المكنونات » في ٩٦ من الجلد الأول فراجعه (منه غفر الله له آمين) .

فنقول وبالله التوفيق : قال الشيخ الإمام تاج الدين ابن عطاء الله في كتابه « تاج العروس » :

ولا تكن كمن يُريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هُنا وذراعاً هنا فلا ينبع له ماء أبداً ، بل احفر في مكان واحد ، فينبع لك المآء . انتهى . هذا الكلام ـ منه رضي الله عنه ـ إشارة إلى الملازمة على الذكر وتكثيره من غير أن ينتقل إلى غيره ، وراجع « ماهية التصوف » و« المتممات » فالأولى والأصلح لمن له شيخ أن يلازم على ما أمر به شيخه ، ولا ينتقل إلى غيْره ؛ كذا قال ابن حجر[1] في « الفتاوى الحديثية » ، وفي « الباقيات الصالحات » : إنّه وقعت المباحثة بين شخصَيْن قال أحدهما : الذكر أفضل من تلاوة القرآن . وقال الآخر : بل التلاوة أفضل من الذكر . فخرج شيخنا في ذلك الأثنآء وقال : فيما ذا كنتم تتكلّمُونَ ؟ فعرضوا عليه المباحثة فقال : **الكون مع الله أفضل من الكلّ** . انتهى .

يعني أنّ ما يؤدِّي إلى وِجْهَةِ القلب إلى الله والحضور معه فهو أفضل ، ولا شكّ أنّ ملازمة الذكر أشدُّ جَلْباً لصَرْفِ القلب إلى الكون مع الله مما سواه ، فافهم والله أعلم .

وفي « النفائس السانحات » أنّ المداومة على الذكر من فرائض طريق أوليآء الله تعالى ، فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإن القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ينبغي للسّالك أن يعمّر أوقاته ، ويستغرقها بالذكر والعبادة ، وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سرِّه وهمَّته عن التوجُّه إلى غيرِ مفهومِ لفظةِ الجلالة حتى

(١) ومر في الباب الرابع عشر نقلاً من عينه (منه) .

تكون ملكة حضوره . انتهى .

وفيه أيضاً أن التكثير من تكرار اسم الذات مُثْمِرٌ لنسبة الجذبة الإلهيّة : انتهى .

وفي « الباقيات الصالحات » في ١٤٨ : جاء مولانا يوماً في حجرتي ورأى مُصْحَفاً في الرفِّ فقال : ما هذا الكتاب ؟ قلت : هو مصحف . قال : إنّ ذلك من علامة البطالة يعني أنّ وظيفة المبتدىء في بداية سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات . وقال : **إنّ تلاوة القرآن من وظيفة المتوسطين ، والصلاة شغل المنتهين ؛ وأهمّ المهمّات للمبتدئين الاشتغال بالنفي والإثبات ، وترك الأهم** ، والاشتغال بغيره بطّالة ، كمن يقرأ الفاتحة في قعُوده زعْماً منه أنها أمّ القرآن انتهى .

وقال الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه : وينبغي تعمير الأوقات بالذكر على نهج لا يشتغل بعد أدآء الفرائض والسنن المؤكَّدة بشيء غير الذكر أصلاً ، حتى يترك تلاوة القرآن ونوافل العبادة[1] أيضاً ، ويشتغل بالذكر بالوضوء ، وبغير الوضوء ، قائماً وقاعداً ، ولا يخلو عنه في مجيئه وذهابه ، ووقت أكله ونومه إلى آخر ما قاله[2] ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٠٨ من الجزء الثالث .

---

(١) أي : غير السنن المؤكدة للصلوات الخمس ، وهذا بالنسبة إلى المبتدئ ، فإن الأفضل في حقّه مجرد الذكر ، وأما بالنسبة إلى المتوسّط ، فالأكمل في حقه التلاوة ، وبالنسبة إلى المنتهي : الصلاة لأنها جامعة للذكر والتلاوة وأعمال الجوارح واختلاف الحالة . راجع « عوارف المعارف »و« شرح عين العلم » لعلي القارئ في ٢٩١ من الجزء الثاني (منه قدس سره) .

وليس من آداب المريدين كثرة الإمداد بالظاهر ، فإن القوم في مكابرة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال البرّ الذي لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة . فأما الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتمّ لهم . « رسالة قشيرية » ٢١٦ . (خط حسن أفندي) .

(٢) ورأيت في « عوارف المعارف » ما نصه : أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد في الخلوة أربعين يوماً أو أكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه=

وقال الشيخ ممَّ دِبر الروچي قدس سره نقلاً عن الشعراني ، وقال أيضاً : سمعت شيخنا علياً المرصفي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : إيّاكم أن تنكروا على شيخ أمَرَ مُرِيدَه بتقديم صلاة النافلة أو الذكر مثلاً على طلب العلم أو عكسه ، فإنّ في ذلك مشاهدة صحيحة للأشياخ ، وكذلك لا ينبغي لكم الإنكار على شيخ ينهى مريده عن صلاة النافلة أو العلم ويأمره بالذكر ، فإنّه ربّما رأى نيّته في العلم فاسدة بالكشف والقرائن ، ورأى عنده جَهْلاً بالله تعالى لغلظ حجابه ، فأمره بالذكر .

إذا رأيتم المريد يكثر من النافلة ويقلِّل من الذكر فاعلموا أنّه بطّال لا يجيء منه شيء في الطريق ، لأنّ صلاة النافلة من صلاة الكمّل لا المريدين . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » **اعلم** أن الذكر هو العُمْدَة في جميع الطرق العلية ، فلا يصل أَحَدٌ إلى الله تعالى إلاّ بدوام الذكر والفكر ، والحضور والمراقبة ، وذلك أفضل العبادات ، وأقرب الطاعات والقربات في الطرقات ، بعد أدآء الفرائض والسنن المؤكدات ، لأنّ العابدين لو اشتغلوا بجميع الطاعات سوى ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً قلّما يحصل لهم تزكية النفوس وتصفية القلوب ، وهو مأثور وثابت

=ويصير كما قال قائلهم : رأى قلبي ربي . وقد يصل إلى هذا المقام تارة بإحياء الأوقات بالصالحات ، وكف الجوارح وتوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات ، وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوّة استعداده مبادأة من غير عمل وجدّ منه . وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردّد ذلك الذكر ويقوله ، وتكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة ، فحسب . وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور ولا يزال يردّد ذلك الذكر ملتزماً به ، حتى في طريق الوضوء وساعة الأكل لا يفتر عنه . انتهى فراجعه في ١٨٧ من هامش « الإحياء » في الجزء الثاني . (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

بالأدلة الأربعة ، وأفضليّته ثابتة بقوله تعالى ﴿ **ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾(١) أي : ولذكر الله أكبر في إزالة مرض القلب من الصلاة وتلاوة القرآن ، فالصلاة وإن كانت تنهى عن الفحشآء والمنكر ؛ وكذا التلاوة ! لا توصلان إلى الله تعالى ، بل توصلان إلى الجنة والثواب العظيم ، وأمّا الذكر فهو موصل إلى الله تعالى ، فبينهما فرق عظيم ، لأنّ قيمة الذكر بقدر المذكور ، فحينئذ فذكر الله أكبر من تلاوة القرآن وصلوات النوافل « روح البيان » ملخصاً .

وفي « هدية الذاكرين » : اعلم أنّ الذكر من الواجبات لأنّ الأمر إذا تكرر يكون للوجوب على قاعدة الأصوليين ، وقد تكرر الأمر بالذكر في القرآن والحديث في مواضع لا تحصى . انتهى « هديّة الذاكرين » .

وفي « مزكي النفوس » : الذكر أفضل من صلاة النافلة . اهى

وفي « الفتاوى » للرملي : هل الذكر الوارد في وقت مخصوص أفضل من قراءة القرآن في ذلك الوقت أم لا ؟ فأجاب بأنّ الذكر أولى . انتهى ، في ١٥٤ من هامش « الفتاوي » لابن حجر .

فائدة : قد كتب إليَّ واحد من العلماء ـ رزقه الله التوفيق وجعله من أهل التحقيق آمين ـ : إنّ ما بين الخروج إلى الخلاء وبين إتمام أربع ركعات ألف وستمائة سُنَّة يجب حفظها على أهل الطريقة ! .

وقال : إن مَنْ لا يقدر على إتيان هذه السنن لا يحمل أعباء الطريقة ، وقال أيضاً : إنّ أكثر العارفين لم يبلغوا إلى مقام الطريقة .

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : له وجهان ؛ أحدهما أنّ ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر أنّ ذكر الله أعظم من كل عبادةٍ سواه ، كذا في « مكاشفة القلوب الكبير » للإمام الغزالي (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

وقال : إنّ الشيخ العبودي رحمه الله كان يقول بفمه ما ذُكِر وأنكر إنكاراً تاماً على مَنْ يُلقِّن الأذكار للعوام ! !

فنقول ـ والله الموفق ـ : إنّ المراد من الطريقة حصول المعرفة واليقين ، فإذاً تكون الطريقة من الوسائل ، والمعرفة واليقين من المقاصد ، فلا أدري معنى قوله : إنّ أكثر العارفين لم يبلغوا إلى مقام الطريقة ، ولعلّ القائل لا يعرف معنى العارف ، ولا معنى المعرفة بل ولا مقام الطريقة ، والله أعلم . ثم إنّ المنع من الدخول في الطريقة لمن لا يقدر[1] أمثال هذه السنن المذكورة ممّا لم يقله أحد من المشائخ ! بل الذي عليه سياسة المشائخ العارفين تلقين الذكر للعوام مستدلين بعموم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ الآية ، بل جعلوا أخذ الطريقة وتعلّم ظواهر حدود أمراض القلب وأسبابها من المشائخ المرشدين فرضَ عين على كل فرد من أفراد الرجال والنسآء . اللهمّ نعم ! قد استثنى ابن حجر في « الفتاوى » منهم مَنْ خلق سليماً منها ، وقال : لا يلزمه تعلّم ذلك . فراجعه في ١٣ من الخاتمة .

وأرى هذا القائل يأمر بإتيان السنن وينهى عَنْ فِعْلِ الفرض والواجب ؛ وقد قال بعض العارفين ـ رضي الله عنه ـ في رسالته : إنّ تلقين الذكر على منهاج النقشبنديين برعاية آدابهم خير من ألف ألف سُنَّة ابتدعوها وقالوها[2] الخالية[3] عن مؤسّسٍ واصل ، لما أنهم يلتجئون إلى السنن بترك الواجبات . انتهى .

---

(١) ولعل هذا القائل لو قيل له أخبرني من السنن المذكورة ولو نصفاً أو ثلثاً لا يدري ما يقول (منه) .

(٢) أي بأن ما بين الخروج إلى الخلاء وبين إتمام أربع ركعات ألفاً وستمائة سنة ، كما مر (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) أي الخالية عن الإذن والتلقين من المرشد الكامل الواصل الذي أسّس بناء أعماله على وفق ما جآء به الأكابر معنعنا مسلسلاً بلا انقطاع الوسائط (منه رحمه الله تعالى) .

يعني أنّ الذكر شفاء القلوب كما في الحديث ، وأخذه من الكامل المكمّل واجب على كل مَنْ له مرض قلبيّ فتدبره .

وفي « تقريب الأصول » في ٥٢ : سيْرك قدماً واحداً على أثر قدم عارف[1] أحسن من مائة ألف فرسخ تسيرها بهواك . انتهى . يعني : أنّ عبادة واحدة فعلها الطالب بإذن عارف وتلقينه يكون نفعها وأثرها أحسنَ وأزيد من مائة ألف عبادة يفعلها بهواه والله أعلم .

وأظنّ أنّ الشيخ العبودي لم يقل[2] هذا الكلام الذي نسبه إليه هذا

---

(١) وقد قال بعض الأكابر : إن الإنسان ينبغي له أن يعمل ما يعمل بأمر صاحب الزمان يعني المرشد الكامل حتى تترتب عليه النتيجة ولو كان أمراً مشروعاً . انتهى . ولكن ينبغي أن يعلم أن المراد بالنتيجة نتيجة معتدّة بها ، لا مطلقاً كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٢٣ من الجزء الأول ، فراجعه . (منه قدس سره) .

(٢) اللهمّ نعم ، قد وجدت هذا الكلام في كتابه المسمى بـ« كنز الدرر » بهذا الفظ : فأكثر العارفين رضي الله عنهم من أهل المذاهب ليسوا من أهل الطريقة حقيقة وإن عبدوا عبادة الثقلين وتزهّدوا في الدارين ، فضلاً عن مجرد شيوخ الأشياخ إلى آخر ما قاله فيخدشه ما قاله الإمام الرباني في « مكتوتاته » وما دام السالك في مقام النفي فهو في مقام الطريقة ، فإذا فرغ من النفي بالتمام وانتفى جميع الأغيار عن نظره وأتم الطريقة ، ووصل إلى مقام الفناء وجاء إلى مقام الإثبات بعد النفي ، ومال من السلوك إلى الجذبة فقد تحقق بمرتبة الحقيقة واتصف بالبقاء . وبهذا النفي والإثبات وبهذه الطريقة والجذبة وبهذا الفناء والبقاء وبهذا السلوك والجزبة يصدق اسم الولاية وتميل النفس من أن تكون أمّارة إلى الإطمئنان وتصير مزكاة ومطهّرة إلى آخره . والطريقة والحقيقة اللتان هما محصّلتان للولاية كأنهما من الشرائط لتحصيل حقيقة الشريعة . انتهى فراجعه في ٧٩ من الجزء الثاني . وأيضاً أن الكامل عارف ، وأدنى درجة الكمال اطمئنان النفس ، كما هو مذكور في « السير والسلوك » . ويؤخذ مما مرّ آنفاً ومما ذكره العبودي في كتابه المذكور أن صاحب المطمئنة هو المأذون المرشد . فالقول بأن أكثر العارفين ليسوا من أهل الطريقة مخالف لأقوال العلماء . ويحتمل أن يكون لكلامه هذا معنى آخر ، له تأويل عنده* والله أعلم . وأيضاً قال في ذلك الكتاب قبيل هذا : إنه لا يمكن أن يكون من له مذهب خاص من أهل الطريقة** ، فيرده بكون أئمة الطرق وأكابر الصوفية ممّن لهم المذهب الخاص . وقد كان الإمام الرباني قدس سره من الحنافية ، مقيداً بمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكان يترك قراءة الفاتحة خلف الإمام رعاية لمذهبه . كما هو مذكور في كتاب « المبدأ والمعاد » فراجعه في ٨٧ من هامش « المكتوبات » من الجزء=

البعض ـ سامحه الله ـ وبفرض كَوْنه مما قاله ـ رحمه الله تعالى ـ فلا نسلِّمه ! ! لأنّه يخالف أقوال الأئمة الصوفية ، وقد قال الإمام الربَّاني قدس سره : لمّا كان كل من مظانِّ الخطأ ومجال الصواب مختلطاً بالآخر بحكم البشريّة ؛ والإنسان أحياناً مخطىء وأحياناً مصيب ، فلا جرم كان اللازم جعلُ الموافقة لأحكام السواد الأعظم الذين هم أهل الحق علامةً للصواب ، ومخالفتُهم دليلاً للخطأ ، أياًّ مَنْ كان القائل ، وأياًّ ما كان المقول . قال المخبر الصادق عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « عليكم بالسواد الأعظم » . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٠٤ من جزء الثالث .

وقال الرملي : ولا يخفى أنّ هذا الشرع جآء باليسر والسهولة ، والرسول عليه السلام أرحم لأمته من كل واحد ، وقد طلب لهم اليسر في ليلة المعراج بقدر طاقته ، ولا أدري ما العلّة في الردِّ على مشائخ الطريقة الذين يهدون الناس بقدر طاقتهم إلى امتثال أمر الشارع ، ولا أحسُّ هذا التعسير من هؤلاء المنكرين أهل العنف والتغليظ مع أنّه تعالى قال ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ الآية ، وفي الخبر « إنّ الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » وفيه « أفضل أمتي الذين يعملون بالرُخص » رواه الطبراني في الكبير ، كذا

=الثاني . وكان رئيس الطريقة خالد البغدادي شافعي المذهب ، وغيرهما من أكابر النقشبندية كانوا أصحاب مذهب خاص فتدبره . وقد قال العبودي في الكتابه المذكور أمثال هذه المذكورات في عدة مواضع ؛ منه ما يعارضها ، ولعله رحمه الله تعالى قال ذلك في حالة السكر وكان الغالب عليه السكر (منه رحمه الله) .

*أي يجوز أن يكون المراد أن أكثر العارفين ليسوا واصلين إلى ما وصلوا إليه من المعرفة بالسلوك في الطريقة ، بل إنما وصلوا بما فاجأتهم من الجزبة الإلهية ، فتدبره ! (منه) .

**ويحتمل أن يكون المراد من هذا الكلام أيضاً : أن من له مذهب خاص لا يكون من أهل الطريقة الذين وصلوا إلى الانتهاء الذين لا يرخصون بل يأخذون العزيمة من كل مذهب . فافهم !

في « الجامع الصغير » و« البدر المنير » .

وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله : أنّ الوليَّ لو اقتصر على الفرائض مع ترك المناهي لا ينافي ولايته أيضاً ، لما روي في حديث نعمان بن نوفل حيث سأل رسول الله ﷺ أنّه لو اجتنب المنهيات واقتصر على الفرائض هل يدخل الجنة ، فقال عليه السلام : « نعم » برواية مسلم . انتهى .

وفيه أيضاً : إنّ الاعتراض على الوليِّ بترك سُنَّة من السنن ، أو بالإتيان بمباح شرعيّ بعد رؤية التصرُّف والتأثير من فرط الجهالة .

وفيه أيضاً : الاعتراض على المباح من عادة الجاهلية . انتهى .

وفيه أيضاً : وفي زماننا هذا لو رأى أحدٌ أكلَ لذيذ ، أو شرب بارد أو لبس حسنٍ ، في أحد من أصحاب الطريقة ، مع كون كل ذلك مُبَاحاً شرعياً والمباح لا يضرُّ ! لأنكر واعترض على حاله ، ولو كان له التصرُّف والآثار كالشمس في وسط النهار ، وكل ذلك من الاعتماد على رأيه ، واختراع الوليّ بقوله . انتهى .

وقال الإمام الرباني في مكتوباته : فإن عرض للمريد شبهة في حقِّ الشيخ لارتكابه الأمر المباح لا تُعتَبَرُ تلك الشبهة ولا يعبأ بها ، فإنّه إذا لم يمنع مالك الأمور جلّ سلطانه عن إتيان المباح ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه أن يعترض عليه من قبل نفسه ! ؟ وكم من مواضع يكون فيه ترك الأولى أولى من إتيانه ، وقد ورد في الحديث : « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصُهُ[١] كما يُحِبُّ أن تؤتى عَزَائِمُهُ » ، راجعه في ٣٨٣ من الجلد الأول .

---

(١) إجلالاً لما صدر من كرمه ، « مناوي » .

فهذه في حقِّ الوليِّ ! فما تقول في حق المريد المبتدىء ؟ ! ! مع أنّ الاشتغال بالنوافل[1] ليس من وظيفة المريدين ، كما هو مذكور في غير كتاب ، وأمّا وظيفتهم فالدوام على الذكر قياماً وقعوداً ، ذهاباً وإياباً وعلى جنوبهم .

وفي « الرسالة » في فضائل الذكر : إنّ الذكر الخفيَّ القلبيَّ مستحبٌّ على كل حال حتى في الخلاء ، وقد مر أنّ الذكر أفضل للسالك ولو من الصلاة النافلة ، فكيف من سائر السنن والنوافل ؟ ! ولا يترقَّى المبتدىء إلا بتكثيره وتكريره ، ولا يخفى على العاقل أنّ ارتكاب الأفضل في حقِّه بترك المفضول لا يكون مذموماً بل يكون ذلك حسناً[2] ، ومحموداً ، ومرّ في بيان محاسن هذه الطريقة أنّ من عمل بعشر ما علم نجا ، فينبغي استحضاره هنا وقد قال الرملي في « شرح الزبد » في بيت :

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة تخرج بنور العلم من ظلمات

أفاد به أنّه ليس على الشخص أن يعمل بما تعلّمه من مسنونات الشريعة ، فإن لم يعمل بجميعها فليعمل ولو بالعشر منه تخفيفاً عليه ، كما اكتفى الشارع في زكاة النبات إلخ . انتهى .

وقد قال الإمام القشيري في « رسالته » : وليس من آداب المريدين

---

(١) وفي « الكبريت الأحمر » للشعراني في ١٩٤ من هامش « اليواقيت » من الجزء الأول ؛ كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض إلا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل انتهى بحروفه (منه) .

(٢) وقال الخادمي في « البريقة » : إن صاحب هذا المقام يقصر العبادة الظاهرة على الواجبات والسنن المؤكدات ، لاشتغاله بما هو أقوى منه وهو الشهود والحضور . فراجعه في ٢١١ من الجزء الأول ، وفيه أيضاً : إن مُتَارَكَتَهُمْ الفضائل ليس لاعتقادهم عدم النفع ولا الكسلان ، بل لاشتغالهم بالأكمل منها ، ولأنهم قد حصل لهم ما هو المقصود منها . فراجعه ٢١١ ج ٦ (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

كثرة الأوراد بالظاهر ، فإنّ القوم في مكابدة إخْلاَء خواطرهم ، ومعالجة أخلاقهم ، ونفي الغفلة عن قلوبهم ، لا في تكثير أعمال البرّ الذي لا بدّ لهم منه كإقامة الفرائض والسنن الراتبة ، فأما الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتمُّ لهم . انتهى فراجعه من صحيفة ٣١٦ .

ثم اعلم أيّها الأخ أنّ مفتاح السعادة اتِّباع السُنَّة والاقتداء بالرسول عليه الصلاة والتحية في جميع الأفعال والأقوال ، والحركات والسكنات ، وبذلك يحصل محبّة الله سبحانه ، وقد قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ لكنّ أكثر الخلق قد أهملوا اتباع السُنن ، واتبعوا خطوات الشيطان ، وصاروا يصرفون وجوه قلوبهم إلى جمع هذه الفانية بالكُلِّيَّة ، وتركُ السنّة في العبادات من غير عذر ليس إلاّ لكفر خفي أو حمق جليّ .

وبيانه أنّ النبي ﷺ أخبرنا بأنّ صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ أي المنفرد بسبع وعشرين درجة ، فمن صلى منفرداً مثلاً وترك الجماعة فقد آثر الواحد على سبع وعشرين وذا لا يفعله إلاّ أحمق ! وإنّ خطر بِبَالِهِ أنّ هذا لا يكون كذلك وإنما ذكره للترغيب فهذا كفر خفيٌ انطوى عليه صدره وهو لا يشعر ، والسبب الباعث إلى إهمال ارتكاب السنن في جميع ما ورد به الأخبار عمايةُ القلب ، وكدورته بعمل الجوارح ، فصار القلب حينئذ لا يتجلَّى فيه حقائق الحق ، فاحتيج إلى تصقيله وتنويره وتعديله ؛ أمّا تصقيله ! فبإزالة حب الشهوات والأخلاق الذميمات التي تَكْسُو بسببها على القلب الوسخ والران . **وأمّا تنويره !** فبأنوار الذكر . **وأمّا تعديله !** فبِأنْ يجري جميع حركات الجوارح على قانون العدل ؛ بوضع الأشياء في مواضعها التي وردت في السُنَّة ، فإذا كان الحال كذلك ، احتيج أن يداوى هذا القلب المكدَّر المعمى بأدوية الأذكار ،

فإنّ ذكر الله شفاء القلوب كما ورد ، فالذكر للمريد كالمصباح في يده يستضيء به ، وبنور الذكر يتعاضدُ ويقوى ما في النفس من النور الأصلي حتى يندفع ما فيها من الرذائل ، ويزداد إقبالُها على حضرة القدس ، وإدبارُها عن الدناءات ، حتى تنمحق عنها[١] بالكُلِّية ، ويحرق الذكر ما سوى المذكور . **ثم إنّ الذكر لو أخذه السالك من عارف يكون معه نوره فيعمل في تنوير الباطن عمله، وإن أخذه من غير عارف فلا** ، كما هو مذكور في مواضع من هذا الكتاب .

فعلم من هذا البيان أنّ الدخول في الطريقة يكون سبباً باعثاً لإتيان المأمورات ، وترك المنهيّات ، واتِّباع المسنونات فتدبّره . وأيضاً إنّ المراد من تلقين الذكر حمل المُلَقَّن على مقام الإخلاص ، فالمريد[٢] كالمريض ، والذكر كالدواء ، فكل مَنْ اشتغل بالنوافل والسُنن مع عدم خلوّ باطنه من الرياء والسمعة كالعليل الذي يأكل الأطعمة التي تضرُّ علّته ، بل تزيد مرضه حتى يكاد يهلكه . ولا يخفى أنّ عادة الأطباء أن يأمروا المَرْضى بالاحتماء عما يضرُّ الداء ، ولا يرخِّصون لأكل بعض الأطعمة ؛ وإن كان لذيذاً .

مهم

وقد قالوا في كتبهم : ليس شيء من العبادات أنفع لنفي الإعجاب والرياء وغيرها من المذمومات من الذكر الكثير ، ولم يأمروا المريدين بالاشتغال بالنوافل إلا السنن المؤكدة إلى أن يحصل[٣] لهم مقام الإخلاص ، فإنّ المريد قبل ذلك إنما يفعل السنّة لحظِّ نفس غالباً ، فالفعل للحظِّ مذموم ، بل هو ممقوت ، فيكون ترك السنّة حينئذ أولى

(١) وراجع تقريب الأصول في ٩ (منه) .
(٢) بشهادة حديث : « ذكر الله شفاء القلوب » (منه ؛ رحمه الله تعالى) .
(٣) راجع « الفتاوى العمرية » و« الدرر المكنونات » وغيرهما (منه) .

وأحسن في حقِّه لأنّ الله لا يعاقبه على ذلك[1] كما هو مبسوط في « الإبريز » .

وفي « الدرر » في ١٣ من الجزء الثالث : إنّ ذكر النفي والإثبات كالوضوء للصلاة ، ومالم يوجد الوضوء لا يصح الشروع في الصلاة . انتهى .

وفيه : ينبغي أولاً إزالة المرض ، وهو مربوطةٌ بالنفي والإثبات ، ثم الاشتغال بعد ذلك بعبادات وحسنات آخر مما هو كالغذاء الصالح للبدن ، وكل غذاء يُتناول قبل زوال المرض فهو فاسد ومفسد . انتهى .

وفيه قبيل هذا : وقد وضعوا مدار الوصول على الذكر وأشياء أخرى غيره كثمراته ونتائجه . انتهى فراجعه .

وفي « إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحيآء علوم الدين » في ١٨ من الجلد العاشر : ولأنْ ينتقل العبد من معصية إلى معصية فيكون تاركاً للأولى بنية الترك لأجل الله تعالى كان أنفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب إلى توبته من افتعال الطاعات مَشُوبَةً بالهوى وفساد النيات ، لأنّه حينئذ يكون متقلباً في المعاصي بفساد نيّته ، وخالط عملاً سيئاً بسيء مثله ودرأ بالسيئة السيئة قبلها ، وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ وقوله ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ومخالف لأمْرِ رسول الله ﷺ : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » . انتهى نقله عن صاحب « القوت » مع زيادة بسط ، فراجعه .

وأيضاً : إنّ المريد المبتدىء سداه ولحمته غفلة لا يكاد أن يحضر[2] الله في قلبه إلاّ بالتكلّف ، فينبغي له أن يُوَاظِبَ على ما يطرد به

(١) أي على تركها وسيأتي بسط ذلك في الباب السابع والعشرين (منه) .
(٢) ولا يخفى أن العبادة لو خلت من الحضور والوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح كما قال به السادات في الكتب (منه) .

الغفلة عن قلبه من الذكر الكثير ، فإنّه كالفأس يقطع به شوك الخواطر كما قاله صاحب « الرشحات » ، وقال في موضع آخر : إنّ الذكر قد يكون حديث نفس بالنسبة إلى غيره . انتهى يعني أنّ الذكر بالأسمآء الفروعيّة كالغفور والرحمن يطلب الأغيار كالمغفور والمرحوم كما مر في الباب الرابع عشر ، ولذا قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر[1] » : فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار وقد مرّ بيانه ، فاستحضره هنا .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » إن كُنْت ذاهِباً إلى الله لم تفتقر إلى ترتيب الأوراد بَلْ وِرْدُكَ واحِدٌ وهو مُلازمة الذكر . انتهى .

وقال أيضاً : إنّ الذكر أفضل من قراءة[2] القرآن للذاهب إلى الله تعالى فراجعه .

فإنّ قراءة القرآن قد تحمل قارئه مرة إلى التفكر في الجنان[3] ، ومرة إلى التخيل في النيران ومرة إلى التدبر في قصص الأنبيآء عليهم السلام ، ومرّة إلى ما وقع بين الكفرة الفجرة ، ومرة إلى أحوال الدنيا الدنيئة ،

---

(١) راجعه من هامش الإبريز (منه) .

(٢) وسئل الإمام الرملي : هل الاشتغال بلا إله إلا الله أفضل من الاشتغال بقراءة القرآن لقول ﷺ « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » أو الاشتغال بقراءة القرآن أفضل لقوله ﷺ « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » ولتحريم قراءته على ذي الحدث الأكبر ومسّ ما كتب فيه ، وحمله على المحدث ، ونحو ذلك مما يدلّ على فضله ؟ فاجاب رحمه الله تعالى : بأن لا إله إلا الله من جملة القرآن ، فتفضيلها على بقية كلام إنما هو من باب تفضيل بعض القرآن على بعض ، وهو صحيح ورد به أحاديث كثيرة ، لا من باب تفضيل غير القرآن على القرآن . فراجعه في « فتاواه » في ٣٣٢ من هامش « الفتاوى الكبرى » لابن حجر من الجزء الرابع . (منه) .

(٣) والمريد الذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها ، بل ينبغي أن يجعل همه هماً واحداً حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق . كذا في « جواهر القرآن » فراجعه ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

فناسبَ لمن غلب على قلبه الغفلات أن يلازم الأذكار الملقَّنة لا على قراءة القرآن والآيات لئلا تكون سبباً لزيادة الخطرات إلى أن يصير الحضور القلبي مَلَكة راسخة لا يشغله شيء من الأشياء ، ويصير كالبحر يحمل كل ما ألقي إليه ؛ ولا يتكدّر ، ويقدر أن يقف مع صاحب الكلام ، لا مع ما يدل عليه الكلام . **فافهم** ، فإنّه نفيس لا يفهمه إلاّ حَدِيدٌ .

وقد قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » : اقرأ القرآن من حيث ما هو كلام الله لا من حيث ما تدل عليه الآيات من الأحكام والقصص فإنها هي الران على قلبك وحجاب . انتهى ١٧٢ فراجعه من هامش « الإبريز » .

وقد ذكر الإمام الرباني ، قدس سره ، كلاماً نفيساً في بيان تأويل قوله تعالى ﴿ **لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ** ﴾ بهذه العبارات والرمز الذي يخطر في الخاطر الفاتر ويقع في القاصر في هذا المقام أنّه لا يمسّ الأسرار المكنونة القرآنية إلاّ الذين صفت سرائرهم من لوث التعلّقات البشرية ، فإذا كان نصيب الأطهار مساس الأسرار القرآنية ، ما ذا يصيب لغيرهم ؟ !

ورَمْزٌ آخر « لا يقرأ القرآن » يعني : لا ينبغي أن يقرأ القرآن إلاّ الذين زكت نفوسهم عن الهوى والهوس ، وطهرت عن الشرك الجلي والخفي ومن الآلهة الآفاقية والأنفسيّة .

بيانه أنّ المناسبَ لحال مبتدىء السلوك هو الذكر ونفي ما سوى المذكور على حَدٍّ لا يبقى شيء مما سواه تعالى مَعْلوماً ولا يكون مراده شيئاً غير الحق سبحانه ، فإن ذكّروه بالأشيآء بالتكليف لا يكاد يتذكر ولا يكون مقصوده ، فإذا صار طاهراً من الشرك ومحرراً من الآلهة الآفاقية والأنفسية فحينئذ يستحق أن يقرأ القرآن بدل الذكر ويترقى بدَولة التلاوة . وتلاوة القرآن قبل حصول هذه الحالة المذكورة

داخلة في أعمال الأبرار ، وبعد حصول هذه الحالة داخلة في أعمال المقرّبين ، كما أنّ الذكر قبل حصول هذه النسبة كان من عداد أعمال المقرّبين ، وأعمال الأبرار من جملة العبادات ، وأعمال المقرّبين من جملة التفكّرات ، ولعلكم سمعْتم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » أو : « سبعين سنة » والتفكر عبارة عن الانتقال من الباطل إلى الحق ، والفرقُ بين الأبرار والمقرّبين هو فرق ما بين عبادة ذاك وتفكر هذا ؛ ينبغي أن يُعْلم أن الذكر الذي يكون في عداد أعمال المقربين من المبتدئ هو ما أخذه من الشيخ الكامل المكمل وكان مقصوده سلوك الطريقة ، وإلاّ فالذكر أيضاً من جملة أعمال الأبرار . انتهى . نقل من « الدرر المكنونات » من الجزء الثالث من صحيفة ٩ فراجعه[1] .

وفيه ، في ٣٧ من ذلك الجزء : والعجب أن الذكر إذا كرر في ذلك الوقت بعنوان تلاوة القرآن لكونه كلمات الآيات القرآنية وشرع فيه بالاستعاذة يترتب عليه من الفائدة ما يترتب على تلاوة القرآن ، فإن لم يكرر بعنوان القرآءة يكون مثل عمل الأبرار . انتهى .

فقد تبيّن بجميع ما ذكرناه فساد قول مَنْ قال : إنّ مَنْ لا يقدر أن يفعل المسنونات المذكورات في مكتوبه لا يجوز له أخذ الطريقة والذكر ، والحالُ أنّه نقل ذلك القول عن الشيخ العُبُودي ، قدس سره ، ونسبه إليه وكتب في أثنآء ذلك المكتوب أنّ شيخنا قطب الإرشاد ذا الجناحين العسوي ، قدس سره لم يكن شيخاً ، ونفاه عن مقام الإرشاد واعترض عليه بأشيآء تَنْبُو بسماعها الآذان ، مع أنّ الشيخ العبُودي رحمه الله تعالى قد كان[2] يوافق شيخنا قدس سره ، فقد زاره مرة وكان

(١) ونظيره في ٣٧ مع زيادة وبسط من ذلك الجزء (منه) .

(٢) ولقد أخبرني العالم رمضان العشلي العندي أنّه وصل لدى الشيخ العبودي رحمه الله تعالى للزيارة حين كان في دائرة تربيته ، ووَجَدَ في باب عتبته شيخنا العسلي ، قدس سره واقفاً ، ثم إذا دخلنا على الشيخ العبودي ، قال له الشيخ العسوي : إنّ شيخ الحاج جبرائيل=

معه العالم الرباني الحاج محمّد بن شعبان العسوي رزقه الله الاستقامة التامة والمتابعة الكاملة ، ففي أثنآء الكلام قال له : لِمَ لا تلقّن الذكر القلبيّ مُوَافِقاً باصطلاح المشائخ النقشبنديين ؟ ! فقال له العبوديّ : يا ولدي ، إنّي لا أقْدِرُ أن أتوجّه إلى الناس ! يعني أنّ التوجه شرط في طريقتهم وهو أمْرٌ عسيرٌ يحصل بسببه للمتوجّه ثقل عظيمٌ كما هو معلوم عند أهل الذوق والوجْدان ، فلو مَنَعْتُهُمْ بالكلية صَرَفوا آئسين منكسري القلوب ، ولذا أقول لهم بالذكر اللساني ، فيظنون أنّهم صاروا من المريدين فيتركون المعاصي ويلازمُون بالأوامر . انتهى .

قال شيخنا قدس سره . إنّه قال في ذلك المجلس : ليس لي مُريدُونَ في الداغستان إلا أربعة رجال . انتهى .

ثم بعد ذلك أرشد العبودي الناس إلى أعتاب شيخنا وأمر مَنْ جآء لديه بذهابه إليه وبأخذ الطريق منه وعلّمهم بأنّه المرشد النقشبندي يتوجه إلى المريد ويتصرف في الباطن وأظهَرَهُ إظهاراً شائعاً ، هكذا أخبرني بعض الثقاة من أهل الورع والتقوى والعلم والعمل والهدى ، ومَعَ هذا أنكره هذا البعض الذي يزعم أنّه مُريد الشيخ العبودي ، رزقه الله الإنصاف وجنّبه عن الاعتساف ، آمين .

فائدة : كان شيخنا رحمه الله تعالى يُلَقِّنُ الذكر القلبي لكل مَنْ جآء لدَيْه من العوام والخواص بعدما علّمهم كيفية الرابطة وأمرهم بألف استغفار وألف صلوات ومهّلهم على ذلك مدة شهر[1] أو أكثر ، وكان يتوجّه إليهم أحياناً ولا يامرهم بترك شيء من المخالفات إلا بالإشارة ،

=كان قال لي : لاتجيء لدي إلا بعد زيارتك لدى الشيخ العبودي ، ولذا زرتك وجئت لديك ، فقال له الشيخ العبودي : يا ولدي ، إنّ سلسلة طريقتكم أقرب من سلسلة طريقتنا وأنّ طريقتكم أسرع انتفاعاً من طريقتنا . انتهى . وقال : إنّ الشيخ العبودي كان يعظمه ويبجله ويكرمه ، هذا ما قال لي ذلك العالم بفمه . انتهى (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

(١) وحصل لهم الاستعداد فافهم . (منه) .

وإن علم منهم ما علم بل كان يتركهم للتردّد إليه فيسارقهم وطبائعهم تدريجاً فيحسن بعد ذلك حالهم بيُمْنِ تصرّفه الباطني حتى قال لي قدس سره بفمه : إنّه جآء لديه مرّة سارق وطلب منه الورْد ، ثم بعد رجوعه من موضعه وجد في طريقه معز واحدٍ من قريته فسرقه وذبحه وحمل لحمه إلى قريته ولم يقل له الشيخ شيئاً ما ؛ وإن كان يعلمه يقيناً وترك ليتردّد لديه ولاطفه وألان له الكلام وتصرّف في باطنه بالتدريج فصار أمْرُ السارق أنه ترك السرقة بالكلية وصار من جملة أهل الإرادة والمحبّين .

هذا[1] وأيضاً جاء لديه رجُلٌ آخر يترك الصلاة بالكلية فلاطفه بحيث يظن الناس أنّه من أحبّ مريديه وأسبقهم من أصحابه . فصار الرجل يُصَلّي ويقضي ما فات من صلواته وحسن حاله .

فأمثال هاتين الواقعتين قد وقع في مريديه كثيراً ، ولو كان لم يستعمل هذه السياسة لفاتت عن الناس هذه الفائدة .

ويؤيّده[2] ما في « الطبقات الكبرى » في ٥٩ من الجزء الثاني : من سياسة الداعي إلى الله أن يؤلف الناس عليه أولاً بالإحسان وطيب الكلام وتخفيف المأمورات ، **فإذا رسخوا فله التحكم فيهم كيف شآء** . انتهى .

---

(١) ومن عجيب ما وقع لهذا السارق المذكور أنّه ذهب مع الشيخ المذكور حين خرج إلى سفر الحج بشدة مودته له إلى أن يصل إلى بلدة أنجه ، فحين كاد الشيخ أن يتفرق عنه وركب عجلة النار ، لم يطق السارق الصبر عنه بل نسي كل ما يقع له في العاقبة وركب العجلة معه سريعاً مع أنه ليس بيده « بليت » العجلة ولا الفضة التي تكفيه ، فحملته العجلة إلى مكان بعيد ولم يعلمه صواحب العجلة ، ثم إذا نزلت العجلة في بلد من بلدان الكفار فتشوه فيما بين الناس فوجدوه وطرحوه من العجلة وبقي هو في تلك البلدة حزيناً نادماً في مدة مديدة وعمل فيها بيده بالأجرة ، فبعد وصول الفضة إلى يده رجع هو إلى قريته ، هكذا أخبرني السارق المذكور بفمه والسلام ، (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

(٢) أي ما كان الشيخ يفعله .

فائدة أخرى : قد رأينا عياناً وتحققنا يقيناً أنّ كلّ من اعترض شيخنا المذكور ـ قدس سره ـ قد طرأ عليهم الأمراض الشنيعة أو البلايا العامّة ، فقد أنكره عالم كذا وآذاه أذى وكان ذلك العالم ذا منصب عظيم ، فعزل من منصبه المحبوب ، وطرأ عليه ماليخوليا ، فصار أحمق كالمجنون ومات في أسوإ حال .

وكذا كتب إليه عالم آخر مكتوباً بأنّه لا يجوز له تلقين الذكر للعوام ، وكتب فيه كلاماً بارداً ، وساء به قلب الشيخ ، فطرأ على ذلك العالم مرض الارتعاش ، وصار أمْرُهُ بحيث لا يطيق أن يأخذ الكوز بيده للوضوء ولا لغيره ، ولا يطيق أن يربط حبل إزاره ، وصار جميع أعضائه تتحرك بحركات عجيبة ، قال أهل جماعة ذلك العالم : إنّ يده لم يطق أن يمسك القلم بعد كتابة ذلك المكتوب ، وقد بقي المكتوب المذكور بلا إتمام ورأيته فوجدته كذلك .

وكتب إليه واحد مكتوباً فيه اعتراضات كثيرة وملامات زائدة عليه وعلى طريقته فطرأ على يده أثر الفالج وشُلَّ .

وأيضاً تكلّم في حقه واحدٌ من العلماء وقال : إنّه جَاهِلٌ[1] وهل يكون كلامه إلا جاهلاً .

فقلتُ لِوَاحِدٍ : انظر ماذا يحلُّ لهذا العالم ، فوالله قد طرأ عليه بعد ذلك مصائب كثيرة في البدن والأولاد والأموال ؛ بحيث يرحمه كل مَن يحبّه ، وهكذا هلك بسببه ـ قدس سره ـ المعترضون ، واهتدى بهديه المعتقدون ، وبذكر الجميع يطول الكلام ، ولله درّ القائل : **الوليّ كنيل مصر** ؛ رحمة للمطيعين ، وعذاب للمحجوبين .

---

(١) مع أنه ليس في يد هذا العالم من العلوم بالنسبة إلى ما في يده رحمه الله إلا كقطرة من البحر ، وسبب هذا القول أنه قدس سره قال شيئاً يفوت به شيء من دنيا هذا العالم في زعمه ، ولذا قال في حقه ذلك القول الشنيع ، (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وفي « الطبقات الكبرى » في ٧٧ من الجزء الثاني : **كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير** . انتهى . وفي الحديث القدسي : « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » . فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأوليآء بما عنده من ظاهر علمه ، فإنّ لهم مقاماً يفنون في اسمه الرحمن ، وذلك الغالب عليهم ، ولا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً أو هادياً إلاّ بعد فنائه في هذا الاسم الشريف ، لكن قد يطرأ عليهم حال يفنون في اسمه المنتقم أو القهار ، ففي تلك الحالة يهلك كلّ مَنْ أنكر عليهم وآذاهم[1] ، فالعياذ بالله .

وقد ينتقم الله لوليّه بغير علمه .

فقد روي أنّ رجلاً من الأولياء مرّ برجل فضربه بحصاة أصابته في كعبه فما التفت إلى الضارب ولا عرفه ، ولكنّ الله أكرمه بأن سقط الضارب ميتاً . فقيل للولي : أين أنت من العفو والسماح ؟ وهل يجوز قتل نفس حرّمها الله تعالى ؟ فقال : والله ليس لي علم بما تقول ولا أعرف الرجل ، ولكن جرت عادة الله تعالى بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون . كذا في « السير والسلوك » .

---

(١) وصورة ذلك أنّ الفقير يسأل ربه عز وجل أن يؤدب الظالم إمّا بمرض ، وإما بزوال نعمة ، وإمّا بإخراج وظيفته عنه ، أو زوال جاهه وحرمته من قلوب الناس ونحو ذلك . وأيضاً إنّ همة الولي تطلب الانتقام له ولأصحابه إذا ظُلموا فينفذ الله تبارك وتعالى ذلك بمجرد الهمّة من غير سؤال الله تعالى ، وذلك من أشد ما يكون من الانتقام ؛ فربما دخل في قلب ذلك الظالم منهم سهم مسموم ، فلا يزال به حتى يموت ، ولا يقدر أحد على مداواته . راجع المنن في ٢١١ ج ١ وفيه ، في تلك الصحيفة : وكان سيدي محمد السروي شيخ شيخنا يقول : الفقير إذا قوي عليه الحال وتفلت من يده صار كالأسد إذا أفلت ، يكسر كل من وجده ولو صاحبه وأولاده . وكان رحمه الله تعالى يقول أيضاً : لا يكمل الفقير حتى يقتل الله تعالى بسببه وبسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظلمة الذين يؤذون أصحابه وإخوانه المسلمين . وكان رحمه الله تعالى يقول : من كمال الفقير أن يحتمل الأذى في حق نفسه ولا يحتمله في حق أصحابه ؛ قياماً بواجب حقهم عليه ؛ لأنهم ما اجتمعوا عليه إلا ليحميهم من ظالم يؤذيهم . انتهى .

وههنا دقيقة وهي : كما أنّه ليس من شرط الولاية علم الولي بنفس ولايته كما هو المشهور ـ كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه ، فربمّا ينقل الناس عنه خوارق شتى وهو لا علم له بها . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٦ فراجعه .

وفيه أيضاً : وكان شيخنا ـ قدس سره ـ يقول : والعجب أن الناس يأتون إلي من الأكناف والأطراف ، فبعضهم يقول : رأيناك في مكة ، وبعضهم يقول : رأيناك في بغداد ، فيظهرون الصحبة والمعرفةَ ؛ والحالُ أنّي ما خرجت من بَيتي ؛ فما هذا الافترآء . انتهى ، ومثله في « لطائف المنن » للشعراني و« مكتوبات » الإمام الرباني .

فائدة أخرى إنّ واحداً من العلماء لقي شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي ـ قدس سره ـ فوجده قد كاد إلى الهلاك لكونه يعبد الله بغير شيخ حيّ ، فقال له : إنّك في بَحْرٍ فخِفْتُ عليك من الهلاك . فقال الرجل : أخرجني منه ولا تتركني للغرق والهلاك ، فدخل حينئذ في دائرته ، وكان ذا استعدادٍ عال فلقَّن له الأذكار بجميع اللطائف ، وعلّمه كيفية الذكر بحبس النفَس ، فحصل له الفناء في أقرب زمانٍ ، ثم إنّ ذلك الرجل ظنّ أنّ أمْرَهُ قَدْ تمّ ، ولعلّه وقع في ذلك الظنّ لمّا رأى في الكتب نظير هذه العبارة ، فإذا حصل الفناء فقد تمّ الأمر انتهى . والحال أنّها في حق المريد ، وأنّ الحيرة والفناء أول قدم في هذا الطريق .

وأيضاً قال له واحدٌ من المنكرين لهذه الطريقة : إنّك لا تحتاج إلى شيخ ، وأنت أعلى مقاماً من العسوي ، تعصباً وتحاسداً ، فقال للشيخ : إنّي قدَّمْتُ منك في المقام ، فقال الشيخ : إنّ في الطريقة مقامات كذائية ومراقبات كثيرة ، ونصحَ له بقدر طاقته ، بَيْدَ أنّه لم

يخرج من ظنّه الفاسد ، وتكلمه بكلامٍ جافٍ وقال له مثل ما قال أوّلاً بل أزيد من ذلك وأعجَبَ ، فمقته شيخنا قدس سره حينئذ وقال له : إنّ مَنْ تقدّم منّي لا يليق أن يكون عندي . وطرده عنْ بابه وأرسله إلى مكانه ، وقطع عنه النظر فحوَّل حال ذلك الرجل المذكور بعد ذلك إلى أسوأ حالٍ [1] وصار كالمجنون بشؤم اعتراضه على شيخه ، عياذاً بالله .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : إنّه لو انقاد إليّ واستسلم لأسْلِبُ منه الفنآء وأرقيه إلى أعلى مقام ، ولكنه اعترض ولم يطع أمري ولذا حوّل حاله . انتهى . يعني أنّ الشيخ وإن كان قطباً أو غوثاً لا يقدر أن يتصرف في أحد إلا إن كان له تسليم وانقيادٌ واعتقادٌ ، وعدم انتقادٍ ، كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » .

وأيضاً أن واحداً ترك الرابطة الّتي أمره بها الشيخ المذكور مع ما لقنه من الأذكار واشتغل بقرآءة القرآن زماناً ، فطرأ عليه الجنون [2] وحوّل حاله ولم يمتثل بعد ذلك أمر شيخه ، فصار بحيث لا يُرْجى له الإصلاح إلا إنْ حَفَّتْهُ العناية الربانية ، وحكمة ذلك أنّ من دخل في الطريقة واجتهد في العبادة يصير عدوّاً للشياطين ، فيحتاج إلى حارس يحرسُهُ منهم دائماً ، فلذا يأمره الشيخ بفعل الرابطة إلى الشيخ الكامل الذي

(١) وفي تيسير الأصول : إنّ أبا العباس المرسي كان يقول : إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم بسببه ضرر ؛ ولحوم الأولياء مسمومة ، ولو لم يؤاخذوك فإياك ثم إياك . انتهى . ٦١ وفيه في ٦٠ : إنّ أبا الحسن الشاذلي قدس سره كان يقول : من اعترض على أحوال الرجال فلا بدَّ أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس ؛ ثم لا يجد من يرحمه منهم . انتهى . فراجعه (منه ؛ سامحه الله من فرطاته ، آمين) .

(٢) ومما ينبغي أن يعلم أن من ذكر الله كثيراً بغير إخلاص بل لغرض وحظ يطرأ عليه الجنون ، وعياذاً بالله ، كذا في « الرسالة » في فضائل الذكر ، فراجعه (منه) .

لو قرب إليه الشياطين لكادوا أن يحترقوا بنوره ، ليكون له حارساً ورقيباً يحفظه [١] من نزغاتهم ووساوسهم ، فحين علم الشياطين أن لا مجال لهم لإهلاكه ، وانهم يحترقُونَ إذا قربوا إلى ذلك المريد الذي دامتْ رابطته بشيخه الكامل يتركونه على حاله ؛ آيسين من إطاقة إهلاكه ، ثم إن ترك المريد تلك الرابطة بالكلية وخرج من دآئرة حفظ الشيخ بقي وحيداً فريداً بغير حارس ، فيدخل عليه الشياطين ويهلكونه ، فالشيخ يكون مع المريد ما دام يلاحظه ويحضره بحضور قلبه أسرع من لَمْح البصر ، وإذا ترك المريد تلك الملاحظة وفسد اعتقاده في شيخه انعكس الأمْرُ ، ولا يقدر الشيخ بعد ذلك على حمايته من الشياطين ؛ كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » راجعه في ١٣١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

وقد روي عن بعض العارفين[٢] رحمه الله تعالى أنّه كان يقول : لو رابط إليّ المريد متوجهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف بينه وما بينهما[٣] ، بل يحترق بنوري . انتهى . ويؤيّده ما في « الرسالة القدسية » من أنّ الشيطان لو قرب إلى الشيخ الفاني في الذات ، تعالت وتقدست ، يحترق بنوره . انتهى . فراجعه من صحيفة ٧٤ .

---

(١) ومعنى حفظه أن العبد إذا أطاع الله يطيعه فيما يريده ويحبه ، فالشيخ سبب عادي كالدواء والسلاح . (منه ؛ رحمه الله) والمؤثر هو الله ، وهو الحافظ الرقيب المحيط ، وقد يعطي الله تعالى لوليه قول : كن فيكون عنده ما يريده إكراماً له ، فراجع « مزكي النفوس » وهو كتاب نفيس و« جواهر المعاني » (منه ، رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) وهو الغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره و قد ذكرنا ما وقع لبعض المريدين من هرب الشياطين وقت ندائه بذكر اسمه في كتابنا « خلاصة الآداب » فينبغي استحضاره هنا ، (منه ، رحمه الله تعالى) .

(٣) وفي نسخة : بينه وبينهما ، أي بدون ما .

الباب الخامس والعشرون

في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا

اعلم أنّ ما يفعله بعض الأوليآء الذي أجازه شيخه الكامل رحمهما الله تعالى ، وجعلنا معهما في دار الجنان من أمره بفعل الرابطة إلى نفسه مع كون شيخه لا يأمر بذلك ، ولو إلى نفسه ، بل يفعل هو ومريدوه الرابطة إلى روحانيّة الغوث الأعظم محمود الفعال الألماليّ قدس سره ، فالقلب يتردّد ويتحيّر ، والمطلوب من الله العفو والمسامحة إن كان في ذلك التردّد والتحيّر زلّة ، فقد قال الخاني في « البهجة السنية » : ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوّة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مِرآة الحق سبحانه وتعالى ، **فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها** . وأطال فيها الكلام ، ثم قال : **تنبيه** : قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقآء بعد الفناء في الله[1] الأتمين ولكن هنا مزلَّة الأقدام ، لأنَّ هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ، ونهايتها في بدايتها ، فربّما يحصل للمريد بعضُ أحوال قبل فنائه ، فضلاً عن حصول بقائه ، فيظنّ كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يَجْعَلُوهُ رابطة فيخسر هو ومن رابطه ، فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنّه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ، ويأمره بذلك . وقد أخلّ بهذا الشرط في هذا الزمان أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن بتلقين الذكر من جناب حضرة سيّدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا ، أبي البهآء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجدديّ ، قدس الله تعالى سرّه ، وأمرهم أن يلقّنوا رابطةَ نفسه للمريدين ، لأنّه مشهود له بالكمال ، ومأذون له بذلك من

(١) ومثله في الرسالة القدسية في صحيفة ٧٤ راجعه (منه ، رحمه الله تعالى) .

قِبَلِ مرشده الكامل المشهود له كذلك ، فبعضهم في حياة شيخنا ـ قدس سره ـ أَخَلُّوا بهذا الشرط ، وأمروا المريدين الذين دخلوا الطريقة عندهم بأن يرابطوا بهم ، مع نهيه وزجره لهم عن ذلك ، كما يشهد بذلك كتابه ـ قدس سره ـ إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ فلان ، عصمه الله عمّا وَصَمَه ، وصَانَهُ عمّا شانه ، آمين .

أما بعد : فقد قال كثير من نجوم الاهتدآء ومصابيح الاقتداء : بانّ الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمه . وصرَّح محقّقوا طريقتنا بأَنَّ رابطة مَنْ لم يَفْنَ عن وجوده لا تورث الفنآء للسالك ، بل قد تورِّطُه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنّا السلام والكلام ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تُواجهُونا أحياناً بأنفسكم ، وإلاّ فتراجعونا بالنقير والقطمير ! وتذكّرونا دائماً بالتحرير مع السفير ! ومن خدّامنا من هو أبعد شقة منكم ، وأقدم صحبة وأكثر خِدْمةً ، لا يتحرّك بدون إشارتنا . ولا تَقِسْ هذه الطريقة بخُزَعْبَلاَت متشيّخي العصر ؛ وتُرَّهَات أرباب الخدع والمكر ، فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربِّه ، والإعراض عنه إعراض عنه فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له فإنّه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلاّ بأمري ، فضلاً عن مزاحمتهم لخلفآء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم في التغافل الذي تستعملونه ! لنُعرض عنكم بالكلية وخَرْطُ القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ختام . قاله بلسانه ، ورقمه ببنانه ، حضرة العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي الكردي العثماني انتهى .

صورة إجازة تامة ، أي صورة إجازة حضرة سيّدنا الشيخ عبد الله الدهلوي ـ قدس سره ـ إلى حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ خالد

قدس الله سره كه[1] . حضرة سلطان الأولياء ، وبرهان الأصفياء ، قطب الأقطاب ، وملجأ الشيخ والشاب ، جامع الكمال الصوري والمعنويّ مرشد برحق شاه عبد الله هندي دهلوي قدس سره السامي بخط شريف خود بحضرة أقتاب منقبت سلطان العارفين وفخر المحققين إمام الملة والدين ضياء الدين مولانا خالد ذي الجناحين قدس سره وروحي فداه نوشته اتدني زياده وكم أنيست الخ ، **والمقصود من ذلك أنّ حضرة سيّدنا ومولانا الشيخ خالد ـ قدس سره ـ لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك ، وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفنآء والبقآء الأتمين ، ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك** ، والعجب العجيب أنّ بعض مريدي هذا المنهيّ المزجور هم كذلك ! يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، فلاحول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، وادَّعى بعضهم أنّ الميّت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفاتٌ إلى الدنيا ، وهذا القائل خطؤه أشدّ من خطأ مدّعي الكمال في نفسه لأنّه يفهم من قوله إِنْكَارُ تصرّف الأولياء بعد موتهم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وكأنّه غفل عمّا هو متّفق عليه بين أهل الطريق .

وقد قدّمناه أن حضرة إمام الطريقة المعروف بشاه نقشبند قدس سره تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره وبينهما خمسة وسائط .

وكذلك أبو الحسن الخرقاني ـ قدس سره ـ لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدس سره بل وُلد بعد وفاته .

وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصديق

---

(١) كلمة لعلها الكامل غير مفهومة في الأصل .

رضي الله تعالى عنهم أجمعين وعنا بهم بل وُلد بعد وفاته بزمان طويل ، كما قدمنا ذلك مفصّلاً .

واعلم أنّ جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي ـ قدس سره ـ خرجت روحه الزكيّة من الدنيا إلى المقامات العليّة من الآخرة ، ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ، ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة فيما نعلم ، بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدّمنا لك بعضه .

وكان إذا سئل عن حال المريد يقول : ما عندي مريدٌ بل إسماعيل نصف مريد ، يعني جناب سيّدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته ـ قدس سره ـ وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة ، مع أنّه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ، ومنصوبٌ مقامَه .

وكذلك جناب سيّدنا ومولانا وشيخنا الشيخ عبد الله الهروي قدس سرّه لمّا جلس مجلس الكمال بعد سيّدنا الشيخ إسماعيل ـ قدس سره الجليل ـ لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء[1] .

فانظر أيّها الأخ إلى أدب هؤلاء السادات الكرام الذين هم أخصّ رجال الطريقة العلية النقشبندية الخالدية .

وأنا الفقير إلى الله أقول : لي بِهِمْ أَسْوَةٌ ، لا أرضى لأحد ممّن يحبّنا أن يرابط بغير حضرة سيّدنا وشيخنا قطب العارفين الشيخ خالد قدس سره العزيز .

---

(١) وذكر الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في منهواته على هامش كتاب « نهجة السالكين » إن الشيخ إسماعيل والشيخ عبد الله الهروي ما استعملا الرابطة لأنفسهم ، تأدّباً مع حضرة مولانا قدس سره يعني الشيخ خالد قدس سره وهما العمدة . انتهى . وقال فيه أيضاً إن خضرة الشيخ خالد قدس سره نهى عن بعض خلفائه حين سمع أنه استعمل الرابطة لنفسه نهياً شديداً . اهى . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

مهم

لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، والناقص هو عاجز عن دفع الغفلة والظلمة ، وطرد الشيطان عن قلبه ، فكيف بمن يستحضره ؟ ! ويدلك على أنّ سبب ادِّعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول بعض الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدس سره في بعض مكتوباته بقوله :

ولمّا كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ! ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوالٌ تشبه أحوال المنتهين ؛ بحيث لا يفرّق بين هذين النوعَيْن من الأحوال إلاّ عارفٌ حديد البصر من الرجال ، فعلى هذا التقدير لا ينبغي أنْ يجازَ صاحب تلك الأحوال ، فإنّ في هذه الصورة ضرر صاحب تلك الأحْوال أكثر من ضرر من يصير مريداً له إذ يحتمل أن يمنعه تخيُّلِ الكمال عن الترقيات ، بل يمكن أن يوقِعه حصول الجاه والرياسة الّتي هي من لوازم الإرشاد في البلاء ، فإنّ إمارته بعد باقية على كفرها ، ولم تجد التزكية سبيلاً إليها ، ولا للقلب سياسة عليها . انتهى .

وكتب الشيخ المرشد الكامل محمد أسعد في هامش « الحديقة الندية » في ٦٨ لمحمد بن سليمان في ترجمة عبد الوهّاب السوسي هذه العبارات : لا يخفى أنّ هذا المترجم قد لحقه الحور بعد الكور [١] ، واتصف بالاعتداء والافترآء والجور ، وطرده مولانا خالد قدس سره بعد التقدم عن بابه ، وذلك لأنّ حضرة مولانا كلّف جميع خلفائه بالذهاب إلى القسطنطية لأجل إعلان الإرشاد ونشر الطريقة بين العباد ، وشرط على من يتوجَّه لذلك سبعة شروط معروفة ، فلم يرض أحد منهم

---

(١) النقص بعد الزيادة .

خوفاً من عدم وفائهم بتلك الشروط سوى المترجم[1] فإنّه قبل القيام بها ، وذهب إلى الأستانة ، فأقبلت إليه أُلُوفٌ من الناس ، وأخذوا عنه الطريق وصار مصدراً ، فتخَبَّطَه الشيطان ونزغ في لبّه ، فخالف الشروط المقرّرة ، وابتدع بعض أمور في الدين منكرة ، وأمر مريديه أن يعملوا به الرابطة الشريفة المعروفة في الطريقة المنيفة ، ولمّا بلغ حضرة مولانا ذلك طلبه فحضرَ لديه ، ولمّا تبين له صحّة ما نسب إليه نهاه عن ذلك ، وَأبَانَ له ما فيه من المهاوي والمهالك ، وأمر أن يكتب لمريديه بحقيقة الحال ، وينهاهم عن عمل الرابطة به وأن يسلك بهم سبيل الكمال ، فأظهر بذلك الرضاً والقبول ، وكتب لهم بعكس المأمول . ولمّا وقف حضرة مولانا أيضاً على الحقيقة ! طرده من نسبته إلى الطريقة ، وقال له : قد صدرت الإرادة الإلهية بطَرْدك عن طريقتنا يا عبد الوهّاب ، فرحل من دمشق إلى مكة المكرمة ، ثم إلى دهلي ، وقابل حضرة سيّدنا الشاه عبد الله الدهلوي ـ قدس سره ـ فطرده أيضاً ، ثم ألّف رسالة نسب بها بعض أموره إلى حضرة مولانا خالد ضياء الدين ، مخالفة للشرع المبين ، وحاشاه ثم حاشاه من هذا الإفتراء ! الناشيء عن التهوّر والبغض والإفتراء ، فانتصر له العالم العلامة خاتمة المحقّقين السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين بكتابه « سلّ الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي » بما يشفي العليل ، ويبرد الغليل ، وهو مشهور بأيدي الناس فليعلم ذلك . انتهى ، أسعد صاحب في ٦٨ من « هامش أصفى الموارد » .

(١) أي عبد الوهّاب السوسي .

الباب السادس والعشرون

في بيان عدم جواز كون الجاهل[1] الأمي داعياً

إلى الله تعالى وبيان أوصاف الشيخ المرشد

سمعت شيخنا ـ قدس سره ـ يحكي عن شيخه العالم الرباني الحاج جبرائيل أفندي ـ قدس سره ـ أنه قال : إن الخلافة أمرٌ عظيم لا يجوز أن توضع إلاّ فيمن اجتمع فيه العقل[2] والعلم معاً ، ولا يجتمعان في شخص إلاّ نادراً .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في حق واحد من المأذونين : ليس في ديارنا أحدٌ أحسن أحوالاً منه إلا أنه جاهل ، والجهل لا يترك شخصاً إلاّ نَقص منه شيئ . **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يعيبُ على شيخ أذِنَ لجاهلٍ ولو كان مشى على المقامات ، وما قاله ـ رضي الله عنه ـ يوافق بما في كتب أهل التحقيق .

قال الغزالي في « النصائح الولدية » : وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً للرسول ﷺ ، أن يكون عالماً أي بعلوم الشرائع والأخلاق وبصيراً بعيوب النفس ، لا أنّ كلّ عالم يصْلح له ، أي أن يتخذ شيخاً يقتدي به ومرشداً ، انتهى « الولدية » من عينه مع ضم عبارات من شرحه للخادمي .

وفي (تحفة السالكين) : إنّ من كان متصدراً للإرشاد يشترط أن يكون له عقل يدل به إلى الهداية ، وعلم يرشد به المهتدين لأمر دينهم . انتهى .

---

(١) وخرج بالجاهل (لفظه) الأمي الذي حصل له الفتح الإلهي ، وسيق إليه العلم اللدني ، كالغوث عبد العزيز الدباغ ، وعلي الخواص ، وأمثالهما رضي الله عنهم وعنا آمين . (منه ، رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي « الإحياء » في ١٢٤ ج ٤ ؛ فإنه لم يكن لله تعالى وليٌّ ناقص العقل . انتهى راجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وفي « **بغية المسترشدين** » في ٢٤٣ : وينبغي كون المرشد عالماً ورعاً حَسنَ الخلق ، إذْ بها تندفع المنكرات ، وتصير الحسبة من القربات . انتهى .

وفي « **تنبيه المغترين** » إن كل من كان قليل العقل لا يصلح أن يكون داعياً إلى الله تعالى . انتهى . ٨٠ .

الشيوخ نواب الله تعالى في العالم

وفي « ترصيع الجواهر » في ١٢ : والحاصل أنّ الشيوخ نوّاب الله تعالى في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام ، فلهم حفظ الشريعة وحفظ القلوب ، ومراعاة الآداب ، وَحَظ الشيخوخة من العلم بالله تعالى أن يعرف من الناس موارد حركاتهم ومصادرها ، والعلم بالخواطر مذمومها ومحمودها ، وموضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود ، ويَعْرف مالهم وما يَحْوُون عليه من الخير الذي يُرْضيه تعالى ، ومن الشر الذي يسخطه ، ويعرف العلل والأدوية ، ويعرف الأزمنة والسنين والأمكنة والأغذية ، وما يصلح المزاج وما يزعجه ويفسده ، ويعرف الفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخياليّ ، ويعلم التجلّي الإلهيّ والتخيُّل الشيطاني ، ويعرف التربية كما ذاق ، ويعرف انتقال المريد من الطفوليّة إلى الشباب إلى الكُهُولة ، ويعلم متى ترك التحكم في طبيعة المريد ويحكم في عقله ، ومتى تصدق خواطر المريد ، ويعلم ما للنفس من الأحكام ، وما للشيطان من الأحكام والأوهام ، وما تحت قدرة الشيطان ويعلم الحجب التى تعصم الإنسان من إلقآء الشيطان في قلبه ويعلم ما تمكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد ، ويفرّق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الرحمني والفتح الإلهي[1] ويعلم بالتوسم أهل الطريق الذين يصلحون

---

(١) قوله والفتح الإلهي كذا في النسخة التي بيدنا ، ولعل الصواب والفتح الشيطاني ؛ والله أعلم (منه) .

والذين لا يصلحون ، ويعلم التحلية التي تُحلَّى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الله وهم لهم كالماشطة تزيّنها لهم أدباء الله ، عالمون بآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة .

وبالجملة فالشيخ الكامل هو الجامع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أنْ يتأهّل للمشيخة ، ومهما نقص شيئاً مما يحتاج اليه المريد فلا يحلُّ له أن يقعد على منصبة الشيخوخة ، وإذا تصدَّى للتسليك والحالة هذه كان ضالاًّ مضلاًّ كالطبيب الجاهل يمرِّض الصحيح ويقتل المريض ويفسد أكثر مما يصلح .

فإذا علمت ذلك وكنت طالباً للكمال والتحلِّي بأوصاف الرجال ، فالواجب عليك أوّلاً أن تبحث عن المرشد الكامل ، وتسلم إليه نفسك ، وتدخل تحت تربيته ، وهو وإن كان لا يخلو عنه زمان إلاّ أنّه في هذا الزمان وقبله أعز من الكبريت الأحمر .

وأما غالب مشائخ الزمان فإنما يُلقِّنون الذكر بقصد التبرّك ، حتى يدخل المريد في سلسلة القوم ومحبّتهم والتسليم ، أو الاعتقاد لمقالاتهم ، ولايجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه ، وكذلك إلباس الخرقة وإرخاء العذبة إنما هو لمحض التبرّك بزيّ القوم ! ومع هذا فلا يعدُّون من أتباعهم إلاّ إذا كانوا على طريقتهم التي كانوا عليها من الزهد والورع وترك الفضول وخوف الله تعالى ، ومن هنا قيل : إنّ الطريق من النصف الثاني في القرن العاشر صارت اسماً لا رسماً .

لا الخيام كخيامهم ولا نساء الحيّ نساءه

وأما من يزعم من أهل هذا الزمن أنه يرشد الطالبين ويوصِلهم إلى الله تعالى من غير استكماله لصفات المرشد الآتية فإنما هو مدّع

كاذب ، **وأوضح دليل** على كذبه أنه يُلَقِّن ناساً كثيرين ولا ينتج منهم واحداً ! ولنبين لك صفة المرشد الكامل الذي يتعسَّر أو يتعذَّر الوصولُ إلى الله تعالى بدون توسُّطه إلا ما كان بالجذبة الإلهية ، وسوابق العناية الأزلية .

للمرشد خمسة أركان وعشرون صفة

فنقول : المرشد الكامل المأذون من الله تعالى بدعوة الخلق إليه له خمسة أركان ، وعشرون صفة لا توجد إلاّ في نحو الأبدال .

أما الأركان! فهي : ١ – عبديّة الحضرة ـ وسيأتي آداب العبودية ، و٢ – استعداد قبول الحقائق من الحضرة بلا واسطة ، و٣ – وجود الرحمة الخاصة من مقام العنديّة ، و٤ –شرف تعلُّم العلوم من الحضرة ، و٥ – كون التعلُّم منها بلا واسطة . قال تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾فاندرج فيه جميع ما ذكر من الأركان كما هو ظاهر .

وأما الصفات! فهي : ١ – أن يكون عالماً بالشريعة على قدر ما يحتاج إليه المريد من الفقه وعقائد التوحيد؛ بحيث يزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية ، وإن لم يكن متبحّراً ، و٢– يكون عالماً بكمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها ، و٣ ـ أدويتها ، و٤ كيفية صحتها واعتدالها ، و٥ ـ أن يكون على اعتقاد أهل السنة والجماعة . و ٦– أن يكون عاقلاً بالعقل الدينيّ والمعاشيّ ، وشجاعاً ، و٧– عفيف النفس ، بل قال بعضهم : إنه يجب على الشيخ أن يتعفَّف عن مال المريد إلاّ مَنْ علم أنه يفرح ويستبشر بقبول ماله ، و٨– أن يكون عالي الهمة ، ٩– مشفقاً على المريد ، و١٠– حليماً و١١– عفوّاً و١٢– حسن الخلق و١٣– صاحب إيثار و١٤– كريماً و١٥– متوكّلاً و١٦– مسلماً ١٧–

راضياً و١٨ – ساكناً في الحركات ، و١٩– ثابت القدم في الإرادات ، و٢٠ – صاحب هَيْبَةٍ ، فالموصوف بهذه الصفات مُتخلّق بأخلاق الله تعالى ، فيوصل المريد إلى الحق بإذنه تعالى في مدة قصيرة ؛ بشرط أن يكون المريد قابلاً . انتهى كلام « ترصيح الجواهر » .

وفيه في ١٣ : وأن يكون نصوحاً لجميع الأمة ، جُلُّ همّه تقريبُ السالكين إلى الله تعالى ، غير محبٍّ للمشيخة ، متمسكاً بطريقة رسول الله ﷺ ، ناظراً بقلبه في الهداية والخذلان إلى تقدير الله تعالى ، فإن فتح على أحد من تلامذته شكر الله تعالى ، ولا يشهد له في ذلك شيئاً . انتهى .

وفيه في ١٥ : ومن طلب الأستاذ بجدٍّ وصِدْق عزيمة لا بدَّ وأن الله تعالى يجمعه عليه **إذ لا يخلو**[١] **زمنٌ من وجوده** ، وإنما بيّنا لك صفة المرشد لأجل أن لا تُضَيِّع وقتك إذا كنت طالب السلوك بالاشتغال على غير الأهل ، وإذا ظفرت به تسلم كلَّك إليه ، وإذا رأيت منه مخالفة بعد ما تحققْتَ فيه شروطَ الإرشاد تأوّلها له ضرورة ، ولا ينحلّ اعتقادك فيه .

وثمَّ مِنَ الشيوخ طائفة أخرى أصحاب أحوال ليس لهم في الظاهر ذلك التحفُّظ تُسَلِّم إليهم في أحوالهم ، ولا تصحبهم ، وإن ظهر منهم كرامات خارقة ! لأنا لا نتبع إلا من كان ظاهره الشرع وباطنه الحقيقة ، فليس لنا طريق إلى الله تعالى على خلاف ما شرع على لسان نبيه ﷺ ! ولا يقتدى بشيخ لا أدب له ! ولو كان صادقاً في حاله ، ولكن يُحْتَرَمُ .

قال الشيخ الأكبر :

لا تقتــــدي بالذي زالــت شريعته عـــنه ولــــو جاء بالأنْبَا عــن الله

انتهى ، فراجعه ، ففيه البسط الزائد في صفات المرشد .

{١} وفي « البريقة » في ٥٦١ من الجزء الأول أنه موجود إلى يوم القيامة ولا تخلو البلاد عنه . راجعه (منه رحمه الله تعالى) .

ولا أدري كيف يكون حال أمثالنا الناقصين الذين لم يتَّصفوا من هذه الصفات المذكورات ولو بعُشر مِعْشَارِها ، **اللهمّ إلاّ أن السالك الناقص الذي أذن له شيخه الكامل المتّصف بالصفات المذكورات يجوز له التلقين والإرشاد** ، فإنّ يدَه حينئذ يدُه ، وتصرُّفَهُ تصرفُه كما مرّ في الباب الثالث والله أعلم .

وقال في « قلائد الجواهر » في ١٢ : ومما ينسب إليه ـ يعني عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ـ هذه الأبيات :

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد وإلا فقد جال يقود إلى الجهل
عليمٌ بأحكام الشريعة ظاهراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للوُرَّاد بالبشر والقِرى ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فذاك هو الشيخ المعظم قدره عليم بأحكام الحرام من الحلّ
يُهذِّب طلاب الطريق ونفسه مَهذَّبة من قبل ذو كرم كلي

وقال رضي الله عنه : وصفة المقتدي أن يكون عارفاً بالعلوم الشرعية والطِبيَّة ، ومصطلح السادة الصوفية ، ولا غناية عن ذلك . انتهى .

وفي « شرح تائية السلوك » في ٦٠ للعلامة الوحيد عبد المجيد الشرنوبي الأزهري قدس سره : وكان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد يقول : لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظّاً من كل علم شرعيّ ، وأن يتورَّع عن جميع المحارم ، وأن يزهد في الدنيا ، وأن لا يشرع في مُدَاوَاة غيره إلاّ بعد فراغه من مداواة نفسه ، ثم قال : وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف ! فإنه من جنود الشيطان ، واعْتَبِرْ أقواله وأفعاله وأحواله ، وزِنْها بميزان الشريعة والطريقة ، فإن رأيت شيئاً مخالفاً لهما فردَّه ، فإن كان صاحب حال صحيح ورددْته ! فما عليك من ردِّه بحكم الشرع ، ولا تتخذْه شيخاً ومرشداً . انتهى .

وقال صاحب « الرائية » :

وللشيخ آيات إذا لـم تـكن له   فما هو إلاّ في ليالي الهوى يَسْرِي
إذا لم يكـنْ علم لدَيْه بـظاهر   ولا بـاطن فاضرب به لجج البحر
وإن كـان إلاّ أنـه غيرُ جامع   لوصفيهما جمعاً على أكمل الأمر
فأقـربُ أحوال العليل إلى الردي   إذا لم يكن منه الطبيبُ على خير(١)

وقال آخر :

فكن عالماً بالشرع واعمل بـه فـمن   أراد طـريقاً دون علـم فقد جنى
ولا يـنبغي للـجاهلين تصـدُّرٌ   ولا نـشرُ أعـلام الشريعة بيننا
ألم يعـلمـوا أن الطريق كناية   عن العمل الجاري على وَفْقِ شرعنا

انتهى . شرح تائية السلوك ٥٢ .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره : إن الجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ! ولا في طريق الباطن . انتهى ، راجعه .

وفي « المنن » في ٢٥ من المجلد ١ وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : قد أجمع أشياخ الطريق على أنّه لا يجوز لأحدٍ التصدُّر لتربية المريدين إلا بعد تبحُّره في الشريعة وآلاتها . انتهى راجعه .

وفيه أيضاً في ٦٨ في موضع آخر : فمن أراد من الفقهآء أن يصحب أحداً من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر ، فإن رأى أفعاله وأقوالَه على الكتاب والسنة ! وعقيدته صحيحة ! فليصحبه ، وإلاّ ! فليتركه بعد أن ينصحه . انتهى .

---

(١) على خبر (خ) .

وفيه أيضاً قبيل هذا ما معناه : إنما كرامة الولي الاستقامة على الشريعة لا غير ، فهذه هي أعظم الكرامات . انتهى .

ولقد رأيت في عصرنا هذا شيخاً جاهلاً أمِيّاً يتكلَّم في الكشوفات والكرامات ، ويخبر ما ظهر له من خوارق العادات ، وأظن ـ والله أعلم ـ أنّ سبب شيخوخة أكثر المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا من طرف الكشف والكرامة ، فإذا ظهر لهم منها شيء ظنُّوا أنهم صاروا من الخواص ؛ مع أنهم لم يضعوا قدماً واحداً في أوّل مقام من مقامات الإرادة ؛ فضلاً عن مقام المشيخة .

ورأيت في هامش « ترصيع الجواهر » من منهواته ما حاصله هذا : وقد قسم الكشف في « الذهب الإبريز » إلى قسمين : نوراني وظلماني ، وفرّق بينهما :

بأنّ **النوراني** هو الاطلاع على الأشياء الباقية كالجنة واللوح المحفوظ .

وأما **الظلمانيّ** فهو الاطّلاع على الأشياء الفانية ، كأن يطَّلع على ما في دور الناس من طعام وغيره ، وهذا النوع قد يحصل بالرياضة ، وهو غير مُعتَدٍّ به ، والسالكون يستجيرون منه . انتهى ، وقد مر الكلام في الكشوفات مبسوطاً في الباب الثاني والعشرون . فينبغي للعاقل أن لا يغترَّ بها ، والله وليّ التوفيق .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي ـ قدس سره ـ يحكي عن شيخه قطب الأولياء الحاج جبرائيل اللكتي الژاخوري قدس سره ، أنه قال : إنّ مَهَارتي التي فِيَّ وتصرُّفي استطاعتي على منع ظهور الكشف للمريد ، وعلى سلب الوجد والجذبات ممّن يظهر عليه . انتهى .

يعني لأنّ أكثرهما من الشيطان ، وأغلبهما من الحظوظات . فافهم .

وقد كان رضي الله عنه يخبرنا عمّا يخطر في قلوبنا كثيراً فقلت له يوماً : يا أستاذ ! إنك تتكلَّم بما خطر في بالنا ، فهل أنت تتكلم باطّلاعك على خواطرنا أم أنت تتكلم بعينها اتفاقاً من غير اطلاع منك ؟ فقال رضي الله عنه : إني أطلع عليها لكني لا أعتبر بها خوفاً من أن يكون كشفاً ، أليس الكشف شيئاً مذموماً ؟ ! انتهى .

وقد قال بعض العارفين في رسالته :إن المقصود[1] المطلوب من سلوك طريق الصوفية الصافية مشاهدةُ الحضور والغيبة ، لا مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ، ومعاينة الألوان والأنوار اللاكيفية ، فأنّ ذلك داخل في اللهو واللعب . وأي نقصان في الأنوار والصور الحسِّيين حتى يتركها شخص[2] **واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب ؛ لما أنّ تحصيل جناحي الاعتقاد والعمل فيها أتم وأكمل إذا كان توفيق الحق رفيقاً ودليلاً،** فلازم على من يريد السلوك على هذه النسبة السَنية النقشبندية أن ينظر : هل العامل المراد والشيخ الذي منه يستفاد ، هل هو يلتزم السنة ويجتنب البدعة الشنيعة أو لا ؟ وهل هو قائم على منهج الشيخ النقشبندي الأويسي البخاري أم على خلافه ؟ فسبيله ظاهر لأهله ظهورَ نار على علم ، أو هو مخالف لاصطلاحه ! فإن كان موافقاً ! فلازم على السالك العضّ على سبيله بالنواجذ . وإن كان مخالفاً ! فلازم تركه وطلب من هو مستقيم في حاله . وإن كان يتتبع آثار كل أحد من الرجال ، ويثق ويعتمد على كل قال وقيل ! فليتركها ولا يقربنّها ، فإنه لا يثمر شيئاً من نفع ولا يغني من جوع . انتهى .

(١) ومثله في المكتوبات للإمام الرباني قدس سره (منه) .

(٢) يعني ويطلب غيرها (منه) .

البَابُ السابعُ والعِشْرُونَ

في مسائل مُتفرّقة متعلّقة بأحْوالِ المتشيّخةِ ومريديهم وفي بيان وجوب كون دعوة الشيخ خالصة من الأغراض والأعواض

قال الشعراني في « المنن » في ٦٨ ج ١ : ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس ! أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح ، أو بَعْضه لا غَيْرُ ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلَّى أو صام أو حج أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى .

ولا يخفى أنّ تكميل الغير فرْع كمال الإنسان نفسه(١) ، وهو درجة الولاية الخاصّة ، فمتى طلب الشيخ من دَعْوَته وإرشاده وتلقينه عوَضاً أو غرضاً أو حَظاً من حُظُوظات النفس ! فلا شك أنّ المريد يتبعه بالضرورة ، ولا يخلص في العبادة ، لأنّ للصحبة تأثيراً عظيماً فإنّ الله(٢) تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثُّر بالصُحْبَة ، وقد يسرق الطبع بالطبع ، والمرء على دين خليله ، فحينئذ يكونُ امتثالُ المريد بمَنْ لا يخلصُ في إرشاد الناس إلى الحق تعالى سَبَباً لهَلاكه ، فإنّه قد يحصل التأثير في الأشياء بما عليه مُباشرها عند المباشرة ، خيْراً كان أو شرّاً ، بل ينتقل ذلك التأثير إلى الجمادات(٣) والمطعُومات ، ويسري منها ذلك التأثير إلى مَنْ يتعاطى بها .

قال الخاني في « الحدائق الوردية » في ١٦١ : فإن كان أستاذك نحويّاً فلا بدّ أن تصير نحويّاً ، أو محويّاً فمحويّاً . انتهى .

---

(١) أي المكمل فافهم .

(٢) راجع « الحدائق الوردية » في ١٦١ (منه) .

(٣) راجع « جواهر القرآن » و« شرح الفصوص » و« لطائف المنن » ، (منه) .

اعلم أنّ القيام على مقام الإرشاد مَعَ عدم الأهليّة لا يكون إلاّ لأحد أمْرَيْنِ : حبِّ الرياسة ، أو إرادة اصطياد الدنيا من أبنائها ، وكلا الأمْرَيْن فَسَادُهُمَا غنيّ عن البيان ، ولا شيء أقبح منهما عند أهل الله .

ولقد قال الفضيل رضي الله تعالى عنه : لأنْ آكُلَ الدنيا بالطبل والمزمار أحبّ إليّ من أنْ آكلَها بديني . انتهى « منن » ١٦٦ ج ١ .

وقال صاحب « حياة القلوب » : وينبغي لمن تصدى لإرشاد الناس وتذكيرهم أن لا يقبل من أحد منهم هدية ، ولا يأخذ منهم صلة . أهْدي إلى الحسن البصري هدية من خراسان وهي خمسة آلاف درهم ، وثياب من رقيق البَزِّ ، فقال للذي أتى بها عافاك الله ، ضُمَّ إليك ثيابك ونفقتك ، ولا حاجة لنا بذلك ، إنّه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم القيامة ولا خلاق له . انتهى . فراجعه في ١٢٢ ج ٢ من هامش « القوت » .

وقد لقيت واحداً من متشيّخي هذا العَصْر فكان الناس يَدُورُونَ حَوْله ، ويُقَبِّلُونَ يده ويصافحونه ، ويُعْطُونه دراهم مَعْدُودَة ، حَتّى قال لي مَنْ كان معه وقتئذ : لعلّه وصل إلى كيسه في تلك الساعة عشرة تَوَامِنَ . وهو - سامحه الله تعالى - وَجَدْتُهُ جاهلاً بالطريق جَهْلاً مُرَكّباً ، ولو علم الناسُ ما علمتُ منه لَمَا أعْطَوْهُ ولو فُلُساً واحداً ، وإذا أوْصَيْتُهُ بالدعاء طلب منّي أخْذَ الذكر منه قائلاً : إنّ المُبالاة بالدعاء لا تقع من القلب إلاّ لمنْ في دائرته . وقال لي : اذكر (لا إله إلاّ الله) عشر مرّات و(صَلّ على النبي عليه السلام) كذا مرة ، فقلت في سري : أقولها لا لقولك كما قال عيسى عليه السلام للشيطان . وفارَقْتُ مِنْهُ بالوداع وداع مَنْ لا يرجع إليه ثانياً .

ولا يخلو حال أمثاله من أمْرَيْن : إمّا أن يكونوا صالحين في نفس

الأمر ، أو غير صالحين ،

فإن كانوا صالحين ومُرْشدين كاملين ! بَيْدَ أنّهم استشرفت نفوسهم وطمعوا إلى ما في أيدي الناس ، وكان إعطاء الناس لهم من أموالهم لمجرّد وَصْفِ الصلاح والإرشاد ، فقدْ أكلُوا بدينهم ، ومعلوم أنّ من يأكل الدنيا بدينه[1] أقبح ممّن يأكلها بدُنْياهُ .

وإن كانوا غير صالحين ! فقد أكلُوا حَرَاماً محضاً في الشرع ، لأنّ الناس لو اطَّلعُوا على أنهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد لم يعتقدوهم أبداً ، ولم يُعْطوهم ولو درهماً ! بل ربّما يبْصقُونَ على وُجُوههم[2] ، ولم يُجَالسوهم ولو ساعة !

قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : وكان وهب بن منبّه يقول : مَنْ طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه ، وكتب اسمه في ديوان أهل النار . انتهى .

وفيه أيضاً في ١٠ : وقيل لابن مبارك رحمه الله تعالى : مَنِ الناسُ عندَك ؟ فقال : العلماء العاملون المخلصون . قيل : له فمن الملُوك ؟ قال : الزهاد في الدنيا . قيل له : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم . انتهى .

وفيه في ١١ : وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : إذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه .

وكان الحسن البصري يقول : عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم ، وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة ، فيتقربون بذلك من أبناء الدنيا . انتهى .

---

(١) كذا في المنن (منه) .

(٢) راجع « المنن » في ١٦٦ و« الأنوار القدسية » في آداب العبودية في ٣٤ (منه رحمه الله تعالى) .

وفيه أيضاً في ١١ : وكان مالك بن دينار – رحمه الله تعالى – يقول : قرأت في بعض الكتب المنزّلة أنّ أَهْوَن ما أنا صانع بالعالِم إذا طلب الدنيا بعلمه أن أحرمه لذيذ مُناجاتي .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يَقول : إذا رأيتم العالم يحبّ الدنيا فاتَّهِمُوه في دينه ، فإنّ كل محبٍّ يخوض فيما أحبّ . انتهى .

وفيه : وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لولا نقصٌ دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ، ولكنهم اتّخذُوا علمهم حرْفة ومَعَاشاً ، ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض . انتهى تنبيه المغترين في ١١ .

وقال الشعراني : ولو جُعْتُ وعرَيْت لا آكل ولا ألبس بالدين . انتهى كذا في « المنن » ، قال الله تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا**[1] **وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾** ﴾
ولله در القائل ، شعر :

تمسّكْ بحَبْل الشرْع واضرب بسيفه ... رؤوس المعاصي واتخذْ منه جَوْشَنًا[2]
وبادر إلى إنكار ما كان خارجًا ... عن الحق واحذر أن تكون مُدَاهناً
ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة ... إلى عرض الدنيا المعرّض للفنا
ولا تجعل المقصودَ منه تكسّبًا ... فتنحط قدْرًا من عُلاك وتَفْتنا
ولا تتّخذه للرّياسة سُلّمًا ... فتغضب مَرْبُوبًا ورَبًّا مهيمنا

---

(١) أي بعمل الآخرة كذا فسَّرَ الإمام البركوي (منه) .
(٢) أي دروعاً .

فإن قيل : يفهم مما نقلتم في هذا الكتاب عدم جواز قبول المشائخ هدايا المريدين أصلاً ، وقد كان كبار المشائخ يقبلونها .

قلنا وبالله التوفيق : **اعلم** أنّ الهديّة اسم لما يُعْطي الرجل لآخر على قصد جلب المحبّة من قبل المهدى إليه ، لا لغرض معيّن ، ولكن طلباً للاستئناس . وتأكيداً للصحبة ، وتودّداً للقلوب ، فذلك مقصود العقلاء ومندوب إليه في الشرع ، قال ﷺ : « تهادوا تحابوا » . وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضاً محبّة غيره لعين المحبّة ، بل لفائدة في محبّته ، ولكن إذا لم تتعيّن تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض مُعيّن يبعثه في الحال أو في المآل سمّيَ ذلك هديّة ، وحلّ أخذها .

وروى أبو يعلى والإمام أحمد بسند صحيح والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « من بلغه من أخيه معروف من غير مسألة ولا استشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله إليه » الحديث .

والاستشراف هو قولك في نفسك : سَيَبْعَثُ إليّ فلان ، سيصلني فلان ، وأمّا ما يعطى لدينه وصلاحه لا يحلُّ له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن ؛ فسقاً لو علمه المعطي ما أعطاه . وقلّما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه ، وإنما سِتْر الله الجميل هو الذي يحبّب الخلقَ إلى الخلقِ ، وكان المتورِّعون يوكِّلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلُهم[١] حتى لا يتسامحوا في المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدِين ، فإنّ ذلك مخطر والتُقَى خفيّ لا كالعلم والنسب والفقر !

فينبغي أن يجتنب الأخذ بالدِين[٢] ما أمكن ؛ نعم إنما يحلُّ أخذ

---

(١) فإن كل عبادة نشأت من لقمة فهو لصاحب اللقمة . كذا في « الأنوار القدسية » (منه ، رحمه الله تعالى) .

(٢) وراجع « الإقناع » للخطيب الشربيني في ٣١١ من هامش « تحفة الحبيب » للبجيرمي ، من الجزء الرابع ، (منه ، رحمه الله تعالى) .

ما يعطى لأجل الدِين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتوراً في رأيه فيه ، فإن اضطرّ طالب الحلال ومريدُ طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرِّح له ، وليقل : إنّك إن كنت تعطيني لما تعتقده فيَّ من الدين ! فلَسْتُ مستحقاً لذلك ، ولو كشف الله تعالى سرِّي لم ترني بعين التوقير ، بل اعتقدت أنّي شرّ الخلق ، أو من شرارهم . فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ ، فإنه ربّما يرضى منه هذه الخصلة ، وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ، ولكن هاهنا مكيدة للنفس بيّنة ومخادعة ، فليتفطن لها ، وهو أنه يقول ذلك مُظهراً أنّه متشبّه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ، ونظرهم إليها بعين المقت ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء ، وباطنه وروحه هو عين المدح . هذا حاصل ما في « الإحياء » من مواضع في ١١٦ ج ٢ وراجع « كشف الغمَّة » في ١٩٧ ج ١ و« شرح الحكم » و« لواقح الأنوار » في ١٢٣ .

وذكر الشعراني في « الطبقات » أن علياً بن محمد المزين رحمه الله تعالى كان يقول : اذا عُرض على أحدكم طعام من حيث لا يحتسب فليأكله . . الخ فراجعه في ٩٦ من الجزء الأول .

وقد كان الشعراني لا يسأل شيئاً ، ولا يردُّ حلالاً ، ويقبل كل ما جاءه بغير سؤال منه بالحال ولا بالمقال ، وينفقه على من يحتاج إليه من نفسه أو غيره على الوجه الشرعي . كما هو مذكور في « لطائف المنن » فراجعه في ٢٠٤ الجزء الأول .

وذكر الشعراني في « الطبقات » أنّ من الأولياء من يكون ستره قَبُوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ، ويُعلم الناس بأنّ ذلك كله من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ، ويوهم الناس أنّه انتقص من ذلك

المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء ، بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرِّقه على الفقراء ولا يحدِّث نفسه بانتقاص شيء منه . ولا يسعنا كلنا إلا العفو ، ويكون مأكولاً مذمُوماً ؛ وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ؛ فإنّه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به ، فإنّ الرجل إذا قبل من الخلق صَغُر في أعينهم ضرورةً ، كما أنّ من رَدَّ عليهم كَبُرَ في أعينهم ، ولعل ذلك الرادُّ إنما ردّ رياء وسمعة .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنى يعبد : يطيع .

وكان يقول أيضاً : ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الردّ أن يأخذ ، ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً ، فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى . انتهى ٨ ج ١ فراجعه .

وذكر أيضاً في « لواقح الأنوار » ما حاصله : إنّ الكامل ربما يشتغل بالكسب والتجارة أو الزراعة في آخر عمره ولا يكون متجرداً عن الدنيا ؛ بأن تخلو يده منها لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إمّا بالحال ، وإمّا بالمقال لو كان متجرداً عنها ، وإذا احتاج إليهم هان عليهم ، وقلّ نفعهم به ، بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منهم المحتاجين من مريديه وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يُميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم إليه به ، ومَنْ لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، فافهم .

وأيضاً إنّ زهد الكمَّل ليس هو بخُلُوِّ اليدين من الدنيا ! وإنما هو

بخلو القلب ، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلاّ بزهدهم فيما في أيديهم وتحت تصريفهم ؛ من غير حائل بينهم وبين كنزه .

وأمّا زهدهم مع خلو اليد فربما يكون لعلّة الفقر ، وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرداً عن الدنيا بالكلية . فراجعه في ١٧٨ ج ١ من هامش « المنن » .

وقال البجيرمي في حاشيته المسمَّى بـ « تحفة الحبيب على شرح الخطيب » المسمَّى بـ « الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع » قدس الله أرواح جميعهم ، آمين .

تتمة : يندب قبول الهدية[1] . لغير الحاكم حيث لا شبهة قوية فيها ، وحيث لم يظن المهدَى إليه أنّ المُهدي أهداه حياء أو في مقابل ، وإلاّ ! لم يجز القبول مطلقاً في الأول ، وإلاّ إذا أثابه بقدر ما في ظنه بالقرائن في الثاني .

وينبغي للمهدى إليه التصرُّف في الهدية عقب وصولها بما أهديت لأجله ، إظهاراً لكون الهدية في حيز القبول ، وإنما وقعت الموقع ، ووصلت وقت الحاجة إليها وإشارة إلى تواصل[2] المحبة بينه وبين المهدى إليه ، حتى أنّ ما أهداه إليه له مزية على غيره مما هو عنده ، وإن كان أعلى وأغلى ، ولا ينحصر ذلك في التآلف ونحوه ، فالأولى فعل ذلك مع من يعتقد صلاحه أو علمه ، أو يقصد جبر خاطره ، أو دفع شره ، أو نفوذ شفاعته عنده في مهمات الناس ، وأشباه ذلك ، ولا يشترط في ذلك

---

(١) وفي « السراج المنير شرح جامع الصغير » ما يليق أن يرجع إليه ، فراجعه في ٢٩٦ ج ٢ (منه ، رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي الحديث : « تهادوا تحابوا » انتهى وفي الخبر أيضاً : « تهادوا يزد في القلب حباً » انتهى . وذلك لأنّ الهدية تؤلف القلوب ، وتنفي البغضاء من الصدور ، وقبولها سنّة ، كذا في « السراج المنير » فراجعه في ١٥٩ ج ٢ (منه ؛ رحمه الله تعالى) .

صيغة ، بل يكفي البعث والأخذ . انتهى ، فراجعه في ٣١١ ج ٤ .

وفي « لواقح الأنوار » أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نردَّ شيئاً جاءنا من غير سؤال ولا استشراف نفس . وهذا العهد يقع في خيانته كثير ممن يحبُّ أن يشتهر بالزهد ويردُّ ما أعطيه خوفاً أن يجرح مقامه عند الناس ، وعار عليه أنه جرح مقامه بذلك عند الله تعالى ، فخذ من الله وأعط لله[1] . انتهى ١٩٠ ج ٢ فراجعه من هامش « المنن » فهذه المذكورات تشعر بجواز أخذ الهدايا للأكابر الذين بواطنهم كظواهرهم في المعاملة لله تعالى ؛ فإنهم إنما يأخذون بمشاهدة صحيحة ، يأخذون من الله لا من المعطي وللمعطي لا لهم ، **فافهم** ! .

وأمّا من أظهر نفسه بزيِّ الصالحين مع إفلاسه في الباطن عن حقيقة العلم والتصوف ! فكل ما وصل إليه لأجل هذا التلبيس حرام عليه قبوله ، فإن قبله كان فاسقاً لأكله أموال الناس بالباطل ، كما هو مذكور في « الزواجر » لابن حجر فراجعه في ٣٥ ج ١ من الكبيرة الثانية ، وراجع « التحفة » والرملي قبيل النكاح وآخر الهبة ، وحاشية عبد الحميد والشهاب ، تجد البيان .

ولا شك أنّ مَنْ طلبَ الدنيا بدينه وجرَّ الناسَ إلى جانبه بغُرورِ حِيَلِهِ محضاً لجلب الدراهم والدنانير لا طلباً[2] لرضاء خالقه وامتثالِ أمْره ، **فَتسْمِيَتُهُ باسم الشيطنة ألْيَقُ من تسميته باسم المشيخة** ، ويَدْخل كلّ مَنْ لم يَعْترضه في وعيد المداهنة ، ولا يجوز لأحد أن يُصاحبَه بالمُداراة ، إلاّ إن كان قصْدُه بالمُصاحبة ، أن يجرَّه تدريجاً إلى الحق

---

(١) وفي « ترشيح المستفدين » في ١٥٨ قال سم عن الزركشي : واختار بعض المتأخرين وجوب الأخذ ممن عرض عليه الصدقة ولو غنيّاً ، ثم إن كان حلالاً لا تبعة فيه تموّله وإلا ردّه في مورده إن عرف مستحقه وإلا ! فهو كالمال الضائع انتهى فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) ورأيت في « الأنوار القدسية » ما حاصله إنّ كل عبادة نشأت من لقمة ، فهو لصاحب اللقمة . فراجعه (منه) .

بالمسارقة ، ويخرجَه عمّا هو فيه بالمناصحة ، عافاهم الله تعالى وإيانا عمّا لا يليق بشأن الربوبية ، وقد تحقّقَ وتيقّن بما سبق[١] تأثُّر[٢] الجمادات بأحْوالِ مَنْ يَصْحَبُها بالمباشرة ، ولا يخفى أنّ التابعين لهواء[٣] المتشيّخينَ الذين نصَبُوا شبكة الإرشاد لاصطياد الدنيا من أهلها مع اتحاد جنسيّتهم يُوقعُونهم في المهلكة ، مع أنّهم ظانون أنّهم على حالة مَرْضِيّة ، لأنّهم بصُحْبتهم يسارقون أحوالهم السيّئة ، ويتعدَّى إليهم ما في بَواطنهم من حُبّ هذه الفانية ، ويتصرّف فيهم الشيطان كما يتصرف الصبْيَان في الكرّة ، مع أنه ليس معهم نُورُ إلهيٌّ بلا مِرْيَةٍ ، لأنّ تلقينهم لهم صار خالياً عن نور النسبة والمَعْرفة ، وعلَّمُوهم الاسمَ مُنْسَلِخاً عَنْهُ بالكليّة ، فلذا تسبّب الشيْطَانُ في إهلاكهم بقوّته الغضبيّة ، وقد هداهم إلى رؤية أنفسهم الأمَّارة قائلاً : إنّكم على شيء عظيم من العُبُوديّة ، وغَيْرُكُمْ أدْنى مَقاماً منكم ، وأنتم الأعلون بالخصوصيّة ، كلاّ وكلاّ ! بل أرْداهُمْ في مهلكة العُجْب والأنانيّة ، بحيث لا رجاء للخلاص منها ولو بشيء من الحيلة ، ولعلهم صاروا بكثرة صَلاتهم وعباداتهم وأذكارهم المأخوذة من شيوخهم في زُعْمهم مدلين مُعْجِبينَ[٤] والحال أنهم جَهلُوا ما ورد في الخبر : « إنّ صَلاة المدل لا ترفع رَأْسَه » ولأنْ تضحك وأنت مُعْترفٌ بذنبك خيرٌ من أن تبكي وأنت مدلٌّ ، ولقد كانوا قبل الأخذ منهم خائفين من الله منكسري القلوب ، ظانّين أنهم من المستحقين

---

(١) في هذا الكتاب (منه) .
(٢) كذا في « الرشحات » .
(٣) وفي نسخة : لهؤلاء .
(٤) والعجب : هو استعظام النعمة ، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم ، فإن انضم إلى ذلك أنْ غلب على نفسه أنّ له عند الله حقاً وأنّه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا ، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق ، يسمّى هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالّة . كذا في « الإحياء » في ٢٨١ من ربع المهلكات . (منه رحم الله إفلاسه) .

لعذاب الله ، نادمين على ما فعَلوه من مخالفة أمْرِ الله ، ولا يخفى أنّ هذا خيْرٌ لعباد الله ، من أن يَعْبُدُوه عبادة الثقلين مُعْتَقدين أنهم بمكان عند الله ، كيف لا ؟ وقد قال التاج ابن عطاء الله في حِكَمِه : معصية أورثت ذلاًّ وافتقاراً خيْرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً ، ولا شكّ أنّ شيخَهُمْ في زعمهم هو السبب الظاهر لوُقوعهم في هذه الورطة ، لأنهم استكبَرُوا به استكباراً ، وظنوا أنهم بتعلّقهم به صارُوا آمنين من عذاب الله تعالى ، وبعباداتهم المخلوطة بالشوائب المحبطة عُدُّوا من أخصّ الخواص من أهل الله ، حاشا ذلك وكلاّ ! بل شيْخُهُمْ في زعمهم أرْداهُمْ في المهالك ، وسَلَّمَهم إلى أيدي الشياطين[1] ليتصرّفوا فيهم بما أرادُوا منهم ، وجرَّهم اللعين بحبل غروره إلى ذَنْبٍ طرّده الله عن رحمته لأجله ، وحَثّهم إلى أن يقول كلّ منهم : أنا خيْرٌ منه . ولم يُبالوا سوى كثرة العبادات الظاهرة ، بل اعتقدوا في نفوسهم أنهم من أخْيَرِ عباد الله ، مع أنهم في الحقيقة عبدة الحظوظات .

وأحسن أحْوال[2] **مَنْ ليس لهم شيخ كامِلٌ** أنْ يَعْبُدُوه تعالى خوفاً من النار ، أو طمعاً في نعيم الجنة ، **ولا شك** أنهم صاروا الآن مع ذلك عَبَدَةَ الثواب ،

كما قال الغزالي في « الإحياء » : **العامل لأجل الجنّة، عامل لبطنه وفرجه** . انتهى .

وما أخسَّ هِمّة من يَعْبُدُ الله تعالى لأجل الجنة مع أن الله تعالى يقول : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآية ؛ فانظر إلى نكارة قوله « شيئاً » وكُنْ عَالِيَ الهمّة لعل الله ينزل بك شيئاً من الرحمة الهابطة . وسيأتي

---

(١) يعني أنهم ليسوا بمشائخ لهم على التحقيق ، ومَنْ ليس له شيخ فشيخه الشيطان ؛ فافهم ! (منه رحمه الله تعالى) .
(٢) وراجع « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » تجد المأخذ (منه) .

إن شاء الله تعالى أنّ الأصنام المعنوية كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء ، ولقد صدق القائل في حق هؤلاء المدّعين : إنهم قطاع طريق الله ، كيف لا وقد دَلُّوا أتباعَهم إلى أن يَعْبُدُوا[1] لأنفسهم ، ويتخذوا أهْواءَهم آلهة ، وهم يحسبونَ أنهم يحسنون صُنْعاً جميلاً ، والمقصود من إيجاب الله تعالى جميعَ العبادات على عباده تعالى أنْ يُقرُّوا له بالذلِّ والافتقار والعبودية ، وأن يخضعوا رقابهم له مُعْترفين بالربوبيّة ، فإذا فقد هذا فأيّ فائدة من العبادة ؟ وأيّ ثمرة من الرياضة ؟ وإنّما ثمرات العبادات هي مَحْوُ البشريّة باستيلاء أوصاف الربوبيّة وخروج النفس من الأنانيَّة ؛ ولا نفع في شجرة لا تجني منها ثمرة . والله ولي التوفيق .

وروي أنّ إبليس عَبَدَ الله تعالى ثمانين ألف سنة ، بل قال صاحب « تنوير الصدر » أنه عبد الله تعالى سبعمائة ألف سنة وسبعين ألفاً وخمسة آلاف سنة[2] . انتهى ، ثم بعد ذلك تَكَبَّر وقال : أنا خَيْرٌ منه ؛ وبذلك وقع فيما وقع ، **ولقد وَجَدْنا** في مريدي مُتشيّخي زماننا رَوَائح رؤية نفوسهم على من سواهم ، بل علمنا منهم أنّهم يظنّون بهم خيْراً ،

(١) يعني أنّ مقصودهم الأعلى أن يحثّوهم إلى مجرد طلب الثواب ، لا إلى مجرد طلب التقرب ، ولا إلى امتثال الأمر ، مع أنّ أهل السنّة ذهبوا إلى أنّ من عبد ودعا لأجل الثواب لا تصح عبادته ولا دعاؤه ، وإنما يصِحَّان أنه لو أتى المكلَّف بهما لمجرد أنه تعالى أمره ، وكلفهم بطاعته بمقتضى ألوهيته ، وأنه ليس للعبد إلا طاعة سيده ومولاه ؛ بإتيان ما أوجبه عليه ، والاجتناب عما نهاه عنه ، فمن أتى بهذه العبادات لأجل هذا التوجُّه صحت ، وأمّا من أتى بها خوفاً من العقاب ، أو طمعاً في الثواب وجب أن لا يصحّ لأنه ما أتى به تعبُّداً لمولاه وقضاءً لحق ألوهيته وعبودية نفسه ، فلذلك فسَّر _ أي القاضي البيضاوي . (منه) _ قوله تعالى ﴿ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ *بقوله : خائفين من أن يردَّ ما فعلتم لوقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبوله مع الطمع في قبوله تفضلاً ، كذا في « ح قاضي » (منه رحمه الله تعالى) .

*أي ليس المراد دعوة ذوي خوف من العقاب . . والخ لأن أهل السنة الخ .

(٢) لعلّها روايات . (منه) .

ويُسِيئُون بغيرهم ظنّاً ، وأخبرنا بعض الثقات أنّ شيْخَهم في زَعْمهم تهدَّد لهم من الاجتماع بالطائفة النقشبندية ، ولو علم هذا البعض - سامحه الله تعالى وإيانا بفضله ، وهدانا وإياه إلى سبيله - ما عليه النقشبنديّون من الحضور الدائميّ ! لأمَرَهُمْ بعدم افتراقهم منهم أبداً ؛ ليأخذوا من أنوار قلوبهم حَظّاً .

وهذا التهديد من علامة الجهل المركب ، بتراكم الرَيْنِ على القلب ، ولعلّه تعصّب وتحزّب ، وكانّ سرَّه قد تخرَّب ، ولم يذق ما ذاقه أهل الله ، وما جرَّب ، ولو كان شيخاً ما تحجَّر وما تعصَّب ، ولا يتحجَّر على المريد إلاّ من أحبّ الرياسة ولم يحسن ظنّه بمَنْ أناب .

وقال لي العالم الرباني أدرة العرادي النقشبندي الخالديّ - أدخله الله بُحْبُوحَةَ الجنّة المعجّلة آمين - : إنّ الناسَ يظنّون أنْ ليس في قلوبهم شيءٌ من محبطات الأعمال من الرياء وغيره ، وليس كما ظنّوا ! بل إنهم لا يَعْرِفُونها ، ولا يتفحَّصُون عنها ، ولذا لم يُدْرِكُوها ، وظنّوا أنهم خالصون منها . انتهى .

وهو كما قال رضي الله عنه وجزاه عنا خير الجزاء ، لأنّ أكثرهم لا يعرفون القلب ولاَ مَحَلَّهُ ، حَتّى أن أبعاضاً منهم لا يجوزونَ استعمال الذكر بالقلب ! ولا يخفى أنّ القلب مَنْبَتُ الأخلاق المَذْموماتِ ، ومنبع المهلكات ، ومحلّ النجاسات المعنويّات ، وبصَلاحه يصلح الجسد ، وفسادِه يفسد الجسد ، كما ورد به الحديث ، فلا شك أنّ مَنْ لا ينظر إلى النجاسة ولا إلى محلّها لا يُبْصِرُها ، ومن لا يَعْرِفُ محلّها لا يغْسِلها ، ولا يمكنُ تطهيرُها إلاّ باستعمال الماء على مَوْضعها فافهمه[1] ! .

---

(١) يعنى أن الذكر شفاء القلب كما في الحديث ولا ينجلى القلب إلا بكثرة الذكر كما في « ذيل » ترجمة « الرشحات » . (منه ، رحمه الله تعالى) . =

اعلم أنّ الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد[1] .

أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو عمل القلب .

والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح .

فإنّ الروح بلا جسد ما له قيام ، وإنّ الجسد بلا روح ما له دَوَامٌ ، وذلك أمر مشترك بين المكلفين من الرجال والنسوان ، كذا قال سليمان الزهدي في رسالته .

وكل عمل ليس فيه الإخلاص والنية والحضور كوصيفة[2] مَيْتَةٍ ليس فيها روحٌ ، والأعمال المشروعة تُحَفٌ يتحف بها العبد إلى الله تعالى ، والمُهدي للجيفة الميتة مستهزئ للسلطان ؛ فيستحق سفك الدم ، فإذاً يجبُ على العبد أن يزكّي القلب من الأخلاق المضادّة للإخلاص والحضور وتزكيتُه[3] منها مَوْقُوفَةٌ على سلُوك الطريق على يد شيخ عارف مأذون ، ولا يكون ذلك السلوك إلاّ بواسطة الذكر ! ومن شرطه أن يأخذه منه ؛ لأنّ الذكر الذي أخذ منه يكون معه نُورٌ حَاجِبٌ من الشيطان ؛ فيعمل في تنوير الباطن عمله ، والذي أخذ من غير عارف لا يكون معه ذلك النور ، فلا يكون الذكر حجاباً ، بل يكونُ سَبَباً للهلاك ، ويكون حُكْمُه كإلقاء السمِّ ليداوى به المريض ، والله أعلم .

وأمّا من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور ! فقد طلب المحال ، ولذلك ترى الأبرار - وإن سَعَوْا في الخلاص من

=يعني أن الذكر يغسل القلب من وسخ الأغيار ، ويطهِّره من الأدناس ، فمن لا يستعمل الذكر عليها فكيف يطهرها ؟ فتدبر ! (منه ، رحمه الله تعالى) ،

(١) وقال الإمام الرباني الطريقة لتكميل الشريعة . راجع في ٧ البهجة (منه) .

(٢) أي جارية .

(٣) وقد جعل الغزالي التزكية المذكورة شطر الإيمان . كما هو مذكور في الجواهر (منه رحمه الله تعالى) .

الصفات وتيسر لهم ذلك - وَقَعُوا في صفة أخرى ، وخصلة أقبح من الأولى ، كذا في « السير والسلوك » .

وقد كان سلطان العارفين ومَلْجَأ العلماء من مذاهب الأئمة الأربعة المجتهدين وغيرهم ، عبد الوهَّاب الشعراني رضي الله عنه يجاهدُ نفسه بأنواع المجاهدات الشاقّة ، والرياضة التامّة ، ويلازم العلوم ، حتى صار متبحِّراً في المذاهب الأربعة وغيرها ، ومع ذلك وَجَدَ عباداته وعلومَه مخلوطة بالحظوظات النفسانيّة ، ولم يَعْرِفْها إلاّ بعد اتخاذ الشيخ له[١] ، وهكذا عدّ الإمام الغزالي علوم الفقهاء حجاباً لعدم وُجُوده فيها إخلاصاً .

ومن المعلوم أنّ العلم إنما يكون حجاباً لِمَنْ لم يخلص لله في تعلُّمه وتعليمه وإلاّ فلا ! كذا في « المنن » في ٥١ ج ١ .

وقال في « الإحياء » ما مَعْناه : لو سلّم للإنسان من عمره لحظة واحدَة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذا لعزة الإخلاص ، ولِعُسْرِ تَنْقِيَة الأعمال من شوائب الرياء[٢] انتهى .

وفي الإبريز في ٣١ قال الشيخ رضي الله تعالى عنه : وأن ترتفع همّتك إلى طريق الفقر وهو طريق التصوّف - فاطْرَحْ هَوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وُجُوه التعبّدات وأنواع القربات دون أن يأمر بها الشيخ ، وباعد هواها في ذلك مُبَاعَدَتك للشرّ . يريدُ أنّ فلاح المريدِ فيما يختاره له الشيخ ، لا فيما يختاره لنفسه وإن كان يختار هو لنفسه هَلَكَ .

قلت : وكم من مريد سقط من هذا الباب ؟ لأنّ المريد قبل الفتح

---

(١) كذا في المنن . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي « الطبقات » لو صحَّ لعبد في عمره نَفَسٌ واحد من غير رياء ولا شرك ، لأثَّر بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر . اهى . ٩٢ ج ١ فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

عليه إذا اختارت له نفسه الإكثار من النوافل والصيام والقيام فربّما كان ذلك لشهوة السُمْعَة والرياء ، فيصيرُ عمله لغير الله عز وجلّ ، فإذا رحمه الله بالشيخ المربي ، وجمعَه به ! فإنّه يرى تلك العلّة فيه ؛ فيُريد نقله عنها ، فإنْ ساعفه[1] المريد وسبقت العناية من الله تعالى دَلَّهُ على ما يليق به ، وانتقل به إلى حالة مَرْضيّة عند الله تعالى ، وإن لم يساعفه المريد وقال : جئناه ليزيد ، وجَعَل ينْقصُنا ! وخسرت نيّته في شيخه المربّي ! فهذا قد استحوَذ عليه الشيطان[2] واستحكمت فيه علّة الرياء والخسران ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنّه وكرمه . انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٠١ : وقد رأيت بَعْضهم جاء إلى شيخ رضي الله تعالى عنه ، وأراد أن يتخذه وسيلة ، وكان على غاية الإكثار من العبادة ؛ حتى أنّه يقرأ في كل ليلة ختمة من القرآن ، ويقرأ دَلائل الخيرات في النهار عدّة مرات ، ويصوم الدهر ولا تلقاه إلاّ أصْفَرَ اللون كأنّه من أهل القبور ، فلم يزل الشيخ - رضي الله عنه - ينقله عن درجة إلى درجة ومن حالة إلى حالة حتى رَدّه إلى مقام التوسط ثمّ قال له الشيخ - رضي الله عنه - ذات يوم : كمْ مِنْ تَعْبٍ أراحك منه يا فلان فقال : جزاك الله عَنّا خيْراً يا سيدي ، فإنّما كانت أعمالنا رياء فلغير الله كنا نعبد ، وأراحنا الله من ذلك ببركتك .

وقال لي الشيخ رضي الله عنه يَوْماً : إنّ هذه النوافل إذا لم يفعلها الشخص فإنّها لا يحاسب عليها ، وإنْ فعَلها بنيّة أن يراه الناس ويمدحوه عليها فإنّه يعاقب عليها في الآخرة[3] ويخلي دار أبيه عليها قلت : لأنّ الرياء[4] معْصية .

---

(١) وأسعفته : أعنته على أمره « مصباح » .
(٢) واستحوذ عليه الشيطان غلبه واستماله إلى ما يريده منه . (منه رحمه الله تعالى) .
(٣) ومرّ في الباب الرابع والعشرين ما ينبغي استحضاره هنا ، (منه رحمه الله تعالى) .
(٤) وفي « الزواجر » في ٣٥ ج ١ ما حاصله : أنّ من لم يقصد من عباداته غير الرياء=

وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول : إنّ المحجوبَ لا يَخْلُو من الرياء والسمعة إلاّ إذا كان يرى في كلّ لحظة أنّ أفعاله مخلوقة له تعالى ؛ لا يغيب عنه ذلك في حالة الفعل ، ومَهْما غاب عنه طرفة عين وقع في الرياء والسمعة والعجب . انتهى .

ولقد قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره : لا يخلو الإنسان من الرياء إلاّ إذا وصل إلى مقام يشهَدُ فيه أن لا فاعل ولا محرّك في الوُجود إلاّ الله سبحانه . انتهى .

قلت : وذلك المشهد يَحْصُلُ للسّالك في مُراقبة القلب ، فحينئذ يضمحلّ كسبه وكسب جميع المخلوقات ، لظهور فعل الخالق تعالى على كسبه وكسبهم ، كاضمحلال نور السراج عند ظهور نور الشمس . والله أعلم بالصواب .

وقال جامع القطبتين الشيخ أبو عبد الرحمن في « تبصرة المرشدين » في بيان المراقبات : إنّ من كان على مراقبة الروح وتجلى له الصفات الثبوتية لا يضيف كمالاته إلى نفسه ؛ بل إلى الله تعالى ، فيَأْمَنُ من العجب ونحوه من المهلكات . وسيأتي إن شاء الله تعالى .

فعلى العاقل أن يتدبر في نفسه ويَعْتَبِرَ هل هو مُتَّصَفٌ بذلك المشهد أم لا ؟ فإن كان متصفاً به ! فيجب عليه الشكر دائماً ، وإلاّ ! فاللاّئق به ترك الدعوى وطلبُ مَنْ يُرْشِدُهُ إلى كَسْب ذلك المقام الأسْنى .

قال الشعراني رحمه الله تعالى في « لواقح الأنوار القدسية » : **وقد عجز الأكابر فضلاً عن مثلك أن يعرفوا طريق قطع علائقهم**

=فعباداته باطلة ، وليته لم يحصل له من السوء غير ذلك ، بل عليه عظيم الإثم وقبيح الذم ، كما علم تفصيل ذلك من الآيات والأحاديث السابقة ، والمعنى في تحريمه كونه كبيرة وشركاً . اهى . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وحدّ الرياء المذموم إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى . « زواجر » ٣٥ .

بأنفسهم من غير شيخ فلم يقدروا ، فلا يزال الشيخ يأمرك بإزالة العوائق واحداً بعد واحدٍ حتى لا يبقى إلاّ واحد فيقول لك : أَزِلْهُ وهاأنت وحضرة ربّك .

وتحتاج يا أخي إلى طُول زمانٍ وصبرٍ على مأمورات شيخك ، وغالب الناس يرجع من الطريق ، فلا يحصل من قطع العلائق على طائل .

وإيضاح ذلك : أنّ طريق السير في الطريق طريقٌ غيب ، والمريد كالأعمى الذي يريد أن يسلك طريقاً طول عُمرِه ما سلكها ، والشيخ كالمسافر الذي سلكها في نور الشمس زماناً طويلاً ، فعرف مهالكها كلّها ، فهو بتقدير أنّه أعمى أو يسير في ظلمة الليل يَعرف المهالك والطرق المسدودة كدليل الحاج سواء ، فمن سلَّم للشيخ وانقاد له قطع تلك الطريق ونجا من العطب ، ومن لم يسلم[1] للشيخ لا يعرف يمشي ، وربّما وقع في مهلكة ، فلم يعرف يخرج منها حتى يموتَ ، ولولا أنّها طريق غيب لا يقدر أحَدٌ على سلوكها وَحْدَهُ ما كان للدعاة إلى الله فائدة من أنبياء وأولياء وعلماء ! فلا بدّ من مزيد خُصُوصيّته فتأمّل ! انتهى ١١٣ ج ٢ .

ونقل المحقق محمد علي الچوخي في فتاواه من كتاب « أدلّ الخيرات » أشياء نافعة ومن جملتها هذه العبارات :

وينبغي للعاقل أن يصحّح نيّة العبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقرّبين ، لأنّهم عبدوا الله تعالى خاصّة من غير عوض ولا غرض ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بجاه النبي ﷺ . انتهى .

وفيه أيضاً في أول الكتاب ما لفظه : منها – أي من فوائد الصلاة

---

(١) وفي نسخة : لم يسلك .

وفضائلها – امتثال أمر الله تعالى ، وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة ، لأنّها أشرف مقامات العبد ، إلى آخر ما ذكر فيه فراجع .

وعبارة الإمام السنوسي في « شرح أم البراهين » بعد ذكره فضائل الذكر والصلاة ونحوها : وليقصد بذلك كله امتثال أمر الله تعالى وطلب رضائه . انتهى .

وكتب عليه العلامة الدسوقي ما لفظه : ولا يقصد أن يكون وليّاً ! لأنّه لا ينبغي ، بل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون ولياً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثيّة ، لأن عبدة الأوثان يقصدون بعباداتهم التقرب إلى الله تعالى وطلب رضاه ، وهذا الشخص إنّما يقصد منفعة نفسه ، لا لِامتثال أمر مَوْلاه ورضاه ! انتهى .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » ما له بهذا المذكور شَبِيهٌ فراجعْهُ .

وقال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً الخواص – رحمه الله تعالى – يقول : لا فرق بين عبّاد الأصنام وبين مَنْ يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإنّ الأصنام المعنويّة كالأصنام الحسيّة[1] على حدّ سواء ، لأن كلاًّ من العابدين اتخذ من دون الله تعالى ما لم يأذن به الله .

وهم في ذلك على طبقات :

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم مَنْ يقصد بعلمه وعمله إعلاءَ الدرجات ، وظهورَ الكرامات ، والتصْريفَ في الكون ، والمشي على الماء ، والطيرانَ في

(١) وراجع « المنن » ٢٩ ج ١ (منه) .

الهواء ، وكشفَ الغيُوب .

ومنهم مَنْ لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنّما يَقْصُدُ بذلك الحورَ الحسان ، ودُخولَ الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم مَنْ يقصد بذلك السلامةَ من النار ، والخوفَ من الحساب والعقاب ، وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القربَ من الله تعالى ، والرضا عنه ، والمحبة له .

ومنهم مَنْ لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاقِ مَولاه العبادة والتذلّل والخضوع ، والوقوف عند أمْره ونهيه ، قد تبرّأ من الاعتماد على حوله وقوّته ، وعلمه وعمله ، وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص ، وهو خائف من الله تعالى لا يرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور الّتي كُلِّف بها على الوَجه الذي أمِرَ به . ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلّ ذرّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ، فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ٣١٣ .

وفي « الإبريز » : كلّ ما عَمِلْتَهُ بقصد الأجور والحسنات فهو عَمَلٌ[1] لغير الله تعالى . انتهى ١٧٧ ،

---

(١) وقد قال تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ فنكّر تعالى شيئاً فشمل كل شيء من جميع المخلوقات حتى الإرادة والهوى والشهوة ، فإنها من خلقه تعالى بيقين ، فلا يريد ولا ينوى شيئاً دون الله تعالى فيكون شركاً . وقال تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ قال السيد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : ليس المراد بالشرك في هذه الآية عبادة الأصنام فقط ، وإنما المراد ما هو أعمّ من ذلك من متابعة الهوى ، وأن يختار العبد مع ربه شيئاً سواه إلا بإذنه ، من الدنيا وما فيها ، والآخرة وما فيها . فإن كل ما سواه عز وجل فهو غيره . فإذا ركن العبد إلى غير الله تبارك وتعالى من مقام أو حال فقد أشرك بالله غيره كذا في « لطائف المنن » في ٦٩ من الجزء الأول . فراجعه (من خطه قدس سره) .

وفيه أيضاً في ١٥٩ ج ١ : وأمّا المحْرُومُونَ فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ، ولتحصيل أغراضها ، ولا تكون لله عز وجلّ ، وهذه الأعمال لا تزيد إلاّ بُعْداً من الله عز وجل ؛ لأنّها مخالفة لسرِّ حقيقة الذات ، فإنّ سرَّ حقيقة الذات أنّها ذات مخلُوقة لله ، مَفْعُولة له ، مملوكة له ، منسوبة إليه ، لا نسبة لغيره فيها بوَجْهٍ من الوُجُوه ، فلو جرت أفعالها على هذا السرِّ لكانت كلها خالصة ، فكأنّه يقول : لا حَظَّ لي في شيء من أفعالها ؛ إذ هي كلها مخلوقة لله ! فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرّ حقيقة الذات ، وأما أنه يقول : ذاتي هي لله وأفعالها لي ، فينويها لنفسه ولتحصيل أغراضه ، فهذا لا يجري فعله على سرِّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يُوفي بشيء من حُقوق الله ، لأنّه يفعل لغرض نفسه ، لا للقيام بحق الله ! فقد انقطع عن الله في أفعاله ، فتنقطع عنه العَطيّة من ربّه عز وجل ، فيكون مَحْرُوماً من المحرومين .

فقلت : وردت آيات كثيرة ، وأحاديث لا تحصى في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمَنْ فعل الفعل ، ولو كان – كما قال سيدي عمرو بن محمد الهراوي – لم يرد شيئاً منها بذلك ، لما فيه من القطع عن الله عز وجلّ ، فقال رضي الله عنه : لا يرد علينا ما في الآيات والأحاديث ، لأنّه لم يقل فيها : اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أنفسكم في هذه الحالة بجزيل العطيّة ، وإنّما قال : اعبُدُوني وأخلصُوا لي العبادة وأنا أثيبكم ، فَنِيَّتُنا في أفعالنا تكون لله عز وجل ، ولعظمته وكبريائه ، ولما أسدى[1] إلينا من العطايا الجسيمة ، وهو يُثيبُنا عليها عزّ وجلّ فَضْلاً منه ومنّة ، وإنّما يَرِدُ علينا ما في الآيات والأحاديث أن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ، ولا يثاب العَبْدُ عليها فحينئذ

(١) وأسديت إليه معروفاً : اتخذته عنده ؛ « مص » .

يرد ما ذكَرْتم ، **وما أقبح العبد وأجهله ! حيث يظنّ أن يحصّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله ، وهو يعلم أنّ أفعاله لم يحصّل منها ولا شعرة ،** فإذا كانت الذات مخلُوقة لله ، والأفعال مخلوقة لله ، فكيف يسُوغ لنا أن نعْتمد في الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عزّ وجلّ ، ولا نعتمدَ على مجرّد فضله ورحمته ؟ ولكنّ الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

مهم

قال رضي الله عنه :

وقد كان بعض العُبَّاد يَعْبُدُ الله بقَصْدِ نفع نفسه وأن يعطيه ما يحبّ ، فدام على ذلك عشرين سنة ، وكان لحَّاحاً في الطلب ، فما ظَهَرَ له شيء مما يطلب ، فتحيَّر في أمره ، فقال كيف يكون هذا ؟ أنا أطلب الله في مسألةٍ عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ولا رَحِمَني بها ! فَألْقى الله عزّ وجلّ رَحْمتَه عليه ، ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها . فقال : إنّي لأحْمَق ! إذا كان الله سبحانه خلق الذات وخلق أفعالَها ، وخلق الصحّة ، وخلق المكان الذي أعْبُدُه فيه ، وخلق الماء الذي أتوضأ به ، وخلق الثوب الذي أسْتَتِرُ به ، وخلق الزمان الذي أعْبُدُه فيه ، فأيّ شيء عملت حتى أطلب عليه أجْراً وأستحق بسببه ذِكْراً ؟ كلاّ والله ما فعلْتُ شيئاً ، ولكنّي عمدْتُ إلى أفعال الله فيَّ فقطعْتُها عنه ثم نَسَبْتُها إليَّ ، وجَعَلْتُ أطلب بها عنده ، وأتمنّى بها عليه حتى صِرْتُ أقول : وَقَفْتُ أنا ببابه عشرين سنة وما أعطاني شيئاً . أنا تائبٌ إليك يا ربّ ، أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا ربّ ، فلمّا تاب إلى الله وعلم منه تعالى التوبة الصحيحة ، رحمه الله تعالى بأن أعطاه كلّ ما يتمنّى ، وزاده المعرفة به التي لا تعارضها جنة ولا غيرها . انتهى .

قال الشيخ مَوْلانا الجامي في شرح النصوص[1] :

---

(١) وفي نسخة : الفصوص .

مهم

واعلم أنّ عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون الذين يَعْرِفُونَ مَداخِلَهُ ، الواقفون مع الأمر الإلهي لا يبعدون عنه ، والموحِّدون الذين لا يرون لغيره وُجُوداً ، لا يعلمون الأشياء إلاّ مظاهره ومخاليه ، فتكون عبادتهم وحَركاتهم وسكناتهم كلها بالله لله ، من الله إلى الله ، قال تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ والذين يعبدون الله من حيث أُلُوهِيَّتِهِ وذاته المستحق للعبادة ، لا من حيث أنّه مُنْعِمٌ أو رحيم ، فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، وعبد الرحيم لا يكون عبد القهّار ، ولا لدُخول الجنة[1] ولا للخلاص من النار ، فإنّه حينئذ عبد حظه وأسيرُ نَفْسِهِ ، فلا يكون عبد الله ، لذلك أضافهم الحق إلى نفسه في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ** ﴾ .

وفيه أقول :

وعشْنا زَماناً نعبد الحق للهوى　　من الجنة الأعلى وحسن ثوابه[2]

فلمّا تجلّى نوره في قلوبنا　　عَبَدْنَا رجاء في اللقاء وخطابه

فمزج أنواع العُبُوديّة الهَوى　　سوى من يكن عَبْداً لعزِّ جنابه

ونعْبُدُه من غير شيء من الهوى　　ولا للنوى من ناره وعقابه

ولا بدّ أن تعلم أنّ هؤلاء محفوظُونَ من الأعمال الشيطانيّة ، لا من الإلقاءات والخواطر كما قال تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ**

---

(١) وفي « المنن » في ١٤٧ : إن عبد الثواب معدود عند كُمَّلِ العارفين ممن هو في مقام بعض النساء . وإن كان له لحية . فراجعه ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فالعارفون إنما يسألون الجنة لمجرد كونها محل رؤية الله ، ولكونها دار أوليائه ومستقرهم ، وللامتثال بأمره تعالى حيث أمرهم بطلبها وأمثالها ، لا لذاتها ولا للإلتذاذ بلذاتها ، فافهم . وراجع « جواهر المعاني » في ١٠٥ ج ٢ تجد فيه البيان الشافي في حق هذا المطلب ، (منه سامحه الله من فرطاته . آمين) .

وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ الآية . انتهى .

وقال الشعراني في مِنَنِهِ : ومما أنعم الله تعالى به عليَّ إعطاءه تبارك وتعالى لي الفرقان بين رجال الله تعالى ، فإنّه ما كلّ الرجال أعْطُوا الفرقان .

وهم : **ثلاثة أصْناف لا رابع لهم** ، ذكرهم الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى في « الفتوحات » :

الأوّل : العُبَّاد بضم العين ، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتّل والأفعال الظاهرة المحمودة ، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم فيه حتّى يطلبوا الانتقال إليه ، فلا مَعرِفَةَ لهم بالأحوال ولا بالمقامات ، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهيّة الوَهبيّة ولا مكاشفة لهم ، ويخافون من ظهور أعمالهم أن تُحْبَطَ لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى .

الصنف الثاني : الصوفية ، وهم رجال فوق هؤلاء العُبّاد ، فإنهم يَرَوْنَ أفعالهم كلّها لله تبارك وتعالى ؛ مع ما هم عليه من الجدّ والاجتهاد والورع والزهد والتوكّل وغير ذلك ، ويَرَوْنَ مع ذلك أيضاً أنّ جميع ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كَلاَ شَيء ، وفيهم رعونة نفس بالنظر لأهل الطبقة العُلْيَا ، فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوّتهم .

الصنف الثالث : الملاميّة وهم على قدم السيّد أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، ومن شأنهم أنهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلاّ الرواتب ، ولا يفعلون من العبادات كلّها إلاّ ما لابدّ منه ، ولا يتميّزُونَ عن غالب الناس بعبادة ، يَمْشُونَ في الأسواق ويتكلّمُونَ مع الناس بكلام العامة ، قد انفردوا بقلوبهم مع الله جلّ وعلا لا يتزلزلون عن عبوديّتهم ، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء عظمة الله تبارك وتعالى على قلوبهم ، وهؤلاء أعْلَى الطوائف كلّها مقاماً ،

كما فضل أبو بكر الصحابة كلهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فتأمّل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ولا تَقْنَعْ بشيء دُونَ المقام الثالث ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ٥٢ . وهذا الصنفُ الأخيرُ[1] ، هُمُ النقشبنديُّونَ الصدّيقيّون ، وطريقتهم أفضل الطرق وأقربها وأسْهَلُها ، لكنّهم في قلوب المنكرين كالشوْك ، وفي عُيُونهم كالقذى ، ولا يُحبّهم مُتشيّخوا هذا العَصْرِ خَوْفاً على سقوط مَنْزِلتهم عند الناس وعلى إظهار ما هم عليه من دعوى الشيخوخة ، وقد يتكلّم أبْعاضٌ منهم خلف هؤلاء الطائفة بما تقشَعِرُّ به جُلُود أهل الله - عياذاً بالله من هذه الحالة - وكان الواجب عليهم أن يحبّوهم ويعينوهم ، وأن لا يغتابوهم ولا يذموهم ، لكنّهم حملهم الأمارة على العناد والحسد ، والله حسبهم ونعم الوكيل .

قال الشعراني في « المنن » : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليَّ محبّتي لكلّ مَنْ كان أكثر طاعة لله تعالى مِنِّي **وترجيح محبّته على محبّتي لنفسي** ؛ محبّةً في رَبّي عزّ وجلّ لأنّي أعلم أنّ من كان أكثر طاعة لله تعالى فهو أحبُّ إليه ، ومن أدب كلّ عبد أن يحبَّ كلّ مَنْ يحبُّه سيّده ، وهذا خلق غريبٌ لا يثبت فيه إلاّ مَنْ خرج عن حُبّ الرياسة ونَشْرِ الصيت ، وأمّا مَنْ يحبُّ انفراده بالصيت فلا يكاد يحبُّ أحداً من

---

(١) يعني أن رأس سلسلة هذه الطريقة السنية ورئيس أهلها هو الصدّيق الأكبر رضي الله عنه ، الذي هو أفضل جميع بني أدم بعد الأنبياء عليهم السلام على التحقيق ، وبهذا الاعتبار وقع في عبارة أكابر هذه الطريقة أنّ نسبتنا فوق جميع النسب ، فإنّ نسبتهم التي هي عبارة عن الحضور والشعور الخاص هي بعينها نسبة الصدّيق ، وحضوره الذي فوق جميع الحضورات كما هو مذكور في مكتوبات الإمام الربّاني قدس سره ؛ راجعه في ١٩٥ ج ١ ، فالمراد من الشيء في قوله عليه السلام : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » هو الذكر القلبي الخفي كما فسر به أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » ، فراجعه في ٢٢ . وفي تعبير الشعراني في حق هؤلاء بهذه العبارة المذكورة في « المنن » كفاية ، وأيّ كفاية في مدح النقشبنديين . وقد قال ابن حجر في « الفتاوى » : إنها - يعني الطريقة النقشبندية - سالمة من كدورات جهلة الصوفية ؛ فيكفيك أيضاً هذا التعبير من هذا النحرير (منه رحمه الله إفلاسه) .

المطيعين والمتقين خوفاً منهم أن يُطْفِؤُا صيتَهُ ، وكفى بذلك مَقْتاً من الله تعالى ، وما يضرّ العبد أن لو كان الناس كلّهم صالحين عالمين عاملين وَرعين زاهدين ، فإنّ في ذلك الشرف العظيم لدين محمد ﷺ .

فليمتحن مَنْ يدَّعي الإخلاص نفسه بما إذا فارقه تلميذه الذي يزعم أنّه كان يحبّه ويخدمه سنين ولم يُفتح عليه ، ثم إنّه اجتمع بأحد من الأقران ففتح عليه ، فإن رأى نفسه تنشرح لذلك فليشكر الله تعالى ، وإلاّ ! فليحكم على نفسه بالرياء والنفاق ، **فإنّ المخلص يفرح بهداية الناس بأيّ وجه كان** ، لا سيّما إِنْ قالوا : إنما لم يفتح لذلك الفقير على يَدِ فلان لكون فلان ليس له قدم في الطريق . فإنّ المرائي يكاد يتميَّز من الغيظ بخلاف المخلص ، وفي الحقيقة الهداية بيد الله ليست بيد أحد من العباد ، وجميع من فتح عليه على يد فقير إنما كان ذلك من باب تعليق الأسباب على المسبّبات . انتهى .

وقال فيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي أفضل الدين - رحمه الله تعالى - يقول : من علامة المرائي أن لا ينشرح لكثرة المتقين ، إلاّ إنْ كانوا تلامذةً له ! فيفرح حين يَسْمَعُ الناس يقولونَ عنه : فلانٌ أحْيَا الطريق بعد أستاذه ، ولم يحيها أحد ممّن أخذ عن شيخه غيره ؛ وانظروا إلى جماعته كلّهُمْ مُتأدِّبُونَ صالحون ، عليهم سكينةٌ ووقار ، بخلاف جماعة فلان . فمن صَغَى بقلبه إلى ذلك فهو مُراء دقّ المطرقة كما أنّه متى انقبض لمدحه ومدح تلامذته دُونَ أقرانه فهو دليل على إخلاصه ، كما أنّه إذا انقبض لذمّه وذمِّ تلامذته ونسبتهم إلى الرياء والنفاق فهو دليل على عدم إخلاصه كذلك ! فاعلم ذلك . انتهى .

وفيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي الشيخ أفضل الدين يقول : من علامة الْمُتَشَيخين بأنفسهم بالدعوى عدم صفاء قلوبهم لبعْضهم بَعْضاً ، لأنّ كل واحد منهم يعتقد في نفسه أنّه هو الشيخ الحقيقيّ وأنّ أخاه هو

المدّعي للمشيخة بغير حق ، ويُصدّقُهُ أصحابه على ذلك ، وفي الآخرة يصلح الله تعالى بينهما ، ويكشف لكلّ واحد منهما أنّه ليس بشيخ ، ولا شمَّ للطريق رائحة . انتهى .

مهم

وكان رحمه الله تعالى يقول : **لا ينبغي إخراج هؤلاء المدّعين للصلاح بغَيْرِ حَقٍّ في الاستسقاء** لأنّه رُبّما منع الناس السقيا بحضورهم ، إلاّ أنْ يَتُوبُوا ويَرَوْا نفوسهم أحقر الناس ! وربّما كان هؤلاء يدَّعُونَ المشيخة ولا يعدّون الكبر الذي في نفوسهم مَعْصِيَةً وهو من أكبر المعاصي .

وكان رحمه الله تعالى يقول : ما دامت نفوس هؤلاء المدّعين لا تنكبسُ لأنْ يتلمّذُوا لأقرانهم ويأخذُوا عنهم الطريق - ولو كانوا غير صادقين - فالكبْرُ باقٍ في صُدُورهم ، لأنّ الصادق لا تأبى نفسه من التتلمذ للكاذب ولو صورة ، بل يُبادر إلى ذلك لاحتمال أن يصلح الله به حال ذلك الكاذب إذا سارقه بتعليم آداب الطريق شيئاً فشيئاً ، فليتنبّه الفقير لمثل ذلك . انتهى .

ولقد مشى هذا الفقير[١] - رحمه الله تعالى إفلاسه - مَرَّةً على هذه السياسة إذا لقي بواحِدٍ من المدَّعين فتتلمذ له صُورةً ليُسارقه تدريجاً ، ولاطفه بالكلام ليُنَبِّهه على نقصه ويُعَلِّمَهُ قواعد أهل الطريق ، فاعترف ذلك المدّعي بأنّه لا يَعْرف كيفيّة تلقين النقشبنديّين وكيفيّة استعمال أذكارهم على اللطائف ، بَلْ وَجَدَهُ جاهلاً بها وبِمَحَالِّها مع أنّه قبل ذلك يدّعي أنّه شيخ نقشبندي مَشْهُورٌ في الأقاليم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أي المؤلف .

وقال لي العالم العارف أخونا الصالح حبيب الله النقشبنديّ هداه الله إلى كلّ ما يَرْضاه : إنّي تكلَّمْتُ مع شيخين يزعمان أنهما نقشبنديّان مع عدم مَشْيِهِمَا على مصطلح النقشبنديّة ، ثم بَعْدَ إظهار الحق لَهُمَا أقَرَّا واعْترفا ، ثم قالا : ألاَ نرتقي إلى مقام يجوز لنا فيه أن نعلّم الطريقة النقشبنديّة للمُريدين لَوْ جِئْنَا لدى الشيخ العسلي - قدس سره - لنتلمّذ له نرتاض ونجاهد عنده ؟ انتهى . فإذا أخبر ذلك الأخ ما قالاهُ لهذا الفقير - رحم الله إفلاسه - قال له : لا والله ![1] ولو عَبَدَا الله تعالى بالإقامة عنده ألف سنة ! لأنّهما قصَدَا بتلك الإقامة والرياضة أن يكونا شيْخَيْنِ نقشبنديّين ، ومُريدُ هذا الطريق يجبُ أن يكون عَبْداً بلا عِلَّةٍ ، فما أخسَّ همّتهما ! سامحَهما الله تعالى وألهمهما رشدَهُمَا آمين .

وأكثر متشيّخة زماننا في ديارنا إذا سئلوا : إلى أيّة طريقة انْتَسَبْتُمْ ؟ يقولون إلى الطريقة النقشبنديّة ، مع أنّهم لا يستعملُونَ من أصولها وفروعها ولو شيئاً واحداً ، **فكما لا يصيرُ الحنفي مثلاً شافعيّاً إلاّ باستعماله مذهب الشافعيّ ! فكذلك لا يصيرُ الشخص نقشبنديّاً إلاّ بالدخُول في طريقتهم[2] واستعمال تلقيناتهم فهذا مما لا يخفى على عاقل ، وحين عجزوا عن الجواب إذا سُئِلُوا : لِمَ لا تعلِّمون أوراد النقشبنديّة ؟**

يقولون : إنّ تعليمَها[3] لا يجوز لمن له نَفْسٌ أمَّارة . فنقول لهم : إنّ الله تعالى أعطى القدرة للمشائخ لرَدِّ النفس الأمَّارة بالترْبِيَةِ إلى اللوَّامة ، ومنها إلى الملهمة ، ومنها إلى المطمئنَّة بحيث تقبل قوله

(١) أي لا يرتقيان ولا يصلان إلى ذلك المقام المذكور (منه رحمه الله) .
(٢) وفي « ترصيع الجواهر » في أثناء كلمات ، ومع هذا فلا يعدُّون من أتباعهم إلاّ إذا كانوا على طريقتهم التي كانوا عليها . اهى فراجعه .
(٣) ولا بد من المراجعة إلى « الإبريز » في الباب الخامس في ذكر التشايخ والإرادة في ١٧٤ ففيه ما يَرُدُّ هذا القول مبسوطاً ، (منه رحمه الله تعالى) .

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ الخ .

ولإذهاب الصفات الرديئة المذمومة الكائنة للنفس الأمّارة أسبابٌ ، منها : أخْذُ الذكر واتخاذ المرشد[1] و كذا في « مزكي النفوس »[2] فراجعه في ٣ وفي ١٧١ .

وفي « مسيرة الحكم » في ٤٣ ، لا يمكن تَزْكية النفس إلاّ بتصفيةِ[3] اللطائف الخمس : الأمريّة ، وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفى . انتهى .

واستعمال الأذكار على اللطائف إنما هو لتصفيتها وتزكيتها ؛ فعَجَبٌ قولهم : يجوز الذكر الذي وضعوه برَأيهم لكلّ واحدٍ ، ولا يجوز الذكر الذي ورد في أصول النقشبنديّة مُعَنْعَناً مُسَلْسَلاً . ولا يخفى أنّ الشيخ إنما يكون لتعليم الطريقة ؛ والشيخ عبارة عن الدليل إلى الله والدليل[4] إنما يكون لدَلالة الطريق لا لدلالة ما أرادَهُ ممّا لَيْس بِطَريق ؛ فافهم ! وقدْ مرّ بَسْطُ هذا الكلام في الباب السادس والباب السابع فليصتحضره هنا .

---

(١) ولا يخفى أنّ تعليم الطريقة وتلقين الأذكار إنّما هو لدفع النفس الأمّارة وتبديل أخلاقها المذمومة ، وقد عُلِمَ مما مرّ ويأتي في هذا الكتاب مراراً أنّ هذه الطريقة العلية النقشبندية هي طريق الصحابة بلا زيادة ولا نقصان ، وإنّ طُرقهم مقتبسة من مشكاة خير الأنبياء عليه السلام ، والحكيم المطلق جلّ وعلا إنما قرر بعثة الأنبياء ، ووضع شرائعهم لتعجيز النفس الأمارة وتخريبها ، ولم يجعل تخريبها بل إصلاحها في غير متابعة الأنبياء عليهم السلام ، فمن ارتكب ألوفاً من الرياضات والمجاهدات بلا متابعة هؤلاء الأكابر لا ينقص من أمارتها مقدار شعرة ، بل تزيد في طغيانها وعنادها ، كذا في « الدرر » في ١٧٧ ج ٣ (منه رحمه الله إفلاسه) .

(٢) راجعه في ٣ وفي ١٧١ (منه) .

(٣) ومثله في « الدرر المكنونات » فراجعه من الجلد الأول (منه) .

(٤) والشيخ هو من يُري المريد طريق الحق سبحانه و تعالى كذا في « الدرر المكنونات » في ١٩٩ من الجلد الأول فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية

اعلم أنّ طرق الوصول إلى الله تعالى والفنآء به عند السادات النقشبندية ـ قدس الله أسرارهم العلية ـ أربعة :

الطريقة الأولى : وهي الأعلى ، الأقوى ، صحبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب ، المشروطة بثلاثة شروط :

الأول : أن يصحبه خدمةً له وانتساباً إليه ، وافتخاراً به وإقبالاً عليه .

الثاني : أن لا يعترض شيخه ، ولا ينكر عليه فعلاً من أفعاله مطلقاً ، ظاهراً وباطناً ، ويعدَّ خطرات وَهْمه ذنوباً يستغفر الله تعالى منها ، لأن شيخه بيد الله تعالى ، والله لا يأمر بالفحشآء ، ولكنه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره .

الثالث : أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسّال ؛ لا يخالفه في شيء مطلقاً ، ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً ، المقرونة تلك الصحبة مع الأصلين الأصيلين للطريقة ـ أعني كمال اتباع النبي ﷺ ، ومحبّة ذلك الشيخ الكامل ـ ولها آداب أخر لكن المذكور[1] منها يجرُّ غيره ، والأخلاق يجلب بعضها بعضاً ، وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله ؛ لا بواسطة شيء آخر كالخرقة

---

(١) وفي « الرشحات » في ١٩٦ قال واحد لا يطيب قلبي لأن أكون في ديار فيها سادات ، فإن حرمتهم وشرافتهم كثيرة جداً ولا أقدر أن أقوم بحق تعظيمهم ثم قال : قام الإمام الأعظم رضي الله عنه يوماً في أثناء مجلس درسه على قدميه مرات ولم يعلم أحد سبب قيامه ، فسأله عن ذلك واحد تلامذته ، فقال إنّ طفلاً من السادات العلوية يلعب في صحن المدرسة مع الأطفال وكلّما يجيء في مقابلة الباب ويقع عليه نظرى أقوم تعظيماً له . انتهى . راجعه (منه) .

أو الذكر ، فإنّ شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ، ثم يصل إلى المريد . وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه ! فهما شيخان مجازاً وهوشيخٌ حقيقة ؛ لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد .

قال العارف عبد الغني النابلسي ـ قدس سره ـ في شرح ابن الفارض . ما يتخيَّله السالك من معاني تجليّات الحضرة الإلهيّة ـ وقت حضوره معها بها لا بنفسه ـ إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجُّه الرباني والإمداد الرحماني ، فتارةً يأتي بالإلقآء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال ، وتارةً يأتي بتقرير العبارات وتبيين الإشارات ، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة ، وشرطها كمال الصدق من الطرفين فيسري الحال الصادق بأمر الله تعالى في المريد الصادق ، وتارةً بنظر الشيخ الصادق من قوله ﷺ حكاية عن ربّه : « كنت بصره الذي يبصرُ به » في الحديث المشروط بالتقرب بالنوافل ، وتارةً بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله ﷺ في الحديث : « إذا رُأوا ذُكِرَ اللهُ » وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبُطْء ، والإخلاص في الخدمة ، والأدب مع المشائخ وحفظ حرمتهم غيْبَةً وحضوراً . انتهى « البهجة السنية » ٣٩ .

ثم اعلم أن الصحبة في جميع الطرق العلية سببٌ مستقل في الإيصال إلى المرتبة ، لأن مَدار الوصول في الطريق كلها صحبة المشائخ الكاملين[1] ، ونصيحة المرشدين الواصلين ، لأن الشيخ الكامل

(١) كما قالوا : لا يمكن المريد الصادق الوصول الا بشيخ كامل المتخلق بأخلاق الله ، متصف بأوصافه ينفذ أمره ويسوس خلقه ويدبر أمرهم ، فيلزم الحضور معه ، ولا يفارقه الا بأذنه . فإن قلبه حضرة الله ، وحواسُّه أبوابها ،فمن تقرّب منه فتحها ، ولا تردّ له دعوة عند الله ، لأنّ من أرضاه أرضى معروفه ،ومن أغضبه أغضب معروفه ؛ كما جاء في الحديث : « إن الله تعالى يرضى لرضا عمر ، ويغضب لغضبه » فكيف يشتغل عن دلالة وصفها الحق لنفسه ببيت وضعه لخلقه ؟ ! وكيف يفارقه لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة السلام التي هي دونه ؟ ! فالسير إليه قدماً أحسن من مائة فرسخ لغيره ، إذ هو المحبوب الذي قال فيه=

يوصل المريد الصادق بصحبةٍ واحدةٍ إلى درجة الكمال ، ويكشف له أنوار الجمال والجلال ، يظهر له أسرار مقامات الوصال ؛ من غير احتياج إلى مداومة الذكر ومباشرة الرياضة وكثرة الأعمال ، **فبالجملة** إن للصحبة فوائدُ كثيرةٌ لا يمكن إحصاؤها بالتفصيل والإجمال ؛ لأن أحكام النبوّة وأسرار الولاية وآداب العبوديّة والكمالات الإنسانيّة كلّها إنّما تستفاد من صحبة أهل الكمال ، والمقامات بأرباب المقامات والأحوال ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كَشْف الأسرار وإفاضة الأحوال وإعطآء الكمال أن يجعل صُحْبة العارفين وسيلة إليها ، وألْسنة الواصلين واسطة لها ، ألا ترى أن النبي ﷺ مع كونه عند الله أقرب المقرَّبين وأكرم المكرَّمين إنّما اتّصف بأحكام النبوّة ، وتحقَّق بآداب العبوديَّة ، وتجمَّل بالكمالات الإنسانيّة ، بصحبة جبرائيل عليه السلام في ثلاثة وعشرين سنة ! وأنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع كونهم أكثر الناس فطانةً ، وأوفر الخلق ذكاءً ، إنما اكتسبوا أحكام الشريعة ، وآداب الطريقة وأسرار الحقيقة بصحبة

=الرسول ﷺ حكاية عن ربه عز وجل « فإذا أحببته كنت سمعه » الخ . فعليه أن يعرف قيمة الشيخ ؛ ليكون عزيزاً مثله وإذا أفشا سره كان معكوساً رجيماً . فمن جعلت له الرحمة في قلب الشيخ لم يحتج إلى معالجة الخلوة والأوراد . فإذا كان المريد لا يمكنه الاجتماع بالشيخ أو إخباره بوقائعه فليتوجه إليه بالقلب ، لأن الأرواح يستوي عندها جميع الأمكنة ، ولايكون بُعْد المريدين من الشيخ إلا بسبب إدبار روحانيته عن التعلق بروحانية شيخه ، وعلى قدر تعلق الروحانية بالروحانية يأتي المدد بواسطة روحانية الشيخ ، فالأمر كله لله تعالى ، ولكن من سر حكمته تعالى جعل أرزاقاً جارية على أيدي خلقه ، فليكن المريد ملازماً للباب الذي رزقه الله منه وهو شيخه ، فهو باب عظيم والشيطان قاعد عليه بالمرصاد ؛ ليقطعه عليه ، كما قال الشيخ محمد البكري :

واعلم أن الشيطان إذا أحسَّ بإقبالك على من عنده وديعتك ، ولديه بغيتك يحشد أجناده ويجلب عليك ليصرفك عما يوجب إتصال نفعه إليك حسداً منه ، وأنفة من أن يصل أحد إلى الحق ويأخذ عنه . انتهى كذا في « عقد اليواقيت الجوهرية » في ٦١ من الجزء الأول . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

النبي ﷺ ! فلذلك نسبوا إلى الصحبة ، فالصحبة عند الصوفية من جملة الفرائض ، **لأن علم التصوف إنما يكتسب من صحبة المشائخ الكاملين ؛ لا من مطالعة الكتب والأسفار ! ولا من الرياضات في الليل والنهار** . لأن مطالعة الكتب لا تفيد في ذلك العلم إلا الاطّلاع[١] على مناقب العارفين وأحوالهم ومحافظة العبارات وحكايتها ، وأنّ الرياضات من غير صحبة المشائخ وتربيةِ الكاملين لا تورث إلا الوسوسة والجزبرة ، والتلوين والزبزبة ، **فما يجد السالك في صحبة الشيخ الكامل في لحظة واحدة لا يجده في مطالعة ألف كتاب ، ولا رياضات ألف سنة** ، لأن الشيخ الكامل يتصرّف في المريد بصحبةٍ[٢] واحدة ، ويوصله إلى مرتبة المشاهدة التي لا يمكن الوصول إليها بوجه من الوجوه من غير صحبة ، ولا سيّما الصحبة في الطريقة النقشبنديّة[٣] لأن نسبتها العليّة بمجرّد الصحبة ، لأن أبا بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ لما صحب النبيّ ﷺ في غار الهجرة تلقّاها[٤] عنه ﷺ هناك بالصحبة ، فلذلك كانت الصحبة في هذه الطريقة العلية أفيد من جميع طرق الوصول .

قال خواجه بهاء الملة والدين قدس سره العزيز : طريقتنا الصحبة ؛ والخيرُ في الجمعيّة انتهى . سلسلة الخواجكان .

---

(١) وسمعت شيخنا قدس سره يقول : ـ إذا سئل هل يكتب كتاب « تصديق المعارف » أم لا ؟ ـ وصول الأحوال (أي حصولها ووجدانها في النفس خير من الخ) خير من علم الأحوال . وهو كلام نفيس ، غوره بعيد . فجزاه الله عني خيراً ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فكل صحبة عند هؤلاء الطائفة تعدل أربعينا واحداً . انتهى . من « النفائس السانحات » .

(٣) فإن توجههم الواحد يعمل عمل مائة من الأربعين ، و التفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين ، كذا قال الإمام الرباني في « المكتوبات » وفيه أيضاً . ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين ، كذا في « الدررالمكنونات » في ٦٦ من الجزء الثاني (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) وروي : « ما صب الله تعالى في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » انتهى .

وفيه : **ثم اعلم** أن العارفين المسلكين قد أجْمعوا على أن المريد الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ الكامل بالانقياد والتسليم انطبع باطنه بأنوار باطن الشيخ الكامل في أوّل قدومه فيها ، فلا يعود إلى حالته الأولى ، فمَنْ دخل في صحبة الشيخ ولم ينطبع باطنه بأنواره ، ولم يحصل فيه حالٌ من أحواله ، ولم تندفع عنه الخواطر الكونيّة ، ولم يتلطف الكثافة العُنْصُريّة ، ولم يعلم أنه من أرباب الحال ، ولم يبلغ مبلغ الرجال ، فليترك صحبته ، لأنّ صحبة الناقص تقطع السالك عن السلوك ، وتؤخّره عن الصعود ، لأن القلوب تأخذ حَظها من الصحبة ؛ سواء كانت صحبة الناقصين أو صحبة الكاملين[1] ، وسواء قصدوا ذلك أو لم يقصدوا ، فلذلك كانت صحبة الأغيار عند الصوفية من المحظورات .

قال مالك بن دينار : صحبة الكلب أحبّ إليَّ من صحبة الرجل السوء ، لأن صحبته تنسي الحق ، ومجالسته تميت القلوب . انتهى .

وقال سيدي الشيخ محمد مظهر روّح الله روحه ونوّر ضريحه : ولا يصحب الأغيار ، وهم الذين لا يعتقدون في مشائخ الطريقة ، خصوصاً مع من يتكلَّم في شيخه ، أو لا يحبّه ، أو يكون الشيخ مُعرضاً عنه ، فإن المجالسة معهم سَمٌّ قاتل ، فليجتنب ذلك أشدّ الاجتناب . انتهى « النفائس السانحات » لمحمد مراد القزاني قدس سره .

وفيه : وأما العزلة عن الناس فليس ذلك بشرط في الطريقة النقشبندية إلاّ عن الأغيار ، فهو[2] من أهمّ المهمّات بإجماع المشائخ انتهى .

---

(١) ومما ينبغي أن يعلم أن الانتفاع من الشيخ إنما يحصل لمن صدق في إرادته ، واستولى على قلبه قوة حبه ؛ وأما من تكون نيته في صحبته والاختلاط به فاسدة غير صادقة ، فيحرم من النفع بصحبته ، ويخيب من بركته ، راجع « عقد اليواقيت » في ٥٨ من الجزء الأول (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) أي العزلة عن الأغيار انتهى .

وفيه ولا يقال : إن بنآء طريقة هؤلاء الأكابر **على الخلوة في الجلوة لأن تلك الخلوة ليست مع كل أحد بل مع المرشد والإخوان انتهى .**

وفي « الباقيات الصالحات » رشحة قال : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة ، في بداية حالهم سببٌ لِفُتور عظيم في النسبة ، ولو كانوا من أهل الزهد والتقوى ! وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفاء والنورانية ، ولكن لمّا كان الغالب على أهلهما نسبتهما ، تحصل تلك النسبة في صُحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة ـ التي هي فوق جميع النسب ـ فإنّ الحكم للغالب ، فإن كان حال صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك ، فما ظنُّك في تأثير صحبة الأشقيآء والأجانب ! وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية ! انتهى ٢٠٠ .

وفيه في ١٩٠ أيضاً : الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة . انتهى .

وفي « النفائس السانحات » في ١٠٦ : إنّ صحبة الأغنيآء وأرباب التنعّم سمٌّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجُبُ الظلمانية الكثيفة على وجه القلب . انتهى .

وفي « النصائح الولديّة » للغزالي قدس سره : ويحترز من مجالسة الصاحب السوء ليقصر[١] ولاية[٢] شياطين الجن والإنس من صحْن قلبه . انتهى . وهم[٣] الفسّاق والأشقياء بل مطلق أبناء الدنيا . خادمي ١٠٥ .

---

(١) أي يزول وينعدم « خادمي » .

(٢) يعني تصرف « خادمي » .

(٣) أي شياطين الإنس (منه) .

إذا وقع الصحبة مع موافق الشياطين ومُصاحبيهم ، كانت كنفس الشيطان إذْ الأشخاص الرديّة آلة الشياطين في تأثير أعمالهم في غيرهم ، وإنّ في الأفعال الخارجيّة تأثيراً قوياً في الملكات القلبيّة[١] . انتهى خادمي ١٠٥ .

وأشدّ شيء على المريد معاشرة الأضداد . انتهى « بريقة » ١٨٠ ج ٢ .

مخالطة المنكر تورث قَسْوة القلب . انتهى « متممات » .

تأثّر الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمْرٌ مقرر عند أرباب التحقيق .اهى « رشحات » ١٩١ .

وفيه أيضاً : ويبلغ تأثر الجمادات حدًّا وغايةً إن أدّى شخصٌ مثلاً الصلاة التي هي أفضل العبادات في محلٍ تأثّر من قبائح أعمال الفسّاق وأخلاقهم الغير المرضية لا تساوي قيمتها وحالها حال عمل وقيمته كان أدْوَنَ منها رُتْبة لكونه مؤدّى في موضع متأثر من جمعية أرباب الجمعية . انتهى . ١٩١ . فهذه هذه ، وقد أوردناها في هذا الموضع لكي ينتفع بها أرباب السلوك من الإخوان ، جعلنا الله تعالى وإيّاهم من المتفطنين آمين .

علامة معرفة الشيخ الكامل

فائدة : **قال تاج الدين النقشبندي** : ومن يريد أن يعرف الشيخ الكامل بالتحقيق يجلس على مقابلته ، فإن حصل له الجمعية وزال عنه التفرقة أو نقص فهو وليّ ، وإن لم يحصل له التمييز ففي وقت سكون الشيخ يجلس أيضاً مقابله متوجِّهاً إلى الباطن .

فإن نقص من الخواطر والوساوس فوليٌّ مرشد ، وإلاّ ! فيتركه[٢]

(١) بيان الملكات .

(٢) مطلب مهم : علامة معرفة الشيخ الكامل وينبغي أن يعلم أن هذه المعرفة إنما تكون=

فالشيخ هو بقوّة تصرّفه ترتفع الظلمات البشريّة عن المريد ، وتثبت أنوار الجمال الإلهيّ ، فبسببه يحصل طلب الذات الأحديّة ؛ فتحويل القلب عن الأدنى على يد الشيخ وترك الدنيا(١) على يد المريد .

وقيل : الشيخ يحيي ويميت ، انتهى . كذا في شرح الخادمي على النصائح الولدية ٩٩ .

الطريقة الثانية :

الرابطة : وهي طريقة مستقلّة للوصول ، وعبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة ، المتحقّق بالصفات الذاتيّة ، وحفظ صورته في الخيال ولو بِغَيْبَتِهِ ، فرؤيته بمقتضى (الذين إذا رُأوا ذُكر اللهُ) تحصل(٢) بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب (هم جُلساء الله تعالى) ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثِّ على الجليس الصالح . والشيخُ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب (المرء مع من أحب) ، فبحفظ الصورة يتحقّق ويتّصف المريد بأوصاف الشيخ(٣) وأحواله التي فيه . وقيل : الفناء في الشيخ مقدّمَةُ الفنآء في الله ، وإن وجدَ في إحضار الصورة سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة ، ويكون متوجّهاً إلى ذلك الحال ، كما نقل في

=بالنسبة إلى أرباب المناسبة ، والذي لا مناسبة له فهو محض محروم مطلقاً ، والخفاء إنما هو بالنسبة إلى العوام كالأنعام دون الطالبين ، والخفاء على العوام ساقط عن حيز الاعتبار . راجع « الدرر » ١١٢ . ج ١ وقلّب إلى ما مرّ قبيل الباب الثالث والعشرين تجد فيه عين ما ذكر ، (منه رحمه الله تعالى) .

(١) أي ميل قلبه إلى الدنيا بأن لا يكون قصده من سلوكه طلبها ، فافهم ! (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) ونظيره في « عقد اليواقيت » في ٦٠ من الجزء الأول فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) ومثله في « عقد اليواقيت » في صحيفة ٦٠ من الجزء الأول (منه رحمه الله تعالى)

مقامات النقشبند قدس سره : إنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة ، وكان يوماً في مجلسه متوجّهاً إلى الصورة ، فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها ؛ فقال خواجه نقشبند قدس سره :خلني وكُنْ متوجِّهاً إلى تلك الغيبة ؛ لأنّ زمان الغيبة عمّا سوى الله تعالى يسمّونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم .

وفي « المعرّبات » قال الغوث الصمداني قدس سره : ينبغي أن يعلم أنّ سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به[1] ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوّة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شاف للأمراض القلبيّة ، وتوجُّهه رافع للعلل المعنوية ، وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان ؛ الأقطاب والبُدَلاء ، بظلال مقاماته قانعون ، والأوتاد والنجبآء بقطرة من بحار كمالاته متسلون ، إرشاده مثل نور الشمس من غير قصد منه على الكل فائض فكيف إذا قصد ؟ فارتِبَاطُنا حُبِيٌّ ، ونسبتنا انعكاسيٌّ وانصباغيٌّ ، لا يتفاوت في القرب والْبُعد ، وإذا كانت الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حبّياً وانعكاسيّاً وانصباغيّاً ! فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلَوْنِهِ ، وصبغه ساعة فساعة ، ويتنوَّر بطريق الانعكاس بأنواره ؛ وفي هذه الصورة لا يشترط العلم لا في الإفادة ولا في الاستفادة ، فإنّ البطيخ ينضج بحرارة الشمس

---

(١) ورأيت في « عقد اليواقيت » ما حاصله : أن المريد يترقى بنظره إلى الشيخ ، « وأما بنظر الشيخ إليه فإنه يوصله إلى أعلى مقام لا يمكن تعبيره ؛ فراجع « عقد اليواقيت » في ٥٩ ج ١ منه رحمه الله تعالى » وتعظيمه وحسن الظن فيه من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم ، وترقيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهدته وأعماله ، فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى للانتفاع ، وأما الذي يقويه « أي الترقي » فهو أن ينظر المريد فيما يولد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية ، وبالجملة فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشّيخ وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه ، والقليل من التوجه والمجاهدة مع ذلك كثير وبالعكس حكم العكس . انتهى . فراجعه في ٦٠ ج ١ ففيه الزيادة النافعة ، (منه رحم الله إفلاسه) .

ساعة فساعة وينطبخ ، وبمرور الأيام يستوي ، وأيّ علم له بذلك ، أو أن الشمس تعرف أنها تنضجه وتطبخه .

نعم ! يشترط العلم بالسلوك ، أي الاستفادة والتسليك ، أي الإفادة الاختياري في سائر الطرق ؛ وأمّا طريقتنا الذي هو طريق الصحابة الكرام عليهم الرضوان فلا يشترط فيه العلم بالسلوك والتسليك أصلاً ؛ ولو كان الشيخ المقتدى به في هذا الطريق متصفاً بتمام العلم ، ومتحقّقاً بكمال المعرفة ، كما في سائر الطرق ، فيستوي في هذا الطريق في إفادتها الأحيآء والأموات ، وفي استفادتها الشيوخ والصبيان ، وقد تقدّم أنّه كما لا يشترط علم الوليّ بنفس ولايته لا يشترط علمه بخوارقه ، فيصلون برابطة المحبة أو بتوجّه الشيخ إلى منتهى المقاصد . وذلك فضل الله يؤتيه منْ يشاء . انتهى .

واعلم أن استحضار الرابطة على أقسام :

الأول : أن يتصوّر المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ، ثم يتوجَّه إلى روحانيّته في تلك الصورة ، ولا يزول عن التوجُّه إليها حتّى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة .

الثاني : أن يتصور صورته بين جَنْبَيْه ، ثم يتوجّه إلى روحانيّته في تلك الصورة كذلك حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة ، فبعد حُصُول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة ، وكلّما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يرجع إليه ذلك الحال ، فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ، فعند ذلك يشاهد روحانيّة الشيخ مع كمالاته في صورته ، لأن الكمالات لا تفارق الروحانيّة ، فتربِّيه روحانيّة الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى ، فيكون من

الواصلين الكاملين ، فبالرابطة يتربّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب[1] .

الثالث : أن يتخيّل صورة شيخه في جبهته ، ويقرّرها وسط الجبهة ، وهو أقوى لدفع المخيلات من القسمين اللذَيْن قبله .

الرابع : أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه ، وهو أعْون على دفع الخطرات القلبيات .

الخامس : أن يتخيّل الصورة في جبهته ، وينزل بها إلى وسط قلبه ، ويقدّر أن القلب دهليز واسعٌ ، ويقطع الخواطر جملة واحدة ، وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبُها .

السادس : أن ينفي نفسه ويُثْبت شيخه ، وهو أقوى لرفع البليّات[2]

(١) وقال سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع الله به : وينتفع المريدون بشيوخهم وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة وأسباب الاستعداد من الجانبين بصدق الودّ وشغف الحب واصلة متواصلة . وقال رضي الله عنه : وقد ينتفع المريدون بالشيوخ وإن لم يعرفوهم ويروهم بل بمجرد قوّة محبة صادقة في الله تعالى معهم وصفو عقيدة بهم وقوّة حسن ظنّ بهم . وقد يكون التعلق بشيخ كامل قد استولى على قلب المريد قوة حبه وصدق ودّه وشغف عشقته ، وكمال صفاء الاعتقاد فيه أقرب في النفع وأعمّ سراية في التفرقة والجمع . انتهى . ومن كتاب « الزهر الباسم شرح الروض السيد حاتم » للسيد الإمام عبد القادر ابن شيخ العيدروس قال : اعلم أن وجود الشيخ من منح الله تعالى على المريد وهداياه حالاً ومآلا يؤيّد به المريد إذا صدق في إرادته وبذل في المناصحة جهد استطاعته ومتى حصلت للمريد من شيخه رشحة نظره ، أسمى الله بها قدره ورفع ذكره ورفع أمره ، وإن أدرك منه دعوة صالحة صارت مطالبه ناجحة ، وتجارته في سوق الآداب رابحة ، وأنفاس العناية إليه غادية رابحة ، وريّا القبول لأعماله فاتحة ، ونسمات تكميل النفس بحسن العمل فيه نافحة . انتهى كذا في « عقد اليواقيت » في ٥٩ من الجزء الأول ، فراجعه منه (منه قدس سره) .

(٢) وكان شيخنا قدس سره يخبرني أبعاضاً من هذه الأقسام ويقول : بأيّ كيفية منها حصلت لك البركة فاستعملها . جزاه الله عنا خير الجزاء آمين (منه رحمه الله تعالى) .

*والرابطة يحصل بها زوال الغفلة ، وجمع القلب على الله ، وذهاب القسوة من القلب ، والخشوع ، ونزول الرحمة ، وكل ذلك يثمر المحبة « الرحمة الهابطة » ٢٣٢ ج ٣ من هامش « الدرر » .

ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرِّف بقوة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، فبالرابطة يستفيض الشيوخ عن الصبيان الكاملين ، ويستفيض الأحيآء عن الأموات المتصرِّفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرُّف ولاية روحانية المفيض ، وتتصرَّف فيه الروحانية ، وتفيض عليه من الكمالات الإلهيّة والتجليات الربانيّة ، وتبلغه إلى الحضرات العليّة ، سواء كان المفيض ميْتاً أو حيّاً ، وسواء عرف ذلك أو لم يعرف .

كيفية الرابطة مع الأموات

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات أن يجرِّد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ، ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعيّة ، ويعرّي قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونيّة ، ثمّ يتصوّر روحانيّة ذلك الميّت نوراً مجرَّداً عن الكيفيات المحسوسة ، ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيضٌ من فيوضات ذلك الميّت ، أو حال من أحواله ، لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات ، فمن أدخل المنبعَ في قلبه ينال فيضُه البتّة . وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت ! فلا بدّ أن يسلّم على صاحب ذلك القبر ، ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ، ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرّته ، ويطرق رأسه على صدره ، ثم يقرأ سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ، وآية الكرسي مرة ، ويهبُ ثوابها لذلك الميت ، ثم يجلس عنده ويتوجّه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة كذلك ؛ لقوله ﷺ : « إذا تحيّرْتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » فمن توجَّه من محلِّه إلى روحانية

---

* وقال الشعراني ! لاستناده إلى الله لا لذاته الخ ؛ منه ٢٦٧ (منه رحمه الله تعالى) .

النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورّة يستفيض منه ، وكذلك إذا توجَّه أحدٌ من محلِّه إلى روحانية الأوليآء في قبورهم ينتفع بهم .

فالرابطة من غير توجُّه كافية في الاستفاضة ، ثم إذا اجتمعت الرابطة مع التوجُّه فنور على نور ، لكنّ المدار على قوّة الرابطة ، فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريق وكمالات الحقيقة ، ومَنْ اختلت رابطته انقطعت استفاضته ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهرْ له أسرار الوصول(١) .

مهم

آداب الرابطة

وأما آداب الرابطة: فهي أن يعتقد المريد أنّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيّته ، وأنّ روحانيّته ليست مقيّدة بمكان دون مكان ، **ففي أيّ مكان يتصوره تحضر فيه روحانيته** ، وأن يعتقد أن تصرّف روحانيّة الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى ، وأن يحفظ محبَّة شيخه ، وأن يراعي نسبته في كل حال ، وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال ، لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ، لأنّه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إنْ لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة ، فإن قدر عليها يجب عليه أن يترك الرابطة ، لأنّ الاشتغال بالرابطة حينئذ اعتبار التنزّل عن الترقي ،

---

(١) وفي « الرسالة القدسية » وإن لم يفعل المريد الرابطة لا يحصل له الفنآء أبداً ، ولا يتجلى له الصفات والشؤون . اهى . راجعه ٧٤ .

* والذكر المخصوص بمحل يرجح على الذكر الذي لم يختص ، وإن كان أفضل ! قياساً على ما قالوه في أذكار الصلاة . « ميزان » (منه رحمه الله تعالى) .

وترجيح مرْتبة الحجاب على مقام الشهود ، وذلك إعراض عن الله تعالى ، ولكن لا يترك محبة الشيخ ولا يترك نسبته ، لأن حفظ المحبة والنسبة يزيد المشاهدة ، ويقرّب إلى مقام الأنس والمحادثة . انتهى « البهجة السنية » ٤٠ .

قال شيخنا ومولانا الحاج عبد الرحمن العسلي ـ قدّس سره ـ : إذا فني السالك في النبي عليه السلام يترك الرابطة . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يحكي عن شيخه قطب الأولياء الحاج جبرائيل أفندي ، وهو عن شيخه قطب الأقطاب محمود أفندي ـ قدس الله أسرارهم ـ أنّه قال : لو رابط إليَّ السالك متوجّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يَطيق الشيطان أن يدخل ما بين السالك وما بينهما ، ولو دخل لاحترق . انتهى فهو قول مهمّ فللّه الحمد والمنة .

مهم

فما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفة ، ومتى غفل عن ذلك جاءته الآفات من كلّ جانب . كذا في « لواقح الأنوار » ، **فالواجب على المريد اعتقاد وصول الفيض الإلهي بواسطة الشيخ المرابَطِ ، لأن المَدارَ على حسن ظنّ المريد**[١] واعتقادِه ، لا على الشيخ . وإذا استمرّ توجّه قلب المريد إلى الله تعالى في كلّ حركة وسكونٍ من غير علّة فبابُ الفتح مفتوح ولابدّ ، وما دام العبد متوجّهاً فالمدد فيّاض على قلب من أريد له الكمال . كذا في « درر الغواص » **فإن ظن المريد بشيخه أنّه يحميه من إبليس بنظره حماه** ، وإن ظن أنّه لا يقدر على حمايته ، فلا يصحّ له حماية ، ولذا يأمر الشيخ مريديه أن

(١) وهو مستنبط من الحديث القدسي :« أنا عند ظن عبدي بي » انتهى . فافهم ! (منه رحمه الله تعالى) .

لا يغفلوا عن شهود كونه معهُمْ ؛ ونظيره في « لواقح الأنوار » .

قال العارف عبد العزيز الدباغ ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض المريدين ما حاصله : إنّ أكبر الكبائر في حقك أنْ تمرّ عليك ساعة ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك . انتهى . كذا في « الإبريز » .

وفي « الرسالة القدسية » ما معناه هذا : أن هذه النسبة لا تحصل إلاّ لمَنْ فعل الرابطة بمن فني في الذات ، يعني في ذات الله . انتهى .

وفيه أيضاً : أن إبليس اللعين لا يقدر أن يتصوّر بصورته ، ولا يقرب إليه ، وإن قرب يحترق بنوره . انتهى . راجعه من صفحة ٧٤٤ .

وفيه أيضاً : إذا رأى المريد في الوليّ الكمال يفتح الله له باب التصرّف منه ، ويربِّي روحه بروحه ، سوآء علم المريد أو لم يعلم . انتهى ٦٩ .

وفيه أيضاً في ٧١ : **إذا رأى المريد الكمال في المرشد لا يكون عند المريد مكان خالي من نوره وفيضه** . انتهى .

وقد سمعت شيخنا ـ قدس سره ـ يقول : إنّ الحاج جبرائيل أفندي قال : إنْ رابطتَ الشيخ محمودَ الفعال ـ قدس سره ـ حينَ اجتمعْتَ البناتِ والنسآء ولاقيتَهُنَّ لا تشتهي أنْ تنظُرَ إليهنَّ ، كما لا تشتهي أنْ تنظر إلى السلداة الكافر انتهى ، فلقد جرّبْتُه مراراً بعد ما سمعته يحكي هذا الكلام فوجدتُهُ كما قال . فالحمد لله رب العالمين .

وحكمة ذلك أنّ المريد إذا رابط قلبه بشيخه وتخيّلَ صورتَه بين عينيه يحضر روحانيّة الشيخ عنده أسرع من لمح[1] البَصَر ، فيسْعَى في

(١) قال الشيخ خالد في « رسالة الأواب » فحضوره بحضور قلب المريد أسرع من لمح البصر ، راجعه (منه) .

حماية المريد[1] ويتصرّف فيه بما يريد ، ويبعد عنه الشيطان ، فيكون محفوظاً منه ، فإنّ الشيخ الكامل يكون في حضرة الله ، ولا يَدْنُونّ الشيطان إلى مَنْ دخل في تلك الحضرة ، وهو للمريد كالرقيب الحافظ الحاضر ، متى كان لم يخرجه من الخاطر ، واعتقد أنه في حصن حمايته حاصر فافهم! والله أعلم ، وسيأتي الكلام في الرابطة إن شاء الله تعالى ؛

مهمة

يقع السؤال بين الإخوان : إذا كان رجال كثيرون يرابطون روحانية الشيخ في آنٍ واحد في أطرافٍ متفرقة ، فكيف يكون بين أيديهم في تلك الحالة ؟

فنقول : فإن الروحانية نور منبسط ، فجميع المخلوقات فيه كذرّة واحدة تحت الشمس ، فإذا دعاه ألفُ ألف رجل من أطراف الدنيا يحضرهم في لحظة واحدة[2] . كذا في « مشارق الأنوار » .

وفي « الرسالة القدسية » : يمكن للوليّ أن يعلم[3] ويتوجّه في ساعة ولحظة إلى أحوال السالكين ، ولو كانوا ألفاً ومأتين [4] ويجيب لهم في القبر في تلك الساعة . انتهى ٧٢ .

---

(١) أي يتصرف بهمته إلى الله تعالى ، ويكون ذلك سبباً بإذن الله تعالى . فافهم (منه) .

(٢) قال الإمام الأردبيلي في رسالته المكية : فصل : على المريد أن يتيقّن أن روحانية الشيخ غير متحيِّزة بموضع دون موضع ، وكل ما لا يكون متحيِّزا استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أي موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ ، وإن كانت تفارقه شخصيّتها ! والبعد إنما يتعلق بالمريد ، فإذا تذكَّر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه ، فتعلق به قلبه ، فاستفاد منه . ونقله صاحب « نور الهداية » وصاحب « الرحمة الهابطة » فراجعهما (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) قوله (أن يعلم) كذا في النسخة التي نقلناه عنه ولعل فيه سقطاً . فتدبره ! (منه رحمه الله) .

(٤) وذلك أن الروح تدرك الأشياء جملة في آن واحد . كذا قال الشعراني في « لطائف المنن » فراجعه في ١١٨ ج ١ (منه رحم الله إفلاسه) .

ونقل الشيخ سليمان الزهدي في « تبصرة الفاصلين » من كتاب « نفحات القرب والاتصال » ما خلاصته : أن الأولياّء يظهرون في صورة متعدّدة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم . انتهى ١٢ .

وفيه : أن الروح الكلية تظهر بسبعين ألف صورة في دار الدنيا ، ففي البرزخ من باب أولى ! لأن الروح فيه أقوى وأكثر استقلالاً بسبب المفارقة من البدن . انتهى ١٢ .

الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقنه الشيخ من الأذكار ، وهو طريق مستقلّ للوصول . انتهى « البهجة » .

اعلم : أن الذكر المعنعن في الطريقة النقشبندية **نوعان** : اسم الذات ، والنفي والإثبات فإن كان المريد من أهل الجذبة ! فيلقّنه الشيخ اسم الذات ثم النفي والإثبات بحبس النفس ، وإن لم يكن المريد من أهل الجذبة ! فيُلقنه الشيخ بذكر النفي والإثبات بغير حبس النفس ، فيذكر المريد كذلك حتى تحصل له الجذبة ، ثم يلقنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس النفس ؛ هذا مَسْلَكُ أكثر المشائخ النقشبندية .

وأما مسلك بعضٍ منهم فهو أن يلقنوا المريد النفي والإثبات بحبس النفس في أوّل الأمْرِ ، ويسلكونهم بذلك حتى يُوصلوهم به إلى الله تعالى ، وكلاهما طريقة واحدة ، لكن اختلفت وُجُوههما . كذا في « سلسلة الخواجكان » في الباب الأول .

وأما ما اختاره الإمام الرباني آخراً : أن يلقّن اسم الذات من غير فرق بين مريد ومريد . كذا في « تبصرة المرشدين » ؛ وعليه عمل مشائخنا قدس الله أسرارهم العليّة .

وكِلا الذكريْن على التلقينات المذكورات بالقلب لا باللسان كما هو

مذكور في« سلسلة الذهب » و« المتممات » وليس في هذا الطريق ذكر اللسان[1] وكذا الجهر ممنوع فيه . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٤ ج ٢ .

اللهمَّ نعم إنّ الشيخ محمود الأنجير فغنوي قدس سره قد عدل إلى الذكر الجهري منذ مرض أستاذه بمقتضى وقت الخلق ، ومصلحة حال الطالبين ، واستمر عليه بعد انتقاله ، فسأله واحد من كبار علماء الظاهر : ماذا ينوي بذكر الجهر ؟ فقال له : إيقاظ النائم ، وتنبيه الغافل ، ليتوجه إلى الله ، ويقبل على الطريقة ، ويخلص التوبة إلى الله . فقال له : إن نيَّتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر . وطلب منه أيضاً أن يبيِّن له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المُحِقُّ من المبطل ، فقال قدس سره من وجدتم لسانه مُطهَّراً من الكذب والغيبة ، وجوفه منزهاً عن الحرام والشبهة ، وقلبه مزكًّى من الرياء والسمعة ، وسرَّه مبرأاً من التوجه للأغيار فهو المحق ؛ وذكر العلانية مسلّم له .

ومن زمنه قدس سره إلى زمن الشيخ أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر ، أي : وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية . فلما ظهر الشيخ محمد نقشبند قدس سره اقتصر على الذكر الخفيّ ؛ أخذاً للعزيمة ، واجتناباً عن الرخصة ، وذلك بأمر من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سره .

وحين شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهري كان قدس سره يخرج ويقوم من بينهم ، وكان الأصحاب يثقل عليهم ذلك . لكن أوصى الأمير كلال في مرض موته لجميع أصحابه ومريديه باتِّباعه فقالوا : إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟ فقال : إنّ كل ما أعطاه الله تعالى فيه حكمة فلا تخالفوه . وبعد ذلك تركوا

---

(١) إلى أن يصل المريد إلى المراقبة .

الذكر الجهري ولو بالاجتماع ، واستمروا على ماهو الأصل في هذه الطريقة الصديقية . راجع « الحدائق الوردية » في ١١٩ وفي ١٢٨ و« البهجة السنية » في ٦٢ ، و« رشحات » في ٣٦ وفي ٥٠ ، وفي « الحدائق الوردية » في ١٣٣ .

إنّ الإمام النقشبند قدّس سره قال لحضرة علي الراميتني : طريقان في الذكر ، سرٌّ وجهر ، فاخترت منهما السرَّ لأنّه أقوى . انتهى .

فليتدبّره المخالفون لهذه الأصول والأوضاع ؛ القائلون بأنه لا يجوز تلقين الذكر الخفيّ لأهل الداغستان ، بل هو حرام لمن له نفس أمارةٌ مع أنه عكس النقل وخلاف العقل ، فإنّ من كانت له نفسٌ أمارة منغمسٌ في الحظوظات ، ومُتزيِّنٌ بالمراآت ، ولا قصد له سوى الرؤية والسمعة ، فإذا أخذ هذا الشخصُ الذكر الجهريّ ممّنْ يزعم أنّه شيخ ، ولقّن له ذلك الذكر[1] وحثه عليه ، فلا شكَّ أنّه لم ينصحه ، بل ألقاه في قَعْرِ المهلكة ، وزاده مرضاً على مرض ، فصار غَشَّاشاً لذلك المريد ، مع أنّ ماهيّة الشيخ أنّه العارف بالطب الروحاني ، الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضِها وأدْويتها وكيفية صحّتها واعتدالها ، القادر على الإرشاد ، ومع أنّ مراد جميع الداعين إلى الله تعالى من تسليكهم الناس في الطريقة أن يحملوهم إلى مقام الإخلاص لا غير ، هذا .

مهمة : ينبغي أن يعلم أن العلة في تفضيل الذكر الخفيّ عند مَنْ يَقول به : هي خلوصه عن الرياء والسُمْعَة . وفي تفضيل الذكر الجهريّ عند من يقول به : أنّه من الأعمال المتعدّية[2] فالحقُّ الذي ظهر من

(١) أي : الذي ليس له نور ، كعدم كون ملقنه شيخاً مأذوناً . فافهم (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وأنه يدفع به الكسل والفتور ، ويذهب النوم والسنة من أرباب القصور ، كما هو مذكور في كتبهم (منه رحمه الله تعالى) .

كلام الأكابر ، أنّ الذكر الجهريّ يفضل لو صدر ممّن يذكر لمجرّد وجه الله تعالى ؛ غير مشوب بشوائب الأغراض والأعواض والحظوظات النَفسَانيّة ، فان منفعَته حينئذ تتعدّى ، ولو صدر ممّن سُدَاهُ ولحْمَتُه أنانيّة ، وقصْدُه وغرضه[١] شهرةٌ وسُمْعةٌ ، وهو مقيّد في سِجْن نفسه الأمارة بالسوء ! فلا ثواب فيه أصلاً ، فكيف يفضل على الذكر الخفيّ ؟ ولا تتعدّى منفعته ، لأنّ الانتفاع والتأثير للغير بحسب الذاكر[٢] فلو صدر من مخلص ينفع بسماعه غيره ويتأثّر ، وإلاّ فلا ! بل يكون الذكر والسماع كالضرب على الحديد ، فافهمه فإنه نفيس . فحاصل ما مرّ أن السالك لا يخلص لله سبحانه في العبادة[٣] إلا إذا وصل إلى مقام يشهد فيه **أن لا فاعل ولامحرك إلا الله** . فالذكر الجهريّ لمن لم يصل إلى ذلك المقام مشوب بالحظوظات . وفي ذلك قال العالم العارف[٤] الشيخ صهيب الشالي النقشبندي في منظوماته :

ومن عجيب ما بَدا في العَالم ... ما يفتريه جَاهل كعالم
بمنعه الذكرَ الخفيَّ شرعاً ... يفضِّل الجَهْرَ عليه قطعاً
مُغمِّضاً عينَيْه عن تفصيل ... حكاه في ذاك ذُوا التحصيل
وذاك أن السرّ والإخفاء ... عند الأذى أو خوفه الرياء
والجهرُ بهْ ورفعُ صَوْته إذا ... لم يخَفِ الرياءَ وانتفَى الأذَى
وعدمُ الخوف مِنَ الرياءِ ... ما نالهُ الذاكِرُ بِادِّعَآءِ
وإنما يَسْعد بِالزَوَال ... من بلغ التوحيدَ في الأفعال

---

(١) بذلك الذكر (منه) .
(٢) أي بحسب ما عليه حال السالك من الإخلاص والرياء فافهم .
(٣) بالتمام (منه رحمه الله تعالى) .
(٤) فلو تتبعت وتفحصت وجدت النقول والمآخذ لجميع ما قاله هذا العالم بتمامها في الكتاب (منه رحمه الله تعالى) .

ولا يكـــون ذا لـــغير سالكٍ   عـــلى يـــد الـــشيخ الوَفيِّ نَاسِكٍ
وصـدقُهُ بِفَقْدِ غَـضْبِ ضَـاربٍ[1]   وســـارق لـــماله وناهـــبٍ
وأن يـــرى ذلِـــكَ مـــثل آلَةٍ   كـــالسَيْفِ والسَـوْطِ بكَشْفِ حَالةٍ
وذا غــــدَا[2] فـــي دارنا عـــزيزا   وإن يـك الـــقولُ بـــه غَرِيزاً[3]
ونفْيُ أجـرِ غــير مُسْمِــعِ النَفَسْ   وهـــو الذِي اغترّ به أهْل اللبس
فـــفي الذي بـــلَفْـظِـه تُـعُبِّداً   مـــن كـــلّ ذكرٍ خُصِّصاً وقُيِّدا
مُـــقيَّدٌ بنـــفي أجـــر اللـــفظِ   مـــؤيَّد بِـجَـزْلِ أجْـــرِ اللَحْظِ
وَمَا علـــى تاركِ فَـرْدِ الجَهْرِ   بأخْــذِ سَـــبْعِينَ بِـــذِكْرِ السِرِّ
هذا الّذي ذكــرتُهُ فـــي المَسْألَة   أقـــوالُ أهْـــلِ الفقه فيها مُجْمَلَةْ
أما الشيُــوخ كـــان مِنْهُمْ دَأْباً   تَلْقِـــينُهُـــمْ ذكـــراً خـــفِياً قَلْباً
لكـــل عَاصٍ تَائِبٍ مِـــن العَوَام   من غَيْرِ تحريك اللسان في الدوام
عن خضر الـــنبيّ أصْله بَدَى   لهـــم أئمّـــــة الهدى به اقْتَدَى
فَإنْ بـــسرٍّ بالفنـــــاء كُـمِّلا   قالـــوا لـــه ذكر اللسانِ قَبْلُ[4] لاَ
ومـــن هُنَا عَلِـمْتَ أن الضُعَفَاء   يُـــخْفُـــون وَالْـجَهْرُ بِه للأقويَاءْ
وإن أهْـــلَ دارِنـــا جـــميعاً   مـــن ضـــعَفَاءِ الناس كن سميعاً
يَلْزَمُـــهم فـــي جَـهْرِهم رِيَاءُ   فـــواجـــبٌ علـــيهمُ الإخْفَآءُ

---

(١) راجع « المنن » و« الإبريز » و« هداية البدية » (منه رحم الله إفلاسه) .
(٢) أي صار .
(٣) أي كثيرا .
(٤) يعني والله أعلم ، إن كمل على يد شيخ باتيان الذكر السريّ حتى يحصل له الفناء ويتشرف بوصوله إلى مقام لا فاعل ولا محرك إلا الله قالوا ذكر اللسان له أولى ، لا مطلقاً ، كذا قال العالم أصحابْ علي القحي .

فقَــائِلٌ بعكــس هذا مُنْعَكس   مُـــنَــابِذٌ للشرع تابـــعُ النـفس
مــخـــالِفٌ للعــلمـــاء القَـادةِ   ومُـــنْكِـــرٌ عـــلى الشيوخ السَادَةِ
ورَاكِـــبٌ بالجَـــهْل مَتْنَ عَمْيَاء   وخابــطٌ[1] بـــالوَهْم خَبْطَ[2] عَشْوَاء
فقـــوْلُهُ وَالفِـعْلُ في اختِلالٍ   وحَـــالُهُ خَـلَتْ عَـــنِ اعْـــتدالِ
فـــلا اعْــتِـدَادَ بِهْ فإنّهُ الْتَوَى   عـــن الـيَقِينِ مَالَ واقْتَـفَى الهَوَى
وإن يَــكُــنْ عـند العَوَام بحراً   غَـدَا لــدى الخـواصِ وغْداً غَمْراً
فإن بَدَى لـــه دليلٌ ذو ثبُوت   ولـــو وَهَى كمثـل بيت العَنْكَبُوت
فَلْيكْتُبَنْ إلى أئـــمّـة الهُـــدَى   لِيَنْظـروا هَـــلْ ذا هُدًى أم الرَدَى
وإن خَـلاَ عن الهُدى ولَنْ يَرَى   فـــلا يَغُرَّنَّ العَـــوَامَ فـــي الـقُرَى
وَلْيَسْكُتَنْ عن ذِكْرِ عِلْمٍ كَالْحِمَــار   وليَشْتغِـــلْ عَـــنْهُ بلـــعبة القِمَار
من عُلَمَــاءِ الجَـبَلِ المَشْـــهُورِ[3]   وَالنظـــم مـــن حسان ذِي القُصُورِ
زَجْــراً لـــكُلِّ مُـنْكـرِ السدَادِ   وَتُــحْفَـــةً لِطَـــالـــب الرَشَادِ

انتهى .

قال الشيخ محمد مراد في « النفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » فذكر اسم الذات هو الاشتغال بذكر لفظة الجلالة الله من اللطائف السبعة على الترتيب المعهود عندهم ،

فأوّلها : لطيفة القلب ؛ وهي لطيفة ربّانية مودعة في الجانب الأيسر ؛ مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، ونسبتها

(١) أي على ظهر الناقة العمياء .
(٢) أي كما يخبط الناقة التي لا تبصر بالليل كذا فسّره أصحابْ علي القحيّ .
(٣) أي بالعلم والصواب .

إلى القلب الجسمانيّ الصنوبري الشكل الموجود في جميع الحيوانات نسبة الصبيّ إلى المَهْد ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان عند الأكثر ، **وتسمّى حقيقة جامعة** ، وتسمّيها الحكماء بالنفس الناطقة ، ويسميها بعضهم لطيفة إنسانيّة .

وكيفيّة الاشتغال بالذكر منها : أن يخلي القلب عن الخواطر وحديث النفس ، بل عن جميع ما سوى(١) الله تعالى بقدر الإمكان بعد تقديم الرابطة ، ويقول بلسان الخيال من هذا المحلّ (الله الله) ملاحظاً(٢) مفهومه بأنّه ذات موصوفة بجميع صفات الكمال ، ومنزّهة عن سمة النقصان والزوال ، كما آمنّا به وصدّقناه ، من غير أن يتصوّر صورة قلبه ، وبلا حبس نَفَسه ، بل يترك نَفَسَهُ على حاله ، ولا يلاحظ صفة من صفاته سبحانه وتعالى لئلا ينزل عن ذروة الذات إلى واد الصفات ، فإنّ مطمح نظر هذه الطائفة العلية هو أحديّة الذات دون الأسمآء والصفات ، بخلاف سائر الطرق .

ولا يحرّك رأسه وسائر أعضائه باختياره ، **ولا بدّ من توجّه السالك إلى قلبه بكليّته ، وبقلبه إلى الله تعالى في جميع أنواع الذكر ، فإن حصول النسبة بدون هذين الأمرين محالٌ** ، ويقال لهذا : **الوقوف**

---

(١) ويشخص قبالة قلبه صورة الشيخ انتهى . « المناقب الأحمدية » ١٩٤ .

(٢) قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : واعلم أن أوّل صيغ الذكر لفظة (الله) عند النقشبنديّة مع ملاحظة المعنى وقول (لا إله إلا الله) عند الشاذليّة ، وهما والاستغفار والصلاة عند سائر الطرق بحضور تام وأدب . ومعنى لفظة الله ؛ أي : الله مقصودي أو مطلوبي أو محبوبي أو يا الله أنت مقصودي أو الله لا شريك له أو الله هو مقصودي أو هو موجود أو معبود أو أنت الله لا غيره أو لا غيرك . والأصح عند النقشبندية لا تركيب له بل يقول الله ويلاحظ بَحْت الذات بلا تركيب ولا معناه ، ومآله ليس كمثله شيء وهو السميع العليم كذا في « جامع الاصول » في ١٦ فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .
وقال الرملي في « الفتاوى » : بأنه لا يسمّى ذكرًا عرفًا لعدم إفادته ، لكنه يثاب لقصد الذكر . فراجعه في ٣٥٧ من هامش « الفتاوي الكبرى » لابن حجر من الجلد الرابع (منه خطه) .

القلبي . ويداوم على الذكر على هذا الوجه إلى أن تجري لطيفة قلبه بالذكر ؛ بمعنى[1] إنه متى توجّه إلى قلبه تجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنه تحصل له الحركة ! فأن ذلك ليس بلازم ولا مستحيل[2] الحصول .

والعمدة في كل الأذكار هي الوقوف القلبي ، وتعيين **العدد** ليس بشرط[3] ؛ فإنّ **ذلك** لم يرد عن المتقدّمين ، بل اللازم استغراق الأوقات بالذكر ، والمداومة عليه آناء الليل والنهار ، **ولكن لما رأى مشائخنا المتأخرون تقاعد الهمم وتكاسل المريدين عن المداومة تداركوا ذلك بتعيين العدد** ، واختلفوا في مقداره ، فمنهم من كلّف بالكثير من غير فرق بين مستعدّ وغيره ، ومنهم مَنْ تمسّك بقول النبيّ ﷺ على ما في

---

(١) معنى جريان الذكر من القلب : وقال محمد مظهر المدني قدس سره في هامش « المناقب الأحمدية » في ١٩٥ : ليس المراد من جريان القلب يعني من قوله في المتن : ويواظب على الذكر في جميع الأوقات حتى يجرى القلب بالذكر حركته واهتزازه ، وإنما هو توجه القلب وحضوره سواء كانت الحركة أم لا . فراجعه (منه) .

(٢) وفي « البهجة السنية » قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتبه إن أريد من الذكر تحركه بالذكر فدوامه ليس بشرط لا في حالة الفناء ولا في غيرها ، والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبيّ والتوجه إلى جناب الحقّ جلّ ذكره ، وجد التحرك أو لم يوجد . انتهى . راجعه .

(٣) ولو توغل القلب في ملاحظة الذات القدسية واستغرق في تلك الحالة المرضية ولم يذكر الاسم الشريف لاستغرافه فيها واستهلاكه لكفى ، فهو أحسن وأقوى ، وهو حال الأقوياء لا المبتدئ . ولو حصل لقلبه فتور وقبض أو غفلة أو خطرة لغلبة الانقباض فليغتسل بالماء البارد ، فإن لم يقدر فبالحارّ . ثم ليستغفر الله من كل غفلة وخطرة ومن ترك الأدب مع ربه أو مرشده ومن سائر زلاته خمساً وعشرين ، ويصلي ركعتين صلاة التوبة أو يقول : سبحان الله الملك الخلاق الفعّال إن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز . وقيل : من المعالجة استماع أصوات الرياح والمياه الجاريات ، وقيل الصعود على الجبال الراسيات ، وقيل : البكاء والانكسار لان الذكر سبب الوصل والمحبوبية فلا يسلب إلا ممّن أراد الله تعالى به المقت والشقاوة والغضب ، فإذا حصل له الانكسار يعود حاله قال تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم » . وقيل يقول : « إذا أردت مني ذلك فهو عين مرادي » كذا في « جامع الأصول » للشيخ أحمد ضياء الدين فراجعه في ١٨ ومثله في « الرسالة الخالدية » . (منه قدس سره) .

البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ لن ينجي أحداً منكم عملُه ؛ سدِّدوا وقاربوا واغْدُوا وروّحوا ؛ وشيء من الدلجة[1] والقصد القصد[2] تبلغوا »[3].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : « سدّدُوا[4] وقاربوا ، واعلموا أن لن يُدْخل أحدَكم عملُه الجنةَ ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدوَمُها ، وإن قلَّ » .

وعنها أيضاً : « سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحبّ إلى الله ؟ قال : « أدومها وإن قلّ » . وقال : « كلّفوا من الأعمال ما تطيقون » .

وعنها أيضاً عن النبي ﷺ « سدّدوا وأبشروا » وهذا اختيار مشائخنا قدس الله أسرارهم ، فإنهم كانوا يعاملون مع كل واحد من الطالبين على حَسَب استعدادهم ، كما مرّ في تراجمهم ، ولكن لا ينبغي أن ينقص من خمسة آلاف في الملوين من كل لطيفة . وينبغي أن يزيد شيئاً فشيأ بالتدريج وذلك مع مصاحبة حضور القلب ، وبدونها لا فائدة للذكر

---

(١) بالضم والفتح السير من أول الليل راجع « البريقة » .

(٢) من الاقتصاد التوسط نصب على الإغراء بفعل واجب الحذف نحو الزموا « بريقة » ١٨٠ ج ١ .

(٣) والمعنى على ما نقل عن « شرح المصابيح » اعملوا آناء الليل وأطراف النهار ، واستريحوا في سائر الأوقات ـ « بريقة » ١٨٠ راجعه ـ قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، ومحدثاً وجنباً وحائضاً . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » رواه مسلم .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا ، فقضي بينهما ولد لم يضره » متفق عليه . كذا في « رياض الصالحين » للإمام النووي رضي الله عنه ورزقنا بركته آمين . فراجعه في ٢٨٨ (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

(٤) أي : قوِّموا ، من سدده تسديدا ، وقيل : من السداد في الأمر ، وهو الصواب . من غير إفراط وتفريط أي : توسطوا في الأمور بلا زيادة ولا نقصان « بريقة » .

معتدّ بها غير ثواب الآخرة ، وهو نصيب الأبرار ، ونَظر هذه الطائفة ليس في غير الحق سبحانه ورضائه ، ورجاء الثواب عندهم يُعدّ من الذنوب ، ولهذا قيل : حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين .

وينبغي أن يقول بعد مائة أو مائتي مرة من كل ذكر بلسان الخيال بغاية التضرع والانكسار والاستحياء والانفعال : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي أعطني محبّتك ومعرفتك**[1] ولينظر هل هو صادق في هذا الكلام أم لا ، وليجتهد أن يكون متّصفاً بمفهومه في الواقع ، ويتضرّع إلى الله تعالى دائماً ، ولايفارق التضرع أبداً ، وليكن وقت اشتغاله بالذكر فارغ البال من جميع الأشغال والتفرقة والأهوال ؛ خصوصاً في حضور المرشد ،

بيان اللطائف

فإذا حصل للقلب نسبة الحضور مع الله وجرى بالذكر على ما مرّ فليشتغل[2] من لطيفة الروح على هذا المنوال بأمر شيخه وتلقينه ، ولا يسأل ذلك من شيخه ! بل ينتظر أمرَه ، فإنه أعلم بحاله . وهي لطيفة مودعة في الجانب الأيمن ؛ مائلة إلى تحت الثدي والجنب

(١) عن حذيفة وأبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ قالا : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : باسمك اللهم أحيا وأموت ؛ وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » رواه البخاري . « رياض الصالحين » ٢٨٨ .

(٢) وقال محمد ذاكر ـ قدس سره ـ في « تبصرة المرشدين » : ثم إذا تحرك قلب المريد بالذكر ، وصار وصفاً لازماً ولا يقدر هو على إسكانه ، يلقن الشيخ بهذا الذكر « أى ذكر اسم الذات » على لطيفة الروح . انتهى . وجعل ـ قدس سره ـ نتيجة سائر اللطائف صيرورتها كالقلب اهى . فراجعه . (منه رحمه الله إفلاسه) . ولكن كان شيخنا ـ قدس سره ـ يقول : إن الحاج جبرائيل ـ قدس سره ـ كان يقول : اترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن ينعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث لا تطيق أن تحملها من قلب المريد وقت التوجه . انتهى فافهم (منه رحمه الله تعالى) .

بفاصلة إصبعين ؛ وهي في مقابلة لطيفة القلب ، ثم بعد إتمام أمرها يشتغل من لطيفة (السرّ) على المنوال السابق بأمر شيخه ، وهي لطيفة مودعة في جنب الثدي[1] الأيسر ؛ مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة إصبعين ، ثم يشتغل من لطيفة (الخفي) وهي لطيفة مودعة في حنب الثدي الأيمن مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة إصبعين ، ثمّ من لطيفة (الأخفى) ، وهى لطيفة مودعة في وسط الصدْر ، ثمّ من لطيفة (النفس) ، وهي لطيفة مودعة في وسط الجبهة ، ثم من لطيفة القالب ، ومحلّها تمام البدن ، حتى يجري الذكر من كلّ منبت شعرة ويقال له : **سلطان الأذكار** .

ثم اعلم أنّ خمسة من هذه اللطائف السبعة عند هذه الطائفة من عالم الأمر أعني : لطيفة القلب والروح والسرّ والخفي والأخفى ، والباقية ، أعني : النفس والقالب الذي هو مشتمل على لطائف العناصر الأربعة من عالم الخلق ، وقد مرّ معنى عالم الأمر والخلق في « الرشحات » فراجعها[2] .

مهم

ولكلّ لطيفة من لطائف عالم الأمرِ أصْلٌ فوق العرش مُتعلّق باللامكان . وحصل لتلك اللطائف نسيان وذهول عن أصولها بسبب العلائق الجسمانية ، والعلائق الدنياويّة ، والحظوظات النفسانيّة ، فاحْتِيجَ[3] لتذكير أصُولها إلى شيخ كامل مُكمّل ، وذكر كثير حتى يحصل لها مَيْلٌ إلى أصُولها ، وتنجذب بالجذبات الإلهيّة فتصل إلى

(١) أي من فوقه .
(٢) عالم الأمر : ما وجد الحق بغير سبب ، ويطلق بإزاء الملكوت .
عالم الخلق : ما وجد عن السبب ، ويطلق بإزاء عالم الشهادة ، كذا في « اصطلاحات الصوفية » ، فراجعه من آخره . (منه رحمه الله تعالى) .
(٣) وهكذا في « الأنهار الأربعة » و« المناقب الأحمدية » . (منه) .

أصولها ، ثم وثم إلى أن تصل إلى الذات البحت من غير احتجاب بالصفات والشؤونات ، ويقال له : التجليات الذاتية ، فيحصل لها الفناء الأتمُّ ، والبقاء الأكمل ، وأما قبل وصولها إلى أصولها ! لا تحصل لها الفناء .

مطلب : أصل (القلب)

فأصل (القلب) : الأفعال الإلهيّة فيكون فناؤه في التجلي الأفعالي ، وعلامة فنائه اختفاء أفعال السالك وأفعال جميع المخلوقات عن نظره ، وعدم رؤيته غير فعل فاعلٍ حقيقيّ ، ويقال للولاية « القلبية » ولاية آدم عليه السلام ، ويقال للسالك الواصل من هذه الولاية آدميّ المشرب .

مطلب : أصل (الروح)

وأصل (الروح) : الصفات الثبوتيّة ، ففناؤه في التجلي الصفاتيّ الثبوتية ، وعلامة هذا التجلي اختفاء صفات السالك وصفات جميع الممكنات عن نظره ورُؤْيته إيّاها مسلوبة عن الممكنات ومنسوبة إلى الحق سبحانه ، ويقال لولاية « الروح » : ولاية نوح ، وولاية إبراهيم عليهما السلام ، ويقال للسالك الداخل من تلك الولاية : إبراهيميّ المشرب .

وأصل (السر) : الشؤونات الذاتية ، ففناؤه في التجلي الشؤونيّ الذاتية وعلامته : وجدان السالك ذاته مستهلكاً في ذاته تعالى ، ويقال لولاية (السرِّ) : ولاية مُوسى عليه السلام ، وللسالك الواصل منها موسوي المشرب .

وأصل (الخفيِّ) : الصفات السلبية ، ففناؤه في التجلّي الصفاتي السلبيّة ، وعلامته مشاهدة السالك تفرُّده تعالى وتجرُّده عن جميع العالم وما يُناسبه ، ويقال لولاية (الخفي) : ولاية عيسى عليه السلام ، وللسالك الواصل منها : عيسوي المشرب .

وأصل (الأخفى) : الشأن الجامع ، ففناؤه في التجلي الشأني الجامع ، وعلامته : حصول التخلّق بأخلاق الله تعالى للسالك ؛ ويقال لولاية (الأخفى) : الولاية المحمديّة ، وللسالك الواصل منها : محمّدي المشرب . فاحفظ ذلك فإنّه كثيراً ما يقع في كلام هذه الطائفة : الولاية الآدمية ، والولاية الإبراهيمية وغيرها ، فمَنْ لم يعرف هذا لم يعرف ذلك !

وربّما يُراقبونَ بملاحَظة أصول هذه اللطائف ، بأن يجعل قلبه في مُقابلة قلب نبيّنا محمّد ﷺ ، ثم يعرض على الحق سبحانه بالخيال أنْ أفِضْ عليَّ من فيض التجلّي الأفعالي الذي وَصَل من قلب سيّدنا محمّدﷺ إلى قلب آدم عليه السلام ، ويقول : في الروح أفِضْ عليّ من فيض التجليات الصفاتية الثبوتية الذي وصل من روح نبيّنا ﷺ إلى روح سيدنا نوح وسيّدنا إبراهيم عليهما السلام ، جاعلاً روحه في مُقابلة روح سيّدنا محمّد ﷺ ؛ وهكذا في البواقي ، ويجعل في تلك المراقبة لطائف المشائخ(١) كالمنظرة ؛ ولِكلٍّ لطيفة من لطائف عالم الأمر نور على حدة ربّما يظهر في أثناء السلوك لمن له كشف ؛ فنور (القلب) أصْفر ، والروح أحمر ، والسر أبيض ، والخفي أسود ، والأخفى أخضر ، ونور النفس بعد التزكية يظهر بلا كيف ولا لون ، وأصل كل لطيفة من لطائف عالم الخلق أصل لطيفة من لطائف عالم الأمْرِ ؛ فأصل النفس أصل القلب ، وأصل الهواء أصل الروح ، وأصل الماء أصل السرّ ، وأصل النار أصل الخفي ، وأصل التراب أصل الأخفى . انتهى كلام « النفائس السانحات » ٢٠٩ فراجعه في هامش « الرشحات » .

وقال الشيخ محمد ذاكر في « تبصرة المرشدين » : في ٢٥ : ولا

---

(١) الذين هم وسائط فيض النبي ﷺ . كذا في هامش « المناقب الأحمدية » في ١٩٥ ؛ (منه ، رحمه الله تعالى) .

يترك ذكر القلب عند ذكر الروح ولا يتركُهما عند ذكر السرّ ، ثم وثم ، يعني يجمع المريد ذكر اللطيفة السابقة مع ذكر اللطيفة اللاحقة ، على أنه يتمّ أوّلاً عدد ذكر القلب ، ثم يشرع في ذكر الروح ويتم عدده ، ثم يشرع في ذكر السِرّ ويتم عدده أيضاً ، ثم الخفي كذلك ، ثم في الأخفى ، ثم في النفس كذلك ، فصار المجموع ثلثين ألفاً ، ثم إذا كمل الذكر المذكور بلطيفة الجسد على عدد يختاره المرشد على وفق حال المريد فحينئذ يترك ذكر اللطائف ، لأنّه حينئذ تتّحد اللطائف ، وعند ذكر الجسد يتحقق ذكر اللطائف جميعاً ، فيذكر بجميع الجسد مع الوقوف القلبيّ ، فإذا أثَّر الذكر في الجسد كله يجري الذكر في جميع الجسد الكثيف ، فيكون كالقلب يتحرّك بالذكر من أسفله إلى أعلاه حتى يصير كلّ جزء من أجزاء البدن وكلّ شعرة من شعَراته ذاكِراً مثل القلب ، ويسمّى هذا بسلطان الذكر . ثم لا يخفى عليك أيها الأخ المنصف أنّ الوقوف القلبيّ بمعنى مُلاحَظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف ، بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال ، حتى في الحمّام ووقت القربان ، وحتّى في الكنيف وفي الخلوة والجلوة ، ولكن عند الناس بفتح العين سَتْراً للحال مع عدم خلوّ البال وهذا المعنى يحصل أوّلاً بالتكلّف من الظاهر ، وبدون هذا المعنى الذكر قليل الجَدْوَى ، بل لا يُوصِلُ إلى مَقْصُودٍ وهو غلبة المذكور واستيلاؤه ؛ وهي الذكر الحقيقي والمقصُودُ الأصلي المعبّر عنها تارة بالفناء ، وتارة بالعُبُوديّة ، إلى غير ذلك من العبارات كما هو المذكور في كتب القوم .

مهم

ثمّ اعلم أنّ الذكر كما ينتقل بنقل الشيخ ! كذلك ينتقل بقوّة الذكر ، وهو الأفضل والأكمل ، فإذا كان في الشيخ قوّة التصرّف ! وكان المريد قابلاً وواردا على محبة الشيخ المقتدى ! يحصل سلطان الذكر

بأبلغ الوجوه في أوّل التوجُّه كما علم هذا في بعض مشائخ الزمان ؛ والشيخ إذا كان ذا بصيرة واطّلاع على حال المريد ! فهو ينظر إلى حال المريد ، ويعمل على وفق حاله ، فيأمر بالذكر في جميع اللطائف ، ويأمره أيضاً بالنفي والإثبات في أسرع وقت ، حتى بالمراقبة بعضاً ، بل جميعاً في زمان قليل ، فيصدق مَنْ هو من أهالي البصيرة ، وينكر من هو أعمى ليس على البصيرة ، وفي التنْزيل ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ .

وأمّا إذا لم يكن الشيخ ذا علمٍ وبصيرةٍ ! غير مطّلع على حال المريد – وهو لا ينافي كمال الشيخ وإكماله وإرشاده ، لأنّ الإرشاد عند الطريقة النقشبندية بطريق الانعكاس ، كما صرّح به إمامنا الإمام الرباني في مكتوباته[1] في مواضع عديدة – لم يستعجل في نقل الذكر والمراقبة إلى ما فوقه فيخلُّ قابلية المريد ، فيحرم الوُصُول أو يتأخّر ، فيلزم لهذا الشيخ حضانة الطالب في الذكر ، أو في المراقبة ، أو في المقام ؛ مقدار سنة أو ستة أشهر بقابلية الطالب واجتهاده ، إنْ آثر أمر السلوك على سائر الأمور ، وإِنْ آثر أمور الدُنْيَا على السلوك ! فكلُّ ذكر وكل مقام هو فيه يكفيه ، مع أنّه يخاف عليه أن لا يحفظه بحق الحفظ ، فلا حاجة إلى الزيادة . والانتساب إلى النسبة العلية إن حَفِظَهُ يكفيه فقط ، كما قال شيخنا[2] في بعض رسالته إلى هذا الفقير . انتهى .

وقال شيخنا قطب الأقطاب محمود أفندي قدّس سره في بعض مكاتيبه : وأمّا كمال اللطائف في الذكر وفي مقام المراقبة وغيرها ليس على نهج واحد ، بل يختلف بمخالفة الطبائع والقابلية ، وفي معرفة كماله يحتاج الشيخ إلى الصفاء التام حتى يكون كالمرآة ، ثم يتوجَّه

---

(١) راجع « الدرر المكنونات » في ٢٥٣ من الجلد الأول تجد فيه البسط (منه رحمه الله إفلاسه آمين) .

(٢) أي محمود أفندي .

إلى الطالب بتمام قواته ولطائفه ومقامه لا بقصد الإفادة بل بمطلق المقابلة ، كمقابلة المرآة لمن قابلها ، حتى يجري ويسري حرارة الفيض في الطرفين ، التي يذوقها ويحسُّها القوة الماسّة ، ثم يلاحظ في نفسه ، فكلّما يظهر فيه يظهر بالعكس ! من أحوال الطالب القابل ، إذ لا حركة فيه من أنواع الأحوال ، بل هو على قرار وسكينة تامة كالغفلة المحضة ، لأنّه وجد ووجد أنه وجد ثم فقد ، وفقدَ أنه فَقَد ، وصار كالماء المتجمد لا يضطرب ولا يتحرك ، هذا هو رتبة أهل النهاية .

وأمّا صاحب الحركة من المتوسطين ليس كذلك ! لأنّه لا يخلو عن التردّد والاضطراب ، بل هو كالنار المحرقة يلزمه الدِقة بالتفتيش في أحوال الطالب ظاهراً وباطناً من الأخلاق والأعمال والأفعال والواقعات ، والمقارنة والمجانسة ، سراً وعلانية ، لأنّ لكل مقام وكل رتبة أخلاق وأعمال وأفعال وواقعات ، ومقارنة ومجانسة ، سراً وعلانية ، ولأجل ذلك يلزم الشيخ الأخير حضانة الطالب في الذكر أو في المراقبة ، أو في المقام مقدار سنة أو ستة أشهر . انتهى .

فائدة

قال الإمام الرباني قدّس سره : أيّها الولد إنّ الفرصة غنيمة ، والصحة والفراغ مغتنمان ، فينبغي صرف الأوقات إلى الذكر الإلهيّ جلّ شأنه على الدوام ، وكل عمل يَصْدُرُ على وفق الشريعة الغراء فهو داخل في الذكر وإن كان بيعاً وشراءً[1] فينبغي مراعات الأحكام الشرعية[2] في جميع الحركات والسكنات لتصير كلها ذكراً ، فإنّ الذكر عبارة عن طرد الغفلة ، ومتى حصلت مراعات الأوامر والنواهي في جميع الأفعال فقد

---

(١) ومثله في « تنوير الصدر » (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فإنّ نفع الذكر وتراتب الأثر عليه مربوط بإتيان الأحكام الشرعية ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦٢ من الجزء الأول (منه رحمه الله تعالى) .

تيسَّرت النجاة من أسر الغفلة عن الآمر بالأوامر والناهي عن المناهي ، وحصل دوام ذكره تعالى ، وهذا الذي ذكرناه من دوام الذكر ورآء پاد واشت خواجكان - قدّس الله أسرارهم - فإنّه مقصور على الباطن ، وهذا مُتَمَشٍّ في الظاهر أيضاً ، وإن كان متعسِّراً . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٤٨ ج ٢ ، ومرّ مثله في هذا الكتاب فاستحضره هنا .

مهم جداً

وقال أيضاً : إنّ دوام الذكر يتيسّر في طريقة خواجكان - قدّس الله أسرارهم - في الابتداء ، ويحصل ذلك فيها على طريق اندراج النهاية في البداية ، فاختيار هذه الطريقة كان للطالب أولى وأنسب ، بل يكون واجباً عليهم ولازماً ، فعليك إِذاً صرف التوجُّه عن جميع الجهات ، والإقبال بالكُلِّية على جانب أكابر هذه الطريقة العلية ، وطلب الهمّة من بواطنهم الشريفة ، ولا بدّ من الذكر في الابتداء فينبغي أن تتوجَّه إلى القلب الصنوبري[1] الشكل ؛ فإنّ تلك المضغة كالحجرة للقلب الحقيقي ، وأن تجري الاسم المبارك (الله) على هذا القلب ، ولا تحرِّك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد ، واقعد متوجِّهاً إلى القلب بالكُلِّية ، ولا تخيّل صورة القلب بالقوة المتخيّلة أصلاً ، ولا تلتفت إليها قطعاً ، فإنّ المقصودَ التوجُّه إلى القلب لا تصوّر صورته ، وينبغي أن تلاحظ معنى اللفظ المبارك (الله) بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأن لا تضمَّ إليها شيئاً من مُلاحظة الصفات ، حتّى الحاضريّة والناظريّة ! لئلاّ تنْزل من ذروة حضرة الذات إلى حضيض الصفات ، فتقع منها إلى شهود الوحدة في الكثرة ، وتطمئنّ بالمثاليّ من التعلّق بِمَنْ تنَزّه عن المثال والتوجّهِ إليه . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦١ من الجلد الأول .

---

(١) الصَنَوْبَرُ : بوزن السفرجل ، شجر وقيل ثمرة . « مختار الصحاح » .

وأمّا طَريق الذكر بالنفي والإثبات[١] ، فقد قال محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » في ٢٣ : وهو أن يلصق لسانه بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة ، كما في ذكر اسم الذات ويحبس النَفَس تحت السرّة ، ويسير كلمة (لا) من السرّة إلى الدماغ ، وكلمة (إله) منه إلى الكتف الأيمن ، ويضرب كلمة (إلاّ الله) منه إلى القلب الصنوبري ، فيصير نقش المجموع على صورة (لا) معكوسة ، ويجري الكلمات المذكورة من محلّ إلى محلّ بمجرّد الخيال ، حتّى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النَفَس[٢] محبوساً تحت السرّة ، ولا يزال بتكرار الكلمة المذكورة ما دام النَفَس محبوساً ، ولا بدّ من أن يكون عدد الذكر وَتْراً ، ولذا سُمّي هذا الذكر وُقوفاً عَدَدِيّاً ، ثم إذا ضاقت النفس يترك النفس[٣] ويَقول : إلهي أنت مقصُودي ورضاكَ مَطْلوبي ؛ مرّة ثم يحبس ويذكر كما مر ، ثم كذا ، ثم كذا ويتصور معنى هذه الكلمة بهذا الطريق : لا مقصود[٤] إلاّ الذات المقدس ، أو لا مقصود إلاّ الله تعالى ، ولا يتضيق في حبس النَفَس للتكثير ، ولا يتحرّك أعضاؤه ، وهما ينافيان في حصول الأثر ، وإن زاد وكثر بلا تكلّف وبلا منع الحضور كثر وازداد ، حتى روي في البعض أنّه بلغ في نَفَس إلى واحد وألف ، كما في « تحفة الأحباب » ونحوه وُجِدَ في بَعْضِ فقرآء الزمان

---

(١) وفي الفقرات : وطريقه أن ينحي عن قلبه غير الحق بقول « لا إله » ويلاحظ الحق عز وجل بالمعبودية والمحبوبية في قول (إلا الله) بحيث يضمر في قلبه كل مرة يقولها أن لا معبود إلا الله . انتهى فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) مهم فوئد حبس النفس

وحبس النفس في الذكر مفيد ، ومن فوائده حرارة القلب والشوق والذوق والرقة وانتفاء الخواطر وظهور المحبّة ، ويمكن أن يكون مُوجباً لحصول الكشف . كذا في « الأنهار الأربعة » ومثله : في « المناقب الأحمدية » في ١٩٧ فراجعهما (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وفي نسخة : الحبس .

(٤) وأمّا السالك فمعناه ، لا معبود إلا الله للمبتدىء ، لأنّ مقتضاه العبادات ابتداءً . أوْ لا مقصود إلاّ الله للمتوسط ، لأنّ مقتضاه الطلب . أوْ لا موجود إلاّ الله للمنتهي ، لأنّ مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء بالله . كذا في « جامع أصول الأولياء » فراجعه في ١٦ . (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

مع كمال القبض في الأول ويكرّر إلى أن بلغ العدد في نَفَس واحد إلى أحد وعشرين فحينئذ يضم (محمد رسول الله)[1] في كل أخير النفس مبتدأ (ميم) (محمّد) من الروح وينتهي إلى القلب على ما اختاره شيخنا قدّس الله تعالى سره الأسنى ، وإلاّ ففيه أقوال كما في كتب القوم الخ ؛ قالوا : وإن بلغ العدد إلى إحدى وعشرين ولم تظهر النتيجة فبما وقع من الخلاف في الآداب ، فليستأنف وليطابق القولُ والفعلَ مضمون الذكر ، فَإِنَّ المَقْصُودِيَّةَ فيما سِواهُ إذا كانَتْ بَاقِيَةً ؛ وخلاف الاتّباع إذا كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب من الذاكر في ذكره (بلا إله إلا الله) . كما في سلسلة الذهب .

وقال الإمام الرباني : يرتفع النقصان بتوجّه الشيخ المقتدى ، ولذا قال شيخنا رضي الله تعالى عنه : وهذه الحالة تعرض للطالب بكلمة التوحيد أكثريّاً ، وبذكر لفظ الجلال في البعض ، وبالرابطة للبعض ، وبتصرّف الشيخ للبعض . انتهى كلام « التبْصرة » مع اختصار قليل .

---

(١) وفي « الأنهار الأربعة » : ويقول عند إطلاق النَفَس بلسان الخيال : محمّد رسول الله ﷺ ، ولكنّ الّذي كان شيخُنا – قدّس سره – يَأْمُرُنا به أن يقال بلسان الفم حالة إطلاق النفس معاً . وفي « الأنهار الخمسة » وإذا أراد إطلاق النَفَس يضمّ إليها (محمد رسول الله ﷺ) انتهى . ولم يقيّد باللسان أو بالقلب بل أطلق وقيد في « الرسالة الخالدية » بالقلب فبالنظر إلى اختلاف الأقوال سألت أخانا المحقق سيف الله الحسيني فكتب في الجواب بهذه العبارات : وأنت المخيَّر في أن تقول باللسان كما عليه بعض السادات أيضاً ، وهو ما اختاره العارف صاحب « حَسْبُ حال » ، ويكفيك جلالة قدره وكمال صدقه قدّس سره ، والذي أمرنا جامع القطبتين شيخنا أبو عبد الرحمن محمد ذاكر قدّس سره بالقلب قبل إطلاق النَفَس ، وعلى ذلك كان أيضاً تلقين شيخنا أبو المواهب زين الحق والدين زين الله الشريفي ونفسي فداه ، كما سار عليه أكابر السادات أكثرهم ، والفقير أيضاً على اختياره لما أنّ قوله بالقلب أقرب للجمع وأبعد من التفرقة ، كذا قال السيد زيني والعارف محمد مراد في « تحفة الأحباب » والعارف محمد مراد المنزلويّ في « التقريب » بناء على ما ذهب إليه الإمام الرباني قدّس سره ، لكن رأيت من بين المشائخ من يختاره باللسان ، فانظر يا أخي لنفسك في أيّهما ظهور النتيجة (وهى قوة الحضور منه) ، وحصول الذهول ! وقال مولانا الشيخ محمد مظهر : ويقول عند إطلاق النَفَس بلسان الخيال (محمد رسول الله) وعند البعض قبل إطلاق النَفَس ، وكلهم بحق إن شاء الله تعالى . انتهى . من خطه (منه رحم الله إفلاسه) .

مطلب

وشروطه تسعة : سبعة منها مُتّفَقٌ عليها ، واثنان منها مختلف فيهما ،

الأول : الوقوف القلبيّ لاطّلاع القلب .

والثاني : حبس النَفَس لدفع الخواطر .

والثالث : ملاحظة الخطّ لإراءة طريق الذكر .

والرابع : مُلاحظة النقش لجريان (لا إله إلا الله) .

والخامس : مُلاحظة المعنى للوصلة .

والسادس : ضرب لا إله إلا الله ضرباً شديداً إلى القلب لوسعة القلب وقوّته لإخراج الأخلاق الرديّة الدنيئة .

والسابع : مُلاحظة العدد الوتر للتّمييز .

والثامن : ذكر (محمد رسول الله) للاتصال إلى ولاية النبوّة ﷺ .

والتاسع : بازكشت ، أي : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، لتصحيح النية ، كذا في « مهمة المريدين » .

قال الخاني في « البهجة السنية » : قال العُرْوة الوثقى رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله : أنّ الذكر مع حبس التنفس بدعة أم لا ؟ فإن كانت بدعة حسنة فعلى مسلك المجدد رضي الله عنه ليس في بِدْعَةٍ حسن ! فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ ! .

الذكر في حَدّ ذاته حَسَنٌ ومسنون ، أمّا الحبس فيه فيتوقّف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأول ، وذلك ممنوع .

وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدُواني قدّس سره ، ولا يحكم على عمله بالبِدْعة .

وفي ملفوظات الخواجه عبد الباقي قدّس سره : إنّ الخرقة في

سلسلة الچشتيّة والسهروردية معنعنة عن رسول الله ، ولم يبيّن الذكر المعنعن عنه ﷺ ولم يتحقق ، بخلاف طريقتنا ، فإنّ الذكر مُعَنْعَنٌ خالٍ عن الانقطاع في الوسائط[1] من الصديق الأكبر والحيدر الأبهر رضي الله

---

(١) قال الخاني في « الحدائق الوردية » في فصل في وصل ما حاصله : إن الإمام النقشبند أخذ الذكر الخفي عن روحانية عبد الخالق الغجدواني ولم يجتمع معه في عالم الأرواح ، وكذلك الشيخ أبو الحسن الخرقاني أخذ الطريقة عن روحانية الإمام أبي يزيد وذلك في ظهوره له في عالم السير إلى الله تعالى . فإن الروحانيات تجتمع في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات ، وهوعالم اللاهوت . وأبو يزيد قدس سره أيضاً لبس خرقة الطريق ظاهراً وباطناً من روحانية الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه . وما اشتهر بين بعض أهل الطريق من خدمة الشيخ أبي يزيد للإمام جعفر وصحبته له غير صحيح . انتهى اختصاراً من مواضع . فراجعه في ٩ . وقال بعد ذلك ما حاصله : إن هذه النسبة الروحانية أقوى اتصالاً من الجسمانية .إنتهى اختصاراً . وقال أيضاً بعيده : وكما أن للسادة النقشبندية اتصالاً روحانياً بواسطة قطب الأوليآء وأبي الحسن الخرقاني بسلطان العارفين أبي يزيد البسطامي وبواسطة أبي يزيد به شرف الأئمة جعفر الصادق كذلك لهم اتصالان ؛ جسمانيان بالسلسلتين السالفتين فيه نسبتهم ؛ ولله الحمد متصلة ، وعروة سلسلتهم لا انفصام لها روحاً وجسماً حساً ومعنى . ولقد سها بعض المؤلفين بقوله : إن سلسلة النقشبنديّة منفصلة ويد نسبتهم غير متسلسلة فإنه منه غرور بقصوره من عدم الاطلاع على سلاسلهم المنتظمة . انتهى فراجعه في صحيفة ١٠ قبيل السلسلة الأولى . لكن المحقق محمد أسعد صاحب « زاده » النقشبندي الخالدي العثماني قال في « الفيوضات الخالديّة » : إن أبا يزيد أخذ عن جسمانية إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر بن الإمام محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما لا عن روحانيته فقط ، كما أورد كثير من المتأخرين فزعم بذلك بعض المعاصرين انقطاع يد السلسلة النقشبندية ونسبه للواسطي في « روضة الناظرين » المنسوبة للشيخ الوتري والله أعلم بحقيقة الحال ، وإنها بحمده تعالى واصلة للحضرة الصديقية . فإن ملاقاة أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما ، وكونه سقاء في داره ، أوردها جماعة من أصحاب التاريخ ، وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية ، والرضي في كتاب « الطرائق » والعلامة الحلبي في شرحه على « التجريد » . وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب « كشرح الموافق » . ذلك كثير من المتأخرين كالعلامة محمد بن سليمان البغدادي صاحب « الحديقة » والحيدري والخاني في « بهجته » كحفيده وأضرابهم حتى تسبّبوا في القول المدسوس على الواسطي من أنها قد انقطعت يد السلسلة النقشبندية ، والمتسبب كالقائل ، وعدم التثبت يوقع في أعظم من هذا . ونظير هذا إقرار الخاني في « القصيدة القافية » التي مطلعها تبدت لنا أعلام الهدى صدقاً ، فصار لشمس الدين مغربنا مشرقنا مع أن القصيدة في « بهجة » سيدنا الغوث الجيلاني رضي الله تعالى عنه=

تعالى عنهما إلى يَوْمنا هذا ، فسأله سائل ممّن حضر مجلسه : ما تقول أيّها الشيخ فيمَنْ يذكر في السلسلة النقشبندية وُصْلة الرابطة عن الصدّيق الأكبر ، والذكر عن علي رضي الله تعالى عنهما ؟ قال : الذكر المسمّى بالوقوف العدديّ الذي يعهد فيه الحبس مع ضم (محمّد رسول الله ﷺ) تَعَنْعَنَ[١] عن الصدّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه . وكذا طريق الصحبة ! لأنّه رضي الله عنه ما فارق النبي ﷺ لا في سفر ولا في حضر ، وإنما أخذ الفيض من الصحبة[٢] انتهى .

وفي جامع أصول الأولياء : ومن تَتَبَّع أحاديث رسول الله ﷺ وعرف أخباره وأحْواله ، وعلم أقواله وأفعاله ، تبيّن له أنّ هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البِعْثة ، وبعث أمّته على هذه الحالة ، وتبعه أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، دُونَ ما ابتدعه المبتدعة ولو كان بَعْضها مستحسنة في الجملة . انتهى .

وفي الفتاوى العمريَّة : وأمّا النسبة الباطنية في تلقين الأذكار

=في مدح سيدنا أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه إلا بيتين منهما ؛ صدرهما : أيا خالد إلى آخره ، مع أن بين المؤلفين أحقاباً . ولولا ما زعمه أولاده من خلافة أبيهم في الطريقة القادريّة ، وارتقائه لا على سددها استعذر عنه بعدم وقوفه عليها ، فتبين الحالين يوجب إحدى الوصمتين . ثم ربّما يرفع التنافي بين كلام « شرح المواقف » فقط وكلام غيره من البين يجعل المسمّى بهذا الاسم اثنين . أحدهما : طيفور السقآء الذي صحب سيّدنا الإمام جعفر الصادق وخدمه ، والآخر : شخص غيره . قال إبن زهرة الأندلسي في تاريخه : أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه سنين عديدة وكان يسميه طيفور السقاء لأنه كان سقاءاً في داره ، ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام هذا . وقد وقع الاشتراك في الأسماء في كثير . انتهى كلام أسعد صاحب « زاده » في « الفيوضات الخالديّة » فراجعه في صحيفة ٣٩ من هامش كتابه « نور الهداية » و « الفرقان » (منه قدس سره) .

(١) قال الشيخ محمد مظهر في هامش « المناقب الأحمدية » في١٩٧ بعد ذكر هذا الكلام : ونقل عن حضرة المجدد قدّس سره أيضاً أنّ هذا الذكر قد وصل إلى أهل الطريقة النقشبندية معنعناً من الصدّيق الأكبر ، وطريقة الصحبة أيضاً وصلت إليهم منه رضي الله عنه . كذا في « كنز الهداية » انتهى راجعه من صفحة ١٩٧ (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) المستلزمة للرابطة (منه رحمه الله تعالى) .

القلبية ، أي : سوآء كان لفظة (الله ، الله) أو النفي والإثبات ، والمراقبة والحضور من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصدّيق الأعظم التي اختص بها الصدّيق دون سائر الصحابة أخذها باطناً بالتوجه عن رسول الله ﷺ لقوله عليه السلام : « ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصَبَبْتُهُ في صدر أبي بكر » . وكذا قوله عليه السلام من ربّه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ! بل بشيء وقر في قلبه » فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجّه وإلقاء الذكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة . انتهى .

وقال صاحب « المناقب الأحمدية » في هامشه في ١٩٤ بعد نقله خَبَر « خَيْر الذِكر الخفي » : وخَبَر الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيدُ على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً وغيرهما(١) .

قال شارحه العلامة المناوي : المتبادر إرادة الذكر القلبي . انتهى . وقال أيضاً الذكر نوعان قلبي ولساني والأوّل أعلاهما وهو المراد في الحديث . انتهى .

وقال أيضاً : قال مولانا علي القاري : فالأحاديث حجج ظاهرة للسادة النقشبندية ، زبدة القادة الصوفية ، قدّس الله أسرارهم العلية . انتهى .

ثم قال : فثبت أنّ الذكر القلبي المعمول في طريقتنا هو الذكر المسنون المفضل . انتهى .

---

(١) أي غير هذين الخبرين (منه)

وصورة **الذكر القلبيّ** بلا إله إلاّ الله[١] المشروط بالشرائط المذكورة آنفاً هذه :

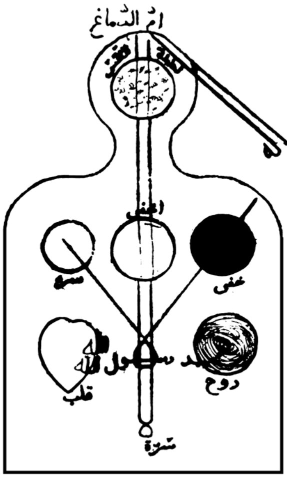

وكان شيخنا قدّس سره يقول : إنّ محمود الفعال قدّس سره جاء روحانيته لديّ مرة حين كنت في السلوك ، فأمرَّ إصبعه على محالٍّ لطائفي فصار الخط النوريّ على كيفية (لا) المعكوسة ، فسهل عليَّ استعمال ذلك الذكر بعد ذلك انتهى . وكان يقول : إنّ هذه الكيفية المكتوبة بملاحظة الألفاظ والحروف تكون قوية الأثر ، وأمّا مجرد[٢] ملاحظة الخط النوراني على صورة (لا) المعكوسة تكون سهلة . وكان يكتب لنا بيده بكلتا الكيفيتين . وصورة الخط المجرد هكذا :

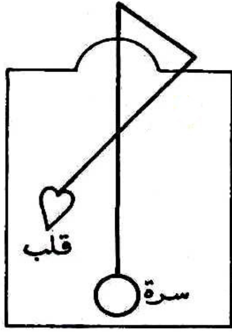

وأمّا كيفية ذكر اللسان بـ (لا إله إلا الله) الذي يجوِّزه النقشبنديون إذا وصل السالك إلى مقام المراقبة على ما في « تحفة الأحباب » فهي أن يقول الذاكر هذه الكلمة الطيبة من غير تحرك الأعْضاء ، ولا تميّلٍ إلى اليمين والشمال ، ويبتدىء (لا) من فوق السرّة ، ويمدُّ طَرَفَيْها إلى تحت الثدي اليمين ، و(إله)متصلة بطَرَفَيْ (لا) في تحت الثدي ، ثم يأخذ (إلاّ الله) من تحت الثدي اليمين ويضربها

---

(١) واختار جماعة من المشائخ كلمة (لا إله إلا الله) . وهذه الكلمة لها خاصيّة في تنوير الباطن وجمع الهمّ إذا داوم عليها صادق مخلص . كذا في « عوارف المعارف » فراجعه في ١٨٨ من هامش « الإحياء » من الجزء الثاني (منه قدس سره) .

(٢) وكان يحكى هذا الكلام من محمود الفعال قدس سره (منه) .

على القلب ، ويلاحظ معناها بأن (لا موجود إلاّ الله) وصورته هذه :

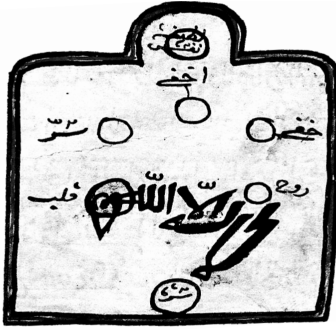

وله كيفيّة أخرى وهي أن يأخذ (لا) من تحت الثدي اليمين[1] بحيث يكون كرسيّها تحت الثدي ، ويمدُّ أحد طرفيها إلى القلب والآخر إلى السرّة ، و(إله) متصلة بكرسيها في تحت الثدي ، ويأخذ (إلاّ الله) من تحت الثدي الأيمن ويضربها أيضاً إلى القلب .

لكنّ الطريق الأوّل أحسن من الطريق الثاني لكون تأثير الذكر في الطريق الأوّل أكثر من التأثير الحاصل بالطريق الثاني . كذا في « تحفة الأحباب » ، وصورته هذه :

وله كيفية أخرى على ما في هامش « مسيرة الحكم » لسليمان الزهدي قدّس سره من القلب إلى الروح ، ومنه إلى القلب ، هكذا وجدت صورتها :

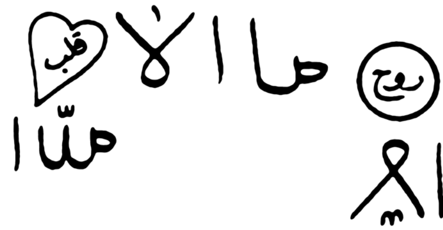

مطلب

ومَنْ قال : إنّ في الطريقة النقشبندية غير ما ذكرناه في هذا الكتاب من الأذكار والكيفيّات فهو مُفْتَرٍ كذّابٌ ، والمنتسبُ إليه

---

(١) اي لذكر اللسان المذكور (منه) .

من فيْضِ الأذكار وبركاتها منقطع محروم ، فعلى مَنْ له غِبْطَةٌ على عُمْرِهِ العزيز وخوفٌ على فوات أنفاسه التي تَذْهَبُ بلا منفعَةٍ أنْ يتدبَّرَ فيما ذكرته ، ثم يُنيبَ إلى ما يفعله أهل الدعوى في ديارنا هذه من استعمال الأذكار الجهريّة اللسانية بالتحرك والاضطراب يميناً وشمالاً ، وبالصياح الهَائِلاتِ من غير اعتبار قواعد النقشبنديّة ، ومع ذلك ينتسبُون إليهم ويقولون : نحن نقشبنديُّون . فلعلّه يَعْرِف حينئذ أنْ يُميِّزَ الصواب من الباطل ، والمحق من الكاذب ، ولا حَوْل ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

فائدة مهمة : قال صاحب « ترصيع الجواهر » في ٤٢ : فما دام عبد الهوى أو الدنيا أو نحو ذلك يلاحظ في (لا إله إلاّ الله) لا مَعْبُودَ بحق إلاّ الله ، ومعنى كونه عبد الهوى انقياده له وعمله بمقتضاه ، فإذا صارت أعماله كلّها في مَرْضاة الله تعالى إلاّ أنّه بَقِيَ في قلبه التفات إلى الخلق يخافهم ، ويَرْجُوهم ويَعْتمدُ عليهم ، لاَحَظَ (لا معطي ولا مانع ، ولا ضار ولا نافع إلاّ الله) فإذا وَصَل لوحدة الأفعال ، وهي أوّل مَراتب الوصول ، وصار يشهَدُ أنّ الكلّ عَبِيدٌ مسخرون ، وأنّ الله تعالى آخذ بناصية كلّ منهم شهُوداً ذَوْقيّاً ، وانقطعُوا من نظره وزال تعلّقه بهم ، ولم يبق له مَقْصُودٌ سوى الحق سبحانه وتعالى ! لاحظ لا مقصُودَ إلاّ الله تعالى . وإذا وصل لمقام الوحدة ، وفنيت العوالم في نظره ، ولم يشهد في الوُجُود إلاّ الله تعالى - وهذا شيء لا تحيط به العبارة ولا يدرك إلاّ ذوقاً - لاحَظ (لا مَوْجُودَ إلاّ الله) انتهى .

فائدة أخرى في آداب الذكر

قال الخاني في « البهجة السنية » نقلاً عن « نفحات » الشعراني قدّس سرهما : وآداب الذكر الذي حث عليها القوم ورَأَوْها أقرب

للفتح على المريدين كثيرة ، ويَجْمَعُها كلّها عشرون أدباً : خمسة سابقة على التلفظ بالذكر واثنى عشر في حالة الذكر وثلاثة بَعْدَ الفراغ من الذكر ،

فأمّا الخمسة السابقة **فأوّلها** : التوبة ! وحقيقتها عند القوم أن يتوب عن كلّ ما لا يعني العبد من قول وفعل وإرادة ، ومَنْ لم يتب هذه التوبة وترخص فلا يجيء منه شيء .

وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول : من ادّعى حَلاوة الذكر مع محبّته للدنيا فكذِّبُوه . **الثاني** : الغسل للذكر ، أو الوضوء .

وكان أبو يزيد قدّس سره يتوضّأ ويغسل فمه بماء ورد كلّما أراد الذكر . **الثالث** : السكون والسكوت فيحصل بذلك الصدْق ، بأن يشغل قلبه بـ (اَللهْ ، اَللهْ) بالفكر دُونَ اللفظ حتّى لا يبقى خاطر مع اللهْ اللهْ ، ثم يُوَافق اللسان بقول : لا إله إلاّ الله . **الرابع** : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمّة شيخه . **الخامس** : أن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبي ﷺ ، لأنّه واسطة بينه وبينه .

وأمّا الاثني عشر التي في حالة الذكر **فالأوّل** : الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة . **الثانى** : أن يضع راحتيه على فخذَيْه . **الثالث** : تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيّبة ، وكذا ثياب بدنه . **الرابع** : لبس الثياب الطيب الحلال ؛ ولو شراميط الكيمان . **الخامس** : اختيار موضع مُظْلِم إن وجد . **السادس** : تغميض العينين ، وذلك لأنّه إذا أغمض عينيه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، وسدُّها يكون سبباً لفتح حَواس القلب . **السابع** : أن يتخيّل صورة

شيخه بين عَيْنَيْهِ ، وهذا عندهم من آكد الآداب . **الثامن** : الصدْق في الذكر بأن يستوي عنده السرّ والعلانية . **التاسع** : الإخلاص ، وهي تصفية العمل من كلّ شوْب فإنّ بالذكر والإخلاص **يصل الذاكر إلى درجة الصِدِّيقية** بشرط أن لا يكتم شيْخَهُ شيئاً من خواطره **ولو مذمومة** ، فمَنْ كتم شيئاً منها كان خائناً وحرم الفتح . والله لا يحب الخائنين ، **فإنّ المريد لا عورة بينه وبين شيخه** إلاّ فيما نهاه الشرع . **العاشر** : أن لا يختار من صيغ الذكر شيئاً بنفسه ، بل يشتغل بما لقَّنه شيخه واختاره لَهُ[1] . **الحادي عشر** : إحْضارُ مَعْنَى الذكر على اختلاف دَرَجاته في المشاهد[2] ، ويعرض على شيخه كلما ترقى إليه من الأذواق ليُعَلِّمَهُ طريق الآداب فيه . **الثاني عشر** : نفي كلّ مَوْجُود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى ، **فإنّ الله غَيُورٌ لا يحبّ أن يرى في قلب عبده غيره** . ولولا أنّ الشيخ له مَدْخل في التربية ! من حيث كونه واسطة بين المريد وبين ربّه ما شرطوا تخيّله للمريد .

قال شيخنا : وإنما نَفَوْا من القلب كلّ ما سوى الله تعالى ليتمكن تأثير (إلاّ الله) بالقلب ويسري إلى الأعضآء ، كما أنشدُوا في **ذلك** :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

وأمّا الثلاثة التي بعد الفراغ من الذكر ، **فأوّلُها** : أن يسكن إذا سكت ، ويخشع ويحضر مع قلبه مُترقباً لوارد الذكر ، **فلعله يرد عليه وارد فيَعْمر وجوده في لحظة أكثر مما لا تعمره الرياضة والمجاهدة في نحو ثلاثين سنة،** لأنّه إن كان الوارد زُهْداً في الدنيا

---

(١) ويقصد الذاكر بذكره التعبد فقط ، لا طلب مقام آخر ! وذلك ليكون حال ذكره غير خال عن العبادة ، فإنّ الخلوة والرياضة إنما شرعاً للتفرغ عن الأكوان ، فالصادق من جعل أعماله كلها مقاصد لا وسائل « متممات » ٩٩ .

(٢) كما مرّ نقلاً من « ترصيع الجواهر » (منه) .

فيتمهَّل فيه حتى يستحكم فيه فيصيرُ زاهداً ، وإن كان الوارد الصبْرَ على الأذى فيتمهّل له حتى يستحكم فيه فيصير يتحمّل الأذى من كل أحد من جميع الأنام ، وهكذا في جميع أخلاق القوم ، بخلاف ما إذا فرغ من الذكر ولم يسكن فإنّ الوارد يَطْرقه ولا يستحكم فيه ، فلا يثبت له في الوارد قدم . **ثانيها** : أن يَزُمَّ[1] نَفْسَهُ ونَفَسَهُ مراراً . وهذا كالمجمع على وُجُوبه عندهم ؛ لأنه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان ، قالوا : وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس ؛ كل نفس أطول ما يحتمل صاحبه . **ثالثها** : منع شرب[2] الماء عقب الذكر ، لأنّ الذكر يُورِثُ حرْقة وشوقاً وتهيّجاً إلى المذكور وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر ، وشرب الماء عقب الذكر يطفىء[3] ذلك . فليحرص الذاكر على هذه الأداب الثلاثة فإنّ نتيجة الذكر إنما تظهَرُ بها . والله أعلم . انتهى .

قوله ثانيها أن يَزُمَّ نفسه ونفسه الخ ؛ وعبارة « ترصيع الجَواهر » في ٤٢ هكذا : وثانيها : أن يطرق رأسه ويكتم نفَسه من أنفه وفمه ؛ خاشعاً بحيث لا تتحرّك منه شعرة مثل سكون الهرة[4] عند الاصطياد ، حتى يضيق نَفَسُه ، يفعل ذلك ثلاثة أنفاس أو خمسة أو أكثر ، فإن لم يأت الوارد ختم بقوله : لا إله إلا الله هو محمد رسول الله حقّاً وصِدْقاً ، كما يختم بها قبل السكتة عند الفراغ من الذكر .

علامة الوارد

ثم إن علامة الوارد أن ينزل بين كتفيك برد كبرد الماء أو

---

(١) أي يحبس نفسه من الحركة ويمنع نفسه من الخروج (منه) .
(٢) حتى يمضى ساعة أو نصفها « ترصيع الجواهر » ٤٤ .
(٣) ويضرّ بالبدن « ترضيع » . وهو كتاب نفيس في طريقة الخلوتية العلية (منه) .
(٤) راجع « رماح حزب الرحيم » (منه) .

تحصل لك رَعْشَةٌ أو قُشَعْريرة ، أو يطبَ[1] في قلبك شيء كحذف الطوية في الدار ، فإن حصل لك شيء من ذلك فهو علامة الوارد ، فاحمد الله تعالى على مارزقك من النفحات والبركات ، **وهذا السكون مجمع على وجوبه عند القوم، فإنّه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان** لما يترتب عليه من اصطياد الواردات الإلهية ، وهي تمحو عن العبد جميعَ رُعُوناته البشريّة ، وتهدم عليه مستمرّ عاداته ، فإن لها سَلْطَنةً عظيمة لأنّها تأتي من حضرة قهّار ، ولأنّها حقٌّ ورد على باطل ، والباطل لا ثبات له مع الحق ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ فإذا وردت تلك الواردات على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل والرعونات البشريّة ! أزالت ذلك بالمرّة ، وأثبتت عِوضاً عنه أطواراً عليّة وأوصافاً رضيّةً ،

قال سيدي أبو العباس المرسي :

لـــو عاينت عيناك يـــوم تزلزلت أرض النـــفوس ودكّـــت الجبال

لرأيت شمس الحق يسطع نورها حيـــن التـــزلزل والرجال رجال

ثم إن الواردات الإلهية لا تختص بكونها بعد طاعة ، ولا تجيء بالتكلّف ، كالعطاس لا يمكن ردُّه ولا يمكن تكلُّفه وإنّما هي أنوار يقذفها الله تعالى في قلوب طالبيه عند براءتهم من الدعوى ، وتحرُّرهم من رقِّ الأغيار ، وتعرُّضهم لِنفحاته تعالى بالذلّ والافتقار ، فإذا كانت الواردات من العلوم الإلهية فلا يعمل بها مالم يشهدْ لها الشرع ، فإن كلّ حقيقة تخالف الشريعة فهي باطلة .

(١) وفي نسخة : يطلب .

مهم جداً

ثم من الآداب أن لا يفرح بالوارد ، ولا يغترَّ به مالم يعلم ثَمْرَتَه فيه من تأثير القلب وتبدل صفاته المذمومة بالصفات المحمودة ، وأن لا يتكلم بالمعاني الواردة عليه حتى يتحقق بها ، وترسّخ[1] وتتضح بانكشافها ، وأن لا يطلب بقاء الوارد ، ولا يأسى على فقده بعد أن يبسط عليه أنواره فتَكَيّفَ باطنه وظاهره بكيفيات العبودية ، ولاح له شيء من عظمة الربوبية ، فإن في الله غنى عنه وعن غيره ، **وكذلك لا ينبغي أن يلاحظ العبد شيئاً من الأغيار والأنوار ، أو المقامات والأحوال ، والدنيا والآخرة ، والنعم الباطنة والظاهرة ، ولا يركن إليها ولا يعتمد عليها بَقِيَتْ أو ذهبت ، فإنّها غيره، فيلزم أن تحيدَ منها** كما قيل :

إلـــيكِ يا حـــور الجـــنان عنّا مــــالك قاتلــــــنا ولا قــتلنا

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : ومن المقاطع المشكلة : السكون إلى استحلاء مايلاقيك به من فنون تقريبك ، **فإنّ كل لطيفة يَطْرِبُك بها تَحْتَها خِدَعٌ** . انتهى .

ولو خاطب الوليَّ كُلُّ مافي الكوْنِ وقال : السلام عليك ياوليَّ الله تعالى ، فسكنت نفْسُه إلى ذلك ! كان في يد ذلك أسيراً .

وقال سيدي أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى : اللطف حجابٌ عن اللطيف يعني السكون إليه والوقوف عنده وشدّة الفرح به . انتهى .

ومتى قصد العبدُ شيئاً من الكرامات ، وخرْقِ العَوائد وأنواع

---

(١) وفي نسخة : تترسّخ .

الإجابات ، افْتتنَ ! وانقطع عليه طريق العبوديّة ، وَمَنْ أدركته السعادة كاشفه الله تعالى بشهود جلاله وجماله ، لا بإثباته في الأحوال اللطيفة والكرامات الشريفة . ماأرادت همّة سالك أن تقف عندما كشف له ! إلا نادته هَوَاتف الحقيقة ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ الذي تطلب أمامك .

والحاصل : أن الصوفيَّ مرجعه في كل أحواله إلى الحق تعالى فهو لا دُنْيا له ولا آخرة ، وذلك **لأن الحق تعالى غَيُورٌ لا يحبّ أن يرَى في قلب عبده سِوَاه** فإن وجد في قلبه سكوناً إلى غيره ابتلاه وحجب ذكره عن قلبه ، وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه كشف الله مابه ، وإن دام على سكونه نزع من قلوب الخلق الرحمة إليه وألْبَسَهُ لباسَ الطمع فيهم ، فتصير حياته عَجْزاً ، ومَوْته كَمداً ، ومعاده أسَفاً ، نعوذ بالله تعالى من السكون لغيره ، آمين .

قال الشاعر :

من لم يكن بكَ فانياً عـن حَظه … وعـــن الهوى والأنــس بالأحباب

فلأنّه بيـــن المـراتب واقــف … لمـــنال حـــظ أو لحسن مَآبٍ

وقال أبو سليمان الداراني : أقرب مايتقرّب به إلى الله تعالى ، أن يطّلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره . انتهى كلام « ترصيع الجواهر » .

وفي « الإبريز » في ١٩٨ : **إن الغرض من الوليّ** الدلالة على الله تعالى والجمع عليه ، والتزهيد فيما سواه ، فإذا جعل القاصد إليه يطلب منه هذا الأمر ! فإنّه يربح معه ، وإذا جعل يطلب منه قضاء

الحوائج والأوطار ولا يسأله عن ربِّه ولا كيف يعرفه ! مقته الوليّ وأبغضه ، وهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به وذلك لأمور ،

منها : أن محبته للوليّ على حرف ليست لوجه الله تعالى ، وإنما هي على حرف ، والمحبة على حرف خُسْرانٌ مبين لا ينزل عليها نور الحق أبداً .

ومنها : أنّ الوليّ يراه في تعلّقه بغير الله تعالى في عين القطيعة ، وهو يريد أن ينقذه منها والعبد يريد منه أن يزيده منها ، فإنّ الوليّ يراه ترك الثمرة وأخذ الجمرة ، فالثمرة معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه ، والجمرة هي القطيعة عنه والقبض في غيره والميل إلى الدنيا والركون إلى زخارفها ،

ومنها : أن الوليّ إذا ساعده في قضآء بعض الأوطار وقابله ببعض الكشوفات ربما يظن العبد أنّ هذا هو الذي ينبغي أن تقع المعرفة عليه ، وفيه يرغب الناس ، وليس ورآءه مطلب ، **وكل ذلك ضلال** وموجب لمقت الوليّ له . انتهى .

مهم

فلا ينبغي للسالك أن يطلب ظهور الأحوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ؛ **وأكثر المريدين** يطلبون ظهورها وينقبضون حين لم تظهر لهم نتيجةُ الأذكار وسُترت عنهم حركات الألطاف **وأما العارفون منهم يخافون من حال البَسْط كما يخافون من الأسد ويتلذّذون بالقبض كما يتلذذ أهل الدنيا بدنياهم** ، وذلك لعلمهم أنّ في البسط هلاك بواطنهم وعمارة ظواهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعمارة الباطن .

مهم

وإذا قال المريد : في حال البسط مع الله حضور ومناجاة ومراقبة ومشاهدة ، وفي حال القبض ليس لي شيء من ذلك ! **فاعلم أن هذا المريد ليس أهلاً لما ادّعاه** ، ولا علم الله ولا عرف الحضور معه ، لأنّ الحضور مع الله تعالى هو الغيبة عن جميع ماسواه ، **ولا يَسْلبُ الإنسانَ عن جميع ما سواه إلاّ حالة القبض** . كذا في « السير والسلوك » فراجعه .

وقد كتب أخونا في الله العالم العارف المستور سيف الله الحسيني البشلاريّ النقشبندي القادري قدّس سره في رسالته إلى هذا الفقير هذه العبرات : إنّ التجليات تكون على قدر مقامات السادات باختلاف صور المرئي ، وقد لا يظهر شيء ، ولا يكون ذلك نقصاً في الحال ! فالعدم المحض أسنى الأحوال ، ولا بدّ من ظهور الخوارق متى ومتى ، وأغلب مايكون من ظهورها حين غلب عليه عدم ظهورها . انتهى من خطه بحروفه .

وفي « تقريب الأصول لتسهيل الوصول » : إنّ الله تعالى يستر عن العارفين كثيراً من مقاماتهم وكراماتهم حتى لا يخطر الدعوى على قلوبهم . انتهى ٥٣ .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني : كلما خفي الحال وأبطأ وجوده كان في حق صاحبه خيراً كثيراً . انتهى ١٨٩ من هامش « الإبريز » .

وفيه أيضاً في ١٨٢ : إنّ ما يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار **نقص** ، لاسيّما إن كان ذلك بميل منهم ! وذلك لأنّ الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب ، وإنما محلها الدار الآخرة . انتهى .

مهم

وفيه أيضاً في ١٨٩ : **غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة** . انتهى .

وكتب الإمام الرباني قدس سره في جواب مَنْ شكى إليه : بأنَّ الذوق والفرح الذي كنت أجده أوّلاً لا أجده الآن ، وأظنّ ذلك من تنزّلي وانحطاطي . هذه العباراتِ :

اعلم أيها الأخ أنّ الحالة الأولى كانت من قبيل حالة أهل الوجد والسماع التي للجسد دَخْلٌ تامٌّ فيها ، **وأمّا الحالة التي تيسَّرت الآن فالجسد قليل النصيب منها ، بل تعلّقها بالقلب والروح أزيد** ، وبيان هذه المعاملة يستدعي تفصيلاً **وبالجملة** : إنّ الحالة الثانية فوق الحالة الأولى بمراتب ، وعدم وجدان الذوق وفقدانُ فرصة الفرح فوْقَ وجدان الذوق والفرح ، لأنّ النسبة كلّما تنجر إلى الجهالة وتنتهي إلى الحيرة وتتباعد عن الجسد ! تكون أصْليّة وأقرب إلى حصول المطلوب ، فإنّه لا مجال في ذلك الموطن لغير العجز والجهل .

مطلب مهم

ويعبّر عن هذا الجهل بالمعرفة ، ويسمّى هذا العَجْزُ إِدْراكاً . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٢٢٦ ج ١ .

وقد يجوز أن يكون ظهور الأحوال ثواباً مُعجّلاً ينقص بها الأجور في الآخرة ! فإنّ مَنْ تلذّذ بشيء في الدنيا ينقص الله تعالى بقدره الثواب في العُقْبى ، فإذاً عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، ومَنْ تطلع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتة ، فإذا

سكن إليه القلب وقع فيه الحجاب ، والمقصُودُ المطلوب المهمّ هو الله[1] تعالى .

وأمّا الأحْوال فهي بمثابة السكر والزبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلُّوا بها ، فكما أنّ الأطفال لا يُعْطُونَ السكر والزبيب إلاّ عند بكائهم ! كذلك أطفال الطريقة لا يعطون الأحْوال إلاّ ضعافُ القلوب منهم دُونَ الأقويآء ، فإنّ مَطْمَحَ نظرهم ورآء الأحوال ؛ وقد قال الإمام الرباني قدّس سره : إنّ المقصود من حصول الأحوال التعلقُ والارتباط بمحوِّل الأحوال[2] ، فإذا حصل هذا التعلّق فلا ضرر من عدم حصول[3] الأحوال . كذا في « الدرر المكنونات » في ٢١٩ الجزء

---

(١) لا لأحوال (منه) .

(٢) وإن علم الأحوال أمر زائد على المقصود بل هو مضرّ للبعض ، راجع مكتوبات محمود الفعال ومكتوبات الچسطاوي قدس الله سريهما آمين . (منه) .

الكائن في الحال على قسمين

وقال إبن عطاء الله : في كتاب « التنوير في إسقاط التدبير » : وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول : الكائن في الحال على قسمين ؛ عبد هو في الحال بالحال ، وعبد في الحال بالمحوّل . والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال ، وهو يفرح بها إذا وجدها ويحزن عليها إذا فقدها . وعبد هو في الحال بالمحوّل : فذلك عبد الله لا عبد الحال ، وهو الذي لا يأسى عليها إذا فقدها ولا يفرح إذا وجدها . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : وكم من ظانٍّ أنّ أُنْسَه برَبّه وإنما أنسه بحاله . دليل ذلك فُقْدانُهُ لأنسه عند فقدان حاله . فلو كان أُنْسُهُ بربِّه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه . انتهى ، فراجعه في ٥٧ ومثله في « تقريب الأصول » في ١٢٨ (منه قدس سره) .

قال إبن عطاء الله : إياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحقّ سبيلاً . فيدخل في هذا جميع الأغيار والأنوار والمقامات والأحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة . فلا تلاحظ شيئاً من ذلك ولا تركن إليه ، ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب ، فإن ذلك قادح في إخلاص التوحيد « تقريب الأصول » ١٢٨ . فكن عبد الله لا عبد العلل (منه) ١٢٨ .

(٣) وقال ابن عطاء الله في كتاب « التنوير في اسقاط التدبير » وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول : الكائن في الحال على قسمين ؛ عبد هو في الحال بالحال ، وعبد في الحال بالمحوّل . والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال وهو يفرح بها إذا وجدها ويحزن عليها إذا فقدها ، وعبد هو في الحال بالمحوّل ، فذلك عبد الله لا عبد الحال وهو الذي لا يأسى=

الأوّل . وراجع « السير والسلوك » و« النفائس السانحات » وكتاب « الجواهر » و« الدرر » تجد فيها ما قلناه بالتمام .

وقد يفقد من السالك الأحْوال فيَظنّه من الخسران وليس كذلك ! فإنّه كلّما وجد على الاستقامة بالشريعة ثم فقد على حال الاستقامة فيها بلا فتور ولا نقص منّا فيها لا يُعَدُّ نُقْصاناً ، ولا يُتوهّم فيه خُسرانٌ ، بل هو بشارة الكمال ! إذ الفقدان بَعْدَ الوُجْدانِ على ما قُرِّرَ إمارة الترقي وثمرة البقآء ، إذ البقآء عبارة عنه ،

وأمّا قلّة الذوق أو عدمها في العبادة إن لم يترك من شروطها شيء ، ولم ينقص من أركانها وآدابها ، وكان في العبادة كأنه مجبور بها ؛ مع أنّ النفس يعمل بها كالآلة الجامدة بلا ذوق ولا شوق كالمشقات المعتادة بلا خوف من النيران ولا طمع من الرضوان ، بل استحياء من الرحمن هي كمال الفنآء ، وأول قدم البقاء .

كما قال سيّدنا سيد الطائفة جنيد رضي الله تعالى عنه : التلذذ من العبادة شرك . انتهى . يعني كلّما يحبّه القلب ويَهْواهُ سواء من العبادة كالصلاة والتلاوة ، أو من آلة العبادة كالمصحف والسجادة حجاب عليه من قبيل قوله تعالى : ﴿إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ . هذا حاصل ما قاله الغوث الأعظم محمود أفندي في بعض مكاتيبه ،

=عليها إذا فقدها ولا يفرح إذا وجدها . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : وكم من ظانّ أنّ أنسه بربّه وإنما أنسه بحاله . دليل ذلك فقدانه لأنسه عند فقدان حاله ، فلو كان أنسه بربه لدام أنسه بدوامه ولبقي ببقائه . انتهى فراجعه في ٥٧ ومثله في « تقريب الأصول » في ١٢٨ (منه قدس سره) . قال ابن عطاء إياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحقّ سبيلاً ، فيدخل في هذا جميع الأغيار والأنوار ، والمقامات والأحوال ، والدنيا والأخرة ، والنعم الباطنة والظاهرة ، فلا تلاحظ شيئاً من ذلك ، ولا تركن إليه ، ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب ، فإن ذلك قادح في إخلاص التوحيد « تقريب الأصول » ١٢٨ .

فكن عبد الله لا عبد العلل . منه ١٢٨ .

ويؤيده ما في « لواقح الأنوار » : إنّ طلب التلذذ بخطاب الله تعالى كما ذكرنا محمود بالنسبة لمن هو تحته في المقام ، وإلاّ فللَّه تعالى رجال يتوبون من التلذذ بخطاب الله تعالى إلا على وجه الشكر لا غير ، فإنّ مَنْ كان الباعث له التلذذ بخطاب الله تعالى فهو عبد لذته لا يكون عبداً لله تعالى . انتهى ١٧٧ من هامش « المنن » من الجلد الأول .

فائدة مهمّة : قال الشيخ محمد مراد في « النفائس السانحات » في ١٠٦ في ترجمة الشيخ محمد صالح : أنه قال : إنّ بعض الناس يقول : كيف نضيّع خمس سنين أو ست سنين في تحصيل هذه الطريقة ؟ مع أنّ العاقبة مَجْهُولة ، أتحصل في تلك المدّة أم لا ؟ وهذا القول يدل على بُعْدِهم عن ساحة السعادة ، فإنّ الإنسان إذا ضَنَّ[1] بخمس سنين من عمره في طلب الحق سبحانه وتعالى ففي ماذا يصرف جميع عمره ؟ !

وقال في هذا المعنى أيضاً : ينبغي للطالب أن لا يسأم ولا يضجر عن الطلب بل اللازم أن يَدُومَ ويَصْبِرَ على الشدائد والتزام الباب بكمال الأدب قائلاً :

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي   أو تقبلوني على عيبِي ونقصاني

إنّ سائلاً لو قرع باب واحد من كرام الناس وأَلَحّ في السؤال فلا جرم يستحي من ردِّه محروماً ! بل يَرِدُّه بكسرة الخبز التي هي مقصوده ، وما يطلبه الطالب من الطريقة لأَهْوَنُ على الله من كسرة خبز بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردّ طالباً صادقاً ! وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، ولكن لا بدّ من الجدّ والصبر ،

(١) ضنّ بالشيء : بخل « مصباح » .

وقال : إنّ بعض السالكين أراه مغموماً ومَهْمُوماً دائماً لظنه عدم حصول النسبة ، وليس الأمر كذلك ! فإنّ من داوم الذكر والصحبة لا بدّ من أن يحصل له النسْبَة ، ولكن لمّا كان حُصُولها على سبيل التدريج لا يظهر له شيء ، فيزعم أنّه لا يحصل له شيء فيغتم بذلك ، وهذا كمن يعطي ولده للخطّاط ليعلّمه الخطّ فيستكتب منه الخطاط في ساعته ويحفظ ما كتبه عنده ، ثم يترقى الولد في الخط شيئاً فشيئاً وأبوه لا يشعر بذلك ، فبعد مضي أيّام يقول للخطاط إنّ ولدي ما تعلّم شيئاً ، فَيُخرج الخطاط ما كتبه الولد أوّلاً فيقابله بما كتبه في ذلك الوقت فيتميّز الغث[1] من السمين ، وكذلك هُنا ! يعرف المرشد تباين الحالين ، ولكنّ أمر الطريقة لمّا كان أمراً معنوياً غير محسوس لا يمكن تفهيمه إلاّ بالتمثيل .

مهم

وقال في بيان سرّ عدم حُصُول هذه النسبة دفعة : أنّه سَأَلَ واحدٌ شيْخَهُ عن ذلك فقال : لو أنّ جواداً مثلاً أعطى مالاً جزيلاً لواحد من الفقرآء ربّما لا يكون لهذا المال قدر عنده ، ويصرفه فيما لا يعنيه ، ويغنيه في أيام قلائل ، ويبقى محتاجاً مفلساً ، بخلاف ما إذا أعطاه تدريجاً ! فإنّه ينفقه ، ويجد منه بركة عظيمة .

أقول وهذا كما قيل : إنّ المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب ، مع ما في حصولها دفعة واحدة من فوات المقصُود ، أعني حُصُول البصيرة في مَعْرفة عقبات الطريقة ، فإنّه كلّما كانت مُدّة السلوك أطول كانت البَصيرة في معرفة عقباتها ومقاماتها أوضح وأكثر . انتهى .

وفي « الرشحات » في ٩٩ ما خلاصته : ليس في جوف بني آدم

---

(١) غثت الشاة : عجفت أي ضعفت (مص) .

قلبان حتى يجعل أحدهما مشغولاً بالدنيا والثاني بالحق سبحانه ، بل فيه قلب واحد ، فإن جعله مشغولاً بالدنيا ! يبقى بلا حَظٍّ من الله تعالى ، وإن كان مُتوجّهاً به إلى الله تعالى ! تنفتح منه كوّة إلى الله فتشرق منها إليه شمس الفيض الإلهي ، فكما أنّ الشمس إذا طلعت تكون كلّ ذرّة من ذرات العالم محظوظة[1] من نورها من المشرق إلى المغرب وينبسط نورها على الكلّ ، فإن كان بيت لا روزنة له ولا كوّة يبقى محروماً من ذلك النور البتة ، كذلك القلب ! إن كان حاضِراً ! فحضوره بمثابة الكوّة يشرق إليه منها نور فيض الوجود ، وإن كان غافلاً ! يفوت عنه الاحتظاظ بذلك النور كالبيت الذي لا كوّة فيه . شعر :

ولا نقص في فيض الإله ولا بخل ولكنّما النقصان في نفس قابل

انتهى .

والفيض الإلهي غير منقطع أبداً ، والمانع من إحساسه ووُجْدانه إنما هو حديث النفس[2] ، ولذلك ينبغي للطالب أنْ يشتغِلَ بنفي الخواطر[3] بالجدّ والجهد ، وأنْ يتوجّه قلبه إلى الله وينتظر منه الفيض فمَنْ لم ينتظر لا نصيب له منها[4] ، كمن دَخل السقف والجدار وقت نزول الأمْطار ؛ ونسبة فيض رحمة الله مُتساوية للكلّ ، ولكنّ النقصان من القابل . نسأل الله سبحانه وتعالى كمال القابليّة .

فائدة أخرى : ينبغي أن يرى العمل مَحْبُوباً دُونَ الحضور والجمعية ، فإنهما من المواهب وعزيزي الوُجُود ، ولَيْسا تحت

---

(١) في نسخة : محفوظة .

(٢) كذا في « الرشحات » في ٩٨ راجعه (منه) .

(٣) راجع « الرشحات » في ١٠٠ (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) كذا في النفائس السانحات لمحمد مراد في ٢١١ من هامش الرشحات (منه) .

الاختيار ، وفقدانهما مُوجِبٌ للكسل والفتور ، بخلاف العمل ! فإنّه من المكاسب وتحت الاختيار ؛ والمواظبة عليه مُوجبة للجَمْعيّة والحضور ، فإنّ الفتور مُتطرّق إلى الجمعيّة والحضور ، وذلك واقع بالخاصيّة . انتهى .كذا في « الرشحات » في ٢٠٢ .

وفيه أيضاً في ٢٠٢ إنّ المقصودَ من هذا الطريق في اعتقادي كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً ، ويكتسب هذا المعنى بأعمال مناسبة وأشغال لائقة به ، وذلك في البداية ، وأمّا في النهاية فلا مَدْخل للكسب فيه أصلاً بل يكون هذا المعنى فيها مَلَكَة النفس وملكها . انتهى .

ومما ينبغى أن يعلم أن طلب حصول اللذة في الذكر وظهورالأشياء في النظر داخل في اللعب واللهو بل كلما توجد المشقة في الذكر يكن أفضل وأنفع . كذا في « الدرر » في ١٤ من الجلد الثالث . يعني أنّ ملازمة الذكر بملاحظة امتثال الأمر مع قطع النظر عن طلب الالتذاذ وحصول نتيجته[١] مقام أعلى وهي العبودية المحضة ، والله اعلم (منه) .

مهم

وقد أطلقنا عنان القلم في هذا الموضع لكون ما ذكرته فيه من أهمّ المهمّات عندي ، فلعلّ الله سبحانه ينفع به الإخوان . إنه وليّ النعمة والإحْسان .

الطريقة الرابعة التوجّه والمراقبة ، وهي أن يلازم القلبُ معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق بحيث لا ينفكُّ عنه في أيّ حال ، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً ! حصل

---

(١) أي الذكر .

مَبَادىء الفناء . كذا في « البهجة » .

ولها كيفيات عديدة ونحن إن شآء الله تعالى نذكر أنواعاً منها في هذا الموضع .

قال الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » : وإذا ظهرت النتيجة ـ أي نتيجة النفي والإثبات ـ وهي الحضور والذهول والنسْيان ، والاستهلاك والانمحاء والاستغراق والسكر والغيبة ، فيعلِّم الشيخ طريق مراقبة الأحديّة ؛ والمراقبة هُنا عبارة عن انتظار الفيض من الواحد الغفار ، وملاحظة ورودِهِ إلى مورده ، وهو لطيفة من لطائف السالك ، **وعيّنوا لكل مَقام مراقبة من المراقبات، فعيّنوا لدائرة الإمكان مراقبة الأحدية** ؛ وهي عبارة عن تجريد القلب عما سوى الله تعالى متوجّهاً إلى الله تعالى ، وانتظار الفيض من الله تعالى على لطيفة قلبه ، فإن دام الحضور والتجرّد والاستغراق ! فدُمْ على ذلك ، وإن وقع الوسوسة والخطرات ! فادفع بأحد الأمور المذكورة في كلام شيخي من تكرار الكلمة الطيبة والرابطة ونحوهما مما هو مذكور في كتب القوم .

ثم اعلم أيها الأخ الأعزّ بعد تمام سَيْرِ دائرة الإمكان يعلّم الشيخ بمراقبة المعية ، فإنهم كما يأمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية كذلك يأمرون بعدها بمراقبة المعيّة وتمام سير دائرة الإمكان[1] يعرفه السالك إن كان له كشف ، أو يخبره الشيخ إن كان هو صاحب كشف وبصيرة ، وإلاّ ! فينبغي أن يلاحظ السالك جمعيّة قلبه ، فإن بلغ انتفآء الخواطر أوقاتها إلى أربع ساعات كاملات فحينئذ يشرع في مراقبة المعيّة . هكذا قال بعض الأفاضل .

---

(١) ودائرة الإمكان تنقسم إلى صنفين : أعلى وأسفل ، فالأعلى : فوق العرش ويقال له عالم الأمر . والأسفل : من العرش إلى الأرض ويقال له عالم الخلق . « الأنهار الأربعة » .

قال في « الأنهارالأربعة[١] » : إذا حصل الحضور والجمعية للقلب بحيث يبلغ انتفاء الخواطر عنه إلى ساعتين فذلك عند البعض علامة لتمام دائرة الإمكان .

وقال بعضهم : علامته رؤية الأنوار . انتهى كلام « الأنهار » .

ثم يعلّم بمراقبة القلب على نهج ماحررت ، فصفاء القلب بظهوره بالنور الأحمر في عالم المثال ، وكماله بتجلي الصفات الفعلية ، فحينئذ يضمحل كسب العبد لظهور خلق الخالق سبحانه على كسبه كاضمحلال نور السراج عند ظهور الشمس ، أو كاضمحلال النجوم عند ظهور نور الشمس ، على تفاوت كمال القلب ، فالقلب تحت قدم نبيِّنا أبينا المشفق حضرة آدم عليه الصلاة والسلام ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الروح[٢] ؛ وصفاؤه بظهوره بالنور الأصفر في عالم المثال عند البعض ، وبالأحمر ـ كما في « المكتوبات » ـ وكماله بتجلّي الصفات الثبوتية فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه ، بل إلى الله تعالى ، فيأمَنُ من العجْب ونحوه من المهلكات ، فالروح تحت قدم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ، ونوح عليه الصلاة والسلام يشاركه ، وولايته منسوب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثم بمراقبة السِر ، وعلامة صفائه ظهوره بالنور الأبيض ، وكماله بتجلّي الشؤونات الذاتية فحينئذٍ يَرَى السالك في عالم المثال نفسه على صورته – كما في مكتوبات الإمام الرباني – حتى قال البعض من أهالي الكمال : إنّه تجلّي الذات . كما في « الفتوحات » . وهو تحت قدم موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام – أي تحت

(١) راجعه بعيد قوله الطريق الثالث الاستفادة من الشيخ ، انتهى .
(٢) ولينتظر بالانكسار إلى ورود الفيض برجاء الإفاضة منهم « كنز المعارف » .

ولايته – وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الخفي ، وصَفآءُ الخفي بظهوره بالنور الأسود ، وكماله بتجلي الصفات السلبيّة ، فحينئذ يكمل تنْزيه العبد لله تعالى ، وهو تحت قدم عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الأخفى وصفاؤه ظهوره بالنور الأخضر ، وكماله بتجلي الذات سُبْحانه ، ويؤيّده ما ورد – في الأخفى أنا – كما في « المكتوبات » فحينئذ يصير السالك مُتخلّقاً بأخلاق الله تعالى – على ما قال البعض – وهو تحت قدم نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام ، وولايته أيضاً مَنْسُوبٌ إليه عليه الصلاة والسلام ويقال لصاحبها[1] : محمديّ المشرب فالكلّ في سير الولاية الصغرى ، ثم بعد ذلك ينظر الشيخ بدقة النظر إلى حال المريد ، هل يقدر لرعاية آداب الولاية الكبرى ؟ ! فإنّ آدابَ الولاية الكبرى أدق من آداب الولاية الصغرى على ما قالوا ، حتى قال شيخنا جزاه الله عَنّا عن بَعْض السادات : إنّه لا يخرج الدَرويشان إلى سَيْرِ الولاية الكبرى تعليلاً بأنّهم لم يُراعُوا آدابها فيسقطُونَ منها ، فحينئذ يُعَلِّم سير الولاية الكبرى ، فدائرة الولاية الكبرى متضمّنة ـ على ما قالوا – الدوائر الثلاثة ، **وقوس الأولى دائرة الأقْرَبيّة ، ويأمُر فيها بمُراقبة الأقربيّة**[2] **ويُعَلِّمُها ، والثانية دائرة المحبّة ، والثالثة دائرة**

(١) وقد مرّ مثل هذه المذكورات في بيان الطريقة الثالثة ، وكرّرهنا بعضاً من العبارات المذكورة هناك ، لأنّ ما مرّ في بيان تذكير أصول اللطائف ! وما ذكر هاهنا في بيان كيفية المراقبة بملاحظة اللطائف ، فالتكرار لا يخلو عن فائدة زائدة فتدبر ، (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وهاهنا تنتهي الطريقة النقشبنديّة ! وما فوق ذلك من المقامات فممّا اختصّ بها الإمام الرباني ، ويقال لمن سلكها : مجدّديّ ؛ لأنه أول من فصلها ، وإن كان مشائخه ذاقوها بالإجمال ، فافهم ، وراجع زيل ترجمة « الرشحات » منه رحمه الله تعالى .

المَحْبُوبيّة ، - والقوس نصف دائرة هو دائرة قاب قوسين - ويعلِّم الشيخ في هذه الثلاثة مُراقبة المحبة على نهج ما قررت ، ومورد الفيض في الكلّ بالذات لطيفة النفس ، ثم بواسطتها سائر اللطائف ، فحينئذ يحصل كمال النفس ، وهي بعد كمالها تجلس سريرَ الصدر .

وكيفية المراقبات غير المراقبة الأحديّة مسطورة في رسالتنا ، وهي في يد كل من صنّف هذه الرسالة لأجله مَوْجودة ، ولهذه العلّة هذا الفقير عن كتابتها في هذه الرسالة معذورٌ .

وقال البعض في رسالته : وعلامة قطع بعض الدائرة وتمامها هي أنّ الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس ، وكلّما قُطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانيّة بكمال الشَعْشَعان ، ومقدارها الذي لم يقطع يعلم فإنّه يرى بلا نور ؛ كالشمس في وقت الكسوف . انتهى .

وقد ظهر لبعض المحبّين الدوائر الثلاث والقوس جملة بكمال الشعشعان ، وقد تعجَّب منه شيخه بعد القصّة .

ثم علامة تمام الولاية الكبرى أنّ معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلّق بالدماغ هي تتعلّق بالصدر ، لانتقال مورد الفيض في الدماغ حينئذ منه إلى الصدْر ، وهو لطيفة النفس ، وهي الآن في سرير الصدْر كما سبق ، فحينئذ يحصل شرح الصدر واطمئنان النفس والإسلام الحقيقيّ والارتقآء إلى مقام الرضآء . على ما بيّنوا في كتبهم قدّس الله تعالى أسرارهم .

قال إمامنا الإمام الغزالي في « الإحيآء » : أما بعد ؛ **فإنّ المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا**

من الدرَجَات ، فما بعد إدراك المحبّة مقام ! إلاّ وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، ولا قبل المحبة مقام ! إلاّ وهو مقدمة من مقدّماتها . انتهى كلامه .

ثم اعلم أن السير في الولاية الكبرى في الاسم الظاهر ، وهو جَناحٌ واحدٌ ، فلا بدّ من تحصيل جَناح آخر للطيران ! وهو السير في الاسم الباطن الذي هو ولاية الملأ الأعلى المسمّى **بالولاية العُلْيَا** ، وعَيَّنوا فيها مراقبة واحدة ؛ والترقيات بالأصالة في هذا السير لِلْعَنَاصِرِ سوى التراب ، والتراب تابع لها في السير ، ولكن لايتأخّر عنها كما في « الرسالة المدنيّة » ؛ ومورد الفيض في هذه الولاية بالذات للعناصر سوى التراب أيضاً ، وفيها ارتكاب الرخصة ينافي الترقي لتقوية طرف البشريّة ، بل التزام العمل بالعزيمة يفيد الترقي لتقوية طرف الروحانية والملكيّة ، **ثم بعد ذلك** إذا وقع السيْرُ يتشرَّف السالك بكمالات النبوّة ، ثم بكمالات الرسالة ، ثم بكمالات أولي العزم ، وهي التجلي الذاتي الدائميّ ، وهو على ثلاثة مراتب **وعيَّنوا لكلّ** واحد منها مراقبة على حدة ، **ثم مورد الفيض** في كمالات النبوّة عنصر التراب ، وإن كان للبواقي حظّ منها بالتبعيّة ، **ومورد الفيض في كمالات الرسالة وكمالات أولي العزم الهيئة الوحدانيّة** الحاصلة للسالك في هذا المقام من مجموع عالم الأمر وعالم الخلق ، ثم بعد ذلك إن تيسّر التسليك يسلك الشيخُ الطالب إلى أحد الطرفين أيّاً شاء ،

أحدهما : **طرف الحقائق الإلهية** ، وهي حقيقة الكعبة ، وحقيقة القرآن ، وحقيقة الصلاة ، وعيّنوا لكلٍّ مراقبة على حدة ؛

وثانيهما : طرف الحقائق الأنبيائيّة وهي الحقيقة الابراهميّة ،

والحقيقة الموسَوِيّة ، والحقيقة المحمديّة ، والحقيقة الأحمديّة ، ولكلٍّ أيضاً مراقبة على حدة على ما قالوا ، ثم وثم ، إلى ما شآء الله تعالى ، والله تعالى أعلم بالصواب ، والحمد لله الملهم بالحق والصواب ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بعدد كلّ شيء إلى يوم الحساب . انتهى ماقاله الشيخ محمد ذاكر الچيستالي في « تبصرة المرشدين » .

ومن أراد التفصيل فعليه أن يرجع إلى « النفائس السانحات » وغيره من كتب السادات .

وأحببت أن أكتب هنا جميع الدوائر والمراقبات الكائنة في هذه الطريقة المجدّدية على الكيفيّة التي أجملها غوث الثقلين الشيخ الفاني إسماعيل الچوخيّ الداغستاني المهاجري النقشبندي قدّس الله سرّه ، عن الالتفات إلى ما سواه لتعلم حقيقة ما تستعمله الطائفة النقشبندية المجددية الخالدية في طريقتهم فتقابلها بما عليه المغترون المتشبهون ، سامحهم الله ، وأيضاً وإن كانت الأشياء الذوقية لا يعرفها إلا أهلها ، لكنّ ذكرها لا يخلو عن فائدة فإنّ أهل الدعوى لو نظروا إليها بالانصاف لحكموا على أنفسهم بالإفلاس ، رزقنا الله وإياهم الاستقامة ؛ وقد وضعتها في الجداول مع زيادة في بعض الأمور ولعلك تعرف أن تميزها .

وهذا الترتيب إلى معبودية الصرف أراناه[1] حضرة علي كرّم الله وجهه أولاً ، وبعد ذلك رأينا مرات وكرّات .

(١) وفي نسخة : أرانا إياه . .

الولاية العليا

وهي ولاية الملائكة .

لاتعيّن — حب الصرف

دائرة إسماعيلية — كمالات النبوة

دائرة الاستغاثة — كمالات الرسالة

حقيقة أحمدية

وفي هذه المراقبة الأربعة يكون الترقي بهذه الصلاة الشريفة وهي : « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل صلواتك عدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك » .

حقيقة محمدية

قيّوميّة — كمالات أولي العزم — دائرة إسماعيلية

وفي هذه الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة يكون الترقي بقراءة القرآن ، والصلاة بطول القنوت ، وبقدر الاتباع بالسُّنَّة السنيَّة يكون الترقي زائداً . انتهى .

دائرة الوحدة لعيسى عليه السلام

دائرة التجان — دائرة الوحدة للأنبياء عليهم السلام

حقيقة موسوية

وفي هذه المراقبة يكون الترقي بهذه الصلاة وهي : « اللهم صل على محمّد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى كليمك موسى عليه السلام » .

دائرة الوحدة لآدم عليه السلام

دائرة الوحدة لموسى عليه السلام — حقيقة إبراهيمية — دائرة الوحدة لإبراهيم عليه السلام — دائرة الوحدة لنوح عليه السلام

ثم قال لي الخضر عليه السلام : ويتوّجه غوث الثقلين إسماعيل من هذه الدوائر لمن أراد من المريدين . انتهى مختصراً .

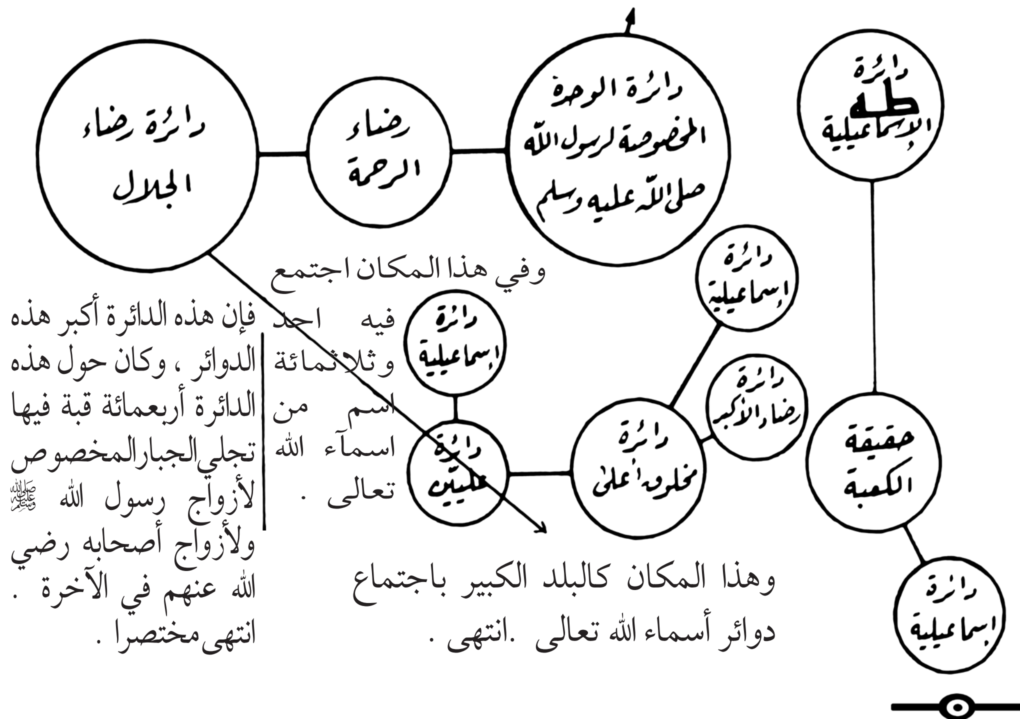

ومرة في توجّه شيخي صرت طويلاً ، فصار جميع المكان من السماوات والأرض مكتوباً عليها حُروف القرآن بخط خضراء بحيث لا يبْقى مكان لوضع القدم ،

حقيقة القرآن
حقيقة الصوم

فبقيت متحيّراً وبقيت بعده . الخ . ومرة في توجه شيخي بعد تعليمه إليّ حقيقة القرآن صِرْتُ طويلاً مع شيخي ومع الإمام الرباني فجاء القرآن من جوّ الدائرة وتعانقني وصرت مغشيّاً عليّ ولم أعلم بعده . انتهى مختصراً .

وفي ليلة الجمعة الثامنة عشر من شعبان سنة [1] ١٣٠٦ جاء

---

(١) وفي نسخة : ١٣٠٤ .

رسول الله ﷺ إلى تكّة غوث الثقلين إسماعيل بصورته الجسمانية وقال رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة وأنا أنظر بعين رأسي فإنّ الله تعالى خلق الآن لغوث الثقلين إسماعيل ثلاثة دوائر ، دائرة واحدة بحذاء معبودية الصرف ودائرة واحدة بحذاء مخلوق أعلى ودائرة واحدة بحذاء عليّين ، وفيوضات تلك الدوائر الثلاثة قد أسال الله تعالى الميزاب من نور تجلي الجبار إلى هيئة واحدية غوث الثقلين ، ويتوجّه غوث الثقلين لمن أراد من خلفائه من تلك الدوائر ، وأسماؤهم دائرة إسماعيلية . انتهى كلام رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ، انتهى .

هذه علامة حمراء فوق معبودية الصرف كالمنارة

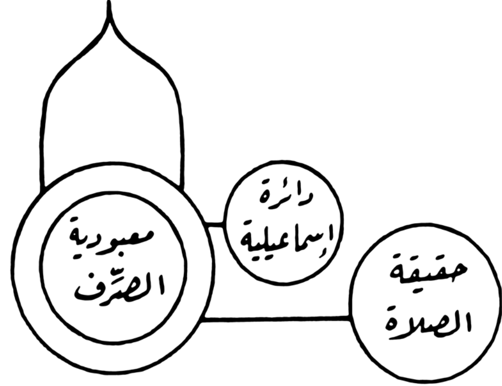

والأسرار التى فوق معْبوديّة الصرف كلها واجب الستر انتهى .

وفي هذه المراقبات يكون الترقي بقراءة القرآن والصلاة النافلة بطول القنوت والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان حول الدائرة رضاء الجمال مائة وثلاثة قبّة وفي جوّ تلك القباب تجلّى الجبار المخصوص لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن أراد الله تعالى . انتهى مختصراً .

وفي هذا المكان تسع دوائر مملوءة من بحور العشق . انتهى .

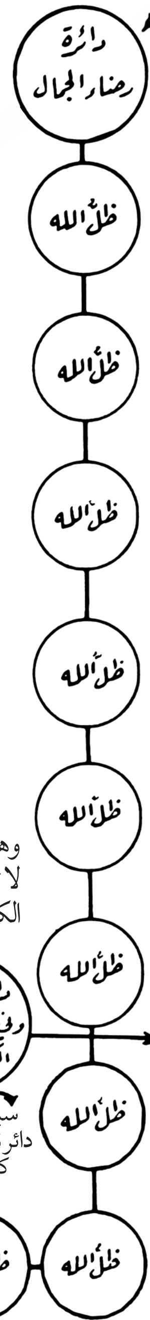

وفي هذه الدوائر أسرار كثيرة غريبة عجيبة . انتهى .

وهنا أسرار لا تكتب في الكتاب

دائرة السعادة وفي جوف هذه الدائرة الكبيرة

سبعة عشر دائرة واسماء كلها دائرة السعادة

وقال لي الخضر – عليه السلام – : فإن ذات البحت تعالى يدخل في هذه الدّائرة بلا كيف يوم يذبح الموت ، انتهى مختصرًا .

وفي هذا المكان تسعة دوائر مملوءة من بحور العشق . انتهى . وخلف دائرة رضاءِ القهار ثلاث وستون نقابًا من نقابات ذات البحت ، وخلف كلّ واحد من تلك النقابات دائرة واحدة إحدى وثلاثون دائرة تجلّي الجبَّار ، واثنين وثلثون دائرة لرضاء الرحمنِ الرحيم ، والمجموع من الدوائر ثلاث وستون . انتهى مختصراً .

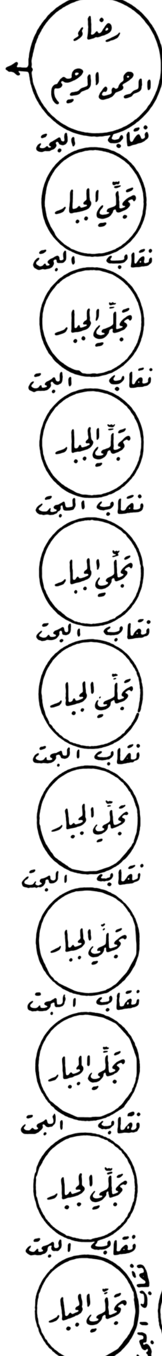

وهذه الدائرة أقرب الدوائر إلى نقاب . انتهى .

رضاء الرحمن الرحيم

نقاب البحت

وكان في جوار هذه الدائرة تاج البديع المخصوص لرسول الله ﷺ ، ثم
أعطى رسول الله ﷺ تلك التاج لغوث الثقلين إسماعيل بن سليمان الجوخي حين
طلع إلى تلك الدائرة في أوائل شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٤ .

نقاب الذات البحت

دائرة رضاء الرحمن الرحيم

نقاب الذات البحت

وفي هذا المكان قد تمّ الدوائر

ولكنّ نقابات الذات البحت بعد هذه الدوائر كثيرة بلا حساب ، لا يعلم عددها إلا الله تعالى ، وخلف كل واحد من النقابات بحر من الفيوضات اللاتي خرجت عن الذات البحت ، وتنتهي تلك البحور في سدرة المنتهى المخصوصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدد النقابات بعدها إلى الذات البحت إحدى ومائة نقاب ، وتلك النقابات كأوراق القرآن ليس بينها شيء ، هكذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحوالها وإلا ! لايقدر أحد من المخلوقات أن يتكلم من أحوال تلك النقابات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يعلم ما كان خلف النقابات اللاتي كانت بعد سدرة المنتهى إلا الله تعالى » . وفي سدرة المنتهى أسرار وغرائب وعجائب بحيث لا يتحمل القلم والكاغذ للكتبة ، ولا يمكن التلفظ بها بعبارة لضيق ميدان العبارة في حقها فافهم! ولا تكن من الممترين!

وهذه الدوائر طريق الأولياء إلى سدرة المنتهى المخصوصة له صلى الله عليه وسلم ، وطريق آخر كان لأولى العزم ، وطريق آخر كان لسائر الأنبياء ، وطريق آخر كان لأرواح من الأصحاب ونادراً من الأغواث ، وذهب عليه السلام إلى المعراج أي : إلى سدرة المنتهى من طريق آخر غير هذه الطرق ، وفي تلك الطريق ليس دائرة ولابحر غير مقام جبريل عليه السلام انتهى مختصراً . **وهنا أسرار** لا يدرك حقيقة تلك الطرق إلا الله تعالى .

وبعد كتبة هذه الدوائر أرسلت الدوائر بيد فاطمة رضي الله عنها الداغستانية الأوريّة العُرْكَچِيَّةِ إلى يد الخضر عليه السلام لينظر عليه السلام إليها ، فنظر بالدقة إلى جميع هذه الدوائر من أوّلها إلى آخرها ، وقرأ الخضر عليه السلام كلّ الدوائر مع ظهوراتهم ثم قال الخضر عليه

السلام لفاطمة : فاقرئي مني سلامي على غوث الثقلين ، ليس في هذه الدوائر خطأ وعرج ، وهي صحيحة كما كانت حقيقة ، ووقعت في مكانها ومقامها بلا خلط . انتهى ما قاله غوث الثقلين إسماعيل الچرخي المهاجري . فما أطول هذا الطريق ، وأنّى يصل إليه مَنْ يَمْشِي مَشْيَ النملة العرجاء من أمثالنا ، الغرقى في بحر عميق ، رزقنا الله تعالى المقام الحق الحقيق برفيق التوفيق . إنه هو العفو الكريم .

البابُ التاسِعُ والعِشرُونَ

في بيان كَون ما يَفْعَلهُ النقشبندِيّونَ في طريقتهم من الآداب وغيرها موافقاً بالأدلة من الكتاب والسنة أو آثار السلف من أهل السنّة والإجماع[١]

وقد قصدتُ[٢] أنْ أكْتُبَ هُنا خلاصَة ما ذكره العالم العلاّمة والحبر الفهّامة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفى الحنفي النقشبندي في « هداية الذاكرين » و« حجّة الواصلين » اختصاراً والتقاطاً ، مَعَ ضمِّ ما في سائر الكتب من الأشياء المهمّات في أثناء بَعْض المواضع .

قال قدّس سره : وبعد[٣] فشرائط النقشبندية : الاعتقاد الصحيح المطابق لاعتقاد أهل السنّة والجماعة ، والتوبة الصادقة ، واتّباع السنّة السنيّة ، واجتناب البدَع المخالفة للشريعة ، وترك الرخصة[٤] ، والعمل

(١) وفي نسخة : الجماعة .
(٢) وفي نسخة : وقد أردت .
(٣) بعد البسملة والحمدلة (منه) .
(٤) وقد قيل : متى رأيت المريد يشتغل بالرخص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجيء منه شيء=

بالعزيمة ، وردُّ المظالم ، والاستحلال من أصحاب الحقوق ، وقضاء الفوائت ، والتزام كثرة ذكر الله تعالى ؛ المأمور بذكره كُلَّ مَنْ آمن به واتبع سبيله ؛ باسم الذات الجامِعِ لجميع الأسماء والصفات العلية ؛ بالذكر الخفيّ في القلب واللطائف ، وبالنفي والإثبات ، ثم التهليل باللسان .

وأمّا آداب[1] ذكر المنتسبين لهذه الطريقة التي هي بمنْزلة الشروط عِشْرُونَ : أربعة عشر منها آداب ، واثنان منها مَعْرفة التأثيرات والواردات بسبب الورد والرابطة ، وأربعة منها أبواب إلهيّة ، **الأول** : الطهارة الكاملة بأن يكون مُتوضئاً طاهر البَدَنِ[2] والثياب والمكان ، **والثاني** : استقبال القبلة في مكان خال . **والثالث:** الجلوس مُتورِّكاً على عكس ما في الصلاة ؛ بأن يعتمد على وركه الأيمن ، ويخرج قدم رجله اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى . **والرابع** : الاستغفار من جميع المعاصي والمخالفات والغفلات بأن يقول : أستغفر الله خمساً ، أو خمس عشرة ، أو خمساً وعشرين مرة . **والخامس** : قراءة الفاتحة مرة ، والإخلاص ثلاث مرات وإهداء ثوابها إلى روح سيّدنا محمّد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليّة النقشبندية الخالدية قدّس الله

=وأمّا عند النقشبندية بعد الحضور لا يضر . كذا في « المتممات » فراجعه في ١٩٦ .
وفي « جامع أصول الأولياء » في ٥٢ : وليس المراد بالرخصة هنا ما هو كقصر الصلاة والجمع والفطر وغيرها ، بل المراد مداراة الناس والإقبال على الأسباب الخ فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) دأب علّه . (هامش الأصل) .

(٢) وفي « مفاتح الجنان » راجعه في ٩٧ وفي ٦٢ « شرح شرعة الإسلام » ما يدل على استحباب التيمم لذكر الله ولكل خير ولردّ السلام ونحوه كمسّ المصحف وقراءة القرآن عنه أو عن ظهر القلب وزيارة القبور ودفن الميت والأذان والدخول في المسجد أو خروجه ولو عند وجود الماء وصرّح به في شرح النقاية نقلاً عن المحيط ومثله في البزازية فراجعه (منه رحمه الله رحمة واسعة آمين) .

تعالى أسرارهم العليّة . **والسادس** : الاستمداد من أرواحهم . **والسابع** : تغميض العينين بلا شدّة ، لاصقاً الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة واللسان بسقف الفم ، منطلق النَفَسِ على حاله ، كما في حال النوم . **والثامن** : رابطة الموت ، وهي عبارة عن ملاحظة الموت وأحواله ، والقبر والسؤال والحساب ، والقيامة وأهْوالها ، كأنّ الموت قد حَلّ به الآن ، وكأنّ هذا آخر نَفَس من أنفاسه في الدنيا . **والتاسع:** رابطة المرشد من حيث هو مرشده وأستاذه ، وهي عبارة عن المحبة الكاملة له لله وفي الله . **والعاشر** : رابطة الحضور ، وهي عبارة عن التفكر بأنّ الله تعالى حاضر ناظر محيط ، عالم بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والعظمة ، منَزَّه عن المكان والجهة والصورة . **والحادي عشر** : الوقوف القلبي ، وهو عبارة عن التوجُّه إلى القلب الصنوبري بعين الخيال ، وتطهيره عمّا سوى الله تعالى . **والثاني عشر** : الوقوف الذكري ، وهو عبارة عن تخيّل لفظة الجلالة أعني لفظة الله ، وتخيل نقشه على القلب ، **والثالث عشر** : الوقوف العددي وهو عبارة عن ضَبْطِ عدد الذكر الذي ذكرْته . **والرابع عشر:** القول في رأس كل مائة[(١)] أو عند غلبة الخواطر مما سوى الله تعالى : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . **والخامس عشر:** مَعرفة تأثير الذكر ، أي انتظار الواردات الإلهيّة على القلوب واللطائف بَعْد تمام الورد بسبب الذكر . **والسادس عشر** : معرفة تأثير الرابطة ؛ أي انتظار الواردات والفيُوضات الإلهيّة . **والسابع عشر** : الشريعة وهي الباب الأول من الأبواب الأربعة الإلهية الموصلة إليه تعالى ، أي العلم بالشريعة واتباعها لدُخول الجنة والنجاة من النار . **والثامن عشر** : الطريقة ، وهي ثاني الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى لتكميل تزكية الإيمان والقلب . **والتاسع عشر** : الحقيقة ، وهي ثالث الأبواب الإلهيّة الموصلة إليه تعالى لتكميل الإنسان ، وكسب العيان .

---

(١) نعني رزيادة (وسلم) أولاً وآخراً (منه) .

والعشرون : المعرفة ، وهي رابع الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى ، وهي المطلب الأعلى ، وهي لسلامة القلب والعرفان ، وهذه الأبواب الإلهية كلها متلازمات لا تخالف بعضها بَعْضاً[1] ، فإنّه لا ينفع ظاهر إلاّ بباطن ، ولا يُعْتبر باطن إلاّ بظاهر ، لأنّه ورد « إنّما الأعمال بالنيات » ولا تنفع النيّة إلاّ بالعمل لأنّ النية شرطه . مثلاً : إنّ الرجل إذا نوى الصلاة فلم يُصَلّها لا تجزؤهُ عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلاّ بالنية كما بيّنه الإمام الشعراني في كتابه « الدر والياقوت » .

أمّا الطهارة الكاملة فلتعظيم الذكر وللسلاح على الأعداء ، كما في الصلاة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ وقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام « تنظّفوا بكل ما استطعتم ، فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ، ولن يَدْخل الجنة إلاّ كل نظيف » ، وقوله « إنّ الله نظيف يحب النظافة ، فَنَظِّفُوا أفنيتكم » وزاد في رواية « ولا تشبّهُوا باليهود » وقوله « الطهور شطر الإيمان » الخ وقوله « إذا توضَّأ العبد تحاتَّ عنه ذنوبه كما تحاتَّ ورق هذه الشجرة » . انتهى ، « هدية » وروي عنه عليه السلام « إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه ، فإن قعد قعد مغفوراً له » الحديث انتهى من « أسباب الفلاح » من ٢٥ .

---

(١) وفي « الإحياء » : فمن قال : إنّ الحقيقة تخالف الشريعة ، أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان . انتهى . فراجعه في ٧٥ ج ١ ، وفيه قُبيل هذا ما حاصله : أنّ قول من قال : إنّ الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر . انتهى فراجعه في ٧٤ (منه رحمه الله تعالى) .

* والوقوف القلبي عبارة عن وقوف السَالك قلبه بدون الذّكر وتوجّه عَلى بَالهِ وكونه ناظراً إليه حتى ينسدّ عليه خطور ما سوى الله تعالى ولا يكون للتفرقة سبيلاً إلى الْقَلْبِ فيحدث في القَلْب توجّهاً إلى المطلوب الحقيقيّ من « مكتوبات العُرْوَة الْوُثْقَى » .

وأمّا استقبال القبلة في مكان خال فلتعظيم ذكر الله ، ودفع الشغل ، وطلب الحضور والفراغ ، واجتناب الرياء . لقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام « خير المجالس ما استقبل القبلة » . انتهى . « هدية الذاكرين » .

وروى الطبراني بإسناد حسن « إنّ لكل شيء سيّداً ؛ وإنّ سيد المجالس ما استقبل القبلة » ، وفي رواية أيضاً « أنّ لكل شيء شرفاً » . انتهى « لواقح الأنوار » في ١٠٨ من هامش الجزء الثاني من « المنن » .

وفيه : وأمّا إن كان جالساً في حلقة فالتوجّه إلى وجوه الناس أفضل ، فراجعه . وقوله عليه الصلاة والسلام : « السرّ أفضل من العلانية » ولمن أراد الاقتداء العلانية أفضل من السرّ وفي الحديث القدسيّ « عبدي إذا ذكَرْتني في نفسك ذكرتك في نفسي » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله خالياً كمبارزة إلى الكفار من بين الصفوف خالياً » . وقوله ﷺ لعلي كرم الله وجهه ورضي الله عنه : « عليك بمُداومَة ذكر الله تعالى في الخلوة » كما في « جامع الأصول » .

وأمّا الجلوس متوركاً على عكس ما في الصلاة فلاتّباع الأصحاب رضي الله عنهم ، ولاستراحة البدن ، لأنّ الأصحاب كانوا يجلسون عند النَبي ﷺ على هذه الهيئة ، واتّباع الأصحاب سنّة ، وهي أقرب للتواضع وأجمع للحواس على القلب .

وأمّا الاستغفار فللطهارة من دنس الذنوب ؛ لأنّ الذنوب مانعة من الوصول إلى حضور حضرة ربّ الأرباب ، ورَيْنٌ وحجابٌ على القلوب ، وذلك فرض على كلّ مُذْنب وعاص ، لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية الخ ، ولقوله ﷺ « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وقوله « الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضَلَّه بأرض فلاة » وقوله « من لزم

الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همّ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » وقوله « ثلاثة مَعْصُومُونَ من شرّ إبليس وجُنوده : الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله » .

وأمّا قراءة الفاتحة والإخلاص وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة فللوَسيلَة للاستمداد منهم ، وللقربة والمناسبة لهم ، لقوله تعالى ﴿إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً﴾ الآية ولقوله ﷺ « ابتغوا إلى الله الوسيلة بالصلاة عليّ » كما رواه القاضي عياض ، وكيفيته أن يقول : اللهمّ بلّغ ثواب ما قرأناه أو مثل ثواب[1] ما قرأناه إلى روح سيّدنا محمّد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليّة النقشبنديّة قدّس الله أسرارهم العليّة ، وهذا أمر مشروع مسنون عند أهل السنّة الخ ، وصرّح علماؤنا في باب الحج عن الغير بأنّ للإنسان أن يجعَل ثواب عمله لغيره ، صلاة أو صَوْماً أو صدقة أو حجّاً أو غيرها . كذا في « الهداية » وقال في زكاة التَتَارْخَانِيَّةِ عن المحيط : الأفضل لمن يتصدّق نفلاً أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لأنّها تصل إليهم ولا ينقص من أجره شيء . انتهى .

ويؤيّده قوله ﷺ « من قرأ الإخلاص إحدى عشر مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدَد الأموات » وقوله ﷺ « ما الميت في قبره إلاّ شبه الغريق المتغوث ، ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة ، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها » .

وإنّ الله عز وجلّ ليُدْخِلُ على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال ، - أي : من الرحمة والمغفرة ، لو تجسّمت - وإنّ هديّة الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم والصدَقة عنهم .

---

(١) راجع « الفتاوى الكبرى » لابن حجر ، (منه رحمه الله تعالى) .

فائدة مهمة : قد يوجد في كثير من كتب الحنفية أنّ القراءة والتهليل والتحميد والتصلية وغيرها من أنواع العبادات لأجل المال غير جائزة ، وقد صنف الإمام البركوي قدّس سره في حق هذا المطلب كتابين جليلين ، أحدهما « إيقاظ النائمين » والأخرى « إنقاذ الهالكين » وأثبت فيهما عدم جواز تلك الأمور المذكورة لأن تقابل بأمر دنياوي بالنصوص الصحيحة من الكتاب والسنّة والقياس والإجماع ، فمَنْ أراد أن يعرف الحقيقة فعليه الرجوع إلى ذينك الكتابين .

وقال صاحب « التتارخانية » نقلاً عن « المحيط » : وإذا أوصى أن يدفع إلى إنسان كذا من ماله ليقرأ القرآن على قبره فهذه الوصية باطلة .

قال بعض : إذا كان القارىء معيَّناً ينبغي أن يجوز وصيته له على وجه الصلة دون الأجرة ، والصحيح أنّه لا يجوز وإن كان القارىء معيناً ، وهكذا قال أبو النصر وكان يقول : لا معنى لهذه الوصية ولصلة القارىء لِقراءته ، لأنّ هذا بمنْزلة الأجرة[1] ، والإجارة في ذلك باطلة ، وهذا بدعة ولم يفعلها أحد من الخلفاء . انتهى .

قال في « الخلاصة » : رجل أوصى لقارىء القرآن أن يقرأ عند قبره بشيء فالوصية باطلة ؛ ونقل تاج الشريعة في « شرح الهداية » أنّ القراءة بالأجرة لا يستحق بها الثواب لا للميت ولا للقارىء ، ووجهه انعدام النية[2] وهي مناط الثواب . انتهى ، ومثله في « البريقة المحمودة »[3] فراجعه من آخره .

---

(١) لأنّ هذا معروف بالعرف ، والمعروف بالعرف كالمشروط بالشرط ، فافهم . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وعن الحافظ العيني في « شرح الهداية » عن « الواقعات » : ويمنع القارىء للدنيا . « بريقة » ٥٠٩ .

(٣) وفيه في ٥٠٩ ج ١ بسط زائد في منع القراءة بالمال ، فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وأمّا أقوال العلماء الشافعيين معلومة مشهورة ،

فقد قال الشهاب القليوبي : تصح الإجارة لقراءة القرآن لحي أو ميت ، ويحصل له الثواب إن قرأ بحضرته أو نواه بها أو أهدى له الثواب الخ خلافاً لمن نازع فيه ، ويحصل مع ذلك ثواب القراءة للقارىء ، كذا قالوه فانظره مع قولهم : كل عبادة كان الحامل عليها أمراً دنياوياً لا ثواب فيها للفاعل انتهى ١٧٠ من الإجارة ، فراجعه .

مهم

وفي « حاشية إيضاح » لإبن حجر : ثمّ الذي يظهر أنّ محل الخلاف حيث قصد الدنيا لنموِّ ماله فقط ، أمّا لو قصدها لكفاية عياله والتوسعة عليهم وعلى المحتاجين ، أو نحو ذلك من الأغراض الصحيحة فينبغي أن يحصل له الثواب ، بل كماله جزماً لأنّ كلاًّ من القصدين أخرويّ . وراجع « الأنوار » مع « حاشية إبراهيم » في ٢٠ وابن حجر مع ابن قاسم وغيرها .

وفي « فتح المعين » قال شيخنا في « شرح المنهاج » : يصح الاستئجار لقراءة القرآن عند القبر ، أو مع الدعاء بمثل ما حصل له من الأجر له أو لغيره عقبها ، عيّن زماناً أو مكاناً أوْ لا ، ونية الثواب له من غير دعاء لغو – خلافاً لجمع . وإن اختار السبكي ما قالوه وكذا أهديت قراءتي أو ثوابها له خلافاً لجمع أيضاً – أو بحضرة المستأجر ، أي أو نحو ولده فيما يظهر ، ومع ذكره في القلب حالتها كما ذكره بعضهم ، وذلك لأنّ موضعها موضع بركة وتنَزّل رحمة ، والدعاء بعدها أقرب للإجابة ، وإحضار المستأجر في القلب سبب لشمول الرحمة له إذا نزلت على قلب القارىء ، وألحق بها الاستئجار لمحض الذكر[1] والدعاء عقبه . انتهى . من الإجارة .

(١) أي كالتهليل سبعين ألف مرّة المشهور بالعتاقة الصغرى . « ترشيح » ٢٠٣ راجعه .(منه) .

وقال السيد علوي ابن السيد أحمد السقاف في « ترشيح المستفيدين بتوشيح فتح المعين » قوله : (لقراءة القرآن عند القبر) الخ عبارة الأسنى ، والمغنى : **فرع** الإجارة للقراءة على القبر مدة معلومة أو قدراً معلوماً جائزة للإنتفاع بنُزول الرحمة حيث يقرأ القرآن ، ويكون الميت كالحي الحاضر ، سواء أعقب القراءة بالدعاء له أو جعل أجر قراءته له أم لا ، فتعود منفعة القراءة إلى الميت في ذلك ، ولأنّ الدعاء يلحقه ، وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة ، لأنّه إذا جعل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بحصول الأجر له فينتفع به ، فقول الشافعي : إنّ القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك[1] . انتهى ٢٥٣ فراجعه ؛

وقال أيضاً بُعَيْدَ هذا : والحاصل صحة الإجارة في أربع صور كما في الرشيدي ، القراءة عند القبر ، والقراءة لا عنده لكن مع الدعاء عقبها ، والقراءة بحضرة المستأجر ، والقراءة مع ذكره في القلب ، وخرج بالقراءة لا مع أحدها ، أي : فلا تصح الإجارة عليها ، واعتمد ع ش الصحة فيها أيضاً وهو ظاهر كلام سم . انتهى . وراجع « الفتاوى الكبرى » لابن حجر في ٢٩٨ من الجزء الثالث و« التحفة » في شرح قول « المنهاج » : وينفع الميت صدقة ودعاء ، و« لطائف المنن » في ١٢٤ من الجزء الثاني و« إعانة الطالبين » من الإجارة .

ورأيت في « الفتاوى الفقهية » لابن حجر ما يصرّح بأنّ ما يأخذه

---

(١) وفي « إتحاف السادة المتقين » : ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره ، واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل ، وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيراً ، وقرأ عنده ختمة ، وقال : أرجوا أن تدوم ، فكان الأمر كذلك وقد أفتى القاضي حسين بأن الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للآذان وتعليم القرآن .
قال النووي في زيادات « الروضة » : ظاهر كلامه صحة الإجارة مطلقاً ، وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزّل الرحمة ، وهذا مقصود ينفع الميت . انتهى فراجعه في ٣٢٩ ج ٩ (منه رحم الله إفلاسه) .

القرّاء من ربع الوقف في مقابلة القراءة سائغ ، بل هو من أطيب وجوه الكسب . انتهى ٢٩٨ من الجزء الثالث فراجعه .

لكنّ الإمام البركوي قدس سره من علماء الحنفية قال في « إنقاذ الهالكين » ما نصه : ولا تظننّ أنّ الشافعي يجوّز[١] بناء على تجويز الإجارة على التعليم وأمثاله ! فإنّه باطل من وجوه :

أمّا أوّلاً : فلأنّ الشافعي وكذا مالكاً لم يريا وصول العبادات البدنية للميت فكيف يجوّزان الإجارة التي هي تمليك المنفعة بعوض ؟ والمنفعة هاهنا لا تقبل التمليك ! !

وأمّا ثانياً : فلأنّ التعليم وأمثاله له منفعة غير الثواب ! وهو حصول العلم للغير ونحوه ، وغرض المستأجر ذلك دون إعطاء ثواب التعليم ونحوه ، فإذا أخذ الأجرة على التعليم لا يحصل له ثواب ، ولكن يحصل العلم للغير وهو المراد ! وكذا المراد من الأذان إعلام وقت الصلاة ، ولا ينافيه أخذ الأجرة وإن نافى حصول الثواب ، وكذا أخذ الأجرة على الإمامة لا ينافي صحة حصول الاقتداء وحصول ثواب الجماعة للمقتدين ، ألا يرى أنه يجوز الاقتداء بمن لم ينو للإمامة ، بل يجوز الاقتداء بمن نوى أن لا يصير إماماً ! نعم ينافي حصول ثواب الإمامة للإمام كما ينافي عدم النية ، فالفرق ظاهر ، فالقياس فاسدٌ .

وأمّا ثالثاً : فلأنّ الثواب منوط على النية عند الشافعي وجميع المجتهدين ، وفيما نحن فيه لم يوجد نية ، فلا يحصل له ثواب ، فكيف يجوّز الإجارة لأجل الثواب ؟ فلا ثواب ولا منفعة ، فلا إجارة ! إذ هي تمليك المنفعة بعوَضٍ .

وأمّا رابعاً : فلأن القراءة مثل الصلاة والصوم بلا فرق ، فقد قال

---

(١) يعني القراءة بالأجرة (منه رحمه الله تعالى) .

الغزالي في « فاتحة العلوم » : يجوز أخذ الأجرة على التعليم والإمامة والتدريس .

وأمّا أخذ الأجرة على الصلاة فحرام بالاتفاق . فدلّ هذا أنّ أخذ الأجرة على الصوم والقراءة لا يجوز أيضاً بدلالة النص .

وأمّا أئمتنا(١) فلا يجوّزون الإجارة على الطاعة أصلاً ! وبعض المتأخرين جوَّزوا في التعليم دون الإمامة والتأذين لما ذكرنا سابقاً ، أو لأنّ الأول يمنع الاشتغال بالكسب ، وأنّه منع العطاء من بيت المال ، فلو قلنا بعدم الجواز يلزم تضييع حفظ القرآن ، ولا كذلك الأخيران ! ثمّ البعض الآخر ممن جاؤوا بعدهم لمّا رأوا تغيير الزمان وأنهم لا يداومون الإمامة والتأذين حسبة بل يدافعون ، قالوا : لو قلنا بعدم الجواز يختلُّ أمر الجماعة وهي من شعائر الدين ، فأفتينا بجوازهما أيضاً لضرورة حفظ الدين مع وجود معنى الإجارة فيهما ، وكذا في التعليم ، لما بيّنّا سابقاً ، ولا ضرورة في القراءة وإعطاء الثواب بالأجرة ، ولا يوجد مَعْنى الإجارة فيه أيضاً فكيف يجوز ؟ ! انتهى كلام الإمام البركوي ٥١ .

وأمّا العارفون الذين حسنات الأبرار سيئاتهم فلا يجوزون القراءة بمقابلة شيء من هذه الجيفة المنتنة الأقل عند الله من جناح بعوضة ، المبغوضة الرذيلة ، بل يرون حال من يقرأ القرآن لمجرد قصد المال أسوأ من حال عابد الوثن من هذه الحيثية ، فإنّ عبدة الأوثان يعبدونها قائلين : ما عبدناهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى كما هو نص كلام الله تعالى ، وأمّا هذا فإنما يقرأ لمجرد عوض دنياوي لا غرض له سواه ، فينبغي لكلّ متديِّن أن يعْلم أنّ الصنَم المدور(٢) والصنم المربّع على حدّ

(١) يعني الحنفية (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) والمراد من الصنم المدور هو القروش الذي يأخذه القارئ بالسهر في طول الليل على شفير القبر (منه رحمه الله تعالى) .

سواء لا فرق بينهما عند أهل الشهود والعيان أصلاً ! وإن كان أرباب الحجاب في غفلة عن هذا ! فَتَدَبَّره فإنّه نفيس .

فإن قيل : فما هذا التشديد والمبالغة ! مع أنّ أبعاضاً من علماء الظاهر سامحوا في هذا الأمر ورخصوا فيه فهل يكون بين كلامهم وكلام المقربين موافقة أم لا ؟

قلنا : إنّ ما يكون مرخصاً عند قوم يكون كالمحرم عند قوم آخرين ، ولعلك سمعت قولهم : (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين) ألا ترى أنّه لو كان لشخص ولد مثلاً في مكان بعيد والحال أنّه لا يعلم أباه ولا رآه قط فإذا أراد أبوه أن يقرِّبه منه ويوصله لديه فيعده بالثواب وإعطاء الأجور ، ويهديه بالهدايا والعطايا ، ويرخِّص له الدنوّ إليه ولو لأجل العطية والهديّة ، بل يكون ذلك مرضياً ومحبوباً عند الأب ، ثم إذا عرف الولد أباه وصار عنده ليلاً ونهاراً فلو طلب ذلك الولد حالتئذ من أبيه عوضاً بخدمته له وقال : لا أخدمك أبداً إلاّ إن أعطيتني شيئاً كما كنت تعطينيه من قبل فهل يكون ذلك مرضياً عند الأب ؟ لا والله ! بل يكون سبباً لإبعاده بعد دنوه ، وطرده بعد قربه ، فهكذا ما نحن فيه فلا مخالفة بين كلاميهم ، فافهم . ولا تعجل .

وقد كنتُ مرة أقرأ القرآن على القبر بالأجرة ، فرأيت في الواقعة كأنّي أقرأ القرآن والقرآن تحت رجلاي ، فهالَتْني تلك الواقعة هَوْلاً عظيماً ، وعلمت تأويلها فتركت القراءة بالأجرة بعد ذلك وأعرضت عنها بالكلية ، غفر الله لنا ، إنّه هو الغفور الرحيم آمين .

مهم جداً

ولقد كان شيخنا ذو الجناحين العسوي رحمه الله تعالى يقول : لم أر شيئاً ليس فيه بركة من مال حَصلَ بقراءة القرآن . وكان يقول

أيضاً : إنّ القراءة بمقابلة المال مما لا أحبّه أصلاً .

وسمعته يقول : أني لا أوصي للقارىء على قبري شيئاً ما ، فمن أراد أن يقرأ مني لمجرد وجه الله فليقرأ وإلاّ فلا . انتهى .

ومن المعلوم المشهور أنّ مَنْ لا يقرأ من القرآن ختمة واحدة في طول السنة يقرأ طول الليل والنهار بترك النوم على شفير القبر لمجرد قروش واحد فهل هذا إلاّ استهزاء الله واستهزاء كلامه ! فبأي حجة يقف بين يديه سبحانه ؟

وقد قال البركوي في « إنقاذ الهالكين » ما حاصله : إنّ الضرورة التي تبيح الحرام أن يخاف على نفسه الهلاك من الجوع ، ألا ترى أنّ السؤال حرام على من له قوت يوم ! ولا يوجد قارئ على هذه الحالة ، وإن وجد فلا كلام فيه أن يجوز له أكل الميتة ولحم الخنْزير ، ومال الغير بلا إذن ، وما جاز للضرورة لا يتعداها ، فاعلم ذلك . انتهى ٥٢ .

مهم

فإن قلت : فما الذي يليق لنا[1] أن نفعله ؟ قلت – والله أعلم – : الذي يليق للموصي أن يوصي شيئاً معلوماً ليتصدق الوصي عن روحه من غير شرط التهليل أو القراءة ، ثم يقول الوصي للقارىء أو المهلّلين : إنّ هذا الموصى به هو صدقة لكم عن روح هذا الميت ، ولا يلزم عليكم من القراءة والتهليل شيء ، فلو جُدْتم بالقراءة أو التهليل[2] لمجرد وجه الله فلكم الثواب وللميت ، وإلاّ ! فليس عليكم شيء ما ، ثمّ بعد ذلك

(١) وفي نسخة : بنا .

(٢) وفي « البريقة » في ٥٠٨ ج ١ إنّ الأولى أن يأتي ذلك ، يعني : التهليل نحو سبعين ألفاً كما هو المتعارف لنَفْسه أو لغيره بلا أجرة ، ولو أعطى على طريق الصلة بلا عقد لجاز ، لكنّ الأولى عدمه أيضاً لأنّ ذلك قد يكون متعارفاً ، والمعروف عرفاً كالمشروط شرطاً . فراجعه ؛ (منه سامحه الله من فرطاته) .

يعلمون أنّ لا شيء عليهم ، وأنّ الصدقة ليست بمقابلة عوض ، فإن قرؤوا بعد ذلك أو هلّلوا وأهدوا الثواب يحصل للميت ثوابان : ثواب الصدقة ، وثواب القراءة أو التهليل ، هذا حاصل ما قاله شيخنا قطب الأولياء وملجأ الأصفياء قدس سره فإنّه كلام نفيس .

ولا يخفى أنّ ثواب الصدقة يزيد إلى سبعمائة وأكثر كما نطق به القرآن[١] ، فما بال طلب ثواب القراءة أو التهليل الذي يخاف عليه الفوات بالكلية لأجل مقابلتهما بعرض دنياوي بإضاعة سبعمائة أو أكثر من الأجر[٢] . جعلنا الله تعالى من عباده المخلصين . آمين . ولنرجع إلى ما كنا بصدده .

وأمّا الاستمداد من أرواحهم فللخلاص من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان وهذا أيضاً أمر مسنون لقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية قال الإمام الأعظم رحمه الله تعالى :

فلأنت أكرم شافع ومشفع ومن التجا بحماك وقاكا

وقوله ﷺ : « إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » .

وقوله ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله ! احبسوا عليّ ، يا عباد الله ! احبسوا عليّ ، فإنّ لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم » رواه ابن مسعود رضي الله عنه وقوله : « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني يا عباد الله أغيثوني فإنّ لله عباداً لا يراهم » . رواه عتبة بن غزوان . لأنّ روحانية سيدنا محمد ﷺ كجسمانيته في الفيض

---

(١) بقوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ الآية (منه) .
(٢) الذي يحصل له بسبب الصدقة (منه) .

والنصرة والإمداد ، وكذا روحانية الأولياء والصالحين من أمته معجزة له عليه الصلاة والسلام وكرامة لهم .

وفي الأمالي :

كرامـــــات الولي بـــدار دنيا لـــــها كـــونٌ فهم أهـــل النوال

وقال الإمام الغزالي : والرحلة لزيارة قبور الصالحين مندوبة ، ونفع الزائرين بحسب مَعارفهم وأسرارهم .

وقال ابن حجر في فتاواه : ولا تترك زيارتهم لما يَحْصُل عندها من المنكرات ؛ كاختلاط النساء بالرجال وغير ذلك .

ورخّص في « الدر المختار » زيارة القبور للنساء العَجائز بطَريق الاعتبار والرحم[1] ، وبطريق التبرّك بزيارة قبور الصالحين ، ويكره للشواب منهنّ[2] كحضور الجماعة في المساجد .

وأمّا تغميضُ العَيْنَيْنِ فلقطع الخواطر التي يُوجبها النظر ، ولكمال الخشوع ، وهذا أيضاً أمْرٌ مسنون لأمره ﷺ علياً كرّم الله وجهه حين علّمه طريق الذكر بقوله : « يا علي غمّض عَيْنَيْكَ » الحديث . لكنّه في الصلاة يكره تنْزيهاً إلاّ لكمال الخشوع ، فلا يكره بأن خاف فوت الخشوع[3] بسبب رؤية ما يفرق الخواطر ، بل قال بَعْض العلماء : إنّه الأولى وإنه ليس ببعيد ، كذا في « الحلية » ، و« البحر » ، و« الدر المختار » ، و« ابن عابدين » .

وأمّا رابطة الموت فلتذلّل النفس وانكسارها ، وهذه مَعْدُودَةٌ من

---

(١) وفي نسخة : الترحم .

(٢) وفي النساء خلاف : الأظهر في مذهب الشافعي الكراهة . كذا في « مشارق الأنوار » في ٧١ فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) وراجع « المنهاج » للنووي وشروحه ، (منه ، رحمه الله تعالى) .

الفرائض في رسالة حسن البصري لقوله تعالى : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام : « كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعُدّ نَفْسَكَ من أصحاب القبور » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « مُوتوا قبل أن تموتوا ، وحَاسِبُوا قبل أن تحاسبوا » . وقوله : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنّه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلاّ وسعه عليه ولا ذكره في سعة إلاّ ضيّقها عليه » . وقوله : « أكثروا ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكره إلاّ أحيَا الله تعالى قلبه وهوّن عليه الموت » . وقوله : « كلكم يحب أن يَدْخُل الجنة ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « فأقصروا من الأمل وثبِّتوا آجالكم بين أبْصاركم » الحديث . انتهى « هدية » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سره في هامش « صحيفة الصفاء لأهل الوفاء » هذه العبارات : عن مقداد بن أسود رضي الله عنه قال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه ، « كيف تفكّرك وفيما ذا ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال عليه السلام : « تفكّرك خير من عبادة سنة » ، ثم سأل عليه السلام ابنَ عباس رضي الله عنهما عن تفكره ، فقال : « تفكري في الموت وهول المطلع . قال عليه السلام : تفكرك خيْرٌ من عبادة سبع سنين » ، ثمّ قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه : « كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول يا ربّ اجْعَلْني بحال تملأ النار منّي حتى يصدق وعيدك لا تعذّب أمة محمد ﷺ ، فقال عليه السلام : « تفكرك خير من عبادة سبعين سنة » ، ثم قال عليه السلام : « أرْأفُ أمّتي بأمّتي أبو بكر رضي الله عنه » انتهى ٥ .

مهم

وطريق الفكر فيه ، أي : في الموت أن يفرغ الإنسان قلبه عن

كل فكر سواه ، ويجلس في خلوة ، ويباشر ذكر الموت بصميم قلبه ، ويتفكر أولاً في أقرانه وأشكاله الذين مضوا ، فيتذكرهم واحداً بعد واحد ، ويتذكر حرصهم وأملهم وركونهم إلى الجاه والمال ، ثم يتذكر مصارعهم للموت ، وتحسُّرهم على فوات العمر وتضيّعه ، ثم يتفكر في أجسادهم وكيف تمزّقت في التراب وصارت جيفة تأكله الديدان ، ثم يرجع إلى نفسه ويعلم أنّه كواحد منهم ، أمله كأملهم ، ومصرعه كمصرعهم ، ثم ينظر في أعضائه وينظر كيف تتفتّت ، وإلى حدقتيه كيف يأكلها الدود ، وإلى لسانه كيف يتهزى ويصير جيفة في فيه ، فإذا فعلت ذلك تنغص عليك الدنيا وكنت سعيداً . إذ (السعيدُ مَنْ وعظ بِغَيْرِهِ)كذا في « جواهر القرآن » .

وفيه : اعلم أنّ العارف الكامل المستهتر بذكر الله مستغن من ذكر الموت ، بل حاله الفناء في التوحيد ، لا التفات إلى ماض ومستقبل ، ولا إلى الحال من حيث أنه حال ، بل هو ابن وقته ، بمعنى أنّه كالمتحد بمذكوره ولَسْتُ أقول أنه متحد فلا تغفل فتغلط أو تسيء الظن ، وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لأنهما سوطان يسوقان العبد إلى هذه الحالة التي هو ملابسها بالذوق ، وكيف يذكر الموت ، وإنما يراد ذكر الموت لتنقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت ، والعارف قد مات مدة في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت ، فإنّه قد ترفع وتنزه عن الالتفات إلى الآخرة أيضاً فضلاً عن الدنيا ، بل قد ينغص عليه كل ما سوى الله ولم يبق له من الموت إلاّ كشف الغطاء ليزداد به وضوحاً وليزداد يقيناً ، وهو معنى قول علي رضي الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً . فإنّ الناظر إلى غيره من وراء ستر رقيق لا يزداد برفع الستر يقيناً ، بل وضوحاً فقط ، فإنّ ذكر الموت يحتاج إليه من لقلبه التفات إلى الدنيا ليعلم أنّه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها ، ولذلك قال النَبي ﷺ : « إنّ روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنّك مفارقه ، وعش ما

شئت فإنّك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ » . انتهى .

وأمّا رابطة المرشد فلقطع الخواطر والوساوس الشيطانية ، وللوسيلة إلى السير والسلوك ، وهي عبارة عن استحضار صورة مرشده الكامل مع روحانيته وتخيّله ، والاستمداد منه بالقلب ، لأنّه النائب عن النَبيّ ﷺ في التربية والإمْداد ، والفيض والإرشاد والتبليغ ، وهذا المعنى عبارة عن المحبّة الكاملة لله وفي الله ، لأنّه الواسطة والوسيلة بيننا وبين نبيّنا عليه الصلاة والسلام ، كما أنّه عليه الصلاة والسلام واسطة بَيْنَنَا وبين الله تعالى . انتهى « هديّة الذاكرين » .

والشيخ كالميزان ينْزل الفيض والنور من قلب الرسول عليه السلام الذي هو كالبحر المُحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري . وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل فتنْزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول ثم إلى المشائخ ثم إلى قلب المريد بواسطتهم[1] انتهى « الفتاوى العمرية » .

وفي « الرشحات » في ٧٦ : فمن أراد الاشتغال بهذه الطريقة ينبغي له أوّلاً أن يحضر صورة شيخه الذي أخذ النسبة عنه في خاطره حتى تظهر فيه نسبة عدم الشعور . انتهى . فبهذا يردّ قول من يزعم أن فعلِ الرابطة بالشيخ لا يجوز للمريد إلاّ بعدما حصل له الفناء ولا أدري قولاً مّا أعجب من هذا ، فكيف لا فإنّ الرابطة إنما تُفْعَلُ ليتوسّل بها إلى حصول الفناء وجلب الحضور والجمعية وأما بعد حصولها فالرابطة تنَزّل عن المقام وانحطاط عن الترقي وقد قال الخاني في « بهجته » : وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله وإن وجد في إحضار الصورة يعني صورة الشيخ المرابَطِ سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة

---

(١) وقال الغوث الشعراني قدس سره في « البحر المورود » : واعلم يا أخي أن ربط أحدنا قلبه بشيخ حيّ أو ميت ينفعنا وإن لم يكن ذلك الشيخ في علم الله تعالى شيخاً لأن ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله تعالى لا لذاته ، انتهى راجعه (منه) .

ويكون متوجها إلى ذلك الحال كما نقل في مقامات النقشبند قدس سره أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة وكان يوماً في مجلسه متوجهاً إلى الصورة فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها فقال خواجه نقشبند قدس سره خَلنِي وكن مُتوجها إلى تلك الغيبة لأن زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم ، وفي المعربات قال الغوث الصمداني قدس سره ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به الخ انتهى راجعه من ٤٠ .

وفي « المكتوبات » للإمام الرباني في ١٦٠ من الجزء الأول : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتعمل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات : أن ظل الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر فإنه لم تحصل بَعْدُ للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً والسلام أولاً وآخراً . انتهى .

وفي « البهجة السنية » في ٤٠ : إذا حفظ المريد صورة شيخه في الخيال ولو بغيبته فرؤيته بمقتضى : الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله ، تحصل بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب : هم جلساء الله تعالى انتهى .

وفي « الرشحات » في ٧٧ : فإن خطرت الخواطر فليحضر خيال حضرة المرشد فيرجى اندفاعها بإذن الله تعالى انتهى ، فافهم ، ولا تغرّنك قول من لم يفهم مَآلَ قولهم أن رابطة من لم يفن عن وجوده لا

تورث الفناء للسالك بل قد تورطه المهالك فإن الإضافة فيه ليست إلى الفاعل بل إلى المفعُول فهو دَلِيلٌ لعدم جواز الرابطة إلاّ إلى مَنْ حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى الأتمّين لا لعدم جواز رابطةِ المريد إلاّ إذا حصل له الفناء كما زعم بذلك واحد من أهل الدعوى ، فتدبره فإنه مما زلّ به قدمه ، فإن أردت أن تعلم حقيقة هذا الكلام فراجع البهجة السنية من صحيفة ٤٢ ، والله أعلم .

وفي ديارنا الداغستانيّة مَنْ ينكر أصل الرابطة ، بل أَخْبَرَنا واحِدٌ من العُلماء رحمه الله تعالى أنّ بَعْضاً يزعم أنّه شيخ نقشبنديّ قال : ألاَ يكفر مَنْ فعَل الرابطة ؟ ! الخ . فنقول وبالله التوفيق إِنْ أخذ هذا القائلُ من الرابطة – التي بمَعْنى الاستمداد من شيخه ظاهراً وباطناً والمحبّة الكاملة له – معنى اتخاذ الشيخ مُرْشِداً ومَعْبُوداً بالذات ومَقصوداً للمريد ! فهذا القول نشأ من عدم فَرْقِه بين الرابطة المشروعة المقبولة عند أرْباب[1] الطريقة والشريعة ، وبين الرابطة المردودة التي سوّاها بالصنم . نعم ! إن كان معنى الرابطة بهذا المعنى فنَحْنُ مَعَهُ في مَرْدُوديّته وإيجاب الكفر ، لكنّ الرابطة التي هي تخيُّل صُورة الشيخ في قلبه لشدّة محبّته له ليكون وسيلة له في الخضوع والخشوع والحضور ، ودَفْعاً للخواطر والوساوس الشيطانية ، فهي أمْرٌ مسنون ، مشروع مَقْبُولٌ ، ليس لأحَدٍ من المؤمنين مَساغ لإنكارها ، فكيف يَسوغ له الإنكار وقد قال بها وبحسنها الأولياء الكرام ، وأئمّة الشرع الشريف من كل مذهب من المذاهب الأربعة ، تصريحاً وتلويحاً .

فمن الأئمة الحنفيّة : كمال البابرتي في « شرح المشارق » في حديث : « من رآني[2] فقد رآني » .

---

(١) فالعجب ممّن يزعم أنّه نقشبنديّ ، كيف ينكر الرابطة مع أنّها الركن الأعظم في الطريقة النقشبندية ، فإنكاره هذا يشعر عدم كينونته شيخاً نقشبندياً . فافهم (منه رحم الله تعالى) .

(٢) علّه في المنام .

ومنهم الإمام العارف بالله عُبَيْدُ الله السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ .

وصرَّح الإمام العلامة المحقق الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحّة ظهور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منهم حتى بعد الموت .

ومنهم العالم العلامة مولانا عبد الرحمن الجامي في « شرح الرباعيات » ، وفي « النفحات » ، وفي « رسالة توجه الخواجكان » ، ومنهم العالم العلامة محمد أبو سعيد الخادمي[1] في « رسالته النقشبندية » ،

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » ،

ومنهم الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في « التاجية » ،

ومنهم ابن كمال الوزير قال : الروح في الدنيا كالسيف في الغمد ، وأمّا بعد الموت فكالسيف المسلول لتجرُّده عن العلائق الجسمانية .

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » ،

ومنهم صاحب القاموس في مقدمة « البَصَائر » .

وقال الشيخ المحقق نجم الدين الكبرى : فالرابطة بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تتصفى مرآة القلب بدون رابطة المرشد .

ومنهم قدوة المحققين وزبدة المتأخرين عبد الغني النابلسي في « شرحه على التاجية » .

---

(١) شارح الطريقة المحمدية .

ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي ، وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني .

ومنهم العلامة ابن عابدين على « شرح الدر المختار »

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إسماعيل حقي في عدة كتبه وفي « التحفة الوسمية » .

ومنهم العالم إبراهيم حقي الأرْضِ رُومِي في « مَعْرِفَة نَامَة » .

ومنهم الإمام العالم الإمام الرباني في « مكتوباته » .

قال : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتَعَمُّلٍ علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلا ! فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة . أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في « الفقرات » أن ظل الدليل[1] أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع ، يعني : إن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم يحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً ، والسلام أولاً وآخراً راجعه في ١٦٠ من الجزء الأول .

وكذا ابنه محمد معصوم الحنفي في « مكتوباته » ،

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكي النفوس » ،

ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » .

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوى » .

ومن الأئمة الشافعية :الإمام الغزالي ، في « الإحياء » ، في بيان

---

(١) أي الشيخ .

ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة .

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين ابن حجر المكي في « شرح العباب » وفي « شرح الشمائل » .

ومنهم خاتمة المحدثين العلامة الخافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » ،

ومنهم العالم الإمام الشعراني في « النفحات القدسية » .

ومنهم العالم العلامة السفيري الحلبي الشافعيّ في « شرحه على البخاري » في حديث : « ثم حبّب إليه الخلاء » قال : **إن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثّل بصورة النبي ﷺ لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل بشرط ذكره ثمة** . انتهى .

ومنهم الإمام السهروورديُّ في « عوارف المعارف » ، ومنهم زين الدين الخوافي في « وصاياه » .

ومن الأئمة المالكية : صاحب « المختصر » المشهور الجليل العلامة الشيخ خليل ، من أجلّ فقهآء المالكية ،

ومنهم الشيخ أبو العباس المرسي ،

ومنهم الإمام العالم العلامة ابن عطاء في « تاج العروس » ،

ومنهم السيّد محيي الدين العَرَبيّ في الباب الثلاثين من « الفتوحات » .

ومنهم الإمام الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدة مواضع منها .

ومن الأئمة الحنابلة الإمام الرباني العلامة شمس الدين ابن القيم

في كتاب « الروح » .

قال: للروح شأن آخر غير شأن البدن ، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت ، بحيث إذا سلّم على صاحبها ردّت السلام وهي في مكانها هناك . انتهى . نقلاً عن السيوطي في كتابه « المنجلي » .

وقصة الإمام الخطيب الشربيني مشهورة متواترة عند العلماء المصريّين أنّه خطب وصلى الجمعة في أربعين مَسْجداً في يوم واحد في جمعة واحدة ،

ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني قال ما معناه :

فوائد الرابطة

إنّ للفقير السالك طريق القوم رابطة قلبيّة مع الأولياء ، فيستفيدُ منهم بسبب تلك الرابطة باطناً ، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الذي ليس له رابطة معهم فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى . نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب آداب المريدين مع شيخهم . وقال الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ وقال ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ وقال ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ وقال ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وقال : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . وقالﷺ : « تفكروا في آلاء الله ولاتفكروا في ذاته » . الحديث . فإنّ التفكر فيه تعالى يؤدي إلى التصور والتخيُّل ، وهو سبحانه منزَّه عنهما ، وعن كلّ ما يخطر بالبال ، وإذا غلب على الذاكر هذا التفكر يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن من شرك ، فهذه من جملة فوائد الرابطة ، فإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وخلق السموات والأرض جائزاً ومرغوباً فيه بالأدلّة ! فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف

آلائه محمّد ؟ الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم وفي خلفائه وأتباعه الكاملين ؟

وَمَنْ أراد تفصيل ما قاله العلماء المذكورون آنفاً فعليه الرجوع إلى « هديّة الذاكرين » وفي « تبصرة الفاصلين » و« الفتاوى العمريّة » و« الرسالة[1] الخالديّة » في الرابطة و« الرحمة الهابطة » بَسْطٌ سديدٌ في إثبات هذا المطلب العزيز ، ويكفي لذلك شاهداً حديث : « **ذكر الأنبيآء من العبادة ، وذكر الصالحين كفارة الذنوب ، وذكر الموت صدقة** » انتهى .

فوائد الرابطة

ولا يمكن ذكر الشيء إلاّ بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال ، وكذا يكفي ما حصل لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث لم يجد محلاً خالياً من النبي ﷺ حين أراد قضاء حاجته البشرية ، فاشتكى من هذه الحالة إلى النَبي ﷺ فرخص له فيه . انتهى .

وذلك لتمكّن حبِّه رضي الله عنه للنبي ﷺ ، فإذا تمكَّن حبه لم تغب صورته الكريمة عن عين البصيرة لمحة راجع شرح « دلائل الخيرات » للفاسي .

ونقل صاحب « نور الهداية » من « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » ما حاصله : إنّ في حفظ صورة الشيخ في حال الذكر عين حكمة التذكير ، لأنّ المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة . انتهى .

وفي « نور الهداية » أيضاً : قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي : إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ، ويستمد منه ؛ إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى حضرة النبويّة ، وقلب النبي ﷺ

---

(١) وراجع إلى « نور الهداية » (منه) .

دائم التوجُّه إلى الحضرة الإلهيّة ، فالذاكر إذا صوّر صورة شيخه في قلبه تفيض الإمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ، ومن قلب سيد المرسلين على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على قلبه استعمال الآلة ، إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يؤثر ويقع محصّلاً للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر[1] .

مهم وهو دليل للرابطة

قال ﷺ : « الذكر سيف الله » ، ولكن ليس للسيف ضارب إلاّ لقوة مستفادة من حضرة بني السيف ، فإذا استمدَّ من شيخه جاءه المدد ، لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ انتهى .

وفيه : إنّها[2] تثمر ما يثمر الذكر ، بل هي أشد تأثيراً من الذكر لمن عرف شرطها وآدابها . انتهى .

وفي « الرشحات » في ٧٦ : فمن أراد الاشتغال بهذه الطريقة ينبغي له أولاً أن يحضر صورة شيخه الذي أخذ النسبة عنه في خاطره ، حتى تظهر فيه نسبة عدم الشعور . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » : إنّ الشيخ كالميزاب ينزل الفيض

---

(١) وفي « بهجة السالكين » : اعلم أن طريقتنا إما طريقة رابطة معنعنة كما بيناها في رسالتنا « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » وإما طريقة ذكر معنعن مسلسل ، وهما طريقتان مستقلتان للوصلة إلى الله تعالى عز وجل بانفرادهما ، وإذا اجتمعاً فيكون أقرب الطرق وصلة . انتهى فراجعه من صحيفة ٢٢ .
ورأيت في « جامع الأصول » ما حاصله : إن الذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ لا ينفع في الإيصال ؛ والرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة تنفع في الإيصال . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .
عن ابن عباس وهو « أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى لرؤيتهم » أي لما علاهم من بهاء العبادة . « السراج المنير » ١٥٤ ج ١ .

(٢) أي الرابطة (منه) .

والنور من قلب الرسول ﷺ الذي كالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري .

وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل ، فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول ثم إلى المشائخ ثم إلى قلب المريد بواسطتهم . انتهى .

ورأيت مكتوباً منسوباً إلى واحد وكان فيه ما حاصله أن المريد لا يجوز له أنّ يرابط بالشيخ إلاّ إذا حصل له الفناء ، واستدل لذلك بقولهم إنّ رابطة مَنْ[١] لم يفن عن وجوده لا تورث الفناء للسالك ، بل قد تورطه المهالك . انتهى ، ولعلّه ظن أن الإضافة في قوله رابطة مَنْ . . الخ إلى الفاعل ، مع أنّها إلى المفعُول ! وكان فيه أنّه سامحه الله قال : فتح عليه جميع علوم الأولياء واه واه وأدار المنتسبون إليه تلك المكاتيب العجيبة في البلدان ، وزعموا أنّ فعل الرابطة لا يجوز لأحد من المريدين في ديارنا ، فوا عجبا على شيخ فتح عليه جميع علوم الأولياء ولا يعلم أن يفرِّق بين الإضافة إلى الفاعل وبين الإضافة إلى المفعول ! ألم يعلم أنّ الرابطة إنما تُفْعَلُ ليتوسل بها إلى حصُول الفناء وجلب الحضور والجمعية ، ولا أدري معنى عدم جواز طلب الوسيلة إلاّ إذا حصَل المقصود والمطلوب فافهم . وراجع « البهجة » في ٤٠ .

وأما رابطة الحضور فلحُصول الفنآء في الله تعالى ، والانقطاع ممّا سواه تعالى ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ وجميع التبتُّل بالإخلاص والحضور ، والانقطاع عما سوى المذكور . ولقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وقوله في الحديث القدسي : « أنا جليس مَنْ ذكرني » الخ وقوله « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ، وهذه

---

(١) وقد يرد قول هذا القائل بما مرّ في هذا الكتاب آنفا ، فتدبر (منه رحمه الله تعالى) .

الرابطة[1] عبارة عن التفكر في أنّ الله تعالى حاضرٌ بَصِيرٌ ، مطّلع على جميع أحوالك ، عالم محيط بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والخوف والعظمة والجلال ، منزّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، وكل ما خطر ببالك فهو مُنزّه عن ذلك ، فسُبْحان من جعل العجز عن درك الإدراك إدراكاً .

وأمّا الوقوف القلبي فلقطع العلائق والحجاب ، وهو عبارة عن النظر والتوجّه إلى القلب الصنوبري الشكل ؛ الذي تحت الثدي الأيسر بقدر إصبعين بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى ، بعد تجريد نفسه عن الجسمانية ، ويتصوَّر نوراً بسيطاً وَحْدَانياً مجرداً عن الكيفيات كلها غير متعلق بشيء ظاهر على العالم الجسماني كظهور الشمس على الجسمانيات بحيث يكون جميع العالم الجسمانيّ بالنسبة إلى هذا النور البسيط كالذَرَّة في شعاع الشمس ، ويعلِّق نظر بصيرته بذلك النور البسيط ، ويداوم على ذلك النظر حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعُورٌ لغيرِ ذلك .

وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجّه إلى قلبه ويلاحظ فيه أنّ نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات[2] ، ويجعل قلبه محاطاً بنظر الله تعالى ويستمرّ على ذلك ، وبالاستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود ، فعند ذلك يظهر سرُّ قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ويكون فانياً عن وجود الإمكان ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلها إلا وجود الحق سبحانه وتعالى ، فيظهر سرُّ قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ

(١) وراجع ٢٦٢ .

(٢) وعبارة « جامع الأصول » أن يتوجه السالك إلى قلبه ويلاحظ فيه أن نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ويجعل ذاته محاطة بنظر الله تعالى ويستمرّ على تلك الملاحظة انتهى راجعه ٧٥ .

رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ فيكون واصلاً إلى الله تعالى . كذا في « شرح رسالة الخادمي » قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي مَنْ تطهَّر ظاهره بالشريعة ، وباطنه عما سوى الله تعالى بالكلية ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ وأنّ الله تعالى كما لا يقبل الشريك كذلك الذكر في القلب لا يقبل الشريك لقوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[1] **فلهذا يلزم أولاً تهيئة المحلّ بالتخلية لمن أراد الذكر ، والتحلية . كذا في « الهدية »** .

وأمّا ما ذكره صاحب « الرشحات » أنّ الوقوف على معنيين : **أحدهما** : كون قلب الذاكر حاضراً مع الحقِّ سبحانه ، فهو بهذا المعنى من مقولة يادداشت المذكورة .

وكتب حضرة شيخنا في بعض كلماته القدسية : إنّ الوقوف القلبي عبارة عن حضور القلب مع الحق سبحانه بحيث لا يبقى للقلب مقصود غير الحق سبحانه .

مهم

وقال في محل آخر : ومن الشروط حين الذكر الارتباط بالمذكور والحضور معه ، **ويقال لهذا الحضور شهود ووصول ووجود ووقوف قلبيّ** ، **والثاني** : كون الذاكر واقفاً على قلبه ، يعني يكون متوجهاً في أثناء الذكر إلى قطعة اللحم الصنوبري الشَكل الذي يقال له القلب مجازاً ، وهو واقع في الجانب الأيسر محاذي الثدي الأيسر ، ويجعله مشغولاً بالذكر ، ولا يتركه غافلاً عنه وذاهلاً عن مفهومه ، ولم يجعل

(١) واعلم أن الذهن وإن كان بسيطاً لا يتعلق في زمان واحد بأكثر من شيء واحد ، إلا أنهم قالوا : يتيسر التوجه التام دفعة إلى شيئين للمجردين عن العوائق البشرية ، ولذوي النفوس القدسية القوية ، ولعل الآية واردة في حق غيرهم . فتأمله وراجع « البريقة » في ٢٠٩ ج ١ تجد فيه البيان ، (منه رحمه الله تعالى) .

بهاء الدِين قدّس سره حبس النَفَس ورعاية العدد لازماً في الذكر .

وأما الوقوف القلبي فجعله مهماً بمعنييه وعدّه لازماً ، فإنّ خلاصة الذكر والمقصود الوقوف القلبي ، شعر :

ترقب لِبَيْضِ القَلْــبِ كَــالطَيْرِ يَافَتَى   فَمِنْ بَيْضِ قَلْبٍ يَحْصُلُ الذَوْقُ وَالوَجْدُ

انتهى من ٣٢ .

وفي « الرشحات » أيضاً في ٣٢ : قال الشيخ علاء الدين العطار قدّس سره :الإكثار من الذكر ليس بشرط ، بل الشرط كون الذكر ناشئاً من الحضور(١) والوقوف حتى يترتب عليه الفائدة . انتهى .

الوقوف الذكري

وأما الوقوف الذِكري فلِلألفَةِ والأنسيّة مع الذكر لدفع الغفلة وجلب الحضور ، وهو عبارة عن تخيُّل نقش لفظ الجلالة ، أعني لفظة « الله » على القلب بقلم النور ، أو تخيُّل جريان الذكر في القلب بأي كيفية شآء ، مع ملاحظة المعنى وهو الذات بلا مثل ، المنزّه عن المكان والجهة والنقائص والصورة ، لا شريك له لقوله تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ الآية ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية « هدية » .

وأما الوقوف العددي فلتمييز عدد الذكر الذي هو أهمّ ، وهو عبارة عن ضَبْطِ عدد الذكر الذي ذكرْته ، وهذا أمْرٌ مسنون ، لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل : « يا معاذ ! كَمْ تذكر كل يوم أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ ألا أدلك على كلمات هنّ أهون عليك وأكبر من عشرة آلاف » الحديث . وقوله عليه السلام : نِعم المذكّر « التسبيح » وجوّز الفقهآء اتخاذ السبحة كذا في « البحر » و« الخزائن » و« الحلية » .

---

(١) والحاصل أن مخ الذكر وروحه ، حصول الحضور مع الحق سبحانه ، « طبقات الخواجكان » من مناقب عبد الخالق الغجدواني قدس سره .

وفي « المصباح » السبحَةُ خرزات مَنْظُومَة .

وأما قوله : إلهي أنت مَقصُودي ورضاك مطلوبي عند غلبة الخواطر وتشتّت النيّة بما سوى الله تعالى ، بقلبه أو بلسانه مع ملاحظة المعنى فلتصحيح النيّة وإخلاص العزيمة لقوله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾وطلب الرضاً أمْرٌ مَشْرُوعٌ . انتهى « هدية الذاكرين » . ولهذه الكلمة خاصية إذا أكثر المريد ذِكرها تُنْفى المقاصد والمطالب كلّها عما سوى الله تعالى . راجع « الرشحات » ؛

وأمّا انتظار الواردات والفيُوضات الإلهيّة على القلوب من التجلّي والأنوار والسكينة حالة الذكر والرابطة ، وبعد تمام الورد بسبب الذكر والرابطة ! فللبصيرة واليقظة ، وللأنس بها وللقيام بشكرها ، وهذا يُسَمَّى بالمراقبة عند الأكثر لأنّه يُرَادف معناها . قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله يحب أن يرى أثر نِعْمَتِهِ على عبده » انتهى من « هدية الذاكرين » .

وفيه : **واعلم** أنّ الإنابة هي إمّا بمعنى الرجوع ، أي : الرجوع من الكفر إلى الإيمان ، أو من المعصية والمخالفة إلى الطاعة ، والموافقة لأمر الله تعالى ، أو من الغفلة إلى ذكر الله عز وجل ، وهذا أمر واجب لقوله تعالى : ﴿ **وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ** ﴾ الآية . وإمّا بمعنى المراجعة أي رُجُوعِ المكلفين إلى المشائخ العالمين لتعلُّم كيفية الإنابة إلى الله تعالى ، وكيفية الذكر على الوجه المسنون ، ولتعلُّم أمور الدين . وهذا أيضاً أمْرٌ مشروع واجب على المكلفين لقوله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وبهذا المعنى تعبيرُ العوام بأخذ الإنابة من المشائخ ، وكذا الإنابة إليهم لا غير .

وأما الانتساب إلى المشائخ فَأمْرٌ مشروع ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا باللَذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسَّكوا بعَهْدِ ابن أمّ عبد أي عبد الله ابن مسعُود » . ولقوله عليه السلام : « العلمآء ورثة الأنبيآء » . وقوله : « اتبعوا العلمآء فإنّهم سُرُجُ الدنيا ومَصَابيح الآخرة » . لأنّ الانتساب بمعنى الاقتدآء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى وهدى إلى صراط مستقيم . انتهى ، قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ وهي إشارة إلى ذلك ، فإنّ المشائخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المقتدين[١] . انتهى من « عوارف المعارف » ،

وفيه : وورد في الخبر عن رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمّد بيده ، لأقسمنَّ لكم أنّ أحبّ عباد الله تعالى الذين يحبِّبون الله إلى عباده ويحبِّبون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة » . وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأن الشيخ يحبِّب الله إلى عباده ويحبِّب عباد الله إلى الله ؛ ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعآء إلى الله . انتهى .

وأمّا النسبة إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم فهي كما قيل لمن آمن بمحمّد عليه الصلاة السلام واتَّبعه محمّديّ ، ومَنْ اقتدى بمسلك أبي بكر الصدّيق في الذكر القلبي يقال له صدّيقيّ ، ومَنْ كان على مذهب مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبندي ، وكذا مَنْ اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفي ؛ هكذا ورد في اصطلاح السلف وعُرْفِهم . وتجيء النسبة بمعنى الإسناد ، وورد : « الإسناد من الدِين » لأنّ عليه مدار المجتهدين ، **ومَنْ لا سند له فهو لقيط** .

---

(١) وفي نسخة : المتقين .

وقال عبد الله بن المبارك : **لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء** فلا بدّ من الوسائط والوسائل ، فلو لا الواسطة لذهب ـ كما قيل ـ الموسوط ، **وللوسائل حكم المقاصد** .

وأمّا تعلّم الذكر من المشائخ(١) فأمرٌ مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علّم النَبي ﷺ الذكر الخفي أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه ، والذكر اللساني علياً كرّم الله وجهه ، وهما علماء سائر الصحابة والتابعين انتهى « هدية » والأحاديث الواردة في تعليمه عليه السلام الذكر جماعة وفرادى مشهورة ، ولذا أعرضنا عن ذكرها . انتهى .

وأمّا الأخوّة واتخاذ الأخوّة فلقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية . وقوله ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ ولقوله عليه السلام : « تواخوا في الله أخوين أخوين » وقد آخى النَبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين المهاجرين والأنصار ، وكذا بين الأصحاب مرتين ، فهذه الأخوّة أخوّة خاصة فوق الأخوّة العامة ، وكذا أخوّة المريدين المَنْسُوبين إلى شيخ واحد ! لقوله عليه السلام : « أكثروا من الإخوان » الحديث ،

وأمّا البيعة فهي بمعنى المبايعة ، وهي والمقاومة والمعاهدة بمعنى ، وذلك جائز في المعاملات الشرعية كلها ، وأمّا المبايعة على فعل الواجبات والسنن ، وترك المنكرات والبدع فمشروع أيضاً لأنّه ﷺ فعلها مع الأصحاب مراراً ؛ مع الذكور والإناث ، فرضي الله تعالى عنهم وأعْلَمَهُمْ رضاه بقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ الآية جعل الله النَبي ﷺ نائباً

(١) مهم ، قال عليه السلام « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ، بل لا بد أن يتعلم العلم من أهله » « هدية الذاكرين » .

عنه تعالى ، وجعل الأصحاب نُوَّاباً وخلفآء عن النَبي ﷺ ، وكذلك من بعدهم كابراً عن كابر إلى يوم القيامة من غير إنكار نكير ممّن آمن بالله تعالى من أهل السنة والجماعة ، فكذلك نبايع[1] أمة محمد ﷺ على أداء الفرائض والواجبات ، وردِّ المظالم ، واستحلال أصحاب الحقوق ، والأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، مع كمال اتِّباع السنن ، وتمام الاجتناب عن البدع وأهلها ، ودوام الذكر المأمور به من غير ترك .

ثم اعلم أنّ المبايعين ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى في بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يَجْمَعُهَا القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع الشروط يجمعها المبايعة[2] فيما أمِروا به . ولا يجوز البيعة على المعصية أصلاً لأنّه ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » كذا في « روح البيان » .

فائدة : ومن الأمور التي غفل عنها أهل الغلظة من المتشيخين[3] الذين يدورون في القرى باسم الوعظ والتذكير والنصح والوعيد عدم إطاعتهم سلاطينهم وأمراءهم ، وتغليظ القول والكلام في حقهم ، وقد يجب إطاعة السلطان في جميع ما يأمره ، وما لم يأمر بعصيان الخالق سبحانه قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ الآية ولا يجوز ردُّ التابع كلام متبوعه ، ومقابلته ومخالفَته ، وعدم قبول

---

(١) ففي كل مريد (فكل مريد لعلّه) يلقاه إلى مرشده الذي يجدّد بيعته فيجدّد الله ثوابه كما يجدّد ثواب المصيبة (مثل أيوب عليه السلام) في شهر أو شهرين ، « جامع الصغير » .

(٢) وفي نسخة : المتابعة .

(٣) فقد سمعنا أن واحداً منهم أفطر في يوم مع عدم رؤية الهلال وفقدان حجة شرعية ، لكونه أول يوم من شوال ، وأفطر معه كثيرون ، مع أن القاضي لا يأمر بالإفطار ولا يحكم بأن اليوم من أيام شوال ، وهذا مما لا يقبله عقل ولا نقل ، بل الواجب على كل أحد أن يمتثل أمر القاضي ولا يخالفه إلا بحجة شرعية . فتدبره . (منه رحمه الله) .

قوله وإطاعته في أمر مشروع ، عتوّاً وعناداً ، كالرعيّة للأمير قال ﷺ : « اسمعوا كلام مَنْ تجب طاعته من ولاة أموركم ، وأطيعوا أمرهم وجوباً فيما لا معصية فيه ، لأنهم نوّاب الشرع ، وإن اسْتُعْمِل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » أي : مشبهاً رأسه بالزبيبة في السواد والحقارة وقباحة الصورة . كذا في « البريقة » في ٤١١ ج ٢ وفيه وهذا حثٌّ على السمع والطاعة للإمام ولو جائراً ، وذلك لِما يترتب عليه من اجتماع الكلمة و . . الخ ، انتهى .

وفيه : واستدل به على أنّ الإمام إذا أمر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعمل ، أنه يتعيَّن على من عيّنه لذلك ، وينتقل من فرض كفاية إلى فرض العين عليه بتعيين الإمام[1] . كذا في « الفيض » انتهى .

وعدّ الشيخ أحمد ضياء الدين قدس سره في « نجاة الغافلين » سبّ السلطان ـ ولو عبداً أو فاسقاً أو ظالماً ـ وكذا ترك الدعاء بصلاحه ذنباً من الذنوب ، واستدلّ لذلك بما أخرجه الطبراني : « مَنْ أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله تعالى ، ومن أكرم سلطان الله في الأرض أكرمه الله عز وجل » ، وأخرج الشيرازي : « لا تدعوا أئمتكم بالفساد فأن صلاحهم صلاحكم ، وفسادهم فسادكم » . وأخرج الطبراني : « لا تسبوا الأئمة ، وادعوا الله لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم لكم صلاح » وابن النجار : « لا تشتغلوا قلوبكم بسب الملوك ، ولكن تقربوا إلى الله تعالى بالدعاء لهم ، يعطف الله قلوبهم عليكم » عن عائشة . انتهى .

وأمّا المصافحة عند البيعة وغيرها فمسنون لأنّه ﷺ فعلها مع

---

(١) والمراد كل من كان والياً على أمر الخلق ولو كافراً فإنه يعلم أنه ولو كان كافراً لا يأمر الناس بالزنا والسرقة وبالضرب والفتنة ، ولا بالقتل والمقاتلة فحينئذ يجب علينا التسليم والإطاعة ويكون حكمه كحُكْم الإمام المسلم . فتدبر ! (منه رحمه الله تعالى) .

الأصحاب عند البيعة وغيرها ، دلّ عليه قوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال ﷺ : « تصافحوا ، فإنّ المصافحة تذهب بالشحناء » . وقال عليه السلام : « تمام التحيّة الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » . وقال عليه السلام « إذا التقى المسلمان فسلّم أحدهما على صاحبه كان أحبَّهما إلى الله أحسنُهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة ؛ للبادىء تسعون ، وللمصافح[1] عشرة » . وكان عادة الصحابة إذا تفرقوا تصافحوا ، رضي الله عنهم ، انتهى .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » في ٩٢ من هامش « المنن » في الجزء الثاني : وروى أبو داود والترمذي : « ما من مسلمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلاّ غفر لهما قبل أن يتفرقا » . وفي رواية للطبراني مرفوعاً : « إنّ المسلمَيْن إذا التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما » . وفي رواية للإمام أحمد والبزار وأبي يعلى مرفوعاً : « ما من مسلمَين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه إلاّ كان حقاً على الله عز وجل أن يحضر دعآءهما ، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما » . ومعنى يحضر دعاءهما : يجيبه ، وإلاّ فالحق تعالى حاضر على الدوام . انتهى .

وأما مبايعة النسآء وتعليم الذكر لهن فهي مشروعة مسنونة بشروطها وآدابها ، لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية ، وكيفية المبايعة مذكورة في كتب التفاسير

---

(١) وسئل الإمام الرملي رحمه الله عن مصافحة الكافر ، هل تجوز أو لا ؟ وهل تستحب مصافحة المسلم ولو على قرب ، سواء الذكر والأنثى ، الصغير والكبير ؟ فأجاب : بأن مصافحة الكافر جائزة ولا تسن ، وتسن مصافحة المسلم عند كل لقاء ولو على قرب ، وسنيتها شاملة لمصافحة الرجلين ، ومصافحة المرأتين ، ومصافحة الرجل الأنثى إذا كانت محرماً له ، أو زوجته ، أو أمته ، أو كانت صغيرة لا تشتهى . وشاملة لمصافحة المرأة الأجنبي صغيراً لا تشتهى كذا في فتاواه فراجعه من هامش « الفتاوى الكبرى الفقهية » لابن حجر (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

والأحاديث ؛ والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عَنْهَا : والله ما أخذ رسول الله ﷺ قطُّ إلاّ بما أمر الله تعالى ، وما مسَّت كفُّ رسول الله ﷺ كفَّ امرأة قط ، وكان يقول إذا أخذ عليهن : قد بايعتكنّ . كلاماً ! » انتهى « هديّة » ، ملخصاً .

وفي « الرسالة القدسية » ما حاصله : يعطي الشيخ الإنابة للنسآء ، ولا يفعل الخلوة مَعَهُنَّ إلا إن كنَّ محرمياتٍ أو كان معهنّ محرم ، فيقعدْنَ وراء الستارة ويعلِّمهنّ . انتهى راجعه في ١٦ .

وفيه: أن الإمام الرباني قال في « مكتوباته » : سألتموني أنّ جماعة من النسآء يطلبن المشغوليّة ؟ الجواب : إن كنّ محارم فما المانع ؟ وإلاّ ! يقعُدْنَ وراء الستارة ويأخذن الطريقة[١] انتهى ٧١٦ .

وفي « الفتاوى » للشيخ عمر الميرطي : وأمّا الخلوة بالنسآء فإن كنّ متعدّدات فيجوز مع الحجاب ، وإن كانت واحدة أو كثيرة غير مستورة فلا يجوز أصلاً . « فتاوى خليلي » . انتهى .

وقال سيد علي زاده في « مفاتح الجنان شرح شرعة الإسلام » : وإذا أمّ الرجلُ النسآء في مسجد جماعة ليس معهنّ رجل لا بأس به ؛ وفي غير المسجد من البيوت ونحوه يكره ، إلاّ أن يكون معه ذات رحم محرم منه ! كذا في « خلاصة الفتوى » . انتهى ١١٢ .

وأما تعليم الذكر لهنّ فلعموم الأمر به لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية . كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وقال تعالى في حقهنّ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ الأية وقال في آخرها ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ

(١) ولا يجوز أن تسئلن ـ أي : نساء النبي ﷺ ـ إلا من وراء حجاب ، ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة أي من غير حجاب ، « أنوار » ٣٨ من النكاح ، حاشية العلامة الكمثراوي وحاشية الحاج إبراهيم .

﴿ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ وقال ﷺ : « يا نساء المؤمنين عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهنّ مسؤولات مستنطقات » .

وأمّا تعليم الذكر للعوام فلعموم الخطاب بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ فعلى العلماء والمشائخ أن يعلِّموهم أمر دينهم ، ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ، لأنّه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ سُئل عن علم فكتمه ، ألجمه بلجام مِن نار » وقوله : « إنّي لأعرف ناساً ما هم بأنبيآء ولا شهدآء ، يغبطهم الأنبياء والشهدآء بمنزلتهم يوم القيامة ، الذين يحبُّون الله ويحبِّبونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبهم الله » . رواه أبو سعيد ، وكثرة الذكر تستلزم محبة الله ، وهو من الأمر بالمعروف ؛ والأمر بالمعروف واجبٌ حتى على الآحاد قال تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ الآية . انتهى « هدية الذاكرين » .

يقول الفقير رحم الله إفلاسه : **إن تلقين الذكر أمر خاصٌ بالمشائخ الكاملين المأذونين ؛ لا يجوز لأحد من غيرهم أن يباشره ! لسرٍّ في التلقين** . وقد مرّ مراراً ، فليستحضره هُنا ، والله أعلم . نعم ! قال في « مزكي النفوس » ما خلاصته : إنّ الذكر على قسمين : ذكر التعليم وذكر التلقين ، **فذكر التلقين** هو الذي يفيد الطالب ، ويُذْهِبُ الحجابَ من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانيّةَ[1] ، وهو

(١) فإن الوسواس الخناس ـ أي الوجاع ـ لا يوسوس إلا مع الغفلة ، وكلّما تنبّه العبد وذكر الله خنس ، فالخنوس عادة له كالوسواس . عن سعيد بن جبير : إذا ذكر الإنسان ربه خنس=

مثل مطر النيْسَانِ ، **وأما ذكر التعليم** فهو الذي يذكره العوام بلسانهم ، ويُعَلِّمُهُم الآباءُ بلسانهم ، ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح . انتهى ٣٣٥ .

ولا تحصل تصفية القلب عن كدورات السوى ، وتزكية النفس عن رذائل الصفات الحيوانية[1] من الكلمة الطيبة[2] ، ومن سائر الأسماء الإلهية إلاّ إذا تلقَّنها الذاكر عن شيخ كامل ملقن إياها عن شيخ آخر ، وهكذا إلى رسول الله ﷺ . كذا في « المتممات » في ١٣٨ .

وفي الإبريز في ٢١٦ إن المريد إذا قال لا إله إلا الله قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل ! والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته فإذا لقن المريد سرت حالته في المريد . انتهى .

وأما التوجه أي توجُّه المشائخ إلى المريدين ، فهذا أيضاً أمرٌ مسنون ؛ مخصوص كماله بأهل الطريقة وأرباب الحقيقة ، ونفْعُهُ مشهود لأهله ، لقوله عليه السلام : « جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم ، فإنّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » .

ولقوله : « ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر

=الشيطان ووَلّى وإذا غفل وسوس إليه ، كذا في تفسير الشيخ الأكبر محي الدين العربي في سورة الناس ، وإذا كان كذلك فالذكر الذي لقّنه الشيخ العارف يكون معه نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار ويصير الذكر مطبوعاً في القلب ومنقشاً فيه فكلما توجه المريد إليه يجده ذاكر الله فيتنبه ويتذكر فحينئذ يخنس الشيطان ويولي ويتخلص من وسواسه ، والله أعلم (منه) .

وأما القصر في اسم الجلالة بحذف الألف بين اللام والهاء ، فهذا قد سمع في لغة بعض العرب ولا مانع من التكلم بأيّ لغة من لغاتهم ، بل قد جوّز الفقهاء ذبيحة من سمّى بتلك اللغة ، وقالوا بانعقاد يمينه . كذا بل عينه في « النور الساطع » و مثله في « تنوير الصدر » فراجعه . (منه قدس سره) .

(١) وقال الشرقاوي في شرحه على الحكم ما حاصله : أن زوال العيوب النفسانية لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كامل ناصح . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) أي لا إله إلا الله (منه) .

أبي بكر » وقوله عليه الصلاة والسلام : « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته[١] ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكَّركم الآخرة عمله » . ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول : « يا أنس ! كُنْتَ خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين كما قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ الآية . فانظر يا أنس هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من شدّة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضاً ظنّاً منه أنّ بكاء أنس لرؤية النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر ! لا تبك ، وإنما بكيت أنا من شدّة خوفك من النفاق وعدم أَمْنِكَ مِنْهُ ، فقال عمر : يا أنس ! مَنْ أَمِنَ مِنْ النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون .

ومعلوم أنّ هذا نفاق رياء لا نفاق شرك . كذا في « الفتاوى العمرية » وقيل : هذه القصّة مع حذيفة بن اليمان صاحب سرِّ رسول الله ﷺ . انتهى « هدية » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي في « صحيفة الصفا لأهل الوفا » التوجّه[٢] هو أن يلاحظ قلبه تحت قلب المرشد يسيراً ، ولطائفه كذلك ،

---

(١) يعني أن نور قلب العارف مشرق على وجهه ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومثلوا ذلك بالشمس إذا أشرقت على الجدار استنار الجدار الآخر لمواجهته لذلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس . كذا في « تقريب الأصول » في ١٦٥ ومثله في « الرحمة الهابطة » « الدرر » ج ١ وراجع نور الهداية (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) هذا في حق توجه المريد لاستفاضته من الشيخ ، وأما التوجه من طرف الشيخ فهو عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصب ما في صدره أوّلا بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر . كذا في « نور الهداية » في ٩٢ وفيه : والتوجه أنواع ، والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب=

إنْ أهْل[1] لطائف! وينتظر بواسطته الفيض، ولو أهل نفي وإثبات كذلك. انتهى ٦.

وقال في هامشه: وفي الأثر: «أنّ جبرائيل عليه السلام توجَّه النَبيَّ ﷺ في غار جبل حراء» انتهى من ٦،

وفيه أيضاً: والنَبي ﷺ توجّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور والحاصل أن التوجه الملقن المُعَنْعَنَ من النَبِيّ ﷺ إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم سَحَابُ الفيوضات، وقلوب المشائخ ميزاب الحكم والعرفان، مَنْ انتَظَر بالصدق وَصَل، ومن انتهى بالغفلة ذهل. انتهى ٦.

وقال قدّس سره في هامش «نهجة السالكين»: أوّل توجُّهٍ من جبريل إلى النَبي ﷺ ثلاث مرات: مَرَّةً للتخلية، ومرّة للتحلية، ومرة لإلقاء الوحي. وفي غار ثور توجَّه النَبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه، وهو التوجُّه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبنديّة انتهى ٧٧.

فكيفية إيقاع الذكر في القلب في اصطلاح السادات النقشبندية بالتوجُّه وبالصبِّ من صدر إلى صدر، لا بلقلقة اللسان بالذكر، كما زعم عليه البعض! وإنما يحيى القلب بمُقابلة قلب حيّ، فإنّ طريقتهم انعكاسيَّةٌ وانصباغيَّة، ويعمل توجّهُهُم الوَاحِدُ ما لا تعمله المجاهدة والرياضات للآخرين، ولذا قال في «النفائس السانحات»: فكل صحبة عند هؤلاء الطائفة تَعْدِلُ أربعين واحداً. انتهى. **ويؤيده حديث:** «المؤمن مرآة المؤمن» أي ينعكس من قلب أحدهما إلى الآخر ما

=المريد بتوجه جذبي يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه. انتهى، وكان شيخنا عبد الرحمن العسوي قدس سره يقول وقت التوجه: توجهت بقلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي، ومن قلبه إلى قلب هذا الطالب، وقصدت إزالة الظلمة من قلبه. انتهى، (منه رحم الله إفلاسه).

(١) أي إن كان أهل الخ (منه).

في القلب ، فربّما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحازيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر ، كما وقع لداود عليه السلام كما قال تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال : كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه ، ولهمّة أهل الله ونظرهم وتوجُّههم وأنفاسهم ومسّهم وصحبتم تأثير عظيم ، فمن ذاق يعرفه ، ومَنْ لم يذق لم يعرف . كذا في « الفتاوى العمريّة » فراجعه[١] .

وأمّا الذكر مطلقاً سواء كان سراًّ أو جَهْراً[٢] باللسان أو بالقلب فمشروع بالاتفاق ، وإنما الخلاف في الأفضلية والأولويّة ، قال عليه السلام : « السرّ أفضل من العلانية ، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء » . رواه ابن عمر[٣] ، راجع « هديّة الذاكرين » و« حاشية الدر المختار » لابن عابدين و« رسالة الفكر في الجهر بالذكر » و« رسالة الأجوبة عن المسائل المائة » و« الفتاوى الخيريّة »[٤] و« رياضة الأسماع في أحكام الذكر[٥] والسماع »[٦] و« النور الساطع » ؛

---

(١) وراجع « المطالب العالية » للإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى (منه) .
(٢) قوله أو جهراً أي لأهله ، فافهم ، وتذكر ما مرّ في مواضع متفرقة (منه) .
(٣) رواه الديلمي أيضاً . راجع « الزواجر » في ٤٢ من الجزء الأول (منه) .
(٤) هو كتاب نفيس في الطريقة الرفاعية (منه رحمه الله) .
(٥) وفي فتاوى ابن حجر رحمه الله تعالى : ما اعتاده الصوفية من عقد الذكر بالجهر به في المساجد لا كراهة فيه . كذا في « ذخيرة المعاد » ، فراجعه في ٣٧ من هامش « يواقيت عيدروس » من الجزء الأول ، وراجعه في ٢٢ ففيه بسط الكلام على أرجحية الذكر السري أو الجهري (منه رحم الله إفلاسه) .
(٦) فحاصل ما ذكروه في حق الذكر الجهريّ : أن المريد المبتدئ الذي دخل في طريقة ليس فيها التوجه الذي يحصل به حياة القلب ويخرجِ بسببه منه الظلمة والقساوة فذكر الجهر له أولى وأنفع وإن كان ذلك المريد المبتدئ منغمساً في الرياء ، فإن الرياء قنطرة الإخلاص ، فيأمر عليه الشيخ بتكريره والملازمة عليه آناء الليل وأطراف النهار ويأمره بترك الحظوظ وحوض فصيلة الإخلاص . فإذا دام عليه وكرره فيرجى أن يحصل لقلبه الحياة التي بها=

وأمّا الذكر والختم والحلقة بالجمعيّة والجماعات فمشروعة مسنونة لقوله تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية وروى أبو داود والبيهقي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّه قال : « جَلَسْتُ في عصابة أي : جماعة من ضعفاء المهاجرين وإنّ بعضهم ليستتر ببعض من العري ، هؤلاء هم أهل الصفة ، منهم مَنْ كان ثوبه أقلّ من ثوب صاحبه ، وكان يجلس خلف صاحبه يستترُبه ، وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقدم علينا يعني كنا غافلين عن مجيئه فنظرنا فإذا هو قائم فوق رؤوسنا ، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلّم ـ أي : النبي ﷺ ـ علينا ثم قال : ما كنتم تصنعون ؟ قلنا : نستمع كتاب الله تعالى . فقال : الحمد لله الذي جعل من أمّتي مَنْ أُمِرْتُ أنْ أَصْبِرَ نفسي معهم ، أي جعل زمرة فقراء مقرّبين عند الله بحيث أمرني الله بالصبر معهم بقوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الآية .

قال الراوي : فجلس ـ أي : النبي ﷺ ـ وسطنا ليعدل بنفسه فينا ـ أي يسوّي نفسه ويجعلها عديلة لنا في المجلس ـ تواضعاً منه ﷺ لربّه ،

=الحياة في الدارين وأن يخرج منها القساوة والظلمة الشيطانية ويطرد به الغفلة والنعاس ويندفع الوسواس ويصير بسببه من أهل الإخلاص الذين ينفعون بسماع أصواتهم الناس ، إذا رؤوا ذكر الله الملك القدوس . فالذكر الجهري هو العلاج لهذا المريد المبتدئ المذكور . وأما المريد الداخل في الطريقة النقشبندية التي التوجّه شرط فيها ، فلا يحتاج إلى الذكر الجهري ، لأن الطائفة النقشبندية يتوجهون إلى قلب المريد ويصبّون ما في قلوبهم إلى قلبه من نور النسبة ، فيحصل بذلك الحياة لقلب المريد ، فلا يحتاج أن يعالجه بتكرار الذكر الجهري كما احتاج إليه سالك سائر الطرق ، فإن توجهاً واحداً يفعل لقلب السالك ما لا يفعله الرياضات والمجاهدات في سنين عديدة ، كما هو مذكور في مواضع من « مكتوبات » الإمام الرباني قدس سره . وأما الكاملون منهم ؛ فجواز الجهر لهم نار على علم لا يحتاج إلى بيان . وبما ذكرته يندفع الإشكال ولا يبقى بعده النزاع والاعتراض ، ويجمع به بين أقوالهم ويتبين المراد . ولا حول ولا قوّة إلا بالله . (منه قدس سره العزيز ، من خطه) .

وَرَغْبَةً فيما نحن فيه ، ثم قال بيده هكذا ـ أي : أشار بها أن اجلسوا حلقاً[١] فتحلَّقوا أي جلسوا حواليه كالحلقة ـ وبرزت ـ أي : ظهرت ـ وجوههم له بحيث يرى عليه السلام وجه كلّ واحد منهم ، فقال : أبشروا ـ أي : افرحوا ـ يا معشر صعاليك المهاجرين ـ جمع صعلوك وهو الفقير ـ بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم ؛ وذلك خمسمائة سنة » وإنما دخلوا قبل الأغنياء لأنّ الأغنياء يقفون في العرصات للحساب ، ويُسْأَلُونَ عن جهة تحصيل الأموال وكيفيّة صَرفها ؛ والمراد بالفقراء : الصابرون الصالحون ، وبالأغنياء : الشاكرون المؤدّون حُقوق أموالهم . كذا في « مشكاة المصابيح » وشرحه . وقال رسول الله ﷺ : « أبشروا يا أصحاب الصُفَّةِ ، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما هو فيه فإنه من رفقائي يوم القيامة » . رواه الخطيب والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولقوله ﷺ : « ما اجتمع قوم على ذكر إلاّ حفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة » وقوله : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزّ وجلّ لا يريدون بذلك إلاّ وَجْهَ الله إلا ناداهم مُناد قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلَتْ سيّئاتكم حسنات » وقوله : « إنّ أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإنّ عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنّهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البنّاني وقوله « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ، قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال « حلق الذكر » وقوله : « إنّ لله تعالى سيّارة من الملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر ، فإذا أتوا إليهم حفُّوا بهم ، فيقول الله : غَشُّوهم برحمتي ، فهم الجلساء الذين لا يشقى بهم جليسهم »[٢]

(١) حِلَق ، بكسر ففتح – جمع حلقة بفتح فسكون ، راجعه .

(٢) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا مررتم برياض الجنة ، فارتعوا » – أي ارعوا كيف شئتم وتوسعوا في اقتناص الفوائد – قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال « حلق الذكر » . كذا في « الرسالة » في فضيلة الذكر ، فراجعه في ١٣ . (منه) .

أخرجه البزاز عن أنس ، وقوله كما في الصحيحين وغيرهما : « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلمّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا إلى السماء » الحديث ؛ « هدية » .

وفي « مراقي العبودية » : إنّ حضور مجالس الوعظ والعلم أفضل من اشتغالك بالأوراد والنوافل . كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه : « إنّ حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وشهُود ألف جنازة ، وعيادة ألف مريض » . انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٢٥ من الجزء الأول في فضيلة مجالس الذكر وقال ﷺ « المجلس الصالح يكفِّر عن المؤمن أَلْفَيْ ألف مجلس من مجالس السوء »[١] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه . « إنّ أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم » .

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا : ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا : **دَعْهُمْ فإنهم إذا تفرقوا أخذْتُ بأعناقهم إليك** . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه دخل السوق وقال : أراكم ها هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد ، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ، فلم يروا ميراثاً ، فقالوا يا أبا هريرة : ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوماً يذكرون الله عزّ وجل ويقرؤون القرآن ، قال : فذلك ميراث رسول الله ﷺ . وروى الأعمش

---

(١) وراجع « مكاشفة القلوب » في ١٧٤ ففيه نظيره . (منه رحمه الله) .

عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنّه قال : « إنّ لله عز وجلّ ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجلّ تنادوا : هلموا إلى بغيتكم ، فيجيئون فيحفُّون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى : أيّ شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجّدونك ويسبّحونك . فيقول الله تبارك وتعالى : وهل رأوْنى ؟ فيقولون : لا ، فيقول الله جلّ جلاله : كيف لو رأونى ؟ ! فيقولون لو رأوْك لكانوا أشدّ تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً . فيقول لهم : من أيّ شيء يتعوّذون ؟ فيقولون : من النار . فيقول تعالى : وهل رَأَوْهَا ؟ فيقولون : لا . فيقول الله عزّ وجلّ : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشدّ هَرَباً منها وأشد نفوراً . فيقول الله عز وجل : وأي شيء يطلبون ؟ فيقولون : الجنة . فيقول الله تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون لا . فيقول الله تعالى : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جلّ جلاله : إنّي أشهدكم أني قد غفرت لهم . فيقولون : كان فيهم فلانٌ لم يردهم إنما جاء لحاجة . فيقول الله عزّ وجلّ : هم القوم لا يَشْقى بهم جَلِيسُهُمْ »[1] .

مهم

وأمّا تخصيص العدد في الختمات والذكر والصلاة فمشروع أيضاً ، لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل : « يا معاذ ، كم تذكر كل يوم ، أتذكر عشرة ألاف ؟ » .الحديث وقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وقال صاحب « العوارف » بعد ذكره هذا الحديث : فلا يشقى جليس الصوفية ، والمتشبه بهم والمحب لهم فراجعه من هامش « الإحياء » . فراجعه في ١٦٥ ج ١ . (منه رحمه الله تعالى) .

وذكر النووي ـ قدس سره ـ هذا الحديث في « رياض الصالحين » بألفاظ مختلفة ، وقال متفق عليه ، وذكره أيضاً برواية مسلم . فراجعه ٢٨٩ (منه ؛ رحمه الله إفلاسه آمين) .

« من صلَّى عليَّ في يوم مائة مرّة قضى الله له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرته ، وثلثين منها لدنياه » وقوله عليه الصلاة والسلام : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرّة فقد اشترى نفسه من الله عز وجلّ » .

وأمّا غلق الأبواب والكوّات عند ختم السادة النقشبندية العليّة فلئلا يشغلهم الناظرون عن الحضور والخضوع والخشوع ، ولدفع الخواطر ، فهذا أمْرٌ مسنون ، لما روى أحمد بن حنبل في مسنده عن شدّاد بن أوس بإسناد حسن قال : كنّا عند رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « هل فيكم غريب » ؟ يعني أهل الكتاب أو مَنْ يطَّلع بَعْدُ على أسرار الشريعة . فقلنا : لا يارسول الله . فأمر بغلق الباب . فقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » ، فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك لا إله إلا الله . ثم وضع رسول الله ﷺ يَدَهُ وَوَضَعْنا ، ثم قال : « الحمد لله ، اللهمّ إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنَّة فإنك لا تخلف الميعاد » ، ثم قال : « ألا أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم » الحديث . وهذا أمرٌ مرغوبٌ في كثير من العبادات ، وذلك أجمع للحواس على القلب وأبلغ في الحضور ، وكما تكره الصلاة تِلْقَاءَ وجه الرجل ، وخلف النائم والمتحدث عند الحنفية والمالكية ، يكره الختم في حضور غير المنتسبين لهذه الطريقة العلية ، وكذا ترك الأبواب مفتوحة ، وهو من آدابهم القديمة ، وأمّا منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم فلأن هذا الختم أمرٌ مخصوصٌ مشروط بأهل هذه الطريقة العلية ، ليس لأحدنا تبديل طريقتهم وآدابها ولا تغييرُهَا ، ولأنّ العمل لا ينفع إلا بالعلم ، ولأنّه لا فائدة له في دُخوله الختم من غير تعلّم ورُخْصة ، لأنّ كلّ واحد يقبل على شغله وذكره ، ويقرأ في نفسه سرّاً لا يسمعُهُ غيره حتى يستفيد منه ، بخلاف ختمات سائر الطرق ، ولأنّه لا فائدة لَهُمْ في إدخالهم الختم بل ذلك مُضِرٌّ لهم[1] ولهم

(١) وراجع « القدسية » من صحيفة ٧١ منه ، وفي « القدسية » في ٧١ : لا يترك الأجنبي=

لعدم رعايتهم الآداب ، وإن كان ممّن يقرُّ هذه الطريقة ويريد بدخوله العبادة والقربة ! فلا بدّ له من الانتساب والتعلّم من أهله . وإن كان مراده التفرج وإمرار الوقت وتضييعه ! فهذا لا يجوز ، وإن كان مراده الاستخفاف والاستهزاء بالذاكرين ، فهذا كُفْرٌ ، وعلى كل حال منعه أولى صيانة له ولهم . انتهى « هدية الذاكرين » .

وفي « الرشحات » : وقع فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال لأصحابه : قد دَخل في مجلسنا هذا أجنبي قد طرأ عليّ فتور بسببه فالتمسوه . فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغ : ليس في المجلس أجنبيّ . فقال : التمسوه من بيت العصا . فالتمسوه منه فوجدوا عصاً أجنبية فرموْها بعيداً . فكان الشيخ واجداً لوقته في الحال ، وتبدَّلت تفرقته بجمعيّة وانشراح البال . انتهى .

وفيه أيضاً : وقع الفتور على واحد لأجل نعل أجنبي في صف النعال ، فرموها خارج البيت فحصلت له الجمعية . انتهى راجعه . فهذه من جملة العلل لمنع الأغيار من الدخول إلى مجلس الختم ، والله أعلم .

وأمّا تغميض العينين عند الذكر والختم فهو مسنون ومرّ بيانه ، وأمّا قراءة الصلاة المخصوصة في ليلة الجمعة فلما في « نهج المتقين » من أنه قال علي رضي الله عنه : « من صلَّى على النَبي ﷺ بهؤلاء الكلمات في كل يوم ثلاث مرات وفي كلّ جمعة مائة ، فيقول : صَلَوَاتُ اللهِ ومَلَائِكَتِهِ وأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، عَلَيْهِ وعَلَيْهِمُ السَلَامُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ ؛ فقد صلى بصلوات جميع الخلق ، وحشر يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ يأخذ يده حتى يدخل الجنة » . انتهى ومثله في « نزهة المجالس » في ١٣٠ .

=عند التوجه . فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .

وأمّا الجهر بها فلما في « هدية الذاكرين » نقلاً من « المورد العذب » قال النَبي ﷺ : « من ضجَّ بالصلاة عليَّ في الدنيا ضجَّت الملائكة بالصلاة عليه في السموات العلى » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من صلّى صلاة وجهر بها شهد له كل حَجَرٍ ومَدَرٍ ورَطْبٍ ويابس » . كذا في « النزهة » . انتهى . وفيه قبل هذا : وقال النووي : يستحبّ لقارئ الحديث وغيره ممّن في معناه إذا ذكر رسول الله ﷺ أنْ يَرْفَعَ صَوْته بالصلاة عليه والتسليم . وممّن نصّ على رفع الصوْت بالصلاة على النَبيﷺ الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وآخرون ، وقد نصّ العلماء من أصحابنا وغيرهم على استحباب رفع الصوت بالصلاة[1] عليه انتهى .

وأمّا بيان[2] **قراءة الختم** للمشائخ الخواجكانية فقد قال الشيخ

---

(١) وأمّا الجهر بها فلما في مطالع المسرات أنه قال الشيخ أبو جعفر بن وداعة رحمه الله تعالى : روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال ما من موضع يذكر النبيّﷺ ويصلي عليه فيه إلاّ قامت منه رائحة تخرق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش يجد ريحها كل من خلق الله في الأرض إلا الأنس والجن فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ويرفع لهم بِعَدَدِهم درحات سواء كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأجزل انتهى فراجعه من ٣٨ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) **رسالة سيف الله الحسنيّ الغازي الغموقي**

إلى حضرات السالكين الكرام . .الخ السلام . .الخ . أسئل الله تعالى عافيتكم في الدين والدنيا وأيّدكم على آداب السادات ، ثم اعلموا أيها الأمناء أن سماع الخير والجمعية الخيرية منكم يسرّني كل وقت ، وأرجو من هممكم أن تكونوا بالجمعية والتفرقة لا بمجرد التفرقة ، وأن جمعكم للختم برعاية شروطها المعنعن عن السادات سبب لترقيكم ، فاجتهدوا لرعاية اصطلاحهم وفق الإمكان . ومعلوم عندهم أن لا يكون أجنبي بينكم حينئذ وغلق الأبواب شرط إلا للضرورة الملجئة لذلك ، فإن أمكن لكم الاجتماع في موضع مخصوص فذلك هو المراد المهمّ ، ويأبى الله أن تقع بينكم المخالفة ، فكونوا أيها الأولاد كاليد الواحدة والجمعية ، فيد الله مع الجماعة . خادمكم سيف الله – سامحه الله من فرطاته – . انتهى (من خط ذلك الشيخ العارف النقشبندي الشاذلي القادري الغازي الغموقي قطب أوان تلك الوقت) .

محمّد حقي النازلي النقشبندي في « خزينة الأسرار » : اعلم أنّ الإمام الهمام الفائق ، الذي هو في التفسير والحديث ناطق ، وفي جمع الطرق والأسرار كالسابق ، وهو سيدي جعفر الصادق ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو الحسن الخرقاني ، ومَن دونهم إلى شاه النقشبندي قدّس الله أسرارهم ونفعنا بهم آمين ، أنهم اتفقوا في قضاء الحاجات ، وحصول المرادات ، ودفع البلاء ، وقهر الأعداء والحساد ، ورفع الدرجات ، ووُصُول القربات ، وظهور التجليات ، قد استعملوا هذه الفائدة الجليلة ، والأسرار الغريبة ، وهو الاستغفار[1] مائة مرّة ، والفاتحة سبع مرّات ، والصلاة على النبيّ ﷺ مائة ، وقراءة ألم نشرح لك تسعة وسبعين مرّة ، وسورة الإخلاص ألفاً وواحدة ، ثم الفاتحة سبع مرات ، وعند تمام الكل يصلي على النَبي ﷺ مائة مرّة ثم يسأل حاجته ويطلب مقصُوده ، فإنّها تقضى بإذن الله تعالى ولا يتجاوز إلى أربعة أيّام ، ويداوم عليها إلى سبعة أيّام ؛ وجرَّبها كثيرٌ ؛ ولكن أوصوا من وصل إلى مراده أن لا يُفشي سرَّه لأحد من السُفهاء لئلا يستعملوها فيما حرّم ؛ ثم كان ذلك الترتيب عادة لهم يداومونها ويعملون بها كل يوم مرة أو مرتين صباحاً ومساء ، أو دُبُرَ كلّ المكتوبات الخمس[2] ، فعادات السادات سادات العادات ، ومن خالط السادات ينال السعادة . انتهى . وهكذا في « سلم المريد » في ٧٤ من الباب التاسع .

فشروط قراءته أن يكون قارؤه من أهل هذه الطريقة العلية ،

---

(١) قوله وهو الاستغفار الخ وقد عدَّ الخاني في « البهجة » الاستغفار خمساً وعشرين مرة ، وتغميض العينين والجلوس متوركاً على عكس تورك الصلاة من الآداب لا من الأركان . فراجعه في ٥٨ وبعد الاستغفار يفعل الرابطة ، ثم يشرع في القراءة بعد قراءة الدعاء المشهور وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمد منهم بحصول المقصود ، كذا قال الزهدي في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فقد لازم على قراءته الخواجكان في كلّ ليلة الإثنين وليلة الجمعة كذا في « سلسلة الخواجكان » (منه رحمه الله تعالى) .

أو مأذوناً منهم بقراءته ، وأن يكون متوضئاً ؛ على ركبتيه ، في مكان طاهر ، متوجّهاً إلى القبلة ، وأن يراعي الترتيب والعدد[1] بحيث لا يقدِّم بعض ما يقرأ فيه على البعض ، ولا يزيد ولا ينقص في العدد ، وإن كان مع الجماعة يقسم العدد عليهم ، وأن يستحضر روحانية الخواجكان قبل الشروع فيه ، ويقرأ هذا : اللهمّ يا مفتّح الأبواب ، ويا مقلّب القلوب والأبصار ويا خالق الليل والنهار ، ويا دليل المتحيرين ، ويا غياث المستغيثين ، توكّلت عليك يا رب العالمين ، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ثم يقرأ الفاتحة[2] واه واه ، ثم يهب ثوابه لرسول الله ﷺ ولأصحابه الخواجكانية النقشبنديّة ، وهذا أحسن ثم يرفع يديه ويدعو الله ويتوسل به إلى حصول مقصوده ، ويأكل بعد الفراغ عن الدعاء بعضاً من الحلويات كالتمر والزبيب . انتهى . كذا في « سلسلة الخواجكان » وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمدُّ منهم بحصول المقصود . انتهى كذا في « صحيفة الصفا » في ٦ .

وفيه في الهامش وإن كان في محلّ خمسة إخوان ، فلا يتركونها ، وإن كان أقل منها فمخيَّرٌ فيها ، ولا يتعدَّد محلّ الختم في بلدة واحدة كي لا يفتن ، إلاّ إذا كانت البلدة كبيرة بحيث لا يمكن الاجتماع في محل واحدٍ . انتهى . ولا يحرّك أعضاءه حالة[3] الذكر والختم والتوجّهات غير الإصبع الذي يجّر السبحة به ويعد ؛ ولا يتأوَّه ولا يصيح بالحالات

---

(١) فإنها أسنان مفاتح الغيب ، من هامش صحيفة الصفا راجعه في ٦ (منه) .

(٢) مع البسملة سبع مرات ثم يصلي على النبي ﷺ مائة مرة ثم يقرأ سورة ألم نشرح لك مع البسملة تسعاً وسبعين مرة ثم يقرأ سورة الإخلاص مع البسملة أحداً وألفَ مرة ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات أيضاً ثم يصلى على النبي ﷺ مائة مرّة (خ) .

(٣) ومثله في الدرر (ومر عينه) في ١٦١ من الجزء الأول فراجعه (منه) .

والفنايات ، وكل ذلك مدخل للشيطان وحظوظ للنفس ، وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة ، وليس كذلك ! كما مرّ ، ويهتمّ المرشد منع ذلك ، وسبب ذلك إمّا الجَهْل بالأصول ، أو ادّعاء العشق ، وليست طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريق العبودية والسكينة ؛ وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية لذاته ورضائه . كذا في « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » في ٢٥ .

وأما قراءة الفاتحة سبعاً فلاستفاضة رقائق حروفها المطروحة من وجه الرحمة ، وللاستحجاب عنها من وجه النقمة ، ومن هذا تليت سبعاً مرتين على أنه كذلك موافقة للنزول المكي والمدني . انتهى . « الفيوضات الخالدية » ٢٠ من هامش « نور الهداية » ،

وفيه أيضاً : وأما الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة[١] فلما ورد من أن من صلى عليه ﷺ مائة مرة يعطى مائة حاجة ثلاثين في الدنيا وسبعين في الآخرة . على أن الصلاة مائة ، إجابة لكل لطيفة عشر مرات ، والعشرة إن نظرت إلى صورتها فهي واحدية الأحدية ، وإن نظرت إلى رتبتها فكذلك ، فتكون كل لطيفة جامعة للواحدية والأحدية وبهذا تتم له الإنسانية الكاملة ، إذ هما جناحان لاَ طَيَرانَ للمرءِ بدونهما .

وأما الانشراح[٢] تسعاً وسبعين مرة ! فلما ورد أن القلب كلما فعل

---

(١) والسر في تكررها مائة في البدء ، ومائة في الختام إشارة على ما ورد في الأثر من إستجابة الدعاء بين الصلاتين على النبي ﷺ . كذا في « نور الهداية » (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي « نور الهداية » والسرّ في قرائتها تسعاً وسبعين مرة إشارة إلى مراتب شعب الإيمان التي هي تسع وسبعون مرتبة لقوله ﷺ « الإيمان بضع وسبعون » الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما . .الخ فراجعه . وفيه : ثم قراءة سورة الإخلاص الشريف ألفاً ومرة واحدة ، لما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه : أن من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله . .الخ . وأما سرّ ضم الواحدة إلى الألف ، فإشارة للدلالة على معنى الأحدية . اهى اختصاراً (منه) .

حسنة انشرح وانفسح ، وكلما فعل سيئة اصطلك وانقبض ، وأمهات الحسنات بضع وسبعون مرة ، والبضع تسع ، فكل مرة شرح للقلب بالتخلق بصفة من صفة الإيمان ،

وأما الإخلاص ألفاً وواحداً ، ألفاً للمريدين مع الشيخ ، وواحدة له ، فلأن الألف مجمع الأعداد الأربعة التي هي الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، السارية أحكامها في الأشياء كلها ، وهذه الأعداد الأربعة يقابلها حضرات أسمائية ، منها حضرات الإخلاص الأربعة ؛ كل حضرة لعدد الهويّة ؛ للوحدة في الآحاد ، والجامعية الأحدية للواحدية في العشرات ، فإنها بالجامعية كانت واحدة ، والجامعية الصمدية في المئات ، ولهذا ظهرت في التنزل الثالث الذي منه الكيان الملكي ، والتنزيهية المحضة في الألوف ، ولهذا ظهر في التنزل الرابع الذي منه الكيان الإنساني ، والألف هو النقطة الواحدة الممدة كل مكون ، ولهذا كانت أول الحروف النورانية لا يكون معها شيء ، وهي معنى الواحدة القائم في رتبة الواحد حقاً ، ومن هذا خص الشيخ الذي هو واحد بذلك الواحد على لسان سيدنا إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات ـ اللهم أنت في السماء واحد وأنا في الأرض واحد .

ثم ينبغي أن يقدم على قراءة الختم الشريف دعاء الافتتاح[1] والاستغفار خمساً وعشرين لما في بعض الروايات : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الأرض » . انتهى ٣٣ .

فإن قيل : ما السر في ضبط الأعداد في قراءة الأعداد ؟ قلنا : لأن الأوراد كالمفاتيح لأبواب المغيبات ، وبلوغ المقاصد والآمال

(١) وهو اللهم يا مفتح الأبواب .

والحاجات ، **وإن أسنان المفاتيح إذا كانت موافقة لمراتبها تفتح الأبواب لا محالة ، وتحصل المثوبة من ذي الجلال** ، أما إذا كانت الأعداد زائدة عن المراتب فقيل : إن ذلك لا يضر في حصول المطالب ، والأولى ضبط الأعداد المأثورة . كذا في « نور الهداية » في ١٩ .

وفيه قال الحافظ ابن حجر في « شرحه على البخاري » في باب الأذكار بعد الصلاة : مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة ، وإلا لكان يمكن أن يقال لهم : أضيفوا التهليل إليها ثلاثاً وثلاثين ، وقد كان بعض العلماء يقول : إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلاة إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب ؛ لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد ، وقال شيخنا الحافظ أبو الفضل في « شرح الترمذي » : فيه نظر لأنه أتى بالمقدار الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل له الثواب بذلك ، فإذا زاد عليه من جنسه كيف تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله ؟ ! انتهى .

ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنية ، فإن نوى عند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد ثم أتى بالزيادة ! فالأمر كما قال شيخنا لا محالة ، وإن زاد بغير نية ! بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلاً فرتبه هو على مئة ، فيتجه القول الماضي . « نور الهداية » ٢٠ .

فإن قيل : إنّ قراءة الختم وأمثاله من الدعوات لمجرد نفع دنياويّ أو لدفع ضرر نفسانيّ ، ألا يكون ذلك من الرياء ؟

مهم

قلنا إرادة النفع الدنياوي بالعمل من الخالق للتوسل إلى عمل الآخرة ليس برياء ، كصلاة الاستسقاء ، وصلاة الاستخارة وصلاة

الحاجة ، وقراءة الواقعة لدفع الفقر . كذا في « الطريقة المحمديّة » .

وفي « إنقاذ الهالكين ومنهاج العابدين » : مَنْ اشتغل بشيء من الأبيات والأذكار والأدعية لحفظ نفسه أو لواحد من أصدقائه من الآفات الدنيوية ، أو لقهر الأعداء ، فإن كان مراده من الحفظ والقهر التفرغ للعبادة والتمكن من تأثير مذهب أهل الحق ، والرد على أهل البدع ؛ ونشر العلم وحثِّ الناس على العبادة ، ونحو ذلك ؛ فهذا كلّه إرادة سديدةٌ ونيات محمودة ، لا يدخل شيء في باب الرياء ، إذ المقصود منها أمر الآخرة . فإن كان مراده منها التلذذ والتنعّم بالدنيا أو شرف النفس والرياسة ! فهذا رياء محظور . انتهى . هكذا في « شرح حزب النصر » فراجعه في صحيفة ٤٩٢ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

وأما ما جرى به عادة مشائخنا قدّس الله أسرارهم ، من أمرهم المريدين بألف استغفار في كل يوم وليلة ، فلأنّ التوبة والاستغفار من أول ما يُلَقّنه جميع أهل الطرق ، وهي أساس بناء طرقهم ، فلما علموا أنّ الإنسان لا يخلو عن الوقوع في الزلات أحياناً أمروهم بتجديد التوبة والاستغفار لكي لا ينهدم[1] بناء طريقتهم ، وليصحَّ دخولهم في حضرة الله ؛ خالصين من دنس الذنوب وكدورات الخطايا ، و كان عطاء السلمي رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى إلا بعد التوبة والاستغفار ، فإنّ الله تعالى يلعن الظالم إذا ذكره ما دام مصراً ، ولأجل هذا المعنى جرت عادتهم بتكرار الاستغفار في كل يوم وليلة احتياطاً لأنفسهم ، ولاحتمال ظلمهم لها ، ولو بارتكاب مكروه أو غفلة أو خاطر مذموم ونحو ذلك ، وكان ﷺ يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً ، فمن أحبّ أن تسرّه صحيفته

---

(١) وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » : من أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات . انتهى راجعه ٢٥ (منه) .

فليكثر فيها من الاستغفار » وكان ﷺ يقول : « ما من مسلم يعمل ذنباً إلاّ وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنوبه لم يُوقفه عليه ولم يُعذّبْه يوم القيامة » .

الران

وكان ﷺ يقول : « إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر صقلت ، فإنْ عاد زيد فيها حتّى تعلُو على قلبه ، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

وكان ﷺ يقول : « إنّ للقلوب صدأاً كصدأ الحديد ، وجلاؤه الاستغفار » .

مهم

وكان ﷺ يقول : « مَنْ قال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له ، وإن كان قد فرّ من الزحْف ، ومَنْ قالها في دبر كلّ صلاة غفرت له ذنوبه كلها ، ومَنْ استغفر الله تعالى سبعين مرة في دبر كلّ صلاة غفر الله له ما اكتسب من الذنوب ، ولم يخرج من الدنيا حتى يرى أزواجه ومساكنه من الجنّة » وكان ﷺ يقول : « ما مِنْ عبد ولا أمة يستغفر الله تعالى في يوم سبعين مرّة إلاّ غفر له سبعمائة ذنب ، وقدْ خابَ عبدٌ أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

وكان أنس رضي الله عنه يقول : « جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : وَاذُنُوبَاه واذنوباه يقول ذلك مرتيْن أو ثلاثاً ، فقال له رسول الله ﷺ : قل « اللهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، فقالها . فقال له رسول الله ﷺ : قُمْ فقد غفر الله لك » . انتهى

الأحاديث كلها من « كشف الغمة » في ٢٨٨ من الجزء الأول .

وهكذا يأمرون مريديهم بالصلاة على النبي عليه السلام في كلّ يوم ألف مرّة ، لأنّها من أنفع الوسائل لمن يريد التقرب من الله تعالى **فإنها توصل إليه من غير شيخ** .

وقد قال بعضهم : لم يبق من طريق القوم إلا مجانبة الأشرار ، والصلاة على النبي المختار ؛ هكذا بل عينه في « مناهج السعادات شرح دلائل الخيرات » في ٣ .

وقال خاتمة المحققين شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري في حاشيته على متن السُلَّم في المنطق : والأحاديث في فضل الصلاة عليه ﷺ جملة لا تنضبطُ ، وخصائصها لا تنحصر ، فمن ذلك قضاء الحاجات ، وكشف الكرب المعضلات ، ونزول الرحمات[1] ومن ذلك أيضاً ما جرِّب من تأثيرها في تنوير القلوب حتى قيل أنّها تكفي عن الشيخ[2] في الطريق ، وتقوم مقامه ، كما حكاه سيدي أحمد زروق والشيخ السنوسي في « شرح صغرى الصغرى » ، وأشار له الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني ، لكن قال الشيخ الملوي المراد أنها تكفي عنه[3] وتقوم مقامه في مجرد التنوير ، أما الوصول لدرجة الولاية ! فلا بدّ فيه من شيخ . كما هو معلوم عند أهله ، واختصت من بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطِباع بخلاف غيرها فإنّه يُثيرها . انتهى ١٤ وراجع « مطالع المسرات » و« الفتاوى الچوخي » .

وفي « تقريب الأصول لتسهيل الوصول » ففيه نظير ما مر فراجعه

---

(١) ومثله بل عينه في « البجيرمي » في ٢٨ من الجزء الأول ، فراجعه (منه رحمه الله تعالى) .
(٢) ومثله في « أفضل الصلوات » في ٣٤ راجعه (منه رحمه الله تعالى) .
(٣) ومثله في « البجيرمي على شرح الإقناع » في ٢٨ من الجزء الأول (منه رحمه الله تعالى) .

في ٥٦ وفي ٨٤ وفيه : أنها تمنع[١] العطش مطلقاً ، وكذا في وقت الحمى ، بشرط أن لا يكون[٢] في تلك الصيغة التي يصلِّي بها ذكر الله تعالى لأنّه حار ، ومثل ذلك بأن يقول : **الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام** . انتهى .

وفيه في ١٠ أنّه يعدم المربّيون في آخر الزمان ويصير[٣] ما يوصل إلى الله تعالى إلاّ الصلاة على النَبي ﷺ مناماً ويقظة ، وإنّ جميع الأعمالِ منها المقبول ومنها المردودُ ، إلاّ الصلاة على النَبي ﷺ ! فإنّها مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ وحكي اتفاق العلماء على ذلك[٤] انتهى .

---

(١) مهم أيها الكاتب
وليحذر من فعل الكسالى وعوام الطلبة فيكتبون صورة صلعم بدلاً عن ﷺ وكفى شرفاً قوله ﷺ : « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » انتهى « أفضل الصلوات » ٤٠ .

(٢) ومثله فِي « أفضل الصلوات » فراجعه في ٥٠ (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) يعني يذهب وينقطع ما يوصل إلى الله إلا الصلاة . انتهى (منه) .

(٤) وفي « أفضل الصلوات » في ٣٤ أنه قطع الإمام الشاطبي والسنوسي بحصول ثواب الصلاة على النبيّ عليه السلام للمصلّي ولو قصد الرياء . فراجعه . ولكن العلامة أحمد بن المبارك قد حقق في « الإبريز » هذا البحث تحقيقاً شافياً في أواخر الباب الحادي عشر منه ، وقال في آخر ذلك : إذا فهمت هذا ونحوه علمت أنه لا دليل على القطع بقبول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم . نعم ، هي أرجى في القبول من غيرها والله تعالى أعلم . اهى فراجعه . وحقق العلامة الأمير في حاشيته على عبد السلام نقلاً عن بعض المحققين : أن لها جهتين فمن جهة القدر الواصل له صلى الله عليه وسلم فهذا لا شكّ في وصوله ، ومن جهة القدر الواصل للمصلّي فكيفيّة الأعمال لا ثواب فيه إلا بالإخلاص ، وهذا هو الحق لعموم طلب الإخلاص في كلّ عبادة وضمّ ضدّه في الكل أيضاً اهى . كذا في « أفضل الصلوات » فراجعه في ٣٤ . وفي « جواهر المعاني » : والذي نقول به بأنها مقبولة قطعاً ، والحجة لنا في ذلك : أن الله تعالى يقول للنبيّ صلى الله عليه وسلم « من صلى عليك صليتُ عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » وهذا الوعد صادق لا يخلف ، وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية شدّة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيّه ﷺ ، وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلى عليه ﷺ ، لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء وهو معنى قبول الصلاة من العبد اهـ . فراجعه من ٢٠٠ من الجزء الأول (منه قدس سره) .

وأمّا اختيارهم منها صيغة مخصوصة وهي : اللهمّ صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله ، فلأنّها صيغَةٌ أَمَرَ بها الخضرُ عليه السلام الشيخَ مولانا محمود أفندي قدس سرّه حين وقعت الملاقات[1] بينهما كما هو مَذْكُورٌ في بعض مكاتيبه قدّس سره .

ولكن كان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سره يَأْمُرُنَا بإتيانِ الصيغة المشهورة في رأس كلّ مائة أوّلاً وآخراً وهي : أللهمّ صلِّ على سيّدنا محمّد وعلى آل سيّدنا محمّد وَسَلم ، وكان أيضاً يأمرنا بضرب لفظة الجلالة من اللهم . . الخ ومن أستغفر الله على القلب ضَرْباً عنيفاً في كلّ مرّة . انتهى . وبذلك الضرب يتأثّر القلب ، **فإنّ القلب أشدّ قسْوَةً من الحجر ، فكما لا يتأثّر الحَجَرُ إلاّ بالضرب الشديد فكذلك لا يتأثّر القلب إلاّ بشدّة ضرب لفظة الجلالة عليه ،** لكن لايكون ذلك الضرب بحركة[2] الرأس ، بل بمجرد النظر والخيال ، وملاحظة الوقوف في حالتي الاستغفار والصلاة ، **فالأذكار والعبادات كلّها لو خلت عن الحضور والوقوف فهي كصورة بلا روح ؛**

وقد قال الشرنوبي في « شرح تائية السلوك » :فرُبّ ذاكر لله لحظة بقَلْبٍ حاضر خَيْرٌ ممّنْ ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى ١٤ .

وفضائل الصلاة على النبي عليه السلام كثيرة جدّاً ، وأنا أذكُرُ هنا شيئاً منها لكي تنبعث على إكثارها رغبة الطالب ،

منها : ما ذكره الشيخ الجزولي في « دلائل الخيرات » برواية عبد الرحمن بن عوف[3] قال : قال رسول الله ﷺ : « جاءني جبريل عليه

(١) أي وقد مشت عادة خلفائه بعده على ذلك لكي يحصل لهم الانتساب بواسطتها إلى الخضر عليه السلام ، فتدبر ، (منه رحمه الله) .
(٢) وتلك لا تجوز عند النقشبندية قدس الله أسرارهم ، راجع وحرر (منه) .
(٣) ومن أراد أن يدرك فضائل الصلاة على النبي عليه السلام ومنافعها جملة وتفصيلاً=

السلام فقال : يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » .

وقال ﷺ : « أكثركم عليّ صلاة أكثركم أزواجاً في الجنّة » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ صلّى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرّات ، ومَنْ صلى عليّ عشر مرات صلى الله عليه مائة مرّة ، ومَنْ صلى عليّ مائة مرة صلى الله عليه ألف مرّة ، ومَنْ صلى عليّ ألف مرّة حرّم الله جسده على النار ، وثبّته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة ، وأدخله الجنة ، وجاءت صلواته عليّ نوراً له يوم القيامة على الصراط مسيرة خمسمائة عام ، وأعطاه الله بكلّ صلاة صلّاها قصراً في الجنة ، قلّ ذلك أو كثر » .

وقال النَبيّ ﷺ : « ما من عبد صلى عليّ إلاّ خرجت الصلاة مسرعة من فيه ، فلا يبقى بر ولا بحر ولا شرق ولا غرب إلا وتمرّ به وتقول : أنا صلاة فلان بن فلان صلى على محمد المختار خير خلق الله ، فلا يبقى شيء إلاّ وصلىّ عليه ؛ ويخلق من تلك الصلاة طائرٌ له سبعون ألف جناح ؛ في كلّ جناح سبعون ألف ريشة ؛ في كلّ ريشة سبعون ألف وجه ؛ في كل وجه سبعون ألف فم ؛ في كل فم سبعون ألف لسان ؛ كلّ لسان يسبح الله تعالى بسبعين ألف لغة ، ويكتب الله له ثواب ذلك كلّه » . انتهى ، ملخصاً .

ومن فوائد الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام أنها تأخذ بيد من يعثر على الصراط ، وتعدل عشرين غزوة في سبيل الله ، وتقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة ، وإنّ المكثر منها لا يسأله الله يوم القيمة

=فليراجع إلى « أدل الخيرات » للشيخ الحافظ إسماعيل أفندي المداري القادري السهروردي الكبروي الچشتي النقشبندي قدس سره (منه رحمه الله تعالى) .

فيما افترض عليه ، وَمَنْ صلى عليه في كل يوم خمسين مرة صافحه النَبيّ ﷺ يوم القيامة ، وإنها سبب للنصر على الأعداء ، ولمنع الغيبة من الناس ، وهي موجبة لمحبّة الناس للمصلي ، وينمى المال بسببها ، ويلقى العبد بسببها وجوه الخير . كذا في « تقريب الأصول » ٨٤ .

وقال صاحب « العقد الثمين » : وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حجّ حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتب غزاته بأربعمائة حجة ، قال : فانكسر قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه ما صلّى عليك أحد إلاّ كتبت صلاته بأربعمائة غزوة ، كل غزوة بأربعمائة حجة » . أخرجه أبو حفص الميافشي في « المجالس المكية » . انتهى ٣٠ فراجعه .

وفي « كشف الغمة » في ٢٧٨ من المجلد الأول وكان ﷺ يقول : « مَنْ صلى عليّ تعظيماً لحقي جعل الله عزّ وجلّ من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق ، وجناح بالمغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض ، وعنقه ملتو تحت العرش ، يقول الله عزّ وجلّ له : صلّ على عبدي كما صلى على نبيّي ، فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة » وفي رواية « فما من عبد يُصَلّي عَليّ حُبّاً لي إلاّ انغمس ذلك الملك في المآء ، ثم ينتفض ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلّي عليّ إلى يوم القيامة » . انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٧٩ : وكان ﷺ يقول : « مَنْ صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرّات ، وكل ليلة ثلاث مرات كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم » . انتهى .

وفيه : كان ﷺ يقول : الصلاة عليّ أمحق للخطايا من المآء للنار ، والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب ، وحُبّي أفضل من مهج الأنفس ـ أو قال : من ضرب السيف في سبيل الله عزّ وجلّ ـ وَمَنْ صلّى عليّ واحدة حبّا لي وشوقاً إليّ أمَرَ الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثة

أيام » . انتهى ٢٧٩ ج ١ .

وفي « مناهج السعادات » في ٤ وورد : « أكثروا من الصلاة عليّ في يوم الجمعة ، وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كُنْتُ له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » .

قال أبو طالب المكي : وأقلّ الكثرة ثلاثمائة مرة ومثله في « البجيرمي على الإقناع » فراجعه في ١٧٦ ج ٢ .

وفي « السراج المنير شرح الجامع الصغير » نظير ما مر فراجعه في ١٧١ من الجزء الأول .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرّة غفرت له خطيئة ثمانين سنة » . « دلائل الخيرات » والمراد غفران الصغائر . انتهى . « مناهج » ٥ .

وذكر الخطيب الشربيني هذا الحديث بعينه في « الإقناع » برواية أبي هريرة فراجعه في ١٧٦ من « هامش تحفة الحبيب » للبجيرمي ج ٢ .

وقال قبيل هذا : ويكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها ـ يعني يوم الجمعة ـ وليلتها لخبر : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإنّ صلاتكم معروضة علي » انتهى .

وقال البجيرمي رحمه الله تعالى قوله : « فإن صلاتكم معروضة عليّ » ظاهره أنها تعرض عليه كل وقت ، الجمعة وغيرها ، وفيه ردّ على ما اشتهر من أنها تعرض عليه في غير الجمعة وليلتها ، أما في الجمعة وليلتها فيسمعها ـ أي : الصلاة عليه ـ بنفسه » انتهى . **قلت** : وكونها تعرض عليه لا يمنع السماع ، أي : فيسمعها وتعرض عليه ؛ فقد قال بعض

الأولياء : إنه صلى الله عليه وسلم يحضر مجالس الذكر ، وإنّ بعضهم اجتمع به فهو صلى الله عليه وسلم روح جسد الكونين انتهى . ج١ .

وقال السملاوي في « شرح الفضائل » وقد يسمع صلى الله عليه وسلم صلاة من يصلي عليه منّا يوم الجمعة بأذنيه ، وإن كان في أقصى الأرض ، وفي غير الجمعة يسمع صلاة من أخلص في محبته ، وتبلّغه الملائكة صلاة غيره . والذي ذكره غيره نقلاً عن ابن حجر على الهمزية أنه إنما يسمع صلاة القريب منه قرباً عادياً ؛ بأن كان في الحجرة الشريفة ؛ بحيث لو كان حياً لسمع ذلك ، وأمّا غيره فيبلّغه الملك مطلقاً ، أي سواء كان في يوم الجمعة أم لا ، أخلص في محبته أم لا . انتهى ١٧٦ ج ٢ فراجعه .

قال السخاوي : ويروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد أسرف على نفسه ، فلما مات رموا به ، فأوحى الله إلى نبيّه موسى عليه السلام أن غسّله وصلّ عليه فإنّي قد غفرت له . قال : يا ربّي وبماذا ؟ قال : إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ، فقد غفرت له بذلك . كذا ذكره صاحب « أفضل الصلوات » فراجعه في ٢٧ وفي « عقد الثمين » في ٣٠ .

حكى بعضهم أنّ رجلاً شوهد يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف الحج والمطاف ، فقيل له : لما لاتستعمل المأثور الأفضل ؟ قال : آليت على نفسي أن لا أترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على أي حالة كنت . قال وسبب ذلك أنه كشف وجه والده عند الموت فرأى وجهه وجه حمار فحزن عليه ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتعلق به مستشفعاً لوالده ، سائلاً عن سبب حصول حالته المذكورة ، فقال له : إنه كان يأكل الربا ، وأن من أكله يقع له ذلك دنياً وأخرى ، لكنّ والدك كان يصلي عليّ كل ليلة عند نومه مائة مرة

فشفعت فيه ، فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ، ثم لمّا كفنه سمع قائلاً يقول : سبب العناية بوالدك الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره الجريري في « كنز الادخار » . انتهى ، فراجعه . ومثله في « رماح حزب الرحيم » ، فراجعه أيضاً .

فهذه المذكورات قَطَرَاتٌ مِنْ بِحَارِ ما وَرَد في فضائل الصلاة على النبيّ ﷺ ، فعلى العاقل أن يحوز من غنائم هذه الدولة جواهرها ، ولا يُعَطِّلَ أوقاته عن السعي في جمْع فرائدها وقد قال ابن عطاء في « تاج العروس » في ٩ ما خلاصته : مَنْ فاته كثرة الصيام والقيام فَلْيُشْغِلْ نَفْسَهُ بالصلاة على رسول الله ﷺ فإنك لو فعلت في جميع عمرك كلّ طاعة ثم صلى الله عليك صلاةً واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كلّ ما عملته في عمرك كله من جميع الطاعات[1] لأنّك تصليّ على قدر وُسْعِكَ ، وهو يصلي على حسب ربوبيته ، هذا إذا كانت صَلاة واحدة ! فكيف إذا صلّى عليك عَشْراً بكلّ صلاة ؟ ! كما جاء في الحديث الصحيح[2] .

---

(١) ونظيره في « أفضل الصلوات » فراجعه في ٢٢ .
ورأيت في « جواهر المعاني » ما حاصله : أن من توجه بالصلاة على النبي ﷺ اعتناه الله به ، ولو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها في بحر عفوه وفضله ، وواجهه في بلوغ أمله في الدار الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه . انتهى . فراجعه في صحيفة ١٣٢ ج ١ ففيه البسط ولله الحمد (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وقد قال الرملي رحمه الله تعالى : إن الاشتغال بالصلاة على النبي ﷺ أفضل مطلقاً يعني سواء كان لمن غلبت طاعاته أم معاصيه ـ فراجع فتاواه في ٣١٨ ج ٤ من هامش « الفتاوى » لابن حجر (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .
وفي « الجواهر المعان » ما حاصله إن الصلاة على النبيّ عليه السلام أنفع للعاصي من القراءة القرآن فراجعه في ٢٥٣ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .
وقال القاضي أبو عبيد الله السكاكي : اعلم أن الصلاة من الله رحمة ، ومن رحمه الله رحمة واحدة فهو خير له من الدنيا وما فيها ، فما الظنّ بعشر رحمات كم يدفع بها من البلايا والمحن ويستجلب ببركاتها ، من « لطائف المنن » . « مطالع المسرات » ١٨ . فالمرء مع من أحبّ=

فائدة مهمّة : قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نسأل الله تعالى شيئاً إلا بعد أن نحمد الله تعالى . ونصلي على النَبي ﷺ ، وذلك كالهدية بين يدي الحاجة .

وقد قالت عائشة رضي الله عنها : مفتاح قضاء الحاجة الهديّة بين يديها ، فإذا حمد الله تعالى رضي عنا ، وإذا صلينا على النَبي ﷺ شفع لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة ؛ وقد قال تعالى ﴿**وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ**﴾ وتأمّل بيوت الحكام تجدها لا بدّ فيها من الواسطة الذي له قُرْب عند الحكام وإدلال عليه ليمشي لك في قضاء حاجتك ، ولو أنّك طلبت الوصول إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك ، **وإيضاح ذلك:** أنّ مَنْ كان قريباً من الملك فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب بها الملك ، وأعرف بوقت قضآء الحوائج ، ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم ، وسرعة لقضاء حوائجنا . ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عزّ وجلّ ؟ !

مهم

وقد سمعت سيّدي علياً الخواص رحمه الله يقول : **إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد** ﷺ ، **وقولوا اللهم إنّا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا،** فإنّ لله ملكاً يبلغ ذلك لرسول الله ﷺ ويقول له : إنّ فلاناً سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا وكذا ، فيسأل النَبيّ ﷺ ربّه في قضاء تلك الحاجة ، فيجاب لأنّ دعاءه ﷺ لا يُرَدُّ قال : **وكذلك القول في سؤالكم الله تعالى بأوليائه** ، فإنّ الملك يبلغهم فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة ، والله عليم حكيم انتهى من ١١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

=والحب يوجب الاتباع للمحبوب والاتباع يؤذن بالوصال . منه ١٩ .

وفيه في ١٣ واعلم يا أخي أنّ طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النَبي ﷺ من أقرب الطرق ، فمَنْ لم يخدمه ﷺ الخدمة الخاصة وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال ، ولا يُمَكِّنُهُ حجاب الحضرة أن يدخل ، وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى ، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة ، فافهم ! فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ، ولو كنت سالماً من الخطايا ، فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالي أبداً ، بخلاف مَنْ لم يكن غلاماً له ويرى نفسه على خدّام السلطان وعبيده وغيرهم ولا يدخل من دائرة الوسائط ، فإنّ جماعة الوالي يَضْرِبُونَهُ ويعاقبونه ، فانظر حماية الوسائط ، وما رأينا قط أحداً تعرض لغلام الوالي إذا سكر أبداً إكراماً للوالي ، فكذلك خدّام النَبي ﷺ لا يتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكراماً لرسول الله ﷺ ، فقد نفعت الحماية مع التقصير ما لا تنفعه كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد إلى رسول الله[1] ﷺ الاستناد الخاص ، وقد كان في زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشوني مَنْ هو أكثر منه علماً وعملاً ولكنّه لم يكن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ كما كان يكثر الشيخ ، فلم يكن ينهض له علمه وعمله إلى التقريب الذي كان فيه الشيخ نور الدين ، فكانت حوائجه مقضية ، وطريقه ماشية ، وسائر العلماء والمجاذيب تحبه ، ووالله ليس مقصود كل صادق من جمع الناس على ذكر الله ، إلاّ المحبة في الله ! ولا جمعهم على الصلاة على رسول الله ﷺ إلاّ المحبة فيه ! فافهم . انتهى .

وقال الشيخ سليمان البجيرمي في « تحفة الحبيب على شرح

---

(١) ورأيت في « جواهر المعاني » ما حاصله : إن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أي لتالي الصلاة على النبي ﷺ أن يصلي عليه ، ومن صلى الله عليه مرة لا يعذبه ، ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكثر من الصلاة على النبي ﷺ . انتهى . فراجعه من صحيفة ٢٥٥ ج ١ . (منه رحمه الله تعالى) .

الخطيب » الشربيني المسمى بـ« الإقناع » : وفي « حواشي التلخيص » : حكمة الصلاة على النبي ﷺ في مبادئ الكتب والحاجات : أن الفاعل ينبغي له أن يستعين في جميع أموره بجانب الحق سبحانه وتعالى ، ويسأله إفاضة طلبته ، وإنجاح بغيته ، ولكن لا بد من نوع ملاءمة وقرب بين الطالب والمطلوب منه ، وهذه الملاءمة منتفية في حقنا لكوننا مدنسين بأدناس اللذات الحسية والشهوات الجسمية ، وذات المولى عز وجل في غاية التقدس والتطهر ، فاحتجنا إلى واسطة بيننا وبينه متجردة عن تلك الأدناس ؛ وتلك الواسطة هو المصطفى ﷺ ، لكن لا بد لتلك الواسطة من هدية إليه ، وهديته ﷺ اللائقة به طلبنا الصلاة عليه . انتهى ٢٨ ج ١ فراجعه .

فائدة أخرى : قال الخادمي في « شرحه على النصائح الولدية » ما خلاصته : إنّ الاكتفآء بالصلاة على النبي عليه السلام حرام عند البعض ، ومكروه عند النووي ، وهو الظاهر من ظاهر القرآن يعني صلوا عليه وسلّموا تسليماً ، وإن كان المختار[1] ترك الأولى على مافي « جامع الرموز » مع ردّ النووي ولأنّ الاحتياط مع الاتفاق . انتهى .

وفي « بغية المسترشدين » في ٣ : ومحل كراهة إفراد الصلاة عن السلام وعكسه عليه ﷺ في غير ما ورد به فيه الإفراد . الخ راجعه .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر بسط زائد في حق هذا الأمر ، فراجعه في ١١٧ .

وفي « حاشية خضري على متن الألفية » من الديباج : ولم يذكر السلام جرياً على عدم كراهة الإفراد[2] ، بل إذا صلى في مجلس وَسَلّم

(١) وراجع « حاشية الباجوري » على « السلم » في ١٤ (منه) .

(٢) كالصلاة الإبراهيمية فلا يقال إن إفراد الصلاة فيها مكروه ، كذا في « حاشية العلامة=

في آخر ـ ولو بعد مدّة ـ كان آتياً بالمطلوب[1] من آية[2] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ الآية . كما اختاره الحافظ ابن حجر ، انتهى . فلأجل هذه[3] المذكورات كان شيخنا ومولانا ـ روّح الله روحه ونوّر ضريحه ـ يأمر المريدين بإتيان (وسلم) في أول وآخر كل مائة حين يصلون بالصلاة الخضريّة المذكورة آنفاً .

وسمعتُهُ رضي الله عنه يَقُولُ : إنّ شيخَهُ الحاج جَبْرَائيل قدّس سره قال له بعد تلقين الذكر : إنّي غَرَسْتُ في قلبك شجرة لفظة الله ، فأنبتها بالصلاة والاستغفار . انتهى . يعني أن الصلاة على النَبي والاستغفار للذكر الملقّن بمثابة المآء لإنبات الشجرة المغروسة . والله أعلم .

فائدة أخرى : كان شيخنا ـ وسّع الله لحده ـ يقول في أثناء تلقين التوبة للمريد : زوّجْتُ امرأتي إياي ثلاثاً ، ويقول بعده : إن كانت الشبهة واقعة في نكاح زوجتي زوّجتها لنفسي بحسب الوكالة ، وقبلتها بحسب الأصل . الخ . فسألني عن ذلك بعض الإخوان هل لذلك نقل أم لا ؟ فأقول ـ والله أعلم ـ : قال الشعراني في « كشف الغمة عن جميع الأمة » في فصل في توكيل الزوجين واحداً في العقد في ٦٤ : من ج ٢ .

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوماً لأمّ حكيم : أتجعلين أمْركِ إليّ . قالت : نَعَمْ . قال : فقد تزوجتُكِ .

=البجيرمي على الخطيب » ونقله يوسف بن إسماعيل في « أفضل الصلوات » فراجعه في ١٣ . (منه رحمه الله تعالى) .

(١) وراجع مخلوف « حاشية شرح الجوهر المكنون » في ١٣ وصبيان على الأشموني (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) والآية لا تدل على طلب قرنهما ، لأن الواو لا تقتضي ذلك ؛ راجع صبان (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) أي لأجل الخروج عن الخلاف ولو ، الخ (منه رحمه الله تعالى) .

مهم

قال العلماء : وهذا يَدلّ على أنّ مذهب عبد الرحمن بن عوف أنّ مَنْ وكِّل في تزويج أو بيع فله أن يبيع ويزوج من نفسه ، وأن يتولّى ذلك بلفظٍ وَاحِدٍ ، وبه أخذ بعض الأئمّة . انتهى .

فلعلَّه نوّر الله قبره كان يجدّد نكاح زوجة المريد بتلك الكيفيّة المذكورة تقليداً بهذا المذهب ؛ جزاه الله عنّا خير الجزاء فلم نجده يفعل شيئاً ما منذ صاحبناه إلا مطابقاً بالنقل ، فها هنا أمسكنا عنان القلم عن التحرّك عن كتبة ما يحتاج إليه المريدون من الآداب وقد كنّا على قصد إيراد آداب الصحبة والزيارة ، وآداب الذكر في الخارج[1] ، ليكون الكتاب تام النفع لكلّ طالب وسالك في جميع أمر السُلُوكِ في كلّ آنٍ وحين ؛ لكن بعد ما وصل الخبر بموت[2] الشيخ شمس المعارف وبدر الإرشاد سيّدنا ومولانا العسوي ـ أسكنه الله تعالى على أسرَّة الفردوْس الأعلى ـ قد فاضت بالبكاء عليه من العيون عيونٌ ، وشقَّت لمشقّة فراقه من القلوب جيوبٌ ، وحل بالمسلمين لانتقاله بلاء عظيم ، واضطربوا اضطراباً عديداً ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، إذ علموا أنّ موت العالم ثلمة في الدين ، فما بالك بموت إمام المرشدين ، وعلامة المسلمين ؟ ! فقد كان إرشاده للطالبين مشهوراً عند العوام والخواص ، وانتشرت صيت تربيته في الأطراف ، وكان من أخصّ الخواص ، ولأجل ذلك فترت الهمَّة وخمدت نار البسط ، وقد طرأ على الباطن القبض المشدّد ، ولذا أعرضنا عن كتابتها ، فعلى السالك الحقيقي أن يقف على « الرسالة الخالديّة » و« البهجة السنية » ففيهما الكفاية في حقّ تلك المهمّة ، ولقد كان الواجب عليّ أن لا أتصدّر لمباشرة أمر التأليف ، فإنه أعظم

(١) أي خارج الذكر (منه) .

(٢) مات في جدة في ١٣٢٤ رحمه الله تعالى (منه) .

وأعلى من أن أكون له أهلاً ، وليس في انتسابى إلى سلك السادات النقشبندية والتكلّم في حقّهم مناسبة مّا قطّ ، إلاّ رجائي وحسن ظنّي بربي جل وعلا أن لا يخيب آمال من تعلّق بأذيال أوليائه ! مع الاعتراف بتقصيراته ، فإنّه تعالى قد أكرم كلباً خطى خطوات خلف من وحّده ، فالحاصل إنّ شرح أحوالي مضمون هذه الأبيات :

لستُ أهْلاً لِوُصْلهم فظلامي   حائل أن يحلّ منهم ضياء
هجَرُوني ولست أنكر أني   لم أزَلْ مُذْنِباً وكلّي خطاء
غير أنّي التجأت قدماً إليهم   وعزيز على الكرام التجاء
ورجوت النوال منهم وظنّي   بل يقيني أن لا يخيب الرجاء
إن أكن مُذْنباً فهم أهل عَفْوٍ   وعلى الكون إن رضوني العفآء[1]
أوْ أكُنْ أكدَرَ المحبّين قلباً   فلمثلي منهم يكون الصفاء
أو يكن في الفؤادِ دَاءٌ قديم   فلديهم لكل دَآءٍ دَوآءٌ
أو أكُنْ فاقداً فِعَال محبٍّ   فلقَلبي على الوِدَادِ احتِوَآء
أوْ يَرَوْنِي أفْلَسْتُ من عمل البـ   ـرِّ فمنهم نَالَ الغِنَا الأغنيآء
أو أكن مُثْرِياً ولست بهذا   فَمَعَ الهجر ما يُفِيدُ السرآء
أو أكُنْ نازح الديار فمنهم   لحظات تدنو بها البعدآء

وأحببت الآن أن أنهي الكلام على هذا المقام بقطعة قصيدة نبويّة تكون له مسك الختام ، وسلسلة نقشبندية يتبرّك بذكرها أخيارٌ من الأنام ، فإنّها أنفع ما يوصل المعتقد إلى المرام[2] :

---

(١) عفى عن شئ ، يعف من باب ضرب ، عفة بالكسر وعفافاً امتنع عنه الخ ، ويتعدى بالآلف فيقال أعفه الله إعفافاً وجمع العفيف أعفة وأعفآء . « المصباح المنير » .
(٢) **فائدة** : نقل الشيخ المحقق محمد اليراغي قدس سره في آثاره عن « إقناع الشربيني » بأنه=

يا أجلّ الرسل إنّي قـــد دهـــا نِي دَهَآء الــدهر بالخطب الخطير
وعــرَانِي ما عراني من عنـــا ءٍ عسير زاد عــن صـبري اليسير
وأنـــا عــبد ضعيف مــذنب مـستجـير بِحِمَـــاك المســتنيــر
وحـماك الـملجأ المقصُود في كــلّ حــالٍ مــن صـغير وكبير
فأغِثْنـــي يا غـياث الأنـبياء لــيس لــي غيـرك والله نصير
وأعــذنــي من بلاء مخـطر خــاطــرى مـــن خوفه غير قرير
واستجبْ لي وقني ما أشتكي وأجـــرْني مـــنه يــا خيْرَ مجير
يا نَبِيَّ الرحمة العظمى الّتـي وســعت كــلّ غـــنيٍّ وفقير
لا تـــخيّبْني فـــإنّـي ســـائِلٌ واقــــفٌ بالبَاب مُـضْطَرّ حقير
يا أبا الزَهْراء كُنْ لـــي مُنْقِذاً يوم لا يــغني كبـيرٌ عن صغيرٍ
يَوْم لا ينفـــعُ مــالٌ مُسْلِكاً فــيه أو يَـرْفع وِزْراً عن وزير

=قال : ويسنّ لكل أحد ممن يستسقي أن يستشفع بما فعله من خير بأن يذكره في نفسه فيجعله شافعاً ، لأن ذلك لائق بالشدائد ، كما في خبر الثلاثة الذين آووْا في الغار ، وأن يستشفع بأهل الصلاح لأن دعائهم أقرب للإجابة ، لاسيما أقارب النبي ﷺ كما استشفع عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهم ، فقال : اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسّل إليك بنبيّنا فسُقِينا وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسْقِنا ، فيسقون ، رواه البخاري . وفي « البهجة » قبل البيت المذكور : ويذكر الإنسان سراً عمله من الجميل ، وشفيعاً ما جعله . انتهى . وقال الشيخ العارف الإمام الفقيه المحدّث عبد الله اليافعي في « نشر المحاسن » : قد جرت العادة أن من له حاجة قد يتوسل بوجيه وفوقه من هو أوجه منه ، ثم يتوسل ذلك الوجيه بالأوجه إلى من يراد منه قضاء ، كما يتوسل إنسان من الرعية بالأمير ، والأمير يتوسل بالوزير والوزير يشفع عند السلطان في قضاء حاجة ذلك الإنسان . فكذلك نحن نتوسل إلى الله الكريم بنبيّنا عليه أفضل الصلاة والتسليم . وقد يتوسل بالأولياء في نادر من الأوقات في قضاء بعض الحاجات ، والأولياء يتوسلون بالنبيّ الكريم ﷺ فيشفع عند الله عز وجل ، فيسمع الله سبحانه شفاعته بفضله ويقبل . انتهى ، فراجع « آثار اليراغي » في ١١ . والله ولي التوفيق ولا حول ولا قوة إلا به . (منه رحمه تعالى ، خطه) .

مَنْ لهــذا المذنب العاصي إذا　　لــم يـجره أحمد الهادي البَشِير
جارت البَلْوَى على جسمي وهل　　غــير مغني فضــله المغني يجير
حاش خير الخلق أن يمــنعَني　　رشـــفة مـن برِّه البَـحْر النمير
وهـــو ذُخر العالمين المرتجى　　عاصم العاصي من الهول المبير
وهـــو كاف لــلبرايا كـافــل　　للعَـــطايا ظـاهر المجد ظـهير
ذو يــمين وهبت كـــلّ يَسَا　　رٍ لـمن في قبضة العُسْرُ أسير

وهذه سِلْسِلَةُ مشائخنا الكرام الّذين كرّمنا الله تعالى بفضله العميم بحُصُول الانتساب إليهم ولو كان صُورِيّاً ، والتشبّهِ بهم ولو لم يكن حَقِيقيّاً ؛ جَعَلنا الله تعالى من المتعلّقين بأزيالهم والمتبرّكين بذكر أسمائهم ، وعلى هذه القصيدة الأُدُرَتِيَّة تَرْتيبُهُمْ :

محمّدٌ أَبُو بَكْرٍ فَسَلْمانٌ فقاسِــمُ　　فجَعْفَرٌ فَطَيْفُورٌ أَبُوا الحسنْ قائِمُ
أَبُو عَلِيٍّ فيُوسفٌ فعَبْدُ الخَالِقِ الغُجْدُ　　فعارفٌ فمَحْمُودٌ عَلِي بَاَباَ مُحَمَّدُ
كُلالِيٌّ فَنَقْشُبَنْدْ علاءُ الدين يَعْقُوبُ　　عُبَيْدُ الله أحْرارْ محمّدْ وهْوَ يَعْسُوبُ
محمّدٌ فخواجَكي فباقي فالمُجَدِّدُ　　فعُرْوَةٌ فسَيْفُ الدينِ سَيِّدْ نُورْ مُحَمَّدُ
حَبِيبُ اللهِ عَبْدُ اللهِ خالِدْ شاهْ وَلِيُّ اللهْ　　وبعده فالمرشد المكمّل ذبيح الله
فالصالح الشرواني وليّ الله الكامل　　إبراهيم القدقاشني الواصل المواصل
فَيُونُسْ يمشي على المياه كالطير بالله　　فقطبُ الأوْلِياء مَحْمُودْ أَفَنْدي بَحْرُ فَيْضِ اللهْ
ثم جَبْرائيلْ أفندي وشَيْخِي ذُو الجَناحَيْنِ[1]　　وكلٌّ واحِدٍ مِنْهُمْ جَناحٌ لِلنَّجاحين

(١) هو لقب سيدنا الحاج عبد الرحمن العسلي نوّر الله مرقده الذي لقب به شيخه الحاج جبرائيل أفندي قدس سره وقد يلقبون بذلك على من حصل له السير في الاسم الظاهر والاسم الباطن وارتقى إلى الولاية العليا التي هي ولاية الملأ الأعلى ، راجع بتصرة المرشدين (منه رحم الله إفلاسه) .

تَوَسُّلِي بسَيِّدِي محمّدٍ رَسولِ اللهْ		وغيْرِه من الأشياخِ هؤلاءِ أهْلِ الله
أَسَاتِيذِي أَمِدُّوني ، وأشْياخي أَغِيثُونِي		وسَادَاتي أفيضُوني ، أَدِلاَّئِي أَعِينُونِي
بهم يا ربّ أَلْحِقْنِي ، ومنهم ربِّ فاجْعَلْني		لِما وَفَّقْتَهُمْ رَبِّي بفَضْلٍ منك وَفِّقْنِي
بسَيْلِ الفَيْضِ يا ربّ عن الأقذار فَاغْسِلْنِي		عن الآثام والأوزارِ يا وهّاب طَهِّرْنِي
بِحَقِهِم حِجَابُ الظُّلمَة رَبِّي أزِلْ عَنِّي		بُحُورَ الفيض والأنوار يا رَزّاق فَارْزُقْنِي
شراب الحبّ حَتَّى صِرْتُ رَيَّاناً فَأَشْرِبْنِي		عن الأكْوَانِ والأغْيَارِ يا غفارُ غَيِّبْنِي
بجُودٍ مِنْكَ يَا ذَا المَجْدِ يا فتّاح أوْصِلْنِي		بِمَا مَنَّنْتَ بِالأحْبَابِ يَا رَحْمَنُ أكْرِمْنِي
إِلَهِي تُبْتُ تَوَّابِي تقبّل تَوْبَتِي مِنِّي		ذُنُوبي كُلَّها فَاغْفِرْ تَجَاوَزْ وَاعْفُ وَارْحَمْنِي
وَوَفِّقْنِي لِمَا تَرْضى به عنّي وبَاعِدْنِي		عن الأعمال والأخلاق مِنْهَا مَا يَضُرُّنِي
وأستاذي وأشياخي وأحبابي وإخواني		وآبائي وأولادي ومَنْ بالخير أوْصَانِي
إلهي صَلِّ سَلِّمْ سَيِّدِي خَيْرَ الْبَرِيّة		وآلاً ثُمَّ صَحْباً ذَا الْمَرَاتِبِ العَلِيَّةِ
فَهَؤلاء أوْلِيَاءُ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمِ		وَلاَ هَمٌّ ولا غمّ ولا حُزْنٌ لَدَيْهِمِ
وهم لا شك أرْكَانٌ أقطابٌ وَأوْتَادٌ		فمن تشبهُوا بِهِمْ فَقَدْ فَازُوا وَقَدْ سَادُوا
وَمَنْ تجنبوا عنهم وَعَابُوا في طريقهم		فما اهتدَوْا بِهَديهم وما فَادُوا بِفَيْدِهِمْ
وَهُمْ مِمَّنْ يَقُولُ الله : مَنْ عَادَى وَلِيّاً لِي		فَقَدْ آذنْتُهُ حَرْباً فَمَنْ حَارَبْتُهُ أُبْلِي
بذكرهم بدَعْوَةٍ تَنَزَّل المَرَاحِمُ(١)		فَلاَزِمْ يَا أخِي بِهِمْ فَفِي ذَاكَ المَغَانِمُ

(١) فإن الحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده . ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين ، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وذكرهم من لوازم محبتهم ؛ ومحبتهم فرض لقوله ﷺ : « وهل الدين إلا الحبّ في الله والبغض في الله ؟ ! » كذا في « الرحمة الهابطة » في ٢٢٧ من هامش « الدرر » ، (منه رحمه الله وغفر ذنبه ، ورزقه الاستقامة والتوفيق آمين اللهم آمين) .

تَوَسُّلِي بِسَيِّدِي مُحَمَّدٍ رَسول اللهْ وَمَنْ تَوَسَّلُوا به من الأشْيَاخِ أهْلِ اللهْ

فَوَفِّقْنِي إلهي بالذِي تَرْضَى به عَنِّي وَجَنِّبْنِي عَنِ الّذي به ثِقْلِي وسَدِّدْنِي

وَكُنْ يَا رَبّ لي وَاغْفِرْ ذنوبي كلها وَاقْبَلْ بحقّهم دُعَائِي وَاهْدِني يَا مَانِحَ النحل

وليكون هذا آخر الكتاب ؛ فأستغفر الله سبحانه من قول بلا عمل ، ودعوى بلا علم مع تقصير فيه وخلل ، ومن كل خاطر دعاني إلى التصنع والتزين في كتاب سطرته ، أو كلام نظمته ، أو علم أفدته ، ومن كل ما زل به القدم ، وطغى به القلم ، وأسأله أن لا يجعله وزراً ووبالاً ، وأن يجعله نافعاً للعباد ، وهادياً إلى الحق بلا عناد ، وسبباً للعفو والعافية إنّه هو البرُّ الجواد ذوالعرش المجيد الفعال لما يريد ، وحاشا أن أعد نفسي من جملة المؤلفين ، بيد أني جمعت أقوال المصنفين ونقول العلماء العارفين ، وليس لي في ذلك دخل ما سوى تحريك القلم وتحرير الكلمة والكلام مع بيان المآخذ ومواضع المنقولات ، وقد كتبت في أكثر المواضع تواريخ الصحيفة من النسخ الكائنة عندنا ، ليطلع إليها من له في ذلك ارتياب ، فإن يك صادقاً فذا هو المقصود ، وإلا ! فإظهار الحق والصواب من أهم الأمور عند ذوي الصدق والإنصاف ، ولا يخلو إنسان عن زلل ، وإن اجتهد في تمييز السداد من الخلل ، فمن وجد فيه رائحة شبهة وإشكال فليطلب مني الإزالة متى كنت في دار الحياة ، فإن لم يجد عندي البيان فعليه أن يسرع في إثبات الصحيح بدل السقيم ، فالحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .

وقع الختام وتمّ التأليف في يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول من سنة ١٣٢٥ ؛ جعلنا الله تعالى من الذين فنوا فبقوا ، وغابوا في الوجود ، ونالوا بالشهود ؛ آمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين .

تذنيب

قد مرّ آنفاً أنّي كنت على قصْد كتبة آداب الذكر في الخارج وآداب الصحبة والزيارة ، فبعد ما وَصَلَ الخبر بموْت شيخنا العسوي قدس سره طرأ على الباطن القبْضُ والفتور ، ولذا أعرضت عن ذلك القصد ، لكن الإخوان من أهل السلوك سألوُني الآن بإيرادها ولو في ذيل الكتاب ، ليعمّ نفعُهُ لجميع أرْباب الإرادة والآداب ، فأجبْتُهُمْ لذلك ، والله المستعان وهو حسبي وعليه التكلان .

قال الشيخ الكامل أحمد ضياء الدين في « متمماته » في ١١٤ :

وأما الآداب في خارج الذكر : فدوام الوضوء ، وصلاة سنّة الوضوء ، وقيل ، إنه مستحب ، والإشراق ، وصلاة الضحى ، والاستغفار ، وصلاة الأوّابين ، والتهجّد ، وملازمة الجماعة ، والرواتب ، وإحيآء ما بين الطلوعيْن ـ أعني : الفجْر والشمس قدر رمح ـ بالذكر ، وإحيآء ما بين العشائيْن بالذكر ، فإن ضمّ إلى ذلك ما بعْد العصر كلّه بالذكر كان أتمّ ، وكذلك الرابطة والعمل في ذلك مهمّ ، وعليه[1] اتّباع الشرع والسنة وإماتة البدْعة ، وحفْظ الكسْب من المحرمات ، ولا ينقص ورده عن خمسة آلاف في اليوم والليلة وما زاد أتمّ وأنجى ، والمجرّد يكثر البتة واستغراق أوقاته في الاشتغال[2] مهما أمْكن ، والاعتزال عن المنكر مهما حَصَل ، إذْ مخالطة المنكرين مع أهل الباطن تورث قسوة القلب ، والانكسار والتصفية والوقوف[3] دَوَاماً والسكوت دواماً بغيْر مُوجب الشرع ، وتقليل الطعام وإن كان حلالا ، وإن كان غير الحيواني فهو أعلى ، وتقليل النوم ، والعزلة عن أهل

(١) أي على الذاكر لله .
(٢) أي في الاشتغال بأوراده .
(٣) أي الوقوف القلبي .

الغفلة ولو مريداً وترك المراد والمقصود وصرف همّته إلى معرفة الله فقط ، والتواضع ونَفْي الوجود ، وحسن الظنّ بالله لمحْض فضله وخوْف مكره ، والمحبّة لمرْشده ومبالغة الإخلاص إليه وطلب رضاه دائماً ، والأدب مع الحضور معه وضمّ القَدَميْن إليْه ؛ فهذا سبب الفتح ، وأن لا يكون طعامه ولباسه بيد تارك الصلاة ، ولا بيد منكر ، ولا منفوس ، ولا حائض ، ولا مَعْيُونٍ ، وكذلك طهارتهما ونحوهما ، ومراعاة كل المذاهب الأربعة بعد تصحيح الاعتقاد والتبرّي عن التُرَّهات وأهل الفساد ، وترك البدعة والإعراض عن متاع الدنيا ، والميل إلى نعيم الآخرة ، وأن يكون بطهارة الظاهر والباطن ؛ بأن يحفظ قلبه عن دخول الخواطر ، وأن يتجرّد عن القيود والعلائق ، ويزكّي نفسه عن الشهوات وحبّ الدنيا واتباع الهوى والسوى ، وأن يذكر الله دائماً مع الحضور والتوجّه التامّ ، وأن يستمدّ من شيخه للترقي إلى حقيقة الذكر وكلِّ حاله ، وأن يراعي نسبته في حال الذكر ، وأن يحضر جميع وقته على الذكر بعد أدآء الفرائض والسنن الرواتب ، وأن لا يشتغل بشيء غير ما أمر به الشيخ ، وأن يذكر بالمحبّة والشوق والعشق ؛ لا لطلب الأحوال والكرامات والأغراض . انتهى .

وأما الشرائط التي لا بدّ منها للمريد ؛ على ما نقله أحمد ضياء الدين في « المتممات » في ١٧٥ من « الحديقة الندية » فستّة عشر :

منها : إذا حصلت العقيدة بالشيخ يقول عنده : جئت إليكم لطلب معرفة الله تعالى ، ثمّ بعد قبول الشيخ لا يلتمس شيْئاً ، بل يخدمه بالميل والرَغْبة حتى يحصل له القبول التامّ عند الشيخ . فإذا لقّنه شيئاً فليشتغل به على الدوام من غير إخطار خاطر .

ومنها : أن لا يتحمل أمانة تبليغ سلام الغير إلى الشيخ لأنّه سوء أدب .

ومنها : أن لا يتوجه إلا لما أراده الشيخ ، رافعاً نظره عن الغير ، فانياً في أقوال الشيخ وأفعاله وصفاته وذاته لما قيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله .

ومنها : أن لا يتوضّأ بمَرْأى من الشيخ ، ولا يرمي البزاقة والمخاطة في مجلسه ، ولا يصلّي النوافل في حضُوره .

ومنها : أن يبادر بإتيانه ما أمره به الشيخ بلا توقّف ولا إهمال ولا تأويل ، من غير استراحة ولا سكون قبل تمام ذلك الأمر .

ومنها : أن لا يعترض في القلب على أفعال الشيْخ ، ومهما قدر على تأويلها يُؤوّلها وإلاّ ينسب نفسه إلى القصور في الفهْم ويتأنّس بقصة موسى والخضْر عليهما السلام **لأنّ الاعتراض أقبح من كلّ قبح،** والمعترض لا يكون معذوراً . فالحجاب الذى ينشأ من الاعتراض ليس له علاجٌ ورفعُه متعذر[1] ويسدّ مجاري الفيض على المريد .

ومنها : أن يظهر الخواطر خيراً وشرّاً لشيخه حتى يُعَالجه ، فإن الشيخ كالطبيب ، فإذا حصل له الاطّلاع على أحْوال المريد يتوجّه إلى إصلاحه ورفع أمراضِهِ ، ولا يعتمد في عدم إظهارها على كشف الشيخ ! لأن الكشف قد يتلوّن وقد يخطأ ؛ والخطأ الكشفي عند الأولياء بمنزلة الخطأ الاجتهادي إلاّ أنّه لا يعمل به ! ولو صحّ لا يبنى عليه حكم عندهم ما لم يساعده الظاهر . فاحْفظ هذا فإنه نفيس .

ومنها : الصدق في الطلب فلا تغيّره المحن والشدائد ، ولا يفتره العذل والمكائد ، والمحبّة المفرطة لشيخه أكثر من نفسه وماله وولده ، معتقداً أنه لا يحصل له المقصود من الله تعالى إلا بتوسّط شيخه .

---

(١) وفي « السراج المنير شرح الجامع الصغير » : عقوق الوالد يغفر بالتوبة منه بخلاف عقوق الشيخ المعلّم . انتهى . فراجعه في ١٧١ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

ومنها : أن لا يقتدي بجميع أفعال الشيخ العادية إلاّ أن يأمره بها ، بخلاف الأقوال ! لأنّ الشيخ قد يَعْمل بعض الأعمال بحسب مقامه وحالِهِ وذلك العمل يكون على المريد سمّاً قاتلاً .

ومنها : المبادرة إلى أمره بأنْ يأتي بما أمر به من غيْر تأويل ولا تسْويف ، فإنهما من أعْظم القواطع .

ومنها : العمل بما لقّنه شيخه من ذكر أو توجّه أو مراقبة ، وترك جميع الأوراد الغير المأثورة لأن فراسة الشيخ اقتضت تخصيصه بذلك ، وهي منْ نور الله .

ومنها : أن يرى نفسه أحقر من جميع الخلائق ، ولا يرى لنفسه حقاً على أحد ، ويخرج من عهدة حقوق غيره بالأدآء والتوبة ، وقطع العلائق عما سوى المقصود .

ومنها : عدم الخيانة لشيخه في أمر من الأمور ، واحترامه وتعظيمه على أقصى الوجوه ، وتعمير قلبه بالذكر الملقّن به ، وطرد الغفلة والخواطر .

ومنها : أن لا يكون مراده من الدنيا والآخرة غير الذات الأحديّة من حال أو مقام أو فنآء أو بقاء ، وإلاّ ! فهو طالبٌ لكمال نفسه وأحوالها ، فينبغي أن يكون كالميّت بين يدي الغاسل ، وأن لا يردّ كلام الشيخ وإن كان الحق مع المريد ، بل يعتقد أن خطأ الشيخ أقوى من صوابه ، ولا يشير للشيخ بشيء إن لم يسأله .

ومنها : أن يكون منقاداً مستسلماً لأمْر الشيخ ولمنْ يقدّمه عليه من الخلفآء والمريدين ، وإن كان عملهم أقلّ من عمله الظاهريّ .

ومنها : أن لا يظهر حاجته إلى أحدٍ غير شيخه ، فإن لم يكنْ

شيخه حاضراً وحصلت له الضرورة فليسأل من صالح أمينٍ سخيّ تقيٍّ .

ومنها : أن لا يغضب على أحد لأنّ الغضب يميت نور الذكر ، وأن يترك المناظرة والمباحثة بالجدال مع طلبة العلم ، لأن المناظرة تورث النسيانَ والكدوراتِ ؛ وإذا وقع منه الغضْب أو المباحثة مع أحدٍ يستغفر ويطلب منْه العذر وإن كان محقاً ، وأن لا ينظر إلى أحد بنظر الْحَقارة ، بل يحسبه أنه الخضر عليه السلام ، أو وليٌّ من أولياء الله تعالى الكرام ، فيطلب منه الدعاء .

وفي « التاجية » : اعلم أنّ مكافأة بعض حقوق الشيخ لا تتيسّر إلا برعاية حسن الأدب ، **فالتعظيم في الطريقة من معظمات حقوقهم، والإهمال عَيْن التقصير والخسران** لأنّ له نسبة الأبوّة المعنويّة ، بل قالوا : هذه النسبة عند أهل المحبة والعارفين أشرف وأعظم من نسبة الأبوة الظاهرة .

وأما الآداب المعيّنة على المريد مع شيخه المتفق عليها عند الجمهور فهي بطريق الإجمال عشرة :

منها : أن يكون اعتقاده مقصوراً على شيخه ، معتقداً أنه لا يحصل مَقْصوده ومطلوبه إلاّ بيد هذا الشيْخ ، وإذا تشتت نظره إلى آخر حرم من شيخه وانسد عليه الفيض .

ومنها : أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن ، لأن جوْهر الإرادة والمحبّة لا يتبيّن إلا بهذا الطريق ؛ ووَزْن الصدق والإخلاص لا يعلم إلا بهذا الميزان .

ومنها : أن يسلب اختيار[1] نفسه باختيار الشيخ في جميع الأمُور

(١) ومن لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا=

كليّة أوْ جزئية ، عبادة أو عادة .

ومنها : الفرار من مكاره الشيخ بأقصى الوجوه وكراهة ما يكرهه الشيخ طَبْعاً .

ومنها : عدم التطلع إلى تعبير الوقائع والمنامات ، وإن ظهر له تعبير فلا يعتمد عليه ، وبعد عرض الحال على الشيخ يكون منتظراً لجوابه من غير طلب ، ويبادر بالجواب إذا سأله .

ومنها : غضُّ[1] الصَوْت في مجلسه لأن رفع الصوْت عند الأكابر من سوء الأدب ، ولا يبسط المقال والجواب والسؤال معه لأنه يُزيل احتشام الشيخ عن قلب المريد فيحجب .

ومنها : معرفة أوقات الكلام معه ، فلا يكلّمه إلاّ في البسْط بالأدب والخضوع والخشوع ، من غير زيادة على الضرورة ، بقدر مرتبته ودرجته وحاله ، مُصْغياً بتوجّه تامّ إلى جواب الشيخ ، وإلا ! فيَحْرم من الفتوح ، وما حرم منه لا يرجع إليه مرة أخرى إلاّ نادراً .

ومنها : أن لا يكتم شيئاً من الأحوال والخواطر والواقعات والكُشُوف والكرامات وما وهبه الله له عن الشيخ .

ومنها : أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس إلا بقدر أفْهَامِهم وعقولهم . انتهى .

وفي « المتممات » أيضاً في ١٧٧ .

وأما آداب المريد مع إخوانه لمسيس الحاجة إليها :

=ليعطيه أنفس منه فمحبته نفاق كذا في « رماح حزب الرحيم » ١٢٨ ج١ من هامش « جواهر المعاني » . (منه قدس سره) .

(١) خفض لعله .

فمنها : أن لا ينظر لهم قط عورة ظهرت ، ولا عثرة سبقت ، فإنه معرض للوقوع فيها أو في مثلها ، كما وقعوا ، وقالوا : كلّ فقير كشف له عن شيء من عيوب الناس فهو صاحب كشف شيطاني لا يعبأ الله به ، ومن نظر إلى عَورات الناس وحملهم إلى المحامل السيئة قلّ نفعه وعدم بركته وانتفاعه مع شيخه .

ومنها : أن ينفق على إخوانه وعلى نفسه كل ما فتح الله عليه به أوّلا فأوّلاً ، ولو كانت فجلة أو خيارة .

ومنها : أن لا يزحم على الإمامة قط في الزاوية وغيرها .

ومنها : أن ينبّه إخوانه لأوقات الخيرات والمَوَاسِم كالأسحار وليالي الجُمع والقدر وغيرها ؛ ثم ينبغي للفقير إذا تنبّه قبْلَ إخوانه ورأى نفسه أكثر عبادة منهم أن لا يرى نفسه عليهم ، بل يرى نومهم أخلص من عبادته ، هو لأن النائم لا يكتب عليه قلمٌ .

ومنها : أن لا يكون مِقْداماً لإخوانه قط في سوء الأدب مع الشيخ أو مع أحد من إخوانه ، كأن يخرج من تحت يد شيخ وتربيته ، ويطلب وظآئف الدنيا ويجمع مَعْلومها ويوسع على نفسه في المأكل والملبس ، فيسيء في حقّ الشيخ وفي حق إخوانه ، ويصير قدوة لكلّ من تبعه في فعله ، فتتلف ضعفآء المريدين بالكليّة .

ومنها : أن لا يرمي بنفسه إلى الكسل والخمول ، ويمتنع من مساعدة الفقراء في قضاء حوائج الزاوية .

ومنها : أن يكون مِقْداماً لإخوانه في كل عمل شاق .

ومنها : أن لا يغفل عن خدمة من مرض في الزاوية من إخوانه الذين لا أهل لهم ولا قرابة ولا أصحاب يخدمونهم .

ومنها : أن يحسن لإخوانه إذا بغى بَعْضهم على بعض بالأخذ على يد الظالم وتصبير المظلوم .

ومنها : أن يُراقب قلبه من جهة إخوانه ؛ فمهما حدث له تغيّر في قلبه من أحد من المسلمين فليسع في إزالته وليظنّ بأخيه خَيْراً .

ومنها : أن لا يغفل عمّن حضرته الوفاة من إخوانه ، وليسهّر عنده إلى الصباح .

ومنها : أن لا ينسى إخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة والمسامحة كلما قام من اللَيل في عبادته ليقول الملك : ولك مثل ذلك .

ومنها : أن لا يذكر الفقير أخاه إلا بخيْر ، ولا سيما أيّام غيظه عليْه ، ولا يتوقف على مُوَاطَأة لسانه .

ومنها : أن يقدم خدمة إخوانه وقضاء الحوائج من مهماتهم على جميع نوافله .

ومنها : مبادرة الفقير لتنظيف المستراحات من القذرة والأذى ، لا سيّما إن أمر الشيخ .

ومنها : أن يتخذ عنده الموسى والسكين والإبْرة والمخرز ونحوها لرفع مؤنته عَنْ إخوانه لئلا يحتاج إلى أحد منهم فيمنعه فيقع في عرضه .

ومنها : إذا وقع في سوء أدب مع أحدٍ من إخوانه أو غيرهم أو في حق شيخه أن يكون استغفاره بكشف الرأس والوقوفِ في صفّ النعال ؛ واضعاً يده اليمنى على اليسرى ، فإن لم يقبل ، فالأدب أن يبقى قائماً ويقول : أنا ظالم .

ومنها : أن يحث إخوانه كلهم على الأدب .

ومنها : أن لا يأكلوا فرادى[1] قطّ إلا لعُذْر وهذا إجمال من التفصيل ، والموفق يكفيه الإشارة ، والبليد لا يفيده التطويل ، انتهى .

وأما آداب زيارة الأنبياء عليهم السلام والأولياء فليتوسل المريد بروْحانية مرشده الذي عمّه من خيْره ، ويتخذه شفيعاً إلى حضرة ذلك المزار في ابتداء سيره ، ويلاحظه أمامه على طريقة الشافعيّين للقوْم العاصين ويستغفر كثيراً من جميع ذنوبه ومخالفة وعده ، بل من علمه وفضْله وزهده ، ويلاحظ نفسه مفلساً من العمل الصالح ، ولا يتأذى بمشاق الطريق ، بل يعدّها فضْلاً ونعمة من الله تعالى ، فإن في ذلك إشارة إلى حصول المطلوب ، كما وقع لموسى مع الخضر في قوله تعالى ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ ويخلص في حضرة القبر النيّة الظاهرية والباطنية ، ويسلّم عليه من كلّ باب من أبوابه مع الذل والانكسار عند القرب لرجآئه ، ويقول : السلام عليكم تحية منّي إليكم ؛ ويقرأ في كلّ باب الفاتحة والإخلاص ثلاثاً ثلاثاً ويقول : أتوسّل بكم إلى ربّ البرية بتسهيل أموري في الدنيا والآخرة . والأحسن أن لا يقصد بتلك الزيارة غير مرضاة الذات القدسية ، لا غرضاً من الأغراض الدنية ؛ ثم إذا وقع نظره على مرقد حضرة القبر يقرأ الفاتحة في كلّ خطوة مرّة إلى سبع خطوات ، ويربط قلبه بقلب حضرة القبْر على الوقوف القلبي للاستفاضة من باطنه ، سواء كان من الأحياء أو من الأموات ، ثم يقف متوجّهاً إلى ضريح المزار قريباً من رجليْه ، مستدبراً للقبلة ، ملاحظاً مرشده الشفيع له بحضرة المزار ، ومتوسلاً بذلك الشفيع إليْه ، وحينئذ يُسلِّم عليه ويقرأ الفاتحة والإخلاص قائماً كأنه حيّ وهو واقف بين

---

(١) لقوله عليه السلام « أفضل الطعام ما كثرت عليه الأيدي » وقال عليه السلام : « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » . وفي الخبر : « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه » (منه رحمه الله تعالى) .

يديه ، فلوْ جلس وقرأ عشراً من القرآن فهو أفضل ، ثم يستفيض من قلبه جاعلاً قلبه ملاصقاً بقلب المزار لكن قلبه أنزل ، ولا يسهو عن الوقوف القلبيّ بغاية التضرّع والانكسار ، ولا يتغافل ، ويحسن الظنّ به إن كانت له حاجة فإنها تقضى بواسطته بإذن ربّي ؛ قال الله تعالى : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » . ومدّة تلك الاستفاضة بإقامته ، وعلى قدر ذوقه وجمعيّته وآدابه ، ثمَّ يدعو له وللمؤمنين والمؤمنات بقوله : اللهمّ اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ؛ ويخصص نفسه ومرشده بالدعوات الصالحات ويتوسَّل بالمزار إلى رابطة الداعى له إلى الله ومرشده لِيُنِيلَهُ من خيره ورفده ، ويتحقّق بإجابة دعواته ، فإنّه لا يدْعو داعٍ بمباحٍ إلاّ وصاحب المرقد يؤمّن على دعائه فيستجيب الله له بفضله وعنايته ، وإذا أراد الذهاب وانتصبت قَدَمَاهُ يسلم كالأول ويقرأ الفاتحة والإخلاص ، أو مع عشر[1] من القرآن ويتوسّل به في أموره الدنيوية والأخرويّة إلى ربّه ، ويفعل ذلك في كلّ باب من أبوابه ، ويخرج على قفاه ، فإذا فعل ذلك حصل مطلوبه وانتصر ، وانقطع عنه كل شرّ وضرر . كذا في « المتممات » فراجعه في ٢٠٦ .

وأما آداب الحضور مع المرشد[2] : فأن لا ينظر إلى وجهه ويخضع رقبته له ، ويقف بَيْن يديْه كالعبد الآبق المأتي به إلى حضرة سيّده الذي هو السلطان ، وأن لا يجلس بغير أمره ؛ ولا يبتدىء من نفسه الكلام من غيْر اقتضاءٍ شرعيّ أو إشكالٍ في الطريقة أو مَصلحة للمرْشد ؛ ولا يتكلم هناك مع الحاضرين ولو كانوا شيوخاً ولا يلتفت إليهم ، بل يسكت

(١) أي عشر آيات .

(٢) فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ، ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج ، فإذا خرج تقدَّم إليه بأدب ، فسلَّم عليه ، ولا يتكلم بين يديه إلاّ أن يسأله ، فإن سأله أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله من مسألة ما لم يستأذن أوّلاً . كذا في « الإحياء » فراجعه في ١٧٥ : ج ٢ (منه رحم الله إفلاسه) .

ويغمض عينيه ويتوجه إلى الباطن بالتضرع للاستفاضة ؛ ويعدّه نائباً للنبي ﷺ وسلطاناً في الحكم والتصرّف ، ويرى المعاملة معه كمعاملته مع النبي ﷺ والسلطانِ(١) وأن لا يحضره وقلبه غافل أو فيه خطرة أو اعتراضٌ أو امتحانٌ أو كُرْهٌ ، لأنّ كل ذلك يُوجِبُ نفرة قلب المرشد عن المريد ، فربّما يسقط عن نظره ويخرجه عن قلبه ، والسقوط من السماء السابعة على الأرض السافلة خير من الوقوع من قلب أرْباب الباطن ؛ فأعاذنا الله تعالى وإيّاكم عن ذلك ، فلا بدّ في الحضور معه أن يكون ضَابطاً على الوقوف القلبيّ ، طارداً للغفلة ، طالباً للفيض الباطني ، رابطاً قلبه بقلبه على وجه المحبة والتضرّع ، منتظراً لتوجهّه والتفاته ، وموقناً أن فيْض مرشده سدّ الأفق وملاء وموقوف على طلب المريد فقط ، وإن لم يُدْركه ، لأنّ الإدراك ليس بشرطٍ للوصول ، بل الشرط له مجرّد الاعْتقاد وحسن الظنّ بالوصول ولا يضرّ المرشد أهل الدنيا ، والبَحْث عنها بحسب الاقتضاء للمصْلحة ، ولا يطيل في الحضور عنده حذراً عن كره قلبه أعاذنا الله تعالى عن ذلك ، ولا يشتغل بظاهر المرشد عن باطنه فيحرم عن الفَيْض الباطني لأن ظاهره لأهل الظاهر وباطنه لأهل الباطن ، ولا يشغله الخلق عن الحق ، ولا الحق عن الخلق ، بل جميع المريدين في وسط قلبه كخردلة في وسط كفه .

تفريد الشيخ

وأن يفرد شيخه بمعْنى أنه ليس على وَجْه الأرض أحد يوصله إلى ربّه لَوْلاَه ، وأن يكثر الخوف والخشية من مرشده مع الرجاء في عنايته ، وأن يكون حذراً من سطوته في حضوره وغَيْبَته ، فإنّه **يطلعه الله تعالى على أفعال المريدين وخواطرهم** وإن لم يظهره لهم إلا نادراً ،

---

(١) وإذا قصد زيارة الشيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ، ولا يشغل نفسه بالعشرة ، فإنّ ذلك يقطع بركة سفره . كذا في « الإحياء » في ١٧٥ : ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

وأن لا يغترَّ بضحكه وحسن خلقه معه في الظاهر ، بل يرجو منه أن يقطع عنه معاملة الظاهر ، لأنّ منهم من يعطيهم الظاهر ويحرمهم عن الباطن ، وأن لا يأمل تعظيمه عن المرشد لأنّ تعظيم المريد سمٌّ وعده أجنبيّاً وتحقير المرشد لأجل تربيته مع أنّه لا يخلو عن امتحان المريد أبداً بجميع أعماله وأحواله .

ومن الآداب أن لا يأكل المريد مع شيخه ، ولا يلبس لباسه ، ولا يشرب من كأسه المخصوص ، ولا يجلس مكانه ، ولا يركب مرْكبه **إلا أنْ يأمر بالكلّ** ، ولا يتزوّجَ أهله بعد موته ، ولا يركبَ قبل ركُوبه ، وينزلُ قبل نزوله ، ولا ينامُ قبل نوْمه لو كان خادماً ، ولا يقف قريباً من خلائه حين ذهابه إليْه أو بحيث يراه في الصحرآء ولا يقضي حاجته في خلائه ، ولا يستعمل ما استعمله تعظيماً له وللمرشد ، ولا يكتم عنه كلّما سأله ، بل ذنبه أيضاً ! ولا يكتم ما صارت خطْرة في قلبه إذا لم يقدر بالتوبة والاستغفار على إزالته ، سوآء كان في حق المرشد أو طريقه أو مخطوراتِ نفسه ، بل يعرضها فوْراً ليَدْفع عنه ، وإلاّ ! سدّ باب الفيض عنه ما دام باقياً في قلبه ، ويكتم أحْواله الباطنة عن غيْر المرشد ، ويظهر لمرشده فوراً ، ويحب من يحبه ويبغض من يبغضه ، ويجتنب من أهل البدع وأرْباب الغفلة وعن المنكرين أبداً ، فإن قساوة قلوبهم تنعكس إلى قلب المريد فيطفىء النور كما يطفىء الماء النار ، ويشوش حضُوره ، ويُورث الغفلة والقسوة وبطالة القلب في الذكر ، وربّما يمنعُه عن الذكر ، ولا يأكل طعام المنكرين فإنه يسدّ باب الفيْض أربعين يوماً ، بل يأكل طعام مخلص أصْلَحَهُ طاهرٌ متوضىء ولو كان من أهل الحضور لكان أفْضل ، ولا يسرف في الأكل والشرب ، ولا يأكل عن شره وحرْص ، ولا يأكل مع قلب غافل **لأن لقمةَ الغَفْلَة تورث الغفلة ولقمة الحضور تورث الحضور** ، ويحافظ على نفسه من الغضب والضحك فإنهما يطفئان نورَ النسبة ويميتان القلب ، ويتكلّم مع المُرْشد

بالاستئذان خافضاً صوته ، ويصدّق كل ما يقوله بالقلب واللسان ولا يقابله بلا ولم لا لفظاً ولا خطُوراً ، ولا يطلب منه إظهار الكرامة ، ولا يكشف بحضوره رأسه[1] ، ولا ينام في غطائه ، ولا يصلّي في حضُوره إلا إن كان يصلي أو كان في المسجد وإلاّ لضرورة شرعيّة لا بدّ منها ، ولا يصلي على فراشه ، ولا يتغوط ولا يبول متوجهاً إلى جهته ، ولا يمدّ الرجل إلى موْضعه ، ولا يطلب منه تبديل ذكره . انتهى .

فهذه الآداب منقولة من « الرسالة الخالدية » من مواضع متفرقّة فراجعها .

ولما كان رعاية الآداب ومراعاة شرائطها من ضروريّات هذا الطريق بل كان الطريق كله أدباً ، ولم يصل أحد إلى الله إلا بالأدب ، نقلت هذه الآداب المذكورة في ذيل هذا الكتاب ، فعلى السالك أن يجتهد في حفظها ولا يقصّر في إتيانها بقدر الإمكان ، فإن أدب المريد مع شيخه وصحبه مع رعايته حُرْمَتَه يكون طريق الإفادة والاستفادة مفتوحاً ، وإلاّ ! فلا نتيجة للصّحبة ولا ثمرة للمجالسة ؛ فإن رأى المريد نفسه مقصّراً في رعاية بعْض الآداب ولم يَبْلغ حدّ أدائها كما ينبغي ولم يقدر أن يخرج عن عهدتها بالسعي فإنّه معفوّ عنه ، ولكن لا بدّ من الاعتراف بالتقصير ، فإن لم يراع الآداب ـ عياذاً بالله سبحانه ـ ولم ير نفسه مُقصّراً فهو محروم من بركات هؤلاء الأكابر ، كما قال بذلك[2] الإمام الرباني قدس سره ورزقنا الله تعالى التوفيق والاستقامة وجعلنا من أهل الآداب المتأدّبين بآداب السادات القادات آمين .

وأمَّا آدَابُ الخلوة والسلوك فمذكورة في المطوّلات والمختصراتِ ، وقد أردتُ أنْ أتَعَرّض إليْهَا على ما ذكره أحمد ضيآء الدين رضي الله

---

(١) ولا رجليه أيضاً (منه) .

(٢) راجع « المكتوبات » في ٣٤٨ من الجزء الأول . (منه رحمه الله تعالى) .

عنه في « المتممات » .

قال رضي الله عنه : **واعلم أنّه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصُول والسعادة إلا بالخلوة** ولا بد منها للإرشاد التام لفعله عليْه السلام ، فإنه حبّب إليه الخلوة وكان يخلو بغار حرآء فيتحنث ـ أي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ـ حتى جاءه الحق وهو في الغار وقد أمر بالدعوة إلى الحق لجميع الكفار .

وللخلوة خمسة وعشرون شرطاً :

الأول : النيّة مع الإخلاص بقطع مادّة الرياء وطلب السمعة بالكلية ، فإن صحة الخلوة مبنية على تلك القضية ، فالواجب على المريد الطالب للحق وإرادته أن يخلص له بقلبه وقالبه في جميع حركاته وسكناته ، وأن يقطع علائقه من الدنيا الفانية ويصحّح غرضه ويصدّق مع الله في السر والعَلانية .

الثاني : أن يستأذن الشيخ في دخول الخلْوة وأن يجعل التواضع لديه طبعاً ولا يدخلها بلا إذن الشيخ وحضوره قطعاً .

الثالث : أن يدخل الشيخ الخلوة ويصلّي فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى بتسهيل الأمر عليه ، وأن يجعله فيها سعيداً .

الرابع : أن يدخلها كما يدخل المسجد مقدّماً رجله اليمنى مُبَسْمِلاً متعوّذاً من شر النفس والشيطان بالله اللطيف ، مخلّصاً لربّه ومولاه ، منقطعاً عما سواه .

الخامس : أن لا يعلّق همته بكرامة تحصل له ، فجميع المرشدين نفَّروا عن الميل إلى الكرامات جميع المريدين . قال ابن عطآء الله : ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلاّ نادته هواتفُ الحقيقة : الذي تطلب أمامك . ولا تبرّجت ظواهر المكونات إلاّ نادته حقائقها :

إنما نحن فتنة فلا تكفر .

السادس : أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس ولا ضوء النهار ، فيسدّ على نفسه طرق الحواس الظاهرة ؛ فسدّ طُرقها شرط لفتح[1] خلاص القلب من الأغيار ويلازم الوضوء[2] فإنه إذا داوم عليه أوْشَكَ أن تتلألأ منه الأنوار الإلهيّة وتظهر عليه أتمّ الظهور لقوله عليه السلام : « الوضوء نور » .

السابع : أن لا يستند إلى جدار الخلوة ولا يتكىء على شيء ولو مبنيّاً ، ملاحظاً قوله تعالى : « أنَا جَلِيس من ذكرني » ثمّ يلازم خيال شيخه بين عَيْنيه فإنه رفيقه في طريقته وهو معه بِمَعْنَاه ورُوحَانيّته .

الثامن : أن تشغل قلبك بمعْنى الذكر مراعياً معنى الإحسان الذي له هيَّأك ، وهو أن تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

التاسعُ : الصوم فإنّه يصفي القالب من الرطوبة الحسيّة فيصفو القلب من الكدُورات البشريّة .

العاشر : أن يعتقد في نفسه أنّه إنّما يدخل الخلوة لكي يستريح الناس من شرّه .

الحادي عشر : أن يكون السالك في خلْوته متيقظاً لأعدائه الأربعة . الشيطان ، والهوى ، والدنيا ، ونفسه . وأن يكون تاركاً لغفلته فكلّما يتجلّى له في الخلوة من الصُورَة فيقول له : أنا الله أو يقول له : إنّ الشيء الفلاني هو الله فليقل : سبحان الله الذي ليس كمثله شيء ، آمنت بالله ؛ وليذكر جميع ما يرَاه ويخطر له لشيخه ويشتغل بالذكر حتى يتجلّى

---

(١) حواس القلب . كذا في « رماح حزب الرحيم » فراجعه في ١٦٠ ج ٢ (منه رحمه الله) .
(٢) فإن الوضوء نور ساطع يظهر ابتداءً كنور القمر فتتنوّر الخلوة به وانتهاه كنور الشمس . كذا في « رماح حزب الرحيم » راجعه ١٦٠ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

له مذكوره ، فإذا أفناه عن الذكر به أوْ أنَامَهُ فتلك المشاهدة أو النومة ، وسبيل التفرقة أنّ المشاهدة تترك في المحلِّ شاهدها فتقع اليقظة واللذة عقبها ، وأمّا النومة فلا تترك شيئاً فيقعُ عقبها الندم والاستغفار .

الثاني عشر : أن لا يتكلّم مَعَ أحدٍ في الخلْوة أو خارجها إلاّ مع شيخه لغرض واقعة ضرورة[1] البيان ، أو الخادم الذي أقامه الشيخ للفقراء فيكلّمه بقدر حاجته ، أو إذا تعيّن الكلام عليه شرعاً كخوف سُقُوط أعْمى .

الثالث عشر : أن تكون الخلوة بعيدة عن حسِّ الأصْوات ، فإنّ القلب الرقيق يؤثّر فيه الخطرات المذمُومة ولو يسيراً ، وأثر القليل عليه كثير .

الرابع عشر : إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليغط رأسه ورقبته بشيء ، مُطْرقاً إلى الأرض ، غير ناظر إلى أحد .

الخامس عشر : المحافظة على صلاة الجمعة والجماعة فتركها خطأ وغلط ، فإن وجد تفرقة في خرُوجه فليكُنْ له رفيق يصلّي معه في خلوته ، وإلاّ ! فَلْيَحْضر مع الجماعة بحيث يدرك تكبيرة الإحْرام ، فإذا سلّم الإمام انصرف إلى خَلْوته .

السادس عشر : نفي الخواطر مطلقاً ، ولا يشتغل بالتمييز بين الخاطر الإلهيّ والملكي والشيطاني والنفسيّ ، إذ التمييز بَيْنها ومَعْرفة أقسامها لا يكون إلا بتحصيل أنواع الأنوار ؛ والمبتدىء لم يسلم له هذا المقام ، فينبغي أن ينفي الجميع لئلا يضيّع أوقات حضوره مع الحق تعالى ، ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر والخلوة أن يتفكَّر في

---

(١) فمهما تكلّم بكلمة غير ضرورية خرج شيء من نورانية قلبه مع تلك الكلمة ، فإن زادت أي الكلمة لغير الضرورية خرجت الأنوار الحاصلة بالأذكار وبقي القلب خاليا . نعوذ بالله تعالى من الحور بعد الكور كذا في « رماح حزب الرحيم » ، راجعه في ١٦٠ ج ٢ (منه رحمه الله تعالى) .

معْنى آية أوْ حديث أو غيرها إلاّ إذا ورد عليه معْنى من المعاني في أثنآء الذكر من التَنْبيهات الإلهيّة والواردات الحقيقيّة من غير تدنيس الأفكار البشرية فيفهمها ويرجع إلى الحضور ، فإن خاف النسيان فليكتبها سريعاً .

السابع عشر : أن لا ينام إلاّ عن غلبة ، فإذا نام نام بالطهارة ، فإذا لزم المجاهدة وترك الاستراحة صار ذلك دأب الأركان الأربعة المائيّة والترابيّة والهوائيّة والنارية فيكشف له عن القلب الحجب البشرية ، فحينئذ ينظر إلى عالم الملكوت بعيْن قلبه فيشتاق إلى مشاهدة ربّه .

الثامن عشر : الملازمة لأوسط الأمُور في جميع الأحْوال ، حتى ينال رتبة الكاملينَ من الرجال ، فيكون بَيْنَ جُوع وشبع في الطعام . وقال بعض المتأخّرين : ينبغي أن يكُون طعام الخلوة دسماً من غير حَيْوانٍ وما خرج من الأنعام .

التاسع عشر : إذا كان في خلوته ، لا يفتحها لمجيء الناس للتبرك والزيارة إليه ، ولينظر إلى حال الرسول في ابتداء أمْرِه وإرادة تكميل جمعيّته على الله تعالى كيف كان يتحنث في غار حرآء بمكة ولا يستصحب أحداً ﷺ .

العشرون : ملازمة الذكر في لطيفة القلب ، ثم في لطيفة الروح . ثم في لطيفة السر ، ثم في لطيفة الخفآء ، ثم في لطيفة الأخفى ، ثم في لطيفة النفس ، ثم في لطيفة الجسد ، ثم في النفي والإثبات المرتفع إلى الدماغ ، ثم في النفي والإثبات الذي كالمنشار يخرج من لطيفة القلب يمرّ على اللطائف المعارضة إلى لطيفة الروح بـ (لا) و(إله) تضرب إلى لطيفة الروح و(إلاّ) تمرّ على اللطائف بالرجُوع و(لفظة الجلالة) تضرب لطيفة القلب وذلك بغيْر حبس النفس فيكون الذكر بـ (لا إله

إلاّ الله) كالمنشار ، وكيفيةُ ذلك وما بعده في (الدرّ المسلوك في انتهاء غاية السلوك) .

الحادي والعشرون : إذا شاهد شيئاً في الواقعة إمّا في النوم أو في اليقظة أو في الفَهْوانية – وهي ما بين النوم واليقظة – لا يستحسن ذلك ولا يَسْتَقْبِحُهُ ، ولا يزيد عليه ولا ينقصه ، بل يعرض جميع ذلك على شيخه ولا يطلب منه تأويله ، فربّما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل ولا يكتم واقعته عن شيخه ، فإنّ الكتمان خيانة والله لا يحبّ الخائنين ، ولا يَعْرف تأويل واقعة الذكر إلاّ الذاكرون .

مهم

الثاني والعشرون : دوام تخيُّل صورة شيخه وهو الرابطة بينه وبين خالقه ، فيَجْعَل قلبه مَرْبُوطاً به لأنّ ذلك يجرُّه إلى مُراقبة ربّه ، **والمراد من رَبْط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيّته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان، وترك الإثم والعُدْوانِ** ، فإنّه إذا همّ بمعصيته يتمثل له الشيخ فينْزجر عن فعلها إن كان ربطه كاملاً على محبة دائماً ، كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السلام بقوله ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ وهو أنه مثّل له يعقوب عليه السلام عاضّاً على أنملته .

الثالث والعشرون : دوام التوبة والاستغفار عن الكبائر والصغائر ، وهفوّات الخواطر ، في كل يَوْم سبعين مرة .

الرابع والعشرون : أن لا يعيّن مُدَّةً للخَلْوة وقت دُخُوله كأربعين يَوْماً وعشرين وعشرة وسبع وثلاث من الأيام ، ولا يحدّث نفسه بذلك ، فإن خطر له هذا الخاطرُ خرج من يوم دخُوله ، بل يحدثها أنّ الخلوة قبْرُها لا يُخرجها منها إلى يوم النشور وإخراج الناس من القبُور ، فيكُون

الأمْرُ لشيخه متى أراد أخرجه .

الخامس والعشرون : أن يرى الاستمداد الحاصل له إنما هو من شيخه واستمدادُ شيخه من النَبي ﷺ فهو نائب عنه والنبي نائب عن ربّه ، **فلو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلاّ بالرياضات** عند شيخ مرشد كامل وإمام ناصح مؤدّب بالشرع عالم بالفنون ، فما حرم مَنْ حُرِمَ الوُصول إلاّ بتضييع الأصُول وترك الاقتدآء بالدليل ، والعدُول في هوى نفسه عن سواء السبيل . انتهى ١٤٧ فراجعه .

وهذا آخر ما لخصْناه من كتب الأوليآء الكرام ؛ والحمد لله على ما أنعم به من تيسير الإتمام وعلى نبيّه محمد وآله وصحبه الصلاة والسلام .

اللهمّ إنّي أعيذ كتابي هذا ونفسي من شر الحسّاد والأعداء ، وأهل الحقد والبغضاء ، بآياتك وأسمائك وكلماتك ؛ أقول : عليه وعلى ديني وعلى نفسي ألف ألف بسم الله ، وألف ألف ألف لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، اللهمّ إنّي استجرت نفسي وإيّاه باسمك العظيم الأعظم وبالذكر الحكيم من كلّ من يطلبني ويطلبه بسوء وعناد ؛ احتجبت بنور الله القديم الكامل وتحصّنت بحصن الله القوي الشامل ، ورَمَيْتُ من بَغى عليَّ بسَهْم الله وسيفه القاتل ، اللهمّ يا غالباً على أمره ، ويا قائماً فوق خلقه ، ويا حائلاً بين المرء وقلبه ، حُلْ بَيْني وبين الشيطان وبين نزغه وبين ما لا طاقة لي به من خلقك أجمعين ، اللهمّ كفّ عنّي ألسنتهم ، واغلل أيديهم وأرجُلهم ، واربط على قلوبهم ، واجعل بيني وبينهم سدّاً من نور عظمتك ، وحجاباً من قوّتك ، وجُنْداً من سُلطانك ، إنك حيّ قادرٌ مقتدر قهّارٌ . اللهمّ إنّي لَمْ أؤَلِّفْ هذا الكتاب إلاّ لمجرَّد وَجْهك فيما عَلِمْتُ ، اللهمّ إن كان فيّ غرض مّا في ذلك فيما لا أعلم فاغفره

واعْفُ عنّي إنّك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، اللهمّ اجْعَله لي صدقة جارية إلى يوْم الدين ، وهادياً لعبادك إلى العمل بما فيه من آداب الدين ، اللهمّ احفظه من الدَسِّ وادْفَعْه من أيادي الحسّاد والْمَسِّ(۱) ، ولا تُلْحِقْه أبَداً شيئاً مِنَ الطَمْسِ ، اللهمّ بـ (كهيعص) كُفيت وبـ (حمعسق) حُميت ، اللهمّ إنّي رميت كلّ مَنْ يريد بنا سوءاً بـ (حسبي الله ونعم الوكيل) رميت كلّ مَنْ يريد بنا سُوءاً بـ(كهيعص) رميت كل من يريد بنا سوءاً بـ (حمعسق) رميت كل من يريد بنا سوءاً بالتوكل على الحيّ الذي لا يَمُوت وكفى بالله وكيلاً وهو أرحم الراحمين . رميت كلّ من يريد بنا سوءاً بمحاريز السبع المثاني والقرآن العظيم ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ بسم الله ربّي الله الله الله ، لا إله إلاّ الله ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، الحمْد لله ربّ العالمين .

لا إله إلاّ أنت عزّ جارك وجلّ ثنائك ، بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَماءِ وهو السميع العَليم ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حم حم حم حم حم حم حم ، حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون ، ربّ اغفر وارحم وأنت خَيْرُ الراحمين . آمين .

خاتمة وتاريخ التأليف

تم بيد المؤلف الحقير في ١٧ من رجب سنة ١٣٣٠ . فرحم الله

(۱) أي من مسّ أياديهم (منه رحمه الله) .

امرءاً استغفر لهذا الكاتب آمين . تم[1] .

فهذه تَقريظات العلماء الربانيين في تصديق هذا الكتاب

تقريظ السيد الأمير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي النقشبندي القادري الشاذلي ، فلمّا طالعت في هذا الكتاب من تأليفات أخينا العالم العامل بعمل صلحاء الأمة ، الفائز بجهاد نفسه عند أصحاب الميمنة أرباب القلوب الذي هو عَيْنُ الفوز الحقيقيّ عند الله ، حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدّدي الخالديّ ابن العالم محمّد القحيّ ، كان الله معه ؛ ووقع جميع ما فيه في حَيّز القبُول ، مُطابقاً لما في كتب الفحول تمثّلت بهذه الأبيات اللاتى للقطب الحقيقيّ سيدي عبد الغني النابلسي قدس الله سره خطاباً للمنكر . . الخ :

لــو تجلّى عن ناظريْك الغبار ... لــرأيت الكؤوسَ كيــف تــدار

ولبــانت نار لديك كما بانت ... لـــموسى من جانب الطور نار

ولزالت رســوم ذاتك فيـمَنْ ... لـــم يزل وانْـمَحَتْ به الآثار

وتبدّت فريدة الــحسن تجلّــى ... زائــلات عـــن وجهها الأستار

ورأيت الهدى وارشدك الدف ... وصــــوت الغــــناء والـمزمار

لكن القلب منك في غفـلات ... وعــلى وجـهك الكثيف خمار

ويقينا أن التكــاسر ألْـــهاكَ ... وغـــرّت بـــوَهْمِـــك الأغيار

وَرَمَتْكَ الذنوب في ظلــمات ... مــن شكوك بها العقول تحار

فاجتهدْ واقصد الحقيقة واطلب ... ولـتكن فيـــك همـةٌ واصـطبار

وتذلّل بباب ديـرك واخضـــع ... فعــسى أن يـــريدَك الخمـــار

---

(١) أعني به مؤلف الكتاب (منه) .

إنما أنت عند نفسك وهم ظهرت منك هذه الأطوار
والذى أنت فيه محض غرور وهو في مذهب الحقيقة عار
عدمٌ في الوُجُود يبدُو ويخفى ما له في الحقيقتَيْنِ قرار

فقد نطق المؤلّف المذكور في إدحاض خرافات أهل القصُور . فكأنما نطق رُوح القدس من لسانه مُؤيّداً من عند الله بالفيض الوهبيّ طبق يقينه ، فلا كثّر الله المنكرين المعاندين الذين في الناسِ يجتهدون للإضلال ، ومَاذا بَعْدَ الحقِّ إلاّ الضلال ، من قلم أقلّ العبادِ مير سيف الله الحسيني النِّزبكري الغازي الغموقيّ النقشبندي الخالديّ رحم الله إفلاسه ؛

تقريظ الحاج سليمان الحَبْشِيِّ : رحمه الله ، بسم الله هو الهادي ، والصلاة والسلام على سيّد الأنام محمّد ﷺ ، وأنا الفقير الحاج سليمانُ الحبشيّ نظرت إلى فلك هذا الكتاب فصَادَفْتُ فيه النيرات من علوم الأوائل الكرام ، وفُنُونِ الخلفاء العظام ، فمن ناظر ما فيه من الشموس فليس عليه العتاب ، قد تنكر العين ضوء الشمْس من رمد الخ ، فالحمد لله الذي خَلَقَ مِثْلَ مَنْ كان في السلف ؛ وأَجَزْتُ ما فيه لإحاطته ما في مُصطلح القوم ، ولله دَرُّ مُؤلّفه وَلَدِنا حسن القحيّ رزقه الله الاستقامة آمين .(١)

تقريظ العالم العارف أدرة العرادي الهدلي رحمه الله تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الحمد لله ملهم الصواب ، ومفيض الحكم والأسرار على قلوب الأحباب ، ومظهر حقائق العلوم وغرائب الفُهُوم على أيدي مَنْ شاء من ذوي الألباب ، والصلاة والسلام على محمد وآله الأنجاب وأصحابه الأقطاب ،

أمّا بعد ؛ فقد تشرّفت بالاطلاع على هذا الكتاب للعالم الفاضل

---

(١) انتهى . من خطه ، كتبه في السفينة فوق البحر .

والحبر الباسل مظهر الحقائق ومرشد الخلائق مَوْلانا حسن المحموديّ الخالدي النقشبندي ابن العالم الباهر محمّد الحقيّ[1] الهِدَلي عليهم رحمة الإله الأبديّ ، والتأمّل بما فيه من المسائل الشريفة ، والزخائر المنيفة ، والإشارات العلية ، والعبارات البهيّة ، والأسرار الخفيّة ، فإذا هو عزيز المثال ، بديع المنوال ، قد تفجّرت ينابيع الحكم من جوانبه ، وتدفّقت جداويل العِرْفان عن مشاربه ، حاوٍ لِما إليه يضطر كل سالك من القواعد ، حائز لِما إليه يرغب كل طالبٍ من الفوائد ، مشرق لعلوم الحقائق بَعْدَ خبوّ أنوارها ، مظهر لِمَعالم الطريقة بعد خفآء آثارها ، كيفَ لا وهو في علوم مَنْ يكلّ لسان البليغ عن ولوج بحر فضائلهم ، ويَعْشُوا نظر السليم أن يستقصي مزايا أواخرهم ، فضلاً عن أوائلهم ، ولذلك تقاعدت عزائم غالب العلماء عن استطلاع روايات أزهارهم ، وتقاصرت هممهم عن استكشاف خبيَّات أسرارهم ، بل هم عن استماع ما فيها وإدراكها محرومون ، وعن رؤية ما فيها واستنشاق نسيم طيبها مزكُومون ، وبذلك عن تميّز الشيخ الماهر عن المتشيّخ الخاسر غافلون ، وعن الفرق بين المحق الكامل والمبطل العاطل عاجزون ، فلو لم يكن فيه سوى سرد هذه الشوارد وجمع هذه الأباعد لكان كافياً لهداية الراغبين المسترشدين ، وردِّ المنكرين المعاندين ، بَيْدَ أَنَّهُ تضمّن عُلُوماً غريبة ، وفنوناً عجيبة ، بنصوص صريحة ، ونقول صحيحة ، متوجّة بالآيات القرآنية ، مكلّلة بالأحاديث النبويّة ؛ ومُعْظَمُ ما فيه مما لا يهتدى إليه إلاّ بالفيض الرحمني والمدد الوَهْبانيّ ، حتّى إنّي رأيت كلَّ ما فيه في مثل هذا الوقت الذي كثر فيه المتشيّخون المغترّون والمتصدّرون المدّعون مما يتأكّد الاعتناء به وإشاعته ، ولا سبيل لإهمال ذرّة منه وإضاعته ، لأنّه ممّا زلّت فيه كثير من الأقدام ، وتحيّرت فيه العقول

(١) أي القحي بدّله للتفاءل .

والأفهام واشتدّت إليه حاجة كلّ مَنْ له بدينه اهتمام وللحق تطلّب وبه تمسّكٌ وإلْمَامٌ ، فجزى الله مؤلّفه خير الجزاء في الدارين ، وجعلنا وإيّاه من خير الفريقَيْنِ ، ولله درّه وله خيره وجزى الله سعيه وأصاب رأيه ، ونفعنا والمسلمين من بركات علومه ، ونفائس فهومه ، ورزقنا حَظّاً من أنفاسه الطاهرة ، وإِمْدادِه الوافرة ؛ وفيوضاته العاطرة ودعواته المتوافرة ، هذا والسلام والتحية والإكرام ، وأوصيكم بالدعاء على ممرّ الليالي والأيام .

أبيات أدرة العرادي في تصديق هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيق ما أقول وهو السميع العليم .

الحمد لله على الإنعام ... أزكى الصلاة أفضل السلام
على محمد خير الأنام ... وآله وصحبه الكرام
إذا نظرت هذه الرسالة ... وجدتها من الكنوز الفاخرة
وأنّها من العلوم الباهرة ... للمفسدين في السلوك زاجرة
عن محدثات هذا العصر رادعة ... وعن محرّفات قوم مانعة
قَدْ اَظْهَرتْ تمييز شيخ كامل ... عمّن تشيّخوا بدَعْوى باطل
لله دَرُّ الحسن المُحْيِ لَنَا ... مُنْدَرِسات علمهم في وقتنا
أهدى الورى لأوضح الطريق ... أبدى لهم مَرَاتبَ الفريق
وفّقْ له اللهم للإفادة ... لمن أراد الفوز بالسعادة
بحَمْلِهِمْ لِأصْلَح المصالح ... وهَدْيهم بأبلغ النصائح
لكنّما الجهّال في غرورهم ... أيضاً وأهل العلم في قُصُورهمْ
لا يحفظون حرمة الشريعة ... ولن يبالوا فتنة الطريقة

كم بدْعة فيها لا يَعْبَؤون وخِدْعةٍ بها هُمْ يرتضون
بل كلّ مُنْكَرٍ بلا اعتبار ولا نصيحة ولا إنكار
لأجله المعروف أضحى باطلاً وصار وجه الحق أيضاً عاطلاً
لولم يسامحوا فيما ذكرته ولم يداهِنُوا لمن أشرْتُهُ
ما كان اَهْلُ وَقْتِنَا في فِتْنَةٍ والكلّ كانَ سَالِماً عن محنة
لمثلهم هذا من الفضيحة وينبغى لهم بَذْلُ النصيحة
لله والكتاب والأئمة وللرسول ثالثاً والأمّة
من كان منكم مخلصاً للهِ وعاملاً بالعلم غير لاه
كُنْ عن جميع المنكرات ناه على عباد الله غير باه
وبالمعروف آمراً للناس وعن مَساويهم فكن كالناسي
من بعد أخذه لأجل الدين بالأحْوط الأتمّ والمتين
هذا الذى ذكرته نصيحتي كذا لكلّ سامع وَصِيَّتي
تذكرة لتذكرون حَسْرَتي على إهبات أهل الدين إخوتي
وحاجتي الى دعاء صالح بلا تكاسُلٍ ولا تسامح
وفّق لنا اللهمّ للإنابة ولجميع الخير والإصابة
مع كلّ مَنْ بدَعْوَةٍ أوْصَاني أيضاً وَمَنْ فيها فلا يَنْسَاني
وإنّنى أدُورَة العرادي فارْحَمْه ربّى أنت اعتمادي

هذه النصائح بالنظر إلى أبعاض رجلة العلماء ، وجهلة الفقراء ، لِما رَأيْتُ فيهم من الحقد والحسد والإنكار الخفيّ ، والكراهة الجليّ ، والجهل الوفي ، لا يَرْقبُونَ في مُؤْمِنٍ إلاّ ولا ذمّةً ، ولا يريدون لغيْرهم

فضلاً ولا حرمة ، ومع ذلك لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، ولا يبذلون وسعهم في إعانة مظهر الصواب ، ومبيّن القشر من اللباب . (منه رحمه الله تعالى) .

وأنا العبد الساعي في هلاك نفسه الملهى بشُغْلِ يومه عن جزآء غَدِه وذنوب أمْسِهِ اُدُرَةْ بن حَنَفِ العرادي الهِدليّ النقشبندي عليهما رحمة الإله الهادي .

بهاء المرء علم فاغتنمْهُ   وما في العلم فاعمل وانتشرْه
ورأس المال إخلاص فَقِفْهُ   وعن خلق ذميم فَاجْتَنِبْهُ
ودع شيئاً يُرِيبُكْ فرّ منه   إلى ما لا يريبُكْ فاتّخذه
فقل حَقّا يقيناً وامتثلْه   ودع قولاً ضعيفاً لا تُشِعْه
ونفسُكْ عن هواها فَامْتَنِعْهُ   فمن ينطق به جَهْلاً يُهِنْهُ
وبالمعروف فَأمُرْ وَاتَّبِعْهُ   وَعَنْ أَمْرٍ كَرِيهٍ فانْهَ عَنْهُ
وهذا ما أمَرْتُكْ فأتَمِرْه   كَفَاكْ بما وَعظْتُكْ فاتّعظْهُ
وهذا أدرَةٌ فَلْتَسْتَمِعْهُ   ويوصي بالدُعآ فلا تدعْه
وقل فَارْحَمْ واغفر وامتثلْه   تمّ الكلام بعون العلام .

تقريظ الفقير غازي محمد علي ولد أميرْخان العوري وأوصيكم بالدعاء لى ولوالديّ :

بسم الله الرحمن الرحيم هو الهادى إلى الصراط المستقيم هذا الكتاب تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين قد جاء بحمد الله سبحانه وتعالى سبكاً عجيباً وصار بمنّه تعالى سفراً مطرباً فلذلك أزال الزيغ عن أفئدة المنكرين سوى مَنْ هو رئيس الحاسدين فللّه تعالى درّ مؤلفه ما

أحسن تصنيعه فقلت في حقه بالشوق الظاهر من البحر الوافر :

يجـــاز الله قــوماً منكرينـــا ... لـــهذا الكنـــز بـــالنار الحريق

واصْبَحْ دَعْــوَى كــلّ الحاسِدينا ... كـــأصـــوات الـــبَهائـــمْ والنعيق

لـــما اســـتنشق الحبر الحقـيّ ... مِـــيـــاهـــاً عَذْبُها مـثل الرحيق

مـــشائِخُهْ جبـــــال رَاسِـيَاتٌ ... لإهـــداء الخـــلائـــق للـــطريق

كـــأنّ كـــتابَه بَـحْـرٌ مُحيطٌ ... بـــعيد قَــــعْرُه لـــــلمُسْتفيـــق

فَـــوَائِـــدُهْ نُـــصُوصٌ وافراتٌ ... فَـــرَائِـــدُهْ جَـــوَاهِرْ لـــــلوميق

كـــتابَتُهْ هِـــدَايَةْ للـــعـــوام ... وَعَـــطْرٌ فـــاح كـالمسك العبيقِ

فـــيا لله مـــن فــرد عـــلـــيّ ... حـــليم ســـالـــك حسن وثيق

فـــهـــذا للفقير أبــي حـــامد ... عـــورِيٍّ عـــاطل طـــاش عَوِيقٍ .

تقريظ فقير الله تعالى شعيب الباكنيّ جعل الله تعالى يومه خيراً منْ أمْسِهِ :

وأنا الفقير شعيب الباكني قد تأمّلت الكتاب من أوّله إلى آخره بالإجْمال ، فما وجدت فيها ما ينكدر به الصدور ويحصل به الغرور ، فلله درّ مؤلّفه وله تعالى زين مصنّفه ، فجزاه الله تعالى خيرالجزاء وجعل سعيه مشكوراً يوْم القضاء ، جَعَل الله قلوب عباده تابعاً للحقّ وقابلين للوعظ من الخلق اللهمّ أرنا الحقّ حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العزيز الحكيم . انتهى في ١٨ من شهر شعبان المعظّم سنة ١٣٢٧ .

تقريظ العالم المتبحر حاجيو الخركي رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله تعالى على

النبي محمد وآله أجمعين ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً ﷺ عبده ورَسُولُه أرْسَلَه إلى كافة المخلوقات ، أمّا بعد فقد قال الله تعالى ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأشْهِدُ الله على ذلك ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وَديعة ، وأنا أشهَدُ بأنّ جميع ما نقله هذا الشيخ الفاضل العالم حسن بن الحاج محمّد القحي الهِدَلي أنّه من خالصِ النية بلا ارتياب ، وأنّ جميع ذلكم مما خرج من مشكاة النبوّة بالنور المبين ، كما أنّ أولياَء الله تعالى لا يتفوّهُونَ ولا يتنفسون إلاّ بما شربوه من هذا البحر المحمديّ العذب المشرب ، ومصداق هذه الشهادة أنّه ما تكلم في هذا الكتاب إلاّ بالنقل الصريح ، والقول الصحيح ، آخذاً ممّن تَقَدَّمه من أرباب الشَريعة وأصحاب النبوة ، فاتخذُوه نصب أعينكم أيّها الإخوان ، واجْعَلُوه ديوانكم تفرحوا يوم الهَوَان ، فمن آمن بما فيه نجا ، ومن أنكره فإلى الخلاص من سطوة الله ما ارْتجى ، ولَمَّا كثرت البدع واتخذها أهل الأهْوآء سنّة متبعة ، وسنّة رَسُولِ الله أساطير مبتذلة ، وتشيّخت الجهلاء ، وصَمَتَ عن مقاومتهم العلمآء ، وعمّت هذه المصيبة في هذه الأقطار ، وعميت عن رؤية الحق منهم البَصائر والأبْصار ، ألْهَمَ الله تعالى بفضله وكرمه إجراءً لما ثبت في قديم عِلْمِه هذا الشيخ الفاضل تأليف هذا الكتاب إدحاضاً لشبه المبطلين ، وإرغاماً لأنوف المتعصّبين والمتعَسفين ، والحمد لله على ذلكم في كلّ حال وفي كل حين ، سبحان مَنْ لا يجري في ملكه إلاّ ما يشآء .

هذا بعض ما أشار إليه سيد الإنسِ والجان ومن غيب علمه عند نطقه بقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق » . الحديث ؛ والسلام من الكاتب الفقير خادم العلوم ، تراب الأقدام حجيو

الخركي ، فمن ظنّ أنّ في كلامي غلوّاً فليأتني يبسط له سود الكتاب الصحيحة . انتهى من خطِّه .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هو الهادي إلى السبيل المستقيم ، أحمدك اللهمّ يا مجيب كلّ سائل ، وأصلّي وأسلّم على من هو لنا إليْك أشرف الوسآئل ، محمد وآله وصحبه ذوي الفضائل ، وأسألك الرضى عن العلماء العاملين العارفين القائمين بخدمة الشريعة والطريقة ، فلا أحد لهم في ذلك مماثل .

أمّا بعد؛ فهذا كتاب «تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين» لشيخنا ورُوح أجسادنا وحياة قلوبنا حسن حلمي النقشبنديّ الخالديّ الشاذليّ القادريّ ابن العالم المرحوم الحاج محمّد القحيّ رحمه الله تعالى؛ وسِفْرٌ أشرقت شموس تحقيقه ، وأظهرت في سمآء الفهوم نجوم تدقيقه ، قد أخذت البلاغة فيه زخرفها ، وأشرف الروض من صحيفته أحرفها ، قد انفرد مؤلفه في هذا الزمان بالرتبة الّتي لا يدّعيها زيد ولا عمْر ، ولا يتطاول لمثلها أحد إلاّ أعجزه الدَهْر ، وكيف لا وهو سلامة مجْد انتظمت في عقد فخاره أفاضل العلمآء ، وثمرة شجرة أصلها ثابت وفرعها في السمآء ، فلا غَرّ وأن أوتيَ ملك البيان الذي لا ينبغي لأحد من بَعْده ، واجتمع له طاعة القلب واللسان وهما خادمان لشكره وحمده ، فخطيب الأقلام بحمده على منابر الأنامل ، وفصيح اللسان يقوم بحمْده في صدور المحافل ، قد أحسن كل الإحسان في ابتداع هذا التصنيف ، وأجاد في اختراع هذا الترصيف ، الذي يفتخر به العالمون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، فيه من دقائق علوم الطريقة شواردها ، ومن لطائف فهُوم الحقيقة قلائدها ، وحوى من المسائل وقواعد الطريقة ما لم يحوه كتاب ، وفتح للطالب إلى أقصى المطالب

كلَّ باب ، وتناسق فيه جزيل المعاني مع لطيف الألفاظ تناسق العقد المنظوم ، حتى صار عمدة ودستُوراً ينسج على منواله أرباب المنثور والمنظوم ، وسار شُهْرَتُهُ مسير الشمس في الآفاق ، وترنمت بالثنآء عليه ألسنة الفضلاء ، كأنّها الحمائم وهو في أجْيادها الأطواق ، وأيّد قول مَنْ قال : لكل علم رجال ، ولكلّ ميدان أبطال . قول القائل الماهر : كم ترك الأوّل للآخر ، وهذا هو القول الذي عليه التعويل ، ومن ذهب إلى غيره لم يهتد إلى سوآء السبيل ، فإنّ فضائل الله ليست محصورة في قوم ، ولا مختصّة بيوم دون يوم ، وما زالت أفكار العلماء العارفين تستخرج درر العلوم ، ويحقق المتأخّر منهم ما لم تحم حوم تحقيقه من المتقدّم الفهوم ، فللّه درّ شيخنا المذكور ، وبالجنّة دَره حيث أبدى لنا أقوالاً جامعة لنصوص العلماء العاملين ، ونصوص الأولياء العارفين ، قدّس الله تعالى أرواحهم الزكية ، ونوّر الله تعالى أضرحتهم المباركة ، وأعاد علينا منْ بركات أنفاسهم وفيوضهم دائماً ، والحمد لله رب العالمين آمين . فبناء على هذا قلت في حقّه قدّس سرّه وإن لم ألحق بواصفيه .

أنتَ فـــي العِلْـــمِ والمعالي فريد وبـــعقد الفـــخـــار أنت الوحيد
لـــك عِـــزٌّ قـــد أشرقَتْ بـــعُلاه شـــمس فضْلٍ بِـــها الضِياء يزيد
وعُلُـــوم أبْـــدَعْـــتَها بـــفهُوم بـــحلاهـــا تـــتوَج المستفيـــد
غـــصْتَ فـــيها علـــى فرائد درّ فـــي نُـــحورِ الحِسـان هُنَّ عقود
ســـائراتٍ كالشَمْسِ فـــي كل قَطر مـــشرقـــات والـــجهل منها يبيد
مَنْ يُضاهي هَذا المقام المعلّى إنّ هـــذا عـــن غيـــره لـــبعيد

من الكاتب الحقير ، ترابُ أقدام الأنام الحاج محمد بن جبرائيل الكراطي الأشنخي رحم الله تعالى إفلاسهما ، اللهم لا تحرمنا من

بركات مشائخنا وفيوضاتهم آمين يا مجيب السائلين ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأوفر التحيات والإكرام آمين . في ١٦ من صفر وفي ١٢ من سنتابر وفي ٢ من برج ميزان سنة ١٣٤٢ هجرية .

هو الهادي إلى سبيل الرشاد . حمداً لك يا من أطلعت شموس الهداية في قلوب العارفين ، وهديت من اصطفيته من صفوة عبادك إلى طريق السالكين ، تظهر حدوداً لا يتعداها إلاّ الظالمون ، وتبين أحكاماً لا يصدّ عنها إلاّ المرتابون ، إنّي أنا الحقير الفقير إلى ألطاف ربه القدير وإلى مننه الظاهرة والباطنة الراجي ، حجيو بن يونس الحسيني البقاجي ، لمّا رأيت ما ألفه أخونا التقي النقي حسن القحي فخر العلماء العاملين مرجع الفضلاء الشامخين ، مربي المريدين ومرشد السالكين ، منبع المحاسن السنية ، خليفة السيد المختار في الطريقة المجددية النقشبندية ، صحيحاً ومطابقاً لما ألفه السلف ، بل متزايداً ومتفاضلاً في عموم فوائده ونضارة عوائده ، عما صنفه الخلق مع رقة عباراته وحلاوة مفهوماته ، محتوياً على قواعد من ذكر المتين ، ومشتملاً على زجر المنكرين ، وإفحام المعاندين ، الذين لا هداية لهم في الدين ، صادقاً ظواهره في الظواهر وبواطنه في البواطن ، فهو عالم فيما يعلم ، وفَّقه الله تعالى فيما لا يعلم ، وهو حسبنا ونعم المعين ؛ قرضت هذه الأبيات في حقه موازنة لأوزان بحر الكامل ، وإن عدمت لمثل ذلك فطانة هذا الجهول ، وقلت :

حـــمداً لـــمن أعلى مراتب ذاكر تـــزهـــو بها الجنان ذاتُ الأنهر

مــتَطالعاً بلــطائف الـــمتوجِّـــه شـــمس الهداية من سَـما الأذكار

وبـــها اعْتـــرى للسَالكين تَنبُّه مـــن قـــدوة المُتَشَيِّخ الغـــرّار

تـــشقى لمن أثنى وصال جمالها مـــن راحها الأحلى بلطف الباري

طـردت مقاسـاة القـلوب منهمو   طــرأت عــليهــا بانكشاف البدر
فتزايدت فيها التفكُّر والصَـــفـاء   ونـفت ريــوب القوم في الغبــار
وتفيض من بَحْرِ الفيوضِ حكمة   وفــوائـــداً كـــسواطــع الأقمار
فبها تسلَّى ذو الهـموم البــاطنة   ولــها مــؤانسة الـــفقير العاري
وبهـا انتشقَّ يــا كل مَن فزت بها   مـــن طــيب نفحــات لها كالعنبر
لـــكنها مــستورةٌ أنـــوارُهــا   عــمن تـــصدى منهــج الأبرار
حسن القحي ألقى المواهـب جـمّة   مـــن قــعر لـــجَّة ســـادة الأخيار
وبمثلها لــم يـأت آت وكـم غا   در الأول أبــهى السَنــا للآخر
أبدتْ لنــا المـــخفيّ تـحقيقاته   ومــحت بــها الغياهِبَ عن أخطار
قـــل لمن في أعتابها بَذَل الجهد   اللبومـــة الصَـــــدى فـي النَهار
ثمراته نزلت بنا في غسكه ١٣٣٥   يـــوم الخـميس مـــن ربيع الآخر
وبــمدحها أيـن التناهي ونظمـي   مــتقاصــر عـن حصر تلك الثمار
وقع الوفى من سطر ما ســالت به   قــلم الـــجهول متزاحــم الأوطار

أعني به مرشد الزمان وغوث الأقطار وقطب الأبرار الحاج عبد الرحمن العسوي ، الذي دفن في جنب أم بني آدم .

الموضوع	الصفحة

الفهرس

الباب الأول

الباب الرابع

الباب الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع والعشرون

الموضوع	الصفحة
الشيطنة أولى	٤٢٣
العامل لأجل الجنة عامل لفرجه وبطنه	٤٢٥
الطريقة والشريعة توأمان	٤٢٨
مهم الله هو خالق الذات والأفعال . .	٤٣٦
مهم العباد الذين ليس للشيطان عليهم سلطان	٤٣٧
الرجال ثلاثة أصناف	٤٣٨
من أدب كل عبد أن يحب كل من يحبّه سيده	٤٣٩
المخلص يفرح بهداية الناس ، علامة المتشيخين	٤٤٠
مهم لا ينبغي إخراج أهل الدعوى في الاستسقاء	٤٤١
الصادق لا تأبى نفسه التتلمذ للكاذب ولو صورة	٤٤١
كما لا يصير الحنفي شافعياً إلا باتباع الشافعي كذلك لا يصير الشخص نقشبندياً إلا بدخول طريقتهم	٤٤٢
لا يمكن تزكية النفس إلا بتصفية اللطائف ، الشيخ عبارة عن الدليل إلى الله تعالى	٤٤٣
الباب الثامن والعشرون	
في ذكر الطرائق المجتمعة في الطريقة النقشبندية	٤٤٤
الطريقة الأولى صحبة الشيخ الكامل بشروطها	٤٤٤
علم التصوف يكتسب من المشائخ الكاملين لا من الكتب	٤٤٧
فائدة في معرفة الشيخ الكامل	٤٥٠
الطريقة الثانية : الرابطة	٤٥١
أقسام استحضار الرابطة	٤٥٣
كيفية الرابطة مع الأموات	٤٥٥
آداب الرابطة	٤٥٦
مهم ما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ	٤٥٧
مهم كيف يرابط رجال كثيرون لشيخ ويكون بين أيديهم في تلك الحالة	٤٥٩
الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقَّنه الشيخ من الأذكار	٤٦٠
نوعاً الذكر في الطريقة النقشبندية . .	٤٦٠
مهمة في تفضيل الذكر الخفي	٤٦٢
كيفية الاشتغال بالذكر	٤٦٦
العمدة في كل الأذكار هي الوقوف القلبي	٤٦٧
متى يقول : إلهي أنت مقصودي .. إلخ	٤٦٩
في بيان اللطائف	٤٦٩
مهم لكل لطيفة من لطائف عالم الأمر أصل فوق العرش	٤٧٠
مطلب أصل القلب ، مطلب أصل الروح	٤٧١

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الوقوف الذكري ، الوقوف العددي	٥٤٣
قوله إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلولي ، انتظار الواردات	٥٤٤
معنى الإنابة ، الانتساب إلى المشائخ	٥٤٥
من لا سند له فهو لقيط ، لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، للوسائل حكم المقاصد	٥٤٦
تعلم الذكر من المشائخ ، الأخوَّة ، البيعة	٥٤٦
فائدة من الأمور التي غفل عنها أهل الغلظة من المتشيخين عدم إطاعتهم سلاطينهم وأمراءهم	٥٤٧
المصافحة عند البيعة	٥٤٨
مبايعة النساء	٥٤٩
تعليم الذكر للعوام	٥٥١
الذكر قسمان : ذكر تلقين ، ذكر تعليم	٥٥١
التوجُّه	٥٥٢
توجه جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ	٥٥٤
مهم تخصيص العدد في الذكر والختمات	٥٥٩
غلق الأبواب والكوات عند الختم	٥٦٠
سبب وقوع الفتور لأبي يزيد وغيره	٥٦١

الموضوع	الصفحة
تغميض العينين عند الذكر	٥٦١
والختم والجهر بالصلاة على النبي ﷺ	٥٦٢
بيان قراءة الختم ، عادات السادات سادات العادات	٥٦٢
شروط قراءة الختم	٥٦٣
طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، قراءة الفاتحة سبعاً	٥٦٥
الصلاة على النبي ﷺ مئة مرة	٥٦٥
الإنشراح تسعاً وسبعين	٥٦٥
الإخلاص ألفاً وواحد	٥٦٦
السر في ضبط الأعداد في قراءة الأعداد	٥٦٦
مهم إرادة النفع الدنيوي بالعمل من الخالق ليس برياء	٥٦٧
الران	٥٦٩
مهم في الاستغفار	٥٦٩
القلب كالجمر لا يتأثر إلا بشدة ضرب لفظة الجلالة عليه	٥٧٢
الأذكار والعبادات بلا حضور كصورة بلا روح	٥٧٢
من فضائل الصلاة على النبي ﷺ	٥٧٢
من فوائد الصلاة على النبي ﷺ	٥٧٣
حكاية عجيبة ، حكاية أخرى	٥٧٦
فائدة مهمة تقديم الصلاة على النبي ﷺ بين يدي الحاجة كالهدية	٥٧٨
مهم سؤال الله تعالى الحاجة بمحمد ﷺ	

تلخيص المعا رف

في

ترغيب محمد عارف

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (٩-١٢٦٨) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

---

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً - وبمحض التوفيق الإلهي - الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولبي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله القادي فألبسه خلعة علي - رضي الله عنه - سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان - رحمه الله - دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (٦-١٣٥٥) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أمّا بعد ؛ فيقول الفقير حسن حلمي القحيُّ[1] غفر الله له : قد طلب مني ولدي محمد عارف - سلكه الله تعالى بفضله في سلك العارفين آمين - أن أجمع له مختصراً في أسرار وظائف الطريقة ؛ ليكون له ولغيره ترغيباً فبناءً على ذلك قصدت أن أؤلف كتاباً لطيفاً ملخصاً من كتب السادات على طريق الاختصار ، وسميته :

بـ« تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف »[2]

---

(١) وفي نسخة : حسن حلمي القحيُّ بن الحاج محمد القحي النقشبندي الشاذلي سامحه الله تعالى من فرطاته ، آمين .

(٢) وجد في صحيفة العنوان من الأصل الخطي ما يلي :

ثم اعلم أن الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً ؛ وهي رابطة الحضور ، رابطة الموت ، رابطة المرشد .

أما رابطة الحضور : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة ، وتفكره معيَّته تعالى ، وكونه حاضراً وناظراً إليه تعالى ، وسميعاً عليماً بصيراً على مقتضى « كأنك تراه » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث « أفضل الأعمال أن تعلم أن الله تعالى معك حيثما كنت » فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها بل هي المقصود الأصلي ، وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت : فهي عبارة عن ربط القلب بالموت ، والقبر ، والقيامة ، وتفكر أهوالها ، وأحوال نفسه على مقتضى « موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا قبل أن تحاسبوا » ، « وكن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل وعدَّ نفسك من أهل القبور » . =

لِما أنه وقع سبباً للتأليف ، وأرجو الله تعالى أن يجعله سبباً لتشميره لحوز الهداية ، والاجتناب عن الغواية . ورتبته على ترغيبات ، وخاتمة ، وتذنيب ، **الترغيب الأول** : في اتخاذ الشيخ ، وبيان فوائده ، ومنافعه . **الترغيب الثاني** : في بيان فضائل الاستغفار . **الترغيب الثالث** في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه[1] السلام . **الترغيب الرابع** : في بيان فضيلة الذكر مطلقاً . **الترغيب الخامس** : في بيان فضيلة لفظة الجلالة (الله) . **الترغيب السادس** : في بيان فضائل (لا إله إلا الله) . **الترغيب السابع** : في بيان وظائف الشاذليين . **الترغيب الثامن** : في بيان آداب الذكر . **الترغيب التاسع** : في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد . **الترغيب العاشر** : في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم من ترتيب الشغل ، ووظائف الأعمال . **والخاتمة في** الترهيب[2] ، والتخويف ، وفي الوصايا التي لابد للمريد من رعايتها .

فأقول وبالله التوفيق :

=**وأما رابطة المرشد** التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله المكملين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبيّ من أنبياء الله تعالى ، أو وليّ من أولياء الله تعالى ، أو على جميعهم ، أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه ، أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها ، أو شيخه و مرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنه بلا تردد . فهذه الرابطة الحبية ملزوم ، وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم . انتهى من « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » .

(١) وفي نسخة : عليه الصلاة والسلام .

(٢) وفيه فضائل الكسب والحرفة . (منه) . (هامش الأصل) .

الترغيب الأول

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ وبيان فوائده ومنافعه

اعلم أيها الولد رزقك الله الاستقامة ، وجعلك من ورثة العلماء العاملين . آمين .

أن أول ما يجب على السالك بعد التوبة ، والندم على ما فرّط في جنب الله تعالى : أن يتخذ له شيخاً يرشده ويهديه ، مع التسليم والانقياد له ، وسلب الاختيار معه ، والاعتقاد فيه أنه وليّ الله وأنه دليل له إلى الله ، ولولاه لَما يصل إلى الله ، وأنه أشفقُ عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه ، فإن لم يعتقده كذلك فمحبته نفاق ، ولا ينتفع بشيء من أخلاقه ؛ وإن صحبه أكثر من ثلاثينَ سنة . هذا حاصل ما « في رماح حزب الرحيم » . راجعه في ١٢٨ من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأوّل .

وينبغي للمريد أن يعتقد ويجزم بأن ما قاله الشيخ ووعده يكون حقاً لا بد من وقوعه ، فقد نقل عن الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه أنه قال : **إذا وعد الصادق أحداً بشيء من أمور الآخرة أو الدنيا ، فإنْ كان في وقت سماعه للوعد ساكناً مطمئنّاً جازماً بصدق الوعد فهو علامة على أنه يدرك ذلك الشيء لا محالة ، وإن كان في وقت سماعه للوعد مضطرباً مرتاباً في صدق الوعد؛ فهو علامة على أنه لا يدرك ذلك الشيء** ، فالجزم علامة أهل الصدق والتحقيق ، كما هو مذكور في « رماح حزب الرحيم » أيضاً في ١١٥ ج١ .

وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنني أعطي أحدهم القشّة من الأرض إذا طلب منّي الدّعاء لمريضه ، أو كتابة ورقة وأقول له : بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن

الله تبارك وتعالى ، فأعرفُ أنه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة ؛ **فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهية بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه** ، حتى أن بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أن تلك القشة تنفعه ، فلا تنفعه . انتهى ، راجعه في ١٧٠ ج١ .

وقد ذكر السادات كلاماً كثيراً في حق وجوب اتخاذ الشيخ ومنافعه ، ومن ذلك ما في « عقد اليواقيت » راجعه في ١٣٨ ج١ بهذه العبارات :

وقال الحجة الغزالي : المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدي به ، **ومَنْ لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى مهاويه .**

وقال أبو الحسن المرسي : من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع[1] ، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له ، وَدَعِيٌّ[2] لا نسب له . وقال أبو يزيد : **من لم يكن له أستاذ فأستاذه الشيطان** . انتهى عبارته ، راجعه في ١٣٨ ج١ .

يا ولدي إن أردت الزيادة فراجع « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فقد بسطت الكلام فيه .

وذكر في « عقد اليواقيت » راجعه في ٥٦ ج١ كلاماً نفيساً طويلاً يحصل به الحث على المجالسة والمصاحبة مع أهل الخير ، فقال في الباب الثاني : فأقول والعبارة لسيّدنا علي بن أبي بكر السّكران باعلوي استعرت بعضها تبركاً : وقد حصل لي بحمد الله مع تأخّر عصري ، وضعف حالي ، وقِصَر باعي ، وقلة متاعي اجتماع بشيوخٍ أجلّة ، وسادات أئمة ، وصحبة لهم ، وصدق محبة ، ووداد وقربة ، وكثرة مجالسة ، وقراءة ومذاكرة

(١) والقناع ، غشاء القلب « ق م » .
(٢) الدعيّ كغني ، المتهم في نسبه : من يدعي النسب لغير أبيه الحقيقي . « ق م » .

وإلباس خرقة ، مقروناً بالإذن مقدماً باللبس محفوفاً بالأنس ، كما سيأتي ذكر ذلك ، فلقد حظيت بقربهم وبلغت آمالي إن شاء الله تعالى بهم ؛ وإني وإن كنت خالفاً عنهم ومتخلفاً عن فعلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم فأرجو أن يلحقني الله تعالى بهم ، ويسقيني بكأس شربهم ؛ فهم القوم لا يشقى بهم الجليس ، وإن كان فعله[1] مثلي[2] دنيء خسيس ، غير أنَّ لي فيهم إن شاء الله تعالى المحبةَ الصادقة والإيمان بأذواقهم ومواجيدهم الفائقة ، وقد ورد في الحديث « المرء مع من أحب » ، وورد أيضاً « المرء من جليسه » ، و« المرء على دين خليله » ، والطبع يسرق من الطبع ؛ وإن أبت النفس .

وقد قيل : **من صحب الأخيار جعله الله من الأخيار ؛ وإن كان من الأشرار ، ومن صحب الأشرار جعله الله تعالى من الأشرار ؛ وإن كان من الأخيار .**

قال سيّدنا القطب الأشهر العيدروس الأكبر في كتابه « الكبريت الأحمر » : سلوك الطريق على الحقيقة بالعبادات[3] ، أو بالمقامات ،

---

(١) علّه فعلي .

(٢) كذا في النسخة التي بأيدينا ، ولعل في العبارة زيادة أو نقصاناً . (منه ، سامحه الله) .

* وظنّ الفقير ذي التقصير القاضى حبيب الله رحمه الله تعالى أن العبارة تستقيم كما في المتن بإرجاع ضمير الغائب في قوله (فعله) إلى قوله (الجليس) ويكون لفظ (مِثْلَيْ) صيغة تثنيةِ مثلٍ ، وهو مضاف إلى لفظ (دنيء) في الظاهر وإلى لفظ (فعل) محذوف في جانب المضاف إليه في التقدير ، ويحتمل أن يكون الواو في قوله (وإن كان) للعطف على مقدّر تقديره : هم القوم لا يشقى بهم الجليس إن كان فعله مثلَ فعلِ الدّنيء ، وإن كان فعله مِثلَيْ فعل دنيءٍ خسيسٍ أو للتأكيد فالمعنى : لا يشقى بهمِ الجليس وإن كان فعله مثلَيْ فعل دنيءٍ خسيسٍ ، فضلاً عمن كان فعلُه مثلَ فعل الدنيء ، والله تعالى أعلم ، وعلمه أحكم .

(٣) قوله (سلوك الطريقة على الحقيقة بالعبادات) : أي بفعل العبادات والطاعات بالإخلاص وحسن النيات . (أو بالمقامات) : أي بالاتصاف بمقامات الأبرار=

=والصالحين ، كالحلم وكظم الغيظ والرفق والتوكّل وغيرها من أخلاقهم وصفاتهم . (أو بالأحوال) : والحال عند أهل الحق ؛ معنى يرد على القلب من غير تصنّع ، ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة ، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا .فإذا دام وصار ملكة يسمّى مقاماً ، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود . (أو بالأنفاس) : أي بوصول أنفاس الصلحاء . فقد ينتفع المريد المستعد بمجرد ملاقاة نَفَس الصّالح ونظره وكلامه ورؤيته ، ويصل بذلك إلى الله تعالى ، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ . (أو بالمعارف) : أي بمعرفة أحوالهم ومعارفهم ومقاماتهم وعلومهم . فقد يتشوّق المستعدّ أيضاً عند سماع معارف الصالحين إلى الاتصاف بتلك الصفات فيسعى ويتشمّر لذلك فيصل بذلك إلى ما وصلوا إليه : ومن طلب وجدّ وجد . (أو بضرب الأمثال) : فقد يضرب الشيخ المثل للمريد ، ويقول مثلاً أن مثل الدنيا كالعجوزة القبيحة ، المستورة حالها بألبسة حسنة ، المزينة بزينة الحلل والأساوير ، وقد يتشوّف إليها من رأى زينة ظاهرها ، مع أنه لايعرف قباحة باطنها ، والحال أنه سكران مندهش فأكبّ إليها ومسّها ولامسها وجامعها ، وقبّل وجهها ، واضطجع معها في جملة من اللّيل إلى الصباح ، ثمّ إذا زال ما به من السكر ، وحصل له الصحو ، وأصبح ورأى حقيقة باطنها ، ورآها وعلم أنها عجوزة قبيحة المنظر ، منتنة الرائحة وقد يجرى من فمّها الصديد والقيح والبصاق والمخاط فحينئذ يندم على ما فعل حين لا ينفع الندم . فمثل هذه الأمثال يحصل للمريد المستعدّ التنبّه من سِنة الغفلة ، ويتشمّر إلى السلوك في طريق الأبرار ويزهد في الدنيا ، كما وقع أمثال ذلك لكثير من الناس ، والله وليّ التوفيق والهداية . (وحفظ القلوب) : أي بحفظ قلوب الأبرار والمشائخ عمّا تتكدّر ، وذلك يكون بحفظ الآداب أو بخدمة لائقة بهم . فقد يتأدب المريد لدى الشيخ أو يخدمه فيميل إليه قلبه ، فينجذب بمجرد ذلك إلى ما انجذب هو إليه ، ويصير ذلك سبباً للوصول وباعثاً للحصول . (أو بالمقابلات) : أي بمقابلة القلب بالقلب ، للاستفاضة ؛ **فقد يقابل القلب الظلماني بالقلب النورانيّ فينعكس النور كما ينعكس نور الشمس من الجدار الذى وصل إليه نور الشمس إلى الجدار المقابل به** . (أو بالقابليّات) : وقد يكون في ذات المريد قابليّة ، واستعداد موافقة بحال الشيخ ، وبمجرّد الملاقاة ينعكس إليه ما في باطن الشيخ من نور المعرفة فيصير ذلك سبباً للوصول . (أو بالمناظرات) : وقد يبحث واحد مع واحد من أهل المعرفة ، ويسأله ويناظره فيسوق إليه من العلوم والمعارف والأسرار ما هو اللائق بحاله . فإن كان ممّن أراد الله به الخير ينتفع به ويكون سبباً للسلوك إلى طريق الوصول إلى الله تعالى . (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظنّ وهو مؤمن بالأخلاق المحمديّات) : وقد يجالس ويخالط واحدٌ بواحد من أهل=

أو بالأحوال ، أو بالأنفاس ، أو بالمعارف ، أو بضرب الأمثال وحفظ القلوب ، أو بالمقابلات أو بالقابليات أو بالمناظرات ، أو بالمجالسات ، أو بالمحبات ، أو بالمخالطات والمودات ، مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات ، أو بالمذاكرات ، أو بالتصديق والاعتقادات ، أو بالانقطاع والخدمة ، أو بالتربية ، بالعلوم اللّدنيات ، وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف سالك مجذوب ، واصل محبوب ، واصل موصول ، عارف بالنقل والعقل ، عارف بالله تعالى وبنفسه ، حاضر غائب

=الخير والصلاح أو يحبه ويودّه فينعكس إليه بسبب ذلك حاله ، وينجذب إلى الله قلبه ؛ فإن الأحوال سارية والطبيعة سارقة ، وللصحبة والمخالطة تأثير عظيم لا يخفى على أهل الذوق والوجدان . (أوبالمذاكرات) : أي بذكر أوصاف أهل الخصوصيّة ومعارفهم ، والمباحثة عن حقيقة أحوالهم وأفعالهم وقصصهم تَنْبَعِثُ الهِمَم إلى الدخول في سيرتهم ، والسلوك في طريقتهم ، والوصول إلى ما وصلوا إلَيه . (أَو بالتصديق والاعتقادات) : بطريقهم وولايتهم ؛ وقد قيل **التصديق بطريق الولاية ولاية** . وقال أبو يزيد قدس سره : من يؤمن بكلام القوم فقل له يدعو لك **فإنّه مجاب الدعوة** . (أو بالانقطاع) : إليهم بالاجتناب عن مخالطة غيرهم ، والملازمة بصحبتهم ، ورؤيتهم وسماع كلامهم . (والخدمة لهم) : فإن خدمتهم من أجل ما يوصل المرء إلى ما وصلوا إليه . وقيل : إن الخدمة أفضل من نوافل العبادات . (أو بالتربية بالعلوم اللدنيات) : أي بذكر تلك العلوم على ما ألهمهم الله وأنطقهم بحسب استعداد الطالبين . (وهذا لا يمكن إلاّ بقصد شيخ عالم) : بأحكام الشرع وأموره التي لا بد للسالك من معرفتها . (عارف) : بالأخلاق ، حميدها وذميمها ، وما يعالج به ذمائمها . (سالك) : في مقامات الطريق ذائق بنتائجها . (مجذوب) : حصل له جذبة القلب وجذبة الروح إليه تعالى لا يريد شيئاً سواه تعالى في حركاته وسكناته . (واصل محبوب) : أي الذي حصل له الوصول بمحبّته تعالى إيّاه ، وصيرورته محبوباً ، فإنه لو لم يتقدم محبته تعالى له لما أحبّه ، وقوله تعلى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ شاهدٌ عدلٌ على ذلك . (واصل) : إليه تعالى بالغيبة عما سواه والفناء فيه سبحانه . (موصول) : إليه بتواتر هباته ، وترادف جذباته بذكره إذا ذكره ، وإطاعته إذا أطاعه ، كما قال تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ، وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . فالواصل يكون موصولاً إليه وملحوظاً بعنايته وحفظه وعونه وتوفيقه وتلاحق وارداته جزاء وفاقاً على جهده وجهاده قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الآية . (عارف بالنقل) : أي نقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو ومريدوه إليه ليوافق ما يفعله بالشرع . فهذا ما وصل إليه فهم الحقير في بيان معاني هذه الألفاظ ، فإن يك صواباً فذا ، وإلاّ فالعفو من الله مسؤول . (منه قدس سره من خطه) .

في الخلوات والجلوات بقلبه في عوالم الشهادة والغيوب . انتهى .

فقد علمتَ من قوله ﷺ (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات) أن ذلك يرفع الوضيع إلى أعالي الدرجات والمَحَالِّ الساميات[1] .

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي في كتابه « البرقة المشيقة في ذكر لبس الخرقة الأنيفة[2] » : وبالجملة فالمحب للصوفية والمتشبه بهم ، والمتشبه بالمتشبه بهم ، واللابس لخرقتهم ، والمتبرك بنسبتهم ، والمتّصل بسلسلتهم ، والعاشق لهم ، والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضل من غيره لحسن ظنه فيهم ؛ وإن كان خالفاً عنهم ، ومتخلفاً عن فعل مثلهم ، ومائلاً عن سنن استقامتهم ، فالخالف منهم في بركة السالف ، فمدد هممهم العالية على مَن تعلق بهم ، وصدق في حبهم وصفا ودهم وتشبه بهم ، وانتسب إليهم طامية[3] ، والكل في دوائر نفحات[4] بركاتهم الشاملة وحصون عنايتهم الكاملة ، غمرنا الله بفيض بركاتهم ، وشملنا بعموم ألطافهم وخصوص رأفاتهم وأحبابنا ومحبينا والمسلمين آمين .

وقال ﷺ : **فالصوفية المخلصون الصادقون مع الله تعالى** في جميع الحركات والسكنات ، في ظواهرهم وبواطنهم هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة وكظموا[5] على مجامع كمال محاسن الشريعة .

---

(١) وسما سموّاً : ارتفع « ق م » .
(٢) أنف من الشيء أنفاً – أي : استنكف وهو الاستكبار . (مصباح) .
(٣) طمى الماء : علا ، وهمته علت « قاموس » .
(٤) نفحت الريح نفحاً من باب نفع : هبّت ، وله نفحة طيبة « مص » .
(٥) كظمت الغيظ : أمسكت علي ما في نفسك « مص » .

وهم أهل الله وخاصَّته وأمناء أسراره ، وخزائن أنواره ، وورّاث رسله ، وغياث خلقه ، وخلفاؤه في أرضه فطوبى لهم ، بل طوبى لمن أحبَّهم والتمس بركتهم ، وخص بدعائهم ، وأجاب دعوتهم ، وبذل الجهد في خدمتهم ، وحفظ حرمتهم ، واقتبس من أنوارهم ، وفيض نفحاتهم ، ونظر إلى وجوههم ، وقَبَّل الثرى من تحت أقدامهم ، ورُزق ودادهم ، وشَمَّ شذاهم[1] ، وشام[2] برق سناهم[3] ، وحام حول حماهم ، وقَبِل نصحهم ، وعشق سيرتهم ، واستنزل الرحمة بذكرهم ، وارتجى المغفرة بحبّهم ، واستمدَّ الفيض بودِّهم ، واستعدَّ بكمال الأدب بقربهم ، ورعاهم بباطنه ، وقوة حسن ظنه ، وصفاء اعتقاده ، وحفظهم بسرِّ قلبه وظاهره ، وانقاد لحكمهم في مجامعه ، وسلّم الأمر لهم جميعاً .

وقال أيضاً بعد كلام طويل يحث فيه ويرغب في انتهاج نهج[4] ذلك الجيل[5] قال : وعلى الجملة مَنْ قَرُب إليهم آووْه ، ومن ركن إليهم حملوه ، ومن التجأ إليهم جملوه ، ومن أحبَّهم أحبّوه ، وبباطن سرهم أمدُّوه ، وبمدد أنفاسهم أصلحوه ، وببركاتهم شملوه ، ومن ألبسوه منهم خرقة فبسلسلة أرباب المواصلة وصلوه ، وفي حلقة نسبةِ سندِ سلسلتهم أدخلوه .

وقال السيد الإمام عقيل بن عمر باعلوي في كتابه « فتح الكريم الغافر في شرح جَلْبة المسافر » : قصيدة الشيخ العارف سعيد بن عمر

---

(١) الشذو : المسك « ق م » .

(٢) شام : أي نظر .(قموس) .

(٣) السنا ؛ ضوء البرق « ق م » .

(٤) النهج : بوزن الفلْس ، والمنهج بوزن المذهب ، والمنهج الطريق الواضح . « مختار » .

(٥) جيل من الناس أي : صنف « مختار » .

المُكَنَّى لحاف[1] حاكياً عن الشيح أحمد بن علوان اليماني أنه قال : **كل يحتاج إلى من هو فوقه** فينبغي أن يكون مفتقراً إليه ؛ وإن لم يعرفه ، كافتقار الأوتاد إلى الأقطاب ، وافتقار الأبدال إلى الأوتاد ، وافتقار الصالحين إلى الأبدال ، وافتقار الجهال إلى الصالحين ، فينبغي لكل سالك أن يأتمَّ هؤلاء ، ويحبّهم ، ويتشفّع إلى الله تعالى بحبّهم ، ويتمسّك بنسبهم ، ويتسبّب بسببهم ، وإن لم يعرفهم فإنّ الله تعالى **إذا عرف ذلك منه أخبرهم عنه فكان على خواطرهم وجملتهم بين يدي رب الأرباب** . انتهى كلام الشيخ أحمد بن علوان .

قال السيد عقيل المذكور **قلت** : هذا فيمن لم يعرفهم في الظاهر فما ظنك بمن تقرّب وتحبّب إليهم في الخدمة والصّحبة والمحبّة ، وأحسن الظن بهم ، وأدخل السّرور على قلوبهم والانتساب إليهم ، فكيف لا يكون في خواطرهم ويعتنون به ! ! ! كما روي عن سيّدنا الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي أنه قيل له : أتى خبر وفاة فقير له اسمه أبا خريصة في أرض بعيدة ؛ وقد شاع الخبر بموته ، فأطرق ساعة فقال : إن عاده[2] حيٌّ[3] فقيل له في ذلك فقال : إني طُفْتُ الجنان ولم أجده ، **وليس لي فقير يدخل النار!** انتهى كلام السيد عقيل .

وقال سيّدنا قطب الإرشاد الحبيب عبد الله الحدّاد مما نقله عنه سيدّنا الحبيب أحمد بن زين في « سفينته » ونقلته هنا بتصرف يسير :

فائدة : منهم من يصحبهم - أي الأكابر - ويخالطهم محبّة لما هم عليه من إيثار دين الله وإقامة أمره ، والاشتغال بطاعته والعمل بما يقرب منه .

---

(١) كنيته « مص » .
(٢) أي إن عاده يعرفون أنه حيّ ، ولعلّ المراد هكذا (منه) .
(٣) وفي نسخة : أن عاده حيٌّ . وفي نسخة أخرى : أن عاده حيّاً .

ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم ، من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم ، فذلك لا يخلو من بركة وخير كثير ، وهو داخل في عمُوم ما ورد في الحديث القدسي : « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » حتى إن الذي يجالسهم ليتحصن - بيُمْنِ صحبتهم وبركتها - من الظالمين والمعتدين من شياطين الإنس والجنّ ، لا يخيب ولا يحرم بركتهم ، وإنّما يحرمُ ويخيب من تكون نيته في صحبتهم والاختلاط بهم أن يُعْرف بذلك بين الناس ، فيوصل به إلى شيء من الأمور المحظورة المحرمة في الشرع ، على توهّم منه وظنّ فاسد أنّ الناس إذا عرفوه بخلطة أهل الخير والصلاح ، ومحبتهم لا يظنّون به ولا يتوهّمون فيه أنه يرتكب المحرّمات ، ويقتحم[1] المحظورات فلا يستبعد مثل ذلك ، وأنه قد يكون من بعض المخذولين المسخوط عليهم . انتهى .

وقال بعض الأكابر : **إنَّ حسن الظن والمحبةَ الصافية يلحقان الأصاغر بالأكابر في إعلاء المقامات العلية .**

مهم

التصديق بعلمنا هذا ولايةٌ

وقال الشيخ شاه الكرماني : **ما تعبد المتعبدون بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى** ، لأنّ محبة أوليائه دليل على محبته ، وإذا أحسنت الظن بهم وآنست بطريقهم حصلتَ على الولاية المشار إليها بقول الجنيد رحمه الله تعالى : التصديق بعلمنا هذا ولاية .

وقال بعضهم : من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محبّ

---

(١) اقتحم الفرس : ركبه ، النهر دخله « مخ » .

حقيقة ؛ وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ، ففي الحديث « قيل يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أنت مع من أحببت » وقد ورد في الحديث عن محبة الأخيار والصالحين الأبرار وصحبتهم من الأحاديث والآثار شيء كثير يعرفه من طالع الأسفار[1] وتتبع الآثار . قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد باعلوي نفع الله تعالى به : صحبة أهل الدين وأهل الخير من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين ومخالطتهم ومجالستهم محبوبة ومرغّب فيها ، وفيها منافع عاجلة وآجلة .

وقال ﵁ : للصحبة والمخالطة والمجالسة[2] أثر كبير في الصلاح والنفع ، وكذلك في الفساد والضرر عند مصاحبة ومخالطة ومجالسة الصالحين والأخيار ، والفاسقين والأشرار ، ولكن قد لا يظهر مرة واحدة بل بالتدريج ، وطول زمان الصحبة والخلطة في الخير مع أهله ، وفي الشر مع أهله .

وقال ﵁ : واعلم أن مخالطة أهل الخير ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل ، كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حبّ الشرّ والعمل به .

وأيضاً مَنْ خالط قوماً وعاشرهم أحبّهم ضرورة سواء كان أخياراً أو أشراراً ، **والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة .** انتهى .

وممّا لخصته من « العوارف » للشيخ عمر السُهْرَوَرْديّ قال ﵁ : الصّحبَة مع الأخيار مؤثِّرة جداً ، والتألُّف والتودد يؤكدان أسباب الصحبَة

---

(١) والسفر بالكسر : الكتاب والجمع الأسفار « مخ » .

(٢) وفي « جواهر المعانى » ما حاصله : إن مجالسة الأشياخ لا يعادلها شيء ، وهي أفضل من النوافل والأذكار ، فجلْسَتُكَ بين يدي وليّ أفضل من الدنيا وما فيها ، انتهى فراجعه في صحيفة ٧٧ من الجَزء الأول « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

والمحبة ، وقد قيل : لقاء الإخوان لقاح . ولا شكّ أن البواطن تتلقح[1] ويقوى البعض بالبعض ، بل مجرد النظر إلى أهل الصّلاح يؤثِّر صلاحاً ، والنظر في الصور يؤثِّر أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه ؛ كدوام النظر إلى المحزون يحزن ، ودوام النظر إلى المسرور يُسِرُّ .

مطلب مهم

وقد قيل : **من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه** ، والجَمَلُ الشرود يصير ذلولاً ، بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان ، والنبات ، والجماد ؛ والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف ، والزروع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات ، لموضع الإفساد بالمقارنة ، وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيراً .

وقيل : سُمّي الإنسان إنساناً ؛ لأنه يأنس بما يراه من خير ، وشرّ ، والتألُّف والتودّد مستجلِب للمزيد . وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ، ويكتسب الإنسان بِها علم الحوادث والعوارض . انتهى ما من « العوارف » .

وإذا علمت ذلك وتحققت ما هنالك فعليك بصحبة من يرشدك إلى هذه الطريق ، كي يزيل من قلبك الحرج والضيق ، فإنه وإن لم ينفعك بمقاله جذبك إلى مولاك بحسن سيرته وفعاله .

قال بعضهم : كنت إذا كسلت في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع نظرةً فأعمل بها إلى الأسبوع .

وقال بعضهم : دخلت على ذي النون فانتفعت برؤيته قبل أن أتشرف بمخاطبته .

---

(١) وتلقيح النحل مصروف ، يقال : لقح النخلة تلقيحاً وألقحها . « مختار » .

وهكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ينالون المراتب العلية من السلوك برؤيته ﷺ .

مهم

ولذا قال بعضهم : **يبلغ المريد بنظر الشيخ**[1] **إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة** . قال سيّدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به : هذا بنظرة الناظر إليهم ، وأمّا نظرُهُم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت : وفي الحديث وَرد ذلك في قوله ﷺ « **إن لله عباداً من نظر في أحدهم نظرةً سعدَ سعادة لا يشقى بعدها أبداً** » .

الرابطة أشدّ تأثيراً من الذكر

وقال بعضهم : إن لله عباداً إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه السعادة ، **ورؤية الشيخ - وتسمّى الرابطة عند القوم - أشد تأثيراً من الذكر** إذا استجمعت شروطها ، لأن أنوار العارف تسطع[2] في محياه[3] ، ومن شهد ذلك النور وخضع له أحياه ، وأشار إلى ذلك الشيخ العارف أحمد بن علوان بقوله :

سعدَتْ أَعينٌ رأتك وقرّتْ   وكذا أعين رأت من رآكا

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع الله به : وينتفع المريدون بشيوخهم ؛ وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة ، وأسبابُ

(١) الإضافة إلى المفعول .

(٢) سطع الغبار والرائحة والصبح ، يسطع بفتحتين ارتفع ، وسطعتُ الشيء ، لمسته براحة الكف أو باليد ضرباً « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) والمحيا : الوجه . « مختار » . (هامش الأصل) .

الاستعداد من الجانبين بصدق الود وشغف[1] الحب واصلة متواصلة .

وقال ﵁ : وقد ينتفع المريدون بالشيوخ وإن لم يعرفوهم ويروهم ، بل بمجرد قوةِ محبةٍ صادقة في الله تعالى معهم ، وصفوِ عقيدة بهم ، وقوّة حسنِ الظن بهم ، وقد يكون التعلق بشيخ كامل قد استولى على قلب المريد **قوة حبِّه وصدق ودِّه وشغف[2] عشقته ، وكمال صفاء الاعتقاد فيه أقرب في النفع** ، وأشمل في الدفع ، وأعمُّ سرايةً في التفرقة والجمع . انتهى .

ومن كلام « الزهر الباسم شرح روض السيد حاتم » للسيد الإمام عبد القادر بن شيخ العَيْدَروس قال : **اعلم** أن وجود الشيخ من منح الله تعالى على المريد وهداياه حالاً ومآلاً ، يؤيِّد به المريد إذا صدق في إرادته وبذل في المناصحة جهد استطاعته ، ومتى حصلت للمريد من شيخه رشحة[3] نظره أَسْمَى الله تعالى بها قدره ورفع ذكره وأصلح أمره ، وإن أدرك منه دعوة صالحة صارت مطالبُه ناجحة ، وتجارته في سوق الآداب رابحة ، وأنفاس العناية إليه غادية رابحة ، وريّا[4] القبول لأعماله فاتحة ، ونسمات[5] تكميل النفس بحسن العمل فيه عليه نافحة .

قال المؤلف : ويستفاد من كلام الأستاذ حاتم ﵁ أنّ توجه المريد شرط في الإرادة ، وأنّ جذبة الشيخ له تكون سابقة على توجهه كالأمر مثلاً ؛ يكون في عالم الغيب ثم يظهر في عالم الشهادة ، وإنه إذا توجه إلى شيخه انتقشت في قلبه المعارف والأسرار كما هي منقوشة في قلب الشيخ وحينئذ يكون الوارث لحاله بحق ، والنائب عنه في مقامه بصدق .

---

(١) شغفه المال : زيّن له فأحبه ، فهو مشغوف به . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) رغب فيه كلّ الرغبة مع تجاوز فيه . « منجد » . (هامش الأصل) .
(٣) وفلان يرشح : أي يربي ويؤهّل (منه) . (هامش الأصل) .
(٤) ريّاً : المنظر الحسن « منجد » .
(٥) النسيم : الريح الطيّبة « مختار » .

قال الشيخ محمد بن حسين البجلي : رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا سيدي يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « **وقوفك بين يدي وليّ لله** » إلخ .

مطلب مهم

قال بعضهم في معنى هذا : لأن الواقف بين يدي الوليّ يندرج فيه ، ويدخل تحت استيلاء شموله فيكون الوليّ واسطته إلى الله تعالى ، فيحصُل بتلك الوقفة بواسطة الوليّ ما لا يحصل بعبادته حتى تنقطع إرْباً إرْباً[1] .

قال بعض العلماء : ويكون الحاصل على قدر استعداد الوليّ : **فإن الإمدادات على قدر الاستعدادات** . انتهى .

وسأل سيّدنا الحبيب القطب أحمد بن زين الحبشيّ شيخه إمام الإرشاد عبد الله بن علوي الحدّاد نفعنا الله بهما بما لفظه : هل يكون للمتعلق بشيخ من مشائخ الطريق ترقّ بواسطة شيخه من حيث لا يعلم المتعلق ؟ فإن كان كذلك فما السبب في ذلك هل هو المحبة للشيخ ولطريقه والميل إلى ما هو عليه من السيرة وشهود الكمال فيه ؟ فإن كان كذلك فهل لهذا السبب من مُقوٍّ ومعضدٍ ؟

فأجابه : نعم يترقى بنظره وتعظيمه وحسن الظن فيه من حيث يعلم ، ومن حيث لا يعلم ، **وترقِّيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهداته وأعماله ، فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى للانتفاع** . وأمّا الذي يقويه فهو أن ينظر المريد فيما يولد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية .

وبالجملة **فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشيخ وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه** ، والقليل من التوجُّه والمجاهدة مع ذلك كثير ،

---

(١) الإرب بالكسر : العضو « مختار » .

وبالعكس حكمُ العكس . انتهى .

وطريق الرابطة - كما قالوا - هي ربط القلب مع الشيخ فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة من الذكر بموجب « هم جلساء الله » **لأن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط** ، وإن وجد الفتور في الرابطة فيحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المرء مع من أحب » فبحفظ الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف وأحوال الشيخ ما كان له .

قال بعضهم : **والركن الأعظم في السلوك ربط القلب بالشيخ على وجه المحبة والتعظيم وملاحظة صورته** . انتهى .

قال الإمام الشعراني : وكان أشياخ الطريق يقولون : **كل من لم ينتفع برؤية شيخه لم ينتفع بصحبته** . انتهى . من « عقد اليواقيت » راجعه في ٦٠ ج .

وفيه بعيد هذا : فإذا فهمت ذلك وتحققت ما هنالك علمتَ أنه كما قالوا : « **لا يمكن المريد الصّادق الوصول إلا بشيخ كامل** » ؛ لأنه المتخلق بأخلاق الله تعالى متصف بأوصافه ، ينفّذ أمره ويسوس خلقه ويدبّر أمره فليلزم الحضور معه ، ولا يفارقه إلا بإذنه فإن قلبه حضرة الله تعالى ، وحواسُّه أبوابها ؛ فمن تقرّب منه فتحها ، ولا تردّ له دعوة عند الله ؛ لأن من أرضاه أرضى معروفه ، ومن أغضبه أغضب معروفه ؛ كما جاء في الحديث : « إن الله يرضى لرضا عمر ، ويغضب لغضبه » فكيف يشتغل[1]

(١) قوله فكيف يشتغل إلخ ؛ كذا في الأصل الذى نقلناه منه ولعل المراد هكذا : (فكيف يشتغل الإنسان) بأمور معرضاً (عن دلالة) من له قلب سليم ، مما سواه تعالى الذى (وصفها الحق) تعالى بأنّه (بيت وضعه لخلقه) وكل من دخله بحبّه ينظر إليه ، ويوصله ، يعنى : أن القلب موصوف بأنه بيت الله وعرش الله الذي جعله تعالى محلاً لمعرفته ونظره ، كما ورد « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى=

عن دلالة وصَفَها الحق ببيت وضعه لخلقه ؟ وكيف يفارقه لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي دونه ؟ فالسير إليه قدماً أحسن من مائة فرسخ لغيره ، إذ هو المحبوب الذي قال فيه رسول الله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل « فإذا أحببته كنت سمعه » إلخ . . فعليه أن يعرف قيمة الشيخ ؛ ليكون عزيزاً مثله ، وإذا أفشا سرّه كان معكوساً رجيماً ، **فمن جعلت له الرحمة في قلب الشيخ لم يحتج إلى معالجة الخلوة والأوراد ، فإذا كان المريد لا يمكنه الاجتماع بالشيخ أو إخباره بوقائعه فليتوجه إليه بالقلب** ، لأن الأرواح يستوي عندها جميع الأمكنة ، ولا يكون بُعْد المريد من الشيخ إلا بسبب إدبار روحانيته عن التعلق بروحانية شيخه ، **وعلى قدر تعلق الروحانية بالروحانية يأتي المدد** ، فإذا توجهت روحانية المريد إلى الشيخ ، حضرت معه روحانية الشيخ ، ويمد الله روحانية المريد بواسطة روحانية الشيخ ، فالأمر كلّه لله تعالى ؛ ولكن من سرّ حكمته تعالى جعل أرزاقاً جارية على أيدي خلقه ، فليكن المريد ملازماً للباب الذي رزقه الله تعالى منه وهو شيخه ، فهو باب[1] عظيم والشيطان قاعد عليه بالمرصاد ؛

=أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » وفي الحديث القدسي « ما وسعني أرضي ولا سمائي ، بل وسعني قلب عبدي المؤمن » انتهى ، هذا ما فهمت من المراد من هذا الكلام المنقول ، ويحتمل أن يكون فيه سقط في العبارة بسهو ، والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) فكما أنه لا دليل ولا موصل إليه تعالى إلاّ فضله ، كذلك لا دليل ولا موصل إلى أوليائه إلاّ فضله ، فإنهم أبواب الحق . وإذا دعاك الكريم إلى بابه فلا يردّك خائباً ، فالزم يا ولدي بواحد منهم ، وعفّر الخدّ بثرى تلك الأعتاب ، فقل : لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي ، وتقبلوني على عيبي ونقصاني ، فان رضيتم فيا عزي ويا شرفي ، وإن أبيتم فمن أرجوا لعصياني . وقد ذكر ابن علان في شرح قصيدة ابن بنت الميلق مثل ما مرّ ، فراجعه .

وفي « الصاوى » ما نصه فإن اتخاذهم – يعني الأولياء – بمعنى التبرك بهم ، والالتجاء لهم ، والتعلق بأزيالهم مأمور به . وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم ، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرّك بهم شرك . انتهى عبارته=

ليقطعه عليه ، كما قال الشيخ محمد البكري :

واعلم أن الشيطان إذا أحسَّ بإقبالك على من عنده وديعتك ولديه بغيتك يحشد[1] أجناده ويجلب عليك ، ليصرفك عما يوجب اتصال نفعه إليك حسداً منه ، وأنفة[2] من أن يصل أحد إلى الحق ويأخذ عنه . انتهى عبارته ٦١ ج١ .

وفي « الرسالة العجمية » لشيخنا السيد سيف الله النِّثَرْبَكري الحسيني قدس الله تعالى سره ونوّر ضريحه آمين ما حاصله :

اعلم أيها الكريم دام لك النعيم إذا أراد الله تعالى أن يظهر سعادة عبده ، وأحبَّ أن يهديه إلى سبيله وينفذ إرادته بحكمته المعلومة عنده ! ألهم الله على قلبه أن يطلب طريق نجاته فيقصد إليه ، وذلك القصد مما يوجع بطن الشيطان فيجتهد الشيطان أن يعكس ذلك القصد ويصرفه منه إلى[3] أن يصل إليه نظر الشيخ الكامل ، فإذا وصَلَ إليه نظره يحترق كما يحترق بالرجم . انتهى .

ولأجل هذا كان بعض الشيوخ يبادر إلى النظر إلى المريد حين جاء لديه لطلب الدخول في طريقته خوفاً من أن يصرف الشيطان قصده . انتهى .

وفي « المنن » وقد كان سيدي الشيخ ياقوت العرشي رضي الله عنه يقول : **النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة**؛ وإن كانت مخالطةُ الصغير للكبير

=فراجعه في سورة العنكبوت (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

(١) حشد : أي جمع . « قاموس » .(هامش الأصل) .

(٢) وأنفة محركتين : استنكاف . « قاموس » .(هامش الأصل) .

(٣) فراجعه في فصل في الأمور التي يجب على المريد رعايتها .

مخاطرةً بالروح ، ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى . انتهى[١] عبارته ١٣٩ ج١ .

وقال أحمد بن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد قوله : « إِذَا رُؤوا ذُكِرَ المَوْلَى بِرُؤْيَتِهِ » أي : إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته ، كما ورد في وصف بعض الصالحين الذين إذا رُؤوا ذكر الله ، لأن نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فمن رآى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ينعكس عليه ما في باطنه ، ومن تمَّ له ذلك فاز بالسعد والقرب . قال ابن علوان رضي الله عنه :

سَعِدَتْ عَيْنٌ رَأَتْكَ وَقَرَّت وَكَذا عَيْنٌ رَأَت مَنْ رَآكَ

ومثلوا ذلك للشمس إذا أشرقت على الجدار أنار الجدار الآخر ، لمواجهة[٢] تلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وهذه طريقة معروفة عند المشائخ يسمونَها بالرابطة **وهي رؤية وجه الشيخ فإنها تثمر ما يثمر الذِّكر بل هي أشد تأثيراً من الذكر** لمن عرف شروطها وآدابها ؛ وذلك إنما يكون للشيخ الكامل المستشرق[٣] بالتجليات الذاتية ، ومن ذلك كان تربيته ﷺ للصحابة وكانوا يستغنون برؤية طلعته[٤] الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة ، وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحابة لا تتضاهى[٥] ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة **بها يتباهى**[٦] .

(١) راجع (الإبريز) .
(٢) وفي نسخة : لمواجهته ذلك الجدار .
(٣) وفي نسخة : مستشرق .
(٤) والطلعة : مُحَيًّا ، هيئة . « قاموس » .
(٥) المضاهاة : المشاكلة بهمز ويلين وقرئ بهما « مختار » .
(٦) المباهاة : المفاخرة ، وتباهوا – أي تفاخروا « مختار » .

اجتمع شخصان في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر : تقدم . فقال له : بما أستحق التقدُّم ؟ ! قال : لأنك صاحبت الجنيد نصف يوم . فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم ، فضيلةً يستحق بها التقدم عليه ، وهكذا أهل الإنصاف . انتهى .

وقال أيضاً في ذلك الشرح بعد بيت :

وكُـنْ مُـحِبَّ مُحِبِّيه[1] وَنَاصِرَهُمْ وَالزَمْ عَدَاوَةَ مَنْ أَضْحَى يُعَادِيهِ

واعْـلَمْ يَـقِـيناً بِـأَنّ الله نَاصِرُهُ إنْ لَـمْ تـكـن نَاصِراً فَاللهُ يَكْفِيهِ

وقال بعضهم : وقع جدب في بعض البلدان فاستسقوا ولم يسقوا ، فخرج إنسان وقال : يا رب بحق ما في هذا الرأس اسقنا . فسقوا وارتووا ، فقال له بعضهم : وما في هذا الرأس ؟ ! قال : عينان رأتا أبا يزيد . فقال له ذلك القائل : أنا جار أبي يزيد . فقال : أنت أحقُّ مني بالإجابة . **فانظر يا أخي** إلى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله فكيف بقلب احتشى بحبه ، وجوارح وحوَاسّ لم تزل ممتلئة بقربه ؟ فكيف لا تكون أيها الطالب محبّاً لهياكِلَ تزيَّنت بهذه القلوب ، ومبغضاً[2] لأبدان حرمت النظر إلى هذه المحاسن وبَعَّدتها الذنوب . انتهى عبارته .

وقال رحمه الله بُعَيْد هذا : والسعيد من أسعده بخدمتهم ووفقه لنصرهم ومحبتهم .

وَإذا سَخَّر الإله أناسَاً لِسَـعِـيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

انتهى .

---

* فإنه إن كان أحد من أهل الورع في مملكة ، يستفيد من في حواليها من بركة وجوده . كذا في « مقصد الطالبين » ، فراجعه (منه) .

(١) وفي نسخة : محبيهم .

(٢) وفي نسخ : منفضة ، مبغضة ، منقصة عطفاً على ممتلئة .

وقال في « الخلاصة المرضية » : فالمشائخ لما اهتدوا أُهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوس الشيخ نفوس المريدين كما يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ؛ فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ ، كما أن الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة الثانية ولادةً معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : **لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين**[1] ، وصدق اليقين على الكمال يحصل بهذه الولادة ، وبهذه يستحق ميراث الأنبياء ، ومن لم يصله ميراث الأنبياء فما ولد . فمن المشائخ من تكثر أولاده ويأخذون عنه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي ﷺ بواسطة الصحابة ، ومنهم من تقلّ أولاده ، ومنهم من ينقطع نسله . انتهى . كذا في كتاب « رماح حزب الرحيم » في١٦٠ ج١ فراجعه .

مهم

أيها الولد! إني ذكرت لك في هذا الباب منافع جمة ، وأرجوك أن تتدبر فيها ، وأن تتأدب مع المشائخ فإن النفع لا يحصل إلا بالأدب ، **وأن تعتقد بأن كل خير يحصلُ لك إنما هو ببركة الشيخ .**

وفي « المنن » : إن **من شرط المريد** أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه ، لأن كل مريد محبوس في دائرة شيخه لا يمكنه أن يتجاوزها ، فلا يمد بمدد إلا وشيخه واسطة له . انتهى عبارته في ١٤٠ ج١ .

مطلب مهم

وقع واحد من مريدي الشيخ قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان جائعاً ، فقلب وجهه نحو قرية شيخه

(١) الإيلاد الأول إيلاد طبعة ، والإيلاد الثاني إيلاد الروح في سماء المعارف . « طبقات كبرى » عبارته ١٦ للشعراني .

وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر فاطلع الشيخ شهاب على حاله وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ، ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب شيخه وقال : شيئاً لله يا قطب الدين حيدر ، لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا حيث ما كنا ، ولما جاء الخادم عند الشيخ سأله الشيخ : كيف وجدت هذا الدرويش ؟ قال : أبله ، يأكل طعامك ، ويشكر قطب الدين حيدر ! ! فقال : ينبغي أن تتعلم المريدية منه **حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنَّها من شيخه ظاهراً وباطناً من أيّ مكان جاءت تلك الفائدة .** انتهى من « رشحات » ١٩٤ .

واعلم أيها الولد المرجوّ للاستقامة أنَّ حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال - كما قاله الشعراني في « العهود المحمدية » - كحكم من يمرّ بالمريد على جبال الفلوس الجدد[1] ، فإذا زَهِدَ فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الفضة ، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمر به على جبال الذهب ، ثم الجواهر ، فإذا زهد فيها المريد أوصله إلى حضرة الله فأوقفه بين يديه بلا حجاب . فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم الدارين ، وهناك لا يُقدِم على الوقوف بين يدي الله تعالى شيئاً أبداً ، **وأما بغير شيخ** فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم . انتهى نقله صاحب « رماح حزب الرحيم » . فراجعه في ١٠٥ ج٢ .

الجنة المعجَّلة

يا ولدي! إني أُحدثك ما وقع لي مرة حين كنت في الخلوة امتثالاً بقوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ لا افتخاراً ولا رياء ولا عجباً ، قد طرأ

---

(١) والجُدّة بالضم : الطريقة والجمع جُدَدٌ ، قال الله تعالى ﴿ **وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ** ﴾ أي : طرائق تخالف لون الجبال . « مختار » . (هامش الأصل) .

عليَّ مرة وقت العصر حضور تام وأنس بالله تعالى ، وحصل لي وقتئذ لذة عجيبة بحيث لا يمكن تعبيرها ولا إدراكها إلا مَنْ ذاقها وأنعم الله بها فظن والدك حينئذ ؛ هل يكون في الدنيا أوفي الآخرة ! **ولو في الجنان لذة ألذ من هذا !** وقد ظن في تلك الحال أنه لو أمره بدخول الجنة بَدل هذه اللذة لا يدخل فيها باختياره ، ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة وهذه اللذة هي التي يسمونها **بالجنة المعجلة** . وأرجو الله تعالى يا ولدي أن يذيقك منها شيئاً لو دمت على الذكر القلبي .

واعلم أيضاً أنَّه لا يصل السالك إلى حضرة الله وحضرات أسمائه وصفاته ولو جمع علوم الأولين والآخرين ، وصحب طوائف الناس أجمعين ، وعبد عبادة الثقلين إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص . كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٠٤ ج١ . فإذا كان الأمر **كذلك ينبغي للسالك أن يتكلّف على الحضور والتوجه إلى وسط القلب في دوام الأوقات** ، ودفع الخواطر عنه بقدر الوسع والطاقة وكثرة الوقوف قبالة الشيخ ؛ ليتوجه إليه ويخرج بمِعْول[1] توجهه أوساخ الأغيار وكدورات السّوى ، ويذهب عنه حديث النفس المذموم ، فبالدوام على هذه المذكورات يصير القلب بحيث لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ويتحقق له الخلوة في الجلوة فيصير عرشياً فرشياً وكائناً بائناً . وهذا مقام الكمّل الذين لا يشغلهم الخلق عن الحق تعالى .

قال الشعراني في « العهود المحمدية » : فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك أروح كذا ، أفعل كذا ، أقول كذا ، ونحو ذلك وإلا فمن لازمك حديث النفس في الصلاة ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لا فرض

---

(١) والمعول : الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر ؛ والجمع المعاول . « مختار » .

ولا نفل . **فاعلم ذلك** وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ كما عليه طائفة المجادلين بغير علم ، فإن ذلك لا يصح لك أبداً . انتهى عبارته ، راجعه ٥١ ج١ من هامش « المنن » .

وأقوال المشائخ في حق اتخاذ الشيخ وما يحصلُ منه للسّالك من المنافع والفوائد كثيرة فلا نطيل بذكرها ، فمن أراد الزّيادة فليراجع إلى كتب القوم .

يا ولدي! لا أرى من المشائخ إلا المنفعة والخير لكل من تعلق بهم أو ذَكَرَهم بخير ، أو بشرٍّ ، أو عرفهم فكيف وقد نقل صاحب « الإتحاف » في ٢٢ ج٤ رضي الله عنه عن « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر رضي الله عنه ما حاصله : **أن المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات ، أو يطلبه له من الله تعالى بهمته ، وأن الشيخ لا ينسى من سلّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** ، بل لا ينسى من يعرف الشيخ ، ولا يعرفه الشيخ فيسأل الله أن يغفره ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه أو سبَّه ووقع فيه[1] ممن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه . انتهى ، فراجعه ففيه البسط .

قال العلامة الشيخ ابن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد بيت :

وِلِلْفَقِير وُجُوه لَيْسَ يَحْصُرُهَا   عَدٌّ وَكُلُّ وُجُودٍ فَهُوَ وَادِيهِ

الفقير : هو الفاني الخارج من أوصاف بشريّته المتحقق بعبوديته ، ومثل هذا تشرق عليه أوصاف الربوبية ، وتسطع عليه من مشرقة أنوار الخصوصية ، وتصدر من مظهره القدرة الإلهية ويكون متخلقاً بأوصاف مولاه . كما ورد : « تخلّقوا بأخلاق الله تعالى » ، فَتَعُمُّ رحمته الخلق

(١) أي اغتابه .

وتواضعُه لكل فرد حتى **كأنَّ الخلق كلهم أجزاؤه** ، فيتنعَّم إذا تنعموا ويتألَّم إذا تألموا ، ويقابل السيئة الحسنة ، ويصلُ من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، كما وقع للنبي ﷺ حيث شجّ الكفار رأسه الشريف وكسروا رباعيته ، فقال الصحابة : ادعُ عليهم يا رسول الله فقال : « اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون » فدعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بعدم العلم ، وكذلك ينبغي لورثته إذا بلغه من أحد سيئة أن يقول : (اللهم اهدِ فلاناً فإنه لا يعلم) ، فمن اقتدى به ﷺ في مثل هذه الخصلة كان له من الإرث النصيب الوافر ، ومن تحقق بهذا المقام كانت أوصافه تحصر ، ومحاسنه تتزايد في كل وقت وتظهر . انتهى عبارته .

يا ولدي إن والدك الحقير المفلس المقصر قد ورث من مشائخه بفضل الله تعالى هذا الخلق المذكور ، فقد يحمل من الخلق إذايتهم ولا يقابل سيئاتهم سيئة مثلها أصلاً ؛ وإن فعلوا معه كل أذية ، بل يسأل الله تعالى المغفرة والعفو عمن ظلمه أو اغتابه وذكره بسوء أو نَمَّه ، فضلاً عمن أحسن إليه قولاً وفعلاً ، ولم يظهر قط في عمره ولو لأحد من أعدائه وحساده أنه يكرههم ولا يحبهم ، بل كان يداريهم[1] ويدفع عنه

---

(١) أي : يلاطفهم بالقول والفعل . (منه) .

المداراة : هي بذل الدنيا لحفظ الدين أو العرض والحرم ، بخلاف المداهنة فهي بذل الدين لحفظ الدنيا فهي : محرمة (إلا ما استثني فراجع « هداية المريد ») بخلاف الأولى فإنها مشروعة (أبو بكر العيمكي) . (منه) من هامش « المنن » .

*وكان سهل يقول : المريد يخاف من المعاصي ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . « رماح حزب الرحيم » عبارته ٢١٦ ج٢ . وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به ، قال يوماً في مجلسه : من كان يحبّني لله تعالى ولرسوله فليحبّني ، ومن كان يحبّني لغرض فبالله الذي لا إله إلا هو أنا عامي صِرْفٌ لم يكن لي شيء وغفله سيدي محمد الغالي حتى قبّل رجله وقال : مرحباً بالعاميّ الصرف الذي فاق أصحابه أكابر الأقطاب ، فأجابه الشيخ – رضي الله عنه وأرضاه وعنا به – نعم وأيّ شيء في ذلك عند الله . « رماح » عبارته ٤٨ ج٢ .

بالحسنة السيئة ، وأنه يسأل الله تعالى لكل من مات من معارفه وزوَّاره من أهل الإرادة وغيرهم بإعلاء مقامهم ودرجتهم عند الله تعالى والعفو عن زلاتهم . ولله الحمد على ذلك .

مهم جداً

فأرجوك يا ولدي أن ترث هذا الخُلق من أبيك وأن لا تقابل أحداً أبداً بسوء ؛ وإن ظلمك أو شتمك أو ضربك أو اغتابك ، وأن لا تشاهد كل أذيَّة وبلية إلا رشحة سوء أعمالك قال تعالى ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ** ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ **مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ** ﴾ الآية ، بل أحسن إلى المحسن وكافئه بإحسانه بقدر طاقتك ، وكِلْ أمر المسيء إلى الله تعالى ، فإن إساءته ستكفيه .

حكاية غريبة

وقد قال بكر بن عبد الله : كان رجل يثني بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك وقال : إن هذا الرجل يزعم أن الملك أبخر ! ! فقال الملك : وكيف يصحّ ذلك عندي ؟ قال : تدعو به إليك فانظر فإنه إذا دنا إليك وضع يده على أنفه أن لا يشم ريح البَخَر فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ، فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك ، فقال على عادته مثل ما قال ، فقال له الملك : ادن مني . فدنا منه واضعاً يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك في نفسه قول الساعي .

قال : وكان الملك لا يكتب بخطه إلا لجائزة ، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل له : إذا أتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث

به إليّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب ، فأخذه منه بأنواع التضرع والامتنان ، ومضى إلى العامل فقال له العامل : إن في كتابك أن أذبحك وأسلخك ! قال : إن الكتاب ليس هو لي الله الله ! في أمري ! حتى أراجع الملك . قال : ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ، ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال : ما فعلتَ بالكتاب ؟ ! قال : لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته . قال الملك : إنه ذكر لي أنَّك تزعم أني أبخرُ ! فقال : كلا ! قال : فلِمَ وضعت يدك على أنفكَ ؟ قال : كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمَّه ، قال : صدقت ارجع إلى مكانك ؛ فقد كفى المسيء إساءته . كذا في شرح « شرعة الإسلام » و « الإحياء » فراجعهما فتدبر في هذه القصة واعمل بما ذكر .

وأرجو الله تعالى أن يمدك بمدده وأن يوصِّلك إلى ما وصل إليه أولياؤه ، والله تعالى ولي التوفيق وبيده أزِمة التحقيق . ولأجل كون الاستغفار مما يلقنه المشائخ في أوّل الأمر أردتُ أن أذكر ما فيه من الأحاديث والآثار عقب الترغيب الأول فأقول مستعيناً بالله تعالى :

الترغيب الثاني

في بيان فضائل الاستغفار ومنافعه وفوائده

اعلم أيها الولد أن التوبة أول قدم للسالك ، وأحد مقامات اليقين وأهم قواعد الدين ، **ولها شروط** . قال شيخنا خالد سيف الله قدس سره في « كنز المعارف » : إن شروط التوبة المسقطة للإثم ظناً لا قطعاً أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية ، وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصاً لله تعالى ، وأن يقلع عنه حالاً إن كان متلبساً به أو مصرّاً على المعاودة إليه ، وأن يخرج عن المظالم والزكاة ، إن كانت يردها ، أو

بَدَلَها إن تلفت لمستحقها ما لم يبرئه منها ، ومنه قضاء صلاة وصوم ؛ وإن كثرا ، **فإن اختل شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته** ، وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهراً ، وبقلبه باطناً - على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب المَأوَرْدِيّ - . انتهى عبارته .

وقال قدس سره :

تنبيه : التوبة واجبة فوراً من كل ذنب ولو صغيراً ، **فمن أخَّرها زمناً يسعها كان عاصياً بتأخيرها .**

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم ، **ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة منها** - على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني - فإن لم يجدّدها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها . ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ، **ولا يكفيه توبة واحدة** . فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة . قال الزركشي : هذا ظاهر .

وقال ابن عبد السلام : يتذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكره ، وما تعذر فلا يلزمه ما لا يقدر عليه .

وقال القاضي أبو بكر : **إن لم يتذكّر تفصيل الذنب فليقل : إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني تائب إلى الله** . انتهى راجعه في فصل التوبة .

وقال الفضيل بن عياض : الاستغفارُ بلا إقلاع توبةُ الكذابين .

وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير .

وقال بعض الحكماء : من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً

على الله تعالى وهو لا يعلم .

ومعنى المغفرة : ستر القبائح والذنوب بإخفائها[1] ، وفي الآخرة بالتجاوز عنها ، وقد أمر سبحانه وتعالى بستر القبائح والذنوب والعورات فهو أولى بذلك من عباده وهو أرحم بهم من أنفسهم ، ومن أسمائه الغفور ، الغفار ، و الغافر ، والتواب ، والرحيم . انتهى . « **ذخيرة المعاد** » عبارته في ٢ ج٢ من « عقد اليواقيت » .

توبة العوام؛ توبة الخواص؛ توبة خواص الخواص

وفيه : **واعلم** أن توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من غفلة القلوب ، وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب . انتهى عبارته في ٤ ج٢ .

وقال الشيخ الشعراني في « اليواقيت » : المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص ، وبيان أنها تصح ؛ ولو بعد نقضها ، وأنها تصحّ من ذنب دون ذنب أي : تصح من ذنب ولو كان صغيراً مع الإصرار على ذنب آخر ولو كان كبيراً - كما قاله الجلال المحلي - قال : **وإذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة ، بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى** . هذا ما عليه جمهور العلماء ، ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنها لا تصحّ بعد نقضها وهو عوده إلى المتوب منه ، وقيل : إنها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير . وقيل : لا تصح مع الإصرار على ذنب كبير .

قالوا : ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن ، والوصلة بأهل الله تعالى من الأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين ، وأنه إذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين .

---

(١) في الدنيا لعله . (منه) .

ثم من الواجب الإتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس .

ومعظم شروطها الندم على المعصية ؛ أي : من حيث أنها معصية ؛ ليخرج **ما لو ندم على شربه الخمر مثلاً من حيث إضراره بالبدن ، فإنّ ذلك ليس بتوبة .**

وعرّف بعضهم التوبة بأنه تحزُّن وتوجّع لما فعَل ، وتمني لكونه لم يفعل .

قال الكمال في حاشيته على « شرح جمع الجوامع » : ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الأزمنة ، بل يكفي استصحاب الندم حكماً بأن لا يصدر منه ما ينافيه ، لأن الشارع أقام الأمر الثابت حكماً مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الإيمان ، فإن النائم مؤمن بالاتفاق ، وأيضاً فلِمَا في التكليف بتذكر الندم في جميع الأزمنة من الحرج المنفي في الدين .

قال الجمهور : **وتتحقق التوبة بالإقلاع عن المعصية** وعزم أن لا يعود إليها ، وتدارك ممكنِ التدارِكِ من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلاً فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف ، أو وارثه يستوفيه أو يبرىء منه ، فإن لم يمكن تدارك الحق كأن لم يكن مستحقه موجوداً سقط هذا الشرط كما يسقط أيضاً في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق الآدمي .

قال العلماء : وكذلك يسقط شرط الإقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها ؛ كشرب الخمر مثلاً .

قال الجلال المحلي : فالمراد بتحقق التوبة بهذه الأمور أنها لا تخرج عما يتحقق به عنها ، لا أنه لا بد منها في كل توبة . انتهى .

قال الكمال في « حاشيته » : وقولهم (وتدارك ممكن التدارك) إلى

آخره هو المشهور عند أصحابنا ، والذي جرى عليه الآمديّ وصاحب « المواقف » و« المقاصد » : أن التدارك واجب برأسه ، فمن قتل وظلم أو ضرب ؛ فعليه أمران : التوبة ، والخروج من المظلمة ؛ وهو تسليم نفسه مع الإمكان ؛ ليقتصّ منه ، ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الإتيان بالواجب الآخر .

وقال في « المقاصد » : إنه التحقيق ، إلا أنه قد لا يصحّ الندم بدونه كردّ المغصوب . انتهى .

قال ابن السبكي وغيره : وإذا أحس الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به ؛ وإن احتاج إلى استغفار آخر ! **لأن اللسان إذا أَلِفَ ذِكراً يوشك أن يألَفه القلب فيوافقه فيه .**

وكان الإمام السهروردي يقول : **اعمل ؛ وإن خفت العجب مستغفراً .**

قال العلماء : ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء إذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، قالوا : وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر ، لأن النفس تريد هلاكك الأبدي باستدراجك من معصية إلى معصية أخرى . وفي الحديث « المعاصي بريد الكفر » أي مقدِّمته ، فإن غلبتك نفسك الأمارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوباً على الفور ، ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة إن شاء الله تعالى ، فإن لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذمومِ لِكَسلٍ يَعوقك[1] عن الخروج منه ؛ أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم[2] اللذات وهو الموت وفجأته ، فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسرَ مع الخاسرين ، وإن كان عدم إقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه لشدة

---

(١) عاقه . . إلخ : منعه « مصباح » .

(٢) هذم يهذم : قطع « قاموس » .

الذنب الذي سبق منك ، أو لاستحضار عظمة من عصيتَ ! فخف عقاب ربك على هذا فإنه لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا القوم الخاسرون ، واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها إلا هو ؛ لترجع عن قنوطك ، فإن جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجَحُ[1] من جانب عقوبته لهم . هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله تعالى في مبحث التوبة .

واعلم يا أخي أن التوبة من أعظم ما مَنَّ الله تعالى به على عباده ، فإن لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة ، فإن لم يَصحَّ لنا التوبة من ترك التوبة ، وجب علينا التوبة من الإصرار على ترك التوبة من الإصرار ، وهكذا أبداً ما عِشْنا ؛ وما ثَمَّ لنا دآء بلا دواء أبداً ، فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله **فلله تعالى رحمة خاصة يمنّ بها على من مات مُصرّاً من أهل الإسلام .**

واعلم أن حقيقة التوبة : هي الرجوع إلى شهود أن الله تعالى هو المقدّر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ، ومعنى حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة أو الرابعة افعل ما شئت فقد غفرت لك » أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني ، أغفر لك ، **فلا يكفيه العلم بأنَّ له رباً يغفر الذنب من غير ندم** فافهم .

قال الشيخ محي الدين في الباب الرابع والسبعين من « الفتوحات » : ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فوراً قوله تعالى ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ .

فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة إذا خالفوا بإعلامهم بمضمون قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ** ﴾ ليقولوا إذا سئلوا عن

---

(١) وقد قال الله ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ** ﴾ الآية من سورة الرعد .

ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا ، مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ليقول غرني كرمُك يا رب . فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجّه بها إذا كان محبوباً ، وليس هذا التعليم إلا للسعداء خاصة فافهم .

قال : **واعلم** أن توبة الله تعالى على العبد مقطوع بها ، وتوبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها ، والجهل بعلم الله تعالى فيها ، فكل عارف يسأل ربه تعالى أن يتوب عليه ، وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير ، فمعنى قوله تعالى ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ أي ارجعوا إلى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه الصلاة والسلام تعليماً لكم بالفعل والصورة ، **لأنه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة ، وإنما كان محض نفوذ أقدار لا غير** .

قال : وأما الرجوع إلى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ! ففيه خطر عظيم ، فإنه إن كان بقي عليه شيء من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد ، فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم ﴿ **ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ** ﴾ .

ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه ، **وما نقل أنه عاهد الله تعالى على أنه لا يعود** – كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة – فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام ، فإن في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادّعاء القوة ومقاومة الأقدار الإلهية ، إلا أن يقصد بذلك أنه لا يعود إن وكل الأمر إليه استقلالاً ، وذلك محال . انتهى . فليتأمل وليحرّر .

وقد وقع لبعض الأكابر من عُبَّاد بني إسرائيل أنه قال : يا ربِّ لو

فرغتني لعبادتك ووكلتني إلى نفسي لأريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ، ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه ، فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة .

وما قص الله تعالى علينا وقائع الأكابر إلا لنتأدّب بما أدَّبهم الله تعالى به ، فعلم أن العبد لم يكلَّف إلا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه ، فما كان من طاعة فليشكر الله تعالى ، وما كان من معصية فليستغفر الله تعالى ، وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه ، فإن كان عارفاً قلّب المباح بالنية إلى شيء محمود .

وفي بعض الهواتف الربانية : ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل ، وإنما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه ، فإن كان طاعة حَمِدَنا على قسمتها له واستغفرَنا من تقصيره فيها ، وإن كان معصية حَمِدَنا على تقديرنا عليه واستغفَرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا ، وإن كان غفلة وسهواً فعل ما هو اللائق بمقامه . انتهى .

وقوله (ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل) لا ينافي مجاهدة النفس وردَّ خواطرها لأن ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان ! لأنها وجدت .

وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شيء في المستقبل ، لأن الاستخارة مأمور بها ، وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم .

وقال الشيخ محي الدين في « الفتوحات » بعد كلام طويل : وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربّه على ترك شيء أو فعله في المستقبل ؛ إما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على أنه لا يقع منه زلة في المستقبل أم لا ، فإن كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الإلهام الصحيح ؛ فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود ، وإن كان

لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله تعالى أنه لا يعود! فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضاً عهد الله وميثاقه ؛ وإن كان أطلعه الله على أنه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للأقدار ؛ فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل ، لا الذي عَلِم ولا الذي جهل ، وليست التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده إلا أن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام ، وما بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلّف به إلا عدم الإصرار على الذنب ، والتوبة منه لإشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل .

وحدَّ بعضهم الإصرار على الذنب بأن يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب .

وقال بعضهم : من لم يتب عقب الذنب فوراً فهو مصرٌّ ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين ، فإنه ورد أنهم ينتظرون العاصي ساعة ، وما عرفنا مقدار هذه الساعة : هل هي الفلكية أو غيرها ؟ ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به » إلى آخره ، فإنه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ، ولعل مَنْ شَرَطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأفرده بالشرطية ، كما أفردوا الإقلاع عن الذنب بالشرطية مع أنه من لازم وقوع الذنب ، وكذلك إفرادهم ردّ المظالم إلى أهلها . والله أعلم . انتهى كلام الشعراني في « اليواقيت » في ١٣٣ ج٢ .

وفيه بُعَيد هذا : وقال[١] في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم : « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها » الحديث ، فيه الأمر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة ، فإن التوبة من

(١) يعني الشيخ الأكبر قدس سره (منه) (هامش الأصل) .

الفرائض الواجبة حال التكليف ، فإن أخَّرها إلى الاحتضار لم تقبل ، ولهذا لم يقبل إيمان فرعون . انتهى راجعه في ١٣٣ ج٢ .

وفيه : وكان الشيخ محي الدين رضى الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ .

اعلم أن من علامة من قبل الله تعالى توبته وبدّل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيئاً من ذنوبه لكونها مُحِيَتْ ، وكل ذنب تذكره العبد فليعلم أنه لم يُبَدَّل . انتهى .

ويؤيده حديث الطبراني « إذا تاب الله تعالى على عبد أنسى حَفظَته ذنبه ، وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض أن تشهد عليه » ، وهي قاصمة للظهر ، فليتأمل ويحرر والله أعلم . انتهى .

ورأيت في « اليواقيت » في موضع آخر من الجزء الثاني ما حاصله : إذا اعتنى الله تعالى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكُّره وأنساه إياه ، لأنه لو تذكره لاستحى ، **ولا عذاب على النفوس الطاهرة أعظمُ من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه** . انتهى في ٨ .

وفيه : **فإن قلت** فهل يلزم من كون الحق تعالى يُنسي عبده سيئاته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار إليه قوله تعالى ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾؟ **فالجواب** : لا يلزم ذلك ، ولكن قال بعض العارفين : إن في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله أنه بدل سيئاته حسنات ، فإن من علامة التبديل نسيانَ الذنب ، وذلك أن الذنب إذا بدله الله تعالى بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الأربع . ويؤيد ذلك قول بعض العارفين :

مهم جدّاً

(**كل ذنب لم يذهب من ذهن الإنسان فليحدث له توبة جديدة ، فإنه إلى الآن لم يبدَّل ، وليكثر الاستغفار طول عمره ، فوالله ما خلقنا إلا لأمر عظيم**) انتهى في ٨ عبارته .

وفيه أيضاً : **فإن قلت** ما صورة تبديل السيئات بالحسنات ؛ هل تصير نفس المعصية التي وقعت في صحيفة العبد ، أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه ؟ **فالجواب** - كما قاله بعض أهل الكشف - : أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة ، ويكتب مكانها حسنة تشاكلها ، **فإن كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة** ، أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة(١) ، وهذا الأمر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد إن صحَّ لأنه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ، ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته أعمالاً صالحة لم يعمل عينها ، فعلم أن الله تعالى إذا بدل سيئات العارف حسنات ، رأى ذلك من أكبر النعم(٢) عليه . انتهى عبارته في ٩ .

وأما ما حدَّه البركوي رحمه الله تعالى للإصرار ؛ هو دوام قصد المعاصي والمناهي ولو صدرت منه أحياناً أو مرة . انتهى .

---

(١) وتكون الأعمال الصالحة التى عملها بعد التوبة أرفع درجات عند الله عزّ وجلّ ، كذا في كتاب « الجواهر » و« الدرر » فراجعه في ١٧٣ من هامش « الإبريز » (منه) .

(٢) ورأيت في « الكبريت الأحمر » ما نصّه : وإذا بدل الله سيآت عبده حسنات يودّ أنّه لو أتى بقراب الأرض خطايا أو حمل ذنوب جميع ذنوب البرايا لِمَا يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ، ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى ، وفي الآخرة بجنة المأوى ؛ وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المذنبين فيبدو للمذنبين ما لم يكونوا يحتسبون ، وأكثر الناس في الدّنيا بهذا لا يشعرون . انتهى ٢٧٧ من « هامش اليواقيت » ج٢ فراجعه . (منه) .

وقال : ولو تخلل الندامة[1] والرجوع عنها[2] فليس بإصرار ، ولو صدرت في يوم واحد سبعين مرة . هكذا ورد عن النبي ﷺ : « ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة » . وضرره غني عن البيان ، ويكفيك جعله الصغيرة كبيرة لورود : « أن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار » انتهى .

قال الخادمي : لأنه يجعلها كبيرة بالمواظبة ، **فعفو كبيرة واحدة لا يتبعها مثلها أرجى من صغيرة يواظب عليها** . انتهى عبارته « بريقة » . وفيه : ثم إن الصغائر إنما تكون واحدة صغيرة إذا كان مستعظماً لفعلها خائفاً من عقابها ، وأما إذا فعلها متهاوناً بها فكبيرة - كما في « الإحياء » - **واستخفاف الصغيرة كفر إذا ثبت بقطعي** ، وإصرار الصغيرة غلبة المعاصي على الطاعات على المعتمد . وقيل : المواظبة على صغيرة من نوع أو أنواع . انتهى عبارته .

وضده - أي الإصرار - الإنابة والتوبة وهي الرجوع عن قصد المعصية ، والعزم على أن لا يعود إليها تعظيماً لله تعالى ، وخوفاً من عقابه تعالى ؛ لا لغرض دنيوي كالضرر لنفسه أو لماله .

اعلم أنه تصحّ التوبة من بعض مع الإصرار[3] على الأخرى ، وتصح ولو بعد نقضها مراراً .

والكبيرة لا تكفرها إلا التوبة ، وأما الصغائر فلها مكفرات ؛ كالصَّلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج والاستغفار واجتناب

---

(١) بينهما . « بريقة » .

(٢) « بريقة » .

(٣) وفي « الفتوحات » في ٢٣٧ ج٢ : إنه لا تنفع التوبة من ذنب مع ارتكاب مثله ، راجعه من سورة النساء (منه) .

الكبائر على أحد القولين ، وقبول التوبة من الكفر قطعي اتفاقاً ومن المعاصي أيضاً عندنا ، وعند الشافعي ظنيٌّ ، والأصح أن الحج المبرور لا يكفّر الكبيرة ، ومراد مَن قال بالتكفير ! ليس سقوط قضاء العبادات والمظالم والديون ، بل يكفّر إثم التأخير ، فإن لم يفعل حين فراغ الحج فقد ارتكب الآن كبيرة ، وهذا مما يجب حفظه . كذا في « الزينة » أيضاً انتهى « بريقة » في ٢٢٧ ج٢ .

وفيه قال المناوي : ورد في الخبر أنه يكفر حتى الدماء والمظالم ، وأخذ به جمع . انتهى عبارته .

ثم **اعلم** أن المعاصي إما كفر ونفاق وارتداد ؛ فتوبته ندم كامل وإسلام خالص ، فهل يثاب على حسناته حال الكفر بعد إسلامه أو لا ؟ قيل : نعم لكن بلا تضعيف بعشر حسنات ، وقيل لا .

وإما بدعة في الاعتقاد فتوبته أيضاً ندم كامل واعتقاد حق .

وإما معاصي فرعية فإن [كانت] بترك الفرائض كالصلاة ففيه معصيتان : معصية التأخير فتوبته ندم كامل ، ومعصية الترك فتوبتهُ قضاء فوراً ، فتأخير القضاء معصية أخرى فيتوب له أيضاً . وإن لم يساعده وقته كمرض موته ؟ فيوصي بالفدية . **وأما الصلاة التي أديت بالكراهة التحريمية** كترك تعديل الأركان والطمأنينة في القومة والجلسة ، فقضاؤها ليس بفرض لكن واجب على ما نقل المصنف[1] في « الجلاء »[2] عن « الهداية » والواقع في مواضع من « معدَّل الصلاة » له : **اللازم هو الإعادة** ، فليتأمل . وكذا الصلاة التي أفسدها ولو نفلاً ، ثم الزكاة وصدقة الفطر

---

(١) وهو الإمام البركوي قدس سره مؤلف « الطريقة المحمدية » متْنِ « البريقة » (منه سامحه الله) .

(٢) أي كتاب : « جلاء القلوب » .

والنذور والضحايا ، فتقضى لكن لا بحيلة ! إذ الصحيح أنها مكروهة ، فالتصدق إلى الفقراء ثم الصوم إن قضاه فقط أو مع الكفارة فكذا ، ثم الحج فعليه الأداء ، فإن لم يمكن فيوصيه ، وإن حج ! لاحتمال صدور الكفر على ما اختاره المصنف ، لكنه لا يخلو عن خفاء ، وإن أفلس بعد القدرة فعليه الكسب أو السؤال للحج ، وإن صدر عنه الكفر اعتقاداً أو عملاً أو قولاً ! فعليه إعادة الحج دون الزكاة والصوم والصلاة وغيرها فلا تجب بعد الكفر ؛ وإن بطل ثوابها !

مهم

وإن كانت المعاصي بفعل المنهيات فإنْ[1] مما بينه وبين الله تعالى بلا تعلُّق حقِّ عبد ، كالقعود في المسجد ، وقراءة القرآن جنابة ، وكلام الدنيا والأكل والشرب والنوم لغير المعتكف والمسافِر ، ومس المصحف بلا وضوء ، وكضرب الملاهي ، وشرب الخمر ، والزنا طوعاً ، **فيتوب توبة نصوحاً** بلا لزوم أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي الاستيفاء ، بل يستر ويقيم حدوده تعالى على نفسه بالمجاهدات والتضرعات في الخلوات سيما الأسحار ، ولو رفع أمره إلى الوالي ليقيم عليه الحدّ لكان أفضل كماعز بن مالك رضي الله عنه ، وإن مما بينه وبين الله تعالى بتعلق حق الحيوان كالوطء والقتل والضرب بلا عذر ، وكضرب وجهه ولو بعذر ، والركوب والحمل فوق الطاقة ، وعدم إعطاء العلف والماء فمشكل جداً فليس له إلا التوبة النصوح والتضرع والبكاء . **وإن بمظلمة العباد** فخمسة : مالي ، ونفسي ، وعِرْضِي ، ومحرمي ، وديني .

فالمالي كالسرقة والغصب والغبن وترويج زيف ، وإتلاف مال الغير باليد أو بشهادة الزور ؛ أو بالغمز إلى الظالم ، أو بالحكم جَوْراً أو بالرشوة

---

(١) أي : إن كان ، فافهم .

وغيرها ، فيتوب ثم يستحلُّ **ولو حبة أو ذرة ؛ وإن صدر حال الصبا ، إذ الغرامات المالية لازمة على الصبي** ، فإن لم يسترض في الدنيا فيعطيه في الآخرة ، فإن مات المالك فيعطيه إلى وارثه ، وإن لم يوجد ، أو لم يعلم المالك ! فيعطيه إلى الفقير بنية وديعة عنده تعالى ، ويوصلها إلى صاحبها يوم القيامة ، أو يصرفه إلى المصالح نحو القناطير ، ولو صرف إلى فقراء الوالدين أو المولودين لكان معذوراً كما قيل ، وإن عجز فبمشيئة الله تعالى ؛ إن شاء يعطي من حسناته ، أو يحمل سيئاته عليه ، وإن شاء يرضيه عنه . وأما حق الكافر إن لم يسترض فمشكل جدّاً قيل يجوز إرضاؤه تعالى بتخفيف عذابه .

وأما النفسي ؛ فإنْ مما يوجب القود في النفس أو في الأطراف فيتوب أولاً ، ويسلّم نفسه إلى وليّ الجناية ثانياً إن شاء عفا وإن شاء أخذ حقه ، وإن شاء صالح على مال ، وإن مما يوجب الدية فيتوب ويعطي أيضاً أو يستحل .

وأما العِرْضي ؛ كالغيبة والبهتان والاستهزاء والشتم ! فالتوبة والاستحلال ، وشُرِطَ في البهتان تكذيبُ نفسه عند من بَهَته عندهم ، ولا يمكن الاستحلال بالوارث في هذا النوع .

وأما المحرمي ؛ كالخيانة لأهل الغير أو ولده أو نحو ذلك ! فيتوب ويستحل ، وإن خاف تهيُّج فتنةٍ فيتضرع ربَّه ويبكي ويدعو لصاحب الحق ويتصدق له .

وأما الديني ؛ كالتكفير والتفسيق ! فيتوب ويسترضي ويكذِّب نفسه كما مرَّ .

واعلم أن فيما ذكر كله إن لم يعلم ما عليه من الحقوق يقيناً فيعمل بغلبة ظنه من أوان البلوغ ، أو أوان الوجود في الحقوق المالية إلى أوان

التوبة ، ثم الاستحلال المبهم لا يكفي عند الغزالي ، ويكفي على الأصح على ما في « الفتاوى » .

وفي « الخلاصة » قال : حلِّلني من كل حق لك عليّ فأبرأه فإن علمه صاحب الحق برئ مطلقاً بالإجماع وعليه الفتوى ، فبرئ قضاء إجماعاً ، وأما ديانة ! فعند محمد لا يبرأ ، **وعند أبي يوسف** : **يبرأ ، وعليه الفتوى** . ولهذا قيل : الاستحلال المبهم من خواص هذه الأمة .

قال رجل : له على آخر دين وهو لا يعلم بجميع ذلك . فقال المديون : أبرئني مما عليَّ . فقال : أبرأتك . قال النصر : لا يبرأ إلا مقدار ما يتوهم أنه له عليه . وقال محمد بن سلمة : يبرأ من الكل . وعن أبي الليث : ما قاله النصر حكم الآخرة ، وما قاله محمد حكم القضاء . قال : (أبرأت جميع غرمائي ، أو كلُّ غريم لي فهو حلّ أو ليس بالدين شيء) لا يبرأ ! وقيل : في المسئلتين يبرأ . وتمام ذلك قبيل الثلاثين من كتاب الاستحسان « للتتارخانية » .

اعلم أن الأفضل هو الإبراء لا سيما المعسر ، ولذا جاء في الحديث « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلّه الله تعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه » انتهى « بريقة محمودة » من الجزء الثاني في ٢٣٠ .

فوائد فيها ترغيب السالك إلى التوبة .

قال شيخنا خالد سيف الله الحسيني النقشبندي القادري الشاذلي في كتابه « كنز المعارف في أسرار اللطائف » : وأخرج الشيخان والترمذي عن الحرث يزيد قال : قال ابن يزيد قال : قال ابن مسعود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض وبيئة[١] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ

---

(١) أرض منقطع قليل الماء . « منجد » .

وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتدّ عليه الحر والعطش ، أو ما شاء الله تعالى قال أَرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذاً راحلته عنده ، عليها زاده وشرابه ! فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » ، ومسلم « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فإني أتوب إليه مائة مرة » .

وابن ماجه « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء[1] ثم تبتم لتاب الله تعالى عليكم » .

والطبراني والبيهقي « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك . فيمسك ست ساعات ، فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئاً ، وان لم يستغفر الله تعالى كتب عليه سيئة واحدة » .

وابن أبي حاتم وابن مردويه « التوبة النصوح : الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً » .

والطبراني وأبو نعيم « الندامة توبة . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه » .

والترمذي « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[2] » .

ومسلم « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

والشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أهل العلم فدُلَّ

---

(١) من الكثرة والعظمة ، كما في « البريقة » (منه) .

(٢) الغرغرة : تردّد الروح في الحلق « مختار » .

على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمَّل مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ! ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا أنصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : ولم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكّم بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « إن المؤمن إذا أذنب نكت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر صقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه - أي تغشاه وتغطيه - تلك النقطة السوداء ، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ اللهم إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك . انتهى كلام سيف الله من خطه قدس سره ونوَّر ضريحه آمين .

وفى « **الجامع الصغير** » قال الله تعالى : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو أنك لقيتني بقراب(١) الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

---

(١) ولو جاء بقراب الأرض أي : بما يقاربها « مصباح » ، يقال لو أن لي قراب هذا ذهباً أي : ما يقارب ملأه « مصباح » .

وعن الترمذي عن أبي موسى الأشعري أنه قال صلّى الله تعالى عليه وسلم : « كان في الأرض أمانان من عذاب الله تعالى فَرُفِع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به » .

أما المرفوع فرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأما الباقي منهما فالاستغفار ، قال الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ انتهى . « بريقة » في ٢٣١ ج٢ عبارته .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال « من قال : **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** ، خمس مرات غفر له ، وإن كان عليه مثل زبد البحر » . انتهى « جواهر المعاني » .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً ، فمن أحب أن تسرَّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » . انتهى « كشف الغمة » .

وفيه : وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله تعالى في يوم سبعين مرة إلا غفر له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

وكان أنس رضي الله عنه يقول : جاء رجل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقال : واذنوباه ! واذنوباه ! يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : **اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي** » . فقالها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم فقد غفر الله لك » انتهى . راجعه في ٢٨٨ من الجزء الأول .

قال الغزالي في « منهاج العابدين » : وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة ، فاتخذ التوبة أيضاً والعود إليها حرفة فلا تكن في التوبة أعجز

منك في الذنب ، ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك[1] فإنها دلالة الخير ، أما تسمع قوله ﷺ « خياركم كل مُفْتَنٍ تواب » أي كثير الابتلاء بالذنب ، كثير التوبة منه والرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار . وتذكَّر قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ انتهى . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ الآية .

وقال الغزالي في « منهاجه » : ثم عليك يا طالب العبادة – وفقك الله تعالى – بالتوبة وذلك لأمرين : أحدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان ، وإن قيد الذنوب يمنع من المشي إلى طاعة الله تعالى والمسارعة إلى الخير وخدمته ، وإن ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط إلى الطاعات ، وإن الإصرار على الذنوب يسوّد القلب فتجده في ظلمة وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاء ، ولا لذة فيها ولا حلاوة ، وإن لم يرحم الله تعالى فيستجرُّ صاحبها إلى الكفر والشقاوة ، فيا عجباً كيف يوفق للطاعة مَن هو في شؤم وقسوة ! وكيف يُدعى للخدمة مَن هو مصرّ على المعصية ومقيم على الجفوة ! وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطّخ بالأقذار والنجاسات ! ففي الخبر عن الصادق المصدّق رسول الله ﷺ أنه « إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه » .

وكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز وجل ؟ ! فلا جرم لا يكاد يجد المصرُّ على العصيان توفيقاً ، ولا تخفّ أركانه لعبادته ، فإن اتفق فبكدّ لا حلاوة معه ولا صفوة ، وكلّ ذلك بشؤم الذنوب وترك التوبة .

ولقد صدق من قال : إذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم

---

(١) أي : العود إلى الذنب (منه) .

أنك مكبول[1] قد كبّلتك خطيئتك فهذه هذه .

والثاني من الأمرين : إنما يلزمك التوبة ، لتقبل عنك عبادتك ، فإن رب الدّيْن لا يقبل الهدية ، وذلك أن التوبة عن المعاصي وإرضاء الخصوم فرض لازم ، وعامة العبادة التي تقصدها نفل ، فكيف يقبل منك تبرعك والدَّين حالّ لم تقضه ؟ ! أم كيف تترك لأجله الحلال والمباح وأنت مُصرّ على فعل المحظور والحرام ؟ وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو - والعياذ بالله - عليك غضبان ؟ ! فهذا ظاهر حال العصاة المصرّين على المعصية والله المستعان انتهى عبارته .

يا ولدي إني جمعت لأجلك في هذا الباب أقوال العلماء الواردة في حق التوبة ؛ لتكون سبباً لانتباهك عن سِنة الغفلة وحرصك على التوبة ، مع أنك في حال القدرة لفعل الذنوب .

يا ولدي ؛ **اعلم** أن التوبة ؛ عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله كما ذكره الغزالي في « الإحياء » « والمنهاج » أيضاً .

فإذا كان أحد يقطع الطريق ويذهب في الفلاة ويأخذ أموال الناس ثم عجز عن أن يذهب إلى الفلاة ويقطع الطريق ، فتوبته إنما تحصل بترك مثل ذلك القطع منزلة وهو السرقة . كذا قرّره الفلدي في هامش « منهاج العابدين » والبسط في « الإحياء » في ٣٣ ج٤ راجعه .

يا ولدي إنّ رحمة الله تعالى واسعة ، وقد غفر لكثير من العصاة وجعلهم من أوليائه ، **فقد كان الفضيل - رحمه الله تعالى - شاطراً يقطع الطريق** بين أبي ورد وسرجس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينما هو يترقى في الجدران إليها سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

(١) مقيّد . (هامش الأصل) .

﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فقال : يا رب قد تبت . فرجع فآداه الليل[1] إلى خربة فإذاً فيها رفقة فقال بعضهم : نرتحل . وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا . قال : فتاب الفضيل وآمنهم وجاور الحرم حتى مات . كذا في « البريقة » فصار أمر الفضيل بعد التوبة أنه كان أزهد الناس وأعبدهم وأورعهم في زمنه كما هو مذكور في مناقبه .

وإن الناس يسألون الله تعالى بحرمته قضاء حوائجهم ويتوسلون به جعلنا الله تعالى في بركته وبركة أمثاله آمين .

يا ولدي يجب على التائب أن يكون الباعث على التوبة تعظيم أمر الله تعالى ، والخوف من سخطه وأليم عقابه ، لا رغبة دنياوية ، أو رهبة من الناس ، أو طلب ثناء ، أو صيت ، أو ضعفاً في النفس ، أو فقراً ، أو غير ذلك ، فلو ندم على الذنب لسقوطه عن الجاه بسبب فعله ذلك الذنب ، أو ندم على الذنوب ، لعوده إلى الفقر وإلى عدم المال بسبب إنفاق المال في الذنوب فقط ، ولم يندم لتعظيم الله وخوف عقابه ، فإن ذلك لا يكون توبة بلا ريب ؛ اللهم ارزقنا ولأولادنا وأحبابنا وزوّارنا وإخواننا في الدين توبة نصوحاً وثبتنا وإياهم عليها إلى الممات واغفر لنا وإياهم آمين .

---

(١) فآواه علّه . (هامش الأصل) .

الترغيب الثالث

في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه السلام

اعلم يا ولدي أن فضل الصلاة على النبي ﷺ مشهور ومعلوم ، والأحاديث الواردة في حقها كثيرة ، وقد نقل مؤلف « أفضل الصلوات » عن السيد أحمد دحلان ما نصه : إن الصلاة على النبي ﷺ نافعة بأي صيغة كانت ولا شيء أنفع لتنوير القلوب ووصول المريدين إلى الله تعالى منها[1] ، فإن المواظب على الصلاة على النبي ﷺ يحصل له أنوار كثيرة ، وببركتها يتَّصل بالنبي ﷺ ، أو يجتمع بمن يوصله إليه ، خصوصاً إذا كان مع الاستقامة ، **وخصوصاً في آخر الزمان عند قلَّة المرشدين** والتباس الأمور على الناس ، **فمن أراد هداية الخلق وإرشادهم** فعليه أن يأمر الناس عوامهم وخواصهم بالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ . انتهى عبارته ١٥٥ .

وفي « حاشية الباجوري » على متن « السُلَّم » في المنطق : والأحاديث في فضل الصلاة عليه ﷺ جملةً وتفصيلاً لا تنضبط ، وخصائصها لا تنحصر ،

فمن ذلك قضاء الحاجات ، وكشف الكُرَب المعضلات ، ونزول الرحمات .

ومن ذلك[2] **أيضاً ما جرب من تأثيرها في تنوير القلوب** حتى قيل **أنها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه**[3] ، كما حكاه سيدي أحمد

---

(١) وفي « الصاوي » : إنها توصل إلى الله تعالى لأنها تعرض عليه ويصلّي على المصلّي ، بخلاف غيرها من الأذكار ! فلا بُدَّ فيها من العارف ، وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها . انتهى فراجعه من سورة الأحزاب (منه) .

(٢) ومثله في « البجيرمي » في ٢٨ ج١ .

(٣) ومثله في « أفضل الصلوات » في ٣٤ فراجعه (منه) .

زروق والشيخ السنوسي في شرح « صغرى الصغرى » وأشار له الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني ، لكن قال الشيخ الملوي : المراد أنها تكفي عنه وتقوم مقامه في مجرَّد التنوير ، **أما الوصول لدرجة الولاية فلا بُدَّ فيه من الشيخ** كما هو معلوم عند أهله .

واختصت من بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطباع بخلاف غيرها فإنه يثيرها . انتهى ١٤ فراجعه .

وفي « تقريب الأصول » راجعه في ٥٦ وفي ٨٤ نظير ما مرَّ وفيه : وإن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ **فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له** ﷺ . وحكي اتفاق العلماء على ذلك . انتهى فراجعه في ١٠ .

وقطع الإمام الشاطبي والسنوسي على ذلك[١] **ولو قصد الرياء** كما في « أفضل الصلوات » في ٣٤ ، لكن ينبغي للعاقل أن لا يقصد بشيء من الصلاة على النبي ﷺ إلا التعظيم والإجلال لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وامتثال أمر الله تعالى ، فقد رأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : أن مَن صلّى على النبي ﷺ بهذه النِّيَّة كانت المرة الواحدة من صلاته لو ضرب العالم في نفسه مائة ألف مرة وقسمت صلاته عليهم لكفَّرت جميع ذنوبهم . انتهى فراجعه في ١٤٥ من الجزء الثاني .

وقد ذكرت نبذة[٢] من هذه المذكورات في كتابنا « تنبيه السالكين » في المتن وفي الهامش بالتمام ، فإن أردت الزيادة فراجعه .

وفي « جواهر المعاني » في ١٣٢ ج١ : ثم اعلم أن في الصلاة عليه ﷺ تكفَّل الله بمن صلّى على حبيبه ﷺ أن يصلّي عليه عشر مرات بكل

---

(١) أي : على أنه يحصل الثواب له . فافهم (منه) .

(٢) وأصاب الأرض نبذ من مطر ، أي : شيء يسير . « مختار » .

صلاة من تلك الصلوات التي مَنَّ الله عز وجل على العبد . لها[1] سرّان :

السر الأول : أن المصلّي عليه ﷺ يجب على نبينا ﷺ مكافأته على مَن صلّى عليه ، على قاعدة حكم الكرم عند الكريم أن الإحسان إلى الكريم لا يضيع الإحسان عند الكريم باطلاً ، فهو ﷺ بما اتصف من الكرم وجب عليه مكافأة مَن صلّى عليه من هذه الحيثيّة ، فلما توجَّه عليه ﷺ هذا ناب الحق سبحانه وتعالى عنه في مكافأة من صلّى عليه ﷺ على إحسانه ؛ أن يصلّي عليه سبحانه وتعالى بكل واحدة عشراً .

والسر الثاني : أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ ، فمن رآه سبحانه وتعالى توجّه بالصلاة على حبيبه ﷺ اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ﷺ ، **وكانت تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالى** - إذا ثابر[2] على الصلاة عليه ﷺ - لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله[3] ، وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى ، وكان حكمه في الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله تعالى بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة : إن له عناية بحبيبنا ﷺ لا تكون سيئاته كسيئات غيره ! ولا تقع المؤاخذة عليه في سيئاته كما

---

(١) عله ولها سران . (هامش الأصل) .

(٢) المثابرة على الأمر : المواظبة عليه .

(٣) وفي « جواهر المعانى » في ٢٥٥ ج٢ : واعلموا أنّ الذّنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنّها تنصب على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفرات الذنوب ، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق . .الخ فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، وكصلاة التسبيح ، ومما هو في هذا المعنى يلازمه الإنسان في كلّ يوْم ثلاث مرات . اللّهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي . انتهى عبارته فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

تقع على غيره من أصحاب السيئات ! فإذا عرفت هذا عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتها فقط ، لا أنها هي أرفع درجة من القرآن ! فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى ، لكن لمن صفت أعماله وأحواله مع الله تعالى ؛ فيكون تاليه حينئذ من أكبر السابقين وأعظم الفائزين برضاء الله تعالى ، ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فإنه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول ، فإن لله سبحانه وتعالى غيرة على كتابه ؛ لكونه حضرة القرب والتداني ، **فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته** لكونه لم يعط الحضرة حقها ، فإذا عرفت هذا عرفت النسبة بينه وبين الصلاة عليه ﷺ . انتهى عبارته فراجعه .

يتضرر العامة بتلاوة القرآن

وفي « جواهر المعاني » في موضع آخر : فبان لك أن **الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن** ، فإن القرآن مرتبته مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بأخلاق الروحانية ، فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك ، وأما الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلا التلفُّظ بها باستصحاب تعظيم النبي ﷺ بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسية ثوباً وجسداً ومكاناً ، وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن ، فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلّي عليه ، ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه .

ولا وسيلة عند الله تعالى أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الربِّ عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ وإن تدافعت العلماء في القطع بقبولها ؛ فمن قائل بأن قبولها قطعي ، ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال ، **والذي نقول به** بأنها مقبولة[1]

---

(١) ورأيت في « مطالع المسرات » ما نصه : قال الشيخ أبو إسحق الشاطبي في

قطعاً ، **والحجة** لنا في ذلك أن الله تعالى يقول للنبي ﷺ : « مَن صلّى عليك صلّيت عليه ومن سلّم عليك سلّمت عليه » وهذا الوعد صادق لا يخلف ، وهو لا من حيثية العبد ! بل من حيثية العناية سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ ، وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلّى عليه ﷺ لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء ، **وهو معنى قبول الصلاة من العبد** وبالله التوفيق الخ... انتهى ٢٥٥ ج٢ .

قال الإمام الهمام شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ببلد الله الحرام السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول »[١] في أثناء ذكر كلام لأبي المواهب الشاذلي قدس سره ما نصه : وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله صلاة الله عشراً على مَن صلّى عليك مرة واحدة هل ذلك إن كان حاضر القلب ؟ فقال : لا ، بل لكل مصلّ عليّ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

قال بعض العارفين : مَن فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه من صلّى على النبي ﷺ مرة صلى الله تعالى عليه عشراً فلو فعل الإنسان جميع الطاعات وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة[٢] لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله جميع عمره من جميع الطاعات ، لأنك تصلّي على حسب وسعك والله تعالى يصلّي عليك – أي يرحمك – على حسب ربوبيته ؛ (**عطية القوم على قدر أقدارهم**) . هذا إذا

شرح « الألفية » : الصلاة على رسول الله ﷺ مجابة على القطع فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله تعالى . انتهى فراجعه في ٩٧ (منه) .

(١) وهو كتاب نفيس قيل فيه أنه لم يصنّف في الإسلام مثله ، جزى الله عنا مؤلفه آمين .

(٢) ومثله في « تاج العروس » (منه) .

كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلّى عليك عشراً بكل صلاة ؟ ! فما أحسن عيش من أطاع الله تعالى بذكره والصلاة على رسوله ﷺ ! فكم من صنائع صنعت لك وأنت لا تدري .

وفى « جواهر المعاني » : وأكبر ذكر الله فائدة ، وأعظمه جدوى وعائدة ؛ هي الصلاة على رسول الله ﷺ مع حضور القلب ، فإنها متكفِّلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة ، دفعاً وجلباً في كل شيء ، وإن مَن أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله تعالى . انتهى . فراجعه في ١٤٤ من الجزء الأول .

وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة وردت بها أحاديث لا تحصى ، ويفهم من مجموعها حُصُول فوائد للمصلّي عليه لا تحصى .

فمنها امتثال أمر[١] الله تعالى حيث قال ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ﴾ وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة لأنها أشرف مقامات العبد .

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ موافقة العبد لربه في الصلاة عليه ﷺ وإن اختلف معنى الصلاتين .

ومن فوائدها صلاة ملائكة الله على العبد ما دام يصلّي عليه .

ومنها أنه يحصل للمصلّى عليه عشر حسنات بواحدة ، وتكفير عشر سيئات ، ورفع عشر درجات .

ومنها عتق عشر رقاب .

ومنها كونه ﷺ شفيعاً وشهيداً للمصلّين عليه يوم القيامة .

ومنها أن الملائكة يكتبون ذلك بأقلام الذهب وصحائف الفضة

---

(١) ومرّ آنفا ما في هذا من الفائدة العظيمة ، فتذكره (منه) .

ويقولون للمصلّين زيدوا زادكم الله تعالى .

ومنها كتابة براءة من النفاق وبراءة من النار .

ومنها أن المصلّي يُسكنه الله تعالى مع الشهداء يوم القيامة .

ومنها أن كتفه يزاحم كتف النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها أنها زكاة للأعمال وكفارة .

ومنها أن الملائكة تستغفر للمصلّي وتقرُّ بها عينه .

ومنها إذا مات تكون الصلاة عند قبره تستغفر له .

ومنها أن له بالصلاة الواحدة قيراطاً[1] من الأجر كجبل أُحُد .

ومنها أن الملائكة تبلِّغها النبي ﷺ فيردُّ على المصلّي ، فكل صلاة المصلين تعرض عليه ﷺ .

ومنها أنها تكون سبباً للكيل بالمكيال الأوفى من الثواب .

ومنها أنها سبب لكفاية المهمات في الدنيا والآخرة ، وقضاء الحاجات ، وكشف الكربات ، وغفران الذنوب ، وإن مَن جعل صلاته كلها للنبي ﷺ كُفِيَ همَّه من أمر دينه ودنياه وغفر ذنبه .

ومنها أنها أفضل من عتق الرقاب ومن ضرب السيف في سبيل الله .

ومنها أنها تكفُّ الكاتبين أن يكتبوا على المصلّي ذنباً .

ومنها أن المصلّي يحفظ من دخول النار وجاء في بعض صيغها أن صلاة واحدة تكفر ذنوب ثمانين سنة .

---

(١) والقيراط : نصف دانق وأما القيراط الذي في الحديث فقد جآء تفسيره فيه أنه مثل جبل أحد « مختار » .

ومنها أنها سبب لرضاء الله تعالى وسبب لغشيان الرحمة .

ومنها أن الملائكة إذا وجدوا حلقة المصلّين يحفُّون بهم ويغشونهم بالرحمة .

ومنها أنها موجبة للأمن من سخط الله تعالى ، وسبب لثقل الميزان وللأمن من العطش يوم القيامة .

ومنها أنها تأخذ بيد مَن يعثر على الصراط .

ومنها أن من صلّى على النبي ﷺ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وحتى تبشِّره الملائكة بالجنة .

ومنها أنها تعدل عشرين غزوة في سبيل الله تعالى .

ومنها أنها سبب لتكثير الزوجات في الجنة .

ومنها أنها تقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة .

ومنها أن مَن صلّى مائة مرة في كل يوم قضى الله تعالى له مائة حاجة سبعين لأخراه وثلاثين لدنياه .

ومنها أن المداومة عليها كالمداومة على العبادة طول الليل وطول النهار .

ومنها أنها أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى ، وأنها زينة المجالس ، ونور يوم القيامة ، ونور على الصراط .

ومنها أنها تنفي الفقر .

ومنها أن المصلّي يكون أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة وإن أكثر الناس عليه صلاة أكثرهم نوراً يوم القيامة .

ومنها أن العبد إذا أكثر منها يكون أحب ما يكون إلى الله تعالى

وأقربه إليه .

ومنها أن المكثر منها قد لا يسأله الله تعالى يوم القيامة فيما افترض عليه .

ومنها أن مَن صلّى عليه في كل يوم خمسين مرة صافحه النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها جلاء القلوب من الصدأ وطهارتها من النفاق .

ومنها أن الإكثار منها سبب لورود الحوض يوم القيامة .

ومنها أنها سبب لإجابة الدعاء وسبب لنجاة المؤمن من خطئه طريق الجنة .

ومنها أنها سبب للبركة في ذات العبد وعمره وأسباب مصالحه .

ومنها دوام محبته ﷺ وزيادتها ومضاعفتها .

ومنها أنها سبب للنصر على الأعداء .

ومنها أنها سبب لمنع الغيبة من الناس وموجبة لمحبة الناس للمصلّي .

ومنها نمو المال ببركتها ويلقى العبد بسببها وجوه الخير .

كل هذه الفوائد جاءت بها أحاديث ذكرها العلماء في كتبهم ، وزاد كثير من العارفين **أنها تقوم مقام الشيخ في التربية** ، وزاد بعض أنها تمنع العطش مطلقاً وكذا في وقت الحمى وغيرها .

قال الشيخ عبد الغني النابلسي : بشرط أن لا يكون في تلك الصيغة التي يصلي بها ذكر الله تعالى لأنه حارّ ، ومثل ذلك بأن يقول الصلاة والسلام على سيّدنا محمد خير الأنام .

فعليك بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ ، واتخذها ورداً في ليلك ونهارك تَفز بكل خير في الدنيا والآخرة .

وأسأل الله تعالى التوفيق [لنا] ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إن الله تعالى على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم انتهى في ٨٤ .

وفي « العقد الثمين » : وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتب غزاته بأربعمائة حجة » قال : فانكسر قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج فأوحى الله تعالى عز وجل إليه « ما صلّى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة » أخرجه أبو حفص الميافشي في « المجالس المكية » انتهى ٣٠ .

وكان ﷺ يقول : « مَن صلّى عليّ تعظيماً لحقي جعل الله عز وجل من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض ، وعنقه ملتوٍ تحت العرش ، يقول الله عز وجل له : صلّ على عبدي كما صلّى على نبيِّي . فهو يصلّي إلى يوم القيامة » .

وفي رواية « فما من عبد يصلّي عليّ حبّاً لي إلا انغمس ذلك الملك في الماء ثم ينتفض ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلّي عليَّ إلى يوم القيامة » . انتهى « كشف الغمة » ٢٧٨ ج١ .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « مَن صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرّات ، وكل ليلة ثلاث مرات كان حقّاً على الله تعالى أن يغفر له تلك الليلة وذلك اليوم » . انتهى .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « الصلاة عليّ أمحق للخطايا من الماء للنار ، والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب ، وحُبّي أفضل من مهج

الأنفس » أو قال : « من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل ، ومَن صلى عليّ واحدة حبّاً لي وشوقاً إليّ أمر الله تعالى حافظيه أن لا يكتبا عنه ذنباً ثلاثة أيام » انتهى ٢٧٩ ج١ .

وفي « مناهج السعادات » : وَوَرَدَ : « أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » انتهى .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « مَن صلّى عليّ يوم الجمعة مائة مرة غفر له خطيئة ثمانين سنة » . « دلائل الخيرات » والمراد غفران الصّغائر . انتهى « مناهج السعادات » في ٥ .

وقال الحافظ السخاوي : إن امرأة جاءت إلى الحسن البصري فقالت له : يا شيخ ! توفِّيت لي بنيَّة وأريد أن أراها في المنام . فقال لها الحسن البصري : صلّي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وسورة ألهاكم التكاثر مرة ، وذلك بعد صلاة العشاء الأخيرة ، ثم اضطجعي وصلّي على النبي ﷺ حتى تنامي . ففعلت ذلك فرأتها في النوم وهي في العقوبة والعذاب ، وعليها لباس القطران ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من النار ، فلما انتبهت جاءت إلى الحسن فأخبرته بالقصة . فقال لها : تصدَّقي بصدقة لعل الله تعالى يعفو عنها . ونام الحسن تلك الليلة فرأى كأنه في روضة من رياض الجنة ، ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت : يا حسن أتعرفني ؟ ! فقال : لا . فقالت : أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة على النبي ﷺ . فقال لها الحسن : إن أمك وصفت لي حالك بغير هذه الرؤية ! فقالت له هو كما قالت ! قال : فبماذا بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت : كنا سبعين ألف نفس في العقوبة والعذاب كما وصفت لك والدتي ، فعبر رجل من الصالحين على قبورنا وصلّى على النبي ﷺ مرة وجعل ثوابها لنا

فقبلها الله تعالى عز وجل منه وأعتقنا كلنا من تلك العقوبة و ذلك العذاب ببركة الرجل الصالح ، وبلغ نصيبي ما قد رأيته وشاهدته . ذكرها القرطبي في « التذكرة » بغير هذا اللفظ انتهى . « أفضل الصّلوات » ٥١ .

قال السخاوي : ويروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد مسرف على نفسه ، فلما مات رَمَوْا به ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السلام أن غسّله وصلِّ عليه فإني قد غفرت له . قال : يا رب وبماذا ؟ قال : إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد ﷺ فصلّى عليه ، فقد غفرت له بذلك . كذا في « أفضل الصلوات » ٧٧ .

حكى بعضهم : أن رجلاً شوهد يكثر الصلاة على النبي ﷺ في مواقف الحج والمطاف فقيل له : لم لا تستعمل المأثور الأفضل ؟ قال : آليت على نفسي أن لا أترك الصلاة على النبي ﷺ على أي حالة كنت . قال : وسبب ذلك أنه كشف وجه والده عند الموت فرأى وجهه وجه حمار ، فحزن عليه ، فرأى النبي ﷺ فتعلق به مستشفعاً لوالده سائلاً عن سبب حصول حالته المذكورة فقال له : إنه كان يأكل الربا . وأن من أكله يقع له ذلك دنياً وأخرى . لكن والدك كان يصلّي علي كل ليلة عند نومه مائة مرة فشفعت فيه . فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ، ثم لما دفنه سمع قائلاً يقول سبب العناية بوالدك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . ذكره الجريري في « كنز الإدخار » انتهى « العقد الثمين » في ٣٠ . ومثله في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » فراجعه .

يا ولدي انظر إلى عِظَم فائدة الصلاة على النبي ﷺ **!** فقد انتفع بها من ارتكب الذنب الذي أيسره كناكح أمه وهو الربا ، وقد ذكرت نبذة من فضائل الصلاة في كتابنا خلاصة الآداب » وفي « تنبيه السالكين » فإن أردت الزيادة فعليك بالمراجعة إليهما .

وفي « أدلِّ الخيرات » و« دلائل الخيرات » و« كشف الغمة » أكثر

من هذه وفَقك الله تعالى للدّوام على الصلاة عليه ﷺ ، وجعلك من ورثة أوليائه وأصفيائه ، آمين .

فائدة في بيان فضائل صيغ الصلاة عليه ﷺ التي أوردها السادات في كتبهم وذكروا لها الفضائل الكثيرة والأجور العظيمة ؛ **فمنها صلاة الفاتح** لما أغلق وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه حقَّ قدره ومقداره العظيم) .

وذكر أن مَن صلّى بها مرة واحدة في عمره لا يدخل النار انتهى . وقال بعضهم المرة منها تعدل عشرة آلاف وقيل ستمائة ألف إلخ كذا في « أفضل الصلوات » راجعه في ١٤٢ .

وأما ما ذكره صاحب « رماح حزب الرحيم » فبهذه الألفاظ : (اللهم صلّ على سيِّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى اله حق قدره ومقداره العظيم) انتهى .

وفي « جواهر المعاني » في ٩٥ ج١ : وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ . فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما اغلق . . حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها ؛ وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في « وردة الجيوب » . وقد ذكر صاحب « الوردة » أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر – وكان قطباً رضي الله عنه – قال : إن مَن ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون ، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من « دلائل الخيرات » تركت الفاتح لما أغلق إلخ . واشتغلت بها

وهي : **اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم** . لما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق ، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاء ، كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار انتهى .

صلاة الفاتح لما أغلق

وفيه بُعيد هذا : ثم قال سيّدنا رضي الله عنه وأما صلاة الفاتح لما أغلق إلخ فإني سألته ﷺ فأخبرني أولاً أنها بستمائة ألف صلاة ، فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر مَن صلى بصلاة مفردة ؟ فقال ﷺ ما معناه : نعم يحصل في كل مرة منها أجر مَن صلّى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسألته ﷺ هل يقوم منها طائر واحد على الحدِّ المذكور في الحديث لكل صلاة ؛ وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث ؟ أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي ﷺ ؟ فقال ﷺ : « بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة » . ثم قال رضي الله عنه فسألته ﷺ عن حديث أن الصلاة عليه ﷺ مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة ؛ كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ ! فقال ﷺ : صحيح . فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة أربعمائة غزوة ؟ أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟ فقال ﷺ « ما معناه » : « إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة من الستمائة صلاة بأربعمائة ألف غزوة » .

مهم

ثم قال بعده ﷺ : إن مَن صلّى بها أي بالفاتح لما أغلق إلخ . مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلّى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفُّظ الذاكر بها ؛ أي كأنه صلّى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلاة المصلّين عموماً ملكاً وجنّاً وإنساً ، وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة ، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات ، وأن الله تعالى يصلّي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة ، فكيف مَن صلّى بها مرات ؟ ماذا له من الفضل عند الله تعالى ؟ ! وهذا حاصل في كل مرة منها ! !

حكمة فضل صلاة الفاتح لما أغلق

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري « أي صلاة الفاتح لما اغلق . . . إلخ ولكنه توجَّه إلى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصَّلوات وسر جميع الصَّلوات ، وطال طلبه مدة ، ثم أجاب الله تعالى دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادةُ جميع الجن والإنس والملائكة انتهي . فراجعه ففيه البسط الزائد وراجع أيضاً إلى كتاب « الرماح » الذي في هامشه ترى العجائب .

وفي « جواهر المعاني » أيضاً **واعلم** أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجَّهت بجميعها مائة ألف عام كل

يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ .

فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك ، فإنها كنز الله الأعظم لمن ذكرها . انتهى . فراجعه في صحيفة ١٥٧ ج٢ .

ومنها صلاة تسمى **بصلاة العالي** ؛ وهي : « اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلّم » .

نقل الشيخ الصاوي في شرحه على صلوات الدردير والعلاّمة محمد الأمير الصغير في ثبته عن الإمام السيوطي : أن من لازم عليها كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ .

وذكر فوائد هذه الصلاة السيد أحمد دحلان في مجموعته بأبسط مما ذكر ونص عبارته : ومن الصيغ الفاضلة التي ذكر كثير من العارفين أن مَن داوم عليها ليلة الجمعة ولو مرة واحدة كشف لروحه مثال روح النبي ﷺ عند الموت وعند دخول القبر حتى يرى أن النبي ﷺ هو الذي يلحده .

قال بعض العارفين : وينبغي لِمن داوم عليها أن يقرأها كل ليلة عشر مرات ، وليلة الجمعة مائة مرة حتى يفوز بهذا الفضل والخير الجسيم إن شاء الله تعالى انتهى . « أفضل الصّلوات » ١٥٢ .

وفي « فتح الرسول » : مَن قرأها بعد العشاء سبع مرات فهو كمن أحيا تلك الليلة كلها . انتهى . « جواذب » انتهى ٤٦ .

ومنها صلاة تسمى **صلاة السعادة** وهي (اللهم صلّ على سيدّنا مُحمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

نقل سيدي أحمد الصاوي عن بعضهم : أن هذه الصلاة بستمائة

ألف صلاة . انتهى . « أفضل الصّلوات » .

وعن الشيخ منصور بن يوسف المذكور هذه الصلاة المرة الواحدة منها بستمائة ألف ، مَن قالها كل يوم سبعين مرة تكون له فداء من النار وهي : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) .

وقال سيدي علي الوفائي قدس الله تعالى روحه : مَن قالها كل يوم ألف مرة يكون سعيد الدارين .

وأيضاً هذه الصلاة عن سيدي عبد المعطي صاحب « الذخيرة » وهي سبعة وسبعون مجلداً في قطع الربع في الصلاة على النبي ﷺ ، وهي هذه : مَن قالها بعد صلاة العشاء عشر مرات غفر الله له ألف ذنب من الكبائر وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) . ألف مرة . « عقد اليواقيت » ٧٤ ج١ .

ومنها صلاة شريفة قد ذكر مؤلف « الإتحاف » أنه بُشِّر أن قائلها مائة مرة يأمن به الإقليم الذي هو فيه ببركة تلاوته لهذه الصيغة الشريفة وهي هذه : (اللهم صل على سيّدنا محمد بكل صلاة تحب أن يصلَّى به عليه ، في كل وقت يحب أن يُصَلَّى به عليه . اللهم سلّم على سيّدنا محمد بكل سلام تحب أن يسلّم به عليه ، في كل وقت يحب أن يسلّم به عليه ؛ صلاةً وسلاماً دائمين بدوامك عدد ما علمت ، وزِنَةَ ما علمت ، وملىء ما علمت ومداد كلماتك وأضعاف أضعاف ذلك . اللهم لك الحمد ولك الشكر كذلك على ذلك في كل ذلك وعلى آله وصحبه وإخوانه » . انتهى . راجعه في ٢٩٠ ج٣ .

وقال فيه : وقد ألهمت هذه الصيغة ووجدت لها من الخواص ما

لله المنّة عليّ فيه ببركته ﷺ ، وعرضتها عليه ﷺ مستأذناً في استعمالها فتبسَّم ﷺ ، وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم على نبيك وحبيبك سيّدنا محمد وعلى إخوانه وآله صلاة وسلاماً نقرع بهما أبواب جنانك ، ونستجلب بهما أسباب رضوانك ، ونؤدي بهما حقه علينا بفضلك آمين) انتهى . فراجعه ٢٩٠ .

ومنها صلاة ذكرها صاحب « مناهج السّعادات » راجعه في٦٧ بأنه ورد أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعداً غُفر له قبل أن يقوم ، وهي هذه (اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم) .

ومنها صلاة تسمى **بالكمالية** وهي من أشرف الصيغ ، قال بعضهم هى بسبعين ألف صلاة ، وقيل : بمائة ألف صلاة ، وأنها تقرأ بين المغرب والعشاء لدفع النسيان وجلب الحفظ كما هو مذكور في « أفضل الصَّلوات » في ١٥١ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدّ كماله) . انتهى .

ومنها صلاة قال صاحب « أفضل الصّلوات » في ١٥٠ : إن ثوابها لا نهاية له ، وإن ثوابها يعدل أربعة عشر ألف صلاة وهي هذه : « اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله » انتهى .

ومنها صيغة صلاة على النبي ﷺ . ذكر شيخنا الشهاب أحمد الملوي المصري عن القطب الشاذلي أنها بمائة ألف وأنها تفكُّ الكرب وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد النور الذاتيّ والسر السّاري سره في جميع الأسماء والصفات) ذكره مؤلف « عقد اليواقيت الجوهرية » فراجعه في ٨٧ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » : فالإكثار من هذه الصيغة ينوِّر البصر والبصيرة انتهى . فراجعه في ٢٨ .

ومنها صلاة منسوبة إلى محي الدين العربي ﷺ قيل فيها أن مَن قرأها مرة واحدة كان له ثواب أفضل من سبعين ألف صلاة ، ومن قراءة « دلائل الخيرات » كل يوم . نقل هذا من الجامع الأزهر من مصر بيد شافع الثغوري وهي هذه : (اللّهمّ صلّ على الذات المطلسم ، والغيب المطمطم ، لاهوت[١] الجمال[٢] ، ناسوت الوصال ، طلعة الحق كثوب إنسان الأزل في نشر مَن لم يزل ، في قاب ناسوت الوصال الأقرب ، اللهم صلّ به منه فيه عليه وسلّم) انتهى .

ومنها هذه الصلاة : (اللهم صلّ على روح سيّدنا محمد في الأرواح ، وعلى جسده في الأجساد ، وعلى قبره في القبور ، وعلى آله وصحبه وسلم) قال الإمام الشعراني في حقها : كان ﷺ يقول : « مَن قال

---

(١) لاهوت – هو المقام الذى يتجلى ذات الرب على العبد – الجمال – أي صاحب المقام المتجلى فيها الرب المرتقى إلى قاب قوسين – ناسوت الوصال – أي المتحرك بالوصول إليه تعالى لإرشاد الخلق – طلعة – مصدر بمعنى الطالع –الحق – هو الله تعالى أي الطالع على علمه الأزلي ويجوز جعله ضدّ الباطل – كثوب إنسان – الكثب الجمع والدخول من اجتمع مع روحه كل انسان – الأزلي – أي فيه يشهد لذلك قوله تعالى : ألست بربكم قالوا بلى ، وقوله عليه الصلاة والسلام : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين – في نشر – أي إشاعة دين – من – أي الله تعالى – لم يزل في قاب ناسوت الوصال الأقرب اللهم صلّ به – أي بسبب كلّ واحد من الصفات المحيطة به نازلة – منه – أي من لاهوت الجمال – فيه – لفظة في بمعنى اللام أي لأجل نشر الدين – عليه – أي على الذات المطلسم وسلم – مطلسم – أي العابس وجهه على أهل الضلال على كونه اسم فاعل أو المسلط بالسيف على الكفار على كونه اسم مفعول وعلى كليهما من باب دحرج – مطمطم – أي المدرك للغيوب ، أي السابح فيه ، يقال : طمطم في البحر ، إذا سبح . من شرح « أدل الخيرات » للولي العارف إسماعيل بن إدريس الأَبْدَنْجكليّ قدس سره .

(٢) أي على المنفرد في الجمال

هذه الكيفية رآني في منامه ، ومَن رآني في منامه رآني يوم القيامة ، ومَن رآني يوم القيامة شفعت له ومَن شفعت له ، شرب من حوضي وحرّم الله جسده على النار » . وذكر ذلك شرَّاح « الدلائل » أيضاً بزيادة سبعين مرة عن الفاكهاني .

قلت : وقد جرَّبت هذه الصلاة قبيل النوم حتى نمت فرأيت وجهه الشريف ﷺ في داخل القمر ، وخاطبته ثم غاب في القمر ، وأسأل الله العظيم بجاهه عليه الصلاة والتسليم أن يحصّل لي باقي النعم التي وعد بها ﷺ في هذا الحديث الشريف « أفضل الصلوات » ٥٨ .

ومنها صيغة صلاة لها فضل وهي هذه : (وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون) .

قال في « أفضل الصّلوات » : فقد روي عن عبد الله بن الحكم قال : إني رأيت الشافعي رضي الله عنه في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزفَّت إليَّ الجنة كما يزف العروس . ونثر عليّ كما ينثر العروس فقلت : بمَ نِلتَ هذه الحالة ؟ فقال لي قائل : بقولك في كتاب « الرسالة » : وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . قال : فلما أصبحت نظرت « الرسالة » فوجدت الأمر كما رأيت . انتهى فراجعه في ٧٧ ففيه البسط .

ومنها صلاة قال فيها صاحب « كنوز الأسرار » راجعه في ٢٢ : إنها بمنزلة مائة ألف صلاة وهي هذه : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين) .

ومنها صلاة قيل فيها : أن مَن قرأها مرة واحدة غفر الله له مائة ألف ذنب من الكبائر انتهى . كما هو مذكور في « كنوز الأسرار » أيضاً

٢٩ وهي : (اللهم صلّ على سيدّنا محمد السابق للخلق نوره ، والرحمة للعاملين ظهوره ؛ عدد مَن مضى من خلقك ومَن بقي ومَن سعد منهم ومَن شقي ، صلاة تستغرق العدّ وتحيط بالحدِّ ، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء وتُنِيلُنَا بها منك الرضا ؛ صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك ، اللهم صلّ على سيّدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك ، وعينه من جمالك ؛ فأصبح فرحاً مؤيداً منصوراً وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً) والحمد لله على ذلك . انتهى .

ومنها صلاة تعدل بمائة صلاة كما في « كنوز الأسرار » في ٣٠ ؛ وهي هذه : (اللهم صلِّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تزن الأرضين والسموات ، وعدد ما في علمك ، عدد جواهر أفراد كرة العالم وأضعاف ذلك إنك حميد مجيد) . انتهى .

ومنها صلاة مَن قالها يوم الجمعة ألف مرة فإنه يرى في المنام ربه أو نبيه أو منزلته في الجنة ، فإن لم ير فليفعل إلى خمس جُمَع ، وجُرب فصح قاله في « كنوز الأسرار » ١٣٠ ، وهي (اللهم صل علي محمد النبي الأمي جزى الله عنا محمداً ما هو أهله) .

ومنها صلاة روي أنها تعدل خمسمائة صلاة ، وكانت له فداء من النار كما في « كنوز الأسرار » ٣٠ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الكامل صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله) . انتهى .

ومنها صلاة مَن قرأها مرة واحدة فكأنما قرأ « دلائل الخيرات » أربعين مرة . انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٣ وهي : (اللهم صلّ وسلّم وبارك وكرِّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته عدد ما في علمك صلاة دائمة بدوام ملكك) انتهى .

ومنها صلاة المرة منها بخمسمائة صلاة ؛ وإذا قالها خمساً كانت له فداءً من النار . انتهى « فتح الرسول » : ٤٧ وهي : (اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آل سيّدنا محمد ما اتّصلت العيون بالنظر ، وتزخرفت الأرضون بالمطر ، وحج حاج واعتمر ، ولبَّى وحلق ونحر ، وطاف بالبيت العتيق) .

ومنها صلاة المرة منها باثني عشر ألف صلاة وهي هذه : (اللهم صلّ على سيدّنا محمد وعلى آله صلاة أنت لها أهل وهو لها أهل) انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٩ .

ومنها صلاة عظيمة النفع جليلة القدر قد ذكرها صاحب « فتح الرسول » رحمه الله تعالى وقال : إن هذه الصلاة المرةُ منها بعشرة آلاف مرة كما في « القول البديع » ، وقد كتب إلي سيدي العارف بالله عبد الله المدهر العلوي ما لفظه :

فائدة عظيمة جداً

وجد بخط سيدي الشريف شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر علوي ما قوله : يقول : سمعت القاضي العلامة المغربي جمال الدين محمد بن علي الإسكندري يقول : كان وِرْده من الصلاة على النبي ﷺ ألف ألف ومائة ألف ألف مرة في اليوم والليلة حتى استغرق ليله ونهاره بهذا الورد ، فرأى النبي ﷺ فقال : إني أُعلِّمك كلمات إذا قلتهن كفيت بهن عن وردك ، ويحصل لك من الأجر مثل ذلك . فقال : نعم . فقال : قل : (اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد السَّابِقِ لِلخَلْقِ نُورُهُ ، وَرَحْمَة لِلْعَالَمِيْنَ ظُهُورُهُ ، عَدَدَ مَنْ مَضي مِنْ خَلْقِكَ ومَنْ بَقِيَ ، ومَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ ومَنْ شَقِيَ ، صَلاةً تَسْتَغْرِقُ العَدَّ وتُحِيطُ بِالحَدّ ، صَلاةً لا غَايَةَ لَهَا وَلا انْتِهَاءَ ، وَلا أَمَدَ لَهَا وَلا انْقِضَاءَ ، صَلاةً دَائِمَةً بدَوَامِكَ بَاقِيَةً ببَقَائِكَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبهِ كَذَلِك ،

وَالحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِك ، اللهمَّ يَا رَبِّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَاجْزِ مُحَمَّداً عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ ، اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آل مُحَمّدٍ عَددَ مَا عَلِمْتَ ، وَزِنَةَ مَا عَلِمْتَ ، ومِلْءَ مَا عَلِمْتَ . اللهمَّ صَلِّ وَسَلّمْ وَبَاركْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى كُلِّ نَبيٍّ ، وَعَلَى جِبْرِيلَ ، وَعَلَى كُلِّ مَلَكٍ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَلِيّ) ، عَشْراً انتهى . فراجعه في ٣١ .

ومنها صلاة لسيدي الشيخ عبد المعطي المالكي نفعنا الله تعالى به ؛ ذكر أن المرَّة منها مائة ألف مرة كما في « فتح الرسول » في ٣٠ ؛ وهي هذه : (اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد صلاة وسلاماً أنت لهما أهل وهو لهما أهل ؛ عدد ما علمت ، وزنة ما علمت ، وملء ما علمت ، وأدِم ذلك أبداً بدوامك ، وعلى آله وصحبه كذلك ، والحمد لله على ذلك) .

ومنها صلاة قيل فيها : مَن أراد أن يرى النبي ﷺ فليقل : (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما أمرتنا أن نصلّي عليه) إحدى وسبعين مرة . انتهى . كذا في « فتح الرسول » في ٩٥ .

ومنها صلاة يقال لها « **صلاة أولي العزم** » مَن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم الكتاب يعني « دلائل الخيرات » كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » في ١٤٨ وهي : (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

ومنها صلاة القطب العارف أحمد البدوي قدس سره وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية ، ولمعة القبضة الرحمانية ، وأفضل الخليقة الإنسانية ، وأشرف الصورة الجسمانية ، ومعدن الأسرار الربانية ، وخزائن العلوم الاصطفائية ، صاحب القبضة الأصلية ، والبهجة السنية ، والرُّتبة العَلية ، مَن اندرجت

النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه ، وصلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأمتّ وأحييت إلى يوم تبعث فيه من أفنيت ، وسلّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

وجدتُ في مجموعة العالم محمد طاهر القراخي رحمه الله تعالى ما معناه وحاصله هذا : إن سيدي محمد التلمساني قرأ « دلائل الخيرات » مائة ألف مرة فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له : لو قرأت صلاة السيد أحمد البدوي قدس سره لكفتك عن « الدلائل » ثمان مائة ألف مرة . انتهى باختصار .

ورأيت فيه ما حاصله أيضاً أن قراءتها مائة مرة لأيّ حاجة قضيت . انتهى .

وفي « أفضل الصلوات » : قال سيدي أحمد الصاوي : ذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعاً ، وأن كل مائة منها بثلاثة وثلاثين من « دلائل الخيرات » فراجعه .

وفيه أيضاً ما حاصله : أنها سبب لحصول كثير من الأنوار ، وانكشاف كثير من الأسرار ، وهي من أعظم الأسباب للاتصال بالنبي ﷺ في المنام واليقظة ، وهي سبب في وصول كثير إلى مرتبة القطبانية ، وفيها أسرار في تسهيل الرزق الظاهري ، وهي رزق الأشباح والباطني ، وهي رزق الأرواح أعني العلوم والمعارف ، و بها يحصل النصر على النفس والشيطان وسائر الأعداء ، ولها خواص كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وذكروا أن قراءة ثلاث مرات منها بقراءة « دلائل الخيرات » ، وينبغي لقارئها أن يكون في وقت قراءتها مستحضراً لأنوار النبي ﷺ وعظمته في قلبه ، وأنه السبب الأعظم في وصول كل خير ، والواسطة العظمى والنور الأعظم ، ولا يقرأها الشخص إلا وهو متطهِّر ، فمن واظب على قراءتها بهذه الشروط في كل يوم مائة

مرة واستمر على ذلك أربعين يوماً مع الاستقامة يحصل له من الأنوار والخير ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ، ومَن واظب على قراءتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح وثلاثاً بعد المغرب يرى لها أسراراً كثيرة ، والله الموفق للصواب انتهى . راجعه ٨٤ .

ومنها صلاة جرت عادة مشائخنا بقراءتها في كل ليلة من ليالي الجمعات مع اجتماع المريدين ، وقد كان الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي والشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس الله أسرارهما يأمران المريدين بقراءتها في تلك الليالي ويأكدان بذلك .

قال في « نهج المتقين » : قال علي ﷺ : مَن صلّى على النبي ﷺ بهؤلاء الكلمات في كل يوم ثلاث مرات وفي كل جمعة مائة مرة فيقول : (صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد ، عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) فقد صلّى بصلوات جميع الخلق ، وحُشِرَ يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ يأخذ يده حتى يدخل الجنة . انتهى . ومثله في « نزهة المجالس » في ١٣٠ فراجعه . فلله در هذين الشيخين المذكورين - نوّر الله تعالى ضريحهما آمين - حيث وقعا سبباً لقراءة هذه الصلاة الفاضلة ، فقد يجتمع المريدون في ديارنا وناحيتنا في ليلة الجمعة لقراءتها وفي ذلك بركة عظيمة لا تخفى .

وفي « مطالع المسرات » في ٣٨ روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : ما من موضع يذكر النبي ﷺ ويصلّى عليه فيه إلا قامت منه رائحة تخرق السماوات السبع حتى تنتهي إلى العرش ، ويجد ريحَها كل من خلق الله تعالى في الأرض إلا الجن والإنس ، فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ، ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ، ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ، ويرفع لهم بعددهم درجات ، سواء

كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأبقى . انتهى . ومثله بل عينه في « إعانة الطالبين » فراجعه .

وقد قال لي العالم المرحوم دبر محمد القحي - نور الله تعالى مرقده وغفر ذنبه آمين - : إن شيخه الحاج العسوي سألني عن ذهابي إلى مجلس قراءة الصلاة المذكورة فقلت له : يا أستاذي ! أذهبُ إليه إلا إذا لم أتفرَّغ في اليوم لفعل وردي ، فلو ذهبت إلى ذلك المجلس لفاتت مني أورادي في تلك الليلة ، فلذا أتخلَّف عن الذهاب لهذه العلة . قال الأستاذ رحمه الله تعالى : الذهاب إلى ذلك المجلس خير ولو فات الورد . انتهى .

وكان قدس سره يأمرنا بقراءتها ويهدّدنا عن تركها ، وقلت له : يا أستاذي ! هل في قراءتها منفرداً أو جماعة فرق ؟ فقال قدس سره : نعم فإن البركة في الجماعة . انتهى .

ومنها صلاة تسمى **بجوهرة الكمال** وهي هذه : (اللهم صلّ وسلم على عين الرحمة الربانية ، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ، ونور الأكوان المتكونة الآدمي ، صاحب الحق الرباني ؛ البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرِّض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأتَ به كونك الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صلّ وسلّم على عين الحق التي تجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم ، إحاطة النور المطلسم ، اللهم صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم ، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ، صلّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه) انتهى .

قال في « رماح حزب الرحيم » قال[1] رضي الله عنه وأرضاه وعنا به : أعطاني

---

(١) يعنى أحمد التجاني قدس سره .

رسول الله ﷺ صلاة تسمى بـ« جوهرة الكمال » مَن ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال : هذه هدية مني إليك يا رسول الله ، فكأنما زاره في روضته الشريفة ، وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته . انتهى . فراجعه في ٥٢ ج٢ .

وفيه : قال ﷺ إن النبي ﷺ قال : « إن مَن لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه ﷺ يحبُّه محبة خاصة ، ولا يموت حتى يكون ولياً » . انتهى في ٥٢ .

وفيه أيضاً : قال ﷺ وأرضاه وعنّا به أن النبي ﷺ قال : « مَن قرأها سبعاً فأكثر يحضره ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها » انتهى ٥٢ ج٢ .

وفي « الرماح » أيضاً وقال الشيخ ﷺ وأرضاه وعنّا به : من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ . انتهى ٩٠ ج٢ .

وفيه : في ٢٢ ج١ ولا تقرأ « جوهرة الكمال » إلا بالطهارة المائية من الحدث والخبث ، وطهارة الثوب والمكان ، ويكون بها جالساً ، فإن فقد شرط من هذه الشروط فإنها لا تقرأ في الوظيفة ، وتقرأ صلاة الفاتح لما أغلق بدلها عشرين مرة . انتهى .

فائدة : ذكرها صاحب كتاب « الرماح » قال : وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ! فمن بعض فضائله **أن مَن داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت .**

وقد أخبرني محمد الغالي ﷺ وأنا معه في المدينة المنورة – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – أن الشيخ ﷺ وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول : إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً . انتهى .

قلت قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة انتهى . فراجعه في ١٠٥ من هامش « جواهر المعاني » ج٢ .

أيها الولد المحبوب المرجوّ لحوز السلامة والفوز بالهداية إني قد جمعت لك في هذا الكتاب عدة منافع ، فأرجوك أن تعض عليها نواجذك ، وأن تتخذها وظيفة لك ووِرداً ، فعساك تفوز بالمقامات ، وتصل إلى أعلى الدرجات ، ببركة الصلاة على النبي عليه أسنى التحيات وأزكى التسليمات ، وإياك يا ولدي والتفرط في الصلاة على النبي ﷺ ! وإياك ثم إياك وتركها بالكلية ! فإن الصلاة عليه ﷺ عظيمة النفع جليلة القدر . وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم ومَن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل فيه .

يا ولدي أوصيك بالملازمة عليها فعساك تجتمع به ﷺ يقظة أو مناماً .

وقد رأيت في كتاب « الرماح » في ٢٠١ ج١ ما حاصله : أن مَن أكثر الصلاة على النبي ﷺ يجتمع به عليه الصلاة و السلام يقظة ، وأن الأولياء يرونه ﷺ يقظة ، وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ، وأنه يتصرَّف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت ، وأنه بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مُغَيب عن الأبصار كما غُيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله تعالى أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها . انتهى ملخصاً ، رزقنا الله الاستعداد لرؤيته واجتماعه ولا حرمنا من بركته وشفاعته آمين يا مجيب .

الترغيب الرابع

في بيان فضيلة الذكر مطلقاً

اعلم يا ولدي أن الذكر مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، وهو العمدة في الطريق ومعول أهل التحقيق ، وماهيّته : هو التخلص عن الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق . وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان ، وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو استدلال على شيء من ذلك ، أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه ، أو مَن انتسب إليه أو تقرَّب إليه ، وسبب[1] من الأسباب أو فعل من الأفعال ، بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية ، فالمتكلِّم ذاكر ، والمدرس ذاكر ، والمفتي ذاكر ، والواعظ ذاكر ، والمتفكِّر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسَمواته ذاكر ، والممتثل بما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه ذاكر . هكذا ذكره ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » .

وقد قال الإمام الرباني : الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيّ وجه تيسَّر ، لا أن الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات ، أو على تكرار اسم الذات ، فكل ما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كله داخل في الذكر ، ولكن الّذي يقع باسم المذكور وصفته سريع التأثير ومورث لمحبة المذكور ، وقريب الإيصال ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعاة الحدود الشرعية ، فإن مراعاة الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسَّرة بدون محبة تامة لناصب الشرع ، وهذه المحبة التامة مربوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ؛ فلا بد أولاً من ذلك الذكر حتى يحصل بسببه هذا الذكر الذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى . « الدرر المكنونات » ٨٠ ج١ .

وفيه أيضاً في ٣٨ ج٣ : أنه **لا بدَّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من**

---

(١) وفي نسخة : أو سبب .

الذكر فإن ترقيه مربوط بتكرار الذكر بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمَّل . انتهى .

قال ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » : الذكر نار لا تبقي ولا تذر ، فإذا دخل بيتاً يقول أنا لا غيري ، وهو من معاني لا إله إلا الله ، فإن وجد فيه حطباً أحرقه فصار ناراً ، وإن كان فيه ظلمة كان نوراً فنوَّره ، وإن كان فيه نور صار نوراً على نور . والذكر مذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الإسراف في الأكل ومن تناول اللقم الحرام ، وأما الحاصلة من الحلال فلا يَدَ له عليها ، فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكراً كأنه ينفخ في البوق .

وأولاً يقع الذكر في دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكؤوس ، **والذكر سلطان** إذا نزل موضعاً نزل ببوقاته وكؤوساته ، لأن الذكر ضد ما سوى الحق ، فإذا وقع في موضع اشتغل بنفي الضد ، كما تجده من اجتماع الماء والنار . انتهى ما هو المقصود ، فراجعه من أوله[١] .

وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الرابع والعشرين في فضل الذكر مطلقاً وفوائده ، والحثّ عليه والترغيب فيه من غير تعرُّض للاجتماع له والجهر به وغيره : فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق :

اعلم أن الذكر أشرف العبادات ؛ لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى .

وفي « لواقح الأنوار في الأدعية والأذكار » لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني رضي الله عنه أنهم - يعني أهل الجنة - مداومون على الذكر فيها ،

---

(١) أي : من أوّل « مفتاح الفلاح » .

لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى فإنه لا ينقضي ، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة . جعلنا الله تعالى من الذاكرين الفائزين الفرحين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال بعد كلام كثير : وقد روي أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النَّفَس ؛ يقولون سبحان الله والحمد لله متلذِّذين لا متعبدين ، كما يتلذَّذ من به داء العطش بالماء البارد .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في « أسرار التنزيل » :

اعلم أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة ، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عن المؤمن ، وكيف يمكن زوالهما عنه والقرآن يدلّ على أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد ؟ ! وإنما قلنا مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن المؤمنين في الجنة : ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ** ﴾ ، ﴿ **وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ** ﴾ ، وقال ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ** ﴾ الآية ، ﴿ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ** ﴾ فثبت أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر ، فعلمنا من هذا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ** ﴾ إنها علامة بين أهل الجنة وبين خدمهم في الطعام ، فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم ، فيحضرون لهم في الوقت ما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل ، على كل مائدة ألوان من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً ، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى ، قال : فذلك قوله تعالى ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ انتهى .

وإذا تقرر هذا **فاعلم** أن الذكر سبب السعادة في الدنيا والآخرة ، ومطردة الشيطان ويرضي الرب ، ويجلب الرزق وييسره ، ويكسو الذاكر مهابة ، ويورث محبة الله تعالى ومراقبته ويورث الإنابة والقرب من الرب ، ويفتح باب المغفرة ، ويورث العبد إجلالاً لربه ويورث ذكر الله تعالى للعبد ، وبه تحيا القلوب كما يحيا الزرع بالمطر ، وهو قوت الأرواح وجلاء القلب من الصدأ ، ويورث النور في الفكر ويَحُط الذنوب ويزيل الوحشة بين العبد والرب ، وما يذكره[1] العبد والرب وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتحميد يذكرن بصاحبهن حول العرش ، والعبادات كلها تزول عن العبد في الحشر والجنة إلا ذكر الله تعالى ، والتوحيد والحمد والذكر تقرب إلى الله تعالى ، وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه ، وحفوف الملائكة به ونزولها لديه ، وغشيان الرحمة ، وهو للإنسان شاغل عن الغيبة والكذب وكل باطل ، والذاكر لا يشقى به جليسه ، ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة ، والذكر مع البكاء سبب لنيل ظل العرش الظليل[2] ، ومن شغله ذكر الله تعالى عن المسألة أعطي أفضل ما يعطى السائلون ، وهو غراس الجنان وسبب العتق من النيران والأمان من النسيان ، وهو نور للعبد في دنياه وقبره ونشره ومنشور الولاية ، وهو يُرقي العبد إذا رسخ في القلب ، ويجمع على الذاكر قلبه ويُقرِّبُ من قلبه الآخرة ويبعد عنه الدنيا ، ويستعدُّ لما هو آت ويثمر المعرفة والولاية والتوفيق والحماية ، ويعدل عتق الرقاب والجهاد والقتل في سبيل الله وإنفاق الورق والذهب ، وهو رأس الشكر ويدخل الجنة ويُذهب من القلب القساوة ، والذكر شفاء القلوب ، وهو أصل موالاة الله

---

(١) هكذا في نسخة الكتاب الذى بيدنا وأما عبارة « مفتاح الفلاح » : ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الربّ وبين العبد الغافل وما يذكره العبد من نحو تسبيح إلى آخره ، فتدبّره ولعل الجملة وقع فيها التكرار (منه) .

(٢) وظل ظليل ومكان ظليل أي : دائم الظل . « مختار » .

تعالى ، والغفلة أصل معاداته ، وهو رافع للنقم وجالب للنعم ، وموجب لصلاة الله تعالى وملائكته عليك ، ومجلس الذكر رياض الجنة ويباهي الله تعالى ملائكته بالذاكرين في السماء ، وهو ينوب عن سائر الأعمال ويقوي الجوارح ويفتح مغلق الأبواب ، وهو أمن ونجاة وسيف ، وهو سبب لتصديق الرب لعبده ، والذكر سدّ بين العبد وبين النار ، ونار لا تبقي الأجزاء النابتة من الفضول والحرام ، ويثبت الأنوار في القلوب ، والملائكة يستغفرون للعبد إذا لزمه ، والبقاع والجبال تتباهى به إذا مرّ بها ، وهو شيمة المؤمن ، وله لذَّة أجلُّ من لذة المطعومات والمشروبات ، ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نوراً ونضرة ، وفي الآخرة يكون وجهه أشد بياضاً من القمر وهو يرفع إلى أعلى الدرجات ، والذاكر حيّ وإن مات ، والغافل ميت وإن كان حياً ! ويورث الريّ من العطش عند الموت قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وقال ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ وقال ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ وقال ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ . إلى قوله ﴿ وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

روى البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى . قال : « ذكر الله » .

وروى ابن حبّان والإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً : « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « إن الله عز وجل قال : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه » انتهى ١٦٣ ج١ .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى ؛ لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكره . وقد اختلى مريد سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت لها كرامة ، فذكر ذلك لشيخه ! فقال : أتريد كرامة أعظم من مجالسة الله تعالى ؟ ! ثم قال : ما رأيت أكثر حجاباً منك ، لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بِها ! ! انتهى .

وقال القشيري : الذكر ركن قوي في طريق الحق ، بل هو العمدة في ذلك ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في حال سلوكه .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ، ومن سلب الذكر عزل ، **وذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين** يقاتلون به أعداءهم[١] ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وإن البلاء إذا أضل العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد[٢] عنه في الحال كل ما يكرهه .

وقال ذو النون المصري : من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنبه كل شيء ، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : أليس الله تعالى يقول : « أنا جليس مَن ذكرني » ما استفدتم من مجالسة الحق ؟ !

ومن **خصائص الذكر** : أنه غير موقت ، بل ما من وقت من الأوقات

(١) من النفس والشيطان والهوى . « البروج المشيدة » .

(٢) أي : يتنحى ويبعد ، راجع « المصباح » .

إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى فيه إما فرضاً وإما نفلاً ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فلا تجوز في بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ .

ومن **خصائص الذكر** : أنه جعل في مقابلته الذكر ، قال الله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ .

ونقل القشيري : أن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه .

وروى السهروردي أن النبي ﷺ قال حاكياً عن ربه « إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همَّه ولذَّته في ذكري فإذا جعلت همَّه ولذَّته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه ؛ لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال الأبدال حقاً ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرفته عنهم » . انتهى « رماح » ١٦٤ وفيه : ١٦٥ .

وقال أبو سليمان الداراني : إن في الجنة قيعاناً[١] فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار ، فربما يقف بعض الملائكة فيقال له : لم وقفت ؟ فيقول : فتر صاحبي .

وقال الحكيم الترمذي : ذكر الله يرطب القلب ويلينه ، فإذا خلا عن القلب أصابته حزازة النفس ونار الشهوات فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة انتهى .

أيها الولد المرجو هداك الله تعالى إلى سبيل التقوى وجنَّبَك عن متابعة الهوى إني اكتفيت في بيان فضائل الذكر بهذا القدر فأرجوك أن تلازمه بقدر الطاقة ، ولا سيما في الغدوّ والآصال ؛ لكن لا تظن أن المواظبة

---

(١) القاع : المستوى من الأرض ، والجمع أقوع وأقواع وقيعان « مختار » .

على الذكر صباحاً ومساءً مع الغفلة في طول الليل والنهار يحصل لك بها التراقى ، وتدبَّر فيما قاله مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما نصَّه : وقد يقنع بعض المريدين بمجلس الذكر صباحاً ومساء مع الغفلة عن الله تعالى فيما بينهما ، ويحتجُّ بحديث « إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له ما بينهما » إذ المغفرة لا ترقي فيها ونهايتها أن تُلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب ، لا أنه تُلحقه بمن يفعل الطاعات . فافهم . انتهى ١٦٦ ج١ .

واعلم يا ولدي إن إلحاق المذنب بمن لا يذنب دولة عظمى ؛ وإن كان الترقي إلى المقامات درجة أسمى ، فينبغي للعاقل أن يشتغل في هذين الوقتين بالخيرات ، ويشتغل فيهما بشيء من مكفرات الذنوب فعساه تصل إليه رشحة من البركات ؛

منها ما في « رماح حزب الرحيم » بِما لفظه : وأخرج ابن منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل بحراً من نور حوله ملائكة من نور على خيل من نور ؛ بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر : **سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح** . فمن قالها في يوم مرة أو في شهر مرة ، أو في سنة مرة ، أو في عمره مرة ، غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ، ومثل رمل عالج[١] ، أو فرَّ من الزحف » . انتهى في ١٦٥ ج٢ .

ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر الحشر ، فإن صاحبها

(١) عالج جبال متواصلة أعلاها بالدهناء ، والدهناء بقرب اليمامة وأسفلها بنجد ويتسع اتساعاً كثيراً . « مصباح » .

يغفر له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر .

وكذا من مكفرات الذنوب : الصلاةُ عليه ﷺ ثمانين مرة ليلة الجمعة ويومها بعد العصر ، فإن الثمانين التي في الليل تكفر ذنوب أربع مائة سنة ، وإن التي في النهار بعد العصر تكفر ذنوب ثمانين سنة . ومن مكفرات الذنوب : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ملء ماعلم ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم ، فإن المرة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى كذا في « الرماح » ٢٦٤ ج٢ .

وفيه في موضع آخر : وأما فضل (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) إلخ . فمن ذكره مرة واحدة يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ، ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار ، وينظر الله تعالى إليه ، ومَن نظر الله إليه لم يعذّبه ومحا عنه ذنوبه ، ويكون له غرساً في الجنة أيضاً ، وزوَّجه الله من الحور العين . انتهى فراجعه في ١٠٠ ج٢ .

تنبيه : اعلم أيها الولد قد وجدنا كثيراً من المريدين يتركون الأذكار الواردة خلف الصلوات المكتوبة معلّلين بما رأوه في الكتب من أن وظيفة المريد أن يواظب بما أمره به شيخه من الذكر لا اشتغال النوافل ، لكن والدك الحقير - سامحه الله من فرطاته آمين - يرى الخير في المواظبة على هذه الأذكار الواردة في دبر الصلوات لما فيها من الفضائل والمنافع ، ولو كان المريد لا يعطل أوقاته عن الأذكار الملقَّنة له إلا في وقت الاشتغال بهذه الدعوات والأذكار لارتقى إلى المقامات العلية ، لكنه يكون في أوقات كثيرة في الغفلات مشتغلاً بما لا يعنيه من الأقوال والأفعال الغير المرضيات ، فتفويت فضيلة الاتِّباع بدليل أنه مشتغل بالذكر الذي أمر به شيخه مع كونه في أودية الغفلة في أكثر الأوقات من علامة القصور والفتور والتعطيل ، ولذلك أوصي الولد بأن يواظب على هذه الأذكار

الواردة من سيّد الثقلين عليه الصلاة والسلام ولو بأقل ما ورد لئلا يبقى محروماً من فضائلها .

من ذلك ما ذكره الإمام العلامة السيد علوي بن أحمد السقاف شيخ السادات بمكة المكرمة في « الباقيات الصالحات والدروع السابقات » بما **نصه هذا** :

النوع الأول في جملة صالحة من أذكار المكتوبات وأدعيتها : **يُسَنُ الذكر والدعاء سراً عقبها بحيث لا يفحش الطول بينهما** ، بل بحيث ينسبان إليها عرفاً ، **ولا يضر الفصل بالراتبة** لكن الأفضل[1] لغير الحنفي تقديم الوارد منها على رواتب الفرائض البعدية إن كانت ، واتصال الذكر بسلام الفرائض ؛ وبتأخيرها عن ذلك يفوته كمال الفضيلة أما أصلها فلا يفوت ما دام الوقت ، وأما الحنفي ! ! فالأفضل في حقه تأخير الذكر عن راتبة إن كانت ، ويقتصر قبلها على نحو مقدار (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) وإذا صلى جمعاً أَخَّرَ ذِكْر الأولى إلى فراغ الثانية ، والأكمل أن يأتي لكل منهما بذكر **ويحصل أصل السنة ولو بغير مأثور ولكنه بالمأثور أفضل** فيقدم منه ما معناه أَجَلّ ، ثم الأصح ، ثم الأكثر رواية ، فإذا سَلَّم مسح جبهته بيده اليمنى وقال : أستغفر الله ثلاثاً . ثم : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً ، ويمسح بيمينه على رأسه ويقول : باسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، اللهم أذهب عني الهم والحزن ، ثم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم لا إله إلا الله وحده إلى قدير - من غير يحيي ويميت - اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله

---

(١) راجع « العود الوثيقة » (منه رحم الله إفلاسه) .

إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، ثم آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين ، ويسبِّح ويحمد ويكبر عشراً عشراً ؛ وهو الأقل ، **والأكمل ثلاثة وثلاثين في كلٍّ وتمام المائة : لا إله إلا الله** إلى **قدير - بلا يحي ويميت - والأحسن كون التكبير أربعاً وثلاثين** ، ثم ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن له حق علي (خمساً)[1] ، ويزيد بعد الصبح : اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل ، اللهم إني أسألك علماً نافعاً وعملاً مقبولاً ورزقاً طيباً ، **وبعده وبعد المغرب** : اللهم أجرني من النار (سبعاً) . **وبعدهما وبعد العصر بل بعد جميع المكتوبات** - كما في « الجامع الصغير » وأقرّه المناوي قبل أن يثني رجليه ؛ بأن يبقى على هيئته في الصلاة وقبل أن يتكلم بغير ذكر ودعاء وقرآن : لا إله إلا الله إلى قدير بزيادة يحيي ويميت (عشراً) ، **ويفوت ذلك وغيره من المشروط بما ذكر بالقيام** ؛ ولو لصلاة[2] جنازة . كذا في « بشرى الكريم » . وفي « بشرى الأعلام » لشيخنا الأهدل

(١) أي : لِما في خلاصة التحصين للإمام الفاكهي : إنه ورد في ذلك أحاديث . انتهى (منه) .

* لأن الاتّباع أي : اتّباع رسول الله ﷺ يربو ويكثر ثوابه عن ثواب الكثرة والمشقة كما في ابن حجر من صلاة النفل . « فتاوى » . وعبارة ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » ، لأن في زيادة الاتباع ما يربو على زيادة العمل كما صرحوا به . ومن ثم قال ابن عبد السلام قد يكون قليل العمل البدني وخفيفه أكثر من كثيره وثقيله ، كتفضيل القصر على الإتمام ، وصلاة الصبح على سائر الصلوات عند من يراها الوسطى ولو كان الثواب على قدر النصب لما كان الأمر كذلك ، ولما فضلت ركعة الوتر على ركعتي الفجر . انتهى (منه) .

(٢) ورأيت في « بغية المسترشدين » ما نصّه هذا : ولا تفوت سنة المسبعات والأذكار المأثورة عقب صلاة الجمعة بكلام أو انتقال ، نعم يفوت ثوابها المخصوص ولو بجعل يمينه للقوم ، كما نقله الكردي عن ابن حجر ، وقال : وقال بعضهم : لا يفوت الثواب بل كماله . انتهى « فتاوى سودان » انتهى فراجعه في ٧٧ . والسلام على من اتبع الهدى (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

نقلاً عن المناوي : عدم الفوات بها .

ولو زاد في المشروع على قدر الوارد ! فإن كان لنحو شك عُذِرَ ، وإلا فلا يحصل الثواب المترتب عليه . وقال كثيرون يحصل ثواب المشروع وثواب الزيادة .

ثم يدعو الله تعالى بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، وبمأثوره أولى وهو ما أورده العامري في « بهجته » قال : كان عليه الصلاة والسلام يقول دبر المكتوبات : « اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم أذهب عني الهمَّ والحزن ، اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها ، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنّه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت ، اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . انتهى . وذكر مثله ؛ بل عينه في « ترشيح المستفيدين » بعينه .

ومما ينبغي أن يذكر هنا ما ذكره العلامة[1] السيد محمد ابن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بالمرتضى قدس سره في « إتحاف السادة المتقين » شرح « الإحياء » بما لفظه :

تنبيه : قال شمس الأئمة الحلواني من أصحابنا : لا بأس بقراءة الأوراد بين الفريضة والسنة . قال ابن الهمام في معنى هذا الكلام : وإنما قال : لا بأس لأن المشهور من هذه العبارة استعمالها فيما يكون خلافهُ

---

(١) فذلك العلامة من الحنفية .

أولى منه ، فكان معناها أن الأولى أن لا يقرأ الأوراد قبل السنة ، فلو فعل لا بأس به فلا تسقط بقراءته ذلك ، حتى إذا صلاها بعد الأوراد تقع سنة مؤدَّاة لا على وجه السنة . انتهى .

وقال في « الاختيار شرح المختار » : كل صلاة بعدها سنّة يكره القعود بعدها والدعاء ، بل يشتغل بالسنة ، وأورد حديث عائشة السابق ذكره[1] ثم قال : أي فيندب الفصل بهذا لهذا . انتهى . قال ابن الهمام : فمن ادَّعى فصلاً أكثر مما ذكر في حديث عائشة فلينقله ، ولا يقتضي الأكثر ما ورد من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلخ . والحديث الوارد في الأمر لفقراء المهاجرين بالتسبيح وأخواته دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين إلى غير ذلك ، لأنه لا يقتضي وصل هذه الأذكار بالفرض ، بل كونها عقب السنة من غير اشتغال بما ليس من توابع الصلاة ، فصحَّ كونها دبرها . ثم قال ابن الهمام **والحاصل** : أنه لم يثبت عنه عليه الصلاة و السلام الفصل بالأذكار التي يواظَب عليها في المساجد في عصرنا من قراءة آية الكرسي والتسبيح وأخواته ثلاثاً وثلاثين وغيرها ، بل ندب هو إليها ، والقدر المتحقق أن كلاًّ من السنن والأوراد له نسبة إلى الفرائض بالتبعيّة ، والذي ثبت عنه وهو ما روته عائشة عند مسلم والترمذي وتقدّم ذكره قال : فهو نص صريح في المراد ، وما يتخايل منه أنه يخالفه ! لم يقوَ قوَّته فوجب اتِّباع هذا النص .

واعلم أن المذكور في حديث عائشة هذا لا يستلزم سنية هذا اللفظ بعينه دبر كل صلاة إذ لم تقل (حتى يقول) ! و(إلا أن يقول) ، فيجوز كونه ﷺ كان مرة يقوله ومرة يقول غيره من قوله : لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلخ . . ومقتضى العبارة حينئذٍ أن السنة أن يفصل بين الفرض والسنة

(١) وهو أنّه ﷺ لم يكن يقعد إلاّ مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، راجعه .

بذكر قدر ذلك ؛ وذلك تقريباً ، فقد يزيد قليلاً وقد ينقص قليلاً وقد يدرج وقد يترسَّل ، فأما ما يزيد مثل آية الكرسي وعدد التسبيحات فينبغي استنان تأخيرها عن السنة البتة ، على أن ثبوت مواظبته ﷺ لا أعلمه ، بل الثابت عنه ندبه إلى ذلك ، ولا يلزم من ندبه إلى شيء مواظبته عليه ، وإلا لم يفرق حينئذ بين السنة والمندوب ! !

وعندي قول الحلواني حكم آخر لا يعارض القولين يفيد عدم سقوط السنة بقراءة الأوراد بين الفرض والسنة فقط . انتهى .

تنبيه آخر : قال نجيم من علمائنا في « البحر » : **إذا تكلم بكلام كثير أو أكل أو شرب بين الفرض والسنة نقص ثواب السنة ولا تبطل هو الأصح** ، ولذا لو أخَّر السنة بعد الفرض ثم أداها في آخر الوقت لا تكون سنة ، وقيل : تكون سنة والأفضل في السنن أداؤها في المنزل إلا التراويح ، وقيل : إن الفضيلة لا تختص بوجه دون وجه وهو الأصح ، ولكن كلما كان أبعد من الرياء وأجمع للخشوع والإخلاص هو الأفضل . كذا في « النهاية » انتهى كلام صاحب « الإتحاف » فراجعه في ٢٠٩ من الجزء الثالث وقال صاحب « ترشيح المستفيدين » بعد ذكره ما ورد من الأذكار في دبر الصلوات المكتوبات :

واعلم أن كل محل طلب فيه ذكر بخصوصه فالاشتغال به أولى من غيره ولو من قرآن أو مأثور آخر ، كما في « ق ل » على المحلي ، فاشتغال أقوام بأحزاب ونحوها بعد المكتوبات عن واردها جهل بفضائل الاتِّباع وأسرار التوقيفات النبوية ﴿ **وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ انتهى ٧٤ .

قال صاحب « فتح المعين » : وقال الشافعي في « الأم » : **أختار للإمام والمأموم أن يذكرا الله تعالى بعد السلام من الصلاة ويخفيا**

الذكر إلا أن يكون إماماً يريد أن يُتعلَّم منه فيجهر ؛ حتى يرى أنه قد تُعلِّم منه ، ثم يُسِرّ فإن الله تعالى يقول ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني والله أعلم[1] الدعاء ولا تجهر حتى تسمع غيرك ولا تخافت حتى لا تسمع نفسك . انتهى .

فائدة : قال شيخنا : **أما المبالغة في الجهر بهما في المساجد بحيث يحصل تشويش على مصلٍّ فينبغي حرمتها** . انتهى . راجعه في ٧٤ من هامش « الترشيح » .

ومن الفوائد الجليلة ما في حديث ابن عباس رضي الله عنه عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام : إن ربك يقول : مَن قال دُبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نَفَس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض و كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ إلى ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلى فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك . انتهى . كذا نقله صاحب « ذخيرة المعاد » فراجعه في ٨٦ من هامش « عقد اليواقيت » من الجزء الأول . ومثله بل عينه في « تنوير الصدر » .

ثم قال صاحب « الذخيرة » : وقد وقع السؤال عن قوله (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس) . . . إلى آخره ما المراد منه ؟ فأجبت أن المراد تكثير المضاعفة والتحصين بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذر حصرها ، ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر

---

(١) أي : أن المراد من الصلاة الدعاء إلخ .

لها تقدير في الزمن ، فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ وما فيها من الثواب من كل ما ورد واختصت به مما علم وما لم يعلم يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن ، لتشتمل الإحاطة والتحصُّن والحفظ والثواب العظيم ، فيكون ذلك معدوداً ومعدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات . انتهى ٨٦ .

ومنها ما في الحديث الصحيح : « خصلتان لا يحافظ عليهما عبد إلا دخل الجنة ، ألا وهما يسيرٌ ، ومَن يعمل بهما قليلٌ يسبح الله تعالى في دبر كل صلاة عشراً ويحمده عشراً ويكبره عشراً وذلك خمسون ومائة[1] باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان ، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا دخل مضجعه ، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان ، فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة ؟ » حم خد عن أبى عمر . كذا ذكره جلال الدين السيوطي في « الجامع الصغير » وراجع « السراج المنير » في ٢٢٩ من الجزء الثاني .

وأما فضل (لا إله إلا الله وحده) إلخ . . فقد روى الترمذي – واللفظ له وقال حسن صحيح – مرفوعاً : « مَن قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات) كتب الله له عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم يتبع بذنب يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى » وزاد فيه النسائي : بيده الخير . وزاد في رواية أخرى : وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة . وزاد في رواية أخرى له « ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر أُعطيَ مثل

---

(١) أي : في كل يوم بمجموع الصلوات الخمس .

ذلك في ليلته » . كذا ذكره الشعراني في « لواقح الأنوار » فراجعه في ٩٧ من هامش المنن ج١ .

وفيه أيضاً : وروى النسائي والترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير على أثر المغرب بعث الله تعالى له ملائكة مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح وكتب له بها عشر حسنات موجبات ، ومحى عنه عشر سيئات موبقات وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات » . انتهى .

فأرجوك يا ولدي أن تسعى بجهدك في حوز هذه الفضائل ، وإياك ثم إياك والغفلة بالكلية فإنها من أعظم الذنوب عند أهل الله ، فإن كنت في شكّ من ذلك فتدبر فيما أتلو عليك من المثال لعلك تصدِّق قولي : فلو فرضنا ملكاً له جمال باهر وسمت حسن وعلم وعقل وغنى ومال ، وقد عشقت عليه النساء كلهن ، ويذكرنه آناء الليل والنهار لا يفترن عن ذكره بألسنتهنَّ وعن فكره بقلوبهن ، ومع ذلك لو كانت له زوجة تغفل عنه ولا تذكره بل تنظر إلى كل من رأته من الشبان وتعشقهم ، ألا يكون سعي تلك الزوجة جريمة عظيمة عند الملك ؟ بلى والله و تصير مستحقة للطرد والقتل . وهكذا إن الله تعالى غيور لا يحب أن يَرى في قلب عبده غيره وقد قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ . الآية فإذا كان كل شيء حتى الجمادات تذكر الله تعالى دائماً مع عدم كونِها مكلّفة بالعبادة والطاعة بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وكان عبده الذي أمره بذكره وعدم غفلته عنه بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في غفلة عنه تعالى .

فقد استحق أن يعدَّه من جملة المذنبين ، وقد كان والدك الحقير - غَفر الله له آمين - في تحيُّر لا يدرك حقيقة كون الغفلة من الذنوب مع كون الإنسان لا يخلو منها بطبعه ، بيد أنه قد كشف الله تعالى له بفضله وكرمه في حالة كونه في سلطان الذكر وحصل له الشهود بالذوق بأن جميع الأشياء تذكر الله وتسبّحه بحمده وكان وقتئذ يسمع أصوات أذكار الجمادات كصوت النهر الجاري وكأصوات النحول في الهواء فعلم بعد ذلك أن كون الغفلة من أعظم الذنوب هو عند أهل الكشف والشهود ، وإن كان أهل الفتور لا يعرفون ما هنالك ! فصغائر الأبرار كبائر المقربين . فتيقّظ يا ولدي من سِنَة الغفلة . **واعلم** أن جميع العبادات إنما شرعت ؛ لتحصيل وجهة القلب إلى الله وحضوره معه تعالى .

وقد قال شيخنا سيف الله قدس سره ما معناه : أنه لا يساويه الدنيا[1] والآخرة . انتهى . يعني أن أجر الحضور والذكر القلبي أعلى وأرفع مما في الدارين ، ألا وهو المشاهدة والوصول عند مليك مقتدر . أذاقنا الله تعالى وجميع أحبابنا حلاوة هذه المشاهدة والمواصلة آمين .

ولأجل ما ذكر **أوصيك يا ولدي** بالاشتغال على ما يجلب به الحضور وقت الذكر ، فإن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر ، والحضور لا يمكن إلا بمعرفة معاني الأذكار ؛ وهو[2] روح[3] الأعمال ، فاحتياج الذاكر إلى معرفة معاني ما يذكر إذاً أمر ضروري لا محالة ،

---

(١) ونقل قدس سره أيضاً في « كنز المعارف » عن « الرسالة المدنية » بأن ذكر القلب لا يعدل عليه شيء ، انتهى فراجعه .

(٢) أي لو خلت جميع الأعمال والعبادات عن الحضور فهي كصورة بلا روح ، فافهم (منه) .

(٣) وسيأتى بعيد الخاتمة ما ينبغى مراجعته .

راجع « رماح » في ١٠٧ ج٢ . والفيوضات الربانية غير منقطعة في ليل أو نهار ، والمانع من إحساسها ووصولها هو الغفلة وعدم التوجُّه إلى نقطة القلب ، ومن المعلوم أن المطر ؛ وإن كان ينزل دائماً لا يصل منه ولو قطرة إلى من وقف تحت السقوف ، وكذا الشمس وإن كان نورها منتشراً في أقطار الأرض لا يصل إلى دار ليس فيه كوة ، وكذلك لا يصل الفيض إلى قلب قد طبق عليه سقف الغفلة ، **فإن للقلب بابيْن باب من جهة الفوق يفتح إذا توجَّه إليه بالحضور ويصل إليه الفيض والنور والبركة** ، وباب من جهته السفلى ينفتح بالغفلة ويجد الشيطان إليه حينئذ سبيلاً . **فافهم يا ولدي** وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وأيضاً إن القلب كبلدة بين عسكرين متحاربين ؛ عسكر الملائكة وعسكر الشياطين ، فمتى غفل السالك يظلم القلب فيتبادر إليه عسكر الشياطين فيفتحونه ويجعلونه مسكناً لهم ومعششاً ، وإذا حضر يحصل للقلب نور فيتبادر إليه الملائكة فيفتحونه وحينئذ يصير القلب محلاً لنزول الفيوضات ومهبطاً لوصول الأسرار والبركات ، فلذلك يجب عليك يا ولدي ملازمتك على الوقوف القلبي ليحترز قلبك من نزول الشياطين ، فهذا هو الجهاد الأكبر ، الذي لا آخر له إلا الموت . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا وجعلنا من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان . آمين .

الترغيب الخامس

في بيان فضيلة لفظة الجلالة الله

اعلم يا ولدي - جعل الله تعالى مسماك مطابقاً باسمك آمين - أن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن قدس سره كان يأمرنا بتكثير لفظة الجلالة وتكريره بالقلب لا باللسان في كل وقت وفي كل حال ، فامتثالاً بأمره كنا نجتهد في المداومة على الحضور ، وطرد الغفلة والفتور ، قياماً وقعوداً وعلى الجنوب كما قال الله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ . . . الآية وقد فُسِّرت أي : على كل حال ، **وقد رأيت في مريديه من زالت من إصبعه السبابة قطعة من الظفر والجلد على قدر حبة السبحة**(١) ، ورأيت بعضهم قد تورَّم إصبعه بكثرة طرح حبات السبحة وتكرار حركة الإصبع ، وقد حصل لهم الحضور(٢) بحيث لا يشغلهم الخلق عن الحق والحق عن الخلق ؛ فصاروا بذلك عرشيين فرشيين كائنين بائنين ، وهكذا يجب على السالك أن يلازم الذكر حتى يصير ذا حضور بحيث لا يغفل عن الله تعالى إلا في أوقات نادرة ، فكن أنت يا ولدي من أهل هذا المقام الرفيع الشأن العظيم البرهان الذي ليس فوقه كرامة أعظم منه ، ولا أعزّ ولا أرفع منه .

وقد قال واحد من الأكابر - حين قيل له : ما الكمال عندك ؟ - : أن تكون مع الحق في الباطن مع كونك مع الخلق في الظاهر . أو ما هذا معناه ، وقد قيل : للإمام النقشبندي : ماذا طريقك ؟ فقال : الخلوة في الجلوة .

فإذا فهمت هذا ينبغي لك أن تدوم على تكرار لفظة الله الله الله(٣)

---

(١) جُمَلْ (هامش الأصل) .

(٢) بسبب دوامهم على الذكر (منه) .

(٣) وسئل عن قول القائل في مجلس الذكر الله الله في حال صحوه من استغراق هل=

بالقلب حتى في الخلاء ووقت الجماع ، **فليس في الأذكار أعظم نفعاً في جلب الحضور وطرد الغفلة من ذكر الاسم الله** ؛ لأنه لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم كما بيّنه الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » وقد فُسِّرَ لقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي : كرروا هذا الاسم كثيراً ، ولقوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم الله كما هو مذكور فيه ، وقد اتخذه الأكابر ورداً ؛ لأنه يصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار كما سيأتي ، وهو أول ما يلقِّنه النقشبنديون للمريد المستعد ؛ وهو عندهم بالقلب .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما معناه : إن ذكر لفظة « الله » يكون في هذا الطريق يعني النقشبندية مناسباً في الابتداء ، ثم يستعمل بعده النفي والإثبات ، عكس سائر[1] الطرق ، ورأيت في « شموس الأنوار » أنه هو الاسم الأعظم على الأصح .

وفيه : أنه هو ذكر القطب من أهل الدائرة الربانية . انتهى . وقد ذكرنا كلاماً كثيراً في حقه في « تنبيه السالكين » فراجعه في الباب الرابع عشر تجد البسط التام .

وقال الشعراني قدس سره في « لطائف المنن الكبرى » : ومما منَّ

=يسمى ذكراً أو لا وإذا قلتم بأنه لا يسمى ذكراً هل يثاب عليه أم لا فأجاب بأنه لا يسمى ذكراً عرفاً* لعدم إفادته لكنه يثاب لقصد الذكر كما أن ذا الحدث الأكبر آثم بنطقه بحرف واحد من القرآن بقصد القراءة لأنه نوى معصية وشرع فيها وإن لم يسم قارئاً « فتاوى الرملي » عبارته ٣٥٧ من هامش « الفتاوى » لابن حجر ج٤ .

* ولكن الإمام الرباني قدس سره قال : الذكر عبارة عن طرد الغفلة . والقول بأنه لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ممنوع . راجع « الحدائق الوردية » و« الرحمة هابطة » ، والسلام .

(١) كما هو مبسوط في « مكتوباته » في ٣٧ .

الله تبارك وتعالى به عليّ مواظبتي أوائل دخولي في محبة[1] طريق القوم على ذكر الله تبارك وتعالى **بلفظ الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة ؛ عدد الأنفاس الواقعة في الثلاثمائة وستين درجة** ، وكنت أذكرها تارة في مجلس واحد ، وتارة في مجالس على نية أن الله تبارك وتعالى يبسطها على جميع الأنفاس الواقعة في الليل والنهار ؛ ليكون حكمي إن شاء الله تعالى حكمَ من لم يغفل عن الله عز وجل نَفَساً واحداً ، ولم أزل على ذلك حتى استحكمَ فيَّ الحضور مع الله تبارك وتعالى في أكثر أوقاتي ، فكانت لي كالمادة يستمد الإنسان منها المراقبة لله عز وجل والحضور معه تبارك وتعالى طول عمره ، **فإن الذكر باللسان وسيلة لحضور القلب** ؛ لأنه يجلي القلب من الظلمات والأدناس والرعونات[2] المانعة من دخول حضرة الله تبارك وتعالى ، فإذا انجلى القلب كذلك صار ليلاً ونهاراً يستحضر في نفسه أنه بين يدي الله جل وعلا والله تبارك وتعالى ناظر إليه ، **فهذا هو الذكر الحقيقي الذي تصل إليه الفقراء في سلوكهم بالذكر والخلوة والرياضة ، فلا يحتاجون بعد ذلك إلى ذكر اللسان** ؛ إنما ذكرهم به تطوّع ليزيِّنوا جوارحهم الظاهرة بالذكر ، أو ليقتدوا[3] بهم المريدون ، وإلا **فَمَن كان يستحضر دائماً أن الله يراه فمن أدبه الصُمْتُ والهَمْس**[4] ، قال تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي : من شدة الهيبة والحضور مع الله تبارك وتعالى ، فعلم أن مَن لم يحصل له مادة الحضور مع الله تعالى كما ذكرنا فلا يقدر على تكليف نفسه الحضور على الدوام إنما هو تارة وتارة ، بخلاف من حصل له المادة ، فإنه لا يتكلَّف للحضور كما أنه

---

(١) وفي نسخة : في محبتي .

(٢) الرعونة الحمق والاسترخاء ، ورجل أرعن ، وامرأة رعنآء ، بيّنا الرعونه « مختار » .

(٣) وفي نسخة : وليقتدي بهم .

(٤) الهمس : الصوت الخفي ، وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم « مختار » .

لا يتكلَّف لدخول النَّفَس وخروجه .

وقد أرشدت الأخ الشيخ يوسف الطهواني إلى هذا الذكر لما طلب مني الإرشاد ، وذكر أنه حصل له أمارة **الفتح وهو رسم الجلالة بالنور في مَحل تصوره وحضوره ،** ثم انتشر من الجلالة نور تتلألأ الأفق أو أكثر من غير وجود شيء آخر معه ، هذا وهو ملاحِظ للجلالة بعين الروح مع التلاوة لها باللسان حتى يتمكَّن تمكّن الرجال وتنتفي عنه الخواطر والأكدار ؛ **إذ الجلالة مصقلة تصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار** . انتهى فراجعه في ٢٧٣ من الجزء الأول ففيه أزيد من هذا .

وحديث « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله » انتهى ، يشعر جلالة قدر هذا الاسم الأعظم ، لأنه لولا أن قدر هذا الاسم عظيماً لَمَّا حفظ الله تعالى العالم من الزوال بمن يذكر به فافهم .

ومن الفوائد أن مَن ذكره سبعين ألف مرة في موضع خال عن الأصوات لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه . انتهى كذا في « إعانة الطالبين » في : ٦ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » : ومن كتب لفظة الجلالة أي : اسم « الله » ستّاً وستين مرة على كأس نظيف ثم يسقيه شفاه الله تعالى من أي مرض كان . انتهى عبارته ٨٧ .

وفي « الحدائق الوردية » ما حاصله : أن الذكر الخفي وهو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نَفَس الاسم الأعظم الله الله فقط ، بدون ملاحظة أن الاسم الأعظم مبتدأ محذوف الخبر أو منادى بحرف نداء مقدّر أو غير ذلك ، وهو ذكر جليل له شأن عظيم في تنوير قلب السالك وطي منازل السلوك ، **وهو أفضل من الجهري بمراحل** . انتهى عبارته ٢٩٠ .

يا ولدي أوصيك بأن تلازم على هذا الذكر متى استطعت .

فكيفيته : أن تتوجه إلى القلب وأن تجري الاسم المبارك الله عليه[1] ، ولا تحرك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد إلا الإصبع الذي تجرُّ السبحة ، واقعد متوجهاً إلى القلب بالكلية ، ولا تخيل صورة القلب بالقوة المتخيلة أصلاً ، ولا تلتفت إليها قطعاً ، فإن المقصود التوجه إلى القلب لا تصور صورته ، **ولاحظ معنى اللفظ المبارك « الله » بِليس كمثله شيء** ، ولا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية . هذا ملخص ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه ، راجعه في ١٦١ ج١ .

يا ولدي إن الوقوف القلبي بمعنى الملاحظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف ، بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال حتى في الحمام ووقت القربان ، وحتى في الكنيف ، وفي الخلوة والجلوة ، **ولكن عند الناس بفتح العين ستراً للحال مع عدم خلوّ البال** ، وهذا المعنى يحصل أولاً بالتكلف من الظاهر ، وبدون هذا المعنى الذكرُ قليل الجدوى ، بل لا يوصل إلى مقصود وهو غلبة المذكور واستيلاؤه ، وهي الذكر الحقيقي والمقصود الأصلي المعبّر عنها تارة بالفناء وتارة بالعبودية كما هو مذكور في « تبصرة المرشدين » ، فإذا تحرك القلب بالذكر وصار وصفاً لازماً بحيث لا يقدر على إسكانه يلقن الشيخ بهذا الذكر « الله » على لطيفة روح المريد ، ولقد كان شيخنا العسليّ قدس سره يقول : كان الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره يقول له : اترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن تنعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث يثقل لك حملها من قلب المريد انتهى .

وسمعته رضي الله تعالي عنه يقول : **إن الذكر القلبي يكفي لأهل ديارنا الداغستانية** . انتهى . مع أن الانتساب إلى النسبة العلية يكفيه فقط .

---

(١) بأن تفكر اللفظ في القلب أي تخيل جريانه فيه (منه) .

كما في « تبصرة المرشدين » ، ولأجل ذلك نترك كثيراً من المريدين المشتغلين بالحرف والصنائع على مجرد لطيفة القلب وذلك لهم أثر عظيم ، وفي الشغل بذلك نفع جسيم ، فكيف لا وقد ورد في الحديث « **الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً** »!! انتهى .

ورأيت في شرح « تائية السلوك » ما نصه : **فرب ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب** . انتهى . فما أعظم هذه المنفعة التي هو المقصود من هذا الطريق !

وقد قال في « الرشحات » : **إن المقصود من هذا الطريق في اعتقادي كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً** . انتهى عبارته ٢٠٢ .

فائدة مهمة غفل عنها أكثر المريدين

رأيت في « الرشحات » ما نصُّه : ينبغي أن يرى العمل محبوباً دون الحضور والجمعية فإنهما من المواهب وعزيزي الوجود وليسا تحت الاختيار وفقدانهما موجب للكسل والفتور ، **بخلاف العمل فإنه من المكاسب وتحت الاختيار والمواظبة عليه موجبة للجمعية والحضور** ، فإن الفتور متطرق إلى الجمعية والحضور وذلك واقع بالخاصية . انتهى عبارته ٢٠٢ .

ولقد وجدنا كثيراً من المريدين يطلبون الأحوال ويريدون علم حركة القلب وارتعاشه وحصول الذوق واللذة في الذكر وظهور الأشياء في النظر ، لكن الإمام الرباني قال : إنه[1] **داخل في اللعب واللهو** ، **بل كلما توجد المشقة في الذكر يكون أفضل وأنفع** . انتهى . من « مكتوباته » في ١٤ ج٣ .

---

(١) أي طلب ذلك .

فينبغي للمريد أن يعلم أن علم الأحوال لا يعطى لكل أحد ، فمن المريدين من يعلم ، ومنهم من لا يعلم ، **وعدم علم الأحوال لا يضر في شيء ، بل العدم المحض أسنى الأحوال** كما قال به شيخنا سيف الله قدس سره . وقد قيل : إن طالب الأحوال ليس بطالب للحق تعالى . وقيل : مقصودك[١] معبودك .

وإذا علمت هذا فاللازم عليك يا ولدي أن تذكر الله تعالى ، لمجرد امتثال أمر الله تعالى لا طلباً للعوض ولا للغرض ، وكل شغل من أشغال الطريقة كالرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ينبغي لك أن تؤدي جميعها بملاحظة امتثال الأمر لا غير ، ففي جميعها ورد الأمر الإلهي ، قال تعالى ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[٢] وقال ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ وقال ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ إلخ . . وقال ﴿ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾ إلخ . . وقال ﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ إلخ .

واعلم يا ولدي أن ذرة واحدة مِن عبادة[٣] مَن أخلص عمله لله تعدل عبادة ألف سنة من عبادات أهل الأغراض الذين يقصدون بها الحظوظات النفسانية ، فالعاقل لا يضيِّعُ الجواهر النفيسة بجوز الأحوال الذي هو الثواب المعجل الذي ينقص به الثواب في الآخرة ، ولا ريب أنّ من علم الأحوال تلذَّذ بها ، **وكل من تلذَّذ بشيء في الدنيا ينقص الله تعالى له بقدره الثواب في العقبى**[٤] . والله ولي التوفيق .

وأما أقوال العلماء الربانيين في كون لفظة الجلالة ذكراً منفرداً

---

(١) يعنى إن كان مقصودك الأحوال فأنت عبد الأحوال ، فافهم (منه) .

(٢) هذا دليل الرابطة ، فافهم .

(٣) راجع « المنن » .

(٤) كما هو مذكور في « منهاج العابدين » (منه) .

فكثيرة ، وذكرُ الجميع عسير لكني أذكر هنا نبذة منها ، فقد قال صاحب « الرحمة الهابطة »[1] : وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وفي رواية « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله » فهذا الحديث مصرّح بأن الله الله من الأقوال التي تقال ، وأنه إذا انصرم الزمان لم يبق أحد يذكر الله بهذا القول وحينئذٍ تقوم الساعة . انتهى .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة : وعند ذلك يلقنه - أي يلقن الشيخ المريد- ذكراً من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس مثلاً ويقول : (الله الله) ، أو : (سبحان الله) أو ما يراه الشيخ من الكلمات . انتهى .

وفي حزب الإمام النووي : الله الله الله ربي لا أشرك به شيئاً ، الله الله الله ربي لا إله إلا الله . انتهى .

وفي الصلاة المشيشية : الله الله الله إن الذي فرض عليك القرآن . . إلخ والكلام على كونه اسماً مفرداً أو جملة كثيرٌ ، وقولُ بعضهم : (الذكر لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ، حتى يثاب عليه وإلا فلا) ممنوعٌ كما ذكره الخاني في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ .

وفي « الرحمة الهابطة » : وقال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه « أسرار التنزيل » : وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة (الله) فلهم فيه وجوه :

الحجة الأولى : أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب .

الحجة الثانية : أن مَن قال لا إله إلا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي

(١) راجعه في ٢٠٠ من هامش « الدرر » ج١ .

لا يجد من المهلة ما يصل منه إلى الإثبات ! وحينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات ! وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار .

الحجة الثالثة : أن المواصلة على هذه الكلمة متشعبة بتعظيم الحق ، والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار ، وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد ، فمن قال : لا إله إلا الله فهو مشتغل بغير الحق ، ومن قال : الله فهو مشتغل بالحق ، فأين أحد المقامين من الآخر ! !

الحجة الرابعة : أن نفي الشيء إنما يُحتاج إليه عند خَطَران ذلك بالبال ، وخطور شريك نقصان في الحال ، فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نكلفهم بنفي الشريك ، بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا في خيالهم إلا ذكر الله ، فلا جرم يكفيهم أن يقولوا (الله) .

الحجة الخامسة : قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ فأمره بذكره ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم ، والقول بالشريك من الأباطيل ففيه خوض في ذلك الكلام وكان الأولى الاقتصار على قولنا « الله » . انتهى راجعه في ٢٠٢ من هامش الدرر ج١ .

وقال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابه « الكبريت الأحمر » : العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الأنفاس[1] مع الله ، ويكون دخولها

---

(١) وإجماع العارفين على هذا ، وهو صحيح ومعناه ظاهر وهو مقام الكمل ، وما ذكره النووي أن الأفضل الذكر باللسان والقلب جميعاً فهو مقام دون هذا المقام كما صرحه الإمام الرملي في « فتاواه » ، فراجعه في ٣٦٢ من هامش « الفتاوى الكبرى » لابن حجر من الجزء الرابع ففيه زيادة . وهذه بشارة عظيمة للنقشبنديين فإن بدايتهم نهاية سائر الطرق . ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة والسلام « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

وخروجها بذكر الجلالة وهو قولك (الله الله) و (لا إله إلا الله) وهو الذكر الخفي الذي لا تتحرك به الشفتان . انتهى « الرحمة الهابطة » عبارته ٢٠٧ .

وفيه : أن رجلاً سأل الشبلي : لِمَ تقول (الله) ولا تقول (لا إله إلا الله) ؟ فقال : إن الصديق أعطى ماله فلم يبق معه شيء ، فتخلل الكساء بين يدي النبي ﷺ فقال له : « وما خليت لعيالك ؟ » فقال : الله . فكذلك أنا أقول الله . فقال السائل أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : أخاف أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار . فقال السائل : أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي : قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ** ﴾ فقام السائل ، فزعَق[1] زعقة ، فقال الشبلي : الله . فزعَق ثانياً . فقال الشبلي : الله . فزعق ثالثاً ومات ، فاجتمع أقارب الفتى وتعلَّقوا بالشبلي وادّعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فدخلوا عليه وادّعوا الدم ، فقال الخليفة للشبلي : ما جوابك ؟ فقال : روحُ حنَّت[2] فرنَّت[3] وسمّت[4] فصاحت ، ودعيت فسمعت ، فَعلِمَتْ فأجابت ،

---

(١) صاح صيحة « منجد » .

(٢) عطف الله قلبه « منجد » .

(٣) رفع صوته بالبكاء (منه) .

(٤) حسن الخلق (منه) .

*وأخرج البخارى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » . انتهى . وأخرج ابن ماجه عن أم هانئ قالت قال رسول الله ﷺ « لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » « خزينة » عبارته ١٨٤ .

فما ذنبي ! فصاح الخليفة : خلّوا سبيله . انتهى عبارته ٢١٠ .

يا ولدي إن أردت أن تعلم أزيد من هذا فراجع « الرحمة الهابطة » ففيه البسط الزائد ، ولم أذكره هنا خوفاً من الإطالة والسآمة ، فعليك الاشتغال بذكر هذا الاسم الأعظم الذي حصل به الفضل لـ(لا إله إلا الله) فلو قالها مكلف ولم يتمها به عمداً كفر ، وأَعْرِضْ عمن أنكر وعن الحق استكبر ، وادع لوالديك واتق الله تعالى ما استطعت ، ولازم العلم النافع ودع الناس جانباً ولا تكن من الغافلين . وفقك الله تعالى لاتباع السنة واجتناب البدعة . آمين .

ولم أذكر سائر اللطائف اكتفاءً بما في كتب النقشبنديين ، ويكفي للمشتغل بذكر اللطائف نفعاً حفظُه من زوال الإيمان كما هو مذكور في هامش « المناقب الأحمدية » . ورفع الحجب السبعين ألفاً ، بكل لطيفة عشرة آلاف حجاب ؛ كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » في ١١٦ فراجعهما .

الترغيب السادس

في بيان فضائل (لا إله إلا الله)

قال الشيخ أحمد بن زيني دحلان رحمه الله تعالى في « تقريب الأصول » في ١١٦ : وعن محمد بن علي الترمذي قال : يأتي العبد يوم القيامة فلا يجد لا إله إلا الله في الميزان فيقول : يا رب لا أجدها في ميزاني ! فيقال له : لا يسعها الميزان ولا تسعها السماوات ولا الأرض ، بدليل قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده تملأ ما بين السماء والأرض والحمد لله تملأ الميزان » فإذا امتلأ الميزان « بالحمد لله » لم يسع ما بعدها ، وما من عبد يقبض إلا شخصت له ملائكة السماوات والأرض تنظر بماذا يختم له ، فإذا قبض على الإيمان فرحوا . قال ابن عطاء الله : وكيف لا يفرحون وقد قال تعالى ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ؟ أتحسب أنك إذا قلت لا إله إلا الله تفرغ أو تنقضي آثارها ! ! كلا ، ومثال ذلك كالنجار يعمل الباب ويفرغ منه ويبقى بعد موته دهراً طويلاً فقوة الذكر ، على حسب الذاكر فإن كانت همته قوية يتوجّه ذكره إلى الله ، **ليس الشأن لمن اتَّجَر لنفسه بل الشأن لمن اتجر الله له ،** لأنه يخلق من (لا إله إلا الله) ملائكة ثم يخلق من تلك الملائكة ملائكة آخرين .

قال ابن الصباغ : أعرف من يقول (لا إله إلا الله) فتخرج منها دائرة ثم يخرج من الدائرة ملك يقول لا إله إلا الله وعنى به نفسه ، ولا عبادة أنفع من الذكر ؛ لأنه يمكن المريض والشيخ الكبير الذي لا يستطيع القيام والركوع . انتهى عبارته .

ورأيت في « جواهر المعاني » أن الحروف اللفظية يوجد منها عالم الأرواح ، معناه أن كل كلمة تلفَّظ بها خلق منها ملك يسبّح الله تعالى ، فإن تكلم بكلمة من الخير خلق منها ملك رحمة ، وإن تكلم بكلمة شر خلق

منها ملك عذاب ، وكان من جملة ملائكة العذاب ، فإن قدر الله وتاب من تلك القولة خلعت على الملك الذي خلق منها خلعة وانقلب بها مَلَك رحمة . انتهى عبارته راجعه في ١٩٩ ج١ .

مهم في تطور الأعمال على صور الملائكة

وقد ذكر الشعراني كلاماً في حق تطور الأعمال في « مننه الكبرى » وقال بعد كلام في ذلك :

وسمعته رضي الله عنه – يعني شيخه علياً الخواص – مرة أخرى يقول : لا يكمل إيمان العبد الكمال المتعارف بين القوم حتى يصير يشهد تطور كل حرف يقوله من القرآن أو غيره ملكاً على صورة حاله فى الإخلاص أو الرياء من حسن أو قبح ، ولا يخلو ذلك من موافقته لأحكام الدين الخمسة ، فإن المندوب يقارب الواجب في الحسن ، والمكروه يقارب الحرام في القبح ، فالملك الحسن الصورة يصعد مستغفراً لمن نطق به ، والملك القبيح يصعد لاعناً من نطق به .

وسمعته يقول : إذا كمل جلاء قلب العبد من الشهوات المذمومة صار يرى تطور الآيات وهي صاعدة ، حتى أن بعضهم كان يسأل الآية إذا غلط فتردُّ عليه الآية الغَلْطَة .

قال الشيخ : وقد رأيت الآية مرة تطورت في صورة أبي قردان فردت عليّ الغلطة ، فقلت له : يا سيدي القرآن كلام الله تعالى فكيف قَبِل الصورة ؟ ! فقال : الذي تطور إنَّما هو تلاوتي لا المتلو . انتهى .

ويؤيد ذلك حديث « إذا قال العبد لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أبيض فيرفرف[1] تحت العرش فيقال له : اسكن . فيقول : وعزتك لا أسكن

---

(١) رفرف : الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه « مختار » .

حتى تغفر لقائلها » انتهى عبارته في ٢٣٠ ج٢ .

وقال بعيد هذا : وأخبرني الشيخ أحمد السروي أنه رأى الملائكة بأقلام من نور يكتبون كل حرف يلفظ به المصلّون على رسول الله ﷺ في صحيفة .

وقال لي مرة أخرى : رأيت مرة كل حرف نطق به العبد يتطور ملكاً يذكر الله تعالى بذلك الذكر ، ثم يتطور كل حرف من أذكار الملك ملكاً كذلك ، ثم يتطور من أملاك الدور الثالث ملائكة وهكذا ، فلو كشف للعبد لرأى الجو مملوءاً ملائكة من تطورات أفعاله وأقواله . انتهى عبارته في ٢٣١ .

فهذه المذكورات مما ينبغي للمريد أن ينصبها بين عينيه ولا ينساها ولا يغفل عنها ، وقد كتبتها هنا لكونها من أجلِّ المسائل التي غفل عنها أكثر الناس والله ولي التوفيق .

وقال الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » .

وأما خواصها(١) : فروي أن من قالها سبعين ألف مرة فداه الله تعالى من النار .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما قال أحد (لا إله إلا الله) مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر » .

وعن الصحابة : مَن قال (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه ومدَّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر .

ومن كان يخشى شيئاً فليقل بعد صلاة الصبح أستكفي كل شر بـ« لا

---

(١) أي لا إله إلا الله

إله إلا الله » مائة مرة فإنه يكفى ما يخاف .

ومن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة انشرح صدره وانبسط فكره وتيسَّر أمره وزال همه وانجلى كربه ، ولا يقع بصر أحد إلا أحبه .

ومن كتبها في جام بعدده ومحاه بماء وشربه على الفطور أحيا الله تعالى قلبه بنور الإيمان ، وفجَّر من صدره أنوار العرفان .

ومن داوم على شربه وقاه الله تعالى شر قساوة القلب ، وشرح باطنه لقبول الحقائق الإيمانية(١) والأسرار الروحانية .

٥٤	٥٥	٥٢
٥٤	٥٥	٥٧
٥٨	٥١	٥٧

ومن كتبها على خاتمه وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه رأى ما رآه في نومه بشرط العزلة والطهارة ، وهذا وَفقه .

وفي « المعارف » : إن من قالها ألف مرة على الطهارة في صبيحة كل يوم يسَّر الله له أسباب الرزق .

ومن قالها عند منامه ألفاً باتت روحه تحت العرش .

ومن قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن .

ومن قالها عند رؤية الهلال أَمِنَ من أسقام الأجسام .

ومن قالها عند دخول مدينة أمن من فتنتها .

ومن قالها بجمع فكره وأرسلها لظالم أو لجائر قطعته .

ومن قالها بقصد التطلع إلى العلويات كُشف له عن غيب ما قصده ولها خواص كثيرة وهذه نبذة ترغيب . انتهى عبارته ٣٣ .

---

(١) وفي نسخة : الحقائق الربانية .

وفي « النور الساطع » : ولا إله إلا الله رأس الذكر وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ، ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ورياضة النفس وتهذيبها ، ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب[1] نفوسهم . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » انتهى عبارته .

وفي « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به . قال : قل لا إله إلا لله . قال : يا رب كل عبادك يقولون لا إله إلا الله ! قال : قل لا إله إلا الله . قال : يا رب إنما أريد شيئاً تخصُّني به ! قال يا موسى : لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة[2] ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله » . انتهى عبارته .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « ما من عبد قال لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » . انتهى .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « يستخلص الله تعالى رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ، حتى إذا ظن أنه هالك أحضرت له بطاقة[3] فيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتوضع في كفة والسجلات في كفة ، فتطيش[4] السجلات وتثقل البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء » . وكان ﷺ يقول :

---

(١) التهذيب – التنقية ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق « مختار » .

(٢) الكف – واحدة الأكُف وكفة الميزان بكسر الكاف وفتحها والجمع كفف بكسر الكاف ، والكافة الجميع من الناس « مختار » .

(٣) البطاقة بالكسر رقيعة « مختار » .

(٤) الطيش – الخفة « مص » .

« لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » . انتهى عبارته فراجعه . من الخاتمة في الجزء الأول .

قال الشيخ في كتاب الوصايا في « الفتوحات » : إيّاكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه[1] ، وأطال في ذلك . ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك . والله تعالى أعلم . انتهى « يواقيت » عبارته ٤٦ ج١ .

ويؤيده قول الإمام الرازي رحمه الله : إن العبد يأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به . انتهى .

اعلم يا ولدي لما وجدت عادة مشائخنا النقشبندية والشاذلية تلقين الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر بلفظة الجلالة والنفي والإثبات ذكرت ما في جميعها من المنافع والفضائل لتكون سبباً للحث وباعثة للمواظبة عليها ، وقد أجازني **شيخنا العسلي** في تلقين الطريقة النقشبندية ، وكذا أجازني السيد الشريف **سيف الله الحسيني** في الشاذلية والنقشبندية[2] وكتب لي صك الإجازة بيده المباركة ، وأمرني أمراً أكيداً بتلقين الشاذلية خاصة ، لكونها موافقة لأحوال الناس في هذا الزمان ، وكذا أجازني في القادرية بالمشافهة ، وكان قدس سره يقول بلسانه ويكتب إلينا بقلمه ويوصينا بالاجتهاد لإدارة الطريقة النقشبندية والشاذلية

---

(١) والإزراء – التهاون بالشيء يقال أزرى به إذا قصر به وازدراه أي حقره « مختار » .
(٢) وفي نسخة : والنقشية .

خاصة لما أنه لم يكن في ولايتنا من له الإجازة التامة في تلقين الطريقة إلا النادر فالنادر ، وكان يقول إن ذلك يكون سبباً لمنع الناس عن وقوعهم في شبكة المتشيّخين وقيدهم ، وكان قدس سره يستعيذ منهم وممن وقع في أيديهم[1] ، وقد أمرني بلسانه وكتب إلي بقلمه **الشيخ الحافظ شعيب الباكني** بالنظر والتوجه إلى مريديه والالتفات إليهم ، ولأجل كوني مأموراً من هؤلاء المشائخ بهداية الخلق إلى طريق الحق وجب عليّ أن أُبيِّن للناس ما يحضُّهم ويرغِّبهم إلى السلوك[2] في سبل الخيرات .

ومما ينبغي أن يعلم أني وإن خاطبت كثيراً[3] في هذا الكتاب لمحمد عارف خاصة لوقوعه سبباً للتأليف ، لكن يدخل فيه كل من أخذ مني الطريقة ، لأنه لا فرق بين ولد الجسد وبين ولد الروح ، والأستاذ في الحقيقة هو الأب الحقيقي بل هو مقدم على أب الجسد ، لأنه أب الروح كما هو مذكور في الكتب في غير موضع .

وأما بيان كيفية أوراد النقشبندية فقد أعرضت عن كَتْبتها لأني قد بينتها في تأليفاتي[4] بالبسط التام ، والقادرية قد عرضت إليها في « تنبيه السالكين » .

وأما الشاذلية فأورادها كما في « النور الساطع » : (أستغفر الله) مائة مرة ، (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) مائة مرة ، (لا إله إلا الله) مائة مرة ، سيدنا

(١) فقد جاء لدينا أبعاض من مريدى هؤلاء القوم ولم نجد منهم من حصل له حياة القلب وإن دام على ما علّمه شيخه في زعمه عشرين سنة ، فهذا علامة عدم كون ذكرهم تلقينيًّا غفر الله لنا ولهم آمين « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

(٢) سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل « مختار » .

(٣) بقولي يا ولدي أو أيها الولد ، فافهم .

(٤) كـ« خلاصة الآداب وتنبيه السالكين » (منه) .

محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة ، وذلك مرة في الصباح ومرة في المساء ، وما كتبه الشيخ بعد المغرب[1] .

وأما الشيخ خالد سيف الله قدس سره كتب في صك الإجازة بدل أستغفر الله : (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) بغير (العظيم) . انتهى . وذلك هو الأكمل في الاستغفار . وأما في الصلاة فلم يبين الصيغة بل أطلق وقال والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . فهذه الأوراد أراها مثل أوراد الطريقة التجانية بلا فرق كثير فقد قال محمد الغالي في « جواهر المعاني » أما أوراده[2] رضي الله عنه الذي يلقِّن لكافة الخلق الذي رتَّبه له سيد الوجود وعلم الشهود هو : أستغفر الله مائة مرة ، والصلاة على رسول الله ﷺ بأي صيغة كانت ، ثم الهيللة مائة . وهذه الأذكار بعينها هي التي رتب له ﷺ وأمره بتلقينها لكل من طَلَبَه من المسلمين على أي حالة كان ؛ كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى ، **طائعاً أو عاصياً** لا يمنعه من أحد طلبه منه ، وكون الصلاة على رسول الله ﷺ بـ« **صلاة الفاتح لما أغلق** » أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم[3] الذي لا يقدر قدره إلا الذي امتنَّ به من فيض فضله العميم وفضلها سيأتي في محله إن شاء الله تعالى ، وبعدها في الفضل (روح الصلوات) وهي : (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً) ، ثم (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله) . فأنت مخير ، وباجتهاد الملقِّن الذي يلقن الورد فله النظر إن كان مَنْ يأخذ الورد من أهل الدين والصلاح وفيه أهلية ونسبة فيلقنه الفاتح لما أغلق ، ويأذنه

---

(١) وهو داخل في المساء فإن المساء ما بين العصر ونصف الليل ، فراجع (منه) .
(٢) أي الشيخ أحمد التجاني .
(٣) وقد جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام بالضم وبابه ظرف والجسام بالكسر جمع جسيم « مختار » .

في مرتبتها الظاهرة فقط لا غير ، وإلا يلقن روح الصلوات ! ووقته بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، **ومن فاته في هذين الوقتين لعذر فالنهار كله له وقت والليل كذلك** ، **ومن فاته ورد فليتداركه على ممر الدهر** ، **ومن أخذ هذا الورد وتركه تركاً كليّاً أو متهاوناً به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك** . انتهى عبارته .

وفي كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » ومن ترك هذا الورد[1] ولم يفعله حتى غربت الشمس فلا قضاء عليه ، ومن أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك ، وفيه فضل عظيم لأن المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق وقت السحر تعدل خمسمائة مرة منها في غير وقت السحر . انتهى ما هو المقصود فراجعه .

وفيه : قال في « جواهر المعاني » : وسألته[2] رضي الله عنه : فمن احتلم في السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه ؛ هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد ؟ ! فأجاب رضي الله عنه بقوله أنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره ، إلا الفاتحة بنية الاسم فلا يقرأها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة . انتهى عبارته ٩٠ ج٢ .

وقال في « جواهر المعاني » : **ومن ترك الورد فعليه قضاؤه ومن ترك الوظيفة[3] فلا قضاء عليه** . انتهى عبارته ٨٧ ج١ .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : أن من أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك . انتهى .

---

(١) أي : الورد الخاصّ الذى هو يرتب في ذلك الوقت المخصوص في يوم الجمعة لا مطلقاً (منه) .

(٢) أي : التجاني (هامش الأصل) .

(٣) وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية الشاذلية من الوظائف (منه) .

ورأيت فيه أيضاً وللمسافر إذا صلى الظهر أن يقدم ورد المساء ويفعله بعد صلاة الظهر لمشقة تداركه في التأخير . انتهى .

قال مؤلف « النور الساطع » قدس سره بعد ذكره ما مر من أوراد الشاذلية : فإن تهذبت منه الأخلاق وشد للخدمة النطاق ، وانشرح للذكر قلبه واطمأن به لبه يلقَّنه حينئذ الذكر الخاص المقصور على الخواص ، لأن ذاكره يحتاج إلى استعداد كبير ، وتخلٍّ عن كل ما يشغله من جليل وحقير ؛ مع مخالفة هواه ومفارقة ما يهواه ، وتقليله من لغو الكلام والأكل والشرب ليقل نومه ويخف بدنه فيسهل عليه القيام والتهجد والناس نيام ، **ويكون في حال الذكر طاهر البدن والثياب على وضوء مستقبل القبلة حاضر القلب مع الله بالحضور التام** ، مستوحشاً من الخلق مستأنساً بالحق ، سائراً بالصدق مخلصاً في أعماله إخلاصاً كاملاً لمولاه لا يريد بها سواه ، صارفاً همّته في الوصول ، غاضّاً نظره عمن سواه ، وهو المأمول ، مشمراً عن ساعد الجد . انتهى عبارته .

وفي « الرسالة » في فضائل الذكر : **وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء** ، وكذلك التسبيح والتحميد والتهليل . انتهى عبارته في١١ .

وفيه في ١٢ : فيؤكد ذكر الله تعالى في جميع الأحوال لكن يستثنى من الذكر القرآن حال الجنابة بقصده ، فإنه حرام ويستثنى من عمومه أيضاً المجامع وقاضي الحاجة فيكره لهما الذكر اللساني ، **أما القلبي فمستحب على كل حال** . انتهى عبارته .

وفيه في ١٣ أن أفضل ما أعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر ، وأفضل ما أعطاهم في العقبى النظر إليه سبحانه وتعالى . **فذكر الله في الدنيا كالنظر إليه في الآخرة .**

وفيه في حديث « اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب » أي لأنه مساعد لك في تحصيل مطلوبك ، لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يذكر ولو من فاسق ، فإذا ذكره ثم دعاه أعطاه ما تمنَّاه ، ولهذا قال بعض الصوفية : الإعراض عن الذكر يشوش الرزق المعنوي ويضيق المعيشة الروحانية . انتهى ١٣ .

وكتب الشيخ خالد سيف الله قدس سره إذا سئل عن الاسم الخاص المذكور آنفاً بما نصه : الاسم المفرد الخاص هو الله الله . ثم اعلم أيها المأمون هو مقام عظيمُ الأَسْمى عليٌّ المرمى يحتاج إلى بسط بسيط فاكتفينا عن ذكره عملاً بالأسهل ، لكن نختصر بأخصر عبارة بإتيان بيان قليل وإن كان خارجاً عن المراد : إن للأسماء حقائق وخصائص ليس هذا محل ذكرها ، فالمقامات مثلاً محصولة على سبع وسبعة سير مع أذكار وأسماء .

فالمقام الأول : النفس الأمَّارة مقام الظلمات والكدورات المتعلقة للأغيار والذكر في البدن لا إله إلا الله ، ووارده الشريعة وسيره إلى الله .

والمقام الثاني : نفس لوامة مقام الأنوار وذكره الله الله ، ووارده الطريقة وصفاته اللوم والحسد ، عالمه البرزخ ، حاله المحبة ، سيره من الله .

والمقام الثالث : نفس ملهمة ذكره هو هو هو ، وارده المعرفة ، عالمه الأرواح ، محله الروح ، سيره على الله ، وصفاته العلم والسخاء ، وحاله العشق .

والمقام الرابع : مقام كمال نفس مطمئنة ، ذكره حق حق حق ، وارده بعض أسرار الشريعة ، عالمه حقيقة محمدية ، محله سر سيره مع الله ، حاله الاطمئنانية الصادقة ، صفاته الجود والإيثار والتوكل .

والمقام الخامس : نفس راضية وهو مقام الوصال ، ذكره حي حي ، ليس له الوارد ، وعالمه اللاهوت ومحله سر السر ، وسيره في الله ، وحاله الفناء .

والمقام السادس : نفس مرضية وهو مقام تجليات الأفعال ، ذكره قيوم قيوم ، وارده الشريعة ، وعالمه الشهادة ، محله الخفي ، سيره عن الله ، وحاله الحيرة ، وصفاته التخلق بأخلاق الحق .

والمقام السابع : نفس كاملة مقام تجليات الصفات والأسماء ، ذكره قهار قهار ، وارده هي الواردات التي تبين جميع النفوس ، وعالمه الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة ، ومحله الأخفى ، وسيره بالله ، وحاله البقاء ، وصفاته هي الأوصاف الحميدة من جميع صفات النفوس .

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ويقال لها الأسماء الإلهية ، وهي أيضاً أصول الأسماء ، فلكل نفس اسم خاص ، وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية يستعملون كذلك ، ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى من خطه قدس سره .

وأما فضل طريق الإمام الشاذلي فمذكور في الكتب ، ولأجل الترغيب كتبت هذه الكلمات وفق ما فيها ، ومن أراد له فوز عز الدارين فليدخل في طريقه يوماً أو يومين ، وفي رواية عنه : من أراد غنى الدارين فليدخل في مذهبنا يومين ، فطريق الإمام الشاذلي فإنه واضح في الفضل[1] عند من

---

(١) قال محمد المغربي : أعطي الشاذلية ثلاثاً لم تحصل لمن قبلهم ؛ ولا لمن بعدهم . الأول : أنهم مختارون في اللوح المحفوظ ، الثاني : أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو ، الثالث : أن القطب منهم إلى يوم القيامة .

وقال – أي الشيخ الشاذلي قدس سره – : أعطيت سجلاً مدَ البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار . « متمات » « جامع الأصول » ١٠٢ .

في المشرقين ، فضع ولو قدماً على ما آثره فإن ذاك كالأخذ منه باليدين ، وهو أفضل الطرق وأسهلها بعد النقشي[1] عند أرباب العِلْمين[2] ، ويأخذ يدَ من سلكه سريعاً وليس فيه مشقة الرياضتين[3] ، وقد قال : إن ابتداء طريقه نهاية طريق الكيلاني بلا مَيْن[4] فإن طريقه على الشكر مبني ورؤية الفضل والمن وعلى اللين ، وليس فيه كدُّ المجاهدة ولا عَناءُ رياضةٍ وتعب دفع رَيْن ، بل الاعتدال في الأمور ، يصحبها أهل السلوك بغير غبن ولا غين ، انتفت عن نفسهم هموم الرياضة ، فينبغي للأحرار المشي إليه بالرِّجْلين ، فكل صعب في غيره من الطرق ففيه سهل فخذه تملأ اليدين ، واشكر للخالق حيث أن أُهِّلت له ، أطعه يطعك واحمده على المنن ، تمسك بحبهم تشرب من مشربهم ولا تعدُ عنهم عيناً يوماً أو يومين . انتهى .

ولما كان في هذا الطريق السماع والوجد خلاف طريق النقشبندي كتب إلينا الشيخ المحترم سيف الله هذه الأبيات ليقرأها المريدون في مجالس الاجتماع للذكر ، وأنا أوردها هنا للتبرك ، وينبغي للسالك أن يحفظها ليقرأها في أثناء الذكر ليزيد بها الشوق والنشاط ، لأهل المجلس : قال رضي الله عنه :

---

(١) أي : بعد طريق النقشبندي ، وأما هو فهو أم الطرق وسلطانها كما هو مذكور في الكتب (منه) .

(٢) أي علم الباطن والظاهر .

(٣) وقال – أي الشيخ الشاذلي قدس سره – : لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد لأنه عين طريق النقشبندية

(٤) كذب .

اللهْ اللهْ اللهُ[1] اللهْ اللهْ اللهُ اللهْ اللهْ اللهُ اللهْ اللهْ اللهُ

يازُمْرَةً قَدْ تَاهُو قُولُوا جَمِيعاً يَاهُو اللهْ اللهْ اللهُ بالقُوَّةِ القَلْبِيَّةْ

فَنَحْنُ الشَاذِلِيَّةْ كُؤسُنَا مَلِيَةْ مِنْ كَفِّ شَاذِلِيٍّ حَامِي حِمَى البَرِيَّةْ

غَوْثِي أَبُو الحَسَنِ قُطْبُ الهُدى اليَمَنِى سُلاَلَةُ المَدَنِي مِنْ نَفْحَةِ السبطِية

يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي يَا نُورَ عَيْنِ العَلِي يَا بَهْجَةَ البَتُولِي ذُو الهِمَّةِ السَّنِيَّةْ

أَشْعَارُهُ أَسْرَارُ آثَارُهُ أَنْوَارُ أَتْبَاعُهُ أَبْرَارُ أَعْلاَمُ الإِسْلاَمِيَّةْ

دَانَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَذَلَّتِ الصِّعَابُ وَزَالَتِ العتابُ بِالوَارِدِ الغَيْبِيَّة

هُنَّا لَه الأَحْبَابُ وَارْتَفَعَ الخِطَابُ فَدَارَتِ الأَكْوَابُ بِالخَمْرَةِ الهُوِيَّة

بِذِكْرِهِ طَرِبْنَا مِنْ راحِهِ شَرِبْنَا مِنْ حُبِّهِ سَكِرْنَا بِالْجَذْبَةِ الفَيْضِيَّةْ

بِذَوْقِهِمْ قَدْ طَابُوا عَضُوالِمَا اسْتَطَابُوا بِوَجْدِهِمْ قَدْ غَابُوا فِي اللَذَّةِ الأُنْسِيَّة

يَا رَبَّنَا وَفِّقْنَا بِقُرْبِكُمْ حَقِّقْنَا بِالشَّاذِلِي رَوِّقْنا[2] شَرَابَ الوَاحِدِيَّة

طَيِّبْ لَنَا المُذَاقَا وَزِدْ لَنَا التَّوْفِيقَا وَعَافِنَا النِفَاقَا بِلُطْفِكَ الوَفِيَّة

كَمْ هَامَ فِي هَوَاهُ كَمْ حَامَ فِي حِمَاهُ كَمْ فَازَ مَنْ لاَقَاهُ بِالصُّحْبَةِ المَعِيَّة

كَمْ قَدَّ مَنْ آذَاهُ كم شَذَّ مَنْ شَاذَاهُ كَمْ نَالَ مَنْ وَالاَهُ لِلخط القيومية

وَكَمْ لَهُ آيَاتُ بَدَتْ وَكَرَامَاتُ وَكُلُّهَا أَثْبَاتُ بِالغَوْثِ وَالفَرْدِيَّة

يَا رَبَّنَا مَتِّعْنَا فِي فَيْضِ شَاذِلِينَا بِخُلْقِهِ أَيِّدْنَا يَا بَاسِطَ العَلِيَّة

صَلَى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى الهَادِي المُكَرَّمْ مَعْ صَفِّهِ المُفَخَّمْ وَالسَّادَةِ الصُّوفِيَّة

مِسْكِين خَالِد سَيْفُ اللهْ أَقَلُّ عِبَادِ اللهْ رجائهُ عَفْوُ اللهْ مِنْ فَرْطِهِ النَّفْسِيَّة

---

(١) وفي نسخة : الله الله الله و .

(٢) وراق الشراب صفّاً وبابهما قال « مختار » .

* وأما سلسلته وإنه لبس الخرقة من الشيخين الإمامين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن المعروف بابن حرازم ومن الشيخ أبي عبد الله عبد السلام بن مشيش والأول منسوب إلى الصديق الأعظم والثاني إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . « متممات » « جامع الأصول » عبارته ١٠١ .

وذيله الحقير بذكر سلسلة المشائخ على وزن نظمه قدس سره فقال :

حَسَنْ حِلْمِي عَبْدُ الله   مُحِبُّ رِجَالِ اللهْ   مَطْلُوبُهُ فَيْضُ اللهْ   بِالرَّأْفَةِ الوَهْبِيَّة

وَإِنَّـــهُ مُفْــلِسٌ   مِنْ نَفْسِهِ آيِسٌ   فِي الوِزْرِ مُنْغَمِسٌ   بِالفِطْـرَةِ الأَصلِيَّة

لَكِنْ يَرْجُو النَّوَالاَ   وَيَطْلُبُ الافْضَالاَ   وَيَكْرَهُ الفُضُولاَ   بِالهِمَّةِ الـعَقْلِيَّة

يَا رَبِّ اغْفِرْ أَوْزَارَا   وَإِنْ عُدْنَا مِرَارَا   وَاقْبَلْ مِنَّا أَعْذَارَا   بِحَقِّ الشَّــاذِلِيَّة

وَكُنْ لَنَا يَا رَبِّي   وَارْضَ عَنَّا المُرَبِّي   وَشَيْخَنَا المُذَبِّي   وَسْوَسَــةً صَدْرِيَّة

وَارْزُقْ لَنَا القَبُولاَ   وَدُلَّنَــا السَّـبِيلاَ   وَحَــرِّزِ الأَعْمَالاَ   عَنْ حَـظَّةٍ نَفْسِيَّة

بِجَاهِ مَنْ قَدْ بَدَا   مِنْهُ الكَوْنُ وَهَدَى   مُحَــمَّدٍ قَد عَدَا   أَعْـدَاءً شَـيْطَانِيَّة

عَلَيْهِ أَذْكَى الصَّلا   ةِ وَالـسَّلاَمِ وَلاَ   تَطْرُدْ لَنَا الأَعْمَالاَ   بِالسَّــادَةِ الـعَلِيَّة

بِحَـقِّ عَـلِيِّـنِ الـ   ـعَلِيِّ ثُمَّ ابْنِهِ الـ   الحَسَـنِ وَالجَابِرِ   المَيْمُـونِ بِالتَّبْعِيَّة

وَالقُطْبِ الشَّيْخِ سَعِيدْ   وَالقُطْبِ فَتْحِ السُّعُود   وَسَعْدٍ ثُمَّ سَعِيدْ   أَكْرِمْنَا بِالفَيْضِيَة

بِأَحْمَـدَ المَرْوَانِي   وَإِبْرَاهِيمَ البَصْرِي   زَيْنِ الدِّينِ القَزْوِينِي   قِ الحَالَةَ الفَحْشِيَّة

بِحقِّ شَمْسِ الدينِ   بِحَقِّ تَاجِ الدينِ   عَلِـيٍّ نُورِ الدِّينِ   جَمِّلْنَا بِالمَرْضِيَّة

بِحُرْمَةِ فَخْرِ الدِّين   بِحَقِّ تُقَيِّ الدِّينِ   عَبْدِ الرَحْمَانْ مَجْدِ الدِّين   ذِي السُّنَّةِ السَّنِيَّة

وَالقُطْبِ عَبْدِ السَّلاَمْ   عَلِيٍّ قُطْبِ الأَنَامِ   وَالمُرْسِي سَامِي الكَلاَمْ   أَدِرْ لَنَا العَطِيَّة

ومُـظْهِـرِ الحِكَمِ   مُحَكِّـمِ الـكَلِمِ   ابْنِ الـعَطَا الفَهِمِ   ذِي الشِّيَمِ الرَّضِيَّة

وَدَاوُدَ الـبَـاخِلِي   فِي فَيْضِهِ أَمَلِي   بَدْرِ الرَّشَادِ الجَلِي   ذِي الخَصْلَةِ البَهِيَّة

مُحَمَدْ بَحْرُ الصَّفَا   عَلِـيُّ بْـنِ الوَفَا   وَيَحْيَ زِدْ شَرَفَاً   يَا بَارِئَ البَرِيَةْ

بِأَبِي العَبَاسِ أَحْمَدْ   وَسَيِّدْ زَرُّوقْ أَحْمَدْ   إِبْرَاهِيم مُعْطِي المَدَدْ   بِالجَذْبَةِ الوَهْبِيَّة

سَيِّد عَلِي الصَّنهَاجِي   عَبْدِ الرَّحمَنِ النَّاجِي   يُوسُفِ الفَاسِي الرَّاجِي   لِلرَّحْمَةِ القُدْسِيَّة

عَبْدِ الرَّحمَنِ سَيِّدِي   مُحَمَّــدْ مُعْتَمَدِي   غَوْثِي قَاسِمْ سَنَدِي   ذِي الخُلْقَةِ العِلْمِيَّة

أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدْ   سَيِّدِي العَرَبِي قَدْ   حَظَى الفَيْضَ وَالمَدَدْ   مِـنْ حَضْرَةٍ ذَاتِيَّة

بِحَقِّ أَبِـي الحَسَنْ   أَطْلُبُ مِنْكَ المِنَنْ   فَطَيِّبْ مِنِّي العَلَنْ   وَالخَطْـرَةَ القَلْبِيَّة

بِـسَيِّدِي الـعَرَبِي   وَزِدْ بِـكَ جَذْبِي   مُحَمَّدْ فِنْجِير أَبِي   أَرْوَاحُنَـا العُلْوِيَّة

ثُمَّ حَبِيبِ الرَّحْمَنْ بَحْرُ أَهَالِي الإِيمَانْ إِلَيْهِ كُلُّ الأَمَانْ بِالنَّظْـرَةِ الجَلِيَّة
مُحَمَّدْ عَلِي ظَاهِرْ مُحَمَّدْ صَالِحْ طَاهِرْ وَسَيْفِ اللهِ البَاهِرْ بِالكِسْوَةِ القُطْبِيَّة
وَقَدْ فَازَ سَيْفُ اللهْ حَظّاً من تَجَلِّي الله فَـانٍ وَبَاقٍ بِاللهْ بِالرَّحْمَةِ الوُسْعِيَة
وَتَـمَّ بَقَـاؤُهُ نَقْشُبَنْدِيٌّ وَهُـوْ كِيـلاَنِيٌّ رَبَّـاهُ لاَقَـاهُ بِالرُّوحِيّة
فَصَـارَ أُوَيْسِـيّاً رَاضِيـاً وَمَرْضِيّاً حَازَ حَظّاً وَهْبِيّاً فِي الزُّمْرَةِ العُلْوِيَّة
لَكَ الحَمْدُ يَا رَبِّي لَكَ الشُكْرُ يَا رَبِّي وَجِّـه لَنَـا المُرَبِّي بِالوِجْهَـةِ الكُلِّيَّة
وَصَلِّ عَلَى الهَادِي مُحَمَّـدٍ سَـيِّدِي وَآلِهِ المُـهْتَدِي بِالـسُنَّةِ الشَّرعِيَّة

انتهى .

اعلم يا ولدي أن لكل طريق مطلباً خاصّاً ، ولكل شيخ مقصداً خالصاً ، فمن المشائخ من يجتنب السماع والرقص والاضطراب كالإمام النقشبندي ﷺ . قال قدس سره ما معناه : نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطريق الخاص بنا ، ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشائخ آخر . انتهى . **فينبغي لمن أراد الوصول إلى المطلب الخاص بهذا الطريق**(١) **المتوسط أن يجتنب عن هذه الأمور** ، ومنهم من يجوزون السماع والتواجد ويجعلون الآثار المترتبة عليهما من المطلب الخاص بطرقهم وينشدون الأبيات والأوزان لما فيها من التأثير ، ففي « الإحياء » إن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه ، أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب القلب وتشوش ، **فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر** . انتهى عبارته ٣٠٠ ج٢ .

وفيه : والسماع يؤثر في تصفية القلب . انتهى .

---

(١) أي : الطريق النقشيّ .

وفيه : وينبعث نشاط القلب بقوة السماع . انتهى .

وفيه : وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي ، واستجلاب العازب من الأفكار ، وحدة الكال من الأفهام والآراء ، حتى يثوب[1] ما عزب[2] وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويخرج في كل رأي ونية ، فيصيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطىء . انتهى عبارته .

ومن عادات السادات الشاذلية إنشاء الأشعار ليحصل بسماعها الوجد والحال ، **لكن ينبغي للسالك أن يتفطن وينضبط نفسه مع القدرة إلا عند غلبة الحال** لئلا يقع في التصنع والرياء ، وهي أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك .

وفي « الإحياء » : إن ذلك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة . فراجعه في ٢٠٤ ج٢ .

وفيه : فإن قلت : الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ، ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ، ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً و مصاحباً في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده ، **فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود** فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ، ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق ﵁ : كنا[3] كما كنتم ثم قست قلوبنا . معناه قويت قلوبنا

---

(١) أي : يرجع « اتحاف » .

(٢) أي : غاب (منه) .

(٣) قال ذلك حيث رأى الأعراب يقدمون من سكان البوادي إلى المدينة فيسمعون=

واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال ، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا ، طارئاً علينا حتى نتأثر به . انتهى عبارته .

وقد أنشدت هذه الأبيات ليقرأها النقيب[1] في مجلس الاجتماع لقراءة ختم الشاذليين فقلت[2] وبالله التوفيق :

شَاذِلِي چَكُ وُكِبْ زَمَانَ نِجِي شِچُ   اِصُـــلْ هُـرْمَدَ بِرْچَنْ فَيْدَ بُسِز شچ[3]

اِصْدِ خُنْ صُحْبَةْ هَبُنْ بَرْكَةْ طَلَبْ هَبِزِي   اِصُـلْ زَمَنَيلْدَ رِجُنْـكِ نِـج رُكِنْچُ[4]

كِنِّكِ اِوْ وُقِيَلِ اِصُـلْ اَثَـارَلْ هَـرُنْ   بِچَصْدِ عَكَرْ لِـزِ اِوْ وَاسِطَه لُـنْ كُـنَ[5]

يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي اَمَنْ نِجِيْ شَفاعَةْ   كِعَنْ عَـصِيَلْ نِـكِ هَـبِ نِجِي كُـمَكْ[6]

=القرآن ويبكون (منه) .

(١) والنقيب – العريف وهو شاهد القوم وضميمهم وجمعه نقباء وقد نقب على قومه ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة « مختار » .

(٢) هكذا وردت الأبيات في الأصل . ووردت في أصل آخر وتحت كل بيت ترجمته ، وحرصاً مني على ضبط النص كما ورد مع إكمال الفائدة من الترجمة فقد أوردت ترجمة كل بيت في هذا الهامش هكذا :

(٣) وقد قيل : النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى من « المنن » ٩٣١ ج١ . وفي الحديث « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله » . انتهى .

(٤) فقد يصل المريد بصحبة واحدة مع شيخ إلى ما لا يصل إليه بمجاهدته في سنين عديدة ، لأن الشيخ يتصرف في المريد ويزيل عنه ما يحبط عمله من الرياء والعجب من حيث لا يشعر أو يقله بحسب استعداده وقد قيل إن للصحبة تأثيراً عظيماً والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة . راجع .

(٥) قيل : إن محبة الشيخ كافية في الاستفاضة ، وفي الحديث « المرء مع من أحب » . وقال الشاذلي قدس سره : من أراد عز الدارين فليدخل في طريقنا هذا يوماً أو يومين وقال : من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا . انتهى « أي فله مالنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة » « هامش » .

(٦) وقد قيل : ادعوا الله بلسان لم تعصوا الله تعالى به ، وذلك إذا توسل إلى الله=

مُنْكِ رَقُلْ وُقَرَبْ بَيْتُ الْمَالْ هَبْ دُنِيالْ   بِرْدَ مُنْ وِكُّلَرِبْ جُنْتَرَبْ هَبْ زَمَنَ(١)
اُرْخُّلَ شَهَرَلْدَ شَاذِلِي طَـدْ كّـدَرَبْ   عِشْقُلَ دُنْ رَقَلْدِ اَبُو الحَسَنْ وُقَرَبْ(٢)
عَجَبَا هَلْ عُرَلْكُ لِـمْ قُنْ رَقَـنْ أُنَـرِلْ   فَيِـضْ شَـخُـلِبْ رَلِّدْ رَقُلِ قَـرَلْدَصَ
تَمَشَ هَبْ رَقَلْدَ عُـرْشَّنَبْ خِرْ بِـجُـلِبْ   بَرْكَةْ شَخُلِبْ سَحَابْ دُنْيَالْ تُنْ نَقَلُ لِدَلْ(٣)

=بالولي يقول الملك للولي إن فلاناً قد سأل الله كذا وكذا بك ، ثم يسأل الله تعالى بقضاء حاجته ، راجع « لواقح الأنوار » . وقد قال الشاذلي قدس سره : إذا عرضت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم بي عليه . قال واحد : فكنت والله لا أذكره في شدة إلا تفرجت ، ولا في أمر صعب إلا هان . كذا في « الأنوار القدسية » في ٣٧ .

وقال الإمام محمد النقشبندي قدس سره : أُعْطِيتُ من الحق سبحانه مرتبة عظيمة تقضى بي الحوائج وتدفع بي البلايا فالجؤوا إلى تقض حوائجكم . كذا في « المناقب الأحمدية » . فراجعه في ٦ .

(١) فكيف لا يتأسف على موت الولي ، وقد قيل : موت العالم موت العالَم ، وبموته تبكي السماوات والأرض فكلما بعد الزمان من الأخيار تقل البركة وتزيد الأشرار ، وفي الحديث : « ما من عام إلا الذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربكم » وفيه : « ما من عام إلا ينقص الخير فيه و يزيد الشرّ » . الحديث . وفي « الحفني » حاشية « جامع الصغير » قوله : ما من عام بل ولا يوم إلاّ واليوم الذي بعده شرّ منه – أي غالباً فلا يرد زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج وزمن سيدنا عيسى آخر الزمان ، فراجعه في ٧٦٢ من هامش « السراج المنير » من الجزء الثالث ، (منه رحمه الله إفلاسه آمين) .

(٢) وذلك أن بركة الولي يصل إلى كل موضع نزل به ، وقد يتبرك بما مسه أو قعد عليه أو وضع قدمه عليه ، كما هو مذكور في الكتب ، ولذا ينبغي أن يغتبط بمكان وصل إليه قدمه و دفن فيه جسده ، وقد يؤخذ الفيض من القبور ، ومن الأمكنة التى جلس عليها الأولياء ومن اللباس الذي لبسوه ، و لذا جرت عادة بإلباس الخرقة كما هو معلوم . انتهى (منه) .

(٣) يعنى إنما تمطر السماء وتنبت الأرض ببركة الأولياء ، وهم يكونون في الدنيا بعدد الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، ولو نقص واحد منهم لما أمطرت السماء قطرة ، ولما أنبتت الأرض ، نظرهم شفاء للعلل المعنوية ، وكلامهم دواء للأمراض الباطنة ، بهم يمطرون ، وبهم يرزقون كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » راجعه (منه) .

اِبِلْ خُنْ نَخِ تَرَلْ أَيْتَامَلْ عَدِنْ نِجْ تُنْ اَرَوِشْخَ شَاذِلِي مَلأُ الاَعْلَى يَلْدِي[١]

بَرْكَ دُيِ هِبْ أَلْجَنْ شَرَبْ دُيْ هَنْجِ رَاحَةْ أَمَنْ نِجِيْ شَفَاعَةْ شَ نِجْكِ دُرْ رَكَلْدِي[٢]

يَا رَبِّ نِجِرْ اَللهْ شَـاذَلِيَـصِ عُلُ هَـبْ نِجِرْ مَجْلِسْ دُصَ لِكَبْ مَجْلِسْـلِنْ هَبِ[٣]

كِنَلْـكُ شَـاذِلِيَلْ شَـيِخْ زَبَـزِ عُـلُ مُنْ كُرِبْ خِيَالْ دُصَ رَكَلْدِ شِّزِتُكِ[٤]

يَادَنْ دِلِرَبْ قُوَ رِخْـصِ نُجُـصَّ اَللهْ اَللهْ كُرِبْ كُجُنْ تُنْ رُصَ نُجْ اَللهَ صْدِ

مَزْلْدَ رَكْـكِ رِقُـنْ اَبِ نُـجْ اَللهْ اَللهْ كَمِلَبْ حُضُورْ هَبُنْ حَلْقَيَلْدِ دَنْ دِلِنْ

سُسَزُلْ[٥] كِرَلْـكِ كُّنْ كِـنَـزْكُ اَبِ اَللهْ بِجَصُلْ حَضْرَتَلْدَ رَخُنْ جُنْ خُشُوعَلْدَ

---

(١) والمريدون كالصبيان عند المشائخ ، وهم لهم آباء أرواحهم ، وقد قالوا : إن أبا الروح – وهو الشيخ – مقدم على أبي الجسد فإذا ماتوا يبقى المريدون كالأيتام بل أضعف منهم وأفقر لما أن لبن ثدي فيوضاتهم قد انقطع منهم فيبقون كالرضيع ماتت أمه اللهم إلا إنّ كمل المريدين يأخذون الفيض من الشيخ الميت برابطة المحبة والاعتقاد وقليل ما هم . (منه) .

(٢) وإذا مات المؤمن يفتح إلى قبره باب من أبواب الجنة ويصير روضة من رياضها بل الشهداء أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنان كيف شاءوا ونرجوا منهم الشفاعة لأنهم يشفعون لمن توسل بهم أو ذكرهم بخير وإن لم يعرفوه ولم يروه . راجع « الإتحاف » و« عقد اليواقيت » . (منه) .

(٣) وفي الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وفي حديث أبي ذر ﷺ إن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض . انتهى . (منه) .

(٤) لأن الخطرات هي الحجب المانعة عن الحضور والمشاهدة ، والحضور روح العبادات ولو خلت عن الحضور والوقوف القلبيّ فهي كصورة بلا روح ولا يمكن توجه القلب إلى الله تعالى إلاّ بنفي الخواطر فينبغي للسالك نفيها والاجتهاد في جلب الحضور وأسبابه وقد قال الشعراني في « المنن » : فإن الذكر باللسان إنما هو وسيلة لحضور القلب . انتهى . وفي « شرح تائية السلوك » فرب ذاكر لله لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى (منه) .

(٥) لما أن العادة قد جرت بين الشاذليين على أنهم يتحلّقون يذكرون الله بـ(لا إله إلا الله) ثم ينشد واحد منهم شعراً لائقاً بالمجلس ليحصل لهم به النشاط والوجد=

غَفْلَةْ نَخ اِنْزَبُنْ اَحْـدِ نُـجْ اَللهَ صْـدِ اَللهْ اَللهُ يَاهُو اَللهْ اَللهُ يَاهُو

عَلِي الشَّاذِلِيَصُلْ بَرْكَةْ شِّزَبِ يَاهُو نِجْ اِصُلْ طَرِيقَلِْپِ رِطُنْ جِّزَرِ يَا هُو

دُيْ عُلُ دَنْدِلِْپَرَلْ نِجْ چُرُكُ رِشَّـكِ اِسْتِقَامَةْ تَوْفِيقْ قِ يامَنْ لَيْسَ إلاَّ هُو

اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ اَللهْ اَللهْ اَللهُ

=ثم يذكرون الله تعالى بلفظ الجلالة وبـ(هو هو) والحال أنهم قائمون آخذون بأيدي بعضهم بعضاً وذلك للتفاؤل ليأخذ الناجح* منهم يد الهالك (يوم الفزع الأكبر) كذا ذكره شيخنا خالد سيف الله الحسيني قدس سره و نور ضريحه و رزقنا فيضه وبركته آمين (منه رحم الله إفلاسه) .

* النجح بوزن النصح والنجاح بالفتح الظفر بالحوائج « مختار » .

وكان أبوهما صالحاً وفيه دليل على أن تقوي الأصول تنفع الفروع « صاوي » عبارته ١٩ .

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ﴾ .. إلخ . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمّته فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم والقرآن من السطور بل التلقي له سر آخر . « صاوي » عبارته ٥١ .

الترغيب السابع

في بيان وظائف الشاذليين[1] الذي أجازني فيها الشيخ الكامل خالد سيف الله قدس سره وفي بيان منافعها وخواصها وفضائلها

فمنها حزب[2] **البحر** لسيدي أبي الحسن علي الشاذلي نفعنا الله به آمين .

قال مؤلف « رماح حزب الرحيم » : وأما حزب البحر فهو من إملاء رسول الله ﷺ عن شيخ الطريقة والحقيقة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه ثم أخذه شيخنا وسندنا أحمد بن محمد التجاني ﷺ عن النبي ﷺ ، وقيل : إن فيه اسم الله الأعظم وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه ، وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه ، ومن أرادها فليطلبها من أربابها ويأت[3] البيوت من أبوابها . انتهى . وفي « جواهر المعاني » .

قلت[4] : فها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه ، أما فضله فيتبين بوجوه :

أولها : أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وقد تضمن نحواً من ست وثمانين آية من كتاب الله تعالى ، ومن الأذكار المذكورة ست أحاديث ، ونحواً من أربعين اسماً من أسماء الله تعالى ، وقال بعض أكابر الأولياء إن فيه اسم الله الأعظم في ثلاثة مواضع .

---

(١) غير ما ذكر من الأذكار (منه) .

(٢) الحزب : الورد يعتاده الشخص من صلاة ، وقراءة ، وغير ذلك . وهو الطائفة من القرآن وغيره يوظّفها على نفسه يقرؤها . « مطالع المسرات » ١٣٤ .

(٣) وفي نسخة : ويأتي .

(٤) وفي نسخة : انتهى ما في « جواهر المعاني » . قلت . . . إلخ .

وثانيها انتشاره وشهرته في الأقطار حتى لقد أتهم[1] وأنجد وغار وطار في الأفاق كل مطار ، وشاع في البدو والحضر ، وسار في الناس مسير الشمس والقمر ، مشرقاً ومغرباً وشاماً وحجازاً ومصراً ، وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها ، وكم من قرية هو مشهور فيها ، وقد حفظه الكثير من الصالحين والأولياء والصديقين يكررونه في الحاجات وعند الضرورات ، وفي المساء والبكرات ، ويستعيذون به عند المخوفات ، قد حفظه الأكابر والعلماء ، واعتنى به الأخيار والصلحاء ، وقد صار تمائم على الصدور ، وجعل حرزاً على النحور ، وعلى الدواب والحيوان ، ومسطوراً في البيوت والجدران ، وشاع في الناس وذاع ، وملئت به الأفواه والأسماع والأماكن والبقاع ، كما قيل :

وأتهم[2] حزب الأحمدية مشرقاً ... كبدر تمام في الأنام وأنجدا[3]

وسار به من لا يسير مشمراً ... وفاه به من لا يفوه مردداً

وتسمعه إن شئت مشرقاً ومغرباً ... وشهرته في الخلق كالنجم موقداً

وفي الركب إن ساروا تلوه تبركاً ... وفي القوم إن خافوا به يأمن العِدَا

وفي الطفل إن يرقى تجده مباركاً ... وفي الحاج أن برجاً ترى النجم قد بدا

وفي البحر فاذكره يريك عجائباً ... وتيسير أسباب وأمراً مسدداً

ترى البحر مطواعاً ترى الريح ليناً ... ترى اللطف من قرب ترى الوقت مسعداً

فأكرم بهذا من دعاء مبارك ... عظيم حجاب ظاهر النفع والحدا

---

(١) (حتى) غاية (لقد) اللام للتأكيد ، وقد للتحقيق (أتهم) أي : دخل واشتهر وانتشر في بلدة أَتْهَمَ (وأنجد) أي : في بلدة نجد وبلدة (غار) . راجع (منه) .

(٢) أي : دخل في تهامة .

(٣) وانجد أي : دخل في نجد . وتهامة ونجد هما بلدتان من بلاد العرب (منه) .

وإنما قلت : (وأتهم حزب الأحمدية) مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال (وأتهم حزب الشاذلية)!! ليكون شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ مشافهة ، يقظة لا مناماً ، فلذلك نسبته إليه رضي الله عنه وإلى أهل طريقته رضي الله عنهم أجمعين .

ولهذه الكثرة والانتشار سرٌّ باطن وعناية من الله تعالى ، ولولا وجود نفع به وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار ، والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان .

والوجه الثالث : تجربته في الحالات وعند الضرورات ، وهذا باب واسع فكثير من الناس وجدوا البركة وحالة صادقة وأموراً ظاهرة ، وحكايات تجربته كثيرة منتشرة يضيق الوقت عن ذكرها .

قال بعضهم : وقد اتفق لي منه أمور في بعض الحالات ، ولا سيما في الحروب ما يطول ذكره .

وأما بعض خواصه! فقد جاء عن الشيخ أنه قال : لو قُرىء حزبي في بغداد لما أُخِذَت ، وهو العدة[1] الوافية والجنة[2] الواقية التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب ، وما قرىء في مكان إلاّ سلم من الآفات وحُفِظَ من حوادث العاهات[3] ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومَن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله تعالى دعوته وفرج كربته ، ورفع بين الناس قدره ، وشرح بالتوحيد صدره ، وسهل أمره ويسر عسره ، وكفاه شر الإنس والجن ، وآمنه من شر طوارق الليل والنهار ، فلا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ، وإذا قرأه عند

(١) والعدة ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح « مخ » .
(٢) والجنة بالضم ما استتر به من سلاح (منه) .
(٣) العاهة : الآفة « مختار » .

جبار أمِنَ من شَره ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله تعالى عن خلقه ، وآمنه من حوادث دهره ويسر عليه أسباب السعادة في حركاته وسكناته ، ومن أراد أن يبلغ مراده فليقرأ عقب صلاة الصبح سورة يس عشر مرات ، ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة ، فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه ، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله تعالى محبته في القلوب .

قال بعض العلماء : من كتبه على شيء يكون محفوظاً بحول الله تعالى وقوته ، ومن استدام قراءته لا يموت غريقاً ولا حريقاً ولا بريقاً[(١)] ولا شريقاً[(٢)] ، وإذا احتبس الريح على أهل سفينة وذكروه جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى ، ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار مديراً عليها حرس الله تعالى تلك المدينة من شرِّ طوارق الحدثان والآفات .

وله منفعة جليلة في الحروب ، وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم .

قال الشيخ أحمد زروق : **وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمة**[(٣)] يتصرف به في الجلب والدفع ، وينوي المراد عند قوله : (وسخر لنا هذا البحر) كما قال ابن عباد رحمه الله تعالى فيما رأيته بخطه ، وهو صحيح ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه لذكرت هنا العجائب والغرائب وفي ما كتبناه كفاية . انتهى عبارته ٩٦ ج٢ .

وفي « كشف الظنون » وهو دعاء مشهور ؛ سمي به[(٤)] ! ! لأنه وضع في البحر للسلامة فيه حين سافر[(٥)] في بحر القلزم ، فتوقف عليهم الريح

---

(١) أي : بإصابة البرق .

(٢) وقد شرق من باب طرب أي غصّ « مخ » .

(٣) الهمة تطلق على العزم القوي فيقال له همة عالية « مصباح » .

(٤) أي بحزب البحر .

(٥) شاذلي .

أياماً فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه فقرأه فجاء الريح ، ويسمى أيضاً (بالحزب الصغير) انتهى عبارته ٤٣٤ ج١ .

قال العلامة زين العابدين المناوي في شرحه للحزب المذكور : نقل بعض المشائخ الراسخين في تلاوة هذا الحزب أن التأثير موقوف على الإجازة والاستئذان ، ومن لم يستأذن فهو كالقاصد لجواز البحر من غير سفينة « فتح الملك المجيد » عبارته في ٥٧ .

شروط قراءة حزب البحر

وفي « الفيوضات الربانية » اعلم أن من الشروط في الدعوة بهذا الحزب الشريف التوبة النصوح وتقديم الصدقة بشيء من الحلال ، وأن يكون على طهارة كاملة هو وثيابه ، ويقعد مستقبل القبلة بالخضوع والخشوع ، ويقرأ الحزب بالحضور قبل طلوع الشمس وبعد العصر مرة ، ويبدأ أولاً بالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص ثم قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ** ﴾ إلى قوله ﴿ **غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ ثم قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا** ﴾ الآية ثم ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ** ﴾ إلى آخر الفتح ثم ﴿ **لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ** ﴾ إلى آخر السورة ثم حروف الهجاء ٢٩ حرفاً بنفس واحد وهي أ ، ب . إلخ ثم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم الصلاة على النبي ﷺ وهي « اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله بعدد العدد والمدد من الأزل إلى الأبد » ، ثم يستحضر روحانية سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره العالي كأنه حاضر لديه ويستمد منه ، ويسأله العون على كل ما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا علي إلخ انتهى عبارته ١٠١ .

ورأيت في هامش « مجموعة الأحزاب » ما نصه : وكيفية قراءة هذا

الحزب أن تستفتح بالآيات الثلاث الآتي بيانها : الأولى[1] : من الأنعام ، والثانية[2] : من آل عمران ، والثالثة : من آخر[3] الفتح ، ثم تقرأ الحروف التسعة والعشرين ، ثم يقرأ الحزب المبارك . انتهى .

ورأيت في هامشها أيضاً ما نصه : فإذا وصلت إلى قولك حم السبع توجهت إلى الجهات الست : يمين وأمام ويسار وخلف وفوق وتحت ، ثم تقول رفعت بالله كل بلاء يأتي من هذه الجهات الست واستجلبت بها كل خير يأتي من هذه الجهات الست ثم قل حم السابعة وخُط بها نفسك وجوانبك وامسح بها وجهك ، واستحضر مرادك في قلبك ، وكذا في موضع الإشارات المشار إليها في الحاشية بِـ (قِفْ) . انتهى .

وفي هامشه أيضاً في موضع الحواميم ما نصُّه : محل الإجابة يقرأ هنا هذا الدعاء سمعنا من الأستاذ : اللهم لا تقتلني بغضبك ولا تهلكني بعذابك وعافني قبل ذلك ، اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني وكفّ أيدي الظالمين عني يا حفيظ احفظني ويسر أموري وحصل مرادي .

وفي هامشه أيضاً ثم عند قولك (كهيعص كفايتنا) تضم إصبعاً من أصابع يدك اليمنى عند كل حرف منها وتبتدىء بالخنصر وتجعله للكاف وللهاء البنصر وللوسطى الياء وللسبابة العين وللإبهام الصاد لا تزال ضامّاً للأصابع إلى أن تصل إلى قولك (حمعسق حمايتنا) فتفتح الذي ضممت أخرى واعتمد على ذلك . انتهى بحروفه .

وسألت شيخنا خالد سيف الله عن القول المار (وخُطَّ بها نفسك)

---

(١) ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلخ .
(٢) ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ ﴾ إلخ .
(٣) ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلخ .

إلخ وعن كيفيته فأمرَّ إصبعه على وسط نفسه ودارت بحم السابعة وخَطَّ بها نفسه كالدائرة . انتهى .

وسألته رضي الله عنه أيضاً عما مرَّ من ضم الأصابع عند قوله (كهيعص) وانفتاحها عند قوله (حمعسق) فقال ما معناه : يبتدىء بالضم من الخنصر[1] إلى الإبهام ، وفي الافتتاح يبتدىء من الإبهام إلى الخنصر . انتهى . لكن المفهوم من « المناقب الأحمدية » أن يبدأ بالخنصر[2] في القبض والبسط كما يأتي .

وأردت أن أورد هنا ما وصل لديَّ من فوائد « حزب البحر » وإن طال الكلام ولعل ذلك لا يخلو عن فائدة .

قال مؤلف « المناقب الأحمدية » في ١١٣ :

المقام الرابع في بيان بعض الفوائد والإشارات في دعاء حزب[3]

---

(١) فقال مُسَبِّحَةَ لْطَلُنْ رَهِ أَبُنْ كِ بُكُ خَ دِرْ وَسْ . انتهى (منه) .

(٢) أي : في غير هذا الموضع ، أي : في قوله (كهيعص) (حمعسق) فافهم (منه) .

(٣) ومما ينبغي أن يعلم أن قراءة الأحزاب ليس من وظائف المريدين بل هي وظيفة الخليفة الذي صار مرجع الطلبة ويفيد بتلك الأحزاب أرباب الحوائج والمضطرّين ، وأما المريدون فلا يلتفتون إليها إلاّ إذا وقعت الحاجة لدفع مكروه أو جلب محبوب لأن الواجب عليهم الذكر والفكر كما هو المفهوم مما في هامش « المناقب الأحمدية » في ١١٣ . وفي « تقريب الأصول » : ما رأينا قطّ أحداً وصل إلى الله تعالى بمجرّد قراءة الأحزاب والأوراد . انتهى . وفيه أن أمثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلاً ونهاراً أن الله تعالى يزوجه بنت السلطان . انتهى عبارته راجعه في ٩٢ . فالحاصل لا شيء أنفع للمريد المبتدىء من ملازمة الذكر في جميع الأحوال والأوقات . ومما يوضح لك ذلك أن السيد علي بن ميمون المغربي لما تصرف في الشيخ علوان الحموي وهو كان مفتياً مدرساً ، فنهاه عن الكلّ وأشغله بالذكر فطعن الجهال فيه بأنه أضلّ شيخ الإسلام ومنعه عن نفع الأنام ، ثم بلغ السيّد أنه يقرأ القرآن أحياناً ، فمنعه منه فقال الناس : أنه زنديق يمنع من تلاوة القرآن الذي هو قطب الإيمان وغوث الإيقان لكن طاوعه المريد إلى أن حصل له المزيد وانجلت مرآة قلبه وحصل له مشاهدة ربه ، فأذن في قراءة القرآن ، فلما فتح=

البحر على ما هو معمول حضرة سيدي الوالد أسكنه الله تعالى في أعلى الدرجات : كان يقول ﷺ طريق نصابه أن يقرأ ثلاثمائة وستين مرة ، وإذا أراد أن يكون عاملاً به فليقرأ في ثلاثة أيام في كل يوم مائة وعشرين مرة مع ترك الحيوانات الجلالية[1] والجمالية ؛ أي اللحم واللبن والسمن والعسل ، وترك الثوم والبصل وأمثالهما ، وإذا أراد أن يشرع في الحزب المذكور لا بد أن يغتسل أولاً ، ويستعمل الطيب على بدنه وثوبه ، ويلبس غير مخيط ؛ جديداً كان أو غسيلاً ، ويشتغل بالقراءة في المسجد معتكفاً صائماً ومستقبلاً ، فإن سبقه الحدث يتوضأ ويصلي شفعاً ويتم الحزب ويغتسل عند شروعه في كل يوم ، ويجعله ورداً بالشرائط المذكورة ، وإلا خيف عليه الرجعة ! فلا بد أن لا يجعل شرطاً منها مفقوداً إلى إتمام الدعوة ، وبعد فراغه الأفضل أن يجعل القراءة مقررة في الأوقات الخمسة ، أي : عقيب الصلوات الخمس ، ولو لم يؤدّ في وقت تداركه في وقت آخر .

وبالجملة لا ينقص من خمس مرات في كل يوم وليلة ، فلو لم يستطع فلا يجعل أقل من ثلاث مرات ؛ بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب ، وإذا وقعت حاجة أحياناً فليقرأ فقرة من الحزب المذكور مناسبة لمطلبه مع اسم من الأسماء الإلهية ، أو آية من الآيات القرانية ملائماً لمقصوده سبعين مرة ويكررها جاعلاً صورة المطلوب في نظره ؛ بأن يشرع في الحزب أولاً وإذا انتهى إلى الفقرة قرأها بالطريق المذكور ، ثم يتم الحزب ، هكذا يفعل سبع

=المصحف فتح عليه الفتوحات الأزلية والأبدية وظهر له كنوز المعارف والعوارف الظاهرية والباطنية ، فقال السيّد : أنا ما كنت أمنعك من القرآن وإنما كنت أمنعك من اللقلقة والغفلة عما فيه من البيان في هذا الشأن ، والله المستعان . رواه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه ، انتهى كلام « المرقات » كذا في « كنز المعارف » لسيف الله من خطه ١٤٢ .

(١) قوله : (الجلالية) وبالجملة الحيوان جلالي ، وما يخرج منه جمالي عند المتقدمين من هامش « مناقب الأحمدية » .

مرات في الخلوة بعد الغسل والصلاة بالحضور والتوجه التام ليتوجه حين القراءة إلى روح الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره مستمدّاً منه حتى يكون مؤثراً تامّاً .

وقال جماعة من أهل الدعوة : من أراد العمل في حزب البحر يصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة مع الإعتكاف وترك الحيوانات الجلالية والجمالية بنية النصاب ، ويقرأ كل يوم بعد الغسل والصلاة مائة وعشرين مرة ، ويقرأ في اثنى عشر يوماً أيام ازدياد نور القمر [كلّ] يوم ثلاثين مرة .

يقول الفقير عفى الله تعالى عنه : اختيار هذا العدد لأجل أن درجات الشمس ثلاث مائة وستين في ضمن المثلثات الأربعة ، أو البروج الاثني عشرية والله أعلم .

وإذا خاف من السلطان أو السبع فليقرأ هذا الحزب سبع مرات ، فينفخ على يده اليمنى فيمسح بها جميع بدنه .

ولو تحير في أمر يقرأ في مقام خال نظيف بعد الغسل والصلاة خمس مرات أو سبع مرات . وللحب اثنى عشرة مرة أو سبعة يقرأ على ماء الورد وإذا بلغ إلى قوله (وهب لنا) كرر سبعين مرة قوله تعالى ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ ثم يقول : يا رب اجعل محبة فلان ابن فلان في فلان ابن فلان ويفعل على هذا الترتيب ثلاثة أيام ، وإذا استقبل ذلك الشخص فليأخذ قليلاً من ماء الورد يدلكه على كفه ويمسح به وجهه .

ولقهر الأعداء يقرأ اثنى عشر يوماً في كل يوم ثلاثاً ، وعند بلوغه إلى قوله و(اطمس على وجوه أعدائنا) و(شاهت الوجوه) يشير إلى العدو والله تعالى أعلم .

وأيضاً يقول رضي الله عنه من قوله (**يا علي**) إلى قوله (**رحيم**) هذه الفقرة

داخلة في الجمال بمعنى أن للصورة المثالية التي تظهر من طلب هذه الفقرة مناسبة لإصلاح النفوس ، فالمناسب أنَّه إن كان ملكاً أو رئيساً وكان في خاطره أن لا يخالفه الرعايا بل أن يوافقوه ويحبوه وتظهر تربيته لهم على وفق الشرع والعقل ويتهيأ أموره من الغيب فليداوم على هذه الفقرة وليعتمد عليها .

ومن قوله (**نسألك**) إلى قوله (**الغيوب**) من وقع من حسن الحال إلى خلافه كالتبذير والفسق واللهو والجبن والعي أو يشوِّشه حديث النفس تناسبه هذه الفقرة كثيراً ، فإكثارها منج من البليات المذكورات .

ومن قوله **فقد** : ﴿**ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾ إلى ﴿**غُرُورًا**﴾ يصلح لمعنيين باعتبار أعمال تصريفه : **الأول** : أنه يعالج به من ابتلي بحزن القلب ، وتشتت الخاطر ، وحديث النفس وهجوم الخواطر ، فليقرأ هذه الفقرة مع سابقها كثيراً . **والثاني** : من وقع في حادثة واتفق أحباؤه مع أعدائه في القيل والقال فأراد تدارك هذا الخلل لا بد من تلاوة تلك الفقرة مع فقرة (**فثبتنا وانصرنا**) مع المبالغة ، ويتذكر صورة الأحباب ومقاولاتهم عند التلفظ بهذه الفقرة إلى قوله تعالى ﴿**شَدِيدًا**﴾ أو يشير بيده إلى الرد والإبطال ، ويلاحظ صور الأعداء ومجادلاتهم حين التكلم بقوله ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ**﴾ إلى ﴿**غُرُورًا**﴾ مشيراً إلى الرد والإبطال .

ومن قوله (**فثبتنا**) . . إلى ﴿**بِكُلِّ شَىْءٍ**﴾ إذا تحارب جمع مع أعدائهم ، وهيأ كلٌّ عدداً حسب وسعهم طالباً للغلبة على الآخر بجهدهم وهممهم ، فهذه الفقرة بكثرة تلاوتها صالحة لأن يتحقق حال الحرب لطيفة غيبية ويحصل الفتح على الأعداء ، وكذا إذا استقبله أمر مغلق عجزوا عن تدبيره ، أو مرض صعب لا يقدر الأطباء على معالجته ، فبإكثار تلاوة هذه الفقرة تظهر لطيفة غيبية يحصل حل الأمر المشكل بها والشفاء عن عضال الداء .

ومن قوله ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ إلى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذه الفقرة داخلة في سعادة الزهرة ؛ ففي باب الزروع وحسن نبات الأشجار لابد من جعله مكسراً في مثمن ليحصل سعادة المشترى أيضاً ، وليكتب على لوح من الخشب بالخط الجلي ، وليعلق على البساتين والزروع في موضع عال ، وليكتب لثمر الشجر المعين على ورق بعصارة ثمره ، وللجمال والقبول ولفرح الشخص يكتب على كاغذ بالمسك وماء الورد فيشده على رأسه ، وإن كانت امرأة تكتب مخمساً بهذه الصفة من (انصرنا) إلى (ارزقنا) .

ومن قوله ﴿وَهَبْ لَنَا﴾ . . إلى ﴿قَدِيرٌ﴾ ، هذه الفقرة بإكثار تلاوتها صالحة لوصول اللطيفة الغيبية في كل وقت ومكان من حيث لا يدري ، ويكون سبباً للنصرة على أعدائه ، ولإزالة الآفات والمصائب ، فإن كان نفقة الغيب ! فليقرأ أربع عشر مرة يا وهَّاب ، وثلاثاً ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ، وإن كانت الفراسة[1] والإشراف على القلوب مرغوبة يقول أربع عشر مرة يا عليم يا مبين يا خبير ، وثلاثاً ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ . . إلى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وإن طلب ظهور آثار الرقي والدعاء يقرأ أربع عشر : يا مجيب ثم ثلاثاً : ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ .

ومن قوله (**اللهم يسر لنا**) . . إلى (**يرجعون**) هذه الفقرة صالحة لوصول أنواع اليسر لداعيه من الغيب في كل ما توجه إليه ، وإذا شرع في أمر يقرأ قبله واحداً وألفا في كل مجلس وقعت فيه خصومة في مسألة من المسائل الدينية أو في قضية من القضايا الدنيوية ، وكان الحق في جانب الداعي والخصم بطلاقة اللسان والجسارة[2] غالب أمره ، يقرأ

---

(١) والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيراً . . إلخ . وفي الحديث « اتقوا فراسة المؤمن » « مختار » .

(٢) وجسر على كذا : أقدم ، يجسر بالضم جسارة بالفتح وتجاسر أيضاً ، والجسور=

ثلاثاً : (**واطمس على وجوه أعدائنا**) . . إلى (**ولا يرجعون**) . وينفخ إلى جانب الخصم يظهر الإسكات والتحيُّر والاعتقال فيه .

ومن قوله ﴿**يسٓ**﴾ . . إلى : ﴿**ظُلَمًا**﴾ . من ابتلي بحزن أو كيفية لا يلائم استقامة النفس ؛ كالخوف والغضب والحقد والتشويش في أمر المعاش وغيرها فَلْيَتْلُ منها خمس آيات إلى ﴿**غَٰفِلُونَ**﴾ ، وينفخ على قلبه .

وإن أراد عالم أو قاض أن يقع درسه أو قضاؤه على نهج مستقيم فليكتب تلك الآيات في مثمَّن ويحفظ معه ويلازم تلاوتها بعد كل صلاة .

ومن أراد أن يمر بين الأعداء من غير أن يروه ويتعرضوا له فليقرأ ﴿**لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ**﴾ . . إلى ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ وينفخ على الحصى ويرميهم به ، أو يأفف[1] نحوهم .

ومن أبق عبده وأراد تحيره فليتل تلك الآيات أو يكتب اسم العبد على ورقة أو خرقة ويكتب حوله تلك الآية بطريق الدائرة ويعلقها في مكان كان العبد فيه ، أو يلقي في القدر ويجعل اسمه في مُومٍ ويدفن في الخلاء في مقبرة قديمة .

ومن خاصمه أحد بغير حق يقرأ هذه الآيات ﴿**وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ**﴾ . . إلى ﴿**ظُلْمًا**﴾ سبعاً ويأفف إليه ، أو يكتب على ثوبه ويدفنه في مقبرة قديمة أو صحراء غير معمورة ، أو يقرأ على خزف مأخوذ من مقبرة ويلقي في بيته .

وبالجملة أول الآيات إلى ﴿**غَٰفِلُونَ**﴾ صورتها المثالية مناسبة لسعادة المشترى ، وآخرها إلى ﴿**ظُلْمًا**﴾ مناسبة لنحوسة زحل ، وفي

=بالفتح المقدام « مختار » .

(١) أي : ينفخ .

جميع أعمال المشتري وزحل تستعمل هذه الفقرة .

ومن قوله ﴿طسٓ﴾ . . إلى ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ هذه الفقرة صالحة في أنه إذا وقع التناشز بين الزوجين وأشرف نظم صحبتهما على الانقطاع ، أو تخاصم الشريكان في المعاملة فبالتمسك بهذه الفقرة تلاوةً وحملاً يسكن الشغب(١) وتحبس الألسن من المخاصمة والمشاتمة .

ومن قوله ﴿حمٓ﴾ . . إلى ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ هذه الفقرة في إسكات الأعداء وطلب الحشمة(٢) والجاه مؤثرة تأثيراً كثيراً ، يقرأ سبعاً فينفخ إلى الخلق أو على سبع حصاة فيرميها إليهم .

ومن قوله ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ . . إلى (**مصير**) نافع من مكائد الشيطان ولطخات السوء ؛ كالسحر وشر العين ، ولاستمطار الجود الإلهي ، وكفاية المهمات وتوسيع الرزق ، ورفع الصيت(٣) وعظم الجاه كآية الكرسي .

ومن قوله (**بسم الله بابنا**) . . إلى (**حمايتنا**) هذه الفقرة حصن منيع للداعي من آفات اللصوص والشياطين والظلمة ، ويتخيل حين القراءة إحاطة نور القرآن وليدير يده على أطرافه وحواليه ، ويخط بالعصا حول أمتعته .

وإذا ذهب عند ظالم وغلب عليه خوفه وسطوته يقرأ : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليمنى ويقول : كفايتنا ، ويقرأ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليسرى ويقول : حمايتنا . فإذا وصل إلى مقابله يفتح يديه ويأفف(٤) إليه .

---

(١) الشغب بالتسكين - تهييج الشرّ « مختار » .
(٢) أي : الحرمة .
(٣) أي ذكر جميل بين الناس .
(٤) أي ينفخ .

ومن قوله ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ . . إلى ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ، هذه الآية أنفع الأشياء لطلب الكفاية من شر الأعداء ، فإن كان الداعي ذا حظ من الصلاة يقرأها على نهج صلاة التسبيح في أربع ركعات ثلاثمائة مرة ، أو في ركعتين في كل ركعة خمسين ، وإن كان ذا حظ من الذكر يقرأ واحداً وألفاً إلى سبعة أيام ، وإن لم يتيسر يقرأ بعدد اسم « كافي » مائة وإحدى عشر .

ومن قوله (**ستر العرش**) . . إلى (**محفوظ**) حصن بليغ من شر العين وضرّ الجن والسحر وكل لطخة سوء ، ومن قوله ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ . . إلى ﴿ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ أبلغ سبب في حفظ النفس والأموال والأولاد من الشر المتوقع . فمن أراد حفظ متاعه من السوس أو اللصوص فليكسره في مربع على كاغذ أو خزف فيجعله في متاعه . ومن خاف قطاع الطريق أو اللصوص أو ظالم يريد التعدي عليه فإن وجد أكثر الحلاوة في الصلاة يصلي على صفة صلاة التسبيح أربع ركعات ويقرأ هذه الكلمات فيها ثلاثمائة ، وإن كان لذته أكثر في الذكر يقرأها واحداً وألفاً إلى سبعة أيام ، وإن قدر كل يوم يقرأ في أحسن الساعات كنصف الليل أو الزوال أو بعد العصر أو قبل الطلوع .

ومن قوله ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ﴾ . . إلى ﴿ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، لهذه الآية تأثير بليغ في نفقة الغيب وتحصيل النظام البدني والمنزلي ، فإن كان الداعي من أهل الصلاة يقرأ على هيئة صلاة التسبيح ، وإن كان من أهل الذكر يقرأ بعدد اسم (ولي) بعد كل صلاة .

ومن قوله ﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ . . إلى ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ للحفظ من المضار وطلب نفقة الغيب والنصرة على الأعداء ، هذه الكلمة كيمياء عجيب التأثير ، يقرأ بعدد « رزاق » وبعدد « كافي » وبعدد « حفيظ » وبعدد[1] . . .

(١) كذا في الأصل ، والله أعلم .

وبالجملة بعدد كل اسم مناسب لحاجته مؤثر .

ومن قوله (**بسم الله**) . . إلى (**عليم**) لهذا الدعاء تأثير بليغ في حبس كل ضار عن ضرره كالسبع والهامَّة[1] ، والماء البارد للمبرود والحار للمحرور ، ودواء وغذاء يحتمل ضرراً أو عيناً عليه ، أو السحر والأوجاع والأورام وأمثالها ، وإن خاف من وقاحة من له سوء الخلق يقرأ ثلاثاً وينفث على ما يخاف منه أو إليه ، وإن لم يكن حاضراً يستحضر صورته في الخيال ويقرأ بنيته مكرراً .

ومن قوله (**لا حول**) . . إلى (العظيم) مؤثر بليغ في رد السحر والعين ، والرجعة في دعاء السوء وهمة أهل الهمة وأمثالها والتأثير العميق .

(باسم الله الذي) إلخ . . في دفع المضار المحسوسة ، وأغلب تأثير (لا حول) في غير المحسوس .

وأيضاً يقول رضي الله عنه : يقرأ حروف الهجاء من أولها إلى آخرها بنَفَس واحد ، ويتصور الشيخ أبا الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى ويستمد منه .

وفي (سخِّر لنا هذا البحر) يشير إلى المقصود ، وإذا قرأ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كرره ثلاثاً ويضم في المرة الأولى مع كل حرف أصابع يده اليمنى ويتخيل حصول المطلوب ، ويفتحها في الثانية متخيلاً فتح المطلب ، ويفعل في الثالثة كالأولى .

وإذا قرأ (انصُرنا) فتح الخنصر ، ويفتح البنصر في آخر (وافتح لنا) ، والوسطى في آخر (واغفر لنا) ، والسبابة في آخر (وارحمنا) ، والإبهام في آخر (وارزقنا) وليبدأ بالخنصر في القبض والبسط .

---

(١) والهامة : من طير اللّيل « مختار » .

ومن (واطمس) . . إلى (ولا يرجعون) يشير باليد اليمنى إلى الأعداء والشياطين متخيلاً لهم ، ويكرر ثلاثاً (شاهت الوجوه) ويضرب يده اليمنى على الأرض ملاحظاً هلاكهم ، ويفتح بـ﴿حمٓ﴾ الأول : أمامه ، والثاني : خلفه ، والثالث ، يمينه ، والرابع : يساره ، والخامس : فوقه ، والسادس : تحته . ثم يقرأ على نهج الدعاء رافعاً يديه من (رفعت) . . إلى (عاهات) ويلحظ مطلبه ، ثم يقرأ سابع الحواميم وينفخ على يده فيمسح تمام ما يصل إليه اليد من البدن .

وفي ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الثانى يضم أصابع اليد اليمنى بكل حرف فيقول (كفايتنا) ويفتحها في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ بكل حرف فيقول (حمايتنا) ويكرر ثلاثاً كل واحد من ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ومن ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ومن ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ وعند بعض سبعاً في الآخر وهو أولى ومن (**بسم الله الذي**) إلى (**العليم**) ثلاثاً وكذا من (لا حول) إلى (العظيم) ويكرر آمين ثلاثاً .

الأسماء الجمالية والجلالية

وأيضاً يقول رضي الله عنه **وقدّسنا بسره الأقدس** : يقرأ في الأمور الجمالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجمالية مثل يا ناصر يا فتاح يا غفار يا رحيم يا رزاق يا حافظ يا وهاب ، وفي الجلالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجلالية مثل يا قابض يا خافض يا مُذلّ يا جبار يا قهار ، مثلاً من (يا علي) إلى (رحيم) فقرة واسمها « يا كافي المهمات » يقرأ لكفاية المهام سبعين مرة .

ومن (نسألك) إلى (الغيوب) فقرة ، والاسم يا حفيظ يقرأ للمحافظة وترقيات الباطن سبعين ، وكذا (يا عاصم) اسم هذه الفقرة يقرأ للعصمة

عن المناهي والمعاصي سبعين .

ومن (فثبتنا) يا مثبت القلوب للطمأنينة وسكينة القلب . وفي (انصرنا) يا ناصر للنصرة سبعين ، وفي (سخر لنا) إلى (كل شيء) يا مسخر لتسخير القلوب بالعدد المذكور ، وفي (وافتح لنا) إلى (الفاتحين) يا فتاح للفتح بالعدد المذكور ، وفي (واغفر لنا) إلى (الغافرين) يا غفار للمغفرة سبعين ، وفي (وارحمنا) إلى (الراحمين) يا رحيم للترحّم سبعين ، وفي (وارزقنا) إلى (الرازقين) يا رزاق ارزقني للرزق ، أو آية ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أو اسم يا رزاق ارزقني رزقاً طيباً واسعاً بغير حساب (سبعين) ، وفي (واحفظنا) إلى (حافظين) فقرة ، والاسم يا حفيظ يقرأ سبعين للمحافظة ، وفي (واهدنا) إلى (الظالمين) الاسم يا هادي للهداية (وهب لنا) إلى (قدير) يا وهَّاب للهبة وإعطاء المقاصد .

وفي (يسر لنا) إلى (أبداننا) يا ميسر لكلِّ عسير لسهولة المشكلات .

وفي (وكن لنا) إلى (أهلنا) يا حافظ للمحافظة في السفر .

وفي (واطمس) إلى (يرجعون) يا شديد الانتقام لهلاك العدو أو يا مذل للذلة .

وفي « يس » إلى « حم » يا عليم لزيادة العلم ، وفي (حسبي الله) إلى (العليم) لتليين قلوب المؤمنين .

والعدد في كل واحد سبعون ، ومن قرأ هذه الفقرة سبعاً في الصبح وسبعاً في المساء لكل قصد جعله الله تعالى صادقاً فيه صادقاً كان أو كاذباً . انتهى ما في « المناقب الأحمدية » ١٢١ .

حزب النصر

ومن وظائف الشاذلية حزب النصر للإمام الشاذلي .

قال رحمه الله تعالى وأمدنا بمدده : من قرأه أو حمله رزقه الله النصر على أعدائه ، وكفَّت أيديهم عن أذيته ، وعقدت ألسنتهم عن غيبته ، وطمست قلوبهم عن ذكره ، وإذا كان في جيش لا ينهزم بإذن الله تعالى كما جرّب وصح ، ومن قرأه أو حمله فقد نجا من كل بلاء وسوء ، وله فضائل لا يعلمه إلا الله تعالى . انتهى من خط محمد طاهر القراخي قدس سره .

وفي « الأنوار القدسية » : حزب النصر وهو لتدمير الظالم وله سرٌّ عجيب وأمر غريب ، يقرأ في المهمات وللتبرك في سائر الأوقات . انتهى عبارته ٢٢٥ . وله شرح لطيف وخواص كثيرة ولم أذكرها هنا خوف الإطالة والملالة فإن أردت الاطلاع عليها فاطلبها من هامش « مجموعة الأحزاب » للقطب أحمد ضياء الدين قدس سره من الجزء الأول تجد البيان .

الحزب الكبير « حزب البر »

ومن وظائف الشاذلية أيضاً الحزب الكبير المسمى بحزب البر الذي كان الشاذلي يقول في حقه : إنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه ، وقال : من قرأ حزبي هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

قال سيدي عبد الله رحمه الله تعالى : يعني له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة . انتهى .

وقال : من حفظه فإنه من أصحابي . نفعنا الله بِمنّه وكرمه وله شرح نفيس عجيب سمّي بـ« تنوير الصدر » قد جمع فيه مؤلفه رحمه الله من

العلوم والفوائد كل مهم ، وهو مكتوب في هامش « مجموعة الأحزاب » من أول الجزء الأول .

وفي « الإتحاف » شرح « الإحياء » ما يصرح أن لمؤلفه رحمه الله شرحاً لهذا الحزب لكن لم نره ولم نصادفه ، و للشاذلي أحزاب كثيرة وكلها مجموعة في « الأنوار القدسية » و« مجموعة الأحزاب » فمن أراد فليراجع إليهما .

الصلاة المشيشية

ومن وظائف الشاذليين الصلاة المشيشية الْمَمزوجية التي جرت عادتهم بقراءتها صباحاً ومساءً ، وقد أجازني بقراءتها وتلقينها الشيخ المحترم سيف الله قدس سره ، وكتب لي بذلك مكتوب الإجازة بخطه الشريف . وذكر صاحب « أفضل الصلوات » كلاماً في حق الصلاة المشيشية فقال : هذه صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش وهي من أفضل الصيغ المشهورة ذات الفضل العظيم .

قال العلاَّمة السيد محمد عابدين صاحب « حاشية الدر » في ثبته : صلاة الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى والدال عليه ذي الطريقة السنية المستقيمة ، والأحوال السنية العظيمة ، شريف النسب وأصيل الحسب سيدنا ومولانا السيد الشريف عبد السلام ابن بشيش – يقال بالباء فى أوله وبالميم – الحسني المغربي ، التي أولها : اللهم صل على مَن منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار . . إلخ . قد أوردها الشهاب أحمد النخلي وتلميذه الشهاب المنيني في ثبتيهما ، وذكر النخلي أنها أخذها عن الشيخ أحمد البابلي والشيخ عيسى الثعالبي قال : وأمراني أن أقرأها بعد صلاة الصبح مرة وبعد صلاة المغرب مرة .

قال ورأيت في بعض التعاليق : يقرأ ثلاث مرات بعد الصبح وبعد

المغرب وبعد العشاء ، وفي قراءتها من الأسرار ومن الأنوار ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبقراءتها المدد الإلهي والفتح الرباني ، ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر ميسَّر الأمر محفوظاً بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبليات والأمراض الظاهرة والباطنة ؛ منصوراً على جميع الأعداء ، مؤيداً بتأييد الله تعالى العظيم في جميع أموره ، ملحوظاً بعين عناية الله الكريم الوهاب وعناية رسوله ﷺ وعلى الآل والأصحاب ، وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ** ﴾ انتهى .

وقد زاد بعض أكابر العارفين من مشائخ الطريقة الشاذلية فيها زيادات شريفة مزجها بها وجعلها وظيفة له يقرؤها أهل طريقته العلية صباحاً ومساء ، نفعنا الله بهم . انتهى عبارته ١١٠ .

ورأيت في هامش « دلائل الخيرات » ما لفظه هذا : ومن واظب على قراءتها بالنية الخالصة يكون من أهل الحظوة . انتهى .

اعلم أيها الولد – جعلك الله ممن يقر عيني به آمين – أن الشيخ المحترم خالد سيف الله قدس سره بعد ما أجازني في تلقين الطريقة الشاذلية كتب إليّ مراراً بتلقينها وتكثير أربابها ، والاجتماع لقراءة أورادها ووظائفها ، بيد أنّ الناس في ديارنا لما كانوا منذ زمان قد أَلِفوا بالنقشبندية والحال أنهم لم يعرفوا الشاذلية ولم يسمعوها ولأجله كنت قصّرت في إجرائها وتلقينها نظراً إلى قلّة رغبة الطالبين إليها ، ولعله قدس سره اطلع على هذا بكشفه فحينئذٍ كتب إليَّ ما نصه : **واعلم أيها المحبوب أظن أنكم تستقلُّون قدر الشاذلية وتسامحون في إدارتها ، فأسألكم بالله تعالى أن تجتهدوا في إدارتها وتحضُّوا إليها الناس ، فشمس هذه الطريقة تطلع وتقوى يوماً فيوماً** ، ولا تغرب شمسها بعد ويكثر أهلها ومحبّوها ، ففضائلها غير معدودة ، وهي معنعنة من الأغواث والأقطاب ، وفيها

فضائل مخصوصة ليست في غيرها ، وعَضَّ عليها بالنواجذ ، ولأجل عدم أهلها صارت الآن كعنقاء مغرب ، فعن قليل يتشعشع نورها ويزيد نماؤها ويكثر أربابها ولعلك لا تترك ختمها بل توسع دائرتها وفق الإمكان ، والله المستعان . انتهى . من خطه رضي الله عنه .

وسألته رحمه الله تعالى : هل يجوز اجتماع الشاذليين والنقشبنديين في مجلس واحد ؟ وهل يجوز أن يقرأ كل منهم ختم الآخر أم لا ؟ فكتب قدس سره في الجواب بما نصه :

ولقد سرّني هذا الخطاب الذي يُعْلن محبة اجتماع بعضهم بعضاً في الذكر ، لما أنَّ ذلك إن شاء الله تعالى من **علامة الجمع والوداد الذي هو رأس الدين الحنيفيّ** الذي قال تعالى في حقهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ إلخ . .

فاعلم أيها الأعز أَنَّمَا مرادنا الأهم الجمع لا الفرق ، فتحرضهم على الجمع كيف كان ليجمع عند الله وعند الناس شملهم[1] ، **وترخِّص للنقشبنديين للذهاب والجلوس في الختمات مع الشاذليين وبالعكس ،** فأما ذهاب الشاذليين لختمات النقشبنديين فأمره واسع بل هو مستحسن حيث كانوا من والد واحد خاصة ، ومن آبائنا المعنوية من له الإجازة التامة في خمس طريقة[2] ، بل في عشر بل أزيد حتى قال شيخنا وروحي فداه - : **كان شيخنا سيدي السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني قدس سره مأذوناً في أربعين طريقة .** هكذا سمعت من فمه ، ومَنْ التقانا من السادات في عدة[3] طرائق كثيرة من مشائخنا ، وكذا من مريديهم ،

(١) وجمع الله شمله أي : ما تشتت من أمره ، وفرق الله شمله أي : ما اجتمع من أمره . « مختار » .
(٢) عله طرائق (هامش الأصل) .
(٣) أي الكائنين (منه) .

وأما في حق ذهاب النقشبنديين لختمات الشاذليين فذلك ليست بمحال، بل يحتمل أن يفوزوا بكلتا الحسنيين وينالوا بذلك فوز الدارين، ولقد سألت العارف ذا الجناحين الحاج خَصْبُلات أفندي النقشبندي الكُستاكي خليفة القطب محمود الفعال قدس سره عن جلوس المريدين بعد الصلوات المفروضات معه بالحلقة بالذكر الجهري وفيهم الأجنبيون الذين نهى السادات عن دخول أجنبي لكن[1] في الختم وهل[2] لذلك وجه؟ فأجاب لي ولله الحمد، وقال: سألت شيخنا العارف القطب الغارف من بحر الفيوضات شيخنا ومرشدنا محمود الفعال صدوق المقال قدس سره عن ذلك السؤال بعينه، **فأجابه**: إن كان المريد أتم أوراده المعتادة فله اختيار حينئذ للجهر والجلوس في الحلقة بإذن الشيخ ورأيه، وكفى لنا هذا من هذا العلامة، وسوى ذلك أن الشيخ في ذلك أمين، وطبيب للقلوب القاسية والقدسية، فله أن يأمر المريدين بالمعروف عنده مصلحةً للدين والطريقة.

وأما اصطلاح النقشبنديين بإخراج الأجنبي في الختم! فهو أمر

---

(١) أي: لكن النهي، والله أعلم.

(٢) ورأيت في هامش «مناقب الأحمدية» ما نصه: تنبيه، لا يشترط في الختم والتوجه غضّ البصر، ولا التخلية من الأغيار، لأن الأصل عندهم الخلوة في الجلوة، وهي المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة الطرق قولاً وفعلاً. اللهم إلا أن يشوش الحال ولا تحصل الجمعية التي هي المقصود الأصلي أو يكون موجباً للفتنة في محل. وأظن أن اختراع حضرة مولانا خالد عليه الرحمة إنما يكون لذلك فلا يعمّ فاعرفه، فراجعه في ٨٤. ومعلوم متيقن أن الخلوّ عن الأغيار في الختامات والتوجهات أولى وأنسب في زماننا هذا، ولأجل ذلك مشى أشياخنا على ما مشى عليه القطب خالد قدس سره، وقد أخذ في جواز منع الأغيار عن مجلس ختماتهم ولو من المساجد فتوى من خاتمة المفسرين محمود الألوسي، فإن أردت ذلك فراجع «نور الهداية» في ١١ نسختي لمحمد أسعد قدس سره، ففيه البسط التام (منه رحم الله إفلاسه آمين).

ورد من سيد الكائنات ﷺ خوفاً من الأجنبي عن الانتقاد[1] والإنكار ، ولئلا يقع الاختلاف والطعن بسببهم بين المريدين خوفاً من التلفيق ، وأما إذا كان مريدو الطرق من منبع واحد وأمن من الوحشة والفرق ولم يخف من الانتقاد ، فجمعهم هو الجمع الجامع ما لم يخرجوا من اصطلاح القوم ، بأمثال البدعات المخترعة من أنفسهم . وأنت إن شاء الله أمين في حقهم ، وفي حق طرقهم ، ومأذون بالإذن التام المطلق العام ، وأمرهم مفوّض إليك في حق تربيتهم كتربية الطيور نظراً إلى الأحوال والزمان ، وفقك الله ولأتباعك لما يحبه ويرضاه .

وأما قولكم : وإلا[2] فينقبضون ويطلبون ببواطنهم دخولهم في سلك النقشبنديين إلخ . . عياذاً بالله تعالى أيها الموفق عن انقباضهم وتركهم الطريقة العلية ، فمن شذ ! فقد شاذَّ الشاذلي ، فكم قتل بأمثال ذلك ، وكم أمات وأحيا ! فليتوبوا من ذلك ، فإنما هو قطعة كبد الرسول ﷺ ، ونور حدقة[3] عين البتول ، وملجأ الأقطاب ، وفصل الخطاب ، أذاقنا الله تعالى وإياكم من محبته ، ومحبة محبيه آمين .

وأما المريدون الذين ينقبضون بعدم إدخالهم في الختمة فلا تثريب عليهم ، لشربهم بالذوق محبة سماع النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها ، ولقرب العهد لهذه الطريقة الشاذلية **فيعلو أمرها ثانياً** ، **ويتلذذون يوماً فيوماً** ما دامت نياتهم صحيحة وطويتهم صادقة ، فيا لله أيها العزيز ! تجاهد بالله في جمع كلمة المريدين وفق طاقتك ، بل أرجو أن تقع بينهم محبة راسخة نبوية ما دامت إخلاصهم ، **فليذهب كل أحد من الطرفين إلى الآخر بلا إنكار** ، لكن إن قوماً من المبتدعين الدَجَّالين يختمون الختم

---

(١) وناقده : ناقشه في الأمر . « مختار » .

(٢) أي : وإن لم يرخصوا للاجتماع في مجلس النقشبنديين فافهم . (منه) .

(٣) حدقة العين : سوادها الأعظم . « مختار » .

كيف كان بما رأوا في الكتب ، ثم يقومون وقد أدوا جميع ما عليهم ! كأنهم خرجوا من قيد التكليفات فلا يبتئسون بشيء من الذكر وعدمه ، فبه عليكم تعليم المريدين بأنه يلزم عليهم الاجتهاد في الذكر ، خاصة بعد الختمات ! ليكون شكراً لله وذكراً على ما رزقهم من النعم التي لا يقابلها شيء ، لما **أن الختم كأنه كأداء الفدية لجبر ما نقص أو أفرط في ذكرهم** ، ليسألوا عند الختم من الله العفو مما أفرطوا في جنبه تعالى ، وأداء حقوق آداب السادات ؛ أدرجهم الله تعالى مدارج الكمالات ، وأذاقهم حلاوة العرفان والفيوضات ، وأحيانا الله تعالى وإياكم وحيَّانا بالأعمال الصالحات آمين .

فكن أيها الأعز ضنيناً على الختمات . فكما أن الحج من واجبات الإسلام ! والختم أيضاً من لوازم بعض الطرق ووظائفها ، على ما تواتر إلينا من السادات باستجاب الدعوة وإجابتها فضلاً من الله تعالى ، **وهو السبب السني لحضور أرواح السادات** – قدس الله أسرارهم آمين – إلى مجلس الختمات إن كانت سالمةً من البدع . انتهى من خطه قدس سره .

مطلب : كيفية ختم الشاذلية

وسألته رضي الله عنه عن ختم الشاذليين وكيفيته ، فأجاب بما نصه : **فاعلم أيها الولد** الأعز نعم إن لهم ختماً ! وكيفية الختم هكذا قدس الله أسرار أهاليها وذلك أن الختم يكون في يوم الجمعة .

وأكملها أن الشيخ بعد تمام صلاة الصبح يشتغل بالورد وقراءة الصلاة المعهودة ، فبعد إتمام بالجلوس يقوم الشيخ ويفعل الحلقة مع المريدين ، وبقيامه في وسط الحلقة يتوجَّه إلى قلب كل أحد من المريدين بالدوران ، ثم يقول في تلك الحلقة (لا إله إلا الله) كم عدد شاء ، ثم بعد ذلك يقول : الله الله باسم الذات ، ثم يجلس الشيخ مع أولئك المريدين في الحلقة ، ويقرأ قدراً من القرآن وبعض ينشد من القصائد اللائقة للمجلس ، ثم بعد

تمام صلاة الجمعة يجتمع الحلقة ويقول : (لا إله إلا الله) بالإخلاص قائماً ، وهم أيضاً يقولون ثم يجلسون بالذكر ، ثم يقومون ويأخذ كل أحد يد مَنْ يليه ويقومون متحلقين متسلسلين بالأيدي ، وفي أخذ أيدي بعضهم يد بعض معنى لطيف[1] بينهم ، ولا يأخذ يد الشيخ أحد ، ولا الشيخ يأخذ يد أحد لكن الشيخ يكون في الوسط قائماً حينئذ ويكون ذكرهم : (لا إله إلا الله) ، ثم : (الله الله) بقدر الطاقة ، والشيخ يدور في وسط الحلقة بالذكر المذكور معهم ، ثم بعد ذلك يجلسون ويقرأ القرآن الكريم مَنْ هو اللائق من بينهم للقراءة ، ثم بعض منهم برأي الشيخ يقرأ القصائد ، وينشد أبياتاً لتحريك الشوق مما كانت لائقة بالمجلس ، كقصائد سادات الطرق يُحرِّض المريدين إلى الشوق والوجد ولا ضرر في ذلك في اصطلاح هؤلاء السادات ، ثم يتممون أورادهم من بعد صلاة العصر إلى المغرب .

وأما القيام والقعود بعد القيام ! فمفوض لإرادة الشيخ ورأيه ؛ متى شاء يأمرهم بالقيام أو الجلوس .

وللشيخ أن يجلس في طرف الحلقة جهة القبلة ؛ ناظراً إلى جهة المريدين وإقامة خليفته في الوسط للتوجه إليهم قائماً معهم ، وهذا القول وإن لم يكن في رسالة الشيخ مذكوراً لكن العمل كان كذلك ! وسادات الطريقة وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقام التربية لاختلاف الأزمنة والأمكنة وأحوال المريدين فالمقصد الجامع واحد ، وهو الإخلاص في

---

(١) وكتب قدس سره في مكتوب آخر بما نصه : وإن لهذه الطريقة العلية المدنية - يعني الشاذلية - قدس الله أسرار أهاليها ختم يوم الجمعة بعد صلاة المغرب أو العصر ، لكن بالوقوف على الأقدام بربط القلب بأخذ يد كل أحد من المريدين أيدي بعضهم كوضع السلسلة ، مع وقوف الشيخ في الوسط ، **وذلك منهم على سبيل التفاؤل** ، ليأخذ الناجح يوم الفصل الأكبر يد الآخر ، وقد يحصل هنالك المواجيد والصياحات من البعض كما من المجذوبين ، فلا تبتئس بما كانوا يعملون ، انتهى من خطه قدس سره (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

العبادة لما أن لكل وقت دولة ورجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل طريقة اصطلاح وقتيٌّ يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ، ولذلك ترى في كل طريقة ما يخالف الأخرى اصطلاحاً ، كاختلاف اصطلاح النقشبندية السنية الصديقية قدس الله أسرار أهاليها مع اصطلاح هذه الطرق **وإن كان مرادهم واحداً ألا وهو التقوى** ، كما ترى ذلك من كتب القوم ، فيلزم علينا وعلى أمثالنا التسليم في حقهم لأنهم عاملوا الله بقلب سليم ، وما جهلنا من أمرهم أو عثرنا بعدم إدراك العقول يسعه حسن الظن بهم ، وفوق كل ذي علم عليم . كما قال بعضهم : **الاعتقاد ولاية ، والانتقاد جناية** . نرجو الله أن يجعلنا في سلك مسالكهم ، ويحفظنا كما حفظهم عن الخروج في رعاية أدبهم .

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة إلى أن يصل إلى المقام الحقيقي .

واعلم أيها الأمين أن أكثر أمثالنا جلسوا على بساط التربية بالرسم ، ورضوا من النسبة بمجرد الاسم ، وادَّعوا أنهم وصلوا إلى الكمالات ، وخلصوا من رقِّ الشهوات ، وإن كانت طريقة القوم مصونة من الآفات ، ومحفوظة من الدعاوي والارتباكات[١] . ونحن منهم أيضاً ، بل أدناهم ودونهم إلا أن تداركنا رحمة ربنا بحسن ظننا بالله وبعباده الصالحين فقط . فلأجل ذلك لازمٌ علينا القيام التام على رعاية الأذكار والأوراد ، مستعدين وفق الطاقة بكمال الاستعداد .

ومن الناس من يتعرَّضون عن الطرق بناء على اختلاف الواقع في الطرق - كما كان الفقير كذلك مدة - إلى أن يمنّ الله لنا حصة حسن الظن لجميعهم ، وذلك التعرُّض إنما يقع منه[٢] - سامحهم الله تعالى منهم - لجهلهم اصطلاحات أربابها ، لما أنه يقع الاختلاف في التعليم حتى

---

(١) وفي نسخة : الارتكابات .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي نسخة (منهم) سامحهم الله تعالى .

باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح ، وسبب الاختلاف فيه مع انفراد القصد وعدم ما ينافيه هو اتساع المجال في طريق الأعمال ، خاصة في هذه الطريقة الشاذلية السنية ﴿**فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ**﴾ وكلها مقررة في كتب القوم ، كما قيل :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وقد قالوا : إن للذاكرين قواعد اصطلاحية فللنقيب أن يراعيها ، وعلى حالة مرضية وأصول شرعية يلزمه أن يجريها ، وعلى الخصوص اسم الصدر[1] يراعي فيه عدم تغيير الاسم ما دام المريد مالكاً لحاله ، وله قوة على ضبط أحواله ، وأما إن غلب عليه الغرام! وحكم على ذاته سلطان الاصطلام[2] فالأمر واسع عند أربابه وللعارفين حكم على أسبابه ، فلله درُّ من قال :

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خَمر الغرام[3] تَهتكنا

فلا تلم السكران في حال سكره فقد رُفِعَ التكليف في سكرنا عنَّا

وأما إن كان الجمع قليلاً أو حصل مانع فيقتصرون على قراءة الصلاة المشيشية المذكورة ثم يشتغل كلُّ بورده منفرداً .

وذكر السر ليس له حدٌّ محدود ، **ومن استغرق في الذكر فقد استغرق في بحر مدد الله العظيم** ، ﴿**وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ**﴾ وهكذا مذكور في « الأنوار » ، والله يحكم في عباده ويختار .

ثم إن من المعلوم لديكم **أن نور الذكر وترقِّيه قدره يكون على قدر**

(١) وهو الله ، علّه .

(٢) الاصطلام : الاستئصال . « مختار » .

(٣) والغرام : الولوع ، وقد أغرم بالشيء أي : أولع به « مختار » .

حال الذاكر ومقام المريد وترقِّيه يكون بقدر مقام شيخه عنده ، لما أن مقام المريد عند الشيخ يكون على قدر مقام الشيخ عند المريد بلا فرق ، وقد يتعرض[1] المريد على الشيخ ، بقلة ملكة الشيخ أو بعدم حصول نتيجة ما من الصحبة معه ، وذلك لجهالته وعدم ذوقه وخراب عقيدته ، **لما أنه يريد من الشيخ أمانيه ولا يريد تخليص اعتقاده** ومحبته للشيخ إلا أثراً كاذباً من الظاهر ، **وليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرد إرادته** مع عدم خلوصه ومع خراب اعتقاده ، وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط ، واستعداده لذلك بالصدق المرغوب وإلا فلا يحصل له المراد ، ولا يصل إلى المقام بمجرد المصاحبة بالانتقاد ، ولو كان شيخه قطباً أو غوثاً فرداً جامعاً ! ويكفي شاهداً لأمثاله ما شاهد في النبي ﷺ وأصحابه ؛ لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى عليه بقوله عز وجل ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ كيف لم يقدر منه ﷺ إتيانه إلى الحق بذلك الاجتهاد والجهاد العظيم لعدم رؤيتهم إياه رسولاً ؟ بل ساحراً أو مجنوناً ! وكيف فاز من فاز بمجرد رؤيته حتى عُدَّ من أهله ! كسلمان رضى الله عنه ، وبمجرد سماعه ؟ كأويس القرني حتى صار معشوقاً لرسول ذي الجلال ، كما قيل :

فموسى[2] الذي ربّاه جبريل كافر ... وموسى الذي ربَّاه فرعون مرسل

---

(١) يعترض عله (منه) .

* ويقال أن الأخوين إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل ﴿ **أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ** ﴾ « الإحياء » ١٥٨ ج٢ من الجلد الكبير .

(٢) وهو السامريّ ، كان ولد الزنا وقد طرحته أمه إلى الصحراء فربّاه جبريل عليه السلام ، وكان اسمه موسى ، راجع (منه) .

ثم اعلم أيها المأمون أن المحققين من أهل هذه الطائفة قالوا : إن وجود الصادقين في هذا الزمان قليل لاختفائهم حذراً من فتنة أبناء الزمان ، وذلك لكثرة المدعين لهذا الشأن فالمدَّعون كثيرون ، والمخلصون قليلون ، ولا نزكي أنفسنا أيضاً ، وقد اشتبه الأمر على طلابها وتاهوا من الدخول في بابها ، وعمَّت الفترة ، وما نفعت الكثرة ، لأجل استغراقهم في أسباب جمع الحطام حلالاً أو حراماً ، فإذا كان أكثرهم على هذا ! فالويل لأمثالنا المفلسين ، سوى أنا كيف كان لا نيأس من رحمته لمجرد حسن الظن على الله تعالى وعباده ، فلعل الله تعالى أن يجود لنا بفضله ، ويعاملنا بكرمه والله تعالى ولي التوفيق .

وقولكم لقَّنت أوراد الشاذلية إلخ ، لكن علَّمتهم بأنّ كيفية ذكر النفي والإثبات على ما هو المفهوم من كتبهم هكذا مع نقش دائرة هكذا[1] :

مثلاً أقول : جزاك الله تعالى عني بخير حيث تتبعت آثارهم عند الضرورة بما في كتب القوم ، بيد أن الفقير معذور عن الإجابة لهذا الأمر ، لأجل أن ساداتنا لم يفصلوا لي ذلك كذلك ، ولم أقع على مخلص[2] ذلك في الكتب ، إلا أن قالوا : قولوا (الله الله) ، أو (لا إله إلا الله) بالقوة القلبية . فأمر ذلك مفوّض إليك فأنت أمين سرّ الله سبحانه وتعالى - إن شاء الله تعالى - فيما لا يخالف الشرع النبوي عليه الصلاة والسلام . ونسأل الله تعالى ونرجوه بجوده

---

(١) يبتدئ بـ (لا إله) من السُّرَّة إلى الجنب الأيمن ويجرُ منه (إلا الله) ويضربه على القلب كما هو مذكور في « النور الساطع » . (منه) .
(٢) كذا في « الأصول الخطية » ، وفي هامش أحدها : علّه ملخص .

وفضله وكرمه أن يفتح بصائرنا للحق بالحق والصدق ، ويجعلنا معكم أمناء الدين الحق ، والله تعالى يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم إني أوصيكم بما أوصى به ساداتنا بتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلانية ، ورعاية المداراة التي لا تخالف الشرع مع أبناء الزمان لأجل المصلحة العامة ، وأن تدعو لولاة الأمور بالتوفيق والنصر ، وبصلاحية ذات البين ، والأمر لله تعالى وليس لنا من الأمر شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

وأوصيكم أيضاً بالاجتهاد التام لتوسيع نطاق الحلقة ، ولو بإقامة آحادٍ من الخلفاء في كل محلَّة ؛ مَنْ هو متأهل لذلك لأجل المصلحة ، وعسى الله تعالى أن يبقي لكم محاسن هذه الطريقة في ديارنا مدى الزمان ، ويكون سبباً لاندراس طرق المبتدعين والبدع ، وما ذلك على الله بعزيز .

ولقد كنت من قبل أدعوكم بالله بتقليل الأتباع في الطريقة النقشبندية بناء على قلة رعاتها فضلاً من الخلص الصادقين ، وذلك لئلا يكثر الشياطين بكثرتهم ، كما كان أربابها يوصون قبلي بذلك ، بيد أن **بعض الأحكام يختلف باختلاف الزمان لأجل المصلحة الدينية** ، وسوى ذلك : أن في هذه الطريقة وسعة عظيمة ، وذلك من الله تعالى فضل ورحمة ، ومع ذلك لا بدَّ لكم من تلقين النقشبندية ، ولو لبعض المتأهلين من رأيت لذلك أهلاً بلا تركها بالكلية ، فساداتهم شموس الهدى ، وأتباعهم نجوم في الاهتداء . قدس الله أسرارهم وجعلنا في بركاتهم آمين ، انتهى من خطه رضي الله عنه .

وسألته رضي الله عنه عن ترتيب أوراد الشاذلية ، من الاستغفار ، والصلاة على النبي عليه السلام ، والنفي والإثبات ، والصلاة المشيشية الممزوجة ، فبأيٍّ نبتدىء ونقدم من هذه الأوراد ؟ فأجاب بقوله رضي الله عنه : **لك اختيار للتقديم**

والتأخير نظراً إلى حصول الحضور بأيِّ كيفية رأيتها . ولقد كنت سألت من الشيخ حين عاهدت معه بتقديم الصلاة المذكورة المعهودة بينهم عن الذكر بالنفي والإثبات فأجاب : بأنه ﷺ هو الوسيلة المحمودة إلى ذكر الله تعالى ، **فتقديم الوسيلة للتوسل إلى ذكر**[1] **مستحسن** . وكان يقدّم الصلاة من الذكر مرة ، ويؤخّر مرة . وفي بعض الأوقات كانوا يقدِّمون الصلاة المعهودة[2] من الذكر ثم بعد الذكر كانو يصلّون بالصلاة المعروفة : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم . يصلون بها عدداً ، فأنت تفعل في حق ذلك بما رأيته حسناً . والله ولي التوفيق . انتهى من خطه نفعنا الله تعالى به آمين .

وسألته رضي الله عنه عن كيفية توجُّه الشاذلية . فأجاب بقوله : **أقول إنَّ التوجُّه هو التوجه المعروف في النقشبندية** ، بيد أن الرابطة من خصوصها ، ولم يأمرني الشيخ بالرابطة في هذه الطريقة سوى قوله : ينظر الشيخ بنظر روحانيته إلى روحانية المريدين . ومراده من ذلك توجُّهه بالقلب إلى قلوبهم ، لما أن **للشيخ وقتاً يفنى في المريد كفنائه في الشيخ** . **وهذا دقيق** فتأمله . انتهى من خطه رحمه الله تعالى .

وسألته رضي الله عنه عن الرابطة في هذا الطريق بذاتِ مَنْ يفعلها المريد فأجاب : أما الرابطة بذاتي فحاشا بذلك ، وأستعيذ بالله تعالى من الاستدراج والأمر بذلك وبأمثاله ! وإن كنت تريد التوجه كيف كان بالرابطة وإن لم أعهد منهم ذلك فالأليق لك بالقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذلي قدس سره العلي فمنه بلوغ المأمول ، وبواسطته حسن الوصول ؛ وصورته في الكتب مسطورة والله تعالى يوفقك إن شاء الله تعالى برؤية روحانيته أو بروحانية جدِّه عليه الصلاة والسلام . وما لي أن أتكلم وراء ذلك لئلا تقع

---

(١) وهكذا في « مفتاح الفلاح » . (منه) .
(٢) وهي الصلاة المشيشية .

العثرة أو الهفوة إن تجاوزت ، والله أعلم بالصواب . انتهى من خطه قدس سره . وسألته ﷺ مرة أخرى عن هذه المسألة المذكورة فقال : إني أرابط مرة بالشيخ محمد علي الظاهري الوتري ، ومرة بالشيخ أبي الحسن قدس سره . انتهى . قال ذلك بفمّه مشافهة .

وسألته ﷺ مرة أخرى عن تلك المسألة وقد كررت السؤال ، لما أنّ بعض الناس يطلبون الرابطة حين رأوا النقشبنديين يفعلونها . فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : **وأما ما قلت في حق الرابطة للشاذليين فمستحسن ، بل هي من محسّناتهم وهي كما عند النقشبنديين!** ويرابط السالك إما بذات القطب الغوث الفرد أبي الحسن الشاذلي – جعلنا الله تعالى في بركاته – أو بذات السيد محمد علي الظاهري الوتري المدني .

وأما قولكم : هل لا يجوز لي ولهم أن نفعل الرابطة بذاتي[1] ؟ فالجواب لذلك أيها الأمين : **إني لا آمر لأحد أن يفعل الرابطة بذاتي ما دمت في قيد الحياة ، وبعد الممات يفعل المريد على من شاء من السادات ، بذات من رسخت في قلبه محبته ، كما قال لي بذلك مولانا زين الله الشريفي المعموري قدس سره** ، وإني أستعيذ بالله من أمر لم يأمر بها ساداتنا سرج الهدى ومصابيح الطرق ، فإنما نحن في منهجهم وفق الإمكان ففي ذلك الغنيمة والإحسان . انتهى من خطه رضى الله عنه . **ومن هذا الكلام يفهم كون الإذن لرابطة ذاته قدس سره بعد مماته** . والله أعلم .

ومما ينبغي إيراده هنا – وإن كان خارجاً عن المقصود – ما كتبه قدس سره إلى الفقير الحقير قال ﷺ في أثناء مكتوبه : **ثم اعلم أيها الولد الأمين أن الطريقة العلية النقشبندية أفضل الطرق وأعلاها ، وأحوط المسالك وأصفاها** لخواصّ اشتهر لأربابها ، وأمور لا يعرف إلا ذويها ،

---

(١) أي بذات سيف الله (منه) .

لكن مع ذلك طفقت غريبة واقعة بأيدي الجهال مقلوبة ، وعن مسماها متفرقة بكثرة دعاويها مع عدم معرفة اسمها ومسماها ، وجهل اصطلاحاتها ورسومها ، **فلم يبق ظاهراً من أهل هذه الطريقة العلية إلا النادر فالنادر** ، وذلك مع التسمية لعالمها بالكذَّاب الغادر ، وإنْ اجتهدتم إلى جمع الناس إليها فمحال أن يقبلوا إلا بتخليط بعض البدع المستحسنة من الدجَّالين ، وإلا ! فلا يقبلون تلك الطريقة بسبيلها الواضح وسندها الناجح ، إلا الفرد بعد الفرد من الرجال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ! فإن صرت لا تقبل إلا المستعد الصادق ، أو الصالح الصَّفي الفائق ، فتبقى حميداً وحيداً ، وعن تربية السالكين جليداً جميداً إلخ . .

وإذا كان الحال كذلك لازم عليكم قطع النظر عن ذلك إلا إلخ . . وتربية الراغبين كيف كان ، وتكثير السواد منهم بجمعهم على مقتضى الإمكان . وقد كنت نهيتكم عن ذلك من قبلُ ، رعايةً لآداب أهل العرفان ، والله تعالى كل يوم في شأن .

ومع ذلك **لما كان تلقين الذكر للمريد في هذا الزمان في الطريقة النقشبندية باسم الإرشاد لقلة الصادقين خطراً ، وتلقين المراقبة لغير أهلها خطأ وعذراً ! رأيت أن نصحب معها الطريقة العلية الشاذلية الجهرية ، مستمنحاً من فيض فضله تعالى ونواله** ، بناء على أن سادة القوم ممن اختصهم الله تعالى بمحبته . وقد وردنا من أشياخنا السادات أن أكثر القوم يعكفون[1] في آخر الوقت إليها لأجل وصول أثرها سريعاً للسالكين المبتدئين ، لجهرها وسهولة مأخذها ، إلا لبعض النوادر الصادقين في الاستعداد ؛ الذين لهم قوة للخوض في أي بحر شاء .

وقد كنا تربصنا زماناً للجواب لاستعفائي عن إظهار هذه الفضيلة

(١) وعكف على الشيء : أقبل عليه مواظباً ، وبابه دخل وجلس « مختار » .

وإشاعة هذه الموهبة ، **فلما ظهر نور السعادة ولاح ، وكاد أن يرتفع غيم الظلمة وقرب الصباح ، بلغني الأمر المهم من سادات القوم بإجراء أمور الشاذلية ، من طريق الموهبة اللدنية** ، وإن كانت القسمة الكاملة والإجازة التامة في ذلك أزلية ، فأردت إظهارها - إن شاء الله تعالى - لما أن « كلٌّ ميسّر لما خلق له » . **فالتفت يميناً وشمالاً ، وجرَّبت فحولاً وجيلاً ، فلم أرَ أميناً لوضع هذه الأمانة ، وحافظاً لجوهرة هذه القلادة أعزَّ عندي ثقة وخلوصاً منك! فوضعت هذه السلسلة على مفاصلك لتؤدي حقوقها رغماً للدهر وأهله ، وإعانة لمشقة العصر وجورهِ** ، وأرجو أن تقبلها بقلب صحيح ورأي صميمٍ صريح ، فخذها نافلة لك عسى أن يبعثك مقاماً محموداً ، ويجعل سعيك مشكوراً ، فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمين ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، **فيدك يدي ، وأمرك أمري ، وأنت خليفتي في حياتي وموتي** . وأرجو منك تقوى وإطاعته ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، إلى آخر ما قاله قدس سره من خطه .

وسألته ﵁ حين طلب الناس مني المجيء إلى قراهم للتلقين والتعليم ، هل يكون الخير في الإجابة ، أم في القعود في البيت وعدم الإجابة لدعوتهم ؟ فكتب في الجواب بهذه العبارات :

أقول : إني التمست منك ذلك غير مرة ، وكم مرة كتبت إليكم بهذه العبارات ! كنت آمركم من قبل بتقليل الأتباع ، فالآن أسألكم بتكثيرها **فاعلم أيها الولد** أن الأمور مرهونة لأوقاتها ، وفي كل يوم هو تعالى في شأن ، وهذا الوقت وقت لا أقدر أن أصفها كما هي ! بيد أن الفقير يلتمس منك الاجتهاد بالكلية بالسعي والتلقين والتعليم وفق طاقتك ، **وأن تشمِّر ذيلك في نشر طريقتك ولو بأيِّ جدٍّ ؛ لما أن ذلك منك جهاد عظيم ، خاصة في هذا الزمان الذي آل إلى الفساد والفتن** . فعليك أيها الولد بذلك المهم العظيم ، وكن مغناطيس الوقت لجذب القلوب إليكم ، والله تعالى

يوفقكم إلى صالح نياتكم . انتهى من خطه نوَّر الله تعالى ضريحه .

ومما كتبه قدس سره هذا المكتوب الآتي ، وهو آخر مكتوب كتبه بيده الشريفة باسمي ، وخاتمة رسالة أرسلها لديّ قبيل موته . ختم الله لنا بخير ، ونوَّر ضريحه ، وجعله فرطاً لنا ولأحبابنا آمين .

قال قدس سره : من العبد الآبق من مولاه خالد سيف الله إلى ولده وقطعة خَلَده ، أمين سره ، وسرور قلبه ؛ حسن أفندي وإلى حليفه ، وخليفه ومهربان[1] سره وسروره ، حبيبنا الحاج حبيب الله ، وإلى أولادهما وعيالهما ، والمرادين والمريدين أهل التقى والدين . السلام عليكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم ، وكان الله معكم ، وجعلكم من شرذمة السادات القادات الذين قال تعالى في حقهم : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وبعد ! فإني أستودعكم الله تعالى من كل ما يورث لكم الندامة ، ومن كل ما يطغيكم ، وأسأله تعالى أن يجعلكم خلَفاء في الأرض ، ورثة للأنبياء ، وأسوة حسنة للمقتدين والمتجردين والصالحين ، وأوصيكم بالاستقامة وترك الدعاوي بالكرامات ، فإن نسبتكم السنية النقشبندية والشاذلية تدوم وتنمو يوماً فيوماً ، وتبقى هاتان النسبتان إلى آخرها صافية عن الكدورات ، مصونة عن البدعات ، رغماً لباقي المتشيخين . فإنّ آثارهم عن قليل تزول ، ولا يحصل لهم منها إلا الفتن والنزول . فاجتهدوا فيما كنتم عليه من الوراثة العظيمة ، وإن سبب أفول نجوم المتشيخين إنما هو بسبب كثرة دعاويهم بالمشيخة[2] مع عدم الإذن من شيخهم ، إلا بالافتراء على شيخهم بالأكاذيب القولية والعملية لمجرد حوز الحطام ؛ كما هو معلوم لكل أمين لبيب ، وسيظهر لكم بعد الآن منهم رجلٌ يكون سبباً عظيماً في إبطال الطريقة باختراع بدع فيها ، ولا يطول أمره أيضاً ؛

---

(١) وفي نسخة : قهرمان .

(٢) مَشْيَخَة : بفتح الميم والياء بوزن متربة . « مختار » .

فأصحابه يكونون فتَّانين للخلق زمناً يسيراً ، والله تعالى يحفظ دينه القويم . ثم اعلم أيها الولد الحبيب أنّ شأن الدنيا هكذا ! كل وقت تؤخر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص . وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم ، بيد أن الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ، ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته دهري بَلعَلَّ وعسى ، بيد أن الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا من خصه الله تعالى لها . **وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده وفي جميع الإجازات التي أجزت فقد أجزتك في جميعها** . وكذا في الثبات العلمية والطريقية والأويسية ، فإن ساعدني الإله في الأجل ولو قليلاً فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح الخان كرماني ، ومحمد نور البخاري ، وشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني ، وما لم تصل لنا الشجرة[١] بالرسم إلا بالقول المحض فلا نذكره ، فلا حاجة لذكرها وإطالة القول ، والله تعالى ولي التوفيق ، وبيده أزمَّة التحقيق .

ثم إني في هذه الأيام لفي ضعف ووهن ، والحامل ولدي غَزَمِّ يخبركم عن الحقيقة ، ولقد هممت غير مرة لدعوتكم لأراكم قبل أن أرتحل من هذه الفانية ، بيد أن أموراً مَنَعَنِي عن ذلك ، **ورؤية القلب والبصيرة آكد وأولى من الرؤية بالبصر ، وأنتم عن فؤادي لا تزالون ، وفي صميم قلبي نازلون** ، وقد أودعتكم ولدي أرسلان حسين ، فكونوا له آباء وإخواناً ، ولا تقطعوا عنه نصائحكم ، فعسى الله تعالى أن يجعله من صلحاء الأمة ، كما أخبرني وبشرني به سيدنا ومولانا الكيلاني قدس سره ، وعسى الله تعالى أن يظهر سرّه ، وذلك على الله يسير .

---

(١) وهي كناية عن صك الإجازة ، فافهم . (منه) .

وأما أمور هذا الزمان فهي كالطوفان تعمُّ الخلق ، ولا يخلص منها إلا النادر الشاذ – وأرجو أنكم منهم – فكونوا على بصيرة في كل أهبة مع مَن تبعكم كما قال تعالى ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وإياك والاستعجال بالإجابة بدعوة كل أحد ! لما أن الداعين ليسوا إلا لأغراضهم الشخصية ، وعسى أن يدعوكم داعي الحق للحق بالحق ، والله مع الصابرين . واقتصرت في الكلام بالضرورة لعدم الطاقة لرسمه ؛ هذا والسلام عليكم ومن العيال ألوف التسليمات ، وصنوف الدعوات ، وأوصيكم بالدعاء ، وباقي الأحوال منوطة للحامل غَزَمِّ يخبركم ، ثم إن ما كتبت في حق فلان(١) فقد قطعت النظر عن كتبتها فقد ابتلي بالتلبيس – عياذاً بالله تعالى – ولا يطول أمره ، بيد أن المداراة مع أمثاله من علاجات أمراض الزمان فافهم . ومني التسليمات لجماعتكم صغاراً وكباراً ؛ ذكوراً وإناثاً ، وأوصيهم بالدعاء . انتهى من خطه قدس سره . فهذا آخر مكتوب كتبه لديَّ قبل وفاته .

---

(١) قوله فلان ، قد كان الشيخ قدس سره كتبه بذكر اسمه صريحاً ، لكني كرهتُ أن أذكر اسمه في الكتاب إلاّ بالكناية خوفاً من الفتنة ، وكان الرجل ممن أخذ عنا أوّلاً ، بَيْدَ أنّه أسآء معنا الأدب ثم ذهب لدى الشيخ سيف الله قدس سره وعلّمه الشاذلية لكن أسآء أيضاً معه الأدب ، وقال له : لو علمتُ أنّك لا تلقنني إلاّ الشاذلية لما جئتُ لديْك أبداً . وقد رأيت في المكتوب الذى كتبه الشيخ بخطه ما حاصله : أنّه تكلم بكلمة لو ألقيت في البحر لا نكدر به . فبشؤم سوء أدبه مع أشياخه قطعوا عنه النظرات فتغيّر حاله وادعى بعد ذلك القطبانية العظمى ، وزعم أنّه خليفة النبي عليه السلام وتكلّم بكلمات عجيبات مموّهة مزخرفة ، وارتكب أموراً ليس لها أَصْل ولا أثر . وقال : إنّه ليس في الدنيا طريق يفتح به باب الوصول إلا طريقته ، وإن طريقته ناسخة لجميع الطرق ، وصَنَّفَ كتاباً كأخبار الجنّ ، فلذا كنت سألت الشيخ رحمه الله عن أحواله بالقلم ، فكتب في الجواب هذه العبارات وقد ظهر الآن أمره بين الناس كنار على علم ، وافتضح وودعه الخلق بالسلام ، فللّه در القائل : من تزيّن بما ليس فيه فهو يفضحه مجربات الزمان . فنعوذ بالله من تلبيسات الشيطان وتسويلات النفس . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

لكن لاقيت معه بعد ذلك ، وألبسني خرقته البيضاء التي أورثها من شيخه قطب الوقت زين الله الشريفي المعموري الترويسكي قدس سره بيده المباركة ، والحال أنه قائم وأنا أيضاً قائم ، ودعا لي بـ : اللهم ألبسه لباس التقوى ، ولم أفهم من دعائه إلا هذا اللفظ . وقال بعد ذلك : يا ولدي إن واحداً من قوم فرعون لبس عليه مثل لباس موسى عليه السلام ، استهزاءً به وسخرياً ، ولأجل ذلك نجا من الغرق حين يغرق فرعون وقومه . قال ذلك لإعلام حصول البركة من لبس تلك الخرقة ، فحصل لي بعد لبسه حيرة ودهشة وبكى الحاضرون ، بل بكى بسبب رؤيتها الناظرون ، وكان هنالك الحاج حبيب الله وسَكِتَوْ وغزم ، وحين خرجت من المجلس لاقاني أخونا المحبوب العالم القاضي حبيب الله القحي فصاح صيحة ، وبكى بكاءً . وهكذا قد أثَّر برؤيتها الناس ، وأقرَّ الكل بتأثيرها . وقال الشيخ قدس سره وقتئذ : هذه الخرقة ألبسني الشيخ محمد مراد القزاني[1] صاحب « معرب الرشحات والمكتوبات » بأمر الشيخ زين الله المذكور ، لأنه كان لا يقدر أن يقوم لوهنه وضعفه ، وقال : هذه خرقة النقشبندية وسيصل إليك يا ولدي خرقة الشاذلية . انتهى .

وبعد المفارقة مرض هو في أيام ، وقال مَن كان معه بأنه لم يزل يذكر هذا الحقير الأقلَّ من كل قليل إلى آخر نَفَسِهِ ، حتى قال قبيل خروج روحه : هَيْ أَمَنْ حسن ما رأيتك جمعنا الله تعالى معك في دار السلام . انتهى . وأوصى قدس سره قبيل الموت بإعطاء تلك الخرقة إلى يد هذا الحقير ، فجزاه الله تعالى عنا وعن أهلنا وأحبابنا خيراً ، ولا حرمنا من بركاته وبركات أشياخه آمين . وقد كان قدس سره يَحُلّ[2] لنا كل إشكال ،

---

(١) وفي نسخة : المنزولي .

(٢) حلّ العقدة : فتحها ،فانحلت وبابه ردّ « مختار » .

ويكتب إلينا الغرائب وينصحنا ، وعندنا من مكاتبه ما يعسر عدُّها ، وقد جمعتها في مجلد ، وكان قدس سره يلاطفنا ويدارينا ويلاحظنا في المضرات والمسرات ، ويظهر الرضاء عنا ، وإن كنا غافلين قاصرين . أعاذنا الله تعالى من المكر والاستدراج آمين .

ومما كتبه قدس سره باسم الفقير الحقير هذه الأبيات الآتية وقد كتبتها هنا للتبرك .

يا حبيب القلب بالي في الخطوب[1]   في أمور ليس لي غير الصعوب
يا أنيس الروح مالي مونس   غيرك المرجوُّ في خطب الكروب
طيفك الميمون في قلبي سرى   سيرك المحمود علام الغيوب
أنت نِعْمَ الِخل يا نجم الهدى   أنت سرِّي أنت مفتاح القلوب
كيف لا أنت سرور الفقراء   يا وَصيَّ القطب مفتاح الشعوب
عجباً كيف أتى تاريخكم   جاء فيَّاضاً لإحياء القلوب
سيفك المغلول ساهٍ بالضنى   يا حبيب القلب بالي في الخطوب

وكتب أيضاً :

أنا راضٍ منك يا كلَّ المنى   بالذي تهوى على حكم الغرام
لست أبغي من زماني حاجة   غير أن تحيا سعيداً والسلام

انتهى من خطه

غيره :

سلام على شوقي لمن كان غائباً   سلام على صبري وإن ساءه فعلي

---

(١) الخطب : سبب الأمر ، تقول ما خطبك ، قلتُ قال الأزهري أي ما أمرك ، وتقول : هذا خطب جليل وخطب يسير ، وجمعه خطوب . انتهى « مختار » .

سلام على نور الهدى وأمينه سلام على حاوي المحاسن والفضل
أودِّعكم والقلب غير مودّع وأدعو لكم بالخير في سَجف الليل

انتهى من خطه .

وقد أكثرت الكلام في هذا الترغيب بكتبة مهمات من مكاتب الشيخ المذكور قدس سره مع أن مقصود الكتاب ليس إلا الترغيب ، لأن في هذه المذكورات تنبيهات نفيسات لمن تأمَّل وتدبَّر ، فلعل الولد المعلوم لا يسأم ، **فإن سآمة الولد لكلام الوالد من علامة سوء الخلق ، والاعتراض على فعله سمٌّ قاتل من حيث لا يدري** ، وإني ما كتبت في هذا الكتاب شيئا ما إلا لحكمة أعلمها ، فمن كانت بصيرته صافية يدركها وينتفع بها ، ومَنْ لا فلا ، والله ولي الهداية ومولي النعمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

الترغيب الثامن

في بيان آداب الذكر

أيها الولد قد مرَّ أن الذكر عبارة عن طرد الغفلة ، وأن الداعي والسائل ذاكر . . وإلخ وإلخ ، فينبغي لك أن تتعلم الآداب وتستعملها في مواضعها سواء كنت في الذكر ، أو في الدعاء والسؤال ، أو في التعليم والتعلم ، أو فى القراءة والتفهم فإن التصوُّف كله أدب ، وبه وصل من وصل ، وبتركه حُرِمَ من حُرِمْ ، ومن المعلوم أنّ من أساء الأدب عند الملك أو السلطان من خدمائهما رُدَّ إلى الباب ، ومن أساء عند الباب رُدَّ إلى إصطبل الدواب . فكلَّما يعده الناس أدباً مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى ، وعكسه بالعكس فافهم . فأقول وبالله التوفيق : قال سيدي عمر بن

سعيد الفوتي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم » اعلم أن للذكر آداباً لا بد من مراعاتها ، ثم اعلم أن المراد من الذكر تحقيق الأنس بالله تعالى والوحشة من الخلق . **وآدابه اثنان وعشرون** : خمسة منها سابقة على التلفظ بالذكر :

أولها التوبة : وحقيقتها ترك ما لا يعنيه ، قولاً وفعلاً وإرادة .

والثاني : أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث .

والثالث : السكوت والسكون .

والرابع : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر همَّة شيخه ، ويستحضره ، ويلاحظه ، ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ، ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الحاجة جاز . قال الشيخ جبريل الخرمابازي[1] قدس الله تعالى سره العزيز : فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدُّ منه ، إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية ، وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية ، فالذاكر إذا تصوَّر شيخه واستمدَّ من ولايته تفيض الإمدادات من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ﷺ ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على استعمال الآلة أي الذكر ، إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث[2] ويقع محصِّلاً للغرض ، وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر ، قال ﷺ : « الذكر سيف الله » ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة بني السيف ؟ فإذا استمد من شيخه جاءه المدد

(١) وقد مرّ فى الترغيب الأول . (منه) .

(٢) وهكذا في النسخة التي عندنا ولعله يؤثر ، فافهم . (منه) .

لقوله تعالى ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ ، لأنه نائبه .

واثني عَشر منها في حال الذكر :

أولها : الجلوس على مكان طاهر متربعاً ، أو كجلوسه في الصلاة مستقبل القبلة إن كان وحده . وإن كانوا جماعة فيتحلَّقون . وفرَّق بعض المتأخرين بين المبتدىء والمنتهي ! فقال : إن المبتدىء يكون كجلوسه في الصلاة ، والمنتهي يكون متربعاً .

والثاني : أن يضع راحتيه على فخذيه .

والثالث : تطييب مجلس الذكر ، والبدن ، والفم ، وبعد الرائحة الكريهة ، لأن مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمني الجن ، **والروحانيون لا يقبلون الروائح الكريهة ، فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق** .

والرابع : لبس اللباس الطيب حلاًّ ورائحة .

والخامس : أن يكون المكان مظلماً ، حتى أن لو كان هناك سراجاً أطفأه إن كانوا في خاصة أنفسهم ، وهذا إن أمكن المكان المظلم .

والسادس : تغميض العينين لأنه أسرع في تنوير القلب ، فبتغميض عينيه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، **وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب** .

والسابع : أن يخيِّل خيال شيخه بين عينيه . وهذا آكد الآداب .

والثامن : الصدق ، وهو استواء السر والعلانية .

والتاسع : الإخلاص ، وهو تصفية العمل من كل شَوْب[1] ، بأن يفرغ قلبه عما سوى الله تعالى ، حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ، ولا ثواباً ولا ترقياً ، وإنما يذكر الله تعالى حباً في الله كما قال :

أحبُّك لا لي بل لأنك أهله وما لي في شيء سواك مطالع

وبالصدق والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصِّدِّيقية[2] وهي أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه ، وإن لم يظهره كان خائناً[3] والله لا يحب الخائنين .

والعاشر : أن يذكر بهمَّة تامة ويميل برأسه إلى الجهة اليمنى بـ(لا) ويرجع بـ(إله) إلى جهة صدره ، وبـ(إلا الله) إلى جهة القلب وهو اليسار تحت الصدر الأيسر ، ويقتطفها من سُرَّته إلى قلبه ، حتى تنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديّة ، ويخفف ويمد الألف مداً طبيعياً أو أكثر ، ويفتح الهاء من (إله) ويسكِّن الهاء من (الله) .

قال الشيخ يوسف العجمي رحمه الله تعالى : قد اعترض بعض الفضلاء على الذكر بالجهر مستدلاً بقوله تعالى ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** ﴾ وقوله ﷺ : « خير الذكر ما خفي » وأجاب الشيخ يوسف المذكور فقال : إن الله تعالى خاطب عباده بمثل قوله ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ وخاطب الخاصة بقوله تعالى ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ** ﴾ وخاطب سيد أهل الحضرة محمد ﷺ بعد أن عرَّفه بنفسه وبربه

---

(١) الشوب : الخلط وبابه قال ، والشائبة واحدة الشوائب ، وهي الأقذار والأدناس « مختار » .

(٢) عبارة « المتممات » : التاسع : الإخلاص لأنه يصل به الذاكر إلى درجة الصديقية ، بشرط أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه . . إلخ . وراجعه في١١٧ (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وحرم الفتح « متممات » .

بقوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ فمن لا يعرف نفسه ولا ربه فكيف يذكر ربه في نفسه ؟ بل هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ وأما الذكر الخفي ! فهو ما خفي عن الحفظة ، لا ما يخفض به الصوت ! وهو أيضاً خاص به ، وبمن له أسوة . وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته ! فقال النبي ﷺ : دعه فإنه أوَّاه والأوَّاه رقيق القلب .

وروي : أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر ، فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب ﷺ أن قوُّوا الذكر أي ارفعوا أصواتكم . قال الشيخ يوسف المذكور : والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما ، وبين الحديث والأثر : أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة ، وأما إذا كان الذاكر وحده ! فإن كان من الخواص فالأولى في حقه الإخفاء ، وإن كان من العوام فالأولى في حقه رفع الصوت .

والحادي عشر : إحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة ، ويصغي حال الذكر إلى قلبه مستحضراً للمعنى ، حتى كأن قلبه هو الذاكر .

والثاني عشر : نفي كل موجود من القلب سوى الله تعالى بـ (لا إله إلا الله) ليتمكن تأثير (لا إله إلا الله) بالقلب ، ويسري إلى الأعضاء .

وخمسة بعد الفراغ من الذكر :

الأول : أنه إذا ختم سكت وسكن ، واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه ، مترقباً لوارد الذكر ، فلعله يرد عليه وارد في لمحة ، ويغمر وجوده في لحظة ما لا تغمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع ، أو تحمل أذى ، أو سخاء ، أو كشف ، أو محبة ، أو غير ذلك . فإذا سكت وسكن وختم نفسه مراراً دار الوارد في جميع

عوالمه ، فيجب عليه التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب .

والثاني : مراقبة الله تعالى كأنه بين يديه .

والثالث : أن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة ، كحال الهرة عند اصطياد الفأر .

والرابع : يذم نَفَسه مراراً حتى يدور الوارد في جميع عوالمه ، لأنه أسرع في تنوير البصيرة ، وكشف الحجب ، وقطع خواطر النفس والشياطين ، **لأنه إذا ذم نفسه وعطّل حواسَّه صار يشبه الميت ، والشيطان لا يقصد الميت** .

والخامس : عدم شرب الماء إثر الذكر ولا في أثنائه ، لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجلِّيات والواردات والشوق والتهييج إلى المذكور ، وشرب الماء يطفىء تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية ، وكلما كثر كان أحسن ، حتى إن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية . انتهى ملخصاً من « الوصايا القدسية » و« تحفة الأحباب والخلان » والله تعالى الموفق بمنه للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب . انتهى عبارته ٤ ج٢ .

أقول - والله المستعان - قول يوسف العجمي المار ذكره آنفاً : (وأما الذكر الخفي) إلى (وبمن له أسوة) دليل صريح للنقشبنديين ، فإن مبنى طريقتهم على إخفاء الذكر ومنع الجهر ، وقد تعنعن الذكر الخفي من الصَدِّيق الأكبر ﷺ ووصل إلى المشائخ بالتسلسل ، وبكابر عن كابر ، وهم الذين لهم أسوة بالنبي عليه السلام ، وابتداء طريقتهم انتهاء غيرها ، وقد بقي هذه الطريقة على أصلها لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها شيئاً ، وأخذوا العزيمة التي لا إمكان لحصول الآفة فيها بنحو رياء أو عجب ، ولا مجال لإحباطها ، وهي الذكر الخفي القلبي الذي يزيد ثوابه على غيره

بسبعين ضعفاً ، كما ورد به الحديث ، وقد قال صاحب « شرح تائية السلوك » : فرُبَّ ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى . فإن قلت : فقد قيل إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ، ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد ، فلمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري ؟ أقول إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع ، فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ، ولكل واحد منهم وجهة مقبولة ، ولهم دلائل من الكتاب والسنة ، وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع . فإذا فهمت هذا علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها ، فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر ، وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء ، وعدُّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية ، وإن كان مستحسناً من وجه أخر ، ولذلك اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا[1] أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه لما أنه لم يرد في طريقتهم الخاصة وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة . والله أعلم .

وأيضاً أنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر[2] لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ، ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية ، فأخذوا حبل الاحتياط ، وتمسكوا عرى الإخلاص ، ولازموا على إخفاء الذكر الذي لا تسمعه الحفظة فيكتب ولا يطلع عليه الناس

---

(١) إلى أن يصلوا إلى مرتبة الإخلاص ، ويأمنوا من الرياء والعجب . وهذه لا تتم إلا في مراقبة الروح ، وحينئذ يُرخصون للجهر لمن تحقق له تلك المرتبة . والله تعالى أعلم (منه) .

(٢) مع أن طريقتهم ليست طريقة الشوق والوجد ، ليحتاجوا إلى ما يحركهما بل هي طريقة السكون والحضور وجذبهم وشوقهم مصروفان إلى بواطنهم ، فمن حضر لا يصيح ولا يتحرك ومن غفل قد يصيح ويتحرك ، فافهم (منه سامحه الله) .

فيرائي ويحبط ، ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذي يقول أهل الجهر إنه مبدأ الذكر الخفي القلبي ، وأنه وسيلة إليه ، ألا وهو التوجه المعروف عندهم ، المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ ، فقد قال الإمام الرباني : **فإن توجُّههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة ،** أو ما هذا معناه . راجع « المكتوبات » . فبالتوجه يحيى القلب ، كما يحيى القلب بالملازمة والمداومة على الذكر اللساني ، ولذلك قيل : **إنما يحيى القلب بقلب حي .** وأما الذين يجهرون في الذكر فلهم فيه دلائل يتمسكون بها ، ومقاصد يعولون عليها ، فلأجل كوني مأذوناً في الشاذلية[1] ، وكذا في القادرية اللتين جرت عادة أربابهما باستعمال الذكر الجهري ، كما كنت أيضاً مأذوناً في النقشبندية أردت أن أذكر هنا كلاماً في الجهري والاجتماع له ، كما هو المعلوم المشهور في الطريقة العلوية ، فأقول والله المستعان :

الترغيب التاسع

في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد

قال في كتاب « الرماح » : اعلم أن الاجتماع للذكر حضَّ عليه الشارع ، ورغَّب فيه ﷺ ، وجرى به عمل أهل الطريق من أهل الله شرقاً وغرباً .

وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم مرفوعاً : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » .

---

(١) من طرف سيف الله . (منه) .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً قال الله جل ذكره : « لا يذكرني العبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من الملائكة ، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى » .

وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات » . ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني ، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل ، ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل فيه فيقومون حتى يقال لهم : قوموا قد غفر الله لكم ، وبُدّلت سيئاتكم حسنات » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة » رواه أحمد بإسناد حسن . وعن جابر ﵁ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس إن لله تعالى سرايا[1] من الملائكة تحلُّ وتقف على مجالس الذكر في الأرض ، فارتعوا في رياض الجنة . قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ، فاغدوا وروحوا في ذكر الله ، واذكروه في أنفسكم . من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر منزلة الله تعالى عنده ، ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزاز والطبراني والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد . والرتع هو الأكل والشرب في خصب وسعة .

وعن أبي الدرداء ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء

---

(١) جيوش .

ولا شهداء . قال : فجثى أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم ! فقال : هم المتحابُّون من قبائل شتى وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه » . أخرجه الطبراني بإسناد حسن .

وعن عمر بن عنبسة ﵁ قال : سَمعت رسول الله ﷺ يقول : « عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - رجال ليسوا بأنبياء ولا بشهداء ، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل . قيل يا رسول الله ﷺ من هم ؟ قال : هم جماع من نوازع القبائل ، يجتمعون على ذكر الله تعالى ، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى الثمر أطايبه » رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به ، وجماع بضم الجيم وتشديد الميم أي أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ، ونوازع جمع نازع وهو القريب . ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة ، وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى .

وعن أنس بن مالك ﵁ : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال حلَقُ الذكر » أخرجه الترمذي .

وأخرج الحسن البصري ﵁ أنه قال : ذكر الله خير لا شك فيه ، يذهب بالذنب ولا ذنب فيه .

وعن ابن عبد الرحمن الجيلي - أحد التابعين - أنه قال : إذا اجتمع قوم على ذكر الله تعالى خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد ، يقول لهم : هل قاموا بعد ؟ فيقولون : لا . فيضرب بيده فيقولون : مالك ؟ فيقول إنما أخشى عليهم الرحمة أن تنزل فلا يعذبون أبداً .

ويكفي في أفضلية الاجتماع للذكر ما تقدم في الفصل الذي قبل هذا الفصل من أن الجنيد رأى إبليس في المنام فقال : هل تقدر أن تمرَّ على

مجالس أهل الذكر ؟ فقال : كما أن أحداً منا يمرُّ على أحد منكم ويمسَّه ويصير مصروعاً ومجنوناً ! فمنَّا من يمرُّ على مجلس الذكر فيصير مصروعاً ونسميه بيننا مأنوساً ، كما تسمُّون المصروع بينكم مجنوناً ، انتهى . وكفى بهذا منقبة لمجلس الذكر والذاكرين جماعة .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال : يقول الله عز وجل يوم القيامة : « سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرم ، قيل من أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر » .

وعن أبي الدرداء ﵁ حضور مجلس الذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وشهود ألف جنازة ، وعيادة ألف مريض . انتهى . وعن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم قال : فيحفّوُنهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم منهم - ما يقول عبادي ؟ قال : فيقولون يسبِّحونك ويكبِّرونك ويَحْمَدُونَكَ ويمجِّدونك . قال : فيقول[1] : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول[2] : كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشدّ لك تحميداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال : فيقول الله : فما يسألونني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله يا ربي ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمِمَّ يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : فيقول : فهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : يقول : فكيف

---

(١) أي : الله .

(٢) أي : الله .

لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة . قال : فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة[1] . قال : هم **الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**[2] » رواه البخاري واللفظ له . انتهى عبارته ١٦٩ ج٢ .

وقال صاحب « الرماح » أيضاً بعيد هذا في ١٧٠ : فأما الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالي عنه « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر » . الحديث . وفي آخره : « فيسألهم ربهم : ما يقول عبادي ؟ فيقولون يسبِّحونك ، ويحمدونك ، ويكبِّرونك ، ويهللونك ، ويمجِّدونك » ، الحديث وهو صريح في باب الجمع لعين الذكر بالترغيب في سياقه ، وما وقع في آخره من أن فيهم مَنْ ليس منهم . فيقول تعالى : هم القوم لايشقى جليسهم . فأخذ منه جواز قصد الاجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله كحديث : « ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيهم إلا حفت بهم الملائكة وتنزَّلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » ، والذكر يؤول بالعلم مرة ، وبذكر الآلاء أخرى ، وحمل على ظاهره أيضاً ، فسقط التمسك به في أعيان الأذكار كدلالته على ما تأوَّل به لاحتماله .

قال : فإن قيل : يجتمعون وكلّ على ذكره . فالجواب : إن كان سرّاً فجدواه غير ظاهرة ، وإن كان جهراً فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلاً عن ذكر الله تعالى ، فلزم جوازه ، بل ندبه بشرطه .

---

(١) يريد به أنه لا يستحق المغفرة لأنه ليس من الذاكرين . « رسالة » في فضائل الذكر ، عبارته ١٧ .

(٢) وفيه أي : في هذا الحديث : أن مَنْ خالط السادات ينال السيادات ومَنْ جالس أهل السعادات يفوز بالسعادات رسالة في فضائل الذكر ، عبارته ١٧ .

نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذكار بالتوحيد من أبعد البعيد ، فتأويله غير معقول لبعده عن الأفكار ، إذ لا يخطر إلا بالإخطار ، وذلك من مقاصد الشرع بعيد جداً فافهم .

ثم قال بعد إتمام هذه القاعدة وإتمام قاعدة أخرى : فأما قول ابن مسعود ﵁ لقوم وجدهم يذكرون الله تعالى جماعة : لقد جئتم ببدعة ظلماً أو لقذفتم[1] أصحاب محمد ﷺ علماً .

فالجواب عنه : أنه لم يبلغه حديث الترغيب فيه ، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها ، وإلا فلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث . انتهى عبارته ١٧٠ « رماح » .

وقال صاحب كتاب « الرماح » رحمه الله تعالى بعد كلامه : ثم قال في « كشف القناع » وسئل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل ، هل ذلك مكروه أم لا ؟ فأجاب : بأنه لا كراهة في شيء من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار بذلك ، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، كما جمع النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن ، والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها .

قال : - أي السيوطي - بعد أن أورد ما أورده من الأحاديث الواردة

---

(١) كذا في الأصل بحروفه ولم أعلم معناه (منه) . اللهم إلا أنّه في « المصباح » قذف بقوله : تكلّم من غير تدبّر ، انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون من المراد تكلّمهم في أصحاب محمد من غير تدبّر ولا تأمّل فتدبّره . (منه) . وأيضاً في « المختار » القذفة : واحدة القذف والقذفات ، مثل غرفة وغرفات ، وهي الشرف . انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون معناه : أو لقد شرفتم على أصحاب محمد ، والله أعلم ، فتدبر (منه قدس سره) .

باستحباب الجهر : إذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه **لا كراهة البتة في الجهر بالذكر** ، وأما معارضته بحديث : « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث « المسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة » .

وقد جمع النووي بينهما **بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام** ، **والجهر أفضل في غير ذلك** ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ويوقظ قلب القارىء ، ويجمع همَّه إلى الحضور ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط .

قال : وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القرآن والإسرار ببعضه لأن المسرَّ قد يملُّ فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلُّ فيستريح بالإسرار . قال : وكذلك نقول في الذاكر على هذا التفصيل ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

قال : **فإن قلت** : قد قال الله تعالى ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ** ﴾ وقد قال تعالى ﴿ **ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾ وقد فسر الاعتداء بالجهر بالدعاء .

فالجواب في الآية الأولى من ثلاثة أوجه أحدها : ما ذكره السادة الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ ، الكامل المكمل ، وأما غيره ممن هو محلّ الوساوس والخواطر الردية فمأمور بالجهر ، لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

والجواب في الآية الثانية من وجهين .

أحدهما : أن الراجح في تفسير الاعتداء أن يجاوز المأمور به ، ويخترع دعوة لا أصل لها في الشرع .

الثاني : على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر ، والدعاء

بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ، ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً . انتهى .

ومن كلام سيدي علي الخواص : ينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر ، فإنه أشد تأثيراً في جمع شتات قلبه ، وينبغي له أيضاً أن يذكر مع جماعة ، فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيراً في رفع الحجب ، لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد ، لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، **وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه ، وثواب سماع رفقته** . انتهى .

وفي « البحر المورود في المواثيق والعهود » للشيخ الشعراني : أخذ علينا العهد أن نكون هينين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعاً ، وفي الحديث الوارد في الأمر بتسوية الصفوف : « ولينوا في يد إخوانكم » .

واعلم يا أخي أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة والعجم أو الشناوية أو الرفاعية أو **غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت** ، ولا تخالفهم فتشوِّش عليهم ، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود أن نبسط لكلٍّ من تعرَّف بنا من أبناء الدنيا بساط التشوق إلى طريق الفقراء ، وإلى محبة ذكر الله تعالى صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً ، فإن أحب ذلك وواظب عليه قرَّبناه وعددناه من جملة الأصحاب ، وإن لم يجب لذلك ! فإن اشتغل جلوسه معنا في مجالس الذكر ونحوها وتعلَّل بالنوم مثلاً ، عددناه من معارفنا لا من أصحابنا ! وذلك لأن الصاحب شرطه أن يشرب من مسقاة صاحبه ، مع ارتفاع

الحاجز بين قلبه وبين صاحبه كما يرتفع الحاجز بين الحوضين ويصيران حوضاً واحداً وماء واحداً . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود إلى أن قال : وينبغي للشيخ معاتبة كل من غاب من الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ، ولو بالنوم في البيت بحجة الوفاء بحق العيال ، **وإذا كان الفقراء في مجلس وردهم فلا ينبغي لأحدهم الانصراف إلا بإشارة شيخ المجلس** ، ﴿ **وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ** ﴾ ، ومجلس الذكر أمر جامع بيقين . انتهى .

وفيه : أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بتعظيم الذاكرين لله تعالى والذاكرات من[1] نسبتهم إلى مجالسة الحق عز وجل حال ذكرهم في قوله تعالى : « **أنا جليس من ذكرني** » أي أنا معه ، ومن كان الحق معه لا ينبغي لمن له دين أن يتعرَّض له بأن ينوي له سوءاً في وقت من الأوقات ، وهذا الأمر وإن كان واجباً في حق المسلمين ! فهو في حق الذاكر أشد وجوباً . قال : **وما رأينا أحداً آذى الفقراء أو الصالحين ، أو أنكر عليهم بغير طريق شرعي ومات على نعت استقامة أبداً** . وفي الحديث القدسي : « من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . انتهى .

قال : **وعلامة الولي** الذي لا شك فيه : أن يكون مكثراً بذكر الله تعالى ، ويؤيِّده قول أبي على الدقاق رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطي منشور الولاية . انتهى . قال : فعلم أنه **لا ينبغي لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت بالذكر في المساجد ونحوها إلا بطريق شرعي** يسوغ له الإنكار فيها ، كأن يشوش على نائم ، أو مصلٍّ ، أو مطالع في علم شرعي ، ونحو ذلك ، فليبتعد المانع لهم نفسه ! والله بكل شيء عليم . انتهى كلام الشعراني[2] رضي الله عنه ، وهو نفيس . انتهى عبارته .

---

(١) أي : لأجل نسبتهم . .الخ .
(٢) من « رماح » ١٧٣ ج١ .

أيها الولد رزقك الله التوفيق والاستقامة آمين . قد يسأل كثير من الناس : هل يجوز أن يذكر الله تعالي في حالة قراءة القرآن في المسجد ، كما هي العادة الجارية في ديارنا بين المغرب والعشاء ، أم لا ؟ يقول والدك في الجواب : قال محمد حقي النازلي في « خزينة الأسرار » : إن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن ، وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرئ بناءً على قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ ففي الصلاة نعم ، وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابه . انتهى ٥٤ . وفي فتاوى محمد علي الچوخي رحمه الله تعالى أن استماع القرآن مندوب بشرط كونها صحيحة ، وصلاة التحية أيضاً مندوب لداخل المسجد ، فلا يترك مندوب لمندوب آخر ! على أن الإنصات المأمور به في الآية : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ إنما هو الإنصات بترك الكلام اللغو ، لا بترك مندوب آخر مثله كالصلاة والقراءة ونحوهما ! كما صرح به المناوي . انتهى عبارته ٥٨ .

والاستماع مستحب لا واجب . رملي . ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن . جمالين . وفي « الفتوحات » بسط في ذلك فراجعه .

وفي « رماح حزب الرحيم » وأما قول[1] القائل : إذا لم يستمعوا[2] القرآن خالفوا قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ . وقد اختلف العلماء في هذا الأمر ، هل للوجوب مطلقاً ؟ أو للندب ؟ أو للوجوب في بعض الصور دون بعض ؟ مع اتفاق جمهورهم على أنه مخصوص بحالة الصلاة .

(١) أي : جوابه هذا .

(٢) أي : لم يستمع الذاكرون . (منه) .

وزاد بعضهم وفي الخطبة .

وقال بعضهم إنما ذلك في الصلاة المفروضة . أخرجه ابن جرير الطبراني بإسناد رجاله ثقات . ومن طريق طلحة بن عبد الله بن زكريا قال : رأيت عبد الله وعطاء يحدثان والقاصُّ يقصُّ فقلت ألا تستمعان ! فنظرا إلي ثم حدثا . فقلت ذلك ثلاثاً : فقالا : إنما ذلك في الصلاة .

وعن بعض الفضلاء : أن الأمر خاص بالنبي ﷺ وهو المأمور بالإنصات عند نزول الوحي بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال ابن عباس : أي انصت له فكان بعد ذلك إذا جاء الوحي أنصت له . الحديث . وعلى تقدير حمل الأمر على عمومه فلا يليق بمن له دين أن يعمد إلى الناس في عبادة فيتسبَّب في قطعها عليهم .

وقال العلماء فيمن صلى إلى غير سترة فى طريق المارة ، وكانت له مندوحة[1] في أن يصلي في غير ذلك المكان : أنه لا إثم على المارة ، لأن المصلي تسبَّب إلى ذلك . فكذلك هنا إذا تعمد قراءة القرآن – عند من يذكر الله تعالى ؛ لاعتقاده أن استماع القرآن واجب ، فيقطع الذاكر ذكره

---

(١) أي : وسعة ، وفسحة . « مصباح » .

* ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق ، وجميل البشر عند التقاطع . أنشدنا بعض العلماء الحكماء في معناه :

إن الكريم إذا تقضي وده   يخفى القبح ويظهر الإحسان

وترى اللئيم إذا انصرم حبله   يخفي الجميل ويظهر البهتاناً

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية ، ألم تستمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في أوله : يا من أظهر الجميل وستر القبيح   ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر

فكذلك صفات المؤمنين على معاني اختلاف المؤمن الأعلى « قوت القلوب في معاملة المحبوب » من عينه في ٢١٥ من الفصل الرابع والأربعين في كتاب الأخوة في الله تبارك وتعالى .

ويستمع القرآن – لا يجب عليه في هذه الحالة أن يستمع ! وقد قال العلماء في الداعي المستغرق في الدعاء لا يشرع السلام عليه ، ولا يجب الردُّ في ذلك الحال . وكذلك هذا الذاكر إذا استغرق في ذكرهِ! وإذا سقط عنه ما هو واجب لولا الذكر فيسقط الاستماع عنه وهو واجب عليه في هذه الصورة المذكورة . انتهى عبارته ١٧٦ج١ .

وهذا الكلام لخصته من ذلك الكتاب من أجوبة ابن حجر العسقلاني لأسئلة فراجعه .

ووجدت في آخر مجموعة الرسائل لسليمان الزهدي قدس سره ما نصه : قال السيد ابن عابدين في « حاشية الدر المختار » : وفي شرحه « المنية » : والأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية ، لأنه لإقامة حقه بأن يكون ملتفتاً إليه غير مضيع ، وذلك يحصل بإنصات البعض ، كما في رد السلام . انتهى .

وكذا ذكر في « حاشية الحموي » عن الإمام الشعراني : **أجمع العلماء خلفاً وسلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها ، إلا أن يشوِّش جهرهم على نائم ، أو مصلٍّ أو قارىء .** انتهى . راجعه في ١١٠ .

أيها الولد إني ذكرت في هذا الترغيب نبذة قليلة من فضيلة الذكر والاجتماع ، ولنا في هذا المقام من كلام السادات ما يطول ذكره ، وقد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » و« خلاصة الآداب » نبذة نافعة أيضاً ، فإن أردت الزيادة فراجعهما .

يا ولدي! أوصيك بملازمة مجالس الذكر ففي تلك المجالس فوائد جليلة وكيف لا ؟ ! وقد ورد في الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وورد أيضاً « إن أهل الذكر

ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإن عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني .

يا ولدي إن لك في هذين الحديثين كفاية لو كان فيك شيء ما من العناية . رزقك الله تعالى الهداية والإنابة وجنَّبك عن الضلالة والغواية آمين .

الترغيب العاشر

في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم من ترتيب الشغل ووظائف الأعمال

فاعلم يا ولدي أن أعمال الآخرة كأعمال الدنيا على حد سواء ، فقد يكون **بعض** العمل الكثير الشاق في الدنيا قليل الأجر بمقابلته ، والعمل القليل اليسير كثير الأجرة ! ألا ترى أن النجار أو الحداد مع المشقة التي يذيقانها قد لا يكون لهما إلا اليسير من الأجرة كالدراهم المعدودة أو غيرها ! وأن الفضاض ومهيئ الساعة قد يأخذان الأجر الكثير مع قلة التعب والعناء ، وكونه في ظل الدار والبناء ، فهكذا قد جعل الله تعالى بمنِّه وفضله وجوده الأجر الكثير في مقابلة بعض العمل اليسير . ألا ترى ما ورد في صلاة الفاتح لما أغلق على ما سبق ذكره ، وسورة الإخلاص ، أنها تعدل ثلث القرآن .

وقد قال عز الدين بن عبد السلام ما حاصله : إن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ، بل قد يأجر الله تعالى قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها . انتهى . كذا في « الرسالة » في فضائل الذكر ،

فراجعه في ١٢ . فإذا كان الأمر كذلك اختار أشياخ الطرق في طرقهم كل عمل مشقته وعناؤه قليلة يسيرة سهلة ، وجزاؤه وأجرته عظيمة جليلة كثيرة ، وذلك أخذاً واستنباطاً من الأحاديث والآثار لا اختراعاً منهم وابتداعاً ، فجزاهم الله تعالى عنا خيراً آمين . فكم وكم فضيلة سردوا[١] فيها ! وكم وكم وظيفة نافعة رتبوها ! فها أنا أردت أن أبيِّن لك يا ولدي ما في كل شغل من أشغال هذه الطريقة مما بقي ولم أذكره فيما سبق ،

فأقول وبالله التوفيق : فأولاً يأمر الشيخ المريد بإتيان خمسة ، أو خمسة عشر ، أو خمس وعشرين من الاستغفار ، والحكمة في تقديمه هذا : أن المتنجس بالأدناس والرذائل لا يصلح له الوقوف بباب الملك ، فضلاً عن الدخول ! فحينئذ الخدمة له أولى وأحرى ، وأما طمعه في دخوله مداخل الخاصة فسوء أدب وجراءة على الملك ، فكان اللائق بصاحب هذا الحال اشتغاله بما يطهره ، ويزيل عنه ما عليه من النجاسة والدناسة ليصلح للخدمة ، ومع هذا لا بد له من الوسيلة ، والوسيلة لا يجترىء على توصيله إلى الملك وهو متلطخ بالنجاسة ! والتطهر من تلك النجاسات لا يحصل إلا بالتوبة والاستغفار ، ولذا أمروا مريدهم بالشروع في الاستغفار .

ثم إنه لما أكمل من الاستغفار وتاب ، وعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له - كما ورد - قوي رجاؤه على أن يصلح الآن للوقوف بين يدي سيده وخدمته ، ولكنه مع ذلك في خوف شديد ، ووجل عظيم ، لما علم من عظمة هذا الملك وكبريائه وعلو شأنه ، وكونه مختاراً يفعل ما يشاء ، ولما علم ذلك خاف من الاستبداد[٢] بنفسه ، والاستقلال بأمره ، لأن مثله لا يستحق بذلك إلا الطرد والإبعاد من الملك ، وهذا - والعياذ بالله - هو الذي كان يخاف أن يلحقه من جناب سيده ، ولعلمه أنه هو

---

(١) سردت الحديث سرداً من باب قتل : أتيت به على الولاء . « مصباح » .
(٢) استبدّ بالأمر : انفرد به بغير مشاور له « مصباح » .

وجميع الخلق في هذا الميدان على حد سواء رجع إلى التوسل إلى الله تعالى برسوله الذي هو وسيلة جميع المخلوقات إليه تعالى في جميع التوجهات والمطالب ، لعلمه بعلوِّ مقداره عند الله تعالى ، وشفوف[1] مرتبته لديه ، وعلوِّ اصطفائه على جميع خلقه ، وعلمه بأن الله تعالى لا يقبل العمل من كل عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ ، فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجُّه إليه دون التوسل به ﷺ ، معرضاً عن كريم جنابه ، ومدبراً عن تشديد خطابه ، كان مستوجباً من الله تعالى غاية السخط والغضب ، وغاية اللعن والطرد والبعد ، وضلَّ سعيه ، وخسر عمله ، ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به ﷺ . فإذا كان الأمر كذلك ! وخاف المريد أيضاً من أن يجترىء على جنابه ﷺ ، ويتخذه إلى الله تعالى وسيلة بنفسه وانفراده ، شرع في التوسل إليه ﷺ بواسطة المشائخ ، وبالتوجُّه إليهم معتقداً أنهم باب الفيوض وميزابها ، وأن قلوبهم مجرى الإمداد وقناتها ، وأن التقرُّب إليه عليه الصلاة و السلام بغير وساطتهم محال ، وقصد إلى الإلتجاء إلى أبوابهم رجاء أن يكونوا له ممدين ، فشرع في قراءة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، لعلمه ما في قراءتها من الثواب العظيم ، فأهدى ثوابها إلى النبي ﷺ وإلى أرواح أولئك المشائخ ، امتثالاً بأمر النبي ﷺ بقوله « تهادوا تحابوا » ، ثم إنه لما قصد التوجُّه إليهم والقرب منهم زاد خوفه ، فاستغفر الله ثانياً مائة مرة ، ليستحكم الطهارة عما بقي عليه من الدناسة ، فلما كان مراده من جميع ما ذكر أن يستفيض من شيخه ، ويجعله رفيقاً في طريقه ، ووسيلة إلى الوصول إلى جنابه ﷺ ، ويطلب غرفاً من فيوضاته وإمداداته ، ويصير أهلاً ببركة الوسائط للقرب إلى الله تعالى ووصوله ، مع علمه أن الفيض لا يؤخذ إلا من قلوبهم وأن قلوبهم موازيب الحكمة والمدد ، وقصد الشروع في ربط قلبه بقلب شيخه للاستفاضة ، ووجد قلبه

---

(١) أي : زيادة .

مملوءاً بالخواطر ، ومدنَّساً بحديث النفس ، احتاج لا محالة أن يشتغل أولاً بما يزيلها ليصفو توجُّهه إلى شيخه ، ويسهل تصوُّر صورته قبالة وجهه ، ولا شك أن علاج زوالها هو ذكر هازم[1] اللذات[2] ومكدّر التنعمات ، ألا وهو الموت ! الذي هو القيامة الصغرى ومفرق الأحباب . وباب البلية الكبرى . وقد سمعت شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : **إذا أطاق المريد أن يتصوَّر صورة شيخه كما هي يحضر لديه ، وإلا فلا !** فهذه المذكورات هي الحكمة التي وصل إليها عقل الحقير رحم الله إفلاسه ونوَّر الله تعالى ضرائح مشائخنا ، حيث أرشدونا إلى هذه المنافع آمين ، مع ما فيها غير ما سبق من الثواب الجزيل ، والأجر الكبير . **فتأمل يا ولدي** فيما أتلو عليك ، فأرجوك أن تكون من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه .

أما فضائل الاستغفار! فقد مرَّ في بابه .

مطلب : فضائل سورة الفاتحة

وأما قراءة الفاتحة ! ففضائلها كثيرة ، فمن ذلك ما نقل من عين « الرسالة » من حاشيته : روي أنه لما أنزل الله تعالى فاتحة الكتاب على محمد عليه الصلاة والسلام[3] بكى إبليس بكاءً شديداً حتى اجتمع عليه أولاده قالوا : وما يبكيك ؟ فقال : إن الله تعالى أنزل على محمد وأمته سورة أئسْتُ منهم . فقالوا : لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يتركوا شكر ما أنعم الله عليهم ، فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون لأن في أول تلك السورة الحمد لله رب العالمين . فقالوا : لا تَغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى ينكروا البعث ، فيعاقبهم الله تعالى ويعذبهم

---

(١) وفي نسخة : هادم .

(٢) ورأيت في « شرح عين العلم » ما نصه : وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت : أكثري ذكر الموت يرقَّ قلبك . ففعلت فرقَّ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، انتهى عبارته ٨٨ ج٢ (منه) .

(٣) وفي نسخة : وأمته .

كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا : مالك يوم الدين . فقالوا : لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يعبدوا الأوثان ، فيعاقبهم الله تعالى ويعذبَهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا : إياك نعبد . فقالوا : لا تغتمَّ فإنا نجتهد كل الجهد حتى يتكاسلوا ويتركوا ما أمر الله ، فيعاقبهم ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأن الله تعالي علمهم أن يقولوا : وإياك نستعين فقالوا : لا تغتم فإنا نجتهد كل الجهد حتي نضلهم من الطريق فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين : إذاً لا تقدرون ، لأنهم يقولون : اهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخر السورة ، فقالوا : إنهم ليسوا بأفضل من آدم وحواء ، ومكانهم لا يكون أفضل من الجنة ! وأنت أخرجت آدم وحواء من الجنة . فصاح صيحة ، وانغمس في البحر انغماسة ومكث أولاده سنة ، فخرج من بعد السنة وقال : أبشروا يا أولادي ! جئت بشيء نهلكهم ونضلّهم . فقالوا : وماذا ؟ قال : نزيِّن المعاصي في قلوبهم ، ونمنع ألسنتهم من الاستغفار ، فيعاقبهم الله تعالى ، ويهلكهم كالأمم الماضية . فضحكوا كلهم مسرورين ، وأرادوا أن يرجعوا مسرورين ، **فنادى الله تعالى : يا لعين! إن منعتهم عن الاستغفار فمن يمنعني من الغفران ؟ أغفر لهم بقراءة هذه السورة ولا أبالي ، وإن ماتوا بغير الاستغفار! ليعلم عبادي أني أنا الغفور الرحيم** . انتهى .

ورأيت في « ذخيرة المعاد » أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل : لأعلمنّك أعظم سورة في القرآن . فسأله عنها . فقال له : الحمد لله رب العالمين ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم أوتيته . انتهى عبارته ٦٢ .

وقال في حديث السرية ، لما رقوا بها الملدوغ وأعطوهم قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة « إنها رقية حق ، حتى اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم ، وإنها شفاء من كل داء » . وفي أخرى « من السمِّ » .

وعن أنس ﷺ أنه قال عليه الصلاة والسلام : « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت » .

وفي أخرى « من قرأ أم الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فكأنما قرأ ثلث القرآن »

وفي أخرى « أنها تعدل ثلثي القرآن » . انتهى « ذخيرة المعاد » عبارته ٦٤ .

وفيه : وفي حديث آخر « إن الملائكة لا تقرأ من القرآن إلا الفاتحة ، وِإن قراءة القرآن خاصة بالبشر دون الملائكة ، وأنهم حريصون على سماعه من الإنس » .

فضائل بسم الله الرحمن الرحيم

وقال في فضل البسملة : عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق ، وسكنت الريح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، **وحلف الله بعزته وجلاله لا يسمى على شيء إلا بارك فيه .**

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ليجعل الله تعالى بكل حرف منها جُنَّة من كل واحد .

وعن ابن عباس ﷺ مرفوعاً : « إن المعلم إذا قال للصبي قل : بسم الله الرحمن الرحيم . كتب للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار » . وأخرج الديلمي عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ، ومحى عنه

أربعة آلاف سيئة . ورفع له أربعة آلاف درجة » ، هذه الأحاديث والآثار ملخصة من « الدر المنثور » . انتهى عبارته ٦٤ .

وفيه : وقيل : خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش ، رأسه كرأس الآدمي ، له سبعون ألف جناح أمة . . من الملائكة ، مكتوب على خدِّه الأيمن آية الكرسي ، وعلى الأيسر ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ الآية . وعلى جبهته الفاتحة ، وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة يقرؤون الفاتحة من جبهته ، فإذا قالوا : إياك نعبد وإياك نستعين سجدوا . فيقول الله تعالى : ارفعوا رؤوسكم ، فقد رضيت عنكم . فيقولون : ربنا ارضَ عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ﷺ فيقول : أشْهِدُكم أني قد رضيت عنهم .

وقال نجم النسفي رضي الله عنه لما نزلت الفاتحة نزل معها سبعمائة ألف ملك . انتهى ٦٧ عبارته .

وفيه : فائدة : خلق الله تعالى القلم من درَّة بيضاء ، طوله خمسمائة عام ، النور منه ينبع كما ينبع المداد من قلم الدنيا ، ثم أمره أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فكتبها في سبعمائة عام ، فقال الله تعالى ، وعزتي وجلالي من قالها من أمة محمد ﷺ مرة واحدة ، كتب الله تعالى له ثواب سبعمائة عام . انتهى ٦٨ عبارته . قاله النسفي رحمه الله تعالى .

وذكر أيضاً أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج قبّة من درَّة بيضاء ، لها باب من ذهب ، وقفل من ذهب ، لو أن الجن والإنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل ، فأراد أن يرجع ، فقيل له : لِمَ لا تدخلها ؟ قال : لأنها مقفولة . فقيل مفتاحها معك ! وهو بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم فانفتحت ، فرأى فيها أربعة أنهار : من ماء غير آسن - أي غير متغير - يخرج من ميم بسم الله الرحمن الرحيم ، ونهر من لبن يخرج من هاء الجلالة ، ونهر من خمر

لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن ، ونهر من عسل مصفًّى يخرج من ميم الرحيم . فقال الله تعالى : يا محمد ﷺ من ذكر بهذه الأسماء من أمتك سقيته من هذه الأنهار الأربعة .

وقد مرّ أن من أسماء الفاتحة : « الماحية » لأن فيها خمسة عشر ميماً بالبسملة . فإذا قرأها العبد خرجت الميمات كالطيور ، فيتعلق بالعرش فيثقل على الحملة ، فيقولون : ربنا ما هذا الثقل ؟ فيقول الله تعالى : هذا ثواب سورة قرأها عبدي . فتقول الميمات : ربنا ما جزاء من قرأنا ؟ فيقول الله تعالى : انطلقوا إلى ديوانه وكل ميم تمحو عشر سيئات . فيقولون : ربنا زدنا ، فيزيدهم إلى المائة وعشرين سيئة إلى المائة ثم يزدادون فيزيدهم عشرين فيكون جملة ذلك ألفاً وثمانمائة ، **فيحصل لكل قارىء الفاتحة في اليوم والليلة في الصلوات الخمس ثلاثون ألفاً وستمائة حسنة .**

قال النيسابوري وغيره : أسقط الله تعالى من الفاتحة سبعة أحرف : الثاء من الثبور ، والجيم من جهنم ، والخاء من الخزي ، والزاء من الزفير ، والشين من الشهيق ، والظاء من اللظى ، والفاء من الفراق ، ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلَّصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ، ولأن آياتها سبع أيضاً . انتهى عبارته ٦٩ .

وفيه ما نصه : مرَّ أن في وصل البسملة بالحمدلة - عن القرطبي - أن الله تعالى قال : وعزتي وجلالي وجودي وكرمي أن من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بالفاتحة مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت له ، وقبلت منه الحسنات ، وتجاوزت عن السيئات . انتهى عبارته ٦٩ .

وفي كتاب « الفيوضات الحسنى من مشاهدة الحبيب الأسنى »

للشيخ حسين بن عبد الشكور المدني رحمه الله تعالى يتضمن شرح صلاة أهل القرب وهو شرح قصيدة له سماها « الهدية السنية » وشرحها الأصل « الموارد الهنية » و« الفيوضات » كالحاشية على الشرح ، وهو كتاب جليل على نمط ، هو على غير مَنْ لم يعلمه الله تعالى العلم اللدني مستحيل ، أهداه مؤلفه لشيخنا الإمام الحبيب : عمر بن عبد الرحمن البارّ الأخير ، وقد عده في فهرسة مشائخه .

قال فيه : ذكر سيّدي الشيخ الأكبر في كتاب الوصايا من « فتوحاته » نفعنا الله به .

فائدة عظيمة ، وعائدة عميمة ، قال ﷺ وصية : إذا قرأت فاتحة الكتاب فَصِلْ بسملتها بها في نَفَسٍ واحد ، فإني أقول بالله العظيم ! لقد حدثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكتاري بمدينة الموصل سنة إحدى وست مائة إلى آخر سنده به ، وكل واحد من الرواة للحديث يقول بالله العظيم ! لقد سمعت فلاناً يقول إلى أن قال لقد حدثني أنس بن مالك ﷺ لقد حدثني المصطفى ﷺ وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال : بالله العظيم ! قال الله تعالى : يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة[1] بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على أني قد غفرت له ، وقبلت منه الحسنات ، وتجاوزت عنه

---

(١) هذا الوصل إنما هو في قراءتها في غير الصلاة ، وأمَّا فيها ! فالأفضل الفصل . كذا أفادني شيخنا القحي رحمه الله تعالى وأمرني بتعليقه هنا هكذا ، والسلام .

وأمَّا ما نقله ابن حجر عن المجموع من أنه يُسنُ وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . اتهى . فلم يرض به واعترضه برواية البيهقي والحليمي وغيرهما بأنه يُسنُّ الوقف على رؤوس الآي إلخ ، انتهى فراجعه (منه) .

السيئات ، ولا أحرق لسانه بالنار ، وأجيره من عذاب القبر ، وعذاب النار ، وعذاب القيامة ، والفزع الأكبر ، ويلقاني قبل[1] الأنبياء والأولياء أجمعين . انتهى « ذخيرة المعاد » ٧١ .

وفي حاشية الشيخ محمد الزرقاني على شرح المنظومة المسماة « بالبيقونية » في مصطلح الحديث : قال السخاوي : هذا الحديث باطل متناً وتسلسلاً ، وقد أثبته أهل الكشف ، وأجاب بعضهم عن أسباب بطلانه . انتهى . فراجعه في ٣٦ . لكن مؤلف « خزينة الأسرار » ذكره في الأحاديث الصحيحة . فراجعه في ١٠٥ .

وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني كلام كثير في حق الحديث ، وفيه ما حاصله : أن هذا الحديث قد ثبت عند ابن عربي وأضرابه من طريق الكشف . فراجعه في ٥٠ .

وفي « ذخيرة المعاد » : أن المتمرِّن[2] على حبس النَفَس في قراءة الفاتحة كلها مع البسملة في نَفَسٍ إذا تمادى عليه توسع له ضيقه ، فيمكنه أن يقرأ سورة الإخلاص ثلاثاً في نَفَسٍ واحد ، فيأتي على قراءة الفاتحة في ضمن القرآن لأنها أمه ، وأوله فاتحة الكتاب ، ويتحصل له في فضل الله تعالى ما وعده على الفاتحة بكرمه ، ويرجى له تحصيل قراءة القرآن كله معها في نفس واحد ، إلخ عبارته .

وفيه بعيد هذا : وفي الوارد الآخر تجزي[3] ما لا يجزي شيء من القرآن . ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان ، وجعل القرآن في

---

(١) وفي رواية : مثل الأنبياء .
(٢) مرن على الشيء من باب دخل ، ومرانة أيضاً تعوّده واستمرّ عليه . « مختار » .
(٣) يعنى الفاتحة .

الأخرى ، لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات في نفس واحد .

ولعل هذا أيضاً مما يرشد إلى حصول بيان شيء من فضل حصر[1] النَفَس بأمِّ القرآن في نفس واحد مع البسملة ، فتحصل قراءة القرآن سبع مرات للقارىء في نفس واحد . انتهى . ملخصاً في ٧٢ على ما هو المقصود ، فتدبر فيما ذكر .

ولكن قال في « فتح المعين » : ويُسنُّ وقفٌ على رأس كل آية ، حتى على آخر البسملة ، خلافاً لجمع . انتهى عبارته . قوله : ويُسنُّ وقف على رأس كل آية إلخ . وذلك لما صح أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية ؛ يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف ، الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف ، قوله حتى على آخر البسملة غاية لسنية الوقف على ما ذكر وهي للردّ . وقوله خلافاً لجمع أي قائلين : إنه يسن وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . وتعجب منه في « التحفة » للحديث السابق . انتهى « إعانة الطالبين » ١٤٨ج١ .

قوله حتى في آخر البسملة هو معتمد « التحفة » قوله خلافاً لجمع أي في قولهم يسن وصل البسملة بالحمدلة وهو معتمد « المغني » و« فتح الجواد » . انتهى « ترشيح المستفيدين » عبارته ٦٣ .

وفي « جواهر المعاني » : وأمَّا فضل فاتحة الكتاب ! فقد ورد في الحديث أنها أعظم من القرآن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، إلى غير ذلك مما ورد في فضلها عن سيد الوجود ﷺ . قال[2] رضي الله عنه : « وأما الفاتحة ! فقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أن فيها بكل مرة ختمة من القرآن ، فقلت له ﷺ : إنه بلغني في بعض الأخبار أن من تلاها مرة فكأنما سبَّح الله بكل تسبيح سبَّحه به جميع خلقه في كورة العالم ! فهل يحصل فيها

---

(١) وفي نسخة : حبس .

(٢) أي : أحمد التجاني رضي الله عنه .

هذا الثواب كله ؟ فقال ﷺ : أكثر من ذلك ! ويحصل لتاليها في كل مرة بعدد حروفها وحروف القرآن بكل حرف سبع قصور ، وسبع حور . قلت : وقد قيل إن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون ألفاً وخمسة وسبعون ، فإذا ضربت في سبعة - وهي عدد الحور لكل حرف سبعة - يخرج ألف ألف ومئتا ألف وسبع وأربعون ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراً . انتهى .

وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفاً لكونها فيها فضل صيام رمضان ، وكل يوم منه باثني عشر ألفاً ، وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون ألفي ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرون . انتهى . فهذا في غير الصلاة ، وأما في الصلاة ! فيتضاعف مرتين إن صلى جالساً ، وأربع مرات إن صلى قائماً ، وهذا للفذِّ[1] فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات ، فإذا نظرت إلى عدد ركعات وهي سبعة عشر ركعة بين الليل والنهار يصير ثمانية عشر مائة وستة وثلاثون أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف وهو ألفي ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ، ومثله تسبيح العالم ، ومثله قيام ليلة القدر ، ومثله عبادة سنين ، ومثله ختمات من القرآن . الحاصل مَنْ قرأها في صلاة الجماعة ، فيعطى من الأجر في اليوم الواحد **أربعة آلاف ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وسبعمائة ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وستة وثمانون ألف ألف** (**مرتبتان**) ، **وثلاثة وستون ألفاً وتسعمائة حوراء**[2] ، مع الأجر المتقدم من تسبيح العالم ، وختمات القرآن ، إلى غيرها .

قال الشيخ رضي الله عنه : وفي الحديث : « من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة » . انتهى . ثم قال سيدنا رضي الله عنه : وهذا لمن لم يفهم معنى

---

(١) أي : للمنفرد .

(٢) هو بالرقم الكتابي ٤٨٧٦٠٦٣٩٠٠ .

التفسير ، وأما من علم التفسير فيتضاعف له الأجر مرتين وهو مئتا حسنة لكل حرف ، ثم قال سيدنا ﷺ : ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة - أعني قارىء الفاتحة - ثم قال - ﷺ - وهذا في غير نية الاسم[1] .

وأما قراءة الفاتحة بنيّة الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله تعالى ، ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله ، فإن فضل الله لا حدَّ له والسلام .

ثم قال ﷺ : قال لي سيد الوجود ﷺ : ويجاورني في عليِّين .

وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة ، وأما من تلاها وهو يعتقد أنه يتلو الاسم الأعظم معها - لكون حروف الاسم تامة فيها - فإنه يحصل له في كل مرة ثواب تلاوة الاسم وثواب تلاوتها ، وكل من تلاها فقد تلاه معها ، وهذه الخاصية في الفاتحة فقط ! دون ما عداها من المتلوات التي كملت فيها حروف الاسم .

واعلم أن من تلاها متعبداً لله من غير شعور بتلاوة الاسم معها كان له الثواب الأول ، ومن تلاها معتقداً أنه يتلو الاسم معها لوجود كمال حروفها فيها ، كان له ثواب تلاوتها وتلاوة الاسم في كل مرة ، لكن مع اعتقاد أنه الاسم الخاص بالذات العلية ، وليس للذات العلية المنزهة غيره . انتهى .

فهذا ما أبرزه لنا ﷺ ، وما هو مكتوم فيها ، فلا يعلم قدره إلا الله تعالى . انتهى ما أملاه علينا ﷺ . انتهى كلام « الجواهر » راجعه في ١٠٧ ج١ .

وأخرج الخلعي في فوائده عن عبد الله بن جابر ﷺ أنه قال عليه

(١) أي : قراءة الاسم الأعظم ، والله أعلم .

الصلاة والسلام : « **فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام** » والسام : الموت . انتهى . « خزينة الأسرار » عبارته في ٦٤ .

وفيه : وأخرج ابن قانع عن رجال الغنوي قال : قال رسول الله ﷺ « استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه ، وبما مدح الله به نفسه . قلنا : وما ذاك يا نبي الله ؟ قال : الحمد لله ، وقل هو الله أحد ، **فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله تعالى** » . انتهى عبارته ٦٤ .

وفي تسمية الفاتحة بالسبع المثاني(١) أقوال :

فمنها ما ذكره محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينة الأسرار » بما نصه : وقيل لأن آياتها سبع ، وأبواب النيران سبعة ، فمن قرأها غلقت عليه الأبواب السبعة ، والدليل عليه ما روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : يا محمد ! كنت أخشى العذاب على أمتك ، فلما نزلت الفاتحة أمنت . قال : لِمَ يا جبريل ؟ قال : لأن الله تعالى قال ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾** ﴾ وآياتها سبع فمن قرأها صارت كل آية طبقاً على باب من أبواب جهنم ، فتمرّ أمتك عليها سالمين . انتهى عبارته في ٩٤ .

وفيه في ١٠٦ : وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن » انتهى عبارته .

---

(١) والمثاني يحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء ، لما فيها من الثناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الاستثناء ، لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ، ويحتمل أن يكون من التثنية ، قيل لأنها تثنى في كل ركعة ، وقيل لأنها نزلت مرتين ، وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء ، وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية أثنى عليه الله بالإخبار عن فعله ، وقيل لأنها اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني ، وقيل لأنها مستثناة من سائر الكتب ، وقيل غير ذلك ، راجع « خزينة الأسرار » في ٩٤ (منه) .

وفيه في ١٠٨ وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ بالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وكأنما تصدق بكل آية قرأها بملء الأرض ذهباً في سبيل الله وحرَّم الله جسده على النار ، ولا يدخل الجنة بعد الأنبياء أغنى منه » . انتهى عبارته .

وفيه في ١٠٩ : وروي عن حذيفة اليماني ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : « إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً ، فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب : الحمد لله رب العالمين ، فيسمع الله تعالى ، ويرفع العذاب بسببه أربعين سنة » . كذا في تفسير الفاتحة ، وتفسير ابن عادل .

وفيه ١٠٩ : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى منزله فقرأ سورة الحمد ، وسورة الإخلاص نفى الله عنه الفقر ، وكثر خير بيته » كذا في تفسير الفاتحة . انتهى .

وفيه في١١٣ : وقال صاحب « درَّة الآفاق في علم الحروف والأوفاق » : من داوم على قراءة الفاتحة مع البسملة عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات بعدد آياتها فتح الله عليه أبواب الخيرات ما دام يقرؤها ، وكفاه الله ما أهمَّه من أمر دينه ودنياه ، ومن قرأها سبع مرات على قطن يتفل[1] عليه ثم يضعه على جراحة شفاه الله تعالى ببركة الفاتحة .

ومن داوم على قراءتها عقب كل صلاة مكتوبة عشرين مرة يبلغ كل يوم إلى مائة وسَّع الله تعالى رزقه ، وحسن حاله ، ونوَّر سرَّه على قدره ، ويسَّر أمره ، وفرَّج همَّه ، وكشف ضرَّه ، ويعطي قارئها مأموله من العزِّ والهيبة والعلو والرفعة والسيادة ، وبها تنزل البركات ، وترفع الحاجات ،

(١) تَفِلَ يَتْفِلُ ويَتْفُلُ : بَصِقَ . « قاموس » .

وفيها أسرار لأرباب البدايات ، وأنوار لأصحاب النهايات ، وهي تدل على الدين والصدق والإنابة ، والتوفيق والنصر والقهر والغلبة والطاعة ، والعطف والمحبة والكفاية والوقاية ، والأمن والتمليك والإرادة والعلم والبسط والسرور والفهم ، والزيادة في المال والجاه والأهل ، والحياة الطيبة ، وحفظ الخدم والأولاد من الضرر والفساد ، والاطِّلاع على لطائف العلوم ودقائق الفهوم بالغرائب والحكمة ، والتكلُّم بالحقائق والمعرفة ، وغيرها من المنافع والمراتب ، كلها ببركة الفاتحة والخصائص فيها ، وفتح الله عليه أبواب الخيرات بالزيادات ، ونفذت كلمته في الرياسات ، وآمنه الله تعالى من حوادث الدهر ، وشرِّ نكبات[1] الجوع والفقر ، وألقى محبته في القلوب ، ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ما سأل . ولا تحصل هذه الخواصُّ إلا بالمداومة عليها .

وبها الإجازة لمن داوم عليها كما أخذ الإجازة عن المشائخ عند حضرة النبي عليه الصلاة والسلام . وفي رواية إن الفاتحة تقرأ بعد صلاة الصبح ثلاثين مرة ، وبعد الظهر خمساً وعشرين ، وبعد العصر عشرين ، وبعد المغرب خمسة عشر ، وبعد العشاء عشر مرات ، تبلغ كلها إلى مائة فاتحة . وكلا الطريقين محمود . ومن داوم على قراءة الفاتحة مائة مرة دبر كل صلاة مكتوبة نال مقصوده سريعاً ، ومن دوام على قراءتها بعد صلاة الصبح بعدد حروفها - وهي مائة وخمس وعشرون مرة - أدرك غرضه ، ونال مطلوبه بلا شك ولا شبهة ، ولهذا الترتيب خواص عجيبة ، وأسرار غريبة . انتهى .

---

(١) النكبة بالفتح : المصيبة « قاموس » .

مطلب مهم لقضاء الحاجة مجرَّب

وفيه فى ١٤٤ وروي عن الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره : من كان له حاجة فليقرأ الفاتحة أربعين مرة بعد صلاة المغرب ، عند الفراغ من الفرض والسنة ، ولا يقوم من مكانه حتى يفرغ من قراءة الفاتحة ، وبعده يسأل مراده ، فإن الله تعالى يقضيه لا محالة . وقد جُرِّب فوجدناه نافعاً ، ثم يقرأ هذا الدعاء بعد الفراغ من قراءة الفاتحة : « إلهِي عِلْمُكَ كَافٍ عن السُّؤَالِ ، اِكْفِنِي بحَقِّ الْفَاتِحَةِ سُؤَلاً ، وَكَرَمُكَ كَافٍ عَنِ الْمَقَالِ أَكْرِمْنِي بِحَقِّ الْفَاتِحَةِ مَقَالاً ، وَحَصِّل مَا فِي ضمِيري » .

قال رسول الله ﷺ : « فاتحة مفتوحة لمقصد المؤمنين ، ومن قرأها بالوضوء سبعة أيام في كل يوم سبعين مرة ونفخ على ماء طاهر فشربه رزقه الله تعالى بفضله العلم والحكمة ، وطَهَّر قلبه عن الأفكار الفاسدة ، وجعله ذكياً لا ينسى أبداً ما سمعه » كذا في « سرِّ الفاتحة » .

فائدة : ومن خواص الفاتحة أنها إذا قرأت إحدى وأربعين مرة بين سُنَّة الصبح وفرضه على وجع العين يبرأ بإذن الله تعالى معجلاً ، وهذا الترتيب في هذا الزمان نافع بليغ للعين ، وغيرها من الأمراض ، وذلك قد جُرّب وصح ، والحمد لله ، **والسرُّ في ذلك كله حسن الظن من الوجيع والعازم .**

ومن قرأها بالعدد المذكور على الضرس الوجيع يبرأ بإذن الله تعالى .

ومن قرأ بالعدد المذكور في قفا المسافر حفظه الله تعالى وردَّه سالماً إلى وطنه .

فائدة : من خواص الفاتحة : مَنْ قرأها مائة وإحدى وعشرين مرة وهو مقيد - والعياذ بالله تعالى - ويتفل بعد القراءة عشر مرات على القيد فان القيد ينفكُّ بإذن الله تعالى . وقد جَرَّبه مَنْ كان مقيداً

وعلى الترسم فانفك القيد وخرج ، والحراس رقود ، ونجا بلطف الله تعالى وببركة هذه السورة .

ومن خواصها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال : **من وضع يده على موضع الوجع وقرأ الفاتحة سبع مرات** وقال : « **اللهمَّ أَذْهِبْ عنِّي سُوءَ ما أَجِدُ وَفُحْشَهُ بدَعْوَةِ نَبيِّكَ مُحمدٍ** ﷺ **اَلْمُبَارِكِ المكين الأَمِينِ عِنْدَكَ** » سبع مرات شفاه الله تعالى . وقد جُرِّب ذلك وصح . كذا في « فتح المجيد » . انتهى .

وقال العلامة ابن القيم في كتابه « كل داء له دواء » : وأنا أحسنت المداواة بالفاتحة فوجدت لها تأثيراً عجيباً في الشفاء ، وذلك أني مكثت بمكة مدة ، يعتريني أدواء لا أجد لها طبيباً ولا مداوياً ، فقلت : يا نفس دعيني أعالج نفسي بالفاتحة ! ففعلت ، فرأيت لها تأثيراً عجيباً وكنت أصف ذلك لمن اشتكى ألماً شديداً فكان كثير منهم يبرؤون سريعاً بمكة ببركة الفاتحة ، ثم قال : **وقد يختلف الشفاء لضعف همَّة الفاعل أو لعدم قبول المحل** أن يتداوى بكتابة الفاتحة أو أن يتداوى بقراءة الفاتحة ، فكذلك يختلف الشفاء بضعف همة القارىء ، أو لتغيير القارىء في المخرج والصفات ، أو لعدم قبول المحل ، وإلا فالآيات والأدعية في نفسها نافعة شافية .

عدم إصابة المقصود لأمرين

واعلم أنه قد يعمل كثير من الناس شيئاً من ذلك ولا يقع على مقصوده وغرضه ، وذلك إنما يكون لأمرين :

أحدهما : أن يكون العامل من العصاة غير أهل للانفعالات والمكاشفات .

والثاني : عمله على سبيل التجربة والشك ، وأما إذا حدث من آثار

النفوس الخبيثة من ذوات السموم القاتلة ، والعيون المعرِّضة المهلكة أمر وقابلته النفوس الزكية الشريفة بحقائق الفاتحة وأسرارها ومعانيها ، وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله سبحانه وتعالى ، دفعت أثر تلك النفوس الشيطانية ، وحصل البرء بلا شك ولا شبهة . كذا في « شمس المعارف » . انتهى « خزينة » عبارته في ١١٨ .

أيها الولد : إن فضائل الفاتحة وخواصها كثيرة ، وكتبة الجميع عسيرة ، ولعل في هذا القدر كفاية ، فإن أردت الزيادة فراجع « فتح الملك المجيد » و« خزينة الأسرار » و« شمس المعارف » وغيرها . وقد كان شيخنا المرحوم المغفور سيف الله قدس سره أجازني لكتبة الفاتحة مقطعة الأحرف بلا طمس للحروف محواً وتعليقاً لكل داء ومرض ، وكذا لقراءة يا سلام مائة وعشرين مرة على المريض نافثاً عليه من الريق بعد القراءة للعدد المذكور .

وكتب رضي الله عنه هذه الإجازة بخطه في أثناء صك الإجازة :

يا ولدي إن والدك أجازك في هذا كما أجازني به شيخي المذكور ، رزقك الله تعالى الاعتقاد التام ، ونفع الله تعالى بك العباد بالنفع العام ، آمين .

فضائل سورة ا لإخلاص

وأما قراءة سورة الإخلاص ففضائلها أكثر من أن يحصى .

فمن ذلك ما ذكره محمد حقى النازلي قدس سره في « خزينته » في ١٥١ في فصل الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل قراءة سورة الإخلاص إلخ بالسند المتصل إلى أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا : كيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : اقرؤا قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن » .

وبالسند المتصل إلى أنس ﵁ قال : قال رجل لرسول الله ﷺ : « إني أحب هذه السورة : قل هو الله أحد . قال : حبّك إياها أدخلك الجنة » كذا في « المعالم » .

وعن أبي ابن كعب ﵁ عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله من الأجر كمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأُعطي من الأجر كمثل أجر ثواب مائة شهيد » كذا في « التفسير الكبير » .

وأخرج مسلم وغيره عن حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وفي « اللباب » عن جماعة من الصحابة كذا في « الإتقان » .

وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص بإخلاص حرّم الله جسده على النار » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﵁ عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » .

وأخرج عقيل عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى عبارته .

وفي « الخزينة » أيضاً وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل وأنس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وأخرج الطبراني والدارمي عن أبي هريرة ورواية أخرى عن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بني له قصر في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في

الجنة . فقال عمر بن الخطاب ﵁ : والله يا رسول الله إذاً لنكثرنَّ قصورنا ! فقال عليه الصلاة والسلام : رحمة الله واسعة من ذلك » كذا في « تفسير الحنفي » و« مشكاة المصابيح » .

مهم

وروي عن علي ﵁ أنه قال : من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ، ولو اجتهد الشيطان . كذا في « روح البيان » .

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات ، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » كذا في « الإتقان » انتهى عبارته ١٥٢ .

وفي « الخزينة » أيضاً ١٥٢ : وأخرج ابن نصر عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » .

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة قم يا مادح الله فادخل الجنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس ﵁ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاماً ما اجتنب خصالاً أربعاً : الدماء ، والأموال ، والفروج ، والأشربة » كذا في « الجامع الصغير » .

وأخرج الطبراني والديلمي عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو في غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج الترمذي عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو

الله أحد مائتي مرة كل يوم كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة ، ومحا عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين ! ومَنْ أراد أن ينام على فراشه ، فنام على يمينه ، ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول الرب : يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة » كذا في « الإتقان » .

وأخرج البيهقي عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر الله له ذنوب مائتي سنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ : « من قرأ في يوم قل هو الله أحد مائتي مرة كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » .

وأخرج الخارجي في « فوائده » عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى عبارته ١٥٢ .

وفي « خزينة الأسرار » ١٥٣ أيضاً ، وروي عن وكيع عن إسرائيل عن إبراهيم عن عبد الله الأعلى عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « كنت أخشى العذاب على أمتي بالليل والنهار ، حتى جاءني جبريل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد ، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يعذب أمتي بعد نزول قل هو الله أحد لأنها نسبة الله عز وجل فمن تعهَّد قراءتها تناثر البر عن عنان السماء على مفرق رأسه ونزلت عليه السكينة ، وتغشاه الرحمة وله دويّ حول العرش ، حتى ينظر الله إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبداً ، ثم لم يسأله شيئاً إلا أعطاه ، وجعله في حرزه وكلاءته ، ويكون له من يوم قراءته إلى يوم القيامة من كل خير أعدَّه الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته من خيري الدنيا والآخرة النصيب الوافر ويوسع الله عليه الرزق ، ويمدُّ له في العمر ، ويكفيه في المهم من الأمور كلها ، ولا يذوق سكرات الموت ، وينجو من عذاب القبر ، ولا يخاف إذا خاف العباد ، وإذا وافى للجمع أتوه بنجيبة

من درَّة بيضاء فيركبها فيمرّ به حتى يقف بين يدي الله تعالى ، فينظر الله تعالى إليه بالرحمة ، ويكرمه بالجنة ، يتبوأ منها حيث يشاء ، فطوبى لقارئها ، فإنه ما من أحد يقرأ قل هو الله أحد مرة إلا وكَّل الله الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، ويستغفرون له ، ويكتبون له الحسنات إلى يوم يموت ، ويغرسون له بكل حرف من قل هو الله أحد نخلة طولها ألف فرسخ ، وعلى كل نخلة ألف شمراخ[1] وعلى كل شمراخ بعدد رمل عالج بُسْرٌ ، كل بُسْرَةٍ[2] منها مثل قلة من قلال الجبال يضيء بريقها غصناً كما بين السماء والأرض ، والنخلة من الذهب الأحمر ، والبسرة درَّة بيضاء مختلفة الألوان حلَلُها وحليُّها ، ومن قرأ قل هو الله أحد وكّل به ألف ملك يبنون له مدائن وقصوراً ، ويغرسون حول المدائن والقصور أشجاراً من الرياحين والثمار ، ويمشي على الأرض والأرض تفرح به ، ويموت مغفوراً للذنوب ، فإذا قام بين يدي الله تعالى يقول له : أبشر وقِرَّ عيناً بما لَكَ عندي من الكرامة ، فيتعجب الملائكة من قربه من الله تعالى وكرامته إياه ، فيأمر الله تعالى اللوح المحفوظ أن يقرأ عليه ثوابه بقراءته قل هو الله أحد ، فيقرأ عليه اللوح ، فيتعجب منه سكان السماء ، فيقولون سبحان ربنا ! هل يكون في الجنة مثل هذا ؟ فيقول الله تعالى : فإني أستعدُّ لعبدي هذا . فارغبوا في قراءة قل هو الله أحد ، فإن قراءتها براءة من النار ، فمن قرأ قل هو الله أحد مرة شهد له سبعون ألف ملك بالجنة ، وكتب له ثواب سبعمائة ألف ملك فيقول الله تعالى : انظروا ما يريد عبدي فأعطوه ، وهو أعلم بحاجته . فمن حافظ على قراءته كتب عند الله تعالى من الفائزين القائمين الصائمين ، فإذا كان يوم القيامة قالت الملائكة : يا رب ! هذا يحب صفاتك . فيقول لهم : لا يبقى منكم ملك إلا شيعه إلى الجنة ،

---

(١) والشمراخ : ما يكون فيه الرطب . « مصباح » .
(٢) البسر من ثمر النخل معروف . « مصباح » .

فيزفُّونه[1] إلى الجنة كما تزفُّ العروس إلى بيت زوجها ، فإذا دخل الجنة ونظر الملائكة إلى درجاته وقصوره فيقولون : يا ربنا ! ما بال هذا أرفع درجة ومنزلة من الذين كانوا معه فيقرؤون كتابك كله ؟ فيقول الله تعالى : أرسلت أنبيائي وأنزلت معهم كتبي ، وبيَّنت لهم ما أنا صانع بمن آمن بي من الكرامة ، وما أنا معذب لمن كذبني ، وأنا أجازي كلهم بقدر أعمالهم من الثواب ، لأصحاب سورة الإخلاص ! فإنهم كانوا يحبّون قراءتها آناء الليل والنهار ، فلذلك فضَّلتهم على سائر أهل الجنة . فمن مات على حبِّ قل هو الله أحد يقول الله تعالى : من يقدر على أن يجازي عبدي غيري ؟ أنا المليء بجائزته فيقول : عبدي ! ادخل جنتي أَرْضَ عنك . فإذا دخلها يقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ إلى ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ فطوبى لمن أحب قراءة قل هو الله أحد ، فإن من قرأها كل يوم ثلاث مرات يقول الله تعالى : عبدي وُفِّقْتَ وأحببتَ ما أردتُ ! هذه جنتي فادخلها حتى ترى ما أعددت لك من الكرامة والنعيم بقراءتك **قل هو الله أحد!** فيدخل فيرى ألف ألف قهرمان على ألف ألف مدينة ما بينها قصور وحدائق . ارغبوا في قراءة سورة الإخلاص فإنه ما من مؤمن يقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات إلى خمس مرات إلا وقد استوجب رضوان الله الأكبر ، وكان من الذين قال الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ إلى ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ . ومن قرأها عشرين مرة فله ثواب سبعمائة ألف رجل أهريق دماؤهُم في سبيل الله ، وبورك عليه وعلى آله وماله وداره .

ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثون ألف قصر في الجنة .

ومن قرأها أربعين مرة جاور النبي ﷺ .

---

(١) زفت النساء العروس إلى زوجها زفا ؛ من باب قتل والاسم الزفاف مثل كتاب ، وهو إهداءها إليه « مصباح » .

ومن قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

ومن قرأها مائة مرة كتب الله له عبادة سنة .

ومن قرأها مائتي مرة فكأنما أعتق مائة رقبة .

ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد .

ومن قرأها خمسمائة مرة غفر الله له ولبيته ومَن ولد .

ومن قرأها ألف مرة فقد أدَّى دَيْنَهُ إلى الله تعالى وصار عتيقاً من النار .

واعلموا أن خيري الدنيا والآخرة في قراءة قل هو الله أحد ، **ولا يتعاهد قراءتها إلا السعداء ، ولا يعجز عن قراءتها إلا الأشقياء** . كذا في « تفسير الحنفي » .

وأخرج الديلمي مرفوعاً « من صلى الفجر في جماعة ، وجلس في محرابه ، وقرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفرت له الذنوب التي بينه وبين ربه التي لا يطلبها إلا الله » .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة بُشّر له بالجنة » . كذا رواه أبو عبيدة رضي الله عنه .

وقيل من قرأ قل هو الله أحد في المنام أعطي التوحيد ، وقلة العيال وكثرة الذكر ، وكان مستجاب الدعوة .

وأخرج الحافظ أبو محمد بن الحسن بن أحمد السمرقندي رضي الله عنه في فضائل قل هو الله أحد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهل بيته ، ومن قرأها ثلاثاً بورك عليه وعلى أهل بيته وجيرانه ، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له في الجنة اثني عشر قصراً ، ومن قرأها عشرين مرة

جاء مع النبيين هكذا وضم الوسطى والتي تلي الإبهام ، ومن قرأها مائة مرة غفر الله له ذنوب خمس وعشرين سنة إلا الدين والدم ، ومن قرأها مائتي مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة ، ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد ؛ كلّ عقر جواده وأهريق دمه ، ومن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، أو يرى له » . انتهى عبارته ١٥٤ .

وفيه في ١٥٥ وأخرج ابن النجَّار عن علي ﵁ عن رسول الله ﷺ قال : « من أراد سفراً فأخذ بعضادتي[١] منزله فقرأ إحدى عشرة مرة قل هو الله أحد كان الله له حارساً حتى يرجع » .

وأخرج ابن عدي والبيهقي عن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كطهارة الصلاة ، يبدأ بفاتحة الكتاب ، كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وبنى له مائة قصر في الجنة ، وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، وهي براءة من الشرك ، ومحضرة للملائكة ، ومُنَفِّرة للشياطين ، ولها دويّ حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله تعالى إليه ، وإذا نظر إليه لم يعذبه أبداً » . انتهى عبارته .

وفيه في ١٥٨ وأخرج البيهقي عن أبي أمامة الباهلي ﵁ قال : أتى رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام وهو بتبوك فقال : يا محمد ! اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني . فخرج رسول الله ﷺ ، ونزل جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة ، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ، ووضع جناحه اليسرى على الأرضين فارتفعت ، حتى نظر عليه الصلاة والسلام إلى مكة والمدينة شرفهما الله تعالى إلى دار القيام ، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليهم السلام ، فلما فرغ قال عليه الصلاة

---

(١) العضادة بالكسر : جانب العتبة من الباب « مصباح » .

والسلام : يا جبريل ! بمَ بلغ معاوية هذه المنزلة ؟ قال : بقراءة قل هو الله أحد قائماً وراكباً وماشياً » . كذا رواه البيهقي في « الدلائل » انتهى .

وفي « التذكرة » للقرطبي : أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ، وأَمِنَ من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة » .

كذا في « الفوائد » قال ﷺ : « إن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في مرضه الذي توفي فيه مات شهيداً » . وعدَّه العلماء في الذين ماتوا شهداء ، لا يسألون في قبورهم ، ولو لم يقرب موته بل طال مرضه بعد قراءتها . انتهى « خزينة » عبارته ١٥٨ .

أيها الولد ! نفع الله تعالى بك العباد ، ولا جعلك من أهل العناد آمين . إني ذكرت في فضيلة قل هو الله أحد ما هو الأهم عندي ، فإن أردت الزيادة فعليك الرجوع إلى الكتب .

وأما إهداء ثواب فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص إلى روح النبي ﷺ وإلى أرواح سائر المشائخ والنداء إليهم بـ يا أساتيذي ويا مشائخي أطلب منكم العون لأذهب إلى الله تعالى ويتقبلني الله تعالى ! فللوسيلة للاستمداد منهم وللقربة والمناسبة لهم ، وقد ورد في الحديث « تهادوا تحابوا » وطلب المحبة والمودة بين المتلاقيين مرغوب ، والهدية تذهب الشحناء ، وتلك الهدية كالصدقة ، والتصدق قبل النجوى محمود . وقال الله تعالى : ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية . والأدب مع ورثته ﷺ كالأدب معه ﷺ فافهم . ومن المعلوم أنه لو كان واحد يهدي إلى واحد مثلاً بشيء من الدنيا صباحاً ومساءً ، ثم إن المهدي لو طلب من المهدى إليه جلب نفع إليه أو دفع ضرٍّ عنه ! يقصد المهدى إليه بهمَّته لقضاء حاجة المهدي ، وإن أمور الآخرة عند الأموات أعلى من أمور

الدنيا ، فإن الميت كالغريق ينتظر دعوة ملحقة من أب أو أم أو صديق ، فإذا لحقته كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها ، والميت قد عرف قدر الطاعة وندم على ما فات منها ، وأنه يكون حريصاً على الطاعة ومتحسِّراً على ما فرَّط في ذكر الله تعالى وقراءة كلامه ، فإذا أهدى واحد إليه شيئاً ما مما قرأه من القرآن كان ذلك عنده أحبّ إليه مما طلعت عليه الشمس . والمشائخ رحمهم الله تعالى ، وإن ماتوا فهم أحياء عند الله ، ويسمعون نداء الأحياء ويجيبونه ، ويمدّون لمن طلب منهم المدد .

وقد رأيت في « المنن » ما حاصله : ومن شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده **وإن كان بينهما مسيرة ألف سنة** ، أو ما هذا معناه .

وكان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بأن نقول بعد إهداء ثواب قراءة الفاتحة والإخلاص إلى أرواح المشائخ ، وبعد نداء إليهم بيا أساتيذي . . إلخ : بيا رب لا تطردني عن بابك بحرمة هؤلاء المشائخ إلخ . . فإذا سأل الله بالنبي ﷺ ! فإن الملك يبلغه ذلك للنبي عليه السلام ويقول له : إن فلاناً سأل الله بحقك في حاجة كذا ، فيسأل النبي ﷺ ربَّه في قضاء تلك الحاجة ، فيجاب ، لأن دعاءه ﷺ لا يردُّ . وكذا السؤال بالأولياء ! فإن الملك يبلغهم أيضاً ، فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » مبسوطاً فراجعه في ١١ من هامش « المنن » ج٢ .

ولا يخفى عليك أن جعل الوسيلة لله(١) إنما هو من إعظام جانب

---

(١) أي : إلى الله .

* وجوّز في « البزازية » أن يقول : بحرمة فلان ، وفي « المنية » : وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول بل الاستحباب . نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم من الله شيئاً فاسألوه بي ، فإني أنا الوسيلة ، أنا بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي : من كانت له حاجة فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثيرة في الكتب ، كـ« الحصن الحصين » . « بريقة » عبارته ٣٣٤ . =

التوحيد ، فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه ، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق ، فتجتمع همَّته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه ، اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب ، وإعظاماً لقدره وإيماناً بأنه هو الفعال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية ، لاتِّباعهم بنبيِّه الكريم ، ولوقوفهم عند أمره العظيم . وقد ثبت في الأحاديث التوسل به ﷺ ، وبالنبيين والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وفي « نور الإنصاف » بسط فراجعه .

ورأيت في « فتاوى » الرملي ما نصه هذا : وسئل عما يقع من العامة من قولهم في الشدائد يا شيخ فلان ! يا رسول الله ! ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا ؟ وهل للرسل والأنبياء والصالحين والمشائخ إغاثة بعد موتهم ، وماذا يرجح ذلك ؟ فأجاب : بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم ، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم . انتهى فراجعه في ٣٨٢ من هامش « فتاوى » ابن حجر من الجزء الرابع . وفي « الفتاوى العمرية » : وقوله : يا سيدي يا بدوي ! ويا شيخ فلان ! ليس من الإشراك لأن القصد التوسل والاستغاثة . قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ . انتهى نقله من الشيخ الإمام

=خاتمة : سئل عز الدين : هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبيّ والملك والوليّ .

فأجاب : بأنّه جاء عن النبي ﷺ أنّه علّم الناس (اللهم إنّي أقسم عليك بنبيك محمّد نبيّ الرحمة) ، فإن صح فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه السلام لأنه سيد ولد آدم ، ولا يقسم على الله غيره من الأنبياء والملائكة ، لأنهم ليسوا في درجته ، ويكون هذا من خواصه . انتهى . والمشهور أنه لا يكره بشيئ من ذلك . « مغني » عبارته ١٨٥ .

العلامة أبو العز أحمد العجمي الشافعي الوفائي رحمه الله تعالى .

وفي « الفتاوى العمرية » أيضاً في موضع آخر : وأما قوله : يا شيخ عبد القادر فهو نداء ، وإذا أضيف إليه شيء لله فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب لحرمة ذلك ؟ « فتاوى خليلي » انتهى عبارته ، راجعه تجد البيان .

وقد خطر لي على جواز ذلك دليل قوي لم أر من ذكره ، وهو أنه ورد في الحديث القدسي « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر » الحديث .

ولا شك أن من يسمع بالله ويبصر بالله يستوي عنده القريب والبعيد من المسموعات والمرئيات ، إذ الأمر يرجع إلى أنّ الله تعالى يمنّ ذلك السامع وذلك المبصر بقوة عظيمة يسمع بها ويرى البعيد والقريب ، كما سمع النبي ﷺ الذي استغاث به من بني كنانة ، وأخبر بكثير من المغيبات التي رآها حتى النار والجنة ومن فيهما رآهما في عرض الحائط ، كما صح في الحديث . وذلك أيضاً يتفاوت بتفاوت الناس ، فالأنبياء بذلك أعلى من الأولياء ، ولهم أيضاً درجات ؛ وأعلى درجاتهم سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ . « شواهد الحق » عبارته ١٥٠ .

وأما التفكر في الموت وما بعده بعد ذلك وقبل تصور صورة الشيخ وربط قلبه بقلبه ! **فلأنّ قلب المريد مملوء بنقوش الأغيار ،** ومتدنِّس بدنس الأفكار ، فلا يكاد أن يخطر فيه سواها ، فلا يصفو له تصور صورة شيخه .

فإذا تفكر في الموت وما بعده تقل عنه الخواطر النفسانية والأفكار الفاسدة الكامنة في وسط القلب ، أو تنفى بالكلية ، فيقدر أن يتصوّر صورة

الشيخ ، فإنَّ تذكر الموت علاج لذهاب الخواطر . وفي شرح « عين العلم » وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت : أكثري ذكر الموت يرقُ قلبك . ففعلت ، فرقَ قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى عبارته ٨٨ ج٢ ، وعينه في « الإحياء » في باب ذكر الموت .

وفائدة تذكر الموت والتفكر وفضائلهما كثيرة ، فمنها ما ذكره سليمان الزهدي النقشبندي الخالدي في هامش « صحيفة الصفا لأهل الوفا » بما نصُّه : عن مقداد بن أسود ﵁ قال عليه السلام لأبي هريرة ﵁ كيف تفكُّرك ! وفيماذا ؟ قال : في قوله : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : تفكُّرك خير من عبادة سنة . ثم سأل عليه الصلاة والسلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكُّره فقال : تفكري في الموت وهول المطلع . قال عليه الصلاة والسلام : تفكرك خير من عبادة سبع سنين . ثم قال عليه الصلاة والسلام لأبي بكر ﵁ كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول يا رب اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصدَّق وعيدك لا تعذب أمة محمد ﷺ . فقال عليه الصلاة والسلام : تفكرك خير من عبادة سبعين سنة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ﵁ . انتهى عبارته في ٥ .

يا ولدي ! ويا قرة عيني تدبَّر في جميع ما للمريد من المنافع والفضائل بمجرد الاشتغال بمقدمات الرابطة ، من الاستغفار ، وقراءة سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، وإهداء ثوابها لروح النبي ﷺ ، ولأرواح المشائخ ، والتفكر في الموت وما بعده صباحاً ومساءً في كل يوم ، مع أنه لا ينقص له من أجر ما قرأه شيء وإن أهدى إليهم ثوابه ، كما هو[1] مذكور في « التتارخانية » عن « المحيط » . فكم وكم فضيلة

---

(١) أي : عدم النقصان .

* ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن أبي الحمائل يرى النبي ﷺ ، ثم=

يحوزها المريد! فجزى الله تعالى عنا وعن أهلنا المشائخ حيث علمونا أمثال هذه الفوائد ، ولولاهم لبقينا في واد الجهالة متحيِّرين محرومين عن هذه الفضيلة . فالحمد لله رب العالمين .

وأما الرابطة : فقد كان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بعد إتمام ما ذكر من ترتيب الشغل بالرابطة ، أي بتصوُّر صورة الشيخ محمود أفندي قدس سره ، وربط القلب بقلبه للاستفاضة ، صباحاً ومساءً في كل يوم . وكان يقول : **إن حكمة تعيين تينك الوقتين** المذكورتين للرابطة كون أرواح المشائخ فيهما يدورون مشرقاً ومغرباً ، فإذا وجدوا أحداً يرابط واحداً منهم يقف ذلك الواحد ويتوجه إليه ، فيقف حينئذٍ كلهم وينظرون ويتوجهون إليه ، فيحصل لذلك المرابط البركة من جميعهم . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى يقول : إنه كان يراهم يدورون كذلك في

=يدخل رأسه في جيب قميصه ثم يقول : قال النبي ﷺ فيه كذا ، فيكون كما أخبر ، لا يتخلف ذلك أبداً . فاحذر من إنكار ذلك فإنه السمّ . قال النابلسي : وليس هذا بأمر عجيب ، ولا شأن غريب ، فإن أرواح الموتى مطلقاً لم تمت ولا يموت أبداً ، ولكنها إذا فارقت الأجسام الترابية العنصرية تصوّرت في صورها كتصور الروح الأمين جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ، وفي صورة دحية الكلبي . وإذا كان هذا في أرواح عامة الناس فما بالك بأرواح النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وليس الموت بإعدام للأرواح وإن بليت أجسامها وسؤال القبر حق ، وكذلك نعيمه وعذابه حق في مذهب أهل السنة والجماعة . والسؤال والنعيم والعذاب إنما يكون في عالم البرزخ لا في عالم الدنيا ، وعالم البرزخ بابه القبر ، وليس في القبور إلا أجسام الموتى ، لأن القبور من عالم الدنيا . وأرواح الموتى في عالم البرزخ أحياء بالحياة الأمرية ، وإنما كانت الأجسام في الدنيا أحياء بأرواحها ، فلما عزلت عن التصرف فيها ماتت الأجسام ، والأرواح باقية في حياتها على ما كانت . وإنما الموت نقلة من عالم إلى عالم فالأرواح المكلفة غير المرهونة بما كسبت تسرح في عالم البرزخ ، وهي في صور أجسامها وملابسها ، وتظهر في الدنيا لمن شاء الله تعالى أن يظهرها له ، كأرواح الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى . وهذا أمر لا ينبغي للمؤمن أن يشك فيه لأنه مبنيّ على قواعد الإسلام وأصول الأحكام . « أفضل الصلوات » عبارته ٣٢ .

حالة كونه في الخلوة والسلوك . انتهى .

وهذا الحقير الفقير رأى مرة في واقعة كأن النبي ﷺ يطير في الهواء راكباً على الفرس ، وكان معه وخلفه جمع كثير من المشائخ ، وكانوا يطيرون كما يطير الطير سريعاً من جهة المشرق إلى جهة المغرب ، وقد نزل من بينهم واحد[1] منهم إلى منزل واحد من قريتنا وداره ، فأخبرتُ الشيخ المذكور قدس سره هذه الواقعة . فقال : ألم تطر معهم ؟ فقلت له : لا . انتهى . فما أسرع أرجل فرس النبي ﷺ ! فقد كانت تسرع بحيث لا تدركها البصر . فحين سمعت الشيخ قدس سره يقول ما قاله ظننت أن سبب نزول ذلك الواحد[2] منهم إلى دار ذلك الرجل كونه وقتئذ يرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره ، وقد كان الرجل من المريدين المرابطين به ، والله أعلم .

ومما يؤيّد قول شيخنا المذكور ما قاله شيخ الطائية[3] بما نصه : **واعلم** أن المشائخ **ينظرون بعيون أفئدتهم ، ويراقبون بنور قلوبهم إلى أحوال المريدين في الأوقات الشريفة ، كوقت السحر ، وبعد صلاة الصبح** إلى وقت الإشراق ، فطوبى ثم طوبى لمن تقدم في هذا الوقت ! فويل ثم ويل لمن تأخر عن عيون قلوبهم ! فانظر أيها المريد كيف يكون حالك مع أنك في أودية الغفلة والنعاس ! وهو مطلع على سريرتك ! فواخجلتاه ويا حسرتاه من نظر رسول الله ﷺ . انتهى .

وسمعت شيخنا العسلي رضي الله عنه يقول : إن الشيخ ينظر إلى المريد وإن كان غائباً ، فإن وجده في حضور ووقوف فيتوجَّه إليه ويحصل له البركة ،

(١) أو اثنان ، شكّ .

(٢) أو الاثنان ، شك .

(٣) كذا في الأصل ولعله الطائفة ، تدبر .

وإن وجده في غفلة وفتور يتركه كما وجد . انتهى .

يا ولدي إن نظر الشيخ إلى المريد وتوجُّهه على قدر توجه قلب المريد إلى الشيخ ومحبته ، فذلك التوجه والمحبة هو يجر الفيض والمدد من حوض قلب الشيخ إلى قلبه ، وهما كالمغناطيس يجر الحديد إلى جانبه ، **فعلى قدر كينونة الشيخ في قلب المريد يكون المريد في قلب الشيخ** ، وتصرُّف الشيخ يكون بحسب صدق مَنْ توجه إليه[١] . فافهم فإنه[٢] نفيس .

ويحتمل أن يكون سبب تعيين وقت الصباح ووقت العصر للرابطة ما ذكره الشعراني في « المنن » راجعه في ٢٦٢ ج١ : من أن الأرزاق المحسوسة تقسم بعد الصبح ، **والأرزاق المعنوية تقسم بعد العصر**[٣] .

---

(١) راجع « المنن » في ١١٣ ج١ .

(٢) ورأيت في « نور الهداية » ما نصّه : على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيزة بموضع دون موضع ؛ وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيّتها . والبعد إنما يتعلّق بالمريد ، فإذا تذكر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه فتعلقت به قلبه فاستفاد منه . وإذا احتاج المريد الشيخ ليحلّ له إشكال واقعته يستحضر بقلبه ويسأله عما يشاء . هذا لا بلسان الظاهر بل بلسان القلب ، فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال . انتهى نقله من « الرسالة المكية » فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) . من خطه ، وراجع « نور الأبصار » من مناقب إبراهيم الدسوقي .

(٣) وقد أخبرني واحد من أهل الكشف أنّه كان في وقت الصبح يفعل الرابطة ففاجأه النوم فرأى واحداً يقسم شيئاً فأعطى القاسم منه للناس ولم يعطه شيئاً منه ، فانتبه من النوم فنظر في المسجد فوجد فيه المريدين قاعدين على الحضور . وأخبرني أيضاً أنّه كان في يوم في وقت العصر يرابط محمود الفعال قدس سره فطرأه النوم أيضاً ، فرآى في المنام كأنّ واحداً يقسم الأخباز المملوءة بالجبن فأعطاها لمن خلفه ولم يعطه شيئاً منها ، فانتبه من النوم فنظر خلفه فوجد خلفه رجلاً رآه قاعداً واقفاً على الحضور القلبي . انتهى . وقال أيضاً أنه يرى كثيراً في هاتين الوقتين نظير هذه الوقائع . والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

انتهى . أعني أن الذي يطلب الرزق ويحتاج إليه ينبغي أن يقف في حالة القسمة على الحضور ، لا على الغفلة والقصور ، ليكون مستعدّاً لنزوله ، متأدِّباً متضرعاً بين يدي القاسم . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب . فإذا كان الأمر كذلك أرجوك أن تلازم على الأوراد والرابطة في وقت الصبح ووقت المساء ، وأن تطلب من الله تعالى الفيض الخاص الذي يهبه تعالى في هاتين الوقتين خاصاً ، فإن الفيوض وإن كانت لا تنقطع دائماً لكن لله تعالى في أوقات مخصوصة سيول من الرحمات والنفحات ، كالأمطار تنزل في أوقات كالسيول ، وفي أوقات كالقطرات ، والمتعرِّض للنفحات[1] لا تكاد تخطؤه شآبيب الهبات . والشأن كله في صحة القصد والنية ، وتزكية الأعمال من الشوائب الردية والأخلاط البشرية ، فعساه تعالى إن طلبت بعلوِّ الهمَّة وصرف العزمة أن يوصل إليك رشحة من تلك الهبات والفيوضات ، فالمداومة على ذكر الله تعالى وطاعته مطلوب مع شهود التقصير في التشمير ، وعدم رؤية الأعمال قليلها والكثير ، إذ قليل العمل مع شهود ذلك خير من كثير ، ورؤية الأعمال والإعجاب بها محبطة لها كاسفة لنور البال . وعليك بالصبر والاحتمال ، وسلامة الصدر وسعة البال ، والعفو والصفح وكظم الغيظ في كل حال ، والرحمة والشفقة على عباد الله تعالى ، **فالراحمون يرحمهم الرحمن** ، وإنما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء ، « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » هكذا وردت الأحاديث .

واعلم يا ولدي أن الأبرار والمقربين ما نالوا إلى ما نالوه من الأذواق والمشاهد والمقامات السوامي والفوائد ، وتلقي الهبات والموارد ، وغير ذلك مما يقرب من الصمد الواحد ، بالترجي والمنا ، والتكاسل والهوينا ، بل ببذل المجهود في خدمة المولى الودود ، فإن أردت اللحوق بذلك الملأ

---

(١) نفح الطيب : فاح ، وله نفحة طيبة « مختار » .

فاسلك طريقهم المُثْلى[1] ، واتبع منهجهم الأعلى ، واقتف آثارهم وآدابهم ، واقتبس من نورهم ونارهم ، وتشبَّه بهم في شعارهم ودثارهم[2] ، فمن تشبَّه بقوم فهو منهم وإن بعدت حقيقته منهم ، ومن أحبَّ قوماً كان منهم ومعهم ، وإن أردت أن تحظى بقلب منوَّر صافٍ عن غير الله تعالى فلازم ذكره ، وواظب عليه في الليل والنهار ، في كل حال باللسان أو بالقلب ، فإن لازمته بتوجُّه تامٍّ يظهر لك نور وارد من الله تعالى كنور الشمس ﴿**مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ الآية . **فذكره تعالى غذاء لكل قلب مهتد ، وهو دواء لكل قلب موجع** ﴿**وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ الآية . والكون كله حجاب ، فبملازمة الذكر يصفو القلب عن نقوشاتها ، والنظر إليه ورؤيته عماء من الله تعالى ، وتيقَّن يا ولدي **أن القلب المشحون بالأغيار لا يصلح أن يكون محل نظر الله تعالى** ، ألم تسمع ما في الحديث « رماح » في ١٧٤ ج١ « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أعمالكم ، بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » **وأن الذاكر لله جليس الحق تعالى** ، فمن جلس معه فالأدب أن لا يلتفت إلى غيره .

والرابطة من أنفع الوسائل إلى الحضور ، وأجلِّ ما يدفع به الخواطر ، فقد مرَّ في الترغيب الأول أنها تثمر ما يثمر الذكر ، بل هي أشد تأثيراً من الذكر .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلُّف وتعمُّل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد ، التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً . فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظل الدليل

---

(١) أي : الفضلى « قاموس » .

(٢) الدثار بالكسر : كل ما كان من الثياب فوق الشعار « مختار » .

أولى من ذكر الحق سبحانه وتعالى باعتبار النفع ، يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً ، والسلام أولاً وآخراً . انتهى كذا في « مكتوباته » فراجعه في ١٦٠ ج١ .

يا ولدي أوصيك بالمداومة على الرابطة ، فإني سمعت شيخنا قدس سره يقول ويأمر أمك : داومي على الرابطة بالشيخ محمود أفندي على كل حال ، وفي كل وقت ، فلولا كان علم ما في المداومة عليها من النفع لما أمرها بذلك ! وقد أمرني قدس سره في حالة سلوكي أيضاً بالمداومة عليها[1] ، وعدم الغفلة عن تصوُّر صورة الشيخ محمود الفعال ولو في وقت ما . انتهى . وكان يقول : إنه غفل مرة حين كان في السلوك عن تخيُّل صورته ، فرأى شيئاً كبيراً ، كأنه جمل كبير فتذكر وقتئذ صورة محمود أفندي فغاب ، ثم بعد ذلك غفل عنه ثانياً فقام بين يديه شيء أسود كأنه منبر عظيم ، فطرأ عليه من ذلك خوف شديد ، فرجع حالتئذ إلى الحضور ، فغاب عنه في الوقت . انتهى . يعني أن ما رآه كان من الشيطان وقت غفلته عن الرابطة .

والسرُّ في ذلك أن الشيطان يحترق إذا دنا الشيخ الكامل الفاني الباقي ، فإذا رابط المريد قلبه به ، وتخيَّل كأنه بين يديه يحضر لديه روحانية الشيخ أسرع من لمح البصر ، فيهرب الشيطان حينئذ ، فهذا من أعظم فوائد الرابطة . فما أجلّ حال من له شيخ يقتدي ! وبه يرابط ويقتفي !

ولله در سيدي علي وفا رضي الله عنه حيث قال : **لا يظفر بأستاذ إلا مخصوص عند الله تعالى !** لأنه يوصلك إلى الله تعالى ، فسلم له إن وجدته تسلم وتغنم . فأستاذك بالنسبة إليك هو فضل الله تعالى عليك ورحمته بك ،

---

(١) أي : على الرابطة .

فتحققك به خير من جميع ما استفدته . ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقال رضي الله عنه : من رأيته على عظم مرتبته وعلوِّ قدره عندك يتواضع لعظمة الله تعالى ، ويتصاغر من خشيته علماً وحكمة **فالزم قدمه** ، فإنه الذي ينفخ الأنوار في صور صدرك ، وسلام على إسرافيل ، وما أدراك[1] ما إسرافيل ! والسلام . انتهى . من « تقريب الأصول » عبارته ٧٠ .

وأما الوقوف في الرابطة في قدر ربع ساعة - وهو أقلها - فالسرُّ فيه أن قلب الشيخ مثل الميزاب . والفيض الجاري منه مثل الماء ، وقلب المريد مثل الإناء الذي وضع تحته ، فإن وضع الإناء تحت الميزاب لحظة مثلاً لا يصل إلى الإناء إلا قطرات من الماء لا يكفي للشرب ولا يسع للوضوء ، وإذا وضع تحته ولو قدر ربع ساعة يصل إلى الإناء ما يكفي للشرب والغسل والوضوء ، **فهكذا إذا صبر المريد في حالة الرابطة في ذلك القدر المذكور يصل إلى قلبه من الفيض الذي هو النور ما يكون سبباً لطرد الشيطان من الصباح إلى المساء ، ومن المساء إلى الصباح ، فإن الشيطان لا يدخل موضعاً فيه النور** ، لأن مسكنه ليس إلا الظلمة . وإن لم يصبر بل أسرع فيها لا يصل إلى القلب إلا شيئاً يسيراً من النور ، فيزول سريعاً ويجد الشيطان إلى قلب المريد سبيلاً .

وأيضاً إن مثال ذلك مثال الحطب الجاف الشديد الصلب إذا طرح إلى الماء وخرج منه سريعاً يجف سريعاً ، ويعود إلى حالته الأولى من الشدة والصلب ، وإذا تركه فيه زماناً يسري الماء في جميع أجزاء الحطب ، إلى أن يصل إلى اللب ، فلا يجف بعد ذلك إلا بعد زمان طويل ، فكذلك القلب القاسي .

---

(١) وفي نسخة : وما أدريك .

ومثال آخر أن القلب كالأرض الجاف الصلب ، والفيض كالمطر ، فإذا نزل إليها الماء زمناً ينبت عليها النبات الحسن ، وإلا ! فتبقى الأرض كما هي قبل ذلك . لكن النبات على قدر استعداد الأرض ، فإن كانت الأرض صلبة لا ينبت عليها إلا بالمطر الكثير والماء الغدير(١) ، وإن كانت سهلة مستعدة فيكفي لها القدر اليسير من الماء فينبت عليها ﴿**فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞ**﴾ الآية . . وهكذا القلب فافهم .

وقد سمعت شيخنا قطب الإرشاد العسلي قدس سره يقول : **إن سبب عدم وصول الحال إلى قلب المريد تهاونه في الرابطة ، وعدم صبره فيها** إلى أن يحصل له الغيبة . انتهى .

أقول والله تعالى أعلم : إذا وجد المريد في إحضار صورة الشيخ سكراً أو غيبة(٢) يترك الالتفات إلى صورته(٣) ، ويكون متوجِّهاً إلى ذلك الحال ، لأن الرابطة وسيلة إليها ، والغيبة هي المقصود منها ، ويسمُّونها زمان الوصول(٤) في اصطلاح القوم . فراجع كتبهم .

وفي « المعربات » قال الغوث الصمداني : ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته ، الذي قطع

---

(١) الغدير : قطعة من الماء يغادرها السيل « مختار » .

(٢) أي : غيبة عما سوى الله (منه) .

(٣) أي : بعد تمكن ذلك الحال كما يأتى آنفاً (منه) .

(٤) ومما ينبغي أن يعلم أن منفعة الرابطة إنما تحصل إذا رابط المريد قلبه بقلب الشيخ مع ملاحظة صفاته ؛ من كونه فانياً في الله وباقياً به ، وتخلّقه بأخلاق الله وأخلاق رسوله عليه السلام . فإن حصول الأثر بملاحظة الصفات معلوم مشاهد مجرب ، ألا ترى أن واحداً لو تذكر رجلاً مضحكاً بمجرّد ذاته لا يحصل له به الضحك ، ولو تذكر مع ذاته ما يضحك به ، من صفاته وأفعاله وأقواله يحصل له الضحك والتبسّم ، وكذلك الحزن والبكاء . فيقاس على ذلك حال الرابطة ، فافهم فإنه نفيس (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شفاء للأمراض القلبية ، وتوجُّهه رافع للعلل المعنوية . انتهى . فالشيخ بقوة تصرُّفه ترتفع الظلمات البشرية عن المريد ، وتثبت أنوار الجمال الإلهي . **فمن داوم على الرابطة حصل له جميع أحوال الطريق وكمالات الحقيقة ، ومن اختلت رابطته انقطعت استفاضته** ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهر له أسرار الوصول !

ومما ينبغي أن يعلم : أن روحانية الشيخ ليست مقيدة بمكان دون مكان ، ففي أيِّ مكان يتصوَّره تحضر فيه روحانيته ، وينبغي للمريد أن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكن فيه ذلك الحال ، لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ، لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً ، إلى أن يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة . فافهم ، وراجع ، وتدبَّر ، ولا تكن من الجاهلين .

يا ولدي! قد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إن العلامة التي تحصل وقت الرابطة وحين حضور روحانية محمود أفندي هي الحرارة القلبية ، أو الارتعاش[١] والحركة ، أو شمُّ الرائحة الطيبة ، أو إلخ . ومن المريدين من لا يعلم شيئاً من الأحوال ، ومنهم من يعلمها بالذوق والوجدان . **وعدم العلم لا يكون نقصاً في الحال** ، بل العدم المحض أسنى الأحوال ، كما كتبه شيخنا سيف الله قدس سره بقلمه . فينبغي للمريد أن لا يكون قصده من الأشغال والوظائف إلا العبودية المحضة ، فكل شغل من أشغال الطرائق مما ورد به الأمر الإلهي فافهم . فهذه الترغيبات العشرة مما ينبغي اعتناؤها ، لينبعث عليها طالب السلوك ، فمن علم ماله فيما يفعله من المنفعة هان عليه السعي في طلبها . والله تعالى ولي التوفيق .

---

(١) أي : ارتعاش القلب وتحركه (منه) .

الخاتمة في الترهيب ونبذة من الوصايا

اعلم أيها الولد! - رزقك الله تعالى التقوى آمين - أن الشرع كله قد ورد مبنياً على الترغيب والترهيب ، فإن الترغيب للعبد كالملح للدابة الجموحة ، والترهيب كالسوط لها . وقد ذكرت في هذا الكتاب من الترغيبات ما فيها كفاية . وأنا الآن إن شاء الله تعالى أذكر هاهنا شيئاً من الترهيبات ، ليكونا للسالك كالجناحين للطائر . وكنت كتبت في الترغيب الأول ما في اتخاذ الشيخ من الفوائد ، لكن لما كان اختلاط الصغير بالكبير لا يخلو من خطر ولو في الجملة أردت أن أنبّه الولد على كيفية ما يجب عليه من الاحترام ، وما يطرأ عليه إذا ترك الحرمة .

قال : « في رماح حزب الرحيم » في ٣٣ ج١ : قال أبو المواهب التونسي : وإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت ! فتستوجب الطرد والمقت ، فإن من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه . انتهى . فلهذا قال شيخنا رضي الله عنه كما في « جواهر المعاني » ومن أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام مَنْ تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان ، وكان مثله كمن أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا قبله ، فيسجل[1] عليه بطابع الكفر . انتهى . وذلك لأن **الشيخ في قومه كالنبيّ في أمته ،** ومبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائباً عنه ﷺ ، راجع « رماح » في ١٢٦ ج١ ، فللمريد من الأدب مع شيخه والمحبة له بحكم الإرث نحو ما كان له ﷺ ، وذلك ليحصل له كمال الانقياد ويعتقد فيه أنه أشفق عليه من نفسه ، كما كان النبي ﷺ كذلك . قال تعالى ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ** ﴾ **وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في المحبة نفض يديه**[2] **منه .**

---

(١) أي : يضرب « مختار » .

(٢) وفي « جواهر المعانى » فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم=

وقد ذكر مثله صاحب كتاب « الرماح » في الفصل الثامن عشر .

وفيه : ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عديٍّ بن مسافر قدس الله سره . اعلم أنك لا تنفع قطّ بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذِّبك بأخلاقه ، ويؤيِّدك بإطراقه[1] ، وينوِّر باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء .

وقد ذكر سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى في كتابه المسمى « بالوصايا » . **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال ، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي ! لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه من إشراك أحد معه في المحبة ، لا يزيله إلا ذلك ، لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك . فافهم . انتهى .

=والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره . ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه ، لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يحنّ إلى مركزه ، وهي الحضرة الألهية التى برز وفيها نشأ . ولكلّ شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها غيره ، فإذا أورد منها نور بأمر من الأمور التى ذكرناها ، ونسب إلى غير تلك الحضرة الإلهيّة اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه ، وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهيّة أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل واحد إلى الله قال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهيّة فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذّب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب فإذاً يطرد ويسلب ، والعياذ بالله تعالى ، انتهى ١١٣ من الجزء الأول فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) من خطه .

(١) وفي نسخة : بأطرافه .

فعلم أن كل من لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قطّ بترك شيء إلا ليعطيه أنفس منه ، فمحبته نفاق ، ولا يمكن لشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار التي يترقى هو بها ، فإن مَنْ لم يصلح لأن يكون محلاً للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم ، وكذلك إذا كان الشخص يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام : وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال : والله لا آمنكم على إخراج ريح ! فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريقة ؟ **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر ، لا يفلح منهم أحد بعده لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم . انتهى من كتاب « الرماح » راجعه في ١٢٨ ففيه بسط وهو منقول من كلام الشعراني .

يا ولدي أعلمك بأن الأولياء[١] لا يعرفهم إلا مَنْ هو مثلهم ، أو من أراد الله تعالى أن ينفعه ببركاتهم ، فيستر عنهم الصفة البشرية ، ويشهد فيهم الحقيقة الربانية ، فيُقبل حينئذٍ إليهم بالكلية ، فيقبل إليه الشيخ بعد ذلك بالهمة فينتفع به ، ويسري إليه حاله .

ويؤيّد ما ذكر قول ابن عطاء الله : **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ، ولكن اطلب أن يكون الشيخ ببالك** ، فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله . انتهى .

وفي « رماح حزب الرحيم » في ١٣١ : اعلم أنه لا شيء أضرُّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم ، والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم ، وعدم قبول

---

(١) « رماح » ١٢٩ .

إشارتهم فيما يشيرون به . انتهى .

وفيه في ١٣٤ ج١ : وإياك أن تعترض عليه في شيء من أقواله ! ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظن ، وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً ، فإنهم قالوا : **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** . وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك ، واحمله على قصور علمك ونظرك ، فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك ، وأشد اهتماماً بها من غيره ، وكلما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكَر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض .

والحق أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكرت لظفرت به غالباً . انتهى عبارته ١٣٤ . ومن كان مسلِّماً بالظاهر معترضاً بالقلب فيعدّ من جملة الخداعين والمنافقين في الطريقة ، **فيكون مثاله مثال من يتكلم بلسانه : أنا أحبك ، وأنا معتقد فيك ، وفي جوفه رجل آخر يقول : أنا لا أحبك ، وأنا لا أعتقد فيك . والمشائخ يطلعون أمثال ذلك ، ولهم أذن يسمعون كلام الباطن** . فالحذر الحذر من أمثال ذلك يا ولدي ! فإن بها ينقطع الرابطة بين الشيخ وبين المريد ، فلا ينفذ تصرُّفه فيه ، ولا ينجع[1] كلامه ، فتزلَّ قدمه ! وينحرف عن جادّة الطريق ، ويقع في الهلاك ، فالعياذ بالله تعالى . فينبغي أن يعلم أن من **نظر إلى ظاهر الوليّ يخسر دنياً وأخرى ، ومن نظر إلى باطنه يفلح ويسعد** ، فإن في باطنه العجائب والغرائب ، لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ، فيكون عرشيّاً فرشيّاً وكائناً بائناً ، لا يخرج عن حضرة ربه ، ولا يزحزحه عن محلّ قربه ، ولا يحطُه عن كمال أدبه . حققنا الله تعالى هذه المرتبة ، وأكرمنا بالوصول إلى هذه الدرجة آمين .

---

(١) ونجع الدوآء إلخ : ظهر أثره « مصباح » .

وقال الإمام الرباني قدس سره : إن إنكار هذه الطائفة سمّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمُّ الأفعى[1] يؤدي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السّرمدي ، فكيف إذا كان هذا الإنكار والاعتراض راجعاً إلى الشيخ ؟ وكان سبباً لإيذائه ؟ ومنكر هذه الطائفة محروم من بركاتهم ، والمعترض عليهم خائب وخاسر في جميع الأوقات ، وما لم يكن حركات الشيخ وسكناته مستحسنة في نظر المريد لا ينال نصيباً من كمالاته ، فإن نال يكون استدراجاً ، ويكون عاقبته هلاكاً وبواراً[2] ، وفضيحة ودماراً[3] ، فإن وجد المريد في نفسه مجال الاعتراض على الشيخ مقدار شعرة مع وجود كمال محبته وإخلاصه له فليتيقَّن أن ذلك ليس إلا خيبته وخسارته ، وحرمانه من كمالات الشيخ أو رذالته[4] ، فإن خطر في قلب المريد فرضاً شبهة في فعل من أفعال الشيخ ولم يندفع بالدفع فليستفسره عنه على نهج يكون خالياً عن شائبة الاعتراض ، ومبرءاً عن مظنة الإنكار . وحيث كان المحق والمبطل ممتزجان وملتبسان في هذا الزمان ، فلو ظهر من الشيخ أمر مخالف للشريعة أحياناً ينبغي للمريدين أن لا يقلِّدوه فيه ، بل يطلبون له محملاً بحسن الظن مهما أمكن ، ويبتغون وجه صحّته ، فإن لم يظهر وجه الصحة ، ينبغي أن يلتجئوا ويتضرعوا إلى الحق سبحانه وتعالى في دفع هذا الابتلاء عنهم ، ويطلبوا منه تعالى سلامة

---

(١) أي : الحية .

(٢) بار : هلك « مص » .

(٣) أي : هلاكاً .

(٤) ورأيت في كتاب « الرماح » ما نصه : وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للآداب مع الشيخ من كل وجه ، فتعرض للشيخ النفرة منهم ، فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمكة ، فيصير يسخر بالشيخ ، فإنهم قالوا : حكم الشيخ حكم الصياد الذي يصطاد المريدين من أفواه الشياطين ، ويخرجهم من تحت أسنانهم . انتهى . فراجعه في ٢٠١ من الجزء الثاني (منه) .

الشيخ وعافيته بالبكاء والابتهال ، فإن عرض للمريد شبهة في حق الشيخ لارتكابه الأمر المباح لا تعتبر تلك الشبهة ، ولا يُعبأ بها **فإنه إذا لم يمنع مالك الأمور جل سلطانه عن إتيان المباح ، ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه وتعالى أن يعترض عليه من قبل نفسه ؟** وكم من مواضع يكون فيه ترك الأولى أولى من إتيانه . وقد ورد في الحديث « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصُه كما يحب أن تؤتى عزائمه » انتهى عبارته . « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ ج١ .

يا ولدي! قد سمعت ما في اعتراض الشيخ من الضرر ، وإياك ثم إياك أن تنكر الطريق أيضاً ! فإن الطريقة والشريعة عين الآخر ، وهما متلازمان لا فرق بينهما ولو في شيء .

وقد نقل عن سيدي أبي المواهب الشاذلي أنه قال : سمعت شيخنا أبا عثمان ﵁ يقول بالدرس على رؤوس الأشهاد : لعن الله من أنكر على هذا الطريق ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل : لعنة الله عليه .

وكان يقول : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . انتهى . « تقريب الأصول » عبارته ٨١ .

يا ولدي ! إن أردت الزيادة عمّا ذكرته في هذا الترهيب فراجع تأليف والدك « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » تجد فيه ما يكفي لك ، وقد ذكرت فيه قصة ما وقع لابن السَّقا من الشقاوة لمجرد تركه أدب الشيخ يوسف الهمداني قدس سره بكلام واحد فراجعه .

ترهيب آخر

يا ولدي! أوصيك بحفظ العين ، فإنها سبب كل فتنة وآفة ، وقد روي عن النبي ﷺ « إن النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس ، فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسرُّه » ، وإن وجدان حلاوة العبادة ولذَّة

المناجاة عند العارفين درجة عالية ، ومن المجرّب أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه يجد لذَّة العبادة ، وحلاوة الطاعة ، وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك ، كما ذكره الغزالي في « منهاجه » وعليك بصيانة سمعك عن استماع الشر والفضول ، واعلم أن المستمع شريك القائل ، وأن الاستماع إلى الخنا[1] والفضول يهيج الخواطر والوساوس في القلب ، وربما يبقى ما سمعه من الكلام فيه ولا ينساه ، ولا يصفى القلب عنه ، ولا يتفرغ لذكر الله تعالى والتفكر في آلائه .

ثم عليك يا ولدي بحفظ اللسان وضبطه وقيده ، فإنه أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً ، وأكثرها فساداً وعدواناً .

واعلم أن التكلم بما لا يعنيك يورث القساوة في قلبك ، والوهن في بدنك ، والحرمان في رزقك ، فالتكلم باللغو تضييع للوقت ، وبالغيبة إحباط للعمل ، فإنها هي الصاعقة المهلكة للطاعات . وفي الصمت سلامة في الدين والدنيا والآخرة .

وأوصيك أيضاً بترك مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة الضرورية ، فإني وجدت **كل الآفات محفوفة بالمعاشرة والمخالطة** ، وقد جرت عادة المشائخ بمنع المريدين عن مخالطة المريد الغافل فضلاً عن غيره .

فإن قلت أن الطريقة النقشبندية مبنيّة على الخلوة في الجلوة ، وإن العزلة ليست بشرط فيها .

أقول : إن الخلوة في الجلوة لا تكون مع كل أحد ، بل مع المرشد والإخوان ، وأما **العزلة عن الأغيار من أهم المهمات** بإجماع المشائخ ، كما ذكره محمد مراد في « ذيل الرشحات » وقد يمنع المشائخ المريد عن نظره إلى وجوه الغافلين ؛ لأن غفلة الغافل تنعكس

(١) الخنا : الفحش ، وأخنى عليه في منطقه أى : أفحش . « مخ » .

إليه فيتكدّر بذلك القلب الصافي .

وفي « كنز المعارف » ما حاصله : إذا أنت مع شخص جلست ولم تجد حضورك ينمو فاجتنبه وفارق ، ولا تصحب الأغيار ، واختر مصاحباً يفيدك جمع[1] القلب من غير عائق . انتهى راجعه ١٩١ .

ورأيت في « الرشحات » ما نصّه : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى . وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي هي فوق جميع النسَب ، فإن الحكم للغالب ؛ **فإن كان صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ، وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية !** ! انتهى عبارته .

وفيه : **جالسوا جماعة لا يغلبون عليكم ولا يأكلونكم ؛** يعني لا يكونون أقوى منكم بحسب النفس والهوى ، ولا يضيعون أوقاتكم ولا يفوتونها ، فإن من ضاع وقته فقد ضاع هو بنفسه ومات . انتهى عبارته .

وقد ذكرت ما في صحبة الأغيار من الضرر في « تنبيه السالكين » فراجعه ففيه ما ينبغي مراجعته .

يا ولدي خذ من العلم ما ينفعك ودع ما سواه ، والزم العمل بما علمت ، فإن لم تعمل به فهو حجة عليك ولا يزيدك به إلا العقوبة .

واعلم أن العلم المجرد عن العمل لا يأخذ يدك يوم القيامة فـ :

---

(١) أي : مع الله (منه) .

عالـم بعلمه لـم يعملَنْ   مُعذَّب من قَبْل عابد الوثنِ . . إلخ .

واذكر ربك كثيراً ولا تغفل عنه لحظة ، فالغفلة عن الله **من أعظم الذنوب عند أهل الله** ، والزم الوقوف القلبي فإن فيض الله لا انقطاع له ، والمانع من وصوله إلى القلب وإحساسه هو الخلوّ عن الوقوف والحضور ، فإذا حضر وصل وإن غفل رجع ، والجلسة الواحدة مع الحضور ، والوقوف خير من عبادة سنين بغير حضور(١) فالعبادة التي خلت عن الوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح ، ولا تترك الورد ما استطعت فقد قال في « الرشحات » : من أخذ عملاً عن كامل مكمّل فالمواظبة عليه موجبة للوصول إلى درجات عالية انتهى . وتيقَّن أن الذكر بمثابة الفأس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب ، ودوامُ الحضور منوط بترك المألوفات وهجر المأنوسات ، والقلب لا ينجلي إلا بذكر كثير ، ولا تترك السنن فإن كل طالب لا يعدّ السنة فرضاً على نفسه فهو ناقص ليس له في سهام أهل الكمال نصيب ، ولا تصحب الأغنياء وأرباب التنعم ! فصحبتهم سمّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب كما قاله صاحب « الرشحات » نقلاً عن بعضهم .

وقد قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه في مذمّة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها : لا يكونَنَّ ولدي الأرشد مغروراً بهذه الدنية المبغوض عليها ولا يضيعنَّ بضاعة الإقبال إلى جناب قدس الحق جلّ سبحانه ينبغي التفكر أيّ شيء يُباع وأيّ شيء يُشترى تبديلُ الآخرة بالدنيا ، والامتناع من طلب الحق بالخلق من السفاهة والجهالة ، والجمع بين الدنيا والآخرة من قبيل الجمع بين الأضداد .

---

(١) ومر قبيل الترغيب الخامس ما ينبغي مراجعته (منه) .

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا ؛

فاختر ما شئت من هذين الضدين ، وبع نفسك من أيهما شئت ؛ عذاب الآخرة أبدي ومتاع الدنيا قليل ، والدنيا مبغوض عليها عند الحق سبحانه والآخرة مرضيّة له تعالى وتقدس :

عِشْ ما شئت فإنك ميت   والزم ما شئت فإنك مفارق

ولا بد من ترك العيال والأولاد أخيراً وتفويضهم إلى الحق سبحانه وتعالى ، فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً وأن تفوضهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ نص قاطع . وقد سمعت مكرراً أن نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور إلى متى يمتد ، فلا بد من التنبه والتيقظ .

واعلم أن **صحبة أهل الدنيا والاختلاطَ بهم سمّ قاتل** ، وقتيل هذا السمّ ميت بالموت الأبدي ، العاقل تكفيه الإشارة فكيف التصريح مع هذه المبالغة والتأكيد ! وطعام الملوك وإن كان لذيذاً ولكنه يزيد مرض القلب فكيف يرجى الفلاح والنجاة ؟ الحذر الحذر الحذر . شعر :

وما هو من شرط البلاغ أقوله   فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملالة

فِرَّ من صحبتهم أكثر مما تفر من الأسد ، فإن الفرار منهم وإن أوجب الموت الدنيوي ولكنه قد تفيد في الآخرة ، واختلاط الملوك يوجب الهلاك الأبدي والخسارة السرمدي ، فإياك وصحبتهم وإياك ولقمتهم وإياك ومحبتهم وإياك ورؤيتهم ! وقد ورد في الخبر الصحيح : « من تواضع لغنّي لغناه ذهب ثلثا دينه » ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم أو من جهة شيء آخر ؟ ولا شك في أنه من جهة غناهم ، ونتيجته ذهاب ثلثي الدين فأين أنت من الإسلام ؟ وأين أنت من النجاة ؟ وكل هذه المبالغة والإبرام[1] ليعلم ولدي أن لقمة غير الجنس

(١) الإبرام أي : الإحكام كما في قولهَ تعالى ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ الآية .

وصحبتهم تحجب قلبه عن تذكر المواعظ وتعقُّل النصائح فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام ، فالحذر الحذر من صحبتهم ! والحذر الحذر من رؤيتهم ! والله سبحانه وتعالى الموفق . نجانا الله تعالى وإياكم عما لا يرضى عنه ربنا المتعالي ؛ بحرمة سيد البشر الممدوح بما زاغ البصر عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها والسلام . انتهى عبارته في ١٢٩ ج١ « الدرر المكنونات » .

وفيه في ٨٢ ج١ : **أيها الولد!** إن الدنيا محل الامتحان والابتلاء ؛ ظاهرها مموَّه ومزيَّن بأنواع المزخرفات[١] ، وصورتها منقشة وملونة بالخيلان[٢] والخطوط والذوائب والخدود الموهومة ، حلوة في بادي النظر ، متخيلة بالطراوة[٣] والنضارة[٤] في البصر ، ولكنها في الحقيقة جيفة مرشوش عليها العطر ، ومزبلة ملآنة بالذباب والدود سراب يرى كالسراب ، وسمّ في صورة سكر ، باطنها خراب وأبتر ، ومعاملتها مع أبنائها مع وجود هذه الدّمامة[٥] والوقاحة[٦] شر من جميع ما يقال ويذكر ، عاشقها سفيه ومسحور ، ومفتونها مجنون ومخدوع ، من افتتن بظاهرها فقد اتسم بسيمَة الخسارة الأبدية ، وكل من نظر إلى حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامة السرمدية ، قال سيد الكائنات حبيب رب العالمين عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « ما الدنيا والآخرة إلا ضَرَّتان إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى » فمن أرضى الدنيا فقد أسخط الآخرة على

---

(١) الزخرف الذهب ، ثم يشبه كل مموّه مزوّر ، المزخرف المزيّن « مختار » .
(٢) والخال الذي في الجسد جمعه خيلان « مصباح » .
(٣) طرو الشيء بالواو إلخ أي : غض بيّن الطراوة « مصباح » .
(٤) نضر الوجه :حسن « مصباح » .
(٥) دمَّ الرجل : دمامة قَبُح منظره وصغر جسمه « مصباح » .
(٦) قلة الحياء من « مص » .

نفسه ، فلا جرم لا يكون له نصيب من الآخرة . أعاذنا الله سبحانه وتعالى وإياكـم من محبتها ومحبة أهلها .

أيها الولد هل تدري ما الدنيا ؟ ! كلما يعوقك ويحجبك عن الحق سبحانه وتعالى من النساء والأولاد والأموال والجاه والرياسة واللهو واللعب والاشتغال بما لا يعني فهو داخل في الدنيا والعلوم التي لا دخل لها في علوم الآخرة فهي أيضاً من الدنيا ، فلو نفع تحصيل علم النجوم والمنطق والهندسة والحساب وأمثالها من العلوم التي لا طائل فيها لكانت الفلاسفة أهل النجاة .

قال النبي ﷺ : « علامة إعراضه تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه » ، شعر :

من كـــان في قلبه مقدار خردلة   سوى هوى الحق فاعلم أنه مَرض

إلى آخر ما قاله قدس سره .

يا ولدي إنى إنما أمرتك بقراءة كتاب « إحياء علوم الدين » ومنعتك عن قراءة غيرها من الكتب التي أكثر مسائلها مربوط بالدنيا وأهلها لأجل هذه العلة السابقة ، فعليك بالمواظبة عليه والعمل[١] بما فيه ، فإنه كتاب نفيس أثنى عليه أكابر السادات ، ففي ذلك كفاية لك وفقك الله تعالى للعلم والعمل ، آمين .

يا ولدي أوصيك أن لا ترى نفسك فوق أحد وكن حقيراً ذليلاً أديباً حسن الخلق ، كريماً سخيّاً لا شحيحاً بخيلاً ، ولا تتَّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، واحذر من أن يـخدعك نفسك فإنها لا تأمر بطبعها إلا بالسوء والشر ، ولا تطيع خالقها إلا بالتكلف والمجاهدة ، وفي القرآن

(١) وقد رأيت في « أذكار النووي » ما نصّه : إنّ تعلّم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة . فراجعه (منه قدس سره) .

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وإذا كان أمر النفس هكذا أردت أن أكتب هنا ما قاله الإمام الرباني[1] قدس سره في بعض مكاتيبه فأرجوك أن تصغي إليه بسمع القبول :

قال ﷺ : فاعلم أيها المخدوم المكرم أن النفس الأمارة الإنسانية مجبولة على حب الجاه والرياسة ، وجميع همتها الترفع على جميع الأقران ، ومتمنّاها بالذات أن يكون الخلائق كلّهم محتاجين إليها ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى شئ ومحكومة لأحد أبداً ، وهذه كلها هي دعوى الألوهية منها والشركة مع خالقها المنزه عن المثل والشبه جل سلطانه ، بل هي البعيدة عن السعادة غير راضية بالشركة ، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير ويكون الكلّ تحت حكمها ! وقد ورد في الحديث القدسي : « عادِ نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي » فتربية النفس بإعطاء مراداتها من الجاه والرياسة والترفع والتكبر إمدادها في الحقيقة لعداوة الله تعالى عز وجل وتقويتها لذلك ! فينبغي أن يدرك شناعة هذا الأمر جداً ، وقد ورد في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما أدخلته في ناري ولا أبالي » .

وإنما كانت الدنيا الدنية مبغوضة عند الحق سبحانه وتعالى وملعونة ! بسبب أن حصولها ممدّ ومعاون في حصول مرادات النفس ، فمن أمدّ العدو لا جرم يستحق اللعن والطرد ، **وإنما صار الفقر فخراً**[2] **محمّديّاً** عليه وعلى آله الصلاة والسلام فإن في الفقر عدم حصول مراد النفس وحصول عجزها .

---

(١) راجع « الدرر » في ٦٦ ج١ .

(٢) هو إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله ﷺ « الفقر فخري » ، فافهم .

والمقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكمة في التكليفات الشرعية : هو تعجيز هذه النفس الأمارة وتخريبها ، وقد وردت الشرائع لرفع[1] الهوى النفساني ، وكلّما يعمل شيء بمقتضى الشريعة يزول من الهوى النفساني بقدره ، ولهذا كان فعل شيء من الأحكام الشرعية أفضل في إزالة الهوى النفساني من رياضات ألف سنة ومجاهدتها التي كانت من قبل النفس ، بل هذه الرياضات والمجاهدات التي لم تقع على مقتضى الشريعة الغرّاء مؤيدة ومقوية للهوى النفساني ، ولم تقصر البراهمة والجوكية في الرياضات والمجاهدات شيئاً ، ولكنها لما لم تكن على وفق الشريعة لم ينتفعوا بها أصلاً ولم يحصل لهم غير تقوية النفس وتربيتها ، فمن صرف مثلاً دانقاً بنية أداء الزكاة التي أمر بها الشرع فهو أنفع في تخريب النفس من صرف ألف دينار من قبل نفسه ، وكذلك أكل الطعام يوم عيد الفطر بحكم الشريعة أنفع في دفع الهوى من صيام سنين من قبل نفسه ، وأداء ركعتي الفجر مع الجماعة التي هي سنة من السنن أفضل من قيام تمام الليلة بالنافلة مع ترك الجماعة في الفجر .

وبالجملة إن النفس ما لم تتزك من خبث ماليخوليا دعوى السيادة والرفعة فالنجاة محال ؛ ففكر إزالة هذا المرض ضروري كيلا يفضي إلى الموت الأبدي وكلمة (لا إله إلا الله) التي وضعت لنفي الآلهة الآفاقية والأنفسية أنفع في تزكية النفس وأنسب لتطهيرها .

واختار أكابر الطريقة قدّس الله تعالى أسرارهم لتزكية النفس هذه الكلمة الطيبة ، شعر :

ما دمت لم تضرب بلا عنق السوى   في قصر إلا الله لست بواصل

وما دامت النفس في مقام البغي والعناد ونقض العهد والفساد ينبغي

(١) وفي نسخة : لدفع .

أن يجدد الإيمان بتكرار هذه الكلمة ، قال ﷺ : « جدّدوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله » بل لا بد من تكرار هذه الكلمة في جميع الأوقات ، فإن النفس الأمارة في مقام الخبث دائماً .

وقد ورد عن النبي ﷺ في فضائل هذه الكلمة حديث : « لو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان وهذه الكلمة في كفَّة لترجحت هذه الكفة على الأخرى » والسلام على من اتبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة الأكمل والسلام الأوفى . انتهى .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما قاله الشيخ المرحوم خالد سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه إلى واحد من إخوانه في الدين فقال قدس سره :

طلب المال

أيها الولد إني أقول لك أن تجتهد أن تكون من القوّامين للتكسُّب لأجلك ولأجل عيالك بالوجه الحلال ، فذلك مزية عظيمة من الله تعالى لخواص عباده ؛ لما أن كمال المقام لا يتحقق إلا بالزهد عمّا في أيدي الناس ، والكامل من يسلك الناس وهم في حِرَفهم ، وإنَّ زهد الكمّل ليس بخلوِّ اليدين من الدنيا ، وإنما الزهد بخلوّ القلب ، وأكابر الأولياء يسارعون إلى التكسُّب بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوزوا بلذة الخطاب[1] لا لعلة أخرى ! قال تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . . إلخ ، فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإقراضهم من فواضل كسبهم كلّ محتاج . مفهومه أن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء الحبالى ، وإن كان له لحية كبيرة وسبحة طويلة وسجادة وعزبة ومرقعة وشفاعات عند الحكام وغير ذلك ، وليس له في الرجولية

(١) أي : بقوله تعالى ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . . إلخ فافهم .

نصيب كما قال تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ فعلم أنه لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجراً أو زراعاً ، بل ذلك أكمل له ، فإياك يا أخي أن تنكر على فقير التكسب والتجارة والزراعة أو معاملة الناس أواخر عمره ! وقد ختم عمره بمحبة الدنيا بعد أن كان زاهداً فيها وفي أهلها ، فربما يكون مشهد ذلك الفقير ما قلناه أو غير ذلك من النيات الصالحات وإيثار الزهد مع خلو اليدين ربما يكون لعلة الفقد .

وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرداً عن الدنيا بالكلية ؛ بأن يخلو يده منها ؛ وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إمّا بالحال وإما بالمقال ، بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منه المحتاجين من مريديه وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم ، ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، وفي الحديث « عزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه في قيام الليل » انتهى من خطه قدس سره وكلامه هذا زبدة كلام الأكابر وملخص ما ذكروه في كتبهم ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

مهمات في ترغيب الكسب الحلال

وقال صاحب كتاب « الرماح » ٤٣ ج١ رضي الله عنه بعد نقله مثل[1] ما مرّ عن الشعراني قدس سره قلت : وفي الحديث أيضاً أن « من طلب الدنيا قليلاً تعففا عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالبدر » .

وفيه أيضاً : أنه ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى

(١) أي : وكلام سيف الله مستنبط من كلام الشعراني وصاحب « الرماح » نقله أيضاً وقال بعد ذلك ما يأتي ، فافهم (منه) .

شاب ذي جلدة وقوة وقد بكَّر يسعى فقالوا : يا ويح هذا ! لو كان جَلَده وشبابه في سبيل الله . فقال ﷺ : « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفَّها عن المسئلة ويغنِيَها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان » .

وفيه : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله مِنْ فَضْلِهِ فيسأَلَهُ أَعْطاه أوْ منعه » .

وقال حذيفة : خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه .

وفيه : « لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ! عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر » .

وفيه : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول[١] » .

وفيه : « الفارّ من عياله كالفارِّ من الزحف » .

وفيه : أن الصحابة أثنوا عند رسول الله ﷺ على رجل بالعبادة ، فقال ﷺ : « فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعته » ؟ قالوا : نحن يا رسول الله ﷺ . فقال : « كلّكم خير منه » ، وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك ، إنما الشأن أن تحرز رغيفك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بأيِّ داق للباب ، بخلاف من قام يصلي في بيته وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول : إن معه رغيفاً .

وقال الثوري : عليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة .

---

(١) أي : ابدأ بعيالك ، فافهم .

وقال عبد الله بن المبارك : لا يُخرِج العبد من الزهد إمساكُ الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس .

وقال في « عرائس البيان » عند قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ : ولا تظن يا أخي أن العارف المتمكّن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من جملتهم ، إنه يريد الله برغبة المعرفة والشوق ، ويريد الدنيا للكفاف والعفاف يرزقه الله حياة حسنة طيبة ؛ بأن يجعل الدنيا خادمة له ويبجله في أعين الخلق ويوقع هيبته في قلوب الناس ، قال الله تعالى ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

وقال عليه السلام « من أحسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة » .

وقال لقمان لابنه : يا بنيّ حملت الصخور والحديد فلم أرَ شيئاً أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وعانقت الحسان فلم أرَ شيئاً ألذّ من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمرّ من الحاجة إلى الناس .

وقال الشعراني : من أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما دخلته الشبهة .

وقال سفيان الثوري : لأنْ أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس .

المال تُرس المؤمن

وقال : المال فيما مضى يكره ، وأما اليوم فهو ترس المؤمن . وقال حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدُّقك وطلبِك لما في يد غيرك .

وقال : خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما ؛ درهمه

لمعاشه ودينه لمعاده .

وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه : عليكم بالكسب الحلال ، فإنه يسرّ الصديق ويكدّ العدو ، وتستغنون به عن سؤال الناس لا سيّما اللئيم ، وإياكم وسؤال الناس فإن ذلك كسب العاجز .

وقيل للثوري : أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال ؟ قال : نعم ! إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر .

وقال أبو قلابة : لأن أرى في معاشي أحبُّ إليَّ من أن أرى في زوايا المسجد .

وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لن تزالوا كِراماً على إخوانكم ما لم تحتاجوا إليهم . انتهى .

ياولدي ذكرت لك هذه الفوائد المتضمنة للترغيب والترهيب ؛ لترغب في التكسب والحرفة ؛ لتصون وجهك عن التعرض إلى ما بأيدي الناس وتكون على حذر من الإنكار ، إذا رأيت من مشائخك من يطلب الدنيا ويحفظها ! ! وقد عُلِم مما مرَّ **أن زهد العارفين يكون بالقلب ولا يضرُّهم إمساك الدنيا بحذافيرها** فلهم في ذلك نيات صحيحة . و« إنما الأعمال بالنيّات » ، وكم من عمل يتصور بصورة الدنيا ويصير بحسن النية من أعمال الآخرة ، كما ورد به الخبر !

أيها الولد المتعطش إلى كل عطاء رحيب وفتح قريب من القريب المجيب ، بواسطة أهل الاختصاص والتقريب ، قد طلبت كتبة ما ينفعك من أمور الدنيا والدين فاستبشر بها الخاطر ، وقرَّ بها الناظر ، وأرجوك أن لا يغرَّنَّك ما ذكرته في حق الدنيا ! بل لاحظ ما هنا بما مرّ قُبَيْلَهُ وبما يأتي آنفاً وخذ المسائل مع العلل لأن **الحكم تدور مع العلة وجوداً وعدماً** ، وإياك ثم إياك والانهماكَ في جمع حُطام هذه الفانية وملاذها ! إلا بقدر

الضرورة ، وهو ما يكفيك ويكفي لمن يجب مؤنته من الزوجة وغيرها ، فإن الانهماك فيها وفي زخرفها يستر أنوار النفس كما يستر الغمامُ نور الشمس ، فإذا انقشعت الغمام عن نفسك ظهرت لك العلوم المستورة اللدنية وانتقشت الحقائق في لوح نفسك ، واللوح إذا كان ملآناً لا ينتقش فيه غير ما فيه ، فامح عنه الأخلاق المذمومة وحب الدنيا ترى العجائب من نفسك .

واعلم أنك إذا لم تطلق الدنيا فهي تطلقُك ، فاتركها عن اختيار ولا تتركها عن إجبار ، وما الدنيا إلا كظلك إن أردت أخذها عجزت ، وإن توليت عنه تبعتك وجاءت راغمة ؛ كما قال المشرع حاكياً عن ربه : « يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه » وبمثله نطق بعض الأكابر وهو عند والدك مجرب صحيح ، قد سعى خلف الدنيا كثيراً فهربت عنه وولت عنه الأدبار ، ثم تركها فسعت خلفه والحمد لله الملك الجبار .

ياولدي لا تترك الكسب والحرفة ! بل اطلب الدنيا وصحح النية ، ولا تبخل بها ولا تمنعها عن المحتاجين ، وفقك الله تعالى لما يحبه ويرضاه آمين .

قال الغزالي في « الإحياء » في بيان فضيلة الكسب : أما من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ . وقال تعالى ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال ﷺ « من الذنوب ذنوب لا يكفِّرها إلا الهمُّ في طلب المعيشة » .

وقال عليه السلام « من طلب الدنيا حلالاً وتعفُّفاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر » انتهى عبارته ٣٩ ج٢ .

وفيه في ٣٩ ج٢ : وقال ﷺ : « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنيَ بها عن الناس ، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة »[1] وفي الخبر « إن الله تعالى يحب العبد المحترف » .

وقال ﷺ : « أحلُ ما أكل الرجل من كسبه ، وكل بيع مبرور »

وفي خبر آخر : « أحلّ ما أكل العبد كسب يد الصانع » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » .

وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبَّد . قال : من يعولك ؟ قال : أخي . قال : أخوك أعبد منك .

وقال : نبينا ﷺ « إني لا أعلم شيئاً يقرِّبكم إلى الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ، وإني لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقرِّبكم من النار إلا نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل : اتركوا الطلب .

ثم قال في آخره « ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن

---

(١) أي : لأن العلم من عمل الآخرة ، فإذا امتهنه ليحصِّل به دنيا فقد وضع الشيء في غير محلّه وقد ورد في ذلك وعيد شديد . ففي « المعجم الكبير » للطبراني من حديث الجارود بن المعلى مرفوعاً « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في ديوان أهل النار » والحديث المذكور أورده هكذا صاحب « القوت » . « إتحاف » ٤١٥ ج٥ .

تطلبوه بمعصية الله تعالى ! فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته » .

وقال ﷺ : « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال عليه السلام : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » .

وقال : « من فَتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » . انتهى عبارته ٣٩ ج٢ .

وأما الآثار في حق الكسب فكثيرة ! واكتفيت بهذا القدر من الأحاديث .

فإن قلت : فقد قال ﷺ : « ما أوحي إليّ أن اجمع المالَ وكن من التاجرين ، ولكن أوحيَ إليَّ أن سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقيل لسلمان الفارسي : أوصِنا فقال : من استطاع منكم أن يموت حاجّاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ، ولا يموتن تاجراً ولا خائناً .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول : لسنا نقول : التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء ، ولكن التجارة إمّا أن تطلب بها الكفاية ، أو الثروة والزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادّخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة ، لأنه إقبال على الدنيا التي حُبها رأس كل خطيئة .

فإن كان مع ذلك ظالماً خائناً فهو ظلم وفسق ! وهذا ما أراده سلمان بقوله : لا تمت تاجراً ولا خائناً . وأراد بالتاجر طالب الزيادة .

فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال ! فالتجارة تعففاً عن السؤال ، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال !

وكان يُعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يُعطى لأنه سائل بلسان حاله ، ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة ، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية .

وترك الكسب أفضل لأربعة : عابد بالعبادات البدنية ، أو رجل له سير بالباطن وعملٌ بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات ، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر ومما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسِّر والمحدث وأمثالهم ، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد ، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصّدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبِّح بحمد ربك ، وكن من الساجدين . ولم يوح إليه أن كن من التاجرين ! لأنه كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بِها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله تعالى عنه بترك التجارة لما ولّيَ الخلافة ، إذ كان ذلك يشغله عن المصالح ، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ، ورأى ذلك أولى . ثم لما توفي أوصى بردّه إلى بيت المال ، ولكنه رآه في الابتداء أولى « إحياء علوم الدين » عبارته ٤٠ ج٢ فراجعه ففيه الزيادة .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » فقد فسّر الحفني لقوله مسكيناً أي : متواضعاً متذلّلاً . انتهى .

وقال العزيزي في « السراج المنير » : المراد به استكانة القلب ، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر . فراجعه في ٢٧٩ ج١ .

وورد في فضيلة الزراعة والحراثة وسقي الزرع أحاديث منها : « إن

الله تعالى يطلع كل ليلة على الزرع ويقول : باركت عليك وعلى صاحبك ، ثم يوكِّل الله تعالى على كل ورقة من الزرع ملائكة يسبِّحون الله تعالى ، ويستغفرون لصاحبه حتى يؤكل » .

ومنها : « أول من يكسى يوم القيامة بعد الأنبياء المؤذنون ، والعلماء ، والشهداء ، والحرَّاثون فإن الله تعالى يغفر ذنوب الحرَّاث أول حبته وأول سقي زرعه . ومن سقى زرعه كتب الله تعالى له ما دام زرعه رطباً كل يوم ألف حسنة ، ومحى عنه ألف سيئة » انتهى .

ياولدي! عليك بحسن الخلق مع الناس ، وحسن المعاشرة والألفة بين الإخوان والأقران ، ففي ذلك فضل عظيم .

قال الغزالي في « الإحياء » : **اعلم** أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرُّق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحابَّ والتآلف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة ، وحسن الخلق لا تـخفى في الدين فضيلته ، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « أكثر ما يدخل الناس الجنة : تقوى الله ، وحسن الخلق » .

وقال أسامة بن شريك : قلنا يا رسول الله ! ما خير ما أعطي الإنسان ؟ فقال : خلق حسن .

وقال ﷺ : « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » .

وقال ﷺ : « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن » .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « ما حسَّن الله خَلْقَ امرئ ولا خُلُقَه فيطعمه النار » .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة ! **عليك** بحسن الخلق » . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : « تصِلُ مَنْ **قطعك** وتعفو عمن **ظلمك** ، وتعطي مَنْ حرمك » . انتهى عبارته ١٠٩ ج٢ .

ياولدي! أوصيك بأن تجتنب عن معاشرة الأضداد وأهل الفساد والضلال ، لئلا ينعكس إليك أحوالهم الخبيثة ، وأخلاقهم المذمومة .

وقد قيل ما معناه :

لا تسأل عن المرء وأبصر قرينه فإن القرين بالقرين مقارن

وفي « الإحياء » : وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان في عِشْرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال : فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك ! فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ! ثم طارا فإذاً هما أعرجان ! فقال : من ههنا اتفقا . ولذلك قال بعض الحكماء : كلّ إنسان يأنس إلى شكله ، كما أن كلّ طير يطير مع جنسه . وإذا اصطحب اثنان بُرْهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا . انتهى عبارته ١١٢ ج٢ .

وفيه في ١١٩ ج٢ وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب . انتهى عبارته ١١٩ .

وفيه : وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه : لا تصحب خمسةً **الكذاب** : فانك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرِّب منك البعيد ويبعد منك القريب . **والأحمق** : فإنك لست منه على شيء ؛ يريد أن ينفعك فيضرك . **والبخيل** : فإنه يقطع بك أحوج ما تكون . **والجبان** : فإنه يسلمك ويفرُّ عند الشدة . **والفاسق** : فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها .

فقيل : وما أقل ؟ قال : الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد : لأن يصحبني فاسق حسن الخلق ، أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق . انتهى عبارته ١٩ .

أيها الولد! كن مصلحاً بين الناس ، ولا تكن فتّاناً بينهم ، ففي الإصلاح فضيلة عظيمة .

روي في الحديث : « من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة » .

وفيه : « من أصلح بين المسلمين استوجب أجر شهيد » .

وفيه : « أفضل الأعمال إدخال السرور على قلوب المؤمنين » وكن أيضاً خادماً لهم ، وخاصة للعلماء والفقراء ، ففي الحديث : « من خدم عالماً سبعة أيام فكأنما خدم الله سبعة آلاف سنة ، وأعطاه بكل يوم ثواب شهيد » وفيه : « مَنْ قضى حاجة أخيه المسلم قضى الله له اثنتي وسبعين حاجة من حوائج الدنيا والآخرة » .

وفيه : « من خاط ثوب مسلم أو غسله ، أو خصف على نعليه أو على ثوبه حِسْبَةً لله ضَمِنْتُ له الجنة » وفيه : « الخادم في أمان الله تعالى ما دام في خدمة المؤمن ، وللخادم بخدمته أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل ، وكأجر الحاجِّ والغازي والمرابط في سبيل الله » .

وقال ﷺ : « يا أنس ! خادم السوء أفضل عند الله من عابد مجتهد » .

وقد بيّنت فضائل الزيارة في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » نبذة فإن راجعت إليه تجد فيه ما تقر عينك .

وقد قال كعب : مَنْ زار فقيراً أو مسكيناً - أي زاره يريد تواضعاً - وكَّل الله به ألف ملك يستغفرون له إلى أن يمسي .

وفي الحديث : « من عاد مريضاً فله بكل خطوة يخطو بها سبعون ألف حسنة ، ومحي عنه سبعون ألف سيئة ، ورفع له سبعون ألف درجة ، ويوكل عليه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » .

قال الغزالي في « الإحياء » : وأما اليتيم فقال ﷺ : « من ضم يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة » .

وقال عليه السلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » وهو يشير بإصبعيه .

وقال ﷺ : « من وضع يده على رأس يتيم ترحُّماً كانت له بكل شعرة تمرُّ عليها يده حسنة » . انتهى عبارته ١٤٢ ج٢ .

ياولدي! عليك بالنصيحة لكل مسلم ، والجهد في إدخال السرور على قلبه ، ففي ذلك منافع .

قال ﷺ : « المؤمن يحبُّ للمؤمن كما يحبُّ لنفسه » .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئاً فليُمِطْه عنه » .

وقال ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله في عمره » .

وقال ﷺ : « من أقرَّ عين مؤمن أقرَّ الله عينه يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليلٍ أو نهارٍ قضاها أو لم يقضها ، كان خيراً له من اعتكاف شهرين » .

وقال عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن مغموم ، أو أعان مظلوماً ، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » . انتهى الأحاديث من « الإحياء » فراجعه في ١٤٢ ج٢ .

وفي الحديث : « إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم » .

وفيه : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ! إصلاح ذات البين » « الجامع الصغير » حتى تكون أحوالكم أحوال صحبةٍ وألفةٍ واتفاق « السراج المنير » .

وفيه : « خيركم خيركم لأهله » .

وفيه : « خيركم مَنْ أطعم الطعام للإخوان والجيران والفقراء » .

وفيه : « خير الأصحاب عند الله خيركم لأصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » .

وفيه : « خير الناس أنفعهم للناس » أي بما يقدر عليه من الإحسان بماله وجاهه وعلمه « سراج » والأحاديث في ذلك كثيرة ، وأرجوك أن تعمل بها وتكون من المحسنين للناس بالإعانة والإنفاق .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في قوله ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه . كذا في « الإحياء » .

وفيه : قال ابن عمر رضي الله عنهما : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : أخي فلان أحوج منّي إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

وروي أن مسروقاً أدان ديناً ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دَيْن ، قال : فذهب مسروق فقضى دَيْن خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة

فقضى دَين مسروق وهو لا يعلم . انتهى ١٢١ ج٢ .

وشكى بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له : لو اقتنيت هراً ! فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبّ لنفسي « إحياء » عبارته ١٤٥ ج٢ . وحقوق الجوار مبسوطة فيه فراجعه .

يا ولدي ! لا يغرّنك حسن خلق المشائخ مع ما فيك من عدم صفاء الاعتقاد والتسليم والانقياد . فإن لهم تلوّنات في الأحوال ؛ ففي وقت يتسعون وفي وقت آخر يضيقون . ولذا ينبغي لك أن تحترز من الخطرات النفسانية والشيطانية في حالة صحبتهم .

وقد رأيت في « تقريب الأصول » في ٦١ أن أبا العباس المرسي كان يقول : إذا ضاق الوليّ هلك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم بسببه ضرر . ولحوم الأولياء مسمومة ولو لم يؤاخذوك ! فإياك ثم إياك . انتهى عبارته .

وفيه في ٦٠ : أن أبا الحسن الشاذلي قدس سره كان يقول : من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أُخَر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس ، ثم لا يجد من يرحمه منهم . انتهى عبارته .

ويؤيده ما قاله بعض الأكابر : الولي كنيل مصر ؛ رحمة للمطيعين ، وعذاب للمحجوبين ، انتهى .

ورأيت في « طبقات » الشعراني في ٧٧ ج٢ ما نصه : كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير . انتهى .

وإياك ثم إياك يا ولدي ! أن ترى نفسك فوق أحد من المسلمين ،

فإن رأيت ذلك يسلب منك المشائخ أحوالك . فإنهم كما يقدرون بإذن الله تعالى على إعطاء الأحوال ، فكذلك يقدرون على سلبها ، وقد قال الشعراني في « منته الكبرى » في ١١١ ج١ : إن كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب . انتهى عبارته .

وفيه : لا يؤخذ الفقير ويسلب العالم إلا عند رؤية أحدهما نفسه على إخوانه ، أو غفلته عن الله تعالى انتهى . راجعه في ١١٠ ج١ .

وفيه : في ٢٠٧ ج١ وكان سيّدي علي المرصفي رضي الله عنه – يقول : من شقاء المريد في الدنيا وعنوان شقاوته في الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه ، وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة إلى صلحه والدخول في طاعته . وقد تهاون جماعة بغيظ أستاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبداً ؛ لا على يد شيخهم ولا على يد غيرهم . انتهى .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : من أقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا ، والإدبار عن الآخرة ، فيصير مكبّاً على جمع الدنيا من أيّ وجهٍ كان ، ويعادي كل مَنْ صدّه عنها ولو كان شيخه .

وكذلك من أسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى ، وقلّة تلاوته للقرآن ، وقلة عمله بالعلم ، وعدم تقيده بالأوراد وسهر الليالي ، وقلة المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس ، وغير ذلك ، وربما فارق شيخه وصار مداوماً على الأوراد التي كان عليها حال صحبة شيخه ، لكنها قليلة النفع ! فهي في عينه كأمثال الجبال ، وفي عين المكاشفين بأحوال الآخرة كالذَّرة .

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى في

حال طاعته أبداً .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين : اكتبوا عمل عبدي فلان ، واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ، ليأخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضراً معه . انتهى .

فَعُلِمَ أن من عقل العاقل أن لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلاً قالها وقلبه غافل سارح في أودية الدنيا ، **فإن ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى** .

وقد بلغنا أن بعض السلف الصالح قرأ سورة طه في الليل ، فجهر بآية منها ليسمع جاره بغير نية صالحة ، فرأى بعد ذلك أن القيامة قامت ، ونشرت له صحيفة تلك الليلة ، فلم ير تلك الآية فيها ، وقيل له : خذ أجرك ممن رفعت صوتك لأجله . انتهى فافهم عبارته .

لا ينتفع بالشيخ أولاده

يا ولدي! إن والدك قد حمل المشقة لأجلك في جمع هذا الكتاب ، فعساك أن لا تتخذ نصائحه مهجورة ، وأن لا تلقيها وراء ظهرك محقورة ، ويحتمل أن لا ترى والدك إلا بصورته الظاهرة ، وكونه على تلك الصورة مغموساً في الأخلاق الغير المرضية ، ومتدنِّساً بأدناس النفس الأمارة بالسوء هو الحق الذي لا ريب فيه ، وإن انتفاع الولد بتعليم الوالد ومواعظه ونصائحه من النوادر ، وقَلّ من ينفع بالشيخ من أولاده وأهل بيته ، وخدَّامه[1] وأقاربه وأهل قريته ، لما أنهم لا يرون فيه الخصوصية ، ولا ينظرون إلا

(١) وفي « لطائف المنن » : والقاعدة أن كل من كثرت مشاهدة الناس له هَانَ في العيون ولذلك قالوا : أقل الناس نفعاً بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ، ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول إلى معرفة قلبه وما فيه من الأسرار والمشاهدة النفيسة . انتهى عبارته فراجعه في ١٠١ من الجزء الأوّل (منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين) .

إلى ظاهره وأحواله البشرية ، ولا يعرفون أحوال باطنه ، بل يجدونه يأكل كما يأكلون ، ويشرب كما يشربون ، ويغضب كما يغضبون ، وينام كما ينامون . فقد يستر الله تعالى عن الأكثر خصوصية أوليائه ، ويحجب بينهم وبينهم بحجب البشرية بحكمته ، فلذلك يقلّ نفعهم بالشيخ ، ولو أنهم نظروا إليه بعين الكمال ولم يَزِنُوا حاله بميزان حالهم ، وتفكروا فيما ورد في الحديث القدسي : « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » لكانوا أسبق حالاً ، وأكثر نفعاً به ، ولا عجب .

وقد قيل : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى .

وقالوا في حق سيد الكائنات عليه الصلوات والتسليمات ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الآية . **فمن نظر إلى الشيخ بعين الإجلال والتعظيم معتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية ، وأنه صاحب مَدَدٍ ودعاء مستجاب انتفع ووصل إلى رتبة الولاية ، ومن نظر إليه بأنه فلان ابن فلان ، يأكل ويشرب ، وينام ويغضب مثله ، فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به ، كما لم ينتفع بالنبي ﷺ الأبعاض من أقاربه وعشيرته .**

اعلم يا ولدي! أن المراد من القباب في الحديث القدسي الذي مرَّ ذكره آنفاً ليس إلا أوصافهم البشرية ! فكل ما يحتاج إليه أفراد البشر يحتاج إليه الأولياء والأكابر ، وكونهم في مقام الولاية لا يخرجهم من الاحتياج المذكور ، وغضبهم أيضاً مثل غضب سائر الناس ، وإذا قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام : « أغضب كما يغضب البشر » كيف لا يصدر من غيره الغضب ؟ فالأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم التي هي من لوازم البشر لا تزول عن العوام والخواصّ .

وقد قال تعالى في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ **فمن اقتصر نظره على ظاهر الشيخ صار**

محروماً من بركته ، ومن كفَّ نظره عن ظاهره ونفذت حدّة نظره إلى أوصافه الباطنة واقتصر عليها صار سعيداً ومحتظياً من إمداده وفيوضاته . راجع « رسالة المبدأ والمعاد » تجد البيان مبسوطاً .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر كلام سيدي علي وفا : و قال ﵁ : من كان لا يرى من أستاذه إلا وجه البشرية فلا يزيده ما كشف له من الحق المبين إلا إعراضاً وتكذيباً ونفوراً ، ومن ثَمَّ لا تجد محققاً يظهر لقوم إلا من حيث يشهدونه وما دام في ظهور المماثلة لهم لا يكلِّمهم إلا بلسانه ، ولا يزن منهم إلا بكيلهم وميزانهم .

ومن ثَمَّ قال النبي ﷺ لعموم أصحابه : « لا تفضلوني على موسى ، ولا تفضلوني على يونس » .

وقال لخواص أصحابه أنه أفضل من جميع المرسلين والملائكة المقربين .

وهكذا كل وليّ لا يقبل منه إلا ما كان على نهج طريقة النبي ﷺ ، من تكليمه كل فريق بلسانهم ، ووزنهم بميزانهم ، وكيلهم بكيلهم . انتهى عبارته ٧١ .

وفيه في ٧٣ : و قال ﵁ : يوم من أيام الأستاذ عند ربه كألف سنة مما يعدُّ المريدون عند ربهم ، وأنوار المريدين رقائق أنوار أساتيذهم ، وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم ، فكما أنه ليس في مرآة البدر إلا الشمس فيضيء الليل كله ! كذلك ليس في المريد الكامل إلا أستاذه فيفيده المدد القبولي كله ، فافهم واعرف والزم تغنم . انتهى .

وفيه أيضاً : وقال ﵁ : **اطلب من نفسك الصدق في معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنال منهم ما تريد ، ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك وتهمل أنت أمر نفسك! فإن ذلك قليل الجدوى** . انتهى عبارته ٦٦ .

وفي « الطبقات » للشعراني في ٧ من الجزء الأول :

لكل وليٍّ أستار فلا يعرف حقيقته

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول : لكل وليّ ستر أو أستار نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الحق تعالى حيث أنه تعالى لم يعرف إلا من ورائها ، فكذلك الولي ! فمنهم مَنْ يكون ستره بالأسباب ، ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر ، على حسب ما يتجلّى الحق تعالى لقلبه ، فيقول الناس : حاشا أن يكون هذا وليّاً لله تعالى وهو في هذه النفس ! وذلك لأنّ الحق تعالى إذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهاراً ، أو بصفة الانتقام كان منتقماً ، أو بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقاً رحيماً وهكذا . ثم لا يصحب ذلك الولي الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والانتقام من المريدين إلا من مَحَقَ الله تعالى نفسه وهواه ، ولم يزل في كل عصر وأوانٍ أولياء وعلماء تذلّ لهم ملوك الزمان ، ويعاملونهم بالسمع والطاعة والإذعان ، ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر ، والخمول على ظاهر النقول ، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين .

ومنهم مَنْ يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا ، وتظاهره بحُبِّ الرياسة والملابس الفاخرة ، وهو على قدم عظيم في الباطن .

ومنهم[1] من يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأمراء والأغنياء ،

---

(١) ورأيت في كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني قدس سره ما لفظه هذا (فيروزج) سمعت شيخنا ﷺ يقول : من عباد الله تعالى من لا يستره حجاب ومع ذلك فلا يعرف ما في جيبه وربما يتكلم على الخواطر وما هو على الخاطر وإن من عباد الله من تقودهم المعرفة إليه به ، وهم يجولون في ميادين المخالفات ، وإن من عباد الله من تهب على قلوبه منفحات إلهيّة لو نطقوا بها كفَّرهم المؤمن ، وجهّلهم صاحب الدليل . انتهى عبارته . فراجعه في ١٦٩ من هامش « الإبريز » ، (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وسؤالهم الدنيا ، وطلبه الوظائف من تدريس وخطابة وإمامة وعمالة ونحو ذلك ، فيقوم فيها بالعدل ، ويتصرَّف في ذلك بالمعروف ، على الوجه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال وآحاد الفقهاء ، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئاً ، أو يأكل منه سدّ الرمق[١] لا غير ! فيقول القاصر في الفهم والإدراك : لو كان هذا وليّاً لله عزّ وجلّ ما تردد إلى هؤلاء الأمراء ! ولجلس في زاويته أو بيته يشتغل بالعلم وبعبادة ربه عزَّ وجل . ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا ، ونحو ذلك من ألفاظ الجور . ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقد[٢] عليهم ، فربما كان يتردّد إليهم لكشف ضرّ أو خلاص مظلوم من سجن ، أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله تعالى العاجزين ؛ الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء ، فيسألون في ذلك منْ يعتقد فيه من الأولياء والعلماء ، فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح ، ويحرم عليهم التخلف عنهم ، لا سيما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهداً فيما في أيديهم ، متعزّزاً بعزّ الإيمان وقت مجالستهم ، آمراً لهم بالمعروف ، ناهيا لهم عن المنكر ، لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم ، فإن هذا من المحسنين ، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص رضي الله عنه يقول : إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليه صحبتهم والدخول إليهم ، وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر . انتهى .

قلت : ومن الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ، ويعلّم الناس بأن ذلك كله

---

(١) والرمق : بقيّة الروح « مختار » .
(٢) وناقده : ناقشه في الأمر « مختار » .

من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ، ويوهم الناس أنه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء ؛ بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء ولا يحدِّث نفسه بانتقاص شيء منه ، ولا يسعنا كلنا إلا العفو ويكون مأكولاً مذمولاً ؟ وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ، فإنه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به ، فإن الرجل إذا قبل من الخلق صغر في أعينهم ضرورة ، كما أن من رَدَّ عليهم كبر في أعينهم ، ولعلّ ذلك الرادّ إنما ردّ رياء وسمعة واستئلافاً لقلوب الناس عليه ، ليتوجّهوا إليه بالتعظيم والتبجيل ، ويطلقوا ألسنتهم فيه بالثناء الحسن .

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنى يعبد : يطيع .

وكان يقول أيضاً : ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الردّ أن يأخذ ، ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ، ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً ، فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى : ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلَّة ممن تزيّا بزيّهم ، وانتسب إلى مثل طريقهم ، والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجل ، وقد قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فمن أين يلزم من إساءة واحد أن يكون جميع أهل حرفته كذلك ؟ ! ما هذا إلا محض عناد وتعصّب بباطل ! كما قال بعضم في ذلك شعراً :

استتار الرجـــال في كل عصر   تـحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضرُّ الهلال في حندس[1] الليل   ســواد السـحاب وهو جميل

قلت : ومن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله عزَّ وجلَّ شهود المماثلة والمشاكلة ، وهو حجاب عظيم وقد حجب الله تعالى به أكثر الأولين والآخرين كما قال تعالى حاكياً عن قوم ﴿ **مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ** ﴾ إلى آخر ما قاله الشعراني في طبقاته فراجعه[2] .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر شيء من الحقائق لسيدي أبي العباس الشاذلي رضي الله عنه : وكان رضي الله عنه يقول : العامّة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى الولاية جاء من البراري والقفاري أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم ، وكم من بدَلٍ ووليّ بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالاً ! مع أن هذا هو الذي يحمل أثقالهم ، ويدافع الأغيار عنهم ! فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش ، يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخطيط جلده وحسن صورته ، والحمر التي بين أظهرهم تحمل أثقالهم إلى موضع أغراضهم ، وتنقل ترابهم وآلات بنائهم ولا يلتفتون إليها . انتهى ٦٤ .

وفي « طبقات الأولياء » للشعراني في ترجمة الشيخ محمد بن جمرة رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول : ثلاثة لا يفلحون في الغالب :

١-ابن الشيخ . ٢-وزوجته . ٣-خادمه .

أما ابنه فانه يفتح عينه على تقبيل المريدين يده ، وحمله على أعناقهم ، والتبرّك به ، ويطيعونه في كل ما يطلبه ، فتكبر نفسه ، ويرضع من حبِّ الرياسة من صغره ، فتتوالى عليه الصفات المظلمة ، فلا يؤثر فيه وعظ واعظ ، ويتجرَّأ على الأكابر ، وينفي مشيختهم عليه ، فإن جاء صالحاً فاق والده ! وانتفع بوالده أكثر من كلّ أحد ، وأما الزوجة فإنها

---

(١) والحندس بكسر الحاء والدال : الليل الشديد الظلمة « مخ » .

(٢) ففيه كلام جليل في حق هذا (منه) .

ترى الشيخ بعين الأزواج ، لا بعين الولاية ! فتعتقد أنه محتاج إليها في الشهوة ، فإن نوّر الله تعالى بصرها ورأته بعين الولاية انتفعت به قبل كل أحد ، لملاصقتها له ليلاً ونهاراً .

وأما الخادم فلتكرار رؤية الشيخ ، واطلاعه على أحواله من المأكل والمشرب والمنام ، ولذلك قالوا : لا ينبغي للشيخ أن يأكل مع المريد ولا يجالسه إلا عند ضرورة ، خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه ، فيُحرَم بركة الصحبة ، فإن نظر الخادم إلى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك وأفلح أكثر من غيره . انتهى عبارته ١٣٦ ج١ .

أيها الولد! لا تظننَّ أن كلامي هذا إنما أوردته لأجل اعتقادي في نفسي أني رجل معدود من جملة المشائخ ، وأني أريد منك اعتقادك فيَّ بأني رجل وضع قدمه في دائرة الولاية ، فحاشا ذلك وكلا ! بيد أني خادمهم في موائدهم ، ووزيرهم وشريطهم في عتبة أبوابهم ، ولكنهم أذنوا لي في تقسيم قطرات موائدهم ، وكسرات أخبازهم المتساقطة في قصعاتهم ، وأمروني ورخَصوني بإعطاء تلك الكسرات والقطرات للمحتاجين الطالبين ، فمثالي مثال من يقسم صدقة الأغنياء في المحافل والمجامع والمساجد ، ويعطيها إلى أيدي الفقراء والمساكين ، فمنْ طلبها منه ومدَّ يده إليها يعطيه منها ، ومَنْ تكبر وافتخر من أن يأخذ تلك الصدقة من يد القاسم بظنّ أنه حقير فقير ، وأنف منه واستكبر قائلاً إنه لا يأخذ إلا ما أعطته أيدي الأغنياء حُرِمَ منها وخسر . انتهى .

ومثال آخر : أن النبي عليه الصلاة والسلام بحر الفيوضات والبركات ، ومنبع الأسرار والتجليات ، والمشائخ كالموازيب المصنوعة من الجواهر واليواقيت والذهب والفضة والمعادن النفيسات ، فلو وضعت الموازيب المفعولة منها مثلاً في موضع ليجرّ الماء من منبعه إلى موضع آخر وفُقِدَ ميزابٌ واحدٌ من الموازيب النفيسة فصار مكانه بدلاً عنه ميزاب

خشب ، فإن وضع واحد إناءه تحت ذلك الميزاب وإن كان من الخشب يصل إلى الإناء الماء الجاري من تلك الموازيب النفيسة ، وإن أَنِفَ من أن يأخذ الماء من ميزاب الخشب فيحرم من الماء ويبقى عطشاناً أبداً .

ومثال آخر : إن المرأة التي ليس لها ثدي ، أو التي لها ثدي لكن جفَّ لبنها ، ومع ذلك ولدت ولداً فإنها تعطي ولدها للرضاع إلى يد المرأة التي في ثديها لبن .

فهكذا أنا الناقص المأذون له من الكامل المكمَّل المأمور بإيصال ما وصل إليه منه إلى الخلق ، ولست صاحب فيض ومَدَد بل أنا كالمرأة المذكورة أَلِدُ الأولاد[1] وأسلِّمهم للتربية إلى يد محمود أفندي ذي الفيوضات ، فافهم . فكم وكم مرات استعفيت من شيخي العسوي قدس سره وطلبت منه عزلي من هذا الأمر ! لعلمي نقصي وعجزي ، وعدم كوني أهلاً لذلك . وكم وكم كرّرت لديه تصريحاً بأني لا أرى نفسي لائقة لتحمُّل أعباء الدعوة ! بيد أنه قد أكد الأمر بذلك ، وأذن لي ، وكتب لي صكَّ الإجازة وقلَّد على عنقي قلادتها . وحين كنت في السلوك رأيت في الواقعة كأني في مزرعة كبيرة محوّطة ، عندها طريق إلى مكان مرتفع وجبل ، فصرت أنبش من تلك المزرعة بالمعوال شيئاً يقال له بلغتنا (قَلِ) – عجم – ، فوجدته فيها كثيراً ، ومُلىءَ كيسا جُبَّتي منه ، وكان ذلك الشيء أجود ما يوجد في المزارع وأحسنه ، فظننت أني أستره عن الناس ، فإن أظهرتها لهم يلتجئون إليه وينبشونه بالمعاول ، ولا يبقى فيها شيء منه ، فأذهب غداً مع ولدي محمد حجيو لنخرج منه شيئاً كثيراً ، وننبشه ، فوقتئذ صارت المزرعة مملوءة من الناس بحيث لا يحصى عددهم ، فظهر فيهم النبي عليه السلام فقام على حائط المزرعة الذي يلي الطريق متوجّهاً إلى طرف الطريق ، وصار الناس

(١) وهم المريدون (هامش الأصل) .

يذهبون من تلك المزرعة إلى ذلك الطريق الذي كان النبي عليه السلام متوجهاً إليه ، فجاء لديّ رجل مجهولٌ منهم ، فأمرني بارتقائي إلى سور المزرعة وحائطه ، وقيامي عند النبيّ عليه السلام ، فخفت من أن أقف لديه عليه الصلاة والسلام ، لما أني لم أر أهلاً للقيام معه ، فأكّد الرجل المذكور الأمر ، بل أقامني بيده عنده ﷺ ، فحين رقيت إلى ذلك السور وأقمت عنده ﷺ ظننت أني خليفته ، فقلت حينئذ : يا رب هذا نبيك ! وهذا خليفته ! وهذه أمة قليلة فارحمهم . وبكيت بكاء فخطر في قلبي لِمَ أقول هذه أمَّة قليلة مع أن الناس كثيرون ؟ فأجبت في نفسي أن مرادي من ذلك أنهم قليلون بالنسبة إلى أمم الأنبياء الماضية ، لا أنهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم . فانتبهت وكتبت الواقعة فأخبرتها الشيخ ذا الجناحين العسليّ - نوّر الله ضريحه - آمين فقال : إن هذه واقعة حسنة ، فإن شاء الله تعالى تكون خليفة النبي ﷺ . انتهى .

في كتبة صك الإجازة

وأما الشيخ القطب الرباني خالد سيف الله قدس سره كتب إلي بعد كتابة صك الإجازة في الطريقة الشاذلية ، وشكايتي في حق هذا الأمر المخوف بما حاصله هذا : لما حسن ظن الفقير فيك وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ! ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أمانتي ، لعلم علمني ربي بإذن من رسول الله ﷺ إلخ . وقد سألت من شيخنا[1] وروحي فداه فأجاب : الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه فامض سبيلك لمصلحة الدين ، وإياك والغش ! فقد قال سيد الكائنات ﷺ : « من غشنا فليس منا » وحين أن كنت متردداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاح السادات ففي تلك الليلة حضر روحانيته ﷺ ، وكرم وعظم ، وأقامني مقامه ، وأنا مستحي منه ﷺ ، ووقعت هنالك مكالمات

(١) يعني عن ذلك الأمر (منه) .

لا أقدر إفشاء سرّ نبوة ، مع بشاشة الوجه إلخ . .

فتبع جمع كثير خلفي قائلين : أنت المحمد ، أنت خليفته إلخ . . فلم أقنع بذلك ، ووقعت في حياء عظيم وتفكر ، فحضر ثانياً ﷺ وسلّمني خاتمه ، وكان معه علي - رضي الله عنه ، وكرم الله وجهه - ونظر إلى خط الخاتم آخذاً من يدي بمحضره ﷺ ، ثم ردَّه إلى يدي بعد القراءة بأمره وملكني عليه **فسررت وحكمت على رضائه ﷺ على إجازتي والحمد لله** ، ففي ذلك الحال حضرتما[1] لدي مستبشرين بملاقاتي ، ودخل معكم عليّ واحد من المبتدعين المنكرين ، فأغلظتما عليه القول وأفحمتما[2] ، وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته عليه السلام . انتهى من خطه قدس سره .

والشيخ إنما هو لأهل التفريط

وكتب قدس سره بعد ذلك ما حاصله : إني كنت كل وقت أنهاكم عن تكثير المريدين ، وآمركم بتقليل الأتباع ، إلخ . . والآن أراكم أن لا تردوا أحداً ممن يطلب منكم الإسلاك ، ولا تنظروا إلى ظواهرهم ، **وإنما الشيخ إنما هو لأهل التفريط** لإرشادهم إلى الصراط السّوي ، حتى تجتهدوا لتكثير سوادهم ولو بطلبكم ، لما أنَّ لكلّ زمان رجال ، ولكلّ وقت أحوال . انتهى من خطه .

ياولدي! إني أخاف كثيراً من أن أكون سبباً لإتلاف أرض قلب المريد وإفساد بذره ، فكيف لا ؟ وقد قال الإمام الرباني قدس سره :

اعلم أيها الأخ القابل لظهور الكمالات أظهر الله سبحانه فعلكم من القوة أن الدنيا مزرعة الآخرة ، فويل لمن لم يزرع فيها وعطل أرض

---

(١) يعني الحاج حبيب الله وهذا الحقير الفقير (منه) .
(٢) أفحم : أسكت .

الاستعداد وأضاع بذر الأعمال .

ومما ينبغي أن يعلم أن إضاعة الأرض وتعطيلها إما بأن لا يزرع فيها شيئاً ، أو أن يلقي فيها بذراً خبيثاً فاسداً . وهذا القسم من الإضاعة أشد مضرة ، وأكثر فساداً من القسم الأول كما لا يخفى ، **وخبث البذر وفساده بأن يأخذ الطريق من السالك الناقص** ويسلك مسلكه ، لأن الناقص صاحب هوى متبع ، **وما يشوب بالهوى لا يؤثر** وإن أثر أعان على الهوى ، فيحصل ظلمة على ظلمة ، لأن الناقص لا يميز بين الطرق الموصلة إلى الله سبحانه و بين الطرق التي لا توصل إليه سبحانه ؛ إذ هو غير واصل قط . وكذا لا يميز بين الاستعدادات المختلفة للطلبة . وإذا لم يميز طرق الجذبة عن طرق السلوك فربما يكون استعداد الطالب مناسباً لطريق الجذبة غير مناسب لطريق السلوك ابتداء ! والناقص لعدم تمييزه بين الطرق وبين الاستعدادات المختلفة يسلكه طريق السلوك ابتداء فأضلّ عن الطريق كما ضلَّ . فالشيخ الكامل المكمل إذا أراد تربية هذا الطالب وتسليكه احتاج أولاً إلى إزالة ما أصاب من السالك الناقص وإصلاح ما فسد بسببه ثم ألقى البذر الصالح المناسب لاستعداده في أرض الاستعداد فينبت نباتاً حسناً ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فصحبة الشيخ الكامل المكمَّل كبريت أحمر ، نظره دواء ، وكلمته شفاء ، وبدونها خرط القتاد[1] انتهى « الدرر المكنونات » في ٣٢ ج١ .

يا ولدي! إن هذا الكلام المذكور قاصم لظهر والدك ، وكان هذا الكلام سبب ردّه مراراً إجازة شيخه العسلي ، بيد أنه قدس سره اطّلع على ما في سرّي فسلم إلى يدي كتاباً ، فنظرت إليه فوجدت فيه ما حاصله : أنّ الكامل قد يعطي الإجازة للناقص فلا يحصل منه الضرر ، لأنّ

(١) والقتاد : شجر له شوك « مختار » .

يده يده ، وتربيته[1] تربيته . انتهى . فبعد ذلك اطمأن القلب وسكن عن الاضطراب ، فأسأل الله سبحانه تعالى أن لا يجعلني سبباً لإتلاف استعداد السالكين وإفسادهم ، وأن لا يحرمني وإياهم من بركة السادات القادات أهل الإرشاد والكمال آمين .

ياولدي ! إن والدك لا يرى نفسه فوق أحد فلله الحمد على ذلك ، بيد أنه يرجو الله تعالى أن يجعله من المتشبهين بالمتشبه وينزله منزلة كلب أصحاب الكهف ، فإنه قد خطى خطوات خلف من وحد الله تعالى فأكرمه الله لذلك .

ورأيت في « نزهة المجالس » أنّ رجلاً من قوم قارون كان يحاكي عمامة موسى عليه الصلاة والسلام ويلفُّ الصوف على إصبعه ، فلمَّا خسف الله تعالى بهم الأرض أخَّر ذلك الرجل عن الخسف لمشابهته بموسى في العمامة . انتهى في ١٣٥ ج٢ .

وليس لي عمل مرجو ولا خلق حسن – فيما أعلم – إلا محبة هؤلاء الصوفية الصافية ، واعتقاد كلامهم ، وتصديق علمهم ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره **إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة** دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجة هذه المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ! بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان ،

(١) ورأيت في « المناقب الأحمدية » ما نصه يجوز للشيخ إجازة المريد المستعد قبل وصوله إلى مرتبة الإجازة المطلقة التى هي بعد فناء النفس والقلب وإن لم يبلغ إلى الكمال ، كما أجاز حضرة الشيخ بهاء الدين النقشبند مولانا يعقوب الچرخي رضي الله عنه ، فراجعه (منه) .

وينبغي أن يعدَّه استدراجاً . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ ج١ .

وقال الجنيد : **التصديق بعلمنا هذا ولاية** ، وإذ فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك . فان لم يصبها وابل فطل .

وقال أبو يزيد : **من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فانه مجاب الدعوة** . انتهى من « منية الفقير المتجرد » .

وفيه : **من**[١] **لم يكن له من هذا العلم - أي علم الباطن - نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة . انتهى .**

وفيه : التصديق[٢] بطريق الولاية ولاية . انتهى فراجعه . الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الجليلة حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

يا ولدي ! أوصيك بملازمة الجمعة والجماعة ، وأن لا تصلي منفرداً إلا عند الضرورة ، وأن لا تتساهل في أداء السنن في الصلوات المفروضات .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : **أن أداء فرض واحد مع الجماعة أفضل من ألوف من أربعينياتهم** . انتهى من « الدرر » عبارته ٢٤٩ ج١ .

وقال أيضاً : واعلم أن مقربات الأعمال : إما فرائض ، وإما نوافل ، فالنوافل لا اعتبار لها في جنب[٣] الفرائض أصلاً ! فإن أداء فرض من

---

(١) هو قول بعض العارفين (منه) .

(٢) هو قول الجنيد رحمه الله (منه) .

(٣) واعلم أيضاً أنّ رتبة الصلاة مثل رتبة الرؤية في الآخرة ، فنهاية القرب في الدنيا إنما هي في الصلاة ، ونهاية القرب في الآخرة في عين الرؤية . وأيضاً إن سائر العبادات وسائل للصلاة والصلاة من المقاصد ، كذا ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، لكنه بالنسبة إلى أرباب النهاية ، فإن الأمر العظيم للمنتهي هو أداء=

الفرائض في وقت من الأوقات أفضل من أداء النوافل ألف سنة ، وإن أديت بنية خالصة أيَّ نفل كان ! من الصلاة والصوم والذكر والفكر وأمثال ذلك :

بل أقول : إن رعاية سنة من السنن وأدب من الآداب حين أداء الفرائض لها ذلك الحكم أيضاً .

نقل أن سيدنا عمر ﵁ صلَّى يوماً صلاة الصبح بجماعة ، ثم نظر إلى القوم وتفقّدهم[1] ، فلم يرَ فيهم شخصاً من أصحابه فقال : ألم يحضر فلان الجماعة ؟ فقيل : إنه يسهر أكثر الليل فيحتمل أن يكون قد غلبه النوم في هذا الوقت . فقال : لو نام تمام الليلة وصلى صلاة الصبح مع الجماعة لكان أولى وأفضل . فرعاية الأولى والاجتناب عن المكروه وإن كان تنزيهيّاً أولى من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب كثيرة ، فكيف إذا كان المكروه تحريميّاً ؟ ! نعم إن جمع هذه الأمور مع هذه الرعاية والاجتناب فقد فاز فوزاً عظيماً ، وبدونه خرط القتاد[2] . فكما أن تصدق دانقٍ مثلاً في حساب الزكاة أفضل من تصدّق مقدار جبال عظام من ذهب بطريق النفل بمراتب ! كذلك رعاية أدب في تصدق ذلك الدانق ! كأن يعطيه إلى فقير مستحق أفضل منه أيضاً بمراتب . انتهى . من « الدرر » عبارته في ٣٧ ج١ .

يا ولدي إن زيادة الإطناب موجبة للملالة والسآمة ، بيد أني لفرط إرادتي حصول المنفعة لك كتبت لأجلك النصائح ، فأرجوك أن لا تملَّها ، فلو كنت عطشاناً لا تسأمها بل تقول : زدني زدني . هل من مزيد ؟ وأحسن ما يملى حديث الأحبة ، وإلا فكثرة الكلام لا ينفع ، فأهمّ الأمور ملازمتك

=الفرائض ، كما بيّنه قبيل هذا ، فراجع « الدرر المكنونات » في ١٢٨ من الجزء الأول (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(١) أي : طلبهم .

(٢) خرط العود : قشره ، وبابه ضرب ونصر ، وخرط الورق حته ، وهو : أن يقبض على أعلاه ثم يمرّ يده عليه إلى أسفله . وفي المثل دونه خرط القتاد « مختار » .

على الأوراد من الاستغفار والصلاة على النبيّ عليه السلام ومواظبتك على الذكر القلبيّ ؛ فإن الذكر القلبي مؤيّد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمارة ، وأن لا تحزن على عدم الإطلاع على أحوالك ، وأن لا تجعله دليلاً على عدم الحاصل فيك ، **فإنّ علم الأحوال لا يعطى لكلّ أحدٍ** ، والمقصود حصولها لا اطِّلاعها . **وغياب الحال أكمل في المعرفة ، وأوفر في الثواب** . فكن عبد الله لا عبد الحال ، ولا تكن كالصبيّ إن أعطاه السكر والجوز يجيب وإلا فلا !

وقد قال الإمام الرباني : إن المقصود من حصول الأحوال التعلق والارتباط بمحوِّل الأحوال ، فإذا حصل هذا التعلق فلا ضرر من عدم حصول الأحوال(١) . انتهى من « الدرر » ٢١٩ ج١ .

وفي « الجواهر والدرر » للشعراني . إن ما يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار نقص ، لا سيما إن كان ذلك بميل منهم ! وذلك لأن الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب ، وإنما محلها الدار الآخرة . انتهى ١٨٢ .

وفيه : غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة .

فالحاصل أن ذرّة واحدة من عبادة من لا يعلم حاله ولا يميل إليه أعلى وأفضل رتبة من كثير من عبادة من ظهر له الأحوال ومال إليها . « لواقح » ٢٠٩ ج١ . ولا يخفى أن من ظهر له حاله أَنِسَ به وتلذّذَ فيكون

---

(١) ولا يتسلى بجوز الحال وموزه إلاّ أطفال الطريقة ، وأما عند رجال الطريقة لا يكون حصول الأحوال محلاًّ للسرور ولا يكون زوالها موجباً للغمّ والانفعال والهموم ، بل يكونون مُنْتَظِرينَ للمقصود المنزه عن الكيف والمثال . فإن جعل وجه القلب متوجهاً إلى سوى الحق تعالى يكون أشدّ تكدّراً من كلّ شيء ، وإن وجّه وجهه نحو الحق سبحانه فيكون أشد صفاء من كل شيء ، فينبغي الاعتناء لتحصيل حريّة القلب من التعلقات بالسوى والله ولي التوفيق (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

الباعث على ملازمة الذكر ومواظبة الورد هو التلذّذ لا التعبد المحض، ولذا عد العارفون التلذذ في العبادة شركاً فافهم.

وقد قال الإمام الرباني قدس سره: والعبادة التي منشأها الرغبة والرهبة فتلك العبادة هي عبادة النفس في الحقيقة، فإن المقصود منها إمّا حصول نجاة النفس أو سرورها. شعر:

مادمت مفتوناً بنفسك يا خلي   دعوى المحبة منك دعوى كاذب

انتهى «درر» ٨٠ ج١.

أيها الولد! استمع لما أتلو عليك بالتفكُّر والتدبّر بسمع القبول وقد طلبت مني كتبة الوصايا، فأرجوك الاتعاظ والقبول، فعدم القبول بعد الطلب ليس بلائق، بل هو مخلٌّ للشجاعة، ومنبئ عن عدم المروءة.

قال الإمام الرباني قدس سره: المرء مع من أحب، فطوبى لمن لم يبق لقلبه حبّاً إلا مع الله تعالى سبحانه، ولم يرد إلا وجهه تعالى وتقدّس، فيكون هو مع الله تعالى جلَّ سلطانه وإن كان في ظاهره مع الخلق واشتغل بهم صورة، وهو شأن الصوفي الكائن البائن؛ أي الكائن مع الله سبحانه وتعالى، والبائن من الخلق حقيقة.

أو المراد الكائن مع الخلق صورة، والبائن منهم حقيقة.

والقلب لا تتعلق محبته بأكثر من واحد فما لم يزل التعلق الحبي بذلك الواحد لم يتعلق بما سواه محبته، وما يرى من كثرة مراداته وتعلق محبته بالأشياء المتكثرة كالمال والولد والرياسة والمدح والرفعة عند الناس فَثَمّة أيضاً لا يكون محبوبه إلا واحداً وهو نفسه، ومحبة هؤلاء فرع محبته لنفسه فإن هؤلاء الأشياء لا يريدها إلا لنفسه، لا لأنفسهم! فإذا زالت محبته لنفسه زالت محبتهم بالتبعية أيضاً. فلهذا قيل: **إن الحجاب**

بين العبد والرب هو نفس العبد ، لا العالم ! فإن العالم في نفسه غير مراد للعبد حتى يكون حجاباً ! وإنما مراد العبد هو نفسه ، فلا جرم يكون الحجاب هو العبد لا غير . فما لم يخل العبد عن مراد نفسه كلية لا يكون الربُّ مراده ، ولا يسع قلبه محبته سبحانه وتعالى ، وهذه الدولة القصوى لا تتحقق إلا بعد الفناء المطلق المنوط بالتجلّي الذاتي ، فإن رفع الظلمات رأساً لا يتصوّر إلا بطلوع الشمس بازغة .

المحبة الذاتية

فإذا حصلت تلك المحبة المعبر عنها بالمحبة الذاتية استوى عند المحب إنعام المحبوب وإيلامه ، فحينئذ حَصَل الإخلاص فلا يعبد ربه إلا له ، لا لأجل نفسه من طلب الإنعام ودفع الإيلام ! لأنهما عنده سواء . وهذه مرتبة المقربين ، **فإن الأبرار إنما يعبدون الله خوفاً وطمعاً** ، وهما راجعان إلى أنفسهم لعدم فوزهم بسعادة المحبة الذاتية ، فلا جرم يكون حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فحسنات الأبرار حسنات من وجه ، وسيئات من وجه ، وحسنات المقربين حسنات محضة .

نعم من المقربين من يعبد الله خوفاً وطمعاً أيضاً ! بعد تحققهم بالبقاء الأكمل وتنزُّلهم بعالم الأسباب ، لكن خوفهم وطمعهم غير راجعين إلى أنفسهم ، بل إنما يعبدون طمعاً في رضائه سبحانه وتعالى ، وخوفاً من سخطه تعالى ، وكذا إنما يطلبون الجنة لأنها محل رضائه تعالى ، لا لحظوظ أنفسهم ! وإنما يستعيذون من النار لأنها محل سخطه تعالى . لا لدفع الإيلام عن أنفسهم ! لأن هؤلاء الأكابر محرَّرون عن رقِّيَّة الأنفس ، وصاروا خالصين لله سبحانه وتعالى . **وهذه الرتبة أعلى من بين رتب المقربين** ، ولصاحب هذه المرتبة نصيب تام من كمالات مقام النبوة بعد تحققه بمرتبة الولاية الخاصة ، ومن لم ينزل إلى عالم الأسباب فهو من الأولياء المستهلكين ، فلا نصيب له من كمالات مقام النبوة ، فلا يكون

أهلاً للتكميل! بخلاف الأول. رزقنا الله سبحانه محبة هؤلاء الأكابر بحرمة سيد البشر عليه وعلى آله وأتباعه من الصلوات أفضلها، ومن التسليمات أكملها، فإن المرء مع من أحب. انتهى «الدرر المكنونات» عبارته ٣٤ ج١.

أيها الولد! إن هذا الميدان مما لا مجال لك ولوالدك أن نسْرح جواد نفوسنا فيه، لكن معرفة مقامات القوم لا تخلو عن فائدة، فإن العاجز عن العروج إلى تلك المراقي لا يخلو عن الاعتراف بالتقصير، أو التشمُّر للارتقاء إلى ذلك المقام العالي.

واعلم يا ولدي أنه لا بد للإنسان من ثلاثة أشياء حتى تتيسر النجاة الأبدية ١ - العلم، ٢ - والعمل، ٣ - والإخلاص. كما قاله الإمام الرباني قدس سره وقال بعد كلام:

وبالجملة إن العلم والعمل مستفادان من الشريعة **وتحصيل الإخلاص الذي هو بمنزلة الروح للعلم والعمل مربوط بسلوك الطريق الصوفية**، وما لم يقطع السالك مسافة السير إلى الله تعالى ولم يتحقق له السير في الله تعالى فهو بعيد عن حقيقة الإخلاص، ومحروم من كمالات المخلصين أهل الاختصاص. نعم قد يتحقق الإخلاص في بعض الأعمال لعامة المؤمنين بالتعمُّل والتكلُّف ولو في الجملة، ولكن الإخلاص الذي نحن بصدد بيانه هو الإخلاص في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات، من غير تعمُّل وتكلُّف فيه. وحصول هذا الإخلاص منوط بانتفاء الآلهة الآفاقية والأنفسية الذي هو مربوط بالفناء والبقاء، والوصول بالولاية الخاصة والإخلاص الذي يحتاج فيه إلى التعمُّل والتكلُّف لا يكون له دوام، ولا بد من سقوط التكلُّف في حصول الدوام الذي هو مرتبة حق اليقين.

وأولياء الله تعالى كلما يفعلونه يفعلونه لله جل وعلا ، لا لحظوظ نفوسهم ! فإن نفوسهم كانت فداء الحق سبحانه ولا حاجة لهم إلى تصحيح النية في حصول الإخلاص ، فإنّ نيتهم قد صحَّت بالفناء في الله ، والبقاء بالله ، **فإن شخصاً مثلاً إذا كان أسيراً في يد نفسه فكلما يفعله يفعله لحظِّ نفسه نوى أو لم ينوِ** . ومتى زال تعلقه بنفسه وتخلص من رقِّيَّتها وحصل بدله التعلق بالحق جلَّ وعلا فلا جرم يفعل كلما يفعله لله تعالى ، نوى أو لم ينو ! فإن النية إنما يحتاج إليها في المحتمل ! وأما المتعين فلا حاجة فيه إلى التعين ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ .

وصاحب الإخلاص دائماً فهو من المخلَصين بفتح اللام ، ومن لا دوام في إخلاصه بل هو في كسب الإخلاص دائماً فهو من المخلِصين بكسر اللام وشتان ما بينهما ، والنفع الذي يحصل في العلم والعمل من طريق الصوفية هو أن يكون العلوم الكلامية الاستدلالية كشفية ، وأن يحصل اليسر التام في أداء الأعمال ، وأن يزول الكسل الناشيء من جانب النفس والشيطان ، وهذي سعادات تكون نصيب من ؟ ! والسلام أولاً وآخراً . انتهى من « الدرر » في ٧١ ج١ .

والمقصود من إظهار أمثال هذه الأحوال والمقامات هو ترغيب الولد الأعزِّ ، وتنفيره عن الاشتغال بحظِّ النفس في جميع الأعمال[١] شعر .

من أجل كونك في البداية أحولاً لا بد من شيخ يقودك أولاً

ياولدي! إني كتبت في هذا الكتاب كثيراً من الوصايا رجاء أن تعمل ولو بواحد منها ، وفقك الله سبحانه للعمل بجميعها آمين . وبنيته على أساس الترغيب والترهيب ، لما أنك في الحال مثل الدابة الجموحة فإنها تحتاج مرة لإعطاء الملح والشعير ، ومرة أخرى لضرب السوط والقضيب ، لأنها لا تنقاد إلا بهما . وبيّنت لك آنفاً منتهى مقامات الإخلاص لتصرف

(١) وفي نسخة : في جميع الأحوال .

همَّتك عن الرغبة والرهبة ، وتطلب الترقي إلى إخلاص أهل القربة والوصلة .

يا ولدي ! مكّن نفسك في وسط دائرة الاستقامة ، **ولا كرامة أعلى وأفضل من الاستقامة !** وإياك والابتداع ! وبالابتداع يهبط المرء عن درجة أهل الكمال . رزقنا الله تعالى والمسلمين الهداية والتوفيق آمين .

وإني وإن حرضتك على طلب العلم مراراً لكن ينبغي لك أن تعلم أن فضل العلم لا يكون إلا إذا طلبه الإنسان على وجه الإخلاص ، فإن طلب العلم على وجه الإخلاص أفضل من صلاة النافلة عند إمامنا[1] الشافعي ، وإنما أجور الأعمال بالنيات ! فكلّ ما صلحت فيه النية من الطاعات فهو أولى بالاشتغال به ، سواء كان علماً أو عملاً .

وفي « لواقح الأنوار » قال داود الطائي رحمه الله تعالى : طالب العلم كالمحارب ! فإذا أفنى عمره في تعليم كيفية القتال فمتى يقاتل ؟ فمن عقل العاقل أنه كلما رأى نفسه عملت بكلّ ما علم واحتاجت للعلم أن يقدِّمه على سائر الطاعات التي لم يأمره الشارع بتقديمها عليه ، وكلّما رأى نفسه مستغنية عن العلم وعلمها زائد على حاجتها أن يقدِّم غيره عليه ، كما كان عليه السلف الصالح . فلا بدَّ لكلّ إنسان من العلم والعمل ، والاشتغال بواحد منهما دون الآخر نقص .

واعلم أن جميع ما ورد في فضل العلم وتعليمه إنما هو في حق المخلصين في ذلك ، فلا تغالط في ذلك ، فإن الناقد[2] بصير . انتهى عبارته ٦٧ ج١ .

يا ولدي ! أوصيك بمطالعة كتب الحديث ، وكتابته وإسماعه

---

(١) كذا في « العهود المحمدية » في ٢٠١ ج١ .

(٢) ونقد : الدراهم ، وانتقدها : أخرج منها الزيف « مختار » .

للناس ؛ ففي ذلك فوائد عظيمة .

ومن أعظمها الفوز بدعائه ﷺ لمن بلّغ كلامه إلى أمته في قوله : « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها » ودعاؤه ﷺ مقبول بلا شك ، إلا ما استثني ! كعدم إجابته ﷺ في أن الله تعالى لا يجعل بأس أمته فيما بينهم كما ورد .

قال الشعراني : ومعنى نضَّر الله الدعاء بالنضارة ، وهي النعمة والبهجة والحسن ، تقديره جَمَّلَهُ الله وزيَّنَهُ بالأخلاق الحسنة والأعمال المرضية .

وقيل غير ذلك « الأنوار القدسية » عبارته ٣٢ ج١ .

وفيه : **وناسخ العلم النافع له أجره وأجر مَنْ قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به** ، لحديث مسلم مرفوعاً : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به » الحديث . انتهى ٣٣ ج١ .

يا ولدي! هذا في نسخ العلم النافع وأما نسخ غيره فتضييع للوقت .

قال في « الرشحات » في بيان أقوال سعد الدين الكاشغري قدس سره : كان واحدٌ من أصحابه يكتب رسائل في فصل الربيع ، وكان يخطر بباله أن يتنزه ويتفرج دائماً بعد إتمامها ، فجاء في ذلك الأثناء صحبته فأنشده هذين البيتين ، شعر :

بادوست باكلذار شدم رهكذري　　بركل نظري فكندم ازبيخبري دلدار
باطعنه كفت شرمت بادرا　　رخسار من اينجا وتودر كل نكري

ترجمة :

دخلت بمن أهوى ببستان عابراً　　فكنت من الغفلات للورد ناظراً

فقالت :

لـك الـويـلات يـا مـدعي الهـــوى   أترمـق ورداً تـاركـاً خـــدي زاهراً

ثم قال : إذا ذهبت للتفرُّج فإن كنت محتظياً به فأنت غافل عن الحق سبحانه ، وإن لم تكن محتظياً به فما الفائدة فيه وتكتب الرسائل ؟ فإن أردت العمل بما فيها فتكفيك كلمة وهي : **كن مشغولاً بالله** . وإن لم ترد العمل بما فيها فما الفائدة في تحريرها ثم قال : يك ني هزارآساني ، يعني أن في كلمة (لا) وحدها ألف سهولة وهذا الكلام جارٍ في جميع المقام ، ففي كل شيء غير الحق سبحانه قلت (لا) فقد تخلصت . انتهى عبارته .

أيها الولد ! ينبغي لك أن تصرف وقتك بعد ما سئمت من مطالعة العلم النافع إلى نفي الخواطر ، والاشتغال بالأسباب الجالبة للحضور والجمعية .

وقد قال بعض الأكابر : لَحُضورُ قلبي في استغراق نور ربي خير من علوم الأولين والآخرين . انتهى .

بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، كما هو نصّ ما في « الإحياء » في ١١٤ من الجزء الرابع .

وقال صاحب « الإتحاف » في تفسير ما ذكر ما نصه : ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » .

وقال صاحب « القوت » : إذا جاوز الخوف الحدَّ خرج إلى أن يسري إلى النفس فيحرقها ، فيكون له شهادة . وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات ! إلا أنه قد قال بعضهم : ما شهداء بدر بأعظم أجراً ممن مات وجداً . وهذه

صفات ضعاف المريدين ! إذ للعلماء المؤمنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد ، وبكلّ معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر ، ومن كل قصد محجة بتعظيم حجة ، وبكلّ عمارة قلبٍ بحال محبة عمرة . انتهى من عبارته فراجعه في ٢٠٢ من ج٩ .

وفي « الرشحات » : ولا ينبغي للسالك أن يكون أدون من تلامذة النساج ! فإن أحدهم يبقى مدة في تعلُّم وصل الخيوط وترتيبها ، وأين له الاشتغال بأمور أخرى ؟ فكذلك ينبغي للطالب أن يسعى بالجدِّ والجهد حتى يكونَ أستاذاً في نفي الخواطر ، وماهراً في كيفية نفيه ، ولا ينبغي له في الابتداء الاشتغال بشغل آخر غير نفي الخواطر ، والذين يطالعون الرسائل ويجمعون منها الكلام فلا نفع لهم منها ، بل أمثال ذلك كلها تعطيل وتضييع للأوقات ، فإن طريق الحق سبحانه وأمره سلوك وعمل ، لا سماع وجدل وتطويل الأمل !

فمن كان في بغداد عند السلطان مثلاً وهو قادر أن يجالسه دائماً ومع ذلك يكون مشغولاً بمطالعة مكتوب كتبه واحد من كتَّابه ورعاياه وأرسله إلى الشام ومحتظياً به فهو في غاية الجهل والغواية ، ونهاية الغفلة والعماية ، فكيف يبعد إنسان عن حضور السلطان باختياره ، ويسافر من بغداد إلى الشام لمطالعة مكتوب كُتَّابه ؟ ! انتهى عبارته .

وهذا الكلام يشير إلى ما ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فتدبره .

وأهمُ ما أنصح به الولد أن يكون شغله بالله تعالى على الدوام ، وأن يصرف جميع همَّته وقصده إلى ذكر الله تعالى بلا غفلة عنه لمحة ، حتى يحصل له الحضور التام ، ويزول التعلق حبّاً وعلماً بما سواه تعالى من الأنام ، وأن يواظب على الأوراد ، وأن لا يتركها إلا عند الضرورة ،

لأن مدد الشيخ وفيضه في ورده الذي رتَّبه له ، فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد والفيض ، وهيهات أن يصح في الطريقِ ! كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٨٠ ج١ نقلاً من « تحفة الإخوان » .

واعلم أن قلب الشيخ مثاله كالحوض ، وأوراده كالميازيب الموضوعة لجري الماء ، وقلب المريد كالإناء الذي وضع تحت طرف الميزاب ، فلو خرج الميزاب الذي هو الورد مثلاً ينقطع جريان الماء الذي هو المدد والفيض بالكلية ، أو وقع في وسط الميزاب شيء ما من التراب أو الحصاة أو غيرهما يقل جريان الماء إلى ذلك الإناء بحسب ما وقع فيه قلة وكثرة ، ولطافة وكثافة ، فلأجل ذلك ينبغي لك أن تلازم الأوراد ، وأن لا تتركها لئلا ينقطع عنك رشحات الفيوض والأمداد بالكلية ، وأن تحترز عما يقلُّها أو يكدِّرها أو يقطعها بسدِّ مجاريها ، وذلك يكون بالوقوع في المخالفات فعلاً أو قولاً أو سمعاً أو نظراً ، فلا ريب أن نفع الذكر يكون منوطاً بفعل المأمورات واجتناب المنهيات . ثبتنا الله تعالى على جادّة الاستقامة آمين .

وأيضاً قد يكون السبب لانقطاع الفيض أحياناً من طرف الشيخ نفسه ، لما أنه قد يقع في هفوة أو زلة ، أو مخالفة للأمر أو قبضة ، وذلك لظهور بشريته ، وغلبة جسمانيته على روحانيته ، فإن الجبلّة التي جبل عليها الإنسان لا تستأصل بالكلية ! بل تصير في حالة الاعتدال بكثرة الرياضات والمجاهدات ، والملازمة على الأذكار والصلوات ، فربما تظهر تلك الجبلّة في غير الأنبياء عليهم السلام في أوقات نادرة ، فيقع الخلل حينئذ من جهة الشيخ ، ويحرم المريد من الفيض وإن كان مستعدّاً لقبوله وأخذه . ألا ترى أن الحوض ربما يقع فيه الخلل ، ويحصل في أطرافه آثار من الثقب ، فيخلو عن الماء الذي كان يجري منه الماء إلى الموازيب ومنها إلى الإناء !

يا ولدي ! إن هذا الأمر مما كان والدك في خوف وَوَجل دائماً ، لكون أحواله في أكثر الأوقات في نقص وتنزُّل ، فكيف لا ؟ وقد كان الشيخ العسوي قدس سره لا يتوجه إلى المريد أحياناً حين طرأ عليه القبض بحصول الكدورة بسبب كثرة التوجهات قائلاً : لا نفع حين مات الباطن ، انتهى . وقد قلت له مرة : يا أستاذي ! إني أكون في أوقات في قبضة وفتور ، وأخاف حينئذ أن تنعكس للمريد مني تلك القبضة ، فماذا أفعل في ذلك الوقت ؟ فقال قدس سره : افعل الرابطة بالشيخ محمود أفندي ، واعتقد كأنه واقف بينك وبين المريد ، فحينئذ لا يحصل لك الضرر منه ، ومنك له . انتهى . فالحمد لله الذي جعل لكل داء دواءً وشفاءً ولكل ضيق وإشكال فرَجاً ومخرجاً .

يا ولدي ! قد علم مما مرّ أن الوارد لا يكون لمن لا ورد له ، **ومن ليس له ورد فهو قرد** ليس له نصيب من المدد .

وقد رأيت في « النور الساطع » ما حاصله : أن ترك الأوراد اختياراً كسلاً فسوق ، ومن لازم أوراد شيخه فاز بمقاصد الدارين . فراجعه . والقلب المحشوّ بنقوش السّوى لا ينجلي ولا يصفو إلا بملازمة الورد ، ومداومة على الذكر الكثير .

قال الخواجه محمد پارسا قدس سره : إن الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب ، لا غير ! ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة ، والتفرجات المتشتة ، ورؤية الألوان والأشكال المتنوعة ، ويستقر في القلب فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة . وأيضاً قد تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب ، والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتّى وسماعها وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة ، واستماع الغناء والنغمات المطربة[1] ، وهذه المذكورات

---

(١) وطرب في صوته بالتضعيف : رجعه ومده « مص » .

كلها موجبات للبعد والغفلة عن الحق سبحانه ، فنفيها واجب على الطالب . فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد في الخيالات الفارغة ليتوجَّه إلى الله تعالى بقلب صافٍ . وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يحصل ذلك المعنى من غير محنة ومشقة ، وترك لذات جسمانية وشهوات حسية ، والراحة المطلوبة إنما هي في دار الآخرة .

فإن التزمت مشقة يسيرة في أيام معدودة في الدنيا تسترح في الآخرة أبد الآباد ، فانه لا قدر لهذا العالم بالنسبة إلى عالم الآخرة ، وكأنه بذر خشخاش مرميّ في صحراء لا نهاية لها . انتهى من « رشحات » عبارته .

يا ولدي! اعلم أن قلوب المشائخ تكون مملوءة بالعلوم والمعارف ويجعلون ألسنتهم كشجرة موسى عليه السلام ، فينطقهم الله تعالى بما يليق بحال الجليس على قدر همَّته واستعداده ، فإن كان المريد ممن أراد الله تعالى به خيراً ينطقهم الله تعالى بما له فيه المصلحة ، وإلا ! تخرس ألسنتهم ، ولا ينطقون إلا بما فيه طرده ولعنه ! فالعياذ بالله . ومن ها هنا قيل : **الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي** . وقد ينسد باب المعارف بمصاحبة أهل الاعتراض والإنكار ، والاحتراز عن الاعتراض واجب . فإن الاعتراض بالقلب أو باللسان سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ وبين المريد ، فإن رأى المريد من شيخه ما لا يوافق الشرع ظاهراً أو باطناً فليعلم أن هنالك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها المريد ، والشيخ يجري على منوالها ، فكزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، فينبغي أن يعلم أن الشيخ لا يخرج عن حضرة ربه ، ولا يزحزحه[1] عن محل قربه ، ولا يحطُّه عن كمال أدبه ، وإن ظهر منه شيء من نقصان حاله بظهور بشريته ! ومن طلب مرتبة لا يكون فيها نقص لا مطمع له في دخول الحضرة ، لأنّ المراتب لا بد لها من نقص ، فلا يظهر

(١) زحزحه : باعده « مص » .

كمال أصلاً ليس فيه نقص إلا في مرتبة الرسالة والنبوة والقطبانية ، كما هو مذكور في الكتب .

مهم

ومثال الشيخ كقائد الأعمى ، ومثال المريد كالأعمى ، فقد تزلُّ قدم القائد فيقع على الطريق ، مكبّاً ويبقى الأعمى قائماً في الطريق ، وقد يضرب قدم الأعمى على حجر مرتفع في الطريق فيسقط مكبّاً على وجهه والحال أن يده حينئذ في يد القائد . ومن طلب من القائد أن لا تزلَّ قدمه أصلاً فقد أخطأ ، ومن ظنَّ أن الأعمى لأجل كون يده في يد القائد لا تزلُّ قدمه أبداً فقد أخطأ أيضاً ، وما يفعله أرباب الاستقامة من الجانبين ، هذا ؛ أن القائد إذا زلت قدم الأعمى يقيمه ويعينه ويقوده خلفه في الطريق إلى أن يتمَّ أمره ، ويوصله إلى مآربه ، وإن الأعمى إذا زلت قدم قائده وسقط علي الأرض مكبّاً علي وجهه لا يفارقه بل يأخذ بيده ويتبع خلفه إذا قام إلى أن يصل إلى مقاصده هذا هو الصواب . فافهم هذه الإشارة وكن من الشاكرين .

واعلم أنه ليس من شرط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم[1] من المخالفات . كما صرحه يوسف النبهاني في « شواهد الحق » فراجعه في ١٣٥ . وقد بسط صاحب « الإبريز » الكلام في حق هذا المطلب فجزاهما الله تعالى عنا خيراً .

يا ولدي ! قد أمرني شيخنا المرحوم قطب هذا الإقليم خالد سيف الله قدس سره بأن أُشْغِلك على طلب العلم النافع ، وقال يحصل لك الفتح بعد ذلك في سائر العلوم إن شاء الله تعالى . فبناء على أمره أشغلتك

(١) وراجع « اليواقيت » في ١٨٣ ففيه بسط مهم في ردّ قول : من قال لو كان الواعظ صادقاً لأثر وعظه . . إلخ (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

بهذا العلم ، وإياك ثم إياك أن تصرف همّتك عن هذا العلم إلى غيره من علوم الدنيا ! لكن لا بدَّ لطالب العلم من علم اللغة ، فقد ذكر في « عقد اليواقيت » ما نصه : والحذر الحذر من ترك الاشتغال بعلم اللغة ! مثل النحو والصرف فإنها أساس العلوم ، والموصلة لك إلى فهم سائر العلوم . انتهى فراجعه في ٢٤ من الجزء الثاني .

واعلم أن مجرد النظر إلى كتب أهل السلوك[١] **جند من جنود الله تعالى** ، وأن التضلُّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، والاشتغال به أولى وأنسب من الاشتغال بغيره ، والأدب مع المعلم والأستاذ[٢] من آكد الأمور ، وبتركه يحرم الطالب من البركات . فقد كان الإمام زفر أسبق علماً وفهماً من سائر أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه لكن صار مذهبه ضعيفاً لمجرد تركه أدبه مرة واحدة بعدم قيامه له حين جاء لديه ، بعذر أنه كان حينئذ يتوضَّأ . فتدبَّر فيما حصل له من الضرر بهذا الشيء اليسير . رزقنا الله تعالى التوفيق .

وفي « المناقب الأحمدية » ما نصُّهُ قال المؤلف – عفي عنه – : كتب الإمام الرباني قدس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » : **إن شرافة العلم ومرتبته بقدر شرافة المعلوم**[٣] فكلما كان المعلوم شريفاً كان العلم به

---

(١) وفي نسخة : التصوف .

(٢) قال في« نزهة المجالس » قال رسول الله ﷺ « من أراد الجلوس مع اللّٰه فليجلس مع أهل الله تعالى » ، فتجب مراعاة الأدب معهم وإن لم يُراع الأدب معهم فقد ضلّ عن سواء السبيل . قال الشيخ جنيد قدس سره من جالس مع هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الإيمان . كذا في سلسلة خواجكان ، فراجعه قبيل الباب السادس (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) وقال الشيخ العلامة السيد محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينته » : فاعلم أن الذكر والعلم فضلهما يتبع المذكور والمعلوم ، وكلما كان المذكور أعظم والمعلوم أشرف كان الذكر أعظم والعلم أشرف ، ولا مذكور أعظم من ربّ العزَّة ، ولا معلوم أشرف منه . انتهى عبارته راجعه في ١٢٧ .

أعلى ، فالعلم الباطني الذي امتازت به الصوفية أشرف من العلم الظاهري الذي هو نصيب علماء الظاهر ، على قياس شرافة علم الظاهر على علم الحجامة والحياكة . فلتكن رعاية آداب الشيخ المستفاد منه علم الباطن زائدة أضعافاً عن رعاية آداب الأستاذ المأخوذ منه علم الظاهر ، وهكذا رعاية أستاذ علم الظاهر زائدة على رعاية أستاذ الحجامة والحياكة ، وهكذا التفاوت جارٍ في أصناف العلوم الظاهرة ، فأستاذ علم الكلام والفقه أولى وأقدم من أستاذ علم النحو والصرف ، وأستاذ علم النحو والصرف أفضل من أستاذ علم الفلاسفة ، مع أنّ علوم الفلاسفة ليست داخلة في العلوم المعتبرة ، إذ أكثر مسائلها غير مفيدة ولا طائل تحتها ، وأقل مسائلها المأخوذة من الكتب الإسلامية المتصرفة فيها ليست خالية عن الجهل المركّب ، لأنّ العقل لا مجال له هناك ، فإن طور[1] النبوة فوق طور العقل والنظر .

مهم في أدب الشيخ

فليعلم أن حقوق الشيخ فوق حقوق سائر أرباب الحقوق ، بل لا نسبة لحقوق الغير بحقوق الشيخ بعد إنعامات حضرة الحق سبحانه وتعالى وإحسانات رسوله عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات ، بل الشيخ الحقيقي للكل رسول الله ﷺ ! **فالمادة الصورية وإن كانت من الوالدين لكن الولادة المعنوية مخصوصة بالشيخ ، والولادة الصورية لها حياة أيام معدودات ، وأما الولادة المعنوية فلها الحياة الأبدية** ، فإن الكَنَّاس للنجاسات المعنوية للمريد هو الشيخ ، فبقلبه وروحه يكنس ويطهر كرشه ، ويحسُّ ويدرك في بعض التوجهات الواقعة إلى بعض المسترشدين في تطهير النجاسات الباطنية منهم أنه يحصل التلوث لصاحب التوجه

---

(١) الطور : الحال والهيئة ، والجمع طوار « مصباح » .

أيضاً ويتكدَّر إلى مدة . فالشيخ يوصل الطالب بتوسُّله إلى ربه عزَّ وجل الذي هو فوق جميع السعادات الدنيوية والأخروية ، والشيخ بتوسُّله تتزكى النفس الأمارة الخبيثة ذاتاً ، وتطهر وتخرج من الأماريّة إلى الاطمئنان ، ومن الكفر الجبليّ إلى الإسلام الحقيقي « كربكويم شرح اين بيحر شوه » .

فليعلم أن سعادته في قبول شيخه ، وشقاوته في ردِّه . نعوذ بالله سبحانه من ذلك . ورضاء الحق سبحانه خلف سترة رضاء شيخه ، حتى أن المريد لا يصل إلى مرضيات الحق سبحانه ما لم يجعل نفسه محواً في مراضي شيخه . **وآفة المريد في سخط شيخه ، وكل زلَّة يمكن تداركها! إلا سخط الشيخ فإنه لا يمكن تداركه وسخط الشيخ أصل شقاوة المريد** عياذاً بالله سبحانه من ذلك والخلل في المعتقدات الإسلامية ، والفتور في إتيان الأحكام الشرعية من نتائجه وثمراته ، فكيف الأحوال والمواجيد الباطنة ؟ وإن بقي أثر الأحوال مع وجود سخط الشيخ فليعدّ ذلك من الاستدراجات يؤول آخره إلى الخراب ، ولا ينتج شيئاً سوى الضرر . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى .

وقال سيدي الوالد ﵁ : كان المشائخ الكبار قدس الله أسرارهم إذا رأوا من الطالب سوء الأدب ومزلَّة القدم ينبِّهونه و يعزرونه ، ولا يلتفتون إليه حتى يتوب توبة نصوحاً ويتضرع تضرعاً كثيراً ، وإن هذا العبد من غلبة الحياء لا يقول بحسب الظاهر شيئاً ، ولكن يعرض الباطن عنه حتى يتنبَّه من تغيُّر باطنه وأحواله ، ويهتدي إلى صراط مستقيم . وإن عاد وأصرَّ عليه أعرض عنه ظاهراً وباطناً ، وما أتوجه إليه ما لم يتب ، وإن تمرّد واستكبر أسلب نسبته وأطرده . معاذ الله تعالى عنه .

وقال ﵁ : **ينبغي في تربية الباطن صفتي الجلال والجمال** ، فالجمال الصرف نقصان كالجلال الصرف . فالشيخ الذي يكون متصفاً بهما على وجه الاعتدال ينفع منه المريدون نفعاً عظيماً ، ويسلكون سلوكاً سريعاً .

وقال ﷺ : **الإشراف على قلوب المريدين من لوازم مقام المشيخة .**

كان حضرة المظهر الشهيد وحضرة شيخنا رضي الله تعالى عنهما ينبِّهون المريدين على خطراتهم ، ولا يرضون أن يخطر في مجلسهم الشريف خطرة غير الحق سبحانه أصلاً . وهذا الفقير يسامح عن ذلك أيضاً ، ويمنع بالهمة التامة والتوجه القوي ورود الخطرة على قلب المريد ، وينبّه أحياناً عند تراكم الخطرات على الطالبين بضرب السبحة أو المروحة على الأرض وأمثال ذلك . انتهى عبارته .

يا ولدي ! قد مرَّ مراراً ما في اقتداء الشيخ من المنافع ، وفي مخالفة أمره من المضارِّ والمكاره .

فاعلم أن الشيخ الكامل لا يأمر قط بشيء إلا لعلمه بأن ذلك الشيء أصلح وأنفع ، ولا ينهى عن شيء إلا لعلمه بأنّ فيه الخطر والضرر ، فتدبَّر فيما حكي أن بعض تلامذة الشيخ النصر استأذن منه ليتزوج فأصرَّ[1] زيادة ، فمنع الشيخ ، ثم تزوج بلا إذن ، فحصل أربع بنات جلسن كلهنَّ في الدكان للعمل السوء ، فحمل ذلك على فراسة الشيخ وكرامته . انتهى . كذا في « الخادمي على النصائح الولدية » للغزالي في ١٠٣ .

يا ولدي! اترك الإنكار ظاهراً وباطناً ، فإن الإنكار يسدُّ باب الفيض ، فلو تكلَّف في الاستفاضة مع وجود الإنكار لا يستضيء المريد من أنوار الشيخ أصلاً . ومن قال لأستاذه : لِمَ لا ؟ لا يفلح أبداً . وما وصل من وصل إلا بالأدب ، وما سقط من سقط إلا بترك الأدب . وقد كان الشيخ نظام الدين يقرأ « المشارق » على شيخه ، لكن لغاية سقامة نسخته كان يتكلّف الشيخ ويتعب نفسه ، فقال نظام الدين يوماً لشيخه : نسختك غلط جداً ! إن تأمرني أطلب من فلان ونسخته صحيحة . فكان ذلك صعباً

(١) أي : دام على الإستئذان وزاد ، فافهم .

على الشيخ فغضب عليه ، قال نظام الدين : زال بهذا حالي ، وسقطت عن مقامي ، حتى خفت من الإيمان الشرعي ، فاستشفعت من زوجته ، فرجعت إلى حالي ومقامي بعده . كذا في الخادمي في ١٠٢ .

في ضرر ترك أدب الشيخ

وفي « الحدائق الوردية » ما ملخصه : زار الشيخ أبو تراب النخشي إلى أبي يزيد قدس سره فقدم له الخادم طعاماً . فقال له أبو تراب : اجلس وكل معي . فقال : إني صائم . فقال : كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى . فقال : كُل ولك صيام سنتين . فأبى . فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله . فانقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله ، حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه . انتهى راجعه في ١٣٦ .

وقال بعض الأكابر ﵁ الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي بهم . انتهى من « تقريب الأصول » في ٦٤ .

ورأيت في « الرشحات » ما ملخصه هذا : كان للخواجه بهاء الدين قدس سره مريد يقال له مولانا سيف الدين ، ولكن صدر منه في الآخر ترك أدب موجب لكراهة خاطر حضرة الخواجه وكدورة قلبه الشريف ، فصار بواسطته محروماً من شرف صحبته ، وصار مهجوراً ومقهوراً .

وصورة الواقعة أن حضرة الخواجه كان يوماً يمشي في بعض أزقَّة بخارى ، وكان مولانا سيف الدين في الإخانة في ملازمته ، فلقيه الشيخ محمد الحلاَّج وكان شيخاً معتبراً في زمان حضرة الخواجه بهاء الدين ، وله مريدون لا يحصون ، وكان من منكري حضرة الخواجه فلما دنا منه توجه حضرة الخواجه إلى جانبه بموجب كرمه الذاتي ومروَّته وشايَعَهُ خطوات ، فلم يناسب هذا القدر من التشييع لمولانا سيف الدين ، ولم يكتف به بل شايعه خطوات أخرى من قبل نفسه ، فحصلت لحضرة

الخواجه غيرة عظيمة من فعله ذلك ، وتأثَّر غاية التأثُّر ، وتغيَّر نهاية التغيُّر ، ولما رجع مولانا سيف الدين إليه قال له حضرة الخواجه عتاباً : شايعت الحلاج وجعلت نفسك بسبب ترك الأدب هباء ، وأخربت بخارا بل جميع العالم . فمات مولانا سيف الدين بعد أيام قلائل من تغيير حضرة الخواجه وقهره وغضبه ، وجاءت قبيلة توقمق من طائفة أوزبك ، وحاصرت البخارا وقتلت أناساً كثيرة ، وأفسدت كثيراً من تلك الناحية بالنهب والتخريب . انتهى عبارته .

وفي « الرشحات » أيضاً ما ملخصه هذا : كان من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره رجل يقال له أيضاً بمولانا شمس الدين الخوارزمي ، وكان في مبادي أحواله من محبي حضرة الخواجه ومخلصيه ، ولكن صدرت منه أخيراً صورة منافية للأدب مستلزمة لعدم الالتفات ، فكان مهجوراً ومحروماً من شرف صحبة حضرة الخواجه ، وصار بعيداً من توجُّه قلبه .

ونقل بعض الأكابر عن حضرة شيخنا سبب حرمانه ومردوديته أنه كان يشتغل أحياناً بالتجارة ، ولم يكن خالياً عن البخل والإمساك ، فدعى يوماً حضرة الخواجه مع جماعة من أصحابه إلى منزله للضيافة ، وكان دأب حضرة الخواجه وأصحابه إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه بعد الطعام ، فإن لم يحضر بعد الطعام شيء من ذلك كانوا يقولون لهذا الطعام ناقصاً ، وإنه طعام بلا ذنب ، فلم يتَّفق في هذا اليوم لمولانا سيف الدين إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه يعني مع علمه عادة حضرة الخواجه وأصحابه فقال له حضرة الخواجه على وجه الملاطفة والمطايبة : يا مولانا سيف الدين ! إن طعامك هذا ليس له ذنب . فوقعت في قلبه كراهة من هذا الكلام ، فأشرف حضرة الخواجه على خاطره فقال له : كيف أنت إن حصل لك اثنا عشر ألف دينار من النقود ؟ وكان في خاطره دائماً أنه

نِعْمَ المعيشة إن حصل لي اثنا عشر ألف دينار فأعرض حضرة الخواجه بعد ذلك بخاطره الشريف ، فلم يبق له ميل وإقبال الى صحبته الشريفة ، ولم ينجذب إلى مجلسه ، فآل الأمر إلى أن تكون أحوال باطنه الحرص التام على جمع الحطام ، والإقبال على الدنيا الدنية متاع اللئام ، حتى لم يبق له استراحة لأجل طلب الدنيا ولا منام ، وترك صحبة الخواجه وملازمته ، وتوجه بالكلية إلى التجارة . انتهى فراجعه ففيه الزيادة .

وفيه أيضاً **ما ملخصه** هذا : كان أيضاً من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين رجل يقال له شمس الدين ، كان شابّاً طالب علم ، وكان في خدمة حضرة الخواجه وملازمته ، ولكن وقع منه مرة قصور في الخدمة وإهمال بسبب الكسالة فسقط بشآمته عن نظر حضرة الخواجه فلم يفلح بعد ذلك ولم يصلح أبداً .

وصورة الحال : أنه قدم يوماً لحضرة الخواجه ضيوف يجب إكرامهم ، ونزلوا منزله فاحتيج إلى الماء ، فأمر حضرة الخواجه مولانا شمس الدين أن يسدَّ طريق النهر من طرف آخر ، وأن يفتح من هذا الطرف ليجري الماء إلى منزله ، وأمره بالاستعجال ، فأهمل مولانا شمس الدين في ذلك وتأخَّر ، ثم جاء بعد مدة عنده وقال : لم أقدر أن أسدَّه بسبب الضعف الذي فيّ . فحصلت كراهة عظيمة لحضرة الخواجه من إهماله وتقصيره ، وقال : لو قطعت أوداجك وأجريت دمك من هذا النهر لكان خيراً لك من هذا الكلام . فعرض له بعد ذلك مرض دماغي ، فترك خدمة الخواجه وذهب إلى « فركت » عند خاله مولانا سيف الدين وعرض عليه حاله ، فقال له مولانا سيف الدين : اذهب عند حضرة الخواجه علاء الدين العطار والتمس منه الشفاعة لك عند حضرة الخواجه فلعله يرحمك ، ويسأل العفو لك من حضرة الخواجه فعساه يقبل معذرتك ببركة شفاعته ، فلم يعمل هو بما أمره به خاله ، بل جاء عند الخواجه

محمد پارسا ، وعرض عليه حاله . فقال : إن هذا الأمر لا يفتح من عندنا فعليك أن تذهب عند الخواجه علاء الدين العطار . فلم يعمل هو أيضاً بكلام الخواجه محمد پارسا ، بل رجع ثانياً إلى بخارا وجاء عند الخواجه محمد پارسا ، فأحاله أيضاً إلى الخواجه بهاء الدين ، فلم يعمل بإشارته ، بل رجع إلى « فركت » ولم يذهب بعد إلى خاله ، فكان بعد ذلك مبهوتاً ومدهوشاً ، وعرض له النسيان ، وصار بحيث لم يبق في خاطره شيء من معلوماته ، وبلغ إلى حدٍّ كان لا يعرف أسامي أولاده وكان لمولانا شمس الدين هذا مودة تامة مع الخواجه عماد الملك من أقرباء حضرة شيخنا وسيجيء ذكره[1] وصار لا يعرف اسمه ، بل كان يقول له : آتا .

قال حضرة شيخنا بعد نقل هذه الحكايات : **إن حفظ خواطر الأولياء وامتثال أوامرهم والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين ، وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهم المهمات وألزم اللوازم .**

قال مولانا عبد العزيز البخاري عليه الرحمة وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره : **ينبغي لطالب صحبة حضرة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب :**

الأول : أنه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي له أن لا يرفع رأس الأنانية ، وأن لا يرى عمله ، بل ينبغي له أن يتصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرة ، وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل ، وترك الأمل .

الثاني : أنه إذا صدر منه عمل موجب للرد عنهم ينبغي أن لا يكون مأيوساً ، وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرُّفه حفظاً بليغاً لئلا يتردد ، ولا

(١) أي : في « الرشحات » ، فافهم .

يذهب إلى طرف آخر .

والثالث : أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه ، وأن يقوم به بكمال النشاط والفرح ، ليبلغ مقصوده ، وإلا ! فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى عبارته ٦٧ من ترجمة بهاء الدين قدس سره .

أقول ولله الحمد : سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول ما حاصله : إني أتعجب كيف كان المتقدمون يطردون المريدين هكذا ! ولعلهم كان المريدون في وقتهم وزمنهم يلازمون الآداب جدّاً ، فلذا كانوا يرون الأقل من سوء الأدب كثيراً . وكان يقول لي : إني أحمل من المريدين أخلاقهم وسوء أدبهم ولا أطردهم ، فاحمل يا أخي كما أحمل ولا تطردهم كما لا أطرد . انتهى .

وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس سره يقول : **كان في الزمان الماضي يمتثل المريدون أوامر شيوخهم ويتبعونهم ، وأما في هذا الزمان ! ينبغي للأشياخ أن يتبعوا مريديهم ، وأن يستعملوا المداراة معهم** يعني ليجروهم إلى الإصلاح تدريجاً . انتهى .

وحين ذكرت ما قاله لدى الشيخ المحترم سيف الله . قال : صدق يا ولدي صدق يا ولدي في قوله هذا . وكان رحمه الله تعالى يأمرني بالمداراة والملاطفة مع المريدين ، لكنه كان ينهى عن كثرة المباسطة معهم ، **لأن كثرة الانبساط توقع حرمة الشيخ من قلوبهم** ، فيحرمون من بركته ومدده ، **ولا بدَّ للمريد من احترام شيخه** ، وإن بلغ ما بلغ من المراتب وانتهى سيره ، ووصل إلى الحضرة الإلهية ، وانفصم عنه شيخه ، وحصل له الفطام عن رضاع ثدي فيوضاته ، لأن فلاح المريد وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه شيخه ، وعدم مقاطعته واستهانته ، مع أنه قد زال تقيُّده بالشيخ ، وصار مستقلاًّ بنفسه ، وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه

إذا تأهَّل لذلك تأهُّلاً كاملاً لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال والعياذ بالله تعالى . هذا ملخص ما في « رماح حزب الرحيم » فراجعه في صحيفة ١٤٤ من الجزء الثاني ففيه البسط .

ومما أوصي به الولد الأعز : أن يشتغل بخدمة أصحابه ورفقائه ، وأن يشفق على الخواص والعوام ، وأن لا يفرق بينهم ، فإن الله تعالى قد أخفى خاصية ولايته في خلقه . فعسى أن يلقاه من فيه تلك الخاصية ، فينبغي له أن يرى كل أحدٍ أنه ولي الله ، وأن يخدمه ويحترمه .

قال واحد من كبار المشائخ : ينبغي أن يبذل الهمَّة وأن يصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت ، فوقت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم ، فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدَّمة على الذكر والمراقبة . وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة ! وليس كذلك ! فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب ، وما قيل : جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها . مُبيِّن لهذا . ولا مساواة بين النوافل وبين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً ! قال : إن سبب عدم قبول حضرة خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سرهم خدمة الناس بسهولة لكون الخدمة والتواضع من جملة الإحسان ، وحبُّ المحسن ضروري ، والعلاقة إنما هي على قدر المحبة . ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمَّة وقطع العلاقة عنهم يجتهدون بالضرورة ، ويهتمون في ذلك بقدر الوسع والطاقة ، ويمتنعون عن قبول الخدمة ، وإنما يقبلونها من شخص يتفرَّسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم وطورهم يوماً فيوماً لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم والتفات قلوبهم ، فيكون العالم منوَّراً ومعموراً من جمعية باطنه .

وقال أيضاً : ما أخذت هذه الطريقة عن كتب الصوفية ! وإنما أخذتها عن خدمة رجال ، لا أني أخذتها عنهم بالتعلُّم ! بل للخدمة تلك

الخاصية . كذا في « الرّشحات » فراجعه في ١٧٥ .

وفي « المناقب الأحمدية » : إن خدمة المشائخ للمريدين أفضل من نوافل العبادات . انتهى عبارته ٨ .

وكان الإمام محمد النقشبندي قدس سره إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه ، واعتنى به كلّ الاعتناء ، وخدم دابته أحسن خدمة ، وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها . كذا في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٧٥ .

أيها الولد ! اعلم أن الإمام الرباني قال : وطريق النجاة والخلاص هي متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والسلام في الاعتقاد والعمل ، والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة ، وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما ، لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ويأكلوا ما شاؤا(١) ، ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار ويمنع عنهم العذاب ! فإن هذا المعنى تمنّي محض ؛ لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله تعالى . ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد . وإنما يكون مرتضى إذا كان عاملاً بمقتضى الشريعة ! فحينئذ إذا صدرت عنه ذلّة بمقتضى البشرية فتداركها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل : بأي اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى ؟ !

أجيب : أن الحق تعالى إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه ، فهو مرتضى في حقيقة ، وإن كان مذنباً في الظاهر ! والله سبحانه الموفق . ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ والسلام انتهى . من « الدرر المكنونات » عبارته .

أيها الولد! - نفع الله تعالى بك العباد آمين - أوصيك **أن لا تغترَّ**

(١) وقد قال بعض العارفين : من لعب بالطريق لعبت به الطرق (منه) .

بمجرد اسم المريدية ، واعلم أن الوصول إلى المقامات لا يكون إلا بارتكاب[1] المجاهدات ، ومجرد الانتساب إلى المشائخ مع عدم الاجتهاد قليل الجدوى ، فجاهد لتصل ، ولا تعطّل لئلا تُحْرَمَ ، وتَفَكر فيما ذاقه الإمام النقشبند قدس سره في ابتداء أمره ، فقد ذكر صاحب « الحدائق الوردية » أنه قال قدس سره : خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي ، أذهب كل مذهب ، ولطالما تجرّحت قدماي من الشوك ، حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدس سره وذلك في فصل الشتاء وشدّة البرد ، وليس على ظهري إلا فروة عتيقة ، فلما وصلت إلى منزله وجدته جالساً مع أصحابه ، فحيث ما أبصرني سأل عنّي ، فعرّفوه بي . فقال : أخرجوه من هذا المنزل . فلما خرجت أوشك أن تنفر نفسي وتطغى ، وتجذب مني عنان الانقياد والتسليم ، ولكن تداركتنى عناية الله ورحمته فقلت : إني لأتحمل مذلة في ابتغاء مرضات الله تعالى ، وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه ، ثم وضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة العزِّ وقلت لنفسي : إني لا أرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل[2] ، ذلك والثلج ينزل شيئاً فشيئاً عليّ ! والهواء شديد البرد . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر ، فخرج السيد قدس سره فوقع قدمه الشريف على رأسي ، فلما أحسَّ بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشَّرني فقال لي : يا ولدي ! إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة ما في قدمي من الشوك ، ويمسح ما أصابها من الجراحة ، ويـمدُّني بفيوضاته الوافرة ، وألطافه الباهرة .

وقال قدس سره : كنت في بخارى والسيد كلال في نسف فوجدت في نفسي داعية لزيارته ، فبادرت لذلك في الحال ، فلما وصلت إلى

---

(١) وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ شاهد عادل على ذلك (منه) .
(٢) كذا في النسخة التي بيدنا ولعله ما حصل ، تدبر (منه) .

مقامه وسلَّمت عليه قال لي : **يا ولدي !** لقد جئت في وقت الحاجة ! فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا . فشكرته على هذه الإشارة ، وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري ، وفيه من الشوك ما فيه ، وأنا أنشد ما نشد[1] ؛ بيتاً بالفارسية معرَّبه :

جمال كعبة مقصودي ينشطني فالشوك كالخزِّ عندي حين أحمله

انتهى من « الحدائق الوردية » ١٢٧ .

وقال العالم إمام غزالي الهنوخي رحمه الله تعالى : إنه سمع الشيخ ، خالد سيف الله قدس سره يقول : إن شخصاً ذهب لدى واحد من المشائخ ، فطلب منه الإذن ليدخل عليه فلم يأذن له وقال : هل يدخل عليَّ راعي المواشي ؟ فرجع الرجل وقام راعياً للمواشي سبع سنين يعني كان كذلك متبرِّكاً بما صدر من فم الشيخ . ثم رجع لديه فطلب منه الإذن للدخول عليه فلم يأذن . وقال : أيدخل عليَّ طبيب المواشي ؟ فرجع وذهب لدى المواشي فقام بينها طبيبا يداوي مرضاها سبع سنين ، ثم رجع لدى الشيخ وطلب الإذن للدخول ، فلم ياذن له الشيخ قائلا : هل يدخل عليَّ الكلب ؟ فرجع وقام بين الكلاب في أطراف القرية سبع سنين ، ثم رجع لديه وقال لمن على الباب : قل للشيخ إن كلبه قد رجع إليه في هذه المرة ، فهل له إذن للدخول ؟ فأذن له الشيخ ، فلاحظه وتوجَّه إليه ولاطفه وقبله . انتهى .

وكتب الشيخ المذكور سيف الله قدس سره إلى واحد ما نصه : إن النظر إلى كتب السلوك جند من جنود الله ، واستفادة آداب السادات قسم من سعادة عباد الله ، ولا بدَّ للسالك الصادق من رعاية الآداب وصونها . اللهم أيِّدنا عليها آمين .

وإن مكث الصادق على الرياضة عمر الدنيا ليس بكثير لمن يرجو

---

(١) وفي نسخة : أنشد .

لقاء الله **وعمل صالحاً** ، **وإن الذهاب خلف المرشد الناصح من المشرق إلى المغرب ليس بكثير** أيضاً ، ولا أعزَّ لبصير لما يحصل له من الفقراء لله من الحضور الذي لا يساويه الدنيا والآخرة .

ولقد صبر سيدنا ومولانا خالد سليماني قدس سره في البراري والقفاري أزيد من عشرين سنة يتطلع على شيخه وهو يطرده بالشماتة والسبِّ حتى في آخر الأمر بالضرب بأن أخرجه من عنده ؛ ومع ذلك لم يكد يختلَّ قلبه ، بل صبر صبر أولي العزم ، فنال بذلك المرتبة الأسمى ، والقطبانية العظمى . انتهى من خطه قدس سره .

وقد وقف إبراهيم ابن أدهم ﵁ مع جلالة قدره ورفعة سلطنته بعد التوبة والرجوع إلى الله تعالى حمَّالاً للحطب ، وخادماً على باب دار الشيخ في سبع عشرة سنة ، حتى كانت على ظهره جروح يسيل منها القيح والصديد بكثرة حمل الحطب عليه ، وذلك رجاء أن يأذن له الشيخ للدخول عليه وقبوله إياه ، ومع ذلك طرده الشيخ عن بابه ، وعزله عن تلك الخدمة ، وذهب إلى سبيله نادما ، لكن لم يطق أن يصبر عنه ورجع إليه ، ووقف أصحاب الشيخ على الطرق بأمر منه ليطردوه ويمنعوه عن دخوله قرية الشيخ ، ولم يطيقوا أن يمنعوه وإن ضربوه وشتموه ، ثم أخبر الأصحاب حاله لدى الشيخ ، فحين علم الشيخ صدق إرادته أذن له وقبله . وتوجَّه إليه فوصل ابن أدهم قدس سره إلى الدرجة العليا ، حتى صار أمره أنه قال لواحد يقع من القنطرة المرتفعة إلى النهر : قف . فوقف في الهواء . والقصة بتمامها وطولها مذكورة في « مزكي النفوس » فراجعه .

أيها الولد ! لا تظننَّ أن الوصول إلى المقامات العاليات سهل يسير ، ولا يخفى أن الوصول إلى المراتب وإن لم يكن إلا بفضل الله وتوفيقه في الحقيقة لكن التوفيق مع السعي . وآية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ شاهد عدل على ما ذكر .

أيها الولد! أوصيك بقراءة هذا الدعاء المبارك على قدر الطاقة في الصباح والمساء، وهو هذا: يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ، وَلَمْ يُؤَاخِذْ بالْجَرِيرَةِ[1] وَلَمْ يَهْتِكِ السَّتْرَ، وَيَا عَظِيمَ الْعَفْو، وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ، وَيَا وَاسعَ الْمغْفِرَةِ، وَيَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بالرَّحْمَةِ، وَيَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى، وَيَا مُنْتَهَى كلِّ شَكْوَى، وَيَا كَرِيمَ الصَّفح، وَيَا عَظِيمَ الْمَنِّ، وَيَا مُقِيلَ العَثراتِ، وَيَا مُبتدئاً بالنِّعَم قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبِّي وَيَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلاَيَ، وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِي أَسْأَلكَ أَنْ لاَ تُشَوِّهَ[2] خِلْقَتِي بِبَلاَءِ الدُّنْيَا، وَلاَ بعَذَاب النَّارِ. ففي «جواهر المعاني» قال الراوي: جاء به جبريل عليه السلام إلىَ النبي ﷺ وقال له: أتيتك بهدية. قال: وما تلك الهدية؟ قال: فذكر هذا الدعاء. فقال ﷺ: ما ثواب هذا الدعاء؟ قال له: لو اجتمعت ملائكة السموات السبع على أن يصفوا ما وصفوا إلى يوم القيامة وكل واحد يصفه بما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه!

ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول: أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السموات السبع، وفي الجنة والنار والعرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار، وعدد الحصى والرمل. ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق.

ومن جملتها أيضاً: أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيّاً كلهم بلغوا الرسالة، إلى غير ذلك. وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. صححه الحاكم ورواته كلهم مدنيون. انتهى من «رماح حزب الرحيم» فراجعه في ١٠٠ ج٢.

---

(١) أي ذنب.
(٢) أن لا تشوّه أي لا تحقّره.

وأوصيك أيضاً أن تلازم الباقيات الصالحات لأنهن من المكفرات للعثرات . فقد نقل صاحب « الرماح » راجعه في ١٠٠ ج٢ عن أحمد التجاني رضي الله عنه بأنه قال في رسالته :

ومن مكفرات الذنوب : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ ملء ما علم[1] ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم) ، فإن المرة الواحدة منها تكفِّر الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى .

قال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبَّائه من تجار فارس : واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم ، وعدد ما علم وزنة ما علم) فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله تعالى . انتهى عبارته ٧ ، وقد مر نظيره قبيل الترغيب الخامس ، فتذكره .

وأوصاني شيخنا السيد سيف الله قدس سره بقلمه بالمداومة على هذا التسبيح سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . انتهى فجزاه تعالى عني خير الجزاء .

وقد رأيت في صكِّ الإجازة المكتوبة له من طرف شيخه زين

---

(١) **فائدة عظيمة**

قد ذكر ابن حجر في « فتاواه الكبرى » في ١٤٨ من الجزء الأول بما نصه : وسئل نفع الله به عن شخص سبح بنحو سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلخ . هل المرة منه أفضل ممن يسبح بسبحان الله وبحمده ويعدد من ذلك ألف مرة مثلاً . فأجاب بقوله : نعم ، هو أفضل من ألوف مؤلفة كما دل عليه الحديث الصحيح : « أنه صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أمهات المؤمنين وعندها حصوات كثيرة سبحت بها فقال : لقد قلت كلمة عدلت جميع ما قلت سبحان الله وبحمده عدد خلقه » الحديث .

الله قدس سره سطرات تصرِّح أنه أوصاه بمداومته على هذا التسبيح المذكور ، فاقتداء بهما أوصى الولد بملازمته عليه فإن له فضلاً ذكره المحدثون في كتبهم .

فقد قال الشعراني في « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « من قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة ، ومن قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله يوم القيامة . فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ قال : إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله عزَّ وجل فتكاد أن تستنفذ إلا أن يتطاول الله برحمته » . انتهى عبارته .

وفيه : وكان ﷺ يقول : من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ، وهي أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه الرجل في سبيل الله . ومن قالها حطَّ الله عنه ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفيه : وكان ﷺ يقول : « أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة ؟ فقال : كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح الله مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، ويحطُّ عنه ألف خطيئة » .

وكان ﷺ يقول : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس » انتهى عبارته .

فإن قلت يا ولدي! هل يكون المرة من التسبيح وغيره إذا قالها الرجل بذكر نحو (ألف مرة) أو (عدد خلقه) أفضل من غيره أم لا ؟

أقول - والله الموفق - : قال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : وسُئِلَ - نفع الله به - عن شخص سبَّح (سبحان الله وبحمده عدد خلقه) هل مرة منه أفضل من أن يسبِّح الله ويحمده ويعدِّد من ذلك ألف مرة ؟ **فأجاب** بقوله : نعم هو أفضل من ألوف مؤلفة كما دلَّ عليه

الحديث الصحيح : « أنه ﷺ دخل على بعض أمهات المؤمنين وعندها حصوات كثيرة سبَّحت بها فقال : لقد قلتُ كلمة عَدِلت جميع ما قلت : سبحان الله وبحمده عدد خلقه » الحديث .

ولما سُئِلَ عبد السلام نحو ما في السؤال قال : قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها وشمولها لجميع الأوصاف الثبوتية والسلبية والذاتية والفعلية ، فيكون القليل من هذا النوع أفضل من الكثير . كما جاء في قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » . ولهذا سأل عليه الصلاة والسلام بـ : يا ذا الجلال والإكرام ، لأن الألف واللام فيها قد أفادت الاتصاف بكل جلال وكمال ، فأعطت استغراق الجنس في الإكرام والجلال فإذاً لا إكرام إلا منه ، ولا جلال وكمال إلا قد اتصفت به . انتهى .

وفيه رواية أنه ﷺ قال لبعض نسائه حين دخل عليها فوجدها تسبح بالحصى : « أدلُّك على ما هو خير من ذلك ، فقولي سبحان الله عدد ما في السموات ، سبحان الله عدد ما في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مثل ذلك » وفيه دليل على أن من قال ذلك يكتب له مثل ذلك العدد الذي ذكره ، وبه تقاس الصلاة عليه ﷺ .

فمن قال : (اللهم صل على سيدنا محمد عدد خلقك) كتب له صلاة بعدد الخلق .

وهذا كله من فضل الله تعالى ومنته ، ومن مزيد كرمه وسابغ منَّته . انتهى فراجعه في ١٤٩ .

وفي « دلائل الخيرات » كلام كثير في حق هذا المطلب المهم فإن أردت الزيادة فراجعه في صحيفة ٢٦ .

فأرجو الولد أن يشتغل في طرفي النهار ولو بأقل شيء من هذه المذكورات ، ليفوز شيئاً من فضائلها ، ويصير من عباد الله المغفورين ، المحفوظين من شرِّ الجنِّ والإنس ، ووساوس مَرَدَة الشياطين ونزعات إبليس .

ففي « كشف الغمة » : وكان ﷺ يقول : « ما من حافظين يرفعان إلى الله عزَّ وجلَ ما حفظا من ليل ونهار فيجد الله في أول الصحيفة وفي آخرها خيراً إلا قال للملائكة : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » .

وكان عروة بن الزبير رضي الله عنه يقول كلما أصبح وأمسى ثلاث مرات : (آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) . فخرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل فسمع ضجة(١) عظيمة ، ثم جيء بسرير ، فجاء شيء فجلس عليه واجتمع عليه جنوده ، ثم صرخ : مَنْ لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد . فسألهم : ما يمنعكم عنه ؟ فقيل : إنه يقول إذا أصبح وإذا أمسى كلمات . فذكرها والله تعالى أعلم . انتهى فراجعه .

وفيه : وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « من قرأ آية الكرسي حين يمسي أجير من الجنِّ حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح أجير من الجِنة حتى يمسي » انتهى .

يا ولدي ! إنّ والدك قد قصد الآن للاستراحة وملّ عن الكتابة ، فاعلم أنه وإن كان غافلاً عن الله ! يريد أن تكون حاضراً بالله ، وإن كان أيضاً مسيئاً يريد أن تكون محسناً . فأرجوك أن لا تذهب عمرك في البطالة ، وأن لا تضيِّع أوقاتك كما ضيَّع أبوك وقد أمضى عمره في حالة

---

(١) صيحة .

الشباب في البطالة ، وفي حالة الشيوخة والكهولة هو أيضاً متبع بالنفس الأمارة بالسوء ، وكأنه لم يشمَّ رائحة الإيمان إلى مشامِّه ، ولم يتخلص قلبه من التعلق بغير الله ، وعلمه زائد من عمله ، وعمله قليل مشوب بحظوظه . وحديث : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » كأنه ورد في حقه .

لكن رجاءه لا ينقطع عن ربه ، وحسن الظن به يحمله على دعائه وسؤاله ، فيا ربي إنك تعلم ما في نفسي ، ولا يخفى عليك شيء من أموري ، ولا ينقطع منك رجائي ولو بلغت ذنوبي عنان السماء ! ولكن مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، ورحمتك سبقت على غضبك ووسعت كل شيء ؛ فكن لي كما كنت لأحبابك ، وعاملني بما أنت له أهل ، فإن لم أكن أهلاً لرحمتك فأنت لها أهل ؛ فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة . اللهم ما كان مني في تأليف هذا الكتاب من تصنُّع أو تزيُّن أو تغيير كلمة عن موضعها مع إبقاء معناها للاختصار ، أو إيقاع زيادة ، و إطالة في الكلام لتفهيم المراد فاعف عني ، واغفر لي ، إنك على كل شيء قدير . اللهم اجعل كتابي هذا صدقةً جارية إلى يوم الدين ، وسبباً باعثاً لدعاء الإخوان أهل الدين ، ولا تؤاخذني بما صدر مني من خطأ وخلل ، أو تحريف وزلل ، ولا تجعلني مطروداً عن بابك بحرمة مشائخنا قدس الله أسرارهم ، واجمعنا معهم في دار السلام ، وارزق لنا ولأولادنا ولأحبابنا ولمشائخنا ووالدينا خاصة الجنة الفردوس برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحمد لله كما يليق لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ورضي الله عن ساداتنا مشائخ الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية والچستية والكبروية والسهروردية والخلوتية والتجانية ، ورزقنا بركة جميعهم وثبتنا على آدابهم آمين .

تذنيب في كيفية التوجه

قد سألني الولد الأعزُّ ـ جعله الله تعالى في دائرة العارفين آمين ـ بعد انتهاء الكتاب عن كيفية التوجُّه ، وكيفية وقوف المريد قبالة الشيخ للاستفاضة ، ولأجل ذلك أعقبت ههنا جواب هذه المسألة ، ليكون تذنيباً للكتاب ومتمماً له ، وقد كان ذكرها من أهم الأمور التي لا بد للسالك من معرفتها ، بيد أني غفلت عن ذكرها ، ولم أتذكر إلا بعد السؤال .

فأقول : إن كيفية توجُّه المرشد إلى المريد بنية تلقين الذكر على ما سمعناه من مشائخنا أن يبتدىء بالصلاة على فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام ، ثم يستغفر الله ٢٥ مرة ، ثم يقرأ الفاتحة مرّة ، والإخلاص ثلاث مرات ، ثم يهدي ثوابها إلى روح النبي ﷺ وباقي الأنبياء والمرسلين وأصحابه وأصحابهم وأرواح سادات هذه الطريقة العلية الصديقية وباقي أهالي الطرق ، ثم يقول : يا رب ! من بحر فيض جودك وكرمك وعنايتك ؛ ومن حضرة رسولك الأكرم ﷺ الواصلة إلى قلبي بواسطة قلوب المشائخ الكرام ، من الفيض وأنوار الذكر فألقها في قلب هذا الطالب بفضلك وعنايتك يا الله .

وبملاحظة هذه الكيفية يتوجَّه الشيخ إلى قلب المريد بالاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات مقدار عشر دقائق ، ويأمر المريد بجذب أثر هذا التوجُّه بالهمَّة القوية ، ثم بعد مدة يسيرة يظهر من هذا التوجُّه في قلب الطالب الصادق أثر عظيم ، ومحبة إلهية بعناية الله تعالى .

وكذلك إنّ الشيخ يجعل لطيفة روحه مقابلاً للطيفة روح المريد كما مر ، ويؤمر بالتوجُّه والهمَّة هنا وفي باقي اللطائف على المنوال المذكور ، فإذا تمكَّن في قلب المريد ولطائفه من الذكر الملقن ، وتنورت اللطائف بصيرورة الذكر في لطائفه ملكة ! يلقن الشيخ له بالنفي والإثبات لجمعية النسبة والحضور .

هذا حاصل ما ذكره شيخنا سيف الله قدس سره في « كنزه » .

وأما كيفية ما كان الشيخ العسوي قدس سره يفعله هذا : كان يقول حين التلقين بعد الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص كما مر ، وإهداء ثوابها إلى روح النبي عليه السلام وأصحابه الأربعة وأرواح سائر المشائخ : يارب دُرْ رَخَلْدَصَنْ دُرْ خِريَوْ أَوَرَكَصُلْ رَخَلْدَصَنْك مشائخزَبْزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَيَلْطَلُِنْ خَصْكُ محمود أفندِيَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَيَلْطَلُِنْ دِرْ رَكَلْدِ شَرَبْ فيض وأنوار الذكر هَوْ طالِبَصُلْ قَلْبُيَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمدٍ ﷺ .

ثم كان يقول[1] للمريد : قل ثلاث مرات (الله الله الله) بالقلب ملاصقاً

---

(١) بعد تلقينه له ، على ما هو المذكور في الكتب (منه) .

* بيان كيفية التوجه : إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد يصلي أولاً على النبي عليه السلام ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات ، والفاتحة مرة ، وبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ولأرواح أصحابه ولأصحاب مشائخ الطريقة الصوفية وسائر مشائخ الطرق العلية ، يقول : يا رب من جانبك الشريف وجانب حبيبك الشريف أوصل الفيض ونور الذكر الذي حصل لي بواسطة المشائخ الكرام ووَصَل إلى قلبي إلى قلب هذا المريد وأعنه . فيرمي بتلك النية إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق فبهذه الأسلوب يتأثر قلب الطالب في توجه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبة الله تعالى . وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر الألطاف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجه كما سبق . ثم إذا أجرى الذكر على القلب أو على سائر اللطائف يلقنه الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجه إليه بالجمعية والحضور ويحصل له الجمعية والحضور . معرّب من « حسبحال السالك » .

ثم إن الشيخ يلقن الذكر على قلب الطالب ويتوجه إليه به قدر ربع ساعة أو ثمن ساعة فحينئذ يحصل له أثر الذكر . وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . معرّب « حسبحال السالك » .

بيان نقل الذكر في اللطائف إذا واظب الشخص على ذكر القلب . فالنسبة الشريفة الحاصلة له يسري إلى الروح فيحصل له قوة ، ومنه ينتقل إلى سرّ وإلى الخفي ، ومنه ينتقل إلى وطنه الأصلي سويدة القلب وتسمية تلك المرتبة بالأخفى هي منقولة من المشائخ . فقد اعترض مشائخ سمرقند على قول مشائخ بخارى بأنّ النسبة=

لسانك بالحنك الأعلى ، وهكذا إلى ثلاث مرات . انتهى .

وأما إن أراد الشيخ إلقاء شيء من الأخلاق المحمودة إلى قلب المريد فكيفيته أن يتوجه إلى قلب المريد بنية إلقاء ذلك الخلق المحمود إلى قلبه ، سائلاً من الله تعالى إيصاله إلى قلبه ، ويقف زماناً بملاحظة هذا الأمر بالهمَّة القوية ، ويقف المريد أمامه بإمالة قلبه إلى قلبه بنفي الخطرات متجرداً عن جميع التعلقات ؛ سائلاً بقلبه إيصال النور الكائن في قلب الشيخ إلى قلبه ؛ متضرعاً متذلِّلاً متخشعاً فحينئذٍ يتصف المريد بصفة ذلك الخلق المحمود إن شاء الله تعالى على وفق استعداده .

وأما إن أراد الشيخ إخراج الخلق المذموم من قلب المريد ! فيتوجه إلى قلبه بالتضرع والإلحاح ؛ سائلاً من الله بإخراجه من قلبه ، ويجمع همته ، وينسى غيره من جميع التعلقات .

وفي « المناقب الأحمدية والمقامات السعيدية » في ١٥٦ : أما طريق التوجُّه إلى طالبي الحق جلّ وعلا فأن يتوجَّه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقائها على الطالب ، ثم يستعمل همَّة تامة لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنتقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأما إذا كان غائباً ! يتصوَّر صورته ، ثم يتوجه إليه ويبلغ أمره إلى النهاية .

=الشريفة ينتقل من الخفي إلى وطنه الأصلي ؛ قائلين : بأن كون القلب تحت الثدي الأيسر حق ، وكونه موضع وقوع نظر الله حق أيضاً ، لكن أيّ سبب لتخصيص انتقال النسبة إليه ثانياً . وأجاب مشائخ بخارى بأن مظهر كمالات غير متناهية ، فالرجوع إليه ثانياً مما بدأ منه أنسب بما هو مقتضى قول : بدأ الأمر وإليه يعود . معرّب « حسبحال السالك » .

* قال تعالى لداود (تريد وأريد وإنما يكون ما أريد ، وإن سلّمتَ لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم أتعبتك في ما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد) . « جواهر القرآن » عبارته .

مطلب

وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمَّة ، ويسألون الله تعالى حلَّه ، فيظهر على حسب مُتَمَنَّاهم .

وأما طريق الكشف من نسبة أهل الله فأن يجلس مقابله إن كان حياً ، وقريباً من قبره إن كان ميتاً ثم يخلِّي نفسه من نسبته ، ويجعل روحه متصلاً بروحه زماناً ، ثم يرجع إلى نفسه ، فكلما وجد في نفسه من الكيفية فهي نسبة ذلك الإنسان .

مهم

وأما طريق الإشراف على خاطر إنسان ! فأن يخلِّي نفسه من كل خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطره ظهر بطريق الانعكاس .

وأما طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة ! فكذلك يخلِّي نفسه من كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وتمادى انتظاره كطلب الماء للعطشان يلحق نفسه بالملائكة الكرام ، فتكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ؛ إما بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو المنام .

وأما طريق دفع البليّة النازلة ! فأن يلاحظ تلك البلية بصورتها المثالية ، ويتوجه لدفعها بالهمَّة القوية ، فتندفع بإذن الله تعالى . انتهى عبارته .

وأما إن قصد الشيخ **إزالة الظلمة من قلب المريد !** يجمع همته ، ويتوجَّه بالحضور التام إلى قلب المريد بنية إزالتها .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول حين يتوجَّه إلى المريد : توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي ، ومن قلبه إلى قلب هذا الطالب ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبه . انتهى .

وأما المريد يقول : توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبي ، ويطلب بهمَّته من الله تعالى إيصال نور الذكر ونور المعرفة من قلب المرشد إلى قلبه ، وإزالة الظلمة منه .

ويقف المريد قبالة الشيخ ؛ ملتصقاً ركبتيه بركبتيه ؛ خاشعاً متذلِّلاً ، كأنه عبد آبق وقف بين يدي سيده ، ولا يحرك شيئاً من أعضائه ، ويطلق نَفَسَه من أنفه ، ولا يجب عليه حبسه ؛ لكن يطلقه يسيراً بحيث لا يسمع الشيخ صوته ، ويكون كالميت بين يدي الغَسَّال ؛ ملاحظاً أنه عبد ذليل حقير مفلس ؛ لا علم له ولا عمل ، ولا مقام له ولا حال ، **ويعتقد أن الشيخ باب الفيوض ، ولا يصل إليه الفيض إلا منه . والفيض كالماء لا يجري إلا إلى الجهة السفلية ، فإن رأى المريد لنفسه عند الشيخ قدراً ما! لا يصل إليه فيضه . وإن اجتهد الشيخ لإلقائه ، واجتهد المريد لجرّه ، كما لا يجري الماء إلى الجهة الأعلى . فافهم .**

قال الشيخ علاء الدين العطار قدس سره : إذا خلا قلب المريد بأمر المرشد عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكَّن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير المتناهية عليه ، فإن القصور لا يكون من الفيوضات ، بل من الطالب ! فمتى ارتفعت عنه الموانع ! لا جرم يصل إليه بهمَّة المرشد حال يتحيَّر في إدراكها من مقولة : ربي زدني فيك تحيُّراً .

كمال الاعتبار للاختيار

ثم إنَّ في جعل العبد مختاراً حكماً كثيرة ، فإنه لما تمكَّنت الموانع

الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره إلى إزالتها . والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة ، مستغرقين في الخوف والخشية . غير أن كمال الاعتبار للاختيار في السعادة والشقاوة ، والترقِّي والتدلِّي[1] . انتهى . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٦ و« الرشحات » فراجعهما .

فالحاصل أن الاعتقاد في الشيخ ومحبته كل منهما هو المغناطيس الجالب للفيض .

وفي « الحدائق الوردية » : ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم ، لا يزيحه كل شيء عما هو فيه ، ولا يتبدل اعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً ، **حتى لو رأى الخضر عليه السلام! لا يلتفت إليه** . انتهى عبارته ١٣٩ .

وفي « الرشحات » وقال قدس سره يعني علاء الدين العطار : ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائماً ، وأن يعلم يقيناً أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسَّر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه ، وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه ، وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداءً للمرشد . انتهى فراجعه .

ومن العجائب : أن بعضاً من المشائخ كان يتحمل الأمراض بتوجُّهه ؛ وقد تحمل شيخ عن مريض مرضه فعوفي ، ومرض الشيخ وتوفى في ذلك المرض . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٨ .

وكان واحد من المريدين وقع على الفراش ، قد أخذته الحمى بشدة وجع الأسنان ، وقد تورَّم طرف واحدٌ من وجهه ، فتوجَّه إليه شيخه ، فانتقل المرض من أسنان الغلام إلى أسنانه ، وتورَّم وجهه من الجانب

---

(١) وفي نسخة : التدني .

الذي تورَّم منه وجه المريد ، فقام مع وجع الأسنان وحرارة الحمى ووجع الضرس ، وخرج الغلام مع تمام الصحة والعافية لتشييعه إلى باب القصر ، فكان الشيخ مبتلى بوجع الأسنان مدَّة نصف شهر . كذا في « الرشحات » فراجعه في ٩٥ .

وقد رأيت في كتاب ما حاصله : أن المتوجِّه لو توجَّه إلى المريض لتحمُّل مرضه قبل نزول ملك الموت لقبض روح المريض ، ينتقل إليه المرض ويُعافى المريض ، وإن توجَّه إليه حالة نزوله يُعافى المريض ويقبض روح الشيخ المتحمِّل مكانه . لكن لا أتذكَّر الآن عين ذلك الكتاب لتعيين موضعه .

ورأيت في « الرشحات » ما حاصله وملخصه : أنَّ شيخ الإسلام عصام الدين السمرقندي النحوي كان مريضاً حتى أشرف على الموت ؛ فجاء أولاده إلى الشيخ نظام الدين وتضرَّعوا لديه ، والتمسوا منه الحضور عنده ، فذهب نظام الدين لديه ورآه قد حان أجله ، فتوقف في تحمُّل مرضه ، فتجاوز أولاد عصام الدين عن الحدِّ في التضرُّع والابتهال ، وبالغوا في الإبرام والإلحاح وجعله ملجأً ، فأثبت نظام الدين نفسه صارفاً خاطره إليه ، وأخذه في ضمن حياته ، وأدخله في نسبته ، فصحَّ[1] عصام الدين وقام ، ثم وقع على نظام الدين بعد مدة واقعة عظيمة ، حتى شدُوا يده في عنقه ، وكان عصام الدين شيخ الإسلام في سمرقند ، فلم يقدر أن يشفع له عند المرزا بكلمة ، ولم يُمِدَّهُ[2] في تلك الشدَّة والنكبة ، فأخذه

---

(١) أي : صار صحيحاً .

(٢) أي : لم يعنه .

* والمريد إن لم يسلم جسده إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ويبتلى بسوء حاله ، وإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريقة . والمرشد إلى هذه الطريقة هو النبي عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ=

القهر والغيرة من صيانة نفسه وجاهه ، فأخرجه من ضمنه ، **فلما خرج من النسبة سقط في الحال ، ومات بلا إمهال** . انتهى باختصار . والقصة بتمامها مذكورة في « الرشحات » فراجعه في ٩٤ .

وأعجب من ذلك ! ما رأيت في « المناقب الأحمدية » ما حاصله هذا : أن شخصاً قال لبهاء الدين النقشبندي قدس سره : مات عمِّي . فقال قدس سره : لم يمت عمُّك ، فإني لا أريد موته ؛ فأطرق ﷺ رأسه الشريف وقال : إحي فقام عمُّ الشخص ، ثم قال نفعنا الله به : أخذت روحه من يد الملك في السماء الرابعة ، ورددتها إلى جسده . انتهى فراجعه في ٦ .

وفيه أيضاً ما حاصله : أنه قال لخادمه محمد زاهد : مت . فمات ، ثم قال : إحي . فقام . انتهى عبارته في ٦ .

=الشيخ ؟ فالجواب المرشد في الحقيقة هو القرآن وعلم الشريعة والنبي عليه السلام ولطف الله ، لكن المريد في أول الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطب ، وجميع الأدوية ومعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء ، كذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنوية . معرب من « حسبحال السالك » .

* المسألة الرابعة : ما الطريقة إلى تلك السعادة العظمى ؟ وجوابه التصرف في الجذبة الإليهة عبارة عن ظهور ذوق محبة الله تعالى ، ولا سبب أقوى في وصول طريق الجذبة من صحبة الكامل في سلوك طريق الجذبة . (منه) .

التوحيد : خلوص القلب في علمه ، ونظره في عدم غير الله تعالى في حضرة الوجود . (نقل منه ملخصاً) .

* ما أصل الطريقة ، وما مبناه ؟ فجوابه : أنّ أصله التوجه إلى الله تعالى بصدقه وكماله وجلاله والاقتداء بسنة النبي ﷺ بإكماله . (منه) .

معتقد مشائخ النقشبندية هو اعتقاد أهل السنة والجماعة . ما اعتقاد أهل السنة والجماعة وما عزيمة خلاصتهم ؟ وجوابه : دوام العبودية لله تعالى ، وكونه تعالى خالصاً من الصفات الرزيلة . (منه) .

وفيه : قال[1] رضي الله عنه : أعطيت من الحق سبحانه مرتبة عظيمة ؛ **تُقضى بي الحوائج ، وتُدفع بي البلايا . فالتجئوا إليَّ تقضى حوائجكم بفعل الله سبحانه** . انتهى في ٦ .

قصة عجيبة

وقد وقع للغوث عبد القادر الكيلاني - نفعنا الله تعالى به - مثل ما وقع للنقشبندي .

قال في « تفريج الخاطر » في ١٦ روي عن السيد الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الرفاعي رضي الله عنه أنه قال : توفي أحد خدام الغوث الأعظم ، وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرَّعت والتجأت إليه ، وطلبت حياة زوجها ، فتوجه الغوث إلى المراقبة ، فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فقال : يا ملك الموت ! قف وأعطني روح خادمي فلان وسماه باسمه ، فقال ملك الموت : إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأؤديها إلى باب عظمته ، كيف يمكنني أن أعطيك الروح الذي قبضته بأمر ربي ؟ ! فكرر الغوث عليه إعطاء روح خادمه إليه ، فامتنع من إعطائه ، وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم ، فبقوَّة المحبوبيّة جرَّ الزنبيل وأخذه ، فتفرَّقت الأرواح ، ورجعت إلى أبدانها ، فناجى ملك الموت عليه السلام ربه وقال : يا رب ! أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر ، فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم . فخاطبه الحق جل جلاله : يا ملك الموت ! إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي ! لِمَ لا أعطيته روح خادمه ؟ وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد ! فتندَّم ملك الموت . انتهى عبارته .

---

(١) أي النقشبندي (منه) .

مهم عجيب

ومن غريب ما نقل من أثر التوجُّه ما ذكره صاحب « الحدائق الوردية » من أن أحداً من السادات جاء يوماً لزيارته - يعني العزيزان علي الراميتني قدس سره - ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً ، فجلس معه وهو مهتمّ لذلك ، فما لبث أن جاءه أحد مريديه - وكان أبوه طبّاخاً - بقصعة من ثريد ، فوضعها بين يدي الشيخ ، ثم وقف بالذلِّ والانكسار ، وقال له : إني صنعت هذه على اسمك فأرجوك أن تتقبَّلها . فتهلَّل وجه الشيخ قدس سره سروراً بصدق خدمته وانكساره ، وأكل هو وضيفه منها ، ثم لما انصرف نادى الغلام وقال له : بارك الله لك في رزقك ، وتقبَّل هديتك . اطلب مني ما تحب ، فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى . وكانت همَّة الغلام عالية جدّاً فقال : إن أقصى مرادي أن أكون مثلك صورة وسيرة . فقال الشيخ : هذا أمر صعب لا تطيقه . فقال : لا أريد غيره . فأخذ الشيخ بيده ، وأدخله إلى خلوته وتوجَّه إليه بكُلِّيَته ، وتفضَّل عليه بعليّ همَّته ، فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة ، لا يقدر أحد أن يميز بينهما . وعاش أربعين يوماً ، وقيل أقل ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى عز وجل . انتهى راجعه في ١٢١ .

ومثله في « الرشحات » لكن مع بعض مخالفة في العبارات . وأمثال هذه التأثيرات والتصرُّفات ! مـما أظهره الله تعالى على أيدي من يشاء من عباده ، والله على كل شيء قدير .

ورأيت في « صحيفة الصفا » أن التوجُّه ؛ وهو أن يلاحظ قلبه - يعني المريد - تحت قلب المرشد يسيراً ولطائفه كذلك إن كان أهل لطائف ، وينتظر بواسطته الفيض ، ولو أهل نفي وإثبات ! كذلك . انتهى عبارته .

ورأيت في هامشه : وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام

توجَّه النبي ﷺ في غار جبل حراء ، والنبي ﷺ توجَّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور .

والحاصل : أن التوجُّه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ سحاب الفيوضات ، **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، مَنْ انتظر بالصدق وصل ، ومن انتهى بالغفلة زهل** . انتهى .

مهم

ورأيت في هامش « بهجة السالكين » إن أول توجُّه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات ؛ مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي .

وأما المعنعن : فتوجه النبي ﷺ إلى الصِّدِّيق الأكبر في غار ثور . انتهى فراجعه .

وأما التوجُّه من طرف الشيخ! فهو عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصب ما في صدره إلى صدره أولاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه .

ومثله في « نور الهداية » في ٩٢ وفيه : والتوجُّه أنواع ، والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب المريد بتوجُّهٍ جذبيٍّ يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه . انتهى . فراجعه .

يا ولدي! إني ذكرت هنا ما ينبِّهك على معرفة التوجُّه وكيفيته ، فينبغي لك أن تعلم أن التأثر بالتوجُّه إنما يكون على قدر استعداد الطالب ، ألا ترى أن الخرقة الجافة المستعدة مثلاً لو وضعت على حجر الزناد وضرب عليه الحديد يخرج من الحجر النار ويقع عليها ، فيوقد عليها النار ساعتئذ لكونها مستعدة للإيقاد ! وأما إن كانت الخرقة مبلولة غير مستعدة فلا يوقد عليها النار ! فهكذا القلب بلا فرق .

ورأيت في « كنز المعارف » لشيخنا المرحوم سيف الله قدس سره ما حاصله : أن الطالب الصادق والمريد المتحقق إذا استعدَّ قلبه لكمال النسبة ، وعرض حاله للمرشد بالهمة الكاملة ، فما حصل هنالك من توجُّهه فهو الفيض ! أي يعبّر عن ذلك الأثر الحاصل **بالفيض** ، وما نسبت إلى المريد أي توجُّهه باستعداده ليأخذ من الشيخ أثراً يعبر عنه **بالاستفاضة** ، وما نسبت إلى الشيخ بأن يتوجَّه الشيخ إلى الطالب بقوة همَّته بالنظر إلى قلبه وقالبه وتصرُّفه في قلب طالبه يعبّر عنه **بالإفاضة** . وذلك على مثابة الناظورة البلورية ؛ إذا نظرها إلى شعاع الشمس ثم أطلق ذلك الشعاع بواسطة تلك الناظورة إلى شيء لين له قابلية لتوقد النار ، فيحصل من ذلك الشيء أي يظهر منه النار بمجرد وصول شعاع الشمس ، فإن كان الشيء الذي وقع عليه شعاع الشمس قوياً صلباً كالحجر والشجر فلا يظهر منه النار غالباً ولا يفيد شيئاً ، لكن بقوة شعاع الشمس قد يعرض له الحرارة الشديدة .

كذلك إنَّ **الشيخ كالناظورة!** إذا نظر إلى قلب المريد الذي له الاستعداد الكامل والقابلية يظهر في قلبه من نظر الشيخ نار المحبة الإلهية التي هي سبب الوصول ، ويسمى له **بالفيض** ، وإن كان قلب الطالب صلباً أو أقسى وليس له استعداد ولا قابلية ! فلا يحصل له من النظر نتيجة ما ، ولا نار الفيض ، إلا إذا اجتهد بالكلية وجاهد ! فيمكن منه أن ينتفع بالشيخ ، كالحرارة الحاصلة من الحجر والشجر بطول وقوع شعاع الشمس بواسطة الناظورة المشهورة « بالپرتوز » ، فإذا كان الحال كذلك ! لازم على كل طالب سالك أن يجتهد في إيجاد مرشد كامل لإحياء رسوم قلبه الميتة ليقوم أمامه بجميع قوة استعداده كيف **وإن نظر المرشد إلى المريد نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، ونظر رسول الله ﷺ نظر الله بعينه ؟!** فإذا نظر الله إلى قلب عبده بالرحمة فلا بدَّ من حصول نتيجة مطلوبة في قلب

العبد . فتفكَّر أيها الأخ السعيد أن النعامة إذا أرادت إنبات أفراخها في البيضة ينظر بهمَّتها إلى بيضتها بقيامها من بعيد على ساقيها فتتولَّد فيها الأفراخ بقدرة الله بمجرد ذلك النظر ! كذلك إن الله تعالى لما نظر إلى قلب عبده بواسطة الشيخ فيتولَّد في قلب العبد نتيجة المطلوب التي هي نار المحبة والاستقامة ! وذلك من الله فضل عظيم . انتهى .

فالحاصل أن التوجُّه من الشيخ الكامل لو وقع إلى قلب طالب له استعداد كامل يعمل عمل مائة من الأربعينيات أي الوقوف في الرياضة والمجاهدة في تلك الأيام العديدات . كما قال مثله الإمام الرباني في بعض مكاتيبه .

مهم

وقد كان في الزمان الماضي يكفي للمريد التوجُّه الواحد ، أو الكلام الواحد ، وكان الشيخ يضع فمه في أذن المريد ويتكلَّم فينعكس إليه أحواله الباطنة ، وكذا كان يتوجَّه إليه مرة واحدة فيصير المريد بذلك كشيخه في الأخلاق .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إنه أوصل القطب خالد شاه كذا وكذا مريداً إلى مرتبة الإرشاد بتوجُّه واحد** ، لكون المريدين في زمنه مستعدين لقبول أثر توجُّهه ، فانظر الآن إلى قلَّة المرشدين ، وعدم حصول الاستعداد للمريدين ، مع هذه الأذكار الكثيرة ، وملازمة الرابطة الشريفة ! انتهى .

لم يبق إلا التربية بالهمة

وقد انقطعت هذه التربية المذكورة في زماننا هذا بالكلية ، وبقيت التربية باستعمال الأذكار ، وكثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

وقد أجاب عبد العزيز الدباغ قدس سره إذ سئل عن معنى قول الشيخ زروق قدس سره : انقطع التربية بالاصطلاح ، ولم يبق إلا التربية بالهمَّة . . إلخ بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات ، وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر ، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها ، وقطع علائق الباطل عن وجهتها ، ثم قطع الباطل عنها .

تارة يكون بصفائها في أصل خِلْقَتِها بأن يطهرها الله بلا واسطة ! وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون ، فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه ، إذا ناموا ناموا عليه ! وإذا استيقظوا استيقظوا عليه ! وإذا تحركوا تحركوا فيه ! حتى أن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله وبرسوله ؛ باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما فلهذا كثر فيهم الخير ، وسطع في ذواتهم نور الحق ، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيَّف ولا يطاق ، فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها ، وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرِّه ووارث نوره ، فيكلمه في أذنه ، فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك ! لطهارة الذوات ، وصفاء العقول ، وتشوُّفها إلى نهج الرشاد .

وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه ؛ أعني قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة ، حيث فسدت النيات ، وكسدت الطويات ، وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات ، واستيفاء اللذات ، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه وينظر إليه ، فيجد عقله متعلِّقاً بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك ، فتلهو مع اللاهين ، وتسهو مع الساهين ، وتميل مع المبطلين ، وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة ، من حيث أن العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق ! فإذا وجده على

هذه الحالة أمره بالخلوة ، وبالذكر ، وبتقليل الأكل ، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه ، وبتقليل الأكل يقلُّ البخار الذي في الدم ، فتقلُّ الشهوة ، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ﷺ ، فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته فهذا غرض الشيوخ من التربية . . إلخ ، كما هو مذكور في « الإبريز » فراجعه في الباب الخامس في ١٧٥ .

وقد ذكرت في هذا التذييل ما يتنبّه به الولد المرجو المحبوب لمعرفة معنى التوجُّه وأنواعه وكيفيته ؛ سواء كان من جهة المرشد ! أو من جهة المريد ! ومعنى الإفاضة والاستفاضة والفيض وكيفيتها ، ومعنى الاستعداد وما هو المراد منه ، وأجبت عن جميعها تصريحاً أو تلويحاً ، على وفق سؤال الولد المذكور . وأرجوه أن يجني ثمار شجرة الكتاب ، وأن يهيىء أرض الاستعداد ، لينبت عليها بذر الفيوضات وأن يجتهد في دفن البذر في خفاء تربة الإخلاص ، فإن ما ظهر وما لم يدفن من البذر لا ينبت ! بل يلتقطه الطيور أو يتلف ويفسد ، **وذرَّة واحدة مما خفي من الأعمال خير من عدة ألوفٍ مما ظهر** ، وإبقاء العمل وسلامته من الإحباط أشد وأصعب من العمل . رزقنا الله تعالى التوفيق والإخلاص آمين .

أيها الولد : إن والدك قد ألّف الكتاب باسمك ، وأشار إلى المآخذ في كل مسألة لترجع إليها إن أشكل عليك شيء منها . ومن المعلوم أن الأكثرين من الناس لا يثقون أقوال أمثالنا إلا بالتشييد بالنقول ، ولو أتينا جميع المسائل بلا ذكر المآخذ بناء على ما فتح الله لنا بمحض فضله وجوده ومَنّه من علمه اللدني ! لكان جمع الكتاب أيسر وأسهل ، لكن بيَّنَّاها لتكون كالعمود للبنيان ، وكالأساس للجدران ، جعلنا الله تعالى من أهل الاستقامة ، ولا جعلنا من الأئمة الضالين المضلين . آمين يا مجيب .

ورحم الله امرءاً رأى في هذا الكتاب خللاً فأصلح ، أو عاين زللاً فسمح ، فإن الخطأ والخلل غير مستغرب من الإنسان المطبوع على عدم الإحسان ، وخصوصاً من مثلي قليل العلم ، قصير الباع في الحفظ والفهم . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . وقع الفراغ في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

بشارة

فحين شرع الحقير الفقير في تأليف هذا الكتاب رأى واحدٌ من المريدين في الواقعة - يقظة لا مناماً - رجالاً كثيراً ، مجتمعين في بيت واسع ، وكان عند ذلك البيت حجرة صغيرة له باب من جانبه ، وكان فوق الباب كوة مفتوحة ، وعلى الكوة سكتو الخلقري ، وكان في تلك الحجرة النبي عليه السلام . فقال سيّدو : إنه عليه السلام يدعو لديه المؤلف[١] ، فذهب لدى النبي عليه السلام ، فحين دخل من باب الحجرة انفجر من تحته ماء صافٍ ، فجاء من لدنه عليه السلام لدى أولئك الرجال الكائنين هنالك ، مع قدح فيه ماء أبيض ، وقال : إن النبي عليه السلام أمرني أن أقسم هذا الماء بينكم ، فقسمه بينهم واحداً بعد واحد ، وشربوه .

وقد أُوِّلَتْ تلك الواقعة على حصول النفع للناس من هذا التأليف ، فلله الحمد والمِنَّة ، وله الشكر ومنه النعمة . اللهم اجعل عاقبة أمورنا خيراً ، ولا تجعل سعينا مكراً واستدراجاً ، واغفر لنا ولوالدينا ولمشائخنا خاصة ، ولأحبابنا وأصدقائنا عامة ، آمين . يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين . حرر في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

---

(١) وكان عليه لباس أبيض (منه) .

الفصل التاسع عشر

في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعد امتثال أوامرهم حاضراً كان أو غائباً ، والاعتراض عليه سرّاً وجهراً

فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق .

اعلم أنه لاشيء أضرّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم و عدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه .

قال في « تحفة الإخوان » فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ حبّه وتعظيمه و توقيره ظاهراً و باطناً وعدم الاعتراض عليه في شيء فَعَلَه ولو كان ظاهره أنه حرام ويؤوّل ما انْبَهَمَ عليه ، وتقديمه على غيره ، وعدم الإلتجاء إلى غيره من الصالحين .

ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف ، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محلّ الضرورات ككونه معه في مكان واحد ، وأن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ، ولا يجلس على سجادته ، و لا يسبّح بسبحته ، ولا يجلس في المكان المعدّ له ، ولا يلحّ عليه في أمر ، ولا يسافر ولا يتزوّج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمّة إلا بإذنه ، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشئ كقلم أو أكل أو شرب ، بل يسلّم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره ، وأن لا يمشي أمامه ولا يساويه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادمة ضرر ، وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لحقدهم فيه .

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره ، وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفراً أو حضراً لتَعُمَّهُ بركته .

ومنها أن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرّده الشيخ عنه وبالجملة يجب أن يحبّ من أحبّه ويكره من يكرهه .

ومنها أن يرى كلّ بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته .

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ، ولا يقول : لم يفعل لفلان كذا ولم يفعل بي ؟ ! وإلا لم يكن مسلّماً له قياده إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهراً وباطناً أخاطب بذلك أهل الله الصادقين .

ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر فإذا قال له : اقرأ كذا ، أو صلّ كذا ، أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة ، وكذا إذا قال له وهو صائم : أفطر ، وجب الفطر أو قال له : لا تصلّ كذا ، إلى غير ذلك .

واعلم أنّ الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفّف عليهم العبادة فإذا شمّ فيهم رائحة الصدق والاجتهاد ربّما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفني في حبّ الله تعالى ، وربّما اختبرهم هل يصدّقون معه أمْ لا ؟

ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه ، **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصحّ في الطريق .**

ومنها أن لا يتجسّس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة ، فإن في ذلك هلاكه و الله تعالى أعلم ، وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذن ، ولا يرفع الستّارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك كما وقع لكثير ،وأن لا يزوره إلا وهو على طهارة ، لأن حضرة الشيخ حضرة الله ، وأن يحسن به الظنّ في كلّ حال ، وأن يقدّم محبّته على محبّة غيره ما عدا الله و رسوله فإنهما المقصود بالذات ومحبّة الشيخ تابعة لهما ، وأن لا يكلّفه شيئاً ، حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى على الشيخ فلا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه ليسلّم عليه .انتهى .

وفي« الخلاصة المرضية » : **ومن شرط المريد** أن لا يصحب من الشيوخ إلا من تقع له حرمة في قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكره ، وأن لا يكتم عن شيخه شيئاً ممّا يخطر له ، وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه . والصدق في طلب الشيخ ، وأن لا ينظر في أفعال الشيخ ، ولا يتعدى أمر شيخه ولا يتأوّل عليه كلامه ، بل يتوقّف عند ظاهر كلامه ، ولا يطلب علّة الأمر الذي يأمره به ، بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سوآء عقل معناه أو لم يعقل وليفعل ما أمره ، ومتى تأوّل على الشيخ ما أمره أو يقول : تخيّلتُ أنك أردت كذا فليعلم أنه في إدبار ، فليبك على نفسه فإنه ما أتى على أكثر المريدين إلا من التأويل . ولا يطأ سجادة شيخه برجله ، ولا يلبس ثوباً لبسه شيخه **إلا إذا كساه الشيخ إياه** ، **ولا يسأله عن شيئ سؤالَ من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقصّ ما وقع له فإن أجابه كان ، وإلا فلا** ، وإن وصف ذلك على أن يجيب عنه الشيخ فقد جعله سؤالاً وإذا جعله سؤالاً فقد أساء الأدب ، ولا يخون شيخه في أمر مأمور به . ويجب على المريد أن لا يدخل على الشيوخ ولا يقعد بين أيديهم إلا على طهارة ظاهراً وباطناً : مسلمين مستسلمين هكذا شأنهم .

ومن شرط المريد : أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل ، إن غسل عضوا من أعضائه قبل عضو آخر أو حرّكه أو تصرّف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة ، فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزاً(١) كجلوس العبد بين يدي سيده ، وإذا أمره بفعل شيء فيثبت فيه حتى يعرف مراده ، ولا يبادر وهو غير عارف بما أمره ، ولا يتحمّل فيه

---

(١) استوفز : قعد غير مطمئن . « منجد » .

قول القائل ، وإذا عرف له عَدُوّاً فليهجره في الله تعالى ، ولا يجالسه ولا يعاشره . **وإذا رأى من يثني عليه ويحبّه فيحبّه ويقضي حوائجه** . وإن طلّق امرأة فمن الأدب أن لا يتزوّجها من غير أن تحرم عليه ، ويتلمّذ ويخدم كلَّ من قدّمه عليه شيخه وإن كان أقلّ علماً منه ، ولا يقعد مقعداً حيث كان إلا ويتيقّن أنّ الشيخ يراه فليلزم ذلك ، ولا يمشي أمامه إلا بليل ،ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلّة الأدب والحياء ، ويخرج الأحوال من القلب ، ولا يكثر مجالسته ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها ، ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبّلَ يده وأطرق ، ويتحبّب إليه بإمتثال أمره ونهيه ، وليكن حافظاً شحيحاً على عرضه ، وإذا قدّم إليه طعاماً فليقله[1] أمامه بجميع ما يحتاج إليه ، وليقف خلف الباب فإذا دعاه أجابه وإلا فليتركه حتى يفرغ فإذا فرغ أزال المائدة ، فإن بقي من طعامه شيء وأمره بالأكل فليأكل . **ولا يُؤْثِرُ بنصيبه أحداً** .

وليجتهد أن لا يراه إلا فيما يسرّه ولا يتمنّ عليه ، وليحذر مكر الشيخ فإنهم يمكرون بالطالب ، فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه فإن وقعت منه زلّة في حقّ أدب مع الشيخ وعرف أنه قد عرف بها وسامحه فيها ولم يعاقبه فليعلم أنه قد مكر به ، وعلم أنه لا يجيء منه شيء ولهذا سكت عنه ، وإذا عاقبه على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليستبشر بالقبول والفتح والرضى ، ولا يُبْدِ الله عليه إلا بسطة له كما انبسط معه ، فليزدد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام ، كلّما ازداد بسطة وخشوعاً زاد فيه مهابة وجلالاً .

ومن شرط المريد : أن لا يردّ على الشيخ كلامه ولوكان الحقّ بيد المريد ، فإنّ الشيخ إنما يقول ما فيه مصلحته فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماره ، ومتى وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاعه في خاطره ، فالنزاع وإن كان في نفسه فهو عين الاعتراض **والاعتراض على**

---

(١) علّه فليلقه (هامش الأصل) . أو فليقد .

الشيوخ حرام على المريدين وقوعه ، فهذا مريد مسخرة للشياطين ساع في هوى نفسه ، سَوْءته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى .

ومن شرط المريد : إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأمّل ولا توقّف ولا يصرفه عنه صارف ، حتى قال بعض المشائخ لبعض المريدين : أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررتَ بمسجد فقام فيه الصلاة فما تصنع ؟ فقال : أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه ، فقال له : أحسنت . ولهم في ذلك خبر يستندون إليه ، وهذا بشرط أن لا يخرج الوقت فإن خشي خروج الوقت صلى وذهب إليه .

ومن شرط المريد : الوفاء بكلّ ما يشترط عليه الشيخ سواء كان ذلك صعباً أو سهلاً . فإن طريق الله تعالى مجاهدة ومكابدة ليس طريق الراحة ، وليس للمريد أن يشترط على الشيخ ، **وإيّاك أن تعترض في شيء من أقواله ، ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظنّ** ، وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً ، فإنهم قالوا : **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** ، وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتّهِمْ نفسك واحمله على قصور علمك ونظرك ، فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك وأشدّ اهتماماً بها من غيره ، وكلّما خطر لك شيء من هذا الجنس ، تذكّر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض ، والحقُّ أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكّرت لظفرت به غالباً ، ولكنّ النفس لا تساعدك على هذا بل تغطي عليك وجه الصحة وإن كان واضحاً بيننا ، وتلقّنك وجه الفساد وتزينه وإن كان ضعيفاً لتستوفي حظّها ، فلو صدر منك ذلك الفعل بعينه أو أقمت على صحّته دلائل مثل الجبال الرواسي وتساعد النفس فيه ، وفوق ما ذكرنا من الاعتراض أن يكون مسلّماً بالظاهر معترضاً بالقلب ، فتنقطع الرابطة ويقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنويّة ، **فلا ينفعه**

التسليم باللسان مع وجود الإنكار في الباطن ، إذ الرابطة أمر معنويّ لا يتعلّق باللسان ، وإنما يتعلّق بالقلب . فإذا تمكّن الإنكار فيه زال اتّصال الباطن والمحكوميّة وهو المعنى من الرابطة ، فلا يبقى بين قلب المريد وبين قلب الشيخ علامة ، فينسدّ طريق الفيض الذي يصل إلى قلبه من قلب الشيخ في الحقيقة وإن كان قريباً ، فكم بينه وبين من يكون بعيداً في الصورة قريباً في الحقيقة ؟ ! هيهات مثل هذه المحبّة لا تزيد إلا شقاوة وردّاً على ردّ فيعود الأمر على موضعه بالنقص ، ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس و الشيطان فيعد من جملة الخادعين والمنافقين في الطريقة .

والمريد إنما يتعلّق بإرادة الشيخ ليتخلّص من الكفر الباطنيّ ويشفي من المرض الخفي القلبيّ ، وإلا فهو مسلم شرعاً لا شكّ في إسلامه ، وإذا حققت وجدته ترك الاعتراض على الله تعالى لأنه إذن كان مسلماً للشيخ ، مطيعاً لحكمه ظاهراً وباطناً ، فمن حصل عليه خاطر لاعتراض على الله تعالى ، فالشيخ يخرجه من هذه الورطة بحسن تربيته وإرشاده وإن كان في قلبه نوع إنكار واعتراض على الشيخ ، فإن وقع في مضيق الاعتراض على الله تعالى كيف يخرج عنه ، ومن يأخذ بيده ، فيحصل غرض النفس إذ مقصوده من الاعتراض على الشيخ ليس إلا أن تنقطع الرابطة ، فإذا دخل عليه خاطر الاعتراض على الله تعالى وأراد الشيخ أن يغيّره عن هذه العقبة لا ينفذ فيه تصرّفه ، ولا ينجع كلامه ، فتزلّ قدم المريد وينحرف عن جادة الطريق ، إذ الثبات ليس إلا بقوة ولاية الشيخ ومحكومية المريد ، فيكون الأمر كما تحب النفس وتشتهي .انتهى مخلصاً .

وفي« الإبريز » للشيخ أحمد بن المبارك ، وسمعته - يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ - [يقول] : **لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الوليّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى . فإن في باطن الوليّ العجائب**

والغرائب ، وما مثاله إلا كخنشة صوف في وسطها خنشة حرير لا تنظر إلا في الآخرة وغير الولي بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صُوف . والعياذ بالله تعالى .

قال : ولنثبت أسباباً كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ سمعناه من الشيخ ﷺ مفرقة فلنجمعها هنا .

فنقول : سمعْته ﷺ يقول : كان لبعض الأولياء الصادقين مريد صادق فكان يحبّه كثيراً ، وأطلعه على أسرار ولايته حتى أفرط في محبته ، وكاد يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوّة ، فأظهر الله تعالى على الشيخ صورة معصية الزنا رحمة بالمريد المذكور ، فلما رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ونزل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد .

قال ﷺ : وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبي ﷺ من نحو قوله في قضيّة تأبير النخل : لو لم تفعلوا لصلحت ، ثم تركوا التأبير فجاءت الثمر شيصاً أي غير صالحة ، ومن نحو قوله ﷺ « رأيت في منامي انا ندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين مقصرين » ثم خرج النبيّ ﷺ مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم فصدّهم المشركون ، ولم يدخلوا إلا في عام آخر ؛ ونحو ذلك ، ففعل الله سبحانه هذه الأمور مع نبيّه الكريم لئلاّ يعتقد الصحابة فيه الألوهية ولذا قال تعالى ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾ ونحو ذلك فإنّ المقصود من ذلك كلّه هو الجمع على الله سبحانه والله تعالى أعلم .

قال : وسمعته ﷺ يقول : إنّ الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونياتهم ، فمن صفت نيته رآه في عين الكمال ، وظهر له منه الخوارق وما يسر له ، ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك وفي

الحقيقة ما ظهر لكلّ واحدٍ إلا ما في باطنه من حسنٍ وقبح ؛ والوليّ بمنزلة المرآة التي تتجلى فيها الصورة الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمال ودلالة على الله تعالى فليحمد الله تعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه .

قال رضي الله عنه : وإذا أراد الله شقاوة قوم ، وعدم انتفاعهم بالوليّ سخر الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنّون أنّه على شاكلتهم وليس كذلك ، حتى أنّه يتصوّر في صور الولاية أن يقعد الوليّ مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنونه أنه شارب الخمر ، وإنما تصوّرت روحه في صورة من الصوّر ، وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء ، وإنما هو ظلّ ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلمتْ ، وإذا أخذتَ في الأكل أكلتْ ، وإذا أخذتَ في الشرب شربت ، وإذا أخذتَ في الضحك ضحكت ، وإذا أخذتَ في الحركة تحرّكت وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره لأنها ظلّ ذاتك وليست بذاتك الحقيقيّة ، فإذا أراد الله تعالى شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظلّ ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون ؛ والله تعالى الموفق .

وقال : سمعتُ رضي الله عنه يقول : إنّ الوليّ إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم ، وأمّا ظاهرهم فلا عبرة به عنده .

والقاصدون على أربعة أقسام :

قسمٌ يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد ، وهذا أسعدهم . **وقسمٌ** يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد ، وهذا أبعدهم . **وقسم** ظاهره معتقد وباطنه منتقد ، وهذا أضرّ الأقسام على الوليّ كالمنافق بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لأنه إذا نظر إلى ظاهره يريد نفعه منعه الباطن . وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمعه ظاهره .

قال ﷺ : **والوليّ يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر** فيكون هذا القسم عنده بمثابة من جلس إليه رجلان ، أحدهما في جوف الآخر **فيقول الرجل الظاهر** : أنت سيدي وأنا عند أمرك ونهيك ، وعلى طاعتك وتصييرك ، **ويقول الذي في الجوف** : أنت لست بوليّ والناس أخطؤوا فيما يظنون فيك ، وأنا على شك في أمرك وفيما يقولون فيك ، ونحو هذا . فالجاهل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم ، والقسم الأوّل . فإذا رأى القسم الأوّل ربح ، وحصل له الخير الكثير من الوليّ ، قال في نفسه : ولم لم يربح القسم الثالث مع أنه يتأدّبُ ويخدم بنفسه ، ويقف عند الأمر والنهي كالأوّل ؟ فيقول : لعلّ الخلل والنقصان من الوليّ فيكون هذا باباً واسعاً للكلام في الأشياخ ودخول الوسوسة فيهم .

وأما القسم الرابع : وهو ما يكون باطنه معتقداً وظاهره منتقداً ، فلا يتصوّر إلا مع الحسد ، نسأل الله تعالى السلامة والله تعالى أعلم .

وقال ﷺ : إنّ الوليَّ الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه ، لا يحجب عنه طرفة عين ، وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة فمن قسم له رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر ، وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا يكيف من الخيرات ، ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف .

وقال ﷺ : وما مثل الوليّ مع القاصدين إلا كحجر بني إسرائيل ، فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتي عشرة عيناً ، وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة .

وقال ﷺ : **إنّ الوليّ الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في**

المعصية فليست بمعصية ، لأنها إذا أكلت حراماً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت ، وسببُ هذا المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين ، والعياذ بالله . فإذا رأيت الوليّ الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد على الحاضرين لأن الله تعالى أراد بهم الخير ، أو معصية فاشهد بشقاوتهم ، وكما أن أرواحهم هي التي تتولّى معاصيهم الظاهرة ، والله تعالى أعلم .

وقال ﷺ : إنّ الوليّ قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي ، فيستعمل أموراً تردّه إلى حسه وإن كان فيها ما يعاب عليه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما ، فإذا رآه شخصٌ ارْتَكَبَ ذلك الأمر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله . ربما بادر إلى الإنكار عليه فيحرم بركته وقد تقرّرَ في الشرع أي في الشريعة المطهّرة أنّ العضو إذا أصابته الأكلة ، وخيف على الذات منها فإنه يباح قطعه لتسلم الذات ، مع أن العضو معصوم ، ولكنه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما ، وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدّة الجوع فإنه يباح أكلة الميتة حتى يشبع ويتزوّد منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة . وهذه الأمور التي تردّ ذات الوليّ إلى حسها هي المعتادة لها قبل الفتح وكل ذات وما اعتادت ، فافهم بالإشارة ففي التفصيل والتصريح وَحْشَةٌ ، والله تعالى أعلم . انتهى مخلصاً . وإلى معنى جميع ما تقدم أشار شيخنا ﷺ وأرضاه عنا به كما في « جواهر المعاني » بقوله : وأما ما يقطعه - يعني المريد - عن أستاذه فأمورٌ : **منها** الاعتراض . **ومنها** الاعتراض بالقلب واللسان . **ومنها** كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة .

ومنها سقوط حرمته من قلب فأما الاعتراض سواء كانت دنيوية أو أخرَوية وذلك أنّ الشيخ لا يعرف ولا يصحب إلا لله عزّ وجلّ ، لا لشيء

والصحبة في أمرين :

الأول : أن يواليه لله تعالى بأن يقول : هذا وليّ الله تعالى وأنا أواليه لله سبحانه ، وسرّ ذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي طيّه : من والى لي وليّاً لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وليّاً ؛ وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى .

والأمرُ الثاني : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجبُ للحضرة من الأدب ، وما يفسد المريد فيها من الأوطار والأرب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى وعلى ما يقرّبه إليه ، والصحبة في هذين لا غير ، **وأما من صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة** .

فإذا عرفت أنّ الرب سبحانه يُعْبد لا لغرض بل لكونه إلهاً يستحقّ الألوهيّة والعبودية لذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهيّة – وهذه هي العبادة العليا – وكذلك الشيخ يُصْحب لا لغرض ، بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرّف منه الأدب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى ؛ **وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محموداً فهو شينٌ على العبد في حضرة الله تعالى** ، ولهذ أمرت الأشياخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقلّ قليل ، **لأنّ المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله تعالى صريحاً لا تلويحاً ، لكونه نصب نفسه إلهاً وعصى أمر الله تعالى وخالفه ، فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله في شيء ، وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال : كذبت بل أنت مشرك** . ومن هذ القبيل خرج قوله ﷺ « ما تحتَ قبة السماء إله يعبد من دون الله تعالى أعظمُ من هوًى متبع » ، فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغيّر إذا لم يوافق هواهُ في غرضه .

فإنّ الشيخ أعلم بالمصالح وأدرى بوجوه المضار ،

والتلميذ جاهلٌ بذلك ، فإذا طلب منه غرضاً من أيّ فنّ كان ، ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه منه لأجل مصلحته ودفع مفسدَته ، فإذا عوّد نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ . فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغييره[1] انقطع انقطاعاً كليّاً لا رجوع له أصلاً .

وأما الاعتراض بالقلب أوْ باللسان فإنه سيف صارم يقطعُ الحبْلَ بين الشيخ ومريده ، فلا يعترض شيئاً من أمور الشيخ . فإن لم يوافق ما عنده من ظاهر العلم وباطنه فليعلم أنّ هناك دقائق بين الشيخ ورَبّه لا يدْريها التلميذ والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه ، فإذا خالف صُورَة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشيخ من حيث لا يدريه الخلق .

وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجلّ به في غيرها من المراتب ، وذلك التجلّي تارةً يكون كمالاً في نسبة الحكمة الإلهيّة ، وتارة تكون صورتها نقص في نسبة الحكمة الإلهية ، فلا محيد لتلك المراتب من ظهور التجلّي فيها بصورة ذلك النقص لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية ، وكلّ تعلقات المشيئة يستحيل تحرّ لها لغير ما تعلّقت به ، **فلا بدّ لكل عارف من ظهور النقص في ذاته ، ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال الدقائق التي بينه وبين رَبّه** ، وتارة يلابسه معتمداً أنه نقص ، وليس له في هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث لا محيد للعبد عنه . فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما

(١) علّه : بعد تغيّره .

شرعيّاً أو مما يخلّ بالمرُوءة فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها ، وليعلم أنّ ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربّه ، ولا يزحزحه عن محلّ قربه ، ولا يحطّه عن كمال أدبه فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية ، وكلّ مريد يطلب مرتبة من الحق يتعلّق بها للقرب والوُصول يريد أن لا يظهر فيها نقص ، كان لسان حاله ينادي عليه : **لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى** ، لأنّ كل المراتب لا بدّ لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحساً بريئاً من النقص بكلّ وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط ، لا ما عداها ، وهي : **الرسالة** لمن دخل حضرتها ، **والنبوّة** لمن دخل حضرتها ، **والقطبانية** لمن دخل حضرتها ، فإن هذه الثلاث لا صورة للنقص فيها ، والباقي من المراتب يظهر فيها النقص في الغالب ، وقد لا يظهرُ .

فإنّ هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرءِ فيها صورة النقص **فذلك هو غاية الكمال** ، وإنما ينتقصها المرء لجهله وإليه يشيرُ قوله ﷺ « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله فوالله إني لأعلمهم بالله وأخشاهم له » .

وأما سقوط حرمته فهو أكبر قاطع عن الله تعالى ، وسقوط الحرمة هو عدم ظهُور المبالاة إذا أمرَه أو نهاهُ .

ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشارك في محبته غيره ، ولا في تعظيمه ، ولا في الاستمداد منه ، ولا في الانقطاع إليه بقلبه ، ويتأملُ ذلك في شريعة نبيّه ﷺ : فإنّ من سوّى رتبة نبيّه محمد ﷺ مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافراً ، إلا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية .

فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره به في هذه الأمور ، ولا يشركه .

ومن أكبر القواطع عن الله تعالى أن ينسب ما عندَه من الفتح والأسرار لغير شيخه ، لأنّ تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كلّ نورٍ منها يحنّ إلى مركزه ، وهي الحضرة الإلهية التي منها برز ومنها نشأ ، ولكل شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشاركه فيها غيره ، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه . وصورة ذلك في نسبة الحكمة الإلهية أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه قال تعالى ﴿ **ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق ، وكذب على الله تعالى ، والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويسلب ؛ والعياذ بالله .انتهى والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب آمين . « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » عبارته ١٣٩ ج١ .

ولا تقْدِمَنْ قبل اعتقادك أنه　　　مربّ ولا أولى به[١] منه في العصر
فإن رقيب الالتفات لغيره　　　يقول لمحبوب السراية لا تسري
وإن تسم نحو الفقر نفسك فاطرح　　　هواها وجانبه مجانبة الشرّ
وضعها[٢] بحجر الشيخ طفلاً فما لها　　　خروج بلا فطم عن الحجر والحجر
ومن لم يكن سلب الإرادات وصفه　　　فلا يطمعن في شمّ رائحة الفقر
ولا تعترض يوماً عليه فإنه　　　كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل　　　يرى النقص في عين الكمال وما يدري

(١) وفي نسخة : أولى بها .
(٢) وفي نسخة : وضعفاً .

ومن لم يوافق شيخه فـي اعـتقاده　　يظل من الإنكـار فـي لـهب الـجمـر
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى　　عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيــره　　ولاتــمـلأن عـيناً مـن النـظـر الـشـزر
ولا تنطـقـن يـوماً لديه فـإن دعا　　إليـه فـلا تـعـدل عـن الـكـلم النزر
ولا ترفعوا أصواتـكـم فـوق صـوته　　ولا تجـهروا جهر الذي هو في قفر
ولا تـقــعـدن قـدامـه مـتـربـعـــاً　　ولا بـاديـاً رجـلاً فبـادر إلى الستْر
ولا بـاسـطـاً سـجـادة بـحـضـوره　　فـلا قـصـد إلا السعي للخادم البرّ
وسـجـادة الـصـوفـيّ بـيت سكونه　　ولا وكـر إلا أن يـطـيـر عـن الوكر
وفرّ إليه فـي الـمـهـمـات كـلـهـا　　فـإنّك تـلـقى الـنصر في ذلك الفر
ولا تـك مـمن يـحسن الفعل عنده　　فيـفـسـد إلا أن يـفـر إلـى الـكــرّ
ومن حـلّ مـن صدق الإنابة منزلاً　　يـرى الـعيبَ فـي أفعاله وهو مستبرّ
« جواهر المعاني » عبارته ١٤٤ من الجزء الأوّل .

مهم

قال في « الوصايا القدسية » : وينبغي أن يكون - يعني المريد الذاكر - صادقاً يخلص بهمته نفسه من التعلقات بالكائنات ، والميل إلى المشتهيات والمستلذات التي هي المعبودات الباطلة ، ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية فلا طائل تحتها ، ويطلب الحق وحده وينزه طلبه من المزج بهوى النفس ، فإن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات من جملة هوى النفس وهواها ، ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك فهو مدرج فيما بين الممكورين ، بل وإن وقعت بلا طلب يخاف عليه من الاستدراج . « رماح حزب الرحيم »

عبارته ١٣٩ ج١ من هامش « جواهر المعاني » من خط أبي حسن أفندي .

فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره « جواهر المعاني » عبارته ١٣٣ ج١ من خطه رزقنا فيضه .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الترغيب الثاني

الترغيب الثالث

الموضوع	**الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الترغيب الخامس

الترغيب السادس

الترغيب السابع

الموضوع **الصفحة**

الترغيب الثامن

الترغيب التاسع

الموضوع **الصفحة**

الترغيب العاشر

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفرائد الوهبيَّة

في

ردّ شبهات الوهابية

ألَّفه

العلامة الجليل المرشد محمد بن نور محمد
النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

دار الرسالة

ترجمة الشيخ محمد العسلي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فهذه نبذة يسيرة عن سيرة رجل من رجال تاريخ طريق التصوّف في ديار داغستان ، أَلَا وهو الشيخ الكامل ، والقطب الحقيقي ، المرشد في الطريقة النقشبندية والشاذلية محمّد ابن العالم نور محمد العسلي قدس سره .

مولده : ولد قدس سره في قرية عَسَبْ من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة أربع وثلاثمائة وألف هـ . ١٣٠٤

نشأته : وكان من صباه محباً للعلم ، رحيماً للصغار ، موقّراً للكبار ، وكان حسن الخلق ، عنده فهم وذكاء ، ذا علم كامل ، كان أناس من قريته متحيِّرين مما يرونه من سلوكه الحسن .

تعلُّمه وتلقِّيه : بدأ بدراسة العلم في صباه عند أبيه ، ثم تابع الدراسة عند العلماء من القرى المجاورة ، وكان متعلِّماً في قرية هُؤُورْ وهُلُوقْ وبَقْلُخْ وغيرها ، وكان يهتمُّ بالعلم كثيراً ، ويحثُّ عليه الناس .

تسليكه الروحي : دخل دِبيرَصُلْ مُحَمَّدْ أَوَّلاً تحت تربية الشيخ عبد الرحمن العسوي قدس سره في صغر سنّه ، ثم بعد انتقاله إلى رفيع الأعلى سلك على يد الشيخ حسن حلمي القحي قدس سره ، وقبل السفر إلى الحج نذر الحاج عبد الرحمن العسوي كُتبه للشاب الصغير دِبيرَصُلْ مُحَمَّدْ ؛ لعلمه بأن له شأناً كبيراً في المستقبل . وفي سنة ١٩٠٥م توفِّي مُروِّج الطريقة في الجبال الأوارية الحاج عبد الرحمن العسلي عند رجوعه من الحج ، ودفن في جدة قرب أمِّنا حواء . رزقنا الله من بركاته . آمين . وكان محمد أفندي من أسبق مريدي الشيخ حسن أفندي قدس سره ، ولذا لقّبه قدس سره بِيَعْسُوبِ أهل الإرادة ، بمعنى أنه هو الذي يتعهَّد سائر مريديه ، بمثابة

رئيس النحل لسائر النحل ، وكان عمره عند ما أجيز له أربعون سنة ، وبذلك أصبح من أصغر من أجيز لهم . وقد أمضى عمره في الإرشاد خمسة عشر أو سبعة عشر سنة .

من كراماته : صحب واحد من مريدي الشيخ دِبِيرَصُلْ محمد اسمه عَلِلْ محمد معه ، وعندما كان محمد يمشي خلف أستاذه تفكّر في أنه ربما يعجبه صحبة من يرتدي الملابس الجميلة ، فأما أنا فملابسي عتيقة ، فاطلع الأستاذ على خاطره وقال في الحال ملتفتاً إليه : يعجبني القبر المعمور من داخله لا من خارجه .

وفاته : توفي رحمه الله سنة واحدة وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦١ هـ .

وقد حبسته الحكومة الْبَلْشِوِكِيَّةُ مع شيخه حسن حلمي قدس سرهما في سنة ١٩٣٧م ؛ وتوفِّي في سنة ١٩٤٢م في سجن مدينة دِرْبِنْتْ مظلوماً ، وبعد سبعة عشر سنة من موته في سنة ١٩٥٩م نقله من دِرْبِنْتْ إلى قرية غزانش الأعلى ، ودفن في مقبرة قريتهم عند قبر قطب الأنام الشيخ سيف الله قدي قدس سره . وقد ترك مصنّفات جميلة ، منها ؛

١ « الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » .

٢ « الأجوبة العسلية في ردِّ شبه الوهابية » .

٣ « الفرائد الوهبيَّة في ردّ شبهات الوهابية » .

٤ « الأجوبة الوهبية للمسائل الوهميَّة » .

٥ « كنوز الأمان من فتن الزمان » .

٦ « القصيدة في أشراط الساعة » .

رحمه الله رحمة واسعة ،

وأسكنه فسيح جنته ،

والحمد لله رب

العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه التكلان

الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بمشاهدة جماله من وراء الحجب والأستار ، وشرح صدور الواصلين بمكاشفة الستائر والأسرار ، وسترهم عن أعين المنكرين والفجار ، وسبحان من جعلهم نجوماً في سماء الولاية وجعل من في الأرض بهم يهتدون ، وسبحان من أوجد الهادي من شاء هدايته إليه من العباد والأمجاد ، وقال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾ ، فالأولياء في جنة القرب منعمون والمنكرون في نار الطرد والبعد معذبون ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ ، والصلاة والسلام على رسوله سيد الثقلين محمد ﷺ ، وعلى آله الأخيار وأصحابه الأطهار .

وبعد ؛ فيقول العبد الحقير المفلس محمد بن العالم نور محمد العسلي رحم الله إفلاسه ورزقه من قطرات فيوضات مشائخه قدس الله أسرارهم : لما رأيت ما رسمه سيدنا وسندنا شيخ الإرشاد ومرشد الأوان الشيخ حسن حلمي الأويسي النقشبندي الشاذلي القادري - وقاه الله المحن والأنكال ومتعنا والمسلمين بطول بقائه آمين - إلى بعض المنكرين من الأجوبة الفريدية والنصائح النفيسة التي تزيل الصداء عن قلوب المخلصين المهتدون ، لا عن قلوب الغافلين المقفلين ، أردت جمعها وجعلها كتاباً مستقلاً بحيث ينتفع بها المهتدين ، ويتناول إليها أيدي القاصدين إلى القرب بالملك العلام ، وبه جمعتها وجعلتها كتاباً . وكتبت خلف الأجوبة الزوائد اللطيفة والنقول المؤيّدة لكلّ ما ذكره شيخنا بحسب المقام والاحتياج . فلما كانت الأجوبة المذكورة فيه كالفرائد الوهبية الشريفة سمَّيته :

« الفرائد الوهبيَّة في ردّ شبهات الوهابية »

وجعلت الفريد مثل الباب ، فصار الكتاب مشتملاً على مقدمة وفرائد عديدة ، والحمد لله رب العالمين .

مقدّمة : في بيان حقيقة التصوّف وكون طريق القوم مشيّدة بالكتاب والسنة ، وبيان حقيقة الاعتراض على الأولياء وما وقع لهم من جهة المنكرين من الضيق مع بيان أستارهم رضي الله عنهم . فأقول : لله الحمد وبيده أزمة التحقيق ، ومنه الهداية إلى الطريق الأقوم : قال الإمام الشعراني في « الطبقات الكبرى » : اعلم يا أخي رحمك الله أن علم التصوّف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقدح العلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموا من أحكامها . فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس ، كما أن علم المعان والبيان زبدة علم النحو .

فمن جعل علم التصوّف علماً مستقلاً فقد صدق ، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق ، كما أنّ من جعل علم المعان والبيان علماً ومستقلاًّ فقد صدق ، ومن جعله من جملة علم النحو وقد صدق ، لكنه لا يشرف على ذوق أن علم التصوّف تفرع من عين الشريعة إلا من تبحَّر في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية . ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحّر فيها أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء ، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما قاله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه ، كما صرح بذلك اليافعي وغيره .

وإيضاح ذلك أنهم كلُّهم عدول في الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه ، فمن وقف النظر علم أنه لا يخرج شيء **من علوم أهل الله تعالى** عن شريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة وصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة ؟! ولكن أصل استغراب من لا له إلمام بأهل الطريق أن علم التصوّف من عين الشريعة كونه لم يتبحَّر في علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله : **علمنا هذا مشيّدٌ بالكتاب والسنة** ردّاً على من توهم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره .

وقد أجمع القوم على أنه لا يصح للتصدّر في طريق الله عز وجل إلا من تبحَّر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها ، وخاصها وعمِّها ، وناسخها ومنسوخها ، وتبحّر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك ؛ **فكل صوفي فقيه ولا عكس** ، وبالجملة **فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم** .

وقال القشيري : لم يكن عصر في مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتباركوا به ، ولو لا مزية وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس . انتهى . قلت : ويكفينا للقوم مدحاً إذعان الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي ، حين طلب الإمام أحمد بن حنبل أن يسأله عمن نسي صلاة لا يدري أيّ صلاة هي ، وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك ، حين قال شيبان : هذا رجل غفل عن الله عز وجل فجزاؤه أن يؤدب وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لأبي حمزة البغدادي الصوفي رضي الله عنه واعتقاده حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول : ما تقول في هذا يا صوفي ، كما يأتي بيان ذلك في ترجمة أبي حمزة رضي الله عنه . فشيء يقف في فهم الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غاية المنقبة للقوم . وكذلك يكفينا إذعان أبي العباس بن سريج بالجنيد

حين حضره وقال : لا أدري ما يقول ، ولكن لكلامه صولة ليس بصولة مبطل . وكذا إذعان الإمام أبي عمران للشبلي حين امتحنه في مسائل من الحيض وأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبي عمران .

وحكى شيخ قطب الدين بن أيمن رضي الله عنه أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول : أنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم تبلغه . وقد أسبغ القول في مدح القوم وطريقهم الإمام القشري في « رسالته » ، والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في « روض الرياحين » ، وغيرهما من أهل الطريق ، وكتبهم كلها طافحة بذلك .

وقد كان الإمام أبو تراب النخشبي أحد رجال الطريق رضي الله عنه إذا ألف العبد الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى . قلت : وسمعت شيخي ومولاي أبا يحي زكريا الأنصاري شيخ الإسلام يقول : إذا لم يكن للفقيه علم بأحوال القوم واصطلاحاتهم فهو فقيه جاف . وكنت أسمعه يقول كثيراً : الاعتقاد صلة والانتقاد حرمان .

وكان شيخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنه يقول : اطلب طريق ساداتك من القوم وإن قلوا ، وإياك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلوا . وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة ، كما يجب طلب علم الشريعة ؛ وكل عن مقامه يتكلم . انتهى .

قلت : ورأيت رسالة أرسلها الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه للشيخ فخر الدين الرازي صاحب التفسير يبيّن له فيها نقص درجته في العلم هذا ، والشيخ فخر الدين الرازي مذكور في العلماء الذين انتهت إليهم الرياسة في الاطلاع على العلوم من جملتها ، يا أخي ! وفقنا الله

وإياك **إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة** من نقل أو شيخ ، فإنّ من كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات ، وذلك مقلول عند أهل الله عز وجل ، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها فاته حظه من ربه عز وجل ، لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفنى الرجل عمره فيها ، ولا يبلغ إلى حقيقتها . ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى فتأخذ عنه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر ، كما أخذه الخضر عليه السلام ، **فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود ، ولا عن نظر وفكر وظن وتخمين .**

وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره : أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميّت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . وينبغي لك يا أخي أن لا تطالب من العلوم إلا ما يكمل به ذاتك وينتقل معك حيث انتقلت ، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة ، فإن علمك بالطب مثلاً إنما يحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض ، فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه سقم ولا مرض فمن تداوي بذلك العلم . فقد علمت يا أخي ! أنه لا ينبغي للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ما ينتقل معه إلى البرزخ دون ما يفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة ، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط : العلم بالله عز وجل ، والعلم بمواطن الآخرة ، حتى لا ينكر التجليات الواقعة فيها ، ولا يقول للحق إذا تجلّى له : نعوذ بالله منك ! كما ورد ، فينبغي لك يا أخي الكشف عن هذين العلمين في هذه الدار لتجني ثمرة ذلك في تلك الدار ، ولا تحمل من علوم هذه الدار إلا ما تمس الحاجة إليه في طريق سيرك إلى الله عز وجل ، على مصطلح أهل الله عز وجل وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة والرياضة والمشاهدة والجذب الإلهي .

وكنت أريد أن أذكر لك يا أخي الخلوة وشروطها ، وما يتجلى لك فيها على الترتيب شيئاً فشيئاً ، لكن منعني من ذلك الوقت ، وأعني بالوقت من لا غوص له في أسرار الشريعة ممن دأبهم الجدال حتى أنكروا كل ما جهلوا ، وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة وأكل الدنيا بالدين عن الإذعان لأهل الله تعالى والتسليم لهم . انتهى .

وقد حكى الشيخ محي الدين العربي في « الفتوحات » وغيرها : **أنَّ طريق الوصول إلى علم القوم الإيمان والتقوى** ، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي : أطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات ، وأسرار الجبروت ، وأنوار الملك والملكوت ، وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .

والرزق نوعان : روحاني ، وجسماني ، وقال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية ، ولذلك أضاف التعليم إلى اسم الله الذي هو دليل على الذات وجامع للأسماء والأفعال والصفات ، ثم قال رضي الله عنه : فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة أن ذلك إحالة للمظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآية والحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب له الآية والحديث ودلت عليه في عرف اللسان وثم أفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالى عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي « إن لكل آية ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً إلى سبعة أبطن وإلى سبعين » . **فالظاهر** هو المعقول والمقبول من العلوم النافعة التي تكون بها الأعمال الصالحة . **والباطن** هو المعارف الإلهية . والمطلع هو معنى يتحد فيه لظاهر والباطن والحدّ ، فيكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي ، فافهم يا أخي .

ولا يصدّنّك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذي جدل ومعارضة : إن هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ . فإنه ليس ذلك بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذي قلناه ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرُّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى في نفوسهم ما يُفهمهم بفضله ، ويفتحه على قلوبهم برَحْمته ومنَّته .

ومعنى الفتح في كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السرّ ، لما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة ، إذ الوليّ لا يأتي قط بشرع جديد ، وإنما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة الذي لم يكن يعرف لأحد قبله ، ولذلك يستغربه كل الاستغراب من لا إيمان له بأهل الطريق ، ويقول : هذا لم يقله أحدٌ ؛ على وجه الذم ، وكان الأولى أخذه منه على وجه الاعتقاد ، واستفادته من قائله ، ومن كان شأنه الإنكار لا ينتفع بأحد من أولياء عصره وكفى بذلك خسراناً بيّناً .

وربّما يفهم المعترض من اللفظ ضدّ ما قصده لافظه ، كما وقع لشخص من علماء بغداد أنه خرج يوماً إلى الجامع فسمع شخصاً من شربة الخمر ينشد :

إذا العشرون من شعبان ولَّت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق عن الصغار

فخرج هائلاً على وجهه للبزاري إلى مكة ، فلم يزل على ذلك الحال إلى أن مات . فما منع من سماع الأشعار والتغزلات إلا المحجوب الذي لم يفتح الله تعالى على عين فهم قلبه ، إذ لو فتح الله تعالى على عين فهم قلبه لنظر بصفاء الهمة وسمع بثاقب الفهم ونور المعرفة ،

وأخذ الإشارة من معاني الغيب واتبع أحسن القول بحسب ما سبق إلى سره ، قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : ولقد ابتلى الله هذه الطائفة الشريفة بالخلق ، خصوصاً أهل الجدال فقلَّ **أن تجد منهم أحداً شرح الله صدره للتصديق بوَليّ مُعَيّن** ، بل يقول لك : نعم نعلم أن لله أولياء وأصفياء موجودين ، ولكن أين هم فلا تذكر لهم أحداً إلا أخذ يدفعه ويرد خصوصيَّة الله تعالى له ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير وليّ الله تعالى ، وغاب عنه أن الوليّ لا يعرف صفاته إلا الأولياء ، فمن أين لغير الوليّ نفي الولاية عن إنسان ، ما ذاك إلا محض تعصب كما نرى في زماننا هذا من إنكار ابن تيميّة علينا وعلى إخواننا من العارفين . فاحذر يا أخي ممَّن كان هذا وصفه وفرّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري ، جعلنا الله وإيّاكم من المصدقين لأوليائه المؤمنين بكراماتهم بمنه وكرمه . انتهى .

وحكى الموصلي في كتاب « مناقب الأبرار » عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه أنه كان يقول : إياك ومجالسة القراء فإنهم أحبوك وَصَفوك بما ليس فيك فغطوا عليك عيوبك ، وإن أبغضوك جرحوك بما ليس فيك وقبله الناس منهم . قال سيّدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : وقد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أن يُسَلط عليهم الخلق في مبدأ أمرهم وفي حال نهايتهم كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالى ، ثم تكون الدولة والنصرة لهم في آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالى كل الإقبال . انتهى .

قلت : وذلك لأن المريد السالك يتعذر عليه الخلوص والسير إلى حضرة الله عز وجل مع ميله إلى الخلق وركونه إلى اعتقادهم فيه ، فإذا أذاه الناس وذمّوه ونقصوه ورموه بالبهتان والزور نفرت نفسه

منهم ، ولم يصر عنده ركون إليهم البتة ، وهناك يصفو له الوقت مع ربه ويصح له الإقبال عليه لعدم التفاته إلى وراء . فافهم . ثم إذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم إلى إرشاد الخلق يرجعون وعليهم خلقة الحلم والعفو والستر ، فتحملوا أذى الخلق ، ورضوا عن الله تعالى في جميع ما يصدر عن عباده في حقهم ، فرفع الله بذلك قدرهم بين عباده ، وكمل بذلك أنوارهم ، وحقق بذلك ميراثهم للرسل في تحمل ما يرد عليهم من أذى الخلق ، وظهر بذلك تفاوت مراتبهم ، **فإن الرجل يبتلى على حسب دينه** قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ وذلك لأن الكمل لا يخلو أحدهم عن هذين الشهودين : إما أن يشهد الحق تعالى بقلبه فهو مع الحق لا التفات له إلى عباده ، وإما أن يشهد الخلق فيجدهم عُبَيْد الله تعالى فيكرمهم لسيدهم ، وإن كان مصطلماً فلا كلام لنا معه لزوال تكليفه حال اصطلامه فعلم أنه لا بد لمن اقتفى أثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأولياء والعلماء أن يؤذوا كما أوذوا ، ويقال فيه البهتان والزور كما قيل فيهم ليصبر كما صبروا ويتخلق بالرحمة على الخلق رضي الله عنهم أجمعين .

وسمعت سيدي علياً الخواص رضي الله تعالى عنه يقول : لو أن كمال الدعاة إلى الله تعالى كان موقوفاً على إطباق الخلق على تصديقهم لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ والأنبياء قبله ، وقد صدقهم قوم وهداهم الله تعالى بفضله وحرم آخرون فأشقاهم الله تعالى بعدله .

ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام في مقام التأسي بهم انقسم الناس منهم فريقان : فريق معتقد مصدق ، وفريق منتقد مكذّبٌ ، كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام ، ليحقق الله تعالى بذلك ميراثهم فلا يصدّقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله تعالى عز وجل أن يلحقه بهم ولو بعد حين .

وأما **المكذّب** لهم المنكر عليهم فهو مطرود عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بعداً ، وإنما كان المعترف للأولياء والعلماء بتخصيص الله تعالى لهم وعنايته بهم ، واصطفائه لهم قليلاً من الناس لغلبة الجهل بطريقهم واستيلاء الغفلة وكراهة غالب الناس أن يكون لأحد شرف بمنزلة أو اختصاص حسداً من عند أنفسهم ، وقد نطق الكتاب بذلك في حق قوم نوح عليه الصلاة والسلام فقال ﴿ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ، وغير ذلك من الآيات .

وكان الشيخ محي الدين رضي الله عنه يقول : **ومن أين لعامة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى في خواص عباده من الأولياء والعلماء وشروق نوره في قلوبهم** ، ولذلك لم يجعلهم إلاَّ مستورين عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وأذاهم لكان قد بارزاً لله تعالى بالمحاربة فأهلكه الله تعالى ، فكان سترهم عن الخلق رحمة بالخلق **ومن ظهر من الأولياء للخلق إنما يظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته وأما حيث سر ولايته فهو باطن لم يزل** . انتهى « الطبقات الكبرى » راجعه من ٤ إلى ٧ .

وفيه أيضاً في ١٢ : وكان الشيخ محي الدين رضي الله عنه يقول كثيراً : ما يَهُبُّ على قلوب العارفين نفحات إلهية ، فإن نطقوا بها جهلهم كُمَّلُ العارفين وردها عليهم أصحاب الأدلة من أهل الظاهر ، وغاب عن هؤلاء أن الله تعالى كما أعطى أوليائه الكرامات التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن ينطق ألسنتهم بالعبارات التي تعجز العلماء عن فهمها . انتهى .

قلت : ومن شك في هذا القول فلينظر في كتاب « المشاهد » للشيخ محي الدين ، أو كتاب « الشعائر » لسيّدي محمد وفى ، أو كتاب « خلع النعلين » لابن فثي ، أو كتاب « عنقاء مغرب » لابن العربي ، فإن أكبر العلماء لا يكاد يفهم منه معنى مقصوداً لقائله أصلاً ، بل خاص بمن دخل مع ذلك المتكلم حضرة القدس ، فإنه لسان قدسيّ لا يعرفه إلا الملائكة أو من تجرد عن هيكل البشرية أو أصحاب الكشف الصحيح .

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ﵁ يقول بعد اجتماعه على الشيخ أبي الحسن الشاذلي وتسليمه للقوم : من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ، ولا يقع شيء من ذلك قط لفقيه إلا أن سلك مسلكهم كما هو مشاهدٌ .

وكان الشيخ عز الدين ﵁ قبل ذلك ينكر على القوم ويقول : هل لنا طريق غير الكتاب والسنة ، فلما ذاق مذاقهم وقطع السلسلة الحديد بكراسة الورق صار يمدحهم كل المدح ، ولما اجتمع الأولياء والعلماء في وقعة الأفرنج بالمنصورة قريباً من ثغر دمياط جلس الشيخ عز الدين والشيخ مكين الدين الأسمد ، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وأضرابهم وقرئت عليهم « رسالة القشيري » وصار كل واحد يتكلم ، إذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ فقالوا : نريد أن تسمعنا شيئاً من معاني هذا الكلام ، فقال : أنتم مشائخ الإسلام وكبراء الزمان ، وقد تكلم فما بقي لكلام مثلي موضع ، فقالوا له : لا بل تكلّم . فحمد الله وأثنى عليه وشرع يتكلم ، فصاح الشيخ عز الدين من داخل الخيمة ، وخرج ينادي بأعلى صوته هلمّوا إلى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى فاسمعوه .

قال اليافعي رضي الله عنه في كتابه « روض الرياحين » : والعجب كل العجب ممن ينكر كرامات الأولياء وقد جائت في الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحات والآثار المشهورات والحكايات المستفيضات حتى بلغت في الكثرة مبلغاً يخرج عن الحصر . ثم قال رضي الله عنه : والناس في إنكار الكرامات على أقسام : فمنهم من ينكرها مطلقاً ، وهم أهل مذهب معروفون وعن التقوى مصروفون ، قال بعضهم : هم المجسمة ، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه ، فهؤلاء كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه كبني إسرائيل صدقوا بموسى حين لم يروه وكذبو بمحمد ﷺ حين رأوه ، مع أن محمداً ﷺ أعظم من موسى ، وإنما ذلك حسداً منهم وعدواناً وشقاءً منهم . ومنهم من يصدق بأن الله تعالى أولياء من أهل زمانه ولكن لا يصدق بأحد معين ، فهذا محروم من الإمدادات ، **لأن من لم يسلّم لأحدٍ معين لا ينتفع بأحدٍ أبداً** ، نسأل الله العافية .

فإن قيل : إنّ هذه الكرامات تشبه السحر ، فإن سماع الإنسان الهواتف في الهواء ، وسماع النداء في بطنه ، وطي الأرض له ، وقلب الأعيان ، ونحو ذلك غير معهود في الحس أنه صحيح ، إنما يظهر ذلك من أهل السيميا والنارُنْجاتْ .

فالجواب ما أجابه المشائخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بين الكرامة والسحر أن السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة .

وأما الأولياء رضي الله عنهم فإنما وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم للسنة ، حتى بلغوا فيها الدرجة العليا ، فافترقا . قال رضي الله عنه : ثم إن كثيراً من المنكرين لو رأى واحداً من الأولياء والصالحين يطير في الهواء لقالوا : هذا سحر واستخدامات للجن والشياطين ، **ولا شك أن من حرم**

التوفيق كذب بالحق عياناً وحسّاً ، فكيف حال هذا في تصديقه بالمغيبات التي أمر الله تعالى بالإيمان بها ، فربَّما زلت به القدم فخسر الدارين ، لأنه إذا أنكر المحسوسات فبالحق إنكاره المغيبات .

وقد كان الإمام الشافعي ﷺ يقول : الإنكار فرع من النفاق . قلت : وذلك لأنّ المنافقين لو لم ينكروا على محمد ﷺ لآمنوا به ظاهراً وباطناً ، ثم قال اليافعي ﷺ : فوا عجباً كيف ينسب السحر وفعل الشياطين إلى الأولياء المقربين ، والأبرار الصالحين المتطهرين من الصفات المذمومة المتحلين بالصفات المحمودة المعرضين عن كل شيء يشغلهم عن ربهم عز وجل . فإياك يا أخي بعد اطلاعك على ما بيّنته لك في هذه المقدمة من علوّ شأن أهل الله عز وجل من أهل عصرك وغيرهم أن يقوم بك داء الحسد ، ولا تذعن للانقياد لهم وتسمع من بعض المنكرين عليهم ما يقولونه في حقهم فيفوتك منهم خيراً كثيراً ، كما فاتك الخير في عدم علمك بكلامهم الذي هو كله نصح لك حين وزنته بميزان عقلك الحائز ، فإن الكلام لم يزل في هذه الطائفة من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي إلى وقتنا هذا ، بل نقل سيّدي إبراهيم الدسوقي[(١)] رضي الله عنهم ، **بل أنهم تكلموا في جماعة من الصحابة ونسبوهم إلى الرياء والنفاق** ، منهم الزبير ﷺ كان كثير الخشوع في الصلاة ، وكان بعضهم يقول : إنما هو مراء فبينما الزبير ﷺ ساجداً إذ صبوا على وجهه ورأسه ماء حاراً فكشط وجهه وهو لا يشعر ، فلما فرغ من صلاته وصحا قال : ما هذا ، فاخبروه فقال ﷺ : غفر الله لهم ما فعلوا ، ومكث زماناً يتألم من وجهه .

قلت : ودليل هذا كله قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ ، **وكل وليّ له من تلك الفتنة الحظ الوافر** ، وذلك لأن الابتلاء لما كان شرفاً جمع الله تعالى لخواص هذه

---

(١) **علّه** : نقل الكلام عن سيدي إبراهيم الدسوقي .

الأمة من البلايا والمحن جميع ما كان متفرقاً في الأمم السالفة لعلو درجتهم عنده . ونقل الثقات عن أبي يزيد البسطامي ﵁ أنهم نفوه من بلده سبع مرات ، فإنه لما رجع إلى بسطام من سفرته وتكلم بعلوم لا عهد لأهل بلده بها من مقامات الأنبياء والأولياء أنكر ذلك الحسين بن عيسى البسطامي إمام ناحيته والمدرس بها في علم الظاهر ، وأمر أهل بلده أن يخرجوا أبا يزيد من بسطام فأخرجوه ، ولم يعدْ إليها إلا بعد موت حسين المذكور . ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه وتبركوا به ، ثم لم يزل يقوم له قائم بعد قائم وهو ينفي ، ثم استقر أمره على تعظيم الناس له والتبرك به إلى وقتنا هذا . وكذلك وقع لذي النون المصري ﵁ أنهم وشوا به إلى بعض الحكام وحملوه من مصر إلى بغداد مغلولاً مقيّداً ، فكلم الخليفة فأعجبه فقال : إن كان هذا زنديقاً فما على وجه الأرض مسلم ، كما سيأتي في ترجمته .

وكذا وقع لسمنون المجدّ ﵁ محنة عظيمة ، وادعت عليه امرأة كانت تهواه وهو يأبى أنه يأتيها في الحرام ، وهو جماعة من الصوفية[١] وامتلأت المدينة بذلك ، ثم إن الخليفة أمر بضرب عنق سمنون وأصحابه ، فمنهم من هرب ، ومنهم من توارى سنين ، حتى كفّ الله عنهم ذلك . وكذلك وقع أنهم رموا أبا سعيد الخراز وأفتى العلماء بتكفيره بألفاظ وجدوها في كتبه ، منها : لو قلت من أين وإلى أين لم يكن جوابي غير الله ، مع ألفاظ آخر . وتوصّب مرة فقهاء أحيمم على ذي النون المصري ﵁ ونزلوا في السوق ليمضوا إلى السلطان بمصر ليشهدوا عليه بالكفر فأعلموه بذلك ، فقال : اللهم إن كانوا كاذبين ففرقهم ، فانقلب الزروق والناس ينظرون ، ففرقوا حتى رئيس المركب فقيل له : ما بال الرئيس ؟ فقال قد حمل الفساق .

(١) **لعل صواب العبارة** : وهو يأبى أن يأتيها في الحرام وهو مع جماعة . .إلخ .

وأخرجوا سهل بن عبد الله رضي الله عنه من بلده إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه ، ولم يزل بالبصرة إلى أن مات بها ، هذا مع علمه ومعرفته واجتهاده ، وذلك أنه كان يقول : التوبة فرض على العبد في كل نفسٍ . فتعصب عليه في ذلك لا غير . وقتل حسين الحلاج بدعوة عمرو بن عثمان المكي ، وذلك أنه كان عنده جزء فيه علوم الخاصة من القوم فأخذه الحسين فقال عمرو : من أخذ هذا الكتاب قطعت يداه ورجلاه ، فكان كذلك . وإنما كان القول بتكفيره تستراً على دعوة عمرو كما سيأتي عن ابن خلكان . وشهدوا على جنيد رضي الله عنه حين كان يقرر في علم التوحيد ، ثم إنه تستقر بالفقه واختفى مع علمه وجلالته . انتهى عبارته في ١٤ ج ١ . هذه نبذة يسيرة مما ذكره فيه ، فإن أردت الزيادة راجعه إليه من الصحيفة المذكورة .

وفيه أي في « الطبقات الكبرى » أيضاً :وكان الشيخ محي الدين العربي رضي الله عنه يقول : **من لم يقم بقلبه التصديق لما يسمعه من كلام هذه الطائفة فلا يجالسهم فإن مجالستهم من غير تصديق سم قاتل** . وكان سيّدي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : كثير من كلام الصوفية لا يتمشَّ ظاهره إلا على قواعد المعتزلة والفلاسفة ، فالعاقل لا يبادر إلى الإنكار بمجرد غروبة ذلك الكلام إليه ، بل ينظر ويتأمل في أدلتهم التي استندوا إليها ، فما كلما قاله الفلاسفة والمعتزلة في كتبهم يكون باطلاً ، وإنما حذر بعضهم عن مطالعة كتبهم خوفاً من حصول شبهة تقع في قلب الناظر لاسيماً أهل الإنكار والدعاوى .

ورأيت في « رسالة » سيدي الشيخ محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنه ما نصه : اعلم أن طريق القوم مبني على شهود الإثبات ، وعلى ما يقرب من طريق المعتزلة في بعض الحالات ، وهي حالة شهود غيبة الصفات في شهود وحدة جمال الذات حتى كان لا صفات ، وهذه الحالة وإن كان غيرها أرفع منها فهي غريزة المرام شديدة الإيهام ، موقعة في سوء

الظن في السادات الكرام لشبهها بمذهب المعتزلة ، ولا شبهة في تلك الحالة فليتنبه السالك لذلك ، وليحذر من الوقيعة في القوم فإنها من أعظم المهالك .

قلت : ومن الأولياء من سدّ باب الكلام في دقائق كلام القوم حتى مات ، وأحال ذلك على السلوك ، وقال : من سلك طريقهم اطلع على ما اطلعوا عليه وذاق كما ذاقوا واستغنى عن كلام الناس . وسيأتي في ترجمة أبي عبد الله القرشي ﵁ أن أصحابه طلبوا منه أن يسمعهم شيئاً من علم الحقائق فقال لهم : كم أصحابي اليوم ؟ قالوا : ستمائة رجل ، فقال الشيخ : اختاروا لكم منهم مائة ، فاختاروا ، فقال : اختاروا من المائة عشرين ، فاختاروا ، فقال : اختاروا من العشرين أربعة ، فاختاروا ، قلت : وكان هؤلاء الأربعة اصحاب كشوفات ومعارف ، فقال الشيخ : لو تكلمت عليكم في علم الحقائق والأسرار لكان أول من يفتي بكفري هؤلاء الأربعة . انتهى .

قلت : ولا يجوز أن يعتقد في هؤلاء السادات أنهم زنادقة في الباطن لكتمهم ما هم متحققون به في الباطن عن العلماء والعوام ، وإنما يجب علينا حملهم على المحامل الحسنة من كوننا جاهلين باصطلاحاتهم ، قال : من لم يدخل حضرتهم لا يعرف حالهم . فما اغلقوا أبوابهم عليهم في حالة تقريرهم للعلم إلا لكون غور بحر ذلك العلم عميقاً على غالب الناس من العلمآء فضلاً عن غيرهم كما تقدم عن الإمام أحمد بن حنبل ﵁ أنه كان إذا أتاه سؤال متعلق بالقوم يرسل إلى أبي حمزة البغدادي ﵁ ويقول : ما تقول في هذا يا صوفي ، ولا يسع للعارف أن يتكلم بكلام واحد يعم سائر الناس على اختلاف درجاتهم ، لأن ذلك من خصائص رسول الله ﷺ على نزاع في ذلك أيضاً ، فإنه كان يقول : « امرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » . فافهم . انتهى عبارته في ١٠ راجعه . وفي « الفتاوي العمرية » : اعلم

أن الطريقة عبارة عن كمال اتباع الشريعة الغراء ، والتأدب بآداب السنة السنية البيضاء ، والتمسك بعقائد أهل السنة والجماعة ، وعدم الخروج عن الأدلة الأربعة التي هي الكتاب والسنة ، والإجماع ، والقياس ، وكثرة ذكر الله تعالى ، ودوام الحضور . والمراقبة على وفق أفضل الأعمال : أن تعلم أن الله معك حيثما كنت ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وليس لطعن طاعن سبيل ولا لإعتراض معترض فيه حجة ولا دليلٌ كما سيجيئ بيانها .

ففي « فتاوى الخليلي » رحمه الله تعالى : واعلم أن طريق الفقراء عشرة أشياء ؛ الطاعة ، والذكر ، والإيثار ، والقناعة ، والتوحيد ، والتوكل ، والتسليم ، والتأمل ، والشكر ، والفكر ، وقد يجمعها لفظ الإستقامة ، والتخلية ، والتحلية ، فمن اتصف بهذه الصفات يكون فقيراً وإلا فيكون مدعي ذلك زنديقاً لأن من لا طاعة له ، لا عبادة له ، ومن لا عبادة له لا يكون فقيراً ولا مريداً ، بل زنديقاً ، فرأس الفقر القرآن وروحه الحديث ، أي : العمل بالقرآن والحديث ، وجسمُه إشارة المشائخ العارفين ، وصلاته الشريعة ، وغسله الطريقة ، وقبلته الحقيقة ، وأصل الفقر حسن الخلق والمحبة ، ومفتاحه الصدق ، وثمرته المعرفة ، وكنزه المسكنة ، وجوهره معرفة نفسك أي : بالعبودية ، وإذاً ما كنت تعرف نفسك التي هي أقرب إليك من كل شيء فكيف تعرف البعيد ؟ ! انتهى كلام الخليلي رحمه الله « فتاوى عمرية » عبارته .

فإذا علمت كون الطريقة العلية كلها منسوبة إلى النبي عليه السلام ، وفهمت أن الطريقة والحقيقة بدون الشريعة زندقة ، فإن وجدتَ أهل الطريقة يفعلون شيئاً منكراً بإجماع الأمة ، كترك الصلاة ، وشرب الخمر والمسكرات ، والزنا واللواطة ، وتحليل المحرمات ، وفعل الكبائر ، وإصرار الصغائر . قائلين بأن ذلك حرام في الشريعة وحلال وجائز في الطريقة فاحذر عنهم ، وفرَّ منهم كما تفرُّ من

الأسد والحية المهلكة ، ولا تقرب منهم فإنهم حزب الشيطان وأهل الطغيان ، فهم ضالون مضلون وعن طريقته عليه السلام مبعّدون . وأما فعل ما فيه شبهة أو كراهة أو ما فيه وفي حقه دليل ظني فلا يقدح في الإرشاد والطريقة فاحمله بمحمل حسن وتوجيه مناسب وتأويل جائز . انتهى عبارته .

وفي « الطبقات » : وكان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : لكلّ وليّ ستر أو أستار نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الحق تعالى ، حيث أنه تعالى لم يعرف إلا من ورائها ، فكذلك الوليّ ؛ فمنهم من يكون ستره بالأسباب ، ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر على حسب ما يتجلى الحق تعالى لقلبه ، فيقول الناس : حاشا أن يكون هذا ولياً لله تعالى وهو في هذا النفس ، وذلك لأن الحق تعالى إذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهاراً ، أو بصفة الانتقام كان منتقماً ، أو بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقاً رحيماً ، وهكذا . ثم لا يصحب ذلك الوليّ الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والانتقام من المريدين إلا من محق الله تعالى نفسه وهواه .

ولم يزل في كل عصر وأوان أولياء وعلماء تذل لهم ملوك الزمان ويعاملونه بالسمع والطاعة والإذعان ، ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر والخمول على ظاهر النقول ، حتى لا تكاد تخرجه عن أحاد طلبة العلم القاصرين . ومنهم من يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا وتظاهره بحسب الرياسة والملابس الفاخرة وهو على قدم عظيم في الباطن . ومنهم من يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأمراء والأغنياء وسؤالهم الدنيا ، وطلبه الوظائف من تدريس وخطابة وإمامة وعمالة ونحو ذلك ، فيقوم فيها بالعدل ويتصرف في ذلك بالمعروف على الوجه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال وأحاد الفقهاء ، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئاً أو يأكل منه سدّ الرمق لا

غير ، فيقول القاصر في الفهم والإدراك : لو كان هذا وليّاً منه عز وجل ما تردّد إلى هؤلاء الأمراء ولجلس في زوايته أو بيته يشتغل بالعلم وبعبادة ربه عز وجل ، ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا ونحو ذلك من ألفاظ الجور . ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقف وتبصّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقد عليهم ، فربما كان يتردّد إليهم لكشف ضر أو خلاص مظلوم من سجن ، أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله تعالى العاجزين الذين لا يستطيعون توصل حوائجهم إلى تلك الأمراء ، فيسألون في ذلك من يعتقد فيه من الأولياء والعلماء فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح ويحرم عليهم التخلف عنهم ، لاسيّما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهداً فيما في أيديهم ، متعززاً بعز الإيمان وقت مجالستهم آمراً لهم بالمعروف ، ناهياً لهم عن المنكر ، لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم . فإن هذا من المحسنين ، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك .

وقد سمعت سيّدي عليّاً الخواص رضي الله عنه يقول : إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليهم صحبتهم والدخول إليهم ، وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر . انتهى .

قلت : ومن الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ويعلم الناس بأنّ ذلك كله من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ويوهم الناس أنه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء ولا يحدث نفسه بانتقاص شيء منه ولا يسعنا كلّنا إلا العفو ، ويكون مأكولاً مذموماً وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ، فإنه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به ، فإن الرجل إذا قبل من

الخلق صغر في أعينهم ضرورة ، كما أنّ من رد عليهم كبر في أعينهم . ولعل ذلك الراد إنما ردّ رياء وسمعة واستئلافاً لقلوب الناس ، عليه ليتوجهوا إليه بالتعظيم والتبجيل ويطلقوا ألسنتهم فيه بالثناء الحسن ، وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه ، وليس من الله في شيء .

قلت : ومعنى يعبد يطيع ، وكان يقول أيضاً : ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الرد أن يأخذ ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ولا يأخذ هو نفسه منه شيئاً ، فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى . قال الشيخ محي الدين رحمه الله : والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجل ، وقد قال تعالى ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ قال ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ، فمن أين يلزم من إساءة واحد أن يكون جميع أهل حرفته كذلك ، ما هذا إلا محض عناد وتعصب بباطل ، كما قال بعضهم في ذلك ، شعر :

استتار الرجال في كل عصر ... تحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضر الهلال في حندس الليل ... سواد السحاب وهو جميل

قلت : وإن أشدَّ حجابٍ عن معرفة أولياء الله عز وجل شهود المماثلة والمشاكلة ، وهو حجاب عظيم وقد حجب الله به أكثر الأولين والآخرين ، كما قال تعالى حاكياً عن قوم ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ ﴾ يعني لم نر أحداً يوافقه على ما يدعيه ويأمرنا به ونحو ذلك ، **ولكن إذا أراد الله عز وجل أن يعرف عبداً من عبيده بوليّ من أوليائه ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق طوى عنه شهود بشريّته وأشهده وجه الخصوصيته**

فيه فيعتقده بلا شك ويحبه أشد المحبة ، وأكثر الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشريّة ، فلذلك قل نفعهم وعاشوا عمرهم كله معهم ، ولم ينتفعوا منهم ، بشيء وقد اقتضت الحكمة الإلهية عدم اتفاق الخلق كلهم على الاعتقاد في واحد منهم والإذعان له ، وفي ذلك سرٌّ خفيٌّ ، لأنه لو كان الخلق مصدقين لذلك الوليّ لفاته أجر الصبر على تكذيب المكذبين له ، ولو كان كلهم مكذبين لفاته الشكر على تصديق المصدقين له والمقتفين لآثاره ، فأراد الحق تعالى بحسن اختياره لأوليائه أن يجعل الناس فيهم قسمين كما تقدم : معتقد مصدق ، ومنتقد مكذب ، ليعبدوا الله عز وجل فيمن صدقهم بالشكر وفيمن كذبهم بالصبر ، إذ الإيمان نصفان : نِصْفٌ صَبْرٌ ، ونِصْفٌ شكرٌ .

إنّ النفس إذا مدحت اتسخت وإذا ذمت نفذت

وسمعت سيّدي عليّاً الخواص ﵁ يقول : النفس إذا مدحت اتسخت ، وإذا ذمت نفذت . وكان ﵁ يقول : أياك أن تصغي لقول منكر على أحد من طائفة العلماء أو الفقراء فتسقط من عين رعاية الله عز وجل ، وتستوجب المقت من الله عزّ وجل . وكان الجنيد ﵁ يقول : **من قعد مع هؤلاء القوم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله تعالى منه نور الإيمان** . **قلت** : ومراده نور الإيمان بذلك الكلام الذي خالفهم فيه ، لا نور سائر أنواع الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فافهم . انتهى راجعه في ٩ من الجزء الأول تجد البسط .

وقال القطب العلامة أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره ورزقنا من فيوضاته في « المتممات » : واعلم أن الإنكار على السادات الصوفية والطريقة العلية المتبعين للسنة السنية ، والدافعين للبدعة الردية خصوصاً أهل العلم النافع والعمل الرافع والمعارف والأسرار والكشف الصحيح والأنوار سمٌّ قاتل وهلاك عظيم ، وقد ورد به الوعيد

الشديد وهو أمر خطير ، **وهو علامة إعراض من القلب عن الله تعالى وحشوه بالأمراض ويخشى على فاعله سوء الخاتمة** ، والعياذ بالله وهو لا يصدر غالباً إلا من بعض المتفقهة القاصرين ، كما قال العارف عبد الغني النابلسي .

وقد اعتاد المتفقهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس الشرعية بحيث لا يؤولون ما يجدونه مخالفاً لعلمهم وإن كان له ألف تأويل ، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ولو بوجه ضعيف ، وإن كان صوابه ظاهراً ، بل ربما بعضهم يجهل مذهب الآخر فينكر عليه ما خالف مذهبه ، بل ينكرون أصل الطريق وأربابها كلها ، وهذه طريق المتفقه المتعصّب والسفهاء لا الفقهاء ، فإنهم قاصرون مرادهم أن يعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانية يريدون إنفاذها وشهوات نفسانية يحاولون إيجادها ، فيضطرهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس فكأنهم ظفروا بملك الدنيا ويفرحون شديداً ؛ **إن رأوا حسنة في الكامل دفنوها وإن رأوا سيئته أفشوها** فمن المحال أن يقيلوا عثرة مؤمن أو يتغافلو عن زلة مسلم ، لأنهم في زعمهم لا يرتقون ولا بشيء يرتقعون إلا بإنكار المناكر ، خصوصاً على الكامل الخاشع والعابد الذاكر ، فيكونون ضالين ومضلين .

وأما الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة ، فإن قلوبهم متجافية عن الدنيا مقبلة على الآخرة ، وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبُّر ولا عداوة ولا حقد ولا رياء ولا سمعة يعلمون أحكام الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً ، ومن شدَّة شفقتهم على عباد الله لا يكادون يجدون في الناس منكراً أصلاً من كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس ، ولا يجدون في الغير مفسدة يعدّونها على أنفسهم ، ولا تخفى عليهم دسائس النفوس ، فهم في صدد كمال نفوسهم وتطهيرها ، فهم في شغل شاغل عن إنكار

المناكر على الغير ، وإذا رأوا أمراً لا ينظرون منه إلا الوجه الحسن في حق الغير احتياطاً وورعاً ، وعندهم أحكام شرعية عظيمة وأمور كلية يقرونها للناس في الدروس وعلى الكراسي والمنابر ، وليس في قلوبهم وجود شيء منها في أحد من الناس على التعيين أصلاً ، كما أن الله تعالى أنكر المنكر في القرآن بلا تعيين أحد مع علمه تعالى بالمناكير وأهلها في كل زمان ،

ولذا كان عليه السلام يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا » ولا يذكر أحداً بسوء ، فهؤلاء هم الناس الذي يليق في حقهم أن يقال علماء فقهاء أمناء أحكام دين الله تعالى ، ولقد روي عن أبي حنيفة والشافعي أنهما قالا : إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله وليّ . والمراد العاملون بلا شك ، لقوله عليه السلام : « لا يكون العالم عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً » كذا ذكره بعضهم مرفوعاً ، وإنما هو موقوف على أبي الدرداء ، رواه ابن حبان والبيهقي وذكر النجم الغزي في « منير الوحيد » عن الشافعي أنه قال : من أحب أن يفتح الله في قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة ، وقلة الأكل ، وترك مخالطة السفهاء وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب . انتهى كلامه .

وقال شيخ الإسلام المخزومي : **ولا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم ورأى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب** ولا سبهم وأطال في ذلك ، ثم قال : فأقل ما يجب على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أن يعرف سبعين أمراً ، ثم يسوغ له الإنكار :

منها : غوصه في معرفة معجزات الرسل صلى الله عليهم وسلم وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم ، ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما خص بهم .

ومنها : اطلاعه على الأحاديث ومنازع الأئمة المجتهدين ويعرف أسرار الكتاب والسنة والتأويل وشرائطه ، واللغة والمجازات والاستعارات حتى يبلغ الغاية .

ومنها : كثرة الاطلاع على مقالات السلف والخلف في معنى آيات ؛ الصفات وأخبارها ، ومن أخذ بالظاهر ومن أول ، ومن دليله أرجح من الآخر .

ومنها : تبحره في علم الأصول ومنازع أئمة الكلام ، وتكميل العقائد .

ومنها : معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذوات الذات ، ومعرفة حضرة الأسماء والصفات ، والفرق بين الحضرات والأحدية والواحدية ، ومعرفة الظهور والبطون والأزل والأبد ، وعالم الغيب والكون والشهادة والبطون ، وعالم الماهية والهوية والسكر والمحبة ، ومن هو الصادق في الشكر والجذب حتى يسامح ، ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ ، وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس مرادهم .

وقال ابن حجر في « شرح المنهاج » من كتاب الردة : هي قطع الإسلام بنية أو قول كفر عن قصد ورَوِيَّةٍ فلا أثر لسبق لسان أو إكراه أو اجتهاد وحكاية كفر وشطح وليّ حال غيبته وتأوليه بما هو مصطلح عليه بينهم وإن جهله غيرهم إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله فلا يعترض عليهم بمخالفته لاصطلاح غيرهم كما حققه أئمة الكلام وغيرهم وما زال كثيرون في التهويل وهم بريؤون عنه وقال الرملي في « الفتاوى الخيرية » وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفس جاهلة غيبية . انتهى عبارته راجعه في ١٩٥ . وهكذا يقول أهل المعرفة والإنصاف وإما المعاندون الجاحدون الذين استحوذ عليهم

الشيطان فأنسيهم ذكر الله فهم يتفوهون بما شاؤوا أو لا يخافون من الله في محاربة أوليائه المتقين عصمنا الله تعالى وأحبابنا من عقائدهم الزائفة الشاذة أمين .

وفي « الطبقات » ما لفظه وكان معروف الكرخي يقول . إذا عمل العالم استوت له قلوب المؤمنين وكره كلّ من في قلبه مرض . راجعه في ٦٣ ج ١ .

وفيه أيضاً وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول : كان العلماء رضي الله عنهم موصوفين بثلثة أشياء صدق اللسان ، وطيب المطعم ، وكثرة الزهد في الدنيا . راجعه في ٦٣ ج ١ .

وفيه أيضاً : وكان أبو محمد سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول : يأتي على الناس زمان يذهب الحلال من أيدي أغنيائهم وتكون أموالهم من غير حلها ، فيسلط الله بعضهم على بعض ، يعني : بالأذى والمرافعات عند الحكام فتذهب لذة عيشهم ويلزم قلوبهم خوف فقر الدنيا وخوف شماتة الأعداء ، ولا يجد لذة العيش إلا عبيدهم ومماليكهم ، وتكون ساداتهم في بلاء وشقاء وعناء وخوف من الظالمين ، ولا يستلذ بعيش يومئذ إلا منافق لا يبالي من أين أخذ ولا فيما أنفق ولا كيف أهلك نفسه ، وحينئذ تكون رتبة القراء رتبة الجهال ، وعيشهم عيش الفجار ، وموتهم موت أهل الحيرة والضلال . راجعه في ٦٧ ج ١ .

وفيه أيضاً : وكان أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق يقول : إذا فسدت العلماء غلبت الفساق على أهل الصلاح ، والكفار على المسلمين ، والكذبة على الصادقين ، والمراؤون على المخلصين ، وتلف الدين كله ، لأن العلماء رضي الله عنهم الزمام . راجعه في ٧٨ ج ١ . وفيه أيضاً : العارفون خزائن الله أودع الله فيها علوماً غريبة وأخباراً عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون بعبارات أزلية . راجعه

في ٧٩ ج ١ . وفيه أيضاً : وكان الشيخ أبو الحسين الفارسي يقول : من كرمه الله تعالى بحرمة الأكابر وقع حرمته في قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته في قلوب الخلق ، فلا تراه إلا ممقوتاً وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله ، لأن النبي ﷺ يقول « من تعظيم جلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم » رضي الله عنه . انتهى راجعه في ٩٧ ج ١ . وفيه أيضاً : **من ترك حرمة المشائخ ابتلي بالدعاوى الكاذبة فافتضح بها** . انتهى عبارته راجعه في ١٩ ج ١ . انتهى ما كنت بصدد إيراده في المقدمة ودخلت في نقل الأجوبة مستعيناً بالله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا به تعالى وهو البر الرحيم .

الفريد الأوّل

في الجواب عن شبهة البعض التي أوردها على الرابطة والأويسية واتصال النسبة النقشبندية وما يتعلق به

أقول : وعبارة شيخنا في رسالته المرسلة إليه : سلام عليكم ، وبعد ؛ فنسأل الله لكم الاستقامة والعافية والاجتناب عما لا يليق بشأنكم والثبات على قدم السنة السنية على ما كان عليه أكابر العلماء الجامعين بالعلمين .

ثم اعلم أيها الولد أن أول ما يجب على المرء اتباع السنة واجتناب البدعة الغير المرضية ، ولا يخفى عليك أن مقصود أهل الطريقة حمل الناس على الإخلاص ، وكلّ ما يأمرونه عليهم هو الأسباب الباعثة عليه لا غير ، سواء كان ذكراً أو رابطة أو استغفاراً أو صلاتاً على النبي عليه السلام .

وللرابطة دلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فقد ذكروها في كتبهم ، بل القرآن من أوّله إلى آخره رابطة على المعنى الذي يعنون بها في اصطلاحهم ، لا على المعنى الذي تفهمون منها ،

فلو كان المراد من الرابطة ما تفهمون فنحن معكم في ردّها ، وقد صنف الأكابر تصنيفات في حقها ، وأثبتوا منافعها ، بحيث لم يتركوا لقائل قولاً ولا لسائل جواباً . وكذا صرحوا في كتبهم أن الاتصال الروحاني أقوى من الاتصال الجسماني الذي هو المعنى من الأويسية في اصطلاحهم النقشبندية متصله من هذه الحيثية من مواضع ، وكما أن للسادات النقشبندية اتصالاً روحانياً بواسطة قطب الأولياء أبي الحسن الخرقاني بسلطان العارفين أبي يزيد البسطامي وبواسطة أبي يزيد به شرف الأئمة جعفر الصادق ، كذلك لهم اتصالان جسمانيان بالسلستين السالفتين المذكورتين في « الحدائق الوردية » ، **فيد نسبتهم ولله الحمد متصله وعروة سلستهم لا انفصام لها روحاً وجسماً وحساً** ، ومعنى ولقد سها بعض المؤلفين بقوله : إن سلسلة النقشبندية منفصلة ويد نسبتهم غير متسلسلة . فإنه غرور بقصوره من عدم الاطلاع على سلاسلهم المنظمة ، ولو وقف على ما في « الفتوحات المكية » ، و« طبقات الأولياء » للعارفين الشعراني والمناوي في كثرة من ربتهم روحانية الأولياء الكرام ، بل الأنبياء العظام من كبار أهل الله لتوقف وما تعسف ، كما هو مذكور في « الحدائق الوردية » راجعه في ١٠ .

ولعلك أيّها الولد أن إنكارك بالأوسيّة إنما حَصَل من رؤيتك ما قال وسها هذا البعض المذكور ، وأيضاً **أن هذا الطريق ليس من حيثية النقل كقاعدة المحدثين ، بل هو رواية من ثقات كابراً عن كابر بالتواتر وهذا يكفي بلا ريب** . ومع ذلك بل هم نقل من حديث صحيح ، وحسن ذكره الأكابر في كتبهم من مسند الإمام أحمد وغيره . فدعوى عدم النقل من كتب الأحاديث له دعوى بلا تدبّر . فانظر أيها الولد إلى كتبهم لا تجد فيها شيئاً لا يوافق الكتاب والسنة .

واعلم أن أهل الطريقة لا ينقلون طريقتهم بواسطة أئمة النقل حتى يحتاج إلى تقريرهم ، بل لهم طريقة خاصة بهم ورثوها كابر عن كابر من الأول إلى الآخر ، كما بيّنه صاحب « الرشحات » راجعه في ١٠ . وما قيل من أن أخذ سلمان من أبي بكر رضي الله عنهما لم يثبت عند أهل النقل فمدفوع ومردود ، كما هو مصرح في « الرشحات » أيضاً ، فراجعه في ١٠ . ولعل إنكارك قد حصل من رؤيتك أمثال هذه الخرفات .

أيها الولد أرى لك الخير في النظر إلى كتب السلوك ، فإنه جند من جنود الله ، ثم تقابل بما فيها بعلومك ، ثم تتفكر هل تجد فيها من مخالفة أم لا ؟ فإن وجدت تسأله من أهله فإن أجابوا فذا ، وإلا يجوز لك الإنكار بعد ذلك . وأيضاً ينبغي لك أيّها الولد أن لا تنسب إلينا إيقاع العداوة بين الخلق لما أنا لا نعادي أحداً ، بل نظهر الحق بالحق وأهل الباطل يعادوننا وأتباعنا ، كما هو المشهور . وطريقتنا هذه هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله عنهم على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها ، كما صرحه المؤلفون في غير كتاب .

وقد أثنى عليها ابن حجر في آخر « الفتاوى الحديثية » مع أنه قادري في المشرب ، ولو لا أنها متصلة مسلسلة لما أثنى عليها الأكابر كالشاذلية وغيرهم ، ولا كلام لنا معكم أيها الولد ولا نجادلكم ، نحن نمتثل بهؤلاء الأكابر ونفعل ما يفعلون . فانظر فيما ترى من مخالفتنا فإن نبهتنا على ذلك فلعك[1] تجدنا أوّل ممتثل إن شاء الله تعالى . والسلام الحقير القحي سامحه الله من فرطاته . انتهى عبارته من خطه قدس سره .

---

(١) **عله** : فلعلك .

يقال لمن أخذ بالروحانية أنه أويسيّ

وكنت أرسلت إليه الكتاب في نظير المسألة حين رأيت ما ذكره البعض في اجتماع الأرواح فعبارة جوابه قدس سره : فالاجتماع الروحاني يكون يقظة لا مناماً ، وهو أشد وأنفع من الاجتماع الجسماني ويقال لمن أخذ بالروحانية أنه أويسي كما هو معلوم لديك .

وقد ذكر الخاني وأولاده في كتبهم هذا الاتصال الروحاني وجعلوه منحصراً في ذلك ، وأعلى وأدفع من الجسماني ، لكن ليس الأمر كما ذكروا بل الحق أنّ أبا يزيد كان سقاء في دار جعفر الصادق واجتمعه بالحسمانية ، كما اجتمع بالروحانية فافهم وراجع « الكشكول » و« الفيوضات الخالدية » . واعلم أن الممنوع هو الأخذ في الواقائع المنامية ، وأما الاجتماع بالروحانية يقظة فهو واقع لكثير من الأولياء ، كما لا يخفى . انتهى ونحن في عافية ندعوكم بالاستقامة . انتهى من خطه .

وقال صاحب « البهجة » فيها : فإن قيل : هل للرابطة أصل ثابت ، فنقول : نعم لها أصل بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة . أمّا الكتاب فقد قال الله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ، فإن قيل : المراد غير الرابطة ، قلنا : المفهوم عام ، وإذا ثبت بطلب الوسيلة فالرابطة أفضل الوسائل ، لأنه إما النبي ﷺ ، وإما النائبون منابه ، وقال الله تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ﴾ ، ففيه إشارة إلى الرابطة لأنّ الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حسّاً أو تخليله معنى ، وهو غرضنا من الرابطة وإلا فلا يعدّ اتباعاً . انتهى عبارته راجعه في ٤٤ .

وفي « روح البيان » على الآية المذكورة ما عبارته هذا : واعلم أن الآية الكريمة صرحت بالأمر بابتغاء الوسيلة ، ولا بدّ منها البتة . فإنّ الوصول إلى الله تعالى لا تحصل إلا بالوسيلة وهي علماء الحقيقة ،

ومشائخ الطريقة ، والعمل بالنفس يزيد في وجودها . وأما العمل وفق إشارة المرشد ودلالة الأنبياء والأولياء فيخلصها من الوجود ويرفع الحجاب ويوصل الطالب إلى رب الأرباب . راجعه في ٥٦٠ من سورة المائدة . وقال تعالى أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ، وقال تعالى أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ . انتهى .

وقال الشيخ إسماعيل حقي في « روح البيان » على الآية المذكورة بعد كلام طويل : ثم اعلم بأنّ المراد بأولي الأمر ، في الحقيقة المشائخ الواصلون ومن بيده أمر التربية ، فإن أولى أمر المريد شيخه في التربية . فينبغي للمريد في كل وارد حق يدق باب قلبه أو إشارة أو إلهام أو واقعة تنبئ عن أعمال وأحوال في حقه أن يضرب على محلّه نظر شيخه ، فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير إليه أو يحكم عليه يكون منقاداً لأوامره ونواهيه ، لأنه أولو أمره راجعه في ٤٥٥ من الجزء الأول من سورة النساء .

وقال في « البهجة » ما حاصله : ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربه تعالى هو الأكمل ، ولكنا نعلم علماً ذوقيّاً وجدانيّاً بحسب ما كان عليه من قبل أن هذا لا يمكن المريد في ابتداء سلوكه أبداً بالضرورة ، فإن جميع الخواطر وجميع المقاصد لا تقع إلا على مخلوق حادث يعرفه العارف ويجهله الجاهل ، وذلك المخلوق الحادث هو الرب عند الجاهل لعدم معرفته ولا عذر في الكفر ، فيجب عليه اتخاذ الوسيلة ليعرف بين الحادث المقدور على إدراكه والقديم المعجوز عن إدراكه فرقاً شهودياً ذوقياً لا خيالياً ، ثم بعد ذلك يسقط الواسطة ولهذا قالوا : من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، كما سبق . ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له شيخاً متخلقاً بأخلاق الرحمن ، قال تعالى ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ . انتهى .

وقال جناب شيخنا وسيّدنا وضياء أبصارنا ونور قلوبنا الشيخ خالد النقشبندي المجدّدي - قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وبره - في رسالته التي أرسلها إلى بعض أحبابه في الاستانة دار الخلافة العظمى : وقرع سمع هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حق اليقين يعدّون الرابطة بدعة في الطريق ، ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ، ولا حقيقة كلها أنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية ، بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنة الرسول ﷺ .

ومن ساداتنا من كان يقتصر في السلوك والتسليك عليها ، ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيصه على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى ، ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ، فقال من سادتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدس سره ما حاصله : إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين الكون معهم صورة ومعنى ، ثم فسر الكينونة بالرابطة ، وهو عند أهله مشهور .

وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطور فكأنهم لم يتصوروا معنى الرابطة اصطلاحاً ، وإلا لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى وكثرة رعاية صورته ، ليتأدب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتم باستحضارها الحضور والنور ، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور ، وهو أمر لا يتصور جحوده إلا ممن كتب الله في جبهته الخسران وأقسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان ، لأنه إن كان ممن في نفحات القرب . ومنهم الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في رسالته المعروف بالتاجية ، ومنهم ابن كمال الوزير ، ومنهم الإمام فخرالدين الرازي في « المطالب العلية » ، ومنهم صاحب « القاموس » في مقدمة البصائر .

وقال نجم الدين الكبرى : فالرابطة بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تتصفى مرآة القلب بدون رابطة القلب مع الشيخ . انتهى . ومنهم قدوة المحققين الشيخ عبد الغنى النابلسي شارح الطريقة في شرحه على « التاجية » ، ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي ، ومنهم العلامة ابن عابدين على شرح « الدرر المختار » ، ومنهم العالم إبراهيم حقي الأرض رُمِيِّ في « معرفة نامه » ، ومنهم الإمام الرباني في « مكتوباته » ، وكذا ابنه محمد معصوم في « المكتوبات » ، ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكي النفوس » ، ومنهم محمد مراد الكابلي في رسالته النقشبندية ، ومنهم محمد جلال الدين الرومي المثنوي .

ومن الأئمة الشافعية : الإمام الغزالي في « الإحياء » وفي « البداية » ، ومنهم ابن حجر في « شرح العباب » ، ومنهم جلال الدين السيوطي في « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » ، وقال أيضاً في كتاب « المنجلي في تطوّر الواليّ » كلاماً ينبغي مراجعته وملاحظته هنا ، نقلاً عن الإمام السبكي ، وقال ابن حجر أيضاً في « شرح الشمائل » وفاقاً لما في « شرح العباب » ، ومنهم الإمام الشعراني في « نفخات القدسية » وفي « الأنوار القدسية » و« البحر المورود » ، ومنهم العلامة السفير الحلبي في شرحه على « البخاري » في حديث ، ثم حبب اليه الخلاء . . إلخ . ومنهم الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » .

ومن المالكية : صاحب « المختصر » المشهور الجليل العلامة الشيخ خليل من أجل فقهاء المالكية ، ومنهم أبو العباس المرسي وهو القائل : لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين لما أعددنا أنفسنا من جملة المسلمين ، ومنهم الإمام عطاء الله الإسكندري في « تاج العروس » ، ومنهم محي الدين العربي في الباب الثلاثين من « الفتوحات » ، ومنهم الإمام الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في عدّة مواضع .

ومن الحنابلة : الإمام شمس الدين ابن قيّم في كتاب « الروح » ، ومنهم الغوث عبد القادر الكيلاني ﵁ ، وهو الذي قال : قدمي هذا على رقبة كل وليّ ، أي : ولي عصره ، كما قاله الشعراني . وقد صنف في حقها رئيس الطائفة خالد شاه رسالة خاصة وأقرها بدلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس . وألّف الزهدي « تبصرة الفاصلين » عن أصول الواصلين ، وألف الدستري أيضاً كتابه « الرحمة الهابطة » ، وفيها تأليفات خاصة كـ« الفتاوى العمرية » ، و« نور الهداية » ، و« رسالة فصيح أفندي » وغيرها ، وراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » و« مجموعة الرسائل » للزهدي .

ومن القائلين بها أيضاً عبد الحق الدهلوي ، والشيخ جبرائيل الحزب أبادي راجع « رسالة النفحة المحمدية » ، والشيخ محمد بن سلمان الحنفي البغدادي في « الحديقة الندية » و« البهجة الخالدية » ، والقطب زين الدين الحافي في « الوصايا القدسية » ، والشيخ محمد باقي بن شرف الدين الحسيني العباس اللاهوري في « كنز الهدايات » ، والشيخ نعمة الله بن عمر في « رسالته المدنية » ، والشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي في « مرآة العرفان » ، والشيخ علي بن عبد النبي العشاق في « الحبل المتين » ، والعلامة ابن حجر في « شرح الهمزية » عند قول الناظم : واملأ السمع من محاسن . . إلخ . والشيخ محمد المفتي الخادمي في « رسالته العلية في أداب الطريقة النقشبندية » ، والعلامة المحقق البياني خاتمة المفسرين محمود الألوسي في « الفيض الوارد » ، والإمام المحدث الشاه أحمد وليّ الله الدهلوي في « القول الجميل » ، وقد شيّد ما فيه نجل العالم المحقق وصاحب « التحفة الأثنى عشرية » الشاه عبد العزيز قدس سره والشيخ العلامة الأردبلي شارح « المشكات » في « رسالة المكية » ونقله الدستري في « الرحمة الهابطة » ، والشيخ أحمد

بن إبراهيم علان الصديقي في « شرح قصيدة » الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري ، والعلامة ابن أبي داود الخيلي صاحب « تحفة العباد » في كتابه « أدب المريد » ، والعالم الشيخ ابراهيم فصيح الجدري البغدادي في المجلد الثالث ، والشيخ خالد العثماني في « الرسالة الخالدية » ، والشيخ العارف الوارث المتمكن أبو مدين ﷺ في « قصيدته » ، والشيخ ابن علان في شرحه على « القصيدة المدينية » وفي شرح « قصيدة ابن بنت الميلق » ، والشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « جامع الأصول » وفي « المتممات » ، وراجع « بهجة السنية » ، و« تحفة الأحباب » ، و« الحدائق الوردية » ، و« الدرر المكنونات » ، و« السفر الأسنى » ، و« تنبيه السالكين » ، و« البروج المشيّدة » ، و« تلخيص المعارف » ، و« خلاصة الأدب » ، وغيرها مما يطول بذكرها الكلام .

ومِمن قال بالرابطة الجنيد البغدادي ﷺ الذي أجمع القوم على أن طريقه أقوم الطرق ، كما صرّحه الشعراني في « اليواقيت » و« النصوص » ، وكلام العلماء والمشائخ في هذه أكثر من أن تحصى ، وفيما ذكر كفاية لمن تأمل ، والاعتماد على أقوال الأكابر أحرى وأوجب من الاعتماد على قول من لم يذق مذاقهم ، ومن اقتدى بهم من أهل الوهابية الخوارجية الشاذة . انتهى ، والسلام من خطه رحمه الله تعالى .

الفريد الثاني

في الجواب عن شبهة التي أوردها على سند التلقين وكتب إليه بعبارة حاصلها : أطلب منك أن تأتي بسند متصل صحيح أو حسن ، وقال فيه : وهذا شيء لم يثبت .

وعبارة شيخنا في جوابه ؛ الجواب : السند لا يطلب من المقلد ، وإنما يطلب من المجتهد فنحن لا ندعي الاجتهاد فمجتهد الطرق قد أخذوا أصول طرقهم من معدنها ولم يشذوا ولو بأدنى شيء مما ورد فيها . **والطريقة النقشبندية إنما وصل إليهم بالصبّ من صدر إلى صدر معنعناً مسلسلاً بالتوجه** . قال الزهدي : أوّل توجه من جبريل عليه ﷺ ثلاث : مرّة للتحلية ، ومرة للتخلية ، ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار جبل حراء ، وفي غار ثور توجه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، **وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية** راجع « صحيفة الصفا لأهل الوفآء » و« نهج السالكين » ، وقد أورد أكابر السادات في كتبهم حديث « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » وإن قال البعض أنه لا أصل له .

وقد قال القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : إن الشيء الذي عنى به ﷺ في قوله « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقر في قلبه » وهو الذكر الخفي ، وقال شارح « الإحياء » : إن الذكر الخفي مما اختصت به النقشبندية . انتهى . وفي « الفتاوى العمرية » ما حاصله : إن النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية سواء كان لفظة الله الله أو النفي والإثبات والمراقبة أو الحضور من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصديق الأعظم التي اختص بها الصديق من بين سائر الصحابة ، أخذها باطناً بالتوجه عن رسول الله ﷺ . انتهى .

وأما تلقين المشائخ الذكر على المريدين فحسن محبوب وثابت بالأدلة الأربعة على وفق السنة المحمدية ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه جماعة وفرادى ، **أما تلقينهم فرادى؛** فقد روى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن عليّاً ابن أبي طالب كرم الله وجهه فقد سأل النبي ﷺ « دلّني على أقرب الطرق » إلى آخر الحديث الطويل ، كما هو مذكور في « الفتاوى العمرية » وغيره ، رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس رضي الله عنه .

وأما تلقينهم جماعة؛ فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : « هل فيكم غريب » إلى آخر الحديث الطويل ، وهذا الحديث ذكره الشعراني في « النفحات » ، ونقل في « الحدائق الوردية » برواية الطبراني والإمام أحمد والبزار وغيرهم بإسناد حسن فراجعه ، وهكذا بل عينه ذكره مؤلف « هدية الذاكرين » ، وذكره أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره : والحاصل أن التوجه الملقن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكبار سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، فمن انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة غفل .انتهى راجع « صحيفة الصفا » . وذكر في « الرشحات » في الفصل الأول : كان لمسجد النبي ﷺ أبواب صغيرة من كل جانب ، فأمر النبي ﷺ في مرضه الأخير بسدها كلها غير خوخة أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : « اليوم تسدّ كل فرجة إلاّ فرجة أبي بكر » ففعلوا ، ولأرباب التحقيق كلام في هذا الباب وهو أنه كان لسيدنا أبي بكر كمال النسبة الحبيّة ﷺ ، فاشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أن جميع النسب والطرق مسدودة في جنب النسبة الحبيّة ، وما هو موصل إلى المقصود ليس إلا هذه النسبة الحبية ، والرابطة عبارة عن هذه النسبة الحبية إلى صاحب دولة وسعادة لائق للواسطة

بين العبد وبين الله تعالى ، وانتساب طريقة أكابر النقشبندية قدس الله أرواحهم إلى حضرة الصديق رضي الله عنه إنما هو من حيثية هذه النسبة ، وطريق هؤلاء الأكابر هي المحافظة عليها . انتهى عبارته ١٨٨ وراجعه في ٩ ففيه بسط زائد .

وفي « الرشحات » : وما قيل من أن متأخري مشائخ النقشبندية يجرون سلسلة أحدهم إلى أبي بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسي رضي الله عنهما ، ويذكرون ذلك في إجازاتهم ، وهذا شيء لم يثبت عند أهل النقل . انتهى . فمدفوع ومردود عليه فإنك قد علمت مما سبق في عبارة « الرشحات » أن القائل بذلك هو الشيخ أبو طالب المكي قدس سره ، وأين زمان أبي طالب المكي من زمان قدماء المشائخ النقشبندية فضلاً عن متأخريهم . فإن اسم النقشبندية إنما أطلق على هذه السلسلة من لدن الخواجه بهاء الدين النقشبند ، وقبله كانت تسمى بسطامية وطيفورية نسبة إلى أبي يزيد البسطامي ، وقبله كانت تسمى صديقية ، كما لا يخفى على أربابها ، فنسبته إليهم افتراء محض .

وقوله : هذا شيء لم يثبت . . إلخ ، مما يقضى منه العجب ، كيف يصدر هذا الكلام ممن له أدنى حظ من العلم ؟ ! فإن أهل الطريقة لا ينقلون طريقتهم بواسطة أئمة النقل حتى يحتاج إلى تقريرهم ، بل لهم طريقة خاصة بهم ورثوها كابر عن كابر من الأوّل إلى الآخر ، قال في آخر « الرسالة القشرية » : والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر ، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة ، فالذي للناس غيب فلهم ظهور ، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود ، فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدال . انتهى عبارته ١٠ .

وقال الزهدي ما حاصله : **إن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة وإنها تلقين خاصٌّ إلى أهله لا شعور للعوام على ذلك الأصول** ، من أجل ذلك لا يحتاج السند من غيرهم ، فإن رجال الطريقة العلية ثقات

وصلت هذه الأصول والتلقين من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ﵁ ، ومنه إلى الرجال الثقات ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية ، وهم البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامة إلى الآن وإلى آخر الزمان ، إن شاء الله تعالى . انتهى « مجموعة الرسائل » عبارته . وقد نقل هذه الطريقة النقشبندية كابر عن كابر كما ذكر عن الصديق الأكبر ، وهو عنه ﷺ ، وأثبتوا ذلك في كتبهم العديدة التي لا تحصى ، ونحن لم نبتكر ولم نبتدع فيها شيء مما قالوه ، فما لكم تجعلوننا هدفاً للملامة ! !

فأسألك(١) بالله أيها الولد أن تتركونا على حالنا ، فلسنا نفعل ما يخالف الشرع ولو بأدنى شيء ، فإن رأيتهم ذلك فتنبهونا على ذلك . ولنا للرابطة دلائل ، وإن كنتم عنها غافلين ألا يكفي لك دليلاً للرابطة أيّها الولد كون عمر ﵁ يقف قبالة حزيفة ﵁ بربط قلبه به ويطلب منه التوجه ، ويسأله هل يعلم فيه شيئاً من النفاق ، وذلك لأن حزيفة ﵁ كان قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، كما هو مبسوط في « الإحياء » وغيره ، وكذا وقوف الإمام الشافعي ﵁ قبالة شيبان الراعي الأميّ يطلب منه البركة كالصبي بين يدي المرضعة وإذعان له ، وكذا إذعان الإمام أحمد ﵁ لأبي حمزة البغدادي كما هو مذكور في « طبقات الشعراني » ، وكذا الإمام سفيان الثوري والإمام ابن سريج والإمام ابن فورك وإمام الحرمين والإمام حجة الإسلام الغزالي والإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام تقي الدين ابن دقيق العيد ، والإمام محي الدين النووي رضي الله عنهم كانوا يعتقدون الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم ويحترمونهم ، ويجلسون بين يدي الواحد

(١) ويكفي للرابطة دليلاً أن القرآن نزله – بنص الآية الشريفة – الروح الأمين على قلب النبي عليه السلام فإن إلقاء القرآن على القلب لا يكون إلا بربط قلب أحدهما بقلب الآخر للإفاضة والاستفاضة فتدبر ، وكن من الشاكرين .

منهم ، كما يجلس الصبي بين يدي المعلم ويتأدبون معهم ، فإذا كان حال هؤلاء الأكابر هكذا وكانوا يقفون بين يدي الصوفية ويرابطونهم فما بقي للإنكار مجال والله يعلم الحقائق .

وأمّا آيات القرآن الدالة على الرابطة فكثيرة ، بل القرآن من أوله إلى آخره ينبئ الرابطة على القاعدة الاصطلاحية ، بل كلّما حصل للأصحاب من الأحوال والمقامات كان بالصحبة المستلزمة للرابطة ، وأحوال أرباب هذه الطريقة الصديقية إنما تحصل بربط القلب بالقلب والصبّ من صدر إلى صدر ، وفضل أبي بكر ﵁ إنما كان بشيء وقر في قلبه بتوجه النبي ﷺ ، وصبّ ما في صدره إلى صدره ، كما هو مصرح في الحديث الوارد .

وجميع الأحاديث الواردة في حق التوسل المذكورة في كتبهم كـ« نور الإنصاف » و« شواهد الحق » كلها دلائل وحجج واضحة للرابطة ، فإن كنت يا ولدي تريد أن تدرك الحق فعليك بالوصول لدينا ، فما بيننا وبينك إلا مسافة يومين لأبيّن لك الدلائل للرابطة من الكتاب والسنة ، وكذا لجواز التوسل بالأخيار ، ولا تقصر نظرك إلى كتاب « الفرقان » و« إغاثة اللهفان » و« تلبيس إبليس » وغيرها من كتب الوهابية ، فإنها محشوّة بالبدع ، وقد تكلم العلماء على بعض ما فيها وردوه ، والسلام .

واعلم أني لست من أهل النزاع ، ولست من الذين يطلبون سلوك الناس إلى دائرتنا ، لكن لما وجدت أبعاضاً من المتشيخين يغيرون أصول الطريقة بالكلية صدرت لإظهار الحق وإبطال الباطل ، وهذا شأن كل موحّد فينبغي له أن يجاهد بالقول وإظهار الدليل .

مهم

واعلم أن كل شبهة من شبهك فنحن نرده بالنقول إن شاء الله تعالى ، فإن كان لك شيء منها فأوصله لدينا أتظن أن أهل هذه الطائفة يجهلون معاني الكتاب والسنة وأنت تعلمها ، أليس كلهم من الأولياء والأقطاب والأغواث ؟ ! فهل هم على الباطل وأنت على الحق ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فإن أردت أن تعلم اتصال هذه النسبة بالصديق الأكبر بواسطة رجال سلسلة هذه الطريقة فانظر إلى « الحدائق الوردية » و« البهجة السنية » و« الرشحات » و« التحفة » و« جامع الأصول » و« المتممات » و« الحديقة الندية » ، ولا تظن أنها منقطعة بل هو معنعنة مسلسلة بسيد الجن والإنس عليه السلام ، وسندهم فيها سند أهل[1] الحديث ، ولهم فيها أيضاً سند غير سندهم ، كما هو مبين في كتبهم ، فلا بأس بإنكار البعض كما هو مذكور في الكتب . انتهى كلام شيخنا قدس سره من خطه .

أقول : فبهذه المذكورات في هذا الفريد وفيما قبله علمتَ أيها الأخ المحارب أولياء الله تعالى - تاب الله عنك - كون الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة ، وأنها تلقين خاص إلى أهله لا شعور للعوام فيه ، وأنها ليست من حيثية النقل كقاعدة المحدثين ، وأن أربابهم لا ينقلون طريقتهم بواسطة أئمة النقل ، بل هو رواية من ثقات كابر عن كابر بالتواتر ، وعلمت أيضاً بطلان قول القائل بانقطاع السلسلة النقشبندية ، وكون سندهم صحيحاً من جهة النقل ، فلا يقدح تضعيف بعض نقلة الحديث حديث « ما صب الله في صدري شيئاً » . .إلخ . وحديث « ما

---

(١) ويكفي دليلاً لكون الطريقة النقشبندية مما لها سند صحيح ليس فيها شيءٍ من البدع كون الإمام الرباني من أكابر سادات النقشبندية الذي لا يقبل من البدع شيئاً ولو كان حسناً ، وقد نهى قدس سره واحداً من خلفائه من أن يلقن لآخر غير الطريقة النقشبندية ، كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » فراجعه . **(هامش الأصل)** .

فضلكم[1] أبو بكر بكثرة صوم » . .إلخ ، لأن الحديث المذكور أثبته أهل الكشف والعيان ، وجعلوه سنداً لهم في طريقهم فإنهم هم الذين يرون الأنوار من الكلام الذي خرج من فمه ﷺ ويرجعوه إلى صاحب الكلام في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون من طريقهم ، ويسألونه ﷺ : هل ورد منك هذا الكلام يا رسول الله أم لا ؟ يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين أهل الكشف ، ويقولون : يا رسول الله قد فهمنا كذا من آية كذا ، وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا ، فهل ترتضيه أم لا ؟ راجع « الميزان الكبرى » للإمام الشعراني في ٣٢ ج ١ ، و« الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » .

وفي « أفضل الصلوات » ما عبارته : ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن أبي الحمائل يرى النبي ﷺ ثم يدخل رأسه في جيب قميصه ، ثم يقول : قال النبي ﷺ فيه كذا ، فيكون كما أخبر لا يتخلف ذلك أبداً ، **فاحذر من إنكار ذلك فإنه السم** . قال النابلسي : وليس هذا بأمر عجيب ولا شأن غريب فإنَّ أرواح الموتى مطلقاً لم تمت ولا تموت أبداً ، ولكنها إذا فارقت الأجسام الترابية العنصرية تصوّرت في صورها كتصور الروح الأمين جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ، وفي صورة دحية الكلبي .

وإذا كان هذا في أرواح عامة الناس الذي لم تحيس أرواحهم بالتبعات والحقوق التي ماتوا وهي عليهم ، كما قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ فما بالك بأرواح النبيين والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) وحديث « ما فضلكم أبو بكر » . . إلخ مذكور في « الفتاوى الحديثية » ، ولم يذكر أنه ضعيف لكنه ذكر حديث « ما صب الله » إلخ في الموضوعات وذكره السادات مطلقاً ولم يتعرضوا له بالضعف أو بالوضع فراجع . (قحي) . (هامش الأصل) .

وليس الموت بإعدام للأرواح وإن بليت أجسامها . وسؤال القبر حق وكذلك نعيمه وعذابه حق في مذهب أهل السنة والجماعة ، والسؤال والنعيم والعذاب إنما يكون في عالم البرزخ لا في عالم الدنيا ، وعالم البرزخ بابه القبر وليس في القبور إلا أجسام الموتى لأن القبور من عالم الدنيا وأرواح الموت في عالم البرزخ أحياء بالحياة الأمرية ، وإنما كانت الأجسام في الدنيا أحياء بأرواحها ، فلما عزلت عن التصرف فيها ماتت الأجسام والأرواح باقية في حياتها على ما كانت . وإنما الموت نقلة من عالم إلى عالم ، **فالأرواح المكلفة غير المرهونة بما كسبت تسرح في عالم البرزخ وهي في صور أجسامها وملابسها** ، وتظهر في الدنيا لمن شاء الله تعالى أن يظهرها له ، كأرواح الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله تعالى ، وهذا أمر لا ينبغي للمؤمن أن يشكّ فيه ، لأنه مبنيّ على قواعد الإسلام وأصول الأحكام . انتهى عبارته راجعه في ٣٢ . مع أن كرامات الأولياء حق .

والدليل على حقيقية الكرامات ما تواتر من كثير[١] من الصحابة ومن بعدهم ، بحيث لا يمكن إنكاره ، وأيضاً الكتاب ناطق بظهورها من مريم ، ومن صاحب سليمان صلوات الله تعالى عليه ، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز . انتهى راجع إلى شرح « عقائد[٢] النسفي » ففيه البيان . فلم يبق الآن لقائل قول ولا لسائل جواب ، وثبت بطلان ما أنكره الوهابية فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين ويحق الله الحق ويبطل الباطل . انتهى . والسلام على من تبع الهدى وهدى إلى سبيل المصطفى .

قال الإمام الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » ما حاصله : فإن أكثرت من الصلاة والتسليم عليه ﷺ فربما تصل إلى مقام مشاهدته ﷺ ، وهي طريقة الشيخ نور الدين الشوني والشيخ أحمد الزواوي ، والشيخ

---

(١) ويأتي بيانه في الفريد الثاني عشر ، راجعه .(**هامش الأصل**) .

(٢) إلى قول الماتن : وكرامات الأولياء حق . انتهى . (**هامش الأصل**) .

محمد ابن داود المنزلاني ، وجماعة من مشائخ العصر فلا يزال أحدهم يصلي على رسول الله ﷺ ويكثر منها ، ويتطهر من كل الذنوب حتى يجتمع به يقظة في أيِّ وقت شاء ، ومن لم يجد له هذا الاجتماع فهو إلى الآن لم يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ الإكثار المطلوب ليحصل له هذا المقام . . . إلى آخر ما ذكره فيه ، راجعه . فإن أردت الزيادة لا بد من المراجعة إلى كتاب « رماح حزب الرحيم » ، وفيه بعد ذكر ما وقع لكمل الأولياء من الاجتماع به ﷺ ما لفظه : قلت ولا ينكر رؤية النبي ﷺ يقظة إلا من لا شعور له بمقامات العارفين ولا اطلاع[1] له على ديوان الصالحين . انتهى راجعه في ٢٠٢ من الجزء الثاني ، والله وليّ التوفيق والسلام .

الفريد الثالث

في الجواب عن شبهة التي أوردها على قول أن أبا يزيد لقن تلك الطريقة في عالم الأرواح و . . . .إلخ . وكتب إلى شيخنا أن ذلك الأخذ لا يكون إلا من جهة الكشف ، والكشف قد يخطأ وقد يصيب فما الدليل على كونه صحيحاً

وقال شيخنا الجواب أن أبا يزيد أخذ عن جسمانية جعفر الصادق لا عن روحانيته فقط ، وأن هذه النسبة واصلة للحضرة الصديقية ، فإن ملاقة أبي يزيد لجعفر الصادق وكونه سَقاءً في داره أوردها جماعة من أصحاب التاريخ ، وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية و انتهى فراجع « الفيوضات الخالدية » تجد البيان هامش « نور الهداية » ، والبسط في « الكشكول » فراجع ١ ص من خطه .

---

(١) وفي « اليواقيت » بسط ، وكذا في « المنح المكية » فراجعهما . (قحي) . (هامش الأصل) .

وأقول : إن سلّمنا أن الأمر كما ذكره السائل لا نسلّم وقوع الخطأ فيه لأنّ اجتماع الأرواح يكون يقظة كاجتماع الأجسام بالأجسام لا على الكيفية التي تكون بالكشف في الواقعة المنامية ، فلا يكون فيه الخطأ أصلاً ، بل هو من قبيل اليقينيات ، كذا ذكره شيخنا في بعض المكاتب وسمعته أيضاً يقول من فمّه ، وفي « الإبريز » : **إنّ الوليّ إذا حصلت له مشاهدة ذات النبي ﷺ في اليقظة حصل له الأمان من تلاعب الشيطان** . انتهى راجعه عبارته . والمراد بالمشاهدة مشاهدة صورته المثالية باجتماع الأرواح فتفطن لذلك وراجع « المناقب الأحمدية » تجد البيان ، ومثل مشاهدته ﷺ مشاهدة الأولياء الكمل والاجتماع معهم ، فكما لا يتمثل الشيطان بصورته ﷺ لا يقدر أن يتمثل بصوة الولي الكامل ، كذا ذكروه في غير موضع ، راجع « شرح البخاري » للعلامة السفيري الحلبي الشافعي في حديث « ثم حبّب إليه الخلاء » ، حتى قال القطب الشيخ محمود أفندي الألمالي قدس سره : لو راطب إليّ واحد متوجهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينهما وبينه ، بل يحترق . انتهى ، كذا في « خلاصة الأدب » في الأدب السابع راجعه في ٤٣٩ . وفيه في هذا الباب مهمات نفيسة لا بد لطالب الحق من المراجعة إليه ، فإن كنت من أهل الإنصاف راجعه ينفي الشكوك .

وفي « نور الهداية » : إن القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدس سره كان يقول : يا أولادي إن صح عهدكم معي وعملتم بوصيتي وسمعتم كلامي ، فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات تستخيرون به ربكم فوجهوا وجوهكم إليّ وأطبقوا أعين حسكم وافتحوا عين قلبكم فإنكم ترونني جهاراً وتستشيروني في جميع أموركم ، فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه وليس هذا خاصّاً بي هو لكلّ شيخ صدقتم في محبّته قد يعلم ذلك

شيخكم وقد لا يعلمه ، هكذا جرت سنة الله تعالى مع أوليائه . انتهى نقله الشيخ حسن الدوسري في « الرحمة الهابطة » ، وأقره الشعراني في « الطبقات الكبرى » . انتهى عبارته ٣٨ ومثله في « خلاصة الأداب لمن أراد فتح الأبواب » راجعه في ٣١ .

وأمّا قولهم : الكشف قد يخطأ ، أي : المتكلم في مدلول اللفظ يخطأ ويصيب ، وإلاّ فلا يخطأ الكشف أبداً ، كذا في « اليواقيت » للإمام الشعراني راجعه في ٢٣٨ ج٢ عبارته . وفي « الإبريز » : إن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيّد بمذهب من المذاهب ولا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين ، ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة ، فهو العارف بمراد النبي ﷺ وبمراد الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها . **وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه** . انتهى راجعه في ١٩٢ . وقال الشيخ العارف أبو الحسن الشاذلي : لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما أعددت نفسي من جملة المسلمين ، هكذا يكون حالهم فكيف يسوغ الإنكار على علومهم والطعن بأذواقهم ؟ ! وفي « الإبرايز » ما حاصله : إذا أراد الله شقاء قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم ، وليس كذلك حتى أنه يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم ، فيظنون أنه شارب الخمر وإنما تصور روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت ، وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته تحرّك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلمتْ ، وإذا أخذت في الأكل أكلتْ ، وإذا أخذت في الشرب شربتْ ، وإذا أخذت في الضحك ضحكتْ ، وإذا أخذت في الحركة تحركتْ ، وتحاكيك في كل ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكل ولا غيره لأنها ظل ذاتك ، وليست بذاتك الحقيقة ، فإذا أراد

الله شقاء قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون ، والله الموفق . انتهى عبارته راجعه في ١٩٥ .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » نقلاً عن الشيخ علي الخواص ﵁ ما حاصله : إن علم الكشف علم ضروري يحصل للمكاشف ، ويجده في نفسه لا يقبل معه شبهة ولا يقدر بدفعه عن نفسه ، ولا يعرف لذلك دليلاً يستند إليه سوى ما يجده في نفسه ، وقد يكون أيضاً صادراً عن حصول تجل إلهي ، لكن هذا خاص بالرسل وكمل الأولياء . ثم إن علم الكشف الصحيح لا يأتي قط إلا موافقاً للشريعة المطهرة . انتهى في ٢٥٥ من هامش « الإبريز » . وفي « الميزان » للإمام الشعراني ما حاصله : ما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا وينتهي سنده برسول الله ﷺ ، ثم بجبريل ، ثم بحضرة الله عز وجل التي تجلّى عن التكيف من طريق السند الظاهر والسند الباطن الذي هو علم الحقيقة المؤيدة بالعصمة ، فمن نقل علمها على الحقيقة لم يصح منه خطأ في قول من أقواله ، وإنما يقع الخطأ في طريق الأخذ عنها فقط ، فكما يقال : إن جميع ما رواه المحدثون بالسند الصحيح المتصل ينتهي سنده إلى حضرة الحق جل وعلا ، فكذلك يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح[1] من علم الحقيقة ، لأن جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة . انتهى .

---

(١) ومن قسم الكشف الصحيح الإلهامات ، فإذا صحت فلا تأتي إلا موافقاً للشريعة ، لأنه إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسه ، فإن وقع أن الإلهام خالف الشريعة فالخلل من ضعف حال صاحب الكشف ، ويسمى الإلهام أيضاً بالتعريف الإلهي من الله تعالى ، فيوضح الحق تعالى به ما كان مشكلاً على الناس ويطلعك على الحديث الصحيح في نفس الأمر وإن قال العلماء بضعفه ، هكذا في « المنن الكبرى » راجعه في ٠٤١ ج ٢ ، والسلام . (**عسلي**) .

الفريد الرابع

في الجواب عن قوله : ما حكم الرابطة ؟ فإن قلت مثلاً إنها واجبة أو مندوب فأت على ذلك بآية من القرآن أو حديث صحيح أو حسن . .إلَخ ، وعن قوله : إنه لم يبلغنا أنه عليه السلام أمر بتصور صورته .

قال شيخنا قدس سره في جوابه : قال في « الرحمة الهابطة » : لم يقل أحد من أهل التصوف بوجوب الرابطة لذاتها بل لما توصل إليه من المحاب والمريد يلقن الرابطة وهو مخيَّر في فعلها وتركها ، فإن ظهر له فائدتها تأكد عليه فعلها ، فإن تركها فقد ترك أدباً من الأدب ، هذا كله في البدايات . وأما في النهايات فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ليس كمثله شيء . انتهى عبارته . وقال فيه أيضاً ما عبارته : أقول الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلّد ، وإنما على المقلّد النقل ، فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفنّ فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية ، كما أنه لا يلزمنا لو طلب منّا نص لمسألة في الفقه إيراد غير كلام الشافعية . انتهى . عبارته .

وقوله : لم يبلغنا . . .إلخ . **أقول** : ما يلزم من عدم بلوغه إياكم عدم ثبوته ، ولا يلزم من جهلكم به عدم علمه غيركم به ، ولعله بلغكم وجهلتموه ، ومرّ عليكم ولم تعرفوه ، وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي ﷺ في مرآة القلب الذي رآه مؤمناً أو انطباع صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي ﷺ ، ولولا ذلك لم يعدّ في الصحابة من رآه النبي ﷺ ، وهل أمر أوضح من دعاء النبي ﷺ إلى مبايعته المستلزمة للرؤية المستلزمة لانطباع الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيلته مهما تذكر المرئي شاء أم أبى ولو كان عدوّاً ، فاستحضار صورة النبي وتخيلها الذي هو المراد بقولنا : تصورها محبة له واشتياقاً إليه ، لا يقول بمنعها إلا أحمق خبيث ، فالأمر بمستلزمه شيئاً مستلزماً شيئاً آخر أمر بذلك الشيء الآخر . انتهى .

والرابطة عبارة عن المحبة الكاملة ، فيستلزم عليها بالضرورة التوجه والتصور وربط القلب به وتذكُّره على مقتضى : إذا أحب شيئاً أكثر ذكره ، مع أن الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة ، وعالمين بمعنى اللغة والكلام ، فهل يتصور منهم أن يصلّو على النبي غافلين من غير تخيل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم وهو قرة عيونهم وروح أنفسهم ؟ ! وهذا من قبيل المحال ، كما قال أهل النظر : الطلب بلا تصور محال ، لأنه توجه القلب نحو المطلوب ، كما قال في « الإحياء » في باب ما ينبغي للاستحضار في أركان الصلاة : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم ، وقل : السلام عليك . .إلخ . « فتاوى عمرية » عبارته . فإن كانت محبة الله جلّ وعلا ومحبة رسوله سيد الموجودات كلها ، ومحبة تابعيه من المؤمنين وربط القلب بهم واجبة ، فلتكن الرابطة واجبة أو مندوبة فمندوبة أو محرّمة فمحرمة ليس إلا ومن لم يكفه هذا لا يكفه غيره ، فليكن صامتاً أو ناطقاً . وهذا حاصل كلامنا وفعلنا . انتهى ، القاضي ببلات .

وقد استدل أكابر الأقطاب للرابطة بقوله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ، وبقوله ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ، وبقوله ﴿ لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ، وبقوله ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَـٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ ﴾ . . إلخ ، وبقوله ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ **والقرآن من أوله إلى آخره رابطة بالمعنى الذي يعنيه أهل الرابطة** وإن جهله من لا يعرف معناها وحقيقتها ، راجع « هدية الذاكرين » ، و« الرحمة الهابة » . ومن الدلائل الصريحة للرابطة كون القرآن من أوله إلى آخره وحياً وإلقآء قلبياً نزله الروح الأمين على قلبه ﷺ ، كما هو نص الآية الشريفة فإنَّ إيحاء القرآن على القلب لا يكون إلا بربط القلب بالقلب ومقابلته به للإفاضة والاستفاضة ، فهذا عين معنى الرابطة وهو مما ألهمه الله تعالى على قلب الحقير وإن لم يسبق عليه بذكره أحد من المؤلفين ولله الحمد ، الحقير القحي رحمه الله إفلاسه . ،والسلام . انتهى عبارته من

خطه قدس سره ورزقنا من فيوضاته آمين . **ونقول** : قد مرّ الجواب عن شبهة الواردة على الرابطة ، وأثبتناها بالكتاب والسنة وأقوال العلماء العارفين ، بيد أن السائل لما أعاد السؤال نعيد الجواب كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ ونثبتها بالكتاب والسنة والاجماع والقياس ، بحيث لا يبقى فينا إشكال لأحد وإن كان فيما ذكره شيخنا كفاية ، لكن أهل الإنكار عنه ساهون وعن الحق عامون ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الآية ، ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾ الآية ، وإذا قارن استحوذ على النفس وتولّى عليها فتزداد غفلة وبعداً ، فقال صاحب « تبصرة الفاصلين » فيه : واعلم مثل هذا الجمع والنصح كماء النيسان شفاء للعامة وإذا دخل في الصدف فيصير درّاً ، وإذا أدخل في فمّ الأفعى فيكون سمّاً ، فكذلك تلك النصيحة تزيل تودد المتردّدين على الحق وتزيد محبة العاشقين ويتشدّد إنكار المنكرين واستغناء المستغنين ، كيف لا عدوّ والمرأ ما جهله[1] ، إن الإنسان كان ظلوماً جهولاً ، ولكن بعناية الله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ فالاستغناء سبب الحرمان والاتباع رضا الرحمن .

ثم اعلم أن الاستغناء والإنكار على الحق وعلى أهله شايع من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى الآن ، وسبب ذلك إما الجهل البسيط أو المركب بعلومهم وإما التعصب والحسد منه ، ومع هذا يحسب نفسه مع الواصلين ، بل يرى نفسه أفضل الناس وعمله أحسن الأعمال ، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فيستغنى باستغراق ظلمتها عن نهار الحق ، كلا إنه أنانيَّة النفس وغوايتها عن الصراط السويّ ، والحال أن النفس لأمارة بالسوء والرياسة ، ويتشدَّق الكلام غروراً ويحرم على مسلكهم

---

(١) **لعلّ صواب العبارة هكذا** : كيف لا والمرء عدوّ ما جهله .

عبوراً ، عن أنس رضي الله عنه : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا ، مَا كَذَا ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ » ، وكذا الرمي على الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين خصوصاً على سيّدهم بالإفك والافتراء والجنون وهو بريء عن كل ذلك ورحمة للعامة والطعن على أهل الله رفعة لهم وزيادة ، كالمسك الأزفر تفوح رائحته وتنشر إذا دقّ أو حرك ، وعلى الطاعنين ندامة وحسرة وسبب سوء الخاتمة ، عن آنس وأبي هريرة رضي الله عنهما من « أهان لي وليّاً » ويروى « من عاد لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة » وفي رواية فقد آذنته بالحرب .

واعلم أن معاشر النقشبندية والخواجكانية متفقون على أن الرابطة أصل من أصول طريقتهم المنتسبة إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه معنعناً ، وهم أهل الله الكرام وأهل الأمانة والإحسان وصاحب الحق اليقين ، ليلهم كنهارهم مثلهم قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، ومثلهم قوله ﷺ « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى » وامتلأ العالم بالذكر القلبي الذي هو أفضل الذكر بواسطتهم وتلقينهم ، وانتشرت نفخاتهم المسكية بصحبتهم حقيقة أو حكماً كقوله ﷺ « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يجديك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد رائحة طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد رائحة خبيثة » ، والشق الأول مثلهم لأن كلهم صاحب العلوم الظاهرة والفنون الباهرة قائمون بالنشر والتدريس ، وباطنهم معمور بالنور والحضور والأنس وحق اليقين منوّرين قلوب محبيهم بمصقلة جوهرة ذاتهم السنية كقوله تعالى ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه « المؤمن مرآة المؤمن » ، وعن علي رضي الله عنه « لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين » وهم مرآت الحب ومعدن التقوى .

وأما قطب العالم ووجع الخواص والعوام ذو الجناحين الكاملين فريد عصره ووحيد دهره مولانا خالد قدس سره العزيز فسلك على أحسن المسالك في رسالته لإخوان أهل الإسلامبول حين سمع القال والقيل على الرابطة الشريفة من أهل الغفلة والتعطيل ، وهو مسلك الاتباع للسلف الصالحين والتابعين الفالحين عن أبي سعيد الخدري ﵁ « المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنف ، إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » ، وعن أبي هريرة ﵁ « عليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً إنما المؤمن كالجمل الأنيف حيثما قيد انقاد » ، هكذا علامة المؤمن الاتباع لسلفه بعد ثبوت أنهم من أهل السنة والجماعة وأهل المذهب من المذاهب الأربعة المتفق عليها أنها على الحق .

قال مولانا قدس سره في عنوان رسالته بعبارته : وقوع سمع هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حق اليقين يعدون الرابطة في الطريقة بدعة ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولا حقيقة ، كلا أنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية ، بل أعظم أسباب الوصول بعد التمسك بالكتاب العزيز وسنة الرسول ، ومن ساداتنا من كان يقتصر في السلوك والتسليك عليها ، ومنهم من كان يأمر بغيرها مع تنصيص أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى . انتهى عبارته في٣ .

والرابطة المذكورة المعهودة عند السادات النقشبندية هي الموصلة إلى الإخلاص والحضور باتفاقهم على أن الحضور والإخلاص واجب في العبادة لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، ولقوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ أي : من الشرك الخفي والجليّ مما سواه تعالى ، ولقوله ﷺ « لا يقبل عن قلب لاه » أي غافل ، وقوله ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن

لم تكن تراه فإنه يراك » . ومحل الاخلاص القلب ، واصلاحه من كل فاسد وسهو وغفلة واجب على الرجال والنساء من العالم والجاهل على السوى مهما أمكن ، لقوله عليه السلام لأبي ذرٍّ رضي الله عنه « ألا إن في جسدك مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه ، ألا وهي القلب » ، وفساده مرض الغفلة ، وصلاحه حضورٌ دائميّ على كل حال في النوم واليقظة ، كما قال عليه السلام « عيني تنام وقلبي لا ينام » . وطبيب مرض الغفلة بنو آدم عليه السلام من أحبَّاء الله تعالى بعد التسليم التام والاعتقاد الصادق على أنه سَبَبُ نجاتي ، والمحبة الخالصة على أنه لا يجيء منه الكراهة والضرر والصحبة الكاملة على أنه لا ينفك في الغياب والحضور ، حتى يفنى جسده وأحواله في مرشده وينصبغ بأحوال مرشده وينعكس نوره حتى يصير إقباله إلى الله تعالى كإقبال مرشده إليه ، ولا يمكن هذه الأحوال إلا بالصحبة مع التسليم والحب لله ، وهي الرابطة غاية ما في الباب تغيروا الاسم اقتباساً بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ واصطلاحاً منهم في جهاد النفس وهي من آكد الأصول عندهم ، كما قال شاه نقشبند محمد بهاء الدين قدس سره : طريقتنا طريقة الصحبة ، كما قيل : الحج عرفة ، يعني أقوى الأركان ، ويرشدك عليها أحاديث المذكور آنفاً مثل « إذا رؤوا ذكر الله » ، ومثل « جليس الصالح » وقيل : « معدن التقوى قلوب العارفين » ، ومثل « المؤمن مرآة المؤمن » وهذا أمر ظاهر البداهة وعليه الأثار كثيرة وفيرة .

وأما الحب فهو ميلان القلب إلى شيء ، وهو إمّا مذموم بسبب الشهوات النفسانية وقضاء وطرها ، كقوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ ، أو مباح كحب أسباب الخيرات والحمية ، وكلُّ

مباح شرعي ، وإن وجد الإتباع فعليه يثاب ، أو مستحب كحب العلماء والصلحاء والمجتهدين لأخلاقهم الحميدة وكمالاتهم السنية وأوصافهم الجميلة رجاء من شفاعتهم ومددهم ، كما قال عليه السلام « المرء مع من أحب » ، أو واجب كحب الأنبياء عليهم السلام والصحابة والتابعين وأهل الصفاء والوفاء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ،

وفي حديث طويل عن سيّدنا عمر ﵁ قيل لرسول الله ﷺ : من آل محمد الذين أمرنا بحبهم وإكرامهم والبرور[1] بهم فقال : « أهل الصفاء والوفاء من آمن بي وأخلص » ، وقال عليه السلام « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » ، وفي رواية « من نفسه » ، وفي رواية « ألا لا إيمان لمن لا محبة له » ، وأهل الله الكرام وارثه ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً والوراثة التامة بمجموع ذلك الثلاث ، كما قال عليه السلام « الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي » ، والمحبة لأهل الله واجب لا محالة لأنهم أهل الصفا والوفا ، بل لمن اتبع آثارهم . وقال سفيان : من أحب من يحب الله فأنا أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله فإنما يكرم الله ، أو فرض كما قال تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فإن النبي ﷺ أشد حباً لله وأحسن محبوباً عند الله ، **ومن اتبع النبي ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً يصل إلى محبة الله ، ومن أحب الله تعالى فالله تعالى يحبه** ، كقوله ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ، عن أنس ﵁ قال تعالى « حقت محبتي للمتحابين ، وحقت محبّتي للمتواصلين ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ والمتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيّون والصديقون والشهداء » ، وعن أبي هريرة ﵁ « والمتحابون في جلالي لهم المنابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » . . إلخ ، ونتيجة حب المؤمن والصالحين أن يرى في نفسه أن جميع أهل الإيمان إخوة له فيعاملهم معاملة الإخوان من أبوين بالطبع لا بالتصنع ، لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ ،

---

(١) **علّه** : والبرّ بهم .

وعن أنس ﵁ « المؤمن أخ المؤمن يكفّ عن صنيعه ويحوطه من ورائه » فكيف الطعن بمجرَّد الظن ، فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً وعلامة محبة رسول الله ﷺ أن يرى في نفسه جميع أهل الإيمان كنفس واحدة ، ويقدم كل واحد منهم على نفسه على كل حال ، وعلامة حب الله أن يرى في نفسه جميع خلق الله من الملل المختلف والأجناس المتنوعة أحب إليه يقيناً أن ما خلقه الله ليس عبثاً ، بل عدل منه تعالى يحبه بحبه ويبغضه ببغضه ، عن أبي بكر ﵁ « الشرك أخفى من أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغضه على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب لله والبغض في الله » .

وعلامة حب الله إلى عبده رفع الحجب عن بصيرة العبد ورؤيته بنور الله وجميع أحواله من الله ليس من نفسه لقوله عليه السلام « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » . .إلخ . وأما قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ في حق المشركين من أهل الأصنام ، لا يجوز الحمل ولا التأويل على أهل الإيمان أبداً ويكفر حامله ، لأنه نص قاطع في المشركين أهل الطواغيت ، وقد أمرنا بكفرها وقتال أهلها كافة ، وأمرنا بحب أهل الصفا والوفا والبرور بهم والاتباع على أثرهم والاقتباس من مشكاتهم ، ولا تلبس الحق بالباطل فليتنبه . انتهى عبارته في ٦ .

وأما الدليل على الرابطة من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فالاتباع سبب الوصلة إلى محبة الله تعالى قولاً وفعلاً وحالاً والأخير هو الرابطة . وأما السنة فقوله ﷺ « إنما مثل الجليس الصالح » . .إلخ ، وقوله : « إما أن تجد رائحة طيّبة » وذلك التمثيل علم الوجدان لا علم الحواس الظاهر ، ولا يحصل ذلك العلم إلا مع الجليس الصالح العالم

اللدني ظاهراً ومعناً . وذكر البخاري رحمة الله عليه أن سيّدنا أبا بكر الصديق ﷛ شكى للنبي ﷺ عدم انفكاكه حتى في الخلاء وهو ظاهر ، وكذا الرواية عن الأويس القرني بغيابه ﷺ .

وأما الإجماع فإنّ معاشر النقشبندية المنسوب طريقتهم إلى الصديق الأكبر ﷛ معنعناً ومسلساً جماعة كثيرة وفيرة ، وهم من أهل السنة والجماعة ومقلدون إلى مذهب من المذاهب الأربعة ومقرون الرابطة قولاً فعلاً ايجاباً واستحباباً ، وكل واحد منهم متضلع من العلوم الظاهرة والفواضل ، ومتحمل بالأحوال والفضائل ومتخل عن كل الرزائل ، وقال عليه السلام « لا تجتمع أمتي على الضلالة » ، وقال « ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن » .

وأما القياس فالواسطة إلى المقصود فهي من المقصود ، خذها ولا تنس نصيبك من الأقوال الأئمة فاتبعهم ولا تبتع إخوان الشيطان ، فمن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلله فلا هادي له إلى سبيل الرشاد . انتهى عبارته في ١٢ . وفيه أيضاً في ١٧ ما عبارته : وأما القياس فتخيل الوسائل من حيث أنه وسائل إلى المقصود بالذات ومعينة عليه لا بأس بها ، وإنما الممنوع جعل الوسائل نفسها مقصوداً بالذات فليس كذلك ، والمنكرون بين الأمرين لا يفرقون لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون . انتهى عبارته .

وفي « الرحمة الهابطة » ما حاصله : فإن أحببت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة الهابطة فيكون لك على التقوى مرابطة فعليك بطريق الرابطة ، فإنها تعلق القلب وتعلق القلب بطاعة الله ورسوله منتج لمحبة الله ورسوله ، والرابطة يحصل بها زوال الغفلة وجمع القلب على الله تعالى ، وذهاب القسوة من القلب والخشوع ونزول الرحمة ، وكل ذلك يثمر المحبة لله . انتهى عبارته . وفي « الفتاوى العمرية » : ثم الرابطة الحبية القلبيَّة كانت تحصل للصحابة والتابعين وأتباعهم بلا احتياج إلى التكلف والتنبيه منهم على وجه الاضطرار ، ثم لما تمدّى الزمان وتكدرت القلوب وقلَّت المحبة احتاج المشائخ إلى التنبيه

عليها والتصريح بها ، فأمر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ، ثم عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة ، لأن العشق والمحبة يربط قلب المحب بالمحبوب ويقيّد به ، فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ، وقد يسمونها نسبة ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة رضاء لله تعالى ، لا لغرض سواه ، كما في الحديث « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » ، وهذه المحبة اختيارية وعقلية لأنه يختار بحكم العقل منفعة ، بخلاف محبة الأولاد فإنها طبيعية وشهوتية ، وقد تنقلب الاختيار اضطرارية وذلك بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما .

ثم إن المحبة والرابطة أصالة لرسول الله عليه السلام وتبع لورثة الكاملين ، فكيف لا ! وقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ الآية ، فانظر كيف أشركهم في الدعوة والارشاد ، فلما جازت الصلاة والسلام عليهم تبعاً جازت الرابطة إليهم تبعاً « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي . انتهى عبارته ، راجع « السفر الأسنى » .

قال الإمام الرباني في « مكتوباته » : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف ولا تعمل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريقة أقرب من طريق الرابطة ، فيا سعادة من أسعد بهذه الدولة العظيمة . انتهى عبارته . وفي « جامع أصول الأولياء » ما نصه : الرابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب ، فالذكر وحده بلا رابطة ولا فناء في الشيخ ليس موصلاً . وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الاتصال . انتهى عبارته ٥٦ . وفي « الرحمة الهابطة » ما حاصله : فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه وتخيل أنه يقبل يده أو رجله أو يضعه على رأسه أو جبهته أو يعتنقه أو يدخله في قلبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس ، شعر :

لي سادة من عزهــم أقـدامهم فوق الجباه

إن لـم أكن منهم فلي فــي حبِّهم عز وجاه

وإذا تقرر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة فالاشتغال بها من آداب الطريق ، إذ من المعلوم أن زوال الغفلة مطلوب وهو مفتاح السعادة وأن الحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده . ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وذكرهم من لوازم محبتهم ومحبتهم فرض لقوله عليه السلام : « وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله » الحديث ، ومحبتهم محبة الله لقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى : « أوجبت محبتي للمتحابين فيّ » الحديث وعداوتهم محاربة مع الله تعالى لقوله تعالى على لسان نبيه ﷺ : « من عادى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » الحديث ، فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه ﷺ ، فالذي أرى أنك تصم سمعك عن الافتراء ولا تصحب من كذب وافترى ، وتصون لسانك عن المراء وتنقاد للحق وتخضع وفي ردِّي عن طريقي لا تطمع وإن تعدل كل عدل لا ينفع . انتهى عبارته ٢٢٧ .

وفي « السفر الأسنى » للشيخ حسن حلمي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي المجددي قدس سره ورزقنا من فيوضاته : والرابطة عند الفقراء تخيل صورة الشيخ لحظة أي برهة قليلة ليس إلا لما أنه أكد الأدب عندهم ، **ولو كان التخيل المذكور كفراً كما تقولون فكيف حال من يتخيل صورة البناة والأرامل ، ويكون قلبه دائماً في خيالات شتى وتصورات تترى** فيلزم منه كفركم وكفر العوام ، فتفكروا في مآله وعاقبته وكونوا صامتين وعن اللغو معرضين ، ثم على الحق تابعين وعلى أنفسكم راقبين ، ومقصودهم بذلك طرد الغفلة وإبعاد وساوس الشيطان عن القلب لا غير ، فمن ذاق يدري ومن لا فلا . ثم أنتم أيها المنكرون للرابطة بيِّنوا لنا بطلانها ومخالفة فاعليها للكتاب والسنة بأدلة

سمعية صريحة . ،وعدم جواز العمل على كلام الأولياء والعارفين ، وكون الأئمة والمفسرين الذين أثبتوا الرابطة على ضلالة وشرك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكيف لا تتقون الله تعالى لتكفير هؤلاء أهل الله تعالى ؟ ! مع أن الأولياء تميَّزوا عن غيرهم بعلوم لا يشاركهم فيها أحد كما نطق به الشعراني بهذه العبارة الذي اطلع على عين الشريعة الأولى ذوقاً وكشفاً ويقيناً ، وأخذ الميزان عن الخضر عليه السلام كما صرح به في « ميزانه » .

وفي « لطائف المنن » هذه العبارة : وقد أغلق الله تعالى باب تنزل الأحكام الشرعية بموت محمد ﷺ **وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه ، فالتنزل الروحاني بالعلم بها باقٍ لهم ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله تعالى** . انتهى . وفيه أيضاً : تفسير أهل الكشف أعلى من تفسير غيرهم لأن الكشف إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها لا يتغيّر دنيا ولا أخرى ، بخلاف تفسير أهل الفكر والوهم . وفي « الميزان » للشعراني : والوليّ الكامل لا يكون مقلداً وإنما يأخذ علمه من العين التي أخذ منها المجتهدون مذاهبهم .

وفي كتاب « أنوار القدسية » : وحرام على الفقيه أن يتكدَّر من نصح الوليّ ، لأنه أعلى منها فهماً في أحكام الله تعالى ، ولا يتوهم أن علم الأولياء وغوصهم في فهم الأحكام يتوقف على الآلات عند غيرهم ، كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك ، فإن الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه ، فيعطي من شاء ما شاء كيف شاء ، فافهم ؛ وجميع المذاهب من باطنهم . انتهى عبارته . وفي كتاب « البهجة » إنّ العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية ، وبالنسبة إليهم كشفية . انتهى عبارته . وكتب شيخنا قدس سره على قول الشعراني في « المنن » : الاطلاع على عين الشريعة يتم للمريد في الولاية الصغرى ما عبارته ؛ وتلك الولاية في طريقتنا تتم في المراقبة المعية . انتهى للكاتب رحمه الله إفلاسه من خطه .

فائدة

بلغني عن شيخنا أن الرابطة لا تنفع إلا أن اعتبر المرابط أوصاف الشيخ المرابط له ؛ من كونه رجلاً عارفاً كاملاً واصلاً كائناً بائناً فانٍ في الذات الأحديّة باق بالله ، والحال أن الفناء والبقاء فيه أتم وأكمل . انتهى . وسمعته قدس سره مرّة يقول : إن السالك إذا فني في الله ونسي الأفاق والكائنات سوى نفسه يقال أنه حصل له الفناء ، وإذا فني عن نفسه ولم يبق له شعور ما يقال حصل له فناء الفناء الذي هو عين البقاء ، وبعد ذلك يصير السالك دائمي الحضور ولا ينساه تعالى لحظة ، لأنه إذا كان قبل ذلك لا ينسى نفسه ويكون كل وقت في تدبرها دائماً كيف ينسى من هو أقرب إليه من نفسه ؟ ! كما قال تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ، لكن هذه المرتبة هي نتيجة مراقبة الأقربية رزقنا الله تعالى منها وأذاقنا من فيوضها وأنوارها ، وجعلنا من المقبولين لديهم ، آمين يا مجيب الدعوات .

فحاصل تلك الرابطة المذكورة أنها شيء مسنون محبوب مستحسن ، لأنها شيء يتوسل بها إلى معرفة الله تعالى ولها أنواع شتى فمنها التفكر في خلق السموات والأرض وما فيها من الكائنات المتنوعة ، فينظر المريد السالك إليها ويتفكر في أحادها وفيما خلق الله تعالى من الحكم والمصالح والعجائب ، فيتوسل بها إلى معرفة خالقها ، ويلاحظ أنه تعالى إنما خلقها لأجله ولأجل غيره من عباده تعالى ، مع أنه غني عن العالمين فيستحيي حينئذ منه تعالى ، فيحث نفسه على عبادته وطاعته ويجتنب عن مخالفته ومعاصيه ، ويعلم بالعلم اليقينيّ أن هذا الخالق سبحانه هو المعبود بالحق وما سواه إنما خلقها لمعرفة قدرته وعظمته ، مع عدم احتياجه وافتقاره إليها ، بل جميعها مخلوقة لأجل عباده على ما نطق به القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، ودلالة على واحدانيته وفردانيته وربوبيته .

ومنها التفكر في الموت وما بعده ، فيتفكر السالك كأن الموت قد نزل إليه وأنه في سكرات الموت وشدائدها ، ثم فارق من الدنيا وفارق الأهل والعيال والأولاد والأصدقاء والأحباب ، وترك ما فيها من الأموال التي كان قد جمعها في طول عمره ، ولم يجز له أن يحمل معه سوى الأكفان ، ثم غسل وكفن وحمل وقبّر وهال[1] عليه التراب ، فبقي فريداً وحيداً ليس معه إلا أعمال الحسنة أو السيئة ، فإن كانت حسنة فذا ، وإلا فالعياذ بالله مما يلقاه من العقوبات والأهوال . ثم يتفكر فيما بعده من الحشر والنشر والحساب والصراط والميزان والجنة والنار ، وما فيهما من الجزاء على الأعمال ؛ إن خيراً فخيرٌ رزقنا الله وإن شرّاً فشرٌّ أعاذنا الله ، فيحصل للسالك بهذه التفكرات انبعاث على الطاعة ويحمله على الاجتناب عن المعصية .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول ما حاصله : إنّ واحداً جاء لدي شيخ يشكو قساوة قلبه ، فقال له الشيخ اذهب إلى القبور ، فذهب ثم جاء لدى [الشيخ وقال : ذهبت إلى] القبور ولم تذهب مني القساوة ، فقال له الشيخ : إن القبور قد يراها البهائم ، فلا تنتفع بها ولا تنفعك مجرّد رؤيتها ، بل اذهب لديها وتفكر كأنك موضوع في اللحد وقد بقيت وحيداً في ظلمة القبر ، وقد أكلت التراب لحمك وبليت أعضائك . . وإلخ ، وإلخ . فذهب بعد ذلك إلى القبور فتفكر هناك كما قاله ، ثم جاء لدى الشيخ وقال : الآن ذهبت قساوتي وصار الرجل بعد ذلك وليّاً . انتهى . ومنافع هذين النوعين من الروابط غنيّة عن البيان ، وكونها مستحسنة في الشرع مأخوذة من الآيات والأحاديث ، وهي مشهورة معلومة غير خفيَّة لدى كلٍّ من له علم ومعرفة .

ومنها أن السالك يتفكر ويتخيل كأنَّ شيخاً كاملاً فانياً في الله قد نسي كل ما سواه تعالى ، وباقياً بالله واقف قبالته مقابلاً قلبه بقلبه مستفيضاً طالباً من الله وسائلاً منه متضرعاً بإيصال تعالى إلى قلبه ما

---

(١) **علّه** : هيل .

أصابه إلى قلب ذلك الشيخ من نور معرفته ، فإذا وقف كذلك باعتقادٍ وصدقٍ وحسن ظنّ بأنه تعالى يوصل إليه فيضه ومدده يحصل لقلب المريد أثرٌ من آثار ما وهبه الله تعالى لذلك الشيخ من حياة قلبه ونطقه بالذكر وإنابته إلى الله وفق ما ظن به سبحانه ، على ما ورد في الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » .

ولا يخفى أن حياة القلب هو الدرجة العليا ، وإنما شرعت العبادات كلها لتحصيل هذه الكرامات الكبرى التي وجهة القلب إلى الملك العلي ، وقد يعدّ الناس إحياء الموتى شيئاً كبيراً ولا يعدون حياة القلب شيئاً إمْراً ، مع أنه أعلى الكرامات كما بيّنه الإمام الرباني في « المكتوبات » ،

ونتيجة هذه الرابطة من أجلّ النتائج ، والعبادات كلها وسائل إليها وهو المقصودة ، ولها دلائل من الكتاب والسنة كما ذكرنا في هذا الكتاب ، وقد صنفوا في حقها تصنيفات ، ومع ذلك أنكره أبعاض من العلماء ، وذا ليس إلا لعدم معرفتهم معنى الرابطة في اصطلاح الصوفية ، ولكن لا يحصل من الرابطة أثر من آثارها إلا إن لاحظ المرابط معها صفات المرابط كما مر نقلاً عن شيخنا من كونه فانياً في الله باقياً بالله تعالى ، وكونه شيخاً كاملاً نائباً لرسول الله ﷺ مقتفياً بآثاره ومتبعاً بما جاء به ومتصفاً بصفاته ومتخلقاً بأخلاقه . وحصول الأثر بملاحظة الصفات شيء معلوم مشاهد لكل أحد ومتيقَّنٌ ، ألا ترى أن واحداً لو نظر إلى ضاحك يحصل له الضحك ، وإلى باك يحصل له البكاء ولو بلا معرفة سبب الضحك ، وكذا إذا تذكر رجل مضحكٌ وتفكّر فيما قاله من المضحكات يطرأ عليه الضحك بلا ريب ، بل لو أخبر واحد ذلك الأمر المضحك لدى ناس كثير يضحك به كلهم ، وكذلك لو تذكر شيئاً من المبكيات التي بكى بها الناس منذ زمانٍ بعيدٍ يطرأ عليه البكاء فجاة ، وهذا أمر لا يشك فيه أحدٌ ، بل هو شأنٌ قد ذاقه كل واحدٍ منهم . وقد يعالج الأطباء لمن مرض بسبب الحزن بإخبار العجائب المضحكات

عنده ، وتذكيره الحكايات المفرحات لأجل أن ينعكس إليه الضحك والفرح والسرور ، ولمن مرض بالعكس فبالعكس ، وهكذا ما نحن فيه من رابطة المرشد الذي حصل له الفناء والبقاء الأتمين فتدبر في ذلك .

وقد أخبر واحدٌ بأنه كان مريضاً بمرض الوباء ، فحين انتبه من غفلته وجد عنده سَلدَاةً قاعداً وعليه قلنسوة وألبسة السلاديت وبيده قدح من الدواء ، وكان منتظراً إلى انتباهه وقد كان المريض المذكور قد سمع من العلماء أن الشيطان يجيئ لدى المحتضر مع قدح من الشراب ليشربه ويضلّه ، فظن المريض أن هذا السلداة هو الشيطان الذي جاء لديه ليضلَّه عن الإيمان وأنه في الحال محتضر ، فوقتئذ قال المريض : تُ تُ تُ نَجَسْ نَخ بِلَ صِبِصَ ، فسأل التُخْتِيرُ[1] الناسَ : أيُّ شيء يقوله ، فصارت هذه الحكاية التي وقعت منذ سنين سبباً لضحك الناس ، وطروُّ الضحك بأخبار نعيمان الصحابي ﵁ إذا تذكَّرت ، وكذا بحكايات ملا نصر الدين معلوم مشاهد . فعلم من هذه المذكورات أن التأثير لا يحصل بمجرد تخيّل ذات الشيخ ، بل يحصل بربط القلب به وتخيّله مع ملاحظة صفاته ، فافهمه فإنه مهم .

ومنها رابطة الحضور ، وهو الأثر الحاصل من الروابط المذكورة ونتيجتها ، وهو المقصود من جميعها . فإذا حصل له الحضور والجذبة والذهول والغيبة ، أو الفناء والسكرة ، فحينئذ يترك رابطة الشيخ ويشتغل بما فاجأه من آثار الفيوضات ونوازل الهبات ، وهذا الحضور هو الذي قال فيه بعض الأكابر : لحضور قلبي في استغراق نور ربي خير من علوم الأولين والآخرين ، وقال البعض : جلسة خير من ألف حجة ، أي : جلسة بالحضور والمشاهدة . . .إلخ ، وقال آخر في حق هذا الحضور : إنه لا يساويه الدنيا والآخرة . انتهى ما أفاده شيخنا قدس سره بقلمه .

---

(١) **التختير** : (طبيب السلاديت – أي : الجنود) .

الفريد الخامس

في الجواب عن شبهة التي أوردها على كيفيَّة التلقين ، وكتب بقوله : ما حكم تلقين الذكر على هذه الكيفية المعهودة . . إلخ ، وما حكم تلقين الذكر على اللطائف السبع . .إلخ .

الجواب حكمها مذكور في كتب أهل التصوف ، وكتابة الجميع يعسر على الحقير ولا يتفرغ لذلك ، فراجع « جامع أصول الأولياء » ، و« الدرر المكنونات » ، و« البهجة السنية » . . وإلخ . . وإلخ ، ففيها بسط ولعلك تنتبه عن هذه الغفلة ، والسلام على من اتبع الهدى . انتهى عبارة شيخنا من خطه . وأقول : حاصل ما ذكره صاحب « تحفة الأحباب » فيه ، ثم إن بعد الرابطة من حيث المرتبة الالتزام ، أي : التزام المريد بما يتلقن منه ، أي : من الشيخ الكامل من الأذكار الواردة عندهم ، أي : عند المشائخ النقشبندية معنعناً أي متواصلاً من حيث التلقي إلى النبي ﷺ ، كاسم الذات وهو لفظة الجلالة والنفي والإثبات ، وهو كلمة التوحيد .

وطريق تلقّن المريد من الشيخ باسم الذات والنفي والإثبات أنه لا بدّ للمريد أن يستخير أولاً وكذلك الشيخ ، ثم يتطهر المريد من حيث الظاهر استحبابا ، ثم يجلس على ركبتيه بين يدي الشيخ مع حضور القلب وجمع الهمة ، ثم يقول الشيخ : (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم واتوب إليه رب غفر لي) ، ثم يقول المريد مثل ما قاله الشيخ ، ثم يقول الشيخ أيضاً ، ثم يقول المريد كذلك ، ثم يقول الشيخ ثم المريد كذلك ثم يلصق المريد لسانه إلى الحنك الأعلى ويغمض عينيه ، ثم يحضر في مقابلة قلب الشيخ والشيخ يتوجه إلى قلب المريد ويلقن قلب المريد بقلبه اسم الذات ثلاث مرات والمريد

يتلقنه منه بقلبه من تحت ثديه الأيسر ويذكره بقلبه ثلاث مرات كذلك ، وكذا الحال في تلقين النفي والإثبات ، إلا أن المريد في تلقين النفي والإثبات يحبس نفسه ويأخذ كلمة (لا) من فوق السرة ويمد طرفها إلى الدماغ ، ثم يأخذ منه كلمة (إله) إلى الكتف الأيمن ، ثم يأخذ منه كلمة (إلا الله) ويضربها إلى القلب الصنوبري حتى يتأثر منه جميع البدن ، ويكررها على هذه الكيفية ثلاث مرَّات كذلك ، ثم يرفع الشيخ يديه ويدعو للمريد ويقول : (اللهم خذ منه ، وتقبل منه ، وافتح عليه أبواب كل خير التي فتحتها على أنبيائك وأوليائك وأهل طاعتك أجمعين ، واهده إلى صراطك المستقيم ، وكن له عوناً ومعيناً يا أرحم الراحمين وصلى الله تعالى على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) .

وكلاهما أي : النفي والإثبات واسم الذات يتلقن بالقلب الحقيقي ، وهو عبارة عن اللطيفة الداركة للكليات والجزئيات المتوسطة بين روح الأمر والنفس الناطقة ، وهذا القلب كله لسان يتكلم به ، وكله بصر يبصر به ، وكله سمع يسمع به ، وكله مدرك يدرك به ، وهو أي : القلب الحقيقي وأخواته الأربعة ، أي : مشاركات القلب من حيث الحقيقة من الروح ، وهي لطيفة نورانية ملكوتية وهي باطن القلب وألطف منه ، وإذا احتجبت الروح عن مراعات القلب أساءت الجوارح الأدب ، لأنّ القلب والنفس والجوارح كلها لا تعمل عملاً بدون مراقبة الروح والسر ، وهي لطيفة ربانية جبروتية ، وهي باطن الروح وألطف منها ، ومرتبة السر محلّ دخول السالكين إلى عالم الجبروت ؛ إن السالك يدخل أوّلاً في مرتبة قلبه وتقطيع تلك المرتبة ، ثم يعرج منها إلى مرتبة الروح وتقطيعها أيضاً ، ثم يعرج إلى مرتبة السر ، ثم يعرج من مرتبة السر أي : مقام مشاهدة عالم الجبروت ، وهذا الأمر مما لا يقف عليه كل أحد وإنما يقف عليه حذاق السالكين الذين كثر سلوكهم في هذا الباب دخولاً وخروجاً .

والخفي : وهي لطيفة لاهوتية ملازمة بعالم الصفات ، وهو باطن السر وألطف منه ومرتبة الخفي مرتبة الحيرة والاستغراق . والأخفى : هو لطيفة لاهوتية أيضاً ، لكنه ملازم بعالم الذات ومظهر لتجليات ، كما ورد في الحديث القدسي « إن في جسد المضغة ، وفي المضغة فؤاداً ، وفي الفؤاد سرّاً ، وفي السر خفياً ، وفي الخفي أخفى ، وفي الأخفى أنا » ، وإنما سمّي الأخفى لكونه أبلغ في الاختفاء من الخفي وألطف منه وهو باطن الخفي ، والباطن من هذه اللطائف أكبر من الظاهر على خلاف العادة ، لما وصل السالك إلى الأخفى يكون جميع اللطائف متحدة مع الأخفى ، لكون تلك اللطائف حقيقة واحدة في الأصل لكن بحسب الأطوار والمراتب يكون متعددة من عالم الأمر ، أي : من فوق العرش ، لأن عالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال وعن الجهة والمكان الذي خلقه الله بأمر : كن ، أي : بمجرّد التجليّات الإرادية من غير مادة ، أي : من عنصر سوى التجليات الارادية .

وركبها ، أي : وركب الله تعالى هذه اللطائف العلوية بحكمة البالغة مع لطائف عالم الخلق السفلية على طريقة التعشق والمحبة ، بحيث يكره منها مفارقة الأخرى حتى كانت لطائف عالم الأمر بسبب ذلك التعشق مقهورة تحت حكم لطائف عالم الخلق الذي خلقه الله تعالى من مادة ، أي : من عنصر ، وهي لطائف الخلق النفس الناطقة والعناصر الأربعة . والمراد من النفس الناطقة ههنا هي الحقيقة الإنسانية الحاصلة من تعلق روح الأمر إلى النفس الحيوانية ، وعلى هذا التقدير تكون النفس الناطقة غير القلب الذي كان محله المضغة الصنوبرية . والمراد من العناصر النار والهواء والماء والتراب ، ولكل واحدة من هذه اللطائف السفلية نسبة إلى تلك اللطائف العلوية ، فنسبة النار إلى

الروح ، ونسبة الهوى إلى الخفي ، ونسبة الماء إلى الأخفى ، ونسبة التراب إلى السر ، ونسبة النفس الناطقة إلى القلب ، وبهذه النسب صار لكل واحدة من اللطائف العلوية محلٌّ خاص في البدن المركب من العناصر . انتهى عبارته ٢٥ .

وعبارة شيخنا وسيدنا الشيخ حسن حلمي المجددي قدس سره ورزقنا من فيوضاته في كتابه « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » في الباب الحادي والعشرين : وفي « حسبحال السالك » إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد يصلي أوّلاً على النبي ﷺ ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات ، والفاتحة مرة ، فبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ولأرواح أصحابه ولأرواح مشائخ الطريقة الصديقية وسائر مشائخ الطرق يقول : (يا رب أوصل الفيض ونور الذكر الواصل من جنابك الشريف وجانب حبيبك إلى قلبي بواسطة المشائخ الكرام أوصله إلى قلب هذا المريد وأعِنْهُ) ، فيرمى بتلك النية إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق ، فبهذا الأسْلوب يتأثر في قلب الطالب في توجه واحد بعناية الله تعالى ويفيد محبة الله تعالى ، وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر اللطائف بتقابل روحه بروح المريد ويتوجه كما سبق ، ثم إذا جرى الذكر على القلب وعلى سائر اللطائف يلقن الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجه إليه بالجمعية والحضور فيحصل الجمعّية والحضور . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ثم إن الشيخ يلقن الذكر على قلب الطالب ويتوجه إليه به قدر ربع ساعة أو ثمن ساعة ، فحينئذ يحصل أثر الذكر ، وإنّ المريد يخلص قلبه عن الاشتغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . انتهى عبارته .

وكيفية ما يفعله هذا الحقير الفقير : أنه يقرأ أوَّلاً بعد الاستغفار الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاثاً ، ثم [يهدي] ثوابها إلى الروح النبي ﷺ وإلى أرواح أصحابه الأربعة ، وإلى أصحاب النوبة ، وإلى أرواح مشائخ الطريقة النقشبندية ، ثم يقول : دستور يا رسول الله ، دستور يا أصحاب النوبة ، دستور يا مشائخ الوقت ، دستور يا أستاذي الآذن لي أطلب منكم الإذن لألقي الذكر لقلب هذا الطالب نيابة عنكم ، فمدِّدني لأمدّده ، اجعلوني تحت نظركم . انتهى .

وقد استكتب منا شيخنا العسوي قدس سره كيفية التلقين حين وصل إليه الرسالة من الشيخ المرشد الحاج مصطفى الغدبري قدس سره ، يعني : أنه طلب من شيخنا بيان كيفيته ، فطلب مني كتبة الجواب لسؤاله ، فكتبت نظير ما ذكرتم ، فلم ينكر عليه وأقرّه . فبعض الألفاظ[١] مأخوذ مما في « لطائف المنن » ، وبعض منها مأخوذ من « ترصيع الجواهر » فراجعهما .

ومما كتب إلينا شيخنا قدس سره بخطه هذه العبارات : إن جاء لديك المريدون طالبين منك التوجه توجه إلى محمود أفندي بكليتك واعدم نفسك ، ولاحظ أنك في نوره البسيط ، ثم توجه بقلبك إلى قلب المريد ينعكس إليك ما فيه من القبض والبسط والاختلاج والحرارة . انتهى . وكتب إلينا أيضاً : لا تلقن إلا بعد انعكاس حياة القلب ، أي : الأثر . انتهى من خطه . وحين سألته : هل نفعل المبايعة أم لا ؟ كتب في جوابه : لم أر المبايعة من جبرائيل أفندي إلا التلقين ، كما فعلت لكم . انتهى من خطه . ولهذا نقل صحيح وقد مرّ في هذا الكتاب .

وسألته رضي الله عنه : هل أفعل الاستخارة قبل التلقين أم لا ؟ فكتب في جوابه ببيان ما يفعله إذا جاء المريد لطلب الورد مني : فلا أفعل

---

(١) أي من قوله دستور . . . إلى تحت نظركم . فافهم . (**هامش الأصل**) .

الاستخارة في حقه وألقنه الذكر والرابطة لكون التلقين للتبرك ، لا لأجل السلوك . وبعد وصول البركة ، وهيّجوا وصاروا أهل الجذب ألقن الذكر على أرواحهم ، أي : لطيفة أرواحهم وقت تمكن الذكر القلبي . انتهى من خطه قدس سره . وكان يأمرنا بفعل الرابطة قبل التلقين والتوجه ، وكتب إلينا مرة : إن أمرت عليهم أي على المريد بغسل أبدانهم وصلاة التوبة قبل التلقين يكون حَسَناً . انتهى من خطه قدس سره .

فائدة مهمة

قال صاحب « الأنهار الأربعة » : إنّ للمشائخ النقشبندية قدس الله تعالى أرواحهم تصرفاتٍ عجيبة ، وحالات غريبة ، كجمع الهمة على المراد ، فيحصل ذلك المراد على وفق همَّتهم ، يعني التأثير في الطالب ، ودفع المرض عن المريض ، وإفاضة التوبة على العاصي ، والتصرُّف في قلوب الناس حتى يحبُّونه ويعظمونه ، وفي مداركهم حتى يتمثل فيها واقعات عظيمة ، والاطلاع على نسبة أهل الله من الأحياء والأموات ، والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور ، وكشف الوقائع المستقبلة ، ورفع البلية النازلة ، وغيرها ، وكل ذلك من خصائص هذه السلسلة العلية النقشبندية . انتهى عبارته راجعه في ١٧٢ .

فائدة أخرى

سألت شيخنا حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري وقاه الله تعالى مما يوجب القبض في الباطن : هل يدرك الشيخ أحوال المريد بالتوجه وقت غيبة المريد ؟

فأجاب بأنه لا فرق بين كون المريد حاضراً وغائباً في علم أحواله بالتوجه ، وقال : إن توجهت إلى المريد الغائب تدرك أحواله الباطنة . انتهى .

وسألته أيضاً : ما علّة تخصيص اللطائف المعهودة للذكر ؟ فكتب في جوابه : وبعد ؛ فاعلم أن للإنسان لطائف عشرة ، كما أفرد بذلك الإمام الرباني مجدّد ألف الثاني قدس سره ، وهي على قسمين ؛ خمس من عالم الخلق ، وخمس من عالم الأمر .

القسم الأول : النفس الحيواني ، والعناصر الأربعة ؛ وهي : التراب ، والماء ، والهواء ، والنار . . إلخ . « مسيرة الحكم » عبارته . ولا يمكن تصفيتها أي : النفس ، إلاَّ بتصفية اللطائف الخمس الأمرية ؛ وهي : القلب ، والروح ، والسر ، والخفيُّ ، والأخفى . « مسيرة الحكم » .

وأما النفس الحيواني!! فهي الجوهرة البخارية اللطيفة الحامل لقوة الحياة والحسّ والحركة الإرادية وغيرها ، وتسمَّى الروح الحيواني ؛ فهو جوهر مشرق للبدن ، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن .

وأما القلب : فلطيفةٌ ربانية مودعة في المضغة المعدَّة منبثة في جميع البدن من الأعضاء والأجزاء بواسطة العروق والعصب ؛ وهو محل النظر إلهيِّ ، وإلهام الملك ، وإلقاء وسوسة الشيطان ، كما ورد في الأثر : « مَا مِنْ آدَمِيٍّ إلاَّ لِقَلْبِهِ بَيْتَانِ فِي أَحَدِهِمَا مَلَكٌ ؛ وَفِي الآخَرِ شَيْطَانٌ ، فَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ الله يَضَعُ مِنْقَارَهُ فِي قَلْبِهِ وَوَسْوَسَ » ؛ أو كما قال ، وكذا حديث اللمَّة .

وأما الروح : فلطيفةٌ ربَّانيَّة مدركة منطبعة في البدن مودعة في الكبد ، وقد تكون مجرَّدة مشرقة .

وأما السر : فلطيفة ربانية مدركة مودعةٌ في الطحال .

وأما الخفي : فلطيفة ربانية مودعة في المرارة .

وأما الأخفى : فلطيفة ربَّانية مودعة في الكليتين ، وهذه الكيفية بسبب تعلُّق كلٍّ منهما إلى البدن . « مسيرة الحكم » عبارته . انتهى من خطه قدس سره .

أقول : وتفصيل ذلك على ما ذكره الشيخ محمد مظهر في « المناقب الأحمدية » : اعلم أن الإنسان عند حضرة القيوم الرباني مجدد الألف الثاني – رضي الله عنه وأفاض علينا من بركاته – مركب من عشر لطائف خمس من عالم الأمر وخمس من عالم الخلق .

فلطائف عالم الأمر هي القلب ، والروح ، والسر ، والخفي ، والأخفى . ولها أصول فوق العرش المجيد ، ولها تعلق بالعالم اللامكاني . وقد أودع الله سبحانه تلك الجواهر المجردة بقدرته الكاملة في مواضع عديدة من جسد الإنسان ، فنسيت أصولها بسبب تعلقها بالعوائق الجسمانية والحظوظ النفسانية إلى أن يتوجه إليها شيخ كامل مكمل ، فحينئذ تذكر أصولها ويظهر فيها ميل إليها بجذبات إلهية ترد عليها حتى تصل إلى الأصل ثم إلى الأصل ، وثم حتى تنتهي إلى الذات البحت المعرات عن الصفات والشؤونات ، فيحصل لها الفناء الأتم والبقاء الأكمل .

ولطائف عالم الخلق هي النفس والعناصر الأربعة ، وأصل كل لطيفة من لطائف عالم الخلق أصل لطيفة أخرى من لطائف عالم الأمر ؛ فأصل النفس أصل القلب ، وأصل الهواء أصل الروح ، وأصل الماء أصل السر ، وأصل النار أصل الخفي ، وأصل التراب أصل الأخفى . **ولكل من هذه اللطائف نور على حدة** ، فنور القلب أصفر ، ونور الروح أحمر ، ونور السر أبيض ، ونور الخفي أسود ، ونور الأخفى أخضر ، ونور النفس بعد التزكية نور بلا كيف .

وكل لطيفة من اللطائف الخمس الأمريَّة تحت قدم نبي من الأنبياء أولي العزم على نبيِّنا وعليهم الصلوات والتسليمات . فالقلب تحت قدم آدم عليه السلام ، والروح تحت قدم نوح وإبراهيم عليهما السلام ، والسر تحت قدم كليم الله موسى عليه السلام ، والخفي تحت

قدم روح الله عيسى عليه السلام ، والأخفى تحت قدم خاتم الرسل محمد رسول الله ﷺ . ثم إن المشائخ الكرام رحمهم الله تعالى أولاً قرّروا تهذيب لطائف عالم الأمر ووضعوا له طرقاً ثلاثة : **الطريق الأوّل** : الذكر ، سواء كان باسم الذات أو النفي والإثبات ، وكيفية ؛ أن يلصق الذاكر لسانه بالحنك الأعلى ويخلي قلبه من الخواطر وحديث النفس ، ويشخص قبالة قلبه صورة الشيخ الذي تلقى منه الذكر بكمال الأدب معه ، ويقول بلسان القلب الذي محلُّه تحت الثدي الأيسر بفاصلة إصبعين (الله الله) ملاحظاً مفهومه كما أمنّا به ؛ وهو الذات الموصوف بالصفات الكاملة المنزَّه عن السمات الناقصة ، ويواظب على الذكر في جميع الأوقات حتى يجري القلب بالذكر ، ثم هكذا يذكر بلطيفة الروح الذي محلّه تحت الثدي الأيمن بفاصلة إصبعين ، كذلك ثم بلطيفة السر الذي محله حذاء الثدي الأيمن أيضاً ، مائلاً إلى وسط الصدر بقدر إصبعين ، ثم بلطيفة الخفي الذي محلّه حذاء الثدي الأيمن أيضاً ، مائلاً إلى وسط الصدر بقدر إصبعين كذلك ، ثم بلطيفة الأخفى الذي محلّه وسط الصدر حتى تجري اللطائف الخمس كلها بالذكر . وكذلك بلطيفة النفس التي محلها وسط الجبهة ، وبلطيفة قالبيّة ومحلها البدن كله حتى يظهر الذكر من منبت كلّ شعرة في البدن ويسمون هذا سلطان الأذكار .

اعلم أن لكل من لطائف عالم الأمر أصلاً فوق العرش ، واللطيفة ما لم تصل إلى أصلها لم تحصل لها الفناء ، فأصل القلب تجلّي الأفعال الإلهية ، وأصل الروح تجلي الصفات الثبوتية ، وأصل السر تجلى الشؤونات الذاتية ، وأصل الخفي تجلي الصفات السلبية ، وأصل الأخفى تجلي الشأن الجامع ، فلهم ههنا أيضاً مراقبات يعلمونها مع ملاحظة الأصول .

وكيفيتها أن يجعل قلبه مقابل قلب نبينا ﷺ طالباً منه سبحانه أن يفيض على قلبه أنوار تجلي الأفعال الفائضة من قلب حبيب الله ﷺ

على قلب صفي الله آدم عليه السلام ، ففناء لطيفة القلب يكون في تجلي الأفعال الإلهية ، فحينئذ تخفى من نظر السالك أفعاله وأفعال سائر المخلوقات ، فلا يرى شيئاً غير الفاعل الحقيقي ، ويسمون ولاية هذه اللطيفة القلبية بالولاية الأدمية ، ويقولون للسالك الواصل من هذه الولاية أدميّ المشرب . وكذلك يجعل لطيفة روحه قبال الروح المقدسة المحمدية ﷺ سائلاً منه تعالى أن يفيض على لطيفة روحه أنوار تجلي الصفات الثبوتية الواردة من روح حبيب الله ﷺ على روح نجي الله نوح عليه السلام ، وعلى روح خليل الله إبراهيم عليه السلام ، ويقولون للسالك الواصل من هذه الولاية إبراهيمي المشرب . وههنا يسلب السالك صفاته وصفات سائر الممكنات عنها وينسبها إلى الحق تعالى ، وكذلك يجعل لطيفة سرّه قبال سرّه ﷺ سائلاً منه تعالى أن يفيض على لطيفة سرّه أنوار تجلّي الشؤونات الذاتية الواصلة من سرّ رسول الله ﷺ إلى سر كليم الله موسى عليه السلام ، ويقولون للسالك الواصل من هذه الولاية الموسوَّية موسويّ المشرب . وههنا يجد السالك ذاته مستهلكة في ذات الحق سبحانه ، وكذلك يجعل لطيفة خفيّه في حذاء خفيّ النبي ﷺ سائلاً منه تعالى أن يفيض على لطيفة خفيّه ما ورد من خفيّه ﷺ إلى خفي روح الله عيسى عليه السلام من أنوار تجلّي الصفات السلبية ، ويقولون للسالك الواصل من هذه الولاية العيسوية عيسويّ المشرب ، وههنا يجد السالك تجريد الحق وتفريده من جميع العوالم ، وكذلك يجعل لطيفة أخفاه في مقابلة أخفى سيّد الورى ﷺ ، فينتظر على لطيفة أخفاه ورود فيض الشأن الجامع الوارد من الله تعالى أخفى حبيبه ﷺ ، ويلقبون السالك الواصل من هذه الولاية المحمدية محمديّ المشرب ، والتخلق بأخلاق الله سبحانه يكون نصيب السالك في هذا المقام . انتهى عبارته .

الطريق الثاني : المراقبة ، وهي حفظ القلب عن الخواطر وانتظار الفيض الإلهي فقط بغير ذكر وبدون رابطة للمرشد ، فينبغي للسالك أن يكون دائماً في سائر الأوقات متوجهاً إلى الذات الإلهية بكمال الانكسار والتضرّع والافتقار ، حتى يكون التوجه إلى الله تعالى ملكة للقلب من غير مزاحمة خاطر من الأغيار ، وهذا المعنى يقال له الحضور ، وهو المقصود من الذكر .

الطريق الثالث : الاستفادة من صحبة الشيخ الكامل المكمل الذي بيمن توجهه ، وجاذبة صحبة يتطهّر القلب من دنس الغفلة ، ويلمع فيه من سماء الشهود أنوار البدور والأهلة ، ويستفيض المريد في حضرته برعاية الأدب والتماس رضاه ، وفي غيبته بتشخيص صورته معتقداً أنه الباب الذي فتح له إلى الله ، **وهذا الطريق كما قالوا أقرب الطرق وأسهلها في إيصال ، وسموا هذا الطريق بالرابطة .**

ثم اعلم أن الدائرة الأولى دائرة الإمكان ، وفيها ذكر اسم الذات والنفي والإثبات يفيدان الترقي ، ويشتغل فيها بمراقبة الأحدية الصرفة ، وهو التوجه إلى حضرة الذات من حيث أنه موصوف بصفات الكمال منزه من جميع النقايص ، وانتظار الفيض من ذلك الجناب المقدس وهو مسمّى الاسم المبارك الله ، ومورد الفيض فيها لطيفة القلب . وإذا حصل الحضور والجمعية للقلب بحيث بلغ انتفاء الخواطر عنه إلى ساعتين فذلك عند البعض علامة لتمام دائرة الإمكان . وقال بعضهم : علامة رؤية الأنوار ودائرة الإمكان تنقسم إلى نصفين : أعلى ، وأسفل . فالأعلى فوق العرش ، ويقال له : عالم الأمر . والأسفل من العرش إلى الأرض ، ويقال له : عالم الخلق . وبعد هذا يشتغل بمراقبة المعية المفهومة من النظم الكريم ؛ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، ملاحظاً معية الحق تعالى معه ، ومع كل ذرة من ذرّات الكائنات .

وههنا التهليل اللساني مع التوجه إلى القلب ، وتوجه القلب إلى الله تعالى ، وملاحظة المعنى يفيد فائدة كثيرة . وهذه المراقبة معمولة في دائرة الولاية الصغرى التي هي ولاية الأولياء ، نفعنا الله ببركاتهم . ومورد الفيض ههنا لطيفة القلب ، وهذه من الدوائر دائرة الولاية الصغرى ثانيها ، ويقال دائرة ظلا[1] الأسماء والصفات أيضاً ، ويقع فيها السير في تجليات الأفعال الإلهية ، وفيها ظهور التوحيد الوجودي ، والذوق والشوق والآهة والصيحة والاستغراق والغيبة ، ودوام الحضور ، ونسيان ما سوى الحق المعبَّر عنه بفناء القلب . انتهى عبارته ١٩٩ .

فإن أردت الزيادة ورؤية دوائر الولاية الكبرى والعليا راجعه أيضاً إلى « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » في ٢٧٤ من الباب الثامن والعشرين ، بيد أنه ليس مما يدرك بالرؤية ويعلم بالقرائة من الكتب ، بل هو علم إلهي يعلمه أهل الله بالذوق والأخذ من صدور العارفين المرشدين ، اللهم أذقنا من شراب محبَّتك يا أرحم الراحمين .

فائدة مهمّة

فيما ينبغي أن يعلم أن المراد من الانتساب إلى المشائخ والدخول في الطريقة وأخذ الورد حصول الحضور المعبّر عنه في قرن الصحابة بالإحسان ، الذي كان يحصل للصحابة والتابعين بأوّل وهلة بيُمْن صحبتهم معه ﷺ والسير في العبادات البدنية ، بيد أنه لما تمادّى الزمان وتكدّرت القلوب وقلت المحبة احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها ومعالجة القلوب بكل ما ذكر بالتكلف . قال الحافظ ابن حجر بعد بيانه حديث الإحسان ما نصه : وفيه أن الدين هو مجموع الإسلام والإيمان والإحسان ، راجع « الفتح المبين » في ٧٨ عبارته . وفي « المناقب الأحمدية » ما عبارته : **والمقصود الحاصل من طريقة دوام الحضور**

---

(١) علّه : ظلّ الأسماء .

بالحق تعالى المعبر عنه في قرن الصحابة بالإحسان ، ويحصل فيها الاستهلاك والاستغراق والفناء عن نفسه ، وأوصافه الذميمة ، والبقاء بالله وصفاته الحميدة ، واندراج النهاية في البداية المخصوص لطريقة الشريفة ظلٌّ من ظلال أنظار صاحب الرسالة التي كانت تحصل لأصحابه ﷺ بأول وهلة ، فيصيرون بها عيون الحكمة وأفضل الأمة ، ولأصحابها تصرّفات عظيمة من إجراء الذكر في القلوب وإلقاء السكينة فيها ، وترقية السالكين من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، وحلّ مشكلاتهم ، وغير ذلك . انتهى عبارته ١٢ . وفيه أيضاً ما حاصله : إنه كتب إليه بعض المشائخ أن المقامات الجديدة التي ندعيها هل كانت حاصلة للصحابة أم لا ، وعلى الأوّل حصلت دفعة أو بالتدريج ؟ فكتب إليه : الجواب موقوف على الحضور ، فحضر وتوجه قدس سره إليه وألقى الفيض من جميع المقامات عليه فخر ساجداً لله ، وقال آمنت بأنه كان يحصل جميع الدرجات للصحابة رضي الله عنهم بمجرد نظره عليه سلام . انتهى عبارته ١٥ .

الفريد السادس

في الجواب عما كتب إليه ، حاصله : أيها الشيخ تعدّني من الضالين المضلين لتكلمي على الطريقة ، وإنَّ من يتكلم عليها كثير ، وإنه لا يتبع ظواهر الألفاظ ، وما جاء في تفسير القرآن عن الصحابة ، وعن اعتراضه وإنكاره على ما كتب إليه شيخنا من قول القطب سيف الله سيظهر لكم رجل يكون فتاناً لأهل الطريقة زمناً يسيراً ، وعن قوله ﷺ مراعاة الإنصاف في كل قول هو مراده ، وقوله أخي في الدين لا تسيء الظن بي من أقواله التي تشعر إيذاء الأولياء وإنكار الأصفياء أهل الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فالجواب قوله : تعدني من الضالين . . إلخ .

أيها الولد فمن قال لك ذلك عني ، فلم أقل في حقك وفي حق إنكارك ذلك القول ، إلا أن ذلك منك صلابة في الدين ، وقد صرحته في كتاب « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » ، بيد أني لما سمعت ما تقول وما تفعل وتيقنتُ سعيَك في القرى واجتهادك في طرد الناس عن الذكر والصلاة والاستغفار والرابطة التي هي الركن الأعظم في جميع الطرق ألفت ذلك الكتاب المذكور ، وبيَّنت فيها الدلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولعلك تصيّب رأينا لو علمتَ ورأيت ما في ذلك الدلائل ، وتيقنت أن الطائفة الصوفية إنما أخذوا أصول طريقتهم من الدلائل الأربعة لا يخالفون في شيء منها ، كما لا يخفى عن مطالع كتبهم .

فإن كان مسألتك إجتهادية ألا يجوز أن تكون مسألتنا هذه إجتهادية ، والحال إن أثبتوها هم أكابر العلماء المتقين ، فما بقي لكم إلا أنكم تنكرون مجتهداً ، فلا بأس في ذلك ، فقد قال الشعراني في « الطبقات » : **والمجتهد لا يقدح إنكاره على مجتهد آخر** . انتهى . فإن كان مسلكك فيها الكتاب والسنة فكذلك مسلك مثبتي الرابطة هو الكتاب والسنة ، وأنتم لا تفهمونها لأن قلوبكم لا تقبلون بما هنالك ، لما أنكم تدعون الاجتهاد التي قال الأكابر أنه انقطع منذ زمان ، اللهم نعم فنعم ! ! فإن كنتم مجتهدون فبينوا لنا ما استنبطتموه من الكتاب والسنة لكون المرابط مشركاً كافراً ، فالعياذ بالله مما تقولون ، وقد كفرتم السواد الأعظم من الأمة ، ومن كفر مسلماً فهو كافر ، كما هو وارد في الأحاديث . وقوله : (إن من يتكلم على الطريقة كثير) . أيّها الولد إنكارك على الطريقة عين إنكارك على الدين الحنيفيّ ، فأرباب الطريقة يذكرون الله كثيراً ولا يغفلون عنه حتى في الخلاء ووقت القربان ، ويصلون على النبي ﷺ ألف مرّة ، أو خمسمائة مرّة ويستغفرونه كذلك في الملوين ، ويتفكرون في أحوال الموت من أوله وآخره صباحاً ومساء ، ويقرؤون

سورة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاث مرات ، ويهبون ثوابه إلى روح النبي عليه السلام وإلى أرواح أصحابه الأربعة ، وإلى أرواح سائر رجال السلسلة . فهل ترى في هذه الأمور من عوج لتنكرها ؟ ! مع أنّ الله تعالى يحب أن يذكر ولو من فاسق .

وأما إن كنت تنكرهم لأنهم يعصون الله تعالى في أوقات ففي ذلك[1] وسعة ، لكن تخصيص الفقراء بالإنكار على عصيانهم النادرة وتركه على العوام الذين لا يبالون في أيّ واد من المعاصي يهيمون ، ليس ذلك من الإنصاف . فارني في أيِّ كتاب ترى أن العوام يجوز عصيانهم وأن الخواص لا يجوز أن يقعوا ولو في أدنى معصية . **وقد كان في الصحابة من يريد الحياة الدنيا ، ومن يريد الآخرة ، وكان فيهم من يشرب ويحدّ عليه النبي ﷺ مراراً** ، وما لم يصح للنبي عليه السلام لا يصح لأحد من بعده ، كما بسط الشعراني الكلام على ذلك في « العهود المحمدية » .

وأما إن كنت تنكر الشمائخ لعدم إطاقتهم على منعهم عن المعصية ، وذلك ليست من شروط المشائخ ، كما هو مذكور في « شواهد الحق » ولذلك دلائل من الآيات ، كما هي معلوم لديك لا نطيل الكلام بذكرها . ولكن الله تعالى قال في كتابه ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فنرجو الله تعالى أن يبدّل سيئاتهم حسنات ، وينفي أثر ذنوبهم في بحور ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وقياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم . وفي الحديث النبوي « أنتم في زمان ومن ترك منكم عشر ما أمر به يهلك ، وسيأتي زمان من عمل منهم عشر ما أمر به نجا » ، وذا بشارة عظيمة كما هو مذكور في « الحديقة الندية » ، فافهم ولا تطلب مني بعد الآن كتابة شيء في أمثال هذه الأمور الجلية ، فكم وكم خير قطع عني بالاشتغال بكتابة الأجوبة لمسائل الوهابية ، والله يعلم المفسد من المصلح ؛ اللهم اصلح أمة محمد آمين .

---

(١) أي في الإنكار . (**هامش الأصل**) .

وقوله : (وإنه لا يتبع ظواهر الألفاظ) . أيها الولد ! وهل يكون مسلماً من لا يتبع ظواهر النصوص ؟ ! ألا يكفي لك في معانيها ما قاله أكابر الأئمة والعلماء ؟ فإن رضيت على ذلك فذا ، وإلا فلا كلام معك ، وقد علمت أن كلام الأئمة مقتبس من مشكات النبوة وستعلم أن كلامنا أيضاً لا يخالف كلامهم ولو في شيء ، فماذا نفعل بمن يقول : لا أتبع العلماء ، ولا أقبل أقوالهم ، هذا كلام لا يقوله إلا مجنون أو متعصّف ، في عقله خلل . وقوله : حاصله (لا يتبع ما جاء في تفسير القرآن عن الصحابة) ، أنه فهل يكون عاقل له أدنى إدراك من يقول : إني لا أتبع ما فسره الصحابة لآية القرآن ولا أقبله ؟ ! فهل جائت تفاسير القرآن إلا من جهة الصحابة والتابعين وتبع التابعين ؟ ! فهذا كلام لا طائل له .

قوله : (مراعاة الإنصاف) . .إلخ ، وهذه المراعات مما خربتموها من أصلها في رأينا ، فكيف لا ؟ ! وقد صرحت بأنك لا تقبل أقوال العلماء والأولياء ، فإذا لم تقبل كلامهم فكلام من تقبله ، وهل علمتم معاني التفاسير والأحاديث إلا بواسطتهم ، والله يهدي من يشاء .

وقوله : (أخي في الدين لا يسيء الظنّ بي) . انتهى . إني لا أسيء الظن ، بل أرحمك رحمة الوالدة بولدها ، لما أني أرى كلامك كلام من في عقله خللٌ ، فإن كنت صحيح العقل فما حملك على زعم الاجتهاد ؟ فهل تعلم ما لا يعلم العلماء ، وما علمك بالنسبة إلى علوم الإمام الرازي والغزالي والشعراني ؟ فالاتجاء إلى ما يلتجئ هؤلاء الأكابر أراه من قلت العقل ، فينبغي لك أن تداوي رأسك بالتبريد . وهذا نصيحتي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والسلام على من اتبع الهدى واتبع سبيل المصطفى عليه السلام . الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري . انتهى من خطه قدس سره وأدام دولته وأنواره وفيوضاته آمين .

ونقول : قد اتفق المحققون من أهل العلم والكشف على كون الحديث الوارد في صحيح البخاري في حق شيخهم ومتبوعهم محمد عبده النجدي وأتباعه الوهابية من حديث أن النبي ﷺ أشار إلى جهة المشرق ، وهو في المدينة المنورة ، وقال « من ههنا يطلع قرن الشيطان » وبلاد نجد واقعة في جهة الشرق من المدينة المنورة ، راجع « الرائية الصغرى » في ٢٨٦ . وحديث « يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق » وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة صحيحة بعضها في « صحيح البخاري » ، ولفظه عن سويد بن غفلة قال : سمعت النبي ﷺ يقول « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم ضاجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم » ، وقوله ﷺ « سيماهم التحليق » تصريح بهذه الفرقة ، لأنهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم بحلق رأسه رجلاً كان أو امرأة ، حتى قال بعض العلماء : لا حاجة إلى التأليف في تضليلهم ويكفي فيه هذا القول من رسول الله ﷺ ، وكذا قوله ﷺ في آخر الزمان ، وغير ذلك صريح فيه أيضاً . وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب من بني تميم من ناحية المشرق ، ألّف في مذهبه ، وألف مشائخ العصر في رده ، فعاد مذهبه شيئاً فرياً وصار نسياً منسياً ، ثم حدثت فرقة تابعوا الوهابية وزعموا الإصلاح وادعوا الاجتهاد لأنفسهم ، وتجرّدوا من جميع المذاهب وصاروا فرقة ملفقة ، دينها وديدنها **الاعتراض على أئمة وعلمائها وصوفيتها وصلحائها وأوليائها وأصفيائها ، وقد جاوزوا حدهمْ وفقدوا رشدهم ،**

وإمامهم في ذلك الشيخ المطرود جمال الدين الأفغاني ثم تلميذه المردود محمد عبده المصري ، فهم أيضاً لا محالة يخالفون ما عليه أئمة السنة من وقوع الطلاق الثلاث جملة وغير ذلك ، لكن الجماعة

الموصى بها من رسول الله ﷺ وأهل السنة البيضاء ، كما علم ظهروا على الحق وفازوا بالصدق إلى وقتنا هذا ، وذلك مصداق قوله ﷺ « لا تزال طائفة ظاهرين على الحق » الحديث ، ونظر المخالفون في اجتهاداتهم في ذلك إلى ما ينهض لهم دليلاً كما سيتبيّن ذلك إن شاء الله تعالى في المقصد الثالث واضحاً ، وتركوا الأدلة الصحيحة المتفق عليها ، كما يظهر إن شاء الله تعالى وراء ظهورهم ، وما ذاك إلاّ لأن يقال : الله تعالى خذلهم وطبع على قلوبهم وعلى سمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، والله عزيز حكيم .

والداء العضال فيهم أن كلّ دليل يرد عليهم يصرفونه إلى غير وجهه ، وأن كلّ شبهة داحضة عرضت لهم يستعينون بها على أباطلهم ، وقد كان هذا في شيوخهم الأوّلين كما لا يخفى على من سبر كلامهم وكلام الأئمة فيهم ، ولا ينجع فيهم دواء إلاَّ بأن الله تعالى ألهمهم الصواب ، هداهم الله تعالى وإيّانا إلى ما فيه رضى الرحمن ، وجعلنا وإياهم أمنين مطمئنين بلا بغي ولا عدوان آمين . وروى الإمام أحمد وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » قالوا : أي الخصومة بالباطل قال « فمتى تبع قوم هوى أنفسهم ابتلاهم الله تعالى بالجدل » ، وقد مر أن الله تعالى هدد من يتبع غير سبيل المؤمنين ، وأن رسول الله ﷺ أوصى مؤكداً باتباع السنة ولزوم الجماعة ، وكفى بذلك زجراً لقوم يعقلون . هذا حاصل ما ذكره العالم المحقق يوسف قادي الجنكوتي في المجلة الدينية ، فإن أردت الزيادة راجع « شواهد الحق » ، و« الدرر السنية » ، و« ديوان النبهاني » وكتاب رد عبده من « نور المقايس » و« السفر الأسنى » للشيخ حسن حلمي و« الأجوبة البهية » .

وروى أحمد أنه ﷺ « نهى عن الاغلوطات » ، وهي صعاب المسائل ، وورد « سيكون أقوام من أمتي يغلطون فقهاء هم بمعضل

المسائل أولئك شرار أمتي » ، وقال الحسن : شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمهون بها عباد الله . وقال الأوزاعي : إن الله تعالى إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط فلقد رأيتهم أقل الناس علماً . انتهى . كذا ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح المبين » في شرح الحديث التاسع راجعه في ١١٩ .

مهم

وفي « المدائح النبوية » ما نصه : وقد أجمع كل الناس على اختلاف الملل والنحل أن محمد عبده وشيخه الأفعاني وجميع تلاميذه ومحبِّيه ، لم يكن أحدٌ منهم من صلحاء المسلمين بمعنى الصلاح المعروف في دين الإسلام من العمل بالفرائض والمندوبات وترك المحرّمات والمكروهات ، وهو وهم جميعاً لا يعتبرون الصلاح منقبة ، بل بالعكس **ينسبون الصلحاء إلى الغفلة وقلة العقل ولا يرون لهم أدنى مزية** ، ولذلك ترى جماعته يبالغون بالثناء عليه بحيث يجعلونه فريد العصر مع مشاهدتهم ترك الصلاة والصوم والحج وغير ذلك من فرائض الإسلام ، مع شربه الخمر ومعاشرته لنساء النصارى وغير ذلك من المحرمات ، وقد تمكن بدهائه وقوة شيطانه أن يرسخ في أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين ، ولذلك لا تجد أحداً منهم ملازماً للصلاة ، مثابراً على الطاعات ، تاركاً لأنواع الفسوق والمحرمات . فهؤلاء هم الذين يدعون الاجتهاد ، **ومن لا يدعيه من المسلمين معدود وعندهم من المغفلين الأوغاد** . ولا يعجبهم إلا أمثالهم أهل الزيغ والفساد التاركون لشرائع الإسلام المجاهرون بالفسق والزندقة وإلحاد ، ومع كل هذا يعتقدون في أنفسهم أنهم على الحق وجميع الأمة من أهل المذاهب الأربعة على الباطل ، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به هؤلاء اللئام الذين كاد بهم الشيطان في هذا الزمان المسلمين والإسلام . انتهى عبارته ٣٦٨ . وفيه في موضع آخر ما عبارته :

ولـو لا حـديث المصطفى لأسامة يـقـول بـه هـلا شقَقْتَ له الصدراً
لما صحت الدعوى بإسلام بعضهم لديّ وما استبعدت عن بعضهم كفراً

راجعه في ٣٧٣ .

وقال الإمام الشعراني في « الميزان » : السنة قاضية على الكتاب ولا عكس ، من حيث أنها بيان لما أجمل في القرآن ، كما أن الأئمة المجتهدين هم الذين بيّنوا لنا ما في السنة من الإجمال ، كما أنّ اتباع المجتهدين هم المبينون لنا ما أجمل في كلام المجتهدين ، هم الذين بيّنوا لنا في السنة من الإجمال كما أن أتباع المجتهدين هم المبينون لنا ما أجمل في كلام المجتهدين ، وهكذا إلى يوم القيامة . وسمعت سيّدي عليّاً الخواص يقول : لولا أن السنة بيّنت لنا ما أجمل في القرآن ما قدر أحد من العلماء على استخراج أحكام المياه والطهارة ، ولا عرف كون الصبح ركعتين ، والظهر والعصر والعشاء أربعاً ، ولا كون المغرب ثلاثاً ، ولا كان يعرف أحد فيما يقال في دعاء التوجه والافتتاح ، ولا عرف صفة التكبير ولا أذكار الركوع والسجود والاعتدالين ، ولا ما يقال في جلوس التشهدين ، ولا كان يعرف كيفية صلوة العيدين والكسوفين ، ولا غيرهما من الصلوة كصلاة الجنازة والاستسقاء ، ولا كان يعرف أنصبة الزكاة ولا أركان الصيام والحج والبيع والنكاح والجراح والأقضية وسائر أبواب الفقه . انتهى عبارته من الجزء الأول .

والحاصل أنّ الوهابية لا يقبلون تفاسير الصحابة والتابعين والأئمة ، ويمنعون التقليد ومع ذلك يقلدون إلى محمد عبده الخبيث ويقبلون تفسيره الذي فسر القرآن برأيه وأوّله على حاجة العصر وموافقة أغراضهم ، فذكر صاحب كتاب « رد عبده » فيه ما نصه : وأما تفسيره المذكور فمدار تأليفه من أمرين : أحدهما تطبيق الشريعة على عوائد الدول الإوروفية ، كما يشهد به ترجمة كتابه بقوله هذا : هو التفسير الذي فسر به القرآن من حيث هداية عامة للبشر جامع لأصول العمران

وسنن الاجتماع وموافقة لمصلحة الناس . . . إلخ . وقال مادحه أيضاً في « التاريخ » في ١١٦ ص٩ : إنه أطلق لفكره الحرية في تفسر القرآن ولم يقيد بما قاله القدماء أو وضعوه من القواعد التي يحرم الأئمة تبديل شيء منها ، فرأى أن يحل نفسه من هذه القيود ويفسر القرآن على ما يوافق روح هذا العصر . . إلخ .

أقول : فبهذه المذكورات اتضح أنه تفسير بالرأي لا يجوز النظر إليه فضلاً أن تحكم بما فيه ، فإنه تفسر يرضى به الكفار لما ينتجه من سنن الاجتماع ويرض به أبناء الدنيا لما ينتجه من موافقة حاجاتهم ورغباتهم في فنون المعاشرة من أعداء الدين . **فحاصل مراده انطباق** عقائده على عقله وأحكام على ما يرض به الناس مسلماً أو كافراً . **والشاهد بهذه** الإرادة ما قاله تلميذه في « المنار » في ٨٩٩ ص في ٨ ج بما حاصله هذا : فإن صاحب « المنار » سأل عبده أن يكتب تفسيراً للقرآن العظيم على حاجة العصر وموافقته وإن خالف ما هو الموجود في كتب التفاسير من القدماء الكرام ، ثم بعد تقليد الافتاء عليه شرع على تلك الطريقة كما اقترحه تلميذه . . إلخ . فبهذا شاهد في أنه فسر القرآن بالرأي لا يحتاج التزكية ، فإنه بالحقيقة إقرار على نفسه . انتهى عبارته في ١٢٥ .

وفيه أيضاً في موضع آخر : والعجب أن تلميذه رشيد رضا صاحب « المنار » بعد تغليظ الكفر على المقلدين سمّى شيخه عبده بالأستاذ الإمام ، فهل معنى له غير المقتدى به في الأعمال والاعتقاد ؟ ! فإنه أجاز التقليد لعبده البعيد عن صاحب الشريعة ﷺ بأزيد من ثلثمائة وألف سنة ، ولم يجيز التقليد بالأئمة العظام المعاصرين مع الصحابة والتابعين الذين اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين والعلم والعمل بالعناية الربانية ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات قبائح أقوالنا وأفعالنا . انتهى عبارته ١٣٦ .

الفريد السابع

في الجواب عن قوله : هلا تأتي بدلائل . . إلخ . وقوله : إني لست ممن يريد الجدال . وقوله : عدم الاستدلال إلا بالكتاب والسنة . . إلخ . وقوله : ولتكن مناظرتنا تحريراً . . إلخ .

الجواب : أيها الولد إن أردت أن تعلم ما في دلائلك فراجع « شواهد الحق » ترى العجب ، والكل من أهل الطريق دلائلهم الكتاب والسنة ويجب اتباعهم علينا لقول الله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ ﴾ ، وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ الآية ، فإذا كان كل ما يفعلونه مأخوذاً من الكتاب والسنة فما ذا ترى من الإنكار ؟ ! فهل هم أعلم بمعاني الكتاب والسنة أم أنت بالعاقل لا يقول إنك أعلم منهم ، وما بقي وجه الإنكار .

وقد قال في « البهجة » : وإيّاك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية . انتهى عبارته ٤ . فانظر ما ذا يؤول إليه إنكارك من حيث لا تشعر ، وقد علم أن الأولياء لا يأخذون أمورهم إلا من الكتاب والسنة ولكن أهل العلم الظاهر لا يفهمون مواجيدهم وعلومهم وأذواقهم لدقة مداركهم ، جعلنا الله وإياكم من أهل دائرتهم . آمين .

وقد قال الشعراني في « ميزانه » ما لفظه : **والولي الكامل لا يكون مقلداً** ، وإنما يأخذ علمه من العين التي أخذ منها المجتهدون مذاهبهم . انتهى عبارته ١٩ . فإذا علمتهم هذا فلا يقدح إنكاركم عليهم ، ولله الحمد والمنة . فبناء على هذا ما بقي لكم للإنكار مجال ولكن الأعمى لا يبصر نور الشمس بل ينكرها ، فانظر أيّها الولد إلى كتب الشعراني والغزالي وغيرهما من كتب الفقهاء الصوفية ولا تقصر نظرك إلى كتب الوهابية المحشوة فيها بدع الفرقة الشاذة لعلك تدرك الحقيقة ، والسلام [على] من اتبع الهدى قحي من خطه .

قوله : (لست ممن يريد الجدال) . . إلخ . أيّها الولد ! لو لم تكن منهم لما صدرت لكتبة المكاتب لدينا بالعنف والغلظة ، فأعاذنا الله من كل قول يخالف الواقع ، فهل كنت كلّمت معك في شيء ، وهل أرسلت لديك كتاباً ولو بحرف قبل إيصالك لديّ تلك المكاتيب التي لا يغني ولا يسمن ؟ ! فالعيب في هذا نطرح قلادته إلى عنقك ، فإن كنت صادقاً فاتركنا على حالنا ونحن في قعر بيوتنا ، لا نريد معكم الكلام ولا نتفوّه فيكم بعد الآن ، لكم دينكم ولي دين ، والسلام على من اتبع الهدى .

قوله : (عدم الاستدلال إلا بالكتاب . . إلخ) عجباً على كلامك ، فهل استدل واحدٌ من الأولياء المصنفين إلا بالكتاب والسنة والإجماع والقياس ؟ ! فماذا نفعل بكلامك فأنت لا تقبل كلام العلماء ولا تقبل أيضاً ما استنبطوه من الكتاب والسنة ؟ ! بل تنكره وتردّه ، رزقك الله التوفيق والتنبيه وأخرجك من هذه الوحلة الصعبة .

قوله : (ولتكن مناظرتنا . . إلخ) فالمناظرة محررة في الكتب تحرير الذهب ، فإن أردت فانظر بكلتا عينيك إليها لتعلم أنّ علوم الصوفية محررة على الكتاب والسنة تحرير الذهب والفضة . انتهى من خطه قدس سره .

أقول : يشعر كلامه المذكور بأنه من أتباع الوهابية الذين استحوذ عليهم الشيطان الذين يبطلون المذاهب ، ويدعون الاجتهاد المطلق ، ويشذون عن أهل السنة والجماعة ، ويكفرون المقلدين الذين ورد في حقهم الأحاديث المذكور في الفريد السادس ، عصمنا الله تعالى وأحبابنا من رؤية النفس ومتابعة الهوى .

وفي كتاب « رد عبده » ما نصه : فإذا تركت التقليد بأحد أئمة المذاهب الأربعة فإنما تركي إياهم في التقليد فبتقليدي لعبده أو ابن قيم وإلا فلا شين أعرفه ، وفي أدلاتهم[(١)] ومشهور أن لا مجال لنا

---

(١) **لعلّ هنا سقطاً ، ولعلّ الصواب** : وفي أدلتهم . . . ومشهور أن . .إلخ .

في استنباط حكم من أظهر النصوص ، بل اعتقدت أنهم أي المذاهب الأربعة أئمة الهدى فمن اقتدى بهم اهتدى ومن خالفهم فقد هلك ، لأنهم مجتهدون على الإطلاق بالعناية الربانية ، فإذا قلَّدت بهما في ترك تقليد أحد الأئمة العظام يكونان حينئذ ربّين لي بزعمهما ، كما جعلا الأئمة أرباباً لنا بدعواهما ، فنعوذ بالله أن نأخذ ربّاً [من] هو صاحب زوجة إنكيليزية وعالم فار[1] ماسوني ، بل الله ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون ، ولا معبود بالحق سواه ونبيُّنا محمد ﷺ . انتهى في ٧٨ .

وكل نهي من الأئمة في التقليد محمول على من أعطي قوَّة الاجتهاد ، أما الضعيف فيجب عليه التقليد لأحد من الأئمة وإلا هلك وضلّ . .إلخ ، « يواقيت » عبارته فراجع إليه . وقال الإمام الشعراني : قوله لا تقلّد أحداً ، وأخذ الأحكام من حيث أخذوا ، قلت : وهو محمول على من له قدرة على استنباط الاحكام من الكتاب والسنة ، وإلا فقد صرح العلماء **بأن التقليد واجب على العامي** لئلا يضل في دينه . « ميزان » عبارته ٥٥ .

وقال في موضع آخر ما حاصله : أبيِّن لك عدم تجرأ أحد من السلف على الكلام في دين الله بالرأي ، لتأخذ كلام المجتهدين بالإيمان والتصديق ولو لم تعرف من أين أخذوه واستنبطوه من الكتاب والسنة . « ميزان » في ٥٠ . فهذا دليل ظاهر في وجوب التقليد خاصة في هذا الزمان الفساد ، عبارته . فلو كان من يعرف لغة العرب يكون مجتهداً بلا شروط آخر سواه لم يكن في العرب أحدٌ غير المجتهدين من الرجال والنساء والصبيان ، كلا فكلا ذلك ! ! مع أن كلام الشارع لا يفهم إلا من دخل حضرته ، وحضرته محرَّمة على محبّ الدنيا ، فلا يدخل في حضرته ﷺ إلا من تساوى هذه الذهب والتراب في عدم ميل القلب إليه .

---

(١) **علّه** : فاجر .

الفرد الثامن

في شبهة التي أوردها عليه على كثرة الزوار ، وقال : لا تغرنك كثرة الزوار عليك . . إلخ . وظن أنه إنما صار شيخاً بمجرد نداء الناس : يا شيخ ! بلا إذن من الكمل . . إلخ . **الجواب** أيّها الولد ! فالعياذ بالله من الغرور والجهل بما هنالك ، فأسألك بالله أن تجتهد لمنعهم عن بابنا وردِّهم إلى غيرنا ، فالخفاء وعدم الشهرة هو(١) أحبّ الأمور عندنا ، وكل يوم لم يطرق على بابنا أحدٌ هو أحبّ الأيام عندنا ، فمن اجتهد لذلك هو أخونا وصديقنا . انتهى من خطه . كيف لا يكون ذلك اليوم أحب الأيام عنده ؟ ! مع أن الصوفي ابن وقته وأن شأنه عدّ الأنفاس ، كما قيل : فاق الجواهر أنفاس الصلاح فلا تبدّلها بالحدس في هدس الخراعات .

قال في الحكم حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات(٢) لا يمكن قضاؤها ، ومن ثم قيل : **لو وجد صادقان في درجة** واحدة سبق أحدهما صاحبَهُ بنفسه واحد ، راجعه شرح « سلك العين » . وأنهم يقولون : إن الاستئناس بالناس علامة الإفلاس ، فلقد ذقت شيئاً من هذا المقام – فلله الحمد– بحيث تقشعر الجلد من إحساس أحد يطرق علينا وينقبض الباطن من حضوره وإن كان الحاضر من أحب الناس خوفاً من تكدّر الوقت وذهاب الأنس بالله .

فسمعت شيخنا المذكور يحكى عن شيخه القطب الشيخ سيف الله النقشبندي الشاذلي القادري ما معناه : إن أحبّ الأيام عنده وراحة القلب لديه يوم ليس أحد عنده وليس هو عند أحد . انتهى . فليعتبر المتورع المتدين قلة حياء من يقول ويخاطب الأولياء : لا تغرنك كثرة

---

(١) **علّه** : هما .

(٢) **علّه** : الأنفاس .

الزوّار . . إلخ . وفقدان أدبه ، واستخفافه جانب الأكابر والأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فإنه رحمه الله ونبَّهه عن هذه الرقدة نظر إليهم بمرآة قلبه ، وقاس أحوالهم النفيسة على حاله ، ولم يشهد منهم إلا وجه البشرية وطوى عنهم شهود الخصوصية ، ولم ير منهم إلا المماثلة والمشاكلة ، كما قال تعالى حاكياً عن الأمم السالفة ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ وإلا فلا وجه أن يظن فيهم هذا الظن الفاسد ، إنا لله وإنا إليه . . إلخ .

قال شيخنا المذكور في كتابه « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ما نصه : يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقل من كل أحد حتى من مريديه ، وأعصى وأفسق منهم ، بيد أنه ينصحهم امتثالاً بالأمر الإلهي مع شهود أنهم أحسن منه حالاً . وأكثر متشيخة بهذا الزمان يهجرون مريدهم إذا انتقل إلى شيخ آخر ، ويحطون فيه ويقولون : إنه صار مرتداً ، مع أن ذلك الآخر أحق وأرشد وأعرف وأصدق . وَمَنْ هذا حاله ما مشى على قواعد أهل الطريقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وما الذ ما قاله الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٥٠ في الجزء الأول وما أصدقه وما أحسنه : ومما أنعم الله تعالى به عليّ شهودي كثرة غشي لأصحابي كلما كثروا لأني لو نصحتم لفروا مني ، ولم يبق معي إلا القليل ، وهذا الخلق قلّ من يتنبَّه له من الفقراء ، بل ربما يرى مقامه بكثرة المريدين والمقتدين ، فليتفقد الفقير نفسه ولا يغترَّ لأنه لو لا مسامحة التلامذة بالإخلال بأداب الطريق ما كثروا حوْله ،

بل سمعت سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : من خطر في باله أن إخوانه وتلامذته أدنى مرتبة منه عند الله ، وأنه أعرف منهم بالطريق فقد خرج عن الطريق ، وهم أحسن حالاً منه أي : من الشيخ ، لأنه لم يخطر لهم أبداً أنه تلميذهم .

وسمعت سيّدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : **متى رأى الفقير أنّ له تلميذا دونه في الدرجة فقد ادعى الكبر ، والمنكر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له** ، فقلت له : فما يخلصه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهود أن أخاه أحسن حالاً منه وأكثر طاعة منه . انتهى . وسمعته مراراً يقول : من شرط الصادق أن يرى غير جماعته بالعين التي يرى بها تلامذته على حد سواء ، ومتى رجح نسبة تلامذته على نسبة تلامذة غيره فقد خرج من مراسم أهل الطريق . انتهى عبارته ١٢٧ من الباب الرابع عشر . وفيه قبيل ذلك ما نصه : ولله درّ من قال : لو بعت لحظة من لذة سحر بملك قارون في عمر نوح ، لكنت مغبوناً . انتهى . ولهم فوق هذا مقام يعدّون هذه اللذة المرغوبة من الشرك ولا يعرف ذلك إلا أهله ، ولقد قال واحد من أصحاب شيخنا قدس سره : إني كنت عنده[1] فطرأ عليّ لذة من غلبة الحال بحيث أنسي جميع الذات بالنسبة إليها ، فقلت للشيخ : هل يكون في الجنة لذة مثل هذه يا أستاذ ؟ فقال لي : لو فتحت أبواب الجنان الثمانية ورأى جميع ما فيها من النعم لا تعدل لذة ذلك هذه اللذة ، وهذه هي التي يسمُّونها بالجنة المعجلة ، رزقنا الله نصيباً منها ولا يدرك كنهها إلا من ذاق ، وهل يعلم حلاوة العسل إلا من ذاق ؟ ! وكيف يظهر ما في السطوح غير من راق ، ولا يعرف ذا الفضل إلا من فاق . وما بعد ظهور الشمس ضياء باق ، وقد ينكر الأعمى أنوار يوم براق ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ لا يجد له واق .

ولا شك أن من أنكر الحق إذا ظهر واعترض أهله بعد ما تبيَّن ، ومنع الناس منه إذا حسد ، وعبس وجهه حين حقد فهو شيطان في زيّ إنسان ، وذئب من الذئاب لبس عليه شيء من الثياب وإن كان عالماً وعليه عباء ، وهذا هو الذي حذر رسول الله ﷺ في قوله : « أخوف ما

(١) أي عند الشيخ العسلي قدس سره .

أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان جاهل القلب » ، وهرول يا أخي ! ولا تقرب منه لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنور معاصيه التي ظن أنها حسنات ، ويقتلك بنتن باطنه الذي ملئ بحب الرياسات . انتهى عبارته ١٢٦ .

وفيه أيضاً ما نصه هذا وقال الإمام الرباني : **ومعرفة الله سبحانه حرام على من يرى نفسه خيراً من كفار الأفرنج ، فكيف من أكابر الدين ؟! كذا في** « **الدرر** » . **انتهى** . ٢٥٦ من الجزء الأول . وفي « المنن الكبرى » في ٧٧ من الجزء الثاني : وقد أجمع العارفون بالله على أن العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين فلا يصح له دخول حضرة الله أبداً ، لأنها محرمة على من فيه شيء من الكبر باجماع . انتهى عبارته . وفي « لواقح الأنوار القدسية » في ٧٧ : **من شروط العمل الصالح أن لا يرى نفسه على أحد من خلق الله تعالى ، فمتى رأى له فضلاً على أحدٍ خرج عن كونه صالحاً** . انتهى عبارته .

مهم

وفيه أيضاً : الظهور يقطع الظهور ، وربما استوفى من أظهر صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلها من كثرة الاعتقاد فيه ، وقضاء حوائجه وإرسال الهدايا له ونحو ذلك ، فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الأعمال الصالحة . انتهى عبارته . **واعلم** أيها الأخ المعترض على أولياء الرحمن أن شيخنا حسن حلمي القحي قدس سره هو القائل هذه الأقوال المذكورة في تأليفاته والمخوف بما ذكر لكلّ من فيه الكبر ورؤية نفسه والاعتماد على عمله ، ويرى المشيخة ابتلاء منه تعالى ولا يرى لنفسه فضلاً ما على أحدٍ ، فكيف يغتر من شأنه هكذا بكثرة الزوار .

وقال الإمام الشعراني في « الأنوار القدسية » ما حاصله : إن كلّ من فتح له باب الشيخوخة ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ، ويعتقد أنه

ليس بأهل للمشيخة والسلوك ، ويلقن على سبيل التشبّه بالمتشبّهين بالمتشبّهين بالمتشبّهين . . . (ست مرات) ، هكذا كان اعتقاد شيخنا في نفسه وسعيه ، كما يعرفه كلّ من رآه قدس سره ، فليتنبه الناقد على ذلك ، وإلا يقع في ورطة الهلاك .

وفي « الطبقات الكبرى » في ٧٧ من الجزء الثاني : كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير . انتهى عبارته .

وفي « تنبيه السالكين » ما نصه : وفي الحديث القدسي « من أذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » ، فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأولياء بما عنده من ظاهر علمه ، فإن لهم مقاماً يفنون في اسمه الرحمن وذلك الغالب عليهم ، ولا يكون الشيخ مرشداً أو هادياً إلاّ بعد فنائه في هذا الإسم الشريف ، لكن يطرأ عليهم حال يفنون في اسم المنتقم أو القهار ، ففي ذلك الحالة يهلك كل من أنكر عليهم واذاهم فالعياذ بالله . وقد ينتقم الله لوليه بغير علمه ، فقد رُويَ أن رجلاً من الأولياء مرّ برجل ، فضربه بحصاة أصابته في كعبه ، فما التفت إلى الضارب ولا عرفه ، ولكنَّ الله أكرمه بأن سقط الضارب ميتاً ، فقيل للولي : أين أنت من العفو والسماح ؟ وهل يجوز قتل نفس حرّمها الله تعالى ؟ فقال : والله ليس لي علم بما تقول ولا أعرف الرجل ، ولكن جرت عادة الله تعالى بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون . كذا في « السير والسلوك » . وهاهنا دقيقة ، وهي كما أنه ليس من شروط الولاية علم الوليّ بنفس ولايته كما هو المشهور ، كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه فربما ينقل الناس عنه خوارق شتّى وهو لا علم له بها ، كذا في « الحدائق الوردية » في ١٨٦ فراجعه .

وفيه أيضاً : وكان شيخنا قدس سره يقول : والعجب أنّ الناس يأتون إليَّ من الأكناف والأطراف فبعضهم يقول : رأيناك في مكة ، وبعضهم يقول : رأيناك في بغداد ، فيظهرون الصحبة والمعرفة ، والحال

أني ما خرجت من بيتي ، فما هذا إلا افتراء ! . انتهى عبارته . ومثله في « لطائف المنن » و« مكتوبات الإمام الرباني » . انتهى عبارته ٢٠٨ من الباب الرابع والعشرين . وأما كونه مأذوناً ومجازاً من الكامل فمشهور بين الورى اشتهار الشمس في وقت الضحى ، فإن أردت معرفة ذلك راجع إلى « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، و« البروج المشيدة » وفيه بيان مسانده في الطريقة النقشبندية والشاذلية ، وحقيقة إجازته في القادرية ، وكذا فيه مسانده في جميع العلوم النقلية والعقلية والأحزاب حتى لكتبة الأسباب للشفاء ، فلم اذكرها هنا خوف السأمة ، والله وليّ التوفيق ، ومنه الهداية إلى طريق التحقيق .

وفي « الفتاوى الحديثية » للشيخ الحافظ ابن حجر الهيتمي ما نصه : وجاء من المشائخ العارفين والأئمة الوارثين **أنهم قالوا : أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم ، قالوا ويخشى عليه من سواء القضاء** . وقال بعض العارفين من رأيتموه يؤذي الأولياء وينكر مواهب الأصفياء فاعلموا أنه محارب لله ، مبعد مطرود عن حقيقة قرب الله . وقال الإمام المجمع على جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي رضي الله تعالى عنه : إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى . وقال الإمام شاه بن شجاع الكرماني ما تعبّد متعبّد بأكثر من التحبّب إلى أولياء الله ، لأن مجتهم دليل على محبة الله عز وجل . وقال أبو القاسم القشيري : قبول المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين ، **ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ** . انتهى عبارته وفي كتاب « رماح حزب الرحيم » ما حاصله : إن المنكر على الأولياء ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة ، وإنه في لعنة الله ومحاربته ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ . .إلخ . وفيه أيضاً : إن إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة . انتهى .

الفريد التاسع

في الجواب عن شبهة التي أوردها على إطاعة المريد بالمشائخ ، واقتدائهم بأوامرهم في طاعة الله تعالى بالتزامهم أذكار السلوك واجتنابهم عن المنهيات والزيارة لديهم ، وشبههم والمقلدين باتخاذ الأحبار والرهبان أرباب تطيعهم . انتهى .

الجواب : **إن إطاعة الأولياء عين إطاعة الله تعالى ، أليس الله قال** ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ ﴾ ، وقال عليه السلام « بجلوا المشائخ ، فإن تبجيل المشائخ من إجلال الله ، فمن لم يبجلهم فليس مني » رواه أنس ، وقال ﷺ « من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا » قال شراح الحديث : **من لم يعظم حرمة من يود به حرم بركته** . ومن اعترض شيخه لا يفلح أبداً . انتهى من خطه قدس سره ونوّرنا بأنوار معارفه اللدنية .

وأقول ولله الحمد : إن السائل رحمه الله مشى على ما مشى عليه ابن تيمية وأصحابه الذين جاؤوا على مذهب الحشوية ، فأبيِّن لك حقيقة ذلك إن شاء الله . واعلم أيها السائل المتمسك بعقائد القوم الزائفة أن الشيخ أبو العباس أحمد بن تيمية جاء في أواخر القرن السابع على مذهب الحشوية ، وكان له فضل وذكاء واطلاع ، فشذَّ عن السواد الأعظم وخرق الإجماع ، وقال من المسائل ما قال . وكان من ذلك جعل المتوسل بالأنبياء والأولياء المستغاث منهم مشركاً ، وقوله بأن الطلاق الثلاث لا يقع دفعة ، وأن من حلف بطلاق إمرأته وحنث لا يقع عليه طلاق ، وأن الطلاق في الحيض لا يعدّ . فاتفق العلماء على حبسه وحَبَسه السلطان ومنعه من الكتابة ، لكن حدث من أصحابه من يلقى إلى الناس مسائله سرّاً ويشيعها وينصرها كابن القيم الجوزية

وغيره ، فاغتر كثير من سخفاء العقول ، ومن لم يتمكن من سائر العلوم الشرعية وعم الضرر واتسع الخرق فانتدب[1] له اعلام العصر الهادون المهديون ، كشيخ الإسلام عز الدين بن جماعة ، وشيخ الإسلام كمال الدين الزملكاني ، والشيخ الإمام صدر الدين المرحل ، والشيخ الإمام شيخ سلام تقي الدين السبكي وغيرهم رضي الله عنهم ، وبالغ فيه الشيخ الحافظ ابن حجر فردوا عليه أقبح رد في تأليف وافية وشنعوا عليه تشنيعاً ، لا سيّما التقي السبكي فإنه كان هو الذي أخمد ناره وأفسد ضاره ، وكذلك أئمة المذاهب الآخر رحمهم الله تعالى .

ثم لما تبيّن الرشد من الغي وزال الصدا عن قلب كل حيّ هجرهم أي : الشيخ ابن تيمية وأصحابه سائر الناس ، وزهدوا في كتبهم مع كثرة ما فيها من الفوائد لما فيها من الخلط والالباس ، فبقيت في زوايا الإهمال بلا مبال ؛ اللهم إلاّ إن كان المطلع من شذوذ الناس اتباع الوسواس الخناس أو من له خيرة تامة من المحققين الأكياس .

ثم في أواخر القرن الثاني عشر ظهر بالعرب رجل يقال له صالح اليمني ، فسار مسير ابن تيمية وادعى الاجتهاد ، وشذ عن الجماعة وألف في تحقيق مسائل . فهجره أئمة العصر وعلماء المذاهب المتبعة ولم يبالوا به ، بل أبطلوا مذاهبه الشاذة ، فبقيت كتبه كما هو المعهود ؛ لا نيل منها ولا من ينال . ثم في أواخر ذلك القرن أي : القرن الثاني عشر كان ظهور الفرقة الوهابية وانتشار ضلالهم ، وقد اتخذوا ما شذ به ابن تيمية مذهباً لهم وتبعوه ، وزادوا عليه كثيراً من الأغاليط المستنكرة حتى صاروا فتنة ومصيبة من المصائب التي بها أهل الإسلام ، بسفك دمائهم ونهب أموالهم إلى غير ذلك .

---

(١) أي : دعا له .

ثم حدثت فرقه جديدة تابعوا الوهابية وزعموا الإصلاح وادعوا الاجتهاد لأنفسهم ، وتجردوا من جميع المذاهب ، وصاروا فرقة ملفقة دينها ، ودَيْدنها الاعتراض على أئمة الأمة وعلمائها وصوفيتها وصلحائها وأوليائها وأصفيائها ، وقد جاوزوا حدهم ، وفقد رشدهم ، وإمامهم في ذلك الشيخ المطرود جمال الدين الأفغاني ، ثم تلميذه المردود محمد عبده المصري ، وسبق مثله مع الأحاديث الواردة في حقهم ، راجعه في الفريد السادس .

ثم حدثت فرقة أخرى تابعوهم في أواسط القرن الرابع عشر في هذه الولاية الداغستانية وصاروا فتنة ومصيبة للمتقين ، طاردين الناس عن الأذكار في المساجد خلف الصلوات ، ومانعيهم عن زيارة الأولياء والصالحين أحياء وأمواتا ، ويبطلون المذاهب ويدعون الاجتهاد ، كما هو عادة أشياخهم المذكورين ، ويجتهدون كل الجهد لمنع الناس عن الخير ، ولا يكون لهم كلام فيما سواه وإن رأوا من يجاهرون بالمعاصي والفسوق وأنواع الفجور ، بل أنهم يحثون الناس إلى اللهو واللغو ومنعهم عن الخير من كل الجهات ، فهذه المذكورات كانت في أشياخهم راجع الكتب المؤلفة في الردّ عليهم ترى العجائب ، خاصة إلى « نور المقايس » من كتاب « رد عبده » ، و« الدرر السنية » ، و« شواهد الحق » و« الرائية الصغرى » ، و« نور الإنصاف » و« السفر الأسنى » ، و« الأجبوة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » ، واستندوا في ذلك(١) على الآيات الواردة في حق المشركين . فقال ابن القيم في كتابه المسمى « اعلام الموقعين » : قال ابن عمر : قد ذم الله التقليد في غير موضع من كتابه ، فقالوا ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . . إلخ . ثم قال : وقال الله تعالى ﴿ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ ، وقال

---

(١) أي في ابطال التقليد ومنع الزيارة واه .

تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ . .إلخ . وقال تعالى ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ . إلخ ، وقال تعالى ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ . إلخ . ومثل هذا كثير في القرآن من ذم تقليد الآباء والرؤساء ، وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ، ثم قال : قلّد رجل رجلاً فكفر ، وقلّد آخر فأذنب ، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها ، كان كلّ واحد ملوماً على التقليد بغير حجة . . إلخ .

وأنا أقول : أين حجة من يريد إحداث حكم الآن من أبناء الزمان الذين لا يعلمون يومهم من أمسهم ، ومن يتكفل بتطبيق الفروع إلى الأصول فوق تطبيق المجتهدين المتقدمين . انتهى .

ثم قال في تفسيره عن عادي بن حاتم قلت : يا رسول الله إنا لم نتخذهم أرباباً . قال : بلى أليس يحلّون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ، ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه . فقلت : بلى ، قال فتلك عبادتهم . . إلخ .

فأقول : فانظر إلى سفسطاته في أدلاته ، فإنه كان يأتي بكل ما جاء في حق أهل الكفر والطغيان الذين أعرضوا عن الدين وتركوا الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، **وإلا أنا**[1] **أحلَّ المجتهدون الكرام ما حرم الله تعالى بحيث نحلله تبعاً لهم ، أو حرموا ما أحلّ الله لنا بحيث نحرّمه** تقليداً بهم ، أو غيروا القرآن كما غير أحبار اليهود والنصارى ، ورهبانهم التوراة والإنجيل من اسرائيلية ويعقوبيَّة وملكانية ، فنعوذ بالله من أن يقع في ألسنتنا وأفكارنا مثل هذا القول ومثل ذلك الوهم بل هم ، وإيّانا نتبع لما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ونؤمن به وبرسله لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون . انتهى « رد عبده » عبارته ٧٨ .

---

(١) **علّه** : أين .

وفيه أيضاً نقلاً عن إعلام الموقعين لتحريم التقليد قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ . . إلخ . وهذا في القرآن كثير يذم فيه من أعرض عما أنزل ، وقنع بتقليد الآباء . فإن قيل : إنما ذم من قلَّد الكفار وآبائه الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، ولم يذم من قلّد العلماء المهتدين ، بل قد أمر بالسؤال أهل الذكر وهم أهل العلم وذلك تقليدٌ لهم ، فقال تعالى ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ وهذا أمر لمن لا يعلم بتقليد من يعلم ، فالجواب أنه تعالى سبحانه ذم من أعرض عما أنزله إلى التقليد الآباء ، وهذا القدر من التقليد هو ما اتفق عليه السلف والأئمة الأربعة وتحريمه . وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفى عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه ، فهذا محمود غير مذموم ، ومأجور غير مأزور « أعلام الموقعين » في ٢٩٣ ص .

فانظر إلى هذا الجواب الصحيح مع الدعاوى الباطلة من عبده فإنه لم ينكر نزول آية في جواز التقليد ، وهي قوله : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ فأوجب لغير المقتدر في استنباط الأحكام من القرآن والحديث التقليد ، فإن الأمر للوجوب ، فيكون النزاع لفظياً لأنه لا نزاع في تحريم تقليد الآباء الجهال الذين لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون وهم الكفار ، وإنما مطلوبنا تقليد من لا جهد له من المؤمنين في استخراج الأحكام من القرآن العظيم والحديث الشريف لمن له قدرة على ذلك ، فجوازه بمن هو أهله كالمذاهب الأربعة اتفاقي ، بل واجب لئلا يبقى مهملاً في العمل . فكما يجوز تقليد من خفي بعض أحكام القرآن باعترافه يجوز تقليد من خفي كله بالطريق الأولى . فمراد ابن

قيم في جمع كتبه نفي التقليد رأساً ، ولكن ألجأه الإفحام إلى التسليم ، **وأما الآيات التي استدل بها في إبطال التقليد فهي مخصوصة بالكفار نزولاً ومفهوماً ودلالة** ، والله منزه من أن يتصف بها من آمن بوحدانية وبرسالة نبيه ﷺ وأمّا الأئمة الأربعة فوجدوهم أولى الناس بالاقتداء بهم في العمليات بما استنبطوه من الكتاب والحديث باجتهاد لما منحهم الله تعالى به من العلم والعمل والتفقه في الدين بعد الصحابة . انتهى عبارته راجعه في ٨١ .

وفيه أيضاً في مناقب محمد بن عبد الوهاب ما نصه : وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ . وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة ، فقال محمد بن عبد الوهاب : من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات ، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك ، وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الأصنام ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون : ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زلفَى ، قال : فإنَّ المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى ، بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم : ليقربونا إلى الله زلفى ، فهؤلاء مثلهم .

ومما أوردوا به عليه في الرسائل المولفة للردّ عليه إن هذا استدلال باطل ، فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء آلهة وما جعلوهم شركاء لله ، بل أنهم يعتقدون أنهم عُبَيْد

الله مخلوقون ، ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة . وأمّا المشركون الذين نزلت فيهم الآيات فكأنهم يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية ، وإن كانوا يعتقدون أنها لا تخلق شيئاً . وأمّا المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والألوهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية ، بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحبائه الذين اصطفاهم واجتباهم ، وببركتهم يرحم عباده ، فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة . **فاعتقاد المسلمين أن الخالق الضار النافع المستحق للعبادة هو الله وحده . ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه ،** وأنّ الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئاً ولا يملكون ضراً ولا نفعاً ، وإنما يرحم الله العباد ببركتهم . فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والألوهية هو الذي أوقعهم في الشرك لا مجرّد قولهم : ما نعبدهم إلا . . إلخ ، لأنه لما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تستحق العبادة وهم يعتقدون ؛ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام .

فجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيهم أحد من المؤمنين . روى البخاري عن عبد الله عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في وصف الخوارج : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين ، وفي رواية عن ابن عمر أيضاً أنه ﷺ قال « أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأوّل القرآن يضعه في غير موضعه » فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة ، **ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركاً ما كان يصدر من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها** . ففي الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ كان من دعائه « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك » وهذا توسل لا شك فيه ، وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه ويأمرهم بالإتيان به ، وبسط ذلك طويل مذكور في كتب السنة . انتهى عبارته ١٥٤ .

وأوردناها في كتابنا « الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » راجعه في باب التوسل .

فظهر من هذه المكذورات كون الآيات المذكورة مخصوصة بالكفار وكون إطاعة المريدين للمشائخ واقتداء المقلدين بالمجتهدين عين إطاعة الله تعالى وعين اقتدائه عز وجل ، فلم يبق للطائفة الوهابية دليل وحجة ، وبطل ما كانوا يفعلون . وفي « تصديق المعارف » على قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ إلخ . ما نصه الآية ، هذا عام في كل من اتخذ محبوباً دون الله تعالى ، سواء أحب شيئاً من الطاعات أو أحب نبيّاً أو وليّاً ، أو الدنيا والآخرة ، أو النفس والأهل والولد . فإن قال قائل : إن في الشرائع حب الأنبياء والأولياء فرض أو مستحب ؟ قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وقال ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ قلنا : نعم حبّ الأنبياء والأولياء للمريد فرض ، لكن الحب في الله والبغض في الله ينبغي أن لا يحبهم إلا لله ، وهكذا معنى آية ولاية الرسول والمؤمنين بعضهم بعضاً يجب أن يكون في الله . انتهى عبارته .

وفي « لطائف المنن » للإمام الشعراني : ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليَّ عدم مطالبتي للعارفين والعاملين بدليل على جميع أحوالهم ، فإن مثلهم لا يفعل ما هو بدعة . ومن طالبهم في كل مسألة بدليل فاته خير كثير ، لاسيّما إن كان ذلك الفعل لا يهدم شيئاً من أحكام الشريعة . انتهى عبارته ٢٢ ج٢ . وفيه أيضاً : ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ عدم إقامتي ميزان عقلي على علماء عصري ، وعدم سبّ أحد منهم في وجهه أو في غيبته إلا بطريق شرعي ، وذلك لأن القدح في علماء الإسلام مضاد لأمر الله تعالى عز وجل لنا بإجلال العلماء وإكرامهم ، لاسيّما وقد قرن الله تعالى ذكرهم مع ذكره في قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ ، فمن سبّهم وقدح فيهم فقط حطَّ مقام من رفع الله تعالى قدره ، وتلك جراءة عظيمة .

وسمعت سيّدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : **ليس أحد من الأمة أحب إلى رسول الله ﷺ من العلماء ، لأنهم حملة شريعة وأضاؤه على أمته** . فمن أبغض عالماً فقد أبغض من أحبه رسول الله ﷺ ، ومن كان كذلك فهو عدوّ لرسول الله ﷺ ، ومن كان[1] لرسول الله ﷺ فهو عدوّ الله عز وجل ، ومن كان كذلك فهو عدوّ لرسول الله ﷺ فهو عدوّ الله عز وجل ، ومن كان عدوّ الله عز وجل فهو عدوّ للخلق أجمعين .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » في ٢٧ من هامش « لطائف المنن » ما عبارته : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر ولو لم يعلموا[2] بعلمهم ، ونقوم بواجب حقوقهم ، ونكل أمرهم إلى الله تعالى . فمن أخل بواجب حقوقهم ؛ من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله . فإن العلماء نواب رسول الله ﷺ وحملة شرعه وخدامه ، فمن استهان بهم تعدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ ،

استهانة العُلماء كفرٌ

وذلك كفر وقد مال إلى ذلك من كفر من قال عن عمامة عالم : هذه عميمة عالم ، بتصغير . وتأمل من استهان بغلام السلطان إذا أرسله إليه كيف يسمع السلطان من رسوله فيه ويسلب نعمة ذلك الذي استهان ويطرده عن حضرته ، بخلاف من بجّله وعظّمه وقام بواجب حقه يقربه السلطان ولو كان بعيداً ويكرمه يبجّله .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يدخله حضرته الولاية الكبرى . ويشهد هناك من هو المقدم عند الله ومن هو المأخر ، ويصير يقدم من قدمه الله ويؤخر من أخره الله عن الكشف والشهود ، كما يشهد الإنسان ذلك في حضرة ملوك الدنيا .

---

(١) عدوّا (**عله**) .

(٢) يعملوا (**عله**) .

فإن لم تسلك يا أخي كما ذكرنا فلا يصح لك تقديم أحد على أحد إلا لعلة دنيوية ، وليس ذلك التقديم هو الذي أمرك الله به ، فعلم أن كل من أقام الميزان بغير حق على العلماء والأكابر حرم النفع بهم وعصّى الله ورسوله ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وروى الطبراني مرفوعاً « تواضعوا لمن تعلمون منه » ، وفي رواية أيضاً مرفوعاً : « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ؛ ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط » ، وروى الإمام أحمد مرفوعاً « اللهم لا يدركني زمان ، أو لا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم ولا يستحي فيه من الحليم ، قلوبهم الذئاب وألسنتهم ألسنة العرب » ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته .

وفي « الرماح » ما نصه : مما يزيد الإيمان تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة رضي الله عنهم ، فتعظيمهم يزيد في الإيمان ، جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم . قال رضي الله عنه : ولو علم العامة قدر العلماء عند الله عز وجل ما تركوهم يمشون على الأرض ولتناوب أهل كل حومة العالم الذي فيهم وحملوه على أعناقهم . انتهى عبارته في ٨ . ومنه صحبة الصالحين الذي يعينون على طريق الآخرة ويحضون عليها . انتهى منه عبارته . وفي حديث « جامع الصغير » : « من أحب قوماً حشر الله تعالى في زمرتهم » ، وفي رواية : « من أحب قوماً وَوَالاَهُمْ حشر الله فيهم » قال في شرحه : **فمن أحب أولياء الرحمن فهو معهم في الجنان** ، ومن أحب حزب الشيطان فهم معهم في النيران ، فالمحب مع محبوبه في الدنيا والآخرة . وفي حديث الإمام أحمد « ولا يحب رجل قوماً إلا جعله منهم » ، وفي رواية أبي داود عن أبي رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم » ثم قال « أنت يا أبا ذرّ مع من أحببت » فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فبالجملة محبة الصالحين أمرٌ مهم رجاء اللحاق بهم أحياء وأمواتاً . قال شاه كرمان : ما تعبّد متعبدٌ بأكثر من التحبب إلى أولياء الله ، فإذا أحب أولياء الله فقد أحب الله فأحبه الله تعالى . وقال يحي ابن معاذ من صحب الأولياء بصدق ألهاه ذلك من أهله وماله وجميع أشغاله ، وإذ لم يصح هذا مع الأولياء لا يشم رائحة الاشتغال بالله أبداً . وعن محمد بن حسن البجلي أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام ، فقلت : يا سيّدي أي الأعمال أفضل ، فقال : **وقوفك بين يدي وليّ من أولياء الله كحلب شاة خير لك من أن تعبد الله إرباً إرباً** ، فقلت : حياً أو ميتاً فقال : نعم .

ثم أقول تفصيلاً آخر لعلك لا تسأم ولا تمل لنفاسة وعزة مطلوبة ، وهو أن المحبة الاختيارية لشيء إما لا لذاته وسيلة إلى الغير كالدراهم ، فإن أريد التوسل إلى مذموم فمذموم ، وإن أريد إلى محمود فمحمود ، وإلى مباح فمباح **إذ للوسائل حكم المقاصد** ، وليس في ذلك محبة الله قصداً . وإما لا لذاته بل لغيره لحظ أخروي ، كمن يحب شيخه وأستاذه لتوسلهما إلى العلم والعمل اللذين بهما الفوز ، وكذا محبة الأستاذ تلميذه ، وكذا محبة المال يتقرب به إلى الله أو ليتفرغ به إلى العلم والعبادة ، وكذا محبة امرأته الصالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ، فهو محب لله . وإما لذاته ، يعني : يحب لله وفي الله لا يتوصل به إلى أمر وراء ذاته ، وهذا على الدرجات ، ومن آثار هذا الحب أن يتعدى من المحبوب إلى متعلقاته ومناسباته حتى منزلته ومحلته وجيرانه ، حتى قيل : إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه ، فكذا إذا غلب الله يتعدى إلى كل موجود سواه ، لأنه من آثاره كمن أحب خط حبيبه وصنعته ، وكذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة مسح بها عينه وأكرمها وقال « إنها قريبة العهد بربها » وإن كان الحبُّ لحظ ينال من المحبوب كحب الموتى من العلماء والعباد الأحياء منهم لينال منهم ما ينال حالاً ومآلاً فحب الله أيضاً « بريقة » عبارته ١٨٨ ج٢ .

وفيه أيضاً قال رسول الله ﷺ « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه الطبراني في « الأوسط » عن حذيفة بن يمان رضي الله عنه ، وإنما كان المتشبه بالقوم فهو منهم لأن تشبهه بهم يدل على حبّه إياهم ورضاءه بأحوالهم وأفعالهم ، وقد قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا رضي هدي الرجل فهو مثل عمله » رواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر . وذكر النووي رحمه الله تعالى فيه أي : في هذا الحديث فضل حبّ الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات . ومن أفضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما ، والتأدب بالأداب الشرعية . ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم . انتهى عبارته ٥٢٥ ؛

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالكرام فلاح

واعلم أن الأمة اجتمعوا على أن الحب لله ولرسوله فرض وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ ، وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ وجعل رسول الله الحب لله من شرط الإيمان إذا سئل : ما الإيمان يا رسول الله ؟ قال « أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما » ، وقال في حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » ، وقال « لا يؤمن العبد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من ماله وأهله والناس أجمعين » ، وقال « اللهم ارزقني حبك وحبَّ من أحبّك وحب عمل يقربني إلى حبّك ، وأجْعَلْكَ أحبّ إليّ من الماء البارد » ، وقال « المرء مع من أحب » ، وقال « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله » . وروي أن رجلاً قال : يا رسول الله ! إني أحبك ، فقال « استعدّ للفقر ، فقال : « استعد للبلاء » . وفي الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذا جائه ليقبض روحه : هل رأيت خليلاً يميت خليله ؟ ! فأوحى الله إليه : هل رأيت محبّاً يكره لقاء حبيبه ؟ فقال : الآن يا ملك الموت فاقبض .

وقال صديق الأعظم رضي الله عنه : من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر . وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل[1] وإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني : إن من خلق الله خلقاً ما تشغله الجنان وما فيها من النعيم ، فكيف يشغلون عنه بالدنيا ؟ ! وراجع « روح[2] العارفين » وفيه أيضاً ما نصه : وقال يحيى بن معاذ : مثقال ذرة من الحب أحب إليّ من عبادة سبعين سنة بلا حب . انتهى راجعه في ٥ . وفيه أيضاً ما عبارته : ومن أحب الرسول فهو من أحب عين الله ، لأنه من تمام محبته ، وكذا العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوبٌ .

وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل ، فلا محبوب في الحقيقة إلا الله ولا مستحق للمحبة سواه ، لأن أسباب الحب مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ، ولا يوجد في غيره إلا أحادها ، فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته ، وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكماله من وجود الله وباالله وإلى الله ، وكل ما في الوجود بالنسبة إلى قدرة الله فهو كالظلِّ ، وإنما الكل من آثار قدرته ، ووجود الكل تابع لوجوده كما أن النور تابع لوجود الشمس ، ووجود الظل للشخص . **فمن أحد غير ربه فقد اشتغل بنفسه وشهواته ، وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته** . . . . والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوّتها ، والمعرفة لا يحصل إلا بعد ظهور المناسبة بينه وبين ربّه ، والمناسبة قد تكون

---

(١) **أي** : والمؤمن لا يشغل عن الله حتى يغفل عنه فإذا لم يشغل عنه شاغلٌ كيف يغفل عنه (**عسلي**) .

(٢) هذا في النسخة الصحيحة المطبوعة لعله يصح أن يكون مجرداً عن آلة التعريف لكونه علماً على أبي بكر الصديق والله تعالى أعلم (**منه**) .

ظاهراً كمناسبة الصبيّ للصبيّ والعالم بالعالم والجنس مع الجنس ، وقد تكون خفياً كما أشار إليه عليه السلام « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف » . .إلخ . وهذه تقتضي حب الله لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة وإلى الصور ، بل معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ، بل يترك حتى تطلع عليه السالكون إذا استكملوا شرك السلوك[1] ، فالذي يقرب العبد من الله في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء ، والتخلق بأخلاق الله من صفات الله ؛ من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق ، والنصيحة والإرشاد ومنعهم من الباطل وغيرها . انتهى عبارته راجعه في ٩ .

وفيه أيضاً ما حاصله : وأما علامات محبة العبد [ربه ؛ فلا يتصور أن يحب القلب] محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقائه . ومنها أن يكون موثراً ما أحبّه الله على ما يحبه في ظاهره وباطنه ، فيجتنب اتباع الشهوات ويعرض عن دعة الكسل ، ولا يزال مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالنوافل ، وطالباً عنده مزايا الدرجات كما أن المحب مزيد القرب في قلب حبيبه . **ومنها** : أن يكون مستغرقاً بذكر الله لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه ، فمن أحب شيئاً كثر ذكره بالضرورة وذكر ما يتعلق به . **فعلامة حب الله حب كلامه ، وحب رسوله ، وحب ذكره ، وحب كل ما يتسبب إليه** . فالمحبة إذا قربت تعدت من المحبوب إلى ما يكتنف المحبوب ويحيطه ويتعلق بأسبابه ، وذلك ليس شركة في الحب . فإن من أحبّ ما يحب الله فهو دليل كمال حب الله ، فمن غلب حبّ الله على قلبه أحب جميع خلق الله ، فكيف لا يحب ما يحبه ؟ !

وقال سفيان : من أحب من يحب الله فإنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله فإنما يكرم الله . قال سهل : علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبي عليه السلام ، وعلامة حب

---

(١) **لعل المراد به** : الفناء .

النبي عليه السلام حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا تأخذ منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة .

ومنها : أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى ، وتلاوة كتابه ، فيواظب على التهجد ويغتنم الهدوء الليل ، وصفاء الوقت ، فأقل درجات المحبة التلذذ بالخلوة بالحبيب ، والتنعم بمناجاته . فمن كان له النوم والاشتغال بالكلام ألذّ عنده من مناجات الله ، فكيف يصح محبته ؟ !

ومنها : أن لا يتأسف على ما يفوته مما سواه تعالى ، ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت من ذكر الله وطاعته ، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستغفار . **ومنها** : أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها ، كما قال بعضهم : كابدت الليل للعبادة عشرين سنة ، ثم تنعمت به عشرين سنة . **ومنها :** أن يكون مشفقاً على الخلق رحيماً بهم ، شديداً على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارن شيئاً مما يكرهه .

ومنها : أن يكون خائفاً في حبّه تحت الهيبة والتعظيم . **ومنها :** كتمان الحب واجتناب الدعوى ، والتوقي من إظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له ، وهيبة منه وغيرة منه على سرِّه . انتهى عبارته ٤٥ مع الاختصار من مواضع . وفي « البريقة » في ١٤ من ٢ج ما لفظه : قال رسول الله ﷺ « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » ثم إن قيل : كيف يكون الحب في الله والبغض في الله أفضل من نحو الصلاة والصوم والجهاد ؟ قلنا من أحب في الله يحب أنبيائه وأوليائه ومن شرط محبته إياهم أن يقفوا أثرهم ويطيع أمرهم . انتهى .

الفريد العاشر

في تفسير الآيات التي اتخذها الطائفة الوهابية الشاذة دليلاً لشبهاتهم ، فنحن نفسرِها إن شاء الله تعالى وفق ما عليه أهل السنة والجماعة نقلا من تفسير الجلال السيوطي والجلال المحلي ومن حاشية الصاوي

فأقول : ولله الحمد والثناء إن من الآيات المذكورة قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من حبهم للأنداد ، لأنهم لا يعدلون عنه بحال مَّا والكفار يعدلون في الشدة إلى الله جلال ، عبارته . أي : فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله ، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن محبة الله . إن قلت : إنَّ الكفار كذلك يحبون الأنداد ليقربوهم إلى[1] زلفى فيقتضى أنها أيضاً من المحبة . أجيب بأنهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ، ففرق بين المحبة والعبادة ، فلا يعبد إلا الله لا غيره ، بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقرباً مثلاً من الله كالأنبياء والأولياء ، ولذلك من عبدهم فقد كفر .

وحاصل ما قرره المفسر أن المشركين سوّوا الأنداد في المحبة بالله ، والمؤمنون انفردوا بمحبة الله ، ومع ذلك فهي أشد من محبة المشركين للأنداد . وقرّر غيره أن قوله تعالى ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ أي : من جهة أن المحبة من الطرفين ، فالمؤمنون يحبّون الله ويحبّهم الله ، وأما المشركون فلا يخلوا إما أن يكون معبودهم عاقلاً أم لا ، فالأوّل يلعنهم ولا يحبهم ، والثاني لا يوصف بحب ولا بغض على أنه حصب لجهنم يعذبون به . فمحبّة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله ، لأن الله هو الخالق للخير والهدى في القلوب . فحيث خلق الله في قلب الشخص النور والهدى والمحبة وفق العبد للرضا عنه ومحبته له وامتثاله أمره ونهيه . « صاوي » عبارته في ٤٣ من سورة البقرة .

---

(١) الله (عله) .

ومنها : قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ الآية ، أي بل نحبُّهم ونعتقد أنهم عبيد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يضرون ولا ينفعون ، فنتوسل بهم إلى الله لذلك لا لكونهم أرباباً . انتهى منه عبارته ١٣٤ ج١ من آل عمران . ومنها : قوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي : أرباباً « جلال » عبارته .

وبتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك ، واستدلوا بهذه الآية . فيقال : إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فمسلم أنه إشراك . وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته ، فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام ، لما ورد « المرء مع من أحبّ » . انتهى « صاوي » عبارته ٢٣ ج٣ من سورة مريم ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ الآية بالطاعة والصبر بالعون والنصر ، « جلال » عبارته . أشار بذلك إلى أن المعية مع المتقين والمحسنين معية معنوية خاصة ، وهذا لا ينافي في قوله تعالى ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ لأن المعيّة خاصة وعامة ، فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق ، والخاصة بالإعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسنين أحياء وأمواتاً . فرضا الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع ، فإذا كان كذلك **فينبغي زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم في حضرة الرضا أحياء وأمواتاً لا ينقطع عنهم مددهم .**

وقوله في الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به » . . . إلخ ، المراد ثواب أعمالهم المتجدّد ، فلا يتجدد لهم ثواب عمل . وأما ما ثبت لهم في نظير العمل السابق فهو دائم

مستمر وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه أو ولدٌ صالح إلى آخر الحديث . **ومن هنا زيارة الصالح الحي فضل من زيارة الصالح الميت ،** لأن الحي أعماله كلها مستمرة الصعود ما دام حيّاً ويتجدد له ثوابها ، ولذلك تضنّ[1] روح المؤمن الصالح بالحياة فلا تحب الموت ، لأن فيه عزلها عن خدمة ربها التي هي أشرف الأشياء وأفضلها . « صاوي » عبارته ٢٥٩ من سورة النحل .

ومنها : قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ويؤخذ من ذلك أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبداً ، وليس في ذلك اعتماد على غير الله لأن المؤمنين ما التفت إليهم إلا لإيمانهم وكونهم حزب الله ، فرجع الأمر إلى الله . منه عبارته ١٠٥ ج٢ من سورة الأنفال .

ومنها : قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي : دعواته لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة ، فتجب ملاحظة في كلّ عمل لله ، لأن الله تعبدنا بالتوسل به . قال تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فمن زعم أنه يصل إلى رضا الله بدون اتخاذه ﷺ واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضل سعيه وخاب رأيه .

قال العارف ابن مشيش : ولا شيء إلا وهو به منوط ، إذ لو لا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط . وقال بعضهم : وأنت باب الله ، أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل ، فهو باب الله الأعظم وسرُّه الأفخم ، والوصول إليه وصول إلى الله لأن الحضرتين واحدة ، ومن فرق لم يذق للمعرفة طعماً . منه عبارته ١٢٩ ج٢ من سورة التوبة .

---

(١) **أي** : تبخل « مصباح » .

ومنها : قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان « جلال » ، وهم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى ، واتخاذ بهم أرباباً من حيث أنهم ينسبون التحليل والتحريم والإقالة من الذنوب لهم ، ولا يتبعون ما أنزل الله ، بل المدار عندهم على ما حللته الأحبار والرهبان أو حرموه . وهذه الآية وإن كانت خطاباً لليهود والنصارى إلا أنها تجرُّ بذيلها على من يشرك بالله غيره المسلمين ، كضعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون بذواتهم ، ويحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله ، ومع ذلك يحدثون بِدَعاً عظيمة ما أنزل الله من سلطان ، ويجعلون تلك البدع طرفاً لهؤلاء الأولياء ، ويزعمون أنها منجية وإن كانت مخالفة للشرع ، ﴿ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ . انتهى منه عبارته ١٣١ من آل عمران .

ومنها : قوله تعالى ﴿ يَدۡعُواْ ﴾ يعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الصنم ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ إن لم يعبده ﴿ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ إن عبده ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الدعاء ﴿ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ عن الحق . « جلال » عبارته . قوله : الصنم لا مفهوم له ، بل مثله كل مخلوق . **والحاصل** أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق ، وأما الالتجاء للمخلوق من حيث أنه مهبط الرحمات ؛ كمواصلة أهل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب ، وهو في الحقيقة التجاء للخالق ، يقرب ذلك ؛ أن الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها ، وما ذاك إلا للتعرض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان ، فلا فرق بين الأشخاص وغيرها فهم محبط الرحمات لا منشؤها ، تأمَّل . « صاوي » عبارته ٧٦ من سورة الأنبياء .

ومنها : قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي : أصناما يرجون نفعها . « جلال » عبارته من سورة العنكبوت . قوله : يرجون نفعها . هذا وجه الشبه ، أي : فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها ، كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً لا يغني عنها في حر ولا برد ، ولا مكر ولا أذى . وحَمْل المفسر الأولياء على الأصنام مخرجٌ للأولياء بمعنى المتولِّين خدمة ربهم . **فإن اتخاذهم ، بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به** ، وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم ، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك . « صاوي » عبارته ١٨١ من سورة العنكبوت ج ٣ . قوله : كذلك الأصنام ، لا تنفع عابديها ، أي : ممن التجأ لغير الله فلا ينفعه شيء ، ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف . ومن هنا وقاية رسول الله ﷺ من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت وبيض الحمام ، مع كونهما أضعف الأشياء . منه عبارته ١٨١ من سورة العنكبوت . ومنها : قوله تعالى ﴿ أَمِ ﴾ بل ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿ شُفَعَآءَ ﴾ عندهم بزعمهم ، ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَ ﴾ يشفعون ﴿ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾ من الشفاعة وغيرها ، ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنكم تعبدون ولا غير ذلك ، ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ ، أي : مختص به فلا يشفع أحد إلا بإذنه . « جلال » من سورة الرمز . قوله : أي مختص بها ، جواب عما يقال مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى ، مع أنه قد جاء في الأخبار أن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات . فأجاب بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله وشفاعات هؤلاء بإذن الله ورضاه . قال تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ . « صاوي » من الرمز عبارته ٢٨٧ ج٣ .

ومنها : قوله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى رداً لقولهم أن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ بفتح الهمزة ، وضمّها ﴿لَهُۥ﴾ فيها . « جلال » عبارته من سورة سبأ . قوله : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ أي : إن الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله ؛ من الملائكة والأنبياء والأصنام . إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار . وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ . قوله : رداً لقولهم . . إلخ أي : حيث قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، وإيضاحه أنّ الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بإذن[1] والرضا ، وهم قد ارتكبوا ما يقتضي الغضب وهو الكفر ، فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب ؟ ! وعدم الإذن للشفاعة أن هذا الزعم باطل . « صاوي » من سورة سبأ عبارته ٢٢٨ ج٣ . ومنها قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ﴾ أحد ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بأن يقول لا إله إلا الله . « جلال » عبارته .

والمعنى أن من مات على الإسلام فقد رضي الله قوله وأذن له أن يشفع في غيره ، وأن يشفع غيره فيه . « صاوي » من سورة طه عبارته ٥٠ . قوله : ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي : أنه ﷺ أحق بكل مؤمن من نفسه ، كان في زمنه أو لا . فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس في كل شيء من أمور الدين والدنيا ، لأنها طاعة لله . قال تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ولذا كان أولى بهم من أنفسهم ، فهو أولى مالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى ، فحقه ﷺ على أمته أعظم من حق السيد على عبده . **وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى كل نعمة وصلت للخلق .** « صاوي » عبارته ٢٠٤ من سورة الأحزاب .

---

(١) بالإذن (هامش الأصل) .

ومنها : قوله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية أي : تعبد . « جلال » عبارته . أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة . **وحينئذ فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج من أنّ الطلب من الغير حيّاً أو ميتاً شرك** ، فإنه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله تعالى النفع أو الضرر على يده قد يكون واجباً لأنه من التمسك بالأسباب ولا ينكر الأسباب إلا جحود أو جهول . « صاوي » عبارته ١٧٥ ج ٣ من سورة القصص .

وقال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الآية ، أي : فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوي في أمر الرزق ، بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى ، قال ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ . فينبغي للإنسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى ولا ينافي هذا أخذه في الأسباب ، لأنّ الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها . فالأسباب لا تنكر ومن أنكرها فقد ضل وخس . منه عبارته ١٨٤ ج ٣ من سورة العنكبوت . والأخذ في الأسباب لا ينافي في التوكل لأنه مأمور به ، لكن لا يعتمد على الأسباب . منه عبارته ١٦٩ ج ٤ من سورة الطلاق .

ومنها : قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن . « جلال » عبارته . أي : وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلاً أو غير عاقل . فالكفر هو العبادة بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه . وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم ، بل هي من باب التسبب في نفع الغير ، لأن الترضي عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ، ولا شك أن ذلك الغير ينتفع به ، والمتسبب له مثله لما ورد أن الملك يقول له : ولك مثل ذلك . فآل الأمر **إلى أن زيارة الصالحين والتوصل بهم من جملة طاعة الله** ، وصاحبها محبوب لله ، لأن أحب عباد الله إلى

الله أنفعهم لعباده ، وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية ، فضلاً عن كونها شركاً ، كما اعتقده ذو الجهل المركب والعقيدة الزائفة . « صاوي » عبارته ٥٥ ج٤ سورة الجاثية .

ومنها : قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الأصنام ﴿ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ والمعنى الذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ ، يدل عليه الآية الأخرى . وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته ، فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله ، لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله ، وليست محبَّتنا لهم وتوسُّلنا بهم شركاً إلا إذا كانت على وجه العبادة ، كالسجود مثلاً ، واعتقاداتهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضر خلافاً للخوارج الضالين المضلين ، حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك . انتهى « صاوي » عبارته ٢٥ ج٤ من سورة حم عسق .

واعلم أيها الأخ المعترض على أولياء الله تعالى تحقق لك من كل ما ذكرناه كون الآيات المذكورة في حق المشركين الذين هم عبدة الأوثان ، لا في حق الأولياء الذين يتوسلون بالأنبياء والمشائخ الذين كانوا في حضرة الله تعالى . وأمّا الأولياء فهم الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الآية ، قيل نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ ، لأنه هو الذي جمع تلك الأوصاف ، لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام : فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد ، قولاً كالأشعري والماتريدي ومن تابعهما إلى يوم القيامة ، وفعلاً كالمجاهدين . ومنهم الداعون إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية ، كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم .

ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب ، بحيث يكون دائماً في حضرة الله ليس في قلبه سواه ، كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة . ومنهم من

يدعوا إلى الله تعالى بالأعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين . وهذه الأقسام مجموعة في النبي ﷺ متفرقة في أصحابه ، ثم انتقل منهم إلى من بعدهم ، وهكذا إلى يوم القيامة ، لقوله في الحديث الشريف « لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » ، قوله : « ومن عمل صالحاً » أي : امتثل أوامر ربِّه واجتنب نواهيه . وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل كان قوله مقبولاً ويؤثر في القلوب ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولاً ولا يؤثر في القلوب ، ولا ينبغي صحبته قال العارف : لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله . وقال بعضهم :

أتنهى الأناس ولا تنتهي   متى تلحق القوم يا لكع
ويا حجر السن أما تستحي   تسن الحديد ولا تقطع

فمن لم يؤثر كلامه في نفسه فلا يؤثر في غيره بالأولى ، قال بعضهم :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضن   كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهاك يستمع ما تقول ويشتفي   بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

وبالجملة فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح ، **وأعظم الداعين إلى الله الأولياء المسلكون الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق ، وهم موجودون في كل زمن** ، غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من لحظه الله تعالى بفضله ، كما قال بعض العارفين : الأولياء عرائس مخدّرة ولا يرى العرائس المحرمون . نفعنا الله بهم أجمعين . « صاوي »

عبارته ٢٠ ج٤ من حم تنزيل الكتاب . وقال تعالى في حقهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ أي : طرق السير إلينا . « جلال » عبارته . ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ الآية أي : طريق الوصول إلى مرضاتنا ، فالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة ، وهي العلوم والمعارف المشار إليها بقوله ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر لإظهار شرفهم بوصف الإحسان . والمعنى وإن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة ، فهي معية خاصة وإليها الإشارة بقوله ﷺ في الحديث القدسي « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به » الحديث . « صاوي » عبارته ١٨٤ ج٣ من سورة العنكبوت .

فإذا كان أحوال أولئك الأكابر هكذا ، فلا بدّ لمن أراد السعادة الأبدية من التواضع لهم والاحترام معهم لتحوزوا ثوابه ، وفي الحديث « تواضعوا لمن تعلمون منه العلم ، وتواضعوا لمن تعلّمون ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم » . وفي « الحفني » : قوله : « لمن تعلمون منه » لاسيّما من علمكم العلم . فإن من خضع لشيخه تجلى الله تعالى عليه بالأنوار ، وكان سبباً لاتحافه بالفهم حيث راعي حق شيخه في السر والعلانية . ومشائخ التسليك أولى بذلك ، فقد قالوا : لا ينبغي له أن يجالس شيخه إلا إذا وصل إلى حالة لا ينتقد في فعل مّا ، وإلا فقد يرى شيخه يخالط الناس ويمازح ، فينتقده فيحرم بركته مع كون شيخه يفعل ذلك ظاهراً وقلبه مع الله تعالى . فالموفق من كان في مرضاة شيخه وقضاء حاجاته وإن لم يسأله ، وأن يعتقده أفضل أهل العصر ، ولا يشتغل بغيره عنه .

وقد وقع أن الشيخ خليلاً صاحب المختصر جاء يوماً فلم يجد شيخه ، فسأل عنه فقيل له : إنه ذهب يأتي بسرباتي ينزح الحش فخلع ثيابه ونزح الحش فجاء الشيخ فوجده ينزح الحش ، فتوجه إلى الله تعالى ودعا له بأن يكون من أهل الفقه والتأليف والوصول . فوجدت عنده أنوار المعارف في الحال . ووقع أن بعض الأكابر وهو ابن جميل وجد

عند تلميذه رغيفاً عليه حلوى ، فقال : من أين ؟ هذا فقال : أعطانيه الخضر عليه السلام ؟ فقال له :إن كان شيخك الخضر فاذهب لديه ، وإن كنتُ شيخك فلا تقبل منه ذلك . فجاء إليه الخضر ليعطيه ذلك على العادة فامتنع وقال : إني مع شيخي ، فقال له الخضر : الآن تفلح . والتلميذ المذكور ابن أفلح . وكان معتقداً بقضاء حاجات نساء شيخه ، لأن عادة أهل الله تعالى أن يقيّدوا أكبر التلامذة بخدمة نسائهم لسعة خلقه وضيق خلقهن . انتهى عبارته [1] .

وقال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ الآية ، لا شيئاً آخر من أعراض الدنيا وهم الفقراء « جلال » . فلما نزلت قال النبي ﷺ « الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم » . انتهى « صاوي » عبارته في ١٩ . وفيه على قوله تعالى ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ﴾ . . . إلخ . ما حاصله : إنه جملة الحيوانات التي تدخل الجنة . وبهذا يعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم . عبارته من سروة الكهف ٧ ج٣ .

وفي « السراج المنير » على حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلثة مساجد المسجد الحرم ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » ما حاصله وأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم ، وزيارة الصالحين والإخوان ، والتجارة والتنزه ونحو ذلك فليس داخلاً فيه ، وقد ورد مصرحاً به في رواية أحمد . ولفظه : « لا ينبغي للمصلي أن يشد الرحال إلى مسجد يبغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » . انتهى عبارته ٤٢٩ ج٣ . وفيه أيضاً : « جالسوا الكبراء » . قال المناوي : أي : الشيوخ المحربين لتتأدبوا بآدابهم وتتخلقوا بأخلاقهم ، أو

---

(١) راجعه في ١٦٠ من هامش « السراج المنير » ج٢ .

من له رتبة في الدين والعلم وإن صغر سنه . فإن مخالطة أهل الله تكسب أحوالاً سنية وتهب آثاراً علية مرضية ، والنفع باللحظ فوق النفع باللفظ ، **فمن نفعك لحظه نفعك لفظه ومن لا فلا** . وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى أنه تعالى كما جعل في بعض الأفاعي من الخاصية التي إذا نظر الإنسان أو نظر إليه إنسان هلك ، جعل في نظر بعض خواص خلقه أنه إذا نظر إلى طالب صادقة أكسبه حالاً وحياة .

وكان السهروردي يطوف في مسجد الخيف بمنى لتصفح الوجوه ، فقيل له فيه فقال : إن لله عباداً **إذا نظروا إلى شخص ألبسوه سعادة** ، فأنا أطلب ذلك . وسئلوا العلماء العاملين عما يعرض لكم من أحكام الدين وخالطوا الحكماء أي : اختلطوا بهم في كل وقت ، فإنهم المصيبون في أقوالهم وأفعالهم . ففي مداخلتهم تهذيب الأخلاق طب . عن أبي حجيفة مرفوعاً وموقوفاً ، والموقوف صحيح . انتهى في ١٩١ من الجزء الثاني .

الفريد الحادي عشر

في الجواب عن قوله : وأطلب منك أيضاً دليلاً على وجود القطب . . . إلخ .

كتب شيخنا في الجواب ما نصه : أيها الولد فقد وصل الشوم من انحراف مزاج دماغك المبتلى بمرض الماليخوليا ، من حيث لا تشعر إلى الأقطاب وإنكارهم . ونحن لسنا مجتهدين ، والدليل إنما يطلب من المجتهد . فأنت تبيِّنه لنا من ذلك لما أنك تدعي الاجتهاد . ووجود القطب قد صرحه أكابر الأئمة في كتبهم وإن خالف ذلك أتباع الطائفة الشاذة الوهابية . فقد نقل مؤلف « تنوير الصدر » عن « يواقيت » الشعراني في المبحث الخامس ما لفظه : فإن

القطب هو الممدّ لأولياء زمانه ، ومن فيض أنواره تستمد جميع الأنوار ، فإن مقام القطبية أعلى درجات الولاية بعد الصحابة رضي الله عنهم . انتهى . وفيه : شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء . انتهى . وفيه شؤنات كثيرة في حقه . فراجعه من هامش « مجموعة الأحزاب » من الجزء الأول .

وفيه ما لفظه : واعلم أن لكل بلد أو إقليم قطباً غير الغوث ، يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفاراً . انتهى . فوجود القطب حقٌّ ، ومن ينكر ذلك فلينظر إلى « المقالات الزينية » ، و« جامع الاصول » ، و« رسالة علي القاري » . والقطب هو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام . كذا في « المتممات » عبارته ٨٠ .

وقد صرح الشعراني في « اليواقيت » بوجوده ، والحال أنه هو الذي اطلع على عين الشريعة الأولى ذوقاً وكشفاً ويقيناً ، وأخذ الميزان عن الخضر عليه السلام كما صرح به في « ميزانه » . فينبغي لك أن تعلم أن كل ما يقوله الوهابية من عدم وجود الخضر والقطب . . وإلخ مردود ، ودلائلهم في ذلك مدفوع . فليراجع من أراد الإطلاع إلى الكتب ، والله ولي التوفيق .

والقطب كل مقدم قوم ، فما المانع من أن يكون في الأولياء أقدمهم في الولاية ، وأسبقهم في الدرجة ، فبأيِّ آية أو حديث تمنعان أن يكون في الناس رجلا بيده تدبير الأمور بإذن الله ، لا بالإستقلال بنفسه ، فإذا جاز أن يكون على الناس أمير وسلطان وعامل فكذلك يجوز هذا . فتدبّر أيّها الولد إن كلامك هذا ينبئ أنك تأخذ مذهب الإمام ابن تيمية ! ، وتلميذه ابن القيم الجوزية ؛ من أنهما أنكرا على وجود القطب وحياة الخضر عليه السلام . وقال به ابن الجوزي ، لكنه رجع عن ذلك . وإن أردت أن تدرك حقيقة ما قالوه وأجابه العلمآء في إثبات حياة الخضر ووجود القطب فراجع « المقالة الزينية » ، و« رسالة » علي القاري .

واعلم أيها الولد أن ما قاله ابن القيّم في « تلبيس إبليس » من إنكار الأولياء ؛ كالغزالي وغيره قد ردَّه أكابر العلماء ؛ كاليافعي في « نشر المحاسن » ، والشعراني في « اليواقيت » . . .وإلخ ، وإلخ . وأما ما قاله علي القاري من أنّ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كانا من أهل السنة كذا(١) من عدم رؤيته كتب ابن تيمية ، وما فيها من الحشو والشذوذ كما هو مذكور في « المقالات الزينية » . فافهم ، واطلب الحق من موضعه ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم .

وما قاله ابن الجوزي كان في ابتدآء أمره ولكن رجع عن ذلك في انتهاء حاله والله أعلم . وحرر . فإن اردت أن تعرف وجود الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال وغيرهم ممن يذكرهم الصوفية فراجع « الفتاوى » لابن حجر ، و« شواهد الحق » للنبهاني ، و« نشر المحاسن » لليافعي .

وقد ذكرت في خاتمة هذا الكتاب نقلاً عن الامام الشعراني ، والامام ابن حجر وغيرها عما اعترض عليه ابن الجوزي في كتابه « تلبيس إبليس » ، وابن تيمية في كتابه « الفرقان على أولياء الله تعالى » من تكفيرهم ، والطعن في عقائدهم . « شواهد » عبارته . راجعه ، ترى العجب .

ولعل ذلك وقع منه في بدء أمره ، أو دس عليه في ذلك المؤلَّف « البحر المورود » للإمام الشعراني ، وأين رتبة ابن الجوزي من رتبة معروف الكرخي . من « شواهد الحق » ٢٣٦ . راجعه ترى العجب . فالواجب عليك أيها الولد أن تنظر إلى كتب الصوفية ، وخاصة إلى « شواهد الحق » لتعرف الحق من الباطل ، والجواب عن كل ما قاله الوهابية من أتباع ابن تيمية ؛ من البدع ، والأمور الشاذة عن أهل السنة والجماعة . والسلام الحقير القحي . انتهى من خطه قدس سره ، وأفاض علينا من فيوضاته أمين .

---

(١) علّه : فذا .

وأقول بحمد الله تعالى وتوفيقه : قد علمت مما ذكره شيخنا المذكور القطب مقدم قوم ، ممد لأولياء زمانه . والدليل لوجودهم ما روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة ، فليناد : يا عباد الله احبسوا . فإن لله عز وجل في الأرض حاضراً سيحبسه » .

قلت حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه إذا انتفلتت له دابة أظنها بفلاة - وكان يعرف هذا الحديث - فقاله فحبسها الله عليهم في الحال . وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام . انتهى . راجع كتاب « الأذكار » للإمام النووي . ١٠٠ عبارته .

مهم

وفي كتاب « نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف » ما نصه : فالجواب أنه لا يخفى أن الاستغاثة به ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين هي عبارة عن سؤال الشفاعة من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج ، ودفع النوائب ، وتفريج الكرب ، والاخذ بالثأر ، ولا ريب أن كل من يناديهم من أمة محمد ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ولا يدعي للعبادة إلا الله ولا يفعل ما يراد ويمنح ما يطلب إلا الله . وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستغاثة بعباد الله فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي طاب ثراهما « إن رسول الله ﷺ أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاةٍ أن يقول : « يا عباد الله احبسوا » ، (ثلاث مرات) . وفي رواية أخرى : « وإذا أراد عوناً فليقل يا عباد الله أعينوني » . وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » وابن الجوز في « مثير الغرام » وابن البخاري بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلال ، قال : أتيت قبر النبي فزرته فجلست بحذائه ، وذكر نحو ما سيأتي إلى آخر ما ذكره فيه . راجعه في ٤ عبارته .

وفي « السراج المنير » ما عبارته : إن لله عباداً اختصَّهم بحوائج الناس؛ أي : بقضائها ، يفزع الناس إليهم في حوائجهم ، أي : يلتجئون إليهم ، ويستغيثون بهم على الحوادث ، أولئك الآمنون من عذاب الله ، أي : لقيامهم بحقوق خلقه . طب عن ابن عمر بن الخطاب . قال الشيخ : حديث صحيح لغيره . انتهى عبارته ٤٨٢ ج١ .

وعبارة ما ذكره الشيخ الحافظ ابن حجر في كتابه « الفتاوى الحديثية » : وسئل نفع الله به : ما عدة رجال الغيب ، وما الدليل على وجودهم ؟ فأجاب بقوله : رجال الغيب ، سمّوا بذلك لعدم معرفة أكثر الناس لهم ، رئيسهم قطب الغوث الفرد الجامع ، جعله الله دائراً في الآفاق الأربعة أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء . وقد ستر الله أحواله عن الخاصة والعامة غيرة عليه ، غير أنه يرى عالماً كجاهل ، وأبله كفطن ، وتاركاً آخذاً ، قريباً بعيداً ، سهلاً عسراً ، أمناً حذراً ، ومكانة من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها ، به يقع صلاح العالم . والأوتاد هم أربعة لا يطلع عليهم إلا الخاصة ؛ واحد باليمن ، وواحد بالشام وواحد بالمشرق ، وواحد بالمغرب . **والأبدال** وهم سبعة على الأصح . وقيل أربعة عشر ، كذا قاله اليافعي . وسيأتي حديث أنهم أربعون ، وحديث أنهم ثلاثون . وكل منها يفكر على قوله ، والأصح أنه سبعة . **والنقباء** وهم أربعون ، **والنجباء** وهم ثلثمائة .

فإذا مات القطب أبدل بخيار الأربعة ، أو أحد الأربعة أبدل بخيار السبعة ، أو أحد السبعة أبدل بخيار الأربعين ، أو أحد الأربعين أبدل بخيار الثلاثمائة ، أو أحد الثلاثمائة أبدل بخيار الصالحين .

فإذا أراد الله قيام الساعة أماتهم جميعاً ، وذلك أن الله تعالى يدفع عن عباده البلاء بهم ، وينزل بهم قطر السماء . وروى بعضهم عن الخضر أنه قال : ثلاثمائة هم الأولياء ، وسبعون هم النجباء ، وأربعون هم أوتاد الأرض ، وعشرة هم النقباء ، وسبعة هم العرفاء ، وثلاثة هم المختارون ، وواحد هم الغوث . وجاء عن علي كرّم الله وجهه . .

أنه قال : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعصائب بالعراق ، والنقباء بخرسان ، والأوتاد بسائر الأرض ، والخضر عليه السلام سيّد القوم . وفي حديث الإمام الرافعي أنه ﷺ قال : « إن لله في الأرض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم ، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى ، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل ، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ، وواحد قلبه على قلب إسرافيل ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلثمائة أبدل مكانه من العامة ، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة » .

قال اليافعي رضي الله عنه **:** قال بعض العارفين : والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب الغوث ، قال بعضهم : لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه في جملة الأنبياء والملائكة ، لأنه لم يخلق الله تعالى في عالم الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه ﷺ ، فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى الشمس . ولقد سمعت النجم الأصفهاني رضي الله تعالى عنه خلف مقام إبراهيم الخليل ﷺ يذكر : أن الخضر عليه السلام سأل الله عز وجل أن يقبضه عند ما يرفع القرآن .

والظاهر والله أعلم أن القطب وسائر الأولياء المعدودين ، وغيرهم من الموجودين في ذلك الوقت يطلبون الموت أيضاً حينئذ ، إذ ليس بعد رفع القرآن تطيب الحياة لأهل الخير ، بل لا يبقى في الأرض خير . وما ذكرته من حياة الخضر هو الذي قطع به الأولياء . ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين ، وقد اجتمع به وأخبر عنه من لا يحصى من الصديقين والأولياء في كل زمان ، بل والله لقد أخبروني أنه اجتمع بي وسألني عن شيء فأجبته ولم أعرفه ، لأنه لم يعرفه إلا صاحب استعداد ممن شاء الله .

ومبالغة ابن الجوزي في إنكار حياته غلوّ منه إذ هو إنكار للشمس ، وليس دونها حجاب ، بل كلام فيه متناقص ، لأنه روي في حياته أربع روايات بالأسانيد المتصلة عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، وكذلك إنكاره على أكابر الصوفية أشياء صدرت عن أحوال لا يعرفها ، وعلوم لا يدركها ولا يفهمها . والعجب منه أنه يحكي عنهم كلمات عظيمة يطرز بها كلامه ثم ينكرها عليهم في موضع آخر . انتهى كلام اليافعي ملخصاً .

والحديث الذي ذكره إن صح فيه فوائد خفية ، منها : أنه مخالف للعدد السابق قبله ، وقد يجاب بأن تلك الأعداد اصطلاح بدليل وقوع الخلاف في بعضهم كالأبدال فقد يكونون في ذلك العدد . نظروا إلى مراتب عبروا عنها بالأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد وغير ذلك مما مروا لحديث . نظر إلى مراتب أخرى والكل متفقون على وجود تلك الأعداد . ومنها : أنه تقتضي أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، والذي دل عليه كلام أهل السنة والجماعة ، إلاّ من شذ منهم أن الأنبياء أفضل من جميع الملائكة . ومنها : أنه يقتضي أن ميكائيل أفضل من جبرائيل ، والمشهور خلافه ، وأن إسرافيل أفضل منهما ، وهو كذلك بالنسبة لميكائيل ، وإما بالنسبة لجبريل ففيه خلاف . والأدلة فيه متكافئة ، فقيل : جبريل أفضل لأنه صاحب سرِّ المخصوص بالرسالة إلى الأنبياء والرسل ، والقائم بخدمتهم وتربيتهم . وقيل : إسرافيل ، لأنه صاحب سرّ الخلائق أجمعين ، إذ اللوح المحفوظ في جبهته لا يطلع عليه غيره ، وجبريل وغيره إنما يتلقون ما فيه عنه ، وهو صاحب الصور القائم ملتقماً له ينتظر الساعة والأمر به لينفخ فيه ، فيموت كل شيء إلا من استثنى الله ، ثم بعد أربعين سنة يؤمر بالنفخ فيحيون ، ثم يبعثون .

واعلم أن هذا الحديث لم أر من خرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم ، لكن وردت أحاديث تؤيد كثيراً مما فيه منها حديث أبي

نعيم في « الحلية » : « خيار أمتي كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون ، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال ، كلما مات منهم رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه ، وأدخله في الأربعين مكانه ، يعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون لمن أساء إليهم ، ويتساقون فيما أتاهم الله ، وهم في الأرض كلها » . ومنها حديث أحمد : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » . ولا تخالف بين الحديثين في عدد الأبدال ، لأنّ البدل له اطلاقات ، كما يعلم من الأحاديث الآتية في تخالف علاماتهم وصفاتهم ، أو أنهم قد يكونون في زمان أربعين وفي آخر ثلاثين . لكن يعكر على هذا رواية « ولا الأربعون كلما مات رجل » . . . إلخ . والرواية الآتية « وهم أربعون كلما مات » . . . الخ .

ومنها حديث الطبراني : « إن الأبدال في أمتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض وبهم يمطرون وبهم ينصرون » . وحديث ابن عساكر « إن الأبدال بالشام يكونون وهم أربعون رجلاً ، بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ، يصرف بهم عن أهل الأرض البلاء والغرق » . ومنها حديث الطبراني « الأبدال في أهل الشام ، وبهم تنصرون وبهم ترزقون » . ومنها حديث أحمد « الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً تسقون بهم الغيث وتنصرون بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » . ومنها حديث الجلال الذي رواه في « كرامات الأولياء الديلمي » أيضاً « الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة » . ومنها خبر الحاكم عن عطاء مرسلاً : « الأبدال من الموالي » . ومنها خبر ابن أبي الدنيا مرسلاً « علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً » ورفعه معضل . ومنها خبر ابن حبان « لا تخلو الأرض من ثلاثين وثمانين مثل إبراهيم خليل الرحمن ، بهم تغاثون

وبهم ترزقون وبهم تمطرون » . ومنها خبر البيهقي « إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بأعمالهم ، ولكن إنما دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدر ورحمة لجميع المسلمين » . ومنها خبر الطبراني في الأوسط « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن ، بهم تسقون وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحدٌ إلا أبدل الله مكانه آخر » . ومنها خبر ابن عدي في « كامله » « البدلاء أربعون واثنان ، وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات أحد منهم أبدل الله مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة » . ومنها خبر أبي نعيم في « الحلية » أيضاً : « لا يزال الأربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم ، يدفع بِهِمْ عن أهل الأرض ، يقال لهم الأبدال أنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة » قال ابن مسعود رواية : فبِمَ أدركوها يا رسول الله ! قال « بالسخاء والنصيحة للمسلمين .

ومما جاء في القطب كما قال بعض المحدثين خبر أبي نعيم في « الحلية » : « إن لله تعالى عند كل بدعة كيد بها الإسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه ويتكلم بعلاماته ، فاغتنموا حضور تلك المجالس بالذب عن الضعفاء ، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً » . ومما جاء في جميع من ذكر وغيرهم حديث الترمذي والحكيم وأبي نعيم « في كل قرن من أمتي سابقون » ، وحديث أبي نعيم « لكل قرن من أمتي » ، والحديث المشهور« يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . والحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما من طرق كثيرة « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » وفي رواية لهما « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » . وفي أخرى لابن ماجه « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق قوَّامة على أمر الله لا يضرُّها مَنْ خالفها » . وفي أخرى لابن ماجه « لا تزال

طائفة من أمتي منصورون لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة » ، وفي أخرى لمسلم وأحمد « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى بن مريم ، فيقول أميرهم : تعال صل بنا ، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمير تكرمة من الله لهذه الأمة .

تنبيه

قال يزيد بن هارون : الأبدال هم أهل العلم ، أي : النافع الذي هو علم الظاهر والباطن لا علم الظاهر وحده . وقال الإمام أحمد ﷺ : إن لم يكونوا أصحاب الحديث ، فمن هم ! ؟ ومراده بأصحاب الحديث من هو مثله ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن ، وأحاط بالأحكام والحكم والمعارف والمكامن ، كالأئمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة ونظرائهم ، فإن هؤلاء أخيار الأبدال والنجباء والأوتاد ، فاحذر تسيء ظنك بأحد من مثل أولئك ويسوّل لك الشيطان ، ومن استولّى عليه ممن لم يهتد بنور العلم أن أئمة الفقهاء والمجتهدين لم يبلغوا تلك المراتب ، **وقد اتفقوا على أن الشافعي ﷺ كان من الأوتاد** . وفي رواية أنه تقطب قبل موته ، وكذلك جاء هذا عن بعض تابعيه من الفقهاء ، وكالإمام النووي وغيره .

وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن الكتاني أنه قال : النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون ، والبدلاء أربعون ، والأخيار سبعة والعمد أربع ، والغوث واحد ، فمسكن النقباء المغرب ، ومسكن النجباء بمصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد زوايات الأرض ، ومسكن الغوث مكة . فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العمد ، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث ، فلا يتم مسألة حتى تجاب

دعوته . انتهى . وفيه تأييد لبعض ما مرّ ومخالفة له . وذلك كله يبين أن تلك الأعداد ترجع إلى الاصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح . انتهى عبارته ٢٣٢ .

وأمّا تعريف القطب وسائر الأولياء فقالوا : إن الأقطاب كثيرة ، فإن كل مقدم قوم هو قطبهم . **وأمّا القطب** الغوث الفرد الجامع فهو واحد ، وذلك أن نقبائهم ثلثمائة ، وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، ولهم عشرة أعمال : أربعة ظاهرة ، وستة باطنة . فأمّا الأربعة الظاهرة فكثرة العبادة ، والتحقق بالزهادة ، والتجرد عن الإرادة ، وقوة المجاهدة . وأمّا الباطنة فهي التوبة ، والإنابة ، والمحاسبة ، والتفكر ، والاعتصام ، والرياضة . **وأمّا النجباء** فأربعون ، وقيل : سبعون ، وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق ، فلا ينظرون إلا في الحق . ولهم ثمانية أحمال : أربعة باطنة ، وأربعة ظاهرة . فأمّا الظاهرة ، فهي الفتوة ، والتواضع ، والأدب ، وكثرة العبادة . وأما الباطنة ، فالصبر ، والرضا ، والشكر ، والحياء . وهم أهل مكارم الأخلاق والعرفان .

وأمّا الأبدال ! فسبعة رجال : وهم أهل فَضْل وكمال ، واستقامة واعتدال ، قد تخلصوا من الوهم والخيال ، ولهم أًربعة أعمال باطنة ، وأربعة ظاهرة . فأما الظاهرة فالصمت ، والسهر ، والجوع ، والعزلة . ولكل من هذه الأربعة ظاهر وباطن . أما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله ، وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأخيار . وأما السهر ، فظاهره هدم النوم ، وأما باطنه فعدم الغفلة . وأما الجوع ، فظاهره جوع الأبرار لكمال السلوك ، وباطنه جوع المقربين لموارد الأنس . وأما العزلة ، فظاهرها ترك المخالطة للناس ، وباطنها ترك الأنس بهم . وأما الأعمال الباطنة ، فهي التجرّد والتفريد والجمع والتوحيد . ومن خواص الأبدال ؛ من سافر من القوم من موضعه وتراك جسداً على صورته فذلك هو البدل لا الغير . والبدل على قلب إبراهيم

عليه السلام . وهؤلاء الأبدال لهم إمامٌ مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به وهو قطبهم . **وأما الأوتاد!** فهم عبارة عن أربعة رجال، منازلهم أربعة أركان العالم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً . ومقام كل واحد منهم تلك الجهة ، ولهم ثمانية أعمال : أربعة ظاهرة ، وأربعة باطنة . فأما الظاهرة فكثرة الصيام ، وقيام الليل والناس نيام ، وكثرة الامتثال ، والاستغفار بالأسحار . وأما الباطنة ! فالتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم . ولهم واحد منهم قطبهم .

وأما الإمامان! فهما شخصان ، أحدهما عن يمين القطب ، والآخر عن شماله ، فالذي عن يمينه ينظر في الملكوت وهو أعلى من صاحبه ، وهو مرآة ما يتوجه من المركز القطبيّ إلى العالم الروحاني من الإمدادات التي هي مادة الوجود والبقاء ، وهذا مرآة لا محالة . والذي عن شماله ينظر في الملك[١] ، وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية ، وهذا مرآة كذلك . وصاحب اليمين هو الذي يخلف القطب . ولهما أربعة أعمال باطنة ، وأربعة ظاهرة . فأما الظاهرة ؛ فالزهد ، والورع ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وأما الباطنة ؛ فالصدق ، والإخلاص ، والمراقبة .

وأمّا الغوث! فهو عبارة عن قطب عظيم . ورجل عزيز ، وسيّد كريم ، تحتاج إليه الناس عند الاضطرار في تبيين ما خفي من الأمور المهمة والأسرار ، ويطلب منه الدعاء ، ولو أقسم على الله لأبرّه في قسمه مثل أويس القرني في زمان رسول الله ﷺ . ولا يكون القطب قطباً حتى تجتمع فيه هذه الصفات التي اجتمعت في هؤلاء الذين تقدم ذكرهم .

---

(١) **أي** : في عالم الشهادة .(**هامش الأصل**) .

اعلم أنّ القطب وقد يسمّى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه ، هو عبارة عن الفرد الجامع الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون والأعيان الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعم وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام من حيث حصة الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته . وحكم جبريل عليه السلام فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية . وحكم ميكائيل عليه السلام فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ، وحكم عزرائيل عليه السلام كحكم القوة الدافعة فيها .

فالقطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب ، وهو باطن نبوّة محمد ﷺ ، فلا تكون إلا لورثته ، لاختصاصه عليها بالأكملية ، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن ختم النبوَّة . قال بعض العارفين في طريق الشيخ الأكبر : ولها ترق وهو أن يترقى فيها المريد من البداية إلى القطبيَّة ، وذلك غاية ما يكون في العلو ، لأن قلب القطب دائماً يطوف بحضرة الحق كما يطوف الناس بالبيت الحرام . فهو يرى بقلبه الحق تعالى في كل وجهة ومن كل جهة ، كما يستقبل الناس البيت ويرونه ، إذ هو متلق عن الحق جميع ما يقضيه على الخلق ، وهو بجسده حيثما أراد الله من الأرض ، فأكمل البلاد البلد الحرام ، وأكمل البيوت البيت الحرام ، وأكمل الخلق في كل عصر القطب . فالبلد نظير جسده والبيت نظير قلبه . فالأفراد هم الرجال الخارجون عن نظر القطب ، وهم أكمل أهل الأرض والأمناء الملامية ، وهم الذين لم يظهر مما في بواطنهم أثر على ظواهرهم ، وتلامذتهم في مقامات أهل الفتوة . قال صاحب « العوارف الملاميّ » :

هو الذي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً . وذلك أن الملامي تشربت عروقه طعم الإخلاص والحب ، وتحقق بالفتوة والصدق . فلا يحبّ أن يطلع أحد على حاله وأعماله .

والنقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وتحققوا باسم الباطن ، فأشرفوا على باطن الناس ، فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر . وهم ثلاثة أقسام : نفوس علية وهي الحقائق الأمرية ، ونفوس سفلية وهي الخلقية ، ونفوس وسطية وهي الحقائق الإنسانية ، وللحق تعالى في كل منها أمانة منطوية على أسرار إلهية وكونية ، وهم ثلثمائة .

اعلم أن الأولياء لهم أربعة مقامات : الأول مقام خلافة النبوة . والثاني مقام خلافة الرسالة . والثالث مقام خلافة أولي العزم . والرابع مقام خلافة أولي الاصطفاء . فمقام خلافة النبوة للعلماء ، ومقام خلافة الرسالة للأبدال ، ومقام خلافة أولي العزم للأوتاد ، ومقام خلافة أولي الاصطفاء للأقطاب . فمن الأولياء من يقوم في عالم مقام الأنبياء ، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل ، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي العزم ، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي الاصطفاء . ومعنى الوليّ على وجهين : الأوّل من ثبت له ولاية التصرف على مصلحة دينية . والثاني من ليس له ولاية التصرف بالفعل ، بل ثبت له ولاية التصرف بالقوة .

فإن قيل : كيف يكون ولياً وليس له ولاية التصرف ؟ الجواب : يجوز أن يكون ولياً على معنى أن الله تعالى قد تولى وتصرف بجميع أموره ، وهذا الوليُّ وليّ بالقوَّة ، إن سمع فبالحق يسمع ، وإن أبصر فبالحق يبصر ، وإن نطق فبالحق ينطق ، فهو في عالم المحبوبية ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى : « كنت له سمعاً وبصراً » ، وهذا الوليّ لا يصلح أن يكون مربّياً للخلق ، لأنه في قبضة الله تعالى مسلوب الاختيار عن

نفسه ، وإذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربّياً للغير ، لأن التصرف في غيره يستدعي ولاية التصرف في نفسه . وهذا الوليّ مجذوب في نفسه مسلوب التصرف في نفسه فكان مسلوب التصرف في غيره . ألا ترى في عرف الشرع أن من ثبت له الولاية على نفسه ثبت له الولاية على غيره .

والطفل والصبي والمجنون لما لم يثبت له الولاية على نفسه لم يثبت له الولاية على غيره ، والمجذوب في قبضته تعالى بمنزلة الصبي الرضيع تتصرف فيه يد القدرة كتصرف الوالدة في ولدها ، فهو في حجر تربية المحبوبية يرضع بلبن كرم الربوبية ، وهم أطفال ، ويقول فيهم : قديريون في حجر تربية إرادتنا يرضعون بلبن كرمنا .

فأمّا الوليّ السالك فيصلح أن يكون مربياً ، فهو تام التصرف والتدبير على نفسه وغيره . وهذا أولى بالفعل لأنه بمنزلة البالغ الذي ثبت له الولاية على نفسه ، ومن له الولاية على نفسه جاز الولاية على غيره . وإذا جاز ذلك في عرف الشرع جاز في عرف الحقيقة ، فإن الحقيقة على وزن الشريعة ، والتفرقة بينهما كفر . فمثال المجذوب في مقام المحبوبية ، كمثل من سلك به طريق مشدودَ العيْن فهو لا يرى موضع قدمه ولا أين يذهب ، فإن الرجل إذا قطع المسافة ووصل إلى مراده وسئل عن منزلة من المنازل لم يكن عنده علم ولا خبر . وكما أن هذا الرجل لا يصلح أن يكون دليلاً في طريق البادية ، فكذلك المجذوب لا يصلح أن يكون دليلاً في طريق الآخرة . انتهى عبارته . راجع « جامع أصول الأولياء » في ٥ .

وفي « اليواقت » ما نصه : والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم ، فإن أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله ، لا على وجه الافتخار ، **لا تطوي له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ، ولا يأكل من غير سبب ، ولا يطرأ عليه شيء من**

خرق العوائد إلا في النادر ، لأمر يراه الحق تعالى فيفعله بإذن الله من غير أن يكون مطلوباً له ، وكذلك من شأنه أن يجوع اضطراراً لا اختياراً و يصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية في شيء أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وإنما يرغب فيه لمجرد الشهوة ، وإحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع ، فنكاحه لمجرّد اللذة كنكاح أهل الجنة . وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن إحساسه فهو قهر لذيذ ، وذلك من خصائص الأنبياء . ولعلوّ مراقي هذا المقام جهله أكثر الأولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الإكثار منها . انتهى عبارته ٢٢٧ ج٢ .

فإن قيل : هل يكون محل إقامة القطب بمكة ، كما هو مشهور ؟ فالجواب : هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه . ومن شأنه الخفاء ، فتارة يكون حداداً وتارة تاجراً ، وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم . انتهى عبارته ٢٣٠ .

واعلم أن لكل بلد أو قرية أو أقليم قطباً غير الغوث يحفظ الله تلك الجهة ، سواء كان أهلها مؤمنين أو كفاراً ، وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم ، لا بدّ لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه . قال الشيخ : قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها ، وهو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الأندلس وصحبته زماناً طويلاً ، وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس ، وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار ، عليّ أن أستره عن الحاضرين ففعلت . انتهى منه عبارته ٢٣٠ .

وقال الشيخ أيضاً في الباب الخامس عشر : اعلم أن لكل بدل من الأبدال السبعة قدرة تمدّ من روحانية الأنبياء الكائنين في السموات ، فينزل مدد كل بَدَلٍ من حقيقة صاحبه الذي في السماء ، قال : وكذلك أمداد الأيام السبعة تتنزل من هؤلاء الأبدال ، لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل . فإن قلت : هل يزيد الأبدال وينقصون بحسب الشؤن التي يبدلها الحق تعالى ، أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون ؟ فالجواب : هم سبعة ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وبهم يحفظ الله الأقاليم السبعة . ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة .

فإن قلت : فلِمَ سمّوا أبدالاً ؟ فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين : أنهم سمُّوا أبدالاً لأنّ كل واحد منهم إذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي أنه ذلك البدل . فإن قلت : فهل ترتيب الأقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الأول بالسماء السابعة ، والثاني بالسماء السادسة ، وهكذا ؟ فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة : نعم يكون روحانية كل إقليم مرتبطة بالسماء المشاكلة ، فالإقليم الأول للسماء السابعة ، وهكذا .

وإيضاح ذلك أن تعلم يا أخي أن الله تعالى جعل هذه الأرض التي نحن عليه سبعة أقاليم ، واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال ، وجعل لكل بدلٍ إقليماً يمسك الله وجود ذلك الإقليم به . فالإقليم الأوّل ينزل الأمر إليه من المساء الأولى التي هي السابعة ، وينظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل إبراهيم عليه السلام . والإقليم الثاني ينزل الأمر إليه من السماء الثانية وينزل إليه روحانية كوكبها الأعظم ، والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام . والإقليم الثالث ينزل إليه الأمر الإلهي من السماء

الثالثة وينظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه على قلب هارون ويحيى بتأييد محمد ﷺ . والإقليم الرابع ينزل إليه الأمر والنهي الإلهي من السماء الرابعة قلب الأفلاك كلها وينظر إليه روحانية كوكبها الأعظم ، والبدل الذي يحفظه على قلب إدريس عليه السلام ، وهو القطب الذي لم يمت إلى الآن ، والأقطاب فينا نوابه كما مرّ . والإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة وينظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظ الله به هذا الإقليم على قلب يوسف عليه السلام بتأييد محمد ﷺ . والإقليم السادس ينزل إليه الأمر من السماء السادسة وينظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيى عليهما السلام . والإقليم السابع ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا وينظر إليه روحانية كوكبها ، والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام .

قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك ، فسلمت عليهم وسلّموا عليّ ، تحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتاً ولا أكثر شغلاً منهم بالله عز وجل ، وما رأيت مثلهم الاسقيط الرفرف بن ساقط العرش بقرينة ، وكان فارسياً رضي الله عنه . وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الأولياء في الباب الثالث والسبعين من « الفتوحات » فراجعه والله أعلم . انتهى عبارته ٢٣١ ج٢ . وفيه أيضاً ما عبارته : قال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة : اعلم أن بالطقب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد ، وبالإمامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة ؛ وهو ما أدركه الحس . وبالأوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب . وبالأبدال يحفظ الله الأقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله جميع هؤلاء ، لأنه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله . فمن علم هذا الأمر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ، ونظيره من الطب علم تقويم الصحة . انتهى ٢٣٠ .

وفي « السراج المنير » من الجزء الثاني لما نصّه : إن لله عباداً يضنّ بهم عن القتل ويطيل أعمارهم في حسن العمل ، ويحسن أرزاقهم ويحيهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش ، فيعطيهم منازل الشهداء ، « طب » عن ابن مسعود قال الشيخ : حديث حسن . انتهى راجعه في ٧ . ومعنى إطالة أعمارهم : إرادة ذلك ، لعلمه بأنهم من أحبابه الخاصة الذين جاهدوا أنفسهم واستمرّوا في المراقبة ، فلهم مراتب الشهداء . انتهى . « حفني » عبارته . وفي « السراج » أيضاً ما عبارته : إن لله ضنائن من خلقه يغذوهم في رحمة يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافية ، وإذا توفاهم إلى جنته ، أولئك الذين تمرُّ عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية ، أي : لم يدخلوا أنفسهم فيها ، لأنهم لما جادوا بأنفسهم على ربهم جاد عليهم بحفظهم من بلاء ، وبعثهم إلى درجات الشهداء في الجنة . « طب حل » عن ابن عمر بن الخطاب ، قال الشيخ : حديث حسن . انتهى عبارته ٧ ج ٢ . أي : جماعة اختصهم من خلقه ومنع عنهم كلما يحجبهم عنه تعالى ، فهم مع الخلق بالظاهر وقلوبهم مع الله تعالى وإن خالطوا الناس وعاملوهم ، ولذا قال صوفيّ لفقيه : إن لله عباد يخوضون في الفتن ولم يصب لهم منها شيء ، فقال الفقيه : إني لم أفهم ذلك ! فقال الصوفي : أضرب لك مثالاً ، ألا ترى أن جهنم فيها ملائكة يعذبون أهلها وهم محفوظون من عذابها ؟ ! فقال : صدقت . « حفني » عبارته .

فائدة

سألت شيخنا القحي - قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته- عن معنى كون الأولياء على أقدام الأنبياء ، وكتبت إليه بذلك . فكتب الجواب ما عبارته : وأما ما كتبت في كون الأولياء على أقدام الأنبياء معناه : أن في كل نبوّة ولاية ، فمن تجلى الله تعالى له بالأفعال يقال

له إنه على قدم ولاية آدم ومشربه أدميّ ، ومن تجلَّى الله تعالى له بالصفات الثبوتية يقال له إنه على قدم ولاية نوح وإبراهيم ، وأنه إبراهيمي المشرب ، وإلخ . . . ، ومن تجلَّى الله تعالى له بالشؤونات الذاتية يقال له أنه تحت قدم ولاية موسوي المشرب ، ومن تجلَّى الله تعالى له بالصفات السلبية يقال له إنه على قدم ولاية عيسى ، وإنه عيسويّ المشرب ، ومن تجلى الله تعالى له بالشأن الجامع يقال له إنه تحت قدم ولاية محمد عليه وعلى جميعهم الصلاة والسلام ، وإنه محمدي المشرب . وسمعته قدس سره يقول : إن القطب يكون محمدي المشرب ، ورأيت كذلك في « لطائف المنن » للإمام الشعراني .

وفي « جواهر المعاني » للشيخ العارف الواصل علي حرازم ابن العربي المغربي الفاسي قدس سره ما نصّه هذا : وسألته ﵁ عن حقيقة القطبانية ، فأجاب ﵁ بقوله : اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً ، حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى ، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق ، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتولّيه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كلِّ قسمة إلى محلها ، ثم قيامه في الوجود بروحانية في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً ، فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها ، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ، وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها ، ثم تصرُّفه في مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم ، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها ، وله الاختصاص بالسر المكتوم في الذي لا مطمع لأحد في دركه ، والسلام .

ومعنى البرزخية العظمى قيامه بين الحق والخلق بالنيابة عن الحقيقة المحمدية ، واختصاصه أيضاً بالتحقق بأمر الله في كل مرتبة من مراتب الوجود وإعطائه لكل مرتبة من المراتب حقيقة أو خلقية حقها بما تستحقه من الآداب ، وليس هذا لغيره من العارفين ، ولا لمفاتيح الكنوز فهو في جميع هذه الأمور خليفة النبي ﷺ دون جميع الأولياء . وجملة ما فيه أنه في جميع مراتبه في حضرة الحق نسبته عند الله إلى جميع الوجود من العارفين ومن ورائهم بمنزلة إنسان العين من العين ، به يرحم الوجود وبه يفيض الإفادة على جميع الوجود ، وبه يبقى الوجود في حجاب الرحمة واللطف ، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وسحابة ماطرة في سائر البلاد ، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يمدّ الله به العلوية والسفلية ، ذاته مِرْآة مجردة يشهد كل قاصد فيها مقصده ، حضرته صباغة تصبغ كلّ من أم له فيما توجه إليه ، وأمله ما شهدته الأولياء الصادقون ، كل واحد منهم في قوته قوّة مائة رجل . .إلخ ، فيه خلعة عليك ، وما نسبته إليه صيّره إليك . وإياك أن تحرم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت ، من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه ، المتسوّف من بضاعة الزمان ممتد بمدد رزق الأوان . ومن أنكر وأكثر المراء فقد منع نفسه الشراء ، ورضي الله عن هذا الإمام وحشرنا في زمرة هذا الهمام بجاه خير الأنام ، عليه من الله في كل لمحة أفضل الصلاة وأزكى السلام . انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه .

ثم قال رضي الله عنه : اعلم أن الأولياء الصادقين كل واحد منهم في قوته مائة رجل ، والعارفون بالله أهل عالم الملك ، كل واحد منهم في قوته ثلثمائة رجل ، وأهل عالم الملكوت لكل واحد منهم قوة خمسمائة رجل ، وأهل عالم الجبروت لكل واحد منهم قوة سبعمائة رجل ، وقوة كل واحد منهم ، أي : من أهل عالم الأمر قوة ألف رجل ، وقوة قطب الأقطاب ألف وخمسمائة رجل ، وقوة الأفراد الأربعة سبعمائة رجل ، وقوة مفاتيح الكنوز قوة كل واحد منهم ألفي رجل . انتهى .

معنى عالم الملك والملكوت والجبروت وعالم الأمر

ومعنى عالم الملك والملكوت والجبروت وعالم الأمر ، أما عالم الملك فهو من السماء إلى الأرض ، وعالم الملكوت هو من السماء الأولى إلى السماء السابعة ، وعالم الجبروت هو من السماء السابعة إلى الكرسي ، وعالم الأمر هو من الكرسي إلى العرش إلى ما ورائه . فمعنى الملك هو عالم الناسوت ، وهو شدة الكثافة وهو التجلي بالأجسام الكثيفة ، والملكوت عالم الأنوار وهو التجلي بصور الأجسام اللطيفة . والجبروت عالم الأسرار وهو التجلي بصور الأجسام القدسية من الكروبيين ومن ضاهاهم . وعالم الأمر هو التجلي بصور الروحانية القدسية المنزهة عن المادة والطبيعة ، فكل عالم تجلّى فيه بنسبة من نسب الحضرة الإلهية . انتهى ما أملأه علينا ﵁ ، وأدام علاه . آمين .

ثم قال ﵁ **:** الأصل في كل ذرة في الكون هي مرتبة للحق سبحانه وتعالى ، يتجلى فيها بما شاء من أفعاله وأحكامه ، والخلق كلهم مظاهر أحكامه وكمالات ألوهية . ويستوي في هذا الميدان الحيوان والجمادات والأدمي وغيره ، ولا فرق في الأدميّ بين المؤمن والكافر ، فإنهما مستويان في هذا البساط ، ويكون على هذا الأصل في الكافر التعظيم ، لأنه مرتبة من مراتب الحق ، والإذلال والإهانة والصولة عليه للمؤمن من أحكام طارئة عليه لا تهدم قواعد الأصل ، لأن الأصل لا ينهدم والأحكام الطارئة عوارض ، والمرجع في ذلك للأصل لا للعوارض . وكمال العلم فيه أن يعظم لأنه مرتبة للحق تجلى فيه بأحكامه ولكن يعظم باطناً ، ويهان ويذل ويقاتل ظاهراً . لأن ذلك حكم الشرع والحكمة . وهذا الأمر في نظر العارفين فقط لا في بساط الشريعة ، وإلى هذه الإشارة بقوله ﷺ « لا تعلو على الله في بلاده وعباده » فإن من علا على العباد علا الله وتكبر عليه .

وتحقيق ما في هذا الحديث هو ما قلناه أولاً ؛ وهو أن جميع المخلوقات مراتب للحق ، يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام فيه خلقه لا يعارض في شيء . ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهراً لا باطناً ، ولا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الفصل والوصل . فإن الوجود عيناً وحدة لا تجزي فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ، ووحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص ، وهي المعبر عنها عند العارفين بأن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة . فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عيناً وحدة على كثرته ، ومن نظر إلى عين الوحدة نظره متكثراً بما لا غاية له من الكثرة ، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب ، وهذا لمن عاين الوحدة ذوقاً لا رسماً ، وهذا خارج عن القال ، ومعنى الوصل والفصل فالوحدة هي الوصل والكثرة هي الفصل . انتهى .

ثم وراء هذه الحقيقة تجلى لهم فيهم بظهور حجاب كثيف غطى عليهم في ذواتهم ، رؤية فعله وتحريكه وتسكينه ورؤية قيامه لهم فيما أراد ، وأعطاهم بحسب هذا التجلي والحجاب رؤية استبدادهم بالتغلب والتصرف حيث شاؤا كيف شاؤا بلا واسطة مانع ولا حجر عن الجولان في هذا الميدان ، يرون أن لا فاعل فيهم غيرهم ، ولا يحرّك لهم سواهم ، ولا دافع لهم في اختيارهم في نفوسهم . وعلى هذا التجلي والحجاب وقعت الشرائع وبعثت الرسل مبشرين ومنذرين ، وثبتت الأحكام والحدود ، وطوّق في أعناقهم ربقة التكليف بالأمر الإلهي أمراً ونهياً ، وفعلاً وتركاً ، وطاعة ومعصية ، وجوباً وتحريماً ، ورتب على ذلك ثبوت الجزاء في المآل نعيماً وعذاباً ، وتوبيخاً وعتاباً ، وحمداً وثناء . وهذا التجلي والحجاب هو الذي بسط عليه الحكمة والشريعة . انتهى ما أملأه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه . انتهى عبارته ٧٦ ج٢ .

وفيه أيضاً ما نصه في حق دائرة العارف : وسألته ﷺ في دائرة العارف ، فأجاب ﷺ بما نصه : قال : اتساع دائرة العارف إذا رفع إلى محل القرب إن لله تعالى صفة السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة ، كلّ صفة من هذه تحيط بجميع الوجود في آن واحد ، لا يختلف عليها اختلاط الوجود بذواته أو بألفاظه أو بحركاته ، فإنه يميز كل فرد من ذلك على حدته تمييزاً لا يختلط بغيره ، لا في سمعه ولا في بصره ولا في صفة من باقي صفاته ، وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب يصير سمعه يسمع كسماع الحق باتساع دائرته فإنه في ضيق الدائرة لا يحمل إلا فراداً واحداً من كلّ شيء ، لا في الألفاظ ولا في الذوات ولا في الحركات ، لضيق دائرته ووعائه .

فإذا ارتفع إلى محل القرب اتسعت دائرته باتساع معروفه ، فحمل من الأكوان في الآن الواحد من الحركات والذوات والألفاظ ضرباً ما وسعه معروفه ، فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد ، ولا تختلط عليه ذوات الوجود في الآن الواحد ، ولا تختلط عليه حركات الوجود في الآن الواحد سمعاً وبصراً . وهكذا في قوله ويده التي يبطش بها ، فإن بطشه يتسع باتساع القدرة الأزلية ، يقدر مثلاً على أن يقوم الأرض كلها في طرفة عين . وهكذا رجله التي يمشي بها ، فإنه يقدر على أن يمشي الوجود برجله في طرفة عين ، وهذا معنى الحديث « كنت سمعه » . .إلخ . ومعنى الرواية الأخرى « كنته » ، معناه كنت نائباً عنه في جميع صفاتي ، ومعناه يسمع بسمع الحق ، ويرى ببصر الحق إلى آخر ما تقدم . انتهى من إملائه ﷺ وأرضاه .

وسألته ﷺ عن المعرفة بالله تعالى ، فأجاب ﷺ بقوله : المعرفة الحقيقة أخذ الله للعبد أخذاً لا يعرف له أصلاً ولا فصلاً ولا سبباً ، ولا يتعلق فيه كيفية مخصوصة ، ولا يبقى له شعور بحسِّه وشواهده وممحواته ومشيئته وإرادته ، بل تقع عن تجلى إلهي ليس له بداية

ولا غاية ، ولا يوقف له حدّ ولا نهاية ، ومحق العبد محقاً لا يبقى له شعور بشيء ولا بعدم شعوره ولا بمحقه ، ولا يميز أصلاً من فرعه ولا عكسه ، بل لا يعقل إلا من حيث الحق بالحق في الحق عن الحق ، فهذه المعرفة الحقيقية . ثم يفيض عليه من أنوار قدسه فيضاً يعطيه كمال التمييز والتفصيل بين المراتب وخواصها ، وما تعطيه حقائقها في جميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها ، وتفصيل الصفات والأسماء ومراتب آثارها ومعارفها وعلومها . وهذا التمييز يسمى بالبقاء التام والصحو الكامل . والأصل الأول يسمى بالفناء التام والصحو الكامل ، ولا قيام لهذا البقاء إلا بفناء الفناء الأول على أصله وقاعدته ، ومتى انهدم الأول انهدم الثاني ، والسلام . انتهى ما املأه علينا رضي الله عنه . فمن تجلى بهذا الوصف المتقدم صح له الظهور في الخلق والتقدم عليه ، وإليه يلقى المريد نفسه ، ويقتفي آثاره ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ومعارضته ولو بقلبه . فإذا فعل هذا سأل من محض فضل الله وكرمه بإظهار فقره ولسان ذلّه وبجاه حبيبه ونبيّه أن يرحمه بالفتح الأكبر على يد قدوته . ومن لم يطلب الفتح من أبوابه طرد ولم ينتفع بأسبابه قال سيّدنا رضي الله عنه :

قاعدة

اعلم أن الفتح والوصول إلى الله في حضرة المعارف لا يبعثه الله تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص كإذن الرسالة ، ومتى فقد الإذن الخاص لم يوجد من الله فتح ولا وصول ، وليس لصاحبه إلا التعب . ومن تعلق بمطالعة كتب التصوّف ، وسار إلى الله بالنقل منها والأخذ عنها والرجوع إليه والتعويل عليها ليس له من سيره إلا التعب ، ولا يحصل له من الله شيء ، نعني من الوصول إلى حضرة المعارف والاختصاص ، وأما الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه . انتهى عبارته ٧٩ ج٢ .

وفيه في موضع آخر ما حاصله : إنَّ التجلي بالأسماء الإلهية يكون لكل عارف على قدر مرتبته . والفرد الجامع هو المحيط بجميع ذلك ، والعارف يرى في نفسه أن ليس ثمَّ غيره يتجلى بتلك الأسماء والصفات إلا هو ، وهكذا لكل عارف لكنّه يعلم أن ذلك من إفاضة القطب عليه ، إذ لو أراد القطب إمساكه لأمسكه عنه . وكل عارف على قدر مرتبته في هذا الميدان إلا القطب الجامع ، فإنه محيط بجميع المراتب أياً كان ، حتى مراتب الملائكة ، وله وراء ذلك من التجلي بالأسماء والصفات التي يطلبها الكون بقدر ما شاء الله ، لا نهاية له في أسمائه وصفاته . وكل عارف يرى الوجود دخلاً تحت مشيئته موجوداً بقدرته حياً بحياته كل على قدر مرتبته إلا الفرد الجامع ، فله جميع المراتب ، وله الاستيلاء على جميع المراتب ، وله الذوق في جميع المراتب ، وله الإحاطة الشاملة في جميع المراتب ، وله المنع والعطاء في جميع المراتب . انتهى راجعه في ٨٩ ج٢ .

الفريد الثاني عشر

في الجواب عن قوله : لا يعلم الغيب إلا الله

الجواب : أنه حقٌ صادق لكن ليس ذلك على الإطلاق ، بل من علّمه الله يعلمه ، فإن أرباب النفس المطمئنة يرون الأشياء قبل وقوعها كما هي . وقد سمعت شيخنا قطب الإرشاد الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : إني لم أر في المنام رؤيا لها تأويل بعد أن دخلت وسلكت في الطريقة ، ولا أرى إلا عين ما سيقع . وقال مرة : إني رأيت القتال قد وقع وأظن أنه سيقع ، لأني لا أرى إلا عيْن ما يقع ، فوقع القتال بعد حين ، كما قال . ورأينا منه أمثال هذا كثيراً . ورد في الحديث « ما منكم من أحد يصيبه شيء إلا ويراه قبل ذلك في المنام ،

حفظه من حفظه ونسيه من نسيه » أو كما قال . وما المانع من أن يطلع الله تعالى عبده المحب له والمحبوب إلى ما سيقع ؛ وإن كان في وقوع الخطاء في الكشف مجال ، ولا يعمل بالكشف عند القوم لأنه قد يخطأ ويتلون كما هو مذكور في الكتب . انتهى ما كتبه شيخنا الحلمي من خطه قدس سره .

وأقول : قد قال الإمام الشعراني في « اليواقت » ما نصه : **فإن القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علماً من لدنه بإعلام رباني أنزله في قلوبهم** مطابقاً لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة ، قال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ ، وقال ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، وقال في عبده الخضر ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ . فصدق المنكرون فيما قالوا : إن العلم لا يكون إلا بواسطة معلم ، وأخطؤوا في اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول ، قال ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾والحكمة هي العلم ، وجاء بـ(من) وهي نكرة ، ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد في الدنيا وأثروها على الآخرة وعلى ما يقرب إلى الله تعالى وتعوّدوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا **إن لله عباداً تولى تعليمهم في سرائرهم ، إذ هو المعلم الحقيقي للوجود وكلّه** ، وعلمه هو العلم الصحيح الذي لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كماله . فإن الذين قالوا أولاً إن علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات ، لم يريدوا نفي علمه تعالى بها ، وإنما قصدوا بذلك أن الحق تعالى يعلم جميع الأشياء كليات وجزئيات علماً واحداً ، فلا يحتاج في علمه بالجزئيات إلى تفصيلها ، كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك ، فقصدوا تنزيهه عن توقف علمه على التفصيل ، فاخطؤوا في التعبير .

فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ، ولكن أين الإنصاف ؟ وأطال في ذلك ثم قال : فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق إشارات لكون المنكرين لا يردون الإشارات ،

وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لأهل الله في دعواهم العلم من قول علي بن أبي طالب ﵁ : لو تكلمت لكم في تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقراً . فهل ذلك إلا من العلم اللدني الذي أتاه الله تعالى له من طريق الإلهام ؟ ! إذ الفكر لا يصل إلى ذلك . وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول لعلماء زمانه : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علومنا عن الحيّ الذي لا يموت . انتهى عبارته ١٦ ج١ .

وفي « الصاوي » على قوله تعالى ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَـيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ . . إلخ . ما لفظه أي : إظهاراً تاماً كاملاً يستحيل تخلفه ، فليس في الآية ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ، ولكن اطلاع الأنبياء ، على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء لأن اطلاع الأنبياء يكون بالوحي وهو معصوم من كل نقص ، بخلاف اطلاع الأولياء فعصمة الأنبياء واجبة وعصمة الأولياء جائزة . انتهى عبارته ٢٠٢ من سورة ﴿ قُلْ أُوحِىَ ﴾ ج٤ . وفيه على قوله ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ ما لفظه : فإنه إذا أراد إظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرض الشيطان له . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثة » للحافظ ابن حجر ما حاصله : وسئل نفع الله به بما لفظه : من قال إن المؤمن يعلم الغيب هل يكفر لقوله تعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وقوله ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَـيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ أو يستفصل لجواز العلم بجزئيات من الغيب ؟ فأجاب بقوله رحمه الله ونفعنا به آمين : لا يطلق القول بكفره ، لاحتمال كلامه ، ومن تكلم بما يحتمل الكفر وغيره وجب استفصاله ، كما في « الروضة » وغيرها . ومتى استفصل فقال : أردت بقولي المؤمن يعلم الغيب ؟ أن بعض الأولياء قد يعلمه الله ببعض المغيبات قبل منه ذلك ، لأنه جائز عقلاً ، وأوقع نقلاً إذ هو من جملة الكرامات الخارجة عن الحصر على ممرّ الأعصار . فبعضهم يعلمه بخطاب وبعضهم يعلمه

بكشف حجاب ، وبعضهم يكشف له عن اللوح المحفوظ حتى يراه . ويكفي بذلك ما أخبر به القرآن عن الخضر بناء على أنه ولي وهو ما نقل عن جمهور العلماء وجميع العارفين ؛ وإن كان الأصح أنه نبي ﷺ ، وما جاء عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى أنه أخبر عن حمل امرأته أنه ذكر وكان كذلك ، وعن عمر رضي الله عنه أنه كشف عن سارية وجيشه وهو بالعجم ، فقال على منبر المدينة وهو يخطب يوم الجمعة : يا سارية الجبل ، يحذره الكمين الذي أراد استئصال المسلمين ، وما صح عنه ﷺ أنه قال في حق عمر رضي الله عنه : إنه من المحدثين أي : الملهمين .

وفي « رسالة القشيري » و« عوارف السهروردي » وغيرهما من كتب القوم وغيرهم ما لا يحصى من القضايا التي فيها إخبار الأولياء بالمغيبات ، كقول بعضهم : إن غداً أموت وقت الظهر ، وكان كذلك ، ولما دفن فتح عينيه فقال له دافنه : أحياة بعد موت ؟ فقال أنا حي وكل محب لله حيّ . وكقول سائل لمن حضر للإنكار عليه : واعلموا أن الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه ، فتاب بباطنه فقال : وهو الذي يقبل التوبة عن عباده . عبارته ٢٢٢ . فإن أردت الزيادة راجعه ، ففيه بسط مديد مع الحكايات الشافية ، والله الموفق لذلك .

وفي كتاب « البيان » ما حاصله : إن العبد إذا وصل إلى الحقيقة يكون مخلصاً ، فإذا فني البشرية تجلى الذات ، فيعلمه الله بلا واسطة من لدنه علماً لدنياً ، فيعرفه بتعريفه ويعبده بتعليمه كالخضر ، وهناك يشاهد الأرواح القدسية . انتهى عبارته . وفي « اليواقيت » نقلاً عن الشيخ الأكبر ما نصه في حق إنكار المنكرين على كرامات الأولياء ثم قال : ولا يخفى أن أصل الإنكار من الأعداء المبطلين إنما ينشأ من الحسد ، ولو أن أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم إنكار ولا حسد ، وازدادوا علماً إلى علمهم ، ولكن هكذا كان الأمر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأطال في ذلك ،

قال : وأشد الناس عداوة لأصحاب علوم الوهب الإلهي في كل زمان أهل الجدال بلا أدب ، فهم لهم من أشد المنكرين . ولما علم العارفون ذلك عدلوا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة .

فلكل آية أو حديث عندهم وجهان : وجه يرونه في نفوسهم ، ووجه يرونه فيما خرج عنهم . قال : سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم ، فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة ليأنس المنكرون عليهم ، ولا يقولوا : أن ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر ، جهلاً من الرامين معرفة مواقع خطاب الحق تعالى ، واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم . وإن الله تعالى كان قادراً أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه ، كآيات المتشابهات والحروف في أوائل السور ، ومع ذلك فما فعل ، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية والحروف علوماً اختصاصية لا يعلمها إلا عباد الخلص . ولو أن المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا في نفوسهم إذا رأوا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم ، فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلموا بعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى تلك الآية ، ويقرّ القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه ، وكلهم في مجري واحد . ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى ، إذا جاؤوا بشيء يغمض عن إدراكهم . قال : وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون في أهل الله تعالى أنهم يعلمون الشريعة ، وإنما ينسبونهم إلى الجهل والعامية ، لاسيّما إن لم يقرؤوا على أحد من علماء الظاهر . وكثيراً مَّا يقولون : من أين أتى هؤلاء العلم ؟ ! لاعتقادهم أن أحداً لا ينال علماً إلا على يد معلم . انتهى عبارته ١٥ ج١ .

وفي كتاب « بيان الأسرار » للإمام السهروردي ما نصه : والبصيرة هي عين الروح تفتح في مقام الفواد للأولياء ، **وذلك لا يحصل بعلم الظاهر ، بل بعلم اللدني** ، كما قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ .

فالواجب على الإنسان تحصيل تلك العين من أهل البصائر بأخذ التلقين من وليٍّ مرشد مخبر من عالم اللاهوت . **فيا أيّها الإخوان** انتبهوا وسارعوا إلى مغفرة من ربكم بالتوبة ، كما قال الله تعالى ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ فادخلوا في الطريق وارجعوا إلى ربكم مع هذه القوافل الروحانية ، فعن قريب ينقطع الطريق ولا يوجد الرفيق إلى ذلك العالم . فما جئنا لنقعد في هذه الدنيا الدنية إلى الخرابة ، ولا لأجل مهمات النفس اللوامة الخبيثة فنبيُّكم لأجلكم منتظر مغموم ، كما قال النبي ﷺ « غَمِّي لأجل أمتي الذين في آخر الزمان » .

فالعلم المنزل علينا علمان : ظاهر وباطن ، يعني الشريعة والمعرفة . فأمر بالشريعة على ظاهرنا ، وبالمعرفة على باطننا ، لينتج من اجتماعهما علم الحقيقة ، كما قال الله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ وإلا فبمجرد علم الظاهر لا يحصل الحقيقة ولا يصل إلى المقصود والعبادة الكاملة بهما لا بواحدهما ، قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ أي إلا ليعرفون ، فمن لم يعرفه كيف يعبده . فالمعرفة إنما يحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب بتصفية ، فيبين فيها جمال الكنز المخفي في سر لب القلب ؛ فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لكي أعرف .

فلما تبيَّن أن الله خلق الإنسان لمعرفته ، فالمعرفة نوعان : معرفة صفات الله ، ومعرفة ذات الله . فمعرفة الصفة تكون حظ الجسم في الدارين ومعرفة الذات تكون حظ الروح القدسي في الآخرة ، قال الله تعالى ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ وهم مؤيدون بروح القدس ، وهاتان المعرفتان لا تحصلان إلا بعلمين ، وهما علم الظاهر وعلم الباطن ، كما قال النبي ﷺ « العلم علمان ، علم باللسان وذلك حجة الله على

بني آدم ، وعلم بالجنان فذلك العلم العلم النافع » . فتحتاج أولاً بعلم الشريعة ليحصل للبدن كسبه به وهو الدرجات ، ثم تحتاج إلى علم الباطن ليحصل للروح كسب معرفته ، فإذا حصل علم الباطن فقد عرف نفسه ، فإذا عرف نفسه فقد عرف ربه ، وإذا عرف ربه فقد حصل له المعرفة في عالم المعرفة ، وذلك لا يحصل إلا بترك الرسومات التي هي مخالفة للشريعة والطريقة ، وحصوله بقبول المشقات النفسانية والروحانية لرضاء الله بلا رياء ولا سمعة ، كما قال الله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً ما نصه : ورجوع الإنسان الخاص ووصوله إلى وطنه وهو القربة بعلم الحقيقة والتوحيد في عالم اللاهوت في حال حياته في الدنيا بسبب عبادته ، سواء كان نائماً أو غيره ، بل إذا نام الجسد وجد القلب فرصة فيذهب إلى وطنه ، إما بكلِّه أو بجزئه ، كما قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ولذلك قال النبي ﷺ « نوم العالم خير من عبادة الجاهل » بعد حياة القلب بنور التوحيد ، وبعد ملازمة أسماء التوحيد بلسان السر بغير حرف ولا صوت ، كما قال الله تعالى في حديث القدسي « الإنسان سري وأنا سرّه » وقال جل وعلا « إن علم الباطن هو سرّ من سري ، أجعله في قلب عبدي ولا يقف عليه أحد غيري » كما قال الله تعالى « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم » . وهو المراد من وجود الإنسان وهو علم التفكر ، كما قال النبي ﷺ « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين ألف سنة » . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً ما عبارته : والوليّ المرشد يرسل للخواص غير مستقل ، فإنه لا يسعه إلا متابعة النبي ﷺ ، حتى لو ادعى الاستقلال كفر . وإنما

شبه النبي علماء أمته بأنبياء بني إسرائيل ، لأنهم كانوا متابعين بعين الشريعة المرسل وهو موسى عليه السلام ، لكن يجددونها ، ويؤكدونها أحكاماً من غير إتيان شريعة أخرى ، فكذا علماء هذه الأمة من الأولياء يرسلون لتجدّد الأمر والنهي واستحكام العمل على التأكيد الأبلغ ، وتصفيته أهل الشريعة ، وهو في القلب موضع المعرفة ، وهم يخبرون بعلم النبي ﷺ كأصحاب الصفة كانوا ينطقون بأسرار المعارج قبل إخبار النبي . فالولي حامل الولاية المحمدية التي هي جزء نبوّته ، وباطنه أمانة عنده . وليس المراد منهم من ترسم بظاهر العلم ، لأنه وإن كان من الورثة النبوية لكن من قبيل ذوي الأرحام . فالوارث الكامل أن يكون بمنزلة الابن من أقرب العصبات ، فالولد سرّ الأب ظاهراً وباطناً ، ولذلك قال النبي ﷺ « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمها إلا العلماء بالله » فإذا نطقوا به أنكره أهل العزة ، وهذا هو السر الذي استودع في قلب النبي ليلة المعراج في أبطن البطون الثلثين ألفاً ، ولم يفشها على أحد من العامة سوى المقربين وأصحاب صفته ، وببركة ذلك السر قيام الشريعة إلى يوم القيامة . فالعلم[1] يهدي إلى ذلك السر فالعلوم والمعارف كلها قشر ذلك السر . **وأما العلماء الظاهرين** فهم ورثة ؛ بعضهم بمنزلة صاحب الفرض ، وبعضهم بمنزلة ذوي الأرحام موكلون على قشور العلم بالدعوة إلى سبيل الله بالموعظة الحسنة . انتهى عبارته .

وفي « الفتاوى الحديثية » للشيخ ابن حجر الهيتمي ما نصه : واعلم أن اليقين هو نهاية المعرفة ومراتبه ثلاثة : علم اليقين ، وهو ما ينشأ عن النظر والاستدلال . وعين اليقين ، وهو ما يكون من طريق الكشف والنوال . وحق اليقين ، وهو مشاهدة الغيب مشاهدة العيان كما يشاهد الرأي . فالأوّل للأولياء ، والثاني لخواصهم ، والثالث للأنبياء ، وحقيقته اختص بها نبينا محمد ﷺ . انتهى عبارته ٢٢٠ .

---

(١) **أي** : الباطن (**هامش الأصل**) .

والحاصل أن إنكارهم على اطلاع الأولياء في المغيبات وعلمهم إياها بتعليم الله تعالى إياهم . تلك إنكارٌ على الكرامات ، فلم ينكرها إلا المعتزلة وأهل الغباوة والعناد ، وهم في إنكار الكرامات على أقسام ، كما بينه الحافظ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » . وقال الإمام الشعراني في « اليواقيت » ما لفظه : قال اليافعي : والناس في إنكار الكرامات على أقسام : فمنهم من ينكرها مطلقاً ، وهم أهل مذهب مشهور . ومنهم من يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه ، فهؤلاء كبني إسرائيل ، فإنهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد ﷺ حيث رأوه حسداً وعدواناً . ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء في عصره ، ولكن لا يصدق بأحد معين ، فهذا محروم من جميع الأمداد في عصرهم . وبعضهم إذا رأى أحداً من أولياء زمانه متربعاً في الهواء قال : هذا استخدام للجنّ لا ولاية . وأطال اليافعي في ذلك .

كرمات الأولياء

ثم قال : وبالجملة فلا ينبغي لأحد التوقف في الإيمان بكرامات الأولياء ، لأنها جائزة عقلاً وواقعة نقلاً . أمّا جوازها عقلاً ! فلأنها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الإلهية ، وبذلك قال أهْل السنة والجماعة من المشائخ العارفين والنظار والأصُوليين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم أجمعين . وأما وقوعها نقلاً ! فمن ذلك قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ . .الآية وفي قوله تعالى : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ وكان ذلك في غير أوان الرطب . ومن ذلك كلام أهل الكهف معهم ، وقصة أصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس واتيانه قبل أن يرتد الطرف ، وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء . ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال : من أبوك ؟ فلان الراعي . ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله

عز وجل بصالح أعمالهم ، فانفرجت عنهم الصخرة التي لا يستطيع الجم الغفير أن يزحزحوا عن فم الغار . ومن ذلك كلام البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع ، وقولها : إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث ، كما في الصحيحين .

ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أكل مع ضيفه ، فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة يربو من أسفلها أكثر منها حتى شبع الضيوف ، وهي أكثر مما كانت قبل الأكل بثلاث مرات . ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن أبي وقاص في الرجل الذي كذب عليه ، كما في الصحيحين ، وكان يقول : أصابتني دعوة سعد . ومن ذلك ما رواه أبو نعيم في « الحلية » : إن عون بن عبد الله بن عتبة كان إذا نام في الشمس أظلته الغمام . ومن ذلك حديث البخاري في قصة خبيب حين كان أسيراً موثقاً بالحديد ، وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب . ومن ذلك قصة الرجل الذي سمع صوتاً في السحاب اسق حديقة فلان ، كما في الصحيح . ومن ذلك قصة العلاء بن الحضرم حين أرسله النبي ﷺ في غزاة وحال بين الجيش وبين عدوهم قطعة من البحر ، فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء .

ومن ذلك تسبيح القصعة التي أكل منها سلمان الفارسيّ وأبو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضرون ، روى هذا والذي قبله الحافظ أبو نعيم وغيره . ومن ذلك أنّ عمران بن الحصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه . ومن ذلك ما رواه أبو نعيم عن عبد الله بن شقيق أنه كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها : أقسمت عليك بالله إلا أمطرت علينا ، فتمطر في الحال . ومن ذلك أن عامر بن عبد قيس كان يعطى عطاء ، فيضعه في حجره ويصير يقبض منه ويعطي الناس حتى يصل إلى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شيء . ومن ذلك أن عبد الرحمن بن أبي نعيم بلغ الحجاج أنه يمكث خمسة عشر يوماً لا يأكل ولا يشرب ، فحبسه الحجاج خمسة عشر يوماً ثم فتح الباب فوجده

قائماً يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس . ومن ذلك أن حارثة بن النعمان الصحابي كان يقول لعياله : في كل شيء احتاجوا إليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم ، فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شيء قبل ذلك .

وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة . وقد سئل الإمام أحمد ﵁ : لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الأولياء ؟ فقال : إنما لم يشتهر عن الصحابة كثرة الكرامات ، لأن إيمانهم كان في غاية القوة ، بخلاف إيمان مَنْ بعدهم ، فكلما ضعف إيمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم . انتهى عبارته ٢٥٠ ج٢ . ومن ذلك ما في « الفتاوى الحديثية » نقلاً عن البخاري ومسلم من أنه ﷺ قال في حق عمر ﵁ أنه من المحدثين ، بفتح الدال أي : الملهمين . وصح أيضاً عنه ﵁ أنه بينما هو يخطب على منبر المدينة يوم الجمعة وإذا هو ينادي في حال خطبة : يا سارية الجبل ، فعجب الناس لذلك وأنكروا عليه ، حتى قال عبد الرحمن بن عوف ﵁ بعد ذلك وشدّد عليه وأخبره بما قال الناس فيه ، ثم ظهر لهم قريباً الواقعة وصدقها وما فيها من الكرامات . ومنها الكشف له عن حال سارية والمسلمين وعدوّهم ، ومنها بلوغ صوته سارية حتى سمع واهتدى سارية إلى أن هذا صوت عمر مع بعد الشقة فإنه بنهاوند من أرضِ العجم ومعه سرية من المسلمين ، فكمن لهم عدوهم في الجبل لِيَسْتَأْصلوهم ، فكشف لعمر ﵁ عن حالهم فناداه يحذره الكمين الذي بجنب الجبل فبلغه صوته فسمعه ، فاستيقظوا لكمين وظفروا بهم . وروى البخاري في صحيحه مجيئ العنقود من العنب في غير أوانه لخبيب لما أريد قتله بمكة ، وفيه أيضاً أن أسيد بن حضير وعباد ابن بشر رضي الله عنهما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما . انتهى عبارته ٢١٤ .

وفيه أيضاً ما نصه : قال اليافعي : وأخبرني بعض صالحي أهل اليمن أن الشيخ الأهدل بالمهملة شيخ أبي الغيث رحمهم الله كانت عنده هرة يطعمها ، فضربها الخادم فقتلها ورماها في خربة ، فسأله الشيخ عنها بعد ليلتين أو ثلاث ، فقال : لا أدري ، فناداها الشيخ فأتت إليه وأطعمها على عادته . وأخبرني مغربي صالح عالم اعتقده بإسناده أن بعض أصحاب الشيخ أبي يوسف الدهماني مات ، فحزن عليه أهله ، فأتى إليه وقال : قم بإذن الله تعالى ، فقام وعاش بعد ذلك ما شاء الله تعالى من الزمان . وقال : ومن المشهور ما روي مسنداً من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ الأجلاء أن القطب الشيخ عبد القادر نفع الله به جاءت إليه امرأة بولدها وخرجت عنه لله وله فقبله ثم أمره بالمجاهدة ، فدخلت أمه عليه يوماً فوجده نحيلاً مصفراً يأكل قرص شعير ، فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظم دجاجة قد أكلها ، فقالت : يا سيّدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير ، فوضع يده على ذلك الطعام وقال : قومي بالله محي العظام ، فقامت الدجاجة سوية وصاحت ، فقال الشيخ : إذا صار ابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء .

وقالوا : مرت بمجلسه حدأة في يوم شديد الحرّ وهو يعظ الناس ، فشوشت على الحاضرين ، فقال : يا ريح خذ رأس هذه الحدأة ، فوقعت لثاني وقتها بناحية ورأسها في ناحية ، فنزل الشيخ وأخذها في يده وأمرَّ يده الأخرى عليها ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم قومي بإذن الله ، فحييت وطارت والناس يشاهدون . وقد تكلمهم الموتى . ففي « رسالة القشيري » عن أبي سعيد الخراز رضي الله عنه أنه كان مجاوراً بمكة فمرّ بباب بني شيبة فراي شاباً حسن الوجه ميتاً فنظر في وجهه فتبسم وقال : يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار . وجاء مسنداً من ثلاث طرق أن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه زار ومعه أناس كثيرون قبر الشيخ حماد الدباس ، فأطال الوقوف عنده ثم انصرف مسروراً فسئل فأخبر أنه مرّ مع الشيخ حماد وأصحابه على قنطرة ببغداد لصلاة الجمعة ، فدفعه في النهر امتحاناً

له بشدة البرد فلم يتأثر ، فأخبر أصحابه بأنه جبل لا يتحرك وأنه رأى الشيخ حماداً في قبره على أحسن هيئة ، إلا أن يده اليمنى لا تطيعه قال : فقلت له : ما هذا ؟ ! قال : هذه اليد التي رميتك بها ، فهل أنت غافر لي ذلك ؟ فقلت : نعم ، فقال : فاسأل الله تعالى أن يردّها عليَّ ، فوقفت أسأل الله تعالى في ذلك ، وقام معي خمسة آلاف ولي في قبورهم يسألون الله تعالى في ذلك أن يقبل مسألتي فيه ، ويتشفعون عندي في تمام المسئلة ، فما زلت أسئل الله تعالى في ذلك حتى رد الله تعالى يده وصافحني بها . ثم اجتمع المشائخ وطلبوا برهاناً على هذه القصة ، فقال لهم : اختاروا لكم رجلين نبين لكم ذلك على لسانهما . فاختاروا شخصين غائبين وقالوا : نمهلك فقال : لا تقوموا حتى تسمعوا منهما ، فلم يلبثوا حتى جاء أحدهما يشتد عدواً فقال : أشهدني الله الساعة الشيخ حماداً وقال لي : يا يوسف أسرع إلى مدرسة الشيخ عبد القادر وقل للمشائخ الذين فيها صدق الشيخ عبد القادر فيما أخبره به عني ، فلم يتم كلامه حتى جاء الآخر وأخبر بمثل ما أخبر به . فقاموا واستغفروا ، وكانفلاق البحر وجفافه .

في الرسالة عن بعضهم : كنا في مركب فمات رجل فينا ، فأخذنا في جهازه ، فلما أردنا أن نلقيه في البحر جفَّ ، فحفرنا له قبراً ودفناه ، فارتفع الماء والمركب وسرنا . وكانقلاب الاعيان وهو كثير لا يحصى ، منه انقلاب الخمر سمناً ، كما وقع للشيخ عيسى الهتار[1] اليمني ، وكطي الأرض لهم وتعدد صور جسدهم في أمكنة مختلفة ، وتفجير الماء ، وكلام الجمادات والحيوانات لهم بطاعة الأشياء لهم حتى الجن ، وغير ذلك مما اشتهر وتواتر تواتراً أدحض حجة المخالفين وأباد شبه الجاهلين . انتهى عبارته ٢١٦ . فإن أردت الزيادة راجع كتب القوم ترى العجب ، والسلام .

---

(١) والقصة مذكورة فيه أي : في « الفتاوى الحديثية » بيد أني حذفتها للاختصار ، فإن أردت ذلك راجعه فيه . انتهى . (**هامش الأصل**) .

الفريد الثالث عشر

في الجواب عن شبهة بعض آخر التي حاصل ما كتبه إلى شيخنا هذا : أنه خطر بباله أن مذهبكم يخالف الشريعة فمن الأمور التي يظن مخالفتها للشريعة قولكم : لا بد للخلق من مرشد يهديكم . فإنه يرى الهداية مختصاً بالله تعالى ليس فيها شائبة لأحد من الأنبياء والأولياء ، وبه نطق كتاب الله العزيز من سورة البقرة :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . . . إلخ ، ومن سورة آل عمران ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ ، ومن سورة القصص ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ، ومن سورة التكوير ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ الاستقامة على الحق ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الخلائق استقامتكم عليه « جلال » . انتهى من خطه .

فأجاب شيخنا مرشد الخلائق الشيخ حسن حلمي القحي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي قدس سره بقوله : (إن مذهبكم يخالف الشريعة) . .إلخ مذهبنا مقيد بالشريعة لا مخالفة فيه أصلاً ، وما يفعله أهل الطريقة كله مستنبط من السنة والكتاب ، كما هو معلوم مشهور لدى من له أدنى علم من علوم الشرع كالشمس في وسط السماء ، ولكن الأعمى لا يبصر قوله : **لا بد للخلق من شيخ يهديه فإنه يرى الهداية مختصاً بالله** . . إلخ . فمعنى الهداية هو الدلالة إلى سبيل يوصل به إلى الله تعالى وتعليم أسبابها وقد قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ ﴾ . .إلخ . وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ، . والآيات لهذا المعنى كثيرة . وقد قال أكابر السادات : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ، وحكموا بوجوب اتخاذه ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه في سفر الحج ، فراجع « الفتاوى الجوخية » ، و« المنن الكبرى » للشعراني ، و« الأجوبة المرضية » ،

و« لواقح الأنوار » ، و« الأنوار القدسية » ، و« الطبقات » وكلها للشعراني ، و« الإحياء » للغزالي ، و« جامع الأصول » ، و« المتممات » ، و« ابن حجر » ، و« فتاوى » ابن حجر ، و« روح البيان » ، و« البهجة السنية » ، و« الحدائق الوردية » ، و« الرشحات » ، و« نفائس السانحات » ، . . . وإلخ . . . وإلخ .

فكم وكم قالوا في تأليف بوجوب اتخاذ شيخ يدل المريد إلى طريق العلاج للأخلاق المذمومة .

فهذا الإمام الشعراني قد ذكر في « العهود المحمدية » في مواضع عديدة بوجوب ذلك ، وقد قصدت أن أعدَّ ما قال فيها فلم أطق لعدّه لكثرة ما صرح فيه من ذلك . فإنكار ما قاله أصحاب هذه التأليفات أراه من العناد والاعتراض ، فينبغي لك أيها الأخ أن تجنب من أمثال هذه الأقوال التي تصرح بإيذاء أولياء الله تعالى ، وقد قال تعالى : « من آذى ولياً لي فقد آذنته بالحرب » . فقال ابن حجر ما حاصله : إن الله لا يحارب إلا كافراً ، فالعياذ بالله ! فمَنْ نحن أيها الأخ إن ننكر أئمة الشرع ؟ ! هل نحن أعلم منهم بمعاني الكتاب والأحاديث حتى نقول بخلاف ما قالوا استنباطاً من الدلائل والنصوص ، عفى الله عنك . آمين . انتهى من خطه قدس سره . وأفاض علينا من فيوضاته .

وأقول : قد قال الشيخ سليمان الجمل في حاشية على « الجلالين » في تفسير آية ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ أي : لا تقدر أن تدخله في الإسلام . فيكون معنى الهداية خلق الاهتداء ، وهو المذكور في كلام مشائخ أهل السنة ، وحينئذ فلا تنافي بين هذا وبين قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . لأن الذي أثبت وأضيف إليه الدعوة نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدور ، وهو نور يقذف في القلب ، فيحيا به القلب كما قاله سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ . « كرخي » . انتهى عبارته ٣٧٤ ج٣ . وعبارة الشيخ العارف أحمد الصاوي في حاشيته المشهورة أي : لا تقدر على هدايته . إن قلت : إن بين هذه الآية وآية ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ تناف ،

أجيب : بأن المنفي هنا خلق الاهتداء ، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم . انتهى عبارته ١٦٨ ج٣ .

فظهر الجواب بالمذكورات وفني الإشكال بالمسطورات ، ولا منافات بين الكلامين المذكورين . فلا يظن أحمق فضلاً عن عاقل أن المشائخ والأولياء رحمهم الله يقولون أنهم يقدرون لهداية من لم يهده تعالى ، بل إذا أراد الله إظهار سعادة عبده المؤمن يهديه إلى من يوصل إليه من عباده الأخيار ، ويطوي تعالى بشريته وينتفع منه بحسب ما قسم له في علمه الأزلي ، فإن أردت الزيادة في معنى الهداية راجع « شرح العقائد » للتفتازاني مع « حاشية الكستلي » في ١٢٩ لعلك تفوز .

وفي « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » نقلاً عن كتاب القطب خالد سيف الله الغموقي قدس سره ما حاصله : اعلم أيها الكريم دام لك النعيم إذا أراد الله تعالى أن يظهر سعادة عبده وأحب أن يهديه إلى سبيله وينفذ إرادته بحكمته المعلومة عنده ألهم الله على قلبه أن يطلب طريق نجاته فيقصد إليه ، وذلك القصد مما يوجع بطن الشيطان . انتهى . وفيه أيضاً نقلاً عن كتاب « البرقة المشيقة » ما نصه : وقال ﷺ : فالصوفية المخلصون الصادقون مع الله تعالى في جميع الحركات والسكنات في ظواهرهم وبواطنهم ، هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة ، وكظموا على مجامع كمال محاسن الشريعة ، وهم أهل الله وخاصته وأمناء أسراره وخزائن أنواره ووراث رسله وغياث خلقه ، وخلفائه في أرضه ، فطوبى لهم بل طوبى لمن أحبهم والتمس بركتهم ، وخص بدعائهم ، وأجاب دعوتهم ، وبذل الجهد في خدمتهم ، وحفظ حرمتهم واقتبس من أنوارهم وفيض نفحاتهم ، ونظر إلى وجههم ، وقبل الثرى تحت أقدامهم ، ورزق ودادهم ، وشمّ شذاهم[١] وشام برق سناهم[٢] ، وحام حول حماهم ، وقبل نصحهم ، وعشق سيرتهم واستنزل الرحمة بذكرهم ، وارتجى المغفرة بحبهم ، واستمد الفيض بودهم ، واستعد بكمال الأدب بقربهم . .إلخ .

---

(١) الشذاذ المسك .(هامش الأصل) .
(٢) السنا ضوء البرق .(هامش الأصل) .

الفريد الرابع عشر

في الجواب عن شبهة التي حاصلها هذا : ومنها أي : من الأمور التي تخالف الشريعة النداء إلى المشائخ في جلب المنافع ودفع المضرات . .إلخ .

وعبارة شيخنا قدس سره في جوابه هذا : نقل في « الفتاوى العمرية » عن « فتاوى خليلي » وأما قوله : يا شيخ عبد القادر ، فهو نداء ، وإذا أضيف إليه شيء لله فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب لحرمة ذلك ؟ ! . انتهى عبارته . وفيه : وأما التوسل بالأنبياء والأولياء والعلماء فقد نص أئمتنا أنه يجوز التوسل بأهل الخير والصلاح سواء كانوا أحياء وأمواتاً ، ولا ينكر ذلك إلا من ابتلى بالحرمان وسوء العقيدة ، نعوذ بالله من المنكر من سيرته . انتهى عبارته ٥٣ . وفيه قبيل هذا : فمن اعترض عليهم يخشى عليه سوء الخاتمة ، كما وقع لكثير من الناس أنهم مقتوا بذلك ولم يفلحوا . انتهى عبارته . وأراك أيّها الأخ تدعو إلى الناس وتتوسل بهم إلى قضاء أمور حقيرة فانية ، مع أنه ليس في يدهم قدرة مّا إلا بالله وخلقه ، ومع ذلك لا ترى ذلك شركاً ومخالفاً للشرع ، وأنت مع هذا تنكر التوسل المسنون المحبوب بالأنبياء والأولياء مع أن ذلك وارد في الأحاديث الصحيحة فإن كنت تريد إدراك الحق فراجع « المدائح النبوية » و« شواهد الحق » للنبهاني ، وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيدة بالنصوص المسندة » ، وراجع « البهجة السنية » و« الرشحات » و« جامع الأصول » و« المتممات » و« لواقح الأنوار » للشعراني ، و« البجيرمي » وسائر الكتب الفقه من صلاة الاستسقاء ، وللرابطة دلائل من الكتاب والسنة والقياس والإجماع ، فإن كنت في شك فراجع هذه الكتب المذكورة ، وراجع « الرحمة الهابطة » و« هدية الذاكرين » و« نور الهداية » و« تبصرة الفاصلين » و« الرسالة الخالدية » و« الدرر المكنونات في تعريب المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره . انتهى من خطه قدس سره .

وأقول : قد ذكر شيخنا وسيدنا المذكور في « البروج المشيدة » ما عبارته : اعلم أيها الأخ قد كان فيما ذكر في البرج الذي قبل هذا كفاية لمن تأمل وتدبّر في جواز التوسل ، بيد أن السائل لما أفرد السؤال عن قول صاحب « البغية » لا بد من أن يجعل الجواب فصلاً مستقلاً . كتب السائل بهذه العبارات : قال في « بغية المسترشدين » : وأما جعل الوسائط بين العبد وبين ربه ، فإن كان يدعوهم كما يدعو الله تعالى ويعتقد تأثيرهم من دون الله فهو كفر ، وإن كان مراده التوسل بهم في قضاء مهماته الدنياوية والأخروية مع اعتقاد أن الله تعالى هو النافع الضار المؤثر في الأمور كلها ، فالظاهر عدم كفره وإن كان هذا الفعل منه قبيحاً انتهى . وبينه وبين وجوب اتخاذ الشيخ تضادد وتعارض ، فهل جميع المشائخ والمريدين على فعل القبيح مع أن قصد جميعهم أنهم على هدى ، فالجواب لا بعقل من عنديته . انتهى .

فنقول في الجواب حامداً لله ومصلياً على نبيّه عليه السلام ومستعيناً منه تعالى : اعلم أيها لأخ المحترم أن الكلام المذكور في مسألتك قد ذكره صاحب « البغية » في الردة ، لكن نقلاً عن غيره كما أشار إليه بقوله هنالك مسألة (ك) قبل ذلك الكلام إشارة إلى أنه كلام الكردي ، ويحتمل أن يكون قائله قد صادف شيئاً من بقايا أثار ابن تيمية الذي نقل عنه أنه قال مثل ذلك ، بل أشد منه من الكلمات التي تقشعرّ منه جلود المؤمنين ، كما بيّنه ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » في ٨٧ في بيان أقوال المخالفة لأقوال أهل السنة والجماعة ، والعالم العلامة يوسف النبهاني في ديوانه « المدائح النبوية » في قصيدته الهائية و« شواهد الحق » ، فتابعه في ذلك واستروح ، وقد قال ابن حجر في حقه ما نصه : ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمّه وأذلّه . انتهى . وقال أيضاً : والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى في كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضلّ جاهل غال ، عامله

الله بلطفه . انتهى من « الفتاوى الحديثية » راجعه في ٨٦ ، ومثله في « التحفة » و« الرملي » في كتاب الطلاق .

وكيف كان حال قائله فقد يرده ويعارضه كلام مؤلف « بغية المسترشدين » نقلاً من « البجيرمي » بهذا النص : مسألة « ج » ؛ التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم مباح شرعاً ، كما وردت به السنة الصحيحة ، كحديث آدم عليه السلام حين عصى ، وحديث من اشتكى عينيه ، وأحاديث الشفاعة ، والذي تلقيناه من مشائخنا وهم عن مشائخهم ، وهلم جراً أنّ ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد ، وكفى بهم أسوة ، وهم الناقلون لنا الشريعة وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا . فلو قدرنا أن المتقدمين كفروا كما يزعمه هؤلاء الأغبياء لبطلت الشريعة المحمدية . **وقول الشخص المؤمن : يا فلان ! عند وقوعه في شدة داخل في التوسل بالدعوة إلى الله تعالى ، وصرف النداء مجاز لا حقيقة** ، والمعنى : يا فلان أتوسل بك إلى ربي أن يقبل عثرتي أو يرد غائبي مثلاً ، فالمسؤول في الحقيقة هو الله تعالى ، وإنما أطلق الاستعانة بالنبي أو الولي مجازاً ، والعلاقة بينهما أن قصد الشخص التوسل بنحو النبي صار كالسبب ، أو إطلاقه على المسبب جائز شرعاً وعرفاً وارد في القرآن والسنة ، كما هو مقرر في علم المعاني والبيان . نعم ؛ ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدل على القدح في توحيدهم ، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى ، **لا يملك غيره لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى** ، قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ . انتهى .

قلت : وقال بعض المحققين : والذي يظهر لي أن حكمة توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي ﷺ هي مشروعية جواز التوسل بغيره عليه السلام ، وذلك لأن التوسل به أمر معلوم محقق عندهم ، فلو توسل بالنبي عليه السلام لأخذ منه عدم جواز التوسل بغيره .

وعبارة (ك) : وأما التوسل بالأنبياء والصالحين فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة وقد أطبقوا على طلبه ، بل ثبت التوسل بالأعمال الصالحة وهي أعراض ، فبالذوات أولى . انتهى عبارته . ثم ذكر مثل ما مر من الكلام المذكور الذي ذكره في الردة ، فراجعه في ٣٢٩ . هذا كلام صاحب « البغية » ، والحقير لا يرى في الكلامين إلا التعارض الظاهر والتخالف البين ، والله أعلم ونسأله التوفيق . وأما أقوال سائر الأكابر من العلماء العارفين فكثيرة لا تحصى ؛

فقد قال الشيخ الصاوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ : فمن الضلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله تعالى ، زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله تعالى ، كلا ! بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله ﷺ « ألا لا إيمان لمن لا محبة له » ، والوسيلة التي قال فيها ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ . انتهى من سورة المائدة . انتهى عبارته ١٢١ راجعه من البرج الرابع عشر . وفيه أيضاً : في مواضع آخر من هذا البرج ما نصه : وقال سيدي عمر بن سعيد الغوشي الطوري الكدوي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم » : **اعلم أن التعلق بأولياء الله تعالى واللياذ بجنابهم والانحياز إليهم تعلق بجنابه الكريم** ووقوف ببابه العظيم ، لأنهم أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى ، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم . **وهم الوسائل ولو لا هم لهلك الكل** ، كما قيل : لولا الوسيطة لذهب الموسوط ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ . قال الترمذي : « إن أكرمتم أوليائي أكرمتكم » . انتهى . وقال تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ .

قال بعض العارفين على طريق الإشارة : ثواب الدنيا صحبة الأولياء ، وثواب الآخرة صحبة الحق ، وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ ، قال بعضهم : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى

﴿ ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ هو طاعة الأكابر من السادات والمشائخ ، ولا تضيعوا حظوظكم منهم ، ومن معاونتهم خدمتهم ، ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ وهو الاشتغال بالدنيا ، ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ موافقة النفس على هواها ومرادها . انتهى عبارته ١٨ ج . وقال فيه وفي « تنبيه المغترين » للشيخ الشعراني : وكان أبو هريرة يقول : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى عز وجل ، فيقول الله عز وجل : هل أحببت لي ولياً لي حتى أهبك له ؟ . فأحبّوا يا إخواني الصالحين ، واتخذوا عندهم أيادي ، فإن لهم دولة يوم القيامة . انتهى . وفي الطبراني : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا تتعرضوا لها لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً » فيا فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها واستمدوا من تلك النفحة مدداً ، وإذا كان عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف تتنزل الرحمات وعواطر النسمات ، فما بالك بمحبتهم وخدمتهم والانحياز إليهم واللياذبهم ومصاحبتهم ومخالطتهم ، ودوام النظر إلى طلعتهم البهية . انتهى عبارته ٢٠ ج ١ .

وفي « الرماح » أيضاً قبيل هذا : وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ قال شيخنا ﷺ وأرضاه وعنا به : يؤخذ من هذه الآية على طريق أهل الإشارة ؛ وابتغوا إليه الوسيلة التي تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به ، ولا وسيلة أعظم من النبي ﷺ ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ . **ومن جملة ما ينبغي من الوسيلة إلى الله تعالى الشيخ الكامل ، فإنه من أعظم الوسائل إلى الله تعالى** . انتهى . « والمرء مع من أحب ، ومن أحب قوماً فهو معهم » . انتهى عبارته ١٩ . وفي « الفتاوى العمرية » : وأما قوله : يا شيخ عبد القادر ! فهو نداء ، وإذا أضيف الله فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب لحرمة ذلك ؟ ! « فتاوى خليلي » عبارته . وفي مناجات زين العابدين : يا أقطاب ، ويا أوتاد ، ويا أسياد أجيبوا ذوي الأمداد . .إلخ .

وقد سمعت واحداً يسأل شيخنا العسلي قدس سره : هل يجوز نداء المشائخ ؟ فقال : نعم يجوز ويسمعون ذلك ويجيبونه . انتهى . مستنبط مما قيل : **من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده ولو كان بينه وبينه مسافة إلى سنة** ، أو ما هذا معناه . وقال محمد أبو الهدى ابن السيد حسن : وادي الصيادي الرفاعي رحمه الله تعالى في « نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف » : أما الاستغاثة بالنبي ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين ! فالجواب أنه لا يخفى أن الاستغاثة به ﷺ عبارة عن سؤال الشفاعة من الأولياء لقضاء الحوائج ودفع النوائب وتفريج الكرب والأخذ بالثأر ، ولا ريب أن كل من يناديهم من أمة محمد ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعي للعبادة إلا الله ولا يفعل ما يراد ويمنح ما يطلب إلا الله . وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستغاثة بعباد الله فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي طاب ثراهما « إن رسول الله ﷺ أمر لمن تفلت دابة بأرض فلاة أن يقول : يا عباد الله احبسوا ، ثلاث مرات » . وفي رواية آخر : « وإذا أراد عوناً فليقل : يا عباد الله أعينوني » . انتهى عبارته ١٢٨ من البرج الرابع عشر . وقد مر مثله في هذا الكتاب في الفريد الحادي عشر ، راجعه وراجع « البروج المشيدة » من ذلك البرج ، وفيه بيان تام بحيث لا يبقى منه لقائل قول ولا لسائل جواب ، وراجع « الأجوبة البهية في إثبات شفاعة خير البرية » ، فقد أشبعت الكلام فيه في حق ذلك . انتهى ، والسلام .

الفريد الخامس عشر

في الجواب عن شبهة التي ما كتبه إلى شيخنا : ومنها أي : من الأمور التي تخالف الشريعة ترك الأمر والنهي بالقول مع أن الله تعالى أنزل القرآن بهما . . .إلخ .

وعبارة شيخنا في الجواب : اعلم أيّها الأخ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، ولكن لذلك وقت ؛ فمن اشتغل قبل وقته لا ينفع القيل والقال كما هو مذكور في « الرشحات » وقد جعل الشارع لتغيير المنكر أمورا ثلاثة باليد وذلك للسلاطين والأمراء ، واللسان وذلك للعلماء العاملين ، وبالقلب وذلك للعارفين ، كما هو مصرح في « لواقح الأنوار القدسية » للشعراني . وقد كنت من قبل أريتك إياه من عينه وقرأت عليك ما فيه بحروفه ولفظه . انتهى من خطه .

أقول : ولله الحمد قال في كتابه العزيز ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ، وقولهم[1] في الأصل واحد وفي الفروع مختلف ، وهذه المعاني الثلاثة في الآية كانت مجموعة في ذات النبي ﷺ ، فلم يطق أحد بعده حمل ذلك ، فقسم على ثلاثة أقسام : **الأوّل** وهو لبها وهو علم الحال أعطى الرجال وهمة الرجال به ، كما قال النبي ﷺ : « همة الرجال تقلع الجبال » . والمراد من الجبال قساوة القلوب يمحو بدعائهم ونظرهم ، كما قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . **والقسم الثاني** قشر ذلك اللب أعطى العلماء الظاهريّة ، وهو الموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال النبي ﷺ « العالم يعظ بالعلم والأدب ، والجاهل يعظ بالضرب والغضب » . **والقسم الثالث** هو قشر القشر أعطي الأمراء ، وهو العدل والسياسة المشار إليه بقوله تعالى :

---

(١) **أي** : قول المشائخ (منه) . (هامش الأصل) .

﴿وَجَـٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فإنهم مظاهر القشور ، وسبب صيانة النظام كالقشر الأخضر من الجوز ، ومقام العلماء مقام القشر الأحمر الشديد ، ومقام الفقراء من المتصوّفين العارفين هو المعني المقصود من خلق الشجرة ، ولذلك قال النبي ﷺ « عليكم بمجالسة العلماء واستماع كلام الحكماء ، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بماء المطر » ، وقال النبي ﷺ : « كلمة الحكمة ضالة المؤمن أخذها حيث وجدها » والكلمة التي في أفواه العوام نزلت من اللوح المحفوظ وهو عالم الجبروت من الدرجات ، والكلمة التي في أفواه الرجال الواصلين نزلت من اللوح الأكبر بلسان القدسي بلا واسطة في عالم القربة ، فكل شيء يرجع إلى أصله **وطلب أهل التلقين لحياة القلب فرض** ، كما قال الإمام الغزالي ، شعر :

حـيـاة القلب علم فاغتنمه ... وموت القلب جهل فاجتنبه

وخـيـر زادك الـتقوى فزده ... كـفاك بما وعظتك فاتعظه

فرضاء الله تعالى أن يجاوز عبيده إلى قربة ولا يلتفت إلى الدرجات ، كما قال الله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ . والمراد منها عالم القربة في أحد الأقاويل . انتهى « بيان الأسرار » من الفصل الخامس عبارته .

وعبارة شيخنا قدس سره في « تنبيه السالكين » : وفي ابن حجر في كتاب السير تنبيه : ظاهر كلامهم أن الأمر والنهي بالقلب من فروض الكفاية ، وفيه نظر ظاهر ، بل الوجه أنه فرض عين لأن المراد منهما به الكراهة والإنكار به ، وهذا لا يتصوّر فيه أن يكون إلا فرض عين ، فتأمله فإنه مهم نفيس . انتهى عبارته . وكتب عليه ابن قاسم هذه العبارة : الوجه المتعين أن مرادهم بقولهم السابق ؛ فالقلب أنه إذا تعذر المرتبة الاولتان اكتفى بالقلب ، وهذا لا ينافي في تعين الإنكار به بالمعنى المذكور مطلقاً ولو حال الانكار بغيره ، فتأمله فإنه بهذا يزول إشكال كلامهم . وأما ما ذكره فليس دافعاً لإشكاله .

والحاصل أن الإنكار بالقلب بالمعنى المذكور فرض عين مطلقاً ، ثم إن أمكنت الزيادة عليه بنحو اليد وجبت على الكفاية وإلا فلا ، فتأمله . انتهى عبارته . وقال الشيخ عبد الحميد الشرواني قدس سره بعد نقله الكلام المذكور : وعبارة سيّد عمر قوله : بل الوجه . . . إلخ . محلّ تأمل ، إذ مستندهم في الترتيب المذكور الحديث وهو : « من رأى منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » ، فمعنى فبقلبه على ما يعطيه السياق ؛ فليغيّره بقلبه بأن يتوجّه بهمته إلى الله تعالى في إزالته ، وهذا لا يلزم تحققه في عموم الناس ، فحسن عد رتبة الأمر بالقلب المراد ليطابق الحديث النبوي ، فتأمله إن كنت من أهله ، وبفرض تحققه في عموم الناس وإن الفرض التوجه ، سواء صدر عمن جرت عادة الله في أن لا يخيب توجهه أم غيره ، فظاهر أنه يكتفى بتوجه ا فظاهر أنه يكتفى بتوجه لبعض ولا يشترط توجه الجميع ، بخلاف الكراهية لأن انتفائها في فرد ينافي الإيمان ، والعياذ بالله تعالى . **أقول** : توجيهه الأخير بعده ظاهر ، وتوجيه الأوّل الجاري على مشرب الصوفي وجيه في ذاته ، لكن يبعده عموم « من رأى منكر » ، فليتأمل . انتهى ٢٢٠ من الجلد التاسع .

وقال شيخنا جامع فرقان المحامد والمكارم الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره : إني كنت في مجلس الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره وكان في ذلك المجلس جماعة من المريدين ، فكوشفت أن جميعهم صاروا خنازير ، ثم قلت له : يا أستاذي أي سرّ في صيرورتهم على تلك الصورة ؟ فقال رحمه الله تعالى : إنهم كانوا قبل ذلك قد تركوا الصلاة ، ثم قال : يا ولدي لا تفش لأحد ما كشف لك من حاله ولو رأيته يزنى وهو يعلو امرأة ، بل قل له : إنك على أحسن حال[1] ، ولا تقل له قولا

(١) وذا لأجل أن يظن أنك لم تطلع على فعله القبيح . فافهم (منه) (هامش الأصل) .

ما ينكسر[1] به قلبه ، بل توجه بالهمّة إلى الله واطلب منه إخراجه من تلك الذلة ، واستمدد على ذلك من روحانية الشيخ محمود أفندي قدس سره . انتهى . وقد قدم رحمه الله تعالى هذه الحكاية ثم أذن لي للتلقين والإرشاد ، وأوصاني بتليين الكلام وحمل أخلاق الناس بلا ملام . وكان قدس سره يقرأ أحياناً ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ الآية وكان قدس سره لا يقول لأحد : اترك الشيء الفلاني وهو شيء منكر ، بل كان يلاطفه ويداريه ، ثم بعد ذلك يصير يتركه ويكرهه بطبعه ببركة صحبته وأثر توجهه ، فالحمد لله رب العالمين . هكذا قاعدة ذوي الإرشاد ، وهم أهل التصرف والإشارات ، لا أهل العتاب على المنكرات ، كما هو عكس ما عليه متشيخوا هذه الديار الداغستانية . انتهى عبارته ٤٢ من الباب الخامس .

---

(١) وهذا مستنبط مما كان عليه السلام يفعله ، فإنه كان إذا علم من واحد فعلاً منكراً لا يقول له : لم فعلت هذا ؟ ! بل كان ﷺ يقول إذا كان مع جمع من الناس : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ، بحيث لا يظنّ مرتكب المنكر أنه في حقه خاصة ، كما هو مذكور في سيره عليه السلام ، فراجع وحرر . (منه) (هامش الأصل) .

الفريد السادس عشر

في الجواب عن شبهة التي كتبها إلى شيخنا المذكور بهذه العبارات : ومنها ترك سؤال الجنة والاستعاذة من النار ، مع أن الله تعالى أثنى في كتابه العزيز للذين سألوا الجنة واستعاذوا من النار بقوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ . انتهى .

أيّها الأخ ! من يقول بمنع ذلك ؟ هل سمعت ذلك من فمي أو حكاية مني ، وأنت سمعت ما أقول في ذلك شفاهاً **بيد أن العارفين يعدّون الحظوظ العاجلة والآجلة نزولاً من المقام الأعلى إلى المقام الأسفل** ، ولا يعبدون الله تعالى لخوف نار أو طمع جنة ، بل لأجل أن الله تعالى مستحق للعبادة ، وينبغي للعبد أن يعبده بلا أجرة . وقد قال الغزالي : **العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه** ، فراجع « الإحياء » . وهؤلاء أهل الله ينفرون من أهل الآخرة كما ينفر أهل الآخرة من أهل الدنيا ، بل يرون أنفسهم مستحقة للمقت في صلاتهم وصيامهم .

فكيف يرونها مستحقة للأجر والثواب . فهذا من قبيل ؛ حسنات الأبرار سيئات المقربين ،

مهم

فطلبهم من الله الجنة لا يكون إلا لأجل كونها محل رؤيته تعالى ، ولا يستعيذون من النار إلا لأجل كونه محل الحجاب ، كما نطق به الهائف لقلب هذا الحقير . وقد كنت حكيت ذلك في حجرتي فأنت مع هذا أيها الأخ تنكر أهل الله لأجل تركهم حظوظ أنفسهم ، وإخلاصهم في جميع عباداتهم ، فلا أرى هذا منك إلا عمى البصيرة . فينبغي لك أن تذهب الرين عن القلب لترى ما رأى هؤلاء الأكابر أهل الله . انتهى من خطه قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته .

وقال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا فرق بين عباد الأصنام وبين من يعبد الله لغرض فاسد ، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام الحسيّة على حد سواء ، لأن كلاً من العابدين اتخذوا من دون الله تعالى . ما لم يأذن به الله تعالى وهم في ذلك على طبقات ؛ فمنهم من قصد بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت ، وانتشار الجاه . ومنهم من يقصد بعلمه وعمله إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وكشف الغيوب . ومنهم من لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور والحسان ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة . ومنهم من يقصد بذلك السلامة من النار والخوف من الحساب والعقاب ، وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال . ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى والرضاء عنه والمحبة .

ومنهم من لا قصد له في علمه وعمله إلا علم باستحقاق مولاه العبادة والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنه قام بذرة واحدة من الأمور التي كلف بها على الوجه الذي أمر به ، ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ، كذا نقله شيخنا في « التنبيه » ، فراجعه . وفيه وفي « الإبريز » : **كل ما عملته بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله تعالى** . انتهى عبارته ١٧٧ .

وفيه أيضاً : وإما المحرومون فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ولتحصيل أغراضها ولا تكون لله عز وجل ، وهذه الأعمال لا

تزيد إلا بعداً من الله عز وجل ، لأنها مخالفة لسر حقيقة الذات . فإن سرّ حقيقة الذات أنها ذات مخلوقة لله مفعولة له مملوكة له منسوبة إليه لا نسبة لغيره فيها بوجه من الوجوه ، فلو جرت أفعالها على هذا السرِّ لكانت كلها خالصة . فكأنه يقول : لا حظ لي في شيء من أفعالها إذ هي كلها مخلوقة لله ، فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرِّ حقيقة الذات . وإمّا أنه يقول : ذاتي هي لله وأفعالها لي فينويها لنفسه وتحصيل أغراضه ، فهذا لا يجري فعله على سرّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يوفي بشيء من حقوق الله ، لأنه يفعل لغرض نفسه لا للقيام بحق الله . فقد انقطع عن الله في أفعاله فتنقطع عنه العطية من ربه عز وجل ، فيكون محروماً من المحرومين .

فقلت : وردت آيات كثيرة وأحاديث لا تحصى في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمن فعل الفعل ولو كان كما قال سيّدي عمرو بن محمد الهواري لم يرد شيئاً منها بذلك لما فيه من القطع عن الله عز وجل ، فقال ﵁ : لا يرد علينا ما في الآيات والأحاديث ، **لأنه لم يقل فيها اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أنفسكم في هذه الحالة بجزيل العطية** ، وإنما قال : اعبدوني واخلصوا لي العبادة وأنا أثيبكم . فنيتنا في أفعالنا تكون لله عزّ وجل ولعظمته وكبريائه ، ولما أسرى إلينا من العطايا الجسيمة وهو يثيبنا عليها عز وجل فضلاً منه . ومنه : وإنما يرد علينا ما في الآيات والأحاديث إن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ولا يثاب العبد عليها فحينئذ يرد ما ذكرتم . **وما أقبح العبد وأجهله حيث يظن أن يحصل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله وهو يعلم أن أفعاله لم يحصل منها ولو شعرة ، فإذا كانت الذات مخلوقة لله عز وجل والأفعال مخلوقة لله** فكيف يسوغ لنا أن نعتمد في الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عز وجل ، ولا نعتمد على مجرد فضله ورحمته ! ولكن الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

قال ﷺ : وقد كان بعض العباد يعبد الله بقصد نفع نفسه وأن يعطيه ما يحبّ ، فدام على ذلك عشرين سنة ، وكان لحاحاً في الطلب ، فما ظهر له شيء مما يطلب ، فتحيّر في أمره ، فقال : كيف يكون هذا ؟ أنا أطلب الله في مسألة عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ولا رضي بها ! فألقى الله عزّ وجلّ رحمته عليه ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها ، فقال : إني لأحمق إذا كان الله سبحانه خلق الذات وخلق أفعالها ، وخلق الصحة ، وخلق المكان الذي أعبده فيه ، وخلق الماء الذي أتوضأ به ، وخلق الثوب الذي أستتر ، وخلق الزمان الذي أعبده فيه ، فبأي شيء علمت حتى أطلب عليه أجراً وأستحق بسببه ذكراً ؟ كلا والله ما فعلت شيئاً ، ولكنني عمدت إلى أفعال الله فيّ فقطعتها عنه ثم نسبتها إليّ ، وجعلت أطلب بها عنده ، وأتمنى بها عليه حتى صرت أقول : وقفت أنا ببابه عشرين سنة وما أعطاني شيئاً . أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب ، فلما تاب إلى الله وعلم منه تعالى التوبة الصحيحة ، رحمه الله تعالى بأن أعطاه كل ما يتمنّى ، وزاده المعرفة به التي لا تعارضها جنة ولا غيرها . انتهى في ١٥٩ .

وقال الشعراني في « منته » : ومما أنعم الله تعالى به عليّ إعطاؤه تبارك وتعالى الفرقان بين رجال الله تعالى ، فإنه ما كل الرجال أعطوا الفرقان ، وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، ذكرهم الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى في « الفتوحات » : **الأول** : العباد بضم العين ، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة ، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم فيه حتى يطلبوا الانتقال إليه ، فلا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهية الوهبية ولا مكاشفة ، ويخافون من ظهور أعمالهم أن تحبط لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى .

الصنف الثاني : الصوفية ، وهم رجال فوق هؤلاء العباد ، فإنهم يرون أفعالهم كلها لله تبارك وتعالى ؛ مع ما هم عليه من الجدّ والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ، ويرون مع ذلك أيضاً أن جميع ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شيء ، وفيه رعونة نفس بالنظر لأهل الطبقة العليا ، فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوتهم .

الصنف الثالث : الملامية ، وهم على قدم السيّد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، ومن شأنهم أنهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ، ولا يفعلون من العبادات كلها إلا ما لا بدّ منه ، ولا تميزون عن غالب الناس بعبادة ، يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة ، قد انفردوا بقلوبهم مع الله عز وجل وعلا لا يتزلزلون عن عبوديتهم ، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء عظمة الله تبارك وتعالى على قلوبهم ، وهؤلاء على الطوائف كلها مقاماً ، كما فضل أبو بكر الصديق كلهم رضوان الله عليهم أجمعين . فتأمل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ولا تقتنع بشيء دون المقام الثالث ، والحمد لله رب العالمين . انتهى .

وقال شيخنا حسن أفندي القحي قدس سره بعد نقله هذا الكلام في « تنبيه السالكين » : وهذا الصنف الأخير هم النقشبنديون الصديقيّون ، وطريقتهم أفضل الطرق وأقربها وأسهلها ، لكنهم في قلوب المنكرين كالشوك وفي عيونهم كالقذى ، ولا يحبهم متشيخوا هذا العصر . وقد يتكلم أبعاض منهم خلف هؤلاء الطائفة بما تقشعر به جلود أهل الله عياذاً بالله من هذه الحالة ، وكان الواجب عليهم أن يحبوهم ويعينوهم ، وأن لا يغتابوهم ولا يذموهم ، لكنهم حملهم الأمارة على العناد والحسد ، والله حسبهم ونعم الوكيل . انتهى عبارته راجعه في ٢٣٦ من الباب السابع والعشرين .

وفيه أيضاً ما نصه : قال الشيخ مولانا الجامي في « شرح الفصوص » : **واعلم** أن عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون الذين يعرفون مداخله ، الواقفون مع الأمر الإلهي لا يبعدون عنه ، والموحدون الذين لا يرون لغيره وجوداً ، لا يعلمون الأشياء إلا مظاهره ومخاليه ، فيكون عبادتهم وحركاتهم وسكناتهم كلها بالله لله ، من الله إلى الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ والذين يعبدون الله من حيث ألوهيته وذاته المستحق للعبادة ، لا من حيث أنه منعم أو رحيم ، فإن عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، وعبد الرحيم لا يكون عبد القهار ، ولا لدخوله الجنة ولا للخلاص من النار ، فإنه حينئذ عبد حظه وأسير نفسه فلا يكون عبد الله ، لذلك أضافهم الحق إلى نفسه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ وفيه أقول :

وعشنا زماناً نعبد الحق للهوى ... من الجنة الأعلى وحسن ثوابه
فلما تجلى نوره في قلوبنا ... عبدنا رجاء في اللقاء وخطابه
فمرج أنواع العبودية الهوى ... سوى من يكن عبداً لعز جنابه
ونعبده من غير شيء من الهوى ... ولا للنوى من ناره وعقابه

ولا بد أن تعلم أن هؤلاء محفظون من الأعمال الشيطانية لا من الألقاآت والخواطر كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ الآية . انتهى ما في « تنبيه السالكين » من الباب السابع والعشرين ، راجعه في ١٣٥ قبيل باب ١٢٨ .

فائدة نفيسة

سألت شيخنا الشيخ حسن حلمي القحي عن معنى قول صاحب « بداية الذاكرين » : وعلامة صاحب الذكر الخفي أن لا يلتفت إلى الدنيا والآخرة . انتهى عبارته . فكتب في الجواب ما لفظه : أي لا يطلب من يذكر الله تعالى بالذكر الخفي شيئاً من حظوظ الدنيا ، كإرادة الثناء والمدح وغيرهما ، لأن الناس لا يطلعون على ذلك الذكر

الخفي ، بل لا يجوز أن يكون إلا خالصاً لله ولا من حظوظ الآخرة ، لأن الذكر خفية لا يطلع عليه الحفظة فيكتب ويذكر في ملأ من الملائكة والخلق في القيامة ، فهذا معنى عدم الالتفات إلى الدنيا والآخرة ، لا ما يفهمه من لا يعلم حقيقة الكلام ؛ من أنّ صاحبه يجب أن يكون متجرّداً عن الدنيا بالكلية . ومعنى الالتفات إلى الآخرة ؛ هو عدم قصد الذاكر شيئاً من حظوظها ، **فإن طلب حظوظ الآخرة كطلب حظوظ الدنيا عند العارفين** ، فإن العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه ، فافهم والسلام . انتهى من خطه قدس سره ، ورزقنا من فيوضاته وزاده قرباً على قرب .

الفريد السابع عشر

في الجواب : عن شبهة التي كتبها إليه بما لفظه : ومنها تصويركم صور المشائخ مع كون الشرع جاء بتحريم الصور جاء في الصححين من حديث عائشة .

وعبارة شيخنا في الجواب : فهل أنت نظرت بعينينك ترى أني صوّرتها ؟ وهل أخبرك واحد أني صورتها ؟ فالعياذ بالله من ذلك بيد أن واحداً من العلماء جاء لديّ ومعه صورة وجه الشيخ محمود أفندي التي صوّرها بقلم الرصاص كما أخبره الناس ، وكانت الصورة غير متممة وكانت مرقمة بالقلم . فبناء على ما في « ترشيخ المستفدين » كنت أريها للزائرين ليسهل لهم تصور صورة وجهه قدس سره وقت الرابطة للاستفاضة ، وأنت أسرعت للإنكار بمجرد الظن والوهم مع أنك تعلم أني لا يجهل على ما كتب الفقه في حق التصوير .

أيها الأخ ! قد كان لائقاً بكم أن تنكروا اتخاذ الصور على ما في اسكناس والفضة والذهب قبل إنكاركم على هذا . ومعلوم مشهور

أنكم تحفظون الإسكناس والفضة والذهب من مس الغبار ، وتعظمونها بوضعكم لها في الكاغذ المكتوب عليه اسم الله واسم رسوله ، ولا تبالون بذلك مع أنّ ذلك استخفاف بالله وبرسوله ، والاستخفاف بهما كفر كما هو مصرح في الكتب . وكنتم أيضاً تضعونه في الكاغذ الذي كتب عليه الحروف الهجائيَّة التي قال صاحب « البريقة » : للحروف المجردة حرمة . انتهى . ويعلم من هذا أنكم لم تكتبوا هذا الكلام لأجل تعليم ما نجهل ، بل في ذلك علة لا تصرّمها فترك العلة واجب على أمثالكم وخلوص النية من أبهى مآرب أهل الله لكن أكتب لك في حق تصوير الصورة قال مؤلف « فتح المعين » رحمه الله تعالى في بيان جواز إجابة الدعوة وعدم جوازها من الوليمة بما هذا نصّه ومنه صورة حيوان مشتملة على ما لا يمكن بقاؤه بدونه وإن لم يكن لها نظير كفرس بأجنحة وطير بوجه إنسان على سقف أو جدار أو ستر علق لزينة أو ثياب ملبوسة أو وسادة منصوبة لأنها تشبه الأصنام ، فلا يجب الإجابة في شيء من الصور المذكورة بل ، تحرم . ولا أثر بحمل النقد الذي عليه صورة كاملة لأنه للحاجة ولأنها ممتهنة بالمعاملة بها . ويجوز حضور محل فيه صورة تمتهن كالصورة ببساط يداس ، ومخدة ينام أو يتكأ عليها ، وطبق وخوان وقصعة وإبريق ، وكذا إن نقطع رأسها لزوال ما به الحياة . ويحرم ولو على نحو أرض تصوير حيوان وإن لم يكن له نظير . نعم يجوز تصوير لعب البنات لأن عائشة رضي الله عنها كانت تلعب بها عنده ﷺ كما في « مسلم » ، وحكمته تدريبهن أمر الترتيب . ولا يحرم أيضاً تصوير حيوان بلا رأس خلافاً للمتولي . انتهى عبارته ٣٢٤ من هامش « الترشيح » فراجعه .

ونصّ ما قاله مؤلف « ترشيح المستفدين » هذا : تنبيه ؛ قال القسطلاني على « البخاري » قال ابن العربي : حاصل ما في اتخاذ الصورة أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع ، وإن كانت رقماً

فاربعة أقوال : الجواز مطلقاً ، لظاهر حديث الباب . والمنع مطلقاً حتى الرقم ، والتفصيل ؛ فإن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم ، وإن قطعت الرأس وتفرّقت الأجزاء جاز ، قال : وهذا هو الأصح . والرابع إن كان مما يمتهن جاز ،

وإن كان معلقاً فلا . انتهى بالحروف . وانظر ما عمت به البلوى في هذه الأزمنة ؛ من اتخاذ الصور المأخوذة رقماً بالفُوتُغْرافِ ، هل يجري فيه هذا الخلاف ، لكونها من جملة المرقوم ؟ أم يجوز مطلقاً بلا خلاف ؟ لكونها من قُبَيْل الصورة التي ترى في المرآة ، وتوصّلوا إلى حبسها حتى كأنها هي كما تقض به المشاهدة ، حرّره . فإن لم أقف على من تعرض لذلك من باب المذاهب المتبعة وعلى كل ، ففيما نقلته مسخة للناس وسعة قول النقد الذي . . إلخ .

أفتى الشهاب الرملي بأن ملائكة الرحمة لا تمنع من دخول بيت فيه صورة ولو على نقد ، وخالفه حج في « الزواجر » أي : « والتحفة » والأقرب ما فيهما ، لأن العذر بالاحتياج وعدم إرادة تعظيمه لا يزيد على ملازمة الحيض للحائض . وقد ورد النص بأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه حائض . انتهى عبارته . وفي « عبد الحميد » على « حج » ما يؤيّد كلام الشهاب الرملي . انتهى عبارته ٣٢٤ .

وسمعت شيخنا ذا الجناحين العسلي رحمه الله تعالى يقول : إني رأيت في إستنبول صوراً كثيراً ولا أدري أهي جائزة في مذهب الحنفي أم لا . وقد اقتصرت أيها الأخ على هذا القدر ، فإن أردت الزيادة فراجع كتب الفقه من الوليمة ، فهذا والسلام من هذا الحقير القحي رحمه الله إفلاسه آمين .

الفريد السامن عشر

في الجواب عن شبهةٍ التي كتبها إليه بقوله ومنها إثباتكم للأشياخ أجراماً وأرواحاً عديدة تحضر عند كل من دعى إليه لقوله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ . انتهى .

وأقول في الجواب لما لم أجد الجواب : لهذه المسألة من حضرة شيخنا قدس سره أنقل هنا ما كتبه في ، كتاب « تنبيه السالكين » ، وعبارته :

مهمة

يقع السؤال بين الإخوان : إذا كان رجال كثيرون يرابطون روحانية الشيخ في آن واحد في أطراف متفرقة ، فكيف يكون بين أيديهم في تلك الحالة ؟ فنقول : فإن روحانيته نور منبسط ، فجميع المخلوقات فيه كذرة واحدة تحت الشمس ، فإذا دعاه ألف رجل من أطراف الدنيا يحضرهم في لحظة واحدة ، كذا في « مشارق الأنوار » . قال الإمام الأردبلي في « رسالته المكية » : فصل ؛ على المريد أن يتيقن أن روحانية الشيخ غير متحيّزة بموضع ، دون موضع وكل ما لا يكون متحيزاً استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ ؛ وإن كانت تفارقه شخصيتها ! والبعد إنما يتعلق بالمريد ، فإذا تذكر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه ، فتعلق به قلبه ، فاستفاد منه . و نقله صاحب « نور الهداية » وصاحب « الرحمة الهابطة » فراجعهما .

وفي « الرسالة القدسية » : يمكن للولي أن يعلم ويتوجه في ساعة ولحظة إلى أحوال السالكين ، ولو كانوا ألفاً ومائتين ، ويجيب لهم في القبر في تلك الساعة . انتهى عبارته ٧٢ . ونقل الشيخ سليمان الزهدي في « تبصرة الفاصلين » ما في كتاب « نفحات القرب والاتصال » ما خلاصته : إن الأولياء يظهرون في صورة متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم . انتهى عبارته ١٢ . وفيه أن الروح تظهر بسبعين

ألف صورة في دار الدنيا ، ففي البرزخ من باب أولى ! لأن الروح فيه أقوى وأكثر استقلالاً بسبب المفارقة من البدن . انتهى ١٢ انتهى عبارته ٢٤٨ . من الباب الثامن والعشرين راجعه .

وأما قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡـرِ رَبِّي ﴾ سبب نزولها كما قال ابن عباس : أن قريشاً اجتمعوا وقالوا : إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب ، وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب ، فبعثوا جماعة إليهم ، فقالت : سلوه عن ثلاثة أشياء ، فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبيّ ، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبيّ . فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم ، فإنه كان لهم حديث ، عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره ، وعن الروح . فسألوا النبي ﷺ ، فقال : أخبركم بما سألتم غداً ولم يقل إن شاء الله ، فلبث الوحي اثنا عشر ، وقيل خمسة عشر ، وقيل أربعين يوماً ، وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء . حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي وشقّ عليه ما يقول أهل مكة ، ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ ، ونزل في الفتية ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾ الآيات ، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ ﴾ الآيات ، ونزل في الروح قوله تعالى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الآية . فأصل السؤال من اليهود والناقل له قريش .

قوله (عن الروح) أي : عن حقيقة الروح الذي به حياة البدن ، وهذا هو الأصح وقيل الروح التي سألوه عنها هو جبريل ، وقيل ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك ، فيخلق الله تعالى بكل تسبيحه ملكاً . وقيل إنهم جند

من جنود الله على صورة بني آدم ، لهم أيدٍ وأرجل ورؤوس ، ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام . وقيل ملك عظيم عن يمين العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع في لقمة واحدة لابتلعها ، ليس شيء أعظم منه إلا العرش ، يشفع يوم القيامة في أهل التوحيد ، متحجب عن الملائكة لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره . وقيل عيسى ، وقيل القرآن . انتهى « صاوي » عبارته ٢٨٣ ج٢ من سورة الإسراء ، ومثله في « حاشية سليمان الجمل » . فلا يرد على قوله تعالى ما أورده السائل ، بيد أن العلماء قد افترقوا فرقتين نظراً إلى ما يفهم من ظاهر لفظ القرآن ، فنحن نبيّنها على وجه التفصيل إن شاء الله تعالى . فمنه فرقة أمسكت عن الخوض فيها ، وهم جمهور من السلف كابن عباس وعكرمة وغيرهما ، ومنهم الجنيد وقال : إنها أستار الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ، فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها شيء موجود . وقال غيره منهم : الإفاضة في بحث الروح بدعة في الدين ولم يبينه الله لرسوله ﷺ ، بل قال : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى﴾ فالاشتغال عنه غلو وعناد ، والتوغل فيما لم يرد به قرآن ولم يقم عليه برهان علوٌّ في الأرض وفسادٌ .

ونقل بعض الأئة الأعلام أن هذا لم يبيّنه أيضاً الرسل الكرام قبل خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفي « القرطبي » ما نصه : أي لأنه إذا لم يعرف الإنسان نفسه التي بين جنبيه مع القطع بوجودها فإنَّ عجزه عن إدراك حقيقة ربه من باب أولى ، وقريب منه عجز البصر عن إدراك نفسه . ثم اختلف أهل هذه الطريقة هل علمها النبي ﷺ قبل موته ؟ فقيل لا ، لحديث بريدة قال : لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح ، وقيل : بل علمها وأمره بكتمانه كالساعة ، وهو الصحيح كما نقل **أن الله تعالى لم يقبضه إليه حتى أطلعه على كل ما أبهمه عليه .** هذا حاصل ما قاله الفرقة الأولى .

ومنهم قرفة أخرى تكلمت فيها ، وأجابوا عن عدم بيان الرسل لها بأن قول غيرهم بين أن يقبل ويرد ، ويصدق ويكذب ، وكلام الرسل ليس كذلك والمسألة في نهاية الغموض ، وأكثر الأذهان ضعيفة ، وربما لم يفهم السامع ما يقال فيها على حقيقة فيعترض من قولهم على قولهم ، فلذلك لم يوردوا فيها الاشارات ورموزات .

وأما قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى ﴾ **فلا دلالة على المنع من الخوض فيها ولا أنه** ﷺ **لم يكن يعلمها** ، وغاية الأمر أنه أمر بترك الجواب عنها تفصيلاً ، إما لأن الإمساك عن ذلك كان عند اليهود السائلين عنها من دلائل نبوته ﷺ ، أو لأن سؤالهم كان تعنتاً . فإنها تطلق على معان منها الواحة وبرد النسيم ، وعلى جبريل والقرآن وعيسى عليها السلام كما ذكرناه قبيل هذا ، والحياة والقلب والرحمة وغير ذلك فاضمروا على أنه إذا أجاب بأحد هذه الأمور قالوا : لم نرده ، وإنما أردنا كذا ثم ، والأ تاويل فيها من الحكماء والعلماء الأقدمين مختلفة ، ولا يتم الجواب في محلّ الخلاف . فأتى الجواب محملاً على وجه يصدق على كل من ذلك مرموزًا ليعلمه العلماء بالله . وقد اقتضت المصلحة العامة مع الكلام فيه لغيرهم لان الأفهام لا تحتمله خصوصاً على طريقة الحكماء ، إذ من غلب على طبعه الجمود لا يقبله ولا يصدق به في صفة الباري ، كما سيتضح لك إن شاء الله تعالى ، فكيف يصدق به في حق الروح الإنساني !

ومن العامة من غلب على طبعه ذلك وجعلوا الإله تعالى جسماً ، إذ لم يعقلوا موجوداً إلا جسمانياً مشاراً إليه ، ومن ترقى عن العامية قليلاً نفى الجسمية ، وما أطاق أن ينفي عوارضها فأثبت له الجهة ، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً ، بل قال بعض المدققين : إن في الآيات الجواب ببيان حقيقتها ، لأن سؤالهم إنما كان عن صورتها وقدمها وحدوثها . فمعنى قوله : ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى ﴾ أنها من إبداعاته الكائنة بتكوينه من غير

سبق عادة ، وتولد من أصل أو أنه وجد بأمره وحدث بتكوينه ، كما ذكر كلاًّ البيضاويّ وليست أعراضاً تحلّ في الأجسام ، ولا هي أجسام لطيفة تنبت مماسة للأبدان ولا متداخلة فيها ، فبين أنها من عالم الأمر ، وقد قال ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ فجعل الخلق غير الأمر ، والخلق التقدير في الأشباح الظاهرة والأمر والتدبير في الأرواح الباطنة . وعالم الخلق عبارة عن كلّ ما يقع عليه مساحة وتقدير ، ويكون متشخصاً بهوّية محدودة مخصوصة ، وهو الأجسام وعوارضها وعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتحيّز ، ولا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه .

وفي الجواب بذلك ما فيه الكفاية لذوي البصائر والدراية ، ومقنع لمن كان له في النزاع إذا فصل مطمع . **أقول** : هذا هو الذي ينشرح له صدري ويستريح به سرّي وفكري ، فيكون قوله ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ على أن السؤال على حقيقتها مطابقاً إلا أنه إجمالي ، أي : من الممكنات التي يمكن الوقوف على حقائقها وإن كان بأعمال رَوِيَّة وإيقاظ فكر ، كباقي عالم الأمر . وعلى أن السؤال عن قدمها وحدوثها كذلك ، إلا أنه تفصيلي كما أشار إليه بقوله بتكونيه ، فإن التكوين يقتضي حدوث ما تعلق به .

وإن قيل : إنه صفة قديمة ، وأيا ما كان فلم يترك بيانها ، ولو كانت مما لا سبيل إلى معرفته لقيل : قل إنما علمها عند ربي ، كما قيل في الساعة أو نحو ذلك ، بل لو لم يكن السبيل لمعرفته ولو بوجه ما متيسرًا لكثير من الناس لم يكن لأمره بالتفكر فيها والتبصر في أمرها ، للاستدلال بها عليه والتوصل بواسطة معرفتها إليه ، الذي هو الغاية القصوى والنمرة العظمى من فائدة ، بل كان عبثاً ، فدلّ قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ وقوله : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ ونحو ذلك ، إنها أمر تدركه العقول ، وبه يكون إليه تعالى الوصول ، حينئذ

فلا تثريب علينا إذا سلكنا هذا السبيل وأوردنا في الكشف عن وجهها ، وما يعرب عما يقرب من كنهها بما عن الحكماء وغيرهم قبل ، قيل : فنقول وعلى الله قصد السبيل . انتهى . هذا حاصل ما في كتاب « باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح » للشيخ الفاضل عبد الهادي نجا الابياري نفعنا الله به والمسلمين ، راجعه في ١٩ .

وفيه أيضاً ما حاصله : إن الروح من أصلها كانت عاقلة عارفة دراكة[١] ، ثم لما تعلقت بالبدن عاقتها ظلمة العلائق الجسمانية ، وشغلها تدبير البدن ، وتصرفها فيه عن ذلك إلا بوسائط الحواس والآلات وقوتها ، ولذا إذا خلا الإنسان بنفسه وتجرَّد عن الالتفات إلى عالم الشهادة من المحسوسات ، والمتخيلات وخلع بدنه بعزله عن إدراكه رآى نفسه عالماً معنويّاً حيّاً عالماً بذاته ، لا يحتاج في إدراكها إلى غيرها . وهنا يتعين أن نفسه من عالم الأمر المتنزه عن إدراك الحواس ، ولو دام مدّة على هذا التجرد انكشف له باب الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت وأشرق عليه . انتهى راجعه في ٥٥ .

فائدة وفيه ما حاصله : قد يتوهم الناس أن إدراك الحواس الظاهرة أقوى من إدراك الحواس الباطنة ، لشهوده وتحققه ، وليس كذلك ، بل بالعكس ، لأن الحواس الظاهرة ضعيفة الوجود ناقصة الكون بالنسبة للقوى العقلية ، ولذا وقع التضاد والتزاحم في الحسيات . ألا ترى أنه كلما استراحت النفس من الاشغال والحركات الضرورية ، وتعطلت الحواس الظاهرة عن فعلها ، إما بالنوم أو الإغماء أو بانصراف النفس إلى أعمال الدار الباقية بقوة فطرية أو مكتسبة رجعت إلى ذاتها بعض الرجوع وانكشف لها الغطاء . انتهى راجعه في ١١٣ .

---

(١) **علّه** : مدركة .

أيها الأخ ظهر لك من كل ما ذكرناه في هذا الفريد ما ورد في حق الروح من أقوال العلماء المحققين ، وحقيقة اختلافاتهم ، وعلمت أيضاً معنى آية ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ ﴾ . . إلخ . فلكل وجهة هو موليها ، ولم يبق لك إشكال إلا إن كنت متعصباً أسير الأنانية ، عصمنا الله من شرور أنفسنا .

الفريد التاسع عشر

في الجواب : عن شبهة بعض المنكرين التي أوردها على تلقين الذكر للعرفاء ، والفساق والظلمة ، وكتب إليه النقول والصرائح لذلك . انتهى .

وعبارة ما كتبه إليه : بسم الله خير الأسماء ، وأنا الفلان الفلاني لما رأيت أكثر أهل الفساد والظلمة والسراق ، وبعض الرسماء متوغلين في الطريقة المحمديّة ويأخذون العهود من الأساتيذ مكبين على الظلم والحكم بالرسم العادي ، حاكمين به وبغير ما أنزل الله تعالى لم تتمالك قريحتي إلا بحثت مع العالم الأورعي المأذون الزاهد حسن القحي في ذلك ، فأجاب لي بما لا يطمئن القلب بجوابه كل الاطمئنان . ثم استأنفت السؤال عن كل من يجيب إليَّ بالنصوص الزاهق بالفصوص المسطورة في هذه الرسالة . كيف تتخذونهم مريدين في الطريقة النقشبندية ؟ ! مع أنهم غير حافظين آداب الطريقة النقشبندية ، والطريقة النقشبندية عبارة عن دوام العبودية بأشرف الطاعات على الإطلاق ، أعني به : ذكر الله تعالى بالاتفاق . وآدابها كمال التمسك بالكتاب والسنة ، وتصحيح الاعتقاد بمقتضى آراء أهل السنة ، والتوبة الصادقة وتزكية النفس عن الأخلاق الذميمة ، وهي كثيرة كما في كتب السلوك ، ورد المظالم إلى أهلها والاستحلال عن أرباب الحقوق ، والتعبد على الإلزام

بالسنة والدقة على على العمل بالشريعة ، والاهتمام على المجانبة من كل المنكرات والمبتدعات ، والغيرة على التباعد من كل الهواني والمذمات ، وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب ، فلا يتركها إلا لضرورة ملجئة ، ورخصته كالحرام فلا يرتكبها إلا لضرورة ملجئة ، إلى غير ذلك مما هي مبينة في كتب السلوك . وإذا كان آداب الطريقة هكذا فهل العرفاء من الذين يتمسكون بالشريعة المحمدية ؟ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ وراجع « الزواجر في اقتراف الكبائر » في الكبيرة السادسة ، وفيه بسط طويل . وعبارته : وقد قال ابن عمر في الجلاوزة[(١)] والشرط : هم كلاب أهل النار .

وقال مكحول الدمشقي : ينادي يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ، فلا يبقى أحد عبر بهم دواة وبرى لهم قلمًا فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار . .إلخ . وجاء خياط إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى فقال : إنا أخيط ثياب السلطان ، أفتراني من أعوان الظلمة ؟ فقال له سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم . « زواجر » عبارته . فإن كنتم تتحذون الرُسماء والسراق مريدية ، فهل قول حجر في « فتح المبين » في الحديث الخامس مما عبارته هذا : فمن الأوّل[(٢)] الانتماء إلى جماعة يزعمون التصوّف ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطريقة ؛ من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم ، بل كثير من أولئك إباحية لا يحرمون حراماً ، لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة ، فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوّف أو الفقر لا يعمل به ، وإلا فمن هم ومن الشنع . وما أحسن هذين البيتين من الخفيف :

طلع الفقر مستغيثاً إلى الله ... أن بعض العباد قد ظلموني
يسمون بي وحقك زوراً ... لست أعرفهم ولا يعرفوني

« حاشية مدابغي » .

---

(١) أي : أعوان الظلمة (هامش الأصل) .
(٢) بدعة السيئة .

فإن زعمتم أن رؤساء العصر ليسوا من المتصفين بالظلم والحكم بغير ما أنزل الله ، فمن المتصفون بها ؟ وأنتم تحكمون بالمريدية بإعطاء الورد وتعليم الرابطة مع التوجه منكم إليهم ؟ أم أنتم تحكمون بذلك بإلهام ؟ مع أن إلهام لا يكون حجة عند الأئمة ، كما في « حجر » في كتاب الردة ، وارجعوا إلى تقريرات المجدد غازي محمد الكمراوي والقدقي . . وإلخ في حق رسماء داغستان في ارتدادهم ، أهو في ذلك خطأ أم لا .

والحاصل إن الطريقة مبني على الشريعة وآسة الاسلام ، بل الطريقة تخلّق بخلق النبي ﷺ ، فهلا يكون افتراء عليه في تخلقهم بخلقه ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . . إلخ .

فإن صممتم على ذلك وتحكمتم لهم بالنفع ، مع مداومتهم على ما عليهم راجعوا في « تنبيه المغترين » واحكموا بما شئتم . وفي كتاب « الإحياء » وفي « الزواجر » : وعبارة الأول وكان عطاء السلمي يقول : لا ينبغي لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى إلا بعد التوبة والاستغفار ، فإن الله تعالى يلعن الظالم إذا ذكر ما دام الظلم هذا . وعبارة الثاني : روي أنه أوحى إليه ﷺ : قل لعصاة أمتك لا تذكروني ، فأني آليت على نفسي من ذكرني ذكرته باللعنة . هذا عاص غير غافل ، فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان ؟ ! انتهى . وعبارة الثالث : روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر إلى ظلمة بني إسرائيل أن يقلّوا من ذكري من ذكرني ، فأني أذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن ألعنهم . انتهى من عبارته . ثم رأيت في « الميزان » لعبد الوهاب الشعراني ما عبارته : أوجبوا على المكاشف أن يعرض ما أخذه من العلم من طريق كشفه على الكتاب والسنة قبل العمل ، فإن وافق فذاك ، وإلا حرم عليه العمل . إلخ . فإن الله تعالى قد أقدر على إبليس ، كما قاله الغزالي أن يقيم للمكاشف صورة المحل الذي يأخذ علمه منه من

غمامة أو عرش أو كرسي أو قلم أو لوح ، فربما ظن المكاشف أن ذلك العلم عن الله تعالى « ميزان » عبارته . وراجع « الحديقة الندية » شرح « طريقة محمدية » وفيه ما هو أبين من هذا . انتهت عبارة السائل .

فأجاب شيخنا المرشد حسن حلمي القحي قدس سره ونفعنا به والمسلمين ثانياً بما هذا عبارته : قوله (وآدابها كمال التمسك بالكتاب) . . إلخ . نعم فنعم ؛ لكن قالوا إن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

وقاعدة المشائخ مع المريدين أن يلقنوا لهم الأذكار حين جاؤوا لديهم بعد الاستتابة وبعد تعلمهم كيفية الاستعداد في مدة ، وأن لا يكلفوهم على استعمال آداب الطريقة واستفصال التوبة إلا بعد زمان وحين ، بل يرخصونهم ولا يمنعونهم من ارتكاب الرخص الشرعية . ثم إذا تمهدوا لهم بساطاً يجرونهم إلى الأخذ بالعزائم تدريجاً ، راجع « فتاوى ابن حجر » من الخاتمة ، و« عوارف المعارف » ، و« البهجة » ، و« المتممات » .

قال قطب أحمد ضياء الدين : **واعلم** أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ، ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبية ، لا بإرادة والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب ، وتبسطهم في الملابس والمنارش وتلبسهم بالمخالفات .

فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرك وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة ، حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها . وليسارق الشيخ نفسه الأمارة الآبية بالتدريب والتوطين ، لئلا تنفر وتملّ وتيأس من الإصلاح ، وتقطع الرجاء فتصرّ على المعاصي أمرٌ حسنٌ وهو من سياسات الإرشاد . ولو قال له أول الأمر : اترك الدنيا واخرج

من كل المظالم ، وصحح التوبة وإلا فلا ألقنك الذكر ، ولا يكون قبول ينتج الهداية لنفر لاستصعابه كل ذلك ، ويحرم تلك الفائدة ، وربما يصل إلى حدّ اليأس . وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار ، فإن بعضهم قال : أدخل الاسلام بشرط سقوط الصبح عني ، وبعضهم بشرط غير ذلك فقبل منهم سرّاً ليدرجهم إلى تمام الهداية تدريجاً ، فتدرجوا عليها كما هو مستفيض .

وأوحي إلى داود عليه السلام : **يا داود – لما أنف من مجالس بعض الفساق ونهاهم عن مجلس وعظه – أن المستقيم لا يحتاج إليك والمعوج إذا لم تقمه فلم أرسلت** . فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة إفادته . فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم الباطنة ؟ ! وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا لمعوَّج ؟ ! « متممات » عبارته ١٨٥ . وهذه السياسة الحسنة مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليه المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامة المسلمين . وإن كنت في شك مما بيَّناه فارجع « الإحياء » ، و« المنن الكبرى » ، و« طبقات الصوفية » للشعراني . انتهى منه عبارته ، راجعه ففيه زيادة بسط .

وفي « الدرر المكنونات » : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجه أيا من كان مناسب ، بل لازم . انتهى من عبارته . وراجع « تبصرة المرشدين » و« البهجة » . وفي « البهجة » وكذا في « معرب المكتوبات » : وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض مكاتبه مجيباً لمن سأله أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رباً : لقنوهم الذكر وعلموهم ورغبوهم في الاجتناب عن المحرم ، ولعلهم يتخلصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . انتهى من عبارته . وفي « ترصيع الجواهر » : إن بعض المشائخ يربون تلامذتهم بالشهوات . وفيه ما حاصله : إن المشائخ مأمورون باستمالاة

قلوب الناس ولو قلب كافر . وأما الأمر بإهانة الكافر والعاصي المجاهر فهو في حق غير المرشد ، ولذا قال سيدنا عبد القادر : لا يضحك في وجه الفاسق غير العارف ، يضحك في وجهه ليتألفه ويخلصه من فسقه . انتهى راجعه .

وفي « المنن » للشعراني : لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة . وفي « البهجة » : ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التربية ، ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي ، فإن الهمم في هذا الزمان قاصرة ، والتكليف بالتفصيل فيها يقتضي مدة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام . انتهى من عبارته .

وقوله : (بالكتاب والسنة) . في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : لايشترط في مقام الاتباع له ﷺ عدم وقوع المعصية ، وإنما الشرط عدم الإصرار . راجعه . قوله : (وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب) . . إلخ . في « المتممات » و« الأدب المرضية » و« ماهيّة التصوّف » : وإن لم يمكن العمل بالعزيمة بأن يكون من أهل . . إلخ . وآه وآه ، فليعمل بالرخصة . انتهى وفي « الحدائق الوردية » : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعب جدّاً لفساد المعاملات وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة . انتهى . ومثله في « النفائس السانحات » راجعه .

قوله : (فهل العرفاء) . . إلخ . فإدخال المشائخ العرفاء في الطريقة سبب لجرّهم إلى التمسك بحبل الشريعة ، بل هو سبب لتكفير ذنوبهم وطرد الغفلة من قلوبهم ، ولو طردوهم لفاتت منهم هذه المنافع ، فافهم منه . قوله : (فإن كنتم تتخذون الرسماء والسراق مريدية . . إلى قوله : باطل) . انتهى . لا ولا ! ! لكن لعل ذلك في حق قوم يدعون أنهم من الصوفية كالمتشيخين المتحلين الذين تصدروا للإرشاد محضاً لجلب الدنيا والدراهم يغرُّون الناس بالحيل الباطلات ، عياذاً بالله من هذه الغرورات .

وأما المريدون الذين لهم نفوس أمارة وأخلاق سيئة فلا يدخلون في ذلك الوعيد ، لأن الإرشاد إنما وضع لأجل المعوجين صواحب النفوس الأمارة ، وتلقين الأذكار هو العلاج لتلك الأمارات ، والذكر أعظم أسباب الندم والتوبة ، لأنه إذا أكثر الشخص ذكر ربِّه يوقد في قلبه مصباحاً ملكوتيًا فيرى قبائح أعماله ورزائل أخلاقه ، فيتشمَّر حينئذ في إزالتها .

وقد كان عبد القادر الكيلاني يأتيه الرجل ويشكو بالتهاون في الصلاة ، وآخر بالزنا ، وآخر بغيرهما من المنكرات ، فيأمرهم بالذكر ، هكذا في « السير » و« السلوك » فراجعه .

قوله : (والحاصل إن الطريقة مبني على الشريعة وأسة الإسلام) . انتهى نعم ! لكن لما كانت الشريعة معلولة غير كاملة وضعت الطريقة لأجل تكميلها ، والطريقة تجر إليها تدريجاً ، راجع « البهجة السنية » من مناقب الإمام الرباني . قوله : (بل الطريقة تخلق) . . . إلخ . نعم . فنعم ! لكن إن كل من دخل في الطريقة كالمرضى يعالجون أمراضهم ، ولا يخفى أن كل من يعالج مرضه لا يصح وقتاً ، بل يستعمل الدواء لمرضه زماناً رجاء صحته عن مرضه ، ولا يخرج الرجل من صفة التقوى لارتكابه الفاحشة وعدم تخلقه بتمام الأخلاق المرضية ، لأن الله تعالى قال : ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ﴾ . . إلخ ، وعطف عليه قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ . . إلخ . فافهم وراجع « فتح المبين » و« المنن الكبرى » .

فالحاصل : أن من تخلق بالمحمودات وتخلى عن المذمومات فهو صحيح سليم لا يحتاج إلى طبيب يداويه ، وأمّا الذي ليس له قلب سليم يجب عليه تعلّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد ، كذا في « روح البيان » . و« ابن حجر » ، و« الرملي » من كتاب « السير » فراجعهما .

قال الشعراني في « المنن » ما حاصله : **إن من غلب عليه محبة للمعاصي ووقوعه فيها ، وقساوة قلبه ، وعدم انشراح صدره للتوبة فهو كالمريض الذي يشكو أمراضه للطبيب ، فلا** ينبغي له أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر عليه . . وإلخ ، من عبارته .

وفيه : وإيّاك يا أخي وأنهر[1] أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه . انتهى عبارته راجعه في ٨ من الجزء الثاني . وفي « المواهب البريقة » ما حاصله : إنه ليس شيء أنفع لدفع الرياء وغيره من المذمومات من كثرة الذكر ، فراجعه .

قوله : (فإن صممتم على ذلك وحكمتم لهم بالنفع) . . إلخ . فكيف لا تحكم بالنفع ! ؟ وعند شيخنا العسلي كثير من المريدين قد كانوا يرتكبون المعاصي من السرقة والزنا وشرب الدخان ، وبعد صحبتهم معه قد تركوا تلك الأشياء وحسنت أحوالهم بفضل الله سبحانه ، ولو كان طرّدهم لفاتت منهم تلك المنافع ولداموا على ما كانوا عليه من أصرارهم على معاصيهم .

ولقد علم من كتب السير أن عمر رضي الله عنه ذهب لدى أخته وصهره إذا سمع أنهما أسلما على قصد قتلهما ، وكان معهما واحد من الصحابة يعلمها سورة طه ، فلما وصل لديهم عمر رضي الله عنه توجه إليه كل منهم فانطفأ نار الكفر من قلبه وأسلم وقتئذ بيمن توجهاتهم ، وكذا وقع لعبد القادر الكيلاني قدس سره مع واحد من الكفار ، راجع « قلائد الجواهر » . وتدبَّر فإذا كان الكافر المجرد ينفعه التوجه والصحبة فما تقول أيّها العالم في مسلم وأبوه مسلم ! أفتحكم أنه لا ينفعه والله الهادي ! ؟

وأما ما نقلت من « الإحياء » و« الزواجر » فهو في حق أمم الأنبياء الماضين ، وأما في هذه الأمة المحمدية المرحومة فقد قال :

---

(١) **لعله** نهر .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ولم يقل : أيها الصالحون ، بل عمهم الصالح والطالح ، مع أن جميع ما نقلته مروية بصيغة التمريض لا بصيغة التصحيح ، ومع أن الشريعة السابقة ليست شريعة لنا ، كذا في « فتح المبين » و« الخادمي » ، ولقد رفع الله سبحانه التشديد الذي كان على أمم الأنبياء الماضين عن هذه الأمة ، كما هو مأخوذ من أواخر سورة البقرة .

وفي الأحاديث الكثيرة ما يحث بها العاصي ذكر ربِّه ، فكيف لا ! وقد قال عليه السلام « اتبع الحسنة السيئة تمحها » . فلا نطيل بذكر الأحاديث . فلو كنت يا أبي علمت أحوال أهل الرسم والعرفاء قبل هذا لكان خيراً لك ، ولكن لم تعرف ولم تدرك إلا بعد أخذك حظّاً وافراً من أحوالهم ، فلعل الله يغفر لك ما تقدم . ثم إني لم أسمع أنك تقول ولو لأحد من العصاة أنه لا يجوز له أن يذكر الله إلا هذه الطائفة المنتسبة إلى المشائخ ، فما الفرق بينهم وبينهم ؟ ولقد أمر الله تعالى على كل مؤمن عاصياً أو غيره بإقامة الصلاة ، وهي كلها ذكر وقراءة ومكالمة ومناجات ، ولم يقل أحدٌ بعدم جواز إقامة الصلاة لواحد من العصاة ، فافهمه .

فقاعدة الدعاة إلى الله أن يتهددوا الناس بشيء من المواعيد الواردة في حديث نبيِّهم مثلاً ، ثم يؤيّدون ما قالوا بشيء مما في كتب الأنبياء السابقين ، فلعل ما في « الإحياء » و« الزواجر » من هذا القبيل ، وإلا فيعارض على كثير من الأخبار قال في « الفتاوى العمرية » ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربما يحصل له أجر جزيل . وفي الحديث « إن أهل الذكر يجلسون إلى ذكر الله وإنّ عليهم من الآثام مثل الجبال وأنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » . انتهى من عبارته . وفي « هدية الذاكرين » : وأمَّا تلقين الذكر للعوام فلعموم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ . .إلخ . انتهى

فراجعه . ويجوز أن يكون ما في « الإحياء » . . وإلخ ، في حق قوم مخصوصين يذكرون الله استهزاء وسخرياً مع إصرارهم على المعاصي وعدم مبالاتهم بارتكاب المناهي ، والله أعلم وإليه يرجع الأمر كله ، وأستغفر الله من ذلة قلم ومن كل قول صدر مني ، وهو الغفور الرحيم . والسلام من الكاتب القحي وأوصيكم بالدعاء .

وأقول - فلله الحمد وبيده أزمة التحقيق - إن السائل المذكور رحمه هو الذي أصابته الأفة بتركه حرمة الشيخ العسلي وهو المراد ممن ذكره شيخنا في « تنبيه السالكين » ، وعبارة ما ذكره فيه في حق ذلك الرجل : وكذا كتب إليه عالم آخر مكتوباً بأنه لا يجوز له تلقين الذكر للعوام ، وكتب فيه كلاماً بارداً ، وساء به قلب الشيخ ، فطرأ على ذلك العالم مرض الارتعاش ، وصار أمره بحيث لا يطيق أن يأخذ الكوز بيده للوضوء ولا لغيره ، ولا يطيق أن يربط حبل إزاره ، وصار جميع أجزائه . يتحرك بحركات عجيبة قال أهل جماعة ذلك العالم : إنّ يده لم يقدر أن يمسك القلم بعد كتابة ذلك المكتوب ، وقد بقي المكتوب المذكور بلا إتمام ، ورأيته فوجدته كذلك . انتهى ٢٠٧ من الباب الرابع والعشرين .

وقال أهل جماعته أيضاً : بقي ذلك العالم رحمه الله في تلك الحالة التي يرحم عليها[1] كل من رآه ، ومات أولاده قبله ولم يبق من يقوم بأمره إلا بنتاً واحدة التي تزوجت في قرية أخرى ، وذهب لديها وسكن عندها فثقلت إعانته وتربيته وكرهته ، ثم ألقته بإعانة زوجها من طرف الغرفة ورموا عليه الأحجار ليقبض روحه سرعة ، فقتلوه كذلك ومات رحمه الله إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله تعالى أعلم .

---

(١) **أي** : الحالة .

وقال الإمام الشعراني في « تنبيه المغترين » ما حاصله ومن أخلاقهم رضي الله عنه كثرة الشفقة على المسلمين الطائع والعاصي وعلى سائر الحيوانات ، والعمل على حصول عدم نقص لدين أحدهم ، وهذا من أشرف أخلاقهم ولا يقدر على العمل به إلا من نوَّر الله تعالى بصيرته ، وكان أشفق على الناس من أنفسهم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ ، وهناك يرغب الناس في القرب منه حتى ربما زادوا في الدار المجاورة له أكثر من المجاورة لأهلهم .

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : يزاد في ثمن الدار إذا كان جارها طلق الوجه حلو اللسان . انتهى . وكان عبد الله المغاربي رحمه الله تعالى يقول : **من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق** وقد كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى إذ رأى عاصياً دعا له بالمغفرة ورجا له الرحمة ويقول : إن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ وبعثه لنجاة الناس والرحمة لهم ، والشيطان لعنه الله بعث لإهلاكهم والشماتة فيهم ، قال : ومرَّ على معروف رحمه الله قوم في زروق في الدجلة وبين أيديهم الخمر ونحوه ، فقيل له : ألا تدعو الله على هؤلاء القوم العصاة ؟ فقال : اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة ، فقالوا له : إنما سألناك أن تدعو عليهم وها أنت تدعو لهم ! فقال : معاذ الله إن ندعو على مسلم وإن الله تعالى لا يفرحهم إلا أن تاب عليهم في الدنيا وغفر لهم ، وهذا من حسن سياسته رحمه الله . وكان إبراهيم اليتمي رحمه الله لا يدعو قط على من ظلمه ويقول : يكفيه ما حصل عليه من وزر ظلمه .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا نزل بفناء داره رفقة وناموا يسهر يحرس متاعهم إلى الصباح من غير علمهم بذلك . **وقد روى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يا ربِّ دلني على أحب الخلق إليك ، فقال الله تعالى : « يا موسى أحب الخلق إليّ من إذا**

سمع بأن أخاه المؤمن شاكته شوكة حزن لها كأنها شاكته هو » . انتهى . وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى يقول : بلغنا أن رسول الله ﷺ جلس يوماً في الظلّ وأصحابه رضي الله عنهم في الشمس ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمد أتجلس في الظل وأصحابك في الشمس ، أي عاتبه ﷺ تشريعاً لأمته . وكان أبو عبد الله ابن عون رحمه الله تعالى يقول : أول ما يرفع من هذه الأمة الرحمة والشفقة . وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى إذا حصل لأحد من المسلمين أمرٌ يهتم به سفيان ، حتى ربما يبول الدم من شدة الحصر . وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول : من علامة الأبدال كثرة الشفقة والرحمة لعامة المسلمين . وكان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول : من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم اصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، كتبه من الأبدال . انتهى . **فاعلم** ذلك يا أخي واقتد بسلفك في الرحمة ، والحمد لله رب العالمين . انتهى عبارته ٤٥ .

وقد قال السفيري في « شرح البخاري » : إن موسى عليه السلام قال في بعض مناجاته : يا رب قال له تعالى لبيك يا موسى ، فقال له موسى : يا رب أنت أنت ومن أنا حتى أجاب بالتلبية ؟ فقال : يا موسى إني آليت على نفسي أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية ، فقال موسى : يا رب هذا لكل عبد طائع ؟ قال : ولكل عبد مذنب . قال يا رب الطائع بطاعته ، فما بال المذنب ؟ فقال الله تعالى : يا موسى إذا جازيت المحسن بإحسانه وضيّعت المسيء بإساءته فأين جودي وكرمي . انتهى . هكذا في « تنوير الصدر » شرح « حزب البر » في ٢٧٦ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

فلا وجه لأحد للطعن على المشائخ الكرام بتلقينهم الأوراد للعرفاء وأمثالهم ، مع أنهم لا يلقنون الذكر إلا بعد تلقين التوبة وتعليم الإنابة احتياطاً ، فإن استقام المريدون فازوا وإلا فالضرر راجع إليهم لا

إلى المشائخ ، فأي رجل خرج من العصيان مع أن العصمة من خصائص النبوة . انتهى . ولقد قال المحشي « الحفني » : إن أصل الولاية تحصل بالشهادة ، ولذا قال بعض العارفين : إيّاك ومعادات أهل لا إله إلا الله ، فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة وهم أولياء الله وإن أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة . انتهى عبارته ٢٤٠ من هامش « المنح المكية » .

واعلم أيها الأخ المعترض على أولياء الرحمن أن للمشائخ قدس الله أسرارهم اقتداء برسول الله ﷺ في تلقين الأذكار لكل من جاء لديهم ، وأخذ المبايعة معهم . فلم يبلغنا أن رسول الله ﷺ منع العاصين والفسقة من المبايعة معهم ، بل ثبت أن المبايعين أرادوا المبايعة له ﷺ على أربع صلوات أو أقل من ذلك فبايعه على ذلك ، وقال : الصلاة لا تترك . فكذلك الشيوخ يقنعون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة ، اعتماداً منهم على أن النور الإلهي إذا تمكن من قلبه يأبى أن يكون كل حركة وسكنة منه إلا بالله سبحانه وتعالى ، ثم يلقنه ذكراً مناسباً لحاله ، ويمدّه في ذلك بتوجهه وهمَّته ، ويبيِّن له أدب الطريقة وشرائطه ، ويرغبه في متابعة الكتاب والسنة ، ويقطع عنه الكلمة بأن الوصول إلى المطلوب لا يمكن إلا بهذه المتابعة ، وينبِّهه على أن الوقائع والكشوفات المخالفة ولو بأدنى مخالفة لكتاب والسنة ، لا يلتفت إليها أولوا الأبصار ولا توزن بميزان الاعتبار ، راجع « البهجة » .

وقال شيخنا في « تنبيه السالكين » بعد ذكره مثل ما ذكر من سياسات المشائخ : ومشى شيخنا العسلي قدس سره على هذه السياسة ، وكانت عادته رضي الله عنه أن يلقن الذكر لكلِّ من جاء لديه من أرباب الحشيش وأهل السعوط ، أو شربة النبيذ ، وغيرهم من أهل الفسق والعصيان ولا ينهاهم عن تلك القبائح ، بل كان يلاطفهم ويداريهم ويمزحهم كأنه مثلهم ثم بعد زمان كانوا يتركون الشرور والمناهي ولا يرتكبون الفسق

والمعاصي ، فيتدرجون إلى الخيرات ، ويتسارعون إلى الحسنات ، ويتيقنون بركة الأذكار . ولا يزالون يذكرون الله بالقلب واللسان . فلو كان قدس سره منعهم أوَّل الأمر من الارتكاب على تلك القبائح لنفروا منه ، ولفاتت عنهم تلك المنافع واستمروا على العصيان . وبعض الخير يجرّ إلى الخير كما أن بعض الشر يجرّ إلى الكل ، فافهم . قال المحققون : من شرط الداعي إلى طريق الله معرفته السياسة قبل الدعاء ، ليدعوا كل إنسان من الطريق التي يسهل عليه انقياده له منها . انتهى .

واعلم أنه قد يكون الذنب للعبد خيراً من الطاعة ، وقد يدخل الرجل الجنة بسبب المعصية ، ولا علم لنا في أيّ الأمرين صلاح الإنسان . وقال ابن عطاء الله في « تاج العروس » في ٢ : فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار[١] . انتهى عبارة كلام « التنبيه » ، راجعه في ٦٠ .

الفريد العشرون

في الجواب عن شبهة بعض العلماء التي أوردها على ما في سلسلة الخوجكان بهذه العبارة ، ومن تخلق بمجموع هذه الأخلاق (٥١) ، فصح له دعوة الخلق إلى الشريعة وهداية السالكين إلى الحقيقة . انتهى . وعلى ما في « سلك العين » من بيت : والإذن فتح ببسط القلب يفهم ما يلقى عليه من أسرار السنيات . انتهى .

وحاصل ما كتبه إلى شيخنا : لو سلك واحد في سلسلة الشيخ النقشبندي وسعى بما أمره الشيخ ، وفتح عليه الرحمن . .إلخ ، ولم يأذن له الشيخ أو كان الشيخ على قصد إعطاء الإذن ففاجأه الموت

(١) والاستكبار .

فمات الشيخ قبل إعطاء الإذن له مع كاغذ الإجازة ، ألا يمكن له إرشاد الخلق واتخاذ المريدين وتعليم الأوراد أم لا ؟ وإن لم يمكن فما معنى قول خوجكان المذكور : وأيضاً لو تشيخ الناقص بالإذن من الكامل والإجازة منه ، فلو مات الشيخ الكامل قبل كمال الناقص ، فما حكمه أيصير كاملاً أم يسقط عنه الشيخوخة ويصير مريداً . انتهى .

وعبارة شيخنا في جوابه ؛ فأقول والله أعلم : لا يجوز إرشاد الخلق وتعليم الأوراد وتلقين الأذكار لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ولو مشى على جميع مقامات الطريق بالتفصيل ، وفتح له فيه بلا ترديد ، وتخلق بالأخلاق المحمودات بلا تعطيل ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين عارف يعرف أسرارها مأذون من قبل شيخه الكامل المأذون له من قبل شيخه ، وهكذا إلى أن يتصل إلى النبي عليه السلام . والسر في ذلك ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ . **فلو جلس واحد للإرشاد بغير إذن شيخه لا يجاوبه أرواح المشائخ ، ولا يجذبونه إلى الله تعالى ، ولا يحفظونه من وساوس الشيطان ، بل يقطعون عنه المدد بالكلية ، ولا يفيضون عليه شيئاً من الفيوض** ، ويطردونه طرداً بليغاً ، فكيف يصل الفيض والمدد منه لمن تبعه من مريديه ؟ ! حاشا ذلك وكلاّ ! لان الشيخ واسطة بين الله وبين المريد . ومتى طرد الواسطة لم يبق للمريد سبيل للاتصال بشيء من فيض الموسوط ؛ وإذا ذهب الواسطة ذهب الموسوط ، مثل مشهور .

ولا يخفى أن التصدر للإرشاد بغير إذن أمارة حب الرياسة ، **فلا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً إلا إذا ساوى عنده الشهرة والخمول وحب الرياسة وإرسال الستور** . ومن جلس على بساط الملوك قبل أوانه عوقب بحرمانه ، قول مشهور . والله أعلم . فحاصل كلام أئمة الطرق أن اسم الولاية يطلق على من تخلى من الأخلاق المذمومات وتحلى بالمحمودات ، ويطلق في اصطلاحهم على من حصلت له

التخلية والتحلية أنه فانٍ وباق ، ولا يحصل الفناء والبقاء إلا بالسير الأفاقي والسير الأنفسي ، وبحصولهما يحصل نفس الولاية والكمال والاسترشاد . ثم إن حصل للسالك بعد ذينك السيرين سير رجوعي ، وهو السير عن الله بالله ، وكذا السير الذي يقال له في اصطلاحهم : سير في الأشياء بالله ، فذا لأجل التكميل والإرشاد ، ويقال لمن حصل له السيران الأولان : واصل واقف ، ولمن حصل له السيران الأخيران : واصل راجع ، أي : راجع إلى دعوة الخلق إلى الله ، ولذا قيل : النهاية الرجوع إلى البداية . فحال الواقف أصفى وأحلى ، وحال الثاني أوفى وأعلى ، كذا في « الرشحات » في ١٤ .

وهكذا الفتح اثنان ؛ ظلمانيّ ، ونوراني . وفي الظلماني يشترك أهل الحق وأهل الباطل ، وأكثره شيطانيّ كما وقع ذلك لكثير من الأولياء ، **ولا يخفى أن الوصول والوقوف أو الرجوع ، وكذا الفتح بالفتح النوراني الرباني** الخاص بأهل الحق ، أو الظلماني الشيطاني المشترك بينهم وبين أهل الباطل ، لا مجال لمعرفتها إلا من شيخ كامل مكمل قد خبر الطريق ، وعرف المهالك والمقاطع شيطانية كانت أو نفسانية ، فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعيان كشيخه ومرشده الكامل ، ويأمره بالإرشاد والتلقين وليس له إلا بشهادته نصيب من مقام الإرشاد بإجماع القوم ، كما مرّ . فعلم مما ذكر **أن الإطلاقات التي في نحو سلسلة الخواجكان وغيره محمولة إلى هذه المقيّدات ، وإلا فيخرق بها الإجماع** ، كما هو معلوم لدى كل من مارس كتبهم .

وتقييد البعض مقدم على إطلاق البعض إذا فرغ عليه أو كان له دليل ، كما هو مفهوم ما في « الشهاب » من أوله في ،١٢ وفي « ح ر م » : يجب العمل بإطلاقهم حتى يوجد صارف منه . وفي « ابن حجر » : من الإيمان العام يجري على عمومه ما لم يخصّص ذلك العام بالإجماع ،

راجع « المدارج » ، و« المواهب البريقة » ، و« المتممات » ، و« درر الغواص » ، و« البهجة » ، و« الحدائق الوردية » . والتقييد في هذا الذي كلامنا فيه من المجمع عليه فيما بين القوم لا من بعضهم .

قال في « الأنوار » و« شرح الروض » : ويرجح أيضاً بالكثرة ، فلو جزم مصنفان بشيء وثالث مساو لأحدهما بخلافه رجحناهما عليه . وفي « القيلوبي » على شرح « التحرير » : وكثرة النقلة تفيد الترجيح ، فلا يعارضه تصحيح الأقل لمقابله . انتهى . وفي « حاشية زكريا » على « الجوامع » : من بحث التواتر أن ما عليه الأكثر هو الحق . انتهى . وفي « ابن حجر » من أوائله ما لفظه : لأن الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير . انتهى عبارته ١١ .

ولقد أخبرني أخونا العالم سيف الله الحسيني قدس سره أن جامع القطبتين محمد ذاكر قد أشار إلى واحد من مريديه أنه يأذن له ، ففرح ذلك المريد بذلك وانبسط ، فأخَّر إعطاء الإذن له إلى أربع سنين عقوبة على فرحه وانبساطه . انتهى . وقد يكون للشيخ مريد يجوز أن يأذن له ، لكن يكون ذلك المريد لا يطيق أن يحمل سرَّ ذلك الشيخ حتى يموت الشيخ ، ويكون ذلك السر وديعة عند شيخ آخر ، ثم إذا أطاق ذلك المريد حمله يعطيه الشيخ الذي كان السر عنده ويجيزه له بالإذن الإلهي . وقد يموت الشيخ وليس له وارث سره من مريده ، هذا ما ظهر لي من كتب متعددة . وقد أجمعوا على أنّ من لم يأذن له الشيخ لا يجوز أن يتصدر للتلقين ، كما هو مذكور في « المدارج » للشعراني ، و« المتممات » ، و« جامع الأصول » للغوث الأعظم أحمد ضياء الدين ، و« درر الغواص » وغيرها . انتهى .

وقوله : (فما حكم أيصير كاملاً أم يسقط عنه الشيخ ويصير مريداً) . **جوابه :** لا يسقط ذلك الناقص عن مشيخته لأن مشيخته ، مبنية على مشيخة الكامل ، وتربيته وتصرفه مبنيتان على تربيته وتصرفه ،

وتلك المذكورات لا تنقطع بعد الموت ، بل تقوى وتتأيد ويكون ذلك الناقص في حجر تربيته كما كان قبل موته بلا فرق مّا ، وقد يجوز أن يفوق على شيخه ، كما وقع لغوث الخلائق محمود أفندي قدس سره .

قال الشيخ أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » : ونقل عن الأجهوري : الوليّ في الدنيا كالسيف في غمدة ، فإذا مات تجرَّد منه فيكون أقوى في التصرف ، كذا نقل عن « نور الهداية » لأبي علي السبخي . انتهى . وهكذا كرامة الأولياء باقية بعد موتهم .

نقل عن إمام الحرمين أنه قال : لا ينكر الكرامة ولو بعد الموت إلا رافضي . وعن الرملي أيضاً بعدم انقطاع الكرامة بالموت ، كذا في « البريقة » في ٢٧٠ من الجزء الأول ، وهكذا في كتب عديدة . ولجميع ما ذكرته نقول آخر ولكني طلبت الاقتصار واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق ، إذ من لازمه استشكال الأحكام بعضها بعضاً ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثاً ولا أثراً ولا قولاً للأئمة يناقض آخر ، فهذا . والسلام آخر كل كلام ، والمرجو من جنابكم الدعاء والصفح عن الملام . انتهى من خطه قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته .

أقول : وفي « خزينة الأسرار » في ١٦٦ : فمن لم تتصل سلسلة إلى الحضرة النبوية فإنه مقطوع الفيض ، ولم يكن وارثاً لرسول الله ﷺ ولا تأخذ منه المبايعة والإجازة ، لما ورد في الحديث « العلماء ورثة الأنبياء » بأسانيد صحيحة ، ولما أخرجه الطبراني عن عبد الله بن بسري ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى لمن رأى وآمن بي ، وطوبى لمن رأى من رآني ، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي ، وطوبى لهم وحسن مآب » . قال الشيخ أبو عبد الله السلمي قدس الله سره قوله : طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني ، أي : طوبى لمن أثَّر فيه بركة نظري ومشاهدتي ، ولمن أثّر فيه مشاهدة أصحابي ، وهكذا حالاً بعد حال إلى أن بلغ حكماء الأمة وأولياء الله تعالى في

أزمنة . **فكل من أثر فيه نظر حكيم أو مشاهدة وليٍّ فإنما ذلك التأثير من نظر النبي ﷺ** إلى أصحابه على اختلاف أحوالهم ، فأثر كلّ واحد بحسب حاله ، ولهذا جرت التأثيرات من المشائخ للمريدين ، ويجري إلى آخر الدهر لأن إسناد الحال كإسناد الأحكام . انتهى عبارته .

وفي « تنبيه السالكين » ما نصه : وفي « الطبقات » : من لم يأخذ آدابه عن المؤدبين أفسد كل من تبعه ، ومن كان فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته لئلا يعود إليك شومها ولو بعد حين . انتهى . كذا في « سلم المريد » . وقال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتبه : وأقوى أسباب وقوع الفتور على طلب الطالب هو الإنابة إلى الشيخ الناقص ، وهو الذي جلس على مسند المشيخة بدون إتمام أمره بالسلوك والجذبة ، فصحبته سم قاتل للطالب ، والإنابة إليه مرض مهلك . ومثل هذه الصحبة يورث الانحطاط والتنزل للاستعداد العالي ، بل ترميه من الذروة إلى الحضيض . انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٧٣ من الجلد الأول .

وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في ترجمة أبي علي الثقفي رضي الله تعالى وأرضاه أنه قال : لو أن رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس كلهم لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه أعماله ورعونات نفسه لا يحل الاقتداء في تصحيح المعاملات . انتهى من « المنن » .

وفي « المواهب البريقة » ما معناه : إن شيخ هذه الطريقة النقشبندية يجب أن يكون متحققاً بمقامات الطريق بمروره عليها بالسلوك على يد شيخ صادق ينكشف له حجابه بأن يتشرف باتصافه بالولاية الكبرى لأن من خصائصها اندراج النهاية في البداية ، وذا لا يحصل إلا من تصرف الشيخ للطالب بالتوجه ليذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ وهو شرط فيها .

وأن[1] من ليس على تلك الولاية لا يقدر على ذلك التصرف ، ومن لا يقدر عليه لا يصلح أن يكون شيخاً في هذه الطريقة لكونه مما لا بد منه ، فحينئذ لم يبق وجه للتصدّر فيها لتوجه المريدين الذين لا بدّ منه فيها إلا ارتكاب الفساد من المخادعة ، والطمع ، والشهرة ، والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين وغير ذلك ، لعدم القدرة له على التصرف به فيهم بعدم تشرفه بتلك المرتبة ، فتأمَّله وتدنَّق ، وراجعه . ورأيت في سلسلة الخواجكان ما يؤخذ منه أن من كان على المراقبة يصح له التربية والتلقين ، ويقدر على إرشاد الناس ، راجعه قبيل الفصل الثاني ، أي : لو أذن له شيخه وإلا فلا ، والله أعلم .

مهم

وفي « الباقيات الصالحات » ما يؤخذ منه أن من بلغ مرتبة لا يكون الخلق حجاباً عن الحق يمكن في هذا الوقت أن يتصرف في الآخر بصفة الجذبة ، ويجوز الإجازة للإرشاد ودعوة الخلق إلى الحق لمن بلغ هذه المرتبة . انتهى عبارته ٨٠ من فصل في طرق التوجه وقال شيخنا قدس سره إن من بلغ مرتبة المراقبة المعيَّة لو حصل له الفناء يجوز للشيخ أن يأذن له ، أي : لو كان فيه سائر الشروط الواجبة في الشيخ المرشد ، وإلا فلا ، كما صرح قدس سره بذلك في وقت آخر . فبالنظر إلى هذه المنقولات يبطل ما يفعله أبعاض من المشائخ . من إعطاء الإذن لمن أراده مع تلقين الذكر ، كما هو مشهور . وسيأتي ما يرده مبسوطاً في الباب الخامس عشر .

وقد سأل واحد بعض العارفين أن واحداً من المكيين قد أذن لواحد من الداغستانيين وقت تلقين الذكر بلا مهلة ، وقال : أنت خليفتي في الداغستان ، فهل وقع مثله في اصطلاح السادات أم لا ؟ وهل يصير

---

(١) عطف على « أن شيخ » .

هذا الرجل بمجرَّد الخبر مرشداً أم لا ؟ فأجاب ﷺ : نعم يصير بمثل ذلك مرشداً إلى طريق الشيطان ، لا إلى الطريقة الحقيقة وطريق الهادي إلى الرحمن ، ولا تنال أيدي هؤلاء المتشيخين بهذه الخزعبلات إلى مقام الإرشاد الذي هو أعلى المقامات . وإن المكيِّين لشدة حرصهم وقلة أمنيتهم يفعلون مع جهلة الداغستانيين أمثال هذه علماً منهم همة رجالنا وشدة حرصهم للوثبة على المشيخة ، وذلك لحرصهم على الدنيا لتكون الإجازة سبباً لجمعها ، وكثير أمثالهم هنالك من معارفنا . انتهى مع بعض اختصار .

وأخبرني بعض العلماء عن بعض الثقات أن واحداً من المتشيخين قد أخذ من واحد ستين توماناً ليحترزها ، فحين طلب تسليمها إلى يده لم يسلمها إلى يده ولو ألَحَّ وتضرع ، فحين أيس من الإعطاء قال له : كيف أعيش ، وأيّ شيء أفعل وأنت لم تسلّم فضتي ؟ فوقتئذ كتب له صك الإجازة ، وقال له : يكفيك هذا ، وهذا فضتك . فأخذ ذلك المسكين كاغذ الإجازة وترك الفضة في يده وسعى في البلدان باسم المشيخة ، والحال أنه يمدح ذلك الشيخ فوق الحدّ ، ولا يصدق غيره ولو كان على الحق . فهذا من أعجب ما سمع غفر الله لنا ولهم . آمين .

نعم يجوز أن يتصرف الشيخ في المريد المستعد في برهة قليلة وأن يبلِّغه إلى مرتبة الإذن والإرشاد ، لكن ليس في ديارنا ممن فيهم كلامنا من حصل له نتيجة واحدة من الذكر الأول في هذه الطريقة ، فضلاً عن غيرها من المقامات ، وليس فيهم ولو واحداً يعلم كيفية التوجه والتصرف ، بل وجدت فيهم من لا يعلم محال اللطائف . ولقيت واحداً منهم ينكر على ذكر القلب مع أنهما شيخان[1] في الطريقة النقشبندية .

---

(١) في زعمهما (**هامش الاصل**) .

ويعلم بما ذكرناه بطلان قول من قال : لا نعطي طريقة التربية ، بل إنما نعطي طريقة التبرك وهي ليس مختصة بشيخ ، بل يصح أن تؤخذ من عالم أو ولي أو شيخ ، هكذا كتبه واحد بهذه العبارات لتصديق ما يفعله من تلقين الأذكار . مع فقد الإجازة بيده . ولا يخفى على من له إدراك بقواعد هذه الطائفة السنية وممارسة ما بعلوم هؤلاء الأئمة أن ما قاله هذا البعض قول بالرأي ، وحكم مخالف لاصطلاح أئمة الطرق ، فكيف لا ؟ ! وقد قالوا : إن من شرط الذكر النافع أن يكون بتلقين شيخ مقبول مأذون كذا في « النور الساطع » .

وأما الذين يزعمون أنهم مجازون للإرشاد والتلقين من الشيخ الكامل النقشبندي ، لكن لا يلقنون أذكار السلوك كما كان شيخهم يلقنونها ، قائلين : إن إعطاء الطريقة لا يجوز في هذا الزمان الفاسد ، بيد أنهم يلقنون أذكاراً جهرية وأوراداً لسانية قائلين أنها للتبرك ، فخطأهم أظهر وإفساد دعواهم أشهر ، لأنهم خالفوا أصول طريقة أشياخهم ، وبدلوا أذكارها وأورادها ، وبذلك صاروا مطرودين من الانتساب إلى السلسلة المعنعة ، لما قال سليمان الزهدي قدس سره : إن المخالفين لأصول الطريقة خارجون منها ، بل هم معدودون من المبعودين . انتهى من « مجموعة الرسائل » عبارته . ولِما قال أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » من أنه ينبغي لمن انتسب إلى وليٍّ من أولياء الله تعالى أن يتشبه به في أصول طريقته وفروعه المهمة . انتهى عبارته ، ومرَّ مثله . ولما قال رئيس الطريقة خالد البغدادي قدس سره : من غير أصول طريقتنا فليس منا . انتهى . ولما في « هدية الذاكرين وحجة الواصلين » : ليس لأحدنا تبديل طريقتهم . انتهى .

فما بال إماتة الطريقة السالمة المباركة ، واختراع الأوراد الغير الواردة في تلك الطريقة الصديقية ، قائلين أنه للتبرك ، كلا وكلا ! ! بل البركة فيما ورد عنه عليه السلام ، وهو أعرف بأسرار الأسماء ومنافعها

وبركاتها من هؤلاء المدعين ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فالحكم لله العلي العظيم . ومرّ ما قاله الإمام الرباني قدس سره من أن بركات الطريقة إنما تفاض إذا لم يحدث فيها محدث ، وإذا حدث فيها محدث ينسدُّ طريق الفيوض ، فتذكره هنا .

فائدة : قال صاحب « الحديقة الندية » : **والمرشد بعد تأهله للإرشاد وتبحرّه في علوم الشريعة والحقيقة ، وأمر أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمة للخليقة ، يحرم عليه الإخفاء وكتم ما عنده من الفوائد والآلاء ،** إذ قال ﷺ « إذا ظهرت البدع أو الفتن فليظهر العالم علمه » الحديث ، وقال « من كتم علماً ألجم بلجام من نار يوم القيامة » ، فالظهور في حق مثل هذا امتثال المأمور ، والإخفاء عين القصور ، فسبحان من جعل المحاسن مساوي ، والمساوي في أعين المنكرين من أهل الغرور . انتهى عبارته ١٠٢ من هامش « أصفى الموارد » .

وفيه أيضاً ما حاصله : إن ملخص باب المشيخة هو نصح المسلمين ومحبة الخير لهم ، لا غير . فالتارك لهذه الأمور مع كونه عارفاً بالطريق ومأذوناً من الشيخ الكامل عاص لله تعالى . انتهى .

ونقل صاحب « البهجة السنية » راجعه في ٣٨ عن المجدد للألف الثاني قدس الله أسرارهما ما كتبه في بعض مكاتيبه مجيباً لمن كتب إليه من بعض خلفائه : أُعَلِّمُ الطريقة امتثالاً لأمركم العالي ولم يظهر في الطالبين أحدٌ لم يتأثر بالتوجه ، بل الأكثرون يتأثرون في أول الهمة والإقبال ، أحمد الله سبحانه على ذلك وجب عليك الشكر لهذه النعمة العظمى ، والاجتناب والتحرز عن الغرور والخيلاء ، والاعتراف عن القصور ، والإقرار بالفتور وعليك أن لا تتساهل في تفقد الطالبين والتوجه إليهم ، فإن ذلك من أعظم العبادات . وإذا فرغتم من هذا التعليم والتبليغ فافرغوا إلى وظائف العبادات من الأذكار والتدريس لله سبحانه وتعالى ، فإنَّ أحب عباد الله إلى الله من حبّب الله إلى عباده .

قال العبد الراجي رحم الله إفلاسه : وهذا من آداب النبي ﷺ التي أدّبه بها ربُّه جل ذكره وعظم شأنه حيث قال : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ . انتهى عبارته . وقد نبّهك على هذه الفائدة في آخر الباب لئلا تظن السوء بمن يسعى لإرشاد الناس من أهل الحق والصدق بالجد والجهد ، كأمثال أشياخنا قدس الله أسرارهم العلية . فلعلك لا تقيس أحوال الصادقين على أحوال غيرهم مما يكون مذموماً عند غيرهم يكون ممدوحاً لديهم ، بل يكون ما يعده الناس رياء محضاً عين الإخلاص في حقهم ، فافهم انتهى عبارته » ٣٠ قبيل الباب الثاني ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ الآية بأمره ، « جلال » دفع بذلك ما يقال أن الإذن حاصل بقوله (أرسلناك) ، فأجاب بأن المراد بالإذن الأمر .

والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره لان الدخول في الشيء من غير إذن متعذر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسَّر .

ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة للمريدين . فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ، ومن لم يحصل له الإجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره ، وانسدت عليه الطرق . انتهى « صاوي » ٢١٥ ج٣ من سورة الأحزاب ، ومثله في سورة إبراهيم ، راجعه في ٢٢١ ج٢ . فظهر من هذه المذكورات بطلان ما يفعله المتشيخون ، وسعيهم في القرى لإعطاء الورد بلا إذن من المشائخ . فإنا لله وإنا إليه راجعون . انتهى ، والسلام .

الفريد الحادي والعشرون

في الجواب عما كتبه بعض العلماء الأخيار من أن التشيخ والتصوف ليسا واجبين في الشريعة المحمدية ، ولا يوجد نص يدل على مندوبيتهما ، ولكن الشريعة لا تأباهما إذا كانا موافقين لهما ، بل ممدوحان على ذلك التقدير . .إلى آخر ما كتبه رحمه الله . فورد

إليَّ كلما ذكره وكتبه في المجلة الدينية من طرف أخينا العالم المحقق والفاضل المدقق نصر الدين الكراطي ، مع زيادات ما يؤيد كلام صاحب المجلة ملتمساً منا الإجابة ، فلما نظرنا إليه وجدنا كلامه المذكور مجملاً لا ينكشف ومطلقاً لا يتضح ، ويقصر عن فهمه أفهام من لم يسلك مسلكهم ولم يعرف قوانينهم ، فلأجله كنت كتبت الأجوبة لذلك ، وأرسلناه بعد ذلك إلى معدن العلوم الإلهية ، ومنبع الحكم الربانية حضرة سيّدنا ومولانا الشيخ حسن حلمي الأويسي المجدّدي . فكتب عليه قدس سره ما فات منا من الفوائد العرفانية والمنافع اللدنية ، وصدق كلما كتبناه في جوابه . فلأجله أدرجته في هذا الفريد وفيما بعده وتاليه ليكون الكتاب أنفع وأفيد .

وقال رحمه الله بعد ذكره ما مرّ ما حاصله : ومن المعلوم أنه كما لم يمض قرن من القرون السابقة إلا وفيه جمع من المشائخ الصادقين في الطريقة والإرشاد رضي الله عنهم ، كذلك لم يخل قرن من القرون الماضية عن جمع المتشيخين الكاذبين في الدعوى ، كما يدل عليه ما نجده في الكتب المعتمدة من كلام العلماء والمشائخ .

وقد صنف الإمام الشعراني في الاعتراض عليهم رسالة مخصوصة وسماها « تنبيه المغترين » ، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء . قال النبي ﷺ : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم » وقال الشيخ الصفدي رضي الله عنه في تائيته :

فكل وقت له أهل يليق به ... وبعده شر منه بالنصوصات

فهذا يدلان على أنه ينبغي أن يكون المبطلون من المتشيخة في زماننا أكثر منهم في الأزمنة الماضية . نعم : هو كذلك كما نراهم ، قد تركوا الكسب الحلال ووجهوا طعمهم إلى ما في أيدي الناس . إلخ ، وأن هؤلاء لكذبهم في دعواهم لا يلتفتون إلى قول الفضيل رضي الله عنه ، حيث قال : لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إليّ من أكلها بديني .

وقد قال الشعراني في بعض كتبه : إني لم آخذ شيئاً مما دفعه الناس ، لأنّ ، حالي إما أن يكون مطابقاً لظنهم أو لا . فإن لم يكن مطابقاً له فما آخذ حرام عليّ فاردّه يوم القيامة ، وإن كان مطابقاً لظنهم فأنا حينئذ أكون من الذين يأكلون بالدين . انتهى . وقال أيضاً رحمه الله نقلاً عن كتاب الإمام الشعراني ما نصه : تبيَّن أن الفلاحين ، أي : الحراث وأرباب الصنائع أحسن حالاً منهم ، وأنهم ينخدعون بما يرونه في الرياضة بالجوع من الشموش والجبال وغيرهما ، فيظنون أنه من علامات الطريق والكشف ، والحال أنه أوهام وخيالات يتخيلها المزاج عند انحرامه عن الاعتدال . انتهى .

أقول في الجواب : وبيان المراد من كلامه المذكور قوله :(المذكور أن التشيخ والتصوّف ليسا واجبين في الشريعة) . . . إلخ . (ولا يوجد نصّ يدل على مندبيتهما) . . .إلخ . لعل المراد منه من نهيهم في لفظ التشيخ فإنه باب التفعل ، ويكون للتكلف ، ويكون المراد من قوله المذكور هو المتشيخ الكذاب والمتصوّف الغرار ، لا الشيخ المرشد والصوفي العامل بعلمه ، فإنهما في حكم المستثنيات لقلتهما في هذا الزمان ، وإلا فيرد العجب عليه لنقله كتاب الإمام الشعراني دليلاً لذلك ، فإنه هو القائل بوجوب اتخاذ الشيخ والسفر في طلبه إن لم يجد له شيخاً في بلده . وقال العالم محمد على الچوخي في « فتاواه » بوجوب طلبه ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه لسفر الحج . انتهى راجعه . وكذا الشعراني قال في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الشيخ الإنسان شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولا شك أن علاج أمراض الباطن كله واجب ، كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والعقاب عليها .

فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ولو تكلف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب . انتهى راجعه . وفيه أيضاً : وإياك أن تقول : إن طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية وسيرة أحمدية وسنن إلهية .

وقال أيضاً في كتابه « تنبيه المغترين » بعد كلام في وجوب اتخاذ الشيخ ؛ قلت : فكذب والله وافترى من يقول : إن طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، وقوله ذلك من أكبر العلامات الدالة على كثرة جهله ، فإن حقيقة الصوفي عند القوم هو عالم بعلمه على وجه الإخلاص لا غير ، وغاية ما يطلبه القوم من تلامذتهم بالمجاهدات بالصوم ، والسهر ، والعزلة ، والصمت ، والورع ، والزهد ، وغير ذلك أن يصير أحدهم يأتي العبادات على الوجه الذي يشبه ما كان عليه سلفهم الصالح لا غير . ولكن لما اندرست طريق السلف باندراس العاملين بها ظن بعض الناس أنها خارجة عن الشريعة لقلَّة من يتخلق بصفات أهلها ، كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب « المنهج المبين في بيان أخلاق العارفين » ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين . انتهى راجعه في ٦ . ومثله قال في جميع مؤلفات السلوكية راجع « الأجوبة المرضية » ، و« الأنوار القدسية » ، و« لطائف المنن » . و« لواقح الأنوار القدسية » ، و« البحر المورود » ، و« اليواقيت » ، و« كشف الغمة » ، و« الطبقات الكبرى » ، و« الميزان » ، وكتاب « المنهج » كلها للإمام الشعراني .

فقال شيخنا وسيِّدنا الشيخ حسن حلمي القحي في كتابه « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ما عبارته : وقد قصدت مرة أن أحصى ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » ، فلم أطق على إحصائه لكثرته . فهذا سلطان العارفين ومعتمد العلماء العاملين في المذاهب كلها يوصي بذلك ، فكيف

يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرب أوقاته في الغلوات ، وصار حيران والهاً ينبغي أن يبكي على ما فرط في حق الله تعالى وحق عباده أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ، وما اتفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ، رزقنا الله والمنكرين التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق . فكم وكم مرات تكلم أبعاض من الفقهاء في حق الفقراء الصادقين بما تقشعر به جلودهم ! ! وكم وكم افتروا على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقق منهم من أكاذيب فغفر الله لنا ولهم آمين .

والمقصود من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقية المعتقدات الشرعية الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمر آخر وراء ذلك ، كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه . راجع « الدرر المكنونات » في ١٩٠ من الجزء الأول . وفيه ١٠٢ : وكما أن المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها ، كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان . ويمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ رمزاً إلى المعنى ، فإنَّ كلمة حتى كما أنها تكون للغاية تكون للعلة أيضاً ، أي : لأجل أن يأتيك باليقين . قال الله عز شأنه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ أي الذين آمنوا صورة آمنوا حقيقة بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى .

وقال الإمام الرباني أيضاً في مكتوب آخر : أيّها السعيد النجيب أن الإنسان إذا طرأ عليه مرض من الأمراض الظاهرة ، أو عرضت من أعراضه آفة يسعى سعياً بليغاً حتى يندفع عنه ذلك المرض وتزول عنه تلك الآفة . وقد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلق القلب بما دون الحق جلا وعلا على نهج كاد يوقعه في الموت الأبدي ، ويلقيه في العذاب السرمدي ، وهو لا يتفكر بعد إزالته أصلاً ،

ولا يسعى في دفعه قطعاً . فإن لم يعلم أن هذا التعلق مرض فهو سفيه محض ، وإن علم ومع ذلك لا يبالي فهو بليد صرف . ولأجل إدراك هذا المرض لا بد من عقل المعاد ، فإن عقل المعاش لقصور فكره مقصور على إدراك الظاهر لا يتعداه إلى بواطن الأمور . فكما أن عقل المعاش لا يدرك المرض المعنوي ، أو لا يراه مرضاً بواسطة ابتلائه بالتلذذات الفانية وانغماسه فيها ، كذلك عقل المعاد لا يحس الأمراض الصورية ولا يعدها أمراضاً بسبب رجاء المثوبات الأخروية . وعقل المعاش قصير النظر وعقل المعاد حديد البصر ، عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام ، وعقل المعاش مرغوب الأغنياء ، وأرباب الدنيا شتان ما بينهما ، والأسباب المحصّلة لعقل المعاد ذكر الموت وتذكر أحوال الآخرة ومجالسة قوم تشرفوا بدولة فكر الآخرة .
شعر :

دللتك يا هذا على كنز مقصد فإن أنا لم أبلغ لعلك تبلغ

ينبغي أن يعلم كما أن المرض الظاهر موجب للعسر والتعب في أداء الأحكام الشرعية كذلك مرض الباطن أيضاً مستلزم لذلك قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾[1] ، والمستلزم لذلك العسر في الظاهر ضعف القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلا فليس في التكاليف الشرعية عسر أصلاً ، بل فيها كلها تخفيف وتمام اليسر والسهولة ، وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى . شعر :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوئها من ليس ذا بصر

(١) ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ . (هامش الاصل) .

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذاق فرضاً ؛ ما على الرسول إلا البلاغ ، والسلام والإكرام . كذا في « الدرر المكنونات » في أوا[1] من الجزء الأول . انتهى عبارته ١٩٥ قبيل الباب الرابع والعشرين . وفيه[2] أيضاً قبيل الباب المذكور ما حاصله : إن المرض المذكر عبارة عن تعلق القلب بغير الحق سبحانه وتعالى ، بل هو تعلق القلب بنفسه ، فإن الإنسان كلما يحبّه ويطلبه إنما يحبّه ويطلبه لنفسه . فإن أحبّ أولاده يحبّهم لنفسه ، وكذا الأموال والرياسة والجاه ، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه . فما دام الإنسان لم يتخلص من هذا التعلق والارتباط لا وجه لرجاء النجاة ، ففكر هذا المرض لازم للعلماء أولي الألباب والحكماء ذوي الأبصار ، ويكفي من له فهم إشارة . انتهى « الدرر المكنونات » راجعه في ١١٠ .

وفيه أيضاً في ١١٤ : اعلم أن أهل الله أطباء الأمراض القلبية ، وإزالة العلل الباطنة منوطة بتوجه هؤلاء الأكابر ، كلامهم دواء ونظرهم شفاءٌ ، هُمْ قَوْمٌ لا يشقى جليسهم ، وهم جلساء الله ، بهم يمطرون وبهم يرزقون . ورأس الأمراض القلبية ورئيس العلل الباطنية هو تعلق القلب وارتباطه بما دون الحق سبحانه وتعالى ، وما لم يتيسر التخلص من هذا التعلق بالتمام فالسلامة محال ، فإنه لا محال للشركة في جناب الحق جل سلطانه . ألا لله الدين الخالص ، فكيف إذا جعل الشريك غالباً ، وجعل محبة غير الحق غالبة على محبة الله تعالى على نهج تكون محبة الله تعالى معدومة في جنبها ، أو مغلوبة غاية الوقاحة[3] ونهاية عدم الحياء . انتهى عبارته .

---

(١) عله : في أوائل من الكاتب . (هامش الاصل) .

(٢) أي : في « تنبيه السالكين » .

(٣) وقح الرجل من باب ظرف : قل حياؤه . (ص) (هامش الاصل) .

وفيه أيضاً ما نصه : فإن تعليم الطريقة إنما هو لتكميل الشريعة ، بل هو لتكميل حقيقة الإيمان كما هو المأخوذ من الكلام السابق ، وراجع « البهجة » . وإيّاك ثم إيّاك أن تبغضهم فإن بغضهم سم قاتل ، والطعن فيهم موجب للحرمان الأبدي . قال شيخ الإسلام الهروي : إلهي كل من أردت سقوطه فاسقطه علينا ، يعني : أوقعه بغيبتنا وملامتنا . انتهى ولا تظن أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر فوقه ، فإن كلاً منهما عين الآخر ، كذا قال الإمام الرباني قدس سره . وردَّ قول من قال : الشريعة ، قشر الحقيقة والحقيقة لب الشريعة لإيهامه المخالفة بينهما ، بل أوَّله وحمله على وجه حسن . وقال أيضاً : إنّ حصول الطريقة مقدم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى . كذا في « الدرر » في ٢٤ ج١ .

وفيه في ١٨٢ : إن طريق الصوفية خادم للعلوم الشريعة ، لا أنه أمر مباين لها . انتهى عبارته . فينبغي لكل واحد أن لا يتكلم خلف الأولياء إلا بعد أن يحصِّل من علومهم شيئاً ومن أذواقهم حالاً ، وإلا فيورطه في الهلاك ، والعياذ بالله . انتهى . ما في « تنبيه السالكين » راجعه ويكفي دليلاً لكون السلوك والتصوف واجبين في الشريعة جميع ما ورد في الآيات والأحاديث من المواعد الكثيرة على من ارتكب بالفواحش ، والقبائح ، واتصف بالصفات المذمومة ، فإن جميع أشغال الطريقة علاج ودواء ، فيجب على كل من ليس له قلب سليم تعلم أدوية أمراضه ، كما صرحه ابن حجر وغيره في تصنيفاتهم والله أعلم .

الفريد الثاني والعشرون

في تحقيق ما كتبه في حق الهدايا التي يأخذها المتشيخون مما مرّ ذكره بألفاظه في أول الفريد الذي قبل هذا . انتهى .

أقول لله الحمد ومنه الهداية إلى أقوم الطرق : قوله : (كما لم يمض قرن من القرون السابقة إلا وفيه جمع من المشائخ الصادقين . . . إلخ ، كذلك لم يخل قرن من القرون الماضية عن جمع من المتشيخين الكاذبين) . نعم ؛ فنعم ولله الحمد حيث نطق بالصواب ولم يطعن في الصادقين ، كذا ذكره الشعراني في ذلك الكتاب الذي نقلته ، والشيخ حسن حلمي القحي في « تنبيه السالكين » ولم يترك شيخنا المذكور قولاً لقائل فيه ، فإن أردت إدراك الحال راجعه . وقوله : (فهذان يدلان على أنه ينبغي أن يكون المبطلون من المتشيخة في زماننا أكثر منهم في الأزمنة الماضية) . انتهى . نعم ، الأمر كذلك كما ذكره الشعراني في ذلك الكتاب ، فلأجله ألف الشيخ حسن حلمي أفندي القحي كتابه « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » وأبطل فيه كلما يفعله المتشيخون من أهل الزمان بالنقول من الكتاب والسنة وأقوال العارفين ، وهو كتاب نفيس لم يؤلّف مثله في هذا الباب . فمنذ ما ألفه قل المتشيخون في كل ناحية وصل إليها الكتاب المذكور ، وافتضح أمرهم بين الناس ، ورجعوا عما كانوا يعملون إلا من استحوذ عليه الشيطان ، ولم يطق أحد منهم لردّ ما فيه ، لكونه مشيداً بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة ، كأنَّ مؤلفه ينطق بلسان القدس ، وهو كتاب ضخم مثل الجامي .

مهم

وقال فيه : اعلم أن القيام على مقام الإرشاد مع عدم الأهلية لا يكون إلا لأحد أمرين : حب الرياسة ، أو إرادة اصطياد الدنيا من أبنائها . وكلا الأمرين فسادهما غنيّ عن البيان ، ولا شيء أقبح منهما

عند أهل الله . وقد قال الفضيل : لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحبُّ إليَّ من أكلها بديني . انتهى . « منن » عبارته ١٦٦ .

وقال صاحب « حياة القلوب » : وينبغي لمن تصدى لإرشاد الناس وتذكرهم أن لا يقبل من أحد منهم هدية ، ولا يأخذ منه صلَّة . أهدي إلى الحسن البصري هدية من خراسان وهي خمسة آلاف درهم ، وثياب من رقيق البز ، فقال : للذي أتى بها عافاك الله ، ضمّ إليك ثيابك ونفقتك ولا حاجة لنا بذلك ، أنه من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم القيامة ولا خلاق له . انتهى عبارته راجعه في ١٢٢ من هامش « القوت » من الجزء الثاني .

وقد لقيت واحداً من متشيخي هذا العصر ، فكان الناس يدورون حوله ويقبلون يده ويصافحون ويعطونه دراهم معدودة ، حتى قال لي من كان معه وقتئذ ، لعله وصل إلى كيسه في تلك الساعة عشرة توامين ، وهو سامحه الله وجدته جاهلاً بالطريق جهلاً مركباً : ولو علم الناس ما علمت منه لما أعطوه ولو فلساً واحداً . وإذا أوصيته بالدعاء طلب مني أخذ الذكر منه قائلاً : إن المبالات بالدعاء لا تقع من القلب إلا لمن في دائرته ، وقال لي : اذكر لا إله إلا الله عشر مرات ، وصل على النبي عليه السلام كذا مرة ، فقلت في سري : أقولها لا لقولك ، كما قال عيسى عليه السلام للشيطان ، وفارقت منه بالوداع وداع من لا يرجع إليه ثانياً .

ولا يخلوا حال أمثاله من أمرين : إما أن يكونوا صالحين في نفس الأمر ، أو غير الصالحين . فإن كانوا صالحين ومرشدين كاملين ، بيد أنهم استشرفت نفوسهم وطمعوا إلى ما في أيدي الناس ، وكان إعطاء الناس لهم من أموالهم لمجرّد وصف الصلاح والإرشاد ، فقد أكلو بدينهم . ومعلوم أن من يأكل الدنيا بدينه أقبح ممن يأكل بديناه . وإن كانوا غير صالحين فقد أكلوا حراماً محضاً في الشرع لأن الناس

لو اطلعوا على أنهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد لم يعتقدوهم أبداً ، ولم يعطوهم ولو درهماً ، بل ربَّما يبصقون على وجوههم ولم يجالسوهم ولو ساعة . راجع « المنن » في ١٦٦ ، و« الأنوار القدسية » في آداب العبودية في ٣٦ .

قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : وكان وهب بن منبَّه يقول : من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه وكتب اسمه في ديوان أهل النار . انتهى عبارة « تنبيه السالكين » من الباب السابع والعشرين ، راجعه في ٢٢٢ . وفيه أيضاً نقلاً عن « تنبيه المغترين » : وكان الحسن البصري يقول عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم ، وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة ، فيتقربون بذلك عند أبناء الدنيا . انتهى .

وفيه أيضاً وقال الشعراني : ولو جعت وعريت لا آكل ولا ألبس بالدين . انتهى . كذا في « المنن » عبارته ٢٢٢ منه . ولأجله يكره شيخنا قدس سره حمل الهدية إلى جهته ، ولا يقبلها إلا الأشياء الحقيرة التي لا تصح ردّها فيقبلها ويقسمها للزائرين والمحتاجين ويكافئهم بذلك بما عنده . وسمعته كثيراً يقول كرهاً : إنكم تجعلونني قاسماً لصدقاتكم فيا ليتكم تقسمونها بأنفسكم . ورأيت عين هذا في نصائحه المكتوبة إلى ولده اعتراضاً عليه بقبوله هدية قليلة من بعض أصدقائه ، وعبارة ما كتبه قدس سره : يا ولدي ! أنت تعرف أني لا أقبل من الهدايا مع عدم جواز ردِّه في الشرع إلا أشياء لا يجوز له ردّها ، ككعك[1] ورغيف ، وغيرهما مما أستحي من الناس ردَّه ، وأكافئهم ولو بشيء قليل بقدر طاقتي ، وأنت خرقت نقاب الحياء ، ولا تستحي من أرازل الناس ، يا ولدي إني أريد أن أكون كالتيس بترك ما بأيدي الناس والإعراض عنه ، ولا أريد أن أكون كالمعز بقبول إحسانهم ، فالدنيا أهون عند الله من جناح بعوضة . انتهى من خطه قدس سره . فإني حملت مرة إليه شيئاً

---

(١) خبز (هامش الاصل) .

حقيراً لا يتموّل من الهدية ، فأعلن من نفسه الكراهة وقال : إن حملت مثله لديَّ بعد الآن لأغلق دونك الباب ، فكافأنيه بعد ذلك ولم يسبق عليه أحد في التورع من مثل ذلك ، وذا مشهور بين الخلق .

وقال لي مرة : إن بعض الأحباء سلَّم إليَّ قروش من الفضة البيضاء حين رجع من سفره ، قائلاً إنه وصل إلى يده في ذلك السفر أربعين تومانا من الفضة ببركاتكم ، هذه هدية لكم وصدقة منّي إليكم . فلم أقبل منه ذلك وإن ألحَّ في السؤال بقبولها وبكى ذلك المهدي بكاء لكراهة ردِّه . فرجع منكسراً قلبه ، بيد أني ظننت بعد فراقه من عندي لو كنت قبلت منها قدر نصف قروش ، لمجرد جبر خاطره . انتهى . لكنَّ الإمام الشعراني قدس سره قال في كتابه « لواقح الأنوار القدسية » : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نرد شيئاً جاءنا من غير سؤال ولا استشراق نفس ، وهذا العهد يقع في خيانة كثير ممن يحب أن يشتهر بالزهد ويردّ ما أعطيه ، خوفاً أن يجرح مقامه عند الناس ، وعار عليه أنه جرح مقامه بذلك عند الله تعالى ؛ فخذ من الله ، واعط لله ، والله يتولى هداك .

وروى الطبراني مرفوعاً « ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجاً » ، وفي رواية لابن حبان : « ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجراً من الذي يقبل إذا كان محتاجاً » والله أعلم . انتهى عبارته في ٢٩٢ .

فائدة

قال شيخنا الشيخ حسن حلمي النقشبندي الشاذلي القادري قدس سره في كتابه « تنبيه السالكين » بعد ذكره ما مرَّ في حق الهدية ما نصه : فإن قيل يفهم مما نقلتم في هذا الكتاب عدم جواز قبول هدايا المريدين أصلاً ، وقد كان كبار المشائخ يقبلونها . قلنا وبالله التوفيق :

اعلم أنّ الهدية اسم لما يعطي الرجل لآخر على قصد جلب المحبة من قبل المهدى إليه لا لغرض معين ، ولكن طلباً للاستئناس ، وتأكيداً للصحبة ، وتودّداً للقلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب إليه في الشرع ، قال ﷺ « تهادوا وتحابوا » . وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضاً محبة غيره لعين المحبة ، بل لفائدة في محبته ، ولكن إذا تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معيَّن يبعثه في الحال أو في المآل سمي ذلك هدية وحلَّ أخذها . وروى أبو يعلى والإمام أحمد بسند صحيح ، والطبراني وابن حبان في صحيحه مرفوعاً : « من بلغه من أخيه معروف من غير مسألة ولا استشراف نفس فيقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله » الحديث والاستشراف هو قولك في نفسك سيبعث إليّ فلان ، سيصلني فلان .

مهم

وأمّا ما يعطيه لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن ، لو علمه المعطي ما أعطاه . وقلَّما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه ، وإنما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق إلى الخلق . وكان المتورعون يوكِّلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في المبيع ، خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدين . فإن ذلك مخطر ، والتقي خفي لا كالعلم والنسب والفقر ، فينبغي أن يجتنب الأخذ بالدين[١] ما أمكن .

نعم ؛ إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين ، إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقبض ذلك فتوراً في رأيه فيه . فإن اضطر طالب الحلال ، ومريد طريق الآخرة إلى أخذ

---

(١) فإن كل عبادة نشأت من لقمة هو لصاحب اللقمة . كذا في « الأنوار القدسية » (منه) . (هامش الاصل) .

مال غيره فليصرِّح له وليقل : إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده فيّ من الدّين فلست مستحقّاً لذلك ، ولو كشف الله تعالى سري لم ترني بعين التوقير ، بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ ، فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة ، وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ، ولكن هاهنا مكيدة للنفس بيّنة ومخادعة فليتفطن لها ، وهو أنه يقول ذلك مظهراً أنه متشبِّه بالصالحين في ذمِّهم نفوسهم ، واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء ، وباطنه وروحه هو عين المدح . هذا حاصل ما في « الإحياء » من مواضع . فراجعه في ١١٦ من الجزء الثاني ، وراجع « كشف الغمة » في ١٩٧ من الجزء الأوّل ، وشرح الحكم و « لواقح الأنوار » في ١٢٣ .

وذكر الشعراني في « الطبقات » أن عليّ بن محمد المزين رحمه الله تعالى كان يقول : إذا عرض على أحدكم طعام من حيث لا يحتسب فليأكله . .إلخ . راجعه في ٩٦ .

وقد كان الشعراني لا يسأل شيئاً ولا يرد حلالاً ولا يدخَّره ، ويقبل كل ما جاء بغير سؤال منه بالحال والقال ، وينفقه على من يحتاج إليه من نفسه أو غيره على الوجه الشرعي ، كما هو مذكور في « لطائف المنن » ، فراجعه في ٢٠٤ من الجزء الأوّل .

مهم

وذكر في « الطبقات » : أن من الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ويعلم الناس بأن ذلك كلَّه من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ، ويوهم الناس أنه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء ، بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ

مالاً وينفقه على الفقراء ولا يحدث نفسه بانتقاص شيء منه ، ولا يسعنا كلنا إلا العفو . ويكون مأكولاً مذموماً . وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل ، فإنه لا يهتدي أحدٌ إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهوره احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به . فإن الرجل إذا قبل من الخلق صغر في أعينهم ضرورة ، كما أن من ردَّ كبر في أعينهم ، ولعل ذلك الراد ردَّ رياء وسمعة . قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عليه : من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ ، فإنما يعبد نفسه وهواه وليس من الله في شيء ، قلت : ومعنى يعبد يطيع . انتهى عبارته من الباب السابع والعشرين ، فإن أردت الزيادة راجعه في ٢٥٥ من ذلك الباب تجد البيان ويكفي الشكوك ، والله الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم .

فإذا كان حال الأكابر هكذا لا وجه لأحدٍ للطعن في الصادقين لا المتشيخين الكاذبين ليس [لهم] الإجازة من الكمل ، ويكون مرادهم غرور الخلق بالحيل الباطنة ، واصطيادهم ما بأيديهم من الأمور الفانية ، نعوذ بالله من غرور النفس ومتابعة الشيطان ؛ اللهم أرنا الحق حقّاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، إنه هو البرّ الرحيم وعليه توكلنا في الأمور ونستودعه أمرونا كلها ، فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين الصادقين المخلصين .

ولا شك أن من طلب الدنيا بدينه وجرّ الناس إلى جانبه بغرور حيله محضاً لجلب الدراهم والدنانير ، لا طلباً لرضاء الله وامتثال أمره فتسميته باسم الشيطان أليق من تسمية باسم المشيخة ، ويدخل كل من لم يعترضه في وعيد المداهنة ، ولا يجوز لأحد أن يصاحبه بالمدارات إلا إن كان قصده بالمصاحبة أن يجره تدريجاً إلى الحق بالمسارقة ، ويخرجه عما هو فيه بالمناصحة . كذا في « تنبيه السالكين » فراجعه والسلام .

وقوله : (وتبيَّن أن الفلاحين أي : الحراث ، وأرباب الصنائع أحسن حالاً منهم . انتهى . **أقول :** نعم الأمر كذلك ، كما بيَّنه الشعراني في « تنبيه المغترين » ، وفي « لطائف المنن » و« الطبقات الكبرى » ، وفي « تنبيه السالكين » ما ينبغي ملاحظته ، هذا فراجعه في ٢٥٥ ، وراجع « الإحياء » و« قوت القلوب » . فلأجل كون الأمر هكذا كانت عادة شيخنا الاحتراف وطلب المعيشة بيده المباركة ، بيد أنه يترك الشغل للشغل ويرجع إليه ثانياً . وسمعته قدس سره يقول مرة أنه أخرج بيده الشريفة ثلاثين كيلاً من حبوب الذرة من سنبله بلا إعانة أحد من العيال ، فصارت يداه بحيث لا يقدر أن يأخذ الأدْرفة الحارة بها ، برقة جلد أصابعها بذلك . وقال أنه كان يقرأ « دلائل الخيرات » حالة الاحتراف بوضعه على ساق الذرة على زيله لعدم الفراغ ، وأنه يحث المريدين على طلب المعيشة الحلال ، ولا يأذن لترك المعيشة والكسب . وقال : إنه لم يتكبر قطّ لفعل الحرفة ولو كانت قبيحة ، وأنه حلب البقرة وحرك المخيض عن زوجته ، ويفعل الأدارف أحياناً مع كون زوجته وبناته في البيت . وقال : إنه لا يطرح لباسه المخروق قبالتها بل يخيطه بيده ، فلعل الزوجة لوسئلت : هل خِطْتِ عشرة رقعة على أثوابي في مدة عمري ، لا تقول نعم . وكان يحمل على ظهره حزمة من الحشيش والسنابل والتبن ، حتى كان يدس السنابل في البيدر ويسوق الأثوار وحده وليس له معين غيره ، ولله الحمد على ذلك ولا فخر . وأمرني بالحرفة وقال ورد عن النبي ﷺ « الفقر لأصحابي سعادة ، وإن الغنى في آخر الزمان سعادة » ، وكان يأمر المريدين بالحضور والوقوف القلبي حالة الاحتراف ، ويقول أن الخلوة ، عند النقشبنديين في الجلوة كما قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ . انتهى .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » ما حاصله : إن الكامل ربما يشتغل بالكسب والتجارة أو الزراعة في آخر عمره ، ولا يكون متجرداً

عن الدنيا بأن يخلو يده منها ، لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إما بالحال أو بالمقال ، فافهم .

وفيه أيضاً إنّ زهد الكمل ليس هو بخلوُّ اليدين من الدنيا ، وإنما هو بخلوُّ القلب ، ولا يتحقق لهم كمال المقام إلاّ بزهدهم فيما في أيديهم ، وتحت تصرّفهم من غير حائل بينهم وبين كنزه . وأما زهدهم مع خلوُّ اليد فربما يكون لعلة الفقر ، وقد قالوا : **من شرط الداعي إلى الله أن لا يكون متجرِّداً عن الدنيا بالكلية** . فراجعه في ١٧٨ من هامش « لطائف المنن » من الجزء الأول . ونصُّ ما ذكره شيخنا المذكور في « تلخيص المعارف » : أيّها الولد إني أقول لك أن تجتهد أن تكون من القوامين للتكسب لأجلك وعيالك بالوجه الحلال ، فذلك مزيَّة عظيمة من الله تعالى لخواص عباده ، لما أن كمال المقام لا يتحقق إلا بالزهد عما في أيدي الناس ، والكامل من يسلك الناس وهم في حرفهم ، وإن زهد الكمل ليس بخلو اليدين من الدنيا وإنما الزهد بخلو القلب . وأكابر الأولياء يسارعون إلى الكسب بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوز بلذة الخطاب لا لعلة أخرى ، قال الله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . .إلخ . فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإقراضهم من فواضل كسبهم كل محتاج . مفهومه أن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء الحبالى وإن كانت له لحية كبيرة ، وسبحة طويلة ، وسجادة وعزبة ومرقعة وشفاعات عند الحكام وغير ذلك ، وليس له في الرجولية نصيب كما قال الله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ . فعلم أنه لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجراً أو زراعاً ، بل ذلك أكمل له . فإيّاك يا أخي أن تنكر على فقير التكسب والتجارة والزراعة أو معاملة الناس أو اخر عمره ، وقد ختم عمره

بمحبة الدنيا بعد أن كان زاهداً فيها وفي أهلها . فربّما يكون مشهد ذلك الفقير ما قلناه أو غير ذلك من النيات الصالحات وإيثار الزهد مع خلوِّ اليدين ، ربما يكون لعلة الفقد .

وقد قالوا : من شرط الداعي إلى الله أن لا يكون متجرّداً عن الدنيا بالكلية ؛ بأن يخلو منها ؛ وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس ، إما بالحال وإمّا بالمقال . وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم وقل نفعهم به ، بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منه المحتاجين من مريديهم وغيرهم ، فإن فقد الحال الذي يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم ، ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال ، وفي الحديث : « عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس ، وشرفه في قيام الليل » . انتهى من خطه قدس سره . هذا زبد كلام الأكابر وملخص ما ذكروه في كتبهم ، جزاهم الله خير الجزاء .

وقال صاحب كتاب « الرماح » في ٤٣ ج١ بعد نقل مثل ما مرّ عن الشعراني قدس سره : وفي الحديث : « من طلب الدنيا قليلاً تعففاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالبدر » . وفيه أيضاً : أنه ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظر إلى شاب ذي جلدة وقوّة وقد بكر يسعى ، فقالوا : يا ويح هذا ! لو كان جلده وشبابه في سبيل الله ، فقال ﷺ : « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفَّها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبل الله ، وإن كان يسعى على أبويه ضعيفين أو ذرية ضعافاً ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان » .

وفيه : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله فيسأله أعطاه أو منعه » .

وقال حذيفة : خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه . وفيه أيضاً : « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ! عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشرّ » .

وفيه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وابدأ بمن تعول .

وفيه : « الفار من العيال كالفارِّ من الزحف » .

وفيه : أن الصحابة أثنوا عند رسول الله ﷺ على رجل بالعبادة ، فقال ﷺ : « فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضَيْعَتَه » قالوا : نحن يا رسول الله ﷺ ، فقال « كلكم خير منه » . وقال أبو سليمان الدراني رضي الله عنه : ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك ، إنما الشأن أن تحرز رغيفتك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بأيّ داق للباب ، بخلاف من قام يصلي في بيته وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول : إن معه رغيفاً .

وقال الثوري : عليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة . وقال عبد الله ابن المبارك : لا يُخْرِجِ العبد من الزهد إمساكُ الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس .

وقال في « عرائس البيان » عند قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ : ولا تظن يا أخي أن العارف المتمكِّن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من جملتهم إنه يريد الله برغبة المعرفة والشوق ، ويريد الدنيا لكفاف والعفاف يرزقه الله حياة حسنة طيبة ؛ بأن يجعل الدنيا خادمة له ويجلبه في أعين الخلق ويوقع هيبته في قلوب الناس ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ ، وقال عليه السلام : « من أحسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة » .

وقال لقمان لابنه : يا بنيَّ حملت الصخور والحديد فلم أر شيئاً أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وعانقت الحسان فلم أرَ شيئاً ألذّ من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمرّ من الحاجة إلى الناس .

وقال الشعراني : من أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما دخلته الشبهة . وقال سفيان الثوري : لأن أخلف عشرة الآف درهم أحاسب عليها أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس .

المال ترس المؤمن

وقال : المال فيما مضى يكره ، وأما اليوم فهو ترس المؤمن . وقال : حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدُّقك وطلبك لما في غيرك . وقال : خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما ؛ درهمه لمعاشه ودينه لمعاده .

وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه . عليكم بالكسب الحلال فإنه يسرُّ الصديق ويكد العدو ، وتستغنون به عن سؤال الناس لا سيّما اللئيم ، وإيّاكم وسؤال الناس فإن ذلك كسب العاجز .

وقيل للثوري : أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال ؟ قال : نعم ! إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر . وقال أبو قلابة : لأن أري في معاشي أحبّ إليّ من أن أري في زويا المسجد . وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لن تزالوا كراماً على إخوانكم ما لم تحتاجوا إليهم . انتهى عبارته ٩٩ من الخاتمة .

وقال الإمام الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن ننفق على زوجاتنا وعيالنا ، ثم قال : وسمعت سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : اسع على عيالك ليلاً ونهاراً ولو سمّاك الناس دنيويّاً ، فإنه خير من أن يسمُّوك صالحاً وأنت تأكل من صدقاتهم وأوساخهم وناظر ما في أيديهم ، وكل من لم يعطك شيئاً تكرهه مع أن تلك الكراهة من غير حق .

وقد رأى سيّدي علي الخواص مرة شيخاً من مشائخ العصر كان يتجر في البَزِّ والقماش ، فترك ذلك وعمل شيخاً . فقال له : ارجع إلى حالتك الأولى فإنها أرجح لك وأطهر لقلبك فلم يسمع ، فدعا الشيخ عليه بمحبة الدنيا وحرمانه منها ، فصار بعد شهر كذلك ؛ فلا هو يترك الدنيا ولا يقدر على أن يأكل منها ، ولا يتصدق منها ولا ينفق على عياله ، فتلف بالكلية لمخالفة الإرشاد . ثم ذكر في عهد آخر أن السالك

إذا منَّ الله عليه بالكمال في الطريق ، وصارت الدنيا في يده لا في قلبه يتمنى دخولها في يده وينقبض إذا أدبرت عنه ؛ لأن **من كمال الداعي إلى الله من الأئمة أن تكون الدنيا فائضة عليه يطعم منها ، اتباعه وينفق منها ومن لم يكن كذلك فدعائه إلى الله تعالى ناقص** ، ويطرقه الذل في طلب اللقمة والحضوع لمن أتاه بها من أصحابه وغيرهم ، كما أن من لازمه الغيبة لكل من لم يحسن إليه ، كما سيأتي في حديث « من شكر عياله ولم يعتب المسلمين » الحديث ، فأشار إلى أن الغالب على الفقير المحتاج غيبة من لم يطعمه ما احتاج إليه ، فانظر آفة المحتاج . انتهى . وفي كتاب « الرماح » ما نصه : واعلم أنه ليس معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالحلقة الملقات ، وهذا ظن الجهال ، فإنَّ ذلك حرام في الشرع . انتهى .

وقال في « العهود المحمدية » : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نشتغل بشيء من العبادات ونترك الكسب بحيث يضيع عيالنا وأنفسنا ونحتاج كلنا إلى سؤال الناس ، وهذا العهد يقع في حبالته كثير من المتعبدين وطلبة العلم . فيحتاج من يريد العمل به إلى سلوك الطريق على يد شيخ يعلّمه مراتب العبادات . وما الأولى منها ليقدمه على غير الأولى ، لأن عمر الإنسان أعز من الدنيا وما فيها ، وهو قصير . فوجب أن يبدأ العبد بالأهم فالأهم ، ليكون له الأعز ، فالأعز ولو لا أنّ من شأن العبد الملل لما كان له أن يشتغل بغير الأعزة .

فائدة : فلما ركبه الله على الملل جعل له رتبة أخرى مفضولة لينتقل إليها ، ثم يمل منها كذلك ، فينتقل إلى المباح ، وهذا كله من رحمة الله تعالى بعباده .

وقد كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : لا تشاور من ليس في بيته دقيق ، أي : لأنه مشتت البال . فعلم أن حياة الأبدان مقدمة على حياة الأرواح والقوت بالعلم ، لأن حياة الروح فرع حياة الجسم ؛ من حيث

أنها محل لظهور أفعال التكليف وإقامة شعائر الدين . وهذا اللوم في حق من يضيع من يعول مع اشتغاله بخير آخر ، فكيف بمن يضيعهم باشتغاله باللهو واللعب ونحو ذلك ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . روى أبو داود والنسائي مرفوعاً « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » وفي رواية النسائي « من يعول » .

وروى ابن حبان في صحيحه : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظه أو ضيّعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » . والله أعلم . انتهى .

وقال أيضاً أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نجمع من الذهب والفضة قط نصاباً ، إلا إن كنا نثق من أنفسنا بأنا نخرج زكاتها ، وإن لم نكن نعلم أنا نخرجها كذلك اقتصرنا في الجمع على ما دون النصاب . ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد على وجهه إلى السلوك الكامل على يد شيخ مرشد صادق ، وإلا فلا يشمّ للعمل به رائحة ، بل يجمع ويمنع ، وإن أخرج شيئاً منها فهو لعلة قادحة في قبولها .

مهم

فاسلك يا أخي على يد شيخ حتى يعظمك عن محبة الدنيا ، يعني عن الميل إليها إذ الدنيا لا تبغض في ذاتها . وإنما المطلوب الزهد في الميل إليها لا في الميل لذاتها ، إذ لو كان الزهد مطلوباً في ذاتها لما جاز لأحد إمساكها ولا قائل بذلك . فإن المحذور إنما هو في إمساكها محبة لذاتها ، إذ هو الذي يتفرع منها الحجاب والشيح والبخل ، فيمنع العبد من إخراج زكاته .

وقد غلط في هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا أصلاً ورأساً ، فاحتاجوا إلى سؤال الناس تعريضاً وتصريحاً ، ولو أنهم سلكوا على أيدي الأشياخ حتى يفطموهم عن الميل إليها لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوا على المساكين ، وحصل لهم خير الدنيا والآخرة .

وقد حكى أن فقيراً دخل زاوية سيّدي إبراهيم المتبولي ، فجلس للعبادة ليلاً ونهاراً وترك الكسب . وكان الشيخ لا يحب للفقير عدم الكسب فقال له : يا ولدي ! لم لا تحترف وتقوم بنفسك ، وتستغني عن حمل الناس لك الطعام . فقال : يا سيدي لما دخلت زاويتكم رأيت في تلك الطاقة بومة عمياء لا تطيق أن تسعى مثل ما تسعى الطيور ، ورأيت صقراً يأتيها كلَّ يوم بقطعة لحم يرميها لها في طاقتها ، فقلت : أنا أولى بالتوكل على الله من هذه البومة ، فقال له سيدي إبراهيم : ولم جعلت نفسك بومةً عمياء ، هلا جعلتها صقراً تأكل وتطعم البومة ؟ فقال الفقير : التوبة ! وخرج للكسب . انتهى . فيحتاج الفقير إلى حال صادق يرمي به الدنيا ، وحال صادق يأخذها بعد ذلك به ، والله غفور رحيم .

قلت : قد نص العلماء بأن من وجد كفاية عن الأسباب فالله تعالى أغناه ، وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب اتكالاً على الناس وهو قادر على الاكتساب ، والشبع من الحلال مبدأ كل شر ، فكيف به من الحرام ! ؟ وقد جاء عن عيسى على نبيّنا وعليه السلام أنه مرّ بمتعبّد فقال له : من أين تأكل ؟ فقال : إن لي أخ يطعمني ، فقال له عيسى على نبينا وعليه السلام : أخوك أعبد منك ، أي : لأنه هو الذي أعانك على الطاعة وفرغك لها . انتهى عبارته في ٤٨ ج١ .

وفيه أيضاً في ٤٥ نقلاً عن « البحر المورود » ما نصه : أخذ علينا العهد أن لا نزهد في الدنيا بالكلية ، لما تجده في الزهد من نعيم المتروك وخلوّ اليد وراحة القلب ، فتكون كحمار الرحى الذي يبتدئ من حيث ينتهي سيره إليه ، فيخرج من لذة إلى أعظم منها أو مثلها ، كما يقع في ذلك العباد الذي لم يسلكوا على أيدي الأشياخ . فكأنهم بهذا الزهد ما برحوا حظوظ أنفسهم ولا عن حجابهم عن ربهم عز وجل . وإنما نزهد في الدنيا زهد العارفين ؛ وهو أن نعلق قلوبنا بحب

الله عز وجل وحده ، ثم نمسك الدنيا بحذافيرها لا نترك منها شيئاً ، إلا إن كان فيه شبهة ، ونتصرُّف فيها تصرّف حكيم عليم ، ونستعمل كل شيء فيما خلق له .

مهم

وإيضاح ذلك أن الله تعالى منَّ علينا بأن سخر لنا ما في السموات وما في الأرض ، ولا يكمل لنا كمال الشهود امتنانه إلا بشهود الافتقار إلى كل شيء في الوجود ، فافهم واعمل على هذا الزهد ودع عنك قول من يقول بذم الدنيا على الإطلاق بما قلناه ؛ فإن الذم ما حصل إلا من تعلق القلب بمحبتها دون الله تعالى ، وحجاب صاحبها عن أعمال الآخرة . ثم إنه لا يصح لأحد أبداً الاستغناء عن الدنيا كما يتوهم أقلّ ما هنالك حاجة إلى ما يأكله وما يشربه وما يتنفس فيه من الريح ، فإن من ذمّ نفسه مات . وقد سئل رسول الله ﷺ عن الزهد في الدنيا فقال « هو اليقين » .

وقد ذكرنا في « رسالة الآداب الكبرى » أن سبب الفتنة في الدنيا أربعة أشياء : النساء ، والجاه ، والمال ، والولد . والكامل لا يهرب بشيء منها ، بل يحبّها كلها بتحبيب الله عز وجل ، ويغلب حكم محبة الطبع والنفس لله تعالى . وقد بسطنا الكلام في مؤلفاتها على كل واحد منها . **فعلم أن العارف يكون الدنيا في يده لا في قلبه**؛ ومحل ذلك أن لا يبخل بشيء منها عن محتاج ، ولا يصرفه لمن يورث فيه الفتن فساداً . ولا تظن يا أخي بالعارفين أنهم إذا أمسكوا الدنيا يمسكونها بخلاف ، وإنما ذلك لحكمة تخلقاً بأخلاق الله عز وجل . فاعلم يا أخي ذلك والله ، يتول هداك .

وقال : أخذ علينا العهد أن نعلم أولادنا الحرفة بعد تعليمهم أمور دينهم التي لا بد منها . فإنه إن لم يكن بيده حرفة أكل بدينه أو بلسانه وسلق الناس بألسنة حداد وحقد عليهم في الباطن . وقد كان الناس في

زمن الماضي يكرمون حملة القرآن ويرتبون لهم المراتب ، ويهدون إليهم الهدايا ، ويتفقدونهم في المواسم وغيرها ، يقولون لهم : اشتغلوا ونحن نكفيكم جميع ما تحتاجون إليه . فصار الفقيه اليوم لا يحصل له ما ينفقه على عياله ، حتى يذوب قلبه من الدوران طول النهار ، ثم بعد ذلك يأكل صدقة . فتعلم الحرفة للفقيه الآن من أبرك المصالح ولو كانت دنيّة ، كالأدميّ والحجامة ونحوهما . فإن وسع الله عليه كان ، وإلاّ فتغنيه عن سؤال الناس . فاعلم ذلك والله عليّ حكيم .

قلت : وإذا فهمت جميع ما تقدم علمت أنه ما ضر بعض الناس إلا جهلهم بالفرق بين الزهد والترهب ، وبين التوكل والعجز . قال السيوطي رحمه الله تعالى في « الكوكب الساطع » :

وليس من زهادة تعزب وترك محتاج له ترهب

وقال في شرحه : ليس من الزهد التعزب وترك ما لا بد منه ، بل ذلك من التعمق المنهي عنه . روى الترمذي من حديث أبي ذرّ مرفوعاً : « الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيا لَيْسَ بِتَحْرِيم الحَلالِ وَلا إضَاعَة المَال ، وَلكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيا أَنْ لا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ بمَا فِي يَدِ الله ، وأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ المُصِيبَةِ إذَا أَنْتَ أُصِبْتَ ، أَرْغَبَ مِنْكَ فِيها لَوْ أَنَّهَا لَكَ » وقال أيضاً :

وَالْمَرْءُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يَعْرِفَا فَرْقَ أُمُورٍ فِي افْتِرَاقِهَا خَفَا

كالفرق بين العجز والتوكل : وقال في شرحه الشيء الواحد تكون صورته واحدة ، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم . فيحتاج العابد والصوفي وسالك طريق الآخرة إلى معرفة الفرق بينهما ، فمن ذلك التوكل والعجز . فالتوكل عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضاً إليه ، لعلمه بكفايته وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه ، مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها .

والعجز تعطيل الأمرين أو أحدهما إما أن يعطل السبب عجزاً عنه ويزعم ذلك توكلاً ؛ وإنما هو عجز وتفريط كما في أثر عمر . وإما أن يقوم بالسبب ناظراً إليه معتمداً عليه غافلاً عن المسبب معرضاً عنه ؛ وإن خطر بباله لم يثبت معه ذلك ، ولم يعلق قلبه تعلقاً تامّاً بحيث يكون قلبه مع الله وبدنه مع السبب . انتهى « رماح » عبارته ج١ .

وفي « نزهة المجالس » ما لفظه : قال النبي ﷺ « أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله » ، وقال النبي ﷺ « من اشترى لعياله شيئاً ثم حمله بيده إليهم حط عنه ذنب سبعين سنة » . وحمل النبي ﷺ شيئاً من السوق فأراد رجل أن يحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بحملانه ، وتقدم في فضل الصلاة بزيادة . انتهى راجعه في ١٣ ج٢ .

فاعلم ذلك يا أخي واعمل به ، والله يهدي من يشاء .

الفريد الثالث والعشرون

في بيان المراد من أقوالهم قدس الله أسرارهم .

حاصلها : ما من وليّ حق له قدم الولاية إلا ويعلم العلوم اللدنية كشفاً وذوقاً . .إلخ . وإن من شرط من يتصدر للمشيخة وتربية المريدين أن يعرف تلامذته من يوم ألست بربكم ، وأن يعرف من يفتح له ، وأن يكون قادراً لدفع كل عارض عن مريديه . .إلى آخر ما قاله .

أقول لله الحمد ومنه الهداية إلى طريق الحق : اعلم أيها الأخ السالك سبيل القوم أنه لا بدَّ لنا من ذكر ما ورد منهم في هذا الباب قبل الدخول في الإجابة ليبني الجواب عليه .

فإن الإمام الشعراني قال في « الأنوار القدسية » ما نصه : ومن شأنه أن لا يتصدى لباب التسليك والمشيخة إلاّ أن يكون يعرفُ تلامذته

من يوم ألست بربكم . هكذا قال سهل بن عبد الله التستري ﵁ يقول : أعرف تلامذتي من يوم ألست بربكم ، وأعرف ما يفتح له على يدي ممن لا يفتح له ، وأعرف من كان عن يميني ومن كان عن شمالي . إذا علمت ذلك فلمن هذا قدمه أن يمنع تلامذته من زيارة غيره من المشائخ ، لأنَّ كشف المتمكنين قل أن ينخرم ، ويمحو الله ما يشاء ويثبت . وأما من ليس له هذا القدم فليس له أن يحجر واسعاً على الخلق لأجل قيام ناموسه ، حتى ينسب التلامذة إليه دون غيره ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فما قسم للعبد من انتفاع الناس به على يديه لا بد من وقوعه ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، ولم تخرج نفسي من الدنيا حتى تستوفي ما قسم لها فيها ، والموقع للقاصر في ذلك دعوى الكمال وأنهم عارفون ، وهذا غلط منهم لا من عرف الله تعالى لا يخفى عليه أمر تلامذته .

فمنع مثل هؤلاء عن زيارة غيرهم منع للخير بالجهل وإن كان المانع هو الحق ، لأنهم لو قسم لهم الاجتماع بغيره وقع ؛ فأوقات الاجتماع والافتراق بقدر معلوم . فهم مؤاخذون بقصدهم ذلك ولا يكون إلا ما يريد . فلا يحل لقاصر أن يتشبه بأكابر الأولياء الذين كانوا يمنعون تلامذتهم الذين علموا بالكشف أنهم لا ينتفعون إلا على أيديهم ، ويظن أنه منهم ويمنع كمنعهم استناداً لما في رسائلهم من الأمر بذلك من غير أن ينكشف له ذلك في حق من يمنعه من الزيارة بخصوصه ، فافهم .

واعلم أن شرط المسلك أن يعتمد في التسليك على ما يلقيه الحق في قلبه ، فيعطي كل شخص من جلسائه ما يقبله استعداده . وأما من يطالع كلام الصالحين ويلقيه لكل جليس على حد سواء فليس بمسلك ، لأنه لم يتكلم بذوقه إنما تكلم بحكاية عن ما ذاقه غيره . ومن هذا الملحظ خرض موسى عليه السلام من دون الأنبياء بالمراجعة للنبيّ ﷺ ليلة الإسراء في التخفيف عن الخمسين صلاة إلى الخمس ،

لأنه كان إذ ذاك أعلم منه بهذه الأمور ، لذوقه في بني إسرائيل بما ابتلي به منهم ، فتكلم عن ذوق وخبرة . إذا علمت ذلك فليس كلام الجنيد وغيره سواء ، ناسب حال الجليس أو لم يناسبه ، ويفارقه التلميذ فيقول لإخوانه : فاتكم اليوم كل حكاية تدهش العقول ، فيظنون أنهم سلكوا بسماع الكلام وهم لم يذوقوه ، لأن كلام الكمل إنما يذوقه بعض الذوق من هو في درجتهم ، إذ لا يتحد اثنان في ذوق .

وقال شيخنا رضي الله عنه **:** لو طالع الفقير من كتب القوم عدة رمل عالج في مدة عمر نوح لا يصير صوفياً بمحض المطالعة حتى يلج الجمل في سم الخياط . ومن لم يقذف الله في قلبه نوراً يفرق به بين الحق والباطل لا يصلح لهذا الباب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ . وسبب هذا كله أن القاصرين لما اجتمعوا بمشايخهم زماناً ولم يفتح لهم بشيء ، وانتظروا الإذن فلم يأذن لهم خافوا أن تفوتهم المشيخة وقصدهم الخير ، لكنهم قاصرون محتفون بآفات لا ينجو منها أحدٌ في الغالب ، كما يعلم مما سيأتي في الباب . فجلسوا يسلكون التلامذة القاصرين ويعمدون إلى كتب المشائخ المتقدمين ورسائلهم ، فيختصرونها وينسبونها لهم ويأمرون التلامذة بكتابتها وترجمعة اسمهم عليها ، ويوهمونهم أنها من كلامهم - وكل نحوي ولغوي يقدر على هذا الفعل - وهم يظنون أنهم يتكلمون بالعلم اللدني ، وذلك إنما هو كلام استفادوه من « رسالة القشيري » ، أو « عوارف المعارف » ، أو غيرهما . والتلامذة ليس عندهم شيء منها ، ولو كانت عندهم لنهوهم عن مطالعتها خوفاً أن يعثروا على الكلام الذي كانوا يتكلمون به ، فيقل اعتقادهم فيهم لا خوف على التلامذة . فرحم الله امرأ إذا عرف اعترف ، ويقولون في المثل : ما هلك امرئ عرف قدره .

وكل مُسَلِّك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ، وقد تقدم أن « الفناء » كتاب ذكرنا فيه أسماء علوم الأولياء ، فراجعه تعرف قدر الأولياء المسلكين .

وقد قال سيدي أبو السعود بن أبي العشائر ﵁ : من لم يكن كتابه قلبه لا يصلح لشيء من هذا الباب .

واعلم أن العارفين يعلمون أن الحق في التغيير والتحويل ليلاً ونهاراً لتجدّد الشؤون التي يظهرها الحق تعالى كل يوم لقوله تعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ ، فلذلك نهوا المسلك أن يسلك من الكتب ، لأنّ لكل زمان دولة ورجالاً ، وكلام البشر لبعضهم إنما هو بحسب قابليتهم في ذلك الآن . فأيّ فائدة للتلميذ الآن بذكر ما كان الجنيد أو أبو يزيد أو معروف أو غيرهم يقولونه لتلامذتهم ، لأنَّ الأمراض تتجدد في القلوب في كل زمان لأهله أمراض غير أمراض أهل القرن الذي قبله ، بل قال شيخنا ﵁ : إن كل وقت له مرض جديد ، بل كل نفس له حال غير الآخر ، كما يشاهد ذلك أهل الله تعالى ، وهي مرتبة الكمل من الرجال أصحاب الأنفاس رضي الله عنهم أجمعين . فكانوا رضي الله عنهم يعطون كل جليس حقه ، ويعرفون من يفتح لهم على أيديهم ، وكانوا يراعون تلميذهم وهو في الأصلاب ، كما وقع لشيخنا ﵁ مع شيخه ، وكما وقع لسيّدي الشيخ محمد بن هارون مع سيّدي الشيخ إبراهيم الدسقي ، وكما وقع لسيّدي أبي السعود أبي العشائر مع سيدي حاتم ، وكما وقع لسيّدي الشيخ محمد المغربي مع سيّدي عبد الرحيم القناوي رضي الله عنهم أجمعين ، فاعلم ذلك ؛ وهو يتولى هداك وهو يتولى الصالحين . انتهى عبارته ٢٧ .

وقال الخواجه عبد الله أحرار قدس سرّه : من لم يعرف بأوّل النظر استعداد المريدين إلى أين نهايته ، وبأيّ مقام يصل وبأيّ حال وذوق يتصل ، وأين مآله ، فلا يجوز عليه الشيخوخة . « البهجة السنية » عبارته ٢٩ .

وسألته ﵁ : هل أرخي له عذبة كما عليه طائفة الصوفية ؟ فقال ﵁ : لا ترخي لك عذبة إلاّ إن أعطاك الله شرف النمو والزيادة

في كل شيء نظرت إليه أو مسية[1] ، فتكون تلك الزيادة المرخاة من العمامة علامة . وإشارة إلى التحقق بهذه المرتبة من باب التحدث بالنعم لا غير . وبلغنا عن السري السقطي لما أرخاها لأبي القاسم الجنيد أراد أن يسقف بيته ، فقصرت خشبته منه عن الوصول إلى الجدار الآخر ، فمطَّها بيده فطالت معه كالعجين فمن حصل له مثل ذلك فله أن يرخى له عذبة ويرخيَها للمريدين ، وإلا فيتركها .

فقلت له : فما شرط إلباس الخرقة عندكم ؟ فقال : شرط إلباسها عندي أن يعطي الله تعالى عند ذلك للشيخ من القوة والعزم ؛ أنه بمجرد ما يقول للمريد : انزع قلنسوتك أو ثوبك مثلاً أن ينزع عنه جميع الأخلاق المذمومة ، فلا يصير فيه خلق مذموم ، ثم أنه يلبسه القلنسوة التي معه أو الثوب فيخلع عليه فيها جميع الأخلاق المحمودة التي يمكن مثله التخلق بها . فمن لم يعطه الله تعالى ذلك فهو بإلباسه الخرقة للمريد كالمستهزئ بالطريق . قال : هكذا ألبستها من يد سيّدي إبراهيم المبتول رضي الله تعالى . عنه قال : وذكر الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه أنه لبسها كذلك من يد سيدي أبي العباس الخضر عليه الصلاة والسلام تجاه الحجر الأسود ، وأخذ عليه العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ .

فقلت له : فما شرط تلقين الذكر عندكم ؟ فقال : شرطه أن يعطي الله تعالى الشيخ من العزم ؛ أنه يخلع على المريد حال تلقينه الذكر جميع علوم (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ) فقلت له : وما علومها ؟ فقال : هي علوم الشريعة المطهرة ، فلا يصير بعد التلقين يجهل شيئاً من أحكام الشريعة المطهرة ، فيستغني عن سؤال الناس وعن النظر في كتاب . قال : ولما لقن رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلع عليه ذلك صار يقول : عندي من العلم الذي أسرَّه إليَّ رسول ﷺ ما ليس

---

(١) **علّه** : أو مسسته .

عند جبريل ولا ميكائيل فقال له ابن عباس ﵁ : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ ! فقال : إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، وقال : وما منا إلا وله مقام معلوم ، فلا يدري ما وقع لرسول الله ﷺ بعد ذلك . هذا هو التلقين الحقيقي . فقلت له : إذا أمهل الزمان الظاهرون غالبهم ليس بأهل هذه المراتب الثلاث . فقال : نعم ، إنما يتزاحمون عليها بغير حق . فقلت له : فإذا صرحوا بأنهم إنما يفعلون ذلك تبركاً بالسلف هل عليهم لوم ؟ فقال : لا ، والله أعلم .

ثم إني ذكرت هذه الشروط لبعض المشائخ من أهل العصر ، فقال : هذا ليس بشرط . فعرضت ذلك على الشيخ فقال : من أين لهؤلاء معرفة شيء من ذلك ، فلما جهلوا ذلك مع دعواهم المشيخة ظنوا أن غيرهم حاله كحالهم ، وفي ذلك تنقيض لأهل الطريق . ومثل هؤلاء لا يرجى لهم صلاح ولا فلاح . . .إلخ . « الدرر الغواص على فتاوى علي الخواص » للعارف عبد الوهاب الشعراني في ٧٣ . انتهى ما كتبه إلينا الأخ العالم نصر الدين الكراطي ملتمساً منا الإجابة .

ونصّ ما كتبناه في جوابه صاحبُ المجلة الدينية الذي كتبنا إليه ببيان المراد من أقوالهم قدس الله أسرارهم ونور أضرحتهم وأفاض علينا من فيوضاتهم :

اعلم أيها الأخ الناقل كلام السادات الأخيار أن الأسلم لمن لم يدخل في طريق القوم ، ولم يذق طعم شرابهم السكوتُ في علومهم والتسليم لأربابهم كيلا يقع في ورطة الإنكار ، فمن لم يره يجهله ومن لم يذقه ينكره . فإن علومهم مواهب إلهية وأذواقهم فتوحات ربانية ، فالمتكلم في حقهم بأحوالهم كمن يصف طعم العسل لمن لم يذقه ، فيعجز عن إيصال الطعم إليه ، فما لم يذق طعمه ينكر على من ذاقه لأنها علوم صدْرية لا سطرية . كذا ذكره الشعراني في « الأنوار القدسية » ، بيد أنه لما كثر السؤال والكلام بين العوام والخواص في خصوص هذا المسألة ، وتوغلوا فيما لا ينشرح صدورهم بمجرَّد الأخبار لم نجد بدّاً من الإجابة ومن بيان تقيداتهم .

فأقول ولله الحمد والثناء : إن الإمام الشعراني قال في هذا الكتاب الذي نقله صاحب المجلة : وفي « الأنوار القدسية » : **ما من ولي حق له قدم الولاية إلا ويعلم العلوم اللدنية كشفاً** . .إلخ . وقال أيضاً : **إن من شرط من يتصدر للمشيخة وتربية المريدين أن يعرف تلامذته من يوم (ألست بربكم) ، وأن يعرف من يفتح له على يده ممن لا يفتح له ، وأن يكون قادراً لدفع كل عارض عن مريديه** . .إلى آخر ما قاله في الكتاب المذكور هذا المذكور . كله حق صادق لا غبار فيه ، لكن ليس مرادهم كما فهمه بعض نقلة كلامه ؛ من ترك الذكر والتلقين وبطلان شيخوخة من ليس أمره كذلك ، لأن مراده قدس سره من كلامه المذكور ؛ أن كل من فتح له باب الشيخوخة ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ، ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك أو لبيان الأكمل والبيان من يقتدي به في العلمين معاً ، أو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصر واحد ، لا لنفي الاقتداء من غيرهم . فإن الإمام الشعراني قال في « الأنوار القدسية » بعد ذكره الشروط المذكورة :

واعلم أنه ليس في هذا الذي خشينا عليه ترك للذكر والتلقين كما توهم ذلك الضعفاء ، بل المراد منه أن كل من فتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ، ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك ، وأنَّ في ذلك هلاكه . وأما التلامذة فيحصل لهم بالتلقين الخير ، لأنهم طالبون الحق محتقرون نفوسهم فافهم ذلك .

واعلم أنه لا يفيد قول الشيخ المذكور لمن يعظمه ، ويعتقد بلسانه دون قلبه لست بأهل لهذا الباب ، وهذه بلية نزلت لأن ذلك مما يزيد الخلق فيه تعظيماً ، ويقولوا انظروا إلى تواضع الشيخ مع كماله وجلالته ، كيف يحتقر نفسه ! انتهى راجعه عبارته في ٤٢ .

وفيه أيضاً في موضع آخر ما عبارته : فينبغي لمن يلقن الناس أن يراه ابتلاء من الله تعالى ، ويلقن على سبيل التشبيه بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين ست مرات ، ويسأل الله الإقالة . انتهى من ذلك

راجعه في ٣٠ . وقال أيضاً الحافظ ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » بعد ذكره كمل الأولياء ما عبارته : وتخصيص هؤلاء بذلك إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصره واحد لا لنفي الاقتداء عن غيرهم ، إذْ الجامعون بين العلمين المذكورين من القوم كثيرون على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العلمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل ، إذ لا خلاف بينهم أن جميع السالكين العارفين بالله يجوز الاقتداء بهم ؛ سواء حصل السلوك قبل الجذبة أو بعدها ، وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة ، أم لم يعرفوا سوى فرض العين الذي لا بدّ لكل مكلف منه أو لبيان من يقتدي به في العلمين معاً . انتهى راجعه في ٢٢٧ .

أقول : لو كان مراد كلامهم كما فهمه البعض المذكور ولم يبيّنوا مرادهم ومقصودهم من ذلك بأنفسهم لنقضه كلامه في موضع آخر ، وما اتفقوا عليه من أن الكرامات والكشوفات ليست شرطاً للولاية ولا للإرشاد والشيخوخة ، بل المدار على الاستقامة . فإذا صحَّ أن يكون من ليس له كشف شيخاً مرشداً بماذا يعلم ما شرطوه لذلك ؟ وقد قال الشيخ الحافظ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٥ : ليس ذو الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق ، بل قد تنبئ الكرامة عن ضعف يقين أو همة ، فتعجل لمن أريد به عناية حتى يزول عنه كل من ذينك أو أحدهما ، بل قد تقع الكرامات لمحب وزاهد ، ولا تقع لعارف مع أن المعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين ، وأفضل من الزهد عند الكل ، لأن الزهد من أوائل المقامات ، والمحبة أول الأحوال الناشئة عن مجاورة المقامات . ويؤيّد ذلك قول أبي يزيد ﵁ : العارف طيار والزاهد سيّار . وقال غيره : وأنى يلحق السيّار الطيار .

فعلم أنه لا دخل للكرامة في الافضلية ، وإنما منشأ الأفضلية قوة اليقين وكمال المعرفة بالله ، فكل من كان أقوى يقيناً وأكمل معرفة كان

أفضل ، ولذا قال سيّد الطائفة أبو القاسم الجنيد قدس سره : مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش من هو أفضل منهم يقيناً . وقال : أيضاً : ارتفاع الريب في مشهد الغيب .

وقال سهل التسترى : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله ؛ ولا يشكل عليك ما مرَّ من حكاية الإطلاق في التفضيل بين المحب والعارف مع أن العارف لا بدّ أن يكون محبّاً ، لأن المراد من ذلك إنما التفضيل بين غلبة المحبة وغلبة المعرفة ، لأن بعضهم يغلب عليه سكر المحبة وشدة الهيمان والوله في محبوبه ، وبعضهم يغلب عليه المشاهدة وظهور الأسرار والمعارف وكثرة التجليّات ، مع اعتدال حاله في المحبة في غالب الحالات فيكون أكثر معارف ، والأول أشد ولهاً وسكراً ، ومن ثم قال المحققون المحبة استهلاك في لذة ، والمعرفة شهود في حيرة وفناء في محنة . انتهى عبارته . وفي « الفتاوى العمرية » : وأما الكرامة فليست بشرط للمرشد ، لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم ، حتى لم تنقل عن الصديق الأعظم ، مع أنه أفضل الأمة .

أفضل الكرامات هو الاستقامة

والحاصل أن أفضل الكرامات هو الاستقامة ، كما قالت رابعة العدوية ، حتى أن بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشرب إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » . انتهى عبارته .

وفي « الدرر » من الجزء الأوّل : إن ظهور الخوارق لم ينقل من أكثر المتقدمين في طول عمرهم أزيد من خمسة أو ستة خوارق ، حتى أن الجنيد سيد هذه الطائفة لم يدر هل نقل عنه عشرة خوارق أو لا . انتهى . ومثله في « جواهر المعاني » راجعه إن كنت من أهل المراجعة .

وفي « لطائف المنن » للشعراني ما حاصله : إنما كرامة الولي الاستقامة على الشريعة لا غير ، فهذه هي أعظم الكرامات . انتهى راجعه في ٢٥ ج١ .

فإن قيل : إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطاً في الولاية ، كيف يتميز الولي من غير الوليّ ؟ وكيف يتبيّن المحق من المبطل ؟ أجيب : لا يلزم التمييز ، بل يكون المحق ممتزجاً بالمبطل ، فإنَّ اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشئة الدنيويّة ، والعلم بولاية وليٍّ ليس بلازم أصلاً ، وكثير من أولياء الله تعالى لا اطلاع لهم على ولايتهم . فكيف يكون الاطلاع على ولايتهم لازماً لغيرهم ! ؟ انتهى « تنبيه السالكين » راجعه في ١٨١ .

فائدة

وفي « الدرر المكنونات » في ١٤٠ من الجزء الثاني : قال تاج الدين النقشبندي : ومن يريد أن يعرف الشيخ الكامل بالتحقيق يجلس على مقابلته ، فإن حصل له الجمعية ، وزال عنه التفرقة أو نقص عنه فهو وليٌّ ، وإن لم يحصل له التمييز ففي وقت سكون الشيخ يجلس أيضاً مقابلة متوجهاً إلى الباطن ؛ فإن نقص من الخواطر والوساوس فهو وليٌّ وإلا فيتركه . فالشيخ هو بقوة تصرّفه ترتفع الظلمات البشرية عن المريد وتثبت أنوار الجلال إلهي ، فبسببه يحصل طلب الذات الأحدية ؛ فتحويل القلب عن الأدنى على يد الشيخ ، وترك الدنيا على يد المريد . وقيل : الشيخ يحيى ويميت . انتهى كذا في « شرح الخادمي على النصائح الولدية » في ٩٩ راجع « تنبيه السالكين » في ٢٤٣ من الباب السابع والعشرين ، ومن الباب الثاني والعشرين في ١٧٣ .

وفي « المجالس السنية » : إن الاستقامة خير من ألف كرامة ، وما أكرم الله تعالى عبداً بكرامة خير من الاستقامة ، ولم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم إلا القليل من الكرامات . انتهى راجعه .

الشروط المعتبرة في الشيخ

وأما الشروط المعتبرة في الشيخ المرشد الذي يصح له الإرشاد ؛ أن يكون عالماً بموجب الشريعة وذكر الله مع الحضور وأن ينصح الجميع مما أمكنهم فيدلهم على التقوى والاستقامة ، وينهاهم عن المنكر ، وينظر لكافة الخلق بعين الشفقة والرحمة ، ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم . وأن يكون عالماً بما يحتاج إليه المريدون ؛ من فقه ، وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي في البداية تعرض للمريدين . وأن يستر ما اطلع عليه من عيوب المريدين وأن يكون عالماً بكمالات القلوب وآدابها ، وأفات النفوس وأمراضها بالكشف إن كان من أهل الكشف ، أو بالحال التي يعرض للمريدين إن لم يكن له كشف ، أو بالدلائل الخارجية . وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله ، أي : ما بين الإفراط والتفريط وأن يكون غني النفس ، وحسن الخلق لا يغضب إلا لله وإذا جاءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عبس وأن يكون جلاله ممزوجاً بجماله وقهره ممزوجاً بلطفه ، والحاصل أن جميعها يجمع قولنا : **الاستقامة** .

وقال الشاذلي : **ولا يشرط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي كلها** ، والمحافظة على الواجبات ، وما تيسر من المندوبات ، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن وأقل ذلك ألف مرة في كل يوم ، والاستغفار مائة مرة ، والصلاة على النبيّ ﷺ مائة مرّة . انتهى « روح البيان » راجعه ، وكذا في « الفتاوى العمرية » ، و« البروج المشيّدة » . انتهى والسلام .

وكتب شيخنا قدس سره على قولنا : (ولا يشترط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي) ما لفظه : ولكن لا يشترط في الشيخ والولي أن لا يعصي الله تعالى أبداً ، بل الشرط في الولي أنه كلَّما وقع في ذنب تاب عنه في الوقت . كذا في « الحصون الحميدية » انتهى قحي من خطه .

فائدة أخرى

قد يظن الناس أن المشائخ يجب أن يكونوا يقدرون على منع عصيان مريديهم ، مع أنه قد مرَّ أنَّ ذلك ليس من شروط الشيخ ، وأيضاً يظنون أن المشائخ يجب أن يكونوا معصومين من الزلل والعصيان ، مع أن العصمة من شرط النبوة . وذلك الظن إنما حصل لسماعهم أن بعض الأولياء منعوا مريديهم عن الفاحشة إذا أهمَّ بها ، وأمثال ذلك مما ذكره في كتبهم ، ولكن ينبغي أن يعلم أن وقوع ذلك من بعض المشائخ لا يجب أن يقع في كل واحد منهم .

وفي « الإبريز » : وسمعته ﷺ يقول : إن الذين ألفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء ، فقد أضرُّوا بهم كثيراً من حيث أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ، ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التي من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات ، حتى أن الواقف على كلامهم إذ رأى كرامة على كرامة وتصرُّفاً على تصرُّف ، وكشفاً على كشف توهَّم أن الوليَّ لا يعجز في أمر يطلب منه ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهراً ، فيقع في جهل عظيم لأنه يظنّ أن الوليّ موصوف بوصف من أوصاف الربوبية ، وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز ، ويوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة . انتهى راجع « السفر الأسنى » عبارته ، وفيه بسط لذيذ . وفيه في موضع آخر ما عبارته : ولكن لا طاقة لنا لامتناعهم عن بعض المعاصي وذلك ليس من شروط الشيخ ، وما لم يصح لرسول الله ﷺ من أصحابه لا يصح لأحد من بعده ، كما ذكره الشعراني في « العهود المحمدية » بالبسط التام . وقال النبهاني في « شواهد الحق بالاستغاثة بسيّد الخلق » ما نصّه هذا : وليس من شروط مشائخ الطريق أن يقدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات ، فالمنصف يؤدي كل ذي حق حقه . انتهى ومرّ مثله راجعه .

وفيه أيضاً قبيل هذا نقلاً عن « العهود المحمدية » للشعراني ما نصّه : وقد حثنا الله على حسن الظن به بقوله « أنا عند ظن عبدي خيراً » فمن لم يظن بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى . وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم ، فإن ظنوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصح لهم حماية ، ولذا أمروا مريدهُم أن لا يغفل عن شهود كونه معه ، لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل أفة ، ومتى غفل عن ذلك جاءته الآفات من كل جانب .

ومما جرَّبنا نحن أنَّ من كان اعتقاده فينا متوافراً ، مهما طلب من الحوائج قضى له ، ومن لم يكن اعتقاده فينا متوافراً لم تقض له حاجة . ولو كنا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنّ المتوجه للشيخ لا على الشيخ . وربما تقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلا إن أعلم المتوجه إليه . فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » من الجزء الثاني ، كذا ذكره شيخنا قدس سره في « السفر الأسنى » راجعه ، وفي « الدرر المكنونات » زيادة على ذلك راجعه من الجزء الأوَّل . انتهى والسلام .

وعبارة ما كتبه شيخنا في حق ما كتبناه جواباً لذلك السائل المذكور :

وعليكم السلام أيها الأخ المحبوب نصر الدين أزيد مما أرسلت إلينا بألوف . فقد وصل لدي رسالتكم في ١٨ من جماد الأول مع ما كتبه ولدنا من الرضاع المعنوي محمد العسلي ، أطال الله بقائه مع الاستقامة أمين . فوجدته قد حمل عنّي أعباء الأجوبة وثقل الكتابة ، وقد نقل - قدس سره عن الالتفات إلى ما سواه آمين - جميع ما أنقله لو وصلت المسائل إلى يدي قبل وصولها إلى يده ، فجزاه الله عني خيراً حيث أجاب بالصدق ، ولم ينحرف عن طرق ما مشى عليه أهل الحق . وقد طرحت فيها ما فات منه من التنبيهات . وقد كنت ظننت من قبل

أن أرسل لدى أهل الجريدة من العلماء مثل ما كتبه محمد العسلي في هذه الأيام ليكون تنبيهاً لهم أن كلام الأولياء ليس على إطلاقه ، بل هو مقيَّد ، كما يؤخذ من تقييداتهم في كتب عديدة ، فافهم . والسلام وأوصيكم بالدعاء . حسن حلمي من خطه قدس سره .

ونص ما كتبه إليه ببيان ما فات منا من التنبيهات : اعلم أيّها الأخ نصر الدين أن كلام الشعراني وغيره من أرباب الكمال حق صادق ، وأصول طريقتهم وقواعدتهم مبنيّة على كيفية سلوكهم . وتسليكهم وهي مختلفة ، ففي ببعض الطرق يقدمون السلوك على الجذبة ، ولا يلقنون الذكر إلاّ بعد قطع منازل السلوك باستعمال الرياضات والمجاهدات ، وفي بعضها يقدمون الجذبة على السلوك . ولا بد في الأوّل من معرفة السلوك والتسليك . وعقباتها ودرجاتها . وأما في الثاني لا يشترط ذلك العلم والمعرفة ، لأن هذا الطريق مبنيّ على مجرد الجذبة ويندرج في مدارجها معارج السلوك ، وهذا هو عين ما عليه النقشبنديون كما هو مذكور في المكتوبات .

فبناء على هذه المذكورات ينبغي أن يعلم أنّ كلَّ كلام لا يتمشى في كل طريق لأن كلام أرباب الطرق منوط بقاعدة مدارجها ومداركها ، وأصولها ومعارجها فعادة مشائخ هذه الطريقة النقشبندية التي هي مبنيَّة على الجذبة ومندرجة انتهاؤها في ابتدائها ، ومنصبغة بالانعكاس والانصباب ، كما تسلسلت وتعنعنت بالصبّ من صدر إلى صدر أنهم يلقنون الذكر على اللطائف ، ثم إذا حصل سلطان الذكر يلقنون النفي والإثبات ، ثم إذا حصلت نتيجة ذلك الذكر من الغيبة والذهول أو الاستهلاك والفناء يلقنون المراقبة الأحدية ، ثم إذا حصلت نتيجتها التي هي ظهور دائرة الإمكان التي نصفها فوق العرش ونصفها الباقي من تحت العرش إلى منتهى الثرى إن كان السالك من أهل الكشف ، وإلا فإطاقته لحفظ الحضور ساعتين أو أكثر أو أربع ساعات تامات على

خلاف فيه ، يلقنون المراقبة المعيّة . فإن حَصَل للسالك نتيجتها ؛ وهي مشاهدته كأنه بين يديه تعالى ، وأنه يتقلب في حضرته ونوره ، وصار حضوره دائماً بحيث لا يغفل عن الله تعالى ، ولا يشغله الحق عن الخلق والخلق عن الحق ، فحينئذ يجوِّزون إجازة هذا السالك للتلقين لو كان فيه عقل وعلم[1] ، لأنهم قالوا : قد يعطي الكامل الإجازة للناقص قبل وصوله إلى درجة الكمال . فإن يده حينئذ يكون يد الكامل ، وتربيته تربية الكامل . ألا ترى أن القطب محمد نقشبند قدس سره أعطى الإجازة ليعقوب الجرخي قبل كماله .

ولذا كان للقطب خالد شاه خلفاء كثيرون أجازهم قبل كمالهم ، حتى روي أنه كان له خلفاء كذا وكذا ألفاً أوصلوهم إلى مقام الإجازة بتوجه واحد ، لكونهم في عصرهم مستعدين بحيث يتأثر في قلوبهم كما يتأثر النار الخارج من الحجر إذا صادف القطن اللين المستعد في حالة المصادفة . ومع هذا قال القطب المذكور قدس سره : ما عندي مريد ، بل إسماعيل نصف مريد . وقال في حقه مرّة : ملكت في عمري نصف مريد[2] ، مع أنه من أجلِّ خلفائه المؤذونين ، ولم يخرج من مريديه وخلفائه من يجوز للطالبين أن يرابطوه ، لأنّ رابطة من لم يفن عن وجوده لا يحصل الفناء للمرابط ، كما هو مذكور في الكتب .

ويعلم مما ذكر أن الإجازة ليست موقوفة على الكمال المطلق ، بل قد تجوز أن تكون لسالك حَصَلت له درجة أو درجتان أو ثلاث درجات من درجات الولاية ، كما هو مذكور في كتب عديدة .

ويعلم أيضاً أن التربية المذكورة في كلام الشعراني وغيره قد انقطعت منذ زمان لفقدان الاستعداد اللائق بتلك التربية في أهل القرون

---

(١) **أي** : لو وصل إليه إشارة من روحانية النبي عليه السلام ، وأرواح السادات على ما هو معلوم لدى أهل الذوق ، لا مطلقاً . **(قحي)** . **(هامش الاصل)** .

(٢) مع أنه من أجل خلفائه المأذونين . **(هامش الاصل)** .

المتأخرة . وأما التربية المشهورة بتلقين الأذكار وغيره فهي باقية إلى أبد الأبد ، ولا يمنعها من سالك أجاز له الكامل وإن كان ناقصاً لم يبلغ إلى درجة الكمال ، لأنه وإن كان ناقصاً من جهة فهو كامل من جهة ، فيتأثر بتوجهه وصحبته . وكلامي هذا منقول من مواضع مما في رسالة « المبدأ والمعاد » للإمام الرباني و« مكتوباته » ، و« الرشحات » ، و« البهجة » ، و« درر الغواص » . فقد ذكر الشعراني فيه عن عليّ الخواص أنه قاله إذا سئل بهل عليهم لوم ؟ فقال : لا . انتهى . راجعه . أي : على من يلقنون الذكر تبركاً ، والله أعلم .

وقوله الماضي في أوّل الفريد : (وأما من ليس له هذا القدم فليس له أن يحجر) . .إلخ . وهذا الكلام صريح في أنه لا يجب على من ليس له من هذا المقام المذكور نصيبٌ أن يلقِّن شيئاً للمريد مع كونه مأذوناً بالتلقين وإن كان ناقصاً ، وإنما الواجب عليه أن لا يمنع المريد أن يأخذ من شيخ آخر أكمل منه ، فتدبر . قحي سامحه الله آمين . انتهى من خطه .

وقوله : (لأن من عرف الله تعالى لا يخفى عليه أمر تلامذته) . . إلخ . هذا الكلام وإن كان حقّاً لكنه ليس على اطلاقه ، بل هو مقيَّد بوقت أو بحال مريد دون مريد ، كما يؤخذ مما قاله الشعراني في مواضع من كتبه ، أي : وبعض الكلام يفسر بعضاً . **ولو كان اطلاع معاصي المريد شرط للشيخ لما قالوا إن ذلك كشف شيطانيّ** . فمن اطلع عليه يتوب كما يتوب عن المعاصي ، كما صرَّحه الشعراني في كتبه . وأيضاً لو كان معرفة حال المريد وانتهاء حاله شرطاً للشيخ لما قبلوا كثيراً من المريدين المطرودين أخيرا ، بل كانوا يطردونهم عن السلوك ابتداء ، فمن المريدين المردودين المطرودين أكثر من أن يحصوا . ألا ترى أن عبد الوهاب السوسي كان من أجل خلفاء القطب خالد شاه ، وكان له مريدون كثيرون ، لكنه طرّده أخيراً قائلاً : قد صدرت الإرادة الإلهية بطردك يا عبد الوهاب ، كما هو مذكور في كلام محمد أسعد قدس سره .

وقد كان للقطب محمد نقشبند مريدون مطرودون بترك أدب يسير أو خدمة قليلة ، كما هو مذكور في « الرشحات » . وكان للقطب عبد الوهاب الشعراني مريدون وفي آخر الأمر فرقوا منه وذموه ، كما هو مذكور في « رماح حزب الرحيم » . ولا يخفى أن كثيراً ارتدوا بعد الإيمان بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام في حياته وبعد مماته .

ومن هذه المذكورات يعلم أن معرفة ابتداء وانتهاء أحوال المريد ليست شرطاً كلياً للشيخ المرشد ، اللهم نعم ؛ إنَّ علم نزول أحوال المريد وترقيه ، ومعرفة نتيجة أذكاره ومراقباته شرط ، لكنه أغلبي لا كليّ في دوام الأوقات . فإنَّ كشف الشيخ قد يصيب وقد يخطأ ويتلوّن ، ولا يكون ذلك قدحاً في المرشد مع أنه ليس علم السلوك والتسليك شرطاً في الطريقة النقشبندية ، لأنها طريقة الانعكاس لا غير ، كما هو مذكور في « البهجة » و« المكتوبات » . ولأجل ذلك قالوا : الشيخ لا يعمل بكشفه ، بل يعمل بقول المريد ، كما هو مذكور في الكتب ، بل قد يكون الشيخ لا يعرف أحوال نفسه ولا أحوال مريديه إلا بواسطة ظلية ومرآتية مريديه الذين يعرفون أحوالهم . فمنهم من يعلم أحواله ومنهم من لا يعلم ، كما هو مصرح في كلام الغوث الأعظم الإمام الرباني في « مكتوباته » ، فتدبره فإنه نفيس ، والله أعلم . انتهى من خطه .

فيعطي كل شخص من جلسائه ما يقبله استعداده . . .إلخ . يعني : أن الشيخ يعلّم المريد على وفق ما ألهمه بفراسته من استعداده ؛ إن كان من قبيل الأبرار يعلمه كيفية طرق الأبرار ويسلكه فيه ، ثم يسلكه في طريق المقربين لو حصل له بعد ذلك استعداد ، وإلا يتركه في منازل طريق الأبرار . وهذا شيء خفيف لعلّ المرشد الناقص المأذون لا يخفى عليه شيء من ذلك ، والله على ما نقول وكيل . انتهى من خطه .

فجلسوا يسلكون التلامذة القاصرين ويعتمدون إلى كتب المشائخ المتقدمين . .إلخ . والاعتماد على مجرّد ما في الكتب وتسليك المريد مبنيّاً على ذلك مع عدم السلوك والإذن مما لا يخفى فساده ، ولكن تلقين الناقص المأذون مما لا مانع منه . فراجع « البهجة » ، و « جامع الأصول » ، و « المكتوبات » وانتهى قحي . انتهى من خطه .

وكل مسلك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام . .إلخ ؛ فليس بمسلك ، والمسلك هو الذي يقدر على استنباط الأحكام من كليهما كذلك ، وهو كبريت أحمر في زماننا ، ولأجل ذلك قد انقطع الاجتهاد منذ أربعمائة سنة ، كما قالوا . وتلقين مثل هذا المسلك هو التلقين الحقيقي ، إذا لقن للمريد لا إله إلاّ الله يحصل له جميع علوم لا إله إلا الله ، كما نقله الشعراني عن عليّ الخواص . لكن لا يمنع المرشد المأذون عن التلقين وإن كان ناقصاً على وجه التبرك ، كما نقله الشعراني عنه أيضاً . راجع « درر الغواص » .

وأما معرفة التغيير والتبديل والتحويل فلعله أغلبيٌّ لا كليّ في دوام الأوقات في جميع الأشخاص ، كما يأخذ مما وقع للمرتدين بعد الإسلام والمطرودين من المريدين بعد القبول ، كما هو معروف مشهور ، فتدبره . انتهى منه ، من خطه قدس سره .

وكانوا يراعون تلميذهم وهم في الأصلاب . . إلخ ؛ هو مقام الكمل من العارفين ، وهو أغلبي لا كليّ ، ألا ترى أن الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره والشيخ محمد النقشبندي لم يعرفا موت مريديهما وقت الوفات ، وبعد إخبارهما موتهما توجها إلى الله فأحياهما الله تعالى ، فتأمل في ذلك لتعرف أنّ كلَّ كلام لا يكون على إطلاقه ، بل مقيّد بوقت وبحال وبمريد دون مريد ، فافهم وراجع . انتهى من خطه .

وقال الخواجه عبد الله أحرار قدس سره : من لم يعرف بأوَّل النظر استعداد المريد إلى أين نهايته . .إلى قوله : فلا يجوز له الشيخوخة ؛ وهذا الكلام ليس على إطلاقه كما يؤخذ مما في كتب السادات من أن الكمال المطلق ليس بشرط في الإجازة ، بل قد يعطي الكامل الإجازة للناقص بعد وصوله درجة أو درجتين أو ثلاث درجات من درجات الولاية ، كما مر قبيل هذا راجع « البهجة » ، و« جامع الأصول » ، و« المتممات » ، و« المكتوبات » ، و« رسالة المبدأ والمعاد » . .وإلخ . .وإلخ . فينبغي أن يعلم أنّ كلام الأولياء مقصور على مقامه وحاله ، والكاملون يتكلمون مقام الكمال وبحال الكمل ، فتدبر وله عندي مأخذ . انتهى قحي من خطه .

فما شرط إلباس الخرقة عندكم ؟ فقال : شرط إلباسها عندي أن يعطي الله تعالى . .إلخ ؛ اللهم ! وإن كان شرطاً عنده لكن عادة السادات إلباسها تبركاً[1] ، فراجع « عوارف المعارف » وقد نقلته في « تنبيه السالكين » فراجعه .

فما شرط تلقين الذكر عندكم ؟ فقال . إلخ ؛ قوله : عندكم يعلم منه أن الكلام في حق الكاملين العارفين : لا مطلقاً . انتهى من خطه .

هل عليهم لوم ؟ فقال : لا . .إلخ ؛ هو دليل لمرشد الملقن للتبرك المأذون من قبل شيخه ، ولذلك دلائل في الكتب كما لا يخفى عليكم . قحي رحمه الله إفلاسه . انتهى من خطه قدس سره ، فلله درّه حيث نطق بعلوم مخفية لدى أبناء الزمان ، وأشاع علوم الأولياء لأمثالنا المقصِّرين المفلسين ، وجزاه الله عنا أحسن الجزاء لإهدائه إيّانا إلى أوضح الطرق وأسبق المناهج . فقال في مدحه وحيد الدهر فريد العصر العالم الرباني أدرة العرادي الهدلي ما لفظه . شعر :

---

(١) وفي إلباسها لمجرد التبرك والتشبه منافع عظيمة ، كما ذكرته في « تنبيه السالكين » بالبسط التام . فراجعه . (قحي رحمه الله إفلاسه ، آمين) . (هامش الاصل) .

لله در الحسن المحيي لنا مندرسات علمهم في وقتنا
أهدى الورى لأوضح الطريق أبدى لهم مراتب الفريق
وفق له اللهم للإفادة لمن أراد الفوز بالسعادة
بحملهم لأصلح المصالح بهديهم بأبلغ النصائح
لكنَّما الجهال في غرورهم أيضاً وأهل العلم في قصورهم
لا يحفظون حرمة المشائخ ولن يبالوا فتنة الطريق

إلى آخر نظمه الطويل .

فائدة

قال صاحب « رماح حزب الرحيم » فيه بعد بيان كون شيخه أفضل ممن تقدمهم من المشائخ ما لفظه : فإن قلت : كيف يكون الوليّ المتأخر أفضل من الأولياء الكبائر المتقدمين الذي شاع فضلهم وذاع وطار صيتهم شرقاً وغرباً ، كالشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي ونحوهما رضي الله عنهم أجمعين ؟ . قلت : من حيث كان النبي المتأخر محمد ﷺ أفضل من إبراهيم خليل الله ، وموسى كليم الله ، وعيسى روح الله ، وغيرهم من الأنبياء والرسل ، على نبيِّنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

قال أبو المواهب التونسي رضي الله تعالى عنه : واحذروا من قولكم : ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء ، فإنهم ما ذهبوا حقيقة وإنما هم ككَنْز صاحب الجدار ، وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول ، فإن الله تعالى قد أعطى محمداً ﷺ ما لم يعطه الأنبياء قبله ، ثم قدمه في المدح عليهم . انتهى .

وقال الشيخ أحمد زروق رضي الله تعالى عنه في « تأسيس القواعد » : النظر للأزمنة والأشخاص من حيث أصل شرعي لا أمر جاهلي ، حيث قال الكفار : لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريشيين

عظيم فردّ الله تعالى عليهم بقوله ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ . .الآية ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ . .الآية . فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالات بوقت والأشخص ، إلا من خصه الله تعالى به ، والأولياء في ذلك تبع للأنبياء ، لأن الكرامة شاهد المعجزة ، والعلماء ورثة الأنبياء في الحرمة والرحمة وإن تباينا في أصل الفضل ، فافهم . انتهى عبارته ج ٢ .

وكتب المرشد حسن حلمي بما لفظه : وأما ما قيل : إن من علامات عدم كون الشيخ أهلاً للإرشاد عدم حصول نتيجة لمريديه وإن كانوا ألوفاً .

فالجواب : لو كانت حياة القلب نتيجية كافية معدودة في النتائج فظهورها عند من تعلق بزيل أبعاض من مشائخ ديارنا ، كالشيخ العسلي والحافظ الباكني ، وأضرابهما مشهورٌ معلوم بالتواتر . وإن كانت المراد من النتيجة وصول المريدين إلى درجة الإرشاد والتلقين ؛ فهذه النتيجة في هذا الوقت أعز من الكبريت الأحمر ، ولا يوجد في أثناء ألوفٍ إلا واحد . ولعل ذلك الواحد أنه مستور مخفي إلا عند الخواص نظر الحال العصر وأهله . وقد سمعت شيخنا العسلي يقول عند ذكر كثرة خلفاء خالد شاه قدس سره : فانظر الآن يا أخي في قلَّة المرشدين وفُقْدان استعداد المريدين . انتهى . يعني : كان في زمنه رحمه الله استعداد في المريدين بحيث يكفيهم توجُّه واحد ، وأما في هذا الوقت الفاسد لا يحصل لهم الاستعداد مع ملازمتهم أشغال الطريقة ، والله أعلم .

الفريد الرابع والعشرون

في بيان أنه لا بدّ لكل من يدعو إلى الله تعالى وكان صادقاً في دعواه من الصبر على إساءة إخوانه ، كما صبر من قبله . وفي بيان انقسام جماعة كل داع إلى الله تعالى ، كما انقسم من دعاهم النبي ﷺ إلى دين الإسلام ، إذ هو الشيخ الحقيقي . وبيان أخلاق كل داع إلى الله من الحلم والستر . .وإلخ .

فأقول وبالله التوفيق ومنه الهداية إلى سواء الطريق : اعلم أنَّ المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى إلى الخلق ، وذلك لا يتم إلا بميل قلوبهم إليه وسكون نفوسهم لديه ، وهذا المقصود لا يتمُّ إلا إذا كان رحيماً بهم كريماً يتجاوز عن ذنوبهم ، ويعفو عن سيأتهم ، ويحضهم بالبر والشفقة . فلهذه الأسباب وجب أن يكون الداعي إلى الله تعالى مبرأ عن سوء الخلق وغلظ القلب ، ويكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء كثير القيام بإعانة الفقراء ، قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ .

قال أستأذنا وسيّدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا ، شيخنا وسيّدنا أحمد بن محمد الخشني التجاني ﷺ وأرضاه وعنا به : وأوصى من كان مقدّماً على اعطاء الورد ، أن يعفو للإخوان عن الزلل ، ويبسط رداء عفوه على كل خلل ، وأن يجتنب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شيناً أو حقداً ، وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم وفي كل ما يوجب خللاً في قلوب بعضهم على بعض ، وإن اشتعلت بينهم نار سارع في إطفائها . وليكن سعيه في ذلك مرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك . وينهى من رآه يسعى بالنميمة بينهم ، وأن يزجره برفق وكلام ليِّن ، وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير ، والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما

يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله تعالى وحقوق الإخوان ، ويراعي في ذلك قوله ﷺ : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » . وعليه أن يتباعد عن تقديم دنياهم ، وأن لا يلتفت إلى ما في أيديهم معتقداً أنّ الله تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع ، وليجعل همَّته في تحريز دُنياهم فيما بأيديهم من التشتيت والتبذير ، وأن لا يطالبهم بإعطاء شيء ؛ لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت نفوسهم ببذله من غير طلب . انتهى .

وقال الشعراني في « البحر المورود » : فاعلم أن الواجب على كل داع إلى الله تعالى مدارة المارقين بالبر والإحسان لا الحرمان والكلام المرّ ، فإنه راع وكل راع مسؤول عن رعيته . قال : وقد وقع لي أني نفرت نفسي مرّة من الفقراء المجاورين عندي فأردت مفارقتهم ، فرأيت تلك الليلة سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى وهو يقول لي : قال لك رسول ﷺ : اصحب على أصحابك طالباً وجه الله تعالى ، وتعدهم بالموعظة الحسنة كل حين ، ولا تكن كمن غضب على غنمه في البرية حتى انتشرت منه في أرض وعرة ، فرجع إلى البلد وتركها للذئب يغترسها . فانتبهت من النوم مرعوباً ورجعت عما أردته .

وقال أيضاً في « العهود المحمدية » : وكذلك يتعيَّن على الشيخ أن يوطن نفسه على تحمل أذى من يأمره مِن إخوانه بترك الدنيا وهو لم يشرف على الدار الآخرة بقلبه ، فإنه كالكلب العاكف على الجيفة كلّ من منعه من الأكل منها يكشر[1] أسنانه ويهبهب عليه ، وربما عضه حتى يرجع عنه . فليكن أمر الشيخ إخوانه بترك الدنيا بسياسة ورحمة ورفق وتقديم مقدمّات ، وذكر ما كان السلف الصالح عليه ، ثم يقول : يرحم الله تعالى من اقتدى بهم ، وليحذر من التكدر منهم بالباطل إذا عصوا أمره ، وليس عليه إلا أن يظهر لهم عدم الرضا بكثرة رغبتهم في الدنيا لا غير ، كما يظهر الوالد غضبه لولده إذا خالفه ويعبس في وجهه

(١) أي : يبدي أسنانه . (هامش الاصل) .

وقلبه راحم له مشفق عليه ، وربما ضربه بالعصا ، وربما نخست[1] الأم ولدها بالإبرة في يده حتى أخرجت دمّه ، ومع ذلك فيقضي العقل بأن ذلك كله ليس ببغض لولدها ، وإنما هو لوفور شفقة والدته عليه . فليوطن الداعي إلى الله عز وجل نفسه على سماع كل كلام مكروه ممن يدعوهم ، لأنهم عمي عما يدعوهم إليه . ثم إن انجلى حجابهم فسوف يشكرون الداعي لهم إلى الخير وإن لم ينجل حجابهم فقد وفى الداعي بما عليه من النصح والجهاد فيهم . ثم لا يخفى أنه لا بد أن ينقسم جماعة كل داع إلى الله تعالى كما انقسم من دعاهم النبي ﷺ إلى دين الإسلام ، إذ هو الشيخ الحقيقي لجميع الأمة كما مر بيانه أول خطبة الكتاب ، وجميع الدعاة نوابه ﷺ ، فلا بد أن يقع لهم مع أصحابه كما وقع له ﷺ مع قومه .

فمنهم من يقول : سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومنهم من يقول : سمعنا وعصينا ، ومنهم من يقول : سمعنا وأطعنا نفاقاً ، ومنهم من يقول : إنما يريد الشيخ بدعائنا إلى الله تعالى الفضل والرياسة علينا عند الناس ، ومنهم من يقول إنما يريد بذلك نصحنا ونجاتنا من النار ، ومنهم من لا يتحول عن محبة شيخه في شدّة ولا رخاء ، ومنهم من هو معه على الرخاء فإذا جاءت الشدة تحول عن شيخه ، ومنهم من لا يبرح من حول شيخه ولو أغلظ عليه القول ، ومنهم من إذا أغلظ عليه الشيخ القول هرب منه كما أشار إليه قوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ . ومنهم من يريد الدنيا وزينتها وهو غافل عن الآخرة ، ومنهم من يريد الدنيا للآخرة ، كعبد الرحمن بن عوف . ومنهم من لا يريد الدنيا كأهل الصفة ، ومنهم من يقول لشيخهر قد أكثرت جدالنا وتنقيصنا بين الناس كما قال قوم نوح ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فلا يؤمنون لنصحه حتى يروا العذاب الأليم .

---

(١) أي : طعنت . (هامش الاصل) .

ومنهم من يقول لشيخه بلسان المقال أو الحال : لن نؤمن لك إلا إن أريتنا كرامة كما قالت قريش : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ إلى آخره أو الخسف ، كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ الآية . وثم طائفة لا يؤمنون بقول شيخهم لهم إن فعلتم كذا وقع لكم من العقوبة كذا إلا أن وقع . ومنهم من يفدي شيخه بنفسه في المهالك ، كما فعل سعد بن أبي وقاص . ومنهم من لا يقدر على ذلك . ومنهم من إذا ذكرت عيال شيخه بسوء يكاد يتميَّز غيظاً ، كما وقع لأكابر الصحابة في قصة عائشة رضي الله عنها . ومنهم من لا يتميَّز غيظاً ، بل خاض مع الخائضين . ومنهم من يتمثَّل أمر شيخه في السفر في مصالح العباد ، كما كان أكابر الصحابة يفعلون . ومنهم من يكره ذلك ويؤثر الدعة والراحة ، كما وقع لمن تخلف عن غزوة تبوك . ومنهم من يحب شيخه أكثر من ماله وولده .

ومنهم من يؤثر أهله وماله وولده في المحبة على شيخه ، فلو قال له أخرج لفلان عن دينار وإلا هجرتك ومنعتك من مجالستي لاختار عدم الدفع للدنيا عن القرب من شيخه . ومنهم من يخاف على تغير شيخه ويعتقد أن الحق تعالى يغضب لغضبه . ومنهم من يؤذي شيخه وولده وعياله ولا عليه من تغيير خاطره . ومنهم من يتمثل أمر شيخه فيما إذا قال : اعط أخاك نصف مالك وقاسِمْه ، كما وقع للمهاجرين مع الأنصار . ومنهم من لا يتمثل ولا يسمح لأخيه بدرهم . ومنهم من يتمثل أمر شيخه إذا أمره بأن يؤثر أخاه على نفسه في وظيفة أو بيت أو خلوة أو حال . ومنهم من لا يتمثل ذلك . ومنهم من يجل مقام شيخه عن أن يتزوج له مطلقة في حياته أو بعد مماته . ومنهم من يتزوج مطلقة شيخه ولو لا قول الله تعالى ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ لربما وقع ذلك في بعض الناس .

ومنهم من إذا وجد كيمان الذهب لا يأخذ منه إلا قوت يومه فقط . ومنهم من لا يقنعه إلا أن ينقله كله . ومنهم من قصده بجمع الدنيا الطمع وشره النفس . ومنهم من قصده بذلك إظهار الفاقة ، كما وقع لأيّوب عليه السلام لما أمطرت عليه السماء الذهب وصار يحثوا في ثوبه ويقول : « لا غنى لي عن بركة ربي » . ومنهم من يرى الدنيا بعين الاحتقار فكيمان الذهب عنده كالبعرة . ومنهم من يراها بعين التعظيم تبعاً لمراد الحق تعالى في تميّزها[1] في قلوب عباده عن التراب . ومنهم من إذا قيل له : واظب على صلاة الجماعة في المسجد يتعلَّل بالنوم ، ولو أنه علم أن هناك تفرقة ذهب لأتى المسجد ولم يتعلَّل بذلك ، كما وقع لبعض الأنصار حين جاء أبو عبيدة بمال من البحرين وحضر من لم تكن عادته الحضور في صلاة الصبح ، ولما تخلف جماعة عن صلاة العشاء قال النبي ﷺ « لو أنَّ أحدهم علم أن في المسجد عرقاً سميناً لحضر » .

ومنهم من يحضر لصلاة الجمعة قبل الناس كأهل الصفة . ومنهم من لا يأتي إلا والخطيب فوق المنبر أو في الركعة الأولى أو الثانية أو لا يأتي حتى تفوته الجمعة . ومنهم من يحضر المسجد قبل الناس فيلغو ويلعب . ومنهم من يحضر في خشوع وعبادة حتى ينصرف . ومنهم من يستأذن شيخه في كلِّ فعل ؛ من سفر أو تزويج أو بناء دار وزرع ونحو ذلك . ومنهم من لا يستأذنه في ذلك إما حياء منه أو استهانة به ، وقد رأى ﷺ أثر صفرة على عبد الرحمن بن عوف فقال : « مهيم » ، فقال : تزوجت . الحديث . وكان ذلك من عبد الرحمن حياء من رسول الله ﷺ لا استهانة بلا شك . ومنهم من يتكرم على جميع أصحابه بكل ما دخل في يده ولا يبقى لنفسه شيئاً ، كمعاذ بن جبل وأبي الدرداء رضي الله عنهما وغيرهما ممن كان يقول بتحريم الادخار . ومنهم من كان يتكرم

(١) وفي نسخة : تمييزها .

بالبعض ويمسك البعض . ومنهم من لا يطعم أحداً شيئاً ، بل يشح على نفسه أن يطعمها . ومنهم من كان يسمح لصاحبه بجميع ماله ، كأبي بكر رضي الله تعالى عنه . ومنهم من كان يسمح لصاحبه بنصف ماله ، كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . ومنهم من كان النبي ﷺ يداريه كمخرمة ومنهم من كان الناس منه في أمان ، كعثمان بن عفان وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما . ومنهم من كان ينفق ولا يخشى إقلالاً كبلال . ومنهم من كان يخرج ماله تكلفاً ، ككعب ابن مالك فقال له النبي ﷺ « امسك عليك بعض مالك فهو خير لك » . ومنهم من يرضى بقضاء رسول الله ﷺ ولا يختار خلاف ما اختاره ، كالعشرة المشهود لهم بالجنة . ومنهم من لا يرضى بقضائه ويختار خلاف ما اختار النبي ﷺ ، كما في قصة أسامة بن زيد حين نقم على ولايته بعض الناس ، وكما في قول بعضهم : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى . انتهى . وقول بعضهم : أن كان ابن عمتك في حديث : « أسق يا زبير » .

ومنهم من كان يغضب إذا فرق النبي ﷺ مالاً ونسيه كمخرمة . ومنهم من لا يغضب والنبي ﷺ منهم في أمان ، ولذلك كان النبي ﷺ يوازي[1] من نسيه في العطاء بقوله « إن الدنيا حلوة خضرة وإني لأعطي الرجل أتألفه ، والذي أمنع أحب إليَّ من الذي أعطي » . ومنهم من كان يهاب رسول الله ﷺ ، إذا رآه ويصير يرتعد من هيبته ، فيقول له رسول الله ﷺ « هوّن عليك يا أخي ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

ومنهم من لا يهابه ولا يرتعد . ومنهم من كان مطهراً من جميع المعاصي كالعشرة المشهود لهم بالجنة . ومنهم من كان يقع في الكبائر كماعز ونعيمان ، فكان نعيمان كلما سكر يأتون به إلى النبي ﷺ وهو سكران فيجلده ، وكان نعيمان مِضحاكاً يضحك النبي ﷺ ، ومن جملة ما وقع لنعيمان أنه رأى رجلاً أعمى يقول : من يقودني إلى البزار ، فأخذه

---

(١) **وفي نسخة** : يداري .

نعيمان وأجلسه في محراب المسجد فشمَّر ثيابه للجلوس ، فصاحوا به : إنك بالمسجد ، فقال الأعمى : لإن وجدت نعيمان لأضربنه بعصاي ، فسمعه نعيمان فجاء إليه وقال : هل لك في من يدلك على نعيمان ؟ فقاده إلى عثمان بن عفان وهو ساجد وقال : هذا هو ، فصار الأعمى يضرب عثمان ﷺ فصاح الناس بالأعمى إنك تضرب أمير المؤمنين وله وقائع كثيرة ﷺ .

ومنهم من كان يؤذي أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ولا يكرمهم لأجله ، كما وقع لأبي بكر حتى خطب النبي ﷺ وقال : هل أنتم تاركوا لي صاحبي ، وحتى أحوجوا النبي ﷺ إلى بيان مرتبته بقوله : « سدّوا عني كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر » . ومنهم من كان يتحمل الأذى من جميع أصحاب رسول الله ﷺ ويكرمهم لأجله إكراماً لرسول الله ﷺ ولو فعلوا معه من الأذى ما فعلوا ومنهم من كان يؤذي جاره ، كما يدل عليه قصة من شكى إلى النبي ﷺ أن جاره يؤذيه وقال له النبي ﷺ : « اطرح متاعك على الطريق ، وكل من مرّ عليك وقال ما هذا ؟ فقل : جاري يؤذيني » .

ومنهم من كان يجالس النبي ﷺ لأجل العلم والأدب بشرط أن يملأ له ﷺ بطنه كأبي هريرة ، وذلك لئلا يصير له تلفت إلى غيره ﷺ ، وينقطع خاطر مفارقته لأجل الجوع . ومنهم من كان يجالس النبي ﷺ لأجل العلم والأدب ولا يشرك معه علَّة من العلل . ومنهم من كان يشحّ بإخراج الزكاة كثعلبة . ومنهم من كان يسمح بأطايب أمواله للفقراء . ومنهم من كان كثير المال كعبد الرحمن ابن عوف . ومنهم من لا يملك عشاء ليلة ، كقصة من وقع على زوجته في رمضان .

ومنهم من كان يعجب بملبسه ، كالذي خسف به في زقاق أبي لهب بمكة . ومنهم من لا يعجب بشيء من ملبسه ولا غيره كأبي بكر ﷺ وغيره . ومنهم من كان يظهر الغنى وليس في بيته شيء يأكله .

ومنهم من يكون عنده الدنيا وهو يظهر الفقر ويأخذ من الصدقة والزكاة كالذي وجدوا في[1] حَجْزَة اطماره[2] بعد موته ثلاثة دنانير أو ديناران ، فقال له النبي ﷺ : « كيات أو كيتان من نار » .

ومن النساء من كانت تحب النبي ﷺ وترى الفضل له إذا خطبها لتكون معدودة من أزواجه في الجنة . ومنهن من كانت تكره ذلك وتستعيذ بالله منه كابنة الجون . ومنهن من كانت تستحي من رسول الله ﷺ إذا جالسته وتصير ترتعد من هيبته . ومنهن من كانت لا تهابه ولا تستحي منه كهند ، فإن رسول الله ﷺ لما بايع النساء وقال : « ولا تقتلن أولادكنّ » ، فقالت هند : نحن ربيناهم صغاراً فقتلتهم أنت كباراً ، فسكت النبي ﷺ ولم يتم المبايعة . ومنهن من تقلقلت لما رأت معيشة النبي ﷺ ضاقت ، وطلبت الفراق . ومنهن من اختارت المقام معه ﷺ والصبر على ذلك ، كعائشة رضي الله تعالى عنها . ومنهن من كانت كثيرة الغيرة ، كعائشة حتى أنها رأت سودة وهي ذاهبة بإناء فيه طعام إلى النبي ﷺ ، فقامت وكسرت الإناء وساح الطعام على الأرض فقام النبي ﷺ وضمّ الطعام من الأرض في الإناء فقال : « غارت أمكم » .

ومن خدامه من كانت لا تجيبه إذا ناداها فيقول : والذي نفسي بيده لو لا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك . ومنهن من كانت تعتني بكل شيءٍ سمعته من النبي ﷺ كعائشة وبريرة رضي الله تعالى عنهما . ومنهن من لم تروي عنه فعلاً ولا حديثاً .

فهذا ما حضرني الآن من الشواهد التي تشهد لانقسام أصحاب كل داع إلى الله تعالى ، كما انقسم من دعاهم النبي ﷺ ، ومن طلب زيادة على ذلك فليتتبع أحوال الأمم السالفة مع أنبيائهم ، فإن تلك الأقسام لم تزل في أصحاب جميع الدعاة إلى الله تعالى .

---

(١) السراويل **مص** .

(٢) للثوب الخلق . **م** . **وفي نسخة** : إزاره .

وعلم من جميع ما قررناه أن من يطلب من المشائخ أن يكون جميع أصحابه مستقمين متجرّدين ومتأدبين معه ، لا اعتراض لهم عليه ولا اختيار لهم معه ، أو يشاورونه على جميع أمورهم ، كما شرط القوم ذلك في حق المريدين الصادقين فهو أعمى البصيرة . وإنما وظيفة جميع الدعاة إلى الله تعالى أن يبلغوا الآداب الشرعية إلى قومهم لا غير . **فهم مأجورون على كل حال ، سواء امتثل الخلق في أمرهم أو لم يتمثلوه . وقد أرسل النبي ﷺ إلى الناس كافة فأقرّ كل صاحب حرفة على حرفته ولم يأمر أحداً** بالخروج عما أقامه الله تعالى فيه من الحرف ، بل سلكهم وأرشدهم في حرفهم ،

فوطن يا أخي نفسك أن يقع من أصحابك جميع ما تقدم في حق أصحاب رسول الله ﷺ من الآداب معه ومن ضده في حقه وحق أصحابه ، وذلك إما لِيَسْتَنَّ بهم من بعدهم ، وهذا هو اللائق بمقامهم ، وإما أن يكون ما وقع من سوء الأدب في بعض الأوقات بياناً لعدم العصمة ، ثم يتوبون على الفور . انتهى .

وقال أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نتهاون بترك رياضة نفوسنا فيتعيَّن على كل من ولاه الله تعالى ولاية أن يروض نفسه على يد شيخ ناصح ، ليصير سداه ولحمته الحلم عن رعيَّته ، إلا في مواضع أمره الشارع فيها بعد الحلم ، كإقامة الحدود الشرعيَّة على أربابها ونحو ذلك . فمن راض نفسه كما ذكرنا قل غضبه على ولده وزوجته وغلامه وصاحبه ، ولا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى عز وجل لا غير . وقد درجت الأئمة وجميع مشائخ الصوفية على العمل على عدم الغضب جهدهم ، فإن الغضب بئس الصفة لا سيّما في حق من كثر دعاؤه إلى الله تعالى . فإن حكم غضبه على تلامذته حكم راعي الغنم ، إذا غضب على غنمه من شدة شتاتها وتركها في البرية للذئب والسبع بعد أن كان تعب فيهم من حين كانوا يرضعون اللبن ، وذلك معدود بيقين من سخافة العقل .

فاسلك يا أخي على يد ناصح يخرجك من رعونات النفس ويلطف كثافتها حتى تكاد تلحق بالملائكة ، لتصير تتحمل من رعيتك جميع الصفات المخالفة لأغراضك ولا تتأثر ، والله تعالى يتولى هداك . وقد روى البخاري « أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال : « لا تغضب » ، فردّد مراراً وقال : « لا تغضب » . وروى الإمام أحمد عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال : فكرت في قول رسول ﷺ في الغضب ما قال ، فإذاً الغضب يجمع الشرّ كله . وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه أن ابن عمر سأل رسول الله ﷺ : ما يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : « لا تغضب » . وروى الترمذي مرفوعاً « ألا أن بني آدم خلقوا على طبقات ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيئ ، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيئ بجمع الشر كله » . وروى البزار مرفوعاً « ألا وإن بني آدم خلقوا على طبقات ألا وإن منهم البطيء الغضب السريع الفيء ، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ، فتلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الرجوع ، وشرهم سريع الغضب بطيء الرجوع » . وروى البخاري تعليقاً « من صبر عند الغضب وعفا عن الإساءة عصمه الله تعالى وخضع له عدوه » .

وروى الطبراني مرفوعاً « من دفع غضبه دفع الله تعالى عنه عذابه » والله تعالى أعلم . انتهى . هذا المذكور كله نص ما في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » ، فإن أردت الزيادة راجعه في ١٩٩ ج ٢ من هامش « جواهر المعاني » ، والله تعالى يتولى هداك فإنه ولي التوفيق .

الفريد الخامس والعشرون

في جواب عما سئل من المسائل المنسوبة إلى الشيخ العبودي التي يجب أن يعملها المرشد على ظنه قدس سره؛ وإن كان مقام الإرشاد أعلى وأرفع من أن يكون من يعلم تحرير معاني هذه الأشياء التي تحدى بها مرشداً كاملاً .

ونص عبارته هذه :

وتلك المسائل المشروطة جوابها في المأذون الشرعي ومرشد الخلق أن يعلم معنى الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ، والمعرفة ، والوصول ، وسلم العروج من السفلية إلى العلوية ، وكم درجته ، وما معنى العروج ، وما حد المعراج ، وكم درجته وما معنى الاتصال والانفصال ، وما معنى الغيبة والحضور ، وما معنى التلوين والتمكين ، وما معنى المشاهدة والاستغراق ، وما معنى المراقبة والطمأنينة ، وما معنى الإيمان وما ضروريُّه ، وما قدره الشرعي وما منتهاه . فمن أجاب من المعرفة بحيث لا يسع من العلماء ولا يتمكن من الفقراء من الدلائل القطعيّة والمأخذ الإعجازية من نصوص الآيات وصحيح الأخبار ، فهو أمين الشرع ووارث النبوة ، وإمام الخلق ، وخليفة الرسول ﷺ في الحق ، ومحكم في الشرع فهو مأذون مني ومن سادتنا أجمعين وانتفعوا منه حسب طاقتكم . انتهى كلام العبودي عفى الله آمين .

فأجاب شيخنا الحلمي بقوله فنقول وبالله التوفيق : معنى الشريعة أن تعبد الله تعالى بما شرع على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ، أو هي فعل المأمورات وترك المنهيات .

والطريقة أن تفعل تلك العبادة المشروعة مع الحضور والإخلاص ، أو هي تتبع أفعال النبي ﷺ والعمل بها على الإخلاص .

والحقيقة أن تشهد أن الله تعالى ناظر إليك وحاضر معك ، وأنه يعلم منقلبك ومثواك ، ولا يخفى عليه شيء من حركاتك وسكناتك وخطراتك على حدّ قوله عليه السلام : « الإحسان أن تعبد الله من حبل الوريد » .

والمعرفة أن تشهد أن كل شيء من أفعالك وحركاتك وسكناتك وطاعتك وعبادتك فعل الله سبحانه ، وليس لك منه شيء سوى النسبة ، كما قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ . فالشريعة متكفلة بجميع السعادات الدنيوية والأخروية ، ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة . وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة ، وتحصيلهما لتكميل الشريعة لا غير . وأمّا الأحوال والمواجيد والمعارف التي تظهر للصوفية في أثناء الطريق فليست من المقاصد . وبهذا صرّح الإمام الرباني في « مكتوباته » فراجعه . **والوصول** : اعلم أن الاتصال أشار إليها الشيوخ ، وكلّ من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو مرتبة في الوصول ، ثم يتفاوتون . فمنهم من يحب الله بطريق الأفعال وهو رتبة التجلي ، فيغني فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ، ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار ، وهذه رتبة الوصول .

ومنهم من يقف في مقام الهيبة والأنس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال ، وهذا التجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول . ومنهم من يرتقي إلى مقام الفناء مشتملاً على باطنه نور اليقين والمشاهدة وعمي في شهوده عن وجوده ، وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين ؛ وهذه رتبة في الوصول . وفوْق هذه مرتبة حق اليقين ، ويكون من ذلك في الدينا لمح ، وهي سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تخطى به روح العبد وقلبه ونفسه حتى قالبه ، وهذا من أعلى مراتب الوصول . فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد من هذه الأحوال الشريفة أنه في أوّل المنزل ، فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول ! ! لا تنقطع أبد الأبد في العمر الأخروي الأبدي ، فكيف في العمر القصير الدنيوي ؟ !

والحاصل أن الوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى العلم به ، أي : مشاهدته بعين البصيرة مشاهدة تغني عن الدليل والبرهان ، ويعبَّر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلي ، وبالفيض الرحماني ، والتعرف العياني ، والذوق الوجداني .

فالوصول تنقسم إلى ثلاث مراتب كلها ذات تجلي وشهود ، لكنها اختلفت باختلاف التجلي . فالأول : تجلي الفعل بأن ينكشف لصاجها عن صدور الأفعال كلها من الله تعالى ، فلا يمكنه رؤية الفعل من غيره مع ذلك ، وإنما ينكشف ذلك لبصيرته . فمهما رأى فعلا من الأفعال أو نظر أثراً من الآثار من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يرى السماء والأرض والحيوان والشجر ، من حيث أنها أرض وسماء وحيوان وشجر ، بل من حيث أنه صنع الله تعالى . فمن ناظرها من هذه الحيثية كان ناظراً إلى الله تعالى ، وهو الذي يقال فيه أنه فنى في التوحيد وفنى عن نفسه ، وإليه الإشارة بقول بعضهم : كنا بنا فغبنا عنّا فبقينا بالله . وفي هذا المقام يسقط التدبير والاختيار ، وذلك أساس الطريق وعُمْدته ، وصاحب هذا المقام مقام علم اليقين .

والثاني : تجلي الصفات الجمالية ؛ من كرم وحلم ورفق وإحسان ورحمة ولطف وعطف وفضل وامتنان التي هي منشأ الأنس ، والجلالية من بطش وسطوة وعزة ونقمة التي هي منشأ الهيبة ، وهذا صاحب تجريد وتفريد ، أي : لا يفعل لأجل الأغراض الدنيوية والأخروية ، بل ما كشف به من العظمة التي يقتضي أنه يؤديها عبودية وانقياداً فهو مجبول على قصد الأغراض ولا يرى نفسه فيما يأتي ، بل يرى نعمة الله تعالى عليه ، فهو صاحب فناء لفنائه عن السوى ، وبقاء لشهوده صفات الحق ولفناء صفاته المذمومة وبقاء صفاته المحمودة .

وصاحب هذا المقام صاحب عين اليقين ، له سكر بما فجأه تجلي نور الجمال والجلال يزيد على سكر صاحب علم اليقين .

والثالث : تجلي الذات المقدسة بما يتكامل من تشعشع أنوار قلبه في اليقين ، فيستولي على قلبه أنوار الحق حتى لا يبقى له حس ولا وسواس ، وليس من ضرورته الفناء الكامل في ذلك ، هو الذي يكون في غاية الصحو يجمع بين الحق والخلق ، هذا . وقد يجوز أن يفسر للوصل والوصول بأنهما حصول نسبة الحضور بالله للقلب على سبيل الذوق والذهول عما سواه تعالى . فإن كانت تلك النسبة متصلة فقد تشرَّف صاحبها بدوام الوصل .

وقد يفسر للوصل أنه إدراك الغائب ، وللفصل أنه فوت ما ترجوه من محبوبك ، فافهم ما مرَّ إن كنت ذا ذوق ، وإلا فلا ينفعك به ويصير كالحيران .

قوله : (وسلَّم العروج من السفلية إلى العلوية) ؛ هو عند أهل السلوك الأذكار التي يستعملونها طرقهم . فإذا استعملها السالك وكرَّرها وكثرها يوقد في باطنه مصباحاً ملكوتياً فيرى قبائح أعماله التي تجرُّه إلى أسفل السافلين فيتشمر لإزالتها . فإن القلب إذا انجلى وصفى بالذكر الكثير بالمواظبة عليه ليلاً ونهاراً يصير مهبطاً للملائكة ويصير مضيئاً منوَّراً بأنوار الذكر ، فيتصف حينئذ بالصفات الملكية المحمودة التي هي سبب العروج إلى معارج الوصول والمشاهدة ، فعلى قدر الجذبة تحصل الوصلة ، جعلنا الله تعالى من أهلها .

ثم اعلم أيها الأخ أن هذا الطريق الذي نحن بصدد قطعه على ما بيَّنه الإمام الرباني قدس سره كله سبع بعدد اللطائف الإنسانية : قدمان منها في عالم الخلق يتعلقان بالقالب ، أعني البدن العنصري والنفس . وخمسة منها في عالم الأمر مربوطة بالقلب والروح والسر والخفي والأخفى . وفي كل قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب ؛ نورانية كانت تلك الحجب أو ظلمانية . إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة . ففي القدم الأولى التي توضع في عالم الأمر يظهر التجلي الأفعالي ، وفي الثاني التجلي الصفاتي ،

ويقع الشروع في التجلي الذاتية في الثالثة . . . ثم وثم على تفاوت درجات القرب بتمام هذه الأقدام ، فحينئذ يتشرف بالفناء والبقاء ، ويبلغ درجة الولاية الخاصة . وأيضاً أن المرقبات بأنواعها وأعدادها كلها سلّم العروج وطريق المراقبة أعلى من طريق الذكر بدرجات . فالمراقبة نتيجة الذكر ، والمشاهدة نتيجة المراقبة ، فافهم .

قوله : (وكم درجته) ؛ درجته عند النقشبنديين هي الأقدام السبع المذكورة ، وسلوك طريق التصفية والتزكية . بيد أنّ درجات العروج متفاوتة من السالكين . منهم من حصل له العروج والترقى بطريق الرياضة . ومنهم من حصل له بكثرة الأذكار والتسبيحات . ومنهم من حصل له الترقي بكثرة الصوم والصلوات . ومنهم من حصل له العروج بمجرّد الفضل والمنة . فدرجات العروج يستعمله أهل الطرق في طرقهم من هذه المذكورات .

قوله : (وما معنى العروج) ؛ هو الخروج من الأوصاف الذميمة النفسانية إلى الأوصاف الحميدة الملكية التي هي دهليز الوصول إلى ذروة المعرفة اليقينية ، أو نقول : هو الصعود من هبوط الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية إلى رفعة الحضور والمشاهدة ، أو نقول : هو عروج الروح إلى وطنه الأصلي الذي هو فوق العرش . فإن الروح من لطائف عالم الأمر لا من عالم الخلق ، ولما كان تعلُّقه بعالم الخلق الذي هو النفس والقالب حصل له النسيان عن عالمه الأصلي الذي رأى فيه ربَّه بلا كيف ولا مثال . فإذا كثر العبد ذكر ربِّه ولازم العبادة لخالقه يترقى إلى عالمه . فإن الأذكار قوت الأرواح ، كما أن أكل الطعام قوت الأشباح والأرواح ملائكة .

فالحاصل أن أمر العروج يرجع إلى ترك النفس وتزكيتها ، وتصفية القلب عما سوى خالقها . وقد قيل لأبي يزيد : اترك نفسك وتعال ، فرفع الحجب الظلمانية هو السر الحامل والباعث إلى الترقي والعروج ، والله وليّ التوفيق .

قوله : (وما حد المعراج) ؛ المعراج هو العروج عما سواه تعالى والأنس بلقائه ووصوله .

قوله : (وكم درجته) ؟ المعراج على نوعين : أحدهما الانتقال من الصفات الذميمة إلى الخصال الحميدة ، وثانيهما الانتقال إلى الله عما سوى الله ، ففي الحديث القدسي « يا ابن آدم من أراد أن يدخل حضور حضرتي فلا يلتفت بالملك والملكوت والجبروت ، فمن رضي بواحد منها فهو من المطرودين عن حضور حضرتي » ، لأن المعراج فهو العروج عما سواه تعالى والأنس بلقائي . أو نقول : المعراج على أنواع بحسب تنوّع أحوال السالكين : معراج التوابين ، ومعراج المحبين ، ومعراج العارفين . فإذا أردت الخلاص من النفس والمحن والمكر فالزم التوبة دائماً بالنية الخالصة من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر ، واعرج منها في معراج عالم القلب الذي هو معراج التوابين ، **ثم جن** هذا المقام بالترقي إلى عالم الروح الذي هو معراج المحبين ، ثم اسلك في عالم السر الذي هو معراج العارفين . فمهما لم ترق من حضيض طبعك وبشريتك ونفسك لا يصل إلى هذه العوالم الثلاثة في الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق . وقيل : الطرق إلى الله بعدد ذرّات الوجود ، فافهم وكن من الشاكرين .

قوله : (وما معنى الاتصال والانفصال) ؛ معنى الاتصال الاتصاف بصفات الحق تعالى ، والتخلق بأخلاقه . ومعنى الانفصال هو الاتصاف بالصفات الحيوانية ، فالاتصال هو مقام التمكين ، والانفصال في مقام التلوين . وإذا بدّل اسم من اسم في مقام الفناء في الذات فيترقى من اسم العبد إلى اسم الربِّ حين يستولى عليه أنوار الحقائق ، فيفيد العبد في وجود الربّ ، وهو مقام الوصال والاتصال يغطي وصف عبده بوصفه . ومعنى التخلق بأخلاق الله أن السالك إذ أحيى سنة من السنن يتصف باسم الحيِّ ، وإذا اجتهد في إماتة البدعة الشنيعة يتصف باسم المميت ، وهكذا . فتدبر في ذلك وادخل في دائرة حديث « تخلقوا بأخلاق الله » ، والله يتولى هداك وهو وليّ الهداية والتوفيق .

إذا تجلّى الله سبحانه للعبد بذاته يجب جميع ذوات الموجودات وصفاتهم وأفعالهم متلاشية في أشعة ذاته تعالى وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه بالنسبة إلى جميع الموجودات كأنه مدبِّرها وتجدها بالنسبة إليه كالأعضاء إلى البدن . ولا يكون شيء من الموجودات قريباً إلى بعض آخر منها إلا أن يراه أقرب إليه من الكلّ ، ويرى ذاته وذات الحق سبحانه وتعالى ، وصفات الحق وأفعاله مع أفعال الحق متحدة ، لكونه مستهلكاً في عين التوحيد ، والاستهلاك فيه مستلزم لأن يحب ما نسب إلى الحق سبحانه منسوباً إلى نفسه ، وليس للعارفين مقام في التوحيد أعلى من هذه المرتبة .

فإذ نجذت البصيرة بمشاهدة جمال الذات يختفي نور العقل الفارق بين الواجب والممكن بغلبة نور الذات القديم ، ويرتفع التميز بين الحادث والقديم . وفي هذا المقام ينطق بعض الأولياء بقوله : أنا الحق وسبحانه ، لكون الباطل لا شيء محضاً غير ظاهر عند ظهور الحق ، ويقال لتلك الحالة عند هذه الطائفة جمعاً . ليس معنى الفناء المطلق أن لا يكون لصاحب الفناء شعور بأوصافه وأفعاله أصلاً ، بل معناه نفي إسناد الأوصاف والأفعال إلى نفسه بطريق الذوق ، وإثباته للفاعل الحقيقي جل ذكره . وما قاله الصوفية أن النفي لا ينافي الإثبات هو بهذا المعنى . قوله : (وما معنى الغيبة والحضور) ؛ الغيبة ؛ غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسّ بما ورد عليه . والحضور ؛ حضور القلب عند غيبة الخلق ، إذا كان الذكر ملكة على وجه يكون القلب حاضراً دائماً ، ويكون الذاكر متلذذاً به ، فهو من الأبرار . ويمكن أن يقال أنه حاضر بالله ، ولا يطلق عليه واصل إلى الله . فإن الواصل من ينتفي عنه إسناد الحضور ويعتقد أنَّ الحاضر إنما هو الحق بذاته ، كما يؤخذ مما مر آنفاً . فمعنى الحضور هو التوجه الداعي إلى الحق تعالى .

قوله : (وما معنى التلوين والتمكين) ؛ التلوين تنقل العبد في أحواله ، وهو عند الأكثرين مقام ناقص . وأمّا عند الشيخ الأكبر هو أكمل المقامات ، وحال العبد فيه حال قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ . والتمكين عنده هو التمكين في التلوين . وقيل هو حال أهل السلوك ، وهو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة . وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصفٍ ، إلى وصفٍ فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين .

فالحاصل أن التلوين عند مشائخ الطريقة - قدس الله أرواحهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى آمين - عبارة عن تقلُّب قلب السالك وتنقله في الأحوال الواردة إلى القلب . وقال البعض : إنه عبارة عن تقلبّ القلب بين الكشف والحجاب بسبب غيوبة صفات النفس تارة ، وظهورها أخرى . فلا جرم يمكن معرفة السالك في هذا المقام من جهة تلوين أحواله بين الصفتين المتقابلتين ، كالقبض والبسط ، والسكر والصحو . والتمكين عبارة في اصطلاحهم عن دوام كشف الحقيقة بواسطة اطئمنان النفس في موطن القرب ، فلا جرم لا يمكن معرفته في هذا المقام . فإنَّ صاحب التمكين قد وصل إلى مرتبة سعة العلم فهو مماثل ومشابه لأهل الظاهر في الأكل والشرب والبيع والشراء والنوم واليقظة وسائر الصفات البشرية .

والتقليد لأهل التمكين في الأمور الطبيعيَّة وترك الرياضات والمجاهدات موجب لخطر الزندقة ، ولأجل ما ذكر ينبغي للمريد أن لا يقلّد أفعال شيخه المتمكن بغير أمره ، ويواظب ما أمره به ، ولا يعترض على حركاته وسكناته إلى أن يصير مثله صاحبَ تمكين ، والله الموفق .

قوله : (وما معنى المشاهدة ؟) ؛ المشاهدة تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزاء رؤية الحق والأشياء ، وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك .

فالمحاضرة: حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان ، وهو بعد غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ، ولا مستجير من دواعي الريب ، ولا محجوب عن نعت الغيب . **ثم المشاهدة:** وهو حضور القلب من غير بقاء تهمة ، فإذا صحت سماء السر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرق . ومعنى الشاهد الحاضر ؛ فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك ، ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائباً ، فكلما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده .

للشهود معنيين: أحدهما شهود الذات المبرأة عن الظهور في لباس المظاهر . وثانيهما شهود الذات المقدسة من لباس المظاهر من غير وصف الكثرة ، بل بنعت الوحدة ويقال لهذا الشهود عند الصوفية شهود الأحدية في الكثرة . وكان النبي ﷺ على هذا الشهود بعد البعثة . فينبغي أن يعلم الأخ الكراطي الأشخي علوَّ هذه المشاهدة ، وأن يجتهد في طلبها . فإنَّ من اجتهد في الطلب وجدَّ وجد ما يطلبه وسعد بدليل قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية .

قوله: (والاستغراق) ؛ هو الشمول لجميع الأشياء والأفراد ، بحيث لا يخرج عنه شيء . وأما عند أهل السلوك فهو حضور الحق بكلية السالك واستغراقه في أنواره .

قوله: (وما معنى المراقبة ؟) ؛ ملاحظة العبد نظر الله إليه ومعيَّته وقربه وإحاطته إليه ، ولها أنواع ذكروها في كتبهم . فأوَّلُ مراقبةٍ في الطريقة النقشبندية المراقبةُ الأحدية ، ثم المراقبة المعيَّة . وفيها خمس مراقبات ؛ مراقبة القلب لاستفاضة تجلي الأفعال الإلهية ، ومراقبة الروح لاستفاضة تجلي الصفات الثبوتية ، ومراقبة السر لاستفاضة تجلي الشؤون الذاتية ، ومراقبة الخفي لاستفاضة تجلي الصفات السلبية ، ومراقبة الأخفى لاستفاضة تجلي الشأن الجامع . فهذه المراقبات

يستعملونها في الولاية الصغرى ، ثم بعد ذلك يعلّمون السالك سير الولاية الكبرى . فدائرة الولاية الكبرى متضمنة على ما قالوا : الدوائر الثلاثة ؛ وقدس الأولى دائرة الأقربية ، ويأمرون فيها بمراقبة الأقربية ويكلّمونها . والثانية المحبة ، والثالثة دائرة المحبوبية . والقوس نصف الدائرة قاب قوسين ، الشيخ في هذه الثلاثة مراقبة المحبة على نهج ما قررت . ثم بعد تمام الولاية الكبرى يعلّمه الشيخ مراقبات الولاية العلية . وبذكرها يطول الكلام وكتبة الجميع يصعب على هذا الحقير المستهام ، وقد وضعنا في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » بالتمام ، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه ، ولا ريب أنها ذوقية لا تعرف بالأخبار والكلام .

قوله : (والطمأنينة) ؛ هي مقام النفس وصفاتها التي تنوَّرها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة ، فإذا سكنت النفس تحت الأمر وزايلها الاضطراب معارضة الشهوات سميت مطمئنة . ويشترط في الشيخ أن تكون نفسه مطمئنة ، وأن يكون بحيث لا يشغله الحق عن الخلق ، والخلق عن الحق ، كائناً بائناً عرشياً فرشياً ، وفقنا الله تعالى ولأحبابنا لتخريب النفس الأمارة والاتصاف بصفات النفس المطمئنة ، أمين يا مجيب .

قوله : (وما معنى الإيمان) ؛ فالإيمان شرعاً هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة ، إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي . وأما لغة فهو مطلق التصديق ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ أي : بمصدق ، والمراد بالتصديق المعهود شرعاً هو تصديقه ﷺ مع الإذعان لما جاء به والقبول له ، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له ، وإلا لزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوَّته ورسالته ﷺ ، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ .

قال عبد الله بن سلام : لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ، ومعرفتي لمحمَّد أشد . .إلخ .

قوله : (وما ضروريُّه وما قدره الشرعي وما منتهاه) ؛ **أقول** : وهما التصديق فقط ، والنطق بالشهادتين شرط لإجراء أحكام المؤمنين عليهم ، من التوارث ، والتناكح ، والصلاة خلفه وعليه ، والدفن في مقابر المسلمين ، ومطالبته بالصلوة والزكاة ، وغير ذلك . وقيل هو شرط لصحة الإيمان ، والأول هو الراجح عند الجمهور . وأما العمل فهو شرط كمال عند أهل السنة ، فمن صدق بقلبه ولم يقرَّ بلسانه ، فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى ، ولم يكن مؤمناً عند الشرع وعند أحكام الدنيا . ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه فبالعكس . وأما منتهاه فهو إيمان من رقى مقام حق اليقين وحقيقته بتصفية الروح ، وتزكية النفس بالرياضة التامة ، والمجاهدة الشاقة ، فافهم . قالوا إن مراتب الإيمان خمسة : **أولها** : تقليد ، وهو الجزم بقول الغير من غير أن يعرف دليلاً ، وهو يصح إيمانه مع العصيان بتركه النظر ، أي : الاستدلال إن كان قادراً على الدليل . **ثانيها** : إيمان علم ، وهو معرفة العقائد بأدلِّتها ، وهذا من علم اليقين وكلا القسمين صاحبهما محجوب عن ذات الله تعالى . **ثالثها** : إيمان عيان ، وهو معرفة الله بمراقبة القلب ، فلا يغيب ربّه عن خاطره طرفة عين ، بل هيبته دائماً في قلبه كأنه يراه وهو مقام المراقبة . ويسمى عين اليقين ، فهي المعرفة الحاصلة من الآيات بالنظر في الأفاق والجهات ، فيحصل لسالك في تلك المراقبة تجلي تلك الأشياء المذكورة ، بحيث لا يجد حجراً ولا مدراً ولا شجراً ولا ورقاً إلا خاضعاً لربّها وخاضعاً لهيبته تعالى ، فيحصل له الحضور ويظهر له التجلي من كل شيء وقع عليه بصره ، ويكون كائناً وبائناً ، عرشياً وفرشياً ، ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وهي نتيجة المراقبة المعية المأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي : من بديع المصنوعات وعجائب المخلوقات ، كرفع السماء بلا عماد وحبال ، وبسط الأرض ونصب الجبال ودوران الشمس والقمر ، وتعاقب الليل والنهار ، وخلق الدواب والأشجار . وهذه المعرفة استدلالية من وراء حجب المحسوسات ،

فلا تفيد شهوداً في المغيبات . **رابعها** : إيمان حق ، وهو رؤية الله بقلبه وهو معنى قولهم : العارف يرى ربَّه في كل شيء ، وهو مقام المشاهدة ويسمى حق اليقين ، وصاحبه محجوب عن الحوادث .

وقال الشيخ الصفدي في هذا المعنى :

كـل المـعاني قلوب للمحب بدت   عـرش بـهـا من به زادت صبابات

فتلك المعرفة تحصل بمعرفة النفس ، ومعرفتها إنما تحصل بالإشراق النوراني الكاشف للبس ، وذلك الإشراق لا يحصل إلا بتصفية الروح وتزكية النفس بالمجاهدات ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ . وذلك بتلطيف السر بالأذكار الموصلة لحضرة الملك الغفار ، لتستعد الروح بتلك المجاهدات والأذكار لنزول البارقات الإلهية وظهور خطرات الأنوار ، فبذلك تزول الشكوك من الصدر وتنزل السكينة والطمأنينة في القلب بتجلي العزيز الغفور ، ولقول علام الغيوب ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ . فمعرفة سياسة النفس أدعى إلى معرفة الرب والوصول إلى حضرة القدس .قال : من طهر الله قلبه [فقد عرف نفسه ، و]من عرف نفسه فقد عرف ربه » أي : بأن تعرف النفس نفسها بذلها وعجزها فتعرف ربها باتصافه بكل كمال ، وبقدرته على جميع الأفعال بها وبغيرها ، وتلاحظ صفاءها الأول الحسي ، وعاملها[1] الروحاني القدسي . فتميل إلى مقامها الداني بترك كل فاني حتى تتجرَّد عن الأوصاف الخسيسة الجسمانية ، وتتصف بأوصافها الحميدة الروحانية . فحجاب النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية ، فحينئذ لا بد لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربّه أن يجرّد نفسه عن التعلق بالقوى البدنية والتقيد بالحواس الجسمانية ؛ بأن يلطف نفسه بالعبادات ، ويخفف جسمه بالرياضات ، ويلازم الورع في جميع أفعاله لقوله عليه السلام

---

(١) **لعلّه** : عالمها .

« لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، وأجريتم من أعينكم الدموعٍ مثل الأنهار فما ينفعكم ذلك إلا الورع » وهو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات ، فقليل من الورع يجزئ عن كثير من العمل .

وخامسها : إيمان حقيقة ، وهو الفناء بالله والسكر بحبُّه ، فلا يشهد إلا إيّاه كمن غرق في بحر ، ولم ير له ساحلاً .

والواجب على الشخص أحد القسمين الأوّلين ، وأمّا الثلاثة الآخر فعلوم ربانية يخص بها من يشاء من عباده ، وأركانه ستة : أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

الفريد السادس والعشرون

في الجواب عما سئل من تعريف الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ، وفي تبيين معاني هذه الأشياء على وجه التفصيل ، وفي تبيين المراد من قول بعض العارفين : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدر ، فمن أراد الدر ركب السفينة ، ثم شرع في البحر ، ثم وصل إلى الدرر . . إلخ .

أقول : فلقد كتب بعض المعاصرين إلى شيخنا قطب الإرشاد الشيخ حسن حلمي قدّس سرّه ما نصه هذا : ثم إني لما وقفت على قولك في أول كتابك « البروج المشيدة » : ومن رأى فيه خللاً أو أشكل منه شيئاً فاسأله بالله سبحانه أن يراجع لدى ما دمت حيّاً . . إلخ . وجهت الكتاب لديك مكتوباً عليه ما أشكل على الفقير من عباراتك في شرح قول العبودي رحمه الله ، وهي هذه : معنى **الشريعة** أن تعبد الله تعالى بما شرع على لسان نبيِّه . . إلخ . **والطريقة** أن تفعل تلك

العبادة المشروعة مع الحضور والإخلاص . .إلخ . **والحقيقة** أن تشهد أن الله تعالى ناظر إليك وحاضر معك . .إلخ . ظن الفقير أن الشريعة والحقيقة مشتملان على العلم والعمل ، وأن الحقيقة موافقة للشريعة في جميع أحكامها ، إلاّ أن أهل الحقيقة لهم اعتناء جدّاً بمعرفة صفات القلب لتبديل الذميمة والرخص لأخذ العزائم الشرعية خاصة ، مع أنهم لا يشكون في كون الرخص من رحمة الله تعالى بعباده ، وأن الطريقة هي عزائم الحقيقة . فلا أدري ما وجه حمل قولك أن تعبد المختصة بالعمل على الشريعة العامة بالعلم والعمل ؟ ! وحمل قولك أن تفعل العامة على الرخص والعزائم على الطريقة الخاصة بالعزائم ؟ ! وإيقاع التفريق بين الحقيقة والشريعة بقولك : الحقيقة أن تشهد . . إلخ . فمأخذ هذا .

وسئل نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة . فأجاب بقوله : فرق بينهما بفروق : منها أن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ، ونهاية الشيء غير مخالفة له على ما يأتي ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور ؛ أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية ، وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية . انتهى . وبيَّن اليافعي رحمه الله تعالى بأن الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن . .إلخ والعمل عزائم ورخص . والحقيقة أيضاً مشتملة على قسمين ؛ علم وعمل ، والعلم ؛ وهبي وكسبيّ . انتهى . والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين وتسمى مقامات التعيين . والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، أصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً . نعم هنا شيئان ؛ **أحدهما** : علم صفات القلب ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جدّاً ، وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته وتبديل صفاته الذميمة . **والثاني** : الرخص ، فأهل الحقيقة من

حيث العلم والاعتقاد لا يشكون في حقيقتها وأنها من رحمة الله تعالى بعباده ، وأما من حيث عملهم فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته وجميل لطفه وصيانته . فمنهم من لا يقطعها إلا في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله تعالى وتسهيله . « فتاوى الحديثية » لابن حجر باختصار في ٢٢٧ . انتهى ما كتبه السائل رحمه الله إلى شيخنا المذكور بحروفه ، فعوّل قدس سرّه أمر الإجابة إلى هذا الحقير الفقير ، وقلت مستعيناً بالله :

اعلم أيها الأخ الأعز هداك الله وإيانا إلى ما يرضاه أنه كان الأصلح لمن لم يذق علوم القوم ، ولم يشرب من رحيقهم ترك المناقشة في علومهم والتسليم لأربابهم ، والإيمان بكل ما جاء من عندهم لنفوز بالولاية الخاصة ، لأن علومهم فوق طور العقل . فلا يتوصل إليها إلا بالذوق حتى يلوح للسالك ذوق من أذواق الطورية ، ويفتح قلبه للحقائق ، فيفهم بقدر ما يفهمه الله على حسب الاستعداد ، وغاية ما يعبّر المعبر إذا تنزّل في عالم العبارات أن يقول : المراد من هذا الحديث ومن هذا الكلام بيان حال الفناء والخروج عن أوصاف البشرية . مثلاً فلا يفهم المعنى الذوقي إلا أهله ، ويكون حال الواصف لمن لم يشرب من رحيقهم كمن يصف طعم العسل لمن لم يذقه ، فيعجز عن إيصال الطعم إليه ، فينكر على طعمه ، أذاقنا الله تعالى من شرابهم ، وأشرقت علينا أنوار بواطينهم ورزقنا القبول عندهم لنفوز بالسعادة الأبدية ، كما قيل : قبول قلوب المشائخ أصدق شاهد على سعادة المرء .

ثم اعلم أيّها الأخ المحبوب أن الأئمة الصوفية قدس الله أسرارهم وإن تكلموا في تفسير الشريعة والحقيقة والطريقة بعبارات شتى لم يذهب أحد منهم إلى صحة وقوع المخالفة بين المذكورات ، وقالوا : إن الحقيقة بلا شريعة باطلة والشريعة بلا حقيقة عاطلة . **وحاصل** ما قالوه في ذلك : إنّ الشريعة هي الدين كما في كتب اللغة .

فمنهم من فسرها بأن الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية . والطريقة ؛ هي السيرة المختصة بالسالكين مع قطع المنازل والترقي في المقامات . والحقيقة من حق الشيء إذا ثبت ، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية . وفي اصطلاح أهل اللغة حقيقة الشيء ؛ ما به الشيء هو هو . وفي اصطلاح العارفين نظر السالك لبواطن الأمور وشهود الفعل من الله وقال النبي ﷺ : « علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى ، وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده » أخرجه الديلمي عن علي ، وقال عليه السلام : « العلم علمان : فعلم في القلب فذلك النافع ، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » أخرجه الحكيم مرسلاً .

ومنهم من فسر الشريعة بأنها عبارة عما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام اعتقاداً وعملاً ، كذا في حاشية « رسالة الحسنية » في علم الأدب والمناظرة . راجعه في ١٨ ، و« البيجوري » على متن « الجوهرة » . والحقيقة بأنها سلب أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك منك لا أنت ، ما من دابة إلا آخذ بناصية ، كذا في « اصطلاحات الصوفية » راجعه في ١٨٠ .

ومنهم من يقول : إن الشريعة هي فعل المأمورات وترك المنهيات وأنها أقوال النبي ، وإن الطريقة هي تتبع أفعال النبي ﷺ والعمل بها ، وإنها أفعال النبي ﷺ من الجوع الكثير والنوم القليل والصمت . كان النبي ﷺ إذا تكلَّم فلا يتكلم إلا بخير ، وكان كثير الصمت . روى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده عن جابر بن سمرة : « أنه كان ﷺ طويل الصمت قليل الضحك » ، وروى أيضاً عن أبي الدرداء كان ﷺ « لا يحدث حديثاً إلا تبسم » فتتبع أخلاقه واعمل بها ، فإن فعلت أيّها الأخ تفجرت ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك ، وكنت سالكاً طريق المقربين وبهذا تزيد على الأبرار . كذا في « السير والسلوك » راجعه في ٧ من المقدمة ومن الباب الخامس .

ومنهم من فسر معنى الشريعة بأن تعبد الله ، كذا في « المتممات » والحقيقة بأن تشهده . وفي « هداية الأزكياء » ما نصه : إن الطريق شريعة وطريقة وحقيقة فاسمع لها مَا مُثِّلا ، يعني أن الطريق للآخرة شريعة وطريقة وحقيقة فاسمع تمثيل القوم لها ، وهو ما سيّذكره بعد :

واعلم رحمك الله أنه لا بد لسالك طريق الآخرة من الجمع بين الثلاثة . انتهى . فالشريعة هي المأمورات التي هي أمر الله بها ، والمنهيات التي نهى الله عنها . والطريقة جري على ذلك والعمل به . والحقيقة نظره لبواطن الأمور والشهود الفعل من الله . فقوله تعالى تعليماً لعباده : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ مراعي فيه ظاهر الشريعة ، لأنه منظور فيه إلى الكسب الظاهري الذي هو فعل العبد ، وقوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ مراعي فيه الحقيقة ، لأن فيه تبرِّي العبد من حوله وقوّته وشهود أن الفعل لا يتم إلا بمعونة الله تعالى وقوَّته .

والحاصل يجب على العبد أن يعمل بجميع ما أمره الله به ويجتنب جميع ما نهاه عنه ، لكنه لا يلاحظ أن عمله هو الذي ينجيه وهو الذي يدخله الجنة ، ولولاه لما حصل له ذلك ، بل لا يلاحظ بالعمل امتثال أمر الله بقوله : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ وإن أثابه على عمله فهو محض فضل منه سبحانه وتعالى ، وإن عاقبه فمحض عدلٍ منه سبحانه وتعالى ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ ﴾ . انتهى .

فشريعة كسفينة وطريقة كالبحر ثم حقيقة درٌّ غلا

يعني : مثلوا الشريعة بالسفينة في أنها سبب في الوصول إلى المقصد ، والطريقة كالبحر في أنها محلّ للمقصد ، والحقيقة بالدر في الانتفاع والعلو ، فلا يصل الشخص للحقيقة التي هي الدر إلا بعد وصوله للبحر الذي هو محله ، ولا يصل له إلا بالسفينة . ومثل بعضهم الثلاثة بالجوز ، فالشريعة كالقشر ، والطريقة كاللب ، والحقيقة كالدهن ، فلا يتوصل للدهن إلا بعد الوصول للب ولا يتوصل له إلا بعد الوصول للقشر . انتهى .

فشريعة أخذ بدين الخـالق وقيامه بالأمر والنهي انجلا

يعني أن الشريعة أخذه واتباعه لدين الإله وامتثاله للمأمورات واجتنابه المنهيات ، قال الشيخ علي بن الهيني ﵁ : الشريعة ما ورد به التكليف ، والحقيقة ما حصل به التعريف ، فالشريعة مؤيّدة بالحقيقة ، والحقيقة مقيّدة بالشريعة ، والشريعة وجود الأفعال لله والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل ، والحقيقة شهود الأفعال بالله تعالى والاستسلام لغلبه الحكم بتقدير لا بواسطة . انتهى .

وطـريـقـة أخـذ بـأحـوط كالورع وعـزيـمـة كـريـاضـة مـتـبـتــلا

يعني : أن الطريقة عندهم هي الأخذ بالأحوط في سائر الأعمال ، ولا يأخذ بالرخص وذلك كالورع . انتهى .

وحـقـيـقـة لـوصـولـه لـلـمقصد وشـاهـد نـور الـتـجـلـي بانجلاء

يعني : أن الحقيقة هي وصول السالك للمقصود ، وهو معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدة نور التجلّي ،

قال الغزالي : التجلي هو ما ينكشف للقلب من أنوار الغيب ، ويحتمل أن يراد بالتجلّي هنا المتجليّ وهو الله تعالى سبحانه ، وهو يوافق ما قاله القشيري في الفرق بين الشريعة والحقيقة ؛ من أن الشريعة أمرٌ بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية ، أي : رؤيته إياها بقلبه . انتهى .

مـن رام درّاً لـلـسـفـيـنـة يـركـب ويـغـوص بـحـراً ثـم درّاً حصـلا

هذا ثمرة تشبيه الشريعة بالسفينة ، وتشبيه الطريقة بالبحر ، وتشبيه الحقيقة بالدر ، فكانه يقول : إذا عرفت ذلك فأقول لك : من أراد الدرّ فأولاً يركب السفينة ، ثم يغوص البحر ، ثم يحصل الدرّ ، والمعنى أن من أراد الحقيقة المتشبهة بالدر فليتصف بالشريعة المشبهة

بالسفينة ، ويتصف بالطريقة المشبهة بالبحر ، فلا يصل إلى الحقيقة إلا بعد الاتصاف بهما ، فالثلاثة متلازمة وهي مرتبة فأوّلاً الشريعة ، ثم الطريقة ، ثم الحقيقة ، فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدر . انتهى .

وكـذا الـطـريقـة والحقيقة يا أخي   مـن غـيـر فعل شريعة لن تحصلا

هذا نتيجة ما قبله أيضاً ، والمعنى أن الطريقة والحقيقة كلاهما متوقف على الشريعة ، فلا يستقيمان ولا يحصلان إلا بها . فالمؤمن وإن علت درجته وارتفعت منزلته وصار من جملة الأولياء لا تسقط عنه العبادة المفروضة في القرآن والسنة . ومن زعم أن من صار وليّاً ووصل إلى الحقيقة سقطت عنه الشريعة فهو ضالٌّ مضلٌّ ملحدٌ ، ولم تسقط العبادات عن الأنبياء فضلاً عن الأولياء . فلقد صح أن رسول ﷺ كان يصلي حتى تتورّم قدماه فقيل له مرة : ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » . وذلك لأن العبادة وجوبها لحق العبودية ، ولحق شكر النعمة ، والوليّ بالولاية لا يخرج عن حدّ العبودية ولا عن كونه منعما عليه . انتهى راجع « كفاية الأتقياء » في ١١ .

وفي « سلام الفضلاء » شرح « هداية الأذكياء » للشيخ محمد نوويّ ما نصه : فأوّل واجب على المكلّف الشريعة ومن عمل بالشريعة سهل عليه بعون الله تعالى الدخول في أبواب المجاهدة التي هي الطريقة ، ومن عمل بها ظهر له نور الحقيقة . قال القشيري : كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيّدة بالشريعة فغير محصول .

وقال بعضهم : من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ، ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي . وقال الشيخ أبو مدين في « الحكم » : من اكتفى بالتعبّد دون فقه خرج وابتدع ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر وانخدع . انتهى عبارته ١١ .

واعلم أن أهل الظاهر هم أهل الشريعة ، وأهل الباطن هم أهل الحقيقة ، وهما متلازمان حقيقة ، لأن الطريق إلى الحق تعالى ظاهر وباطن ، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة . فالشريعة أن تعبد الله ، والحقيقة أن تشهده حقيقة ، فالشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر . انتهى راجع « المتممات » في ٢٢٦ .

وأما الشيخ المجدّد الألف الثاني القطب الإمام الرباني قدس سره لا يقبل كلاماً يفهم منه المخالفة بين الشريعة والحقيقة ، كما ذكره شيخنا حسن حلمي في « البروج » وقال : إن كلاً من الشريعة والحقيقة عين الآخر لا تمايز بينهما في الحقيقة غير الإجمال والتفصيل ، والاستدلال ، والكشف ، والغيبة والشهادة ، والتعمل ، وزواله . فإن الأحكام والعلوم التي صارت معلومة بموجب بيان الشريعة الغراء تنكشف تلك العلوم والأحكام بعينها تفصيلاً بعد التحقق بحقيقة حق اليقين ، وتخرج من الغيبة إلى الشهادة ويرتفع تجشم الكسب وبمحل العمل من البين . وعلامة الوصول إلى مرتبة حق اليقين مطابقة علوم ذلك المقام ومعارفه بعلوم الشريعة ومعارفها ، فلو بقيت المخالفة مقدار شعرة فهو دليل على عدم الوصول إلى حقيقة الحقائق . وكلما وقع من مشائخ الطريقة مما يخالف الشريعة من علم أو عمل فهو مبني على سكر الوقت ، وسكر الوقت لا يقع إلا في أثناء الطريق ، وحال المنتهين إلى نهاية النهاية كلّه صحو والوقت مغلوب فعالهم والحال والمقام تابعان لكمالهم . شعر :

صوفي ابن الوقت آمدٌ في المثال   كل صاف فارغ عن كلّ حال

فتحقق من ذلك أن مخالفة الشريعة علامة الوصول إلى حقيقة الأمر ، ووقع في عبارة بعض المشائخ أن الشريعة قشر الحقيقة والحقيقة لبّ الشريعة ، وهذا الكلام وإن كان منبأ عن عدم استقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده به أن المجمل حكمه بالنسبة إلى المفصَّل كحكم

القشر بالنسبة إلى اللب ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللب . وأما الأكابر المستقيمون الأحوال فلا يجوزون التكلم بأمثال هذه العبارة الموهمة للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف . انتهى « الدرر المكنونات » في ٩٦ من الجزء الأول ، كذا في « زبدة الرسائل » راجعه في ٨٠ .

اعلم أيها الأخ المحبوب أن المذكور كله إلى هنا هو ما قاله أكثر الأئمة الصوفية في تفسير معنى الشريعة والطريقة والحقيقة ، فكلهم أطلقوا الشريعة والحقيقة على فعل المكلف المختص بالعمل ، وعلى هذا ينطبق التعريف بأن تعبد الله على المعرف الذي هو الشريعة ، وليس في أحدهما عموم وخصوص . ولا يرد سؤال السائل بيد أن من الأئمة الصوفية من قال : إن الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن ، والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين : علم وعمل . والعلم كسبي ووهبي إلى آخر ما ذكره السائل . هذا ما ذهب إليه الإمام اليافعي ، ومال إليه الحافظ ابن حجر كما ذكره في « الفتاوى الحديثية » ، ونقله شيخنا الحلمي في « البروج المشيدة » تماماً ، لكن لا يرد عليه ما أورده السائل على تعريف شيخنا الحلمي قدس سره ، بقوله : فلا أدري ما وجه حمل قولك المختصة بالعمل على الشريعة العامة بالعلم والعمل ، وحمل قولك أن تفعل العامة على الرخص والعزائم على الطريقة الخاصة . انتهى ، لأن التعريف عند علماء الأدب والمناظرة قسمان : لفظي وحقيقي ، والأول : تعيين معنى اللفظ بلفظ آخر ، وأصح الدلالة على ذلك المعنى بالنسبة إلى السامع ، كما في تعريف الشريعة ، ويجوز بالأعم والأخص . والثاني : يراد به التفصيل بذكر العام أوّلاً والخاص ثانياً ، ولا يشترط فيه المساواة أيضاً بين المعرّف والتعريف عند القدماء ، وصوَّبه بعض الفضلاء ، راجع « عمر زاده » ، وتعريفنا من القسم الأول راجع « كتاب الولديّة » في ٤ و« تقرير القوانين » في ١٦

و« حاشية العلامة ابن سعيد » على « التهذيب » في ١٢٩ . وقوله رحمه الله : (لا أدري ما وجه إيقاع التفريق بين الحقيقة والشريعة بقولك : الحقيقة أن تشهد) . . إلخ . **جواب** : هذا التفريق مصرّح فيما ذكرت نقلاً عن « الفتاوى الحديثية » تدبر في قوله : ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية ، ولا شك أن أهلهما متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس اختلافاً بينهما . انتهى عبارته ٢٢١ . هذا ما عندي والعلم عند الله ، وهو ولي التوفيق ومنه الهداية إلى طريق التحقيق .

فائدة مهمّة

كنت أرسلت الكتاب إلى حضرة شيخنا الحلمي قدس سره بما حاصله : إن بعض المنكرين على الطريقة يزعمون أن اتخاذ الشيخ وأخذ التلقين من الشيخ المرشد العارف لا يجوز إلا بعد تمام الشريعة ، ويستدلون لذلك بقول بعض العارفين : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدر ، فمن أراد الدر ركب السفينة ، ثم شرع في البحر ، ثم وصل إلى الدر ، فمن ترك الترتيب لا يصل إلى الدر . انتهى . ويقول بعض آخر : الحقيقة نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة . انتهى . فهل يكون هذه الأقوال دليلاً لمدعاهم أم لا ؟ فكتب إلينا ما نصه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب محمد العسلي ورحمة الله تعالى وبركاته آمين .

وبعد ؛ فصحتكم واجتنابكم عما لا يليق بشأنكم هو المسؤول من الله ، وملازمتكم على الذكر والفكر والمراقبة أناء الليل وأطراف النهار هو المطلوب المهم المحبوب لدى هذا الفقير غفر الله ذنوبه آمين . ثم إنك سألتني عن معنى قول نجم الدين الكبري : الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر . .إلخ . وعن قول بعض الفقراء العارفين : الحقيقة

نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة . انتهى . وقلت : أن أهل الدعوى يتمسكون أمثال هذين القولين دليلاً لعدم جواز أخذ الطريقة إلا بعد تمام أمور الشريعة . انتهى .

اعلم أيّها المرجوُّ أن الشيخ الأكبر قال : الشريعة هي أمر الله ورسوله من الوضوء والصلاة والصوم وآداء الزكاة والحج ، وترك الحرام وغيرهما من الأوامر والنواهي . انتهى . فمن فعل هذه الأمور كيف كانت يقال له أنه في الشريعة . فإن للشريعة صورة وحقيقة ، فصورتها فعل هذه الأمور ظاهراً سواء حضر فيها وأخلص أو غفل عنها ولم يخلص . **والطريقة** فعل أمورها على الإخلاص والحضور ، وأمورها كلها من الأسباب الباعثة على حصولهما ، وهي عين ما ورد في الشريعة لا أمر آخر ليس فيها . **والحقيقة** فعلها كأنه يرى الله تعالى ، أو أنه تعالى يراه وهو ناظر إليه على حد قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ . وقد قال بعضهم : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده ، وهو أصدق قول قيل في حقيقة هذا الشأن ، وهو يؤيد ما قرّرته . فإذا كان الأمر كذلك ينبغي أن يعلم أن من فعل أمراً وترك شيئاً لم يرد به النص في الكتاب والسنة ، ولم يصرح به في الشريعة التي هي مثل السفينة وصار يفعل ما ابتدعه خالصاً لله مع الحضور الذي هو عين ما يقصده أهل الطريقة المشبّهة بالبحر ، لم يصل ذلك المبتدع باستعمال أشغاله المبتدعة إلى المشاهدة التي هي عين حقيقة الشريعة . ولا يكون قول نجم الدين المذكور دليلاً للمنكرين ، بل يكون حجة عليهم ، لأن السفينة لا يجري على اليبس ، بل لا بدّ لها من إلقائها في البحر ، لأن السفينة قائدتها[1] إلقاؤها في البحر وإجراؤها فيها بأسباب رتبها قائدها ، ولا يكفي مجرد إلقائها فيه ، بل لا بد للسفينة من قائد يقودها بالأسباب ويعرف كيفية جريانها . وهكذا لا بد لمن أراد الوصول إلى حقيقة الشريعة والمعرفة من الدخول في الطريقة على يد شيخ عارف بصير ، واصل موصول ، فافهم .

---

(١) **علّه** : قاعدتها ، أو فائدتها .

وقول القائل : الشريعة كالقشر الأعلى من الجوز ، والطريقة كالقشر الأسفل والحقيقة كاللب والمعرفة كالدهن يشبه ما مرّ من أن الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره . .إلخ . لكن الإمام الرباني لام على من قال بأمثال هذه المثالات الموهمة للمخالفة بين الشريعة والحقيقة فإنهما عين الآخر لا فرق بينهما ولو بأدنى(١) شيء وهما متلازمان للآخر ومن قال : الحقيقة نتيجة الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة لعلّ مراده من كلامه هذا أنه لا يصل المريد إلى حقيقة الشريعة إلا بالسلوك في الطريقة على يد شيخ عارف كما قيل : الطريقة مقدمة على حقيقة الشريعة .

فلما كان مبنى الطريقة على أساس الأمور الشرعية ، لا على الأمور البدعية جاز أن يقول : إن الطريقة نتيجة الشريعة ، بل هي عينها ، فإن الأوراد التي يستعملها أهل الطريقة هي عين الشرع ، ولا يخرج شيء منها من نص الكتاب والسنة . وهذا القول أيضاً لا يكون دليلاً للمنكرين ، فإن الشريعة لما كانت غير صحيحة في الناس غالباً ، وكان أهلها متدنسين بنقوش السوى ومغموسين في بحر الهوى التي هي إله يعبد ، كما قال تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ حتى قال البعض : إن النفس هو الصنم الأكبر ، وقع الاحتياج إلى استعمال العلاج لتحصيل الصحة عن هذه الأمراض والأخلاق المذمومة ، فاختاروا لذلك علاجات من عين الشرع لا من غيره ، فعلموا الأذكار وأمروا المريدين بتكرارها وملازمتها ، كما ورد في الحديث : « ذكر الله شفاء القلوب » . فبتكرارها ومواظبتها ينجلي القلب عن الغفلات ويرى قبائح أعمالها ، ثم يتشمّر في إزالتها فيصير سليماً . فبتقويم هذا العلاج الذي هو عين ما ورد في الشرع يصير السالك يصحح الشريعة ، ويمتثل بالمأمورات ،

---

(١) أي غير الإجمال والتفصيل ، كما مر نقلاً عن « الدرر » . انتهى (عسلي) . (هامش الاصل) .

ويجتنب عن المنهيات . ومن المعلوم أن امتثال الأمر واجتناب النهي لا يتمان إلا إذا كان الآمر والناهي محبوباً عنده ، فمن أراد إتمامه يجب عليه أن يشتغل بأسباب المحبة . فالذكر إذاً والدوام عليه ليلاً ونهاراً من أسباب محبة الله ، وهو عبارة عن طرد الغفلة لا أنه مقصور على كلمة النفي والإثبات أو كلمة الجلالة . فلا بدّ من تقديم الذكر بتكرارهما ليحصل به الذكر الذي هو بامتثال الأوامر واجتناب النواهي . وقد بسط الإمام الرباني الكلام في حق هذا المطلب في « مكتوباته » ، ونقلته في « التنبيه » و« التلخيص » و« البروج » ، لكن لما كنت في الريف خالياً عن الكتب اقتصرت على ما كان في خاطري من ملخص كلامه ، فأرجوك أن لا تعيبني . انتهى ، والسلام . من خطه قدس سره وأذاقنا طعم شرابه وأوصيكم بالدعاء .

الفريد السابع والعشرون

في الجواب عن قول الشيخ العبودي رحمه الله من : إن الطريقة والسلوك في هذا الزمان متعذر عند الشريعة وسنة المختار ، غير أنها على ضربين . . . .إلى آخر ما نذكره مع الأجوبة لكلها .

فأجاب شيخنا الحلمي بقوله : ولعل السرّ عنده رحمه الله لكونها متعذرة لأحد الأمور الثلاثة : كثرة الفسق والعصيان ، أو عدم إطاقة استعمال الطريقة النقشبندية ، أو صعوبة استعمالها ، كما قال بكلّها أبعاض من متشيخي ديارنا . فإن كانت العلة للتعذر كثرة الفسق ، والعصيان ، والمخالفة ، والطغيان فليست حجة مقبولة لما قاله رحمه الله تعالى ، لأنَّ معنى الإرشاد عند أهل الإرشاد إرشادُ الضال إلى السداد ، بل إنما وضع الإرشاد لأجل المعوج الضال لا للمستقيم الهادي . ولم يحكموا بوجوب اتخاذ الشيخ إلا على من ليس له قلب

سليم ، كما هو مقرَّر في كتبهم ، ولا معنى للإرشاد لمن في الرشاد ، كذا قال العالم الرباني والعارف الصمداني الأمير سيف الله الحسيني النثربكري قدس سره .

ولا شك أن الأخلاق المذمومات هي التي تجرُّ صاحبَها إلى ارتكاب الفسق والعصيان ، وهي داء والطريقة دواء ، فمن أين يتعذر ويمنع إنزال الدواء على موضع الداء مع أنه واجب . وهكذا الأخلاق المذمومات نجاسات معنوية ، والطريقة كالماء فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة ، فافهم وراجع « المتممات » و« ابن حجر » و« رملي » من كتاب « السير » و« الفتاوى العمرية » وغيرها ، والبسط في « تنبيه السالكين » ، فمن أراد التحقيق فعليه الرجوع إليه . ولا يخفى أن هذا وما يأتي مقبول عند الشريعة وسنة المختار عليه السلام ، فكيف يكون تعليم الطريقة متعذراً عندهما مع أنها إنما وضعت لتكميلها ، حاشا ذلك وكلا ! ! بل الشرع والسنة يقبلانها ، فكيف لا ؟ ! مع أنها تجرّ إليهما تدريجاً وتكملهما تكميلاً ، راجع « البهجة » من مناقب الشيخ الإمام الرباني قدس سره لتأخذه منه مضمون ما قلته .

وإن كانت العلة للتعذر أنَّ قاعدة النقشبندية تلقين الذكر القلبي واستعماله ولا يطيق عليه من في زماننا ، لأنهم لا يفرغون له من الحرف والصنائع صيفاً وشتاء ، فتلك أيضاً مما لا يعبأ به ولا تقوم حجة لهذا القائل رحمه الله تعالى ، لأن مبني الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة . ولا شك أن أربابهم عرشيون فرشيّون ، وكائنون بائنون ، وأنَّ استعمال الذكر القلبي يجوز عند كل أحد وفي كل موضع حتى في الخلاء ومحل النجاسة ، وفي كل حالة وفي كل وقت . فقد صار ذلك مما لا مانع له في كل وقت وفي كل حال ، فكيف يكون متعذراً .

وإن كانت العلّة أنَّ الذكر القلبي صعب بالنسبة إلى ذكر اللساني ولأجله صار متعذراً ، فتلك أيضاً قول ساقط وحكم بلا علم ، بل هو

دليل على عدم الذوق للقائل به ، لأن الذكر القلبي عندهم تفكر اللفظ في القلب أي : تخيُّل جريانه فيه ، فأيُّ صعوبة لذلك التخيل ؟ ! بل هو أسهل الأمور وألذها لمن ذاقه وعرفه راجع تفسير الفاتحة ، وغيرهما قوله رحمه الله تعالى كما قال : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

وفي « تفسير سلمي » في هذه الآية قال بعضهم : الحكمة العلم اللدني ، وقيل : الحكمة إشارة لما لا علّة لها ، وقيل : الحكمة إشهاد الحق على جميع الأحوال ، وقيل : الحكمة تجريد السر لورود الإلهام . وقال أبو عثمان : الحكمة هو النور المفرق بين الإلهام والوسواس . . إلخ . وقيل : الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك ، وقيل : إنها النبوة ، وقيل : الحكمة هي الخشية ، وقيل : إنها سرعة الجواب مع إصابة الصواب . انتهى مع اختصار من عبارته من سورة البقرة . فبناء على ما ذكروا في تفسير الحكمة في هذه الآية لا يخفى على من له أدنى إدراك أن هذه الآية لا تكون حجة على تعذر الطريقة . وإن كان للقائل معنى آخر لها يستدل به على ما قاله ، فلا شيء يمنع به إعطاء الحكمة لأهل الزمان ، بل هم لإعطائها أهل حتى يدلّ على كون أهل الزمان أهلاً لها ما قال صاحب « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ الآية : **اعلم** أن سبيل الرب ما يصل إلى الرب تعالى ، لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة ، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفية والحكمة المذكورة هنا هي فطنة الشيخ المربي ، وفهمه لكل ما يصلح لكل أحد من المريدين ، فإن طباعهم مختلفة متبائنة بوناً عظيماً .

فمنهم من يصلح له كثرة الصوم وقلة الصلاة ، ومنهم من يصلح له كثرة الصلاة وقلة الصوم ، ومنهم من يصلح له القيام والصيام معاً ، ومنهم من لا يصلح له كثرة ذلك وإنما يصلح له كثرة الزهد عن الدنيا ،

ومنهم من يصلح له الكسب ، ومنهم من يصلح له الخدمة ، ومنهم من يصلح له العنف والشدة في المجاهدة على النفس ، ومنهم من يصلح له الترفيه والتسهيل هذا . انتهى .

وقوله : من يصلح له الكسب ، وقوله : من يصلح له الترفيه والتسهيل صريح فيما نحن فيه ، فتدبر . انتهى . **وأما الموعظة** الحسنة هي استعمالهم في أعمال الطريقة بالمدارات بالرفق والشفقة الكاملة عليهم ، مع إعلامهم بأنه[1] لا يريد إلا علو مقاماتهم وارتفاع درجاتهم وإيصالهم إلى نعيم ؛ لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر . انتهى .

وقوله : هي استعمالهم في أعمال الطريقة صريح أيضاً فيما نحن فيه ، فبناء على هذه المذكورات ليس للعقول بالتعذر مجال ، بل مضمونها يدلُّ على عدم جواز منعهم من تعليم الطريقة ، فاللائق أن يسلكهم ويداريهم ، فافهم . قوله رحمه الله تعالى : وقد ورد في صحيح السند « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها ، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم » فلو سلمنا أن المراد (لا تضعوا الطريقة في غير أهلها) . . إلخ ، فلا نسلّم عدم أهلية من في زماننا لوضعها ، لما مرّ أن الإرشاد إنما وضع للمعوج الضال ، لا للمستقيم الهادي مع كون ذلك المراد بعيداً وَغَيْر ظاهر من معنى الحديث ، بل الظاهر منه مضمون ما في المحاضرات (لا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها) . .إلخ . فافهم .

وقد مرّ معاني الحكمة فتدبر هل يليق هنا ولو واحدة من معانيها ؟ ولو سلمنا عدم أهليتهم أليس فيهم ولو أحداً من الأربعين من يستحق لإعطاء الطريقة له ولم نجد من علّم هذا القائل رحمه الله تعالى ولو واحداً . والحكم بالتعذر قول بري ليس له دليل عقلي ولا نقلي ، ويخالف لما قاله الأئمة من علماء الحقيقة ولما قاله الإمام الرباني عبارته في « المكتوبات » :

---

(١) **أي** : الشيخ . **(هامش الأصل)** .

ولكن تعليم الطريقة بعد الاستخارات والتوجهات أياً من كان مناسب بل لازم . انتهى . ولما في « البهجة » و« المتممات » راجعهما .

قوله رحمه الله : غير أنها[1] على ضربين : اتباعية فهي لأهل الخواص والحذاق ، فجميع المنكرات والمكروهات ، بل البسط والزينة في الملاح ورخص الفروع لهذه الطريقة ، كالمحرمات الصريحة كما أن السنة والمندوبات لهم كالفرائض الموقتة . فهذا القول منه رحمه الله تعالى قول صادق ، لكنهم قالوا : ما لا يدرك كله لا يترك كله ؛ ومن لا يستطيع أن يقف في صف القتال لا يمنع أن يقف في صف النعال . ولا يجوز أن يزن أعمال الضعفاء بأعمال الأقوياء من خواص أولياء الله تعالى ، بل اللائق بالشيخ أن يرفق بالضعفاء ويرخص لهم ولا يطردهم من الطريقة ، بل يعلمهم الطريقة ويرغبهم في الاجتناب عن المحرمات والمكروهات ، فلعلهم ببركة الطريقة يقدرون على أعمال الأقوياء ، كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتبه راجع « الدرر المكنونات » ، و« البهجة السنية » و« لطائف المنن » .

وقد قالوا : إن تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على الطريق التبرك والمحسوبية ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسطهم في الملابس والمفارش وتلبسهم بالمخالفات . وذلك أمر حسن وسياسة حميدة من أهل الإرشاد ، لأنه لو قيل لهم : اتركوا الدنيا واخرجوا من كل المظالم وصحّحوا التوبة في أول الأمر ، وإلا فلا ألقنكم الذكر ، ولا يكون لكم قبول الهداية ، لنفروا واستصعبوا ، وربما يحصل لهم اليأس . وهذه السياسة مورثة من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأشراف والرؤساء والكبار ، فإنه أدخل بعضهم في الإسلام بشرط سقوط الصبح

---

(١) **أي** : الطريقة . **(هامش الأصل)** .

وبعضهم بشرط غير ذلك راجع « المتممات » ، و« قلائد الجواهر » ، و« البهجة » ، و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« لطائف المنن » ، و« تنبيه المغترين » ، و« فتاوى » ابن حجر ، و« الأنوار القدسية » ، و« الدرر الغواص » ، و« كتاب الجواهر » ، و« الدرر » ، ففي هذه الكتب صرائح بأنه لا يجوز للشيخ أن يطردوا الضعفاء من الدخول في الطريقة ، فمن أراد أن يتبع أصحاب تلك التأليفات فعليه اتباعهم ، ومن أراد أن يتمسك بقول هذا البعض الذي يحكم بتعذر تعليم الطريقة لأهل زماننا فليتمسك به . ولا شك أن تلك الأئمة أعرف طريقاً ، وأعلم شرعاً ، وأتقن في التفسير والحديث ، فليتدبره العاقل .

قوله رحمه الله تعالى : وأقل ورد هذه خمسة آلاف بلفظ الجلالة على القلب ، بتلقين عارف أو مرشد صحيح المقام والإذن من عارف مع استكمال سير الشيخ ، وتمسك السنة ، واتباع النبي عليه السلام في جميع الأقوال والأفعال ، والامتثال به عليه السلام في جميع المأمورات والمنهيات لأكثرها . فهذا الكلام منه رحمه الله تعالى هو عين ما نقول فلا غبار فيه ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

قوله رحمه الله تعالى : والثاني منها شرعية ، فهي لأهل العوام وأبناء العاملة والهوى ، فيرخص لهم المناهي والمكروهات ورخص الفروع ، مما أباحه الفقهاء رضي الله عنهم ، وأقل ورد هذه الطائفة مائة ذكر جهري ، وصلاة كذلك ووحده . . إلخ . والاستغفار كذلك ، وأدنى الكمال خمسمائة ذكري جهري بلفظ (لا إله إلا الله) ، والمذكورات مائة مرة وألف ذكر جهري بهذا ، وخمسمائة صلاة أو مائة في يوم الجمعة وليلتها ، والبواقي مائة مرة . والإشراق والضحى والأوابين ولو أربع ركعات ، وصلاة الوتر ولو خمس ركعات ، والرواتب وصلاة التسبيح في كل جمعة ليلاً ونهاراً ، والأكثر عشرون ألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، فمن شاء الخفي فليراع الأدب وليجتنب من المكروهات كالمحرمات ، ومن أراد الجهري فليجتنب عن المحرمات . عبودي رحمه الله . انتهى كلامه .

فالعجب كلّ العجب كيف يكون ورد من يرخص في زعم القائل من العوام أكثر ممن لا يرخص لهم ولو في المباحات الشرعية ، وليت كان رخص لهم لتقليل هذه الأوراد كما رخص لهم لارتكاب المنهيات والمكروهات . ولقد جرَّبنا أن الذكر الخفي القلبي بخمسة آلاف مدته خمس دقائق ، وجربنا أيضاً أن الثلاثين ألف ذكر قلبي بلفظ الجلالة يتم فيما بين العصر والمغرب في حالة البسط بعد أن يقدم عليه ثلاث مائة استغفار ، وبعد الرابطة بقدر ربع ساعة ، وجرّبنا أيضاً أنّ الذكر الخفي القلبي بلا إله إلا الله ألف مرة مع حبس النفس ورعاية شروطه وأركانه مدَّتُه قدر ذكره المذكور باللسان بمائة مرة ، فما أخفَّ ذكر أهل الذوق والطريق ، وما أقل زمنه مع كونه أفضل من ذكر اللسان بسبعين مرة ! ! كما ورد في الحديث ، راجع « فتاوى » ابن حجر من الخاتمة ، ومع كونه أنفع وأفيد في تصقيل القلب وحصول النتيجة ، كما في « المتممات » .

ولقد صار كلام هذا القائل سامحه الله تعالى سبباً لنزول الناس من الأفضل إلى المفضول ، بل صار سبباً لانقطاع أهل الله عن طريق . قال رئيسها محمد نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه ، مع أنه يفهم مما قاله عدم جواز الذكر اللساني لمن لا يجتنب من المحرّمات ، والذكر القلبي إلا للخواص والحذاق ، وذا مما لم يقله أحد من الأئمة ، ومع أنهم لم يطردوا العاصي من تعليمهم له الطريقة حتى أن منهم من خرج من موضع الفسق والشرب فجعله الشيخ وقتئذ شيخ الأبدال . ومنهم من جعله الشيخ بدلاً من الأبدال مع كونه نصرانياً كافراً لا يعلم الإسلام قبل ذلك ، فكيف بالطريق ! فإذا كان الكافر المجرد يقبل التصرف فقبول التصرف في المسلم الذي أبوه مسلم يعلم بالطريق الأولى ، راجع « قلائد الجواهر » و« أنيس الجليس » .

ولعل الباعث إلى كتابة هذه العبارات من هذا الشيخ العبودي رحمه الله تعالى انه وجد الخلق في زماننا مكبّين على المنهيات غير مطيقين على ترك المعاصي والمألوفات ، ووجد أيضاً في كتب أهل التصوف أنّ أركان الطريقة أخذ العزائم في الأمور كلها ، ولم يكن في زمنه من كتبهم إلا المختصرات ولم يعرف أن سياسة أهل الله مع العوام أن يرفقوهم بالمدارات ، ويربوهم بالشهوات ويرخصوهم بالمألوفات ، وأن لا يتكلفوهم بأخذ العزائم إلاّ بعد رسوخهم في الطريق . فالآن كثرت كتب المتصوفة في ديارنا بحيث لا تكاد أن تحصر ، وفيها ما يرد كلامه قدس سره أكثر مما لا يحصى . فوجب على من أدركها أن يظهرها لمجرّد النصيحة لعباد الله لا للعتاب والاعتراض على هذا الشيخ هداه الله . ولقد أحسن وأصاب رحمه الله في ذلك لأن من شأن وليّ أن يعمل بكل ما علم ويعلم الناس مما علّمه الله ، ولو كان ﷺ قد علم ما هو الصواب مما يعارض كلامه لأظهره بلا توقف جزاه الله عنا خير الجزاء وحشرنا معه في دار اللقاء .

وأي فرق بين اللسان والقلب لتعذر الذكر بأحدها وجوازه بالآخر للعوام وأهل المعاملة ، مع أنهما جارحتان من جوارح الإنسان ، ومع أن الذكر القلبي مما لا مانع له في كل وقت ، وفي كل حال ، وفي كل موضع ، كما مرَّ . فإن قال قائل : الفرق في أن الذكر القلبي بتلقين مرشد عارف ولذا لا يرخص له ، والذكر اللساني يجوز له أن يستعمله بنفسه من غير تلقين ولذلك رخص له بالمناهي والمكروهات . . إلخ . قلنا : أن تلقين الذكر اللساني متواتر مشهور يخبره الثقاة من ذلك البعض المذكور رحمه الله تعالى ، وبذلك يعلم عدم كون مراده ما ذكر ، ولا فرق في ذم ارتكاب المنهيات والمكروهات بين العوام والخواص . والرخص عند العوام هي رخص عند الخواص ، لكن بشدة اعتناء أهل الطريق يعدّون الرخص كالحرام ولا يرتكبونه إلا عند الضرورة . ومع هذا يسامحون للضعفاء ولا يزنون أعمالهم بأعمال الأقوياء ، فافهم .

ثم إن تقسيم الطريقة إلى اتباعية وشرعية مما لا يدرك سره ولم نصادف من قسّمها إلى زينك القسمين ، فالاتباع شرع والشرع اتباع ، وما خالف الاتباع فليس بشرع فتدبر .

ولقد أخبرنا واحد من العلماء الثقاة أن بعضاً من شيوخ هذا الزمان قال له : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة . قال واحد من مريديه : أنه قال له : لو يجوز إعطاء الطريقة لأعطيتها لكنه لا يجوز أن يعطى لأحد إلا الشريعة ، وهكذا وعظ واحد منهم على المنبر وقال عين ما مرّ . وأنا سمعت واحداً منهم يقول مثله ، فلعلهم أخذوا ما قالوه من هذا التقرير المذكور . وقد اشتهر منهم تسمية ذكر اللسان الذي يلقنونه بأنفسهم شريعة .

فنقول في جوابهم والله أعلم : إن الآباء والأمهات قد علموا الشريعة لأولادهم قبل بلوغهم ، وهم الآن على الشرع يصلون ويصومون ويزكون ويحجّون ويشهدون بأن الله وحده . . إلخ ، وإلخ ، وإلخ . أي : فمن لم يعرف الشرع وأحكامه فهو عاص ، لكن لما تعذر تكميل الشرع وضعت الطريقة لأجله ، فوجب أخذها من أهلها ؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

والحاصل أن هؤلاء طردوا الناس عن الشرع الواجب وصاروا قطاع طريق الله من حيث لا يشعرون ، ولا شك أن تعليم أمور الشرع ليس مختصاً بواحد ، بل هو عام يجب كل أحد أن يقوم به ، وأن التلقين أمر مختص بأهله لا يجوز لأحد أن يباشره إلا إن كان مأذوناً به من . .إلخ . فإن كان الملقن أهلاً له فليلقن الذكر الذي في طريق شيخه بلا تحريف ولا تبديل بما أراده .

فالتشيخ على الناس قائلاً بأنه إنما يعطي الشريعة ، وتلقين ما أراده من الأذكار المخالفة لأصول الطريقة ، فذا مما يخاف عليه من الطرد والإبعاد ، كيف لا ؟ ! وقد قال خالد شاه قدس سره : من تغير

أصول طريقتنا فليس منَّا . وقال سليمان الزهدي ما حاصله : المخالفون لأصول الطريقة مبعدون عنها ، راجع « مجموعة الرسائل » . وقد اشتهرت تسمية سائر الطرق التي فيها الأذكار اللسانية طريقة ، فبناء على ما قالوه يجب أن يسمّوها شريعة لا طريقة ، فافهم وميز الحق من الباطل والمحق من المبطل . وقد أشكل الخلق بأمثال هذه التمويهات الحق الذي يجب أن يتمسك به ، ووقعوا حيارى مترددين لا يعرفون بين أقوال أهل الإرشاد وبين أقوال من يدّعي الإرشاد ، ونحن بحمد الله تعالى لم نترك شيئاً خفياً من خفايا الطرائق إلا أوضحناه ، ولا واحداً من أصناف المدعين إلا أظهرناه ولا قولاً من أقوالهم إلا رددناه في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، فمن أراد أن يدرك الحق اليقين فليراجع إليه ، وقد تكلمنا فيه بكلام من لا يخاف لومة لائم لمجرّد وجه الله غيرة بهذه الطريقة المحمدية . ومن لم يرجع عن مألوفاته القبلية من متشيخي هذا الزمان ومريديهم بعد ما نظروا إلى ذلك الكتاب ، فلا شك أن داءه عضال وعلى عين بصيرته رين ، والله وليّ التوفيق ؛ فهذا . والسلام من هذا الكاتب المفلس الناصب نفسه عرضة لسهام هذا الخلق حسن القحي . انتهى من خطه قدس سره .

أقول : وفقك الله تعالى للتحقيق ، وهداك إلى سواء الطريق : إن لساداتنا النقشبندية متعنا الله تعالى بميامن أنفاسهم ونور قلوبنا بأنوار بركات كؤوسهم طريقان : أحدهما اسم الذات ، والثاني النفي والإثبات ، وكلاهما بالقلب . أما الأول : فهو الأقرب والأسهل في حصول المقصود ، وكيفية الاشتغال به أن يضع الشفة على الشفة ، والأسنان على الأسنان ، ويلصق اللسان بسقف الحلق ، ويطلق النفس على حاله ، ويتخيّل في القلب لفظة الجلالة بمعناه ؛ وهو ذاته الصرفة البحت من غير اعتبار الصفات والأسماء في تلك الذات المقدسة ، ويستمر على ذلك من غير انقطاع ذلك التخيل عن القلب وإن تكلم

باللسان عند الحاجة فلا ينقطع خياله عن ذلك ، ويجتهد في تطهير قلبه عن خطور ما سواه ولو من جنس سائر الأذكار الصفات فضلاً عن سائر الأمور ، ولو ذهل وخطر الغير استغفر على فور وتضرع إلى الله تعالى على الخلاف عما سواه . فإذا داوم في القلب هكذا دام نسيان ما سوى المذكور ، فإذا ارتسخ الذكر في القلب حتى يكون حضور المذكور[1] ملكة له ينتقل ذكره إلى الروح ، ثم إلى السر ، ثم إلى الخفي ، ثم إلى الأخفى ، ثم إلى النفس الناطقة في الدماغ . فإذا ارتسخ الذكر في لطيفة النفس حصل سلطان الذكر أي : غلبته بأن يعم على جميع بدن الذاكر ؛ بأن يسمع ويرى أن جميع بدنه يذكر لفظة الجلالة ، بل يعم على جميع الآفاق يعني : لا يرى الذاكر شيئاً من الحجر والشجر والمدر وغير ذلك إلاَّ يراه ذكراً بلفظة الجلالة ، فعند ذلك يتلقن الذاكر من الشيخ الكامل بالنفي والإثبات بحبس النفس .

والثاني من الطريقين النفي والإثبات ، وكيفية ذكره أن يلصق اللسان كالأول ، ثم يحبس النفس ويبتدئ كلمة (لا) من تحت السرة حتى ينتهي إلى الدماغ ، ويبتدئ همزة (إله) من الدماغ حتى ينتهي إلى الكتف الأيمن ، ويبتدئ همزة (إلا الله) من الكتف الأيمن ويمدّها إلى كرسيّ الصدر حتى ينتهي إلى القلب الصنوبري في جانب الأيسر تحت عظام الصدر ، فيضرب لفظة الجلالة بالقوة حتى يتأثر بحرارته جميع البدن على رأس القلب بالنفس الدائر في الجوف ، ويلاحظ معها مقصودية ذات الحق تعالى . فيحيط هذه التخيلات الثلاث على محال اللطائف كلها بصورة لاء المعكوسة التي يكون أحد طرفيها في السرة وطرفها الآخر في القلب ، وكرسيها بين الدماغ وبين الكتف ويلاحظ الذاكر مع هذه التخيلات معناها كما ذكر ، فمن كان من أهل الجذبة يلقنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس النفس ، وإن لم يكن

---

(١) الله سبحانه وتعالى . (**هامش الأصل**) .

من أهل الجذبة يأمره بذكره النفي والإثبات بغير حبس النفس ، فيذكره المريد كذلك حتى يحصل له الجذبة . وإذا حصلت الجذبة يلقنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس النفس ، كما يلقن في ابتداء الأمر ؛ بيد أن ما اختاره الإمام الرباني آخراً وما عليه عمل المشائخ أن يلقن اسم الذات أولاً من غير فرق بين مريد ، ثم النفي والإثبات كما هو مذكور في « تبصرة المرشدين » .

فالحاصل أن التلقين سواء كان باسم الذات أو النفي والإثبات كلاهما بالقلب .[1] جاء عن أبي بكر رضي الله عنه : وإن ذكر النفي والإثبات بحبس النفس عن الخضر عليه السلام . فإن قيل : إن الطريقة النقشبندية خالية عن البدع كما قالوا ، وإن حبس النفس إنما حدث عن الخضر عليه السلام ألا يكون ذلك بدعة ؟ فالجواب : لا يحكم على الخضر بالبدعة مع أنه نقل عن المجدد أنه كان في الأصل ، فراجع « البهجة السنية » و« المناقب الأحدية » ، كذا قرره شيخنا الحلمي في بعض المكاتب . فهكذا وصلت إلينا إدارة الطريقة النقشبندية ، كذا قرَّروه في الكتب ، ولم نر منهم من يلقن الذكر اللساني بالنفي والإثبات ، ويقول أنه من الشريعة والذكر القلبي باسم الذات ، ويقول أنه من الطريقة غير من انتسبوا إلى الشيخ المذكور رحمه الله .

---

(١) راجع « الأدب المرضية » و« تحفة الأحباب » **(منه)** . **(هامش الاصل)** .

فهرسة

مكتوبات
خالد سيف الله

إلى فقراء أهل الله

ويليه

الرَوْض النَّدِي في مَناقب القطب
محمود أفندي

دار الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف[1]

الشيخ الكامل ، والقطب الحقيقي ؛ ذو الجناحين :

خالد سيف الله بن حسين بن الحاج موسى بن المجاهد (صاحب المزار) ، شيخ باشلار[2] النزبكري الغازي الغموقي الخشني ، النقشبندي القادري الشاذلي ، المجددي المحمودي الأوليسي قدس سره .

قد قرأ العلم على علماء أجلَّةٍ ، فصار متبحِّراً في العلوم العقلية والنقلية .

وكان طبيبا حاذقاً ؛ قد شفي بسبب يده الميمونة كثير من المرضى .

وسلك أوَّلاً في الطريقة على يد الشيخ محمد ذاكر الجسطاوي (خليفة محمود أفندي) ، وبعد موته دَارَ في استنبول وحلب ودمشق يطلب شيخا يربِّيه ، فلم يصادف شيخا ينشرح به صدره ، ثم ذهب لدى قطب الوقت زين الله الشريفي التريسكي وسلك على يده في النقشبندية ، وأجازه بعد كماله فيها .

ثم سلك في الشاذلية على يد الشيخ محمد صالح ، وأجاز له فيها ، وكان مجازا في القادرية ، وأجاز له زين الله أيضاً في علوم الحديث ، وسائر العلوم النقلية والعقلية ، والأحزاب ، والمسلسلات التي جمعها محمد علي ظاهر الوتري وغيرها .

وكان قدس سره حليماً وقوراً ؛ ذا فهم وإدراك ، يبيِّنُ من العلوم

---

(١) اقتبست هذه الترجمة بحروفها مع بعض تصرُّف في ترتيب فقراتها من كتاب « سراج السعادات في سير السادات » لمؤلفه الشيخ حسن حلمي القحي تلميذ صاحب هذه الترجمة .

(٢) ما بين المعترضتين من المترجم له .

غوامضها ، ويحلُّ من الغوامض مشكلاتِها ، ويجيب لكلِّ مسألة بما يتحيَّر العقول والفهوم عن إدراكها ، فكم وكم أجاب لمسائل الحقير بأجوبة مرضيَّة ؛ يعلم ناظرها بأن المجيب صاحب نفس راضية ، وأحوال ذوقية ومقامات عالية ! ! فجزاه الله عنا خيراً . آمين .

وأنا إن شاء الله تعالى أذكر هنا نبذة من كراماته وكشوفاته متفرقةً بفصولٍ ؛ رجاء أن تكون سبباً باعثاً لدعاء الإخوان[١] .

ثم انتقل من الدنيا في شهر صفر سنة : ١٣٣٨ ودفن في « غزانش الأعلى » ، وقبره فيه يزار ويتبرك به .

من أشهر كتبه غير هذه « المكتوبات » :

١ – كنز المعارف في أسرار اللطائف في مجلد كبير . ولدي منه نسخة مصورة عن خطية لم يطبع .

٢ – مواقف السادات في مراتب الولايات . انظر ص١٦٣ .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه .

---

(١) ثم ذكر طرفاً من كراماته

بسم الله الرحمن الرحيم

بك العون يا معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الحمد لله مُلْهم الصواب ، ومفيض الحكم والأسرار على قلوب أوليائه المتقين وأصفيائه المهتدين ، ومظهر حقائق العلوم وغرائب الفنون على أيدي

---

* لاَ مَادَّةَ چرْخْ هِجُ ، وَ لاَ مُدَّةَ زَمَنْك هِج
عن سليمان بن داود عليهما السَّلاَمْ : الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وجدة .
« فتوحات » وأطراف طرف العين ليس بنافع إذا كان طرف القلب ليس مطرق
أصل الحلال ما لم يخطر لك بالبال ولا سئلت فيه أحدا من النساء والرجال
كم دقت ورقت واسترقت فضول العيش أعناق الرجال
لا تكفر بجهلك في كلامي ودعه لمن يوجد يا مثنى ولا تعجل على ما لست تدري فإنك سوف تدري بتاقي
الاستمداد طلب المدد أي الزيادة (ص) أي طلب العون (حاشية عصم) قال بعض الحكماء غضب الأحمق في قوله وغضب العاقل في فعله . وقال آخر من لم يصبر على كلمة سمع كلمات (كشكول) ٢٨٩ تنبيه : أيها الناظر الأمين ؛ إياك إياك عن مبادرة الطعن في « المكتوبات » بأن فيها تكرار وتطويل في بعض المسائل والأحكام ، فإن التكرار والتطويل إنما يعاب إذا لم يكن فائدة جديدة ، وليس فيها تكرار إلا وقد تضمن فائدة جليلة جميلة ، وإن عادة الكرام جارية بكونهم يكررون المسألة الواحدة في مواضع مختلفة لأغراض جديدة وذلك من الفضائل لا من المعائب ، وإنما يعاب إذا كان في موضع واحد . والتكرار للتأكيد وتجويد الفائدة حسن شائع في كلام السادات ، ولا تغفل عما في القرآن ؛ من تكرير قصص موسى وفرعون لتسلية قلب سيدنا خير الأنام محمد المصطفى ﷺ والسلام من الملخص الخادم شمس الدين القحي غفر الله له ولوالديه بعد المشائخ والأساتيذ قدس الله أسرارهم آمين اللهم آمين .
عن علي رضي الله عنه قال : بين ما أطوف بالبيت إذا رجل معلق بأستار الكعبة يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل يا من يتبرم بإلحاح الملحين أذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك لا يقولهن بعد دبر الصلاة إلا غفر له ذنوبه وإن كان مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجرة . من رسالة ملا علي القاري من صحيفة ١٠ .
ثبت بالتحريك وبالسكون بمعنى ثقة يعني ما ثبت به المحدث مسموعه قال السخاوي ثبت بسكون الموحدة الثابت في القلب واللسان والكتاب والحجة وبالفتح ما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه ولسماع غيره على القارئ نخبة الفكر .

من شآء ما شآء من ذوي الألباب ، والصلاة والسلام على محمد وآله الأنجاب وأصحابه الأقطاب .

أما بعد؛ فلما نظرت إلى « مكتوبات خالد سيف الله لفقراء أهل الله » التي كتبت إلى حليفه وخليفته الناصح الشيخ المرشد الشكور حسن أفندي النقشبندي الشاذلي القادري الخالدي المجددي ، وجدتها كالجواهر المرصعة بالدرر والنفائس المضيئة في الصدور والأذهان ، منابيع علوم العارفين أهل الله الموحِّدين ، وبرؤيتها ينوَّر القلوب والصدور ، وبمطالعتها تزيل الأحزان من الأبدان والأشباح ، وفيها مسائل نفيسة غريبة لا يدركها أفهام العوام والخواص ، فيا أحسن صنع الله في ولد بني آدم حيث نطق كما نطق الصدوق المصدق خير الأنام ، ولعمري إنه قدس سره أسبق أشخاص الإنسان ، وأعلم فرسان الداغستان ، وهو معدن العلوم الظاهرية والباطنية بلا ارتياب ، يعسوب علمآء أوانه ، بل هو أسد الأسد بلا خفآء في زمانه ، مرشد الخلائق في أقطاره ، ومن يحسد لا يسود ، وله أشبال وجنود لا يعلم جنوده إلا الله ، ألهمني الله تعالى بلطفه –وإن كنت أقل وأخسر العباد علماً وعملاً ، مع الالتماس ممَّن هو لا يسعني مخالفة مرامه ومقصده من بعض الإخوان والأحباب – أن أتوجَّه بجميع الهمة وتمام النهمة لأن أكتب هذه المكتوبات إيجازاً واختصاراً بما هو المقصود؛ وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل ، بحيث لا يخل لما هو المرام ، بانتباذ غير المقصود ، وإن كان جوهراً ودرراً صدر من أصل عين الله ؛ لتكون نافعة لكل قاصد ، ومرغوبة لكل قاصر ، خالياً عن الملال والإطناب ، مع الخوف الشديد والحيآء الأكيد من حضرته القدسية على حلول العتاب بما فرطناه وأخطأناه ، أعلى الله درجته في أرفع الدرجات ، ورزقنا فيضه وفضله في كل الأوقات ، وجعلنا من أحبابه وأتباعه ذوي الدرجات ، وإن كنا من المفرطين خاسرين أعمالاً . آمين ؛ يا رب العالمين .

المكتوب الأول

في بيان معنى قول الشيخ عبد القادر الصفدي قدس سره :

كُـلُّ الـمَعَانِي قُلُوبٌ لِلْمُحبِّ بَدَتْ   عَـرْشٌ بِـهـا مَنْ بِهِ زَادَتْ صَبَابَاتُ

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم .

إلى حضرة أخينا العالم المأمون في السر المصون ؛ العبد الصالح التقي ، والمخلص النقي ، المرجوُّ للاستقامة ، والمعتقد فيه لحوز السعادة ؛ حسن أفندي . اَبَلّه الله تعالى بلطفه الأبدي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . إلخ .

بعد أداء الحمد لله سبحانه وشكره بقدر طاقتنا ؛ لا بقدر النعمة ، فنسألكم الصحَّة والسلامة كما هي عين النعمة ، ثم إنك سألتني - وما المسؤول بأعلم من السائل - عن معنى قول العارف الصفدي ؛ جعلنا الله تعالى من محبيه :

كُـلُّ المَعَانِي قُلُـوبٌ لِلْمُحبِّ بَدَتْ   عَـرْشٌ بِـهـا مَنْ بِهِ زَادَتْ صَبَابَاتُ

كما كان القلب عرشاً للرحمان ، ومستوًى لتجلِّيه فيه بجماله وجلاله ، ونعوت كرمه وكماله ، وجرّد الموحّد الحدث عن القدم ، وأفرد الوجودَ لمن هو واجب له ؛ كان كلُّ معنىً من المعاني في حكم القلب للعارف إذا صار مرآة لشهود الحقِّ فيه ، كما كان القلب كذلك ، فصار مستوى وعرشاً للرحمان . . إلخ بعينه وحروفه « نور العين في شرح سلك العين » فراجعه .

وقال في « الحكم العطائية » : الكونُ كلُّه ظلمة ، وإنما أناره ظهورُ الحقِّ فيه ، كيف يشرق قلبٌ صوَرُ الأكوان منطبعة في مرآته ! ! إلخ .

والذي عليه الفقير واصطفاه على هذا المدار ؛ والله يعلم الأسرار :

(كل المعاني) أي : جميع ما سوى الله تعالى (قلوبٌ) أي : كالقلوب في كون كلٍّ منها عرشاً ومستوىً له تعالى ، (للمحبِّ) أي : للعارف المحبِّ لله تعالى ، والمحبوب له تعالى ، (بدت) أي : ظهرت ؛ وذلك أنّ أهل الله تعالى يدركون وجودَ الله تعالى في الأشياء ؛ أي : قيامه بها وظهوره فيها ، كما في شرح « الحكم » . وإنَّ القلبَ عرشُ الرحمن ؛ كما قال الله تعالى : « أنا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » . فكما أنّ القلب محلٌّ لظهوره تعالى ومستوىً له ؛ كذلك يكون كلُّ شيء للعارف ، لأنه يشهد الله تعالى قبلَ كلِّ شيء وبعدَه ومعه ، فالمخلوقات كلُّها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجلالية ، فليس في الكون سوى الله تعالى ومصنوعاته ، فإذا كان شهودُه كذلك ؛ كان كلُّ الحوادث كالقلوب له في شهود الله تعالى ، وظهوره في كلٍ منها .

(عرش) خبرٌ بعد خبر (بها) ؛ أي : ظهر بها ؛ أي بكل ما سوى الله تعالى ؛ (من) أي : الله تعالى ، (به) أي : بالله تعالى ، متعلِّق بـ(صبابات) .

(زادت صبابات) فاعل (زادت) ، والجملة صلةُ (من) . والله أعلم بحقائق الأمور ، ويعلم ما في الصدور ، وأستغفر الله مِن كُلِّ ذنب أذنبتُه ، ومن زلَّة قلم استعملته . . . إلخ هذا ، والسلام .

خادم الفقراء، المفلس
مير سيف الله الحسيني
سليل الشيخ باشلار المجاهد الداغستاني

المكتوب الثاني

في بيان أن لله تعالى عباداً أُقيموا لإقامة هذا الدين ، وجعل أمور الخلق في أيديهم ليفعلوا ما فيه المصلحة للناس ، على طِبْق حكمة الله وأمره ، وفي الوصية بترك المجادلة ، وفي بيان ما ينبغي أن يفعل الشيخ إذا جاء لديه مريدُ شيخٍ آخر ، وفي بيان جواز انقطاع المريد من شيخ ليتَّصل بشيخ آخر .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوقَ الكرامة ، كيف لا ؛ وقد قال عزّ من قائل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ، والصلاة والسلام على [سيدنا] محمد الذي بشرَّكم بالرضوان ، وإلى السعادة هداكم ، وعلى آله وأصحابه الذين أيَّدوا دينكم . . . إلخ . إلى مَن بدايته النهاية ، ونهايته ليس لها غاية . . . إلخ : أخينا المخدوم حسن أفندي النقشبندي المجددي ؛ عامله الله تعالى بلطفه الأبدي وفيضه المددي .

عليكم السلام السرمدي وكهف لطفه الأبدي ، جعلكم الله تعالى من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، وفضَّلكم بالأعمال الصالحات .

بعد حمد الله سبحانه ؛ وله الفضل وتعالى ، نسألكم الصحَّة والسلامة والعافية والاستقامة كما هي المطلب الكلي ، وتمام النعمة ، ثم إنَّه وصل إلينا كتابكم ، واستحسنَّا خطابكم ، وشكرنا الله تعالى حيث وُفِّقتم ، وإلى السنَّة السنيَّة هُدِيتم ، ورضينا بالله لله من الله تعالى منكم ؛ حيث لم تنسوا فقيركم ، ولم تضعوا حرمة حقيركم ، حتى أن أقول ما قال العارف :

وَقَدْ سَمَا الكَلْبُ الحَقِيرُ إِلَى السَّمَا   لَمَّا تَذَكَّرَت الأُسُود بِاسْمِهِ

اللهم اجعلنا الله تعالى وإياكم من خواصَّ عباده الصالحين ، ولا تجعلنا من المطرودين .

ثم اعلم أيها الأخ المخدوم ؛ إنَّ لله عباداً صلحاء أقيموا لإقامة هذا الدين ، وجعل أمور الخلق في أيديهم ليفعلوا ما فيه المصلحة للناس ؛ على طبق حكمة الله وأمره ، فكل مَن يتولَّى على أمر أو يُعزَل من أمر ؛ فإنما هي بتدبيرهم ومصلحتهم ، فلا يقدر أن يتولَّى أحدٌ إلاَّ بهم ، ولا أن يسلب إلاَّ بهم ، وقد أُقِمْتَ على الأمر الذي أنت عليه الآن ، وذلك وإن كان في ظاهر العين مِنْ شيخك الكامل ، فإنما هي في الحقيقة من تدبيرهم ، فالحمد لله تعالى حمداً وافراً على ما أولاك به ، واشكر معبودك على نعمته ؛ فإنما الشكر سبب للمزيد ، ولازم على ما أمرك به الشيخ ، وإن خالف أمره اعتقادك ، لما أنه طبيب قلبك يعلم ما أنت لا تعلمه ، وإياك والإنكار عليه وعلى أمثاله ، فإنهم أمناء الله تعالى في أرضهم وعرائسه ، ولا سبيل لأحد أن يمسَّ على عرائس الله بسوء ظنٍّ ، أو قول ، أو إنكار ، فإن ذلك سوءُ أدب معهم ، فالعياذ بالله من مقته .

ثم إنك كتبتَ إليّ التماساً بكتبة النصيحة لكم ، والسائلُ أيقظُ وأفقه وأعلم من المسؤول عنه ! ! وأيُّ نصيحة تكون ممن أضاع عمره في الغفلات ، وحزَّب[1] أوقاته في الفَلَوات ، وصار حيراناً والهاً يبكي على ما فرَّط في جنبه سبحانه وتعالى ، ويتحسَّر على ما مضى في حقِّه ، إنما أنا خادمكم . . أنا فقيركم . . أنا دونكم . . أنا طالب بركاتكم وبركات ساداتكم ، اللهم نعم ؛ إنك أصبت وأحسنت في ذلك ، لما أن شأنَ وليِّ الله تعالى أن يرى كلَّ أحد أعلى منه ، وذلك من خلوص الإيمان ورأس الإخلاص ، بيد أنِّي لأجل الثقة والمحبة بيننا أكتب إليك ما أشار إليه الإمام الرباني والمجدِّد للألف الثاني ؛ ليكون لك نوراً على نور .

فاعلم يا أخي أن المريدين كثيرون في عصرنا هذا ، والزاعمين على المشيخة أكثر منهم ، والصادق أغربُ من الغراب الأعصم ، وإن للمرشد آداباً وللمريد آداباً ، وأرجو أنَّك تدوم أديباً إن شاء الله تعالى ، ومع ذلك عليك أن تُأدِّب المريدين بآداب حتّى يفوزوا بها عند الله تعالى .

---

(١) فرَّق . والفَلَوات جمع فلاة : البرِّيَّة .

وأوصيكم أيها الأخ ؛ وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت له أهل : أن لا تعاشر مع أكثر مشائخ هذا العصر ومريديهم والمجادلة معهم ، ولقد سافرت أقصى البلاد وعاشرت أصناف العباد ؛ فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشرَّ وأقبحَ ولا أبعدَ من جناب الله تعالى من طائفة تدَّعي أنهم من كُمَّل الصوفية ، وتنسب أنفسهم إلى الكمال وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسوله ولا باليوم الآخر ، ولا تتقيَّدُ بالتكاليف الشرعية ! ! ولقد رأيت كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ؛ زاعمين بعضهم أنَّهم أخذوا الإذن من الروحانية ، أو في النوم ، وليس هذا إلا افتراءً منهم لعن الله جميعهم ، فالله . . . . . الله . . يا أخي أن تسكن في قرية فيها أحدٌ منهم ، لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ ﴾ . . . إلخ ، وليس لهم همَّة واعتناءٌ إلاَّ جمع الحطام لأجل هذه الفانية . عياذاً بالله منهم . انتهى .

وكذا ورد إليَّ رسالة أخرى من طرفه قدس سره من جملتها هذه العبارات : فإياك إياك من النظر إلى آثار مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذر من الجلوس معهم ، فذلك والله هي الفتنة الظاهرة ، وملاقات الشيطان أسلمُ من ملاقاتهم . انتهى .

وصية لمن حضر إليه مريد غيره

وصية : واعلم يا أخي ؛ إذا حضر مريدٌ لديك من شيخ آخر يطلب منك العهد ، فعليك أن تأمره بالرجوع إلى شيخه الأول ، وتُعَلِّم له أن شيخه الأول لولا أنه على الحق ما نفرت النفس عنه ، لما أنَّ النفس أمَّارة بالسوء ، وبالغ في النصيحة له به وبمثله ، فذلك يدلك على كمالك وحقِّيَّة طريقتك ، ورأيت أكثر مشائخنا – سامحهم الله تعالى – يجرُّون مريدي الأغيار لديهم بالأقوال المُمَوَّهات والحيل الباطلات ، عياذاً بالله تعالى من هذه الغرورات ؛ خصوصاً لجرِّ الأغنياء لمجرَّد غناهم ، أو لتكثيرِ سواد مريديهم ليشتهر بهم اسمه بين الناس ! ! وإياك عنهم .

قال الغزالي : سمعت ابن عيينة قال للثوري : أوصني . قال : أقلل من معرفة الناس . قلتُ : أليس في الخبر : « أَكْثِرُوا مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً » ! ! قال : لا أحسك قطُّ ما تُكْرَه إلاَّ ممن تعرف .

واعلم يا أخي ؛ أن المقصود الأصلي هو الحقُّ سبحانه وتعالى ، والشيخُ وسيلةُ الوصول إلى جناب الحق تعالى ، فإن رأى الطالب رشده عند شيخ آخر ووجد قلبه في صحبته حاضراً مع الحق يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأول بلا إذنه ، ويطلب منه رشده ، ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخَه الأول ، ولا يذكره إلاَّ بخيره ؛ خصوصاً في هذا الوقت ، فإنه لم يبقَ فيه المريدية والشيخوخة غير الرسم والعادة ، فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر عن أنفسهم ولا يقدرون أن يفرّقوا بين الإيمان والكفر ، فكيف يكون لهم خبر عن الله عز وجل ، وعلى أيِّ طريق يدلُّون ؟ ! فنسأل الله تعالى ترقياتكم الصورية والمعنوية ، فإن خيريتكم وصلاحكم متضمِّنة لجمعية جميع المسلمين ورفاهيتهم ، والدعاء لكم دعاء لجميع المسلمين ، سلَّمكم الله تعالى عما لا يليق بجنابكم ؛ بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات إلى يوم الدين .

وحيث أعلم أن نسبة محبتكم وإرادتكم وإخلاصكم لأكابر النقشبندية العلية قدس الله أسرارهم على وجه الأتم والأكمل تصير باعثاً إن شاء الله تعالى على تصديقكم .

أيها الأخ المخدوم ؛ إن هذه السلسلة العلية وقعوا في هذه الديار غرباء بواسطة شيوع البدعة ، فمن ذلك اخترع بعض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات ، وجذب قلوب الناس بعلاقات ارتكاب تلك البدعات إلى جانبه ، وظنُّوا هذا العمل بزعمهم تكميلاً لهذه الطريقة ! ! حاشاها من ذلك وكلاَّ ، بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ! هداهم الله سبحانه سواء الطريق .

وحيث أنَّ هذه السلسلة العلية عزيز الوجود في هذه الديار ؛ ينبغي لمريدي هذه الطريقة ومشائخهم إمدادُ السادات الأكابر وإعانتُهم ، والاقتداء بأسوتهم ، فإن الإنسان مَدَني بالطبع ؛ مجبول على التمدُّن ، محتاجٌ في تعيُّشه إلى بني نوعه ، قال تعالى ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وأكثر مشائخ عصرنا - هداهم الله إلى ما فيه رضاه - يزعمون الدرويشية ، ويزعمون أن مشيختهم من كُمَّل العارفين بالنوم ، أو من روحانيتهم . عياذاً بالله من هذه الدعاوي والمداهنات .

فعليك يا أخي إيقاظ أتباعك من هذه الأمور ، والله يهدي من يشاء ، وإليه المنيب .

ثم اعلم يا أخي ؛ سلمكم الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بحالكم ؛ إني أعلم أنكم لستم في سَعَة عظيمة من هذه الفانية ، فالقناعة لكم خير من ملء الدنيا ذهباً ، وأنت تعلم أن الدنيا سجن المؤمن ، والمناسب لحال السجن هو الوَجَع والألم والمصيبة ، ولا ينبغي التضجُّر والجزع من تلوُّنات الأحوال ، وعدم وصول الآمال ، فإن مع العسر يسراً ، فإن الله سبحانه وتعالى قرن عسراً واحداً بيسرين ، وأقول : لا عسر مع الإيمان ؛ ولا يسر مع العصيان ، ولا عزَّة مع الطغيان ؛ ولا ندامة مع الرضوان ، وأمور الدنيا مما لا طائل فيها ، ولا قَدْر للدنيا وما فيها ؛ حتى يشتغل الإنسان بحَشَوِياتها ، وألزم على مريديك بالورع والتقوى ، فهي نعمة عظيمة ودولة قصوى ، اللهم ؛ وفِّقنا لمرضاتك ، وثبتنا على دينك وطاعتك ؛ بحرمة سيِّد المرسلين وآله وأصحابه المتقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

ثم إن سألتم عن الفقير ! ! فإني بحمد الله في عافية ، بيد أن الحال في التنزُّل والقصور ، ولا أرى من عملي ثمرةً . اللهم ؛ اهدنا إلى سبيل من أناب إليك ، وأوصيكم كلِّ وقت بالدعاء بالاستقامة ، وأوصيكم أن لا تقطع عنا وصيتكم ، وأوصيكم . . . إلخ .

ولولا العوائق والعلائق اللاتي تعوقني منها لزرتكم والله ؛ ولو حبواً ، بيد أن الله تعالى جعل لكل شيء أجلاً ، ولكل أجل كتاب ، ونرجو الله أن يرزقنا الملاقاة مع حصول الاستقامة . هذا ؛ والسلام .

خادم فقراء الزاوية
مير سيف الله الحسيني. إلخ.
في ٢٧ فورال ١٣٠٤.

المكتوب الثالث

في بيان أن الشيخ قدس سرّه أوصل تسليمات الحقير رحمه الله إفلاسه إلى مستحقِّيها ، وبيان أنهم حَيَّوا بأحسنَ منها ، وأنّه قدس سره تكلَّم في حقِّ طبع كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » مع صاحب المطبع ، وأنه قدس سره طلب من جهتنا إرسال من له الاستعداد من العلماء لوضع أسانيد العلوم على يده .

قال رضي الله عنه : إلى نخبة[1] صلحاء المتورعين ، وزبدة المتشرعين ؛ أخينا الصالح المرجو المخدوم حسن أفندي النقشبندي المجدِّدي ، وإلى جميع عياله . . . وإلخ . السلام عليكم ، وكان الله معكم ،و . . إلخ .

وبعد ؛ فبعد أداء العبودية ؛ إن الفقير المحزون رجع من سفره بعد أن وصل إلى أَشْتَرْخَانْ وبلّغ تسليماتكم إلى مستحقّها ، وقد حيوا عليكم بأحسن منها ، وهذا أمانة أوصل إليكم بحمد الله سبحانه وتعالى ، وسوى ذلك إني تكلَّمت في حقِّ نسختكم في تِمِرْخَانْ شُورَةْ »غازي محمد العوري ، فأجابني بما يليق ؛ وقال : إنّ لي في هذه الساعة شغلاً

(١) النُخبة : خيار القوم (منه) .

قليلاً بكتبة أجزاء من كتاب كانت في الطبع ، فبعد انتهائها أخوض إن شاء الله تعالى في إتمام خدمة حسن أفندي ، والتمسَ مني أن أكتب في حقّ ذلك رسالة لدى محمد مرزا ، ليكون متيقظاً في ذلك ، فأجبته لذلك وأكتب ، وأظنُّ أنه لا يخرج من التماسنا .

هذا ثم اعلم أيها الأخ ؛ أني ما بقيت في أشترخان إلا أياماً قلائل ، وكنت رجعتُ من هناك بعد رجوعي من تمرخان شوره ثانياً بعد إتمام خدمتي ، فلم أطق إيفاء ذلك العهد ورجعت إلى الوطن .

واعلم أيها الأخ المخدوم ؛ أن الجسم لفي اعتلال ووَهَنِ قوَّة ، وخَفَقان يشدُّ على التنفس ، فبِهِ لم يطبْ قلبي للرجوع ، ومع ذلك ليس لي هنا توفيق للشغل ، ولا أعلم ما يفعل الله بي ، ويصعب علي تحمُّل أذايا الناس ، وذلك نقصان في الكمالات ! وكنت من قبل [أقدر] على تحمُّلها مع انبساط ، ولا أعلم ذلك أيضاً من ضعف النفس ، أو . . . إلخ . وقد قرب الوعد والعهد لخروجنا من هذه الديار ! ! وأظنُّ في أول الصيف والعلم عند الله ؛ إن جرت المشيئة الإلهية مع إرادتنا ، يفعل الله ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولا حول ولا قوة إلا . .إلخ .

ثم اعلم أيها الأخ الأعز ؛ أنَّ ظن الفقير المغبون لا يحسن على أحد من المريدين الذين يثبون على أبواب المشائخ في هذه الأوقات ، ولا أرى منهم مَن يصلح للأمانة ، وأظنُّ أنّ هذا من نقص حال الفقير ، ولا أريد المخالطة معهم ، ولا أقدر العزلة أيضاً احتياطاً من أبناء عصرنا ، وقد قال شيخنا عبيد الله أحرار : إن ما يصدر من الناس من سوء ؛ إن لم يكن في مقابلته حدٌّ وتعزير شرعي ينبغي أن لا يتأذَّى منه ، فإنه صدر منهم بإقدار الله إياهم لهذا الفعل . . . إلخ .

لكن الفقير لا يزال في قبض والحكم لله ، فلما كان الأمر على هذا المنوال أعرضكم الحالَ ، وذلك إن كان مِن مريديكم أحدٌ مرجوُّ الاستقامة ويصلح للأمانة ؛ فأسألكم أن تجودُوا بمثله لنا ، ليكون أميناً على أمانتنا قبل أن نرتحل من هذا الدار ، ولو كنا نعلم مريداً صادقاً في أيِّ

موضع لزرناه ؛ ولو حَبْواً ، فإن كان من أهل العلم ! فما أحسن المساعدة ، ولا تظنَّ بي أيُّها الأخ بهذا امراً ، ولست من أهل الظن والتخمين بحمد الله ، ولا أُرِيكم بذلك مقاماً ، بل المطلوب الأصليُّ الشرعي أن تبقى من الفقير صدقة ، ولو بحمل أسانيد العلم منا التي هي أعلى الأسانيد في الدنيا ؛ على ما قاله وتشرَّفْنا به من العارف بالله السيِّد علي بن ظاهر الوتري الحسيني المحدِّث قُدِّس سره ، وذلك أن الداغستان ؛ وإن كان معدنَ العلوم والحكمة ومنبع الشريعة ومأوى أهل الطريقة ؛ إن بركة العلم وحرمته قليلة جداً ، وذلك ليس إلاَّ مجرد عدم الأسانيد عندهم ، وبه نطق شيخنا قطب الأولياء زين الله الشريفي المعموري جعله الله تعالى وإياكم في زمرة الصالحين .

ثمَّ إنِّي أسألكم أن تكتب إلينا أحوالاتكم ، وما لكم وما عليكم ، و . .إلخ . وقد كنت هممت أن أكتب إليكم رسالة من تمرخان شوره ؛ بالإشارة بحضورك إلى « أشترخان » ، لكن ذلك لم يقع في حيّز القبول لدى الفقير ، لما أن ذلك ربَّما أدى إلى ميل القلب إلى الدنيا بواسطة ما يصل من أيدي الأغنياء من الحكام ، فيصير بلا ريب سبباً لقطع الحضور ؛ ولو مدَّة كما شاهدتَ وشاهدتُ ذلك ، وذلك من أعظم المصيبات لأهل السنة ، فاعلم أيها الأخ ؛ إذا كان حبل المحبَّة لأهل النسبة المجددية قوياً فلا غمَّ حينئذ أصلاً ؛ يجذبه جميع كمالاتهم تدريجاً إن شاء الله تعالى ، فالقناعة كنزٌ لا يفنى ؛ كما قيل :

أَلاَ وَحْـدِي رأى الـمـحن ... عـشـريـن عـامـاً أُمْـتَحَنْ
حـتَّـى أتـتـه لـيـلـةٌ ... فـيـها بدى البَخْتُ الحسن

ثم أوصيكم أن تبلغ تسليماتنا ومحبَّتنا لمريديكم . . . وإلخ .

الفقير المغبون سيف الله،
سلاه عما سوى الله.

المكتوب الرابع

في أمره بإيصال تسليمات قدس سره لدى شيخنا العارف بالله ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره وغيره من أحبابنا ، وفي أمره بترك التدبير مع الله ، وترك التفكُّر في الفقر وضيق المعيشة .

قال ﷺ : وعليكم التسليمات والدعوات أزيدَ ممَّا أرسلتم إلينا بألوف .

أيها الأخ العابد الذي أنار مصلاه بالأذكار ، والزاهد الذي زُهْدُ بني الأَيَّام من زهده مستعار ، الذي شَكرت العلوم مسعاه ، وزَيَّن وجهَ العصر بعزَّةِ تقواه : حسن أفندي وإلى عياله وأولاده المعنوية والحسية ؛ جعلكم الله تعالى وإيانا ممن وصل بالمشاهدة إلى الفناء بالبقاء ، وبالبقاء إلى الفناء بعد .

وبعد ؛ فقد تشرَّفْتُ برسالتكم ، وشكرت بصنع السلف على محاسنكم ؛ حيث لم تنسوني بدعائكم ، ولم تخلوني عن خيالكم ؛ جزاكم الله تعالى عني خيراً ، ولا لاقاكم ضيراً ، فقد سرَّني خبرُ صحَّتكم ، وشرح صدري ذكركم ؛ جعلكم الله تعالى وإيانا من التابعين لسنة النبي المختار ﷺ ، وأيَّدنا على آداب السادات الأبرار الأخيار ، والفقير في الصحة والعافية أستعيذُ من سوء الخاتمة ، وأسال من الله نور الاستقامة ؛ وإن لم يصل قدمنا قريباً إلى تلك المرتبة ، ثم إن الفقير على قصد السياحة في هذه الأيام – والعلم عند الملك العلام – إلى الديار الإسلامية ، رجاء أن يزول عني الوحشة والروعة بتزاور رياض بعض السادات ، وذلك بناءاً على ما تواتر عليَّ من الانقباض والوحشة ، ولم تأت الإشارة للذهاب ، ولا أعلم أهذا من الأمارة ؟ ! فكن أيها المرجو للاستقامة داعياً للفقير ، ولقد رمتُ مراراً للوصول إلى حضرتكم وحضرة شيخكم ذي المواهب ، بيد أن اعتلال نفسي عاقني عن ذلك بعذري عن المشي ، ولولا ذلك لَحَبَوْتُ إليكم .

ثم إنك تبلِّغ تسليماتِنا مُحِبَّنا ومولانا ذو الجناحين : الشيخ عبد الرحمن الخالدي . . . وإلخ .

ثم اعلم أيها الأخ الأعزُّ ؛ وكأني بك وأنت تفكّر في الفقر وضيق الفانية ، وإيَّاك عن اختلاج الخواطر ، فعليك بإسقاط التدبير ، وأنت تعلم أن الله تعالى كان لك قبل أن تكون لنفسك ، فكما كان لك قبل أن تكون ، يكون لك بعدك ، كما قال الحسين الحلاَّج : كن لي كما كنت في حين لم أكن . فإن اختلج في صدرك شيءٌ سوى السِّوى ؛ فقد حرمت من المشاهدة ، جعلك الله من المخَصَّصين لقربه ، ولا جعلك من أمثالنا الذين تعوَّقوا عن الوصول بالزهول ، وعليك برفع الهمَّة عن الخلق ، فإنه ميزانُ الفقراء ، ومسبار[1] الرجال ، وكما توزن الذوات ؛ توزن الأحوال والصفات ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ .

وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منَّته الفقراء الذين ليسوا بصادقين بإظهار ما كَمَنوا من الرغبة ، وأسرُّوا من الشهوة ، فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم ، ملائمين موافقين لهم على مآربهم ؛ مدفوعين على أبوابهم . حفظنا الله تعالى من هذه الخساسة . وآمل منكم أن لا تقطعونا وقتاً فوقتاً ، وإن كنَّا مقصرين في حقِّكم ، والله يتولاَّكم .

هذا في ٥ محرم الحرام سنة ١٣٣٤.

---

(١) المسبار :حسن الهيئة « هامش الأصل »

المكتوب الخامس

في شكايته قدس سره من جهتي بانقطاع كتبي ورسائلي عنه ، وفي بيان المراد من عبارة القشيري في « رسالته » بقوله : (وما لم يتجرَّد المريد عن كلِّ علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقِّنه الأذكار . . . إلخ) ، وفي بيان أنَّ للسادات أقوالاً تخالف أقوالَ بعضهم باختلاف أحوالهم ومشاربهم ، وفي بيان قول بعض السادات : (مَن لم يتخلَّص في هذا العالم عن قيد نفسه فروحه باقية بعد خراب البدن تحت فلك القمر) ، وفي بيان أمره باقتداء آثار الغوث محمد النقشبندي قدس سره ، وجواز تلقين الذكر لمن لا يحترز من أكل الربا ، وبيان اجتماعه مع الغوث النقشبندي وكلامه معه في عالم الأرواح .

قال ﷺ : وعليكم السلام ، بل ألوف التسليمات من الملك العلام ، ومن رسوله ﷺ سيِّد الأنام ، ومن المغبون أقلّ العباد سيف الله إلى منوِّر أنوار الحقيقة وبركة الخليقة ، مربي المريدين ومرشد السالكين ؛ أخينا الصالح حسن أفندي النقشبندي المجدِّدي ، وإلى جميع أهله وعياله وأهل دائرته ، أدام الله تعالى وجودكم ، وأنار بحقائق التحقيق شهودكم ، ونوّر الله سرَّكم بأنوار اليقين ، ووهب لكم لسان الصدق ومقام الصديقين بعد .

وبعد ؛ فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلِّم على سيِّدنا محمّد وآله ، وأسأل الله تعالى لكم ولنا الصحَّة والهداية والعافية والاستقامة ، وإن وجَّهتم وجهة خاطركم الشريف إلى السؤال عن حال هذا المحب الضعيف ! فإني في حال غير ممدوح ؛ يذهب العمر ، ويزيد الذنب والغمر ، والهمةُ راجعةٌ من الدين إلى الدنيا الدنية ، والنفسُ على جموحها القبلية ، فأيُّ حال يكون لمن كان بين المعركتين ! ! وعسى الله أن يفرِّجَ عنا الظلمات من البين ، وقد كثر عليَّ الضعف المزيد ، والوهن في الشغل المطلوب ، وما ذلك إلاَّ بالجرائم المتراكمة والرعونة النفسانية ، أسألكم الدعاء بالتوفيق لداعيكم الذليل ، إنه تعالى ولي التوفيق .

ثمَّ إنَّه يعزُّ عليّ انقطاع كتبكم عني ، وانفصال سببها مني ، ومن عادتكم أن تواصلني بمكاتباتكم ، وتتحفني بمراسلاتكم ، فإنها إذا وردت أوردت القلب بَرْدَ زلالها ، والعين طيفَ خيالها ، ولا أزال أُرَوِّحُ القلب بنسيم استقبالها ، وأطفي حرَّ الفؤاد ببارد زلالها ، حلاَّكم الله تعالى بِحْلية العرفان ، ورقَّاكم إلى مقام الإحسان ، وقد وصل رسالتكم إلى تمرخان شورة ، فوصل به أسباب الخير والسداد ، وغسل بزلال عَتبه أدران[1] الأحقاد ، فجزاكم عنِّي خير الجزاء ، وأيَّدكم في مقام الأصفياء .

ثمَّ إنّ في كتابكم أنَّ أهل الدعوى قد يرمون سهامهم علينا .

اعلم أيها الأعز ذلك ؛ وقد أشرت من قبل أن بخلوص محبتكم معنا يؤذيكم العوام ، ولا يزال عنكم لومُ العوام ، فإن العوام يعلمون حالي وقصوري ، وهم ينشرحون ؛ بل يباهون بذكر حالي وتقصيري ، فأنت الملوم بنا والمعيوب لأجلنا ، فاصبر فما صبرك إلا بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم إنَّك كتبتَ كلام سراج الدين الذي هو أخونا في الدين ، فلا عجب من كلامه ، والتعصُّب قائم بين الناس بسبب هذه النسبة السنية الصدِّيقيَّة ؛ يريدون كيف كان إطفاء أنوار النسبة النقشبندية ، ويريدون أن يبتدعوا فيها أموراً اقتداءً بالمتشيِّخين والمتقطِّبين ، فدَعْهم وتوكَّل على الله ، والله يعصمكم ولا عاصم إلا الله .

أقول : وعبارة القشيري (وما لم يتجرَّد المريد عن كلِّ علاقة ؛ لا يجوز لشيخه أن يلقِّنه الأذكار) ! ! فحقٌّ موافق لأقوال أرباب التأليفات ، وذلك أنّه ما لم يتجرَّد قصد المريد عن كل علاقة . . . إلخ ، وقد حملتَ كلام القشيري - فللّه درُّك - إلى محملٍ صادقٍ حسن ، وأحسنت فأصبت ، وإلاَّ ؛ فإن كان المريد متجرِّداً بالكلية يصير في مقام البقاء

---

(١) أي : الأوساخ .« هامش الأصل » .

بعد الفناء ؛ وهو مقام الكمل ، فما الحاجة إلى التلقين ؛ وإلى المرشد ؛ وقد قال الإمام القشيري نفسُه في موضع آخر : لا بدَّ للمريد من مرشد ليخرجه من الأوصاف الرديَّة إلى الأخلاق . . . إلخ . وأمثالُه منه كثيرة ، فإن كان المراد مثل ما فهم أخونا سراج الدين ؛ فكيف يخرجه ؛ وهو خارج بنفسه ؟ ! إلخ . وقد قال العارف ابن بنت الميلق :

وما المريد الذي صحَّت إرادته . . . إلخ . . . .

أي : والمريد الذي صحت إرادتُه بتصحيح قصده ومقصده . . إلخ .

ثم اعلم أيها الأسعد الأمين ؛ أن للأولياء والمشائخ أقوالاً صدرت منهم على خلاف بعضهم بعضاً في رأينا ، وإن كانت مطابقةً في الحقيقة ، وذلك باختلاف أحوالهم ، ويقول في حال السكر والقبض ما لا يقول في حال الصحو والبسط ظاهراً ، ولهم تأويلات لا يدرك أكثرَها إلاَّ الفرد بعد الفرد ، وقصدهم واحد .

وقال العارف الهروي عن شيخه قدس سره : مَن لم يتخلَّص في هذا العالم عن قيد نفسه ؛ فروحه باقية بعد خراب البدن تحت فلك القمر ، وهذا كلام الشيخ ابن عربي قدس سره حيث قال : كلُّ مَن بقي تحت فلك القمر فهو باقٍ فيه . قال : فعرضتُ هذا الكلام على مولانا الجامي وطلبت منه تحقيقه ، فإنّ هذه القضية كانت مشكلةً عندي ، لأن أكثر المؤمنين يموتون قبل التخلُّص عن أنفسهم ! ! فقال قدس سره : كلُّ من آمن بالله فقد حصل نقبة في الفلك فيعرج من تلك النقبة أخيراً ، وقال بعض السادات : ارتفعت التربية بالكلية . . . إلخ . وفي البعض : والأولياء اختلفوا ، وهذه الأقوال إنما قالوا على سبيل الأغلبي ؛ لا الكلي ، ولنا أسوةٌ حسنة بواسطة ساداتنا في رسول الله ﷺ ، فإنَّه لم يردَّ أحداً من المبايعة ، حتَّى قاتلَ عمِّه ﷺ ، مع أنَّه قسّمه بقوله « واللهِ ؛ لأقْتُلَنَّهُ . . . » إلخ .

ثم اعلم أيها المرشد المرجو ؛ أنّ أقوال الأولياء ؛ وإن كثرت واختلفت آراؤهم ؛ فليس لنا أن نقتفي ونقتدي خلف كلِّ أحد ، بل الواجبُ علينا أن نجتهد لنقتدي لآثار بهاء الحق والدين محمد النقشبندي الأويسي قدس الله سره ، وآثار مَن اقتدوا بأثره ؛ كالإمام الرباني ، وشاه خالد السليماني ، وخلفائهم الراشدين المرشدين ، وليس لنا سبيلٌ أن نتجاوز عما قالوه ، فهم أمناء هذه الطريقة ، ومؤسِّسو أبواب هذه النسبة الصديقية .

وقد قال الإمام الربَّاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس سره :

اعلم أنه إذا جاء عندك طالبٌ بإرادة الطريقة ينبغي لك أن تتأمَّل وتتأنَّى كثيراً في تعليم الطريقة إياه ؛ خوفاً من أن يراد إليك الاستدراج في هذا الأمر ، ومن أن يكون المنظور فيه خراب بيتك ؛ خصوصاً إذا ظهر الفرح والسرور من مجيء المريد ، فينبغي سلوكُ طريق الالتجاء والتضرع في هذا البال . . . إلخ والكلام في هذا كثيرٌ .

ثم لما سُئل الإمام الربَّاني (إنه قد يجيء بعض الرجال والنساء ويلتمسون الطريقة ، ولكن لا يحترزون من الأكل واللبس الحاصلين من الربا : هل نعلِّمهم الطريقة أم لا ؟ !) .

أجاب : ينبغي أن نعلِّمَهم الطريقة ؛ وأن يرغبهم في الاجتناب من المحرم ، ولعلهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة المشائخ ، فهم قوم لا يشقى جليسهم .

ويكفي لنا ما قاله هذا الإمام ، وكم منه أمثاله .

وقد قال أيضاً قدس سره : وأما تعليم الذكر للعوام ! فلعموم الخطاب . . . إلخ ، فعلى المشائخ الكُمَّل أن يعلموهم أمرَ دينهم من كلِّ وجه ، ولا يُمْنَع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ . . .إلخ ، ولا فائدة لتطويل الكلام مع كونك أبا عذرها ، فعَضَّ بنواجيذك أيها الأخ الميمون على آثار الإمام النقشبندي ، والإمام الرباني ، وشاه خالد البغدادي ؛ فلا تتبع أهواء الذين ظلموا فتحبط . . .إلخ .

رؤيا للمؤلف مع محمد الأويسي

ففي ليلة الأربعاء بعد التهجُّد في الثلث الأخير رأيت في الواقعة سيِّدنا ومولانا بهاء الحق والملَّة الشيخ محمد النقشبندي الأويسي ؛ جعلنا الله وإياكم في بركاته ودائرته ، وكان رجلاً وسيماً جميل الصوت معتدل القامة ، أسود اللحية مع بياض لون الوجه بأحسن وأبيض ما يكون ، فوقعت المصافحة والمعانقة ، وكان عنده واحد من السادات الكبار ونسيتُ اسمه ؛ فأجلسني في يمينه بحيث يمسُّ نفسي نفسه المباركة ، ووقعت المكالمة والأسئلة في عدَّة أشياء ؛ وهو يباسطني بالبسط التام ، فقال في أثناء الكلام : إن كلام الإمام الرباني كلامي ، وقوله قولي ، وهو راض عنه . ثم قال : إن محمد مراد المنزلوي كتب في تعريبه على « الرشحات » في الهامش كلاماً ونسبه لآخر ؛ فهو أيضاً كلامي ، وذكر ذلك الكلام وأظهر رضاءه عنه أيضاً ، ثم إنَّه قال قدس سره : أرى لك كلامي . فأخذ كتاباً وسلَّمني ، فصرت أنظره بحضوره واستماعه وأقرؤه ، وصرت أتصحَّف صفحة صفحة ، ثم إني عانقته وقبَّلت شفتيه ، وصرت أحكُّ وجهي بوجهه ورأسي برأسه ، وأنا أقول : أرجو أن لا يمسَّني النار موضعاً مسَّه على جسدك ، ثم التمسته أن يتفلَ في فيَّ مرَّات لأبلعَ ريقه ، وأرجو أن يتنوَّر باطني ويحفظه من النار ، فحينئذ قال الوليُّ الحاضر لمن في جنبه : بخ بخ لهذا ؛ حيث فعل مع الغوث ما فعل ساعةَ لقائه ؛ ولم نقدر إلى الآن في هذه المدَّة المديدة أن نفعل ما فعله ! ! ثم إني وجَّهت بالوداع وأنا أقول جهراً ، وهو يسمعه : ألا مَن يتأدَّب مع البهاء الغوث النقشبندي فليتأدَّب معي ، فقط[1] خالط دمي دمَه ، وريقي ريقَه ،

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلها فقد بالدال بدل الطاء ! !

وأصيح ف ف ف ، وانتبهت ولله الحمد ، وقد كتبت هذا إليك وإن كان خارجاً عن المراد وتركاً للأدب ! ! ليحسن الظنُّ في كلام الإمام الرباني ، ولإظهار شكري ، فالصفح والعفو .

ثم اعلم أيها الأرشد ؛ أن التعصُّب الواقع بين هذه الطائفة المعلومة كاد أن ترجع الدنيا بسببه إلى الفتنة ، وأخافُ من ذلك لئلا ينتشر شؤمها في العالم بما ابتدعوه بتركِ آداب المشائخ لأجل الحطام ، وإيَّاك عن نقل كلامٍ والمجادلةِ معهم ، ولا تظنَّ أنّ واحداً منهم يرجع إلى ما قلت ؛ وإنٍ تلوْتَ عليهم الإنجيل والتوراة ! حاشا عن ذلك ! ! لما أنّ مَن وقع في التدليسات بالتلبيسات لا يمكن خروجه منها إلا بالمفارقة من قائدهِ ؛ بموت أو عذر ، ووقوعه في يد مرشد ناصح ، وذلك نادرٌ جداً ، إلاَّ من وفَّقه الله تعالى ووقعه في أيديهم لطفاً من الله وشفقة ! !

اللهم أيِّدنا على آداب أهل السنة والجماعة وآداب المشائخ المتسلسلين ، ولا تجعلنا من المسلوبين المحرومين المغلوبين المغبونين . آمين ؛ إنه قدير وبالإجابة جدير .

ثم إنّ بقائي في الحضر في هذه السنة . . .إلخ .

ثم إنَّك كتبتَ في رسالتك وإن كانت كتبة . . .إلخ من سوء الأدب . . .إلخ .

أيها الأخ الأعزُّ ؛ إنَّ كلَّ فقير من الفقراء – أيَّ فقيرٍ كان – أعزُّ عندي من نفسي ؛ فضلاً عن أمثالكم الذين رسخت معهم المودة الرحمانية ، فأتوقع أن لا تقطع عني رسائلكم ، وإن كنت . . .إلخ أنَا فقيركم ؛ أنا دونكم ، أنا المستمد من بركاتكم وبركات الجالسين في عتبة الفقراء . . .إلخ .

أحقر العباد وخادمهم

مير سيف الله قدس سره

في آخر محرم ١٣٢٦.

المكتوب السادس

في بيان قلَّة أهل الصلاح وكثرة الحُسّاد في هذا الزمان ، وبيان قصده إلى الهجرة ، وبيان أنّ أكثر الفتن من المتشيخين ومريديهم ، وبيان عدم تكمُّل المعرفة ما بقيت الحرمة للنفس ، وفي بيان نسبة الغوث محمود الفعال قدس الله سره .

قال رضي الله عنه : وعليكم التسليمات والدعوات ما دامت الأرض والسماوات أزيدَ مما أرسلتم إلينا أضعافاً مضاعفة ، إلى حضرة مَن دنى فؤادي وداده ، وفخر وجودي سداده : أخينا الأمين المأمون ، صاحبُ الحظ والسرِّ المصون ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدِّدي الخالدي ، لازال باسمه مسعوداً ، وبأسرار الربوبية مسوداً .

وبعد ؛ فلقد سعد الفقير المملوك بوصول سلامكم ، وانشرح صدرُه بسماع كلامكم ، وانجلى عنه الهموم بصحبتكم ، وزالت الكدورات بعافيتكم ، فجزاكم عني خيراً وزادكم معرفة وتبصيراً ، ومازال الفقير يتمنَّى سماع صحَّتكم إلى وصول كتابكم .

وإن سألتم عن الفقير ! ! حمداً لله على كلِّ حال ، فهو في الأحوال ؛ تَرِد وتزول ، تسرُّني مرة وتضجرُني أخرى . ولا حول ولا قوة . . .إلخ ، وكيف يكون حال غريب وشأن كئيب فَقَد إلفه وأَلِفَ ضِدَّه ، وزال شدُّه وقلَّ ودُّه ، وانعدم سدده ؛ لا يزال مضطراً كئيباً ومتفكراً غريباً ، ولا يصفو لنا أيها المحبوب وقتٌ نأمنها ، ولا راحة نأملها ، وقلَّت الأحباب أهل الصلاح والسداد ، وكثرة الحساد أهل العناد ، بيد أن الأمر في جميعها لله من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون .

ثم إني أيُّها الأعز بقيتُ إلى الآن في الحضر وقد كثرت الرسائل من أشترخان بالدعوة ، فلم أجبهم إلى ذلك لضعفي ووهن قوَّتي ، وقد بلغت المبلغ من الضعف بكيفٍ لا أقدر المشي إلاَّ راكباً ، ومع ذلك

إني في اضطراب عظيم في جمع همَّتي إلى الديار العثمانية مهاجراً ، وبعضُ عيالي غيرُ راضين على خروجي ، والجماعة ؛ فضلاً عن الأقارب يلتمسون مني الرجوع عن هذا القصد ، حتى عرَّضوا في خصوصي ذلك إلى الحكام الكرام ، بيد أني لم أقبل قولَهم ، وعزمت بالكليَّة ، والعلم عند الله . وقد سئمت والله أيها الأخ من وجودي حيث كثرت الفتن ؛ خصوصاً في ديارنا ، ولا راحة لنا للدين في ديارنا ، فقد غرب الإسلام ، وكثرت الفتن من المتشيخين ومن معهم ؛ ممن يسعون باسم المريدين ، فالمصاحبةُ مع هؤلاء أعظمُ وزراً من المصاحبة مع الكفَّار ، كيف لا ؟ إن المجرمين إذا نصحوهم وأروا سبيلاً يقبلون ذلك كرهاً أو طوعاً ، وهؤلاء أشدُّ منهم ألف مرة ؛ لا يقبلون إلا قول المتشيخ الأفَّاك الزَّنيم ، فإذا وقعوا عنده يفلت منهم صلاحيتهم القبلية ، فلا يصلون إليها إلى الوقت ، ومع كونهم كذلك لا يقومون بأنفسهم ، بل يوقعون الفتن بين الناس ، وينكرون العلماء القائمين على السنة النبوية ﷺ قائلين : إنهم لا يدرون الباطن . اللهم نعم ؛ إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم . . .إلخ ، وبواطنُهم الخسيسةُ الخبيثة مملوةٌ من التدليسات الإبليسية ، اللهم نجِّنا من القوم الضالين ، ولا تجعلنا فتنة معهم . آمين .

نعم إن ذلك ليس لنا منهم إلاَّ بضعف يقيننا ، فلو كان لنا قوَّةُ المعرفة بالله لَمَا نلنا منهم ما يسوؤنا ، وإن أساؤوا فالعيب علينا قبلَهم ؛ جعلنا الله تعالى وإياهم من القائمين على آداب السنة والجماعة . ثم إني في هذه الساعة في الحضر . . .إلخ .

ثم اعلم أيها المخلص الصافي ؛ كلما أمعنت النظر إلى مفاسد ما في الأنام من أهل الحساد ؛ أرى ذلك الفساد في نفسي أعظمَ ممَّا عليهم ، بيد أنّ نفوسنا سَوَّلتنا على النظر إلى عيوب غيرنا ، وما ذلك إلا بسوء حظِّنا ، فاقطع نظرَك عن الغير تأمن من الضير ، والسعادة الكبرى أيها المخدوم غيبتُك عنك ، والدولة العظمى وجودك به ، كم بين ما

تكون بأمره ، وبين ما تكون به ؟ إن كنت بأمره ؛ خضعت لك الأسباب ، وإن كنتَ به ؛ تَذَلَّلت لك الأكوان . قال إلخ : ما صلحتَ لنا وفيك بقيَّة لسوانا ، فإذا فنيتَ عنك صلحتَ لنا ؛ فأودعناك سرنا وأبقيناك بنا ، فافهم يا أخي أنه لا تكمل معرفَتُك مادام بقيَ عليك حركة لنفسك ، فالمراد من هذه أن يكون هو ولا تكون أنت . الخلق حجاب لبصرك عن شهود ، وأنت حجابٌ لقلبك عن شهود ربِّك ، فأنت محجوب عنك بهم والحقُّ محتجبٌ عنك بك ، اللهم أرنا الأشياء كما هي . اللهم ؛ ربّ ؛ إني تبتُ ورجعتُ إليك مني ، اللهم خلِّصني مني ، وطهِّرني عني ، وأفنني فيك عني ، وأبقني بك يا قديم .

فلا تظنَّ بي ظنّاً بنصيحتي لك أيها المخلص مع أني أقلُّ الناس . . . إلخ فإنما أريدُ إظهار خلُوصي لكم مع عجزي عما قلت . والسلام .

ثم إنَّك سألت عن نسبة القطب الغوث الذي شافهه رسول الله ﷺ الشيخ محمود الفعال ؟ !

فأقول : إنه أخذ الطريقة العليَّة من مواضع ، وما نقلنا من خطِّه قُدِّسَ سرُّه أنه قال : إنه أخذ هذه الطريقة العلية النقشبندية ؛ عن الشيخ يونس الخالدي ؛ عن هاشم اليمشاني ؛ عن إسماعيل الشرواني الكردميري ؛ عن القطب شاه خالد سليمان الشهرورزي الشامي قدس الله أسرارهم .

وكتب في هامش « المجد التالد في مناقب الخالد » بخط شيخنا ذي الكمالات : أنَّ خواجه محمود الفعال أخذ عن محمد اليراغي ، وهو من ذبيح الله المذكور .

وكتب في « التعريب المرادي[1] » : أن الشيخ محمود الفعال تلقَّن الذكر عن الشيخ يونس الخالدي ؛ عن الشيخ عبد الله المكي الأرزنجاني ،

---

(١) والمراد منه ذيل ترجمة « الرشحات » لمحمد مراد القزاني قدس سره (قحي) .

وهذا الذي ذكرناه نقلناه من خط[1] الشيخ محمد ذاكر أفندي بيده . . .إلخ ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ ، وأخذ محمود أفندي أيضاً ؛ عن الشيخ هاشم اليمشاني ؛ عن الشيخ ضياء الدين الشرواني ؛ عن مولاه خالد قدس الله أسرارهم « رشحات عين الحياة ١٨٣ » .

ثم اعلم أيها الفرد الأمين أنه لما كانت الدنيا دارَ مسافرٍ قَرُب إلى الرحيل ؛ ولم يكن لنا منها اطمئنان ولا أمن ، وكانت مثلها مثل الأسد الذي يثب على فريسته بغتة ، كتبتُ لك بعض سند السادات من العلوم للتبرُّك من ذكر أسمائهم لئلا يبقى معطلاً بوقوع عذر ، وليس لي من أئتمن لوضع هذه السند مثلَك ، وإني بفضل الله ثقةً بعلمك أجزتك بما فيها[2] ، كما أجازني السادات ، وعليك بالشكر بها ، لما أنّ السند أعلى سند يوجد الآن في الدنيا ؛ أخبرني شيخنا عن شيخه كذلك ، وكنت أريد كتبتها برقم حسن ، بيد أنّ الوقت ضاقت فلم أقدر ، وإلاَّ فلو كتبت بسواد العين ؛ فهو أعظم من ذلك ، جعلك الله وإيانا من الموفَّقين . آمين .

المكتوب السابع

في بيان أن كتبه قدس سره التي يؤلِّفها غيرُ تامَّة لضعفه ووهنه في النفس ، وبيان عدم فراغه للجواب عن أسئلة الفقير رحم الله إفلاسه .

قال رضي الله عنه ورَزَقنا فيضه وبركته :

إلى حضرة الشفيق والأمين الرفيق ، سليل التوفيق ، مرشد الأنام إلى مناهج التحقيق ، عين الحق وحق اليقين ، وصي السادات الصالحين ؛

---

(١) وما كان بخطه قدس سره أوثق وأحكم عندنا والسلام من خطه .

(٢) يعني بما في ثبته الذي كتبه باسم الفقير رحمه الله إفلاسه (حسن أفندي قدس سره) .

أخينا المرشد حسن أفندي ، وإلى خليفته وثمرة فؤاده وفؤادنا ، وأمين سره وسرورِنا الحاج حبيب الله ، وحبيب رسول الله ﷺ ، وإلى من حواليهما . . .إلخ .

وإن تشرَّفتم بالسؤال عن الفقير ! فالحمد لله الذي نبهنا لسرِّ قوله عزَّ وجلَّ ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ ، ومع ذلك أنا في العافية حمداً يفوق حمد الحامدين ، ثم إنه وصلت لدي كتبكم فسرَّتني رؤيتها ، وأعجبني ما فيها فجزاكم عني خيراً ، وزادكم بي مثوبةً وأجراً ، حيث لم تنسوني في دعواتكم التي هي أعزُّ عندي من الدنيا وما فيها ، وفهمت ما فيها ؛ جعلكم الله تعالى من الفائزين بمشاهدةٍ تتبعها مكالمة ، وأما ما كان من قلَّة توارد كتبي عليكم ، وعدم تتابعها تتابع الأنفاس إليكم ! ! فليس ذلك من باب الإهمال ، وإنما لي على اعتقاد محبَّتكم غاية الاتكال ، كما قال العاشق :

لَوْ أَنَّ كُتبي بِقَدرِ الشَّوْقِ وَاصِلَةٌ … إِلَيْكَ كَانَتْ مَعَ الأَنْفَاسِ تَتَّصِلُ
لَكِنَّنِي وَالَّذِي يُبْقِيكَ لِي أَبَداً … عَلَى جَمِيلِ وِدَادِي مِنْكَ أَتَّكِلُ

وسوى ذلك أنه وقع الوَهَن والفتور في نفسي لضعفي مع الهرم وقلة التوفيق ، ولأجل ذلك بقيتْ عدَّة رسائل بلا جواب بعسى ولعلَّ ، كيف لا يبقى ؛ وقد بقيت الأرجوزة بلا إتمام مع شدة الاعتناء في إخراجها إلى الخارج ، وهذا أول العلامات لقلَّة التوفيق ، جعل الله لكم التوفيق رفيقاً ، والرضوان صديقاً . آمين يا معين .

ثم إنَّك كتبتَ إليّ : وأرجو منكم أن تَمُنُّوا علينا أحياناً بكلمات لما أنَّه يورث للفقير البسط التامَّ بلا ريب . . .إلخ . فاعلم أيها الأمين أنَّ ذلك إنما هي لمحةُ المرآة من شعاع الشمس ؛ نظراً إلى ما عندي ، وما يحصل عندي بكم أتمُّ ، ولولا الفتورُ الواقع في نفسي لما رفعت القلمَ عن الكتابة إليكم والله الشاهد .

وكتبت أيضاً : لكن نخاف أن يتجلَّى علينا بقهره وجلاله . . .إلخ . زادكم علماً ومعرفة ؛ لازمٌ عليكم وعلينا ذلك كلَّ وقت ، ومع ذلك نحسن الظنَّ بالله ، والله تعالى عند ظنِّ عبده .

ثمَّ إنَّك كتبتَ : وجدت كتاباً نفيساً اسمه « المناقب الأحمدية » . . . إلخ جزاكم عني خيراً حيث ترشدني إلى الصلاح ، اللهم نعم ؛ كتاب عظيم النفع ، وقد فزت بالمطالعة فيها بمحضر خليفته العلاَّمة الحبر السامي والبحر الطامي ، صاحب العلمين ذي الجناحين ؛ مولانا الشيخ محمد مراد المنزلوي ، ثم المكيّ ، صاحب التأليفات الكثيرة والأحوال الأنيقة ، فجدير أن تطالع فيها ؛ بيد أن فيها مواضعَ كأنها خلاف ما عليه ساداتنا النقشبندية في أول الأمر ، لكن موافقة في الباطن بلا خلف ولا خلاف بعد النظر والامتحان . هذا والسلام .

الفقير المعلوم

سيف الله وولده سيد حسين

في ١٨ إيون ١٩١٠.

المكتوب الثامن

في بيان خلاصه قدس سره من أسر الكفَّار ، وبيان العذر من عدم فراغه لكتبة الأجوبة لأسئلة الحقير رحم الله إفلاسه ، وبيان العذر من عدم قبوله تسليكَ المريدين في الطريقة ، وبيان أن واحداً من العلماء سَلكه في سلك الطريقة ثم بعد ذلك تغيَّر حاله .

قال رضي الله عنه : إلى الفائز بالتجافي من هذه الفانية ، الممنون بالاستقامة الوافية ؛ شيخ الإرشاد والمدار ؛ الممتاز لإخواني من بين الأخيار ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي المجددي الخالدي ، وإلى . . .إلخ .

السلام عليكم ، وأناركم الحقُّ بنور الاستقامة ، وجعلكم وإيانا في شِرْذمة الخاصَة .

وبعد؛ فإني أحمد الله سبحانه وتعالى على كلِّ حال ، وأصلي وأسلم على أجل الوسائل محمد حائز الكمال ، وعلى آله وأصحابه أرباب العناية والنَّوَال ، وأسأل الله تعالى لكم الرضوان الأكبر ، ويمدّ لكم الحظ الأوفر ، وقد وصلت إليّ رسائلكم وبدائع كلماتكم ؛ فجزاكم الله تعالى عني وعن آلي خيرَ الجزاء ، وأورثكم وراثة الأصفياء ، وصارت عندي من أجلِّ النفائس ، وأعزّ من ألذِّ العرائس ، بيد أن الفقير شأنه المعذرة ، فاعذروني في ذلك حيث حُرِمْتُ من حَوْز فضائل كتبة التسليمات إليكم جواباً لرسائلكم .

ثم اعلم أيها المقرَّر في قلب الفقير وقالبه ، والسائر مع روحه في الشدَّة ورخائه ؛ أنَّ الله تعالى أطلعني على خزائن رحمته وسَعَةِ حكمته ، حيث شرَّفني بحظِّ الجلالة الذي كنتُ ترصَّدتْه من زمن صباي ، وفَرَّحني بحكمته الباهرة بنصيب لا يكون إلا لأهله ؛ شفقة وسعة لضعفاء عباده وفق أمانيَّ ، كما شملني ألطافه الجمالية ، وغمرني إفضالاته الرحمانية ؛ فشكرت الله تعالى بذلك وفق طاقتي ؛ وإن لم يكن على قدر نعمته ، وحمدته طبقَ وسعي ؛ وإن لم يقعْ لائقاً لسعة رحمته وحكمته ، فَلَمَّا أن رجعتُ من الأسر نوديتُ - والله أيها الأعز - في سِرِّي أن الحظَّ المأمول لم يحصل لقلَّة الزمن ، وعدم حصول المشقَّة لي بذلك ، ففي الصبيحة دعيتُ لدى الحكام وأُرسلت ثانياً ، وأنا الآن في أَشْتَرْخَانْ في اختياري وإرادتي ، وقد أجّل لي مدَّة سنتين لأن أكون في الأسر ، ولكن أرى الفرج قد قَرُب ، والله يعلم عاقبة الأمور .

ثم اعلم أيها الأمين ؛ أني أدعو الله تعلى أن يبارك في عمركم ، ولو كان لي اختيارٌ - وأنَّى لي ذلك ؟ ! - لآثرتُكم من عمري شفقةً للفقراء ، فاجتهد في إهداء السالكين ، ولأن يهدي الله بك أحداً أعزُّ من الدنيا عند الله في الآخرة ، جعلكم الله تعالى من أصحاب الميمنة . آمين .

ثم إنَّ رسائلكم ؛ وإن كَثُرت عندي لم أُطق لردِّ الجواب ، فلا تضجر بذلك ، على أني مازلت في هذه السنة في المزاحمة الدنيوية ، وأظن أنَّ ذلك ابتلاء من الله تعالى أو اختبار ، وقد نسيت بعض الكتب ، وما كانت مكتوبة ببقائها في الوطن ، فلا تقطع عني أحوالاتكم نظراً إلى قصوري ؛ والحال أن الفقير حيرانَ فيما هو فيه لا يقدر على شيء ، وقد سَئِمتُ من حالي ومن تَكدُّر أمري ، فاين الراحةُ للأجير ، وأين الفرصةُ للأسير ! ! ! تعالى الله علواً كبيراً ، وكم تعلُّقاتٍ لي واجبٌ عليَّ إتمامها ؛ لكن تأخَّرْت بهذه الأمور التي لا يغني من جوع ولا تحرض لقنوع ، ولا أقدر أن أُظهر لأحد منفعة ولا فائدة ، وكيف سبيلٌ لإيصال الخير لأحد ؛ وهو أحوجُ إليه من الآحاد ! ! اللهم نعم ؛ إن الإسلام قد ضعف كما قال مؤسِّسُه ، والإيمان كاد أن يزول ؛ وقد زال سوى اسمه ورسمه ، وانقلب صاد الصدق بباء البدعة ، وأكبَّ الناس على أهل البدع ، ونفروا من أهل الصلاح والجمع . . .إلخ .

ثم إنك كتبت في حقِّ ولدنا العالم التقي ملا محمد القروشي كلاماً جزاك الله به عني خيراً ، وزاد لك أجراً ! !

فاعلم أيها الأمين ؛ أنّ الناس يغدون إليّ من كل الأطراف ظانِّين بي خيراً ، ويطلبون مني إسلاكهم في مناهج السالكين ، فلما نظرتهم لا أجد من يطلبها إلاَّ عادة ، بل يتمنَّون بذلك سعة ، فأرجعهم بأقوال لائقة لأحوالي ، وأبيِّنُ لهم قلَّة ما بيدي ، وأنصحُهم بما يليق بحالهم ، فيرجعون غضبانَ أسفاً ، ويقعون فيَّ في أعراض ، حيث لم ينالوا مني أمنيتهم ، فإذا رأيتهم ثانياً يولُّون عني ، وينظرون شزراً ، وينسبونني إلى أمور وفق رأيهم ! هداهم الله تعالى إلى مناهج الصالحين ، وما رأيت والله إلى الآن ولو نصفَ مريد ، بل ولا ربعَ مريد ، والفقير صاحبُ قبض لا يقدر أن يداريَهم بما أرادوا ؛ خوفاً من سطوة الله تعالى ، وإن كان ذلك من سوء ظنِّ الفقير ، ففي الآخر لما وصل لديَّ الرسائل والتسليمات من

العالم ملا محمد ، ورأيت حالَه وورعه ؛ تمنيت أن يكون ذلك من أحبابنا مع ريبة في ذلك ، ونصحته بصعوبة هذا الأمر ومشقَّته ، وقلتُ : إنك في تردد كثير وتتخيل فيك أموراً ، ولا ينفكُّ ذلك ولو قليلاً ، وكتبتُ إليه ثانياً ، وفصَّلت له أحواله ، ونصحته بما رأيت فلم يرجع منه الجواب ، ثمَّ لَمَّا مضى زمنٌ من عدم رؤيته ، وتعذَّرت من الوصول لديه للنظر ؛ أمرتُه بالذكر من الروح رجاءَ انتقاله بنفسه من القلب كما يعرض لبعض الصادقين من المريدين ، وكتبت له أنَّ ذلك مما ليس في اصطلاح السادات ، وألقِّنُ لكم ذلك على سبيل المجاز ؛ لتجتهد في الخدمة لتجدِّد العهد ثانياً عند الملاقاة ، فلم يكتب إليّ الجواب ، ففي تلك الليلة وقعت الإشارة في حقِّه ، وبكونه على خلاف المطلوب ، فصَعُب عليَّ وقلتُ يا ربي ؛ لو علمتُ صادقاً في إرادته لأفديت ما لي وروحي للوصول لديه لنجذبه إلينا ، وأين إنّي ذلك ! ! والآن وصل كلامُك في حقِّه ، فلو كنتَ لَقَّنْتَه وأرجعته إليك مني ليكون والله ذلك منك من أبهى المآرب ، وذلك شفقةً عليه ورغماً للشيطان ، ولا أعلم ماذا أفعل ؛ فاعلم أيها العزيز أنّ موسى عليه السلام لما أنزل عليه التوراة كلامُ الحقِّ سبحانه وتعالى ليبلِّغ عبادَه ، وعرض موسى عليهم ذلك ؛ أنكروه وضجروه وفعلوا معه أموراً مع إرائته إياهم تلك المعجزات العظيمة والعقوبات المفضحة ، فما آمنوه إلا قليلاً منهم ، ولما قال السامري : (هذا إلهكم وإله موسى) بإرائة عجل عكفوا له كلُّهم ، فأبناء زماننا إنما يطلبون العجل ويرضون بذلك ؛ لا التوراة ، ولا القرآن ، وإن خرج واحدٌ من أهل البدع وأظهره بما يخالف الشرع ، وأنكر على اصطلاح السادات ، وأَرَوهم أموراً باسم الكرامات ، أو يرفعوا أصواتاً بزعم أن الصوت يؤثِّر في القلوب ؛ يجتمعون إليهم حافِّين مِن حولهم ، ويعكفون ويظهرون أموراً ابتدعوها ، ويفدون أرواحهم خلف أمثالهم ، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا ، ولهم في

الآخرة عذاب النار ، وليس للعاقل في هذا الزمان شيئاً خيراً من الاستتار تحت جريان الأحكام ، والسكون في خُوَيْصَّة[1] داره ، لكن مع ذلك لابدَّ للإنسان من مرشد كيف كان ، لما أن الزمان لا يخلو عن أهله ، حمداً لله تعالى ، فاجتهد أيها الأمين في إنجاز وظيفتك وفقَ طاقتك ، ودعني وحظوظي ، ونرجو الله تعالى بخلوص النية وصفاء الطوية : أن تصير وصيّاً لساداتنا ، وأميناً لأنفسهم ، وفَّقك الله تعالى لمرضاته تعالى بإرضائهم ، وأنتم ، وإن تدعونني إلى الخير ، فالفقير الحقير في سوءِ ظنّه حيراناً لا يقدر لإظهار إرادته ، كما قال تعالى ﴿ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾ وقد كنا منتظرين لأمر فحصل لنا بعضها ، ونرجو ببعضها عن قريب ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولا تلتفت لما عليه مشائخ الداغستان ، ولا تتبع نفسَك خلفَهم لأجل كثرة أتباعهم وسَعَة ما هم فيها ، فالله تعالى حيٌّ كريم من أن يجعلك من خُدَّام الموائد ، فعليك الشغل بالشغل ، والتنعل والسباحة في حوض الفضل ، فقد سَبَقَ المُفْرِدُونَ .

وإني المرتهن بعملي
خالد سيف الله..إلخ
سامحه الله من فَرَطاتهم.

سَـلاَمٌ عَـلَـى شَـوْقِـي لِبَاغِ تَفَضُّلِي سَلاَمٌ عَلَى صَبْرِي وَإِنْ سَائَهُ فِعْلِي
سَـلاَمٌ عَـلَـى نُـورِ الـهُدَى وَأَمِينِـهِ سَلاَمٌ عَلَى حَاوِي المَحَاسِنِ وَالفَضْلِ
أُوَدِّعُـكُـمْ وَالـقَـلْـبُ غَـيْـرُ مُـوَدِّعٍ وَأَدْعُو لَكُمْ بِالخَيْرِ فِي سَجْفِ اللَّيْلِ

(١) أي : في داره الضيّقة من إضافة الصفة إلى الموصوف (كاتبه)(هامش الأصل) .

المكتوب التاسع

في بيان أن هذه الطريقة صارت ملعبة يتلاعبون بها ، وبيان عدم ملاقاته شيخاً فتح له باب النفي والإثبات ؛ فضلاً عن الحضور والمشاهدة ، وفي بيان ما كان البسطامي قدس سره يفعله إذا حضر المريد لديه ، وفي بيان ما كان شيخه المعموري قدس سره يفعله من تقليل الورد لواحد وتكثيره لآخر ، وبيان جواز انفصال المريد من شيخ واتصاله بسلسلة شيخ آخر ، وبيان جواز لبس المريد لباس شيخه للتبرُّك ؛ مع بيان ما وقع له في عالم الأرواح من اجتماعه بالنبي ﷺ ولبسه عباءَهُ .

قال رضي الله عنه : ثم اعلم أيها الأخ الأمين – عصمكم الله تعالى عما لا يليق ، وجعلكم مظهراً للخير – أن هذه الطريقة العليَّة صارت ملعبة ، وصار أكثر الناس يتلاعبون بها تلاعب الصبيان بالصَّوْلجان ، ويثبون إلى المشيخة كلُّ أحد ؛ سواءٌ صحَّت نسبته أم لا ، وصار الأمر سواء ؛ لا يعلم المصلح من المفسد ، والفقير الحقير معذورٌ عن التربية لقصوره وسوءِ ظنِّه ؛ مع تردد أمر الشيخ في حقِّ ذلك ، كيف لا وباب الفيض منسدٌّ عنه لقلَّة بضاعته ! وكيف يقبل أحد مع عدم فتح البصيرة ، والتشوش قد غلب على الفقير جدّاً حتى سَئِم من نفسه ! وكل ما لقيت من شيوخ الزمان إذا تكلَّمت معهم في أمر أشكل على الفقير ، لا يجدُ من فتح له باب النفي والإثبات حاشا عن الحضور والمشاهدة ، والفناء والبقاء ؛ فضلاً عن العدم ، فكأني بكثرة الأفكار مختلُّ العقل ، ولم يَصْفُ لي الوقت للشغل بالشغل ، وقلَّ مَنْ يُرجع إليهم في الشدائد ، ولم يبق سوى القال والقيل ، وكلهم خَلَف المستحيل ، فإذا كان الأمر كذلك ! لما فكرت في حقِّ الطالبين رأيت رأيَ البسطامي أنسبَ وأجدر ، وذلك إذا حضر مريد السلوك ، وأراد أن يتشرف عن شيخه بتلقين الذكر ؛ أمرَ المريد أن يختم بختمة بالتهليل أولاً ، والختمة التهليلية سبعون ألف ذكر ؛ مع صيام ثلاثة أيام بإذن الشيخ ، ويكون فيها دائمَ الوضوء دائمَ الذكر ، قليلَ الطعام قليلَ

الكلام قليلَ المنام ، قليلَ التردُّد والاختلاط مع الأنام ، ثم يغتسل وينوي غسل الإسلام ، فإنه يبدل الإسلام التقليدي الميراثي بالإسلام الحقيقي الكسبي الإرادي ، وتصير طبيعتُه مائلةً إلى الشيخ ميلَ قبول ، ويكون ما خرج من الشيخ حينئذ مقبولاً حلواً ، لا يتغيَّر تلك الملاحة بالغالب ، ثم يجلس بين يدي الشيخ على ركتبتيه بإشارة الشيخ ، ويُحضر قلبه ويراقب سرَّه ، ثم يلقن له الذكر بما يراه . .إلخ ، والفقير استحسن من شيخه جامع الكمالات زين الله الشريفي المجدِّدي ونفسي فِداه ؛ أنَّه كان يلقِّن المريدين بالذكر القليل والأقل ، والكثير والأكثر ، وإن كان ذلك في زعمنا على خلاف اصطلاح ساداتنا النقشبندية ، ولما سألتُه عن ذلك ؛ أجاب وقال : ينبغي لمن جلس في محل الإرشاد ودعوةِ الخلق إلى الحق أن يكون مثلَ مَن يربِّي الطيور ، كما أنه يعرف طبيعةَ كلِّ واحد من الطيور ؛ فيطعمه ما هو موافق لمزاجه وطبعه ، فكذلك ينبغي له أن يربِّي الطالبين الصادقين على قدر قابِليَّتهم واستعدادهم ، وخاصَّة في هذا الزمان الذي قلَّ فيه المنصفون ، لازم أن يكون الأمر بحسب طبائع الجائين ، بكيف يحضُّهم إلى طريق السداد بالتدريج ، إلى أن يتقوَّى همَّتُه بالذكر ؛ ليفعل ثانياً في حقِّ المريد بعد التحكُّم بما يراه ، ولكلٍّ مشرب ومقام ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ثم إنَّكم كتبتم إلينا : هل يجوز لي أن أتصل بمن علمتُ أن مقامه فوقَ مقامي ، ومشربه فوق مشربي ، أم لا ؟ ! وهل ينفع بالاتصال . . .إلخ .

فاعلم يا أخي ؛ زادكم الله الحسنى والزيادة ؛ أنَّ لكلٍّ وسعةً في ذلك ، ويجوز لك الاتصال بشيخ ثم إلى آخر ، وهلمَّ جراً بعد وفاة الشيخ الأول ، بل في حياة الشيخ إن كان الثاني أكملَ من شيخه ، ولقد كان الإمام الربَّاني الشيخ أحمد قدس سره مُجَازاً من والده ، ثم أخذ من محمد باقي قدس سره ثم . . .إلخ .

وكذا إن شيخنا محمد الباقي قدس سره وصَّى الأصحاب لمتابعة الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس سره ، ووصاه خاصَّة لسيدي مير محمد نعمان قدس سره بمتابعة الإمام الرباني ، فقال : قلت برعونة المشاركة في شيخ واحد إن قبلة توجُّه الفقير ليس إلاَّ أنت . فقال الشيخ محمد الباقي قدس سره بالغلظة والخشونة : ما تظنُّ أنت فيه ! ! فإن ألوفاً من النجوم أمثالنا تتلاشى في أشعة شمس الشيخ أحمد ! وما نال من جاء قبله من المشائخ الكبار من أحواله إلاَّ مقدار الحال ، فلزمت بعد ذلك صحبته ، ونلت ما نلت والحمد لله .

وقال الإمام الرباني قدس سره في المكتوب الثالث والستين لما سُئل : إذا حضر الطالب عند شيخ آخر لطلب الحقِّ جلَّ وعلا ؛ مع وجود حياة شيخه : هل يجوز أم لا ؟ !

فأجاب ؛ وقال : إن المقصود هو الحقُّ سبحانه ، والشيخُ وسيلةُ الوصول إلى جانبه ، فإن رأى الطالب رشدَه عند شيخ آخر ، ووجد قلبَه في صحبته حاضراً مع الحقِّ ؛ يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأوَّل بلا إذنه ، ويطلب منه رشده ، ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخه الأول ، ولا يذكره إلاَّ بخير ؛ خصوصاً على هذا الوقت ، فإنه لم يبق من المريدية والشيخوخة غير الرسم والعادة ، فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر عن أنفسهم ، ولا يقدرون أن يفرقوا بين الإيمان والكفر ، فكيف يكون لهم خبر من الله ، وإلى أيِّ طريق يدلُّون المريد ؟ ! جعلنا الله تعالى في زمرة الصالحين . آمين .

وقال الإمام الرباني هناك : كلُّ موضع رأى الطالب رشده وجمعيَّةَ قلبه فيه ينبغي الرجوع فيه بلا توقف ، وأن تستعيذ من الوساوس الشيطانية . . .إلخ . . هذا في حياةٍ ، وأما بعد الممات – أي بعد وفاة الشيخ – ! ! فالجوازُ غني عن التفصيل والبيان ؛ وقال صاحب الوقت شاه بهاء الدين النقشبندي قدس سره : إذا وجد المريد الصادق شيخاً أكملَ من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل .

وقال الشيخ أبو عثمان الحريري قدس سره : وصلتُ إلى الشيخ يحيى بن معاذ الرازي قدس سره فسلكت على يديه واطمأن قلبي ، ثم وقعت في صحبة شاه شجاع الكرماني قدس سره ، ثم خرجت من عنده ودخلت في زمرة الشيخ أبي حفص الحداد قدس سره ، فتمَّ أمري في صحبته . . .إلخ . وأمثال هذه كثيرة .

لكن قال بعض الأكابر : ينبغي للشيخ أن يكون قادراً على أكل المريد ، فإن لم يكن كذلك ! ! فهو لا يستحق المشيخة . . .إلخ . ومعنى (أكل المريد) كونُ الشيخ بحيث يقدر أن يتصرَّف في باطن المريد ويأكل أخلاقه الذميمة ، يعني : يقدر على إزالتها منه ، ويثبِّت مكانها الأخلاق الحميدة ، ويوصله إلى درجة الحضور والشعور . . .إلخ .

فاعلم يا أخي ؛ جعلكم الله وإيانا في دائرة الاستقامة ، ورزقنا ولكم المشاهدة التي تورث المكالمة ، وأنَّ تردُّدك في هذا الأمر لا أرى رأياً ، على أن الفقير على خلاف رأيكم في هذه الحالة ، وذلك أن شيخكم كان كاملاً قدس الله سره ، وقد أجازك إن شاء الله بظنِّي للإرشاد ، ووجودُ شيخ كامل متعسِّرٌ في هذا الزمان ، والكامل أغرب من الغراب الأعصم ؛ حاشا عن الأكمل ، وسوى ذلك أنّ هذه الطريقة العليَّة لمَّا كانت نهايته مندرجةً في البداية ، وبدايتُها في النهاية ؛ أَنَّ المحبة مع الشيخ الأول وحضانته به يكون أحلى وألذَّ وآكدَ وأورفر ، وهذه المحبَّة مع الشيخ الثاني تكون نادراً ، فإن لم تكن المحبَّةُ مع الثاني آكدَ ! ! فالمنفعة منه قلَّما تحصل .

وقال الإمام الرباني قدس سره الصمداني في « رشحاته » : إنَّ مَن أخذ عملاً عن كامل مكمَّل ؛ فالمواظبة والمداومة عليه موجبةٌ للوصول إلى درجات عالية . . .إلخ . وسوى ذلك أن السالكين على يديك إن كانوا ؛ فيصيرون مضطرين في حقِّك ، وتتكدر قلوبهم ، وتصل عليهم الخطرات الشيطانية لقرب عهدهم وضعف عقائدهم ، فالاجتهاد على وظيفتك

أرأى رأياً ، اللهم نعم ؛ إن كانت جميع المراقبات التسعة والعشرين غيرَ متمَّة من شيخكم قدس سره ؛ فيمكن منك الرجوع إلى الكامل أو المكمَّل إن وجد لإتمامها ، وعسى أن ينضبط أمركم بالكمالة ! ! جعلكم الله تعالى وإيانا من جملة الأكملين . آمين .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره في « مكتوباته » : ثم اعلم أن المقصود من إجازة بعض المخلصين ؛ وهو أن يكون ذلك المجاز دليلاً وهادياً إلى طريق الحقِّ جلَّ وعلا لجماعة في مثل هذا الزمان الذي فشت فيه الضلالة وعمَّت ، ويشتغل هو أيضاً بإنفاق هؤلاء الطلبة ويترقى ويسعى ؛ محافظاً على هذه النسبة ، ويجتهد لأن يكون المسترشدون أيضاً متشرفين بهذه الدولة ؛ لا أن الإجازة توقعه في توهُّم الكمال والتكميل ، وتمنعه من المقصود ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ . انتهى في ١٩١ ج١ .

ثم إنك ذكرت : أن ورثةَ الشيخ قد أهدى إليّ عمامته وعباءَهُ بعد موته ، فهل يجوز لي أن ألبسه أحياناً ؛ أم لا ؟ ! وأيُّ أدب يليق بهما . . .إلخ .

الأدبُ التامُّ أن تلبسهما بقصد إكرام شيخكم ، وبقصد التبرُّك منهما ، وأنت تعلم بالقرينة ؛ هل يرضى شيخكم بلبسكم إياهما بغرض كون الشيخ حَيّاً أم يسخط ، وأظنُّ أن رضاه يكون في لبسك ؛ من بيعهم إياهما لغيرك ، ويحتمل أن الشيخ أمر تسليمهما لكم ؛ أو أراد ، وإن لم يقدر منه بتبليغ الأمر ؛ فهي تكون حينئذ بحسب الخرقة المتداولة بين السادات ، وقد كتب الإمام الربَّاني حين إرساله الخرقة إلى الملا عبد الغفور السمرقندي : بعد التسليمات والنصائح ، وقد أرسلت إليكم الثوب الذي تكرَّر لبسُه في الأوقات الطيِّبة ؛ ينبغي أن تلبسه ، جعل الله تعالى عواقَب جميع الأمور خيراً .

تذييل : أذكر هنا كلاماً غيرَ لائق ليكون لكم اطمئناناً وسعة ، ولعلكم تحفظها ، لا مباهاة ولا عُجْبا : إن السيِّدَ سيّد الكائنات ﷺ وشرَّف وكَرَّم روحانيته دَعَى الفقير وحمله معه ، وأدخله في بيته ﷺ ، وأجلسه بين حريمه أمَّهات المؤمنين وقعت هنالك كلام لا نقدر كشفه ، فأعطاني ﷺ خرقته الأزرق أحبَّ ثيابه له ، وأخبرني خبر الخرقة من أين حصل له ﷺ ، فتحيَّرت في حقِّه : هل يمكن اللبس ، أم لا . . . إلخ ، ثم بعد شهور رأيت روحانيَّتَه ﷺ ، ودعاني وأدخلني بيته بين الحريم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وأعطاني خرقته الأسود الكبير ، وأمرني بلبسه ، ثم في المرة الثالثة بعد أيام من ذلك رأيته في الواقعة ﷺ ، وأعطاني خرقته الأبيض فلبس عليه أولاً ، ثم ألبسني ﷺ بيده المباركة ، ثم بعد مدَّة رأيت شيخنا – ونفسي فداه – في الواقعة حضر لديَّ مع رسول الله ﷺ ، وكان له حِلَق من مريديه ؛ كأنه من المشرق إلى المغرب ، وأنا في أعلى الطرف منهم ؛ وهم مضطجعون وأنا نائم ، فقام الشيخ أمامي ؛ وفي يمينه رسول الله ﷺ ، فقال الشيخ : إني أعطيك الخرقة قميصي لتلبسك ، فقلت : لا أريدها للبس . فلما تكرَّر منه القول قلتُ آخذُها للتبرك ؛ لا لتُلْبس ، فقال : تلبسها ، فأشار النبي ﷺ بالقبول ؛ فقبلت منه ذلك ، فألبسني بيده ، وهذه الخرقة وصلت لديَّ بعينها من يد الشيخ ، وأمرني بلبسها في بعض الأحوال ، فالحمد لله على نعمه سبحانه وتعالى(تفقد وجدت منفعة) ، وبركةً في لبسها ، لكن بحرمة وحسن نية . ألبسك الله لباس التقوى بأيدي الأقطاب .

المكتوب العاشر

في تعزيته قدس سره في خصوص موت الشيخ ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ، وبيان تأسُّفه إلى موته ، وبيان وصيته على الحقير بإقامته مقامه أميناً .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي قال في الكتاب المكنون ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ ، والصلاة والسلام على سيدنا المنزل عليه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، وعلى آله وأصحابه إلى يوم لا ينفع فيه المال والبنون .

إلى حضرة أخينا في الله ، ومخدومنا في دين الله ؛ معدن الكمالات الصورية والمعنوية ، ومظهر الأسرار اللامتناهية ، أنيسي في الغيبة ؛ كما في الحضور ، وأليفي في الشدَّة ؛ كما في السرور ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي وإلى آله وعياله ، ومن في دائرته من المؤمنين :

السلام عليكم ورحمة الله . . .إلخ ، وزادكم الله تعالى مشاهدة تَتْبَعُها مكالمة . . .إلخ .

نحمد الله تعالى على ما جعلنا من أمة خير الأنام ﷺ ، وجعل أُخوة الإسلام بيننا سبباً للفوز وعوناً للألفة والاحترام ، ونسأله تعالى لكم ولنا ولسائر المسلمين التوفيقَ والاستقامة ، والقيام على آداب السنة السنيَّة ، وآداب أهل الطرق العليَّة ، ثم إني حين كنت في قلق ووحشة ولهفان ؛ متحمِّلاً أحمالَ كدورةِ الزمان ، إذ نعاني(١) بعض الفقراء المحبين بانتقال أستاذكم شيخنا الحاج عبد الرحمن النقشبندي ، أَبَلَّ الله مرقدهُ بألطافه السرمدي ؛ من محل الكدورات إلى دار الكرامات ، فغُشي عليّ بحلول الأسف الذي ما كنت أعهده ؛ حيث لم يبقَ لنا شبيه بعدَه ، فاستعذت بالله من شرور أنفسنا ، وقلت : اللهم إني أعوذ بك من مقام الكذَّابين

---

(١) من النعي . والأفصح تعديته باللام (نعى لي) .

وخيبةِ الصالحين ، فاسترجعت الله فيما نالنا ، واللهُ في الأمور حسبنا ومعيننا ، وتِهنا بالحيرة من هذه الفزع ، وجزعنا عليه بكيف ليس فوقه جزع ، فصبَّركم الله تعالى على المصاب ، لتفوزوا عند الله تعالى بالأجر والثواب ، وغفر الله له ولكم ولجميع المؤمنين ؛ مغفرةً تورث الرضوان ، وجعله وإيانا في رَوْح وريحان في دار الجنان . آمين ، والله المستعان .

وكان قدس سره قطب مدار الدين والهداية ، وشمع منار الاستقامة ، منبعاً للأنوار اللاهوتية ، ومشكاةً للفيوضات الربانية ، وقد عز عليّ - والله أيها المخدوم - نقلُه وترحاله إلى حظيرة قدس من استوى [على] عرشه ، وسئمت من الدهر بعد أن سمعت نعيه ، وإن كان ذلك عبثاً في الحقيقة ، ولَوْماً عند المنكرين من الفسقة ، تَبّاً لدهر حَرَمنا من رؤيته ، ثم أحرقنا بتفريقه ، بَيْد أن الله سبحانه وتعالى لمّا قال في محكم تنزيله ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أراد الله تخلِيتَها لوارثها ؛ فجذبه إلى حظيرته بمغناطيس القدرة ، على أسلوب ساداته وقاداته بعد أداء صرفه وعدله ، جعلنا الله تعالى وإياه مع النبيين . . .إلخ . وكيف لا أتأَسَّفُ على من يبكي على مثله الأرض والسماء ؛ خاصَّة في زمان لا نرى أحداً من أهل الصفاء ، وقد كنت مترصِّداً ومنتظراً لرجوعه وقدومه ، وإن كنت مِن سرِّ قلبي خائفاً من جنابه ، لما أنه لا بدَّ للكمال من نقص وزوال ، وكان رحمه الله ترقَّى إلى أوج الكمال في التربية بالجمال ؛ بترويض نفسه المطمئنة في الذلِّ والانكسار والافتقار ، كما هو شأن الأقطاب والأبرار ، فما فزنا بذلك المطلوب العظيم ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وسوى ذلك كم كان من العلماء الكرام والأسياد الفخام ممن حضروا لديَّ للمشاورة معي فيمن يرجعهم إليه ، فكنت دللتُهم عليه ، مع أنْ خَوَّفتهم بقولي أرى رجوعكم إليه رحمه الله رأياً ، بيد أني لا أظنُّ الأمر يتمُّ ، فبقوا كلُّهم متحيِّرين على موته ، ومتأسِّفين على فقده قدس الله سره ونوَّر ضريحه ، وقيَّضنا اللهُ تعالى ولكم من يزيل وحشتنا ، ويُذْهب شَعْثَنا ، والله ولي التوفيق . وهذه

المصيبة أيها الأخ أعظمُها مخصوصةٌ لكم ، حيث حُرِمتم من مرشد وأنيس وأليف لا يساويه الدنيا وما فيها ، وتوحشت بكيف لا مزيد عليها ، فاصبر فما صبرك إلا بالله . . .إلخ .

ثم اعلم يا أخي ؛ أنّ هذا ليس بأول ثلْمة في الإسلام ، بل هي عامٌّ لكل وليٍّ ونبي كأنهم الأعلام ، فكن في مقامه أميناً في الذل والانكسار ؛ لا في أهوال الدنيا والاشتهار ، وإياك ثمَّ إياك والميلَ إلى أرباب الفنا ، فالمجالسةُ معهم لحظةً عينُ العناد ، ذَرْ الدينا والفخرَ لأهلها ، وكن على مكارهها وذوقِ مرارتها ، فما هي إلا سُوَيْعة ؛ لا يفوز من وجدها ، ولا يخسر من فقدها ، وإياك إياك من تكثير السواد ، ولا يحصل من كثرتها إلا الفتن والإلحاد ، وأظن أن المرحوم قدس سره ذاق قليلاً من مرارة فتنِ المريدين ، وأكثر الفتن في هذا الزمان من المريدين ، ولا تغترَّ أيها المخدوم بقبول الجائي إليكم بمجرَّد النظر إلى تصنعاتهم ، بل امتحن فيهم مدَّة ؛ هل هم ممن يصبرون على تحمُّل مشقة الاجتهاد في الطريقة ؛ أم لا ! ! فإن لم تجدهم فأرشدهم سبيلهم بالقول المعروف ، ولا تعب عليَّ أيها المخدوم بهذا الكلام ، فإنما هي نصيحةُ الأخ للأخ في الله بالله ، وحسبنا الله ونعم . . .إلخ .

ثم تبلّغ تعزيتنا لجميع مريديه . . .إلخ .

وإن تفضلتم بالسؤال عن هذا البائس الحقير المعترف بالذنب والتقصير ؛ فما أطول أملَه وأقصرَ عمله وأكثر تسامحه ! ! كيف يكون حالُ من انحطَّ في حضيض الدركات حين ارتقاء أرباب القلوب إلى الدرجات ؟ ! فكلَّ مَن يراه في الترقِّي بالكمال ، والفقيرُ في التنزُّل في جميع الأحوال ، وقد يئس من نفسه الاستقامة والصفاء ، وما هِمَّتي سوى التربُّص للنداء ؛ جعلنا الله تعالى وإياكم من عباده الصالحين ، ووفَّقنا للقيام على آداب السنة . . . وإلخ ، وأرجو منكم الدعاء بالاستقامة لهذا العبد الآبق المهين سيف الله الحسيني النژبكري .

في ١٠ ربيع الآخر ١٣٢٥.

المكتوب الحادي عشر

في بيان سروره إذا وصل إليه مكاتيب الحقير الفقير رحم الله إفلاسه ، وبيان انقباضه إذا انقطعت عنه المكاتيب .

قال نفع الله به العباد وأطال بقاءه في دار الحياة : من هذا المغبون سيف الله إلى حضرة مفتاح السعادة وكنز الهداية ؛ ظهير الحق ، الناطق بالصدق ، داعي الخلق إلى الحق : أخينا الفائز جامع الكمالات حسن أفندي النقشبندي الخالدي ، وإلى أمه . . .إلخ .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه ، جعلهم الله تعالى من الذين وجوههم ضاحكة مستبشرة .

وبعد ؛ فإني أحمدُ لكم اللهَ الذي لا إله إلا الله ، وأصلِّي وأسلِّمُ على من لا نبي بعده ، وأسألكم الصحة . . .إلخ ، وإن سألتم عنا فالحمد لله أنا في الصحة في تسمين الحظوظ النفسانية ؛ مستغنين باسم الرجاء ، كما هو مدار الضعفاء الذين قنعوا بمجرَّد الاسم بلا صفاء ، ثُمَّ إِنِّي في هذه الحالة في بلدة شورة ؛ وليس لي شغل مَّا مهمٌّ ؛ لا من جهة الدنيا ، ولا من جهة الدين ، ومن المُثُل : أنَّ الهدهد حين كان في وكرةِ نَتِن وكرة بالنتن الشنيع كما هي من طبعه ، فلما سَئِمَتْ من ذلك قصدَتْ للانتقال إلى وكر آخر نظيف ، فسألتْ صاحبةٌ لها من الطير : علامَ قصدت الانتقال من هذا الموضع الحسن ؟ ! فأجابت الهدهد : إن وكرى هنا منتنٌ جدّاً ، فأريد أن أنتقل إلى وكر نظيف . فقالت الصاحبة : أهل معك دبرك ؟ قالت : نعم ، فقالت : إذاً لا ينفعك النّقلة . وهكذا مثلي بلا فرق ؛ كنت حضرت بقصد أن أكون هنا على حالٍ حَسَن ممَّا كنتُ في الوطن ، فصار هذا أزيَد تنزُّلاً مما كان في الوطن ، ماذا أكتب ؛ وقد قال تعالى ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ . الآية ، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ الآية ! ! فقد فوَّضنا الأمر إلى من لا حول إلا حوله . . .إلخ .

ثم إني كنت في قصد الذهاب إلى ناحية چچان بكثرة التماسهم ، وقد كنتُ عاهدت بذلك معهم ، ومع ذلك وصلت الرسالة أيضاً من الوطن بالاسترجاع ، ولا أعلم إلى أين يؤول الأمر ! !

لكن أيها الأخ الأمين في هذه السنة في قبض غير ممدوح ، والحال على التنزُّل ؛ لا على الترقِّي ، وقد عرض الثِّقَل والوهن ، ولا يطيب لي الوقت والانشراح للمراقبة ، ولا أقدرُ للتوجُّه ، وأَرُدُّ من يحضر في بعض الأوقات بأقوال ناموسية مموَّهة لئلا يرجع ثانياً ؛ نظراً إلى حالي ، وأعتقد أنّ وقتي التي كنت في خدمة الروس كانت أحسن مما كنت اليوم ، فماذا أكتبُ أزيدَ من هذا ! !

ثم اعلم أيها الصاحب الحقُّ الأمين ؛ أنه يكون لي الأنس والانشراح بمكاتيبكم ، وبسماع أحوالاتكم ؛ خاصَّة بالصَّحة والعافية ، فإذا تأخَّر منكم ذلك يزداد القبضُ والوشحة ؛ بناءً أن ليس لي أليف مؤانس سواكم ، وقرين موافِق غيركم ، فَبِهِ أسألُكم أن لا تقطعوا عنَّا كتب صحَّة أحوالاتكم .

ثم اعلم أيُّها الأسعدُ ؛ أنِّي في خوف من مكر الله تعالى في هذه السنة ، وأنِّي لما نظرت إلى احوال الفقراء الذين من هذه النسبة العليَّة رأيت نفسي عندهم تتقطر بالدم ، فأعقبني الهمّ والرعب ، وعرض عليّ نسيانٌ وذهولٌ غيرُ محمود من ذلك الموضع ، فأدركوا أخاكم المستمدَّ بالإخوان بالدعاء والتضرُّع ، فالله تعالى يجيبكم كما قال تعالى ﴿أُجِيبُ﴾ الآية ، وهذا سرِّي وضعتُه في صماخَيْك ، فأَقفله ، وإني أستعيذُ بالله تعالى من كلِّ ما يوقِعُنا في سخطه ومكرِه ، وأسأله العفوَ والعافية لنا ولكم ؛ إنَّه جوادٌ كريم عليٌّ عظيم .

تذييل : وقد كتبتُ هذا في أضيق الأوقات في يوم الخميس ساعةَ نزولِ كدورتي على نفسي ؛ ظنّاً أن الكتبة إليكم يكون سبباً للأنس ، وأدركته لأنسكم أيضاً ما اختلج في صدري :

يَـا حَبِيبَ القَلْبِ بَالِي فِي الخُطُوبِ   فِـي أُمُـورٍ لَـيْسَ لِي غَيْرُ الصُّعُوب
يَا أَنِـيـسَ الـرُّوحِ مَـا لِـي مُـؤْنِـسٌ   غَـيْرُكَ المرْجُوّ فِي خَطْبِ الكُرُوب
طَيْفُكَ المَيْمُونُ في قَـلْـبـي سَـرَى   سَـيْـرُكَ الـمَـحْـمُودُ عَلاَّمُ الغُيُوب
أَنْـتَ نِـعْـمَ الـخِـلُّ يَا نَجْمَ الهُدَى   أَنْـتَ سـري أَنْـتَ مِـفْـتَاحُ القُلُوب
كَـيْـفَ لاَ أَنْـتَ سُـرُورُ الـفُـقَـــرَا   يَـا وَصِـيَّ الـقُطْبِ مِفْتَاحُ الشُّعُوب
عَـجَـبـاً كَـيْـفَ أَتَـى تَـارِيـخُـكُمْ   جَـاءَ فَـيَّـاضـاً لإِحْـيَـاءِ الـقُـلُـوب
سَـيْـفُـكَ الـمَـفْـلُـولُ سَاهٍ بِالظَّنَى   يَـا حَبِيبَ الْقَلْبِ بَالِي فِي الخُطُوب

. . . .

أَنَـا رَاضٍ مِـنْـكَ يَـا كُـلَّ الـمُـنَـى   بِـالَّذِي تَـهْـوَى عَـلَى حُكْمِ الغَرَامْ
لَـسْـتُ أَبْـغِي مِـن زَمَـانِـي حَاجَةً   غَـيْـرَ أَنْ تَـحْـيَا سَـعِـيـداً وَالسَّلاَمْ

وإن ولدنا سيِّد حسين أفضل الدين يسلِّمُكم ويوصيكم بالدعاء .

في ٢٨ [ذي الـ] حجة ١٣٢٧.

المكتوب الثاني عشر

في بيان قراءة الأحزاب للشاذلي وغيره ، وإهداء ثواب القراءة لأرواح أصحابها ، وبيان أنّ الرجاء لا ينقطع من الله تعالى ، وفي الوصية في ترك المجادلة ، وبيان وجوب الشكر إذا سُلِّط علينا العباد للمجادلة بالحسد والإذاية ، وبيان الردِّ على من يقول (لا يجوز تلقين الذكر إلا لمن يطيق جميع السنن) ، وبيان أنّ تلقين الذكر على منهاج النقشبنديين برعاية آدابهم خيرٌ من ألف ألف سنة ابتدعوها ؛ وقالوا (إنها سنة) ، وفي بيان أنّ الأكابر لم يصفُ لهم وقتٌ ما من الحَسَدة وأهل الإنكار ، بل الأنبياء عليهم السلام لم يزالوا مبتلين بأنواع البلية ، وبيان أنّ المقصودَ من سلوك الطريقة مشاهدةُ الحضور والغيبة ؛ لا مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ، وبيان أنّ اختيار الطريقة النقشبندية أولى وأنسبُ ، وبيان كلام شيخه المعموري قدس سره في حقِّ الرابطة ، وبيان الوصية النفيسة التي أوصى بها إسماعيل الكردميري لمريده محمد البراغي قدس الله سرهما عن الالتفات إلى سواه تعالى .

قال قدس سره : بسم الله الرحمن الرحيم .

من سيف الله النژبكري الغازي الغموقي إلي وصي السادات ومطلع السعادات وأبي البركات : أخينا الممنون بالحظِّ الوافر ؛ رغماً لأرباب العداوات : حسن أفندي النقشبندي المجددي أيَّد تأييده الملك المبدي ، وعامله الله تعالى بلطفه الأبدي ، وإلى . . .إلخ .

السلام عليكم وعنايةُ الله فيكم ، وبالفيوضات أرقاكم بعد .

وبعد ؛ فإني أحمد لكم الله الذي لا إله إلا الأعز الأجل الأكرم ، وأسألكم الصحة والاستقامة وأن . . .إلخ .

وإن سألتم عنا ! ! فالحمد لله في الصحة والعافية على ما أقامنا ربنا سبحانه وتعالى ، وقد وصلت لديَّ رسائلُكم ، وصارت موجبةً للفرح

والسرور ؛ مورثة للحظ الوفور ، وزال عني برؤيتها الفتور والوحشة ، وسلا عني الهم والكدورة ، فجزاكم أيها الحبيب عني خيراً ، وزادكم أجراً ، وأرجو كلَّ وقت أن لا تنسوني للدعاء والمذاكرة ، فلم يبقَ من الدهر ما يطيب به القلبُ سوى حسن المعاشرة مع الإخوان المعنوية والخُلاَّن الدينية .

ثم إنَّك كتبتَ كون قلقكم من جهةٍ في حق ما وصل إليكم من جهتنا . . .إلخ جزاكم الله عني أيها المحبوب ، ليس عليك في ذلك شيء ، وقد أرسلتُها إليكم لعدم اطمئنان قلبي إلاّ بكم لوضع الوديعة . اللهم أيِّدنا وإياكم على آداب السادات . آمين .

وكتبتَ أيضاً أن تبين لي : هل يجب أن يقرأ الأحزاب في كلِّ يوم بأجمَعِها ، أو نقرأها أحياناً وقت الفراغ ؟ أو لقراءتها وقت معيّن عند وقوع السبب لكثرة ضرر الأعداء . . .إلخ ؟ !

أقول : إن كيفيةَ القراءة كتبنا إليكم : قراءة الجميع ، أو النصف ، أو الربع ، أو الثمن . . .إلخ نظراً إلى طاقتكم ، وقد بينا ذلك ، فراجعها ، وليست لقراءتها وقت معيَّن ، والأولى أن لا يترك القراءة بالكلية ؛ ولو قَدْراً إلاَّ بضرورة ، وأما قراءة حزب النووي والشاذلي ؛ فليست بطويلة ، فلازم القراءة تماماً ، وليس لها شرط ولا وقتٌ معيَّن ، ولا ضرورية القراءة سوى أن : « أحسن الأعمال أدومُها » ؛ كما تعلم ، بل لك الإجازة التامة فيها للقراءة ، وإعطاء الإجازة لأهلها للقراءة ؛ عند كلِّ حادثة لجلب خير ودفع ضَيْر .

وكتبت أيضاً : هل يجب إهداء ثوابها لأرواح المشائخ المذكورين في سلسلة تلك الأحزاب ، أم لا ؟

أقول : اللهم نعم ؛ إن الدعاء لمشائخ سلسلة تلك الأحزاب مما ندبوه واستحسنوه ؛ بل شرطوا ذلك للاستمداد بهم ، فإن دعوتَ أيضاً لسلسلةِ مشائخكم النسبية ؛ فهو أحسن وأولى وأقربُ ، لعموم البركة وحصول الفيض والإجابة بوسيلة الجميع قدَّس الله أسرارهم .

وكتبت أيضاً : نحن في صحة وسلامة . . .إلخ إلاَّ أن النفس على جموحها . . .إلخ .

نعم أيها المحبوب ؛ نحن من المغرورين بكرمه تعالى ، ونقول ما قاله ابن عطاء الله : (إلهي ؛ إن رجاءنا لا ينقطع منك ؛ وإِنْ عَصَيناك ، كما أن خوفَنا لا يزيلنا ؛ وإن أطعناك) . فعسى الله أن يأتي بخير .

وكتبتَ : وقد كنت أشرتنا من قبل بعدم المجادلة مع أهل الدعوى والإنكار ! !

أقول : أُوصيك أيضاً أيها الأمين بذلك ، وأزيد من ذلك ، وقد قال تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ وقد قال سيد الكائنات : « كَلِّم النَّاسَ بقَدْرِ عُقُولِهم » إشارة إلى ذلك .

وكتبتَ أيضاً : بَيْد أن أخانا العالم المعلوم يرسل إلينا رسائل وفيها كلمات باردات ، ويكتب فيها بأني أجهلُ خلق [الله] ، ولا أعرف ما الطريقة ، ولا يجوز أن أُلَقِّن أذكارها إلا لمن يطيق أن يفعل السنن الواقعة بين الدخول في الخلاء وبين الصلاة أربعَ ركعات ؛ وهي ألف وست مائة سنة ، ونقل ذلك من شيخه .

أقول : اذكر الله تعالى في الشدَّة والرخاء ، واشكره حيث رزقكم الله تعالى نصيباً من التربية الجلالية ؛ حيث سلَّط عليكم عباداً ليجادلوكم ، كما شكر بعض مشائخنا قدس الله سرَّه ؛ حيث وقع في الحبس بسبب إذاية الواشين عند الحكام ، وظهرت من جبينه البهجة والسرور على ما أولاه بتلك التربية الجلالية ، وقوله (بأنك أجهلُ خلق الله ! !) فكن في زعمه أجهلَ الخلق ، فليس لك في ذلك ولو قليل بأس ، لما أن نُباحَ الكلاب لا يضرُّ السحابَ ، وقد قال الله تعالى ﴿جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ، ولذلك قال تعالى ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ . . . الآية ،

وقد سمَّى الأعداءُ لفخر الكائنات بقوله تعالى « ساحر » أو « مجنون » ، وكفى ذلك لك أسوة ، ولم يزل الأولياء والأقطاب في كلِّ وقت عن إذاية الحَسَدة الخائنين ، وكيد الفجرة الظالمين .

وقوله (أنت لا تعرف الطريقة . . .إلخ) اللهمَّ نعم ؛ إنك لا تعرف طريقتهم[1] ، ولا نعلمها ، ونحمده تعالى على ذلك .

وقوله (لا يجوز تلقين الأذكار إلا لمن يطيق السنن . . .إلخ وهي ألف وست مائة . . .إلخ) .

أقول : إن تلقين الذكر على منهاج النقشبنديين برعاية آدابهم خيرٌ من ألف ألف سنّة ابتدعوها وقالوها ؛ الخالية عن مؤسِّس واصل ، لما أنهم يلتجؤون إلى السُّنَن بترك الواجبات .

وقوله (بزعم نقله عن شيخه . . .إلخ) يحتمل أن ينقل الناقل أقوالاً من غير ذلك ، وليس لنا في ذلك إربة[2] ، وإنما ننقل ونأخذ كلام مشائخنا النقشبندية على ما ذهب إليه رئيس السادات وإمامُهم بهاءُ الحق والدين محمد الأويسي البخاري ونفسي من روحه فداء ، فإن كان لهم حُجَّة عليك بخروجك عمَّا مشاه ؛ فَلْيُروا لك على سبيل النصيحة قصورَك ؛ لتستهدي بهديه ، وإلاَّ ! فمجرَّد الدعوى الباطل لا يغنيهم من الحقِّ شيئاً .

وكتبتَ أيضاً (أنه قال : إن أكثر العارفين لم يصلوا إلى الطريقة . . . إلخ) . لو علم الفقير معنى العارف لما قال ذلكَ . فافهم .

وكتبت قوله (إنه نفى شيخنا العسوي من مقام الإرشاد . . .إلخ) ! ! : إنَّ كفَّار قريش ماتوا في كفرهم قائلين إن محمداً ليس بنبيّ ولا رسول ، ولم يَصْفُ يومٌ من الحسَدَة للأقطاب والأغواث ؛ كالدسوقي ، والجيلاني ،

---

(١) أي : طريقهم ابتدعوه المنكرون . فافهم .

(٢) حاجة .

والشاذلي ، والدبَّاغي ، والبدوي ، والرفاعي ، وأمثالهم الساداتُ القادات أرباب الكمالات والبركات ، فمن نحن أيها العزيز لنكون محفوظين من إيذاء أبناء الزمان ، وقد ذهبت الأقطابُ باسم الدجَّالين ، على أن الأولياء الكرام ؛ بل الأنبياء العظام لم يزالوا مبتلين بأنواع البلية والمصائب ، ليتأسى بهم أولياء زماننا وصلحاؤهم ، ويتسلّوا ، ولئلا يسيءَ عوامُّ زماننا ظنَّهم بأولياء عصرهم إذا رأوهم بهذه البلية ، وهذا أراه من اللوازم لمن يشتغل بنشر مناقب الصالحين ، وأكثر الناس أهملوه ، بل كتبوا أوصافهم المَلَكية ؛ دون لوازمهم البشرية ، فظنَّ العوامُّ أنَّهم منسلخون منها بالكلية ، فتعلَّقت بهم محبَّتهم التامَّة ، ثم نظر[وا] إلى مَنْ اشتهروا في عصرهم بالصلاح والتقوى والولاية ؛ فوجدوهم متلبِّسين باللوازم البشرية ، فساء ظنُّهم بهم ، فتضرَّروا ضرراً كلياً حيث حرموا من بركاتهم ، بل صاروا في مقام الطعن فيهم ، وقدحهم وذمِّهم .

وقال الشيخ ولي الله الدهلوي : ولقد جرت على الإمام قدس سره سُنَّةُ الله تعالى وعادته في أنبيائه من قبلُ بإيذاء الظلمة والمبتدعين ، وإنكار الفقهاء المتعسِّفين[1] ، وذلك ليزيد الله في درجاته ، ويُلحِق به الحسناتِ من بعد وفاته ، إلى أن قال : وبالجملة قد بلغ أمره إلى أن لا يُحِبَّه إلا مؤمن تقي ، ولا يُبغِضَه إلاَّ فاجرٌ شقي ، فلا حاجة لنا إلى الذب والدفع .

واعلم أيها الهمام ؛ أنَّ النفس الأمَّارة الإنسانية مجبولةٌ على حبِّ الجاه والرياسة ، وجميعُ همَّتِها الترفُّع على جميع الأقران ، ومتمنَّاها بالذات أن يكون الخلائق كلُّهم محتاجين ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون محتاجة إلى الغير ، وهذه كلُّها هي دعوى الألوهية منها ، والشركة مع خالقها ، فإن لم تُنِلها إلى متمناها تصيرُ في مثابة الكلب العقور ؛ تؤذي مَن لاقاه ، فإذا كان كذلك وكثرَ من يريد الاختلافات ويوقع الخلافات ، فالمرجو من مسامحتكم عن أولئك الحسدة الذين

---

(١) أي : سوء الحال (ق) .

يبارزونكم ، وتتركهم سدى تحذيراً للأولياء من مسِّ أنفاسهم ؛ أي : الظلمة المبتدعين الذين يَظُنُّون أنَّهم في عداد الأذكياء القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لايفهمون ، والخائضون بقلَّة تقواهم فيما لا يعلمون ؛ لاهم وقفوا عند نصِّ القرآن ، ولاهم امتثلوا ماروي عن سيد ولد عدنان ، ولاهم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحقِّ والعرفان ؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ ولا تكتب الأجوبة لما كتبوا إليك ، فالسكوت عن أجوبة أمثالهم عينُ الجواب .

فَيَا وَيْلَ عَبْدٍ يَدَّعِي الرُّشْدَ وَهُوَ ذَا ... يَرُوحُ بِبُغْضِ الـمُتَّقِينَ وَيَغْتَدِي
وَيَخْتَالُ فِي ثَوْبِ الغِوَايَةِ مُعْجَبَا ... وَهَيْهَاتَ مَنْ يُرْشَدْ عَنْ الغَيِّ يَبْعُدِ
إِذَا مَارَمَى أَهْلَ العِبَادَةِ بِالقِلَى ... وَبَارَزَ أَهْلَ اللهِ بِالكَلِمِ الرَّدِي
فَقَدْ حَارَبَ المَعْبُودَ فاللهُ خَصْمُهُ ... فَيُلْبِسُهُ ثَوْبَ الشَّقَاءِ المُجَرَّدِ
فَيَا الغُرورِ جَرَّ صَاحِبَهُ إِلى ... شُرُورٍ فَحِدْ عَنْهُ وَقارب وَسَدِّدِ

وكتبت أيضاً « فحين وجدنا أبعاضاً من أهل الإنكار يصدِّقون قول المنكر مع كونه لا شيء . . .إلخ) .

أقول : المنكر المضلُّ إنما يُصدِّقُ المنكرَ ، ولو كان يصدق الحقَّ لما سُمِّي له مُنكِراً ، وكتبتَ (أنهم يفرحون بكلماته . . .إلخ) قال الله تعالى ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وليس لك من فرحهم شيء و﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ .

وكتبتَ أيضاً (وخفنا من إشاعة أقواله من طُرُوِّ[1] الخلل في هذه الطريقة . . .إلخ) !

---

(١) حدوث .

أيها الأخ ؛ لا تخفْ من ذلك ، فإن الله يؤيِّدُها بأهلها ما دام المبتدعون يريدون إطفاء نورها ، ولو كانت تذهب بأمثال كلمات أولئك لذهب ألف مرة إلى الآن ، فلا بدَّ للأصح من شانٍ[1] .

وكتبت أيضاً (فرددنا أقواله بالبسط التام ؛ مع بيان المآخذ المشيَّدة . . .إلخ) . ذلك شغلٌ لا ينفعك أيها المأمون ؛ فلو نزل إلى أمثالهم وحيٌ من الله لَمَا يتركوا طبائعهم المرسوخة بالتلبيسات ، وحاشا عن ذلك .

وكتبتَ أيضاً (لكني لم أرسله إلى يد المنكر ؛ خوفاً من أن يوقد نار الحسد والعناد . . .إلخ) أحسنت وأصبتَ ذلك الفضل من الله وكفى بنا حاسبين ، فكلما أكثرت الأجوبة يكثر الكلام والطعن على السادات ، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ شاهدُ عدل على ذلك . . .إلخ .

وكتبتَ أيضاً (فأرجو منكم العفوَ لأجل مخالفتي أمركم في هذه المرة . . .إلخ) عفا الله عنكم وعنا ، وسامحنا الله تعالى من فَرَطاتنا . أنت عندي بمنزلة اليمين من الشمال ، ولا زلتم محفوظين عن الأنكال ، لكن أخافكم من السفهاء أن يكتبوا إليكم ما ابتدعوها من البدعات ؛ ويبقى أثرها بين الناس ، ويصير سبباً لإغواء الناس . . .إلخ .

وكتبت أيضاً (فإني لو تركت قولَ كلِّ قائل مسكوتاً عنه يكاد الناس أن ينتشر فيهم الفتنة العامة . . .إلخ) .

أقول [قال الله] وهو تعالى أحسنُ القائلين ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ . . . إلخ . اللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، فكن مصلحاً ؛ لا فتاناً ، واتخذ الناس إخواناً وأخداناً ، ولا تبتئس بما كانوا يعملون ، ولَيِّن العريكة مع كل واحد ، وإن جادلوك فقل : سيرى [الله] عملكم ، والله رقيب علينا

---

(١) مبغض وكاره .

وعليكم ، وما أنا عليكم بوكيل) . وانصح لكل أحد بما يليق حاله ، وابسط جناح الذل من الرحمة ، وقل رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، وكن ناصحاً خاصَّة لمريديك بهذه ، فقد عمَّت الفتنة في زماننا من المريدين ومجادلتهم ، فليس للمريد لذلك من سبيل ، ولما كان المريد مريداً لله ليس له أن يريد سواه . والسلام .

وكتبت أيضاً (ينهدم أصل هذه النسبة السالمة بالكلية . . .إلخ) .

إيَّاك أيها الأخ عن ذلك ، ولها مَن يؤيِّدُها في كلِّ وقت من أهل النوبة ، وإنما يهدم ما ابتدعه المبتدعون منها مما أسست على شفا حفرة من النار . . .إلخ .

وكتبت أيضاً (أنَّ رجلاً تعدُّه عارفاً يأكل بالشمال . . .إلخ) . لم يره عارفاً أصلاً ولا يراه ، بل إنما يراه رجلاً لا عارفاً ؛ كما رأى قريشيٌّ محمد بن عبد الله يتيماً ؛ لا نبياً ولا رسولاً ، فلو كان رآه عارفاً لعرف قصوره ، بل العارف مرآةٌ للناظر رأى نفسه على سبيل الانعكاس . فتدبر .

وكتبت (ويبطل الصلاة . . .إلخ) اعلم أن « الدين النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين » ، وذلك واجب على كل مسلم ، فلو كان مسلماً ورأى أحداً يبطل الصلاة لكان واجباً عليه إرشاده ونصيحته بلا تجسس ، فَمَثله مَثَل من يترك الواجب ويقوم السنن ويؤيِّد البدع ، ذلك هو الضلال البعيد . ومع ذلك إنما رأى بطلان الصلاة مِن عينه لقصوره عن فهمه ، ولو قال (رآه في الخلاء يصلي بلا وضوء) لصدَّقنا رؤيته كذلك ، لما أن العارف عريس الله لا يراه على حاله إلا المَحْرَم ، والعين المكفوفة تنكر على ضوء الشمس ، وأسرارُ أهل الله مصونةٌ عن غير أهلها ؛ رحمة من الله وفضلاً .

وكتبت أيضاً (وِرنجُ هِبْ طَرِيقَتَلْدِ عَكَرْلُكِ . . .إلخ) المقصود المطلوب من سلوك طريق الصوفية الصافية مشاهدة الحضور والغيبة ، لا مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ، ومعاينة الألوان والأنوار اللاكيفية ! فإن ذلك داخل في اللعب واللهب ، وأي نقصان في الأنوار والحضور

الحسيتين حتى يتركها شخص ! واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب ، لما أن تحصيل جناحي الاعتقاد والعمل فيها أتمُّ وأكملُ ؛ إذا كان توفيق الحق رفيقاً ودليلاً ، فلازمٌ على مَن يريد السلوك على هذه النسبة النقشبندية أن ينظر : هل العامل المراد ؛ والشيخ الذي منه يستفاد ؛ هل هو يلتزمُ السنَّة السنيَّةَ ، ويجتنب البدعة الشنيعة ، أو لا ؟ ؟ وهل هو قائم على منهج الشيخ النقشبندي الأويسي البخاري ، أم على خلافه ؟ ! فسبيله ظاهرٌ لأهله ظهورَ نار على علم ، أو هو مخالف لاصطلاحه ! ! فإن كان موافقاً ؛ فلازم على السالك العضُّ على سبيله بالنواجذ ، وإن كان مخالفاً ! ! فلازم تركُه ، وطلب مَن هو مستقيمٌ في حاله ، وإن كان يتتبَّعُ آثارَ كلِّ أحد من الرجال ، ويثقُ ويعتمد على كلِّ قيل وقال ؛ فليتركها ولا يقربنها ، فإنه لا يثمرُ شيئاً من نفع ، ولا يغني من جوع ، جعلنا الله تعالى وإيَّاكم من القائمين على آداب السنة والجماعة ، وأخرجنا من ظُلُمات البدعة ، إنه تعالى كريمٌ غفور رحيم .

وكتبت أيضاً (وأنا أقول بعد قراءة الأحزاب : اللهم أوصل ثواب قراءة هذا الحزب إلى سيدنا محمد ﷺ . . .ثم إلى . . . آه . . . آه وإلى أرواح مشائخ شيخنا سيف الله ، ثم إلى . . .آه إلخ) . أما أنا ! ! فلا أُلزم ذكر اسمي عليكم بين المشائخ السادات ، ولا أتجاسر أن أقول بذلك ، وأستحي من الله أن أدخل في مدخلهم ، وإن أحسنتم وتبرَّعتم بالدعاء للفقير الذليل ؛ فالفقير فقيرٌ كلَّ وقت لدعاء الفقراء .

اللهم اجعلنا في زمرة الفقراء ، وذلك أني فوَّضتُ أمر الإجازة والدعاء بعدها إليك ؛ فتفعل كما تستحسن كما فوَّض شيخي لذلك .

تتمّة لا باس بإيرادها هنا : ولقد سألت يوماً من شيخنا زين الحق والدين زين الله الشريفي عن الرابطة : على من يجعل الرابطة ؟

فأجاب وقال : إن السؤال هنا وقع عند مشائخه منه ، وقال : إن الحق الحقيق يجعل الرابطة باسم مَن وقعت محبته عليه مؤكَّدة من بين مشائخنا ، لما أن الثمرة إنما تحصل من المحبَّة ، فلأجله لازمٌ أن تكون

الرابطة على اسم مَن رسخت معه المحبَّة . فاستعجبت من ذلك ، ووقع بعد ذلك أسئلة ، وهو يجيبني بأجوبة شافيةٍ وأنا أميله ، فتعجَّبتُ من أجوبته بإظهار أسرارٍ لم أعهدها من باقي مشائخنا ، ولله الحمد .

وكتبت أيضاً فهل أنت على قصد السكون في « شورة » أم لا ؟

أقول ؛ ولله الحمد : إني في هذه الساعة على قصد السكون في « شورة » . . . إلى آخر كلامه ، . . .إلخ . ثمَّ إني أُعزِّيكم في أخينا الصالح عبدللو بانتقاله من دار الكدورات إلى محل الكرامات . . .إلخ .

واعلم أيها الأخ المؤاخي ؛ أن شيخنا إسماعيل الكردميري كتب إلى الشيخ محمد اليراغي قدس الله أسرارهم كتاباً وفي آخره وصيته ما نصُّه : أوصيك بالتمسُّك بالكتاب والسنَّة ، والأمرِ بتصحيح الاعتقاد ؛ وبمقتضى أراء أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية علَى ما أطبق عليه أئمَّة الكشف والوجدان ، وأوصيك بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء ، وبسلامة الصدر ، وسماحة النفس ، وسخاوة اليد ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى وكف الأذى ، والصفح عن عثرات الإخوان ، والنصيحة للأصاغر والأكابر ، وترك الخصومات وترك الطمع ، وبالاعتماد في قضاء الحوائج إلى الله تعالى جلَّ جلاله ، فإنه لا يضيع مَن عوَّل عليه ، وأن لا ترجو النجاة إلاَّ في الصدق ، ولا الوصول إلى الله تعالى إلاَّ في اتباع النبي ﷺ ، وأن لا تظنَّ أنَّك أفضلُ من أحدٍ ، بل لا ترى لنفسك وجوداً ، وكلُّ من يتطاول عليك بالحسد والنميمة فَوِّض أمره إلى الله تعالى . . .إلخ .

فانظر أيها الأعز إلى حسن كلامه ! ! ويكفينا ذلك نصيحةً ، ولا تكدِّرْ قلبك بما يقول الحاسدون ، لما أن صاحبَ النعمة محسودٌ ، و« الحسود لا يسود » مثلٌ سائر ، واشكر الله تعالى فيما أنعم الله عليك ، وتربَّص لفَرَج قريب لك ، وسترى ما يعجبُك إن شاء الله تعالى . سبحان ربِّك ربِّ العِزَّة . . .إلخ ، وأوصيكم بالدعاء .

في ١٢ [ذي الـ] قعدة ١٩٠٩.

المكتوب الثالث عشر

في بيان طلبه شروح الأحزاب الشاذلية والنووية ، وشرح الحزب لابن العربي ، وعدم وجدانها في مطبعة شورة ، وفي بيان ما هو اللازم لأهل السلوك .

قال رضي الله عنه : بسم الله ، من سيف الله سامحه الله من فَرَطاته إلى نتيجة مظهر أنوار (سبحاني) ، مهبط آثار (رحماني) ، نفحة رياض التحقيق ، قطرة حياض التوفيق ؛ أخينا العالم الكامل المكمل : حسن أفندي النقشبندي المجددي ، وإلى ولده المرجو محمد حجيو . . . وإلخ بعد .

وبعد ؛ فقد وصل مكتوبكم بالتسليمات ؛ فصار موجباً للفرح ، وسبباً لزوال الترح ، فجزاكم الله تعالى خيرَ الجزاء حيث وأخيتني مواخاة أخا حقٍّ وخليل صدق في زمن حرماني من الإخوان بالله تعالى ، وإن كان ذلك أعمالنا ، وقوله تعالى ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ﴾ شاهدٌ لذلك ، ولعمري يسرُّني سماعُ صحَّتكم ، وينشِّطني آثار رسومكم .

وإن سألتم عن المغبون ! ! فورَبِّكم مغبون ومرهون ، بل وبحظوظه النفسية مفتون ، اللهم نعم ؛ في الصحة والسلامة والعافية الظاهرة ، مغتم على ذهاب عمره بـ« لَعَلَّ » و« عسى » ، بل هو فقط في تعداد الصباح والمساء ، ثم من المعلوم أيها الرفيق الأعلى أني طلبت مجموع الأحزاب ؛ رجاءً بأنَّ في هامشه بعضَ الحواشي للأحزاب المذكورة ، وما فزت بوجودها ، وأكتب إن ساعدتني المشيئة والوقت إلى اسطنبول ، أو إلى مصر ، ونرجو وصولها من هناك والله بذلك عليم .

ثم إنك كتبتَ بأنك تريد جمع كتبي في موضع . . .إلخ .

فاعلم أيها الأخ المخلص أن اللازم لأمثالنا اختيارُ الذل والافتقار ، والتضرُّع والالتجاء إلى الحق والانكسار دائماً ، وأداء وظائف العبودية ، والمحافظة على حدود الشريعة ، ومتابعة السنَّة السنيَّة على صاحبها الصلاةُ والسلام والتحية ، وتصحيح النيات في تحصيل الخيرات ، وتخليصُ البواطن وتسليم الظواهر ، ورؤية العيوب ، ومشاهدة استيلاء

الذنوب ، وكراهة الشهرة وقبول الخلق ، قال عليه الصلاة والسلام : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا ؛ إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ الله تَعَالَى » .

ولا ينبغي أيضاً استحسان مجرَّدَ تأييد الدين ودعوة الخلق إلى الحقِّ جلَّ وعلا ، إذ قد يكون استدراجاً ؛ عياذاً بالله ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذاَ الدّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ » ، وحقيق أنَّ ما سوى المذكورات شغل عن شغل ، وأخاف أن يثقل عليك بسبب ذلك إذايةُ الناس ؛ فضلاً عن الشغل ، وأستعيذك بالله أن ينالك إيذاءُ العوام بسببي ، وسوى ذلك أني كتبتُ إليك تلك الرسائل أداءً لحقوق أسئلتكم ، وتوفيةً لحقّ تسليماتكم ؛ في أوقات متفرِّقات بعضها في القبض ، وبعضها في البسط ، وبعضها عند الغلبة ، ويحتمل أن يكون أكثرُها غيرَ موافقة لأقوال ساداتنا ، أو كانت موافقة لكن بكيفٍ لا يحملها عقول العوام ، أو مخالفاً لآرائهم خاصَّةً في هذا الوقت الذي صارت النسبة السنيَّة كعنقاء مغرب ، وتوجَّهت نحو الاستتار تحت الحجب ؛ حتى سلك جماعة من هذه الطبقة من عدم وجدان هذه الدولة في البدعات الشنيعة ؛ زاعمين بأنهم المكمِّلون لهذه النسبة الشريفة ، وعدُّوا هذا التخريب عينَ التعمير ؛ أعطاهم الله تعالى الإنصاف وأوصلهم بركاتِ نسمة أكابر السادات ؛ حتى ليتركوا الاعتساف ، ولولا ذلك لكان بقاءُ كلامي وكتابي عندكم أعظمَ وأعزَّ عندي من الدنيا وما فيها .

وأما عطاء الإذن ! فاعلم أيها الأمين أن إذنك إذني ، ويدَك يدي ، وقولك قولي ، وعندك أمنيتي وأمانتي ، وفعلك مصوَّبٌ عندي ، فافعل ما اتفق عليه رأيُك ، والله تعالى يهديك ويكافيك ؛ بعد أن تستخير على طبق الأثر الموورد عن فخر الكائنات ﷺ ، وتستمدّ من أرواح السادات ، لكن إن كانت في المكتوبات ما يخالف كلام السادات أو آراءكم ؛ فأنتم تُصلحونه بما بدى لكم ، وفقكم الله تعالى للقيام على آداب السادات . آمين . ثم إن رؤية أخينا الحاج حبيب الله أورثني السرور . . .إلخ .

هذا والسلام في ٢ [ذي الـ] حجة ١٣٢٧.

المكتوب الرابع عشر

في بيان قصده على زيارة قبر محمد النقشبندي إلى قصر العارفين ، وبيان (الكتاب بين الإخوان بريد المحبة) ، وبيان بقاء المحبة بين مريدي القطب محمود أفندي قدس سره وبين مريدي القطب زين الله الشريفي ، وفي بيان أمره بمواظبة قراءة ختم الخواجكان قدس الله أسرارهم آمين .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم .

من هذا الحيران المغبون سيف الله ، إلى مقيِّد الشريعة ومرشد الطريقة ، مربي السالكين على التجريد ، أخينا المحبوب السعيد ؛ حسن أفندي النقشبندي المجددي ، وإلى جميع عياله . . .وإلخ السلام عليكم . . .إلخ .

بعد حمد الله تعالى وأداء شكره ؛ أسأل الله تعالى لكم العافية ، والاستقامة التامَّة الكافية ؛ إنه تعالى وليُّ التقوى ومولى القوى ، ونحن بحمد الله تعالى في عصمته بمعصيته جلَّ ربُّنا سبحانه وتعالى من أن يؤاخذنا بما بنا ؛ وهو رؤوف كريم غفور رحيم ، وإني الآن في شورة ، وليس لي ساعة فراغ من ذا وذيّا ، لما هو شأن أبناء هذه الفانية الفتانة ، ولكن على قصد الذهاب إلى قصر العارفين لزيارة أبينا وسيِّدنا ومولانا بهاء الحق والدين البخاري النقشبندي ، والله أعلم العاقبة ، وأرجو الله تعالى أن يوفِّقَني ، لكن الذهاب لديه خطر مع هذه الحظوظ التي سئمتها ، وقد وصل كتاب من أخينا حاجي موسى بالدعوة إلى حاج الترخان ، أو الاطمئنان في البيت ، لكن غالب القصد خلف المذكور ، وإني في هذه السنة بقيت متعطّلاً بالكلية عن المنافع ، وقد وقع الوهن في النفس والضعف البالغ ، ومع ذلك ليس فراغ من جميع الجهات ، ثم إني في كلِّ وقت أكون مستمعاً الأحوال من جنابكم ، وبسماع خبر

بالخير يحصل المؤانسة ، وبه آمل من جنابكم المحفوف بالفوز والحبور أن لا تقطعوا عنا أحوالاتكم ، لأنَّ الكتاب بين الأحباب بريد المحبة الدينية ، وبها يربو المودَّة وتنمو المحبَّة التي كانت من أساس هذه النسبة السنيّة ، وإني أشكر الله تعالى ليلاً ونهاراً على بقاء هذه المحبة بين إخوان هذه الطريقة ، ونرى ذلك كلَّها بكمال شيخنا ومولانا مَنْ شافهه يقظة رسول الله ﷺ ؛ الشيخ محمود الفعال ومرضيّ الخصال ، وكمالات باقي مشائخنا وسلامة اعتقاداتهم .

ثم اعلم أيها المحبوب ؛ أنكم تواظبون على ختم خواجكان ، ولا تتركونها ، على أنَّ في ذلك بركةً عظيمة ، وتأليفاً للقلوب من المريدين والسالكين ، وأن توصي الخلفاء والمريدين بترك المجادلة مع أحد ، فالفساد إنما ينشأُ من أمثالها ، وادعو أخاكم المغبون بالتوفيق . والله تعالى يؤيِّدكم على التحقيق ، والسلام عليكم .

في [ذي الـ] قعدة ١٣٢٨.

المكتوب الخامس عشر

في بيان الأجوبة لأسئلة عديدة

قال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوقَ الكرامة ، والصلاة والسلام على محمد سيِّد الخلق وصاحبِ الشفاعة ، وعلى آله وأصحابه البررة .

من الحائر الجاني سيف الله إلى مطلع سرورنا وريحانةِ صدورنا المحبوب الذي بمعرفته نغتبط ، وبحبل مودَّته نرتبط ؛ حضرة الشيخ الكامل والمرشد المكمَّل ؛ حسن أفندي النقشبندي الخالدي أعاد الله له أيام التهاني ، وجدَّد به ما اندرس من النسبة السنية التي تسفر عنها وجوه الأماني ، وإلى ولده . . .وإلخ السلام عليكم ورحمة الله . . .إلخ ، وجعلك الله تعالى أحسن خَلَف عن أشرف سلف ، وسعَّد الله جدَّك ، وأجرى على ألسنة السادات شكرَك .

وبعد ؛ فنحمد الله لمن نَصَبك في مقام الإرشاد إماماً يقتدى ، ونوَّرَ الطريقة المرضية بمحامد صفاتك الشريفة ؛ فلا زلت بها محمداً ، ونسأل الله تعالى أن يُمِدَّك بأنواع العطاء والإمداد ، وأن يحقِّق لك ما ترجوه من الوصول إلى مقام أهل العرفان والرشاد ، وأن يفيض عليك من أنوار المعرفة ما تُشرِق به أُفُق البصائر بسَرَيان الحقيقة ؛ إنه جوادٌ كريم غفور رحيم .

وإن سألتم عن المغبون المعلوم ! ! فالحمد لله على كلِّ حال ؛ منه نستمدُّ العون والأفضال ، أنا في الصحة والأمر في الفترة ، وحسبك سكوتي عن تفصيل الحال ؛ ثم إنَّه وصل مكتوبكم الشريف وخطابكم المنيف ، فانتصبتُ له قائماً في الحال ، وقابلته بالإجلال ، لكن لم أطق

أن أقابل بالجواب إلى أن يبلغ الأجل الكتاب ، وما كان ذلك إلاَّ من الفتور النازل عليّ ، والوهن المحكم فيَّ ، على أَنّ لي حالاً لا أقدرُ أن أستفيد منفعة ما ، والزمان يجري عليَّ بـ« ليت » و« عسى » و« حيثما » ، فنسأل الله تعالى عودَ الحالات ، وجمع الشَّمْل بعد الشتات ، وذلك أنه قد شغلني أيها الأخُ تطلُّب كفافِ العيش ، وارتكابُ الخلاعة والطيش ، وقنعتُ من الزمان بهذه المحنة عن ترويض النفس بالمحاسبة ، حاشا عن المراقبة ، مع علمي - والعلم جهل - أن العمر ؛ وإن طال كلمحة ، والعاقلُ مَن صرف همَّته لتكميل نفسه بأنواع المعارف ، وجَعَل بُغْيَتَه استفادة عوائد العوارف ، إذ كمال النفس الإنسانية بأنواع الآداب والعلوم ، لا بحسن الملابس والطعوم ، فمَن جعل ذلك من الدنيا بغيَتَه وصرف إليه همَّته ؛ فإنما كانت عنايتُه بتدبير جسمه ؛ لا بتكميل روحه التي هي مناطُ شرفه وكرمه ، فتجاوز حدَّ العرفان ، فإن المرءَ بالروح ؛ لا بالجسم إنسان ، وعليك أيها المحبوب الموفَّق بآداب السادات الأكياس ، لئلا يكون مِثْلُك مثلَ راقمِ هذه الحروف ؛ فقيركم اللهيف في تعمير الظنون والوساوس .

ثمَّ إنَّك أيها الأخُ المرضيُّ ؛ كتبتَ إليّ عدَّة أسئلة مع كونك أعلمَ بها بألوف من المسؤول ، والفقير معذور عن الأجوبة المرضية اللائقة ؛ نظراً إلى عجزه وكونه غيرَ موفَّق لأمثالها في هذه الأيام ، لكن إني أداءً لحقكم أكتبُ ما سمح في الخاطر بلا جزم على صواب الجواب - والله المستعان وإليه المرجع والمآب - :

فقولك (أن تفسر العبارات الكائنة في حزب النووي « بسم الله ، وبالله ، ومن الله . . .إلخ ») : الأفعال المقدرة ابتدأتُ باسم الله ، واستعنت بالله ، واستمددت من الله ، وفوضت أمري إلى الله ، وتوكلت على الله ، ودخلت في كَنَف الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقولك (قد يوجد في نسخة منه بك اللهم « أذرء » في نحورهم - بالذال المعجمة - ، وفي نسخة أخرى « أدرأ » - بالمهملة - . . . فما الصواب إلخ) :

ما بلغ إلينا وارداً بواسطة السادات بالدال المهملة ، وما كان بالمعجمة ؛ فمن قلم الناسخ ، والمعنى أدرأ ؛ أي : أدفع في نحورهم .

وقولك (وإلى مَن يرجع الضمير من قوله « في نحورهم . . . » إلخ) : الضمير عائدٌ إلى كلِّ شر يخافه ويحذره ؛ من شرِّ النفس والغير ، وشرِّ كلِّ دابة . . . وإلخ التي سبقت مضمراتها قبلها .

وقولك (هل يجوزُ إعطاء الإذن والإجازة وقتَ تلقين الذكر مع عدم قطع منازل السلوك أم لا ؟ . . .إلخ) : لا ؛ لا يجوز إعطاء الإذن المطلق وقتَ تلقين الذكر بلا قطع منازل السلوك مع ظهور الاستقامة الكاملة ، وقليل ما هم ، لكن للمرشد الكامل اختيارُ أن يفعل في حقِّ المريد الصادق ما يراه باجتهاده لأجل المصلحة الدينية ونشير إليها هنا إن شاء الله تعالى .

وقولك (وقد يخبرنا أن واحداً من المشائخ المكيين قد أذن كذلك لواحد من الداغستانيين ، وقال : أنت خليفتي في داغستان ؛ فهل وقع مثله في اصطلاح السادات ؛ أم لا ؟ وهل يصير هذا الرجل بمجرَّد هذا الخبر مرشداً ؛ أم لا ؟ . . .إلخ) : نعم يصير بمثل ذلك مرشداً إلى طريق الشيطان ؛ لا إلى الطريقة والحقيقة وطريق الهادي إلى الرحمن ، ولا تنال أيدي هؤلاء المتشيخين بهذه الخزعبلات إلى مقام الإرشاد الذي هو أعلى المقامات ، فلو كان المكيُّ شيخاً كاملاً لما تفوَّه بمثل ذلك ، بل هو شأن متشيِّخ مبتدع الذي يظهر للناس أمور المشيخة لجلب حطام هذه الدنيئة ، فالطريقة النقشبندية خالصةٌ خالية عن أمثال هذه البعرات ، وإن مِن المكيين لشدَّة حرصهم وقلَّة أمنيتهم مَن يفعلون مع جَهَلة الداغستانيين أمثال هذه ؛ علماً منهم همة رجالنا وشدَّة حرصهم للوثبة على المشيخة ، وذلك لحرصهم على الدنيا ، ليكون الإجازة سبباً لجمعها ، وكثير أمثالهم هنالك من معارفنا ، ونحن بحمد الله نعرف المرشدين الكاملين هناك والحرمين الشريفين ، وأكثرهم مختفية لا يظهرون ، ولا يظهرون ، ولأجل

أمثال هذه كادت أساس هذه النسبة أن تزول ، ويأبى الله إلاَّ أن يؤيِّدَها بأهلها ؛ ولو كثر المفسدون .

وقولك (وقد أخبرني شيخنا المرحوم مثل ذلك أن واحداً قال لشيخه : لم لا تلقِّنُ الذكر لروحي ؟ فقال له شيخه : إن شيخي لم يلقِّن لي إلاَّ الذكر القلبي . . .إلخ) . هذا القول لم أفهمه بالحقيقة ، فإن كان مرادُ السائل تلقينَ الذكر لِلَطيفة الروح ؛ فذلك بديهي لا حاجة إلى ذكره ، وإن كان مراده آخر ؛ فلا أعلم معناه ، لكن رأيت بعضَ الدجَّالين في هذه السَّنَة يقول لآخر مثله من المبتدعين : هل تعلم لسانَ الأرواح ، وأني أعلمُها أم لا ؟ فأجاب المسؤول عنه بنعم ! فحينئذ وقع بينهما مكالمات لا يخرجها من فَم مَنْ له شائبةٌ من العلم ؛ فضلاً عن الكاملين ، ولا يليق لنا ذكرهم ، فصارت مجلسهم مضحكة بين العلماء ، وخرجت من بينهم ، ولعلَّ الرجلَ أحدُ من ذكرتَهم أو مثلهم .

وقولك (وهل للشيخ أن يأذن لمريده برأيه ، أو بما ظهر له بالاستخارة ؟ ! . . .إلخ) ! لا يمكن الحكم القطعي على الاستخارة ؛ لعلوِّ مقام الإذن ؛ كما ذكرنا ، لكن للشيخ أن يأذن لمريد صادق عَرَف صدقه بالتجربة ؛ قائم على الاستقامة ؛ مراعٍ لآداب النسبة السنية ، وذلك للمصلحة الدينية فقط ، لما أنه قد يفوق المريد بالإجازة أعلى المقامات برعاية آداب السادات وصحبتهم ، لما أنهم قومٌ لا يشقى جليسهم . وبه نطق القطب الحقيقي سيدي عبد العزيز الدبَّاغي ، وذكره ابن المبارك في « إبريز »ه ، لكن إن كان رأي الشيخ واجتهاده منوطاً بالاستخارة ؛ فهو أولى وأسلمُ وأقربُ ، لما أن الشيخ على نور مِن ربِّه ، واجتهاده وفراسته كافية ، وبالأغلب يتحقق فراسته في المريد إلى أين يؤول نهايته من بدايته . وقد كثر الكلام بين القوم في خصوص هذه ، وكلهم على حقٍّ من الله . وعلامةُ صلاحية المريد : كونهُ مستغرقاً في محبَّة شيخه ، وفانياً فيه ؛ مع الاتباع لسنَّة رسول الله ﷺ ؛ قائماً على العزيمة ، خارجاً عن حظوظ نفسه .

وعلامة الخروج : أن يكون ظاهرُه وباطنُه سواءً ، وأن يستويَ عنده المدح والذم ، والشدَّة والرخاء ، لما أن هذه علامة الاستقامة ، فإن لم يكن المريدُ في قصور في هذه ؛ فهو الفائز عند السادات بنور الله تعالى ، والله يهدي من يشاء . ولقد أطنب القوم في هذا الموضع كلاماً ، وكلامُ أكثرهم – نظراً إلى مقتضى الأحوال – على وفق كمالتهم التي تعذَّر وجودها في زماننا ؛ إلا مَن شاء الله . إلا أن شيخ شيخنا ودستورنا مَنْ صافحه رسول الله ﷺ يقظةً ؛ القطب العارف محمود الفعال الألمالي قدس سره العالي جوّز جلوس السالك المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريدين ؛ لكن بإذن مرشد كامل ، بإذن صحيح ، لما أن يده حينئذٍ يد الشيخ . على أن المريد إذا تحقق على معرفة نفسه باطمئنان نفسه ، وتشرَّف بالإسلام الحقيقي بصحبته مع الشيخ الكامل ؛ يستعدُّ لتربية الطالبين وللتوجُّه إليهم ، ويصير أهلاً للإرشاد ؛ لما أن تربيته في الحقيقة تربية الشيخ ، وإلاَّ فإن لم يكن الأمر كذلك ! فطريق الإرشاد ودعوة الخلق إلى الحقِّ مقام عالٍ جداً ، فأيُّ مناسبة بهذه المنزلة لكلِّ قاصر وعاجز ؟ ! فإن العلم بتفاصيل الأحوال والمقامات ، ومعرفة حقائق المشاهدات والتجلِّيات ، وحصول الكشف والإلهامات ، وظهور تعبير الواقعات ، كلُّ ذلك من لوازم هذا المقام العالي ، وبدونها خَرَط القتاد ، بيد أن غايةَ ما في الباب أن أكابر الطريقة قدس الله أسرارهم يُجِيزُون مريديهم بنوع إجازتهم إجازةً قبل وصوله إلى مقام المشيخة بملاحظة بعض المصالح ، وقد وقع كثير بينهم أمثالُ ذلك ، ويجوِّزون في حقِّه تعليمَ الطريقة للطالبين في الجملة كما ذكرنا ، ليطَّلع على الأحوال والواقعات ، لكن يلزم على الشيخ أن يلزم على المريد المجاز الاحتياط ، وكشف موادّ الغلط بالتأكيد ، واطلاعه على نقصه دائماً ، وإظهار عدم تماميته وكماله بالمبالغة ، فإن تساهل الشيخ في إظهار الحقِّ في هذه الصورة ؛ يكون خائناً ، واللهُ لا يحب الخائنين . وإن أساء المريد ! يكون مخذولاً . عياذاً بالله . أما يعلم أن رضاء الحق جلَّ وعلا منوطٌ برضاء الشيخ ، وسخطه منوطٌ بسَخَطه ! !

مطلب في درجة الولاية الخاصة

واعلم وفقك الله ؛ أن تكميل الغير فرعُ كمالِ نفسه ؛ وهو درجة الولاية الخاصة ، ولكن إذا ظهر في طول الصحبة رشد في الطالبين كما ذكرنا ، وحصلت لهم أحوال ومواجيد ؛ فهي أيضاً غنيمة ، وإن لم يبلغوا حدَّ الفناء والبقاء بالكلية . وحكمه في هذا الوقت حكمُ الكبريت الأحمر ؛ إن فعل ذلك أيضاً ، ولكن تعليم الطريقة وواجباتها أيّاً ما كان بعد الاستخارة والتوجُّهات مناسبٌ ، بل لازم ، ولازم أن يكون مع ذلك على خوفٍ وخشية من هذا العمل ، حذراً من تسلُّط الشيطان من هذه الجهات - أعاذنا الله وإياكم من غرور النفس - كما قال مولانا الإمام الرباني .

وقولك (وهل لذلك علامة تدلُّ على أهلية المريد لذلك ؟ ! . . . إلخ) هذا سؤال صعبُ الجواب ؛ لعلوِّ مقام سرِّ الأحباب ، لكن الحكم لمَّا كان للأغلب أقول : العلامة أن يكون المريد صادقاً صموتاً سكوتاً ممَّا لا جدواه له ؛ مبرَّأً من حوله وقوَّته إلى حول اللهِ وقوَّته ، ملازماً على حدود الشريعة ، محافظاً آداب السادات والطريقة ؛ خاشعاً خاضعاً ، منكسر البال ، تاركاً لحظوظ نفسه إلاَّ الضروري .

راغباً عن الدنيا إلى الله ، فانياً في الشيخ محبّاً له ، متمسِّكاً للشريعة ، متبعاً للسُّنَّة ، لا تلهيه التجارة والبيع عن الله ؛ وعن الجمعة والجماعة ، خارجاً عن مختارة النفس ، فإذا رأيت المريد على هذه الأحوال ! فهو الموفَّق الميمون ، ومنه يظهر ثمرة السرِّ المصون ، لما أن السالك الصادق طريقه الإعراض عن السوى ، والإقبال على المولى ، والمداومة على ورده المأخوذ من الشيخ الكامل ، فإذا دام على ذكره وورِدِه لا يفترُ عنه ؛ فيرتقي ببركة الآداب إلى فناء الفناء الذي هو الفناء المحض ؛ الذي هو عينُ البقاء ، وهذا مقامُ المريد الصادق الذي تعبنا في طلبه .

وقولك (وما المقام الذي يجوز للشيخ أن يأذن لمريده الناقص ، أم له شرط . . . ؟ ! إلخ) .

لم يتعيّنوا[1] السادات مقاماً لإعطاء الإذن للمريد الناقص ، بل ذلك في رأي الشيخ ؛ نظراً إلى مقتضى الحال بعد انتهاء سَير اللطائف ، ووضع قدم المريد في الولاية . وبعض المشائخ قالوا يمكن في سير لطيفة الأخفى ، وبعضٌ قالوا في سير الولاية الكبرى ، بل مِن مشائخنا مَن أجاز على لطيفة القلب ، وأرسل مريده للإرشاد ، وهذه خارجةٌ عن عهد اصطلاحاتهم ، بل هو أمرٌ فعلوه باجتهادهم ، ولكلٍّ وجهةٌ ، فيعطي الكاملُ للناقص الإجازةَ لتعليم الطريقة على ما أشرنا آنفاً أحياناً بواسطة بعض نِيَّاتٍ وأغراض صحيحةٍ . فراجع (المكتوبات الربانية) في المكتوب ١١٩ ؛ لما أنه ليس بمناف للإفادة والاستفادة ، لأنَّ يدَ الناقص يدُ الكامل ؛ لأنه واسطة بالجملة ، وارتباط السالك إليه بمجرِّد المحبَّة لشيخ المقتدى يحصل له تربيةُ النفس ، فلذا يلزم عليه رعايةُ الأمرين : ١ محبَّة الشيخ المقتدى ، و٢ اتباع السنة السنية ، فإذا لم يكن تقصيره في هذين الأمرين لا يحصل له الضرر . ومع ذلك إن المجدِّد للألف الثاني الإمام الربَّاني قدس سره شَرَط في الإذن للناقص تأثير المريد في صحبته ، وقَسَم الإذن على أقسام ، وبيّن نفع الإذن للناقص أيضاً . وفيها كلامٌ كثيرُ الفائدة اكتفينا عن ذكره .

وقولك (ما المراد من قول الإمام الشعراني في كتاب « الأنوار القدسية » :

إن شرط التلقين عند القوم أن لا يكون إلا لمريد ماتت حظوظ نفسه . . .إلخ ، وكذا في « لطائف المنن » ما يعارضه و . . و . . وإلخ ؟ !) .

---

(١) هكذا في الأصل ! ! ووجد بالهامش : لم يتعين ، أو لعلّه من لغة (أكلوني البراغيث) فافهم . قلت : ومراده بـ(أكلوني البراغيث) ذكر الفاعل صريحاً بعد ذكره مضمراً على بعض روايات العرب . والله تعالى أعلم .

كلام هذه السادات إن قصدت حملها ظاهراً إلى محمل واحد ؛ فينبغي لذلك تأليفاً صافياً مستقلاً ، ومراد جميعهم واحدٌ : ألا وهي الاستقامة . . .إلخ . فلا تكن متشوِّشاً بالتتبُّع خلفَ اختلافات أقوالهم ، وإيَّاك عن التتبع خلف اختلافاتهم في الكلام ، فهم نطقوا على مقتضى أحوالهم وأحوالِ مريديهم ، ونظراً إلى استعداداتهم ، وأمثال هذه في غير هذا الموضع أيضاً كثيرةٌ لا تحصى ، وعليك بالسَّيْر على مسرى شيخك ؛ ما لم يكن مخالفاً للشريعة ، وفي هذا كلامٌ كثير وقع للسادات ، بل للصحابة ! غنينا عن تفصيلها ، لما أن جميعها بَدَاهِيَّة إن شاء الله تعالى عندك .

وقولك (هل يجوز لي أن أجيز كما أُجزت لتعليم العلم العقلي والنقلي لواحد أرى فيه الصلاح . .إلخ ؟ !) .

اللهم نعم ؛ يجوز ، ولك الإذن المطلق التامّ الأكمل في الإجازة لتعليم العلوم ؛ حتَّى يمكن منك الإجازة لطالبها مع قطع النظر عن الصلاحية ، فعسى أن يصلَ ويرجع إلى الصلاحية ببركة ذكر سند أولئكم السادات ، لما أن هذه الإجازة العلمية صَدَقة جاريةٌ جميلة منك إلى يوم القيامة ، فعليك بها ، فإجازتك إجازتي وإجازة ساداتي ، وردُّك ردِّي وردُّهم ، فأنت الخليفةُ في حياتي وبعد مماتي ، وفَّقك الله لما يحبُّه ويرضاه ، وإرادَتُك الإجازةَ للعالم المدرس محمد العسلي ولأمثاله مرادُ هذا الفقير ومسؤله من الله تعالى ، وأوصيه بالدعاء ، والسلام أيضاً عليه ورحمة الله وبركاته .

وقولك (إني إذا تفكرت فيما أجدُ أعتقد جازماً بأني لم أكن أهلاً للتلقين ؛ فكيف لا ؛ وقد نقل عن (صاحب « البهجة ») ؛ عن عبيد الله أحرار : مَن لم يعرف بأول النظر استعدادَ المريد إلى أين نهايته ، وبأيِّ مقام يصل . . .إلخ ، فلا يجوز له المشيخةُ . . .إلخ) .

لازم أن تكون كلَّ وقت بين الخوف والرجاء ؛ لئلا يدركك الاستدراجُ ، كما هي وصيَّةُ السادات من شيخ إلى شيخ ، لكن لازم ترك كتبة هذه ، وكتبة حسن الظنِّ لله بالله في الله ، وفي السادات الذين أقمتهم على منصب الخلافة بدل ما كتبت ، لما أن تكثير هذا الكلام يؤدِّي إلى ترك أدب شيخك ، إذ قد يظنُّ بعض الظانِّين أن شيخك لم يكن على بصيرة في إقامتك خليفةً ، وظنُّ السوء على المرشد سُمٌّ قاتل ، وأما قول (صاحبُ « البهجة ») وأمثاله قدس الله أسرارهم ! ! - وإن كان حقّاً - على سبيل الفراسة الظنية الأغلبية ، فعليك الاجتهاد على وظيفتك . . . إلخ ، وإلاَّ ! فلا يطَّلع على حقيقة العاقبة إلاَّ اللهُ سبحانه ، ومَن شاءَ من عباده ، كيف لا ؛ وقد بايع رسول الله ﷺ بعدَ القبول التامّ لبعض الوافدين لديه مؤمنين ، ثم بعد ذلك ارتدُّوا على أدبارهم ! !

اللهم نعم ؛ إن مقام الإرشاد مقامٌ عظيم ، حتى قال بعضُ السادات الكاملين : إنه أعظمُ من مقام القطبانية ؛ كما ذكرنا ذلك ، بل وافقوا عليه ، ولشدَّة احتياجهم ، إن أكابر مشائخنا لم يريدوا إعطاء الإذن إلاَّ بعد وصوله إلى مقام الفناء ثم البقاء الذي هو مقامُ الإحسان ، ولكنَّ وصية الفقير كلَّ وقت أن لا تقطع النظر عن المريدين ؛ لئلا يدركهم الاستدراج ، ولئلا يتكبَّروا ، فلا يكن منهم المجادلةُ مع أحد بحسد ؛ أو بإظهار الأنانية أصلاً ، فليس سمٌّ أشدَّ على المريد منه ، والسلام .

وقولك دام فضلُك (إني سمعتُ أنَّك لا تلقِّن أحداً ، ولا تتخذ مريداً ؛ مع كونك مأذوناً من شيخ كامل ؛ فما السبب . . . ؟ إلخ) .

لو عفوتني[١] عن هذا السؤال لكان ذلك عندي أعزَّ من كلِّ شيء ، أيها الأخ ؛ إني لا أكتب جواباً لهذا في هذه المرَّة ، وإني ضعيف عن تحمُّل أحمال الناس ، ولي شغل عن شُغْلهم ، وسترى لذلك شأناً ، وقد وصلت لديَّ من مشائخنا رسائلُ بالسؤال عن هذا السبب ؛ فاستعفيت عن الجواب ،

(١) يأتي الجواب لهذا في المكتوب العشرين . فراجعه ص ٨٩ .

وأسألكم بالله تعالى العفوَ عن عدم الجواب ، ولقد هممت غيرَ مرَّةٍ أن أُقلِّد هذه القلادة في عنقك بالكلية ؛ نظراً إلى حالي ، فصبرتُ قليلاً إلى أن يصلَ الأمر من مشائخنا بشيء ، وعسى الله أن يأتيَ بالفتح أو خير من الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم اعلم أيها الحبيب الموفَّق المرجوُّ ؛ أني ما كتبت حقيقةَ الأجوبة بما يرضى به القلب ، حاشا عن رضاءِ قلبِ غيري ، بل كتبتُها بما سمح في الخاطر على منهج أهل البسط ، وإن كان منهاج أهل القبض أسلمَ وأحوطَ لأجل عدم الفرصة لبسط كلِّ أمر ، ومعلوم عندي أن الزيادةَ في حقِّها عندكم ، لكن عادة الحقير إجابةُ الداعي على ما أوصانا به مشائخنا . فأسألك بسؤال الأُخوَّة الدينية أن تضع الصواب موضعَ الخطأ لتفوز عند الله بالثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

المكتوب السادس عشر

في تعزيته بموت العالم محمود المحمد الطليقي ، وبيان تأسُّفه على موته وفراقه .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

من الحزين المغبون سيف الله النزبكري إلى نور عيني المرمودة[١] وبهجة نفسي المكمودة ، أمين عصري وطبيب عُنْصري ، داعي الخلق إلى الحق ، والناطق بالصدق ؛ الشيخ حسن حقي النقشبندي وإلى . . .إلخ .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ بعد حمد الله سبحانه وشكره ؛ وَصَل لديَّ مكتوبكم الموفور ، فصار ذلك موجباً للفرح والسرور ، وانجاب بطالعِهِ عنِّي سُحُب الغموم ، وإن كان في آخره نار السموم ، من ما يُنبيءُ عن انتقال أخينا الائب ، والتقي الصائب ، الصائم

(١) أصابها الرمد . ولو قال « الرمداء » لأصاب .

القائم ، العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ؛ حضرة محمود لصل محمد من دار الكدورات إلى محلِّ الكرامات ، فوالله لقد ساءني بموته ، وصرت كأنِّي تقرَّضتُ بالمقراض ، وزالت عني الطمأنينة والترخي ، فتأسَّفتُ بذلك وتزجَّرت ، وحزنت وسئمت ، وذلك الحزنُ والجزعُ اقتداءً برسول الله ﷺ في حزنه على موتاه ، وإن كان ذلك في الحقيقة عَبَثاً لا يردُّ القضاء ، ولقد كان واللهِ سرورَ نفسي ومطلعَ أُنسي ؛ وإن كان في الظاهر بعيداً من نفسي ورمسي ، فجزاه عنَّا خيراً ، ولاقاه رحمة وأجراً ، ناداه الربُّ فلبَّى ، ودعاه فأجاب ، وصار في جوار ولُطْف مَن إليه المآب ، فغفر الله له ؛ وصبَّركم على المصاب ؛ لتفوزوا بجزيل الثواب ، ومن المعلوم أنَّ موتَ العالِم مثله موت العالَم ، إنما العالِم مَن خشي ربَّه وعمل بما يرضاه .

يَـا وَيْـحَ دُنْـيَـا فَـمَـا أَبْـقَيْتِنَا أَحَداً   فَـأَنْـت وَالِـدُ سَـوءٍ تَـأْكُـلُ الـوَلَدَا
أَسْـتَـغْـفِـرُ اللهَ بَـلْ ذَا كُـلُّـهُ قَـدَرٌ   رَضِـيـتُ بـاللهِ رَبّـاً وَاحِـداً صَمَداً

فدعوناه وصليناه في الجمعة بعد الدعاء وثنيناه اللهم . . .إلخ الفاتحة .

ثم إني أوصيك أيها الأخُ الصالح ؛ بأن لا تنظر إلى هذه الفانية بعين الرضاء ؛ لئلا تُبتلى بما ابتليت ، على أن أخوفَ ما أخاف ! ذلك . وما أظنُّ أن عيني تقرُّ برجل من مشائخ زماننا قام على حدِّ الشريعة ؛ لأجل جهدهم بالدَّوران خلفَ حظوظِ هذه الفانية ، والمغبونُ الفقير محرومٌ بالكلِيَّة من جميع الجهات ، وليس هذا موضعَ بثِّها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم إن أخانا الحاجّ عيسى أُعيذه بالله من الأسى ، أظنُّ أنَّه أخلصَ في جهاده لله ، والسعي بالله ، فكن له رفيقَ التوفيق ، ووَسِّع له طريقَ التحقيق ؛ ليصل إلى مأمله ، ويفوز بمرغوبه ، وإني أوصيه بالدعاء ، فدعاؤه إن شاء الله مقرونٌ بالإجابة . والله ولي التوفيق .

في١٧ شوال ١٣٢٨.

المكتوب السابع عشر

في الأجوبة لأسئلة كثيرة

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته إلى يوم القيام ، إلى حضرة مَنْ زَيَّن فؤادي ودادُه ، وقرَّة عيني سَدَادُه ، جامع الكمالات ، ومنبع الحقائق والفيوضات ؛ ذي النسبة الصدِّيقيَّة والهمَّة العلوية ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدّدي المحمدي ، وإلى آله وعياله وجميع أهل دائرته التسليماتُ المتواترات ، والدعواتُ المتظافرات ، فأربى وأولى ما أسأل الله تعالى صحَّتكم وسلامتكم ، وهدايتكم واستقامتكم ، كما أنا في الصحة والعافية والنعمة ، نحمده سبحانه جلَّ أن تحصى نعمه ، وتستقصى لطائفه ومِنَنه ، ثم إنه وصل لديَّ سلامُكم ، وسَرَّني خطابكم ، وتشرَّفتُ بمطالعة الصحيفة الشريفة المرسلة إلى هذا الفقير على وجه الشفقة والرأفة ، وقد اندرجَ فيها عدَّةُ أغراض يلزم علينا التأمُّل فيها ، لكن لما وصل كتابُكم وأنا على ساق القدم إلى الوطن بوصول خبر مرض ابنتنا أم الفضل ست زبيدة ؛ رقمتُ إليكم بالبداية مجرَّد السلام على صورة الجواب . أقامكم الله تعالى في الاستقامة على حدِّ الاعتدال ومركز العدالة .

ومِن الدولة العظيمة أن جعل الله سبحانه وتعالى عبداً مخصوصاً ببعض الفضائل والمزايا ، فيحيل مفتاحَ حوائج جماعة من عباده إلى يد تصرُّفه ، ويجعله ملاذاً وملجأً لتلك الجماعة . ومِن نعمه سبحانَه وتعالى جعلُ جمع من الخلائق الذين هم عيالُ الله تعالى مرتبطين به فيفوِّض تربيتَهم إليه ، السعيد مَن يقوم بحمد هذه الدولة ، والعاقل من يؤدِّي شكرَ هذه النعمة .

وإن سألتم عن الفقير ! ! فليس هو له ولا لغيره ، وكيف يكون للغير مَن ليس لنفسه ؟ ! جعلنا الله في بركة عباده الصالحين .

ثم إنك كتبت في كتابك (أن شيخنا قدس سره قد كان أذن لتلقين ذكر القلب فقط لأخينا العالم الصالح الحاج حبيب الله ؛ وأمرني بكتبة صكِّ الإجازة له . . .إلخ) .

اعلم أيها المحبوب ؛ أن من المعلوم عندَكم أن للمشائخ والمرشدين آراء وراءَ عقولنا ، ويفعلون أموراً يرى القاصرُ على العكس ، فهم أمناء الله سبحانه وتعالى ، وإن شيخكم قيَّد الأمر على ما هو عليه الآن لمصلحته ، وأمركم بكتبة صك الخلافة لمصلحة ، فجزاه الله عنا خيراً .

واعلم أن النظر بعين الكمال المطلق يقتضي التنقيص فيما ليس بنقص عند تحقيقه ، والعصمةُ غيرُ موجودة لسوى الأنبياء ، فلزم أن ينظر للغالب على أحوال الشخص ؛ لا لكلِّها ، فإن غلب صلاحُه رَجَح ، وإن غلب غيرُ ذلك رَجَح ، وإن تساويا ! نظر فيه بوجه التحقيق ؛ فأعطى حكم المسالمة ، فإن أمكن التأويل في الجميع ! تأوَّل ما لم يخرج لحدِّ فسق البَيِّن ، لأن عنوان معرفته تعلُّقه بربه ، فإذا انتقض ذلك ! انتفى عن المعرفة ؛ فلزم النظر لعموم فضل الله سبحانه وتعالى من غير مبالاة بوقت ؛ ولا شخص ، إلا من حيث ما خصَّه الله تعالى به . فافهم .

إن لم يظهر من الإستخارة أمر

وإن أخانا الصالح الحاج حبيب الله ؛ بناءً على همَّته نرجو الله الاستقامة والصلاحية ، فتفعل في حقِّه ما هو الأقربُ لهمَّتِكم ، وإن المشائخ قالوا : إن لم يظهر من الاستخارة أمرٌ ففعل الأمر مطابقاً لغالب ظنِّه هو ما ذهب إليه السادات ، ويمكن إجازته ؛ وإن كان أمراً صعباً نظراً لصلاحيته وأمانته ، لكن بالشروط المعتبرة عند الإجازة من السادات ، وقد كُنَّا رأينا من جبينه أمراً عجيباً من أثر الرياضات غير ما كنا نحن نراه الآن ، ونرجو الزيادة بعد الآن بألوف ، وذلك رأينا فتوراً قليلاً ومسامحة بعد الرجوع من الحج ، ويحتمل خطأنا وفراستنا في ذلك ، ونمن أن

يكون له شأن وأي شأن! وينبغي له الانكسار والخشوع ، وذوق النكبات والرياضات ، وتسوية الظاهر والباطن ، والخوف من لحوق الاستدراج ، والحرص في تزييد أعماله اليومية من الأَمْسِيَّة ، وأن لا يَعُدَّه شيئاً ، وأن يترك المجادلة مع المتشيخين ؛ فضلاً عن المشائخ ، وأن لا يُوَسِّع بساط البسط مع المريدين ؛ لما أن القبض أسلمُ ، لئلا يقعَ من عين المريد هيبَتُه ؛ عياذاً بالله ، فهو سمٌّ قاتل ، وأن لا يتغيَّر على مجيزه وشيخه من جهةٍ مَّا ؛ وإن صدر منه ما يكرهه! بل يحمله إلى المحمل الحسن ، وليكن في رعاية الأدب بالأدب .

فاعلموا أيها الأحباب ؛ أن الولاية الكبرى ؛ فضلاً عن الولاية العليا ، مقامٌ عظيم لا يناله إلا مَن أتى الله بقلب سليم ، فلازم أن يعرف المقام وعلوَّه ، وقد رجع بعض أكابر الطريقة عن قبولها خوفاً من الوقوع في ترك الأدب قدس الله أسرارهم ، وينبغي له أن لا يعدَّ نصيحة الفقير في مقام الفضيحة ؛ لما أن الفقير بَلَغ من سماع ذلك إلى المبلغ العظيم في الفرح والسرور لرسوخ محبَّته له .

وأعظم وصاياي له : أن يكون على كمال المحبَّة في النسبة ، جعله الله تعالى في مقام الإفراد ، وجعله لنا أخاً بارّاً ، وبركة لنا ولكل أحد ، وأوثق الشروط : أن لا يتبع البدع ؛ وإن كانت من البدع الحسنة ، فإن البدعة لا تكون حسنة ؛ وإن سَمَّوها ، ومعنى الحسنة بطريق آخر ، وأن لا يُدخل في النسبة ما لم يُدخل ساداتها كما يفعله جهلة المتشيخين . والحمد لله رب العالمين .

ثم إنك قلتَ (يأتيني آحاد المريدين مع بعض الهدايا) ! !

نعم ؛ إنَّ في قبول الهدية لنا أسوة من رسول الله ﷺ ، ومن أكابر السادات ، حتى يمكن السؤال من خواصِّ مريديه ؛ إن وقعت الضرورة ، بل يسنُّ ؛ نظراً إلى الحال والحاجة ، وذلك لمجرَّد استئناس المريدين الذين لم تتقوَّى قلوبُهم في الطريقة لقُرْب عهدهم ، وقد أَمَرنا مولانا

خواجه بهاء الدين بمواساة المريدين ، وأن يسامح في فَرَطاتهم من أوَّل الأمر ، وبلزوم الاهتمام بلا مسامحة بعد بلوغهم إلى رتبة القوة في مذاق اصطلاح السادات ، كما فعله رسول الله ﷺ كذلك مع بعض الجائين ، لكن لازم أن لا تفرح بوصولها ، ولا تفرِّق بين مَنْ حضر بها وبعدمها ، وأن تشكر العطيَّة في نفس الأمر . . .إلخ ، وأن تُعلِّم المريدين بأن مَن يتحمَّل المشقَّة في حمل شيء لكم ؛ أو يأخذها حياءً منكم ، أو يفعل ما يفعله الغير ؛ فليس منكم ، فبه يمكن قبول هدية مَن حضر بالمحبة والرأفة . . .إلخ .

وقولك (إنهم أعطوا لظنِّهم أني على مكان من الولاية . . . إلخ) ! ! بل لازمٌ عليهم أن يكون ظنُّهم كذلك ؛ بل يجبُ عليهم أن ليس لهم في الدنيا مَن يوصِل إلى الله سوى شيخه ، لما أن تفريد الشيخ واجب . . .إلخ .

وقولك (إن ناساً من أهل القرى البعيدة يلتمسون مني المجيء عندهم . . .إلخ) ! !

فلازم عليك إجابةُ الدعوة ؛ على مثابة قوله تعالى ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة ، وفي المشائخ والسادات اقتداءٌ ، ولكن الدوران بنفسك والجمع بتلذات الأطعمة مما لا نوافقه ، وأنت أعلم مني . كما عليه مشائخ الزمان ، أقامهم الله تعالى على رعايات الآداب .

وقولك (إن شيخنا قدس سره كان يرسلني إلى بعض القرى للنظر إلى أحوال العاجزين . . .إلخ) ! !

قدَّس الله سرَّ شيخكم حيث فعل ما أمره شيخه لمصلحة الدين على مقتضى طبائع الوقت ، فقد أحسن وأصاب ، والفقير القليلُ من كلِّ شيء في معضل[1] من ذلك ، لما أنه في السعي يلتقي[2] بعض الآفات ؛

---

(١) أي : معزل .

(٢) أي : يصادف .

بعضها من الأطعمة ، وبعضها من أجناس الناس ، فيسدُّ باب الفيض ، ثم لا يرجع إلاَّ بمشقَّة ، بيد أن الشاهد يعلم ما لا يعلمه الغائب ، تفعل ما رأيتَه موافقاً للشرع ؛ غيرَ مخالف لاصطلاحات السادات ، على مقتضى أحوال المريدين والمذاهب .

وقولك (إن كثيراً من الناس يتكلَّمون خلفي ، وينسبون إليَّ اللوم لعدم . . .إلخ) ! !

فلقد حان لك حينُ الخلوص ، وأوَّلُ رتبة الخلوص : أن يستوي المدح والذمُّ ، عجباً منك ؛ وهل تتضجَّر وتتأسَّف من لوم اللوَّام ! ومتى كَمُل فيك الكمال فينسبونك إلى أشرِّ الأحوال ، وما نجى أحدٌ من ذلك ، كيف ذلك ؛ وقد قالوا لخير الخلائق إنه ساحر أو مجنون . . .إلخ ! !

وقولك (إني أريد أن أرى مصنَّفاتِك جدّاً . . .إلخ) .

أيها الأخ الأعزُّ ؛ إن كتابي بلساننا قد تمَّت من قبل ، لكن لم يطبع بعدم كاتب بلساننا ، وهو بكَيفٍ لا يفهم شيئاً لكونه مسوَّداً ، وأما كتابنا بالعربية ! ! فلم يتمَّ لعدم الفراغ لإتمامه ، وأيُّ شيء يكون في كتابي سوى أقوال السادات فقط ، ولا يكون من كيسي فيها شيئاً ، فإن وفَّقني الله تعالى وساعدني الأجل ؛ أُرسله أوَّلاً إليكم ، وأظنُّ لا يوجد فيه إلا ما قرَّرتم ووثقتم .

وقولك (وأُخرى : إني أظنُّ كثيراً أنَّ نظرك في كتابنا لكان خيراً . . .إلخ) !

فإن رأيت ذلك فننظر إن شاء الله تعالى ، لكن نظركم أدقُّ من نظري ، وأرجو أنه يكون موافقاً لما في خَلَدي ، فإن أرسلت ! فهو المراد ونتبرَّكُ بنظره إن شاء الله تعالى ، فلو كان أرجوزتي متممة لم يكن لي بأس بعد ذلك ، بيد أن الأمر لله ؛ لم أقدر لكتبة شيء في هذه الشتاء لعدم التوفيق ، ورجائي أن أجتهد . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقولك (إني رأيت مكاتيبك . . .إلخ لبعض إخواني فالعفو . . .إلخ) .

أيها الأعز إني ائتمنتك على جميع مالي وما رأيته فهو رأيي وأنا على ما فعلت لمن الراضين لكن إن الناس لا يستحسنون مخالطتكم معي بل يسوء ظنونهم حتى بتحسين ظنكم إياي وما رأيت لجمع كثير مطلبا أعز وأولى من الوقيعة فيّ سامحهم الله تعالى وأخاف أن يمس بك بسببي ما مسني منهم . . .إلخ . وقولك . . .إلخ .

المكتوب الثامن عشر

في جواز إعطاء الطريقة للعوامِّ ، وبيان بطلان دعوى من يقول بخلافه ، وفي بيان الأويسية والاجتماع بالأرواح القدسية ، وأصوله وشروطه ، وفي الوصية بالاجتناب عن مخالطة الطائفة المخالفة لأصول الطريقة .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

هو الله تعالى وبه ثقتي

الحمد لله الذي جَعل الاستقامة فوق الكرامة ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد صاحب الهداة وشفيع الأمة ، وعلى آله وأصحابه سادات الأئمة ، وعليكم التسليمات المتواترة والدعوات المتوافرة أضعافاً مضاعفة أزيدَ ممَّا أرسلتم إلينا بألوف .

أيها الأخ العالم الأمين ، والجوهر الثمين ، المرجوُّ للاستقامة ، الموفَّق بالإنابَة ، مخلصنا ؛ الشيخ حسن أفندي أرضاكم الله تعالى باللطف الأبدي ، والفيض السرمدي ، فلقد وافانا كتابُكم ، وفزنا بسلامكم ، ورضينا على حسن صنيعكم ، وشكرنا على أداء حقِّ أُخُوَّتكم ووفاء عهدكم ، أخا حقٍّ وخليلَ صدق ، جعلكم الله تعالى وإيَّانا من المفلحين

الفرحين ، وألحقنا وإيَّاكم بعباده الصالحين ، ونسأل الله سبحانه وتعالى لكم الصحَّة والتوفيق والسعادة ، وإن سألتُم عنا ! فالحمد لله والشكرُ لله ؛ أنا في أتم العافية الحالية والسلامة الباليَّة ؛ وإن استولى علينا القصورُ والزلل ، والفتور والخلل ، وكيف يكونُ حالُ مَن أَبَقَ من مولاه ، واستحقَّ للتوبيخ لقصورِه ممَّا جناه ؟ ! اللهم لا تجعل عافيتنا استدراجاً لنا ، ولا مكراً علينا . آمين .

ثم إنكم طلبتم مني الجواب لبعض متشيِّخي زماننا بسؤالهم منكم بمضمون عدمِ جواز التلقين لسادات النقشبنديين لِمَنْ له النَّفْس الأمَّارة . . .إلخ .

اللهم نعم ؛ إن السائل من المسؤول أعلى وأعلم وأتقى ، وأورع وأنقى ، بيد أنَّه لما كان للسؤال حقُّ الجواب ؛ أكتبُ إليكم ما أدركتُ من الجواب ، والله يقول الحقَّ والموفِّق للصواب :

اعلم يا أخي ؛ جعلنا الله وإياكم من المتمسِّكين بآداب صلحاء عباده ، القائمين على سنة رسوله ﷺ ؛ أَنَّ هذا القول ليس سؤالَ مَن نَظَر في العلم ، ولا مَنْ جَلَس تحت عتبة المشائخ أهل الفضل والكرم ، بل قولُ مَن تلبَّس بتلبيس الشيطان ، ووقع في الخذلان ، ولم يشمَّ رائحةَ الذوقِ والعرفان ، جعله الله تعالى ممن وُعِظ فاتَّعظ ؛ فتَفَكَّر فتيقَّظْ ، إن معنى الإرشاد من أهل الرشاد : إرشاد الضالِّ إلى السداد ؛ لا إرشاد المرشدين والمرادين ، ولا القائمين على حدِّ الإرشاد ! ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرَّشَاد ، فهو تحصيل الحاصل ؛ المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كلِّ أحد أَمَّارة إِلاَّ مَن خصَّه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهي بالحظِّ الوهبي ، كيف لا ؛ وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ﴾ ، وذلك خطابٌ لنبيه عليه السلام الذي لا يبلغ الوليُّ رتبةَ عُشْر معشارِهِ فحينئذ يكون مراد الإرشاد إخراج طالب السلوك عن رعونة الأمارة وحضيضها إلى سبيل الهداية بواسطة تربيته بتزكية اللطائف حتى

تصير الأمَّارة لوَّامةً ، ثم . . . وثم . . . إلى أن تترقَّى إلى المطمئنة ، ويصير المراد مراداً ، ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبدُ في الفناء المحض بلا نَفْسٍ غيبةً عن الوجود ، وذلك مضمونُ قوله ﷺ : « الإحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ رَبَّكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ؛ أي : إن لم تكن[1] ؛ بخروجك عن حضيض النفس[2] ، وغبتَ عن وجودك تراه تعالى بالبصيرة أزيد من البَصَرة ، وهذه المرتبة لا تكون إلاَّ بواسطة مرشد كامل مكمَّل آمر ناه ، على أن الشيخ في وقته كالنبي ﷺ في زمانه ، قال تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ فتفكّر في تفسيره عند السادات .

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ عن النبي ﷺ : « شَفَاعَتِي في يَوْمِ القِيَامَةِ لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِن أُمَّتِي ، مَن كَذَّب بِهَا لَمْ يَنَلْهَا » . والمرشد حقّاً هو الآمر والناهي ، وإلى الأمر والنهي إنما يحتاج صاحب النفس الأمَّارة مرتكب المنكرات ؛ ثم اللوامة . . .إلخ .

حدَّثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن خزيمة قال : حدثنا محمد بن الأزهر بإسناده ؛ عن عبد الله بن جرير ؛ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصي ويقدرون أن يغيِّروا فلا يغيِّرون إلا عمَّهم الله تعالى بعذاب قبل أن يموتوا » ؛ وقد اشترط النبي ﷺ القدرة ؛ يعني : إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح ! فالواجب عليهم أن يمنعوا أهل المعاصي من المعصية إذا أظهروا المعاصي ، لأن الله تعالى مدح هذه الأمة بذلك ؛ قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ

---

(١) أي موجوداً .

(٢) أي معناه : إن خرجت عن حضيض النفس ، وغبت عن وجودك بوجوده تعالى تراه سبحانه بعين البصيرة أزيد من رؤية الباصرة ، فافهم . كاتبه رحمه الله (كذا في هامش الأصل) .

ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ﴾ إلخ . وقال الله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ واللام هنا لام الأمر ؛ أي : لتكن منكم . . .إلخ ، وقد ذمَّ تعالى قوماً لا يدعون الناس الخير بقوله تعالى ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ ؛ أي : هلاّ ينهاهم علماؤهم . . .إلخ .

قال الإمام الرباني قدس سره النوراني : قاتل حمزةَ عمِّ النبي ﷺ أعظم قدراً عند الله من أويس القرني معشوق رسول كبرياء ألف مرة لمجرَّد متابعته الرسول ﷺ بالإسلام ! فانظر يا أخي ؛ هل كان الوحشي حينئذٍ على الأمَّارة ، أو المطمئنَّة ! وهذه البيعة جاريةٌ في أولياء أمَّته العاصين الطالبين السلوك إلى يوم القيامة ، والسالك إذا تاب بيد شيخه خاصَّة ، وقام عليها ؛ جعل الله سيِّئاتِه حسناتٍ ، كما قال ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ﴾ فالمرشدُ الكامل طبيبُ القلوب ، وبيده دواؤها ، و« التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ » ، فيستتيب الشيخ طالبَ سلوكِه عن جميع المعاصي والمخالفات اللاتي أضاع فيها عمره ، ويأخذ العهد على الاستحلال والإعراض عن جميع القبائح والمنكرات والصفات المذمومة ، وهل تصدر هذه إلاَّ من النفس الأمَّارة ! فيصير مرادُ الشيخ إخراجَ السالك عن رُعونة الأمَّارة كما مرّ هنا بالتوفيق القدسي .

قال الشيخ الصمداني الشيخ محمد الخاني : جاء في الأثر عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه كان له أخ آخاه في الله ، فخرج إلى الشام فَسَأل عنه ممَن قدم عنه ؛ وقال : ما فعل أخي ؟ ! قال : ذاك أخُ الشيطان ، قال : مَهْ ! ! قال : إنه قارفَ الكبائر ؛ حتى وقع في الخمر . قال : إذا أردت الخروج فآذِّني ، فكتب له عند الخروج إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ ثم عاتبه وعزَّره[1] ، فلما قرأ الكتاب بكى ؛ وقال : صدق الله ، ونصح لي عمر ، وتاب ورجع .

---

(١) بالكلام .

وينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريق ، فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفةِ النفس وتركِ المألوفات ؛ فيسامحه ولا يردُّه من الطريق ، ولا يثبت رَقْمِ الشقاوة على جبينه ، لأنه مَن جلس معه بالصدق والصفاء لا يكون شقيّاً .

وقال الشيخ محطُّ الأقطاب ؛ الشيخ المجدِّد للألف الثاني الإمام الرباني قدس سرُّه النوراني في بعض مكاتيبه لمن سأله : إن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة ، مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن ربا ، ويظهرون أن هذا الأخذَ عنهم ليس إلاَّ بالحيلة الشرعية ؛ هل يتأهَّلون هؤلاء لتعليم الطريقة ، أم لا ؟ فأجاب : لَقِّنُوهم الذكر ، ورغِّبوهم في الاجتناب عن المحرم والمعاصي .

ومن هذا ما قاله الشيوخ في الكلام على العوارف ؛ من أن الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاجَ الباطن بشيء من الرياء والسمعة لا يترك العبادة ، بل يستغفر الله تعالى ، ويطلب بالاجتهاد أن يستتيب بالتوبة الخالصة على يد شيخ كاملٍ ؛ إن فاز بوجوده ! ووجودُه في هذا الدهر أعزُّ من الكبريت الأحمر ، وإلاَّ ! فكيف قَدَر . وقال العروة الوثقى رضي الله عنه : ينبغي ترغيب الطالبين المسترشدين في وظائف الطاعات .

وقال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه ؛ مجيباً لِمَنْ شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وبتردُّدهم في هذا الطريق ؛ وأكثر الطالبين كذلك ! ! وأنى يوجد الصادقون ؟ أجاب : ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريق ؛ بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا ! فازوا ، وإلاَّ ! فالضرر راجعٌ إليهم ؛ لا إليكم .

وقال الغوث الصمداني قدس سره في « المعرَّبات » : ينبغي أن يُعَلم أن سلوك هذه الطريقة العليَّة مربوطٌ بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته ، الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوَّة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شافٍ للأمراض القلبية ، وتوجُّهه دافعٌ للعلل المعنوية ، فبمثل ذلك الشيخ يرتقي المريد سريعاً إلى الولاية خروجاً من حضيض الأمَّارة .

وقال قدس سره : بل ربَّما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، وغرضه من ذلك : أن يبلغ الكتاب الأجل . فافهم .

ثم اعلم أرشدك الله إلى التحقيق ، وهداك إلى سواء الطريق – أنَّك ؛ وإن كنت أعلمَ مني فالخطاب في الحقيقة للسائل – : أن حقيقة الإنسان وذاتِه العدمُ ؛ الذي هو حقيقة النفس الناطقة التي يعبَّر عنها في الابتداء بالنفس الأمَّارة ، وكلُّ فرد من أفراد الإنسان هي النفس الأمَّارة ، وتكون سائر لطائف الإنسان كالقوى والجوارح لها ، وحيث أنَّ العدم شرٌّ محضٌ في حدِّ ذاته لم يشمَّ رائحة الخيرية ؛ تكون النفس أيضاً شرّاً محضاً ؛ لا تكون منها رائحة الخيرية ، فمن خبائثها وجهلها تَدَّعيّ الكمالاتِ الظاهرةَ فيها بطريق الانعكاس والظلِّية لنفسها ، وتنسب قيام تلك الكمالات الثابتة بأصلها إلى نفسها ، وتزعم نفسها بتلك الكمالات كاملة وخيراً ، وتكتسب من هذه الحيثية دعوى السيادة ، وتشترك نفسها بربِّها في الكمالات ، وتظنُّ الحول والقوَّة من نفسها ، وتزعم نفسَها متصرِّفة ، وتريد أن يكون الكل تابعاً لها ، وتحبُّ نفسَها أكثرَ من الكلِّ ، وتحب غيرها لنفسها .

مطلب طريق تزكية النفس نوعان

فبه ينبغي أن يعلم أن طريق تزكية النفس على نوعين : طريق يتعلَّق بالرياضات والمجاهدات ؛ وهو طريق الإنابة ، ومخصوص من المريدين ؛ وهذا الطريق لا يهتدي إليها السالك إلا بواسطة شيخٍ مربٍّ كامل ، ليروض نفسه بتزكية اللطائف .

ثم اعلم يا أخي ؛ جعلكم الله تعالى وإيانا ممَّن سمع الحقَّ ووعاه ، واتَّعظ بالموعظة وخالف هواه ؛ أنَّ هذا الدعوى بعدم الجواز للتلقين للسالك لصاحب الأمَّارة من المرشد شيخ الطريقة النقشبندية دعوى باطل ، ونزاعٌ عن الحقِّ مائلٌ ، ولا يصدُر إلا ممَّن سقط من عين الله بالحرمان – فالعياذ بالله من شرِّ الشيطان – ، وتلبَّس بتلبيس إبليس بالخذلان ، وعارض ما في الكتاب تنزيل الرحمن ؛ بقوله تعالى ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ ، وقال

تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ، بل هو قول مَن أَمِن من مكر الله ، وادَّعى بأنه من الكُمَّل ؛ ومريديه كلهم بالنفوس الاطمئنانية الكاملين ، فالعياذ بالله من هذه الشَّطَحات . وأكثر متشيخي زماننا يثبون على هذه المفاسد وَثْبة الأسد على فريسته ، ويوهمون بهذه الخزعبلات أنَّهم على شيء ؛ ليظنَّ الناس أنَّهم يحسنون صنعاً ، كلا ! إنهم يخسرون أعمالاً ، الذين ضلَّ سعيُهم في الحياة ، وفي الآخرة هم الكافرون ، وإنهم ليصدُّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ، وزعم أكثرهم أنهم من سادات القادرية ؛ لَمَّا عجزوا بأوهامهم الباطلة عن فهم اصطلاح سادات النقشبندية ، ويفعلون أموراً لم يرد بها نصٌّ ؛ ولا حديث ، حاشا عن صدورها من السادات ! وما ذلك إلاَّ بمجرَّد جلبِ الدرهم والدينار ، ولا يدرون أن ذلك أشدُّ من قبضة النار ؛ وخَرَطُ القتاد دونَه ، ويكثرون بهذه التمويهات سوادَهم ، ويزعمون أنَّهم أُوَيْسِيُّون أخذوا الإذن من الروحانيين ، ولا يعلمون مبنى القادرية على ماذا ! ! بل القادرية مبنيَّة على تحمُّل الأذيَّة ، وارتكاب المشقَّة ، واصطفاءِ الذُّلِّ والمسكنة والفقر ، وترويض النفس بالمجاهدات في المأكل والمشرب ، وما يفعل مَن يدَّعي المشيخة منهم على خلاف مصطلح القوم ! فأسَّسوا أمرهم على الجهل والطغيان ، وما لهم بها من الله من سلطان . وإن الأويسية كادت أن تكون من خصائص هذه الطريقة العلية النقشبندية ؛ لكون مبناها على السرِّ والخفاء ، بل في غير هذه الطريقة فنادرة جداً ، وذلك مع مراعاة أصولها .

والسبب الباعث للادِّعاء بهذا : أنَّ كلَّ مَن سمع مِن الناس أنَّ مَن أخذ الطريقة من الروحانيين أُويسيٌّ ؛ فبه يدَّعون بالأويسية ، وباجتماعهم مع روحانية كذا وكذا ، لئلا يُسْأَل عن مرشدهم ، ومن أين أخذوا الطريقة ! مع أنهم لا يدرون معنى الأُويسية ، وكيف التقى مع الروحانية ، وبأيِّ شيء صدَّروا طريقتهم من الروحانية ، فما مبدأ طريقتهم ، وما منتهاها ، ومتى يستحق للإذن والتصرُّف ، وما اصطلاح الروحانيين

في تلقينهم الطريقة ؟ ! ولازم أن يكون التلقين من الروحانيين مرتبطاً للنبي ﷺ ، فاسأل عن هذه الأشياء لأولئك المتشيِّخون وجرِّبْهُم ليطمئن قلبُك بمعرفة ما عندهم ، لأنهم لا يكادون يفقهون قولاً ، بل هم عن أمر ربِّهم معرضون ، وإنهم في ريبهم يتردَّدون ، ويعملون بالمجهول ؛ وهم في غفلتهم ساهون ويعمهون .

مطلب مهم

قال الشيخ الإمام أكمل الدين[1] قدس سره في « شرح المشارق » ؛ في حديث « مَنْ رَآنِي . . . » إلى آخره : للاجتماع بالشخص يقظةً ومناماً لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول :

١ الاشتراك في الذات ؛ أو ٢ في صفة فصاعداً ، أو ٣ في الأفعال ، أو ٤ في المرابت ، أو ٥ في حال فصاعداً ، وكلُّ ما يتعلَّق من المناسبة بين الشيئين ؛ أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة ، وبحسب قُوَّتِهِ على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقلُّ ، وقد يقوى على ضدِّه ، فتقوى المحبَّة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ، وقد يكون بالعكس . ومَن حصَّل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضين ؛ اجتمع بهم متى شاء ، وإلاَّ ! فلا . انتهى . ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين .

ثم اعلم يا أخي في الدين ومؤاخيَّ في طلب اليقين ؛ أوصيكم عن المخالطة مع هذه الطائفة ، وأحذِّرُكم منهم ؛ لِما أن أكثر الفتن في هذا الزمان في الدين والدنيا منهم ، وثلمة الإسلام بهم ، والجهلاء يتمايلون معهم تمايلَ الغُصن ، والنفس أمَّارة لا تتبع إلاَّ المنكر المخالف للدين ، وإياك والمجادلة معهم والاستماعَ لخزعبلاتهم ، والوثوق لأحد في

---

(١) البابرتي الحنفي (شارح الهداية) والحديث متفق عليه .

حقِّهم ، والقرب معهم والنصيحة لهم ، فإنهم لا يطيعون لأحد ؛ ولو أُوحي إليهم من ربِّهم ! فإن سألوك ! فأجب لهم بالكتاب والسنة بأحسن القول ، ولا تُذهب نفسَك حسراتٍ عليهم من جموعهم في المآكل والمشارب ، وصُنْ ماء وجهك من إراقته ، وارضَ بما قَسّم الله لك ، ولك في السلف أسوةٌ حسنة ، ولا تضجر من إذاية الخلق ؛ فذلك عرف الله في أنبيائه وأوليائه كما قال تعالى ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ إلخ . ولم يخلُ وليٌّ قطُّ من مكذِّب ومدَّعي ، وقد أجرى الله العادة فيهم بذلك ؛ ليزيد أجورهم عنده تعالى . وكن مع الله ، وتوكَّل على الله ، وادخل في دائرة (ما شاء الله) ، واعتصم بالحبل المتين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، والحذر من تكثير المريدين فليس هذا زمانهم ، وعن مصاحبة الأغنياء والمترفهين بالنعم ؛ فلا يزيدك بهم إلاَّ سحقاً ونفوراً ، وأقول ما قاله شاه النقشبندية بالتوصية .

وَكُـلُّ كَـمَـالٍ قَـدْ أَتَـاكَ فَأَلْقِهِ ... إِلَـى لُـجَّـةِ الإِعْـدَامِ واقْصِدْ مُحَيَّاهُ

وإِيَّـاكَ الاسْـتِـعْـوَاضَ فِيمَا عَمِلْتَهُ ... وَبِـالـفَـضْـلِ فَـاسْأَلْ كُلَّ مَا تَتَمَنَّاهُ

فاعلم يا أخي ؛ أني لم أُطق إيقاعَ الجواب لسؤالكم وفقَ إرادتي ، وإن كنتُ أريده ؛ لكوني في هذه السَّنَة عرضة للاعتلال ، وأطلتُ الكلام ؛ وإن كان قليل المنفعة ! ! رجاءَ أن يجيزنا بالخير شفقة علينا ، ونظراً لتعبنا ، فإن وَقَع في القبول ؛ فذاك فضل الله ، وإلاَّ ! فالحكمُ لله ، واللهُ يقول الحقَّ ، وهو يهدي السبيل ، وأوصيكم بالدعاء .

في ١٥ ربيع الأول ١٣٢٣.

المكتوب التاسع عشر

في بيان ما كتبه قدس سره من النصيحة ؛ حيث شكاه هذا الحقير رحم الله إفلاسه عن نفسه بكونها في الانحطاط بدل الترقِّي ، وبيان أن أهل السلسلة النقشبندية وقعوا غرباء في هذه الديار ، وبيان شكايته مما يفعله المتشيخ الكذَّاب ، وشكايته من كثرة الحُسَّاد ، وأهل الحقد والشحناء .

وقال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة . . .إلخ ، وعليكم السلام ورحمة الله تعالى . . .إلخ .

حضرة المرجوّ المقبول المخدوم ؛ حسن أفندي النقشبندي المجدِّدي المحمَّدي ؛ فقد وصل إليَّ كتابك مع الداخل بتبيين صحَّتكم مشحونةً بالتسليمات ، فشكرت الله تعالى بذلك . . .إلخ .

ثم إنَّك كتبت شكايةً عن نفسك بكونها في الانحطاط بدل الترقي ! ! فاعلم يا أخي ليس لك من أمر شيء ، اللهم نعم ؛ مثَلُنا مثلِ الغريق في البئر العميق ؛ يطلب مخلصاً ولا يرى مجيراً ، لكن ليس لنا إلاَّ التفويض ، على أن الدخول في ملك الغير غصب ، وإنَّ من المعلوم لكم أن للنفس انقلاباتٍ بالقبض والبسط لا تكون على حالة واحدة ، وقد قال القطب أبو مدين قدس سره : لا تنكر الباطل في طوره ؛ فإنه بعض ظهوراته .

واعلم يا أخي ؛ أن الله تعالى إذا أراد العارف أن لا يحصل له العجب ؛ يظهر له الحكمة التي في خلق الكافر وغيره من المخلوقات ، ولا يجدُها في نفسه ؛ فيفضِّلُه على نفسه بها ، فيصل به إلى الدرجة العليا مما يضيق عن الإحاطة بها نطاقُ البيان ، وينكشف له تسبيح كل شيء ، قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ . . . إلخ فلا محذور منه ، وقد ورد ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ، ولعل المعترض يحسب نفسه خيراً من كل شيء ، وهذا من ورثة الشيطان ! نعوذ بالله من ذلك ، كما قاله محمد مراد رحمه الله .

واعلم أن الدنيا سجن المؤمن ، والمناسب لحال السجن هو الوجع والألم والمصيبة ، ولا ينبغي التضجُّر والجزع من تلوُّن الأحوال ، وعدم حصول الآمال ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ ، فقرن الله سبحانه وتعالى بعسرٍ واحد يسرين ؛ لا عسر في أمر مع الكرام ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم ، ومع ذلك ينبغي للشيخ حفظ خواطر الشركاء والرفقاء ، وأداءُ حقوق الإخوة ، وأن لا يفارق مطالعة الكتب الفقهية ، وأن يجتهد في نشر الأحكام الشرعية ، وأن يرغب في متابعة السنة السنية ، وأن يحذر عن البدعة الشنيعة ، وأن لا يعدل عن طريق الالتجاء والتضرُّع والانكسار ؛ لئلا يُلقي النفس الأمَّارة من جهة الرياسة والتقدم على الأقران في المهلكة والحالة السيئة ، وليعتقد نفسه في جميع الأوقات وسائرِ الحالات قاصراً وناقصاً ، وليكن طالباً لكماله . والنفس والشيطان عدوان قويَّان في الكمين ، فلا يخرجان من الطريق خائباً وخاسراً . وذلك من نصحي لكم ؛ إن قبلتموه ؛ نجوتم ، وإلاَّ ! فافعلوا ما بدا لكم .

أيها المخدوم المكرَّم ؛ أقول لك ما قال الإمام الرباني قدس سره الصمداني في مكتوبه : إن أهل هذه السلسلة العلية وقعوا في هذه الديار غرباءَ ، ومناسبة أهل هذه الديار لطريقة هؤلاء الأكابر الذين هم ملتزمون للسنة بواسطة شيوع البدعة في هذه الديار قليلة ، ومن ها هنا اخترع بعض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظره في هذه الطريقة العلية أيضاً بدعات ، وجذب قلوب الناس بعلاقة ارتكاب تلك البدعات إلى جانبه ، وظنَّ هذا العمل بزعمه تكميلاً لهذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ؛ هداهم الله سواء الصراط .

وحيث أن أهل هذه السلسلة العلية عزيزو الوجود في هذه الديار ؛ ينبغي لمريدي هذه السلسلة ومحبيهم إمداد هؤلاء الأكابر وطلبة هذا الطريق وإعانتهم . . .إلخ .

المكتوب العشرون

في عرض حاله قدس سره وشكايته بكثرة البِدعة ، واندراج الطريقة بكثرة أهل الزعم والإنكار ، وبيان أن المتعلِّقين بهم لا يبتاسون من المكالمة والمجادلة وإتيان البهتان والغيبة ، وفي بيان ما وقع له وقت إجازته شيخه الشريفي زين الله التريسكي المعموري قدس سره ، وبيان مشائخه الذين كانوا هو في دائرة تربيتهم .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى ، وعليكم السلام الكثير .

من هذا العبد الكسير سيف الله إلى حضرة أنيسِ سرِّه وناموس صحيفة سريرته المحبوب بالله من صميم فؤاده ؛ العالم الفاضل والمرشد الكامل ؛ جناب الأخ المرجوِّ بكمال القبول ؛ الشيخ حسن أفندي أيَّده الله تعالى تأييده بالمدد السرمدي . السلام عليكم وعلى . . .إلخ .

بعد الحمد والصلاة لأهله ، وإظهار الشكر على نعمه ، أسأل الله سبحانه وتعالى لكم ولنا التوفيق والاستقامة ، والتأييد على آداب الله والمعرفة ، ثم إني أسعدني كتابُكم وسرَّني سلامُكم ، وصارت تسليةً حين كوني متغيماً في الفكر والكرب ، وشكرت الله تعالى سعيكم على ما وُفِّقْتُم ، وإلى نهج السعادات هُديتم ، فقرأته ولله الحمد ، وفهمت كلامكم حقَّ فهم دون أوهام .

فاعلم يا أخي أقامكم الله تعالى على المشاهدة التي تورث مكالمة ؛ إنَّا في زمنِ سوء لا يمكن الوثوق على نفوسنا ؛ فضلاً على الغير ، وقد قلّ الصادقون حتَّى لا نرى منهم أحداً ، حتَّى صار بحيث لو قال أحدٌ (كثرت البدعة وذهبت الطريقة بالكلية) لساغ له أن يقول ذلك .

اللهم نعم ؛ إن الفتنة عمَّت من هؤلاء الجهلاء الذين يقمعون أساس هذه النسبة العلية بالكلية بزعمهم أنَّهم مؤيِّدون ! ولا ريب أن هذا من أشراط الساعة ، وأنَّ كثرة المريدين من تلك الأشراط ، لما أنهم يثبون إليها وثبة الأسد على الفريسة ، ويكتفون باسم المريد فقط ، ويظنُّون أنَّ ذلك تجاوزٌ من القنطرة ، هيهات ! ! إن لها مواقف . . .إلخ .

وأعظم الفتن في ذلك : أَنَّ مَن له صلاحية وقبول يشتاق إلى الخير والصلاحية ، ويسأل من بعض الناس مَنْ يرجع إليه ؟ ! فكثيراً ما يتَّفقون له من زبانية المريدين ويدلُّونه إلى شيخهم المتشيِّخ الأكول الجهول ، فيثق الفقير على مقالته المرفوعات والمجرورات ؛ فيصحب معه ، فبعد مدَّة يرجع طبعه إلى ذلك المتشيخ ، لما أنّ الإنسان مَدَنيٌّ بالطبع ، ثم يصير مفلساً من صلاحيته القبلية ، فلا يقبل بعد ذلك قولَ أحدٍ إلا قوله المُلَبَّس الذي اخترعه من تلبيس الإبليس ، ويضيع عمره في هذا التدليس - اللهم أعذنا من مكر الله تعالى ومقته - ثم يصير السالك المرجوم وشيخه فتنة للدين وأهله .

وإني بحمد الله كنتُ آمناً من جهتهم ولا أخلطهم قطُّ ، بل أصحبُهم بالقول المعروف . وفي هذه السَّنَة لا أعلم مِن أيِّ جهة دهيت ، وبعضهم يحضرون لديَّ ، ويتكلُّمون في بعض الأحيان بأقوال مموَّهة ، فلما تجاهلت عندهم ؛ يتكلَّمون بكلام عالٍ بإراءة أحوالهم وأحوال شيخهم ، فأشكرهم وأرضيهم بالقول ؛ مصلحةً لدهري ، وإن كنتُ أرى من أفواههم ظلماتِ الكدورات عياناً .

وإن سألتهم عن أمرٍ في الطريقة ! فوربِّ العِزَّة ليست عندهم شائبة من ذلك ، وهذه الفتنة أجلُّها يصدر من واحدٍ فينا يتشيَّخ ، بل يتقطَّب ! ويُري للناس أحوالاً وأقوالاً مزخرفة ؛ لمجرَّد جلب نِعَم الخلقِ إليه . فإن سمع له أو لمريده أحدٌ آخر من أهل هذه الطريقة العلية - وإن كانَ صاحبَ مقام عظيم - يتغيَّر لونه وعقله ، ويُخرج من فمه وأصحابه

أقوالاً ؛ عياذاً بالله منهم ، وقاتلهم الله بأيديهم . والأمر هكذا ، بيد أنَّ الأمر أيها الأخ لله من قبل ومن بعد ، وإن تتبعنا لهؤلاء القوم من حظوظ نفوسنا ليس لنا من الأمر إلا أن نجتهد في إصلاح سرائرنا . سرُّنا وعلانيتُنا ليست إلاَّ بنفوسنا والله تعالى عدلٌ كريم ، ولازم علينا قطع النظر عنهم ، والدعاء لهم بالإصلاح والاستقامة ، فإن عاشرتهم بالصحبة بوقوعهم في مجلسك ؛ فعاشرهم بالمعروف ، ولا ينالك من سوءهم شيئ ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، والله مع المحسنين .

أوصيك ووصيتي أيضاً للمريدين لكم ؛ أن لا تمكن لهم للتوغُّل مع أولئك ، فتقع المكالمة والمجادلة ، فتسيء ظنونهم فيصير ذلك سقوطاً لهم من عين الله ؛ عياذاً بالله ، وأما هم ! فلا يتأسون من ذلك ، لا يعلمون الخير من الشرِّ ، ومن أين لهم ذلك ! ! صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يهتدون ! ! بل يباهون عند شيخهم أنّا قلنا لمريدي فلان كذا وكذا ، فيفرح المغبون من أقوالهم . ذلك هو الخسران العظيم . اللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين .

ثم إنَّك كتبتَ إليَّ تردُّدَ رأيكم في ذهابك إلى « اشترخان » ! ! فاعلم يا أخي أن « اشترخان » ليس موضعَ الفقراء ، بل هو موضعٌ حسنٌ لتسمين الأبدان بالسُّحت ، فبالله عليك تخرج من هذا الرأي زمناً قليلاً ، وأرجو الله أن يفتح لكم شأناً ، فاصبر وما صبرك إلا بالله ، وظنِّي فيك الساعةَ حسنٌ جدّاً ، والسوء القليل يكدِّرُك من حيث لا تعلم ، والزيارة أحسنُها ما يكون بالقلب وما يفرح به المزور ، والمزور يسرُّ منك بالأحوط لحالك ، والله رازقك من حيث لا تعلَم . جفَّ القلم . . .إلخ . فبعد زمن تصير إن شاء الله بكيفٍ يسير إليك الزائر والمزور ، وينالك الحظُّ الوفور ، فاجتهد لارتداد المجاهدة ، واخلع عنك لباس الطمع . أيَّدك الله تعالى في دائرة أهل التكميل .

وأما ذهابي إلى « شورة » ! أظنُّ عن قريب يكون ، ويكون رجوعي بظنِّي الحالي سريعاً ، والعلم لله ، فبعد الذهاب أنظر إلى كتابيك إن وفَّقني الله تعالى ، وأتكلَّم مع محمد مرزا بما فيه المصلحة .

وأما ظنِّي في حقِّ الهجرة ! ! فالعزمُ على ما هو عليه ، وسِرِّي يناديني بأن أخرج من هذه القرية ، ولا أعلمُ المآل ، والله يعلمُ عاقبة الأمور .

وأما قصدُكم وقصدُ أخينا محمود لصل محمد للزيارة إلينا ! فوا فرحي من رؤيتكم ، بيد أنَّ زيارتي إليكم ؛ ولو حبواً أوجبُ وأليقُ وأنسبُ بألوف منكم ، لما أن العدد القليل يطرح إلى الكثير ، ومَن أنا أيها الأخُ لذلك ! ! فإن قصدتم لذلك بعد رجوعي من « شورة » وستعلمون إن شاء الله ؛ فليكن الحضورُ مستورة الأحوال ، لئلا يظنَّ الناس أني من المستحقين لذلك . فافهم . . . وإلخ .

وأما قولك (أصير أحياناً بحيث لا أعرف أحوال المتوجِّه . . .إلخ) ! فاعلم أيها الأخ ؛ أن الوقت قريب العهد ، وعليك بتحمُّل المشقَّاتِ ، والله يهوِّن عليك الصِّعاب ، لما أنَّ الله تعالى لا يزال لعبده يرى الانقلابات لحكمةٍ ربَّانية لعلم يعلمه تعالى .

ثم إنَّك كتبتَ . . وليكن . . .إلخ ، ثم إنك سألتَ : أيُّ مشرب ربَّاك الشيخ ! ! وإلى أي مشرب . . .إلخ !

هلاّ تركتَ هذا السؤال ! ولو كنت تركتَهُ بالكلية لسُرِرْتُ ، ولكن لا بدَّ لك الآن من الجواب . . . إن الشيخ المشهور العالم العلاّمة الحاج خصبولات أفندي الكستاكي لما لقيته ووقعت بيننا محبَّة عظيمةٌ جدّاً ، وأقامني عنده وقرأتُ عليه كتاب « سلك العين » ، ثم إني أظهرتُ له قُدِّس سِرُّه إرادتي في حقِّ أخذ العهد منه ، وكان هو من خلفاءِ شيخنا محمود الفعال قدس سره ، فقال : أخبرني روحانيةُ شيخي : أنَّ رضاعك يكون من الشيخ العارف محمد ذاكر قدس سره ، وأمرُه في مقام عال ، وتكون عنده في الربيع . فتحيَّرت من ذلك ، وقال لي ثانياً : كنت تمنَّيتُ أن تكون ابني ، بيد أنَّ الأمرَ لله ، فاشتقت لرؤية محمد ذاكر قدس سره ، فمرضت وبقيتُ مدَّة أربعة أشهر ، وخرجتُ بالوداع عنه في الربيع قصداً إلى العارف محمد ذاكر الچسطاوي .

وأخبرني الشيخ العارف السيد أبو عبيدة الحسيني بأن الشيخ أخبره بوصولي في وقت معيَّن ، فوافق حضوري لديه كما قال ، ووصلتُه بفضل الله تعالى وعنايته ، فوجدته بحراً لا ساحل له ، واليمنُ والبركة يفوح من جوانبه ، والنور يلوحُ من جبينه ، وكان عارفاً بالله لا يأخذه في الله لومةُ لائم ، وما رأيته يتكلَّم بكلام الدنيا قطُّ ، وكان يفني أوقاته بالمراقبة ، ففرح بحضوري فرحاً ، وكان هناك من المريدين أزيدُ من ألف وخمس مائة ، وأنزلني في موضعٍ حسن ، وما جلس في مجلس قطُّ ما دمت في جواره إلاّ ودعاني لديه ، وكان مِن هيبته ما يتحيَّر به العقول ، فبقيتُ مدَّة ، وأقامني على سلطان الذكر أربعين يوماً ثَمَّ بعد أن لقَّنني النفي والإثبات ، ثمَّ إنَّ قريبنا سيِّد أبو عبيدة الحسيني قدس سره خليفَتَه قصد الرجوع بأمره إلى الوطن ، وأمرني بالقيام لديه ، فكتب إليه السيد عبيدة كتاباً بأن والدةَ سيف الله في قلق ، فاستطلقني منه ؛ ولم يكن لي من ذلك خبر . فكتبَ إليَّ : لك الرخصة ، ثم ذهبتُ لديه ؛ وقلت إني أرجع ثانياً لديك ! ! فتبسم قدس سره وقال : إذاً لا تراني ، فبعد المفارقة منه ندمت ندامة الكُسَعيِّ حين لا ينفع ، ثم ذهب سيد عبيدة لديه راجعاً ، ومات الشيخ ، فإن رسالته تتوالى لديَّ كلَّ وقت ، وقد وصَّى بأن أكون على ما لقَّنه برهة ؛ حتَّى يُقَيَّض لي مَن يقبلني ، والوصية على ما قال سيِّد عبيدة ، فبقيت كالحبَّة الملقاة بموت الشيخ ؛ لا أدري ما أفعلُ ، وسَعَيت لدى مَن سمعتُه شيخاً ؛ فلم يطبْ قلبي من أحد بعد أن رأيتُ ذلك العارف ، وبقيت كذلك ، ثم وصلَت الإشارة من روحانيته بذهابي لدى الشيخ زين الله المعموري الشريفي الكائن في ولاية سبير جهةَ الشرق ، فتحيَّرتُ ، فوصل في أثناء ذلك رسالةٌ من سيِّد عبيدة بكونه لدى القطب العلامة زين الله الشريفي التريسكي ، والتمس مني ملاقاته ، وفصَّل فيه مناقبه وعلوَّ درجته ؛ فبقيت بعد ذلك أكتبُ إليه وهو يأمرني وينهاني ، ووصل إليّ رسالة بإجازة مقيَّدة ، فبقيت مدَّةً لا أعلم ما أفعل ، ثم في ليلة أتاني روحانيةُ العابد الكبير ، والولي الوفير عبد الله القوبي ، وقال

لي : لازم عليك الذهاب إلى زين الله ، وهو منتظر لقدومك . ورأيت روحانية الشيخ محمد ذاكر قدس سره ، ونظر إلى جميع اللطائف ، وامتحن أموراً فأجازني بالإجازة المطلقة ؛ وسمَّاني « أُوَيسِيّاً » ، فحين ذلك تهيج أوصالي للذهاب إلى زين الله ، فخرجت متوكِّلاً بالله في السنة الماضية ، فلما وصلت إلى أطراف سبير لقي لي واحدٌ وتكلَّم بالعربية ، والموضع ليس هنالك أحد من المسلمين ! وقال : إن هنا رجلاً وأيُّ رجلٍ . . . فإن لقيتَه تفرحُ ، فذهبتُ لديه ؛ وهو على المِشَنة ، ووجدته رجلاً لا يريد المكالمة ، فذهبت لديه مرتين ، وساء قليلاً ظنِّي قائلاً : ما أثقله ! ففي المرة الثالثة قال لي : كأنك تريد مجلس الشيخ زين الله ! ! فقلتُ : اللهم ؛ نعم بالله ، فانشرح من قوله صدري ، ورافقته ؛ فوجدته عالماً متورِّعاً ، ومرشداً كاملاً ؛ أميناً بارعاً ؛ من خلفاء زين الله ؛ وهو أيضاً يذهب للزيارة لديه ؛ فوقع البسط بيننا ، ورافقنا إلى أن وصلنا إلى بلدة التريسكي ، ونزلنا في مسافر خانه ، وذهب المذكور صديقي لدى الشيخ ، ورجع مباسطاً : البشارة يا ولدي ؛ ولم أعلم مراده ! وما سألته ! ثم في الصبيحة لا قيت الشيخ زين الله بن حبيب الله خليفةِ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، فوجدته قطب زمانه ، وعلاّمة عصره ؛ خارجاً عن حدِّ الوصف ، والمزاحمة عليه من كثرة الناس فمما لم يسمع قطّ ، فأدناني وترَّبني وجعل لي مِن بين الخلفاء مجلساً خاصّا ، ثم أقامني بعد انتهاء المراقبات في الأربعينيات ، ثمَّ بعد أيام جَمَع من الأطراف خلفاءَه ؛ وكان المزاحمة بكيفٍ لا يمكن التوسّل لدى الشيخ ! فجعل قِرىً عظيماً ، وصرف نقداً كثيراً في مجلس الضيافة ، وتصدَّق بصدقة عظيمة للناس ، وأمر الناس بالدعاء لي وللمسلمين كافة ، وألبسني خرقة بيضاء تبركاً ؛ التي توارثها من ساداته ، وأجازني في بعض أمور ، وسلَّم ليدي أسانيد العلوم بعد الامتحان ، وسنده أعلى سندٍ الآن في الدنيا في الحديث ، ثم أقامني مدة ، ويختلي معي بالتوجُّه والتلقين .

ورأيت خلفاءَ من العلماء الكُمَّل ، فوالله ما رأيت فيهم أحداً ؛ ولو أدناهم برأيي ممن يليق أن أجلس معهم ؛ لعلوِّ مقاماتهم ، وكنت أحسب نفسي كالكلب[1] عندهم ، ومع ذلك كانوا لا يتجاسرون للجلوس إليَّ حين كنت مع الشيخ ، ولم يكن بيني وبين الشيخ أحد ، ولم يكن الكلام والمصلحة إلاَّ معي ، وأظنُّ أن ذلك لبعُد مكاني ، وكوني غريباً .

تذييلٌ : وقبل أن أصل إلى الشيخ كان يتردَّد في قلبي الشيخ محمد مراد المنزلوى ثم المكي ؛ مصنف « المكتوبات » وتعريبها ، ومعرِّب « الرشحات » وأمثالِها ، فائق الزمان ، فأخبرني الشيخ في مجلس أن محمد مراد يصل عن قريب ، فلم أفهم من قوله مراداً ، ولم أتفطَّن ، ولم أقدر أن أرجع بالسؤال مَنْ محمد مراد ؟ ثم في يومٍ بَشَّرني الشيخ بوصول محمد مراد ، وقال : إنَّ محمد مراد كما كان اسمُه « مراداً » ، وجسمه أيضاً « مراداً » ، ووقعت المصاحبة معه والمحبَّة ، وكان حضر لزيارة الشيخ زين الله ، وحضر أيضاً للزيارة حفيد سيد علي المحدث المدني ؛ وإن المذكور مراد أفندي كان جبلاً في العلم ، فتشرَّفت بالطريقة القادرية قدس الله أسرار أهاليها ، وكان المذكورُ ممَّن أخذ الطريقة الصديقية من عدَّة مواضع ؛ كسيد حسين جمل الليل ، وعبد الحميد الشرواني ، ومحمد مظهر ، وشيخ صالح الزواوي قدس الله أسرارهم ، وكذا باقي الطرق ، وكان عند شيخنا في موضع القبول تماماً ، ثم إن شيخنا زين الله - متَّع الله بطول بقائه المسلمين - جمع جميع خلفائه والعلماء الأئمة والمشائخ ، وفعل لهم ضيافة عظيمة ؛ يحتمل أن يكون المجتمعون أزيدَ من خمسمائة ، فسَلَّمني صكَّ الخلافة في الطريقة المُجدِّدية ؛ مختوماً بخاتمه ، ووعظهم بكيفٍ يهيج الأوصال ، ووقعت بينهم بكاء ووجد ، وقال : هذا مير سيف الله خليفتي وحامل أماناتي ، وهو ولدي ، ويدُه

---

(١) يعني يصحبهم للخدمة والحراسة ؛ لا للخلطة والمجالسة ، وإلا لم يجز للمرء المكرَّم أن يشبه نفسه بالكلب .

يدي ، وقبوله قبولي ، والله وليٌّ عليه في الدنيا والآخرة ، وأرجو منكم أن تحفظوا حرمتي فيه ورعاية آدابي به ، ثم دعا لي والناس كلُّهم مُؤَمِّنون ، ثم أمر بالدعاء لي الشيخَ محمد مراد ، وكذا أمر بعدَّة من الصلحاء ؛ فقاموا كلُّهم وصاروا يقبِّلُون يدي ، فكان نفسي كأنها تذوب من شدَّة الحياء منه ومنهم ؛ لكوني بمنزلة الكلب في أبوابهم ، ثم ألبسني الخرقةَ المذكورة ؛ وأجلسني عنده ، وأمرني بالقيام على الإرشاد فاستعفيته غيرَ مرة ؛ فقال : هذا أمري بالله لله ؛ فافعل ما أنت له . فبعد قِيل وَقَال رجعت من عند الشيخ ؛ والمراد والقلب في حرقة من المفارقة ، فبعد وصولي هنا كتبت رسالة بالاستعفاء عن توغُّلي في التربية ؛ نظراً لحال المريدين والمرادين ؛ ومع ذلك وصل الأمر في هذه الأيام ، وكأنه يريد أن أذهب إلى جهة بخارى وما وراء النهر لتربية المريدين ؛ لكثرة مريديه في تلك الناحية ، وإني أيها الأخ في شغل عظيم ؛ في حيرة ، وأرى صون نفسي في مقرِّ بيتي ، والعلم عند الله ، والقصورُ عليَّ لازم كلَّ وقت ، وعليّ ضعف ووَهَن في القوة ؛ هذا حالي ، وبيَّنت لك قصَّتي ، وما نطقت بحرف من هذا مع أحد ، ولولا الثقة لما أخبرتك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وإن شيخنا المذكور أورعُ خلفاءِ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، وهو أخذ الطريقة من القطب الفرد صاحبِ المقامات والأحوال الخارقة السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني ، وهو من القطب شيخ خالد الشهرزوري قدس الله أسرارهم ، وإن الشيخ زين الله المذكور أخذ أيضاً الإجازة عن عدَّة المشائخ الكرام ، ولعلك تفوز بمناقبه ! ! وفي مناقبه تأليفات ، والله أعلمُ خير الأمور ، ولا حول ولا قوة . . .إلخ .

المكتوب الحادي والعشرون

في بيان إتيان (محمد رسول الله ﷺ) بعد ذكر النفيَ والإثبات بحبس النفس بالقلب ؛ أو باللسان ، وفي بيان إتيانه مبتدأ من القلب إلى الروح ، أو من الروح إلى القلب ، وفي بيان مواظبة (إلهي أنت مقصودي ورضاك . . .إلخ) ، وثمراته ، وفي بيان كيفية نقل الذكر من لطيفة ، وفي بيان حقيقة ما كشف لواحد من الوقائع المنامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ من هذا الأقلِّ الجاني مير سيف الله إلى المرشد الواصل والإنسان الكامل ؛ أخينا الصالح المرجوّ المرجو المرجو حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدّدي الخالدي ؛ سلامٌ سرمدي عليكم وعلى آلكم مع ألطافه الأبدي ، فقد سرَّني سلامكم ، وشرح صدري خطابكم ، فجزاكم الله عني الجزاء الجميل ، وأيَّدكم على التوفيق ومقام التكميل ، أحمده سبحانه وتعالى على كلِّ حال . . .إلخ .

وإن سألتم عن المغبون ! فالحمد لله على الصحَّة والسلامة . . .إلخ .

ثم إنكم أرسلتم بعضَ خطوط باستفصال أجوبتها ، فاعلم أيها الأخِ ؛ أنّ السائلَ أعلمُ وأورعُ وأتقى من المسؤول ، لكن أكتبُ إليكم ما خَطَر عندي على وجه الاستعجال ؛ صوناً لخاطركم ، فإن وقع في حيِّز القبول ؛ فالحمد لله ، وإن كان على عكس الصواب ! فالأمر لله ، فتعرض ثانياً إلينا لننظر بالدِّقَّة ، وقد أسرعنا في كتبة الجواب نظراً إلى استعجال حامل سلامكم .

فقولك (الفقير مضطجع تحت أحمال الورى مع عدم أهليته . . .إلخ) .

لا حاجة لتكثير هذه الشكاية ، فأحمد الله على ما ألهمك ، وأشكُرهُ يزيد مِن سعة رحمته ما يليق لحالكم ، وكن صاحبَ تفويض لا يحركه شيء . . .إلخ .

وقولك (إنّ شيخنا قدس سره كان يعلِّمُنا ويأمرنا بإتيان (محمد رسول الله ﷺ) بعد ذكر النفي والإثبات؛ بحبس النفس باللسان . . .إلخ) .

إن شيخكم قدس سره أَمَركم بالحقِّ الحقيق ، وأنت المخيَّر في أن تقول باللسان؛ كما عليه بعض السادات أيضاً . . وهو ما اختاره العارف (صاحب حسب حال) ، ويكفيك جلالةُ قدره وكمالُ صدقه قدس سره ، والذي أَمَرنا جامع القطبية شيخُنا أبو عبد الرحمن محمد ذاكر قدس سره : بالقلب قبل إطلاق النَّفَس ، وعلى ذلك كان أيضاً تلقينُ شيخنا أبو المواهب زين الحق والدين زين الله الشريفي ونفسي فداه ، كما سار عليه أكابر السادات أكثرهم ، والفقير أيضاً على اختياره؛ لما أن قوله بالقلب أقربُ للجمع ، وأبعدُ من التفرقة؛ كما قال السيد زيني ، والعارف محمد مراد في «تحفة الأحباب» ، والعارف محمد مراد المنزلي في «التعريب»؛ بناءً على ما ذهب إليه الإمام الربَّاني قدس سره ، لكن رأيت مِن بين المشائخ مَن يختاره باللسان! فانظر يا أخي لنفسك؛ في أيِّهما ظهورُ النتيجة؛ وحصول الذهول ، وقال مولانا شيخ محمد مظهر : ويقول عند إطلاق النَّفَس بلسان الخيال (محمد رسول الله ﷺ) وعند البعض قبل إطلاق النَفَس ، وكلُّهم بالحقِّ إن شاء الله تعالى .

وقولكم (إن شيخنا قدس سره أمرنا بإتيان (محمد رسول الله ﷺ) من الروح إلى القلب ، والمنقولُ إتيانُه مبتدأَ من القلب إلى الروح . . .إلخ) .

رضي الله عن شيخكم حيث أصاب في قوله (من الروح إلى القلب) ما أعلمه وأحوطه! فالقول الثابتُ ما قاله ، وعليه جرى مشائخنا قدَّس الله أسرارهم ، ولكن لا تعارض بين قول الشيخ قدس سره؛ وبين ما في المكتوب ، وذلك أن السراية في الذِّكر الأوَّل من القلب إلى الروح ، وفي الذكر الثاني من الروح إلى القلب . وقد كتبت أيضاً (والمنقولُ إتيانه مبتدأ من . . .إلخ) فمن هذه يُعلَم عدم التناقض ، فتدبر .

وقولكم (إنا نجد بعض المريدين لا يعرف الحرارة ؛ ولا الحركة ؛ مع أنَّه ينعكس منه وقت التوجه الحرارةُ ؛ أو الحركة والاضطراب . . . إلخ ! ! وهل يجوز العمل بما انعكس إلينا ؛ أو يتأخَّر تلقينُ الذكر له حتى يعرف . . .إلخ !) .

فاعلم أيها الموفَّق ؛ أن ذلك من قلَّة استعداد المريد وقلَّة محبته الشيخ من صميم الفؤاد ، وإنما الفيض والذهول ربَّما يكون من رسوخ المحبَّة لشيخه ؛ كما هو المقرَّر ، وهو الأصل المبنيُّ عليه هذه الطريقة العليَّة ، ولا تؤخّر لمجرَّد عدم الحركة ؛ فالحركة ليست بشرط . كما قال العارف بالله محمد مراد شيخنا ؛ ونفسي فداه ، قال : المرادُ دوامُ الحضور ، بمعنى أنَّه متى توجَّه إلى قلبه تجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنه تحصل له الحركة ، فإنَّ ذلك ليس بلازم ؛ ولا مستحيلَ الحصول ، والعمدةُ في الأذكار : هي الوقوف القلبي ، كما أن تعيين العدد ليس بلازم .انتهى كلامه .

وأما الحرارة ! فهي أيضاً أغلبيةٌ ؛ لا كُلِيَّة ، وشيخنا أبو المواهب زين الله الشريفي ؛ ونفسي فداه ، لمّا أراد النظر إلى تزكية لطائف الفقير أمرني في الذكر الثاني بالنفي والإثبات إلى أن يبلغ العدد إلى إحدى وعشرين ، ثم أيضاً ، وهلمّ إلى أن ترتقي إلى مائة وخمسة وثلاثين ، فقال لي : كيف الحالُ ؟ ! فقلت : لا أقدر التجاوزَ ؛ خوفاً من الحرقة فضلاً عن الحرارة ، فقال : هيه هيه ! ! . . فدعا لنا . . .إلخ .

وهذه الحرارة أيضاً من صدق الاستعداد ؛ لا من الشروط ، فبه توقَّف المريد مدَّة إلى أن يرتسخ الذكرُ في القلب ؛ على وفق اصطلاح القوم ، لئلا يكون الاستعجال عثرة ؛ بل خطرة للمريد ، ثم إذا صار الذكر مرتسخاً في القلب حتى صار مَلَكة ؛ بحيث لا يتحرك إلاّ بالذكر ؛ فحينئذ يمكن النقلُ ؛ أي : حين رسوخ القلب بشهود المذكور ونسيان ما سواه . وحقيقة ذكر الشيء : نسيان ما دونه ، فإذا دام الذكر دام النسيان ، وإذا ارتسخ بحيث لو تكلَّف الذاكر إحضار الغير لم يخطر ؛ انتقل ذكره إلى الروح . .إلخ ؛ كما قال الخاني قدس سره .

لكن أيُّها المخلص ؛ هذا حالُ المريد الصادق ، ووجوده أغربُ من كلِّ شيء ، سوى التلقين للتبرُّك على سبيل المداراة للمصلحة الدينية ، كما قال خواجه بهاء الدين محمد الأويسي البخاري قدس سره ؛ وجعلنا في بركاته آمين .

وكذا قال بهاء الدين عمر رضي الله عنه ، وإن كان قولُه في هذه الطريقة غيرَ جائز ، لكونه مجذوباً بالجذب الإلهي ؛ لا بالتلقين . . .إلخ . مثلاً إن قولك (إلهي أنت مقصودي . .إلخ) وإن لم يجد الصدق في الطلب ؛ فإنه تظهر فيه حقيقة الصدق بالمداومة . . .إلخ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار قدس سره : ولا يترك المبتدئُ هذه الكلمة بسبب فقدان صدقه في مضمونها في بداية أمره ، فإنَّ بتكرارها تظهرُ فيه آثار الصدق تدريجاً .

فاعلم أيُّها الأخ ؛ لولا الوقت في المضايقة لبسطت الكلام هنا بكَيْفٍ تقرُّ عينكم ، لكن . . .إلخ ، وقد كتبتُ ما كتبت نظراً إلى قلَّة مساعدة الفقراء بالاستعداد بحسن الظنِّ إليهم ؛ كيف كان ، وكيف يرتسخ الذكر بكيفٍ يورث شهودَ المذكور ، ويفنى بحيث لا يخيَّل سواه – كما هو مراد القوم – مع الشبهات الواقعة فينا في اللقمة والملبس وسائر المنوطات إليهم ؟ ! سامحه الله تعالى من فَرَطاتنا وزَلاَّتنا . آمين .

وإن حَبْس النَّفَس لا يَعدُّون لازماً ! حتَّى قال مولانا خواجه بهاء الدين الأويسي البخاري قدس سره : إن حبس النفس والوقوف على العدد ليس بلازم في النفي والإثبات ، لكن الخالديون قدس الله أسرارهم لشدَّة احتياطهم وجرياناً على أسوة مشائخهم ؛ يلازمون عليها لأجل انشراح الصدر ، واطمئنان القلب ، وحصول الحلاوة الروحانية ، ونفي الخواطر ، وجمع الخاطر عن التَّفرقة . . .إلخ .

وقولكم (فهل نعمل في نقل الذكر على هذا ! ! فنحنُ لا نرى الأنوار ، وليس لنا كشفٌ نعلم نتيجة الذكر سوى الانعكاس . . .إلخ) .

إنَّ لكم تنقيلَ الذكر متَى رأيتم من السالك الاستقامة بحيث يطيب قلبكم ؛ بوقوفه على الآداب ، ورعاية المتابعة للسُّنَّة السَّنيَّة ، وإن لم يظهر منه العلامات . وأما الأنوار ! ! فخارجة من هذه ، كيف لا إن رأيتها في هذا الزمان صارت كعنقاء مغرب ؟ ! وبناءً على ما يقول سادات الطريقة إن رؤيتها ليست كليَّة ؛ بل أغلبية ، ولا هي من الضَّرورات ؛ كما قاله العارف محمد مراد قدس سره ، والهروي ، والمظهري ، وأمثالهم .

وقد ذكرت في أُرجوزتنا « مواقف السادات » تفصيلها ، ونفصِّل إن شاء الله تعالى في « كنز المعارف »[١] إن ساعدنا الدَّهر ، والله الباقي .

معنى النتيجة وثمرتها

وأما حصول النتيجة ! ليست خاصَّة بإحدى وعشرين ، بل في عدد الوتر ، يحصل في الزيادة ؛ بل في النقصان نادراً ، والمراد من النتيجة : نسبَتُهم المعهودة عندهم ؛ وهي الذهول ، والاستهلاك أي : الاستغراق ، في مشاهدة أنوار القيومية ذاتَ الحقِّ سبحانه وتعالى في جميع الأشياء ، وإن لم تظهر النتيجةُ فيما وقع من الخلاف في الآداب ؛ فيستأنف . . .إلخ .

وإن المشائخ أكثرهم عيَّنوا لظهورها هذا العددَ ؛ بناءً على الأكثر ، وذلك لأن ظهورَها يكون في أوتار العدد أيضاً ، وفي تخصيص ذكر هذا العدد ، لما أنَّ في هذا العدد اجتمعتْ فيه عشرةُ أوتار ، وفيها سرٌّ عظيم عند أرباب الكشف . قال تعالى ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ . . .إلخ ، ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ . . . الآية .

---

(١) من تصانيف المؤلف سيف الله (انظر ص١١) .

واعلم أيها العارف العاكف - وفَّقك الله لِبَثِّ المعارف -؛ أنَّ نتيجة الذكر - وإن أكثرَ الساداتُ الكلام فيها - لا تظهر إلاَّ في القلوب الفارغة من غيرِه تعالى، التي ليس لها شغلٌ إلاَّ به، ولا التفاتُ إلاَّ إليه، ولا إقبال إلاَّ عليه؛ بحيث صار السِّوى سُمّاً قاتلاً؛ وهي لذوي القلوب تظهر في أقلِّ الأوقات، وفي ضِدِّها لا تظهر الثمرة؛ ولو بالألوف؛ كما قاله صاحب «الأزهار الأنورية» قدس سره، وهي وإن كانت لا تظهر إلاّ في الأقلِّين، لكن هي من المهمات، ولأجل وقوع ترك الأدب فيها بكثرة تصنُّعات المريدين عند مشائخهم، وإراءة أمور ليست خارجة منهم حقيقة فيهم؛ انتشرت الفتنة منهم، بل صار اسم الطريقة فتنةً للناس. اللهم اجعلنا من المصونين بأسرارك، ولا تجعلنا فتنة في الدين. آمين.

فإن أردت امتحانَ ذلك! فتسأل من مدَّعي المشيخة في هذا الوقت: ما معنى النتيجة؟ وكيف ظهر له؟! فيحق الحق... إلخ. حتى في المخلصين ظهورها ندرت، والحكم بالنادر مشكل. فتفطن!

قال العارف بالله محمد مراد في «تحفة الأحباب»: إنَّ كلَّ أحد إذا جاهد في ذكر كلمة التوحيد، ولم تظهر النتيجة من مجاهدته؛ فاعلم أن فيه خلافَ أدب من الآداب، لأن الخلاف في الأدب يوجب الضَّرر بالخاصِّيَّة؛ وإن كان بأدنى شيء، فليستأنف الذاكر بالمجاهدة الذكية المستورة بتجديد العهد عن شيخه، وليطابق القولَ والفعل. وقد أشرتُ إليك آنفاً أن جميعَ ما قرَّر السادات حقٌّ حقيقٌ، وليس لنا وراءَ قولهم قولٌ؛ بيد أن ظهور النتيجة نادرٌ في هذا الزمان، وللزمان حكمٌ مخصوص، فلا تنظر إلى ظهورها، وانظر إلى استقامة المريد، وأعظم الأسباب لفتح الباب: الخضوعُ، والفاقة، والانكسار، والصدق، وبها ينال المنى ما لا ينال بغيرها، وإلاَّ! فخزائنُ الله مملوءة من العبادات، وليس أغرب شيء فيها من الانكسار. فافهم.

وقولكم دام رشدكم (إنه أخبرني بعض المريدين أنَّه كُشف له أشياء، بل كُشفَ له حية على صورة كذا، فناداني فسُتِر من وقته... إلخ)!!

صفتان تلدان مع النفس

فاعلم أيها المرشد؛ أكتبُ لك كلاماً؛ وإن كان خارجاً من المكتوب، وذلك أن للنفس صفتين ذاتيتين تولَّدت من بطن الأم، أَحَدُهُمَا: الهوى، والأخرى: الغضب. فمن صفةِ الهوى يتولَّد الشهوة، والحرصُ، والطمعُ، وطولُ الأمل، وحبُّ الدنيا، وأمثالُها. ومن الصفة الغضبى يتولَّد الكبر، والعجب، والعداوة، والحسد، والحقد، وأمثالها من الأخلاق القبيحة، وهاتان الصفتان لازمتان للنفس تحفظانها، وذلك أنَّ صفة الهوى تجلب المنافع، والغضبى تدفع الأضرار، وتخلُّصُ النفس بإزالتها بالكلية منها؛ تورث النقص، ولا تُحصِّل الكمال. وإن غلبت الصفتان؟ تورث الضرر والنقص في العقل والإيمان، فتربية النفس لإيراث الاعتدال بين الطرفين من قانون الطريقة الأحمدية قدس الله أسرار أهاليها، لما أنَّ بالتربية تتبدَّل الأوصاف الذميمة بالأخلاق الحميدة؛ كتبدُّل الهوى بالمحبَّة الإلهية، والشهوةِ للعِفَّة، والحِرْص للغيرة، وباقيها بأمثالها.

ثم إن جميع أفعال وأعمال الإنسان وأخلاقها مركوزةٌ في النفس، ومكنوزة في القلب، وكلُّها عبارة عن قوى الباطني، وكلها يظهر في عالم البرزخ على أمثال الصور المختلفة وأشكال شتى، فإذا كان كذلك! لازم معرفة أشكالهم؛ أيُّهم نوراني، وأيُّهم ظلماني! ومعرفة ذلك يكون بهذا الوجه؛

وذلك أنَّه إن غلب في أحدٍ من العشق والمحبَّة!! يظهرُ له الذكر والتسبيح، والتفاح، والعنب، والأشربة اللذيذة، والبطيخ، والعبادة، والطاعة وأمثالها من الصدق، والإخلاص، والتقوى، والجواهر، والحور، والغلمان وأمثالها من الأشكال.

وإن غلب الشهوة؛ أو القوَّة الغضبية!! يظهر ويتصوَّر تمثالَ الخنزير، والثعبان، والثور، والحيَّة وأمثالها.

وإن غلب صفة الكبر ! ! فيظهر تمثال الأسد ، والنمر ، والفهد ، وأمثالها .

وإن غلب الحرص والبخل ! ! فيظهر بصورة العقرب ، والعنكبوت ، وأمثالها . وتخييل هذه الصور ورؤيتها يكون في الرؤيا ؛ أو في الواقعة . . .إلخ .

ومع ذلك إن السالك يرى الأشياء في الابتداء كأنه يخاصم السبع والحيوانات والهوام ويقاتل معها ، فأولاً مع الكبار ، ثم بالصغار كالذباب والبعوض ، وهذه دليلٌ على محاربته للنفس ، وقتلها بالرياضة ابتداءً ؛ يقتل أضرَّها من الكبير ثم الصغير كما وقع هذا للفقير حين كان لدى جامع القطبتين محمد ذاكر الوهبي الچسطاوي قدس سره ، وقد عَرَض عليَّ رؤيةَ ذلك قبل أن أسأله ، ولله الحمد ، فإنك تفكِّر في حال مريدك على أيّ حالة هو ، وفقه الله تعالى .

وقولكم (إن بعضاً آخر يقول لي : إنه يرى أرواح المشائخ ؛ من خالد شاه ، ومحمود أفندي ، وعبد الرحمن حجيو ، ويراني معهم يقظةً لا مناماً) . . .إلخ ؛

فهذا قول محتَمَل ، وقد يُرى للمريد المتبدئ من الأمور والكشوف ما لا يُرى للمنتهى ، بيد أنَّ أكثرَها على سبيل التخييل ؛ كأنَّها في اليقظة ، ولقد كان للفقير في زمن شبابه حين ذهابه في الطريق أموراً لا يطيق العبارة عنها ، فإن خلط كلام أحد حينئذٍ ! كان يصير نسياً منسياً ، وإن بقي زمناً فيها ! كان يبقى ، لكن إن هذا أمرٌ لا دوام له ؛ ولا حكم . . .إلخ ، ولذلك قالوا : ينبغي للسالك أن يتحفَّظ على قلبه من غَلَبة الخواطر ، وأن يجمع همَّته بالحضور التامِّ لقطع علائق القلب بإمداد الحضور والذهول ، ويطهِّر به ساحةَ باطنه من العلائق ساعةً فَسَاعَةً حتى يبلغ الكتابُ أجلَه . فتدبر !

وقولكم (فهل هذا من الشيطان أو . . .إلخ ! !)

هذا يكون رحمانياً أغلب ما يكون في المريد الصادق ، ويكون شيطانياً ، ولتمييز ذلك يحتاج إلى بسط الكلام ، ونذكر ثانياً إن شاء الله تعالى إن ساعدني الوقت ولم أَصِرْ معذوراً بالنسيان ، وأقول كما قالوا :

. . . .   بَـلَـغَ الـيَـرَاعُ إِلـى هُـنَـا فَـتَـكَسَّرا

والسلام . وأوصيكم بالدعاء ، وبلِّغ التسليمات لجميع المريدين والأحباب ؛ وخصوصاً مِن بينهم مَن رسخ حبِّي حبَّه الحاج حبيب الله ، والحاج عيسى ، وحديث ، وعلي جان ، ومحمد حجيو ولدكم ، ومني السلام التامُّ لأخينا المحبوب محمود المحمد ، وهمت حج الطليقيين إن رأيتهم . . .إلخ .

المكتوب الثاني والعشرون

في تفويض واحد من معارفه ، والتحريض لقبوله وعدم ردِّه .

قال رضي الله عنه : حضرة أمين السرِّ حسن أفندي أَبَلَّه الله تعالى بلطفه الأبدي ، وعليكم السلامُ السرمدي بعد .

وبعد ؛ فهذا الحامل غازي محمد الهدلي من أحبابكم الذين خَلُصت محبَّته فيكم ، وقد أبدى لي شكوى بأن بعضاً ممن في جواركم يقعون بينه وبينكم لئلا يرجع نظركم إليه ، فبه لمَّا عرفتُ غرضَه رسمتُ هذا إليكم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ . . .الآية) والسلام عليك ورحمة الله وبركاته أولاً وآخراً . هذا ؛ والسلام في جماد الأخير ٣-١٣٣٦ . الفقير المعلوم خالد سيف الله .

المكتوب الثالث والعشرون

في بيان كونه على قصد الهجرة من قريته وسكونه في بلدة تمرخان شوراه لما رأى له في ذلك من المصلحة .

قال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من المتخلِّف عن الراكب ببطالة أمره وفَرَطات ذنبه : سيف الله ، إلى دهليز لُبَاب قلبه ومقبول قالبه ؛ القائم في وسط دائرة الاستقامة ، الفائز بالهمَّة الصِّدِّيقيَّة أخينا الصالح حاوي المصالح : حسن حلمي أفندي النقشبندي الخالدي المحمدي إن شاء الله تعالى .

السلام عليكم وعلى . . .إلخ ، وإن سألتم عن هذا المغبون المحزون ! ! فالحمدُ لله على كلِّ حال في سلامة البال ، بيد أنِّي أظنُّ أن ليس في ديارنا أحدٌ أقبضَ مني حالاً ، ولا أضيق أحوالا ، وقد طرأ عليَّ الوَهَن والضعف في جميع الأعمال ، وثقلة في أمور الدين ، وقد يصعُب عليَّ تحمُّل أحوال الناس ، خلافَ ما كنتُ عليه إلى الآن ، وقد كنت أداريهم نظراً إلى عقول وطبائعهم ، وما هي إلاَّ بقصوري في الشُّغْل ، وجميع المذكورات ظلال الآثار النفسية وظلماتها ، ولأجل ذلك كنت قصدتُ أن أهاجر من هذه الديار فلم يساعدني لذلك الزمان ، ولا أحد سوى مَن يمنعني من المقصود الأصلي ، ولأجل إلحاح الأهل وأهل القرية وَنَهَى شيخنا – ونفسي فداه – عن الذهاب تخلَّفت ، ثمَّ لَمَّا كَثُر التردُّد في القلب ؛ ولم ينشرح الصدر ؛ حضرت إلى هذه البلدة الشوراهية رجاء أن تكون المصلحة فيها ، ولم يحصل الانبساط أيضاً سوى كثرة التوغُّل في الأمور ، فأي فرق يكون في الموضع مع كون نفسي معي ! !

هذه ؛ وليس موضعاً أحسنُ من الجنة ، وقد لقي لآدم عليه السلام ما لقي ، فجميع المذكورات مجرَّدُ شغل عن شغل لا يغني عن جوع سوى

فوتِ الوقت بذكرها ، لكنَّ شكايتي من نفسي أبثّ إليكم ليتخفَّف ما عليّ بتشارككم في حمل شكايتي . اللهم اجعلنا ممن تفقَّهوا في الدين ، ونالوا المقصد برعاية آداب الصالحين . آمين .

وإن استخبرتم عمَّا بعد المذكور ! ! فإني في هذه الساعة في كآبة ، وإن كان الشكوى بهذا في الحقيقة عبثاً ، وذلك أن ساعة ابتداءِ كتبة هذه الرسالة إليكم وصل من جهة الوطن رسالة بنعي السيدة نفيسة ابنة أخي جاجي موسى وانتقالها ، وكانت عندي . . .إلخ .

ثم اعلم أيها الموفَّق ؛ أنِّي أشكر الله تعالى دائماً على بقاء المحبَّة الإلهية في هذه الطريقة بين أبناء مولانا محمود الفعال ؛ وأولاد مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهم ، مع ازديادها بينهم يوماً فيوماً ، وذلك يعلمن كمالةَ المرشدين المذكورين ، وكونِهما في مقام التكميل ، خلاف أولاد باقي أكثر المشائخ ، فانظر إلى آداب مدَّعي المشيخة من أولاد العارف المحقِّق المحدِّث الحافظ الحاج عبد الرحمن الثغوري لأجل تركهم أدبَه بفعلهم أموراً لم يصدر مِن شيخهم ، ومن أعظم الأمور : ادِّعَاؤُهم على الإذن والمشيخة ؛ كلُّ أحد ، فوقع بينهم التعصُّب البليغ بحيث يكذِّب أحدُهم الآخرَ ، وليس مِن بينهم مَن يصدِّق قول الآخر سوى الزعم بكونه أعلى من الجميع مقاماً ، وبعدم أحدٍ مثله ، وقد كتبوا خوارق منهم كأنَّها أخبار الجن نسمع ولا نرى ، وليست فتنة وثلمة في الدين إلاَّ بهم وبأتباعهم .

اللهم وفِّقْهُم لفهم ما خلقوا لما خلقوا ، ونبِّههم على اتباع السنة وترك الفتنة .

فلأجل ذلك أيها الإخوان أُوصيكم – بالله – بالاستقامةِ والاستقامةِ والاستقامة ، وإخراج الأنانية منكم ورعاية الآداب ، فإنَّما هي رأسُ المال ؛ وخاصَّة مع شيخكم وخلفائه أولاً ، ثم مع كلِّ أحد ، ولا يكن منكم مجادلةٌ مع أحد ، واخرجُوا من حولِكم وقوَّتكم إلى حول اللهِ

وقوَّته ، لما أنَّه لا يطرأُ لكم وعليكم إلاَّ بعد الإثبات عند الله ؛ وجفَّ القلم ، وليكن منكم إيثارُ أخيكم من نفسكم كما فَعَلَت الأَصحابُ ، واتركوا تعميق التدبير في هذه الفانية ؛ فأحسنُ التدبير تركُ التدبير . ولا تعدُّوا أنفسكم فوقَ أحدٍ ، فرأس الإخلاص أن ترى نفسك دونَ الغير في كلِّ الأمور ، وإيَّاك والمسامحةَ في الفرائض باشتغالكم بالسُّنَن والنوافل ، وعليكم بالجماعة ؛ فركعة من الفرض بالجماعة أعظمُ عند الله من إحياء الليالي وصيامِ النهار ، ولا يكن منكم الشحُّ ، والخوف من الفقر ، والطمع للناس ، والتمنِي ، فلا يكون لك إلاّ مَا قدَّره الله تعالى قبل خلقك ، وكن مع الأسباب ليصون بها عرضَك ووجهك من غير أهلها .

المكتوب الرابع والعشرون

في بيان عدم رضائه قدس سره في سعي الحقير رحمه الله إفلاسه لبناء بيت في قريته ومحلَّته ، وفي بيان أن العارفَ قد يصل إلى أعلى المقامات ؛ ومع ذلك لا يعرفُها ، ولا يكون ذلك نقصاً في الحال ، وفي جواب سؤال الحقير حين طلب منه تسليكه في دائرة طريقته ، وبيان الشؤونات الذاتية ، ومعنى الشؤون ، وبيان الفرق بين الأفعال والشؤون .

فقال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى .

إلى مورد التجلّيات القدسيّة ، ومجمع الفيوضات الأحدية ؛ أخينا في خدمة الطريقة الخالدية ، وسندنا في تربية المريدي الذات الواحدية : حسن أفندي النقشبندي الخالدي المجددي ، عليكم وعلى أهليكم وأتباعكم وأهل دائرتكم إلى الأبدي التسليماتُ .

وبعد؛ فلقد أنِسْنا بنور من جانب الطور الأيمن من البقعة التي هي عينُ كتابكم المرسل إلينا ، والمستوصل لدينا ؛ فسرَّنا رؤيته ، وعجبنا خطابه ، فشكرنا الله سعيكم ، بعد أن فهمنا مرامكم وحسن كلامكم ، فجزاكم عني أيها الأخ خيراً وزادكم أجراً ، لقد فتح اللهُ لنا بكم بابَ التسلِّي ، جعل الله تعالى لكم ولنا سبباً للجلي .

ثم إنَّك أيها الأخ الموفَّق المسعود إن شاء الله تعالى أطنبتَ الكلام في رسائلك معي ، وأنطقت الحق بالحق ، وأرجو بعد الآن أن يَحِقَّ الحقُّ ويبطل الباطل ؛ خاصَّة في حقِّ الهجرة .

اللهم نعم ؛ إن أقوالَك كلَّها حقٌّ لا ريب فيها ؛ بيد أن القلم جفَّ ، ولا أعلم إلى أين يؤول الأمر ؛ بيد أن العزم على ذلك لقويٌّ الساعةَ ، والغيب لا يعلمه إلاَّ هو سبحانه وتعالى ، وأما الشكاية مني ومنكم في حقِّ معاصيرنا ! ! فلا يفيدنا كما قلت شيئاً ، وقد قطعنا النظر في حقِّهم ، فإن أحسّنا المعاملةَ مع الله تعالى فلا يسوءُنا شيءٌ ، وإلاَّ ! فالحقُّ خبيرٌ وبصير ؛ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ثم إنك كتبتَ بأنَّك على قصد بناء الحجرة الواسعة ليجتمع المريدون . . .إلخ ، على أن الناس جمعوا الأحجارَ بأنفسهم محضاً لوجه الله . . .إلخ .

شكر الله سعيَكم وسعيَهم ، واجعلها سبباً لكم ولهم ؛ سبباً لغرف الجنان برضاء الرحمن ، فإن شاورتم أيُّها الأخ من قبلِ تحرُّكِكم ؛ لما وفقتكم في ذلك ، على أن ذلك شغل عن شغل ، وما كان عليكَ من سلطان ، والآن بعد الخروج إلى الخارج عليكم الاجتهاد في الإتمام لحوز رضاء الله ، وفقكم الله تعالى لما يحبُّ ويرضى .

ولقد عرضَ عليّ مِن قَبْلُ أخونا العابدُ الصالح الحافظ هِطِنْكَصُلْ محمد الحدجِي قصدَه في حقِّ بناء مسجد ؛ فما وافقته ، فلم يُرِدْ عدمَ الموافقة قائلاً ؛ بأنه عهد بذلك ولازم عليه إيفاءُ العهد ، فشكرته جزاه خيراً . فافهم .

وقولك (إن المقام الذي أقامني شيخي منه موسوي ، ولا أدري هل حصل نتيجة ذلك المقام ؛ أم لا وثمرة تلك المراقبة السرية ؟ ! ولا أجدُ مَن يدّلني إلى أعلى منه . . .إلخ) .

عسى الخير في ذلك ، وإنَّ ثمرةَ المراقبةِ السريَّة ؛ وإن لم تعلم حصولَها ؛ فلا يضرُّك شيءٌ ، وقد يكون للعارف مقاماً أعلى المقامات عند الله ؛ وهو لا يفطن على حاله مصلحةً له ، وأظن أنَّك مضطرب في حقِّ عدم ظهور المراقبات عند المراقبة ؛ فاقطع عن قلبك هذا الاضطراب بسيف الانكسار والفاقة ؛ حتى تصل إلى مأملك فجأة ، وأرجو أنك تصل إلى مبلغ التكميل بمحض حُسن الظنِّ والاجتهاد ، واللهُ يجعل الدليلَ في بعض قلبه وقالبه ، فتفطَّنْ .

وأما قولك (كنت رجوتُ أن يوفِّقَني للتعلُّق بأذيالكم لو قبلتم . . .إلخ) .

فاعلم يا أخي ؛ هذا تردُّد أيضاً لا يفيدك إلاَّ وسوسةً في الشغل والوقار ، والفقير يشكر الله على ما رزقكم من التوفيق مع قصوره في العمل ، فاعلم يا أخي ؛ أنِّي ما ندمتُ قطُّ ندامتي من جلوسي قُدَّام السادات مع تحمُّلِ الحمل الثقيل ؛ خوفاً من سقوطي عن عين الله ، مما رأيت من نفسي عدم مراعات آدابهم ، ومع الحال كذلك إن الفقير في معزل الساعة عن فتح باب الإرشاد للسالكين ؛ فضلاً عن أمثالكم الذين كأنَّهم توسُّلي إلى الله تعالى .

اللهمَّ نعم ؛ لو كان لي ابناً معنوياً مثلكم لأردتُ ذلك من الدنيا وما فيها ، لكن الأمر معذورٌ ، وعليك والشغل بالشغل بترك القال والقيل ، فإن ظهر منك للمريدين هذا التردُّد ! ! فلا ريب أنهم يقعون في الوسوسة ، فيقل في أعينهم أمرُك ؛ فيصير ذلك لك ولهم سُمّاً قاتلاً . فافهم ؛ قوَّاك الله لإرشاد الصالحين والطالحين ، ووفَّقك الله للقيام على آداب الصالحين العارفين .

وقولك (الفقير مضطرب في بَيْنَ بَيْن ، كسيرُ البال ، يسأل الله تعالى إبقاءكم في موطنكم . . .إلخ) .

اِسألْ الله تعالى وادعُ لأخيك الحقير عن ظهر قلبك بما فيه المصلحةُ والصَّلاَح ، لعلَّ الله يجيبنا ويثبِّتُنا على ما فيه الصلاح .

وقولكم (إنَّ العلامة التي أجدُها في نفسي عند المراقبة السرية أنِّي أنظر . . .إلخ) .

فاعلم يا أخي ؛ أنَّ التجلِّيات تكون على قدر مقامات السادات باختلاف صور المرئي ، وقد لا يظهر شيئاً ، ولا يكون ذلك نقصاً في الحال ! فالعدم المحضُ أسنى الأحوال ، ولا بدَّ من ظهور الخوارق متى ومتى ، وأغلب ما يكون من ظهورها حينَ غَلَب عليه عدمُ ظهورها . فافهم . والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل .

فلقد أردتُ أن أُطنبَ معكم الكلام في هذا الموضع وأبسطه ، لكن الوقت لم تساعد الفقير ، وأرجو الله تعالى أن أكتب في أرجوزتنا « كنز المعارف في أسرار اللطائف » تفصيلَ ذلك ، وسترى إن شاء الله تعالى .

وقولكم (ما الشؤونات الذاتية . . .إلخ !)

جزاكم الله أيها الأخ عنِّي خيراً حيث سألتَ عنها ، وقَلّ مَن سمعها في هذا العصر ، وإن كان السائلُ أعلمَ من المسؤول : الشؤوناتُ الذاتية هي مرايا الذات الأحدية ؛ التي إذا اعتبر السالكُ حقيقةَ الشيءِ وعينه في الذات الأحدية تجلَّى له بصورة الكائنة فيها ؛ من غير زيادة ولا نقصان ، لأنَّ تجلِّي ذلك الشأن وظهورَه في هذه المرتبة التي وقع التجلّي فيها لا يكون إلاَّ بهذه الصورة التي كانت المتجلِّى له عليها ، إلاَّ أنَّ ظهورَه بهذه الصورة لفنائه ، وعدم تعلُّقه بالعلم مشروط بتوسُّط الاسم الظِّلِّي الذي هو مبدأٌ لتعيين المتجلّي له ، فإنَّ لكلِ اسم زائد – هو مبدأُ تعيّنٍ من تعيُّنات المخلوقات – أصلاً في مرتبة الذات ، وهو الشأن

الذاتيُّ الذي هو مجرَّدُ اعتبارٍ في الذات ، وقد قالوا : إنَّ الصفاتِ الزائدةَ ظلُّ الشأن الذَّاتي ، ولكن هذا التجلِّي بَرْقِيٌّ لغير العارفين ذاتيٌّ لهم ، وإن أدخلوا البَرْقيّ في الشأن الذاتي !

وقال الإمام الرباني قدس سره : والمراد من مرآة الذات : هو الشأن الذاتي . وقال مولانا وشيخ شيخنا ذي الجناحين أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « جامعه » : الشؤوناتُ الذاتية هي اعتبارُ نفوس الأعيان والحقائق في الذات الأحدية ؛ كالشجرة وأغصانها وثمارها وأوراقها إلى الذوات ، وهي التي تظهر في الواحدية وتنفصل بالعلم . . .إلخ .

وقولكم (وما معنى الشؤون ؟ وما الفرق بين الأفعال والشؤون) ؟

أقول : كونهما متَّحدين ذاتاً يُفْهَم من قول الشيخ الكمشخانوي (والشؤون الأفعال) ؛ كما يفهم المغايرة بينهما وبين الشؤونات الذاتية ؛ بعطف الشؤون بالواو عليها ، لكنهما مختلفان اعتباراً ، فمن حيثُ كون الأفعال تابعةً للشؤونات الذاتية ؛ يقال لها « الشؤون » ؛ مراداً منها الشؤون الظِّلِّيَّة ، ومن حيث كونها تابعةً للصفات الذاتية الواجبة ؛ يقال لها « الأفعال » ؛ مراداً منها الأفعال الزائدة ، فبينهما عمومٌ وخصوص من وجه .

اعلم أن المراد من الأفعال والشؤون عند القوم : ما كانت مقصودة للمنشئيَّة في ظهور التجلِّي الأفعال .

وفي « المكتوبات الشريفة » ؛ في ٩٣ صحيفة : أنَّ تجلِّي الأفعال عبارةٌ عن ظهور فعلِ الحقِّ سبحانه وتعالى للسالك على نَهْجٍ يرى أفعال العباد ظلَّ ذلك الفعل ، ويجد ذلك الفعلَ أصلَ تلك الأفعَال ، وكمالُ هذا التجلِّي هو أن تختفيَ تلك الظلال عن نظره بالتمام ، وتكون محلقةً بأصلها ، وتجد فاعل تلك الأفعال بلا حسٍّ ولا حركة ولا . . .إلخ ، هذا ما استفدته من كلام الإمام الرباني والشيخ الأكبر رحمهما الله تعالى .

وأما الفقير المغبون ؛ فقد فَصَّل معناها تلخيصاً في أرجوزته « مواقف السادات » على كيفية سهلة غير هذا الكيفية ، ليكون سهلاً للمسترشدين ، ولكن أذكر هنا نبذة منها بالاختصار . وإن الكلام في هذا الموضع على غاية الدقة واللَّطافة كما علمتَ ، وقليلٌ من يفهم إلاَّ بطبع مستقيم ، وأرجو أنَّك تأخذ كثيراً من هذا الرمز اليسير .

تفصيل معنى الشأن

إن معنى الشأن : عبارةٌ عن تصوُّرٍ فاصلٍ بين شيئين ؛ وهو أمرٌ غَيْبيٌّ ليس له في الخارج وجود مثْلاً ؛ كالفاصل الذي بين السواد والبياض ؛ والحلو والمُرِّ ، كذلك إن الله تعالى تجلِّيات متنوعةً وظهوراتٍ مختلفةً ، وما يتخيل تصوره من الفاصل الذي بين هذه يعبَّر بالشؤون الإلهية ، وهو ظاهريُّ الحكم ؛ غيبيُّ الأمر أبداً ، فإذا كان الحالُ على هذا المِنوال يصير الشأن الإلهي على اعتبارين : الأول إن أردت الشأن المطلق ؛ فالمرادُ الأفعال الإلهية . والثاني إضافته إلى الذات ؛ أي : [إن] أردت إضافته إلى الذات ؛ فالمراد الشؤون الذاتية ؛ أي : يعبَّر بها كذلك ، وأما الاعتبارات الأصلية ! ! فمرادُهم الإلهية . فافهم .

فالحاصل أنَّ كُلاًّ من تلك الاعتبارين يظهر مرتبة ، فمنه يستفادُ اسماً مثلاً ؛ إن قطعت النظر عن الظهورات التفصيلية وأردتَ تعيين الحال الوجودي يسمى بـ « الأحد » ، وإن أردت ظهور الحال الذي يستلزم تبعيات الأحوال الباقية ؛ يُسمَّى بـ « الذات » ، إن أردت قبول آثاره بواسطة الشؤون تعيين الشأن يسمى الله تعالى بـ « الأحد » ، وإن أردت إظهار ظهور الشأن ؛ باعتبار انبساطه سبحانه وتعالى ؛ يُسمَّى بـ « الرحمن » ، وإن أردت كونه مخصصاً للرحمة العامَّة على كلِّ موجود ؛ يسمى بـ « الرحيم » ، وهكذا كلُّ اعتبارات أصلية إلهية تسمَّى « شؤن ذاتية » و« شؤن إلهية » ؛ فتفطَّن ، والله يتولاَّك .

واعلم أن صفات الأفعال وسائل إلى معرفة صفاتِ الذَّات ، وأن صفاتِ الذَّات وراء حجاب صفات الأفعال ، وأن الصفات على ضربين : صفات الذات ، وصفات الأفعال . والفرق بينهما : أن كلَّ ما يوصف به الله ولا يجوز أن يوصف بضدِّه ؛ فهو من صفات ذاته ؛ كالوجود والعدم . . . إلخ . وكلُّ ما يجوز أن يوصف به وبضدِّه ؛ فهو من صفات الأفعال ؛ نحو الرحمة والشفاعة . . .إلخ .

المكتوب الخامس والعشرون

في بيان سبب قصده قدس سره لبيع بستانه في شوراة ، والجواب عن شكاية الفقير الحقير رحم الله إفلاسه من كثرة الغفلة وقلَّة الحضور ، وفي بيان ما يلقّن الشيخ من الذكر وقدره ؛ إلى أن يبلغ العدد إلى خمسة وثلاثين ألفاً ، ثم انحطاطه حتى يبقى إلى أحد عشر ألفَ ذكرٍ ، وأجوبة أخرى لأسئلة الحقير سامحه الله تعالى من فرطاته . آمين .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، والصلاة والسلام على سيِّدنا وسيِّد الورى محمد شفيع الأمَّة ، وعلى آله وأصحابه البررة .

من الفقير أقلِّ العباد : سيف الله ؛ إلى الفائز بالتجافي من الغرور الدنياوية ، مربي السالكين على قدم التجريد ؛ أخينا في الله وحبيبنا لله ؛ حسن حلمي أفندي النقشبندي الخالدي . . .إلخ .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه . . .وإلخ .

فاعلم أيُّها الأخُ الأعزُّ ؛ وإن كنتُ كلّ وقت أريدُ كتبة الرسالة إليكم بيد أنِّي معذور في ذلك ، وأكونُ في أكثر الأوقات معتلَّ المزاج ، وقد عرض على نفسي الضعف والوهن ، وأشدُّ الأسباب كثرةُ القبض ، ولعلك لا تؤاخذني بذلك ، بل تكتبُ إلينا أحوالاتكم اقتداءً للسنة ، وقَد ورد أَجْرُ

مَنْ أَدْخَلَ السُّرُورَ في قلب أخيه المسلم .

ثم إنكم كتبتُم إليَّ بأنه حصل لكم الندامة بسماع بيع بستاني وبقعتي الكائنة هنا ! !

اللهم نعم ؛ بعتُها لكثرة حصول الكدورات بسببها ، وذلك أن البقعة كانت محتاجة كلَّ وقت للماء ، والماء كانت قليلة لا تحصل إتيانها في أكثر الأوقات إلاَّ بطريق غيرِ مستقيم ؛ إلاَّ بالظلم على آخر ، أو بالسرقة ، أو بإجرائها في غير نوبتي بلا رضاء صاحب النوبة ، فضاقت بذلك ذرعي ، وكثرت الكلام والقال والقيل كلّ وقت ، وباقي أصحاب البساتين لا يتفكرون في ذلك ، ويقولون هكذا يكون كل وقت ، فمن ذلك صعب عليّ أمرُها ، وكَثُر الفكر في حقِّها فبعتها ، وأراحني الله من شُغْل ذلك ، والحمد لله ، وصرت كأنَّما رُفع من ظهري الحمل الثقيل .

وسوى ذلك ؛ حصل لنا من ذلك قدراً من خير المعاملة ما يزيد بألف ومائتين ممَّا اشترينا ، ثم بعد ذلك إني لما كنت هنا في بيت الأغيار أُعطي لهم لكلِّ شهر ستَّ ؛ أو سبع ؛ أو ثمان مناة ، ومع ذلك يكون في ذلك مشقَّة ونُفْرة من الجوار ، أو من أصحاب الدؤر ، وكان لنا موضع حسن كبير خارج من البلدة ؛ أي : في طرف البلدة ، فأردت بناءَ الدار فبنيتُها داراً واسعة جداً ؛ لنا وللحيوانات ، والآن إن الخَشَّابين في إصلاح سقوفها ، وأرجو الله أن يوفِّقَنا لإتمامها ، ويجعلها مأوى الفقراء والصالحين ، ونسأل الله تعالى أن يرفع عنها أيدي الظلمة . آمين .

ثمَّ إنَّك كتبتَ إليّ الشكاية في حقِّ كثرة النوم والغفلة ، وقلة الحضور . . .إلخ .

فاعلم يا أخي ؛ هكذا حال هذا الفقير الجاني ، ليست ذلك إلاَّ من قصور همَّتِنا وقلَّة اجتهادنا ، ونرجو الله أن يريحنا من هذه ، وأن يجعل لنا التوفيق رفيقاً ، والسنة طريقاً ، فارفع شكايتك إلى الله ، فعسى الله أن يذيقك حلاوةَ الحضور ، ويورثك السرور .

وأما منع الحكماء إيَّاكم عن الاجتماع ، وبه وقع ترك قراءة

الختمات . . .إلخ ! !

فاعلم أيها الأخ ؛ لا يصيبنا إلاَّ ما كَتَب الله لنا ، وعسى أن يكون لك في ذلك منفعة عظيمة ورحمة لم تدرها ، فاصبر ؛ وما صبرك إلاّ بالله ، بيد أنَّك تجتهدُ في قراءة ختم خواجكان ، وختم الرَّبَّاني ؛ كيف كان وفق وسعك ، ففي ذلك ما لا يعلمها إِلاَّ الله من الإمدادات والفيوضات .

ثم اعلم أيها الأخُ الأمين - زادك الله اليقينَ أنِّي أذكرُ لك كلاماً ؛ وإن كنتَ عالماً في ذلك وأعلم من المسؤول - أن الأغلبَ في طريقتنا تلقينُ الشيخِ للمريد ؛ مثلاً : لكلِّ لطيفة قدراً من الذكر الخفيِّ نحو خمسة آلاف ؛ لكلِّ لطيفة من اللطائف هذا القدر إلى أن يبلغ القدر إلى خسمة وثلاثين ألفاً في يوم وليلة مدَّة رآه الشيخ نظراً إلى حال المريد ، ثم يخوض في تنقيص عدد الذكر وفق أمر الشيخ حتّى يبقى أحد عَشَر ألفَ ذكرٍ ، وهذا القدرُ لازم إلى أن يموتَ بلا ترك ، وفي هذا الموضع يقع الفتور لكثير من المرادين المجازين ؛ على أن أكثرَهم لمَّا بلغوا المبلغَ وفازوا بالإجازة رأيتُهم يتركون هذا القدر من الذكر ؛ مع كونه ممَّا لا بدَّ للمجاز إلى الحين ، ويزعمون أنَّ الشيخ يكون بالحضور ، ولا حاجة إلى تعديد الذكر ، وهذا خطأٌ منهم ، من هذا الموضع يقع الفتورُ في كثير من المشائخ ، ويتعطَّلون عن الذكر بشؤم تركِ ذلك القدر ، ويقع الوهن في النفس بكيفٍ لا ينتج من الجلوس شيئاً من الحضور ، ولا حظّاً من الفيض ، كما كان كذلك الفقير راقمُ الحروف .

فبه أسألك أيُّها الكامل ؛ أن لا تهاوَنَ في ذلك الذكر أصلاً ، وكن ملازماً عليها ، ولعلك سامحتَ في ذلك ؛ فأورثك الفتور ، وفتحُ نقطة القلب إنما يحصُل بهذا الذكر ، وأرجو أنَّك ملازمٌ عليها ، لكن ذكَّرتُك ليكون بسطة في ذكرها ، كما قيل :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكَرْتُ رَبِّي وَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرَ مَا نَسِيتُ

وهكذا لازمٌ ذكرُ النفي والإثبات بحبس النفس ؛ أقلُّها ثلاث مرات في يوم وليلة ؛ إلى أن يحصل النتيجة ، وهكذا إلى الموت بلا تركٍ ،

وحصول النتيجة يكونُ على حسب قابليَّة الذاكر في السرعة والبطئ ، وبهذا أكَّد لنا الأمرَ ساداتُنا قدس الله أسرارهم ، وقالوا : إياك وإياك عن ترك هذا الذكر إلى الموت ! لئلا يعرض لك الفتور وقلَّة الحضور ، وقد قال شيخ الشيوخ ؛ مَن شافه رسول الله تعالى عليه الصلاة والسلام يقظةً ؛ مولانا محمود الفعال قدس سره : عليكم بإثبات هاء اسم الجلالة في وسط القلب حتى يصل إلى نقطة القلب ، فمن هنالك فتح الحضور ، وبتركه السدّ . . .إلخ ، ولا تظنَّ بهذا الكلام ظنّاً ؛ فإنما ذكرتُ لك كلامَ السادات القادات ، وبذكرهم تنزَّلُ الرَّحَمات .

الكفاية من أعظم النعم

وأما قولُك (وأَمَّا أمرُ هذه الفانية ! فلسنا في ضيق . . .إلخ) ! !

فاشكر الله على ذلك ، فتلك نعمةٌ تمنُّها ، والكفاية في المعيشة من أعظم نعم الله تعالى بعد الاستقامة ؛ أعاذنا الله تعالى من وقوع حاجاتنا إلى شرِّ العباد في حقِّ الكفاية ، وارزقنا القناعة والكفاف . آمين .

وأما رضاءك من ولدك محمد حجيو ! ! فتلك بشارة لي منك ، فجزاه عنا خيراً حيث علم حقوق الوالدين ، وفي رضاكم منه رضاءُ الله ورضاءُ رسول الله ﷺ ورضاء خلفائه ، وندعوه بالخير والتوفيق ، وأوصيه بحفظ الأدب ليفوقَ عند الله تعالى . وأما الابن الآخر محمد عارف ! ! فأرجو أن يوفِّقَه للخير على قدر جموحه[١] ، فَرَوِّضْه باللِّين والرفق ، وعسى أن يوفَّق . . .إلخ .

وأما كلامك في حق طبع كتابك « تنبيه السالكين » ! ! فإني أتفكَّر إن شاء الله تعالى في طبعه[٢] . . .إلخ .

---

(١) وقد تم ذلك ولله الحمد . وقد قيل عنه – فيما بعد – : إن الولد فاق أباه . وهو الذي جعل له كتاب « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » .

(٢) وقد وفقنا الله تعالى لطبعه ونشره بدمشق العام الماضي .

المكتوب السادس والعشرون

في تعزيته قدس سره بموت أستاذنا في العلم الظاهري الفقيه المجرَّب الحاج عيسى القحي وفي بيان المراقبات

قال ﷺ : وعليكم التسليمات المتواترة والتحايا[1] المتظافرة .

إلى حضرة مَن أشرقت في سماء فؤاده شموس المعارف ، وانتظمت من درر أقواله أسماط العوارف ؛ أخينا مربي السالكين ، وسراج المسترشدين : حسن حقي أفندي النقشبندي الخالدي المجددي أصلح الله به أفئدة الأتباع والمريدين ، وحلّى به جِيْدَ الزمان ؛ فهو فيه بمنزلة العقد الثمين .

وَسَـلامٌ عَـلَـيْــكَ يَــوْمَ وُلِــدْتَ   وَيَـوْمَ تَـمُـوتُ وَيَوْمَ تُبْعَثُ . . . .

سَلاَمٌ كَنَشْرِ المِسْكِ يُهْدِيهِ خَاطِرِي   إِلَـيْـكُـمْ وَأَشْوَاقِي عَلَى البُعْدِ أَكْثَرُ

فَـإِنْ لَـمْ تَـكُنْ عَيْنِي تَرَاكُمْ فَإِنَّ لِي   لِـسَـانـاً يُـوَالِـي بِـالـدُّعَـاءِ وَيَذْكُرُ

وبعد حمد الله سبحانه وتعالى نبتهلُ إلى الله تعالى بأدعيته الصالحة ؛ الناطق بها اللسان كل عضو وجارحة ؛ بأن يديمكم بأبلغ الاستقامة وأكملها في فعل الإرشاد ، وأن يمدَّك بأنواع المواهب والعطايا والإمداد ، ثم إنَّه لَمَّا وصل لديّ كتابكم الكريم انجاب[2] عني بطالِعِه سُحُبُ الغموم ، وإن كان في آخرِه نارُ السموم ؛ من خبرِ نعي انتقال الشيخ التقي والعابد النقي ، الصائب الموفق والائب المحقق : الحاج عيسى ، ولعمري كان مغروزاً كلّ وقت في فؤادي ، ومسرَّة لي بذكره عند نكادي ، وإن كنت محروماً عن رؤيته ومعذوراً عن ملاقاته ، وكان أوَّلَ مرجوٍّ في هذه الديار ، فجزاه عنا خيراً وزاده مثوبةً وأجراً ، وجعله الله تعالى في جواره مع أوليائه وأحبائه ، فغفر الله له ولكم ، وأحسن الله عزاكم ، وصبَّركم على المصاب لتفوزوا بالثواب ، ولله الحمد حيث

---

(١) جمع تحية .
(٢) أي : كشف .

وفقنا للصلاة عليه والدعاء له بالرضوان في يوم الجمعة بعد أن شهدنا له بالخيرية والفلاح ؛ بالذكر الحسن والصلاح .

وثانياً قد أورَثَنا كتابُكم فرحاً وسروراً ، وبهجة وحبوراً ، حيث أخبرتنا بمولود صالح - إن شاء الله تعالى - لولدكم الحاج محمد ، جعله الله صدقة جارية لكم ، ونعمة مرضية فيكم وفي عقبكم ، وقد انبسطنا بذلك ؛ لما أن الولد الصالح هدية الله لعبده الصالح ، ومن ذا الذي لا يرضى بهداياه تعالى ! ! وألسنتُنا لا تزال رطبة بالدعاء لكم ولأهلكم .

بَـقِـيـتَ بَـقَـاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ   وَهـذَا دُعَـاءٌ لِـلْـبَـرِيَّـةِ شَـامِـلُ

ثم إنَّكم كتبتُم (أن مجلس ختمنا ومجمعَ أحبابنا قد تفرَّق . . .إلخ) أرجو الله تعالى أن في ذلك مصلحةً لك ، فلا تبتئس بذلك ، وعسى الله أن يجمعَ شملكم ، لما أن لكل تفرقة اجتماع .

ثم إنَّكم كتبتم أن بعض المشائخ لا يُعلِّمون المراقبة على اللطائف ، بل إنما يلقِّنون المراقبة الأقربية ؛ بعد حصول المراقبة المعية . . .إلخ ! ! فاعلم أيها الأخُ الأعزُّ ؛ أن كتبة تفصيل جواب هذا تحتاج إلى أرجوزة مستقلة ، وذلك صعب لهذا الشيخ الهرم ، لكن أكتب رمزاً فقط لحقِّ السؤال ، وعسى أن تطالع في أرجوزتنا « كنز المعارف » إن ساعدنا الدهر ، وكذا « مواقف السادات » ، فقد ذكرنا فيهما نبذة من ذلك ، والله يقول الحق .

إنَّ أصل المراقبات إنما تجري على اللطائف الخمسة ؛ كمراقبة لطيفة القلب ؛ من تجلي الأفعال الإلهية ، ومراقبة الروح ؛ من تجلي الصفات الثبوتية ، ومراقبة السرِّ ؛ من تجلي الشؤونات الذاتية ، ومراقبة لطيفة الخفيّ ؛ من تجلّي الصفات السلبية ، ومراقبة لطيفة الأخفى ؛ من تجلِّي الشأن الجامع الإلهي ، ثم بعد ذلك مراقبة الأحدية في دائرة الإمكان ، ثم مراقبة المعية التي كانت في الولاية الصغرى ، ثم المراقبة الأقربية ؛ وهي أُولى الدوائر مِن دوائر الولاية الكبرى . . . ثم وثم .

وإن المراقبة هذه مقامٌ عظيم قلَّ أهلُها في هذه الأحوال ، اللهم

نعم ؛ إن متشيِّخي الزمان يلقِّنون المراقبة كيف كان ، ولا يعلمون لأنفسهم اللطائف إلاَّ النوادر ، ورأيت أكثرهم في دعوى حصول النتيجة مع كون أكثرهم لاَ يعلمون ما النتيجة وما كيف . . .إلخ ، وإن تتبعت آثارهم حُرِمت من حظوظ سرِّك ، فدعهم في دعواهم وأعرض عن الجاهلين .

ثم إِنَّك كتبتَ (فما يكون حكمُهم ؛ هل هم يكونون كالمجاذيب الذين لا يعرفون مقاماتهم ، أم هم يعرفون . . .إلخ) .

اللهم نعم ؛ إنَّ من الأولياء والكُمَّل من لا يعرف مقامَه وحاله ، وذلك ربَّما يكون ذلك رحمة لهم ؛ ستراً للحال ، وبعضهم يعرفون مقامهم ؛ وفي أيِّ مقام ، وليس لبعضهم على بعضهم في ذلك فضلٌ ، بل ذلك فضل من الله ، وكفى بالله شهيداً . ومن المجاذيب مَن يعرفون مقامه ، وأكثرُهم كذلك ، فإذا أُطلع على سرِّه ينجذب هيبته من الله تعالى ، وقد وصفهم بالصادقين ، والله ولي المتقين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم اعلم أيها الأخ ؛ أن إخوان الطريقة مختلفون في أكثر الاصطلاحات ، حتى نرى بعضهم الكمل ؛ بل مَنْ هو في مقام التكميل في رأينا يتكلَّم برأي لم نسمعه من السلف سادات القوم ، ويأتي لقوله دلائل من النصِّ والحديث ، وبعضهم ينكرون على أمثالهم بالغِلظة والشِدَّة ، ويأتون لذلك نصّاً وحديثاً ، والفقير المغبون في حَيْرة كُلَّ وقت ، لما أن بصيرةَ الفقير مسدودةٌ من عِرفان حقائقهم ، فليس لنا برأيٍ إلاَّ القيام على ما أتت إلينا من قطب الحقيق شاه خالد سليماني قدس سرهُ النوراني ، كما جاءت إليه من ساداتِه ، فعليك بأحوط ما كان وأثقله على النفس ، والله تعالى بصيرٌ يعصِمُك ، ولا عاصم إِلاَّ الله .

وإن سألت عن الفقير ! ! فهو في شَرَك الآمال متضلِّعاً بـ« لعلَّ » و« عسى » ، وما مثله إلاّ مثل بعوضة وذباب وقعت على نجاسة ، ولا أعلم إلى أين يؤول الأمر . . .إلخ .

من المغبون الحزين

سيف الله في ٨ مارت ١٩١١.

المكتوب السابع والعشرون

في بيان كيفية ما كان يفعله الشيخ محمد ذاكر ، والشيخ زين الله رحمهما الله تعالى

في حقِّ تلقين الأذكار ، وبيان أمرِهما إياه بدوام الذكر إلى الموت ، وفي بيان أشياء أخرى سأله الفقير رحم الله إفلاسه ؛ فأجاب عنها .

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

وحسبنا الله ونعم الوكيل

إلى حضرة مقام المخلص الوداد ، الذي هو عندي بمنزلة العين والفؤاد ؛ مربي السالكين وسراج المسترشدين ؛ الشيخ حسن حلمي النقشبندي المجددي حَرَس الله ذاتَه المرضيَّة بألطافه الأبدية ، وجمَّل بوجود أوقاته الرضيَّة مع الفيوضات السَّرمدِيَّة .

السلام عليكم والرحمة والبركة فيكم . . .وإلخ ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، له الفضل والمِنَّة ، ومنه نستمدُّ المعونة ، ونسأله تعالى لكم ولنا الاستقامة مع الصحة والعافية والسلامة ، وإن تفضَّلُتم ؛ وهي من شيمتكم بالسؤال عن حال الغريب المغبون ! ! فالحمد لله أنا في الصحة ، وبالسَّلاَمة ممنون ، ثم إنه كان وصل لديَّ كتابُكم قبل هذا منذ مدَّة مديدة ، بيد أني تعذَّرت وتوعّقتُ عن ردِّ الجواب ؛ لعروض الاعتلال الغالبي عليَّ ، وعدم الفراغ لديَّ ، والآن بحمد الله وفضله تعالى وكأنه آئلٌ إلى العافية ، وإن لم تكن الصحَّة بالكلية ، ورفعت رأسي اليوم من الفراش ، وكتبتُ إليك ، وكان بي لذلك العطاش ، فسلام عليك يومَ ولدت ، ويوم تموت ، ويوم تبعث حيّاً .

ثُمَّ إنَّ ما كتبتَ إِليَّ ما عبارته هذا : إنك كتبت أنَّ في رسالة محمد ذاكر قدس سره ثم وثم . . .إلخ ، وبذا يفهم عدمُ ترك ذكر اللطائف

إلى الموت . انتهى . فاعلم أيها . . .إلخ أن محمد ذاكر قال في رسالته « تبصرة المسترشدين » بعد قوله . . . ثم وثم . . .آه : فيترك اللطائف . . . إلخ ، وقد كُنَّا فهمنا من عبارته أنَّ ذكر اللطائف يُترك بعد حصول سلطان الذكر ، كما كان عليه شيخنا والشيخ شعيب أفندي قدس الله أسرارهم ، فتبيينُ الموافقة بين كلاميه مطلوب . انتهى كلامه .

فاعلم أيها العزيز ؛ أنَّه ليس في كلامَيْه تباينٌ ، وذلك أن الشيخ ذاكر قدس سره والشيخ المعموري زين الله – ونفسي فداه – قال في الرسائل المرسلة لديَّ : إن الذكر في اللطائف لكلِّ لطيفة خمسةُ آلاف ، إلى أن ينتهي إلى سلطان الذكر وجميع الجسد والنفس فيصير ثلاثين ألفاً ، ويداوم عليها مدَّة أربعين يوماً ؛ أو أكثر ، نظراً إلى حال المريد وإرادة المراد ، ثم يترك هذه المواضع ؛ أي اللطائف ، ويذكر بجميع الجسد مع الوقوف القلبي ؛ أقلّه عشرة آلاف ، ولا حدَّ لأكثره ، وبالنفس أيضاً ، وأكثرُه خمسة آلاف إلى الموت .

هذا ؛ وأما عبارةُ الشيخ زيني ! فيداوم على ثلاثين ألفاً مدَّة عيَّنَه الشيخ ، ثم يرجع يتحطَّط إلى أَحَد عشر ألفاً بجميع الجسد والنفس إلى الموت ، والوقوف القلبي لازم في الكل ، فحينئذ لا تبقى المباينةُ بين قولَيْه ، فتفكَّرْ أيُّها الأمين المأمون ، وذلك أنَّ في ترك الذكر المذكور من جميع الجَسَد بالكلية – بزعم الشغل بالمراقبة والتوجُّه – تتعطّل الحواسُّ المنيرة عن حوز الفيوضات الإلهية ، ويردُ للنفس فتوراً ، ويقع في الجسم وَهَناً لم يعهد زمن ذكر اللطائف ، ويصير السالكُ بل المراد بحيث لا يقدر على الذكر المطلوب إلاَّ بالرياضة والمَشَقَّة العظيمة ، وإن قدر كذلك ! فلا يحصل الانعكاس ، بل لا يرد عليه الفَنَاء المعهودُ ، فإذا صار كذلك ؛ فلا تطيب له المراقبةُ ولا الفناء ؛ لزوال الحضور الناشئ من سرِّ الذكر ، وهذا حقٌّ للممتحن . فتدبر . والله يعصمكم .

وقولكم (إني على قصد أمر المريدين الذين لقّن لهم النفي والإثبات بحبس النفس والمراقبة بأن يشتغلوا بذكر اللطائف كما ذكرت في رسالتك . . .إلخ) ! !

يمكن الأمر أيها العزيز وفقَ ما رسمنا هنا بجميع الجسد والنفس ، وكان مرادي مما ذكرت من قبل باللطائف هذا ، وذكري اللطائف قبلُ ! ! لدخولها في جميع الجسد .

وقولكم (إني رأيتُ منهم الفتور في الحضور ، وقد تحقَّقت فيهم أن الحضور الكائن في قلوبهم قد زال بالكلية ، ولا يطيقون الحضور إلاَّ . . .إلخ) .

ما أحسن ما أدركت ؛ فلا ريب ولا شبهة فيه ، كيف لا ؛ وإن الذكر المقدَّر المذكور هو أُسُّ المراقبة وعرقها ! !

وقولكم (فهل يكون في أمري بالاشتغال كما ذكرتَ تركُ أدبٍ لشيخنا قدس سره ، وأظنُّ أنَّه رحمه الله لو كان حيّاً ؛ ليكون قولُك بدوامٍ الذكر عنده في حيِّز القبول . . .إلخ) . وأرجو الله تعالى أن يكون له في ذلك رضاءاً لو كان حيّاً ، كيف لا ؛ وإنما هي من ملزومات أشياخه وأورادِ ساداته ! ! وحاشا أن يكون فيه ترك أدب ، بل هو عينُ آداب آبائه المعنوية وأسرارهم ؛ قدس الله أسرارهم ، وأجعَلنا في زمرتهم .

وقولكم (ثم إنِّي كنت في ريفي لما أن اليوم فيه يساوي عندي ستَّة في القرية . . .إلخ) ،

فجزاك الله عني وعن أهلي خيراً أيُّها الموفق ، تلك نعمة تمنُّها عليك ؛ وإن حرمتُ من مثل ذلك الفراغ ، فاجتهد وكن صاحبَ التوفيق ، واللهُ تعالى يرضيك بما عنده بحيث لا يخطره القلب ، ففرحي وسروري بكم أيُّها العزيز . وَفَّقكم الله تعالى لما فيه رضاه ، وجعلنا وإياكم ممن اجتباه .آمين .

وقولُكم « بَيْدَ أنِّي لما سمعت خبرَ موت زوجة أخينا في الله الحاج حبيب الله لم نجد بُدَّ اً من الذهاب لديه للتعزية . . .الخ » ذلك هو الذي سَرَّني أيضاً ،لما أن رعايةَ حقوق الأولاد والإخوان في مثابة فضل النوافل ،فذلك هو الدينُ النصيحة ، فكونوا على هيئةٍ تتزايد المحبَّة بينكم ليحصل منها ثمرةُ الفلاحة ، جعلنا وإياها في جنة خُلْد ؛ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . . .إلخ .

ثمَّ إنِّي أقول هنا قولاً أيها الحبيب فلا تَتكدَّرْ قلبك بهذا القول :

إن مقام المراقبة مقامٌ عظيم ، وولاية الكبرى مقام لايصل إليها إلاَّ من أتى الله بقلب سليم ، وإني أرى أن المريدين يريدون الترقي إلى تلك المقامات قبل زمانها ؛ خاصَّة في زماننا هذا ، فلا تعجلْ إلى تلقينها إلاَّ بعد الامتحان في السالك غيرَ مرَّة ، وقد رأيت عدَّة . . .الخ ، لما أنَّ القصور في مقام المراقبة آفةٌ عظيمةٌ ؛عياذاً بالله من الخُذْلان والحرمان بعد الأمان والعرفان .

هذا في ١٠ ربيع الأول ١٣٣١

وإنِّي أقلُّ العباد سيف الله النزبكري.

المكتوب الثامن والعشرون

في بيان أن انعكاس حال المريد إلى الشيخ أغلبيٌّ ؛ لا كلي ، وبيان أن المراقبات المجدِّدية تندرج في المراقبة الأقربية بالإجمال .

قال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين . . . وعلى . . .الخ .

من هذا الحائر المغبون سيف الله إلى أخيه الموفَّق والتوفيق الإلهي ؛ الشيخ حسن النقشبندي الخالدي وإلى آله . . .إلخ .

وبعد ؛ فالمسؤلُ الأصليُّ صحَّتُكم وسلامتكم من مورثات ندامتكم . . .إلخ ، ثمَّ إن ما كتبتَ إلينا في حقِّ الذكر وما كان فيها من الاختلاف ؛ فاعلم أيها الأعز ؛ أن ما كتبتُ إِلَيْكُمْ قبل لعل في ذلك وقعت العَجَلة وقت ازدحام الناس ، وقد أشرتُ إلى ذلك في الرسالة الثاني ، والمراد الذي نرجوه هو هذه إن شاء الله تعالى : أنه يكون الذكر في اللطائف على الكيف المعنعن من ساداتنا إلى أن يصل إلى سلطان الذكر ؛ فحينئذٍ يكون ثلاثين ألفاً كما ذكرتم أيضاً ، ويقوم مدَّة عليها على رأي الشيخ ، ثم يرجع يتحطَّط إلى أن يصل إلى أحد عشر ألفاً ، ويدوم عليها إلى الموت بجميع الجسد والنفس ، وليس المراد من لطيفة النفس ولا . . .إلخ ، على أن ما للَّطائف انتهتْ من قبل ، وأرجو الله أن يوفِّقكم ولنا للذكر الخالص على جميع الجسد الذي هو النفس ، ولعلك ترضى بهذا الإشارة المختصرة ، على أنِّي لم أُرد التطويل إلقاءً على ما لَكَ من الكمالات والاستقامة .

ثُمَّ إنَّك كتبتَ (هذا وقد كنتُ منذ زمان على قصد الوصول لديكم ، وأنا على عطاش لرؤية وجهكم . . .إلخ) ! !

فاعلم أيُّها الأخ الأعزُّ ؛ أن شوقي أزيدُ مما لكم ، بيد أنَّ في الصبر مصلحةً ، ولم يحصل الإشارة في خصوص حضورك إلى الآن ، وعسى الله أن يجعلَك من أهل السعود ، وأن يقيمَك في المقام المحمود ! !

وقد كتبتَ أيضاً (فحين توجهتُ وقتئذ إلى المريدين لا ينعكس إليَّ أحوالهم قبضاً وبسطاً . . .إلخ) .

هذا الانعكاس أغلبيٌّ لا كلِّيٌّ ، وأعظم الأسباب قلَّةُ حضور المريدين ؛ لما أنَّ أحوال المريدين في عصرنا أكثرُها على الضعف والوهن ، بل إن مَن ارتقى مِن لطيفة إلى لطيفة أخرى يصير كأنه خرج من التكليف ؛ ويترك الحال الحاصلَ في اللطيفة القَلْبية ، فإذا اشتدَّتْ قلوبُهم من هذه الجهة ؛ فلا ينقدحُ زنادُ قلوبهم بنيران توجُّهِ المرشد بتبدُّل حرارتهم المرغوبة بالبرودة النفسانية .

وأمَّا ما كتبتَ في حقِّ المراقبات ! فنرغب عن ذكرها في هذه الكَرَّة ؛ أدباً مع ساداتنا قدس الله أسرارهم ، وإني وإن تلقَّيْتُها من شيخنا قدس سره وروحي فداه ؛ كما تلقَّاها من ساداته ! ! بيد أنِّي في احتياطٍ من جهتها ، بل لم أذكرها لأحد لعلوِّ مقامها ، وعسى اللهُ تعالى أن يجعلك من حائزها .

وكتبتَ أنَّ شيخ شعيب الباكني قدس سره قال (إن المراقباتِ المجدِّديةَ حاصلةٌ في هذه المراقبة المذكورة بالإجمال . . .إلخ) ! ! جعله الله تعالى وإيانا في زمرة السادات الصلحاء المتقين ، لقد نطق بحقٍّ ، وقد قال لي شيخُنا مشافهة كذلك .

وكتبتَ أيضاً (كنتُ أريد التعلُّق بأذيالكم . . .إلخ) ! !

أيها العزيز ؛ إنَّ أخاك الحيرانَ في حيرة من جهة نفسه ، وجميع ما فيه وأزيدُ من ذلك مصيبةً في قلبك ، وعسى الله أن يأتيَ بالفتح ، فاصبر وما صبرك إلا بالله . . .إلخ ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ثم إن الفقير قد وَهَن في الجسم ، ولا يقدر تحمُّل أحوال الناس ؛ كما من قبل ، وصرنا عن التوفيق في معزل ، ونرجو الله أن يوفِّقَنا لما فيه رضاه ، وقد قطع مني روحانية رسول الله ﷺ ، وكم مدَّة من ذلك ؛ ولا أزال حيراناً محروماً ! ! وأسأل منكم الدعاء والتوجه .

ثم اعلم أيها الأعزُّ المأمون ؛ أنَّه بناءً على ما فيّ من المحبة الراسخة معكم أردتُ أن يكون ذكرُكم في مجلس شيخنا وروحي فداه ، فبه رسمتُ لديه كتاباً ؛ وأنا منتظر للجواب ، فإن وصل فأوصِله إليكم إن شاء الله تعالى ، ولا أعلمُ هل هو بكيفٍ يمكن كتبةُ الكتاب ؛ أم لا ! ! وقد كان بلغ من الضَّعْف مبلغاً ، جعلنا الله في زمرة ساداته ، ولا حرمنا من بركاتهم . آمين يا معين .

المكتوب التاسع والعشرون

في بيان أجوبة لأسئلة هذا الفقير ، وبيان ما ظهر له قدس سره من كذب دعوى واحدٍ على الكشف والكرامة .

قال ﷺ : إلى الأخ الصالح المرضيِّ ؛ مظهر أسرار النور اللامع الفيضي ، جوهرة سلسلة الصَّف الصفا ، وثمرة الصدق بلا خفاء ، المرجوُّ . . المرجوُّ . . المرجوُّ ؛ حسن حلمي أفندي النقشبندي المجددي الخالدي ، وإلى جميع آله وعياله : السلام عليكم ، وكان الله تعالى معكم ، ومتَّع الأنام بطول بقائكم ، وأوصلكم متمناكم .

وبعد ؛ فنسأل الله تعالى سبحانه ترقِّيَاتِكم الصوريةَ والمعنوية ، فإن خيريَّتكم وصلاحكم متضمِّنَةٌ لجمعية جميع المسلمين ورفاهيتكم ، والدعاءُ لكم دعاءٌ لجميع المسلمين ، سلَّمكم الله تعالى عما لا يليق لجنابكم بحرمة سيِّد المرسلين وآله وأصحابه الميامين ، وحيثُ أعلم أن نسبةَ محبَّتِكم وإرادتكم وإخلاصكم لأكابر النقشبندية قدس الله أسرارهم

ومحبة الفقراء على الوجه الأتم والأكمل ؛ يصير باعثاً على تصديقكم ، ثمَّ إنِّي بلغني منكم كتابٌ كريم ، ووقع عندي من القبول والإقبال في موقع عظيم ، واستبشرت بخلوص نيَّتِكم وصفاءِ طويَّتكم ، فالحمد لله على عافيته وهدايته ، ووقايته وعنايته ، أدام الله لنا ولكم العفوَ والإمداد ، ومدَّ علينا مِن ظل الإحسان والإسعاد .

ثم اعلم يا أخي ؛ أنَّ هذا النَّسَب لا ينقطع أصلاً ، ورَحِمُ الأصل لا يتحمَّل إلاَّ وصلاً ، فقوموا على آداب الله تعالى كما يجب وينبغي ؛ تجدْ مطلوبَك كما تحبُّ وتبتغي .

واعلم بأن عهد المحبَّة لم يزل في وفاء ؛ كأس المودَّة في صفاء ، وحِبَال التوجُّه موصولةٌ ، وآثار الفياض محصولة ، فكن رفيقَ التوفيق في طريق التحقيق ، ولا تنسَ أحبابك في الدعوات المستجابات في تلك الحضرات المستطابات ، ولا يقل للناس القال والقيل ، ولم يزل ذلك من القديم لأهل الكمال والتكميل ؛ فَتَنْسِيبُ الناس إياك إلى الجنون ؛ علامةَ كمالك في المعارف والفنون . كما قيل في حقِّ سيّد المخلوقات إنه « ساحر » أو « مجنون » .

ثم إنَّك كتبتَ أيُّها الأخ (فوالله يأخذني الحياء منك . . .إلخ) ، وكتبتَ أيضاً (لظنِّي أن شغلَك عن شغلِك تركُ أدب . . .إلخ) ! ! فأتوقع منك أيها المحبوب أن لا تخيِّلَ في خاطرك هذا ، نعم إن الفقير ؛ وإن كان كتابُك أعزَّ عنده من كلِّ شيءٍ ، لا يزال يخاف من أن يكون قلمُه حجَّةً عليه بوقوعه خلاف آداب سادات القوم ، فإن صدر مني زلَّة في المكتوب في كلِّ حال أرجو من خلاصتكم أن تزيلَ الخطأَ وتمحيه ، وتثبت موضعه من الصواب ما رأيتَه .

ثم إنَّك كتبتَ بشارةَ ولدِكم المولود ، وتسميتكم له باسم شيخكم جعله الله تعالى من المبشرين بالرضوان ، ورزقه العرفان واجعله بارّاً وذخراً لوالديه ، وتسميتُكم لسِبْطتكم باسم نفيسة الكبرى عينُ الآداب إن

شاء الله تعالى ، وقد سرَّني ذلك حيث اتفق اسمها باسم ثمرة فؤادي ، جعله الله في بركة السَّمِيَّة بها ، وفي زمرة آل البيت ومحبيهم . آمين .

وكتبتَ أيضاً (أن لك إشكالاتٍ ، لكن الحياء يمنعني عن كتابتها إلخ) ! !

أيُّها الأخ الصديق المحبوب ، إن السائل أعلمُ وأكمل من المسؤول بألوف ، فإن شيئاً ينحلُّ بواسطة الفقير ؛ فعلى الرأس والعين ، فليس من عملي أرجى للقبول من خدمة الفقراء خاصَّة وخدمتكم ، وسروري برسالتكم وسلامكم لا يزال يزيد ، جعلنا الله تعالى في جملة المتحابِّين في الله . آمين .

وكتبتم أيضاً (أريدُ الزيارة والملاقاة معكم . . .إلخ) ! !

إن الملاقاة معكم ؛ وإن كان أغرب شيء عندي ، وأعزَّ من الكبريت الأحمر والترياق الأكبر ؛ بيد أن في الأسفار نَكَباتِ الأخطار ، ولا تكن ابنَ الأسفار كالفقير الذي ليس له القرار ، على أنَّ السَّفَر يورث الظلمة والفتور ، ويسدُّ باب الفيض من الملك الستار ، فزاوية بيتِك خيرٌ لك من الدنيا وما فيها ، فإنْ سُدَّ الباب ؛ عياذاً بالله ! فيحتاج لفتحه إلى عمل كثير ، وإن كان الفتح عند الله يسير .

ثم إنَّك كتبتَ (قد يصدر من فلان مكاتيب عديدة فيها كلمات كالأعاجيب . . .إلخ ! وقد قسّم المرشدين إلى أصناف شتى . . .إلخ) ! ! أيها المكرم المخدوم ؛ إن أهل الطريقة العلية والسلسلة الصديقية وقعوا في هذا الزمان غرباء ، والملتزمون للسنَّة السنيَّة قليلةٌ بواسطة شيوع البدعة ، ومن هنا اخترع بعض المتشيخين بواسطة قصورِ نظره في هذه الطريقة العلية أيضاً بِدْعات ، وجلب قلوب الناس بعلاقة ارتكاب تلك البدعات إلى جنابه ، ويظن هذا العمل بزعمه تكميلاً لهذه الطريقة ! ! حاشاها من ذلك وكَلاَّ ، بل هؤلاء الجماعةُ يجتهدون في تخريب الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا معاملةَ أكابر هذه [الطريقة] . هداهم الله تعالى سبحانه سواءَ الطريق .

وحيث أنَّ أهل هذه السلسلة العليَّة عزيزو الوجود في هذه الديار ؛ ينبغي لمريدي هذه السلسلة ومحبيهم إمدادُ هؤلاء الأكابر ، وطلبة هذا الطريق وإعانتهُم ، فإن الإنسان مَدَني بالطبع ، مجبولٌ على التمدُّن محتاجٌ في تعيُّشه إلى بني نوعه ، كما قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . .إلخ .

وأمَّا أمرُ ذلك الفلان وأمثاله ! ! فليس مما يعبأ به سِوى المسامرات اللاتي اخترعوها بالتكلُّف لأجل أن يقال أو ينال المنال ، وقد رأيت بعض الناس من فَرْط جهالتهم يكفُّون عن مكتوباته ؛ زاعمين أن ذلك من العلم اللَدُنِيّ ؛ غالين فيه كَغَالِي[1] الرافضة بالجهالة ، مع جهلهم معنى العلم اللَّدُنِّي ، وليس سوى الكُذُوبات المتخيَّلة للمتوَسْوِسين ، كيف لا ؛ وقد كتب في بعض المكتوبات (أنَّ اللهَ عَلَّم له مائة ألف لسان) ! ! فأي لسان علم حمداً لله تعالى أنَّه لا يعلم سوى لسانه ! فإن كان زعمه لسانَ حقٍّ ؛ فهل يجري لسانُ الحقِّ على خلاف الحق .

وكتب أيضاً (أنَّ الله عَلَّم جميع العلوم ، وأعطى علوم الأئمة المجتهدين . وأمَّا علم الإمام الشافعي بسهولة . . .إلخ) ! ! فأيُّ علم يعلم ولا يدري قراءةَ سطرٍ بالصدق ، ولا يعلم اعوجاج الحديث وصدقَه سوى المهارة عند الجهلاء بالتكلُّم عن الأمور القديمة التي ليست له شائبة منها ؛ كأخبار الجن ، يقول ولا يرى ؟ ! وكيف لا يخبر عن المستقبل ؛ إن كان له حظ من علم الله ؟ !

وكتب أيضاً أن « كُنْتَ شيخ » قُدِّس سره لمَّا مات إن الروس حملوه وألقوه في البحر ؛ لئلا يبقى أثرُه في البرِّ ، ثم إن الخضر عليه السلام أَخَذه قبل الوصول إلى قعر البحر ووضعه وراءَ جبل قاف . . . إلخ) ! ! فانظر إلى هذه المزخرفات المموَّهة لمجرَّد الدُّنيا ، وهل يليق

---

(١) الأفصح : كغُلاة .

لمؤمن أن يتكلَّم بهذه الشطحات ؟ ! والفقير الحقير يعلم بالله كيف مات ، وإلى أينَ آل أمره ، وفي أيِّ موضع دُفن ، وأين قبرُه الساعةَ ! ! فلا تلمح أيُّها المخلص إلى أقوالهم ، فكلها خيالات وهمية[1] لا يغني عن جوع ، بل هي تدليساتٌ وتلبيسات ، ليظلَّ الناس بها بغير علم ، يحسبون أنَّهم يصنعون صنعاً جميلاً ، بل هم أضلُّ سبيلاً ، وقد كادت انمحاء أصول هذه السلسلة العليَّة وغيبتها بالكلية ظاهراً ؛ بسبب تكليفات هؤلاء الدجَّاليين الذين يسعون على إراثة[2] أمور العارفين ، وإياك مِن أن تأذن لأحد من المريدين للمجالسة معهم ، ولا مع مريديهم ؛ لأنهم جواسيسُ الطبيعة ؛ يجلبون أرباب الأمارة إلى جهتهم ، لما أن النفس لإمارتيها تسرعُ إلى جهة الفتنة ، فإنِّي شممت من بعض مريدكم مَنْ له تردُّد في قلبه لضعف محبَّة النسبة معكم ؛ يميل رأيَه إلى تلك الجهة ؛ وثوقاً إلى أقوال مَن تعلَّقوا بهم ، فتنصَحُهم عن ذلك الدسيس الخفيِّ الذي يسدُّ باب الفيض ؛ لئلا يقع في خسران لا يرجى زواله ، وإن سألتَ : مَن أعلمُهم وأسبقُهم وأعلاهم مِن هذه الطائفة ؟ ! لا تجدُ مَن يعلم معنى اللطيفة ؛ حاشا عن المراقبة ، ولا عن كيفية هذه الطريقة ! ! وكلامُهم في الحقائق ، بل مِن فوق العرش ؛ وهو مع ذلك لا يدري شأنَ مَن كان في المقام الأول الأدنى ، ولا يدري اللطائف ؛ فضلاً عن معرفة تنقُّلاتها .

فاعلم أيُّها الأخ أنَّ جميع ذلك تدليسات ، فكان الكِكُنِيُّ أوَّلاً بأنه خاتم الأولياء ، ويتكلَّم من العليا والعُلْويات بظنِّه ، ويورد أشعاراً على نهج الدُّسُوقي والجيلاني وأمثالهم ، والآن اعترفَ بعدم كونه مأذوناً ،

---

(١) ويصدِّقه ما في « المتممات » مِن أنَّ مَن لم يطابق رياضته بالشريعة ولم يتبع السنة ؛ فليس له من التقريرات الإلهية والمعرفة الحقانية ، ولا تحصل له مِن تلك الرياضات إلاَّ الأوهامُ الفاسدة والخيالات الكاسدة التي ليس لها من الله قبول ، بل إنما هي له من طريق الحقِّ خروجٌ وعدول . راجعه من صحيفة ٢٠٨ حسن أفندي قدس سره (كذا في هاشم الأصل) .

(٢) إسائة عله (هاشم الأصل) .

وأرى ذلك منه إنصافاً عظيماً ، وهداه الله إلى طريق مستقيم ، والباقون أيضاً على تلك الوتيرة يتغالون في الثغوري ؛ كتغالي النصارى في المسيح . . .إلخ .

والسبب الباعث لهذه الأمور : أن الفقير لمَّا نظر إلى هذه الفتنة . رأى أن أستاذهم وشيخَهم الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره لمَّا عَلِم من مريديه ما علم لم يأذن قدس سره لأحد للإرشاد الكامل ؛ لعدم ائتمانه منهم ، فلما انتقل إلى جوار الرحمن ؛ ظهروا هؤلاء يدَّعِي كلُّ واحدٍ بالمشيخة ، ويكذب الآخر كلهم ، ووقع بينهم التعصَّب والتحاسد والنفاق ، فَبِتَرْكهم أدبَ شيخهم بهذه الدعاوي الباطلة ابتلوا بهذه الفتنة عن عين الله ، فضلُّوا وأضلُّوا ، اللهم اهدهم إلى ما فيه رضاك ، واجعلنا وإيَّاهم من عبادك الصالحين ، ولا تجعلنا وإيَّاهم فتنةً للقوم الظالمين ، سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الخبير .

ثم اعلم أيُّها الأخ المأمون ؛ أن لا تسيء الظنَّ عليَّ في حقِّ ما تكلَّمتُ في خصوص هذه الطائفة ، ومن المعلوم أن الدين النصيحة ، لو جمع علمُ العلماء وعقلُ العقلاء ؛ لِوَضْع ميزان وأسلوب أعلى وأزيدَ ممَا وضعه سادات الأكابر من هذه النسبة السَنِّية الصدِّيقية ؛ لما قدروا ، ولو أدنى بعشرها ، لكونها على أسلوب الصحابة بلا تغيير ، وكونها مقتبسة من مشكاة النبوة ؛ على صاحبها الصلاة والسلام ، وكون جريان أهلها في آخر الأمر على ما جرى به خواجه بهاء الدين محمد النقشبندي الأويسي ، جعلنا [الله] وأولادنا في بركاته ، وناهيك فضله وكمالتُه ، واكتفينا عن ذِكرها ، وهؤلاء يريدون إفساد هذه الطريقة وإضاعتَها بالكلية ؛ بتخليط البدعات والشَطحات والتكليفات ؛ لأجل الدُّنيا الدَنيَّة ، ولجلب الحطام الفانية وشهرة الآفاقية ؛ يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ، والله متمُّ نوره . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . انتهى .

المكتوب الثلاثون

في بيان معنى عبارة « المكتوبات » الإمام الرباني قدس سره

(إن الطريقة النقشبندية بالتعليم والتعلُّم ؛ لا بإعطاء الكلأ والشجرة) ، وأجوبة أخرى ؛ أجابه لأسئلة سألها الحقيرُ رحم الله إفلاسه .

قال ﵁ : وأما قولكم (ثم إنيِّ رأيتُ في « مكتوبات » الإمام الرباني قُدِّس سره ما معناه : أن الطريقة النقشبندية بالتعليم والتعلُّم ؛ لا بإعطاء الكلأ والشجرة . . .إلخ) .

أقول : إن ذلك القولَ من[1] الفقراء والمشائخ جار جَرَيان مثل السائر ، وذلك أن بعض السالكين يسعون خلفَ الإجازة كما عليه غالبُ زماننا ، وسواء في هذه الطريقة وغيرها ، هم يجتهدون في تحصيل صَكِّ الإجازة كيف كان من بعض الدجالين المتشيِّخين ، ويُعْطَون ذلك حين طَلبوا ، ويحسبون أنَّهم كُمَّل المرشدين الذين يجيزون المريدين ، وبعضهم يُعطَون لباساً من ثيابه ، فبعد مدَّة يسعون خلف المريدين ؛ قائلين إنه مأذون من شيخ كذا ، ويخبرون أنَّ في يده صكَّ الخلافة ، وأنه مجازٌ وفي يده الشجرة بأسماء المشائخ ، فيقعون أكثرُهم بهذه الشطحات في وادِ الجهل والحرمان ، ويموتون على ذلك راكبين على متون الشيطان ، فلأجله يقولون في حقِّ أمثالهم : ولا تكون الطريقةُ بالخرقة والشجرة بل بتهذيب . . .إلخ .

وفي بعض النسخ (بالكلأ والشجر) ومعنى الكلأ والشجر : كتابٌ رسم فيها أسماء المشائخ . . .إلخ .

ولا يجوز الإجازة أيضاً في سائر الطرق بمجرَّد الإعطاء ، بل بالاستقامة بصحبة شيخ كامل ، وترويض نفسه . . .إلخ .

---

(١) بين (هاشم الأصل) .

المكتوب الحادي والثلاثون

في بيان رضائه قدس سره بكتاب الفقير المسمَّى بـ« تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » وتقريظه ، وفي بيان أن الاشتغال بأحد عشر ألف ذكر لازمٌ إلى الموت ، وبيان كيفية المراقبات

قال رضي الله عنه : إلى حضرة قدوة الفضلاء ؛ تاج الأذكياء ، مربي السالكين ، وسراج المسترشدين ؛ حضرة ذي العرفان الذي قام على دعوى فضله العرفان ؛ أخينا المحبوب من صميم الفؤاد ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي المجددي الخالدي ، وإلى أهله وأولاده ؛ الصورية والمعنوية : سلامٌ يفوح بعنبر المحبَّة نَفْحُهُ ، ويشرق في سماء الطروس مجه[1] بعد .

وبعد ؛ أسئل الله تعالى لكم العفو والعافية ، والسلامة والاستقامة ، عمَّر الله تعالى الوقتَ بحياتِكم في رضائه ، وأفاض عليكم سِجَال هباتِه ، وإن تفضَّلتُم بالسؤال عن أسير وُدِّكم والدائم بذكركم ! ! فإنَّه يشكو إليكم شوقَه وغرامَه ، وتوقَه وهيامَه ، ويستمدُّ من أنفاسكم العاطرة ، وتوجُّهاتكم الصادرة عن قلوبٍ بأنوار المعارف عامرة ، ثمَّ إنَّه وافى إليَّ كتابُكم المؤلَّف ، وحِليَتكم المصنف ، فكأنما هي الضالَّة المنشودة والدرَّة المفقودة ، فأسَرَني سرُّه ، وأعجبني جمعُه ؛ فاجتنيت ثماره الشهيةِ الجَنَى ، واقتطفتُ أظهاره عاطرة المُجْتَنى ، ووقع عندي موقعَ الماء الزُّلال عند اشتداد الغُلَّة ، وحصل به الشفاء للعلة ، فلله أنتَ وكتابُك الذي هو كنزُ الطالب ، وبغية الراغب ، وقد قرَّ بِهِ ناظري ، وانشرح خاطري بمطالعة ذلك الكتاب ؛ فوجدته كأنه فصلُ الخطاب ؛ فقلت :

فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيهَا مِنْ مَدِيحْ ... تَجِدْهُ فَوْقَ مَا نَطَقَ المَدِيحُ

---

(١) صُبْحُهُ (هاشم الأصل) .

ورأيتُه كتاباً لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً ، ولم تغادر شيئاً يحتاج على الخصم إلاّ ولكل حجَّة حُجَّة تؤتى ، فجزاك الله عني خيراً ، وزادك به وبأمثاله مثوبةً وأجراً ، وطالعتُ جميعَه ؛ ولم أجدْ ما أمحو منه ، ولقد هممت أن أُجري قلماً على حكاية صغيرة فيها ؛ ثم تركتها ، وكذا ما أدركت فيها حقيقة الدوائر المذكورة فيه ولم أعرفها ؛ وما ذلك إلاّ بقصور علمي في ذلك ، والذي تلقَّينا من ساداتنا قدس الله أسرارهم على كيفية أخرى ، وقد فَصَّلْنا دوائر المراقبات في كتابنا « كنز المعارف » على وفق ما توارثنا من ساداتنا ، ويحتمل أن يكون عندكَ زيادةُ علم في خصوص ذلك ، ولأجله لم أضع قلمي عليه أيضاً ، وسوى ذلك لم أجد في كتابك أيُّها الأخ شيئاً مخالفاً لاصطلاح الساداتِ ؛ جعله الله تعالى سبباً لانفتاح بصائر السالكين ، وتمحيضاً لآراء المتعصبين .

وأما أمرُ الطبع ! ! فإني تكلَّمت مع أخينا غز محمد ، ونجتهد الآن في طبعه إن شاء الله ، وأوصل إليكم جوابَ ذلك بعد أن وقع أمرُ ذلك في موضع وكيفٍ لا نجتهدُ في كتاب ، كأنه سُلَّتْ منه صوارمُ الحجج القاطعة على عقائد الملحدين ، ورُمَتْ بشهبه شياطين المبطلين ، ولعمري إنه تأليف يفتخِرُ به المؤمنون العالمون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

ثم بعد ذلك وصلتْ رسالتُك وفهمتُ خطابك ، فلأجل التماسك كتبتُ بما تحرَّك به القَلَم في وقت تشويش القلب ، فاعذرني أيُّها الأخ فيما أكتب ؛ إن كان مخالفاً لاصطلاح السادات ، وتُرْجع ما أخطأنا لَدَيْنا ، لنرجع البصر ثانياً فقولكم .

ثم إنه أتانا من طرفكم رسالةٌ في السَنَة الماضية بهذه العبارة الآتية (إن الأغلب في طريقتنا تلقينُ الشيخ للمريد مثلاً لكل لطيفة . . .إلخ ! ! وقد كنت أتردد في هذا الكلام ، ولا أفهم منه أيَّ ذكر هو ! أهو لفظةُ الجلالة . . .إلخ ؟ !) .

أيهَّا المحبوب أسعدك الله ؛ إن الذكر الذي أردناه هو ذكر الجلالة القدر المذكور ، وأما النفي والإثبات بحَبْس النَّفَس أيضاً ! ! فأقلُّها ألفٌ ، وأقصاها خمسةُ آلاف ، لكن لا حدَّ لأكثره من الذِّكْرَين . . .إلخ .

وأما قولك (فإن كان مرادك منه لفظة الجلالة على ترتيب اللطائف ؛ كيف ينقسم على اللطائف . . .إلخ) ! !

ينقسم على هذه الكيفية . فعلى القلب خمسة آلاف ، والباقيةُ لكلِّ لطيفة ألفٌ ، وفي هذا الموضع أمرٌ آخر من مشائخنا ، فأما في عبارة جامع القطبتين مولانا أبو عبد الرحمن محمد ذاكر الچسطاوي قدس سره هكذا بعد تحطيط الذكر من سلطان الذكر ، ووصل الحدُّ إلى مبلغ إحدى عشرة آلاف . قال : وهذا المبلغُ إلى الموت ، ويفهم هذا من كلامه بثُمَّ وثم . . . إلخ في كتابه أيضاً ، وبذا لَقَّنَنا ، وقال : ولا حدَّ لأكثره .

وما كتب إليَّ ولقَّنني به مولانا أبو عبد الرحمن زين الملة والدين زين الله معموري الشريفي – ونفسي فداه – بهذه العبارة : إن الاشتغال بالأذكار لازم على لطيفة القلب خمسة آلاف ، وسائر اللطائف الستة ستة آلاف[1] ، وجملتها أحد عشر ألفاً في كلِّ يوم وليلة إلى الموت ، ثم النفي والإثبات بحَبْس النفس ؛ خمسة أنفاس أقلُّه ، والتهليل اللِساني أقلُّه مائةٌ ، وأوسطه خمس مائة ، وأعلاه خمسة آلاف في كلِّ يوم وليلة إلى الموت .

هكذا توارثنا أيُّها المأمون بالرسم منهما والتلقين ، ويحتمل أن يكون لمشائخكم احتمالاتٌ أُخَر يعلمونها ، والله أعلم .

ولولا عدمُ الفراغ لبَسَطْتُ مقالاتهما في هذا المقام ، فالإشارة يكيفك أيُّها الكامل الهمام .

وقولك أيضاً (إني فهمت من كلامكم في بعض مكاتيبكم أنَّ في يدكم أيضاً إجازةً من طرف القادرية ، فإن كان فالحقير يتشوَّق . . .

(١) أي : على كل لطيفة من اللطائف الستة ألف .

إلخ) ! ! اعلم أيها الأمين الصادق : لا أُخفي منك ذلك ؛ وإن أخفيتُ من العوامِّ أن في يدي صكَّ الإجازة القادرية مع إمضاء المشائخ الكائنين في محضر الإجازة ولله الحمد ، بيدَ أنِّي ؛ وإن كنت مجازاً بالإجازة التامَّة لم يتفق لي الجلوسُ في الأربعينيات المعهودة في اصطلاحهم أيضاً ، ولم يلزم مشائخنا عليَّ ذلك ، لكن لم يطمئِنَّ القلب إلاّ به ؛ لئلا يكون ترك أدب ، بل أمروني بإظهار الأمر بدونه ، ولكن استعفيتُ مدَّة واستمهلت .

اللهم نعم ؛ أيُّها المخلص ؛ إن الطريقة القادرية العليَّة لجدير لأن تنتشر في ديارنا ، ولائقٌ لأحوال رجالنا ، والنقشبندية مخوفة التلقين في هذه الحالة إلا للضرورة ، والله تعالى يؤيِّدُها إن شاء الله تعالى بأهلها ، وهو ولي المتقين ، والفقير على إرادة القاء حبلها في عُنُقك من قَبْل ، بيد أن لكل شيء أجلاً ، وإياك الاستعجالَ ، وأرجو الله تعالى أنَّك الفائزُ به عند الله .

إفشاء السرِّ قبل وقته والإذن كفر

وقولك أيها الولد (إني كنتُ قبل هذا بسنين قصدتُ إلى جنابكم ، وكان الشوق إلى الدخول في دائرة سلسلتكم بكيفٍ لا يوصف إلخ) ! !

ذلك أمرٌ خارج عن إرادتنا ، فلله الأمر من قبل ومن بعد ، والقلم جفَّ به إن شاء الله تعالى ، فاعلم أيُّها الولد ؛ أنا الحقير ؛ أنا الذليل ؛ أنا دونكم ، أنا خادمكم ، وإنما أنا بكم وبأمثالكم ، لكن إن الأمر المعنوي بذلك متمَّمٌ قبل سنة ؛ وإن لم يخرج إلى الخارج بالمصلحة المعنوية ، فأنت أيُّها المرجو للاستقامة وصيُّ ساداتنا ، وحامل همَّتنا ، وملجأ أحبابنا إن شاء الله تعالى ، وسيظهر لك شأنُ ذلك ، والله الفعَّال وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولولا لجامُ السادات على فم الفقير لأباحَ لك السرَّ ، لكن لذلك حينٌ لم يَحِنْ ، وإفشاء سرِّ الربوبيَّةِ في غير الحين بلا إذنٍ كفرٌ . أيَّدَنا الله تعالى على آداب ساداتنا ، والقيام في رعاية حقوق قاداتنا ، فالمتمسِّكُ بهديهم فقد تَمَسَّك بالعروة الوثقى ، والسالكُ في طريقتهم لا يضلُّ ولا يشقى .

ثم إن قولكم في حقِّ الذكر (وما قاله شيخكم . . .إلخ) .

فإني لا أنكر قولَه كيف كان ، ويحتمل أنَّه فعل وتكلَّم على إشارة ساداته قدس الله أسراراهم ، لكن إن قطب الوقت مولانا محمود الفعال قدس سره كان يأمُر على الذكر بلا قطع إلى الموت .

وقولكم (إن الأستاذ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره كان يقول : إن الشيخ شعيب الباكني شيخٌ أتمَّ المراقبات . . .إلخ) ! !

نعم إن ما قاله الشيخ العسوي قدس سره حقٌّ في حقِّ الشيخ الحافظ المتورِّع الحاج شعيب قدس سره أنه كان أتم المراقبات المعهودة في هذه الديار ، وجامعُ القطبتين مولانا محمد ذاكر قدس سره كان أتمَّ تلك المراقبات ، لكن لا بالكليَّة ، وأكثرُ خلفاءِ - الخالديين ونفسي فداهم وقدس الله أسرارهم - كذلك ، ومنتهى المراقبات عندهم في مراقبة مرتبة اللا تعين ، ولم يتجاوزوا من ذلك إلاَّ النادر ، حتى مَن بلغ هناك - أي : مراقبة مرتبة اللا تعين - قليلٌ جدّاً ، فهو مقام عظيم ، حتَّى إن جامع القطبتين لم يتجاوز من مراقبة الحقيقة المحمدية ، ومنشأ الفيض في هذه المرتبة . ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ . . .إلخ . ويجوز أن يسمى لمن وصل إلى هذه المرتبة الخالدي المحمدي . فافهم أيها الأمين .

وأما المراقبة الحقيقة الأحمدية ؛ أي : المحبوبية الذاتية فقط ، ومراقبة الحبِّ الصِّرف الذاتي ، ومراقبة اللا تعين ، ومراقبة دائرة السيف القاطع ، ومراقبة دائرة القيومِيَّة ، ومراقبة حقيقة الصوم ؛ فهي آخر المقامات بعد ؛ أي : وراء مراقبة الحقيقة المحمدية السابقة ، وقد فاز بكمالها وتمامها بتلقينِ قطب الوجود مولانا شاه خالد سليماني قدس سره ، مولانا السيِّدُ الشريفُ الحسيني السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الشامي ، وخلفاؤه تشاركوا في هذه الدولة ؛ قدس الله أسرارهم ، ونفعنا ببركاتهم . آمين .

وقد قال جامع القطبتين لخليفته السيد عبيد الله الحسيني : فوق مراقباتنا سبعُ مراتب ما تلقناها من ساداتنا . والحمد لله رب العالمين .

ترتيب المراقبات

تذنيب : ثم إنَّه ؛ وإن كان ذِكرُ هذا الكلام خارجاً عن المطلوب ، أَذكرُ هنا ترتيب المراقبات اللَّاتي ورثناها من ساداتنا قدس الله أسرارهم : مراقبات اللطائف الخمسة **١** مراقبة لطيفة القلب ؛ من تجلي الأفعال الإلهية ، **٢** مراقبة لطيفة روح ؛ من تجلي الصفات الثبوتية ، **٣** ومراقبة لطيفة سر ؛ من تجلّي الشؤونات الذاتية ، **٤** مراقبة لطيفة خَفيٍّ ؛ من تجلي الصفات السلبية ، **٥** مراقبة لطيفة أخفى ؛ من تجلِّ الشأن الجامع الإلهي ، **٦** مراقبة الأحدية في دائرة الإمكان ، **٧** مراقبة المعية ، في دائرة الولاية الصغرى ، **٨** مراقبة الأقربية في الدائرة الأولى من دائرة ولاية الكبرى ، **٩** مراقبة المحبة ؛ في الدائرة الثانية ، **١٠** مراقبة المحبة في دائرة الثالثة ، **١١** مراقبة المحبة في القوس ، **١٢** مراقبة الاسم الظاهر ، **١٣** مراقبة الاسم الباطن ؛ في الولاية العليا ، **١٤** مراقبة كمالات النبوة ، **١٥** مراقبة كمالات الرسالة ، **١٦** مراقبة كمالات أولو العزم . **١٧** مراقبة حقيقة الكعبة ، **١٨** مراقبة حقيقة القرآن ، **١٩** مراقبة حقيقة الصلاة ، **٢٠** مراقبة المعبودية الصرف ، **٢١** مراقبة الحقيقة الإبراهيمية ، **٢٢** مراقبة الحقيقة الموسوية ، **٢٣** مراقبة الحقيقة المحمدية ، **٢٤** مراقبة الحقيقة الأحمدية ، **٢٥** مراقبة الحب الصرف الذاتي ، **٢٦** مراقبة اللاتعين ، **٢٧** مراقبة دائرة السيف القاطع ، **٢٨** مراقبة دائرة القيومية ، **٢٩** مراقبة حقيقة الصوم .

وبهذا الترتيب تلقَّينا من ساداتنا قدس الله أسرارهم ونفعنا ببركاتهم ، وأرجو الله تعالى أن يوفِّقَك لحوز جميعها وتبلغ منتهاها .

المكتوب الثاني والثلاثون

في بيان إجازته قدس سره لهذا الفقير رحم الله إفلاسه في تلقين الطريقة الشاذلية قدس الله أسرار أهلها ، وبيان سندها

قال ﷺ :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وقد أجزت الفاضل الكامل ، والعالم العامل ، التقي النقي جناب بشلار زاده مير خالد سيف الله بن حسين الداغستاني بطريق السادة النقشبندية المجدِّدِية ، والطريقة الشاذلية ؛ نفعنا الله بهما ، وأن يداوم على ذكر أورادهما وأذكارهما ، وأن يجيز بهما مَن شاء ممن يرى فيه أهلية ذلك ، وفقني الله وإياه لما يحبُّه ويرضى ؛ موصياً لي وله بتقوى الله تعالى سراً وعلناً ، وأن لا ينساني من صالح دعائه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

قاله بفمه ورقمه بقلمه ؛ العبد العاجز الحقير صالح بن عبد الخالق الحنفي النقشبندي خادم العلم والحديث بالشهر الحاج طرخان ، وذلك في اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأخير سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وألف بالشهر الحاج طرخان ، وفي هذا المقام خاتمين :

والسيد سيف الله قدس سره أجاز بما ذكر لهذا الحقير حسن القحي ، وكتب له صكَّ الإجازة وفَّقه الله تعالى لإدارة ذلك . آمين . من خطه .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن وَصَّل مَن استند إلى جنابه ، ولازَمَ الوقوف على أبوابه ، بعد الاعتراف بالعجز عن أداءِ حمدٍ لم يحصه ألسنةُ البلغاء ، وحار فيه

الأنبياء والأولياء ، حتَّى أقرَّ أَكمل أفرادِهم بعدم إحصاء الثناء ؛ اللهم لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، والصلاة والسلام على أفضل أهلِ حظيرة قُدْسِك ، وعلى آله وأصحابه ما وَصَل واصل إلى معرفتك وأُنْسِك .

وبعد ؛ فلما كانت الإجازة في طريق أهل الله ، وفي العلوم الموصلة إلى الله عزَّ وجلَّ من أنفع ما يكون لمن سَلَك تلك المسالك في رياض الرياضات ، ودخل في جملة مَن سَرَت أسرارهم إلى حضرةِ الحضرات ، وخاض في عالم المَلَكُوت ، واطلع على لُمَح من لوامح اللاهوت ؛ فاشتغل بذكر الملك المتعال ، وصار من أرباب الأحوال ، وسلك في سلك الذاكرين ، وعمل بمقتضى قول رب العالمين ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ ، وكان ممن سلك لديَّ في العلوم ، ودخل في زمرة مَن عندي من السالكين : مَلا سيفُ الله ابن مَلا حسين الداغستاني ، فقد أجزته بالتوجُّه وتلقين الذكر للمريدين من أهل المحبة والشوق ؛ في الطريقة العلِيَّة النقشبندية الخالدية ؛ قدس الله أسرار مواليها ، فهو ما لم يخالف أصول الطريقة التي سَدَاها ولُحْمتها الشريعة ؛ فردُّه ردِّي ، ومَدَدُه مددي ، ويدُه يدي ، وقَبوله قَبولي ، وأُوصي نفسي وإيَّاه وسائر الإخوان بنفي الوجود ، والوفاء بالعهود ، والقناعة بالموجود ، والتوكُّل على الربِّ المعبود ، وتصحيح العقائد على وفق آراء أهل السنة والجماعة ، وأن لا ينساني ومشائخي في الدعوات الصالحات في الأوقات المستجابات ؛ خصوصاً بحسن الخاتمة ، وبترك الدعاوَى الكاذبة ، ودَوام رؤية القصور في الأعمال ، وبإخلاص النيّة إذ النيّة روحُ العبادات ، وبدوام ذكر القلب ، وبدوام هذا التسبيح (سبحان الله وبحمده ؛ عدد خلقه ، ورضاءَ نفسه ، وزِنَة عرشه ، ومداد كلماته ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره

الغافلون) . وبالاشتغال بالنوافل من الصلوات ، ودوام الصلوات الخمس بالجماعة ، ودوام قراءةِ القرآن ، والصلاة على النبي المختار ﷺ ، وصلَّى الله على النبيّ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وفي هذا المقام خاتمه .

خادم الفقراء ملا زين الله
بن حبيب الله بن موسى
النقشبندي المجددي الخالد
عفى عنهم العافي ، في ٥ رجب ١٣٢٥.

وفي رمضان سنة ١٣٣٧ أجاز سيف الله قدس سره لهذا الحقير حسن القحي بن محمد – سامحه الله من فَرَطاته – في تلقين هذه الطريقة المذكورة من هذه الجهة في حجرته الشريفة في نژبكري .

اللهم ؛ اجعلنا من الهادين المهتدين ؛ لا من الضالين المُضِلِّين . آمين

من خط حسن أفندي قدس سره العزيز.

المكتوب الثالث والثلاثون

في بيان شأن الذاتي ، والشأن الجامع ، والاسم الظاهر ، والاسم الباطن ،

وكيفية المراقبة فيهما ، وبيان اجتماعه بروح محمد عليه السلام ،

وروح علي كرَّم اللهُ وجهَه في عالم الأرواح ، وما وقع له في تلك الواقعة .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، والصلاة والسلام على سيِّدنا وسيِّد الورى محمَّدٍ صاحب الحوض والشفاعة ، وعلى آله وأصحابه الخيار البررة .

إلى حضرة تاج الأذكياء ؛ مربي السالكين وسراج المرشدين والمسترشدين ؛ من أشرقت في سماء فؤاده شموسُ المعارف ، وانتظمت من درر أقواله أسماطُ العوارف ، أنيسي في الغيبة كما في الحضور ؛ أبي محمد عارف حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدِّدي الخالدي أصلح الله به أفئدة الأتباع والمريدين ، وحلّى به جيد الزمان ؛ فهو فيه بمنزلة العقد الثمين ، وإلى أولاده وعياله وبحسن الاعتقاد في زمرته . . . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه ، ونسأل الله أن يمنَّ بالتلاق ، ويفصل مانعة الجمع بطيِّ مشقَّة الفراق ، ولا زلت مراقباً راقيَ العلا ؛ منظوراً ومنصوراً بعين الإجلال بين الملا .

وبعد ؛ فقد وصل لديَّ كتابُكم الكريم واجب التعظيم ، فصار موجباً للفرح والسرور ، فجزاكم بذلك عني الجزاء الوفور ، فوقعت رسالتك عندي موقع الماء الزلال عند اشتداد الغلة ، وأزاحت من أمراض جهلي العِلَّة بعد العِلّة ، فللَّه أنت وكتُبُك التي هي كنز الطالب وبغية

الراغب ، وإن سألت عن الحقير – ولا أتجاسر أن أقول فقيراً وهو عند الله عزيز – ، وما عليَّ من الحال ! ! فالبيانُ المختصر أنِّي بحالٍ غيرِ ممدوح ؛ وهو غني عن التوصيف ، بكيفٍ يسأمُ المحبُّ عن سماعه فلا يحتاج إلى التعريف ، فقد تأتي عليَّ أوقاتٌ أكرِّرُ في وقتٍ الصلاة المفروضة غيرَ مرَّة ، ويكفي لك هذا من كثرة القسوات النفسانية ، وعروضِ الخواطر الدُّنيوية ، لكن السكوت عن ذكر الأحوال أسلمُ ، والصبر أولى وأحكم ، ثم إنَّه تعذَّر منِّي ردُّ الجواب لكتابيكم لكثرة الشواغل وتزاحم الرذائل ، وما وقع في الجسم من الوَهَن ، ولعلك لا تأخذني بذلك ، أيُّها الأمين الصادق والمحبُّ الوامق ، وقد كتبتَ إليَّ : أريد منكم أن تبيِّنُوا لي الشأن ، وما الشأن الذاتيُّ ، وما الشأنَ الجامع . . .إلخ ! !

قال شيخُ شيخنا أبو البهاء أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره وروحي فِدَاه : الشؤون الأفعال والشؤون الذاتية هي اعتبارُ نفوسِ الأعيان . . .آه .

بيده أن هذا الكلامَ في غاية الدقَّة يشقُّ أخذ المراد إِلاَّ مَن فتح الله له البصيرة على وجه الكمال ، وفهم مدركها في غاية العسرة ؛ لما أنّ تعريف سؤالك في غاية اللطافة لا يَنحَلُّ إِلاّ بالذوق الصحيح ، والقلب السليم بالفهم الصريح ، بواسطة المرشد الكامل المكمَّل الذي عزَّ وجوده ، ومع ذلك إنِّي – وإن لم أكن من قبيلهم ؛ ولم أقدر تفصيلَها بكيفٍ تقرُّ أعينكم – أكتب إليكم نبذة مما استفدناه من مشائخنا ساداتِ القوم كثَّر الله مثلَهم ، والعلم عند الله :

وذلك أن الشأن هو الفاصل المتخيَّل المتصوَّرُ بين الشيئين ؛ وهو معدومٌ ، وأمر غيبي ، ويقال هو برزخ بين الأحديَّة والشؤونات الذاتية ، وليس له مدخل في الخارج ، ولا وجود ، كتخيُّل الفاصلة بين السواد والبياض ، وبين الحلو والمرِّ ، بفرض الفاصلة بينهما ، والمعنى في ذلك هنا – أي في اصطلاح أرباب هذه الطريقة السنية – أنَّ للحق سبحانه

وتعالى تجلياتٍ متنوعةً ، وظهورات مختلفة ، وما تتصور وتتخيل بينها من الفاصلات يعبَّرُ بالشؤون الإلهية ؛ وهي في الحقيقة غيبيّ أبداً .

اعتبارات الشأن

ثم إنَّ لهذا الشأن الإلهيِّ اعتبارين ، فالأول : يعبَّر بالشأن المطلق ، فمرادُهم الأفعال الإلهية . والثاني : إن أضافوا الاعتبارَ إلى الذات ، وذكروا الشؤون الذاتيَّة ، فمرادهم اعتبارات أصليَّة إلهية ، ومن تلك الاعتبارات كلِّها يظهر منها مرتبةٌ مخصوصة ، فيفيد منها اسماً من أسمائه تعالى ؛ مثلاً إذا قطعت النظر عن الظهوراتِ التفصيلية للحقِّ سبحانه وتعالى ، وأردت[1] حال وجوده تعالى فقط يسمَّى بـ« أحد » ، وباعتبار ظهور أحوال تستلزم تبعية باقيها يسمى بـ« الذات » ، وباعتبار قبول آثار الشؤون من عنده بتعيين شأنه تعالى حاكماً تسمى « الله » و« واحد » ، وباعتبار انبساط وجود الحق الذي ظهر من ظهور الشؤون يسمى « رحمن » ، وباعتبار تخصُّصه بوجود الرحمة العامَّة تسمَّى « رحيم » ، وهكذا أمثال الاعتبارات الأصلية الإلهية تسمَّى « شؤون ذاتية » و« شؤون إلهية » فافهم ، وتأمل ، فإنه دقيقٌ جداً .

والمراقبات هنا هكذا ؛ مثلاً :

مراقبة لطيفة السرِّ ؛ من تجلي الشؤونات الذَّاتية من الحضرة الموسوية : إنَّ السالكَ يعرضُ ويقابل سرَّه لسِرِّ رسول الله ﷺ ؛ ويقول : إلهي إن فيضَ تجلي الذاتية وَصَل من سرِّ رسول الله ﷺ إلى سرِّ موسى عليه السلام وشرفه ، فبواسطة شرف أسرار المشائخ العظام أوصل إلى سِرِّي ، وينتظر ورود الفيض من هنالك .

ومورِدُ الفيض هي « لطيفة سرّ » ، ومنشأ الفيض هي الشؤونات الذاتية ، أو ذات أحدٍ بلا مثل .

---

(١) وفي نسخة : وصار المراد تعيين الوجود الحالي (هامش الأصل) .

وعلامة ورود الفيض : أن يجد السالِكُ ذاتَه مستهلكةً في ذات الحقِّ سبحانه وتعالى ، والواصل من هذه موسويُّ المشرب .

ومراقبة لطيفة الأخفى ؛ من تجلِّي الشأن الجامع الإلهي من الحضرة المحمدية : إن السالك يقابل أخفاه لأخفى رسول الله ﷺ ؛ ويقول : إلهي إن فيض تجلِّي الشأن الجامع الإلهي وَصَل إلى أخفى رسول الله ﷺ ، فبواسطة شرف أخفى المشائخ الكرام تفيض إلى أخفاي ، ويكون منتظراً إلى الفيض ، ومنشأُ الفيض هو الشأن الجامع الإلهي ، أو ذات أحد بلا مثل .

ومورِدُ الفيض هو لطيفة أخفى .

وعلامة ورود الفيض ؛ أن يتخلَّق السالك بالأخلاق الإلهية ، والسالك الواصل من هذه محمديّ المشرب .

وبعد هذه مراقبات ؛ وهي مراقبة الحقيقة الإبراهيميّة المفهومة من قوله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ ، ومراقبة الحقيقة الموسوية ، ومراقبة الحقيقة المحمدية ، ومراقبة الحقيقة الأحمدية ، لكن لم أذكرها خوفاً من الإطالة ، ولقد هممت ذكرَها وذكرَ باقيها لغربتها في ديارنا وعدمِ تعرُّض مشائخنا غالباً إليها ، لكن غَنِيت من ذكرها ؛ ظنَّاً أنَّكم تلقَّيتمِ من مشائخكم ، وقد ذكرت جميعَها في تأليفنا ، ورأجو الله تعالى أن يوفِّقَنا لإظهاره ، وذلك على الله يسير .

ثم إنك كتبتَ : (ما الاسم الظاهر ؟ وما الاسم الباطن ؟ وما كيفية المراقبة فيهما . . .إلخ) .

اعلم وفَّقك الله لمرضاته ؛ أن المراد من الاسم الظاهر مسمَّى الاسم الظاهر ، ومن الاسم الباطن مسمَّى الاسم الباطن ، لكن موارد الفيوضات لكلِّ واحدة منهما متفارقة ، والفرق المطلوبُ بين الاسم الظاهر وبين الاسم الباطن : أن فيض التجلِّي الذي يرد من السير على الاسم الظاهر

يكون من الأسماء والصفات ، وأما في الاسم الباطن ؛ وإن كان فيضُ التجلِّي من سير هذا الاسم من الأسماء والصفات ؛ لكن أحياناً يظهر تجلِّي الذات الذي ليس للظاهر فيه دَخل .

فالحاصل أنَّ السالك إذا قطع الدوائر الثلاث من الولاية الكبرى يشتغل بمراقبة الاسم الظاهر ، ففي المراقبة فيه تَرِدُ فيوضاتُ التجليات الصفاتية من غير ملاحظة الذات ؛ كما ذكرناه آنفاً ، وبعد تمام السير في ذلك الاسم الظاهر يضع السالك بعناية الله تعالى قدمَه في دائرة العليا ، وها هنا المعاملة بالعناصر الثلاثة[1] سوى عنصر التراب ، والمراقبة على ذاتِ مسمَّى الاسم الباطن ؛ وهو منشأ الولاية العليا ، ومنشأ الفيض ، ومورد الفيض العناصر الثلاثة المذكورة ، والترقِّي هنا منوطٌ بالتهليل اللساني وصلاة النافلة ، وفي هذا المقام ظهورُ التوجُّه والحضور ، والعروج والنزول للعناصر الثلاثة ، وحصول وسعة عجيبة باطن السالك ، ووجود المناسبة بالملائكة العليا ، وربَّما تظلُّ له الملائكة ظاهرين ، وها هنا تدرك الأسرار اللائقة بالستر عن الأغيار .

وإذا تمَّ للسالك سيرُه في اسم هو الظاهر ، واسم هو الباطن ! ! فقد حصل له جناحان يطير بهما إلى المقصود الذي هو الذاتُ البحت الذي هو عالم القدس ومحلُّ الأنس ، فحينئذ يقع السير بفضل الله تعالى في كمال النبوَّة ومراقبتها ثم . . . ثم . . .إلخ ، فيصير الولاية العليا التي فيها سيرُ الاسم الباطن كاللبِّ ؛ والولاية الكبرى كالقشر ، وفي هذا المورد إن الرخص في الأعمال تنفي الترقي وتمنعُها ، والترقي يكون بالعزائم ، لما أن الرخصة تجلب السالك إلى التنزُّل بميله إلى الطبيعة البشرية الحيوانية ، ويورث السقوط ؛ والعياذ بالله ، وفي العزيمة كمالات ومناسبة في زيادة الترقِّي للملأ الأعلى . والله أعلم ، وهو على كل شيء قدير .

---

(١) هي الهواء ، والماء ، والنار .

التجلِّي ومراتبه

تذنيب : اعلم أيُّها الأمين ؛ أن التجلِّي نورٌ ينزل من الغيب في قلب السالك الصادق ، وله أربعُ مراتب :

الأول : تجلِّي الآثار ؛ وهو : ظلُّ الأفعال الإلهية وأثره ، ونفس السالك من جهة الآثار .

والثاني : تجلي الأفعال ؛ وهو من جملة الأفعال الإلهية ، وجملة صنع وتحرك المريد من رشحاتها .

والثالث : تجلِّي الصفات ؛ وجميع الكمالات والجمالات والجلالات ، وكلُّ حَسَن إنَّما هي من كمالِ وجلالِ وجمالِ الحقِّ تعالى المستفاد منها كاستفادة البرتزدراي(١) أي الزجاج ناراً من شعاع شمس ، والصفات ظلُّ الذات .

والرابع : تجلِّي الذات ؛ وهي : أن جميع الموجودات تُرى للحقِّ سبحانه وتعالى ، وهذه نهايةُ المراتب وأصلُ جميعِ التجلِّيات ومنبعُها ، وباقيها ظلُّ هذه .

هذا ؛ ثمَّ إنَّ النور الذي ظهر من الغيب في قلب المريد على قسمين - على ما عليه المشائخ الكرام - : تجلِّي شعشعاني ، والآخر غير شعشعاني .

والنور الشعشعاني من الذات تعالى كالشمس يختطف الأبصار ، ويعبَّر عن هذا التجلي بـ« البَرْقي » ، و« الآني » يعني : كالبرق في اختطاف الأبصار ، وصاحب هذا التجلِّي لا يتحمَّل غالباً ؛ بل أصلاً هنا ! وينصعق كانصعاق موسى عليه السلام بالطور ويسقط .

وغير الشعشعاني ؛ كحساب القمر ؛ صاحبه لا يصل إلى مرتبة

---

(١) فسرها لنا بعض الطلبة بـ : البر : عادي أو واحد ، وتز : النظيف أو الصافي ، ودراي : الحرير . بلغتهم الغموقية ، وبهذا يظهر معناها ! فافهمه .

السقوط ؛ ولا ينصعق ، ويكون كالتجلِّي الربوبية في قلب المناجي والمصلي . . .إلخ .

ولقد كنتُ أردت أن أبسط كلاماً في هذا الموضع ؛ وإن كان معلوماً لكم ؛ بناء على قلَّة ذكرها في كتب السادات ، لكن اكتفيت وغَنِيت عن ذلك . . .إلخ .

ثم إن الأفعال والأسماء والصفات والذات من المعلومات لديكم ، لكن إن المعنى : يقع الفناء للمريد والمراد في الله ؛ فالفناء في الأفعال يكون في القلب ، والفناء في الأسماء يكون في الروح ، والفناء في الصفات يكون في السرِّ ، والفناء في الذات يكون في الأخفى ، ولأجل ذلك تكون التجلِّياتُ على كيفيَّات مختلفة على مقتضيات حال المريد والمراد . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وأجل ، وأكرم .

واعلم أيها المحبوب السبحاني ؛ لقد طال زمن هذا الجواب بوقوع أعذار غير لائقة لذكرها ، مع ما عليَّ من الضَّعْف والوَهَن في كل شيء ، وعلى فتورٍ عظيم ما كنت أعهدُه قبلُ من جهة الدين خاصَّة ، ولقد هممت أن أقتصر للجواب بلا أدري ؛ وهو الحقُّ الحقيق ، بيدَ أنِّي كتبتُ مختصَر ما في كتابنا « مواقف السادات » العجميَّة ، ولعلَّك تنظر في المكتوب بدقَّةِ فهمكم الثاقب ، فإن وقع في حَيِّزكم بالقبول ؛ فهو المطلوب والمقصود الأصلي ، وإلا ! فتشير ثانياً لنكتب ما بَدَى لنا بعد الآن ، والله الموفِّقُ ، ولولا حقُّ المحبة الإلهية معكم لَمَا تجاسرت لكتابةِ الجواب ؛ لما أنَّ هذا فَهْمُه من المرشد أسرعُ وأَولى من الرسم والرَّقْم ، ففي الليلة العاشرة من شعبان المكرم تفكَّرت في حقِّ كتبة الجواب وعدمه ، ففي تلك الليلة في أثناء ذِكره غفوتُ ؛ فالتقيت مع روحانية فخر الكائنات ﷺ ، فذهبت أكثر الليلة مع المكالمة معه ﷺ ، ففي آخر الأمر نَزَع خاتمه وأعطى لي[1] ،

---

(١) فلا تظنَّ أيها الأخ الأمين ظنًّا بكتابة ما رأيت ؛ فإنما كتبت إليك لأمانتك عندي على سبيل التحدث بالنعم ، رجاء أن يكون سببا للبركة إن شاء الله تعالى . (من خطه هامش الأصل) .

ثُمَّ إنَّ عليّاً كرّم الله وجهه التمس الخاتم للنظر للتبرُّك فأعطيت ليده ؛ فقرأ خطَّه : محمد بن عبد الله رسول الله ، وردَّه إليَّ ، وقرأت مثل ما قرأ ، لكن لم أَرَ اسم عبد الله ، بل رأيت محمد رسول الله ، ثم نزع عمامته البيضاء وأعطى لي أيضاً ، فأخذ صحابي لعله[1] تلك العمامة من يدي ، وأخذ من رأسي القلنسوة ، وعمَّم عليها بيده ، ووضع عليّ ، فصلَّى رسول الله ﷺ صلاةَ الفريضة إماماً ؛ وصلَّيتُ بتلك العمامة خلفه مأموماً ، وقرأ في الصلاة من طوال المفصَّلات ، لكن وقع الحجاب ونسيت أيَّ صلاةٍ كانت ، وأيَّ سورة ، والحمد لله حمداً دائماً كثيراً ، فانشرح القلب قليلاً صبيحةَ الليلة ، فكتبتُ ما كتبت توكُّلاً على الله ، ولعلك تقبلها ، ولم أطق لنقلها من المسوّد ، فالعفو من المكارم ، والوقت . . .إلخ ، ولعلك لا تقطع عنا الرسالة فليس لي بعد الله مؤنس سواكم ، هذا والسلام .

أقل العباد سيف الله النژبكري

في ٢٨ رمضان سنة ١٣٢٨.

---

(١) بياض في الأصل ينبغي أن يكون فيه اسم ذلك الصحابي رضي الله عنه .

المكتوب الرابع والثلاثون

في بشارته قدس سره بوصوله إلى « شورة » وخلاصه من قيد الأسر ،

وبيان قصده على إعطاء الإجازة لهذا الفقير المرشد الناقص رحم الله إفلاسه

في الطريقة الشاذلية العلية ، وبيان أنَّها لائقةٌ بأحوال رجال ديارنا الداغستانية ،

وبيان أن أصول بعض الطرق تخالف أصول بعضها .

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أوضح مناهج السلوك للواصلين ، وسهَّل سبيل الوصول للسالكين ، وصلاةً وسلاماً على سيِّدنا محمَّدِ الفرد الجامع لحقائق الكمالات البشرية ، وعلى آله وأصحابه الحائزين قصبات السبق في مضمار المعارف الغيبية والشهودية ، إلى حضرة وليِّ الصداقة وصديق الشريعة ، وأمين الطريقة وسليل الحقيقة ، مَن طفِق في المواجهة مستغرقاً في المشاهدة ، على زهد كامل ووَرع شامل ، واستقامة ويقين ورسوخ وتمكين ؛ أخينا المرشد وولدنا الراشد ؛ حسن حقي أفندي النقشبندي الخالدي المجددي الشاذلي ، وإلى خليفته . . .إلخ : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد ؛ فإني أسأل الله تعالى لكم ولنا الاستقامة التي هي رأس الكرامة ؛ كما قاله بعض سادات أهل الطريقة السنية ، والصحَّة والسلامة ، والعفو والعافية ، وإن سألتم عنا ! ! فالحمدُ لله على كلِّ حال ، نحن إلى الآن فيِ أحسنِ الأحوال ، وقد وصلتُ بالصحَّة إلى « تمرخان شورة » مرخَّصاً من قيدَ الأسر ، وقد بَدَّل الله لنا اليسرَ بعد العسر ، وقد وصلتْ لديَّ رسائلكم وعجزتُ عن كتبة الأجوبة بشِدَّة ما عليَّ من الوَهَن والضعف ، أرجو قبولَ الاعتذار ، وقد كتبتُ هنا مجرَّد السلام ؛ إعلاماً مني حالي ومالي ، وإظهاراً مني الجَزَع المسنون من رسول الله ﷺ بانتقال والدتكم العفيفة من دار الكدورات إلى . . . إلخ .

ثُمَّ اعلم أيها الولد الأمين ؛ أن الطريقة العليَّة النقشبندية أفضلُ الطرق وأعلاها ، وأحوطُ المسالك وأصفاها ، لخواصَّ اشتهرت لأربابها وأمورٍ لا يعرف إلاَّ ذويها ، لكن مع ذلك طفقتْ غريبةً ، واقعةً في أيدي الجهلاء ؛ مقلوبة ، وعن مسمَّاها ، متفرِّقة بكثرة دعاويها ، مع عدمِ معرفة اسمها ومسمَّاها وجهلِ اصطلاحاتها ورسومها ، فلم يبقَ ظاهراً من أهل هذه الطريقة العليَّة إلاَ النادر فالنادر ، وذلك مع التسمية لعالمها بالكَذَّاب الغادر ، وإن اجتهدتم إلى جمع الناس إليها فمحالٌ أن يقبلوا إلاّ بتخليط بعض البدع المستحسنة من الدجَّالين ، وإلاَّ ! فلا يقبلون تلك الطريقة بسبيلها الواضح وسندها الناجح ، إلاَّ الفرد بعد الفرد من الرجال ، وماذا بعد الحق إلاَّ الضلال ! فإن صرت لا تقبلِ إلاَّ المستعدَّ الصادق ؛ أو الصالح الصفيَّ الفائق ! ! فتبقى حميداً وحيداً ، وعن تربية السالكين جليداً جميداً . . . إلخ ، وإذا كان الحالُ كذلك ؛ لازم عليكم قطع النظر عن ذلك إلا . . .إلخ ، وتربية الراغبين كيف كان ، وتكثير السواد منهم بجمعهم على مقتضى الإمكان ، وقد كنتُ نهيتُكم عن ذلك من قبل رعايةً لآداب أهل العرفان ، والله تعالى كلَّ يوم في شأن ، ومع ذلك لما كان تلقينُ الذكر للمريد في هذا الزمان في الطريقة النقشبندية باسم الإرشاد لقلَّة الصادقين خَطِراً ، وتلقين المراقبة لغير أهلها خَطَأً وعذراً ؛ رأيت أن نصحب معها الطريقةَ العليَّة الشاذلية الجهرية ؛ مستمنحاً من فيض فضله تعالى ونوالِه ، بناء على أن سادات القوم ممَّن اختصَّهم الله بمحَّبته ، وقد وَرَدنا من أشياخنا السادات أنَّ أكثر القوم يكفُّون في آخر الوقت إليها لأجل وصول أثرها سريعاً للسالكين المبتدئين ؛ لجهرها وسهولة مأخذها ، إلاَّ لبعض النوادر الصادقين في الاستعداد الذين لهم قوَّة للخوض في أيِّ بحرٍ شاء ، وقد كنا تربَّصْنا زماناً للجواب لاستعفائي عن إظهار هذه الفضيلةٍ ، وإشاعة هذه الموهبة ، فلما ظهر نور السعادة ولاح ، وكان أن يرتفع غيم الظلمة وقرب الصباح ؛ بلغني الأمر المهم من سادات القوم بإجراء أمور الشاذلية من طريق الموهبة اللدنية ، وإن كانت القسمة الكاملة والإجازة التامَّة في ذلك أزليَّةٌ ، فأردت إظهارها إن شاء الله لما أنَّ كلاًّ ميسَّرُ لما خلق له ، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ، وجرَّبت فحولاً

وجيلاً ؛ فلم أَرَ أميناً لوضع هذه الأمانة ، وحافظاً لجوهرة هذه القلادة أعزَّ عندي ثقة وخلوصاً منك ، فوضعت هذه السلسلة على مفاصيلكم لتؤدِّي حقوقها رغماً للدهر وأهله ، وإعانة لمشقَّة العصر وجَوره ، وأرجو أن تقبلها بقلب صحيح ، ورأيٍ صميم صريح ، فخذها نافلةً لك ؛ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، ويجعل سعيَك مسعوداً ، فأنت أيُّها الولد من جهة الفقير أمين ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، فَيدُك يدي ، وأمرُك أمري ، وأنت خليفتي في حياتي وموتي ، وأرجو منك تقوى الله وإطاعته ، ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، وأكتب إليكم إن شاء الله تعالى كيفيَّتَها وأورادَها مع صكِّ الإجازة الكاملة الصادرة من ساداتها بحروفها وحركاتها ، والله الموفِّقُ وحسبنا الله ونعم والوكيل .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ ، وإنما الوقوف بالباب من أعظم الأسباب ، فأنت منهم إن شاء الله تعالى كما كنتَ من غيرهم ، فهنيئاً لك أيُّها الولد هذا الفوزُ والفلاح ، فقد فزتَ بنور النجاح ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ .

ثم اعلم أيُّها الولد الأمين ؛ اني تبادرت لكتبةِ هذا العهد الناجح والكسب الرابح ، قبل نزول الوقت بلا التقاء الأنفس في الأشباح ؛ نظراً لمصلحة الدين ، ورعايةً لآداب العارفين ، وخوفاً من فوتها من أيدينا بجَوْر هذا الدهر المهين ؛ فلا تظنَّ شيئاً في ذلك قائلاً (كيف أجازني مع ما فيّ من عدم الصلاحِيَّة وعدم الرؤية والمشافهة) . فإن الأمر لله ، ولا يعلم الغيب إلا الله ، وأرجو الله أن يكون لك ولمريديك ما لا يدرك عقلُ عاقلٍ ، ولا يقدر نَقْلُ ناقل ؛ فتفَطَّنْ لذلك ، وكن من الشاكرين واعبد ربك حتىً يأتيك اليقين ، فإن ساعَدَنا الدهر بالصبر في الأجل ؛ فسترى ما يسرُّك ، واللهُ الهادي وهو وليُّ المتقين .

مبنى طرق القوم

ثم إنَّ مبنى طُرُق القوم رضي الله عنهم على أساس قواعد الشريعة المطهَّرة ؛ وأصول السنَّة الشريفة المقرَّرة ، سالمة أعمالهم في سائر

أحوالهم من الشكِّ والشِّرك والاشتباه ، دائرة مع قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ، وكلُّ طريقة مؤسَّسة على عهود بأصول الشريعة مربوطة ، وشرائع من بحر الحقيقة منظومة بسلك السنَّة مضبوطة ؛ مجتهدين في الإصلاح للظَّفَر في سياسة التربية بالنجاح ؛ من غير أن يخرجوا في الحقيقة في شيءٍ من الأحوال عن نظام الشريعة ، بل فهموا عن الله ، وعقلوا عن رسول الله ﷺ ، وعرفوا الحقَّ جميعَه ؛ فلذلك بقيت أمورهم محفوظةً ، وأحوالُهم بالعناية ملحوظة ، وهم رضي الله عنهم ؛ وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقام التربية لاختلاف الأزمنة والامكنة وأحوال المريدين ؛ فالمقصد الجامع واحدٌ ؛ وهو الإخلاص في العبادة المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، فلم يشر أحد منهم رضي الله عنهم إلى غير ذلك ، ولا أرشد إلى مسلك غيرِ التقوى ومراقبة الله تعالى في السرِّ والنجوى في سائر الأحوال والمسالك ، ولكلِّ مقام مقال ، ولكل وقت دولة ورجال ، فلكلِّ طريقة اصطلاح وقتيٌّ يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ، ولذلك ترى في الطريقة الشاذلية ما يخالف الطريقة القادرية ، وفيها ما يخالِف الرفاعيَّةَ ، وفيها ما يخالف الأحمدية ، وفيها ما يخالف الدسوقية ، وفيها ما يخالف الخلوتية ، وفي الطريقة الخلوتية ما يخالف الطريقة النقشبندية ، وفيها ما يخالف المولوية ، وفيها ما يخالف الجستية ، وفيها ما يخالف السهروردية ، وهكذا سائرُها ؛ نفعنا اللهُ بالجميع ، ووفَّق الكلَّ إلى صالح القول وحسن الصنيع ، وليس للجميع مقصدٌ غيرَ الذات المقدسة العلية ، والصفات المنزهة السميَّة ، كما قال :

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ   وَكُلٌّ إِلى ذَاكَ الجَمَالِ يُشِيرُ

ولا لك لتلقينها لمن كان في الطريقة النقشبندية إلاَّ بعد امتحانِ صدقه ؛ لئلا يترك آداب النقشية عياذاً بالله . هكذا قال العارف الشيخ محمد رضي الله عنه .

هذا والسلام منه في ٥ مارت ١٩١٥.

المكتوب الخامس والثلاثون

في شكايته بانقطاع الرسائل عن طرف الحقير رحم الله إفلاسه ، وفي الوصية بملازمة البيوت وعدمِ المخالطة ، واجتناب البدعة .

قال ﵁ : إلى حسن الخير خازن العرفان ؛ كذا حبيب الله حائز الإحسان . . .إلخ : السلام التامُّ والتحيَّة والإكرامُ عليكم أيُّها الأولاد الكرام إلى يوم القيام .

أما بعد؛ حمداً لله الذي خلقنا وهدانا ، وهو الذي يميتنا ويحيينا ، وإذا مرضنا فهو يشفينا ،فبه أسأله سبحانه وتعالى أن يعافِيَكم وإيَّانا في الدين والدنيا واللآخرة . . .إلخ .

وإن سألتم عني !! فالحمد لله ، وعلى منَّتِه فالشكر لله ، إني في العافية إلى الآن ، وأرجو الله أن يعافِيَنا بعد الآن ، ثم قد كنتُ أرسلتُ إليكم رسالتين ؛ ولم تصل أجوبتهما !! وإن لم تكن مهمة ، والمسؤول أن لا تقطعوا أحوالاتكم ، وإن شاء الله أكتبُ إليكم كتاباً وكتاباً إن ساعدني الدهر ، وذلك على الله يسير ، نعم المولى ونعم النصير .

ثم اعلم أيها الأولاد ؛ أنا تخلَّفْنا في زمان مالنا نعهده قطُّ ، وما يجيء أشدُّ وأربى ، والدهر فتنةٌ ، وفي الناس مصيبة ، فعليكم بخُوَيْصَة داركم ؛ لتكونوا لا لكم ولا عليكم ، واحفظوا ألسنتكم فالآفات مجموعةٌ تحتَها ، واتقوا الله ما استطعتم ، ولازموا الجماعة ، وعَضُّوا بنواجذكم السنَّةَ واجتنبوا البدعة ، فالبدعةُ كلُّها ضلالة ، صدق رسولُ الله في ذلك ﷺ ؛ وأصلحوا ذاتَ بينكم ، وانصحوا إخوانكم المؤمنين بالخير ، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، ولله عاقبةُ الأمور ، واسألوا الله العافية لكم ولولاة الأمور .

المكتوب السادس والثلاثون

في بيان سهوه في كتابة أسماء أشياخه في الطريقة الشاذلية ، وبيان كيفية ختمهم ، وبيان عدم الاختيار للشيخ أن يوصل المريد إلى المقام بمجرد إرادته مع عدم خلوص اعتقاده ومحبَّته فيه ، وفي بيان أن الأمر تابع لاعتقاد المريد في الشيخ ، ووصيته قُدِّس سرُّه بأمور مهمةٍ في الدين

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

من الحزين المغبون في بيعه وسَلَمه خالد سيف الله النژبكري ؛ إلى أمين سرِّه ، وسرور روحه ، وراحة قلبه ؛ المرشد المرجوّ للكمال بالاستقامة ؛ حضرة شيخ حسن حلمي أفندي الشاذلي النقشبندي المجدِّدي الخالدي كان الله له ، وإلى أهله . . .إلخ .

السلام التامُّ والتحية والإكرام عليكم من الله الملك العلاَّم إلى يوم القيام بعد .

وبعد؛ فقد وصل لديَّ كتابُكم بأحسن كتاب وأجمل خطاب ، جزاك الله تعالى عني بذلك . . .إلخ ، والفقير في صحَّة وعافية في هذه الحالة ، وإن عرض عليه الوَهن والفتور ، أحمد الله في كلِّ حال ، وهو الجواد لما يريد فعَّال .

ثم إنَّه طال ما تعذَّرتُ وتعوَّقت عن كتبة كتابٍ لديكم ، وإن كان ردّ الجواب في وقته واجباً ، لأجل وقوع الأمور المنوطة بي كما هو دأب هذه الفَتَّانة ؛ حيث بقيتُ في قلق الفكر مما كتبتُ إليكم قبيل هذا ، خوفاً من وقوع الجواب خلافَ الصواب ، لوقوع كتابته في حالة الاضطراب ، بيد أني لأجل حُسْنِ ظنِّي بكم ربَّما أتسامح برجاء أنَّكم تصلحون الخطأَ بالصحيح الصواب ، كما هو المعهود من أمثالكم أمناءِ الله تعالى إن شاء

الله تعالى ، فقولكم في حقِّ وقوع الاختلاف في أسماء مشائخنا (كيف ذلك . . .إلخ) .

أقول : اللهم نعم ؛ وقع السهو في القلم كذلك لعدم وقوع إعادة النظر عليها بعد الكتابة لضيق الوقت ، فكتبت هذه ثانياً لكم كما في صَكِّ الإجازة . واللهُ أعلم بالصواب .

وقولكم (ثم إنَّك كتبتَ قبل هذا بأن للشاذلية ختماً ، وأنا أرجو منكم بيان كيفيتها . . .إلخ) .

فاعلم أيُّها الولد الأعزُّ ؛ نعم إنَّ لهم ختماً ، وكيفية الختم هكذا قدس الله أسرار أهاليها : وذلك أن الختم يكون في يوم الجمعة ، وأكملُها أن الشيخ بعد تمام صلاة الصبح يشتغل للورد ؛ وقراءة الصلاة المعهودة ، فبعد إتمام بالجلوس يقوم الشيخ ويفعل الحلقة مع المريدين ، وبقيامه في وسط الحلَقة يتوجَّه إلى قلبِ كلِّ أحد من المريدين بالدوران ، ثم يقول في تلك الحلقة (لا إله إلا الله) كم عددٍ شاء ، ثم بعد ذلك يقول (الله . . الله) باسم الذات ، ثم يجلِسُ الشيخُ مع أُولئك المريدين في الحلقة ، ويقرأ قدراً من القرآن ؛ وبعضٌ ينشدُ من القصائد اللائقة للمجلس ، ثم بعد تمام صلاة الجمعة يجتمع الحلقة ؛ والشيخ قائمٌ في الوسط ؛ ويذكرون الله ، ومع ذلك أن الشيخ يقوم بينهم متوجهاً إلى قلبِ كلِّ أحد ، ويقول (لا إله إلا الله) بالإخلاص قائماً ، وهم أيضاً يقولون ، ثم يجلسون بذكرٍ ، ثم يقومون ويأخذ كلُّ واحد يَد مَن يليه ويقومون متحلِّقين متسلسلين بالأيدي ، وفي أخذ أيدي بعضهم يدَ بعض معنى لطيف بينهم ، ولا يأخذُ يدَ الشيخ أَحَدٌ ، ولا الشيخُ يأخذ يدَ أحدٍ ، لكن الشيخ يكون في الوسط قائماً حينئذ ، ويكون ذكرهم (لا إله إلا الله) ، ثم (الله . . الله) بقدر الطاقة ، والشيخ يدورُ في وسط الحلقة بذكر المذكور معهم ، ثم بعد ذلك يجلسون ، ويقرأ القرآن الكريم مَن هو لائقٌ من بينهم للقراءة ، ثم بعضٌ منهم برأي الشيخ يقرأ القصائد ، وينشد أبياتاً لتحريك الشوق مما

كانت لائقة للمجلس ؛ كقصائد سادات الطرق ، يحرض المريدين إلى الشوق والوجد ، ولا ضرر في ذلك في اصطلاح هؤلاء السادات ، ثم يتممون أورادهم من بعد صلاة العصر إلى المغرب ، وأما القيام والقعود بعد القيام ! ! فمفوَّض لإرادة الشيخ ورأيه ؛ متى شاء يأمرهم بالقيام ؛ أو الجلوس ، وللشيخ أن يجلس في طرف الحلقة جهةَ القبلة ناظراً إلى جهة المريدين ، وإقامة خليفته في الوسط للتوجُّه إليهم قائماً معهم ، وهذا القول ؛ وإن لم يكن في رسالة الشيخ مذكوراً ؛ لكن العمل كان كذلك ، وسادات الطريقة وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقام التربية ؛ لاختلاف الأزمنة والأمكنة وأحوال المريدين ؛ فالمقصد الجامع واحدٌ ، وهو الإخلاص في العبادة ، لما أنَّه لكلِّ وقت دولةٌ ورجال ، ولكلِّ مقام مقالٌ ، ولكلِّ طريقةٍ اصطلاحٌ وقتيٌّ يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ، ولذلك ترى في كلِّ طريقة ما يخالف الأُخرى اصطلاحاً ، كاختلاف اصطلاح النقشبندية السنية الصديقية قدَّس الله أسرارَ أهاليها مع اصطلاح هذه الطرق ؛ وإن كان مرادُهم واحداً ألا وهو التقوى ؛ كما ترى ذلك من كتب القوم ، فيلزم علينا وعلى أمثالنا التسليمُ في حقِّهم ، لأنهم عاملوا الله بقلب سليم ، وما جهلنا من أمرهم ؛ أو عثرنا بعدم إدراك العقول لسرِّهم يَسَعُهُ حسن الظنِّ بهم ، وفوق كلِّ ذي علم عليمٌ ؛ كما قال بعضهم : الاعتقاد ولاية ، والانتقاد جناية . نرجو الله أن يجعلنا في سلك مسالكهم ، ويحفظنا كما حفظهم عن الخروج في رعاية آدابهم ، فعلى العامل أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة ، إلى أن يصل إلى المقام الحقيقي .

واعلم أيها الأمين ؛ أن أكثر أمثالنا جلسوا على بساط التربية بالرسم ، ورضوا من النسبة بمجرد الاسم ، وادَّعوا أنَّهم وصلوا إلى الكمالات ، وخَلَصوا من رِقِّ الشهوات ، وإن كانت طريقة القوم مصونة من الآفات ، ومحفوظة من الدعاوى والارتكابات ، ونحن منهم أيضاً ؛

بل أدناهم ودونهم ، إلاَّ أن تداركنا رحمةُ ربِّنا بحسن ظنِّنا بالله وبعباده الصالحين فقط ، فلأجل ذلك لازم علينا القيامُ التامُّ على رعاية الأذكار والأوراد ؛ مستعِدِّين وفق الطاقة بكل الاستعداد ، ومن الناس مَن يتعرَّضون عن الطرق ؛ بناء على الاختلاف الواقع في الطرق ، كما أن الفقير كذلك مدَّة إلى أن يمن الله لنا حصَّة حسن الظن لجميعهم ، وذلك التعرُّض إنما يقع منهم - سامحهم الله - منهم لجهلهم اصطلاحات أربابها ، لما أنَّه قد يقع الاختلاف في التعليم حتَّى باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح ، وسبب الاختلاف فيه مع انفراد القصد وعدم ما ينافيه هو اتِّساعُ المجال في طريق الأعمال ؛ خاصَّة في هذه الطريقة الشاذلية السنية ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وكلها مقررة في كتب القوم ؛ كما قال بعض العارفين :

إِشَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ ... وَكُلٌّ إِلَى ذَلِكَ الجَمَالِ يُشِيرُ

وقد قالوا : إنَّ للذاكرين قواعد اصطلاحيةً فللنقيب أن يراعيَها ، وعلى حالة مرضية وأصول شرعية يلزمه أن يجريها ، وعلى الخصوص اسم الصدر يراعي فيه عدم تغيير الاسم ما دام المريد مالكاً لحاله ، وله قوَّة على ضبط أحواله ، وأما إن غلب عليه الغرام ، وحَكَم على ذاته سلطانُ الاصطلام ؛ فالأمر واسع عند أربابه ، وللعارفين حكم على أسبابه ، فلله درُّ مَن قال :

فَإِنَّا إِذَا طِبْنَا وَطَابَتْ نُفُوسُنَا ... وَخَامَرَنَا خَمْرُ الغَرَامِ تَهَتَّكْنَا

فَلاَ تَلُم السَّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْرِهِ ... فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا

وأما إن كان الجمع قليلاً ؛ أو حصل مانع ! ! فيقتصرون على قراءة الصلاة المشيشية المذكورة ، ثم يشتغل كلٌّ بورده منفرداً ، وذكر السر ليس له حدٌّ محدود ، ومن استغرق في الذكر فقد استغرق في بَحْرِ مدد الله العظيم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وهكذا مذكور في « الأنوار » ، والله يحكم في عباده ويختار .

ثم إن من المعلوم لديكم أنَّ نور الذكر وترقيه قدره يكون على قدر حال الذاكر ، ومقامُ المريد وترقِّيه يكون بقدر مقام شيخه عنده ، لما أنَّ مقام المريد عند الشيخ يكون على قدر مقام الشيخ عند المريد بلا فرق ، وقد يتعرَّض المريدُ على الشيخ بقلَّة مَلَكة الشيخ ؛ أو عدم حصول نتيجةٍ مَّا من الصحبة معه ، وذلك لجهالته وعدمِ ذوقه وخرابِ عقيدته ، لما أنَّه يريد من الشيخ أمانيه ، ولا يريد تخليص اعتقاده ، ومحبته للشيخ إلاَّ أثراً كاذباً من الظاهر ، وليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرَّد إرادته مع عدم خلوصه ومع خراب اعتقاده ، وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط ، واستعداده لذلك بالصدق المرغوب ، وإلاَّ ! فلا يحصل له المراد ، ولا يصل إلى المقام بمجرَّد المصاحبة بالانتقاد ، ولو كان شيخه قطباً أو غوثاً فرداً جامعاً ، ويكفي شاهداً لأمثاله ما شاهد في النبي ﷺ وأصحابه ، لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى عليه بقول عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ كيف لم يقدر منه ﷺ إتيانه إلى الحقِّ بذلك الاجتهاد والجهاد العظيم ، لعدم رؤيتهم إياه رسولاً ؛ بل ساحراً ومجنوناً ! وكيف فاز مَن فاز بمجرَّد رؤيته ، حتَّى عدّ من أهله كسلمان رضي الله عنه ! وبمجرَّد سماعه ؛ كأويس القَرَني حتى صار معشوقَ الرسول ذي الجلال ، كما قيل :

فَـمُـوسَـى الَّذِي رَبَّـاهُ جِبْرِيلُ كَافِرٌ وَمُـوسَـى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَونُ مُرْسَلُ

ثم اعلم أيها المأمون ؛ أن المحققين كما قالوا من أهل هذه الطائفة إنَّ وجود الصادقين في هذا الزمان قليلٌ ؛ لاختفائهم حذراً من فتنة أبناء الزمان ، وذلك كثرة المدَّعين لهذا الشأن ، فالمُدَّعون كثيرون ، والمخلصون قليلون ، ولا نزكِّي أنفسنا أيضاً ، وقد اشتبه الأمر على طلابها ، وتاهموا عن الدخول في بابها ، وعمَّت الفترة وما نفعت الكثرة ؛ لأجل استغراقهم في أسباب جمع الحطام حلالاً أو حراماً ، فإذا كان أكثرهم على هذا ، فالويل لأمثالنا المفلسين ، سوى أنا كيف كان لا نيأس من رحمته لمجرَّد

حسن الظنِّ على الله تعالى وعباده ، فلعل الله تعالى أن يجود لنا بفضله ويعاملنا بكرمه . والله وليُّ التوفيق .

وقولكم (لقَّنت أوراد الشاذلية . . .إلخ لكن علَّمتهم بأن كيفيةَ ذكر النفي والإثبات على ما هو المفهوم في كتبهم هكذا مع نقش دائرة مثلاً . . .إلخ) .

أقول : جزاك الله عني بخير ، تتبعت آثارهم عند الضرورة بما في كتب القوم ، بيد أن الحقير معذورٌ عن الإجابة لهذا الأمر ، لأجل أن ساداتنا لم يفصِّلُوا لي ذلك كذلك ، ولم أقع على مَخْلص ذلك في الكتب إلا أن قالوا (قولوا الله . . . الله وبالقوة القلبية) ، فأمر ذلك مفوَّض إليك ، فأنت أمينُ سرِّ الله سبحانه وتعالى إن شاء الله تعالى فيما لا يخالف الشرع النبوي عليه الصلاة والسلام ، ونسأل الله تعالى ونرجوه بجوده وفضله وكرمه أن يفتح بصائرنا للحقِّ ؛ بالحقّ والصدق ، ويجعلنا معكم أمناءَ الدين الحق ، والله يهدي السبيل وحسبنا الله . . .إلخ .

ثم إني أوصيكم بما أوصى به ساداتُنا بتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلانية ، ورعاية المُداراة التي لا يخالف الشرع من أبناء الزمان لأجل المصلحة العامَّة ، وأن تدعو لولاة الأمور بالتوفيق والنصرة ، وبصلاحية ذات البين ، والأمر لله ، وليس لنا من الأمر شيء ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وأوصيكم أيضاً بالاجتهاد التام لتوسيع نطاق الحلقة ، ولو بإقامة آحادٍ من الخلفاء في كلِّ محلَّة مَّن هو مؤهلٌ لذلك ؛ لأجل المصلحة ، وعسى الله تعالى أن يبقي لكم محاسنَ هذه الطريقة في ديارنا مدى الزمان ، ويكون سبباً لاندراس طرق المبتدعين والبدع ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولقد كنت من قبل أدعوكم بالله بتقليل الأتباع في الطريقة النقشبندية ؛ بناءً على قلَّة رُعاتها ، فضلاً من الخُلَّص الصادقين ، وذلك

لئلا يكثر الشياطين بكثرتهم ، كما كان أربابها يوصون قبلي بذلك ، بيد أنَّ بعض الأحكام يختلف باختلاف الزمان لأجل المصلحة الدينية ، وسوى ذلك إنَّ في هذه الطريقة وُسْعةً عظيمة ، وذلك من الله فضلٌ ورحمة ، ومع ذلك لا بدَّ لكم من تلقين النقشبندية ؛ ولو لبعض المتأهِّلين من رأيتَ لذلك أهلاً بلا تركها بالكلية ، فساداتهم شموسُ الهدى ، وأتباعُهم نجوم في الاهتداء قدس الله أسرارهم وجعلنا في بركاتهم . آمين .

في ١٧ فورال ١٩١٦.

المكتوب السابع والثلاثون

في بيان رضائه قدس سره بإعطاء الفقير رحم الله إفلاسه الإذن للعارف بالله والمتمسك بحبل الشريعة بعون الله تعالى العالم الحاج حبيب الله القحي – رزقه الله الاستقامة – وجنَّبه عن ضرر أهل البدعة والضلالة في تلقين الطريق الشاذلية والنقشبندية بالإذن المطلق العام ، وفي بيان وقت الشغل بأوراد الشاذلية . . .إلخ .

قال رضي الله عنه : وعليكم السلام من الله الملك العلام ما دامت الليالي والأيام .

حضرة الولد الهمام وارث رسل العلاَّم الشيخ حسن حلمي المجددي ، وإلى جميع أهله . . .إلخ .

فقد وصلت كتبكم ولله الحمد والشكر ، وشكرته تعالى حقَّ شكر ؛ وله الأمر ، وفهمت مضمونها ومنطوقها ومفهومها ، بيد أنَّ المغبون المفلس قد تعذَّر عن ردِّ أجوبتكم في هذه الأحوال ، وتأخَّر حقّ الجواب

لا بالملال ، وذلك أني كنت أحرزت جميعَ كتبكم في موضع مقفول لأمر ما ، فبقيت في موضع مستور إلى الآن ، ومع ذلك لم أتفرَّغ للنظر فيها ؛ لأجل الزحام المعلوم لك ، ولعلك لا تتكدَّر بذلك ، وكأني الآن أيها الولد الأمين والجوهر الثمين ؛ كأني مسلوبُ الاختيار من جهة كثرة الوافدين بما لا جدوى فيها ، وأرجو الله أن يوفِّقَني لردِّ تسليماتكم وتحياتكم ، وما ذلك على الله بعزيز ، لكن إني أُظهر لك بعض المقاصد ستراً للضرورة قبل أن يصل مني الكتاب ، وذلك أن ما تريد في حقِّ أخينا الأمين الحاج حبيب الله ! فأنت المختار إن شاء الله تعالى في حقه ، فأنت الأمين الثقةُ ميمونُ الطلعة ، مبارك الناصية ، فافعل ما بدى لك في حقِّه ، وستجده إن شاء الله أهلاً لذلك ؛ أديباً مباركاً ، وأكتبُ ثانياً تفصيلَ المطلوب إن ساعدني الوقت والدهر .

وأمَّا في حقِّ جمع كلام الفقير في موضع ! فذلك للفقير صدقةٌ منكم ؛ لا قيمة لها ، بيد أني أخاف من إذاية الخلق لئلا تصل إليكم برمي المنجنيق بسبب مساعدتكم لنا ، فأنت المختار أيضاً ؛ بشرط مَحو الكلام المفضول ، وإثبات الفاضل المأمول ؛ وفقَ طاقتكم ورأيكم ، على أنِّي أكتبُ إليكم بالعجلة ، ولا أقدر على إصلاحها ثانياً بالمطالعة ، وتقع التخالف والتغيُّرات فيها خطأً ؛ أو عمداً ، فأنت تثبتُ فيها ما هو الموافق للسنة السنية واصطلاح السادات ؛ وإن كان من كلامي ما يخالفها ! ! فإني أستغفر الله من ذلك ، ونستغفر من كلِّ بدعة وقعت منا خطأً ؛ أو عمداً .

وأما الشغل بالأوراد الشاذلية ! ! فوقتُها التي وصلت إلينا من السادات ما كتبتُ إليكم ، بيد أن المشائخ أذنوا لي في ذلك في كل وقت أقربُ للجمع وأبعدُ من التفرقة ، فأنت بمثابتي في ذلك ، وأكتبُ تفصيلها إن شاء الله تعالى ، وأرجو أن يكون ذلك بعد الفطر ، والله أعلم .

وأما أسماء المشائخ في السلسلة ! ! فيحتمل أن تقع مني بسبق قلم وأُصَحِّحُها إن أمكن ، فإن بقيَ إشكال بعد ذلك ! فنسأل إن شاء الله من أهلها ، عسى أن نفوز بأصحِّ الأمرين .

وأما قراءة الصلاة على النبي ﷺ ! ! نكتب إليكم ما وصل إليَّ منهم مشافهة ورسماً ، ولا تثريبَ عليك بقراءته كما في « النور الساطع » مدَّة حتَّى يتبيَّن لنا ولكم الحقُّ . .إلخ . وأوصيكم بالدعاء . الغريب سيف الله .

المكتوب الثامن والثلاثون

في بيان جواز اجتماع النقشبنديين والشاذليين في مجلس واحد وقتَ قراءتهم الختمات ، واجتماعهم للذكر والصلوات .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى ؛ حضرة المرجو لليُمْن والبركة ، والمأمول لحوز الاستقامة التامَّة مربي السالكين ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي ، بتحايا تتوالى وتسلسل ، فيما يلي أسأل الله تعالى صحَّتكم وعافيتكم ، وأيَّدكم بالتوفيق ، وأنالكم إلى منازل التحقيق .

وإن سألتم عني ! ! فالحمدُ لله في كلِّ حال ، فجزاكم عني خيراً ، وزادكم أجراً وسروراً ؛ حيث تُؤْنِسني بتسليماتكم لهذا الفقير المنقبض المحزون ، وقد كتبتُم فيها هذا (كنتُ علَّمتُ أوراد الشاذلية أبعاضاً من الناس ، وقد طلبوا مني الرخصةَ لذهابهم إلى مجلس الختمات الخواجكانية ومجمع السالكين لقراءة الصلوات المشهورة . . .إلخ) ! ! فجزاهم الله خيراً ، ولا لاقاهم ضيراً ، وقد سرَّني هذا الخطاب الذي يُعْلنُ محبَّة اجتماع بعضهم بعضاً في الذكر ، لما أن ذلك إن شاء الله تعالى من علامةِ الجمع والوداد الذي هو رأس الدين الحنيفي الذي قال تعالى في حقهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ . . .إلخ .

فاعلم أيها الأعزُّ ؛ أنّما مرادنا الأهمُّ الجمع ؛ لا الفرق ، فتحرِّضُهم على الجمع كيف كان ، ليجمع عند الله وعند الناس شملُهم ، وترخص للنقشبنديين للذهاب والجلوس في الختمات مع الشاذليين ، فأما ذهاب الشاذليين لختمات النقشبنديين ! ! فأمر واسعٌ ؛ بل هو مستحسن ، حيث كانوا من والد واحد خاصَّة ، ومن آبائنا المعنوية مَن كان له الإجازة التامَّة في خمس طريقة ، بل في عشرٍ ، بل أزيد ، حتى قال شيخُنا - وروحي فداه - : كان شيخنا سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني قدس سره مأذوناً في أربعين طريقة . هكذا سمعتُ من فمِهِ ، ومَنْ التقانا من السادات في عدَّة طرائق كثيرة من مشائخنا ، وكذا من مريديهم .

وأما في حقِّ ذهاب النقشيين لختمات الشاذليين ! ! فذلك ليس بمُحَال ، بل يحتمل أن يفوز بكلتا الحسنين ، وينالوا بمجرَّد ذلك فوزَ الدارين .

ولقد سألت العارف ذا الجناحين خَصْبُلاَت أفندي النقشبندي الكستاكي ؛ خليفة القطب محمود الفعال قدس سره عن جلوس المريدين بعد الصلوات المفروضات مَعَهُ في الحلقة بالذكر الجهري ؛ وفيهم الأجنبيون الذين نهى السادات عن دخول أجنبيّ ، لكن في الختم ، وهل لذلك وجه ؟ ! فأجاب لي ولله الحمد ؛ وقال : سألت شيخنا العارف القطب الغارف من بحر الفيوضات شيخنا ومرشدنا محمود الفعال صَدُوق المقال قدس سره عن ذلك السؤال بعينه ؛ فأجابه :

إن كان المريد أتمَّ أوراده المعتادة ؛ فله اختيار حينئذ للجهر والجلوس في الحلقة بإذن الشيخ ورأيه ، وكفى لنا هذا من هذه العلامة من ذلك بحر الفيوضات ، وسوى ذلك أنَّ الشيخ في ذلك أمينٌ وطبيب للقلوب القاسية والقدسية ، فله أن يأمر المريدين بالمعروف عنده مصلحةً للدين والطريقة .

وأما اصطلاح النقشيين بإخراج الأجنبيِّ في الختم ! ! فهو أمرٌ ورد من سيِّد الكائنات ﷺ خوفاً من الأجنبي عن الانتقاد والإنكار ، ولئلا يقع الاختلاف والطعن بسببهم بين المريدين خوفاً من التلفيق .

وأما إن كان مريد الطرق من منبع واحد ، وأمِن من الوحشة والفرق ولم يخف من الانتقاد ! فجمعهم هو الجمع الجامع ما لم يخرجوا من اصطلاح القوم بأمثال البدعات المخترعة من أنفسهم ، وأنت إن شاء الله تعالى أمين في حقِّهم ، وفي حق طرقهم ، ومأذون بالإذن التامِّ المطلق العام ، وأمرُهم مفوَّض إليك في حقِّ تربيتهم كتربية الطيور ؛ نظراً إلى الأحوال والزمان ، وفقك الله ولأتباعك لما يحبُّه ويرضاه .

وأما قولكم (وإلا فينقبضون ويطلبون ببواطنهم دخولَهم في سلك النقشبنديين . .إلخ ! !) عياذاً بالله أيّها الموفَّق عن انقباضهم وتركِهم الطريقة العليَّة ، فمن شذ ؛ فقد شاذ الشاذلي ، فكم قتل بأمثال ذلك ، وكم أمات وأحيا ! ! فليتوبوا من ذلك فإنما هو قطعةُ كبد الرسول ﷺ ، ونور حدقة عينِ البتول ، وملجأ الأقطاب وفصل الخطاب ، أذاقنا الله تعالى وإيَّاكم من محبته ومحبَّة محبِّيه . آمين .

وأما المريدون الذين ينقبضون بعدم إدخالهم في الختمة ! ! فلا تثريبَ عليهم ؛ لشربهم بالذوق محبَّة لذَّة سماع النقشبندية قدس الله أسرارهم أهاليها ، ولقرب العهد لهذه الطريقة الشاذلية ؛ فيعلوا أمرها ثانياً ، ويتلذَّذون يوماً فيوماً ما دامت نِيَّاتُهم صحيحة وطويَّتهم صادقة ، فبالله أيُّها العزيز تجاهد بالله في جمع كلمة المريدين وفق طاقتك ، بل أرجو أن تقع بينهم محبَّة راسخة نبوية ما دامت إخلاصهم ، فليذهب كلُّ أحد من الطريقتين إلى الآخر بلا إنكار ، لكن إن قوماً من المبتدعين الدَّجاليين يختمون الختم كيف كان بما رأوا في الكتب ، ثم يقومون وقد

أدَّوا جميعَ ما عليهم كأنهم خرجوا من قيد التكليفات ، فلا يبتأسون بشيء من الذكر وعدمِه ، فبه عليكم تعليم المريدين بأنه يلزم عليكم الاجتهاد في الذكر ، خاصَّة بعد الختمات ؛ ليكون شكراً لله وذكراً على ما رزقكم من النعم التي لا يقابلها شيء ، لما أنَّ الختم كأنه كأداء الفدية لجبر ما نقص ؛ أو أُفْرِطَ في ذكرهم ؛ ليسألوا عند الختم من الله العفوَ ممَّا أفرطوا في جنبه تعالى ، وأداء حقوق آداب السادات أدرجهم الله تعالى مدارج الكمالات ، وأذاقهم حلاوة العرفان والفيوضات ، وأحيانا الله تعالى وإياكم بالأعمال الصالحات . آمين .

فكن أيَّها الأخ الأعز ضنيناً على الختمات ، فكما أن الحج من واجبات الإسلام ، والختم أيضاً من لوازم بعض الطرق ووظائفها ؛ على ما تواتر إلينا من السادات باستحباب الدعوة وإجابتها ؛ فضلاً من الله ، وهو السبب السني لحضور أرواح السادات - قدس الله أسرارهم ؛ آمين - إلى مجلس الختمات إن كانت سالمة من البدع . انتهى .

المكتوب التاسع والثلاثون

في بيان التقاء كوكبين مهيبين ، وفي بيان ترتيب أوراد الشاذلية وكيفية توجُّههم قدس الله أسرارهم

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . من الفقير المفتون خالد سيف الله إلى الفقير المأمون أبي محمد عارف ؛ حسن ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . . .إلخ .

وبعد ؛ أسأل الله تعالى صحَّتكم وسلامتكم . . .إلخ ، وإن سألتم عنا ! فالحمدُ لله في كلِّ حال . . .إلخ .

فقولك - زادك الله الحسنى - كنتُ كتبتُ إليك كيفيةَ ما أعلِّمُه فقراء الشاذلية في ذكرهم كلمة النفي والإثبات مع نقش دائرة . . .إلخ إلى : وحين جَرَّبْتُ هذا وجدته جالباً للحضور . . .إلخ) .

أقول : إنك الأمين المؤتمن - إن شاء الله - في الشريعة والطريقة ، فتفعل ما هو الأقرَبُ للجمع وأبعدُ للفرق ، فالقول الجامع والمقصودُ النافع جلبُ ما هو سبب للحضور ، فكن عليه ضنيناً تكن عند الله أميناً .

وقولكم (أشرت إليّ في آخر صكِّ الإجازة في حق التقاء الكوكبين . . .إلخ ، ولكن لم أفهم الإشارة . . .إلخ) .

أقول : إن بسطنا حقيقة أمر ذلك يحتاج إلى أرجوزة حافلة ، ولا اعتناء لنا في ذلك سوى أني أشرتُ لك إشارةً لتتذكَّر بعدُ ما سيحدث في العالم من الأمور الهائلة ، فقد ظهرتا مرّة فخافوا ؛ أي : الأحبار والكهنة المنجمين عن اجتماعهما . . .إلخ ، فظهر موسى عليه السلام فصار الدين والدنيا به كما علمت من الكتب ، ثم ظهرتا واجتمعتا بعد ألوف فخافوا خوفاً عظيماً . . .إلخ ، وبعث عيسى عليه السلام ، ثم بعد ألف تقريباً

ظهرتا فخافوا من اجتماعهما بكيفٍ لا مزيد عليه ، واضطروا لدى أحبارهم ورهبانهم كَـ« شِقٍّ » و« سطيح »[١] وأخبراهم بأمور عجيبة علمتها من الكتب . . .إلخ ، والآن ظهرتا واجتمعتا ولم يجتمعا إلاَّ لحادث عظيم ، والعلم عند الله ، وقد كُفيتَ على هذه الإشارة فافهم من القليل ، والله الموفِّقُ ، وهو علاَّم الغيوب .

وقولكم أيضاً (إنه ذكر في الكتاب المذكور : ثم يلقِّنُه الاسم المبارك ، وهو : أستغفر الله (مائة مرة) ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك . . .إلخ (مائة مرة) ، لا إله إلا الله (مائة مرة) ويختمها بقوله : سيدنا محمد رسول الله ﷺ (مرة واحدة) ، وذلك مرَّة في الصباح ، ومرَّة في المساء ، لأنه الواسطة في تأكيد الرابطة . . .إلخ .

وأما أنت ؛ فقد كتبتَ : وفي قراءة الورد كلَّ يوم بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة المغرب إذ هو : لا إله إلا الله ، فبأيِّ ترتيب نستعمله ؟ !) .

أقول : أرى الحكم أليق لك لما في الكتاب ، فهو أعلم منا اصطلاحَ القوم ، وإنما كتبتُ لك صورة ما أتتني بها من ساداتنا قدس الله أسرارهم بلا تغيير حرف ممَّا كتبوا إليَّ في صكِّ الإجازة ، ومع ذلك لك اختيار للتقديم والتأخير نظراً إلى حصول الحضور بأيِّ كيفية رأيتها ، ولقد كنت سألت من الشيخ حين عاهد معه بتقديم الصلاة المذكورة المعهودة بينهم عن الذكر بالنفي والإثبات ؟ فأجاب بأنه ﷺ هو الوسيلة المحمودة إلى ذكر الله تعالى ، فتقديم الوسيلة للتوسُّل إلى ذكر مستحسن ، وكان يقدِّم الصلاة من الذكر مرَّة ويؤخِّر أخرى ، وفي بعض الأوقات كانوا يقدِّمون الصلاة المعهودة من الذكر ، ثم بعد الذكر كانوا بالصلاة المعروف : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم يصلُّون بها عدداً ، فأنت تفعل في حقِّ ذلك بما رأيتَه حسناً ، والله ولي التوفيق .

---

(١) شِقٌّ وسَطيح : من مشاهير كهنة العرب في الجاهلية .

وقولكم (نرجو منكم أن تكتب إلينا كلَّ شيء تحبُّ أن تضع في أثناء مكاتيبك مما هو مشكل . . .إلخ) ! ! .

أقول : إني وكأني مسلوب الاختيار من تزاحم الناس بما لا جدوى ، ولا يصفى لي ولو ساعة من الزمان لنتفكر في أمثال ذلك ، فإن أجاد الله المجيد بالتوفيق ؛ فننظر إن شاء الله تعالى ، وأخاف من وقوع كلامي على خلاف كلام السادات سهواً ؛ أو خطأً ، وأستعيذ بالله من ذلك .

وقولكم (إن كتبتَ إلينا كيفية توجُّه الشاذلية ؛ فهو عين المراد ؛ هل هو كتوجُّه النقشبنديين . . .إلخ) .

أقول : إن التوجُّه هو التوجُّه المعروف في النقشبندية ، بيد أنَّ الرابطة من خصوصها ؛ ولم يأمرني الشيخ بالرابطة في هذه الطريقة سوى قوله (ينظر الشيخ بنظر روحانيته إلى روحانية المريدين) ، ومراده من ذلك توجُّهه بالقلب إلى قلوبهم ، لما أن للشيخ وقت يفنى في المريد كفنائه في الشيخ ، وهذا دقيقٌ فتأمله .

وقولكم (فلو توجَّهت إلى قلوبهم بغير واسطة فعُدِمَ النفع . . .إلخ إلى : وأما بالتوجُّه إلى ذاتك أولاً ، وبالفناء . . .إلخ) .

أما الرابطة بذاتي ! ! فحاشا بذلك وأستعيذ بالله من الاستدراج والأمرِ بذاك وبأمثاله ، وإن كنت تريد التوجَّه كيف كان بالرابطة ، وإن لم أعهد منهم ذلك ؟ ! فالأليق لك بالقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذلي قدس سره العلي ، فمنه بلوغ المأمول ، وبواسطته حسن الوصول ، وصورته في الكتب مسطورة ، والله تعالى يوفِقُك إن شاء الله تعالى برؤية روحانيته ، أو بروحانية جدِّه عليه الصلاة والسلام .

المكتوب الأربعون

في تعزيته بموت العالم موسى حجيو القحي ، ومريم زوجة الحاج محمد بن إبراهيم القحي .

إلى ولي التوفيق الموفَّق للحقِّ الحقيق أخي ومواخِّي الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي وإلى عياله . . .إلخ .

السلام عليكم ، ودام الله تعالى لكم ، أسأل الله العظيم الذي لا إله إلا هو وله الحمد في الأولى والآخرة . . .إلخ .

ثم إنَّه بحمد الله في الصحة الحالية ، وأرجو الخير والمصلحة في المالية ، ثم إنَّه لما قَرَع على أذني انتقالُ العالم العامل بعمل صلحاء الأمة من دار الكدورات إلى محل الكرامات ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وليعجِّل إلى الرفيق الأعلى بما أحسن عملاً ؛ تأسَّفتُ – والله ربِّ البيت – كتأسُّفي على شقيقي شفقةً على علمه وحلمه ، وعمله وقلَّة أمله ، وجزعت عليه ، وإن كان عبثاً في الحقيقة ، وذلك اتباعاً للسنَّة التي جزع بمثلها خيرُ الخليقة ، فأعظم الله أجركم ، وأحسن صبركم ، وصبّركم على المصاب لتفوزوا بجزيل الثواب ، اللهم اغفر له . . . وآه وآه وآه ، ثم إني صليت من روحه وروح مريم زوجة أخينا الحاج محمد يوم الجمعة بالجماعة ، ودعونا لهما بأحسن الأدعية ، وأرجو الله أن يجعلهما من الذين أنعم الله عليهم من النبيين . . . وإلخ .

هذا في ٥ ماي ١٩١٣

المكتوب الحادي والأربعون

في بيان أن أولياء الله لم يزالوا مبتلين بالحساد وأهل الإنكار وفي هذا المكتوب أمور مهمة

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشيخ الصالح ذي السعي الناجح والفكر الفالح حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، وإلى جميع مَن في دائرته من الأهل والعيال ، والمرادين والمريدين من أهل الفضل والصلاح والكمال .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، ونسأل الله تعالى لكافَّتكم خاصَّتكم وعامَّتكم أن يفيض عليكم بحور العناية والمحبَّة فيه والرِّضا عنه سبحانه وتعالى على طبق ما منح من ذلك أكابر العارفين من عباده وأهل الخصوصية ؛ حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوَّة ؛ غيرَ مؤاخذين بها ، جميع ذنوبكم وآثار سهوكم مقابلةً بالصفح ، وأن يكتبكم في ديوان السعداء الذي ما يكتب فيه إلاّ أكابر أوليائه وأهل خصوصيته .

ثم إنَّه وصل لديَّ كتابٌ منكم من عدة أسئلة من بيان صحَّتكم ، فجزاكم الله تعالى عني خيراً ، وزادكم بذلك أجراً وسروراً ؛ حيث عدّيْتُموني من المتأهلين لأمثال ذلك ؛ وإن لم أكُن من فرسان ذلك الميدان ، جعلنا الله تعالى في العفو والعافية والأمان .

فقولكم أيها الولد (وقد سلك أبعاض من علماء الظاهر لإعانة ما يفعله أهل الدعوى ، وإتلاف ما يفعله أمثالنا ؛ وإن كان موافقاً لاصطلاح أهل التقوى ، ومخالفاً لما عليه أهل الهوى . . .إلخ) ! !

أقول – وبالله التوفيق – : ليست هذه أوَّلَ ثلمة وقعت في الإسلام ، بل هو باب يدخل كل وقت فيه الخاص والعام ، وليكن في علمكم أنَّ جميع العباد في هذه الدار أغراضٌ لسهام مصائب الزمان ؛ إما بمصيبة

تنزل ، أو بنعمة تزول ، أو بحبيب يَفْجَع ، أو بحسود يبتلى ، أو بعدوٍّ نمَّام يجزي . . . ممَّا لا حدَّ لجَمْله وتفصيله ، فمن نزل به منكم مثل هذاً ؛ فعليكم الصبر لتجرُّع مرارتها ، فإنَّه لذلك نَزَل العباد في هذه الدار ، ولم يزل أولياءُ الله تعالى مبتلَيْن بهذا المرض ؛ اختباراً وابتلاءً ، ليجزيهم أيَّهم أحسن عملاً ، فانظر إلى « اليواقيت » للقطب الشعراني بُعَيْدَ مقدمة كتابه لتعترف وتسَرَّ بذلك حيث ابتليتَ بما ابتلي به السادات الأقطاب والقادات من أهل الآداب ، ومَنْ مثلهم من الصحابة والأئمة والأنجاب ، فلا تصفى لك الوقت من هذه الجهة ما دُمْتَ مخالفاً للنفس .

أوقات العبد أربعة

واعلم أيُّها الأعزُّ ؛ أن أوقات العبد أربعة :

إما أن تكون في نعمة ؛ فمقتضى الحقِّ منك وجودُ الشكر .

وإما أن تكون في شِدَّة ؛ فمقتضى الحقِّ منك وجودُ الصبر ،

أو تكون في وقت معصية ؛ فمقتضى الحقِّ منك وجودُ التوبة .

أو تكون في وقت طاعة ؛ فمقتضى الحقِّ منك وجودُ المنَّة . وقد قال فخر الكائنات عليه الصلاة وسلام : « مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ » ثمَّ سكت ﷺ ؛ حتى قال له بعض الحاضرين : ماذا له يا رسول الله ؟ ! قال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ . وليكن في جميع ما ذكرناه خالصاً لله تعالى ، وهذه لأصحاب الحجاب .

وأما مَنْ صفت له المعارف حتَّى رسختْ قدمه فيها ! ! فهو مع ما يعطيه وقتُه وحالُه ومقامُه وتجلِّيه ليس له عن نفسه اختيارٌ ، ولا له مع غير الله قرار . وقد وقعت النمامة خاصة في هذا الزمان أكثرها ممَّن هو يزعم بأنه رئيس الفتيان ، فإذا صار الحال على هذا المنوال ؛

فالأجدر لكيِّس أن يتفقد أخلاقَه ، ويتأمَّل ويجتهد في إصلاحها ، وينفيَها عن نفسه رَغماً لمتعصِّبيه ، ويتبع الأخلاق المحمودة ويحمل نفسه على اعتيادها والتخلُّق بها ، فإنَّ الناس يتفاضلون على الحقيقة بفضائلهم ؛ لا كما يعتقد الجهال والعامَّة أنَّهم يتفاضلون بأحوالهم وأموالهم ، وكثرة الذخائر والأعراض ، فإنَّ أكثر الناس إنما يتفاخرون بالذخائر والأموال ، ويعظِّمون الأغنياء أبداً وذوي الأحوال ، ولا يترتَّب بعضهُم على بعض إلا بكثرة الأموال ، وبالجاه المكتسب بالمال ، فلا تذهبْ نفسُك حسراتٍ خلفَهم ، لما أنَّ تمييزَ عادات النفس الناطقة ، واستعمال ما حَسُن منها واطراح ما قَبُح ؛ فذلك إنَّما يمكن ويسهل أيضاً إذا راضَ نفسه الناطقة ، فإنها إذا ارتاضت بالعلوم الحقيقة وتيقظت وشرفت ؛ أَنِفَتْ من العادات المستقبحة ، وتنزَّهت عن التدنُّس بها ، فيهون على صاحبها تجنُّب ما يكره من عاداتها ، ويتغلب عليه استحسانُ الأخلاق الجميلة ، وأنت تعلمُ أنَّ الزمان قد دار بأمثال ذلك ، وتتبادر النفوس إلى البدع والمستحدثات وتستريحون باستعمالها ؛ رغماً للحق والهدى ، على أن الإنسان التامَّ هو الذي لم تفته فضيلة ، ولم تَشُنْهُ رذيلة ، وهذا الحدُّ قلَّما ينتهي إليه الإنسان ، وقد عجزنا عن المكالمة عن هذا البحث بما فينا من ضِدِّ الكمالات أكثر من غيرنا ؛ فكن أيُّها الولد ضنيناً فيما أنت ، ولا تعبأنَّ بقومٍ يتجسسون خلف عيوب إخوانهم المؤمنين ، وقد يسلِّطُ الله تعالى أمثالَ هؤلاء المعيِّرين ؛ فضلاً من الله لك ، لتتيقظ بأمثالهم لما خَفِي لَكَ فيك من دَسِيسات النفس ، فتصير هَفَوات أولئكم المتعصِّبين رحمةً لك في نفس الأمر ؛ جزاءً وفاقاً ، رغماً لأهل البواطن الخبيثة ، فكن على كلِّ حال من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وقولك (إن واحداً سلّم إلى يديَّ أبيات منسوبة إلى العالم . . . إلخ ؛ حاصلها الردُّ بما في كتابنا « تنبيه السالكين » ، وقد تضمَّن الإنكار فيه على الذكر القلبي وإطلاق الشرع عليه ، بل كان فيها هذه العبارات :

يقولون : ذكرُ القلب شرعٌ ؛ وما له شعورٌ بشرع الله كُلاًّ وجزءاً ، وبعد ذلك شككتُ في صدور هذه العبارات . . من فم . .إلخ إلى أن كتبت : وأرسلتُ الأبيات لديه قائلاً :

هل هذه الأبيات ممَّا صدر منك أم لا . . ؟ إلخ إلى أن قلتَ : فأجابَ بخطه وقلمه بأنَّه لا يدري هل هذه الأبيات ممَّا صدر منه أم لا . . .إلخ) .

أقول : إن تلك الأبياتِ صدرت منه بلا ريب على ما أخبرني قلبي ، ولا تشكَّ في ذلك ، ولم يكن لك للاستقراء خلفَها ولا خلفَ أمثالها ، لما أن العالم المنكر لا يرجع من الإنكار ؛ وإن تليت عليه الزبور والفرقان ، فإنك أيُّها الأعزُّ على الحقِّ اليقين ؛ بلا خلاف للكتاب والسنة ، فأنت المحفوظُ في عناية الله من أمثاله ومن كلِّ متكبِّرٍ لا يؤمن بيوم الحساب ، وهذا الإنكار على تلك الطريقة ليس هذا مخصوصاً في هذا الوقت ولهذا الدجَّال ؛ بل ذهب الزمان وأكثرُ أهله على ذلك على وفق عادة الدهر الخؤون ، فلا تبتئس بما كانوا يعملون ، والله خلقكم وما تعملون ، وإنَّما يكون الخلاص لك بملازمة طريق الخواصِّ أهلِ الإخلاص ، كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، وذلك في كلِّ أمر ونهي ، وتشديد وتليين ، وإنَّ المتعصبون وإن قالوا وتقوَّلوا ، وابتدعوا وحَوَّلوا وتمولوا ؛ فإنما أنتم إن شاء الله تعالى تسعَوْنَ لحسن النِّيَّات بحسن الاعتقاد في الأدب الظاهر والباطن ، وكمال الاهتداء اقتداءً لخواصِّ المشائخ السادات أرباب المفاخر والسيادات ، القائمين بالحقِّ في طريق الحقِّ للإرشاد والدلالات من المتقدمين والمتأخِّرين على مدى الأوقات والأحايين ؛ في جميع الإشارات والتعايين ، أهل الرغبة والإقبال والصدق واليقين ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ ومن المعلوم أنَّه لا يتخلَّص العبدُ المسلمُ من الشِّرْكَين : الخفي والجلي ، ولا يتحقق له الإيمان الكامل باطناً وظاهراً في المقام العَلِيِّ ، إلاَّ

بذوق معاني التجلِّيات الإلهية مع الأخذ من أصحاب الأسرار المقتبسين من أسرار السادة ، وآثار القادة ؛ الذين ذاقوا حلاوةَ الأنسية بالتوارث ، من الأفراد والأقطاب والأغواث ، الذين سقوا من أحواض النبوة ، فما لنا ولكم للمجادلة مع القائمين ، والاجتهاد لردِّ إنكار المتعصِّبين لما أنَّ المتكلِّم قد صدق بفعله وكذَّب ، وَبعُد عنه بفكره في معرفته واقترب ، ولكنَّه أساءَ الأدب حيث ترك المعرفة الشرعية وتمسَّك بالمعاني العقلية ، وسلك طريق الأدِلَّة والبراهين ، وأعرض عن التَّصديق بالنصوص الشرعية القطعية ؛ والاستسلام لها على ما هي عليه من الحقِّ المبين :

دَعِ الـمُـنْـكِـرِيـنَ الجَاحِدِينَ فَإِنَّهُمْ ... سَـتَـائِـرُنَا اللاَّتِي لِحَجب الأَجَانِبِ
صَـدَقْـتَ هُـمُ الـحُسَّادُ نَارُ قُلُوبِهِمْ ... لَـقَـدْ نَـفَحَتْ مِنْ عَوْدِهَا بِالأَطَايِبِ
وَصَـان بِـهِـمْ عَـنْهُمْ لُبَابَ عُلُومِنَا ... إِلَـهُ الـبَـرَايَـا بِـالـقُـشُورِ السَوَالِبِ
خَيَالاَتُ أَفْكَـارٍ مِنْ الغَيْبِ سُلِّطَتْ ... مَـلاَئِـكَـةٌ مِـنْـهُـمْ بِهِمْ فِي تَنَاسُبِ
وَيَـخْـبُثُ وَيَزْكُوا مِنَ الأَرْضِ نَبْعُهَا ... عَلَى قَدْرِهَا وَهُوَ اخْتِلاَفُ المَشَارِبِ

وقولك ؛ نقلاً من كلام نجم الدين (وإنَّ ما قلت بأنَّك لم تكتب فيه إلاَّ ما قالهَ الساداتُ فهو ممَّا لا يجوز أن يذكر لدى أهل العلم ، فإن الساداتِ ليسوا بمعصومين . . .إلخ) ! !

أقول : هذا القولُ ؛ فهو ممَّا لا يجوز أن يذكر لدى أهل الأدب والإنصاف ؛ فضلاً عن ذكره في مقابلة أقوالِ السادات ، كيف لا ؛ وهم عرائسُ الله ، وأمناء الله ، وأهل الله ، بذكرهم تنزل المراحم ، وبدعائهم تردُّ البلايا والمكاره ، وهل نحن معصومين لنغيِّر قولَ غير المعصومين ؟ ! ومَن ذا الذي يمكِنُ أن يهجُم عليهم ، أو لَهُ مَلَكة ربَّانيَّةٌ لردِّ مقولهم ؛ عياذاً بالله أن نُسيءَ ظنوننَا إليهم ، أو نتجاسَرَ بالتعيير عليهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ ، فإن كان ينكر الذكر القلبي ويبتدعه ؛ فإنما يبتدع أقوال الأقطاب كالنقشبندي ، والإمام الربَّاني ، والشيخ خالد السليماني وأمثالهم قدس الله أسرارهم ، ولازم على مدَّعي الطريقة النقشبندية قبل

أن ينكر على السرِّ الخفي أن يعرف معنى النقشبند ، ولِمَ سُمِّي بذلك ! !

اللهم نعم ؛ إنَّ لكلِّ طريقة اصطلاح مخصوص في تلقين الذكر ، ومنهم أرباب الذكر القلبي ؛ كالنقشبندي فقط إلى أن يبلغ مرتبة الولاية ، ومنهم من ذكرُهم الجهر ؛ كالتجانية والقادرية ، ومنهم من ذكُرهم الجهرُ مرَّة والسرّ أخرى ؛ كالشاذلية والمدنية وأمثالهما ، وكلٌّ يحتوي شاكلته ، بيد أنَّ الإنكار على السرِّ في الطريقة النقشبندية التي عليها مدارُ الأقطاب والأغواث من عدم الإنصاف والجهالة ، ونسبة الجهر إليهم بالجهل اقتداءً بالمتشيخين من أعظم البرهان ، فليس لنا إلاَّ الاقتداء بهديهم وفقَ طاقتنا ، والخوض في مسلكهم على حَسَب قوَّتنا ، اللهمَّ أيِّدْنا على آدابهم واحشرنا معهم . آمين .

ألا فتحقق أن كل استقامة ... بغير اعوجاج ما عليها معول
فإن اعوجاج القوس عين استقامة ... له في يد الرامي فلا يتحول
ولما استقام السهم زال بسرعة ... عن القوس فافهم أيها المتطول
وقصدي بهذا الاعوجاج هو الذي ... رأته نفوس جاهلون فجهلو
ولا يفرقون الحق من باطل السوى ... وشيطانهم يملي لهم ويسول
وإلا فإن الاستقامة عين ما ... هو الشرع يسمو من بها يتجمل
وما الشرع إلا والحقيقة عينه ... وبينهما لا فرق قول مفصل

فليس هذا القول بأوَّل ما سمعت ، والكل خاضوا في بحور هذه البدعات ؛ لا يرجي أخذها عن الرجوع إلى الحق ، فالباطل حلوٌ يثب كلُّ أحد طوعاً عليه ، والحقُّ مرّ لا يقبله إلاَّ أرباب الطبائع العالية ، كما قرَّرتم ذلك من الكتب ، فالسامِريُّون لا يقبلون الموسويون . فافهم ذلك . . .إلخ .

هنا كلامٌ غير هذا ممَّا كتبه في حق العالم المنكر الملحد نجم الدين الحژي مما لا يعبأ به ، فلذا أعرضت عن الكتبة . انتهى .

المكتوب الثاني والأربعون

في تفسير الألفاظ المشكلة في الصلاة المشيشية الممزوجة وبيان إذنه لجمع مكتوباته في مجلد ، وبيان أوقات أوراد الشاذلية وبيان أورادهم وبيان رضائه على إجازة الفقير للحاج حبيب الله لتلقين الأذكار وذكر اجتماعه بالنبي عليه السلام

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إلى حضرة الولد الصالح المرضيِّ ؛ مظهر أسرار النور اللامع الفيضي ، جوهر الصدق والصفاء ، وثمرة الطرق العلية بلا خفاء ، المرشد الكامل ؛ إن شاء الله الملك العادل ، مخلِّصُنا ؛ حسن أعيذه من الفتن ، وإلى جميع أحبابكم المقتدين بآثار ساداتكم من الأهل والعيال ، وباقي أرباب الفضل والكمال ؛ السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ؛ فلقد بلغني منكم كتابٌ كريم ، الواقع عندي من القبول والإقبال في موقع عظيم ، أدام الله لنا ولكم العفوَ والإمداد ، ومدَّ علينا وعليكم من ظل الإحسان والإسعاد ، بيد أنَّه لم أُطقْ مني ردَّ الجواب طبقَ كتابكم المستطاب ، لما أنِّي طفقت ابنَ الأسفار ، وليست لي من التزاحم القرار ، والآن لما رجعت من مفرق رأسي إلى هذه البلدة رَسَمْتُ إليكم ما خطر في البال ؛ حالةَ الاضطراب والاستعجال ، وكان حقّاً عليّ أن أكتب إليكم بالتدبُّر بالسكينة والوقار ، لكن إني مفلسٌ عنها في هذه الدار ، فلذلك أرجو أنك لا تعتبر حركات ألفات العجلة الشيطانية ، فإنها تسقط في درج سلامة الفطرة الإنسانية ، بل تضمَحِلُّ في جنب فيوض المعارف الإحسانية ، فإذا وجدتَ في قلمي العثرة ؛ فبدِّل بالحسنة السيئة .

فقولكم (بيد أنِّي أصلي على النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الكيفية : اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك . .إلخ ؛ بناء على ما في « النور الساطع » ؛ وإن لم يكن في كتابك تلك الصيغة المخصوصة . . .إلخ) ! !

أحسنتَ وأصبتَ فيما فعلت أيُّها الأمين المأمون ؛ إن الصيغة كذلك ، والاحتياط عسى في ذلك ، بيد أن الفقير لم يميز الصيغة ، وسار على الصيغة المعروفة بيننا ؛ بناء على ما قال شيخنا بالإهمال ، ومن قصور الفقير لم يستبن الصيغةَ إلاَّ العمل بما في صكِّ الإجازة ، ويحتمل أن الشيخ لم يفصِّل لي ؛ نظراً إلى الشهرة في طريقتهم العليَّة ! ! فقد كتبتُ إليكَ كما كَتَب إليَّ . والله الهادي .

وقولكم (وزُجَّ بي في بحار الأحدية ، وأنشَلَني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة ، فما معنى هذه الأقوال ؟ وما المراد من : الأحدية ، والتوحيد ، والوحدة ، وأوحال التوحيد ؟ ! إلخ) .

أقول ؛ وبالله التوفيق : أيُّها المراد المحبوب من صميم الفؤاد ؛ لقد سألتني عن سرٍّ عظيم لازم البسط ، لكن أكتب مختصراً على سبيل الرمز ؛ نظراً إلى حالي ووهني ، اللهم ارزقنا حسن التوفيق لإظهار الحقِّ الحقيق ، قوله (وزُجَّ بي في بحار الأحديَّة) ! ! أي : اغمسني بالإلقاء في بحر الأحديَّة .

الفرق بين الأحدية والواحدية

فالأحديَّة تستعمل في مرتبة الذات ، والواحدية في مرتبة الصفات ، لما أن لكلِّ كثرة أحديةً ، فشبَّهوا الأحدية كالبحر ، وكلُّ كثرةٍ كالساحل ، ويقال له « حقيقة الحقائق » ، و« حضرة جمع » و« حضرة وجوب » ، ولأجل ذلك أتى بلفظ الجمع بقوله في « بحار » ، وهي إشارة سرِّيَّة لعدم كون النهاية لها ، فإذا صار السالك غوَّاصَ بحر الأحديَّة يصير المرءُ كاملاً تامّاً مكمَّلاً ، لأجل أن مرتبة الأحدية جامعة جميع الحقائق .

واعلم أن الحضرة الأحدية هو أوَّل نسبة برزت من عين الذات ، لأن الحقَّ جلّ جلاله في حضرة ذاته لا تعرف له نسبة ، فإن حضرة الذات الساذج بحرُ العمى والطمس ، لا يقبل فيها وصف ؛ ولا اسم ، ولا عين ولا أثر ، ولا غير ولا وَهَم ، ولا كَمٌّ ولا كيف ، ولا اختصاص ولا خاصية ، فهي القاطعة بجميع التوجُّهات إذا برزت بعينها ، لأن الأحدية هي أوَّل النِّسَب ، لأن خروج الفاني عن سذاجة الذات يأخذ في تعقُّل المراتب والنِّسَب ، وإن التجلي بالأحدية مستحيلٌ لا يتجلَّى بها إلاَّ لنفسه ، فإن المراتب ثلاثة في هذا المقام ؛

مراتب الذات والنِّسب

المرتبة الأولى : الأحدية ؛ وهي مرتبة كُنْهِ الحقِّ حيث لا توهَّم للغير والغيرية ، ولا اسم ولا صفة ولا رسم ، ولا كَمّ ولا كيفٍ ، ولا تعقُّلٍ ولا تخيُّل ؛ إلاّ الحقّ بالحق ؛ في الحق ؛ للحقّ ؛ عن الحق ، فهذه هي مرتبة كُنه الحق .

المرتبة الثانية ؛ هي : مرتبة الوحدة المطلقة ، وهي أول مراتب الظهور للغير حيث يتعقَّل فيها الغير والغيرية ، وهذه المرتبةُ هي مرتبة شهودِه ﷺ ؛ لا مشاركة فهيا لغيره ، إلاَّ مَن اختصَّه الله بالخصوصية العظمى ، وهي مرتبة الخلافة فله هذا المشرب .

والمرتبة الثالثة : مرتبةُ الواحدية ؛ وهي : مرتبة عموم الأَلوهية حيث يتَّصف الحقُّ فيها بجميع صفاته وأسمائه ، وظهور خواصِّها ونسَبها على جَمْلها وتفاصيلها كمّاً وكيفاً وإطلاقاً ، وكلُّها قديمةٌ للحقِّ . كذا قالَهُ القطبُ الحقيقي سيِّدي أبو العباس سيد أحمد التجاني قدس سره .

فالأحدية إذاً : عبارةٌ عن مجلى الذات ؛ ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهورٌ .

وأما الواحدية : عبارة عن مجلى ظهور الذات فيها صفة ، والصفةُ فيها ذاتٌ .

فالأحدية أعلى من الواحدية لأنها ذاتٌ محضٌ ، والألوهِيَّةُ أعلى من الأحدية لأنها أَعطت الأحدية حقَّها ؛ إذ حكم الألوهية إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه . وقد كتبنا هذا ؛ وإن كان بعضها خارجاً عن المراد ؛ فإن سَعِد النجم وأردتَ البسط ؛ فأرجو الله تعالى أن يوفِّقَني لإخراج الكنز إلى الخارج ؛ ففيه ما يغنيك من البسط ، وأطلنا في ذلك .

قوله (وانشلني من أو حال التوحيد) ؛ أي : انزعني بالسرعة من أوحال التوحيد وكدورته ؛ وهو جمع : وَحَل ، والمعنى خلِّصني من البرازخ والقيود والإضافات ، لما أنَّ الحقَّ مجرَّد عنها وعن النسبة ، وهنا إشارة على أن وراءَ التوحيد تجريدٌ ، ووراء التجريد تفريد .

وقوله (وأغرقني في عين بحر الوحدة) وفي ذكر العين هنا لطيفةٌ ؛ وذلك لأن وراءَ الجسم يورد روح مجرَّد ، ووراء السرِّ يورَد عين مجرَّد ، والسالك الصادق ما لم يصل إلى مرتبة العين المجرَّد لا يظهر له حقيقة الوحدة ، ولأجل ذلك قال في هذا المقام بلفظ الوحدة ؛ لا بلفظ التوحيد ، والسرُّ في ذلك أنَّ التوحيد ناظرٌ إلى العبد ، والوحدة إلى الحقِّ ، ولأجل ذلك أتى بلفظ المفرد ، لما أنَّ الوحدة ليست كالأحدية ، لما أن المرادَ من الوحدة هي الوحدة الحقيقية التي هي مقابل الكثرة . . . إلخ ، فالأحديَّة تطلب انعدام الأسماء والصفات ؛ مع أثرها ومؤثراتها ، والواحدية تطلب فناء هذا العالم بظهور أسماء الحقِّ وأوصافه ، وحاصل المعنى بأقصرِ عبارة - والله أعلم - : وزجَّ بي أي اغمسني في بحر الأحدية التي هي حقيقةُ الحقائق ، وحضرة الجمع والوجوب ؛ لأكون في مقام الإحسان في دائرة حقِّ اليقين باقياً في بقائه ، وانشلني - أي : انزعني بالسرعة - من كدورات التوحيد التي هي كالوحل بتعلُّقي إلى البرازخ والقيود والإضافات ؛ لأصير مجرَّداً للحقِّ المجرَّدِ ، وأغرقني في عين بحر الوحدة ؛ أي : اجعلني في بحر عين الحقيقة حتَّى يصير بالوحدة وجودي عدماً برؤية ما سواه تعالى سماً ، والله تعالى أعلم حقيقةَ الحق .

وقوله (مونقة . . .إلخ) المونقة كأنه مترادف للمنورق ، لكن لا بالكلية ، فالمعنى لقوله قُدِّس سِرُّه : فرياض الملك والملكوت بزهر جمال الظاهر مونقة ملعلعة بالجمال العجيب ، منورقة بالحُسْن الغريب ؛ بسبب نوره ﷺ .

وقوله (واجعل الحجاب الأعظم حياةَ روحي) .

بإيصال مَدَد فيضيٍّ إليَّ منه ، إذ ليس من الأرواح روحُ إلاَّ استفاد من روحه ﷺ كما بَيَّنْتُ هذه في كنزنا « كنز المعارف » ، كما قال سيِّدُ الكائنات ﷺ : « أَنَا مِنَ اللهِ وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي » ، والحياة لمَّا كانت أوَّلاً باعتبار الروح ، وثانياً باعتبار البدن ؛ أضاف الحياةَ إلى الروح ؛ وإن فخر العالم ﷺ أبو الأرواح وحياةُ الأرواح ؛ كما قال بعض الكبار « فخر عالم جدُّ عيسى عليهما الصلاة والسلام) ، وذلك أن روح عيسى عليه السلام من نفخ روح القدس ، وروح القدس من روحه ﷺ ؛ فيصير المعنى الحاصل : اِجعل شرفَ وجودِ الكائنات وسيلةً ومدداً لحياة روح الحقير الذليل ، ليحصل حياة الروح بعلم مشاهدةٍ لما أَنَّ حياة الروح إن لم تحصل بعلمِ شهودٍ يكون الإنسان في حكم الميت . فافهم ؛ فإنه دقيق .

قوله (وروحه سر حقيقي . . .إلخ) .

إنَّ في هذا المقام للسادات معنيان ، وذلك أن بسبب واو العاطفة يفهم المغايرة ؛ وإن لم يكن كذلك ، وقد وقع مثل ذلك في التنزيل بقوله تعالى ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وبهذا فسَّر بعض السادات من أشياخنا قدس الله أسرارهم ، فيحصل المعنى بهذا التفسير : واجعل روح الحجاب الأعظم حياة روحي وسرَّ حقيقتي ، لما أن لروح محمد ﷺ معنيين ؛ أحدهما : حياة الأرواح ، وثانيهما : سر الحقائق . وإن كان السرُّ والحياة في الحقيقة غيرَ متغايرين ، والمعنى الآخر : أن المراد من الروح روحُ النبوة ؛ فيكون المعنى أنَّ صفاءَ الشهوديَّة الكائنةِ الحاصلةِ من ثمرة القربة ﷺ إلى الله تعالى اجعل ذلك سرَّ حقيقتي ، وهذا الوجه أشهرُ بلا احتياج إلى التأويلات .

وقولكم (وما السرُّ هنا . . .إلخ) !

للسرِّ أنواع ، والمراد هنا سرُّ الحال الذي كان بإزاء معرفةِ مرادِ الله فيه ، ويحتمل أيضاً لسرِّ الحقيقة ؛ وهو ما تقعُ به الإشارة .

قوله (وحقيقته جامع عوالمي . . .إلخ) . اعلم أيُّها الأعزُّ ؛ أنَّ حقيقة فخر الكائنات ﷺ هي الاسم الأعظم ، فكما أن الاسم الأعظم جامعٌ لجميع الأسماء ؛ كذلك الحقيقةُ المحمَّديَّةُ جامع لجميع الحقائق ، لما أنَّ حقيقةَ حقِّ اليقين وباطنَه من مخصوصاتِ حقائقه ﷺ ، والمراد من العوالم عوالمُ السرِّ ، لما أنَّ مراتب العوالم كثيرة ، وجميعُ العوالم في إزاء شهودِ الحقيقة المحمَّدية ، وتلك مرتبةٌ عظمى ودرجةٌ أسمى ، ولأجل ذلك قال قدس سره بعد ذلك بتحقيق : الحقُّ الأوَّلُ ، وفيه إشارة إلى التفريد . . .إلخ . وفي هذا المقام للسادات كلامٌ جليل لمن له ذوقٌ جميل ، فعزمت مرَّة لبسط ذلك ؛ فخفت من الإطالة ، لئلا تقع من عينكم بالملال ، وأرجو الله أن يوفِّقنا لبسطها في « كنز المعارف » والله وليُّ التوفيق ، وهو نعمَ الرفيق . جزاكم الله عني خيرَ الجزاء ، ووفقكم للصفاء والوفاء . آمين .

وقولكم (أريد أن أقيّد وأجمع المكتوبات في أرجوزة وأسأل الإذن . . .إلخ) ! !

أيها الولد الأمين صاحب التمكين إن شاء الله المبين ؛ إن تلك صدقة عظيمة للفقير مدى الزمان برجاء الدعاء ؛ ولو من بعض المنصفين ، بيد أن ما كتبتُ إليكم أكثرُها مكتوبةٌ بالظنِّ والتخمين بلا إدراك الحقيقة بالتصفية ؛ اعتماداً بالظنِّ الغالب ، وثِقَةً عليك بأن تضعَ الأحسن بدل المُخلِّ ، ويحتمل أن تقع فيها ما يخالف اصطلاحات السادات بقصورٍ مني ؛ فالعياذُ بالله من المخالفة للسُّنَّة السنيَّة والسادات العليَّة ؛ مع كثرة المتعصِّبين المبتدعين ؛ كما هو دأب الزمان ، وأخاف من إيذائهم لك بالقول ، فإن تحمَّلتَ مشقَة إصلاح الخطأ وما عثر به قلم الفقير إلى

رحمة الله القدير ؛ رغماً للحسدة وأهل الاعتساف بعدما أدركتم الصحيحَ من الخطأ ؛ فذلك من نعمة التي يمنُّ اللهُ بك لنا ، لكن لا آمر ولا أنهى ، فأنت الأمين وبالله التوفيق ، والله يجود لكم لأخذ أزمَّة التحقيق .

ولقد كنت فارغت من كتابي « مواقف السادات في مراتب الولايات » في النقشية بالعجمية ، لكن لم أسلم إلى الطبع لكثرة المبتدعين المتعصبين مع طلب صاحب المطبعة تسليمَها مني للطبع .

وقولكم دام عزكم وسَعِد نجمُكم (وجدتُ في أثناء السلسلة الشاذلية ما يغيّر ما كتبه الشيخ شعيب أفندي . . .إلخ) ! !

الخطأُ من هذا الفقير كما هو دأبُه وهو العسير ، وقد كنتُ كتبت زمنَ الاضطراب ، ولم يسعد الزمان لإرجاع البصر ، فبه أكتب إليكم إن شاء الله تعالى بالإدراك ثانياً ، وعليك النظر إلى ما في « الأنوار القدسية » إلى أن تصلَ المكتوب إليكم مني ، بَيْدَ أنَّه قد يسقط اسم بعض الأشياخ لبعضهم من البين بالتقاء المجاز الأسفل إلى شيخ الشيخ ، ولأجله بقيت متحيِّراً في اسم الصنهاجي ، فأجتهدُ لإدراك الحقيقة ، وأكتب إليكم .

وقولكم (إن أوقات أمثالنا . . . إلخ فهل يجوز لي أن أقدِّم الأوراد الشاذلية قبيل المغرب . . .إلخ) ! !

أما إنِّي لا أتجاسر للإجابة من جهتي ، بيد أنِّي أظنُّ أن ذلك معفوٌّ من جهة السادات ، لما أن شيخنا قال لي (في الصباح والمساء) ، ولم يعيِّن لي الوقت تحديداً ، ولقد كنتُ من قديم الزمان سألتُ أستاذي جامع القطبتين أبو عبد الرحمن محمد ذاكر الچسطاوي قدس سره : هلاّ يمكن لي أن أختم الورد نظراً لصلاحية الوقت ؟ فأجاب بنعم ؛ لأجل المصلحة ، لكن قال : الأفضلُ تتميمُها مرَّة ، وإلاّ !

فمرَّتَيْن ، وإلاَّ ! ففي الجلسة الثالثة لأجل عذر ، وذلك في الطريقة النقشبندية ؛ وإذا كان الأمرُ كذلك ! ففي هذه الطريقة الشاذلية سَعَة ،

فافعل على سبيل المصلحة الدينية حتى يتبيَّن لنا حقيقةُ الأمر ؛ ولو بأيِّ كيف ما ، إن شاء الله تعالى .

وقولكم (هل يكفي الصلاةُ على النبي ﷺ . . .) ؟ !

وقد ذكرنا هذا آنفاً ، ونذكر ثانياً كذكركم ، أما الصيغة المشهورة عندهم بظنِّي ؛ كما كُتبتْ في « النور الساطع » و« الأنوار القدسية » ، والفقير تسامح بالصيغة المشهورة كما ذكرنا ، لعدم تعيين شيخنا بذلك .

واعلم أيُّها الحبيب ؛ أن الطريقة المدنية والتِّجانية وأمثالها فروعٌ للشاذلية ، ولهم طرقٌ مخصوصة في الصلاة على النبي ﷺ كما رأينا ، ويحتمل أن يكون لنا في ذلك سَعَة ، والله يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيل ، فالأفضلية في المصطلح المشهور بينهم ، والجواز بأي صيغة وردت من السادات في الأثر . . .إلخ .

وقولكم (فإن تهذَّبَتْ منه الأخلاق . . .إلخ يلقِّنُه الذكرَ الخاصَّ . . . إلخ فما هذا الاسم الخاصُّ المقصورُ . . .إلخ) ؟ !

الاسم المفردُ الخاص (الله الله) ثم اعلم أيُّها المأمونُ أنَّ هذا المقام هو المقامُ العظيم الأسمى على المرمى ؛ يحتاج إلى بسطٍ بسيط ، فاكتفينا عن ذكره عملاً بالأسهل ؛ لكن نختصر بأخصر عبارةٍ بإتيان بيانٍ قليل ؛ وإن كان خارجاً عن المراد ؛ إن للأسماءِ حقائق وخصائص ليس هذا محلَّ ذكرها .

مقامات النفس

فالمقامات مثلاً محصولةٌ على سبعٍ وسبعة سَيْرٍ مع أذكار وأسماء ؛

فالمقام الأول : النفس الأمَّارة ؛ مقامُ الظلمات والكدورات المتعلِّقة للأغيار ، والذكر في البدن : (لا إله إلا الله) ، ووارده : الشريعة ، وسيره : إلى الله تعالى .

والمقام الثاني : نفس لوَّامة ؛ مقام الأنوار ، وذكره : (الله الله) ، وارده : الطريقة ، وصفاته : اللوم والحسد ، عالمُهُ : البرزخ ، حاله : المحبَّة ، سيره : من الله تعالى .

والمقام الثالث : النفس الملهمة ؛ ذكره : (هو . . هو . . هو) . . . ، وارده : المعرفة ، عالمه : الأرواح ، محلُّه : الروح ، سيره : على الله تعالى ، وصفاته : العلم والسخاء ، وحالُه : العشق .

والمقام الرابع : مقام كمال نفس مطمئنة ؛ ذكره : (حقٌّ . . حقٌّ) ، وارده : بعض أسرار الشريعة ، عالمه : حقيقة محمدية ، محله : سرٌّ ، سيره : مع الله ، حاله : الاطمئنانية الصادقة ، صفاته : الجود والإيثار والتوكُّل .

والمقام الخامس : نفس راضية ؛ وهو مقام الوصال ، ذكره : (حيٌّ . . حيٌّ . . حيٌّ) ، ليس له الوارد ، وعالمه : اللاهوت ، ومحله : سرُّ السر ، وسيره : في الله ، وحاله : الفناء .

والمقام السادس : نفس مرضية ؛ وهو مقام تجليات الأفعال ، ذكره : (قيوم . . قيوم . . قيوم) ، وارده : الشريعة ، وعالمه : الشهادة ، محله : الخفي ، سيره : عن الله ، وحاله : الحيرة ، وصفاته : التخلّق بأخلاق الحق .

والمقام السابع : نفس كاملة ؛ وهو مقام تجليات الصفات والأسماء ، ذكره : (قهَّار . . قهَّار . . قهَّار) ، وارده : هي الواردات التي تبين جميع النفوس ، وعالمه : الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة ، ومحلُّه : الأخفى ، وسيره : بالله ، وحالُه : البقاء ، وصفاته : هي الأوصاف الحميدة من جميع صفات النفوس .

وهذه الأسماء أئمَّةُ الأسماء ، ويقال لها « الأسماء الإلهية » ؛ وهي أيضاً أصولُ الأسماء ، فلكل نفس اسمٌ خاصٌّ ، وأصحاب الطرق الذين

كانوا للشاذلية ؛ كالخلوتية يستعملون كذلك ، ولكن غَنِينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة ، والله الهادي .

واعلم أيها العزيز ؛ ما ذكرتُ هذا هنا لتنبيهكم لتكونوا جاهلين ، ولا إلزاماً عليكم ، بل ذِكْرُنا قلَّما لا يخلو عن منفعة ، ولقلَّة ذكرها في كتب القوم قدس الله أسرارهم ، بل قد تحتاج إليها وقتاً في وقت لكونها من معادن السادات ، وقد رمزنا إليها من قبل .

وقولكم دام فضلكم (إني أجزت أخانا الحاج حبيب الله في تلقين الذكر والمراقبات في الطريقة النقشبندية ، فهل يجوز لي أن أُجيزه في هذه الطريقة الشاذلية ، لما أنَّ من كان أميناً ومستحقاً في النقشبندية العليَّة الصدِّيقية ؛ فبالأولى في الشاذلية ؛ بعد أن رأيتُه أهلاً لذلك ، لما أن لساداتِ هذه الطريقة وُسْعَةً نبويَّة حصلت من الشجرة النبوية ؛ جعلنا في بركاتهم . آمين ! !) .

فيدُك يدي ، وقبولك قبولي ، والحقُّ دليلي ودليلك ، فأَمض ما رأيت ؛ فأنت أمينُ الطريقة إن شاء الله تعالى ، أبيض العقيدة والغُرَّة ، مبارك الناصية ، سعيد الطلعة ، لقد كنتُ أتمنَّى من زمن صبايَ استقامةَ وصلاحيةَ أخينا الحاج حبيب الله حين رأيته من أول الأمر ، ثم بعد زمن وقع غبارُ الأغيار ؛ فوقع الفتور في اجتهاده بظن الفقير ، فهو الآن على ما كان إن شاء الله وأزيد من الفقير مرَّات ، جعله الله تعالى وإيانا في زمرة ساداتنا الصالحين ، وأرجو دعاءه كلَّ وقت ، وإنما نحن به وبأمثاله كثّر الله أمثالهم للدين بالدين إلى يوم الدين . آمين .

وقولكم (كما لقَّنتها بقلمكم . . .إلخ) ! !

جزى الله من أخ مخلص ؛ بل ولد متخصص بأحسن الجزاء ما أَحْوَطَهُ وأصدَقَه ، فلقد لقَّنك الإنصاف روح القدس ، وقد رضينا منكم ؛

وقد رضينا منكم ورضي الله عنكم أيها المخلص ؛ إن الإجازة والتلقين أمر عظيم ، بل خطر جسيم محتاج إلى الإنصاف مع الاستقامة ، ليكون أقرب إلى الحقِّ بالحق ، وأبعد من البدعة ، لا يجوز ذلك إلاَّ بعد تهذيب النفس بخدمة شيخ ومرشد كامل ، ورث الخلافةَ من الكمّل ، بيد أني لَمَّا حَسن ظنّ الفقير منك ؛ وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ائتمَنْتُك على أسراري وإجازتي ، وجعلتُك خازنَ أماناتي لعلم علَّمني ربِّي ؛ بإذنٍ من رسول الله ﷺ حتى لك وله ؛ كما قال ذو المعارف السنية الفاني في الحضرة النبوية سيِّدي محمد البوصيري قدس سره :

أَمَّـا الإِمَـامُ الـشَّـاذِلِـيُّ طَـرِيـقُــهُ ... فِـي الفَضْلِ وَاضِحَةٌ لِعَيْنِ المُهْتَدِي

فَـانـقُـلْ وَلَـو قَـدَمـاً عَـلَـى آثَارِهِ ... فَـإِذَا فَـعَـلْـتَ فَـذَاكَ أَخْـذٌ بِـالـيَدِ

وقد سئلت من شيخنا – وروحي فداه – فأجاب : الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه ، فامض سبيلَك لمصلحة الدين ، وإياك والغش فقد قال سيِّد الكائنات : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » وحيث أنِّي كنتُ متردِّداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاح السادات ، ففي تلك الليلة حضر روحانية رسول الله ﷺ وكرَّم وعظَّم ، وأقامني مقامه ، وأنا مستحي منه ﷺ ، ووقعت هنالك مكالمات لا أقدرُ إفشاء سرِّ النبوة ، مع بشاشة الوجه . . .إلخ ، فتبع جمع كثير خلفي قائلين : أنتَ المحمَّد ، أنت خليفته . . .إلخ ، فلم أقنع بذلك ، ووقعت في حياءٍ عظيم وتفكُّر ، فحضر ثانياً ﷺ وسلَّمني خاتمه ؛ وكان معه علي كرم الله وجهه ، ونظر إلى خط الخاتم أخذاً من يدي بمحضره ﷺ ، ثم ردَّه إلى يدي بعد قراءته بأمره ، ومَلَّكني عليه ، فسررت وحكمتُ على رضائه ﷺ على إجازتي ، والحمد لله ، ففي ذلك الحال حضرتما لديَّ مبشرين بملاقاتي ، ودخل معكم عليّ واحدٌ من المبتدعين المنكرين فأغلظتما عليه القول ، وأفحمتما ، وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته ؛ فاستعدُّوا لذلك ، والله وليُّ المتقين ، بارك الله لكم وله ولسائر صلحاء

المؤمنين هذه الدولة العليَّة ، وجعلكم وإيانا من أهل الاستقامة ، ولا يغرَّنكم بأمثال هذه ، لما أنّ للنفس دسيساتٍ أشدَّ من مكرِ الشياطين ، وعليكم بتقوى الله تعالى وإطاعته ؛ سرّاً وجهاراً ، والخشية من غضبه وسخطه ؛ ليلاً ونهاراً ، وأوصيكم بالدعاء للمشائخ وتابعيهم ، فذكرهم رحمةٌ ، ومحبَّتُهم دولةٌ ، وحسن الظنِّ بهم نعمة ؛ وأيُّ نعمة ! ! وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم اعلم أيها المسعود دام لك السعود ؛ أنِّي كنتُ كلَّ وقت أنهيكم عن تقليل[1] المريدين ، وآمركم بتقليلِ الأتباع لكثرة الجهلاء الذين يكتفون باسم المريدية ؛ ويفعلون أموراً مبتدعةً لم يأتِ بها الكتاب والسنة ، والآن آمُرُكم أن لا تردوا أحداً ممن يطلب منكم الإسلاك ، ولا تنظروا إلى ظواهرهم ، وإنما الشيخ إنما هو لأهل التفريط لإرشادهم إلى الصراط السوي ، حتى تجتهدوا لتكثير سوادكم بهم ، ولو بطلبكم ، لما أنَّ لكلِّ زمانٍ رجال ، ولكلِّ وقت أحوال ، والشيخ الكامل وارثُ رسول الله ﷺ ، وللرسول تصرُّفات في الأمور لمصلحة الدين ، فتفطَّنْ لهذا ؛ ولا تكن من الغافلين ، وإيَّاك وإفشاءَ سرِّك لأحد ؛ فالناس فنون والزمان خؤون ، وربنا الرحمن المستعان على ما يَصفون .

وقولكم سعد نجمكم (أريدُ أن أشارك في الهبة المشائخ الشاذلية . . .إلخ) ؟ !

اللهم نعم ؛ ذلك من اللوازم الواجبة ، كيف لا ؛ ومؤسسها القطبُ الحقيقي رشحة النبوة ، وطريقته أعزُّ الطرق التي لا يخالف الطريقة ؛ ولا الشريعة ! ! فعليكم بهم بأحسن وأصلح ما رأيتم ، ومن المتعارف المعلوم عندَكم أنَّ الترقِّيَ للسالكين إنما هو بتحبُّب مشائخهم وأتباعهم ، بل ويأتيَ أهل الطرق ليشارك السالك في بركاتهم ، ويتَّصل بمدد فيوضاتهم ، ومن المعلوم عندكم من آثار السادات أنَّ التصديق لأولياء الله ومحبَّتَهم هي

(١) عله :تكثير .(هامش الأصل) .

الولاية الصغرى ، فبه يلزم علينا الدعاء لهم ؛ لكونهم كما كانوا عرائسَ الله ، فهم أيضاً وسائلُنا إلى الله ورسوله ﷺ .

وقولكم (سمعتُ شيخي العسلي يهب إلى أرواح مشائخ السلسلة النقشبندية والقادرية والشاذلية والجستية والكبروية ؛ خصوصاً . . .إلخ قدس الله سره) .

لقد نطق بالصواب كفصل الخطاب ؛ كذلك كان إخوانه من الخلفاء على ذلك النهج المستقيم إيفاءً للعهد القديم ، وكان مشائخنا أيضاً يذكرونهم ، لكن لم أسمع من شيخي محمد ذاكر قدس الله سره ذكر الشاذلية حينئذ ، ولا أعلم هل كان يذكر هو ونسيتُ ، أو لم يكتب بسهوِ القلم في صكِّ الإجازة والإنابة المسلَّمة ليدي ! ! والآن وجب علينا وعليكم تخصيصُ الشاذلية مع النقشبندية وباقي أهالي الطرق تبعاً لهما وللقادرية ، فتفطَّن .

ولقد سألت مرَّةً عن العارف بالله ؛ الغارف من البحر ، بل هو الزاخر الجسيم والطود العظيم ذريعتي ؛ محمد مراد المنزلوي ؛ ثم المكي ، مؤلف « المكتوبات الربانية » ، و« التعريب » ، و« الرشحات » عن سبب ذكر الطريقة القادرية والچستية والكبروية مع النقشبنديين ؛ وقد كان شيخنا الذاكر يأمرنا بذلك كلَّ وقت ؟ ! وما الحكمة في تخصيصهم من بين سائر الطرق ؟

فأجاب : سادات النقشبندية لصفاء مشربهم مجازون في تلك الطرق بالإجازة العامَّة ، وبالنقشبندية بالإجازة الخاصة ؛ دون غيرها ، فلم أتجاسر للسؤال عليها على قوله ، ولم يزد من ذلك في الجواب ! ! والله الهادي .

وأما طلب الرخصة لقراءة الصلاة المشيشية بلا مزج لأجل السهولة ، لحفظكم من القلب إياها بلا مزج ، أسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم مما لا نعلم .

أيها الولد المرجوُّ لكلِّ خير ؛ ليس من طاقة فقيركم هذا لتغيير أمر الشيخ في هذا ، لما أن الصلاة لابن مشيش ، والمزج للقطب الحقيقي نور عيوننا وشيخنا سيد أبي الحسن الشاذلي وروحي عن روحه الفداء ؛ وإن جَمَعه العارف علي الدرقادي ، وإنما استنارة الشاذليين في استفاضاتهم من المزج ! ! لكونه من أصول الشاذليين ووظيفتها ، واللهُ تعالى يوفِّقكم لحفظه ورعاية آدابه ، وما ذلك على الله بعزيز . فإنما تحتاج لجرأة نصف يوم ، وذلك ليس بمقدار جرأة هرَّة لاصطياد فأرة ؛ أو جرأة . . .إلخ . فعَضَّ بالنواجذ في أخذ الدولة في وقتها ؛ وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون . . .إلخ .

ثم اعلم هداك الله تعالى وزادك التقوى ؛ أني كتبتُ هذه سدّاً لِبَاب الإجابة فقط مع عدم وقوعها عندي في حيز القبول ، فقلب الفقير متكدِّرٌ بغبار الأغيار ، وصار بكيفٍ لا تحصل النتيجة المهمَّة عند الاحتياج إلاَّ في أغرب ساعات ، وما ذلك إلاَّ بقصور الفقير عن حوز حقائق المهمات ، ولا أتذكَّر شيئاً من اصطلاح القوم قدس الله أسرارهم إلا في نوادر الأوقات ؛ خاصَّة لا أقدر لحفظ شيء في وقت الحاجات ، ولكن لمّا امتدَّ زمن وصول كتبكم إليّ ، وبقيت إلى الآن مطروحة ؛ جرى قلمي بهذا القدر الغير الممدوح للضرورة ، ولا لي وقت لتجديد المكتوب إلاَّ العمل بما وقعت في اليد ، فلعلك تصلحها برأيك السديد ، والله الموفق للعبيد ! ! وأرجو الله تعالى أن يوفِّقَني لكتبة قطعة أخرى إليكم عن قريب إن ساعدنا إليه الوقت ، والله أعلم عاقبة الأمور .

وقولكم (وإن كان الحضور واجباً . . .إلخ) ! !

أقول : لو كان لي ولو مصلحةٌ مَّا في حضورك لالتمستُك ؛ أو لحضرت بنفسي ، فاقطع النظر عن ذلك ، وكن مطمئناً في موضعك ، فأنت الحاضر في غيبتك عندي .

فالحجر ثقيلٌ ما دام موضعه ، فإذا تحرَّك بتخفيف زال ، أو يعرض عليه الآفة من حيث لا يشعر ، ولأجل ذلك قيل : أعلم المخلوقات للمعبود الجمادات ثم الحيوانات ؛ لسكونها تحت أقدار رب السماوات ، فإن وقعت الحاجة ! ! فيمكن إيصالها بواسطة الخطوط إلى أن يقضيَ الله لنا بالاجتماع ؛ إما بالأشباح ، أو بالأرواح ، وعِلْمُ ذلك عند الملك الفتاح ، ولقد هممت لترك كتبة هذا ؛ إجلالاً لمسائل التحقيق ، أو إقلالاً لما أوتيت من التدقيق ، لكن كتبته طوعاً للسؤال المطاع ؛ رجاء أن يكونَ به ؛ ولو قليلاً من الانتفاع .

خُـذُوا بِـأنـدَامـي مِنْ حُبَابِ دِنَانِهَا ... أَمَـانِـيَ آمَـالٍ تَـجِـلُّ وَتَـعْـظُـمُ
وَلاَ تُـهْـمِـلُـوا بِـاللهِ قَــدْرَ جَـنَابِهَا ... فَـمَـا حَـظُّ مَـنْ فَـاتَـتْـهُ إِلاَّ التَّنَدُّمُ
لِـيَـهْـنَ أَخِـلاَّئِـي الَّذِينَ حَـظُوا بِهَا ... عَـلَـيْـهِـمْ سَـلاَمِـي وَالسَّلاَمُ مُسَلَّمُ

هذا آخر كل كلام ، والسلام .

في ٨ محرم ١٣٣٤.

متشيخة العصر

ثم اعلم علَّمك – الله من العلم اللدني وفادك– ؛ أني أرى لكم الاعتناءَ في إجراء هذه الطريقة العليَّة الشاذلية في هذه الأوقات في الظاهر أزيدَ من النقشبندية السنيَّة ، وذلك بناءً على طبائع أبناء زماننا ، لأنَّهم يثبون على الطريقة وثبة الأسود على الفريسة ، ثم يريدون التشيخ في تلك الساعة ، ليهيؤوا بذلك حبائل الأشراك ليصطادوا به حطام هذه الفانية فقط ، ثم يسعون يتفاخرون بعضهم بعضاً قائلين (أستاذي كذا) ، أو (شيخي قال) ، أو (المريد الفلاني بلغ مقاماً كذا) ، أو (له

حال كذا) مع عدم علمهم ما فيها من الخطر الجسيم الذي لا يعقلها إلا من له القلب السليم ، ويتبادرون إليّ زاعمين بأنه يريد السلوك ، ويريني التخشع والانكسار ، فما رأيت والله إلى الآن ولا واحداً مَن يفرح قلبي به ، ولا مَن له شائبةُ الآداب الذي يرجى ، فأعلِّلُهم بـ(عسى) أو(سوف) ، أو أنصحهم بالملازمة باقتداء السنة النبوية ، ليتقرَّب إلى الله أوَّلاً بها ، وليسهل له الطريق ، أو آمر بالمطالعة لكتب القوم ليتَّقظ ويتنبَّه إلى آدابهم واصطلاحاتهم ، ليصل إلى المراد برعاية آدابهم ، أو ينتفع بذكر أخلاقهم المحمودة ؛ وينزجر عن الأوصاف الرذيلة ، أو أنصحهم بالاشتغال للكسب لعياله من جهة الحلال ، لقوله ﷺ : « اَلْكَالُّ لأَجْلِ عِيَالِهِ كَالمُجَاهِدِ مَعِي » ، فما رجع من عندي أحد بالرضاء إلاَّ بالطعن عليّ ، وإظهار ما فيّ مكتوماً من الجهالة ؛ كيف لا ؟ ! وقد كنَّا مستحقِّين أولاً لما قُلْنا لهم قبلَهم ؛ مع كونِ الطريقة الصدِّيقية صعب المغاص والمرتقى لا ينالها أيدي اللاعبين بها ، بل لا يصلُ إليها إلاَّ من اصطفاه الله تعالى واقتناه بالهمَّة العليَّة والاجتهادات الأويسية ، فصرت مغبَّراً من غبارهم مع كثرة ما عليّ ، وعجزت عن تحمُّل أمورهم لضعفي عن مثل ذلك ؛ لقلة ملكتي ورغبتي في إجراء تلك الوظيفة العليَّة والدولة السنيَّة ، وإن كان في ذلك خطر عظيم ، وبقيتُ في طعن مشائخنا في خصوص ذلك ، وكم مرَّة استعفيت ؛ وقد كان واجباً أن أجتهد كلَّ الاجتهادِ لإلقاء كلِّ طالب إلى طريق السلوك ؛ ولو بأيّ وسيلة ، لكن رأي الفقير ضعيفٌ في ذلك الموضع ومعذور ، ومع ذلك كَثُرَتْ الفتنة في الطريقة بسبب كثرة المبتدعين الدجَّالين الذين يفتتنون بهم بإراءتهم للناس أموراً ابتدعوها ؛ رغبة ورهبة ، وصاروا سوامر وقتهم ، طهَّر الله الأرض منهم ؛ ولا كثَّرهم ، فامتنعوا ومَنَعوا الناس من الجمعة ؛ فضلاً عن الجماعة ! يتعلَّلون بأن الاقتداء مع إمام مسجد كذا لا يجوز ، أو لا يعلم القراءة ، أو

كان شيخنا لا يذهب إلى المسجد لرؤية مُنْكَرٍ هنالك . مع كون الجماعة أوَّل ما أوجبَ علينا وعلى أمثالنا اللهُ ورسولُه والسادات الكرام ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ وهمَّة الرجال لما كانت آئلة إلى الجهر لضعف اعتقاداتهم وكثرة الوُسْعَة للناس في الشاذلية ، أرى الاعتناء في ذلك أكثر وأولى في هذا الزمان ، إلاَّ للأفراد الصافين الأقلين ؛ كثَّر الله تعالى أمثالهم ، مع ما علينا من الضعف للتوجُّه والارتباط الحسِّي والمعنوي ، ولكثرة إنكار المبتدعين في اللطائف والسرِّ والروابط ؛ زاعمين بعدم الأثر في السرِّ كما في الجهر ؛ لعدم ذوقِهم وقلَّة إدراكهم لتمييز ذلك ، وجهلِهم معنى الأثر ، ويريدون من الشيخ إيصاله إلى المقام بلا وصوله المقامَ في محبة الشيخ بعَمْيهم عن معين الطريقة الصديقية والسرّ في استفاضة المريد من الشيخ ، والشيخ معذورٌ في إيصال المريد إلى المقام ؛ بل هو السبب السويُّ المأمور لذلك ، فإذا قوي محبةُ المريد ، واشتدَّ اعتقاده في الشيخ وآثَرَه من نفسه وبنيه ، ومن كلِّ حظّ يتمنَّاه ، واعتقد أن شيخَه هو الدليلُ الحقُّ إلى الحَقِّ ، ورجع بصره وبصيرته إليه ؛ من الخلق إلى الخالق وإلى الشيخ فحينئذ يتأثَّر له من شيخه في لحظة بلحظة ما لا ينال الباقين في العمر الأبدي لشدَّة رؤيته ببصيرته شيْخِيَّة شيخه وكماله ، ويجذب حينئذ المريد من الشيخ أموراً غرائب بحساب المغناطيس الجذَّاب ، كيف لا ؛ وقد كان رسول الله ﷺ وكرّم وعظّم يجتهد في إرجاع قرابته وأقاربه ؛ بل أعمامه إلى الإسلام بالرفقة ؛ أو بالشدة فلم يقدر منه ذلك ! ! حتَّى نزَّل الله تعالى في حقِّه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . . إلخ ، وما ذلك إلاَّ بعدم تصديقهم نبوَّته ﷺ وعدم رؤيتهم رسولاً نبياً ، فانظر إلى سلمان الفارسي وأمثاله من الصحابة ممَّن أخلصوا في النبي عقائدهم ورأوه نبياً مرضياً ؛ كيف فازوا بمصاحبته ؛ بل برؤيته ؟ ! حتى فارقوا من الدُّنيا لشدَّة غلبة ما رأهم منه ﷺ .

ولكلِّ أحد بل لنا هذه الأسوة ؛ كما جرَّبْتُ ذلك في نفسي غيرَ مرَّة ، فامتحن أيُّها الأخ بصفاء العقل السليم ؛ أنَّ واحداً إن سكن في باديةٍ غريبةٍ ، أو جبلٍ عالٍ أو مفازةٍ ؛ وهو من أهلِ الوثن ؛ أو من اليهود ، وجلس على زيّ أهلِ الله ؛ أو الشيخ الكامل ، وأُخبِر ثلاثة أو جمٌّ غفير ممن لهم الثقة مثلاً أنّ في موضع كذا رجلٌ من أهل الله أشعث أغبر لا يلتَفِتُ إلى الدنيا ؛ وهو صاحب مقام كذا ، أو له كرامات كذا ، فلما سمع الناس هذا القول واشتهر ، وذهب لديه مَن له صلاحيَّة كامنة ونظر إليه ؛ يَعرِضُ عليه حاله ، ويكاد أن يقع مغشياً من شدَّة ما تمكَّن في قلبه من المحبَّة ورسوخها في نفسه ، وليس له خبرٌ أنَّه وثني أو يهودي ، وإن أخبر بعد ذلك آخر ممَّن لا ثقة عنده – مثلاً ؛ ظاهراً – أن ذلك الرجل المشار إليه بالبنان ليس صاحب مقام ، بل لو قال أظنُّ أنه كافرٌ فحينئذ يثبُ عليه ذلك الرائي الجاهل ويقول : كفرتَ بالله حيث نسبتَ وليّ الله إلى الكفر ، بل ويَهُمُّ لقتل قائله ، ويزعم حينئذ أنَّ قتلَه أعظمُ ثواباً من قتل الكافر ، وليس ذلك إلا باعتقاده فيه بالولاية ، مطبوعةً محبَّتُه في قلبه بجهالته وعدم تهذُّبه بخدمة المرشد الكامل ، وكذا إذا كان بين عوامٍّ وجعلوه وليّاً ؛ أو مرشداً كاملاً ، وهو يتحمَّل إذاية الناس على نفسه ، ويداري الناس مداراتهم ، فإن قال في حقِّه مثلاً ثقةٌ أو جمع : إنه جاهل أو زنديق أو مُراءٍ ، ينفر طبائع الناس عنه ؛ وينسبونه إلى الزندقة ، ثم لا يقبل لديه السامع بالمحبَّة له ، ولا يقرب لديه بالإخلاص ، ولا يُقِرُّ بولايته ، وإن تليت عليه التوراة والفرقان ، ولأجل هذه الأمور اختفى الأولياء ، وغابوا عن أبصار الناظرين لكثرة الفتنة من التوغُّل معهم ، حتَّى زعم الناس : لم يبقَ في الدنيا وليٌّ ؛ عياذاً بالله من ذلك الرأي ، ولم يبقَ في الدين إلاَّ مَن اختاره الله تعالى بواسطة المشائخ الذين أقاموهم في الولاية بأمر من الله ، ورأيِ أهل ديوانِ الأولياء ، لما أنَّ كلَّ أحدٍ على سبيل الوراثة ؛ إنَّما

يقيمونه على ذلك المنصب بأمرهم واتِّفاقهم ، فتفطَّنْ كما علمتَ ذلك من آثار القوم في كتبهم ! ! جعلنا الله تعالى في بركاتهم .

ثمَّ وجدتُ في رسالة أخرى منك بعد أن كتبت ما قبل هذه : هل يجوز لي تلقينُ أوارد تلك الطريقة للعوامِّ الذين لا يعرفون قراءةَ تلك الصلاة المذكورة المشيشية . . .إلخ ؟ !

يجوز لك ذلك ، ولك الإذن التامُّ المطلق لمن لا يعرف الصلاة ، بل للأميين الذين لا يعلمون شيئاً لمن فيه شائبةُ صلاحِيَّة ، ومعرفة المشيشية إنما هو من خصائص النقيب ، وللعوامِّ الوردُ المذكور في صكِّ الإجازة وكتب القوم ، ولكون القوم ممن لا يشقى جليسُهم ؛ يجتهد المريد للزيارة يوماً فيوماً ، حتَّى يصل ببركاتهم إلى حظِّه الذي جناه الله تعالى له .

وقولك (وهل يكفي تلقيني لهم . . .إلخ) ؟ !

أقول : وفَّقك اللهُ لإرشاد الخلق وإيصالهم إلى الحق ؛ يكفي لك تلك الإجازة الكاملة ؛ إن شاء الله تعالى ، وعليكَ بذلُ الجهد في توسيع دائرة هذه الطريقة وفق وُسْعِك ، مع أن دائرتَه أوسعُ الدوائر كذلك ، وألطفُها وأقبلها للمريدين والمرادين .

وقولكم (وأرجو منكم بيان كيفية ختم الشاذلين . . .إلخ) .

كيفية الختم كما في كتب القوم وفق اصطلاحاتهم ، ومع ذلك أكتب إليك ذلك إن شاء الله تعالى عن قريب مع رسالة الصكِّ مصحَّحة .

المكتوب الثالث والأربعون

في بيان تشريح الصلاة المشيشية وبتصحيح الحقير أرجوزته العجمية ووصيته بترك المجادلة مع أهل التعصُّب وبيان سبب لسكناه في شوره وبيان أن الطريقة النقشبندية أفضلُ الطرقً

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على رسوله وحبيبه المصطفى ، وعلى آله وأصحابه أهل الصفا .

بعد حمد الله جلَّ ثناؤه ، وتقدَّست صفاته وأسماؤه ؛ يصل الكتاب إلى حضرة الولد وقطعة الكبد وفلذة الخَلَد ، المحبوب المعشوق من صميم الفؤاد ؛ حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، وإلى خليفته وحليفه حبيبنا حبيب الرحمن الحاج حبيب الله ، وإلى جميع الآل ؛ ومن في دائرتهم من أهل الكمال ، حفظ الله جميعَكم من جميع المِحَن ؛ ومن معضلات الفتن . آمين .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ من محبِّكم الحزين المغبون أقل العباد ؛ خالد سيف الله .

وبعد؛ فأوصيكم ونفسي بما أوصاكم اللهُ وآمركم به ؛ مِن حفظ الحدود ومراعاةِ الأمر والنهي الإلهي ؛ على حسب جهدكم واستطاعتكم ، فإن الزمانَ انهدمت فيه قواعد الأمر الإلهي جملةً وتفصيلاً ، وانهمك الناس فيما يضرُّهم دُنْيَا وأخرى ؛ بحيث أن لا رجوع ولا يقظةَ لما يَرُدُّ القلوب إلى الله تعالى والوقوف عند حدوده ؛ أمراً ونهياً ، ولا طاقة لأحد بتوفية أمر الله من كلِّ وجه في هذا الوقت ؛ إلاَّ لمن لَبِسَ حُلَّة المعرفة بالله تعالى أو قارَبَها ، وحيث كان الأمر كذلك ؛ ولم يجد العبدُ مصرِفاً عما أقامه الله فيه ؛ فالأبقعُ خيرٌ من الأسود كلِّه ، فاتركوا مخالفةَ أمر الله ما استطعتم ، وقوموا بأمره على حسب الطاقة .

واعلموا أيها الأولاد ؛ أن التقوى قد صعب مرامُها ، وتناءت بُعْداً من أن تَمُدَّ بيد أحدٍ خطامها واحتكامها ، وكلَّت الهمم دونَها ، فلا يصل بيد أحد أساسها ؛ إلا الفرد النادر ، لما طُبِعت عليه القلوبُ والنفوس ؛ من الإدبار عن الله وعن أمره بكلِّ وجه واعتبار ، وهذا حالُ أهل العصر في كلِّ بلد من كل ما على الأرض ، إلاَّ الشاذ الذي عَصَمه الله تعالى ، وبسبب ما ذُكر هاجَ فينا بحرُ الفتن ، وطما بحر المصائب والمِحَن ، وغرق الناس فيه كلَّ الغرق ، وصار العبدُ كلَّما سأل النجاة من مصيبة والعصمة منها اكتنفَتْهُ مصائب ، وفي ذلك قيل : سيأتي زمانٌ تتراكم فيه بحور الفتن ؛ فلا ينفعُ فيها إلاَّ دعاءٌ كدعاء الغريق .

وأوصيكم بالمحافظة على قوله ﷺ : « ثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ ؛ فَأَمَّا المُنْجِيَاتُ ! فَهِيَ التَّقْوَى فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ ، وَكَلِمَةُ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ . وَأَمَّا المُهْلِكَاتُ ! فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِرَأْيِهِ » وفي رواية : « بِنَفْسِهِ » . وقال ﷺ : « مَا تَحْتَ قُبَّةِ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ » فبسببِ مَنْ فيه هذه الخصال والأوصاف المهلكاتِ صار الناس غرقى في بحر المحن ، وتوغَّلوا به وبأعوانه في الفتن ، فالله تعالى يجازيهم بأعمالهم ، ويحيقهم مكرَ الله رغماً بمكرهم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

مهم

فالحذر . . الحذر من المبادرة إلى الشرِّ بَدَل الشرِّ لمقتضى حرارةِ الطبع ، فإن المتبادِر للشرِّ ؛ وإن كان مظلوماً فاضت عليه بحورُ الشرِّ من الخلق ، فدواؤه حينئذ التضرُّعْ إلى الله باعتراف عجزه ، واللين في المكالمة مع كلِّ أحد ، فالله تعالى يعينُكم ويدفعُ عنكم بلا سبب ؛ أو بسبب لا تعب فيه عليكم ، أو يشتغل الظالم الفتَّان عنكم بشاغل يعجز

عنه ؛ فيصير ذلك لعدوكم هوناً ومذلَّة في الدنيا والآخرة ، واصبروا الله على ما هداكم ، واتَّقوا الله ما استعطتم ؛ وأطيعوه ، واعلموا أن فضل الله لا حدَّ [له] ، وأنَ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

ثمَّ إنَّه وصلت لديَّ رسالتُكم مستخبراً عن أحوالاتنا ! ! فالحمدُ لله على كلِّ حال ؛ نريد ما أراده الله تعالى ، ونرضى بما يرضاه ، وليس لنا همٌّ وراءَ ذلك ، والحمدُ لله ، وقد شكرنا أيُّها الأولاد سعيَكم ؛ حيث يسرُّونني بتبيين أحوالكم كما هو سبيل أهل الإنابة ، وشأنُ أرباب الاستقامة ، فجزاكم الله بذلك جزاءً جميلاً ، وأجراً جزيلاً .

شرح المشيشية

ثم إنَّ ما سألتم منا من تشريح الصلاة المشيشية ؛ وتحليل مشكلاتها ! ! وإني ؛ وإن لم أكن أهلاً للتوغُّل في كلام ساداتنا قدَّس الله أسرارهم لقصدتُ ، ولكن الضعف الغالب عليَّ عاقني عن ذلك المطلوب في هذه الحالة ، وأرجو الله الفتحَ والنصر إن شاء الله تعالى ؛ بيد أنِّي كتبتُ في جواب ما سألتم عنَّا شيئاً يسيراً بحساب جواز التيمم لفاقد الماء ، كما قال بعض السادات :

تَـطَـهَّرْ بِمَاءِ الغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ وَإِلاَّ تَـيَـمَّـمِ بِـالـصَّعِيدِ وَبِالصَخْرِ

فقولكم ما معنى : اللهمَّ ؛ صلّ وسلّم على سيدنا محمد بجميع الشؤون في الظهور والبطون .

أقول وبالله التوفيق : إنَّ السائل[1] سأل من الله تعالى أن يصلِّيَ على نبيه ﷺ بما هو أهلهُ ، والصلاة هنا توقيفيةٌ لا يعلَم حقيقَتها إلاّ هو تعالى .

---

(١) أي : المصلي (هامش الأصل) .

صلاة الله تعالى على نبيه ﷺ

واعلموا أنَّ الصلاة في حقِّ الله على نبيه ﷺ وصفٌ قائمٌ بذاته ؛ على الحدِّ اللائق لعظمته وجلاله سبحانه وتعالى ، وذلك أمرٌ فوق ما يدرك ويعقَل ، فإن الوصفَ في كلِّ موجود ؛ وإن اشترك في اللفظ والاسم ؛ فالحقيقة مباينةٌ في حقِّ الموجودات ، فالصلاة في حقِّنا عليه هي الألفاظُ البارزة عن ألسنتنا بالدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى فيما ينبئُ عن تعظيم نبيه ﷺ ، وليست كذلك صلاتُه سبحانه على نبيه ، فيكون ملحض المطلوبِ هذا : اللهم صل صلةَ صلواتِك ، وسلام تسليماتك على أوَّل التعينات المفاضة من المعمَّى[1] الرباني بجميع الشؤون بحقائق الوجود .

اعلم أن الشؤون هاهنا حقائقُ الوجود ، وقد ذكرنا إليكم إشارة في حقِّ ذلك[2] ، ونذكر هنا أيضاً : سُمِّيت شؤوناً ! ! لعدم التمايز بين حقائقها ، فإنها مضمرة في الأحدية ، ليس لها عين ولا وصف ، ولا اسم ولا رسم ، ولا كمٌّ ولا كيفية ، ولا لون ولا مقدار ، فلهذا سُمِّيت (شؤوناً) ، إذ لا معرفة لشيءٍ من حقائقها بوجه من وجوه التصريف ، فهي مستويةُ المباني ؛ متماثلةُ المعاني ، كما قال القطب الحقيقي السيد أبو العباس محمد التجاني قدس سره ، وفي هذا يقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه :

كُنَّا حُرُوفاً عَالِيَات لَمْ تُقَلْ ... مُتَمَكِّنِينَ مِنَ العُلَى بِذْرَ القلل
أَنَا أَنْتَ فِيهِ وَنَحْنُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ هُو ... وَالكُلُّ فِي هُو هُو ، فَسَلْ عَمنْ وَصَلْ

أشار بهذا إلى حضرة الأحدية ، فإنَّ الأشياء فيها معدومة من آلات التعريف من الأسماء والأوصاف والألوان والمقادير . . .إلخ وإلخ .

---

(١) الخفي .
(٢) انظر ص ١٣١ فيما تقدم .

فهذه أسباب التعريف بين حقائق الوجود ، وبها يتميَّز بعضها عن بعض ، وبهذا تُعرَف نِسبُها ومراتبها ، وحيث انعدمت آلات التعريف صارت مضمرة ، فالشؤون ها هنا ما حُكم عليه بالظهور للوجود ، وما حكم عليه ببقائه في طيِّ العدم ، فالكلُّ على حدٍّ سواء ؛ لا تفاوت لشيء منها ، وعلى هذا الحدِّ وقع خطاب الآية في قوله سبحانه وتعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ وسمَّاها شؤوناً مع كونها يبديها صوراً محدودة ؛ بالكم وكيف ، واللون والصورة ، والاسم والزمان والمكان ، فهي معروفة محدودة لكنه يشير إلى أوَّلها ، لأن أولها كان شؤوناً في مرتبة الأحدية ، فقد قيل إن الرفاعي[1] ﷺ كان يُدَرّس في مجلسه ؛ فسأله سائل لا يعرفه ! فقال له : ما معنى كلَّ يوم هو في شأن ؟ ! فتحيَّر ؛ ولم يجد جواباً ؛ فسكت ، ثم نام ليلاً فرأى النبي ﷺ ، فسأله عن الآية ! فقال ﷺ : شؤون يبديها ولا يبتديها ، فلما عاد للدرس من غدٍ عاد السائلُ فسأله ، فقال له : شؤونٌ يبديها ؛ ولا يبتديها . فقال له : صلِّي على مَنْ علَّمك ، وظهر أن السائل هو الخضر عليه السلام .

ومن الشؤون أيضا : الشؤونُ العلمية ، وذلك أنه ﷺ دعا جميع الوجود كلِّه إلى عبادة الله تعالى ، بعضه بالرسالة وتبليغ الدعوة ؛ وهم بنو آدم والجنّ والشياطين ، وبعضهم بالتصرُّف ، ومعنى التصرُّف : هو التصرُّف بالأسرار ؛ وهو توجُّه إلى الوجود بفيضه وإسرائه حتى انقاد إليه جميعُ الوجود إلى عبادة الله تعالى وتسبيحه والسجود له ، فهي الشؤون العلميَّة ، ونعني به أيضاً جميعَ الوجود ؛ وإنَّ هذه وأكثر ما أذكركم أمورٌ خارجة عن المقال ، لا تدركها إلاَّ بالذوق وصفاءِ الأحوال .

---

(١) تروى عن الحسن البصري ! ! ومثلها عن أبي حنيفة رضي الله عن كلِّهم .

البطون والظهور للحقِّ تعالى

وأما الظهور والبطون ! فهي من الأمور التي لا يحيطون به علماً ، وذلك أنَّ سائلاً سأل رسول الله ﷺ أينَ كان ربُّنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ فقال له ﷺ : « كَانَ في عَماً ؛ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ » . وهذا العما هو غايةُ بطونِ الحقِّ سبحانه وتعالى حيث لا عثورَ لأحدٍ على حقيقته ، وإليها يُشارُ بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ وهي مرتبة بطون الحق ، وهو البطون الأكبر .

حضرة التعالي والتكبُّر

وأما حضرة التعالي وحضرة التكبُّر ! ! فهي مرتبة ظهور الحقِّ لغيره ، وإذا سألتَ عن حقيقة الأحدية ! ! فهي مرتبةُ ظهور الحق بمرتبة تفريده في الوجود ، حيث لا وجود لشيء معه .

الفرق بين الأحدية والوحدة

وقولكم (وما الفرق بين الأحدية والوحدة) ؟

أقول : إن الذاتَ الساذج لا امتياز فيها لأحديَّة ولا كثرة ؛ إذا طمست النِّسب كلُّها فيها ، فليست فيها اختصاصُ نسبة على نسبة ؛ وهي غاية البطون الذي هو العما ؛ كما قدَّمنا .

والأحدية تماثلها في الذات الساذج ، إلاَّ أنَّ فيها ظهورَ نسبة الأحدية عن الكثرة والغيرة ، وهي مرتبةُ ظهورِ الحقِّ سبحانه وتعالى .

وأما الوحدة ! فهو تجلِّيه بكمال ذاته في الحقيقة المحمدية ، وهي ذات الساذج أيضاً تجلَّى فيها في الحقيقة المحمدية ؛ فهو تجلِّيه بذاته عن ذاته لغيره ، فهذه مرتبة الوحدة .

وأما الواحدية ! فهو تجلِّيه بذاته في ذاته لذاته ؛ مع ظهور النسبة الأحدية ومحوِ جميع النِّسَب من الأسماء والصفات والكثرة والغيرية ، فالأولى مرتبةُ بطونِ الحق ، وهذه مرتبةُ ظهور الحق .

وأما الوحدة ! ! فهو تجلِّيه بأسمائه وصفاته في غيره لغيره ، وهي الحقيقة الآدمية .

ومعنى حقيقة الذات الساذج : الصرف ، والمحض ، والخالص . والله أعلم .

وأما المراد من الصورة الآدمية ! أن فخر الكائنات ﷺ لمَّا تجلَّى الله بصورها في عالم الظهور صار رسول الله ﷺ .(١)

وقولكم (ما معنى الحقائق ، وكيف ترتقي منه إليه ؟ !) .

الجواب : أما حاقائق أهل القُرْب ! ! فهي الفناء في التوحيد ، والتحقُّق بالتجريد ، فتبطل في حقِّهم رؤيةُ الأسباب ، ويزول عن مطمع نظرهم كلُّ ستر وحجاب .

والمعنى هنا : أن الارتقاء بمعنى الالتقام ، و(ارتقاء) من باب : (افتعال) ، والهمزة للصيرورة ؛ أي : صارت رَتْقاً ؛ بمعنى الفتق ، يعني : أنَّ جميع الحقائق مرتتقة من هويته ﷺ ؛ وهي على نوعين : حقيقة كونية ، وحقيقة إلهية .

أما الحقائق الكونية ! ! كحقائق الأرواح والأجسام .

وأما الحقائق الإلهية ! ! فهي دقائقُ الذات والصفات والأفعال والأسماء ، فبه ؛ إن مَنْ لم ينشكف له مطلقُ الحقائق لا يضع قدمه في دائرة الولاية الحقيقية ، فبه يظهرُ أنَّ السُّنَّة الإلهية أنَّ السالك الحقَّ إذا انكشف في سيرانه الحقائق يصير ثانياً متحقِّقاً للولاية الكاملة ، وواضعاً قدمه على آثار النبوَّة . وللسادات هنا كلامٌ دقيق لا نطيله .

فالحاصل أنه ورد في الحديث « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ » ، وهذه الرؤية كما كانت مختلفة بين الأنبياء على

---

(١) هنا في الأصل بياض بقدر ثلاث كلمات .

حسب درجاتهم ؛ كذلك بين الأولياء معرفةُ الحقائق على طبق درجاتهم ، فالحقيقةُ هي الدين ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ، كما أن الغايةَ من حضرة الآدمية الاتحادُ في أصول الدين ؛ كذلك المراد في الحقائق الاتحاد ، لما أن الحقائق غيرُ قابلية للنسخ والزوال ، وإنَّ بين الإنسان والحقائق مناسبةً ، وتلك المناسبةُ من قبيلةِ المناسبة بين الجزء والكلِّ ؛

مثلاً قالوا : إنَّ البحرَ الذي خاضه رسول الله ﷺ ووقفت الأنبياء بساحله ؛ هي بحار الحقائق التي تجلَّى اللهُ بها عليه دون غيره من أكابر النبيين والمرسلين ؛ ولو [خاضوا] أقلَّ قليل منها لصاروا محضَ العدم في أسرع من طرفة البصر ، وإنما وقفوا بساحل تلك التجليات التي اختصَّهم اللهُ بها من طلوع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء ! ! فتلك الحقائق التي هي لهم بالنسبة إلى حقائقه ﷺ المنكشفة له خصوصاً ؛ كالساحل للبحر ، فإنهم تكلَّموا بلسانه ﷺ لغيبتهم فيه وفنائهم فيه . والسلام .

وقولكم (ما معنى السرِّ في قوله : وسرِّك الجامع لكلِّ الأسرار) .

أقول : الأسرار كثيرةٌ جمَّة ، مثلاً لكلِّ نوع وصنف وفرد أسرارٌ خاصَّة ، مثلاً لسرِّ البشري مَلك ، ولسرِّ الملوك رعايا ، ولسرِّ الأنبياء أولياء ، ولسرِّ العلماء جاهلون ، ولسرِّ الخواصِّ عوامّ ، وبين الله سبحانه وتعالى وبين نبيه ﷺ سرٌّ عظيم ، لا مدخل لأحد لمعرفته .

نوعا السر

والسرُّ سِرَّان : أحدُهما : سرُّ إنسان ؛ وهو : عبارة عن حقيقة الإنسان ظَهَر على صورة حقيقةِ إنسان ، كما ورد « خَلَقَ اللهُ آدَمَ على صُورَتِهِ » . وإن المرادَ من الصورة الإلهية هي الصفاتُ السبع ؛ من حياة ، وعلم ، وإرادة ،وقدرة ، وسمع ، وبصر ، وكلام ، فظهرت صورة آدم على هذه الصورة الإلهية ، فسرُّ الإنسان هو سرُّ الحقِّ الظاهري .

وسرُّ الحقِّ : هو سرُّ الإنسان الباطني وحقيقتُه .

السرُّ الشامل

وأما السرُّ المذكور هنا المضافُ إليه سبحانه وتعالى؛ بلفظ: سِرّك . . .إلخ ! !

فهو عبارةٌ عن الاسم الأعظم، فهو جامعٌ لجميع الأسرار، وشاملٌ لجميع الحقائق، فأظهر سبحانه سرَّه لفخر الكائنات، فسِرُّ الحقيقة المحمَّدِيَّة بين العوالم، كما أن حقيقته الدالَّة عليه بين العوالم أوسعُ وأَولى، والسرُّ بالحقيقة هو فيض من الأنوار الإلهية يَرِدُ على العبد قبل الفتح، إذا سرى في ذاته وقلبه حمل الذات على طلب الحقِّ ومتابعته، ومنعها من الباطل ومتابعته؛ عملاً وحالاً، والمعنى أنه لا يرد على العبد ما ذكر من الفتح والفيض الأقدس إِلاَّ إذا وَرَد عليه السرُّ المذكورُ قبلَه. وإن لم يكنْ ذا سِرٍّ ! ! فلا مطمع له فيما ذكر من الفتح والفيض.

مراتب الأسرار

وللسرِّ أسرارٌ: سرُّ السرِّ، وسرُّ سرِّ السرِّ . . . إلى خمس مرات . . . إلى عشرة . . . إلى مائة . . . إلى ألف . . . إلى ما لا نهاية. وجميعُ الأنبياء والأولياء بارزةٌ من سرِّه ﷺ، فإذاً سِره ﷺ هو الدالُّ عليه سبحانه وتعالى، ولولاه ﷺ لم يُظهر لأحدٍ من سرِّ الله شيئاً، إذ هو حقيقة الواسطة والوسيلة إليه سبحانه وتعالى.

وقولكم (فما معنى نسبه الروحي، وحقِّقْنِي بحسبه السبوحي) ؟ !

أقولُ - والله أعلم -: معناه هو كونُه خليفةً عن الله في جميع المملكة الإلهية؛ بلا شذوذ، متَّصفاً بصفات الله وأسمائه، فهذا هو النسبةُ من الحضرة الإلهية، وهذا النسب هو النسب المشترك من الأبوين، ومفخرة من الآباء والأجداد، حيث ورد « كُلُّ سَبَب وَنَسَب يَنْقَطِعُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي »، وكذا رواية « اليَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ » . . .إلخ.

وإن جنس الإنسان مركَّب من الاختلاف ؛ كالصورة من عالم الخَلْق ، والروح من عالم الأمر ، ونسبه من الإنسان من الروح ، ونسبة الروح إلى الله تعالى ، كما قال تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ، وفي الحديث : « أَنَا مِنَ اللهِ وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي » ؛ أي : من فيض نوري ، والغالب من الخواصِّ من أهل هذا النسب عُروضُ الشوق والمحبة والحلم والكرم والتقوى الحقيقي وأمثالها على روحه من الدرجات العاليات ، وإنَّ صورة الإنسان وبشريَّته من الطين ، كما ورد في التنزيل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ ، فبه إن الغالبَ على عوامِّ الناس من الخواصِّ البشرية الحرصُ والشهوة والهوى والغضب ، والميل إلى ما يورث الدركات السفلى بالانحطاط من الدرجات .

وإن قلتم : إن المعتبر عند السادات النسبُ المعنوي ؛ ألا وهو التقوى ! ! وليس المراد عندهم النسب الصوري والطيني ؟ ! كما قيل :

وَمَا يَنْفَعُ الأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ   إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَة

وبحساب هذا يكون المراد في الحقيقة هي الأخلاق النبوية ؟ !

نعم ؛ إن الأمر كذلك ؛ إنّ كمال الإنسان بالشرف الحقيقي ، لكن إن مفاخر الإنسان وعوارضه نفسانية ، وإن ابتداء هذا تعلّق ، ووسطَها تخلُّق ، وانتهاءَها تحقُّق ، فيصير المطلوب على أيِّ حال من النسب الأخلاق النبوية الإلهية . جعلنا الله وإياكم من المحققين بفضله وكرمه . آمين .

وأما إضافته إلى الروح بقوله (بنسبه الروحي) ! !

إن الروح العام هو سريانه ﷺ في كلية العالم جزءاً جزءاً ، حتَّى لا يشذَّ شيءٌ منه ، وسريانه فيه به تمام قيامه ، وبه قَوام نظامه ؛ فلا شيءَ في الوجود يستبد بصريح الوجود في ذاته ؛ دون سريانه فيه ﷺ بحكم السرية ، وتلك السرية وسريانها في كليات العالم هي المعبَّر عنها

بالروح ، يعني : روحاً لجميع العوالم ، وسوى ذلك أنه سبحانه وتعالى قال في التنزيل ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ الآية ، فإنه نزل في حق عيسى ابن مريم عليهما السلام ، لكن إنّه روحه أيضاً مستفاد من روحه ﷺ في الحقيقة ، ولذلك قال أكابر السادات (فخر عالم جدّ عيسى) . فافهم فإنَّه دقيق ؛ بيد أَنَّ أكابر السادات قالوا في حقِّ ذلك : إن الشيخ طلب من الله أن يحققه بنسبته ﷺ من الحضرة الإلهية ، وتحقُّقه بحسب ذلك النسب ؛ وهي العلوم المحمدية ، والأولياء على قدر نصيبه ومَحْتِده[1] فيها ، فغاية ما يدرك منها اثنين وسبعين .

حصانة العلوم

وقال أيضاً ﷺ : فمن وصل إلى ستة وستين من العلوم المحمدية أو أَزيد ؛ فلا يضرُّه مجالسةُ الخلق ولا مكالمتهم ، فلا يسمع إلا من الله ، واستوت خلوته وجَلْوته .

وقال ﷺ : مَن أدرك العلم الأول من العلوم المحمدية ، وقسمه على اثنين وسبعين جزءاً وعَلِم جزءاً واحداً منها ، فله إن أراد أن يفسِّرَ كلَّ آية من كتاب الله تعالى باثنين وسبعين وجهاً من التفسير ، وأحاط بجميع العلوم الظاهرة والباطنة .

قوله (وحقِّقني بحسب السبوحي) ! !

يعني : إذا ألحقتني بذلك النَّسب حققني بحَسَبه ، والحسب هنا : هو الشرف ، يعني شرِّفني بشرفه ، والمراد بهذا الشرف ما يهبُه له في هذه الحضرة من الأخلاق الإلهية والأحوال العلية والنَّسْمات الذكية التي مَن تحقَّق بها صار سيِّد العالم بأسره ، فبه نسب الحسب إلى السبوحي ، وهذا هو الحسب الذي طلبه ﷺ ، ولا نطيل الكلام في حقه .

---

(١) محتده : أصله ونسبه .(بداية ونهاية) .

وقولكم دام سعدكم (ما معنى : وزُجَّ بي في بحار الأحدية ؟ . . .إلخ) .

أقول : معناه : ألقني مِن سواحل الكثرة إلى بحار أحديَّته ، لأكون مستغرقاً في بحار الأحدية ، ومن المعلوم أن الأحديَّة يستعمل في الذات ، والواحدية في الصفات ، فمرتبة الأحديَّة تحوي جميع الحقائق وأوَّل الذات من التعينات الإلهية ، ولأجله تسمى لها حقيقة الحقائق ، وحضرة الجمع ، وحضرة الوجوب ، وإتيانه بلفظ الجمع !! إشارةٌ إلى عدم نهايته ، لما أنَّ لكلِّ كثرة أحدية ، ولكل بحر ساحلٌ ، والأحديَّة كالبحر ، وأصل كلِّ شيء ، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ . والأحدية : مبدأٌ لكثرة ، فوجب تشبيهه له .

حضرة الأحدية

واعلم أنَّ حضرة الأحدية هو أوَّل نسبة برزت من عين الذات ، لأنَّ الحقَّ جلَّ جلالُه في حضرة ذاته لا تعرف له نسبة ، فإن حضرة الذات الساذج بحرُ العمى والطمس ، لا يعقل لها وصف ولا اسم ، ولا عين ولا أثر ، ولا وهم ولا كمٌّ ولا كيف ؛ كما ذكرنا ، ولا اختصاص ولا خاصِّيَّة ؛ فهي القاطعة لجميع التوجُّهات إذا برزت بعينها ، فلا تعقل نسبة ، وعند الخروج عن سذاجة الذات تبدي هناك لها ظهور النسب والغير والغيرية ، إلا أنَّها تتفرَّد عن الذات الساذج بنسبة الأحديَّة التي هي أوَّل النِّسَب ، والنسبة برزت هي الأحدية ؛ وهي : انفراده بالوجود ، وظهورُ الأحديَّة غيرُ ممكن ، لا يراها غير المتَّصف بها سبحانه وتعالى .

أصول النسب

فالحاصل : أنَّ التجلِّي بالأحدية مستحيلٌ إلاَّ لنفسه ، فإن المراتب ثلاثة في هذا الميدان التي هي أصول النسب .

المرتبة الأولى : الأحدية ؛ وهي : مرتبةُ كُنْهِ الحقِّ ، حيث لا توهم للغير والغيرية ؛ ولا أثر ما ؛ ولا تخيُّل إلاَّ الحقّ بالحقِّ ؛ في الحق ؛ للحق ، عن الحق .

والمرتبة الثانية : مرتبة الوحدة المطلقة ؛ وهي : أوَّل مراتب الظهور للغير ، حيث يتعقَّل فيها الغيرُ والغيرية ؛ وهي مرتبةُ شهوده ﷺ ؛ لا شركة لغيره إلاَّ مَن اختصَّه الله بالخصوصية العظمى ، فله هذا المشرب إرثاً منه ﷺ .

المرتبة الثالثة : مرتبة الواحدية ؛ وهي : مرتبة عموم الألوهية حيث يتصف الحقُّ فيها بجميع صفاته وأسمائه القديمة للحق .

وحاصل المعنى : أغرقني في بحار أحديته تعالى ، لأكون مستغرقاً فانياً فيه سبحانه ، وباقياً فيه بحيث لا يبقى فيَّ أثرُ الغيرية ؛ كما قال تعالى ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ ، فلم يبقَ مدخلٌ للمركَّب والبسيط . وانتهى المطلوب .

فاعلموا أيها الأولاد ؛ أنَّ الكلام في هذه المسؤلات في غاية الخطر لا يَحلُّها إلاَّ الذوق والصفاء ، وبالمختصر يصعب الإدراك بفهمها ، بيد أن الفقير مع ما عليّ من الضعف الهاجم كتبت إليكم هذه الإشارات على سبيل الطُّفَيلية ، فلعلَّكم أن تقبلوها وتصلحون خللها ، وإني معذور في حلِّ دقائق المشكلات ، جعلكم الله من الممنونين بالعلم اللَّدنِّي . آمين .

وقولكم (وما معنى وانشلني من أوحال التوحيد) ؟ !

أقول : إن معنى النشل نزع الشيء بالسرعة ، والأوحال جمع وحل ؛ وهو الطين الرقيق ، والمراد من الأوحال هنا البرازخ والقيود ، فيكون المعنى : أخرجني من توحيد البرزخي وطهِّرني ؛ أي : انزعني من القيود ، والتوحيد : إثبات الوحدة الناشئة من الكثرة ، ويقال التوحيد : إسقاط الإضافات ؛ يعني : أنَّ ذاتَ الحقِّ مجرَّدة عن النسبة والإضافات ، كما قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبذلك يشير أن وراء التوحيد تجريداً ، ووراء التجريد تفريداً ؛ كما ورد في القرآن ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ ، وفي الحديث : « سَبَقَ المُفردونَ » ، يعني سبق أهل

التفريد من أهل التجريد ، أي : نزه لي بالتفريد عن شائبة السِّوَى المقيَّد بالإطلاق والإضافة ، والتقييد بفناء الفناء فيه سبحانه وتعالى ، لما أنَّ التوحيد يستعمل للعبد ، فتفطَّن فإنه دقيق .

وقولكم (وما معنى وأغرقني في عين بحر الوحدة ، وما عين الوحدة وما معنى الفرق ؟) .

الجواب : لا يخلو ذكر العين من لطيفة هنا ، فالعين وراء الجسم ، لما أن وراء الجسم روحٌ مجرَّد ، ووراءَ السرِّ عينٌ مجرَّدٌ ، والسالك ما لم يصل إلى مرتبة العين المجرَّد لا يظهر له حقيقةُ الوحدة ، ولذلك أتى هنا بلفظ الوحدة ؛ لا بلفظ التوحيد ، لما أن التوحيد يستعمل في العبد والوحدة للحق كما ذكرناه آنفاً ، وإتيان لفظ البحر بالمفرد إشارة إلى أن الوحدة ليست كالأحدية . والفرق في البحر ذكرناه في ذكر (الفرق في بحار التوحيد) فلا نطيل هنا .

والمرادُ من الوحدةِ : الوحدةُ الحقيقية ، والتوحيد اثنان : توحيد بالقوَّة ، وتوحيد بالفعل ، وبينهما ظاهرُ فرقٍ ، فيكون معنى كلام الشيخ : أغرقني في عين بحر الوحدة ، واقطع تعلُّقي من غيرك ؛ بحيث لَا أنظر ، ولا أسمع ، ولا أُحِسُّ إلاَّ بك ، وزدْ لي حيرةً فيك حتى يصير عندي السِّوى سُمّاً ، كما قال تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ الآية ، وكما قيل :

اللهَ ؛ قُلْ وَذَرِ الوُجُودَ بِأَسْرِهَا[1] .

وأما قولكم (ما بحر الوحدة ؟ وما معنى الوحدة ؟ وما الفرق بين الوحدة والأحدية ؟ !) .

أقول : إنَّ معناها مع الفرق المذكور ذكرنا ، وليس للإطالة في حقِّ ذلك مجالٌ . والله أعلم .

---

(١) شطر بيت ؛ تمامه : . . . إن كنت مرتادا بلوغ كمال .

المكتوب الرابع والأربعون

في بيان المراقبة الأخفوية ، وبيان أن رؤية الأنوار ليست من ضرورياتها وبيان كون الرابطة في الطريقة الشاذلية مستحسنة ، وبيان عدم خيرية الزيادة لدى واحد من . . .إلخ وبيان شيء من تعبير رؤيا الحقير رحم الله إفلاسه

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد الذي قال تعالى في حقه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بالنصر العظيم ، إلى ولدي ومفتاح سردي وسر خلدي ، أمين الشريعة وشيخ الطريقة ؛ حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، وإلى أهل عياله وأهل دائرته العوالي ، تسليمات تتوالى وتسلسل فيما يلي .

بعد حمد الله سبحانه وتعالى وثنائه بما هو أهله ، أسأله سبحانه وتعالى ؛ وله المنة والفضل والكرم : أن يديمكم في رياض النعم ، وأن يزيل عنكم الغُمَّة والندم ، وإن تشرَّفتم بالسؤال عن الفقير إلى عناية الله القدير ! ! فالحمدُ لله على كلِّ حال ، أشكره على ما أنعمنا فضله في الأيام والليال ، وعلى ما رزقنا من حسن العافية وضوء الصحة والسلامة ، وقد وصل كتابكم حمداً لله على ما سرَّنا به ، وقد رضينا ورضي الله عنكم وجزاكم بذلك عنا وعافاكم ، بيد أني عجزتُ عن إرسال الجواب مع الحامل الأمين ، أخينا في الله هطنو محمد ، لما أني تعذَّرت عن الاطلاع إلى ما في رسالتكم قبل ذهابه ، وتلك حكمةٌ ربَّانيَّةٌ لا ندركها ، ونهنِّيكُم في عيد فطركم ، تقبَّل الله تعالى صومَكم ، وزاد لكم بها أجركم ، وجعلنا وإياكم من الصائمين القائمين القانتين .

ثم اعلم أيها الولد؛ أن ما ذكرتَ في حق المراقبات؛ فحسن ومقبول لدى الفقير، بيد أن المراقبة الأخفوية قبل مراقبة الأحدية، ومراقبة المعية ------- ------- -------[1]، وتكون المراقبة الأخفوية من تجلِّي الشأن الجامع الإلهي من الحضرة المحمدية، وعلامة ورود الفيض هنالك: أن يتخلَّق بالأخلاق الإلهية، والسالك الواصل هنا من هذه محمديُّ المشرب، وأما رؤية الأشعة؛ وانكشاف الأمور!! فليست من ضروريَّاتها، بل هي من رسوخ محبَّة الشيخ المفيض في قلب المستفيض، على أن نتيجة المريد الصادق في كلِّ فعل من أفعاله إنما تحصل على قدر المحبة، فالمحبَّة بين الشيخ والمريد هي مطلبُ المدار لحصول المطلوب. فافهم، فإنه دقيق والله يعصمك، وحصول نتيجة المراقبة الأخفوية فيكم أرجو الله حصولها، وذلك بفضل الله؛ لا بالعمل الصالح، والفقير يتوجّه بقلبه المكسور إليكم في ساعة اليسرة، وأرجو الله أن يتجلَّى لكم وعليكم حتَّى يرد عليكم الذرة اللامقدارية، وآثارُ هذه الحقيقة العالية وأنوارها خارجةٌ عن التعقُّل، أذاقكم الله حلاوةَ أنسه.

وأما طلبكم الإذن للحضور هنا!! فأنت المأذون المأمون في كلِّ وقت وأمر منا، والله يسهِّلُ عليكم الصعوبات، ويرقيكم بها الدرجات، بيد أنَّ النظر إلى أمور أهالي حواليكم في هذه الحالة أرى رأياً، وأشير إن شاء الله إليكم للحضور؛ نظراً إلى المصلحة الظاهرة، والله أعلم الباطنة. فتفطَّن.

وأما ما قلت في حق رابطة الشاذليين!! فمستحسن، بل هي من محسناتهم، وهي كما عند النقشبنديين: ويرابط السالكُ؛ إما بذات القطب الغوث الفرد أبي الحسن الشاذلي جعلنا الله في بركاته، أو بذات السيد علي ظاهر الوتري المدني قدس سره.

---

(١) بياض في الأصل قدر ثلاث كلمات.

وأما قولكم (هل لا يجوز لي ولهم أن نفعل الرابطة بذاتي) ! !

فالجواب لذلك : أيها الأمين إني لا آمر لأحد أن يفعل الرابطة بذاتي ما دمت في قيد الحياة ، وبعد الممات يفعل المريد على مَن شاء من السادات بذاتِ مَن رسخت في قلبه محبَّتُه ، كما قال لي بذلك مولانا زين الله الشريف المعموري قدس سره ، وإني أستعيذ بالله من أمرِ لم يأمر بها ساداتنا سرج الهدى ومصابيح الطرق ؛ فإنما نحن في منهجهم وفقَ الإمكان ، ففي ذلك الغنيمةُ والإحسان .

وأما ما كتبتَ في حقِّ الداعي إليك بواسطة محمد الحركلي ! ! فلا حاجة لك للسعي خلفَ أمثالهم ، ولا عليك منَّةٌ له في شيءٍ ما ، وصاحب الحاجة أحقُّ للذهاب لدى مَن عنده حاجته ، كما قاله إمامنا الأعظم الشافعي ، فلا يسمع لك منه إلا أكثرها المزخرفات التي يطلب بها منها المساعدة في ارتكاب رياسة الدنيا ، وقد تيقظتُ على طبيعته وغِلَظ أنانيته ، وحسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين .

وأما رؤياك ! ! فكما عبرت في نفسك ، ولا أطيل التعبير في هذه الحالة ، لكن حيث وقوفُك على كعبة القلب باضمحلال الخواطر النفسانية ، وخلوص العلاقة الإلهية مع الفقير ؛ يصعبُ سماع ذلك لمتعصِّب زنيم ، ويحتال لإرجاعك عن رأيك ومحبَّتك ، لكن لا يطيق منه ذلك ؛ رغماً للكلب .

وأما عدم إدراكك في السعي خلفَ الفقير ! ! فإنك تحتوي إن شاء الله تعالى من المعارف برعاية الأدب ما لا يدرك عقلك ، والله الموفِّق الناصر وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة . . .إلخ .

المكتوب الخامس والأربعون

في حقِّ الاستخارة قبل تلقين الذكر وتسليك المريدين في الطريقة ، وبيان قول القائل (من لم يدر بنظرة من المريد ابتدائه وانتهائه ؛ فليس له سبيل للمشيخة . .) إلخ .

قال ﵁ : وعليكم التسليماتُ المتوافرة والتحيات المتطافرة ؛ أزيد مما أرسل إلينا بألوف ؛ أيها الأخ الصالح الدائر في دائرة الاستقامة الشيخ الخالدي حسن أفندي ؛ مربي السالكين ؛ وأسلمه تسليماً دائماً ، جعله الله تعالى وإيانا من أهل المشاهدة والحضور ، وأقامنا على حقِّ اليقين . بعد أداء ما وجب علينا من الحمد لله ، وصلواته على رسوله ﷺ ؛ أنبِّؤُكم أن الصحيفة الشريفة المرسلة إلى هذا الفقير بَلَّغها أخونا الأعزُّ الحاج محمد أفندي ، فطاب به الوقت وحصل السرور ، وزاد الفرح والفوز الوفور ، فلما قرأت ما فيها وطالعت مضمونها ؛ خطر لي أن أترك جواب هذا الأمر الخاطر إجلالاً لمسائل التحقيق ، وإقلالا لما أتيت من التدقيق ، لكن لما كان الجوابُ حقَّ السؤال ؛ لم يسعْ لي إلاَّ أن أكتب سؤالكم[1] وفق الحال ، على أن سائله من المسؤول أعلم وأجلُّ ، وحقيق لأن نسأل منه كلَّ علم وحكم ، فواعجباً من سائل يسأل . . .إلخ .

إنكم أيُّها المخدوم ؛ كتبتم إلينا في حقِّ تقليل الأتباع . . .إلخ قائلاً : كيف أقلل المريدين الطالبين ؛ وقد قال شيخكم وشيخ شيخكم قدس الله أسرارهم بقبول الطالبين والتلقين لهم ، لكون التلقين للتبرك ؛ لا للسلوك . . .إلخ .

وكتبت أيضاً أمرَ الاستخارة في حقِّ المريدين ، وبكون شيخكم قدس سره لا يوجب الاستخارة . . .إلخ .

---

(١) جوابكم .علّه . (هامش الأصل) .

أقول : الاستخارةُ ليست واجبة على كلِّ أحد ، ولا يوجبها أحدٌ ، بل ينبغي الاستخارة للشيخ والمريد اتباعاً للسنة السنية ، واقتداءً بآثار السادات أرباب القلوب والأحوال السَّنِيَّة .

قال الإمام الربَّاني قدّس الله سره الصمداني في المكتوب ٢٣٩ : إنَّ الاستخارة مسنونة في جميع الأمور ؛ ومباركة ، ولكن لا يلزم أن يظهر بعد الاستخارة شيء في المنام ؛ أو في الواقعة ؛ أو في اليقظة يدل على الفعل والترك ، بل ينبغي الرجوع بعد الاستخارة إلى القلب ، فإن كان الميلُ والإقبال إلى الميل المطلوب أزيدَ من الأول ؛ ففيه دلالة على الفعل ، وإن كان مثل ما كان سابقاً بلا زيادة ولا نقصان ! ! فلا منع في هذه الصورة أيضاً ، وتكرّر الاستخارة في هذه الصورة إلى أن تفهم الزيادة في الإقبال ، ونهاية تكرار الاستخارة إلى سبع مرات ، ومَن فهم النقصان في الإقبال بعد أداء الاستخارة ! ! فهو دليل على المنع ، ولا بأس في تكرار الاستخارة في هذه الصورة أيضاً ، بل التكرار أولى وأسلمُ في جميع المقادير ، وأحوطُ في الإقدام والإحجام .

وقال أيضاً الإمام الربَّاني : اعلم أن أمثال هذه تقع كثيراً . . . إلخ ، حتى قال الشيخ الأجلُّ الإمام الربَّاني حضرة الخواجه يوسف الهمداني قدس سره حيث قال : تلك الخيالات تربى بها أطفال الطريقة . . .إلخ . وقال :

اعلم أنه إذا جاء عندك طالب بإرادة الطريقة ؛ فينبغي لك أن تتأمَّل وتتأنَّى كثيراً في تعليم الطريقة إيَّاه ؛ خوفاً من أن يراد عليك الاستدراج في هذا الأمر ، ومن أين يكون المنظور فيه خراب بيتك ! خصوصاً إذا ظهر الفرح والسرور من مجيء المريد ، فينبغي سلوك طريق الالتجاء والتضرُّع في هذا الباب والاستخارة المتعددة ؛ إلى أن يحصل اليقين بكون تعليم الطريقة إيَّاه مرضيّا ، وأنه لا يراد به الاستدراج والإضلال ، لأن التصرُّف في عباد الله تعالى وتضييع الوقت في تربيتهم غيرُ مجوَّز بلا إذن

الحقِّ سبحانه وتعالى ، وفي قوله ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ دلالةٌ على هذا المعنى .

حُكي أنَّه لما توفي واحدٌ من الأعزة جاء الخطاب بأنه أنت الذي لبس الدرع في ديني على عبادي ؟ قال : بلى . قال : هلا وكلت خلقي إليّ ، وأقبلت بقلبك عليّ ! !

والإجازة التي صدرت لك ولغيرك مشروطة بالشروط ، ومنوطةٌ بحصول العلم بمرضاة الله تعالى ، فإنه ما جاء وقت الاجازة المطلقة ، فينبغي رعاية تلك الشروط إلى ورود ذلك الوقت . والسلام .

كثرة الأتباع

وقال سيدنا سفيان الثوري رحمه الله : أقلل من الإخوان ما استطعت ، فما لقيت شراً إلا بكثرتهم .

ويكفي لك ولنا أيها المخدوم ما قاله خالد قدس سره في بعض وصاياه بتبيين ما ورد في الحديث « ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه . . .إلخ » . وحينئذ لم يبقَ وجهٌ للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلاَّ الطمعُ وحبُّ الشهرة والجاه . انتهى . وفسادُها غنيٌ عن البيان ، ولا يخدعنَّكُم الشيطان بأن فائدة الخلافة وقدرة إلقاء الجذبات إيصال النفع إلى الخلق ، وبأنكم إذا كَثُرت أتباعكم وتيسَّرت لكم الختوم القرآنية كلَّ يوم . انتهى كلامه .

ثم إنَّ شيخكم ذا الجناحين وشيخ شيخكم قدس الله أسرارهما من حسن ظنونهم وسَعَة صدورهم تكلَّموا بإرخاء العنان بقبول كل أحد ، فطيب الله أسرارهم ، وعلى ذلك الأسلوب كان أمر مرشدنا جامع الكمالات الشيخ زين الله نوري الشريفي ، وإنه يقبل كلَّ من حَضَر ، حتَّى رأيت يقبل من لا يصلي قبلُ ، وكان لا يستخير بعلمنا ، وقد تكلَّمتُ معه في خصوص ذلك حتى قال : علامَ تردُّ الحاضرين الطالبين عن سؤالهم !

فلم أقدر أن أجيبه إلا أنْ قلتُ بسوءِ ظنّي في الخلق ، فقال : أكثروا من إخوانكم في الدين ، فإنَّ فيها رجاءً كثيراً ، وقولُه تعالى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ مؤيدٌ لهذا المعنى أيضاً . . .إلخ ، ولكن كما قال الإمام الرباني : ينبغي أن يكون مطمحَ النظر وموقعَه أحوالُ نفسك وأعمالك ، والملحوظُ سكونك وحركتك ؛ لئلا تكون ترقِّياتُ المريدين باعثةً عن توقُّف الشيوخ ، وحرارة المسترشدين مورثةً للبرودة في طلب المرشدين ، ولهذا ينبغي أن تكون خائفاً ووجلاً من هذا المعنى ، وإن ترى أحوال المريدين ومقاماتهم كالنمر والأسد ؛ فضلاً عن المفاخرة والمباهاة بها ، لئلا يفتح من هذا الطريق أبواب العُجْب ، بل ينبغي أن تكون ترقياتُ المريدين بحكم « الحياءِ شعبةٌ من الإيمان » ؛ باعثةً على الحياء والخجلة والانفعال ، وحرارةُ طلب الطالبين موجبةً للغيرة وزيادة الاشتغال ، وينبغي أيضاً أن يكون رؤيةُ قصور الأعمال واتهام النيات لازمَ الوقت ، وأن يكون لسانُ الحال مرطوباً من كلمة (هل من مزيد) ؟ انتهى ما قاله الرباني .

وإن مولانا جامع القطبتين أبا عبد الرحمن محمد ذاكر قدس سره كان على مثابة مولانا خالد قدس سره ، وكان أشدَّ الناس احتياطاً في حقِّ المريدين ؛ لا يأخُذُه في الله لومةُ لائم ، وكان لا يقبل الطالبين إلاَّ بعد الاستخارة والامتحان ، وكان يَرُدُّ أكثر الحاضرين بالقول اللين بإراءة المصلحة في رجوعه . . .إلخ ، والاشتغال بحرفة أخرى .

وقال علي المرصفي رحمهُ الله عليه : يجب على الشيخ أن لا يصحب مريداً إلاَّ إنْ علم من نفسه القدرة على ملازمته في شدائد الدنيا والآخرة ليكفِيه .

وقال القطب الجامع سيدي عبد العزيز الدباغي قدس سره : إذا حضر طالب إلى الشيخ يطلب السلوك فلازمٌ على الشيخ أن يصحبه مدَّة بالتداوي لأمراضه ، وينظر حاله ؛ هل هو أهلُ السلوك أم لا ! فإن وجده أهلاً بالاستخارة ؛ أو التوجُّه ، أو بمشاهدة السرِّ ! ! فيلقِّنُ الذكر له ؛ نظراً

إلى حاله ، وإلاَّ ! فينصحه ويرجعه بالمصلحة وإرادة صنعة لائقة لجنابه ، وإلاّ ! فإن قَبِلَ للسلوك مَنْ ليس أهلاً ؛ وكان يصاحب المريد باستخدامه عنده مع إطلاق حَبْله على غاربه ! فهو خدّاع مكّار غشّاش . انتهى مفهوم كلامه . وأمثال هذه كثيرةٌ لا تحصى .

ثم اعلم أيها المخدوم ؛ أن شيخَكم مع كماله وصحَّة انتسابه أَمَركم بقبول الطالبين كيف كان ، كما له الأمر من شيخه ، ولعل ذلك بعلم علموا ، فبناءً عليه ينبغي لكم الاقتداء بأمرهم ، ولعل المصلحة في ذلك ، لأنَّ كونَ كلِّ واحد من أهل السلوك ليسَ منك ، بل لله الأمر من قبل ومن بعدُ ، وما عليك إلاّ البلاغ ، ويحتمل أن يكون أمرهم اجتهاداً في الدين كيف كان ، كما قال تعالى ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ﴾ . . .إلخ مع علمه سبحانه وتعالى ما فيهم . . .إلخ .

ثم إنَّك كتبتَ (فلستُ من أهل التصرُّف مثله ، ولا أدري أن أُفَرِّق المحسن من المسيءِ الكاذب ، ولذا أُلقِّن الذكر كما كان شيخنا كذلك امتثالاً لأمره . . .إلخ ، فواحد يحسن حاله بعد ذلك ، وآخر يرجع إلى عصيانه) ! !

فاعلم يا أخي - رزقنا الله ولكم الاستقامة على جادة الشريعة الحقَّة - أنَّ سلطان الوقت الشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره قال : مَنْ لم يدرِ بنظرةٍ من المريد ابتداءه وانتهاءه ؛ فليس له سبيل للمشيخة . . .إلخ . وأمثاله كثيرة ، ولكلِّ وقت أهلٌ يليقُ له ، هؤلاء السادات القادات أرباب القلوب والمشاهدات ، وهم جواسيس القلوب ، ومَن فتحت بصائرهم من الغيوب ، كان لهم مَلَكةٌ لتمييز الصلحاءِ من الطُّلَحاء ، وتفريق الأصفياء من الأخبثاء ، ومن أين لنا ذلك التصرُّف في هذا الزمان الذي اختفى الأولياءُ الكُمَّل عن الأبصار ، وغابت الأخيار بشؤم الأشرار ! فإنما نحن على سبيل التطفُّل ؛ أو الوكالة ، نلقن الحاضرين امتثالاً بأمر مشائخنا فقط ، ونرجو الله تعالى أن يوفِّقَنا للسداد ، ويجعلنا أهلاً للإرشاد ، إنَّه وليُّ التوفيق ومولى القُوَى .

ولقد ارتدَّ من آمنوا رسول الله ﷺ بعد أن قَبِلهم ، وكذا من أتباع السادات من رجع إلى العصيان قهقرى ، فليس عليك أيُّها الأخ أن يكون جميعُ المريدين صلحاءَ أتقياء ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فعليك الاجتهاد كلّ الاجتهاد في إصلاح أحوالكم وإصلاح المريدين ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ . . .إلخ .

وكان الشيخ محمد الباقي قدس سره إذا صدرت زلَّةٌ من أصحابه يقول : إنَّ هذه من زلاتنا ظهرت منهم بطريق الانعكاس . . .إلخ . فانظر أيها الكريم إلى آثار هؤلاء السادات ! ! جعلنا الله تعالى من القائمين على آدابهم . آمين .

ثم كتبت في هامش كتابكم (وهل أقبلُ الحاضرين لدينا وألقِّنُهم ؛ أم لا . . .إلخ ، وبأمر الشيخ بحمل أحوال الناس كما هو يحملهم . . .إلخ) .

كتب الإمام الرباني في « مكتوباته » [في المكتوب] السابع والسبعين : وسألتُم إنَّه قد يجيءُ بعض الرجال والنساء ويلتمسون الطريقة ، ولكن لا يحترزون من الأكل واللُّبس الحاصلين من الربا ؛ هل نعلِّمُهم الطريقةَ ، أو لا ؟ ! ويقولون : نحن نصلحُ بالحيل الشرعية ؟ !

فأجاب : ينبغي أن يعلِّمهم الطريقة ، وأن يرغِّبَهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة الصحبة والطريقة . . . إلخ ، وفي هذا غُنْية لكم ، والله الموفِّقُ للصواب ، وإليه المرجعُ والمآب .

ثم اعلم أيها المخدوم ؛ أنِّي مع ما عليَّ من الضعف وعدم الفراغ ، لما أردتُ كتبة مرادِكم فقط انجرَّ الكلامُ حتى طال بما لا جدوى من أكثرها ، ولم أقدر أن ألخِّصَكم المطلوب بأوجز عبارة وأحسنِها ، ولعلكم ترضون على المذكور وتُصلحون الخطأَ بالصواب .

هذا والسلام في شعبان ١٣٢٥-١٩٠٧

المكتوب السادس والأربعون

في بيان كون الإجازة من أجلِّ الأسباب ، وفي حقِّ الإجازة لهذا الفقير في الطريقة الشاذلية كما أجاز في باقي الطرق وفي حقِّ إعطاء الإذن لقراءة وظائف الشاذلية صباحاً ومساءً

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاَّ بالله ، عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم .

حمداً لمن وصل مَنْ استند إلى جنابه ، ولازم الوقوفَ على أبوابه ، بعد الاعتراف بالعجز عن أداء حمد لم تحصه ألسنةُ البلغاء ، وحارت فيه الأنبياء والأولياءُ ، حتَّى أقرَّ أكملُ أفرادِهم بعدم إحصاء الثناء ، اللهم ؛ لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، والصلاة والسلام على أفضلِ حظيرة قدسك ، وعلى آله وأصحابه ؛ ما وصل واصلٌ إلى معرفتك وأُنْسِك .

وبعد ؛ فلما كانت الإجازة في طريق الله تعالى من أجلِّ الأسباب للترقِّي إلى كمال المقامات لمن يريد زيادة النور ؛ سلوكاً لتلك المسالك في الرياضات ، وكانت نتيجةُ الإجازة لا تحصل إلا إن دخل في جملة مَنْ سَرَت أسرارهم إلى حضر الحضرات ، وخاض في عالم الملكوت ، واطَّلع على لمح من لوامح اللاهوت ، واشتغل بذكر الله الملك المتعال ، وصار من أرباب الأحوال ، وسلك في سلك الذاكرين ، وعمل بمقتضى قول رب العالمين ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ ، ولما كان من أصحابي مَنْ سلك هذا الطريق القويم ، ونهج منهجه الواضح المستقيم ، وشمَّر في طلب حقِّ اليقين عن ساعد الجدّ والاجتهاد ، ولازم الأخذ والتلقين عن أبطال الرجال ذوي البصيرة والامداد ، ألا وهو العالم الموفَّق الفاضل ، والناجح الأديب الكامل ؛ أبو محمد عارف ؛ حسن بن محمد القحي الهدلي الداغستاني

النقشبندي المجددي أدام الله له الإمداد ، وأسبغ به النفع العام لأهل السداد ، ونوَّر الله تعالى قلبي وقلبه بنور الإيمان ، وأفاض علينا من بحار المعارف والإيقان ، حَمَل حسنُ نيَّته وصفاءُ طويته على أن يستنير هداهُ بما عند هذا العبد الحقير الذي ليس في العير ولا النفير ، فاستدللتُ بذلك على كماله باعتنائه بضمِّ ما عند غيره إليه ، واحتفاله لينتظم في سلك السادات الأفاضل ، ويتَّصل سندُه ونسبُه المعنويُّ من جميع الجهات إلى سيد الأواخر والأوائل ؛ فأسعفته بما عندي رجاءً للنفع العام بالدعوة لي بالتوفيق وحسن الختام ، وأجزته بفضل الله سبحانه وتعالى بالطريقة العلية الشاذلية قدس الله أسرارهم ، ونفعنا ببركات أهلها ، بعد أن علمت أمانته وصلاحيَّته كما في باقي الطرق التي ائتمنه السادات ، وأجزاه القادات ، فردُّه ردِّي ، ويدُه يدي ، وأذنت له في قراءة الوظيفة الشاذلية صباحاً ومساءً التي أوَّلُها الصلاة المشيشية الممزوجة ، وفي قراءة الورد كلَّ يوم بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ، إذ هو لا إله إلا الله (١٠٠ عدد) ، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه بدون العظيم (١٠٠ عدد) ، والصلاة (١٠٠ عدد) ، والمدامةُ على ذكر الله ؛ حتى يكون كالغذاء ، وعلى الطهارة الحسيَّة والمعنوية ، والعفو عن الأمة المحمدية ، وأساس ذلك كلِّه تقوى الله تعالى ؛ ومراقبته في السر والعلانية ؛ كما تلقَّيتُ ذلك كذلك من السادات أرباب الأحوال والدرجات ؛ كشيخنا التقي الأديب المتجرِّد في الله ؛ العالم الحافظ المحدث ؛

١ أبو الخواص الحاج محمد صالح الأجوي الكرمانخاني حين ذهابه في المرة الرابعة في المدينة المنورة ؛

٢ قد أخذ عن العارف بالله المحدث في الروضة النبوية السيد محمد علي ظاهري الوتري الحسيني ؛

٣ قد أخذ عن العارف بالله تعالى المعمَّر لما فوق المائة سيدي الحاج محمد فنجير الفاسي المغربي حين سياحته الأول من جمادى

الثانية سنة سبع وثمانين ومائتين وألف بفاس رحمه الله تعالى ؛

٤ وهو قد أخذ عن العارف بالله تعالى الولي الكامل سيدي العربي الذرقاوي الزرهوني ؛

٥ قد أخذ عن العارف بالله بحر الكيمياء سيدي أبي الحسن علي بن عبد الرحمن العمراني من شرفاء بني عمران الملقب بـ(الجمل) ؛

٦ قد أخذ عن سيدي العربي بن عبد الله ؛

٧ قد أخذ عن والده العارف بالله تعالى أبي العباس أحمد ؛

٨ قد أخذ عن العارف بالله تعالى سيدي قاسم الأخصاص ؛

٩ قد أخذ عن العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد الله مقي ؛

١٠ قد أخذ عن العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن محمد الفاسي الفهري ؛

١١ قد أخذ عن أخيه العارف بالله تعالى أبي المحاسن سيِّدي يوسف بن محمد الفاسي الفهري ؛

١٢ قد أخذ عن العارف بالله تعالى أبي سالم إبراهيم بن الزواوي التونسي ؛

١٣ قد أخذ عن العارف بالله تعالى أبي العباس سيدي أحمد زروق المتوفى سنة تسع – بمثناة – وتسعين وثمان مائة ؛

١٤ عن العارف بالله تعالى أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرى ؛

١٥ قد أخذ عن العارف بالله تعالى سيدي يحيى بن أحمد الوفائي ؛

١٦ قد أخذ عن عمِّه سيدي علي بن وفا ؛

١٧ قد أخذ عن سيدي داود الباخلي سكندري ؛

١٨ قد أخذ عن تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري ؛

١٩ قد أخذ عن أبي العباس المرسي ؛

٢٠ قد أخذ عن العارف الكبير إمام الطريقة وأمين الحقيقة سيدي أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشريفي الحسيني الشهير بـ(الشاذلي) المتوفى في سنة ست وخمسين وست مائة ؛ المولود سنة إحدى وسبعين – بموحدة – وخمس مائة نفعنا الله تعالى به ، وبباقي مشائخ الطريقة أجمعين .

وسند العارف الشاذلي واتصاله بسيِّدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه معلوم مشهورٌ ، فلا نطيل بذكره .

وقد أجزت الكامل المومى إليه بأن يجيز بذلك كلَّ مَن رأى فيه أهليَّة الفيض الإلهي إجازةً تامَّة ، مطلقة عامَّة ؛ مع وصيتي بأن لا ينساني من صالح دعواته عقب الورد ؛ وفقني الله وإيَّاه لما يحبه ويرضاه .

وأجزته أيضاً أن يكتب لكلِّ داء ومرض سورةَ الفاتحة مقطَّعةَ الأحرف ؛ بلا طمس للحروف محواً وتعليقاً ، وأن يقول بحضرة المريض يا سلام (١٢٠ عدد) نافثاً عليه من ريقه بعد القراءة للعدد المذكور ، وأوصي نفسي وإياه وسائر الإخوان بنفي الوجود ، والوفاء بالعهود ، والقناعة بالموجود ، والتوكل على الربِّ المعبود ، وتصحيح العقائد على وَفق آراء أهل السنة والجماعة ، وأن لا ينساني ومشائخي من صالح الدعوات في الأوقات المستجابة ؛ خصوصاً بحسن الخاتمة ، وبترك الدعاوى الكاذبة ، ودوام رؤية القصور في الأعمال ، وبإخلاص النية ؛ فهي روح العبادة ، وبدوام الذكر ودوام هذا التسبيح المأمور (سبحان الله وبحمده ؛ عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزِنَة عرشه ، ومداد كلماته ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . . . وبإلخ وبإلخ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله تعالى على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم) والحمد لله رب العالمين . قاله بفمه ورقمه بقلمه العبدُ الفقير المعترف بالعجز والتقصير ؛

تراب نعال الفقراء الصالحين ، أبو أرسلان مير خالد سيف الله النقشبندي الخالدي الشاذلي القادري المحمدي الأويسي بن حسين ، سليل الغازي المجاهد شيخ بشلار النزبكري الغازي الغموقي الداغستاني ؛ في ليلة الجمعة من رجب المرجب ١٣٣٣ من هجرة النبوة على صاحبها الصلاة والسلام ، وهذا الموضع خاتمين[١]

وشيخنا العارف بالله تعالى السيد محمد علي الظاهر الوتري الحسيني قد أخذ هذه الطريقة الشاذلية أيضاً عن أحد السبعة الرجال ؛ الزاهد المتجرِّد بالله الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي الرضوي ، وكذا خليفته شيخنا أبو محمد الصالحي أخذ عن الشيخ حبيب الرحمن المذكور بنفسه ، كما أخذه بواسطة شيخه المذكور الوتري ؛ قد أخذ عن الشيخ حبيب الرحمن الحسيني الرضوي قدس سره ؛ مات في المدينة المنورة بُعَيد تسليم صكِّ الإجازة ليد أبو محمد المذكور ، وقد كان قدس سره العزيز عَهِد معه بذلك ؛ وأخبره بعدم رؤيته ثانياً

هذا في ٢٨ رجب المرجب.

---

(١) بلغ لدينا بخاتمين وأنا على آثارهم مقتدون(من خطّه) .

المكتوب السابع والأربعون

في بيان فرحه وسروره قدس سره بخروجنا إلى عدَّة قرى ، وفي بيان كون الدنيا مُلئت بالكذوبات والمزخرفات التي نشأت من حبِّ الرياسة ، ولأجل الأغراض الشخصية .

قال ﵁ : إلى حضرة قطعة الكبد الحزين ؛ حسن أفندي ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . . .إلخ . أسأل الله تعالى صحتكم ، ثم إنَّه بتزاحم الأمراض والأمورِ الخلقية ممَّا عاقني عن كتابة جواب رسالتكم ورسالة حبيبنا الحاج حبيب الله ، ولعلكم لا تعيبون على الفقير ، فالفقير استولى عليه الوَهَن والفتور ؛ خاصَّة من جهة المتعصبين الذين يحاسدوننا بما ليس لهم في ذلك دخل ولا مطلب ؛ سوى مجرَّد الحقد الناشئ عن اللحم النابت من سحت ، والله تعالى يكافيهم ويجزيهم وفقَ ظنونهم ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإن أمورَ الخلق لفي تَهْلُكة في هذه الساعة ، وقد تسبَّب لذلك كلا الرجلين المعلومين ، أرجو الله الذي يعلم السرَّ والنجوى أن يرجع وبال عاقبته عليهما ، وقد سمعتُ أنَّكما خرجتما إلى عدة قرى ففرحتُ بذلك فرحاً ؛ جزاكم الله عنا خيراً ، ولعلكم لا تهاونون في سعيكم وتجتهدوا لله بالله لتوسيع حلقتكم النقشبندية والشاذلية ، ولعل الله تعالى أن يوفِّقَكم لذلك ، وما النصر إلاَّ من عند الله ، وتلك صَدَقة عظيمة إلى يوم القيامة .

وأما أحوالي ! ! فكما كتبتُ إليكم من قبل وكنتُ استعفيت من القضاء ؛ أي أظهرت إرادة الاستعفاء لأربابها من الحكام ، فألحُّوا بالصبر قليلاً ، فأجبتهم بالتوقيت ، ولا أعلم ماذا أفعل ، وليس أحدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ ويخشون الناس عن إظهار الحق ، ولا أرى ذلك إلاّ من قلَّة هِمَمِهم ومروتهم ، والموت لا يأتي إلا بالأجل ، ولأجل المكالمة بالغلظة لأجل الضرورة كَثُرت الحُسَّاد ، والله تعالى ينصرنا ما دمنا في طاعته ، فإن عصينا ؛ فإلى الله المرجع والمآب .

ثم إني رسمتُ هذا لمجرَّد السلام . . .إلخ ، فقد ملئت الدنيا بالكذوبات والمزخرفات اللاتي نشأت من حبِّ الرياسة ، ولأجل الأغراض الشخصية والمداهنات مع الناس ؛ بإظهار بعض الداعين إلى البدعات أقوالاً لذيذة مملوءة الباطن بالسُّمِّ والحقد والمكر والخديعة ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ و﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ ، ألا إن حزب الله هم الغالبون ، وقد كتبت هذا وأنا على ساق الخدمات ، فلعلكم تعفون عفى الله عنكم وعنا آمين ! !

الحقير المغبون

سيف الله الحسيني قدس سره

المكتوب الثامن والأربعون

في بيان تلقين أوراد الشاذلية لأهالي بعض القرى ، وفي بيان الاجتماع لحلقة قراءة الصلاة المشيشية بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ، وفي بيان كيفية قراءة ختم الشاذليين وما يقرأ فيه ، وفيه تذنيب حسن جداً .

قال رضي الله عنه . بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، والصلاة والسلام على صاحب العباء .

إلى الولد الأمين طالب حق المبين ، العبد الصالح الولي حضرة المرشد ؛ حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، السلام والبركة والرضوان ورزقكم التوفيق وحق اليقين .

وبعد ؛ فأربى المرام الذي دام بي في طلبه ضرام صحَّتكم من كلِّ الأسقام ، وسلامتكم من الآلام وشرِّ الأنام ، وقد وصلت رسالتكم

فللَّه الحمد أولاً وآخراً ، وسرَّني سلامُكم فجزاكم الله تعالى عني خيراً ، وسقاكم ربكم شراباً طهوراً ، وإنِّي بسَعَة فضله وجوده وكرمه في عافية ، ويؤول جسمي إلى الاعتلال يوماً فيوماً ، وأرجو الله تعالى أن يجعلني به شكوراً وللملمَّات صبوراً .

ثم اعلم أيها الولد ؛ أن الرسالة التي وصلت لديَّ وضعت في بين الكتب ، وهذا هو اليوم الثالث أتفحَّصُ وأتصحَّف بين الكتب ؛ فلم أفز بوجودها ، فتأخر بذلك كتبة الجواب ، ولم أتذكَّر أين وضعتها ! ! فحين سَعِدت بوجودها أكتب إن شاء الله تعالى جوابها ، وليس ذلك إلاَّ بكثرة تزاحم أمور الخلق وتواتر رسائلهم ؛ وفقنا الله تعالى لما فيه رضاه سبحانه وتعالى ، فما كتبتَ فيها أيُّها الأمين في حقِّ الذكر في اللطائف ؛ فهي بعهدي ، كما كتبت إليك في الرسائل المرسلة ، فأنت تفعل في حقِّها بما رأيتَ أقرب للجمع ، وللمشائخ مشارب ، ولا أقدر الساعة أن أكتب شيئاً في حقِّ ذلك . وقد علمتَ انتقالَ شيخنا اليوم . . .إلخ .

وأما قولكم بتلقين أوراد الشاذلية لأهالي بعض القرى حين رجوعك . . .إلخ ! ! فقد أحسنتَ وأصبت إن شاء الله تعالى ، وأرجو أنَّ أهل هذه الطريقة يكثر يوماً فيوماً ، وتروج أزيدَ من باقي الطرق ، وفَّقكم الله تعالى ولنا للقيام على آداب أربابها ، وجعلنا منهم . آمين .

ثُمَّ إنَّا كنا نجتمع في عهدي لحلقة قراءة الصلاة المشيشية بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ، وعند تمامها كان المريدون يعملون مجلساً بـ(لا إله إلا الله) ، ثم يذكرون الاسم المفرد (الله) ، وكان النقيب يأمر المنشد بإنشاد كلام القوم في حال ذكر الاسم المفرد إنشاداً موافقاً لميزان الهيئات ، فيرون من ذلك الجمع وجداناً عظيماً وحالاً جسيماً ، مع رعايات الآداب وحضور القلب ، وروحانية الشيخ في حال المريدين تتصرف على قدر حُسْن التوجُّه . . .إلخ .

وقد كنتَ سألتني : هلاّ يمكن قراءة الورد بعد صلاة العصر ! ! وكنتُ كتبتُ إليكم بما عهدتُ وبعدم تغير ذلك ، والآن حين كنت أطالع في كتب الشيخ وجدت في رسالته التي وصلتْ لديَّ هذه العبارة ، ففرحت بذلك بوقوع كلامه لمقصدكم أوفق ، وعبارته اختصاراً هكذا : (صوكوه وردني عصر غازندين) . . .إلخ ، وترجمته : وقراءة الورد من العصر إلى وقت المغرب .

وأظنُّ أنَّ هذا القول لم أكتب إليكم ! ! ويمكن العمل بذلك إن رأيتم ذلك . . .إلخ ، والحمد لله على كل حال .

ثم إني كتبت لك هنا هذا الترجمة مع كون اصطلاح القوم من الكتب بكون الوقت للأوراد بعد الصبح وبعد صلاة المغرب ؛ كما عهدنا بذلك ، لكن كتبت إليك ما في كتاب الشيخ علماً مني أنَّ ذلك منه لا يكون عبثاً ، بل لحكمة ربانية أو بعلوم لَدُنِّية ، لما أن كلَّ أحد من سادات القوم يجتهدُ فيما رآه بعين الدراية لطريق الهداية ، فاختلفوا في الأذكار والأوراد كاختلاف أصحاب المذاهب أهل الاجتهاد ، فأهل الإرشاد رضي الله عنهم ينظرون قابليةَ المريد وكيفية استعداده ، فيعاملونه بحسب قابليته ، ويمدُّونه شيئاً فشيئاً ؛ حتى يكون صالحاً لبلوغ مراده ، وقد يختلف التعليم باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح ، لاتساع المجال في طريق الأعمال ، وأيُّ عمل قارنه إخلاص ؛ فهو الإكسير الخاصّ ، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ كما قال ﷺ : « لاَ تَزَالُ طَائفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ » ، لما أن القوم لم يقصروا في التحقيق ، بل هم على قدم راسخة في الطريق ، كما قاله العارف بالله الشيخ محمد بن الأستاذ في « أنواره » قدس سره ، على أن طريق القوم رضي الله عنهم المقصودُ بالذات ، فإنها محفوظة من الآفات ؛ سالمة من الشبهات . . .إلخ .

وكتبتُ إليكم قبيل ذلك في حقِّ الذكر في اللطائف وما بعدها ، فأنت ترى فيها ما ترى ! ! وقد قال القطب أبو العباس المرسي وارثُ سِرِّ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما : مبنى طريقتنا على الجمع على الله وعدم التفرقة ، فيكون الشيخ للمريدين كمربِّي الطيور يتصرَّف في تربية كلِّ طير على وفق نشأته واستعداده ، فمن تفكَّر فيهم تيقَّن سلامتهم من الضلال ، وإنهم في أعلى درجة من الكمال .

ثم اعلم أيها الولد الأمين والجوهر الثمين ؛ أنَّه ما بقيت لك مني حاجة ، فقد سبقتنا في حفظ الآداب ، وصرت من جملة الأنجاب ، وتصير - إن شاء الله تعالى - بمقام النهاية والكمال ، ويبلِّغُك الله مقام الكُمَّل من الرجال ، فأنت وسيلتي إلى الله ، وواسطة بيني وبين رسول الله ﷺ ، فقد فوَّضتُ إليك جميع ما استفدت من ساداتنا في الطرق ، وجعلتك في حفظ هذه الأمانة خليفَ الحق ، وأستودعك الله تعالى وهو يتولاَّك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تذنيب : ثم اعلم أيها الأعزُّ أنَّك لا يسوءنَّك قولي هذا ؛ إنما أريد أن يظهر لكم من كلِّ ما يخالف السنة وفق طاقتي ، فإنك لا تطوِّل لام (الله أكبر) إلا بالمد الطبيعي وهو مقدار أَلِفَين في تكبيرة الإحرام ، وتأمر المريدين بضم تكبيرة الإحرام مع تكبيرة الإمام ؛ بلا تأخير عن الإمام ، كما أنّ كثيراً من الناس ؛ بل من العلماء لم يتنبَّهوا لذلك ، لئلا يفوتوا فضيلة الجماعة ، على ما ورد : « مَنْ وَافَقَ تَكْبِيرَتُهُ . . .إلخ » الحديث ، وكذا تقرأ السورة في الصلاة وفق ما ورد من رسول الله ﷺ ، ففي الظهر والعصر « المعوِّذتَين » ، وفي المغرب قصار المفصلات كسورة « قل يا أيها الكافرون » و« الإخلاص » ، وفي العشاء من طوال المفصلات ، وكذا في الصبح إلا في يوم الجمعة ؛ ففيها في الصبح سورة « الأعلى » وسورة « الغاشية » ، كما ورد به الحديث ، وبعض ساداتنا قدس الله أسرارهم كانوا

يواظبون على قراءة « ألم نشرح لك » وسورة « الفيل » في صلاة الصبح ، بل كانوا يأمروننا بذلك ، وعهدي الساعة بها ، وتمامُ السورة أفضلُ ، وإن قصر من قراءة الأحزاب من السُّوَر الطوال ؛ كما علمت ذلك من كتب الفقه ، فتطالع في أمثال ذلك كتب الفقه والتصوُّف ؛ خاصَّة في « أذكار » النووي ، و« الإحياء » للغزالي رضي الله عنهم وعنا بحرمتهم ، وإنما علينا أن نمتثل ما عليه السلف الصالحون ، لما أنَّ مَن دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ ؛ فهو بدعّي ، ونستغفر الله سبحانه وتعالى من كلِّ بدعة ابتدعناها ؛ أو اقتفيناها ، وكذا إنَّك لا تزيد في الأذكار إلاَّ كما ورد إلينا من رسول الله ﷺ ، لما أن في ذلك خروجاً عن أدب رسول الله ﷺ ، لما أنَّ بعض المتفقهين يزيدون وينقصون ويبتدعون ألفاظاً لمّا يأتِ بها حديثٌ ولا نصٌّ ، كما يقولون : اللهم أذهب عني الهم والغم والحزن والفقر والبلاء والمشقة والمصيبة . . . وإلخ . . . وإلخ . . . وإلخ وكذا إنك تدعو في الأذكار والدعوات بلفظ المفرد ؛ حين كنت مفرداً ، وبلفظ الجمع ؛ حين كنت إماماً أو في جمع ، وبذلك ورد الحديث غيرَ مرَّة ، ويكفيك ما ذكر في كتب الفقه والحديث في حقِّ القنوت .

وسُئل القطب الحقيقي الشريف الحسيني السيد أحمد بن إدريس المغربي رضي الله عنه عن الدعاء في الصلاة : هل يأتي بصيغة الجمع ؛ إذا كان إماماً ، ولو كان وارداً عن النبي ﷺ بصيغة الإفراد ؛ مثل : « اَللَّهُمَّ أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا » . ونحو ذلك فيقول : اللهم ؛ أعط أنفسنا ؟ ! فقال : « إيت بصيغة الجمع ؛ وإن كان وراداً بصيغة الإفراد ، لأن في الحديث : « مَنْ أَمَّ قَوْماً فَأَفْرَدَ دُونَهُمْ نَفْسَهُ ؛ فَقَدْ خَانَهُمْ » . وعن ثوبان رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ ؛ لاَ يَؤُمُّ رَجُلٌ قَوْماً فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُم . . .إلخ » .

واعلم أيها الأعز ؛ أن هذا التذنيب لم يكن مطلوباً عندكم ؛ لكونها عندكم واضحة ، بيد أنِّي ذكرتُها هنا ولعلَّها لا تخلو من منفعة وحكمة إن شاء الله تعالى ، وقد كان الفقير على قصد بسط كتاب لديك ، بيد أنَّه مع ما فيه من الضعف يتعذرُ عن إيفاء حقوقكم وحقوق الفقراء بتزاحم أمور الخلائق ؛ وإن كنت عاجزاً عن تحمُّلِهم ، ولعلكم تكتفون بهذه ؛ ولا تعيبون . . .إلخ ! !

وأما النقيب ! فهو حاملُ سرِّ الشيخ ومديرُه وهو خليفته ، وقد يكون الشيخ هو في موضعه ؛ إن لم يكن له نقيب – أي خليفة – وذلك إرثٌ من رسول الله ﷺ ، فكما يكون لكلِّ نبيٍّ نقيبٌ ؛ يكون لكلِّ وليٍّ أيضاً ، لكون الأولياء على أقدام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم آمين .

وإني أقلُّ العباد سيف الله النزبكري

في ١٧ ايون ١٩١٧.

المكتوب التاسع والأربعون

في حقِّ الرابطة للشاذليين ، وفي بيان حِلية وصِفَةِ القطب الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

من خادم الفقراء خالد سيف الله إلى سرور نفسه الكمدة المرجوِّ للاستقامة ؛ أبي محمد عارف ؛ حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، وإلى . . .إلخ ؛ السلام والتحية والرحمة عليكم مع الإكرام إلى يوم القيام . . .إلخ .

وبعد؛ فقد وصل كتابكم وفهمنا خطابكم ، فرضي الله عنكم وجزاكم ربُّكم جزاءً وفيراً وجنَّة وحريراً . . .إلخ .

وإن سألتم عنا ! ! فالحمد لله على كلِّ حال ، وماذا بعد الحقِّ إلاَّ الضلال ، بيد أن قوَّة نفسي ضعيفة ، والوَهَن يزيدُ يوماً فيوماً . . .إلخ .

ثم اعلم أيها الولد ؛ أن ما كتبتَ إليَّ في حقِّ الرابطة للشاذليين قدس الله أسرارهم ؛ فحسنٌ ، اللهم نعم ؛ إن الشاذليين ليس لهم اعتناءٌ عظيم في الرابطة ؛ وإن كان مستحسناً بينهم ، ولا يعدُّ ذلك من ضروريات طريقتهم كالنقشبنديين ، لكن يستحسنون ذلك ، ويفعلون ، فضلاً عن إنكارهم عليها .

حلية أبي الحسن الشاذلي

فإن سألتم عن حلية وصفةِ القطب مولانا أبو الحسن الشاذلي ؟ ! فكان صفته : آدم اللون ، معتدل الجسم ، نحيف الجسم ، مائلاً إلى طول القامة ، خفيف العارضين ، طويل أصابع اليدين ؛ كأنه حجازيٌّ ، فصيح اللسان ، عذب الكلام ؛ كما تواترنا بذلك من ساداتنا وروحي فداهم .

حلية محمد علي الظاهر الوتري

وأما السيد محمد علي الظاهر الوتري ! ! فكان رحمه الله تعالى في أكثر أوصافه مثله ، كان نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، حليماً ، وقوراً ، أميناً ، صبوراً ، مع سواد الشعر ؛ لا بالكلية ، خفيف اللحية ، أديباً ، متخلِّقاً بأخلاق الله ، وكان عالماً فاضلاً ، موفقاً كاملاً ، محدِّثَ الروضة النبوية ، والآخذ بقصبات السبق في الحديث ، وكان يفضِّلُ من مشائخه الشيخ حبيب الرحمن قدس سره ، حتى كنا حسبناه أحدَ السبعة . والله أعلم .

العجز عن الرابطة

وإنَّ من لا يقدر على الرابطة من الشاذليين ؛ فليجلسوا مع إخوانهم النقشبنديين بالمراقبة العامة ؛ التي هي عبارةٌ عن رعاية الحضور ، وفقنا الله تعالى ولهم لما فيه رضاه ، وجنَّبَنا عن الشغل عما سواه ، واللهُ وليُّ التوفيق . . .إلخ .

ثم إنَّك كتبتَ في رسائلكم استحياءكم عن كتبة الرسالة لدينا ! !

فاعلم أيها الولد ؛ أن كتبة الرسالة لدينا منكم نَعُدُّه أدباً عظيماً وأُنساً جسيماً ، ونحسبه فوزاً . . .إلخ ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢٥ إيول ١٩١٧.

المكتوب الخمسون

في حقّ كفاية من جهة المعيشة ، وفي حقِّ تعبير المنامات ، وفي حقّ السؤال من جواز فعل الورد وقت السحر

قال ﷺ : وعليكم ألوف التسليمات ، وصنوف التحيات والدعوات ، إلى حضرة الولد قطعة الكبد ونقطة الخلد ؛ الشيخ حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، وإلى أهله . . .إلخ .

وبعد؛ فقد وصل كتابك ، وسرَّني خطابك ، فجزاك الله عني خيراً ولَقَّاك سروراً ، وقد كنتُ أوحشني قطعُ سلامكم . . .وإلخ ، ثمَّ إن قولكم بأنكم في كفاية من جهة المعيشة إلخ ! ! فقد سرَّني هذا الكلام وزدت الشكر لله ، حيث أن أمر المعيشة يصعبُ على الناس يوماً فيوماً ، والمجاعةُ العامَّة نازلةٌ على دهاليز الخلق ؛ عياذاً بالله من ذلك البلاء ، والناس في مخافة عظيمة من هذه الجهة أشدّ مما كانت عليهم من الغلاء والقحط من كل الجهات ، وأمَّا اعتذارُكم في حقِّ عدم الذهاب إلى بُحَيْرة عَنْدِه ! ! فتلك مصلحة عظيمة من الله تعالى ، وكانت منك ذلك مرادَ الفقير . . .إلخ .

وأما المنامات ! ! فنعبِّرُها للخير إن شاء الله تعالى ، وقلَّة رؤية النبي ﷺ وشكايتك من ذلك هو عين شكاية الفقير ، بيد أنَّ الرؤية في الابتداء تكونُ لأهل الطريقة الصدِّيقية أكثر مما في الانتهاء ، لما أنَّ انتهاءَها مندرجة في الابتداء ، كما هو معلوم لديكم ، بيد أنّي أرجو الله أن تكون لك الرؤية الكاملة الصادقةُ عن قريب ، والله ولي التوفيق .

وقولكم (إن بعضاً من الشاذلية سألني : ألا يجوز فعل الورد وقت السحر . . .إلخ) ! !

اللهم نعم ؛ إن الساداتِ الشاذليةَ أمروني بالورد في الصبح بعد الصلاة لتجرُّدهم لذلك ، واجتماعهم لأجلها ؛ بيد أن الفقير لا أنهى عن ذلك لما فيها لأهلهم من الوسعة نظراً للمصلحة الدينية ، فمن صفى له الوقت في الصبح والعصر ؛ فمستحسن ومأمور بها ، ومن كان معذوراً ! ! ففي السَّحَر وبعد المغرب ، لئلا يفوت ورده برعاية الأوقات ، فليفعل الفاعل ما يفعله بالمصلحة الدينية ، وقد يختلف الأحكام باختلاف الأزمان ، فأنت المختارُ الأمين بينهم لحفظ الطريقة في الدين على وفق المصلحة ، والله تعالى يوفِّقُكم للخير ، وهو حسبنا ونعم والوكيل .

وقولكم أيَّدكم الله تعالى بنظره ونصره وعنايته (إن بعض الناس يطلبون مني المجيء لتعليم الأوراد إلى القرى . . .إلخ) .

أقول : إني التمست منك ذلك غيرَ مرة ، وكم مرة كتبتُ إليكم بهذه العبارة ! ! كنت آمركم من قبل بتقليل الأتباع ، والآن أسألكم بتكثيرهم ، فاعلم أيها الولد ، أن الأمور مرهونةٌ لأوقاتها ، وفي كلِّ يوم هو تعالى في شأن ، وهذا الوقت وقت لا أقدر أن أصفها كما هي ، بيد أن الفقير يلتمس منك الاجتهاد بالكلية بالسعي والتلقين والتعليم وفق طاقتك ، وتشمر ذيلك في نشر طريقتك ؛ ولو بأي جدٍّ ، لما أنَّ ذلك منك جهادٌ عظيم خاصَّة في هذا الزمان الذي آل إلى الفساد والفتن ، فعليك أيُّها الولد بذلك المهمِّ العظيم ، وكن مغناطيس الوقت لجذب القلوب إليكم ، والله تعالى يوفِّقُكم ، نظراً إلى صالح نيَّاتكم . وأما قولكم . . .إلخ .

المكتوب الحادي والخمسون

في بيان أفعال محمود الفعال ، وأحواله وشمائله واجتماعه مع النبي ﷺ يقظة

قال رضي الله عنه : تذكرة من الفقير خالد سيف الله إلى ولده وقطعة كبده ؛ حسن أفندي ، أحسن الله حاله ؛ فحين أن كنتُ في يوم مستوليَ القبض طالعت في عدَّة كتب للمؤانسة ، فوجدت فيها هذا ـ ـ ـ ـ مكتوب من هو قبلةُ قلوبنا القطب محمود الفعال ، فكتبته لك للتَّذكرة والتبرُّك ، وذلك أنّي كنتُ في مجلس شيخنا ذي الجناحين أبي عبد الله زين الله ، وحوالينا جمع كثير من المريدين والمرادين ، وأن عادته كانت يجلسني في المجلس في يمينه بلا حائل بيني وبينه ، وكان كلامه معي في أكثر الأوقات ؛ دون الحاضرين ، فوقعت المكالمة في حقِّ المشائخ فسألته عن محمود الفعال وحاله ، فقام حينئذ من مجلسه وذهب فأتى بالرسالة هذه ، وقال : كيف يكون حالُ مَن صافحه رسول الله ﷺ يقظة ! ! وسلَّم ليدي تلك الرسالة ، نعم إن تلك الرسالة كانت عندي من قبل ذلك ، لكن لما أمرني بنسخ الرسالة كتبتُها ثانياً امتثالاً لأمره ؛ ورجاء التبرُّك ، وأرسلتُ لديك صورتَه لعلَّك تأنس بها ؛ ولو ببعض مؤانسة ! !

العبارة بحروفه هكذا : أمرني شيخنا العارف بالله تعالى ؛ زين الله بكتبة هذه ، ومكتوبٌ بخطه هذا القول هكذا :

بيان أحوال محمود الفعال شيخ محمد ذاكر رحمه الله

بسم الله خير الأسماء ، و . . و . . و . .

أيها الأخ المخدوم ؛ أعظُك بوعظة فاحفظها ، لعلَّ اللهَ تعالى يرشدك ، فإن مولانا غوثَ ذا الجناحين مجدِّد المائة الثالثة عشرة محمد خالد شاه سليماني ربَّاني بروحانيته ولم نبلغ إلى حياته ، أحياني

وأماتني ، ثم أحياني حتَّى رفعنا إلى حضرة سيدنا سيد الخلق محمد ﷺ في اليقظة ، ورأيته عليه السلام كما ذُكر في شمائله عليه الصلاة والسلام بعيني رأسي هذا ، ولكن شعر رأسه عليه الصلاة والسلام على مقدار طولِ شبر ، بل أزيد منه ، يتلألأُ سواده كالبرق على الأبصار ؛ برقاً نورانياً لا يقدر أحد أن ينظر إليه عليه الصلاة والسلام إلاَّ تخطف الأبصار كالبرق الخاطف ، مع أنه ﷺ في معرض النظر ، ولَقَّن عليه الصلاة والسلام إليَّ الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) من الثلاثة إلى الثلاثة ، ولكن إشارته ﷺ خارجةٌ عن طاقة البشر ، لأني كنتُ في أوَّل الأمر قاعداً ووجدتُ نفسي قائماً ؛ ولم أقدر على القيام ، وأسندت نفسي على الحائط حتى ظهر أثرُ الحائط على ظهري ، وتمَّ المجلس .

ثم لقيت بعدَه بواسطة مولانا محمد خالد رضي الله عنه إلى حضرة خَضِر عليه السلام في اليقظة . قال عليه السلام : أنا حدقة عينِك . وأَمَرنا بالمداومة على صلاة رسول الله ﷺ ، وبأمور أخر في التفويض والتسليم ، ثم نُقلتُ بعد ملاقاته عليه السلام إلى حضرة قطب الأقطاب بذكر اسم الحقِّ من حضرة الأسماء الحسنى ؛ بلا اختيار (ثلاث مرات) ، كأنه بيني وبينه رضي الله عنه مسافة ثلاث خطوة ، ويتمُّ بثلاثة من ذكر الاسم المعلوم . وجدته في برٍّ بيضاء كأُفق السماء ؛ ليس فيه أرض ولا سماء تحت العرش ، ولم أطلع من قدميه في اول الرؤية ، ولكنه على هيئة رحمانية مع ذلك الاتساع ، ووجدت إسرافيل عليه السلام على يمينه ملتصقاً على ساق العرش في صورة بني آدم ، ولكن لم أر مثلَه في الحسن إلى هنا ، معتدل القامة بلباس عربي ، وعليه عمامةٌ خضر ، وفيها جداول أحمر ، وثيابه عليه ألوان شتَّى ، كأنه يحمل العرش ؛ ولكن العرش يحمله ، مثاله مثل رجل التصق إلى الجبل ليحمله ، وإن قطب الأقطاب لم يتكلَّم بكلام غير ذكر الحق ثلاثاً ثلاثاً ، ولقيتُه رضي الله عنه مراراً ، فهذا سرُّ قولنا بقوله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ولا يخفى ليس هذه المذكورات من جملة موعظتي ، بل

تمهيد بها ، وإنما موعظتي هذا النظم :

كَلْبُ أَصْحَابِ الكَهْفِ كَمْ مِنَ الأَيَّامِ   خَـاضَ بِـالأَثْـرِ صَـارَ مَـحْـمُــوداً
خُـضْـتُ أَثْـرَهُـم بِـحُـسْـنِ رِجَاءٍ   حَـــاشَ للهِ أَنْ أَكُــونَ مَـــرْدُوداً

انتهى .

وليس انتسابي إلى سلك ساداتنا ساداتِ النقشبندية رضي الله عنهم وعن أتباعهم إلى يوم الدين ؛ مناسبة قطُّ إلاَّ رجائي وحُسْن ظنِّي بحسن رجائي هذه ، فإن المقصِّرين في سلك المحبين مقبولٌ ؛ فاعتبر ، والسلام .
محمود ابن الحاج محمد أفندي النقشبندي الخالدي الألمالي الداغستاني .

خاتم

يا محمود بمحمد ﷺ

خاتم

محموده خطاب رؤية . . .

وأنا باسط الذراعين بوصيد كهفهم خالد سيف الله ، ومن فرطاته سامحه الله .

المكتوب الثاني والخمسون

في حقِّ الاستئذان للشاذليين لقراءة الأوراد وفي بيان فرحه بذهاب الفقير إلى القرى لتلقين الطريقة لبعض السالكين

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد المصطفى . . .الخ ، إلى جناب الولد والعضد وفلقة الكبد وقطعة الخلد ، رفيق التوفيق ؛ وطالب الحق الحقيق ، الشيخ ؛ حسن حلمي النقشبندي الشاذلي . . .والخ .

وبعد ؛ أسأل الله تعالى لكم ولنا التوفيق وحسن الخاتمة ، والهداية والعافية والاستقامة ، ثمَّ إنه كانت وصلتْ لديَّ رسالةٌ في حقِّ الإستئذان للشاذليين - جعلهم الله تعالى في زمرة ساداتهم - لقراءة الأوراد . . . إلخ ، فكتبتُ إليكم جوابَ ذلك ، ولا أعلم الساعةَ بالكليَّة ما كتبتُ إليكم ، لكن كتبته إليكم على سبيل المصلحة الدينية على اصطلاحاتِ السادات الشاذلية والسليمانية ، وقد قال سيد عصابة أولياء عصره الذين شربوا جميعاً من غدير نهره ؛ القطب الوقتي صاحبُ الكشف الحقيقي ، العارف بالله سيِّدي مصطفى البكريِّ الصدِّيقي : ووِردُ السَّحَر يُقَرأُ بعد صلاة التهجُّد في ثلث الليل الأخير إلى طلوع الفجر ، ومنه إلى طلوع الشمس ، فإذا حَلَّت النافلة صلاَّها ؛ واشتغل بما يعنيه ، وتلك الأوراد غيرُ مقيَّدةٍ بأوقات زمانيَّة ؛ تسهيلاً للأمة . . .إلخ . وإن لم يأمرنا بذلك ساداتُنا ! ! أخذنا قولَه لكونه سند الشرذمة الطيبة ، وما نهانا عن ذلك ساداتنا أيضاً . . .إلخ . وكتبتُ هذا هنا لنسيان ما رسمتُ إليكم قبل في حقِّها لوقوع الكتبة في ضيق الوقت . عفا الله عنا وعنكم . آمين .

وأما ذهابك إلى القرى وتلقينُ الطريقة لبعض السالكين ! ! فهو مما يزيد فَرَحي ، على أنَّ مَن رام السلوك مسلكَ السادات لا يخلو من منفعة مَّا كيف كان ، لما أنهم قومٌ لا يشقى جليسُهم إن شاء الله تعالى ؛ وعليك بهم بعد الآن وفقَ الإمكان .

وأما طلبُكم اسماءَ ساداتنا القادرية . . .إلخ ، فإن شاء الله تعالى أرسُلها إليكم على وفق الفرصة . وفَّقكم اللهُ تعالى لحوز المكارم والمغانم . . .إلخ .

وأما قولُكم (قد يجيءُ عندي الذكور والإناث يطلبون من أوراد الشاذلية ، بيد أنَّهم لا يطيقون أن يعملوا الاستغفار المشهور . . .إلخ) .

إن الاستغفارَ الذي كتبتُ إليكم ما عهدتُه من ساداتنا ، ولهم في ذلك مشارب ، وما قرروا في كتبهم كـ« الأنوار القدسية » و« النور الساطع » ! ! فاستغفر الله (١٠٠) ، والصلاة (١٠٠) ، والتهليل (١٠٠) . . . إلخ ، ويكفي لهم هذا القدر ، وبعد صيرورة المريد قوَّياً للحمل يتحمَّل حملاً بالتدريج على مقتضى رأي شيخه ، فبه أسألُكم أن توسِّع دائرة الشاذلية ، وتيسِّر طريقهم للراغب ، ولا نعلم ممَّن يحصل لنا البركة ، ومن يكون لنا صدقة ! ! وفَّقكُم الله تعالى للتحلِّي والتخلِّي . . .إلخ .

المكتوب الثالث والخمسون

في حق الأرجوزة العجمية ، وكشط بعض المواضع منها وفي حق الاجتماع بالعالم نجم الدين ، وفي بيان سبب سكونه في شوره .

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إلى حضرة الولد الصالح الأمين ، والجوهر الثمين ، والفرد الفالح المبين ، المرجوِّ بفوزه بالحقِّ اليقين ؛ الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي المجدِّدي الخالدي والشاذلي ، وإلى جميع عياله وأولاده . . . إلخ ، السلامُ عليكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وأوصلكم متمنَّاكُم ، وأيَّدكُم بالنصر والفتح المبين والتوفيق واليقين .

وبعد ؛ أسأل الله سبحانه وتعالى لكم ولنا العفوَ والعافية ، والإنابة والاستقامة ؛ إنَّه وليُّ التقوى ومولى القوى ، وإن سألتم عنا ! ! فالحمدُ لله على . . إلخ ، ثمَّ إنَّه وصل كتابكم وشممنا منه طيبَ عَرْفكم وصحَّة اعتقادكم ، فجزاكم الله تعالى عني وعن الأمَّة خيرَ الجزاء . . . إلخ . ثمَّ إنَّك كتبتَ فيها ما كتبتَ في حق الأُرجوزة العجمية وكشطك بعض المواضع . . . إلخ ! ! فقد أحسنتَ وأصبت ، ولله درُّك فيما فعلت ، لقد أدَّيت حقَّ الأُبُوَّة ، وبالغت في حفظ الأدب والمروة[1] ، بارك الله في أعماركم وأعمالكم ، وجعلكم أوصياء لهذا الفقير داعيكم ، ولقد رضيتُ على ما فعلتَ ، وما زلتَ ترضيني بمحاسنك ، وأجرُك على الله ، وهو تعالى جواد كريم ؛ غني رحيم .

---

(١) تسهيل « المرؤة » ؛ ربطا للفاصلة .

ثم اعلم أيها الولد ؛ أني ما فرحت على جمعها بالكلية في هذه الأوقات التي تغَيَّمت علينا سحابُ الكدورات من كلِّ الجهات لكثرة الدجَّالين المتعصِّبين ؛ لئلا يكون مرمى السهام المعاندين ، لأجل أني قصَّرت واختصرت ، ولم أقدر أن أفرغها في قالب الكمال لكثرة الازدحام والاشتغال ، وثانياً ندمتُ على إرسالها لديكم بلا تكرير النظر فيها ، لأميِّز منها الخطأ من الصواب كما هو شأن الكتاب ، بيد أنِّي مع ذلك في أُمنية فيما فعلت بحسن رجائي لكم أنَّكم تصلحون وتزيلون خطأَها ، ونظرُكم أحسنُ من نظري مرَّاتٍ ، ورأيُكم أربى من رأيي كَرَّاتٍ ، لعدم صفاءِ وقتي لأمثال ذلك كما هو شأنُ أهل الزمان مثلي ، ولا أزالُ أحمدُ رأيَكم وأشكرُ سعيَكم ، وأدعو بالخير والبركة والتوفيق لكم ، وفَّقكم الله تعالى لإثبات الحقِّ وإدحاض الباطل ، وحفظكم من دعوى المتعاطل ، ولم يصفُ لي الوقتُ أيضاً لكتبة عدَّة أجزاء من الأول والآخر ، وأَرجو الله أن يوفِّقَني لذلك ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإن صفا لك الوقت فيمكن منك أن تريحني عن كتبتها بتعقيب شيءٍ عليها ما بدى لك ؛ إن لم يشقّ عليك ، والله الهادي ، ووليُّ المتقين .

وأما قولكم (إني اجتمعتُ مرَّة بالعالم الخبير نجم الدين ؛ فقال : إن الطريقة النقشبندية مما لا أصل لها ، ولم يُنقَل في حقِّها حديثاً . . .إلخ ولعل ابن حجر كان منهم . . .إلخ ، ورأيت في باطنه إنكاراً . . .إلخ) ! !

أقول : اعترافه بكون ابن حجر منهم يكفينا ذلك برهاناً ، وإن وفقنا الله تعالى لنسير على آثار ابن حجر فذلك مطلبنا ومنتهى اعتقادنا ، بيد أن كون الإنكار بداهي جلي ، بيد أن ذلك لا نرى مستحسناً ينكر من جهة على أرباب النقشبندية ، وهو مع ذلك يعطي الأوراد لمن يطلب ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ اللهم أيدنا على آدابها وآداب أربابها واجعلنا من محبيهم . آمين .

ثم اعلم أيها الأمين ؛ ليس لك للمكالمة والمجادلة مع ذلك النحرير سبيل ، ولا لك أن تتكلَّم ، لما أن المنقد والمنكر لا يرجع من التعصُّب والإنكار ؛ وإن تليت عليه الأسفار ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ على أن الطريقة النقشبندية لم تأت من مثله ، ولا تضيع بمثله ، على أن لها أهل يعلمونها حقَّ علم ويقين ، وتتزايد قدرها إن شاء الله تعالى يوماً فيوماً ؛ ولو كره المنكرون ، على أنَّه لم يمض زمان إلى الآن إلاَّ ولكلِّ محقٍّ مبطلٌ ، ولصادقٍ مجادلٌ ، وليس هو بأَوَّل مَن ينكرها ، ولا أنتَ بأوَّلِ من بالنواجذ عَضَّها ، فلا يعرف قدرَها إلاَّ مَن أتاه الله بقلب سليم ، ورزقة الله بالفوز العظيم ، ويكفيك قوله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ و« الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » ، وهل يدركون لهذا الإحسان إلاَّ بمعرفته تعالى ، وهل يعرفونه إلاَّ بطريق الإنابة إلا مَن خصَّه الله تعالى له ، ومن المعلوم أن لا يكون للإنسان الخلاص إلاَّ بملازمة طريق الخواصِّ من أهل الإخلاص ؛ إذ لا يتخلَّص العبد المسلم من الشركَين الخفيِّ والجليِّ ، ولا يتحقَّق الإيمان الكامل ظاهراً وباطناً في المقام العلي ؛ إلا بواسطتها وأمثالها ، ومقوله في حقِّها كلمةٌ هو قائلها ، وتصديقها عن العلم اللَّدنِّي ، ولا ينالها إلاَّ بالعلم الربَّاني الذي هو العلمُ النافع والدين الرافع ، على أنَّه هو الإيمان المجرَّد عن الوساوس العقلية ، والتصديق بالكتاب والسنة على المعنى الذي يعلمه اللهُ ورسوله ؛ من غير بحث ولا جدال في هذه القضية ، لما أنَّ ذلك طريقٌ واضح دَرَج فيه السَّلَف ، واقتداهم الأئمة الخلف ، وبحقيتها وعلوِّ قَدْرها ما لا يحصى من النقول والعبارات ، وفي تقوية آثار وأساس أربابها براهين أهل التحقيق بالآيات والإشارات ، فلا تلتفت أيُّها الأعزُّ إلى مقتضيات العقولِ في الاستحسان والاستقباح ، بل تمسَّك في ذلك بنصوص الكتاب والسنة ، فقد رفع عنكم فيها الجناح ، لما أنَّه لا حَظَّ لأهل الانتقاد والإنكار ؛ سوى

ما يمدهم من الخطأ واستصغار الأسرار ، وإذا لم يهتدوا به ؛ فسيقولون هذا إفك عظيم ، والله تعالى بكلِّ شيء عليم ، أسأل الله تعالى أن يفتح بصائرنا وبصائرَهم بالتوفيق ؛ ليفتح لهم الباب ، وأراهم الله تعالى ولنا الحقَّ الحقيق برفع الحجاب ، وعلى حسب ما يكون السؤال يأتيهم الجوابُ ، وإليه المرجعُ والمآب .

بيد أنِّي أنهاك عن المكالمة في حقِّ الطريقة ؛ إلا مع أربابها ، ولا تُدخِلوا أحداً فيها إلا مِن أبوابها ، فشأن المنكر المكالمةُ في المنكر ليكون ذلك شبكةً لنيل غرضه المحال ، وسبباً بظنِّه العاطل لمرضه العضال ، فكلٌّ فريق مطلب مآربهم ؛ وقد علم كلُّ أناس مشربَهم ، فمن المعلوم أن لا يقدر لأحدٍ أن يدخل إلى هذا البيت إلا من فَتح له باباً من هذه الأبواب ، ولا يفتح لأحد الباب إلا برعاية الأدب ، ولا ينالها إلاَّ بأهل الآداب ، وإني لأدعو الله سرّاً وجهراً ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ وأن يجعل أهل التعصُّب والانتقاد من أهل الإنابة والاستقامة والإرشاد ، وإنَّه جوادٌ كريم غفور رحيم .

وأما قولكم (بأن من إنكاره الباطني صرَّح بأنك سكنت في شورة ؛ مع أنه مكان مغصوبٌ قد غصبه الكفار من المسلمين ، وقد سمعتُ هذا الكلام من واحد من العلماء . . .إلخ) ! !

أقول : جزاه الله خيراً ما أحسن قوله حيث نبَّهني على عيبي ، ولعل لديه في حق ذلك يقيناً في ذلك لم ندركه .

اعلم أيها العزيز ، سمعت هذا من بعض الآحاد من أول الأمر ؛ فتتبعت أهل هذا القول ، وسألت عن أهل الخبرة من الشيوخ المعمَّرين ، فأجابوني بعكس ما نسبوني عليّ ، وقالوا على خلاف مقولهم ، وبفرض كونِ قولِه حقّاً تفحَّصتُ عن أرباب البقعة خاصَّة البقعة التي كنتُ فيها ، حيث كانت بأخبار العالمين بركةً منتنة لا يقرب عليها ولديها أحدٌ

حتى طهَّرها الروس بمشقَّة عظيمة ، وكانت البقاع التي حولها لأمرائهم الشمخاليين ، فوهبوا الموضع للروس وأعطوا لرعاياهم وغلمانهم الكائنين هنالك باختيار الأمير شمخال بقعة أزيَد منها وأحسن منها مرّات بالتماسهم ، ومع ذلك استحللت من أهالي القرى التي حواليها ولم أجدْ مَن يعرف من ذلك شيئاً ، وإني سكنتُ هنا شفقة ورحمة لفقراء المسلمين ، وفي إعانة ما يعرض عليهم من الأذيَّات ، وجلب ما ينفعُهم ؛ عَلِم ذلك مَنْ عَلِم وجَهِل مَن جَهل ، والله يعلم ما في القلوب ، وقد جلستُ وسكنتُ هنا لأجلِ ذلك بحقٍّ ، ولي دونها أملاك وأراض بفضل الله تعالى ، وأقدر أن أجلس في بيتي بلا مِنَّةٍ لأحدٍ عليَّ لولا ذلك ، لكن مَن يعيب على الفقير يسكن هنا في خدمة الروس بالبشر والبشارة ، والفرح والسرور والبشاشة ، وبعد الإخراج من الخدمة يسكن المدعين شهوراً ، فهل ذلك الغصب مخصوصٌ لي أو عام ؟ ! وأمثالُ ذلك في هذه الديار ، بل أشدُّ وأوضحُ من ذلك غصباً كقرية ثغور ، وزدقار ، وبَكُ ، لكن إن له حفيرة في بَكُ ، ويرسل النفط إلى الأقطار للظَّلَمة ، وسوى ذلك إن كان أملاك الشمخاليين من المغصوبات من الأهالي كما عليه علمُ الجميع – على ما يقولون – فبقاعه كلُّها كذلك ، وكفى بنا حاسبين . . . إلخ .

وقولكم (وقد ورد إليّ كتاباً من طرف درويش محمد الإنخوي قائلاً ما قال . . . إلخ) .

أقول : إن جميع ما في الطريقة النقشبندية مأخوذة من الكتاب والسنة ، وقد ذكرت آياتِ وأحاديثَ ذلك في كتبها ، وليس هذا موضع ذكرها ، فإنْ قَصَدْنا لإيراد البراهين لتصديقها نحتاج إلى مؤلَّف مخصوص ، وما قررت في الكتب فكافيةٌ ، ولا حاجة لك في ذلك ، وإن أتيت بملءِ مجلد من الحُجَج لَمَا يرجع المتعصِّب من الإنكار ، وقُمْ على قوله تعالى ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقولكم (وقد سألني في مكتوب درويش محمد بأشياء ، وكنت أريدُ إرسالها لديك لكن لم يتفق الفرصة . . .إلخ) ! !

لا حاجة لإرسالها ، فإن مَن يسأل عنَّا سؤالَ تعلُّم ؛ فعلى الرأس والعين أن أكتب ما بدى لنا كيف كان ، وأما لسؤال تعنُّتٍ ! ! فليس لنا في ذلك مقصدٌ ، ولا لنا للنظر إلى أمثالها فرصةٌ ، وإن درويش محمد إنَّما يكتبُ ذلك لإرضاء نجم الدين ، وليبلغ مُنَاه بظنِّه عنده ، وإلاَّ فليس هو صاحبَ طبع غليظ ، ولا يرضى نجم الدين على أمثال ذلك ؛ وإن تكلَّم بأمثال ذلك ؛ فعقيدته خالصة إن شاء الله للدين الحنيفي ، لكن يتكلَّم بما ليس في سِرِّه في بعض الأحيان ؛ إما للامتحان ، أو لاختطار المسؤول عنه ، ولا يقبل علمُه أمثالَ ذلك لحسنِ ظنِّنا في علمه ، والله أعلم ، ولكن إنكاره على سكوني في هذه البلدة فليس ببعيد عن الرأي والصلاحية ، بل هو موافقٌ للعلم الظاهر ، بيد أنَّ لِكلِّ أحد نياتٍ مخصوصةً لا يطَّلعُ عليها إلاَّ هو سبحانه وتعالى ، غفر الله له ولنا ولجميع المؤمنين والمسلمين ، ولا عليك التجادل بأمثال ذلك مع أحدٍ فضلاً مع أمثاله العلماء الذين ندعو الله بكثرتهم والبركة بهم ؛ فقد قلَّ أهل العلم وحُرْمَتُهم ، ولا نريد أن نتعصَّب معهم ، فإن جادلوك فجادلهم بالحسنة ، والله تعالى يجزيك بذلك بأحسنَ بذلك ، ولا تتبع الأقوال والآثار ؛ فيصيبك ما يهتك الأستار ، وكن رفاعيَّ الهمَّة تتحمَّلُ كلَّ أذِيَّة كتحمُّل الحسنة ، واحمل كلَّ ما تسمع من أمثالهم إلى الخير والمصلحة ؛ لتكون من أصحاب الميمنة ، وأستغفرُ الله من كلِّ ما صَدَر منِّي وما يصدر ، وأستعيذُ بالله من سوء الأمَّارة والشيطان الرجيم ، وأوصيكم بالدعاء لهم ولنا بالتوفيق وحسن الخاتمة ، والفقير لم يزل مرمىً للسهام وهدفاً للمَلاَم ، ولعل في ذلك حكمةَ الملك العلاَّم ، ولا نبالي بأمثالها ، فكلُّ إنسان يعمل على شاكلته ، ملزومُ طائره في عنقه ، ونعترف على ما قالوا عليّ وما يقولون ، وما أبرئ نفسي عما عليّ ينسبون ؛ سبحان ربك ربِّ العزَّة عما يصفون . . .إلخ .

ثم اعلم أن الطريقة النقشبندية أفضلُ الطرق إلى الله تعالى لكونها على الكتاب والسنة ، وليست من اصطلاحاتها ما خرجت من الكتاب والسنة ، لأجل أنَّ لكلِّ مسألةٍ حجَّةً منهما ؛ مع حكمة ربانية زائدة ، وما زالت السلف والخلف يخلِّصونها من غبار المتعصبين والمنتقدين ، وكيف لا ؛ وقد قالوا للقرآن المنزَّل من الله الذي عجز أَلْسُنُ البلغاء عن فهمه ؛ وفيهم رسول الله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ، فهل تواظبون عليها باعتقاد جديد إن مدحوها ، أو تتركونها رأساً إن ذمُّوها ؟ ! لا والله ؛ إن الطريقة النقشية تعلو قدرها ، وتزيد شهرتها ، وتنمو خلاصة اصطلاحاتها ، ولم تكن تلك الطريقة في هذه الأقران في ديارنا سوى مجرد الاسم ، ونرجو الله تعالى أن يؤيدها يوماً فيوماً بصلحاء الأمة ، وليس من إنكار ألوف عليها حرز مثقال ذرة ؛ فضلاً بقولهما ، جعلهم الله تعالى من محبِّينا ومحبِّي أهلها ، وقيَّضهم الله تعالى ولنا من أتقيائه الصالحين مَن يوقِظُنا إلى الهداية والاستقامة .

هذا في ٤ يناير ١٩١٦.
الفقير إلى الله تعالى
سيف الله الغمقي قدس سره.

المكتوب الرابع والخمسون

في حقِّ شراء جلدي الغنم للاتخاذ للسّجادة وإرسال أحدهما إلى هذا الفقير هديَّة للسجّادة ؛ اقتداءً بأثر خليفتي شيخِ شيخه أحمد ضياء الدين قدس الله أسرارهم .

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمَّد وآله أجمعين ، يقول الفقير إلى عناية الله القدير مير سيف الله ؛ بلطفه عامله الله ، السلامُ التامُّ المبارك المتَّصلُ برضوان الله إلى حضرة الولد المتخلِّق بأخلاق خواصِّ أهل الله ؛ الشيخ النقشبندي الخالدي الشاذلي ؛ حسن أفندي أدركه الله تعالى بلطفه الأبدي .

وبعد ؛ فإني أسأل الله تعالى سبحانه الصحَّة والسلامة ، والعافية الدائمة في الدين والدنيا والآخرة . وإن سألتم عنَّا ! فالحمد لله . . . إلخ ، ثُمَّ إنِّي كنتُ استحسنت لدى مولانا الشيخ حسن حلمي النقشبندي الكمشخانوي ، ومولانا الشيخ الحاج حسن حلمي التوقاني خليفتي شيخ شيخنا الشيخ أحمد ضياء الدين قدس الله روحه سجَّادتيهما من جلود الغنم ؛ فتمنيت حينئذ أن أقتديَ أسوتهما باتخاذ جلدٍ للسجادة ، ولما ظفرت باثنتين من جلود السِّخال التي هي مِن أجود نوع الغنم وألينها ؛ اشتريتهما بقيمة رخيصة لأربعين مناة ، فلما سُرِرْتُ بهما سميت بوحدة لك ، والأخرى لي ، وكنت طلبتُ الثالثة ، فلم أظفر بها إلى الآن ؛ فأرسلتها لك ، ولعلَّك تقبلُها وتجعلها هديَّةً خالصة ، وذريعة للدعاء للإخوان ، ليكون ذلك لك موجباً للرضوان .

وأما أحوالاتُ الزمان ! ! فكما هي إلى الآن ، بل وأظلم من ذلك ، وقد سمعنا واحداً يجمع الجنودَ المجنَّدة للرجوع علينا ، ولا أدري ماذا

يريد منا . . .إلخ لكن الفقير لا ييتئس ؛ ولو حبة خردل ، واعلم يقيناً أن الأمر لله من قبلُ ومن بعد ، وقد فوَّضتُ أمري إلى الله وهو بصير بالعباد .

تَـجَـمَّـعَ الـقَوْمُ للإِضْرَارِ وَاغْتَبَطُوا ... مَـا بَـيْـنَهُمْ وَبِسَاطَ السُّوءِ قَدْ بَسَطُوا
فَجَاءَهُمْ قَوْلُ مُحْيي الدِّيـنِ يَـنْضَبِطُ ... يَـا سَـطْـوَةَ اللهِ حُلِّي عَقْدَ مَا رَبَطُوا
وَشَتِّتِي شَمْلَ أَقْـوَامٍ بِـنَـا اخْـتَـلـوا ... إِبْـلِـيـسُ لِـلشَّرِّ دَاعِيهِمْ وَجَامِعُهُمْ
وَمَـا لَـهُـمْ عَنْ هَوَاهُمْ مَنْ يُمَانِعُهُمْ ... نَـادَيْـتُ لَـمَا بَدَى لِلْعَكْسِ طَالِعُهُمْ
اَللهُ أَكْـبَـرُ سَـيْـفُ اللهِ قَـاطِـعُـهُـمْ ... وَكُـلّـمَـا قَدْ عَلَوْا فِي ظُلْمِهِمْ هَبَطُوا

هذا ؛ والسلام أوّلاً وآخراً

في ٢٦ فورال ١٩١٨
أقلُ العباد سيف الله قدس سره.

المكتوب الخامس والخمسون

في حقّ سعيي في القرى لإرشاد الناس

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، من هذا العبد المفتقر إلى عناية الله القدير ؛ خالد سيف الله النژبكري إلى حضرة مفتاح سرِّ قلبه ؛ حسن أفندي ، عامله اللهُ بلطفه الأبدي ، السلام التامُّ الدائمُ عليكم ورحمته ورضوانه وبركاته إلى يوم الدين .

فقد سرَّني كتابُكم الوافي إليَّ وأسعدني كلامُكم وأَنِسْتُ بها ، وكان ذلك حقّاً على المؤمنين ، ورضيت بذلك رضاءً بلغَ الغاية ، وشكرتم شكرَ الله لتزيد النعمة ، وقد وقعنا أيها الولد في زمانٍ كنَّا نستعيذه ، وعسى الله أن يأتيَ بخير ، وذلك على الله يسيرٌ ، ثم إنَّ ما كتبتَ إليّ مما يأتي هنا ؛ فأقول في حقِّها : أمَّا سعيك في القرى لإرشاد الناس . . .إلخ ! ! فذاك مرادُ الفقير ومطلوبه نظراً إلى جَوْر الزمان وقهره ، على أن أحكام الدين وأمورَه تتغيَّر قَد قَد بتغير الأزمان والأمكنة ، وبذلك جرى عرف السادات في بعض الأزمان قبلنا ، كما ذهب على ذلك بعض ساداتنا قدس الله أسرارهم ، فقولك في بعض مواضع كلامك (رأيتُ أبعاضاً من المتصدِّرين للإرشاد فوجدتُهم فيما لا شيءَ ، بل لم أجد منهم ؛ ولو واحداً وضع قدمه في أول موضع . . .إلخ . . . وإلخ . . . وإلخ) .

أيها الولد ؛ لأجل ذلك ما فتحتُ باب الطريقة ، ولم أتكلَّم بالحقيقة ؛ خوفاً من سطوتهم إلى ترك آداب ساداتنا ، لكن ألزم عليك الاجتهاد في إهدائهم وإلقائهم إلى موقعهم من الطريقة ، لتفوز عند الله بالثواب الجزيل ، وكن معهم ليِّن العريكة ، حاملاً لأذِيَّاتِهم بحسن القول ، فلا بدَّ لعملك بالنيَّة الصحيحة من جزاءٍ ، وكن كمربِّي الطيور الذي يربِّيهم

على وَفْق ما خُلقوا لها ، كما هو شأنُ المرشدِ الكامل ، ولا تسئ ظَنَّك على مَنْ تتكلَّم خلافَ اصطلاح القوم ، ولا تستقبح في وجوهِهم شأنَهم ، فهم إنَّما يفعلون ذلك إما لجهلهم؛ أو لجهل مُرَبِّيهم؛ كما هو دأبُ أغلبهم في هذا الزمان ، أو هم يعضُّون عليها لأجل حُطام هذه الدنيا الفتَّانة؛ خوفاً من شهرةِ جَهله لجهلة زمانه ، فلا تجادلهم بها ، بل تأولْ جهلهم إلى المعرفة ، وخَطَأهم إلى الصواب ، وادعهم بالتدريج إلى الهداية والمعرفة وفق الإمكان؛ كما كان من رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة في أمثالها ، وقد قال ﷺ حين قَسَمَ هَدِيَّةً له بين أصحابِهِ : « إِحْفَظُوا حَظّاً مِنْ هَذِهِ لِفُلاَنٍ ، وهو أبغضُ الخلقِ إليَّ » بحديث على مضمون هذا ، نستعيذ بالله من الخطأ ، وإن كان مِن بينهم كما قلتُ من أقامه المتشيِّخون في مقام الإرشاد ، مع أن مشائخهم بمعزل عن ذلك فلا تَعِبْهُمْ ، وتجرُّه إلى الطريق؛ ولو بأيِّ وسيلة شرعية ، لما أن أمثالهم فتنةٌ للعالم ، ولازمُ إطفاء فتنتهم بما يُقْدَر ويمكن ، وأن تنصحه بنصيحة في خلوة؛ لا في الجلوة! عسى أن يهديَه الصراط المستقيم ، فليس أكثرهم معابون من أنفسهم ، بل استحوذَ عليهم الشيطان من جهل المتشيخين الذين هم أَسَمُّ للناس من كل جهة ، لكن أرى لأمثالهم تلقين الطريقة الشاذلية .

وأما الطريقة النقشبندية!! فقد كادت أبوابُها تنسدُّ من شؤم المتشيخين وجهالتهم ، وصارت ملعبةً بين الناس ، فلا تلقِّنْها إلا للأفراد المخصوصين الذين رأيت في سيماهم صلاحيَّتهم لها ، وإلا فنخاف من المؤاخذة علينا من ساداتنا قدس الله أسرارهم بسبب ترك الأدب؛ عياذاً بالله ، وعليك السعيُ على سبيل المصلحة التي رأيتها؛ نظراً إلى خؤون الدهر وجوره ، وفَّقكم الله تعالى ولنا وأيَّدنا على آداب المشائخ . . . إلخ ، وفي هذا المقام كلامٌ طويل الذي كتبه قدس سره في حقِّ مَحَاجْ ونجم الدين وأُذُن حج الشيخ؛ من المعاندين المنكرين الذي لا طائل تحته في المقصود الذاتي ، ولذا أعرضت عن الكتابة ، فمن أراد فليرجع إلى الأصل فتراه .

المكتوب السادس والخمسون

في حقِّ الدنيا وفي حق أطعمة الأغنياء وإكرامهم لأجل غِناهم

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الجاني سيف الله ، إلى حضرة ذي العلم النافع والعمل الرافع ، ملاذ الجمهور ، شفاء الصدور ؛ أخينا في الله الحاج حبيب الله النقشبندي ، وإلى . . . إلخ ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ نسأل الله الذي أقامك في مقام الإرشاد أن يُمِدَّك بأنواع العطاء والإمداد ، وأن يحقِّق لك ما ترجوه من الوصول إلى مقام العرفان . . .وإلخ .

ثُمَّ إنِّي بناء على ما بيننا من حُسْن المعاشرة وعقد المودَّة أقول لك قولاً ، ولعلك تعفو عن ذكره ولا تَعُدَّه مني خَبَلاً ، فالصفح عين الكرامة ، فاعلم أنَّ الدنيا دار ترح ؛ لا دار فرح ، طالبها زنيم ، وعاشقها ذميم ، وقد أقامك الله تعالى مقاماً يحمده الأوَّلون والآخرون ، ويتنافس في نيله السَّلَفُ الصالحون ؛ والخلف المتقون ، ولا يناله بمال الدنيا ؛ إلا من أتى الله بقلب سليم ، أو هداه الله إلى صراطٍ مستقيم ، وذلك المقام مقامُ جليل القدر عظيمُ الخطر ، الفائز من فيه استقام ، والشقي من استهان .

فاعلم يا أخي ؛ أن الفقر لأهل الله تعالى دولةٌ لا تبلى ، والقناعة كنزٌ لا تفنى ، واجتهادكم في الفقر أعزُّ عند الله من اجتهادكم في الغنى بألوف مرات ، وأرى أنَّ سكونَك في مأواك نعمةٌ عظيمة لك ولمن حولك من المؤمنين ، وأرجو الله تعالى أن يُمِدَّك بأمر لا يدركه عقل العقلاء ؛ ولا علم العلماء ، وإني في كلِّ وقت أكون متفكراً فيكم ومبتهجاً بسماع ذكركم ، وذهابك إلى « أشترخان » يورث الفتور في عملك ، وقد رأيتَ ذلك بعينك بالامتحان والتجربة ، وأنت تعلم أيها الأخ الحليم أنَّ أطعمة الأغنياء والجلوسَ معهم تسدُّ باب الفيض أربعين يوماً ، وإذا وَقَفنا معهم

فلا بد لنا لسوء حظوظ نفوسنا من الإذلال بإكرامنا إياهم لأجل غناهم ، وأنت تعرف حديثاً صحيحاً عن سيِّد البشر ﷺ : « مَنْ أَكْرَمَ غَنِيّاً لأَجْلِ غِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا إِيمَانه » . فتفَكَّر أيها المخلِصُ أنَّ وقوفَك مع أستاذك في مودَّته وهِمَّته ورضائه خيرٌ لك من الدنيا وما فيها ، وأظنُّ ذلك مرغوبُ شيخكم ؛ إن لم تكن لك ضرورة تلجئك إلى الاضطرار ، فالضرورة تبيحُ المحظور ، وإني أخاف من جهتك أن تكون مثلك مثلَ راقم الحروف هذه ينصح لإخوانه وقد نسي نفسه ، ألا إلى الله تصير الأمور . .إلخ ، هذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

في ١٨ إيون ١٩١٠.

المكتوب السابع والخمسون

في حقِّ كون الفقير في حالة الشبابة شيئاً لا يذكر ، فالآن مذكور بالصلاح والإرشاد مع كون حاله في قصور وفتور ، وفي حقِّ الاستئذان للخمول بالأربعينات في حقِّ كون واحد من العلماء الذي كان شاذلياً ؛ وقد أحب أن يدخل في دائرة النقشبندية ، وفي حقِّ حصول المعيشة ما يكفي في هذه السنة

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على رسول الله المصطفى ، وعلى آله . . . وإلخ .

إلى الولد الأمين والجوهر الثمين ؛ حائز حق اليقين حضرة الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي ، وإلى أهل بيته . . .إلخ . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله تعالى الداعي لكم خالد سيف الله .

وبعد؛ [فـ]نسأل الله جلّ جلاله وتقدَّست صفاته وأسمائه أن يُفيض عليكم بحورَ الخيرات والبركات بلا نقص ؛ والعافية التامة من شر الخلق ، ومن الاحتياج إلى الخلق ، وفي الآخرة فنسأله تعالى سبحانه أن يعامِلَكم فيها جميعاً وجميعَ أهليكم بمعاملته لأكابر أحِبَّائه وأصفيائه ؛ من أوليائه وخواصِّ حضرتِه بلا عمل منكم ، بل بمحض فضله ، وأن يُفيضَ عليكم بحورَ رضاه وفضله ، وأن يكون الله لكم ولياً وناصراً ومحباً وراضياً ، وأن يخلِّص وجهتكم إليه وانقطاعَ قلوبِكم إليه ؛ مثل إخلاصه لوُجُهات قلوب العارفين والصديقين من عباده . آمين .

ثمَّ إنَّه كانَ وَصَل كتابُكم لديَّ ؛ بَيْدَ أن الفقير تعذَّر عن إرسال الجواب . . .إلخ .

وقولكم (إني أغبط كثيراً فيما كنت فيه من حالة الشبابة ؛ لكوني في ذلك الوقت شيئاً لا يذكر . . .إلخ ، فصرت الآن مذكوراً بالصلاح والإرشاد ، مع كون حالتي في قصور وفتور . . .إلخ) ! !

ليس للعبد اختيارٌ للكونية ، والأمرُ للمدبِّر المبدع ، فالذكر بالصلاحية من نِعَم اللهِ الذي منّ الله لك ، فعليك بالشكر الجميل ، والعمل الصالح الجزيل ، حيث اصطفاه من بين عباده لتلك النعمة ، بل تحدَّث نعمةَ التي أنعمها الله لك ، لما أنّ إظهار النعمة شكرٌ .

وقولكم (ولا أرى من نفسي إلاَّ الحَوْر بعد الكور وقتاً فوقتاً . . . ونَقَص مني أكثرُ عمري ، وقَرُب أجلي ، ولا أجد من عملي إلا النقص ؛ وإن كان الواجب عليّ السعي والاجتهاد . . .إلخ ، وأظنُّ أن هذه إنَّما طرأت بشؤم الشهرة ، فلو وجدتُ الإذن من طرفكم لاشتغل أسباب الخمول . . .إلخ بحسب الأربعينيات ؛ فذا هو المراد . . .إلخ) .

أقول : وأشكرُ سعيَك فقد نطق روح القدس في سرِّك ، وأحسنت وأصبتَ فيما قلت ، والله وليُّك ويهديك ويجزيك ، واعلم أيها المؤمن

الصالح أنَّ الله تعالى ألهم لعباده الأصفياء حُسْن أسبابه لإقامة الدين الحنيفي ، وما يكون سبباً لمعرفته سبحانه وتعالى ليحصل بها صفاء قريحتهم من الأوساخ النفسية ، ولتتطهر النفس من الرعونة ليَدْخُل في قلبِ وقالَبِ من شاء مِن عباده نورُ ربوبيَّتِه وجوهر صمديَّته ، وقد أَلِف الصالحون لأجلها على العزلة والخلوة ، ورَوَّضوا نفوسهم عليها لكون العزلة والخلوة من أعلى الأسباب لتزكية القلب ، وأنت مع ذلك تعلمُ شرائطها ؛ ولله الحمد ، ولها كيفياتٌ مختلفةٌ شتَّى على حسب مقتضى أربابها ؛ كما تعلم ذلك مِنّي بمرَّات وكَرَّات ، لكن أقول لك كلاماً ؛ وإن كنتَ غنياً عنها :

اعلم أيها الولد ؛ أنَّ طالب الحق والحقيقة باطنُه فيه الرحمةُ وظاهره من قبله العذاب ، وهي بوجهها وصورتها نوعٌ من الاعتكاف ، وليكن لا في المسجد ، وقد يكون عند بعض المشائخ موضعاً معدّاً لذلك ، وذلك مما لا يستحسنه أرباب الطريقة النقشبندية ؛ خوفاً من الشهرة وستراً للحال ، وأكثرها عند القوم لا حدّ له ، لكن السُّنَّة تشير إلى الأربعين بمواعد موسى عليه السلام ، وبذلك أمرنا مشائخنا قدس الله أسرارهم ، ومع ذلك إِنَّها للكامل زيادةٌ في حاله ، ولغيره ترقيةٌ ، والقصدُ بها في كلِّ حال تطهُّر القلب من أدناس الملابسة ، وإفرادُ القلب لذكرٍ واحدٍ وحقيقةٍ واحدةٍ ؛ لكن بشرطها ، لا كما تفعله جَهَلة المتشيخين ؛ وهي كفايته عن الخلق وكفايتُهم عنه في الضروري دُنْيَا ودِيناً ، مع إقامة شعائر الإسلام من الواجبات والسنَّن المؤكَّدة ، وقد جلس خواجه أوليا (من كبار أصحاب خواجه عبد الخالق قدس الله أسرارهما) الأربعين لأجل مراقبةِ الخواطر ، وهذا أمرٌ خارج عن طَور العقل ودائرةِ الإدراك ، ومع ذلك لمَّا سألوه عن الخلوة في الجَلوة ؛ قال : هي أن تمشي في الأسواق ولا تسمَع أصوات أهلِها . وكان لهؤلاء الأكابر أمثالُ هذه المشغولية والمفاخر ، ولسنا من خَيْل هذا الميدان ، بيد أنَّ العبدَ إذا أخمل نفسه وألْزَمَها التواضعَ

والمذلَّة ، واستمرَّ على ذلك حتَّى صار له خُلُقاً وجِبِلَّة تتزكَّى نفسه ، ويستنير بنور الإخلاص قلبه ، وينال من ربه أعلى درجات الخصوصيَّة ، ويحصل على أوفر نصيب من المحبَّة الحقيقية ، كيف لا ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَخْلَصَ العِبَادَةَ للهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ يَوْماً تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ إِلَى لِسَانِهِ » ، وأمثال ذلك في حقِّ الخلوة والعزلة كم وكم عندك ! !

بيد أن الفقير في حَيْرة في جواب ذلك ، وذلك أنَّ الناس يغدون إليكم من كلِّ الأقطار ، ويريدون إرادة الطريقة على ما هي عليه ، وأرجو الله تعالى أن تظهر هذه الطريقة السنيَّةُ الصدِّيقيَّة على ما هي عليه ، ويتخلَّص من البدع التي يبتدعها الدجَّالون ، لا كثَّر الله أمثالهم ، وليست للبدع دوامٌ وتزولُ كزوال السحاب ، ثم تبقى على أصل السنة بقاءً دائماً ، وبذلك أتت الإشارة للفقير وسيظهرها إن شاء الله تعالى ، فإذا كان الأمر على هذا المنوال وأغلقتَ الباب ومنعت الناس عن بابك ؛ تُتعب المستحقين لذلك ؛ فيصير كدفع ومنع المستحق من حقِّه ، والوقت كما ترى ! ! ولا بدَّ لك من المداراة مع الناس بالمعروف ، والدعوة إلى سبيل الخير ، فإن دخلت بالأربعينيات في شهر رمضان أرى ذلك رأياً ، وإلى ذلك الأمد تتغيَّر الأمور ؛ وتقع إلى جهة ، والله الغالب على أمره ، ويكون ذلك أحوطَ من جهة الاستتار ، وأنت تعلمُ ذلك .

اللهم نعم ؛ إن الخلوةَ والعزلة جوهرةٌ عزَّ ثمنُها ، وليست لنا لذلك سبيل بتراكم الكدورات ؛ وإن كنت شغفاً لذلك ، ولكن إن لك في كلِّ جهة راحة في وقت الشتاء وذلك في الريف ؛ لقلَّة الوافدين وقتَ البرودة ، ولعدم تزاحم الناس في الأرياف ، فافعل أيُّها الولد ما رأيت رأياً ؛ فأنت المأذون إذنَ الكامل المطلق من جهة الفقير ، فيَدُك يدي ، وقبولُك قبولي ، وأنت مني والله يتولاَّك .

وقولكم (إني نظرت في أرجوزتك وأصلحتُ منها . . .إلخ) ! ! ، جزاك الله عنِّي خير الجزاء ، وجعلك من أهل الصفاء ، لقد قرَّت بما

فعلتَ عيني ، وشكرتُ الله سعيَكم ، وبعد الإتمام أرسل ثانياً لتعيدَ النظر إن ساعدني الأجل ، والله وليُّ التوفيق .

وأما قولكم (إن واحداً من العلماء كان شاذلياً وقد أحبَّ أن يدخل في دائرة النقشبندية أيضاً ، ويجمع بينهما . . .إلخ فمنعتُه عن ذلك . . .إلخ) ! !

أقول : لا تمنع عن ذلك ، ولا خلاف في ذلك ، وقد أخبرني شيخُنا بأن شيخَ شيخه السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الدمشقي الحسني قدس الله أسرارهم كان مأذوناً في نيِّفٍ وثلاثين طريقة . . .إلخ .

وقولكم أيضاً (إني أقرأ أحياناً ختم الشاذلية في مجلس الشاذلية ؛ فهل يكون في ذلك لومٌ وعتاب ، أم لا ؟ ! وهل يجوز أن يقرأ النقشبنديون ختم الشاذليةِ وبالعكس ؟ !) .

أقول : وفَّقكم الله تعالى لحوز جميعِ المكارم ، ونيل المقاصدِ ؛ يجوز ذلك ويمكن ، بل يمكن أن يزداد بين مريدي الطريقتين ألفة ومحبة ، وذلك عين المراد ، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ فتلك الاجتماع توجب هذه الألفة ، ولقد سألتُ العارف المرشد الحاجَّ خصبلت أفندي الكستاكي يوماً عن جلوسه مع المريدين في الحلقة الجهرية ، ومن أين أخذ ذلك ؟ ! فأجاب : جواز ذلك يكون بإذن الشيخ للمصلحة الدينية ، خاصَّة لمن أتمَّ ورده ، وهنالك كان كلاماً أغنينا عن ذكره .

الحض على الشاذلية

واعلم أيها المحبوب ؛ أظنُّ أنَّكم تستقِلُّون قدر الشاذلية ، وتسامحون في إدارتها ، فأسألكم بالله تعالى أن تجتهد في إدارتها وتحضَّ إليها الناس ، فشمس هذه الطريقة تطلعُ وتقوى يوماً فيوماً ، ولا تغرب شمسُها بعد ، ويكثُر أهلها ومحبُّوها ، ففضائلها غيرُ مردودة ، وهي معنعنة من

الأغواث والأقطاب ، وفيها فضائل مخصوصة ليست في غيرها ، وعضَّ عليها بنواجذها ، ولأجل عدم أهلها صارت الآن كعنقاء مغرب ، فعن قليل يتشعشع نورُها ، ويزيد نماؤها ، ويكثر أربابها ، ولعلك لا تترك خَتمها ، بل توسَّع في دائرتها وفق الإمكان ، والله المستعان .

وقولكم دام سعدكم وسَعِد نجمكم (إنكم كنتم على قصد إرسال حشيش الهرة والحرمل ، والشيخ الخرساني لديكم ظنّاً مني أنكم تحتاجون إليه ، لكن الحاج حبيب الله قال بأنه يرسله إليكم في هذه المرة . . .إلخ) ! !

أقول : أما احتياجنا إليها كلَّ وقت ! فبالغةٌ إلى منتهاها ، ولا نقدر جمعَها ، فإن كانت بقيت عندك منها شيئاً ؛ فلعلك تجودُ بها ، وأما الحاج حبيب الله وصفيُّ الله وأمينُ أسرار الله ! ! فهو السابق لكلِّ خير ، وقد وصلت منه إلينا فعَوَّضه الله بها الرضوان ، وجعله وإيانا في جوار الرحمن ؛ بكمال الاستقامة ونور الإيمان .

الكُمَّل من الأولياء الرجال متكسبون

وأما قولكم (إن لنا في هذه السنة في المعيشة ما يكفي ؛ ولم يحوج قلوبنا ونفوسنا إلى مَبَرَّة أحد ، بل أغنانا بفضله بما كسبت بأيدينا بالزراعة والحراثة فللَّه الحمد . . .إلخ) ! !

بارك الله لكم فيما رزقكم ، وزاد لكم مما كسبتم ، فنعمَ العملُ الصالح للرجل الصالح الكسب الحلال ، والسعي خلف الحلال ، ومن المعلوم أن زهد الكُمَّل ليس هو بخلوِّ اليدين من الدنيا ، وإنما هو بخلوِّ القلب ، ولا يتحقَّق لهم كمالُ المقام إلا بزهدهم فيما في أيدي الناس ، وإن من شرطِ الداعي إلى الله أن لا يكون متجرِّداً عن الدنيا بالكلية ، وإنَّ مَن لا كسب له والناس ينفقون عليه ؛ فهو من جنس النِّساء الحُبَّال ، وليس له في الرجولية نصيب ، ومن هنا تسارَعَ الأكابرُ من الأولياء إلى التكسُّب ؛ بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوزوا بلذَّة الخطاب ؛ لا لعلةٍ من

طلب ثواب أو غيره ، قال تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ . . .إلخ ، فوصَفُهم الله تعالى بالرجولية ، مفهومُه أنّ مَن لا كسب له ويتمنَّون من الناس بإراءة محاسن أعماله ؛ فهو من جنس النساء ، وإن كانت له لحيةٌ كبيرة ، وسبحةٌ طويلة ، وعَذَبة ، ومرقَّعة ، وشفاعات عند الحكام ، قال الله تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ، فَعُلِمَ من ذلك لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجراً أو زارعاً ، بل ذلك أكملُ له .

وقال بعض الأقطاب : التمني والاحتياج إلى الناس ينفي الكمال ، لما أنه يحتاج حينئذ إلى سؤال الناس ، وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم ؛ وقلَّ نفعُهم ، فإن فقد الحال الذي يميل به قلوبُ المريدين إليه ؛ كان معه المال يميلهم ، ومَن لا حال ولا مال لا ينفعه المقال ، وفي الحديث « عِزُّ المُؤْمِنِ اسْتِغْنَاؤهُ عَن النَّاسِ ، وَشَرَفُهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ » ، ولقد هممت أن أبسط الكلام في هذا المقام ، لكن اكتفيت لغَنائك عن أمثالها . هذا والسلام .

في ٤ دكابر ١٩١٦.

المكتوب الثامن والخمسون

في حق إقامة الفقير في محلٍّ ليس فوقه إلاّ محلُّ النبوة وفي حقِّ الاحتراز عن النظر إلى آثار مشائخ هذا العصر ومن الجلوسِ معهم لكونه فتنة ظاهرة

قال رضي الله عنه : جعل الله للصابرين الخروج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحسبون جعلنا من الذين لا خوف عليهم . . .إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوقَ الكرامة ، كيف لا ؛ وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ؟ ! والصلاة والسلام على سيّدنا محمَّد تاجِ الأصفياء ، وعلى آله وأصحابه الصلحاء .

إلى أخينا العالم العبد الصالح التقي ؛ ذي العهد الوفيِّ المرجو للصلاحية والاستقامة ، مَنْ آثر الآخرة من الفانية ، خليفة الشيخ الزاهد مخلصنا ؛ حسن أفندي النقشبندي ؛ السلام عليكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وجعلكم من الصالحين القانتين بعد .

وبعد ؛ فإني أحمد الله سبحانه وتعالى ؛ وله الفضل والمنَّة ، ونسأله تعالى لكم ولنا الاستقامة وحسن الخاتمة ، والفقير في الصحَّة والعافية ، ثم اعلم يا أخي ؛ أنَّ الله تعالى أقامك في محلٍّ ليس فوقه إلاَّ محلُّ النبوة ، فعليك أيُّها الأخ أسوةُ السلف الصالحين ، والاقتداءُ والقيام على آداب المتقين ، فقد أصبتَ إن شاء الله تعالى وأحسنتَ .

واعلم يا أخي هداك الله وإيَّانا إلى سواء الطريق ؛ أن العبدَ أحوجُ إلى الله إذا أطاعه أشدُّ منه إذا عصاه ، وإياك وإياك النظر إلى آثار مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذر من الجلوس معهم ، فذلك والله هي الفتنةُ الظاهرة ، وملاقاةُ الشيطان أسلمُ من ملاقاتهم ، فإن توغَّلتَ معهم

وصار همَّتُك على تكثير المريدين ؛ فما نصحت نفسَك ، والله الهادي .

واعلم يا أخي . أن المشيخةَ اسمٌ عظيم ومقام فخيم ، فأيِّدْهُ بعملك الصالح ، واجعل بقاءَك في فنائك ، ووجودَك رأسَ ذنبك ؛ تفوز عند الله بمعرفته حقَّ المعرفة ، فإنما هي إكسير الكيمياء ، واجعل سرَّك موافقاً مع علانيتك ، فذلك علامةُ الصفاء ، ولا تكن كمثلنا القائمين على متن الأنانية لئلا تتكدَّر به صفاءُك ، وأقلل المريدين ، فإنما هي أوَّل وصيةِ القطب المولى ضياء الدين خالد النقشبندي ، وذلك في زمانه ؛ فضلاً في هذا الزمان الذي غاب الخيرُ وكَثُرَ الخَسر ، وإني إنما كتبت هذه إليكم ليس على سبيل النصيحة لكم لما أني لست أهلاً لذلك ؛ بل لمجرد إرادة البركة منكم ومن أمثالكم بقيامكم على حدِّ الشريعة الغرَّاء التي هي منبعُ الحقيقة والطريقة ، ورجاء دعائكم للفقير بالتذكرة بمثل هذه الورقة ، جعلكم الله تعالى من الذين فنوا فبَقُوا ، ونظروا فتحقَّقوا ، واجتهدوا فغابوا عن الوجود ، ونالوا بالشهود . هذا ؛ والسلام .

في ٢ نيابر ١٩٠٢.

المكتوب التاسع والخمسون

في حقِّ بذل النصيحة والوصية بالمعروف

قال ﵁ : جعلنا الله تعالى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون (هكذا أمرنا بكتبة نور يمين الصديق الأمل جعفر الصادق)

إلى حضرة من دِين فؤادي ودادُه ، وقرَّةُ عيني سدادُه ، وسرُّ مرادي مرادُه ؛ مَن حبُّه الراسخ في قلبي ساري سَرَيان الماء الجاري ؛ أخينا المجاهد في الله ، العاكف بالله ، الذي لا يأخذه في الله لومة لائم ، وبالمعارف غانم ؛ حسن أفندي ؛ السلام عليكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وجعلكم وإيانا من الفائزين بالتقوى ، والبالغين إلى الغاية القصوى ، بعد حمد الله تعالى سبحانه وتعالى ؛ وله الخلقُ والأمر ، ومنه الاستقامة والخير ، أسألكم الصحَّةَ والعافية ، والسعادة والاستقامة ، جعلكم الله تعالى من المحسنين من الأمم ، المجتنبين من الكبائر واللَّمم .

وإن سألتم عن الفقير أذلِّ العباد ، والخادم الحقير ! ! فالحمدُ لله على جلال ذاته وكمال صفاته ، إنِّي في حدِّ دائرةٍ أقامني الحقُّ عليه ، وقضى لي به مع الصحَّة والسلامة ، كما هيَ عين النعمة .

ثمَّ اعلم أيها المخلص الأديب ، والعالم العامل النجيب ، طالما تمنَّيتُ لقاءكم وتشوَّقتُ مصافحتكم ؛ وكم مرَّةً هممتُ لكتبة الكتاب إليكم ، وإعلام المحبَّة معكم ، بيد أنَّ الله تعالى جعل لكلِّ شيءٍ أجلاً ، ولكل أجلٍ كتاباً ، فعُقْتُ عن ذلك بعروض العوائق والأسباب ، وقد بلغني كتابُكم مشحوناً بتسليماتِكم مظهراً بودِّكم ، فجزاكم الله تعالى عني وعن أهلي خيرَ الجزاء ، وجعلكم وإيَّانا من أهل المحبة والصفاء ؛ إنَّه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، فسَرَّني أيُّها المحبوب من صميم الفؤاد كتابكم ، وصرتُ ممنوناً بحسن خطابكم ، فقد أحسنتَ والحسنُ

من شيمتِكم ، وأصبتَ بالمعروف والله بالخير يثيبُكم ؛ حيث تذكَّرتَ أخاكم القاصر بالخير والدعاء ، وأديتَ حقَّ الأُخوَّة ؛ كما هو عين الوفاء ، فأنت به وبأمثاله أعزُّ عندي من الكبريت الأحمر والترياق الأكبر ، وأرفع قدراً من الثريا ، وكأني بك أستضيءُ وأطلب التحيَّة والمحيا ، فذِكرُك عندي كالورْدِ المورود ، وكتابك أعدُّه من الحظ المسعود ، وأرجو منك الدعاء لفقيرك المتهاون ، وخادم المفلسين الذي لا يزال استمداده من إخوانه مِن الدين ، فعسى الإجابة من الملك الكريم الجليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم إنك كتبتَ إليّ ببذل النصيحة لكم ؛ والوصية بالمعروف لديكم ! ! عجباً مِن تواضعكم بمثله ، وحسنِ أدبكم معَ من سقط من حاله ، وعجز عن سيره وجهاده ، مع كون المستنصح أنصحَ وأورعَ وأتقى من ناصح مثلي ، أيَّدكُم اللهُ مع أحبابِكُم على آداب السنَّة والجماعة ، وآداب السادات أرباب التقوى والاستقامة ، وا عجباً لناصح ينصَح ؛ وهو في أمره ساهٍ مسامح ، وحيث أن طلبتَ النصيحة وأخلصتَ القريحة ؛ فالاستنصاحُ عينُ النصيحة ، والاستعلام ؛ وإن كنت علامة رأس الاستقامة ؛ فعليك بتقوى الله في السرِّ والعلانية ، فإنه رأس الكرامة ونورُ السعادة ، واحذرْ من تكثير السواد بتكثير المريدين ؛ فتكثيرهم من أعظم الآفات في هذا القرن ، وهو عين سواد القلب ، والمريدُ المطلوب أيُّها الأخ الأعظم أعزُّ وأغربُ من الغُرَاب الأعصم ، وأكثر الآفاتِ منهم ، وأرجو أنك تفطَّنتَ لذلك ، وعلمك أربى مني في ذلك ، وزن مقام الله تعالى عندك لتكون عند الله بذلك المقام ، وكن نفَّاعاً ناصِحاً ، لَيِّن العريكة ، سهلة الأروبة ؛ وليكن تربيتُك للمريد بالجمال ليفوز بالكمال ، وحاشا في هذا الدهر الخؤون أن يجد مريداً يتحمَّل التربية بالجلال ، واجعل يا أخي همَّتك علياءَ عن الحاجة لأبناء الزمان ، وصُنْ وجهَك عن إراقة ماءِ حيائه من أهل الهوان ، فالعاقل النجيب من يتصحَّف جرائد أعماله ، ويتأمَّل ما

في صحائف أحواله ، فعليك بالقنوع والكَفَاف ، وسلوكِ طريق العفاف ، وتمسَّك بهذه العادة تنل بها إلى السعادة ، وأَلْقِ بذر الاجتهاد في أرض الاستمداد لتفوزَ السعاد في يوم الميعاد ، واعمل في كلِّ شيءٍ بالإخلاص من صميم القلب ؛ لئلا يؤول إلى السلب ، وأقلل الكلام والطعام ، ولا تجعل على أحد ملام ، فإن رأيتَ منكراً ؛ فانهه إن كان ينتهي بقولك ونصيحتك ، وإلاَّ ففوِّض إلى الله أمرَك ، وأطعم الفقير في الجهر والسِّرِّ إن قدرت على إيصال الخير ، وإياك أن تخاف من الفقر والشرِّ لما أنَّ الشيطانَ يعدُكم بالفقر ، وإيَّاك ومصاحبةَ أهل الثروة واصطفائهم من أهل الفقرة ، وأدخل نفسَك في دائرةِ (ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن) ، لما أنَّ ذلك مسكنُ المطمئنة ، ويعرف ذلك بهذا الميزان ؛ فامتحنها ، فإن كانت تميلُ إلى الرياسة أو المدح أو الثروة ، وتنفر عن الحقارة ، وتنقبض على مَن لم يحترمها ؛ أو تتحمَّل المشقَّة بسماع المذمة ؛ فاعلم أن أثر الزِنارِ باتَ غيرَ صاف ، وإن كانت تستوي الجميعُ عندها ، ولا تفرِّق بين المادح والذامِّ ، والمنعم والمُضِرِّ ، فاشكر الله حيث أقامَك على حدِّ التوكُّل الذي هو عينُ كيمياءِ السعادة ؛ ونور الاستقامة ، فذلك مقام بعض العارفين ، فعليك ببذل الروح في حوز هذا المقام الممدوح ، وابذل مجهودك سرّاً وجهاراً ، واشتغل في تبديل الأوصاف الذميمة بالحسنة من الأخلاق ؛ ليلاً ونهاراً ، واسأل الله أن يوفِّقَك للانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين ، وأزل عنك باليقين الشكَّ ؛ تظهر لك الخالص المسبوك كما تظهر خلاصة الذهب بالحكِّ ، والحذر من استنادك إلى كواذب العصر ؛ أو التزجُّر بنكبة حوادث الدهر ، لما أنَّ الله يختبرك بأمثاله ؛ كما قال تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ فجاهد في حفظ الآداب في فرائض الله ، وعاهد في رعاية سنَّة رسول الله ﷺ ، وامْزُج الرغبة بالرهبة ، وارعَ لأوليائك حقوقَ الصحبة ، وتجاوز عن الهَفَوات ، وادرأْ الحدود بالشُّبُهات ، واقتصر على مجالسة عالم ؛ أو فقير حكيم ، فإنه يعينك إلى الصراط المستقيم ، شكر الله سعيَكم ، وشرح الله

صدرَكم ، وجعلنا الله وإيَّاكم من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، وجعلنا من الموفَّقين للأعمال الصالحات . هذا ؛ والسلام آخر كلِّ كلام ؛

من خادم الفقراء. انتهى.

وإن سألتَ تفصيلَ أحوالاتنا ! ! فاعلم يا أخي بصَّرك الله بنور المعرفة ؛ أنِّي أكون في أكثر الأوقات في قرغز على وظيفتي المعلومة لديكم ؛ متعلقاً بالأسباب ، وأرجعُ في بعض الأحيان إلى (اشترخان) بطلب المرضى ، وكنت في راحة من جهة الدُّنيا بلا تعلُّق إلى الأغيار ، لكن أمر الدين عندي على كيفٍ منقبض ، وكلَّما يمضي من عمري ساعة ؛ ينحطُّ من عملي درجة ، ويتزايد الكسلان وعدم الانشراح ، وما خرجت من حبِّ زخارف هذه الفانية ، فالعياذ بالله من سوء الخاتمة ، وإن التقيتَ إلى أستاذك قُرَّة العين وفَجْعَة[1] البين الولي العارف الحاج عبد الرحمن النقشبندي ؛ فأسألُكم أن تجودَ بتبليغ تسليماتنا على وجهِ الأدب ، وأرجو منه أن يجودَ بصدقة دعائِه لهذا الضعيف المسكين خادم المساكين .

اللهم إنَّا نرفعُ إليك أَكُفَّ الضراعة والابتهال ، وندعوك بقلوبٍ منكسرة ؛ يا ذا العظمة والجلال : أن تحيي قلوبَنا الميتةَ بنورِ معرفتكم ، وأن تأيِّدنا على آداب سُنَّة حبيبكم ﷺ . آمين .

ومن مقولاته في مكتوب آخر : فلو وقعت عليّ خِدمات الأحباب ؛ فذلك اليوم عيدُ الأيام ، فكلُّ خدمةِ تقع عليّ ؛ فذلك الفضلُ من الله ، وكفى بنا حاسبين . لا زال في الترقِّي والامتنان . آمين .

---

(١) وفي نسخة أوجعته .

المكتوب الستون

في حق فساد الناس ، وفي حق كونِ شهر رمضان سخريًّا يضحكُ الناس على مَن يقوم عليه بالحق .

قال ﵁ : إلى جنابِ جامع الكمالات الصُّورية والمعنوية ، أخِ التوفيق وحائز الاستقامة ؛ محبوبِنا الحاج حبيب الله النقشبندي أدامه الله تعالى في ألطافه السرمدي ، وعلى جميع العيال وأحبابِه ومن يقتدي بآثاره ؛ السلامُ التامُّ والتحية والتوفيق والسعادة عليكم من الله الذي ليس لنا مطلبٌ سواه .

وبعد ، فقد وصل كتابُكم ولله الحمدِ وصار مبتهجاً للسرور ، وسبباً للفوز والحبور ، فجزاكم عني جزاءاً جزيلاً ، وأورَثكُم بذلك رضاءً جميلاً ؛ حيث ما خصصتموني لتسليماتكم ودعواتكم ؛ ولم تتركوني من ذكركم ورسائلكم ؛

فالعاجز المغبون مضبوطٌ إن شاء الله تعالى بكم وشاكر نحلتكم ، جعل الله تعالى سبباً للاستقامة والرضوان ، وجعلنا من أهل التوفيق والإحسان ، ثم إنَّ ما ذكرت من فساد الناس . . .إلخ ؛ فذلك ما أخبر به النبي ﷺ قبلنا ، وصَدَّقهُ مَن قبلنا ، وفي هذه الديار كذلك ، لكن أرى أكثر المتواطنين هنا من جهاتكم أكثرهم تسامحاً في أمر الدين ؛ فأتعجَّبُ من ذلك ، وقد صار أمر هذا الشهر المبارك في مقام المَسْخَرة ، حتَّى أكثرهم يضحكون على من يقوم عليه بالحق ، وإني أتفكَّر في خصوص ذلك ، وفي احتياط أهالي قريتنا في أمر الدين ؛ نظراً إلى هؤلاء المذكورين وأهالي هذه الديار ، سوى الخواصِّ يسعون بين الناس بالأكل والشرب ، ولا يبالون من الناس ؛ ولو قليلاً ، كأنَّ رمضان لم يأتِ لهم ، وسوى ذلك . . .إلخ ، جعل الله تعالى ذلك لكم في مقام تربيته بالجلال ، حيث تحملون أذاهم ، وفي حمل أذيَّة هؤلاء درجةٌ لكم إن شاء الله تعالى ،

ولأجله جعلوا السادات الخلوةَ في الجلوة ، أيقظهم الله تعالى من نوم الغفلة ، وجعلهم من أهل السعادة ، وسامحهم بلطفه . آمين .

وأما ما ذكرتَ من أمر الهجرة!! فإني لا أقدر أن أنهاك عن ذلك ؛ نظراً إلى شدَّة المقاساة وضيقِ الموضع عندكم ، وكثرة التحاقد والتحاسد بين الناس ، وترك حرمة أهل العلم ؛ بيد أنَّ صاحبَ الهجرة غريبٌ بالغربة عند الوحدة والشدَّة ، فلو كانت الهجرة ؛ ولو مع أهل بيت واحد معه من الأقارب ، فنعم ، وولولا المانعُ لأخينا في الله حسن أفندي من جهة العقار ؛ لأخرجناه من بينهم ، بيد أنَّ ذلك يعوقه ، وإن ساعدنا الدهر بتأخُّر الأجل ؛ فنتفَكَّر في حقِّه إن شاء الله تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المكتوب الحادي والستون

في حقِّ الوحشة بانتقال شيخ الفقير من الفانية إلى الباقية وفي حقِّ مشاورة جمع الكتابين وفي حقِّ كون الداغستان أوَّل موضع من الدنيا بقيت فيها آثار الدين .

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه وذريَّته الذين هم أولياء الله .

من العبد الجاني سيف الله ، إلى الحبر السامي والبحر الطامي ؛ القائم على الإرشاد ، المحبوب من صميم الفؤاد ؛ حضرة الأفندي الشيخ حسن الذي في وقته كالشيخ الرَتَن ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، جعلكم الله وإيَّانا من القائمين على منهج الاستقامة في زمرة الصالحين .

وبعدُ ؛ جعلكم الله تعالى وإيانا مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأذاقنا حلاوةَ المشاهدة ، وعرَّفنا ولكم حقوقَ الرُّبُوبيَّة بحقِّ المعرفة .

وإن سألتم عن الفقير ! ! فهو الآن في أمواج نكبات نفسه متردِّداً كَدَوَران الهائم الحيران ، لا يصفى له الحال ، فاعلم يا مخدومي ؛ أنِّي في هذه الحالة في (تُرُيثِرِكِي) ومضى لي شهر ؛ وإنِّي قائمٌ بأمر شيخنا ــــــــ[1] سرَّ لك فقط يا أخي ، ولا أعلم زمن رجوعي ، بل الأمرُ لله من قبل ومن بعدُ ، والحالُ غيرُ مستقيم ، على أنَّ القلبَ متغيّم بسَحَاب الخَطَرات ، مكفوفٌ بالحظوظ ، ولا يزول عنِّي هذا الخطر في هذه السنة ، ولقد كنتُ رجوت ذهابَه بجلوسي لدى الشيخ ، فما يزيدونني إلاَّ بُعْداً ، وبه شَكَوْتُ ذلك لجنابه ونفسي فداه ، وقد شدَّ هذا الحالُ والوحشة من بعد سماع انتقال شيخكم عبد الرحمن قدس سرَّه ، وجعله من المخلَصين المُخْلِصين ، على أنَّ قلبي كان متعلِّقاً لجنابه بالمودَّة ، فلو كان بقيَ زمناً كان لا يسعُ لي إلاَّ إن قمت تحت عتبته ، لكن الجزء الحالي عَبَث لا جدوى فيه ، وأرجو الله أن يرزقنا الملاقاةَ لينطفيَ بها الحرارة الشوقية ، ولي معكم كلامٌ آخر إن ساعدنا الوقت ، وليس لنا أيُّها الأخ سبيلٌ للشكوى ، بل الله عالمُ السرِّ والنجوى ، وتكتب أحوالاتكم إلينا بالتفصيل لنستريح بها ، وكيف تأليفاتكم ، هل أتمَمْتَها أم لا ؟ !

ثم اعلم يا محبوبي ؛ لو كنت شاورتني قبل جمع الكتابين لَمَا وافقتك في ذلك ، لما أن ذلك الشُغْلَ شأنُ الفارغين ، وإنَّما الشغل بالشغل ، ولما أتمَمْتَها فاحفظها ، إلى أن يئتي وقتها ، ولكلِّ وقتٍ أهلٌ ، وأرجو أن ينتفع بها الناس ، ولكن لا يتمُّ كمالاتُ كتابيك حتى ينسبوك الناس بهما إلى الجنون ، فذلك رأسُ مالك وعمادُ دينك ورأس سعادتك ،

(١) لعله في الأربعينية .

ولا تسئم بها ، بل كُنْ متطالعاً فيها ، لما أنَّ اللهَ تعالى جعل في كلِّ ساعة حكمةً بالغة في العلوم والآداب ، فتضع وتزيد ما رأيت حسناً ، وإن رأيت الطبع ؛ فلا يشقَّ علينا ذلك ، فاصبر وما صبرك إلا بالله . . .إلخ .

واعلم يا أخي بعلم اليقين ، لا بالظن والتخمين ؛ أنَّ الداغستان أوَّل موضع من الدنيا بقيت فيها آثار الدين ومنار الإسلام ، وفي غيرها ليس إلاَّ مجرَّد الاسم ، وهذه البركة والفائدة الجليلة أعظمُها من الإمامين الغازي محمد وشمويل جعلهما الله من سادات أهل الجنة ، وكل البركة والهِمَّة والغَيْرة والدِيانة والأمانة بقيت فقط في داغستان ، اللهم أيِّدْها على الدين والتقوى ، فاجتهد أيها الأخ أن تكون منهم في نشر الدين بالنصيحة لأهلها ، وتليين القول والاقتداء بالسنَّة السنية ، فإن تحقَّقتَ بها ؛ فلا ريب يكون من يرجع إليك على أسلوبك ، واجتهد في تعليم أحكام الدين على آداب أهل السادات وفقَ الشريعة بقطع النظر عن الحظوظ النفسانية بالكلية ، وحرام على القلب أن يتنوَّر وفيه شائبةُ الحظِّ للنفس ، وإياك وشقشقةَ المتشيخين والاستماعَ لما يسمع منهم ، فَذَرْهم يخوضون ويلعبون ، ولا تتبع عيوبهم ، فذرهم في غمرتهم ، وكن على نفسك ومريديك بالمعروف ، فقد وقعنا في زمان انقطع منها الاختيار ، ولا نرى الصالحين ، وليس لنا من يأخذ أيدينا من السادات في المهمات ، فعَضَّ بنواجذك على السنة السنية ، وادفع السيِّئةَ بالحسنة ؛ جعلكم الله وإيَّانا ممن علموا وعملوا . انتهى .

المكتوب الثاني والستون

في حقِّ التعريض لخِطبة الزوجة له

قدس سره وفي بيان إعذار نفسه

قال ﷺ : إلى حضرة حبيبي حقّاً ، ورفيقي صدقاً ، وأميني يقيناً ، ومؤتمني ؛ لا تخميناً ، جامع الكمالات الصورية والمعنوية ؛ الشيخ حسن حقي النقشبندي الخالدي ، وإلى ولده المأمون نور حدقِة العيون الحاج محمد ، والأخت العفيفة . . .إلخ .

السلام عليكم ورحمة الله ، والرضوان لديكم ، والبركة والاستقامة منكم ، وأنس الصالحين لكم بعد .

وبعد ؛ فحمداً لله أفضل كل شيء ، فأحمده وأشكره عند كل شيء ، وأصلي وأسلم على روح نشأة الوجود ، ومصباح صَبَاح الشهود ، وأسأل الله تعالى لكم ولنا التوفيق ، ويوصلنا وإياكم إلى مرتبة مقام التحقيق .

ثم إن تفضلتم بالسؤال عن الفقير المغبون الحمد لله على كل حال ولا أعلم ماذا أقول بعد هذا المقال إني في عافية الله وسلامته في أمنه ونعمته وأما الولد أبو الهدى أرسلان حسين في چرْكَهْ في علمه ويعلم الله عاقبة أمره .

ثم اعلم أيها المحبوب ؛ أني كنتُ قطعت النظر عن تلك الكسوة ، بل وغيرها بالكلية حين وصلتْ رسالتكم ، ولمَّا وصلت رسالتكم ثانية تجدَّدت العزيمة ثانياً بناءً على رسالتكم ، ونظراً إلى وحشتي وغربتي حال كهولتي ، بل شيخوختي ، والآنَ أكتبُ إليكم ما خطر بالبال وأنتَ كعضوٍ من جسدي ؛ إن شاء الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فتفكَّر في ذلك ، ثم تكتب الجواب بكيفٍ يصل ليدي فقط ؛ لا بيد غيري ، فإن كانت تلك الكسوة ذاتَ رأي وإطاعة وديانة وعفَّة ؛ فليس فوقها لي مطلب . وكذا

لازم عليها قبولُ عيوب الفقير ؛ أني في ستٍّ وخمسين سنة ، واليوم قد عشش في رأسي ولحيتي ، وأني رجلٌ ضعيف ؛ سيِّءُ الخلق ، ويحتمل أن تكون فيّ أوصاف غيرَ محمودة أخرى ، وإني لا أقدر أن أحصِيَها ، ومطلب الفقير منها أولاً الرجاءُ للنسل ، والثاني الخدمة ، والثالث الأمنية من كلِّ الجهات ، فإن رضيتْ على هذه الأوصاف والأعذار والتزمت المصاحبة بالمعروف والشفقة مع هذا الحقير ؛ ولم تكن تتضجر من السكون في هذه البلدة أو في مفرق رأسي وساعدني القدر ؛ فأنا الراضي عليها ، وأقبلُها إن شاء الله تعالى ، وإلا ففي غيرنا سَعَة لها ويغفرُ الله لها ولنا ، فتَعْرِض أيها الأمين هذه الأحوال والأوصاف ؛ وانظر إلى جوابها ورأيِها ؛ وتكتب إليّ ما رأيتَ منها ، وما سمعت عنها وعن وَلِيِّها ، ومع ذلك إن كانت مخطوبةً لآخر فالتوغُّل فيها خلاف السنة ؛ فالعياذ بالله .

وأما التعلقات في الطلاق مع الزوج الأول ! ! فلا أعلمُها ، وحاشا أن تقعَ الشبهة ، ثم إنَّك تتبع هذه الأمور إما بك ؛ أو بولدك ، أو عيالك ، أو بمن رأيتَ من موضع أمين ثقة ، وليكن التتبُّع سِرّاً جدّاً بكيفٍ لا يتشيَّعُ ، وبالله عن ذلك ، والذي عند الفقير إن كانت المطلوبة ذات رأي وعفَّة وأمنية ، فلا تحزن إن شاء الله تعالى عن هذه التجارة ، بل أرجو رضاها ، والعلمُ عند الله ولقد عَرَّضني أيُّها الأمين جمٌّ من الكرام مواضع ، فما رجعت ، ولا مِلت إلى جهتهم ؛ حذراً من توغلي بسببها إلى زخارف الدنيا بالكلية ، وصوناً من استحسان زينةِ هذه الدار الفانية ، مع ما فيّ الآن ، فنظراً إلى جوابك أكتبُ إليك ثانياً آخر الأمر إن شاء الله تعالى ، وأهمّ المهمات عندي أن تدرك عقلَها وكمالَها ورأيها ، لئلا نغترَّ بالجمال ؛ كما يقع في أمثالها كثيرٌ من الناس ؛ وجمال العقل أعظمُ عندنا وعند الله من جمال الخلقة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١٠ ربيع الأول ١٩١٢-١٣٢٩

وفي كتاب منه :

تَـبّـاً لِـدَهْـرٍ يَـا لَـهُ مِـنْ كَـدُورَةٍ وَعَدَمِ صَفَاءِ يَوْمٍ مِنْهُ لاَ حَدَّ مِنْ نَدَامَةِ

بيد أنَّ الأمر لله من قبل ومن بعد ، لا قدرة لنا للخروج من إرادته تعالى ، وعلينا تعليق إراداتنا لإراداته ، ورضائنا على قضائه ، إذ ليس في الإمكان أبدع مما كان . انتهى .

وفي ضمن كتابه : بيد أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لكلِّ شيء سبباً ، ولكل سبب كتاباً ، فلا تقطع الأسباب واستعملها وفق طاقتك ، ولا أُطيلُ الكلام ، واجتهد للسعي بين الأنام لدعوة الخلق إلى الحقِّ وإرشادهم بالإمكان ، وعسى أن لا يذهب سعيُك عَبَثاً ، بل لا يخلو من أشرتَ إليه من البركة ؛ قليلاً كان أو كثيراً ، نظراً إلى استعداد المريد ، كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ ﴾ . . .إلخ . والسلام عليكم .

وفي كتاب آخر : ثمَّ إنَّكَ كنت التمست مني النظرَ إلى عدَّةٍ من الفقراء ، ولا أريد ردَّ قولك أصلاً ، بيد أن لذة الرضاعة الأولية لا تحصل في الثانوية ؛ خاصة لمريدي الزمان ، وبه أرى نظركم إليهم أولى وأجدر وآكد لمحبتهم بكم ، والمحبة إكسير هذه الطريقة خاصة ؛ بل نماء نتيجة السالكين ، وقد يقع اختلاف في آرائهم بعدم إدراك قوة فهمهم فيفسد عقائدهم . عياذاً بالله تعالى من ذلك . . .إلخ .

الفقير خالد سيف الله رحمه الله تعالى.

المكتوب الثالث والستون

في حق الوصية على المرشد الحاج حبيب الله قدس سره العزيز .

قال ﷺ : وعليكم السلام ، وعليكم السلام ، وعليكم السلام مع التحية والإكرام ، والإرادة والاحترام ، وأوصلكم المرام ، ومتَّع بطول استقامتكم وبقائكم الأنام ، أيها الأخ ؛ بل الولد الأمين ، صاحب السرِّ المبين والجوهر الثمين ، حضرة وصيِّ الصالح ، وحليفه الناصح ، الشيخ الشكور ، ذو الحظ الوفور ، الحاج حبيب الله النقشبندي الخالدي المجددي ، ولا زلتم ممنونين ؛ مطمئنين تحت لطفه الأبدي .

وبعد ؛ فقد فرَّحتني في حالة القبض بتسليماتكم العَطِرات ، فرَّحكم الله تعالى بأربى الهبات ، وجعلكم من أهل الدرجات ، إن سألتم عن الفقير ! ! فالحمدُ لله الذي بشَّرني بالدَّرَكات في مقام الدَّرَجات ؛ إني في الصحَّة والسلامة والراحة التي هي عينُ النعمة ، وإن عجزنا عن إيفاء الشكر على هذه الرحمة .

ثم اعلم أيها الحبيب الأديب ؛ إنما أنا بكم وإن كنت أقلَّكم ودونكم ، ما زلتم تؤنسني بتسليماتكم المتعطِّرات ، وتحياتكم المتغاليات ، وأنيسي بكم يربيني في دائرة الشكر ، وإن كان على قدر الشاكر ؛ لا المشكور ، وحالي لا يزال يبتهج بحياتِكم ؛ وإن كَثُر أهل النكور ، فلا أبقاني الله في قوم لستم منهم ، وفَّقكم الله تعالى لما يحبُّه ويرضاه ، وزادكم الاستقامة وهداه ، إنَّه وليُّ التوفيق ومولى القوى ، وهذا المغبون يوصيكم بتقوى الله تعالى واتباع سنة رسوله ﷺ ، وعليكم بمحبة الشيخ المقتدى ، وأنتم تعلمون منِّي أن مبنى هذه الطريقة السنية السُّنيَّة عليهما ، إنَّما يتمُّ كمالُها بهما ، فإذا وجدا ؛ فالفقدان عين الوجدان ، وإذا فَقِدا ! فالوجدانُ عينُ الفقدان ، وإنما يظهر الصِّدق من الصادق بقَدْر صدقه ومحبَّتِهِ لمتبوعه ، كما هو بداهي البيان ، واللهُ المستعان .

وإيَّاكُم والبدعة ؛ فإنما هي ضلالة ، وإنما العِجْلُ السامري لأهل زمانا البدعة الواقعة فينا ، الرائجة بيننا ، قاتل الله البدعة ما أطيبَها وألذَّها ، وأغرت مخاليبها لأبنائها ؛ إن وقعت وحدثت في أرض تنمو ثمرتها ، وتقوى غرستها ، فتَطْلُبْ وتُطْلَبْ ، يكثر طالبها ويقلُّ هاربها ، وإيَّاكم عن أهلها والمجادلة معهم ، فقد صارت كأنَّها حيَّة تسعى ، وعزَّت بين أهلها كاللات والعزى ، فاجتهدوا في صون الأدب والخشوع ، والانكسار والذلة والافتقار ، لما أن خزائنَ اللهِ تعالى مملوءة بالطاعات والتسبيحات ، وليس شيءٌ أعزَّ فيها من الخضوع والفاقات ، ولا تُنَفِّروا الوافدين عنكم وصاحبهم بالشفقة والرِّفقة ، وكلِّمْهم بقَدْر عقولهم باللينة وحسن المعاشرة ، واجتهدوا لجمع القاصدين الوافدين بكم ؛ تحت رايات هدايتكم ، فالشيخ كالصيَّاد يربِّي المريدين كتربية الطيور ؛ نظراً إلى طبائعهم وخصائصهم ، واحذروا الهوى ، فإنها تُهوِّي الهاوية ، وكن لشيخك شمالاً ليكون لك يميناً ، وكن له ولساداته معيناً ومستعيناً لتكون عند الله وعندهم أميناً ، واجعل التقوى زادَك ، والاجتهادَ به معاملتك ، ومشائخكم في مقام أوليائكم ، بل وأنبيائكم ؛ لتكونوا إن شاء الله تعالى من أهل التكميل ، واشكروا اللهَ على ما أنعمكم به من الحظِّ الجزيل ، فلا يعرف قدر النعمة إلاَّ أهلها ، ولا ينال الكمالةَ إلاَّ طالبُها ، ولا ينال الكمالَ إلاَّ بذوق مرارة الأهوال ، ولا يفوز بالحال إلاَّ ببذل النفس والمال ، وأسأل الله تعالى أن يجعل التوفيقَ لكم رفيقاً ، ليتوالى لكم عطاياه سبحانه وتعالى تدفقاً ، وأرجو الله تعالى أن يجعلكم خلفاءَ في الأرض يهدون بكم أمة يقتدون لهديكم ، ولا يحصل ذلك إلاَّ بعد أن صرتم في منزلة العلك في أفواه الناس ، نعوذ بالله من شرِّ الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس .

وأوصيكم بالدعوة وعدم ترك المحبَّة لأخيكم المغبون الفقير ؛ أقلِّ العباد خالد سيف الله .

ففي ليلة السبت أول يوم من الربيع هذا ١٣٣٧ رأيت رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم ورضي عنهم وعنا ، وصرت قُدَّامهم ، ولم أعلم بأيِّ كيفٍ اجتمعنا هناك ، سوى أنِّي كنت في رجاءِ رجوعِ رسول الله ﷺ إليّ ، فبايع أبو بكر بأخذ اليد ، ثم عمر لأولاده الثلاثة منهم ؛ بطناً بعد بطن ، وظننت أن المبايعة مبايعة إجازة الخلافة الطريقية لهم ، وظننت أنَّ قوَّة خلافةِ قيَّوم الزمان إمام الربَّاني أحمد السرهندي من هذا الموضع ، ثم رجع إلى عثمان رضي الله عنه ؛ فأخرج هنا ميزاناً على كِفَّة الميزان دمُ عثمان ؛ أو هو معه ، والكفة الأخرى خاليةٌ ، وسمعت – ولا أعلم مَن القائل – لا يساوي بدمه ، أو لا يعادل شيء ! ! وكان عليٌّ قائماً هناك ، وأمامهم أنا فانتبهت من النوم بعروض نداء داعٍ وحُرمت من لَذَّة المشاهدة ، رزقنا الله رؤيته حياً وميتاً ، وحشرنا معهم . آمين .

المكتوب الرابع والستون

في حقِّ كونه بحساب المحبوس هنا من جهة الحكام وفي حقِّ انقطاعه من الروحانيَّة ﷺ

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ، ثمَّ الحمدُ لله ، حمداً دائماً متوالياً ، والصلاة والسلام على سيِّدنا ، وسيد المخلوقات دائماً ؛ لا متناهياً ، وعلى آله وأصحابه الفائزين بالفوز العليا .

من أسير ذنبه خالد سيف الله إلى صاحب سرِّه حَسَن أمين الله ، السلام عليكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وأوصلكم مناياكم ، وجعلكم مِن الذين سبقت لهم مِن الله الحسنى .

وبعد ؛ فطال ما قطع منا بيان أحوالاتكم ، وإن كُنَّا عطاشاً لسماع ذلك ، وما ذلك إلاَّ بقصورنا وسقوطنا عن أداء حقوق الإخوان ، وتعذُّرنا من توفية العهودِ مع الخُلاَّن ، وما هو إلاَّ من سوء حظِّ الغريب الحقير ، فكم رأيتُ وتفكَّرت لكتبة رسالة لديكم ؛ ولو بمجرَّد السلام ، بيد أني تعذَّرت بأعذار لا يقبلها العقل والسماع ، وما ذلك إلاَّ بشؤم الشهرة المستعاذة لدى الفقراء ، ثمَّ إنِّي أيها الأخُ بحساب المحبوس هنا من جهة الحكام ، وأرى ذلك من شؤم الجواسيس النمَّامين من جهة ، ولأجل انعكاس ظنونِهم في حقي من جهة أخرى ، ولا نحسب ذلك إلاَّ بجَوْر أعمالنا واللهِ ، فالله العادلُ الحكم ، بيد أنَّ الأمر لله من قبل ومن بعد ، فوَّضناهُ إليه ، واطمئنا تحت قضائه ، ونرجو الله أن الواقع لا يخلو عن حكمة إلهية ؛ لا يعلم سرَّها إلاَّ هو تعالى .

وأما أحوالي ! ! فكأحوال المسلوبين المنقطعين بالكلية ، واشتدَّ القلب من الصخر ، ولا يحصل ؛ ولو قليلاً من الحضور حتَّى حرمت عن الفيضِ ، وقد انقطع عنِّي روحانيته ﷺ من مدَّة مديدة ، وإني الآنَ كالحبَّة المقلاَّة ؛ عياذاً بالله من سوءِ الحال ، فأسألكم بالله أن تدركوا بأدعيتكم لأسير وُدِّكم عسى الله أن ينفعنا بها ، أو يردَّ إلينا ضالَّتَنا ، ولقد سئمت من هذا الموضع بكيفٍ لا مزيدَ عليه ، بل من الوقوف في هذه الديار ، ولا رجاء لرؤية خيرٍ لنا بعد اليوم ، اللهم ؛ لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين .

ثمَّ إنِّي هنا وحيد وليست العيال هنا إلاَّ أجيراً ينظرني ، وهو يطيعني ساعة ؛ ويعصيني جمعة ، أُرَبِّيه للضرورة ، والباقي صحَّتكم وبالخير وفقكم ، هذا ؛ والسلام .

ثُمَّ إنَّك كتبتَ الالتماس والوصية بالتسليم لروضة القطب الحقيقي سيدنا بهاء الحق والدين ! !

فاعلم أيها الأمين ؛ أنك عندي بمنزلة اليمين من الشمال ، وحق الملك المتعال ، وكيف أنساك وخيالُك مقرون بخيالي ، وحبُّك منوطٌ لحالي ، بيدَ أنِّي متعلِّق بـ« لعل » و« عسى » ؛ منتظراً لقدوم أخي حاجي

موسى ، وأرجو الله أن يوفِّقني لتقبيل عتبته ، وتقبل أعتاب باقي السادات الكائنين في تلك الديار .

لِـي سَـادَةٌ مِـنْ عِـزِّهِـمْ　　أَقْـدَامُـهُـمْ فَـوْقَ الـجِـبَـاه
إِنْ لَـمْ أَكُـنْ مِـنْـهُـمْ فَـلِي　　بِـحُـبِّـهِـمْ عِـزٌّ وَجَـاه

جعلنا الله وإيَّاكم في بركة السادات القادات أرباب السعادات .

ثُمَّ إنِّي لا أزال في اضطرابِ القلب من الأشغال التي لا تغني من جوع ، فلأجل ذلك لم أسعَ لكتبةِ ما في الخاطر بكيفٍ لائق ، وأسأل منكم أن لا تقطع عنَّا أحوالاتكم وقتاً فوقتاً ، ليكون لنا قوة لقلبي الحزين . هذا ؛ والسلام .

المكتوب الخامس والستون

في حقِّ التوصية بالاستقامة ، وفي حقِّ ترك الدعاوى بالكرامات وفي حقِّ الإجازة للفقير بجميع ما وقر في صدره وبجميع الإجازات التي أجيزت له

قال رضي الله عنه : من العبد الآبق من مولاه خالد سيف الله إلى ولده وقطعةِ خلده ، أمين سرِّه وسرورِ قلبه ؛ حسن أفندي ، وإلى حليفه وخليفه ، وقَهْرمان سرِّه وسروره ، حبيبنا الحاج حبيب الله ، وإلى أولادهما . . . وإلخ .

السلام عليكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وكان اللهُ معكم ، وجعلكم من شرذمة السادات القادات الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ .

وبعد ؛ فإني أستودعكم الله تعالى من كل ما يورث لكم الندامة ، ومن كلِّ ما يطغيكم ، وأسأل الله تعالى أن يجعلَكُم خلفاءَ الأرض ورثةً

للأنبياء ، وأسوة حَسَنة للمقتدين والمتجرِّدين والصالحين ، وأوصيكم بالاستقامة وتركِ الدعاوى بالكرامات ، فإنَّ نسبتكم السنية النقشبندية والشاذلية تدومُ وتنمو يوماً فيوماً ، وتبقى هذين النسبتين إلى آخرها صافيةً عن الكدورات ، مصونة من البدعات ؛ رغماً لباقي المتشيخين ، فإنَّ آثارهم عن قليل تزولُ ، ولا يحصل لهم منها إلاَّ الفتن والنزول ، فاجتهدوا فيما كنتم عليه من الوراثة العظيمة .

وإنَّ سبب أُفول نجم المتشيخين إنما هو بسبب كثرة دعاويهم بالمشيخة مع عدم الإذن من شيخهم ؛ إلاَّ بالافتراء على شيخهم بالأكاذيب القوليَّة والعملية بمجرَّد حوزِ الحطام كما هو معلومٍ لكل أمين لبيب ، وسيظهر لكم بعد الآن منهم رجلاً يكون سبباً عظيماً في إبطال الطريقة باختراع بِدَعٍ فيها ، ولا يطول أمره أيضا ، فأصحابُه يكونون فتَّانين للخلق زمناً يسيراً ، والله تعالى يحفظ دينه القويم .

ثم اعلم أيها الولد الحبيب ؛ أنَّ شأن الدنيا هكذا ؛ كلَّ وقت تؤخِّر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص ، وكانت لي أمورٌ كنتُ أريد بسطَها لكم ؛ بيد أنَّ الله تعالى أوقع الحيلَولَة بيني وبينها ، ولم أقدر إفشاء سرٍّ حفظته دهري بـ« لعل » و« عسى » ، بيد أن الله تعالى جعل في كلِّ شيء حكمةً إلهية لا يدركها إلاَّ من خَصَّه اللهُ تعالى لها ، وجميع ما وقر في صدري صَبَبْتُه في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده ، وفي جميع الإجازات التي أُجِزْتُ ؛ فقد أجزتُك في جميعها ، وكذا في الثِّبات العلمية والطريقية والأويسية ، فإن ساعدني الإلَهُ في الأجل ؛ ولو قليلاً فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح خان الكرماني ، ومحمد نور البخاري ، وشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني ، وما لم تصل لنا الشجرة بالرسم إلاَّ بالقول المحض ؛ فلا نذكرها ، فلا حاجة لذكرها وإطالة القول . والله تعالى أعلم وهو وليُّ التوفيق ، وبيده أَزِمَّة التحقيق .

ثُمَّ إنِّي في هذه الأيام لفي ضعف عظيم ووَهَن ، والحامل ولدي غزم يخبركم عن الحقيقة ، ولقد هممت غيرَ مرَّة لدعوتكم لأراكم قبل أن أرتحل من هذه الفانية ؛ بيد أن أموراً منعتني عن ذلك ، ورؤية القلب والبصيرة آكدُ وأولى من الرؤية بالبصر ، وأنتم عن فؤادي لا تزالون ، وفي صميم قلبي نازلون ، وقد أودعتُكم ولدي أرسلان حسين ، فكونوا له آباء وإخواناً ، ولا تقطعوا عنه نصائحكم ، فعسى الله تعالى أن يجعلَه من صلحاءِ الأُمَّة ، كما أخبرني وبشَّرني به سيدنا ومولانا الكيلاني قدس سره ، عسى الله أن يظهر سرَّه ، والله وليُّ المتقين ، ولا أقطع رجائي من الله من أن يوفِّقَني لرؤيتكم بالتلاق قبل الفراق ، وذلك على الله يسير .

وأما أمور هذا الزمان ! ! فهي كالطوفان تعمُّ الخلق ، ولا يخلُص منها إلاَّ النادر الشاذُّ ، وأرجو أنَّكم منهم ، فكونوا على بصيرة في كلِّ أُهبة مع من تبعكم ، كما قال تعالى ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإيَّاك والاستعجالَ بالإجابة بدعوة كلِّ أحد ، لما أن الداعين ليسوا إلاَّ لأغراضهم الشخصية ، وعسى أن يدعوَكم داعي الحق بالحقِّ ، والله مع الصابرين ، واقتصرت في الكلام بالضرورة لعدم الطاقة لرسمها .

هذا ؛ والسلام عليكم .

ثَمَّ إن ما كتبتَ في حقِّ محمد أمين انصلطي فقد قطعتُ النظرَ عن كتبتها ، فقد ابتلي بالتلبيس ؛ عياذاً بالله ، ولا يطول أمره ، بيد أن المداراة مع أمثاله من علاجاتِ أمراض الزمان . فافهم . ومني التسليمات لجماعتكم ؛ صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثاً ، وأوصيهم بالدعاء جزاهم الله تعالى خيراً .

المكتوب السادس والستون

في حقِّ إساءة خُلُقِ بعض أولاد هذا الفقير

قال رضي الله عنه : إلى حضرة مَن نور فؤادي ذكرُه ، وسرور روحي تَذَكُّره ؛ خليفة السادات ، حائز الكمالات ، أخينا المجددي حسن أفندي النقشبندي ، وإلى عياله وأهلِ دائرته ووداده : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وزادكم بسطة في المال والجسم ، ليكون قوَّة في حفظ حال .

وبعد ؛ أسأل الله العظيم صحتكم وسلامتكم من مورِّثات ندامتكم ، وأن يَسُرَّنا بالاستقامة مع عاقبتكم .

ثمَّ إنَّه وصلت لديَّ رسالتكم المنبئة عن أحوالكم ؛ فصارت موجبةً للفرح والسرور ، وزال عنا الوهن والفتور ، فجزاكم الله تعالى عني خيراً ، وزادكم مثوبةً وأجراً ، وإن سألتم عن الفقير ! ! فهو متوغِّل في غرور هذه الفانية الفتَّانة كأنِّي المبشَّر بالخلود ، وأوصيكم الدعاء بخلاصة قلب الفقير عن الأغيار ، وأن يعصمنا من المؤاخذة حين لا عاصمَ سواه ، ونرجو منكم أن لا تقطعوا عنا أحوالاتكم ، ومالكم وعليكم ، لما أنَّ ادخال السرور في قلب أخيه المسلم يوجبُ موهبةً من الله تعالى كما هو شأنُ التقي الصالح ، بيد أن الفقير في كلِّ وقت مقبوضُ الحال منكدر البال ، عسى الله تعالى أن يشرحَ صدورنا ويعافِينَا من كدورات الدنيا ، ويشغلنا له به من غيره ، والباقي صحَّتكم .

ثمَّ إنَّ شكايتكم عن ولدكم أَلْهَتْني عن مسرَّة رسالتكم ، فاصبر أيُّها الأخ كما صبر أولوا العزم من الرسل ، فليس ذلك مخصوصاً ، ولم تزل السادات عن هذه الآفات التي توجب الدرجات ، وقد قال القطب

الشعراني : ثلاثةٌ لا يفلح غالباً ؛ ولد الشيخ . . .إلخ[1] والله تعالى رحيمٌ كريم ؛ نرجوه سبحانه وتعالى أن يهديه السبيل ، ويجعله خليفةً لكم ، وما ذلك على الله بعزيز . هذا ؛ والسلام .

أقلُّ العباد سيف الله.

دعاء حسن

اللهم ؛ اجعلني من أعظم عبادك حظّاً ونصيباً ؛ في خَيْر تَقْسِمُهُ في هذه الليلة ؛ من نورٍ تهدي به ورحمةٍ تنشرها ، ورزق تبسطه وفضل تقسمه على عبادك المؤمنين ؛ يا الله ، يا الله ، يا الله ، لا إله إلا أنت ، اللهم ؛ هَبْ لنا قلباً تقيّاً ؛ نقيّاً من الشرك ، بارّاً ؛ لا كافراً ولا شقياً ، وقلباً خاشعاً ضارعاً ، اللهم ؛ املأ قلبي بنورك وأنوارك ، ومشاهدتك وجمالك ، ومحبَّتك وكمالك ، وعونك وقدرتك ، وحكمتك وعلمك ، يا أرحم الراحمين ، إنك على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم .

اللهم ؛ افعل بنا وبهم عاجلاً وآجلاً ؛ في الدين والدنيا والآخرة ما أنت أهل له ، ولا تفعل بنا ما نحن له أهل ، إنك غفور حليم ، جواد كريم ، رؤوف رحيم .

من خط المرشد أبينا المعنوي
حسن أفندي قدس سره العزيز؛ تبركاً.

(١) تمامه : وخادم الشيخ ، وزوجة الشيخ .

المكتوب السابع والستون

في حقِّ ما كتبه إلى بعض السالكين ، وهو العالم العارف النحرير بحر العلوم الفائق ملا لمحمد القروشي القراخي وفيه منافع كثيرة ، وفوائد عديدة بالوعظ والنصيحة

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، كيف لا وقد قال عز من قائل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق ، والخاتم لما سبق ، الذي شرع الدين الواضحَ لكم ، وعلى آله وأصحابه ساداتكم وقاداتكم .

إلى حضرة العالم المرجوِّ للاستقامة بعمل صلحاء الأمة ؛ محمد بن ملا القروشي ؛ عليكم وعلى آلكم وعلى أحبابكم سلاماً يتوالى ويتسلسل فيما يلي أولاً وآخراً ما دام سلام الله عليَّ .

وبعد ؛ إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأستعينه وأشكره بما هو أهله ، وأسألُه سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيَّاكم ممن فنوا فيه وفازوا وبقوا ، واستراحوا بالبقاء فعزوا .

ثم اعلم أيها الولد الأسعد إن شاء الله الواحد الأحد ؛ أنَّ الفقير هذا لما طال مقامه على عتبات السادات التي هي مقام من يبدِّلُ الله سيِّئاتِهم بالحسنات ؛ وإن لم يكن مستحقاً للوقوف بين أيديهم نظروه بعين الإنصاف التي هي عين العناية ، فكدت أن أذوبَ حياءً منهم لكثرة عطفهم وشفقتهم على عباد الله تعالى ، وكمال كرمهم على خَلْقه سبحانه وتعالى ، مع ما فيّ من القصور وكثرة العثور ، فأرادوا إلقاء حبل الخلافة الصديقيَّة على عنقي ، وإقامتهم إياي في مقام أهل الولاية ، فأبيت عن قبول ذلك غير مرة لما علمت ما فيّ من الرعونة ، فلما لم يرفعوا عني

أيديهم بعد أن تعلَّلتُ ؛ وإن كان في ذلك ترك أدبهم قبلتُ أمرهم ، والتزمت ما ألزموني ، فللَّه الحمدُ والشكر ، وذلك خوفاً من الوقوع من أعينهم التي هي الوقوع بالحقيقة من عين الله ؛ عياذاً بالله تعالى ، إن خرجت من أمرهم ، فبعد أن أقاموني في هذا المقام ما زلت مدهوشاً حيراناً ، لا أعلم ما أفعلُ ؛ خوفاً من سطوتهم وعِظَم خطرِ هذا الأمر . اللهم أيِّدنا على آدابهم .

ولم يبق عليَّ الحالُ القلبي ولا لَذَّة الطاعة ، ولا بعض ما كانت من قبل ، ومع ذلك جلستُ في هذا الموضع بين الكفَّار ؛ ظنّاً مني أن الراحة تكون هنا ، وكان الأمر إلى الآن كذلك ، والآن صعبَ عليَّ الوقوف هنا أيضاً ، وذهبتْ المؤانسة المطلوبة ، وصار الناس يكثر عليّ يوماً فيوماً ؛ مع كون ذلك أشدَّ الأمور التي كنتُ أخاف منها ، ولأجل أمر مرشدنا عليَّ بالتأكيد بإظهار الأمر استعفيته غيرَ مرَّة خوفاً من جور الزمان ، لكن لما لم يَزل عنِّي أمرُهم أجبته من تلقاء نفسي لأمره ، والتزمتُ امتثاله ، لكن لا أجيبُ الجائين ؛ ولو بعشر معشارهم ، خوفاً من أبناء الزمان ، ومع كون الأمر على هذه الكيفية ما منعتك أيُّها الولد عن مرادك ؛ وإن كنت أكره الإجابة ، وأرجو الله تعالى أن يجعلك من هذه الطائفة ، وأن يقرّ عينك بالفوز بالنسبة السنية الصديقية من الطريقة النقشبندية .

وسبب كراهة نظري إليكم ما كانت إلا لأجل اضطراب قلبكم وقالبكم على واحد من المشائخ ، وكثرة تردُّد خيالاتكم فينا وفي غيرنا ، وأنت تعلمُها ، ولكن لمّا كانت إجابة الداعي للخير واجباً أجبتُك بالخير إن شاء الله ، وأرجو الله أن يجعلك من أتباع قطبِ الحقيقة وغوث الخليقة ؛ بهاء الحق والدين شاه نقشبند خواجه محمد البخاري الأويسي قدس الله سره ورزقنا متابعته ، فعليك الآن أن تلقيَ بذر اجتهادك على أرض عنايتك ، لتفوز يوماً بثمر حصاد جهدك ، واقبل نصيحتي هذه إني أعظك أن تكون من النادمين .

ثمَّ إن اسم المريدية لا يغنيك من جوع ، ولا يجدي لك بنفع ، فذر الاسم وابتغ المسمى ، عسى الله تعالى أن يبعثك مقاماً ! !

مبنى هذه الطريقة

واعلم أن هذه الطريقة مبنية على أصلين أصيلين :

١ اتباع سنة النبي ﷺ ،

٢ ومحبة الشيخ المقتدى ، فإذا وُجِدا ! فالفقدانُ عين الوجدان ، وإذا فُقِدا ! فالوجدان عين الفقدان .

حال المريد مع الشيخ

فاعلم أيها الولد ؛ أن التصديق للشيخ - فإنه أمر إلهي - يضعه الله في القلوب ، فلا يقدرُ أحدٌ على الانفكاك عنه ، ولو رأى منه ألفَ معصية ، لكن إن كان المريد صادقاً ؛ فثواب صدقه أن لا يرى من الشيخ إلا ما يطمئن به قلبه ؛

وذلك لأن المريد إذا أحب الشيخ المحبَّةَ الكاملة سكن الشيخ معه في ذاته وحاله بمنزلة الحبلى التي تحمل بولدها ، فإنَّ حملها تارة يتمُّ صلاحه ، فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه ، ولا يسقط ، ولا يجيء منه شيء ، وتارة يحصل له رقاد ؛ ثم يفيق ، فالإفاقة تختلف فقد يفيق بعد شهر ، وقد يفيق بعد عام ، وقد يفيق بأكثر من ذلك ، فهكذا حالة المريد إذا حمل شيخه ؛

فتارة تكون محبَّتُه خالصةً تامَّة فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله تعالى عليه .

وتارة تكون محبَّتُه منقطعة بعدَ أن كانت صادقة ؛ بسبب عروض مانعٍ نسأل الله السلامة منه ؛ فتتبدل نيَّتُه في الشيخ ، وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليها .

وتارة تقف محبَّتُه في سيرها ، ثم تعود إلى سيرها مدَّة قريبة أو طويلة ، فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته ، فإذا رجعت المحبَّةُ رجعت الأسرار .

فليختبر المريد نفسه من أي قسم هو من هذه الأقسام الثلاثة .

فحاصل المطلوب أيها الولد ؛ أن تمتحن حالك عند شيخك بهذا الميزان ، فبأي مقام في قلبك شيخُك ؛ فذلك مقامُك في قلبه ، على أن محبَّة الصغير الكبير جذبُ ما في الكبير ، ولا ينفع المريد بمحبَّة شيخه إن كان لغرض ، بل لازم أن تكون محبَّتُه متعلِّقَةً بذات الشيخ متوجِّهَةً إليها بلا علَّة ولًا غرض ، فزن نفسك بهذا الميزان لتظهر العيان ، واحفظ هذا الكلام ، فإنه نفيس ؛ بيد أن الناس يظنُّون أن الجميل للشيخ على المريد ، بل الجميل في الحقيقة للمريد على الشيخ ، وقد سبقَ أن محبَّة المريد هي الجاذبة ، ولو كانت محبة الشيخ هي النافعة ؛ لكان كلُّ مَن تلمذَ له يصلُ ويبلغ ما بلغت الرجال ، وعلامة المحبَّة الصافية سقوطُ الميزان من المريد على الشيخ ، حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله ، وحركاته وسكناته ، بل جميع أحواله كلّها موفَّقةً مسدَّدةً في نظر المريد ، فما فهم له وجهاً ؛ فذاك ، وما لم يفهم له سرّاً ! وَكِلْه إلى الله تعالى ، مع جزمه بان الشيخ على صواب ، ومتى جوّز المريد أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقط ، سقط على أُمِّ رأسه من عين الله ؛ عياذاً بالله ، ودخل في زمرة الكاذبين ، والشيخ لا يطلب من مريده خدمةً ظاهرية ، ولا دنيا ينفقها عليه ، ولا شيئاً من الأعمال البدنية ، وإنما يطلب منه هذه الحرف لا غير ، وهو أن يعتقد في الشيخ الكمال والتوفيق ، والمعرفة والبصيرة ، والقرب من الله عز وجل ، ويدوم على هذا الاعتقاد ، فإن وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ، وقد كتبتُ إليك هذه الإشارة لتمتحن نفسَك وتضعَ نفسك في هذا الميزان ، لتكون من الذين سبقت لهم الحسنى ، ولقد رأيت أقواماً من المريدين والمتشيخين يتكلَّمون في المجالس على

تنسيب أحوال أشياخهم على العثور ؛ عياذاً بالله ، ويتكلَّمون بكلام لا نتجاسر على كتبتها هنا ، فضلاً عن ذكرها باللسان ، وإياك عن المخالطة عن أمثالهم ، فإن جادلوك فجادلهم بالحسنة ، وأعرض عن الجاهلين .

واعلم أيها الولد؛ لا شيء للمريد أضرُّ من مخالفة الشيخ ، والاعتراضِ عليه ، وعلى الأولياء رضي الله عنهم ، وترك تعظيمهم واحترامِهم ، بل لا يدخلوا على الشيوخ ، ولا يقعدوا بين أيديهم إلا على الطهارة ؛ ظاهراً وباطناً ، مسلمين متسلمين ، وكن أيها الولد مليحاً أميناً ، قانعاً قانتاً لله ، عَفُوّاً ، رفاعيَّ الهمة ، حاتمي الطوية ، وقد حضر لدي بعض الوافدين يطلب مني الإسلاك في هذه النسبة وهو جنباً فاحشا ، وظنه لاختبار حالي ، وجلس أمامي كالأديب المتورع ، فما رأيت له بعض رجاء رجوعه إلى التوبة ، بل احترمته من بين إخوانه ، بيد أني قلت سرّاً : لا حاجة لك أيها الأخ لتمتحن فيّ بمثل هذا الحال المرغوم ، فإن الله تعالى يعلم السر والعلانية ، ويجزي الفاعل بفعله ، فاحمرت وجنتاه ، وذهب ثم وثم . انتهى .

وعليك أيها الولد الأمين بالملازمة بالأدب في كلِّ الأحوال والأقوال ، والحركات والسكنات ، إن كنت تريد البلوغ مبلغ الرجال ، وأما الآداب ! فستقف عليها إن شاء الله تعالى ، واترك الطمع من الناس ، لما أن المريد لا يبلغ الكمال ما دام طامعاً غير الله تعالى ، ولازم على السنة النبوية على صاحبها أفضل التحيات في كل شيء ، ولا تترك الجماعة ؛ بزعم عزلتك وخلوتك ، ولا تخالط مع الأغنياء ؛ طمعاً عما في أيديهم ، فالقساوة الحاصلة من القرب إليهم أشدُّ مما حصلت من القرب بالكفار ، وستعلم معنى ذلك إن شاء الله ، واجعل أصحابك من الفقراء المتقين إن كنت محتاجاً إلى الصحبة ، ولازم الوقار والصمت ما استطعت ، وأكرم علماء الشرع الظاهر ، فهم الأمناء إن شاء الله تعالى ، ولا تذر أسباب المعيشة وكن على طلبها ؛ لما أنَّ طالب المعيشة لنفسه ولعياله كالمجاهد

في سبيل الله تعالى ، ولا تظنَّ أن التوكُّل إلى الله أفضل من طلب المعيشة والكسب ، فلسنا من خيل ذلك الميدان ، وبيننا وبين أهل التوكل مراحلُ ، ونرجو الله أن يجعلنا من المتوكلين .

واعلم أيها الولد ؛ أن الكامل مَنْ يُسْلِك الناس وهم في حرفهم ، وقد رأيت في زماننا هذا بعض المتشيخين جالسين على سجادة الشيخوخة تاركين الأسباب والحِرَف ؛ أكلُهم وشربُهم ولباسُهم كالأمراء ؛ يمدون البساط بأنواع الأطعمة ، ويجلبون الأغنياء والمترفهين ، ويبدعون أموراً من أنفسهم لم تقع في السنة المحمدية ، ولا في النسبة الصديقية ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، أولئك لا خلاقَ لهم في الدنيا والآخرة ؛ ومالهم من ناصرين ، ويدورون في القرى مع عساكير المريدين ، ويجتمعون على الأكل والشرب واللذاذات ، يأكلون لحوم الناس ؛ ويمدحون أشياخهم ، ويتكلَّمون من كراماتهم وخرق عوائدهم ؛ بما لم تقع قط ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ! ! ولا تستحسن أيُّها الولد أمثالَ هذه البدع ؛ وقد علمت من العلم النافع أنَّ البدع كلَّها ضلالةٌ إلا ما استحسنه الشرع الشريف ، وقد قال الله تعالى في حق هؤلاء القوم فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولا تدخل في ولائمهم المواليد ، إلاَّ إن كان المولد على ميزان الشرع ، فانظر في حقِّه إلى كلام الإمام الربَّاني قدس سره ، والقطب الشعراني قدس سره النوراني ، وأمثالهم السادات ! ! لما أنَّ الجهلاء يجتمعون في المواليد ، وفي أكثر المواضع يجتمعون مع النساء ؛ وأنتم تعلمون أن سماع أصواتهم حرامٌ كحرام رؤيتهم ، ويظهرون أموراً ، ويجهرون أصواتاً مزعجة ، ويرقصون ؛ بل رأيت من يرمي المكيفلات بينهم ، ولما سألتهم عن هذه الأمور : ما هذه ؟ ! أجابوا لي للتأثير في القلوب ؛ لا وَحَاشَا عن أثر حصلت من بدع سيئة ، بل هي من آثار السامري وأهله ، ومع ذلك لا يقبلون في محافلهم إلاَّ الأغنياء الكرام ، ولا يؤدون حقوق الناس قبل فعلها ، اللهم وفِّقْهم ووفقنا لإقامة الحقِّ وإدحاض الباطل ، واهدنا إلى سواء الطريق ومنهاج التحقيق .

واعلم أيها الولد ؛ أن الآفاتِ كلُّها تدخل على أهل البدايات ، فاجتهد أن تكون من الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الآية . ولا تغترَّ من شغلك في جميع حركاتك وسكناتك ، ولا تترك الحضور حتى في الكَنِيف[١] ، وانظر إلى آثار السادات من كتبهم ككتب الغزالي ، والشعراني ، والإمام الرباني ، وشاه خالد السليماني البغدادي ! ! فإنَّما هي من جند الله للمريد ، فإن لازمت على الذكر المأمور حتى يصير الذكر مَلَكَة ؛ فينتقل الذكر بنفسه . . . قدٍ قدٍ[٢] إلخ إلى لطيفة أخرى ، ولأجل الضرورة الحاصلة ببعد المسافة - وإن كانت خلاف الأولى عند السادات - أُلَقِّن الذكر لك من لطيفة الروح ؛ وهي تحت الثدي الأيمن تحت قدم نوح وإبراهيم عليهما السلام المستفيضان من نبينا ﷺ ، فلازم على ذكر خمسة آلاف من لطيفة الروح بالسرِّ ، كما من القلب ، ولا تترك القلب مهملاً ، ثم . . وثم .

ولقد كنت على قصدِ كتابة شيءٍ من الآداب والوصايا ، بيد أنَّ الوقت لم يصفُ لي ، فلعلك تَغنى بهذا عن التطويل ! ! وسوى ذلك أنَّ جميع ما يحتاج المريد جمعتُها في أرجوزتي « كنز المعارف في أسرار اللطائف » ، وأرجو عن قريب تقفُ عليها ، ويظهر إلى الخارج غُنْيَةً لأولي الألباب إن شاء الله تعالى ، وذيَّله ابن الشيخ المرشد المجدِّد حسن أفندي ، وهو العالم العارف محمد عارف مادحاً شيخ والده :

فَهَـذَا الكَرِيمُ قَدْ أَفْشَى كُلَّ مَنْبَعِ الـ ... عُـلُـومِ وَأَسْـرَارِ الـطَـرِيـقَـةِ أَجْمَعُ

وَأَوْصَـى أَخَـانَـا فِي الإِلَهِ بِـأَتْـبَـعِ ... مَـنْ عَـيْـنُ أَخْـلاَقِ الشُّيوخِ وَأَوْسَعُ

فَـللَّهِ دَرُّ هَـذَا الـقُـطْـبِ الـمُفَضَّلِ ... لِـكَـيْ نَـبَّـهَ أَمْـثَـالـنـا كُـلَّ مُشْفَعُ

---

(١) موضع قضاء الحاجة .

(٢) أي هكذا . . . على سليقته مستمراً .

فَـأَرْجُـوكَ يَـا هَـذَا الكَرِيمَ شَفَاعَةً إِلَـيْـكَ لَـدَى الإِعْسَارِ وَاليُسْرِ أَفْزَعُ
فَشَيْخِي فَقْد تَصَبَّرت فِي طَلَب التُّقَى فَـمَـنْ لِـمُـسِـيءٍ بِـالـهَـوَى يَتَمَتَّعُ
أُسْـتَـاذِي فَـإِنْ نَسِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي إِذَا كَانَ لِي فِي القَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ
وَإِنِّي ؛ وَإِنْ عَظُمَتْ وَفَاقَتْ خَطِيئَتِي فَـلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ السَّادَاتِ أَقْرَعُ
كَسَلْتُ عَنْ أَعْمَالِ الكِـرَام بِذِلَّتِـــي بِـهِ صِـرْتُ فِـي أَرْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
فَأَرْجُو صِدِيقَ القُطْبِ مُلاًّ مُحَمَّدِي دُعَـائِي فَلِي فِي بَابِ جُودك مَطمَعُ
وَإِنِّـي أَخُـوكَ ابـنُ مَأْذُونِ شَيخِكُمْ مُـحَـمَّـدُ عَـارِف لِمَدْحِكُمْ يَسْمَعُ
وَإِنْ كُـنْـتُ مُشْتَاقاً لِرُؤْيَةِ جِسْمِكُمْ لَـمَـا فـزتـهـا غَـيْـرَ ذِكْرِكُمْ يُسْمَعُ

انتهى من خطه

المكتوب الثامن والستون

في حقِّ بيان شمائله وأحواله ؛ إذا طلب منه العالم الماهر الحاذق إمام غزالي القراخي تسليكه في دائرة المريدين السالكين في الطريقة ، وفي حقِّ مواعظه ونصائحه له

قال رضي الله عنه : بعد السلام ؛ فإني أسأل الله سبحانه وتعالى بعنايته وفضله أن يذيقكم حلاوةَ العرفان ، وأن يمنَّ عليكم من الفيوضات القيومية مقدارَ ما يوصلكم إلى مقام الإحسان .

وإن سألتم عن خادم الفقراء ! ! فإنِّي في عافية والحمد لله رب العالمين ، ثم إنه وصل لديَّ كتابكم بتأهُّلكم إيَّاي للمقام العلي ، والرحب السني ؛ وإن لم أكن من خيل ذلك الميدان ، فجزاكم الله تعالى عني خيراً ، ولا لاقاكم ضيراً بإظهار إرادتكم السلوك في بحر زخار ، وتشوُّقكم التثبتُ في منهج المصطفين الأخيار ، مستفصلاً مني عما فيه المصلحة ، وقد أعجبني حسنُ كلامكم وملاحةُ عبارتكم .

فاعلم أيها الأمين – جعلكم الله خلفاءَ في الأرض ، ويجعلكم الوارثين – أن ذلك القصد عنايةٌ من الله وفضلٌ عظيم ، ولعل روح القدس نَزَل في سرِّكم ليهديَكم إلى صراط المهتدين ، وعسى أن تفوز بكلِّ فضل ، وما ذلك على الله بعزيز ، بيد أن الفقيرَ لوَهَن قوَّته وقلَّة ملكته كأنه قطع النظر عن أمثال ذلك ، لكن الإجابة للداعي لمّا كان مشروعاً من الله ورسوله وخلفائه ؛ لم أجد بُدّاً إلاَّ بكتابة حصة من الحال .

أيها الولد يفودون عليّ وفوداً من الرجال والنساء ؛ يسألون الإسلاك والتوجُّه ، وأكثرهم من العلماء ؛ بل من المشائخ ، بحسن ظُنُونهم في الفقير المغبون المفلس ، لكنّ الفقير لمّا نظر إليهم لم يجد سرَّهم مع علانيتهم ، ويظهرون ما ليس في قلوبهم ، ولعل أكثر رؤية ذلك إنما هو من قصور الفقير أو من سوءِ ظنِّه ، أو من تخيُّلاته ، فيروحون لديَّ بالفرح والسرور ، ثم يرجعون بالشتم وإظهار العثور ، فأنتم أيَّها الولد من العلماء ، ويمكن منكم طلبُ المرشد الكامل ؛ أو الأكمل أو المكمَّل بدوني ، لما أني أعلمُ ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، فإن كان ولا بدَّ ورضيت على هذا العاجز المهين ، فعَضَّ بالنواجذ على الآداب ، وتطالع في كتب القوم لتفوز بمعرفة آدابهم واصطلاحاتهم ، ليسهل لك طريق الخير .

واعلم أنَّ الطرق مبنيَّةٌ على أصلين أصيلين : اتباع سُنَّة النبي ﷺ ، ومحبَّة الشيخ المقتدى ، فإذا وجدا ؛ فالفقدان عينُ الوجدان وإذا فقدا فالوجدان عين الفقدان ، فتفكر أنَّ لك أسوة حسنة ممثلة في رسول الله ﷺ كيف اجتهد في إرجاع القرشيين من قومه إلى الإسلام فلم يقدر أن يهديهم ، ولا لإيصال الخير ، حتى نزل ما نزل من الله تعالى بقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ إلخ ، وانظر إلى سلمان الفارسي عليه السلام من أين أتى وجاء ، وكيفَ وصل لديه ﷺ وفاز بكلتا الحسنين ، وذلك

لشدَّة محبته لرسول الله ﷺ ورؤيته رسولاً نبياً ، وعدم نظر القرشيين إليه ﷺ بعين المحبَّة ، وعدم رؤيتهم إياه رسولاً ؛ حتى سمَّوه « ساحراً » « كذاباً » أو « مجنوناً » أو . . .إلخ ، وهذا الحد في ورثته إلى وقته ، فتفطن في ذلك ، فذلك مزلة أقدام كثير من العلما فضلاً عن الجهلاء ، فإن أظهرت حب شيخك وباطنك على خلافه فلا يحصل لك نتيجة عملك ؛ وإن كان عملك عمل الثقلين ، ولستَ بجاهلٍ ذلك إن شاء الله تعالى ، وإن حققت قصدك ووافق ظاهرك بباطنك فذلك رأس مالك ، وذلك أن للنفس دسيسات خفية لا يُدركها إلا من أتى الله بالقلب السليم (وللمحاورة معه الفتوة) فأولاً أيها الولد لازم التوبة الصادقة التي تصلح العلانية بطانتها ، ولا أفُسِّر لك لِشُهرَتِها عندكم ، وأن تَكون طاهر القلب والقالب والبدن ؛ بل والثوب ، فالتوبة النصوحية معيار الطريقة ومحور الحقيقة ومنبع المعرفة ، ثم بعد تصحيحها لازم الرجوع إلى محاسبة نفسه قبل أن يحاسب ، وأن لا يرى عمله شيئاً وإن عمل عمل الثقلين ، وأن يترك أبواب الأغنياء وأهل الدنيا ؛ خاصة النساء والأحداث ، لما أنّ الشيطان يخوِّف أولياءه ويعدهم بالفقر والله هو الغني الحميد ، ثم يجتهد للذكر سراً وجهراً ليلاً ونهاراً ليتطهر به قلبه وسره من الأدناس والوساوس قبل أن يصل إلى عتبة المرشد ؛ ليكون لقاءه نوراً على نور يهدي الله من يشاء بنوره ، ويكثر من قراءة القرآن بالتدبر والترتيل لما أنّ الترقي بذلك أعظم ، فبعد أن ذاق حلاوة الذكر والقرآن لازم أن يقصد بالآداب إلى مرشد كامل ، وإن ذهبت من المشرق إلى المغرب فليس ذلك بكثير لعزِّ مطلبه وسموِّ مقصده ، فإن قبل المرشد فنعم ، وإن طرده فليكرر الحضور والقيام في بابه بالأدب فعسى أن يفوز بنظره لما أن نظره نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وإن لم يقبل المرشد إياه مرات وأمره بالرجوع رغماً بالأنف فلا تسوء ظنه عليه حينئذٍ ، بل تندم على قصورك ، وتشكر سعي شيخك لتنبيهه إياك من الغفلة والفتور ، وإن رأى من الشيخ ما ينكره الشرع فلا يهجم عليه بالتعيير ، بل ينسب ذلك إلى قصورك لأن

للمرشد في حق المريد معنىً ، إذ قد يتجاهل الشيخ عند المريد في التقلين أو في الصلاة لو فعل الجاهل مثله لا يقبله الشرع أصلاً لمجرَّد إظهار اعتقاد المريد ، فلازم على المريد السالك أن يكون على حدِّ الآداب ، وأن يطالع كُتُب القومِ حتى يلاقِيَهم ، فما رأيتُ من الحاضرين مَن يحضر بالأدب إلاَّ النادر ، أَدَّبنا الله تعالى بآداب السادات ، وجعلنا من ذوي الحالات ، إنَّه جوّاد كريم .

فحيث أن قصدت الجلوسَ في مجلس القوم الذين هم الملوك بالحقيقة ، وقمتَ على ذلك الرأي قيامَ عبدٍ مخلص ، فمن الذي يمنعك ؟ ! فهدايةُ أحد من عباد الله إلى طريقِ الله بواسطتي إن وفقني الله لذلك ؛ فهو أعظم عندي من الدنيا والآخرة ، وسلوك عالم في مسلك سالك أعزُّ عندي من كل غنيمة ، فاجتهد أيُّها الولد لأن تكون من قوم لا يشقى جليسهم لتفوز عند الله بالحسنين .

واعلم أن التلقين لا يمكن بالرسمِ إلاَّ بتهذيب النفس في خدمة الشيخ كما تعلم ذلك ولست بجاهل ، إلاَّ للضرورة توجب ذلك ، وفي ذلك تركُ أدب السادات ؛ عياذاً بالله ، فكن أيُّها الولد مشمِّراً بالاجتهاد في تزكية النفس وفقَ طاقتك ، والله يوفقك للخير ؛ كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ ﴾ . . .إلخ . ولئن ساعدنا في الأجل والقضاء ! ! فنفعلُ إن شاء الله عند الملاقاة ما قضى الله .

ثمَّ إنَّ السنَّة السنِيَّة هي عمدةُ الطريقة ومدار الحقيقة ، فعليك به أوَّلاً لتفوز مع الفائزين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

واعلم أيها الولد أن ديارنا خاصَّة صارت دار فتنة بكثرة المبتدعين الذين هم أصحاب المتشيخين ، والمتعصبون العلماءُ الغافلون والمشائخ الكاملون[1] هم سوامر الزمان ، استفادوا عبادة العجلة من سامري ،

---

(١) أي : المشائخ الذين يسعون مثل الناقد بين الناس (قحي ؛ هامش الأصل) .

ويعدُّون كلَّ مؤمن تقي أو مسلم حقيقي مرتدّاً ، أو كافراً ، أو منافقاً ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ ، ويعملون أعمالاً ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا وهم في الآخرة . . .إلخ ، يبتدعون أموراً لم يأتِ بها الكتاب والسنة ، ويسعون في القرى مع طوائف الجهلاء المفسدين ، وينشدون أدعية وأشعاراً ويَثِبُون في المحافل كالمجذوبين ، ويعدُّون ذلك من جهالتهم جذبة ، أو هم من المجذوبين ، ويؤذون الناس بأفواههم وأيديهم ، ويعدُّون ذلك مثوبةً عند الله وأجراً . . . وإلخ . . . وإلخ . . . وإلخ ، وإياك إياك أيها الولد عن التقرُّب إليهم ، والجلوس معهم فتقع في هاوية الضلالة ، ثمَّ لا تقدر الرجوع من هنالك ؛ ولو تليت عليك التوراة والتنزيل ، وقد قال تعالى في حقهم ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾ . . .إلخ ، فوربِّ العزَّة ؛ إن إرجاع وَثَني وإهداء عشرة منهم أرجى وأسهلُ من إرجاعهم ؛ أي : تلك الطائفة ؛ ولو واحداً إلى طريق الشرع والهداية ، لا كثَّر الله أمثالهم ، وقد ورد في الحديث « مَن تَزَهَّدَ بِغَيْرِ عِلْم زَهِدَ بِجَهْلٍ يجنُّ آخِرَ عُمُرِهِ ، أَو يَمُوتُ كَافِراً » عياذاً بالله من الخذلان وسوء العاقبة ، وقد كَثُر أمثالهم بين الناس ، وكاد الدين أن يذهب من شؤمهم ، كلامُهم من فوق المنتهى والدرجاتِ ، وأفعالهم الحيوانية الدَّركات ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ .

وأما ما سألت من الطرق ؛ وأي طريقة تأمرني ! !

فاعلم أيُّها الحبيب أنَّ الطريقة النقشبندية ؛ وإن عَظُم مدركها وعَزَّ مركزُها قلَّ مَن يديرها في هذا الوقت ، ولا نجد المتأهِّل لذلك إلاَّ النادر فالنادر ، وذلك كالغراب الأعصم لعِزَّتها ، وإن الذكرَ القلبيَّ يحتاج إلى احتياط ودِقَّة في مراعاة الأدب ، لما أن باب تلك الطريقة لعزَّتها ضيِّقةٌ صعبةٌ ، وأرى في هذا الزمان الطريقةَ الشاذِلِيَّة التي هي أمُّ الطرق وأجدرُ

لِسَعَةِ طريقها وانتشار صيتها قد أمرت لأكثر أحبابنا بذلك ؛ نظراً إلى الزمان والوقت ، فإن ساعد في إدارتها فيتنوَّر باطن السالك ، ثمَّ يسهل عليه بفضل الله باقي الطرق إن كان في غيرها عنايةٌ ، والله الهادي ، فاصبر قليلاً وما صبرك إلاَّ بالله ، وقد أطلتُ الكلام معكم في غير وقته ، وإن كان خارجاً عن المراد ، وإن لم أقدر أن أحسن الكلام على وجه الأحقِّ ، ولعلكم لا تعيبون ، وفَّقكم الله التخلِّي والتحلِّي ، ورزقكم البقاء في الفناء ، وجعلكم من الأقطاب والسادات الصالحين . آمين . وأوصيكم بالدعاء للفقير أقل العباد سيف الله النژبكري .

في ١٩ نيابر ١٩١٥.

المكتوب التاسعُ والستون

هذا كتاب كتب قطب الوقت ومرشدُ الخلائق خالد سيف الله ؛ ناصحاً لمريده المتجاوز السالك محمد أمين الأنصلطي حين سمعه يدَّعي الغوثية ، وجاء من عنده الكتاب إليه .

قال ﵁ : وعليكم السلام أزيد مما أرسلتم إلينا ، أيها الولد المتجاوز ، المرجوُّ للتوبة النصوحية ؛ محمد أمين أفندي ، وإلى أهله وعياله . . .إلخ .

ثم إنه وصل لديَّ كتابُكم ورضيت بخبر صحَّتكم ، بيد أنَّه أعجبني كلامُكم في خصوص ما نطقت أيها الولد الأعز ؛ إن النظر إلى كتب السلوك جندٌ من جنود الله ، واستفادة آداب السادات قِسْمٌ من سعادة عُبَّاد الله ، ولا بد للسالك الصادق من رعاية الآداب وصونها ، اللهم أيِّدنا عليها آمين ، وإن مكث الصادقُ على الرياضة عُمْرَ الدنيا ليس بكثير لمن يرجو لقاء الله وعمل صالحاً ، وإنَّ الذهاب خلفَ المرشد الناصح من

المشرق إلى المغرب ليس بكثير أيضاً ، ولا أعزَّ لبصير ؛ نظراً لما يحصل من الفقراءِ لله من الحضور الذي لا يساويه الدُّنيا والآخرة ، ولقد صَبَر سيِّدنا ومولانا الشيخ خالد السليماني قدس سره مع كماله وتورُّعه يسعى في البراري والقفار أزيدَ من عشرين سنة يتطلَّع على شيخه ؛ وهو يطرده بالشماتة والسبِّ ، حتى في آخر الأمر بالضرب ؛ بأن أخرجه من عنده ، ومع ذلك لم يكد يختلِ قلبُه ، بل صَبَرَ صَبْرَ أولي العزم ، فنال بذلك المرتبة الأسمى والقطبانية العظمى ، ومع هذه الأمور وقلَّة المتأهلين في هذه العصور إني ما زلت أرجع الوافدين من عندي بالقول المعروف ؛ نظراً لقلَّة اعتناءِ القوم سِوى إرادة مجرَّد الاسم بالمريدية أو المرادية ، وإني ؛ وإن كنتُ أريد إرجاعك من منهلي لتعلَّق إلى من هو أعذب مني ، لقَّنتك من الطريقة التي عليها سادات القوم والأقطاب والأغواث التي اعتنى بها جميعُ الطرق ؛ وهي الطريقةُ الشاذلية ؛ من فروعها المدنية ، والتجانية ، والخلوتية ، وأمثالها التي أخذها القطب الحقيقي شِفاهاً من رسول الله ﷺ ، وذلك نظراً لسَعَة وكثرة الصفح والعفو لضعفاء أهلها مثل أمثالنا نقع في كلِّ ساعة في ترك أدب يوجب التوبة منها ، وتوبة التوبة كذلك ، وما كان ذلك مني لك إلاَّ شفقة عليك ؛ وحرقة للقلب على أمثالك الضعفاء ؛ مخافة وقوعِكم في هفوة أو ترك أدب ، ورجاءَ أن يفتح اللهُ لكم باباً من العناية من بحر علم الشَّاذلي الذي اقتبسها من بحر النبوَّة من العلوم اللدنية ؛ التي لا مزيد عليه إلاَّ ما للصدِّيقين والأنبياء والمرسلين ، ولم أرد إشغالك في الطريقة السنية النقشبندية لوَعْر مسلَكها وضيق ممِّرها ، وقلَّة مسامحةِ أربابها حتَّى قالوا (مَن قال لشيخه (لِمَ) ! ! لا يفلح أبداً) ، وكذا قالوا لا يفلح مريدٌ قصّر في حفظ الأدب مع العامة والخاصَّة ، حتى قال ساداتهم بالتبليغ : عقوقُ المريدين ليس لهم توبة .

وقد نظرتُ لكثير من الوافدين فما رأيت والله أحداً قام على أدب مقدارَ عشرة دقائق ، ولو علمتُ أديباً في ولايةٍ ، أو مريداً صادقاً ؛ لذهبت وربِّ البيت والحرام حَبْواً لزيارته ، لما أنّ الشيخ قد يستنير من المريد

الصادق مثل ما يستفيد من المرشد الكامل . فافهم هذا ؛ فإنه دقيق ، خاصَّة وأن الطريقة النقشبندية لمَّا كان صعبَ المسلك والمرتقى لأبناء زماننا لِقِلَّة صِدق المريدين وكمالةِ المرادين أرى أن التوغُّل في هذه الحالة لمن لا ثقَة على نفسه خطراً عظيماً ، وذلك لعدم رعاية السالكين آدابَ ساداتهم ؛ عياذاً بالله من ذلك ، ولأجل المصلحة التي رأيت في حقك وكثرة إرادتك لفظ الخلوة لقَّنتُك الطريقة الشاذلية ؛ التي هي مفتاح الأسرار ، ومقصد الأخيار الأبرار ، لتفوز في حمايتهم وتستنير من آثارهم ، إلى أن يصفى قلبُك بها أَوَّلاً ، ثم تحوزَ أسرار النقشبندية ثانياً ، لما أنّ الخلوة للنقشبنديين متعذِّرةٌ إلى أن ينالوا الولاية ، والعوامُّ غافلون عن ذلك ، وذلك وقتئذ برأي شيخه باسم الأربعينيات ، وإلا ! فالخلوة عندهم الجلوة ، ولأجل ذلك قالوا :

كن باطناً نحو المنى وبظاهر كالأجنبي

وأما للشاذليين ! فلهم وُسعة في كلِّ شيء ، ومع ذلك كتبت إليّ كتاباً يتكدر به البحر ، ويوجب الخطر بإساءتك الظنَّ على الشاذليين الذين هم حماة البرية ، وسرُّ النبوة وأساس الدين الحنيفية ، أذعن لها الأقطاب ؛ حيث قلتَ (لو كنتُ أعلم ذلك لما حضرتُ لديك لأجل تلك الطريقة ، ولأجل ذلك تعطَّلت) ، وهذا القولُ مما لا يجوز أن يصدر من جاهل زنيم ، فضلاً عن مريد قاصد إلى طريق مستقيم ، فتُبْ إلى الله تعالى من أمثال ذلك ، والجأ إليه سبحانه وتعالى بالانكسار والتذلل ، وقمْ في أعتاب السادات بتخييل أعتابهم أمامك ، وتصوير أنفسهم في منظر عينيك ، واسأل العفو والصفح من الله بواسطتهم والتوسل بهم ، لئلا يحلَّ الشؤم وسوء الخاتمة بترك الآداب ، وكم كنت نصحتك حين رأيتُك بعدم التوغُّل في الطرق ! ! بل لازِمْ على السنة السنية بالشريعة المطهرة ، وأخلص نِيَّتك لجميع أهل الطرق ، فصدِّقْ توبتك بالتوبة النصوحية صباحاً ومساءً ، بل كلَّ وقت وفق طاقتك ، ثم تشتغل بوردك في الطريقة

النقشبندية ، وذلك خمسة آلاف عدداً باسم الجلالة ، وليكن ابتداؤك من لطيفة القلب حتى يصير الذكر مَلَكة في القلب ، ثم ينتقل إن شاء الله إلى . . . وإلى . . . إلخ . إلى الولايات ، رزقك الله التوفيق لحوز مكارم التحقيق ، وليكن شغلك في الصباح إن أمكن ، وإلا ! فوفق فرصتك ، وليكن إتمامُها في مجلس واحد ، فإن وقع العذر ! ! ففي مجلسين ، وإن تعذَّر ! فثلاثة مجالس ، وإن تأخر بالعوائق ! فالقضاء ممَّا لا بدَّ في وقت لآخر ، والصلاة المشهورة في كلِّ يوم مع الحضور التامِّ مائة مرة ، وفي الجمعة ألف مرَّة (صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيدنا محمد ؛ وعلى آل سيدنا محمد عليه وعليهم السلام ، ورحمة الله وبركاته) . وليكن الحضور كلَّ وقت حتى في الكنيف ، وبعد كل مائة أو مائتين من الذكر يقول بالقلب ، أو باللسان (إلهي أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي) وإياك وتخليطَ الجهر ؛ لئلا يقعَ التلفيق في الذكر ، فمعنى النقشبندية هو نقش القلب ، فلا يكون إلاَّ من القلب ، وما يستعمله المتشيخون بجهر الذكر مع زعمهم أنَّهم نقشبنديون ! ! فافتراءٌ عظيم ؛ عياذاً بالله ، فلا تلتفت بما كانوا يعملون ، فلسوف تعلم ذلك إن شاء الله تعالى ، وليكن العزلةُ من الخلق غبطةً فيها ، ولا يمكن لك اسمُ الخلوة ، وإيَّاك عنها ؛ بل يمكن منك العزلة ففيها راحتك ؛ خاصَّة في هذا العصر الخائن أهله ، وإن تعذَّر منك الجماعة في المسجد ؛ ففي بيتك مع أهلك ؛ أو غيرهم وفق الإمكان بالترقِّي من الجماعة ، فتفطَّن ، واللهُ يعصمك ، ولازم عليك الرابطة ، وستعلم كيفيتها صحيحاً من كتب القوم وتفصل هنا بالإجمال ، والله ولي التوفيق .

أقل العباد سيف الله قدس سره العزيز.

المكتوب السبعون

الذي كتبه إلى محمد أمين المذكور

قال ﷺ : بعد السلام ، ثم اعلم أيُّها الولد ؛ أن الزمان قد استدار كيوم خُلق ، وصارت الفتن كالطوفان ، وتعم بعد الآن أيضاً أزيد ممَّا كان قبل ، ويقع القحط بين الناس من جميع الجهات ، فكن للمسلمين لصغارهم والداً ؛ وللكبار مولوداً ، وكن في قلوب المؤمنين ودوداً لتكون عند الله مسعوداً ؛ وعند الخلق محموداً ، ولا تنسَ آباءكم المعنوية بالدعاء لهم لئلا تقع من أعينهم ؛ عياذاً بالله ، وكن ثقيلاً في التأنِّي والوقار ؛ خفيفاً في إتمام المواجب في الليل والنهار ، واجتهد لإمالة قلوب الخلق إليكم بالحكمة والموعظة والصورية ، لتكن عندهم مخدُوماً ، وقم على حدِّ الشريعة لتصفى لك دائرةُ الحقيقة ، ولا تتجاوز عن الحدود ؛ وقد قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ، وكن متيقظاً عن جهة الأمور الهائلة الحالية المشؤومة ، وكن ذا حزم فيما يأتي ويستولي مما لا يتخيل في القلوب ، وكن أنتَ وإخوانك مشمِّرين لإظهار الحق .

وكتب إليه أيضا في مكتوب آخر بما لفظه :

فكن أيها الولد أمين السرِّ والعلانية ، وادخل في دائرة الاستقامة ، فهي أعزُّ من الكرامة ، وكن مع أهل زمانك للصغار والداً ؛ وللكبار مولوداً ، وادع الناس إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالمعروف ، وكن ليِّنَ العريكة ، وكلِّم الناس على قدر عقولِهم ، عسى الله أن يجعلَك أميناً ، ويجعل زمرةَ المؤمنين أعواناً ، ولا تخرج عن دائرة الاستقامة ولا تأمَن من مكر الله ، فإنه أخفى من الخفيِّ .

ماذا عن المهدي ؟ !

ثم إنَّ ما سألتَ في حقِّ المهدي ! فاعلم أنَّ ذلك غيبٌ مختوم لا يطَّلعُ عليه أحد ، كما قال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ بيدّ أنِّي أُظهر من ذلك سرّاً قليلاً ، وعسى أن تفهم منها كثيراً ، فقبل ثلاثِ سنين من هذا حضر لديَّ رسول الله ﷺ وشرَّف وعظَّم ، ومعه شابٌ مليح كأحسن ما يكون من بني آدم ، وكأنه في عمر إحدى وعشرين سنة ، صاحب جمال وكمال ، وقدٍّ واعتدال ، وقال ﷺ : (هذا مَهْدِي ، وَوَلَدِي ، اسمه اسمي ، واسمُ أمِّه كمِثْلِ اسم أمِّي) ، ولم يقل اسم أبيه ؛ كما في الكتب ! ! وكان محبوباً عنده ومسروراً ، فصافحتُه وعانقْتُه كما فعلت معه ﷺ ، ولم يخبرني زمن ظهوره ، وما سألته عن ذلك أدباً معه ﷺ ! ! بيد أن ظهوره أيُّها الولد بظنِّ والدك الفقير قد قرُب وقتُه ، ولا أحدُّ ذلك حدّاً محدوداً ، ويكون ظهورهُ بعد استيعاب وعموم الفتن في جميع الدنيا كالطوفان ، وقد انتشرت في اقاليم طبقات الأرض إلاَّ مواضع قليلة ، وتعمُّ إليها بلا بطء ، فذلك الوقت يكون وقته ، وما وراء ذلك فالله أعلمُ . وفي هنالك ينتهي هناك علم الخلائق لمجرَّد علم الخالق سبحانه وتعالى ، بيد أنَّ أمور الخلق في هذه الساعة في هرج ومرج ، والفتن نازلة أمام أبوابنا ، وعلى كلِّ أحد لازمُ الاجتهاد في حفظ دينه ووطنه ، فكن في يقظة من تلك الجهة . . .إلخ ، بيد أنَّ وصيَّتي لك أنَّك أن تكون مع المريدين والمرادين كالأخ الشفيق ؛ والصديق الوميق ، ليكون ذلك سبباً للمحبَّة بينَ المؤمنين ، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾ . ولا تَسْرِ مسرى المتشيخين المبتدعين الذين بعضهم أعداءُ بعض ، مع زعمهم أنَّهم من مشرب واحد ! ! جعلكم الله تعالى من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، ولا تجعلنا من أهل البدعات ، ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، واجعلنا من عبادك الصالحين . آمين ؛ يا معين .

في ٢٨ رجب المرجب ١٣٣٧، أفريل ١٩١٩.

المكتوب الحادي والسبعون

الذي كتبه إلى بعض السالكين بالتوصية بالمنافع الحسنة

قال ﷺ : وعليكم التسليمات والدعوات أزيدَ مما أرسلتم إلينا بألوف .

أيها الولد الأمين ، والجوهر الثمين حجيو أفندي ؛ وفقكم الله تعالى التحلِّي بعد التخلِّي ، ورزقكم حسن التجلِّي ، فقد سرني سلامُكم ، وفهمت منها مضمون كلامكم . . .إلخ ، بيد أني أعظك وأوصيك به عليك بالله عز وجل في سرِّك وعلانيتك بتصفية قلبِك من مخالفة أمره ، والتعويل على الله بقلبك ، والرضا بحكمه في جميع أمورك ، والصبر لمجاري مقاديره في كل أحوالك ، واستعنْ على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله على قدر الاستطاعة بحضور قلبك ، فهو معينٌ لك على جميع ما أوصيتك به ، واذكر ربَّك في نفسك ونَفَسك تضرُّعاً وخيفة ؛ مع حضور القلب ، فإنه متكفل بجميع مطالب الدنيا والآخرة ؛ دفعاً وجلباً في كل شيء ، وإنَّ من أكثر استعماله كان من أصفياءِ الله ، وعضَّ بنواجذك على ترك المحرَّمات الماليَّة والنفسية شرعاً ؛ حركة وأكلاً ، ولباساً ومسكناً ، فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات .

واعلم أيها الولد ؛ أن التقوى قد صَعُب مرامها ، وتناءت بعداً من أن تمد عليه يدُ أحد خطامها ، وكلَّت الهمم دونَها ، فلا يصلُ بيد أحد أساسها ، إلاَّ الشاذَّ النادر ، فاجتهد أن تكونَ النادر ، وبعلوِّ الهمَّة تنال الدرجة ، فإن الله رحيمٌ بعباده ودود ، فإنَّه أكرمُ وأعظم فضلاً من أن يتضرَّع إليه متضرِّعٌ ويردَّه خائباً .

وأما حضورك . . .إلخ ! ! هذا والسلام .

المكتوب الثاني والسبعون

في حقِّ بيان ثبت السيد محمد علي بن ظاهر الوتري المدني أخذها ملجأ الواصلين ومربي السالكين ذو الجناحين أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله النقشبندي الشريفي المعموري ، ومنه أخذها الفقير البالغ في التقصير سيف الله نثبكري الغازي الغموقي عفى الله عنهم آمين

وقد أجاز الفقير المجاز سيف الله أخاه الكاملَ الصالحَ المرشدَ حسن أفندي بن محمد القحي النقشبندي الخالدي بما في هذه ، متّع الله الأنام ؛ وللمؤمنين والمؤمنات خاصَّة بحرمة سيِّد الأنام . آمين ؛ يا معين .

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

وحسبنا الله ونعم والوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الحمد لله رافع مَنْ استند بصحيح العمل إلى عليِّ بابه ، وواصل مَنْ انقطع بحسن الأمل إلى عزيز جنابه ، والصلاة والسلام على من أدرج في خلقه الكريم كلَّ مفرق من الكمال ومجموع خير مرسل ذكره عند الله مرفوع ، وعلى آله وأصحابه الذين أوصلوا إلينا كلَّ مروي من الفضل ومسموع ، وانقطع بهم كلُّ منكر متروك وموضوع .

أما بعد ؛ فإن العلم أقوى سبب يَتَوصَّل به العاقل اللبيب إلى الكمالات ، وأسنى طريقٍ يسلكه الفاضل الأديب إلى معرفة ربِّ الأرض والسماوات ، ولا سيما علم الحديث منه ، فإنه النور المقتبس من مشكاة مصباح صاحب الرسالة ، والهدى الذي اشترقت شمسه من سماء الجلالة ، وكان الإسناد في العلوم من أجلِّ ما به يعتنى ، وأنفس ما يدّخر ويقتنى ، لكونه – كما قيل – من الدين ، وسنَناً مأثوراً للسلف والخلف المهتدين ، وقد حض الله تعالى هذه الأمة بهذه الخصوصية ؛ كما حضهم

فيها بمراتب الأقربيَّة ، فكان كلُّ مَن سندُه أقرب ولو بِرَجُلٍ واحدٍ أجلَّ وأعلى ممن فاته ذلك ؛ في المبادئ والمقاصد ، فقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما مسيرة شهر إلى عبد الله إلى أُنَيس رضي الله عنه في حديث واحد ، وقال يحيى بن معين : الإسناد العالي قربةٌ إلى الله تعالى وإلى رسولِه سيِّد الأنبياء والمرسلين .

وكان من يسلك هذا الطريق القويم ، ونهج منهجه الواضح المستقيم ، وشمَّر في طلب العلم على ساعد الجد والاجتهاد ، ولازم الأخذ والتلقِّي عن أبطال الرجال ذوي البصيرة والإمداد ، العالم الفاضل البارع ، والعابد العارف المتورع ، جامع الكمالات ؛ حسن حلمي أفندي بن حسين المحمد القحي الداغستاني النقشبندي المجدِّدي أدام به النفع ، وزاده الرفع . آمين .

وحين أَنْ منّ الله تعالى عليَّ بالاجتماع به نوّر الله قلبي وقلبه بأنوار العلوم ، وأفاض عليَّ وعليه من بحار المعارف والفهوم ، حَمَل حسنُ نيَّته وصفاءُ طويَّته على أن طلبَ من العبد الحقير الذي ليس في العير ولا النفير ، وأضمر في نفسه هذا الطلب ؛ وإن لم يظهره ، وإن كان له ذلك أعزُّ المطالب والإرب ، كما هو شأن أهل الفضل والأدب ؛ أن أجيزه بجميع مرويَّاته وسائرِ مقروئاتي ومسموعاتي ، فاستدللت بذلك على كماله واعتنائه بضمِّ ما عند غيره إليه ، واحتفالِه لينتظم في سلك السادات الأفاضل ، وإن كان مسلوكاً من القادات بجميع الفضائل ، ويتَّصلُ سنده ونسبُه المعنويُّ بسيد الأواخر والأوائل ، فأجبته لذلك ؛ ولله الحمد ، وأسعفته ووضعت ما وضعني السادات إليه ، وساعدته بما هنالك ؛ طلباً للنفع العام ، ورجاء دعوةٍ لي منه بالتوفيق وحسن الختام في جوار خير الأنام ، وسألته أن يسمع مني الحديث المسلسل بالأولية وقراءة شيء من « الرسالة العجلونية » المشتملة على أوائل الكتب الحديثية ، وشيئاً من المسلسلات النبوية كما قرأتُ وأسمعتُ لمشائخنا السادات أرباب

الأحوالات ، وفْق ما ورد به إليهم من مشائخهم قَدَّس الله أسرارَهم ؛ فأقول مستعيناً بذي الطول ؛ متبرِّئاً من القوَّة والحول :

أجزت الفاضلَ المومى إليه ، والكاملَ الفهامة الحريَّ بكلِّ خير لديه ، بجميع ما تجوز لي روايته ، وتصحُّ عني درايته ؛ من معقول ومنقول ؛ فروع وأصول ؛ إجازة تامَّة ، مطلقة عامَّة ، بشرطها المعتبر لدى أهل الحديث والأثر وهو كمالُ التثبُّت والتحري ، وأن يقول فيما لا يدريه (لا أدري) ، كما أجازني بذلك المشائخ الأعلام ، والأساتذة الكرام ، ولي - ولله الحمدُ - في جميع العلوم مشائخ أجلَّة ، هم في سماع المعارف نجومٌ وأَهِلَّة ، وسأذكر هنا بعد الأسانيد العالية لكونها سنَّة مطلوبة ، والقرب من سيدنا رسول الله ﷺ خصلة مرغوبة ، وأما تمامُ الأثبات ؛ فقد أثبتها في أرجوزتنا « كنز المعارف في أسرار اللطائف » ، وأرجو الله تعالى أن أساعد بها للمومى إليه المذكور الفاضل إن ساعدنا الدهر .

أما صحيح البخاري ؛ هو صحيح أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ؛ عليه رحمة الكريم الباري ، فإني أرويه - ولله الحمد - بأعلى سند يوجد في الدنيا الآن عن جملة من المشائخ الأعيان ، منهم شيخنا ومرشدنا جامع الكمالات الصورية والمعنوية ، ذو الجناحين القطب الأوحدي أبو عبد الرحمن زين الله بن حبيب الله ابن رسول الشريفي المعموري ونفسي فداه ، عن الشيخ الشهير السيد علي بن ظاهر المدني الوتري ، عن شيخنا العلاَّمة المحدِّث الرحلة الفهَّامة عبد الغني بن أبي سعيد المجددي الفاروقي النقشبندي الديموي ثم المدني ، عن العلامة الحافظ محمد عابد الأنصاري السندي ثم المدني ، عن خاتمة المحدِّثين الشيخ صالح العمري الفُلاَّني ثم المدني ، عن المعمَّر العلامة الشيخ محمد ابن سِنَّه العمري الفُلاني ، عن العلامة أبي الوفا أحمد بن العجيل اليمني المكي ، عن مفتي مكة العلامة قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني ، عن العلامة أبي الفتوح أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح

الطاوسي ، عن المعمَّر العلامة بابا يوسف الهروي المشهور بصَدْسال ؛ أي المعمَّر ثلاث مائة سنة ، عن المعمَّر محمد بن شاذ بخَتْ الفارسي الفرغاني ، عن المعمر أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان عمار بن مقيل من شاهان الختلاني ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبْري ، عن الإمام البخاري . وهذه طريقة المعمرين ، فيكون بيني وبينه أحد عشر واسطة ، فتقع لي ثلاثياته بخمسة عشر ، وهذا أعلى ما يوجد والحمدُ لله ، وأشكر الله .

وأما « مشكاة المصابيح » ! فإنِّي أرويها بهذا الإسناد إلى المعمر الشيخ محمد بن سِنَّة ؛ عن العلامة برهان الدين إبراهيم الكوراني المدني ، عن العارف بالله العلامة الشيخ أحمد بن محمد الدجاني المدني المعروف بالقشاشي ، عن العارف سيِّدي أحمد بن علي الشَّنَّاوي العبَّاسي المدني ، عن العلامة السيد غضنفر بن جعفر الحسيني ، عن شيخ الحرم المكي محمد سعيد المشهور بـ« ميركلان » بن مولانا خواجه ، عن نسيم الدين ميرك شاه ، عن والده المحدِّث السيد جمال الدين عطاء الله ابن غياث الدين فضل الله ، عن عمه السيد أصيل الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشيرازي الحسيني ، عن شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الكريم الجرهمي الصديقي ، عن العلامة إمام الدين علي بن مبارك شاه الصديقي السادجي ، عن مؤلفه ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي رحمه الله .

وأما « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ! فإني أرويه عالياً ؛ عن شيخنا عبد الغني المتقدِّم ، عن العلامة الشيخ إسماعيل بن إدريس أفندي المدني ، عن العلامة الشيخ الصالح العمري الفلاني ثم المدني ، عن المعمَّر العلامة الشيخ محمد بن سِنّة العمري الفلاّني ، عن المعمَّر مولانا الشريف محمد بن عبد الله الوَوْلاقي المغربي ، عن مفتي مكة العلامة عبد القادر الطبري الحسيني المكي ، عن جامعه الملا علي قاري .١٢

وأما « دلائل الخيرات » ! فإني أرويها من طريقين نازلة وعالية ؛

أما النازلة : فعن شيخنا البركة الصالح الشيخ علي أفندي بن يوسف ملك باشلي الحريري المدني ، عن العلامة سيِّدي السيد محمد بن أحمد الشريف المدعزي ، عن أبي البركات سيِّدي محمد بن أحمد بن أحمد المثنى ، عن العلامة سيِّدي أحمد بن الحاج ، عن العلامة سيّدي عبد القادر الفاسي ، عن العلامة سيدي أحمد المقري ، عن سيدي أحمد بن أبي العباس الصُّمَي ، عن سيدي أحمد ابن موسى السملاني ، عن سيدي عبد العزيز التَّباع ، عن مؤلفها السيد محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسيني .

وأما الطريق العالية ؛ وهي أعلى بدرجتين ، وهو أعلى سند يوجد في الدنيا الآن - كما أخبر بذلك أرباب هذا الشأن - فعن شيخنا العلامة المتقدم عبد الغني ، عن العلامة إسماعيل أفندي المدني ، عن العلامة محمد أفندي خِسْخري ، عن العلامة السيد مرتضى الزبيدي (شارح « الإحياء » و« القاموس ») ؛ عن العلامة محيي الدين نور الحق عبد الله الحسيني ، عن السيد سعد الله بن محمد الهندي ، عن المعمَّر الشيخ عبد الشكور الحسني ، عن مؤلفها رحمه الله .

وأما « البردة الشريفة » ! فإني أرويها عن شيخنا العلامة المحقق الفهامة المدقق الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي الأزهري (تلميذ الأمير الكبير ؛ صاحب الثبت الشهير) ، عن العلامة الشيخ محمد الهبّي المالكي ، عن العلامة الشيخ يوسف الشباسي الضرير ، عن الأستاذ السكندري المعروف بـ« الصباغ » ، عن سيدي محمد الزرقاني ، عن العلامة سيدي علي الأجهوري ، عن النور القرافي ، عن الحافظ جلال الدين السيوطي ، عن العز عبد الرحيم بن الفرات ، عن العز بن جماعة ، عن ناظمها الإمام البوصيري رحمه الله .

وأما أحزاب العارف الشاذلي ! فإني أرويها بهذا السند إلى النور القرافي ، عن الحافظ القَلْقَشْنَدي ، عن الإمام الواسطي ، عن الإمام الميدومي ، عن سيِّدي أبي العباس المرسي ، عن العارف سيِّدنا القطب الفرد الحقيقي الشيخ الشاذلي .

وأما « حزب الإمام النووي » ! فإنِّي أرويه عن شيخنا العلامة الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي الأزهري ، عن العلامة محمد أمير الكبير ، عن العلامة الأستاذ محمد الحِفْني ، عن العلامة البُدَيري ، عن البرهان إبراهيم الكوراني ، عن العارف سيدي أحمد القشاشي ، عن العارف سيِّدي أحمد بن علي الشناوي ، عن والده ، عن سيدي عبد الوهاب الشعراني ، عن البرهان بن شريف المقدسي ، عن البدر القبابي ، عن سيدي محمد بن الخباز ، عن مؤلفه الإمام النووي .

وأما حزب « الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ! ! فإني أرويه بهذا الإسناد الذي في حزب الإمام النووي إلى الأستاذ الحفني ، عن العلامة البديري ، عن العلامة شيخ إبراهيم الكوراني ، عن العارف سيدي أحمد القشاشي ، عن العارف أحمد بن علي الشناوي ، عن والده ، عن العارف الشعراني ، عن القاضي زكريا الأنصاري ، عن أبي الفتح المراغي ، عن إسماعيل الجبردي ، عن أبي الحسن علي الواني ، عن سيدي محيي الدين بن العربي . قدس الله أسرارهم العلية .وفي هذا الموضع خاتم سيف الله هكذا من خطه .

المكتوب الثالث والسبعون

في بيان إجازته في باقي الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث وسائر الفنون النقلية والعقلية

قال ﵁ : وأما بقية أسانيدي في باقي الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث وسائر الفنون النقلية والعقلية !! فإنها مذكورة في أثبات مشائخي ومشائخهم ، كثبت شيخي المسمَّى بـ« اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني » النابلسي ، وثبت شيخه المسمَّى بـ« حصر الشارد من أسانيد محمد عابد » ، وثبت شيخ المشائخ العلامة محمد الأمير الكبير .

وقد أجزتُ العالم المومى إليه بجميع ما يحتوي عليه هذه الأثبات من الكتب والفنون ، وأن يجيز منها ما شاء ؛ لمن شاء ؛ بشرطه المعتبر لدى أهل الحديث والأثر ، موصياً لي وله بتقوى الله تعالى سرّاً وعلناً ، وأن يخشى الله تعالى ولا يُعجَب بنفسه ، فقد قال ﷺ « وكَفَى بِالمَرْءِ عِلْماً أَنْ يَخْشَى اللهَ ، وَكَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُعْجَبَ بِنَفْسِهِ » ، وعليه بالمنجيات ، وإياه والمهلكات ، وأن يلازم الكفَّارات ، ولا يفارق الدَّرجات ، وهي ما في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ ، وَثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلاَثٌ كَفَّارَاتٌ ، وَثَلاَثٌ دَرَجَاتٌ ، فَأَمَّا المُهْلِكَاتُ !! فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ ، وَأَمَّا المُنْجِيَاتُ !! فَالعَدْلُ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالقَصْدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى ، وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ ، وَأَمَّا الكَفَّارَاتُ !! فَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي السَّبرَات ، وَنَقْلُ الأَقْدَام إِلَى الجَمَاعَاتِ ، وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ !! فَإِطْعَامُ الطَّعَام ، وَإِفْشَاءُ السَّلاَم ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . رواه الطبراني في « الأوسط » ؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وأوصيه أيضاً أن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته ؛ نفعه الله تعالى ونَفَع به ، ووصل سببَنا أجمعين ؛ إنه على ذلك قدير ،

وبالإجابة جدير ، وصلَّى الله تعالى وسلَّم على سيدنا ومولانا ، وسببِ وجودنا وحبيب موجدنا محمَّدٍ فخر الكائنات ، وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وآلِ كُلٍّ وصحبه والتابعين ، وعلينا معهم برحمة الله أجمعين ؛ آمين ، رب العالمين .

المكتوب الرابع والسبعون

في بيان إجازته قدس سره للفقير رحم الله إفلاسه بما في الثبت الذي جمعه شيخه زين الله الشريفي قدس سره

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد؛ فقد أجزت الأخَ في الله ، والمحبوب في دين الله بالله ؛ الشيخ النقشبندي المجددي ؛ حسن حلمي أفندي ابن حسين لمحمد القحي الداغستاني بما في هذا الثبت الذي جمعه وأجازني به الشيخ العارف والقطب العاكف ؛ أبو عبد الرحمن زين الله بن حبيب الله التريسكي الشريفي المعموري ؛ ونفسي فداه ، كما أجازه أشياخه كذلك على الشرائط المعروفة عند أهلها ، وأوصيه بما أوصوا به السادات ، نفع الله تعالى به المؤمنين والمؤمنات بفضله وكرمه ، وجعله مظهراً لقوله عليه السلام : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » والله الموفق . وإني خادم الفقراء المفلسين باشلار زاده سيف الله الحسيني .

وفي هذا الموضع هذا الخاتم .

المكتوب الخامس والسبعون

في بيان إجازته قدس سره للفقير رحم الله إفلاسه في رواية الحديث المسلسل بالأولية الوارد من طريقة عالية جدًّا ؛ من طريق الجن

قال ﷺ : ولأجل تمام النفع أذكر هنا طريقة عالية جدّاً من طريق الجن لزيادة الفائدة ، على أُسوة ما أجازني به وبجميع المذكورات السابقة المجيزُ المجاز أستاذنا الحبر الكامل ، والبحر العلامة الفاضل ؛ العارف بالله زين الله الشريفي الحنفي ، كما أجازه السيد محمد علي ابن السيد ظاهر الوتري (خادم علم الحديث في المسجد النبوي) في اليوم الثالث من صفر الأخير ١٣١٤ ؛ وهي أنِّي أرويه عن شيخنا العلامة الصالح الشيخ محمد بن إبراهيم أبو حُضَيْر الدمياطي ثم المدني ، وهو أوَّل حديث سمعته منه ، قال : حدَّثنا به العلامة الشيخ عبد الفتاح الكفراوي ؛ وهو أول حديث سمعته منه . قال : حدَّثني به شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي ؛ وهو أول حديث سمعته منه ؛ قال : حدَّثني به العلامة الأستاذ السيد محمد الحفني الخلوتي الشهير ؛ وهو أول حديث سمعته منه ؛ قال : حدثني به قاضي الجن شمهورش الصحابي ؛ وهو أول حديث سمعته منه ؛ قال : حدَّثني به سيِّدُنا سيِّد الكائنات رسول الله ﷺ ؛ وهو أول حديث سمعته منه ؛ أنه قال « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمهُم الرَّحْمَنُ ، [قال تبارك وتعالى :] اِرْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » . صدق رسول الله ﷺ . هكذا قال لي بفمه ، ورقم لي بقلمه ؛ مجيزي العلامة ، والقطب الفهامة ، مجيزُنا ومرشدُنا أبو المواهب زين الله الشريفي ؛ كما قاله ورقمه كذلك العلامة المحقِّقُ المحدِّث السيد محمد علي ابن السيد ظاهر الوتري الحنفي المدني خادم علوم الشريعة في روضة خير البرية ﷺ .

أجزت الكامل المكمل حسن أفندي القحي الداغستاني برواية الحديث المسلسل بالأوليّة بعد السماع منا ؛ والله الموفق .

وإني أقلُّ العباد سيف الله بن حسين ابن الحاج موسى ابن الشيخ المجاهد صاحب المزار باشلار النژبكري الغازي غموقي في ١٥ جمادى الأخير ، وفي هذا المكان خاتمه .

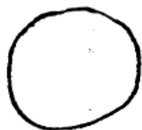

توفي الشيخ محمد شمس الدين الحفني الخلوتي الشهير سنة ١١٧٩ ، وأهل مصر صلّوا جنازته في القرافة ، وهو أخذ من قاضي الجن شمهورش مشافهة ، وسمعت من شيخي أبو عبد الرحمن ؛ وهو عن السيد محمد علي الظاهري الوتري أنه - أي قاضي الجن شمهورش - توفي في زمن الحفني رحمهم الله تعالى ، وقد روى عنهم[1] الطبراني وابن عدي وغيرُهما ، لكن توقف في ذلك بعض الحفاظ « فتاوى الحديثية » لابن حجر المكي .

المكتوب السادس والسبعون

في إجازته قدّس سرّه للفقير رحم الله إفلاسه برواية مسلسلات ابن عقيلة

قال رضي الله عنه : قال السيد علي ابن السيد ظاهر المدني الوتري رحمه الله تعالى : وأما مسلسلات ابن عقيلة ! فإني - ولله الحمد - أرويها عن شيخنا العلامة عبد الغني ابن أبي سعيد المجددي ، عن الحافظ محمد عابد السندي الأنصاري ، عن المحدِّث عبد الرحمن بن السيد سليمان الأهدل اليمني ، عن العلامة الشيخ أمر الله المزجاني ، عن جامعها العلامة الشيخ محمد بن أحمد سعيد المعروف بعقيلة المكي عن شيخنا العلامة مِنَّة الله المالكي ، عن السيد الأمير الكبير ، عن العلامة علي الصعيد ،

(١) أي : عن الجن .

وقد قرأت المسلسلات عن الشيخ المذكور المحدِّث السيد علي ابن السيد ظاهر المدني ؛ وإني الفقير البالغ في التقصير أرويها من شيخي المذكور – ونفسي فداه – كما رواه من السيد المذكور بلا وقوع خلاف .

ثم إنِّي أجزت الفاضل المومى إليه حسن أفندي النقشبندي القحي الداغستاني بمسلسلات ابن العقلية رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، والله الموفق ، وهو وليّ التوفيق ، وإني الفقير أفلسُ العباد مير سيف الله النقشبندي المجددي ، ثم القادري الأويسي ، سامحه الله من فرطاته ، وجعله من جملة أرباب القلوب بلطفه . آمين . وفي هذا الموضع خاتمة قدس قدس سره العزيز

في ١٥ جمادى الآخرة.

المكتوب السابع والسبعون

في بيان إجازته قدس سره للفقير سامحه الله من فرطاته بما في الثبت الذي جمعه السيد أحمد بن سليمان الحسني الطرابلسي قدّس سرّه

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمَّد أفضل الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ؛ فلما كان أفضل ما أُنفقت فيه بضاعة الأعمار ، وأُعملت فيه القرائح والأفكار ؛ تعلُّم العلم وتعليمه ، وتبليغه لطالبه وتفهيمه ، إذ به يعرف المعبود ، وتعلم الشرائع والحدود ، وكان ممَّن رسخت معي

المحبة والمودَّة من بعض الفقراء أرباب القلوب ؛ الكامل المتورع حسن أفندي القحي ، وكان ممَّن أنفق جميعَ أوقاته في طلب العلم والخدمةِ لأهله ، وجاهد في تحصيله وفق طاقته ، فعلمت منه الاستمداد من بركات السادات ؛ بواسطة أسانيدهم ، وتيقَّنتُ إرادته للإجازة به وبما تلقَّاه عني ، بل وعن السادات بوعيه ، فكتبتُ له هذا الثبت الذي جمعه شيخ مشائخنا العارفُ بالله السيِّد أحمد ابن السيد سليمان الحسيني الطرابلسي قدّس سرّه ، ثم منه كذلك شيخ شيخنا العارف بالله أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدّس سرّه ، ثم منه كذلك شيخنا ومجيزُنا العارف بالله زين الله الشريفي المعموري ونفسي فداه ، ثم منه إلى هذا الفقير المرهون بالتقصير ، فأجزته بجميع ما أجازني به شيخنا المذكور من التأليفات ، وبما قرأه عليَّ ، وبجميع ما في هذا الثبت بشرطه المعتبر لدى أهل الأثر ، وأنا أسأل الله المولى الكريم بفضله العميم أن يفتح عليّ وعليه ؛ فإنه هو الرؤوف الرحيم ، وأن ينفع بنا جميعاً جميعَ الأنام بمحمَّد فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وإني خادم الفقراء والمساكين ؛ سيف الله النثربكري الغازي الغموقي في ١٥ جمادى الأخير . وفي هذا الموضع خاتمه الشريف

المكتوب الثامن والسبعون

في بيان إجازته قدّس سرّه للفقير سامحه الله تعالى من فرطاته لقراءة « دلائل الخيرات » ، وبيان شروط قراءته .

قال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعل الإسناد بما يتشرَّف به العباد ، وهو من خصائص هذه الأمة ؛ دون باقي العباد ، والصلاة والسلام على منتهى السند والسداد في الدنيا والآخرة والميعاد ؛ سيدنا ومولانا محمَّد منبعِ المدد والإرشاد ؛ صلاة وسلاماً بلا انقطاع لها ولا نفاد .

وبعد ؛ فيقول الفقير الضعيف الذليل سيف الله ابن سيد حسين النثبكري حشرهم الله تعالى في زمرة الصالحين : فالاعتناء بتحصيل الإسناد الموصل إلى السيادة والإسعاد من شيم الكملاء ذوي الإمداد ، فلهذا طلب مني للسلوك في الطريق لأجل الوصول إلى الأصول - كما درج عليه الفحول - الشيخ المرشد الحسيب ، ومن ينبغي له أن يكون في الاتصال نصيبٌ ، وهو العالم الفاضل ، والشيخ الكامل ؛ حسن أفندي حلمي القحي الداغستاني ، كان الله له حيث يكون ، ولطف به في كلِّ حركة وسكون ، بجاه رسول الله ﷺ الأمين المأمون ، إجازة بقراءة « دلائل الخيرات » للولي الصالح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي ، وهو قرأه عليَّ وخَتَمه ختمات ، فاستخرت الله وأجزتُه كما طلب مني على الوجه الأحب ، فيقرأ الدلائل كل يوم من أوله إلى آخره ، أو نصفه ، أو ثلثه ، أو ربعه ، أو نصف ربعه ؛ فلذلك في كلِّ يوم ، أو في جمعة ، أو في ثلاثة أيام ، أو أربعة أيام ، أو في ثمانية أيام بحسب التوفيق بالهمَّة القويَّة بلا تعويق ؛ رزقنا الله وإياه الهداية إلى سواء الطريق ، وأذكر الأسانيد بفضل الله ومشيئته :

إن سندي فيما يذكر أَنِّي قد أجزت « الدلائل » عن المشائخ الكرام ، والأئمة الفخام ؛ منهم الشيخ العارف مربي السالكين قطب زمانه ؛ مولانا ذو الجناحين ومرشدنا أبو عبد الرحمن زين الله ابن حبيب الله بن رسول التريسكي ، وهو أخذ عن شيخه الشهير الحافظ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهم ، وهو أخذ عن الشيخ السيد حافظ علي الشيخ المعروف « بابن سبيل التيريسي » رئيس القراء والفضلاء ، وهو قد أخذ عن شيخ الشيوخي خاتمة المحدِّثين محمد بن محمد بن أحمد الدمياطي النقشبندي المعروف « بابن الميت » ، وهو قد أخذ عن شيخه قطب العارفين الشيخ محمد بن أحمد المغربي ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ أبي القاسم السفياني ، وهو قد أخذ عن الشيخ محمد الترقي ، وهو قد أخذ عن شيخه المعروف عبد الله الشناَشي ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ عبد العزيز الفرداني ، وهو قد أخذ عن شيخه القطب الحقيقي عبد العزيز الدباغي ، وهو قد أخذ عن شيخه المؤلف الولي الصالح قطب الزمان السيد الشيخ محمد بن سليمان الجزولي السملالي الشريف الحسني ؛ صاحب « دلائل الخيرات » ، وهو قد أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه الشيخ السيد عبد الرحمن وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ عثمان ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ عبد الرحمن الرجراجي وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ بمينوش البدوي ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ الإسلام المعروف القرواني ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ عبد الله المغربي ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ أستاذ الأستاذين تاج العارفين ؛ السيد الشيخ علي أبي الحسن الشاذلي الشريفي الحسني . . ثم . . وثم إلى أن ينتهي السند إلى سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، نفعه الله تعالى وإيانا بالبركات ، ونفع بمعارفهم ويسَّر الله لنا وله شفاعتهم ، وحشرنا وجميع المؤمنين في زمرتهم . اللهم ؛ اجعلنا من المحسوبين عليهم ، والمنسوبين إليهم ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

مطلب

ووأصيك أيها الطالب السالك والكامل الأمين بالتقوى في السر والإعلان ، وأسألك أن لا تنساني من الدعاء ، وأوصيك أيضاً التوصيةَ لمن يأخذ منك الدعاءَ لهذا الفقير المجيز المجاز ، ولمشائخه السادات القادات ، وليحسنوا لنا ولأمثالنا الفقراء بالدعاء بحسن الخاتمة ؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين .

وإني خادم الفقراء وأقلُّ الضعفاء

سيف الله وعلى هذا خاتمه

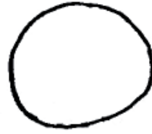

وعلى هذا خاتمه

شرط قراءة « دلائل الخيرات »

ولقراءة « الدلائل » شروط . وأذكر المهم الضروري ؛ وهو أن يعلم السند الصحيحَ المتَّصل إلى المؤلف الشيخ محمد الجزولي ، وأن يكون له الإجازة من الشيخ الذي أخذ الإجازة بالسند من المشائخ الكاملين المكمَّلين ، وأن يحترِز من المحرَّمات في المأكل والمشرب والملبس ، وجميع معاملاته وأفعاله ، وأن يكون متوضِّئاً كامل الوضوء ، وأن يكون المحل الذي يقرأ [فيه] طاهراً نظيفاً ، ولبس الملبوس أن يكون مطيَّباً ، مع كونها حلالاً ، وأن تكون صحيحةَ الألفاظ والحركات ؛ حرزاً من الغلط ، وأن يراعيَ مخارج حروفها ، ووفقَها ووصلها ، وأن يعلم معانيها هذه بقدر الوسع والطاقة ، وأن يكون خالص الاعتقاد واليقين لحضرة سيِّد الكائنات ، معتقداً بحصول الثواب العظيم ، وحصول الفوز والسعادة ؛ بقدر محبته له ﷺ ، وأن يكون القراءة بالخشوع والخضوع والانكسار ،

وأن لا يتكلم في أثناء القراءة بكلام الدنيا ، وأحسنُ ما يكون القراءة في موضع خالٍ ، وأن يكون جلوسُه مستقبلَ القبلة متورِّكاً تورُّك الصلاة ، وأن يقرأ قبل قراءة « الدلائل » جزءاً ؛ أو حزباً من القرآن ، وأن تكون القراءة بالنيَّة الخالصة مع قراءة دعاء النية ، وأن يدعو بالخير للمشائخ ، وخاصة للمشائخ المتوسِّطين إلى المؤلف ، فهم مشائخك أيضاً في الحقيقة ، والله وليُّ التوفيق ؛ وفّقنا الله وإياكم القيام على آداب السنة والجماعة ، وأيَّدنا على رعايةِ آداب المشائخ ، وجعلنا منهم . آمين .

المكتوب التاسع والسبعون

في بيان إجازته قدّس سرّهِ للفقير غفر الله ذنوبه في قارئة « الحزب الأعظم والورد الأفخم » لعليٍّ القاري قدّس سرّه وبيان شروط قراءته .

قال ﷺ : بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، وجعلها سبباً للفوز والسعادة ، وجعل طلب الإسناد مما يتشرف به العباد ، وهو من خصائص هذه الأمَّة دون باقي العباد ، والصلاة والسلام على منتهى السُّنَّة والسداد في الدنيا والآخرة والمعاد ، سيدنا ومولانا محمد منبع الجود والإرشاد ، صلاةً وسلاماً لا انقطاع لها ولا نفاد .

وبعد ؛ فيقول العبد الضعيف المحتاج إلى ربِّه اللطيف سيف الله بن حسين النقشبندي القادري سامحه الله من فرطاته : فالاعتناء بتحصيل الإسناد الموصل إلى السيادة والإسعاد من شيم الكُمَّل ذي الإمداد ، فلهذا ظهرت الإرادة في الاعتناء للسلوك في هذا الطريق - لأجل الوصول إلى الأصول ، كما درج عليه الفحولُ - [من] الحسيب النسيب أن يكون له في

الاتصال نصيب ، وهو الصالح الممنون بالكمال ، خليفة الكامل المكمل ؛ حسن أفندي ابن حسين المحمد القحي ؛ من قصبات الغوني الداغستاني ، كان الله له حيث يكون ، وألطف به في كل حركة وسكون ، بجاه النبي الأمين إجازة بقراءة « الحزب الأعظم والورد الأفخم » للعلامة مولانا علي بن سلطان محمد القارئي الهروي ، وهو قرأه عليّ وختم ختمات ، فاستخرت الله سبحانه وتعالى وأجزتُه على ذلك بشرط تصحيح ألفاظه ومبانيه ، والتأمل في معانيه ، والعمل بمضمون ما فيه ، كما طلب مني على وجه الأحبِّ ، فيقرأ الحزب الأعظم كلَّ يوم وليلة من أوله إلى آخره ، أو نصفه ، أو ثلثه ، أو ربعه ، أو نصف ربعه ؛ فكذلك كلّ يوم ، أو في جمعة ، أو في ثلاثة أيام ، أو في أربعة أيام ، أو في ثمانية أيام ختمة بحسب التوفيق بالهمَّة القوية بلا تعويق . رزقنا الله وإياه التوفيق إلى سواء الطريق .

وأحببت أن أذكر أسانيدنا إلى مؤلفه ، لأنهم أشياخنا وآباءنا ، وبذكرهم تنشرُ الرحمة ، ويتقوى به كمال الاحتياط ، ويحصل به اليقين .

فأما سندنا من « الحزب الأعظم والورد الأفخم » لمولانا مَنْلا علي القاري فيما ذكر ؛ فإني قد أخذت « الحزب الأعظم » من شيخنا الأجل الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، وهو قد أخذ عن شيخنا الشيخ السيد الحاج إبراهيم خليل القاضي بالقدس الشريف ، ثم المدينة المنورة ، ثم بمكَّة المكرمة عن الشيخ أحمد بن سلطان الخوارزمي ، عن شيخه محمود بن أحمد المرعشي ، عن المولى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري ، عن الشيخ بن سليمان ، عن ابن سنبل ، عن أبي طاهر الكوراني ، عن والده الملا إبراهيم ، عن منلا محمد شريف ابن ملا يوسف الكوراني الصديقي ، عن السيد المعظم الحسيني البلخي ، عن مؤلِّفه السيد الشيخ ملا علي بن السلطان محمد القاري الهروي المقري بالحرم الشريف المكي رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ، عليهم سلام الله

حيّاً وميتاً ، وأسكنهم دار الجنان مخلَّداً . وأوصيه بالتقوى والطاعات ؛ خصوصاً بإقامة الصلاة المفروضة بأوَّل وقتِها بالجماعة ، ويصلُّون التهجد والضُّحى والأَوَّابين ، وبالصيام في كل أسبوع بيوم الخميس والإثنين ، وبلزوم صحبة الأخيار والأبرار ، والفرار من لقاء الأحداث والأشرار ، وبالعمل بحديث : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . وعُدَّ نَفسَكَ مِن أَصحَابِ القُبُورِ » ، وبحديث : « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وأَحسْن لِمَن أَسَاءَ إِلَيْكَ » . وسألت الدعاء لي ولوالِدَيَّ ولأولادي بعد مشائخي بحسن الختام ، وبالدخول في دار السلام في جوار الملك العلام ، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم ، وصلَّى الله تعالى على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليماً دائماً أبداً ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

خادم الفقراء المفلس الحقير سيف الله
بن حسين النقشبندي، ثم القادي
عفى الله عنه العافي؛ في ١٥ جمادى الآخرة

في هذا الموضع خاتمه

شروط « الحزب الأعظم »

وللحزب الأعظم أربعة عشر شرطاً :

فأولاً : ١ لازم أخذ الإجازة من كامل صحيح النسبة ؛ صادق السند والاعتقاد ،

٢ وأن يحترز عن المحرمات في المأكل والملبس والمرشب وسائر الأفعال ،

٣ وأن يقرأ بالوضوء التامِّ ،

٤ وأن يكون محل القراءة نظيفاً طاهراً مطيباً وفق الإمكان ،

٥ وأن يقرأ قَدْراً من القرآن قبل قراءة الحزب ،

٦ وأن يكون القراءة بتصحيح الألفاظ والحركات بالكمال ،

٧ وأن يكون خالص الاعتقاد بعظم الثواب من الملك الجواد ،

٨ وأن يجتهد في معرفة معناه وفق الوسعة ، ويقدِّم الاستغفار ، ويقرأ الإخلاص الشريف ، مع رعاية تجويده ووقفه ومخارجه ،

٩ وأن يكون كاملَ المحبَّة لفخر الكائنات ؛ عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام ،

١٠ وأن يكون القراءة بالخشوع والخضوع والانكسار ،

١١ وأن يجلس متورِّكاً مستقبل القبلة وأن يكون المكان خالياً بقد الإمكان ،

١٢ وأن لا يتكلَّم في أثناء القراءة بكلام الدنيا ،

١٣ وأن يكون ابتداء القراءة يوم الخميس ،

١٤ وأن يكون في رجاءٍ بحصول الثواب . وهذه شروط الحزب والآداب والله الموفق للصواب .

المكتوب الثمانون

في إجازته قدس سره في قراءة قصيدة « البردة » وبيان شروطِها وآدابها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خصَّص صفوة عباده بخصائص ومزايا ، وغمرهم باللطائف والتحايا ، وشرَّفهم بالكمالات القريبة ، وأنطقهم بالمعارف الإلهية ، والصلاة والسلام على سيِّدنا وشفيعنا محمد نور المعارف ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين كانوا كسفينة نوح في المخاوف ؛

وبعد ؛ فيقول العبد الفقير ، البالغ في التقصير ؛ مير سيف الله الحسيني النقشبندي النژبكري : لما كان طلب الإسناد ممَّا يتشرَّف به العباد ؛ كما هو من خصائص هذه الأمة دون باقي العباد ، وكان الاعتناء بتحصيل الإسناد الموصل إلى السيادة والإسعاد من شيم الكُمَّل ذوي الإمداد ؛ رغب مني السلوكَ في الطريق ؛ لأجل الوصول إلى الأصول ؛ كما درج عليه السادات الفحول الفاضل ، الكامل الأديب الذي يليق له أن يكون في الاتصال نصيب ، وهو الصالح المرشد النجيب ؛ حسن أفندي حلمي النقشبندي الخالدي كان الله له حيث يكون ، ولطف به في كل حركة وسكون ؛ بجاه الرسول الأمين ، وآله الميامين ؛ إجازة لقراءة « البردة » المباركة لكلِّ مرامات ومقصودات مشروعات ، فأجزته - ولله الحمد - بشرط رعاية شروطه ، كما أجازنا أشياخنا كذلك ، خصوصاً شيخنا العارف صاحبُ المعارف ، ذو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله بن حبيب الله النقشبندي التريسكي السبيري الشريفي المعموري ، وهو قد أخذ عن شيخه العارف المشهور سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي النقشبندي الخالدي قدس الله أسرارهم ، وهو قد أخذ من السيد الحاج أحمد نجيب ابن الحاج حسين حشرهما الله مع الحسن والحسين ، وهو

قد أخذ عن الشيخ السيد حافظ علي شيخ القراء المعروف بابن سبيل القبريسي ، وهو قد أخذ عن شيخ الشيوخ خاتمة المحدثين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدمياطي النقشبندي المعروف بـ(ابن الميت) ، وهو قد أخذ عن شيخه قطب العارفين الشيخ محمد بن أحمد المغربي ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ أبي القاسم السفياني ، وهو قد أخذ عن شيخه الشيخ محمد الشرقي ، وهو قد أخذ من شيخه المعروف الشيخ عبد الله بن البشاش ، وهو قد أخذ من شيخه عبد الله الفروالي ، وهو قد أخذ من شيخه الولي الصالح العالم الكامل الفاضل قطب العارفين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد المصري البوصيري (صاحب قصيدة البردة المباركة) نفعنا الله وإياهم بالبركات ، ونفعنا الله بمعارفهم ، ويسر لنا الله شفاعتهم ، وحَشَرنا وجميعَ المؤمنين في زمرتهم ، اللهم ؛ اجعلنا من المحسوبين عليهم ، والمنسوبين إليهم إنَّك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وأوصيك أيها الصادق الطالب السالك بالتقوى في السرّ والإعلان ، وأن لا تنساني ومشائخي من الدعاء بحسن الخاتمة ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

خالد سيف الله في ١٥ جماد الأخير
وعليه خاتمه الشريف

شروط قراءة البردة

لقرائة قصيدة « البردة » شروط أذكر هنا أن لحصول الأثار والنفع من هذه القصيدة المباركة شروط ؛

فأولاً وهو الأهم الأعلى أن يكون مأذوناً من الكامل الذي صحَّت نسبته وسنده من الكاملين ،

٣ وأن يجتنب من المحرمات في جميع الحالاة في المأكل والمشرب وسائر المعاملات ،

٤ وأن يعلم معَانِيها والاجتهاد وفق الإمكان في معرفتها ، ٣ – وأن يقرأ بالوضوء التامِّ ،

٥ وأن يستقبل القبلة حين القراءة ،

٦ وأن يكون محلُّ القراءة طاهرً نظيفاً ،

٧ وأن يكون لباسُه طاهراً نظيفاً مطيَّباً ،

٨ وأن تكون القصيدة صحيحة من الغَلَط والخطأ في ألفاظ والاعراب ،

٩ وأن يكون القراءة بالنظم ؛ كما ورد من المصنف ؛ كما قرأه رسول الله ﷺ بالنَّظم ،

١٠ وأن يُؤتى الصلاة في آخر كل بيت بكمال المحبة ، وليكن الصلاةُ قول :

مولاي صلِّ وسلِّم دائماً أبداً على حبيبك خيرِ الخلق كلِّهم

١١ وأن يكون اعتقاده خالصاً بكونها شيء عظيم ،

١٢ وأن يكون القراءة بكمال المرتبة والشوق والمحبَّة وتعظيم سيِّد الكائنات ،

١٣ وأن يكون بالخشوع والخضوع وحضور القلب ،

١٤ وأن لا يتكلّم في أثناء القراءة بكلام الدنيا من الأول إلى الآخر ، وأن يجتهد في حفظها محكماً ،

١٥ وأن يكون معتقداً ببلوغ الأمل بقراءتها ،

١٦ وأن يؤتى بالاستغفار والترتيب ،

١٧ وأن يَقْدُمَها العملُ الصالح ، وأن ثواب القراءة يحصل للفاسق أيضاً ؛ وإن لم يحصل الأثر .

آداب البردة

وآداب القصيدة هذه :

١ أن يقرأ قبل القراءة جزءاً ؛ أو حزباً من القرآن ، ويقرأ دعاءَ نيَّة القراءة ؛ أي يخصِّصُ نيَّته لأيِّ مراد ومقصود تقرأها ،

٢ وأن يبدأ يومَ الجمعة ؛ ويقرأُ بالورد في الأسبوع مرَّة ،

٣ وأن يكون آخرُها بالصلاة مع الحمد والثناء ،

٤ وأن يكون في رجاءٍ بحصول الثواب وطلب الأثر ، وفي بعض الأمور ،

٥ وأن يقرأ قائماً حافياً حاسرً الرأس ؛ خاشعاً خاضعاً ،

٦ وأن يصلي ركعتين قبل الجميع بـ « قل يا أيها الكافرون ، والإخلاص » بعد الفاتحة .

وبيان عدد الختم للمطلوب :

١٠٠١ ليذهب من الدنيا بالإيمان ، أو يقرأ في كلِّ ليلة الجمعة لحسن العاقبة .

١٠١ لنمو الرزق وطيب العيش .

١ لرؤية النبي ﷺ ليلة الجمعة ، أو ليلة[١] .

---

(١) هكذا في الأصلي .

٧١ لجلب الدولة .

١ لرؤية ما يريد رؤيته .

١ لدفع البلاء ولإستقامة القلب .

١ لدفع الحرقة .

٤ لدفع الوباء والطعون .

٤١ لحصول الحاجة المهمة .

١ لشفاء المريض ؛ يقرأ على المريض سبعة أيام طلوع الشمس .

٤١ للربح في التجارة .

٤ لحفظ شيء في الذهن ؛ يقرأ على الماء ويشربه .

١ لخلاص السفينة من الغرق .

١ لخلاص المحبوس ولحفظ الصبيِّ من الجنِّ ووقايته .

١ لسلامة مال التجارة والمتاع من الآفات .

١ لدفع السارق يقرأ على نيَّته مرَّة في سنة .

٩ لإفاقة المجنون واخلاصه .

٤ لوجع الرأس والسن والعين والأذن ، وكذا لجميع الأمراض .

والله ولي التوفيق .

المكتوب الحادي والثمانون

في بيان إجازته قدس سره في العلوم النقلية والعقلية

قال ﵁ : بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

أما بعد؛ فيقول العبد الأسير المحتاج إلى رحمة الله البصير ؛ سيف الله بن حسين ابن الحاج موسى الكاظم النژبكري الغازي الغموقي كان الله معه : إني أخذت العلم الظاهر بعضها كما أخذت العلم الباطن من شيخنا ذي المواهب أبي عبد الرحمن زين الله الشريفي المعموري ، وهو أخذ العلم الظاهر عن داملا أحمد بن خالد المنكاري القزاني ، وهو أخذ عن مولانا قاضي كلان في بخارا وملا مولوي محمد شريف السيد مصنف « التكملة » على « التتمة » ، وعن مولانا داملا حسن أخوند البخاري – داملا حسن أخذ أيضاً عن ميرك خواجه ، وهو أخذ عن عطاء الله – وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ عن هادي خواجه[1] ، وهو أخذ عن أخوند فيض ، وهو أخذ عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، وهو أخذ عن مولانا السيد محمد شريف الحسيني ، وهو أخذ عن مولانا أخوند يوسف القراباغي ، وهو أخذ عن مرزاجان الشيرازي ، وهو أخذ عن خواجه جمال ، وهو أخذ عن المحقق الدواني الجلال الصديقي ، وهو أخذ عن أبيه أسعد الصديقي ، وهو أخذ عن المحقق مولانا السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، وهو أخذ عن قطب الدين الرازي ، وهو أخذ عن العلامة قطب الدين محمود الشيرازي ، وهو أخذ عن الكاتبي ، وهو أخذ عن فخر الدين الرازي ، وهو أخذ عن أبي نصر السمناني ، وهو

(١) وهو المشهور بإيشان أستاذ .

أخذ عن محمد بن يحي النيسابوري ، وهو أخذ عن الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي الطوسي ، وهو أخذ عن إمام الحرمين الجويني ، وهو أخذ عن عبد الله أبي محمد الجويني ، وهو أخذ عن سهل بن محمد أبي طيب الصعلوكي ، وهو أخذ عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، وهو أخذ عن إبراهيم أبي إسحاق المروزي ، وهو أخذ عن أبي العباس أحمد بن سريج ، وهو أخذ عن أبي القاسم عثمان الأنماطي وهو أخذ عن إسماعيل بن إبراهيم المزني ، وهو أخذ عن الإمام الأجلِّ سيدنا أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ، وهو أخذ عن الإمام الأعلم مالك رضي الله عنه ، وهو أخذ عن نافع رضي الله عنه ، وهو أخذ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمِّيِّ محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وجلال الدين المحقِّقُ الدواني أخذ أيضاً عن محيي الدين الكشكناري ، وعن مظهر الدين محمد الكازروني ، وهما أخذا عن السيد الشريف ، والسيِّدُ الشريف أخذ الفقه والعلوم النقلية من شارح « الهداية » الشيخ الكامل أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابري ، وهو أخذ من قوام الدين محمد بن محمد الكاكي ، عن حسام الدين السغناتي ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن شمس الأئمة محمد بن [عبد] الستار الكردري ؛ عن صاحب « الهداية » علي ابن أبي بكر ، عن أحمد بن عمر النسفي ، عن أبيه ، عن أبي اليَسَر محمد البزدوي ، عن أبي يعقوب يوسف السبياري ، عن أبي إسحاق النوقدي ، عن الهُنْدُواني ، عن أبي القاسم الصّفَّار ، عن نصير بن يحيى ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي يوسف ، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان رضي الله عنه ، عن حمَّاد ، عن النَّخَعي ، عن العلقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرم .

وأيضاً أخذ مجيزنا وشيخُنا ومرشدنا العِلْم الظاهر ؛ كما أخذ العلم الباطن من مولانا أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهما ،

وهو أخذ عن مولانا السيد أحمد بن سليمان الحسني الطرابلسي ، وهو أخذ عن مولانا محمد بن العابدين ، ومن مولانا أحمد الطحطاوي ، وسندهما مذكور في ديباجة « حاشية الدرر المختار » ، وأخذ الإمام علي البزدوي المذكورُ ، عن السرخي ، وهو عن الحلواني ، وهو عن القاضي علي النسفي ، وهو عن أبي بكر محمد بن الفضل البخاري ، عن الإمام أبو عبد الله السبذْمُوني ، وهو عن أبي حفص البخاري ، عن أبيه ، عن الإمام محمد ، عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنهم .

والسند في العلوم العقلية والفقه إلى المحقق جلال الدواني الصديقي ، خواجه جمال ، مرزاجان الشيرازي ، أخوند يوسف ، مولوي شريف أخوند ، شيخ المولوي فيض هادي ؛ خواجه المشهور بإيشان أستاذ ، ابنه خواجه عطاء الله ، ابنه محمد شريف قاضي كلان مصنف « التكملة » ؛ داملا حسن أخوند ، داملا أحمد المنكاري ، داملا زين الله الشريفي المعموري ؛ خادمهم الفقير مير سيف الله الداغستاني النزبكري .

وفي هذه الثبات أجزت الأخ المبارك حسن أفندي القحي وثوقاً على علمه وأمنه وورعه ، كما أجازني المشائخ الكرام ، والعلماء الأعلام ، اللهم اجعلنا في بركاتهم آمين .

في جمادي الآخرة ١٥.

المكتوب الثاني والثمانون

في بيان سلسلة « حزب الإمام النووي » ومنافعه .

١ الإمام النووي قدس سره

٢ الإمام بن الخباز

٣ الشيخ زين الدين الصافي شريف المقدسي

٤ الشيخ البرهان زين الدين القباني

٥ الشيخ البدر الغزي — ٥ عبد الوهاب الشعراني

٦ الشيخ النجم الغزي (ولد البدر) — ٦ الشيخ علي الشناوي

٧ الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري

٧ الشيخ أحمد بن علي الشناوي

٨ الشيخ المحدِّث عبد الرحمن الكذبري الكبير

٨ الشيخ أحمد القشاشي

٩ الشيخ محمد محدث الشام محمد الكذبري

٩ الشيخ إبراهيم الكوراني (ابن الشيخ عبد الرحمن المذكور)

١٠ الشيخ مولانا خالد سليماني — ١٠ الشيخ العلامة البديري

١١ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني

١١ الشيخ العلامة محمد الحِفْني

١٢ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي — ١٢ الأمير الكبير

١٣ الشيخ المرشد العارف زين الله — ١٣ الشيخ أحمد مِنَّة الله

١٤ الشيخ سيف الله الحسيني الباشلاري

١٤ الشيخ علي بن السيد ظاهر الوتري

١٥ الشيخ حسن أفندي القحي الأَواري

١٥ الشيخ زين الله بن حبيب الله الشريفي

١٦ الفقير سيف الله الباشلاري

١٧ الشيخ حسن بن محمد القحي الأَوراي .

واعلم أن حزب قطب الوجود الإمام النووي رضي الله عنه من أعظم الأحزاب الواردة المأثورة ، وأكثرها نفعاً وبَرَكة ، وقد شرحه كثير من الأكابر الأعلام ، ولذلك كان غالب مشائخنا الخالديين يستعملونه ويداومون على قراءته ، وهو هذا : بسم الله ، الله أكبر (٣ مرات) أقول على نفسي . . . إلخ .

ويُقرأ كلَّ يوم ، وإني ولله الحمد أروي الحزب النووي إجازة عن شيخي وأستاذي زين الله الشريفي ، وهو عن المشائخ ، وقد ذكرناهم ولله الحمد ، وعن وليِّ الله بلا نزاع سلطان العلماء يحيى المزوري العمادي الخالدي قدس سره ، عن محدث الديار الدمشقية الشيخ محمد الكزبري ، عن والده المحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، عن العلامة الولي الكبير صاحب النَّفَس القدسي الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري ، عن النجم الغزي ، عن والده البدر الغزي ، عن البرهان زين الدين القباني ، عن الشيخ الإمام ابن الخباز ، عن قطب الجود الإمام النووي قدس الله أسرارهم ، وأفاض علينا بركاتهم .

وإني الفقير سيف الله

المكتوب الثالث والثمانون

في بيان سلسلة « حزب البحر » لأبي الحسن الشاذلي قدس سره الذي أوله : يا عليُّ ، يا عظيم ، يا حليم . . .إلخ .

١ الشيخ أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار ،

٢ الشيخ أحمد بن عمر المرسي المشهور « بأبي العباس المرسي » المدفون في الإسكندرية ،

٣ الشيخ أحمد بن عطاء الله المرسي مصنف « الحكم العطائية » ،

٤ الشيخ تاج الدين بن علي السبكي (أي : ابن تقي الدين السبكي) ،

٥ الشيخ عبد الرحيم بن خراط النونسي ،

٦ الشيخ شيخ الإسلام زكريا بن محمد الطرابلسي الأنصاري ،

٧ الشيخ نجم الدين بن محمد الفيطي ،

٨ الشيخ محمد بن أحمد السالم السنهوري ،

٩ الشيخ محمد البابلي ،

١٠ الشيخ أحمدالنخلي ،

١١ الشيخ أبو طاهر المدني الكوراني ،

١٢ الشيخ ولي الله الدهلوي (ابن ملا عبد الرحيم[١] تلميذ مرزا زاهد ، وهو تلميذ أبيه محمد أسلم ، وهو تلميذ مولانا كلان) ؛ محدث ديار الهند . مصنف كتاب « الحجة البالغة » ،

١٣ الشيخ عبد العزيز الدهلوي ابن ولي الله الدهلوي المذكور ،

١٤ الشيخ مولانا شاه خالد سليمان البغدادي الشامي ، وهو أيضاً

(١) هامش معلق على الأصل .

أخذ عن عبد الله الدهلوي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد العزيز المذكور ،

١٥ الشيخ أحمد بن سليمان الحسن الطرابلسي صاحب المقامات العالية ،

١٦ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستنبولي ،

١٧ الشيخ مولانا ذو الجناحين زين الله بن حبيب الله الشريفي المعموري التريسكي ،

١٨ الشيخ سيف الله بن حسين النثبكري الغازي الغموقي الداغستاني ،

١٩ الشيخ حسن بن محمد النقشبندي القحي الأَواري .

وإني الفقير أقلُّ العباد أخذت من مولانا أبو عبد الرحمن زين الله الشريفي أيضاً ، وأخذ مولانا وشيخنا زين الله الشريفي عن الشيخ فتح الله الأورالي ، عن الشيخ محمد صادق الشاشي ، عن الشيخ تاج الدين السمرقندي ، عن الشيخ درويش محمد الهندي المشهور بـ« شافعي إيشان » المقتول بشهر سبر قدس سره ، عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي . . .إلى آخر السلسلة .

ولسلسلة « حزب البحر » طريق آخر غير ما ذكر :

١ الشيخ أبو الحسن الشاذلي ،

٢ أبو العباس المرسي ،

٣ الإمام الميدري ،

٤ الإمام الواسطي ،

٥ الحافظ القَلْقَشَنْدي ،

٦ النور القرافي ،

٧ علي الأجهوري ،

٨ محمد الزرقاني ،

٩ الأستاذ السكندري ،

١٠ الصباغ يوسف الشباشي ،

١١ الضرير محمد الهبي المالكي ،

١٢ الأمير الكبير المالكي المشهور ،

١٣ أحمد مِنَّة المالكي ،

١٤ السيد علي بن ظاهر الوتري ،

١٥ الشيخ الأستاذ زين الله بن حبيب الله الشريفي المعموري ،

١٦ الشيخ سيف الله الفقير النثربكري الغازي الغموقي ،

١٧ الشيخ حسن حلمي بن محمد القحي الأَواري الداغستاني .

وعليه خاتمه الشريف

خاصِّيَّة حزب الإمام النووي

قال الشيخ القطب جمال الدين يوسف قدس سره ، عن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي قدس سره : من واظب على قراءة حزب الإمام النووي رحمه الله تعالى بعد الصبح والمغرب ، أو بعد الصبح والعشاء ؛ لا يقدرُ أحدٌ أن يتصرَّف فيه ، لا من أهل الظاهر ولا من أهل الباطن أرباب القلوب المتصرفين بالحقِّ ، ولا من أهل الظاهر أهل الشطارة والسِّحر والمكر والحرب والخصام والعداوة ، والله أعلم (مطالع المسرات) .

وسمعت سيِّدي عليّاً الخوَّاصَ رحمه الله تعالى يقول : إياك أن تبتدع لك ورداً ، فإن الحقَّ تبارك وتعالى لا يجالس عنده إلا فيما شرعه

نبيّه ﷺ ، ولما اعتراه بعض الفقراء على حزب السيد أبي الحسن الشاذلي قدس سره المسمى بـ« حزب البحر » ؛ قال الشيخ : والله لقد أخذتُه من في رسول الله ﷺ حرفاً بحرف . . . انتهى .

فإن كنتَ يا أخي من أهل هذا المقام ؛ فابتدع لك حزباً ، وإلاَّ ! ففيما ورد في الشريعة غُنية عن ذلك . (المنن الكبرى ٣١٧) .

المكتوب الرابع والثمانون

في بيان آداب قراءةِ الحديث على صاحبه الصلاة والسلام

قال رضي الله عنه : ثم اعلم أيُّها الصالح ؛ أن لقراءة الحديث آداباً لا بدَّ من ذكرها للتكملة ؛ وذلك أنَّه يبسمل من أوَّل القراءة ، فإنْ قرأ الفاتحة مرَّة والإخلاص ثلاثَ مرات ؛ وأهدى ثوابها لروح سيد الكائنات ؛ فهو أحسن وأولى ، والجلوسُ مستقبلَ القبلة بالهيبة والوقار متطيِّباً بالطيب من آدابها أيضاً ، كما كانت الأئمة كذلك ؛ أدباً من رسول الله ﷺ ، فحين الابتداء يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) برفع الصوت ، وأحسنُها بلا (أعوذ بالله . . .إلخ) ، لكن حينَ وصوله في موضع ذكر آيةٍ من كتاب فيقول حينئذ أعوذ بالله . . .إلخ ، هكذا ورد من المحدثين من أشياخنا ، ثم يقول (الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون .

أما بعد ؛ فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله تعالى ، وخير الهدي هديُ محمد رسول الله ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتُها ، وكلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ . . . والسند المتصل إلى المؤلف يقول : قال المحدث : كذا وكذا بذكر اسمه وأبيه . . .إلخ .

وقد ذكرنا أسانيد المحدثين في المسلسلات الوترية ، وفي حديث الأولية لابن عقيلة ، وستراها إن شاء الله تعالى ، وفَّقك الله تعالى ولنا لما يحب ويرضى ، واجعلنا يا ربنا بمجرَّد لطفِك العامِ من عبادك الصالحين ، والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً .

الفقير سيف الله

في ١٥ جمادى الآخرة

المكتوب الخامس والثمانون

الذي كتبه إلى بعض المريدين السالكين

ثم اعلم أيها الولد ؛ أنَّ ما تدور عليها من أمور هذه الفانية ؛ فإنما هي ملعبة تلعبُ أبناء الزمان والدهر لتحصى علينا من الخير والشرِّ ، فجميعها كسرابٍ بقيعةٍ يحسبُه الجاهل ماءً ، حتى إذا جاءَه لم يجدهُ شيئاً ، ولكن الله تعالى أمضى حكمَه بين عباده بذلك لإظهار حكمته ، إلى أَن يبلغ الكتاب أجلَه ، وقد أذاقنا الله تعالى حلاوتَها بسوء أعمالنا بدل ذوقِ أوليائه مرارتَها ، وإن ترك الأسباب كما كان منهيّاً لأمثالنا الضعفاء السادات لازمٌ علينا أن نأخذ طرفاً منها بقدر القناعة ، لدفع حاجاتنا إلى غير أهلها ، والحاجة تنفي الكمال ، لكن التوغل بالكليَّة في طلبها ليس من شأن الفتوَّة ، ولا من حسن المروَّة ، والغاية القصوى أن تجتهد في إدراك مطلبك الأبدي وعزِّك السرمدي ، وقد أعطى الله العزَّة للمؤمنين ، وخصَّها لهم بقوله عزَّ من قائل ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فاجتهد أن تكون فتيّاً ، وجاهد الدنيا ، وجاهد أن تكون من معشرٍ سبقت لهم من الله الحسنى ونالوا بالاجتهاد

وبذل النفوس غايةَ المنى ، وقد وعد وعَهد لعباده بالفوز بغاية المنى ؛ بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ ، فأقلل ما استطعت من الكلمة والكلام ، فهي عرضةُ الملام ، ولا تكن عرضةً لأهل الزمان ؛ لئلا تكون ملعبة للشيطان ، وليِّن العريكة ، وكن رفاعيَّ الهمَّة ، حسنَ السياسة ، ووَاقراً للكبار ؛ وراحماً للصغار ، وأكرم علماءَ الشرع ، ولا تظنَّ أنَّك عالمٌ فإنما العلم هو العمل ، ولا تجادلهم إلاَّ بالحسنة ، فإنما هم أمناء الشريعة ، واحترم للعاملين والسالكين ، وتأدَّب عند المريدين والمرادين ، لتكون من المرتاضين ، واجعل التقوى زادَك ، والانكسار لباسَك ، والخشوع دثارك[1] ، والحلم والتواضع صفَتَك ، واجعل شعارك والإخلاص رأس مالك ، عسى أن يبعثك مقاماً لا يخطر ببالك ، ولازم الجمعة والجماعة ، وأحسن الظنَّ بالله والمؤمنين ، ولا ترى في وجه الأرض مَنْ دونك ، واحسب كلَّ من رأيتَه وليّاً ؛ أو صدِّيقاً ، فالأولياء تحتَ قبابه مستورون ؛ لا يعرفهم غيره تعالى ، ولازم الأدب وعَضَّه بالنواجذ ، فقطرةُ العمل أعزُّ عند الله وأوليائه من بحر علم لا ينفع ، وراعِ حرمة مشائخك وساداتهم ، فهم خلفاءُ الله ؛ عرائسُ الله ، أحبّاء الله ، وكن ابن وقتٍ فالوقت سيف إن لم تقطعه بالصالحات قَطَعك ، فلكلِّ لحظة غنيمةٌ ، فويل لمن أضاع أوقاته فيما لا جدواه ، وإيَّاك ومجالَسَتَك مع الأجنبيات والحدثان ، والحوادثَ معهم ؛ فإنهُنَّ حبائلُ الشيطان التي يصيدون بها العلماء والصالحين ؛ فضلاً عن الجهلاء الغاوين ، فمثلك عند الله كمثل زِقٍّ مملوءة ؛ إن كانت فيها عطراً يتعطرك ويتعطَّر بك ، ويغتنم بقربك من سمعك أو قَربك ، وإن كان فيها عفونة ينتنك وينتن مَن جالسك وصاحَبَكَ ، ولا تكن محقوداً محسوداً ؛ ولا حاسداً حاقداً ، فاعفُ عن الحاسد ، ولا

---

(١) أي : ثيابك (هامش الأصل) . والدثار هو اثوب الخارجي على البدن ، أما الملاصق للبد فشعار .

تحسد على الجاحد وإن جاهدوك بما ليس لك به علم فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ولا تخف لعملك عن الرياء ، بل اعمل لله بالله ، فإنَّ للنفس بأمثال ذلك دسيساتٍ لا يدركها كلُّ أحد إلا من أيقظه الله ، واحذر من الرياء أشدَّ الحذر ، فإنما هو الكفر ، والكفر قد عمَّ في زماننا .

واعلم أن هذه الطريقة وأمثالَها مبنيَّةٌ على أصلين أصيلين : اتباع النبي ﷺ ، ومحبَّة الشيخ المقتدى ، فإذا وجدا ! فالفقدان عين الوجدان ، فإذا فقدا ؛ فالوجدان عين الفقدان .

واعلم بعلم اليقين ؛ لا بالظنِّ والتخمين ؛ أن حُبَّك لله يكون بقدر محبتك في مشائخك ، فهم أَدِلاَّؤك إلى الله تعالى ، فبقدر محبَّة شيخك ومشائخه عندك ؛ فأنت عندهم بمثابةِ ذلك عند الله ، لا أنقص ولا أزيد ؛ جزءً وفاقاً ، وإن وجدتَ منهلاً أعذبَ من منهل شيخِك ! ! فعليك به ، وإن وجدت الأكملَ من الثاني ؛ فذلك تختارُه مع تَحسينِ ظنّك للأوليين ، فلا حَجْر عليك في ذلك ، وهذه الخصلة توارثنا من ساداتنا قدس الله أسرارهم ، وإيَّاك وسوءَ الظنِّ على مشائخك ؛ وإن ظهر منهم لك ما يوجب ذلك يتجاهل الشيخ لدى المريد ليمتحن به حالَه وعقيدته ، حتى إنَّ الولي قد يقع في الأمور الهائلة من الله ، وليس للمريد أن يعترض عليه بذلك ، بل يفوِّض الأمر إلى الله ، ويدعوه ويستغفره ، ويستعيذ بالله من وقوعه في أمثال ذلك ، ويرضى بالقدر ولا يرضى بالكفر ، واكتم سِرَّك ؛ ولا تفشه لكلِّ أحد ، فإفشاءُ سرِّ الربوبية كفرٌ ؛ عياذاً بالله من الخذلان بعد الإيمان ، ولا تَمُنَّ من أحد إكرامَك والاحترام لك ، فإنَّما ذلك من حظِّ النفس والشيطان ، ولازم السنَّة المحمدية ، والعضَّ عليها بالنوافل ، لمثابة حديثه ﷺ : « لاَ يَزَلُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ » . . .إلخ وإياك ؛ وإياك ؛ إياك من البَدَعَةِ والمجالسة بل والمجادلةِ معهم .

المكتوب السادس والثمانون

هو المكتوب الذي كتبه السيد مير سيف الله نظماً في حقِّ مدح وثناءِ شيخه المرشد والقطب المنير الموفَّق زين الدين والدنيا زين الله المعموري الشريفي

قال ﷺ :

شَكَرْتُكَ رَبِّي شُكْرَ مَنْ فَازَ بِالحَمْدِ ... بِـرَقْمٍ يَفُوحُ المِسْكُ مِنْ نَشْرِهِ يُنْدِي
إِذَا هُوَ مِنْ شَيْخِي حَيَاتِـي وَسَيِّدِي ... وَمَنْ ذِكْرُهُ فِي القَلْبِ يَنْمُو إِلَى اللَّحْدِ
فَـرِيـدُ زَمَـانٍ لاَ يُبَالِي مِـنَ النَّـــوَى ... وَلَـو طَـوَّختهُ فِي حُزُونٍ مِنَ الجُهْدِ[1]
لُـبَـابُ قُـلُـوبِ الـعَارِفِينَ وَتَاجُهُمْ ... أَمِينٌ سَلِيمُ الصَّدْرِ مِنْ سَوْرَةِ الحِقْدِ
شِـفَـاءُ صُـدُورِ الأَوْلِـيَـاءِ وَزُبْدُهُمْ ... فَـمَـا هُـوَ يَـوْماً بِالمُزِيغ عَنْ الرُّشْدِ
هُـوَ الـقُـطْـبُ زَيْنُ اللهِ زَيْنُ ضِيَائِهِ ... يَـعُـمُّ الوَرَى طُرّاً مِنَ القُرْبِ وَالبُعْدِ
فَأَسْعِدْنِي رَبِّي بِرَسْـمٍ لـه انْـتَـمَـى ... بِـكَـفٍّ حَـبَـاهُ اللهُ بِالجُودِ وَالمَجْدِ
فَكَيْفَ وَلاَ لَـمَّـا نَـظَـرْتُ لِـرَقْـمِـهِ ... تَـهَـيَّـجَ أَوْصَالِي بِذِكْرِ هَوَى النَّجْدِ
لَعَلَ الصِّبَا تُنْدَي عَلَى القَلْـبِ نَدْوَةً ... تَـبـلُّ زَفِـيرِي أَوْ تُنَفِّسُ مِنْ وَجْدِي
تُلاَقِي إِلَيْـنَـا حُـبَّـهُ كُـلَّ مَـذْهَـبٍ ... وَإِنْ كَانَ أَقْصَى الأَرْضِ مَأْوَاهُ وَالسَّدِّ
وَمَـا الـجُـودُ إِلاَّ هَمُّهُ إِنْ تَـمَـثَّلَتْ ... لَهُ الـهِـمَّـةُ الـقَسْعَاءُ رَائِدَهُ القَصْدِ[2]
فَـمـن شَـاءَ أَنْ يُولِي السَّعَادَةَ فَلْيَرُمْ ... إِلَـيْـهِ يَـفُـز بِـالـفَيْضِ أَعَلاَ مِنَ النَّدِّ
يَـصِـيـرُ لَـهُ التَّقْوَى شِعَاراً وَمَذْهَباً ... وَيَـحْـظَـى بِـأَمْـرِ اللهِ بِالسِّرِّ وَالوِرْدِ
سَـقَـى اللهُ مِـنْ بَـحْرِ الوِلاَيَةِ أَنْفُساً ... سَـرَائِـرُهُـمْ مَـقْرُونَةٌ لِلسَّمَا السَّعْدِ

---

(١) طوَّخته : أي : رميته ، أي : رماه بقبح (منه) .
(٢) القسعاء : أي الثابتة الدائمة التي هي لا يطرقها تغيير ولا زوال .

وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدْ عَاشَ جَـهْــلاً بِقَدْرِهِ تُسِيءُ ظُنُوناً مِثْلَ دَأْبِ الفَتَى الوَغْدِ[1]
وَهَـلْ يَقْدِرُ الحَسنَاءَ مَنْ لَيْسَ قَادِراً عَلَى مَهْرِهَا مَا ذَاكَ مِنْ عَادَةِ الجَعْدِ
يَلِـيـنُ بِـنَـظْـرٍ مِـنْـهُ فَـاقِـدُ هِـمَّـةٍ وَإِنْ كَـانَ قَـسْـوَاهُ أَشَـدَّ مِنَ الصَّلْدِ
وَإِنِّـي لأَقْـسَى القَلْبِ طَبْعاً وَمَذهَباً فَـبَـدَّلَـنِـي خَـوْفاً ، وَمِنْهُ بِهِ عَهْدِي
فَـمِـنْـهُ قَـبِلْتُ السِّرَّ طَوْعاً فَهَاجَنِي لَوَاعِجُ فِي الأَحْشَاءِ مِنْ قَبَسِ الوَجْدِ[2]
وَمِنْهُ وَسِـعْـتُ الـفَضْلَ لَفْظاً وَغَايَةً وَمَا ضِقْتُ مِنْ خَالٍ وَأَرْجُو إِلَى اللَّحْدِ
فَكَيْف أَضِيقُ اليَوْمَ مِنْ وَصْفِ عَارِفٍ وَكُـلُّ خِـصَالٍ مِنْهُ تُنْمَى إِلَى الزُّهْدِ
أَيَـهْـجُـرُنِـي قَـوْمِـي عَفَا اللهُ عَنْهُمُ بِمَا رُمْتُ مِنْ مَدْحِي كَمَنْثُورَةِ العَقْدِ
أَرَى رِجَـالِ الـعُـرْبِ عِـزّاً وَرِفْـعَةً لِـفَـضْـلٍ أَتَـاهُمْ مِنْهُ بِالوَاحِدِ الفَرْدِ
بَلَى فِيهِ وَالرَّحْـمَـنِ مَـا زِلْـتُ فَانِياً وَلاَ زِلْـتُ مَدَّاحاً وَإِنْ عَابَ ذُو الحِقْدِ
فَـلَـوْ كُـنْتُ فِي هَذَا الوُجُودِ مُخَيَّراً وَفِـي عَـدَمِـي لاخْـتَـرْتُهُ آثِرًا فَقَدِي
وَغَـايَـةُ جُـهْـدِي فِـيـهِ أَنِّي عَلِمْتُهُ لِـمَـوْرِدِ رِضْـوَانٍ تَـفَـرَّدَ بِـالـحَـدِّ
فَـمَنْ رَامَ أَنْ تحيى بِرَغْدٍ مِنَ المُنَى بِـدُنْـيَاكَ وَالأُخْرَى مَطِيراً مِنَ الرِّفْدِ
فِـجِـدَّ لِـخَـيْرٍ وَاجْهِدِ النَّفْسَ قُـرْبَهُ مَعَ الحُبِّ تَبْلُغْ مُنْتَهَى شَغَفَ الحَمْدِ
مَـدَحْـتُـه بِـهَـذا ألا أَعُـدُّ كَـمَـالَهُ وَمِنْ مَدْحِهِ أَرْجُو الكَمَالَ إِلَى الغدِ
سَقَى اللهُ سَـيْـفَ اللهِ قَـطْرَةَ سَيْلِكُمْ وَمِـنْ بَـحْـرِكُـمْ مَا زَالَ يَغْرَقُ اليَدِّ
سَلاَبِهِ سَيْفُ اللهِ عَـنْ كُـلِّ مَا سِوَى وَصَـــارَ سِـــوَى اللهَ سَـــمَّــــا

من خط المرشد الحقيقي
الحاج حبيب الله القحي؛
تبرُّكاً واستفاضاً منهما قدس الله سرهما.

---

(١) الوغد : الأحمق الضعيف ؛ الدنيء من الرجال .
(٢) اللواعج : النار في الحطب ، أو قدره . القبس : شعلة من النار .

المكتوب السابع والثمانون

هو المكتوب الذي كتبه السيد أبو الأرواح الشيخ المرشد ؛ مظهر الشريعة وأمين الطريقة وسليل الحقيقة ؛ حسن أفندي النقشبندي الخالدي المجددي الشاذلي القادري – قدس سره العزيز – في حقِّ بيان وظائف وفضائل شيخه ومرشده قطب الأقطاب ، فريد الوقت والزمان ؛ سيِّد السادات مير سيف الله النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي قدّس الله سرّه العزيز

قال رضي الله عنه : إلى من يتسَلَّى هذا الفقير الحقير بمحاسن كلماته ، ويتألف هذا المحزون برؤية ما كتب بخطه ؛ أخينا في الله ، ومرشدنا إلى الله ، قطب هذا الإقليم ، ومقدَّم هذا الفريق بمحض فضل الله الكريم ؛ سيدنا ومولان الشيخ مير سيف الله الحسيني النقشبندي سلَّمه الله سبحانه من فتن الدارين ، وأذاقه حلاوة الأنس بتقريبه إلى مقام قاب قوسين ، ورزقه الشهودَ الذاتي بحيث تورث المكالمة ، وأطال الله بقاءه لهدايةِ الخلق إلى طريق الحق . آمين ؛ ثم آمين .

أما بعد؛ فلقد كشف عنِّي الضرّ ، وذهب ما بقلبي من ظلمة الكون كالذرِّ ، وسَرَّني ونشَّطني بوصول مكاتبك الشريفة المشحونة بالمواعظ الشافية والنصائح العافية النافذة ، بعد ما كان العبد الجاني في قبض شديد ؛ لفقدان من يؤانسه ، فجزاكم الله عنا خيراً ، وألهمكم الرشد ليلاً ونهاراً ، فلقد صببت إلى قلب هذا الفقير من المعارف مثل الأمطار ، وكتبت بسطاً ممَّا يَحُلُّ به الإشكال ، فكم وكم كشفتَ الغبار عن قلبي بإظهار ما عندك من العلوم الوهبية ! ! وكم وكم رفعتَ الظلمات عن فؤادي بكتابة المعارف اللدنيّة ؛ فوالله يأخذني الحياء منك كالسكران ، ويكادُ أن يعتريني الجنونُ بشدَّة الخجل ، لما أنك تحركت القلم كثيراً ؛

لأجل هذا الأقل من كلِّ قليل ، واشتغلت زمناً بترك شُغْلك لمجرَّد الخادم الحقير ، ولا أدري أعجبَ من هذا الصنيع الصادر من الجناب الرفيع بالنسبة إلى هذا الذي لا يوزن بجناح بعوضة ، فقد فُقْتم بهذا التواضع ، ورقيتم بأمثال هذه الأخلاق إلى مراقي الترافع ، وأخذتم حَظّاً وافراً من رشحات قول من قال : « مَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ الله » .

هذا ؛ ثمَّ إني أيها المخدوم المعظَّم متعلِّق بأذيالكم ، ومترقِّب بوصول قطرة من رشحات بركاتكم ؛ سواء كان بالدعاء ، أو بنزول قطعة من المكتوبات التي فيها المعارف كالشموسات ، ولا تخفى عليكم فضيلةُ المداراة ، وزيادة بركاتِ حسن الأخلاق ؛ فقد واسيتني كثيراً ، وآنستني قديماً ، وأرجو منك أن لا تقطع عني شيئاً ممَّا فضل الله عليك من الأذواق الوهبية والمواجيد الإلهامية ، ثمَّ أرجوك أن تدخل في حقِّ المفلس الجاني الباكي على ما مضى من فرطاته في دائرة « حَسِّنْ خُلُقَك ؛ ولو مع الكفار » ، وإن كان فيَّ خجل شديد وحياءٌ بليغ منكم ؛ بكيفٍ لا يطيق أن يوصف .

فإن سألتم عنا ! ! فنحن في عافية ، فالحمدُ لله ، وقد ولد لولدنا محمد حجيو ليلة الخميس الثالث عشر من محرم ولداً وسميناه باسم شيخنا قدس سره ، فلعلَّك تدعو له ، ولا أدري هل يكون ذلك مرضياً عنده وعندكم ؛ أم يكون ذلك تركاً لأدبه قدس سره ! ! ونحن ندعوكم بطول البقاء ، رجاء أن يتوجَّه من جنابكم قطرات إلى كلِّ قطر تحيى بها أموات القلوب ، ونسأل الله العافية الدائمة لكم ، ونتمنَّى أن نطلع من طرفكم بدورُ الفيوضات إلى كلِّ أفق يهدي بها إلى خالق المخلوقات ، ونحمد الله سبحانه على وجودكم ، فيا له لنا من نعمة يجب شكرها على المسلمين ، فكيف لا ؛ وقد وجدناكم وعاءاً للعلوم اللدنية ! ! وصدراً يحفظ فيها الأسرار الإلهية ! ! فالحمد لله ، ثم الحمدُ لله .

وهذا آخر ما لَخَّصت واختصرتُ من « المكتوبات الشيخ المرشد مير سيف الله لفقراء أهل الله » التي كتبها إلى خليفته وخليفه الشيخ المرشد حسن أفندي القحي واسترحت من كتابة ما فزت لله الحمدُ على ما أنعم به من تيسير الإتمام ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الأنجاب ، وحذفتُ من بينها بما هو غير مقصود ومأمول ، وكتبتُ في موضعه لفظةَ . . . (إلخ) ، ومن أراد النظر إليه فله الرجوع إلى أصله وموضعه ، ويا ربي أعيذُ بك من كلِّ ما زل به قدمي ، وطغى به قلمي ، وأسألك أن لا تجعله لي وزراً ووبالاً ، واجعله يا ربي نافعاً لي وللعباد ، وهادياً وقائداً إلى الحقِّ ، وسبيلاً للعفو والعافية ؛ إنَّه هو البرُّ الجواد ؛ ذو العرش المجيد ، وارزقني شفاعةَ الشيخ المرشد مير سيف الله ، وسائر المشائخ المذكورين في هذا الكتاب ، وسائر الأولياء بحرمة النبي المختار ؛ سيِّد الإنس والجان ، وأنا أفقر الفقراء ، وأحقرُ الغرباء البالغ في التقصير ذنوب الذنوب ؛ خادم العلم والعلماء شمس الدين بن محمد القحي الراجي إلى دعاء الإخوان الناظرين والراغبين فيه عفى هم العافي ، في ٢٥ من ربيع الأخير في سنة ١٣٧٧ ، اللهم اغفر له بحرمة النبي محمد المصطفى ﷺ .

مكتوب الشيخ زين الله بن حبيب الله الشريفي المعموري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى . آمين .

فقد أجزت فلاناً بقراءة « دلائل الخيرات » ، و« الحزب الأعظم » فيقرأهما بقدر ما تيسر ، أوصيك أيها الطالب بالتقوى ؛ ونفي الوجود ،

ودوام الذكر المأمور ، وأداء الصلوات الخمس بالجماعة ، وتصحيح النية ؛ إذ هي روح العبادات ، وأن لا تنساني ومشائخي من الدعوات الصالحات في الأوقات المستجابات ؛ والله الموفق .

خادم الفقراء ملا زين الله بن حبيب الله

النقشبندي. من خطه

مكتوب الشيخ المرشد الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره

إلى الإخوان القحيين . . . من حسن ؛ وإلى أهل بيته ، ثم إلى حديث حج وإلى أهل بيته ، ثم عيسى حج وإلى أبنائه ، ثم إلى حسين لمحمد حجيو ؛ ودِبِرْ محمد ، وسائر الأضياف والأحباب ؛ سلام عليكم وعلينا ، وعلى عبادِ الله الصالحين .

وبعد ؛ فالمراد من إرسال المذكور إلى جنابكم ، وتسطير السطور إلى طرفكم : إبلاغ سلامنا الوافي ، وإرسال كلامنا الكافي ؛ لكون المراسلة نصفَ المواصلة ، وكتابة الكاغذ أختُ المشافهة .

كَتَبْتُ كِتَابَ الشَّوْقِ مِنِّي إِلَيْكُم وَفِي أَمَلِي أَنِّي أَعُودُ إِلَيْكُمُ
فَإِنْ حَالَ حُكْمُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُم أَمُوتُ غَرِيباً وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمُ

{من طرف عبد الرحمن العسوي

من خطه قدس سره}

كتبت هذان الكتابان تبرُّكاً بهما . اللهم ارزقني شفاعتهما ، واجعلني من أحبابهما آمين (من الكاتب) .

مكتوب الشيخ المنير والمرشد الحقيقي
حسن أفندي قدس سره

الذي كتبه إلى الجماعة ، وإلى بعض السالكين حين طلب منه الإذن والرخصة لوظيفة القضاء عند اقتراح الجماعة منه أكيداً .

قال ﷺ : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد؛ فقد وصل الرسول المرسَل مع الرسالة المنبئة عن طلب الإذن لتولية العالم المخلص من هذا العبد الضعيف ، وبذا حصل لي استحياءٌ وخَجَل ، فمن أنا ليطلب مني الإذن ويشاورني في صنيعه ، أنا دونه بدرجات ، بل هو أرفعُ مني بمعارج ، لكن استحسنت هذا الصنيعَ الناشئَ من ذلك القدر الرفيع والمقام المنيع مع هذا العبد الوضيع ، فكيف لا تستحسن المباداة بالتواضع من العلماء ؛ كالملوك بالنسبة إلى الفقير الصعلوك ، ولعمري إنّ طَلَب الإذنَ من أمثاله لحريٌّ بالاستغراب ، وحضور هذا المسكين الخامل بباله وخاطره مع ارتدائه برداء العلم والعمل والعقل والإدراك شيءٌ عجاب ، رفعه الله تعالى بهذا التواضع إلى أعلى العليين ؛ بحكم « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه » وبحكم « التواضع بساط تحت الأرضين السبع ، فمن جلس عليه يرتقي إلى أعلى عليين » ، وصانه الله تعالى عن التكبر ، ورقَّاه بفضله يوماً فيوماً إلى درجات أهل العرفان ، ومراقي العلماء العاملين . آمين .

فالتواضع من أرباب الملك شَرَف وزين ، والتكبُّر من العلماء سرف وشين .

ثمَّ لا يخفى على جنانه أن صلاحَ الملوك والعلماء - حلاَّهم اللهُ به - صلاحُ البرايا ، وفسادهم - خلاَّهم الله عنه - فسادُ جميع الرعايا ، وقد ورد الأمر بتعميم الدعاء لهم ؛ فلا جرم أن شيمةَ هذا الفقير الاعتناءُ التامُّ بالدعاء له باستقامته على إنفاذ أمر التولية ،

والعدل في الحكم بين الرعية ، وعدم الجور على أحد من أهل القرية بأخذ الجانب ؛ ولو كان ذات القرابة ، وأوصيه بوصيَّة اللهِ ورسوله ؛ وهي تقوى الله في السرِّ والعلانية ، ويجوز له أن يمتثل أمركم ويقبل قولكم ، وأرى رأيكم هذا سديداً ، وأظنُّ أن الخير والمصلحة بين الناس ينتشرُ سببُه إن شاء الله تعالى .

واعلموا أن القضاء في هذا الأوان هو الذبحُ بسكين تالفٍ ، بل السعيُ في أمور الرسم والعادة سمٌّ قاتل للعلماء ، بل هو أشدُّ مِن سُمِّ الأفعى ، وقتيلُ هذا السمِّ يموتُ بالموت الأبدي ، وإنَّ صلاح الخلق بصلاح الولاة والقضاة ؛ وفسادَهم لازمٌ على فسادهم ، فإن كان الأمر هكذا ينبغي لكم أيُّها الإخوان أن تمحِّضوه للوعظ والتذكير وإنفاذ أحكام الشريعة ، ولا تكلِّفُوه بما لا طاقة له به من السعي بين أهل الديوان .

واعلموا أن مصلحة هذا الأمر راجعٌ إليكم ؛ لا إليه ، ولو كان هلاكه في سعيه المذكور خاصّاً به ؛ فنحن نأمره بهذا الأمر ، لأن الهالك هو نفسه ، فنجعله فداءً للخلق ، لكن نعلم بالمشاهدة والتجربة أنَّ الوعظ إن وقع من قلب صادق يقع إلى قلب ، ويقبلُه كلُّ من سمعه ، وإلا ! فيكون كالضرب بالحديد ، فرأيُكم هذا ؛ أي ترككم الخادم له لإنفاذ أمر الكتابة في الأمور الرسمية ؛ وتخصيصكم إياه بالأحكام الشرعية أراه حَسَناً . رزقكم الله عزَّ وجل منه البركة الغير الزائلة ، ومَنَّكم له بفضله ومَنِّه ؛ إنه هو المدبِّر في الأمور ، والموفِّقُ للسداد . فهذا ؛ والسلام على جُلِّ جماعتكم ، وأوصيكم الدعاء بالاستقامة ؛ الفقير الحقير حسن القحي

{من خطه ومسوده قدس سره العزيز}.

أوراد الشاذلية

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (**مائة**) . اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (**مائة مرة**) ، لا إله إلا الله (**مائة مرة**) سيدنا محمد رسول الله ﷺ (**مرة واحدة**) صباحاً ومساءً . (**من خط المرشد حسن أفندي قدس سره**) .

هذا رابطة الشاذليين

أستغفر الله (**٢٥**) ثم يقرأ الفاتحة (**مرة**) ، والإخلاص (**ثلاث مرَّات**) كِرهَدِنْ قِلَ يَا رَبّ دِصَّ زَلَرَبْ جُ دُصَ قَبُلْ هَبِ اللهْ قَبُلْ هَبُنْ هِپُلْ كِرِ زِكِنِ هَبِ اللهْ يَا رَبِّ دِصَّ زَلَرَبْ اَلْحَمَپُلْكِ لِبَبْكُ قُلْهُ يَلُلْكِ كِردُصَّ شِزهَبِ خِرِيَوْ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصِ هِصُلْ أَنْقَوْكُ أَصْحَبْزَبَزكِ شِزهَبِ الله كِنَلْكُ شَاذِلِيَلْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ اَرْوَاحَزْدِكِ شِزهَبِ اللهْ خَصْكُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيَصُلْ رُحَلْدِكِ شِزهَبِ سَيْفُ اللهْ قَادِ يَصُلْ رُحَلْدِكِ شِزهَبِ حَسَنْ اَفَنْدِ يَصُلْ رَحَلْدِك شِزهَبِ اَبُنْ اَبِلَ سِنْكِ نُسْكُ نُخَلْدَ أَسْتَغْفِرُ اللهْ اَبِلَ سِنْكِ خَلِلْ فِكْرِ هَبِلَ خَلِلْ اُنْتِيَلْدَلِّنْ أُنْتُنْ وُكِوْ عَدِنْ رُحْ بَخِزِ مَلَكُلْ مَوْتْ وَچُنْ بُخُلْ اَخَدَصَ بَيْ بِكُّنْ رُحْ بَخُلِبْ بُكِبْ عَدِنْ چُرِزِ رَسَيَلْدَ طَدْكِ لِّنْ چُرُ كَبْ عَوْرَةْ صِب كِ لُّنْ چُرِزِ خِنْ وُكِوْ عَدِنْ چُرُنْ خَدُبْ مُسْرُدَ طَدْكِ لُّنْ مُسْرُ طَدْ بُقِيَلْ اَخَدِ شِزعَنْ هِدِنْ فِكْرِ هَبِلَ سِنْكِ سَيْفُ اللهْ قَادِي صِوچِزِ هَولَ هِصُلْ رَكَلْدَ رَكْكِ بِطِزِ هَبُنْ هِصُلْ رَكَلْدَصَ دُرْكُ رَكَلْدِ فَيِضْ بَچُنبْ بُكِبْ عَدِنْ چِلَ رَدَلْكِ قَيْصِكِ .

شاذَلى طَرِيقَتِپُلْ سِلْسِلَ بُكُ هَبْ

مُحَمَّدْ حَبيبُ الله حَقَوْ بِچَصُلِ رَسُولْ   أَبـوُ طـالِـبِـلْ عَلي طَهَيَصُلْكِ هُدُلْ
حَبِيبَصُلْ بِرْزُلْ نُورْ زَهْراءُ اللهِ الْحَسَنْ   أَبـوُ مُـحَـمّدْ جابِرْ حَدِيثِپُلْ تَرْجُمانْ
شَيْخْ سَعِيدْ فَتْحُ سُعُودْ كِيَوْكُ قُطْبُ وُكْ   سَعْدُ كِنْ سِنْكِ سَعِيدْ أَحْمَدِ الْمَرْوَانِي وُكْ
إبْرَاهِيم البُصْرِيِّ زَيْنُ الدِّين الْقِزْوِينِي   شَمْـسُ الدِّينْ تَاجُ الدِّين عَليُّ نُورُ الدّينْ
نُجدَبُكُ أمانْ   فَخْرُ الدِّين تُقَيُّ الدِّينْ دُدَكِ بُكُ هَرِ
عَـبْـدُ الـرَّحْـمَـنْ مَـجْـدُ الـدّيـنَ   نُجُصَ قَبُلْ هَرِ يا قُطْبُ عَبْدُ السَّلامْ
شَاذِلِيِّ أَبوُ الحسن عَلِيُّ قُطْبُ الأنامْ   أَبـوُ الْـعَـبَّـاسِ الْـمُـرْسِيِّ تاجُ الدِّينْ
إبْـنُ الْـعَـطا وَدَاوُدِ البَاخِلـي هَـرُكِ   نجكِ بَطَ فَيِضْ چخُلِبْ رَلِّدْ مُحَمَّدْ بَحْرُ
الصَّفَى مَعارِفَلْ طُـلِـبْ عُـزْ عَـلِـيُّ   اِبْنُ الْوَفى سَيِّدِي يَحْيى خَدُوْ أَبوُ الْعَبَاسْ
اَحْـمَـدْ زَرُوقْ إِبْـراهِـيـمْ   نُجُدَ صَنْكِ مَدَدْ سَيِّدِي عَلي الصَّنْهاجِي
هَـوْ مَـجْـذُوبْ عَـبْـدُ الـرَّحْـمَـنْ   رَحْمَتِپُلْ نَكْ عَدَلْ يُوسُفْكِنْ عَبْدُ الرَّحْمَنْ
مُحَمَّدْ عَلي قاَسِمْ غَوْثْ وُرِ اَدَبْ هَبِ   أَبـوُ الْعَبّاسْ اَحْمَدْ يَا سَيِّدي العَرَبي
جِنْدِ عَكَرْ لِرَصْدَ زُبْ لُلِوْ اَبُو الْحَسَنْ   يا عَرَبِي مُحَمَّدْ فِنْجِيرْ حَبِيبُ الرَّحْمَنْ
مُـحَـمَّـدْ عَـلـي وُكْ عَارِفِينَزُلْ اَمِيرْ   خَـدُ مُـحَـمّدْ صَالِحْ صالِحِينَزُلْ بِطِرْ
فَـنـاَءْ بَـقاَءْ طُبَرَوْ طَهَيَصُلْ نُخْ كُرَوْ   نَـقْـشُـبَنْدِيَوْ شَيخْ شُيُوخَرْ إذْنُ قُرَوْ
كِـلانِـيَـو دَنْدِلِنْ تَرْبِيَتْ حَصُلْ لِرَوْ   أُوَيْـسِـيَـوْكِ لِهُنْ هِوْكِ زَقْ رَضِلِرَوْ
بَـعَـزْ لِـيَلْدِ اَرَبْ خَحَبْ هُمِرْ بُكَرَوْ   بِـرَلِي جُـبُـرَنْ نُـدُ نُـرْ عَـدِنَوْ وُكَرَه
زَقْ خَحَبْ چِلَيْ عَدَبْ مِكِجْ جِنْدِلْ بُكَرَوْ   طِـرِنَبْ زَقْ هَيَبَبْ هُرْ قُخِبْ چِرْخْ بُكَرَوْ
اَرْسلانْ حُسِنِلْ اِمِنْ غُمِكِصَ سَيْفُ اللهْ   سِنْكِ حَسَنْ اَفَنْدِي مُحِبُّ رِجالِ الله

(قدس الله أسرارهم)

(كيفية قراءة ختم الإمام الرباني)

فأولاً يفعل الرابطة ؛ ثم ينوي ، وبعده يقرأ الدعاء : اللهم ؛ يا مفتِّحَ الأبواب ، ويا مقلِّب القلوب والأبصار ، ويا خالق الليل والنهار ، ويا دليلَ المتحيِّرين ، ويا غياث المستغيثين توَّكلتُ عليك ؛ يا ربَّ العالمين ، وأفوِّضُ أمري إلى الله تعالى ؛ إنَّ الله بصير بالعباد ، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم ، سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

ثم يصلي **(مائة مرة)** ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله **(خمس مائة مرة)** ثم يصلي **(مائة مرة)** ، ثم يهلل بأن قال **(لا إله إلا الله)** ، وبعده يصلي **(عشر مرات)** ، ثم يقرأ عشر آيات من القرآن ، وبعده يعطي ثواب قراءة الختم إلى أرواح المشائخ ، ثم يقرأ السلسلة ، ثم يفعل الوقوفَ ؛ ناظراً إلى قلبه ، ثم يفعل التوسُّل بهؤلاء المشائخ ؛ يا إمام الرباني ، ويا أحمد الفاروقي نتوسَّل بكم إلى الله تعالى لقضاء حوائجنا الدنيوبة والأخروية ، ودفع البليات والأمراض ، ويا خالد شاه نتوسَّل بك . اهـ .

وبعد التمام يصلي بهذه الصلاة : اللهم ؛ صلِّ على سدينا محمد ، وعلى آل سيِّدنا محمد بعدد كلِّ داء ودواء ، وبارك وسلِّم عليه وعليهم كثيراً ، ويقول بعد الثالثة كثيراً كثيراً . . انتهى .

الرَوْض النَّدِي في مَناقب القطب محمود أفندي

لمُفلِس الزمانِ وَالأوان طُفَيْليٌّ الإخوان
عَلىَ الخِوَان أَبي أحمد محمّد
حفظه الله تعالى وأحبَابه
من النكَد والكَمَد
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم ،

الحَمد لله ربِّ العالمين ، وربِّى خواصِّ عباده بأخص خواصهم من المرشدين والعارفين ، والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم من المؤمنين والمسلمين .

أما بعد : فهذه رسالة في ترجمة الأستاذ الإمام ؛ شيخ المشائخ وقطب الأنام ، غوث الزمان خضريِّ المقام ، طبيب أمراض القلوب والأسقام ، محمود الفعال ، وممدوح الخصال ، محمود أفندي الألمالي مولداً ، الداغستاني ولايةً ، الحاج ترخاني مَدْفناً ، الحنفي مذهباً ، الماتريدي معتقداً ، النقشبندي الخضري المجدّدي الخالدي طريقةً ، قدّس الله تعالى سرَّه العزيز النوراني ، ونوَّر به قلب كلَّ سالك من الأقاصي والأداني . سمَّيناها :

« الروض الندي في مناقب القطب محمود أفندي »

وُلِد رضي الله تعالى عنه تخميناً سنة ألفٍ ومأتين وخمس وعشرين من الهجرة النبويَّة - على صاحبها أفضل الصلاة وأتمُّ السلام وأزكى التحيّة - في قرية كبيرة تسمَّى أَلْمَالُو من ولاية چَارْ بأسفل نهر كُرْمُوكْ المنصَبِّ من أوْدية إيليسُو وسرُوبَاش على بُعْد مسير نحو . . . من بلدة نُخُو ، وعلى بُعْد مسير نحو ساعتين من قرية قاخ ، واسمُ وَالده الحاج محمد أفندي رحمه الله تعالى .

فلما نشأ المترجَمُ له قرأ القرآن واشتغل بطلب العلم فخرج ماهراً في العربيَّة مجيداً في الكتابة و التحرير ، فطلبه أمراء إيليسو وأقاموه مُحرِّراً لدَوَاوينهمْ وكاتباً لرسائلهم ، كالأمير الشهير دانيال سلطان وقريبه أغابيك الإيليسويِّيْن ، رحمهما الله تعالى ، وكان له قدِّس سرُّه يدٌ طُولَى

في النظم والنشر ، وأنشأ قصَائد تُركيَّةً وفارسيَّةً ، جاء فيها بالبلاغة والفصاحة ، وتعلَّم أيضاً علم الكيمياء وعمل به .

فبقي على هذا الحال مدَّة إلى أن ألهمه الله تعالى بفضله وَمَنِّه وكرمه السلوكَ في سلك السلسلة الذهبيَّة سادات الطريقة النقشبندية العلية قدَّس الله تعالى أسرارهم ، وأَسْفرَ في قلوب السالكين أنوارهم آمين ، فخرج قدِّس سرُّه قاصداً إلى شيخ وقته الشيخ حاجي يونس أفندي اللالي قدِّس سرُّه ، وكان قدِّس سرُّه أَلِفَ من عُنْفُوان شبابه شربَ الدخان حَسبَ عادة أبناء وَطَنه وبقي يَشْرَبه حتى أيَّامِ التردُّدِ لَدَى شيخه المذكُور .

فاتَّفق أنه خرج يوماً مع رفيقه الفاضل الحاج بَابَا أفندي القواخي قدِّس سرُّه قاصدَيْن إلى زيارة الأستاذ المذكور ، فلما نزلا بشطِّ نهر قريب من قرية لاَلْ مقرَّ شيخهما شرب الدخان وخَبأَ ظرفَ التتون[1] وقصْبَته في مكان هناك ليأخذَهما حين الإياب من عند الأستاذ ، وكان ذلك دأبَه قَبْلُ ، فعل ذلك مراراً ، ففي هذه المرَّة ملَّ قدِّس سره هذه العادة وكَرِه ما ألفه ، فقال لرفيقه المذكور : يا حاجي بَابَا ، اذكرني عند الشيخ وقُلْ له يَدْعُ لي في حَقِّ هذا الدخان ، فلعلِّي أقدر على تركه وأَكْرَهُه ، وقد كرهْتُ في هَذه المرة هذه العادة كراهة شديدة ، فأجاب : على الرأس والعَين ، فلما عَرض – مأموله عند خروجه من عندهما – على الأستاذ قال قدِّس سرُّه : يا ولدي ملاّ بابا أحسنتما ، فسيوفِّق الله تبارك وتعالى إياه توفيقاً حسناً ، بل لا يحتاج هو إلى دعاء أمثالنا ، فإنه أعلى منّا مقاماً بدرجاتٍ كثيرة ، كما أراه كذلك في سرِّي كلما نظرْتُ وتوجَّهْتُ إلى الله تعالى في حَقّه ، فبارك الله تعالى في عمره ، وفيما يباشره الآن ، وفيما بعد الآن ، ورقَّاه بفضله إلى مقامه المقرَّر والمقدَّر له في الأزل آمين .

---

(١) لعلّه بدون واو ؛ التتن .

ثم قال له : يا ولدي ملاَّ بَابَا ، إنَّ رفيقك ملاَّ محمود لا تدرك مقامَه لعلوِّه فاحْتَرِمْهُ حسب وسعك ، واتركه على حاله حتى يرتقي مرقاه العليَّ ، وهو وإن كان ظاهراً تحتَ تربيتنا فنحن في تربيته باطناً . انتهى .

فحين خَرَجَا من منزل أستاذهما ذكر له ملاَّ بَابَا بعض ما قاله في حقِّه ، فأخرَجَ الظرف ومزَّقه والقصبة وكسرها ، وتاب إلى الله تعالى توبة نصوحاً ، فجدَّ واجتهد ووصل بتربيته إلى الكمال في علم القلب ، غير أنه لم يَرْقَ عن مقامه الذي قدِّر له من أستاذه المذكور ، وقال له : جففتُ ثَدْيي في تربيتك ، لكن استعدادك رفيع ، فلك أن تتشبَّث بذيل من شئتَ من المشائخ . انتهى .

فلما بلغ لديه مقام الكمال المعتاد أذنَ له أستاذه في الإرشاد[1] ، فأنشأ يرشد العبَاد ، وانتشر صِيتُهُ في القرى والبلاد ، فاغتنم حاسدُوه هذه الفرْصة وعمدُوا إلى إلقائه في فتنة ذات غُصَّة ، فنمُّوا عنه وأبلغوها إلى الحكومة ، وقالوا إنه يعلم الكيمياء ويعمل به على خلاف قوانين الدولة ، وإنه يترأس على الناس ويسعى في معاكسة أمور الحكومة ، فحَبَسَتْه الحكومة وأرسلته أسيراً إلى سِبِيرْ .

فبينما حاسدُوه وأعداؤه يقصدون إلقاءه إلى التهلكة ، لقي قدّس سرّه في عين الرحمة ؛ الرحمةَ والبركةَ ، إذ صَادَفَ هناك في بعض بلاد قَزَانْ وبُلْغَارْ شيخاً عظيماً من شيوخهم الكبار ، وأستاذاً كاملاً مكمِّلاً من كبار الأحبار ، أَلاَ هو العارف الكبير الرّباني ، الشيخ هَاشِمْ أفندي اليمشاني

---

(١) وأخذ محمود أفندي أيضاً – كما أخذ عن يونس أفندي اللالي – عن الشيخ هاشم أفندي اليمشاني عن الشيخ ضياء الدين ذبيح الله – أي : إسماعيل – الشرواني عن مولانا خالد قدس سره . من ذيل « الرشحات » عبارته ١٨٣ . كاتبه محمد للعلامة الفاضل الشيخ الكامل مولانا محمد مراد بن عبد الله القزاني المنزلوي قدِّس سرُّه .

قدّس سرّه ، كما ذكره الشيخ الكامل معرّب المكتوبات والرشحات محمد مراد أفندي بن عبد الله القزاني المنزلوي قدّس سرّه ، وبخدمة ذلك الشيخ هَاشِمِ الإمامِ الأجلِّ وصل إلى ما وَصَلَ ؛ من المقام المقدَّر المقرّر عند الله تعالى في الأزل .

وحاصل الواقعة : إنه قدِّس سرُّه لما تخلَّص من الأسر ورجع إلى وطنه سنة ١٢٧٩ حَكى لبعض أصحابه وهو الشيخ الحاج شرين أفندي الكلوكي قدّس سرّه أنه حين كان ببعض بلاد قَزَانْ أسيراً دَعَاه رجل من كبار مشائخ تلكم الديار ، مسمَّى بالشيخ هَاشِمْ أفندي اليمشاني للضيافة من مسافة ستة مراحل ، فَلَبَّى دعوته ، ولما نزل به أعزَّه وأكرمه باحترام زائد ، وكأن الشيخ هَاشِمْ أفندي قدِّس سرُّه عَرَفَ مقامَه ودَرَجته في الطريق ، ورأى كمال استعداده لإفاضة الفيوضات الإلهيَّة على قلبه السليم .

فأراد منه أن يدخل تحت تربيته حتى يُرَقِّيه إلى ما قدِّر له من دَرَجته ، فأجاب : سمعاً وطاعة حبّاً وكرامة . قال محمود أفندي قدِّس سرُّه ؛ وبعْدَ أن خدمته عنده مدّة أَرْجَعَني إلى منزلي وأعطاني بيده الكريمة أربعين تمرة ، وأمرني بالدخول في الخلوة للأربعين وبالإفطار على واحدة من تلك التمرات الأربعين كلَّ يوم بعد أن قرأتُ عليها صيغةَ الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة ، ووَعَدني أنه يحضر لديَّ عند تمام الأربعين ، قال : فامتثلت أمره ، واغتنمت إشارته ودخلت الخلوة ، وفعلت كما أمرني ، فبعْد تمام المُدة حضر الشيخُ ، ودَخل عليَّ في خلوتي وحَاوَرَ مَعِي ، وقال لي قبل التوجُّه : إن طرأ عليك أيُّ حالة فإياك أن تخاف وتضطرب ، وعليك أن ترابط الشيخ ، ولا تَغِبْ ولا تغفُلْ عن رسول الله ﷺ . فتوجَّه إليَّ - وهو في حجرتي التي كان فيها خلوتي وأنا مقيم بأمره في خارج

الحجرة مقابل طاقة - توجُّهاً بليغًا صِرْتُ عنده غائباً عنِّي وفانياً في الله سبحانه وتعالى ، وسمعت أصواتاً كصوت الرّعد وكلاماً له دويٌّ هائل ، ورأيت عدداً لا يُحْصَى من زمرة الملائكة والرُوحَانيّين ، فأخذوني وأجلسوني على سرير عظيم نُورانيٍّ أخضر ، ورَفعُوني إلى سماء الدنيا ، ثم منها إلى الثانية ، وهكذا إلى السابعة ، ومنها إلى ما شاء الله تعالى حتى أَرْتقيَ إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عندها جَنَّةُ المَأْوَى ، فأخذني الرّعْبُ كلّ مأخذ وسألتهم الرجُوعَ بي فرجَعُوا ووَضَعوني حَيْث رَفعُوني .

قال قدِّس سرُّه : وأمَّا العجائب والغرائب التي رأيتها في منازل سير الرّوح فلا يُحصيها إلاّ الله سبحانه وتعالى ، ولكن لم أَلتفِتْ إليها وما سكن في قلبي إلاَّ الله . فسبحان الله القوي القادر المقتدر . انتهى . ما حكاه الشيخ شرين أفندي .

ثم بعد أن رأى ما رأى وكان ما كان من بدائع الإمكان[1] في الأكوَان أجَازه شيخه اليمشاني قدّس سرّه النوراني إجازة تامَّة عامَّة ، وأَجْلسه على بساط الإرشاد مَع غاية الإكرَام والاحْترام وزوَّجه بنته الكريمة . فكان قدّس سرّه بعد ذلك ذا خوف عظيم وخشية تامَّة من الله تعالى وصار مهاباً عند الناس ومحبوباً لهم .

وصَدرتْ منه تصرُّفات عجيبة ووقائع غريبة حتى أنه كان إذا نظر بنظرته القوَّية إلى أحد من الناس مسلماً كان أو كافراً طرحه على الأرض ، وإذا تَنَفَّسَ من أنفه على مَن ينكره أو يكرَهه وقع مغشيّاً عليه كالميِّت ، وإذا جرَّ نَفَسَه منه إلى نفسه يقوم من ذكر كأنه خرج من القبر . وظهر له أيضاً كرامات كثيرة وخوارق عجيبة ذكرهَا الشيخ المرشد شعيب أفندي

(١) الأكوان في الإمكان (هامش النسخة) .

الباكني قدّس سرّه في « طبقاته » ، والشيخ الحاجُّ عثمان أفندي الزاخوري قدِّس سرُّه في « تحفة الأحباب الخالدية في شرح القصيدة المحموديّة » ، والأستاذ الكامل المكمَّل مَجْمَع البُحُور[١] حسن أفندي القحي قدِّس سرُّه في « سراج السعادات في سِيَر السادات » ، فراجعها فإنها تقرُّ بي الاعتقاد في أهل الله تعالى من أولي الإرشاد ، والله سبحانه وتعالى وليُّ التوفيق ، والهادي إلى سواء الطريق ، وكان قدِّس سرُّه محمديَّ المَشْرَب خضريّ المقام ، فكان يجتمعُ به في اليقظة ، وكفاك بذلك مع صُعوبة شرطه ، وكان يتوجَّه في ساعة واحدة إلى أكثر من مائة مريد مع أنَّ أشدَّ شيء وأصعبه[٢] عند المشائخ رضي الله تعالى عنهم التوجُّه إلى المريدين واستخبار أحوالهم ؛ خاصَّة إذا كنوا قليلي المحبَّة كَدِيري اللبَّة .

وكانت كشوفه رضي الله عنه كلُّها مَعَارفَ لا أحوالاً ، ومن المشهور أنَّ المعارف لا تُسلب وإنَّما تُسلب الأحوال ، فكان لا يتطرَّق على مَعارفه المَحْوُ والسلبُ بنحو التكلُّم مع الناس . ولمَّا تخلَّصَ بفضل الله سبحانه من سِبِيرْ ورجعَ إلى وطنه في قَافْقَاسْ[٣] انتشر خبر رجوعه في القرى والبلدان ، فهرع الناس إلى ملاقاته والأخْذ منه مشاة وركباناً ، وطاروا للتلقِّي عنه زرافات ووحداناً ، فلم يدَّخر رضي الله تعالى عنه جهداً في الإرشاد متوكِّلاً على البَرِّ الجواد ، ولكن الحقد الكامنَ في أهل العناد قد فار دُخانه في كلّ واد وناد فلما دَخلتْ سنةُ ١٢٨٢ من الهجرة الشريفة اجتهد اجتهاداً بليغاً في التوجُّه إلى المريدين المجتهدين وإرشاد

---

(١) الثلاثة ؛ الشاذلية والنقشبنديَّة والقادريَّة قدّس الله تعالى أسرار أهاليها وجعلنا من مُحِبِّيها ومواليها آمين . (منه عفى الله عنه) .(هامش الأصل) .

(٢) وأشقّه (هامش الأصل) .

(٣) علّه قَفْقَاسْ .

المتعطّشين من المسترشدين ، وتكميل السالكين الصّادقين المتشوِّقين إلى شرب رحيق اليقين ، حتى كان يدور عليهم في بَرْد الشتاء وهم في بيوتهم ، ويدخل عليهم في حوالكد الليالي وهم في خلواتهم ، ويقول لهم : شمِّروا للقبول والوصول ، واجتهدوا لنيل ذلكم المقصود والمأمول ، فقد قرب وقت ارتحالي وهجرتي من هذه الديار والندمُ على المقاصد لا ينفع بعد الإدبار .

ففي ربيع تلك السّنة أجاز ثمانية من كمَّل مريديه ، وكلُّهم من هذه الديار الداغستانيَّة والكرْجستانيَّة ، وأقامهم خلفاء لإرشاد الخلق إلى سبيل الحقِّ وأوصاهم بالمسارعة إلى إعلاء كلمات الله تعالى طلباً لمرضاته ، حكى غيرُ واحد من الثقات أنه قدِّس سرُّه قال يوم زيارته إلى بابا عَرتمة في وجوه الحاضرين : أيها الناس إنِّي أُرِيتُ انقطاع رزقي في هذه الولاية ، وإنَّ تربة رَمْسِي في غير هذه المملكة ، فقد أَحَلْتُ أموركم إلى فلان وفلان ، وَعَدَّ أسماء الخلفاء الآتين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، ثم قال : فمن تمسَّك بذيل واحد منهم بشرطه يأخذ عنه من نصيب هذه الطريقة فوق ما يؤخذ عني ، والسلام على من اتّبعَ الهدى . انتهى .

أوَّلهم : الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي قدِّس سرُّه ، وُلد تقريباً في سنة ١٢٥٨ ودفن في قريته تَلَهْ سنة ١٣٢١، وبني على قبره ما يليق بقدره . عاش بعد الإجازة نحو ست وثلاثين سنة ، وكمل به رجال بلغ عَدَدُهم أحداً وعشرين رجلاً ، تراجمهم ومناقبهم ، وكذا ترجمته ومناقبه أوْردها أحدُ خلفائه الشيخُ الحافظ الحاج عثمان أفندي الثاخوري في « تحفة الأحباب الخالدية » فراجعه .

والثاني : الشيخ الحاج جبرائيل أفندي الثاخوري ثم اللكيتي قدِّس سرُّه ، كان أولاً مريداً للشيخ الحاج يونس أفندي اللالي ، ثم خدم أحد

خلفاء يونس أفندي ؛ وهو الحاج أحمد أفندي الألمالي قدِّس سرُّه مدَّة ، لكن لمَّا رجع الشيخ محمُود أفندي قدِّس سرُّه من سِبِيرْ إلى وَطنه سَلَّم الحاج أحمد أفندي المذكور نفسَه وجميعَ مريديه الذين يبلغ عَدَدهم نحو ثلثمائة إليه ، مع كونه مَأذوناً له من شيخه الحاج يونس أفندي ، كما أذن هو لمحمود أفندي قدَّس الله أسرارهم .

فلما صَار الحاج جبرائيل أفندي في تربية محمود أفندي اجتهد اجتهاداً بليغاً وَجاهَد للنفس والشيطان جهاداً كبيراً مدة نحو سبع سنين ، كما اجتهد رُفقاؤه الخلفاء ، فبلغ إلى الكمال المطلوب وفاز بالمقام المرغوب ، فأجازه إجازة تامَّة عامة ، وقام على قدم الصدق في سبيل إرشاد الخلق إلى طريق الحق .

وكان قدِّس سرُّه ذا كرامات عجيبة واطلاعات غريبة ، وكان في اطلاع الأحوال والغيوب جاسوس ما جَاسَ خِلال القلوب ، ذكر بعضاً منها الشيخ الحاج عثمان أفندي أيضاً في « تحفة الأحباب الخالدية » فراجعه ، وكذا الشيخ الحافظ الحاج شُعيب أفندي الباكني في « طبقاته » والشيخ المرشد المجتهد أبو محمد حسن أفندي القحي في « سراج السعادات » . توفي قدِّس سرُّه سنة ١٣٠٧ ، وأقام مقامه في إرشاد الخلق خليفته الأكمل الشيخ الحاجّ عبد الرحمن أفندي العسوي الأواري قدِّس سرُّه فجدَّ واجتهد في تربية المريدين ، وإفاضة المستفيضين وإرشاد المسترشدين إلى أن خرج حاجّاً في سنة ١٣٢٤ . فلمَّا أتمَّ الحج والعمرة رَجَعَ ، وحين بلغ بلدة جِدَّة انتقل قدِّس سرُّه إلى رحمة الله تعالى ودفن في مقبرتها عند أُمِّنا حَوَّاءَ . وذكر ترجمته وشيئاً من أحواله وكراماته الأستاذُ خليفته وقائم مقامه أبو محمد حسن أفندي القحي قدِّس سرُّه في « سراج السعادات » فراجعه .

والثالث : الحاج حمزة أفندي الژاخوري الإيليسوي قدِّس سرُّه ، ولد في قرية ژاخور سنة ١٢٤٧ وتُوفِّي سنة ١٣٠٧ في إيليسو ، وبني على قبره قبَّةٌ تزار ويُتبرَّك بها ، وترجمته في « تحفة الأحباب » أيضاً فراجعه .

والرابع : الشيخ حَضْرَة أفندي والد الحاج عثمان أفندي صاحب « تحفة الأحباب الخالدية » قدِّس سرُّهما ولد سنة ١٢٢٥ وتُوُفِّي سنة ١٢٨٤ .

والخامس : الشيخ الحاج إسماعيل أفندي السواكلي قدِّس سرُّه ، تُوفِّي سنة ١٣٠٢ في قريته سواكل .

والسادس : الشيخ الحاج محمد أفندي الروچي قدِّس سرُّه ، تُوُفِّيَ سنة ١٣٠٣ في قريته شُودِوَارْ .

والسابع : الشيخ الحاج بَابَا أفندي القاخي الحنفي قدّس سرُّه ، تُوفِّي سنة ١٣٠٤ في قريته قَاخْ ، وبني على قبرِهِ قبةٌ تُزار .

والثامن : الشيخ نور الله أفندي الليسغي قدِّس سرُّه ، تُوفِّي سنة ١٣١٥ . وتراجِمُ الكلّ ومناقبُهم في « تحفة الأحباب الخالدية » ، فراجعه إن . . إلخ .

ثم إن الشيخ محمودَ الفعَال محمُود أفندي - قدَّس الله سرَّه العزيز ، وأمدّنا في الدارين بمدده الغريز آمين - خرج سرّاً بعد إجازة هؤلاء الخلفاء الكرام متوجِّهاً إلى جهة أَشْتَرْخَان لكثرة النميمة عنه إلى الحُكَام في وطنه ؛ حتى أنهم أَبْلغوا إلى باب السّلدار في تِفْلِيس أنه ذهب من وطنه هارباً ، وأرسل ذلك السلدار إلى كُوبِرْنَاطُورْ أَشْتَرْخَانْ تِلِكْرَامًا يأمره بحَبْسه هناك وإرساله إلى سِبِيرْ ، فرأى السلدار من كراماته ما رأى ، فأرسل ثانياً يقول لِلْكُوبِرْنَاطُرِ المذكور بإراحته في أيِّ موضع شاء من البلاد ، فتوطَّن قدِّس سرُّه في أَسْتَرْخَانْ وطاب مقامه فيها بالإعزاز والإكرام ، واحترام الخاصّ

والعام ، وعاش سنين قضاها في إرشاد العباد إلى سبيل التزوُّد للمعَاد . ولما كان من سنَّة الله التي خلت في خلقه أن يسلّط فرعوناً على موسى عَصْرِه قام عليه من أهلِ حَاجِي تَرْخَان قومٌ يؤذونه ، حتى أن اثنين من المبرزين فيهم مَدَّا إليه أَيْدي التهلكة بقصْد قتله ، فحماه الله تعالى منهم ولم يصلا إلى مقصودهما ، بل بَائَا بالخيبة والخسران ، وضُربتْ عليهما الذلّة والهوان ، فـ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ .

ثمَّ إنه خرج بتربيته في تلك الديار من فضلائهم وخيارهم خليفتان قاما مقامهما ؛ أحدهما : الشيخ الحاج عبد الوهاب أفندي الأسترخاني . والثاني : الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ذاكر أفندي الچسطاوي قدّس سرّهما ، فأزهر الله بهما البلاد ، وأنال بتربيتهما العبادَ المرادَ . والحمد لله الملك الجَوَاد .

هذا ! وقد كان الممدُوح المحمُود محمُود أفندي قدّس سرّه على غاية من الجُود والسخاء ، حتى أنه كان يأتي إليه من الهدايا في يوم واحد نحو مائة منات ، سوى سائر الهدايا والصّدقات ، فيُفرِّقه في يومه ويَصرفه إلى المساكين والفقراء حتى ينفد الجميع فيضطرُّ مراراً إلى الاستقراض لعشاء أهله رضي الله عنه .

وبعد ما انتشر نورُ نِبْرَاسِه في الآفاق والبلاد كبلاد قَزَانْ وبُلْغَارْ وبلاد الكُرْج والداغستان ، بل والبلاد العربية والعثمانية ، ففي يومٍ خرج قدّس سرّه زائراً إلى تربة حضرة شيخ زمان البخاري المشهور بنجم الدين الكبرى قدّس سرّه المدفون في تربته الشهيرة على مقربة منْ بلدة حاج ترخان . وخرج معه موكبٌ من الفضلاء الكرام وغيرهم من طوائف الأنام ، وبعد تمام الزيارة وقف قدّس سرّه أمام تلك التربة الشريفة مدّةً متوكئاً على عَصَاه وواضعاً رأسه المبارك على رأس العَصَا ؛ وهو الموضع

الذي هو فيه مدفون الآن ، فرفع رأسه وتوجَّه بوجهه الميمون المبارك إلى وجوه الحاضرين الحافِّين حول التربة من أصحابه وأحبابه المخلصين قائلاً : أيها الإخوان ، وَضَعُوني في هذا المكان ، وكأنَّ هذا موضع قبري ، وقد قبِلَني هذا الولي شيخ زمان البخاري ورضي بكَوْني جاراً له ، فإذا ما مِتُّ فافعَلوا مَعِي ما أشرت فرجع ورجعَ معه الحاضرون بتمام المرام من ذلك المزار المحترم عند الخاص والعام ، فلم يَمض إلاّ قليلٌ حتى مرض رضي الله عنه مرضَ الموت ، ومع ذلك لم ينقطع عن تربية المريدين ، وقضاء حاجات المحتاجين من الواردين إلى أن يبقى من عمره العزيز مدة نحو أُسبُوع ، فأخذ في أشغال آخر أيامه ، ولازَمَ اسمَ التوحيد إلى آخر أنفاسه ، فانقضى نَفَسه الأخير بكلمة التوحيد ، وقد قضى عمره في عمارة مقام التجريد والتفريد ، فأظلم لموته القرى والبلاد ، وأصابت المصيبة العظمى على العبَاد ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون فالحكم لله العلي الكبير ، فحضر جنازَتَه جمعٌ لا يحصَى من بلدة حَاجِي تُرْخَانْ ، وممَّا حولهَا من القرى والبلدان ، ركباناً ومشاة ، فيهم الخيار والأكابر والشيوخ والأصاغر ، فذهبوا بجنازته مزدحمين عليها لكثرة عددهم إلى موضع مرقده المبارك ، وهو على مسافة مَسِير ساعتين للراكب من البلدة .

وكانت وفاته يومَ الأَحَد الخامسَ من محرَّم الحرام ، سنة ١٢٩٤ من هجرة خير الأنام ، نسأل سبحانه وتعالى أن يفيض علينا من فيوضات سلفنا الكرام ، ويتفضَّل علينا بالجود والكرم ، ويجمعنا معهم في دار السّلام ، وأن يمنَّ علينا وعلى أحبابنا باحترامهم أحياءً وأمواتاً والتأدُّب معهم ومع كل مخلوق كما يليق به ، ويُثبِّتنا بالقول الثابت ثباتاً ، إنه الكريم المنان ، وذو الفضل والإحسان ، والحمد لله ربِّ العالمين ، الذي ربَّانا على توحيده سالمين ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا

لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لا ربَّ غيره ولا معبُود سواه ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

جعل الله تعالى جَمْعنا هذا نافعاً لنا وللعباد من أولي الاسترشاد والمحبَّة والوداد ، آمين آمين آمين بحرمة النبيّ الأميِّ وآله وأصحابه الميامين ، وساداتنا من المقرَّبين ، سبحان ربِّك ربِّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين .

ولنختم هذه الرسالة المنيفة بحليته وسِمَته الشريفة ، طويل القامة مع لطافة لون وجهه الشريف يضرب إلى السواد والدقَّة مع النور البرّاق الساطع من عَينيْه الدّعجاوين ، وعلى وجهه نقط قليلة من آثار الجدري ذو لحية طويلة غير كثة ، مشرَّب سوادها بالبياض لابس عباءٍ نفيسٍ من كَيشْ ظهارته جُوخ أخضر وعلى رأسه قلنسوة حمراء تسمَّى بفِيسْ ، وقد تعمَّم على وسطها بعمامة بيضاء .

وذكر الأستاذ الأعظم أبو محمد حسن أفندي القحي قدِّس سرُّه في « سراج السعادات » عن الفاضل الحاج محمد الهؤري رحمه الله أن واحداً من ثِقات رجال أَسْتَرْخَانْ أخبره أن الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه كان يلبس لباساً حسناً جيّداً ، وكان يدور بين الناس على هيئة الأكابر والأمراء سَتراً لحاله ، كما كان ذلك دأب كثير من أسلاف أمثاله .

نفعنا الله سبحانه وتعالى بقاله وحَاله بمنِّه وكرمه وإفضاله

آمين آمين آمين .

الفهرس

تبصرة المرشدين

للشيخ الإمام الواصل الهمام
أَبي عبد الرحمن محمد الذاكر
بن عبد الوهاب الچسطاوِي
نور الله قبره ووسع ضريحه
ورزقنا من بركاته
وفيوضه

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

(١) سلسلة الغوث الأعظم الشيخ خالد البغدادي قدس سره

في العلوم الظاهرة

سيد المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن عباس رضي الله عنه — عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه — نافع رضي الله عنه

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج رضي الله عنه — مالك بن أنس رضي الله عنه

مسلم بن خالد الزنجي رضي الله عنه

إمام الأئمة وسلطان الأمة إمامنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

أبو إسحق المزني رضي الله عنه

أبو سعيد الأنماطي رضي الله عنه

أبو عثمان رضي الله عنه

أبو العباس بن جريج رضي الله عنه

أبو إسحق المروزي رضي الله عنه

أبو زيد المروزي رضي الله عنه

أبو بكر القفال الشاشي رضي الله عنه

الإمام الجويني رضي الله عنه

ابنه إمام الحرمين رضي الله عنه

حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه

الإمام محمد بن يحيى رضي الله عنه

الإمام محمد أبو الفضل رضي الله عنه

الإمام عبد الكريم الرافعي رضي الله عنه

عبد الغفار القزويني صاحب« الحاوي الكبير » رضي الله عنه

باسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد

الإمام محمد صاحب« الشامل الصغير » رضي الله عنه

الكمال سلار الإربيلي رضي الله عنه

قطب الوجود الإمام يحيى النووي رضي الله عنه

علاء الدين بن العطار رضي الله عنه

زين الدين عبد الرحيم العراقي رضي الله عنه

الحافظ بن حجر العسقلاني رضي الله عنه

جلال الدين البلقيني رضي الله عنه

جلال الدين محمد المحلي رضي الله عنه

شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه

أحمد بن حجر العلامة المكي رضي الله عنه

ابنه الشيخ عبد الملك العصامي رضي الله عنه

السيد أحمد بن حيدر الحيدري صاحب المحاكمات رضي الله عنه

الشيخ العلامة قطب الأقطاب الشيخ خالد البغدادي قدس سره ورضي الله عنه

انتهى من :« عين المجد التالد في مناقب الشيخ خالد » .

وذلك تلقين خاص وبيعة مخصوصة ، من أهلها لأهلها كما مر ، ولذلك لم يبين النقباء المجتهدون والفقهاء العاملون تلقينات أهل الطريقة في باب مستقل ، إلا أن الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد ، أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو العمل بالقلب ، والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ، فإن الروح بلا جسد ماله قيام ، وإن الجسد بلا روح ما له دوام ، وذلك أمر مشترك بين المكلفين من الرجال والنساء « سليمان الزهدي » ص ٩٤ .

نور القلب حقيقته كبي أحمر صافي نوري أولور ، نور الروح أصفر أولور يعني آچق صاري ، نور السر أبيض دور ، نور الخفي زمرُّدي بشل أولور ، نور الأخفى يازدياده بياض ديازياده سواد ألور ، نور لطيفة نفس طوربخي صارورسى رنكنده أولور « مفتاح القلوب » .

عليه أفضل ما يُصَلَّى ، وأزكى ما يُسَلَّم . أما بعد[1] : **فهذه**

« تبصرة المرشدين من المشائخ الخالديين »

قال الفقير المذنب أبو عبد الرحمن الخالدي :

ما لزم على الشيخ في الطريقة الخالدية النقشبندية إذا جاء المريد الصادق في طلبه : الاستخارة من الشيخ ، المراد في المنام أو اليقظة إن كان من أهلها ، أو من الطالب المريد إن لم يستخر قبل مجيئه ، أو من كليهما وهو الأحوط ، إلا إذا كان في الشيخ الكامل ما قام مقام الاستخارة على ما في « كنز الهدايات » نقلاً عن الإمام .

ثم إن علم الإذن والإشارة والبشارة بعد الاستخارة يعطي التوبة ويلقنها الشيخ ، بأن يقرأ الشيخ على المريد دعاء التوبة المعهود عند الشيخ من السادات كما قرأ هو عند شيخه ، ثم يدعو الشيخ بعده والمريد يؤمّن دعاء معهوداً عنده من شيخه ، ثم يُعَلِّم كيفية الجلوس عند الشيخ أمامه .

ثم يأمر برابطة الموت : بأن يفرض المريد نفسه ميتاً وضع[2] في القبر مع الكفن وبقي فيه فريداً لا ملجأ له إلا الواحد الغفار ، ثمّ يعلّم

---

(١) وعن أبي حفص رضي الله تعالى عنه : أكثر فساد السالكين من ثلاثة : فسق العارفين ، وخيانة المحبين ، وكذب المريدين .

وقال أبو عثمان رحمه الله تعالى :

فسق العارفين إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها .

وخيانة المحبين : اختيار أهوائهم على رضاء الله تعالى فيما يستقبلهم .

وكذب المريدين : أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب على ذكر الله تعالى ورؤيته .

والكل من رسالة القشيري رضي الله تعالى عنه . « شرح الطريقة المحمدية لأبي سعيد الخادمي رحمه الله تعالى » .

(٢) وفي نسخة فوضع

طريقة[1] رابطة الشيخ على نهج ما قرّر عند نفسه من شيخه[2] ، ثم يأمر بالوقوف القلبي : بأن يتوجه إلى قلبه بكليته ، ويلاحظ الله سبحانه على نهج ما آمن[3] ويخرج من قلبه ما سواه تعالى ، ويقف كذلك على قدر الحضور ، **فإن دام الحضور أدام الوقوف بقدر دوام الحضور**[4] ؛ لأن المقصود من الذكر هو الحضور ، ويدعو بالقبول بأن يقول المريد باللسان أو البال : يا رب اقبل هذا العبد المذنب بجاه السادات ؛ ساداتنا النقشبندية .

ثمّ يُعلِّم الذكر باسم الذات ، من غير فرق بين مريد ومريد[5] ، على ما اختاره إمامنا الإمام الرباني في الأخير على ما قرّر في مكتوب « « العروة الوثقى » للإمام[6] محمد المعصوم الفاروقي رضي الله عنه وعنا ، ويلقنه على قلب المريد ثلاثاً ، ثم يتوجّه إلى قلبه على ما ذاق ووجد في نفسه على اقتضاء الوقت وحال المريد ، ثم يدعو الشيخ رافعاً يديه مع تأمين المريد ، ويقول المريد في آخر كل مائة في ذكر اسم الذات : « **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** »

---

(١) وفي نسخة : طريق

(٢) والرابطة مقدمة الوقوف القلبي ، ويلازم بهما ما أمكن ، في كل زمان ومكان ، حتى في الخلاء « صحيفة الصفا ، لأهل الوفا ص ٤ »

إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشتكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن عدم انفكاكه حتى في الخلاء « من هامشه »

(٣) وفي نسخة : على نحو ما أمره

(٤) وفي نسخة : فإنّ دوام الوقوف بقدر دوام الحضور

(٥) أي ومراد ، فلعله مراد لا مريد « ظنُّ الكاتب الفقير رحمه القدير »

(٦) وفي نسخة : الإمام

مطلب

ويلزم أيضاً على المريد في ابتداء الذكر الاستغفار خمسة او خمسة عشر أو خمساً وعشرين ، ثم الدعاء بالقبول ثم رابطة الموت ، ثم رابطة الشيخ على ما حرّرت في هذه الرسالة ، وفي أول المراقبة أيضاً كذلك .

ثم يُعلِّم ترتيب الشغل اللساني[1] ويأمر بالاستغفار ، فيستغفر جالساً مستقبل القبلة في كل يوم قبل صلاة الفجر ، أو بعدها بعد الوضوء التام خمسةً وعشرين في سعة الوقت ، ويقول في أوله : أستغفر الله العظيم ، وفي البواقي : أستغفر الله ـ بإسكان هاء لفظ الجلالة ـ ناظراً إلى قلبه الصنوبري ، ورامياً إليه ، ثم بالصلاة على سيدنا وسيد البشر عليه الصلاة والسلام خمسة وعشرين أيضاً ، بنية طلب الشفاعة كأنه ينادي : « يا رسول الله : هذا عبدك[2] الضعيف المذنب غرق في بحر العصيان فأخرجني بشفاعتك من هذا » .

وإن ضاق الوقت يكفي خمسة في الاستغفار والصلاة ، ثم يقرأ سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاثاً ، ثم يدعو بهذا الدعاء :

اللهم تقبّل منا قراءة كلامك المجيد ، وزده ثواباً ودرجة ، وبلّغ ثواب ما قرأناه إلى روح سيدنا وسيد الكائنات محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم إلى أرواح ساداتنا السلسلة النقشبندية العلية وخاصة خواجه بهاء الحق والدين النقشبندي البخاري رضي الله عنه ، ثم إلى روح الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد السرهندي الفاروقي رضي الله عنه ، ثم إلى روح الغوث ذي الجناحين مولانا خالد السليماني رضي الله

---

(١) وفي نسخة : اللسان

(٢) وفي نسخة : أمتكَ

عنه ثم إلى روح سيدي محمود الفِعال أفندي رضي الله عنه ، ثم إلى روح أستاذنا في الطريقة ، واجعله مقبولاً عندهم ، وأفض علينا من فيوضاتهم وأنزل علينا من بركاتهم . آمين بجاه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثم الاستغفار مائة على نهج ما سبق .

ثم إذا تحرّك قلب المريد بالذِّكر وصار وصْفاً لازماً ، ولا يقدر هو على إسكانه ، يلقّن الشيخ بهذا الذكر ـ أي ذكر اسم الذات ـ على لطيفة الروح فهو تحت الثدي الأيمن بأصبعين ، كما أن القلب كذلك تحت الثدي الأيسر ، مع رعاية الوقوف القلبي ، ثم إذا وقعت الحركة في الروح ، وصار حركة الذكر وصفاً لازماً كذلك ؛ يلقّن الشيخ أيضاً بلطيفة السر ـ وهي فوق الثدي اليسار(١) بأصبعين ـ ثم عند لزوم حركة الذكر في السرّ أيضاً ، يلقن الذكر المذكور بلطيفة الخفي ـ وهي فوق الثدي الأيمن بأصبعين ـ ثم بعد اللزوم يلقّن بلطيفة الأخفى وهي من(٢) وسط الصدر فيما بين السر والخفي ممتداً إلى ما شاء الله تعالى ، ثم يلقّن الشيخ الذّكر بلطيفة النفس وهي بين العينين والحاجبين .

وأقل ذكر اسم الذات في غير المجذوبين في كل لطيفة خمسة آلاف ، ولا يترك ذكر القلب عند ذكر الروح ، ولا يتركهما عند ذكر السر ، ثم وثم ، يعني يجمع ذكر اللطيفة السابقة مع ذكر اللطيفة اللاحقة ، على أنه يتمّ أولاً عدد ذكر القلب ، ثم يشرع في ذكر الروح ويتمّ عدده ، ثم يشرع في ذكر السر ويتمّ عدده أيضاً ، ثم الخفي كذلك ، ثم في الأخفى ، ثم في النفس كذلك ، فصار المجموع ثلاثين ألفاً ، ثم إذا كمل الذكر المذكور بلطيفة الجسد على عدد يختاره المرشد على وفق حال المريد

---

(١) في نسخة : الأيسر

(٢) في نسخة : وهي في

فحينئذ يترك ذكر اللطائف جميعاً ؛ لأنه حينئذ يتحد اللطائف وعند ذكر الجسد يتحقق ذكر اللطائف ، فيذكر بجميع الجسد مع الوقوف القلبي ، فإذا أثر الذكر في الجسد كله ، يجري الذكر في جميع الجسد الكثيف ، فيكون كالقلب يتحرك بالذكر من أسفله إلى أعلاه حتى يصير كل جزء من أجزاء البدن ؛ وكل شعرة من شعراته ذاكراً[1] مثل القلب ويسمى هذا بسلطان الذكر .

مهم جداً فافهموا

« الوقوف القلبي لازم في كل حال »

ثم لا يخفى عليك أيها الأخ المنصف أن الوقوف القلبي بمعنى ملاحظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف ، بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال ، حتى في الحمّام ووقت القربان ، وحتى في الكنيف ، وفي الخلوة والجلوة ، ولكن عند الناس بفتح العين ستراً للحال ، مع عدم خلوّ البال ، وهذا المعنى يحصل أولاً بالتكلف من الظاهر ، وبدون هذا المعنى الذكر قليل الجدوى ، بل لا يوصل إلى المقصود[2] وهو غلبة المذكور واستيلائه ، وهي الذكر الحقيقي والمقصود الأصلي ، المعبّر عنها تارة بالفناء وتارة بالعبودية إلى غير ذلك من العبارات كما هو المذكور في كتب القوم .

---

(١) في نسخة : ذكراً

(٢) في نسخة : إلى مقصوده

مهمّ

ثم اعلم ان الذكر كما ينتقل[1] بنقل الشيخ كذلك ينتقل بقوّة الذكر ، وهو الأفضل والأكمل ، فإذا كان في الشيخ قوة التصرّف وكان المريد قابلاً وواراداً على محبة الشيخ المقتدى ؛ يحصل سلطان الذِّكر بأبلغ الوجوه في أول التوجّه ، كما عُلم هذا في بعض مشائخ الزمان ، والشيخ إذا كان ذا بصيرة واطلاع على حال المريد فهو ينظر إلى حال المريد ، ويعمل على وفق حاله ، فيأمر بالذكر في جميع اللطائف ، ويأمر أيضاً بالنفي والإثبات في أسرع وقت ، حتى بالمراقبة بعضاً ، بل جميعاً في زمانٍ قليل ، فيصدّق من هو من أهالي البصيرة وينكر من هو أعمى ليس على البصيرة ، وفي التنزيل : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ .

وأما إذا لم يكن الشيخ ذا علم وبصيرة ، غيرَ مطلع على حال المريد ـ وهو لا ينافي كمال الشيخ وإكماله وإرشاده ؛ لأن الإرشاد عند الطريقة النقشبندية بطريق الانعكاس كما صرّح به إمامنا الإمام الربّاني في مكتوباته في مواضع عديدةـ لم يستعجل[2] في نقل الذكر والمراقبة إلى ما فوقه ، فيخلّ قابلية المريد فيحرم من الوصول أو يتأخر ، فيلزم لهذا الشيخ حضانة الطالب في الذكر أو في المراقبة أو في المقام مقدار سنة أو ستة أشهر بقابلية الطالب واجتهاده ، إن آثر أمر السلوك على سائر الأمور ، وإلا آثر أمور الدنيا على السلوك ؛ فكل ذِكر وكل مقام هو فيه يكفيه ، مع أنه يخاف عليه أن لا يحفظه بحق الحفظ ، فلا حاجة إلى الزيادة والانتساب إلى النسبة العلية ، إن حفظه يكفيه فقط ، كما قال شيخنا في بعض رسائله إلى هذا الفقير .

---

(١) في نسخة : كما ينقل

(٢) جواب إذا

ثم نرجع إلى ما نحن بصدده : متى[1] حصل للطالب سلطان الذِّكر ؛ يلقّن الشيخ له بالنفي والإثبات ، على نهج ما وجد في نفسه وعلم ، وهو الموافق المطابق لما في كتب ساداتنا السادات النقشبندية ، كالمكتوبات للإمام المعصوم ، والرسالة لمولانا خادمي ، والرسالة المسمات بـ « سلسلة الذهب » لمولانا القطب الرباني والعارف الغوث الصمداني الشيخ محمد مراد رحمه الله تعالى خليفة العروة الوثقى محمد المعصوم[2] ، رحمه الله تعالى ، وشرحه « تحفة الأحباب »و « جامع الأصول » للشيخ ضياء الدين القسطنطيني رحمه الله تعالى ، وغيرها .

وهو ـ أي طريقه المذكور فيها ـ أن يلصق لسانه بالحنك[3] الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة ، كما في ذكر اسم الذات ، ويحبس النفَس تحت السرة ، ويسيِّر كلمة « لا » من السرة إلى الدماغ ، وكلمة « إله » منه إلى الكتف الأيمن[4] ، ويضرب كلمة « إلا الله » منه إلى القلب الصنوبري ، فيصير نفس المجموع على صورة « لا » معكوسة ، ويجري الكلمات المذكورة من محل إلى محل بمجرد الخيال حتى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النفس محبوساً تحت السرة ولا يزال بتكرار الكلمة المذكورة مادام النفس محبوساً .

ولا بد من أن يكون عدد الذِّكر وتراً ، ولذا سمي هذا الذكر وقوفاً عددياً .

---

(١) في نسخة : حتى إذا

(٢) في نسخة : محمد معصوم

(٣) في نسخة : الحنك

(٤) في نسخة : اليمن

ثم إذا ضاقت يترك الحبس ويقول : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي « مرة » ، ثم يحبس ويذكر كما مر ثم كذا ثم كذا ، ويتصوّر معنى هذه الكلمة بهذا الطريق : لا مقصود إلا الذات المقدّس ، أو لا مقصود إلا الله تعالى .

ولا يتضيّق في حبس النّفس للتكثير ، ولا يتحرك أعضاؤه وهما ينافيان حصول الأثر[1] ، وإن زاد وكثر بلا تكلّف وبلا منع الحضور ، كثر وازداد . حتى روي في البعض أنه بلغ في نفس إلى واحد وألف ، كما في « تحفة الأحباب » ، ونحوه وجد في بعض فقراء الزمان مع كمال القبض في الأول ، ويكرر إلى أن يبلغ العدد في نفس واحد إلى أحد وعشرين ، فحينئذ يضم : « محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، في كل آخر النفس ، مبتدئاً ميم « محمد » من الروح وينتهي إلى القلب على ما اختاره شيخنا قدّس الله تعالى سرّه الأسنى ، وإلا فيه أقوال كما في كتب القوم .

قال شيخنا روّح الله تعالى روحه الشريف في بعض رسالته إليّ : أن[2] يكثر التكرار حتى تصل « هاء » لفظ الجلالة إلى النقطة الواقعة في وسط القلب ، وذلك النقطة موضع الفتوح والبصيرة ، ومقام الحضور ومنبع السرور والمشاهد والتوحيد ، وباب القلب الحقيقي وموضع المعنى ، وفيه قلب القلب ، متى ينفتح ذلك النقطة يظهر القلب البسيط ثم يفعل الله تعالى ما يشاء .

فاللازم على الطالب أن يجتهد بالحضور إلى الذكر ، موافقاً لما قرّرنا إلى أن يصل الذِّكر إلى أحد وعشرين ، ثم يلاحَظ في القلب ألَمٌ يظهر ثمرة الكلمة الطيبة قائلاً : « إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي »

(١) في نسخة : ينافيان في حصول الأثر

(٢) في نسخة : بإسقاط ان

متوجِّهاً كالمحتضر إلى الذات البحت ، ويفرض ذلك الطالب نفسه بأنه دخل في هذا الذكر ، والملاحظة إلى بيت خالٍ عن جميع ما سوى الله تعالى ، ووجّه وجهه إلى حضرة الذات مقصوداً ، ونسي جميع الموجودات ونفسه أيضا ، وأول هذه الأحوال بالشعور والإرادة ، ثم بقوة الذكر بلا اختيار ، ثم تكون ملكة فيلزم أن يجتهد إلى أن تكون ملكة . انتهى كلامه .

قالوا : وإن بلغ العدد إلى إحدى وعشرين ولم تظهر النتيجة فبما وقع من الخلاف في الآداب ، فليستأنف وليطابق القول والفعل مضمون الذكر ، فإن المقصودية فيما سواه إذا كانت باقية ، وخلاف الاتباع إذا كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب من الذاكر في ذكره بـ « لا إله إلا الله » كما في « سلسلة الذهب » .

وقال الإمام الرباني رحمه الله تعالى : يرتفع النقصان بتوجه الشيخ المقتدى ، ولذا قال شيخنا رضي الله تعالى عنه : وهذه الحال تعرض للطالب بكلمة التوحيد أكثريا ، وبذكر لفظ الجلالة في البعض ، وبالرابطة للبعض ، وبتصرّف الشيخ للبعض . انتهى كلامه اللطيف .

والنتيجة والأثر مختلفة باختلاف مشارب الطالب واجتهاده وإقباله ، ولذا نذكرها على نهج اختلافها في بيانها :

وإذا ظهرت النتيجة وهي الحضور والذهول والنسيان والاستهلاك والانمحاء والاستغراق والسكر والغيبة ؛ فيعلّم الشيخ طريق مراقبة الأحدية ، والمراقبة هنا عبارة عن انتظار الفيض من الواحد الغفار ، وملاحظة وروده إلى مورده ، وهو لطيفة من لطائف السالك ، وعيَّنوا لكل مقام مراقبة من المراقبات ، فعينوا لدائرة الإمكان مراقبة الأحدية ، وهي عبارة عن تجريد القلب عما سوى الله تعالى ، متوجهاً إلى الله تعالى ، وانتظار ورود الفيض من الله تعالى على لطيفة قلبه .

فإن دام الحضور والتجرد والاستغراق فدم على ذلك ، وإن وقع الوسوسة والخطرات فادفع بأحد الأمور المذكورة آنفاً في كلام شيخي ، من تكرار الكلمة الطيبة والرابطة ونحوهما مما هو مذكور في كتب القوم أيضا .

ثم اعلم أيها الأخ الأعز ؛ بعد إتمام سير دائرة الإمكان يعلّم الشيخ بمراقبة المعيّة ، فإنهم كما يأمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية ؛ كذلك يأمرون بعدها بمراقبة المعية ، وتمام سير دائرة الإمكان يعرفه السالك إن كان له كشف ، أو يخبره الشيخ إن كان هو صاحب كشف وبصيرة ، وإلا فينبغي أن يلاحظ السالك جمعية قلبه .

فإن بلغ انتفاء الخواطر أوقاتها إلى أربع ساعات كاملات فحينئذ يشرع في مراقبة المعية هكذا قال بعض الأفاضل .

قال في « الأنهار الأربعة » : وإذا حصل الحضور والجمعية للقلب بحيث يبلغ انتفاء الخواطر عنه إلى ساعتين فذلك عند البعض علامة لتمام دائرة الإمكان ، وقال بعضهم : علامته رؤية الأنوار . انتهى كلام « الأنهار » .

ثم يعلِّم بمراقبة القلب على نهج ما حرّرت ، فصفاء القلب بظهوره بالنور الأحمر(١) في عالم المثال ، وكماله بتجلي الصفات الفعلية ، فحينئذ يضمحلّ كسب العبد لظهور خلق الخالق سبحانه على كسبه ، كاضمحلال نور السراج عند ظهور نور الشمس ، أو كاضمحلال نور النجوم عند ظهور نور الشمس على تفاوت كمال القلب ، فالقلب تحت قدم أبينا المشفق حضرة آدم عليه السلام صفيّ الله ، وولايته منسوبٌ إليه عليه السلام .

---

(١) على ما قاله البعض كما في « رسالة المدنية » بالنور الأصفر على ما في « المكتوبات »

ثم بمراقبة الروح ، وصفاؤه بظهوره بالنور الأصفر ، في عالم المثال عند البعض ، وبالأحمر كما في « المكتوبات » ، وكماله بتجلي الصفات الثبوتية ، فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه بل إلى الله تعالى ، فيأمن من العجب ونحوه من المهلكات ، فالروح تحت قدم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ، ونوح عليه الصلاة والسلام يشاركه ، وولايته منسوب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثم بمراقبة السر وعلامة صفائه ظهوره بالنور الأبيض ، وكماله بتجلّي الشؤنات الذاتية ، فحينئذ يرى السالك في عالم المثال نفسه على صورته ، كما في « مكتوبات الإمام الرباني » رحمه الله تعالى ، حتى قال البعض من أهالي الكمال : إنه تجلي الذات كما في « الفتوحات » ، وهو تحت قدم موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام ، أي تحت ولايته وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الخفي ، وصفاء الخفي بظهوره بالنور الأسود ، وكماله بتجلي الصفات السلبية ، فحينئذ يكمل تنزيه العبد لله تعالى ، وهو تحت قدم عيسى روح الله عليه السلام ، وولايته منسوب إليه عليه السلام .

ثم بمراقبة الأخفى وصفاؤه ظهوره بالنور الأخضر ، وكماله بتجلي الذات سبحانه ويؤيده ما ورد « وفي الأخفى أنا » كما في « المكتوبات » .

فحينئذ يصير السالك متخلقاً بأخلاق الله تعالى على ما قال البعض ، وهو تحت قدم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، وولايته أيضاً منسوب إليه عليه الصلاة والسلام ، ويقال لصاحبها محمدي المشرب ، فالكل في سير الولاية الصغرى .

ثم بعد ذلك ينظر الشيخ بدقة النظر على حال المريد هل يقدر لرعاية آداب الولاية الكبرى ؟ !

مطلب

آداب الولاية الكبرى

فإنّ آداب الولاية الكبرى أدقُّ من آداب الولاية الصغرى على ما قالوا ، حتى قال شيخنا ـ جزاه الله عنا خيرا ـ عن بعض السادات : أنه لا يخرج الدرويشان إلى سير الولاية الكبرى تعليلاً بأنهم لم يراعوا آدابها فتسقطون منها ، فحينئذ يعلّم سير الولاية الكبرى .

فدائرة الولاية الكبرى متضمنة ـ على ما قالوا ـ الدوائر الثلاثة ، وقوس الأولى دائرة الأقربية ، ويأمر فيها بمراقبة الأقربية ، ويعلّمها ، والثانية دائرة المحبة ، والثالثة دائرة المحبوبية ، والقوس نصف دائرة[1] قاب قوسين ، ويعلّم الشيخ في هذه الثلاثة مراقبة المحبة على نهج ما قرّرت ، ومورد الفيض في الكل بالذات لطيفة النفس ، ثم بواسطتها سائر اللطائف ، فحينئذ يحصل كمال النفس وهي بعد كمالها تجلس سرير الصدر .

وكيفية المراقبات غير المراقبة الأحدية مسطورة في رسالتنا ، وهي في يد كل من صنّف هذه الرسالة لأجله موجودة ، ولهذه العلة هذا الفقير عن كتابتها في هذه الرسالة معذور .

وقال البعض في رسالته : **وعلامة قطع بعض الدائرة** وتمامها هي أن الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس ، وكلما قطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانية بكمال الشعشعان ، ومقدارها الذي لم يقطع يُعلم ، فإنه يُرى بلا نور كالشمس في وقت الكسوف . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : هو دائرة

وقد ظهر لبعض المحبين الدوائر الثلاث والقوس جملة بكمال الشعشعان ، وقد تعجب منه شيخه بعد القصة .

ثم علامة تمام الولاية الكبرى أن معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلق بالدماغ هي تتعلق بالصدر ؛ لانتقال مورد الفيض في الدماغ حينئذ منه إلى الصدر[1] ، واطمئنان النفس والإسلام الحقيقي ، والارتقاء إلى مقام الرضاء على ما بينوا في كتبهم قدّس الله تعالى أسرارهم .

قال إمامنا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » :أما بعد ؛ فإن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها . انتهى كلامه .

ثم اعلم أن السير في الولاية الكبرى السير في الاسم الظاهر ، وهو جناح واحد ، فلا بد من تحصيل جناح آخر للطيران ، وهو السير في الاسم الباطن الذي هو ولاية الملأ الأعلى **المسمّى بالولاية العليا** ، وعيّنوا فيها مراقبة واحدة ، والترقيات بالأصالة في هذا السير للعناصر سوى التراب ، والتراب تابع لها في السير ولكن لا يتأخر عنها ، كما في « الرسالة المدنية » .

ومورد الفيض في هذه الولاية بالذات للعناصر سوى التراب أيضاً ، وفيها : ارتكاب الرخصة ينافي الترقي لتقوية طرف البشرية ، بل التزام العمل بالعزيمة يفيد الترقي لتقوية طرف الروحانية والملكية .

---

(١) وهو لطيفة النفس ، وهي الآن في سرير الصدر كما سبق فحينئذ يحصل شرح الصدر

ثم بعد ذلك ، إذا وقع السير يتشرّف السالك بكمالات النبوة ، ثم بكمالات الرسالة ، ثم بكمالات أولي العزم وهي التجلي الذاتي الدائمي ، وهو على ثلاثة مراتب ، وعينوا لكل واحد منها مراقبة على حدة .

ثم مورد الفيض في كمالات النبوة عنصر التراب ، وإن كان للبواقي حظ منها بالتبعية ، ومورد الفيض في كمالات الرسالة وكمالات أولي العزم الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك في هذا المقام من مجموع عالم الأمر وعالم الخلق .

ثم بعد ذلك إن تيسر التسليك يسلّك الشيخ الطالب إلى أحد الطرفين أياً شاء ؛ **أحدهما : طَرَفُ الحقائق الإلهية** ، وهي حقيقة الكعبة وحقيقة القرآن وحقيقة الصلاة ، وعيّنوا لكلٍّ مراقبة على حدة .

وثانيهما : طرف الحقائق الأنبيائية ، وهي الحقيقة الإبراهيمية والحقيقة الموسوية والحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية و لكل أيضاً مراقبة على حدة على ما قالوا ، ثم وثم إلى ما شاء الله تعالى .

والله تعالى أعلم بالصواب ، والحمد لله الملهم للحق والصواب ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بعدد كل شيء إلى يوم الحساب .

تمّ بيد من أخلاقه كلها أخلاق الذمائم ، ونفسه نفوس البهائم ، والله سبحانه وتعالى قادر لتبديل الذميمات إلى الحميدات ، حقيراً لله فقيراً لله ، شعيب الباكني ، في ٢١ من شوال المعظم سنة ١٣٢١ . اللهم اجعله مع إخوانه من أهل الترقي يوماً فيوماً ، واجعل يومهم خيراً من أمسهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في حجرة الجامع الدناجية الجرواخية .

ومن وصية مولانا ـ قدس سره ـ الإخوان لا ينزلون إلا على إخوانهم في السفر ، فإن لم يمكن فيعتذر له حينئذ ، فقال سيدي الشيخ سليمان

رحمه الله تعالى : فجاء الشيخ أحمد الكربوزي خليفة مولانا خالد قدس سره متوليا لمدرسة محمد باشا ، وبعد مدة من دخوله إلى مكة المكرمة ، أرسل الخبر للشيخ عبد الله أفندي : نحن من الإخوان جئنا والقادم مزار ! ـ أيّ سبب ذلك ما جاءنا ـ ؟ فقال الشيخ للرسول : صحيح قوله « القادم » ، ولكن وصية حضرة مولانا : « الإخوان لا ينزلون إلا على إخوانه » ، لا عذر له فيه من ترك وصية حضرة مولانا .

وعن سيدي الشيخ اسماعيل البروسوي رحمه الله تعالى عن الشيخ عبد الله الهروي قائم مقام الثاني لحضرة مولانا قدس سره ، قال حين سئل عن الرابطة قال : « الحضرة إلى روحانيتي أولى » .

وكذلك عن سيدي الشيخ عبد الله : الرابطة إلى حضرة مولانا أولى ، ونهى الحضرة عن بعض خلفائه حين سمع أنه استعمل الرابطة لنفسه نهياً شديدا .

والشيخ إسماعيل قدس سره قائم مقام الأول ، والشيخ عبد الله الهروي قائم مقام الثاني لحضرة مولانا ما استعملا الرابطة لأنفسهم تأدباً مع حضرة مولانا ـ قدس سرهم ـ وهما العمدة[١] .

والرابطة إلى روحانية مولانا قدس سره ـ أنفع من جسمانيته وشكله الشريف[٢] .

---

(١) من هامش « نهج السالكين » لسليمان الزهدي

(٢) « من هامش صحيفته » .

صورة الرابطة

والرابطة ثابتة بأدلة أربعة ، روحانياً كان أو جسمانياً في الرسائل المخصوصة ، لكن الأقرب للمبتدئين رابطة جسمانية الكامل المكمل بسلوك طريق القوم المأمور بالإرشاد ؛ ولو كانت روحانية المرشد أقوى للمنتهى ؛ فإن للمريد بالجسمانية مناسبة تامة في كثير من الأحوال ، ولذا قيل : الثعلب الحي أولى من الأسد الميت حين سئل .

وهي[1] أن يلاحظ ركبة بركبة وجبيناً بجبين ،
إلى أن يفنى وجوده بوجوده ، وقلبه بقلبه حتى يصير إقباله إلى الله تعالى كإقباله إليه .« منه » .

سؤال : حكم الانتقال من طريقة إلى أخرى وحكم الرقص والسماع في الطريقة النقشبندية الخالدية

نرفع سؤالاً إلى مرشدنا ومولانا فيما جرى في بلادنا الجاوي وهو : **هل يصحّ الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى** من الطرق المشهورة المأثورة ؟ وكذا هل يجوز الرقص والسماع في الطريقة الخالدية النقشبندية ؟ إلخ .

اعلم أن الطرائق المشهورة المعنعنة الواصلة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة ، يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقا من غير تلفيق للعامي ، وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه ، والاستقامة بآدابه ، ولكن يجب على

(١) أي صورة الرابطة

الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع المنكرة وتابعة للسُّنَّة السَّنِيَّة .

أما الرقص في الطريقة الخالدية النقشبندية لا يجوِّزونه أصلاً ، إلا تحريك إصبع بالسبحة في حالة الذكر . انتهى . نقل من « مجموع الرسائل » .

مطلب مهم جداً
التلقين للنساء

وعمل مشائخنا الخالدية في المكة المكرمة يلقنون الذّكر للنسوة اللاتي يعرفن آداب الطريقة لا الشابة وأهل الهوى منهن ، من وراء الستارة ،أو بواسطة المحرم من أحدهما ، بلا خلوة صحيحة ، وتعليمات المشكلات لهن كذلك ، ويشتغلن الذكر الملقن لهن في بيوتهن بعد قضاء حاجة زوجها ، وخدمة بيتها وأولادها ، ولا لهنّ جمعية ختم الخواجكان . سليمان الزهدي الخالدي المجددي النقشبندي ابن حسن المجاور ببلد الحرام ص ٩٤

وما سُئِلتم عن عبارتنا « لا الشابة » نعني بها : لا يلقنون الذّكر للنساء الشابة ، تعرف مراعاة الأدب أولاً ، ولا يلقنون لأهل الهوى منهن كذلك ، ومعرفة الآداب ليست سبباً للعمل ، وسبب العمل بما عرفه التوفيق من الله تعالى على جري العادة ، وشبيبة الشابة وهوى أهل الهوى مانعة للتوفيق غالباً ، حتى تزول هوى النفس ، وشبيبة الشابة ، وترجع النفس إلى طلب المولى ، حينئذ ينفع التلقين لها .

والحال ان مولانا خالد قدّس سره جدّد الأصول ، وقرّب السير ، ويسّر الأمور ، وأيدها باتباع الكتاب والسنة ، والعمل بموجب المذهب من المذاهب الأربعة المتفق عليها ، وهو إمامنا وحجتنا ، ولا يضرّ علينا

إطلاق القول عن بعض السلف ، وهو مقيّد في مذهبه في حق النساء ، بل هو نهى عن التلقين للأمرد الصبيح من الرّجال فضلاً عن النساء الشابة .
سليمان الزاهدي ص ٩٤

مطلب مهم
فيمن ترك أمر الإرشاد بغير إذن

هذه حادثة الحال لبعض الخلفاء مَن ترك أمر الإرشاد في بلدة بلا عذر واستقام غيره فيها سنين ، حين ترك الأول ، أفيدونا كيف الحال ؟

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لوليّه ، والصلاة والسلام لنبيّه ، وعلى آله .

وبعد : ربّ زدني علماً ، وهيّئ لنا من أمرنا رشدا . .

نعم . . والحال ما ذكر ، فإن ترك المأمور به من غير عذر مع وجود الطالب نقض العهد ، وتخلّف البيعة ، وهو مسقط السَّابقية ، بل مسقط المأمورية بالإرشاد ، فليتدارك المبتلى إلى تحصيل منزلته الأولى بالملازمة إلى المرشد المأمور به ، وإذا حصّل منزلته الأولى لم يُحَصِّل السابقية له ، فيتبع لمن سبق عليه في حال فترته ، وذلك غنيمة له ، فإني سمعت عن سيدي الشيخ سليمان عن سيدي الشيخ عبد الله خليفة مولانا خالد قدس الله تعالى أسرارهم العلية قال : وصل خبر بعض خلفاء حضرة مولانا الذي هو مأمور بالإرشاد في بعض البلاد ، أنه كتب الإجازة لبعض من ربّاه ، من غير استئذانه من مولانا خالد قدس سره ، حين سمعه أراد حضرة مولانا أن يطرده من الطريقة العلية مرة واحدة ، واستشفع بعض خلفاء حضرة مولانا قدس سره لكمال علمه ، وجلالة منزلته ، وقبل الحضرة ، وكتب بأن لا يشتغل بالإرشاد ، وما حصّل من الطريقة

العلية كفاية لنفسه ، والعبد الوهّاب المطرود المشهور طرّد لأجل بعض الدسائس على حضرة مولانا قدّس سره ، والشاه النقشبند والشيخ عبيد الله الأحرار قدس سرهما طرداهم لأدنى شيء كما في « الرشحات » .

والمراعات والتأدُّب مع روحانيتهم أولى وأحق كما كان في حياتهم ، بإشارة قوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ أي النفوس الفاضلة ، فسّر بذلك القاضي وغيره ، وترك التأدب معهم في حالتهم يفضي إلى هذه الحالات ، فليتنبه البصير ، الله حسبي ونعم النصير .

كتبه ببنانه المسكين المستهام : سليمان الزهدي الخالدي المجددي المجاور ببلد الله الحرام في عام رقطغ ١٣٠٥ .تمت من ٩٦

هذه نصيحة لمن يؤذي على أهل الاستقامة بالغواية والطغيان باسمه سبحانه

من الحقير القليل المقترف الذليل ، إلى أخيه الحبيب الشيخ محمد طبيب ، عسى الله تعال يطيب حاله ومآله بطلب التوبة وريحان الاستقامة . آمين .

فالبادي لتسطير الألوكة الحقوق القديمة ، والنصيحة الشريفة للإخوة كما أمر لنا ساداتنا بالنصيحة للأصاغر والأكابر ، واتباعاً لقوله ﷺ : « الدين النصيحة ، لله وللرسول » ﷺ .

يا أخينا ، قد أقمت في مكة المكرّمة مدة ، وحضرت حلقة السادات الكرام والختم خواجكان والتوجّهات عندنا ، ولكن ما حصل منك الدوام وكثرة اشتغال الذكر مثل سائر الإخوان ، وقلَّت المبالاة منك في آداب

الطريقة العلية ، وصار ذلك سبباً لتركك حلقة السادات عندنا ، ووصولك إلى المنكرين و المطرودين عن طريقتنا ، والمتشيخين المرتسمين في مكة المكرمة ، ثم أعطى المتشيخ المطرود لك الإجازة ، ثم وصلتَ إلى بلاد جاوى وكنتَ تريد التشيّخ مثله ، وتؤذي على أهل الحق والاستقامة ، وهذا العمل منك لا يرضي الله تعالى ولا رسوله ولا سادات الطريقة العلية ، وكنتَ ضالاً ومضلاً على الناس ، كما كان المتشيخون المطرودون هنا ، لولا وصولك أولاً عندنا ؛ لما بينت لك هذه النصيحة ، والإمام الذي أخذ طريقة التشيّخ من عند المتشيّخ ولا أنصح له ؛ فإنه بعيد عنا لا نعرفه ولا يعرفنا ؛ لأن الباطل لا يسعد ، والحسود لا يسود ، والواجب عليك التوبة النصوحة عما فعلت ، والرجوع عما جرى ، والدخول إلى طريق التربية والوصول إلى رضاء الله تعالى ، بيد المرشد المأمور بيد صحيحة مثل الشيخ عمر والشيخ عبد الحليم والشيخ عبد الوهّاب هناك إن لم تصل إلى مكة المكرّمة .

وإن لم تفعل ما أمرت لك من طرف السادات فانتظر العقوبات الدنيوية والأخروية ؛ لأن الله تعالى غيور يحارب من خالف على أوليائه ، وينتقم على من غيّر طريق وصوله إليه ، أيّ ظلم أكبر من هذا الظلم ؟ ! فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام من « سليمان الزاهدي » .

من مكتوبات حضرة مولانا الشيخ خالد قدس سره العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

من العبد الساعي في هلاك نفسه ، المتلهّي بشغل يومه عن جزاء غده وذنوب أمسه ؛ خالد ، إلى مخاديمه : السيد عبد الغفور ، والملا محمد جديد ، وموسى الجبوري : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ؛ فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسّك بالسُّنَّة السَّنِيَّة ، والإعراض عن رسوم الجاهلية والبدع الرديّة ، وعدم الاغترار بشطحات الصوفية ، وترك تصحّب عوام المسلمين أو باشا ، بالترجي لهم عند أمير أو وزير أو باشا ، لأنه ينجر إلى اتهامكم بما يشين .

مطلب مهم جدّاً

وإذا تعارضت المفسدتان فارتكاب أهونهما لازم ، والسعيد من اتعظ بغيره ، فلا يوهمنّكم أن قضاء حاجة الإخوان من أعظم العبادات ، لأنه مخصوص بما إذا لم يتولَّد منه ما هو أكبر منه ، ولا تتداخلوا مع الملوك والأمراء والأعوان وأعوانهم ، فإنكم لستم ممن له قوة إصلاح هؤلاء ، ولا تغتابوهم ولا تسبوهم بطراً وغرورا ، بزعم أنهم ظلمة و أنتم صلحاء ، فإنه عُجب وجهل ، إذ ما منَّا أحد ليس بظالم ، بل عليكم بالدعاء لولي الأمر ، وأعوانه بالتوفيق والإصلاح ، فقد روى الطبراني في معجمه الكبير والأوسط بإسناده أنه ﷺ قال : « لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح ، فإن صلاحهم لكم صلاح » . انتهى .

ولا تُدخلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحداً منهم ومن أعوانهم ، ولا

من التجار المتفكِّهين بالدنيا ، والمنهمكين في الشهوات ، ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الناس وجمع الحطام ، ولا من البطَّالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة ، فيحملون أثقالهم إلى رقاب الناس باسم الصلاح والإرادة ، ولا من الذين إذا تيسر لهم رتبة من مناصب الدنيا وثبوا إليها[1] وثبة النمر ، وقد كانوا يغضبون إذا تساوى بهم أحد من الخلفاء ، فضلاً عن غيرهم من المريدين ، ولا من الذين يريدون الخلافة ليشتهروا لما روي أن بعض الناس صارت لهم الشهرة وجمع الفلوس بسبب الخلافة .

واعلموا أن أحبّكم إليَّ أقلكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا ، وأخفّكم مؤنة ، وأشغلكم بالفقه والحديث ، وقد ورد في بعض الحديث : « ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد من الله تعالى بعداً ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثر ماله إلا كثر حسابه » .

وحينئذ لم يبق وجه الميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع والشهرة والجاه وأخذ الدنيا بالدين ، وجميع هذه النيات فسادها غنيٌّ عن البيان ، ولا يخدعنّكم الشيطان بأن فائدة الخلافة وقدرة إلقاء الجذبات وإيصال النفع إلى الخلق ، وبأنكم إذا كثرت أتباعكم ما تيسر لكم الختوم القرآنية كل يوم ؛ لأني تركت لكم الطلاب الصادقين ، والذين لا يتصفون بشيء من الذمائم المارة ، وهم وإن كانوا نادرين لكن واحداً منهم أحسن من ألوف من البطالين ، وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريداً ، مع أنه يمكن بالمخلصين من الجيران ، وإن لم يتيسر فلا يكلف نفساً إلا وسعها .

(١) في نسخة : وثبوا عليها

مطلب مهم جدا
تلقين الذكر للنساء

ولا يغرّنكم تردّد النساء إلى بيت عبيد الله[1] أفندي للتوجه ؛ فإنه لخروجه عن الطريقة, ودخوله فيما دخل بطوعه ؛ صار له هبوط عظيم .

وسادة هذه الطريقة لا يتلاعب بهم ، وأمر عبيد الله المذكور بسبب وقوع اسم الخلافة عليه ، وزَعْمِ كونه أقدم عن غالب الخلفاء ؛ لا يشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا ، ولا الذي لم يدخل وهو من أهل الدنيا من المحبين ، كأخيه المرحوم طاب ثراه .

أئمة هذه الطريقة طردوا المريدين بأدنى انصراف بعد الإرادة ، فضلاً عن الخلافة ، فراجعوا إلى الرشحات عند ردّ إمام الطريقة بهاء الدين النقشبندي وعبيد الله الأحرار ـ رضي الله تعالى عنهما وعنا آمين ـ بعضَ من استأذن للحج ؛ أو قبل التدريس في المدارس من المريدين .

فإن خالفتم فلستم على عهدي وأنتم تعلمون ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ . انتهى من هامش « بهجة السالكين » ص ٤٤ لسليمان الزاهدي رحمه الله تعالى .

من مكاتيب مولانا خالد قدس سره

الحمد لله بجميع محامده على جميع خلقه ، ما علمناه وما لم نعلم ، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) في نسخة : عبد الله

أما بعد : فلقد ورد مكتوبكم ، وأمال إليكم قلوب الفقراء بعض الإمالة ، ووصلت إلينا شهرة اهتمامكم بترويج طريقتنا التي هي لبُّ الشريعة ، فزادكم هذه عندنا خطراً وجلالة ، جزاكم الله تعالى في الدارين درّاً وخيراً ، وحفظكم ضرّاً وضيرا .

اعلموا أن الثبت بالكشف الصحيح والوجدان الصريح عند جهابذة الكشف والشهود ، وبَذَلَةِ الروح ونُقَّاد الوجود ، أنه أجلّ السعادة وأفضل العبادات بعد تصحيح العقائد عن تُرَّهات أهل الفساد ، والقيام بالفرائض على مذهب أحد الأمجاد ، والمواظبة على الذكر الخفي مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراك وإن لم تكن تراه ، ولا يغيب عنه مثقال ذرة ، حاضر عند متقلب عبيده ومثواه ، ولا أريد العلم التقليدي ، فإنه يكون في بعض الأحيان ، فيشترك فيه أهل البدع والإحسان ، وأرباب الكفر والإيمان ، بل المراد المأخوذ من أئمة المشاهدة بالوجدان ، وهو يحصل على طريق جري العادة : إما بترك الكل وارتكاب المجاهدات الشاقة والخروج عن جميع الزخارف ، وإما بالتمسُّك قلباً وقالباً بأهل المعارف ، ولا سيما من خلفاء هذه الطريقة ، قدّس الله تعالى أسرار مواليها ، وأمدّ في الدارين مَن جَدّ تكثير أهاليها .

مطلب

فإنهم قد يكون أناس بعون الله تعالى بدولة الشهود بالهمم القاهرة ، لو كانوا متقلبين على الفرش الممهّدة والثياب الفاخرة ، بشرط كمال الإخلاص واتباع السنة ، وترك البدع والإعراض القلبي عن متاع الذليل ، والميل إلى نعيم الآخرة ، عليه حمله كثير من الأولياء و العلماء ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : « ليذكرن الله عز وجل أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يدخلون الدرجات العلى » . .

هذا الحديث الشريف دليل على صحة ما عليه السادات النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم العلية وأفاض علينا أنوارهم البهية ، ومن لم يُوَفَّق أحدَ الأمرين فحق له البكاء على نفسه ، لله درّ القائل :

على نفسه فليبك من ضاع عمرهُ وليس[١] له منها نصيبٌ ولا سهمُ . . .

فعليكم على قدر المقدور بالاعتناء بالأذكار الخفي ، والاستمداد من سادات هذه السلسلة السنية ، ولا يصدَّنكم عنها ما تمّ من المراتب العلية ، فقليل هذه الطائفة كثير ، وضعيفهم عند الله جليل وخطير ، وقطرتهم تدري بالبحر فضلاً عن الغدير ، ولله درّ من يقول :

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ قليلك لا يقال قليلُ[٢] . . . .

فحسبنا الله ونعم الوكيل . انتهى من هامش « نهج السالكين » .

---

(١) في نسخة : فليس

(٢) البيت كما هو مشهور عند العرب ولسلامة الوزن الشعري وقواعد النحو :

قليلك لا يقال له قليل « بإضافة له » والله أعلم

وصية حضرة مولانا خالد قدس سره بكتاب لخليفته في مكة المكرمة سيدي الشيخ عبد الله قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد ؛ فأوصيك بتقوى الله تعالى وطاعته ، وترك إيذاء الناس ، ولاسيما في الحرمين الشريفين ، ولا تغتب أحداً وإن اغتابك ، ولا تأخذ من أحد لنفسك من حطام الدنيا ، إلا أن يحكم بأخذه الشرع فخذه واصرفه في سبيل الله ، ولا تتفكّه بصرفه في الشهوات وإخوانك المؤمنون جماعةٌ محتاجة عياله ، ولا تكذب ، ولا تحقر أحداً ، ولا تعتقد نفسك فوق أحد ، وابذل جهدك في العبادة القلبية والبدنية ، واحسب أنك ما عملت خيرا ، وأخلص نيتك **إن النية روح العبادة** ، ولا نية بلا إخلاص ، ولا إخلاص أكبر منك فضلاً عنك ، وأنا والله لا اعتقد أَنِّي عملتُ خيراً منذ ولدتني أمي وأنت تعتقدني خيراً منك ، فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل ، فإذا وَجَدْتَّك مفلساً فلا تقنط ؛ لأن فضل الباري تعالى خير للعبد من أن يكون له عمل الثقلين ، ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ بأن يكسبون .

ولا تجعل الطمع في فضله تعالى سبباً لترك العبادات ، كمن لعب بعقولهم الشيطان ، وداوم على ذكر القلب ، ولا تفتر عنه ولو في المشي ، وتمسّك بحول الله تعالى وقوته في كل أمر ، واستمدّ من روحانية السادات الكبار قدّس الله أسرارهم ، وأكرِمْ حملة العلم وحفظة القرآن ، واشتغل بالقرآن بحسب التيسير ، واشتغل بعلم الفقه أكثر من غيره ، ولا يصرفنّك الحضور القلبي عن ذلك فإنه علامة ضيق المشرب وقصر الباع ، ولا تدخل

في أمور أهل الحكم ، ولو طلبوا منك ذلك ، وادعُ بالصلاح والإصلاح لإمام المسلمين ووزرائه وأمرائه ، واطلب من الله تعالى أن ينصر الإسلام على الكفرة والمبتدعة .

وعليك بترك الوجود ، وبذل المجهود ، والقناعة بالموجود ، والتمسُّك بسنة صاحب المقام المحمود ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أبد الآبدين ، والحمد لله رب العالمين .

وعليك بمداومة صلاة النافلة من التهجد والإشراق والأوابين والضحى ، ودوام الوضوء ، وقل : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » ثلاث مرات . من هامش

مطلب مهم جدا صعبٌ لديارنا

ومن وصية مولانا قدس سره ان لا يلقن الطريقة للأمرد الصبيح ، ولا المرأة الشابة ، وإذا لقن للنساء فيكون من وراء حجاب بواسطة المحرم ، ولا لهن جميعة ختم ولا حلقة توجّه ، بل يستقيم كل واحدة منهن في بيتها بعد قضاء حاجة بيتها و زوجها وأولادها .

والحقير حين كنتُ في البروسة فتشت كتب الصوفية ما حصّلت غير صورة المعنى ، فتيقنت أن للحقيقة لا بد من مرشد .

وسألته عن بعض الثقات فقال لي : إن الشيخ إسماعيل أفندي [١] ، فلما وصف لي الطريقة مال قلبي له ، ثم قلت : من العلوم الجزئي أي شيء عنده ؟ قال : علم الارتفاع ، فقرأت منه علم الربع ، تأنس قلبي له ، ثم قلت لواحد من إخوانه : أنت تكون لي واسطة إلى الشيخ فأحسن

(١) إمام جامع إمام حضرة أمير ، مأمورٌ من الطريقة الخالدية

إلى الطريقة العلية ، وهو راح عنده ، ثم رجع إليّ فتشوّف على وجهي وتبسَّم ، قال : يقول لك الشيخ إنه أمرد ، هو خلاف أصول طريقتنا ، والحال أن في عذارك لحية ! ! قلت : عُد إليه فبيّن لي بعد ما بيّنه ، قال : يطلبك الشيخ ، فدخلت خلوته ، قال لي : أحسبك أمرد ! . . فعلَّمني الاستخارة المعهودة . .

وقال سيدي الشيخ سليمان رحمه الله تعالى : عدم كون الأمرد أمرد صبيحاً من أصول طريقتنا ، ولكن أكثر جماعتنا الجاوي أمرد ، وليس كأمرد صبيح أهل الشام ، وأهل الروم و أهل الأكراد ، بل شبابهم وشيابهم على نمط واحد لا خلاف فيهم . من هامش « نهج السالكين » .

مطلب مهم جداً للمرشد

وأما طريق التأثُّر في الطالب : فأن يتوجه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقاءها على الطالب ، ثم يستعمل همة تامة قوية لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأما إذا كان الطالب غائباً ، فيتصوّر صورته ثم يتوجه إليه ويبلّغ أمره إلى النهاية .

وأما جمع الهمة : عبارة عن اجتماع الخواطر ، وتأكد العزيمة بصورة التمني والطلب ، بحيث لا يحصل في القلب خاطرٌ سوى هذا المراد ، ويسأل الله سبحانه وتعالى حصوله فيتمّ على حسب متمناه .

وأما طريق الكشف عن نسبة أهل الله تعالى : فأن يجلس مقابله إن كان حياً ، أو قريبا من قبره إن كان ميتاً ، ثم يخلّي نفسه عن كل نسبته ، ويجعل روحه متصلاً بروحه زماناً حتى يتصل بها ويختلط ، ثم يرجع إلى نفسه ، فكلما وجد في نفسه من الكيفية هي نسبة ذلك الإنسان .

وأما طريق الإشراف على خاطر الإنسان : فإنه يخلّي نفسه من كل خاطر ، ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان ، فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطر ظهر بطريق الانعكاس .

وأما طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة : فكذلك يخلّي نفسه عن كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة ، فإذا انقطع عن حديث النفس وصار انتظاره لطلب الماء العطشان ؛ يلحق إلى الملائكة الكرام ، فتنكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى ، إما بأن يسمعها من الهاتف ، أو بأن يراها في اليقظة أو في المنام .

وأما طريق رفع البلية النازلة : فبأن يلاحظ تلك البلية بصورتها المثالية ، ويتوجه لرفعها بالهمة القوية فيندفع بإذن الله تعالى .

« الأنهار الأربعة » للشيخ خالد قدّس الله تعالى سره ورزقنا من فيوضاته وبركاته .

مطلب كثير الوقوع قليل السطوع

وقد كتب الإمام الرباني في بعض مكاتيبه : إن الطالب إذا لم يجد رشده عند شيخ ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته ، من غير إنكار على شيخه الأول ، وأيد ذلك بنقله من خواجة بهاء الدين ـ قدس سره ـ وقال إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارا .

« ترجمة للعالم الغاضل الشيخ محمد مراد بن عبد الله الغزالي رحمه الله تعالى ورزقنا من بركاته . آمين »

من مكتوبات شيخ الزمان وغوث الأوان الشيخ ذي الجناحين محمود افندي الألمالي الداغستاني قدس الله تعالى روحه العزيز ، ورزقنا من بركاته وفيوضه

الفصل السادس

فيمن يصلح للإرشاد والمشيخة ومن لا يصلح

قالوا : المشايخ ـ أي ما يطلق عليه اسم شيخ ـ ثلاثة :

١- منهم من ليس في يده تصرُّف في المريد وتأثير فيه ، فهو كالعوامّ ، بل هم أضل من الأنعام ، ليس فيهم المشيخة إلا اسمه ورسمه ، كما هو أكثر مشايخ الزمان .

وقال مولانا خالد سليمان قدس سره مجدد المائة السابقة : **ويجب الاعتراض على حاله والإنكار** لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس ، لحبس الناس عن ذهاب باب أهل الكمال ومنعهم عنه ، ولكونه سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كان جاهلاً بأمر الدين ، كما سيجيء في هذه الرسالة .

٢- ومنهم من كان في يده تصرف في عالم الملكوت ، وتأثر المريد في صحبتهم ، لكن ليس فيهم استقامة بقدر ما يخرج من الفسق ، ولا يكون فيه أدب الشريعة ولا أدب الطريقة ، فهم أيضاً لا يصلح لأن يُقتدى بهم ، وإن كانوا صادقين في أحوالهم ، لأن من اقتدى غيرَ أديب يكون غير أديب ، **مع أن الطريقة كلها آداب** على ما قالوا ، لكن يُحترم ويُعظّم ولا يتعرّض خوفاً من قهره ، فعلم منه أن غير الأديب الصادق الأحوال إذا لم يصلح للاقتداء فالغير الأديب ليس فيهم حال صادق فلا يصلح الاقتداء به

بالطريق الأولى ، فالاقتداء لهؤلاء شعار جهلاء العصر ، على الخصوص إذا كان جاهلاً لفروض العين .

٣ - ومنهم من في يده تصرف وتأثير وعلم بالأحكام الشرعية التي يجب علمها عيناً واستقامةً ، فهم ممن[١] يصلح الاقتداء والاستقامة والاعتبار ، حتى قالوا : إنهم الكبريت الأحمر ، خصوصاً في هذا الأوان ، ولهم فضائل في كتب السادات ، ومثله في « الخطاب » لإسماعيل الحقي ـ قدس سره ـ « ورسائله بهائية ترجمة رسالة خالدية والفتوحات المكية » لسيدي ابن العربي ـ قدس سره ـ وسيجيء بعد عبارته .

مطلب

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في« أيها الولد » : ولا بد للسالك من شيخ يربّيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى ، وشروط الذي يصلح للتربية : أن يكون تابعاً للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون عالماً يصلح له ، لأن كل عالم لا يصلح ، وإني قد أبين بعض علاماته حتى لا يدّعي كل أحد أنه مرشد فنقول : من يعرض عن الدنيا وحبّ الجاه ، وقد كان تابعاً بشخص يصير تسلسله ومتابعته إلى سيد المرسلين ، وكان محسناً رياضة نفسه ، من قلة الأكل والشرب والقول والنوم ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً بمحاسن الأخلاق كالعلم إلخ . . فهو نور من أنوار معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيصح الاقتداء به ، لكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الأحمر ، انتهى كلام « أيها الولد » .

وقال في « جوامع الأصول » : فيجب أن يقتدى بمن عُلم بالديانة

---

(١) في نسخة : مما

والصيانة ، والرحمة والعفة والتقوى ، والأمانة من البدع والأهواء والخيانة ، بعد أن تحقق أن طريقته موافقة للكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمشائخ الراسخين والعارفين وكبار الأئمة . انتهى كلام « الجامع » .

فالصوفية أخذوا حظاً من علم الوراثة ، فأفادهم العملُ بالعلم ، فأفادهم علم الوراثة ، فهم مع سائر العلماء في علومهم ، وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علم الوراثة ، قاله في « عوارف المعارف » .

قال في « روح البيان » في سورة النساء : ﴿ٱللَّهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ التزكية ، تهيئاً لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية ، والمزكِّي هو النبي صلى الله عليه وسلم في أيام حياته ، كما قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْـلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية ، وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منهم قرناً بعد قرن ، من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان ، إلى يومنا هذا ، ولعمري إنهم في هذا الزمان أعزُّ من الكبريت الأحمر ، انتهى كلام « روح البيان » .

مطلب

وقال في سورة الإسراء أيضاً : فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى مثل هذا العالم ، فإنه هو المطلب الأعلى ، ولن تصل إليه إلا بقدم العلم والعمل ، والرجوع إلى حال التراب . انتهى .

قال في « الخطاب » : قالوا : لا تكن مريداً إلا لعالم ، ولا كلّ عالم إلا حيّاً ، يعني لا يجوز أن يكون مريداً لكل عالم بل كن مريداً لعالم كان قلبه حياً بحياة حقيقية ، ومحلاً للفيض الإلهي حتى يحصل لك في صحبته فائدة وحياة باقية . انتهى كلام « الخطاب » .

وقال في « روح البيان » : فكما ان العالم الغير العامل والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطرودين عن باب الله تعالى ، وكذا العارف الغير الكامل ، والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين من باب الله تعالى .

وقال رجب أفندي في شرحه « للطريقة المحمدية » : وقال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه وعنا : لو نظرتم إلى رجل أعطي الكرامات أي من خوارق العادات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا[1] عند الأمر أيفعله ولا يخل بما يستطيع منه ، والنهي أيفرّ عن المنهي عنه رأساً أم لا ؟وهل يحفظ الحدود وآداب الشريعة ، فإذا كان مؤتمراً بذلك يعتبر بكراماته الدالة على علو مقامه عند ربه ، وإلا فهو استدراج ومكر .

أقول : قد أجمعوا على أنه لا مقام للعبد يسقط عنه التكاليف الشرعية ، وأجمعوا ايضاً على أنه لا يصح النهايات إلا بتصحيح البدايات ، وهي العلم والعمل .

واعلم أن التصوف تفرقت على اثني عشر فرقة ، فواحدة منهم سنّيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء ، **والباقون بدعيّون** . انتهى كلام رجب أفندي . كذا في « الخادمي شرح الطريقة » .

قال في « روح البيان » : هم الموافقون للكتاب والسنة عقداً وعملاً ، انتهى كلامه .

---

(١) في نسخة : حتى تنظروا كيف تجدونه

مهم جدّاً

قال في « جامع الأصول » في سورة النور : « واعلم أن من لم يتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني ، وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا ، وربما يكره بعض . . »[١] **اعلم أن من لا يعرف أباه وأجداده في الطريق فهو مطرود** ، وكلامه دعوى غير مقبول ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله عليه الصلاة والسلام : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس ؛ لا يجوز التصدر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى حضرة الحق عز وجل ، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى كلامه .

وقال فيه أيضاً : فلما كان الصحبة من لوازم الطريقة وشروطه ، وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون ، إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب الطريقة ، وهو إلى النبي صلى الله عليه وسلم .انتهى كلام « جامع الأصول » .

وقال في « متمماته » أيضاً : وقال العارف عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في المدارج : اعلم أيها الطالب المريد ، من لم يعلم أباه وأجداده في الطريق فهو أعمى ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » ولقد درَج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم ،

(١) يأتي تمامه بعد في أواخر الوجه فراجعه .

وأجمعوا كلهم أن **من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط الطريق لا أدب له** ، ولا يجوز التصدُّر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريقة من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن .

ثم قال فيه أيضاً : اعلم يا أخي أن السرَّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى حضرة الله تعالى ، وأقل ما يحصل للمريدين إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرّك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى حضرة الله عز وجل ، فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ، ولا يجاوبه أحد إذا تحرك السلسلة . انتهى كلام « المتممات » .

وقال في روح البيان في سورة النور : واعلم أن من لم يتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني وادعى لنفسه الكمال والتكميل ، فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا ، وربما يكره بعض أهل الطلب على التردد لباب أهل الدعوى ، ويصرفه عن أهل الحق عناداً أو غرضاً ومرضاً و اتباعاً لهواه ، فهو إنما يكرهه على الزنا ، لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة ، نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى .

وقال أيضاً في سورة الفرقان : وفي الآية إشارة إلى **الأصنام المعنوية** ، وهم المشايخ المدّعون ، والدجاجلة المضلّون : فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، **فالتابعون لهم في حكم عابدي الأصنام** ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً .

لا بد للمرشد من العلم

فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يرقي غيره من الجهل إلى المعرفة[1] ، وأنشأه نشأة أخرى ، وأحياه حياة طيبة بإذن الله تعالى ، وهي رتبة الأنبياء عليهم السلام ومن يرثهم من العلماء العاملين . انتهى كلام « روح البيان » .

قال مولانا الشيخ ابن سليمان الخالدي ـ قدس سره ـ في « كفاية المريد » : فالمرشد الفريد العالم ما يحتاج إليه المريد من الفقه والعقائد والتوحيد وفي الحديث المحقق السديد ، وفي الطريق عارفاً سلوكها ، وفي النفوس عالماً شكوكها ، وأن يكون ناصحاً عفيفاً ، ذا همة في حاله لطيفا ، وأن يكون غاضباً لله ، ينهى عن المعاصي والمناهي ، وإن وجدت هذه الشروط فاتبع له وكن في فعله منوطا ، انتهى كلامه ، وقال « روح البيان » في سورة آل عمران :

قال الشيخ الصفي قدس سره : **إن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤن جلباً لحطام الدنيا ؛ عذابهم أشد من عذاب النساء الزانيات** ولدن أولاداً من الزنا ، مع وجود أزواجهن وأولادهن سبعين مرة .

فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدّعين مالم يتحققوا به ، يضلّون الناس بأكاذيب ، ويروون أساليب ليس فيها أثر من المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج

---

(١) وأما من سقط عن هذه الرتبة فليس الاستماع إلى كلامه إلا كاستماع بني إسرائيل إلى صوت العجل . « روح البيان » .

مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الاعمال . انتهى كلام « روح البيان » .

وقال الإمام معصوم في « مكتوباته » ما حاصله : حُرِّر أن من أذن له شيخه في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتمادا على هذا ؛ تلقين الذكر وتربية المريدين ؟

فالجواب : إن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا يثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى كلام المكتوبات .

وقال في عوارف مشيخة العارف في فصل شرح رتبة المشيخة : إن الصالحين والسالكين ينقسم أربعة أقسام :

سالك ومجذوب ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك **فالسالك المجرّد لا يؤهل للمشيخة** ، ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه ، فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة .

والمجذوب المجرّد من غير سلوك أيضاً لا يؤهل للمشيخة فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى عليه .

والسالك الذي هو متدارك بالجذبة يؤهّل للمشيخة لأنه أخذ في طريق المحبين في حال من أحوال المقرّبين ، بعدما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ، ويمكن الاتباع ينقل منه إليهم علوم ، ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوساً في حال ، لا يطلق من وثاق الحال ، ولا

يبلغ كمال النوال ، يقف عند حظه ، وهو حظه وافرٌ سنيّ ، قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ .

ولكن المقام الأبلغ الأكمل في المشيخة القسم الرابع ، وهو :

المجذوب المتدارك بالسلوك : يباديه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح صدره ويفصح ، وتتجافى عن دار الغرور وينسب إلى دار الخلود ، ويرتوي من بحر الحال ويتخلّص من الأغلال والأعلال ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ويجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء ، بل بلذّة وهناء ، ويكسو قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحبِّ ربه ، ويلين جلده كما لان قلبه ، وعلامة لين جلده : إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيريده الله تعالى إرادة خاصة ، ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد ، انتهى كلام « العوارف » بأدنى اختصار ، لكن الكلام والحكمة مملوء فيها ، لأن شيخنا وسيدنا ممن وافق اسمه مسماه ، وهو أعلم في هذا الباب جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربيته المريد بإذن شيخه المعتبر ، إذناً صحيحاً في اليقظة بأن يده يد شيخه ، وكلامه في هذا طويل ، وليس له في هذا الباب عديل ، ونحن لم نذكر ذلك لكفاية هذا القدر القليل إن كان من العلماء ، وإلا فلا يفيد التطويل .

وقال في « الرسالة المدنية » : ولا يبلغ المريد درجة الكمال إلى ان يرى في جميع عباداته عيباً ، وأنها لا تليق إهداؤها إلى جناب الحق جلا جلاله ، فحينئذ يجد معنى قوله : « من عرف نفسه عرف ربه » وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرّفها بالإسلام الحقيقي ، فلا يصل السالك إلى هذه

المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه ، **وأما قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد ،** ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس هذا إلا إيلام النفس ، نعم إذا كان بإذن شيخ فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته إذا كان فانياً في شيخه ، حيث يدوم له نسبة حضوره .

ثم قال فيها أيضاً : إنه **يعطي الكامل للناقص الإجازة بتعليم الطريقة ،** وهذا ليس بمنافٍ للإفادة والاستفادة ، لأن يد الناقص يد الكامل ، لأنه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له فبمجرد المحبة له يحصل له تربية النفس .

مطلب مهم جداً

فلذا يلزم عليه رعاية الأمرين فيه ، أحدهما محبة الشيخ المقتدى ، والآخر الاستقامة في الشريعة والتمسّك بالسنة السنية ، فإذا لم يكن تقصيره في هذين الأمرين لا يحصل الضرر إليه ، وإن كان في أحدهما أفضل في الأمرين لا يحصل المعرفة ، بل يبقى تحت تصرف الشيطان ولا علاج له سوى الخسران الأبدي . انتهى كلام « الرسالة » .

لكن الإمام الرباني في « مكتوباته » شرط في إذن الناقص تأثر المريد في صحبته ، وقسم الإذن على أقسام ، وبين نفع الإذن للناقص أيضاً ، وفيها كلام كثير ، كثير الفائدة لأهالي الإنصاف ، لا يسعه في هذه الرسالة جمل في كل كتاب ، ذكرت في هذه الرسالة الفوائد والمعاني والدر المكنون والكنز المدفون وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين كثير جداً ، فليراجع المنصف إليها .

وقال الشيخ الإمام صاحب « الهداية » لبعضهم :

فسادٌ كبير عالم متهتك . . . .

والعالم المتهتك هو الذي يفعل خلاف الشرع من الأفعال الرديّة ، وفساد مثل هذا العالم كبير لأنه يراه الجهّال فيعتقدون[1] به ، فيَضلّ ويُضلّهم .

. . . . وأكبر منه جاهل متنسّك

أي متعبّد ، والجاهل المتنسّك هو المقلّد في معتقده ، الجاهل في أفعاله وأقواله ، لا يعرف صحتها وفسادها ، كالصوفية في زماننا ، وإنما كان أكبر من العالم المتهتك في الفساد لأن فساده قد يكون في اعتقاده وعمله جميعاً ، فكان أكبر فساداً من العالم المتهتك في الفساد لأن اعتقاده صحيح .

هما فتنة عظيمة في العالمين[2] لمن بهما في دينه يتمسّك .

قاله في « شرح تعليم المتعلّم » ، كذا في « الخادمي شرح الطريقة » ، ورجب أفندي « شرح الطريقة » .

وطائفة اخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديل ، ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ ، ليسلم أحوالهم ولا يصحبون ؛ ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر لا يعدل عليه ، مع وجود سوء أدب مع الشرع ، فإنه لا طريق لنا إلى الله تعالى إلا ما شرعه ، فمن قال بأن ثمة طريق إلى الله تعالى خلاف ما شرع فقوله زور ، فلا يقتدى بشيخ لا أدب له ؛ وإن كان صادقاً في حاله ، قاله في « الفتوحات المكية » .

(١) في رواية : فيقتدون

(٢) في نسخة : هما فتنة في العالمين عظيمة « أصح للوزن الشعري »

مطلب مهم جداً

وقال في « روح البيان » في سورة النحل : قال الشيخ الشهير بـ ـ أُفْتَادَه ـ قدس سره : هنا رجل يقال له ديوانه چلبي ، يأكل ويشرب ويشتغل بالشهوات ، ويزعم أن له نظراً إلى الحقيقة من المظاهر ـ حفظنا الله تعالى من الإلحاد ـ ففي حالة الاحتضار استغفر وقال : يا حسرتا لم أعرف الطريقة . . ويرجى أن يعفى لسبق ندامته . .

وكان له كشوف سفلية ، وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ، **ولكن الكشوف السفلية مثلها بما كان في مرتبة الطبعية**[١] **غير مقبولة** ، وعوام الناس يعدّون أصحاب أمثال هذه الكشوف الأقطاب ، لكونهم على الجهل لا يميزون بين الخير والشر .

وقال أيضاً في سورة آل عمران : وقيل لأبي يزيد رضي الله تعالى عنه وعنا آمين إن فلاناً يمشي على الماء ! قال : الحوت أعجب منه ، إذ هو شأنه . . فقيل له : إن فلاناً يمشي في الهواء ! قال : الطير أعجب منه إذ هو حاله . . قيل له : فلانٌ يمشي إلى مكة ويرجع من يومه ! قال : إبليس أعجب من هذا إذ هو حاله ؛ تطوى الأرض كلها في لحظة وهو في لعنة الله تعالى . انتهى كلام « روح البيان » .

---

(١) في نسخة : الطبيعية

مطلب

(ميزان السالك الصادق)

وقد أجمعوا ان الفوز والنجاة لا يحصل إلا بالعلم والعمل جميعاً ، وإن اتفقوا على أن **العلم أشرف من العمل** ، لكن العمل متمم له ، وإن المحققين قالوا : لو رأيت إنساناً يمشي على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالفه الشرع فاعلم أنه شيطان ، وهو الحق .

اعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل ، والمدّعي فيه كثير ، ونحن نعرّفك علامتين تجعلها أمام عينك ، وتعتبر بهما نفسك وغيرك :

فالأولى : أن يكون الأفعال الاختيارية موزونة بميزان الشرع .

الثانية : أن يكون حاضر القلب على الله تعالى في كل حال حضوراً ضرورياً يعظم تلذّذه به .(محمود الفعال مرضي الخصال الألمالي قدس الله تعالى سره العزيز آمين)

مطلب مهم جداً

الفناء

معناه وكيفيّته ، وكيفية الفاني وأحواله وآثاره

بسم الله خير أسمائه ، والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيدنا سيد الخلق سيد أنبيائه محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه ، وعلى من في حياضه من آله وصحبه وأتباعه ، ما تواترت النعم في فناء فِنائه ، وبقاء بقائه ، مساغ رحمته ومَحَاطِّ علمه وقدرته آمين .

مخدوم عزيز الوجود ، بالشيم المحمود ، في الخلق المعدود ، الودود عند الله المعبود ، اللهم اذكره بمحيي السنة السنية المصطفوية ، ومعلي أعلام الشريعة العلية ، بارتفاع ألوية النصر والهدى في فتوحات إهدائه ، ومضيء قلوب خير الأمة بنور[1] النور[2] ، ونور المعرفة وصفوة القربة والمعية[3] ، ووجد المحبة[4] والمحبوبية ، وبإجراء ينابيع الحكمة من جفر لطائف لطفك المودع[5] فيه بفضلك عن ميزاب رياض إشاراته أقطار جوانب عوالم خلقك ، بإنبات شجرة الطور في حدائق عبودية العبودية ، في كل حدود[6] وثغور ، من اقصى وأقرب النشور ، بجعل رضائك في

(١) لعل هذا إشارة إلى التجلي الذاتي الذي هو أكمل التجليات كما قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وهو تعالى نور جميع الأنوار ايضا ، أو إشارة إلى التجلي النوراني الذي هو أضعف التجليات كما هو ، وهو الموافق لهذا الفقير . « چسطاوي قدس سره من خ خ خ »

(٢) هل يلد العارف من الجاهل ، كما قال الإمام : لا يلد الكامل من الناقص إلا أن يقال : أتعجبين من أمر الله ، ويقال : ليسا من باب واحد ، « من أبي عبد الرحمن الچسطاوي »

(٣) وظني أن مقام المعية مقدم ووسيلة على مقام القربة فما وجه تقديمه على المعية ، بل اللائق عكسه كما قدم المحبة على المحبوبية في الثاني ، إلا ان يقال : يحتمل انه اتعبر في الأول الأصالة وفي الثاني الوسالة ، ففعل ما فعل ، ولكل وجهة هو موليها ، إلخ ، « منه قدس سره خ خ خ »

(٤) ويقال : الظاهر من هذا الكلام اللطيف حملا على التأسيس الإشارة إلى مقامين : مقام المحبة ومقام المحبوبية كما قال الإمام ، فحينئذ في الكلام تأكيد لا تأسيس ، والسلام .« منه قدس سره خ خ خ »

(٥) وفيه إشارة إلى طريق الاجتباء كما قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ ، ويؤيده الرؤيا التي في حقنا كما قال سيدي ، ويصدقه ايضاً تصريح وإشارة قبلة قلب شيخنا الأقدس رضي الله تعالى عنه على طريق حسن الظن برب الأرباب سبحانه وتعالى . « منه قدس سره خ خ خ »

(٦) وهو إشارة إلى مقام العبودية ، وهو ألذ المقام عندي ؛ لأن العبد عبد والفضل للعبد العبودية ، وهو تعالى يوفقنا للعبودية بفضله الذي هو شأن الربوبية ببركة حضرة الشيخ رضي الله تعالى عنه وحسن ظنه به تعالى . « منه قدس سره »

رضائه[١] ، ورضاؤه في مرضاتك ، حتى ظهرت خيرية الخيرة في آخر الأمة على واردها أفضل الصلاة وأكمل التحية ، آمين آمين آمين .

السلام عليكم [٢]ورحمة الله تعالى وبركاته ، وعليكم السلام[٣] ورحمة الله تعالى وبركاته ، وعلى عباد الله الصالحين إلى دار السلام ثم السلام من الملك العلام[٤] ، وبعد :

بعد شهر الله المبارك رمضان ، تعاقب مكاتيبكم بحسن الإحسان في الإحسان بعد الإحسان ، شكرنا الله تعالى المنان بالشكران ، ونشكركم من قبل إلى الآن ، وأسأل الله تعالى بعد الآن ، وإليه أفوّض أمري وأمركم ، هو الذي يعود إليه ويرجع كل ذي شأن ، عند مفاتيح كنوز الغيب والإعلان ، وهو المستعان ، ثم سألتم في كتابكم الأخير عن الفناء مع كتابكم أقوال السادات فيه رضي الله تعالى عنهم وعنكم وعنا وعن جميع عباد الله الصالحين ، خاصة عن إخواننا المسلمين في ذيل ظلهم آمين أجمعين .

« معنى الفناء »

أيها الأخ : أرشدك الله تعالى حقيقة الحقائق في كل الدقائق ، إن الفناء لغة واصطلاحاً معلوم ومشهور ، مستغنٍ عن السؤال والجواب ، فالظاهر أنه ليس بمنظور .

---

(١) لعل هذا إشارة إلى مقام الرضا ، بيده ملكوت السموات والأرض ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ . « منه قدس سره من خ خطه »

(٢) لعلّ هذا إشارة إلى سلامتنا في الدنيا وبشارة به ،ودعاء به ، آمين « چسطاوي قدس سره من خط خطه » .

(٣) لعل هذا دعاء أيضاً وبشارة وإشارة إلى سلامتنا في العقبى وهو تعالى قدير ثم آمين . « منه » .

(٤) وهو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ وهو سميع الدعاء آمين . « منه » .

وأما كيفية تحققه ، وكيفية الفاني وأحواله وآثاره ، وواقعاته عند تحققه وبعده ، وعند فناء الفناء و بعده ، وإن تكاثر فيها اقوال الكاملين من الثقات بثقة الأقوال ، ولم يترك شيء بلا مذاكرة من أول قدم الفناء إلى أقصى مراتب الولاية ومقامات الوصال ، وكان الخوض والإقدام إليه سوى وضع وجه التقليد إلى عتبتهم العالية من أمثالنا سوء الأدب بعد الحال ، ولكن ؛ لما كان كلام الملوك ملوك الكلام ، حتى استترت في دقائق معانيه حقيقةُ المرام ، وكان سوط عباراته عجيب السياق ، ومِذاق[1] لباب اصطلاحاته غريب المذاق ، واحتجب وراء رموزاته حمال الوفاق ، ولم يبق للقطع واليقين مجال ، ولم ينقطع عن الطالبين الناظرين لميزان أحوالهم ربقة الاحتمال ، فصار محتاجاً إلى البسط والبيان ، حتى يكون كالعيان ، فالتزمتُ بيانه إجابة للسؤال ، مع أني في عراء الفارسين فيه كراجل حفيد ، وفي عريكة المجاهدين إليه آجل قعيد ، ولكن ليس من فضل من أنطق الشجرة لموسى عليه السلام ببعيد ، فإنه أقرب إلي من حبل الوريد .

اعلم اولاً ان طبائع الطالبين واستعداداتهم مختلفة بأنواع الاختلافات كما هو الظاهر ، ومن حيث اختلافها يتخالف الأحوال ، وبه يتكاثر الأقوال في الأحوال ، فإن من تكلم وأخبر عن كيفية الفناء والفاني ولوازمهما بلا رواية ولا إسناد إلى شخص ، تكلم وأخبر من واقعات نفسه مقدار ما ساع حوضته وحمل مطيته واتسع قابليته ، فصار الإخبار عن صور الخلاف ، ولكنه بلا تعارض ولا تضاد في الحقيقة .

(١) من الذوق

مطلب

(تغاير الأقوال في الأحوال سببه تغاير المحلّ لا تغيّر الحال)

إذ تغاير الأقوال في الأحوال ناشٍ بسبب تغاير المحل ؛ لا بسبب تغير الحال الساري إليه في الحقيقة ؛ لأنً الحال عبارة عن الفيض الساري إلى البدن المختلف الطبائع ، من المبدئ الفيّاض الأقدس كشعاع الشمس ، وكاللبن الجاري المجموع في قرعات الزجاج المختلفة الألوان مثلاً ، فمن البيّن أن تلوُّن اللبن والشعاع بانعكاس ألوان القرعات ، وإلا فليسا بنفسهما متلونين بأنواع الألوان ، فظهر أن تغير الأقوال في الأحوال والاختلاف فيها ليس بالذات بل بالاعتبار ، كزيادة شيء واحد ونقصانه بالنسبة إلى المحلين ، والتغايرالاعتباري يعود الوفاق ، بعد تحقيق حقيقته كما سيأتي بيانه هنا .

الفناء المطلق

مهم

ثم اعلم أن الفناء[1]

(١) قال حضرة شيخنا الأقدس رضي الله تعالى عنه : إن الفناء استعلاء ربوبية الرب الخ . فعلى هذا ؛ الفناء صفة الرب سبحانه لا صفة الفاني مع أنه صفته على الوفاق إلا أن يقال الأمر هيّن لأنه ايضا رمز من الرموزات على عادة السادات الصوفية الصافية كطعم العسل ذوقي لا يعلم إلا بالذوق والرفق . من ابي عبد الرحمن الجسطاوي قدس سره .

نعم فإنه صفته تعالى من حيث المبدأ والإيجاد وصفة العبد من حيث المحل كالعكس في المرآة ، محمود الفعال الألمالي قدس سره .

وصفة العبد حقيقة الفنائية ووصفه تعالى حقيقة الافناء والاستعلاء والإفناء غير الفناء ولكنهما متحدان مضمونا وحقيقة . منه

لكن لا بالحقيقة بل بالعكس والاقتباس حتى يكون العبد متصفا بصفته تعالى كما ورد به الحديث القدسي وفي هذا التعريف إشارة إلى نكتة لم يفهم من تعريف السلف والسلام . محمود الفعال الألمالي قدسره من خ خ خ

أي الألوهية الصرفة كما هو مصدوق لفظ الجلال ولذا سمي التجلي الذاتي بالشأن الجامعة واستعلاؤه جل سلطانه على صور التجلي على خمسة صور : إما من حيث الذات مع قطع النظر عن الصفات والشؤون والأفعال ، لأنهمالحاصلين قبله ، وهو الفناء التام والمطلق الحاوي لجميع مراتبه ، وإما من حيث الصفات أو من حيث الشؤونات أو من حيث الأفعال وفيهم فناء سائر اللطائف كما هو معلوم ، وأما الفناء التام بعد فناء جميع اللطائف وقد يقع لبعض اهل اليقظة فناء اللطائف الخمسة مجموعة مرتبة ، ويعرج لجميعها كما حققه الإمام الرباني رضي الله تعالى عنه وعنا آمين في بعض رسائله ومكاتبه . محمود الفعال قدسره . من خ خ خ قال شيخنا الأقدس رضي الله تعالى عنه وعنا في الحاشية : أي الألوهية الضرفة إلى قوله على خمسة صور : فالمفهوم من هذا على هذا الفقير أن هذا الاستعلاء على القلب يحصّل فناء القلب ويحصّل تجلي الصفات الفعلية وعلى الروح فيحصّل فناء الروح وتجلي الصفات الثبوتية لاذاتية ، وعلى السر فيحصل فناؤه وتجلي الشؤونات الذاتية بصورة المتجلى له ، وجعلوا هذه الأمور الثلاثة علامة التجليات الثلاثة ، التي هي علامات على هذه الأفنية الثلاثة ، وثبت أيضا تقرير شيخنا الأقدس رضي الله تعالى عنه وعنا آمين وعن أتباعه لكن بقي : هل هي لازمات كلية لهذه الأفنية أم لا ؟ فلم أعلم ، وإذا كان الرب سبحانه استعلى على الخفيي حصل فناؤه وبه تجلى حضرة الصفات السلبية وفي استعلائه على الأخفى حصل فناؤه وحصل حضرة التجلي

استعلاء ربوبية الرب على عبودية العبد[١] ، وهو فضل الله تعالى على خلّص عباده المؤمنين ؛ الذين أقبلوا إليه جل شأنه بتمام ما خلق الله تعالى فيهم ، حتى يترتب عليه كمال رضاء المربّي ، وهو كالشرط لحصوله أكثرياً[٢] ، ولو كان الفناء وهبياً وخارجاً عن تصرف المربي ؛ لكنه غير مطموع لكونه نادر الوقوع بدونه ، حيا كان المربي[٣] أو ميتاً

الذاتي لأنه حظه ، وفي الحديث القدسي : وفي الأنا أنا ، ولم أر إلى الآن العلامة عليهما ولم يبين أيضا شيخنا الأشفق رضي الله عنه وفهم منه أيضا أن فناء الأخفى يستلزمه فناء النفس على ما سيأتي في الورقة الآتية في كلام سيدنا عنه بيان فناء النفس لأن فنائهما بالتجلي الذاتي ، هل فناؤه يميت فنائها ، لكون حضرة الاستعلاء فيها بالتجلي الذاتي ، الذي فناؤهما هذا إن لم يكن بين التجلي والتجلي فرق ، وإن كانا ذا ثبت هذا ما خطر ببالنا الفائد سيأتي من هذا ، الفقير كلام في الورقة الآتية إن شاء الله تعالى من أبي عبد الرحمن الجسطاوي قدسره من خ خ خ

بعض المجذوبين لا يعلم من التجليات والمقامات شيئا : نعم ، لازمات كلية إما على الإجمال وإما على التفصيل ، بناء على استعداد الطالب ، لكن بعض المجذوبين لكونه أسرع سيرا لا يعلم من التجليات ومن المقامات شيئا ،غير الله تعالى كما كتب واحد من مشائخ عصره إلى أبي يزيد رضي الله عنهما إلى ما هذا النوم يا أبا يزيد وإن القافلة قد مضت وكتب أبو يزيد قدسره في جوابه : الرجل هو الذي بات في كل ليلة وأصبح في المنزل قبل القافلة . وكتب في تفسيره صاحب مشكاة أنوار التنزيل : سير عابد لسر سحايك ساله راه لكن لا يمكن الدخول إلا من بابه وان لم المستعجل باب الدار .محمود الفعال قدسره . من خ خ خ

(١) فظهر أنه لا مجال للاتحاد ولا مساغ للحلول ، وأما القول بسلب الصفات في التجلي الذاتي كما ذهب إليه البعض باعتبار قطع النظر عن الصفات في الطلب ، وإلا ليس بشيء كما هو الظاهر . « محمود الداغستاني قدس سره » .

(٢) احتراز عن الامتناع وعن اللزوم الكلي « منه »

(٣) بدون الشيخ المربي كطمع الزرع وقت الحصاد ، من غير أن يزرع الزرع . والسلام . « منه قدس سره » .

الفناء المقيد

وأما ما نقلتم من « الفتوحات » من أن الفناء فناء المعاصي ، والبقاء بقاء الطاعات وهو الفناء المقيد ، عبارة عن آثار فناء القلب بتجلي الأفعال ، والمراد منه فناء رقبة[1] المعاصي وبقاء رقبة الطاعات ، ولا يرد السؤال بلزوم معصومية الفاني ولا بمحفوظيته ، لأن المعاصي بدواعيها بعد تأكدها عند عدم المانع عنها بالنظر إلى نفوس البشرية ممكن الوقوع ؛ مطمئنة كانت أو لا ، كما هو الظاهر ، قال الإمام الرباني[2] رضي الله عنه : « هرچيزكه مطمئنه

(١) قال السيد الأوثق رضي الله تعالى عنه عن أتباعه إلى يوم الدين والمراد منه فناء رقبة المعاصي وبقاء رقبة الطاعات وهو الموافق لمن هو في قرب النبوة ، وأما لمن هو في قرب الولاية فلا ؛ لأنهم طرحوا الدنيا والآخرة بخلاف الأول لأنهم لم يطرحوا الآخرة لأن رقبة الطاعات كمال في حقهم بخلاف الثاني وحق من قال في حق الثاني الدنيا حرام لأهل الآخرة وهي حرام لأهل الله تعالى ، كما قال الإمام فقول سيدي رضي الله تعالى عنه فيما بعد نعم إن عدم رقبة المعاصي في مطلق الفناء موجود يشير إلى ما قلنا لأنه لم يذكر بقاء رقبة الطاعات لعدم وجوده في الفناء المطلق في حق الفريق الثاني ، وإن تحقق في مطلق فناء الفريق الأول ، فالحمد لله على ذلك ، إلا أن الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه جعل الول تفسيرا للفناء والثاني للبقاء ، فحينئذ يمكن ان يوافق الفناء الفريقين بأن يحمل طرح الفريق الثاني الآخرة عند الفناء لا عند البقاء ، لكن فيه ضعف لأن العمل للآخرة ايضا حظ للنفس ، وإن كان ممدوحا ، والسلام ، والاعتذار معه وقبله وبعده . جسطاوي قدسره من خ خ خ

من خ خ أبي عبيدة الغمقي رحمه الله تعالى

(٢) وإمامنا الرباني نقل هذا الكلام « ولا اتكاء عليها قط إلا في السير والسلوك سواء كان مرضية او غير مرضية . محمود الفعال قدسره » للرد لا للقبول وهو غير مرضي عنده ، أن النفس المطمئنة بعد اطمئنانها تجلس تحت الصدر ، فتكون سيد اللطائف لا تأمر إلا بالخير نعم تفسير الشيخ الألطف رضي الله تعالى عنه بقوله يعني مطابق لكلام الإمام الرابني أيضا لأن الإمام كالقوم يجوز صدور المعاصي من صاحب النفس المطمئنة ، ولذا أراد الإمام من الجهاد الأكبر الذي ورد في الحديث الجهاد مع القالب لا الجهاد مع النفس ، كما قاله القوم ، والحق عندي ما حققه شيخنا الأكرم في الخط المتقدم ، فعلى هذا كلام القوم في أصل المطمئنة ، وكلام الإمام بعد كما في الاطمئنان في الراضية المرضية فالنزاع لفظي من ابي عبد الرحمن الجسطاوي رحمه الله

كردد ازفعل به خددش نكردد » : يعني أن النفس وإن كانت مطمئنة لا يتكأ عليها ولا يأمُن عنها .

نعـم ، إن عدم رقبة المعاصي في مطلق الفناء ، وهو كمال الفناء كذلك موجود فيه ومن آثاره أيضاً ، لكن الفرق بينهما ثابت بالعمومية والخصوصية ، كالفرق الثابت بين « لا معبود إلا الله » ، وبين « لا موجود إلا الله » . تأمل .

ثم إن الفناء متفاوت ومتغاير بحسب مراتب التجليات بنفسه[1] ، كذلك متغاير ومتفاوت كل قسم من أقسامه بالنسبة إلى الفاني وطبائعه ، وإقبال الفاني وتجرده إليه تعالى ، بالزيادة والنقصان ، وكذلك آثاره في الفاني بحسب الانفعال استعداداً وإقبالاً ، وإقداماً ومشرباً ، ولذلك قيّدنا الإقبال فيما سبق بتمام ما خلق الله تعالى فيهم ، وسيجيء زيادة بتفصيله وتمثيله في بيان طبائع الطالبين السالكين ومشاربهم وإقدامهم إن شاء الله تعالى .

• الإناء يترشح بما فيه لعل إناء الإمام غير إناء قلب القوم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك كلٌّ سقى بما في إنائه الكرم من الكرم ولذا قال في موضع آخر : مطمئنة يجوز أن ترجع إلى البشرية والبعض الآخر لا . محمود الفعال قدسره من خ خ خ

اعلم ان مراد الإمام رضي الله تعالى عنه من إيراده أمرا آخر لعل الله تعالى يظره مراده بعد سنتين او أقل منه والسلام . منه

أيها الأخ المنصف هل يسمع سيدنا الإمام الرباني رضي الله تعالى عنه من أثر سيد السالكين خير البشر أفضل الورى رج المعراج رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، كيف يقول الإمام ذلك القول ؟ فارجع إلى ما فصّلناه اوصاف النفس في الرسالة السالفة والقول فيه القول الحق وإن جرى على لسان محمود الاسم مذموم المسمّى خاصة في هذه الرسالة ما كتبت لفظا إلا كتبتُ به والله شهيد عليه أي منقلب ينقلبون من اوله إلى آخره . السلام . منه قدسره .

(١) يعني أن من السالكين واحداً تجرّد وأقبل على الله تعالى بترك رقبة جميع ما خلق الله تعالى فيه وجودا ، ولكن بقي شعرة من شعرات وجود ذلك الطالب بلا ترك ، ولم يتجرد عنها ، فلما وصل الفناء فَقَدَ وجود نفسه كلًّا إلا وجود تلك الشعرة ، ونظر إلى نفسه بعد فنائه فرأى تلك الشعرة زنّاراً . والسلام . « محمود الفعال قدس سره »

فظهر أن مراتب الفناء وآثاره غير محدود البيان ، الطريق إلى الله تعالى بعددالنفوس .

« كمال الفناء »

وأما كمال الفناء بفناء النفس وبلوغها إلى مقام روح الفاني ، وفنائها بفناء القلب ، إذ بينهما أخوة تامة ، لأن فنائها بدون فناء القلب جنون محض ، وبلوغها إلى مقام الروح لا بنفسها أيضا ، بل بحضانة القلب وبإحاطته ، مع أن وصولهما إلى مقام روح الفاني بالتجلي الذاتي ، وهو استعلاء(١) ذاته جل سلطانه القاهرة على العبد بحيث ينسى نفسه وهواها ولوازمها ، ويشتاق ربه ويشتغل أمره ، ولا يتذكر نفسه ولا ورائها الذي هو وراء الله تعالى ، بل ولا يراها ولا يرى ورائها بالاعتناء إليهما ، والرقبة

(١) قال الإمام الرباني رضي الله عنه : « هرچيزكه مطمئنه كردد ازفعل به خددش نكردد »

قال سيدنا الأكرم رضي الله تعالى عنه : وهو أي التجلي الذاتي استعلاؤه جل سلطانه القاهرة على العبد الخ . لا يقدر هذا الفقير على رفع المنافات بين هذا الكلام وبين الكلام السابق لأن في السابق فسر مطلق الفناء باستعلاء ربوبية الرب على عبودية العبد وفي الحاشية عبر عنه باستعلائه جل سلطانه وقسمه على صور التجلي على خمسة أولها التجلي الذاتي وعبر عنه بقوله أما من حيث الذات مع قطع النظر الخ . فعلى هذا التجلي الذاتي قسم من الفناء المطلق ، أي مطلق الفناء ، المفسَّر بهاذ التفسير ، وجعل هنا هذا التفسير أي تفسير مطلق الفناء الأعم للتجلي الذاتي الذي هو أخص من مطلق الفناء فيلزم من السابق أخصية التجلي الذاتي من مطلق الفناء وتفسيره ، ويفهم من هذا مساورة التجلي الذاتي المطلق الفناء وتفسيره ، لأنه مفسر بتفسيره ، ثم خطر ببالي الفائدة في دفعه أن الاستعلاء في تفسير الفناء مطلق وفي تفسير التجلي الذاتي مقيد ، بالحيثية حيث قال هنا بحيث ينسيه نفسه وهو نها ولوازمها إلى ىخر ما قال رضي الله تعالى عنه فالأول مطلق مطابقة المطلق ، والثاني مقيد يطابق المقيد ، وهو التجلي الذاتي وهو يرجع إلى تفاوت التجلي الذاتي ، وهو صحيح أم لا لا نعلم ، وإن جوّز العقل القاصر فعلى هذا لا يلزم اللزوم ولا الاتحاد بين فناء النفس وفناء الأخفى ، وإن كان بالتجلي الذاتي والاحتمال غير كاف ولا نعلم أن الحق ما هو أو اللزوم والاتحاد أو التغاير بينمها والعلم عند أهله والبيان عند فراغه إن أشفق والعلم عند الله والسلام مع الاعتذار . جسطاوي قدسره .

فيهما إلا به تعالى ، وبأمره عزّ اسمه ، ونهيه جل سلطانه ، كما أخبره خير المخبرين عليه الصلاة والسلام بقوله عز وجل : « يبصر بي ، ويسمع بي »[1] إلى آخر الحديث من أوله ، وعليه بنى كلام صاحب « مشكاة الأنوار » : ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة ، ورأوا بالمشاهدة أنه ليس في عالم الوجود إلا الله تعالى ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم لا أنه يصير هالكاً في وقت من الأوقات ، بل هالك أبداً وأزلاً . انتهى

وبه كمال التوحيد من الشهودي والوجودي ، وكمال الإيمان والإيقان ، الذي لا يحتمل الزوال[2] ، خلاف التوحيد الاستدلالي ، لأنه لا يفيد الكمال في الإيمان كما لا يفيد الكمال في الإيقان بالنسبة إلى العيان ، كما قال سيدنا سيد السلسلة بهاء الحق والدين البخاري ؛ رضي الله تعالى عنه وعنا وعن جميع إخواننا .

ومن[3] علامةالكمال كون الاستدلال كشفياً ، وأنت خبير أن الذهاب من العلة إلى المعلول أقوى نوعي الاستدلال بين القوم ، وعليه

---

(١) الحمد لله الذي خصّ حضرتنا رضي الله عنه بهذا الحديث الشريف بما فُسِّر بتقدير المضاف وإضماره ، ولو فسر اوله أيضا لكان أفيد لهذا الفقير ، لأنه مشكل أو مشابه « ظن الچسطاوي قدس سره »

(٢) وهو المطلوب ومطلوبنا أيضاً وإن لم نكن من أهله والله تعالى أهل العطاء إنه جواد كريم . « الچسطاوي خ خ خ » .

خلاف التوحيد الاستدلالي لأنه لا يفيد الكمال في الإيمان كما لا يفيد الإيقان بالنسبة إلى العيان . « منه »

(٣) كمال اللإيمان مطلوب هذا الفقير أيضاً و كذا ابتدال الاستدلالي بالكشف فيما يتعلق بالإيمان وإن كان الكشف الصوري من قبيل ما لا نعني ، بل ضرره أكثر من نفعه في بعض ، وان كان أنفع لبعض آخر . « منه قدس . من خطه » .

مدار مذهب الصوفية ؛ لأنهم يرون[1] الخلق ويعرفونه بالحق ، ثم لا يخفى أن التجلي الذاتي ليس نصيب كل فرد من أفراد السالكين الكاملين في التربية ، المشرَّفين بالفناء كما حققه الإمام الرباني رضي الله تعالى عنه وعنا آمين ؛ بل خصه لأقل القليل منهم في طريقته كيف سائر الطرق .

« أنواع الكمال في الفناء بالنسبة الى الاستعداد »

وأما كمالهم بالنسبة إلى استعدادهم ومشاربهم لأنهم ينقسمون[2] إلى ثلاثة أقسام : مجذوب سالك ، سالك مجذوب ، سالك غير مجذوب .

أما الأول : هم الذين اجتباهم الله تعالى واختارهم من بين عباده

---

(١) والرؤية أقوى أسباب العلم بجعل المرئي من أجلى البداهيات فكيف يستدل بعده فيلزم طلب تحصيل الحاصل بالبداهة بالاستدلال إلا أنه ليس ببعيد لأهله فإن لم يعلم وجهه لمثل هذا الفقير لكوني غير أهله « چسطاوي قدس سره من خ خطه »

أذهلكم وقوع لفظ الخلق بين اللفظين اللذين ثانيهما عطف وتفسير للأول مع أنه بدونه موجه تدير بحسب المقام . والسلام . « داغستاني الألمالي قدس سره من خ خطه » .

(٢) قال سيدنا الأطهر رضي الله عنه : لأنهم ينقسمون إلى ثلثة أقسام : مجذوب سالك . . الخ ، والأقوال في المجذوب وكذا في السالك كالفناء على الاختلاف ، ولذا جعل الإمام المجذوب على أقسام ، وقال ايضاً : إن السلوك أنواع ، لعله يبتني عليه قول صاحب المعارف وهو ان السالك الغير المجذوب كالمجذوب الغير السالك ، غير صالح لتربية الغير ومقام الشيخوخة وفسرهما بما فسّر مع أن حضرتنا رضي الله تعالى عنه وعن اتباعه جعل السالك الغير المجذوب من أهل الكمال واهل التربية ، وإن بينتم على ما يسع فهمي لله قمتم : هل يكفي للسلوك تلقين التوبة من اهله ؟ والظاهر انه لا يكفي وهذا المقام عندي رقيق ، وبالاستفسار حقيق ، وبالاعتبار يليق . من ابي عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه . من خ خ خ ومن أمثاله قال مولانا يعقوب الجرخي الحضاري رضي الله تعالى عنه عند إنابته الخواجة عبد الله الأحرا قدس الله تعالى أسرارهم : خذ بيدي هذا الذي أخذ يد رئيس السلسلة بهاء الحق والدين نقشبند محمد البخاري رضي الله تعالى عنه ، أي حين رأى من الخواجة عدم الرقبة وميل الرغبة عنه رضي الله تعالى عنهم وعنا ، ثم أخذ بيده كأنه أخذ يد شيخه رضي الله تعالى عنهم . فافهم . محمود الفعال الألمالي الداغستاني قدسره من خ شيخنا .

السالكين بفضله لفضله ، جل شأنه وعمّ نواله ، وهم على قدم ومشرب واحد ، هم محمدي المشرب ، رزقنا الله تعالى ، وهم على قدمه صلى الله عليه وسلم هم أهل اليقظة ، هم المريدون المرادون ، هم المربى[1] بقرب النبوة ، إذ الأقدام والمشارب مختلف باختلاف أقدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاربهم ، كما قيل إن لطيفة القلب[2] منسوب إلى سيدنا وأبينا آدم عليه السلام وتحت قدمه عليه السلام ، والروح منسوب إلى نوح وإبراهيم عليهما السلام وتحت قدميهما ، إلى آخر اللطائف من عالم الأمر ، وآخرها لطيفة أخفى ، وهو منسوب إلى سيدنا وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحت قدمه عليه الصلاة والسلام ، وهو موضع التجلي الذاتي ، فالتجلي الذاتي ، نصيب[3] محمدي المشرب وهو القسم الأول

(١) التربية بقرب النبوة مختص بهذا القسم ، وهو ظاهر عبارة السيد رضي الله تعالى عنه أم شامل لغيره بطريق الندرة « چسطاوي رحمه الله تعالى من خطه »

وجوابه مقرر في نفس الرسالة في بيان أحوال الفرق محمود الفعال قدس سره .

(٢) قال سيدي الشريف رضي الله عنه وعن اتباعه وعن أتباع اتباعه إلى يوم القيام : إن لطيفة القلب إلى آخر ما قال ، قول سيدنا كما قيل يحتمل أن يكون إشارة إلى ضعف ما قيل لأنه يوهم انحصار الولاية بحسب الأقدام إلى الخمسة ، والمختار الصحيح عنده عدم الانحصار ، أو تحقيق المقام وإرادة المرام من الكلام من سادات الأناموهو باعتبار أصول الأقدام خمسة وأوّل الكلام وكلام القوم يحمل عليه ، وأما ما سيأتي من سيدي الأطهر رضي الله تعالى عنه في الصحيفة الآخر من قوله ومشرب القسمينالأخيرين على مشارب وأقدام سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من حضرة سيدنا آدم عليه السلام إلى حضرة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، بترتيب اللطائف كما مر ذكره ، بيان فروع الأقدام ، فأصول الأقدام خمسة وفروعها تكاد ان لا يتناهى كما أن أصول المذاهب في الفروع أربعة في المشهور وفروعها كادت ان لا تتناهى بحسب أقدام المجتهدين المتأخرين الناظرين لأقوالهم التابعين لأصولهم ، ولذا لعله قال سيدنا بترتيب اللطائف إشارة إلى ما فهمنا ، لعله هو التحقيق وبالقبول الحقيق ، ولم أر إلى الآن هذا التحقيق في كتب أهل التدقيق لعلهم تركوه لسيد الوقت لكون الأمور مرهونة بأوقاتها . هذا ما فهمه هذا الفقير من كلام سيدي الخطير . أبو عبد الرحمن رضي الله عنه من خ خ خ

(٣) قال السيد رضي الله عنه وعن أتباعه إلى يوم القيامة : فالتجلي الذاتي نصيب محمدي المشرب ، فالظاهر منه الحصر فعلى هذا يلزم حصر فناء النفس الذي بتجلي الذاتي إلى

تجلي الصفات السلبية نصيب سائر الأنبياء

ومشرب القسمين الأخيرين على مشارب وأقدام سائر الأنبياء عليهم وعلى نبينا صلى الله عليه وسلم ، ونهاية أقدامهم إلى الخفي وهو محل تجلي الصفات السلبية ، وكذلك أهل مشاربهم من السالكين ، بحسب الاستعداد الفطرية فيهم ، وإن كان جميع أفراد القسم الأول على قدم واحد ، وكلهم مظهر التجلي الذاتي ، والمربى بقرب النبوة ، لكن فناؤهم وآثار إفنائهم وأحوالاتهم وواقعاتهم متغاير ومتفاوت فيما بينهم ، بالزيادة والنقصان ، لا بالذات والحقيقة ، بل بالنسبة بحسب الاستعداد ، ومغاير بالذات بالنسبة إلى القسمين الأخيرين ، وكذلك في الوصول إلى مراتبهم ، كما قالوا : رَفْتَنْ ديكَرْ بَرْدَنْ ديكَرْ كالمريد

محمدي المشرب وهو خلاف الواقع لأن الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام كلهم من اهل فناء النفس وإلا لزم ما لزم . من أبي عبد الرحمن رحمه الله من خ خ خ

قال الإمام الرباني رضي الله تعالى عنه في المبدأ المعاد : فإن خاتم الرسالة ﷺ ممتاز ومختار من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتجلي الذاتي فإنه مخصوص له ﷺ وإلى كمّل أتباعه ﷺ ، ولكنه لم يرض على لزومه فضيلة كمّل أتباع نبينا ﷺ على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ووجه بوجه حسن يظهر عنده المطابقة فارجع إليه . انتهى .

مع أنه لا يلزم من حصر المقام والمحل حصر الحال ، كما ان لعيسى عليه الصلاة والسلام وموسى وإبراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حظ خاص من ما فوق الذات وفوق الصفات وكذلك نوح عليه السلام في ضمن الصفات فوق سائر الأنبياء عليهم السلام في محل تجلي الصفات مع ان لهم نصيبا من الذات مع الصفات بلا تخصيص ، فإن لعيسى عليه السلام نصيب خاص فوق موسى عليه السلام ولموسى نصيب خاص دون عيسى عليهما فوق نوح وسائر الأنبياء عليهم السلام ، ولإبراهيم عليه السلام نصيب خاص مع كونه في مرتبة الصفات فوق موسى وعيسى عليهما السلام بقوة الاستعداد وحدة البصر إلى ما يساوي لسيدنا عليه الصلاة والسلام ، لكن لا بالمقام بل بحدة البصر ، وكذلك فناء أنفسهم مع ان للأنبياء عليهم السلام فطريّ اطمئنان أنفسهم إذ لكل نبي قبل نبوته ولاية فطرية ولذلك اختلفوا في معصوميتهم قبل النبوة . محمود الفعال الألمالي رضي الله تعالى عنه من خ شيخنا من خ خطه .

والمراد ، وأما عد الكل[١] كاملاً بالنسبة إلى أشخاص الفاني واستعداده لا بالنسبة إلى كمال الفناء .

روي أن واحداً من الكاملين[٢] الواصلين[٣] أراد لقاء أبي يزيد بن عيسى البسطامي رضي الله تعالى عنه وعنا ، فلما ألقاه ونظر إليه خر مغشياً وقضي عليه ، فالظاهر انه لما رآه ونظر إليه وربط قلبه بكمال المحبة سرى إليه أحواله ، وحمل عليه حمله ولم يتحمله سقط وهلك . .

ثم إن إدراك وظهورات القسم الأول ومعرفتهم لا يُعد كشفاً ، ولا وجداناً ، بل يسمونها مشكاة النبوة فوق القسمين الأخيرين ، وفي حقهم قيل : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الرحمن »

وأما القسمين الأخيرين كلاهما من أهل الكمال ، بلا فرق بينهما في التربية والكمال ، لكن الثاني من أهل الكشف والوجدان ومحل التجليات[٤] دون التجلي الذاتي ، ويعلمون أحوال أنفسهم وأحوال مريديهم ويتصرفون فيهم بمراتبهم ، في مراتبهم هم أكثر القسمين من الأول والثالث خوارقَ وكرامةً ، إذ الكرامات في مرتبة الصفات ، وأقرب من القسم الثالث إلى الأول مشربا ؛ ولذلك[٥] يبدل مشرب بعضهم إلى مشرب القسم الأول بطول صحبتهم انعكاساً من القسم الأول ، ويسري أحوالهم إليهم بوسيلتهم وكمال ارتباطهم حتى يكون كالمحمدي المشرب .

(١) من الفاني ذا تام الفناء المترتب بمراتب التجليات أوفى أفراد الأقسام .

(٢) بظاهره يفيد أن التجلي الذاتي متفاوت لأنهما من الواصلين المشرفين في التجلي الذاتي ومع ذلك لم يتحمل حمل سلطان العارفين التجلي الذاتي لعله هو الحق في الواقع ،« چسطاوي قدس سره من خ خ خ »

(٣) هم المشرفون بالتجلي الذاتي دون سائر الكاملين « منه »

(٤) « من الصفات الفعلية والذاتية والشؤونات الذاتية و السلبية سوى التجلي الذاتي هذا ما فهمنا « أبي عبد الرحمن من خطه »

(٥) وهو ما قال في السابق وجوابه مقرر فيه « الچسطاوي قدس سره » .

وأما القسم الثالث يخالفهم[١] في جميع الأحوال مع أنهم كاملون في الرتبة ومحل التجليات إلى الصفات السلبيات ، ولا يعلمون أحوال أنفسهم ولا أحوال مريديهم ، ولا يفهمون في أنفسهم آثار التجليات ، سوى عدم الرقبة إلى ما يبعدهم من أعمال الخيرات ، ولكن الأول والثاني يفهم منهم آثار التجلي ويعلمون مراتبهم في الفناء ، وهم ـ أي القسم الثالث ـ أكثر القسمين عبادة ، وأتقاهم في الأعمال من القسمين ، وهم أهل الغفلة مطلقاً ، دون غفلة الواجد الفاقد ، لأن غفلتهم بعد اليقظة ناشٍ من كمال الإدراك فوق غفلة القسم الثالث ، **فبقي ان المجذوب غير السالك ليس من أهل الكمال ، ولا يطمع منهم التربية ، وإن باشروا إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم** الغير المتممة بقوة إخلاص الطالب ، وأما ما قاله الشيخ الأكبر رضي الله عنه من أن التجلي من الذات لا يكون إلا بصورة المتجلى له والمتجلى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق ، وما رأى الحق ، و لا يمكن أن يراه ؛ لا يبعد من الحق إما بأن يحمل إلى الرمز ، أو إلى التصريح كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، وأيضاً لا يبعد إنكار الإمام رضي الله عنه ، وخلافه بأن التجلي على صورة المتجلى له في التجلي الشؤنات لأن اللطائف المستقلة في طريق الإمام رضي الله عنه خمسة ، آخرها لطيفة أخفى ، وهي محل التجلي من الذات ، وفي طريق الشيخ رضي الله عنه ثلاثة ، آخرها لطيفة السر ، وهي محل تجلي الشؤنات الذاتية ، مع أن لطيفة السر في طريقهم لكون آخر اللطائف المراقبة فيها محل الكمال ، وتجليه المكتفى به من تجلي الذاتي ، فحينئذ يكون[٢] منشأ الخلاف خلاف الطريقين ، ويكون

---

(١) يعني ليس لهم نصيب في التجلي الصفات السلبية كما لا نصيب لهم في التجلي الذاتي ، وهذا ما فهمنا . « منه »

(٢) قال شيخنا الأطهر رضي الله تعالى عنه وعن أتباعه إلى يوم القيامة فحينئذ يلغى منشأ الخلاف خلاف الطريقين ، قال إمامنا الرباني رضي الله عنه في مكتوباته : إن تجلي الصفات لا تكون بدون تجلي الذات ، ولذا قال سيدنا رضي الله تعالى عنه في الحاشية

كلام الشيخ رضي الله عنه تصريحاً لما في نفس الأمر بالنظر إلى طريقه .

وأما على تقدير اندراج اللطائف الباقية كلها في القلب ، كما حققه الإمام رضي الله عنه في رسالته المسمات بـ « « مبدأ المعاد » » مع أنه حقيق ، فبعد تسليم أن الشيخ رضي الله عنه أدرك لطيفة أخفى في القلب بعد تكميل اللطائف المستقلة في طريقه رضي الله عنه ، ويسر له السير في الأخفى ، ووصل ما فيه ، وحصل له التجلي من الذات ، كما هو حق الأخفى ، ثم قال بما قال في بيان التجلي من الذات فوق الشؤنات تصريحاً بما هو الواقع دون الرمز ، فإنكار الإمام رضي الله عنه وخلافه أقرب وأحرى إلى القبول وجداناً ، أثبت وأقوى رجحاناً وبرهاناً ، إذ لقاء من لا كيفية له لا يكون إلا بلا كيف ، لا يسع فيه الصورة سواء كانت من المتجلي(١) أو من المتجلى له ، تدبر .

في بيان التجلي الذاتي أن من حيث الذات مع قطع النظر عن الصفات الخ فعبر الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه بالتجلي الذاتي عن تجلي الذات من حيث الشؤونا الذاتية لأنه حظه والإمام رضي الله تعالى عنه أنكر ذلك التعبير لأن التجلي الذاتي الذي حظ الإمام تجلي الذات البحث هذا ما فهمت ، لكن آخر كلام الشيخ الذي كتبت في الحاشية يأبى عنه ، إلا أن يقال أن من كان ولايته موسويا لا حظّ له فيما فوق هذا التجلي ، فقال ما قال خطابا لنفسه لكن كلام الإمام أخيرا يأبى عنه ، إلا أنه قال بطريق حسن الظن . والسلام . منه قدسره

وآخر كلام الإمام رضي الله عنه دائر إلى ما قرّرناه من اندراج اللطائف الباقية في القلب منقولاً عنه رضي الله عنه ولا إباثة فيه والسلام ، محمود الفعال قدسره . من خ خ خ

(١) وإليه ذهب في التعرف الشيخ أبو إسحق رضي الله تعالى عنه من قدماء الطائفة الصوفية ، حيث قال : اجمعوا على أنه تعالى لا يرى في الدنيا بالأبصار ، ولا بالقلوب إلا من جهة الإيقان ، قال إمامنا الرباني رضي الله تعالى عنه : لعل المراد إجماع أهل العصر كلاً او أكثريا ، وقال ايضا : المختار ما ذهب إليه صاحب التعرف ، ليس له تعالى مثل ولا مثال في عالم من العوالم ، لا في عالم المثال ولا في عالم الخيال لاستلزام الصور التحديد ولا عالم الخيال كخيال مرآة الصفات والمعاني والاعتبار لا الذات ، وقال ايضا : ليس في هذه النشأة للقلب نصيب ، غير الإيقان ، إلا ان الإيقان لكونه من المعاني يظهر في عالم المثال وعالم الخيال في صورة الرؤية . وقال ايضاً : إن الجمّ الغفير منهم الشيخ العارف

صاحب العوارف والشيخ الأكبر أيضا ذهبوا إلى رؤيته تعالى بالبصيرة وجوّزوا المثال ولله المثل الأعلى . جسطاوي قدسره أبي عبد الرحمن من خ خ خ

نقل أن الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله دخل مجلس سلطان محمود في الخوارزم ، رأى رجلا عاليا يظهر منه أثر الولاية ، وكان لم يره من قبل قط ، فعلم انه سلطان الوفا نجم الدين الكبرى قدسره الأسنى ، فسئلا عنه بم عرفت ربك يا شيخ ؟ قال : بالولايات التي عجزت عن إدراكها عقول المسلكين ، فسكت ، وأسكته وما قدر على التكلم ، ولكن كان يخطر بباله : اما يعلم الشيخ أني رقمت اربعة آلاف دليل في معرفة الحق وتوحيده ؟ ! فتفرّس قدسره بنور الولاية بالخاطر ،فقال : انا بريء من عالم يعرف الله تعالى بأربعة آلاف دليل ، فسقط على قدميه وبايعه ، ثم قال قدسره : فإن الله تعالى لا يُعلَم إلا به جل شأنه ، سبحانه لا يرى الشمس بنور اسراج ، بل إلى الشمس بالشمس ، والسلام . محمود الفعال رضي الله تعالى عنه .

الحذرالحذر من العلم الرسمي فإن السكران به لا يقبل اليقظة ، إلا بمشيئته تعالى وجل شأنه ، ولا يتجرد عن ربقة الألف والنون إلا بعد التقدير الحذر أوله حرج أوسطه مزج وآخره مرج ، إلا الذين في كنف . منه رضي الله تعالى عنه .

نعم ، فإن رسول الله ﷺ رأى ربه جل شأنه« إذ هو جل شأنه بلا مكان وبلا كيف منزّه عن الجهات والاعتبارات ولا يكون رؤيته تعالى إلا بالتجلي والتجلي من أحوال القلوب .منه » بتجليه « إلا ليلة المعراج فإنه ﷺ رأى ربه بعيني رأسه كما هو الصحيح الأصح من خلاف عائشة رضي الله تعالى عنها ومن وافقها . منه » عم نواله والتجلي لا يلقى إلا على القلب أو على ما يتضمنه من اللطائف ، ثم لما وراء القلب بنور الله تعالى يحيط البدن نوره تعالى بسبب القلب ويستعليه ويملؤه ظاهرا وباطنا حتى يكون الحواس كلها كالقلب« لا بالذات بل باعتبار القلب فلما زال عن القلب التجلي زال عن البدن لأنه عرض من القلب إليها » بل الأعضاء كلها كالقلب ورؤية الأعضاء والحواس اعتباري ولذا قيل رأى ربه بنور ربه ولا تكن سطحيا كن ثابتا غواثا عميقا ، منه رضي الله عنه .

وهو لاشك كلام جميل أديب ، إلا أنه بالنظر إلى القدرة الكاملة لا شك انها ممكنة لاختلاف الصحابة رضي الله عنهم أن سيد البشر عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه تعالى بحاسة البصر أيضا أم بقلبه فقط وهي أي الاختلاف في الوقوع يدل على الوفاق في الإمكان ، بالنظر على قدرته تعالى ولا يلزم جهل الأصحاب رضي الله تعالى عنهم فيما يتعلق بالله تعالى من قدرته تعالى . جسطاوي رحمه الله تعالى .

الرؤية على وجهين : رؤية جمال الله تعالى في الآخرة ، بلا واسطة المرآة ، ورؤية صفات الله تعالى في الدنيا بواسطة مرآة القلب ، بنظر الفؤاد ، ومن عكس أنوار الجمال ، فمن يرى صفاته في الدنيا يرى ذاته تعالى في الآخرة بلا كيف ، وجميع الدعاوى التي من الأولياء في رؤية الله تعالى كقول علي رضي الله عنه لم اعبد ربا لم أره ، وقول عمر رضي الله عنه : رأيت ربي ، فذلك مشاهدة الصفات ، كما ان من رأى شعاع الشمس من المشكاة ونحوها صح له ان يقول رأيت الشمس على سبيل التوسع ، وقوله ﷺ رأيت ربي

على صورة شاب أمرد ، هنا التجلي أن صورة مرآة الروح واسطة بين المتجلي والمتجلى له وإلا فالحق تعالىمنزّه عن الصورة والأمرد ، وهذا في عالم الصفات أن الذات يخترق الوسائط ويمحى ولا يتسع في ذلك غير الله تعالى . كنز الأسرار لمحمد بن عثمان بن الحاجب بن عمر البغدادي رحمه الله .

ما فهمت ان من أثبت رؤية الله تعالى بالبصيرة كالشيخ الأكبر رضي الله عنه أثبت الرؤية على التجلي الصوري الذي هو التجلي الذاتي عنده ، وتجلي الشؤون عند الإمام ، على المسامحة المشهورة ، واشهد على ذلك الآثار اللطيفة والأحاديث الشريفة كما رواه سيدنا الأقدس رضي الله تعالى عنه وعن أتباعه ومن نفى نفى على الإطلاق لا حقيقة ولا مسامحة باعتبار القلبي الحقيقة وهو المستفاد صراحة من كلام المكتوبات وهو الظاهر أيضا من كلام صاحب التعرف حيث قالوا : اجمعوا على انه تعالى لا يرى في الدنيا بالأبصار ، ولا بالقلوب إلا من جهة الإيقان ، كما قال الإمام ليس في هذه النشأة للقلب نصيب غير الإيقان ، وإن كان كلام سيدنا الشيخ الأطهر رضي الله تعالى عنه وعن أتباعه رمزا وإشارة إلى الإيقان فيوافق كلام الإمام والتعرف ، إلا انه خلاف الظاهر بل اللاحق والسابق يأبى عنه ، بل المراد إثبات الرؤية على الحقيقة ، لا على المسامحة ، لكن بلا كيف كما في الآخرة رؤية العين كذلك ، فهو قول ثابت دقيق لا يُعلم إلا لأهله بالذوق والضرورة بلا يرد ما يرد إلا أنه بقي شيء : وهو ان موسى عليه السلام مع كونه من الرسل وأولي العوم إذا لم يتحمّل رؤية العين كيف يتحمّل فرد الزمان وإن كان أخحص الخواص ، رؤية البصيرة مع كون كلا الرؤيتين على الحقيقة وكل منهما في هذه النشأة واليقظة ، وإن قيل إن الله تعالى قادر لم يعط لذلك قوة التحمل وأعطى لنا هذه القوة فهو بعيد عن العقل والنقل هذا ما فهمه العقل القاصر . محمد ذاكر الجسطاوي أبي عبد الرحمن قدسره من خ خ خ

قال الإمام في المبتدأ المعاد : وفي حق الرؤية في الآخرة إذا كان المرئي بلا كيف وبلا مثال وبلا مثل يكون رؤيته كذلك بلا كيف وبلا مثال وما المراد به من الرؤية إلا هو ، ثم قال متصلا إليه أظهر الله تعالى هذا السر أي الرؤية بلا كيف لخواص أوليائه في هذه النشأة أي في الدنيا ، فإن الأولياء لا يوصف بالرؤية ولا بعد الرؤية كأنه تراه ، أي وهذا هو المراد والسلام . محمود الفعال الداغستاني قدسره من خ خ خ

وفيه رواية أخرى وكثير أيضا مثله ، في كلام موات در الصوفية الصافية وهو يؤيد ويصوّت وينادي بأعلى صوت أن الحق الثابت ما ذهب إليه الشيخ الأكبر في بيان التجلي الذاتي وفي حق الرؤية بالبصيرة لا ما ذهب إليه الإمام لأنه يصح أن يُقال رأيت ربي على المسامحة الجارية بين العوام والخواص ، على قول الشيخ لا على قول الإمام ، لأن من رأى في المرآة صورة زيد يصح أن يقال لغة وعرفا رأيت زيدا ، ولا يصح ان يقال هذا ذات زيد ، إذا رأى في المرآة بعض ما يتعلق بزيد . هذا ما فهمنا .جسطاوي قدسره

فارجع إلى ما قاله الصديق الأكبر والفاروق الأظهر وإلى ما ضمّنه العلي الحيدر رضي الله تعالى عنهم فإنهم أفضل الأولياء وأجدر للرؤية من الشيخ الأكبر ومن الإمام ومن غيرهما ،

ويمكن حمل كلام الشيخ على الرمز بأنه أراد من الصورة صورة العجز ، واضمحلال المتجلى له في المتجلي ، حتى لا يبقى نصيب الإدراك سوى العجز ، وأخبر عن الحال بالمحل كناية كما يقال عن بعض الأشياء الغير المدركة أدركت مكانه أو بقي مكانه ، إذ صورته العاجزة صورته كذلك بلا فرد ، فيعود الكلام إلى ما قاله الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه وعنا ـ العجز عن درك الإدراك إدراك ، كما أخبر رضي الله عنه عن العدم بالوجود ، فحينئذ يكون نزاع الإمام رضي الله عنه نزاعا لفظياً ، أورده لكون المقام مما لا يسع فيه الرمز ، لأنه يزيل الأقدام ؛ لكونه موهماً للاتحاد أوالحلول .

وأما قوله :« ولا يمكن أن يراه » :لا يكفي في دفع الوهم ، إذ للواهم أن يقول : نعم لا يمكن أن يراه مجرداً عن الحلول او الاتحاد او الانعكاس ، وأما في كونه تعالى مما لا يمكن أن يراه ؛ لا خلاف بينهما رضي الله تعالى عنهما وإن خالفهم بعض الصوفية وقوم من المتكلمين ، هم الأشاعرة وأتباعهم من أهل السنة والجماعة ، كثر الله تعالى سوادهم ، وشكر الله تعالى سعيهم ، لكنه لكون هذه المسألة مما تعارضت واختلفت فيها آراء أئمة الفريقين والمذهبين الذين هم المقتدى بهم للكل ، يلزم لنا التوفيق والتوقف ، ولما كان التوقف يضر عناية الطالبين في الإقبال إليه تعالى جلّ اسمه وعمّ نواله ، برجاء تجليه المحتمل في إفادة المقصود ،

فما بعد الحق إلا الضلال ، والادعاء فيه ملال ، اعاذنا الله تعالى .محمود الفعال . الغوث الأعظم محمود أفندي الألمالي ثم الحاج الله خالد قدسره من خ شيخنا .

كيف هو ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ، « من أبي عبد الرحمن قدسره »

وإن منع التقدير بكيف هو وهو المراد لأنه من القاعدة المقررة عندهم ، والذي لم يوجد تحقيقا وتأويلا أي ورفعا وفرضا مما لم يوجد يعني أو كان الرؤية بعين الجسماني أي بحاسة الجسماني في هذه النشأة ، سوى يقين القلب الذي لمرقبة الرؤية ، وإلا فصدفة الكيف كيفية منه . والسلام . من محمود أفندي الداغستناني قدس سره .

إذ كمال القربة والمعرفة بالشهود ، وليس البيان كالعيان ، مع أن العيان أرجح مطلوباً ، والمحتمل لا يقصد إليه اعتناء وكلية ، مع أن حصول المطلوب يترتب على الجزم خاصة في السلوك إليه تعالى ، أردت إلى بيان غاية ما في الباب توفيقاً وتحقيقاً ، دفعاً لتردد الطالبين بقدر ما يسّره الله تعالى ، ثم قال الإمام رضي الله عنه في مكاتبه ورسائله ، في هذا المقام ان نعمه نخوالم كهد رد بيان سهجد وكذلك في موضع آخر : لا أعبد رباً يحيطه البصر ، اعتماداً منه رضي الله تعالى عنه إلى عدم كونه تعالى محدوداً بحد من الحدود كما هو المتفق والمختار واحترازاً عن لزوم المحدودية ، مع قطع النظر عن الوجدان ، وعن كونه غير واقع في الدنيا لأحد على القطع ، كما هو المتبادر من سوق كلامه ، إذ بجّلال ذاته وكمال صفاته وكبريائه تعالى شأنه ، ونهاية تجرده سبحانه وتعالى ، وضعف الطاقة البشرية ، وكمال بعده لحدوثه عن الواجب القديم ؛ غير واقع لأحد على القطع ، كما شنع الملائكة عليهم السلام على موسى عليه الصلاة والسلام عند عجزه وقالوا : يا ابن النساء الحيّض ؛ ما التراب ، وما رب الأرباب ؟ . . مع أنه عليه الصلاة والسلام من الأنبياء أولي العزم ، وهي[1] بالنظر إلينا محال الوقوع ، سواء كانت بالنظر إلى القدرة ممكنة او ممتنعة .

وقال الأشاعرة بإمكانية الرؤية في الدنيا كما ستقع في الآخرة تمسكاً إلى شمول قدرته الشاملة المقطوعة الموجهة عقلاً بأنه على كل شيء قدير ، وأيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخشوشنوا واخشوشبوا وامشوا حفاة وعراة ترون الله تعالى جهرة » نقله صاحب « مشكاة الأنوار » ، وأيضاً قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، لا أعبد ربّاً لم أره ، وكذلك الوجدان يشهد برؤية بعضٍ بعضَ المجرّدات ،

(١) الرؤية « هامش الأصل » .

ويؤكده سماع صوت بحاسة السمع غير مسموعة الغير من أهل الملأ ، وأيضاً روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربي على صورة شاب أمرد » ، وأخبر بعض المتصوفة بالتجلي من الرؤية .

فالتحقيق الحقيق أن رؤية الله تعالى بحاسة العين الجسماني في الدنيا محال بالنسبة إلى البشر ، وأما ببصيرة القلب البالغ إلى مقام الروح بإفاقة النفس ليس بمحال في حالة اليقظة ، مع أن العين الجسماني ناظر ، ولا يكون نظره حائلاً والمنظور به حجاباً ، لغلبة الباطن على الظاهر لقوّته ، ولكمال صفائه كأنه رآه جهرة بالعين الجسماني ؛ لكون العين محظوظاً من حظ القلب ، بسبب النور[1] الساري من القلب إلى العين ، أو من العين إلى القلب كما يشاهد عند غمض العين ؛ مع أن الرؤية بالبصيرة والبصر محظوظ بنوع من العكس حتى لا يفرق الأكثرين من أفراد أهل هذا الشأن أن ذلك الرؤية أحظ بصره أم حظ قلبه ؟ إلا الحديد البصر ، مع أن الرؤية بهذا الوصف واقع بما يليق لشأنه تعالى ، من عدم الكيفية كما يوصف في الآخرة .

وأما ما ذهب إليه القوم في إمكانيتها في الدنيا بحاسة البصر عين الجسماني إن لم يؤول بما قرّرناه ؛ ممنوع الوقوع عقلاً ، ومناقش فيه على قاعدتهم سواء كان المراد وقوعها أو إمكانيتها بنفسها ، إذ غاية التقدير ـ تقدير الله تعالى ـ ولو سلمنا في حاسة العين بساطة[2] تساوي

---

(١) اعلم أيها الأخ فإن قولنا « بسبب النور الساري من القلب » إلى قولنا « كما يشاهد » يجمع مذهب الفريقين ، لعلكم استعجلتم في مطالعته وإلا لم يبق مجال النقض والتعرض بخلاف أحد من المذهبين ؛ بل هو جامع جميع المذاهب الإسلامية في هذا البحث بأن المخالفة بينهما اعتباري والاعتراض لفظي . والسلام . « محمود أفندي الداغستاني قدس سره » .

(٢) لعل المراد من البساطة ما يقابل المحدود ، « قدس سره » .

بساطة[1] الذات ، وإعطائه قوة التحمّل احترازاً عن كونه تعالى محدوداً ، واعتناء لشمول القدرة ، فعلى هذا أيضاً[2] يلزم قيام البسيط بالمحدود وإلا يتناهى بالتناهي ، إما بالنسبة إلى العين والبدن ، وإما بالنسبة إلى البدن وعالم الخلق .

وأما الدعوى بشمول القدرة إلى كل منهم حتى يكون الكل كذلك بسيطاً ، غير مسموع إذ فيه خلاف المفروض ، لأن الموصوف بالعين الجسماني والمسمى بعالم الخلق خلافه ، بل هو بعينه عالم المثال الذي لا نزاع فيه ، كما سيجيء بيانه أنه خلاف الحقيقة والواقع .

وأما القلب من عالم الأمر بسيط بلا كيف ، ويوصف أنه من فوق العرش ، وفيه أوصاف لا تسع المقام .

وأيضاً قال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض رسالته : إن بين القلب وبين الله تعالى أنس وقرب بلا كيف .

وأيضاً قال في موضع آخر : ولعالم القلب مناسبة تامة إلى عالم الواجب .

ثم اعلم أيها الأخ أن الولاية ينقسم إلى قسمين : عامة وخاصة ، وما نحن فيه هو الولاية الخاصة[3] ، وهي مشروطة بالفناء ، وهو عبارة

---

(١) ولو كان خلاف الظاهر أن البسيط الحقيقي كالواجب الذات لا يقبل النسب من الاضافات والاعتبارات والدعوى به ادعاء محال في محال ، وأما دعوى الرؤية بخلاف طور العقل يتأمل فيه هل يصح إطلاق الرؤية إليه حقيقة أم لا ؟ والمخلص التمسك إلى ما قال الله تعالى وقال النبي ﷺ والذي ثبت عندي ان رؤيته تعالى وقربه وبعده ومعيته سبحانه وتعالى شأنه للعقل فيه نصيب حتى يحكم بحكم مسكوت عليه ، والسلام . داغستاني قدسره

(٢) أي كما يلزم بلا تقدير « منه »

(٣) وستجيء عن قريب فراجعه « هامش الأصل »

عن نسيان ما سوى الله تعالى ، وأربابها أيضاً على قسمين : قسم منهم الواصلين إلى مراتبهم ومدارجهم بقرب النبوة ، وقسم آخر بقرب الولاية .

والقسم الأول على قدم واحد يسمونه محمدي المشرب ، إذ هم على قدمه صلى الله عليه وسلم وعلى مشربه ، والقسم الأخير على أقدام شتى ، وكذلك مشاربهم بحسب أقدام ومشارب سائر الأنبياء عليهم السلام ، من حضرة سيدنا أبينا المشفق آدم عليه السلام ، إلى سيدنا عيسى عليه السلام بترتيب اللطائف كما مر ذكره ، لأن المشار ب والأقدام بحسب الاستعداد الفطرية لا بالمقبولية عند المربي .

مرتبة الذات نصيب النبوّة ومرتبة الصفات مرتبة الولاية

والقسم الأول الذي هو المربى بقرب النبوة أهل اليقظة لهم نصيب من حضرة الذات فوق المربى بقرب الولاية ، إذ مرتبة الذات نصيب النبوة الصرفة ، لا يتصور فيه الولاية ، ومرتبة الصفات مرتبة الولاية سواء كانت مع الولاية نبوة أو لا ، ولذلك خص للذات سيدنا صلى الله عليه وسلم ، فوق سائر الأنبياء عليهم السلام ، ولذلك سمع موسى عليه السلام « لن تراني » ووصف سيدنا صلى الله عليه وسلم بالرؤية .

ولذلك كان معجزات سائر الأنبياء عليهم السلام أكثر وأظهر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ، لأن المعجزات كالخوارق في الأولياء رضي الله تعالى عنهم ، في مرتبة الصفات ، ومرتبة الذات مستغن عنها ، ولذلك ادعى من ادعى أن ولاية النبي أفضل من نبوته .

وأما النبوة الصرفة مستغن عن الولاية ، ولو كانت مع الولاية ، ولكن لاستغنائها عنها سُمِّيَ النبوة الصرفة ، فلما كان القسم الأول الواصلين إلى مرتبة الولاية الخاصة بقرب النبوة بعدم نسيان ما سوى الله تعالى لقوة مشاربهم ولكمال شربهم ، ولكونهم من أهل اليقظة ، لم يحتاجوا إلى النسيان ، ولم يضرهم الكثرة ، مع أن الولاية الخاصة مشروطة بالفناء ، وهو عبارة عن النسيان كما مر آنفاً[1] ، فلزم وجود المشروط بدون الشرط .

وأراد الإمام رضي الله عنه أن يبين المقصود من النسيان الذي هو عبارة عن الفناء ليعم الفناء على الفريقين ، ولئلا يلزم تحقق المشروط بدون الشرط ، ويكون تعريف الولاية جامعاً ، وقال : إن في طريق الولاية وأربابها لا بد من الفناء وهو عبارة عن نسيان ما سوى الله تعالى تمهيداً ،

---

(١) وسيجيء عن قريب فراجعه « هامش الأصل »

ثم بين المقصود من الفناء بقوله : والمقصود من الفناء زوال الرقبة لما سوى الله تعالى .

وأما في قرب النبوة ومدارجها لا يلزم الفناء ؛ لأن فيه رقبة ما سوى الله تعالى ، يحصل بدون نسيان ما سوى الله تعالى وهو الفناء ، وما حصله أن الفناء شرط الولاية من حيث كون المقصود عنه زوال الرقبة[1] ، لا من حيث كون المقصود عنه النسيان مطلقاً ، كما هو المصطلح المشهور حتى يلزم ما ذكرناه ، **إذ يمكن ان يوجد النسيان بدون الولاية والفناء** مع عدم زوال الرقبة بأمر آخر كالابتلاء فإن المبتلى ببلاء لا يدفع بسبب من الأسباب إلا بمحض فضل الله تعالى ، يتوجه ويتجرد إليه تعالى وينسى ورائه تعالى مع أن الرقبة باق فيه ، ولو كانت مضمراً في ذلك الوقت كما نطق به الكريم في الحكيم[2] ولكن لا يثبت النسيان فيه بعد الخلاص عنه ، بل بعد وجود أسباب الخلاص يرجع إلى حالاته القديمة « وإذا مسه الخير كان منوعا » .

الفاني لا يُرَدّ

وأما الفاني لا يرجع إلى رقبة السوى إلا به تعالى ، أو بأمره جل شأنه ، كما مر ، في تعريف الفناء ولذا قيل : الفاني لا يرد .

وظهر مما ذكرنا أحوال زوال علم الحصولي من الفاني وكيفيته بأن المراد زوال رقبة العلم لا نفس العلم[3] ، حتى يرد عليه ما أورد باختلال

---

(١) أي رقبة ما سوى الله تعالى « منه »

(٢) بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ « منه » .

(٣) هذا الكلام كلام شريف ، لكن لا يرفع الإيراد ـ « إن كررت النظر تجده يرفعه مع الإيراد بلا مرية والسلام ، من محمود الفعال قدس سره من خ خ خ هذا اعتذارنا على شيخي « منه »ـ عن الإمام رضي الله عنه باختلال الدين والدنيا لأن الإمام فرّق بين من

الدين والدنيا بدون العلم وهو الظاهر .

وأما القول بانتقال العلم[1] من اللطيفة الفانية إلى اللطيفة الغير الفانية

كان من أرباب الولاية في طريق الولاية وبين من كان في طريق النبوة وقرب النبوة من أرباب الولاية ، بأن المقصود من الفناء وهو زوال الرقبة يحصل لسادات الطائفة الثانية بدون النسيان للقوة ، ولا يحصل لسادات الطائفة الأولى لضعف مشاربهم كما سبق من سيدنا ، ومن الإمام أيضاً رضي الله تعالى عنهما وعنا ، فيحصل فهم الفناء وأثره وهما زوال الرقبة مع النسيان ، فيلزم الاختلال إذا كان الفناء غير برقي ، ولعل جوابه ما خطر في قلبي بهمة شيخي رضي الله عنه وعني ، ما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه : صليت مع الناس إماما لهم نحو شهر ولم أتذكر ، وكتب أيضا إلي من الحجاز واحد من المهاجرين : حججتُ وطوّفت وكنت في العرفة ثم رجعت ما عرفت هذا . . فلعلهم محفوظون بإذن الله تعالى فيلف حركتهم كحركة الجمادات حقيقة ، وكحركة المختار ظاهراً ، كما سيأتي من سيدي رضي الله عنه في بيان حاله ، وهو على كل شيء قدير والإيمان به جدير ، وذلك الحال كاد أن يقع على هذا الفقير في مسجد صلاعوش ، وكتبت في هذا الوقت إلى حضرته رضي الله تعالى عنه « من أبي عبد الرحمن قدس سره »

(١) قال السيد رضي الله عنه وأما القول بانتقال العلم من اللطيفة الفانية . .الخ فهم منه أنه غير مرضي عنده ـ « على أن القلب والروح والنفس من ذوي العلم وهو يكفي في الجواب ، بقي أن السر والخفي والأخفى من ذوي العلم ، فيلقى ذكره اختياريا أو لا ، فيكون اضطراريا كذلك البدن بالنظر على البدن « منه » ـ أن الثمرة تنبئ عن الشجرة ، والأغصان من جنس الأشجار ، أتكلم في هذا المقام بما خطر ببالي من الكلام العام يدل على المرام ، وإن كنت من أهل المقام ، استفساراً من سيد الأنام رضي الله عنه ، لعل ساداتنا اتفقوا في تفسير الفناء المطلق بنسيان ما سوى الله تعالى وزوال العلم ، فلزم فناء جميع اللطائف الخمسة ، والنفس أيضاً بهذا المعنى ، وزوال العلم من كل لطيفة فانية يقتضي علم تلك اللطيفة ، وأنها موصوفة بالعلم قبل الفناء وحين البقاء أيضا ، وفناء اللطائف يلقى مرتبا ، فحين بقاء القلب زال منه العلم وبقي هو في سائر اللطائف ، وفيما اتصف القلب بالبقاء لا اتصف أيضا بالعلم ، وإذا اتصف الروح بالفناء زال منه العلم ، والعلم باق في سائر اللطائف ، ثم وثم . . فلا يلزم الاختلال ، ولا يلزم علم الفاني فنائه أيضا ، لبقاء العلم في اللطيفة الغير الفانية وعوده في الباقية أيضا ، وهو ما خفي على هذا الفقير قبل ، لعل الله تعالى وفقنا الآن ببركة من له البركة رضي الله عنه وعن أتباعه ، وإمامنا المعصوم رضي الله عنه أجاب عن مثله في مكتوب ٩٣ ومن الجلد الأول بوجوه :أحدها الانتقال الذي ذكرت ، وقال : هو التحقيق ، والثاني : أن الفناء وزوال العلم في الباطن وهو حاله ، والعلم * في الظاهر وهو حاله ، والثالث : ان الفناء على تقدير دوامه على ما هو المختار عند شيخنا الإمام يستلزم البقاء وفناؤه

فثبته عند قائله .

وأما زوال رقبة العلم الحصولي لا يستلزم[1] زوال رقبة العلم الحضوري ، كما يقتضيه حديث : « يبصر بي ويسمع بي »[2] الذي مر ذكره .

فإذا تلخّص ما قررناه على صحيفة القبول ولو كان فوق قابليتنا لكنه إما نفس الحق أو ما يطابقه الحق ، ترتباً ، فاعلم انه لا إله إلا الله في عالم لا إله إلا الله ، من الأعيان والأعراض ، ومن سائر الوسائط ، أين الصورة وأين الإخبار عنها والإخبار عنه تعالى ، كما قال سيد السلسلة بهاء الدين بهاء الحق رضي الله عنه : كلما خطر ببالك وانكشف بحالك فالله تعالى وراء ذلك .

في بقائه وبقاؤه في فنائه ، فيلفى أفعاله وصفاته فانيا وأفعاله ببقاء الواجب تعالى وتقدّس وصفاته ، فيلفى علمه فانيا وادراكه بعلم الواجب ـ « ويرد عليه أيضاً أن فناء القلب بتجلي الأفعال وبقائه بفعل الواجب تعالى ، والعلم ليس من الأفعال بل من الصفات التي فيها فناء الروح « منه رحمه الله تعالى » انتهى ما تعلق الفرض من نقله من رحمته ، وظني أن المراد من هذا الكلام إما إشارة إلى ما قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر ، كما نقله في الحاشية ، وإلى ما اختار شيخنا الأقدس رضي الله تعالى عنه من أن الفناء زوال رقبة العلم لا زوال العلم كما مر ، وهو الموافق لكلامه وكلام غيره في بيان التجلي ، الأفعالي والصفاتي الذي هو لازم فناء القلب والروح إلا انه ينافيه تصريحه في مواضع وتأكيده بأن العلم زال عن القلب لا يحتمل الصرف عن ظاهره ، هذا ما فهمته في هذا المقام « من أبي عبد الرحمن قدس سره »

* وقال أيضاً في موضع آخر : الباطن معشوة الظاهر ـ عشاه أي قصده ، وعشا إلى النار اذا استدى عليها « مح »ـ والباطن قد يستحي من اطلاع الظاهر ، والإمام الرباني أيضاً صرح الترقي ، والحال شان الباطن وشان الظاهر العلم ، ولا نعلم إلى الآن ما مرادهما من الظاهر والباطن .« منه رحمه الله تعالى »

(١) وجه عدم الاستلزام ظاهر في نفسه ، وأما باقتضاء الحديث الشريف غير ظاهر لهذا الفقير « ابي عبد الرحمن رحمه الله تعالى »

(٢) ويفهم منه يعلم بي « منه »

وقال علاء الدولة السمناني رضي الله عنه : وفوق عالم الوجود عالم الملك المعبود .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في آخر رسالة « مبدأ المعاد » في تأويل حديث سيدنا صلى الله عليه وسلم : « يتجلى ربنا ضاحكاً » ، باعتبار صورة المثال ، وهو عبارة عن رضائه تعالى ، إذ عالم المثال إما ما افترضه الإدراك في الاشياء المجردة أو الغائبة أو ما يسره الله تعالى فيما لا يدرك ولا يطاق على إدراكه العبارة لأنه يتسلى به من فضله .

وعلى التقدير الأول نوع من عالم الخيال ، وعلى الثاني عالم بنفسه بين عالم الشهادة وعالم الأمر ، وعلى كلا التقديرين لا يعد حقيقة محققة .

نعم(١) فإن فيه اكتفاء عن المرام ، وذوقٌ في الأحوال ، وآثار وجد فوق الأخبار ، والأمثال كالمجاز بالنسبة إلى الحقيقة ، ولذا يسمونه بعالم التسلي كعالم المثال ، فظهر أن التجليات تسليات كما قيل ، لا وثوق للعقليات ولا تمسك للكشفيات تدبر .

وأحسن من احتج بهذه الكلمة الطيبة(٢) من النصوص إلى توحيده جل شأنه ، وإن نسبه بعض القوم(٣) إلى الظن بلا احتساب ولا تدبر على

(١) والإيمان بالقدرة واجب ، والإيمان بأحوال الطائفة السادات الصوفية الصافية إيمان بالقدرة ، وهو على كل شيء قدير ، وهو فعّال لما يريد ، فما أجرى الله تعالى قلم شيخنا القدس رضي الله عنه في رسالته اللطيفة من اختلاف مشاربهم على عدد الأنبياء الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وتنوع مشاربهم أيضا باختلاف حالاتهم من الإقبال والقابلية وغير ذلك ؛ يفيد في هذا المقام قطعاً لعروق القيل والقال ، ومرجعاً لهم إلى صحة الأحوال ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم « من أبي عبد الرحمن محمد ذاكر أفندي الچسطاوي قدس سره »

(٢) « لا إله إلا الله »

(٣) أي المتكلمين

أنه جامع جميع أقسام التوحيد ذاتاً وصفاتاً ، شأناً وفعلاً .

فاشكر الله تعالى[١] على ما فيك من الفنية والاضمحلال فيه تعالى ، واشكره فإنها إن كانت تترك وتورث لك شيئاً عند اليقظة عنها من البسط والوجد والترقي ، ومن أنك تجد[٢] في نفسك تجرّداً ومحبة ورقة إلى المطلوب كأنك رأيت شيئاً عجيباً بلا كيف لم تقدر لإدراكه ، ولكن ينبعث إليك شوقك ولا يزول عنك ذوقه ، حتى يبقى فيك من رؤيته أثر بلا تشوش ، بل باللذة فهو المقصود ، ثم اشكر عليه ، وعليه مدار قول الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي رضي الله عنه الذي نقلته من أصول الأربعين : أما الفناء فعبارة على حالة تتركها الحواس فلا تشتغل وتسكن فيه الخيال فلا يشوش[٣] . . الخ .

وإلا إن لم تورث لك شيئاً فيها مما ذكرنا فهو النوم ، مع أنه **وإن كان نوماً أفضل من شطحيّات[٤] بعض المشائخ** ، لأن إقبالك إليه تعالى

(١) كيف لا أشكر ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن فضل الله كان عليك عظيما ، كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، فلا أقدر ان أشكر إلا بالاعتراف بالنعم ظاهراً وباطناً ، وبالعجز عن الشكر على نسبتنا إلى شجرة محمود الفعال فكيف على سائر النعم التي من نتائج هذه النسبة السنية ، والإضافة البهية .« منه قدس سره »

(٢) ولا أجد في نفسي بعد الانتباه إلا فرصة كأنني فرغتُ من أمر مهمّ أو مقصود باطناً وأما في الظاهر فنقتفيه النوم لو كان الغيبة بالليل ، وهي أنواع ، فيذكر في الآتي ما يدرك ، والغيبة لذيذ علي حتى أحب الليل الطويل لأجله ، وأستعجل مجيئه بعد ذهابه .« منه قدس سره »

(٣) فإن بقي في الخيال بقية مغلوبة لم يؤثر إلّا في محاكاة ما يتجلّى من عالم القدس حتى يتمثل الملائكة والأنبياء والأرواح القدسية في قوالب الخيال « من أبي عبد الرحمن قدس سره »

(٤) كيف هو وهي من السكر من غلبة المحبة وشربه من كأس المحبة والنوم من الغفلة ، والثمرة تنبئ عن الشجرة ، إلا أن يقال : المحبة وغلبته محمود ، وسكره مأجور مع كون الصحو أفضل وأكمل وفي الشطحيات معذور . « منه »

بنية خالصة وذهابك عن السوى إليه تعالى ابتغاء لمرضاته جل سلطانه ، سواء ترتبت عليه الغيبة أو النوم ، مرضيٌّ ومأجور عند الله تعالى ، وأما شطحيّاتهم رحمهم الله تعالى لا يخلو عن الخطأ .

فاعبد ربك واجتهد فإنه ليس بمحجوب ، والاحتجاب منا .

ثم اعتبر بماختمنا الكتاب من أوله إلى آخره مما شاهدناه في أنفسنا لعلكم تفلحون عن محبة[١] الأحوال وتشكرون على ما فيك من الافضال بفضل الله المتعال .

---

(١) لا أحبّ إلا أحوالاً تسلب عني الأحوال ، وتجعلني من العمال ، وتحملني إلى خلوص الأعمال ، وتصلحني للجوار ، وتجردني عن الأغيار ، حتى أكون من الغيار ، ومحبا للواحد القهّار ، ومحبوباً للعزيز الجبّار ، كالإيمان الشهودي ، وقوة اليقين ، وإسلام النفس الأمارة ، وكونها مطمئنة راضية مرضية ، ومعرفة أرض القلب للزراعة وبذره وكيفية زرعه ووقت سقيه وحصاده ونحو ذلك ، حتى لا أقر أرض القلب ، ومرضه وكيفية دائه ودوائه ، ورزقه ووقته ومنزله حتى أنزل الناس في منزله إلى وقته . . ثم وثم . . وإلا قدر الدنيا يكفينا هذا القدر . . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ الآية ، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ إن أحبّ عباد الله إلى الله من حبّب الله إلى عباده . . والسلام لا الكلام ، إلا الاعتذار حتى أجدّ المرام .« منه قدّس سره »

أحوال شيخنا وجدّنا وقدوتنا إلى الله تعالى غوث الزمان الشيخ محمود أفندي الألمالي رحمه الله تعالى[1]

فاعلم أني رأيتُ في ابتداء أحوالي يوماً من الأيام في حالة اليقظة وأنا قاعدٌ متذكر أو متفكّر أو متوجه إلى المطلوب ، شخصين كريمين كالملائكة المقدَّسة الموكّلة لنظام عالم الملك والملكوت ولكنهما على هيئتَي وعلى صورتَي شخصين معروفين عندي من البشر وأنا محسن الظن عليهما ، أحدهما قائم حذاء كتف الأيمن ، والآخر داخل في جوفي ، يجري ويسري من لطيفة إلى لطيفة ، ومن جوف إلى جوف ، وعن عظم إلى عظم ، كذلك في جميع أجزاء البدن ، لكنه في باطنه كأنه يريد التخلية والتصفية ، ويهيء منزلاً أو مقاماً لنزول شخص كريم ، كلما يأخذ من باطني شيئاً من الرذائل يعطيه إلى القائم منهما الذي مرّ ذكره ، حتى وصل إلى تحت الروح الذي يقابله الروح ، ولكنه خارج عن دائرة لطيفة الروح ، كأن فيها جوف معنوي ، أو مقام ينتهي إلى العصب ، المتصل إلى عظم الفخذ الأيمن ، من مفاصل مخزن المقتضيات والشهوات ، فأخذ من ذلك المقام مكاتب مفتوحة منتشرة وهو يطويها كطي السجل الطويل ، ونظرت إلى المكاتب رأيت ما كتب فيها ولم أقدر على قراءته ، بل لم أقدر أن أفرق حرفاً من حرف ، فجاء بها من بين الروح والقلب إلى فوق السر ، فأخرجها مطوية من جوف كتف الأيسر الواقع بين العنق والكتف ، فأعطاها إلى الشخص القائم ، ثم غابا عن النظر ، فوجدت في نفسي حالة

---

(١) حكاية جليلة وكرامات عظيمة تدل على جلالة قدر شيخنا وأنافة شأن مرشدنا محمود أفندي الألمالي قدس الله تعالى سره العالي جعلنا الله تعالى من الشاربين من حوضه والسابحين في بحار فيوضه بمحض فضل الله تعالى وجوده وكرمه وسعة رحمته ، وأنا الداعي لكم بالخير الراجي إليكم بالدعاء أدرة الهدلي « انتهى من خطه رحمه الله تعالى » .

مغايرة لأحوال البشر ، كأنّي لا عاقل ولا مجنون ، لا حي ولا ميت ، لا نائم ولا يقظان ، ولم أكن محتاجاً إلى ما يحتاج إليه البشر كالأكل والشرب والنوم والراحة وغيرها ، ولم يصدر مني شيء منهم ، ولم يباشر إليه ، ولم يقع بالاقتضاء والاعتناء إلى مدة سبعة أيام .

وفي ذلك الأيام وجدت صورتي مغايرة عن صورة البشر ، وعن صورتي الأصلي ، وأوضاعاً شتى ، وأوصافاً لا يوصف بها البشر ، كأن كل الحوادث يحدث مني وبإحداثي ويفني مني بإفنائي ، ولكن لا بإرادتي ولا اختياري ، ثم بعد سبعة أيام وجدتُ في نفسي بعض أوصاف البشر ، وأيضاً وجدت فيها علوماً ومعاني ملأى سعة الخيال ، كأنها تتموّج كالبحر ، ولكن لا أقدر لإظهارها ، وإخراجها ، كالصبي الذي يريد التكلم ولا يقدر ، وكمن يحث نطقه مع أنه يقتضي التكلم ولا يقدر ، وما لقيت في ذلك الأوقات شيئاً حيّاً كان أو جماداً مؤمناً كان أو كافراً إلا رأيته عز وجل معه ، ولكنه بلا كيف ، ولم يطلع أحد على حالي من الناس ، ولم أظهره إلى أحد أيضاً ، غير أن شخصاً من المرخصين في هذه الطريقة ؛ مع أنه متهم بين الناس ببعض الكبائر ، فلما رآني خاطب إلي وقال : لم لا تقول أنا الحق . . وأنا كنتُ مغلوباً بحالي لم أطلع عليه ، ولم أجب[1] في ذلك الحال ، ثم فهمت أنه أدرك وعلم مني شيئاً من الأحوال ، وأنطقه الله تعالى بالاتفاق .

ولم أجد في ذلك الأوقات في نفسي وجداً ولذة سواء في السلوك و الأحوال أو في الأعمال الظاهرة ، ولكني عليها بالاستقامة بلا شوق ولا لذة ولا مشقة ، كحركة الجماد ، ثم بعد سنة أو أقل منها ، رجعت إلى

(١) وفي نسخة : ولم أجُلْ ، من جال يجول إذا سار « هامش الأصل »

أحوالنا القديمة بتمام صفات البشرية ولوازمها وزال عني هذه الحال ، يعني[1] لم يستعلِ علي ، ولكنه في اقتداري وأنا استعليت عليه ، كلما لزم وطلبته وجدته بلا تخلف بذكر اسم الحق جل جلاله بثلاث مرات ، ولكن لا بالاختيار ، بل يجري أولاً على قلبي ، ثم يظهر في لساني جهراً بلا فاصلة كأني صرتُ اثنين ، واحد مني بين الخلق ، وواحد في عالم بيضاء بلا شمس ولا قمر ، كأنه في عالم الهواء بسيط من جهاته الستة ، ولكني قائم فيه على صورتي ، غير أنها مهيبة بهيبة الرحمانية المحبوبة للقلوب ، المشوقة إليها دون هيبة الرعبة ، مع أني في الصورة في قعر بيتي قاعد ، وفي أن الميل إليها وإلى المعنى في ذلك العراء قائم وقاعد ، والقائم واحد يذكر واحد باسم الحق ، والقائم يجيء حال قيامه بلا حركة ، والقاعد يذهب حال قعوده بلا حركة ، كأني أنا ذاهب إلي وجاءٍ إليّ حتى يتحد ، والمسافة التي بيني وبين بيني المعنوي كبين السماء والأرض ، لكنه يقطع بثلاث خطوات ، وكل خطوة تقطع بذكر مرة من ثلاث مرات من ذكر اسم الحق جل شأنه ، فلما اتحد الأمران زالت الصورة الصورية فبقيت على صورتي القائم في ذلك العالم ، ووجدت الناس على صور شتى ، منهم ملك ومنهم إنسان ، ومنهم طيور بأصنافها ، ومنهم حيوان كالقردة والخنازير والكلاب لكنه في صورة بشر ، حتى تم الحاجة من ذلك الحال والإقبال إليه وقضي الأمر ، وجدت نفسي كسائر الناس ، والناس على حالهم وصورهم التي هي في الأعيان ، إلى مدة ثلاث سنين ، ثم وجدت فيّ تسليماً وتفويضاً تاماً إلى قضاء الله تعالى ولم نحتج إليه ، ولكن كل ما خطر ببالي رجاء شيء انتزع مني شخص وأنا بعينه هو ، أو هو عيني

---

(١) أي من الزوال ، ليس زوالها بالكلية ، بل زوالها بالاختيار عليّ ، والولاية على جسمي ، أي صرت بعد أن كنتُ مغلوبا غالباً ، أي إلى ذلك الوقت كنت مغلوباً من تلك الحال ، وأما بعده فصرت غالباً عليها ، وصارت تحت تصرّفي واختياري ، والله تعالى أعلم« للكاتب شعيب قدس سره » .

ليتهيئ ذلك المرجو وأسبابه بلا قصد ولا إرادة مني إليه ، ثم وثم وثم إلى هنا[١] فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال .

وجدت ذلة واحتياجاً ، وفقراً ودناءة كأني أرذل كل شيء وأخبثه ، وأكثرهم ذنباً ومعصية وفساداً ، كأني ممزوج به ولكن أعلم أنه أقبح ، ولا نرغب إليه لعدم الرغبة ، مع أنه تعالى على كل شيء قدير .

فاعتبر أيها الأخ ، **والحال ركعة مقبولة من أوقات الخمسة أحب إلي من جميع ما ذكرنا** إن يسره الله ولكنه كالعنقاء ، ولم أَجد غير اسمه نظراً إلى ما عملناه ، ولكن فضله تعالى رجاء كل قانط ، وعماد كل ساقط ، فإن تحركت الإناء المكسورة المتجزز بأجزاء شتى الخالي عن جميع أنواع الخيرات ، ولو عده المخلصون بحسن ظن ينبوع الحسنات والكمالات ، يصوّت بصوت يعجب السامعين وتحسّر المخلصين الطالبين ، وتقوّي إنكار المنكرين الضالين ، وحسد الحاسدين المعاندين ، فنعوذ بالله تعالى مني ومن كل قلب لا يخشع ، فاعلم أنكم جديد العهد[٢] وصلتم إلى ما[٣] وصلتم بلا طلب[٤] ولا رياضة قبل التصفية والتخلية ، الكاملة ، قبل الانشراح بتعاقب القبض والبسط والابتلاء بلا تجربة ولا يقظة في مدة

---

(١) أي إلى هذا الزمان . والله أعلم .

(٢) قول السيد رضي الله عنه : « فاعلم أنك جديد العهد . . » إلى قوله : « والله تعالى على ما نقول وكيل » خفيّ ومجمل ، لا أفهم منه المراد ، مع أنه مقصود الرسالة الشريفة ، سبحان الله ! ما أجمله وما أخفاه ! حق قول السيد رضي الله تعالى عنه : كلام الملوك ملوك الكلام ، فالمرجوّ من حضرة جنابك الأقدس وأبوّئك الأشفق أن تبين الشرح على ما يليق بحالي ويسع قلبي وينطلق لساني ونقدر أن نفهم المراد كما هو حق الكلام على وفق المرام ، والسلام .« من أبي عبد الرحمن »« فاعلم أنك جديد العهد » كيف هو ، وهذا الفقير ابن اثني عشر سنة أو أكثر وهو سن المراهقة وإن لم يكن سن البلوغ والسلام .

(٣) ما هو فأجمل فلعله بحالي يليق « چسطاوي قدس سره » .

(٤) السلوك عين الطلب ، وهو الحق الثابت إلى الآن .« چسطاوي قدس سره » .

سنة أو أقل بفضل الله المتعال ، وأمثالنا بعد عشرة سنة او أكثر مع وجود جميع المذكورات مع أن المقصود[١] هو[٢] لا الكشف والوجدان واليقظة[٣] والواقعات والأحوال ، ولو كنتم الواصل إلى ما وصلتم على اليقظة مع ذلك الصفة المذكورة ؛ لهلكتم لعدم التحمل أو لكنتم مجنوناً ، ومع هذا لكفاكم سنتين[٤] بأنواع المشقات ، فإذا عشتم[٥] على هذه الصفة مقدار ما

---

(١) والعلم أمر زائد على المقصود ؛ بل يضرّ للبعض وسبب الحرمان ، كشيخين نزلا فيما نزلا فيما سافرا ، وأكلا وشربا ما أكلا وشربا ، ووجدا ما وجدا ، فأحدهما علم إلى أين يسافر وأين يذهب ، وأين نزل وما أكل و شرب ، وما وجد وكم وجد ، والآخر لا ، فهما سواء في المقصود عنه أيضا ، لكن من أمر بالتربية والطبابة فاللازم عندي عليه العلم ، لئلا يفسد الناس ونفسه أيضا ، فالبعض يبقى مع أن اللازم واللائق على حاله النقل ، فكان التأخر مضراً ، والآخر ينقل مع أن اللائق بل اللازم في حقه الثبوت ، فهو مانع للوصول في المطلوب إلى غير ذلك ، ولا يميز الناقص عن الكامل والقابل عن غيره والأهلية وغيرها ، ثم وثم ، إلا أن العبد ليس في يده شيء ، والله تعالى قادر بيده ملكوت السموات والأرض ، فاللازم علينا الشكر بالموجود ، والطلب بالمفقود ، والعبودية للمعبود ، والرضاء عن الرب الودود ، فالحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله ، والشكر لله ثم الشكر لله ، ثم الشكر لله ، من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير « چسطاوي رحمه الله » وعدم العلم لا يضر الكمال ، بل يقوي الطالب على الاجتهاد ، وكذلك لا يضره ، ولكن العلم بكمال نفسه قلما يخلو عن الضرر ، بل هو مضر بالضرورة « محمود الفعال قدس سره »

(٢) أي الوصول إلى ما وصلتم « الچسطاوي قدس سره »

(٣) ويحتمل أن المراد منها الرياضة والتصفية والتخلية والانشراح ، التي لم يوجد فيّ على وفق قوله مع وجود جميع المذكورات أو نقيضاتها التي وجدت في هذا الفقير ، ولم يعلم المراد من ملوك الكلام ، ولا يعلم إلا من وجود الملوك رضي الله عنه ، وعن أتباعه إلى يوم القيامة رضاء الرضاء « من أبي عبد الرحمن قدس سره »

(٤) فالمراد من السنتين الماضيتين فالسنتين وأنواع مضت فالحمد لله على ذلك ، إلى هنا ، أو الاتيان فهو أمر لهذا الفقير بالتزام أنواع المشقة في مقدار سنتين ، فالازم علينا حينئذ علم أنواع المشقات وما المراد منها ، حتى أمتثل بتوفيق الله تعالى وإقداره بهمم سيدنا رضي الله عنه ، وهمم السادات رضوان الله تعالى علينا وعليهم أجمعين ، فهو كالسابق من ملوك الكلام .« منه »

(٥) فهذه لطيفة جديدة من جوامع الكلم ، تحتمل معاني ، فيطلب من أهل العيان كشفه

أقبلتم إليه من الأوقات لتجد نفسك فوق هذا الوصف أضعافاً مضاعفة ، والله على ما نقول وكيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين[١] .

ثم السلام[٢] التام من الفقير الداعي لكم وعلى من لديكم بالإخلاص وعلى أهل بيتكم عامة ، خاصة على المخدوم إمام المسلمين دا ملا محمد النجيب ونرجو دعائكم ، وكذا السلام من أهل بيتنا بكمال الاشتياق والمحبة والخلوص إلى أهل بيتكم كافة عامة كبيراً وصغيراً ، خاصة على خديجة الزمان .

بالبيان ، كأنه هو العيان ، « ما وما لا ولا » إلا أن علمه وعمله عندي عزيز ، وطهوره لذيذ ، فهو إما يقتضي انتفاء هذا الوصف لانتفاء هذه الصفة فيما مضى من الأوقات ، فالقصور مني أو أمر في الاستقبال بهذه الصفة ، لأن أحد هذا الوصف في الاستقبال ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله ، أو إخبار بوجود هذا الوصف وعدم وجداني لا لعدم وجود هذا الوصف بل لعدم هذه الصفة ، فالوصف موجود مع عدم هذه الصفة ، فحينئذ العلم مفيد لبشارة وامتنان ، وهو المنان وهو الحنان ، والكتابة على هذا النهج لا يليق على عتبتكم العالية ، إلا أن قصدي في الابتداء القصر ، والاقتصار على كلمات ، فبعد الشروع القلم يكتب يجيء الكلام بلا كلفة لا يسعني إلا عفوك وضربك برجلك حتى يخرج لنا مغتسل بارد وشراب طهور « چسطاوي رضي الله تعالى عنه »

(١) تم المقابلة من خط الشيخ العالم أبي عبيدة الفقمي رحمه الله تعالى الذي كتبه من شيخه المرشد الكامل أبي عبد الرحمان الچسطاوي قدس سره .

(٢) « محمود الفعال قدس سره »

ثم وصل عند اختتام المكتوب مكتوبكم الآخر رضي الله تعالى عنكم ، ورضينا على كثرة الإخوان رجاء على فضل الله تعالى لعله تعالى أقام فيهم من يساوي الكثير والقليل من اهل الخير ويحي سنة رسول الله ﷺ وأجرنا لملا بدر الدين لتعليم الذكر والرابطة على سنده معلومة للطالبين فاقرأ مني السلام عليه وعلى أمثاله من الإخوان ممن يناسب بوصية الاستقامة ، ثم ليس في رياضة الأربعين ترك الخبز الحامض شرطا ، ولكن يتركونه لكونه ثقيل الرائحة في المعدة ، بالنسبة إلى الخبز الغير الحامضة وأما ترك الحيوان وما يخرج منه كاللبن والسمن وبيضة الدجاجة وغيرها مشروط ، والأربعين في هذه الأوقات لا يخلو مما يفسده ، والأنسب هو المباشرة إليه سرا ، بعد تصحيح النية ، أو تركه أنسب لأنه ليس بسنة ، إذ هو لا يخلو عن تسويلات النفس ، ولا بأس أن يعلمه المربي من طلابه ، وأما إعلام الغير ليس بمرضي عندي ، خاصة في زماننا هذا أو سائر المطبوخات مما ليس فيه من الحيوانات شيء لا يضره أي مطبوخ كان ، والسلام ، محمود الفعال الألمالي قدسره .

السلام عليكم وعلينا وعلى جميع إخواننا المسلمين والسلام على الطالبين وعلى عامة إخواننا السالكين سبيل الخير والسلام ، في أوائل المحرم الحرام ، سنة ١٢٩١ في حاجي طرخان ، مخلصكم الداعي محمود معلول معلوم(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبحمده حمداً يوافي لجميع نعمه ، وبالصلاة والسلام على خير خلقه محمد عليه أزكى صلاة الله وأوفى سلامه عليه وعلى آله .

إلى العالم العامل أخينا الرشيد الفاضل ، الكامل المخدوم إمام المسلمين ، دا ملا محمد ذاكر ، اللهم اذكره في الملأ الأعلى كلما ذكرتَ أهله بمحض فضلك ، وكمال رضائك ، فإنك على كل شيء قدير آمين .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه رضاء الرضاء بحق سيدنا حبيبك محمد عليه أفضل ما يصلى ويسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،

وبعد ؛ قد طلعت رسالتكم من مطالع آفاق مكرمتكم ، وأصبحنا بضوئه عن ظلم مساء الانتظار ، وأنار قرة عيوننا بإزالة الانكدار من شدة الاصطبار على التهاب نار الاشتياق بلا اختيار ، التي أحرقت خيام التحمل وأعلام الوقار ، أنار الله تعالى براهين آمالكم منتجة برضائه في الدارين بحق سيدنا محمد سند الأخيار صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وجدناها مملوة من الارتضاء والاشتكار ، واطلعنا مضامينها من البداية إلى النهاية من الأظهار والأسرار ، كنتم سألتمونا من بيان مراد ما وقعت في كتابنا من الغوامض في مواضع مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يخبره مخبر في

---

(١) « چسطاوي رحمه الله تعالى » .

الأخبار بقولنا « من الثلاثة إلى الثلاثة » التي قيدنا بها في تلقيني[1] صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة .

معنى الثلاثة إلى الثلاثة

فاعلم معناه تثليث التلقين ، مع الفرق بين الثلثتين بالتوقف كأنه نظم كل فقرته ثلاثة تطليقات من الكلمة الطيبة على الوترية ثلثاً ثلثاً

وثانيها في قولنا :« إلى حضرة قطب الأقطاب » أشكل عليكم من هو ؟ ومن المراد منه ، ومنعت ملائمة اول الكلام لآخره لتوضيح المرام ولكشف الأستار ، ليتجلى جمال عرائس الحق عن سرادقات الأسرار ، وبسطتم فيه الكلام على صورة الترديد بأنه من هو ؟ ومن المراد منه ؟ إن كان المراد منه حضرتنا لا يلائم أول الكلام إلى فقرة من آخره ، وهو كأنه بيني وبينه ثلث خطوات ، إلا أن يراد التلبس بهذا المقام ، وهو أيضاً مستبعد ، لأنه لا يلائم لقوله لقيته رضي الله عنه ، مراراً لفقدان الترقي اللازم لأهل هذا الشان ، وإن كان غيره ! فمن المراد منه ؟ وما فائدة الملاقاة ؟ ولأي شيء يدل ؟

وثالثها في حق إسرافيل عليه السلام : ما المراد من إسرافيل ؟ إما نفسه أو التمثيل ، والأمر فيه[2] كما في الأول[3] ، ورابعها من قولنا

---

(١) الإضافة إلى المفعول . والله أعلم

(٢) في نسخة : أو الأمر

(٣) من الورود

بسم الله خير الأسماء
أيها الأخ المخدوم ، أعظك بوعظة فاحفظها لعل الله يرشدك : فإن مولانا غوث ذا الجناحين مجدد المائة الثالثة عشر محمد خالد شاه السليماني قدس سره رباني بروحانيته ولو لم نبلغ إلى حياته ، أحياني واماتني ثم أحياني حتى رفعنا إلى حضرة سيدنا سيد

الخلق محمد ﷺ في اليقظة ورأيته ﷺ على ما ذكر في شمائله عليه الصلاة والسلام بعيني رأسي ، هذا ولكن شعر رأسه ﷺ على مقدار طول شبر بل أزيد منه ، يتلألأ سواده كالبرق على الأبصار برق نوراني ولا يقدر أحد أن ينظر إليه ﷺ إلا تخطف الأبصار كالبرق الخاطف ، مع انه ﷺ في معرض النظر ، ولقن ﷺ لي الكلمة الطيبة لا إله إلا الله ، من الثلثة إلى الثلثة ، ولكن إشارته ﷺ خارجة عن طاقة البشر ، لأني كنت في أول الأمر قاعدا وجدت نفسي قائما ، ولم أقدر على القيام وأسندت ظهري على الحائط ، حتى ظهر اثر الحائط على ظهري ، وتم المجلس . ثم لقيت بعده بواسطة مولانا محمد خالد رضي الله عنه إلى حضرة خضر عليه السلام في اليقظة قال عليه السلام : انا حدقة عينيك ، وأمرنا بالمداومة على صلاة الرسول ﷺ وبأمور آخر في التفويض والتسليم ، ثم بلغت بعد ملاقاته عليه السلام إلى حضرة قطب الأقطاب بذكر اسم الحق من حضرة الأسماء الحسنى بلا اختيار ثلاث مرات ، كان بيني وبينه رضي الله عنه مسافة ثلثة خطوات وثم بثلثة من ذكر الاسم المعلوم وجدته في برية بيضاء كأفق السماء ، مع انه ليس فيه أرض ولا سماء ، رأسه تحت العرش ولم أطلع من قدميه في أول الرؤية ، ولكنه على هيبة رحمانية ، مع ذلك الاتساع ووجدت إسرافيل عليه السلام ، على يمينه ملتصقا على ساق العرش في صورة بني آدم ولكن لم أر مثله في الحسن إلى هنا ، معتدل القامة ، بلباس عربي وعليه عمامة خضراء ، وفيها جداويل أحمر ، وثيابه عليه بألوان شتى ، كأنه يحمل العرش ولكن العرش يحمله ، مثاله مثل رجل التصق إلى الجبل ليحمله والسلام ، وإن قطب الأقطاب لم يتكلم بكلام غير ذكر الحق ثلثا ثلثا ولقيته رضي الله عنه مرارا ، فهذا سر قولنا بقوله تعالى : مرج البحرين يلتقيان ، ولا يخفى ليس هذه المذكورات من جملة موعظة بل تمهيد بها ، وإن موعظتي هذا النظم :

كلب أصحاب كهفٍ كم من الإمام — خاصض بالأثر صار محمودا

خضت أثرهم بحسن رجاءٍ — حاش لله أن أكون مردوداً . انتهى .

وليس في انتسابي إلى سلسلة ساداتنا النقشبندية مناسبة قط إلا رجائي وحسن ظني بحسن رجائي هذه ، فإن المقصرين في سلك المحبّين مقبول . فاعتبر والسلام . محمود بن الحاج محمد أفندي النقشبندي الخالدي المحمدي الخضري الألمالي الداغستاني قدس الله تعالى سره العزيز . من خ شيخنا الباكني وهو من خ العارف بالله العالم أبي عبيدة السيد الغمقي وهو من خ صاحب الكلام الألمالي قدسرهم

الذي أرسله لحضرة خليفته وحدقة عيني أنسه قطب الإرشاد والمدار الشيخ أبي عبد الرحمن المتصرف في حياته ومماته شيخ محمد ذاكر النقشبندي الخضري الخالدي المجددي الأويسي الجسطاوي المفكروي الصاحناوي القزالي رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وأفاض علينا من فيوضاتهم آمين . من خ خ الشيخ أبي عبيدة .

فاعلم ارشدنا الله تعالى وأرشدكم أن قطب الأقطاب وقطب المدار والغوث لقب شخص شهير الاسم خفي الجسم ، اختاره الله تعالى من بين عباده الصالحين لقوام أمور الملك عونا وغيثا لهم ، هو أهل الخير ولا يخلو منه الزمان إلى قيام القيام ، كما هو المشهور ، رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله في الأرض ثلثمائة ، يسمى لهم البدلاء والطبقات ، قلوبهم كقلب آدم عليه السلام ، وله أربعون قلوبهم كقلب موسى عليه السلام ، وله سبعة قلوبهم كقلب إبراهيم عليه السلام ، وله خمسة قلوبهم كقلب جبرائيل عليه السلام ، وله ثلثة قلوبهم كقلب ميكائيل عليه السلام ، وله واحد قلبه كقلب إسرافيل عليه السلام ، ويسمى له القطب . . . » إلى آخر الحديث أورده صاحب المشكاة في مشكاة الأنوار .

واختلف فيه ، قيل :

إنه يكون غير قطب الإرشاد في كل الأزمان .

وقيل : إنه قد يجتمع القطبيتان في بعض الأزمان في رجل **واحد كالغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني** رضي الله تعالى عنه .

وقيل : لا يكون هو إلا قطب الإرشاد نفسه .

والأوسط هو الأظهر ، فالظاهر من وصفه هو كالشمس محرقة ، لا يطيق لصحبته وقربته أهل الظاهر وأيضاً أثقل لأهل الباطن لشدة استغراقه ، إذ رباه الله تعالى بجلاله ، واحترق بتجليات الجلال فصار كالنار المحرقة ، كما ظهر من موسى عليه السلام آثار التجلي إلى ما شاء الله تعالى ، ويكون خضر عليه السلام في خدمته لنظام أمره ، ومقامه مقام الاستغراق ، **ومقام قطب الإرشاد فوقه في أمور الباطن** لأنه صاحب التصرّف .

مطلب
العلم اللدنيّ

ولا تصرف لقطب المدار إذ كل ما يظهر منه يظهر بلا اختيار ، كأنه كالآلة ، ثم لا يخفى يكون للبعض من أهل هذه النسبة السنية والسلسلة النقشبندية من أهل اليقظة من المجذوبين السالكين في ذلك المقام حظ ، ويتشرف باللدنيات ، أعطاه الله تعالى العلم اللدني وهو السير في حضرتي الأسماء والصفات ، ويظهر منه الخوارقات ، إما لكونه أهلاً لذلك المقام ، وإما بالتنزل لصاحب الصحو من أهل النهايات ، ولذلك يقال : إن **الكرامة حيض الرجال** ؛ لأن فيها التنزل لأهل النهاية ، ولو كان بلا قصد منه بل بتصرف الله تعالى ، كما ورد في الحديث : « يسمع بي ويبصر بي » ، وعدم الاختيار لأهل المقام .

ومن هنا ظهر أن الكرامة تظهر من الأولياء بلا اختيار ولا اقتضاء منهم ، وأن يراه أهل الظاهر أنه مختار في أمره ، كما أجرى الله تعالى على لسان منصور قدس سره « أنا الحق » ، وعلى لسان أبي يزيد رضي الله عنه « سبحاني » ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وإلا لا يرضى أحد من أهل التنزل التنزل من ذروة حضرة الذات إلى حضيض مراكز الصفات .

وإن كان للولي اقتصار في الكرامة وطلب للخوارق لا يظهر منه شيء ، لأنه حينئذ نزلت نفسه من الملكية إلى البشرية ومال إلى الأمارة ، ومقام الأمارة ليس مقام الكرامة كيف يظهر منه ، نعـــــم يمكن أن يظهر معونةً وهي لأهل البداية هذا .

نرجع إلى ما نحن فيه فنقول : لا منافاة إن فرضنا أن الملتقي والملتقى في قولنا : « لقيته مراراً في شخص واحد » **إذ لكل شخص صورة وحقيقة بشرية وملكية** ، يخبر عنه المتصوفة باللطيفة ، وبعضها بالأحدية ، وبعض العوام منهم بالروحانية ، والخواص بالنفس الناطقة ، مع أن كلا منها من الحقيقة والملكية واللطيفة والروحانية في عالم الأمر يلتقيه الشخص والصورة في بعض الأحيان باقتضاء الوقت تجده على هيئة شخصه وصورته لكنه أحسن وأجمل وألطف ، ويعلم أنه نفسه ، وفي بعض الأحيان تجده خارجاً عن وصفه ، بل عن وضع البشرية حتى يراه ذا الجناحين أنه قد فتح إحدى جناحيه إلى الأعلى وقطع هذه عالم السموات كلها إلى عالم الوجود بأسرها ، وبه يصدق قول علماء الدولة : « وفوق عالم الوجود عالم الملك المعبود » . .

وأيضاً لا منافاة في التلبس بهذا المقام ، أي مقام القطبية ، ولا يضر إلى الترقي ، فالالتقاء إليه مراراً في الصورتين ليس بمستبعد ، إما بالتنزل أو بالتلبس بحال الغير ومقام الغير ، كما ظهر منا في داركم حين كوننا جالساً وملا أحمد جان الكينوي معنا في المجلس ، قلنا مرج البحرين يلتقيان ، مع أن التنزل بمثل هذا لا ينافي الترقي ، إذ قد ورد من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » فاعتبر إذ قال سيد الأنبياء لي مع الله ما للفقراء **وأين أين** . . .

وكذلك لا منافات إذا كان الملتقي والملتقى غيراً للآخر كما هو الظاهر ، والالتقاء مرارا حينئذ سر من أسرار الله تعالى الذي يقتضيه الوقت [١] والقيد الآخر بثلاثا ثلاثا سبق مثله وبيانه .

---

(١) أي وقت الملاقات « أبي عبد الرحمن قدس سره »

واما إسرافيل عليه السلام سواء كان نفسه أو التمثيل أيا ما كان لا يبعد الملاقات إليه ، ولكن الملاقات إليه حال كونه في مقامه على صورة آدمي يستبعده العقل ، إذ من لوازم مقام[1] هيئته الملكية وفطرته الحقيقية ، لكن الحال يثبتها كيف ، بل يثبتها الحديث المعنعن الصحيح الإسناد قال صاحب « معالم التنزيل » في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء ، قال : لن تقوى على ذلك ، قال : بلى ، قال : فأين تشاء أن أتخيل لك ؟ قال : بالأبطح ، قال : لا يسعني ، قال : في منى ، قال : لا يسعني ، قال : فبعرفات ، قال : ذلك بالحري أن يسعني ، فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت ، فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات ، بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ، رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم كبّر وخرّ مغشياً عليه ، قال : فتحوّل جبريل في صورته فضمه إلى صدره ، وقال يا محمد ، لا تخف ، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة ، وإن العرش لعلى كاهله ، وإنه ليصير أحياناً من مخافة الله تعالى عز وجل حتى يصير مثل الاصبع ، يعني العصفور ، حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته .انتهى .

فاعلم مثل هذه الأمورات ذوقية ، يستشهده الذوق ويقرّ به ، وإلا ينكره النفوس البشرية ما لم تتبدل عقول الملكية .

فإذا رأيت مثل هذه الأمورات في الكتابة ، أو سمعته من الأفواه لم تسأل عنه ولم تكن في طلبه ،وسلم أمرك إلى الله تعالى حتى تذوق في

---

(١) مقامه له « غمقي »

نفسك ، وإن لم تذقه فاشكر الله تعالى لأنك صانك الله تعالى من ورائه جلّ شأنه .

ولهذا الفقير في هذا المقام يد ، يمكن أن يقول **يد بيضآء ،** ولكنه يحرقه حضرة الذات بنار البرودة كأنه لم يكن ، فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال ، وصلى الله تعالى على رسوله محمد هادي الحال والمقال ، رزقنا الله تعالى شفاعته ورزقكم في الحال والمآل والسلام .

وأيضاً كنتم سألتمونا عن سنن التربية وسنته الظاهرة اللازمة مكتوبة في كتب المتصوفة المتداولة ورأيته في نفسك لا حاجة إلى الكتابة ، وأما كمال اللطائف في الذكر وفي كل مقام من المراقبة وغيرها ليس على نهج واحد بل يختلف بمخالفة الطبائع والقابلية ، وفي معرفة كماله يحتاج الشيخ إلى الصفاء التام حتى يكون كالمرآة ، ثم يتوجه إلى الطالب بتمام قوته ولطائفه ومقامه لا بقصد الإفادة بل بمطلق المقابلة ، كمقابلة المرآة لمن قابلها حتى يجري ويسري حرارة الفيض في الطرفين ، التي يذوقها ويحسها القوة الماسة .

رتبة أهل النهاية

ثم يلاحظ في نفسه ، فكلما يظهر فيه يظهر بالعكس ، من احوال الطالب القابل ، إذ لا حركة فيه من أنواع الأحوال ، بل هو على قرار وسكينة تامة كالغفلة المحضة ، لأنه وجد ووجد أنه وجد ، ثم فقد وفقد أنه فقد ، وصار كالماء المتجمد لا يضطرب ولا يتحرك ، هذا هو رتبة أهل النهاية .

وأما صاحب الحركة من المتوسطين ليس كذلك ، لأنه لا يخلو عن التردد والاضطراب ، بل هو كالنار المحرقة ، يلزم له الدقة بالتفتيش في

أحوال الطالب ظاهرا وباطناً من الأخلاق والأعمال والأفعال والواقعات والمقارنة والمجانسة سراً وعلانية ، لأن كل مقام وكل مرتبة أخلاق وأعمال وأفعال ، وواقعات ومقارنة ، ومجانسة سرا وعلانية ؛ ولذلك يلزم للشيخ الأخير حضانة الطالب في الذكر أو في المراقبة أو في المقام مقدار سنة أو ستة أشهر بقابلية الطالب واجتهاده إن آثر أمر السلوك على سائر الأمور حتى يكون ذلك الذكر والحال له ملكة ، إذ الشيخ صاحب الحركة كالنار المحرقة يمكن من يقابله من الطالب يتنور ويتوقد في حال المقابلة ، كشجرة موسى عليه السلام ، مع أن ذلك الحال ليس له من قبل وليس له ملكة ، فيخاف عليه إن فارق مجلس[1] الشيخ يعود إلى مقامه الأصلي لأنه لم يملكه فافهم . « التراخي من الرحمن » .

وإلا إن آثر أمور الدنيا على السلوك فكل ذكر وكل مقام هو فيه يكفيه ، مع أنه يخاف عليه أنه لا يحفظه بحق الحفظ ، فلا حاجة إلى الزيادة ، والانتساب إلى النسبة العلية إن حفظه يكفيه فقط والسلام .

صاحب الوهم ألين في قبول الأثر

ثم كتبتم إلينا من أحوال بعض الإخوان في حق الأوهام الفاسدة فيهم . فاعلم أن الوهم إما طبيعي فطري أو عارض ، والطبيعي لا ينقطع صرفاً بل ينقص حتى لا يضره في الأمور ، وإن صاحب هذا الوهم يكون ألين في قبول الأثر من غيره

ويكون أسرع سيراً وأسرع فطوراً ، يلزم عليه أن يكون على محافظة أمره ثابتاً ، لكونه سريع الوجدان و سريع الفقدان ، والمحافظة النافعة التامة له محافظة نفسه على التوكل والتسليم في أموره ، راعيا لما يراعيه

---

(١) في نسخة : من مجلس

الصالحون من عباد الله وأن يفوّض ظاهره وباطنه إلى القضاء بالجرأة التامة ، وأن يتفكر في معنى : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » ويؤمن به ويعتقده بكمال الاعتقاد ، وأن يعمل بأعمال الصلحاء ، وأن يراعي مجالسهم ، وأن يجتنب من مجالس أهل الخطرات من أهل الفساد والمنكرين ، وأن يشتغل بالأذكار « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » والتفكر أيضاً من الأذكار بل أعلاه ، والوقوف على القلب بإخراج جميع ما سواه جل شأنه بالبحث والسكينة المحضة أرقاه .

شعر :

الله أعلم أني لست أذكره فكيف أذكره ولست أنساهُ

نعم جاء أيضاً ، أي مثل تطمئن القلوب ، تقشعر القلوب ، ومآله يعود إلى الاطمئنان فيلزم له الصبر حتى ينقص الأوهام بالتجربة ويملك الجرأة من أمره .

حديث النفس ينشأ من عدم التسليم

والوهم العارض تنشأ من حديث النفس ، وحديث النفس تنشأ من عدم التسليم ، فاللازم للطالب التفويض العام في أمره إلى القضاء بقطع العلائق من مقاصد النفس والهوى حتى يساوى له الحياة والممات ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، بل كل الخير والشر .

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ

والطالب الصادق يتوب من أول توبته عن الدنيا وما فيها ، كمن شرب الدم في بطن أمه ثم رجع إلى أكل الطيبات ، فمن الظاهر لا تميل النفس إلى شرب الدم بعد الطيبات ، كذلك لا يمنعه فناء الدنيا وفناء ما

فيها عن أمره الذي وجه إليه وجهه ، ولا تحدِّث النفس بخطرات ما غسل الطالب يده منه في أول وضوئه ، ولأجل ذلك يقولون : يلزم للطالب أن يكون كالميت بين يدي الغسَّال في أمام الشيخ ، وليس للميت وهم من الأوهام لأن مقصوده هو الذات المتوجه إليه ومطلوبه رضاه ، وكلما رضي الله منه خيرا وشرا يرضاه .

وإلا إن كان فيه نوع من الاقتضاء وشمة من الترجيح بين النفع والضر ، تحدثه النفس وتلقي على قلبه عاقبة الأمور .

ثم الطالب إن لم يخرجه عن قلبه « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » وأحرزه في قلبه وتفكر في خيريته وشريته ، تنشأ منه الوهم للوجل والغضب المتهوّر يكون عنِّيناً من أمر التوجه إليه ، كما ورد في الحديث : « من تفكر في العواقب لم يُشْجَع » فاعلم أن هذه المهلكة[1] أم لجميع أمراض القلوب ، يتولد كلها منه من الأخلاق والأعمال المفسدات ، فهذا[2] القدر يكفيكم ويكفي لسائر طالب الرشد من أهل الخير والله الهادي وإليه المآب .

---

(١) أي كون الطالب على اقتضاء أمر غير مقصوده المتوجه إليه سواء كان فيه غير نفس المقصود كطلب الولاية والإرشاد وطلب الجنة منه مما يسعى فيه ، أو من الخارج كالدنيا وما فيها « منه رحمه الله »

(٢) في نسخة فهذه

الطمع والسؤال من أقبح الخصال [١]

(١) بسم الله الذي جعل الحسب فوق النسب

من هذا الفقير إلى السيد بن السيد سلام ودعاء ورجاء ، فاعلم أيها الأخ طالب الحق والصواب أن قولكم أنكم كتبتم في الأول إلى هذا الفقير هكذا ثم الأوفق في نقل الذكر من لطيفة إلى أخرى على التأثر الخ . لعله ليس هذا من عبارتي إلا إذا برعت التأثر باتأخر ، فليس لكل مأذون من المشائخ الأمر بالرابطة بصورته ؛ لأن كل شيخ لا يستحق الرابطة بل الرابطة المخصوصة بل الأليق والأدب الأمر برابطة شيخه كما هو عادات المشائخ الخالدية فإنهم لم يأمروا السالكين برابطة أنفسهم ، بل يعدونه ترك الأدلب بل يأمرون برابطة مولانا خالد السليماني ويحتمل * أن هذا بأمر الشيخ مولانا خالد السليماني قدس سره لحكمة تحتمل الاحتمالات ، لكن السد الشيخ محمود الفعال قدسره أويسيّ المشرب خضري محمدي جامع القطبية نسبته إلى طريق ينتهي إلى ما ينتهي إليه حميع النسب كما علم من مكتوباته في أيدكم ، ولهذا أمر برابطة مخصوصة ثم هو لما أمر بهاذ المسكين بالرابطة سئلنا كيف يأمر وكيف أفعل فقال : اجلس ، كفاني فأخرجني من البيت فلم يقبل هذا الفقير وعدّ انه ترك الأدب ، ثم عرضتُ له الرابطة التي نعلّم السالكين الآن فاستحسنها وقررها ثم أمرت السالكين بأمره هذا . محمد ذاكر الجسطاوي من خ خ

والاحتمال مقطوع به كما يصرحه مكتوب الشيخ خالد قدس سره إلى مأذونه الشيخ إسماعيل الكردميري بالزجر بالرابطة له دونه كما في الحديقة الندية فراجعه ،والله اعلم . من الكاتب الفقير الباكني قدسره من خ

ثم إن علمت ريحان الذكر ذوقا بلا شك فلا حاجة لرؤيته في الكتب على أن في بيان مناقب المشائخ والسادات مذكور في الكتب ورؤيته في الكتاب ليس إلا التكلم وعدمه محبوب وستر الحال أسلم والكتم أوفق . منه قدسره

ثم اعلم أيها الطالب الأرشد أن حضرة كليّات أسماء الله تعالى مبدئي تعيّن الأنبياء الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام وجزئيات الأسماء مبدئي تعيّن الأمة وردا وصلا السالك في سيره إلى مبدئ تعينه كان وليا وكان مبدئي تعين حضرة آدم عليه السلام حضرة صفة التكوين ومبدئي تعيّن بعض الأمة جزئيات التكوين مثل كالترزيق فهذا البعض يقال له آدمي المشرب ، وعلى هذا القياس ، ثم اعلم أن مريد خليفة الشيخ يكون مريدا للشيخ أيضا والمنع من صحبة الشيخ لا يجوز أما مريد الشيخ لا يلقى مريدا للخليفة ولا يجوز تصرّفه فيه إلا بإذن الشيخ . والسلام . جسطاوي قدسره .من خ خ

ثم رؤية النفس في الواقعات على الصورة الجميلة لعلها من علامة التجلي وكون البدن لينا فهذا أيضا لعله يلقى من آثار التجلي حتى يلقى البدن البن كالحرير ويزداد وقتا وينقص وقتا يجيء ويحصل في وقت دون وقت ثم يدوم كما في آية كريمة « ثم تلين قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله » الآية . منه .

أخينا الأعز السيد بالسيادة النسبية السببية ، سلام عليكم سلاما لا يعقب ملاما ، حضرة

ثم أوصيكم أن لا ترضوا للطالبين من طلباتكم من أهل الظاهر والباطن إن فهمتم فيهم الطمع والسؤال ، وكلاهما من أقبح الخصال ، وأشنع الخصال الذميمة المفسدة في نفسه ؛ خاصة لأهل هذه النسبة العلية ، من أربى الربا .

أبي عبيدة : ظهور الروحانية في عالم المثال والظاهر ليس فيه إلا الصور لكن هذا مما لا يجب علمه ثم هو ليّ في الرجوع مقام وهو الاسم الذي هو مبدئي تعينه على ما قال وحرر شيخي وعلى ما قالوا . وإذا اختلف الصعود يختلف الهبوط والرجوع ثم الرجوع واحد أو متعدد ثم كما ظهر الانعكاس بعد الزّوق يظهر الاختيار أيضا ، لكن الاختيار مع العبد ضعيف مطلقا ولذا يضمحلّ حين التجلي لاسيما عند الأشعري ، ثم ما نقلته من حضرات عبد الرحمن من تلقيت الذكر جهرا ليس من سند حضرة نقشبنده خواجةوإن وجد فيه خلط الجهر مع الاخفاء من خواجه محمود الفغنوي إلى حضرة أمير كلال ثم خواجه بهاء الحق والدين لأجل أخذ العهد من خواه عبد الخالق الغجدواني قدسره اختار العزيمة ولم يأخذ الذكر الجهري ،والتعليل بعدم تأثير المريد فيه ما فيه ، لما رأيت من التأثر حتى في الغيبة والحضور في صحبة بعض المشائخ في هذا الآن ، وهو من قصور الشيخ لا من قصور السالكين ، كما شاهدت في نفسك ، وعند كمال التأثر الآن وقبله وسماع الذكر أي سماع السالك الذكر قد يقع في هذه الوان عند سلطان الذكر حتى يسمع ذكر اسم الذات من لباسه ونعله ومن الآفاق أيضا ، لكن لم ير القائل بالوجوب ففي كتب السادات ولم يسمع من لسانهم أيضا . ثم التأثر قسمان : الظاهري والباطني وتأثر الباطن لورود الفيض وتأثر الظاهر بعدم تحمّل الفيض لكثرته أو لضيق الطايف ، فإذا وسعت يتحمّل وإلا يتحمّل ولذا قال شيخي وسيدي لبعض الفقراء : وإذا صبّ وأجرى إلى هذا الأفندي سبقه أبحر ما يحس ولا يتحرك . والسلام . محمد ذاكر الجسطاوي قدسره السامي . مأذون الشيخ الغوث الأعظم محمود أفندي قدسره . من خ خ

الدنيا والآخرة مربوط على التقوى وهو أصل الأمور ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، فاترك الدعوى واكتم المعنى لأن التصوف ترك الدعاوى وكتمان المعاني ، ولا تحكم نفسك بأنها من الأبرار والمقربين بل احكم بالإفلاس والقصور وإلا لا تجد حجة لنفسك حتى قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني منذ عشرين سنة ما أجد ما يكتب في دفتري اليمنى بل جميع عبادتي يستحق في دفتري اليسرى . . وهكذا قال حضرة غيشان قدسره كل اهل الكمال يكون كذلك ، وقال : لا أجد هلما أرجو منه إلا الصلوات الشريغة ، وهذا الفقير لا يجد إلا محبة سيد البشر ﷺ لا غير وكان الإمام يونس أفندي وهو من شيخ حضرة ايشان بعد الصلاة استغفارا خاصا . اهى . من مكتوبات الشيخ الجسطاوي قدسره من خ خ لمريده ومأذونه السيد أبي عبيدة قدسره .

وصلى الله تعالى وسلم على من قال الله تعالى في حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وكفى بالله شهيداً ، محمدٍ رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين . محمود بن الحاج محمد أفندي الداغستاني قدس الله سره العزيز في انتصاف جمادى الأولى في بلدة جسطاي سنة ١٣٠٢ « من خط أبي عبيدة الغمقي من خط الألمالي قدس سره » .

ثم اعلم أن فحونا من جميع الوجوه مستوجب الحمد والثناء ، فحمدنا الله تعالى حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيد إنعامه ، سبحان الله الذي لا تحصى نعمه ولا يحصى ثناؤه ، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ، فكيف إيفاء النعم ، واكتفاء الإنعام إلا العجز والاعتراف بالتقصير ثم الحمد لله والمنة لعل الله تعالى أن يجعل نحوكم العالي كذلك ، بل أحسن وأزكى فإنه على كل شيء قدير ، ومما يرجى ويظن به جل شأنه جدير .

أيها الأخ الصادق وصل مكتوبكم العالي ووجدنا به وجداً عظيماً ورضاء كريماً ، رضي الله تعالى عنا وعنكم وعن جميع إخواننا الصالحين ، وظهر منكم أنكم تعجبتم عن حكمة أمر وقع على نفسي وقر فيها ، مكنونة عندكم حكمته عن الفهم ومظنونا بالقبح قراره ، نعم هو الذي وعدنا به قبل في كتابنا الأول بتفصيل كتابة كتابنا الآتي بما في الصدور ، وبما وقع في أنفسنا وقرّ فيها ، ولم يناسب في موضعه بيانه ، لضيق الوقت مع ألم البدن ، من الضعف الطارئ بالمرض ، مع أنه مما وجب علينا من أطوار إخواننا وأحوالهم الذي فيهم مما يضرهم سرا وعلانية في إرادتهم وسلوكهم ، وإيقاظهم عما يذهلهم مع أطوارهم الذي ينافي صدق نيتهم ، وأيضاً عاقتني فقري واحتياجي عن بيانه خوفا منا عن عروض سوء ظن منهم علي وخطور التهمة في قلوبهم ، لأن هذا

الظن والخطور يضرهم ضراً يساوي ما استفاضهم واجتناهم عن أخيهم المربي صفاء بكدر وفيضا بحجاب .

ولأجل ذلك قال السلف عليهم الرحمة : يلزم للشيخ المربي أربعة اشياء : السن بالكمال ، والكفاية في المال ، بعد تكملة القال والحال ، حتى لا يزور أبواب إخوانه بل يزور الإخوان بابه ويربيهم . هذه الأربعة . انتهى .

ثم نشرع إلى ما وعدناه : اعلم وتدبّر أن للسالك اسم مسلك القرب والمحبة ، والفناء والبقاء والرضاء واللقاء عقبات .

أوليها الخلق : أي إلفتهم واختلاطهم ، فعلاجه الخلوة ، وهذه العقبة سهلة الزوال .

وثانيها : الشيطان : وهي عقبة مطلقاً ، لا خير فيها أصلاً ، ولا يرجى منها إلا الضرر المحض ، فعلاجه تصميم الإرادة وصدق النية ، وهي أيضاً سهلة الزوال ،

وثالثها : الدنيا : وهي أيضاً عقبة مطلقاً لا خير فيها ، أي ما لم يترك حبها حتى يكون كحجر الاستنجاء ، أما إذا ترك حبها تكون من مبادئ الخيرات ومن العبادات ، وسبباً للمكنة التامة في جميع أعمال الحسنات ، ووسيلة لارتفاع الدرجات ، ظاهرا وباطناً ، صورة ومعنى ، وهذه الدنيا هي الممدوحة في الحديث بنعم وإلا مذمومة مطلقاً لا خير فيها ، كما مر ،وهذه العقبة مما عسر زوالها إلا بتشمير الساق وشد الوثاق .

ورابعها النفس : وهي الموصوفة المشهورة ، والعلماء مستغن من وصفها لكنها لكونها أضر العقبات وأغمضهن وأغلظهن وأصعبهن

علاجا وغير ممكن الزوال بحال من الأحوال ، وما سوى المدارات بإصلاحها غير مطموع عنها ، لأنها قبل إصلاحها لا خير فيها بوجه من الوجوه .

فصلنا في أوصافها بما ألهمنا به ، ولا يخفى أن إصلاحها باطمئنانها ، وكمال اطمئنانها بالوصول إلى مقام الروح .

وكمال اطمئنان النفس بالوصول إلى مقام الروح

فحينئذ تكون مطية الروح بعده ، ومن أوصافها اللازمة الطبيعة التي هي عبارة عن الملكة و هي العقبة الخامسة ، ولا يخفى ان الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي عليه الرحمة و الرضوان لم يذكر الطبيعة ولم يعدها عقبة بنفسها ، لكونها من صفات النفس ومن ملكاتها ، وكفى بذكر موصوفها ولكن اللازم ذكرها على حدة ؛ لأنها لا تعالج بعلاجها ، ولا تزول بإصلاحها ، بل تبقى على حالها سواء كانت النفس مطمئنة أم لا .

والطبيعة إما جبلية أو مألوفة ، وكلاهما لا يخلو عن أن تكون من المكاره أو من المحاسن أو من غيرهما .

وأما الطبيعة بالمكاره مطلقاً مانعة عن الكمال لا خفاء فيه .

وأما الطبيعة بالمحاسن مانعة بالاعتبار كبر الأبرار المانع عن الترقي إلى مراتب القرب والمحبة واللقاء ، وكذلك حال المألوفين بالأحوال ، والكشوفات ،وحال للصدّيق[١] في ورطة حضرة الصفات المعتادين بالخوارق والكرامات ، المانعين عن العروج إلى معارج ذروة الذات مع كونهما محاسن ، والتي ليست من المكاره ، ولا من المحاسن ، كما

(١) وفي نسخة : المقرّبين

قال سلمان رضي الله عنه : لعلي رضي الله عنه : هذا الذي أخّرك إلى الرابعة ، فظهر أن الطبيعة بأقسامها مانعة من الكمال ، بعضها بنفسها وبعضها بالاعتبار .

والجبلية صفة غير منفكة لا تزال إلا بالمشيئة ، وعلاجها غير طموع ، والمألوفة ممكن الزوال ومرجو الصلاح والعلاج ، لكنه بالصعوبة وبالرياضة الشاقة أو بالقصير ، فالطبيعة توجد مع النفس قبل الاطمئنان وبعدها ، ولا تعالج بعلاج النفس ، فصارت عقبة بنفسها مانعة عن الترقي إلى ما فوقها كما مر .

والحاصل أن الاتكال على النفس في جميع مراتبها حرام كما ورد به الحديث : « رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين . . » صدق وبر صلوات الله تعالى عليه .

ثم اعلم أن الدنيا المذمومة عبارة عن قسمها المحبوبة خلاف المتروكة حبها ، أما المحبة بمقدار ما أنه لقضاء الحوائج كما مر في حجر الاستنجاء مسكوت عنه ، وأما الحب بالزائد عنه حرام محض .

بقي أن الكيفية في كثر المقدار من الدنيا كالدفائن والذخائر ، وإن عامل أهلها بمعاملة الشرع فيما يتعلق على حقوقها ابتلاء محض أو حرام ، على ما رواه أبو ذر رضي الله عنه .

وأما الجهد على تكثيرها ليس بمرضي في مذهب الصوفية احتياطا لمن ألهاه سورة التكثير ، الدنيا رأس كل خطيئة ورأس كل خديعة ، ولا يرى خدعها وخطيئتها عند حبها إذ محبها كالسكران ، أليس حب الدنيا مفسد الأعمال ومخرب القلوب ، بلى إنه مورث آفات القلوب في جميع الأديان ، ومنبع الأخلاق الذميمة كلا ، ومزيل الأخلاق الحميدة ،

وسبب زوال الإيمان في بعض الأحيان ، إذ محب الدنيا لا يخلو عن النفاق ، كأطواره وأفعاله وأقواله حين معاملاته بها ، حب الدنيا شجرة لا ينبت قلب من ذاق حلاوة إيمانه ، ومن أثماره الحرص والحسد ، والبخل والغضب ، والجزيزة والكذب ، والرياسة والنميمة وعرض المسلم ، والافتراء والبهتان ، وعدم التوكل وعدم القناعة ، إلى ستة وستين من الرزائل . . . ولأجل ذلك أمر السلف للطالبين بالزهد عنها ؛ لأن الطالب الذي لم ينقطع عنه حب الدنيا وبقي فيه من شائبته ليس من أهل الحضور الدائم ، ولا شك تكون ذلك سبب الفتور في عبادته ، مع أن محب الدنيا لا يقدر أن يتصدق بصدقة ، وأحسن بإحسان ، وأهدى هدية لما يعتريه من الخواطر المفسدة ، إحدٰها التي تفسدها أو تفسد ثوابها كالمن أوالحيلة بأدائها ، أو العجب أوالاغترار ، أو الأذاء أو سوء الظن إلى المستحقين بعدم الاستحقاق ، أوتذكرها مع ذكرها لطلب الرياسة ، أو لجلب حسن الظن إذ الطبيعة مجبولة(١) بحبها .

ومن المعلوم أن المحب يعظم المحبوب ، ولا ينساه كفاقد شيء من جملة ما يحبه ، مع أن فقدان المحبوب يوجب الحسرة والندم ، وكلاهما يورثان ذلك المفاسد بمواضعه .

والحق الأحق يجب لطالب الحق ، وسالك ذلك السالك المدقق فيه ترك حب الدنيا إن كانت موجودة عنده ، وإن لم تكن موجودة فالقناعة واجب ، وإن كانت موجودة ولم يقدر على ترك حبها فالواجب ترك نفس الدنيا ، وإن لم يقدر عليهم فترك طلب الكمال .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية فحركتم بما تحركتم ، ظهر بما أضمر

(١) وفي نسخة : مجلوبة

في لجة انفسنا ، وقرّ فيها وصار سبب سوء ظني على الإخوان بأنه لم ينقطع عنهم عرق بعض العقبات المانعة من الكمال ، ومن هذا المقام يتكدر قلب أهل القلوب ، للطالب المطلوب كماله ، لا لنفس من تكدر قلبه بغير وجه من الوجوه الظواهر ، ولا يخفى أن الأمر الماضي نشأ من المقدار الذي أعطيتموه لأجل تل غراف[1] وأعطيته كأنه ضاع وصاع في الواقع ، وصار سببا للتكدر والمرض لكونه مضمراً في قلبي حتى ظهر لكم وجودها في صدري ، ولو خفي كيفيتها عليكم والماضي خلاف الحال والاستقبال لأنه مضى وقضى لا تحزن ولا تضيّق بأمثالها قلبك .

أسئل الله تعالى العفو والأمان[2] من شرور أنفسنا ، وأستغفر الله تعالى من قبائح أعمالنا في الماضي والحال .

هذا ثم السلام عليكم ورحمت الله تعالى وبركاته وكمال غفرانه وأتمّ رضوانه بكمال الرضاء ثم الاسترضاء ثم الرضاء ، ونسأل الله تعالى أن يرضيكم عنا بفضله ، وإن لم نكن أهلاً فإنه أهل .

ثم شكيتم في كتابكم بالنقصان وبفقدان ما وجد وبقلة الوجدان ، فاستقم وثق بالله الرحمان ، ثم تفطن أن كلما وجد على الاستقامة بالشريعة ثم فقد على حال الاستقامة فيها بلا فطور ولا نقص منا فيها فيما أوصينا به لا يعد نقصاناً ، ولا يتوهم فيه خسران ، بل بشارة الكمال ، إذ الفقدان بعد الوجدان على ما قرر إلى ثمرة[3] الترقي وثمرة البقاء إذ البقاء عبارة عنه .

وأما قلة الذوق أو عدمها في العبادة إن لم يترك من شروطها شيئ

---

(١) وتل غراف اسم للخيط الحديدي يعلم به الخبر من الغائب كما هو مرئي وموجود في جميع البلدان

(٢) في نسخة : الأماني

(٣) في نسخة : إلى إمارة

ولم ينقص من أركانها وكان في العبادة كأنه مجبور بها مع أن النفس يعمل بها كالآلة الجامدة بلا ذوق ولا شوق كالمشقات المعتادة بلا خوف من النيران ولا لطمع من الرضوان ، بل استحياء من الرحمن هي كمال الفناء ، وأول قدم البقاء كما قال سيدنا سيد الطائفة الجنيد رضي الله تعالى عنه : التلذذ من العبادة شرك . انتهى

يعني كلما يحبه القلب ويهواه سواء كان من العبادة كالصلاة والتلاوة ، أو من آلة العبادة كالمصحف والسجادة ، حجاب عليه من قبيل قوله تعالى ﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ انتهى .

فهم من مكتوبكم رجائكم في أثر المبارك هذا أزيد من سائر الأوقات إلى كمال الرحمة ، نعم وكنا كذلك مترقباً حتى فهمنا في العشرة الأخيرة كأنكم غرقتم في بحر الرحمة ، وألبستم بلباس الرحمة وبأعلى الدرجات ، وقل رب زدني علما والسلام .

وأيضاً مما يخالج في قلبي أن أكتب إلى الإخوان المحاسبة في أنفسهم ، بأن يقابلوا أعمالهم وأفعالهم وأطوارهم ، وشعارهم مقابلة أعمال الصلحاء هل يوافق أم لا ؟ ولا أقول يجب الموازنة بالمرشدين والمسترشدين في عصره وزمانه ، أو بمن يساويه حسباً في الدين ، وهذا صورة المحاسبة الصوري ، والمحاسبة المعنوي : أن يقوم كالميت بين يدي المولى بعبودية وأمام مولوية الجبار بأن يحاسب حقوق العبودية وحقوق المولوية ، ثم أن يوازنوا بميزان الإنصاف أعماله وعبوديته ، هل يصلح له شيء إلى المولى الكريم أم لا ؟ ثم يحاسب في نفوسهم يوم السؤال والحساب ، هل يقدر الجواب ، أله حيلة من أنواع الحيل بين يدي الناقد البصير ، وهل له طاقة وتحمّل للفضاحة يوم الفزع الأكبر . . وهل له طاقة الاستماع بعد قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ إلى

أمره ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ؟أم له مفر ؟ كلا . . أين المفر وإلى ربه المستقر ؟ مع قطع النظر عن العقوبة بالنار والسلام .

محمود بن الحاج محمد أفندي الداغستاني رحمهما الله تعالى وقدس سره العالي

وبعد ؛ قد وصل إلينا مكاتيبكم العلية مرات ، ولم أنل إلى جوابه لعدم الفراغ من الأمراض ، ومن ألم القلب هو أشد الأمراض ، مع كثرة الأشغال بعد الفراغ من حضرتكم العلية إلى الآن ، مع أني الآن « لا إلى ولا إلى » رضي الله تعالى عنكم وعنا وعن جميع المسلمين فهمنا ما فهم من البداية إلى النهاية .

كنتم سألتموني عن بديع المصنوعات الجامعة الأضداد من الحسن والقبح من أعلى مراتب قدسية الملكية إلى حضيض دناءة البشرية ، وعليها خطاب الله تعالى العلية وبه نكلف ونحاسب وبه نثيب وعليها نعاقب ، مع أن البشر عبارة عنه ، وما يترتب عليها من الأبدان والقوى من لوازمها ، وهي المالكية في ملكها ، بمشيئة الله تعالى ألا وهي النفس ، وفيها أقوال العلماء المشهورة المتداولة مستغن عن البيان .

والمرضية عندي هي : الجوهر اللطيف النفيسة كالمرآة ، ولها وجهان :

وجه إلى البشرية ولذا يعد من عالم الملك ، وفيه مراتب : أمارة ،لوامة ، مطمئنة ، ووجه آخر إلى الملكية وهي أيضاً ذات المراتب : راضية مرضية ، سليمة[1] ، والحق أن هذه الثلاث مرتبة الرضاء ، والمرضية والسليمة القدسية من شعب الراضية ، ثم الأمارة في مطلق الإنكارو الكفر[2] .

---

(١) وأيضاً تسمى نفساً قدسية . « منه » .

(٢) وتراها في نفسها حسناً ولا تميز الخبيث من الطيب « منه هامش الأصل » .

واللوامة أيضاً لكنها تميز الخبيث من الطيب ، وبالخبث تلوم ، ويسر بالطيب ، ومن هنا ابتداء رياسة النفس ومغروريتها في العبادة .

والمطمئنة كالمؤمن[١] المضطر في إيمانه ، تميز الخبيث وتهجره ، وتحب الطيب وتنقاد ، ولكن صفتها الطبيعية الجبلية متضمنة فيها وإن لم تظهرها لخوف الهبوط عن الدرجات العالية بينها وبين الله تعالى ، مع أن اقتضاء الخبائث لم ينقطع عنها .

وهذه الرتبة من رتبة اللوامة إلى نهاية مراتب المطمئنة مرتبة الاجتهاد ، ومثالها في المطمئنة[٢] مثل الكلب المعلم يعمل ويطيع الصياد ، وتصيد في نظر الصياد ، ولاتخالفه إلى ما غفل عنها الصياد[٣] ، فلما ألقى الصياد ربقتها عليها وغفل وعلمت أنها لا قائد لها ولا خلاف أنها تخالفه وسبب المخالفة المقارنة ، كما أشرنا إليها هي الجوهرة اللطيفة النفيسة كالمرآة فتنعكس عليها عكوسات ما قارنها من الحسن

---

(١) « فإنها لما وصل إلى مقام القلب اضمحلت فيه ورجعت إلى الانقياد وأما الانقياد والاضمحلال إما بمحبة الأخوة بينهما ، وإما بالفناء على صورة فناء القلب ، ولكنها مترددة في الأول ، ولو سميت في الأول مطمئنة واطمئنانها وصف بلا حكم ، ومطمئنة تامة في الثاني ، وهي بعد الوصول إلى نهاية القلب ، هذا وقت المؤانسة مع الروح ، ووقت العروج إلى عالمه ، ثم الراضية ثم السلام « منه قدس سره العزيز ، اللهم ارزقني فيوضه وبركاته بحق جميع الأنبياء والأولياء وخاصة بحق سيد الوجود سيدي وسندي ومولاي ورسولي صلى الله عليه وسلم ، وآله وأصحابه أجمعين ، آمين يا أرحم الراحمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الوهاب الودود الحبيب »

(٢) لا يخفى أن نفس المطمئنة في مقام القلب ، والراضية في مقام الروح « منه قدس سره »

(٣) وهي الفعل الموفق بمقارنة الروح لكونه كالوزير والمدبر المطاع بتوفيق الله تعالى للنفس مع الأخوة بينهما ؛ لأن الروح كالأب والنفس كالابن الصغير له ، والقلب و العقل كالأبناء الكبير للروح ، وسبب المؤانسة والاتحاد في الأمارة هذه الموافاة والاضافيات ، كما تكون وسيلة لميل النفس إلى ارتقاء عالم القلب وإلى عالم الروح في الراضية . والسلام . « منه رحمه الله تعالى » .

والقبح ، ولأجل ذلك قال أهل الخير : الطبيعة سارقة والأقوال سارية ، وهذا المقام لا يخلو عن شائبة الرياء ، ولكنها يعد وقاراً ، لرجوعه إلى الخيرات ، كتزيين الشيخ وتزيِّيه في نظر الطالبين أو لتصيّد قلوب الناس لإهدائهم إلى سبيل الخير .

ثم لا يخفى أن السير في هذا المقام مختلفة باختلاف طبائع الطالبين من أهل اليقظة والغفلة ، وأهل اليقظة ترى نفسه خارجاً عن شخصه مفارقة عنه ، نعم فإنها تفارق عن شخصه ، لتجرد الروح عن النفس ، وأما المفارقة في النفس اللوامة يوجد أحياناً كمفارقة شخصين مغايرين(١) ولكن المفارقة بالانتزاع بفناء لطيفة من اللطائف على صورة نزع الروح بالعروج إلى عالم الأمر في نفس المطمئنة ، فحينئذ يراها الطالب على هيكل شخصه ، ولكنها بالأظفار المفترسة كأظفار الأسد بل أشد منها(٢) ، كأنها تنظر الفرصة للافتراس ، نعم فإنها خارجة فارقة عن شخص الطالب ، ولا تمس الطالب ولا تلاصقه ، ولا تتحد مع الشخص في وقت الاستقامة والنزاهة(٣) إلى أن يصدر عنه من المكاره ، فإذا صدر عنه المكاره تمسه بأظفارها من عضوه الذي صدر منه الكراهة ، وإن زاد الصدور زاد المس والالتصاق ، ثم إن اشتد عليه حب الشهوات وغلب عليه الذهول تتحد مع الشخص يصدر عنها المخالفة والمناهي بطول الأمل والكسل ، وتسويف العبادات وتضييع الأوقات ، كما صدر عن سليمان عليه السلام ، وهذا المقام هو الذي وصفه مولانا الإمام الرباني رضي الله عنه في « مكتوباته » : **يد صدكه كردد ازفعل به خودش نكددد**

---

(١) على صورة خبيثة كالكلب مثلاً ، أو على صورة رجل مفسد أو على صورة أجنة أو على صورة كافر ، هكذا مفارقتها والسلام . « منه رحمه الله تعالى » .

(٢) أو مسوّد الوجه ملوث الجوارح « منه رحمه الله تعالى » .

(٣) « في النسخة الأصل ـ والنزافة ـ ولعل المراد والنزاهة . والله أعلم » .

« يعني وإن كانت مطمئنة لا يتكأ عليها ولا ينقطع عنها الميل إلى الفساد ونطق به الورود والخبر وعلى صاحبه ألف ألف صلاة وتحيات مقدار ما يخالج القلوب ويتحرك الصدور بقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين » مع أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أسلم شيطاني » عند من قال المراد من الشيطان الشيطان الأنفسي .

هذا والراضية و المرضية القدسية أيضاً لا يتكأ عليها ولا يبعد عنها المخالفة أي لا يعدّ محالاً ، ولأجل ذلك قال الجنيد رضي الله تعالى عنه وعنا وعن جميع إخواننا آمين في جواب السائل عن ارتكاب الولي على الكبائر وعن معصوميته وعن محفوظيته عنها : يفعل الله ما يشاء ، ولكن الراضية المرضية القدسية أبلغ من المطمئنة بمراحل[١] ، فإن النفس الراضية يتحد مع الروح ويفارق عن شخصه العنصري على هيئة ملك كريم بلا فرق ، ولا يرى فيها شيء من شوائب البشرية مع عدم استمالة رجوعها إليها ، وهذا المقام كمال النفس ، والنفس الناطقة والروح والعقل ، والقلب متحد في هذا المقام[٢] ، ولو يكونوا متحدين في الحقيقة وأيضاً يتحدون في الأمارة ، هذا ما حققنا وإن اقتصرنا في البيان واكتفينا بالمجمل ، ورأينا الهياكيل للمحقق الدواني ـ رحمه الله تعالى ـ أرقى وأزكى تحقيق آخر[٣] ، وأثبته بالبراهين ، وأبلغ في بيانه موافقاً على مذهب الصوفية كثّر الله تعالى سوادهم .

« محمود الفعال الألمالي رحمه الله تعالى »

---

(١) لأنها ارتقى من مقام البنوة وهو مقام القلب إلى مقام الأبوة واضمحلت فيها بفنائها على صورة فناء الأب وهو الروح « منه رحمه الله تعالى » .

(٢) وهذا المقام مقام العبودية والعبادة كما قال الله تعالى : ﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾ الآية ، الخالصة لله تعالى ، ولرضاء الله تعالى جل سلطانه ، وعم نواله ينتهي فيه الجلال إلى الجمال والسلام « منه رحمه الله تعالى » .

(٣) في حقيقة النفس ولم يتعرّض إلى مراتبه من الأمارة والاطمئنان وحكم ببنائه وعدّه بالروح واحد أوأثبته بالبراهين « منه رحمه الله تعالى » .

مهم

والرخصة للعوام في جميع الأحكام وللخواص ليس فيه نصيب ، ولا يخفى أن مراتب الأمر والنهي كما فيٍ كتب الأصول أخص للخواصّ ، خلاف العوام في مذهبنا الصوفية ؛ مثلاً للسنة حكم الوجوب وللمكروه حكم الحرمة من قبيل « حسنات الأبرار سيئات المقربين » اللهم اجعلنا من خواصّ وأخص خواصّ عباد الله تعالى الصالحين .

« محمود الفعال مرضي الخصال قدس الله تعالى سره العزيز الخ الخ »

وصية شيخي و سيدي وجدي غوث الزمان محمود أفندي الألمالي

ثم اعلم أيها الأخ العالم الرباني الوفي بترويج سنن السادات السني ، والعمل على ما كان عليه السلف الصالحون هذا وصيتي إليك أولاً وآخراً ، سراً وباطناً ، بعد البعد وراء الوراء إلى ما يحيطه الآراء ، وينتهي إليه تعالى الأزمان والأبعاد ، والأحيان والأضداد ، من الآزال والآباد ، **الاستقامة ثم الاستقامة ، ثم المحاسبة** بالنفس في النفس ، واتباع السنة وملازمة الوقت والفرصة ، وترك البدعة واتقاء الرخصة ، والرأفة لخلق الله تعالى لرضائه تعالى ، والترحم عليهم ما أمكن ، وتحمل الأذاء منهم ما تقدر ، وترك المخالطة معهم في الباطن ، والتجرد فيه إليه جل شأنه ، ولو كنتم في الكثرة صورة كن بالعزلة والوحدة معنى وحقيقة .

فوض أمرك إليه تعالى جل سلطانه في جميع الأمور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

فاجتهد بما أمرت أمركم الله تعالى بالإرشاد والإهداء ، ولو بلسان عباده ، فإن ألسنة العباد أقلام الحق ، وبه يحق الحق ويبطل الباطل ، فإذا جاء الحق زهق الباطل فإن الباطل كان زهوقا .

« محمود الفعال أفندي الألمالي رحمه الله تعالى »

أيها الأعز[١] رزقنا الله تعالى ورزقكم الترقي في جميع أمورنا الصالحة لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، موافقاً لرضائه تعالى ولرضاء رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم يلزم أن تلازم الحضور وتذهب إليه بالذكر بداءً .

ثم إن استقر فيه بقدر ما يسع وقتك وقدرتك ، في الخلوة والجلوة ، والقيام والقعود والذهاب والصعود والهبوط ، ويلزم أن تنظر بعين الخيال مع الهمة إلى النقطة الواقعة في وسط القلب بلا ملاحظة صورة القلب وصورة النقطة بل يفرض ويلاحظ أن **ذلك النقطة التوحيد الذاتي والتوحيد الشهودي والتوحيد الوجودي** الذي يستغرق فيه جميع المشاهدات ، والموجودات ، وجميع ما سوى الذات سبحانه ، حتى ينفتح ذلك النقطة إلى القلب البسيط ، بفضل الله تعالى وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهمة أوليائه ، لعل الله تعالى ينطقنا في مكتوب آخر بما يناسب المقام .

والله الهادي وإليه المآب والمصير ، والسلام والإكرام . « منه قدس سره العزيز »

ثم صلوات النبي صلى الله عليه وسلم الذي داومنا عليه ، « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله » ثم إذا اشتدت المحبة تجري على

---

(١) ترجمة : وصية غوث الزمان وقطب الأوان جدنا محمود الفعال مرضي الخصال أفندي الألمالي ، لمأذونه الشيخ الكامل المكمّل محمد ذاكر أفندي الجستاوي « رضي الله عنه وعن جميع مشائخنا ورزقنا بركتهم . آمين »

اللسان بما رزقنا الله تعالى منه بلا اختيار أي بلا إرادة بحب القربة .

ولا يخفى أن الصلاة مما أمرنا به خضر عليه السلام شفاهاً في اليقظة ، **وهي مفتاح جميع الخزائن** ، ثم بكلمة التوحيد ، ثم بعد تلقين الشيخ مرّ سنون أنعم ، ومنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا بالكلمة الطيبة مكتوبة على رقعة ، ثم جرى بما جرى الله تعالى ومنّ علينا بلا اختيار وكما أوجدت من الحقائق واليقين بواسطة خضر عليه السلام ، وتربيته الخاص من نبينا صلى الله عليه وسلم فضلاً من الله تعالى وتقدّس ، لكن بعد وساطة شيخنا الحاج يونس أفندي حيا وميتاً لأنه كان سبباً للفناء ، ثم رباني مجدد الألف الثاني ، ثم شاه معصوم ولي ، ثم رباني الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى بعد تربية الله تعالى في زمان صبوتي ، ثم شيخنا الغوث ذو الجناحين ، مجدد المائة خالد شاه السليماني قدس سره ثم بعد تربيته في أول السلوك ثم غوث الواصلين بهاء الحق والدين البخاري ، قدس سره ، بعد تربيته في أواسط السلوك ، وكلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً من الله تعالى . . تهجّد ولا تغفل من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم يلزم لكم أن تكتبوا أحوالاتكم ووقائعكم إلينا أيا ما كان بالترتيب وباوضح العبارات وبأجلى الخط ليكون أسهل للقراءة ، وأسرى إلى الفهم ، ويلزم أن تجاهد بالنصيحة والموعظة والتأديب والتعليم لسائر إخوانكم التائبين لتهذيب الأخلاق ، والمداومة على الذكر ، والاتباع على السنة ، والاجتناب عن البدعة وعن سائر المحرمات ، الشائعة بين أهل زماننا كالغيبة والنميمة والافتراء وسوء الظن **خاصة في ضبط النظر عن المحرمات لأن النظر على المحرمات من النساء فضلاً عن المعاصي مورث القساوة ، وموجب الحرمان في البصر عن الاختيار في الابصار**

والبصيرة ، وسبب القساوة[1] للقلب المجلي والصيقل دون قلب المحجوب عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، رزقنا الله تعالى ورزقكم الاجتناب عن المناهي وعن المكاره بفضله وكرمه ، وأسأل الله تعالى لنا ولكم الاتباع على السنة السنية المحمدية والشريعة الأحمدية ، والانتفاع بها في ديننا ودنيانا بجاه محمد عليه الصلاة والسلام . « محمود الفعال كريم الخصال قدس سره العزيزورزقنا من بركات أنفاسه وفيوضه آمين » .

كيفية تربية شيخي وسيدي قطب الزمان وغوث الأوان محمود أفندي الألمالي ـ قدس الله تعالى سره العزيز ـ وروحي وجميع إخواني وآبائي فداه

مطلب مهم جدّاً

اعلم أيها الأخ ؛ أوصيكم بوصية لم توصَ خيراً منها ، فاسمع واعمل بمقتضاها ، أهديك إلى صراط مستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، هدانا الله وهداكم .آمين .

ولا تقل من قول ولا تباشر مباشرة إلى الأعمال والأفعال إلا بملاحظة رضاء الله تعالى فيه ، وفوّض نفسك وأمورها كلاً إليه سبحانه وتعالى وتقدّس ، ولا تجعل حاجتك خارجاً عن حد المجيد الجامع ، « إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي » فاقتصر دعائك عليه ، حتى لا يبقى مقصودك غير ذاته سبحانه ولا مطلوبك إلا رضاه جلّ سلطانه ، ولا يترتب هذا الأمر إلا بالصدق في الإرادة والترك ، والصدق في الإرادة أن يكون جميع أمورك خالصاً لله تعالى في جميع المعاملات ، حتى في

---

(١) وفي نسخة : الغشاوة

الأكل والشرب والقيام والقعود والنوم ، واليقظة والحب والبغض ، خاصة في العباد حتى يكون خالصاً لذاته تعالى ، لا للجنة ولا للنار ، ولا لصفاء الباطن ولا لكسب الدرجات ، والمقامات في مراتب الولاية ، ولا للكرامة والإرشاد ، وأحسبه جل جلاله يقيناً وليّ جميع أمورك الدينية والدنيوية ، ووليّ أمور الخلائق كلها لا بالعلم والاعتقاد وحده ، بل بالتفكر الصائب مع الاعتقاد في موارد جميع الأمور ، الواقعة انه تعالى وليها ، فانسب ذلك الأمر إليه تعالى ،مع قطع النظر عن موارده من الحي والجماد ، فتفكّر في جريان الماء كأنه يجري باختيارها في بادئ النظر فإذا رجعتَ إلى البصيرة وتفكّرت فيه يظهر أن الله تعالى يجريها ومرسيها إلى مجراها ، **وكذلك الخلق كله في قدرة الله تعالى ، كالقلم في يد الكاتب** ، ومن المعلوم أن كتب القلم بحسن الخط والصيقل مصيب لا يقطع رأسه ، وإلا يعاتب ويعاقب بالقطع فيلزم بل يجب علينا الرضاء عند تقدير الله تعالى سواء كان خيراً كالغنى في أحوال الدين ، والدنيا والصحة ، والسلامة والجنة في الآخرة ، أو شراً كالفقر والمرض والخسر في الدين والدنيا ، والنار في الآخرة ، لا لأنه كفر لأن الرضاء على الكفر كفر ، بل لأنه تقدير الله تعالى والرضاء على الكفر لكونه تقدير الله تعالى إيمان ، فإذا تلخص هذا على صحيفة التأمل ، والتحمل وصار ملكة في الطالب أذاقه الله تعالى بفضله سبحانه حلاوة في كمال إيمانه أولاً بيقظة الباطن ، ثانياً بحقيقة الإيمان مع البصيرة عن مراتبها ، لا المراتب المألوفة المكتوبة في الكتب ، بل للإيمان مراتب في الباطن لدى المشاهدة بالمشاهدة ، ثم بالخوف على زوال ذلك الإيمان مع المشاهدة في الخوف وبالرجاء أيضاً بالمشاهدة عليه ، وهذه الأمور في السير والسلوك ، إلى مقام الرضاء ،لا من مقامه ، ومقام الرضاء فوق مقام الخوف والرجاء حتى[1] تم الخوف

(١) وفي نسخة : متى

والرجاء بالمشاهدة ، وعارج الطالب عن مقاميهما بالتسليم إلى الله تعالى في جميع أموره ، حتى لا يبقى فرق الجنة والنار لا من جهتهما من جهة الخوف والرجاء ، يتحقق مقام الرضاء : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولا يخفى أن الحزن من لوازم الرجاء ، رزقنا الله تعالى ورزقكم طي مقاماته باليقظة والمشاهدة إلى نهايته حتى نسمع « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » ثم مقام العبودية كما في « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » الآية ، وهذا السير مشرب المحمدية المحمودية نسأل الله تعالى لنا ولإخواننا ذلك المشرب مشرباً هنيئاً والصدق في الرب هو ترك ما وراء ذاته تعالى عن صحيفة الباطن ، حتى يرى جميع الخلق معدوماً في مقابلة وجوده الحقيقي بالمشاهدة ثم ترك الترك وهذا الترك يتحقق بتحقق الإرادة بكمالها والسلام يقودنا وإياكم إلى دار السلام .

تمّ

رسائل شيخي وسيدي وسندي وجدي أبي الفضائل والمعالي ، قطب الزمان وغوث الأوان الشيخ محمود أفندي الألمالي ، لمريده ومأذونه العالم الرباني والفاضل الصمداني ، المرشد الكامل والرجل الواصل الشيخ محمد ذاكر أفندي الجسطاوي رحمهما الله تعالى وقدّس روحهما ونوّر ضريحهما ، اللهم بجاه نبيك وحبيبك المصطفى وآله وأصحابه وأرباب العبا أسألك أن تجعلني وجميع إخواني من أحفاده المقبولين وأبنائه المرضيين آمين .

انتهى في ليلة الثلاثاء الثامن من شهر ذي القعدة الحرام من سنة ١٣٢١

اللهم اجعلنا من أهل التسليم إليك ، والتفويض لا من المشركين لك في الأمر والنهي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم اجعل كتبتي هذا سبباً لوصولي إليك ، واجعلني عبدك ونيل بركاته إلينا وفيوضاته علينا اللهم أتوسل إليك واتوجه إليك بنبيك وجميع أنبيائك وأوليائك أن تجعلني مع جميع أحبابي من عبادك وممن تركوا جميع من سواك لأجلك بالمشاهدة المرضية والبشارات الكشفية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العزيز الحكيم .

كنز المعارف

في أســـــرار اللطائف

دار الرسالة

داغستان - محاج قلعة

ترجمة المؤلف

بسم الله خير الأسمآء ولله الحمد والثنآء والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله المجتبى

أما بعد ؛ ليس من اليسير أن يكتب المرء عن سير العظماء لكثرة مناقبهم واستفاضة فضائلهم ، لا سيما من كان في مستوى سيدنا الحسيني سيف الله قدي النقشبندي الشاذلي القادري الشافعي المجددي المحمودي الأويسي قدس الله روحه ونوّر ضريحه . فإن العبارات تتقاصر عن وصف مناقبه وشمائله المباركة الشريفة .

لقد كان الشيخ سيف الله عليه سحائب الرحمات من العلماء العاملين والفقهاء الوَرِعين ومن العارفين الذاكرين المعنيين بتربية الرجال وتزكية النفوس حتى غدا فى رأس قائمة رجال التصوف الإسلامي وأئمته فى ديار داغستان وما حولها . كما كان رضي الله عنه من كبار علماء المسلمين والصوفية الكُمَّل في القرن الثالث عشر الهجري وله شهرة عالية بلغت الآفاق ؛ فقد كان قاضيا ومفتيا ومحدثا ومفسرا وبفضله انتشرت الطريقة الشاذلية وسائر الإجازات العلمية العالية فى بلاد داغستان وغيرها .

ولقد أدرك قدس سرهُ أواخر خلافة الإمام شمويل رحمه الله وعاش فترة يسيرة من عمره المبارك بعد استيلاء الشيوعيين على مقاليد الحكم الذين خربوا المساجد والمدارس . وحرقوا الكتب والمصاحف . وقتلوا خيار الناس من المشائخ الكرام والعلماء العظام . ونهبوا من الناس أموالهم وتركوهم بلا شيء . . كما أسسوا لفكرة « اللاّدينيَّة » حتى يفرغوا القلوب من العقيدة الصحيحة ودسّوا فى قلوب الجهال من الكبار والصغار « نظرية دروين في التطور » بعد أن كانت ديار داغستان موطن العلم والعلماء وراية العدل والأمان .

مولده

ولـد الشيخ قدس سره فى سنة « ١٨٥٣م » « ١٢٦٧هـ » فى قرية « نِزَوْكْرَا » التابعة لمنطقة « لٰاكْ » فى بيئة علمية . فقد كان أبوه حسين وإخوته الخمسة من العلماء الكبار المهرة . ومع ذلك كان حسين صائغًا و اخو ابيه عبد الله صار طبيبًا حاذقا وذهب إلى إمام شمويل رحمه الله مع عائلته وكان إلى آخر عمره معه . وباقي إخوته عِسَلَوْ وعَلِيحَجِ وعُبَيْدْ كانوا كلهم صوّاغًا وصناع سلاح . وأمه بَخْتِنْ كانت امرأة صالحة تعرف مع لغتها القومية اللغة الأوارية وتفهم الغة العربية وكانت قابلة من قوابل قرية « نِزَوْكْرَا » .

نشأته

نشأ قُدِّسَ سره منذ صغره نشأة دينية محبًا للعلم والعلماء ، حتى أطلق عليه اسم « قاضي » وهكذا بقِيَ مرتبطًا باسمه « قدي » « بإبدال الضَّاد دالاً » .

وفى سنة ألف وثمانمائة وَواحد وستون « ١٨٦١مـ » ذهب مع أبيه إلى « أَشْتَرْخَانْ » ودخل إلى المدرسة الإسلامية للتَّتَارْ ، وتخرَّج منها بعد ثلاث سنوات ؛ ثم درس في المدرسة الروسية خمس سنوات وتخرج منها .

وفي سنة ألف وثمانمائة تسع وستون « ١٨٦٩مـ » رجع إلى وطنه . ثم تتلمذَ على يد العالم المشهور في داغستان حسن الكدالي ، وتعلَّم عنده علوم اللغة والفلسفة وعلم الحساب وعلم الأدب . وفي هذا الوقت كان يعرف عشر لغات : العربية ، والأوارية ، واللَّاكيَّة ، والفارسية ، والتركية ، والروسية ، والغموقية ، والتتارية ، والكزاخية ، والبشكيرية .

ولاحت له بعد ذلك فرصة لتعلم العلوم العملية . فكان منذ صغره يميل إلى علم الطب . وكانت أمه معينة له في ذلك ؛ إذ كانت تعرف صنعة الدواء من الأعشاب . كما تعلم الطبَّ أيضا حينما كان مدرّسًا في مدرسة « كُدَالِي »

فدرس كتاب « القانون في علم الطب » لابن سينا ، ودرس علم الجغرافيا . فكان قدس سره حريصًا على تعلم العلوم العقلية والنَّقلية .

وفى سنة ألف وثمانمائة وسبع وسبعين « ١٨٧٧م » قامت ثورة أهالي داغستان ضد الرُّوس . وكان قدس سره غير راضٍ عنها . ولكن اتُّهم باطلًا بالمشاركة فيها ، فتمَّ نَفْيُه إلى « كُبِرْنِيَا سَرَاتُوفْ » وفيها تَعَرَّفَ على الأطباء الألمان الذين كانوا يعملون في المشفى هناك فتعلم لغتهم . كما استفاد منهم في علم الطب زيادة على ما كان عليه ؛ حتى نال منهم وثيقة تشهد بأنه طبيبٌ حاذقٌ .

وبعد الرُّجوع من المنفى ذهب للعمل في « وْلَدِكَوْكَازْ » وذلك بطلب منهم ؛ فاشتغل هناك أربع سنوات . وفى سنة ألف وثمانمائة وأربع وتسعين « ١٨٩٤م » سافر إلى « أَشْتَرْخَانْ » مرة ثانية للعمل فيها طبيبًا . وفي سنة ألف وتسعمائة وثلاث « ١٩٠٣م » أعطت له اللجنة الحكومية شهادة في الطب يمكن العمل بها في أيّ بقعة من بقاع روسيا .

وفى سنة ألف وتسعمائة وأربع « ١٩٠٤م » أَسَّسَ في داغستان مجتمع الوحدة للمسلمين . وكان مندوبًا في مجلس الدُّوما النكالاوية . وفي السَّنة نفسها سافر إلى جامعة الأزهر في القاهرة . وفى سنة ألف وتسعمائة وثلاث عشر « ١٩١٣م » عُيِّنَ رئيسًا للجنة ضد سياسة الروس في تبديل الكتابة منَ العربية إلى الروسية ؛ ولذلك نفوه مرة أخرى إلى « كُبِرْنِيَا قَازَانْ » . فكمث فيها عامًا واحدًا ثم سُمِحَ له بالرُّجوع إلى داغستان .

وفي سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر « ١٩١٧م » عُيِّنَ رئيسا للجنة الشَّرعية في وزارة الحربيَّة الدَّاغستانية .

وحَرِيٌّ بِنَا أن نشيرَ إلى أنَّ مَا ذكرناهُ من النَّاحية العِلمية والسِّياسيَّة يُعَدُّ شيئًا يسيرًا ممَّا وصلَ إلينا من سيرته قُدِّسَ سرُّه .

سيرته وسلوكه

وأما سيرته في علم التَّصوف فسننقل ما كتبه قُدِّس سرُّه بنفسه في « مكتوباته » وما كتبهُ مأذونه حسن أفندي القحي قُدِّس سرُّه في « سراج السَّعادات فى سير السَّادات » .

قال قُدِّس سرُّه : ثم إنك سألت أيُّ مشرب ربّاك الشيخ وإلى أي مشرب . . . الخ هلا تركت هذا السؤال ولو كنت تركته بالكلية لسُرِرْتُ ولكن لا بدّ الآن من الجواب . إن الشيخ المشهور العالم العلامة الحاج خَسْبُلاَتْ أفندي الكُسْتَاكِي لما لقيته وقعت بيننا محبة عظيمة جدًّا وأقامني عنده وقرأت عليه الكتاب « سلك العين » .

ثم إني أظهرت له قدس سره إرادتي فى حق أخذ العهد منه . وكان هو من خلفاء شيخنا محمود الفعال قدس سره فقال : أخبرني روحانية شيخي أن رضاعك يكون من الشيخ العارف محمد ذاكر قدس سره وأمره فى مقام عال وتكون عنده فى الربيع . فتحيرت من ذلك وقال لي ثانيًا : كنت تمنّيت أن تكون ابني بيد أن الأمر لله . فاشتقت لرؤية محمد ذاكر قدس سره فمرضت وبقيت مدة أربعة أشهر وخرجت بالوداع عنه فى الربيع قاصدًا إلى العارف محمد ذاكر الچستاوي وأخبرني الشيخ العارف السيد أبو عبيدة الحسيني بأن الشيخ أخبره بوصولي في وقت معين فوافق حضوري لديه كما قال ووصلته بفضل الله تعالى وعنايته فوجدته بحرًا لا ساحل له واليمن والبركة يفوح من جوانبه والنور يلوح من جبينه .

وكان قدس سره عارفًا بالله لا يأخذه في الله لومة لائم وما رأيته يتكلم بكلام الدنيا قط . وكان يفني أوقاته بالمراقبة . ففرح بحضوري فرحًا وكان هناك مريدون أزيد من ألف وخمس مائة وأنزلني في موضع حسن وما جلس في مجلس قط ما دمت في جواره إلاّ ودعاني لديه . وكان من هيبته ما يتحير به العقول . فبقيت مدة وأقامني على سلطان الذكر أربعين يومًا ثَمَّ بعد أن لقنني

النفي والاثبات . ثم إن قريبنا سيد أبو عبيدة الحسني قدس سره خليفته قصد الرجوع بأمره إلى الوطن وأمرني بالقيام لديه . فكتب إليه السيد عبيدة كتابا بأن والدة سيف الله في قلق فاستطلعني منه ولم يكن لي من ذلك خبر . فكتب إلي : لك الرخصة . ثم ذهبت لديه وقلت إني أرجع ثانيا لديك . فتبسم قدس سره وقال إذًا لا تراني . فبعد المفارقة منه ندمت ندامة الكسعي«١» حين لاينفع . ثم ذهب سيد عبيدة راجعا ومات الشيخ فإن رسالته تتوالى لدي كل وقت وقد وصى بأن أكون على مالقنه برهة حتى يقيّض لي من يقبلني والوصية على ما قال سيد عبيدة .

فبقيت كالحبة الملقاة بموت الشيخ لا أدري ما أفعل . وسعيت لدى من سمعته شيخا فلم يطب قلبي من أحد بعد أن رأيت ذلك العارف وبقيت كذلك . ثم وصلت الإشارة من روحانيته بذهابي لدي الشيخ زين الله المعموري الشريفي الكائن في ولاية سِبِيرْ جهة الشرق . فتحيرت فوصل في أثناء ذلك رسالة من سيد عبيدة بكونه لدى القطب العلامة زين الله الشريفي التريسكي ، والتمس مني ملاقاته وفصل فيه مناقبه وعلو درجته . فبقيت بعد ذلك أكتب إليه وهو يأمرني وينهاني . ووصل إلي رسالة بإجازة مقيدة لا أعلم ما أفعل .

ثم في ليلة أتاني روحانية العابد الكبير والولي الوفير عبد الله القوبي وقال لي : لازم عليك الذهاب إلى زين الله وهو منتظر لقدومك . ورأيت روحانية الشيخ محمد ذاكر قدس سره ونظر إلى جميع اللطائف وامتحن أمورا فأجازني بالإجازة المطلقة وسماني أويسيا . فحين ذلك تهيج أوصالي للذهاب إلى زين الله فخرجت متوكلا بالله في السنة الماضية .

فلما وصلت إلى أطراف سِبِيرْ لقي لي واحد وتكلم بالعربية والموضع ليس هنالك أحد من المسلمين وقال : إن هنا رجلا وأيّ رجل فإن لقيته تفرح . فذهبت لديه وهو على المشنة«٢» ووجدته رجلا لا يريد المكالمة . فذهبت

«١» هو رجل يضرب به المثل في الندامة لقصة حدثت معه وندم فيها بالغ الندم .
«٢» المشنة : وعاء من أعواد الشجر يضع فيه الريفون الخبز و غيره .

إليه مرتين وساء قليلا ظني قائلا : ما أثقله . وفي المرة الثالثة قال لي : كأنك تريد مجلس الشيخ زين الله . فقلت : اللهم نعم بالله ، فانشرح من قوله صدري ورافقته فوجدته عالما متورعا ومرشدا كاملا أمينا بارعا من خلفاء زين الله ، وهو أيضا يذهب للزيارة لديه . فوقع البسط بيننا ورافقنا إلى أن وصلنا إلى بلدة التريسكى ونزلنا في مسافر خانه . وذهب المذكور صديقي لدى الشيخ ورجع مباسطا : البشارة يا ولدي . ولم أعلم مراده وما سألته .

ثم في الصبيحة لاقيت الشيخ زين الله بن حبيب الله خليفة أحمد ضيآء الدين الكمشخناوي ، فوجدته قالب زمانه وعلامة عصره ، خارجا عن حد الوصف والمزاحمة عليه من كثرة الناس مما لم يسمع قط . فأدناني وقرّبني وجعل لي من بين الخلفاء مجلسا خاصا . ثم أقامني بعد انتهاء المراقبات في الأربعينيات . ثم بعد أيام جمع من الأطراف خلفائه وكان المزاحمة بكيف لا يمكن التوسل لدى الشيخ . فجعل قرى عظيما وصرف نقدا كثيرا في مجلس الضيافة وتصدق بصدقة عظيمة للناس وأمر الناس بالدعاء لي وللمسلمين كافة . وألبسني خرقة بيضآء تبركا التي توارثها من ساداته . وأجازني في بعض الأمور . وسلم ليدي أسانيد العلوم بعد الامتحان ، وسنده أعلى سند الآن في الدنيا في الحديث . ثم أقامني مدة ويتخلى معي بالتوجه والتلقين . ورأيت خلفآء من العلماء الكمل فوالله ما رأيت فيهم أحدا ولو أدناهم برأيى مما يليق أن أجلس معهم لعلو مقاماتهم . وكنت أحسب نفسي كالكلب عندهم . ومع ذلك كانوا لا يتجاسرون للجلوس إليّ حين كنت مع الشيخ ولم يكن بيني وبين الشيخ أحد ولم يكن الكلام والمصلحة إلا معي . وأظن أن ذلك لبعد مكاني وكوني غريبا .

تذييل : وقبل أن أصل إلى الشيخ كان يتردد في قلبي الشيخ محمد مراد المنزلوي ثم المكي مصنف « المكتوبات » وتعريبها ومعرب « الرشحات » وأمثالها فائق الزمان . فأخبرني الشيخ في مجلس أن محمد مراد يصل عن قريب . فلم أفهم من قوله مرادا ، ولم أتفطن ولم أقدر أن أرجع بالسؤال من

محمد مراد . ثم في يوم بشرني الشيخ بوصول محمد مراد وقال : إن محمد مراد كما كان اسمه مرادا وجسمه أيضا مرادا . ووقعت المصاحبة معه والمحبة . وكان حضر لزيارة الشيخ زين الله وحضر أيضا لزيارة حفيد سيد علي المحدث المدني . وإن المذكور مراد أفندي كان جبلا في العلم . فتشرفت بالطريقة القادرية قدس الله أسرار أهاليها . وكان المذكور ممن أخذ الطريقة الصديقية من عدة مواضع كسيد حسين جمل الليل وعبد الحميد الشرواني ومحمد مظهر وشيخ صالح الزواوي رضي الله عنه وكذا في باقي الطرق . وكان عند شيخنا في موضع القبول تماما .

ثم إن شيخنا زين الله متع الله بطول بقائه المسلمين جمع جميع خلفائه والعلمآء الأئمة والمشائخ ، وفعل لهم ضيافة عظيمة يحتمل أن يكون المجتمعون أزيد من خمسمائة . فسلمني صكّ الخلافة في الطريقة المجددية مختوما بخاتمه ووعظهم بكيف يهيج الأوصال ووقعت بينهم بكاء ووجد وقال : هذا مير سيف الله خليفتي وحامل أمانتي وهو ولدي ويده يدي وقبوله قبولي ، والله وليٌّ عليه في الدنيا والآخرة وأرجو منكم أن تحفظوا حرمتي فيه ورعاية أدبي به . ثم دعا لي والناس كلهم مؤمّنون . ثم أمر بالدعآء لي الشيخ محمد مراد وكذا أمر بعدة من الصلحاء . فقاموا كلهم وصاروا يقبّلون يدي ، فكان نفسي كأنها تذوب من شدة الحياء منه ومنهم لكوني بمنزلة الكلب في أبوابهم . ثم ألبسني الخرقة المذكورة وأجلسني عنده وأمرني بالقيام على الإرشاد . فاستعفيته غير مرة فقال : هذا أمري بالله لله فافعل ما أنت له . فبعد قيل وقال رجعت من عند الشيخ والقلب في حرقة من المفارقة . فبعد وصولي هنا كتبت رسالة بالاستعفاء عن توغلي في التربية نظرا لحال المريدين والمرادين . ومع ذلك وصل الأمر في هذه الأيام . وكان يريد أن أذهب إلى جهة بخارا وما وراء النهر لتربية المريدين لكثرة مريديه في تلك الناحية . وإني أيها الأخ في شغل عظيم وفي حيرة . وأرى صون نفسي في مقر بيتي والعلم عند الله ، والقصور عليّ لازم كل

وقت وعلي ضعف ووهن في القوة هذا حالي . وبينت لك قصتي وما نطقت بحرف من هذا مع أحد . ولولا الثقة لما أخبرتك وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وإن شيخنا المذكور أورع خلفاء أحمد ضياء الدين الكمشخناوي ، وهو أخذ الطريقة من القطب الفرد صاحب المقامات والأحوال الخارقة السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني ، وهو من القطب الشيخ خالد الشهرزوريرضي الله عنه . وإن الشيخ زين المذكور أخذ أيضا الإجازة عن عدة من مشائخ الكرام ، ولعلك تفوز بمناقبه وفي مناقبه تأليفات والله أعلم خير الأمور ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد أجاز رضي الله عنه المرشدَ الكامل حسن حلمي أفندي قدس سره بجميع ما أجازه أشياخه قبل فراقه من الدنيا . وألبسه بيده خرقته التي ألبسها عليه شيخه زين الله ﷷ وأوصى بتسليم خرقته التي ألبسها عليه شيخه في الشاذلية . وانتقل من الدنيا والحال أنه يذكر الحقير إلى آخر نفسه كما أخبرني من كان في حضرته وقت الاحتضار . فجزاه الله عني وعن أهلي خيرا ونوّر قبره ووسع لحده ورزقنا فيضه وبركته ولا حرمنا من رشحات ميامن روحانيته . آمين .

قد قرأ العلم عن علماء أجلة ، فصار متبحرا في العلوم العقلية والنقلية . وكان طبيبا حاذقا قد شفي بسبب يده الميمونة كثير من المرضى ، وسلك أولا في الطريقة على يد الشيخ محمد ذاكر الچسطاوي خليفة محمود أفندي قدس سره . وبعد موته دار في إستنبول وحلب ودمشق يطلب شيخا يربيه فلم يصادف شيخا ينشرح به صدره . ثم ذهب لدى قطب الوقت زين الله الشريفي التْرُوسْكِي . وسلك على يده في النقشبندية وأجازه بعد كماله فيها .

ثم سلك في الشاذلية على يد الشيخ محمد صالح وأجاز له فيها . وكان مجازا في القادرية وأجاز له زين الله أيضا في علوم الأحاديث وسائر العلوم النقلية والعقلية والأحزاب والمسلسلات التي جمعها محمد علي ظاهر الوتري وغيرها .

وكان قدس سره حليما وقورا ذا فهم وإدراك . يبين من العلوم غوامضها ، ويحل من الغوامض مشكلاتها . ويجيب لكل مسألة بما يتحير العقول والفهوم عن إدراكها . فكم وكم أجاب لمسائل الحقير بأجوبة مرضية يعلم ناظرها بأن المجيب صاحب نفس راضية وأحوال ذوقية ومقامات عالية . فجزاه الله عنا خيرا آمين . هذا ما ذكره حسن حلمي في « سراج السعادات » .

وقال سيف الله قدس سره عن بعض المشائخ ما معناه : إنَّ ديار داغستان وإن كانت معدن العلم لكنَّ البركةَ معدومة ؛ لعدم الإجازة عن المجيز المجاز ؛ ولهذا أجازه زين الله الشَّريفي في جميع العلوم العقلية والنَّقلية في الفروع والأصول متصلة إلى النبي ^ وعلم الحديث بأعلى سندٍ يوجد في الدُّنيا الآن . وقد روى قُدِّس سرُّه جميع أسانيده من طرقٍ نازلة وعالية . وأجاز قدس سره الشيخَ المرشدَ الكاملَ حسن حلمي القحي قدس سره ، وهو أيضا أجاز بتلك الإجازة علماء آخرين عاملين متورعين . فحصلت به الفائدة العامة والبركة الشَّاملة للكل في انتشار العلم في داغستان والحمد لله رب العالمين .

ومن أراد الاطلاع على المزيد مما ذكرناه في الأسانيد ؛ فعليه بالرُّجوع إلى كتاب « البروج المشيَّدة بالنُّصوص المؤيدة » في آخره عند ذكر الأسانيد ففيه بيانٌ تام وشفاءٌ للعليل .

ذكر بعض كراماته قدس سره

ومن الكرامات الدَّالة على علوِّ مقام الشيخ سيف الله قدس سره ، التقاؤه بأرواح الأنبياء عليهم السَّلام في عالم الأرواح . و رؤيته في المنام رب العزة والجلال سبحانه ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السَّميع العليم .

ومن ذلك ما كتبه قدس سره بنفسه : ومما منّ الله تعالى على هذا المذنب الفقير إلى إعانة مولاه القدير سيف الله بن حسين بن الحاج موسى ابن المجاهد

صاحب المزار شيخ باشلار النژبكري رؤية السادات هؤلآء أهل السعادات . مع ما عليّ من أثقال الذنوب والمعاصي التي ليست ما يساويها من كل شيء سوى رحمة الله تعالى وغفرانه . وفّقنا الله تعالى لرؤيتهم ببصر العين كما وفقني بالبصيرة والمنام . . . الخ . رأى قدس سره رب العرش سبحانه وتعالى غير مرة .

وقال أيضا : ورأيت الملائكة المقربين . ورأيت أبانا آدم وأمنا حوآء ونجيه نوح وإبراهيم الخليل ويوسف عليهم السلام غير مرة . وموسى الكليم وعيسى الروح الأمين غير مرة عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام . ورأيت مرات كثيرة سيدنا ومولانا وشفيعنا سيد الكائنات علم الأنبيآء والمرسلين في يوم العرصات محمد صلى الله عليه وسلم بكيفيات متفرقات . ورأيت فاطمة الزهرآء مرات ، وبشرتني بولد فولدت لي زبيدة أم الفضل . ورأيت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عالم الأرواح . ورأيت بيت الله الحرام والمدينة المنورة والروضة الشريفة أزيد من عشرين مرة . ورأيت هنالك عبد الله بن زبير والمعاوية والحجاج . ورأيت أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي المرتضى مرات كثيرة . والحسن والحسين وعبد الرحمن بن عوف وحمزة وعباس إبني عبد المطلب أعمام النبي عليه وعليهم الصلوات والتسليمات ملء الأرضين والسموات . ورأيت في كربلآء جثة الشهدآء من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا مع السبط رضي الله عنهم . وفي ليلة واحدة رأيت الإمام جعفر الصادق ثم موضع دفنه .

ورأيت أيضا من الأوليآء في المنام قضيب البان وشيبان الراعي . وفي ليلة حضر لدي قطب الشيوخ الأكابر الشيخ عبد القادر الجيلاني ومعه الشيخ المشهور دمدان المحي رضي الله عنهما ونفعنا من بركات أنفاسهم . ورأيت في ليلة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه . ورأيت سيدنا سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه . وفي الليلة الخامسة من ربيع الأخير رأيت عبد الله ابن الحاج ممّ القوبي ، وقال : رأيت روحانية شيخكم الشيخ الشهير زين الله المعموري . ورأيت رجلا وأي رجل بيد أنه قال لي : أتمنى رؤية سيف الله .

وقال لي عبد الله : يا سيف الله شيخك يطلب حضورك ويقول : ليس لي مريد لم أره إلا سيف الله . ثم انتبهت والحمد لله على كل حال . ثم سافرت لدى الشيخ وخدمته ونالني ما نلت وفزت بصحبته والحمد لله على كل حال .

ورأيت أيضا أني مع الإمام شمويل قدس سره الجليل . ورأيت في الواقعة بعد التهجد في الثلث الأخير مولانا شيخ نقشبند بهاء الحق والدين الأويسي البخاري قدس سره . وأيضا رآه الجنة والنار وأهلهما في الوقائع المنامية . فمن أراد الاطلاع على سآئر الوقائع وتفاصيلها فعليه بالرجوع إلى كتاب « سراج السعادات في سِير السَّادات » لحسن أفندي القحي قدس سره .

وأذكــر هنا رؤيتين رآهما سَيْكتَوْ الخلقُرِيّ أوَّلَهما بقُرب موت الشَّيخ سيف الله قدس سره : قال الرائي : رَأيت فَيَ اَلليلة التاسعة من محرم خلقا كثيرا وكانت هنالك صدقات تقسم . وكنت أنا وسيف الله قدي قدس سره هنالك . فجاء رجل وقال : يا سيف الله إن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوك لديه . فذهب لديه صلى الله عليه وسلم وكنت معه وتعانق سيف الله بالنبي صلى الله عليه وسلم وكنت أنا بعيدا منهما . ثم قال صلى الله عليه وسلم لسيف الله : أتى أمر الله برجوعك إلى الدار الباقي ، منتقلا من الدار الفاني إلى الديار المتهيئة لك ، وقد تمت بناؤها . فقال سيف الله جهرا : الحمد لله الذي خلق الخلق لأجلك ، وخلقك رحمة للخلق ، وأنا راض على ذلك ، وأنا عاشق إلى المجيئ إلى تلك الديار . ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن ونسيتها .

واقعة أخرى . قال ذلك المريد هداه الله إلى ما فيه صلاحه آمين : رأيت في ليلة الإثنين ١ من صفر ١٣٣٨ ميدانا فيه أزهار . ووجدت فيه جنازة سيف الله قدس سره . وتعلقت بالجنازة وناديت : وَيْ درْ اُسْتَرَصُلْ مُغْ چَلبْ قُرُ . دُيْك شَرَبشْخَ قُعَبْ خَلِلْ لِرْ . فقال سيف الله : اضطَجع هاهنا عندي ، فَفي هذه الساَعة يَجيئ لدي النبي صلى الله عليه وسلم مع جنود من أصحابه ليصلوا علي صلاة الجنازة . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم مع جنود كثيرة بحيث يملأ بهم الميدان . فقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وسط جبهته ، فصلى هو وجنوده

عليه . ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم آية : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ الجمعة ٨ : وأطال في القراءة ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال سيف الله : الآن يجيئ لدي جبرائيل مع جنود من الملائكة ليصلوا علي صلاة الجنازة . فجاء جبرائيل عليه السلام وقبل على جبهته ، وصلى هو ومن معه عليه صلاة الجنازة . فحين يرجع جبرائيل عليه السلام قرأ آية ، لكن لم أفهمها ونسيتها . ثم قال سيف الله : الآن يجيئ لدي محمود أفندي مع أهل الطريقة النقشبندية ليصلوا علي صلاة . فجاء وقتئذ مع جنود من المشائخ . فقبل على جبهة سيف الله قدس سره . ثم قال سيف الله : إن القطب عبد القادر الكيلاني قدس سره يجيئ لدي مع أهل الطريقتين ليصلوا عليّ . فجآء الكيلاني وقبل على جبهته وصلى هو ومن معه عليه ورجعوا . ثم قال سيف الله : إن القطب أبا الحسن الشاذلي قدس سره يصل لدي مع محمد صالح مع جميع الشاذليين . فجاء حينئذ وقبل وسط جبهته وصلى هو ومن معه . فحين يرجعون قال محمد صالح لسيف الله : إنى كنت خائفا من عدم وجدانك من تعطيه الخرقة . ثم قال الحمد لله الذي أوجدك من تعطيه الخرقة وأوصل لدينا . ثم قال سيف الله : إن أصحاب النوبة يصلون لدي مع البدلآء ليصلوا علي . فجآء وقتئذ سبعة من أصحاب النوبة . وكان قبلهم رجل له لحية طويلة عريضة بيضآء . فقبل جبهته وصلى هو ومن معه عليه . ولكن وقف البدلآء خلف أصحاب النوبة وصلوا عليه مأمومين ثم رجعوا . ثم قال سيف الله : نحن الآن نفارق ، وتحملني الحور العين ، فقل لحسن أفندي : كل ما كنت قلت لي فقد أتممته ، وسيصل إليك . فجآءت الحور العين ساعتئذ ، فحملت الجنازة ، وذهب هو معهن ، وانتبهت .

أقــول والله أعلم إن هذا الرائي كان بعد ما رأى هذه الواقعة يبكى كثيرا ، ويقول : إني أخاف من انتقال سيف الله من الدنيا . فبعد أيام وصل الخبر بموته قدس سره . فصادف ليلة موته رؤية الواقعة . فقد مات قدس سره وقت فجر تلك الليلة التي رآى فيها الواقعة . وهي الليلة الأولى من صفر . فما أصدق هذه الرؤيا .

ويقال : ما كان في زمنه من يعرف قيمته وقطبانيّته إلا ثلاثة رجال . حسن أفندي القحي قدس سره ، وقمر الدين الغزانشي الأعلى ، وخَزَمِ الحركلي .

مصنفاته

تركَ الشَّيخ سيف الله قدس سره أنفسَ المؤلفات التي تَشهد بغزارة علمه وسعةِ اطلاعه ؛ ومنها :

١ - « مكتوبات خالد سيف الله إلى فقراء أهل الله » .

٢ - و « كنز المعارف في أسرار اللطائف » . وهذان الكتابان باللغة العربية .

٣ - و « موافق السادات في مراتب الولايات » باللغة الأوارية .

٤ - و « المنظومة في التصوف » باللغة اللَّاكيَّة « غازي غموقي » .

وترك الخلفاء الكاملين في الطَّريقة أيضًا ، الذين لهم الفضل في نشرها وبقائها حتى الآن دون انقطاع ؛ فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه خير الجزآء عن الإسلام والمسلمين ، وأكرم مثوبته وأنزل عليه شآبيب رحمته ، ونفعنا بعلمه ، وجعلنا وإياه في مستقر رحمته تحت لوآء سيدنا محمد ﷺ . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ورثاه حسن حلمي القحي قدس سره بهذه المرثية :

يا إمام الأوليآء يا سليل المصطفى ۞ فقد كدر بموتك العيش المصفى
وزالت أيضا منّا المنافع جمة ۞ لم يبق في الأرض من يأويه أهل الوفى
فيا خالد سيف الله خليفة زين الله ۞ هنيئا لك المأوى وجوار المصطفى
كان فيك كل خلق عظيم راسخا ۞ وعلــم الباطن والأخلاق قد انطــوى
كـفـــاك شرفا يا مــولاي وكــرما ۞ نـــزولك منزل الأوتاد والبـــدلآء
كنت طبيب المرضى ومداوي القلوب ۞ وأنى لي مثلك كنت منبع الفيوض
طاشتعقولالأحبابواندهشتالقلوب۞ قبضت منا الأحوال حال بيننا الحجوب
أنت سرور روحي وروح مفاصلي ۞ كان عيبي خفيا أنت كشفت العيوب
لو كان الإختيار لإفدآء روحـك ۞ لـــمتّ بدلك مـــع الأهـــل والأحباب
بيد أنّ القضآء قد فرغ منه الله ۞ لم ينج الورى من دفنهم في بطن التراب
وأنت بضع رسول الله شافي الأنام ۞ فكم وحش ذهب عن القلب إذا غان
ولم يعرف الورى علوّ مقامـــك ۞ فكيف يعرف من في القرش قطب الأوآن
وقد كنت مستورا عن الخلق محجوبا ۞ ومن شأن القطب الستر وهو في الله فان
معرفة الأوليآء أصعب لغيرهم ۞ وهـــم تحـــت حجب القباب ينزلهم
ولذا لم يعرف الأ كثرون قدره ۞ لذا أنكروا و اعترضـوا بـجـهلـــهم
وأشكر الله حيث منّ بفضله ۞ عــليّ بالإعتقاد التام فـــي شيخه

إنتهى القصيدة المنسوبة إلى حسن أفندي القحي قدس سره .

أيا جانيا من ثمر جهدى وكتبتى ۞ ويا تاليــا بعـــد الممـــات كتابيا
إلى دعوة لي منك في القبر حاجة ۞ جزى الله كل من بخير دعا ليا

كنز المعارف
فى أسرار اللطائف

تأليف

العلامة الشيخ الكامل القطب الحقيقي سيف الله قدي قدس سره

المتوفى سنة : ١٣٣٧ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد :

كان شيخنا المستور تحت الستور قطب الوقت خالد سيف الله النژبكري الغازي الغموقي الحسيني النقشبندي الأويسي الشاذلي القادري ﷺ قد جمع هذا الكتاب المستطاب ، بيد أنه ﷺ عجز عن تحريره وتنقيحه لوهن وضعف في نفسه ولم يقدر أن يجدده ويكتبه ثانيا وإن كان على قصد إخراجه إلى الخارج .

فحين تراكمت عليه الأمراض وتزايدت في أعضائه العلل والأسقام كتب ﷺ إلى هذا الحقير حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه بما حاصله : إن متّ قبل إخراج هذا الكتاب إلى الخارج فأحرقه يا ولدي اهـ . بل قال ﷺ بفمه قبيل موته : يا ولدي أوصيك بإحراق كتابي « كنز المعارف » اهـ . فمات ﷺ ورزقنا بركته آمين بعد زمان من ذلك وبقي الكتاب على المسوّدة من غير تحرير وتصحيح ، لكن الحقير سامحه الله تعالى من فرطاته آمين لما نظر إلى الكتاب وجد فيه أشيآء في فصل ينبغي أن تكتب في فصل آخر ،

وقد أشار ﷺ إلى ذلك في بعض المواضع ، ووجد فيه أيضا مواضع خالية عن كتبة ما كان رضي الله عنه على قصد كتابته وقد أشار إلى ذلك أيضا وسيقف الناظر على ذلك ، وقد كان الحقير على قصد تحرير الكتاب وجمعه على ما هو قصد المؤلف المذكور نوّر الله ضريحه آمين مؤوّلاً قوله بإحراقه إلى كون قصده من ذلك القول تنقيحه من غشّه الذي وقع منه سهواً أو خطأً وتجديده بإيقاع ما أشار إليه في هامشه إلى موضع يليق أن يكتب فيه .

وقد صعب على الحقير إحراقه وإن أوصى به ورأى أنّ سلوك الأدب أولى من امتثال الأمر كما قاله صاحب « الإعانة » وإن قال مؤلف كتاب « الخالدية » بأنّ امتثال الأمر أولى من سلوك الأدب ، فأبقيت الكتاب على ما كان عليه من المسوّدة ، والحقير كان معذورا من ذلك لأنّ كثيرا من الكتب المشار إليها لم تكن لديه ، وقد وقع فقدان تلك الكتب سببا لإبقاء هذا المؤلَّف النفيس على ما كتبه الوالد ﷺ من غير زيادة ، ونسأل الله العفو والمغفرة ، وأنه لا يتفرغ لشيء مّا إلّا نادرا وقد تستغرق أوقاته ليلا ونهارا في الشغل بشغله المعلوم .

وسمّيته بـ « كنز المعارف » بناء على ما سمعته من لسانه ﷺ ، جعل الله تعالى هذا الكتاب نافعا لأهل السلوك وعملا باقيا لمؤلفه بعد موته إلى يوم القيامة آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين ، فكم وكم مسألة غريبة سرد« ١ » فيه وكم وكم منفعة لا يهتدي إليها العارفون جمع فيه فجزاه الله عنّا خير الجزآء وحشرنا معه إلى أن ندخل إلى دار السلام آمين . اهـ من خطّه« ٢ » .

فلما انتقل المؤلف المرشد الفاني في الله الباقي بالله سيدنا وسندنا شيخ شيخنا **خالد سيف الله النزبكري** أعلى الله درجته ورزقنا فيضه وفضله إلى رحمة الله من الفانية إلى الباقية في سنة ١٣٣٧هـ كان خليفته وحليفه المحترم مرشد الخلائق قطب الزمان وشيخنا الأستاذ **حسن حلمي** ﷺ على قصد تحريره

« ١ » سرد : اي تابع
« ٢ » أي : حسن أفندي ﷺ .

وتخريجه إلى الخارج كما ذكره ، بيد لما كان القضآء والقدر في يد مقدّر الأقدار والأزمان جلّ جلاله غاب الشمس الساطعة وصدى وذهب القمر في سحآئب الظلمة والردى ولم يتم ما قصده وأمله .

فالآن آخراً في هذا التاريخ والعام ١٣٨٠هـ لما نظر هذا الخادم الحقير أقل من القليل والقطمير النذير«١» إلى هذا المؤلّف البديع والأسلوب الغريب الذي لم ينسج على منواله مثله ، واعتبر بعين البصر والبصيرة بالتأملّ التامّ والتفكّر العامّ في ألفاظه ومعانيه ، فإذا هو كتاب طابق اسمه مسماه ، مشتملٌ على حقائق ورقائق ونكت لطيفة ودقائق حقيقة تليق أن تكتب بماء الذهب بل بسواد العين وأن تشترى بنفائس الأرواح لما فيه من الدرر والحكم وآداب الطرق والسلوك مذهبة الأوهام والشكوك ، وهو كنز محتو بالمعارف والعوارف اللدنية وبحر يضيق نطاق النطق عن وصفه بلسان الفم والفكر ، أراد الخوض بأمر من أعزّ الإخوان«٢» في تحريره وتخليصه طبق مقصود الشيخين المعظمين أعلى الله درجتهما في العليين وأنفق نفائس الأوقات في تبييضه وأوقع ما أشار إليه المؤلف الكريم في هامشه إلى مواقعه وفصوله بلا بقاء شيء ما مما أشار إليه مُجانباً عن تبديل لفظه بحيث يخلّ بالمراد ، ومتبرّئا من حذف ما نظمه ومن ضم ما أدبره وتركه ، وأخرجه من السواد إلى البياض بعون الله تعالى وتوفيقه فصار كتابا تقرّ به عيون أولي الرغبات ، ويكتفي به المبتدئ والمنتهي عما سواه من التصنيفات وإن كان مسّ يد هذا المفلس الخبيث غير لائق لمباشرة هذا الأمر العظيم ، كلاّ ثم كلاّ ليس له مناسبة مّا للتقرّب حول حمى كلام الأولياء ، فالمرجوّ من هذا المَهين إلى الله تعالى أن يجعل هذا خدمة خالصة لوجهه تعالى ، ووسيلة موصلة من قطرة فيوضات المشائخ المذكورين في الكتاب قدس الله تعالى أسرارهم ، وسببا باعثا لدعاء الإخوان في الدين وعملا باقيا إلى الحشر والقيام آمين .

« ١ » وهو : العالم الفاضل السالك شمس الدين بن محمد القحي المعروف بشمس الدين دبير ١٨٩٧ ١٩٧٩ م .
« ٢ » وهو الشيخ محمد عارف بن حسن حلمي القحى قدس الله أسراهم .

قال قدس سرّه عن الالتفات إلى ما سواه :

فصل في المقدمة

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾

والخير الحقيقي معرفة نفسه ليعرف به خالقها وبارئها ومبدعها ، كما قيل : من عرف نفسه عرف ربه ، ولمعرفة ذلك أسباب وأعظمها وأجلها وأولاها الدخول«١» في طريق القوم المشيّدة بالكتاب والسنة لكونها مبنيّة على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء الأتقياء لكونها موافقة لصريح القرآن والسنة والإجماع .

ثم اعلم يا أخي وفّقك الله تعالى لما يحبّ ويرضاه أنّ علم التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة«٢» وأنه مقتبس من مشكاة النبوّة فمعرفته صارت لازمة على كل أحد لينال به مكارم الدارين ويفوز برعاية آدابه بكلتا الحسنتين لما أنّ التصوف خلاصة الشريعة المصطفويّة ﷺ ، وزبدة عمل العبد بأحكام الشريعة ، ولأجل ذلك إن العبد الصادق إذا سلك طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله تعالى هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة فيستنبط في الطريق لوازمها من الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات مع رعاية آدابها .

وإيضاح ذلك : أن أربابها عدول في الشرع اختارهم الله تعالى لدينه فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهلِ الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وُصْلَتهم«٣» إلى الله تعالى في كل لحظة ، ومن تبحّر في علم الشريعة علم أن علم التصوف خلاصتها ولبّها وزبدتها .

« ١ » وفي هامش نسخة « أ » : يعرفنا من كان من جنسنا . .
« ٢ » وفي النسخة الأصلية : نور من الله تعالى استنارت من قلوب الأولياء بالعمل بالكتاب والسنة .
« ٣ » أي اتصال وذريعة وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وُصلة « مختار الصحاح » .

قال الإمام الشاذلي ﷺ : خمس من لم يكن منها فيه شيء فلا إيمان له : التعظيم لأمر الله ، والرضاء بقضاء الله ، والتفويض في أمر الله ، والتوكّل على الله ، والصبر عند الصدمة الأولى ، ولا يظفر بهذه غالبا إلّا من أصلحه التصوف وذاقه ، لما أنّ التصوف يخرج العبد من الأوصاف الذميمة ويتخلّق بمكارم الأخلاق ويتبدل عجبه وكبره وأنانيته بالذلّ والانكسار والخضوع .

قال سيدي أحمد الرفاعي ﷺ : الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وأقربها إلى الله وأصفاها الذل والانكسار ، ولا بدّ لمن أراد معرفة الله تعالى من تعلّم العلم النافع الذي يؤدّى به العبادات ويعرف به صفات النفس الباطنة ويقدم قبل الجميع معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة ليعرف ما يجب لله وملائكته ورسله وما يستحيل وما يجوز ليسلم من الخطرات الفاسدة ، ولذلك كانت طريق السادة الصوفية مبناها على طلب العلم .

وكان القشيري ﷺ يقول : لم يكن عصر في مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلّا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبرّكوا به ولولا مزيةٌ وخصوصيةٌ للقوم لكان الأمر بالعكس .

وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلاّ من جهل حالهم ، ويكفينا فخرا للقوم ومدحا لهم إذعان الإمام الشافعي ﷺ لشيبان الراعي ، وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لأبي حمزة البغدادي ، وأمثالهم كثيرة ، وأحوال هؤلاء الأئمة مع الصوفية خارجة عن الحصر .

وقال ابن عباد الرندي ﷺ : قال إبراهيم الخواص ﷺ : العلم كله في كلمتين : **لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت** ، فمن قام بهذا الأمر على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الأمر المطلوب منه وتفريغ القلب عن الأمر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ، ومن عكس هذا الأمر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك .

واعلم أيها الأمين أقامك الله في دائرة اليقين : أنّ طريق الوصول إلى الله تعالى طريق السنة والجماعة ومن ذلك الطريق يتجذّب طريق السادات الصوفية ﷺ ولا حرمنا من بركاتهم .

ثم اعلم أيها الولد أنّي ما وضعت في كتابي هذا شيئا إلّا وهو مؤيّد بالكتاب والسنة فإن لاح لأحد شيء من كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أنّ ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكتاب لأجله ، اللهم إنّ الإنسان إنما هو منبع الخطأ والنسيان وما أبرّئ نفسي عن ذلك بيد أنّي أسأل بالله سبحانه من كل ناظر منصف في الكلام أن يزن الكلام بميزان الشرع هل هو موافق له أم لا فإن وقع في نفسه التردد فليتوقف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح الله عليه بمعرفته ، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فليس الكلام من نفسنا بل هو كلام الأوليآء الصالحين والأئمة المجتهدين والأصفيآء العارفين .

وإيّاك الإنكار على هؤلاء لئلا تحرم عن الوصول إلى معرفة ذلك فإنّ من أنكر شيئا من كلام السادات حرم الوصول إليه ما دام منكرا ولا سبيل إلى غير ذلك بل ويخشى عليه حرمان الوصول إلى ذلك مطلقا .

ومن المعلوم أنّ كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة ، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده ، فقد يكون العلم في نفسه مؤيدا بالكتاب والسنة ولكن قلّة استعدادك منعتك عن فهمه فلا تستطيع أن تناوله بهمتك من محله فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة فالطريق في هذا التسليم وعدم العمل به من غير إنكار إلى أن يأخذ الله بيدك إليه كما قال في « الإنسان الكامل » في ٥ .

وقال قطب العارفين الشيخ محمد التجاني ﷺ في « جواهره » : **خمس أمور من فعلها يهديه الله إليه وإلى طريقه ولا شك أنها أيضا تزيد في الإيمان :**

أوّلها الإيمان بالله الإيمان الكامل . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقَالَ ﴿مَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾

ثانيها الإنابة إلى الله تعالى بالإقبال عليه والإعراض عما سواه ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾

ثالثها مجاهدة النفس على طاعة الله تعالى باجتناب نواهيه وترييضها عن أوصافها حتى تجيب إلى الأوصاف الحميدة وإقامتها لله ﷻ على ما يريد . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾

رابعها اتباعه ﷺ في كل قول وعمل وحركة وسكون قال الله تعالى : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾

خامسها الاعتصام بالله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾

ثم ذكر أمورا تمنع أن يكون للشيطان سبيل على العبد فلا شك أنها أيضا تزيد في الإيمان لأنّ من حيل بينه وبين الشيطان يزداد إيمانه وهي : تصحيح العبودية لله ﷻ والإخلاص والاستعاذة بالله ﷻ عند الإحساس بشرّه وتصحيح الإيمان والتوكّل على الله ﷻ . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ، وقال تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ ، وقَالَ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾

وهذه الأمور لا ينالها غالبا إلاّ بمعرفة التصوف الذي هو زبدة الكتاب والسنة فتفطن إلا الفرد النادر الذي ناله بالمَوْهِبَة الربانية والعناية الصمدانية .

باب

في آثار الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة وما وردت فيها من الأحاديث والآيات وأقاويل السادات الصوفية وما وردت في التصوف

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ﷺ قال قطب العارفين وإمام المتقين السيد أحمد بن إدريس الشريف الحسيني المغربي أعاد الله تعالى علينا من بركاته وأمدنا بنفحاته : فالأمر الجامع والقول النافع والسيف القاطع في طريق الله تعالى أن على العاقل الذي يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ويحب أن يدخله الله في سلك المقربين في جميع المسالك إذا أراد أن يدخل في أمر من أموره قولا أو فعلا فليعلم أن الله تعالى لا بدّ أن يوقفه بين يديه تعالى ويسأله عن ذلك الأمر ، فليعدّ الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل في ذلك الأمر ، فإن رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه فليدخل في ذلك الأمر ، فعاقبته محمودة دنيا وأخرى . وإن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله تعالى منه ولا يرتضيه فليَشرُد من ذلك الأمر أيّ أمر كان فإنّه وبال عليه إن دخل فيه .

وهذه القاعدة هي أساس الأعمال والأقوال كلها فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه وهذا معنى قول النبي ﷺ « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا » .

القاعدة الثانية أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى ، فإن صحَّح القصد فيه لوجه الله تعالى وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله تعالى ورسخ في هذه القاعدة قلبه« ١ » صار لا يتكلم ولا يفعل فعلا إلاّ عن تثبت وتأنّ وصارت أعماله كلها دقيقا خالصاً لا نخالة فيها بوجه من

« ١ » ساقط في الأصل

الوجوه ، وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الأعظم وحبيبه الأكرم ﷺ : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي لا غيره في جميع أمورهم ، وقال ﷻ : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾

القاعدة الثالثة أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير فإن رسخ في هذه القاعدة قلبه واستقام فيها أفاض الله تعالى على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية وأذاقه حلاوتها فنال من الإرث النبوي حظّا وافرا عظيما من قول الله ﷻ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ ، وهذا معنى قول النبي ﷺ : « إن لله ﷻ ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه و دنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله عليه شيئا : حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي » ، وهذا معنى قول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه « لا تحقرنّ أحدا من المسلمين فإنّ صغير المسلمين عند الله كبير » .

القاعدة الرابعة : مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله ﷺ لإتمامها لقوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وهذه القاعدة هي زبدة الدين وحقيقتها أن يكون العبد هيّنا ليّنا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قَبَعْثَرِيّ » قالوا : يا رسول الله وما قَبَعْثَرِيّ ؟ قال : « الشديد على الأهل الشديد على الصاحب الشديد على العشيرة » وقال مولانا العظيم : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي لا قبحا وقال ﷻ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ، والأحسن هو الذي جمع الحسن وزيادة .

وبالجملة فالذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله تعالى ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاترك الناس والخلق منه فإن الله تعالى يعامل العبد بوصفه وخلقه الذي يعامل به الناس فإن المجازاة

على الوصف بالوصف جزآء وفاقا ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبدا لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد نفسه .

ولذلك جاء في الحديث عن الله تعالى أنه يقول للعبد يوم القيامة : « جعت فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني ومرضت فلم تعدني ، فيقول العبد : كيف تجوع وأنت رب العالمين ، وكيف تمرض وأنت رب العالمين ، وكيف تستسقي وأنت رب العالمين ؟ فيقول له سبحانه مفسرا : أما إنه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده ، وجاع عبدي فلان أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، واستسقاك عبدي فلان أما إنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي » ، ففسر سبحانه نفسُه قولَه : « جعت ومرضت واستسقيتك » بقوله : « جاع عبدي فلان ومرض عبدي فلان واستسقاك عبدي فلان » ، فمعاملة العبد لملاحظة سيّده هي معاملة السيّد بلا شك ، فمن رسخ قدمه في هذا المقام ، وصارت معاملته مع الحق سبحانه وتعالى في كل شيء فلا يراقب غير الله تعالى .

ويجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبيّ ﷺ : « أكرموا الله تعالى أن يرى منكم ما نهاكم عنه » ، وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، والأمر الذي يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شيء قدير رقيب وهو على كل شيء شهيد ، وهو قوله تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ .

فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتادها وألفها ألزمه الحياء من الله تعالى أن لا يقول قولا ولا يفعل فعلا لا يرضاه الله تعالى ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، بأن الله تعالى معه وناظر إليه ، فإن العبد إذا أراد أن يزني مثلا أو يسرق والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه ويستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه ، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذي لا يملك ضرّا ولا نفعا والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس وينحطّ

قدره عندهم ، فلا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع في الفعل الذي لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعا ، وهذا معنى قول النبي ﷺ في الإحسان : « أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله تعالى ناظر إليه فيها . انتهى .

اعلم أيّها الأخ الأرشد ، أنّ حقيقة العبودية اتباع السنة ، وهو يخرج العبد عن عبودية الهوى ، فمن لا يتبع السنة فهو مقيد بالهوى . قال ﷺ : « تعس عبد الهوى » . فمن يتبع السنة يخرج عن اتباع الهوى ويكون محبوبا عند الله تعالى ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فلا يصل أحد إلى الله تعالى بطريق من الطرق إلاّ بطريق الاتباع ، لأنّ جميع الطرق مسدود غير طريق الاتباع لأنّه مفتوح موصل إلى الله تعالى فلا بد لكل أحد من الاتباع بأداب الرسول ﷺ في جميع العبادات والعادات حتى يمكن الوصول إلى الله تعالى ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ، فمن ادّعى الوصلة وأظهر الكرامة وترك أدبا من آداب السنة فهو مستدرج مخذول ، فليست له نسبة بجانب الحق فضلا عن الوصول .

قال في « الرشحات » ١٩٣ : سمعت مولانا نظام الدين عليه الرحمة يقول : يمكن أن نبين الشريعة والطريقة والحقيقة في جميع الأشياء فإنّ الكذب مثلا منهي عنه فمن حفظ لسانه منه بالمجاهدة والسعي على طريق الاستقامة بحيث لا يصدر عن لسانه باختياره وغير اختياره فهذه شريعة ولكن يمكن مع ذلك أن يكون في باطنه داعية الكذب فالسعي والمجاهدة في دفع هذه الداعية عن باطنه طريقة فإن كان بحيث لا يصدر عنه الكذب باختياره وبغير اختياره لا من قلبه ولا من لسانه فهذه حقيقة . وكان حضرة شيخنا« ١ » ينقل عنه هذا الكلام ويستحسنه اهـ .

« ١ » يعني به علاء الدين العطار قُدِّسَ سِرُّهُ

وقال العلامة أبو العباس زروق رحمه الله تعالى : الاشتراك في الأصل يقضي بالاشتراك في الحكم ، والفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على أحكام الله تعالى وحقوقه فلهما حكم الأصل الواحد في الكمال والنقص إذ ليس أحدهما بأولى من الآخر في مدلوله ، وقد صح أن العمل شرط كمال العلم فيهما وفي غيرهما لا شرط صحة فيه إذ لا ينتفي بانتفائه بل قد يكون دونه كما أن العلم إمام العمل فهو سابق وجوده حكما وحكمة بل لو شرط الاتصال لبطل أخذه ، كما أنّه لو شرط في الأمر والنهي العمل للزم ارتفاعهما بفساد الزمان ، وذلك غير سائغ شرعا ولا محمود في الجملة ، بل قد أثبت الله العلم لمن يخشاه وما نفاه عمن لم يخشه واستعاذ عليه الصلاة السلام من علم لا ينفع وقال ﷺ : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » فسماه عالما مع عدم انتفاعه فلزم استفادة العلم من كل محق فيه محقق له ، ليس ضرر علمه في وجه إلقائه كعدم اتصافه فافهم .

وسئل العارف بالله السيد أحمد بن إدريس الحسني رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ، فأجاب بأنّ الحكمة هي استعمال العلم في محله وأن يجتنب ما نهاه ربّه عنه على أحسن الحال وأن يستعمل مكارم الأخلاق مع جميع خلق الله تعالى « العقد النفيس » ٥٣ .

وقال في « تنوير الصدر » : فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده ، فكمال الدين للعاصي بالتقوى في البداية قبل وقوع الذنب والاستدراك بالتوبة بعد الوقوع ، وللفقيه بالاستقامة على الكتاب والسنة وللمريد بالصدق والإخلاص بعد تحصيل الأولين ، وللعارف بالورع ، فعاص لا تقوى عنده فاجر ، وفقيه لا استقامة عنده مقصر ، ومريد لا صدق له متلاعب ، وعارف لا ورع له ناقص . اهـ ١٢٩

ثم اعلم أيها الأخ الفائز ، أنّ أصول وقواعد هذه [الطريقة]«١» أخذناها من آثار خواجه نقشبند الشيخ محمد بهاء الدين البخاري الأويسي ، والشيخ الأكبر محي الدين العربي ، والشيخ عبيد الله الأحرار السمرقندي ، والشيخ نجم الدين وصدر الدين القنوي ، والإمام الرباني وأمثالهم ﷸ من فحول العلماء وأصحاب الوقت والإرشاد ذوات الأنفاس المباركة ، انتخابا منهم واقتباسا من كلامهم المفهوم والمنطوق ، لكون كلامهم مقتبسا من مشكاة نور النبوة على أسلوب اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ولا ينتفع السالك والمريد إلاّ بهذا الأساس ، ولا يصح السير إلى الله والسلوك إلاّ برعاية أسلوبهم ﷸ ، وقد سئل الشيخ سعد الدين الحموي ﷷ عن أنفع وصية يوصي بها الإنسان بما ينفعه استحضاره والعلم به في هذه الحياة الدنيا وعند الموت وبعدها ويكون سببا لكمال تزكية النفس فقال ﷷ : أن يوصي بالحرية والعفة في الحرية ، فسأله ما الحرية وما العفة في الحرية ؟ فقال : الحرية عدم التقيد بالباطن بشيء سوى الحق مطلقا من حيث هو سوى ، والعفة في الحرية أن لا يصدر من الإنسان في حقه ولا في حق غيره فعل لأجل نفسه أو لأجل غيره بل لله تعالى بمعرفة تامة وحضور .

ولذا قيل : **وجودك ذنب لا يقاس إلى ذنب** ، باعتقاد استقلال نفسه من كل شيء ، وكون وجود نفسه على ما هي عليها ذنبا عظيما لا يقاس إلى ذنب ، فينبغي على الإنسان أن يكون له عند الله منزلة وقدر وذلك إنما يكون برعاية نفسه على الدناءة والانكسار والعجز على أن الإنسان مرهون بهمته ، ومن المثل : **من كان همته ما دخل في بطنه فقيمته ما خرج منها** .

وقال الشيخ علاء الدين السمناني أحمد بن محمد قدس الله سره : شاهدت في الغيب بطريق الواقعة ثُلَّة مجتمعة مالت نفسي إليهم فسلمت عليهم فأجابوني بأحسن جواب ورحبوني بأحسن ترحيب ، فتعجبت من حسن مقالتهم وصحة حالهم ففتّشت عن نسبتهم ، فقالوا : نسبتنا الصوفية وطبقتنا سبع طبقات :

«١» ساقطة في الأصل

طبقة الطالبين ، وطبقة المريدين ، وطبقة السالكين ، وطبقة السائرين ، وطبقة الطائرين ، وطبقة الواصلين ، والسابعة القطب ، وهو الواحد في كل زمن من الأزمان وقلبه على قلب محمد ﷺ .

قال العلامة أبو العباس أحمد زروق ﵁ : التحقيق ليس إلاّ سابقة التوفيق ، فكل شريعة حقيقة ولا ينعكس ، الشريعة مبينة ، والحقيقة من غير الحكم ، وكلاهما وصف الحق وإبطال أحدهما موجب لاعتقاد النقص وفي تعطيل حكمه قصر له عن موجبه فلزم ملاحظة الجميع باتباع السنة وشهود المنة والنظر لأحكام القدر [مع]«١» إثبات الشريعة والأسباب ، ومن ثم لزم إسقاط التدبير عند غلبة المقادير والقيام بحكم الوقت استسلاما للأمر والقهر إذ هما من رب واحد أمر وقهر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فعليكم الرضا بقضائه إذ سخطه كفر ، ولا تهملوا الرضا بمقضيه فإنه نقص والفرق بينهما أنّ الأوّل حكمه والثاني ما حكم به فافهم فإنه دقيق .

قال العارف سيد بكري ابن السيد شطا ﵁ : إنّ ما يحتاج إليه سالك طريق الآخرة مبتدأ بالأصل الجامع لخيري الدنيا والآخرة وهو التقوى وهي عبارة عن امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ظاهرا وباطنا مع استشعار التعظيم لله والهيبة والخشية والرهبة من الله تعالى وقال بعضهم : التقوى أن يتقي العبد ما سواه تعالى .

وقال بعضهم : من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها ، وقال النصرأباذي : من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول : ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾

وقال أبو عبد الله ﵁ : التقوى مجانبة ما يبعّدك عن الله تعالى ، وقال بعضهم : التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله ، وفي التقوى كلام كثير للعارفين على حسب مقتضاهم .

«١» ساقط في الأصل

فالحاصل : لا ينال خير عاجلا ولا آجلا إلاّ بالتقوى ولا يدفع شرٌّ إلاّ به ، وهى وصية الأوّلين والآخرين ومدار الصالحين المتقين ، وكم آيات في حقها في التنزيل والأحاديث غير محصورة جعلنا الله من عباده المتقين ، فلذلك قالوا : مدار كل سعادة وأساس الخيرات التقوى ، ولا يتفطن قدرها وحلاوتها إلاّ من وفقه الله تعالى وذاقها ولذلك قال« ١ » :

تَقْوى الإلهِ مَدارُ كُلِّ سَعادَةٍ وَتِباعُ أهْوا رَأسُ شَرِّ حَبائِلا

والتقوى هي الشريعة والطريقة والحقيقة ، ولا ينال إليها أصلا إلاّ بالتقوى وهي تترتب على التقوى وذلك أنه لا بد لسالك الطريق للآخرة من الجمع بين هذه الثلاثة وعدم التعطيل لشيء منها وذلك لأنّ الحقيقة بلا شريعة باطلة والشريعة بلا حقيقة عاطلة

مثال الأول : أن تقول لشخص : صلّ فيقول لك : لا حاجة إلى الصلاة لأن السعيد سعيد الأزل فإن كنت سعيدا دخلت الجنة وإن لم أصلّ وإلاّ دخلت النار وإن صليت

ومثال الثانية : من يعمل لأجل الجنة ويقول : لولا عملي لما دخلتها ، فهذه شريعة عاطلة ، ومعنى كونها عاطلة أنّ وجودها كعدمها ، لأنّ دخول الجنة بفضل الله تعالى للحديث الشريف .

فالشريعة هي المأمورات التي أمر بها والمنهيات التي نهى الله عنها ، والطريقة الجري على ذلك والعمل ، والحقيقة نظره لبواطن الأمور وشهود الفعل من الله تعالى ، وللعارفين في هذه كلام طويل ليس هذا موضعها ، لكن إنّ الطريقة والحقيقة كلاهما متوقف على الشريعة ، فلا يستقيمان ولا يحصلان إلاّ بها ، فالمؤمن وإن علت درجته وارتفعت منزلته وصار من جملة الأوليآء لا تسقط عنه العبادات المفروضة في القرآن والسنة .

« ١ » أي الشيخ العلامة زين الدين المليباري في قصيدته المسماة بـ « هداية الأزكياء » . رب اغفر لكاتبه محمد .

ومن زعم أنّ من صار وليّا ووصل إلى الحقيقة سقطت عنه الشريعة فهو ضال مضل ملحد ، ولم تسقط العبادات عن الأنبيآء فضلا عن الأوليآء ، فلقد صح أنّ رسول الله ﷺ كان يصلي حتى تتورم قدماه فقيل له مرة : ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدا شكورا » وذلك لأنّ العبادة وجوبها لحق العبوديّة ولحق شكر النعمة ، والولي بالولاية لا يخرج عن حد العبودية ولا عن كونه مُنْعَما عليه ، ولذا قال الشيخ زين الدين المليباري :

فَكَذا الطَّرِيْقَةُ وَالحَقيقَةُ يَا أخي مِنْ غَيْرِ فِعْلِ شَرِيْعَةٍ لَنْ تَحْصُلا

فإذا كانت الطريقة والحقيقة متوقفين على الشريعة فيجب على السالك أن يزين ظاهره بالشريعة أوّلا ليتنوّر قلبه بنور الشريعة وتزول عنه ظلمات المعاصي ، فإنّ للمعصية ظلمة ترتفع إلى القلب كما أنّ للطاعة نورا يرتفع إليه ، وإنما وجب عليه التزيين المذكور لما ذكر لأجل أن يمكن للطريقة نزول في قلبه لأنه إذا تنور القلب وزالت ظلمته بسبب استعمال الشريعة تأهّل القلب لحلول الطريقة فيه .

قال سلطان العارفين علي بن هيتي رضي الله عنه : الشريعة ما ورد به التكليف والحقيقة ما حصل به التعريف ، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة والحقيقة مقيدة بالشريعة ، والشريعة وجود الأفعال لله تعالى والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل ، والحقيقة شهود الأفعال بالله تعالى والاستسلام لغلبات الحكم بتقدير لا بواسطة ، ومن كلامه أيضا رضي الله عنه : ما دام التمييز باقيا كان التكليف متوجها فيعلم من هذه المذكورات أنّ المرشد وإن وصل إلى مقامه فلا يترك عمله ويدوم على ما هو عليه وعلامة صحة الحال أن يكون صاحبه محفوظا في أحوال غلبته كما كان مغلوبا في أوقات صحوه ، وكان يقول : الحق ورآء كل ما أدركه الخلق بأفهامهم وأحاطوا به بعلومهم وأشرفوا عليه بمعارفهم ، وأنفع العلوم العلم بأحكام العبودية وأرفع العلوم علم التوحيد .

وقال الشيخ أبو عمر عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه : من عرف نفسه لم يغير عليه ثنآء الناس عليه ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه الله بصحبة العبيد ، ومن انقطعت آماله إلاّ من مولاه فهو العبد حقيقة ، ومن تحقق بالرضا استلذ بالبلا ، وحلية العارف الخشية والهيبة .

وقال الشيخ رسلان الكردي رضي الله عنه : الكريم من احتمل الأذى ولم يشك عند البلوى ، وأحسن المكارم عفو المقتدر و جود المفتقر ، وقال أيضا : مكارم الأخلاق العفو عند القدرة والتواضع في الذلة والعطآء بغير منّة وإذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا لقدرتك عليه .

وقال الشيخ ابن زروق قدس سره : الفقه مقصود لإثبات الحكم في العموم فمداره على إثبات ما يسقط به الحرج ، والتصوف مرصده طلب الكمال ومرجعه لتحقيق الأكمل حكما وحكمة ، والأصول شرط في النفي والإثبات فمدارها على التحقيق وقد علم كلّ أناس مشربهم فافهم .

وفي « الرسالة القشيرية » : النَفَسُ ترويح القلوب بلطائف الغيوب ، وصاحب الأنفاس أرقّ وأصفى من صاحب الأحوال ، فكان صاحب الوقت مبتدئا وصاحب الأنفاس منتهيا وصاحب الأحوال بينهما ، فالأحوال وسائط ، والأنفاس نهاية الترقي ، والأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر . وقالوا : أفضل العبادات عدّ الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى .

وقالوا : خلق الله القلوب وجعلها معادن للمعرفة ، وخلق الأسرار وراءها وجعلها محلاّ للتوحيد . انتهى ٥١ .

وفي « العوارف » : النفس للمنتهي والوقت للمبتدئ والحال للمتوسط ، فكأنه إشارة منهم إلى أنّ المبتدئ يطرقه من الله سبحانه طارق لا يستقرّ معه والمتوسط صاحب حال غالب عليه والمنتهي صاحب نفس متمكن لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور ، بل تكون المواجيد مقرونة بأنفاسه مقيمة لا يتناوب عليه .

قال في « التعريب » : والعبادات عشرة أقسام : الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله تعالى في كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وأمارة المحبة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

فينبغي للعبد أن يعبد ربّه ويتذلل لخالقه بأيّ وجه كان ، وجميع أنواع العبادة موجبة لمعرفة الله تعالى كلما زادت زادت معرفته بالله تعالى ، ومعرفة العبد بربه نور يقذفه في قلب عبده فيرى بذلك النور ملكه ويشاهد غيب ملكوته ويلاحظ صفات جبروته ثم تشترك قوّة إدراكه على مقدار ما أفيض عليه من ذلك النور وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ ، أي في قلب المؤمن .

وإنما سمّى الحقّ نفسه نورا لأنّ النور هو الضياء المظهر للأشياء ، فإذا سمى ما يظهر غيره بالإضافة إلى الإدراك نورا أفلا يسمي من يظهر الأشيآء من كتم العدم إلى فضاء الوجود بالإيجاد نورا بالأولى ، بل هو نور النور لأنه مظهر النور ، ضرب الحق مثل نوره في قلب المؤمن وشبه صدره بالمشكاة أي الكوّة وقلبه في صدره بالقنديل في المشكاة وشبه معرفته بالمصباح أي الضوء في القنديل وشبه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدري وشبه إمداده بمعرفته بالزيت الذي يُمِدّ السراج في الاشتعال .

وَنَهْجُ سَبيلي واضِحٌ لِمَن اهْتَدَى وَلكِـنَّما الأهْـوآءَ عَمَّتْ فَأعْمَتِ

وأصل النور الذي حصل به معرفة الله تعالى إنما حصل بمحض فضل الله تعالى لا بكسب ولا سبب ، وتحصل قوّته بعد ذلك باكتساب العبادات وإظهار الذل والمسكنة في جميع الحالات ولذلك جآء في الخبر : « إن الله خلق الخلق في ظلمة ثمّ رشّ عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلّ » .

وقيل لعلي بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : هل عرفت الله بمحمد ﷺ أو عرفت محمدا بالله تعالى ؟ فقال : لو عرفت الله بمحمد ﷺ ما عبدته ولكان محمد أوثق في نفسي من الله تعالى ، ولو عرفت محمدا بالله لما احتجت إلى رسول الله ﷺ ، ولكن الله عرّفني نفسي بلا كيف كما شآء وبعث محمدا ﷺ بتبليغ أحكام القرآن وبيان معضلات الإسلام والإيمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدّقته بما جآء به .

فعلم أنّه يستحيل الوصول إلى معرفة الله بغير الله ولا سبيل إلى الله إلاّ بالله ، فإنّ الأفهام والأوهام والخواطر عاجزة قاصرة عن إدراك تصورها بصورها وعللها فكيف تطيق إدراك مصوّرها ومعللها وإنما الحق سبحانه خلق خلقه كما شاء على ما شاء ووفّق من شاء لما شاء وعرّف من شاء بما شآء . وقول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ولكن الله عرّفني نفسي أي بالعجز والافتقار فعرفت أنّ لها ربا أوجدها ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « من عرف نفسه عرف ربّه » أي من عرف نفسه بالعجز والافتقار عرف ربّه بالقدرة والغنى كما ذكرنا هذا ، وأوحى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ : اعرفني واعرف نفسك فقال إلهي عرفتك بالفردانية والقدرة والبقاء وعرفت نفسي بالضعف والعجز والفناء ، فقال : يا داود الآن عرفتني . إلخ .

وقـــال بعض السادات من أكابر الطريقة في بيان الشريعة والطريقة و الحقيقة : إن الشريعة إجراء الأحكام على ظاهرها ، والطريقة تعمّل وتكلّف في جمعيّة الباطن ، والحقيقة رسوخ تلك الجمعيّة . انتهى .

وقال الإمام الرباني قُدِّسَ سِرُّهُ في « المكتوبات » ٩٦ : إنّ كلّا من الشريعة والحقيقة عين الآخر لا تمايز بينهما في الحقيقة غير الإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف والغيبة والشهادة والتعمّل وزواله ، فإنّ الأحكام والعلوم التي صارت معلومة بموجب بيان الشريعة الغرّاء تنكشف تلك العلوم والأحكام بعينها تفصيلا بعد التحقق بحقيقة حق اليقين وتخرج من الغيبة إلى الشهادة ويرتفع تجسم الكسب وتمحل العمل من البين وعلامة الوصول إلى مرتبة حق اليقين مطابقة علوم ذلك المقام ومعارفه بعلوم الشريعة ومعارفها ، فلو بقيت المخالفة مقدار

شعرة فهو دليل على عدم الوصول إلى حقيقة الحقائق ، وكلما وقع من مشائخ الطريقة ممّا يخالف الشريعة من علم أو عمل فهو مبني على سكر الوقت ، وسكر الوقت لا يقع إلاّ في أثنآء الطريق ، وحال المنتهين إلى نهاية النهاية كلّه صحو ، والوقت مغلوب فعالهم ، والحال والمقام تابعان لكمالهم .

صوفِيْ ابنُ الوَقْتِ امد« ١ » في المِثالْ كُـلُّ صـافٍ فارِغٍ عَـنْ كُلِّ حالْ .

فتحقق من ذلك أنّ مخالفة الشريعة علامة عدم الوصول إلى حقيقة الأمر .

ووقع في عبارة بعض المشائخ أنّ الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبّ الشريعة ، وهذا الكلام وإن كان منبئا عن عدم إستقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده به أنّ المجمل حكمه بالنسبة إلى المفصل كحكم القشر بالنسبة إلى اللب والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللب ، وأما الأكابر المستقيمو الأحوال فلا يجوزون التكلّم بأمثال هذه العبارة الموهمة للمخالفة ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل والإستدلال والكشف انتهى .

وقال بعض السادات ﷺ في « المقامات » ١٨ : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة فالواجب أن يتحلى الباطن من نسبهم ويتزيّن الظاهر بكليته بمتابعة السنة ، وقال ﷺ : يتشرف واحد من الألوف بمرتبة الإخلاص ومقام الرضا ، وأما الأحوال والمواجيد والمعارف والمشاهدات والتجليات فمقدمات ومعدّات للمقصود الذي هو الإخلاص .

وقال ﷺ : الباطن متمم للظاهر ومكمل له ليس بينهما مخالفة أصلا فالأمور التي يشاهدها السالك في الطريق مخالفة للشريعة مبناها سكر الوقت وغلبة الحال لو ترقّى السالك من هذا المقام ودخل في الصحو لارتفعت المخالفة رأسا ، ومعنى هذا الكلام أنّ الطريقة والحقيقة متممتان ومكملتان للشريعة ، فالكذب باللسان حرام في الشريعة وبالقلب أيضا في الطريقة والحقيقة فما دام في نفيه

« ١ » علّه كلمة فارسية بمعنى : جاء

عن القلب فهو في الطريقة وإذا انتفى عنه فهو في الحقيقة فصارتا خادمتين للشريعة وتكميلها ، وقد أشرنا أيضا إلى هذا فيما ذكرنا في هذا .

ولقد أطنب الكلام شيخ شيخنا قدس الله أسرارهما في « جامعه »« ١ » في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة وقال : أما الشريعة فهي الائتمار بالتزام العبودية ، والشرع في اللغة عبارة عن البيان والإظهار يقال : شَرَع الله كذا أي جعله طريقا ومذهبا ، ومنه المشرعة والشريعة والشرع والدين والملة والناموس كلّها بمعنى واحد ، والطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي في المقامات ، والحقيقةُ مِن : حَقَّ الشيءُ إذا ثبت والتآء للنقل من الوصفية إلى الإسمية ، وفي اصطلاح أهل اللغة حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو وفي العرف ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقةً ، وباعتبار تشخصه هوية مع قطع النظر عن ذلك ماهية ، والحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وفي اصطلاح أهل المعاني : هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل ، فمعنى حقيقة الشيء مطابقة الواقع إياه .

وقال النبي ﷺ : « علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشآء من عباده » أخرجه الديلمى عن علي ﵁ .

وقال ﷺ : « العلم علمان فعلم في القلب فذلك النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » أخرجه الحكيم عن الحسن مرسلا ، وقالوا : الشريعة أمر بالتزام العبودية دائما والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة أيضا ، فالشريعة أن تعبد الله والحقيقة أن تشهده حقيقة فالشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وظهر . انتهى .

« ١ » انظر : « جامع الأصول في الأولياء » للشيخ أحمد الكمشخانوي ﷫ ، ص ٢٢٦

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « بداية الهداية » : فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعشق إليه أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهات والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا فأنت ساع في هدم دينك وإهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك ، فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع الطريق كما قال ﷺ : « من أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكا له فيها » ، وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت ، ولكن ينبغى لك أن تعلم قبل كل شيء أنّ الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها وها أنا أشير عليك « ببداية الهداية » لتجرّب بها نفسك وتمتحن بها قلبك ، فإن صادفْتَ قلبك إليها مائلا ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة فدونك التطلع على النهايات والتغلغل في بحار العلوم ، وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفا بأن يقول القلب مرة بعد أخرى سوف أفعل ذلك وبالعمل بمقتضاها مماطلا فاعلم أيها الطالب أنّ نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمّارة بالسوء وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك وقصده أن يروّج عليك الشرّ في معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلمآء وما ورد من الأخبار والآثار في ذمّ علم لا ينفع وكم حديث في حقه وهي مذكورة في المطولات ليس هذا موضعها . انتهى .

ومثّل بعضهم للشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر والحقيقة باللؤلؤ فلا يتحصّل اللؤلؤ من البحر ولا يتوسل إلى لجّة البحر إلاّ بالسفينة ، ومثل

بعضهم هذه الثلاثة بالنرجيل«١» فالشريعة كالقشر الظاهر والطريقة كاللب والحقيقة كالدهن الذى في باطن اللب فلا يتحصّل الدهن إلاّ بعد دق اللب ولا يتوصل إلى اللب إلاّ بخرق القشر ويقال للشريعة عبادة وللطريقة عبودية وللحقيقة عبودة .

وقال أبو علي الدقاق قدس سره : العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخواص ، وقال شيخ الإسلام قدس سره : فالصابر على مراد الله وهو حامل النفس على مشاق التكليف لطلب الجزآء عليه في مقام العبادة والراضي أي المطمئن بمراده تعالى في مقام العبودية والعارف في مقام العبودة . انتهى .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن زروق قدس سره: فائدة الشيء ما قصد له وجوده وفائدته حقيقته في ابتدائه أو انتهائه أو فيهما ، كالتصوف علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه ، وكالفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام ، وكالأصول لتحقيق المقدمات بالبرهان وتحلية الإيمان بالإيقان وكالطب لحفظ الأبدان ، وكالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك فافهم .

وقال أيضا : العلم بفائدة الشيء ونتيجته باعث على التهمّم به والأخذ في طلبه لتعلق النفس بما يفيد إن وافقها وإلاّ فعلى العكس ، وقد صح أنّ شرف الشيء بشرف متعلقه ولا أشرف من متعلق علم التصوف لأنّ مبدأه خشية الله التي هي نتيجة معرفته ومقدمة اتباع أمره وغايته إفراد القلب له تعالى فلذلك قال الجنيد رضي الله عنه : لو علمت أنّ تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه . وهو واضح انتهى .

وقال في « رشحات عين الحياة »١٩٢ : إن التصوف ما قاله الشيخ الهروي قدس سره من أنّ التصوف تربية مليّنة قد رُشَّتْ عليها مويهة«٢» يسيرة فلا يقعد فيها

« ١ » أي : جوز الهند .
« ٢ » مصغر مياه .

غبار على ظهر القدم ولا يحصل منها في أخمص الرجل ألم ، وخلاصة التصوف تحمل الأثقال من الناس وكف ثقله عنهم صورة ومعنى اهـ .

وأما حقيقة المعرفة فقد قال شيخ شيخنا ﷣ في « جامعه » ٢٠٨ : هي في اللغة بمعنى العلم وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي العلم بأسماء الله تعالى وصفاته مع الصدق لله تعالى في معاملته وجميع أحواله ودوام مناجاته في السر والرجوع إليه في كل شيء والتطهر من الأخلاق والأوصاف الردية وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه ، وقيل : المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة وحدانية الله تعالى بما أبرز للخلق من أسمائه وصفاته ومعرفة الحقيقة لاسبيل إليها لامتناع الإحاطة به علما لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾

واعلم أن الكمّل من أهل الحقيقة لم يتكلموا في المعرفة بأكثر من الاعتراف بالعجز عنها ، فأما من دونهم فقد تكلم فيها ، ولهذا قال بعضهم : الحق لا يعرفه سواه ومن عرفه فبه ، ويؤيد هذا قول أبي بكر الصديق ﵁ : الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلاّ بالعجز عن معرفته . وقال أبو حفص الحداد : منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل . اهـ .

وذكر القطب الشعراني ﵀ في « البحر المورود »«١» وقال : إن الشريعة لبّ العقل والحقيقة لبّ الشريعة فهي كالدهن في اللبّ الذي يحفظه القشر ، فاللبّ يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللبّ ، كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ، ومن ادعى شرعا بغير عقل لم تصحّ دعواه كما أنّ من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل ، قال : جمال صورتك في الآخرة يكون على قدر خواطرك المحمودة في الشريعة هنا وقبح صورتك في الآخرة يكون على قدر قبح خواطرك المذمومة ، فاجهد في نفسك قبل أن لا ينفعك الندم .

« ١ » انظر : « البحر المورود في المواثيق والعهود » للإمام عبد الوهاب الشعراني ﷣

وقال : مرتبتك عند الله في التعظيم على قدر تعظيمه في قلبك وحيائك منه ، فإن اعتنيت به اعتنى بك وإن استحييت منه استحى منك وإن لم تبال به لم يبال بك ، فميزانك بيدك فإن شئت أرجِح وإن شئت أخسِر لا تَلُم إلاّ نفسك ، وقال : العلم يقتضي العمل ، فمن قال إن العلم يوجد بغير العمل فدعواه باطلة ومنزع ذلك دقيق جدّا من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين ، فربما يقال لو كانوا عالمين ما خالفوهم وهم عالمون بلا شكّ بأنّ الله تعالى حدّ لهم حدودا معينة حرم الله عليهم تعدّيها فعلمهم بذلك عمل بالعلم ضرورة وما هم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين ، فما عصى إلاّ من ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم أنه ما خالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمّله فإنه دقيق اهـ .

وقال في « اليواقيت »في ١٠٢ : اعلم رحمك الله أنّ حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير فأورثه الله تعالى بعلمه الإطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا في الطريق والأسرار ، كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الأولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وأبطلوا أي مجتهدوا القوم العبادات والعقود بالإخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ما حرموه هذا شأنهم ﷺ فما من أحد منهم حق له قدم الولاية إلا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد إلا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الأمّة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق . وقد سمعت سيدي عليا الخواص ﷺ يقول مرارا : لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون انتهى .

ثم مما اختص به الصوفية من غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم إلى العمل بالكتاب والسنة فإذا قلت لهم إنّ مقصودي أن أزهد في الدينا بحيث لا يبقى عندي ميل عادي لها يقولون لك : أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من

الدرجات والنعيم كما وقع لإبراهيم بن أدهم ﷺ ، فإذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدينا ، ولو قال لك جمهور الناس : ارغب في الدنيا لا تصغ لهم ، ولو أنك يا أخي قلت ذلك لعالم لقال لك : إنّ الله تعالى أمرك أن تَزهد لا غير ، ولا يهتدي للطريق إلى ذلك ، فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض ، فعلم أنّ سبب إنكار بعض الناس على الصوفية لدقة مداركهم ، ولو أن المنكر لزم الأدب لسلّم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا إجماعا .

وقد رأيت في كتاب « الرعاية » للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره ما نصه : كلّ الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التى لا تتزلزل ، قال : ويؤيد ذلك ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ إلاّ إن سلك طريقهم . انتهى « يواقيت »١٠٣

واعلم أنّ لكل شيء وجها ، فطالب العلم في بدايته شرطه الاستماع والقبول ثم التصور والتفهم ثم التعليل والاستدلال ثم العمل والنشر ، ومتى قدم رتبة عن محلها حرم الوصول لحقيقة العلم من وجهها ، فعالم بغير تحصيل ضُحَكَة ومحصل دون تصوير لا عبرة به وصورة لا يحصّنها الفهم لا يفيدها غيره ، وعلم عري عن الحجة لا ينشرح به الصدر ، وما لم ينتج فهو عقيم والمذاكرة حياته لكن بشرط الانصاف والتواضع وهو قبول الحق لحسن الخلق ومتى كثر العدد انتفيا ، فاقتصر ولا تنتصر واطلب ولا تقصر وبالله التوفيق . « قواعد » ١١ .

وقال الشيخ النابلسي في « خمرة الخان في شرح كتاب الشيخ أرسلان » قدس الله أسرارهم : الأعمال متعلقة بالشرع الشريف أي وهي فعل الأوامر القطعية والظنية والكف عن المناهي القطعية والظنية على وجه الإخلاص والخشوع متعلقة بالشرع الشريف أي منوطة به وتابعة له ومعلومة منه وموقوفة عليه وراجعة في معرفتها إليه بحيث لا حركة لمكلف ولا سكون في ظاهره وباطنه مما يسمى عملا واعتقادا إلاّ وله في الشرع الشريف حكم مخصوص لا يعلم

إلاّ منه أي من الشرع الشريف ، ولهذا كانت معرفة الشرع الشريف في السير إلى الله تعالى ما لم يندرج العبد في المقام الثاني إن كان من أهل الجدّ الصحيح اعتناء من الله تعالى به والواقف في هذا المقام الأول منقطع عن الله تعالى لعدم ترقيه إلى ما بعده . انتهى .

وقال شيخ شيخنا ﷺ في « الجامع » في ٢٢٦ : واعلم أنّ أهل الظاهر هم أهل الشريعة وأهل الباطن هم أهل الحقيقة وهما متلازمان حقيقة ، لأن الطريق إلى الحق تعالى لها ظاهر وباطن ، فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه فبدون مخض اللبن لا يظفر بزبده ، فالمراد من الحقيقة والشريعة إقامة العبودية على الوجه المرضي ، فكل شريعة لا حقيقة لها فهي عاطلة ، وكل حقيقة لا شريعة لها باطلة كما ذكرناه آنفا ، فالشريعة حق والحقيقة حقيقتها والشريعة القيام بأمر الشارع والحقيقة مشاهدة أمره ، ويجمعهما قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ شريعة ، و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حقيقة . فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا يتوصل إليها إلا بقطع عقبتين : **الأولى** العلم النافع **والثانية** العمل المخلص ، و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا يتوصل إليها إلا بقطع سبع عقبات : **الأولى** قطع عقبتي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ . **والثانية** : عقبة فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية . **والثالثة :** فطم النفس عن المألوفات العادية . **والرابعة :** فطم القلب عن الرعونات البشرية . **والخامسة :** فطم السرّ عن الكدورات الطبيعية ، **والسادسة :** فطم العقل عن الخيالات الوهمية ، **والسابعة :** فطم الروح عن غير ربّ البرية . فإذا باشرت بقطع تلك العقبات الصورية فتشرف من العقبة الأولى على إخلاص النية بالأعمال العلمية ، ويظهر لك في العقبة الثانية ينابيع الحكمة القلبية ، وتطلع من العقبة الثالثة على أسرار العلوم اللدنية ، ويلوح لك في العقبة الرابعة أعلام المناجات الملكوتية ، ويلمع لك في العقبة الخامسة أنوار المنازلات القربية ، ويضيء لك في العقبة السادسة أقمار المشاهدات الحبية ، وتهبط من العقبة السابعة إلى رياض الحضرة القدسية ، فهنالك تغيب بما تشاهده من اللطائف الأنسيّة فتتحير في

وقت الحضور وتندهش في حالة الظهور وتغيب عن حسّك بمشاهدة ذلك النور ، فحينئذ تكون لك الثروة والسرور ، فإذا فنيت ذاتك وذهبت صفاتك قام ببقآئه عن فنائك وبصفاته عن صفاتك وخلع عليك خلعة فبي يسمع وبي يبصر فيكون هو متوليك ومولاك ، فإذا نطقت فبأذكاره وإذا نظرت فبأنواره وإذا تحركت فبأقداره وإذا بطشت فباقتداره فحينئذ تكون من أعلى طبقات الناس ، وطبقاتهم ذكرتها في فصل بيان أهل الله تعالى والله يعصمك .

فإن قيل : ما الفرق بين الشريعة والحقيقة ؟ قلت : الشريعة ما ورد به التكليف والحقيقة ما ورد به التعريف فالشريعة مؤيدة بالحقيقة والحقيقة مقيدة بالشريعة ، فمن كل وجه كل شريعة حقيقة وكل حقيقة شريعة ، وفي عرف القوم فرق بينهما فالشريعة بواسطة الرسل والحقيقة تقريب بغير واسطة ، وربما يشار بالشريعة إلى الواجبات بالأمر والزجر وبالحقيقة إلى المكاشفات بالسرّ ، والشريعة وجود الأفعال والحقيقة شهود الأحوال والشريعة القيام بشروط الفرق والحقيقة الكون بحقوق الجمع ، إلى آخر الكلام« جامع الأصول »٧٢ .

وقال أبو سليمان الداراني ﷺ : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا : طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث ، واعلم أنه ينبغي لطالب الحق أن يحصل من العلوم الشرعية ما يفرق به بين الحق والباطل ويشتغل بالعلوم الرسمية والقوانين المتداولة قدر ما يقدر على استخراج الحديث والتفسير من غير تعمق في الفلسفيات وغوامض العلوم ، فإنه زائد على قدر الكفاية منهي عنه على أصول أهل الشريعة والطريقة . فهذا أول الأمر في هذا الباب .

وقال الشيخ محمد بن عبد الله الخاني ﷺ في « بهجته » : إنّ تعلم علم الباطن من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرض عين على كل من لم يرزق قلبا سليما بالجذب الإلهي والعلم اللدني والنفس القدسية الفطرية وقليل ما هم ، وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب ، وتعلم

علم الظاهر لا يغني عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين . اهـ ملخصا ص٤ .

وأما أمر النهاية وهو ما بعد التحصيل والتكميل فإن السالك بقدر اشتغاله بالعلوم الظاهرة زاد بعدا عن درك الحق ، لأن السلوك يتبنى على التخلي والانقطاع وترك الكلام والاستماع وتفريغ الباطن من العلائق ولو كانت علوما وطرح المشاغل الخارجية والداخلية من البين خصوصا وعموما . فقول بعضهم بنفي الاشتغال لأهل السلوك يبنى على هذا المعنى لا على الترك من الأصل كما يزعمه جهلة الصوفية نعوذ بالله من هذا ، فإنّ العلم مطلقا هو النور وبه يهتدي السالك إلى مسالكه .

وأما أرباب النهاية من أهل السلوك فلا يمكن حصر أحوالهم ، فإنهم لا يحتجبون لا بالكثرة عن الوحدة ولا بعكسها ، إذ هم تجاوزوا عن مقام الأغيار بل شاهدوا أينما قلبوا الأحداق الأنوار ، بل حققوا بالحقيقة فلا أغيار عندهم لا حقيقة ولا اعتبارا ، ولذا حبب إلى النبي ﷺ النساء وذلك لأن محبته ﷺ ليست كما يعرفها الناس بل سرها مستور لا يطلع عليه إلا من فاز بالوراثة الكبرى .

يقول الفقير جامع هذه المجالس النفيسة : إنما بسطت الكلام في هذا المقام لئلا يظن أحد أن قوله فيما سبق أو كتب من خرافات الصوفية ، بل له محمل على ما أشرت إليه ، ومن لم يسلك هذا الطريق لم يعرف قدر خطوات أهل التحقيق والتدقيق « روح البيان » في ورقة ٢٥١ .

وسئل العارف بالله السيد أحمد بن إدريس الحسني رضي الله عنه عن﴿الأمانة﴾في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ فأجاب : إنّ الأمانة هي الشريعة لأنه هو الذي أهل لها ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان خلقة لم يخلق عليها شيئا غيره ، فبهذه الخلقة تأهل لحمل الشريعة .

ثم ضرب لنا مثلا فقال : إن المدر إذا عمل ماعونا« ١ » لوضع شيء آخر خمر الطين ثم يصنع ويعاد على النار ، فإذا كان كذلك صار أمينا لا يخون ، كذلك الإنسان خلقه في أحسن تقويم فتأهل لحمل الشريعة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ أي ناقصا بدليل ولم تظلم منه شيئا ﴿جَهُولًا ﴾ أي جاهلا عن الشرع ناقصا عن الكمال قبل حمل الأمانة ، فلما حملها صار تاما عالما وأيّ علم أعظم من العلم الذي جهلته الملائكة فعلمه هو وعلمه الملائكة .

فمن خان في هذه الأمانة وهي الشريعة بعد حملها فقد رُدَّ إلى أسفل سافلين ، ومن آمن بها وعمل الصالحات فله أجر غير ممنون ، ثم إذا حفظ الأمانة حق حفظها صار الحق سمعه وبصره إلى آخر الحديث ، فهذا الجوهر الإنساني أمره عظيم لكنه لم يعرف قدره ، فإن الله سبحانه وتعالى لما جعله خليفة في أرضه أودعه وسط الممالك التي خلقت من أجله لينظر إلى جميع أطرافها فهو ما بين السموات والأرضين السبع وجميع ما فيهن مسخرات له كما يَضِنُّ« ٢ » الملك بأنفس الجواهر فيضعها في جوف سبعة صناديق .

ثم من الأمانات أيضا النفس والمال لأن الله سبحانه وتعالى قد اشترى من المؤمنين أيضا النفس والمال لأن الله سبحانه وتعالى قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثم أودعها إياهم أمانة وأمرهم أن يحكموا فيها بالعدل ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ فأداء الأمانة إلى أهلها هو أن يبذل الإنسان نفسه في سبيل الله إما في الجهاد الأكبر أو الأصغر وينفق ماله ، فمن فعل ذلك فقد أدّى الأمانة إلى أهلها والله سبحانه وتعالى هو أهلها ، ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾

فكلّ إنسان يحكم في أعضائه ونفسه بالعدل ، والعدل هو الله وكل إنسان في نفسه هو الناس والحكم بالعدل في النفس والمال اللذين هما أمانة أن تطعم هذه النفس من هذا المال ما تتقوى به على طاعة الله بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير ، ثم ما فضل منه أمرهم أن ينفقوه في سبيل الله و هو على سبيل

« ١ » الماعون هو الإناء من الخزف تقدم عليه أواني الطعام .
« ٢ » أي يبخل

القرض يدخر لهم إلى الآخرة مضاعفة ، فإذا صار الإنسان حافظا للأمانة هذا الحفظ متصرفا فيها كما أمره صاحب الأمانة فهو داخل فيمن قتلوا في سبيل الله إذا ماتوا فإنهم أحياء ، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ، بل شهادته أعظم من شهادة من قتل في سبيل الله بالسيف ، لأنه قتل بسيف الحب والشوق في الجهاد الأكبر والشهادة في الجهاد الأكبر أعظم منها في الجهاد الأصغر ، وكذلك إنفاق المال . قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، يعني أن المال كلّه لله ثم ادعيتم فيه الملكية فأقرّكم على ذلك ثم اشتراه منكم وأودعكم إياه أمانة ثم بعد أن قبضكم اليه قسم مالكم لمن يريد فأنزل آيات الميراث وذلك إن الأنبيآء لا يورثون شيئا لأنهم لم يدّعوا الملكية أبدا بل ما أمنهم الله تعالىعليه من المال صرفوه فيما أمرهم فلم يملكوا شيئا . عقد النفيس » ١٢٠ .

واعلم أن الحقيقة نتيجة الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة كأنك إذا صفيت الشريعة يعني إذا عملت بما هو أقرب إلى الورع والتقوى غير ملاحظ إلى الرخصة تظهر منه الطريقة ، وإذا نقّحت الطريقة يظهر منها أسرار الحقيقة وليس المراد بالرخصة هنا ما هو كقصر الصلاة والجمع والفطر وغيرها بل المراد مثل مداراة الناس والإقبال على الأسباب من الوجه الحلال وادخار الأموال بعد إخراج زكاتها وإعداد النوائب فهذا كله مباح في الشرع إلا أنه نزول عند القوم عن درجة الزهد والتوكل ، وقيل عن الشريعة والطريقة والحقيقة : فإذا أكل الصائم عمدا بطل صومه في الشريعة ، وإذا اغتاب أفطر في الطريقة وإذا خطر بباله ما سوى الله أفطر في الحقيقة . فلا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلا بإثبات الأعمال المبينة ببيان صاحب الشرع ، لأن كل طريقة تخالف الشريعة فهي كفر وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة ، والكلام للسادات القادات كثير ليس هذا موضع بسطها وفي المذكور غنية ، والله ولي التوفيق .

ثم اعلم أن الاختلاف في الحكم الواحد نفيا وإثباتا إن ظهر ابتناء أحدهما على أصل لا يتم الاحتجاج به فهو فاسد ، وإن أدى إلى محال فهو باطل بخلاف ما ظهر ابتناؤه على أصل يتم الاحتجاج به ولا تنزع الحجة من يد مخالفه حيث يكون الكل صحيحا ، ومن ثم تفرّق بين خلاف وإختلاف فنكفر من آل قوله لمحال في معقول العقائد ونبدع من آل به لذلك في منقولها إن التزم القول باللازم وإلا نظر في شبهته فنجري له حكمها عن خلاف بين العلماء في لازم القول ولا نكفر ولا نبدع من لازم قوله غير محال إذ لا نجزم بفساد أصله مع احتماله . وبهذا الوجه يظهر قبول خلاف أهل السنة بينهم مع ردّهم للغير عموما وهو جار في باب الأحكام الشرعية في باب الرد والقبول فتأمّل ذلك تجده وبالله التوفيق . « قواعد » ١٠ .

وقال صاحب « تنوير الصدر » في ١٩٢ : المعرفة الواسعة هي الانقطاع إلى الله تعالى بسبب معرفة أسمائه وصفاته والتخلق بهما فينقطع رجآؤه من غيره تعالى إذ حقيقة المعرفة هي إدراك الشيء في ذاته وصفاته من الوجه الذي هو به هو هو ومعرفته تعالى عزيزة لا تدرك بالعقل بل نعرفه بأسمائه وصفاته كما علمت اهـ « تنوير » ص١٩٢ .

فصل

في التوبة وشروطها

اعلم أيها الأخ الصالح أيدك الله تعالى بالتقوى أن التوبة باب عظيم في هذه الطريقة خاصة وفي غيرها عامة وهي مفتاح السعادة وكنز الاستقامة ووسيلة العاصين ودرجة الصالحين ورأس مال السالكين ، فكم يجبر بها الكسير ويفوز بها المحروم الفقير وينال بها المقامات ويرتقي الدرجات .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٖ﴾ قبل أن يغرغر وقبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها أو في صحته قبل مرض موته ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ فلا تنفعه ولا تقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ .

وأخرج الشيخان والترمذي عن الحرث بن يزيد قال قال ابن يزيد قال : قال ابن مسعود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض ذئيبة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شآء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه . فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » .

ومسلم : « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه مائة مرة » وابن ماجه : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السمآء ثم تبتم لتاب الله عليكم » والطبراني والبيهقي : « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك ستّ ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة » ، وابن ابي حاتم وابن مردويه : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا » .

والطبراني وأبو نعيم : « الندامة توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه » ، والترمذي : « إن الله ﷻ يقبل توبة العبد مالم يغرغر » ، ومسلم : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

والشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل العلم« ١ » فدلّ على راهب فـأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا أنصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جآءنا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب : ولم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكّموا بينهم« ٢ » فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

« ١ »الحديث كما في كتب السنن : « فسأل عن أعلم أهل الأرض »
« ٢ » في رواية فجعلوه بينهم

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « إن المؤمن إذا أذنب نكت نكتة سودآء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه » أي تغشاه وتغطّيه تلك النقطة السودآء فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، اللهم إنّا نستغفرك ونتوب إليك ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك .

تنبـــيه : قال بعض الأكابر من السلف : التوبة اليوم رخيصة مبذولة وغداً غالية غير مقبولة .

والتوبة وهي في اللغة : الرجوع عن الذنب ، وكذلك التوب ، قال الله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾

والتوبة في الشرع الرجوع عن الأقوال والأفعال المذمومة إلى المحمودة ، وهي واجبة على الفور عند عامّة العلماء لما في تأخيرها من الإصرار المحرّم والتوبة فرض عين فمن قال أنها ليست بفرض فقد كفر فليس شيء من الأشياء أوجب على الخلق من التوبة ، ولا عقوبة أشدّ عليهم من نسيان التوبة ، فلا بدّ من التوبة والإنابة .

قالوا : إذا فاتتك التقوى و الاستقامة فلا تفوتنك التوبة والإنابة ، وقيل إن التوبة النصوح هي البالغة

وقيل : أن يتوب ولا يعود إلى ما تاب عنه أبدا ، كما قال الله تعالى : ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ .

التوبة واجبة فورا من كلّ ذنب ولو صغيرا ، فمن أخّرها زمنا يسعها كان عاصيا بتأخيرها ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم .

ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني ، فإن لم يجددها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها .

ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ولا يكفيه توبة واحدة ، فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة ، قال الزركشي : وهذا ظاهر ، وقال ابن عبد السلام : يتذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكرّه ، وما تعذّر فلا يلزمه ما لا يقدر عليه ، وقال القاضي أبو بكر : إن لم يتذكر تفصيل الذنب فليقل : إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني تائب إلى الله .

واعـــــــلم أن التوبة في نفسها طاعة وعد الثواب عليها ، وأما زوال العقاب الأليم فهو مفوض إلى الرب الحليم التواب الرحيم .

وشروط التوبة المسقطة للإثم ظنا لا قطعا :

١ . أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية

٢ . وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصا لله تعالى

٣ . وأن يقلع عنه حالا إن كان متلبسا به أو مصرا على المعاودة إليه

٤ . وأن يخرج عن المظالم والزكاة إن كانت بردّها أو بدلها إن تلفت لمستحقها ما لم يبرئه منها ، ومنه قضآء صلاة وصوم وإن كثرا . فإن اختلّ شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته .

٥ . وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهرا وبقلبه باطنا على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب والمأوردي وغيرهم .

ويجب في التوبة عن قود أو قذف أن يُعْلِمَ المستحق ويمكّنه من الاستيفآء ، ومن نحو غيبة أن يستحل المغتاب منها إن علم وإلا استغفر لنفسه ودعا له كالحاسد ، ربنا تقبّل توبتنا واغسل حوبتنا وتحمّل تبعاتنا بمنّك وكرمك آمين ،

اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه استعمدناه أو جهلناه ونستغفرك من كل ذنب تبنا إليك منه ثم عدنا فيه ونستغفرك من الذنوب التي لا يعلمها غيرك ولا يسعها إلا حلمك ونستغفرك من كل ما دعت إليه نفوسنا من قبل الرخص فاشتبه ذلك علينا وهو عندك حرام ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك فخالطه ما ليس لك فيه رضآء لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين .

انعطاف : قال العارف بالله السيد أبو العباس أحمد بن إدريس الحسيني المغربي ﷬ : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ، فابتدأهم الله سبحانه وتعالى بالتوبة وحباهم بها ، وكل واحد منهم ذنبه على قدره ، وأما رسول الله ﷺ فليس له ذنب كيف وهو معصوم ، ولكن لما عرف قدر الله سبحانه وتعالى حق قدره نزل نفسه منزلة المقصّر في حقه وكان ذلك ذنبا عنده فتاب عليه الحق سبحانه وتعالى باعتبار ما عنده من تسمية ذلك ذنبا ، إذ كل واحد له ذنب باعتبار ما عنده وإن كان ليس ذنبا حقيقة ، فتاب عليهم جميعا ولم يكلهم فيها إلى أنفسهم شيئا بخلاف ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فقال : ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ فوكلهم إلى أنفسهم في التوبة ، لكن لولا أنها سبقت توبة الله عليهم ما قدروا على التوبة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ، فافهم . انتهى .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الاية ، وفي هذه الآية إشارة وبشارة ، أما الإشارة فهي التوبة والرجوع وأما البشارة فقبول التوبة ، فإنه تعالى لو لم يقبل التوبة لما أمر بها والأمر دليل القبول لكن مع رؤية القصور .

وقال الإمام الرباني ﷬ في « مكتوباته » في ١٠٩ : أيها المخدوم المكرم والمشفق الأكرم إن تيسرت لك التوبة عن جميع الذنوب وحصل الورع والتقوى من جميع المحرمات والمشتبهات فتلك نعمة عظيمة ودولة قصوى جسيمة ، وإلا فالتوبة من بعض الذنوب والورع من بعض المحرمات أيضا مغتنمة ،

ولعل بركات ذلك البعض وأنواره تسري في الأبعاض الأُخر وتُيَسّر التوفيق للتوبة والورع من سائر المعاصي أيضا ، **وما لا يدرك كله لا يترك كله** اللهم وفّقنا لمرضاتك وثبتنا على دينك وعلى طاعتك بحرمة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين إلى يوم الدين .

ويروي محمد بن علي الباقر عن أبيه عن أبيه عن أبيه أمير المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال : في الأرض أمانان من عذاب الله تعالى فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به ، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ وأما الأمان الباقي فهو الاستغفار ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

قال صاحب « نهج البلاغة » : وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط « كشكول » .

وسئل السيدُ الشريف العارف بالله السيد أحمد بن إدريس الحسيني المغربي قدس سره ونفعنا ببركاته : هل للقاتل توبة ؟ قال : نعم ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ ، فيبدل قتله ذلك كأنما قتل كافرا في سبيل الله تعالى ، وعبادته لغير الله كأنما عبد الله في تلك المدة ، وزناه كأنه نكح أهله .

كذلك ما رواه البخاري وغيره فيمن قتل تسعة وتسعين نفسا وحبرا ، وقتل الحبر أعظم البلآء ، وقد ذكرنا قصته في هذا الفصل وهذ الرجل كان من بني إسرائيل مع أن الله تعالى كتب عليهم أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، فهو كمن قتل الناس جميعا مائة مرة ، فما ظنك بمن كان من هذه الأمة وقد رفع عنهم إصرهم وبقي لهم الخير ممن سبق من الأمم قبلهم ، فمن قتل منهم نفسا فما قتل إلا إياها ، لا يكون كمن قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما

أحيا الناس جميعا فهو بالتوبة أحق وأجدر ، وأما ما قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا توبة لك ، فذلك رجل كان يقتل ثم يتوب فقال : هل لي من توبة ؟ فقال له : لا توبة لك ، لأن نيته أن يقتل ثم يتوب ، لأن ذلك إصرار .

وأما من فعل الذنب ثم بعد أن فعله تاب وندم إنما غلبه هواه والشيطان وحكم عليه القدر ، فتلك توبة مقبولة لا محالة ، ومن ثم ما كان من الزجر الوارد في الكتاب أو في السنة يبقى على حاله كقوله ﷺ : « سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : الناكح يده والزاني بحليلة جاره والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه ومدمن الخمر والفاعل والمفعول به » وأمثال ذلك لأن معاملة الله سبحانه وتعالى لعبده يوم القيامة على مقتضى حكمته ، كذلك هذا الرجل الذي من بني إسرائيل قتل المائة من ذا يعلم أن مثله يتاب عليه إذا قتل ، وقد ورد في حديث : « أنه يخرج رجل من النار بعد كذا أعواما واسمه هناد » وهو مقطوع بخروجه من النار إلى الجنة فأي مزية أعظم ، وفي حديث آخر : « إنه توزن أعمال رجل فتستوي الحسنات والسيئات فيقال له : لو زادت حسنة لرجحت ودخلت الجنة فامض إلى الناس فالتمس منهم حسنة فلا يرضون ، فيمرّ على أناس لهم حسنات كالجبال فيستعطيهم حسنة فلا يرضون ، فيمرّ برجل له حسنة واحدة وسيئات كثيرة فيقول له خذ هذه الحسنة التي معي فإنك أحق بها مني لكونك بها تدخل الجنة ، فيقال له : خذ بيده وادخلا الجنة » وهذا الإيثار عند الله أمر عظيم .

قال عليه الصلاة السلام : « علامة التوبة الندم والنادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض مهلكة . . » إلى آخر ما قال .

والتوبة أهم قواعد الدين وأول منازل السالكين وأصل مقامات الطالبين ، ولها شروط ذكرناها فمنها : الندم وعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع ، وتوبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعني قوله أستغفرالله وقلبه مصر ، إلا إن كان الاستغفار من أصل القلب حتى يستغفر من استغفاره .

والمعنى : اطلب أيها المكلف متابا حال كونك متلبسا بالندامة أي التحسر والتحزن على ما فاتك من العمر في المخالفات ، وحال كونك مقلعا عن الذنب في الحال إن كنت متلبسا به أو عازما على العود إليه ، بأن تتركه وتقوم في الحال على أحسن الحالات ، وحال كونك متلبسا بعزم ترك الذنب فيما يستقبل من الزمان الى آخر عمرك عزما جازماً ، وحال كونك متلبسا ببرآءة الذمة من كل حق الآدمي كمال أو قود ، أي إذا تعلق بالتائب حق الآدمي اشترط تبرئته ذلك .

وفي حق المظلمة كلام كثير وأحاديث ثابتة ، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ظواهر السنة تقتضي ثبوت المطالبة بالظلامة وإن كان معسرا عاجزا عاصيا باستدانته ، فأما إذا استدان في موضع يباح له الاستدانة وعجز عن الوفآء إلى أن مات فالظاهر أنه لا يطالب في الآخرة ، والمرجوّ أن الله تعالى يعوض صاحب الحق .

ويجب على التائب دوام الانكسار وملازمة الاستغفار كما قالوا : التوبة استشعار الوجل إلى الأجل ، وعلى التائب أن يحفظ الأعضاء السبعة إلا من حقوقها ، فيجب عليك حفظ العين عن النظر إلى محرم قال عليه الصلاة والسلام : « النظر سهم مسموم من سهام إبليس المرجوم » لأنه يدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى الزنا ، وقال عليه الصلاة السلام : « العين تزني والقلب يصدق ذلك أو يكذبه »[١] ، وقال عليه الصلاة و السلام : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النسآء » .

وقــــال بعضهم : إياك والنظر فإنه ينقش في القلب صورة المنظور وإنما الدنيا عيوبها بادية ، كم فتحت باب بلية ولا حيلة كحيلةِ عَيْنٍ كَحِيلَةٍ .

ونقل عن « الإحياء » : إن الله تعالى يسأل عبده يوم القيامة عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ، واحفظ المتاب بحفظ اللسان عن الكذب والخلف في الوعد والغيبة والمجادلة ومدح النفس واللعن والدعاء على الخلق

« ١ » الحديث كما في كتب السنن : « العين تزني والقلب يزني فزنا العين النظر وزنا القلب التمنّي والفرج يصدّق ما هنالك أو يكذّبه »

بالهلاك والمزاح الكثير ، واحفظ المتاب أيضا بحفظ باقي الأعضاء كالأذن عن الإصغاء إلى ما لا يليق وكالأنف عن شمّ ريح الأجنبية وكالبطن عن المحرمات والشبهات والشهوات التي لا تليق وكالفرج عن كل حرام وكاليد عن أن تضرب معصوما أو تتناول بها مالا حراما أو تؤذي بها أحدا من الخلق أو تخون بها في وديعة أو تكتب بها ما لا يجوز النطق به وكالرجل فتحفظها عن المشي إلى حرام أو الذهاب إلى باب سلطان ظالم مع الرضا بظلمه وكالقلب من الحسد والرياء والعجب ، والكذب مفتاح جميع المنكرات ووسيلتها ولذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أراد أن يلعن نفسه فليكذب »وكفى لك هذا نصحا . وإن التوبة أيضا مفتاح للطاعات وللفتوحات الدينية والدنيوية وأساس لكل الخيرات فعليها تنبني المقامات .

قيل لبعض العارفين وهو يوسف بن حسين الرازي رضي الله عنه : إنك لا تدرك مرادك من أملك حتى تتوب من زللك ، فقال : لو أن التوبة تُطرق بابي ما أذنت لها في الدخول على أني أنجو بها من عذاب ربي ، ولو أن الصدق والإخلاص عبدان لي لبعتهما زهدا فيهما ، لأني إن كنت في الأزل سعيدا مقبولا لم أتخلف لكثرة الذنوب أو شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي وإخلاصي وصدقي ، وإن الله خلقني بلا عمل ثم هداني لدينه فاعتمادي على كرمه أولى من اعتمادي على أفعالي المدخولة وصفاتي المعلولة إن كنت حرا عاقلا ، لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة لنا بالكريم المتفضّل انتهى .

فانظر إلى دقة كلام العارف وإن لم يقبل بعضها الظاهر الخ ، وهذا كلام من فني عن حظوظه وفني عن الفناء وليس لأمثالنا التعلق به ولا التعريج عليه ، والحاصل أن العبد يعمل الطاعات ويترك المخالفات عبودية لله تعالى وامتثالا لأمره ولا يعتمد عليها بل على محض فضل الله تعالى مع القيام بشكره حيث أوجد فيه الطاعات وأبعده عن المخالفات ويعلم أن ذلك علامة على إرادة الله تعالى الخير به ولا يغفل عن رؤية المنة لله تعالى حيث أوجده فيه ولم يوجد

ضده من غير اعتقاد تأثير للأعمال ولا اعتماد عليها في حال من الأحوال ، وهذا لا يكون إلا لأهل الشهود الذين غرقوا في مقام الإحسان فيشهدون الكل من الله وبالله ويلازمون على قول (باسم الله) مع الحضور مع المذكور والغيبة عما سواه ، ومن شهد الأفعال من الله تعالى حقيقة ينتفي عنه العجب بعمله لأنه لا يرى لنفسه عملا . انتهى

وقال شيخ شيخنا قدس سره في « جامع الأصول » في ١٦٣ : واعلم أنه لا بدّ له قبل ذلك كله من التوبة النصوح ، وهي التوبة البالغة .

وقيل هي أن يتوب ولا يعود إلى ما تاب عنه أبدا .

وقال يحيى بن معاذ قدس سره : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبل التوبة .

وقال ذو النون قدس سره : الاستغفار من الذنب من غير إقلاع عنه توبة الكاذبين .

ثم اعلم أن **أول** مقدمات التوبة انتباه القلب من رقدة الغفلة ونظر العبد فيما هو عليه من سوء الحال والإصغاء إلى زواجر الشرع بسمع القلب ، ولهذا قال عليه الصلاة و السلام : « واعظ الله تعالى في قلب كل مؤمن » . **وثاني** المقدمات هجران رفقاء السوء لأنهم يمنعون عن التوبة قولا وفعلا ، ومن تاب ثم لم ينقض توبته فهو من السعداء وإن نقضها مرة أو مرات ثم جددها فإنه يرجى له أيضا الثبات عليها فإن لكل أجل كتابا .

وحكي عن أبى حفص الحداد قدس سره قال : تركت الصنع كذا وكذا مرة ثم عدت إليها ثم تركتها ولم أعد إليها .

وقال أبو علي الدقاق قدس سره : تاب بعض المريدين ثم ترك التوبة ، ففكر يوما أنه لو عاد للتوبة هل يقبل منه ذلك أم لا فهتف به هاتف : يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك ولو عدت إلينا قبلناك فعاد المريد إلى التوبة وبلغ المقصود .

وأول ما يبدأ به التائب بعد التوبة إسقاط مظالم العباد وحقوقهم عن ذمته بالأداء أو الإبراء ، فإن عجز عن ذلك يكون أبدا عازما على إيصال ذلك الحق إلى مستحقه متى قدر عليه ، ولا يزال يدعو لصاحب الحق إلى أن يوفيه حقه أو يبرئه منه ، ثم يلزم الاعتزال عن الناس والانقطاع إلى الله لقضاء حقوق الله الفائتة والندم والبكاء ، وتمام الاستغفار في وقت السحر على ما فرط في جنب الله وعلى ما ضيّع فيه شبابه وصحته .

واعلم أنه لا ينبغي للعصاة والمذنبين أن ييأسوا من رحمة الله تعالى في قبول توبتهم ومحو حوبتهم وإن كثرت ذنوبهم وعظمت وتكرر منهم نقض التوبة والإصرار على الكبائر ، فإن ذلك غلط عظيم وسبب لفوات التوبة والبقاء في الذنوب أبدا ، بل ينبغي إذا عرض لهم مثل هذا الحال أن يعلموا أن ذلك من كيد الشيطان ومكره في منع الإنسان عن التوبة وإبقائه مصرا على الذنب مدة حياته نعوذ بالله من ذلك انتهى .

وقال العارف بالله أبو العباس أحمد بن محمد الشهير بزروق ﭬ : تعتبر دعوى المدعي نتيجة دعواه فإن ظهرت صحت وإلا فهو كذاب ، فتوبة لا تتبعها تقوى باطلة ، وتقوى لا تظهر بها استقامة مدخولة ، واستقامة لا ورع فيها غير تامة ، وورع لا ينتج زهدا قاصر ، وزهد لا يثير توكلا يابس ، وتوكل لا تظهر ثمرته بالانقطاع إلى الله تعالى عن الكل واللجأ إليه صورة لا حقيقة لها ، فتظهر صحة التوبة عند اعتراض المحرّم ، وكمال التقوى حيث لا مُطَّلع إلا الله تعالى ، ووجود الاستقامة بالتحفظ على إقامة الورد في غير ابتداع ، ووجود الورع في مواطن الشهوة عند الاشتباه فإن ترك فذلك وإلا فليس هنالك ، والزهد في الرفض عند التخيير والاستسلام عند المعارضة فلا يبالي بإقبال الدنيا ولا بإدبارها ، والتوكل عند تعذّر الأسباب ، ونفي الجهات بتقدير عدم أمطار السماء وإنبات الأرض وموت كل الخلق فإن سكن القلب فذاك وإلا فليس هناك ، وكل عمل قدر سقوط وجوبه أو ندبه فطلبته النفس مع ذلك فالحامل عليه الهوى وإن كان حقا في ذاته فإن سقط بتقدير السقوط فقصده ما ورد فيه فافهم . انتهى

قال الإمام الرباني والغوث الصمداني مجدد الألف الثاني ﵁ النوراني : الذي يجب علينا وعليكم أولاً تصحيح العقائد بمقتضى الكتاب والسنة وأخذوا منهما« ١ » ، فإن فهمنا وفهمكم ساقط عن حيز الاعتبار إن لم يوافق أفهام هذه الأكابر الأخيار ، إذ كل مبتدع وضال يفهم أحكامه الباطلة من الكتاب والسنة ويأخذ منهما والحال إنه لا يغني من الحق شيئا ، و**ثانيا** العلم بالأحكام الشرعية من الحلال والحرام والفرض والواجب ، و**ثالثا** العمل بمقتضى هذا العلم ، و**رابعا** السلوك في طريقة التصفية والتزكية المختصة بالصوفية الكرام ﷻ ، فما دام لم يصحِّح العقائد فلا يفيد العلم بالأحكام الشرعية ، وما دام لم يتحقق هذان فلا ينفع العمل ، وما دام لم يتيسر هذه الثلاثة فحصول التصفية والتزكية محال ، وبعد هذه الأركان الأربعة مع متمماتها ومكملاتها فما عداها من الفضول كائنا ما كان وداخل في دائرة ما لا يعني ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه واشتغاله بما يعنيه . انتهى .

ومنها التوبة : وهي أهمها ، لأن طريق القوم طاهر منزه لا يقبل من كان ملوثا بالقاذورات ، فيجب على المريد أن يتوب إلى الله تعالى من كل زلة فيدع جميع الزلات سرها وجهرها صغيرها وكبيرها ويجتهد في إرضاء الخصوم أوّلا ومن لم يُرض خصومه لم يفتح له من هذه الطريقة شيء يعتد به لعدم تخلصه من حقوقهم ، فيجب ردّها لهم إن كانوا أو إلى ورثتهم وعلى هذا النحو جروا .

قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي الأنصاري قدس الله سره : قال الله تعالى : ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فأسقط اسم الظلم عن التائب ، والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة ، وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء :

١ . إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه ؛

٢ . وفرحك عند الظفر به ؛

٣ . وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك .

« ١ » عبارة المكتوبات : واعلم أن الذي لابدّ منه هو تصحيح الاعتقاد أولاً على وفق آراء أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية . .

وشرائط التوبة ثلاثة أشياء : الندم والاعتذار والإقلاع

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية واتهام التوبة وطلب أعذار الخليقة

وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تمييز التقية من العزّة[١] ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبدا لأن التائب دخل في الجميع في قوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فأمر التائب بالتوبة .

ولطائف أسرار التوبة ثلاثة أشياء : **أوّلها** أن تنظر إلى الجناية والقضية فتعرف مراد الله تعالى فيها إن خلاك وإتيانها فإن الله ﷻ انما يخلي العبد والذنب لأحد معنيين **أحدهما** : أن يعرف عزته في قضائه وبرّه في ستره وحلمه في إمهال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته ، **الثاني** : ليقيم على عبده حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته ، هكذا ذكره الخاني قدس سره في « بهجته » .

وعلاج داء الذنوب إذا حصل أن يتدبر العصاة قوله تعالى : ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ ونظائر ذلك كثيرة فى القرآن والأحاديث .

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : آيتان فى كتاب الله تعالى ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله تعالى الاّ غفر الله له : **إحداهما** قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾[٢] **والثانية** : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾[٣]

« ١ » أي أن يكون المقصود من التوبة تقوى الله ، فيعمل بطاعة الله يرجو ثواب الله ، ويترك معصية الله يخاف عقاب الله ، لا يريد بذلك عز الطاعة ، فإن للطاعة وللتوبة عزاً ظاهراً وباطناً ، فلا يكون مقصوده العزة .

« ٢ » ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

« ٣ » ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

واعلم أن التوبة أصل هذه الطرق وأساسها فمتى صحّت التوبة وخلصت لله صحّ ما بني عليها وتمّ ، ومتى فسدت باختلال بعض شروطها أو بأن ينوي بها شيئا من الأغراض الدنيوية كطلب السمعة والشهرة واجتلاب قلوب الناس وما أشبه ذلك كان البناء عليها كالبناء على شَفا جُرُفٍ هار[١] .

وقال بعض العارفين عند قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ هو طول الأمل ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ : هو الغفلة عما سبق من الذنوب وقلة الندم عليها والاستغفار منها . اهـ .

والعارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف ، وأما العزم على أنه لا يعود فليس في يده حقيقة إنما هو إظهار أدب أي لو كان الأمر في يدي ما عصيتك قط جزما ، فافهم ذلك وحرره ، قاله الشيخ الأكبر في « الفتوحات » .

وقال الشيخ التستري قدس سره : النية نور وهي نسيم الروح « مقامات البهائية » ٥٣

وقال صاحب « تنوير الصدر » في ١٩٦ : إن للتوبة شروطا ستة وقد ذكرناها : الندامة وأداء الفرائض ورد المظالم إلى أهلها وأن تذيب نفسك في الطاعة كما أذبتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وأن تعزم أن لا تعود الخ .

وفي الحديث : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ، ومن آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل » .

قال القطب الشعراني قدس سره في « اليواقيت » في المبحث السادس والخمسين : قال الجلال المحلي قدس سره : تصح التوبة من ذنب ولو كان صغيرا مع الإصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا ، وإذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل

« ١ » شفا الشيء طرفه ، والجرف بالضم والإسكان الأرض التي جرفت السيوف أصلها أي حفرته وأكلته ، والهاري المتصدع المشرف على السقوط تفسير « روح البيان »

ذلك ذنب يوجب توبة أخرى ، هذا ما عليه جمهور العلماء ، ونقل عن أبي بكر الباقلاني ﷺ أنها لا تصح بعد نقضها ، وقيل غير ذلك اهـ .

وقال العلامة السبكي ﷺ : اعلم أن التوبة من أعظم ما منّ الله تعالى به على عباده فإن لم تقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة ، فإن لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب التوبة من الإصرار على ترك التوبة ، وهكذا أبدا ما عشنا ، وما ثمّ لنا دآء بلا دوآء فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله فلله تعالى رحمة خاصة يمنّ بها على من مات معسرا من أهل الإسلام . اهـ « تنوير » اختصارا ١٩٧ .

قال ابن عطاء الله ﷺ في « حكمه » : من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدرا ، من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له أن يستغرب أن ينقذه الله من أسر شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه ، فإن ذلك نسبة العجز إلى القدرة الإلهية والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من الأشياء ، وليعلم العبد أن قلوب العباد ونواصيهم بيده ، فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار ، فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز .

وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه ، فأصلح أعمالهم وصفّى أحوالهم وأبدل سيئاتهم حسنات ورفعهم من أسفل سافلين إلى أعلى الدرجات ، كل ذلك في أقرب زمان وأقصر مدة وأوان ، والحكايات في هذا المعنى كثيرة عن الشيوخ ، مثل سيدي فضيل بن عياض ، وعبد الله بن المبارك ، وأبي عقال بن علوان ، وغيرهم ﷺ . « شرح الحكم » ٢٠١ ج ٢ .

وقـــال الشيخ الثقة أمين الدين أبو علي الطبري ﷺ عند قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ : اختلف في معنى قوله تعالى ﴿ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ على وجوه :

أحدها أن كل معصية يفعلها العبد بجهالة وإن كانت على سبيل العمد لأنه يدعو إليها الجهل ويزينها للعبد ، عن ابن عباس ﵄ وعطاء ومجاهد وقتادة وهو المروي عن عبد الله ﵁ قال : كل ذنب عمله العبد وإن كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصيته ، فقد حكى سبحانه قول يوسف الصديق على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لإخوته : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله تعالى .

و ثانيها : إن معنى ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة«١» (عن الفراء)

وثالثها : إن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيفعلونها إما بتأويل يخطؤون فيه وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها (على الجبّائي)

وضعّف الرماني هذا القول بأنه خلاف ما أجمع عليه المفسرون لأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة ، لأن قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ ﴾ يفيد أنها لهؤلاء دون غيرهم . انتهى « كشكول » في ٣٥ .

وقال القطب الشعراني ﵁ في « البحر المورود » ١٠٨ : قال الشيخ الأكبر ﵅ في الباب الرابع والثلاثين ومائتين : من النكت الجليلة التي ينبغي التنبيه عليها أن تعلم يا أخي أن المؤمن لا يأتي قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة إلا ويجد في نفسه عند الفراغ منها الندم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الندم توبة » ، وقد قام به الندم فهو تائب ، فإذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة ، فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عملها ، فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بأنها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح ، وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيّئ ، فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ، و(عسى) من الله واجبة الوقوع فلا بد له من التوبة .

« ١ » الشيء المعلوم بالضرورة هو ما لا يسع أحداً جهله

وحاصل الأمر أنه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيئ من وجه واحد كما مر ، وقال في قوله تعالى : ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة ولكن لا بد من رؤيته لكل ما عمله ، فإن كان ممن غفر له فإنه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة ، والكريم إذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك والله أعلم ، « هامش يواقيت » ١٠٨ .

وقال العارف بالله أحمد بن إدريس الشريف الحسيني رضي الله عنه في « عقده » : قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جملة فيها التخويف العظيم لأمة محمد ﷺ والرجاء الذي هو أعظم من الخوف ، فأما وجه التخويف فهو أن الله سبحانه وتعالى أخرج آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة من أجل ذوقه من الشجرة ، وهي من حق الله تعالى ليست من حق أحد سواه مع أنه خلقه بيده واصطفاه وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة ، فما حال رجل ليس بنبي ولا مصطفى ولا له من تلك العنايات شيء ثم ينتهك المحارم العظيمة إما بأكل أموال الناس أو زنا أو قتل أو شرب خمر ، فكيف السلامة و كيف النجاة ، وهذا تخويف وأي تخويف ، ووجه الرجاء أن الله سبحانه و تعالى غفر له هذا الذنب بسبب توبته والحال أنه عالم بالله وبجلاله وبطشه لأنه من المقربين ، والمقرب هو أعلم من البعيد بصفات الملك ، وإذا كان كذلك فالذنب منه عظيم .

قال تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ، وهو هنا عليه الصلاة والسلام ليس بجاهل ثم غفر له ، فالجاهل أولى بالغفران ، وقس على هذا قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كداود وموسى وإخوة يوسف وغيرهم أنزل الله كتابه العزيز على رسوله الأمين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين تذكيرا لأمته ، وقصصُ الأنبياء فيه لتكون عبرة لهم وتأسيا وذكر ما جرى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن على رؤوس الأشهاد والجزاء لأن الله سبحانه

وتعالى عدل لا يترك شيئا فجزاهم عليها في الدنيا بذكر ما حصل منهم كيلا يجازوا عليها في الآخرة ، والتائب من أمة محمد ﷺ عقابه وجزاؤه على ما فعل ذكرُه ذنبه فيما بينه وبين الله تعالى وتألمُه منه وتوجعه وبكاؤه وأنينه وزفاراته ، فكان ذلك جزاؤه معجلا في الدنيا لا يجازى على ذنبه في الآخرة ، فلا يلقى الله سبحانه وتعالى إلا وهو طاهر من جميع ما فعل من السيئات وقد بدلت حسنات ، فأيّ مزية أعظم من هذه المزية التي اختصت بها هذه الأمة ، وأيضا فإنه تعالى أخرهم عن جميع الأمم ليقص عليهم قصص من سلف فيتعظوا ويعتبروا تحريضا لهم على التوبة وهديا لسلوك طريق السالكين وتحذيرا من الوقوع في ظلمة ضلال المجرمين ، فلم يبق طريق من طرق النجاة إلا أوضحها في ضمن قصص الأنبياء ، ولم تبق مهلكة إلا أوضحها أيضا في قصصهم مع قومهم ، فكان من قبلنا موعظة لنا لنعرف طريق النجاة فنسلكها وطريق الهلاك فنجتنبها والحمد لله رب العالمين . « عقد النفيس » ١٤٣ .

قـــال الشيخ الأكبر ؓ في باب الوصايا من « الفتوحات » : إياكم ومعاداة أهل(لا إله إلا الله) فإن لهم من الله الولاية العامة ، فهم أولياء الله ولو أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئا فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، وإنما جاز لنا هجران أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه ، وأطال في ذلك ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله أعلم ، فتأمل في هذا المبحث وأمعن النظر فيه فإنك لا تجده في كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين ذكره في . « يواقيت » في ٤٦ .

وقال علي ﵁ : قصر ثيابك فإنه أبقى وأنقى وأتقى ، برئ قلبك من الذنوب ووَجّه وجهك إلى علام الغيوب بعزم صادق ورجاء واثق وعُدَّ إنك عبد آبق من مولى كريم رحيم حليم يحب عودك إلى بابه واستجارتك به من عذابه ، وقد طلب منك العود مرارا عديدة وأنت معرض عن الرجوع إليه مدة

مديدة مع أنه وعدك إن عدت إليه وأقلعت عما أنت عليه بالعفو عن جميع ما صدر عنك والصفح عن كل ما وقع منك ، فقمْ واغتسل احتياطا وطهرْ ثوبك وصلِّ الفرائض وأتبعها بشيء من النوافل ولتكن تلك الصلاة على الأرض بخشوع وخضوع واستحياء وانكسار وبكآء وفاقة وافتقار في مكان لا يراك فيه ولا يسمع صوتك إلا الله ﷻ ، فإذا سلمت فعقِّبْ صلاتك وأنت حزين مستحي وجل راج ، ثم اقرأ الدعاء المأثور عن زين العابدين ﷺ أوله : اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون ، ثم ضع وجهك على الأرض واجعل التراب على رأسك ومرِّغ وجهك الذي هو أجل أعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وأنت تقول : عظُم الذنب من عبدك فليَحسُن العفو من عندك ، تكرر ذلك وتعدّ ما تذكر من ذنوبك لائما نفسك موبخا لها نائحا عليها نادما على ما صدر منها وابق على ذلك ساعة طويلة ، ثم قم وارفع يديك إلى التواب الرحيم وقل : إلهي عبدك الآبق قد رجع إلى بابك ، عبدك العاصي رجع إلى الصلح ، عبدك المذنب أتاك بالعذر وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

ثم تدعو ودموعك تنهل بالدعاء المأثور عن زين العابدين في طلب التوبة وهو الذي أوله : اللهم يا من لا يصفه نعت الناعتين إلى آخره[1] ،

« ١ » دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه في ذكر التوبة وطلبها

اَللَّهُمَّ يَا مَنْ لا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ ، وَيَا مَنْ لاَ يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ ، وَيَا مَنْ لاَ يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ ، وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ الْعَابِدِينَ ، وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ . هَذا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ ، وَقَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً ، وَتَعَاطى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَعْزِيراً ، كَالْجاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ ، أَوْ كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَى ، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَائِبُ الْعَمَى أَحْصَى مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَفَكَّرَ فِيمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ ، فَرَأى كَبِيْرَ عِصْيَانِهِ كَبِيْراً ، وَجَلِيل مُخالفَتِهِ جَلِيْلاً ، فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ ، مُسْتَحْيِياً مِنْكَ ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ ، فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً ، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلاَصَاً ، قَدْ خَلاَ طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرِكَ ، وَأَفْرَغَ رَوْعَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ ، فَمَثَّلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً ، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إِلَى الارْضِ مُتَخَشِّعَاً ، وَطَأطَأَ رَأسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً ، وَأَبَثَّكَ مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خَضُوعاً ، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعاً وَاسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمِ مَاوَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ

وَقَبِيح مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ مِنْ ذُنُوب أَدْبَرَتْ لَذَّاتُهَا فَذَهَبَتْ ، وَأَقَامَتْ تَبِعَاتُهَا فَلَزِمَتْ ، لا يُنْكِرُ يَا إِلهِي عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ ، وَلا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ لانَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لا يَتَعَاظَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيم . اَللَّهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لامْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ ، مَتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الاجَابَةِ إِذْ تَقُولُ « اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ »

اَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَالْقَنِي بِمَغْفِـرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِـإِقْرَارِي وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الانْتِقَامِ مِنِّي . اَللَّهُمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِيْ ، وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيـرَتِي ، وَوَفِّقْنِي مِنَ الاَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الخَطَايَا عَنِّي ، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّد عَلَيْهِ السَّـلامُ إِذَا تَوَفَّيْتَنِي . اَللَّهُمَّ إِنِّي أَتُـوبُ إِلَيْـكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا ، وَسَوالِفِ زَلاَّتِي وَحَوَادِثِهَا ، تَوْبَةَ مَنْ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَة ، وَلاَ يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَة ، وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلهِي فِي مُحْكَمِ كِتابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ وَأَعْفُ عَنْ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْتَ ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَـرَطْتَ ، وَلَـكَ يَـا رَبِّ شَـرطِي أَلاَّ أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ ، وَضَمَانِي أَلاَّ أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ . اَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا عَلِمْتَ ، وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ . اَللَّهُمَّ وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَـامُ ، وَعِلْمِكَ الَّذِي لا يَنْسَى فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا وَاحْطُطْ عَنّي وِزْرَهَا ، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقْلَهَا ، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ اُقَارِفَ مِثْلَهَا . اَللَّهُمَّ وَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلاَّ بِعِصْمَتِكَ ، وَلا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلاَّ عَنْ قُوَّتِكَ ، فَقَوِّنِي بِقُوَّة كَافِيَة ، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَة مَانِعَة . اَللَّهُمَّ أَيُّما عَبْد تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ وَعَائِدٌ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُوْنَ كَذلِكَ ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لا أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إِلَى تَوْبَة ، تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ مَا سَلَفَ وَالسَّلاَمَةِ فِيمَـا بَقِيَ . اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَـذِرُ إِلَيْـكَ مِنْ جَهْلِي ، وَأَسْتَـوْهِبُـكَ سُوْءَ فِعْلِي ، فَـاضْمُمْنِي إِلَى كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً ، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً . اَللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِـكَ مِنْ خَـطَرَاتِ قَلْبِي وَلَحَـظَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي ، تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَة عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيْمِ سَطَوَاتِكَ . أَللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدُ ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ . أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَشَفِّعْ فِي خَطَايَـايَ كَرَمَكَ ، وَعُدْ عَلَى سَيِّئاتِي بِعَفْوِكَ ، وَلاَ تَجْزِنِي جَزَآئِي مِنْ عُقُوبَتِكَ وَابْسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ ، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيز تَضَرَّع إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ ، أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَشَهُ . اَللَّهُمَّ لاَ خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِيْ عِزُّكَ ، وَلا شَفِيعَ لِيْ إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ ، فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْل مِنِّي بِسُوْءِ أَثَرِي ، وَلاَ نِسيَان لِمَا سَبَقَ مِنْ ذَمِيمِ فِعْلِي ، وَلكِنْ لِتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَنْ فِيْهَـا ، وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ ،

واجهد في توجه قلبك إليه وإقبالك بكليتك عليه مشعرا نفسك سعة الجود والرحمة ، ثم اسجد سجدة تكثر فيها البكاء والعويل والانتحاب بصوت عال لا يسمعه إلا الله تعالى ، ثم ارفع رأسك واثقا بالقبول فرحا ببلوغ المأمول . « كشكول » ص ٣٠٠ .

وفي الحديث : « إذا بلغ الإنسان أربعين سنة ولم يتب مسح إبليس على وجهه وقال : بأبي وجه لا يفلح » .

وقال في بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ أنها أعمال كانوا يرونها حسنات فبدت لهم يوم القيامة سيئات . « كشكول » ٢٤٧ .

وفي « تفسير النيسابوري » ﵀عند قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ما صورته : قيل علامة قبول التوبة هجران إخوان السوء وقرناء الشر ومجانبة البقعة التي باشر فيها الذنوب والخطايا وأن يبدل بالإخوان إخوانا وبالأخدان أخدانا وبالبقعة بقعة ، ثم يكثر الندامة والبكاء على ما سلف منه والأسف على ما ضيع من أيامه ، ولا تفارقه حسرة ما فرط وأهمل في البطالات ويرى نفسه مستحقة لكل عذاب وسخط انتهى « كشكول » .

وَلَجَأْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ ، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي ، أَوْ تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حَالِي فَيَنَالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَة أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي ، أَوْ شَفَاعَة أَوْكَدُ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفَوْزَتِي بِرِضَاكَ . اَللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ ، وَإِنْ يَكُنِ الاسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ . اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَاءِ وَوَعَدْتَ الاجَابَةَ ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرجِعَ الغَيبَةِ منْ رَحْمَتِك إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ . اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَمَا اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاَةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ إِلَيْكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ .

وقال قطب العارفين السيد الشريف أحمد بن إدريس الحسيني ﵁ : ينبغي للإنسان أن يتحول عن الموضع الذي غفل عن الله تعالى فيه وذلك أن النبي ﷺ أمر بالتحول عن المحل الذي طلعت فيه عليهم الشمس ولم يصلوا الفجر ، وأما المحل الذي عصى الله تعالى فيه فذلك أشد وأعظم « عقد » ١٣٩ .

دخل سفيان الثوري ﵀ على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﵄ فقال : علمني يا ابن رسول الله مما علمك الله تعالى ، فقال : إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار ، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث وأي ثلاث ! . « عاملي »٢٩٦ .

فصل

في التصوف وعلم السلوك وأفضلية الطريقة النقشبندية

اعلم أيدك الله تعالى بالتقوى أن علم التصوف والسلوك علم شريف القدر عظيم الخطر ، كأنه جوهر لا قيمة له وبه ينال المقصود الأصلي ويفوز بالمطلب الكلي ، ويكفيك في جلالة قدر هذا العلم أنه لم يبعث نبي إلا لأجله ، وأن علم السلوك فرض عين بلا خلاف على الذكور والإناث والعبيد والأشراف ، إذ الجميع مخلوقون للعبادة بوصف الإخلاص واليقين كما نطق به الكتاب المبين : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ، والعبادة بدون العلم هباء منثور والعابد على الجهل كالباني على أمواج البحور . انظر إلى تقريب في صحيفة ٣ قال ابن عباس : إلا ليعرفوني ، فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلاً بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ، ولا يخرج الإنسان عن الجهل بالحق إلا إن عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال« يواقيت »٥٢ .

واعلم أن ماهية الشيء حقيقته ، وحقيقته ما دلت عليه جملته . وتعريف ذلك بحد وهو أجمع ، أو رسم وهو أوضح ، أو تفسير وهو أتم لبيانه وسرعة فهمه . وقد حُدَّ التصوف ورُسِمَ وفُسِّرَ بوجوه تبلغ نحو الألفين ، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى ، وإنما هي وجوه فيه[١] .

وقال[٢] : الاصطلاح للشيء مما يدل على معناه ويشعر بحقيقته ويناسب موضوعه ويعين مدلوله من غير لبس ولا إخلال بقاعدة شرعية ولا عرفية ولا رفع موضوع أصلي ولا عرفي ولا معارضة فرع حكمي ولا مناقضة وجه

« ١ » أي من جملة معانيه
« ٢ » أي الإمام زروق قدس سره

حكمي مع إعراب لفظه وتحقيق ضبطه لا وجه لإنكاره ، واسم التصوف من ذلك لأنه عربي مفهوم تام التركيب غير موهم ولا ملتبس ولا مبهم ، بل اشتقاقه مشعر بمعناه كالفقه لأحكام الإسلام والأعمال الظاهرة ، والأصول لأحكام الإيمان وتحقيق المعنى ، فاللازم فيهما لازم فيه ، لاستوائهما في الأصل والنقل . « قواعد » .

وقال سيدي علي حرازم المغربي الفاسي ﷺ في « الجواهر »«١» : وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن ﷺ أن الإمام أحمد ﷺ كان يحثّ ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول : إنهم بلغوا في الإخلاص مقاما لم نبلغه .

وقد أشبع القول في مدح القوم وطريقهم الإمام القشيري ﷺ في « رسالته » والإمام أحمد بن أسعد اليافعي ﷺ في « روض الرياحين » وغيرهما من أهل الطريق ، وكتبهم كلها طافحة بذلك .

وقال مولانا شيخ الإسلام لما سأله الجنيد عن التصوف : إذا صافى عبداً وارتضاه بخالصته وعدّه من خاصته ألقى إليه كرمة كريمة من لسان كريم في وقت كريم على مكارم كريم بين قومٍ كرام « نفحات » ١٣٣

وقد كان الإمام أبو تراب النخشبي أحد رجال الطريق ﷺ يقول : **إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أوليآء الله** ، وكان شيخنا الشيخ محمد الشاذلي المغربي ﷺ تعالى يقول : اطلب طريق ساداتك من القوم وإن قلّوا وإيّاك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلّوا ، وكفى شرفا لعلم القوم قول موسى للخضر عليهما السلام : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ، وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة وكل عن مقامه يتكلم اهـ .

« ١ » انظر : « جواهر المعاني » للإمام علي بن حرازم المغربي الفاسي ، ص ١٠ ١١

وقد ذكر الشيخ محي الدين قدس سره في « الفتوحات » وغيرها أن طريق الوصول إلى علوم القوم الإيمان والتقوى ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي أطلعناهم على العلوم المتعلقات بالعلويات والسفليات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الخ« الجواهر ١١ » ، ولكن إن الناس في كل زمان يؤذون لأرباب هذا العلم بالتعصب معهم كل التعصب والتعنت إذ الجاهل عدوّ لما جهل .

وقال أبو الحسن الشاذلي قدس سره : وقد ابتلى الله تعالى هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصا بأهل الجدال فقلّ أن تجد منهم أحدا شرح الله صدره للتصديق بولي معين بل يقول لك : نعم نعلم أن لله أولياء وأصفياء موجودين ولكن أين هم ؟ فلا تذكر له أحدا إلاّ ويأخذ يدفعه ويردّ خصوصية الله تعالى عنه ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير ولي لله تعالى وغاب عنه أنّ الولي لا يعرف صفاته إلاّ الأولياء فمن أين لغير الولي أن ينفي الولاية عن إنسان ؟ ما ذاك إلاّ محض تعصب كما نرى في زماننا أمثال ذلك خاصة .

وقال أيضا : وقد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق في مبدأ أمرهم وفي حال نهايتهم كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالى ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالى كل الإقبال ونذكر إن شاء الله تعالى نبذة من هذه في فصل الإنكار على أولياء الله تعالى وإنما رمزنا هنا نظرا إلى المقام والله تعالى ولي التوفيق وهو الحكيم العليم .

واعلم أيها الأعز أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة ، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده ، فقد يكون العلم في نفسه مؤيدا بالكتاب والسنة ولكن قلة استعدادك منعتك من فهمه فلن تستطيع أن تتناوله بهمتك من محله فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة ، فالطريق في هذا التسليم وعدم العمل به من غير إنكار إلى أن يأخذ الله بيدك إليه ، لأن كل علم يرد عليك لا يخلو من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : المكالمة ، وهو ما يرد على قلبك من طريق الخاطر الرباني والملكي ، فهذا لا سبيل إلى رده ولا إلى إنكاره ، فإن مكالمات الحق تعالى لعباده وإخباراته مقبولة بالخاصية لا يمكن لمخلوق دفعها أبدا ، وعلامة مكالمة الحق تعالى لعباده أن يعلم السامع بالضرورة أنه كلام الله تعالى وأن يكون سماعه له بكليته وأن لا يقيد بجهة دون غيرها ولو سمعه من جهة فإنه لا يمكنه أن يخصه بجهة دون أخرى ، ألا ترى إلى موسى عليه السلام سمع الخطاب من الشجرة ولم يقيد بجهة والشجرة جهة ، ويقرب الخاطر الملكي من الخاطر الرباني في القبول ولكن ليست له تلك القوة إلا أنه إذا اعتبر قبِل بالضرورة ، وليس هذا الأمر فيما يرد من جناب الحق على طريق المكالمة فقط بل تجلياته أيضا كذلك ، فمتى تجلى شيء من أنوار الحق للعبد علم العبد بالضرورة من أول وهلة أنه نور الحق سواء كان التجلي صفاتيا أو ذاتيا علميا أو عينيا ، فمتى تجلى عليك شيء وعلمت في أول وهلة أنه نور الحق أو صفته أو ذاته فإن ذلك هو التجلي فافهم فإن هذا البحر لا ساحل له ، وأما الإلهام الإلهي فإن طريق المبتدئ في العمل به أن يعرضه على الكتاب والسنة ، فإن وجد شواهده منهما فهو إلهام إلهي وإن لم يجد له شاهدا فليتوقف عن العمل به مع عدم الإنكار ، وفائدة التوقف أن الشيطان قد يلقي في قلب المبتدئ شيئا يفهمه أنه إلهام إلهي فيخشى أن يكون ذلك من هذا القبيل ، وليلزم صحة التوجه إلى الله تعالى والتعلق به مع التمسك بالأصول إلى أن يفتح الله عليه بمعرفة ذلك الخاطر .

الوجه الثاني : هو أن يكون العلم واردا على لسان من ينسب إلى السنة والجماعة ، فهذا إن وجدت له شاهدا أو محملا فهو المراد ، وإلا فكفّ وكن ممن لا يمكنه الإيمان به مطلقا لغلبة نور عقلك على نور إيمانك ، فطريقك فيه طريقك في مسألة الإلهام بين التوقف والاستسلام .

الوجه الثالث : أن يكون العلم واردا على لسان من اعتزل عن المذهب والتحق بأهل البدعة ، فهذا العلم هو المرفوض ، ولكن الكيس لا ينكره مطلقا بل

يقبل منه ما يقبله الكتاب والسنة من كل وجه ، ويرد منه ما يرده الكتاب والسنة من كل وجه ، وسمعت شيخ شيخنا القطب أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله سره أنه كان يقول : المقصود من السلوك أربعة : الحضور والمشاهدة والفناء والعدم ، والعدم أفضل لعدم حظ النفس فيه .

وسمعت أيضا أنه كان يقول : عليك بالسنة ومحبة الطريقة ولا تترك الطريقة وأخذ العهد على هذه الثلاثة ، هكذا أخبرني شيخنا ومولانا أبو عبد الرحمن زين الله الشريفي المعموري ﷷ وروحي فداه .

سئل الجنيد ﷷ عن التصوف فقال : خلق كريم يظهره الكريم في زمان كريم من رجل كريم بين قوم كرام « نفحات » ١٣٣ .

وقال أبو عمرو الدمشقي ﷺ : ليس التصوف رؤية الكون بعين النقص ، بل غض البصر عن كل ناقص لمشاهدة من هو منزه عن كل نقص « نفحات »٢٠٧ .

وقال أبو العباس بن عطاء البغدادي ﷺ : التصوف خلق وليس أنا به وما رأيت من أهله إلا خيرا « نفحات » ١٩٨ .

قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأقل النصيب من علم المعرفة أن لا يشهد ولا يجحد وإن لم يعرف فليعترف ، ولكن مَعْقله التسليم لأهله ، فهو معقل المسلمين وقته ليسلموا من عدوهم ويأمنوا البدع في دينهم .

وقال بعضهم : العلم المكنون والسر المصون علم هذه الطائفة ، وهو نتيجة الخدمة وثمرة الحكمة لا يظهر به إلا الغوّاصون في بحار المجاهدات ولا يسعد به إلا المصطفون بأنوار المشاهدات ، وأهل الغِرَّة بالله سبحانه لها منكرون وعنها مدبرون .

وقال الشيخ شهاب الحق والدين أبو حفص عمر السهروردي ﷷ : علومهم كلها إنباء عن وجدان واجتراء إلى عرفان استصعبت نكتها على

الإشارة وطفحت على العبارة تهاد بها الأرواح بدلالة العام والائتلاف وكرعت حقائقها من بحر الألطاف ، وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم .

وقد قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا طوي بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم في حواشيه .

ومما أنشد فيهم :

هُمُ القَوْمُ هاموا فَاسْتَقاموا عَلى السّرى   لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمو إلى العَلَم الفَرْدِ
بحارُ الحَيا والحِلْم والعِلْم والتُّقى   دِيارُ السَّخا والعِزِّ والشُّكْرِ والحَمْدِ
كُنوزُ الصّفا والعِشْقِ والصِّدْقِ والوَفا   لَهُمْ مِنْ بِحارِ الغَيْبِ وِرْدٌ عَلى وِرْدِ
عَلَيْهِمْ سَلامُ اللهِ ما هَبَّتَ الصَّبا   قُبَيْلَ ابْتِسامِ الصُّبْحِ في طالَعِ سَعْدِ

وممن نطق بعلوم هؤلاء السادات العارفين وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين علي بن الحسين زين العابدين ﵁ لما أنه ثمرة الشجرة المباركة ومعدن الرسالة النبوية جعلنا الله تعالى من محبيهم وحشرنا في زمرتهم آمين .

وقال في « عوارف المعارف » : ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأُقسمن لكم أنّ أحب عباد الله إلى الله تعالى الذين يحبّبون الله تعالى إلى عباده ويحبّبون عباد الله إلى الله تعالى ويمشون في الأرض بالنصيحة » ، وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحبب الله تعالى إلى عباده ويحبب عباد الله إلى الله تعالى ، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله تعالى . انتهى .

ومنه ما في « جوامع الكلم » : توسلوا إلى الله تعالى بالمشائخ فإنهم من خواص الحضرة ونوابها لا تأتوا البيوت من ظهورها وأتوا البيوت من أبوابها ، المرشد وسيلة إلى الله تعالى وإلى كل فضيلة فاتقوا الله تعالى وابتغوا

إليه الوسيلة ، لا تعرف دسائس النفس إلا بالمربي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، ظل المرشد تقيكم حر النار فلا تفارقوهم ملالا والخوف للطالبين ليس بملائم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، توسلوا بالمشائخ فكل متوسل يحشر مع وسيلته ، وفي التنزيل : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ .

ومنه ما في « روح البيان » : واعلم أن الآية الكريمة صرحت بالأمر بابتغاء الوسيلة ولا بد منها فإن الوصول إلى الله تعالى لا يحصل إلا بالوسيلة وهي علماء الحقيقة ومشائخ الطريقة ، والعمل بالنفس يزيد في وجودها وأما العمل وفق إشارة الشيخ المرشد ودلالة الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات والأولياء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيخلصها من الوجود ويرفع الحجاب ويوصل الطالب إلى رب الأرباب . ومثله في « المكتوبات » الشريف .

ومنه ما في « روح البيان » أيضا : فعلى العاقل تحصيل الحال قبل حلول الأجل ، وهو إنما يكون بصحبة واصل إلى الله تعالى ، وفيه أيضا : الغيرة لحال الباطن لا لحال الظاهر . انتهى .

وفيه أيضا : وينبغي أن يجتهد في تحصيل سر الأولياء ، وأقل الأمر أن لا يقصّر في حبهم فإن المرء مع من أحب كما ذكرنا غير مرة ، أي يحشر معه فلا بد من الجهة الجامعة من وجه خاص انتهى .

وفيه أيضا : فعلى المؤمن أن يصلح ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة حتى ينال شفاعته ويتخلص من عذاب النار ويدخل الجنة مع الأبرار

وفيه أيضا : الإشارة في الآيتين أن ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء ، لا تتزكّى أنفسهم بمجرد تعلم العلم بل تزيد سفاهتهم المذمومة مثل المباهاة والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ التزكية ويتهيأ لها بتسليم النفس

إلى أرباب التزكية ، وهم العلماء الراسخون والمشائخ المحققون كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديما ، فمن سلم نفسه للتزكية إلى المزكي ويصبر على تصرفاته كالميت في يد الغسال ويصغي إلى إشارته ولا يعترض على معاملته ويقاسي شدائد أعمال التزكية فقد أفلح بما تزكى ، والمزكي هو النبي ﷺ في أيام حياته وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه قرنا بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا ، ولعمري إنهم في هذا الزمان أعز من الكبريت الأحمر . انتهى .

ولما رأى سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد فساد أحوال الزمان أنشأ هذه الأبيات :

أهل التصوف قد مضت صار التصوف مخرقة

صـــار التصـــــوف ركـوة وســـجادة ومدلقـة

صار التصـــوف صيحـــة وتواجـــدا ومطبقـة

كذبتك نفسك ليس ذي سنن الطريق الملحقة

« نفحات » ١٣٤ .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد زروق ﵁ في « القواعد » : طلب الشيء من وجهه وقصده من مظانه أقرب لتحصيله ، وقد ثبت أن دقائق علوم الصوفية منح إلهية ومواهب اختصاصية لا تنال بمعتاد الطلب ، فلزم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاثة : **أولها** العمل بما علم قدر الاستطاعة ، **الثاني** الالتجاء إلى الله تعالى في الفتح على قدر الهمة ، **والثالث** إطلاق النظر في المعاني[١] حال الرجوع لأصل السنة ليجري الفهم وينتفي الخطأ ويتيسر الفتح .

« ١ » في الأصل المعالي

وقد أشار الجنيد رحمه الله تعالى لذلك بقوله : ما أخذنا التصوف من القيل والقال والمراء والجدال ، وإنما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الأعمال أو كما قال .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

وقال أبو سليمان الداراني ﵁ : إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالِمٌ علماً . انتهى .

اعلم أن أفضل الأعمال وأشرف الأحوال اتباع السنة في كل حال كما ذكرنا لكن لا يمكن هذا الاتباع إلا بالسلوك في طريقة من طرق العبودية التي وصلت عن النبي ﷺ بواسطة الصحابة إلى المشائخ الصوفية ، وأفضلها وأولاها من تلك الطرق الطريقة النقشبندية لأنها باقية على أصلها من غير نقص ولا زيادة فيها ، بخلاف سائر الطرق لتغيير عن أصلها بما أحدثته المشائخ الصوفية فيها والمتشيخون من الأمور البدعية ، ولأن نسبة هذه الطريقة العلية نسبة جلية وصلت عن أبي بكر الصديق﵁ الذي هو أفضل الخلق بعد الأنبياء ، وأما نسبة سائر الطرق فليست كذلك لأنها إنما وصلت إلى مشائخها عن طرق أخر غير طريق الصديق ﵁ ، ولأن جذبة المحبة إنما تحصل في نهاياتها فلذلك كان الواصلون في بداية هذه الطريقة العلية أكثر من الواصلين في نهاية غيرها ، ولأن السير في هذه الطريقة العلية إنما يكون في أحدية الذات وفي غيرها في واحدية الصفات ، فشتان ما بين السير في الذات وبين السير في الصفات فقلما يخرج السالك عن التلوين في سير الصفات ، ولأن الولاية الكبرى إنما تعطى في هذه الطريقة العلية وفي غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط لما فيها من المخالفات في آداب السنة ، وفي هذه الطريقة زيادة جذبة المحبة الذاتية دون غيرها ، وهذه الجذبة لا يمكن بالكسب تحصيلها ولا بالنطق تعريفها لأنها من أنوار الذات المطلقة ولا يتصف بها إلا من كان مظهرا لذلك النور الذاتي في عالم الأزل ، ومعنى الجذبة تقريب الحق عبده إلى جنابه سبحانه

وتعالى بمقتضى عنايته الأزلية المهيئة لذلك العبد جميع ما يحتاج إليه في طي الأحوال والمنازل بلا كلفة ولا سعي من ذلك العبد ، ومعنى المحبة الذاتية هي ميل الروح بغلبة الحكم الذاتي إلى جمال ذات الحق سبحانه وتعالى في مرتبة الأحدية الذاتية من غير اعتبار الصفات والأسماء ، وبسبب تلك الجذبة المحبة الذاتية التي كانت زيادتها في هذه النسبة السنية صارت نهايتها مندرجة في بدايتها أي نهاية السلوك وهي مشاهدة أنوار الذات المقدسة في بداية السلوك وهي أول توجه السالك إلى جناب الحق سبحانه وتعالى .

فحاصل المعنى من اندراج النهاية في البداية أن المبتدئ في سلوك طريق المعرفة بزيادة جذبة المحبة الذاتية كما ذكر إذا جمع همته للتوجه إلى الذات الإلهية حصلت له في أول وضع قدمه في التوجه إلى جناب الحق مشاهدة أنوار الذات المقدسة التي هي نهاية السلوك في غير طريق الجذبة ، لأن بداية طريق الجذبة مجلى نهايته فيصل المبتدئ مع تلك الجذبة في بداية سلوكه إلى تجلي الذات المقدسة التي هي نهاية السلوك فيستغرق المبتدئ مع تلك الجذبة كل البدايات والنهايات انتهى كلام « التحفة »« ١ » .

وقال الشيخ الهروي ﷺ في مكتوبات الرباني ﷺ في المكتوب الثلاثين ما عبارته : سئل الخواجه بهاء الدين ﷺ أنه ما المقصود من السلوك ؟ فقال : لتصير المعرفة الإجمالية تفصيلية والاستدلالية كشفية ضرورية ولم يقل ليحصل معرفة زائدة على معارف شرعية وإن حصل في الطريق أمور زائدة لكن إذا بلغ الأمر نهايته تكون تلك الأمور هباء منثورا وتصير المعارف الشرعية معلومة على وجه التفصيل وتخرج من مضيق الاستدلال إلى فضاء إطلاق الكشف يعني كما أن النبي ﷺ كان يأخذ هذه العلوم من الوحي كذلك هؤلاء الأكابر يأخذونها بطريق الإلهام من الأصل والعلماء بينوا هذه العلوم أخذا لها من الدلائل الشرعية بطريق الإجمال فكما أن هذه العلوم كانت حاصلة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفصيلا كذلك تكون تلك العلوم حاصلة لهم كشفا على هذا النهج والأصالة والتبعية قائمتان في

« ١ » وقد بسطنا الكلام في فصل السير والسلوك فراجعه

البين وإنما ينتخب لمثل هذا القسم من الكمال بعضٌ من كُمّل الأولياء بعد قرون متطاولة وأزمنة متباعدة . « مكتوبات »

وفي التنزيل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وفي الآية إشارة إلى أن سنة الله تعالى أن لا يهدي إلى حضرته قوما جحدوا نبوة الأنبياء وما قبلوا رسالة الرسل ليبلغوا إليهم من ربهم أو أنكروا على الأولياء وما استمسكوا بعروة ولايتهم ليوصلوهم إلى الله تعالى ، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ . ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ، وفي الآية إشارة إلى أن حقيقة الدين إنما هي أحكام ظاهرة وباطنة والتزين بالأعمال ظاهرا وبالأحوال باطنا وهذا لا يتحقق إلا بمقدمتين ونتائج أربع :

فأما المقدمتان **فأولاهما** الجذبة الإلهية **وثانيتهما** التربية عند الشيخ .

وأما النتائج **فأولها** الإعراض عن الدنيا وما يتعلق بها كلها ، **وثانيهما** التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى بصدق الطلب ، وهما من نتائج الجذبة ، ثم تزكية النفس عن الأخلاق الذميمة وتحلية القلب بالأخلاق الإلهية ، وهما من نتائج التربية الشيخية بإسمه أو القوة النبوية ، والقوم الكافرون هم أهل الإنكار يتعلقون بظاهر الدين ولا يعرفون وراءه غاية وليس كذلك . انتهى « روح البيان » .

وفيه أيضا أن الهجرة على قسمين : صورية ومعنوية ، والمعنوية هي السير إلى الله تعالى عن موطن النفس لفتح كعبة القلب وتخليصها من أصناف الشرك والهوى فيجري حكمها إلى يوم القيامة . انتهى .

وفيه أيضا : اعلم أن القلوب متفاوتة فمنها ما يشق عليه الإيمان وهي قلوب الكفرة ، ومنها ما يشق عليه الذوق والوجدان وهي قلوب أهل النقصان من أهل الإيمان ، فإن بعض الناس يتباعد عن الكلمات العرفانية بل ينكر أحوال أصحاب الفضائل ، وهذا لأن مَن انهمك في الصفات الحيوانية وحكم عليه الصفات السبعية و الشيطانية لا يسوغ له الشرب من المشارب الروحانية ، ولذا يوصى بكتم ما يتعلق بالأسرار عن الأغيار انتهى .

وفيه أيضا : ومن شرط الذكر أن يأخذه الذاكر بالتلقين من أهل الذكر كما أخذه الصحابة بالتلقين من رسول الله ﷺ ولقن الصحابة التابعين والتابعون المشائخ شيخا بعد شيخ إلى عصرنا هذا إلى أن تقوم الساعة ، كذا في « ترويح القلوب بلطائف الغيوب » للشيخ عبد الرحمن البسطامي قدس سره انتهى .

ومنه ما في « جوامع الكلم » : اعلم رحمك الله تعالى أنه مشهور في العوام أن تفاضل السالكين بحسب كشوفاتهم وكراماتهم ، وعلم من كلام المشائخ أن الكرامات و الكشوفات ما هي من لوازم الطريقة فإنها ليست سببا للتفاضل ، بل سبب التفاضل إنما هو التقوى كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾

والتقوى على قسمين : ظاهري وباطني ، والباطني منه ما هو مختص بالأولياء ومنه ما هو غير مختص بهم ، والمختص هي التقوى عما سوى الله تعالى المعبر عنه بالفناء ، وأشير إليه فيما ورد : « موتوا قبل أن تموتوا » وبه البشارة لمن اتصف به كما وقع في حديث آخر : « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى ابن أبي قحافة » كما في « المكتوبات » وهو الصديق الأكبر رضي الله عنه .

وفيها أيضا : ولما كان بيان المعارف الإلهية والأوضاع الباطنية أشرف الأحوال وأولاها جعلنا التحريض بالسلوك خصوصا في الطريقة النقشبندية العلية من بين الطرق وقلنا اعلمو يا إخواني أن الموت الذي قبل الموت المعبر عنه بالفناء والبقاء عند الصوفيين المحققين إن لم يتحقق هو لا يتيسر الوصول إلى الحق تبارك وتعالى ، بل لا يتحقق النجاة في عبادة الآلهة الآفاقية والنفسية وأين الاطمئنان وأين الإسلام الحقيقي وأين الدخول في زمرة العباد والوصول إلى درجات الأوتاد مع أن هذا أول قدم يوضع في أطوار الولاية وكمال أسبق يحصل في البداية ، ثم قال فيها : والمراد من السلوك والسير تصفية القلب وإزالة الغفلة فلا تكن غافلا عنه ، وشق جبريل عليه السلام قلب النبي ﷺ أمر عظيم وعزة لنا .

ولما كانت التزكية والتصفية موقوفة على أجزاء الإنسان بيَّنا أن الإنسان مركب من عشرة أجزاء : خمسة من عالم الأمر وخمسة من عالم الخلق ، وقد ذكرناها في موضعها .

أما الخمسة التي هي من عالم الأمر هي : القلب والروح والسر والخفي والأخفى ، **وأما الخمسة** التي هي من عالم الخلق : العناصر الأربعة والنفس ، جعل الله تعالى تحصيل الكمالات الباطنية لأحبائه بسبب توجهات أوليائه الكرام في اللطائف المذكورة سواء كان أولا للخمسة الآمريّة أو الخلقية ، لكن وقع الإلهام لمولانا الشيخ النقشبندي ﷼ بالابتداء من اللطائف الخمسة الأمرية مبتدئة من لطيفة القلب النائب مناب القلب الحقيقي إلى الأخفى الذي هو أقصى الدرجات للولاية الخاصة ، وهو مقام النبي ﷺ ، وتندرج تربية النفس الأمارة وتصفية العناصر الأربعة في تربية اللطائف الخمسة الأمرية اندراجا تاما .

فلذا قال الشيخ رحمه الله تعالى : نهاية الآخرين مندرجة في بدايتي ، والمشائخ الأخر يبتدئون بتزكية النفس الأمارة وتصفية العناصر الأربعة بالرياضات الشاقة والمجاهدات العسيرة ولأجل ذلك كان في طريقهم أكثر المخوفات والمهلكات حتى لا تحصل النجاة منها بسبب غلبة الأذكار الأمرية ، لأنها أي الأذكار لم تجر عندهم في الابتداء فجريانها بعد التزكية للنفس والتصفية للعناصر الأربعة بخلاف هذه الطريقة العلية النقشبندية فإنه يبتدئ فيها عن هذه الأذكار وتكون الأنهار الخمسة جارية بحيث لا ينقطع أصلا . انتهى كلام « الرسالة » .

وفيها أيضا : إذا تأملت مجرد ذكر القلب لا يعدل عليه شيء ، فهذه النعمة يحصل بالمحبة بين المريد وشيخه من الجانبين لأن الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الرسول ، والفناء في الرسول مقدمة الفناء في الله تعالى ، ولا يحصل النسبة والحضور إلا بتوجه الشيخ المقتدى به وبمحبته وبمداومة صحبته . انتهى .

وقد ذكرنا هذه أيضا في موضعها وهنا أيضا لمقتضى المقام ، وقال سادات الطريقة أن طريق تحصيل المحبة السلوك ثم الذكر الدائم ثم تمحق الحروف ويبقى المعنى ثم يرتفع العدد ويصير حالة مستديمة ، وحينئذ تحدث المحبة فلا ينسى المذكور ثم تغيب الأشياء ظاهرا وباطنا حتى عن النفس وصفاتها في المذكور وهو القرب ثم يغيب عن الذكر أيضا في شهود المذكور وهو الفناء ثم يحدث الاتصال ويشاهد ما يشاهد لظهور النور والغفلة عن الشواغل ويصير من ملوك الدين انتهى .

وفيه أيضا أن عارفا بالله في مشرق الأرض ورجل محب له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته انتهى .

فريدة

لا بد للسالك من معرفة مسائل

منها اثنى عشرة مسئلة يلزم حفظها ليكون في الجواب على نشاط وهي هذه :

١ . **إذا سئلت** ما مبنى وأساس هذه الطريقة العلية فالجواب : كمال اتباع سنة رسول الله ﷺ ورعاية آدابها بالتوجه الصادق إلى الحق سبحانه وتعالى .

٢ . **وإذا سئلت** عن سلسلة مشائخ هذه الطريقة وما معتقدهم فالجواب : اعتقاد الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة .

٣ . **وإذا سئلت** عن عقيدتهم اللازمة وخلاصة عزيمتهم فالجواب : دوام العبودية لله سبحانه وتعالى بلا مزاحمة للغير بحيث يصير السوى عنده سمًّا وتزكيته تعالى عن كل مماثل وشبيه وتنزيهه عن كل شريك ونظير .

٤ . **وإذا سئلت** بأي طريق ينال الطالب إلى هذه السعادة العظمى فالجواب : بالمحبة الذوقية بتصرف الجذبة الإلهية .

٥ . **وإذا سئلت** فما الوسيلة لتلك الجذبة والمحبة فالجواب : الوسيلة العظمى لذلك صحبة الشيخ الكامل الذي يعلم علاج أمراض القلوب وليس سبب أقوى لتلك الجذبة من تلك الصحبة كما سنذكر بيانه إن شاء الله تعالى .

٦ . **وإذا سئلت** عن توحيد الذات فالجواب : تصفية القلب عن وجود ما سوى الله تعالى بتجريده عن الغير سبحانه وتعالى .

٧ . **وإذا سئلت** عن الوحدة فالجواب أيضا : تخليص القلب لله تعالى عن الغير بحيث لا يبقى في قلبه شعور بما سوى الله تعالى .

٨ . **وإذا سئلت** عن الاتحاد فالجواب : أن يستغرق في الله تعالى ويستهلك .

٩ . **وإذا سئلت** عن السعادة ، فالجواب : خلاصه عن رعونة نفسه بمشاهدة الحق سبحانه وتعالى .

١٠ . **وإذا سئلت** عن الشقاوة فالجواب : أن يكون مقيدا بنفسه مبتلى بإرادتها غافلا عن الله تعالى .

١١ . **وإذا سئلت** عن الوصل فالجواب : شهود نور وجوده سبحانه وتعالى ونسيان وجود نفسه .

١٢ . **وإذا سئلت** عن الفصل فالجواب : تعليق سره لله تعالى وتفريقه عن الغير .

وقال أبو العباس أحمد ﷺ : كثر المدعون في هذا الطريق لغربته ، وبعدت الأفهام عنه لدقته ، وكثر الإنكار على أهله لنظافته ، وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيه ، وصنف الأئمة في الرد على أهله لما أحدث أهل الضلال فيه وما انتسبوا منه إليه حتى قال ابن العربي الحاتمي رحمه الله : احذر هذا الطريق فإن أكثر الخوارج منه ، وما هو إلا طريق الهُلْك والمُلْك ، من حقق علمه وعمله وحاله نال عز الأبد ومن فارق التحقيق فيه هلك وما نفد نسأل الله العافية بمنه وكرمه .

فانظر يا أخي بالإنصاف إلى أحوال المتشيخين من أبناء دهرنا هذا وهل الفتنة في الدين إلا بهم ، أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، ظواهرهم مع الناس للدين وبواطنهم لجمع الحطام ، لا كثّر الله منهم ، ولما كان الزمان مشحونا بهؤلاء المفسدين المدعين على المشيخة الذين يعملون السوء بجهالتهم كثر إنكار الناس عليهم لصعوبة معرفة أحوال الصادق من الكاذب إلا لأهله ، وقد فصلنا الكلام في حقهم وفي تعريفهم في أرجوزتنا هذا وفي كتابنا « بغية الصعلوك في آداب السلوك » .

قال أبو العباس أحمد ﷺ : إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد أو لحسم ذريعة أو لعدم التحقيق أو لضعف الفهم أو لقصور العلم أو لجهل المناط« ١ » أو لانبهام البساط أو لوجود العناد ، فعلامة الكل الرجوع للحق عند تعينه إلا الأخير فإنه لا يقبل ما ظهر ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال في أمره ، وذو الذريعة إن رجع للحق لا يصح له الوقوف مع إنكاره ما دام وجه الفساد قائما بما أنكر ، ومنه تحذير أبي حيان في « نهره » و « بحره » ، وابن الجوزي في « تلبيسه » ، كما ادعيا وحلفا عليه وفي كلامهما ما يدل على أن ذلك مع اجتهاد منهما ، واختص ابن الجوزي بتطريز كتبه بكلام القوم مع الإنكار عليهم ، فدل على أنه قصد حسم الذريعة ، والله أعلم .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ : من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا يوما أو يومين ، فقال له قائل : كيف لي بذلك ؟ قال : فرق الأصنام من قلبك ، أي أفرغه من التعلق بغير الله تعالى وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت يعني بعد امتثال أمر الله تعالى واجتناب نواهيه فإن الله تعالى لا يعذب العبد على مد رجليه للاستراحة من التعب مع استصحاب التواضع ، وإنما يعذبه على تعب يصحبه التكبر ، وليس الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ، ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك .

« ١ » المناط أي العلة ومحل تعليق الحكم

وقال ﷺ : الزم جماعة المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم لا تعزوا عليهم ، وكان ﷺ يقول : من أقبل على الخلق الإقبال الكلي قبل بلوغه درجة الكمال سقط عن عين الله تعالى ، فاحذروا هذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير وقنعوا بالشهرة وتقبيل الأيدي فاعتصموا بالله يهدكم الله إلى الصراط المستقيم .

وكان يقول : من الشهوة الخفية للولي إرادته النصرة على من ظلمه وقد قال تعالى للمعصوم الأكبر : ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ ، أي فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم .

فانظر أيها المنصف إلى دقة كلامه وقد عم هذا المرض حتى صار عضالا ويتعدى من جالسه فلا يبرأ من توغل مع هؤلاء المرضى إلا وسلب حال من صاحبهم فضلا عما كان له من قبل من الصلاحية ، فيهلك مع الهالكين ويتكبر عن التوبة لله عما يفعله لأجل الناس ويذهب مع الخاسرين نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

قـــال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي ﵻ : إن أصل الإخلاص فرض عين وحقيقته واجب وهي موقوفة على الفناء الموقوفة على الطريقة العلية ، فعلماء الظاهر كالعوام مأخوذون في تركهم حقيقة الإخلاص الواجبة عليهم عاصون لله انتهى .

فبان بذلك كون الطريقة واجبة لأن **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** ، لأن الإخلاص الموقوفَ على الفناء الموقوفِ على الطريقة كأنه موقوف عليها .

وقال عروة الوثقى محمد معصوم الفاروقي ﵻ في « مكتوباته » ما حاصله : الشريعة ثلاثة أجزاء : علم وعمل وإخلاص ، وحقيقة الجزء الثالث أعني الإخلاص مربوطة على المعرفة ، والمعرفة موقوفة على خدمة الصوفية الذين هم علماء الباطن ، انتهى كلامه .

وفيه أيضا ما حاصله أن كمال الإيمان وتمام الإخلاص مربوطةٌ على المعرفة موقوفةٌ على الفناء والموت قبل الموت ، فكان إيمان من له قدم راسخ في الفناء أكمل ، فظهر أن إيمان أبي بكر ﷺ كان أرجح كما ورد : « لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر » ، لأنه كان كاملا في الفناء ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه مع الحديث الوارد في ذلك ، وقد قال العارفون : إن الأعمال مأخوذة من الكتب الشرعية ، إلا أن العمل الحقيقي والإخلاص والإسلام الحقيقي واطمئنان النفس منوطة ومربوطة بصحبة الصوفية الكرام كثر الله سوادهم انتهى .

وقال محمد معصوم قُدِّسَ سِرُّهُ : إن السلوك لطريق الصوفية قدس الله تعالى أرواحهم بعد تصحيح الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة وبعد تصحيح الأعمال الصورية لازم ، انتهى كلامه ، وأمثال هذه من الأسرار في « المكتوبات » كثيرة اكتفينا عن ذكرها .

قال الإمام محمد الغزالي قُدِّسَ سِرُّهُ في « الإحياء » : فمن كان عنده شيء أحب إليه من الله عَزَّ وَجَلَّ فقلبه مريض يلزم عليه التداوي ، كما أن كل معدة صار الطين أحب إليه من الخبز والماء البارد وزال شهوته منهما فهي أيضا مريضة ، وبهذا يعرف أن قلوب العباد كلها مريضة إلا ما شاء الله تعالى لإصلاحها بصحبة أهل الخير ، إلا أن من الأمراض ما لا يعرفه صاحبها ومرض القلب من هذا القبيل لا يعرف صاحب القلب كونه مريضا ، فلذلك يغفل عنه وإن عرفه يعسر الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه بمخالفة الشهوات ، فليس للإنسان شيء ثقيل من مخالفة الشهوة ، فإن وجد في نفسه قوة الصبر على مخالفة الشهوة لا يجد طبيبا حاذقا يعلم طب القلوب يعالجه ، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاج مرض المرضى ، فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكروا طب القلوب وكذلك أنكروا مرض القلوب ، وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت ، فهذه علامة أصول الأمراض . انتهى كلامه .

وقال إمام أهل الحقيقة أبو العباس أحمد المشهور بزروق ﷺ : إن التصوف مقام حُدّ ورُسِم له بوجوه تبلغ نحو الألفين ، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هي وجوه فيها ، ثم إن الاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر دل على بعد إدراك جملتها ، ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن جملة ما فيها كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه ، وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله ، واعتبار كل واحد على حسب مناله منه علما أو عملا أو حالا أو ذوقا أو غير ذلك والاختلاف في التصوف من شأن ذلك .

فمن ثم قال ألْحقَ الحافظُ أبو نعيم رحمه الله بغالب أهل حليته عند تحليته كل شخص قولا من أقواله يناسب حاله قائلا : وقيل إن التصوف كذا فأشعر أن من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف وأن تصوف كل أحد صدق توجهه فافهم .

وإسناد الشيء لأصله والقيام فيه بدليله الخاص به يدفع قول المنكر لحقيقته وأصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ بـ « أن تعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » لأن معاني صدق التوجه إلى هذا الأصل راجعة وعليه دائرة ، إذ لفظه دل على طلب المراقبة الملزومة به فكان الحض عليها حضا على عينه كما دار الفقه على مقام الإسلام والأصول على مقام الإيمان ، فالتصوف أحد أجزاء الدين الذي علَّمه عليه الصلاة و السلام جبريل ليتعلمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

وقال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه قال : سمعت شيخنا أبا عثمان رضي الله عنه يقول بالدرس على رؤوس الأشهاد : لعن الله من أنكر على هذا الطريق ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل لعنة الله تعالى عليه . وكان يقول : من اعترض على هذا الطريق لا يفلح أبداً .

وسمعت شيخنا أبا عثمان رضي الله عنه يقول : إنما جاءت ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ﴾ عقب ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ إشارة إلى أن من حدث بالنعمة فقد شرح الله صدره ، كأن الله تعالى يقول : إذا حدَّثت بنعمتي ونشرتها فقد شرحت صدرك ، ثم قال رضي الله عنه : اعقلوا هذا الكلام فإنه لا يسمع إلا من الربانيين انتهى .

وكان حضرة الخواجه ﷺ يقول : إن في طريقتنا هذه ينبغي للسالك أن لا يعرف أنه في أي مقام حتى لا يصير ذلك حجابا لطريقه ، لكن ينبغي للمرشد أن يكون له خبرٌ عن أحوال الطالب الثلاث : الماضي والحال والمستقبل حتى يمكنه أن يربيه .

وسئل أبو الحسن الخرقاني ﷺ عن الصوفي فقال : الصوفي لا يكون صوفيا بالمرقع ولا بالسجادة ولا بإجراء الرسوم والعادة ، بل الصوفي من كان فانيا عن وجوده في عالم الشهادة .

وقال : إن الصوفي لا يحتاج إلى الشمس في النهار ولا يحتاج إلى النجوم والقمر في الليل ، بل هو عدم محض لا يحتاج إلى الوجود لاستغراقه في بحر الشهود . « رشحة » ١٥

قال الإمام حجة الإسلام رحمه الله : والسلوك إلى الله تعالى بالتبتل والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه والإعراض عن غيره ، وترجمته قول لا إله إلا الله ، والإقبال عليه إنما يكون بملازمة الذكر ، والإعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها ، والفلاح بالضرورة ينتجها . قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾

فعمدة الطريق أمران : الملازمة لذكر الله تعالى والمخالفة لما يشغل عن ذكر الله تعالى وهذا هو السفر ، وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافَر إليه ، فإنهما معا ، أوَما سمعت قوله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ، فالله تعالى مُتَجَلٍّ بذاته لا يختفي إذ يستحيل اختفاء النور ، وبالنور يظهر كل خفاء والله نور السموات والأرض ، وإنما خفاء النور على الحدقة بأحد الأمرين : إما الكدورة في الحدقة أو الضعف فيها فلا يطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش ، فما عليك إلا أن تنقي عن عين القلب كدورته وتقوي حدقته .

فإذا هو فيه كالصورة في المرآة حتى إذا غامضك تجليه ولم تثبت فيه بادَرْتَ وقلتَ إنه فيه إلا إن ثبَّتك الله ﷻ بالقول الثابت ، فتعرف أن الصورة ليست في المرآة بل حلت لها وما حلت فيها ، ولو حَلّت لما يتصور أن تتجلى صورة واحدة في مرايا كثيرة ، بل كان إذا حلت في مرآة ارتحلت عن غيرها ، وهيهات ذلك فإنه سبحانه يتجلى لجملة من العارفين دفعة ، نعم يتجلى في بعض المرائي أصح وأوضح وأظهر وأقوم وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة ، وذلك بحسب صفاء المرائي وصقالتها وصحة استدارتها واستقامة بسيط وجهها ، فلذلك قال فخر الكائنات ﷺ : « **يتجلى للناس عامة ولأبي بكر** رضي الله عنه **خاصة** » .

ومعرفة السلوك والوصول أيضا بحر عميق من بحار القرآن ، والعلم الأعلى والأشرف علم معرفة الله تعالى ، فإن سائر العلوم يراد له من أجله وهو لا يراد لغيره ، وطريق التدريج فيه الترقي من الأفعال إلى الصفات ثم من الصفات إلى الذات ، فهي ثلاث طبقات : أعلاها علم الذات ولا يحتملها أكثر الأفهام ، فعلم معرفة الله تعالى أشرف العلوم ، ويتلوه في الشرف علم الآخرة وهو علم المعاد وهو متصل بعلم المعرفة ، وحقيقته نسبة العبد إلى الله تعالى عند تحققه بالمعرفة أو مصيره محجوبا بالجهل ، ويتلو في الشرف علم معرفة الله تعالى وهو علم المقصد إلى العلم بالصراط المستقيم وطريق السلوك ، وهو معرفة كيفية تزكية النفس وقطع عقبات المهلكات وتحليتها بالصفات المنجيات .

والعجب منك أيها المسكين المشغول بجاهك الحقير المنقص ومالِك اليسير المشوش قانعا به عن النظر إلى جمال الحضرة الربوبية وجلالها ، فإنه أظهر من أن يطلب وأوضح من أن يفقد ، ولن تمنع القلوب من الاستهتار بذلك الجمال مع تزكيتها من كدورات شهوات الدنيا إلا شدّة الإشراق مع ضعف الأحداق ، فسبحان من اختفى من بصائر الخلق بنوره واحتجب عنهم بشدة ظهوره .

واعلم أيها السالك في أوعر المسالك أنك إذا ظننت أن هذا يلقى إليك دفعة من غير أن تقدّم الاستعداد لقبوله بالرياضة والمجاهدة وإطراح الدنيا بالكلية والانحياز عن غمار الخلق والاحتراق في محبة الخالق سبحانه وتعالى وطلب الحق فقد استكبرت وعلوت علوا كبيراً وعلى مثلك يُبْخَل بمثله[1] ، فيقال :

جِئْتُماني لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدى　　　تَجِداني بِسِرِّ سُعْدى شَحيحا

بل لا يصح إظهار العلم إلا على من أتقن علم الظاهر وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس طريق المجاهدة حتى ارتاضت نفسه واستقامت على سواء السبيل ، فلم يبق له حظ في الدنيا ولم يبق له طلب إلا الحق ورُزق مع ذلك فطنة وقّادة وقريحة منقادة وذكاء بليغا وفهما صافيا .

قال الشيخ زروق ﷺ : مبنى طريق الشاذلي ﷺ اللجآء إلى الله تعالى في المبادئ والشكر له في التناهي والرضا عنه في الواردات والصبر له في المكاره والتسليم له في الأقدار وإيثار حقه على كل شيء وفي كل شيء ، وباب هذا الجمع استدامة الذكر مع الاستحضار بأن يستحضر الشخص في غالب أوقاته أنه بين يدي الله تعالى وأنه مطلع عليه ورقيب عليه وأنه خالق لحركاته وسكناته وأقواله وإراداته وما وقع عليه أو منه من خير أو شر أو نفع أو ضر كل ذلك خلق الله وتقديره مع ملاحظة أن ما وقع منه من المخالفات مؤاخذ به باعتبار كسبه المكلف به ، ولا ينظر في ذلك إلى خلق الله وتقديره ، لأن ذلك محجوب عنه ولا علم له به عند إقدامه على المخالفة ، ولذلك قال الله تعالى في الرد على المشركين المحتجين بالقضاء والقدر بقولهم ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾

فإذا حصل هذا الاستحضار أوجب له الشكر لله تعالى على ما خلق فيه من الطاعات ، فيرى الشكر كله لله تعالى ويتبرأ من حول نفسه وقوته وأوجب

« ١ » أي إن ظننت سهولة ما تطلب فلن تنال منه شيئاً

له أيضا اللجأ إلى الله تعالى في غفران ما اكتسب من الزلات ، وهذه الهمة العلية أيضا من ضروريات الطريقة العلية النقشبندية بعينها قدس الله أسرار أهالي جميعهم آمين .

و قال سيدي عبد القادر الجيلاني ﷶ ﷺ : ما وصلت إلى الله بقيام ليل ولا بصيام نهار و لكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر والنداء بلسان الذل والافتقار ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبري من الحول والقوة .

ولا بد لمن أراد معرفة الله تعالى من تعلم العلم النافع الذي يؤدي به العبادات ويعرف به صفات النفس الباطنة ، ويقدم قبل الجميع معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة ليعرف ما يجب لله تعالى وملائكته ورسله وما يستحيل وما يجوز ليسلم من التصورات الفاسدة ، ولذلك كانت طريق السادة الصوفية مبناها على طلب العلم وكثرة الذكر مع الحضور ، وكانت بهذا الاعتبار أسهل الطرق وأقربها في الوصول إلى معرفة الله تعالى لأن ما في النفس من النور الأصلي يتعاضد و يقوى بنور العلم لمن يشتغل به وبنور الذكر حتى يندفع ما فيها من الرذائل ويزداد إقبالها على حضرة القدس وإدبارها عن الدناآت حتى تنمحق عنها بالكلية ويحرق الذكر من القلب ما سوى المذكور .

ولا بد أن يصحح مقصده في ابتداء أمره ، وهو أن يكون قصده التقرب إلى الله تعالى والتعبُّد محبة له من غير التفات إلى غير ذلك ، وليكن مبتهلا إلى الله تعالى في تحصيل مقصده متوسلا إلى الله تعالى بالأدعية التي تنوِّه« ١ » بذكر ذلك .

فعلم من ذلك أنه لا بد للمريد من ذكر وورد يواظب عليه ، لأن الذكر يكون كالمصباح في يده يستضيء به وتحصل الواردات في قلبه بقدر ذكره وورده ، قاله السيد أحمد زيني دحلان ﷶ ، ونذكر هذا في ذكر الأوراد تفصيلا إن شاء الله تعالى .

« ١ » تدعو بذلك بصوت مرتفع

وقال ابن عطاء الله ﵁ في « لطائف المنن » : من أراد الله أن يكون داعيا إليه من أوليائه فلا بد من إظهاره إلى العباد إذ لا يكون الدعاء إلى الله تعالى إلا كذلك ، ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء الجلالة لتعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه ويضع له في قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون إذا أمر ونهى مسموعا أمره ونهيه ، وجعْل هذه الهيبة في قلوب العباد من تمكين الحق له لتُعينه على القيام له بالنصرة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ ، وهي من إظهار إعزاز الحق في قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم ، ألم تسمع قوله ﷺ : « ونصرت بالرعب مسيرة شهر » ألبسهم الله تعالى ملابس هيبته وأظهر عليهم جلالة عظمته ، كلما نزلوا أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية ، فهم الملوك وإن لم تخفق عليهم البنود« ١ » والأعزَّاء وإن لم تسر أمامهم الجنود ، ولله در القائل في الإمام مالك ﵁ :

يأتي الجَوابَ فَما يُراجَعُ هَيْبَةً ... والسّائِلونَ نَواكِسُ الأذْقانِ
أدَبُ الوَقارِ وَعِزُّ سُلْطانِ التُّقى ... فَهُوَ المُطاعُ وَلَيْسَ ذا سُلْطانِ

ومن ملكه الله نفسه وهواه فقد آتاه الله الملك ، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ﴾ الخ . انتهى .

وكان الشيخ محمد بن أبي جمرة ﵁ وكان من أكابر العارفين يقول : إياكم والدعوات الكاذبة فإنها تسود الوجه وتعمي البصيرة ولا يصح شيء إلا لمن ترك الحظ وقابل الأذى والشر بالاحتمال والخير ووسع خلقه ، والفقير لا يكون له يد ولا لسان ولا كلام ولا شطح ولا فعل ردي ولا يصرفه عن محبوبه صارف ولا ترده السيوف والمتالف ، وإن الله يحب من عباده أخوفهم منه وأطهرهم قلبا وفرجا ولسانا ويدا وأعفّهم وأغناهم وأكرمهم وأكثرهم ذكرا وأوسعهم صدرا . انتهى .

« ١ » أي : وإن لم تضطرب فوقهم الرايات كحال الملوك .

وقال بعض أكابرالطريقة النقشبندية : ينبغي للسالك أن يلتزم طريق المذلة والمسكنة لتحصيل الفناء والاضمحلال حتى يرى جمال الشاهد اللاهوتي في مرآة انعدامه .

وقال أيضا : كل طالب لا يطيب قلبه من شماتة الناس وشتمهم لا تصل إلى مشام روحه رائحة من معاني الرجال ، فإنه قد تقرر عند أهل التحقيق أن لا فاعل في الوجود إلا الله تعالى ، فكل ما وصل من المحبوب من شماتة ومذلة ينبغي للمحب أن يعده من رأس مال سروره ومستوجبا لحضوره .

وقال أيضا : كل من تكلم في حق شخص بكلام في تنقيصه لا يلائم ذلك في قلب المقول عليه البتة ، فإن الإنسان مجبول على التأثر والتنافر عن نسبة النقصان إليه ، والحق إبعاد ذلك التأثر والتنافر وذلك لا يتيسر بدون الرجوع إلى الحق سبحانه لا بالذكر ولا بالمراقبة والسلوك عند أرباب الطريقة فاعتبر بهذا . انتهى .

وقال بعض السادات : إن الصوفي من جعل الدنيا والآخرة وراءه وأقبل بكليته على مولاه كما ذكرناه .

وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه : إن الله يلقي على الخصوص الفاقة ويحوجهم إلى الخلق بالاحتياج والطمع فيهم ، ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم وحرمانهم ما في أيديهم ليردهم إليه . فإذا رجعوا إليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لا يحتسبون . ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ واستحضر أن ذلك كله بالله لا بنفسك وقل اللهم لا تكلني إلى نفسي ، ولهذا كان رسول الله ﷺ دائم الافتقار إلى مولاه وكان يقول دائما : « لا تكلني إلى نفسي طرفة عين واكلأني كلاءة الوليد » أي المولود فإن أمه وأهله يبالغون في حراسته وحفظه من كل ما يؤذيه .

وقال أيضا في « تقريب الأصول » نقلا من « الحِكَم » : من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله تعالى إليه لم

يصمت إذا أساء ، يعني من شاهد إحسان نفسه وعمله بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله تعالى ، فإن وقعت منه إساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء ، وهذه طريقة أهل التكليف الذين ينظرون ما منهم إلى الله تعالى من عمل صالح أو طالح ، ومن شاهد إحسان الله تعالى إليه وغاب عن رؤية إحسانه هو انبسط لسانه في الحالين من غير فرق لأن مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك ، وقد قيل : جرأة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين ينظرون ما يأتي من الله تعالى إليهم .

وذلك مخالف لما عليه أهل التكليف الذين ينظرون ما منهم إلى الله تعالى ، وهذه مسألة عظيمة مهمة ينبني عليها آداب وأحكام جمة ، وهي مسألة اختلاف الناس في معاملتهم لربهم . وقد نبه عليها صاحب « الحكم » وبسط الكلام عليها في كتابه المسمى بـ « لطائف المنن » في مناقب شيخه أبي العباس وشيخه الشيخ أبي الحسن رضي الله عنهما فقال قال شيخه أبو العباس المرسي رضي الله عنه : الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه إلى الله تعالى وعبد هو بشهود ما من الله إليه وعبد هو بشهود ما من الله إلى الله تعالى .

قال : ومعنى كلام الشيخ رضي الله عنه أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره وإساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدي الله تعالى وتلازمه الأحزان وتحالفه الأشجان« ١ » ويتولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له عن أوصاف سوء ، وعبد الغالب عليه شهود ما من الله إليه من الفضل والإحسان والجود والامتنان ، فهذا تلازمه المسرة والفرح بنعمة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

والأول هو حال الزهاد والثاني حال أهل العناية والمودة ، والأول شأن أهل التكليف والثاني شأن أهل التعريف ، الأول حال أهل اليقظة والثاني حال أهل المعرفة .

« ١ » أي الأحزان

فلذلك قال الشيخ أبو الحسن ﵁ : العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية من الله تعالى عليه وعرف إساءته في إحسان الله تعالى إليه . ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فقليل من العمل مع شهود المنة لله تعالى خير من كثير من العمل مع رؤية التقصير من النفس ، لأن شهود التقصير لا يخلو من الشرك في التقدير . فانظر إلى لطافة كلامهم والله ولي التوفيق .

وقال ذو النون المصري ﵀ : ما أعز الله عبدا بعز أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذلٍّ هو أذلّ له من أن يحجبه عن ذلّ نفسه ، على أن أخفى الحجاب وأشده رؤية النفس وتدبيرها . « نفحات » ٨٨ .

وقــال حاتم الأصم ﵁ : لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقي آدم ﵇ فيها ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعم بن باعورآء كان من علماء بني إسرائيل وكان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ما ذا لقي حيث كفر و صار مثله كمثل الكلب ، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدرا من النبي ﷺ ومع ذلك لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه ، ولا تغتر بشرف النسب فقد قال تعالى : ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

فالاعتماد على الأعمال والرضا عن النفس من أقبح الخصال ، وهي منافية للخوف من ذي الجلال .

قال بعضهم : ما رأيت رجلا أعظم رجاء في هذه الأمة ولا أشد خوفا على نفسه من ابن سيرين حيث نظر إلى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسلمين فرجا لهم العفو عما يقع منهم .

وأحسن ما ينفع العبد المراقبة وهي دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى ومراقبة ما يبدو من أفعاله وأحكامه ويعبر عن ذلك باستشعارك نظر الله إليك في حركاتك وسكناتك ، وسببها معرفة الله تعالى بصفاته ومعرفة وعده ووعيده

وأحكامه ، وثمرتها حسن الآداب والسلامة من شديد الحساب والتحلي بحلية الأوليآء ذوي الألباب ، فلا تقصر في شيء من المأمورات ولا تتناول شيئا من المحظورات لأنك تراقب أن الله لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، قال ﷺ : « الإحسان أن تعبد ربك » الخ«١» ، ثم ينتهي الحال بأهل المراقبة حتى لا يشهدوا بقلوبهم غير الله تعالى ، وعلامة صدقهم في ذلك أن لا يقصروا في شيء من مأمورات الشرع ولا يرتكبوا شيئا من منهياته ، فكل من للشرع عليه اعتراض فهو مخادع مخذول ممكور به ، فالمراقبة أصل كل خير ولا يصل العبد إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة لنفسه ، وهي التثبت قبل الفعل ليزنه بميزان الشرع ، فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق وأحسن ما بينه و بين الله تعالى وبين عباد الله وحفظ مع الله تعالى الأنفاس دام له الشهود وقلت غفلاته وارتفعت حالاته فيكون قلبه وأقواله وأفعاله فيما فيه رضا مولاه انتهى .

وقـــال الشيخ الإمام السيد أحمد زيني دحلان قدس سره : كان الشيخ محمد بن أبي جمرة قدس سره يقول : عليك بالعمل وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها ، والعلم كله مجموع في حرفين : أن تعرف العبودية وتعبده ، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة ، ولا يكون الرجل غواصا في الطريق حتى يفرّ من قلبه وسره وعمله ووهمه وفكره وكل ما يخطر بباله غير ربه ، وكل من تحجبه أعماله وأقواله فهو محجوب عن مقام التوحيد ومقام التفريد ولا يزف الولي إلى ربه حتى يترك الوقوف مع سواه من مقام أو درجة .

وكان يقول : إن أردت أن تجتمع على ربك فطهر باطنك وضميرك من الخبث والنية الردية والإضمار بالسوء لأحد من خلق الله عز وجل .

« ١ » الحديث : « قال فأخبرني عن الإحسان ؟ » قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

وكان ﷺ يقول : من شرط الفقير أن لا يكون عنده التفات إلى مراعاة المخلوقين له في الحرمة والجاه والقيام والقعود والقبول والإعراض وغير ذلك من الأحوال الظاهرة لأنه لا يراعي إلا الله تعالى ، ومن لم يكن عنده شفقة على خلق الله تعالى لا يرقى مراقي أهل الله تعالى .

وقد ورد أن موسى عليه السلام لما رعى الغنم لم يضرب واحدة منهن بعصا ولا جوَّعها ولا آذاها ، فلما علم الله قوة شفقته على غنمه بعثه الله نبيا وجعله كليما داعيا لبني إسرائيل وناجاه ، فمن أعز الخلق وشفق عليهم ترقى إلى مراتب الرجال والسلام . « قواعد » ١٢ .

وكان يقول : الفقير كالسلطان مهابة وكالعبد الذليل تواضعا ومهانة ، ولا يكون الفقير فقيرا حتى يكون حمالا للأذى من جميع الخلائق إكراما لمن هم عبيده ، وكلما زاد علم العبد زاد افتقاره لربه وعلت همته .

وقال ﷺ : لا يكن همك من العبادة إلا القرب من المعبود دون الأجر والثواب فإنه إذا منّ عليك بالدخول إلى حضرته فهنالك الأجور وأعلى منها ، ثم ينعم عليك حتى تكون أنت منعما على غيرك انتهى .

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار قدس سره : إن كلمات أولياء الله تعالى مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمدية ﷺ ، فكمال تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة كذلك تعظيم كلام أولياء الله تعالى لازم أيضا ، فينبغي أن يعامل كلامهم بالأدب والحرمة حتى يجد في نفسه التعظيم والاحترام .

و سئل أيضا قدس سره لمن يجوز التكلم في الطريقة ؟ فقال : يجوز التكلم فيها لمن لو عرض ظاهره على جميع أهل الأرض لا يجدون فيه عيبا شرعيا ، وإن عرض باطنه على جميع أهل السماء لا يرون فيه نقصانا انتهى .

وقال الشيخ أبو العباس المشهور بابن زروق قدس سره : لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله تعالى فيه ، قال الشافعي رضي الله عنه : إجماعا ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « العلم إمام العمل والعمل تابعه » فلزم كل أحد تعلم

علم حاله حسب وسعه بوجه إجمالي يبرأ به من الجهل بأصل حكمه إذ لا يلزمه تتبع مسائله بل عند النازلة والحالة ما يتعلق بها ، وما وراء ذلك من فروض الكفاية الذي يحمله من قام به ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجة فلا عذر فافهم انتهى .

وقال ﷺ : وأصل كل أصل من علوم الدنيا والآخرة مأخوذ من الكتاب والسنة ، مدحا للممدوح وذما للمذموم ووصفا للمأمور به ، ثم للناس في أخذها ثلاث مسالك :

أولها قوم تعلقوا بالظاهر مع قطع النظر عن المعنى جملة ، وهؤلاء أهل الجحود من الظاهرية لا عبرة بهم .

الثاني قوم نظروا لنفس المعنى جمعا بين الحقائق فتأولوا ما يُؤَوَّل وعدلوا ما يعدل ، وهؤلاء أهل التحقيق من أصحاب المعاني والفقهاء .

الثالث قوم أثبتوا المعاني وحققوا المباني وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى ، وهم الصوفية المحققون والأئمة المدققون ، لا الباطنية الذين حملوا الكل على الإشارة ، فهم لم يثبتوا المعنى ولا العبارة فخرجوا عن الملة ورفضوا الدين كله نسأل الله العافية . انتهى . « قواعد » ٢٩ .

وقال الخواجه بهاء الدين النقشبندي ﷺ : سلوك هذه الطريقة موقوف على حصول اليقين بأهل الله ، كل أعمال السالك ينبغي أن تمر على هذا الوصف حتى تظهر النتيجة وتحصل المعرفة التفصيلية التي هي منتهى قصد الطالبين ، لأن من حسن اعتقاد الطالب بأهل الحقيقة لا يحصل شيء ، فإن اعتقاده بأدنى شيء يتغير . انتهى « قواعد » ٢٨ .

وكان ﷺ يقول : إن طريقتنا من النوادر ، وهي العروة الوثقى ، ويقول : هي وضع المخاليب في ذيل متابعة سنة الرسول ﷺ والاقتداء بآثار الصحابة الكرام في هذا الطريق لما أن رعاية متابعة السنة عمل في غاية العظمة . وقال ﷺ : كل من أعرض عن طريقتنا يخاف عليه خطر الدين ، وههنا مظنة

مزلة الأقدام يتوهم تفضيل الإمام الرباني وأتباعه الذين بلغوا نهاية المقامات المجددية على مشائخهم العظام مثل الخواجه بهاء الدين النقشبند ﷻ ، لأنا قلنا إن نهاية الطريقة النقشبندية هي المراقبة الأقربية وما فوقها مجددية ، ولا شك أن صاحب المقام الفوقاني أفضل من صاحب التحتاني . . إلخ . بسطه في « التقريب » ٢٣٠ فراجعه .

سئل الخواجه عبيد الله ﷻ مرة عن سبب تقليله الكلام في التصوف فقال : اعلم أن أحدا إذا تكلم في التصوف فقد لعب مع صاحبه زمانا يعني أن التصوف من مقولة الحال غير حاصل بقيل وقال ولا يسعه نطاق المقال وما قدره أحد حق قدره وما زاد بيانهم غير ستره ، فإن الإعراب عنه لغير ذائقه ستر وتلبيس والإظهار لغير واجده إخفاء وتدليس ، فالتكلم فيه إذا يكون كاللعب في كونه مما لا يعني ، اللهم إلا أن يكون مع أهله لإعلام معالم الطريق وعقباته ليحترز عن الوقوع في آفاته انتهى .

وقال شيخ شيخنا أبو الفيوضات مولانا أحمد ضياء الدين الكمشخانوي وروحي من روحه فداء : فاعلم أن أصول الطريقة النقشبندية التمسك بعقائد أهل السنة وترك الرخص والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة والإقبال على المولى والإعراض عن زخارف الدنيا بل وعن كل ما سوى الله تعالى وتحصيل ملكة الحضور والخلوة في الجلوة مع التحلي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين والتزيّي بزي عوام المؤمنين وإخفاء الذكر وحفظ الأنفاس بحيث لا يخرج ولا يدخل نفس مع الغفلة عن الله الكريم والتخلق بأخلاق النبي صاحب الخلق العظيم ، فشرائط النقشبندية الاعتقاد الصحيح والتوبة الصادقة والاستحلال من أرباب الحقوق ورد المظالم واسترضاء الخصوم والتحقق بآداب السنة السنية في الأمور كلها والدقة والتحقيق على العمل بأصح الشريعة والاهتمام على المجانبة من كل المنكرات والمبتدعات والغيرة على التباعد من الهوى والمذمومات . اهـ « جامع الأصول » ١٢ .

وقال مولانا وشيخ شيخنا : لقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة أشياء : إيثار الجهل على العلم ، والاغترار بكل ناعق ، والتهاون في الأمور ، والتعزز بالطريق ، واستعجال الفتح دون شرطه ، فابتلوا بخمسة : إيثار البدعة على السنة ، واتباع أهل الباطن دون أهل الحق ، والعمل بالهوى في كل الأمور ، وطلب الترهات دون الحقائق ، وظهور الدعوى ، فظهر فيهم بذلك خمسة أشياء : الوسوسة في العبادة ، والاسترسال مع العادات ، والسماع والاجتماع في عموم الأوقات ، واستمالة الوجوه بحسب الإمكان ، وصحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان ، واغتروا بوقائع القوم في ذلك وذكر أحوالهم ، ولو تحققوا لعلموا أن الأسباب رخصة الضعفاء فلا يسترسل إلا بعيد من الله وأن السماع رخصة المغلوب أو الكامل وهي انحطاط في بساط الحق إذا كان بشرطه من أهله في محله وأدبه ، وأن الوسوسة بدعة أصلها جهل بالسنة أو خبل في العقل وأن التوجه لإقبال الخلق إدبار عن الحق ، لا سيما قارئ مداهن أو جبار غافل أو صوفي جاهل وأن صحبة الأحداث ظلمة وعار في الدين والدنيا .

وقال أبو مدين قدس سره : كل من ادعى مع الله حالا ثم ظهرت منه إحدى خمس فهو كاذب أو مسلوب : إرسال الجوارح في معصية الله والتصنع بطاعة الله والطمع في خلق الله والوقيعة في أهل الله وعدم احترام المسلمين على الوجه الذي أمر الله . انتهى .

وقال أيضاً في قصيدته :

واعْـلَمْ بِأَنَّ طَريقَ القَوْمِ دارِسَـةٌ … وَحالُ مَنْ يَدَّعيها اليَومَ كَيْفَ ترى
مَتى أراهُـمْ وأَنَّى لي بِـرُؤيَتِهِـمْ … أوْ تَسْمَعُ الأذْنُ مِنِّي عَنْهُمُ خَبَرا
مَنْ لي وأَنَّى لِمِثْلي أنْ يُزاحِمَهُمْ … عَلـى مَوارِدَ لَمْ آلَـفْ بِها كَـدَرا
أَحِبُّهُـمْ وأداريهِمْ وأوثِـرُهُـــمْ … بِمُهْجَتي وَخُصوصاً مِنْهُمُ نَفَـرا

شرع الشيخ ﷺ يُشَوِّق السالكين إلى الطريق وأهله ويخبرهم أن طريقهم دارسة ، وحال من يدعيها اليوم كما ترى من الفترة حتى كادت الهمم تكون من المطلب آيسة ، وهكذا شأن طريق القوم لعزتها كأنها في كل عصر مفقودة ولا يظفر إلا الفرد بعد الفرد ، وهذا سنة معهودة وذلك أن الجوهر النفيس لا يزال عزيز الوجود يكاد لعزته يحكم بأنه ليس بموجود ، فالطريقة وأهلها مخفية في العالم كخفاء ليلة القدر في شهر رمضان وكخفاء ساعة يوم الجمعة في يومها حتى يجتهد الطالب في طلبه بقدر الإمكان ، لكن من جدَّ وَجَدَ ومن قرع بابا ولجّ وَلَجَ .

فاجتهد أيها الأخ واصدق في الطلب تجد المطلوب واستعن على ذلك الطلب بالمدد من علام الغيوب فإن هذا الظفر لا يحصل إلا بمجرد فضله وإذا أوصلك إلى الشيخ فقد أوصلك إليه ، كما قال في « الحكم » : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، فلم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ، ثم إن الشيخ ﷺ لما ذكر عُدَّة الطريق وفقدان أهلها شرع يتأسف على الاجتماع بهم ويتمناه ويستبعد من نفسه حصول ذلك والتشرف بلقياه تواضعا منه وانكسارا وهضما لنفسه واحتقارا ، ولذلك قال بعد ذلك :

مَنْ لي وَأَنَّى لِمِثْلي أَنْ يُزاحِمَهُمْ عَلى مَوارِدَ لَمْ آلَفْ بِها كَدَرا

وهكذا شأن العارف بنفسه الممتلئ من معرفة ربه المتجلي بوارد قدسه ، لأنه لا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ، بل يرى نفسه أقل من كل شيء ، وهذا هو النظر التام ، جعلنا الله تعالى في زمرة هؤلاء السادات الكرام بحرمة خير الأنام .

وقال في « الحكم العطائية » : قال بعضهم : لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله أرض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في جميع أموره إلى الحق .

وقيل : الفقير من لا دنيا له ولا آخرة ، فإن عرض على مالك قال : ليس من رجالي ، وإن سلم إلى رضوان قال : لا أهتدي إليه وليس من رجالي ، وإن قلت : من هو وما الذي يدعي به ؟ قال : ليس ممن يدعي بشيء .

وقال محمد بن الحسن رضي الله تعالى عنهما : بينا أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج شاب قد أحرقه السموم والرياح فلما نظر إلي ولى هاربا ، فتبعته وقلت له : عظني بكلمة ، فقال : احذره فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه .

وكتب الجنيد ﷺ إلى بعض إخوانه : من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه ، فإن انتبه وانقطع ممن سكن إليه ورجع إلى ما أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وإن دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبس لباس الطمع فتزداد رغبته فيهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم ، فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده أسفا ونحن نعوذ بالله من السكون لغيره . « حكم » ٥٦

وقال الإمام الرباني ﷺ في « المكتوبات » ما نصه : ليكن معلوما لجنابه العالي أن علو هذه الطريقة ورفعة الطبقة النقشبندية إنما هو بواسطة التزام السنة السنية والاجتناب عن البدعة الشنيعة ، ولهذا اجتنب أكابر هذه الطريقة العلية عن ذكر الجهر وأمروا بالذكر القلبي ومنعوا عن السماع والرقص والوجد والتواجد وغير ذلك مما لم يكن في عصره عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين عليهم الرضوان ، واختاروا الخلوة في الجلوة بدل خلوة الأربعين لعدم كونها في الصدر الأول ، فلا جرم ترتبت على ذلك الالتزام نتائج عظمى وتفرعت على ذاك الاجتناب ثمرات كثيرة ، ومن ههنا كانت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم وكانت نسبتهم فوق جميع النسب .

كلامهم دواء الأمراض القلبية ونظرهم شفاء العلل المعنوية وتوجههم الوجيه ينجي الطالبين من تعلق الكونين وهمتهم الرفيعة الشان ترفع المريدين إلى ذروة الوجود من حضيض الإمكان شعر :

ما أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيّينَ سِيرَتُهُمْ ... يَمْشونَ بِالرَّكْبِ مَخْفِيِّينَ لِلْحَرَمِ
تزولُ وَسْوَسَةُ الخَلَواتِ صُحْبَتُهُمْ ... عَنْ قَلْبِ أَصْحابِهِمْ يا حُسْنَ ذا الكَرَمِ

ولكن قد صارت هذه النسبة الشريفة في هذه الأوان كعنقآء المغرب وتوجهت نحو الاستتار تحت الحجب ، حتى سلك جماعة من هذه الطبقة من عدم وجدان هذه الدولة العظمى وفقدان تلك النعمة القصوى كل مسلك ، وفرحوا بنيل قطعات خزف بدلا من الجواهر النفيسة ، واطمأنت قلوبهم بالجوز والموز مثل الأطفال حتى أنهم من غاية الاضطرار والتحير تركوا طريقة أكابرهم وصاروا يطلبون التسلي أحيانا بذكر الجهر وآونةً يرومون الاطمئنان بالرقص والسماع والدور ، ولما لم تتيسر لهم الخلوة في الجلوة اختاروا الأربعينيات ، وأعجب من ذلك زعمهم هذه البدعات الشنيعة متممة ومكملة لهذه النسبة الشريفة وعدهم هذا التخريب عين التعمير ، أعطاهم الله سبحانه وتعالى الإنصاف ، وأوصل شمة من كمالات أكابر هذه الطريقة إلى مشام أرواحهم حتى يتركوا الاعتساف ، بالنون والصاد«١» و بحرمة النبي وآله الأمجاد ، عليه وعليهم الصلوات والتسليمات ، ولما شاعت هذه المحدثات في تلك الديار وبلغ شيوعها إلى حد اختفى أصل طريق الأكابر واختار الوضيع والشريف هذا الوضع المحدث الجديد هناك وأعرضوا عن طريق الأصل والقديم ، خطر في الخاطر أن أظهر نبذة من هذه البلية لخدمة العتبة العلية . . إلخ . « مكتوبات » الرباني ١٤٧ ج ١ .

بَثَثْتُ لديكُمْ مِنْ هُمومي وَخِفْتُ ... أَنْ تَمَلّوا وَإلّا فَالكَلامُ كَثيرُ

« ١ » لعل المراد التوسل بأوائل سور : ن القلم وصاد

وإنما فضل الصديق بهذه الطريقة لكون نسبته إلى النبي ﷺ بالطريقة الصديقية والحبية وهذه أكمل جميع النسب وأعلاها « تحفة »

وقال الشيخ أحمد سعيد الفاروقي أيضا قُدِّسَ سِرُّهُ : سلوك هذا الطريق موقوف على حصول اليقين بأهل الله تعالى حتى تظهر النتيجة وتحصل المعرفة .

وقال أيضا : أعطيت طريقة ليس فيها حرمان لأحد ولا مجاهدة ، يكفي فيها اتباع السنن والعمل بالعزيمة نحن المرادون نحن المفضلون .

وقال أيضا : أقرب الطرق عندنا نفي الوجود ، لكن لا يتيسر ذلك إلا بترك الاختيار ورؤية قصور الأعمال .

وقال رضي الله عنه : طريقتنا صحبة وفي الخلوة شهرة وفي الشهرة آفة والخيرية في الجمعية والجمعية في الصحبة بشرط أن يفنى كل أحد في الآخر .

وقال رضي الله عنه أيضا : طريقتنا العروة الوثقى وهو التثبت بمتابعة حضرة الرسالة والاقتداء بآثار أصحابه ﷺ ، وفي هذه الطريقة بالعمل القليل تفتح فتوحات عظيمة أما رعاية متابعة السنة فهو أمر عظيم ، فالذي أعرض عن طريقتنا فهو في خطر الدين . انتهى كلامه .

وقد نظم مولانا خالد رحمه الله بعض كلماته المباركة في هذه الأبيات :

مُنِحْتُ كَراماتٍ فَبِي يُرْفَعُ البَلا	وَلُذْ بِي تَرى الحاجاتِ مِنْكَ تَقَضَّتِ
وَلا أَدْخُلُ الفِرْدَوسَ حَتَّى يَحِلَّها	صِحابي وَأَتْباعِي بِفَضْلٍ وَرَحْمَةِ
وَيَشْفَعُ أَدْناهُمْ لِمَنْ كانَ حَوْلَـهُ	إلى أَرْبَعينَ مِنْ ذِراعٍ وَخُـطْـوَةِ
وَرَبِّيَ أَعْطاني طَـريقاً مُوَصِّـلاً	وَلَمْ يَكُ مَحْرومٌ بِهِ مِـن عَطِيَّـةِ
مُرادونَ فَضْلِيُّـونَ نَحْنُ تَـكَرُّماً	وَقَدْ خَصَّنا المَوْلى بِتِلْكَ الفَضيلَةِ
وَأَمَّا طَريقـي فَاتِّبـاعٌ لِسَيِّـدِ الْـ	أنام وَذِكْــرُ اللهِ دَوْمـاً بِـخِـفْيَةِ
وَأَخْذٌ بِعَزْمٍ وَاجْتِنابٌ لِـرُخْصَةٍ	وَكُـلٌّ بِفَضْلِ اللهِ فَالْزَمْ طَرِيْقَتِيْ

فَذا نَظْمُ ما قالَ البَهاءُ لِـديـنِـنَا ... هُوَ النَّقْشَبَنْدِي ذُو مَناقِبَ جَمَّةِ
فَيا أَيُّها الغَوْثُ المُغيثُ لِمَنْ لَجا ... إِلَيْكَ الْتَجَأنا في ارْتِفاعِ الرَّزِيَّةِ
حِماكَ مَنيعٌ يَعْجَزُ القَصْدُ دونَهُ ... وَبَدْؤُكَ غاياتُ السُّـرَاةِ الأجِلَّـةِ
فـَجُدْ لِضِعافٍ أَخَّرَتْهُمْ عَوائِـقٌ ... بِأَقْدَسِ فَيْضٍ جَانِبٍ لِلْـخَطيرَةِ
بِسِرِّ الفَنا ما باحَ بَوْحَكَ عَارِفٌ ... كَنَظْمِكَ لَمْ يَنْظُـمْ لِنورِ البَـقا فتيّ
وَكَيْـفَ وَقَـدْ أوتيتَ مِـنْ تَبَعِيَّةٍ ... لِــطه مَقاماً فاقَ أَكْمَـلَ رُتْبَــةِ
مَقامُكَ لَمْ يوصَفْ لِأَلْسُنِ عارِفٍ ... وَنِسْبَتُكَ العَلْيا سَمَتْ كُلَّ نِسْبَةِ
يَخُـصُّـكَ رِضْوانٌ مِنَ اللهِ دائِمٌ ... مَدَى الدَّهْرِ ما سُحْبُ المَكارِمِ سَمّتِ
صَـلاةُ إِلَهِ العَـرْشِ ثُمَّ سَلامُـهُ ... عَلى المُصْطَفى المُخْتارِ خَيْرِ البَرِيَّةِ
وَآلٍ كِرامٍ ثُمَّ صَحْبٍ سَمَوا وَتَا ... بِعِـيـهِمْ بِإِحْسانٍ لِيَوْمِ القِيامَـةِ

فطريقته« ١ » رضي الله عنه دوام التوجه إلى القلب وتوجه القلب إلى الحق كما أشرنا إلى ذلك في غير هذا الموضع وكثرة الذكر بهذا النمط والاقتصار على الفرائض والسنن المأثورة والتوسط في كل الأمور من الأكل والشرب واللباس والمسكن والمرغوبات وحفظ القلب من الخواطر والتزام صحبة الشيخ المقتدى به ورعاية آدابه في الحضور والغيبة ، والمقصود الحاصل من طريقته دوام الحضور بالحق تعالى المعبر عنه في قرن الصحابة بالإحسان ويحصل فيها الاستهلاك والاستغراق والفناء عن نفسه وأوصافه الذميمة والبقاء بالله وصفاته الحميدة واندراج النهاية في البداية المخصوص لطريقته الشريفة ظل من ظلال أنظار صاحب الرسالة التي كانت تحصل لأصحابه ﷺ بأول وهلة فيصيرون بها عيون الحكمة وأفضل الأمة ، ولأصحابه تصرفات عظيمة من إجراء الذكر في القلوب وإلقاء السكينة فيها وترقية السالكين من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام وحل مشكلاتهم وغير ذلك .

« ١ » لعله الشاه نقشبند الإمام بهاء الدين البخاري قدس سره

قال خليفته الأجل خواجه علاء الدين العطار ﵁ : ببركة عناية حضرة الشيخ أقدر على أن أجعل كل العالم أولياء لكن ليس فيه رضاء الحق تعالى فبقي أنوار إرشاده وفيوض هدايته بواسطة خلفائه العظام أزمنة كثيرة ، حتى مضت القرون واندرس أكثر آثار الطريقة وانهدم جل أركان النسبة الشريفة ونشأ فيها البدعات وحدث فيها المحدثات وخبت أنوارها وجُهل مكانها فأظهره الله تعالى إماما للشريعة ومجددا للطريقة والحقيقة وهو الإمام الهمام قدوة الأولياء الكرام غوث الواصلين المحققين قطب العارفين المدققين برهان الولاية المحمدية حجة الشريعة المصطفوية المحبوب الرباني والمجدد المنور للألف الثاني إمامنا وقبلتنا حضرة الشيخ أحمد السرهندي الفاروقي ﵁ وأرضاه ابن الشيخ حبيب الله ابن الإمام رفيع الدين ابن الشيخ نصير الدين ابن الشيخ سليمان ابن الشيخ يوسف ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ إسحق ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ شعيب ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ يوسف ابن الشيخ شهاب الدين المعروف بنوح شاه كابلي ابن الشيخ نصير الدين ابن الشيخ محمود ابن الشيخ سليمان ابن الشيخ مسعود ابن الشيخ عبد الله الواعظ الأصغر ابن الشيخ عبد الله الواعظ الأكبر ابن الشيخ أبوالفتح ابن الشيخ إسحق ابن الشيخ ابراهيم ابن الشيخ ناصر ابن سيدنا عبد الله ابن أمير المؤمنين سيدنا عمر الفاروق ﵄ أجمعين .

وقال الشيخ عبد الله الخاني ﵀ في « البهجة » ١٦ نقلا لكلام الإمام الغزالي ﵀ في « المنقذ من الضلال » ما عبارته : ثم إنني لما علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أحسن الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق فلو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

ومن ثم قال الشيخ أبو المواهب محمد الشاذلي ﷀ : من لم يؤدبه الصوفية فليس بأديب ، وبالجملة ماذا يقول القائلون في طريق أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله تعالى ، وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى هذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختيار اهـ « البهجة » ١٦

اعلم أيها الأمين المأمون أن هذه الطريقة النقشبندية سالمة من البدع باقية على أصلها ، ولا تعتبر ما يفعله الجهلة الدجالون المتشيخون من البدعات التي ليست في هذه الطريقة بالكلية وأن هذه الطريقة العلية أقرب الطرق وأسهلها وأفضلها لكونها منتسبة لأفضل الخلق بعد الأنبياء وهو الصديق الأكبر ﷄ وهو واسطة هذا العقد ومؤسس هذا المجد ، كيف لا وقد قال ﷺ : « ما صب الله في صدري شيئا إلا وصببته في صدر أبي بكر ﷄ » ، فانظر إلى هذا الحديث ، وسوى ذلك أن مبنى هذه الطريقة على اتباع السنة السنية واجتناب البدعة الخبيثة والأخذ بالعزائم والتحلي بمحاسن الأخلاق والفضائل والتخلي عن الرذائل .

وقد قال الإمام الرباني ﷉ : اعلم أن الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدل وأعلى وأجل وأرفع وأكمل هي الطريقة النقشبندية العلية قدس الله أسرارها ويكفيك جلالة قدرها وعلو شأن أهاليها الأكابر ﷏ بواسطة التزامهم متابعة السنة السنية كما ذكرنا هنا واجتناب البدعة الغير المرضية وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم فصارت أسهل الطرق على المريد للوصول إلى درجات التوحيد ، ولذا قالوا : بداية الطريقة النقشبندية نهاية سائر الطرق إلا من كان له قدم المحبوبية والمرادية كبعض الأولياء الذين تقدم فتحهم على السلوك .

فتحقق من ذلك كله أن الجذب في هذه الطريقة مقدم على السلوك بخلاف باقي الطرق فمبنيّةٌ على تقديم السلوك على الجذب في الأغلب ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في فصل السير والسلوك ، وشتان ما بين المجذوب السالك والسالك المجذوب ، وبهذا الاعتبار قال أكابر هذه الطريقة : إن نسبتنا فوق

جميع النسب على أن مبناها على التصرف وإلقاء الجذبة المقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته ﷺ ، وقد أطنب العارف الخاني في « بهجته » في تفضيل المجذوب السالك على السالك المجذوب فراجعه ونبسط الكلام في حق هذه وفي خصائص هذه الطريقة في ص ١٥١ .

ثم اعلم أن حاصل ما ذكرنا أن الطريقة النقشبندية عبارة عن دوام العبودية بأشرف الطاعات على الإطلاق أعني به ذكر الله تعالى بالاتفاق ، وآدابها كمال التمسك بالكتاب والسنة وتصحيح الاعتقاد بمقتضى أراء السنة والتوبة الصادقة - وقد ذكرناها في فصلها - ورد المظالم والحقوق إلى أربابها إن أمكن فإن لم يقدر ولو بأي وجه فالاستحلال من أرباب الحقوق والاقتداء بالسنة السنية وبمواظبتها والدقة على العمل بالشريعة والاهتمام على المجانبة من كل المنكرات والمبتدعات والغيرة على التباعد من كل النواهي والمذمات ، **وأن يجعل عزيمة كل العمل كالواجب فلا يتركها بلا ضرورة ملجئة ورخصته كالحرام** ، فلا يرتكبه بلا داعية ضرورية ، ويأخذ بالأحوط في كل الأمور والاجتناب عن المهلكات الذميمة والتخلق بالأخلاق الحميدة المرضية وترك فضول الكلام وكثرة الطعام والمنام ، وأن لا يأكل من الطعام الغير الحلال ودوام الافتقار إلى الله تعالى مع الانكسار والالتجاء إليه في جميع الأمور ، وقطع الطمع عن دار الغرور والرضاء بالمقدور . فمن تأدب بهذه الآداب يصل إلى رب الأرباب « الآداب المرضية » .

فصل

في بيان مراتب التوحيد

التوحيد هو تفريد المعبود ، والمقصود هنا من التوحيد معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وآثاره بكيف لا يشتبه له شيء .

وقال علي الخواص ﵁ : إذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يرأس على أحد من المخلوق لأنه يرى الوجود لله تعالى « تقريب »

وقال أيضا في « شرح الفصوص » ﵁ : من عرف شيئا من العالم عريا عن الحق فما عرفه على ما هو عليه وكذلك بالعكس من عرف الحق أو عرفه في نفسه بريئا من العالم عريا عنه فما عرفه ولا عرفهم « نفحات »

وللتوحيد أربعة مراتب :

الأول : توحيد آثار ، والآثار هي جملة الكائنات وهي محل ابتلاء وامتحان ، والسالك الصادق في سلوكه إذا وصل إلى مرتبة من تلك المراتب الأربع يتبين له بالمشاهدة أن جميع المصنوعات والمخلوقات والأفعال من الله تعالى وإيمان عوام المؤمنين عندها في مقام المشاهدة ، ومتى فني الموحد في توحيد الآثار يكون الترقي في الأفعال

والمراتب الأربع في الترقي منوطة بعضها ببعض ، وذلك إذا كان السالك في كمال في الأدنى يكون له الترقي في الأعلى أي يكون له اللياقة والاستعداد وكسب الترقي في أعلاه .

والثاني : من تلك المراتب توحيد الأفعال ، وذلك أن السالك إذا وصل في سلوكه إلى مقام يتحقق له جميع الأفعال من الحق سبحانه وتعالى بالمشاهدة ، وذلك بفنائه من أفعاله وأفعال غيره في أفعال الحق سبحانه وتعالى ويعبر له حينئذ فناء في الأفعال .

والثالث : توحيد الصفات ، وذلك أن السالك في سيره يرى الصفات الكمالية من الجلال والجمال كلها من ذي الجلال والإكرام بالمشاهدة وينجلي عن ظهور المصنوعات والمظاهر بفناء السالك في تلك المرتبة في صفات الحق سبحانه وتعالى ويعبر عنها بالفناء في الصفات .

والرابع : توحيد الذات ، وذلك أن السالك في هذه المرتبة والمقام يرى ويتحقق أن جميع الموجودات كلها للحق سبحانه وليس للغير مدخل في شيء مما في الكائنة ولا يرى بالمشاهدة في الوجود ما سوى الحق ويفنى السالك بواجب الوجود عن وجوده ولا يرى له أثرا من وجوده ، ويعبر عنها بالفناء بالذات ومطمح أهل الله وقصدهم ومرامهم إلى هذه المرتبة ، والواصل هنا يعد من الواصلين ، ومن لم يصل إلى هذا المقام فهو لا يزال في خوف ولا يأمن من الفتنة ، اللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين .

واعلم أن علم التوحيد أنفع العلوم و أرفعها بل صفاوتها ونقاوتها وهو المقصد الأقصى والمطلب الأعلى ولا مطمع في النجاة إلا باقتنائه ولا فوز بالدرجات إلا باجتنائه ، ولعلو مرتبته ورفعة منزلته انقلبت البصائر عنه كليلة والعقول عليلة والنواظر حواسر خلق تراه الهمم العالية لقصد إدراكه في جو الطلب فحيل بينهما وبين الإرب ، وجالت جياد العقول السليمة لطلب غايته في ميدان النظر فخسرَت في بدايته غير مقضيّ الوطر«١» ، فهو كما قال أبو علي الحسن بن محمد الدقاق ﷺ : التوحيد غريم لا يقضَى دينه وغريب لا يؤدَّى حقه .

وحقيقة التوحيد بحر وقف بساحله العقول وامتنع على الأرواح والقلوب إلى كنهه الوصول يقصر أن يحيط بها فهم أو يحوم حول حماها وهم ، وأهل الأذواق الصحيحة والمشاهدات الصريحة والمواصلات الروحية والمنازلات

« ١ » العبارة كما في « شرح تائية ابن الفارض » : خلق بذات الهمم العالية لقصد إدراكه في جوّ الطلب ، فحيل بينها و بين الإرب ، و جالت جياد العقول السليمة لطلب غايته في ميدان النظر ، فخرّت في بدايته غير مقضية الوطر ، فهو كما قال أبو عليّ . .

العلية والمعاملات النفيسة الذين كشف عن أبصارهم حجب الكونين بعثوا عن فضل مواجيدهم بعثة المصدور ، وناجوا بسر توحيدهم لوح السكون المسرور وتكلموا في علم التوحيد بلسان الذوق والإشارة لضيق ظروف العبارة ، وغير هذه الطائفة من المستدلين بالأثر على المؤثر وبالصورة على المصور ما كشف لهم هذا المطلوب عن وجهه ، فَضَلَّهُ القناع لكمال التعزُّز والامتناع ، وهذا هو العلم الذي يرثه العلماء من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام علما ومقاما وحالا فهو في الحقيقة من علوم الوراثة وغيره من علوم الدراية .

وقال الإمام القشيري ﷺ في تعريفه : التوحيد سقوط الرسم عند ظهور الاسم وفناء الأغيار عند طلوع الأنوار ، وتلاشي الخلائق عند ظهور الحقائق ، وفقدُ رؤية الأغيار عند وَجد قربة الجبار جل ذكره . انتهى .

ثم اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة ﷺ بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد ، صانوا عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة رضي الله تعالى عنهم أجمعين من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل ، عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود من العدم وأحكموا أصول العقائد بوضائح الدليل ولوائح الشواهد ولم يقتصروا في التحقيق عمن شاؤوا ولم يعرجوا في الطلب على تقصير .

وقال سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى : التوحيد إفراد القدم من الحدث .

وسئل رويم رحمه الله تعالى عن أول فرض افترضه الله تعالى على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة ، لقوله ﷻ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ابن عباس ﷺ : ليعرفون

وفي كلام بعضهم للعقل دلالة وللحكمة إشارة وللمعرفة شهادة ، فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد أن صفاء العبادات لا ينال إلا لصفاء التوحيد ، قال علي ﷺ لما سئل عن المعرفة : أن تعلم ما تصور في قلبك فالله بخلافه .

وذكر شيخ الإسلام في « منازل السائرين » أبياتا :

مـا وَحَّـد الواحـدَ مِـنْ واحدِ إذْ كـلُّ مَـنْ وَحَّـدهُ جاحـد
توحيـدُ مَـنْ يَنطـقُ عـن نَعْتِهِ عاريـةٌ أبطلهـا الواحـد
توحيـده إيـاه توحيـده ونعـت مـن ينعتـه لاحـدُ

« نفحات » ٥٤

ولأجل ذا قال سيد البشر ﷺ : « ما عرفناك حق معرفتك » وقال ﷺ : « إن الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم » ولأجل ذلك قال الصديق الأكبر ﵁ : العجز عن درك الإدراك إدراك ، وما أحسن ما قاله العارف ابن الفارض ﵁ :

ما اخترتُ حتى اخترتُ حبك مذهبا فواحيرتي إن لم تكن فيك حيرتي
« نفحات »٥٥

ومن قوله ﷺ قال الشيخ أبو علي ﷾ :

اعتصـام الـورى بِمَغْفِرَتِـكْ عَجِـزَ الواصفونَ عَـنْ صِفَتِكْ
تُـبْ عَلَينـا فَإنَّـا بَـشَـرٌ مـا عَرَفْنـاكَ حَـقَّ مَعْرِفَتِـكْ

« نفحات »

وعن يوسف بن الحسين ؒ قال : قام رجل بين يدي ذي النون المصري ؒ فقال : أخبرني عن التوحيد ما هو فقال ﵁ : هو أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلا ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله سبحانه وتعالى وكل ما تصوره في وهمك فالله ﷻ بخلاف ذلك .

وقال بعض العرفاء رحمهم الله تعالى : ومما زلّ فيه فحول العلماء الحذاق من أهل النظر حكمهم بأن حصول العلم بذات الله تعالى وصفاته من طريق

التعلم غاية السعادات ومنتهى الدرجات ، وهذا جهل عظيم قد استولى على الأكبرين من المتجردين والواصلين فيه فضلا عمن هو بعد في السلوك .

ومن ظن أن العلم بذات المعشوق وصفاته عين الوصول إليه فقد سحب الضلال ذيله عليه ، ومن صار إلى أن الوقوع في مخلب السبع الضاري والعلم بالوقوع واحد فهو في مهواة بعيدة من الجهل وهذا مثل هولاء القوم في اغترارهم بظنونهم القايلة«١» وآرائهم المتناقصة إلى أن الوصول إلى ما يدّعونه من العلم المشار إليه عزيز جدا إذ لا يتفق ذلك إلا على الندور ولبعض الأشخاص في آحاد الأعصار .

فالطريق إلى الله ﷻ وَعْرٌ وسلوكه صعب وفيه ما لا يحصى من البحار المغرقة والنيران المحرقة والجبال الشواهق والفلوات المملوة بالصواعق والعقبات التي تُستعصى على الأعين ويمتنع وصفها على الألسن ، وكل واحد من السالكين يظن نفسه أنه من الواصلين وقد عم الضلال جميع الخلق إلا من عصمه الله تعالى بفضله وكرمه حتى اهتدى إلى الصراط المستقيم والمنح القديم ، فالله يعيذنا من الاغترار ويرزقنا مصاحبة الأبرار .

وقال صاحب ترجمة « العوارف » رحمه الله تعالى : كل المقامات والأحوال بالنسبة إلى التوحيد كالطرق والأسباب الموصلة إليها ، ويكلم كل طائفة فيه بعضهم بلسان العلم و العبارة وبعضهم بلسان الذوق والإشارة .

عِباراتُنا شَتَّى وَحُسْنُكَ واحِدٌ   وَكُلٌّ إلى ذاكَ الجَمالِ يُشيرُ

وحاصل الإشارات أن التوحيد إفراد القدم عن الحدوث وتنزيه الله تعالى عن الحدث الحديث وإسقاط الإضافات .

وقال تاج العارفين الجنيد ﷺ : التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل .

« ١ » أي الضعيفة

وللتوحيد مراتب : علم وعين وحق كما لليقين ، علمه ما ظهر بالبرهان ، وعينه ما ثبت بالوجدان ، وحقه ما اختص بالرحمن ، والمحقق شاهَدَ بعقله المقبلِ على الله سبحانه وتعالى أنوارَ الهداية ويعلم يقينا بالدليل القاطع أن الموجود الحقيقي هو الله سبحانه وما سواه معدوم الأصل ، وجوده ظل وجود الحق ، فيعتقد أنه ليس في الوجود فعل وصفة وذات إلا الله تعالى حقيقة لكنه لا يجد بمجرد هذا العلم عين التوحيد ليعوقه عنه بالتشبثات الجسمانية والتعلقات النفسانية .

وقال أيضا ﷺ : **وأما التوحيد العيني الوجداني فهو أن يجد صاحبه بطريق الذوق والمشاهدة عين التوحيد وهو على ثلاث مراتب :**

الأولى توحيد الأفعال وذلك إذا تجلى الله تعالى له بأفعاله .

والثانية توحيد الصفات وذلك إذا تجلى الله له بصفاته .

والثالثة توحيد الذات وذلك إذا تجلى الله بذاته .

فيرى صاحب هذا التوحيد كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله تعالى ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها وهي أعضاؤها ، لا يلم بواحد منها شيء إلا ويراه ملما به ، ويرى ذاته تعالى الذات الواحدة وصفته تعالى صفتها وفعله تعالى فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد ، وليس للإنسان وراء هذه المرتبة مقام في التوحيد ، ولما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدات جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحادث لزهوق الباطل عند مجيئ الحق ويسمى هذا الحال جمعا والجمع وادٍ تنصب إلى بحر التوحيد .

قال الشيخ العارف المحقق قدوة الأولياء أبو اسمعيل عبد الله بن محمد الأنصاري قدس سره : والجمع غايات مقامات السالكين ، وهي طرق بحر التوحيد وغاية المقامات في السير إلى الله تعالى ولا مقام أعلى منه ، ثم بعد ذلك يكون السير بالله عن الله سبحانه ، ومعنى كونه طرق بحر التوحيد نهايته التي ليس

بعده شيء ، فإن سار في هذا المقام لا يكون سيره إلا الرجوع عن الحق إلى الحق والله يؤتي ملكه على من يشاء بغير حساب .

وأما التوحيد الرحماني هو أن يشهد الحق سبحانه توحيد نفسه بإظهار الوجود أنه واحد لا شريك له شهادة أزلية أبدية غير مستندة إلى سبب يقلّها« ١ » أومنزه يحلّها ، وليس للإنسان في هذا المقام إلا أن يلمع برق من جانب القدم أضاء به أنحآء« ٢ » سره وينطفي سريعا ، وكثرة كلام هذه الطائفة فيما حكوه عن نعت القدم كان في هذا الوقت وكل موجود يختص بخاصية لا يشاركه فيها غيره وإلا لما تعين وهذه الوحدة في كل موجود دليل على وحدانية موحده كما قيل :

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِــدُ

وإظهار كل موجود على صفة الوحدة صورة شهادة الحق سبحانه على وحدانية ذاته ويرشد فهم المعنى إلى تنزيه عقيدة أهل التوحيد عن الحلول والتشبيه والتعطيل كما طعن فيهم طائفة من الجاحدين العاطلين من المعرفة والذوق لأنهم إذا لم يثبتوا في نظر شهودهم معه غيره فكيف يعتقدون حلوله فيه وتشبيهه به تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فالتوحيد الحقيقي لايسع غير الواحد الحقيقي والمعرفة غير الله تعالى بخلاف التوحيد الاستدلالي فهو يسع المعرفة و لا يخلو« ٣ » الموحد عن المعرفة لله تعالى بخلاف الحقيقي فإن الموحد فيه يغفل عن معرفته تعالى لأنها مما سوى الله تعالى فافهم فإنه دقيق وللطلب حقيق .

وقال مؤيد الدين الجنيدي ﷷ في « شرح فصوص الحكم » : مشرب التحقيق الأتم يقتضي أن لا يخلو الأرواح عن مادة وكما أن الصور الجسمية لا تستغني في الوجود عن المادة كذلك صور الروحية لابدّ لها من مادة صالحة لتتصور تلك الصور وهي حقيقة الحقائق وجوهر الجواهر وهوية الكل وأصلها وهيولة« ٤ » الحاملة لصور وجوبها وإمكانها « نفحات » ٥٦

« ١ » في الأصل نقلها
« ٢ » أرجاء أي نواحي
« ٣ » أي لا يغفل
« ٤ » الهيولة هي مادة الشيء وجسمه .

ثم اعلم أن الإسلام لا يتم إلا بشهادتين ، لأن مجرد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر ، ومجرد إسناد الفعل والقول إلى الرسول ﷺ احتجاب بالتفصيل عن الجمع بين كلمتي الشهادة واعتقاد مظهرية الرسول ﷺ لأفعال الله تعالى ومبدأ الفعل هو الله الحق سبحانه وتعالى ولا يظهر إلا بالخلق ، قاله خواجه محمد فارسا قدس سره في « الكشفية » .

ثم اعلم أن المعرفة عند أئمة الأصول هي العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية ، فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا إذ الذات مجهولة من حيث الإحاطة بها .

فإن قيل : فما الحق المطلق والصدق المحض فالجواب أن الحق المطلق هو الله تعالى والصدق المحض هو معرفته تعالى والإقرار بوحدانيته . « يواقيت » ص٥٢ .

وقال علي الخواص قدس سره : من صحّ توحيده لله عز وجل انتفى عنه الرياء والإعجاب وسائر الدعاوى المضلة عن طريق الهدى ليشهد جميع الأفعال والصفات ليست له وإنما هي لله وحده ولا يعجب أحد قط بعمل غيره ولا يتزين به .

وقال رضي الله عنه : من طلب دليلا على الوحدانية كان الحمار أعرف منه بالله تعالى . « تقريب »٩٥

وقال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله عنه : التوحيد غريم لا يقضى دينه ولا يؤدّى حقه « نفحات الأنس »٥٢

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرق الإسلامية من كل وجه فهو كاذب فإن من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الإلهية وإذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة إليها ومتصلة بها كاتصال الأصابع بالكف فأقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه ، وإنما

منع الأشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الأشياخ ليختصروا له الطريق فإن حكم طريق كل شيخ كالإصبع المتصلة بالكف فإذا سلك الإنسان مقدار عقدة ثم انتقل إلى شيخ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم انتقل إلى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ، ولو أنه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فإن كل إصبع ثلاث عقد فنفد عمر هذا وهو في أول عقدة من سائر الطرق . فهذا سبب منع الأشياخ مريدهم أن يشرك معهم في السلوك غيرهم انتهى . « يواقيت »٥٢ .

وللتوحيد طرق كثيرة مختلفة في الظاهر متحدة في الباطن ، يتكلم كل أحد في التوحيد على قدر عقله ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾

ورد في الآثار أن أمير المؤمنين عليا ﷻ قال : سلوني عما دون العرش ، فإن ما بين الجوانح علما جما ، هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي هذا ما زقّني[١] رسول الله ﷺ زقًّا زقًّا ، فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما لوضعتُ وسادةً خبرتُ بما فيهما فصدقاني على ذلك ، وكان في المجلس رجل يقال له دعلب اليماني فقال : ادعى هذا الرجل دعوى عريضا ، لأفضحنّه ! فقام فقال : أسأل ؟ فقال : ويلك اِسأل تفقها ولا تسأل تعنتا ! فقال : أنت حملتني على ذلك ، هل رأيت ربك يا علي ؟ قال : ما كنت لأعبد ربا لم أره . قال : كيف رأيته ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيقان ، ربي واحد لا شريك له ، أحد لا ثاني له ، فرد لا مثل له ، لا يحويه مكان ، ولا يداوله زمان ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، فصاح دعلب وسقط مغشيا عليه ، فلما أفاق قال : عاهدت الله تعالى أن لا أسأل بعد هذا أحدا تعنتا ، فقال علي ﷻ : هذا إن كان الأمر إليك .

وقال الهروي ﷺ في « الرشحات » : ومن كلام بعض الأكابر إن الله تعالى يميز نفسه في مرتبة الواحدية ، إن أرادوا معنى هذا الكلام : أنه تعالى يعطي الإنسان علما واستعدادا خاصا من عنده في مرتبة حقائق المجردات الإنسانية

« ١ » زق الطائر فرخه زقا أطعمه بفمه « القاموس المحيط » .

التي هي عبارة عن مرتبة الواحدية عند البعض فيعرفه الإنسان بذلك العلم والاستعداد الخاص ولما لم يمكن معرفته تعالى بغير علمه تعالى فلا يكون العارف به تعالى غيره تعالى » رشحة ١٩٨

وقال في التوحيد : اعلم أن التوحيد قسمان توحيد شهودي وتوحيد وجودي والذي لا بد منه هو التوحيد الشهودي الذي يتعلق به الفناء لما أن التوحيد الشهودي لا ينافي العقل ولا يخالفه ولا الشرع بخلاف التوحيد الوجودي فإنه يخالفهما ، ويتضح لك بمثال .

وذلك أنه إذا قال شخص عند طلوع الشمس واختفاء الأنجم : ليس في السماء إلا الشمس - فهذا القول صحيح لا يخالف العقل ولا الشرع ، إذ لا يرى حينئذ إلا الشمس لضعف بصره ، فلو أعطي حدة البصر لرأى الأنجم مع الشمس بخلاف ما لو قال ذلك قبل طلوع الشمس فإنه يكذبه العقل والشرع .

وأما أقوال المشائخ التي وردت في التوحيد فلا بد أن تحمل على التوحيد الشهودي حتى لا يخالف العقل والشرع ، فالتوحيد الوجودي في مرتبة علم اليقين والتوحيد الشهودي في مرتبة عين اليقين التي هي مقام الحيرة كقول الحلاج : أنا الحق وقول أبي يزيد : سبحاني وأمثالهما فإنها كلها في مقام عين اليقين الذي هو مقام الحيرة قبل الوصول إلى حق اليقين ، فإذا عبروا من ذلك ووصلوا إلى مقام حق اليقين يتحاشون من أمثال هذه الأحوال كما وقع للشيخ خالد سليماني قدس سره .

وكان الحضرة الخواجه قدس سره يقول : **لا إله** - نفي الإلهية الطبيعية ، **إلا الله** - إثبات المعبود بالحق ، والمقصود من الذكر هو أن يصل الذاكر إلى حقيقة كلمة التوحيد ، فالكثرة في الذكر ليست بشرط وحقيقة الكلمة هي أن يحصل من ذكر الكلمة نفي السوى بالكلية . انتهى .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار قدس سره : إن فرقت بين من يضع الحلواء في فمك و بين من يضرب بيده على فمك فهو علامة النقصان في التوحيد . انتهى .

وذكر في « تعريب » محمد مراد المنزلوي أن الشيخ أحمد سعيد قدس سرهما قال : قد اشتهر بين الناس أن الإمام الرباني ﷺ منكر للتوحيد الوجودي وهذا غلط و خطأ منهم ، حاشاه عن ذلك بل هو يقول : إن التوحيد الوجودي من معارف مرتبة القلب وأربابه من أهل الولاية لكن الكمال وراء ذلك وهو ظهور أن العبد عبد والرب رب ، كما هو نسبة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ﷺ أجمعين .

وقال : إن تطبيق معارف التوحيد الوجودي على الشريعة الغراء ممكن بالتأويل كما فعله بعض الكبراء ، وأما اعتقاد انه عين الشريعة وتنزيل مشارب الأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام إليه من غير تأويل فهو من الجهالة ، فإن قال ذلك مغلوب الحال فهو معذور ، قال المجنون : الخلافة حق ليلى لا حق أبى بكر ولا حق علي ، ولكن صاحب الشعور ملام ومطعون فيه بتفوّهه به انتهى .

وقال الشيخ خاوند طهور ﷺ : إن التوحيد تفريد البدن وحفظه عن الشهوات للعبادة وتفريد القلب وصَونه عن الخطرات للعبودية ، وإلا فالحق سبحانه وتعالى واحد في نفسه وتوحيد الواحد محال ، كما قيل شعر :

ما وَحَّدَ الواحِدَ مِنْ واحِدِ   إذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جاحِـدُ

وقال : إن التوحيد في الشريعة أن يعلم الإنسان ويقول ويقرّ بأنّ الله تعالى واحد ، وأما في الطريقة فتزكية القلب وتطهيره عن غير الحق سبحانه . « رشحة » ١٦١ .

فصل

في بيان تفسير الألفاظ والأقوال الرائجة في الطريقة في اصطلاح الصوفية وأرباب الطرق وعوارضها

اعلم أيدك الله تعالى بالتوفيق أن للصوفية المحققين ألفاظا لا بد لأهل طريقتنا من معرفتها ، وإني وإن لم أستوعب جميعها أذكر هنا ما هو الأهم فالأهم ليفهم السالك المراد بأول نظرة والله ولي التوفيق .

السالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه ، فكان العلم عينا . **والمريد** هو المتجرد عن إرادته « ١ » وقال أبوحامد : هو الذي فتح له باب الأسماء ودخل في جملة المتوصلين إلى الله تعالى بالاسم .

والمراد عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيئ الأمور له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة .

والمسافر هو الذي سافر بفكره في المفعولات والاعتبارات فعبر من عدوة الدنيا إلى عدوة القصوى .

الأفراد عبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب

القطب وهو الغوث عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام ، والقطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن محمد عليه الصلاة و السلام فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه عليه الصلاة والسلام بالأكملية فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة « جامع » .

« ١ » الكيمياء هي القناعة بالموجود وترك التشوق إلى المفقود قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : القناعة كنز لا ينفد وكيمياء السعادة هي تهذيب النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها عنها واكتساب الفضائل وتحليتها بها .

الأوتاد عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة وبهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالى .

البدلاء هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد ، فذلك هو البدل لا غير وهم على قلب ابراهيم عليه السلام .

النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثمائة .

النجباء هم أربعون وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير .

الإمامان هما شخصان أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو أعلى من صاحبه وهو الذي يخلف الغوث .

الأمناء هم الملاميّة ، و الملاميّة هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بواطنهم أثر البتة وهم أعلى الطائفة وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية ونذكرهم إن شاء الله بعد بتفصيل .

الهاجس يعبرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطئ أبدا وقد يسميه سهل قدس سره السبب الأول ونقر[1] الخاطر الرباني فإذا تحقق في النفس سموه إرادة فإذا تردد الثالثة سموه همة وفي الرابعة سموه عزما وعند التوجه إلى القلب إن كان خاطر فعل سموه قصدا أومع الشروع في الفعل سموه نية ، والهواجس هي الخطرة النفسانية . **السفر** عبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر .

الطريق عبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها .

« ١ » النقر هو النقش

الوقت عبارة عن حالك في زمان الحال لا تعلق له بالماضي ولا بالمستقبل .

الأدب يريدون به آداب الشريعة ووقتا أدب الخدمة ووقتا أدب الحق ، فآداب الشريعة الوقوف عند رسومها وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها وأدب الحق أن تعرف ما لك وما له والأديب من أهل البساط .

المقام عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام وسمي مقاما لإقامة السالك فيه .

الحال هو ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمد ولا تعمل ولا اجتلاب كحزن أوخوف أو بسط أو قبض أو ذوق ويزول بظهور صفات النفس فإن زال فهو يسمى حالا وإن دام وصار ملكة يسمى مقاما فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال من عين المقامات من بذل المجهود . (شيخ أرسلان) .

ومن شروطه[1] أن يزول ويعقبه المثل وأن يبقى ولا يعقبه المثل[2] ، فمن أعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه ، وقد قيل : الحال تغير الأوصاف على العبد .

عين التحكم هو أن يتحدى الولي بما يريده إظهارا لمرتبته لمن يراه .
عين الشيء هو الحق .

عين الله وعين العالم هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى لأن الله تعالى ينظر بنظره إلى العالم فيرحمه بالوجود كما قال تعالى : لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك ، والإنسان المتحقق بالاسم (البصير) لأن كل ما يبصر في العالم من الأشياء فإنما يبصر بهذا الاسم .

« ١ » أي الحال .
« ٢ » شرحها ابن العربي ﷺ بقوله : ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل إلى أن يصفو وينتهي إلى غايته ، وقد لا يعقبه المثل ومن هنا نشأ الخلاف بين القوم . .

عين الحياة هو باطن الاسم (الحي) الذي من تحقق به شرب من ماء عين الحياة الذي من شربه لا يموت أبدا لكونه حيا بحياة الحق وكل من في العالم يحيا بحياة هذا الإنسان لكون حياته حياة الحق . « جامع » .

الانزعاج هو أثر المواعظ في قلب المؤمن وقد يطلق ويراد به التحرك للوجد والأنس .

الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو نادرة أن توجد من المحققين .

العدل والحق المخلوق به عبارة عن أول موجود خلقه الله تعالى وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ .

المكان عبارة عن منازل في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وحازوهما إلا المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولانعت .

القبض حال الخوف في الوقت وقيل وارد يرد على القلب يوجب الإشارة الى عتاب وتأديب وقيل أخذ وارد الوقت .

البسط هو عندنا حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء ، وقيل هو حال الرجاء ، وقيل هو وارد يوجب الإشارة إلى رحمة وأنس ، و القبض والبسط حالتان تحصلان للسالك المتوسط

الهيبة هي أثر مشاهدة جلال الله تعالى في القلب وقد يكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال ومقتضاها الغيبة .

الأنس أثرمشاهدة جمال الحضرة الالهيةفى القلب وهوجمال الجلال ومقتضاها الصحو

التواجد استدعاء الوجد وقيل إظهار حالة الوجد من غير واجد .

الوجود وجدان الحق في الوجد .

الجلال نعوت القهر من الحضرة الإلهية .

الجمع إشارة إلى حق بلا خلق .

جمع الجمع الاستهلاك في الله بالكلية .

الفرق إشارة إلى خلق بلا حق وقيل مشاهدة العبودية .

البقاء رؤية العبد قيام الله على كل شيء .

الفناء عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك .

الغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه .

الحضور حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق .

الصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي .

السكر غيبة قوية .

الذوق أول مبادي التجليات الإلهية .

الشرب وسط التجليات التي غاياتها في كل مقام .

المحو رفع أوصاف العادة وقيل إزالة العلة .

الإثبات إقامة أحكام العبادة وقيل إثبات المواصلات .

القرب القيام بالطاعة وقد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين .

البعد الإقامة على المخالفة وقد يكون البعد منك ويختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال وكذلك القرب .

الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل لك فيك منك لا أنت . ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ .

النفس روح يسلطه الله تعالى على نار القلب ليطفئ شررها .

الخاطر ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان او ملكيا أو نفسيا أو شيطانيا من غير إقامة وقد يكون كل وارد لا تعمّل لك فيه .

علم اليقين ما أعطاه الدليل . **عين اليقين** ما أعطته المشاهدة .

حق اليقين ما حصل من العلم بما أريد به ذلك الشهود . وقيل : هو شهود الحق حقيقة في مقام عين الجمع الأحدية . وقال بعض الأكابر : علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلي ، عين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة حق هو فناء صفة العبد في صفات الحق وبقاؤه علما وشهودا وحالا لا علما فقط كالفحمة إذا وقع عليها ضوء النار لا مقابلا بل من الحائط المقابل للنار فأضاءت الفحمة من عكس الحائط ، فهذا مثال علم اليقين ، وإذا وقع ضوء النار على الفحمة بالمقابلة من غير حجاب فهو مثال عين اليقين ، وإذا كانت الفحمة بجانب النار بحيث تشتعل وتفنى أوصافها في أوصاف النار فهذا حق اليقين .

الوارد ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمّل ويطلق بازاء كل ما يرد على كل اسم على القلب .

الشاهد ما تعطيه المشاهدة من الأثر في القلب فذلك هو الشاهد وهو على حقيقة ما يظهر للقلب من صورة المشهود .

النفس ما كان معلولا من أوصاف العبد .

الروح يطلق بإزاء الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص .

و**القلب** هو جوهر نوراني مجرد يتوسط بين الروح والنفس ، وهو الذي تتحقق به الإنسانية ويسميه الحكيم النفس الناطقة والروح باطنه والنفس

الحيوانية مركبه وظاهره المتوسط بينه وبين الجسد كما مثله في القرآن بالزجاجة والكوكب الدري والروح المصباح في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ والشجرة هي النفس والمشكاة البدن وهو الوسط في الوجود ومراتب التنزلات بمثابة اللوح المحفوظ في العالم .

وللقلب أسماء وهي : بيت الحكمة : وهو القلب الغالب عليه الإخلاص ، وبيت القدس : وهو القلب الطاهر من التعلق بالغير ، وبيت المحرم : وهو قلب الإنسان الكامل الذي حرم على غير الحق ، وبيت العزة : وهو القلب الواصل إلى مقام الجمع حال الفناء في الحق انتهى .

السر يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به ، وسر الحال ما بإزاء معرفة مراد الله تعالى فيه ، وسر الحقيقة ما تقع به الإشارة .

الوله إفراط الوجد .

الوقفة حبس بين المقامين .

الفترة خمود نار البداية المحرقة .

التجريد إماطة السوى والسكون عن القلب والسر .

التفريد وقوفك بالحق معك .

اللطيفة كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة ، وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة .

العلة تنبيه الحق لعبده بسبب أو بغير سبب .

الرياضة رياضة أدب وهو الخروج من طبع النفس ورياضة طلب وهو صحة المراد له وبالجملة هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية .

المجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال .

الفصل فوت ما ترجوه من محبوبك وهو عندنا تميّزك عنه بعد حال الاتحاد .

الذهاب غيبة القلب عن كل محسوس بمشاهدة محبوبه كائنا المحبوب ما كان .

الزمان السلطان الزاجر واعظ الحق في قلب المؤمن وهو الداعي إلى الله تعالى .

السحق ذهاب تركيبك تحت القهر .

المحق فناؤك في عينه .

الستر كل ما يسترك عما يغنيك وقيل غطاء الكون ، وقد يكون الوقوف مع العادة وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال .

التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .

التخلي اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق .

المحاضرة حضور القلب بتوارد البرهان ومجاورات الأسماء الإلهية بما هي عليها من الحقائق .

المكاشفة تطلق بإزاء الأمانة بالفهم ، وقد تطلق بازاء تحقيق زيادة الحال ، و تطلق بإزاء تحقيق الإشارة .

المشاهدة تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك .

المحادثة خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام .

المسامرة خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار .

الغيوب ما نزل به الروح الأمين على قلبهم .

اللوائح هي ما يلوح من الأسرار الظاهرة من السموّ من حال إلى حال . وعندنا ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة القلب .

الطوالع أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار .

اللوامع ما نبت من أنوار التجلي وقتين وقريبا من ذلك .

البواده ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح أو موجب ترح .

الهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تعمّل وتصنع منك .

التلوين تنقل العبد في أحواله وهو عند الأكثرين مقام ناقص وهو عندنا أكمل المقامات وحال العبد فيه حال قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾

التمكين عندنا هو التمكين في التلوين وقيل حال أهل الأحوال كما سنذكره .

الرغبة رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق .

الرهبة رهبة الظاهر في تحقيق الوعيد ورهبة الباطن لتقليب العلم ورهبةٌ من تحقيق أمر السبق .

المكر أداء النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الآيات والكرمات من غير أمد ولا حد .

الاصطلام نوع وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه .

الانعكاس في اصطلاح مشائخ هذه الطريقة انطباع صور التجليات الإلهية في مرايا القلوب .

الغربة تطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المقصود ، ويقال الغربة في الاغتراب عن الحال من النفوذ فيه ، والغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدهش .

الهمة تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى ، وتطلق بإزاء أول صدق المريد وتطلق بإزاء جمع الهم لصفاء الإلهام .

الغيرة غيرة في الحق لتعدي الحدود وغيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر وغيرة الحق ضنة بأوليائه وهم الضنائن .

المطالعة توفيقات الحق للعارفين ابتداء عن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون .

الفتوح فتوح العبادة في الظاهر وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح المكاشفة .

الوصل إدراك الغائب .

الاسم الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية .

الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل .

الزوائد زيادة الإيمان بالغيب واليقين .

الخضر يعبر به عن البسط . **إلياس** يعبر به عن القبض .

الغوث هو واحد في كل زمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطي الالتجاء إلى عناية .

الواقعة ما يرد على القلب من ذلك العالم بأي طريق كان من خطاب أو مثال .

العنقاء هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم .

الورقاء النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ .

العقاب القلم وهو العقل الأول . **الغراب** الجسم الكلي .

الشجرة الإنسان الكامل .

السمسمة معرفة تدق عن العبارة .

الدرة البيضاء العقل الأول . **الرمزة** النفس الكلية .

السبخة الهباء المسمى بالهيولي .

الحرف اللغة وهو ما يخاطبك الحق من العبارات .

السكينة ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب .

التداني معراج المقربين .

التدلي نزول المقربين ويطلق بإزاء نزول الحق إليهم عند التداني .

الترقي التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف .

التلقي أخذك ما يرد من الحق عليك .

التولي رجوعك إليك منه .

الخوف ما تحذر من المكروه في المستأنف .

الرجاء الطمع في الآجل ، والخوف والرجاء يكونان للمبتدئ يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب .

الصعق الفناء عند التجلي الرباني .

الخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد سواه .

الجلوة خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية .

المخدع موضع ستر القلب عن الأفراد الواصلين .

الحجاب كل ما ستر مطلوبك عن عينك .

النوالة الخلع التي تخص الأفراد وقد تكون الخلع المطلقة .

الجرس إجمال الخطاب بضرب من القهر .

الاتحاد تصيير ذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد وهو محال .

القلم علم التفصيل .

الأنانة قولك أنا .

النون علم الإجمال .

الهوية الحقيقة في عالم الغيب ، لا يخفى أن غيب الهوية عبارة في اصطلاح أهل التحقيق عن ذات الحق ﷻ باعتبار اللاتعين يعني بشرط الإطلاق الحقيقي الذي يكون خاليا من جميع القيود حتى الإطلاق ، فإنه مناف للإطلاق الحقيقي ولا يمكن أن يتعلق به ﷻ في تلك المرتبة علم وإدراك ، وهو تعالى من هذه الحيثية مجهول مطلق .

يُشيــرُ إلــى غَيْبِ الهَوِيَّةِ هاءُ هُــو ... وَأنْفاسُ مَخْلوقٍ لِذَا الحَرْفِ حامِلُ
فَـكُنْ ساعياً فـي كلِّ حالٍ لِحِفْظِها ... لَقَدْ قُلْتَ حَرْفَ الصِّدْقِ إنْ أنْتَ عامِلُ

كذا ذكره في « الرشحات » .

اللوح محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم .

الأنانية الحقيقة بطريق الإضافة .

الرعونة الوقوف مع الطبع .

اللإلهية كل اسم إلهي مضاف إلى البشر .

المنصة تجلي الأعراس وهي تجليات روحانية .

التختم علامة الحق على القلب من العارفين .

الطبع ما سبق به العلم في حق كل شخص .

الآلية كل اسم مضاف إلى ملك أو روحاني .

السوى هو غير الجسد كل روح ظهر في جسم ناري أو نوري .

النور كل وارد إلهيّ يطرد الكون عن القلب .

الظلمة قد يطلق على العلم بالذات فإنها لا يكشف معها غيرها .

الظل مروريَّة الأغيار بغير وجود الواجد خلف الحجاب .

القشر كل علم يصون فساد عين المحقق بالتجلي له . **اللب** ما صين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالكون . وقيل : اللب مادة النور الإلهي .

العموم ما يقع من الاشتراك .

الخصوص أحد كل شيء .

الإشارة تكون مع القرب ومع حضور الغيب وتكون مع البعد .

الغيب كل ما ستره الحق منك لا منه .

عالم الأمر ما وجد عن الحق بغير سبب ويطلق بإزاء الملكوت .

عالم الخلق ما وجد عن السبب ويطلق بإزاء عالم الشهادة .

العارف والمعرفة من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال على نفسه والمعرفة حاله .

العالم والعلم من أشهده الله ألوهية ذاته ولم يظهر على حال والعلم حاله .

الحق ما وجب على العبد من جانب الله وما أوجبه الحق على نفسه .

الباطل هو المعدوم .

الكون كل أمر وجودي .

الرداء الظهور بصفات الحق .

الارين محل الاعتدال في الأشياء .

الكمال التنزيه عن الصفات وآثارها .

البرزخ العالم المشهود بين عالم المعاني والأجسام .

الجبروت عند أبي طالب«١» هو عالم العظمة وعند الأكثرين العالم الأوسط .

الملك عالم الشهادة .

الملكوت عالم الغيب .

مالك الملك هو الحق في حال المجازاة للعبد على ما كان منه بعين الحق مما أمر به .

المطلع النظر إلى عالم الكون .

الناظر حجاب العزة وهو العماء والحيرة .

المثل هو الإنسان وهي الصورة التي يظهر عليها .

العرش مستوى الأسماء المقيدة .

الكرسي موضع الأمر والنهي .

القدم ما ثبت للعبد على علم الحق .

العيد ما يعود على القلب من التجليات بإعادة الأعمال .

« ١ » أي أبو طالب المكي

الحد الفصل بينك وبينه .

الصفة ما طلب المعنى كالعالم .

النعت ما طلب النسبة كالأول .

الرؤية المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة .

كلمة الحضرة كن .

اللسن ما يقع به الإفضاء الإلهي لآذان العارفين .

الهو الغيب الذي لا يصح شهوده .

الفَهوانية خطاب الحق للسالك بطريق المكافحة في عالم المثال .

السواء بطون الحق في الخلق والخلق في الحق .

العبودية من شاهد نفسه في مقام العبودية لربه .

الانتباه زجر الحق للعبد على طريق العناية .

اليقظة الفهم عن الله في زجره .

سر السر ما انفرد به الحق عن العبد .

التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهي الأخلاق الإلهية ، وقد يقال بإزاء إتيان المكارم للأخلاق وتجنب سفسافها لتجلي الصفات الإلهية وعندنا : الاتصاف بأخلاق العبودية ، وهو الصحيح فإنه أتم .

الهمة عبارة عن جمعية الخاطر على حصول أمر واحد على وجه لا يخطر في البال خلافه ، وقلما يتخلف المراد من مثل تلك الهمة .

وينبغي لأصحاب التجريد أن يمتحنوا همهم في بعض الأحيان وأن يعلموا أن مناسبتهم بحضرة الأسماء إلى أي مرتبة وصلت وكم تأثير همهم .

ومنها **الذوق** كما ذكر **والشرب والري** ، فالذوق إيمان والشرب علم والري حال ، فالذوق لأرباب البوادي ، والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع ، والري لأرباب الأحوال . وذلك أن الأحوال هي التي تستقر فما لم يستقر فليس بحال وإنما هي لوامع وطوالع .

وقيل : الحال لا تستقر لأنها تحول فإذا استقر تكون مقاما ، ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ، وقد ذكرناها آنفا . فالمحاضرة لأرباب التلوين ، والمشاهدة لأرباب التمكين ، والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر . فالمشاهدة والمحاضرة لأهل العلم ، والمكاشفة لأهل العين ، والمشاهدة لأهل الحق أي حق اليقين . قاله ترجمان الحقيقة شهاب الدين السهروردي ﷺ .

وذكر شيخ شيخنا في « جامع » ٢٠ : والذوق أول مقامات العارف وهو وجدان لذة الحقيقة والشرب هو السكر المحض بعد الكرع في كأس المشاهدة والري دوام المواصلة بعد صفاء المعاملة ، فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح .

وقال القشيري ﷺ : مرادهم بالذوق والشرب ما يجدون من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وبواده الواردات ومن قوي حبه دام شربه ولا يؤثر فيه الشرب سكرا لقوة حاله فيكون صاحيا بالحق فانيا عن كل حظ لا يتأثر بما يرد عليه من الواردات ولا يتغير ، ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ، ومن صار له الشراب غذاء يصبر عنه ولم يبق عند فقده .

واعلم أن الشرب والذوق والري كل ذلك من نتائج التجلي ، فالخواص لهم دوام التجلي فهم في كمال الري ومن دونهم في رتبة التجلي لهم كمال الشرب ومن دونهم ، لهم كمال الذوق ومن دونهم وهم العوام في غطاء الستر . وأنشدوا في الشرب :

إِنَّما الكّأسُ رِضاعٌ بَيْنَنَا فَإذا ما لَمْ نَذُقْها لَمْ نَعِشْ

فالصحو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه ، والسكر غيبة بوارد قوي فهو أقوى من الغيبة وأتم منها أيضا ، لأن الغيبة قد يكون سببها الرغبة أوالرهبة أوالخوف أو الرجاء ، والسكر لا يكون سببه إلا المكاشفة بنعت الجمال لأنه طرب الروح وهيام القلب ولا يكون ذلك إلا لأصحاب الوجد والمشاهدة ، والوجود إلا لأهل الرغبة والرهبة والخوف والرجاء .

ومنهم من قال إن من السكر ما هو أضعف من الغيبة وليس بسديد لأن ذلك لا يسمى سكرا ، فالحاصل أن السكر هو الغيبة العظيمة والغيبة الضعيفة ليست بسكر بل هي انتشاء وتساكر . وأنشدوا في معنى السكر :

فَأَسْكَرَ القَـوْمَ دَوْرُكَأْسٍ   وَكانَ سُكْري مِنَ المُديرِ

وفي « عرصات القلوب » : استوت أحوال الصاحي والسكران في الفناء والبقاء فإنهما فانيان بالله تعالى باقيان به في الصالحين .

إذا طَلَعَ الصَّباحُ لِنَجْمِ راحِ   تَساوَى فِيهِ سَكْرانٌ وَصاحي

انتهى

ومن إشارات الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﷺ ما ذكره في هامش « المكتوبات » في ١٥ هذه : ومنها أن السير إلى الله تعالى هو عبارة عن سير إلى اسم من أسماء الله تعالى جلّ شأنه هو مبدأ تعين السالك ، والسير في الله عبارة عن السير في ذلك الاسم إلى أن ينتهي إلى حضرة الذات الأحدية المجردة عن اعتبار الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات .

وهذا التفسير إنما يصح إذا كان المراد بالاسم المبارك « **الله** » مرتبة الوجوب« ١ » يعني الذات المستجمعة لجميع الأسماء والصفات ، وأما إذا كان المراد به هو الذات البحت فقط فيكون السير في الله بالمعنى المذكور داخلا

« ١ » في نسخة ش الوجود

في السير إلى الله تعالى ، ولا يتحقق السير في الله على هذا التقدير أصلا ، فإن السير في نقطة نهاية النهايات ولم يتكلم بها من أولياء الله تعالى أحد غير هذا الدرويش ، الله يجتبي إليه من يشاء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله أجمعين . اهـ هامش « المكتوبات » ١٨

ومــن جملة مصطلحات هذه الطريقة العلية الصديقية قدس الله أرواح أهاليها إحدى عشرة كلمة أسسها الشيخ العارف بالله الإمام عبد الخالق ابن الإمام عبد الجليل الغجدواني قدس الله تعالى سره من أولاد الإمام مالك رضي الله عنه إمام دار الهجرة أمه من بنات ملوك الروم وذلك أن والده تشرف بصحبة الخضر عليه السلام وبشره الخضر بوجود حضرة خواجه وسماه بعبد الخالق فاشتغل بالعلوم في مبادى حاله في بخارى وفاق ، ولما بلغ في أثناء التحصيل إلى قوله تعالى : ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ وقت اشتغاله لقراءة التفسير عند استاذه الإمام صدر الدين الذي هو من كبار علماء بخارى في زمانه ، سأله عن حقيقة هذه الخفية وطريقتها وكيفية تحصيلها وقال : إن الذاكر إذا ذكر بلسانه جهرا أو تحرك شيء من أعضائه وقت الذكر يطلع عليه الأغيار وإن ذكر بقلبه فبمقتضى هذا الحديث « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » يطلع عليه الشيطان فلا تتحقق الخفية في حال من الأحوال ؟ فقال أستاذه : إن علم هذا لدنيٌّ فإذا أراد الله لك ذلك يوصلك إلى واحد من أهل الله فيعلمك كيفيتها وحقيقتها ، فكان حضرة الخواجه قدس سره بعد ذلك منتظرا لقاء أحد من أهل الله سبحانه وتعالى حتى لقي الخضر عليه السلام فعلمه الوقوف العددي .

وذكر في « فصل الخطاب » أن كيفية اشتغال خواجه عبد الخالق الغجدواني حجة في الطريقة ومقبولة عند جميع الفرق ، كان قدس سره مداوما على طريق الصدق والصفا ومتابعاً لشريعة نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجانبا للنفس ومخالفا لهواها وكان يستر سيرته السنية عن نظر الأغيار ، تلقن الذكر القلبي أيام شبابه عن الخضر عليه السلام فكان يواظب على الذكر المذكور ، وقبله حضرة الخضر عليه السلام للولديّة وأمره بأن يخوض في الحوض وأن يقول بقلبه تحت الماء

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ففعله الخواجه ﵊ وأخذ منه ذلك واشتغل به هنالك ففتح له أنواع الفتوح والترقيات فوق إدراك المدارك ، وكان كيفية اشتغاله من أول حاله إلى آخر أمره ومآله ونهاية كماله مقبولة ومحبوبة عند جميع الخلق .

ولما قدم الخواجه يوسف الهمداني ﵊ إلى بخارى حضر الخواجه عبد الخالق ﵊ صحبته وعلم أن له أيضا اشتغالا بالذكر القلبي ، فاغتنم صحبته ولازمه مدة إقامته ببخارى ، ولذا قيل أن الخضر ﵇ شيخه في التعليم والتلقين ، والخواجه يوسف ﵊ شيخه في الصحبة .

وطريقة خواجه يوسف ومشائخه ﵏ وإن كانت علانية ، لكن لما أخذ الخواجه عبد الخالق ﵊ الذكر الخفي عن الخضر ﵇ وأمر بذلك لم يغيره شيخه الخواجه يوسف ﵊ بل أمره أن يشتغل على الوجه الذي كان مأمورا به من الخضر ﵇ . كذا ذكره الشيخ الهروي عن شيخه خواجه عبيد الله أحرار ﵏ .

ومع هذه يزعم بعض المتشيخين على الذكر الخفي في هذه الطريقة مع أنهم يقولون إن طريقتهم أخذوا من هؤلاء السادات ، فضلوا وأضلوا . اللهم اجعلهم من المهتدين إلى مناهج التحقيق .

واعلم أنه لا بد للسالك من معرفة هذه المصطلحات المأثورة من عبد الخالق الغجدواني ﵊ وضبطها والعمل بمضمونها ، ولما كانت هذه الطريقة الشريفة قد ظهرت في بلاد ما وراء النهر واشتهرت فيها وكان أعزة أهل تلك البلاد يتكلمون بالفارسية جرى أكثر تلك المصطلحات على لسانهم بتلك اللغة ، ونحن نوردها إن شاء الله تعالى بترجمتها على نهج السابقين بنا لتكون على ذكرٍ منها برِمَّتها« ١ » لما أن هذه الطريقة العلية مبنية على تلك الكلمات القدسية الَّتي بنيَ عليها أساس طريق أكابر النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم السنية :

« ١ » أي بجميعها

١ . **هُوشْ دَرْ دَمْ**

٢ . **ونَظَرْ بَرْقَدَمْ**

٣ . **وسَفَرْ دَر وَطَنْ**

٤ . **وخَلْوَةْ دَر انجمن**

٥ . **ويا دكَرْد**

٦ . **وبازكَشْت**

٧ . **ونكاه دشت**

٨ . **ويا دداشت**

وما وراء ذلك ظنون وأوهام .

ولا يخفى أن من جملة مصطلحات هذه الطائفة العلية ثلاث كلمات أخرى وهي :

١ . الوقوف الزماني

٢ . والوقوف العددي

٣ . والوقوف القلبي

فكان الكل إحدى عشرة كلمة . ولما كان خواجه عبد الخالق ﷺ رئيس السلسلة النقشبندية ﷺ أحببت أن أبين في هذا المقام معاني ألفاظه المصطلحة فإن معرفة طريق هؤلاء الأعزة موقوفة على معرفتها ولنوردها بعبارات هذه الطائفة على نهج ما ذكره الشيخ الهروي ﷺ .

وذكر الإمام الرباني في « المكتوب » ٢٩٥ : ينبغي أن يعلم أن واحدا من الأصول المقررة النظر على القدم وليس المراد بالنظر على القدم أنه لا ينبغي أن يتجاوز النظر القدم وأن يميل إلى الفوق قبل القدم فإنه خلاف الواقع ، فإن

النظر يتفوق القدم ويتقدم عليه دائما ويجعل القدم رديفه فإن العروج على مدارج العلى يكون أولا بالنظر ثم يصعد بعد ذلك بالقدم ، فإذا وصلت القدم إلى مرتبة النظر يتفوق النظر منها إلى درجة فوقانية وتصعد القدم أيضا بتبعيته ، ثم يترقى النظر إلى مقام لا يكون للقدم فيه مجال فهو أيضا غير واقع فإنه لو لم ينفرد النظر بعد تمام السير القدمي يفوت كثير من مراتب الكمال .

بيانه أن نهاية القدم إلى نهاية استعداد السالك«١» بل إلى نهاية استعداد نبي السالك على قدمه لكن القدم الأول بالأصالة والقدم الثاني بالتبعية ولا قدم له فوق مراتب ذلك الاستعداد ولكن له فيه نظر .

فإن حصلت الحدة لذلك النظر فمنتهاه نهاية مراتب ذلك الاستعداد ولكن له فيه نظر فإن حصلت الحدة لذلك النظر فمنتهاه نهاية مراتب نظر ذلك النبي الذي السالك على قدمه فإن لكمل أتباع نبي نصيبا من جميع كمالاته ، ولكن القدم والنظر يتوافقان إلى نهاية مراتب استعداد السالك بالأصالة وبالتبعية . وبعد ذلك يعجز القدم ويصعد النظر وحده ويترقى إلى نهاية مراتب نظر ذلك النبي .

فعلم أن نظر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا يصعد فوق أقدامهم وأن لكمّل أتباعهم أيضا نصيبا من مقامات أنظارهم كما أن لهم نصيبا من مقامات أقدامهم . وفوق قدم خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام مقام الرؤية التي هي موعودة لغيره في الآخرة فما هو نسبة لغيره نقد له ، ولكمل أتباعه من هذا المقام نصيب وإن لم يكن رؤية . شعر :

خَليلَـيَّ ما هـذا بِـهَزْلٍ وإنَّما   عَجيبُ الأحاديثِ بَديعُ الغَرائِبِ

ولنرجع إلى أصل الكلام ونقول : فإن كان المراد به أنه ينبغي أن يتخلف القدم عن النظر على وجه لا تصل إلى مقام النظر في وقت من الأوقات فحسن

«١» قوله إلى نهاية استعداد السالك : ضبطه الصحيح نظرا لما سيأتي استعداد نبي السالك على قدمه ،

فإن الأولياء على أقدام الأنبياء كما نقله بالتفصيل الأستاذ بحر المعارف حسن أفندي قُدِّسَ سِرُّهُ في مكتوباته عن مؤلفات هذه الطائفة العلية قدس الله تعالى أسرارهم ونفعنا بهم وبآثارهم ولا حرمنا من بركاتهم آمين بالفتى الأمّي . رب اغفر لي ولناظري .

فإن هذا المعنى ليس بمانع للترقي ، وكذلك إذا كان المراد بالنظر والقدم النظر والقدم الظاهريان فله مجال ، فإن النظر تحصل له التفرقة وقت المشي ويتشتت بالوقوع على محسوسات متلونة ، فإن نصيب النظر إلى القدم يكون أقرب إلى الجمعية ، وهذا المراد مناسب لمعنى كلمة هي قرينه وهي هذه **هوش دردم** . انتهى كلام الرباني .

وذكر في « سلسلة خواجكان » ما عبارته : **نَظَرْ بَرْ قدم** بَرْ بمعنى على ، فالمعنى المراد بها عندهم نظر السالك : ينبغي أن يكون على قدميه عند المشي لئلا ينظر إلى الآفاق لأن النظر إليها يورث الحجاب في القلب ، لأن أكثر الحجب في القلب هي الصور المرتسمة فيه من طريق النظر ، أو لئلا يشتغل عن الذكر بالنظر إلى المبصرات ، فإن الذاكر المبتدئ إذا تعلق نظره بالمبصرات لعدم قوته على حفظ القلب عن التفرقة الحاصلة بتعلق النظر إلى المبصرات أو لئلا ينظر إلى وجوه الأغيار لأن النظر إلى وجوه الأغيار عند الصوفية من المحظورات لأن القلوب الصافية مثل المرايا المصقلة ينطبع فيها ما كان في القلوب القاسية من الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة بمجرد النظر إلى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك لأن النظر سهم من سهام الشيطان فمن أصابه ذلك افتتن في طريق الله تعالى ، فحينئذ ينبغي للسالك أن يغض بصره بالنظر إلى قدميه لئلا يصيبه ذلك السهم .

ويجوز أن يكون كناية عن علو الهمة لأن صاحب الهمة لا ينظر إلى ما سوى الحق تعالى كصاحب السرعة في المشي لأنه لا ينظر إلا على قدميه لئلا يخبط في مشيه ، ويجوز أن يكون كناية عن التواضع لأن أصحاب الكبر والعجب لا ينظرون إلى أقدامهم ، ويجوز أن يكون إشارة إلى اتباع السنة في المشي لأن النبي ﷺ إذا مشى لم يلتفت يمينا وشمالا وكان ينظر إلى قدميه متوجها إلى أمامه مسرعا في مشيه كأنما ينحطّ من صبب ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها سفردر وطن وهو أن يسافر السالك في طبيعته البشرية يعني ينتقل من صفاته البشرية إلى الصفات الملكية من الأخلاق الذميمة إلى الأخلاق الحميدة .

وقال شيخ محمد ﷺ في « سلسلة الخواجكان » : المعنى المراد عندهم سفر السالك ينبغي أن يكون من عالم الخلق إلى جناب الحق سبحانه وتعالى كما أشار إليه خليل الله عليه السلام ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أو من حال إلى حال أحسن منه ، أو من مقام إلى مقام أعلى منه ، كما قال أبو عثمان المغربي : يجب على السالك أن يسافر من مراده إلى مراد الحق .

وقال مولانا الشيخ سعد الدين الكاشغري قدس سره : إن الإنسان الخبيث لا يزول خبثه بالانتقال من محل إلى محل آخر حتى ينتقل من صفاته الخبيثة ، ولا يخفي أن أحوال مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أسرارهم مختلفة في اختيار السفر والإفادة ، فبعضهم اختار السفر في البداية والإقامة في النهاية وبعضهم عكس ذلك ، واختار بعضهم الإقامة في البداية والنهاية وبعضهم عكس هذا ، ولكل طائفة من هذه الطوائف الأربعة نية صادقة وغرض صحيح فيما اختاروا كما هو مشروح في « العوارف » .

وأما اختيار أكابر النقشبندية العلية في السفر والإقامة فهو أن يسافر في البداية إلى أن يوصل نفسه إلى صحبة مرشد كامل ، فبعد ذلك يكون مقيما في خدمته ملازما لصحبته ، فإن وجد في دياره مرشداً كاملاً من هذه الطائفة يترك السفر بالكلية ويبادر إلى خدمته ويسعى سعيا بليغا في تحصيل ملكة الحضور ويجتهد اجتهادا كاملا في الاتصاف بصفة الشعور ، فإذا تخلص من قيد البشرية وتحقق بصفة الملكية فالإقامة والسفر في حقه سوائية .

وقال عبيد الله أحرار قدس سره : ليس حاصل المبتدئ من السفر غير التفرقة فإذا وصل الطالب إلى صحبة مرشد يلزم عليه أن يقيم عنده ليحصل صفة التمكين

وملكة النسبة النقشبندية ﷼ ، فبعد ذلك يذهب أين شاء ليس له مانع ، ذكره الشيخ الهروي ﷽ في « الرشحات » ٢٨ .

وقال الشيخ محمد ﷽ في « سلسلة خواجكان » : وإنما اعتبر أرباب السلوك السفر الظاهري للوصول إلى المرشد المربي فلما وصل إليه يجب أن يسلم أمره إليه ويقيم عنده ويترك السفر الظاهري حتى يقدر على السفر الباطني ويُتمّ الإرادة .

وكان الشيخ الترمذي ﷽ يمنع السالك عن السفر الظاهري ويقول مفتاح كل خير ومفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك إلى أن تصح لك الإرادة ، فإذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت لك أوائل البركة فأنت في السفر إلى الله تعالى سواء سافرت من حيث الظاهر أو لم تسافر .

ثم اعلم أن المشائخ إنما منعوا السالكين عن السفر الظاهري لأن فيه المشاق والمحن لا يتحملها أهل البدايات لعدم تمكنهم في مقام العبودية والشهودية ، فتؤديهم تلك المشاق إلى ارتكاب المخالفة في طريق السلوك وترك الفرائض والسنن وتورث في قلوبهم التفرقة وتضيع أعمارهم بغير فائدة

قال الشيخ أبوبكر الدقاق ﷽ : آفة المريد ثلاثة : التزوج وقراءة الفقه الذي لا حاجة إليه والسفر قبل الكمال .

وأما في النهاية فلا بأس عليهم في السفر الظاهري لأنهم راسخون في مقام العبودية قادرون على تحمل المشاق والمحن فلا يرتكبون فيه المخالفة ولا تحصل فيهم التفرقة ، بل تحصل لهم الترقيات إلى الدرجات العاليات بسبب تحمل المشاق والمحن في السفر كما كان السلف الصالحون إذا استوطنت نفوسهم في محل وحصل لهم الايتلاف مع الناس سافروا لرفع العادات وترك الراحات وقطع الألفة واختيار الذلة ليحصل لهم التجرد التام حتى يصلوا إلى أعلى المقام « سلسلة خواجكان » ١٥ .

وهوش دردم مراده أن كل نفس من أنفاس السالك ينبغي أن يكون خروجه على وجه الحضور والشعور دون الغفلة والفتور .

قال مولانا الشيخ سعد الدين الكاشغري ﷺ : إن معنى « هوش دردم » هو أن الانتقال من نفس إلى نفس ينبغي أن لا يكون على الغفلة بل على الحضور ، وأن لا يكون غافلا عن الحق سبحانه وتعالى في كل نفس وعند كل تنفس .

وقال حضرة شيخنا ﷺ : جعلوا في هذه الطريقة رعاية النفس وحفظه من أهم الأمور ، يعني ينبغي أن لا يكون جميع الأنفاس مصروفة وخارجة عن نعت الحضور ووصف الشعور ، فإن لم يكن متحققا لنفسه يقولون إن فلانا ضيع نفسه يعني ضيع طريقه وسيرته .

قال حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺ : ينبغي أن يجعل بناء الأمر في هذا الطريق على النفس بأن يشغلك أهم الأحوال في الزمان الحال عن تذكر الماضي وتفكر المستقبل وأن لا يترك النفس حتى يضيع وأن يسعى في المحافظة على ما بين النفسين وقت خروجه ودخوله لئلا يكون دخوله وخروجه على الغفلة . « رشحات » ٢٧ .

وقال : فينبغي للطالب العاقل أن يكون في نسبة الحضور مع الله سبحانه وتعالى على وجه تكون هوية الحق سبحانه ملحوظة وقت التلفظ بهذا الحرف الشريف وأن يكون حاضرا وقت خروج النفس ودخوله حتى لا يقع الفتور في نسبة الحضور مع الله وأن يجتهد في حفظ هذه النسبة ليكون واقفا لقلبه دائما من غير تكلف وتعمل بل ربما لا يستطيع أن يزيل هذه النسبة عن قلبه . شعر :

يُشيرُ إلى غَيبِ الهَوِيَّةِ هاء هُو ... وَأنْفاسُ مَخْلوقٍ لِذا الحَرْفِ حاملُ
فكُنْ صاحِباً في كُلِّ حالٍ لِحِفْظِها ... لَقَدْ قُلْتَ حَرْفَ الصِّدْقِ إنْ أنْتَ عاملُ

لا يخفى أن غيب الهوية على ما بينه مولانا الجامي ﷺ في شرح هذا الرباعي عبارة في اصطلاح أهل التحقيق عن ذات الحق سبحانه وتعالى

باعتبار اللاتعيّن يعني بشرط الإطلاق الحقيقي الذي يكون خاليا من جميع القيود حتى الإطلاق أنه مناف للإطلاق الحقيقي ولا يمكن أن يتعلق به سبحانه وتعالى في تلك المرتبة علم وإدراك وهو تعالى من هذه الحيثية مجهول مطلق . « رشحة » ٢٨ .

وقال الشيخ علاء الدين الآبزي ﷺ : **إن هوش دردم** أصل عظيم في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم فإن مر النفس على غفلة يعدون ذلك من الكبائر حتى عده بعضهم من الكفر وشعر الشيخ فريد الدين العطار ﷺ مؤيد لهذا القول لكن لم أكتب لكونه فارسية ، لكن **إن** شعر ابن الفارض ﷺ أوضح من ذلك وأبلغ ، حيث قال :

وَلَـوْ خَـطَرَتْ لـي في سِواكَ إرادَةٌ   عَلى خاطِرِي سَهْواً حَكَمْتُ بِرِدَّتي

وقال : قال مولانا أبو يزيد البوراني عليه الرحمة والغفران : كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامة كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواص ، كما أن العامة يؤاخذون على المعصية كذلك الخواص يعاتبون على الغفلة . منه ١٤٥ .

وقال الشيخ العارف الهروي عن الإمام الرباني ﷺ في « مكتوباته » : إن « هوش دردم » يعني العقل في النفس غاية ما في الباب أن الكلمة الأولى لدفع تفرقة منبعثة عن الآفاق والكلمة الثانية لدفع التفرقة الأنفسية والكلمة الثالثة التي هى قرين هاتين الكلمتين كلمة السفر في الوطن وهي عبارة عن السير في الأنفس الذي هو منشأ حصول اندراج النهاية في البداية الذي هو مخصوص بهذه الطريقة العلية « مكتوبات » ٣٥٧ .

وقال الشيخ محمد ﷺ في « سلسلة خواجكان » : ويجوز أن يكون كناية عن انتباه الذاكر عن سِنة الغفلة في حال الذكر لأن المقصود من الذكر استمرار ملاحظة معناه ، واستمرار ملاحظة معنى الذكر يؤدي إلى تجلّي ذلك المعنى ، وذلك لا يمكن إلا بحفظ الأنفاس عن الغفلات .

والحاصل أن هذا الأمر لا يتم إلا بحفظ الأنفاس لأن حفظها يؤدي إلى الحضور بسبب تجليات الحق سبحانه وتعالى لأن لله تعالى تجليات بعدد أنفاس الخلائق فمن حفظ أنفاسه عن الغفلات كان حاضرا مع الله تعالى فيصيب بتلك التجليات .

ثم اعلم أن حفظ الأنفاس عن الغفلات بالدوام عسير على السالكين ، فإذا دخلت الغفلة فيها فلا بد لهم أن يستغفروا الله تعالى عنها لأن الاستغفار يزكي الأنفاس من الغفلات ويتداركها بالحسنات . انتهى بحروفه .

ومنها خلوة در أنجمن . ذكر الشيخ محمد ابن الشيخ محمد مراد ﷻ في « سلسلة الخواجكان » : أن **الخلوة** في اصطلاح الصوفية بيت معروف يختلي فيه أهل السلوك للتعبد ، و **انجمن** جمعية الناس . فالمعنى المراد بها عندهم أنه ينبغي أن يكون قلب السالك حاضرا مع الحق غائبا عن الخلق مع كونه بين الناس ، فحينئذ يكون هذه الكلمة بمعنى المراقبة ، ويجوز أن يكون كناية عن محادثة القلب بحيث لا يطلع عليها الناس مع كونه فيما بينهم ، وقيل إنها كناية عن استيلاء النسبة العلية بحيث لا ينافيها معية الخلق ولا يضرها المعاملة معهم .

ثم اعلم أن الخلوة نوعان :

الأول الخلوة من حيث الظاهر وهي اختلاء السالك في بيت خال عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الاطلاع في عالم الملكوت والشهود في عالم الجبروت ، لأن الحواس الظاهرة إذا احتبست عن أحكامها انطلقت الحواس الباطنة الطالعة إلى آيات الملكوت ومكاشفات أسرار الجبروت .

والثاني الخلوة من حيث الباطن في مشاهدة أسرار الحق والظاهر في معاملة الخلق بحيث لا تشغله معاملة الظاهر عن مشاهدة الباطن فيكون الكائن البائن ، وهذه هي الخلوة الحقيقية كما أشار إليهما في قوله تعالى : ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ وهذه الخلوة خاصة بالطريقة النقشبندية لأن أربابها لا يحتفلون« ١ » بالخلوة الظاهرة وإنما خلوتهم من حيث الباطن عند

« ١ » أي : لا يبالون

جمعية الناس ، كما قال الخواجه بهاء الدين النقشبندي ﭏ العزيز : طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية انتهى .

وذكر في « الرشحات » بما عبارته : سئل الخواجه بهاء الدين النقشبندي ﭏ بأن بناء طريقكم على أي شيء ؟ فقال في جوابه هذه العبارة يعني **خلوة در انجمن** . ومعناه : الخلوة في الجلوة في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق سبحانه وتعالى . شعر :

بِقَلْبِكَ صاحِبْنا وَجانِبْ بِظاهِـرِ   وَذا السَّيْرُ في الدُّنْيا قَليلُ النَّظائِرِ

وقيل أيضا في معنى ذلك :

كُـنْ باطِنـاً نَحْـوَ المُنـى   وَبِظاهِـرٍ كالأَجْنَبِـيّ

انتهى

وقال ﭏ : إن نسبة الباطن في هذا الطريق على نهج تحصل جمعية القلب في ملأ وصورة تفرقة أكثر مما تحصل في الخلوة .

وقال أيضا : طريقتنا هذا مبنية على الصحبة فإن في الخلوة شهرة وفي الشهرة آفة والخير كله في الجمعية والجمعية في الصحبة بشرط فناء كل في الآخر .

قال الخواجه أوليا كبير ﭏ : الخلوة في الجلوة هو أن يبلغ الاشتغال بالذكر والاستغراق فيه مرتبة لو مشى الذاكر في السوق لا يسمع شيئا من الكلام والأصوات بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب .

قال حضرة شيخنا ﭏ : يصل السالك بسبب الاشتغال بالذكر بالجد والاهتمام في مدة خمسة أو ستة أيام إلى مرتبة يخيل له جميع أقوال الناس وأصوات المخلوقات ذكرا ، بل يخيل له كلام نفسه أيضا ذكرا ، لكن لا يحصل ذلك بدون سعي واهتمام . « رشحات » ٢٩ .

وقال الشيخ محمد قدس سره في « سلسلة الخواجكان » : إنما اختار هذه الخلوة اتباعا بالسنة لأن النبي ﷺ اختار الجمعية على الخلوة وقال : « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لم يخالط الناس » ، وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره : ليس الكامل من صدرت منه الكرامات وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوج ويختلط الناس ولا يغفل عن الله تعالى لحظة واحدة انتهى .

وقال الإمام الرباني قدس سره في « مكتوباته » في ٣٥٧ : متى تيسر السفر في الوطن يسافر في خلوة الوطن أيضا في نفس الخلوة ولا تتطرق تفرقة الآفاق إلى حجرة الأنفس وهذا أيضا على تقدير غلق أبواب الحجرة وسد جميع روزنتها وكوّتها ، فينبغي أن لا يكون في جلوة التفرقة متكلما ولا مخاطبا ولا ملتفتا إلى أحد وكل هذه التمحُّلات والتكلفات في البداية والوسط ، وأما في النهاية فلا شيء يلزم منها أصلا ، فان المنتهي متصف بالجمعية في نفس التفرقة وبالحضور في عين الغفلة ولا يظن من هذا أن التفرقة وعدم التفرقة متساويان في حق جمعية المنتهي مطلقا فإنه ليس كذلك بل المراد أنهما متساويان في جمعية الباطن ، ومع ذلك لو جمع ظاهره مع باطنه ودَفَع التفرقة عن ظاهره أيضا يكون أولى وأنسب ، فإن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ .

ينبغي أن يعلم أنه لا بد في بعض الأوقات من تفرقة الظاهر لأداء حقوق الخلق فتكون تفرقة الظاهر في بعض الأوقات مستحسنة أيضا ، وأما تفرقة الباطن فليست بمستحسنة في وقت من الأوقات فإنه خالص حق الله سبحانه فيكون ثلاث حصص من العبد المسلم لأجل الحق سبحانه تمام الباطن ونصف الظاهر وبقي النصف الآخر من الظاهر لأداء حقوق الخلق ، ولما كان في أداء تلك الحقوق امتثال أوامر الحق سبحانه وتعالى صار ذلك النصف أيضا راجعا إلى الحق سبحانه وتعالى إليه يرجع الأمر كله فاعبده« ١ » . انتهى « مكتوبات » ٣٥٧ .

« ١ » فإن أردت أيها الناظر بيان باقي الكلمات المصطلحات راجع إلى « الطبقات » للشيخ المرشد الحافظ شعيب أفندي الباكني وهو كتاب ضخم وفيه بيان تام لسائر الكلمات في صحيفة ٤٢ .

فصل

في بيان صفة المريد السالك
وآدابه مع الشيخ ومع أصحابه ومع العامة

اعلم أيها المسترشد جعلك الله وإيانا في زمرة الراشدين أنه لا بد لمن دخل في صحبة المشائخ الصوفية أن يراعي آداب صحبتهم ويحفظ حرمتهم لأنهم جلساء الله وعرائس الله وأحباب الله ، وصحبتهم صحبة الله تعالى ، فمراعاة آداب صحبة الله واجب على كل أحد .

قال في « نزهة المجالس » : قال رسول الله ﷺ : « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل الله » ، فيجب مراعاة الأدب معهم ، ومن لم يراع الأدب معهم فقد ضل عن سواء السبيل .

وقال مولانا شيخ الْإسلام قُدِّسَ سِرُّهُ لما سأله الجنيد قُدِّسَ سِرُّهُ عن التصوف : إذا صافى عبداً وارتضاه بخالصته وعدّه من خاصته ألقى إليه كرمة كريمة من لسان كريم في وقت كريم على مكارم كريم بين قومٍ كرام « نفحات » ١٣٣

قال الشيخ جنيد قُدِّسَ سِرُّهُ : من جالس مع هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الإيمان وابتلاه الله بالمقت .

وقال في « عوارف المعارف » في فصل شرح رتبة المشيخة : إن الصالحين والسالكين ينقسمون أربعة أقسام : سالك ومجذوب ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك ، فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات نفسه عليه فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة .

والمجذوب المجرد عن السلوك أيضا لا يؤهل للمشيخة ويقف عند حظه من الله تعالى .

والسالك الذي هو متدارك بالجذبة يؤهل للمشيخة لأنه دخل في طريق المحبين ورسخ فيه حال من أحوال المقربين بعد ما دخل في طريق أعمال الأبرار والصالحين ويمكن اتباعه وينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ، ولكن قد يكون محبوسا في حال لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال فيقف عند حظ نفسه . قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾

ولكن المقام الأبلغ في المشيخة القسم الرابع ، وهو المجذوب المتدارك بالسلوك ، يباديه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويزيل عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ويفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينسب إلى دار الخلود ، ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، ويجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء ، بل بلذّة وهناء ، ويكسو قالبه بصفة قلبه وقلبه بصفة قالبه ، يحكي باطنه عن ظاهره وظاهره عن باطنه ، يحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه ، ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كما أجاب قلبه يريده الله تعالى إرادة خاصة ويرزقه محبّة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أنّ الجلود تلين كما أنّ القلوب تلين ولا يكون هذا إلاّ حال المحبوب المراد . « عوارف المعارف » بأدنى اختصار ، لكن كلام الحكمة مملوّ فيها .

إلاّ أنّ شيخنا وسيّدنا من صافحه الرسول ﷺ يقظة ووافق اسمه مسماه مولانا محمود الفعال الألمالي الداغستاني قدس سره وهو عالم في هذا الباب بل أعلم السابقين في هذا العلم جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريدين لكن بإذن شيخه المعتبر إذنا صحيحا في اليقظة بالتصريح بأنّ يده يد شيخه وكلامه في هذا طويل وليس له في هذا الباب عديل ونحن لم نذكر ذلك كلّه لأجل كفاية هذا القدر القليل إن كان هو من العلماء وإلا فلا يفيد التطويل .

وقال بعض العارفين : الطريقة كلها آداب وشرط طالب هذا الطريق الأدب ، والآداب ثلاثة : أدب بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى وأدب بالنسبة إلى حضرته ﷺ وأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريقة .

أما الأدب بالنسبة إلى الحق سبحانه فهو أن تكون في الظاهر والباطن مستكمل العبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ومعرضا عن السوى بالكلية ، **وأما الأدب بالنسبة إلى حضرته** ﷺ فهو أن تدخل نفسك في مقام ﴿فاتبعوني﴾ وتراعي ذلك في جميع الأحوال على سبيل الوجوب ، وتعلم أنه واسطة الحق في جميع الموجودات وكل شيء وكل أحد منطرح على أعتاب عزته .

وأما الأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريقة فواجب ولازم على الطالبين لأنهم بواسطة متابعته ﷺ وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق ، فينبغي للمريد أن يكون في الغيبة والحضور مراعيا لأحوالهم ، مقتديا بهم ومتمسكا بأذيالهم .

وقال أيضا قدس سره : رعاية الحقوق من أدب سلوك هذا الطريق فكل من وصل إلى محل ومقام وصل من هنا .

قال كبراء الدين : من اتصل اتصل بالأدب ، ومن لم يتصل لم يتصل بترك الأدب ، شعر :

لازِمْ البابَ إنْ أَرَدْتَ وُصولا   واسْمَع القَوْلَ إنْ أَرَدْتَ دُخولا
واغْتَنِمْ كُلَّ لَحْظَةٍ في رِضاهُمْ   لا تُـخـالِفْ إذا أَرَدْتَ قَبـولا

فابذل أيها الطالب الصادق قواك وحواسك في جميع ما يهوى واجعل هواك تابعا لهوى شيخك وبالغ فيما يرضيه واخضع وانكسر بين أياديهِ

واحْذَرْ بِجُهْدِكَ أَنْ تَأتِيْ وَلَوْ خَطَأً   ما لا يُحِبُّ وَباعِدْ عَنْ مَناهيهِ

واحذر واجتهد وبالغ في طاعة الشيخ ، ولا تأت بما لا يحب ولو خطأ وابعد عما ينهاك عنه واكرهه ، فإن وقع ذلك منك باطناً« ١ » استغفرت باطنا وإن

« ١ » في الأصل ظاهراً

وقع منك ظاهرا استغفرت أيضا باطنا واعتذرت ظاهرا ، فإنهم أهل السماحة يقيلون العثرات ويقبلون الأعذار ، يتخلقون بأخلاق مولاهم فإن الله يحب التوابين وهم كذلك يحبونه ، وكلما طرأ منك ذنب فاغسله بصابون التوبة والاعتذار وسَبِّعْه مُتْرِبا بالذلة والانكسار فليس الشأن أن لا يقع منك ذنب إنما الشأن أن لا تصر على الذنب ، ليس الشأن أن لا يتدنس ثوبك إنما الشأن أن لا تصر على تدنيس ثوبك ، فكلما دنس ثوبك فاغسله بصابون الظاهر ، وكلما تدنس قلبك فاغسله بصابون الذلة والانكسار ، ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع لك بالمواهب مثل الذلة والانكسار ، وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ . الشيخ أحمد بن علان ٢١ .

قال بعض الحكماء : الأدب أحد المنصبين ، وقال : الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب ، لأن من أساء أدبه ضاع نسبه ومن قل عقله ضل أصله .

وقال : حسن الأدب يستر قبح النسب ، وهو وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريفة .

قال أعرابي لابنه : يا بنيّ الأدب دَعامةٌ أَيَّدَ الله بها الألبابَ وحِلْيَةٌ زَيَّنَ الله بها عَواطِلَ الأحسابِ والعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته عن الأدب المُخرِجِ زَهْرَتَهُ كما لا تستغني الأرض وإن عَذُبَتْ تربتُها عن الماء المُخرِجِ ثمرَتَها . « كشكول » ٢٤٦ .

قال العارف عبد الوهاب الشعراني قدس سره في « المدارج » : اعلم أيها الطالب ، المريد الذي لا يعلم آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى وربما انتسب إلى غير أبيه وقد أوزع السلف على تعليم المريدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ولا يجوز له التصدر والجلوس للإرشاد إلاّ بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ثم يأذن له صريحا بأن يرشد ويلقن .

الأدب الوقوف مع المستحسنات وذلك بأن تعامل الله بالأدب سرا وعلانية ، فإذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ، شعر :

إذا نَطَقَتْ جاءتْ بِكُلِّ مَليحَةٍ وَإنْ سَكَتَتْ جاءَتْ بِكُلِّ مَليحِ

« نفحات الأنس »١٩١

ثم اعلم أن آداب صحبة المشائخ كثيرة وذكر جميعها في المختصر عسيرة ، لكن نذكر هنا بعضا منها فمن يراعيها يستغني عن باقيها ، ولقد بوب الشيخ محمد بن عبد الله الخاني قُدِّسَ سِرُّهُ في ذكرها في كتابه « البهجة » قال : قال العلامة ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في « خاتمة الفتاوى من المسائل المنثورة » : والأخذ عن مشائخ متعددين يختلف الحال فيه بين من يريد التبرك ومن يريد التربية والسلوك ، فالأول يأخذ ممن شاء ، إذ لا حجر عليه ، وأما الثاني فيتعين عليه على مصطلح القوم السالمين من المحذور واللوم حشرنا الله تعالى في زمرتهم ، أن لا يبتدئ إلا بمن جذبه إليه حاله قهرا عليه بحيث اضمحلّت نفسه بقاهر حال ذلك الشيخ الحق وتخلت له من شهواتها وإرادتها ، فحينئذ يتعين عليه الاستمساك بهديه والدخول تحت جميع أوامره ورسومه حتى يصير كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء ، فإن لم يجذبه حال شيخ كذلك فليتخذ أورع المشائخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ويدخل تحت إشارته ورسومه كذلك ، ومن ظفر بشيخ بالوصف الأول والثاني فحرام عليه عندهم أن يتركه ، انتهى .

فإذا وجد الأعلى فالأدنى منهما يصحبه بالخدمة البدنية والمالية والقلبية مع الشرائط والآداب في حضوره وغيبته ، إذ خاصية سوء الأدب زوال البركة وتبدل النور بالظلمة والحجاب والبعد المعنوي والضرر ، تغير طبع الشيخ أو لم يتغير ، كما نقل أن الإمام زفر رحمه الله تعالى كان يتوضأ فمر عليه أبو حنيفة رضي الله عنه فلم يقم له ولم يعظمه فلأجل ذلك صارت روايته في المذهب ضعيفة وإلا فقد كان من أجلة أصحاب الإمام علما وأكثرهم ملازمة .

قال في « الرسالة المدنية » : ويلزم له أي المريد رعاية الآداب في جميع المراد وفي جميع المواضع انتهى

حتى قالوا : الطريقة كلها آداب لكن كتب القوم مشحونة ببيانها على التفصيل والتعداد ، ولذلك لم نذكرها في هذه الرسالة خوفا من التطويل ، وهي من أهم المهمات في هذا الباب حتى إنهم قالوا : الوجدان والحصول والوصول موقوفة على أمور ثلاثة :

أحدها : الإخلاص في الطلب حتى لا يقصد من السلوك الولاية والوصول إلى مرتبة الإرشاد و المشيخة ونحوها« ١ »

والثاني الآداب قالوا : يصل من يصل بالأداب ورعاية حق الأستاذ ويحرم من يحرم بضدهما حتى قال ويكون أكثر حرمان السالك بسبب عدم رعاية حق الاستاذ .

والثالث المحبة للشيخ المقتدى وهو السبب الكامل لأخذ الفيض من الشيخ ، بل هو سبب لسرعة الحصول والوصول كما لايخفى على من ذاق .

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﴿قدس سره﴾ : إن بين الشيخ والمريد نهراً معنوياً يجري من الشيخ إلى المريد بقدر المحبة حتى إنه يأخذ المريد الغائب كثيرُ المحبة للشيخ أكثرَ من المريد الحاضر ناقصِ المحبة ، ولذا استحبوا تجمل الشيخ للمريد والمريد للشيخ ودخول المريدَ قلب الشيخ والشيخ قلب المريد لأن المحبة من الطرفين شرط كمال وإكمال المريد .

قال في « تحفة الأحباب » : ولها - أي للطريقة النقشبندية - أصلان أصيلان ، من أعطيهما فقد أعطي كل شيء : كمال اتباع النبي ﷺ كما مر ،

« ١ » كل له نحو العلا حركاتُ لكن قليلٌ في الرجال ثباتُ

أي : والمريد الذي صحّت إرادته بتصحيح مقصده وإقباله على مولاه وإعراضه عن كل ما سواه هو الذي أريد منه أن توافيه الجذبة وتستغرق ظاهره وباطنه المحبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ابن علان ٣١

ولما سئل شيخ فارس بن عيسى البغدادي عن المريد قال : هو الرامي بأول قصده إلى الله تعالى فلا يعرج حتى يصل .

ومحبة الشيخ الكامل ، وهذه المحبة أصل لجميع الكمالات ، فيكون المريد بكمال المحبة قابلا للكمالات الغير المتناهية على طريق الانعكاس من الحضرة الإلهية بواسطة شيخه ، كما قيل : **محبة الشيخ كافية في الوصول إليه** ﷻ .

وضياء الدين البغدادي قدس سره المشهور بمولانا خالد السليماني مجدد المائة السابعة« ١ » قسم الأداب في رسالته المسماة « بالخالدية » إلى ثمانية أنواع ، ثم قسم كل نوع منها إلى أقسام فمن أراد الوقوف إليها فليرجع إلى هذا الكتاب تجد ما تقنع .

والحاصل أن كل أدب يجري بين الأمة المرحومة وبين سيد البشر ﷺ يجري بين الشيخ والمريد ، لأن الشيخ في قومه كالنبي في أمته على ما يستفاد من « عوارف المعارف » و« روح البيان » وغيرهما من كتب القوم .

وقال في « جوامع الكلم » : من أراد القرب فليعرف قدر شيخه ، فإذا عرف قدر شيخه فقد دله على معرفة قدر محمد ﷺ ، فإذا عرف قدر محمد ﷺ فقد وقع في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ انتهى كلام « الجوامع » .

وفي ترك آداب المريد للشيخ ضرر عظيم لا يرجى جبره غالبا .

قال في « الفتوحات المكية » : واعلم أن حرمة الحق تبارك وتعالى في حرمة الشيخ وعقوقه في عقوقه ، فهم حجاب الحق جل جلاله الحافظون أحوال القلوب على المريدين ، فمن صحب شيخا يقتدى به ولم يحترمه فعقوبته فقدان الحق سبحانه وتعالى في قلبه والغفلة منه تعالى وسوء الأدب في الدخول في كلام الشيخ ويزاحمه في رتبته فإن وجود الحق إنما يكون للأدباء الذين هم أولو الألباب ، وباب الحق تبارك وتعالى دون غير الأدباء مغلوق لا يفتح ، **ولا آفة للمريد أعظم من ترك أدب الشيخ** . انتهى كلامه .

« ١ » لعله المائة السابقة

وقال في « الرسالة المدنية » : قال الإمام الرباني ﭬ : إن شقاوة المريد في رد الشيخ بترك التربية والنظر إليه عياذا بالله تعالى انتهى كلامه .

وقال في « روح البيان » : قال بعض الكبار : من قال لأستاذه لِمَ لا يفلح أبدا

وقال أبو يزيد البسطامي ﭬ في حق تلميذه لما خالفه : دعوا من سقط عن عين الله تعالى ، فروي بعد ذلك أنه صار من المخنثين وسرق فقطع يداه ، هذا لكل من نكث العهد . انتهى كلامه .

قال في « جوامع الكلم » : قيل : من رضي عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فإذا مات أظهر عليه جزاء رضاه ، ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ عليه في حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له ، فإنهم مجبولون على الكرم ، فاذا مات ذلك الشيخ يجد المكافأة . اهـ .

وقال في « الرسالة البهائية » : ما حاصله : **إن السقوط من السماء السابعة إلى الأرض السفلى خير من السقوط من قلب أرباب الباطن أعاذنا الله وإياكم** من ذلك لأن السقوط من قلوب أصحاب الباطن رأس المهالك والسقوط من نظر أرباب القلوب هو عين السقوط من نظر الحق ﷻ .

وقال فيه أيضا : إنه يلزم على المريد الخشية والخوف من السقوط من عين الشيخ وكذا الطمع والرجاء في عنايته وتَيَقُّنُ أن سعادته في قبول الشيخ وشقاوته في رد الشيخ ، بل اللازم تقديم شيخه على شيخ شيخه لأنه إذا طرد شيخه طرد شيخ شيخه هكذا إلى رسول الله ﷺ والعياذ بالله تعالى .

فثبت أن رضا المرشد رضاء الله تعالى وسخط المرشد سخط الله تعالى والعياذ بالله تعالى ، ومثله في كتب القوم كثير .

وقال في « روح البيان » : والحاصل أنه يجب ويلزم على الأمّة أن يعظموه ﷺ ويوقروه في حال حياته وبعد مماته أيضا من غير فرق ، فإنه بقدر ازدياد تعظيمه واحترامه عليه الصلاة والسلام يزداد نور الإيمان ، وللمريد مع

الشيخ في رعاية هذا الأدب أسوة حسنة ، لأن الشيخ في قومه كالنبي في الأمّة كما ذكرنا وكما ورد بذلك الخبر ، فعلم من ذلك أن ترك الأدب من المريد للشيخ كترك الأدب من الأمة لرسول الله ﷺ نعوذ بالله ، كما في « العوارف » .

وقال في « الرسالة البهائية » ما حاصله : والحاصل أنه يجب على المريد أن يعتقد أن شيخه المتصرف فيه نائب رسول الله ﷺ وخليفته .

وقال في « الحكم العطائية » : مثل الشيخ المتصرف في باطن المريد كمثل السلطان المتصرف في الظاهر ، فليكن معاملته مع شيخه كمعاملته مع رسول الله ﷺ ومع السلطان إلى آخر ما قال . انتهى .

وفيها تفصيل مهم جدا في باب الأدب ، فيكون ترك الأدب مع النائب راجعا إلى ترك الأدب مع المنوب عنه فكأنَّ فيه خطرا عظيما يُلزِم الاحتراز .

ومن بواعث العمل وجود الخشية وهي تعظيم يصحبه مهابة ، والخوف وهو انزعاج القلب من انتقام الربّ والرجاء السكون لفضله تعالى بشواهد العمل في الجميع وإلاّ كان اغترارا ونفصلها في موضعها ، والحب علامة كمالة العمل على رضا المحبوب فإن خرج عن كل وجه يرضيه فلا ، وبعض التقصير لا يقدح لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » وقد أتي به في شرب الخمر مراراً ، وكذا حديث الأعرابي الذي قال : متى الساعة ؟ فقال : « ما أعددت لها » فقال : لا شيء إلاّ أني أحبّ الله ورسوله . نعم المحب لا يرضى بمخالفة حبيبه فهو لا يمكن منه الإصرار ، وإن غُلِبَ بشهوة ونحوها بادر لمحل الرضا من التوبة والإنابة . كذا قاله أبو العباس أحمد زروق العارف قُدِّسَ سِرُّهُ .

وقال بعض العارفين : إذا حضر المريد الصادق مجلس العارف سمع كلامه من جهاته الستّ ومراد العارف أن يخرج المريد من الضيق إلى السعة في عالم الغيب وإن لم يشعر المريد بذلك .

وقال أيضا وهو العارف بالله الشيخ الكبير داود بن ماخلا ﷺ : المريدون على قسمين مريد يعرض ما يرد عليه من مربّيه على عقله قبل أن يصل إلى قلبه ومريد لا يعرض ذلك على عقله ، بل يصل إلى قلبه ببادئ الرأي وهذا أقرب إلى النفع وفي كلّ خيرٌ . وقال ذو النون ﷺ : المريد يطلب والمراد يهرب . « نفحات » ٨٨ .

وذكر العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن علان الصديقي ﷺ في شرحه على « حِكم الشيخ أبي مدين » أن السالك إذا لم يظفر بأحد من الأولياء يتمسك بكلامهم ، فإن من طالع كلامهم ولم يكن رجلا يصير رجلا ، فإن كان رجلا يصير فتى ، فعليك بتتبع كلامهم والاقتداء بآثارهم ، وقد تقدم عن كثير من العارفين أن بعض الناس يكون وصوله إلى الله تعالى بواسطة النبي ﷺ وبعضهم بواسطة إلهام من الله تعالى و بعضهم بواسطة كثرة الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه إذا فقد الأشياخ المُرَبُّون تقوم الصلاة على رسول الله ﷺ مقام الشيخ في التربية .

وأما آداب المريد فنوردها إن شاء الله تعالى ما هي الأهم منها .

قال بعض العارفين : أيها المريدون إن أردتم رضا ربكم وبسط نعمه عليكم فاجتهدوا أن يرضى عنكم العارفون واحذروا العكس فإن العكس في العكس واسألوا توفيقكم .

وقال ﷺ : المريد الصادق أول ما يشهد في شيخه الكمال يجده حضرة الحق التي بها أرواح أئمة الهدى أجمعين بالنسبة إليه« ١ » ، ومن شأن الإمام العادل أن لا يغفل عن تطهير قلوب المريدين الطائفين على مظاهر الحق ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ .

وقال ﷺ : إذا علمت من أستاذك الاطلاع على جميع أحوالك فقد عرضت عليه صحيفتك فقرأ فإما يشكرك وإما يستغفرلك ربّك ، فاسمع لهذا

« ١ » فكيف مع هذا يفارق تلك الحضرة لمواضع آثار الأنبياء عليهم السلام التي هي دون الحضرة التي شهد أستاذه فيها وكيف يشتغل عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وضعه للناس « لواقح الأنوار القدسية » للشعراني

وأطع وإن أعطاك الله بصيرة عملت بذلك فقد أوتيت كتابك بيمينك ، وإن خالفت ما فيه فقد أوتيت كتابك بشمالك ، وإن أغفلت النظر فيه فقد أوتيته من وراء ظهرك ، وحيث جاءك هذا البيان فاقرأ كتابك وحرّر حسابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

وأئمة الهدى في أمان الله تعالى وإنما يبكون ويتضرّعون لأجل أتباعهم إما ليعلموهم كيف يعملون وإما أنها شفاعة غيبية ، ولا شك أن التعليم أيضا شفاعة فمن تعلم وعمل فقد قبلت فيه الشفاعة فانتفع ، ومن لا فلا ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . انتهى .

وقال سيدي أبو المواهب الشاذلي ﷺ في قوله تعالى ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي لا يعلمون بحقيقة الاستدراج ، وذلك أن يُغَطِّيَ عليهم حقائق الحق ويلقي في أوهامهم أنهم على صواب وحق ، وأنهم غير مؤاخذين على أفعالهم ، نسأل الله تعالى اللّطف ، فمن أراد الوقاية من الاستدراج فليخف عند ورود النعم عليه أن يستعملها في غير ما وضعت له . انتهى .

وقال الشيخ أبو عبد الله الطافي قُدِّسَ سِرُّهُ : أدب المريد في التزام حرمات المشائخ وخدمة الإخوان والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه . « نفحات » ١٤٢ .

وقال رويم البغدادي ﷺ : من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسك من حكم الورع . « نفحات » ١٤٩ .

وقال ابن بنت ميلق :

كَمْ مِنْ مُريدٍ قَضى ما نالَ بُغْيَتَهُ ... حُـقَّ القَضاءُ عليـهِ في تَـقاضيهِ

أي كم من مريد قضى في سلوكه وجاهد في سيره ولم ينل بغيته ووقع القضاء عليه بالبعد .

ما كُلُّ مَنْ سَلَكَ الحِمى سَمِعَ النِّدا مِـنْ سِـرِّهِ أهـلاً بِـذلكَ الـزَّائِـــــر
خَليليَّ قُطَّاعُ الفَـيافـي إلى الحِمى كَـثـيـرٌ وَأمَّـا الـواصِـلـونَ قَـلـيـلُ

هذه إشارة من الناظم إلى تتمة أقسام أهل الطريق .

والحاصل أنهم أربعة أقسام :

فالأول المجذوب السالك

والثاني السالك المجذوب وقد تقدما ، وهذان يصلحان للتكمل والإرشاد

والثالث السالك غير المجذوب المشار هنا في قول الناظم (كم من مريد)

والرابع المجذوب غير السالك وهذان لا يتأتى منهما التكميل و الإرشاد
وكل على بينة من ربه راضيا بما قسم له من حبه قد علم كل أناس مشربهم

وَكَمْ مُريدٍ دَنا مِنْ بَعْدِ عَزْمَـتِـهِ يَهْوي بِهِ الحَظُّ في أهوى مَهاويهِ
وَما المُريدُ الذي صَحَّتْ إرادَتُهُ إلا مُـرادٌ لَـهُ جَـذْبٌ يُـوافـيـهِ

وكم من مريد ضعيف من بعد جده نزَّله حظه في أسفل سافلين لفتوره عن مجاهدته وإعراضه عن باب مولاه . « ابن علان » ٣٠ ، كل له نحو العلا حركاتُ . . . الخ

قال العارف علي بن حسين الهروي ﷶ عن شيخه عبيد الله الأحرار ﷶ : قال المشائخ ﷸ : التوفيق مع السعي وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد فإنه لا بقآء لهذا المعنى بدون السعي وليس لتوجه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل فإن من المعلوم أن المرشد إلى متى يتوجه إلى الغير .

وكان من اللطف الإلهي أن مولانا دادرك ﷶ أمرني أولا بالسعي وكان التوفيق رفيقا حتى صارت أوقاتنا كلها مصروفة في السعي في صحبة حضرة الخواجه ﷶ وأنا لا أعرف من كان يوما واحدا بتمامه في السعي من أصحاب

حضرة الخواجه إلا قليلا ، وقد تظهر في أثناء السعي والتوجه أحيانا حالة للطالب ويراها الطالب ولكن لا يعلم أنه ماذا يرى ، فينظر إلى نفسه فيرى نفسه معدوما فيقع في الحيرة ثم تحتجب عنه تلك الحالة بعد زمان ويكون طلوعها سببا لحديث النفس ، فينبغي للطالب في هذا الحال أن يرى قصور نفسه ومطالعة نقصانه وأن يكون راضيا باحتجاب تلك الحالة من حيث أنه رضا المحبوب ومقتضى عزته وأن لا يتقيد بربطها فإنّ فَخّ«١» البشر غير لائق بهذا الصيد إلى أن تطلع ثانيا وتكون قوية وباقية فيجتهد بالجد التام وكمال الاهتمام ويلزم المشقة والسعي ثلاثة أيام لا أكثر ، فيكون السعي بعد ذلك ملكة له حتى يصل الطالب باختياره إلى الفناء وفناء الفناء . انتهى .

وقال أيضا وذكره في « الرشحات » قال : إن أهل الإرادة في غاية القلة والندرة .

وقال في تأييد ذلك الكلام : كتب واحد من المشائخ إلى آخر من أكابر عصره : إن المريدين قليلون هنا جدّا فإن أَحَسْتَ علامة من المريد الصادق أرسله إليّ ، فكتب في جوابه : إن المريدين قليلون هنا أيضا فإن أردت شيوخا أرسلُكَهم مقدار ما تريد . انتهى

وقال أيضا : ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائما وأن يعلم يقينا أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداء للمرشد . اهـ .

وقال : لا رجاء غير مشاهدة قصور الأفعال دائما ، في كل لحظة ينبغي أن يدخل من باب القصور وأن يلاحظ كرمه تعالى وألطافه مع عدم استعداده وبعده وهجرانه ، وأن يلتجئ إلى محض لطفه وعنايته .

« ١ » الفخّ آلة يصاد بها .

وقال : أمرني حضرة خواجه بهاء الدين ﷺ بهذه الصفة وأمسكني عليها دائما ، فلله الحمد . راجع « مقامات خواجه بهاء الدين » في ٢١ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : سألني الشيخ بهاء الدين عمر ﷺ أنه هل الأفضل في حق المبتدئ السفر أم الإقامة ؟ قلت : لا يحصل للمبتدئ شيء من السفر غير تفرقة القلب .

ثم قال حضرة شيخنا ﷺ : إن السفر يجوز لمن حصلت له صفة التمكين ولا يناسب للمبتدئ في اعتقادنا بل اللائق بحاله واللازم له أن يكتسب صفة التمكين قاعدا في زاوية ، بل اللازم لمن يشتغل بهذه الطريقة كونه في بلده فإن خوف تشنيع أقربائه وأحبّائه والحياء عن الناس يمنعه عن العمل بخلاف الشريعة وارتكاب الأفعال الغير المرضية .

وذهب بعض المشائخ إلى خلاف ذلك وقال : ينبغي للمبتدئ أن يسافر ليتخلص عن بعض العادات والرسوم والمألوفات الطبيعية بسبب مهاجرة الأوطان ومفارقة الإخوان وليحصل له بعض التزكية والتصفية بواسطة الرياضات والمجاهدات التى هي من لوازم السفر .

وأما معتقد أكابر النقشبندية قدس سرهم في باب الإقامة والسفر لزوم السفر للمبتدئ إلى أن يوصل نفسه إلى صحبة واحد من هذه الطائفة ثم يلزمه بعد ذلك الإقامة عنده والتزام صحبته والمداومة على خدمته والاشتغال بكمال الاجتهاد في أن تحصل له ملكة نسبة هذه الأكابر وتكون تلك النسبة ملكة ، فان وُجد في بلده شخص من هذه الطائفة فلا يفارق صحبته ولا يسافر إلى طرف مّا البتة ، فإن فعل شيئا خلاف ذلك فهو مضيع لوقته . انتهى . من « الرشحات عين الحياة »

وقال في « عوارف المعارف » : ومن جملة مهمات الآداب حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من أنواع المنح ، فسر المريد لا يتعدى ربه تعالى وشيخه ، ثم يحقّر الشيخ في نفس المريد ما يجده في خلوته من

كشف أو سماع خطاب أو شيء من خوارق العادات ويعرفه أن الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله تعالى ويسد باب المزيد ، بل يعرفه أن هذا نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرّفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره ، فإذاعة الأسرار من ضيق الصدر ، وضيق الصدر الموجب لإذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال .

وسبب إذاعة السر أن للإنسان قوتين : آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوقان إلى الفعل المختص بهما ولولا أن الله تعالى وكل المعطية بإظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار ، فكامل العقل كلما طلبت القوة قيَّدها ووزنها بالعقل حتى يضعها في مواضعها ، فيجلّ حال الشيوخ عن إذاعة الأسرار لرزانة عقولهم ، وينبغي للمريد أن يحفظ سره من بثّه ففي ذلك سلامته وصحته وتأييد الله سبحانه وتعالى له بتدارك المريدين الصادقين في موردهم و مصدرهم . انتهى .

وقال سيدي أبو المواهب ﷺ : الفتح على المريد بالأمر قد يكون امتحانا وقد يكون تأنيسا وقد يكون تثبيتا ، **وينبغي للمريد أن يجتهد أن لا يخرج له نفس إلا بمحمود ولا يدخل عليه نفس إلا بمحمود** ، فإن تم له ذلك فهو المريد ، وهذا شيء لا يجيء بالتفعّل إنما هي خلعة يخلعها الله تعالى على من يشاء ، فعليك بالتذلّل لمولاك والالتجاء والخضوع بين يديه فإنه بيده كل شيء قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ . « تقريب » ٧٨

وقال العارف بالله سيدي أحمد بن إدريس الحسيني المغربي قدس سره : **يستفيد التلميذ من شيخه بقدر تصديقه له ومحبته له وبرّه به**

قال الشاعر :

أقـدِّم أسْـتاذي عَـلى بِـرِّ والــدي	وَإنْ كانَ لي مِنْ والدي البرُّ والعَطْفُ
فَهذا مُرَبـِّي الرُّوحِ والرُّوحُ جَوْهَـرٌ	وَهذا مُرَبّي الجِسْمِ وَهْوَ لَها صَدْفُ

لأن التصديق كالإناء ، فإن كان الإناء متسعا أخذ بقدره ، وإن كان ضيقا أخذ بقدره ، كذلك التصديق والمحبة يأخذ التلميذ بقدر كبرهما وصغرهما ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال : بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها فقالت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : « فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » ، وهما غائبان وإنما أخبر ﷺ عنهما لعلمه بمبلغ تصديقهما إلى النهاية ، وهذه ثمرة قوة التصديق .

فإذا عرفت فاعلم أن لا محال على الله تعالى بشيء ، وللقوم حالات مختلفة وطريقة كل واحد منهم غير طريقة الآخر وطرقهم إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلق فإياك أن تشكّ فيما صدر منهم بل اغتنم تغنم أو سلّم تسلم ، أتراهم يتورعون ويزهدون عن الدنيا التي فنيت أهلها ، فمنهم من يتنحى عن الملك ويغترب عن أهله ووطنه ومنهم من يُطْلِق دمعه ويُطَلِّق لذة وَسَنِه« ١ » ومنهم من يسيح في الأرض شرقا وغربا ويقنع من العيش بما به تقوم روحه عن التلاف توقا ، ثم يكذبون على الله ؟ ! كلا والله ! لا يقول ذلك من يؤمن بالله ، بل والله لقد تشمروا للسباق في حَلَبَة المعالي فأحرزوا قَصَباته ، فكم جليٍّ« ٢ » منهم وصل وقطع أعناق العلائق بِصَوارِم عَزَماتِهِ ، وكم ماجد رضع طفلُ فؤاده من ثدي الحقيقة ألبانَ الأسرار وكشَفَت له عن وجوه المعارف بَراقِعُ الأسْتار ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ليس سوى الله تعالى في جميع الحالات أنيسهم ، فلهم في أمثال ذلك أحوال عجائب ، فأحوال القوم لا تحصى ولا تعدّ ، اللهم اجعلنا من أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واجعلنا من حزبك فإنّ حزبك هم الغالبون ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وقال سيدي علي وفا ﷺ : علماء السوء أضرّ على الناس من إبليس لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن عَرَف المؤمن أنه عدوّ مُضِلّ مبين ، فإذا أطاع وسوسته عرف أنه قد عصى فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه ، وعلماء

« ١ » الوسن اي النعاس
« ٢ » أي عظيم

السوء يلبسون الحقّ بالباطل ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجدالهم ، فمن أطاعه ضلّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ، فاستعذ بالله منهم وكن مع العلماء الصادقين .

وقال ﷺ : أستاذك علم مكنون فلا يغتذي به إلاّ روحك ولا بقاء لحيّ إلاّ بغذائه فافهم ، أنت أيها المريد غصن ونور أستاذك شمس يحييك وقمر يربيك ، وما دام معلّمك يولد عندك المعلومات بالتعليم فهو أبوك ، فإذا تحققت روحك بنوره صار علمه يتجلى لك ويكون فيك أُبَّهَة« ١ » معلوماته وذلك هو الوحي وإنما يوحي إليك ربّك فاشكره واعرف فضله ومنّته عليك .

وكان ﷺ يقول : أستاذك أعلم بك منك لأنه هو حقيقتك وإنما أنت ظلّه ، ومعرفتك بحقيقتك على قدر معرفتك بأستاذك ، وما لم يرتفع منك حكم المغايرة لأستاذك فأنت بالحقيقة لا شك ضائع ، فارجع إلى ربّك فاسأله . انتهى . ذكره في « تقريب الأصول » لسيدي ابن زيني دحلان ﷺ .

وقال سيدى أبو المواهب ﷺ : ربما منع المريد من المزيد من أجل قوله لشيخه لِمَ فإنه ذنب عند أهل الطريق لا يشعر به كلّ أحد ، والطريق كله أدب وتأديب ، فهم يناقشون من جهة الحق مناقشة الجليس جليسه والصاحب صاحبه لأنهم جلساء الحق وصاحب الأدب لم يزل مستور العورة في الدنيا والآخرة والعكس بالعكس . انتهى .

وقال ﷺ في معنى قول القوم (فلان عنده استعداد) : أي صقل مرآة قلبه بأنواع المجاهدات التي تكون بسببها الجلاء الموجب لتجلي صور الحقائق في القلب الصّافي كما هو معلوم حسّا هذا في المحبّين ، وأما في المحبوبين فقلوبهم منوّرة مصقولة اختصاصًا إلهِيًّا .

وكان يقول أيضا ﷺ : ما ورد عليك هو ما ظهر منك لك وما جلا عليك هو منك عليك ، مثال ذلك النواة إذا زرعت فكل شيء ورد عليها من ورقها

« ١ » أي عظَمَةُ

وثمرها كان فيها مودعا بالقوة ، كذلك أنت أيها الإنسان لا يرد عليك قط خارج منك من غيرك بل الوارد عليك كان فيك غيبا ثم ظهر لك شهادة لتعرف مقدار ما أنعم الله تعالى عليك ووراء ما أشرت إليه رموز وأمور ضمنها كنوز سعد من لها يحوز وبحرها يجوز . انتهى .

واعلم أيها السعيد الموفق أن من أعظم الأسباب لتجوهر قلب المريد أن يكون طاهرا من الحرام والشبهات في المأكل والمشرب والملبس وفي باقي الحواس ، فإن الظلمات تتوارد على المريد من الحرام والشبهات في الأفعال والأقوال ويكون سببا قوياً لسدّ مجاري الفيوضات كما ذكرنا ذلك في كتابنا هذا وفي « مواقف السادات » ، وينبغي أن لا يجزم بقول من يقول : (ليس في الدنيا من الحلال شيء في زماننا ولا يوجد) ففي ذلك مزلة الأقدام ، والحلال بين والحرام بين ، ولا بدّ من وجودهما في كل عصر ، وتكليف ما ليس في الوسع جائز عقلا غير وارد شرعا إذ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ، وقد أمر كل مؤمن بطلب الحلال فوجوده ممكن في كل عصر وقطر لوجود أصوله عموما ، ولأن الأرض لا تخلو من وليّ وصالح وهو قوتهم ، ولا يكلّفنا الله تعالى بما في علمه إنما يكلفنا بما نعلم من حيث نعلم ، فمن لا يعلم بيده حراما ولا يغلب على ظنه دخوله في ماله بعلامة صحيحة فلا وجه لاعتقاد الحرام ولا الشبهة فيه بل قيل : المال كالمآء خلق الله هذا حلالا كما خلق الله هذا طهورا ، هذا لا ينجسه إلا ما غيّر وهذا لا يحرّمه إلا ما غير ، وتفصيل ذلك في كتب الحلال والحرام من« الإحياء » وغيره ، ولذلك أجمعوا على وجوده كما ذكره السهروردي قدس سره ، والله تعالى أعلم .

واعلم أن المريد الصادق عند كماله وتمكنه يظهر له آثار العناية الإلهية ويصاحبه التوفيق الرحمانيّ ويدنو له البعيد وتصير الموجودات مطاوعة له . قال العارف ابن بنت ميلق رضي الله عنه :

لَهُ الوُجوداتُ أَضْحَتْ طَوْعَ قُدْرَتِهِ وَما يَشــاءُ مِـنَ الأَطْوارِ يَأْتيــهِ

أي أضحت الموجودات مطاوعة لقدرته موافقة لاختياره وإرادته لأن من أطاع الله أطاعه كل شيء .

وورد أن النبي ﷺ كان مع عمّه أبي طالب في بعض الأسفار ، فعطش أبو طالب فشكا ذلك للنبي ﷺ ، فضرب بيده على الأرض فأخرج منها ماءً فسقاه فقال له : ما أطوع ربك لك يا محمد ؟ فقال ﷺ : « **وأنت يا عم لو أطعته أطاعك** » .

ولا يتحقق بهذا المعنى إلاّ من تحقق بكمال عبوديته وخرج من أوصاف بشريَّته وذهبت عنه الاختيارات والإرادات وصارت إرادته عين إرادته تعالى ، يستحلي الشدائد ويتلذذ بها كما يستحلي الشهوات ويتنعم بها ، يشهد محنه في منحه ويطفئ ناره بنوره ، إن وقع في نيران المصائب وتعرّضت له الأكوان قائلة له : أَلَكَ حاجة ؟ يقول لها : أمّا إليك فلا ، وأمّا إليه فبلى ، فإذا عادت وقالت له : سله يقول لها : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، فمثل هذا تعود عليه نار المحن بردا وسلاما ، فإن هذا هو المقام الإبراهيميّ الذي أمرنا باتباعه كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ فهو المخاطب والمراد هو وورثته ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ ، ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾

فمن حصل له مقام المتابعة حصل له مقام المحبة ، فأي شيء يستغرب منه وكل ما يشاهد منه إنما هو من الله وإنما ذلك العبد مَظْهَرٌ من مَظاهره تعالى **لخروج ذلك العبد عن أفعاله وأوصافه ووُجُوده ، فلا يرى فعلا إلا فعل مولاه ولا وصفا إلا وصف مولاه ولا وجودا إلا وجود مولاه .**

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷳ : لن يصل العبد إلى الله تعالى حتى تفني أفعاله في أفعاله وأوصافه في أوصافه وذاته في ذاته . قاله الشيخ ابن علان ﷳ في « شرحه ميلق ١٢ » .

وقال في « الرشحات » : قال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : إذا جعل الطالب نفسه خاليا بأمر المرشد ومدده عن كل ما يكون مانعا من محبة الشيخ الذي تمكّن في قلبه يصير حينئذ قابلا للفيض الإلهيّ ومحلا للوارد الغير المتناهي ولا قصور في الحقيقة في الفيض الإلهي وإنما القصور في طرف الطالب ، فإذا رفع الطالب موانع الفيض عن نفسه يطلع له حال البتة بواسطة روحانية المرشد ويكون ذلك الحال سبباً لحيرته ولا يمكن إدراك وجوده وحقيقته بوجه من الوجوه كما قيل : ربّ زدني تحيُّرًا فيك

وحكمة وجود الاختيار في الإنسان كثيرة ولما كانت الموانع الطبيعية أصلا في الإنسان ينبغي أن يرفع تلك الموانع بقوة الاختيار والجهد الكثير ، والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة ومعصومين عن المخالفة قصدا وفعلا لكنهم في الخشية والخوف ، والاعتبار التام في السعادة والشقاوة والتراقي والتنزل إنما هو للاختيار . « رشحة » .

قال ﷺ : وقال شيخ المشائخ شمس الدين حبيب الله جانجانان ﷺ : إن العمل بالعزيمة وتحرّي طريق التقوى في غاية التعذر في هذا الوقت لفساد المعاملات ، وكأنّ العمل بموافقة الشرع الشريف صار موقوفا فإن تيسر العمل بموافقة الرواية الفقهية وطبق ظاهر الفتوى مع اجتناب محدثات الأمور والبدع فهو غنيمة في هذا الزمان .

وقال ﷺ : ينبغي للسالك أن يعمّر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى وصون سره وهمته عن التوجه إلى غير مفهوم لفظ الجلالة حتى تكون ملكة حضوره راسخة .

وقال ﷺ : إن حاصل هذه التكلفات هو تهذيب الأخلاق على وفق مكارم صفات النبي ﷺ فإنه لعلى خلق عظيم وقد ورد في الحديث : « بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق »، وتنقص الصفات البشرية من تكرير النفي والإثبات . ذكره شيخنا محمد مراد ﷺ ونفسي فداه في « تعريبه » .

وقال أيضا في فصل مناقب الشيخ محمد مظهر ابن الشيخ أحمد سعيد قدس الله أسرارهم : ومن أنفاسه النفيسة قال : إن حصول هذه الحالات العالية والوصول إلى الكمالات السامية منوط بمحبّة الشيخ المقتدى المفرطة والعقيدة الراسخة في المرشد المهتدى التي هي من جملة مواهب الحق سبحانه وتعالى حتى يحصل للسالك **نقد** الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء المطلق ، فمن شاهد في نفسه شَمَّة منها ينبغي أن يغتنمها ويجتهد في إتمامها بالمحافظة على الآداب ، ولذلك صارت وصية المشائخ الكبار بحفظ حرمة المرشد مقدمة على الكل فإنه أصل جميع أركان الطريقة وأساسها انتهى .

وقال أيضا قدس سره : إنما يصير الطالب مريدا لله تعالى إذا كان جميع مراداته مسلوبا عنه سوى رضى الله تعالى وكان تحت قضائه تعالى كالميت بين يدي الغسّال ، أقول هذا ناظرا إلى ما قيل :

تَكونُ مُريداً ثُمَّ فيكَ إرادَةٌ ... إذا لَمْ تُرِدْ شَيئاً فَأَنْتَ مُريدُ

وقد نقل عن سيد الطائفة الجنيد قدس سره أنه قال : المريد الصادق من لا يكتب كاتب شماله شيئا مدة عشرين سنة ، وليس معنى هذا الكلام أن المريد الصادق يكون معصوما لا يصدر عنه جريمة أصلا في تلك المدة ، **بل المقصود أنه وإن صدرت عنه جريمة لكنه يتداركها قبل أن يكتب كاتب شماله ويدفعها عن نفسه بوجه من الوجوه** .

ومن كلام جعفر الصادق رضي الله عنه : من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق . قيل له : وما ذاك ؟ قال : الراحة في الدنيا . فينبغي للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجدّ السيرَ حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحي عنه وجود الأغيار وتزول عنه الأكدار بمشاهدة العزيز الغفار « شرح الحكم »للنفزي

فلْيَتَّقِ المريد ما يرد عليه من الصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضاء فعن قريب إن شاء الله يتجلى الأمر ويستوجب من الله جزيل الأجر والثواب ، والله تعالى ولي التوفيق .

وقال أيضا ابن عباد النفزي ﵀ في « شرح الحِكم » ٢٤ : للمريد بداية ونهاية ، فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله ، فمن صحّح بدايته بالرجوع إلى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرنا أفلح وأنجح في نهايته وكان وصوله إلى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع والانقطاع .

قال بعض المشائخ : ما رجع من رجع إلاّ من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحّح ذلك بما ذكرناه من تعلّقه بالحق وفراره إليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء .

وقال بعض العلماء : من ظن أنه يصل إلى الله تعالى بغير الله تعالى قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل على نفسه ، فعلى العبد السالك أن يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه وقوته في كثير من عمله ولا قليله ، فهذا هو أساس السلوك الذي يُبنى عليه قواعده . اهـ .

و قال سيدي علي وفا ﵁ : من ليس له أستاذ ليس له مولى ، ومن ليس له مولى فالشيطان أولى به ، والمريد من تحقق بمراده في عين أستاذه ومن وافق أستاذه في أفعاله طابقه فيما أخبر به من معارفه ، ومن خالفه في أفعاله فقدَ المطابقة بتوهم معاني أقواله ، ومن كان مع أستاذه بلا إياه كان أستاذه معه بالله ، والمبعود من توهم أستاذه مخبرا عن غيره ومتكلما بسواه ، والمريد الصادق عرش لاستواء رحمانية أستاذه .

وقال ﵁ : كتب الله على نفسه أنه لا يدخل قلبا فيه سواه ولا يظهر لعين رأت غيره فى مرآة .

وقال ﵁ : لفلاح المريد مع أستاذه ثلاث علامات : أن يحبه بالإيثار ويتلقى منه كل ما سمعه بالقبول ويكون معه في شؤونه كلها بالموافقة ، ومن تقرب من أستاذه بالخدم تقرب الله إلى قلبه بواسطة الكرم ، ومن آثر أستاذه على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ، ومن نزّه أستاذه عن النقائص منحه

الله بالخصائص ، ومن احتجب عن أستاذه طرفة عين أوبقه الله في موابق البين ، وما بين المريد وبين مشاهدة أستاذه إلا أن يجعل مراده بدلا عن مراده ، ومن لم ينهه أستاذه عن نقائصه لم يفرح بحضرة خصائصه ، ومن لم يَسْتَحْلِ مُخاصَمة« ١ » الأستاذ لم يجد أبداً عروس الوداد ، وتبّا لمريد جمح طبعه عن الدليل لقد ضلّ سواء السبيل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

وقال سيدي ابن زيني دحلان ﷺ نقلا عن سيدي علي وفا ﷺ أيضا في « تقريبه » : روح المتعلّم من روح المعلم وعقل المستفيد من عقل المفيد فرع من أصل ، وأيُّما مريد أراد الكمال بغير أستاذه فقد أخطأ طريق المقصود لأن الثمرة لا تكمل إلاّ بوجود النواة التي هي أصلها ، فكذلك كلّ مريد لا يكمل إلا بوجود أستاذه متعينا عنده بحقيقة نفسه وروحه وقلبه وفؤاده .

وقال ﷺ : من تجمّل بصحبة المعرضين عن ربه فقد نادى على نفسه بأنه مّمن أهانه الله ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ . وأقبِلْ بكليتك علينا تغنم ، وكل ما أغفل قلبك عن ربك فهو عدو لربك ، فمن أعرض عنه وتبرأ إلى الله تعالى منه وتوجه بقلبه وجسده لربه فهو الأوّاه الحليم ، فانظر حالك فإن صديق العدو عدو ، فلا تصحب غير من يحبه ربك ، وهو من يذكّرك بربك .

وقال ﷺ : ما دام المريد تحت حكم أستاذه فترقيته دائمة ، فإن خرج عن حكمه اتكالا على ما حصل له منه قولا وفعلا فهو كالحجر المرفوع إلى السماء ما دامت تلك القوة الرافعة مصاحبة له فهو متعال ، ومتى فتر انحط إلى الأرض ، فكن تحت أستاذك تغنم .

وحكي أن أبا تراب النخشبي ﷺ كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته ، فقال له أبو تراب يوما : لو رأيت أبا يزيد ، فقال : إني مشغول عنه ، فلما أكثر عليه أبو تراب من

« ١ » المخاصمة من الخُصم وهو العدل

قوله « لو رأيت أبا يزيد » هاج وجد المريد فقال : ويحك ما أصنع بأبي يزيد فقد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد ، فقال أبو تراب : فهاج طبعي ولم أملك بنفسي فقلت : ويلك تغتر بالله ، لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله تعالى سبعين مرة ، قال : فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال : وكيف ذلك ؟ قال له : ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره ؟ فعرف ما قلت فقال : احملني إليه ، فذكر قصة قال في آخرها : فوقفنا على تل ننتظر ليخرج إلينا من الغيضة وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع ، قال : فمر بنا وقد قلب فروته على ظهره فقلت للفتى : هذا أبو يزيد فانظر إليه ، فنظر الفتى فصعق فحركناه فإذا هو ميت ، فتعاونا على دفنه ، فقلت لأبي يزيد : يا سيدي نظره إليك قتله ، قال : لا ولكن كان صاحبكم صادقا واسْتَكَنَّ في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه ، فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق من حمله لأنه في مقام الضعفاء المريدين ، فقتله ذلك . انتهى .

واعلم أيها الفقير الصادق أن المريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدّب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد . اهـ .

ويعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله تعالى إلى جناب كرمه منه يدخل وإليه يرجع ، وللشيخ باب من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه ، فهو أمانة الله تعالى عنده ويستغيث إلى الله تعالى لحوائج المريد كما يستغيث لحوائج نفسه ومهمات دينه ودنياه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾[1] فإرسال الرسول يختص بالأنبياء . . إلخ ، والكلام من وراء الحجاب بالإلهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ .

« ١ » الآية بكمالها : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾

واعلم أن للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام ، وقد سبق شرح الولادة المعنوية فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة ، والشيخ يعلم ذلك ، فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه ، قال تعالى تأديبا للأمة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ ، فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أوان الفطام وأنه يقدر أن يستقل بنفسه ، والاستقلال بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى ، فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والإلهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفات وتنبيهات منه سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه ، ومتى فارق قبل أوان الفطام يناله من الأعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية وهذه التلازم بصحبة المشائخ للمريد الحقيقي . « عوارف » من الباب ١٢ .

وقال في « الرشحات » ٧٠ : واللازم على الطالب أن يكون بلا اختيار في جميع أموره الدينية والدنيوية و الكلية والجزئية بالنسبة إلى المرشد . اهـ

وقال شيخ شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ في « جامعه » ١٩٦ : ومن صفة المريد أن لا يفتر آناء الليل وأطراف النهار فيكون ظاهره مجاهدا وباطنه مكابدا ، ومن صفته التحبب إلى الله تعالى بالنوافل والإخلاص في نصحه الأمّةَ والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والإيثار لأمر الله تعالى والحياء من نظره وبذل المجهود فيما يحبه الله ويرضاه وطلب كل سبب يوصل إليه والقناعة بالخمول وعدم القرار إلى أن يصل إليه تعالى .

وقيل : أول مقامات المريد إرادة الحق تعالى بإسقاط إرادته فإن لطفه يقوم بتربيته وتجذبه من عنان تصرفه ليتصرف الحق فيه ، فيكون به يبصر وبه يسمع وبه يمشي وبه ينطق وبه يبطش كما جاء في الحديث القدسي .

وقيل : من علامة المريد أن يكون أكله فاقة وكلامه ضرورة ونومه غلبة .

وقيل : المريد إذا سمع شيئا من صفات القوم وأحوالهم فعمل به صار ذلك حكمة في قلبه إلى آخر عمره ينتفع به هو ومن يسمع منه ، وإذا لم يعمل به كان حكاية يحفظها أياما ثم ينساها .

وقال الجنيد ﷺ : الحكايات وأحوال العارفين جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين دليله قوله تعالى للنبى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾

وقال أيضا : المريد الصادق غني عن علم العلماء .

وقيل : آفات المريد التزوج وكتابة الحديث والسفر .

وقيل : أشد شيء على المريد معاشرة الأضداد .

وقيل : متى رأيت المريد يشتغل بالرخص أو بالكسب فاعلم أنه لا يجيئ منه شيء ، وأما عند النقشبندية بعد الحضور لا يضر .

وقال صدر الدين القنوي ﷺ في « رسالة التوجه الأعلى » : اعلم أن لنا مستندا في وجودنا وهو خالقنا وخالق كل شيء ولا شك أنه أرحم منا وأشرف وأكمل سيما من حيث افتقارنا إليه في استفادة وجودنا منه أولاً ، وفي إمداده إيانا بما به بقاؤنا ونحتاج إليه في تخليص نفوسنا من الشقاء وموجباته وأسبابه وتحصيلنا أسباب الفوز بالسعادة ومقام القرب منه ومعرفة كيفية قرع باب الحضرة التي بالدخول فيها تحصل السعادة القصوى ، فإنه الغني عنا وعن مثلنا وافتقرنا إليه ذاتاً وصفاتٍ ، فإن النقص والفقر صفاتنا كما أن الفضل والغنى والكمال الذاتي له ومن صفاته ، وقد أخبرنا على ألسنة سفرائه أنه خلقنا لعبادته وأراد منا التحقق بعبوديته ومعرفته وأمرنا بتوحيده ورغّبنا في الخلوة وطلب السعادة بالإقبال عليه والتوجه الأخلص الخفي والجلي إليه ، وحذرنا من النسيان والغفلة والاغترار بتساويل النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان ، وندبنا للتعرض لنفحات جوده ، ووعدنا بالإجابة إذا دعوناه وبذل لنا المنحة الخالصة المخزونة في غيب خزائن جوده ، فوجب على كل عاقل

طالب خلاص نفسه راغب في تحصيل مقام القرب في المراتب العلية من حضرات قدسه أن يهتم ويعزم على التوجه إليه تعالى بقلبه الذي هو أشرف ما فيه لأنه المتبوع لما اشتمل عليه نسخة وجوده من صور العالم ومعانيه ولأنه كما أخبرنا محل نظر الحق ومِنَصَّة تجليه ومهبط أمره ومنزل تدليه . انتهى « جامع الاصول » .

قال الشيخ العارف ابن بنت ميلق ﵁ في ٩ :

لَهُ الشَّهادَةُ غَيبٌ وَالغُيوبُ لَهُ   شَهادَةٌ وَالفَناءُ المَحْضُ يُبْقيهِ

أي للسالك المذكور الشاربِ من شراب القوم أصفاهُ ، المستغرقِ في محبته لمولاه الشهادة غيب والغيوب شهادة ، وتفصيل ذلك وإيضاحه أن السالك طريقه الإعراض عن السوى والإقبال على المولى الذي هو معنى لا إله إلا الله ، فإذا قطع علائقه الظاهرة والباطنة وأقبل بكليته على الذكر الذي أخذ من شيخه بآدابه فيفنى عن الشهادة وهو عالم الملك ويغيب عنها لدخوله في غيب عالم الملكوت ، فتصير الشهادة أي عالمها غائباً عنه ، وعالم الغيوب الذي هو عالم الملكوت شهادة له ، أي معاينا له يراه بعين بصيرته ، فعالم الملك ما يرى بعين البصر وعالم الملكوت ما يرى بعين البصيرة ، وهذا هو الفناء الأول ، ولا يزال في ذكره ووِرده لا يفتر عنه فإنه كما أن الوقوف مع عالم الملك حجاب كذلك الوقوف مع عالم الملكوت حجاب ، إلا أن الأول حجاب ظلماني وهذا حجاب نوراني ، فلا يزال السالك في سيره حتى يقطع هذا العالم أيضا .

وأكثر ما يحتاج إلى المشائخ في قطع هذا الحجاب ، فإنه عند ظهوره ربما ظن السالك أنه وصل إلى المقصود فيسكن إليه فيحجب به وينقطع عنده ، فإذا جاوز عالم الملكوت الذي هو عالم القلب باستقامته دخل في عالم الجبروت الذي هو عالم الروح ، وهذا العالم غيب بالنسبة إلى عالم الملكوت فيصير الملكوت له غيبا وعالم الجبروت شاهدا ، كما تقدم في عالم الملك

والملكوت ، وهذا هو مبدأ الفناء الثاني ، ولايزال مستمرا في سلوكه ملازما على إقباله حتى يدخل في حضرة اللاهوت وهو عالم السر ، وهذا هو كمال الفناء الثاني ويسمى فناء الفناء ، فيفنى حينئذ عن الخلق ويفنى عن فنائه ، وهذا منتهى سير السالك وهو الفناء المحض الذي أشار إليه الشيخ ابن بنت ميلق ﷺ ، ومن هنا يرجع إلى عالم البقاء والفرق ويصلح بعد ذلك للإرشاد ، فمن لم يستكمل مقام الفناء لم يحصل له مقام البقاء وكذا ، وكل ذلك من نتائج الذكر المأخوذ من المشائخ مع رعاية الآدب المعروفة عندهم .

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

ذِكْـرَ الإلـهِ الْـزَمْ هُديـتَ لِذِكْرِهِ   فَبِــهِ القُلـوبُ تَطيْـبُ والأفْـواهُ
وَاجْعَـلْ حُـلاكَ تُقاهُ إنَّ أخـا الحِجا   يا صَـاحِ مَـنْ كانَتْ حُـلاهُ تُقاهُ
وَاسْـتَعْمِلْ التَّفْكيـرَ فــي مَلَكوتِهِ   مُسْتَغْرقـاً في الكَشْـفِ عَـنْ مَعْناهُ
وَلْتَخْلَـعِ النَّعْليْـنِ خَلْـعَ مُحَقِّـقٍ   خَـلاّ عَـن الكَوْنَيْـنِ فـي مَسْـراهُ
وَلْتَفْـنَ حَتـَّى عَـنْ فَنائِــكَ إنَّهُ   عَيْـــنُ البقــاءِ فَعِنْـدَ ذَاكَ تــَراهُ

انتهى

وقال سيدي علي وفا ﷺ : المريد عين من عيون أستاذه بالنسبة إلى أستاذه ، والأستاذ حقيقة وجود المريد بالنسبة إلى المريد والوجود في الكل واحد محيط ، ولذلك يتحقق المريد بأستاذه في معاني الكمال وجودا ، ويتحقق الأستاذ بمريده في مدارك المتعرفين شهودا ، ومن ثم قال السيد الكامل لمريده الكامل : أنت مني وأنا منك . « تقريب » ٧١ .

وقال جعفر الصادق ﷺ : من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق ، فقيل له : وما ذاك ؟ فقال : الراحة في الدنيا !

فينبغي للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجدَّ في السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحي عنه وجود الأغيار وتزول عنه الأكدار بمشاهدة العزيز الغفار .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل نبي عدوا من المجرمين ليكون ذلك رفعا لدرجاتهم ، وكذلك الكاملون من المؤمنين لزيادة الصفاء لقلوبهم بإقبالهم على الله تعالى عند حصول المزعجات من أعدائهم فيزدادون قربا إلى الله تعالى ، فالدنيا وما فيها بمنزلة اللعب الذي يتعاطاه الصبيان بمعنى أن جميع ذلك ليس فيه ما يعتمد ، فصاحبها راكن إلى ما لا محصول له ، وهي دار همّ وغمّ وبلاء وفتنة ، فليتق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضاء والاستسلام عند جريان القضاء . « منه » ١٧٣ .

وقال في « روح البيان » في سورة الانفطار : وأحسن الحسنات (لا إله إلا الله) ثم بر الوالدين وبر التلامذة للأساتيذ وبر أهل الإرادة للشيوخ ، كما قال في « فتح الرحمن » .

وقال أيضا في أول سورة الصف في قوله تعالى ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ : وفي « عرائس البقلي » : حذر الله المريدين أن يظهروا بدعوى المقامات التي لم يبلغوا إليها لئلا يقعوا في مقت الله تعالى وينقطعوا عن طريق الحق بدعوى الباطل ، وأيضا حذر الأكابر عن ترك بعض الحقوق وعدم الوفاء بالعهود فإن من لم يأت بالحقوق لم يصل إلى الحق الحقيق وحق الحقيقة . ثم قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني .

وقال أيضا في أول سورة الحجرات : ومن شرط المؤمن أن لا يرى رأيه وعقله واختياره فوق رأي النبي ﷺ والشيخ ، ويكون مستسلما لما يرى شيخه ورسوله ﷺ مصلحة له فيه ، ويحفظ الأدب في خدمته وصحبته ، ومن أدب المريد أن لا يتكلم بين يدي شيخه فإنه سبب سقوطه من أعين الأكابر .

قال سهل رحمه الله : لا تقولوا قبل أن يقول ، وإذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين إليه ، واتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته ، إن الله سميع بما تقولون عليم بما تعملون . انتهى . « روح البيان »

وقال الشيخ علي الخواص ﷺ : يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمراضه الباطنة وإن كانت قبيحة ليدله على طريق شفائه منها ، وإن لم يفعل وترك ذلك حياء طبع فربما مات بدائه لأن حياء الطبع مذمومة لكون الإفصاح عن المرض فيه زوال رياستها وذمها . « تقريب » ٩٤ .

وذكر في « العقد النفيس » في ٦٤ : قيل : إن رجلا من المغرب نزل على بعض السودان ضيفا فخرج به في بعض الأيام إلى البرية ، وإذا ملك السودان يتمشى بعساكره وخيله فلما بلغ من مرآهم ما يتميز بدن الأسود من الأبيض ترجل ثم بقي يمشي راجلا حتى جاوزهم بمسافة ثم ركب ، فقال الأسود للمغربي : أتعرف لمن ترجل الملك ؟ قال : لا أدري ، قال : لما رآك أبيض نزل تأدبا مع النبي ﷺ لكونه أبيض !

فانظر إلى هذا التأدب يترجل من فوق فرسه لأجل اللون الذي وافق لون النبي ﷺ . « منه »كذا في « ابن بطوطة » .

وقال سيدي أحمد بن زيني دحلان قُدِّسَ سِرُّهُ في « تقريبه » : مرشدك الذي يهديك الله به لما هو الأولى بك عند ربك هو حضرة ربك به تقول وبه تفعل ، ومهما دعتك نفسك إليه فلا تعجل به قبل معرفة رضائه به ، ومهما دعاك إليه فبادر إليه ولا تتوانى فيه حتى ترضى به نفسك فإن فوزك في امتثال أمره لا في شهوتك ، ونواطق الأستاذين مطالع شموس حقائقهم . انتهى .

وقال : فَضْل مرشدك إلى الله على كل ما ترجوه من إمداده كفضل الله على عباده ، فإن مرشدك إلى الحق هو عين الحق التي ينظر بها إليك ووجهه الذي يقبل به عليك ، فاعرف والزم وانظر ماذا ترى . اهـ .

وقال رضي الله عنه : لا يظفر بأستاذ إلا مخصوص عند الله لأنه يوصلك إلى الله ، فسلم له إن وجدته تسلم وتغنم ، فأستاذك بالنسبة إليك هو فضل الله عليك ورحمته بك ، فتحققك به خير من جميع ما استفدته قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . انتهى

وقال أيضا : أقل حال المريد مع أستاذه في حياته أن يكون لأستاذه كالأم لولدها ، يؤثره بالراحات ويحمل عنه المشقات ويحبه على جميع أحواله ، وهكذا يكون الأستاذ لمريده في معنوياته ، فافهم فإن إمام هدايتك يهتم بأمرك عند ربك أكثر من اهتمامه بنفسه ، فهل يرحمك هكذا أب أو مألوف سواه ، وتأمل قول موسى عليه السلام عن عصاه ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ لم يقل أحتط بها حاجتي من الثمر وإنما ذكر أمر رعيته ذكْرَ شكر في حضرة المنعم ، وما قال أتوكأ عليها إلا إظهارا للضعف والعجز ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ ، إنما أجمل ما له فيها من المآرب كي لا تحصرها مرتبة عددية فيكون إمدادها محصورا ، فهكذا إذا لم يَعُدّ أستاذك خِدَمَكَ فاعلم أنه أراد أن يجبرك من كسر نقص الحصر إلى كمال الإطلاق ، إنَّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، فتأمل ذلك والله يعصمك .

وقال في « رشحات عين الحياة » : العارف بالله علي بن حسين الهروي قدس سره عن شيخه عبيد الله أحرار قدس سره : إن التعلق بالمرشد وإن كان تعلقا بالغير واجب النفي في الأخير لكنه في الأول سبب الوصول ، ونفي التعلق عما سوى المرشد من اللوازم ، وينبغي للطالب أن يطلب وجوده ورضاه وينفي ما سواه تعالى في محله يعني في الانتهاء فإن النفي في غير محله ليس بمفيد .

ومن كلام الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي قدس سره : الطالب إنما يصير مريدا لله تعالى إذا سلب جميع المقاصد والمرادات من الصدر سوى رضاه سبحانه وتعالى ، ويكون كالميت بين يدي الغسال كما ذكرنا هذا القول غير مرة ، ويتضرع إلى الله تعالى سائلا رضاه وعدم إبعاده لحظة ، ويكون **اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك** أكثرَ أوراده .

ويقول قدس سره : إن الله تعالى قادر على أن يجعل هذا العبد فائزا بأقصى ما يتمناه قلبه وأنا دائما أدعو بهذا الدعاء : **كن لي ربي كما كنتَ لمحمد** صلى الله عليه وسلم **واجعلني لك كما جعلت محمدا** صلى الله عليه وسلم ولساني رطب من هذه القطعة :

هَوائـي حَياتـي فِي هَـواكَ مُؤَيدا ... وَكَوْني تُراباً تَحْتَ أقْدامِكَ العُلى
وَقَصْدي مِنَ الكَوْنَيْنِ أنْتَ وَمُنْيَتـي ... حياتي ومَوْتي فِيكَ يَا مَنْ تَفَضَّلا

إلهي ومولاي ليس لي عمل قابل لقبولك ، وكاتب اليمين معطل وفارغ وكاتب الشمال في العمل مبالغ ، وأنا من الرأس إلى القدم غريق في بحر العصيان ومحبوس في سجن الطغيان . « المقامات السعدية » ١٣٤ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار قدس سره : إن المكر الإلهي على نوعين : نوع بالنسبة إلى العوام ونوع بالنسة إلى الخواص ، فأما الذي هو بالنسبة إلى العوام فهو إرداف النعمة مع التقصير في الخدمة ، وأما الذي هو بالنسبة إلى الخواص فهو إبقاء الحال مع ترك الأدب في الأفعال .

وقال قدس سره : من وقعت في قلبه دغدغة« ١ » هذه الطريقة وشوش خاطره في ذلك الأثناء دغدغة التأهل ينبغي له أن يستكثر من الاستغفار ، فإن لم تندفع بذلك فليختر مكانا بعيدا عن طائفة النسوان ، فإن لم ترتفع بذلك فليداوم على الصيام وتقليل الطعام وليعالج نفسه لتسكين قوته الشهوية ، فإن لم تندفع بذلك فليطف فيما بين الأحياء وليستعن من بواطن أرباب القلوب وليخدمهم فلعلهم يدفعون ثقلها ويرفعونها منه ولا يضيعونها تحت أثقالها .

وقال أيضا : إن التزوج مناسب للأنبياء والأولياء فإنهم لا يحتجبون عن الحق سبحانه وتعالى مع وجود ذلك ، وأيضا هو مناسب للعوام كالأنعام فإنهم يكملون به المرتبة الحيوانية ، وأما المتوسطون بين مرتبة الأولياء والعوام وفيهم تمني الطريقة فلا يناسب لهم التزوج أصلا ، فإن خروج نفس واحد مع الحضور بالله أفضل من ألف نفس من الأولاد ، فإن فيه ألوفا من الفائدة والنفع وفي الأولاد ألوف من الفتنة والضرر .

وقال قدس سره : إن أعطِيتُ خمسمائة سنة من العمر فرضا وأَصرِف جميع ذلك في الاستغفار لا أَقدِر بذلك على تدارك ذنب صدر مني ، وذلك الذنب هو التزوج . انتهى .

« ١ » أي الطعن في الطريقة

وقال الشيخ العارف بالله علي الكاشفي الهروي ﷺ في تأليفه « الرشحات » : فإن خطر على قلب شخص أن التزوج سنة محمودة وردت في مدحه آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة فكيف يصح نفيه ذلك ؟ فالجواب : إن النفي هنا ليس على الإطلاق ، بل هو بالنسبة إلى بعض الأشخاص اللائق بحالهم التجرد الظاهري والباطني ، ولا يخفى أن ما هو مناسب لحال الطالبين وشأن المريدين بالنسبة إلى كل زمان يجري على لسان الأولياء أهل الإرشاد لكونهم من ورثة العلوم الخاصة المحمدية على مصدرها الصلاة والسلام ، ولما كان المناسب لمبتدئ الطريق في هذا الزمان طريقة التجرد وشيمة التفرد فلا جرم أشار حضرة شيخنا الذي هو الحكيم الإلهي وجامع الحكم الغير المتناهي إلى التجرد وأمر بالاجتناب عن التأهل فتأمَّلْ ولا تَتَأَهَّلْ . انتهى ٢٠١ .

وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﷺ في « مكتوباته » : اعلم أنه ينبغي للطالب أن يعرض بقلبه عن جميع الجهات وأن يتوجه به إلى شيخه وأن لا يشتغل بالنوافل والأذكار مع وجود الشيخ بلا إذنه ، ولا يلتفت في حضوره إلى غيره بل يجلس لديه متوجها بكليته إليه حتى لا يشتغل عنده بالذكر أيضا إلا أن يأمره به ، ولا يصلي في حضوره غير الفرائض والسنن .

ونقل عن سلطان هذا الوقت أن وزيره كان قائما عنده فالتفت الوزير في ذلك الوقت اتفاقا إلى ثوبه وأصلح إزراره فوقع نظر السلطان عليه في هذا الحال فرآه متوجها إلى غيره فقال له بلسان العتاب : أنا لا أقدر أن أهضم هذا الفعل ! تكون وزيري وتلتفت في حضوري إلى غيري وتشتغل بإصلاح أزرار ثوبك !

فينبغي التأمل إذا كانت رعاية الآداب الدقيقة لازمة في وسائل الدنيا الدنيئة ، تكون رعاية الآداب لازمة على الوجه الأتم في وسائل الوصول إلى الله ، ومهما أمكن لا يقوم في محل يقع ظله على ثوب شيخه أو على ظله ولا يضع رجله في مصلاه ولا يتوضأ في متوضاه ولا يستعمل ظروفه الخاصة به ولا يشرب ماء ولا يأكل طعاما ولا يكلّم أحدا في حضوره ، بل لا يكون متوجها

إلى أحد ، ولا يمد رجله عند غيبة شيخه إلى جانب هو فيه ولا يرمي بزاقه إلى ذلك الجانب ، وكل شئ يصدر عن شيخه يعتقده صوابا وإن لم ير صوابا في الظاهر فإنه يفعل ما يفعله بطريق الإلهام والإذن ، فلا يكون للاعتراض مجال على هذا التقدير وإن تطرق الخطأ إلى إلهامه في بعض الصور ، فإن الخطأ الإلهامي كالخطأ الإجتهادي لا يجوز فيه الملامة والاعتراض .

وأيضا أن المريد لا بد من أن يحصل له محبة الشيخ وكل ما يصدر عن المحبوب يكون محبوبا في نظر المحب فلا يكون للاعتراض مجال .

وليقتد بشيخه في الكلي والجزئي سواء كان في الأكل والشرب أو اللبس أو النوم أو الطاعة ، وينبغي أن يصلي الصلاة على طرز صلاته وأن يأخذ الفقه من عمله . شعر :

مَنْ كانَ فيْ قَصْرِهِ الحَسْناءُ قَدْ فَرَغا ... مِـنَ التَّـنَـزُّهِ فـي البُسْتانِ والمُـرُجِ

ولا يترك في نفسه مجالا للاعتراض على حركاته وسكناته أصلا وإن كان الاعتراض مقدار حبة خردلة فإنه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان ، وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة نجانا الله سبحانه وتعالى من هذا البلاء العظيم .

ولا يطلب من شيخه الكرامات وخوارق العادات وإن كان هذا الطلب بطريق الخواطر والوساوس ، فهل سمعت قط أن مؤمنا طلب من نبيه معجزة ؟ ! وإنما طلبها الكفار وأهل الإنكار . شعر :

المُعْجِزاتُ مُفيدَةٌ قَهْرَ العِدا ... وَنتيجَةُ التَّقْليدِ ذاكَ الاقْتِداء

فالمعجزات مفيدةٌ الإيمان بل قد يجذب التقليد نحو الاهتداء ، فإن عرضت لخاطره شبهة يعرضها على شيخه من غير توقف فإن لم ينحل فلير التقصير من نفسه ولا يجوز عود منقصة أصلا إلى جانب شيخه ، فإن وقعت عليه واقعة لا يكتمها عن شيخه ولا يطلب تعبير الوقائع منه ، ويعرض عليه أيضا ما انكشف له من التعبير ويطلب منه تمييز صوابه عن خطأه ولا يعتمد

على كشوفه أصلا فإن الحق ممتزج بالباطل في هذه الدار والصواب مختلط بالخطأ ، ولا يفارقه بلا ضرورة ولا إذن منه فإن اختيار الغير وتفضيله عليه مناف للإرادة ، ولا يرفع صوته فوق صوته ولا يتكلم معه برفع صوته فإنه سوء أدب ، وكل فيض وفتوح يرد عليه فليعتقد أنه بواسطة شيخه فإن رأى في الواقعة أن الفيض يرد عليه من مشائخ أخر فليره أيضا من شيخه وليعلم أن الشيخ لما كان جامعا للكمالات والفيوضات وصل إليه منه فيض خاص مناسب لاستعداده الخاص الملائم لكمال شيخ من الشيوخ ، أعني الذي ظهرت منه صورة الإفاضة وأن لطيفة من لطائف شيخه لها مناسبة بذلك الفيض ظهرت في صورة ذلك الشيخ فتخيل المريد تلك اللطيفة بواسطة الابتلاء شيخا وظن أن الفيض منه وهذه مغلطة عظيمة ، حفظنا الله تعالى من زلة الأقدام ورزقنا الاستقامة على اعتقاد الشيخ ومحبته بحرمة سيد البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

وبالجملة الطريق كلها آداب مثل مشهور ، لا يصل العاري عن الآداب إلى الله تعالى ، فإن رأى المريد نفسه مقصرا في رعاية بعض الآداب ولم يبلغ حد أدائها كما ينبغي ولم يقدر أن يخرج عن عهدتها بالسعي فهو معفو عنه ، ولكن لا بد من الاعتراف بالتقصير ، فإن لم يراع الآداب عياذا بالله سبحانه وتعالى ولم ير نفسه مقصّرا فهو محروم من بركات هؤلاء الأكابر . شعر :

مَنْ لَمْ يَكُنْ نَحْوَ السَّعادَةِ مُقْبِلا فَشُهـودُهُ وَجْهَ النَّبيْ لا يَنْفَعُـهْ

انتهى جـ ١ ، صـ ٣٤٨ .

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﷺ : إن آداب المريد كثيرة وكلام السادات غزيرة ونذكرها بالأهم فالأهم لما أن **ما لا يدرك كله لا يترك كله .**

فالآداب المطلقة أولا للمريد مع الشيخ والإخوان خمسة :

١ . اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه

٢ . واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه

٣ . وحفظ حرمته حاضرا وغائبا حيا وميتا

٤ . والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير

٥ . وعزل عقله وعلمه ورياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه ويستغني عن ذلك بالإنصاف والنصيحة وهي معاملة الإخوان ، وإن لم يكن شيخ مرشد أو وجد ناقصا عن شروطه الخمسة اعتمد فيما كمل فيه وعومل بالأخوة في الباقي .

وأما مهمات المريد فأمور :

الأول التزام التقوى بترك المحرمات وحفظ الواجبات من غير إخلال ولا إفراط ويحرص على تحقيق ما يحتاج إليه .

الثاني العمل بالأسباب التي تكمل بها النفس والتقوى كترك الشبه التي لا تدعو إليها ضرورة .

الثالث التيقظ لموارد الأشياء ومصادرها بحيث يكون قلبه عند جوارحه ، وكل جارحة تحركت منه يقابلها بحكم حركتها وقصدها ، وقال الشاذلي ﷺ : ما سلم عبد من النفاق ما لم يعمل على الوفاق .

الرابع صحبة أهل المعرفة والعلم الذي يبصرونك بعيوب نفسك ويدلونك على ربك ، وذلك بأن يحصل باللجأ إليه في المبادى والشكر له في المناهي والرضا عنه في الواردات والصبر له في المكاره والتسليم في الأقدار وإيثار حقه على كل شيء في كل شيء .

وقال الشاذلي ﷺ : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم .

الخامس مجانبة أهل الغِرَّة« ١ » والاغترار .

قال سهل ﷺ احذر صحبة ثلاثة أصناف : الفقراء المداهنين والمتصوّفة الجاهلين والجبابرة الغافلين .

السادس التزام الآداب .

قال الشاذلي ﭬ : أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد عنها فاجعله مع التراب سواء : الرحمة للصغائر والحرمة للأكابر والإنصاف من النفس وترك الانتصاف لها ، وأربعة آداب إذا خلا المنتسب عنها فلا تَعتمد نسبه : مجانبة الظلمة وإيثار أهل الآخرة ومواساة ذوي الفاقة وملازمة الخمس مع الجماعة .

وقال أبو حفص ﭬ : التصوف كلّه آداب ، لكل وقت آداب ولكل حال آداب ، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرّجال ، ومن ترك الأدب فهو مطرود من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن الوصول .

السابع إعطاء الأوقات حقها ، فقد جآء في صحف إبراهيم ﭐ : وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه قلت : وهي من السحر إلي طلوع الشّمس وساعة يحاسب فيها نفسه وهي من العصر إلي الغروب ، وساعة يمضي فيه إلي إخوانه الّذين يبصرونه بعيوبه ويدلّونه على ربّه ويعينها متى تيسّر له من ليله و نهاره ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وشهواته المباحة وهي كالتي قبلها والأوقات كلّها ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

الثامن أن لا ترى في العالم إلا أنت وربك فتراقبه فيه حق المراقبة بأن تتّخذ عنده كنزا وتنفق منه في ظاهر أمرك وباطنه ، ولا تتشوّف لأحد سواه ، واحذر أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك أو يرى منك التفاتا لغيره .

« ١ » أي : أهل الغفلة .

قال بعض العارفين : من أشار إلى الحق وتعلق بالخلق أحوجه الله تعالى إليهم ونزع الرّحمة من قلوبهم ، فاستغن عن كل ذي قرب ورحم فإنّ الغني من استغنى عن الناس .

التاسع اجتناب نوع التكلّف في الحركات وقد قال عليه الصلاة و السلام : « أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلّف » وقال تعالى : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ وأصل التكلّف حب المرضاة ومنه يقع حبط الإيمان والفجور والرياء والسمعة والمصانعة ، فعليكم بالتوسط في كل شيء ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

العاشر عمارة القلب بما يحييه بدلا من نقيضه ، وهو أربعة أسباب تقابلها أربعة : أوّلها ذكر غربتك في الدّنيا ويترتب على ذلك عدم الانتصاف لنفسك والإنصاف منها والاستسلام لما يجري من المسيء وغيره ، ويقابله شغل القلب بلذاتها ونيل الأغراض وثانيها ذكر مصرعه عند الموت وهو الذي ينسيه كل شيء من دنياه ويزهد في الخلق إذ لا ينفعونه في ذلك المحل بشيء ، ويقابله نسيان الأجل وبعد الأمل وهو مفتاح خوف هم الرزق وهما أصل كل بلاء في الدنيا وكل محنة في الآخرة .

دخل أبو حازم ﵁ على عمر بن عبد العزيز ﵁ فقال له عمر : عظني ، فقال : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك في تلك الساعة ، فخذ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك في تلك الساعة فدعه الآن ، فلعل الساعة قريبة . اهـ .

ودخل صالح بن بشر ﵀ على المهدي ﵀ فقال له : عظني ، فقال : أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك ؟ قال : نعم ، قال : فكانت لهم أعمال ترجو لهم النجاة بها ؟ قال : نعم ، قال : فكانت لهم أعمال تخاف عليهم الهلكة منها ؟ قال : نعم ، قال : فانظر ما رجوت لهم فيه النجاة فأته ، وما خفت عليهم فيه الهلكة فاجتنبه . اهـ « كشكول » ١٠٥ .

وثالثها ذكر وحشة القلب وهو الذي ينسيه أنس كل أنيس إلا من حيث معاملته فلا يصحب إلا أولياء الله ولا يجتمع إلاّ بمن يرجو ثواب الله ، ويقابله شمول الغفلة والاغترار بأيام المهلة وهو مفتاح ترك العمل والتراخي عنه والفترة فيه وطلب الرياسة وظهور البدع .

ورابعها ذكر وقوفه بين يدي الله تعالي وهو يوجب أن لا يتحرك حركة ولا يسكن سكونا إلا بالله ولله ، فليتبع الشرع في جميع حركاته ويحاسب نفسه في جميع حالاته ويستحي من مولاه في أموره ، ويقابله الجرأة على الله والاغترار به مع ظنه أنه راج فيه ولو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ .

فإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة مع صاحبها في النار وإياكم وترهات الباطلين الذين يُؤَيِّسونكم من الله ويعوجون عليكم طريقكم فما هي إلا الفرائض المشهورة تؤدى والمحرمات المعلومة تترك والسنن المأثورة تتبع ومحاسن الأولياء تؤخذ . انتهى بحروفه .

وقال أحمد بن علوان رضي الله عنه : إن كنت تقصد أيّها الطالب أن تحظى بصحبة هذا العبد المتحقق بعبوديته وهو الشيخ الكامل المرشد الذي تم فناؤه ورجع إلى بقائه بِخِلَع «١» ربّانيّةٍ من مولاه ، فاسلك على سنن أي طريق طابق مساعي تلك الطريقة ، بأن تتأدب بين يديه بالأدب النافع وتنكسر لحضرته انكسار الذليل الخاضع لا ترى لك حالا ولا مقاما ولا تطلب منه تعظيما ولا احتراما بل تكون همتك الخدمة ومعاملتك معه التزام الحرمة ، لا تخالفه في ظاهرك ولا تعترض عليه في باطنك ، قالوا : من قال لشيخه لِمَ لا يفلح أبدا ، وقد ذكرناه آنفا .

وَاخْلِصْ وِدادَكَ صِدْقاً في مَحَبَّتِهِ وَالْزَمْ ثَرى بابِـهِ واعْكِفْ بِناديـهِ

أخلص ودادك أيها الطالب الراغب بالصدق في محبة شيخك ، والزم ثَرَى بابه : تمسك بتراب أعتابه ، واعكف بِناديهِ : ولازم الطاعة بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، حتى يكون مرادك عين مراده وتشاركه في سفره وزاده .

« ١ » الخِلَع جمع خِلعة وهي رداءٌ يلبسه الملك من رضي عنه من رعاياه

قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » و قد ذكرنا هذا القول أيضا .

وكذلك لا يكون الطالب طالبا حتى يكون هواه تابعا لما أمره به شيخه ، إذ الوارث مَسْلَكُهُ مَسْلَكُ مُوَرِّثِه وجميع ما تأخذ من الشيخ كأنك تأخذ منه ﷺ لأن الشيخ هو الذي تحقق بكمال المتابعة له ﷺ قولا وفعلا وحالا ، فإذا خالفته في شيء من ظاهرك وباطنك فكأنك خالفته ﷺ .

وإن لم تعتقد في شيخك هذا المعنى لم تنتفع به ، وإن اعتقدت فيه ذلك وجب عليك احترامه ولزمتك أوامره وأحكامه ، وإذا أشكل عليك أمر من أحواله في الظاهر فاذكر قصة موسى والخضر عليهما السلام وتمسك بها في ذلك الخاطر وأوِّل ما أشكل عليك ، وإن عجزت عن التأويل فارجع إلى التسليم فإن الأمر دائر بين أن تنسب النقص إليك أو إلى شيخك فنسبته إليك أولى ، وسلم تسلم واغتنم مرتبة الإيمان حتى تصل مرتبة الإحسان .

فاجعل يا أخي الشيخ قبلتك حتى تصل إلى القبلة الحقيقية واقتف بآثاره حتى تفوز على الاقتفاء بآثار خير البرية وحسن الاعتقاد حتى تسود مع من ساد . انتهى « ابن بنت ميلق » في ١٩ .

وقال الشيخ السهروردي قدس سره في « العوارف » : أول ما يؤمر به المريد المبتدئ التبرّي من الحركات المذمومة ، ثم النقل بالحركات المحمودة ، ثم التفرد لأمر الله تعالى ، ثم التوقف في الرشاد ، ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة« ١ » ثم الموالاة ، ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمنّ الله تعالى بعد هذه بالمعرفة فيكون مقامه عند الله تعالى مقام المتبرئين من الحول والقوة ، وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام . هذا من كلام سهل رحمه الله جمع فيه ما في « البداية والنهاية » .

« ١ » أي النقاء من الكدر

ومتى تمسك المريد بالصدق والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ، ولا يتحقق صدقه وإخلاصه بشيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق ، فكل الآفات دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم إلى الخلق ، وبلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراه أصغر صاغر » إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم .

قال ابن خضرويه قدس سره : من أراد أن يكون الله تعالى معه في كل حال فليلزم الصدق فإن الله تعالى مع الصادقين ، وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ : « الصدق يهدي إلى البر » .

ولا بد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج من الخلق بقطع النظر إليهم إلى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق وخفايا شهوات النفس ، وأنفع شيء للمريد معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات أو عليه من الهوى بقية . « العوارف » من الباب الثالث والستون .

و قال ابن عطاء الله السكندري قدس سره في « حكمه » : شروط المريد أن لا يتنفس نفسا إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرا أو جهرا فسوف يرى غِبَّهُ[١] من غير ما يحبه سريعا ، ومخالفة الشيوخ فيما يسرونه منهم أشد مما يكابدونه بالجهد وأكثر لأن هذا يلتحق بالخيانة ، ومن خالف شيخه لم يشم رائحة الصدق ، فإن برز منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه ، فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإنّ المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوت أحوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم . انتهى « حكم » ٦٥ .

« ١ » أي عاقبته

وقال الشيخ عبدالله الخاني ﷺ في « البهجة السنية » : اعلم أنّ رعاية أدب من الآداب والاجتناب عن كراهة ولو تنزيهية أفضل من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب كما ذكرنا ، نعم إذا جمع هذه الأمور مع تلك الرعاية فقد فاز فوزا عظيما ، ولا يحصل ذلك بدون دوام العبودية ، إذ المقصود من خلق الإنسان إنما هو أداء وظائف العبودية ، وأما العشق والمحبة في الابتداء فتعلقه بهما لأجل قطعه عما سوى جناب الحق تعالى وليس من المقاصد بل لأجل تحصيل مقام العبودية ، إذ لا يكون عبدا لله إلا إذا انقطع عما سواه ، والعشق والمحبة وسيلة الانقطاع ، فلهذا كانت العبودية نهاية مراتب الولاية ، وليس في درجات الولاية مقام فوق العبودية ، ودوامها لا يتصور بدون أداء العبادة ، إذ هي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه وتعالى بلا شعور الغير بل مع الذهول عن صفة الحضور بوجود الحق سبحانه وتعالى ، ولا تحصل هذه السعادة العظيمة بغير تصرف الجذبة الإلهية ولا سبب لك في تحصيل الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة . انتهى « بهجة »٣ .

وقال العلامة جمال الدين بن أبي بكر الخوارزمي ﷺ في « مفيد العلوم » : يجب على المريد وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يراقب أوقاته ويكون على عمره أشح منه على درهمه ، فقد قيل : شيئان صامتان ناطقان : الوقت والقبر .

وصدق من قال : الوقت سيف ، فحقيق لكل عاقل أن يقسم أوقاته ويراقب أنفاسه ، فالأنفاس معدودة والآجال محدودة والأماني ممدودة ومنادي الشرع ينادي : يا باغي الخير هلمّ ويا باغي الشر أقصر ، فاللّيل هادئ والقبر بادي والرب ينادي إليّ إليّ عبادي ، فاشتغلوا معاشر الوزراء وواظبوا أعيان الكبراء واتعظوا بمواعظ الله يا أعلام الرؤساء بما أنزل الله تعالى في صحف إبراهيم عليه السلام : على العاقل ما لم يكن مغلوبا أن يكون له ثلاث ساعات ساعة منها يحاسب فيها نفسه وساعة يناجي فيها ربه وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال ، وإن لهذه الساعة

عونا على هذه الساعات واستجماعا للقلوب ، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ، وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث : مرمّة لمعاش وتزوّد لمعاد وتلذّذ في غير محرّم . انتهى « مفيد العلوم » ١٠٠ .

وقال الإمام الغزالي ﷺ في « أيها الولد » : اعلم أنه لا بد للسالك من شيخ يربيه ليخرج منه الأخلاق المذمومة ويجعل مكانها أخلاقا حسنة ، والتربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النبات الخبيثة من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه ، ولا بد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى الله تعالى . انتهى

وقال بعض العارفين : ثلاثة أشياء لازمة على الطالب ولا بدّ له منهن : دوام الوضوء وحفظ النسبة«١» والاحتياط في اللقمة .

وقال العارف علي بن حسين الهروي عن شيخه ﷺ : ينبغي في هذا الطريق أن لا يكون شيء ملحوظا للطالب لا الدنيا ولا الآخرة ، فإن لم تكن نفس السالك بهذه المثابة فهو علامة على أنه خلق لمعرفة نفسه ، وإلا فهو مخلوق للجنة أو النار .

وقال أيضا : من لم يتخلص في هذا العالم عن قيد نفسه فروحه باقية بعد خراب البدن تحت فلك القمر ، وهذا كلام الشيخ ابن عربي ﷺ حيث قال : كل من بقي تحت فلك القمر«٢» فهو باق فيه ، فعرضت هذا الكلام على مولانا الجامي ﷺ وطلبت منه تحقيقه فإن هذه القضية كانت مشكلة عندي لأن أكثر المؤمنين يموتون قبل التخلص عن أنفسهم فقال : كل من آمن بالله فقد حصل نقبة في الفلك فيعرج من تلك النقبة أخيرا . انتهى

« ١ » لفظة النسبة قد تقع في اعتبارات المشايخ كثيرا ، فمرة يقولون النسبة ومرادهم بها دوام العبودية على طريق الاستهلاك ، ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الصفة الغالبة على الشخص ، ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الانتساب ، وهي على قسمين : عامة وخاصة ، والمراد بعموم النسبة الإشتغالات التي يشتغل بها السالك عند سلوكه في هذه الطريقة العلية كالاشتغال بالذكر والرابطة والوقوف القلبي وغير ذلك ، والمراد بخصوص النسبة دوام العبودية التي هي نتيجة هذه الطريقة العلية . « تحفة الأحباب » .

« ٢ » قال الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ : القمر منزل شريف عالٍ يسمى منزل النور في الطريق « الفتوحات المكية » ١١١/٣ » .

فصل

في بيان صفة الشيخ الذي يليق لمقام الإرشاد وآدابه مع الله ومع النبي ﷺ ومع المريدين والمرادين ومتعلقاتها

واعلم أن الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حدّ التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدّت ووفقت لاهتدائها .

اعلم أيها الأخ الأسعد وفقك الله تعالى لما يحبه و يرضاه ، لما كنا في زمان اختفى فيه الأولياء وقلّ الأتقياء وكثر المتشيخون في مقام المشائخ والصالحين وصارت الفتن بهم منتشرة بين العوام ، وصار أكثرهم يدّعون المشيخة ويجلسون في مقام الإرشاد ، مع أنه لم ير الشيخ فضلا عن أخذ الإرشاد ، وصار بعضهم يدّعون بزعمهم الباطل بأن علم الظاهر فقط يكفي للإرشاد لأن إرشاد الأمّة إلى الصراط المستقيم بالكتاب والسنة ، وعلماء الظاهر في هذا شركاء لمن ادعى أنه من علماء الباطن ، وإن سموا أنفسهم بأنهم هم المشائخ الكرام المرشدون للخلق واختصوا أنفسهم بالإرشاد والعلم الباطن دون علماء الظاهر ذوي الاحترام إنكارا منه للعلم الباطن وأهاليه والسلوك ، خطر لهذا المسكين الغريب المغبون أن أكتب رسالة على نهج شيخي وسندي أبو عبد الرحمن ذو الجناحين محمد ذاكر الچسطاوي النقشبندي المجددي الأويسي المحمدي قدس سره وشيخي ومجيزي قطب العلماء وشمس الأولياء مولانا زين الله بن حبيب الله الشريفي المعموري قدس سره ، مع أني لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم متوكلا على جوده تعالى ومفوضا أمرنا إليه ، متوسلا إليه بالسادات الكرام والمشائخ ذوي الاحترام ، ليتيقظ الجاهل اللاشي عن غفلته ويرجع السالك عن اقتدائه للمتلاشي ، وليتأمل حقّ تأمل في حق مقتداه بالعقل والتدبير وحسبنا الله ونعم النصير .

اعلم أن صفات الشيخ الذي يصلح للمشيخة والإرشاد ومن لا يصلح أن من يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة على ما قال جامع القطبتين محمد ذاكر ﷺ المذكور المقدس : **منهم** من ليس في يده تصرّف في المريد وتأثير فيه ، فهو كالعوام بل هو أضلّ من الأنعام ليست فيهم المشيخة سوى الرسم والاسم فقط كما هو أكثر مشائخ الزمان .

وقال مولانا خالد سليمان ﷺ مجدد المائة السابعة[١] : ويجب الاعتراض على حاله والإنكار على فعله لأنهم ضاعوا وأضاعوا وضلّوا وأضلّوا ، وذلك لحبس الناس عن الذهاب إلى الأهل من أهل الكمال ومنعهم عنه لقطعهم السبيل بالأقوال المُمَوَّهة والحيل المزخرفات ولكونهم سببا لحرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد الشديد خصوصا إذا كان جاهلا لأمر الدين كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ومنهم من كان في يده تصرف في عالم الملكوت وتأثير في المريد في صحبتهم لكن ليس فيهم الاستقامة بقدر ما يخرج من اسم الفسق ولا يكون فيه أدب الشريعة فضلا عن أدب الطريقة ، فهم أيضا لا يَصْلُح لأن يقتدى بهم وإن كانوا صادقين في أحوالهم لأن من اقتدى غير الأديب يكون هو أيضا غير أديب مع أن الطريقة كلها آداب على ما قالوا ، لكن يحترم ويوقر ولا يتعرض[٢] خوفا من قهره .

فعلم منه أن غير الأديب صادق الأحوال وإن لم يصلح للاقتداء به فالغير الأديب الذي ليس له حال صادق لا يصلح الاقتداء به بالطريق الأولى ، والاقتداء بهؤلاء شعار جهلاء العصر خصوصا إذا كان جاهلا لفروض العين .

ومنهم من في يده تصرف وتأثير وعلم بأحكام الشريعة التي يجب علمها عينا واستقامة ، فهم يصلح للاقتداء بهم والاستفادة منهم والاعتبار بأفعالهم وأقوالهم ، حتى قالوا إنهم الكبريت الأحمر والترياق الأكبر خصوصا

« ١ » لعله المائة السابقة
« ٢ » في نسخة ولا يعترض

في هذا الزمان الذي قل أهلها ، وذكروا لهم فضائل في كتب السادات ، ومثله في « الخطاب » لإسماعيل حقي ﷺ ، وفي « الرسالة البهائية ترجمة الرسالة الخالدية » ، وكذا في « الفتوحات المكية » لابن العربي ﷺ ، وسيجيء عبارته إن شاء الله تعالى عن قريب .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « أيها الولد » : ولا بد للسالك من شيخ يربّيه و يرشده إلى سبيل الله تعالى بشروطه الذي يصلح للتربية ويليق لأن يكون تابعاً لرسول الله ﷺ وأن يكون عالما يصلح له لأن كل عالم لا يصلح ، و نبيّن إن شاء الله تعالى بعض علاماته التي يستحق الإرشاد والمشيخة ، لئلا يدعي كل أحد بالمشيخة والإرشاد كما كان أكثرهم على ذلك وإن كان إرجاعهم من اعتقاداتهم الفاسدة إلى اعتقاد أهل السنة والجماعة فضلا عن اعتقاد أهل الحقيقة أشق من خرط القتاد .

فنقول : هو من يعرض عن الدنيا وحب الجاه وأن يكون تابعا لشيخ بصير ومرشد كامل قد تعلق سلسلته إلى رسول الله ﷺ وصحت نسبته إليه ﷺ ، وأن يكون محسنا رياضة نفسه من قلة الأكل والشرب والقول والنوم وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، وأن يكون مأذونا من شيخ كامل بالإذن الكامل بشروطه متحليا بمحاسن الأخلاق كالعلم والحلم والعفو والكرم والجود وغيرها فهو نور من أنوار معرفة النبي ﷺ فيصح الاقتداء بمثل هذا العالم لكن وجوده نادر أعزّ من الكبريت الأحمر . انتهى .

والطبيب الروحاني هو الشيخ العارف بذلك الطب القادر على الإرشاد والتكميل لما أن الطب الروحاني هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وأدوائها ويكفيه حفظ صحتها واعتدالها وردّ أمراضها ويقال للشيخ الكامل أيضا : ظل الإله لتحققه بالحضرة الواحدية .

وقالفي « جامع الأصول » : فيجب أن يقتدي بمن علم بالديانة والرحمة والعفة والتقوى والأمانة والصيانة من البدع والأهواء والخيانة بعد أن تحقق أنّ

طريقته موافقة بالكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمشائخ الراسخين والأئمة العارفين وسائر كبار الأمة أفاض الله علينا من بركاتهم . انتهى .

فالصوفية أخذوا حظا من علم الوراثة فأفادهم العمل بالعلم ، فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة التي هي علم الوراثة . كذا قاله في « العوارف » .

وللشيخ آيات له وعلامات   فدنياه في طيٍّ وأخراه في نشرِ

قال في « روح البيان » في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ : التزكية يتهيأ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية والمزكي هو النبي ﷺ في أيام حياته كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ، وبعده ﷺ العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه ﷺ وممن أخذ من أخذوا وهكذا في كل عصر قرنا بعد قرن إلى يومنا هذا ، وقد ثبت سلسلتهم منسوبة إلى رسول الله ﷺ ولعمري إنهم في هذا الزمان أعزّ من الكبريت الأحمر . انتهى

وقال في سورة الإسراء أيضا : فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى العالم فإنه هو المطلب الأعلى ولا يصل إليه إلا بقدمَي العلم والعمل والرجوع إلى حال التراب . انتهى .

قال في « الخطاب » : قالوا : لا تكن مريدا إلا لعالم ولا كل عالم إلا إذا كان حيا ، يعني لا يجوز أن تكون مريدا لكل عالم بل كن مريدا لعالم كان قلبه حيا بحياة حقيقية ومحلا لفيض إلهي حتى يحصل لك من صحبته فائدة وحياة باقية . انتهى .

وقال في « روح البيان » : فكما أن العالم الغير العامل والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطرودين عن باب الله تعالى ساقطين عن عينه سبحانه وتعالى فكذلك العارف الغير العامل والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين من باب الله تعالى . انتهى .

وقال رجب أفندي ﷺ في شرحه لـ « الطريقة المحمدية » : قال أبو يزيد ﷺ : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات أي من خوارق العادات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به ، بل ارقبوه كيف تجدونه عند الأمر هل يرتكبه ولا يُخِلّ له ولا يتهاون به ما استطاع أو لا ، وهل ينتهي عما نهى الله عنه أيضا أم لا ، وهل يحفظ حدود الله تعالى كما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو لا يحفظ ، فإذا كان يحفظ الحدود في الأوامر والنواهي يعتبر بكراماته الدالة على علوّ مقامه عند ربّه وإلا فهو استدراج ومكر .

وأقول : قد أجمعوا على أن لا مقام للعبد يسقط عنه التكاليف الشرعية ، وأيضا إنّهم قالوا أنّه لا تصلح النهاية إلا بتصحيح البداية وهي العلم والعمل .

واعلم أن أهل التصوف تفرقت إلي اثني عشر فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والباقون بدعيون . انتهى كذا في « الخادمي في شرح الطريقة » .

قال في « روح البيان » : هم الموافقون للكتاب والسنة اعتقادا وعملا . وقال في « جامع الأصول » : واعلم أنّ من لم يتصل نسبه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زان في الحقيقة ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا .

اعلم أن من لا يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو مطرود وكلامه مردود غير مقبول وربما انتسب إلى غير أبيه وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ولا أذن في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس ولا أن يأخذ عليهم عهدا ولا يلقنهم ذكرا ولا شيئا من الطريق ، إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق جل جلاله وعم نواله ، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى

وقال فيه أيضا : فلما كانت الصحبة من لوازم الطريقة وشروطها وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب الطريقة وانتهى نسبته إلى رسول الله ﷺ . . وجبَ ذكر الأسانيد في كل الطرق إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . انتهى

وقال الشيخ ابن زروق رضي الله عنه : أهلية الشيء تقضي بلزوم بذله لمن تأهل له إذ يقدره حق قدره ويضعه في محله ومن ليس بأهل فقد يضيعه وهو الغالب أو يكون حاملا له على طلب نوعه وهو النادر ، فمن ثم اختلف الصوفية في بذل علمهم لغير أهله فمن قائل : لا يبذل إلاّ لأهله وهو مذهب الثوري وغيره ، ومن قائل : يبذل لأهله ولغير أهله والعلم أحمى جانبا من أن يصل إلى غير أهله وهو مذهب الجنيد رحمه الله تعالى ، إذ قيل له : كم تنادي على الله بين يدي العامة فقال : لكني أنادي على العامة بين يدي الله تعالى ، يعني أنه يذكر لهم ما يردهم إليه فتتضح الحجة لقوم وتقوم على آخرين والحق اختلاف الحكم باختلاف النسب والأنواع والله تعالى أعلم« قواعد » ٧ .

وقال في « روح البيان » في سورة النور : واعلم أن من لم يتصل نسبه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زان في الحقيقة ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنا ، وربما يكره بعض أهل الطلب على باب أهل الدعوى ويصرفه عن أهل الحق عنادا أو غرضا فاسدا أو اتباعا لهواه ، فهو إنما يكرهه في الحقيقة على الزنا لأنه بملازمة أهل الباطل يصير المرء هالكا كولد الزنا إذ يفسد استعداده فساد البيضة ، نسأل الله تعالى أن يحفطنا من مكر الماكرين .

وقال فيه أيضا في سورة الفرقان : وفي الآية« ١ » إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشائخ المدعون والدجاجلة المتصنعون فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابد الأصنام ،

« ١ » ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ .

فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهوآء متبوعا فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان للعبد مدخل في إفاضة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يرقي غيره ويخرجه من الجهل إلى المعرفة وينشأ النشأة الأخرى ويحيى حياة طيبة بإذن الله تعالى ، وهي رتبة الأنبياء ومن يرث منهم من العلماء العاملين .

قال مولانا الشيخ ابن سليمان الخالدي قُدِّسَ سِرُّهُ في « كفاية المريد » : المرشد هو الذي يعلم ما يحتاج إليه المريد من الفقه والعقائد والتوحيد ومن الحديث المحقق الثابت ومن الطريقة عارفا سككها ومن النفوس عالما شكوكها وأن يكون ناصحا عفيفا ذا همة عالية وأن يكون يغضب لله ويحب لله ومنتهيا عن المعاصي والمناهي ، فإن وجدت هذه الشروط فاتبع له وكن في خدمته . انتهى

وقال في « روح البيان » في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفي قُدِّسَ سِرُّهُ : إن الذين يزعمون المعرفة والتمكين في مقام الإرشاد ويراؤون به جلبا لحطام الدنيا عذابهم أشد من عذاب الزانين والزانيات الذين ولدوا أولاد الزنا مع وجود أزواجهم وزوجاتهم وأولادهم بسبعين مرة ، فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم كذلك مدعين بما لم يتحققوا في نفوسهم يضلون الناس بأكاذيب ويروون لهم أساليب ليس فيها أثر من المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغتر بظواهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفيا بآثارهم ومنخدعا بأقوالهم بل يجتهد إلى أن يميز بين الحق والباطل والعارف والجاهل عصمنا الله تعالى وإيّاكم من الزيغ وسيئات الأعمال . اهـ .

وقال الإمام محمد معصوم الفاروقي قُدِّسَ سِرُّهُ في « مكتوباته » ما حاصله : حُرّر أن من أذن شيخه له في واقعته بتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون هل يجوز لهذا الشخص اعتمادا على هذا تلقين الذكر وتربية المريدين ؟ فالجواب : إن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا يثبت بالواقعة ولا يجوز الاعتماد عليها إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذنا صحيحا . انتهى

وقال في « الرسالة المدنية » : لا يبلغ المريد درجة الكمال إلاّ أن يرى في جميع عبادته عيبا وأنه لا يليق إهداؤها إلى جناب الحق تبارك وتعالى ، فحينئذ يتحقق في هذا السالك معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وهذا بعد اطمئنان النفس وتشرفها بالإسلام الحقيقي ، ولا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه المرتبة يستعد لتربية الطالبين وللتوجه إليهم ويكون هو أهلا للإرشاد ، وأماّ قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد وبذل النفس وقطع الأكباد كما في أكثر مشائخ الزمان ، وليس هذا إلاّ بلآء النفس ، نعم إذا كان بإذن الشيخ فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته إذا كان فانيا في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره .

ثم قال فيها أيضا : واعلم أنه يعطي الكامل للناقص الإجازة بتعليم الطريقة وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة لأنّ يد الناقص يد الكامل لأنّه واسطة في الجملة ، وارتباط السالك إليه بمجرد المحبة للشيخ المقتدى يحصّل له تربيَة النفس فلذا يلزم عليه رعاية الأمرين : **أحدهما** محبة الشيخ المقتدى **والآخر** الاستقامة في الشريعة العلية والتمسك بالسنة السنية ، فإذا لم يكن تقصيره في هذين الأمرين لا يحصل له الضرر ، وإن كان في واحد منهما قصور فضلا من كليهما لا يحصل له شيء من المعرفة ، بل يبقى تحت تصرف الشيطان نعوذ بالله ولا علاج له سوى الخسران الأبدي . انتهى

إلاّ أنّ الإمام الرباني في « مكتوباته » شرط في الإذن للناقص تأثير المريد في صحبته ، وقسم الإذن على أقسام ، وبيّن نفع الإذن للناقص أيضا وفيها كلام كثيرٌ ، كثير الفائدة لأهل الإنصاف لا تسعه هذه الرسالة ، بل في جميع الكتب المذكورة أسماؤها في هذه الرسالة الفوائد والغرائب والدرر واليواقيت والكنز المدفون والسر المصون والعلم المكنون وإيقاظ الغافلين وتنبيه النائمين ، فمن أراد البيان فليراجع إليها .

وقال الشيخ الإمام صاحب « الهداية » لبعضهم :

فساد كبير عالم متهتك . . . . «١»

والعالم المتهتك هو الذي يعمل خلاف الشرع من الأفعال الردية التي لا يأذن الشرع بها ، وفساد مثل هذا العالم كبير لأنّه يراه الجهال فيعتقدون أنّ مثل هذا العالم لا يعمل إلا بإذن الشرع فيعتقدون به فيضلّ هو أوّلا ويضلّهم ثانيا **وأكبر منه جاهل متنسك** أي متعبد ، والجاهل المتنسك هو المقلد في معتقده الجاهل في أفعاله وأقواله لا يعرف صحتها وفسادها كالصوفية في زماننا هذا ، وإنما كان أكبر من العالم المتهتك في الفساد لأن فساده قد يكون في اعتقاده وعمله جميعا فكان أكبر فسادا من العالم المتهتك في الفساد لأن اعتقاده صحيح وإن كان عمله فاسدا . و :

هُما فِتْنَةٌ فــي العالمينَ عَظيمةٌ لِمَــنْ بِهِما فــي دينــه يَتَمَسَّكُ

قاله في « شرح تعليم المتعلم » وكذا في « الخادمي شرح الطريقة » ، ورجب أفندي ﷺ « شرح الطريقة » .

وطائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديل ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ يسلم أحوالهم ولا يصحبون ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر لا يعوّل عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع فإنه لا طريق إلى الله تعالى إلاّ بما شرعه لنا .

فمن قال بأن ثمّ طريق إلى الله تعالى خلاف ما شرع فقوله مردود لا يقبل ، فلا يقتدى بشيخ لا أدب له وإن كان صادقا في حاله ، قاله الشيخ الأكبر ﷺ في « الفتوحات المكية » .

« ١ » قال الإمام الشافعي ﷺ :

فساد كبير عالم متهتكٌ وأكبر منه جاهل متنسكُ
هما فتنة في العالمين عظيمةٌ لمن بهما في دينه يتمسكُ

وقال في « روح البيان » في سورة النحل : قال الشيخ الشهير بافتاده ﷺ : هنا رجل يقال له ديوان چلبي يأكل ويشرب ويشتغل بالشهوات ويزعم أنّ له نظرا في الحقيقة من المظاهر حفظنا الله تعالى من الإلحاد ، ففي حالة الاحتضار استغفر وقال : يا حسرتا لم أعرف الطريق ، ويرجى أن يعفى لسبق ندامته ، وكان له كشوف سفلية وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ، ولكن الكشوف السفلية لدى أهل الكمال غير مقبولة وعوام الناس يعدّون أصحابها أقطابا لكونهم على الجهل لا يميّزون بين الخير والشر .

وقال أيضا في سورة آل عمران : وقيل لأبي يزيد البسطامي ﷺ : إنّ فلانا يمشي على الماء ، قال : الحوت أعجب منه إذ هو شأنه ، وقيل له : إنّ فلانا يطير في الهواء ، فقال : الطير أعجب منه إذ هو حاله ، وقيل : إنّ فلانا يذهب إلى مكّة ويرجع من يومه ذلك ، فقال : إنّ إبليس أعجب منه فإنّه يطوي الأرض كلها في لحظة مع أنّه في لعنة الله تعالى . انتهى « روح البيان »«١» .

وقد أجمع السلف الصالحون أن الفوز والنجاة لا يحصلان إلاّ بالعلم والعمل جميعا ، واتفقوا أيضا على أنّ العلم أشرف من العمل إلاّ أنّ العمل متمم له وأنّ العمل ثمرة العلم وعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة . والمحققون قالوا : إن رأيت رجلا يمشي على الماء وهو يتعاطى أمورا يخالف الشريعة فاعلم أنه شيطان . وهو كلام حق لا شبهة فيه .

ثم اعلم يا أخي أنّ سالك سبيل الله قليل والمدعي بذلك كثير ونحن نعرّفك علامتين للسالك إلى سبيل الله تعالى تجعلهما نصب عينيك وتعرف بهما نفسك وغيرك : **فالأولى** أن تكون أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع الشريف ، **والثانية** أن يكون حاضر القلب مع الله في كل حال والله ولي التوفيق .

« ١ » في روح البيان : قيل للشيخ أبي سعيد : إن فلاناً يمشي على الماء قال : إن السمك والضفدع كذلك ، وقيل : إن فلاناً يطير في الهواء فقال : إن الطيور كذلك ، وقيل : إن فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد قال : إن إبليس كذلك ، فقيل فما الكمال عندك ؟ قال : أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق .

وقال العبد الوهاب الشعراني قدس سره في « الميزان الكبرى » : فإن قلت : فما حكم من أكل الحلال وترك المعاصي وسلك نفسه من غير شيخ فهل يصل إلى هذا المقام من الوقوف على العين الأولى للشريعة ؟

فالجواب : لا يصح الوصول إلى المقامات العاليات إلاّ بأحد الأمرين إمّا بالجذب الإلهي وإمّا بالسلوك على يد الأشياخ الصادقين في الأعمال السالمين من العلل . انتهى

ثمّ قال فيه : فعلم من جميع ما قرّرناه وجوب اتخاذ الشيخ لكل عالم طلب الوصول إلى شهود عين الشريعة الكبرى ولو أجمع جميع أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه وتعبده ولقبوه بالقطبية الكبرى ، فإنّ لطريق القوم شروطا لا يعرفها إلاّ المحققون منهم الذائقون بها دون الدخيل فيهم بالدعاوى والأوهام ، وربّما كان من يعتقدونه بالقطبية الكبرى لا يصلح أن يكون مريدا للقطب انتهى .

ثم قال هو فيه أيضا : فإن قلت : فهل يجب مثل هذا السلوك على يد شيخ حتى يصل إلى شهود عين الشريعة الأولى في مقام الإيمان والإحسان والإيقان من حيث أنّ لكل مقام من هذه المقامات عينا تخصه كما أنّ لكل عبادة شروطا في كل مقام منها كما يعرف ذلك أهل الكشف وبه يصير أحدهم يعتقد أنّ كل مجتهد مصيب ؟

فالجواب : كما تقدمت الإشارة إليه نعم يجب السلوك حتى يصل إلى ذلك ، لأنّ كل ما يتوسل إلى الواجب فهو واجب ، ومعلوم أنّه يجب على كل مسلم اعتقاده أن سائر أئمّة المسلمين على هدى من ربهم ولا يصح الاعتقاد إلاّ إن كان جازما ولا يصح الجزم الحقيقي إلاّ بشهود العين انتهى كلام « الميزان » .

وقال الشاذلي رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما حقيقة المتابعة ؟ فقال : رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء .

وقال : ليس الرجل الكامل من حيي في نفسه إنما الرجل الكامل من حيي به غيره

وقال : كل شيخ لم تصل إليك الفوائد منه من وراء حجاب فليس بشيخ .

وقال : من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعة .

وقال : ثلاثة لا تتدعى وواحدة لا تزدري اقتداء فيهن بالنبي ﷺ : قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا . « جامع »

الأسرار والحقائق لا تدرك بعلم الرسم ، والعقل قاصرٌ ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . قاله في « جوامع الكلم » .

وقال في « روح البيان » : قال أبو يزيد البسطامي قُدِّسَ سِرُّهُ : من لم يكن له أستاذ فإِمامه الشيطان .

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق قدس الله أسرارهما أنّه قال : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غرس فإنها تتورق ولا تثمر أو هو كما قال يجوز أن تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم ولذّة فاكهة البساتين ، والمغروس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون ألذّ وأحسن لدخوله في التصرف ، وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب لحلّ مقتوله بخلاف غير المعلم فإنّه حرام أكله .

وسمعت كثيرا من المشائخ يقولون : من لم ير مفلحا لا يفلح ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فإنّ أصحاب رسول الله ﷺ تلقّوا العلم والأدب منه عليه الصلاة والسلام فأفلحوا في الدارين وفازوا بالنعيم ، فلا بد لطالب الحق من أديب كامل وأستاذ حاذق يبصره بآفات النفس وفساد الأعمال ومداخل الشياطين وسائر الأعداء ، فإذا وجد مثل هذا فليلازم على خدمته وصحبته

وليتأدب بآدابه لِيَسْرِيَ[١] من باطنه إلى باطن المريد الأنوار والفيوضات كسراج يقتبس من سراج آخر ، فليسلم له بالكلية فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله لأن سلسلة التسليم ينتهي إلى رسول الله ﷺ وإلى الله ﷻ انتهى .

قال في « متممات جامع الأصول » : وقال الشعراني ﷺ في « الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده إلى **زوال تلك الصفات التى تمنعه من حضرة الله تعالى من قلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب** ، ولا شكّ أن علاج أمراض الباطن كلّه واجب كما تشهد له الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد عليها ، فعلم أنّ كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام لأنّه لا يهتدي لطريق العلاج ولو تكلّف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب ، فهو كمن يحفظ كتابا في الطّب ولا يعرف تنَزُّل الدواء على الداء فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنّه طبيب عظيم ، ومن رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته يقول إنّه جاهل .

فاتخذ لك شيخا ولا تعصِ وتفكَّرْ أبديّة الآخرة ، واقبل نصحي ، وإيّاك أن تقول طريق الصوفية لم يأتِ بها كتاب ولا سنّة فإنّه كفر فإنها كلها أخلاق محمدية وسيرة أحمدية وسنن إلهية .

وقال الشعراني ﷺ أيضا في « الجواهر » : وسئلت عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بأعماله فقلت : ذكر الله تعالى حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقي ويرى أعماله خلقا لله تعالى وحده ليس للعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبر على أحد من العصاة لأنّ الرجل لا يرائي قطّ بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ولا يحصل عنده دعوى ، وقيل لي أيضا : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟ فقلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد وهو الذي وضعه جميع أهل الطريق للمريدين فطووا

« ١ » أي ليتعدَّى .

به الطريق ، وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ولم يخلصوا في شيء منها .

وقال الشعراني ﷺ أيضا في « الأجوبة المرضية » : وقد كان عزّ الدين بن عبد السلام ﵀ يقول قبل أن يجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ : هل ثمّ طريق يقرّب إلى الله تعالى غير ما في أيدينا من الفقه ؟ ! فلما اجتمع بالشيخ أقرّ طريق القوم بقوله : من أدلّ دليل على صحة طريق القوم أن أهلها قعدوا على القواعد وقعد غيرهم على الرسوم ، وما يقع على أيدي القوم من الكرامات والخوارق ولم يقع على يد فقيه كرامة ولو بلغ في العلم ما بلغ بلا اتباع طريقهم«١» . انتهى .

وقال فيه أيضا : وكان الإمام أحمد بن حنبل ﷺ يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربّما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه ، فلمّا صحب أبا حمزة البغدادي ﷺ وعرف أحوال القوم كان يقول لولده : يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمة .

وقال فيه أيضا : وبلغنا أنّ الإمام الشافعي ﷺ كان يجالس الصوفيّة ويقول : يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح القوم ليفيدوه عن العلم ما لم يكن عنده ، فقد بان لك مما ذكرناه أنه يجب على كل من غلب عليه مرض الباطن أن يطلب شيخا يخرجه من تلك الورطة ، وإن لم يجد في بلده وإقليمه وجب عليه السفر إلى ناحية هو فيها ، وأنّ من رزقه الله تعالى سلامة الباطن من تلك الأمراض كالمجتهدين وكمّل أتباعهم لا يحتاج إلى شيخ وإن احتاج لزيادة الكمال إلى أهل السلوك .

« ١ » العبارة كما في « الأجوبة المرضية » : إن هؤلاء القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ، قال : ومن أصدق دليل على قولي هذا أنه لا يقع على يد فقيه قط كرامة ولو بلغ في العلم ما بلغ إلا إن سلك طريقهم في العمل ، إذ الكرامات فرع المعجزات وهي دليلٌ على صدق الاتباع للشريعة .

وقال في « الأجوبة » : وكان الإمام الأجلّ الشافعي وكذا الإمام الأورع أحمد رحمهما الله يتردّدان إلى مجلس الصوفية فقيل لهما : ما لكما تتردّدان إلى مثل هؤلاء الجهال ؟ فقالا : إنّ هؤلاء عندهم رأس الأمر كلّه وهو تقوى الله عزّ وجلّ ومحبّته ومعرفته .

وقال في « مشارق الأنوار » : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نغترّ بحفظ العلم الذي يطلب منّا العمل به« ١ » من غير عمل كما كان عليه غالب الناس في هذا الزمان ولم يكن السّلف الصالحون كذلك .

ثمّ قال : ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ليرقيه إلى درجات المراقبة لله تعالى والخوف منه كما كان عليه علمآء السلف .

وسمعت شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله يقول : كلّ فقيه لا يجتمع بالصوفية فهو كالخبز الجاف بلا أدم .

وسمعت سيدي عليا الخواص قدس سره يقول : لا يكمل طالب العلم إلا بالاجتماع على أحد من أشياخ الطريقة ليخرجه عن رعونات النفس ومن الخطرات وإن لم يجتمع معه فمن لازمه التلبيس غالباً ودعوى بلا علم ، وكلّ من نسَبَه إلى قلة العلم أو العمل أقام عليه الأدلة التي لا تتمشّى عند الله تعالى ورسوله ﷺ ومن شكّ في هذا فليجرّب يجد كما قلنا بل فوق ما قلنا .

فاسلك أيها الفقيه على يد شيخ كامل والزم خدمته واصبر على جفائه على كل حال فإن الذي أطلعك عليه أمر نفيس لا يقابله الدنيا وما فيها ، فإنّ العلم رياسة عظيمة وللنفس فيه دسائس فربما خفيت على مشائخ العلم فضلا عن الطلبة .

ومن ههنا فرق السالكون من العابدين ، فربما مكث العابد يعبد ربه على علة خمسمائة سنة والسالك يخرج عن هذه العلة في أوّل قدم يضعه في الطريق لأن بداية الطريق التوحيد لله تعالى في الملك والملكوت ثم الفعل

« ١ » في الأصل : التعلّم به

ثم الوجود ، والعابد لا يذوق لهذه الثلاثة طعما ، فوالله لقد فاز من كان له شيخ وخسر من لم يتخذ شيخا أو اتخذ ولم يسمع نصيحته أو اتخذ جاهلا متشيخا لا تثبت نسبته .

وقال بعض أكابر شراح « الحكم العطائية » : قال حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره العزيز : أقرب الطرق إلى الله تعالى عندنا نفي الوجود وإن كانت الصلاة والصيام طريقان إلى الوصول إلى الحضرة الأحدية لكن لا يتمّ الوصول بهما إلاّ بنفي الوجود ، فلذلك كان السالك يجد من المدد في الباطن والظاهر ما لا يجده في الصوم والصلاة ، لأنّها تنفي وجود السالك وتضمحلّ معها أوصافه فلا تلتفت إلى سائر أورادك ما عدا الواجبات والرواتب ، وقد قيل : وجودك ذنب لا يقاس إلى ذنب .

وقال الشيخ حافظ العصر ابن حجر الهيتمي قدس الله سره العزيز : فاتخذ لك ثقّة وحجّة من المشائخ الكرام ولا تلتفت إلى من يتعصب ، ولتتحرّ« ١ » أورع المشائخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة وليترك رسومه وادخل تحت إشارته ، ومن ظفر بشيخ بهذا الوصف فحرام عليه أن يتركه ويفارقه إلا إن وجد أكمل منه وأورع وأعرف فحينئذ يمكن الرجوع إلى الأكمل مع حسن ظنّه بالشيخ الأول واحترامه واستئذان منه ظاهرا إن أمكن وإلاّ فبالباطن لئلا يؤول إلى سوء الأدب عياذا بالله تعالى ، وتدلّ عليه الأدلة الأربعة بل تشهد له الكتب السّماوية .

وقال في « المتممات » أيضا : واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق لطاعته وعبادته ومعرفته كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، وأفضل العبادات وما يوصل به إلى الله تعالى هو السلوك ولا بدّ له من مرشد كامل وأستاذ فاضل لما أنه طريق غيب غير محسوس مبنيّ على مخالفة النفس ، ألا ترى أنّ كثيرا من الأطباء يعجزون عند تمرّضهم من علاج نفوسهم لخفائها على صاحبها وهي أعدى أعدائه في ثياب أصدق أصدقائه ، ولهذا ورد « المؤمن مرآة المؤمن » فإذا أراد أن يعرف عيب نفسه ينظر إلى

« ١ » أي ولتتخيَّر

أخيه المؤمن فإذا رأى فيه عيبا مما يخالف الشريعة يترك هذا العيب الذي وجده في أخيه إن كان في نفسه ذلك العيب وبهذا يحصل الخلاص من العيب وهذه حيلة عند عدم الشيخ ، كما قال الإمام الغزالي رحمه الله في « الإحياء » .

ولهذا قال الكمّل : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ، فإنّ طريق الله تعالى لماّ كان في غاية الشرف والعزّة لكونه موصلا إلى أعزّ المطالب حُفَّت بالقواطع والمهلكات من كل جانب ، فإذا عرفت هذه الورطات المهلكات لا جرم أنّ السالك يحتاج إلى المرشد الكامل والشيخ الفاضل يحفظ المريد من تلك المهلكات ويهديه إلى سبيل النجاة .

وقال نجم الدين الكبرى رحمه الله : لا تتصفى مرآة قلب المريد دون الربط مع الشيخ الكامل وترك الاعتراض عليه ، فإن الشيخ لا شكّ أعرف بمصالح المريد من نفسه والانقياد إلى الشيخ والتسليم له شرط أهمّ من كلّ وجه .

واعلم أنّ الجذبة وحدها من غير سلوك في الطريق المستقيم بامتثال أوامر الحقّ واجتناب نواهيه لا ينتج شيئا سوى الدخول في حزب البله والمجانين ، فغايته السلامة من مواطن الهلاك بسقوط التكليف ، كما في « المطالب الوفية » .

وكذلك السلوك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي من غير جذب إلهي لا ينتج شيئا غير الدخول في حيز العلماء والعباد من أهالي الظاهر القانعين بما ظهر لهم من العلم والعبادة ، فيراهم الناس ويحمدونهم على ذلك فيرفعون أقدارهم ويكونون في باطن الأمر على رياء وعجب وكبر وحسد وغرور وغفلة وغير ذلك من أمراض القلوب ، ويظهرون بهذه الواقعات مشبّهين بالحيوانات العجم لا ينجون عن الهلاك الأبدي نعوذ بالله تعالى .

أماّ السلوك أوّلا ثمّ الجذب ثانيا أو العكس بأن يكون مجذوبا ثم يسلك إلى شيخ فهذان هما أهل الله تعالى وخاصته . انتهى .

ونذكر الفرق بين السالك المجذوب والمجذوب السالك ، ثم قال : الاستمداد الحاصل للمريد إنمّا هو من شيخه واستمداد شيخه من النبي صلى الله عليه وسلم فهو

نائبه عنه ﷺ والنبي ﷺ نائب من ربّه ، فلو أنّ رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلاّ بالرياضة عند شيخ كامل مكمل وإمام ناصح مؤدب بالشرع عالم بالفنون ، فما حرم من حرم من الوصول إلاّ بترك الأصول وترك الاقتداء بالدليل والسلوك في هوى نفسه عن سواء السبيل . انتهى

وقال فيها أيضا : وكان النبي ﷺ يلقّن هذه الكلمة الطيبة لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لتصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وإيصالهم إلى حضرة الحق والسعادة القدسية ، لكن لا تحصل هذه التصفية والتزكية من هذه الكلمة الطيبة ومن سائر الأسماء الإلهية إلاّ إذا تلقنها الذاكر من شيخ عالم عامل فاهم معنى القرآن والحديث والسنن وفاطنٍ في العقائد وعلم الكلام متلقنا إيّاها منْ شيخ آخر وهو أيضا من آخر هكذا تَسلسل ذلك التلقين من المشائخ كابرا عن كابر إلى رسول الله ﷺ انتهى كلام « المتممات »ومثله في « جامع الاصول » وقال فيه : وكان الذكر لا يفيد فائدة تامّة إلاّ بالتلقين والإذن بل جعل الأكثرون التلقين شرطا . انتهى

وقال الإمام الرباني قُدِّسَ سِرُّهُ ما حاصله : لو أخذ الذكر بالتلقين من شيخ كامل يثمر مرتبة المقربين ، وإلاّ فيكون من قبيل عمل الأبرار ولا يثمر مرتبة المقربين عادة وفي الأكثر . انتهى كلامه

وكل مريد مال إلى أرباب الدنيا لقلّة الديانة أو قدم الباطن على الظاهر أو اكتفى بالظاهر عن الباطن أو بالباطن عن الظاهر أو بأحدهما مما لا يوافق على الآخر أو اكتفى بالعلم عن العمل أو العمل عن الحال والعلم أو بالحال عنهما أو لم يكن له أصلٌ يرجع إليه في علمه وعمله ودينه وحاله أو اكتفى من الأصول المسلمة في كتب الأئمة في الظاهر والباطن فهو هالك ومن أخذ بهما فهو ناج مسلم إن شاء الله تعالى . قاله في « جوامع الكلم » .

وفي التنزيل : ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ وفيه أيضا : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وفيه أيضا : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ .

قالوا : الكينونة معهم اثنان : صوري ومعنوي ، والثاني هو الرابطة .

قال في « الميزان الكبرى » : واعمل على تحصيل مقام الحضور مع ربّك في صلاتك على يد شيخ صادق ، وإياك أن تخرج من الدنيا ولم تصل صلاة واحدة كما ذكر وتكتفي بهذا سماعك بأحوال العارفين . انتهى .

وقال الفاسي ﷺ في « شرح الدلائل » : وقد قال الشيخ الشاذلي قدس سره العزيز : من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ، ونسألك يا ربّ سر الأسرار المانع من الإصرار حتى لا يكون لنا من الذنب والعيب ما يفضحنا عندك يا أرحم الراحمين انتهى .

وقال شيخ شيخنا ﷺ : واعلم أنه إذا بلغ مقاما لا علم له به وانقطع عن السلوك فلا بدّ له من شيخ إذا كان سلوكه في صفات النفس والقلب وإذا بلغ المقام الروحاني فلا يمكن عبوره إلا بتصريف صاحب الولاية . انتهى

ثم اعلم أيّها السعيد الموفق أنّ الوصول إلى هذه الدرجة العظمى مربوط بالاتباع بسنّة سيّد المرسلين عليه وعليهم أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين ، فإن لم يمتثل بأوامره ولم ينته عن نواهيه لا يشم له رائحة هذه الدرجة العظمى ولئن سلم ظهور الأحوال والمواجيد من مثل هذا الرّجل فذلك يكون استدراجا ومكرا من الله تعالى ويكون سببا للهلاك والفضيحة يوم القيامة .

حاصل الكلام : الخلاص من غير اتّباع محبوب ربّ العالمين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام مما لا يمكن أصلا .

واعلم أن للمشائخ النقشبندية ﷺ تصرفات عجيبة وحالات غريبة كجمع الهمة على مراد فيحصل ذلك المراد على وفق همتهم بعين التأثير في الطالب ودفع المرض عن المريض وإفاضة التوبة على العاصي والتصرف في قلوب الناس حتى يحبونه و يعظمونه وفي مداركهم حتى يتمثل فيها واقعات عظيمة والاطلاع على نسبة أولياء الله من الأحياء والأموات والإشراف على خواطر

الناس والكشف عن الوقائع الآتية ودفع البلية النازلة وغيرها وكل ذلك من خصائص هذه السلسلة العلية .

تَسامَتْ شُــؤونُ النَّقْشَــبَنْدِيَّةِ المَلا فَلَيْــسَ لَهُمْ بَيْــنَ الأعاظِــم أكْفاءُ
يَسيــرونَ بِالرُّكْبانِ فــي مَهْيَعِ الخَفا إلى حَرَمِ القُدْسِ النَّزيهِ كَما شــاؤوا
بِصُحْبَتِهِــمْ تُمْحى وَســاوِسُ خَلْوَةٍ وَلِلْجَــذْبِ فيهــا لِلْبَواطِــنِ إهْـداءُ
وَإنْ قاصِــرٌ يَـوْماً تَكَلَّــم فِـيهِـمُ فَما لــي بِما قَد فاهَ سَــمْعٌ وَإصْغاءُ
أَلِلثَّعْلَــبِ المُحْتالِ قَطْــعُ بِـحيلَـةٍ لِسِلْسِلَــةٍ فيها مِنَ الأُسْــدِ أمْــلاءُ

رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

أما طريق التوجه إلى طالبي الحق جل وعلا فأن يتوجه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقاءها على الطالب ثم يستعمل همة تامة قوية لإلقائها من جانبه إلى الطالب ، فتنتقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده ، وإذا كان الطالب غائبا يتصور صورته ثم يتوجه إليه ويبلغ أمره إلى النهاية ، وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمة ويسألون الله تعالى حله فيظهر على حسب منتهاهم .

وأما طريق الكشف من نسبة أهل الله تعالى فأن يجلس مقابله إن كان حيا أوقريبا من قبره إن كان ميتا ثم يخلي نفسه من نسبته ويجعل روحه متصلا بروحه زمانا ثم يرجع إلى نفسه ، فكلما وجد في نفسه من الكيفية فهي نسبة ذلك الإنسان ، وأما طريق الإشراف على خاطر إنسان فأن يخلي نفسه من كل خاطر ثم يجعل نفسه متصلا بنفس ذلك الإنسان فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطره ظهر بطريق الإنعكاس .

وأما طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة فكذلك يخلي نفسه من كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة فإذا انقطع عن حديث النفس وتمادى انتظاره كطلب الماء للعطشان يلحق نفسه بالملائكة الكرام فتكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى إما بأن يسمعها من الهاتف أو بأن يراها في اليقظة والمنام .

وأما طريق دفع البلية النازلة فأن يلاحظ تلك البلية بصورتها المثالية ويتوجه لدفعها بالهمة القوية فتندفع بإذن الله تعالى . « المقامات السعيدية » ١٥٩ .

وقال أيضا : يا أخي الأرشد إنّ سادات وأكابر طريقة النقشبندية العلية قدس الله تعالى أسرارهم ألزموا الاتباع بسنة رسول الله ﷺ وأمروا باختيار العمل بالعزيمة ، ثم إن تشرفوا بهذا الاتباع والاختيار بالعمل على العزائم بالأحوال والمواجيد فتلك نعمة عظمى ، وأما إن وجدوا هذه الأحوال والمواجيد مع الفتور في ذلك الالتزام والعمل بالاختيار على العزائم فلا يفيد ذلك سوى الهلاك ، أمروا **أوّلا** بتصحيح الاعتقاد بعقائد أهل السنّة والجماعة كثّر الله تعالى سوادهم ، **وثانيا** التعليم من علم الفقه ما له تعلق على الفرائض والواجبات والسنن والمندوبات والحلال والحرام والمكروه والشبهة والعمل بمقتضى هذا العلم ، و**ثالثا** تصل النوبة إلى تعليم علم التصوف ، فإن لم يصلح له تينك الجناحين من تصحيح الاعتقاد على عقائد أهل السنة والجماعة واختيار العمل بعزائم مقتضى علم الفقه فمحال عليه الطيران إلى عالم القدس .

أما إن تيسر له هذه الأحوال والمواجيد في حال خلوه عن تلكما الجناحين فليعلم أنّه في الهلاك ويلزم عليه الاستعاذة من هذه الأحوال ، ونحن كم مرة ذكرنا أنّ مبنى هذه الطريقة على أصلين أصيلين اتباع سنّة النبي ﷺ ومحبة الشيخ المقتدى والاخلاص فيه ، فكل ما وجد من الأحوال والأذواق مع وجود هذين الأمرين فهو من ثمراتهما ، وإن لم يجد الأحوال والأذواق مع وجود هذين الأمرين مع الإخلاص فيهما فلا يضر ذلك الفقدان له ، ولعله يوجد في الآخرة بإذن الله تعالى . وقد قالوا : الفقدان بعد الوجدان أمارة الترقي وثمرة البقاء . وإن وقع الخلل فيهما أو في أحدهما – نعوذ بالله تعالى من ذلك – والأحوال والأذواق على حالهما في الأول من غير تفاوة فليعلم أنه استدراج

ومكر من الله ، نعوذ بالله فإنّه في المهالك والزيغ ، نعوذ بالله فليلاحظ أمره ، وهذا هو طريق الاستقامة والله سبحانه وتعالى أعلم والسلام .

وقد قرّروا في كتب القوم أنّ الخائب والخاسر في هذا الطريق هو الّذي يدخل في الطريق من غير رعاية آدابه ويخترع فيه أمورا محدثة ، وباعتماد الواقعات والمنامات يرتكب الأعمال والأفعال المخالفة لهذا الطريق عند القوم وقالوا أيضا : حقيقة تردها الشريعة فهي زندقة وإلحاد .

وقالوا أيضا : التصرّف في خلق الله تعالى بلا إذن منه سبحانه وتعالى بواسطة شيخ مرشد كامل وصرف وقته لأجل الناس غير جائز بل هو من أعظم الفتن في الدّين كما هو الغالب المشهور في زماننا هذا .

فصل

في بيان صعوبة معرفة المشائخ والأولياء من المتشيخين الجهلاء

قال في « جوامع الكلم » : الولي قد يكون مشهورا ولا يكون مفتونا .

قال سعيد بن سلام ﷺ : سبحان من حجب المعرفة عن جميع خلقه ، حَجَبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا .

قيل : معرفة الولي أصعب من معرفة الله عزّ وجل ، فإنّ الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله ، ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ، إنّ لله تعالى عبادا سترهم عن العامة وأظهرهم للخاصة ولا يعرفهم إلاّ مُشاكِلُهُم أو محبّ لهم وإن لله سبحانه وتعالى عبادا سترهم عن العامة والخاصة ، وإن لله تعالى عبادا يظهرهم في البداية ويظهرهم في النهاية ، وإن لله سبحانه وتعالى عبادا لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم لأحد حتى الحفظة وغيرهم . « شرح الحكم » لابن عبّاد ﷺ .

وقال أيضا : وليّ الخلطة أعلى من ولي العزلة ، لأنّ الأول عند الله بمنزلة الوزير والثاني شِرْبُه« ١ » أحلى لأنه عند الله بمنزلة النديم« ٢ » انتهىكلامه .

ولأن وليّ الخلطة يقال له ولي مرجوع فالنهاية هي الرجوع إلى البداية لكونه في مرتبة الإرشاد وفي مرتبة النبوة وارثا منه عليه الصلاة و السلام ، والثانى يقال له ولي غير مرجوع وبقي هذا في مرتبة الولاية فقط .

وقال في « جوامع الكلم » أيضا : العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول وثواب العالم من ربّه وكمال العارف احتراقه فيه .

« ١ » الشِّرب أي النّصيب .
« ٢ » النديم هو المصاحب والمُسامر .

وقال فيه أيضا : وجود العارف في الدنيا لغيره ووجود سائر الخلق لأنفسهم ، العارف في الدنيا كشمعة تضيء مع خفائها .

وقال فيه أيضا : قال بعض العارفين : إنّ الرجل العارف ليكون في السفينة لا يقدر على المشي على الماء وخدامه يمشون على الماء وينتفعون منه ويتلقون منه مواعظ وأسراراً ، ولو سار معهم على الماء لغرق في الماء .

قلت : قال بعضهم : من الناس شخص يرى العرفاء مقامه ورتبته عند الله تعالى وهو لا يدري أنّه صاحب حال أو مقام . انتهى

وقال في « روح البيان » : قال أبو يزيد ﷺ : أولياء الله عرائس الله ولا يرى العرائس إلاّ من كان مَحرما لهم ، أما غيرهم فلا ، وهم مخدَّرون«١» عنده تعالى في حجاب الأنس لا يراهم أحدٌ في الدنيا والآخرة .

وقال سهل رحمه الله : أولياء الله تعالى لا يعرّفهم إلاّ لأشكالهم أو من أراد أن ينفعه بهم ، ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم فمن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن بعد عنهم حزن .

قال الشيخ أبو العباس قدس سره : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى كما ذكرنا آنفا ، لما أنهم ظاهرهم مزين بأحكام الشرع وباطنهم مشتغل بأنوار الحق سبحانه وتعالى ، ولذا قال الإمام الرباني قدس سره : ليس الكمال في ظاهرنا بل في باطننا ، ولذا قال في « جوامع الكلم » : لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشريّة . انتهى .

وقال فيه أيضا فى « جوامع الكلم » : قباب البشرية ستر للأولياء في الآفاق ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ . لا تنظروا لظاهر البشرية في قوم اختصهم الله تعالى للقرب منه ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ، فكيف تعرف الخواص المستترين بزي العوام ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ ستر الله أوليائه وملأ العالم بهم بحْرَه وبرَّه .

« ١ » المُخَدّرَة هي الجارية المَصونَة المُخَبّأة في بيتها .

تربية الشيخ تنفر عنها الطباع بخلاف تربية الطفل« ١ » ، قيل : قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : العامة إذا رأوا إنسانا ينسب إلى الطريقة جاء من البراري والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم ، وكم من بدل وولي بين ظهرانيهم فلا يلقون لهم بالا وهو الذي يحمل أثقالهم ويدفع الأعباء والأوزار منهم . انتهى

وقال الشيخ ابن بنت ميلق ﷺ :

لَوْ كُنْتَ تَدْري وُجودَ العَبْدِ كُنْتَ تَرى فيه الكَمالَ كما النُّقْصانَ تَنْفيهِ

أي لو كنت ترى أيها الطالب الراغب وجود العبد اي حاله وكماله ويظهر لك ذلك بنور بصيرة يمنحك الله إياها لرأيت فيه الكمال ونفيت عنه النقصان وتمسكت بأذياله وحمت حول ممر فضله ونواله ، وهذا تحريض للسالك على تحصيل الرفيق في الطريق فإن طريق الله لا يمكن قطع فيافيها ولا طي مسافة بواديها إلا بالرفيق وهو الشيخ المرشد الكامل .

ومثل هذا لا يمكن الوصول إليه ومعرفته إلا بعناية من الله وفضل منه ، فحاصل الكلام : لازم أن يكون الشيخ من تحقق له الحرية وذلك أن من تحقق فيه العبودية ظهرت فيه الحرية وتمت له الخلافة الإلهية لأن حقيقة العبودية الخروج عن أوصاف البشرية ومن خرج عن أوصاف البشرية خلعت عليه أوصاف الربوبية فصار مظهرا من مظاهر الحق وخليفة من خلفائه . راجع « هداية الخلق » ميلق ١٦ .

وينبغي أن ينصح الجميع بما أمكنهم فيدلهم على التقوى والاستقامة وينهاهم عن المنكر والشهوات ويدعو لهم بالثبات والسعادة والمغفرة والتوفيق ويعلمهم ما أمكنهم من أمر دينهم ويشفق عليهم في دنياهم ويجتهد في ذلك بما يجتهد لنفسه لأن من قصد قوما وجد حقه عليهم ولينظر لكافة خلق الله بعين الرحمة واللطف والشفقة ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم . انتهى

« ١ » يعني أن الطفل ولو قسا عليه والده فإنه يبقى يحبه ، بخلاف تربية الشيخ فلو قسا على مريده فإن الطبع ينفر عنه

قال في « جوامع الكلم » : المرشد يوصل المريد بجذبته وهمته لما أن الشيخ كالنبي في أمته الشيخوخة تقارب النبوة فعظّمها واقبل نصيحتي ، إن من إجلال الله تعالى توقير شيخ من أتى ، ستر الله أولياءه وملأ العالم به . . الخ .

رُبَّ أشعث أغبر مدفوع على الأبواب لو أقسم على الله لأبره

قال في « العوارف » : فالصوفي صاحب مشاهدة والمتصوف صاحب مراقبة والمتشبه في مقاومة النفس صاحب مجاهدة والمتشبه سالك لم يصل بعد إلى الأحوال والكل يجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾عن النبي ﷺ أنه قال : « كلهم في الجنة »

قال ابن عطاء الله قدس سره : الظالم الذي يحب الله تعالى من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله تعالى من أجل العقبى والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الحق فيه .

وقال أيضا : فلا يشقى جليس الصوفي والمتشبه بهم والمحب لهم والله تعالى أعلم . انتهى كلام « العوارف »

قال في « روح البيان » قبيل سورة المنافقين : قال البقلي رحمه الله تعالى : وفيه تأديب المريدين الذين اشتغلوا عن صحبة المشائخ بخلواتهم وعباداتهم لأجل طلب الكرامات ولم يعلموا أن ما يجدونه في خلواتهم بالإضافة إلى ما يجدونه في صحبة مشائخهم لهو .

وقال بعضهم : ما عند الله للعباد والزهاد غداً خير مما نالوه من الدنيا نقدا وما عند الله للعارفين نقدا من واردات القلوب وموارد الحقيقة خير مما في الدنيا والعقبى « روح البيان » .

وقال : قيل أيضا : أبناء السبيل تبسط لهم أسباب الدنيا« ١ » ؛ حتى يُظَنّ أنهم مُنِعوا منها لئلا يشغلهم فضولها .

قيل : مِن رجال الله من يضحك ولا يبكي ومنهم من يضحك ويبكي معا ومنهم من يبكي ولا يضحك ومنهم من لا يضحك ولا يبكي ، عباد الله ﷺ أبناء السبيل ، أخلاق ليس فيهم خَلاق« ٢ » . انتهى « جوامع الكلم » .

وقال السادات : ومنهم أي من المتشيخين طائفة واحدة تخيّلوا الكمال وأوهموا الوصول وعدوا أنفسهم في درجة المشيخة ويدعون الخلائق للاقتداء بهم ويفسدون استعدادات أكثر المستعدين بنقصانهم ويزيلون حرارة الطالبين بصحبة برودتهم ، ضلّوا وأضلّوا ضاعوا وأضاعوا ، ومثل هذا التخيل والتوهم في المجذوب السالك كثير ، والكامل الذي يقود الناس إلى رضاء الرحمن وكذلك مرتبة المشيخة من عطاء الله تعالى ليس للإنسان فيه دخل ، هكذا قرره السادات الكبار ، إلاّ أنّ هذا الكلام يحتاج إلى البسط والبيان ، فإن كان المراد من هذه المشيخة التي هي من عطاء الله تعالى تربية السالكين والجلوس في مقام الإرشاد للإرشاد فهذا من غير إجازة من المرشد الكامل ممنوع ، فإنّ اشتغاله بغير إجازة داخل في خيانة المريد .

وقال الإمام محمّد معصوم الفاروقي قُدِّسَ سِرُّهُ في « مكتوباته » : لو أعطي الإجازة لتلقين الذكر والقيام للإرشاد إما في الواقعات أو في المنام بظهور أرواح الكبار من المشائخ العظام فهل يكفي هذا الإذن أو لا يكفي ؟

أجيب بأن الإجازة لإرشاد النّاس والقيام مقام المشيخة أمر عظيم ، ولا يجوز ارتباط مثل هذه الأمور بالرؤيا والواقعات ، بل لا بد من إعطاء الإجازة في حالة اليقظان .

« ١ » بمعنى أنهم يتعاطون أسباب الدنيا ولا يصلون إلى مقصودهم حتى يظن الناس أنهم ممنوعون منها لئلا يشغلهم فضولها .
« ٢ » لعله : أخلاق من ليس فيهم خلاق .

وقالو أيضا : إذا أعطي الإجازة يلزم على المعطي أن يشرط على السالك الاتباع بالشريعة العلية والتمسك بالسنة السنية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقالوا : كل حال لا ينتجه العلم وإن كان خطيرا فضرره أكثر من نفعه .

وقالوا أيضا : التصوف الّذي هو تحت أمر الشريعة ونهيها فهو فرح وسرور ، وأساس الأمر هو الاتباع بالشريعة العلية والسنة المصطفوية والنجاة على الاقتفاء لأثر رسول الله ﷺ . وكذا الفرق بين المحق والمبطل هو الاتباع لرسول الله ﷺ وأن الزهد والتوكل والتبتل إذا لم يكونوا تابعين لسنة رسول الله ﷺ لم يكونوا مقبولين ، وكذلك الأذكار والأفكار والأشواق والأذواق إن لم يكونوا بالتوسل بالاقتفاء بسنة رسول الله ﷺ لا يرجى فيها النفع ولا يرى منها الخير . وفي هذا المقام كلام وتفصيل طويل فليطلبها من محلها .

فصل

فيما به يعرف كُمَّل المشائخ وصدق الأولياء

قال في « الرسالة المدنية » : فإذا صح اعتقاده بهذه الكيفية يطلب مرشدا كاملا مكمّلا حتى يتوجه له بالجذبات الإلهية وبانكسار بيوت الشياطين وبتصفية قلب السالك وبإخراج الخطرات الشيطانية من حيث يسقط اللعين من لوح القلب ومن تحته ، فحينئذ يكون قلبه منظرا للرحمن ومهبطا للفيضان وموردا للشاربين من الماء الحقيقي .

فتحقق كمال الشيخ يعرف بالجلوس عنده على طريق الإخلاص والطلب لا على الإنكار والعناد ، فحينئذ يظهر في قلبه أثر المحبّة والمودّة والميل والعشق إلى طلب علم الحقيقة وينشرح قلبه ، وهذا من كمال صفاء الشيخ وأثر توجهه وصحبته ، فبهذا يُصَفّي القلب عن الأوساخ الباطنية ، وهذا لا يحصل إذا كان الشيخ ناقصا ولا يعرف هذا بظهور الكشف والخوارق فإنّ أكثره يظهر من أهل البدع بل من بعض الكفار أيضا وهذا استدراج في حقهم ، عياذا بالله تعالى عنه .

فالأمر المعتبر هنا الاستخارة المسنونة الصحيحة الخالية من المخالطات النفسانية كما يظهر للقلب السليم بسبب صحة الاعتقاد ، وهذه التجربة معتبرة بعد وجدان الشيخ عاملا بعلمه حيث لا يترك السنن والمستحبات والآداب مزيّنا ظاهره بظاهر الشرع ، فإذا وجد الشيخ بالأوصاف المذكورة يستخير السالك إلى آخر ما قال . انتهى

وقوله **يعرف بالجلوس** الىآخره بالنسبة إلى قلب سليم يعلم ظاهره ما في باطنه ولعله أشار إليه بقوله : **كما يظهر للقلب السليم بسبب صحة الاعتقاد** ، وأهله نادر بل أندر ، ولذا قال : **فالمعتبر هنا الاستخارة** ، فلعلّه هو العمدة في هذا الباب لكن مع انكسار القلوب ، وإليه الإشارة بقوله : **كما يظهر للقلب السليم** ، وبقوله : **بسبب صحة الاعتقاد** .

قيل : قال شخص للإمام الأعظم ﵇ : إني أراك في الرؤيا في النار ، فقال الإمام الأعظم : إنك في سوء ظن في حقي فرأيتَ ظنك ، فافهم .

وبيّن في « الرسالة » طريق الاستخارة ، وفي شرح « الشرعة » أيضا في مواضع عديدة أنواع الاستخارة وكذا في غيرها من كتب الأخلاق ولكونها مشهورة هذا الفقير عن كتابتها معذور .

ثم قال فيها : وأمر الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﵇ بالاستخارة من واحد إلى سبع إذا لم ير في أوّله لأن الشروع والسلوك من غير استخارة منهي عنه بل تضييع للعمر فلا نتيجة له أصلا . انتهى .

وهذه الاستخارة أيضا إذا لم يكن في الشيخ ما يقوم مقام الاستخارة ، كما في « المكتوبات » .

ثم قال فيها : ثم يتوجه الشيخ لقلب السالك توجها جذبيا حتى تنكسر بيوت الشياطين حتى يخرج منه الدم السوداء التي استقرت في القلب كما أخرجها جبرائيل ﵇ من قلب النبي ﷺ كما في حديث عن أنس ﵁ رواه مسلم .

وعلم الباطن لا يحصل إلا بتصفية القلب واطمئنان النفس فإنه سرّ من الأسرار الربانية كما ورد في الحديث . انتهى

وقال في « جامع الأصول » : فإذا توجه المريد وصدق في قصده فالله سبحانه وتعالى يوصله إلى شيخ كامل ناصح ينهضه حالُه ولحظُه وينفعه قالُه ولفظُه . انتهى

ومثله : إذا توجه إلى سيد البشر ﷺ بالتوسل وطلب الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام لعله يجد ما يجد من المشائخ الكرام من أهالي الكمال والتكميل فافهم واعمل تجد ما أقول ، فالاستخارة هي الاستينان والاتباع .

ورد أنّ النبي ﷺ كان يعلّم الصحابة الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن كما في « الفتوحات المكية » وغيرها .

وقال فيه أيضا : ثم بعد الاستخارة يشرع في حاجته فإن كان له فيه خيرة سهل الله أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة ، وإن تعذرت الأسباب ولم يتفق تحصيلها فيعلم أن الله تعالى قد اختار تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبتها تركا وفعلا ، وينبغي لأهل الله تعالى أن يصلوا صلاة الاستخارة في وقت معين من ليل أو نهار في كلّ يوم . انتهى كلام « الفتوحات » .

ولكل من الاستخارتين دعاء مخصوص ذكره في « الفتوحات » فحاصل ما فيه : أنّ المؤمن إذا استخار استخارة مسنونة مروية ودعا بعد الصلاة دعاء مأثورا فإن كان الفعل خيرا له سهل الأسباب ببركتها فيحصل له الحاجة ويبارك فيها ، وإن كان الخير في الترك لم يسهل الأسباب ولم تحصل الحاجة وأمن من شرّها فيعلم بعد وقوع إحداهما ما هو خير له ، وأمّا استعلام الخير من الفعل والترك قبل وقوعهما لأمارة دلت عليه إما في اليقظة فهو لأهالي الكمال وصفاء القلوب في الانتهاء من أهل الكشف والفراسة ، وإما في الواقعة فهو أيضا لهم في التوسط وإما في النوم فهو لأهل الصدق في الإرادة .

قال الإمام الرباني قُدِّسَ سِرُّهُ في « المكتوبات » ما حاصله : **الاستخارة مسنونة ومباركة في جميع الأمور لكن يلزم على المستخير بعد الاستخارة** أن ينظر ما ظهر في اليقظة أو الواقعة أو النوم مما يدل على كون أحدهما من الفعل أو الترك خيرا ، بل له بعد الاستخارة أن يرجع إلى قلبه فإن كان إقباله بعد الاستخارة زائدا من إقباله قبلها فهو يدل على خيرية الإقدام وإن لم يتغير الإقبال بالزيادة والنقصان فهو يدل على أن ليس فيه منع ، ولكن الأصل في هذه الصورة تكرار الاستخارة إلى سبعة ليعلم زيادة الإقبال وإن نقص الإقبال بعدها من الإقبال قبلها فهو يدلّ على المنع ، ولكن الأنسب عدم الاكتفاء بهذه الاستخارة والأحسن تكرير الاستخارة للإحتياط في الإقدام وعدمه . انتهى ج ١

وعلامة المرشد الكامل أن الطالب لو كان عالما وعارفا وساعيا في السلوك بتمام قدرته وكمال علمه ثم إذا توجه لروحانية المرشد في حضوره أوغيبته تكون تلك الكمالات والاجتهادات متلاشية ومضمحلة بالكلية ويتيقن أن ما كان حاصلا له قبل التوجه إلى المرشد ليس بشيء بل ليس له حاصلٌ قبل هذا ويعلم ذلك بالوجدان ويشاهده على التحقيق ويرى أن ما قطع من المنازل والمراحل في غاية القلّة في جنب مطالعة كمال المرشد وقوّة سيره وروحانيته التي كانت مبدلة بالطير عدد الجذبات الإلهية بحيث أن سير سنواته لا يساوي سير ساعة المرشد كما قاله الشيخ عبيد الله أحرار .

والفقير يقول : إنّ كمال الشيخ واستقامته يظهر في مريديه ، وأسهل طرق لمعرفة كمال الشيخ استقامة المريدين واتباعهم السنة السنية والقيام على آداب مشائخ طريقتهم خاصة مقتفين بآثار مولانا الشيخ خواجه بهاء الدين نقشبند ﷺ منكسرين خارجين من حظوظ نفوسهم ورعونتها ، فإن رأيت المريدين مع الأهوآء والحقد والمجادلة ففرّ منهم فرارك من الأسد . . الخ « الرسالة المدنية » .

وقال الشعراني ﷺ في « العهود الصغرى » المذكور : وبالجملة فالشيخ الذي يدل على الله يجب أن يكون قد سلك على طريقة شيخ عارف من مشائخ الطريق وتعب فيها وجاهد نفسه حتى زالت عنها الدعاوات وسلم من العقائد الزائغة وإلا فيجب اجتنابه ، فينبغي لمن تشوقت نفسه إلى سلوك طريق التجريد حتى يستغرق في بحار التوحيد أن يلازم التقوى والالتجاء إلى الله تعالى والتوسل إليه برسوله الصادق الأمين ﷺ أن يجمعه على شيخ عارف يدلّه على الله تعالى ويصافيه ويسقيه من خمر المحبة الإلهية ، فإذا اجتمعت به فشدّ يدك عليه وكن كالميت بين يديه وقل : الحمد لله الذي هدانا لهذا ، ثم خذ في الجد والاجتهاد وجد بنفسك لا بالمال كما قال ابن الفارض ﷺ :

وَمَن لم يجُدْ في حُبِّ نُعْمٍ بنفسِه ولو جادَ بالدّنيا إليهِ انتهَى البُخلُ

انتهى . « تنوير الصدر » .

وقال شيخ شيخنا ﷺ : وأماّ الاقتداء فقالوا : عشرة أشياء عظيمة فاحتفظ بها :

إذا رأيت رجلا يدعي حالا مع الله يخرجه عن أمر الشرع فلا تقربنّ منه ولا ترج فلاحه

وإذا رأيت رجلا يسكن إلى الرياسة والتعظيم فلا تقربن منه واقطع بعدم فلاحه أبدا

وإذا رأيت فقيرا عاد إلى الدنيا فلو مت جوعا فلا تقربن منه ولا تركننّ إلى مرافقته فإن رافقته قسا قلبك أربعين صباحا

وإذا رأيت رجلا يستغني بعلمه فلا تأمن جهله

وإذا رأيت رجلا يرضى عن نفسه ويسكن إلى وقته فاتهمه في دينه واحذره أشدّ الحذر

وإذا رأيت مريدا يسمع القضيب والملاهي ويميل إلى الراحة فلا ترج فلاحه

وإذا رأيت فقيرا لا يحضر عند السماع بل يغفل ويشتهي فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديل فهمه . . « جامع الأصول » .

وقال مولانا أبو الفيوضات شيخ شيخنا ﷺ : وشروط الشيخ الذي يلقي المريد إليه نفسه : ذوق صريح وعلم صحيح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة ، فمن فيه خمسة لا تصح مشيخته : الجهل بالدين وإسقاط حرمة المسلمين والدخول فيما لا يعني واتباع الهوى في كل شيء وسوء الخلق من غير مبالاة .

فصل

فيما ينافي الإرشاد والمشيخة وما لا ينافيه

اعلم أيها الأخ المسترشد أيّدك الله بالتقوى أنّ كل أحد سلك في الطريق ، وإن أكثروا الدعاوى الباطلة بزعمهم على الإرشاد بيد أن للسلوك أهلا وللإرشاد أهلها ولا يخفى ذوو الفضل لذويه .

قال في « جوامع الكلم » فيما يتعلق بالسلوك : فالحاصل أنّ صدور المباحات من الشيخ كالأكل والشرب والنوم وعدم الاشتغال بالنوافل لا يكون سببا لضعف الاعتقاد بل صدور المعصية من الشيخ أيضا لا يكون سببا لضعف الاعتقاد ، وكما قيل : الولي ولي وإن أتى حدا ما لم يخرج إلى حد الفسق إما بالإصرار على صغيرة أو الإتيان على كبيرة ينافي الحكم عليه بالولاية ظاهرا .

ولما سئل جنيد رضي الله عنه هل يزني الولي العارف تأمّل مليّا ثم قال : وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وقال بعض المشائخ رضي الله عنهم : يا إخواني إن أمرتكم بطاعة ولم أفعلها فلا تأخذوا عليّ لأنه لا يقدح في الإفادة والإرشاد ، ولكن إن نهيتكم عن معصية وفعلتها مصرا عليها فذلك قادح في الاستفادة .

وقال أيضا : ولا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله . انتهى

وقال في « روح البيان » : قال حضرة الشيخ الأكبر رضي الله عنه : إذا شاء الحق إنفاذ حكمه كان أمر الله قدرا مقدورا يجري عليه القدر بما أراده تعالى ثم يرده إلى مقامه إن كان من أهل العناية والوصول ، قيل لأبي يزيد قدس سره أيضا : هل يعصي العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا . انتهى

وقال أيضا : سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره أيعصي العارف الّذي هو أهل الكشف ؟ قال : نعم ، وكان أمر الله قدرا مقدورا . يعني إن كان قدر عليه في سابق علمه فلا بد من وقوعه . انتهى

وقال في « المرقاة » في الجلد الأوّل في تفسير الحديث الشريف « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ قال بعض المشائخ : من رآني في البداية كان صديقا ومن رآني في النهاية كان زنديقا . قاله علي القاري رحمه الله في « شرح عين العلم » .

وكان الرجل في ابتداء الإسلام إذا أمسى في رمضان حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الأخيرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى القابلة ، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الأخيرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إني أعتذر إلى الله تعالى وإليك من نفسي هذه الخطيئة إني رجعت إلى أهلي بعد العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت على أهلي ، فقال عليه الصلاة و السلام : « ما كنت جديرا بذلك يا عمر » ، فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت الآية وصارت زلّته سببا للرحمة لجميع الأمّة ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ قاله في « روح البيان » ومثله في « المدارك » و« الفتوحات الإلهية » المشهور بـ« جمل أفندي » و« التفسير الكبير » .

قال القاضي أبو عبد الله علي العامري رحمه الله في رسالته « الناسخ والمنسوخ » : أوجب الله صوم شهر رمضان على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم وكان المؤمنون إذا أفطروا بعد المغرب يأكلون ويشربون ويتمتّعون بنسائهم إلى وقت النوم فإذا ناموا حرم عليهم الطعام والشراب والجماع ، وكانوا على ذلك إلى أن يقع أربعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلاف هذا الأمر فأكلوا وشربوا وجامعوا بعد أن ناموا ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى آخر ما قال ، فنزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ يا محمد ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ الآية . انتهى

قال في « الرسالة البهائية ترجمة الرسالة الخالدية » ما حاصله : إنّ العصمة ليست شرطا للولاية والدليل على ذلك إجراء الحدود وقطع الأيدي على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مع أنّ أدناهم أفضل وأقوى في الولاية من سائر الأمة ، ولذا جوّز البسطامي صدور الزنا من العارف وقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا ، لكن الأولياء من الأحرار كانوا محفوظين من إصرار الذنوب بل يبادرون للتوبة والتضرع والاستغفار حتى يجدوا بسبب كثرة تضرّعهم وابتهالهم وندامتهم وبكائهم زيادة درجة ، ولذا قال ابن عطاء الله قُدِّسَ سِرُّهُ : **رُبّ معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزاً واستكبارا .**

وقيل أيضا : ولي تائب أفضل من ولي محفوظ وإن تساويا في الأعمال والأوصاف .

وكان في زمان هذا رجل تصرفاته وتأثيراته للمريدين الصادقين ظاهرة كالشمس في وسط السماء ينكرون عليه لأكله اللذيذات من الأطعمة ولبسه الثياب الفاخرة مع أنّ الكل مباح ، وورد زنا ماعز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فرجم ، كما في « التوضيح » وغيره .

وذهب الإمام الرباني قُدِّسَ سِرُّهُ في « مكتوباته » إلى ولاية جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بل أتم وأكمل في الولاية من أفراد سائر الأمة ، حتى قال : إنّ الوحشي الذي قتل حمزة عمّ النبي ﷺ وعليهم أجمعين وهو الذي رأى رسول الله ﷺ مرّة واحدة بعد إسلامه أكمل وأفضل في الولاية من أويس القرني الذي تربى من روحانية سيد البشر عليه الصلاة والسلام مع أنه أفضل التابعين .

انتهى حاصل ما في « المكتوبات » ، ولعلّه هو الحق الحقيق لأنهم أفضل الأمة على الوفاق وذلك يقتضي ولاية الكل .

وقال الإمام محمد معصوم قُدِّسَ سِرُّهُ في « مكتوباته » ما حاصله : إذا صدر من الولي بحكم البشرية كبيرة من الكبائر هل يسقط عن الولاية ؟ قال : الجواب المقرّر فيما بين المشائخ أن الفاني لا يرد لكن أكثر الخواص محفوظون من العجب والرياء لأن الفناء التام يرفع وينفي العجب والرياء من أصله ، ولكن

إذا صدر منهم بحكم البشرية يبادرون إلى التوبة ويسارعون إلى الحسنات المكفرات ويتداركون بها . انتهى

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في « منهاج العابدين » : فالرياء المحض لا يكون من العارف ، وهذا عند بعض العلماء ، وعند الآخرين يكون الرياء المحض من العارف ، والصحيح عند شيخنا رحمه الله تعالى أن الرياء المحض لا يكون من العارف مع تذكر الآخرة ويكون مع السهو والنسيان ، فالرياء المحض أن يريد بعمله نفع الدنيا فقط أو المخلوط إرادة نفع الدنيا والآخرة جميعا . انتهى كلام « المنهاج » .

والرياء حرام بالإجماع لأنه من الكبائر للنصوص القطعية بذلك ، وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك بالشرك الأصغر قاله ابن عابدين .

قال في « ترجمة النفحات » ما حاصله : إنّ في محفوظية الأولياء فيما بين العلماء كلام طويل الذيل والمختار فيما بين أرباب الطريقة أنّهم محفوظون من الإصرار على المعاصي لا من أصل المعاصي ، ولذا جوز الجنيد قدس سره صدور الزنا من العارف كما ذكرنا .

وقال الشيخ ركن الدين علاء الدولة : إنّ أولياء الله تعالى محفوظون من تحقير المعاصي واستصغارها[1] .

وروي عن صدر الرسالة صلى الله عليه وسلم : « إن تغفر اللهمّ فاغفرْ جمّا وأيّ عبد لك لا ألمّا[2] » وفي التنزيل : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ .

وقال في بعض التفاسير عند قوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : أحوج من يحتاج إلى التوبة من يظن أنه لا يحتاج إلى التوبة .

« ١ » قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة حين تكلم عن الأولياء : ولا مجال لنسبة الكذب إليهم فإنهم أولياء الله اصحاب كرامات محفوظون من الله تعالى والله أعلم « فواتح الرحموت شرح مسلّم الثبوت »٣٤٤/٣

« ٢ » أي : وأي عبد لك لم يلمّ بالذنب .

وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في « الجامع الصغير » في باب الهمزة : إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب من ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاءه وقدره ، فإذا أمضى أمره رد الله إليهم عقولهم ووقعت الندامة . عن أنس وعلي رضي الله عنهما . انتهى

وقال رسول الله ﷺ فيما نقل عن العزيز الذي سأل رسول الله ﷺ عن التصوف في الرؤيا قال : التصوف ترك الدعاوى وكتمان المعاني« ١ » .

وقال بعض العارفين أيضا : إنّه يلزم على السالك أن يجتنب عن ثلاثة أصناف من الناس : **العلماء الغافلون والقراء المداهنون والمتصوفة الجاهلون**

وقال أيضا : كلّ سالك كان في نسبة الشيخ الذي لم يوافق عمله بسنة رسول الله ﷺ ولم يتحل بحلية الشريعة الغراء فليُتباعد من هذا الشيخ وفرّ منه فرارك من الأسد ولتُهاجر من بلدته وذلك لئلا يحصل لك الضرر بسراية الأحوال فإن الأحوال سارية والطبيعة سارقة كما ذكر ، ومثل هذا الشيخ لا يصلح للاقتداء به ولا يكون أهلا للمشيخة وإن ظهر منه ما ظهر من الكشوفات والكرامات وخوارق العادات

وقال الإمام جنيد البغدادي سيد الطائفة رضي الله عنه : الطرق كلها مسدودة إلا لمن اقتفى أثر رسول الله ﷺ .

وقال هو أيضا قدس سره : من لم يكن له حفظ القرآن وتقريره وكتب الحديث وتحريره فهذا الرجل لا يصلح الاقتداء به ولا أن يؤخذ منه العهد وذلك لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

« ١ » عن جعفر بن مُحَمَّد بن نصير الخلدي ، قال : ثلاث مسائل سألت عدة من المشايخ فلم يجبني أحد ، رأيت رَسُول اللَّه ﷺ في المنام ، فقلت : يا رَسُول اللَّه ، ما التصوف ؟ قال : ترك الدعاوى وكتمان المعاني ، فقلت له : ما التوحيد ؟ قال : ما حده فكرك أو أحاط بك همك أو أصبته بحواسك ، فالله بخلافه إنما نسلم التوحيد لمن جرده من أربعه : من الشرك ، والشك ، والتشبيه ، والتعطيل ، فقلت له : ما العقل ؟ فقال : أدناه ترك الدنيا ، وأعلاه ترك الفكر في ذات الله تعالى « ذيل تاريخ بغداد لابن النجار » ٥٧٦ .

فصل

في إنكار المشائخ الكاملين والأولياء الصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

اعلم أيها العزيز أنّ سادات الأولياء سرج الدنيا والآخرة وبهم تعم البركة وبهم تنزل الرحمة وترفع البلية وقد خلقهم الله تعالى رحمة للعالم ، والتوقع فيهم من أعظم المصيبات والفتنة ، وسنذكر رمزا في حق ذلك مع ما يدل على قبحه من الدلائل اختصارا ، كما ذكرنا في هذه الأرجوزة في مواضع عديدة ما يدل عليها .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « أصول الأربعين »«١» ما يؤيد ما قلنا«٢» : قال الله ﷻ : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ، وإيّاك وأن تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد إذا كوشفت بالحق عند حضور وقت سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

واعلم أن الإيمان والعلم والذوق ثلاث درجات متباعدة بعضها فوق بعض ، ثم قال : فكذلك القول في الفناء والتوحيد ، فالذوق مشاهدة والعلم قياس والإيمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة ، فاجتهد أن تكون من أهل المشاهدة فـ « ليس الخبر كالمعاينة » . انتهى

وفيه بيان التوحيد قبيل هذا وفيه تفصيل مهم للمتفطن المتشوق .

ومنها ما في « جوامع الكلم » : ومن سوء الأدب الاعتراض على المشائخ والأولياء وأن يترك تعظيمهم واحترامهم وأن لا يقبل إشارتهم فيما يشيرون

« ١ » كتاب « الأربعين في أصول الدين »
« ٢ » فهذه أمورٌ نبّهتُ عليها لتكون متشوّقا إلى أن تصير من أهل الذوق لها فإن لم تكن فمن أهل العلم بها فإن لم تكن فمن أهل الإيمان بها « الأربعين في أصول الدين »

عليه فقد قالوا : عقوبة الإساءة للأدب لا توبة لها ، ثم ذكر الحديث إن الله سبحانه وتعالى قال : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » .

وقال أيضا : فإيذاء الناس خصلة مذمومة ولكن من يؤذي الأبوين والشيخ والأستاذ فهذا شره زائد فوق الحد . انتهى

ومنها ما في « المرقاة » وعن أبي هريرة ﷺ : « من عادى » أي آذى « لي وليا » أي واحدا من أوليائي فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله أمره فلا يكله إلى نفسه لحظة أو مبالغة فاعل وهو المتولي عبادة الله تعالى وطاعته على التوالي والأول يسمى مرادا ومجذوبا سالكا والثاني مريدا وسالكا مجذوبا واختلف العلماء أيهما أفضل « فقد آذنته » أي أعلمته « بالحرب » أي بمحاربتي إيّاه لأجل ولي .

قال الأئمة : ليس في المعاصي من توعد الله أربابها بالمحاربة سوى هذا وكذلك في أهل آكل الربا بقوله تعالى : ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ، وهذا يدل على أنّ في هذين الخصلتين من عظيم الخطر ، إذ محاربة الله للعبد تدل على سوء خاتمته نعوذ بالله من ذلك ألف مرة ، لأنّ من حاربه الله تعالى لا يفلح أبدا . انتهى

ومنها ما في « روح البيان » في قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ : وفي « التأويلات النجمية » : أي الذين تكبروا على أولياء الله وامتنعوا عن قبول النصح والموعظة منهم .

ومنها أيضا ما في « روح البيان » : فمن كان من الأبرار فإن الأبرار لفي نعيم ومن كان من الفجار فإن الفجار لفي جحيم ، والفجور نوعان : فجور صوري وهو ظاهر وفجور معنوي وهو إنكار أهل الله تعالى والتعرض لهم بسوء . انتهى

ومنها أيضا : واعلم أنّه غلب على أهل زماننا هذا مخالفة أهل الحق والاستهزاء بهم وبكلماتهم الخارجة عنهم في وقت السكر وغلبة الحال إلاّ من شاء الله به الخير من أهل النظر وأرباب الإرادة وقليل ما هم ، فكما أن الله تعالى هدّد كفار الشريعة في طريق العبارة كذلك هدد كفار الحقيقة في طريق الإشارة ، فإنّه لم ينفلت أحد منهم من يد القدرة إلى يومنا هذا وكلهم عوقبوا على ما هم عليه . انتهى

وقال أيضا : من أنكر من العلماء من أصحاب هذا الشان لا يكون هذا في عداد العلماء .

ومنها ما في « اللمعة » : وقد ابتليت هذه الطائفة بإيذاء الخلق لهم خصوصا أهل العلم الظاهر ، فقلّ أن تجد منهم من شرح الله صدره بالتصديق لولي معيّن ، بل يقولون : نعم الأولياء موجودون لكن أين أولئك الأولياء في هذا الزمان بل انقرضوا وفنوا لم يبق منهم رجل .

ولقد قال لشيخنا قدس سره«١» جامع القطبتين رجلٌ عنده من علوم الظاهر أن مثل أخبار الصالحين كمثل أخبار الجن تسمع أخبارهم ولا تراهم ، فقال شيخنا قدس سره : أنت يا أخي من الصالحين ؟ قال : لا ، قال شيخنا أيضا : فأنت مشتاق إليهم ؟ قال : لا ، قال شيخنا : فأنت لست بصالح ولا مشتاق فكيف تراهم ؟ ! ثم قال له : قال شيخنا رحمه الله تعالى : أولياء الله عرائس الله ولا يرى العرائس إلاّ المحرمون ، قال«٢» : صليت الجمعة بجامع الأزهر بالقاهرة فقال رجل لفقيه : إنّ رجلا لماّ دخل على شيخه انفتح له الحائط فدخل منه وسلّم على الشيخ فلما خرج عاد الحائط إلى ما كان عليه ، فقال الفقيه : الله ينفعنا بالشيخ ، فقلت : كيف ينفعك الله به وأنت تحقر ربّه ؟ أنا أقول لك مسألة في الفقه : إنك تؤمن أنّ الله يشق الحائط للشيطان ويجري من بني آدم مجرى الدم ؟ قال : نعم ، قلت : إنك تستقلّ هذا في عدو من أعداء الله تعالى وتستكثر في حبيب من أحبابه ! وتقول بأن كرامات الأولياء حق باللسان فإذا سمعها أذنك أنكرت ! . انتهى

ومنها ما في ترجمة « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره : اعتراض أهل الله تعالى سمّ قاتل .

ومنها ما في « روح البيان » : نعوذ بالله من الإطالة على الأنبياء وورثتهم الأولياء انتهى .

« ١ » محمد ذاكر الجسطاوي قدس سره .
« ٢ » لعلّ القائل الشيخ الجسطاوي قدس سره .

ومنها ما في « متممات جامع الأصول » : وقال شيخ الإسلام المحرزي ﷺ : لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلاّ إن سلك طريقهم ورأى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة والإجماع والسلف الصالحين ، وأمّا الإشاعة والظن والتخمين والكذب والافتراء والبهت عليهم فلا يجوز الإنكار عليهم ولا طعنهم ولا سبهم . . وأطال في ذلك ثم قال : وبالجملة فأقل ما يلتزم على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم وأفعالهم أن يعرف سبعين أمرا ثمّ يسوغ له الإنكار ، وبيّن فيها هذه السبعين ، فمن أراد الوقوف فلينظر إلى الكتاب والفقير اكتفى بهذا القدر .

وقال فيها أيضا نقلا عن سيدنا الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال : من أراد أن يفتح الله على قلبه نور الحكمة فعليه بالخلوة وقلّة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض العلماء الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب . انتهى كلام « المتممات » .

وأمّا ما في « الفتاوى الخيرية » في « شرح الجامع الصغير » للمناوي في قوله ﷺ « **من أحب قوما حشره الله تعالى في زمرتهم** » قال : من أحبّ أولياء الله فهو معهم في الجنان ومن أحب أولياء الشيطان فهو معهم في النيران .

وفيه إشارة عظيمة لمن أحب الصوفية أو تشبه بهم مع تفريطه بالقيام بما عليه يكون في الجنة والتشبه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إيّاهم والمحبة لهم لا تكون إلاّ لتنبه روحه كما تنبهت له أرواحهم ، لأنّ محبّة الله تعالى إنما تكون بمحبة أمره ومحبة من يقرب إلى محبته والمحبة لهم لا تكون إلاّ بجاذب الروح إلاّ أنّ المتشبه تعوق بظلمة النفس عن أعمالهم الخير والصوفي خلص من ذلك . انتهى

وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلاّ كل نفس جاهلية غبيّة[١] يخبر الذائق عن ذوقه فينكره من هو عديم الذوق ، ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ قاله فى « جوامع الكلم » .

« ١ » في الأصل : انتهى كلام الفتاوي الخيرية .

وقال في « الرسالة البهائية » : أيقن أرباب الكشف وبيّنوا أنّ من فتح باب الاعتراض على أهل الله تعالى يموتون على سوء الخاتمة نعوذ بالله تعالى .

وأيّده البعض في الكتاب بدلالة الحديث القدسي . انتهى

وفيه تفصيل كامل لكن هذا في أهالي التصرف كما هلك شمس الدين ﵁ مريد خواجه بهاء الحق و الدين ﵁ بسبب ترك أدب واحد لشيخه خواجه بهاء الحق والدين ، كذا في ترجمة « الرشحات » في مناقب خواجه بهاء الدين ، وأمثاله كثيرة مذكورة في عدّة مواضع في عدّة أشخاص .

وقال بعض العارفين : طرائق السادات السابقين كلها في الحقيقة مقيّدة بالكتاب والسنة ، فهؤلاء هم أهل التصوف وهم العلماء الذين عملوا بالشريعة والطريقة وهم الوارثون لرسول الله ﷺ وهم الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأفعال والأخلاق وألْتَمِسُ منكم حقّ الالتماس أن لا تعدوا من العرفاء من تهاون لأدب من آداب النبي ﷺ وترك سنة من سنن المصطفى ﷺ ، ولا تغترّوا بأفعاله الخوارق للعادات وأقواله المزخرفة . انتهى كلام محمد معصوم ﵁ .

و قال إسماعيل حقي ﵁ في « خطابه » : العلم لا يحتاج إلى الحال وأمّا الحال فيحتاج إلى العلم .

وقال أيضا فيه : من لم يجمع بين علمي الظاهر والباطن فلا يكون علمه مطلقا ، فيندر منه التربية والتسليك لأنّ طريق القوم مقيّد بالكتاب والسنة إلاّ إن وقع التعليم الإلهيّ ، وورد في بعض الأخبار : « ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذ لعلّمه » يعني لا يكون الجاهل ولياّ في العرف ، أماّ إذا أراد الله اتخاذ الجاهل ولياّ فإنّ الله تعالى يقدّم عليه التعليم ثمّ يتّخذه وليا بعد التعليم .

ويلزم على المريد تعلم علم الحال وتعلم العلوم الدينيّة ويفرّق بين الفرائض والسنن وبين الحلال والحرام وأن يترك ما لا يكون من مهمات الدين ، وقال أيضا : الشيخ ولي في العرف[١] .

وقيل : من لم يكن له أدب الشريعة وأدب الطريقة فلا يجوز الاقتداء به وإن كان صادقا في الأحوال لأنّ من اقتدى بمن ليس له أدب يكون هو أيضا غير أديب ، فإنّ الأدب إنما هو صفة الرجل الذي وصل إلى الحقيقة يعني أنّ الأدب الكامل إنما هو أثر الوصول إلى مقام السرّ .

فعلم منه إذا لم يصح الاقتداء لصاحب الحال الذي هو تارك الأدب فكيف يصح الاقتداء بتارك الأدب الخالي عن الحال ، فالاقتداء بأمثال هؤلاء الناس إنما هو علامة جهلاء الأمصار .

وقال : إنّ الأمور الوحدانية التي هي من أثر الأوامر لو لم يخرجها إلى الوجود بالارتكاب عليها لا يصل هو أيضا إلى مراده .

قال في « تنوير الصدر » : والحاصل : إن محاسن العباد مساوي وحقائقهم دعاوى لأنّ الدعوى الصادقة تحدث في القلب ظلمة فكيف بالكاذبة كما قيل :

فَدَعْوَةُ المَرْءِ تُطْفي نورَ بَهْجَتِهِ وَلَوْ بِحَقٍّ فَكَيفَ المُدَّعي زَللا

وسئل إسماعيل السلمي رحمه الله تعالى عن هذه الدعاوى من أين تتولد فقال : من الاغترار وتشويش الأسرار .

وكان يقول أيضا : إنما تتولد من فساد الابتداء ، فمن صحّت بدايته صحت نهايته . انتهى

وكان العارف ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول : كل مدع محجوب بدعواه . اهـ

« ١ » أي بما أنه تقرر أن الولي لا يكون جاهلاً والشيخ كما هو معروف ولي لله تعالى فيتقرر وجوب كونه عالماً بناء على ما تقدّم .

وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى يقول : عليك بالعمل وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في طريق القوم دون التخلق بأخلاق أهله . اهـ

العلم والمعرفة فوق جميع أقرانهما وقد كثرت الدعوى في هذا الزمان وكَثُرَتْ المرشدون مع احتياجهم للمربي ويتكلمون الناس بما يوهم الناس أنهم من أهلها ويحسبون أنهم على شيء ، يملؤن بطونهم من الطعام سواء كان حلالا أو حراما . اهـ

وسمعت من شيخنا الأستاذ السباعي ﷺ نقلا عن والده العارف السيد الصالح السباعي ﷺ أنه كان يقول منشداً :

أَمَّا الخِيامُ فَإنَّها كَخِيامِهِمْ   وَأرى نِساءَ الحَيِّ غيرَ نِسائِهِمْ

وقد أشار إلى ذلك ابن الفارض ﷺ :

تَعَـرَّضَ قـومٌ للغـرامِ ، وأعْرَضـوا   بِجانِبِهِـمْ عَـنْ صِحَّتـي فيـهِ واعتلُّوا
رَضُـوا بالأمانـي وَابتُلَـوا بحُظوظِهِم   وخاضـوا بحارَ الحُبّ دعوَى فما ابتلّوا
فَهُمْ في السّرى لم يَبْرَحوا من مكانهم   وما ظَعَنوا فـي السَّيرِعنه ، وقد كَلّوا

يعني أن هؤلاء القوم المذكورين تصدّوا لدعوى الحب الرباني مع كونهم معرضين عن طريق السداد متصدّين لمجرد الدعوى الكاذبة بتدليس أنفسهم عليهم أنهم عرفوا الله المعرفة الذوقية فأحبوه تعالى مع أنه لا يعرف الله تعالى المعرفة المذكورة إلا من فني واستهلك عن بشريته في وجود الحضرة الإلهية .

وبيان ذلك : أن سبب الفناء المذكور أن المحبوب الحقيقي إذا توجه بجماله إلى عبده السالك في طريقه تعالى نوّر قلبه فتضمحل رسوم ذلك العبد فيموت الموت الاختياري أي تموت نفوسهم كما قال سبط ابن الفارض ﷺ :

إحْياءُ أهْلِ الحُبِّ مَوْتُ نُفوسِهِمْ   وَمَوْتُ قُلوبِ العاشِقينَ مَصارِعُ

كما مرّ مع كونهم لا يفنون عن دعوى وجودهم في وجود ربهم الحق فلم يعرفوه المعرفة الذوقية فلم يموتوا الموت الاختياري ومع ذلك ادعوا معرفة الله كذبا ، كمن ينظر إلى غيره وهو يأكل شيئا حامضا فيغمض هو من الحموضة كأنه ذائق لذلك وليس في فمه شيء وكذلك هؤلاء المدعون ليس عندهم شيء . « تنوير الصدر » ٢٧٠

وقال في « القواعد » في صحيفة ٩ : واعلم أنّه ما ظهرت حقيقة قطّ في الوجود إلاّ قوبلت بدعوى مثلها وادخال ما ليس منها عليها ووجود تكذيبها ، كل ذلك ليظهر فضل الاستتار وتتبين حقيقتها بانتفاء معارضها فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثمّ يحكم الله آياته ، وللوارث نسبة من الموروث ، وأشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، إنمّا يبتلى الرجل على قدر دينه ، فمن ثم كان أهل هذا الطريق مبتلين بتسليط الخلق أوّلا وبإكرامهم وسطا وبهما آخرا .

قيل : لئلا يفوتهم الشكر على المدح ولا الصبر على الذمّ ، فمن أراده فليوطن نفسه على الشدّة ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ فافهم . « قواعد » ٩

واعلم أيها الأمين إني بسطت الكلام في حق الشيخ والمشيخة حتى ينفر منه طبع الناظر بناء على أهمية الأمر في تفصيله ، وكونه أحق للتفصيل لكون الإسلام مع غربته في هذا الزمان أنّ بعض الناس لأجل الدنيا يريدون محقه بالكلية .

فمن علامة ذلك ابتداع أمور في هذه النسبة السنية الصديقية التي هي زبدة الشريعة ووسيلة الحقيقة ، كيف لا وقد سمعت من بعض المتشيخين لماّ سئلوا من أين أخذوا هذا الذكر والزعقات والمجالس المضحكة وهل كان الذكر الجهري لدى نقشبند بهاء الحق والملة الشيخ محمد البخاري الأويسيّ ﷺ فأجاب : وهل كان الناس في زمانه كما في زماننا والناس كانوا وقتئذ بكيف وفي زماننا بكيف آخر ، فلأجل ذلك لازم أن يكون الذكر بالجهر لا بالسر .

فانظر في هذا الجواب وجهالته وعدم معرفته على أنّ النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعيٍّ أمرٌ جاهليٌّ حيث قال« ١ » الكفار : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾، فردّ الله تعالى عليهم : ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ .

فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولا شخص إلاّ من حيث ما خصّه الله تعالى به ، والأولياء في ذلك تبع الأنبياء لأنّ الكرامة شاهدة للمعجزات والعلماء ورثة الأنبياء في الرحمة والحرمة وإن تباينا في أصل الفضل فافهم . « قواعد » ٥٢

« ١ » أي : قال الله تعالى على لسان الكافرين .

فصل

في عدم وجدان المشائخ الكمل والحرمان من أنوارهم[١]

وهو يقتضي الإنكار وقد عرفت ما فيه من الجهالة والغباوة ، كما في « فتاوى الخيرية » ، وخوف سوء الخاتمة كما « في اللمعة » ، ومن العذاب الشديد كما في « أصول الأربعين » للإمام الغزالي رحمه الله ، وإيراث الفسق كما قاله الإمام مالك رضي الله عنه كما سبق نقلا عن علي القاري عليه رحمة الله الباري ، وكونهم من المحرومين كما في « اللمعة » لأنهم موجودون في كل عصر كما عرفت مما سبق ، وعدم كونهم في سلسلة السادات ونسبتهم كما في « جامع الاصول » وعدم دخولهم في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، والحرمان من الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة مع فضله على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا على ما ورد في الحديث الشريف كما في أصول الأربعين وغيره ، والحرمان من تطهير القلب الذي هو أهم المهمات كما في « عين العلم » وفي التنزيل : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ، والحرمان من تزكية النفس الواجبة علينا وعلى كل مسلم فيحرم من الوعد بالخير في الجنان بقوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، ويستحق الوعيد بالعذاب في النيران بقوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ .

والمفسرون فسروا لهما بالتزكية والإكمال ، والحرمان من كمال الإخلاص وحقيقة الواجب على العباد كما في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره وهو السمّ القاتل كما قاله فيها أيضا ، والفجور المعنوي الموجب للعقاب كما في « روح البيان » إلى غير ذلك مما لم نذكر .

« ١ » لعلّ المراد : بناءً على ما تقدّم من كون الشيخ الحقيقي نادر الوجود في هذا الزمان ، فكان حكم النادر كالمعدوم ، أراد المؤلف رحمه الله تعالى تبيين هذه النقطة وإيضاح المشكلة فيها بأن الباحث إن كان صادقا لا بدّ أن يجدهم إن صحّت نيّته ولا يجوز إنكار وجودهم والحكم بانعدامهم لأنهم لا يخلو عنهم زمان .

قال ابن عطاء الله ﷺ بعد أن ذكر أنه لا بد من الشيخ في الطريق على سبيل الوجوب كيف تأمر بذلك وقد قيل : إن وجود الشيخ كالكبريت الأحمر وكالعنقاء فمن ذا الذي بوجوده يظفر فكيف تأمرني بتحصيل من هذا شأنه ؟ فقال : لو صدقت في الطلب وكنت في طلبه كالطفل في طلب مرضعته أو كالظمآن في طلب الماء لظفرت بالشيخ ، فإن الطفل والظمآن لا يقرّ بهم قرار ولا تسكن روعتهم حتى يظفروا بمقصودهم .

فأشار ﷺ أن الشيخ موجود ، وكيف لا يكون موجودا وعمارة العالم إنما هي بأمثاله ، فإن العالم شبح والأولياء روحه فما دام العالم موجودا لا بد من وجودهم ، ولكن لشدَّة خفائهم وعدم ظهورهم حكم بفقدانهم .

قال في « جوامع الكلم » : من دخل الدنيا ولم ير رجلا صالحا كاملا يربيه خرج من الدنيا وهو متلوث ولو كان له من أعمال الأبرار مثل ما بين السماء والأرض . انتهى

وقال في « روح البيان » : سمعت كثيرا من المشائخ يقولون : من لم يَرَ مُفْلِحاً لا يفلح أبداً . إلى آخر ما نقلناه في الفصل الرابع .

وقال في « الإحياء » : إنّ من يحب أستاذه وشيخه لأجل كونهما وسيلة إلى تحصيل العلم والعمل والفوز في الآخرة وإلى رضاء الرحمن فهذا من الحب في الله ، وكذلك من يحب تليمذه لأجل كونه يَتَلَقَّفُ« ١ » منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى إلى درجة التعظيم في ملكوت السموات ، إذ قال عيسى ﷺ : من تعلم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ، ولا يمكن التعليم إلاّ بالتعلم فهو إذا آلة في تحصيل هذا الكمال فإنّ محبته إنما هو لأجل كونه آلة إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو محل لبذره الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في الملكوت فهو من الحب في الله .

« ١ » أي يتناول ما ترمي إليه .

وقال الإمام الغزالي ﷺ في « الإحياء » : ثم اعلم أن كلّ انسان جاهلٌ بعيوب نفسه ، ثم قال فيه : من توضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة يحتاج إلى إمام يقتدى به ، فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهتدي به إلى سواء السبيل فإنّ سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ، فمن سلك سبل الوادي المهلكة بغير خفير« ١ » فقد خاطر بنفسه ، ويقال في المثل : المستقل بنفسه كالشجرة التي نبتت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر ، فمعتصَم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فيتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر القائد بحيث يفوض إليه أمره بالكلية ولا يخالفه في وِرْدِهِ ولا صَدْرِهِ« ٢ » ولا يبقى في متابعته شيء ، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب ، فإذا وجد مثل هذا المعتصَم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين ينفي عنه قواطع الطريق . انتهى

وقال أيضا فيه : اعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا بصّره بعيوب نفسه ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم ، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه ، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق .

ثم قال بعد تعداد الطرق الأربعة : وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم ، فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلّصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده . انتهى

وقال فيه أيضا : علم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العلماء العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله ، وقال آخر : من

« ١ » أي دليل .
« ٢ » الوِرْدُ هو الموافاة والقدوم والصّدر هو الانصراف والذهاب .

كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة وكبر ، وقيل : من كان محبا للدنيا أو مصرّا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم ، وأقلّ عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين .

وقال فيه أيضا : من حصّل الحديث والعلم ثم تصوّف فقد أفلح ، قال الإمام مالك ﷺ : من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق . انتهى

واعلم أيها الأعزّ الصادق أنّ السالك لا بدّ له من مرشد مُرَبٍّ ليدلّه على الطريق ويرفع عنه الأخلاق المذمومة ويضع مكانها الأخلاق المحمودة .

ومعنى التربية أن يكون المربي كالزارع الذي يربي الزرع ، فكلما رأى حجرا أو نباتا مضرا بالزرع قلعه وطرحه خارجا ويسقي الزرع مرارا إلى أن ينمو ويتربى ليكون أحسن من غيره .

وإذا علمت أنّ الزرع محتاج للمربي علمت أنّه لا بد للسالك من مرشد مربّ البتة ، لأنّ الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلا لهم ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم ، وقبل انتقال المصطفى إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نوّابا عنه ليدلوا الخلق إلى طريق الله تعالى وهكذا إلى يوم القيامة ، فالسالك لا يستغني عن المرشد البتة .

وشرط المرشد وإن كررنا ذكره : أن يكون عالما ، لكن ليس كل عالم يصلح للإرشاد بل لابد أن يكون عالما له أهلية صناعة الإرشاد .

ولهذا المرشد علامات ونحن نذكر لك ما لا بدّ له منها بطريق الإجمال حتى لا يدعي الإرشاد كل متحير .

فالمرشد هو الذي يكون قد خرج من باطنه حب المال والجاه وتأسّس بنيان تربيته على يد مرشد كذلك وهلم حتى تنتهي السلسلة إلى النبي ﷺ ، وذاق بعض الرياضات كقلة الأكل والكلام والنوم وكثرة الصلاة والصدقة

والصوم ، واقتبس نورا من أنوار سيدنا محمد ﷺ واشتهر بالسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة من صبر وشكر وتوكل ويقين وطمأنينة وسخاء وقناعة وأمانة وحلم وتواضع ومعرفة وصدق ووقار وحياء وسكون وتأن وأمثالها ، وتطهّر من الأخلاق الذميمة كالكبر والبخل والحسد والحقد والحرص والأمل الطويل والطيش ونحوها ، وسلم من تعصب المتعصبين واستغنى عن علم المتكلّفين بالعلم المتلقى عن رسول الله ﷺ .

فالاقتداء بهذا المرشد هو عين الصواب ، والظفر بمثله نادر ، لا سيّما في هذا الزمان ، فإنّه كثر فيه من يدعي الإرشاد وهو في الحقيقة يدعو الناس إلى اللهو واللغو ، بل ادعى كثير من الملحدين الإرشاد بمخالفة الشريعة ، وبسبب غلبة هؤلاء المدعين اختفى المرشدون الحقيقيون في أركان الزوايا .

وبما ذكرناه عُلم بعض علامات المرشد الحقيقي حتى أنه من وجد متخلقا بها علم أنه من المرشدين ومن لم يكن متخلقا بها علم أنّه من المدّعين .

فإن تحصل أحد على مثل هذا المرشد وقبله المرشد وجب عليه احترامه ظاهرا وباطنا :

فالاحترام الظاهري أن لا يجادله ولا ينكر عليه ولا يقيم الحجة عليه في أي مسألة ذكرها وإن تحقق خطأه ، وأن لا يظهر نفسه أمام المرشد بفرش السجادة إلاّ أن يكون إماما فإذا فرغ من الصلاة ترك السجادة تأدّبا معه ، وأن لا يتنفّل كثيرا في حضرته وأن يفعل كلّ ما أمره به قدر استطاعته ، وأن لا يسجد له ولا لغيره لأنّه كفر وأن يبالغ في امتثال أمره ولو كان ظاهره في صورة المعصية .

والاحترام الباطني أنّ كلّ ما سلمه له في الظاهر لا ينكره في الباطن وإلاّ كان منافقا ، فإن لم يقدر على ذلك ترك صحبته حتى يكون ما في باطنه موافقا لما في ظاهره لأنّه لا فائدة في الصحبة مع الإنكار بل ربما تكون سببا في هلاكه . « خلاصة التصانيف » للغزالي رحمه الله .

وسئل القطب العارف السيد أحمد بن إدريس المغربي ﷺ: هل لمن أراد أن يأخذ شيخا أن يطلب منه كرامة ليطمئن بها قلبه لأنه ربما يكون ذلك الشيخ متطفلا وليس بأهل للمشيخة ؟ ثم إذا طلبها هل للشيخ أن يظهر له كرامة أم لا ؟ فأجاب بأنّه : لا ينبغي لمن أراد الأخذ أن يطلب من الشيخ ذلك ولا ينبغي للشيخ أن يظهر له ذلك لأنّه إن كانت له عناية وجذب من الله تعالى فهو يرى جميع حركات الشيخ وسكناته كرامات إذا كان صادقا وإن لم يكن له عناية فربما يتأول التلميذ الكرامة الظاهرة كما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار بقوله : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ .

ثم إذا ظهرت له الكرامة ولم يتلقها بالقبول الصادق فذلك الخطر العظيم لأنّ بني إسرائيل لما سألوا عيسى عليه السلام أن يسأل ربّه أن ينزل عليهم مائدة من السماء قال الله تعالى : ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

فلو لم يسألوا ذلك لكان عذابهم كعذاب غيرهم إذا كفروا ، فتأمّل ما أخطر الإنكار بعد ظهور الحجة .

ثم ضرب رضي الله عنه مثلا : إذا أراد الإنسان أن يضع شيئا من زيت أو سمن في إناء ليحفظه له هل يحفظه التراب إذا صبّه عليه ؟ ! لا ، بل إذا أراد الإنسان أن يصنع من التراب إناء فلا بد أوّلا أن يعجنه بالماء ثم يخدمه حتى يمتزج بالماء ثم يهيّء صورة الإناء ثمّ ييبس في الشّمس وقتا من الزمان ثم توقد النّار فيدخل فيها حتى ينضج نضجا كاملا ثم يخرج منها فيختبر ، فإن لم يحفظ الماء أوّلا أعيد في النار ثم يخرج فيطلى بطلاء ثم يعاد في النّار ، فبعد ذلك لا يخون فتضع فيه ما شئت من زيت أو سمن أو غير ذلك فإنّه يحفظه ، كذلك الأسرار لا توضع في صدور الرّجال إلاّ بعد تعب ورياضة وخدمة من الشيخ بالتعليم والاختبار والامتحان للرجل

الذي يريد وضع الأسرار فيه ، فإن علم أنّه قد صار حافظا لا يخون وضعها فيه وإلاّ أمسك ، وهذا التدبير هو الّذي أجرى عليه الله الكون فإنّه تعالى كان قادرا أن يعطينا الخبز على صورة لا يحتاج معها إلى شيء من الخدم لكنه أولا ألهمنا وأمرنا أن ندفن الحب في التراب ثم نسقيه بالماء حتى تمتد عروقه في الأرض فينبت ثم يسنبل ثم يحصد ثم يداس ثم يطحن ثم يعجن بماء ثم ينضج في النار ثم يؤكل وهذه قاعدة كلية في كل شيء أنّه لا يحصل للإنسان شيء إلا بعد إيداب« ١ » فيه بجهد وجدّ حتى يحصله بعد زمان وإمعان ، فقال له السائل : فبم نعرف صدق الشيخ من عدم صدقه ؟ فقال : بالصدق فإذا عاملت الله سبحانه وتعالى بالصدق واستخرته فحق عليه إذا عرف صدقك أن لا يدلك إلا على الصدق ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ . انتهى

وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ : المشائخ يمتحنون تلاميذهم بأمرهم بفعل شيء مما يخالف عاداتهم ليعرف الصادق من غيره ، ولهم في ذلك حكايات عجيبة ليست هذه الكراريس موضع ذكرها ومعهم على ذلك دليل من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ ، والمؤمنات يشمل الذكور والإناث ، فالمؤمنات صفة للنفوس أي النفوس المؤمنات ، وقد أطلق سبحانه وتعالى لفظ النفس على الأشخاص فقال تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآيات ، ثم قال : ﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ، فعلى قراءة الكسر يعود الضمير إلى النفس وعلى قراءة الفتح إلى الأشخاص المؤمنات ، بدليل أنّ النبي ﷺ لما نزلت عليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ، كان يبايع الذكور والإناث بهذه الصيغة على هذه الشروط ، فيقول للذكور : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا

« ١ » أي تعب .

تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف » فدلّ على أنّ المراد بالمؤمنات النفوس . انتهى

ومن الكلمات القدسية المنسوبة إلى خواجه عبد الخالق الغجدواني ﷺ النوراني : أغلق باب المشيخة وافتح باب الأحباب ، وأغلق باب الخلوة وافتح باب الصحبة .

وكتب الشيخ رضي الدين عبد الغفور ﷺ في « تكملة النفحات » : إن حضرة مولانا الجامي ﷺ لم يلقن الذكر أحدا مع أنّه كان مجازا من مولانا سعد الدين ومأذونا من جانب الغيب ولكن إذا ظهر طالب صادق كان يدله خفية على هذا الطريق ويرشده إليه وكان منشأ ذلك كمال لطافته وكان يقول : لا أتحمل ثقل المشيخة ، ولكن كان في آخر حياته طالبا لأرباب الطلب وكان يقول : يا أسفى على عدم الطالب ، نعم الطالب كثير لكنّه طالب لحظ نفسه ، ذكر في « الرشحات » في ٣٤٨ .

فصل

في بيان كيفية التوجه وبيان التوجه الصافي الخالص عن القيود وآداب المريد في التوجه والأمور المتعلقة بها

اعـــــلم أيدك الله تعالى بالتقوى أن التوجه من خصائص هذه الطريقة العلية وفي معرفته زيادة منفعة لا بد من رعاية آدابه ، وأن كيفية التوجه أنه إن أراد المريد الصادق التوجه لازمٌ أولا أن يبتدئ[1] بالصلاة على فخر الكائنات ﷺ بما ورد إليه من شيخه الكامل ، ثم يقرأ الفاتحة مرة والإخلاص ثلاث مرات ثم يهدي ثوابها إلى روح فخر الكائنات ﷺ وباقي الأنبياء والمرسلين وأصحابه وأصحابهم وأرواح سادات هذه الطريقة العلية الصديقية وباقي أهالي الطرق ، ثم يقول : يارب من بحر فيض جودك وكرمك وعنايتك ومن حضرة رسولك الأكرم ﷺ الواصلة إلى قلبي بواسطة المشائخ الكرام من الفيض وأنوار الذكر فألقها في قلب هذا الطالب بفضلك وعنايتك يا الله ، وبملاحظة هذه الكيفية يتوجه إلى قلب المريد بالاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات مقدار عشر دقائق ويأمر المريد بالهمة القوية في جذب أثر هذا التوجه ، ثم بعد مدة يسيرة يظهر من هذا التوجه في قلب الطالب الصادق أثر عظيم ومحبة إلهية بعناية الله تعالى .

وكذلك أن الشيخ يجعل لطيفة روحه مقابلا للطيفة روح المريد كما مر ويأمر بالتوجه والهمة هنا وفي باقي اللطائف على المنوال المذكور .

فإذا تمكن في قلب المريد ولطائفه من الذكر الملقن وتنورت اللطائف بصيرورة الذكر في لطائفه ملكة ، يلقن الشيخ له بالنفي والإثبات لجمعية النسبة والحضور ، وأن التوجه عبارة عن رجوع قلب السالك بالكلية إلى الله تعالى بنسبة الحضور ، وأن التوجه الصافي الخالص عن القيود أن يتوجه إلى قلب المريد الصادق بعد تصفية قلبه من جميع القيود والاعتبارات ومُتجَرّداً

« ١ » أي الشيخ .

من جميع الإطلاقات بحيث لا يبقي في قلبه أثرا مما سوى الله سبحانه وتعالى بتنزيهه عن كل قيد وعن الأوصاف الهيولانية« ١ » معتقدا بعبوديته ملاحظا في قلبه بأنه عبد عاجز ضعيف مقصر وكأنه قائم تحت السيف لضرب عنقه بثبوت الذنب الموجب للقتل وأعظم من ذلك ، ويجعل هذه الكيفية على قلب المريد ، والمريد يستعد في حوز الأثر من قلب شيخه معتقدا بأن ليس له في الدنيا سواه يوصله إلى الله تعالى وجميع سعادة الدنيا والآخرة تحت يده وكأن مفتاح خزائن رحمته سبحانه وتعالى في يد شيخه يفعل ما يشاء بإرادته وجميع الكمالات جامعة فيه .

وهذا التوجه أصل الأصول ومعدن السعادات ومنبع كل معرفة وعبادة وتوكل وأساس كل فضل كما قال جل وعلا في تنزيله : ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ و ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

فعليك أيها الفائز أن تجتهد في تصفية نفسك وقلبك وقالبك في التوجه وأن يكون المتوجه إليه على كمال الاستعداد التام ليحصل له أثر التوجه الصافي ، ثم ليكون ذلك سببا لمحبة الشيخ المتوجه كما هو الأصل الأصيل في هذه الطريقة العلية الصديقية .

ومن الإشارات التي أشاره الإمام المجددي الرباني ﷺ في هامش « المكتوبات ١٣ » هذه : إن قطب الإرشاد الذي يكون جامعا للكمالات الفردية أيضا عزيز الوجود جدا يظهر مثل هذا الجوهر النفيس بعد قرون متطاولة وأزمنة متكاثرة فيصير العالم الظلماني بنور ظهوره نورانيا ، ونور إرشاده وهدايته شامل لجميع العالم وكل رشد وهداية وإيمان ومعرفة تحصل في العالم من محيط العرش إلى مركز الفرش إنما تحصل من طريقه وتستفاد بواسطته ولا يصل أحد إلى هذه الدولة بدون توسطه ونور هدايته محيط بجميع العالم كالبحر المحيط ، وهذا البحر كأنه متجمّد لا يتحرك أبدا فإذا كان شخص متوجها إلى هذا العزيز وكان مخلصا له أو كان هو متوجها إلى طالب فكأن روزنة تفتح في قلب الطالب

« ١ » أي المادّية .

وقت ذلك التوجه فيصير الطالب ريانا من ذلك البحر من ذلك الطريق على قدر توجهه وإخلاصه ، وكذلك إذا كان شخص مشغولا بالذكر الإلهي يحصل له مثل هذه الإفادة وإن لم يكن متوجها إلى هذا العزيز لا من جهة الأذكار بل لعدم معرفته إياه ولكن الإفادة في الصورة الأولى أكثر منها في الصورة الثانية ، وأما إذا كان شخص منكرا لهذا العزيز أو كان هو متأذيا منه فهو محروم من حقيقة الرشد والهداية وإن كان مشغولا بذكر الله عز وجل فإن أذكاره تكون سداً في طريق الفيض من غير أن يكون هذا العزيز متوجها لعدم إفادته وقاصدا لضرره ، وإنما فيه صورة الرشد والهداية دون الحقيقة ، والصورة العارية عن المعنى قليلة النفع والذين فيهم إخلاص ومحبة لهذا العزيز يصل إليهم أيضا نور الرشد والهداية بمجرد تلك المحبة وإن خلو من التوجه المذكور والذكر الإلهي جل شأنه والسلام على من اتبع الهدى . هامش المكتوب ١٣

ثم اعلم أن للمريد في التوجه آدابا لا بد من معرفتها وذلك إذا كان للمريد مراد في التوجه لازم أولا أن يكون نيته صحيحة وهمته قوية واعتقاده طاهراً عن كل غش ، ثم يغتسل بالغسل الكامل إن أمكن وإلا فيتوضأ بالوضوء الكامل ثم يجلس أمام شيخه مقابلا بوجهه له متأدبا متصلا ركبتيه بركبتي الشيخ ثم يتوب بما استتابه الشيخ بالاستغفار المعهود بينهم ، ثم يلقن الشيخ له الذكر باسم الجلال وهو الاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات وأقرب لحصول المقصود في السلوك ، ثم بعد توفية ما ذكر وهو جالس قدام شيخه بالكيفية المذكورة يغمض عينيه ويطبق فاه ويلصق لسانه إلى السقف الأعلى من الحنك ويلصق الأسنان بعضها بعضا ويطلق نفسه على حاله بلا حبس ويلاحظ معنى الاسم الجلال بأن الله تعالى في عظمته وكبريائه وقيوميته لا يدرك أحد كنهه ولا يعرف غوره وليس له شريك وشبيه ونظير وضد وند ووزير ، كل المخلوقات محتاجون له ولا يحتاج لشيء تعالى الله الواحد القهار ، وأن يكون اعتقاده بهذه خالصا صافيا وأن يفنى في معناه ويستغرق بكيف ينسى نفسه ووجوده ، فإن حصل له في هذا المقام الفناء المطلق بسعيه واجتهاده فذلك هو الفوز العظيم والسعادة العظمى .

فبهذه الكيفية المذكورة بملاحظة الشيخ معنى اسم الجلال بالحضور التام إن توجَّه إلى قلب المريد بتلقين الذكر بالجلال واستمر في التوجه ربع ساعة إن أمكن وإلا فثمن ساعة فلا ريب يظهر في قلب المريد أثر الذكر الملقن ويحصل في القلب أمرٌ لم يعهده قبل ، ولازمٌ على المريد أن يخلي قلبه عن جميع التعلقات الخارجة عن الله ويخرج عن جميع التصرفات ويجعل قلبه مقابل قلب شيخه بالحضور مستغرقا في ملاحظة معناه سبحانه وتعالى .

ثم بعد ذلك لازمٌ أن يداوم على الذكر القلبي بكيف لا يعرض عليه الفتور والخلوّ عن الذكر أصلا بحيث لا يخطر في قلبه خطرة مما سوى الله تعالى بتطهير الخاطر عن جميع التعلقات الدنيوية والأخروية ، وأن يحفظ نسبة الذكر دائما فى القلب ببذل مجهوده في معرفة مولاه تعالى بما يستحق له بالتضرع والانكسار .

فإن عرضت خطرة في أثناء الذكر يتضرع إلى الله تعالى بسره ويتوب توبة نصوحا ويستغفر الله تعالى من تلك الخطرات .

فإن استمر المريد الصادق الموفق على الكيفية المذكورة بالذكر الملقن يحصل له الحضور والغيبة ، ويصير الذكر ملكة ثم لا يزال حواسه عن الذكر ولهذا الحضور يسمى في اصطلاحات السادات (**يادداشت**) وبالوقوف القلبي ونذكر معناها إن شآء الله تعالى بالتفصيل .

وإن الذكر القلبي المقصود ونوره يسري في جميع اللطائف وجميع أنوار اللطائف من نوره بالسراية والإفاضة حتى أن بعض السادات قالوا : إن لطيفة القلب أصل لجميع اللطائف ونوره منبع جميع أنوار اللطائف ، ولأجل ذلك كانوا يجتهدون خاصة في تصفية لطيفة القلب ليصيبوا بذلك إلى مقاصدهم التي جمعت فيها خيرات الدنيا والآخرة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثم اعلم أن صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ، ولا يصح مشروط بدون شرطه ولا يرضى لعباده الكفر ، فلزم تحقيق الإيمان ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ ، فلزم العمل بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقه إذ لا نعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه ، ولا فقه إلا بالتصوف إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه ، ولا هما إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما دونه ، فلزم الجميع لتلازمها في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد ولا وجود لها إلا فيها كما لا حياة لها إلا بها فافهم ، ومنه قول الإمام مالك رحمه الله تعالى : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق .

قلت : تزندق الأول لأنه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام ، وتفسَّق الثاني لخلو عمله من التوجه الحاجب منهما عن معصية الله تعالى ومن الإخلاص المشترط في العمل لله ، وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة في عين التمسك بالحق فاعرف ذلك .

قال أبو الحسن الشاذلي ﷺ : أربع لا ينفع معهن علم : حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر وخوف الناس ، وأصدق الأقوال عند الله تعالى قول : (لا إله إلا الله) على النظافة ، وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا واليأس من أهلها على الموافقة« ١ » .

وكان ﷺ يقول : مراكز النفس أربعة : مركز للشهوة في المخالفات ، ومركز للشهوة في الطاعات ، ومركز في الميل إلى الراحات ، ومركز في العجز عن أداء المفروضات : ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ .

« ١ » أي أن يتفق ذلك للسالك ويتكرر ولا يكون صدفة عابرة .

وكان ﷺ يقول : من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم .

وكان ﷺ يقول : خصلة واحدة تحبط الأعمال ولا يتنبه لها كثير من الناس : سخط العبد على قضاء الله تعالى قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ ، ولا يترك منازعة الناس فى الدنيا إلا المؤمن بالقسمة[١] .

وقال ﷺ : حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات : الرضا بقضاء الله تعالى والصفح عن عباد الله تعالى . انتهى .

قال الشيخ الهروي عن شيخه ﷺ : اعلم أن من أراد الاشتغال بالطريق العلائية[٢] ينبغي له أولا أن يحضر في خياله صورة شيخ أخذ عنه هذه النسبة إلى أن يظهر فيه أثر الحرارة والكيفية المعهودة فيما بينهم ، ولا ينفي ذلك الخيال بعد ذلك بل يحفظ ويتوجه به وبأذنه وسمعه وجميع قواه إلى القلب الذي هو عبارة عن الحقيقة الجامعة الإنسانية التي مفصلها جميع الكائنات من العلويات والسفليات ، وهي وإن كانت منزهة عن الحلول في الأجسام لكن لما كانت بينها وبين القلب الصنوبري نسبة وارتباط ينبغي أن يتوجه إلى هذا القلب الصنوبري ، وينبغي أن يصرف الفكر والخيال وجميع القوى إلى هذا قاعدا على باب القلب حاضرا به ، ولا نشك في ظهور كيفية الغيبة والذهول في هذه الحالة .

فإذا ظهرت ينبغي أن يفرضها طريقا وأن يذهب في أثرها وينفي كل فكر وارد على القلب بالتوجه إلى حقيقة القلب ، وأن لا يشتغل بالفكر الجزئي وأن يلتجئ بكليته إلى حقيقته المجملة حتى ينتفي هذا الفكر ، فإن لم ينتف بهذا ينبغي أن يلتجئ إلى صورة شخص أخذ عنه هذه النسبة وأن يحفظها لحظة

« ١ » أي المؤمن بالقضاء والقدر .
« ٢ » نسبة للأمير أبي العلاء بن أبي الوفاء الحسيني النقشبندي الأكبرآبادي ، وهي مزج للطريقة النقشبندية ببعض أشغال الطريقة الجشتية ، وهي منتشرة في الهند .

حتى تظهر تلك النسبة ثانيا ، فإن لم ينتف بهذا تنتفي هذه الصورة نفسها ومع ذلك ينبغي أن لا ينفيها السالك المتوجه ، فإن لم تنتف الوساوس بتلك الصورة يشتغل من قلبه بتكرار (**يا فعّال**) بحسب المعنى ويكرره مرات تندفع بإذن الله تعالى البتة .

فإن لم تندفع يتأمل بقلبه كلمة (**لا إله إلا الله**) مرات بأن يتصور لا موجود إلا الله ، فإن تلك الوسوسة المشوشة أيّ نوع كانت موجودة من الموجودات الذهنية ويراها في الحقيقة قائمة بالله تعالى ، بل يراها عين الحق فإن الباطل أيضا من بعض ظهورات الحق ، ولا شك أنه يحصل بهذا التأمل ذوق عظيم وتتقوى نسبة خواجكان قدس الله أرواحهم ، وينتفي في ذلك الوقت هذا الفكر أيضا .

وليتوجه السالك إلى حقيقة ذهوله ويذهب من أثرها ، فإن لم يجد الحضور بتكرار (لا إله إلا الله) بالقلب يكررها جهرا مرات ويمد لفظة الجلالة (**الـلّـه**) وينزلها في القلب ، ويشتغل مدة لا يحصل له الملالة ، ومتى أحس بالملالة يترك الاشتغال وما دامت الغيبة والذهول ونسبة الأكابر في الترقي يكون الفكر في حقائق الأشياء والتوجه إلى الجزئيات عين الكفر . ذكره فى « الرشحات »

بل لا ينبغي في هذا الحال الفكر في أسماء الله تعالى أو صفاته فإن عرض الفكر فيها بنفسه ينبغي أن ينفيه بالطرق المذكورة . انتهى

وقال ﷺ أيضا : ليس الأمر التوجه والمراقبة فقط بل الأمر جعل جميع الأمور تابعا لمقصود واحد وتحصيل إدراك خاص في جميع الأشياء .

وقال أيضا : وينبغي أن يرى العمل محبوبا دون الحضور والجمعية فإنهما من المواهب وعزيزي الوجود وليسا تحت الاختيار والمواظبة عليه موجبة للجمعية والحضور فإن الفتور متطرق إلى الجمعية والحضور وذلك واقع بالخاصية . اهـ .

وقال الشيخ الهروي ﵀ في « الرشحات » قال : كان فقير من الفقراء يكثر النظر إلى وجه حضرة شيخنا فى المجالس وأثناء الصحبة فقال يوما خطابا : كان شخص يكثر النظر إلى وجه خواجه بهاء الدين ﵁ فقال له : لا تكثر النظر إلى وجهي فتهلك قلبك ، ثم أنشد حضرة شيخنا هذا المصراع :

. . . . ومن يرنو إلى وجهي يهيمُ

ثم قال : ينبغي أن يكون توجه المريد إلى ما بين حاجبي الشيخ وأن يعتقده حاضرا معه ومطلعا على أحواله في جميع أوقاته وأطواره حتى تتصرف فيه أبهة الشيخ وعظمته ويزول عن باطنه كل ما لا يلائم الحضور ويبلغ من رعاية ذلك المعنى مرتبة يرتفع الحجاب من بين الشيخ والمريد ويكون جميع مرادات الشيخ ومقاصده بل جميع أحواله ومواجيده معاينا ومشاهدا للمريد .

وتلك سعادات تكون نصيبَ مَنْ ؟ ! !

« رشحة » ٢١٠

فصل

فى بيان الإفاضة والاستفاضة

اعلم أيها الأخ السعيد أن من الأسباب المعروفة بين أرباب هذه الطريقة الإفاضة والاستفاضة وأن معناهما ليس كما يتبادر إليها أذهان العامة .

والمراد من الفيض أن الطالب الصادق والمريد المتحقق إذا استعد قلبه لكمال النسبة وعرض حاله للمرشد بالهمة الكاملة فما حصل هنالك من توجه الإفاضة فهو الفيض أي يعبر عن ذلك الأثر الحاصل بالفيض ، وما نسبت إلى المريد أي توجهه باستعداده ليأخذ من الشيخ أثرا يعبر عنه بالاستفاضة ، وما نسبت إلى الشيخ بأن يتوجه الشيخ إلى الطالب بقوة همته بالنظر إلى قلبه وقالبه وتصرفه في قلب طالبه يعبر عنه بالإفاضة .

وذلك على مثابة الناظورة البلورية إذا أنظرها إلى شعاع الشمس ثم أطلق ذلك الشعاع بواسطة تلك الناظورة إلى شيء لين له قابلية لتوقد النار فيحصل من ذلك الشيء أي يظهر منه النار بمجرد وصول شعاع الشمس ، فإن كان الشيء الذي وقع عليه شعاع الشمس قويا صلبا كالحجر والشجر فلا يظهر منه النار غالبا ولا يفيد شيئا لكن بقوة شعاع الشمس قد يعرض له الحرارة الشديدة ، كذلك أن الشيخ كالناظورة إذا نظر إلى قلب المريد الذي له الاستعداد الكامل والقابلية يظهر في قلبه من نظر الشيخ نار المحبة الإلهية التي هي سبب للوصول ويسمى له بالفيض ، وإن كان قلب الطالب صلبا أو أقسى وليس له استعداد ولا قابلية فلا يحصل له من النظر نتيجة ما ولا نار الفيض إلا إذا اجتهد بالكلية وجاهد فيمكن منه أن ينتفع بالشيخ كالحرارة الحاصلة من الحجر والشجر بطول وقوع شعاع الشمس بواسطة الناظورة المشهورة بالپرتورز[١] .

« ١ » لعل المراد العدسة البلورية

فإذا كان الحال كذلك لازم على كل طالب سالك أن يجتهد في إيجاد مرشد كامل لإحياء رسوم قلبه الميتة ، ليقوم أمامه بجميع قوة استعداده كيف لا وإن نظر المرشد إلى المريد نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه ونظر رسول الله ﷺ نظر الله بعينه ، فإذا نظر الله إلى قلب عبده بالرحمة فلا بد من حصول نتيجة مطلوبه في قلب العبد .

فتفكر أيها الأخ السعيد أن النعامة إذا أرادت إنبات أفراخها في البيضة تنظر بهمتها إلى بيضتها بقيامها من بعيد على ساقيها فتتولد فيها الأفراخ بقدرة الله تعالى بمجرد ذلك النظر ، كذلك أن الله تعالى لما نظر إلى قلب عبده بواسطة الشيخ يتولد في قلب العبد نتيجة المطلوب التى هي نار المحبة والاستقامة وذلك من الله فضل عظيم .

فصل

في بيان فائدة الصحبة مع أهل الصدق والصفا والتشبه بهم وما ورد في حقها

اعلم أيها الممنون بالتقوى أن للوصول إلى المطلوب المهم أسبابا لا بد منها فأعلاها وأزكاها وأولاها الصحبة الصحيحة مع أهل الصدق والصفا وفائدتها أعظم الفوائد وضررها أيضا أشد الأضرار وأقبحها .

وفي حق الصحبة مع أهل الصدق كم مرة أمر الله تعالى لعباده في تنزيله سبحانه وتعالى قال عز من قائل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بالترغيب والتحريض ، وقد ورد في ذلك أحاديث أعرضنا عن ذكرها اعتمادا على الشهرة .

وإن كمال الصحبة مع أهل الله تعالىهي السعادة السرمدية ورأس مال المريد ، ولا يحصل أثر الصحبة المشهورة بين أرباب القلوب إلا بالاعتقاد الصحيح التام بالمحبة الكاملة والإرادة الكافية لما أن تلك المحبة والإرادة شرط مهم للصحبة ، وذلك لأن الصحبة بلا محبة لا تفيد شيئا بل يضر على أن الصحبة مع أهل الفساد الذين لهم سوء في الاعتقاد سم قاتل .

وهلاك الأمم الماضية بسوء اعتقاداتهم مع أهل الله تعالى وفساد صحبتهم على أن الأمم السالفة لما أنكروا بسوء اعتقاداتهم على الأنبياء والمرسلين والعلماء المتقين والأولياء الصالحين ونسبوهم إلى الكذب مع رؤيتهم البراهين القوية والحجج البينة هلكوا وخسروا ذلك هو الخسران المبين ، وأما من صحبوا مع الأنبياء والأولياء بالمحبة الكاملة وحسن الاعتقاد فنالوا بذلك مراتب الدارين وفازوا بخيري الدنيا والآخرة ذلك هو الفوز العظيم .

فثبت أن الصحبة مع الصالحين علامة السعادة ، ولذلك قال كبار العارفين من أرباب هذه الطريقة : طريقتنا هذه طريق الصحبة ، وهذه الصحبة مشروطةٌ

كونها بنفي حصولها منه بل باعتقاد كون الفيض الحاصل له بمجرد صحبته مع أهله ، وما كانت الصحابة أصحاباً إلا بالصحبة مع خير الخليقة ﷺ ، وما كانت الولاية الكسبية ولاية إلا بالصحبة ، وصحبة أهل الخير والكمال من المشائخ العظام كافية بشروطه للحصول والوصول إلى الله تعالى لكن بعد أخذ النسبة منهم خصوصا إذا كان السلوك في طريق النبوة وتعليم الذكر لتسلي السالكين ، على ما كان في « مكتوبات » الإمام الرباني قدس سره .

لكن الصحبة قسمان : صوري وهو ظاهر ومعنوي وهو الربط إلى الشيخ الكامل بعد أخذ النسبة منه ، وكلاهما كافيان فى حصول المقصود والوصول إلى المطلوب على ما قالوا ، بل الرابطة فى الطريقة النقشبندية أقرب الطرق من بين الطرق الخمسة كما في « معرفة نامه »[1] وغيرها ، إلا أن رعايتها مشكلٌ يزول بأدنى ترك أدب ، و يحتاج إلى التجديد من الشيخ ولقلة الأهلية للرابطة أيضا فى المشائخ ، فان كل شيخ لا يكون أهلا لها كما ذكر ذلك فى « معرفة نامه » ، ولذا أشار هو إلى طرق أخرى غير الرابطة من الطرق الأربعة الباقية .

وقال في « تحفة الأحباب » : قال الله تعالى : ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ فالصحبة هنا صحبة الشيخ الذي كان سلوكه بطريق الجذبة بشروطها ـ أي بشروط تلك الصحبة كافيةٌ للانعكاس أي لانعكاس صور الأنوار الإلهية من حضرة الذات المقدسة إلى استعدادات قلوب الطالبين والانصباغ أي كافية تلك الصحبة لانصباغ قلوب الطالبين بتلك الأنوار لأن تحت صحبة الواصلين أسراراً لا يتمكن الوصول إليها إلا بالصحبة .

فلذلك قال بعض العارفين : اصحبوا مع الله تعالى ، فإن لم تستطيعوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله تعالى فإن بركة صحبتهم توصلكم إلى صحبة الله تعالى .

« ١ » نامه كلمة فارسية تعني رسائل ، ولعل اسم الكتاب رسائل المعرفة .

ثم بعد مرتبة الصحبة بشروطها مرتبة الرابطة : وهي تخيّل صورة شيخه في خياله ، و هذه الرابطة مثل الصحبة كافية في الانعكاس والانصباغ ، لأن الرابطة تجعل المريد في حماية ولاية شيخه ، بأن يكون المريد محفوظا من الخلاف في جميع أحواله حتى يكون فانيا في الشيخ بترك اختيار نفسه باقيا مع شيخه ، فتنعكس إلى قلبه بواسطة الشيخ الأنوار الإلهية ، ثم لا يزال المريد مع شيخه كذلك إلى أن يترقى من انعكاس تلك الأنوار بواسطة الشيخ إلى انعكاسها بغير شيخ ، فلذلك قال بعض العارفين : أدخل الشيخ في قلبك وأسكنه فيه ولا تخرجه عنه حتى تصير عارفا بسببه ، لأن المشائخ منابع الفيوضات الإلهية فمن أدخل المنبع في بيته فقد نال فيضه ولو بالمغايبة أي ولو كانت تلك الرابطة بالمغايبة عن الشيخ ، لأن الرابطة على طريق المحبة قد تفيد بالغيبة كما تفيد في الحضور .

فالرابطة سواء كانت في الغيبة أو الحضور تكون في حق السالك أنفع من الذكر ومن الوقوف القلبي ، ثم بعد الرابطة من حيث المرتبة الالتزام أي التزام المريد ما أمره الشيخ الكامل من الأذكار والأوراد المعهودة عند المشائخ النقشبندية معنعنا متواصلا من حيث التلقي إلى رسول الله ﷺ كاسم الذات والنفي والإثبات وكلاهما بالقلب الحقيقي ، وهذا القلب كله لسان يتكلم به وكله بصر يبصر به وكله سمع يسمع به وكله عقل يدرك به . انتهى كلام « التحفة »

قال في « جوامع الكلم » : سئل النهرجوري رحمه الله تعالى عن الطريق إلى الله تعالى فقال : اجتنب الجهل واصحب العلماء واستعمل العلم وداوم الذكر .

وقال أيضا : لا ينكر تأثير الصحبة أحد من الخافقين ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

. وقال أيضا : تأثير الصحبة لا ينكره أحد بل جميع الأديان لا يخالفون في هذه المسألة حتى قيل : إن جميع ما في هذا العالم من أثر الصحبة والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال أيضا : صحبة أهل الخير ربما لا تنفع الخائن الذي لا يراعي شروط الصحبة ، وأيضا قد لا تضر صحبة أهل السوء إذا كان من الله عون ونصرة كما قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وصحبة أهل الطالح قد تؤثر في الصالح معصية ومنكرا كما قال ﷻ : ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ، وصحبة النفس السيئة تشين النفس الزكية وإن طاب أصلها ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، من عاشر قرناء يقول عند رؤيته عذابا أليما : ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ .

والصحبة تؤثر في الخير والشر ، الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ، للصحبة تأثير بليغ ، يعرف الصاحب بالصاحب ، خير الصاحب من ينفعك لحظه ولقاؤه ، المؤمن مرآة المؤمن ، حب الصلحاء ينفعك في جلب الخير ودفع الضير ، المرء مع من أحب ، تَزَيَّ بزِيِّ الصلحاء مخلصا وخذ عنهم ، من تشبه بقوم فهو منهم .

وقال أيضا : قال أبو يعقوب الرازي رضي الله عنه : ما صحبني متكبر قط إلا اعتراني رداؤه ، لأنه يتكبر فإذا تكبر غضبت فإذا غضبت أداني الغضب إلى التكبر .

قيل : فِرَّ من قرين لا يطلب مطلوبك كما تفر من عدوك إن كنت طالب فضيلة .

قيل : اجتنبوا من يعادي أهل الاختصاص لئلا يعدوكم خسرانه ، نعم العون على الطريق صحبة الرفيق . انتهىكلام « الجوامع » من مواضع عديدة .

وقال أيضا : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق تعالى . انتهى

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في « أصول الأربعين » : وأقل درجات حسن الصحبة كف الأذى منهم قال ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » ، وفوق ذلك أن ينفعهم ويحسن إليهم وقال ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله تعالى وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » ، وفوق ذلك أن يتحمل الأذى منهم ويحسن إليهم مع ذلك وهذا درجة الصديقين قال ﷺ : « إن أردت أن تسبق

الصديقين فصل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك » ، هذه جملة الأمر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة . انتهى .

وقال في « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أي رجع بالتوحيد والإخلاص بالطاعة وهم المؤمنون الكاملون ، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ : إن هذه الآية تضمنت النهي عن صحبة الفساق وصرحت الترغيب في صحبة الصالحين الكاملين ، فإن المقارنة مؤثرة والطبيعة سارقة والأحوال سارية . انتهى .

وقال علي القاري رحمه الله في شرحه لـ « عين العلم » : للصحبة تأثير بليغ في المنفعة والمضرة قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كما ذكرنا غير مرة .

والنظر إلى أهل الدنيا مضر لأنه سبب الغفلة من المولى ، ومن هنا قال سعيد بن المسيب رحمه الله : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة خلاف ما ورد : « النظر إلى الكعبة عبادة » على ما رواه أبو الشيخ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها و« النظر إلى عالم عبادة » كما رواه الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن عمران بن حصين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وذلك لأنهما وسيلتان إلى ذكر الله تعالى و ورد : « أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله » . انتهى علي القاري رحمة الله وبركاته علينا وعليه آمين .

وقال بعض الأكابر قدس الله أسرارهم : إذا أخذتم حظا وافرا من الكيفية في صحبة شخص فطريق حفظ آدابه أن تعاملوا معه على وجه لا تحصل لكم كراهة منه ، ولذا قيل : ينبغي للشيخ أن يُرِي نفسَه محبوبا في نظر المريدين فإنه هو الذي كان منشأ المحبة التي هي سبب لظهور تلك النسبة ، فإذا حصلت منه الكراهة التي هي ضد المحبة تزول المحبة فتزول النسبة لزوال سببها . انتهى

قال الإمام الغزالي ﷬ في كتابه « الإحياء » : ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد .

وقال أيضا : واعلم أنه لايصلح كل إنسان للصحبة قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » فينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال : أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا ، فلا خير في صحبة الأحمق ، وقال الثوري ﷬ : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة ، ولا خير أيضا في صحبة سيء الخلق ولا فائدة في صحبة الفاسق المصر على الفسق لأن من لا يخاف الله تعالى لا تؤمن غائلته ولا وثوق بصداقته ، وقال الله تعالى فى كلامه القديم : ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ وقال تعالى أيضا : ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ وقال تعالى أيضا : ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴾ .

وأما المبتدع ففي صحبته خطر لسراية بدعته وتعدي شؤمها إليه ، فالمبتدع مستحق الهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته ، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك مع الذين يخشون الله تعالى .

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا في أمر دينك فينفعك ورجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه .

وقال جعفر الصادق ﷺ : لا تصحب خمسة من الرجال : الكذاب والأحمق والبخيل والجبان والفاسق

وقال ابن أبي الحواري رحمه الله : قال لي أستاذي أبو سليمان رحمه الله : يا أحمد لا تصحب إلا أحد الرجلين : رجل تنتفع به في أمر دنياك أو رجل تزهد معه وتنتفع به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حماقة كبيرة .

وقال سهل رحمه الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين .

وقال أبو ذر رضي الله عنه : الوحدة خير من الجليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، ويروى هذا الحديث مرفوعا إلى رسول الله ﷺ .

وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال تعالى : ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ ، ولأن مشاهدة الفسق في الفساق تُهَوِّنُ ارتكاب المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها ، لا تنظر إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة ، بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم .

وقال أيضا : الإنفاق على الإخوان أفضل من التصدق على الفقراء .

وقال علي كرم الله وجهه : **لعشرون درهما أعطيها أخا في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين**

وقال أيضا : **لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلي من أن أعتق رقبة** .

والإيثار أيضا محبوب ومستحب وذلك اقتداء برسول الله ﷺ ، وذلك أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها مسواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له : يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني ، فقال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من ليل أونهار إلا سئل من صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أم أضاعه » فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله تعالى في الصحبة . انتهى

وقال أيضا : أما بعد ، فإن التحابب في الله والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ، ولها شروط بها يلتحق المتحابون بالمتحابين في الله ، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة من شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى زلفى ، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . انتهى

ثم قال أيضاً : اعلم أن من لا يصلح للصحبة والأخوة ثلاثة رجال : مبتدع يدعو الناس إلى بدعته ومبتدع لا يدعو إلى بدعته وعاص بفعله وعمله .

أما الأول فحقه إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه لبدعته تنفيرا للناس عنه وترك السلام وجوابه ، قال ﷺ : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر ، ومن ألان له ولقيه بالبشاشة فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » .

وأما الثاني فإن كان الزجر باللطف فهو المتعين وإن كان في الإعراض عنه والإغلاظ فهو المتعين .

وأما الثالث أي العاصي بفعله وعمله فإن كان يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فالأولى في حقهم الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم ، وإلا فإن كان يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد فهو قريب إلى الأول ولكنه أخف منه ، وإن كان لا يدعوا غيره إلى فعله كالذي يشرب ويزني فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته لو صادفه يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف ، وإن كان قد فرغ منه وعلم أن ذلك عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه ينفعه ويمنعه من العود إليه مرة أخرى فلا شك في وجوب النصح له ، وإن لم يتحقق ولكنه يرجو عنه فقط بالنفع فالأفضل أيضا في حقه النصح والزجر باللطف أو التغليظ

بالنظر إلى حاله أيهما يوافق بحاله في الكف والمنع مما يرتكبه من الفاحشة ، وأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر على ما كان عليه ولا ينفعه النصح فهذا الرجل للعلماء فيه اختلاف والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف الرجل كما في مذهب الإمام الأعظم .

وقال في « التقريب » : عليك بصحبة من جعل قلبه معدنا للطائف وإياك وصحبة أهل الدنيا فإن قلوبهم محل الغفلة والكثائف ، جعل الله قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس وقلوب العارفين مكانا للذكر والاستئناس ، فإن جالست أهل الدنيا سرت فيك غفلتهم وأحاطت بقلبك وسوستهم وإن جالست العارفين أشرقت عليك أنوارهم وأحاطت بقلبك لطائفهم وأسرارهم .

عَلَيكَ بأرْبابِ الصُّدورِ فَمَنْ غَدا ... مُضافاً لأرْبابِ الصُّدورِ تَصَـدَّرا
وَإيَّاكَ أَنْ تَرْضى بِصُحْبَةِ ناقِصٍ ... فَتَنْحَطَّ قَدراً مِنْ عُلاكَ وتُحْقَـرا

فلا تصحب إلا من تستيقظ بأقواله ويجرك إلى باب مولاك حسن أفعاله وقوة حاله قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

فلا تخالل ولا تكن إلا مع الصادقين ولا ترافق إلا الصالحين ، واجتهد أن يكون الخوف محركك إلى هذا الطريق ليزيل عن قلبك كل تعويق فإن الخوف سوط يسوق ويعوق ، يسوق إلى الطاعة ويعوق عن المعصية ، فعلى السالك أن يتلو على نفسه ما ورد من الوعيد لأهل الجنايات ويكرر ذلك عليها في سائر الأوقات ويقول بلسان حاله :

أَلا يا نَفْسُ وَيْحَكِ خَبِّرينـــي ... إلى كَمْ ذا التَّغافُلُ والتَّعامـي
وَكَـمْ يَـوْمٍ يَـمُـرُّ عَقيبَ يَوْمٍ ... وَأَنْتِ مَعَ الخَسارَةِ في اقْتِحامِ

ويستعين عليها في ذاك بمحرك الساكنات ومنزل الفيوض على القلوب بمحض العنايات ، ويقول بلسان ذلته وانكساره :

يَظُنُّ النَّاسُ بـي خَيراً وَإِنّـي أَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لي في الخَطايا وَأَنْتَ عَلَـيَّ ذو عَـفْـوٍ وَمَنِّ

انتهى كلام السيد أحمد زيني دحلان ﷺ .

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار ﷺ : دوام الصحبة مع أهل الله تعالى سبب لزيادة عقل المعاد .

وقال أيضا : الصحبة سنة مؤكدة ينبغي أن يكون في صحبة هذه الطائفة في كل يوم أو في يومين مرة وأن يحافظ على آدابهم ، فإن وقع للطالب بُعدٌ صوري ينبغي أن يعلم أحواله الباطنة والظاهرة في كل شهر أو شهرين بالكتابة إما صراحة وإما إشارة ، وأن يكون مشغولا بهم في منزله لئلا تقع غيبة كلية . انتهى

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار ﷺ : إن معنى قول السادات هذا : صاحبوا الله فإن لم تطيقوا فصاحبوا من يصاحب الله تعالى ، أن المراد هنا الحضور والشعور اللذان هما لازمان للصحبة ، فإن كون أحد المصاحبين حاضرا بالآخر وشعوره به من لوازم الصحبة ، وقد ورد في التوجه الإيجادي للإنسان ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ، أي بالأوصاف المتقابلة يعني فيه من جميع الأوصاف ومن جملتها الحضور الذاتي فإن الله تعالى حاضر لذاته بذاته أبدا وأزلا ، فظهر من هذا أن الحضور والشعور في أفراد الإنسان ليسا منهم بل هما من أشعة شمس الحضور الذاتي التي انعكست في جدران المظاهر ونورتها ، ولا كمال للإنسان غير تحقيق حاله وعلمه بأن ما حصل فيه من الحضور أو غيره ليس منه بل من الحق سبحانه ولا حق له في ذلك ، وما قاله الشيخ الهروي ﷺ إن التحقيق تلخيص مصحوبك إشارة إلى هذا المعنى ، ذكره في « الرشحات » .

وقال حضرة الخواجه ﷺ : طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية بشرط نفي الأصحاب بعضهم بعضا ، وفي الخلوة شهرة والشهرة آفة .

وقال أيضا : الخيرية في الجمعية والصحبة ، ونفي كلٍّ في صاحبه ، وينظر إليه بعين الكمال فيستفيد كل من المتصاحبين من صاحبه الفيض حيث رأى نفسه بعين الاحتقار ونفاها ونظر صاحبه بعين الكمال ، وهذه الطريقة من أنفس الطرق في المصاحبة ومثل هذه المصاحبة خير من الوحدة .

وكان ﷺ يقول : إن الجماعة الذين يصلون إلى صحبتنا بعضهم يكون بذر المحبة في قلوبهم لكنهم بواسطة وسخ التعلقات لا يمكن أن يظهر نشو ونماء ، فينبغي لنا أن ننظف تلك القلوب من أوساخ التعلقات ونزيل عنها قشاش التعويقات . انتهى

وقال بعض الأكابر : أفضل الأعمال كون الطالب في صحبة شخص يعرض فيها عن ما سوى الله تعالى ويميل وينجذب إلى الله .

وقال أهل الحق : إن أفضل الأعمال ما يكون الطالب بسبب الاشتغال به معرضا عن غير الحق سبحانه وتعالى . « رشحة »١٩٠ .

وقال القطب الشريفي أحمد بن إدريس الحسيني المغربي ﷺ : قال رسول الله ﷺ لعائشة ﷺ : « إن أردت اللحوق بي فلا تجددي ثوبا حتى ترقعيه ، وإياك ومجالسة الموتى » قالت : يا رسول الله من الموتى ؟ قال : **الأغنياء** ، فسماهم النبي ﷺ موتى لأن كل عبد شغلته النعم عن المنعم فهو ميت مدفون في قبر ما هو شاغل له منها ، فحياة النفس ذكر الله تعالى والشغل به عما سواه ، وموتها شغلها بغير الله تعالى .

قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ ، أي زكاها بذكر الله تعالى ومحبته وكلما ازداد ذلك ازدادت حياتها ، ودساها أي دفنها في قبر شهواتها . « عقد النفيس »١٥١ .

قال تعالى : ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : أي يخربون قلوبهم ويبطلون أعمالهم باتباعهم البدع وهجرانهم طريقة الاقتداء بالنبيين ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بمجانبة المؤمنين ومشاهدتهم ومجالستهم فيحرمون بركاتهم . « سهل التستري » ١٠١

وقد قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه :

ما لَذَّةُ العَيْشِ إلا صُحْبَةُ الفُقَرا هُمُ السَّلاطينُ والسَّاداتُ والأمرا
فَاصْحَبْهُمُ وَتَأَدَّبْ في مَجالِسِهِمْ وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْما قَدَّموكَ وَرا

أي اصحب الفقراء وتأدب معهم في مجالستهم فإن الصحبة شَبَحٌ والأدب روحها ، فإذا جمعت بين الشبح والروح حُزتَ فائدة الصحبة ، وإلا كانت صحبتك ميتة فأي فائدة ترجوها من الميت .

ومن أهم آداب الصحبة هو أن تخلف حظوظك وراءك ولا تكن همتك منصرفة إلا لامتثال أوامرهم فعند ذلك يشكر مسعاك ، فإذا تخلقت بذلك فبادر واستغنم الحضور واخلص في ذلك ترتفع درجتك وتعلو همتك من الحور والقصور كما قال رضي الله عنه :

واسْتَغْنِمِ الوَقْتَ واحْضُرْ دائماً مَعَهُمْ واعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضا يَخْتَصُّ مَنْ حَضَرا

« ميلق » ٣١

ومنه ما في « اللمعة » : قال المؤلف عفا الله العافي عنه : إن في زيارة الصالحين وصحبتهم والاشتغال بخدمتهم خيرا كثيرا ونفعا عظيما ، فقد سمعت من بعض أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى صلوات الله عليه : يا موسى إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما .

وسمعت بعض الأولياء وقد كان قد بلغ من العمر أكثر من مائة وأربعين سنة قال : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : **من خدمني فله الجنة ومن خدم أوليائي فله أنا ومن خَدَم خُدِم ومن تهاون ندم .**

هذا وقد علمت أن الاشتغال بخدمة العلماء والأولياء فيه خير كثير وأجر جسيم . انتهى

وفي « روح البيان » : إنّ المرء بمجرد العمل لا يكون إلا عابدا وأما المعارف الإلهية والوصول إلى الدرجات العاليات يحتاج فيها إلى مرشد كامل رشيد أو جذبة ربانية نادرة يخص بها من يشاء ، ولذا هاجر الكبار من دار إلى دار آخر لأجل تحصيل صحبة المقربين والأبرار فيفلحوا فلاحا أبديا . انتهى

وفيها أيضاً : والمستحب أن يصحب الإنسان أهل الخير ليكون معهم يوم القيامة وينجو من الهموم والندامة قال النبي ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيرا رزقه جليسا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه »[١] انتهى .

ومنه ما في « الرسالة المدنية » : فإذا صحح اعتقاده بهذه الكيفية يطلب مرشدا كاملا مكملا حيث يتوجه له بالجذبات الإلهية وبانهدام بيوت الشياطين والمردة وبتصفية قلوب ولطائف السالكين وبإخراج الخطرات الشيطانية بحيث يُسقط اللعين عن لوح القلب . . الخ . انتهى .

وقال بعض السادات رضي الله عنه : مما اخترته من آداب المصاحبة والمجالسة أنك إذا جالست أهل الدنيا فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تعظيم الآخرة ، وإذا جالست أهل الآخرة فحاضرهم بوعظ الكتاب وآداب السنة وتعظيم دار البقآء ، وإذا جالست الملوك فحاضرهم بسيرة أهل العدل وسياسة العقلاء مع حفظ الآداب معهم والعفاف عما بأيديهم ، وإذا جالست العلماء فحاضرهم بالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة في المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الإنصاف لهم في القول والفهم المبتكر إذا وافق الصواب مع عدم المرآء والجدال المظهر لحب العلو عليهم ، وإذا جالست الصوفية فحاضرهم بما يشهد لأحوالهم الحقانية ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع آداب الباطن قبل الظاهر ، وإذا جالست العارفين فحاضرهم بما شئت فإن

« ١ » الحديث كما في كتب السنن : « مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلاً فَأَرَادَ اللّٰهُ بِهِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيراً صَالِحاً إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ » .

لكل شيء عندهم وجها من وجوه المعرفة ، لكن بشرط صدق الكلام وحفظ الأدب والحرمة فإن حضرتهم صباغة فالمعنى الذي تدخل به عليهم يخرج منهم ما يكسوك مشهدك فيهم ويلبسك ما وجهت به إليهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر . انتهى كلام السيد بن زين دحلان ﷺ .

وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﷺ في « مكتوباته » ٣٤٧ : اعلم أن رعاية آداب الصحبة ومراعات شرائطها من ضروريات هذا الطريق حتى يكون طريق الإفادة والاستفادة مفتوحا ، وبدونها لا نتيجة للصحبة ولا ثمرة للمجالسة ، ولنورد بعض الآداب والشرائط الضرورية في معرض البيان ينبغي استماعها بسمع العقل : اعلم أنه ينبغي للطالب أن يعرض بقلبه عن جميع الجهات وأن يتوجه به إلى شيخه بحيث لا يخلو قلبه عن الشيخ بالمحبة ، فإن ضعف في قلبه محبة الشيخ أو رجع قلبه إلى جهة فينسد عليه باب الفيض ويدخل في قلبه آثار الدسيسات النفسية فيتخرب باطنه ولا تظهر ثمرته .

وقال الإمام الرباني ﷺ في « مكتوباته » : إن معظم أسباب المحافظة لحصول الدولة هو القيام بشكر حصول تلك الدولة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ودوام الالتجاء والتضرع إلى جناب قدس الحق جل سلطانه حتى لا يصرف وجه طلبه عن كعبة جماله اللايزالي ، فإن لم تتيسرحقيقة الالتجاء والتضرع ينبغي أن لا يقصر في صورة الالتجاء والتضرع « فإن لم تبكوا فتباكوا » بيان لهذا المعنى ، وهذه المحافظة إنما هي إلى زمان الوصول إلى الشيخ الكامل المكمل ثم بعد الوصول إليه لا شيء عليه سوى تفويض جميع مراداته إليه وكونه كالميت بين يدي الغسال لديه ، والفناء الأول هو الفناء في الشيخ ويكون هذا الفناء وسيلة الفناء في الله .

لا بُـدَّ مِـنْ شَـيْـخٍ يَـقـودُكَ أَوَّلا مِنْ أَجْلِ كَوْنِكَ في البِدايَةِ أَحْوَلا

فإن طريق الإفادة والاستفادة مبني على وجود المناسبة بين الطرفين ، والطالب لا بد له أولا من برزخ ذي جهتين لكونه في الابتداء في غاية الدناءة

ونهاية الخساسة وعدم مناسبته أصلا لجناب قدسه جل سلطانه من هذه الحيثية ، وذلك البرزخ هو الشيخ الكامل المكمل ، **وأقوى أسباب وقوع الفتور على طلب الطالب هو الإنابة إلى الشيخ الناقص** وهو الذي جلس على مسند المشيخة بدون إتمام أمره بالسلوك والجذبة ، فصحبته سم قاتل للطالب والإنابة إليه مرض مهلك .

ومثل هذه الصحبة تورث الانحطاط والتنزل للاستعداد العالي بل ترميه من الذروة إلى الحضيض ، ألا ترى أن المريض إذا أكل مثلا دواء من طبيب ناقص في الطب فلا جرم يكون ذلك سعياً واجتهاداً منه في زيادة مرضه وتضييع قابلية إزالة مرضه ، وهذا الدواء وإن أورث تسكين الوجع وتخفيفا ما في أول وهلة ولكن في الحقيقة هو عين المضرَّة ، فإن وصل هذا المريض فرضا إلى طبيب حاذق يجتهد هذا الطبيب أولا في إزالة ذلك بالدواء ويعالج بالمسهلات لإخراجه ثم يشرع في معالجة إزالة المرض بعد زوال ذلك التأثير ، ومدار هؤلاء الأكابر على الصحبة لا يحصل فيه شيء من القيل والقال والسماع العاري عن الأحوال بل يورث ذلك فتورا في طلب الترقي إلى مدارج القرب والكمال . انتهى .

وكان حضرة الخواجه ﷻ يقول : كل من كان له ميل إلينا وخاطِرُ محبةٍ سوآء كان قريبا أو بعيدا في كل يوم وليلة لا بد لنا أن نعبر على نسبته ولنا عليه من رأس عين الشفقة والتربية فيض واصل إن كان حافظا لأحواله ومنظفا لطريق الفيض من قشاش التعلقات وأوساخها .

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار ﷻ في « الرشحات » : إن كان السكوت في الصحبة لأجل حفظ الحضور بالله وملاحظة الامتناع عن اللغو فتلك الصحبة جنة ، وفي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ إشارة إلى مثل هذه الصحبة فمن كان قلبه في أسر محبة المحبوب الحقيقي فهو في مقام المكالمة والمناجاة مع محبوبه في كل حال .

وقال : إن الحق سبحانه لا يكون مدركا ومفهوما بوجه من الوجوه عند المحققين ويكون طريق إدراكه مسدودا ، والعقل الكامل لا يستريح من طلب إدراكه أصلا فالسكوت والاطمئنان ليسا من مقتضيات العقل على هذا التقدير

قَصْدُ الحَبيبَةِ أَنْ تُضْحيْ بِها وَلِهاً فَالسَّعْيُ في عَبَثٍ أَوْلى مِنَ الوَسَنِ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ في « الرشحات » في ٢١١ : يلتزم رجال الغيب في كل زمان صحبة شخص من الصلحاء يعمل بعزيمة ويجتنب عن رخصة ، ويفرون من أرباب الرخصة فإن العمل بالرخصة شغل الضعفاء وطريقة أكابر النقشبندية عزيمة .

وقال حين أمر بالعزيمة والاحتياط : إن الاحتياط في اللقمة من اللوازم حتى ينبغي كون من يطبخ الطعام على طهارة كاملة وأن يوقد النار بالحضور والشعور ، وكان حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺ لا يأكل من طعام صدر عند طبخه غضب أو كلام فاحش وكان يقول : إن لهذا الطعام ظلمة لا يجوز لنا أكله . اهـ

وإن صحبة الأغنياء والثروة وأرباب الترفه سم قاتل ، ولقمتهم السمية أيضا وأطعمتهم اللذيذة زائدة في ظلمة الباطن يعني يورثها وتورث قساوة القلب فالحذر الحذر من صحبتهم والمؤانسة معهم واستلذاذ أطعمتهم والميل بمحبتهم ، وقد ورد في الحديث الصحيح على مصدره الصلاة والسلام : « من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه » ، فويل لمن تواضعهم لغناه مع سخطه تعالى في إرضائهم سامحنا الله تعالى من فرطات نفوسنا آمين .

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﷺ : فاعلم أن للصحبة ثلاث فوائد :

الأول أن صحبة أهل الخير تمنع المريد عن الانقلاب والعود إلى البطالة وتبعد النفس عن التشوف إلى المعاصي ، فإن البعد عن المعاصي يثقل فعلها على النفس والقرب من الطاعات يهون أمرها على النفس ، فبركة الصحبة وقوة الروحانية القدسية يسهل أمرهما عليه .

الثانية أن علم القلوب لا يصطاد إلا بالصحبة فإن من تحقق حاله لم يخل حاضروه منها والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يعلم ، والمرء على دين خليله ، والمؤمن مرآة المؤمن ، وما كان من المرئيات انطبع في المرآة المقابلة لها ، ولذا كان معول الشاذلية والنقشبندية على الصحبة .

واعلم أن الداعي للصحبة بين اثنين وجود الجنسية والنسبة بينهما ، فلا يصحب إلا من وجدهما فإنك تجد جنس البشر مثلا يميل بعضهم إلى بعض وكذلك غيرهم من الحيوانات يميل كل نوع إلى بعضه أكثر من ميله إلى النوع الآخر ، وكميل أهل الملة إلى بعضهم وكميل أهل الطاعة إلى بعضهم ، وكذلك أهل المعصية وكميل أهل الشرع والطريقة والحقيقة والمعرفة ، وكذلك أهل كل علم وحال وقال ومقام وصنائع وحرفة . ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

فإذا علمت أن الموجب للصحبة وجود الجنسية والنسبة فتفقَّد نفسك عند الميل إلى صحبة شخص والحالة التي فيه من أجلها أحببته ، وزِنْ ذلك بميزان الشرع ، فإذا رأيت أحواله مسدّدة فبشر نفسك بحسن الحال ، وإن رأيت أحواله غير مسدّدة فارجع إلى نفسك باللوم فإن تلك الحالة القبيحة مركوزة في نفسك وفرّ منه كفرارك من الأسد فإنه زادك ظلمةً وبعداً ومقتا وغفلة ونقمة ، فيجب أن تقتدي بمن علم بالديانة والصيانة والرحمة والعفو والتقوى والأمانة من البدع والأهواء والخيانة بعد أن تحقق أن طريقته موافقة للكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمشائخ الراسخين والعارفين وكبار الأمّة .

الثالثة أن السالك مبتلى بنفسه ، فإذا عمل وحده ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهام وعقائد فاسدة وأفكار كاسدة وكسل ومكر وحِيَل وزندقة واستدراج وغيرها ، ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول وهو لا يدري ، لاسيما المبتدئ فإنه يشوش عليه هذه الحالة ، فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقّفه انتهى بحروفه .

وقال ابن بنت ميلق ﷼ :

وَلَيسَ يَنْفَعُ قُطْبُ الوَقْتِ ذا خَلَلٍ ... في الاعْتقادِ ولا مَنْ لا يُواليـهِ
إلا إذا سَبَقَتْ لِلْـعَبْد سابِقَـةً ... يَعودُ مِنْ بَعْدِ هذا مِنْ مَـواليـهِ

أي وليس ينفعك أيها الطالب ملاقاة القطب والاجتماع به إذا لم تنكسر له وتخضع بين يديه وتتذلّل ، فلذلك قيل : من أشد الحرمان أن تجتمع بالولي ولم تُرزَق القبول عنده وما ذلك إلا لسوء أدبك في الظاهر والباطن ، فإنهم يَدخلون في باطن الإنسان ويعلمون ما تحويه سرائره من غير أن يشعر بذلك ، فلهذا يجب على الحاضرين بين يدي أولياء الله أن يحفظ سرّه عما لا يعني فكيف بالمعاصي ، فإذا وقعت خطرة من خطرات السوء بين يدي الولي فينبغي للطالب أن يتلافى ذلك ويغسل تلك الخطرة بالاستغفار والرجوع إلى مولاه بالذلة والانكسار وهذا هو الذي أشار إليه الناظم بقوله :

إلا إذا سبقت للعبد سابقة ... . إلخ

إذا سبقت العناية الإلهيّة للطالب تلافى ذلك الخاطر وعالج سوءَ الأدب الواقع منه بالاستغفار والعودة إلى موالاة ذلك الولي وحسن الأدب معه فإن سيماهم السماحة وهم متخلقون بأخلاق مولاهم يحبّون التائب ويغفرون الزلة ويقيلون العثرة .

والحاصل أن النفع المترتب على الاجتماع بالأولياء إنما يحصل بلزوم الأدب معهم وحسن الاعتقاد فيهم .

زار بعض الملوك قبر أبي يزيد ﷺ فقال : أهاهنا أحد ممن اجتمع به وسمع كلامه ؟ فأشاروا إلى شخص من هناك فقالوا : هذا ممن اجتمع به وسمع كلامه ، فقال له الملك : ماذا سمعت من كلامه ؟ فقال : سمعته يقول : من رآني فلا تحرقه النار ، فاستعظم الملك هذا المعنى وقال : محمد رسول الله ﷺ رآه أبولهب والنار تحرقه فكيف يقول أبو يزيد من رآني لا تحرقه النار ؟ ! فقال ذلك الشيخ :

إن أبالهب ما رأى محمداً رسولَ الله وإنما رأى يتيم أبي طالب ، وقد قال القشيري ﷺ : قعودك مع كل طائفة أسلم من الصوفية .

وقال الديريني ﷺ في « روضه » : يعني إن خالَطَهم وادّعى أنه سلك مسلكهم ومراده التزين للناس بأحوالهم مع عزمه على مخالفتهم فإنه هالك فلذلك تحرقه النار ، ففهم الملك المراد وأذعن ، يعني أن أبا لهب لم ير النبي بوصف النبوة ولا عظّمه في قلبه بالحالة اللائقة بوصفه ﷺ وإنما رآه بعين الحقارة وكونه يتيما ربّاه أبو طالب ، فلذلك أحرقته النار ولو رآه بوصف النبوة وعظّمه في قلبه بالحالة اللائقة بوصفه ﷺ وأذعن له بها وأسلم لكانت تلك الرؤية رافعة له لمقام الصحبة ، وحصل له المقام الذي لا يصل أحدٌ من الأولياء إليه ولم تحرقه النار .

وكذلك الولي لا ينال أحدٌ بركة صحبته حتى يراه بعين الولاية ويعظمه بمقتضى مقامها فتشرق حينئذ أنوارها ، فعضّ يا أخي بالنواجذ على حفظ الأدب بين يدي المشائخ واحفظ قلبك معهم وقالبك يكن لك في أذواقهم القدم الراسخ . انتهى ما قاله ابن علان ﷺ ٢٥ .

وقال ابن عطاء الله الإسكندري ﷺ في « الحِكَم » : ما نفع القلب شئٌ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة .

مداواة أمراض القلب واجبة على المريد ، وأمراضه إنما تكون من غلبة أحكام الطبع عليه من صحبته للأضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده إلى هوى النفس وأنسه بعالم الحس ، ومداواة هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة وأبلغها في ذلك وأنفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة ، فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ، ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل عن المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنّع ويتحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الردية والأخلاق الدنية ، ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن ، فإن للنفس تولّعا وتسارعا إلى الخوض في مثل هذا .

فواجب على المعتزل أن يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومنكبون عليه ، ويصون سمعه عن الإصغاء إلى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الأحوال التي ذكرناها ، وليحرص على أن لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلّع لذلك والبحث عنه ، وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم ، فإن ذلك مما يكدّر صفآء القلب ويؤديه إلى ارتكاب مساخط الربّ ، فليهجره المعتزل وليفرّ منه فراره من الأسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر إلى كلّ من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين إلى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم : أنكر من تعرف ولا تتعرّف إلى من لا تعرف .

وفي الخبر : « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه » ، وفي الأخبار السالفة : إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل أخ أو صاحب لا يوازرك على مبرّتي فهو لك عدوّ .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانياً ، فقال : إلهي قليت الخلق من أجلك ، فقال : يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مبرّتي فلا تصحبه فإنه لك عدوّ ويقسي قلبك ويباعدك مني .

وما أحسن قول أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري رحمه الله في هذا المعنى :

فَخَفْ أبْناءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم كَما تَخْشى الضَّراغِمَ والسبنتى[١]
وخَالِطْهُمْ وزايِلْهُمْ حِذارا وَكُنْ كالسامِرِيِّ إذا لُمِسْتا

اهـ

« ١ » السبنتى أي النمر .

وقال فيه أيضا : وروي عن عيسى عليه السلام : لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم ، قيل : ومن الموتى ؟ قال : المحبّون للدنيا الراغبون فيها . انتهى

وقال ابن بنت ميلق رضي الله عنه :

واسْتَغْرِق العُمْرَ في آدابِ صُحْبَتِهِ وَحَصِّل الدُّرَّ والياقوتَ مِنْ فيْهِ

واستغرق العمر يا أخي في صحبة شيخك حتى تعرف آداب الصحبة وتنتقل من صحبة المخلوق إلى صحبة الخالق ، فإن جميع ما يطلب مع الشيخ من الآداب يطلب منك بعد ذلك أن تعامل به الربّ ، فلا يصلح للعبد عبودية حتى يكون مراده تابعا لمراد مولاه ، من أحبّه لم يُؤْثِرْ عليه شيئا من مراداته ، وإذا عرفت الآداب مع الشيخ وتأدّبت بآدابه في صحبته كنت أهلا لأن تصير بعد ذلك من أهل الله تعالى وخاصته ، وهكذا شأن الملوك إذا أرادوا أن يقرّبوا عبداً ويجعلوه من خاصتهم جعلوه عند من يعلّمه آداب الخدمة فإذا كان الملك المجازيُّ لا يرضى لخدمته وحضرته إلا عبدا مؤدباً فكيف بملك الملوك ، واجتهد يا أخي في معرفة الآداب لتكون من أهل المنادمة« ١ » وخاصتهم والمجاورة في منازل الأحباب وما أحسن ما قال بعضهم :

أعْطِ المَعيَّـةَ حَقَّـها والْزَمْ لَهُ حُسْنَ الأدَبْ
واعْلَمْ بِأَنَّكَ عَبْـدُهُ في كُلِّ حالٍ وَهوَ رَبّ

وقال بعضهم : إن هذين البيتين قد تضمّنا خلاصة ما في « الإحياء » ، إذ المقصود من « الإحياء » كله معرفة الآداب ، فالطريق كله آداب .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله في تعريف التصوّف : وهو تربية النفس في العبودية وردّها إلى أحكام الربوبية .

قوله : وحصّل الدرّ والياقوت من فيه: أي إنك أيها الطالب إذا استغرقت عمرك في صحبته حصل لك الدرّ والياقوت من فيه أي حصل لك سماع

« ١ » أي المسامرة وهي الحديث الخاص بين الأصحاب .

المعارف والحقائق والمعاملات الدقيقة والإشارات النفيسة التي هي جواهر ويواقيت لأهل الأذواق ، وذلك لا يحصل إلا في مدّة مديدة إذ هم رضي الله تعالى عنهم لا يتكلّمون إلا بقدر الحاجة وبحسب المصلحة ، فبطول الصحبة تحصل الأحوال المختلفة يذكرون فيها ما يناسب كل حال بحسب كل شخص ، فتتنوع الفوائد وتتزايد الفرائد ، ولهذا كانوا أي الصحابة ينتفعون كثيرا بالأعراب لما يأتون ويسألونه ﷺ فيجيبهم بحسب سؤالهم فيستفيد الصحابة من ذلك علوما كثيرة ، ولو لم تأته الأعراب وسألوا لم يمكنهم السؤال لأنهم لا يتكلمون عنده ﷺ إلاّ بقدر الضرورة لمزيد آدابهم ورعاية أحوالهم وحفظ قلوبهم عما لا يعني ، ولا يعنيك يا أخي إلا أدبك اللازم واشتغال سرّك به ، فمتى غفلت لحظة بسواه كان ذلك من أعظم الذنوب عند من كانت همته الاشتغال بالله انتهى كلامه قُدِّسَ سِرُّهُ .

وقـــال أبو المواهب الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : إن أردت أن تهجر إخوان السوء فاهجر أخلاقك السوء قبل أن تهجرهم ، فإن نفسك أقرب إليك والأقربون أولى بالمعروف . « تقريب » ٩٥ .

وذكر في « المقامات السعدية » أن الطريق الثالث : الاستفادة من صحبة الشيخ الكامل المكمل الذي بيُمن توجهه وجاذبية صحبته يتطهر القلب من دنس الغفلة ويلمع فيه من سماء الشهود أنوار البدور والأهلة ، ويستفيد المريد في حضرته برعاية الأدب والتماس رضاه ، وفي غيبته بتشخيص صورته معتقدا أنه الباب الذي فتح له إلى الله تعالى ، وهذا الطريق كما قالوا أقرب الطرق وأسهلها في الإيصال ، وسمّوا هذا الطريق بالرابطة . اهـ ١٩٨

وإن الاستفادة المذكورة قال الشيخ محمد معصوم قُدِّسَ سِرُّهُ : الوصول في طريقتنا مربوط برابطة المحبة للشيخ المقتدى به .

وقد ذكرنا ذلك غير مرة فإن الطالب الصادق من طريق محبته لشيخه يأخذ من باطنه الفيوضات والبركات وينصبغ ساعة بعد ساعة بلون شيخه بتلك المناسبة المعنوية ، كما قالوا : **الفناء في الشيخ مقدمة الفنآء الحقيقي** ،

والذكر المجرد عن الرابطة المسطورة وعن الفنآء في الشيخ ليس موصلا ، وإن كان الذكر من أسباب الوصول ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ والفناء فيه ، نعم هذه الرابطة وحدها مع رعاية أدب الصحبة وتوجه الشيخ من غير التزام طريق الذكر موصلة ، وأما وظائف الأذكار والطاعات مع ذلك من الممدات والمعاونات . انتهى كذا في « كنز الهداية » .

وأما ما قالوا من أن الشيخ بابٌ فُتِحَ للمريد الصادق إنه استدلّوا عليه بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قال الشيخ عبد الرحيم ﷺ أبو الشيخ ولي الله ﷺ : وجه الاستدلال أنه لا يمكن أن يراد بالوسيلة الإيمان لأنه خطاب للمؤمنين ، ولا أن يراد به العمل الصالح فإنه داخل في التقوى لأنه عبارة عن امتثال الأوامر واجتناب النواهي والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وكذلك لا يراد به الجهاد بالدليل المذكور ، فتعين أن المراد به البيعة والإرادة من الشيخ المرشد ثم المجاهدة والرياضة في الذكر والفكر حتى يحصل الفلاح الذي هو عبارة عن الوصول إلى الذات المقدس ، والله أعلم . انتهى هامش « المقامات السعدية » ١٩٨ .

وقال أبو القاسم الجنيد ﷺ : إياك وصحبة الأشرار ولا تقطع عن الله بصحبة الأخيار . « نفحات » ١٠٦ .

وقال في « الرشحات » : إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ولو كان من أهل الزهد والتقوى ، وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى فإنهما في غاية الصفاء والنورانية ، ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضا ، فيبقى خاليا عن نسبة هؤلاء الطائفة التي فوق جميع النسب فإن الحكم للغالب ، فإن كان حال

صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية .

وقال : جالسوا جماعة لا يغلبون عليكم ولا يأكلونكم يعني لا يكونون أقوى منكم بحسب النفس والهوى ولا يضيعون أوقاتكم ولا يفوتونها ، فإن من ضاع وقته وفات فقد ضاع هو بنفسه ومات . « رشحة » ٢٠٠ .

ولذلك قال بعض السادات : الصحبة بشروطها كافية للانعكاس والانصباغ أي كافية لانعكاس صور الأنوار الإلهية من حضرة الذات المقدسة إلى استعدادات قلوب الطالبين والانصباغ ، أي كافية تلك الصحبة لانصباغ قلوب الطالبين بتلك الأنوار لأن تحت صحبة الواصلين أسرارا لا يمكن الوصول إليها إلاّ بالصحبة .

فلذلك قال بعض العارفين : اصحبوا مع الله تعالى فإن لم تستطيعوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله تعالى فإن بركة صحبته توصلكم إلى صحبة الله تعالى . « تحفة الأحباب » .

ثم اعلم أنه لا بد لمن دخل في صحبة المشائخ الصوفية أن يراعي آداب صحبتهم ويحفظ حرمتهم لأنهم جلساء الله وعرائس الله وأحبّاء الله وحزب الله وصحبتهم صحبة الله تعالى ، فمراعات آداب الله تعالى واجبة على كل حال .

قال في « نزهة المجالس » : قال رسول الله ﷺ : « من أراد الجلوس مع الله تعالى فليجلس مع أهل الله تعالى » ، فيجب مراعاة الأدب معهم ومن لم يراع الأدب معهم فقد ضلّ عن سواء السبيل .

وقال الجنيد ﷺ : من جلس مع هذه الطائفة ثم لم يتأدّب معهم سلب منه نور الإيمان وابتلاه الله تعالى بالمقت ، **ومن استخفّ بالأستاذ ابتلاه الله تعالى بثلاث : كَلَّ لسانه عن الشهادة ، وافتقر في آخر عمره ، ونسي ما تعلّم منه .**

ثم إن آداب صحبة المشائخ كثيرة وذكر جميعها في هذا المختصر عسيرة ، لكن أذكر نبذة منها لما أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، وفي المذكورات كفاية لمن وفقه الله تعالى بإخلاص استعداده .

منها : أنه لا بدّ للمريد قبل الدخول في صحبة شيخه أن يغتسل ويتوضّأ لأن الطهارة تزيد الإفاضة وتكثرها

وأن يتوب من جميع ذنوبه ، وأن يجرد قلبه عن العلوم والقيود

وأن يدخل عليه بعد الإذن ولا يدخل عليه في حال قبضه أو وقت شغله ، وليكن الدخول بالتواضع و التذلّل وإطراق الرأس

وأن يسلم عليه بقلبه لا بلسانه ، وأن يقبل يده اليمنى ويقهقر إلى ورائه ويقف قائما عند الباب ، فإن أمره الشيخ بالجلوس فيجلس حيث أمره فيه .

وأن لا يطأ سجادة الشيخ عند تقبيل يده بل يطويها ويمشي على ركبتيه

وأن لا يدخل في قلبه الخواطر عنده لأن الخواطر متى تدخل في قلبه تنعكس إلى قلب الشيخ فيتأذى بها ، وأن لا يحدّث نفسه بالخروج من عنده .

وأن لا يبتدئ الكلام إلاّ بإذنه ، وأن لا يرفع بالكلام وليخفض إلى حد ما يسمعه الشيخ

وأن لا يطيل النظر إلى وجهه لأن ذلك ينافي الأدب ويسقط هيبة الشيخ عن قلبه فينقطع عن الاستفاضة .

وأن يكون بين يدي الشيخ كاللص بين يدي سلطان محتشم

وأن لا يغير قلبه من الشيخ إذا نقصه أو شتمه عند أصحابه .

وأن لا يعترض على شيخه لو صدر عنه ما يخالف ظاهر الشريعة وإن لم يقدر على توفيق كلامه فليقل هو أعلم وليتذكر قصة الخضر مع موسى عليهما وعلى سائر المرسلين الصلاة والسلام .

ولا يخالفه في أمر أصلا ولو أمره بإلقاء نفسه في النار لأن عدم الفلاح من عدم امتثال أمر الشيخ

وأن لا يرد كلام الشيخ بكلامه ولو كان الحق في يده لأن فيه نقض العهود .

وأن لا يقول له لِمَ لأن فيه اعتراضا عليه وأن يعتقد أنه من أولياء الله تعالى وأنه محفوظ عن الخلاف

وأن لا يعتقد فيه العصمة لإمكان صدور المعصية من الأولياء وقد ذكرنا الإشارة في ذلك في موضعها .

وأن يعتقد فيه أنه أفضل المشائخ في طريقته وطريقته أفضل الطرق لأنه إذا لم يعتقد كذلك تميل نفسه إلى شيخ آخر ويتشوّق طريقة أخرى فينقطع عن الاستفاضة عنه .

وأن لا يكثر التردّد عند الشيخ وأن لا يدخل في صحبته إلا باقتضاء أحكام السلوك قبل دخوله فيه

وأن لا يطيل الجلوس عنده لأنه ينافي المحبة ويزيل الهيبة وينقطع عن الاستفاضة .

وأن لا يكتم عنه ما يظهر له من الأحوال والأذواق لأن كتم المريد شيئا من أحوال سلوكه عن الشيخ يقطعه عن السلوك ويمنعه عن الوصول وإن كشف له سرّ من أسراره فلا يفتشه ولو نشر بالمنشار .

وإذا أراد الخروج من عنده فليستأذنه فإن أذن فليقبّل يده وركبتيه وليخرج بالقهقرة ولا يولي إليه ظهره حتى يتوارى عنه بجدار أو غيره .

فمن تأدّب بهذه الآداب فقد ينتفع من الصحبة فيكون صحبته موصلة إلى الله تعالى ، وإلا تكون الصحبة عليه مقتا وضلالا . « الآداب المرضية »

ثم اعلم أيها الصادق أن التشبّه بالأخيار والصالحين بحسن الظنّ بهم يورث المحبة وأن من أحبّ يكون مع المحبّين ، ألا ترى أن الله لما أرسل موسى على نبينا وعليه السلام إلى فرعون كان السامري يتشبّه بموسى بين يدي فرعون ليضحكه استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبّه على هذا الوجه نجاّه الله تعالى من الغرق فلم يغرق مع فرعون وأصحابه هذا بمجرد التشبّه ، والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء ، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ، وكيف إذا كان بحسن نية ولو لم يقم بالعمل .

قال الشاعر :

فَتَشَبَّهوا إنْ لَمْ تكونوا مِثْلَهُمْ   إنَّ التَّشَبُّـهَ بِالْكِـــرامِ فَـلاحُ

وقد ورد : « المرء مع من أحبّ » كم موضع ذكرنا هذا لما أنهم قوم لا يشقى جليسهم ذكره السيد أحمد بن إدريس رحمه الله في « العقد النفيس » ١٠٨ .

وقال الشيخ أبو مدين قدس سره :

ما لَذَّةُ العَيْشِ إلّا صُحْبَةُ الفُقَـرا   هُمُ السَّلاطينُ والسَّاداتُ والأَمَرا
فَاصْحَبْهُمُ وَتَأَدَّبْ في مَجالِسِهِمْ   وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْما قَدَّمــوكَ وَرا
وَاسْتَغْنِمِ الوَقْتَ واحْضُرْ دائماً مَعَهُمْ   وَاعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضا يَخْتَصُّ مَنْ حَضرا
وَلازِمِ الصَّمْتَ إلّا إنْ سُئِلْتَ فَقُلْ   لا عِلْمَ عِنْدي وَكُنْ بِالجَهْلِ مُسْتَتِرا
وَلا تَرى العَيْبَ إلا فيكَ مُعْتَقِداً   عَـيْـباً بَـدا بَـيِّـناً لكـنَّـهُ اسْتَـتَرا
وَحُطَّ رَأسَكَ وَاسْتَغْفِرْ بِلا سَبَبٍ   وَقُمْ عَلى قَدَمِ الإنْصافِ مُعْتَـذِرا
وَإنْ بدا مِنْكَ عَيْبٌ فَاعْتَرِفْ وَأَقِمْ   وَجْهَ اعْتِذارِكَ عَمَّا فيكَ مِنْكَ جَرى
وَقُـل : عُبَيدُكُمُ أوْلى بِـصَفْحِكُـمُ   فَسامِحوا وَخُذوا بالرِّفْقِ يا فُقَـرا
هُمْ بِالتَّفَضُّلِ أولى وَهوَ سِيمَتُهُمْ   فَلا تَخَفْ دَرَكاً مِنْهُمْ وَلا ضَررا
وبالتغنِّي عَلى الإخْوانِ جُدْ أبَداً   حِسّاً وَمَعنىً وَغُضَّ الطَّرْفَ إنْ عَثَرا

وَراقِبِ الشَّيْخَ في أحْوالِهِ فَعَسى ... يَرى عَليكَ مِـنْ اسْتِحْسانِهِ أثَـرا
وَقَدِّم الجِدَّ وانْهَضْ عِنْدَ خِدْمَتِهِ ... عَساهُ يَرضى وحاذِرْ أنْ تَكُنْ ضَجِرا
فَفِي رِضاهُ رِضا الباري وَطاعَتُهُ ... يَرضى عَلَيْكَ وَكُنْ مِنْ تَرْكِها حَذِرا
وَاعْـلَمْ بِأنَّ طَـريقَ القَوْمِ دارِسَةٌ ... وَحالُ مَنْ يَدَّعيها اليَوْمَ كَيفَ تَرى
مَـتى أراهُمْ وَأنَّى لي بِـرُؤيَتِهِـمْ ... أوْ تَسْمَعُ الأذْنُ مِنِّي عَنْهُمُ خَبَرا
مَنْ لي وانَّى لِمِثْلي أنْ يُزاحِمَهُمْ ... عَلـى مَـوارِدَ لَمْ آلَفْ بِها كَـدَرا
أحِـبُّـهُمْ وَأداريـهِـمْ وَأوثِـرُهُمْ ... بِمُهجَتي وَخُصوصاً مِنْهُمُ نَـفَـرا
قَوْمٌ كِرامُ السَّجايا حَيثُما جَلَسوا ... يَبْقى المَكانُ عَلى آثارِهِمْ عَطِرا
يُهْدي التَّصَوُّفُ مِنْ أخْلاقِهِمْ ظَرْفاً ... حُسْنُ التَّأَلُّفِ مِنْهُمْ راقَني نَـظَرا
هُمْ أهْلُ وِدّي وَأحْبابي الذينَ هُمُ ... مِمَّنْ يَجُرُّ ذُيولَ العِزِّ مُـفْـتَـخِرا
لا زالَ شَمْلي بِهِمْ في الله مُجْتَمِعاً ... وَذَنْبُنا فِيـهِ مَغْفوراً وَمُغْـتَـفَـرا
ثُمَّ الصَّلاةُ على المُخْتارِ سَـيِّدِنا ... مُحَمّدٌ خَيْرُ مَنْ أوْفى وَمَنْ نَذرا

وصلى الله على سيدنا محمد المختار ، خير من أوفى ومن نذر ومن أكرم الجار ، وعلى آله واصحابه الأبرار والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم القرار
« ميلق » ٣٢

فصل

في الإرادة وغايتها

اعـــلم أيها المجد الصادق ، أن لكل أمر أسباباً للوصول إليه ، والإرادة لكل شيء أصل وبذر ، وهي في اصطلاح أهل الحق ظهور نار المحبة الإلهية في قلب المريد وإجابته لدواعي الحق سبحانه وتعالى ، وهي مبنى كل سعادة ، وفي الحقيقة أن الإرادة وإن كانت من صفات البشر لكن هي لمعة أنوار اسمه (المريد) سبحانه وتعالى ظهرت في قلبه على سبيل المجاز وهذا بداهي لأرباب القلوب .

وقال ابن أبي داود الحنبلي ﷺ صاحب « تحفة العباد » في كتابه « آداب المريد » : علامة صحة إرادة المريد تعلق قلبه بشيخه واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور ، حتى لا يشهد معه من الخلق أحدا غيره ، فإذا صح له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السرمدي ، وهذا الذي لا يشهده إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، لا الغبي الجاهل المفتون بشهوة نفسه الأمارة بالسوء أو الجامد الذي ليس عنده شيء من الروحانية ، قال بعضهم :

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ ولَمْ تَدْرِ ما الهَوى فَكُنْ حَجَرا مِنْ يابسِ الصَّخرِ جَلْمَدا« ١ »

اهـ للمنزلوي ﷺ من هامش « المكتوبات » ٢٦٦ ج ١ .

قال مولانا الشيخ أبوالحسن الخرقاني ﷺ النوراني : « اورا خواست مارخواست » كلمة فارسية ، يعني : أن (المريد) اسم شريف للحق سبحانه وتعالى ، ونوره يصعد إلى قلب العبد بقدر استعداده لذلك النور ، فيتوجّه قلبه إلى الله تعالى مع النور المصعد ، فتصير الإرادة حينئذ بذر سعادة روضة قلب العبد الصالح ، ولازم عليه حفظ البذر من الآفات البشرية ليجني من نمو ثمارها ، ولتربية هذا النور يحتاج إلى مدد شيخ كامل وتسليم أمره إليه

« ١ » أي صخرة .

في الحال ، لما أن الشيخ الكامل الذي يعلم ما في قالب المريد وقلبه يعلم منه الأخلاق الذميمة التي هي بمثابة الحطب فيعرضها إلى نار المحبة ساعة فساعة حتى يمحى ويذهب بحيث يتقوى نور المحبة بالتدريج على مجموع الإرادة البشرية ، فيصير نور الإرادة وقودا للأخلاق الذميمة فتنطمس ، فيفنى العبد في الله سبحانه وينفتح له الباب المسدود إلى الله تعالى .

وإن قصد لتربية ذلك النور برأيه وعقله على مقتضى إرادته البشرية بلا رجوع إلى المرشد الكامل الذي صحت نسبته فمحال أن يصل إلى غايته ومقصوده ، بل يحتمل أن يبتلى بسوء الأدب بوقوعه في الورطات بسبب تسامحه عن جهة المرشد .

وإن سألت : إن القرأن الكريم والحديث الشريف والشريعة المحمدية يبين كل أمر ديني ولا يترك صغيرا وكبيرا إلا مبينا فيها ، وكلام الله أعظم من كل شيء وألطف ، فما الضرورة إلى الشيخ في أمثال ذلك ، والشيخ لا يقدر أن يفعل إلا بما فيها ؟

فالجواب : لا شك فيما قلت ولا ريبة لما أن كل شيء مأخوذ من القرآن والحديث النبوي ، أخذه المرشد منها أيضا في الحقيقة ، لكن ليس أخذ المرشد منها كأخذك وعلمه إياها ليس كعلمك ، بل مثله مع مثلك كمثل الطبيب الخبير يعلم الأمراض وعلاجاتها بالتجربة أخذا من الأطباء الخبرة فيداوي لكل مريض نظرا إلى مرضه وطبائعه ومزاجه وعناصره ، وإلا فإن داوى الجاهل نظرا إلى المكتوب في الكتب بأن هذه الأخلاط دواء لمرض فلاني واستعمل تلك الأخلاط مع جهل مزاج المريض وكيفية عناصره فلا ريب أنه يقع في عطب وتهلكة فيؤول أمره إلى المهالك ، كذلك إن طريق السلوك من المهالك المعنوية وأصعب من الصورية وأحوج إلى الطبيب المعنوي فتفطن والله يعصمك .

قال حضرة الخواجه ﭬ : الإرادة والتسليم وعدم الاختيار أمر عظيم ، والمختار عندي أن الإرادة ترك الإرادة في الإرادة ، والمريد ينبغي له أن

يترك إرادته في إرادة مقتداه بالكلية ، وذكر بيتا بالفارسي : إنا تركنا إرادتنا وأخرجناها عن أنفسنا لأن اختيـــار الحبيب كلـه اخـتـيارنا ، إن أردنا أشغلنا الطالب بطريق جذبة ، وإن أردنا أشغلنا الطالب بطريق السلوك .

فالمرشد طبيب حاذق يعالج كل مسترشد بما يوافق حاله ، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ **أن الله تعالى يعامل كل عبد بحكمته البالغة بما يليق به فجعل واحدا في الفقر والشدة ويجعل آخر في الغنى والله بصير بالعباد .**

وقال الشيخ سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة مبدع الحقائق ومنشئ الدقائق مهبط الأسرار ومنبع الانوار محي السنة وقامع البدعة ناقد أحاديث رسول الله ﷺ مجد الملة والدين أبو سعد شرف بن مؤيد بن أبي الفتح البغدادي الشهيد روّح الله روحه فى كتابه « تحفة البررة في أجوبة المسائل العشرة » قال : ما حد الإرادة وحقيقتها في قوله ﷺ : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » : إنما المعتبر في الحضرة الإلهية جل ذكره هو جوهر الروح ، وإذا كان جوهر الروح في أصل الخلقة والجبلة كاملا مقبولا محبوبا لا يضره التلوث بالمخالفات في ابتداء الأمر ، وإذا كان جوهر الروح ناقصا خسيسا لا ينفعه التزين بالمعاملات والعبادات ، ألا ترى إلى عمر وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين كيف كانوا منغمسين في بحار الضلالة متحيرين في تيه الجحود لكنهم لما كانوا في أصل الخلقة من معادن الذهب وأقمار سماء العبودية وصعاليك الطريق استخلصتهم العناية الإلهية وبلغتهم إلى ذروة الكمال وسرادقات الجلال ، وإلى بلعم وبرصيصا وأمثالهما بما كانوا في أصل الجبلة من المردودين المبغضين فما أغنت عنهم العبادات الكثيرة والرياضة المستحسنة حتى ردهم التقدير إلى مراتب البهائم والكلاب ، وإذا كانت الأحوال هكذا فلا يغتر أحد بعمله ولا يعجبه عبادته ومجاهدته ، وليكن دائما على يقين من عيوب نفسه وعلى شك من عيوب الناس بل يكون حسن الظن بجميع الخلق إلا بنفسه .

ولذلك قال أبو يزيد ﷺ : من رجح نفسه على فرعون فهو من المتكبرين .

وقـال في ترجمة « الرشحات » : من بات في باب الإرادة ليلة يفتح له لطف الحبيب خوخة ، ثم قال : إذا ظهرت نسبة الإرادة في باطن أحد ينبغي أن يعدها نعمة عظيمة من الله تعالى وأن يتبادر إلى القيام بحقها ، والقيام بحقها ليس إلا التوجه إلى الله تعالى بكليته وأن يصرف وجوده في الله تعالى .

وقد ثبت عند المحققين أن الوجدان مقدم على الطلب وفسروا قوله ﷺ : « من طلب شيئا وجدَّ وجد » أي من وجد شيئا طلبه فإنه مالم يتجل الحق سبحانه وتعالى لقلب شخص بصفة الإرادة لا يحصل فيه استعداد الإرادة وطلب الحق سبحانه وتعالى ، ونتيجة ذلك التجلي الميل والانجذاب إلى الله تعالى ، فيكون قلب العبد أولا واجدا للتجلي الإرادي ثم يكون ثانيا طالبا ومريدا له ، ولهذا تمثيل في الظاهر وهو لو أن شخصا مر بجنب منظر فظهر له منه صاحب حسن وجمال ، وجَذَبَ بِتَجَلّيه قلبَه إليه فظهر في قلبه ميل وانجذاب نحوه فيكون الوجدان في تلك الصورة مقدما على الطلب والإرادة .

وسئل البعض أنه إذا كان الوجدان مقدما على طلب فما فائدة الطلب بل هو محال لكونه تحصيل الحاصل ؟ فأجيب : أن الطلب لاستيفاء الحظ وأن الوجدان الذي هو مقدم على الطلب وجدان إجمالي وفائدة الطلب حصوله على سبيل التفصيل فلا يلزم تحصيل الحاصل .

وقال الإمام العارف الرباني الشيخ السيد عبد الكريم الجيلاني ﷺ : إن الإرادة صفة تجلي علم الحق على حسب مقتضى الذاتي فذلك المقتضى هو الإرادة ، وهو تخصيص الحق تعالى لمعلوماته بالوجود على حسب ما اقتضى العلم ، فهذا الوصف فيه يسمى الإرادة ، والإرادة المخلوقة فينا هي عين إرادة الحق سبحانه وتعالى ، لكن لما نسبت إلينا كان الحدوث اللازم لنا لازما لوصفنا فقلنا بأن الإرادة مخلوقة يعني إرادتنا وإلا فهي بنسبتها إلى الله تعالى عين الإرادة القديمة التي هي له وما منعناها من إبراز الأشياء على حسب مطلوبها إلا لنسبتها إلينا وهذه النسبة هي المخلوقة ، فإذا ارتفعت النسبة

التي لها إلينا ونسبت إلى الحق على ما هي عليه له انفعلت بها الأشياء كما أن وجودنا بنسبته إلينا مخلوق وبنسبته إلى الله قديم ، وهذه النسبة هي الضرورية التي يعطيها الكشف والذوق أو العلم القائم مقام العين فما ثم إلا هذا فافهم ، وسنذكر مظاهرها إن شاء الله تعالى .

وقال عبيد الله الاحرار ﷺ : إن الشغل بالله تعالى أسهل و أيسر من كل شيء يفرضونه ، فإن الأشياء المطلوبة كلها إنما يطلبها من يطلبها أولا ثم يجدها بعد الطلب بخلاف الحق سبحانه وتعالى فإنه تعالى يجدونه أولا ثم يطلبونه ، فإنك إن لم تجده أولا فكيف تميل إليه ؟ !

إنْ أَنْتَ لَمْ تَرَ مِنْ مُناكَ جَمالَهُ   لا يَنْتَهي فيكَ الغَرامُ كَمالَهُ

ومعنى هذا الكلام أن الله سبحانه وتعالى يتجلى أولا لباطن العبد بصفة الإرادة ويقال لهذا التجلي : التجلي الإرادي فيكون العبد بعد وجدانه لهذا التجلي مريدا للحق تعالى وطالبا له فكان الوجدان مقدما على الطلب في هذه الصورة . انتهى

وقال مولانا وشيخ شيخنا ذو الفيوضات أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ونفسي من روحه فداء : إن أصول الإرادة على مذهب محققي الصوفية على أربع : الصدق في العبودية ، وترك الاختيار مع الربوبية ، والأخذ بالعلم في كل شيء ، وإيثار الله تعالى بالمحبة على كل شيء .

والصدق يبنى على أربعة أصول : على التعظيم والمحبة والحياء والهيبة

وترك الاختيار يبنى على أربعة أصول : على الشهود في القبضة وعلى التحقيق بالوصلة وعلى التصديق بالجملة وعلى الثقة بضمان الله تعالى ووعده .

والأخذ بالعلم يبنى على أربعة أصول : إما من طريق الأصالة وإما من طريق المواجهة وإما من طريق الفهم وإما من طريق السمع .

وإيثار الله بالمحبة يبنى على أربعة أصول : إيثار الوجود على كل موجود ، وإيثار الصفات بالتحسين لكل موجود ، وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود ، وإيثار محابه على محاب نفسك ، هذا إن نفذ فأما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ بهذه المثابة .

وقال الشاذلي ﵁ : من لم تصح إرادته لم يزده مرور الأيام إلا إدبارا ، فمن أراد أن تصح إرادته فما يوصل أمره على العلم إلا برفض الجهل وعلى رفض الدنيا إلا بالإقبال على الآخرة ، وليلازم الخلوة ودوام الذكر ، فهنا تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء في التوجه وتقبل الناس عليه من الرجال والنساء من الحواضر والبوادي ويسارعون إلى إكرامه والسلام عليه والتعظيم له ، فإن قبل ذلك منهم قبل التمكن والتحقيق يسقط من عين الله ويرد إلى ما خرج منه ، فتارة يمدح هذا ويذم هذا ويحتال على هذا ، فقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه لمحاب الله بمحاب نفسه ، فاحذر هذا الداء العظيم فقد هلك به خلق كثير فاعتصموا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . انتهى

وقال أيضا فيه ١٩٥ : والإرادة والمشية في اللغة بمعنى واحد وفي اصطلاح أهل الحقيقة الإرادة نهوض القلب في طلب الحق تعالى ، ولهذا قال بعضهم : لوعة تهوّن كل روعة ، وأكثر المشائخ على أن الإرادة ترك ما عليه العادة ، وعادة الناس في الغالب الإقامة في أوطان الغفلة والسكون إلى اتباع الشهوات ، فمن خرج عن ذلك سمي مريدا .

فالمريد في اللغة : من له الإرادة ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة : من لا إرادة له وكل مريد مراد في الحقيقة لأن مراد الله تعالى أن يكون مريداً لا محالة ، وكل مراد مريد أيضا فهذا هو الصحيح عند بعضهم .

وقال القشيري ﵁ وغيره : المريد المبتدئ والمراد المنتهي ولا بد لأكثر السالكين من حالة ابتدائه بالمجاهدات والرياضات حتى يصلوا إلى درجة

الانتهاء ، ومنهم من يكاشف في ابتدائه بجليل المعاني ويصل إلى مالم يصل إليه أرباب الرياضات رفقا من الله تعالى به وترفيها له ، إلا أن أكثر هؤلاء يردّون إلى المجاهدات بعد هذا الرفق ليستوفوا ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة .

وقيل : كان موسى عليه السلام مريدا فقال : ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ ، وكان محمد ﷺ مرادا فقيل له : ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ الآية إلى ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ ، وكذلك قال موسى عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فقال : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ، وقال لمحمد عليه الصلاة والسلام : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ، وهذا الكلام عند أهل الحقيقة وقوله تعالى : ﴿كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ ستر للقصة وتحصين للحالة ذكره القشيري رحمه الله وغيره .

فالمريد سائر والمراد طائر ، وقيل : المريد سالك والمراد مالك ، وقيل : أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد البسطامي رحمه الله يقول له : يا أخي إلى متى هذا النوم والراحة والقافلة قد مضت ؟ فقال أبو يزيد لرسوله : قل لأخي ذي النون : الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة ، فقال ذو النون رحمه الله : هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا .

والإرادة مطلوبة شرعا قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ . انتهى

وقال العارف سيدي عبد الكريم الجيلاني قدس سره : واعلم أن الإرادة لها تسعة مظاهر في المخلوقات : المظهر الأول هو الميل وهو انجذاب القلب إلى مطلوبه ، فإذا قوي ودام سمي ولعا وهو المظهر الثاني للإرادة ، ثم إذا اشتد وزاد سمي صبابة ، وهو إذا أخذ القلب في الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصب كالماء إذا أفرغ لا يجد بدا من الإنصباب وهذا هو المظهر الثالث للإرادة ، ثم إذا تفرغ له بالكلية وتمكن ذلك منه سمي شغفا وهو المظهر الرابع للإرادة ، ثم إذا استحكم في الفؤاد وأخذه عن الأشياء سمي هوى وهو المظهر الخامس ، ثم إذا استوفى حكمه على الجسد سمي غراما وهو المظهر السادس للإرادة ، ثم إذا نما وزالت العلل الموجبة للميل سمي

حبا وهو المظهر السابع ، ثم إذا هاج حتى يفنى المحب عن نفسه سمي ودا وهو المظهر الثامن للإرادة ، ثم إذا طفح حتى إذا أفنى المحب والمحبوب سمي عشقا ، وفي هذا المقام يرى العاشق معشوقه فلا يعرفه ولا يصيح إليه ، كما روي عن مجنون ليلى أنها مرت به ذات يوم فدعته إليها لتحدثه فقال لها : دعيني فإني مشغول بليلى عنك .

وهذا آخر مقامات الوصول والقرب ، فيه ينكر العارف معروفه فلا يبقى عارف ولا معروف ولا عاشق ولا معشوق ولا يبقى إلا العشق وحده .

والعشق هو الذات المحض الصرف لا يدخل تحت رسم ولا اسم ولا نعت ولا وصف ، فهو أعني العشق في ابتداء ظهوره يفنى العاشق حتى لا يبقى له اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف ، فإذا استحق العاشق وانطمس أخذ العشق في فنآء المعشوق والعاشق فلا يزال يفنى منه الاسم ثم الوصف ثم الذات فلا يبقى عاشق ولا معشوق ، فحينئذ يظهر العشق بالصورتين ويتصف بالصفتين فيسمى بالعاشق ويسمى بالمعشوق هذا إنسان كامل .

فصل

في المحبة المقصودة من العلم الباطن ، وهي المحبة الإلهية التي لا نصيب فيها لغيره سبحانه وتعالى

اعلم أيها الفائز بالتجافي من هذه الغرور أن المحبة الإلهية من مقامات الأنبياء والصديقين ، وللأولياء الصالحين نصيب منها بالوراثة ، والله ولي المتقين . ومن أقصى الدرجات وأعلى من التقوى وبها نالوا إلى الدرجات والمقامات ولا يحصل الفوز والسعادة الأبدية إلا بسببها ونيلها ، اللهمّ اجعلنا من المحبين محبيها واحشرنا في زمرة الصالحين .

قال سفيان الثوري ﵁ : المحبة اتباع الرسول ﷺ ، وقال غيره : دوام الذكر ، وقال غيره : إيثار المحبوب ، وقال بعضهم : كراهية البقاء في الدنيا ، وقال بعضهم : المحبة معنى من المحبوب قاهر القلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته ، وقال الجنيد : حرم الله المحبة على صاحب العلاقة

وقال : كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة

وقال ذو النون ﵁ : قل لمن أظهر حب الله تعالى احذر أن تذل لغير الله تعالى

وقيل للشبلي ﵁ : صف لنا العارف والمحب : فقال : العارف إن تكلم هلك والمحب إن سكت هلك . « إحياء »

وقال صاحب « الكشوف » : المحبة إدراك الكمال من حيث إنه مؤثر ، وكلما كان الإدراك أتم وأكمل والمدرك أشد كمالية مؤثرة كانت المحبة أتم ، ثم إنه ساق الكلام في المحبة إلى أن قال : ولو تأمّلت حق التأمّل وجدتَ المحبة سارية في سائر الموجودات كلها عليها مدار البدء والإيجاد ولولا أن الكلام فيها هاهنا على سبيل الاستطراد أزرى بمقامها لأوردت فيها مع ضعفي ما يحير الألباب ويميز القشر عن اللباب « كشكول » ٢٣١ .

وكم آيات في الكتب المنزلة وكذا في التنزيل في حقها ، اكتفينا عن ذكرها .

وورد أن المتحابين في الله على منابر من نور موجب لأنواع السرور « حول العرش » أي مكان المقربين « لباسهم نور ووجوههم نور ، يغبطهم النبيون والشهداء » وهذا للمبالغة في علو الدرجات .

وفي رواية عن أبي أيوب ﵁ : « المتحابّون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش » .

قال أبو أيوب الخولاني لمعاذ ﵄ : إني أحبك في الله ، فقال له : أبشر ثم أبشر ثم أبشر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ، ويخاف الناس وهم لا يخافون ، وهم أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، فقيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال : « هم المتحابون في الله » كذا في « الإحياء » .

وفيه : « تحابوا في الله » ، « والمتحابون في الله والمتزاورون لله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وروى النسائي ورجاله ثقات من حديث أبي هريرة ﵁ : « إن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء » ، فقالوا : صفهم لنا يا رسول الله ، فقال : « هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله » .

فالحب في الله تعالى كحب العالم الذي يستفيد من قوله وحاله وعلمه ، وعمله وكحب الصالح يتبرك به .

فقد قال بعض السلف : استكثروا من الإخوان ، فإن لكل مؤمن شفاعة ، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك ، ولذا حثّ جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة ، وكرهوا الانفراد والعزلة .

فعن عيسى عليه السلام : من علم وعمل فذلك يدعى في الملكوت عظيما .

والمرأة تفرغ الرجل للعبادة بتدبيرها أمر البيت وتعطي له من مالها ليصون الوقت من الضياع في طلب المال ، فقد كان جماعة من السلف تكفل لهم جماعة من أولي الثروة« ١ » ، فالمحب للشيء محب لمحبه ومحبوبه ، وقد ورد في الدعاء : « اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك » .

وكذا المبغض للشيء مبغض لمبغضه ومبغوضه ، ويزدادان بقوة الطاعة والمعصية وينتقصان بضعفهما ، فليصاحب العاقل والحسن الخلق والقانع ، فصحبة الحريص سم قاتل ، وصحبة الفاسق يستحق بها المقت . اهـ كلام علي القاري قدس سره راجع « الرماح » ٩ جـ ١ و« جواهر » ٢٩٢ و« سهلي » ٢٣ .

ثم اعلم أيها الأعز أن المراد من « أكثروا من الإخوان » في الحديث الإخوان في الله ، لا إخوان السوء كما ذهب إليه بعض العلماء .

و قال في « شرح الشرعة » الملقب بـ « مفاتيح الجنان » : أفضل خصال المؤمن الحب في الله تعالى والبغض في الله تعالى .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضي الله عنه : « يا أبا ذر ! أيّ عرى الإيمان أوثق ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « الموالاة في الله والحبّ في الله » ، والموالاة والمحبة يلزم أن يكونا من الطرفين .

« ١ » التقدير : أن المرأة التي تفرغ الرجل للعبادة وأولوا الثروة الذين تكفلوا للعبّاد تنالهم شفاعتهم لمحبتهم إياهم .

ويروى : قال موسى عليه السلام : إلهي دلني على عمل هو لك ، قال : يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط ؟ فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله .

وقال النبي ﷺ : « المتحابون في الله يوم القيامة على عمود من ياقوت حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة يتشرفون على أهل الجنة فيقول أهل الجنة بعضهم لبعض : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله ، فتضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، وعليهم ثياب من سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله » . كذا ذكر في « شرح المصابيح » ، وأنّه يوجب كمال الإيمان ومحبة الله تعالى ، وبه ينال المؤمن طعم الإيمان ، وهو من أخلص الأعمال لله تعالى .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن رجلا قام الليل وصام النهار وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض في الله ، ما نفعه ذلك . ذكر ذلك في « العوارف » وغيره .

وفي الحديث : « أكثروا من الإخوان ، فإن ربكم حييّ - بتشديد اليآء الثانية فعيل من حيي - يستحي أن يعذب عبده بين إخوانه يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « أكثروا من المعارف ، فإن لكل واحد منهم شفاعة يوم القيامة » .

ومن السنة أن لا يؤاخي إلا من يثق بدينه وأمانته وصلاحه وتقواه ، فإنّ المرء مع من أحب وإن لم يعمل بعمله .

وقال الحسن رحمه الله تعالى : لا يغرنكم قول من يقول « المرء مع من أحب » ، فإنك لا تلحق الأبرار إلا بأعمالهم .

وهذه إشارة إلى أن مجرد المحبة من غير موافقة المحبوب ولو في بعض الأعمال أو كلها لا تنتفع ، بل إن الله تعالى ربما يرى في قلب وليه إنسانا

فيرحمه أي يرحم الله تعالى ذلك الإنسان الذي كان في قلب وليه بحرمة وليّه ويلحق ذلك الإنسان بولي الله تعالى في درجته ولا ينقص من عمل الولي شيئا ، كما يلحق الذرية بالوالدين كما في قوله تعالى : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾اهـ . كلام « شرح الشرعة » .

وبهذا يفرق بين الصوفي والمتصوف والمشبّه والمتشبه للمتشبه ، كذا في « عوارف المعارف » ، وسبق ذكره أيضا في هذه الرسالة .

وقال في « الإحياء » : قال عليه الصلاة والسلام في الترغيب للأخوة في الله جلّ جلاله : « من آخى أخاً في الله رفعه الله تعالى في درجة الجنة التي لا تنالها بشيء من عمله » .

ويقال إن الإخوة في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفعه الله معه إلى مقامه وإنه يلتحق به .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى قال : حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي » .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

وقال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » .

فلهذا يجب أن يكون لكل إنسان أعداء يبغضهم في الله ، كما يجب أن يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله تعالى .

ويروى أن الله تعالى أوحى« ١ » إلى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : « لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض ولم تحب في الله وتبغض في الله ، ما أغنى عنك شيئا » .

« ١ » في الأصل : يقول

وقال عيسى ﷺ : تحببوا إلى الله تعالى ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله تعالى بالتباعد منهم ، والتمسوا رضاء الله تعالى بسخطهم ، قالوا : يا روح الله ، فإلى من نجالس ؟ قال : تجالسوا إلى من يذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد في عملكم كلامه ، ومن يرغبكم في الآخرة عمله .

اعلم أن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله ، فإنك إن أحببت إنسانا لأجل كونه مطيعا لله تعالى ومحبوبا عند الله ، فإن عصاه فلا بد من أن تبغضه ، لأنه عاص لله تعالى وممقوت عنده تعالى ، فإن أحب لأجل سبب فبالضرورة يبغض لضده ، وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وهو مطّرد في الحب والبغض في الله تعالى .

فمن لم يظهر إلا الفجور فحقه البغض لله تعالى فقط ، ومن لم يظهر إلا الطاعة واجتناب المعاصي فحقه الحب لله فقط ، ومن اختلط كلاهما فحقه البغض من جهة المعاصي والحب من حيث الطاعة .

وقد يغلب البغض إن غلب فيه المعاصي ، والحب إن غلبت الطاعات ، والمعاملة معه مشكل إلا إن أمسك الله تعالى قلوبنا وجوارحنا .

ثم إن حب الإنسان لمنفعة ديناه فقط ، أو لمنفعة أخروية فقط ، أو لمنفعة دنيوية وأخروية .

فالأول ليس من الحب في الله في شيء ، والثاني الحب في الله ، والثالث الحب في الله من وجه دون وجه ، وكذا البغض في الأقسام المذكورة .

هذا حاصل ما في « الإحياء » ، فتجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى يصلح لأن يتوسل إلى الله تعالى وإلى الدنيا .

فإذا أحبه لإصلاحه الأمرين فهو من المحبين في الله ، كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة بالمال ، فأحبه من حيث أن في طلبه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، وهو وسيلة إليهما ، فهو محبة في الله تعالى .

وليس من شرط الحب في الله تعالى أن لا يحب حظا في العاجل البتة ، إذ الدعاء الذي أمر الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمع فيه بين الدنيا والآخرة ، ومن ذلك قولهم : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ .

وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا وفيه تفصيل .

وإذا اجتمع في قلبه محبة الدنيا والآخرة فالفقهاء فسروا الدنيا بما يمنع من الآخرة ، فلعله هو المراد فيما ورد : « الدنيا جيفة وطالبها كلب » ، وفيما ورد : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله أو عالم أو متعلم » ، « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

والسادات الصوفية - فسروها - بما يمنع من طلب المولى سبحانه وتعالى ، لأنه يمنع الوصول إلى الله تعالى ، وهو مقصود السادات الصوفية الصافية ، ولذا قال : **الدنيا حرام لأهل الآخرة ، والآخرة حرام لأهل الدنيا وكلاهما حرامان لأهل الله تعالى** .

ولقد حكي أن علي بن الحسين رضي الله عنهما دخل مغارة مع أصحاب له فرأى امرأة في المغارة وحدها فقال لها : من أنت ؟ قالت : أمة من إماء الله إليك عني لا يذهب الحب ! فقال لها علي رضي الله عنه : وما الحب ؟ قالت : أخفى من أن يرى وأبين من أن يخفى ، كمونه في الحشا ككمون النار في الحجرا إن قدحته أورى وإن تركته توارى ثم أنشأت تقول :

إن المحبين في شغل لسيّدهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا .

وليس المراد من الدنيا ههنا الدرهم والدينار ، فإن محبتهما لذاتهما مذموم جدا ، بل هو سم قاتل ، وأما محبتهما لغيرهما فهو تابع للغير ، **لأن للوسائل حكم المقاصد** ، فمحبتهما لأجل التوصل إلى المعاصي يكون معصية ، وإلى الطاعة يكون طاعة ، وإلى المباح يكون مباحا ، فلعل الأخير هو المراد ههنا .

وفي قوله : « فحبه من حيث أن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في العقبى ، وهو وسيلة إليهما » إشارة إلى ما قلنا .

وقال الإمام الغزالي ﷻ : أما بعد ، فإن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهي ثمرة من أثمارها وتابع من توابعها ، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدمتها ، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها .

اعلم أن الأمة أجمعوا على أن الحب لله تعالى والحب لرسول الله تعالى ﷺ فرض عين ، وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله تعالى من شرط الإيمان في أخبار كثيرة ، إذ قال أبو رزين العقيلي ﷺ : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

وفي حديث آخر : « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين - وفي رواية - ومن نفسه » .

وكيف وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ الآية وأمثاله كثيرة في « الإحياء » .

وقد قال بعض العارفين : إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا ، وإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي .

وبالجملة في دعوى المحبة خطر ، ولذلك قال الفضيل ﷻ : إذا قيل أتحب الله تعالى فاسكت ، فإنك إذا قلت (لا) كفرت ، وإن قلت (نعم) ، فليس وصفك وصف المحبين ، فاحذر المقت .

وقد قال بعض العلماء : ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ، ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك .

قال علي القاري ﷺ في شرحه لـ « عين العلم » : الخاتمة في المحبة والسلوك ، أي سلوك طريق المحبة وسبيل المودّة ، من لم يغترف من بحر المعرفة لم يغترف حقيقة المحبة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فإني رئيس المحبين في سلوك المودة [يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ] لا يؤمن أحدكم إيمانا كاملا أو إيمانا أصلا حتى يكون الله تعالى ورسوله أحب إليه مما سواهما .

والمحبة أعظم المقامات وأهم المهمات ، ولا لذة أعظم من محبة الله تعالى ومعرفته ، فلا ينكر حب الله تعالى إلا من قعد في درجة البهائم غافلا .

والدرجة الأعلى من المحبة أن يحب الله تعالى لذاته ، وهو من المواهب اللدنية والمراتب العندية دون المكاسب العبدية ، ثم للكمال ، ثم للإحسان ، وهو محبة النفس في الحقيقة وإن كان هو يطلق عليه (محبة الله تعالى) في ظاهر الشريعة والطريقة ، وطريقه الوضوء والخلوة ، ثم القوم مختلفون فيها ، فمنهم من جعل مدار الخلوة على خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ، ولو كان في مجمع الخلق كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ تعالى .

وهو طريق السادات النقشبندية والقادات الشاذلية ، ويقال في حقهم إنهم غريبون قريبون وكائنون بائنون عرشيون فرشيون .

ومنهم من اختار الخلوة المتعارفة بينهم تهوينا للمبتدئ وتسهيلا للمنتهى كما ذكرنا أمرها ، والجوع والسهر ونفي الخواطر أي يلزم نفيها ودفعها إذا كانت مذمومة ، وهذا إذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر«١» ، وإلا فلا ثمرة لها والتسليم لله تعالى في كل حال وترك غير الفريضة والرواتب .

« ١ » لعلّ المراد عدم استقرارها بل كونها كنفح العطر في سرعة الزوال

وهذا اللزوم بالنسبة إلى المبتدئ حيث كان الأفضل في حقه مجرد الذكر ، وأما بالنسبة إلى المتوسط فالأكمل في حقه التلاوة ، وبالنسبة إلى المنتهي الصلاة ، كما في « العوارف » .

والذكر الدائم مع الحضور باللسان أي بلسان البيان أو بلسان القلب والجنان وبالجمع بينهما وهو الأكمل ، وإن كان الذكر الخفي أكمل وأفضل ، فلذلك اختاره السادات النقشبندية لتسليك المريدين أن يقولوا بلسان قلوبهم . انتهى كلام علي القاري قُدِّسَ سِرُّهُ .

قال في « تقريب الأصول » قال : سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : قال ملك من الملوك لبعض العارفين : تمنّ علي ، فقال له ذلك العارف : أَلِي تقول هذا ولي عبدان ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص ؟ فأنت عبد عبدي فكيف أتمنى على عبد عبدي ؟ !

الكسوة الثانية التي يلبسها الحق لأوليائه إذا أظهرهم كسوة البهاء ، وذلك ليحلِّيهم في قلوب عباده فينظرون إليهم بعين المحبة والمنة ، فيكون ذلك باعثا لهم على الانقياد إليهم .

أفلا ترى كيف قال الله تعالى في شأن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾

فحلاهم حلية التبهية ليحبهم العباد فيجرّهم حبهم إلى حب الله تعالى ، والحب في الله يوجب المحبة من الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله تعالى : « وجبت محبتي للمتحابين فيّ » .

وهـي أربـع مـراتب : الحب لله تعالى والحب في الله تعالى والحب بالله تعالى والحب من الله تعالى .

فالحب لله تعالى ابتداء ، والحب من الله تعالى انتهاء ، والحب في الله وبالله تعالى واسطة بينهما ، فالحب لله تعالى هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه ، والحب في الله تعالى أن تحب فيه من والاه ، والحب بالله تعالى أن يحب العبد من أحبه وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه ، والحب من الله تعالى هو أن يأخذك من كل شيء فلا تحب إلا إياه .

وعلامة الحب لله تعالى دوام ذكره مع الحضور ، وعلامة الحب بالله تعالى أن يكون باعث الحظ مقهورا بنور الله تعالى ، وعلامة الحب في الله تعالى أن تحب من لم يحسن لك بدنياه من أهل الخير والطاعة لله تعالى ، وعلامة الحب من الله تعالى أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستورا .

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ : من أحب الله تعالى وأحب لله تعالى فقد تمت له ولايته ، والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ، ولا مشية له غير مشيته ، فإذا من ثبتت ولايته من الله تعالى لا يكره الموت ، ويعلم ذلك من قوله تعالى : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ .

فإذا الولي حقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه ، وقد أحب الله تعالى من لا محبوب له سواه ، وأحب له من لا يحب شيئا لهواه ، وأحب لقاء من ذاق أنس مولاه .

والمحبة من أجلّ مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله تعالى أيّهما أتم مقام المحبة أو مقام الرضا .

قال ابن عطاء الله ﷺ : وإن كان الذي نقول به إن مقام الرضا أتم ، لأن المحبة ربما حكم سلطانها على المحب وقوي عليه وجود الشغف ، فأداه ذلك إلى طلب ما لا يليق بمقامه ، ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب ، والراضي عن الله تعالى راض عنه سواء أشهده أم حجبه ، المحب يحب دوام الوصلة ، والراضي عن الله تعالى راض عنه وصله أو قطعه ، إذ ليس هو مع

ما يريد لنفسه ، بل إنما هو مع ما يريد الله له ، والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب ، والراضي لا طلب له .

قال ابن عطاء الله ﷺ أيضا : ولنا في هذا المعنى :

وَكُنْتُ قَديماً أَطْـلُبُ الوَصْلَ مِـنْهُمُ   فَلَمَّا أتاني العِلْمُ وارْتَـفَـعَ الـجَـهْلُ
تَـيَـقَّـنْـتُ أَنَّ الـعَـبْـدَ لا طَلَب لَـهُ   فَإِنْ قَـرَّبـوا فَـضْلٌ وَإِنْ بَعَّدوا عَدْلُ
وَإِنْ أَظْهروا لَمْ يُظْهِروا غَيْرَ وَصْفِهِمْ   وَإِنْ سَتَروا فَالسَّتْرُ مِنْ أَجْلِهِمْ يَحْلو

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ : المحبة آخذة من الله تعالى لقلب عبده من كل شيء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته ، والعقل متحصنا بمعرفته ، والروح مأخوذة عنه في حضرته ، والسر مغمورا في مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته ، فيكسى حلل التقريب على بساط القرب ، ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم .

فمن أجل ذلك قالوا : أولياء الله تعالى عرائس الله تعالى ، ولا يرى العرائس المحرمون ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

وقد ذكرنا هذا الحديث آنفا ، أي أن الذاكر عاشق ، والعشق إفراط المحبة ، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره ، ولذلك صار والها حتى قيل فيه إنه مجنون ، وذلك كله رجاء أن يكون محبوبا ، وهو السر في الحقيقة ، بل هو أساس الطريقة .

ولذلك يقال : ليس السر كونك محبا ، بل الشأن كونك محبوبا ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فلم يستلزم حبهم لله حبه لهم ، وإنما صيرهم محبوبين عنده اتباعهم لنبيه ﷺ ، وهو قدر زائد عن حبهم لله تعالى .

وقال القطب الشاذلي ﷺ والمغفرة الشاملة والمحبة الجامعة أي السالبة لمقام الفرق فيصير المحب فانيا تحت سلطان ظهور المحبوب ، فتسلية المحب عن الغير وهي المرادة عند القطب المصري ﷺ بالمحبة الجامعة أي السالبة للسوى كما علمت ويراه في كل شيء إذا غاب عنه كما قال ابن الفارض رضي الله عنه :

تراه إن غاب عني كلُّ جارحة في كل معنى لطيفٍ رائقٍ بَهِجِ

فالضمير في تراه راجع للمحبوب والمعنى : إن غاب عني الحبيب صارت جوارحي عيونا تراه أي تراه في كل معنى لطيف رائق بهج « تنوير »

وما أحسن قول مجنون ليلى :

أرى لَيلَى فَأعْرِضُ عَنْ سِواها مُحِبٌّ لا يَرى حُسْناً سِواهــا
لَقَدْ ظَفِرَتْ يداه وَنالَ مُلْــكاً إذا كانَتْ تَــراهُ كَما يَراهــا

فعلم مما تقرر أن الذاكر محبوب لأن الله تعالى جعل اللسان عنوان الجنان ، والجوارح الظاهرة كلها عنوان الباطنة ،

فما هتف اللسان إلا بحب الجنان ، ولا صدق الجنان إلا بحب الرحمن ، عملا بقول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام : « القلب بيت الرب » ، « لم يسعني أرضي ولا سمائي ، بل وسعني قلب عبدي المؤمن » ،

والسر في السكان لا في المساكن ، وهل يأوى الساكن إلى مسكن غير محبوب ، ومن جوز ذلك فهو محجوب ، ومن نتائج القلوب مسلوب .

وسكناه سبحانه للقلب على ما يليق به من الكمال ، من غير تكييف ولا حلول ولا تشبيه ولا تمثيل ، بل بمعنى التجلي بالجلال والجمال ، إذ هو منزّه عن الاستقرار في المكان والحلول بالمكانة والشرف والكلاءة والحفظ والنظر والإحاطة والقيومية من غير وجوب عليه ولا إجبار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .

قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ وجدير بهذه البيوت التي يسكنها الرب أن ترفع ، ولذا قال : ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ .

والقلب محل الذكر دائما ، ذكر اللسان أو لم يذكر ، فالولي تولى اللهَ فتولاه ، وتولّي الإلهِ سابق لتوليه ، قال تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، فبحبه أحبوه وبحفظه حفظوه وبذكره ذكروه وبفضله شكروه ، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ، والمعنى أنه لما خلق لهم حبه فهو قد أحبهم قبل أن خلق لهم الحب ، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ ، فإحسانه سابق لإحسانهم ، لأن إحسانهم من إحسانه ، فهو المحسن حقا بدأً وعودًا . انتهى كلام السيد زيني دحلان ﵁ ، ما ألطفه !

وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه : إنما أتّخذ لخلّتي من لا يفتر عن ذكري ، ولا يكون له همّ غيري ، ولا يؤثر عليّ شيئا من خلقي ، وإن حرق بالنار ولم يجد لحرق النار وجعا ، وإن قطع بالمناشير لم يجد لمسّ الحديد ألما . اهـ .

فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد ، فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات ، وكل ذلك وراء الحب ، والحب وراء كمال الإيمان ، ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له .

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام للصديق ﵁ : « إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي ، وأعطاني مثل إيمان كل من آمن بالله تعالى من ولد آدم ﵇ » ذكره في « الإحياء » .

وقال الباز الأشهب الشيخ رسلان الدمشقي ﵉ : طريقتنا يا معشرَ أهل الحقيقة واليقين ، الموحدون لله تعالى توحيدا ذوقيا شهوديا – والمراد من الطريقة السيرة والحالة التي هم فيها في الباطن والظاهر – محبة لله أي طريقتنا محبة للهِ سبحانه فقط ، وهي ميل القلب إلى شهود الرب تعالى ، يعني أننا دائما مائلون إلى الله تعالى ، راغبون في شهوده عن شهود كل شيء ، مشتغلون

في معرفته عن معرفة كل شيء ، متلذذون بمشاهدته تعالى في كل شيء لا يعرف دينا ولا طاعة ولا اعتقادا ولا شيئا من أنواع العبادات فهي عندنا منن ونعم من الله تعالى علينا ، لا حول لنا في ذلك ولا قوة إلا بالله تعالى ، فنحن موصوفون به وهو الفاعل لها وحده ، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ قال الشيخ العارف بالله خاتمة المحققين عبد الغني النابلسي قدس سره : يعني إذا جاءك اليقين فلست حينئذ[١] ، لأن العابد يحتاج إلى نفس يعبد ربه عز وجل بها ، فإذا هي انطمست بأنوار اليقين بقي العبد ساكنا تحت أمواج القدرة ، تحركه كيف شاءت . انتهى

وقال أيضا : العابد لله سبحانه وتعالى دائما رآء لعبادته ، أي ناظر إليها قاصد بها ، منهمك فيها ، والمحب رآءٍ لمحبته ، أي ناظر إليها معتبر لها مشتغل بها ، ذلك أن سبب المحبة هي محبة واحدة من الرب إلى العبد ، ثم تنقلب عند وجود القلب من العبد إلى الرب كما قال تعالى : ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، فافهم والله تعالى يتولاك .

واعلم أن الله تعالى قال : ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، والمعنى أن الحق تعالى يعطي المحبوب من أوليائه في الدنيا ما يعطي أهل الجنة في الآخرة ، وهو قوله تعالى : ﴿كُن فَيَكُونُ ﴾ وتلك الكلمة صورة الإرادة الكلية . انتهى

وقال العارف حسين الكاشفي الهروي قدس سره في « الرشحات » ١٢٠ عن شيخه أنه قدس سره قال : إن المحبة الذاتية أن يحب إنسان إنسانا ولا يظهر سبب محبته له ، وهذا كثير بين الناس ، فإذ ظهرت لشخص محبة الله تعالى من هذا القسم يقال لها محبة ذاتية ، وهذا القسم أفضل أنواع المحبة ، وليس من المحبة أن يحبه وقت رؤية لطفه ، فإذا أحس منه عنفا لا يبقى له ميل إليه . انتهى

وقال أيضا قدس سره : من أحب شخصا يريد أن يحبه الناس كلهم وإن كان مقتضى غيرة المحبة إخفاء المحبوب ، لكنه يجتهد من غاية محبته إليه في أن

« ١ » وفي نسخة « أ » هناك إشارة على سقوط شيء .

لا يكون له أحد منكرا ، ولا يعرف أنه كيف يحتال وكيف يدبر وكيف يفكر لأن يكون الكل معتقدا له وطالبا إياه ، فيصفه بكل وصف ممكن وبكل صفة متيسرة رجاء طلبهم إياه .

وقال الشيخ إبراهيم بن داود الرقي ﵁ :

ظفرتـمْ بكِتْمـانِ اللسانِ فمـنْ لكمْ　　بكِتمـانِ عيـنٍ دمعُها الدّهـرَ يذرفُ
حملتـمْ جبـالَ الحب فوقـي وإنني　　لأعجـزُ عن حمل القميصِ وأضعفُ

وقال ايضاً :

يبـدو فأجهـد أن أكاتـم حبّـه　　فتبيـن فـيّ علامـة الكتمـانِ
خَفَقـان قلبـي وارْتِعـادُ مَفاصِلي　　وغُبـارُ لونـي وانْعِقـادُ لِسانـي
فمتـى يكذّبنـي شـهودٌ أربـعٌ　　وشـهود كـل قضيّـة اثنـانِ . .

وقال ايضا :

حمّلتموني علـى ضعفي بفرقتكم　　مـا ليـس يحمله سـهل ولا جبلُ

« نفحات » ٢١٥

وقال الشيخ السهروردي ﵀ في « عوارف المعارف » : ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة ، قال تعالى في وصف أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ وقال تعالى : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

التودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ما ورد في الخبر : « فما تعارف منها ائتلف » ، قال الله تعالى : ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ ، وقال النبي ﷺ : « **المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف** » ، وقال ﷺ : « مثل المؤمنين

إذا التقيا مثل اليدين يغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى المؤمنان إلا استفاد أحدهما من الآخر خيرا » .

وقال أبو إدريس الخولاني ﵁ لمعاذ ﵁ : أحبك في الله فقال : أبشر ثم أبشر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس ولا يفزعون ، ويخاف الناس ولا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . فقيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : « المتحابون في الله » .

وقيل : لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة .

وقيل : العدالة خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة .

وقيل : **طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة** ، لأن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج .

ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض للبعض ، لأنهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول لوجود المحبة ، فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ .

ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمسَ مرات في المساجد ، كل درب وكل محلة ، وفي الجامع في الأسبوع مًرة أهل كل بلدة ، وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين ، وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة في الحج ، كل ذلك لحكمة بالغة ، منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين .

وقال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا » .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه يقول : « ألا مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائره بالحمى والسهر » .

والتآلف والتودد يؤكد أسباب الصحبة ، والصحبة مع الأخيار مؤثرة . انتهى

والجامع مع أهل العلم والشرف والصفاء والوفاء رابطة الحق ، ومع غيرهم رابطة الطبع ، ولذلك قالوا : الصوفي مع غير الجنس كائن بائن ، ومع الجنس كائن معاين ، والمؤمن مرآة المؤمن ، إذا نظر إلى أخيه ينتشق من وراء أقواله وأحواله وأعماله تجليات إلهية وتعريفات وتلويحات من الله تعالى خفية ، غابت عن الأغيار وأدركها أهل الأنوار ، انتهى .

فاعتبروا يا أهل العدل والإنصاف - طهركم الله تعالى عن الاعتساف - أن المحبة والمودة لما كان شأن المؤمنين عموما ، وكونها من وظيفة أهل الطريقة خصوصا بالطريق الأولى ألزم وآكد ، ومع ذلك انظروا إلى طبائع مشائخ زماننا - لا كثّر الله في الناس مثلهم - يستفيدون من اسم المشيخة وآثار الطريقة عداوة وبغضاء ، وهم أشد الناس تحاسدا من التيوس ، وليس أحد من المشائخ المتشيخين من يحب في الله أحدا من إخوانه أصحاب الطريقة ، بل يدعون بعضهم على بعض ولا يتفق طبيعة أحدهم الآخر في المجلس ، بل لا يفترق بعضهم من بعض إلا بالبغض والبهتان وإسعار نيران العداوة ، وذلك ظاهر لكل من رآهم .

وأي منفعة تصل منهم ، وكيف يستمد العاقل منهم الإمداد ؟ ! ومع كون ذلك منهم بداهيا يقتفي الجهلاء آثارهم ويسيرون بسيرهم .

اللهم قيِّض لهم من يرشدهم إلى الحق ، ولا تجعلهم وإيانا فتنة للخلق آمين .

نقل الخواجه علاء الدين نوّر الله مرقده عن حضرة الخواجه ﷺ : إني في أوائل حال الطلب مررت يوما على محل المقامرين ، فرأيت جمعا مشغولين بالقمار ، وفي ذلك الجمع شخصان لهم تمام الاستغراق في ذلك الشغل ، وأحدهما صار مغلوبا وضيع جميع ما معه من النقد وغيره ، ومع وجود ذلك يزيد سعيه وجده واهتمامه في ذلك الفعل في كل لحظة ويقول لصاحبه الغالب : أيها الصاحب المليح الوجه إن ذهب رأسي لا أدبر وجهي عن هذا الشغل ، فلما رأيت حالته هذه في ذلك الشغل حصل لي من ذوقه وشوقه شوق

وغيرة ، فمن ذلك اليوم صار سعيي وطلبي في الترقي ، وذكر بيتا بالفارسي مضمونه : ما لم تحرق كل ما معك في النار لا تصيـر حقيقة وقتك طيـبـة أبــــدا ، وما صلحت ما دام فيك بقية لسواه ، فإذا حـولت السوى أفـنـينـاك عنك وصلحت لنا ودّا وسرنا .

فتأمل يا أخي فيمن أنفق جميع ما معه فيما يهواه من الأمر التافه ولم يرض يُدْبِر وجهه عن مطلوبه ، وإن ذهب رأسه في طريق محبوبه ، بل لم يزده ذلك إلا جدا في الطلب وزيادة اهتمام ، فكيف بك أيها الطالب الصادق لأفضل المطالب والحقائق أن تتكاسل من طلب محبوبك الذي هو غاية المطالب الرقائق ، وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

أيُّها الخاطِبُ مَعْنى حُسْنِنا«١» مَهْرُنا غالٍ لِمَنْ يَخْطِبُــنا

جَسَــدٌ يَفْــنــى وَروحٌ لِلْعَنــا	وَجفــون لا تــذوقُ الوَسَـــــنا
وفُــؤادٌ لَيْـسَ فيـــــهِ غَيْـرُنــا	فَــإذا مــا شِــئْتَ أدِّ الثَّمَـــــنـا
وافْــنَ إنْ شِــئْتَ فَنــآءً سَــرْمَدا	فَالفَنــا يُدْنــي إلــى ذاك الفِنـــا
واخْلَــع النَّعْليــنِ إنْ جِئْــتَ إلى	ذلــكَ الــوادي فَفيـــهِ قُدْسُـــنا
وَعَــن الكَوْنَيــنِ كُــنْ مُنْخَلِـعــا	وَأزِلْ مــا بَيْنَــنــا مِــنْ بَينِــنــا
وَإذا مــا قيــلَ مَــنْ تَهْــوى فَقُــلْ	أنا مَــنْ أهْــوى وَمَنْ أهْــوى أنــا

فـــلا تُفْنِ أوقاتك يا أخي إلا في ذكره سبحانه وتعالى ، ولا تتحدث مع أحبابك إلا فيما يوصلك إلى حضرته ويسوقك إلى امتثال أمره ونهيه ، **فأنفاسك جواهر ، فاحذر أن تضيع جواهرك** وتأتي محتاجا إليها يوم فقرك ، **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : إني في غلبات الطلب توجهت إلى نسف لملاقاة حضرة السيد كلال قدس سره ، فلما وصلت إلى رباط الجفراني لاقاني فارس في يده خشبة عظيمة وعلى رأسه طاقية من لباد ، فجاء قريبا مني

«١» في الأصل : حسناً .

وضربني بتلك الخشبة وقال لي بلسان الترك : هل رأيت الحبل ؟ فلم أجاوبه أصلا ، ثم أخذ أيضا أمام طريقي وشوش علي كذلك فقلت له : أنا أعرف من أنت ، فتبعني إلى رباط تداول وقال لي : تعال حتى نتصاحب نحن وأنت ، فلم أقل له شيئا ولم ألتفت إليه ، فلما وصلت إلى خدمة السيد كلال ﷺ قال : ما التفتّ في الطريق إلى حضرة الخضر ﷺ ، فقلت : نعم ، لما كنت متوجها إليكم لم أشتغل بسواكم .

فتدبر أيها الصادق الأمين في هذه الحكاية ، وخذ منها طريق الطلب ، واجعل الشيخ الذي تقصده لإرشادك قبلة نجاتك ، ولا تلتفت عنه إلى سائر جهاتك .

ونظير هذه ما وقع لأبي السعود الشبلي مريد الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ أنه كان يوما في بيت الشيخ عبد القادر ﷺ فدخل عليه الخضر ﷺ فسلم عليه فرد السلام ولم يلتفت إليه ، فقال له الخضر : أما تعرفني ؟ فقال : بلى ، إنك الخضر ، ولكن حبّ هذا - وأشار إلى الشيخ عبد القادر - لم يبق فيّ محلا لغيره .

وهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ حتى تنصب عليه سحائب فوائده وينغمس في بحار فواضله ويتجلى بدرر فرائده وينشد لسان حاله :

أنا لا أعرفُ إلا أنْـتُـمُ فَاجْبُروني بِعَطاءٍ مِنْكمُ

فاعتبروا أيها السادات ، هذه كلها من نتيجة المحبة الإلهية ، فإن راعيتم هذه المحبة الإلهية مع شيخكم تفوزون بلا ريب بمرادكم .

وَلَسْتُ مِنْ جُمْلَـةِ المُـحِـبِّـيـنَ إنْ لَـمْ اجْعَل القَلْـبَ بَيْتَـهُ والمَقاما
وَطَـوافِـي إجـالَــةُ السِّـرِّ فـيـهِ وَهــوَ رُكْني إذا أرَدْتُ اسْـتِــلاما

ثم اعلم أن المحبة رأس الشريعة وعنوان الطريقة ، أي علامة طائفة السائرين إلى الله تعالى وسيماهم ، بها يعرفون وإليها ينسبون .

والمحبة الذاتية هي قطب هذا الشأن ، أي السلوك إلى الله تعالى ، وعليها مدار هذه الطريقة ، لأن العمدة في السلوك هي ترك الأغراض والأعواض ابتغاء لوجه الله تعالى ، ولا يطلب محض الحقيقة إلا صاحب هذه المحبة .

فمن بعثه على الطلب إشراقات أنوار هذه المحبة فهو الفائز بنهاية البعثة ، والمحبة الذاتية هي من طور وراء العقل ، وهي في الحقيقة من تعريفات الحق تعالى بذاته إلى قلوب أهل عرفانه ، وهي من وراء النعوت ، يبهر نورها العقل ويعزله عن الحكم ، ولا برهان عليها إلا وجودها ، فبينة شهودها لا ينتهي معرفتها إلا بوجدانها ، ووجدانها يغنى عن تعريفها ، فلا فائدة في نعتها . الخ

وقال سهل بن عبد الله التستري ﷺ : أشد ما يرد على المشائخ إشارات المريدين من الحق سبحانه عليهم .

وقال يوسف بن الحسين ﷺ : إشارات الخلق على قدر مواجيدهم ، ومواجيدهم على قدر معارفهم ، ومعارفهم على قدر محبتهم ، وليس حال أحب إلى الله تعالى من محبة العبد له . انتهى

والسكر حال شريف يعتور« ١ » عليه صحوان ، فالصحو الأول حضيض النقصان لإفادته إثبات الحدث ، وهو معراج السالكين لإفادته محو الحدث ، والصحو الثاني أوج الكمال لإفادته إثبات القدم ، وهو مذكور في الباب السابع من قسم الحقائق ، وهو القسم التاسع من الأقسام العشرة المذكورة في منازل السائرين ، وسقوط التمالك عدم الصبر ، فالسكر يشار به إلى زوال الصبر لاستيلاء الطرب وقوّته ، والسكر مخصوص بمقام المحبين ، لأن مقام المحبة ملتقى مقدمة العامة وساقة الخاصة ، والعامة هم المقيدون بأحكام العلم ، والخاصة هم المأخوذون بنور التجلي عن يد العلم ، والمحبة تتولد من الهمة ، والأنس لا يكون إلا بشهود المحبوب ، والهمة لا تقوى إلا بالعلم والمحبة أول أدوية الفناء ، والعلم يحكم بالوجود ، فيقع المحب في الحياة .

« ١ » أي يصيبه ويعتريه .

ومن علامة السكر أن يكون المحب غريقا في بحر السرور لا يفارقه ، كذلك المحب لا يفارق السرور .

ومن ذاق شيئا من المحبة علم صحة هذا القول ، فنعيم المحبة دائم ، وصبر المحب عن المحبوب هائم ، والمحبة وإن امتزجت لذتها بألم الشوق ، إلا أنه ألم يطيب«١» لصاحبه بحيث لا يختار مفارقته ويلتذ المحب بألم الشوق لذةً تغلب ذلك الألم ، يعني يلتذ بذلك الألم أيضا ، فيضاعف اللذة بامتزاج الألم .

وأحكام المحبة والسكر أمور غير مضبوطة ، لا يعرفها إلا من وقع فيها وذاق نعيمها فحينئذ يصدق ما قلنا عن علم ودر كلمات قدسية ، والله أعلم .

قال العارف ابن بنت ميلق ﷸ :

واعْلَمْ يَقيناً بِأنَّ اللهَ ناصِرُهُ إنْ لَمْ تَكُنْ ناصراً فَاللهُ يَكْفيهِ

أي وكن أيها الطالب الصادق محبَّ مُحِبِّي شيخك وناصرهم ، وعاد معاديه وباينهم ، فإن هذه هي حقيقة المحبة ، أن تحبه وتحب من يحبه وتبغض من يبغضه ، وهي ترجع إلى المحبة في الله والبغض في الله ، لأن الشيخ هو المتحقق بكمال المتابعة له ﷺ أفعالا وأقوالا وأحوالا ، ومن أحب في الله تعالى وأبغض في الله تعالى فقد استكمل الإيمان وبلغ أعلى درجة الإحسان .

وما أحسن ما قال بعضهم :

أَمُرُّ على الدِّيارِ دِيارِ لَيلى أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وذا الجِدارا
وَما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي وَلكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

وقال بعضهم : وقع جدب في بعض البلدان فاستسقوا ولم يسقوا ، فخرج إنسان وقال : يا رب بحق ما في هذا الرأس اسقنا ، فسقوا وارتووا ، فقال له بعضهم : وما في هذا الرأس ؟ قال : عينان رأتا أبا يزيد ، فقال له ذلك القائل : أنا جار أبي يزيد ، فقال : أنت أحق مني بالإجابة .

«١» في الأصل : لم يطب

فانظر يا أخي إلى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله تعالى ، فكيف بقلب احتشى بحبه وجوارح وحواس لم تزل ممتلئة بقربه ، فكيف لا تكون أيها الطالب محبا لهياكل تزينت بهذه القلوب ومبغضة لأبدان حرمت النظر إلى هذه المحاسن وبعّدتها الذنوب .

قوله : (واعلم يقينا بأن الله ناصره) البيت ، يعني أن نصر الشيخ ليس موقوفا على نصرك أيها الطالب ، إن نصرته فالمنفعة راجعة إليك ، وإن لم تنصره فالله ناصره . ذكره الشيخ أحمد بن علان ﷺ ٢١ .

فعليك بالمحبة الإلهية ، محبة الله تعالى ورسوله ﷺ ومحبة شيخه بل ومحبة إخوانه لله بالله . قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ الآية

وقال أيضا ﷺ :

وَنَـظْـــرَةٌ مِنْــهُ إنْ صَحَّــتْ إليــهِ عَلــى سَــبيلِ وُدٍّ بِــإِذْنِ اللهِ تُغْنيــهِ

أي ونظرة من الولي إن صحت للطالب على سبيل المحبة أغنته بإذن الله تعالى ورفعته عن عالم الطبيعة إلى عالم القلب وأخرجته من ظلمة عالم الملك إلى نورانية عالم الملكوت .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : إن السلحفاة تبيض وتجلس في البعيد عن بيضتها وتربيه بالنظر إليه ، إذا كانت السلحفاة تربي أولادها بالنظر إليهم ، فكيف لا يربي الشيخ أولاده بالنظر ، وشتان بين النظرين .

قال الشيخ السهروردي ﷺ في « المعارف » : كنت أنا وعمي في مسجد خيف ، وكان كثير المشي والتردد فيه ، فقلت له : ما ذا تريد بكثرة هذا التردد ؟ فقال : أريد جماعة النظر منهم على الشخص كالإكسير ، إذا حل على النحاس صيره ذهبا .

ويروى أن الشيخ نجم الدين الكبري ﷻ كان في مجلس السماع ، فجاء بقّال يتفرج فنظر إليه الشيخ في ذلك الوقت نظرة وقال له : من أين ؟ فوصف له حاله ، فقال له : اذهب وارشد الناس ، فقد أجزتك .

فأوصله إلى الله تعالى بتلك النظرة وأعطاه مقام الإرشاد و ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ في وصف أبي العباس المرسي ﷻ : أبو العباس الرجل الكامل يأتي إليه الأعرابي وهو يبول على ساقيه ، فما يأتي آخر النهار إلا وقد أوصله إلى الله تعالى .

وأمثال هذه الحكاية كثيرة واردة عن أولياء الله تعالى ، والإيمان يسع ذلك كله ، وفضل الله واسع من ذلك ، إذ ليس كل ما نقل عنهم إلا من فضله تعالى .

فشد المئزر يا أخي في طلبهم تظفر بالكنز الذي لا ينفد والفضل الذي ليس لغايته حد . انتهى

وكذلك يا أخي أنت إذا أحببت الأولياء كنت معهم وإن لم تكن في مقامهم ، ولا تكون معهم حتى تذعن لهم بظاهرك وباطنك وتتكسر لهم في سرك وعلانيتك ، فمن ظفر بذلك فقد ظفر بالغنيمة الباردة وتجد له في كل حين من إشراق بواطنهم فائدة وأي فائدة ، قاله ابن علان ﵀

اعلم أن المحبة أعظم أركان هذه الطريقة العلية كما ذكرنا ، لأن نسبتها الخاصة – وهي دوام العبودية على طريق الاستهلاك والذهول – متلقاة بالمحبة ، لأن أبا بكر الصديق ﷺ إنما تلقى هذه النسبة عن النبي ﷺ بجذبة المحبة .

ثم تسلسل تلقيها عن المشائخ كذلك ، فلذلك سميت هذه الطريقة طريقة الجذبة لكون الجذبة سببا لحصول نسبتها الخاصة ، فلو لم تكن المحبة لم تحصل الجذبة ، ولو لم تحصل الجذبة لم تحصل النسبة ؛ لأن المحبة تسلب بلطائف خاصيتها أنانية المريد وتنفيه في شيخه بحيث لا يريد ولا يختار إلا

بإرادة الشيخ واختياره ، فحينئذ تجذب المحبة ماكان في الشيخ من المعارف الإلهية والتجليات الربانية إلى المريد بالتدريج ، فيقوم المريد عن شيخه على البدلية ، **لأن المحبة كالمغناطيس تجذّب صفة المحبوب** إلى المحب وتجعل أحدهما مثل الآخر .

ولكن تلك المحبة وهبية إلهية لا تدخل تحت الاكتساب ، لأنها من التأليفات الإلهية والتعطيفات الربانية ، يمنّ بها على من يشاء من عباده ، والتكليف في اكتسابها يؤدي إلى التنافر والتباغض ، وذلك إلحاد وزندقة .

قال الشيخ السري السقطي ﵁ : لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر : ما أنا إلا أنت ، فلا بد للمريد من محبة الشيخ الذي يكون واسطة لمشاهدة الحق سبحانه وتعالى ، لأن الشيخ مرآة تجلي الحق .

فإذا أحبه المريد بالمحبة الكاملة حتى فني فيها ، يحصل فيه تلك الحالة ويشاهده من غير واسطة الشيخ ، فيكون مظهر التجليات مثل شيخه .

فالحاصل **أن المريد لا يقرب إلى الشيخ إلا بمقدار محبته** ، فتكون محبة الشيخ كافية في الوصول إلى الله تعالى ، فلذلك كانت محبة هذه الطائفة عين الحقيقة . « الآداب المرضية » .

وقال الحارث المحاسبي ﵿ : صفة العبودية أن لا ترى لنفسك ملكا وتعلم أنك لا تملك لنفسك نفعا ولا ضرّا . « نفحات » ١٠٤

وقالت جارية ﵂ وهي متعلقة بأستار الكعبة حرسها الله تعالى :

أَنْتَ تَدْري يا حَبيبي   مَنْ حَبيبي أَنْتَ تَدْري
وَنُحولُ الجِسْمِ والدَّمْـ   ـعِ يَبوحانِ بِسِرّي
قَدْ كَتَمْتُ الحُبَّ حَتَّى   ضاقَ بِالكِتْمانِ صَدْري

ثم قالت : إلهي وسيدي ومولاي بحبك لي إلا ما غفرتني . « منه » ٧٠٥

وقـال مولانا الشيخ أحمد الفاروقي ﷼ : المحب الصادق من يفدي روحه وماله وأهله وعياله لأجل المحبوب ، كما نقل أن جبرائيل ﵇ سأل رب العزة جل وعلا : إلهي بم اتخذت إبراهيم ﵇ خليلا ؟ قال تعالى : بسبب محبته إياي ، إن ذهبت إليه يظهر لك الأمر ، فوصل إلى بيت الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام على صورة غريب ، فشرع في أوصافه تعالى وثنائه بصوت حسن عجيب ، فاستقبله الخليل بمجرد الاستماع بلا اختيار وغلب عليه البكاء وعدم القرار ، فسكت جبرائيل من مشاهدة حاله فقال : زدني بالله عليك ، فشرع فزاد اضطرابه ، فسكت ثانيا متحيرا ، فتضرع إبراهيم ﵇ واضعا رأسه على قدمه وقال : وهبتك جميع مملوكاتي من النقد والجنس« ١ » والمواشي والبساتين ، فزد في ذكره تعالى ، فشرع في الثناء مدة ثم سكت ثالثا فقال الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام : جعلت أهلي وعيالي ملكا لك ، فزدني الترنم ، فشرع زمانا طويلا ثم وقف فقال : ما بقي إلا نفسي فجعلتها أيضا مملوكة لك ، فزدني شيئا ، فشرع ، فبعد إتمامه أخذ إبراهيم ﵇ يده فأدخله بيته فقال : كل هذه الأشياء مباركة لك وأنا عبدك ، فأطلعه جبرائيل ﵇ على حقيقة الحال وقال : علمت أنك قابل لخلته سبحانه لا الملك ، صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم أجمعين . « المقامات السعدية » ١٣٤ .

وقال الشيخ الأستاذ العلامة كمال الدين الدميري ﷼ في « حياة الحيوان » ما عبارته هذه : وقد أحببت أن أذكر هنا ما أخبرني به بعض العلماء العارفين ، وهو أن عيسى ﵇ اجتاز في بعض الأيام بجبل فرأى فيه صومعة ، فدنا منها فرأى فيه متعبدا قد انحنى ظهره ونحل جسمه وبالغ به الاجتهاد أقصى غاية ، فسلم ﵇ وقال له : منذ كم أنت في هذه الصومعة ؟ فقال : منذ سبعين سنة ، أسأله حاجة واحدة وما قضاها لي بعد ، فعساك يا روح الله أن تكون شفيعا لي فيها ، فعساها تقضى ، فقال له عيسى ﵇ : وما حاجتك ؟ قال : أن يذيقني مثقال ذرة من خالص محبته ، فقال عيسى ﵇ : ها أنا أدعو لك في

« ١ » لعل المراد العبيد والجواري

ذلك ، فدعا له عيسى ﷺ في تلك الليلة فأوحى الله تعالى إليه : إني قد قبلت شفاعتك وأجبت دعوتك ، فعاد عيسى ﷺ بعد أيام إلى ذلك الموضع فرأى الصومعة قد وقعت ، والأرض التي تحتها قد شقت ، فنزل عيسى ﷺ في ذلك الشق إلى منتهاه فرأى العابد في مفازة تحت ذلك الجبل واقفا شاخصا ببصره فاتحا فاه ، فسلم عليه عيسى ﷺ فلم يرد عليه جوابا ، فعجب عيسى ﷺ من حاله فهتف به هاتف : يا عيسى إنه سألنا مثقال ذرة من خالص محبتنا ، فعلمنا أنه لا يطيق ذلك ، فوهبنا له جزأ من سبعين ألف جزء من ذرة ، فهو فيها حائر كما ترى ، فكيف لو وهبناه أكثر من ذلك ؟ !

قلت : فمحبة الخواص من هذه المعادن رشحت وبهذه الأوصاف عرفت .

واعلم أن المحبة هي أول أودية الفناء ، والعقبة التي تنحدر منها إلى منازل المحو ، وقد اختلفت إشارات أهل التحقيق في العبارة عنها ، فكل نطق بحسب ذوقه وأفصح بمقدار شوقه ، ليس هذا موضع حكاية أقوالهم واختلاف عباراتهم فيها .

وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتابنا « الجوهر الفريد » . فاعلم أن المحبة على الإجمال موافقة المحبوب فيما شاء ، سواء فيما حزن أو سرّ ، نفع أو ضرّ . وقد أشار بعضهم إلى ذلك بقوله :

وَقَفَ الهَوى بي حَيْثُ أَنْتَ ... فَلَيْسَ لي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ المَلامَةَ في هَواكَ لَذيذَة ... حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْني اللُّوَّم
أَشْبَهْتَ أَعْدائي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إِذْ كانَ حَظِّيْ مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمُ
فَأَهَنْتَني فَأَهَنْتُ نَفْسي صاغِراً ... مَا مَنْ يَهونُ عَليكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ

واعلم أن الغيرة من أوصاف المحبة ، والغيرة تأبى الستر والإخفاء فكل من بسط لسانه في العبارة عنها والكشف عن سرها فليس له منها ذوق ، وإنما حركه وجدان الرائحة ، ولو ذاق منها شيئا لغاب عن الشرح والوصف .

فالمحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلفظه ، وإنما تظهر بشمائله ولحظه ، ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب .

وقد قيل في ذلك :

تُشيرُ فَأَدْري ما تَـقـولُ بِطَـرْفِـها وَأطْرِقُ طَرْفي عِنْـدَ ذاكَ فَتَـفْـهَمُ
تَكَلَّـمُ مِـنَّـا في الوُجوهِ عُيـونُنـا فَـنَـحْنُ سُكوتٌ وَالهَوى يَتَـكَلَّـمُ

اهـ ما في « حياة الحيوان » ١٩٤ ج ١

وقال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ في « الحكم » : تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له ، واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به .

يعني أن تطلعك إلى بقاء غيره من الواردات المذكورة وغيرها كالأنوار والمقامات والنعم الباطنة والظاهرة دليل على عدم وجدانك له ، إذ لو وجدته في قلبك وانجمع عليه سرك لم تطلب بقاء غيره ، واستيحاشك لفقدان ما سواه كالواردات المذكورة دليل على عدم وصلتك به ، إذ لو وصلت إليه لنسيت كل محبوب ولم تستوحش عند فقد شيء سواه .

فالسالك إذا وردت على قلبه واردات إلهية وبسطت فيه أنوارها وأودعت فيه أسرارها وحدثته نفسه بأنه من الواصلين ، فإن كان يتطلع ويتشوق إلى شيء من الأغيار المحبوبة أو يستوحش لفقدانه ، فذلك دليل على عدم تحققه بهذا المقام الشريف .

قال الجنيد رضي الله عنه : إنك لن تكون له على الحقيقة عبدا ، وشيء مما سواه لك مُسْتَرَقّ وإنك لن تصل إلى صريح الحرية ، وعليك من حقوق عبوديته بقية .

والحاصل أن وجدان العبد لربه ووصوله إليه هو غاية مطلبه ومنتهى آماله ومآربه ، وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم ، وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب .

وهذه هي صفة أهل التفريد الذين استتروا في ذكر الله المجيد ، كما روي عن أبي عبد الله البسري ﷺ قال : سألت رجلا بالكام ما الذي أجلسك في هذا الموضع ؟ فقال لي : وما سؤالك عن شيء إن طلبته لم تدركه ، وإن لحقته لم تقع عليه ! قلت : تخبرني ما هو ؟ قال : علمي بأن مجالسة الله تعالى تستغرق نعيم الجنان ، ثم قال : أوّاه قد كنت أظن أن نفسي ظفرت ومن الخلق هربت ، فإذا أنا كذاب في مقالتي ، لو كنت محبا لله تعالى صادقا ما اطلع عليّ أحد ، فقلت : أما علمت أن المحبين خلفاء الله تعالى في أرضه مستأنسين بخلقه يبعثونهم على طاعته ؟ فصاح صيحة وقال لي : يا مخدوع ! لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت أن ترى فوق ما رأيت ، ثم قال : يا سماء ويا أرض اشهدا أني ما خطر على قلبي ذكر الجنة والنار قط ، إن كنت صادقا فأمتني ، فوالله ما سمعت له كلاما بعدها ومات ، وخفت أن يسيء إلي الظن من الناس من قتله ، فتركته ومضيت ، فبينما أنا على ذلك ، وإذا أنا بجماعة فقالوا : ما فعل الفتى ؟ فكنيت عن ذلك ، فقالوا : ارجع فإن الله تعالى قد قبضه ، فصليت عليه معهم وقلت لهم : من هذا الرجل ومن أنتم ؟ قالوا : ويحك هذا رجل به كان يمطر المطر ، قلبه على قلب إبراهيم الخليل عليه السلام ، أما رأيته يخبر عن نفسه أن ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه ، فهل كان أحد كذا إلا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن السبعة المخصوصون من الأبدال ، قلت : علموني شيئا ؟ قالو : لا تُحِبَّ أن تُعْرَف ولا تُحِبَّ أن يُعْرَف أنك ممن يُحِبُّ أن لا يُعْرَف . « تقريب الأصول » ١٢٨

وقال مولانا شيخ جامي قدس سره في « نفحاته » ٨٥ : المودة إحدى القرابتين ، لما أنه لا قرابة أقرب من المودة ولا بعد أبعد من العداوة .

ولله در القائل :

القَومُ إخْوانُ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبُ   مِنَ المَوَدَّةِ لَمْ يُعْدَلْ بِهِ سَبَبُ

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدري أيّ عرى الإسلام أوثق ؟ » قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ : « الولاية في الله والحب فيه والبغض فيه » .

وعن الفضيل بن عياض ﷺ : يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة : يا ابن آدم ! أما زهدك في الدنيا فإنما طلبت لراحة نفسك ، وأما انقطاعك إليّ فإنما طلبت العزّ لنفسك ، ولكن هل عاديت لي عدوا أو واليت لي وليا . « نفحات »٨٥

وقال في « التحفة المرضية » للشيخ العارف عبد المجيد علي ﷺ : قال بعض العارفين : علامة محبة الله تعالى بغض المرء نفسه ، لأنها مانعة له من المحبوب ، فإذا رسخت نفسه في المحبة أحبها لا لأنها نفسه ، بل لأنها تحب محبوبه ، اللهم تولنا في جميع أمورنا بجاه سيدنا محمد حبيبك سيد العالمين .

وفي « البدر المنير » عنه عليه الصلاة والسلام : « آخر ما تكلم به إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار : حسبي الله ونعم الوكيل » « تحفة » ٤٥ .

وأنشد بعض العارفين :

وَكانَ فُؤادي خالِياً قَبْلَ حُبِّكُمْ   وَكانَ بِذِكْرِ الخَلْقِ يَلْهو وَيَمْزَحُ
فَلَمَّا دَعا قَلْبي هَواكَ أجابَهُ   فَلَسْتُ أراهُ عَنْ فِنائِكَ يَبْرَحُ
رُميتُ بِبَيْنٍ« ١ » منكَ إنْ كُنْتُ كاذِباً   وَإنْ كُنْتُ في الدُّنْيا بِغَيْرِكَ أفْرَحُ
وإنْ كانَ شَيءٌ في البِلادِ بِأسْرِها   إذا غِبْتَ عَنْ عَيْني بِعَيْنَيَ يَمْلُحُ
فَإنْ شِئْتَ واصِلْني وَإنْ شِئْتَ لا تَصِلْ   فَلَسْتُ أرى قَلْبي لِغَيْرِكَ يَصْلُحُ

« نفحات » ١٥٤ .

« ١ » أي ببُعْدٍ

فصل

في بيان كيفية محافظة النسبة وكمال أهلها

اعلم أيها الكامل أن محافظة النسبة من ضروريات هذه الطريقة الصديقية وأهمها ، قال قدوة الأكابر خواجه عبيد الله الأحرار السمرقندي ﷺ : الطريقة النقشبندية أفضل الطرق وأعلاها ومحافظة نسبتها واجبة وإن أهلها وأربابها في غاية الشرف والكمال وفي حق شرف وكمال أهلها .

قال ﷺ : إن معنى محافظة النسبة أن يكون الطالب في محافظة الشغل باهتمام عظيم بأن يكون سعيه وقيامه وقعوده ودخوله وخروجه بالحضور التام مع الله سبحانه وتعالى ، بكيف لا يقع في النسبة فتور وقصور و أن يكون في اجتهاد عظيم في محافظة نسبتها لأنها توجب المحبة الإلهية حتى يصل بمحافظة النسبة إلى مرتبة يمكن حفظها في القلب بلا تكلف ، فإذا وصل إلى هذه المرتبة وصار الذكر أي محافظة النسبة ملكة وقام عليها برعاية الأدب مدة فيصل حينئذ إلى مرتبة لا يقدر إزالة تلك المحافظة من القلب بالتكلف ، ففي أثناء ذلك يحصل له حال بغيبته عن وجوده بحيث لا يبقى له شعور ، وفي بعض الحالات يرجع إلى الشعور الكامل ، ويظهر لنفسه وقلبه حال لم يكن يعهده قبل .

وبعد عروض هذه الأحوال لازم أن يجتهد أيضا ويسعى بالسعي التام في رعاية محافظة النسبة لئلا يسد عليه طرق القلب بعروض الغفلة والعوارض النفسانية ، بل يكون بالحضور مع الله تعالى بدوام الافتقار والانكسار بالرجاء التام لعناية الله تعالى بسبب الدوام على النسبة ، وأن يكون جميع حركاته وسكناته بالله تعالى ، وأن يكون اعتقاده صحيحا بأن يعتقد بأنه لو أفنى جميع أوقاته وصرف عمره على تلك المحافظة وسعى في محافظتها لما يقدر أدآء حقها ولو بعشر عشرها إلا أن تداركه رحمة ربه ، وأن يكون مثله كالغريم الذي لا يقضى دينه .

وفي هذا المقام يحصل للقلب التمكين والاطمئنان بأن يكون بالضرورة بأن الله سبحانه وتعالى حاضر عنده ناظر إليه ، كأنه سبحانه وتعالى ظاهر بين يديه ينظره ، وأن يكون السالك راسخا بهذا الوصف مستقيما على حقيقة الإيمان الذي يعبر عنه بالإحسان ، و بعض السادات« ١ » عن لزوم القلب على الحضور والوصف الدائمي به بـ : المشاهدة والوصول .

وفي هذا المقام إن السالك الذي هو صاحب تمكين إن ثبت عليها بالوجه المذكور لا يكون أشغاله الظاهرة مانعة ومزاحمة لأشغاله الباطنة معناه يكون سره موافقا لعلانيته ويوافق في الظاهر ما تخيل في الباطن ، وهذا مقام عظيم ويعد صاحب هذا المقام بالغا وكاملا ويستحق لعقد مجلس الذكر والصحبة ودعوة الناس إلى الطريقة العلية وأن يكون مجازا للإرشاد فافهم .

وبعد هذه المرتبة الشريفة إن وقع نظر الطالب إلى ما وراء ذلك ولم يصل إلى بعض المراتب يكون حاله بعد ذلك دائما في شوق وقلق ، ويكون في اشتياق عظيم إلى المراتب السنية وهذا الإشتياق يكون في الأنبياء والأولياء الكمل ، ولا يزول هذا الحال من الكمل كل وقت يزيد يوما فيوما ، ومع ذلك لا يتسلى بهذه الأحوال والمقامات بل لا يزال قائلا : رب زدني علما يستزيد بترنم الوجد والاشتياق والغرام من ذي الجلال والإكرام من العلوم الإلهية والمعارف الربانية ، ويصير الطالب بوقوع هذه المحبة الصادقة مع الله تعالى كل وقت في الاشتياق والبسط والنشاط ثابتا في دائرة العبودية الكاملة المحضة ، جعلنا الله تعالى وإياكم في زمرة هؤلاء الصالحين الصديقين .

وإن معنى النسبة عند سادات هذه الطريقة العلية : هي الملكة الحاصلة لأرباب الطريقة وهي عبارة عنها وبعضهم يعبر للنسبة بالمحبة وبعضهم بالعشق الكامل وبعضهم بغيرها ، ومقصود جميعهم أن يكون قلب السالك دائما على معرفة الله تعالى بعظمته وكبريائه سبحانه وتعالى بكيف لا يشوبه شيء .

« ١ » أي يعبّر بعض السادات عن آه بالمشاهدة والحضور « حسن أفندي القحي » قُدِّسَ سِرُّهُ .

وهذه النسبة أساس جميع السعادات وأصلها ومبنى كل خير وقد يعبر عنها بالوصول ، على مقتضى حديث « أنا جليس من ذكرني » لما أن الذاكر الصادق لا يزال قلبه من الذكر ويكون تحركه وسكونه معه سبحانه وتعالى ، ولذلك يعبرون بالنسبة ونذكر جميع ذلك تفصيلا في مواضعها .

وقال بعض أكابر السادات : إن مقتضى الكرم أن تحفظ النسبة للمنتسب على وجه طلبه ويشهد لذلك « أنا عند ظن عبدي بي » ، ومن ثم قيل : إن عافية من ابتلي من الأكابر في بلائه ، إذ لا حاجة له في سوى رضا ربه ورضاه عنه بأي وجه كان ، بل يطلب لقآءه على وجه يرضاه وإن كان فيه حتفه .

ألا ترى لعمر رضي الله عنه حيث كان يطلب الشهادة فأعطيها ، وعثمان رضي الله تعالى عنه اختار القتل ظلما لحقن دماء المسلمين وتعجيله للقاء أصحابه ونبيه صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك ، حتى أن بلالا في الموت قالت زوجته : وا كرباه ! فقال : وا طرباه ! غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه ، ومعاذ لما ذكر الوباء قال : إنه رحمة لهذه الأمة اللهم لا تنس معاذا وأهله من هذه الرحمة ، فأخذته وباية في كفه وكان يغمى عليه ثم يفيق فيقول : اخنق خنقك فوعزتك لتعلم أني أحبك ، إلى غير ذلك .

ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير رحمه الله قال سعيد : أنا آخر الناس عينا بك ، قال : قد قتلت من هو أفضل منك ، فقال سعيد : أولائك كانت قلوبهم متعلقة بالدار الآخرة فلم يبالوا بل كانوا أحرص الناس على قربهم منها ، وأنا قلبي متعلق بنفسي ، فقتله وكان آخر قتيل له بدعوته عليه فظهر الفرق وأن عاقبة كل أحد على حسب حاله ومعاملة الحق على حسب انتسابه ، والله أعلم .

وقال بعض العارفين قدس الله تعالى أسرارهم : إن الصياح في مجالس المريدين من علامة الغفلة لأنه يحصل عند عدم الحضور بالمعنى ، فإن كان السالك حاضرا دائما لا تظهر صيحة منه أصلا ، فإن الحضور والشهود موجبان للفناء والذهول ولا صياح في مقام الفناء ، وإن رأيت شيخا يصيح في المحفل بين مريديه أو غيرهم ويضرب يديه على الركبة أو يصفق أو يخرج من نفسه

رعونة النفسية كالتحرك والوثبة وإظهار البكاء لتحريك المبتدئين وإظهار أمور ليست فيه بل للتصنع فتجنّب منه ولا تحضر مجلسه فإنه مبتدع مخادع سقط عن عين الله فالعياذ بالله . انتهى

وفيه قيل :

الوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ في الوَجْدِ راحَتُه ... والوَجْدُ عِندَ وجـودِ الحَقِّ مفقودُ
قَـدْ كانَ يُطْرِبُنـي وَجْدي فَأَذْهَلَنـي ... عَن رُؤيةِ الوَجْدِ مَنْ بالوجْدِ مفقودُ

« رشحات » ١٤٢

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار قدس سره يوما سياسة لبعض الحاضرين : إذا حصلت لكم نسبة في صحبتي تحضرونها ثانيا وإن ظهرت لكم فيها كلفة تهربون منها للعنان ثانيا ، ولقد هان عليكم حضوركم عند فقير لأجل ذوق وحال فقط وهذا من علامة المحبة العارضية لا الذاتية .

إذا ما مَلَأْتَ القَلْبَ مِنْ خَمْرِ شَوْقِنا ... فَلا يَنْبَغي مِنْكَ القِلى عَـنْ خِمـارِهِ

« رشحة » ٢٠٣ .

وقال الشيخ الشاذلي رحمه الله : سألت أستاذي عن ورد المحققين فقال : عليك بإسقاط الهوى ومحبة المولى و أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه .

وقال حاكيا عن أستاذه إنه سمعه يقول لرجل استأذنه في المجاهدة لنفسه فأجاب بقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِـرِ ﴾ . « جامع الأصول » ٣٧ .

وقال الشيخ محمد مراد رحمه الله في « تحفته » : إن لفظ النسبة قد يقع في عبارات المشائخ كثيرا فمرة يقولون النسبة ومرادهم بها دوام العبودية على طريق الاستهلاك والذهول ، ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الصفة الغالبة على الشخص ، ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الانتساب بعمومها أي عموم

هذه النسبة ، والمراد بعموم النسبة الاشتغالات التي يشتغل بها السالك عند سلوكه في هذه الطريقة العلية كالاشتغال بالذكر والاشتغال بالرابطة والاشتغال بالوقوف القلبي وغير ذلك ، وخصوصها أي وخصوص هذه النسبة ، والمراد بخصوص هذه النسبة دوام العبودية التي هي نتيجة هذه الطريقة العلية ولا ينال إلى هذه النتيجة إلا من سبقت له العناية الإلهية . « تحفة الأحباب » .

وذكر علي بن حسين الهروي ﷺ في « الرشحات » نقلا عن المولى نظام الملة والدين الخاموشي قُدِّسَ سِرُّهُ قال : إن لفظ النسبة والحمل قد كثر وقوعهما في عبارات خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وإشاراتهم فأحيانا يطلقون لفظ النسبة ويريدون بها الطريقة المخصوصة والكيفية المعهودة فيما بينهم ، وأحيانا يريدون بها ملكة نفس الشخص وصفتها الغالبة وأحيانا يطلقون لفظ الحمل والثقل ويريدون به الثقل الذي لا نسبة له حيث يقولون : إن فلانا جاء بالحمل والثقل أو إنه أثقلني إذا لقوا شخصا ليس له مناسبة لطريقتهم وكانوا متأثرين من نسبته ، ولو كان هو من أهل السلوك والعلم والتقوى ، فإن نسبة هذه الطائفة العلية فوق جميع النسب وكل ما يغاير نسبتهم يكون ثقيلا على خاطرهم ، وأحيانا يريدون بالحمل والثقل المرض كما إذا قالوا : إن فلانا رفع حمل فلان وإن فلانا رمى عليه حملا فمرادهم من هذا أنه رفع مرضه أو أنه أوقع عليه المرض ورماه له وأحاله إليه . « رشحات » ٩٤ .

قال أبو العباس أحمد الشهير بزروق رَحِمَهُ اللهُ : النسبة عند تحققها تقتضي ظهور أثر الانتساب ، فلذلك بقي ذكر الصالح أكثر من الفقيه لأن الفقيه منسوب إلى صفة من صفات نفسه هي فهمه وفقهه المنقضي بانقضاء حسه ، والصالح منسوب إلى ربه ، وكيف يموت من صحت نسبته للحي الذي لا يموت بلا علة من نفسه . ولما عمل المجاهد حتى مات شهيدا في تحقيق كلمة الله تعالى وإعلائها حسا ومعنى كانت حياته معنوية بدوام كرامته وذكر بركته على مر الدهور وقد مات قوم وهم في الناس أحياء .

وقال بعض العارفين قدس الله أرواحهم : ينبغي لمن يجتهد في تحصيل النسبة النقشبندية أن يكون شغله على وجه إذا نازع وجادل شركاءه لسقي الزرع مثلا وبلغ جدالهم حد المضاربة وشجّ رأسه وسال دمه على وجهه مثلا لا تكون في قلبه كدورة وكراهة أصلا ، بل يظهر منه النزاع حين يظهر بحسب الظاهر فقط ، ويكون من باطنه مسرورا ومنشرح الصدر من أذى الناس وجفائهم ويعذرهم في ذلك ولا يذهل عن نسبته بما صدر عنهم ولا ينقطع قلبه عن الله تعالى .

وقال أيضا : إن السر في ظهور النسبة النقشبندية في ملأ ومواطن تفرقة أكثر من ظهورها في خلوة ومواضع جمعية هو أن هذه النسبة محبوبة ، ومن عادة المحبوب الاحتجاب حين دُعي إلى الخلوة .

وقال أيضا : إن لطافة هذه النسبة على وجه يكون نفس التوجه إليها مانعا من ظهورها ، كما أن هذا المعنى ظاهرٌ في المظاهر الجميلة فإنهم إذا توجه المحبّون إليهم بإمعان النظر يحتجبون في حينه .

وقال أيضا : إن لطافة هذه النسبة على وجه إذا قال صاحبها لكلب : هُوْ من غير ضرورة تغيب في الحال .

وقال الشيخ ابن زروق ﷺ : الانتساب مشعر بعظمة المنتسب إليه والمنتسب فيه في نظر المنتسب ، فلذلك لزم احترام المنتسب لجناب الله بأي وجه كان وعلى أي وجه كان مالم يأت بما ينقصه على التعظيم ، فالنقص كمخالفة الشريعة صريحا فيتعين مراعاة نسبته وإقامة الحق عليه لأن الذي تعلق به هو الذي أمره .

نعم يلزم تحقيق أمره فيه وإلا عاد الضرر على معارضه لقصده هتك منتسب لجناب عظيم بمجرد هواه ، فمن ثم تضرّر كثير ممّن تعرض للاعتراض على المنتسبين لجناب الله وإن كانوا محقين إذ الحق يغار لهتك جنابه ، فلزم تحقيق المقام في النكير وتصحيح النية بالغاية وإلا فالحذر الحذر ، والله تعالى أعلم .

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار ﷺ : إن هذا المهم - يعني نسبة الأكابر - لا تحصل باشتغال بها ولا بغير اشتغال بها .

معناه : لا تحصل باشتغال إن كانت له قابلية ولا تحصل بغير اشتغال إن لم تكن له قابلية .

وقال أيضا : إذا عمل كل طالب متبدئ عملا صالحا واستحسنه شخص فاستأنست به نفسه وطابت فليس ذلك الاستئناس على الطالب أقلّ من زنا مع ذي رحم محرم . وقال أيضا : إن هذا الأمر الذي وقع على الناس ما وقع على شيء من الموجودات لا يفتح الأمر من الطاعات الرسمية والعبادات العادية بل ينبغي أن يتحزم في العبودية بالمبادرة وأن يحتاط في التكلم والنظر والأكل احتياطا بليغا . « رشحة » ٢٠٩ .

وقال بعض السادات : ما دامت نسبة المريد ضعيفة غير قوية ولم تتمكن فيه يعمل معه بالمداراة والمواساة ويترك من غير مؤاخذة على ما يصدر عنه من الأفعال الغير المرضية وتحمل أخلاقه الردية ، وأما إذا قويت نسبته وحصل يقين بهذا الطريق فالأمر يقع بعد ذلك على المريد ويلزمه حينئذ المحافظة على أحواله لئلا يصدر عنه شيء موجب لكراهة الخاطر ونفرته ، فإن صدر عنه شيء مناف للأدب يؤاخذونه بذلك ويؤدّبونه على ما هنالك .

وقال الإمام الرباني ﷺ في « مكتوباته » ٣٤٦ : اعلم أن سالكي هذا الطريق لا يخلون عن أحد الحالين : إما أن يكونوا مريدين وإما أن يكونوا مرادين ، فإن كانوا مرادين فطوبى لهم ، يوصل بهم إلى المطلب الأعلى من طريق الانجذاب والمحبة من غير اختيار ويعلمون كل أدب لازم بواسطة أو بلا واسطة ، فإن صدرت عنهم زلة ينبهون عليها سريعا ولا يؤاخذون بها ، فإن احتاجوا إلى شيخ ظاهر يهتدون إليه من غير سعي عنهم ، وبالجملة إن العناية الأزلية متكفلة لحال هؤلاء الأكابر ، ولا بد من حصول أمرهم بسبب أو بلا سبب والله يجتبي إليه من يشاء .

وإن كانوا مريدين فأمرهم من غير شيخ كامل مكمل عسير ، والشيخ ينبغي أن يكون مشرّفا بدولة الجذبة والسلوك ، ومستعدا بسعادة الفناء والبقاء وأن يكون قد أتمّ السير إلى الله تعالى والسير في الله والسير عن الله والسير في الأشياء بالله ، فإن كانت جذبته مقدّمة على سلوكه وتربّى بتربية المرادين فهو كبريت أحمر ، كلامه دواء ونظره شفاء ، إحياء القلوب الميتة منوط بتوجهه الشريف وتزكية النفوس العاتية مربوطة بالتفاته اللطيف ، فإن لم يوجد صاحب دولة مثل ذلك فالسالك المجذوب أيضا مغتنم يحصل منه تربية الناقصين ويصلون بواسطته إلى دولة الفناء .

متى قِسْنا السماءَ بالعرشِ يَنْحَطّ وَماأعْـــلاهُ إنْ قِسْـنابِالأرْض

فإن اهتدى الطالب بعناية الحق جل سلطانه إلى مثل هذا الشيخ الكامل المكمل ووصل إليه ينبغي أن يغتنم بوجوده وأن يفوض نفسه إليه بالتمام ، وأن يعتقد سعادته في مرضاته وشقاوتهُ في خلاف مرضياته ، وبالجملة ينبغي أن يجعل هواه تابعا لرضاه ، وفي الخبر النبوي عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » . انتهى

وقال الشاذلي ﵀ حاكيا عن رجل سأل أستاذه عن وظائف وأوراد فغضب منه الأستاذ وقال : أرسول أنا فأوجب الواجبات ؟ ! الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة ، فكن للفرائض حافظا وللمعاصي رافضا ، واحتفظ من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله تعالى لك ، إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله شاكرا ، وإذا خرج مخرج السخط فكن عنه صابرا ، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامعٌ لأنواع الكرامات ، وحصون ذلك كله أربعة : صدق الورع وحسن النية وإخلاص العمل وصحبة العلم ، ولا تتم لك هذه إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح . « جامع الأصول » ٣٧

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﷺ في « جامع الأصول » ١٠ : وأما الانتساب فاعلم أن الانتساب والأخذ إلى الطرق وغيرها على أربعة أقسام .

أحدها : أخذ المصافحة والتلقين للذكر ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للنسبة فقط .

وثانيها أخذ رواية وهو قراءة كتبهم من غير حلّ لمعانيها وهو قد يكون أيضا للتبرك أو للنسبة فقط .

وثالثها أخذ رواية وهو حلّ كتبهم لإدراك معانيها كذلك

ورابعها أخذ تدريب وتهذيب وترقّ في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء ، وهو المراد العزيز وجوده وعلى هذا معوّل أكثر الطرق خصوصا النقشبندية والشاذلية .

ويصح الانتساب أيضا بالاتباع والمشاركة ولو في شيء يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم .

ولذا قال الشاذلي ﷺ : من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا ، يعني فله ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة أو أعمّ منهما ، وهذا جار في الكل .

واعلم أن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته بعد أن بلغه مناقبه وطريقته بالتواتر ، فليس لقائل أن يقول كيف يقتدى به وهو ميت ؟ فإنا نقول إنما نقتدي بما بلغنا عنه من طريقته وأخلاقه الحميدة لا بصورته الجسمية كما نحبّ رسول الله ﷺ وأصحابه ولم نرهم .

فينبغي لمن انتسب إلى ولي من أولياء الله تعالى أن يتشبه به في أصول طريقته وفروعها المهمة ، ثم ما لاح عليه من دقائقها ويعلم أن هذا باب من أبواب الله يقف به ليأتيه من ذلك الباب رحمة ونفحة على حسب مراده ، وليكن قصده الله تعالى دون ما سواه ويعظمه تعظيما يرى فيه رضاء الله عنه لأنه تعالى ينوب عن وليه إذا فقد ويُغْني به إذا شهد .

واعلم أن التشبه يكون في الزي والخلق والعمل ، فالتشبه بهم في الزي جائز لدفع المضرة وغيرها لقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ ولبس الخرقة للتمييز من ذلك وللدخول في القوم بالتشبه لكن شرط هذا اجتناب الكبائر وصغائر الخسة ، ثم المتشبه والمستند جزاؤه أن يحَب ويحتَرم فيوضع له القبول في الخلق والحرمة في القلوب فلا يراه أحد إلا احترمه وعظّمه . انتهى

وقال الشيخ محمد مراد المنزلوي ﷺ عن شيخه في هامش « الرشحة » : قال قيوم الطريقة الأحمدية شمس الدين حبيب الله مرزا جانجانان ﷺ : إن لطافة النسبة المجددية ولا لَوْنيّتها« ١ » سبب لإنكار الناس عليها ولذلك إذا وصل سير السالك إلى الكمالات يحصل لي شك وتردد أنه هل ترك الطريقة وانقطع عن السير والسلوك ، فإن وَفَّى العمر أوصل السالكين إن شاء الله تعالى من المقامات السافلة إلى المقامات العالية . اهـ ٦٩ .

« ١ » أي كونها بلا لون

فصل

فى بيان المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعرفة بالله والحقيقة

اعلم أيها الأمين جعلك الله تعالى في زمرة الصالحين أن المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة مقامات عاليات لا يصل إليها إلا من وفقه الله تعالى ببذل جهده في رعاية حقوق الاستقامة ، لما أنها مواهب من الله تعالى ينزلها في قلوب من اختاره من خواص عباده ، ولا ينالها إلا من أتى الله بالقلب السليم والفهم المستقيم ، وقلّ أهلها في زماننا هذا إلا النادر لخفاء الأولياء عن أمثالنا ضعفة اليقين ، وأنها وإن كانت مرادها واحدة لكنها متفرقة .

فالمحاضرة كما قال شيخنا ﷶ في « جامع الأصول » ٣٢٢ : حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان ، والمكاشفة حضور بنعت البيان لا بالنظر إلى الدليل .

وأما المشاهدة وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة ، فإذا صحت سماء الحقيقة عن غيوم الستر أشرقت شمس المشاهدة في بروج المقابلة

وقال الجنيد ﷶ : حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك ، والمشاهدة هي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه عما لا يليق بعظمته « كتاب شيخ أرسلان »

فصاحب المحاضرة يهديه قلبه وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة يفنيه سره .

وقيل : إن المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلوب من الأدناس والأقذار وخلوصها من الأضداد والأغيار في مراقبة الجبار ، فيصير كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق من صفاء المعرفة وقوة اليقين .

ولهذا قالوا : إن المشاهدة تتولد من المراقبة ولم يزد أحد في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله ومعنى ما قاله أنه تتوالى أنوار التجلي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدرنا اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء يتوالي البروق فيها واتصالها إذا قدرت تصير في ضوء النهار فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي متّع نهاره فلا ليل .

وأنشدواْ :

لَيْلي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ	وَظلامُه في النَّاسِ ساري
فالناس في سُدَف[١] الظلام	ونحن في ضوء النهارِ

وتوهم قوم أن في المشاهدة تفرقة من حيث أنها مفاعلة وهو وَهم ، لأن كل أبواب المفاعلة لا تقتضي ذلك ، فهو كمسافر وشارق وصادق ورابط وداوم وطارق ولاذب ونظائره كثيرة هكذا ذكره في « جامع الأصول » وراجع « سهلي » في ٩٥ .

وقال الشاذلي رضي الله عنه : حقيقة المشاهدة اطلاع القلوب على ما أخبر الله من الغيوب .

وقال بعض الأكابر : **سبحان من لم يجعل للخلق إليه سبيلا إلا بالعجز عن معرفته** . ومعناه أن المراد من العجز عن المعرفة أن يظهر للسالك سر قولهم لا يعرف اللهَ إلا اللهُ ، يعني أن يعرف السالك أن المعرفة ليست من مقتضيات التركيب الإنساني وما ظهر فيه من المعرفة ليس منه بل هو مرآة له انعكست فيه الصور العلمية الإلهية ومثل هذا العجز لا ينافي معرفة الإنسان ، وزعم البعض أن العجز عن المعرفة جهل وذلك باطل . « رشحة » ١٨٩ .

وقال الشبلي رضي الله عنه : من عرف الله تعالى لا يكون له غم أبدا .

« ١ » بضم السين وفتح الدال جمع سدفة وهي الظلمة . من حاشية زكريا الأنصاري على « رسالة القشيري » .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود إن محبتي في خلقي أن يكونوا روحانيين والروحانية عِلْمٌ هو أن لا يغتموا وأنا مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين .

وأوحى أيضا إلى داود عليه السلام : بي فافرحْ وبذكري فتنعم .

فباستنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية ، على أن في وجود الهموم والأحزان لمن لم يبلغ هذا المقام إذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لا ينبغي أن تستحقر ، من قِبَل أنها موجبة لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الأشر والبطر والفرح بالدنيا ، ثم هي كفارات إن كانت في الأمور الدنيوية ودرجات إن كانت في الأمور الأخروية ، والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما كان في الماضي . « الحكم » ٤٢

واعلم أن خرق حجب الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات من حضرة الذات تعالت وتقدّست على قسمين : خرق باعتبار الشهود وخرق باعتبار الوجود ، فالخرق الوجودي ممتنع والخرق الشهودي ممكن بل واقع وإن كان نصيب أقل قليل وأخصّ خواص وما ورد في الخبر من قوله عليه الصلاة والسلام : « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »

فالمراد من هذا الكشف والخرق الوجودي الممتنع ، وما كتب في بعض الرسائل من خرق جميع الحجب من حضرة الذات تعالت وتقدست فالمراد منه الخرق الشهودي ، كما أن الحق سبحانه يكرم شخصا ببصيرة يرى بها الأشياء من وراء الحجب والأستار ، وخرق الحجب والأستار هنا باعتبار الشهود وما كتب في بعض المواضع من جواز خرق الحجاب ليس بمنافٍ لخبر عدم جواز خرق الحجب فإن ذلك الخرق غير هذا الخرق فلا تكن من الممترين قاله الإمام الرباني قدس سره الرحماني .

وقال شاه شجاع الكرماني ﵁ : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة لم يخطئ له فراسته . « نفحات » ١٣٨ .

وكان أبو العباس المرسي ﵁ يقول : لا تنظروا إلى حمرة وجهي فإنها من حمرة قلبي ، وأثنى عليه شيخه الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ وأوصى بالأخذ عنه ، فمن ثنائه عليه قوله للناس : عليكم بالشيخ أبي العباس فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمشي إلا وقد أوصله إلى الله تعالى . « تقريب » ٦١ ، وراجع « تنوير الصدر » في ١٦١ وفي ٦٤ ، وراجع « ترصيع الجواهر » في ٢٣ .

وقال في الحكم العطائية : الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه : حقائق العلوم اللدنية التي يقذفها الحق تعالى في أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الأشياء وتعرضهم بسيرهم إلى نفحات الحق باللجاء والافتقار لما يفتح عليهم المولى ، يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسة ، وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها ، فإذا وعوها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة ، فهي علوم وأسرار ذوقية ومنح إلهية ترد على الأرواح لا تنال بمعتاد الطلب .

قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وأصحاب الحقائق يجري بحكم التصرف عليهم شيء لا علم لهم به ععلى التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شيء لا يدرون وجههم ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه من شواهد العلم إذ تحقيق ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت . انتهى كلام الإمام أبي القاسم وهو موافق لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى . والله تعالى أعلم .

وكأنهما أشارا بذلك إلى المسألة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات ، فقد سئل عبد الله بن طاهر الأبهري رضي الله عنه عن الحقيقة فقال : الحقيقة كلها علم ، فسئل عن العلم فقال : العلم كله حقيقة ص « ١٠٨ » .

قال الشبلي ﷺ : الألسنة ثلاثة : لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق ، فلسان العلم ما تأدى إلينا بالوسائط ، ولسان الحقيقة ما أوصله الله تعالى إلى الأسرار بلا واسطة ، ولسان الحق ليس إليه طريق .

و قال رويم ﷺ : الحقائق ما قارن العلم ، وقال أبوبكر الدقاق : كنت في تيه بني إسرائيل فوقع في قلبي أن علم الحقيقة بخلاف علم الشريعة ، فإذا شخص تحت شجرة أم غيلان صاح بي وقال : يا أبا بكر ! كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر . انتهى « الحكم » ٣٩ .

فصل

في بيان معنى الجمع والتفرقة بالاستقلال

وقد رمزنا إليهما في مواضع ونفصل هنا إن شاء الله تعالى

اعلم أيها المتحلي بصفات الكمال أن الجمع والتفرقة من خصائص هذه الطريقة وإن كانت معرفتهما ضرورية في غيرها لكن في هذه آكد اهتماما ، وفي حقهما للقوم كلامٌ كثير ونذكر إن شاء الله تعالى ما لا بد منها على سبيل الاختصار

اعلم أن الجمع في اصطلاح القوم هو الاستغراق في شهود عظمة الله تعالى وصفات جماله وجلاله ، والفرق شهود الخلق .

فإذا ورد على العارف بالله تعالى حالة الجمع فني عن نفسه وغيره من أبناء جنسه واستغرق بربه وذهب فيه بالكلية فلا خاطر هنالك يخطر ولا موجود يظهر إلا الموجود الحق جلّ وعلا ، وإلى هذا الجمع الإشارة بقوله عليه الصلاة و السلام : « لي وقت لا يسعني فيه إلا ربي » .

ثم إن دوام وارد الجمع عزيزٌ جدا وعند دوامه تظهر أمور عجيبة وشؤون غريبة ، والكامل من يجمع بين الحق والخلق فيكون مع الخلق بظاهره ومع الحق بباطنه وقلبه ، وذلك رتبة الأنبياء والصديقين والأولياء الكاملين كما قيل :

كُنْ باطِناً نَحْوَ المُنى وَبِظاهِرٍ كَالأَجْنَبِيّ

ولا شيء أعون للعبد على موصله إلى الله تعالى مثل الإكثار من ذكر الله تعالى وامتثال أمره واجتناب نهيه مع إظهار الذل والافتقار والتبرّي من حول العبد وقوته والرجوع إلى حول الله وقوته ورؤية الفضل والمنة لله تعالى . انتهى

وقال الشيخ أبو بكر الواسطي ﷺ : إن كنت قائما بغيرك فأنت فانٍ بلا جمع ولا تفرقة ، قال : الجمع هنا كناية عن رؤية التوفيق في العمل والتفَرقة عبارة عن أداء وظائف العبودية بوصف نفسه .

وقال : من عرف مضمون هذا الكلام وأدركه بذوقه فقد تخلص ونجى عن تفرقة الأغيار .

وقال بعض الأكابر في معنى الجمع وجمع الجمع : إن الجمع ما له عليه وما لك عليك وجمع الجمع ما لك وما له عليه .

وقال : وما قاله مولانا الرومي ﷺ في « المثنوي » :

وَنَحْنُ في دارِ الغرور يا اُخَي   كَالألِفِ الخالِيَةِ عَنْ كُلِّ شَيْ

هذا هو المقام يعني مرتبة جمع الجمع .

وقال بعض العارفين : إذا تجلى الله تعالى للعبد بذاته يجد جميع ذوات الموجودات وصفاتهم وأفعالهم متلاشيةً في أشِعّة ذاته تعالى وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه بالنسبة إلى جميع الموجودات كأنه مدبرها ويجدها بالنسبة إليه كالأعضاء إلى البدن ، ولا يكون شيء من الموجودات قريبا إلى بعض آخر منها إلا أنه يراه أقرب إليه من الكل ، ويرى ذاته وذات الحق سبحانه وتعالى وصفاته وصفات الحق وأفعاله مع أفعال الحق متحدة لكونه مستهلكا في عين التوحيد والاستهلاك فيه مستلزم لأن يجد ما نسب إلى الحق سبحانه منسوبا إلى نفسه .

وليس للعارفين مقام في التوحيد أعلى من هذه المرتبة فإذا انجذبت البصيرة بمشاهدة جمال الذات يختفي نور العقل الفارق بين الأشياء والمميز بين الواجب والممكن بغلبة نور الذات القديم ويرتفع التمييز بين الحادث والقديم لكون الباطل لا شيء محضا غير ظاهر عند ظهور الحق ، ويقال لتلك الحالة عند هذه الطائفة جمعًا . ذكره الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ في « الرشحات » .

وهذا الذي قطع حلقوم العارف لعدم إدراك العوام غاية حقائق العارفين وجهلهم أسرار الحقائق الموهبة لهم ، والله على كل شيء قدير .

وذكر العلامة إسماعيل حقي ﷺ في « روح البيان » ما عبارته هذه : قيل : أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، فهنا جمع ثم فرق ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ، جمع ثم فرق بقوله : ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾

والجمع أصل والتفرقة فرع ، فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل ، وقد أشرنا إليه .

وقال الجنيد ﷺ : القرب بالوجد جمع وغيبته بالبشر تفرقة .

وقيل : جمعهم في المعرفة وفرقهم في الأحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق ، فمتى شاهد غير الحق فما جمع ، والتفرقة شهود لمن شاهد بالمباينة .

وعباراتهم في ذلك كثيرة والمقصود أنهم أشاروا بالجمع إلى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب ، فعلى هذا لا جمع إلا بتفرقة ، ويقولون « فلان في عين الجمع » يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه ، فإذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة ، فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع ، وهذا رجع حاصله إلى أن الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ، ولا بد منهما جميعا .

قال المزني ﷺ : الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها ببعض ، وقد غلط قوم وادعوا أنهم في عين الجمع وأشاروا إلى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا ، وإنما الحكم حكم الروح والتفرقة حكم القالب ، وما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة .

قال الواسطي ﷺ : إذا نظرت إلى نفسك فرقت ، وإذا نظرت إلى ربك جمعت ، وإذا كنت قائما بغيرك فأنت فان بلا جمع ولا تفرقة .

وقيل : جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته ، وقد يريدون بالجمع والتفرقة أنه إذا أثبت لنفسه كسبا أو نظر إلى أعماله فهو في التفرقة ، وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو في الجمع .

ومجموع الإشارات ينبئ أن الكون يفرق والمكوّن يجمع ، فمن أفرد المكون جمع ومن نظر إلى الكون فرق ، فالتفرقة عبودية والجمع توحيد ، وإذا أثبت طاعته نظرا إلى كسبه فرق وإذا أثبتها بالله جمع ، وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ، ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع .

سئل بعضهم عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام في وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر عن موسى « عوارف المعارف » للسهروردي ١٥٤ .

وقال شيخ شيخنا قدس الله أسرارهما : وأما الجمع والتفرقة فقال الشيخ أبو علي ﷺ : الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك ، ومعناه أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق ، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع ، ولا بد للعبد منهما فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفة له ، فقول العبد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إشارة إلى التفرقة بإثبات العبودية ، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ إشارة إلى الجمع .

وإذا خاطب العبد ربّه بلسان نجواه إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكرا أو متنصّلا أو متبهلا قام في مقام التفرقة ، وإذا أصْغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما ناداه به وعرفه إياه أو لَوَّحَ لقلبه وأراه فهو في مقام الجمع .

وأنشد قوّال بين يدي أبو سهل الصّعلوكي ﷺ هذا المصراع :

جَعَلْتُ تَنَزُّهي نَظَري إلَيْكا . . . .

وكان أبو القاسم النصرباذي ﷺ حاضرا ، فقال أبو سهل ﷺ : جعلتَ بفتح التاء ، وقال النصرأباذي : بل بضمّها ، فقال له أبو سهل : أليس عين الجمع أتم ؟ ! فوافقه النصرباذي .

وهذا ظاهر ، لأن معناه مع الفتح الله تعالى خصص عبده بذلك ومنحه من فضله وكرمه لا صنع فيه للعبد ، ومعناه مع الضم إثبات فعل العبد ، فكان الأول جمعا والثاني تفرقة فإن ما يرجع إلى إرادة العبد وحاله يسمى تفرقة وما يرجع إلى إرادة الحق يسمى جمعا .

فالجمع إثبات الحق للعبد بشواهد الحقيقة في نفسه لبقاء التفرقة بين المريد والمراد بحقائق المشاهدة ، فالتفرقة بداية الإرادة والجمع نهايتها ومن لا مشاهدة له فلا جمع له .

وجمع الجمع مقام آخر أتم من الجمع ، فإن الجمع شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة إلاّ بالله ، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله فلا يحس بشيء سواه عند غلبة سلطان الحقيقة ، وبعد ذلك مقام عزيز يسمونه الفرق الثاني وهو أن يرد إلى الصحو عند أداء الفرائض في أوقاتها فيكون رجوعًا لله بالله تعالي لا للعبد بالعبد .

وقال بعض المحققين : المراد بلفظ الجمع والتفرقة أن الله تعالى جمع الخلق كلهم في الأزل وخاطبهم بقوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ثم فرقهم بالسعادة والشقاوة والتقريب والإبعاد والإكرام والإهانة وأشباه ذلك ، فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وقال فريق في الجنة وفريق في السعير .

وللجنيد ﷺ في معنى الجمع والتفرقة :

وتَحَقَّقْتُكَ في سِرِّي فناجاكَ لِساني ... فَاجْتَمَعْـنا لِمَعانٍ وَافْـتَرَقْنا لِمعـــان
إنْ يَكُنْ غَيَّبَكَ التَّعظيمُ عَن لَحْظِ عياني ... فَلَقَدْ صَيَّرَكَ الوَجْدُ مِنَ الأحشآءِ داني

انتهى . « جامع الأصول »

وقال الشيخ العارف أحمد بن علان ﷾ : إن مقام الجمع مقام عظيم وصاحبه لا يشهد فيه إلاّ الحق ويفنى بالحق عن الخلق حتى يفنى عن نفسه ، وأكمل منه أن يرجع إلى الفرق بعد الجمع وهذا مقام البقاء وأهل التمكين والإرشاد ومقام الأنبياء ووارثيهم ، ولهذا قال الجنيد ﵁ لما سئل ما النهاية قال : الرجوع إلى البداية ، وإلى هذا المعنى أشار أبو يزيد البسطامي ﵁ أيضا : خضتُ بحرا وقف الأنبياء على ساحله ، يعني وصلت لجّة البحر ولم أصِل إلى كمال الأنبياء البالغين إلى الفرق بعد الجمع ، فمقصوده بذلك ﵁ إنحطاط رتبته عن رتبتهم ، خلاف ما يفهمه العوام من عبارته وهذا هو اللائق بحال أبي يزيد ﵁ .

وما قاله بعض العارفين شعرا :

لَوْ عايَنَتْ عَيْناكَ يَــومَ تَزَلْزَلَـتْ أَرْضُ الـنّـفـوسِ وَدُكَّتْ الجِبالُ
لَرَأَيْتَ شَمْسَ الحَقِّ يَسْطُعُ نورُها يَوْمَ الـتَّـزَلْـزُلِ والـرِّجالُ رِجـالُ

فهو مقام الجمع الذي أشرناه . انتهى

وقال ﷾ في شرح ابن بنت ميلق :

يَـرْوي وَيَظْـمَأُ لا يَنْفَـكُّ شارِبُـهُ يَصْحو وَيَسْكَرُ وَالمَحْبوبُ يَسْقيهِ

أي تارة يسكر السالك بالشراب الذي شربه فيظهر عليه أوصاف أهل السكر من الشطحات وغيرها من حركات أهل الجذبات وتارة يرجع إلى صحوه وكماله وفرقه بعد جمعه ، وهو شأن أهل الكمال ، فالكامل من لا يحجبه فرقه عن جمعه ولا جمعه عن فرقه ولا سكره عن صحوه ولا صحوه عن سكره ، فظاهره للفرق وباطنه للجمع ، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ : كان لي صاحب كثيرا ما يأتيني بالتوحيد فقلت له : إن أردت التي لا لائمة فيها فليكن الفرق بلسانك موجودا والجمع بقلبك مشهودا .

وقال الباز الأشهب الشيخ أرسلان الدمشقي ﷺ : وإذا كنت أيها السالك معه سبحانه وتعالى حجبك عنك ، وإذا كنت معك استعبدك له أي جعلك عبدا له ، وقال العارف عبد الغني النابلسي ﷺ في شرحه قوله (استعبدك له) : أي ولا يتركك معك في حقيقته العلمية لأنها تعطيل لمقام العبودية فأنت حينئذ عبد صرف لربّ صرف وهو مقام محمدي شريف ، قال تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ، ولله در القائل :

لا تَدْعُنــي إلاّ بـِ : يــا عَبْدَهُ فَإنَّــهُ أشْــرَفُ أسْــمائـــي

ويمكن أن يقول في معنى هذا الكلام كله : إذا كنت معه بأن كنت ناظرا إليه مشتغلا به تعالى عن نفسك حجبك عن نفسك فلا تجد نفسك ويبقى هو تعالى ولا أنت وهو مقام الجمع ، وإذا كنت معك أي مع نفسك لا معه تعالى بل أنت معرضا عنه تعالى مشتغلا بنفسك عن الاشتغال به تعالى وهو مقام الفرق استعبدك أي جعلك عبدا له تعالى وأتعبك بأنواع التكاليف الشاقة .

وقال العارف ابن بنت ميلق ﷺ :

لَهُ لَدى الجَمْعِ فَرْقٌ يَسْتَضيءُ بِهِ كَالجَمْعِ في فَرْقِـهِ ما زالَ يُلْقيـهِ

أي للسالك المذكور عند كماله وتمكنه فرق عند جمعه يستضيء به وجمع في فرقه ولا يزال يلقيه ويبديه أي يصير السالك في كماله حاويا للجمع والفرق ، فلا فرقه يحجبه عن جمعه ولا جمعه يحجبه عن فرقه ، فهو مع الحق في الباطن وهو جمعه ومع الخلق في الظاهر وهو فرقه . فشهود الأشياء كلها من الله تعالى إيجاد جمع وشهودها من الخلق استناد فرق على لسان العارف موجود والجمع بقلبه مشهود كما أشرنا إليه آنفا .

وما أحسن ما قال بعضهم في هذا المعنى :

ومِنْ داخِلٍ كُنْ صاحِباً غَيْر غافِلٍ ومِنْ خارجٍ خالِطْ كَبَعْضِ الأجانِبِ

فصل

في بيان معنى الشهود والوصول وما فيها من الأسرار

اعلم أيها الفائز بالتجافي عن الغرور أن طريق وصول السالك إلى مطلوبه هذه ، وذلك أن الذاكر إذا فني بالفناء الكلي عند ذكره في المذكور وخرج عن التعلقات الكونية بحيث انمحت عنه شائبة الأنانية يعبر عنه بالوصول وهو المقصود من جميع المجاهدات والرياضات وتحمل المشقات بتهذيب النفس .

فمتى حصل للمريد الصادق هذا الكمال المعبر يفوز السالك بالوجود المعنوي الذي هو من المواهب الإلهية ، وبهذه الموهبة التي هي الوجود المعنوي يستعد للمشاهدة التي يتنافس فيها الأوّلون والآخرون ويعبر أيضا بالوصول ، وليس هذا الوصول كالوصول الذي هو القربة من وصول عالم المحسوس لما أن الحق سبحانه وتعالى منزه عن جميع التعلقات الإمكانية وشوائب الحدوث ، بل المراد من هذا الوصول المقصود الاستغراق والتوجه الكلي إليه سبحانه وتعالى بفنائه عن جميع ما سواه حتى عن نفسه بغيبته عن الوجود ، وهذا الفناء الحقيقي هو الوصول والمشاهدة ، وليس المراد كما قال أهل الإلحاد بتصور الحلول والاتحاد لما أن الممكن الحقيقي الحسي والشرعي والعقلي غير حقيقة واجب الوجود ، لما أنه سبحانه وتعالى على خلاف ما تصوره العقل وتخيله الوهم .

والسالك الواصل إلى هذه المرتبة فانٍ في غيبته ومعدوم عن وجوده والمعدوم في نفسه لا يحكم عليه بشيء ، وكبار المشائخ إذا عبروا بالاتحاد فمرادهم القربة والموافقة بكمال الرضاء عنه سبحانه وتعالى ، مثلا إذا قيل أن فلانا متحد مع فلان فالمراد موافقة بعضهم بعضا وعدم المخالفة بينهما وليس المراد وجود الذاتين ذاتا واحدا وهو محال ، فحاصل المراد عند مشائخ الطريقة عن المحو والفناء والمعدوم أن السالك بكمال توجهه إليه سبحانه وتعالى يستغرق في بحر الوحدة بأنوار التجليات فينعدم نفسه بذهوله وغيبته

عن الوجود النفساني بفنائه عن جملة الإدراكات باضمحلال ما سواه تعالى حتى بنسيان نفسه بتمام توجهه وبركة إعراضه عن كل ما سواه .

مثلا أن ناظر المشرق يذهل عن المغرب وبالعكس كالغريق الذي يتعلق لكل شيء ولا يكون له هم سوى الخلاص من الغرق وكالعاشق الفاني في معشوقه لا يدري سواه لذهوله في معشوقه ، كالنسوة اللاتي قطعن أيديهن حين رأين يوسف عليه السلام فبشدة فنائهن في محبة يوسف عليه السلام لم يعلمن قطع أيديهن لشدة تفكرهن في وصالهن إليه ولم يُبقِ عندهن خبراً مما قلن من قبل ولا مما بعد من العتاب .

وإلى هذه الحالة يعبر السادات بالمحو والفناء والعدم ، فمتى وصل السالك إلى هذه الدولة السنية فيفوز بالسعادة الكبرى التي هي كيمياء السعادة وينال أسنى المطالب ويمكن له الدخول من أي باب شاء شرفنا الله تعالى وإياكم بها ومتعنا وإياكم بدوامها آمين .

فصل

في بيان فضيلة الذكر وأفضلية الذكر الخفي وبيان الفرق بين الذكر والتذكر

اعلم أيها الولد المأمون وفقك الله تعالى للتقوى أن الذكر أفضل القربات وأعظم المثوبات ، فكم آيات وأحاديث في حق فضلها وتفضيل ذاكرها .

وذكر الله أمر معتنى به وكونه من أفضل العبادات وأشرف القربات ثابتة بالنص والإجماع ويكفيك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ ، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ ، وأمثالها من البينات والأحاديث الصحيحات .

قال علي ﷻ : يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأفضل الأعمال عنده ، قال ﷺ : « عليك بمداومة ذكر الله تعالى سرا وجهرا » .

فليس عمل أكرم عند الله تعالى من ذكره لأنه تعالى جليس من ذكره كما قال تعالى في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » ، وليس عمل يكفي العبد عن سائر الأعمال إلا ذكر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : « من ذكر الله فقد أطاعه وإن لم يصلّ ولم يصم » ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى يارسول الله ! قال : « ذكر الله تعالى » .

قال ابن مالك ﷺ : المراد الذكر القلبي فإنه هو المنزلة الزائدة من بذل الأموال والأنفس لأنه عمل نفسي ، وفعل القلب الذي هو أشق من عمل الجوارح أعلى وأولى بل هو الجهاد الأكبر ، لا الذكر اللساني أي باللسان الذي اشتمل على صياح وانزعاج وشدة تحريك العنق واعوجاج ، كما يفعله بعض

الناس زاعمين أن ذلك جالب الحضور وموجب للسرور ، حاشا لله ، بل سبب الغيبة والغرور . انتهى

ولا شك أن الذكر يطلق على الجنانيّ وعلى اللساني وأن المدار على القلب الذي ينقلب بسبب ذلك المذكور من الغيبة إلى الحضور ، وإنما اللفظي وسيلة ولحصول الوصول وصلة .

واختلف المشائخ في أيهما أفضل بالنسبة إلى المبتدئ وإن كان ينتهي المنتهي أيضا إلى الذكر القلبي ، وأما الأمور البدعية والأغراض الدنيوية فخارجة عن الأنواع الذكرية ، ولا ريب أن الجمع بينهما أكمل وفي تحصيل المثوبة أفضل ، والظاهر أنه المراد هنا لأن المجاهد المذكور والمقاتل المشكور لا يخلو عن الذكر القلبي ، اللهم إلاّ أن يقال المراد أن ذكره القلبي الذي هو الجهاد الباطني أفضل من مضاربته التي هي الجهاد الظاهري فيكون الحديث نظير قوله ﷺ : « لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر كان الذاكر لله أفضل »[١] كما رواه الطبراني عن أبي موسى ، فاندفع ما تحير به ابن حجر حيث قال : كون الذكر الشامل للقرآن خيراً من بقية الأعمال اللسانية ومن إنفاق المال وبذل النفوس مشكلٌ ، إذ قضية كلام أئمتنا العكس . انتهى

ولدفع هذا الإشكال وما يترتب عليه من المقال قال شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في « قواعده » : هذا الحديث لا يدل على أن الثواب على قدر النصب في جميع العبادات بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها ، فإذا الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف انتهى وهو القول الحق .

وأما قول ابن حجر رحمه الله أنه جرى على الأخذ بظاهر الحديث مع قطع النظر عن مقتضى كلام الأئمة فهو تقليد مطلق .

« ١ » الحديث كما روي في السنن : « لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله أفضل » .

ثم أغرب وقال : الإنفاق يقطع داء البخل وبذل النفس يقطع داء الجبن وإدمان الذكر لا يقطع شيئاً من هذين الداءين اللذين لا أخبث منهما بل لا يجدي إلا حدَّ المقصود . انتهى

وهو مبني على غفلته عن معنى الذكر وحقيقته ! فإنه لا يرتفع جميع العلل الظاهرة والباطنة إلا بالذكر المؤثر في القلب الذي هو سلطان الأعضاء ، ومنه بذل الأموال والأنفس وغيرها ، وبدونه إنما هو خسارة مال وضياع نفس لا فائدة فيهما حيث لا تقرب بهما .

ولهذا قال الشارح : ولعل الخيرية والأرفعية في الذكر لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة ومن ملاقاة العدو والمقاتلة معهم إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله تعالى ، والذكر إنما هو المقصود الأسنى والمطلوب الأعلى ، وناهيك عن فضيلة الذكر قوله تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ و « **أنا جليس من ذكرني** » ، و« أنا معه إذا ذكرني » الحديث ، وغير ذلك .

ولذا قال الغزالي رحمه الله بعد ما دخل في مقام الذكر : ضيعت قطعة من العمر في « الوجيز » و « الوسيط » و « البسيط » ، بل يعدّ العارفون الغفلة من أنواع الردة ولو خطرة ، على سبيل المبالغة ، كما قال :

وَلَـوْ خَـطَـرَتْ لي في سِواكَ إرادَةٌ عَلى خاطِري سَهْوًا حَكَمْتُ بِرِدَّتي

ثم لا ارتياب أن أفضل الذكر قول (**لا إله إلا الله**) ، وهي القاعدة التي بني عليها أركان الدين ، وهي الكلمة العليا والقطب الذي يدور عليها رحى الإسلام ، وهي الشعبة التي كانت أعلى شعب الإيمان

قال الطيبي رحمه الله : بل هو الكل وليس غيره : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ أي الوحي مقصور على استيثار الله تعالى بالوحدانية لأن المقصود الأعظم من الوحي هو التوحيد وسائر التكاليف متفرع عليه .

ثم قال : ولأمر ما تجد العارفين وأرباب القلوب واليقين يستأثرونها على سائر الأذكار لما رأوا فيها من خواص ليس الطريق إلى معرفتها إلا الوجدان والذوق . انتهى

ومما يوضح لك ذلك أن السيد علي بن ميمون المغربي ﷺ لماّ تصرف في الشيخ علوان الحموي ﷺ وهو كان مفتيا مدرسا ، فنهاه عن الكل وأشغله بالذكر ، فطعن الجهال فيه بأنه أضل شيخ الإسلام ومنعه من نفع الأنام ، ثم بلغ السيد أنه يقرأ القرآن أحيانا فمنعه منه ، فقال الناس : إنه زنديق يمنع من تلاوة القرآن الذي هو قطب الإيمان وغوث الإيقان ، لكن طاوعه المريد إلى أن حصل له المزيد وانجلت مرآة قلبه وحصل له مشاهدة ربه ، فأذن في قرآءة القرآن ، فلما فتح المصحف فتح عليه الفتوحات الأزلية والأبدية وظهر له كنوز المعارف والعوارف الظاهرية والباطنية ، فقال السيد : أنا ما كنت أمنعك من القرآن ، وإنما كنت أمنعك من اللقلقة والغفلة عما فيه من البيان في هذا الشأن والله المستعان ، رواه« ١ » مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه . انتهى كلام « المرقاة » .

ورأس مال الجنة ذكر الله تعالى بحضور القلب ورأس مال النار الغفلة كما قال تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ ، والغفلة : إهانة شيء الواجب تعظيمه ، فهي من أمارات الكفر ، والذكر الحقيقي المذكور في الآيات والأحاديث لا يخلو عن حلاوة وطمأنينة ، فإن لم تكن تلك الحلاوة فيه فذلك ذكر اللسان فقط الذي هي من دأب الغافلين ، اللهم اجعلنا من الذاكرين .

وقال الشبلي قدس سره : رأيت رجلا يقول : **الله الله** ، فوقع ميتا ، فانشق صدره فرأيت مكتوبا على كبده **الله الله** ، وسمعت قائلا يقول : يا شبلي هذا من المحبين قليل« ٢ » .

« ١ » أي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل الذكر وهو متقدّم في كلام المرقاة : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها وأنقاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرلكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . . » .
« ٢ » أي هذا الحال قليل بين المحبين .

فقلما وقع المرء على الذكر إلا وقد وصل ولا سيما بالذكر القلبي الذي هو شهود وزلفى وحضور وقربى ، وهو ذكر حقيقي يبدل الغيبة بالحضور ويفني الذاكر في المذكور ، لكن مع هذا لا بد أن يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذي عرف أسرار الأذكار وخواصها بتلقين شيخ آخر وهو كذلك إلى رسول الله ﷺ حتى يثمر في الذكر شهود المذكور ، لأن الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين الرسول ﷺ ثم بتلقين خلفائه الذين تلقنوا تلك الأذكار كابرا عن كابر عن رسول الله ﷺ .

ولو أن ذاكرا يذكر جميع الأذكار في جميع الليل والنهار بنفسه من غير تلقين الشيخ فلا يبلغ مبلغ الرجال ولا يصل إلى مرتبة الكمال التي هي مرتبة المرشد الواصل ، وأقل ما يحصل للذاكر إذا تلقن الذكر عن الشيخ الكامل ودخل في سلسلته أن يحرك حلقة الذكر ويجاذبه أرواح المشائخ إلى رسول الله ﷺ ، ومن لم يتلقن الذكر منهم ولم يدخل في سلسلتهم لا يجاذبه أحد منهم ولا يحرك حلقتهم الذكر طول عمره كما قاله محمد مراد قدس سره ، كذا في « سلسلة الخواجكان » ، ونذكر كيفية التلقين في فصل الشغل الخ .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ . . الخ« ١ » ، كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه : نزل في الذهب والفضة ما نزل فلو أنا علمنا أي المال خير اتخذناه ؟ فقال « أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة »

والقلب إذا سلم من آفاته شكر الله تعالى فسرى ذلك على لسانه فحمد الله تعالى وأثنى عليه . وظاهر كلام الطيبي رحمه الله أن القلب مقدم على اللسان في نسخه فبني عليه ما ذكره وإلا فيقال إذا ذكر الله بلسانه سرى ذلك إلى جنانه فشكر على إحسانه فقدر الله تعالى له مؤمنة تعينه على

« ١ » الآية هي : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ .

إيمانه ، وهذا طريق المريدين ومسلك أكثر السالكين ، والذي ذكره الطيبي ﵀ طريق المرادين المجذوبين ، قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ . « مشكاة »

اعلم أن الهِجِّير هو الذي يلازمه العبد من الذكر«١» كان ما كان ، ولكل ذكر نتيجة لا يكون لذكر آخر ، وإذا عرض الإنسان على نفسه الأذكار الإلهية فلا تقبل منها إلا ما يعطيه استعداده ، فأول فتح له في الذكر قبوله له ، ثم لا يزال يواظب عليه مع الأنفاس فلا يخرج منه نفس في يقظة ولا في نوم إلا به لاستهتاره فيه ، وبعض ما يُنْتجه«٢» لا إله إلا الله من العلم الإلهي له ست وثلاثون وجها يعطي كل وجه ما لا يعطيه الوجه الآخر .

بيت :

كُنْ مِنَ القَوم حَيْثُ كانوا وَلا تَكُنْ دونَهُمْ فَتَشْقى
فَهُمْ عِبادُ الإلهِ صِدْقاً رَقَوا مِنَ العِلْمِ كُلَّ مَرقى

قال بعض كبراء العارفين رحمهم الله تعالى : ومن الأولياء الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رضي الله تعالى عنهم تولاهم الله تعالى بإلهام الذكر ليذكروه فيذكرهم ، وهذا يتعلق بالاسم (**الآخِر**) فإنه تعالى قال : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾«٣»

فكل مقام إلهي يتأخر عن مقام كوني فهو من الاسم (**الآخر**) ، إن الشيخ علي بن سهل ﷺ سأل الشيخ عمرو بن عثمان المكي ﷺ : ما قانون الذكر في الجملة ؟ فقال : وجود إفراده مع معرفة أوصافه . « نفحات » ١٣٧ .

وذكر في « رشحات عين الحياة » أنه كتب الخواجه محمد فارسا ﷺ أن حقيقة الذكر عبارة عن تجلي الحق سبحانه لذاته بذاته في عين العبد

« ١ » الهِجّير هو الكثرة من الذكر دائما ، و متى لم يكن حال الذاكر على هذا فليس هو بصاحب هِجِّير « الفتوحات المكية » لابن العربي ﷺ .
« ٢ » في الأصل يتّجه .
« ٣ » فأخّر ذكره إياهم عن ذكرهم إياه وقال : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . . فالأمر يتردد بين الاسمين الأول والآخر . « الفتوحات المكية » لابن العربي ﷺ .

من حيثية اسمه (المتكلم) ، وقال : لا يتيسر هذا المقام من غير أن يشتغل الطالب بالذكر مدة مديدة حتى يحصل في قلبه دوام الحضور ، فإن كرَّ في ميدان الاجتهاد ثانيا وسلب هذه النسبة عن نفسه فهو عناية له من الحق سبحانه ثم أنشد هذا البيت :

حَمَلْتَ كَمَـرءٍ طالِبِ الثأرِ مَـرَّة فَجُزْتَ بِها عِلماً إلى عَيْنِ مَعْلومِ

رشحة ١٨٩

وقال أبو العباس الدينوري ﷺ : أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر ، وهذا حال فناء الفناء[١] . « نفحات » ١٩٤

وقال العارف ابن بنت ميلق ﷺ :

لِلْقَومِ سِرٌّ مَعَ المَحْبوبِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ وَلَيْسَ سِوى المَحْبوبِ يُحْصيـهِ

قال ﷺ : « لي وقت مع الله لا يسعني . . . » إلى آخر الحديث .

وهذا حكم ورثته لهم مع الله سر لا يصل مخلوق إليه حتى الملك ، وهذا هو الذكر الخفي الذي لا يشعر به ملك ، وذلك عند تشرفهم بتجلي الذات ، فإنه عند ذلك تذهب العبارات وتمحى الإشارات ويكل اللسان ويبهت الجنان ، وهذا أمر لا يسعه إلا الإيمان حتى تلمع لامعة من مقام الإحسان .

وإذا لَمْ تَرَ الهلال فَسَلِّمْ لِأُناسٍ رَأوه بِالأَبْصـارِ

وانظر إلى قوله في الحديث القدسي : « ما وسعني أرضي . . » إلى آخر الحديث[٢] فقلب وسع الحق كيف يمكن أن يعبر عما فيه ، وأن ذلك الوسع مما لم تفهمه العقول وإنما يقبله الإيمان ثم الإحسان . انتهى كلام أحمد بن علان ﷺ .

« ١ » وهو عالم البقاء وهذا عالم الأنبياء وكبار الأولياء وفناء الفناء بقاء كما أن نفي النفي إثبات « مفتاح المعية » عبد الغني النابلسي ﷺ .

« ٢ » الحديث هو : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَمْ تَسَعْنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي ، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ اللَّيِّنِ الْوَادِعِ » .

فـالذكر أعلى المقامات كلها ، والذاكر هو الرجل الذي له الدرجة على غيره من أهل المقامات والفقير على الحقيقة من افتقر إلى الأغنياء من المخلوقين ولم يحجبه المظهر عن صفة الحق سبحانه .

وهكذا كل صفة علوية لا تنبغي إلا لله ﷻ يكون مظهرها في المخلوقين ، فإن العلماء بالله تعالى يذلون تحت سلطانها ، فإذا رأيت عارفا يزعم أنه عارف وتراه يتعزز على أبناء الدنيا لما يرى فيه من العزة والجبروت ؛ فاعلم أنه غير عارف ولا صاحب ذوق ، وهذا لا يصح إلا للذاكرين الله كثيرا والذاكرات أي في كل حال ، هذا معنى الكثير .

قـال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله تعالي في « قوت القلوب » : زِنْ أعمالك وأقوالك في كل طرفة عين بالموازين الثلاثة : وهي ميزان لِمَ وكيف ولمن ، وسل نفسك أولا عن النية وثانيا عن العلم وثالثا عن الإخلاص ، فإذا أجابتك وعلمت أن العمل لله ﷻ فأمضه وإلا فانته عنه ، ولا يمكن الاطلاع على هذه الموازين إلا بمراقبة دائمة مع وجود صحة القلب ، ولا يمكن المراقبة وحصول الصحة للقلب إلا بمداومة الذكر القوي الخفي بشرط النفي والإثبات ، ولا يمكن المداومة على الذكر إلا بتجريد الظاهر عن الدنيا ، ولا يمكن تجريد الظاهر عن الدنيا إلا بكثرة ذكر الموت ، وأرجو من الله تعالى الرؤوف الرحيم أن يختصَّ«١» برحمته الواسعة وفضله العميم أن يرزقنا الفقر المحمود الذي يثمر الاستغناء من غير الحق ﷻ ليرشد الخلق إلى طريق الحق للحق بالحق وما ذلك على الله بعزيز .

وإن الذكر المعنعن عند المشائخ النقشبندية المجددية قدس الله تعالى أسرارهم العلية سبعة أوراد :

الورد الأول لطيفة القلب ، **والورد الثاني** في ذكر اللطائف الأخر ، **والورد الثالث** ذكر النفي والإثبات ، **والورد الرابع** المراقبات ، **والورد الخامس** تعليم الحقائق الإلهية ، **والورد السادس** تعليم الحقائق الأنبيائية ، **والورد السابع** التهليل اللساني .

« ١ » لعله يختصّنا ويرزقنا

وجميع هذه الأوراد في هذه الأرجوزة كل واحدة بفصل مخصوص مختصر وقد وضعته على اصطلاح سادات هذه الطريقة وعسى الله أن يجعلنا في زمرتهم والله ذو الفضل العظيم .

والذكر المخصوص في هذه النسبة العلية الصديقية للمريد الصادق والمتفق عليه سادات الطريقة هو **الذكر الخفي القلبي** ، وكتب السادات مشحونة بذلك ومتفقة إلا بعض الدجالين الذين ليس لهم شائبة من المشيخة إلا مجرد الاسم لجلب حطام هذه الفانية .

ولنذكر جميع ما يتعلق بهم إن شاء الله تعالى في مواضعها وما يجب عليهم أي على السالكين من الأذكار .

وأوصى سيدنا الأمير كلال ﷼ في مرض موته لجميع أصحابه باتباع الخواجه نقشبند رحمه الله تعالى وجعلنا في بركاتهم فقالوا له : إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟ فقال : إن كل ما أعطاه الله تعالى له فيه حكمة فلا تخالفوه انتهى .

وقد ورد : « في الأخفى أنا » وفيه تصريح بفضل الذكر القلبي ، وقد ورد أيضا : « من أحبني قتلته ومن قتلته فأنا ديته » كما في « المرقاة » ، وما ورد : « من خدمني فله الجنة ومن خدم أوليائي فله أنا » .

فانظر أيها الرشيد : في ذلك الحديث مرتبة من خدم الأولياء بالمحبة الإلهية ، ففيها إشارة بل صراحة إلى التجلي الذاتي الذي هو نصيب المشرب المحمدي .

قال الأشرف قدس سره : الذكر نوعان قلبي ولساني والأول أعلاهما وهو المراد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله في جميع الأحيان ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ، وهو أي الذكر الكثير أن لا ينسى الله تعالى في كل حال وفي كل زمان ، وكان للنبي ﷺ حظ وافر من كلا النوعين إلا في حالة الجنابة ودخول

الخلاء فإنه كان يقتصر فيهما على النوع الذي لا أثر فيه للجنابة ، ولذلك كان يقول إذا خرج من الخلاء : « غفرانك . . الخ » رواه مسلم .

وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا » .

وورد أيضا : « إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق للحساب وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى لهم : انظروا هل بقي له من عمله شيء ، فيقولون : ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد كتبناه وأحصيناه فيقول الله تعالى لذلك العبد : عندي حسناتك التي لا تعلمها وأنا أجزيك بها وهي الذكر الخفي » كذا ذكره السيوطي رحمه الله تعالي .

وهذه الأحاديث حجة للسادات النقشبندية زبدة القادات الصوفية قدس الله أسرارهم في كون ذكرهم بالسر .

فقول ابن حجر : فالحق أن الأعلى ما جمع القلب واللسان ثم اللساني ثم القلبي – مبني على غفلة« ١ » انتهى كما في « المرقاة » .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في « أصول الأربعين » : وإنما مبدأه – أي الذكر– الذكر باللسان ثم بالقلب تكلفا وتخلقا ثم بالقلب طبعا وذوقا ثم استلاء المذكور جل جلاله وانمحاء الذكر ، وهذا سر قوله عليه الصلاة والسلام : « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى » ، بل سر قوله عليه الصلاة والسلام : « يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا » .

« ١ »أي قوله هذا مبناه غفلةٌ ، لأنه إذا أراد بالذكر مطلق الذكر سواء أمره الشارع به أم لا فيرد ما ذكرناه ولإجماع علماء الظاهر والباطن على أن الحضور القلبي أفضل من مجرد الذكر اللساني « مرقاة المصابيح » .

فعلم أن كل ذكر يشعر به قلبك فإنه تسمعه الحفظة فإن شعورهم يقارن شعورك ، حتى إذا غبت في ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية يغيب ذكرك أيضا عن شعور الحفظة كما غبت عنه ، وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه فهو معرض عن الله تعالى غير منفك عن شرك خفي حتى يصير مستغرقا في المذكور الحق جل جلاله ، فذلك هو التوحيد الحقيقي ، وكذا القول في المعرفة ، فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني ، ومن وجدها فكأنه لا يجدها بل يجد المعروف بها ، وهو الذي استمكن في حقيقة الوصال وحلّ بحبوحة حظيرة القدس . انتهى

وقال الشيخ عبيد الله أحرار قُدِّسَ سِرُّهُ : قال شيخنا شيخ خادم في قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ : إن طائفة من الناس يحصلون من الذكر قساوة القلب وذلك أنهم يذكرون الله سبحانه وتعالى من غير رعاية الأدب وعلى غير الحضور بل على الغفلة والفتور بمقتضى نفوسهم الخبيثة وطبائعهم الخسيسة ، ولعل (من) في قوله تعالى ﴿مِّن ذِكْرِ﴾ إشارة إلى أمثال هذا الذكر وإن فسر المفسرون (مِنْ) بـ (عَنْ) وقالوا : معناه غفل عن ذكر الله . انتهى

ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث القدسي : « يا موسى قل لعصاة أمتك لا يذكروني ، فإن ذكروني . . . الخ أذكرهم باللعنة » .

وقال الشاذلي قُدِّسَ سِرُّهُ : إذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو من مقالك وانبسطت الجوارح في شهواتك وانسد باب الفكر عن مصالحك ، فاعلم أن ذلك من عظم أوزارك أو لكون النفاق في قلبك ، وليس لك طريق إلا التوبة و الإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل من المؤمنين ، فتأمل هذا الأمر وابك وافزع إن كنت صادقا . « جامع » ١٣٣

وقال أيضا : هن ثلاثة : فرّغ لسانك للذكر وقلبك للشكر وبدنك لمتابعة الأمر فأنت إذا من الصالحين . « جامع الاصول » في ١١٦

وقال مولانا شمس الدين حبيب الله مرزاجانجانان ﵁ : إن الاشتغال بالطريقة إنما هو لحصول المحبة الإلهية ، ويكون فرط المحبة أحيانا من المواهب ، ولكن المداومة على الذكر من فرائض طريق أوليآء الله تعالى .

فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس فإن القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير ، فإن ظهرت غيبوبة أو كيفية أخرى في أثناء الذكر ينبغي أن يجتهد في حفظها ، فإن اختفت ينبغي أن يجتهد في الذكر ثانيا بتمام التضرع وقد ذكرنا حقيقة الذكر في فصله فراجعه .

ثم اعلم أيها الأعز طالب الحق أن التزام اللازم الملزومَ موصلٌ إليه ، وقد نطق في بيانه أبو العباس أحمد زروق رحمه الله تعَالى ، فمن ثم فضل الذكر غيره إذا ما أردت أن يلزمك فالزم ملزوميته «١» .

وقد قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ولا أعظم من هذه الكرامة وجعل لكلٍّ حدا ووقتا إلا ذكره تعالي إذ قال : ﴿ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ و﴿ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾ و ﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ ، وقال رجل : يا رسول الله كثرت علي شعائر الإسلام فدلني على عمل أدرك به ما فاتني ، قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى » ، ولأبي سعيد عند«٢» ابن حبان : « اذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

والذكر منشور الولاية فمن أعطي الذكر فقد أعطي المنشور ، قال شيخنا أبو العباس الحضرمي ﵁ : وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ ، وهي سلّم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدا ، فقد سمع«٣» بعض العارفين بالحرم الشريف رجلا من الصالحين روى لي ذلك عن بعض أهل الصدق مع الله تعالى وكلاهما معروفان رأيتهما والله أعلم .

« ١ » اللازم ما يمتنع انفكاكه عن الشيء ، والملازمة هي كون الشيء مقتضيا للآخر ، أي كلما ثبت تصور الملزوم ثبت تصور اللازم فيه كوجود النهار لطلوع الشمس فإن طلوع الشمس ملزوم ووجود النهار لازم « التعريفات » للجرجاني . واللازم هنا ذكر الله تعالى للعبد والملزوم ذكر العبد لله تعالى فمن أراد لزوم اللازم فليلزم ملزومه .

« ٢ » وفي هامش نسخة « أ » : استعمال عند في مثله طريق معروف عند المحدثين . فراجعه .

« ٣ » الكلام من « قواعد التصوف » بهذه العبارة : سمعت في ست وأربعين وثمانمائة بالحرم الشريف ، رجلا من الصالحين روى لي ذلك عن بعض أهل الصدق مع الله تعالى وكلاهما معروفان رأيتهما والله سبحانه اعلم .

قال العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد ابن إدريس ﵁ : قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ فقال : اذكروا الله تعالى وأتى باسمه الصريح ليكون أشد تشويقا لذكره ، قال الشاعر :

فَبُحْ باسمِ مَنْ أهْوى وَدَعْني منَ الكُنى فَلا خَيْرَ في اللَّذاتِ مِنْ دونِها سِتْرُ

ثم أطلقه في كل وقت ولم يقيد بوقت من الأوقات ، ثم قال : ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ فقيده بالبكرة والأصيل ، وذلك لأن الذكر في كل حالة هو المراقبة ، فإذا ذكرت الله تعالى على كل حال بقلبك ولسانك وتجنبت ما نهيت عنه وامتثلت ما أمرت به كان ذكرا مطلقا .

وأيضا لأنك مفتقر إليه في جميع الحركات والسكنات والأنفاس والخطرات ، فما طرفة عين إلا وأنت مفتقر إليه فيها والتسبيح هو تنزيه الحق جل وعلا ، فنزهه عن أن تكون البكرة في حقه بكرة أو يكون الأصيل في حقه أصيلا ، وكذلك شرع في السجود والركوع وعند القيام من المجلس ، ففي كلها تسبحه أي تنزهه عن أن يكون متصفا بهذه الأفعال .

وقال أيضا قدوة العارفين مربي السالكين العارف بالله أبو العباس أحمد المشهور بابن زروق ﵁ في « قواعده » : إعطاء الحكم في العموم لا يقضي بجريانه للخصوص فاحتيج له في الخاص لدليل يخصه حتى يتخصص به ، ومن ذلك الجهر بالذكر والدعاء والجمع فيهما ولهما ، فأما الذكر فدليله « من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » قيل ومن أدلته : ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾

وقال ابن عباس ﵄ : ما كنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله ﷺ إلا بالذكر . رواه البخاري .

والجهر في ذكر العبد في أدبار الصلوات وبالثغور وفي الأسفار حتى قال عليه الصلاة و السلام : « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا . . » .

وقد جهر عليه الصلاة والسلام بأذكار وأدعية في مواطن جمة وكذا السلف ، وصح قوله جوابا لأهل الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمُهاجِرة » ، وكل هذه دالة على الجهر والجمع ، لكن في قضايا خاصة يكون وجودها مستندا لا دليلا ، لاحتمال قصرها على ما وقعت فيه وكونها مقصودة لغيرها لا لذاتها .

فلزم تمهيد أصل آخر وإثبات الحكم لقضية خاصة لا يجري في عموم نوعها لاحتمال قصره على ما وقع فيه ، سيما عند من يقول الأصل المنع حتى يأتي المبيح ، والجمع للذكر والدعاء والتلاوة أخص من الجمع بينهما لكونه مقصودا بخلاف الأول فإنه أعم من ذلك ، فلزم طلب دليل يخصه .

وأما الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر » الحديث ، وفي آخره : « يسألهم ربهم ما يقول عبادي ؟ فيقولون : يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك ويهللونك ويمجدونك » الحديث ، وهو صريح في ندب الجمع لعين الذكر للترغيب في سياقه ، وما وقع في آخره من أن فيهم من ليس منهم فيقول تعالى : « هم القوم لا يشقى جليسهم » فأخذ منه جواز قصد الاجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله لحديث : « ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله تعالى فيه إلا حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » والذكر يُؤَوَّل بالعلم مرة وبذكر الآلآء أخرى وحمل على ظاهره أيضا فسقط التمسك به في أعيان الأذكار لدلالته على ما تأول به لاحتماله .

فإن قيل : يجتمعون وكل على ذكره ، فالجواب : إن كان سرا فجدواه غير ظاهرة وإن جهرا فكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط بشرطه ، نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذاكر في التوحيد من أبعد البعيد فتأويله غير مقبول لبعده عن الأفكار حتى لا يخطر إلا بالإخطار وذلك من مقاصد الشرع بعيد جدا ، فافهم .

وأما الدعاء بالجمع له فقد جاء في حديث حبيب بن مَسْلَمة الفهري رضي الله عنه وكان مجاب الدعوة وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله لهم دعاءهم » رواه الحاكم وقال على شرط مسلم ، وذكره شيخنا أبو يزيد الثعالبي رحمه الله تعالى في « دلائل الخيرات » وأظنه نقله من « ترغيب المنذري » .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشاطبي رضي الله عنه عمل عمر رضي الله عنه به وإنكاره له وعدّه من البدع الإضافية التي تذم لما يَقْتَرِن بها لا لذاتها .

وأما التلاوة فصحح النووي وغيره : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يقرؤون القرآن ويتدارسونه إلا حفت بهم الملائكة »

الحديث كما في الذكر وأخذوا منه جواز قراءة الحزب الذي يقرأ في المساجد ، كل ذلك على أصل الشافعي ومذهبه رضي الله عنه .

وأما مذهب مالك رضي الله عنه فالكراهة لعدم عمل السلف ولسدّ ذريعة الابتداع بالزيادة على ذلك والخروج فيه لغير الحق وقد وقع ما اتّقاه رضي الله عنه .

وقال رضي الله عنه : وفضيلة الشيء غير أفضليته ، وحكم الوقت غير حكم الأصل ، فلا يلزم من الترغيب الأفضليةُ وإن ثبت الفضل ، ولا من الترك أو الفعل لعارض الوقت رفض حكم الأصل ، والجمع للدعاء والذكر والتلاوة فقد صح ندب كل ذلك بالأحاديث المتقدمة فلا يصح دفع أصل حكمه ، وإن أُوثر عليه غيرُه فلأفضلية الغير عليه ، كالذكر الخفي وما يتعدى من العبادات نفعه كالعلم والجهاد والتكسب على العيال إلى غير ذلك مما كان اعتناء الصحابة به وشغلهم فيه حتى شغلهم عن الاجتماع للذكر والفراغ له من غير ضميمة شيء من ذلك إليه ، ألا تراهم عند إمكانه مع ما هم فيه استعملوه كالأسفار والأعياد وأدبار الصلوات ونحو ذلك .

ولما جاء عليه الصلاة و السلام حلقة الذاكرين تجاوزها وجلس مع المتذاكرين في العلم فآثر المتذاكرين لتعدّي نفعهم ولاحتياجهم إليه فيما

هم به إذ لا علم لهم إلا من قِبَله فقصدهم ما جاء به ، بخلاف الذاكرين فإن ما هم فيه بيّن بنفسه ونفعُه قاصر عليهم لكنه لم ينكر على أولئك وإن آثر هؤلاء ، والله أعلم .

وقال العارف المذكور أيضا ﷺ : للزمان حكم يخصه بحيث يخصص مباحه بمنع أو كراهة أو وجوب ويرد مندوبه لمنع أو كراهة ، كل ذلك إذا كان كل منهما مؤديا لما يعطاه حكمه من دليل آخر يقتضيه ، والقول بمنع الجمع للذكر وكراهته في هذه الأزمنة من ذلك كمنع النساء من الخروج إلى المساجد ونحوه مما هو ممنوع لما عرض فيه وبه لا لذاته إذ أصل الشريعة إباحته أو ندبه .

وللناس في ذلك مذهبان : فمن يقول بسدّ الذرائع يمنع جميع الصور لصورة واحدة ، وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى ، ومن لا يقول بها إنما يمنع ما يقع على الوجه الممنوع ، وهو مذهب الشافعي ﷺ وغيره .

ولما تكلم سيدي أبو عبد الله بن عباد رحمه الله تعالى على مسألة الحزب قال : إنه من روائح الدين التي يتعين التمسك بها لذهاب حقائق الديانة في هذه الأزمنة وإن كان بدعة فهو مما اختلف فيه ، وغاية القول فيه الكراهة ، فصح العمل به على قول من يقول به .

قلت : وقد يلحق الذكر به في بعض الأماكن والأوقات بشرط ولعل الشارع إنما قصد بترغيبه من بعد الصدر الأول لاحتياجهم له . فأما قول ابن مسعود ﷺ لقوم وجدهم يذكرون جماعة : لقد جئتم ببدعة ظلمًا ولقد فُقتم أصحاب محمد علما ، فالجواب عنه بأنه لم يبلغه حديث الترغيب فيها ، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها ، وإلا فلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث والله أعلم .

واعلم أن مراعاة الشروط في مشروطها لازم لمريدها وإلا لم يصح وجوده له وإن قامت صورته .

وشروط الذكر التي تتعين عند الجمع ثلاث :

أولها خلو الوقت عن واجب أومندوب متأكد يلزم من عمله الإخلال به ، كأن يسهر فينام عن الصلاة أو يتثاقل فيها أو يفرط في ورده أو يضر بأهله إلى غير ذلك .

الثاني خلوه عن محرم أومكروه يقترن به كاستماع النساء أو حضورهن أو حضور من يتقى من الأحداث أو قصد طعام لا قربة فيه أو فيه شبهة ولو قلّت أو فراش محرم كحرير وغيره أو ذكر مساوي الناس أو الاشتغال بالأراجيف إلى غير ذلك .

الثالث التزام أدب الذكر من كونه شرعيا أو في معناه بحيث يكون بما صح واتضح وذكره على وجه السكينة وإن مع قيام وقعود أخرى ، لا مع رقص وصياح ونحوه فإنه من فعل المجانين كما أشار إليه مالك رحمه الله تعالى لما سئل عنهم فقال : أمجانين هم ؟ ، وغاية كلامهم الاستقباح بوجه يكون المنع فيه أحرى فافهم . انتهى كلام العارف ﷺ . « قواعد » ٤٣ .

وحاصل ما استفدنا من ساداتنا في هذه الطريقة أن هذا الاجتماع بالذكرالجهري الذي في زماننا خاصة بين المتشيخين بتذكرهم الذكر بالصياح مع جمع الأغنياء في جهة والنساء والمردان في جهة ، وإخراج أصوات غليظة قصدا بزعمهم إيصال التأثير للمريدين وتزلزل المريدين وصياحتهم بالتصنع وسقوطهم كالمغشيين بالدّين **عن** عقولهم ، ليمدح الحاضرون أن الفلان ينجذب بشدة أثر شيخ كذا وكذا واستبشار بعضهم مع بعضٍ بذلك وسرور المتصنع بأقوالهم ومدح الشيخ المتشيخ منه ثم من نفسهٗ وتكدر طبيعة الشيخ ومريديه بحضور آخر عندهم من عالم أو عارف ثم وقوعهم على أعراض الناس مع تنسيب شيخهم إلى القطبانية مع كونه ممن لا يجوز عنده الجلوس ، كل هذه مكروهة بل حرام ثابت بالنص والحديث ، وقد عمت هذه الفتنة من أمثالهم في زماننا هذا ، قاتلهم الله أينما كانوا ، وذكرنا بعض أوصافهم في غير هذا .

فحاصل الأصل أن لا تجعل الأذكار والعبادات سببًا في الأغراض الدنيوية إجلالا لها كما عليه المتشيخون ، اللهم فقههم في الدين واجعلهم ممن يفقهون القول فيتبعون أحسنه آمين .

وسأل الإمام الرباني ﷼ النوراني الشيخ ميرمحمد نعمان وقال : ما سبب المنع من ذكر الجهر بعلة البدعة في هذه الطريقة العلية مع أنه مُورث للذوق والشوق ؟ ولم لا يمنع من أمور أخرى لم تكن في زمن النبي ﷺ مثل لبس الفرَجي والشال والسراويل ؟ فأجاب ﷼ وقال : أيها المخدوم إن فعله ﷺ على نوعين فعل على سبيل العبادة وفعل على طريق العرف والعادة ، فالفعل الذي صدر عنه على سبيل العبادة نعتقد خلافه بدعة منكرة ونبالغ في المنع عنه لكونه إحداثا في الدين وهو مردود ، والفعل الذي صدر عنه ﷺ على طريق العرف والعادة لا نعتقد خلافه بدعة منكرة ولا نبالغ في المنع لعدم تعلقه بالدين بل وجوده وعدمه مبنيان على العرف والعادة لا على الدين والملة ، فإنّ عرف بعض البلاد على خلاف عرف بلاد أخرى وكذلك يقع التفاوت في العرف في بلدة واحدة بحسب تفاوت الأزمنة ومع ذلك إذا روعيت السنة العادية تكون مثمرة للنتائج ومنتجة للسعادة ، ثبتنا الله تعالى وإياكم على متابعة سيد المرسلين .

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار ﷼ : الحضور الذي يحصل للسالك في نهاية الذكر وغاية العبور عن مراتب الذكر ربما يحصل قبل الوصول إلى النهاية لكن لا يكون لهذا الحضور بقاء ، بل يزول سريعا بمقتضى بقية أحوال الطبيعة البشرية ، فإن تيسر العبور عن مراتب الذكر الذي هو عبارة عن مشاهدة بعض الأنوار ومكاشفة شيء من الأسرار تقعد تلك المراتب مقام الطبيعة كالأجسام اللطيفة فيتخلص السالك عن قيد الطبيعة البشرية وربط التفرقة .

وذكر في « البهجة السنية » للشيخ الخاني ﷼ : واعلم أن المقصود من الذكر حضور القلب مع المذكور لا حركة القلب وقت الذكر فإن الحركة ليست بشرط عندهم .

قال الإمام الرباني ﷷ في بعض مكاتيبه : إن أريد من ذكر القلب تحركه بالذكر فدوامه ليس بشرط لا في حالة الفناء ولا في غيرها ، والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبي والتوجه إلى جناب الحق جل ذكره وجد التحرك أو لم يوجد . انتهى

وقال الخواجه محمد بارسا ﷷ : إن المداومة على الذكر تبلّغ مرتبة تتحد حقيقة الذكر مع جوهر القلب ، ويحتمل أن يكون معنى هذا الكلام أن حقيقة الذكر أمر منزه عن الحروف والأصوات ، وجوهر القلب عبارة عن لطيفة مدركة منزهة عن شائبة كم وكيف ، فيحصل الاتحاد لهذه اللطيفة بهذا الأمر المنزه عن الحروف والأصوات بواسطة كمال الاشتغال ويظهر وصف الوحدة والواحدية فلا يقدر الذاكر في هذا الحال أن يفرق و يميز بين جوهر القلب ، وحقيقة الذكر بسبب استيلاء المذكور وغلبته على مملكة القلب وارتباط القلب بالمذكور على وجه لم يبق فيه فكر غير المذكور ولا يسعه أصلا انتهى ما في « الرشحات » .

وقال الخواجه ﷷ لحضرة العزيزان ﷷ : طريقان في الذكر جهر وخفية واخترت الخفية لأنها أقوى وأولى .

وكان يقول ﷷ : إن الوقوف العددي أول مراتب العلم اللدني .

نقل رجل من أهل العلم والصلاح : إني قبل أن يلقنني حضرة الخواجه ﷷ الوقوف العددي بيّن سلسلته وأوصلها إلى حضرة الخواجه عبد الخالق و الشيخ يوسف الهمداني قدس الله تعالى أسرارهم وقال : إن يوما سأل حضرة الخواجه عبد الخالق الغجدواني الأستاذَ الإمام صدر الدين ﷷ وكان يقرأ عليه في التفسير وقد وصل إلى هذه الآية ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ هذه الخفية التي ذكرها الحق سبحانه وتعالى إن كان الذاكر يرفع صوته أو يحرك أعضاءه وقت الذكر يكون الغير مطلعا عليه ولا تبقى الخفية ، وإن ذكر بالقلب فالشيطان يجري في عروق ابن آدم مجرى الدم فيطلع عليه ، فقال الأستاذ : هذا علم لدني فإن يرد الله تعالى ييسر لك رجلا من أهل الله يعلمك ذلك ويحصل

لك من صحبته معرفة ما هنالك ، وكان حضرة الخواجه عبد الخالق ﷺ منتظرا لذلك حتى تشرف بحضرة الخضر ﷺ ولقنه الوقوف العددي وقد ذكرنا بيان ذلك في كتابنا هذا أيضا . راجع « جامع الأصول » ١١٨ .

وذكر الشيخ محمد مراد ﷺ في « تحفة الأحباب » ما عبارته : إن عبد الخالق الغجدواني ﷺ اجتمع مع الخضر ﷺ وتبنّاه الخضر وعلمه طريق الذكر الخفي وأمره بأن يغطس في الماء ويذكر بقلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ففعل مثل ما أمر فحصلت له الجذبة القيومية ، ثم تسلسلت تلك الجذبة بالذكر الخفي في هذه الطريقة عند الخواجكان فهو كان أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة فلذلك كان رئيس الطريقة في الذكر الخفي ، والذكر الخفي لقنه رسول الله ﷺ لأبي بكر صبيحة ليلة الغار بكلمة (لا إله إلا الله) بالقلب على الكيفية المعهودة وكان ذلك التلقين على وجه التثليث ، وقد خص النبي ﷺ الذكر الخفي بأبي بكر ﷺ من بين الصحابة وصب في صدره جميع المعارف الإلهية لكونه في المرتبة الصديقية التي هي أقرب المراتب إلى مرتبة النبوة ، فلذا قال عليه الصلاة والسلام : « ما صب الله في صدري شيئا إلا وصببته في صدر أبي بكر » ﷺ « تحفة » .

واعــلم أيها المنصف المحق وفقك الله للشغل عن الشغل وجعلك من أهل الفضل أنا ذكرنا كلام السادات القادات هنا في حق الذكر الخفي والجهري وبسطنا الكلام وإن كانت فيها ما خرجت عن المقصود ، والآن نذكر لكم ما هو المعتمد الحقيق من الذكر في هذه الطريقة المجددية وإن أكثر اللوام فيها أقوالا ، ولازم على المنصف أن يتدبر في مشربه ممن أخذ هذه الطريقة وممن جاء وممن ابتدأ ثم أين ومتى وقع التغير وممن وقع وعلى أي صورة ، وهل القائلون بكون الذكر الخفي معتمدا في هذه الطريقة أمناء فحينئذ يمكن أن يقول الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال :

إن إمام الطريقة وغوث الخليقة بهاء الدين نقشبند محمد البخاري الأويسي ﷺ السامي كان موفقا من عند الله وآثار الولاية واضحة في وجهه

وأنوار الكرامة والهداية لائحة من جبينه في طفوليته ، وكان لحضرته نظر القبول للولدية من حضرة خواجه محمد بابا السماسي ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ حين كان طفلا ، وكان تعلمه لآداب الطريقة بحسب الصورة من الأمير كلال ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ كما أشرنا إليه عند ذكر محمد بابا السماسي ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ ، وأما بحسب الحقيقة فهو أويسي تربى من روحانية خواجه عبد الخالق الغجدواني ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ كما هو معلوم من واقعته التي رآها في مبادي أحواله وتفصيلها مذكورة في « المقامات » .

لا يخفى أن جمعا من مشائخ خواجكان ﴿قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ﴾ جمعوا بين الذكر الخفي وذكر العلانية وذلك من لدن خواجه محمود الإنجير الفغنوي إلى زمان الأمير كلال رحمهما الله تعالى ويقال لهم في هذه السلسلة الشريفة العلانيون .

ولما كان زمان ظهور حضرة الخواجه بهاء الدين ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ وكان مأمورا من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدواني ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ بالعمل بالعزيمة اختار ذكر الخفية واجتنب ذكر العلانية ، وكلما شرع أصحاب الأمير كلال ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ في الذكر الجهري كان حضرة الخواجه ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ يقوم عن هذا المجلس ويخرج ، وكان ذلك يثقل على خاطر سائر الأصحاب ، وكان حضرة الخواجه ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ لا يلتفت إليه ولا يتقيد برفع هذا الثقل عن خواطرهم ، ولكن كان لا يترك دقيقة من خدمة الأمير كلال ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ وملازمته ولا يخرج رأس التسليم والإرادة من ربقة متابعته .

وكان التفات الأمير كلال ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ إلى حضرة الخواجه ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ في الزيادة يوما فيوما ، فخاض بعض الأصحاب في طعن حضرة الخواجه ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ وعرضوا على الأمير بعض أحواله وصفاته في صورة القصور والنقصان فلم يردهم الأمير ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ بشيء في هذه النوبة حتى اجتمع الأصحاب كبارهم وصغارهم زهاء خمسمائة نفس في قرية سوخار لعمارة المسجد والرباط ومنازل أخرى .

فلما تم أمر العمارة اجتمع الأصحاب كلهم عند الأمير ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ فتوجه الأمير إلى الطاعنين في حضرة الخواجه وقال : إنكم أسأتم الظن في حق ولدي بهاء الدين ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ وأخطأتم في نسبة أحواله إلى القصور وأنتم لا تعرفون أمره ولا تقدرون قدره ، فإن نظر الحق سبحانه وتعالى شامل لحاله دائما ونظر خواص

عباد الله تابع لنظره سبحانه وتعالى وليس لي صنع واختيار في مزيد النظر في حقه ، وكان حضرة الخواجه ﵇ في ذلك الوقت مشغولا بنقل الآجر فطلبه الأمير ﵇ وتوجه إليه في هذا المجمع وقال : يا ولدي بهاء الدين إني قمت بموجب أمر محمد بابا في حقك حيث قال : كما أني بذلت جهدي في تربيتك كذلك لا تقصر أنت في تربية ولدي بهاء الدين ، ففعلت ما أمرت .

ثم أشار إلى صدره الشريف وقال : قد أفرغت ثدي العرفان لأجلك فتخلص طائر روحانيتك من بيضة البشرية ولكن باز همتك عالية الطيران فأجزتك الآن أن تطوف في البلدان ، فإذا وصل إلى مشامك رائحة المعارف من الترك والتاجيك فاطلبها منه ولا تقصر في أمر الطلب بموجب همتك .

قال حضرة الخواجه ﵇ : إن صدور هذا الكلام من حضرة الأمير ﵇ كان سببا لابتلائي فإني لو كنت في صورة المتابعة المعهودة للأمير لكنت أبعد من البلاء وأقرب إلى السلامة .

فصحب بعد ذلك مولانا عارفا ﵇ سبع سنين ثم وصل إلى ملازمة الشيخ قثم وخليل أتا ﵇ وصاحب خليل أتا إثنتي عشرة سنة وسافر إلى الحجاز مرتين وسافر معه الخواجه محمد فارسا ﵇ في المرة الثانية ولما وصلوا إلى خراسان أرسل الخواجه محمد فارسا ﵇ مع سائر أصحابه من طريق باورد إلى نيسابور وتوجه بنفسه إلى هِراة لملاقاة مولانا زين الدين أبي بكر التايبادي ﵇ وصاحبه ثلاثة أيام في تاياباد ، ثم توجه إلى الحجاز ولحق الأصحاب في نيسابور وأقام مدة في مرو بعد رجوعه من الحجاز ، ثم قدم بخارى فأقام بها إلى آخر عمره .

وتفصيل أحواله مذكورة في مقاماته ، ولما أشار الأمير كلال ﵇ في مرض موته إلى أصحابه بمتابعته قال الأصحاب : إنه لم يتابعك في ذكر العلانية فكيف نتابعه ؟ فقال الأمير ﵇ : كل عمل صدر منه فهو مبني على الحكمة الإلهية وليس له اختيار فيه . . الخ . هكذا ذكر في « رشحات عين الحياة » .

فانظر أيها الأخ وهل كان ما فعله بهاء الدين ﷺ خطأ أو كذباً أو جهلاً وهل هذه الطريقة وصلت إلينا بواسطته أم لا وهل كان خواجه بهاء الدين ﷺ أمينا في هذه أم لا ؟ فإن كان هذه حقا فما سبب خروجكم عن طريقته وما دليلكم للمخالفة له وكيف تنسبون طريقتكم إليه وتخالفونه ؟ وإن كنتم تخالفونه وتنسبونه إلى الجهل أو الكذب أو البطالة فأنتم معتزلون عن الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال الشيخ الأكبر محي الدين العربي ﷺ : وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو : الله الله الله لا تتعدّ هذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك ، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالك التى كنت عليها ، فإنها قوة عرضية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة . انتهى

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : إن الذكر بمثابة الفأس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب .

وقال أيضا : الأمر أن يكون السالك مستغرقا في الذكر على وجه لا يبقى له شوق في الجنة ولا خوف النار ويكون النوم والسهر عنده متساويين ، فكيف يدنو الشيطان من أطراف هذا الشخص العظيم الشأن .

ووقع لملك هرات حسين مع حضرة الخواجه بهاء الدين الأويسي رئيس السادات النقشبندية ﷺ مجلسٌ وكلامٌ كثير اكتفينا عن ذكره ، ففي مجلسه سألوا حضرة الخواجه ﷺ إن صفة الفقر موروثة لكم ؟ فقال حضرة الخواجه ﷺ : لا بل بحكم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وصلت إليّ جذبة وتشرفت بهذه السعادة ، فسأله الملك : إن طريقكم ذكر الجهر والخلوة والسماع ، فقال حضرة الخواجه ﷺ : لا يكون ذلك ، فقال له الملك : فطريقتكم ماذا ؟ قال حضرة الخواجه ونفسي فداء من روحه المقدس : اتباع كلام أتباع حضرة الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس الله أرواحهم ، وكان ذكره بالسر ملقنا من حضرة الخضر عليه السلام .

ومع هذا أن متشيخي زماننا يزعمون بأن الذكر في هذه الطريقة بالجهر بل يدعون ليس الذكر إلا الجهر ، فانظر أيها المنصف إلى إنصافهم يزعمون بأنهم من أتباع حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺوخلفائه إلى شاه خالد إلى إسماعيل الكردميري ﷺ وكلهم على الذكر السري ولم يأذنوا لأحد من مريديهم بالجهر بل كلهم متفقون على اصطلاح واحد في جميع أمور الطريقة العلية النقشبندية قائلين إنهم على أسوة معدن الكرامات ومنبع الفيوضات حضرة الخواجه ﷺ .

وأما مشائخ زماننا فقد ابتدعوا أمورا وأدخلوا في هذه الطريقة مفاسد ، وأكثرهم يتشيخون بأنفسهم ويضلون الناس بأهوائهم فضلوا وأضلوا ، لا كثر الله أمثالهم وهداهم إلى الصراط المستقيم .

وقال شيخ مشائخنا شمس الدين حبيب الله مرزا جانجانان ﷺ : إن الاشتغال بالطريقة إنما هو لحصول المحبة الإلهية ، وحصوله يكون بكثرة الذكر والفكر ، وينبغي أن يجتهد في الذكر ثانيا بتمام التضرع وكمال الانكسار ، وليداوم السالك على الذكر بهذا الوجه حتى يحصل له دوام الكيفية والحضور .

وقال : إن الإيمان الإجمالي بأن يقول آمنت بالله ورسوله وما جاء به النبي ﷺ من عند الله وأحب ما يحبه الله ورسوله وأبغض ما يبغضه الله ورسوله كاف في النجاة ، وإثبات كل مقدمة بدليل إنما هو شأن العلماء المتبحرين وليس عامة المسلمين مكلفين بذلك .

وقال : إن تعظيم أولياء الله ومحبة عامة المشائخ الكرام لازم ومن اعتقد في شيخه أفضليته على غيره لانتفاعه به واستفادته منه لا يستبعد ذلك منه ، والفقير الراقم يقول بل حصول المنفعة إنما هو به لما أن تفريد الشيخ مما يستحسن لزومه ، كما ذكر في المطولات .

وقال بعض السادات : إذا كان الذكر ملكة على وجه يكون القلب حاضرا دائما ويكون الذاكر متلذذا به فهو من الأبرار ، ويمكن أن يقال له إنه حاضر

بالله ولا يطلق عليه واصل إلى الله فإن الواصل من ينتفي عنه إسناد الحضور إليه ويعتقد أن الحاضر إنما هو الحق بذاته .

وقال ﷺ : إن النهاية التي يصل إليها الأولياء ما لا تكون المشاهدة غائبة عنهم فيها فلئن غابت المشاهدة عنهم فإنما الغيب لغاية استغراقهم في الشاهد الحقيقي . انتهى

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ في « الرشحات » في معنى (لا إله إلا الله) : قال بعض الأكابر : إن ذكر لا إله إلا الله ذكر عام وذكر الله ذكر خاص وذكر هو ذكر خاص الخاص مع أنه يمكن أن يكون في ذكر (**لا إله إلا الله**) ذكر خاص الخاص فإنه لا نهاية لتجليات الحق فلا يتصور التكرار في هذه الصورة أصلا بل يكون في كل آن نافيا لصفة ومثبتا لصفة فلا يتخلص من النفي والإثبات أبد الآبدين . « رشحة » .

قال في معنى (**لا إله إلا الله**) : إن لفظة الله اسم عند البعض للذات من حيث هي فيحتمل أن يكون المعنى لا إله : ليس إله عبارة عن مرتبة الألوهية يعني الذات مع الصفات بموجود« ١ » إلا الله يعني الذات البحت المعراة عن الكل ، ولا ينبغي أن يستبعد هذا المعنى فإنه لا شهود للسر غير الذات المقدسة في زمان خلو القلب عن الأغيار . وهذا المعنى يحصل للمبتدئين في سلسلة خواجه عبد الخالق الغجدواني ﷺ فَهِمَ من فَهِم ، ناديت غير مرة إن كان في الأحياء حي .

وقال في بيان هذا المعنى : إنه يحصل لمبتدئ طريقة خواجه بهاء الدين النقشبند ﷺ ذوق من غيب الهوية في أول الإقدام . « رشحة » .

قال في معنى قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ﴾ : إن المراد كن متوجها إلى نفس الذات دون الصفات . اهـ

« ١ » في نسخة بموجب

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﷺ : وأما الذكر فاعلم أن الله تعالى جعل للعبد أسبابا بعدد أنفاس الخلائق يصل بها إلى الحضرة الربانية ويعتكف بها في معتكف الحضرات الرحمانية ، وتلك الأسباب باطنة وظاهرة فالباطنة نحو مراقبة الحق واستحضار العبد في جميع أوقاته أو غالبها أنه بين يدي الله تعالى وأنه تعالى مطلع عليه وناظر إليه ومحيط بكل شيء في جميع الكائنات فيحمله ذلك على ترك المعصية وحفظ الباطن من الأخلاق الرذيلة والظاهرة كدوام الطاعات من الجمعة والجماعة والزكاة والصدقات وسائر الخيرات والعبادات خصوصا الأذكار .

واعلم أن أول صيغ الذكر لفظة الله عند النقشبندية مع ملاحظة المعنى وقول لا إله إلا الله عند الشاذلية وهما والاستغفار والصلاة عند سائر الطرق بحضور تام وأدب ، قال الله تعالى : « أنا جليس من ذكرني وأنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه » ، ومعنى مجالسة الله تقريب رحمته وعنايته ومدده وفيضه وفتحه ونور أسمائه وصفاته من عبده بحيث إذا صدق في ذكره عمر قلبه بتلك الأسرار وملأه بهذه الأنوار .

ومعنى لفظة « الله » أي الله مقصودي أو مطلوبي أو محبوبي أو يا الله أنت مقصودي أو الله لا شريك له أو الله مقصودي أو هو موجود أو معبود أو أنت الله لا غيره أو لا غيرك .

والأصح عند النقشبندية لا تركيب له ، بل يقول (**الله**) ويلاحظ بحت الذكر بلا تركيب ولا معناه و ماله ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ومعنى التوحيد : **أما للعموم** فنفي الألوهية عما سواه تعالى والإله عند أكثر المتكلمين المعبود بالحق ، وعند بعضهم المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه ، فقولنا لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله ، أو لا مستغني عن كل ما سواه مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله .

وأما للسالك فمعناه : لا معبود إلا الله للمبتدئ لأن مقتضاه العبادات إبتداء ، أو لا مقصود إلا الله للمتوسط لأن مقتضاه الطلب ، أو لا موجود إلا الله للمنتهي لأن مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء لله .

واعلم أن لهذا المنتهي أربع حالات :

إما أن يكون في **توحيد الأفعال** فيكون المنفيّ بلا إله كل فاعل سوى الله تعالى .

أو في **توحيد الصفات** فيكون المنفي بها كل ما عداه

أو في **توحيد الذات** فيكون المنفيّ بها كل ما سواه

أو في **توحيد المجمل** باعتباره مفصلا فينفي عنه شهود الإجمال بشهود التفصيل . « جامع الأصول »١٥

وقال أيضاً فيه ١١٨ : واعلم أن اسم الجلالة والعظمة والهيبة ويقال اسم الذات هو لفظة **الله** ، وهذا الاسم الشريف موضوع للذات الإلهية باعتبار اتصافها بجميع صفات الألوهية وأسماء الربوبية والجلال والجمال والكمال ، وعند بعض العارفين هو اسم موضوع للذات البحت من حيث هي لا باعتبار الاتصاف بشيء لقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وبهذا الوضع كان أعلى من اسم **الأحد** ومن سائر الأسماء الإلهية من حيث الرتب .

وقيل مشتق وقيل لا ، وقيل عربي وقيل لا ، وقيل موضوع لمعين وقيل لا ، وقيل مستعمل بجميع الألسنة وقيل لا .

والأصح أنه اسم الذات وجميع الأسماء والصفات والكمال مندرجة تحته ، وهو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة ، وأن لكل نبي من الأنبياء اسما مخصوصا تجلى الله عليه ، ولنبينا ﷺ هذا الاسم الشريف وبه تجلى الله عليه ، فلذا كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رتب سائر الأسماء الإلهية .

وعند الشاذلية طريق النفي والإثبات ، وقد وضع إبراهيم المواهبي الشاذلي ﷺ في **لا إله إلا الله** رسالة وسماها « كتاب التفريد لضبط قواعد التوحيد » قال : في الجلوس للذكر التربع ونتيجته التمكن وسره دوام الوضوء ، هذا ظاهرا وأما باطنا فإشارة إلى التمكن بكمال اعتدال القابلية وإن أحب جلس كالمتشهد حيث لا ألم ، ثم يعتمد باليدين على الركبتين مع سدل الكمين ليتقوى على الحركة الجامعة للقلب للتشتت هذا ظاهرا ، وأما باطنا فالاعتماد بيد الصدق والإخلاص على حد مستند الكتاب والسنة لتجتمع فيك خصائص الخواص ثم غمض العيون استعانة على خلو الباطن من تطرق المحسوسات هذا ظاهرا ، وأما باطنا فتغميض عين الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى ، ثم الأخذ بـ **لا إله إلا الله** من الجانب الأيسر الذي هومشكاة فتيلة القلب النوراني المعنوي مارّا بها من أسفل الصدر إلى الجانب الأيمن ، ثمّ إلى أعلاه راجعا حتى تصل بها إلى المأخذ وهو المحيط ، والمأخذ ما تضمنته كلمة النفي ، والموضع ما تضمنته كلمة الإثبات ، والنفي مصحوبك في ذهابك من أسفل الصدر وفي إيابك من أعلاه راجعا إلى المأخذ فتفارقه بالإثبات .

وسرّ ذلك أنّ القلب برزخ بين العالم العلوي و السفلي ، ففي أخذك منه إلى أسفل الصدر إشارة إلى استيعاب العالم السفلي بـ لا إله ثم في عودك إليه من أعلى الصدر استيعاب بها للعالم العلوي نافيا عن السوى معنى إلا الله ، هذا سرّ النفي والإثبات .

فحاصل المهمات أنّ الاسم الجامع الذي هو الله ورد النقشبنديين وعليه مدارهم لكونه الجامع لجميع الأسماء والصفات ، وأما النفي والإثبات فهو ورد الشاذلية ، وقد انعكس أحوالهم لبعض الجهلة ويحدثون البدع في الطرائق ويضلون الناس بأهوائهم الباطلة ، قاتلهم الله تعالى أنّى يؤفكون . اهـ

وقال الإمام الرباني ﷺ في المكتوب الثالث عشر : عمِّروا أوقاتكم بالذكر الإلهي جل شأنه ولا يكون لكم شغل بأحد ، والتزموا ذكر النفي والإثبات وأخرجوا بتكرار هذه الكلمة الطيبة من ساحة الصدر جميع المرادات ، حتى

لا يكون المطلوب المقصود والمحبوب غير واحد ، فإن عجز القلب عن الذكر فقولوا باللسان بشرط الإخفاء فإن الجهر ممنوع في هذا الطريق ، وقد علمتم بقية طرز الطريقة وأوضاعها ، وإياكم والعدول عن طريق التقليد ما استطعتم فإنّ لتقليد شيخ الطريقة ثمرات وفي الخلاف لطريقه خطرات . اهـ في ١٤ .

وقال شيخ شيخنا ﷺ أيضا في « جامعه » في ١٢٢ : واعلم أن حقيقة تصفية القلب بطريق الذكر إنما هي بذكر اسم الذات وذكر النفي والإثبات ، وكيفيته في الطريقة المجددية أن يتلفظ الذاكر بلسان القلب لفظة الله لأنّ القلب كله لسان وكله سمع وكله بصر إذا تجرد عن القيود ، وذلك التلفظ إنما يكون بحيث لا يتحرك القلب الصنوبري لأنّ تلفظ القلب الحقيقي الروحاني لا يحرك القلب الصنوبري ، فإذا عسر على الذاكر التلفظ الروحاني باسم الذات فليذكره بالقلب الصنوبري بطريق العدد كذكره باللسان ، ففائدته مثل فائدة اللسان ، فإذا تمكن الذاكر في الذكر بالقلب الصنوبري يترقى بعد ذلك إلى الذكر بالقلب الحقيقي .

فالذكر الصنوبري يوصل إلى الذكر بالقلب الحقيقي والذكر بالقلب الحقيقي يوصل إلى مرتبة المراقبة ، فلذلك قيل إن ذكر القلب هو المراقبة .

وقد ورد في فضيلة هذا الذكر حديث بقوله عليه الصلاة والسلام : « الذكر الذي لا تطلع عليه الحفظة يزيد على الذكر الذي تطلع عليه الحفظة سبعين ضعفا » . وفيه رواية أخرى وقد ذكرناها من قبل . انتهى

واعلم أن الذكر ترداد اسم المذكور على القلب واللسان ، وهو أمر لازم وفرض دائم ، قال الله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾

فهو سيف الله من سيوف المريدين وحصن الذاكرين ومنشور الولاية أي مسكنها ، فمن وفّق للذكر فقد أعطي منشور الولاية ومن تركه فقد عزل عنها ، ومعيار الوصلة ودلالة ضياء النهاية وأقرب الطرق للوصول وأفضل الأعمال للقلوب ، وليس وراء الذكر شيء من الفضائل ، وجميع الخصال الحميدة راجعة إلى المذكور ومنشأها الذكر ، والآيات والأخبار التي جاءت في فضيلة الذكر كثيرة كما ذكرنا .

وقال بعض العارفين : إذا أراد الله أن يوالي عبده فتح له باب ذكره ، فإن استلذ به فتح له باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج عن حسّه ودعاوى نفسه .

وقال الشيخ علي المرصفي ﷺ : قد عجز الأشياخ فلم يجدوا دواء للمريد للوصول إلى الله تعالى أعظمَ ولا أسرعَ من مداومته على الذكر .

ومن خصائصه كشف الحجب المانعة فوقه«١» ، ولا يزال كذلك إلى أن يصل إلى مقام الكمال اللائق به ، بخلاف من سلك بغير الذكر من سائر العبادات ، فإنه لطول حجابه لا يكاد يفارق المقام الذي هو عليه لعشقه به ، فقلما وقع المريد على الذكر إلاّ وقد وصل ، ولا سيما الذكر القلبي الذي هو شهود وزلفى وحضور وقربى ، وهو ذكر حقيقي يبدل الغيبة بالحضور ويفني الذاكر في المذكور ، لكن لا بدّ أن يكون بتلقين الشيخ الكامل الذي عرف أسرار الأذكار ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين الرسول ﷺ ثم بتلقين خلفائه الذين تلقنوا تلك الأذكار كابرا عن كابر إلى رسول الله ﷺ ، ولو أنّ ذاكرا يذكر الله تعالى بجميع الأذكار في جميع الليل والنهار بنفسه من غير تلقين الشيخ فلا يبلغ مبلغ الرجال ولا يصل إلى مرتبة الكمال إلا بتربية المرشد الواصل .

وأقلّ ما يحصل للذاكر إذا تلقن الذكر عن الشيخ الكامل ودخل في سلسلته إذا حرك حلقة ذكر نفسه بما أصابه تجاوبه أرواح المشائخ إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله تعالى ، ومن لم يلقن الذكر منهم ولم يدخل في سلسلتهم لا يجاوبه أحد منهم ولا يحرك حلقتهم ذكره طول عمره ، وهذا فائدة التلقين فافهم وإن هذا ذكرناه غير مرة .

« ١ » هكذا في الأصل وفي كتاب الآداب المرضية : من خصائصه كشف الحجب المانعة عند دخول حضرة الله تعالى فلمّا إنكشف للمريد حجاب شرفي من ذلك المقام طلب المقام الذي فوقه .

ومن كلام الشيخ أحمد سعيد الفاروقي قدس سره في « المقامات » : ثم إن المشائخ الكرام رحمهم الله تعالى أوّلا قرروا تهذيب لطائف عالم الأمر ووضعوا لذلك طرقا ثلاثة :

الطريق الأول : الذكر سواء كان باسم الذات أو النفي والإثبات ، وكيفيته أن يلصق الذاكر لسانه بالحنك الأعلى ويخلي قلبه من الخواطر وحديث النفس ويشخص قبالة قلبه صورة الشيخ الذي تلقى منه الذكر بكمال الأدب معه ويقول بلسان القلب الذي محله تحت الثدي الأيسر بفاصلة اصبعين الله الله ملاحظا مفهومه كما آمنا به ، وهو الذات الموصوف بالصفات الكلية المنزه عن السمات الناقصة ويواظب على الذكر في جميع الأوقات حتى يجري القلب بالذكر ثم هكذا يذكر بلطيفة الروح ثم وثم . اهـ في ١٩٥ .

قال الشيخ محمد معصوم قدس سره : إن قوله (يخلي قلبه) : مراده أنه يمر على قلبه اللفظ المبارك **الله** بطريق الخطرة وينطق بلسان قلبه بهذا اللفظ الخطير من غير أن يتصور صورة قلبه ، ولا يحبس لِنَفَسِهِ مدخلا في الذكر أصلا بل يبقى النفس على حاله يدخل ويخرج ويقصد من اللفظ المبارك الله ذاتا بلا مثل ، ولا يلاحظ معه صفة من الصفات حتى لا يتنزّل من ذروة الذات إلى حضيض الصفات ولا يميل عن التنزيه إلى التشبيه ، كذا في « كنز الهداية » هامش « المقامات السعدية » .

سأل الإمامَ الرباني قدس سره واحدٌ : هل في طريقتكم الذكر الجهري والخلوة والسماع ؟ فقال رضي الله عنه : لا ، فقال السائل : فبناء طريقتكم على أي شيء ؟ فقال : الخلوة في الجلوة ، الظاهر بالخلق والباطن بالحق ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

ومِنْ داخلٍ كُنْ صاحِباً غَيْرَ غافِلٍ ومِنْ خارجٍ خالِطْ كَبَعْضِ الأجانِبِ

« المقامات السعدية » ١١

وذكر في « تقريب الأصول » للسيد زين دحلان قدس سره والقول لبعض العارفين قال : وقال بعضهم : في قوله تعالى لداود عليه السلام : « وبذكري فليتنعموا » أي بذكري إياهم في الأزل حيث لا وجود لهم ، وإلا فإن الذكر المنسوب إليهم محل الآفات والعلل وهم أجلّ رتبة من أن يكون نعيمهم بشيء متلبس بهم ، وليس في هذا توهين ذكر العبد ربّه بل فيه التنبيه على أنه إذا ذكر ربه فليذكر منة الله عليه حيث قد مر في الأزل توفيقه له ، فإن الذكر أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى وهو من علامات الولاية كما قيل : الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل ، ولذا قيل :

الذِّكْرُ أَعْظَمُ بابٍ أَنْتَ داخِلُهُ　　　لله فَاجْعَلْ لَهُ الأَنْفاسَ حُرَّاسا

قال الإمام القشيري رضي الله عنه : الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحّة البداية ودلالة صفاء النهاية ، فليس ورآء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشأها عن الذكر ، وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى .

ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ وقوله عزّ وجلّ فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه » إلى آخر الحديث لكان في ذلك كفاية ، وهذا الحديث متفق على صحته وهو يدلّ على عظم فضل الذكر . وإن العبد إذا عمل عملا قليلا يجزيه الله جزاء كثيرا وخرج ذلك مخرج المثل المحسوس بقوله : « وإن أتاني يمشي . . » إلى آخر الحديث .

ومن خصائص الذكر أنه غير موقت بوقت ، فما من وقت إلا والعبد مطلوب منه إما وجوبا وإما ندبا بخلاف غيره من الطاعات . انتهى كلامه . « التقريب »١٠٩

وفي شرح « الحكم العطائية » : قال مجاهد ﷺ : الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا ، وروي عن رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » ، فينبغي للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه ، وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فإنّ تركه له وغفلته عنه أشدّ من غفلته فيه .

وعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلا فيه فلعلّ ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ، ولعلّ ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ، ولعلّ ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهي مرتبة العارفين المحققين من الأولياء قال الله تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي إذا نسيت ما دون الله تعالى عند ذلك تكون ذاكرا لله تعالى ، وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا :

ما إنْ ذَكَرْتُـــكَ إلاهَمَّ يُقْلِقُني ... سِرِّي وَقَلْبي وَروحي عِنْدَ ذِكْراكَ
حَتَّى كَأَنَّ رقيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بي ... إيَّاكَ وَيْحَـكَ وَالـتِّـذْكارَ إيـَّاكَ !
أَوَما تَرى الحَقَّ قَدْ لاحَتْ شَواهِدُهُ ... وَوَاصَلَ الكُلَّ من مَعْناهُ مَعْناكَ

وقال الواسطي ﷺ مشيرا إلى هذا المقام : الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه .

وقال أبو العباس ابن البناء ﷺ في كلام ذكره على مقدم كتاب أبي العزّ تقي الدين ابن المظفر الشافعي ﷺ وهو كتاب « الأسرار العقلية في الكلمات النبوية » : ورأيت هذا الكلام بخطه ﷺ : ومن أحسن الذكر ما هاج في خاطر وارد من المذكور جل ذكره ، وهذا هو الذكر الخفي عند المتصوفة على الاستمرار والتمكن في الأسرار ، وأما قولهم : حتى يتمكن الذاكر إلى حالة يستغرق بها عن الذكر ، فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم .

وبيان ذلك : أن يكون القلب عند الذكر في المذكور فارغا عن الكل فلا يبقى فيه غير الله تعالى جل ذكره ، فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير ، وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به ويده التي . . الخ الحديث . انتهى من ص ٢٩ .

وقال أبو يزيد ﷺ : لو أن العرش في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به ، فقلب هذا صفته لا يحيط بأسراره ولا يعلم ما فيه إلا مواليه .

فعليك يا أخي بالتحبب لأمثال هذه القلوب واخضع لها لعل الله تعالى ينظر إليها نظرة فيراك فيها فيجذبك جذبة هي خير لك من عمل الثقلين .

وذكر في « المكتوبات » الإمام الرباني ﷺ أنه قال : كنت يوما في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا ، فقال الشيخ كمال الذي هو من مخلصي حضرة شيخنا : بسم الله الرحمن الرحيم جهرا حين شرع في الأكل فلم يناسب ذلك منه لحضرة شيخنا حتى قال بالزجر البليغ : امنعوه لا يحضر مجلس طعامنا .

وسمعت حضرة شيخنا يقول إنّ الخواجه النقشبند ﷺ جمع علماء بخارى وجاء بهم إلى خانقاه شيخه الأمير كلال ﷺ ليمنعوهم عن ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه ، فقال في جوابهم : لا أفعل .

فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر فماذا نقول في السماع والوجد والتواجد والأحوال والمواجيد التي تترتب على أسباب غير مشروعة فهي من قبيل الاستدراجات عند الفقير ، فإنّ الأحوال والأذواق قد تحصل لأهل الاستدراج أيضا ويظهر لهم في مرايا صور العالم كشف التوحيد والمكاشفة والمعاينة وفلاسفة اليونان وجوكية الهنود وبراهمتهم شركاء في تلك الأمور ، وعلامة صدق الأحوال موافقتها للعلوم الشرعية مع الاجتناب عن ارتكاب الأمور المحرمة والمشتبهة . « المكتوبات » ٢٧٩ ج ١ .

فصل

في بيان تربية القالب الإنساني

اعلم أيها الأخ المأمون أنّ تربية اللطائف من المهمات الضرورية للسالك الصادق وأن تربية بعض اللطائف في ضمن تربية البعض ، مثلا أن تربية العناصر الأربعة في ضمن تربية القالب الإنساني ، وأما تربية القالب على مقتضى الحديث الشريف من : « بني الإسلام على خمس . . » وذلك أن رعاية الأعمال الشرعية والأركان الدينية في محلها وأوقاتها بشروطها وآدابها بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والسعي بالجد البالغ في حفظ آدابها وأدائها هي تربية القالب .

فبمقتضى حكمة الله سبحانه البالغة يفتح من عالم الأرواح طريق إلى القلب ومنه إلى النفس ومن النفس إلى القالب ، وتنزل جميع الفيوضات من عالم الغيب فترد من عالم الغيب إلى الروح ومنه كذلك إلى القلب ومنه إلى القالب فيظهر له عمل وحال مناسب لاستعداده وحاله ، فإن كان عمله صالحا واستعداده صحيحا صادقا يكون أمره نورانيا .

وإن كان قبيحا يكون ظلمانيا ومن تلك الأعمال الظلمانية والقبائح تحصل للنفس كدورة وظلمة وتنزل منها إلى القلب ثم منه إلى الروح ، فيقع الحجاب للروح ، وعلى مقدار تلك الكدورة والكثافة والظلمة تسد باب الروح من عالم الغيب وينقطع من عالم الغيب مطالعة الروح كما قد ذكرنا في فصل السالك نبذة من هذه ، وذلك إن بزيادة الكدورة والظلمات في الأعمال تزيد كثافة الحجاب للروح من الغيب ، فلا تزال تزيد حتى ينقطع من عالم الغيب بالكلية عياذا بالله ، فإن لم يداركه بالعمل الصالح ونوره ولم يصل الأمداد للروح يصير صما بكما عميا لا يعقلون فيكون متصفا بالأوصاف المهلكة ويحرم عن الحضور المطلوب ، وإن أدرك للروح الإمداد بالعمل الصالح حتى يتنور واجتهد بالسعي الصادق بالعمل الصالح وداوم على الازدياد النوراني فيفتح بفضل الله وسعة رحمته بمقدار صلاحيته الفيض الإلهي والمدد الرباني ، ولا يزال يزيد يوما فيوما حتى يتجوهر ويحصل له القبولية بالترقيات فيفوز بالسعادة السرمدية ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فصل

في بيان تربية النفس

اعلم أيها الإنسان الكامل أن تربية النفس أوّل الجهاد الذي أمرنا ربّنا سبحانه وتعالى غير مرة ، وهو أشد المأمورات وأهم المطلوبات لكونها أعدى الأعداء ، قال رسول الله ﷺ : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » .

ومن تفسير القاضي في تفسير قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ الآية ، قال : من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شَرَه الصِّبا ولم يلحقها ضعف الكبر ، وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طبعها الدنيوي ، مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيا حياة طيبة ويعرب عما ينكشف به الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من الشرازة والنزاع « كشكول » ٢٩٥

وقال بعض العارفين : إن هذه النفس في غاية الالخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباوة ! ينبّهك على ذلك أنها إن همّت بمعصية أو ابنعثت لشهوة فلو شفعت إليها بالله سبحانه وتعالى ثثم برسوله وبجميع أنبيائه ثم بكتبه والسلف الصالح من عباده وعرضت عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تكاد تعطي القياد ولا تترك الشهوة ، ثم إن منعتها رغيفات سكنت وذلّت ولانت بعد الصعوبة والجماح وتركت الشهوة . « كشكول »٢٤٠

وقال محفوظ بن محمود النيسابوري ﷺ : من أراد أن يبصر طريق رشده فليتهم نفسه في الموافقت فضلا عن المخالفات .

وقال أيضا : من أبصر محاسن نفسه ابتلي بمشاوئ الناس ومن أبصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساوئ الناس « نفحات » ١٨٦

فالنفس عدوك المتملق الذي يصاحبك بالتملق على صورة صديقك الأمين دائما مترصدا للفرصة عليك وليس لمكرها نهاية ، وتهذيبها بالأخلاق الحسنة وإتيانها بالقهر إلى منهج الاستقامة من أعظم الجهادات لما أن عداوتها أشد من الشيطان والكفار ، وإرجاع هذه الأمارة إلى صفة المطمئنة أمر عظيم كخرق العادة ، على أن إصلاح النفس من السعادات الكبرى ، وبتربيتها بتهذيبها يحصل معرفة الله سبحنه وتعالى وأيّ نعمة يوازي معرفته سبحانه وتعالى لما أنّ معرفة الله تعالى رأس مال العبد الذي يتنافس الأنبياء والأولياء فيها ، وأن معرفة النفس لدى أهل الحق عبارة عن البخار اللطيف الحاصل من جوف القلب والحكماء يسمونه بالروح الحيواني ، وهذه النفس إذا أطلقت يراد بها الأمارة ، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى غير مرة ، وهي منبع كل شرّ وفساد ومعدن كل أخلاق ذميمة وأوصاف رذيلة ، وحكمها سائر في جميع البدن ، ونفوس الحيوانات بمثابتها .

ولكن سرّ نفس الإنسان ومال رأسها «١» مأخوذة من عالم البقاء ، وذلك أن النفس الإنساني إذا فارقت من البدن يبقى في إحدى الدارين بخلاف نفوس الحيوانات اللاتي ترجع إلى التراب .

ثم إن للنفس صفتين ذاتيتين متولِّدتين من بطن الأم : أحدهما هوائي ، وثانيهما غضبي ، أما من الصفة الهوائية فتتولد منها الشهوة والحرص والطمع وطول الأمل وحبّ الدنيا وأمثالها من الصفات الذميمة ، وأما من الصفة الغضبية فتتولد منها الكبر والعجب والعداوة والحسد والحقد وأمثالها من الأخلاق القبيحة ، وهاتان الصفتان لا تفارقان «٢» النفس مصاحبتان معها دائما ، بيد أن هاتين الصفتين تعينان في محافظة النفس ، فالصفة الهوائية لجلب الخير والمنفعة لها والصفة الغضبية لدفع الضرر عنها ، وهاتان الصفتان وإن كانتا منبع كل تهلكة ورذالة ولكن لا بد للنفس منهما للمصلحة المذكورة ، وتلك حكمة ربانية لا يدرك غورها أحد ، وزوال هاتين الصفتين بالكلية بلا بقاء أثر تورث النقص للنفس عن تحصيل الكمال التام ، وزيادتها بالإفراط تؤدي إلى الهلاك وتورث النقص في العقل والإيمان والدين .

« ١ » هكذا في الأصل ولعله : ورأس مالها .
« ٢ » في الأصل : لا تتفارق من النفس .

فصارت كلّ واحدة منها سببا للآخر للمصلحة الإلهية فسبحان القادر النور ، فإذا كان الحال كذلك إن تربية هذه على حد الاعتدال بمقتضى الطريقة الأحمدية بإتيان الأخلاق الحميدة في مقام الأوصاف الذميمة هي عين الاستقامة ورأس السعادة ، وذلك بأن تبدل الصفة الهوائية بالمحبة الإلهية والشهوة بالعفّة والحرص بالغيرة ، وتبدل الصفة الغضبية كذلك بالشجاعة والسكينة والوقار والعداوة بالبغض في الله والحسد بالغبطة وأمثالها ، والاتصاف بكمال الأخلاق الحميدة للنفس إقامتها على آداب ميزان الشريعة المحمدية ومحافظة الطريقة الأحمدية كما هو المطلوب الأسنى والمرغوب الأعلى ، فإن في إصلاح النفس والقلب والبدن بالاعتدال زيادة في العقل والإيمان والدين فتثمر منها ثمرات الاستقامة ، فترجع من صفات الأمارة التي هي عين الرعونة إلى خلاص المطمئنة التي هي رأس السعادة .

اللهم وفقنا للقيام على آداب السنة والجماعة وارزقنا حسن الاستقامة بفضلك يا الله .

وقال الإمام حجة الإسلام ﵀ : لفظ النفس يطلق على معنيين :

أحدهما : اللطيفة الربانية الروحانية الإنسانية ، لأنه نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله عزّ وجلّ

والثاني : فى المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان ، وهو الجامع للصفات المذمومة وهو الغالب في الاستعمال ، فيقولون : لا بدّ من مجاهدة النفس وكسرها .

واللطيفة التي ذكرناها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت بالنفس المطمئنة قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ ، والنفس بالمعنى الثاني لا يتصور رجوعا إلى الله سبحانه فإنها مبعدة عن الله ﷻ وهي من حزب الشيطان ومذمومة غاية الذم وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » .

وقال بعض العارفين ﵀ في قوله عزّ من قائل : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ ، معناه لا كرامة بالنسب لتساوي الكل في البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى ، والامتياز بالشعوب والقبائل لتعارف الأنساب لا للتفاخر فإنه من الرذائل ، والكرامة لا يكون إلا بالاجتناب من الرذائل الذي هو أصل التقوى ، ثم لما كان التقوى أزيد رتبة كان صاحبها أكرم عند الله عزّ وجلّ أجلّ قدرا ، فالمتقي من المناهي الشرعية التي هي الذنوب في عرف ظاهر الشرع أكرم من الفاجر ، ومن الرذائل الخلقية كالجهل والحرص والبخل والجبر أكرم من المتجنب عن المعاصي الموصوف بالرزائل الخلقية ، والمتقي من نسبة التأثير والفعل إلى الغير بالتوكل ومشاهدة أفعال الحق سبحانه وتعالى أكرم من المندوب بالفضائل الخلقية المحجوب برؤية أفعال الخلق عن تجليات أفعال الحق سبحانه وتعالى ، والمتقي من الحجب الصفاتية بالانسلاخ عنها في مقام الرضا ومحو الصفات أكرم من المتوكل في مقام توحيد الأفعال المحجوب بصفاته عن تجليات صفات الحق سبحانه ، والمتقي من وجوده المخصوص أي أنيّته[١] التي هي أصل الذنوب بالفناء أكرم من الجميع .

إنّ الله عليم بمراتب نفوسكم خبير بتفاضلكم عليم بكرم القلوب وتقواها خبير بهمم النفوس في دعوتها ، وأكرم الخلق على الله ﷻ من كان أبعد من نفسه وهو الأقرب من الله سبحانه وتعالى . انتهى

وقال بعض الحكماء : إن النفس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغني بمحمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضيّ منها عن التهذيب لأن لمحمودها أضداد مقابلة ، يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة ، وإن أغفل تأديبها تفويضا إلى العقل أو توكلا على أن ينقاد إلى الأحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين وأعقبه التوكل ندم الخائبين فصار من الأدب عاطلاً وفي صورة الجهل داخلا « كشكول » ٢٤٦

« ١ » أي من أناه وقوله أنا انا

ثم اعلم أيها الكريم أن النفس هي الحاملة للحس والحركة الإرادية بالقوة الحيوانية ، وهي حائزة للبخار الذي يحصل من الجوهر الجسمي ويعبر عنه بالروح الحيواني ، والصفة الأمارة أول حالها التي تلائم طبيعتها لأنها مائلة إلى الشهوات وجاذبة للسفالة ، وفي هذه الحالة أنها منبع شر وفساد ومعدن الأخلاق الذميمة وأخبث من الشيطان كما قيل :

وَالنَّفْسُ أَخْبَثُ مِنْ سَبْعِينَ شَيْطانا «١» ....

ومن صفة الأمارة ترجع إلى المطمئنة والراضية المرضية بالرياضة والاجتهاد والتهذيب والترويض على أخلاق الله سبحانه وترتقي إلى الدرجات العالية والمقامات الفائقة ، وتصير حينئذ منبع كل خير ومطية كل معرفة وسرّ بعد أن كانت معدن كل فساد وشرّ وحاملة كل رذيلة وضرّ ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

و قال سيدي أحمد بن إدريس الحسيني المغربي ﷺ : قال الله تعالى ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ : عظّم الله تعالى النفس اللوامة وهي التي تذكر ذنوبها فتلزم نفسها ، ولومها نفسها هو قيامتها وهو معنى قول رسول الله ﷺ : « حاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسب » ، فمن حاسب نفسه ولامها فقد أقام قيامته لأن يوم القيامة هو يوم الحساب .

وفي الحديث : كان رسول الله ﷺ في سفر فنزل منزلا فذهب رجل إلى الرمضاء وجعل يتمرغ فيها ويقول لنفسه : ذوقي حر النار جيفة بالليل وبطالة بالنهار وتطمعين أن تدخلي الجنة ، فبينما هو يتقلب في الرمضاء إذ أبصره رسول الله ﷺ فجاء إليه فقال : يا رسول الله غلبتني نفسي ، فقال له ﷺ : « إنّ الله قد باهى بك الملائكة » ، ثم قال ﷺ لمن حضر من أصحابه : « تزوّدوا من أخيكم » فجعل كل واحد منهم يقول أدع لي ، فقال رسول الله ﷺ : « عُمّهم عمّهم » ، وذلك لكونه حاسب نفسه في خلوته ووبّخها ولامها ، فالكيس اللبيب من أكثر اللوم على نفسه وحاسبها قبل أن يحاسب على مثاقيل الذر .

«١» تَوَقَّ نَفْسَكَ لا تَأْمَنْ غَوائِلَها .

اللّهمّ إنا نسألك توبة نصوحا وأن تشغلنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا برحمتك يا أرحم الراحمين آمين . انتهى

واعلم أنّ نفس الإنسان وذاته الذي هو مخاطب ومكلف مأمور منهي بأوامر الله ونواهيه جسماني لطيف ساري في هذا البدن المحسوس سريان النار في الفحم وماء الورد في الورد ، وهو الذي يشير إليه كل أحد بقوله أنا ، وهو الإنسان حقيقة ، وهو الولي والنبي والمثاب والمعاقب على أعماله ، وهو كان في صلب آدم حين سجد له الملائكة ، وهو الذي سأله الله تعالى بقوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، وهو الذي يتوفى في المنام ويخرج ويسرح ويرى الرؤيا فيسرّ بما يرى أو يحزن ، فإن أمسكه الله تعالى ولم يرجع إلى جسده تبعه الروح والجسد الكثيف المعبر عنه بالبدن .

والروح السلطاني محل تعينه هو القلب الصنوبري ، والروح الحيواني محل تعينه هو الدماغ ، ويقال له القلب والعقل والنفس أيضا سرى في جميع أعضاء البدن إلا أنّ سلطانه قويّ في الدماغ فهو أقوى مظاهره ، وهو أي الروح الحيواني إنما حدث بعد تعلق الروح السلطاني ، فهذا الهيكل هو من انعكاس الروح السلطاني ليكون مبدأ الأفعال لأنّ الحياة أمر مغيّب مستور في الحيّ لا يعلم إلا بآثارها كالحسّ والحركة والعلم والإرادة وغير ذلك ، وهذا يدلّ على الروح الحيواني ، فما دام هذا البخار باقيا على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة ، وعند انتفائه وخروجه عن الصلاحية له تزول الحياة ويخرج الروح عن البدن خروجا اضطراريا كذلك قد يخرج منه خروجا اختياريا ويعود إليه متى شاء ، وهو الذي سمّاه الصوفية بالانسلاخ .

فقد عرفت من هذا أنّ مذهب أهل السنة والجماعة أن الروح جسم لطيف مغاير لهذا الهيكل المحسوس وانكشف لك حال الروح ووقفت على أحوال البرزخ وأحوال القبر وما فيه من الألم واللذة الجسمانيين وانحلّ عندك وجه كونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران .

فالشهداء أحياء بالحياة البرزخية متنعمون لأنهم أجسام لطيفة كالملائكة فإنهم موجودون أحياء .

قال الولي الفناري رحمه الله في « تفسير الفاتحة » : كل نعيم يتنعم به الصديقون والشهداء والصالحون في البرزخ خيالي ، وكذا كل عذاب يتألم به الجهنّميون .

ومصداق ذلك أنه إذا نفخ في الصور وبعث الخلق ينسى كل واحد منهم حاله في البرزخ ويتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما تخيّله المستيقظ ، وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ كالمستيقظ هناك ، وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام وأن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة حيث لا نوم فيها ولا نوم بعدها . انتهى كلامه ، قاله في « أسئلة الحكم » ، « روح البيان » ١ في١٧٥

واعلم أن معرفة النفس فرض عين لكل فرد من أفراد الإنسان ، لأن معرفة الرب موقوفة على معرفة النفس لقوله عليه الصلاة والسلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، ونقيضه : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه ، فمعرفة الرب فرض عين ، لأن عبادة الرب تعالى تتوقف على معرفته تعالى ، لأن من لم يعرفه لم يعبده وعبادة الرب فرض عين لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

وكل ما يتوقف عليه فرض فهو فرض ، فمعرفة النفس فرض عين فمن جهل بمعرفة نفسه فهو أجهل بمعرفة ربه ، فلا بدّ من معرفة نفسه حتى يعرف به ربه ويعبده ، ثم اعلم أن من لم يعرف نفسه ما دامت في جسده لا يعرفها بعد المفارقة عن جسده ولا يعرف ربه أيضا ، كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ والحاصل أن معرفة النفس منبع العلوم والحكم ومطلع الفضائل والشيم ومصباح كشف أحوال الملكوت ومشكاة الشهود وأسرار الجبروت ومعارج الوصول إلى حضرة اللاهوت فما يصل أحد من بني آدم إلا بمعرفة نفسه ولم يتخذ الله وليا إلا من اتصف بمعرفة نفسه .

ثم اعلم أنّ معرفة النفس لا تحصل بنظر عقلي ، بل إنما تحصل بنور يقذفه الله تعالى في قلب عبده ، ولا يقذف الله ذلك النور إلا في قلب من تمسك بحبل الشريعة الغرّاء ، وتشبث بذيل السنة العلياء من الرياضات المتعالية والمجاهدات المتوالية بالانسلاخ عن الدنيا بالكلية والتجرد عن القوى الجزئية والكلية وتزكية النفس عن الصفات الرديئة وتوصيفها بالأخلاق الحميدة ، فبعد ذلك يقذف الله تعالى في قلبه نورا من عنده ، وبذلك النور يعرف نفسه ثم يعرف ربه كما قال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ .

فمن ذلك جميع علوم الأنبياء والأولياء والعرفاء بالله تعالى ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

ولا يظن ظانّ أنّ تلك المعرفة تحصل بقراءة الكتب الشرعية ومطالعة كتب الصوفية من غير مجاهدة بالأعمال الصالحة وغير تزكية النفس وتجريدها عن الشواغل البدنية ، فهيهات أن ذلك الظان يعطى له معرفة أو كشف أو شهود . « جامع الأصول » ١٦٠ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷻ في بيان الخواطر الشيطانية والنفسانية : أورد الشيخ في « الفتوحات » أن الشيطان على نوعين : شيطان صوري وشيطان معنوي ، فالشيطان الصوري هو إبليس وهو يلقي في خاطر الناس أحيانا أمرا حقانيّا ، فيتصرف فيه الشيطان المعنوي الذي هو النفس ويجعله أمرا باطلا ، وقد يفعل أمورا يعجز عنها الشيطان الصوري ، مثلا يلقي الشيطان الصوري في قلب شخص فعل سنّة من السنن الحسنة وهو من الأمور الحقانية ، فإنه قد ورد في الحديث : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » فيتصرف فيها الشيطان المعنوي حتى يحثّه على وضع الأحاديث وأن يسندها إلى النبي ﷺ ويسميها سنة حسنة ليعمل بها الناس فيكون له أجر منها وهو غافل عن الحديث الصحيح المتفق على صحته البالغ حدّ التواتر وهو قوله ﷺ : « من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

والمثال الثاني الذي أورده حضرة الشيخ أيضا أن الشيطان الصوري يلقي في القلب مثلا تلاوة القرآن جهرا وهي أمر حقاني ، فيضم إليه الشيطان المعنوي إرادة إسماع الغير ليقولوا إنه قارئ فأبطله بإدخال الرياء والسمعة فيها وأمثال ذلك كثيرة . انتهى

وقال العارف ابن عطاء الله رضي الله عنه في « الحكم » : إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس ، إذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه عن العمل بالأعمال الصالحة وأحال ذلك العمل على فراغه من تلك الأشغال وقال : إذا تفرّغت عملت ، فذلك من رعونة نفسه ، والرعونة ضرب من الحماقة ، وحماقته من وجوه :

الأول : إيثار الدنيا على الآخرة ، وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾

والثاني : تسويفه بالعمل إلى أوان فراغه ، وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لأن أشغال الدنيا يتداعى بعضها إلى بعض ، كما قيل :

فَمَا قَضى أَحَدٌ مِنْها لُبَانَتَه ... ولا انْتَهى أَرَبٌ إلا إلى أَرَبِ

والثالث : أنه ربما يفرغ منها إلى الذي لا يرضيه من تبدل عزمه وضعف نيته ، ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة في جميع الأحوال ما يستحقر في جنبه جميع هذا ، بل الواجب عليه أن يبادر إلى الأعمال على أي حال كان ، وأن ينتهز فرصة الإمكان قبل حلول الفوت و مفاجأة الموت ، وأن يتوكل على الله تعالى في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها وبينه ، وما أحسن قول ابن الفارض في هذا المعنى :

وَعُدْ مِنْ قَرِيبٍ فاستجبْ واجتنب غدا ... وشَمِّرْ على ساقِ اجْتهــادٍ بِنَهْضَــةِ
وكُنْ صارمًا كالوَقْتِ فالمَقْتُ في عَسَى ... وإياك مَـهْـلاً فَـهْـيَ أَخْـطَـرُ علّـةِ
وسِرْ زَمَنا وانهضْ كَسيرًا فحَظُّكَ الـ ... ـبَـطالـة مَا أَخّرْتَ عَـزْمًا لـصِحَّــةِ
وجُدَّ بِسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجُد ... تَجِد نَفْساً فَالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

اهـ .

وقال شيخ شيخنا ﷺ في « جامعه » في ٢٥ : اعلم أن الخواطر هي موازين يحفظ بها الولي بدايته ويخلص بمعرفتها نهايته ، والخواطر أربعة : أولها الرباني وهو مصيب أبدا وبه تكون الفراسة للمؤمن الكامل والمكاشفة عند السالك الصادق ، ويرد بثلاثة تجليات : بالجلال والجمال والكمال ، فإذا ورد بالجلال يمحق ويفنى ، وإذا ورد بالجمال يثبت ويبقى ، وإذا ورد بالكمال يصلح ويهدى .

وللخواطر أربعة موارد : فالخاطر الرباني يرد على الروح ، والملكي على العقل ، والنفساني على القلب ، والشيطاني على الطبع .

واعلم أن الخاطر الأول أبدا لا يكذب ، والثاني أبدا لا يغش ، والثالث أبدا لا يصدق ، والرابع أبدا لا ينصح .

وأكثر ما يرد الخاطر الرباني إذا خرج من الخلوة أو انفصل عن غيبته أو فكر في حقيقته ، وهو المفيد للولي في حال الكمال ويهبه الاستقامة والاعتدال ويكون خارقا للعادة في عالم الغيب والشهادة ، والملكي يرد واعظا وآمرا وناهيا وناصحا ، والنفساني يرد بالكبر والعجلة والغضب والنورانية عند أكل الحرام ومعاشرة اللئام ومجالسة أهل الجدال والكلام ، والشيطاني يرد عند الميل إلى الطبع والفرار من قيود الشرع .

ثم الرباني يبلغ منازل المقربين ويكاشف من اختصه الحق بعلوم الأولين والآخرين ، والملكي يحض على مقام أهل اليمين ويشوق لمنازل الصالحين ، والنفساني يرغب في العاجل ويزهد في الآجل ويدعي في الرتب ويفرد العلة والسبب ويزدري بأحوال المتقين وينزل بالهوى إلى أسفل السافلين ، والشيطاني يعد بالفقر ويزين الأماني ، فاتزنوا بميزان الشرع وتبصّروا يا إخواني . اهـ

وقال أبو عمرو الدمشقي ﷺ : علامة قسوة القلب أن يكل الله العبد إلى تدبيره فيألفه ولا يسأله حسن الكلاءة والرعاية والنبي ﷺ [قال] : « اكلأني كلاءة الطفل الوليد » « نفحات » ٢٠٧

وقال أيضا فيه ٢٦ : واعلم أن للقوم في قطع مسافة النفس والتوصل إلى الحقيقة طريقين ، وهم بحسب ذلك فرقتان : فرقة بطريق الجلاء وهو استعمال الرياضات وتزكية الأخلاق ، فهؤلاء إن أخذوا تلك الأعمال عن شرع فهم الصوفية ، وإلا فهم الأشرافيون من الحكماء الإلهيون ، وفرقة بالاشتغال بالعلوم والبحث ، وهؤلاء إن استندوا إلى شريعة فهم المتكلمون وإلا فهم المشاؤون .

قال أحمد زروق ﷺ : إنّ الفريق الأول يقولون إن النفس في أصل نشأتها كالمرآة صقيلة نظيفة يتجلى فيها كل شيء يقابلها من الماضي الموجود والآتي منه ، لكنها معوّقة عن ذلك بأحد أمرين إما صدأها بصور الأكوان شهودا واعتمادا واستنادا ، أو انصرافها عن المقصود بالتوجه إلى غيره من العلوم والعمليات وغيرها مما يصرفها عن المقصود بانطباعه فيها ، فلو انجلت في الأمر الأول لأبصرت رفع حجابها ، ولو توجّهت في الثاني لرأت نفي احتجابها ، وما دامت معوّقة بأحدهما فهي مصروفة عن المقصود ، فلا يمكن الوصول إليه . اهـ

وقال أيضا : وقال الشاذلي ﷺ : رأس النفس إرادتها ويدها علمها وعقلها ورجلاها تدبيرها واختيارها .

وقال : موت النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة .

وقال : إن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها وما تهوى لما يرجى من حياتها ، وإن من أشقى الناس من يحبّ أن يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد في نفسه بعض ما يريد ، فطالب نفسك بإكرامك ولا تطالبهم بإكرامهم لك ، لا تكلف إلا نفسك .

وقال : ليس شيء أشدّ وأشقّ في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعاني وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى ، وهو موضع الإخلاص والعزيمة على العمل بها وبه يرجى

وهو موضع الصدق ، ونهوض السرّ عن الدنيا وعن كل شيء سوى المولى وهو موضع النية .

وقال حاكيا عن أستاذه : الأنفس ثلاثة : أنفس لم يقع عليها البيع لحريتها وهي أنفس الأنبياء ، وأنفس وقع عليها البيع لشرفها وهي أنفس المؤمنين ، وأنفس لم يقع عليها البيع لخستها وهي أنفس الكفار ، قال : قلت للأستاذ : فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تقدم منهما الشرك ، قال : هما على الحرية وإنما هما كمن أسر وهو حرّ .

وقال : قد أيست من منفعة نفسي لنفسي ، فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي ، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي . اهـ

وقال مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم : علامة خاطر الحق سبحانه أن تطمئن له القلوب والجوارح ، ولا يعرض عليه أحد كائنا ما كان يتسلم ويسترسل وينطلق من قيود الشك والريب . « مقامات بهائية » ٥٤ .

وقال الشيخ علي الواعظ الهروي قدس سره في« الرشحات » عن شيخ مشائخنا علاء الدين محمد العطار قدس الله أسرارهم : لا تكون الخطرات مانعة فإن الاحتراز عنها متعسر ، وإنّي كنت في نفي الاختيار الطبيعي مدة عشرين سنة فمرت خطرة على النسبة ولكنها لم تستقر ، فمنع الخطرات بالكلية أمر قوي عسير ، وذهب البعض إلى أنّ الخطرات لا اعتبار لها ولكن لا ينبغي أن يتركها حتى تصير متمكنة فإن بتمكّنها تحصل السدّة في مجاري الفيض ، ولهذا يلزم على السالك التفحص عن أحواله الباطنية دائما ، وجعل السالك نفسه خاليا بإخراج النفس ظاهرا بأمر المرشد في حضوره وغيبته إنما هو لأجل نفي الخطرات التي تمكنت في الباطن ، وسبب تخلية السالك نفسه أن لكل معنى صورة وهو متلبس بها ، ونفي الخطرات معنى من المعاني وله صورة وهي تخلية السالك نفسه بإخراج النفس ، ولذلك ينبغي للسالك أن يخلي نفسه دائما بإخراج النفس من الخطرات والموانع التي تمكنت فيه . « رشحة » ٧٢

وقال الإمام الرباني ﷺ في « المكتوبات » : إن كل فساد منشأه النفس الأمّارة ، فهو مرض ذاتيّ وسمّ قاتل ومناف لمقام العبودية ، وكل فساد حصل من خارج ولو كان بإلقاء الشيطان فهو من الأمراض العارضة الزائلة بأدنى العلاج ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ، وبلاؤنا إنما هو أنفسنا وعدوّ أرواحنا مصاحبنا السوء ، والعدو الخارجي يستولي علينا بمدده إياه ويزيلنا عن منزلتنا بإعانته إليه ، وأشد الأشياء جهالة هو النفس الأمارة فإنها عدو نفسها ومريدة بالسوء إياها ، وهمتها إهلاك نفسها ومتمناها معصية ربها الذي هو مولاها ووليّ نعمها وإطاعة الشيطان الذي هو عدوّها ، ينبغي أن يعلم أن التمييز بين المرض الذاتي والعرضي ومعرفة الفساد الداخلي والخارجي في غاية التعذر ، وربما يظن الناقص نفسه كاملا بزعمهم أن مرضه عارضي لا ذاتي .

وقال نجم الدين الكبرى ﷺ في« تأويلاته » : كلّ لِين يظهر في قلوب المؤمنين بعضهم على بعض فهو رحمة الله تعالى ونتيجة لطفه مع عباده لا من خصوصية أنفسهم ، فإن النفس لأمّارة بالسّوء وإن كانت نفس الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام . انتهى

وفي هذا الكلام تنبيه على أن الأنبياء وإن كان سلوكهم من النفس المطمئنة إلى الراضية والمرضية والصافية إلى أن بلغوا مبلغ النبوة والرسالة ، لكن نفوسهم متصفة بالأمّاريّة كسائر الناس ، ولكن الله تعالى يعصمهم من مقتضاها فافهم فإنه محل اعتبار وإمعان . « روح البيان » ٣٨١

وقال أيضا فيه : واعلم أن من بذل نفسه وماله في طلب الجنة فله الجنة وهذا هو الجهاد الأصغر ، ومن بذل قلبه وروحه في طلب الله فله رب الجنة وهذا هو الجهاد الأكبر ، لأن طريق التصفية وتبديل الأخلاق أصعب من مقاتلة الأعداء الظاهرة ، فالقتل إما قتل العدو الظاهر وإما قتل العدوّ الباطن وهو النفس وهواها . « روح البيان »

وفي « التأويلات النجمية » : إن لكل قوم عجلا يعبدونه من دون الله تعالى ، قوم يعبدون عجل الدراهم والدنانير وقوم يعبدون عجل الشهوات وقوم يعبدون عجل الجاه وقوم يعبدون عجل الهوى وهذا أبغضها على الله تعالى ، فالله تعالى يلهم موسى قلبِ كلِّ سعيد : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ ، أي ارجعوا إلى الله تعالى بالخروج عما سواه ولا يمكنكم إلا بقتل النفس ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بقمع الهوى لأن الهوى هو حياة النفس وبالهوى ادّعى فرعون الربوبية وعبد بنو اسرائيل العجل وبالهوى أبى واستكبر إبليس ، أو ارجعوا بالاستنصار على قتل النفس بنهيها عن هواها فاقتلوا أنفسكم بنصر الله وعونه ، فإن قتل النفس في الظاهر يسير للمؤمن والكافر ، وأما قتل النفس في الباطن وقهرها فأمر صعب لا يتيسر إلا لخواص الحق بسيف الصدق وبنصر الحق ، ولهذا جعل مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء ، وكان النبي ﷺ إذا رجع من غزو يقول : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ، وذلك لأن المجاهد إذا قتل بسيف الكفار يستريح من التعب مرّة واحدة ، وإذا قتل بسيف الصدق في كل يوم ألف مرة تحيا كل مرة نفسٌ على بصيرة أخرى وتزداد في مكرها ، فلا يستريح المجاهد طرفة عين من جهادها ولا يأمن مكرها .

وبالحقيقة النفس هي صورة مكر الحق سبحانه ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ ، يعني قتل النفس بسيف الصدق خير لكم لأن بكل قتلة رفعة درجة لكم عند بارئكم ، فأنتم تتقربون إلى الله تعالى بقتل النفس وقمع الهوى ، وهو يتقرّب إليكم بالتوفيق للتوبة والرحمة عليكم كما قال : « من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً » ، وذلك قوله تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ « روح البيان » ٩٠

و ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ الخ ، والإشارة في الآيتين إن الذين يزكون أنفسهم من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء ، لا تتزكى أنفسهم بمجرّد تعلّم العلم ، بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهاة والمماراة والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحبّ

الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ، بل الله يزكي من يشاء التزكية ويتهيّأ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية ، وهم العلماء الراسخون والمشائخ المحققون كما يسلّم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديما ، فمن يسلم نفسه للتزكية إلى المزكّي ويصبر على تصرفاته كالميت في يد الغسال ويصغي إلى إشاراته ولا يعترض على معاملاته ويقاسي شدائد أعمال التزكية فقد أفلح بما تزكّى .

والمزكّي هو النبيّ ﷺ في أيام حياته كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه قرنا بعد قرن من الصحابة والذين اتبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا ، ولَعَمْرِي إنهم في هذا الزمان أعزّ من الكبريت الأحمر ، قال الشيخ الحسيني قدس سره في حقه أبياتا لا نوردها هنا . . الخ « روح البيان » ٤٥٠

قال الإمام الهروي قدس سره في « الرشحات » : والقول للشيخ رضي الدين عبد الغفور قدس سره جرى يوما كلام في تحقيق أحوال الجن فقال حضرة المولوي عبد الغفور : أورد الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره في بعض رسائله أنه قد وقع الاختلاف في أن أبا الجن هل هو إبليس أم غيره ، والتحقيق أنه غير إبليس بل إبليس واحد منهم ، وكان أبو الجن خنثى على إحدى فخذيه ذكر وعلى الأخرى فرج ويتولد أولاده من سحق إحدى فخذيه على الأخرى ، ولما كان تركيبهم من النار والهواء اللتين هما ركنان خفيفان فلا جرم غلبت عليهم السخافة والخفة وخصوصا إذا انضمّ عليهما الروح ، فهم في غاية الخفة ونهاية سرعة السيرة وكثرة الحركة ، وتركيبهم ضعيف غاية الضعف يهلكون بوصول أذية يسيرة أو ثقل من بني آدم ، وتكون أعمارهم قصيرة من تلك الحيثية ، فإذا ظهر واحد منهم لشخص بصورة مثالية يهرب عنه مسرعا ويكون غائبا عن نظره .

وقال حضرة الشيخ قدس سره : وطريق حبسهم عن الهرب والفرار عن النظر أن ينصب العين عليهم من غير التفات إلى يمين وشمال ، وما دام النظر منصوبا عليهم لا يقدرون الغيبة عن النظر بوجه من الوجوه ويبقون على مكانهم مثل

المحبوس ، ولهذا يظهرون أنواع الحركات وأصناف الحالات والتخييلات والتسويلات ليصرف الناظر نظره إلى طرف آخر فيتمكنون من الفرار .

قال حضرة الشيخ : إن تعليم حبسهم بهذا الوجه إنما هو بتعليم الله تعالى إياي بطريق الإلهام .

وقال : إن العلم والعرفان قليلان فيما بينهم وإدراكاتهم قاصرة في الأمور المعنوية غاية القصور وخصوصا في معرفة الله تعالى ، ويكون أكثرهم سفهاء وأغبياء ، وليس في اختلاطهم فائدة كثيرة ، بل في صحبتهم ضرر كثير فإنه تحصل عن صحبتهم صفة الكبر في باطن الإنسان لكون تركيبهم من النار والهواء ، والجزء الناريّ غالب في تركيبهم والكبر والترفّه من خواص النار .

ولهذا قال إبليس في أول ما أظهر الكبر : خلقتني من نار ، وقال : إن بعض الإعصار[١] الكائن في الصحراء إنما يحصل من أثر مضاربتهم ومحاربتهم ، وهو فيما بين ذلك الإعصار يحارب بعضهم بعضا وتكون الفتنة والمجادلة والمحاربة كثيرة فيما بينهم ، وذلك بسبب تجبّرهم وتكبّرهم اللذَيْن هما لازمان لذاتهم ، فإذا مات أحدهم ينتقل إلى البرزخ ولا يمكنه الرجوع إلى النشأة الدنياوية ثانيا ، ويكون في البرزخ إلى الحشر ، ثم إذا استحق واحد منهم عذاب جهنم يعاقب بالزمهرير لقلة تأثره من عذاب النار وإن أمكن تعذيبه بالنار ، فإن حرارة نار جهنم زائدة على حرارة النار العنصرية بمراتب كثيرة وشديدة في الغاية . « رشحات » ١٣٠ .

« ١ » الريح التي تحمل غبارا كثيفا .

فصل

في تربية القلب

اعلم أيها الرشيد المسترشد أن فِي الإنسان مضغة إذا صلحت صلح البدن كله وإذا فسدت فسد البدن كله ، ألا وهي القلب .

فاعلم أيها الأخ أن القلب في بدن الإنسان بمثابة العرش الأعظم ، وجهة النسبة من هذه الحيثية كما أن العرش الأعظم صفة الرحمانية التي هي مظهر الاستواء بمقتضى قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ، كذلك قلب الإنسان محلّ ظهور استواء الرحمانية ، لكن ليس للعرش ترقٍّ والقلب قابل للترقي فافهم ، وصفة العرش استواء الرحمانية عليه ، ومن هذه الجهة متى حصلت الإفاضة إلى عالم الأجسام بالفيض الإلهي من صفة الرحمانية فقابله هو العرش فتدبّر فإنه دقيق .

وللعرش وجهان ينظر بأحد الوجهين إلى عالم الملكوت والوجه الآخر إلى عالم الأجسام ، فالوجه الناظر إلى عالم الملكوت يقبل الفيض من الحق سبحانه وتعالى وهذا الفيض يعمّ الجسمانية بالجملة .

فالحاصل أن لجميع الجسمانيات نسبة مع العرش ، والفيض الإلهي يصل من هنالك بسبب تلك المناسبة على قدر الاستعداد ، فإن تعطلت النسبة بالكلية لحظة ولم يصل الفيض تنعدم جملة الجسمانيات في الساعة .

كذلك إن للقلب أيضا وجهين : أحدهما إلى عالم الأرواح والآخر إلى عالم الأجساد والقلب وفيض الروح مع نوره إلى عالم الأجساد ومنه ينتشر إلى جميع البدن .

فالحاصل أن من القلب مجرى إلى جميع الأعضاء ، ومنها يصل النصيب إلىجملة البدن ، وهذا الفيض إن انقطع بالكلية من القلب إلى البدن يهلك البدن في تلك الساعة ، أو انقطع ذلك الفيض من العضو لحظة يتعطل ذلك العضو بلا مرية .

فبناء على المذكور أن تربية القلب وتصفيته أن تخلصه من الخواطر الرديّة وتوجهه إلى الحق سبحانه وتعالى بقطع النظر عن السوى وتخليصه لله تعالى ، وللقلب أطوار لا يعدّ ولا يحصى ، وفي حق وصف قلب الكامل ورد الحديث القدسي : « بل وسعني قلب عبدي المؤمن » .

وحقيقة توجه القلب إلى جناب الحق سبحانه وتعالى وعلامة سجوده له هو أن يميل من جميع المخلوقات ويصرف عن التعلقات الكونية ولذاتها بحيث لا يبقى له منها أثر ونصيب ، ويرجع بكليته إلى الحق سبحانه وتعالى بكيف لا يحسّ معه تعالى بشيء من السوى بحيث لا يكون له مراد ما سوى الحق تعالى ، وأن يفني أوقاته في الخدمة والعبودية بلا فراغ لحظة ، وذلك هو التوحيد المقصود .

وإن تربية السرّ منوطة بتربية القلب فإن كملت تربية القلب كملت أيضا تربية السرّ بمقداره ، لما أن محلّ السرّ ومنشأه أيضا هو القلب من جهة والسرّ نور عين القلب فتدبر والله تعالى يتولاك .

ثم اعلم أيها المسترشد الموفق أن التسمية بالقلب على طريق التجوز ، وإلاّ فليس المراد من القلب قطعة اللحم الموجود في الجسد لما أن تلك القطعة موجودة في كل حيوان .

ومعلوم لكل عاقل لبيب وكامل أديب أن حامل أسرار الله سبحانه و تعالى ليس مجرد تلك القطعة اللحمية ، وهي أحقر من أن تكون محلاّ للأسرار الإلهية ، بل القلب المقصود هنا النفس الناطقة التي هي مرآة الروح ، وهو مظهر الصفات الكمالية ومعدن الأسرار الربانية الجامع فيها من الأوصاف والشؤون اللاهوتية والحائز للأحوال الكونية ، وهو مرآة الروح الإلهي الذي هو مدبر بدن الإنسان وراعيه ، والمحمول بالقلب من البخار اللطيف فهو عبارة عن الروح الحيواني ، وأما القلب السابق الذي هو مظهر السر الإلهي فهو عبارة عن القلب الوارد في الحديث القدسي : « بل وسعني قلب عبدي المؤمن . . » الخ . اهـ

وقال في « الحكم العطائية » : أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول ، الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم إلى قسمين : أنوار أذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط ، و أنوار أذن لها فى الدخول إلى صميم القلب وسويدآئه ، فالأنوار الواصلة إلى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربّه ودنياه وآخرته ، فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه ، وطورا يسعى في العمل لآخرته وطورا يعمل في أمور دنياه .

والأمور الداخلة إلى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها إلا وجود الله ﷻ ، فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد إلاّ إيّاه .

قال بعض العارفين : إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محبّا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه ، فإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه . اهـ في« حكم » ٣٤ « جواهر » هامش

وقال الشيخ أبو الحسن الخرقاني قدس سره : إن أنور القلوب قلب لا يكون فيه ما سواه تعالى ، وأفضل الأعمال عمل لا يكون فيه فكر رؤية المخلوقين ، وأطيب الرزق ما يكون بسعيك ، وأفضل الرفقاء من يكون عيشه بالله . « رشحة » ١٥ .

قال بعض العارفين : إن كل آية في القرآن جاءت في القيامة الكبرى تشير معانيها إلى القيامة الصغرى حتى كأنها هي ، ومما يؤيد فهم العارفين لتلك المعاني الإشارية ما نقل عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما سئل هل خصّكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : ليس عندنا إلا فهم في كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة ، وليس في الصحيفة إلا مسائل معدودة لا تعلق لها بالمعارف ، وإنما الشأن كله في كتاب الله الذي تنزل على القلوب الصافية من الأغيار ، فرّغ قلبك من الأغيار يملأ بالمعارف والأسرار ، كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك ، العمل المشترك لا يقبل والقلب المشترك لا يقبل عليه ، ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب

محشوّاً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فنزول القرآن قد مضى والنزول على قلوب الأولياء باقٍ إلى يوم القيامة .

بل العارفون يجدون في قلوبهم تأثرا وعبرة من كل الأكوان ، ليس شيء إلا وهو يدعوك إلى مولاك بلسان حاله ويناجيك في سرّك إن كنت من أهل الأسرار . « تقريب الأصول » ١٢٣

والمراد من القلب هو القلب الحقيقي ، وهو عبارة عن اللطيفة الداركة للكليات والجزئيات المتوسطة بين روح الأمر والنفس الناطقة ، وهذا القلب كله لسان يتكلم به وكله بصر يبصر به وكله سمع يسمع به وكله مدرك يدرك به ، وهو وأخواته من الروح والسر والخفي والأخفى من عالم الأمر أي من فوق العرش ، لأن عالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال وعن الجهة والمكان ، وعالم الأمر هو الذي خلقه الله تعالى بأمر كن ، أي بمجرد التجليات الإرادية من غير مادة أي من غير عنصر سوى التجليات الإرادية . « تحفة الأحباب »

وقال ترجمان الحقيقة الشيخ السهروردي ﷾ في « العوارف » : وفي الخبر : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات » والقلوب الصافية التي كَمُلَ أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة ، والله تعالى حرس السماء من تصرّف الشياطين فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان إليه ، فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان ، والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات ، وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخلف شيء من ظلمة النفس ، وبقدر ذلك يقل الهاجس إلى أن يتجاوز السموات ويقف أمام العرش ، فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب « عوارف المعارف » .

تتمة لا بأس بإيرادها هنا : قال الخوارزمي في « المفيدة » : إحضار القلب في الصلاة وغفلته لوجهين : أحدهما ظاهر والآخر باطن ، أما الظاهر فأن يصلي في موضع يبصر شيئا أو يسمع شيئا فيشتغل قلبه بذلك ، فعلاجه أن يصلي في الخلوة بحيث لا يسمع شيئا ، ولا يكون فيها نقش ولا كتابة واتخذت العبّاد الزوايا في بيوتهم حفظا لقلوبهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد أن يصلي يخرج السيف والمصحف والمتاع عن بيته فإن كان له شغل فالتدبير أن يقدم ذلك الأمر حتى يفرغ قلبه للصلاة ولهذه الدقيقة قال ﷺ : « إذا حضر العشاء والعِشاء فابدؤوا بالعشاء » ليدخل في الصلاة على بصيرة فارغ القلب ويحضر قلبه للذكر أيضا وقراءة القرآن فإن غلب أمر على قلبه فليشغل قلبه بالذكر فإن لم يندفع فالعلة صعبة فلا بد من تناول مسهل ، والمسهل ترك ذلك الأمر بالكلية فإن لم يطق ذلك فلا يبرأ عن هذا المرض أبدا فإن لم يندفع أبدا فيكون مثاله مثال من جلس تحت شجرة تأوي إليها العصافير ويصوتون فيعدّ حصا لينفر به العصافير كي لا يسمع أصواتهم فهو سوداء وماليخوليا« ١ » فإنهم يطيرون وعن قريب يعودون فإن أراد أن يتخلص منهم فالتدبير أن يقطع الشجرة جتى ينجو منها شاتان وخروف والمعنى معروف . انتهى « مفيد العلوم »١٦٦

« ١ » نوع من أمراض العقل والدماغ .

فصل

في بيان تربية الروح

اعلم أيها المستمد من كمالات الأولياء أنا ذكرنا اللطائف في هذا الكتاب وفصلناها أيضا في كتابنا « بغية الصّعلوك في آداب السلوك » ، لكن لما كانت كيفية تربية كل لطيفة مستقلة لم نجد بدّا من ذكرها ونفصل بعضها ثانيا إن شآء الله تعالى .

اعلم أن روح الإنسان من عالم الأمر وفي حق قربه للحق خاصية ليست لباقي الموجودات ، فعالم الملك قائم على عالم الملكوت ، وعالم الملكوت قائم على عالم الأرواح ، وعالم الأرواح قائم على روح الإنسان ، وروح الإنسان قائم على صفات الحق الحي القيوم ، وجميع المظاهر من عالم الغيب وعالم الشهادة جميع وجودها بالوسائط إلا الوجود الإنساني ، فوجود الإنسان بلا واسطة وليس لوجود روح الإنسان واسطة ، بل ظهوره بأمر (**كن**) ، وكذلك إن قالب الإنسان وعجينه وجوده بلا واسطة بتشرفه بالحديث القدسي : « خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحا » .

وأما البدن فممتزج بالروح بمقتضى قوله تعالى : ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ بإضافته إلى نفسه سبحانه وتعالى بلا واسطة ، يعني بنسبة الروح إلى نفسه تعالى بقوله تعالى ﴿مِن رُّوحِي﴾ ، وهذا أمر شريف ودقيق عجيب .

والآن : إن تربية الروح وكمالها تزيينه بصفات الربوبية من العلم والمعرفة الإلهية والحلم والكرم وأمثالها من الأخلاق المرضية الإلهية حتى يستحق صاحبه لأن يكون خليفة للحق سبحانه وتعالى ، فيلزم من أوّل الأمر إرضاع الروح بلبن الطريقة والحقيقة والمعرفة من ثدي النبوة والولاية ، ويلزم أيضا أن تكون تربية الروح من الرسول أو من القائم مقامه من كمل الأولياء ، فإن لم تحصل التربية بالكيفية المذكورة لا يحصل الفوز والفلاح .

فبسبب ازدواج الروح بالبدن يتيسر بينهما الألفة والأنس ، لكن التعلق بينهما بواسطة الحواس الظاهرة والقوة الباطنة ، وأوصاف البشرية ينقطع بالتدريج لكونها حجبا للروح بعضها نوراني وبعضها ظلماني ، وإنها أسباب للروح للقربية والبعدية ، ويحرم بها عن مشاهدة جمال الحق وجلاله سبحانه وتعالى .

فإذا زال سبب من تلك الأسباب المذكورة من الروح يحصل القرب للروح إلى الحق سبحانه وتعالى بمقدار زوالها فتدبر ، ويشم لمشام البدن من الأنس بالحق ذوق سبحان القادر النور ، فيتخلّص من التعلقات والموانع ويتّصف بالطهارة والصّفاء على الفطرة الأصلية ، وفي هذا المقام أن الروح بتخلّصه من التعلقات كالموانع والعوائق ونجاته من الآفاق والأنفس يتيسر له المطالعة للآيات البينات ويكون قادرا للنظر فيها ، ففي أي شيء وقع النظر يشاهد له الآيات للحق سبحانه وتعالى كما قيل :

فَفي كُلِّ شَــيءٍ لَــهُ آيَةٌ　　　تَــدُلُّ عَلى أَنَّــهُ الواحِدُ

ويظهر له سرّ قول : « ما نظرت شيئا إلا ورأيت الله فيه » ، فحينئذ يتيسر للروح العروج إلى مقام الفناء في الله بترقي المحبة والمعرفة ، فيبقى جميع التعلقات وراء نار المحبة وتتابع له المدد بالجذبة الإلهية فيصير صاحبه في جملة الرجال ، جعلنا الله وإياكم من الذين صفت أرواحهم وزكت آمين .

ثم اعلم أيها الطالب السعيد أن روح الإنسان نازل من عالم الأمر إلى قلب الإنسان الذي هو الروح الذي حامل اللطيفة المدركة ، وهو ربما يتعلق ببدن الإنسان وربما يقطع التعلق ويتجرد عن كل شيء ، ومعنى هذا ظاهر لأهله أهل الذوق اكتفينا عن ذكره وهو حادث باق ولا ينعدم بالموت ولا يفنى به ، ومن قال بقدمه كفر عند الفقهاء ، والروح هي لطيفة نورانية ملكوتية وهي باطن القلب وألطف منه ، وإذا احتجبت الروح عن مراعات القلب أساءت الجوارح الأدب ، لأن القلب والنفس والجوارح كلها لا تعمل عملا بدون مراقبة الروح . « تحفة » .

لطيفة لا بأس من إيرادها هنا : قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم ﷺ في « كتاب الروح » : إن للروح شأنا آخر غير شأن البدن ، فيكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم على صاحبها ردت السلام وهي في مكانها هناك ، انتهى نقلا من السيوطي ﷺ في كتابه « المنجلى » .

وقصة الإمام الخطيب الشربيني ﷺ مشهورة متواترة عند العلماء المصريين أنّه خطب وصلّى الجمعة في أربعين مسجدا في جمعة واحدة . اهـ من كتاب « هدية الذاكرين وحجة الناظرين » للشيخ يوسف الطرَبِزُوني ﷺ ، راجع السهلي ٨٠ الله يتوفى الأنفس .

فصل

في بيان تربية السر

والسر هي لطيفة ربانية جبروتية وهو باطن الروح وألطف منها ، ومرتبة السر محل دخول السالكين إلى عالم الجبروت ، وطريق الدخول في عالم الجبروت أن السالك يدخل أوّلا في مرتبة قلبه ويقطع تلك المرتبة ، ثم يعرج منها إلى مرتبة الروح ويقطعها أيضا ، ثم يعرج منها إلى مرتبة السر ثم يعرج من مرتبة السر إلى مقام المشاهدة عالم الجبروت .

وهذا الأمر مما لا يقف عليه كل أحد وإنما يقف عليه حذاق السالكين الذين كثر سلوكهم في هذا الباب دخولا وخروجا . « تحفة » .

فصل

في بيان تربية الخفي الذي هو سر الروح

اعلم أيها المتشرف بصحبة السادات أن الخفيَّ المعبر عنه بسر الروح مقام عظيم ، ولا يليق أن تمد إليه يد كل أحد لارتفاع مقامه إلا أيدي الخواص الذين منَّهم الله تعالى بالطبع السليم والعقل المستقيم ، ومعرفة تربيته من ضروريات الطريقة العلية ، وذلك أن وظيفة الروح في هذا المقام أي في مقام السر أن تُنْزل سره في عتبة الحضرة سبحانه وله الحمد ، وأن لا يرفع الرأس منه وينصرف من جملة الأغيار والتعلقات الغيرية الكونية إلى حضرته بفنائه فيه بالفناء الكلي ، ويخرج عن جميع الإرادات الغيرية حتى يتمحض للذات البحت الصرف ، وأن يطلّق الدنيا وضرتها بالطلاق الثلاث بحيث لا رجعة فيها ، ولا ينزل همته عن الدرجات العالية والمقامات الشريفة بكيف لو عرض عليه جميع خزائن الكائنات لا يلتفت لأجلها ولو بمجرد الميل إلى جهة ، حتى يصير محمدي المشرب باختيار العبودية والفقر الصرف بلا مفارقة عن متابعة الحضرة الجلالية .

وأن لا يخرج قدمه خارج دائرة الفقر والعبودية ولو هتف له هاتف الحق بنداء : يا عبدي سل ما شئت تُعْطَ فإني قريب ألف مرة ، لا يجيب إلا بطريق الإخلاص : أنت المراد يا ربّ ، ويستحق أن يقول حينئذ : لا موجود إلا الله .

وفي هذا المقام أن الترقي في فنائه في الله وخروجه عن أثر نفسه ، ومراعاة الأدب مع الحق في هذا المقام واجب ضرورة ، وأن جميع الأنبياء والأولياء في هذا المقام عاجزون متحيرون لم يجدوا من أمرهم إلا تحيّرا ، وهذه المرتبة السنية لا يتجاوزها بالأقدام ولا بكثرة الأموال والأنعام سوى بالعجز والانكسار والتضرع ولا يجد لهم المدار إلا بها ، ومقصود العاشق ومرغوبه إلى معشوقه يظهر في هذا المقام ، ولا يفيد شيئا هنا بالقال والقيل إلا بالاضطراب من الغريب ولا ينال الغاية إلا بذلك الحال الحقير الكئيب كما

قال في أحسن كلامه وهو أصدق القائلين : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ بالوعد الكريم ويتوجه بالهمة الرفاعية إلى جمال الصمدية ليحصل له جذبة من جذابات الحق التي توازي عمل الثقلين .

وبهذه البشارة ينال العاشق الغريب إلى مدده فيتيسر له الصعاب ويهون له العتاب فتصير تربية الروح وترقيه جذبة ربانية ولسان حال صاحبه ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ، فيفوز من هذه الدولة العظمى وتتزايد له الكرامات وتنحصر فيه الكمالات ، والله يقضي بالحق لمن يشاء وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم إن الخفي هو لطيفة ربانية مودعة في الإنسان بالقوة ، ولا يحصل في الروح بالفعل بل يحصل بغلبة الواردات الربانية ، ثم بإفاضة الفيوضات الإلهية وتجلّي الصفات السبحانية تقع القبولية لله سبحانه بواسطة الروح ، وهو لطيفة لاهوتية ملازمة بعالم الصفات وهو باطن السر وألطف منه ، ومرتبة الخفي مرتبة الحيرة والاستغراق « تحفة » .

فصل

في بيان الأخفى

اعلم أن الأخفى سرّ إلهي مخصوص لله سبحانه وليس للعبد فيه مدخل ، كالعلم المشتمل على جميع الحقائق على ما هي عليها ، ويقال له سر السر وسر الغيب .

وهو لطيفة لاهوتية أيضا لكنه ملازم بعالم الذات ومظهر لتجلياتها ، كما ورد في الحديث القدسي : « إن في جسد بنى آدم لَمُضغة وفي المضغة فؤادا وفي الفؤاد سرا وفي السر خفيا وفي الخفي أخفى وفي الأخفى أنا » .

وإنما سمي أخفى لكونه أبلغ في الاختفاء من الخفي وألطف منه وهو باطن الخفي ، والباطن من هذه اللطائف أكبر من الظاهر على خلاف العادة .

ولما وصل السالك إلى مرتبة الأخفى يكون جميع اللطائف متحدة مع الأخفى لكون تلك اللطائف حقيقة واحدة في الأصل ، لكن بحسب الأطوار والمراتب تكون متعددة من عالم الأمر كما ذكرناه في فصل القلب « تحفة » .

فصل

في بيان اللطائف ومقاماتها وما يتعلق بها

اعلم أيها الإنسان الكامل وفقك الله تعالى بالتحلي أن الله تعالى خلق الإنسان وعلمه البيان ، وجعله محلا للحكمة والعرفان ، وأكرمه بالعقل والكمال وخصه للجمال ووضع هذه الحكمة وفصل الخطاب في اللطائف بأدقّ البرهان ، وإنما كمالة الإنسان باللطائف لأنها محل المعارف ، فلذلك واظب أرباب القلوب من السادات على رعاية الآداب في تصفية لطائفهم علما منهم بأن تصفية الباطن وتنوّره بتجوهر اللطائف وتنوّرها .

ومن المعلوم لكل نجيب ونقيب بأن نوع الإنسان معجّن ومخمّر من أربعة باتفاق الصوفية : جسد وقلب وروح وسر ، وأما عند الإمام الرباني ﷸ فمجموعة من عشرة ، خمسة منها من عالم الأمر وهو : قلب وروح وسر وخفي وأخفى ، وخمسة من عالم الشهادة وهو : العناصر الأربعة من الماء والتراب والنار والهواء والنفس

والعوالم أربعة : عالم ناسوت وعالم ملكوت وعالم جبروت وعالم لاهوت ، فعالم ناسوت يتعلق بالجسد ، والجسد مركّب من العناصر الأربعة كما ذكرنا ، وعالم ملكوت من السماء وما فيها يتعلق بالقلب والقلب منبع الأسرار ومعدن الأنوار ، وعالم الجبروت من عالم الأرواح يتعلق بالروح والروح محل معرفة الله تعالى ، وعالم اللاهوت من ما وراء العرش يتعلق بالسر والسر محل المشاهدة ، رزقنا الله تعالى مشاهدة تتبعها مكالمة آمين .

فمراتب مظاهر إلهية ثمانية : عالم ملك مظهر عالم ملكوت ، وعالم ملكوت مظهر عالم جبروت ، وعالم جبروت مظهر أعيان ثابتة ، وأعيان ثابتة مظهر أسماء إلهية ، وأسماء إلهية مظهر صفات سبحانية ، وصفات سبحانية مظهر أحدية أي الوحدانية والألوهية ، والأحدية مظهر وحدة الذات اسم شريفي مسمياتي ، ووحدة ذاتي مظهر هوية مطلقة وذات حق وذات بحت .

وأما لطيفة النفس أي لطيفة جسم الإنسان والنفس الحيوانية فالمراد منها هي النفس الأمارة ، وتسميتها بالأمارة لكون مجموعها من العناصر الأربعة التي تكونت دما حارا من امتزاجها ، فمن ذلك الدم يحصل بخار حار لطيف له قوة مؤثرة وهو منبع شهوة ومعدن غضب ومجموعها من عالم الخلق ، وأما ما كان من عالم الأمر من اللطائف الخمسة .

فأولها قلب الإنسان كما ذكر آنفا وموضعه تحت الثدي الأيسر بمقدار أصبعين مائل إلى الخلف ومودوع في السويداء ، وهو نقطة كنقطة العين بمقدارها وهو منبع أنوار ومعدن أسرار ، وهو تحت قدم أبينا آدم عليه السلام المستفيض من نبينا محمد ﷺ ونوره أصفر ، وحقيقة القلب لطيفة مضيئة مودعة في القلب وهي محل الأخلاق المحمودة آمر بالخير عارف بالله تعالى .

وثانيها روح الإنسان ويسميها بالنفس الناطقة ، وليس له حلول في محل ولا نزول في مكان ، لكن تعلق اللطيفة الربانية ومحل تنزلها هي السويداء ومحله تحت الثدي الأيمن ، وهو تحت قدم نوح وإبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام« ١ » المستفيضان من نبينا محمد ﷺ ونوره أحمر ، وحقيقة الروح جسم لطيف بل هي الروح بعينها التي تتردد في تجاويف أعضاء الإنسان .

وثالثها سر الإنسان وهو القوة الشريفة الحاصلة في قلب الإنسان وهو محل المشاهدة ، وموضعه فوق الثدي الأيسر تحت قدم موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام المستفيض من نبينا محمد ﷺ ونوره أبيض ، وحقيقة السر لطيفة من نور الله مودعة في القلب هي محل المشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبة والقلوب محل للمعارف ، والسر ما لك عليه إشراف وسر السر ما لا اطلاع عليه لأحد غير الحق .

« ١ » وقد ذكر في « التحفة المرضية » ما نصه هذا : ألا ترى إن إبراهيم عليه السلام لما لم يدبر لنفسه ولا اهتمّ بها بل ألقاها إلى الله تعالى وأسلمها إليه وتوكل في شأنه عليه كانت عاقبة الاستسلام وجود السلامة والإكرام وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته وأن نرعى حق تسميته بقول تعالى : ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين﴾ فحق على كل من كان إبراهيميا أن يكون من تدبير نفسه بريأ ومن منازعة ربه خليا والمراد أن لا يكون لك مع الله تعالى مراد .

قال بعض العارفين على لسان هواتف الحق :

مرادي منك نسيان المرادِ إذا رمتَ السبيل إلى الرشادِ

ورابعها الخفي وهو المكنوز بالقوة في الروح الإنساني وهو سر سبحاني ، فإذا كمل سر الإنسان بتجوهره يظهر من القوة إلى الفعل ، وموضعه فوق الثدي الأيمن تحت قدم عيسى على سيدنا وعليه الصلاة والسلام المستفيض من نبينا محمد ﷺ .

وخامسها الأخفى وعلمه مخصوص لجنابه سبحانه وتعالى ، فإن فرض كشف بعض أحوال الحقائق التي لا يتناهى لكان متعلقا بالروح الرباني بمجرد فرضه فقط ، وإلا فليس في ذلك العلم نصيب لغيره سبحانه وتعالى ، ومحله وسط الصدر تحت قدم نبينا محمد ﷺ ونوره أخضر .

ونذكر ثانيا بعض تعلقات اللطائف تفصيلا إن شاء الله تعالى ، وإن من اللطائف لطيفة شريفة أخرى وهي مرآة للمكاشفة وإن أهل المكاشفة يستفيدون المعاني منها ، لكن إنها معدودة من اللطائف الخمسة ونموها من حضرة المثال وهي مودوعة في دماغ الإنسان وهي قوة ومرآة نامية ، وأكابر القوم يسمونها بحضرة الخيال .

ثم اعلم أيها الأخ الصالح أنا ذكرنا محل اللطائف تغليبا للأغلب ، لكنها أغلبيّ لا كلّي ، وذلك أن بعض السادات من المشائخ يقولون إن اللطائف الخمسة بعضها تحت الأيسر ، وبعضهم تحت ذلك بقليل وبعضهم فوقها وبعضهم حذاءها ، ولم يعينوا موضعا مخصوصا وليسوا متفقين في حقها ، بيد أن من كان أهل الذوق والبصيرة يظهر له بأدنى تأمل موضعها .

فالحاصل أن نورانية هذه اللطائف ولطافتها لما كانت متعلقة ومقارنة للهيكل الجسماني الظلماني ينبغي الاجتهاد في إرجاعها إلى الكمال والسعي لإيصالها إلى موضعها بتخليصها عن الرذائل النفسانية ، ولا يحصل هذا إلا بالسلوك على يد مرشد كامل ، فإذا سلك على يد ذلك الكامل فينقلب الغفلة إلى الحضور حتى يحصل له الغيبة عن وجوده ، ذلك الفضل من الله ، ويعبَّر على قانون المشائخ لهذه الحالة بالحضور الصافي .

ثم إن اللطائف تتعلق بعضها بعضا وذلك أن السر متعلق لعالم الأمر والروح متعلق لعالم الأرواح والقلب متعلق لعالم العرش والكرسي .

ولذلك يقال في اصطلاح السادات : إن القلب من عالم الجنة والنفس من عالم الدنيا وهو من عالم الكون والفساد .

ثم إن السر اثنان : سر ظاهر وسر باطن ويعبر عنه بسر السر ، أما السر الظاهر فهو مظهر الذاتي الواحدي والجمعي ، وهذا السر غير الروح السلطاني لما أن الروح السلطاني مظهر تعيين الثاني وصفاتي وواحدي وفوقي وروح حيواني ، وهو مظهر تعيين ثالثي وفعلي وسفلي .

وأما سر السر ويقال له أيضا غيب السر وسر أخفى ، وهو مظهر الوجود البحت المبرأ عن جميع التعينات السلبية والإيجابية مطلقا ، ولأجل ذلك يقال : إن النفس تابعة للقلب والقلب تابع للروح والروح تابع للسر ، وظاهر الإنسان من عالم الملك مقيد بالمكان والجهات وباطنه من عالم الملكوت وهومطلق عن جميع القيود ، فقلب الإنسان الكامل مبرأ ومعرى من الزمان والمكان .

فريدة في بيان نقل الذكر في اللطائف : اعلم أيها الأعز أن السالك بمواظبته على الذكر القلبي على طبق اصطلاح أرباب القلوب برعاية آداب النسبة الشريفة يسري ذلك الذكر من القلب إلى الروح ، ومنه ينتقل بالسراية تدريجا إلى لطيفة السر ، ومنه ينتقل إلى اللطيفة الخفي ، ومنه إلى الوطن الأصلي الذي هو سويداء قلبه رجوعا ويعبر عن هذه المرتبة بالأخفى .

وقد وقع الاختلاف بين مشائخ بخارى ومشائخ سمرقند قدس الله أرواحهم في خصوص سير اللطائف كما أشرنا إليها قبيل هذا .

أما مشائخ بخارى يقولون : سير اللطائف ابتداء من الجانب الأيمن ثم من الجانب الأيسر ثم من الأيمن والأيسر ، ومشائخ سمرقند يقولون : إن ترتيب مشائخ بخارى خطأ وغلط ، لما أن القلب إنما هو تحت الثدي الأيسر وهو أولى للنظر الإلهي ، ورجوعه إلى مبدأه أولى وأليق وأنسب .

ولما سئلوا عن اعتراضهم على مشائخ بخارى وسبب إراءتهم بعكس ما رأوهم أجابوا : إن القلب مظهر الكمالات الغير المتناهية ، ومنه بدأ الأمر وإليه يعود والأمر لما بدئ من القلب فرجوعه إليه أنسب ، إذ كل شيء يرجع إلى أصله .

جوهرة في بيان تربية اللطائف : ثم اعلم أن كلام الله تعالى وأحكام رسوله ﷺ متعلقة بعضها لقالب الإنسان وبعضها للقلب وبعضها للنفس وبعضها للروح وبعضها للسر ، أما ما كانت متعلقة للقالب فهي الأحكام الشرعية ، وما كانت متعلقة للنفس فهي أحكام الطريقة ، وما كانت متعلقة للقلب فهي أحكام الأحوال ، وما كانت متعلقة للروح فهي أحكام المعرفة ، وما كانت متعلقة للسر فهي أحكام الحقيقة ، فافهم فهذا دقيق .

ولما كانت تربية اللطائف من أربى المهمات وأسناها تحقق أن منزلة الإنسان عند الله تعالى وكماله ومرتبته يكون على قدر كمال تربية لطائفه وتجوهرها بتنورها .

ثم اعلم أيها الأخ الأسعد جعلك الله تعالى وإيانا في زمرة السعداء الصالحين أنه لا بدّ للسالك والمريد الصادق من المداومة على الذكر ودفع الخواطر النفسانية ومحافظة النسبة الشريفة ليتنور باطنه ويتصفى ويتوجه إلى الله تعالى بالكلية ، فإذا صفا باطنه فيظهر من الباطن علامة من الأنوار المختلفة وينكشف له لكل لطيفة نور مخصوصا ، وهذه الأنوار أغلبية لا كلية كما ذكرنا في هذا الفصل فللقلب نور أصفر وللروح نور أحمر وللسر نور أبيض وللخفي نور أسود وللأخفى نور أخضر .

وهذه الأنوار تظهر للسالك أوّلا بالمشاهدة ويعبر عنها في اصطلاح السادات بالسير الأنفسي وبعضهم يعبرون بالسير الآفاقي ، وذلك أن النور المتصل بالعرش يسمى بالآفاقي وما جاوزه يسمى بالسير الأنفسي ، ومن كشف له الأنوار يراها مشاهدة ولبعضهم لا يكشفها ، ومع ذلك إن من كان على كمال الاستقامة لا بأس من مشاهدة الأنوار وعدمها ولا خلل بالعدم ،

بل يمكن أن يكون عدم المشاهدة أحوط للسالك وأولى لئلا يتعرض للقلب خطرات بمشاهدتها ، فافهم فإنه مهم دقيق والله تعالى يعصمك .

وقال الإمام الرباني ﷺ : ثم اعلم أن السالك إذا اشتغل بالذكر الإلهي جل سلطانه بعد تصحيح النية وتخليصها ، وقدم الرياضات الشاقة والمجاهدات الشديدة وحصّل التزكية وبدل الأوصاف الرذيلة بالأوصاف الحسنة وتيسرت له التوبة والإنابة وزال حب الدنيا عن قلبه وحصل له الصبر والتوكل والرضا وشاهد هذه المعاني الحاصلة له في عالم المثال بالتدريج والترتيب ، ورأى نفسه طاهرا ومصفى عن الكدورات البشرية والصفات الرذيلة لكان قد أتمّ السير الآفاقي البتة .

واختار طائفة في هذا المقام الاحتياط وقرروا الأمر على تمثل كل لطيفة من اللطائف السبعة الإنسانية في عالم المثال بصورة نور من الأنوار المناسبة لها ، وجعلوا علامة صفاء كل لطيفة ظهور نور من تلك الأنوار المثالية ، وابتدأوا هذا السير من لطيفة القلب ، وأوصلوه بالتدريج والترتيب إلى لطيفة الأخفى التي هي منتهى اللطائف ، وجعلوا علامة صفاء قلب السالك مثلا ظهور ذلك القلب في عالم المثال بصورة النور الأحمر ، وجعلوا علامة صفاء الروح ظهوره بصورة النور الأصفر ، وقد ذكرناها من قبل وعلى هذا القياس .

فكان حاصل السير الأفاقي أن يشاهد السالك تبدل أوصافه وتغير أخلاقه في مرايا عالم المثال وأن يحس زوال ظلماته وكدوراته في ذلك العالم ، حتى يحصل له اليقين بصفائه ويثبت العلم بتزكيته .

ولما كان السالك في هذا السير يشاهد أحواله وأطواره ساعة فساعة في عالم المثال الذي هو من جملة الآفاق ، ورأى فيه انتقاله من هيئة إلى هيئة ، كان سيره في الأفاق وإن كان هذا السير في الحقيقة سيرا في نفس السالك ، وكانت الحركة حركة كيفية في أخلاقه وأوصافه . انتهى

ثم اعلم أيها الأخ أن لللطائف معارج ، فمنها لطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره ألف ألف سنة ، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره سبعمائة سنة ، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره ثلاثمائة وستين سنة ، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ولطيفة تعرج إليه في يوم كان مقداره أقل من لمحة ، وهذه اللطيفة الإنسانية الكاملة المتحققة للمرائية وإفشاء سر معاريجها المقدرة من حد القرآن مما لا يحل إفشاءه تعرج الملائكة يعني القوى الروحانية والروح الإنسي إليه أي إلى حضرة الله ﷻ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، لأنهم ما كسبوا من أرض البشرية استعدادا وقوة .

فأما المدبرات الأمر التي أنزلها الله من السماء والأرض ، فهم يعرجون إليه في يوم كان مقداره ألف سنة ، كما قال عز من قائل : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

ولأجل هذا السر قال الشيخ الصمداني أبو الحسن الخرقاني قدس الله روحه : إني صعدت ظهيرة لأطوف بالعرش فرأيت جماعة كثيرة يطوفون بالعرش طوافا ولا يعجبني طوافهم لبرودتهم وسكونهم فطفت بالعرش ألف طوفة وما أتموا واحدا فسألتهم : من أنتم وما هذه البرودة في طوافكم ؟ قالوا : نحن الملائكة وهذا طبعنا لا يمكن أن نتجاوز مما جبلنا الله تعالى عليه ، فسألوني : من أنت وما هذه السرعة ؟ قلت : أنا ابن آدم وهذه السرعة نتيجة الطبيعة التي ركزت فينا . انتهى

ولقد أدركت هذا وإن لم يكن من الضروريات لتحديد الفهم والله يعصمكم وهو على كل شيء قدير .

ثم اعلم أن العالم عالمان : روحاني وجسماني ، ولكن يختلف باختلاف الألفاظ لما أنهم يقولون حسي وعقلي وعلوي وسفلي ، والكل متقارب وإنما تختلف باختلاف العبارات ، وذلك إذا اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحاني ، وإن اعتبرتهما بالإضافة إلى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي ، وإن اعتبرت أحدهما إلى الآخر قلت علوي وسفلي ، وربما سميت

بأحدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ، ومن يطلب الحقائق من الألفاظ ربما يتحير عند كثرة الألفاظ وتخيل كثرة المعاني ، والذي ينكشف الحقائق يجعل المعاني أصلا والألفاظ تَبَعاً ، و أمر الضعيف بالعكس منه إذ يطلب الحقائق من اللفظ ، وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

وإذا عرفت معنى العالمين فاعلم أن العالم الملكوتي عالم غيب إذ هو غائب عن الأكثر ، والعالم الحسي عالم الشهادة إذ شهده الكافة ، والعالم الحسي مرقاة إلى العقل ، فلو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسدَّ طريق الترقي إليه ، ولو تعذر ذلك لتعذر السفر إلى الحضرة الربوبية والقرب من الله تعالى ، فلا يقرب أحد من الله سبحانه ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس .

والعالم المرتفع عن إدراك الحس والخيال هو الذى تعينه بعالم القدس ، فإذا اعتبرنا جملة من حيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل ما هو غريب منه سميناه حضرة القدس ، وربما سمينا الروح البشري الذي هو مجرى لوائح القدس الوادي المقدس .

ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد إمعانا في معنى القدس ، ولكن لفظ الحظيرة تحيط بجميع طبقاتها فلا تظنن أن هذه الألفاظ طامات غير معقولة عند أرباب البصائر .

واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصد عن المقصد ، فعليك التشمر لفهم الألفاظ .

فأرجع إلى الغرض وأقول : لما كان عالم الشهادة مرقاة إلى عالم الملكوت ، وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى ، فلو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لما تصور الترقي من أحدهما إلى الآخر ، فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت ، فما من شيء في هذا العالم إلا وهو مثال لشيء من ذلك العالم ،

وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من الملكوت ، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة ، وإنما يكون مثالا إذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة ، وإحصاء تلك الأمثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفي به القوة البشرية ، وما اتسع لفهمه القوة البشرية فلا يفي الأعمار القصيرة ، فغايتي أن أعرفك أنموذجا ليستدل باليسير على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الأسرار .

فأقول : إن كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة ، منها يفيض الأنوار على الأرواح البشرية ولأجلها قد تسمى أربابا ويكون الله تعالى رب الأرباب لذلك ، ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة ، فبالحريّ أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب ، والسالك للطريق أولا ينتهي إلى ما درجته درجة الكواكب ، فيتضح له إشراق نوره وينكشف له أن العالم الأسفل تحت سلطانه وتحت إشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادر فيقول : هذا ربي ، ثم إذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة النور أي أفول الأول في مغرب الهوى بالإضافة إلى ما فوقه فقال : لا أحب الآفلين ، وكذلك يترقى حتى إلى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلا للمثال لنوع مناسبة له معه ، والمناسبة مع ذي النقص نقص وأفول أيضا ، فمنه يقول : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ ، ومعنى (الذي) إشارة مبهمة لا مناسبة لها ، إذ لو قال من أمثال مفهوم (الذي) لم يُتصور أن يجاب عنه .

فالمنزه عن كل مناسبة هو الأول الحق ، ولذلك لما قال فرعون لموسى عليه السلام : وما رب العالمين ؟كالطالب لماهيته لم يجبه إلا بتعريفه سبحانه بأفعاله ، إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل . انتهى كلام مؤلف « كشف المحجوب » .

وقال شيخنا قدس سره : العالم هو الظل الثاني وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها ، فلظهوره بتعيناتها سُمِّي باسم السوى والغير باعتبار إضافته إلى الممكنات ، إذ لا وجود للممكن إلا بمجرد هذه النسبة ،

وإلا فالوجود عين الحق والممكنات ثابتة على عدميتها في علم الحق وهي شؤونها الذاتية .

فالعالم صورة الحق والحق هوية العالم وروحه ، وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه (الظاهر) الذي هو مجلى لاسمه (الباطن) عالم الجبروت هو عالم الأسماء والصفات الإلهية .

عالم الأمر وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الأرواح والروحانيات لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة ، وعالم الخلق وعالم الملك والشهادة هو عالم الأجسام والجسمانيات ، وهو ما يوجد بعد الأمر بمادة ومدة . « جامع الأصول » .

وقد أطلنا الكلام في العالم لكون معرفة ذلك من المهمات .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : إن سر ظهور العالم لا يكون معلوم شخص إلا بالمجاهدات الكثيرة والرياضات الشديدة يصحبها الهمم العالية . . الخ

المراد ممن يصحبها الهمم العالية كما قاله الشيخ محي الدين ﷺ في « الفتوحات » أن يكون مرمى قصده وهمته ومطمح نظره ذات الحق سبحانه وتعالى ، فإذا كانت تلك الهمة موجودة لكن ليست لصاحبها مجاهدات كثيرة ورياضات شديدة لا ينكشف له سر ظهور العالم الذي هو من الأسرار الغامضة ، ومجرد وجود الهمة من غير أن يلابس بالمجاهدة والرياضة وكذلك مجرد حصول المجاهدة والرياضة من غير تحصيل هذه الهمة لا يعطيان نتيجة ولا يجذبان نفعا أصلا ، ذكره في « الرشحة » .

ولا يخفى أن عالم الملك عبارة في اصطلاح القوم الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم عن عالم الشهادة ، ويقال له عالم الخلق أيضا ، يعني عالم الأجسام والجسمانيات وهو من محدب فلك الأفلاك المسمى بالعرش الأعظم في لسان الشرع إلى مركز كرة الأرض ، وهو عالم يتوقف وجوده على مدة ومادة ، وعالم الملكوت عبارة عن عالم الأرواح والروحانيات من الملائكة

وغيرهم ويقال له عالم الأمر أيضا ، وهذا عالم لا يتوقف وجوده على مدة ومادة بل هو موجود بمجرد أمره تعالى بلا واسطة ولا سبب .

قال الشيخ عبد الرزاق الكاشي قدس سره في « اصطلاحاته » : إنما قيل لهذا العالم عالم الأمر لكونه موجودا بمجرد أمره تعالى .

وقال الشيخ الأكبر محي الدين العربي قدس سره : إنما قيل لهذا العالم عالم الأمر لعدم النهي فيه بل فيه أمر محض ، فإن استعداد أهل ذلك العالم وهم الملائكة الكرام على وجه لا يتطرق إليهم اسم المخالفة حتى يترتب إليه النهي .

وعالم الجبروت عبارة عن عالم أسماء الله تعالى وصفاته ، وعالم اللاهوت عبارة عن مرتبة الذات من غير اعتبار الأسماء والصفات ، وعالم الناسوت عبارة عن عالم الأجسام والجسمانيات ، وهذان اللفظان أعني عالم اللاهوت والناسوت متقابلان ومأخوذان من عبارة النصارى واصطلاحاتهم وتطلقهما الصوفية أحيانا على مرتبة الغيب والشهادة والله أعلم .

وقال الشيخ صدر الدين قنوي قدس سره بمضمون هذا : إن جميع أفعال وأعمال وأخلاق الإنسان مركوزة في النفس ومكنوزة في القلب ، ولكن إن جملة ذلك عبارة عن القوى الباطني ، وذلك أن كل شيء منها تتشكل في عالم البرزخ أي متصورة بأشكال مختلفة ، فإن أريد من تلك الأشكال معرفة الصورة إما ظلماني أو نوراني فيمكن علم ذلك على هذه الكيفية ، وذلك أن من غلب عليه العشق والمحبة فيظهر له صور الاشربة والذكر والقرآن والتسبيح والتفاح والعنب والبطيخ وأمثالها من العبادات والطاعات والصدق والإخلاص والتقوى والورع والمعرفة والحور والغلمان والقصور واللؤلؤ والمرجان والياقوت ، أي يظهر على صور هذه ، وإن غلب على أحد من السالكين الشهوة والقوة الغضبية فيظهر له الخنزير والثيران والحيات والأفاعي ، وإن غلب صفة الكبر فيظهر له صور الأسود واللبوة وأمثالها من الضواري ، وإن غلب صفة البخل والحرص يظهر له على صورة العنكبوت والعقرب وأمثالها ، وتكون رؤية هذه الصور والأشكال إما في النوم أو الواقعة . كذا في « رشحات » .

وقال الإمام الرباني ﷺ في « مكتوباته » : إن الإنسان عبارة عن مجموع عالم الأمر وعالم الخلق ، عالم الخلق هو صورة الإنسان وظاهره ، وعالم الأمر هو حقيقة الإنسان وباطنه ، وإنما قالوا للأعيان الثابتة حقائق الممكنات باعتبار أن الممكنات ظلال تلك الأعيان ، وتلك الأعيان أصولها ، فإن حقيقة الممكنات وماهيتها هي نفس ظلال تلك الأعيان ، لأن الممكنات صارت ممكنات بتلك الظلال وحصل لها بها وجود ظلي ، بخلاف الأعيان التي يثبتون فيها تعينات وجوبية ويرونها فوق مراتب الإمكان ، فإن تعين الوحدة وتعين الواحدية اللذين هما في مرتبة الأعيان الثابتة قالوا : إن كلا منهما تعين وجوبي ، واعتقدوا التعينات الثلاثة الباقية ، أعني التعين الروحي والتعين المثالي والتعين الجسمي تعينات إمكانيات .

فالقول بكون التعين الوجوبي حقيقة للتعين الإمكاني على سبيل التجوز ، لأن الحقيقة الإمكانية إنما تكون من عالم لا من مرتبة الوجوب ، وكان أصل الشيء هو حقيقة الشيء .

فما قالوا من أن الصوفي كائن بائن يعني بظاهره مع الخلق وبباطنه مفارق عنهم وكان مع الحق سبحانه وتعالى ، وأرادوا بظاهره عالم الخلق وبباطنه عالم الأمر ، وقالوا في حق هذا المقام الذي هو مقام الجمع بين التوجهين أنه عال جدا واعتقدوه مقام التكميل والإرشاد وظنوه مرتبة الدعوة .

ولهذا الفقير في ذلك الموطن معرفة خاصة : وهي أنه يكون شخص من أخص الخواص ويكون مجموع عالم الخلق والأمر بالنسبة إليه صورة وظاهرا ، وتكون حقيقته وباطنه الاسم الذي هو مبدأ تعينه مع أسماء وشؤونات أخر هي كالأصل لذلك الاسم حتى تنتهي إلى حضرة الذات المجردة عن الشؤون والاعتبارات .

وهذا العارف التام المعرفة إذا تيسر له الوصول إلى الاسم الذي هو قيومه بعد طَيِّهِ جميع المراتب الإمكانية وصار قوله أنا منقلعا عن المراتب

الإمكانية ومنطبقا على ذلك الاسم ، وانطبق على مراتب فوق ذلك الاسم التي هي كالأصول لذلك الاسم آنا فآنا بالترتيب على سبيل العروج ، وبلغ بهذا النمط مرتبة الأحدية المجردة ، تصير تلك المراتب التي انطبق عليها قوله أنا كلها حقيقته ويكون عالمه الأمري كعالمه الخلقي صورة تلك الحقيقة وتلك الصورة مثل الكسوة لتلك الحقيقة ، وهي كالشخص اللابس لتلك الكسوة .

وحيث كان إطلاق أنا في الآخرين مقصورا على عالم الخلق والأمر لا جرم تكون صورتهم وحقيقتهم عين عالم الخلق والأمر والأسماء التي هي مبادي تعيناتهم ليست غير أن تكون قيومات لهم . انتهى

فريدة في وحدة الوجود والشهود : ذكر شيخ شيخنا قدس سرهما في « جامعه » وحدة الوجود وقال : فقال الإمام جعفر ﵁ : إن الله تعالى أول الأول وآخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن ، فسقطت هذه المعاني وبقي هو . انتهى ، وهذا معنى قولهم : التوحيد إسقاط الإضافات .

واعلم أن التوحيد الوجودي هو الذوق والشوق والوارد ووضوح أسرار المعية والصيحة والغيبة والاستغراق والرقص والسماع والوجد والتواجد ، وكلها في سير لطيفة القلب فإن سيرها أولا في دائرة الإمكان ، ومن أحوال هذه الدائرة الجذب والحضور والجمعية والواردات والكشف الكوني وكشف الأرواح وكشف عالم المثال ، وسير عالم الملك وهو عبارة عما تحت الأفلاك ، وسير عالم الملكوت وهو عبارة عن عالم الملائكة والأرواح والجنة وما فوق السموات وكلها داخلة في دائرة الإمكان ، بل تشاهد أمثال هذه الشعبذات في نصفها السافل ويقولون لهذا السير الأفاقي ، بل كمال الحضور والجمعية والجذبات القوية يحصل في الدائرة الثانية التي هي عبارة عن سير تجليات الأفعال الإلهية ، وسير ظلال الأسماء والصفات وهي المسماة بدائرة الولاية الصغرى ، وعلامة وصول القلب إلى دائرة الولاية الصغرى اضمحلال توجهه إلى الفوق وإحاطته بالجهات الست ، وأن يرى معيته تعالى اللامثلية بالإدراك اللامثلي بسيطة بالوجود وبجميع العالم ، وينكشف أسرار التوحيد الوجودي .

ومنشأ ذلك أنه يظهر للسالك بسبب كثرة العبادات والمجاهدات وترك المألوفات والمرغوب ودوام الذكر والفكر غلبة العشق والمحبة للمحبوب الحقيقي وينجذب قلبه ويتوجه إلى جناب القدس ، وهذه المجاهدات والترك إذا وقعت منه موافقة لاتباعه عليه الصلاة والسلام ، تصفّي باطنه من علائق السوى وتُجَلّي قلبه من وسخ الغفلة إلى حد يكون باطنه مرايا عكوس ظلال الأسماء والصفات الواجبة ، وحيث لم ير السالك العاشق المسكين محبوبه وقد وصل إليه تعشقه بتصور الصفات وعكوس الظلال عين المحبوب ، فيتكلم بالشطحيات ويرى صورة محبوبه مرآة باطنه ، ويكون غائبا ومدهوشا ويقع في سره خيال الوصال ولا يفرق لغاية عطشه بين الظل والأصيل .

فلا جرم يتفوه ويجهر بالاتحاد والعينية ، وتصل غلبة هذه الرؤية عليه إلى حد يرتفع عن نظره تعينه وتشخصه أيضا ويقول جهرا : سبحاني وأنا الحق .

وحيث ورد في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي » يعاملونه بموافقة ظنه ، ولما فني صاحب هذه الحالة عن نفسه وعن حظوظه فهو بعيد عن الطعن والملام ، وداخل في زمرة الأولياء والمجذوبين للحق سبحانه .

واعلم أن التكلم بكلمات التوحيد ووحدة الوجود قبل وصول القلب إلى الدائرة الثانية التي هي مقام انكشاف التوحيد خلاف الشريعة ، فتخيل العوام مراقبة التوحيد لا يزيدهم غير خسارة الدنيا والآخرة . انتهى وراجع في « الجواهر » ٣٥ .

فصل

في بيان مراتب التجليات ومعانيها و سنذكر بعض متعلقاتها إن شاء الله تعالى

اعلم أيها الأخ السعيد أن التجلي مقام عظيم ووهب جسيم ، ولم يزل الأنبياء والأولياء يتنافسون فيها ، وقل أهلها في هذا الزمان خاصة لخفاء الأولياء واختفائهم .

واعلم أن التجليات الواردة على أهل الله تعالى ثلاثة أقسام : فعلية وأسمائية وذاتية ، ولكل واحد طرق وموارد ومراتب شتى غير محصورة تفاصيلها إلا جملها .

أما التجلي الفعلي فإنها إنما يبدو عندما رقت حجب النفس وشفت بزوال آثار الانحرافات عنها وعن كل ما ينسب إليها من القوى والصفات ، وخَفَّتْ أثقال أوزار الآمال والأماني وأحكام العادات والتعلقات والتشوفات عن ظهرها ، إما بمحض العناية والجذبة التي توازي عمل الثقلين ، وإما بالمداومة على الذكر ، أو التحقق بالمقامات الإسلامية بأداء حقوقها وتعدي بعض المقامات الإيمانية حتى ظهر فيها غلبة حكم الوحدة والعدالة ، وزال عنها حكم كثرة الانحرافات واستيفاء حظوظ البشرية والحيوانية ، وبدا أثر وحدة القلب الباطن في حقيقة النفس أعني وصف عدالتها بين حكم الصور المحسوسة وبين حكم معنى الحياة وبين حكم أثر الروح الحيوانية المضاف إليها التدبير للمزاج والصورة ، وسرى أثر تلك الوحدة والعدالة في جميع الصفات الأصلية ومظاهرها المضافة إلى النفس نحو البصر والسمع والنطق والعقل ، فمتى ما نظر هذا السائر عند ذلك ببصره المنصبغ بحكم هذه الوحدة والعدالة إلى شيء حال غلبتها على أحكام الكثرة والانحرافات لم يُلْفِ[١] ذلك الشيء المدرك ببصره إلا حسنا معتدلا ملائما مقيلا ، وخصوصا إذا كان المنظور إليه شخصا إنسانيا كان اجتلاء الحسن ثمَّ أتم وأكمل .

« ١ » أي لم يجد .

والحسن بحسب المفهوم في عرف العموم حسي وعقلي وروحاني وشرعي ، ويضاده القبح في جميع هذه المراتب الأربع ، وللحسن رتبة خامسة عند الله تعالى خارجة عن مفهوم العامة وعن فهم لا يضاده قبح يتعلق ذلك الحسن بحكمة الموجد الحق تبارك وتعالى وأوصافه ، ثم إذا وافق نظره ببصره المنصبغ بصبغة الوحدة والعدالة في حسن ذلك المنظور إليه توجُّهٌ صحيح وحداني خالص إلى حضرة محبوبه ومطلوبه الحق سبحانه وتعالى وتقدس ربما يتجرد له في أثناء ذلك الحسن فعل الحق الباري عزّ وعلا في كل سبب ، ويكشف عليه من حيث ذلك القلب النسبي وحدة فعل الحق تعالى وتقدس دون أن يتجلى له الفاعل الحقيقي الحق سبحانه . . الخ ، فيشاهد الناظر في صور صاحب اللعب بالصور الخيالية أفعاله الظاهرة والصادرة في الحس من تلك الصور الجمادية ، ومن حركاتها وسكناتها من صاحب اللعب ويرى تلك الأفعال أنها صادرة من ذلك الرجل المستتر بستارته ، فيرى بسبب شفوف الستارة فعل ذلك الفاعل ولا يرى الفاعل ، وذلك مثل الشهود من جهة عين اليقين ، لا علم اليقين المقيد بحال الحجاب بالكلية ، ولا حق اليقين المتعلق بشهود تجلي الفاعل من حيث أسمائه أو صفاته أو من حيث ذاته .

فبهذه الشهود يشيد طلب هذا السائر ويزداد وجدا في السير وقوة في التوجه ، وحينئذ يحدث هذا التجلي الوجداني الفعلَ المشهود في لباس الحسن الوجداني المضاف إلى هذا المنظور إليه عند نظرته الأولى فيه أثرا من حقيقة الحب الأصلي الساري في جميع الأشياء ، الكائن في حقيقة هذا السائر وسر المحرض والباعث له على هذا السير ، ويبرز ذلك الأثر من باطنه منجذبا إلى جاذبه الذي هو عين التجلي الفعلي ووحدته وعدالته الظاهر بصورة حسن ذلك المنظور ، فيظهر ذلك الأثر الحبي المشار إليه بقوله : « حتى أحبه » أي حتى أظهر أثرا مخصوصا من حقيقة الحب لا عينه المشار إليه بقوله : « فإذا أحببته » ، فإن ذلك العين إنما يظهر عند التجلي الأسمائي أو الذاتي في القلب الحقيقي التقي النقي .

وأصحاب هذا التجلي الفعلي والتعلق بالحب بسببه على طبقات بحسب تفاوت استعداداتهم ، فمنهم من أوقفه قصور استعداده على صورة معينة بحيث لا يحصل له التجلي الفعلي إلا من حيثية تلك الصورة ، ويتعلق حبه بتلك الصورة ويتقيد بها ولا يمكنه التجاوز عن صورة ، غاية ما في الباب أن ينتقل من معين مقيد إلى مثله ، فلا يزال محصورا في قيد منظور إليه معين إذا انصرم حبل تشبث بآخر مدة حياته .

ومنهم من يعطيه قوة استعداده الجواز عن المعين المقيد إلى المطلق ، لكن يقع في معرض توقف لعارض فيجوز عنه عند زوال العارض بطيئا أو سريعا ، وربما تقع هذه العوائق له مرارا كثيرة حتى يتخلص من القيد ويترقى إلى إطلاق رؤية هذا التجلي في كل منظور إليه .

ومنهم من يترقى إلى الإطلاق بسرعة عظيمة مع أدنى توقف في منازله كحال الخليل عليه السلام .

ومنهم من يكون ترقيه وجوازه بكمال استعداده في غاية السرعة كالبرق الخاطف بلا توقف وعائق أصلا كسير صاحب ذوق ، ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ، فإنه لم يزغ بصره إلى شهود مقيد متعين طرفة عين ولا طغى قلبه وحبه بالتطلع إلى الآثار والأغيار لمحة ، وقوله ﷺ : « لو كنت متخذا أحدا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ، ولكن أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا » يشير إلى هذا الترقي بسرعة ويعبر عن هذا الذوق الخ .

والمراقبة هي استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله .

والمشاهدة – وقد ذكرناها في هذا الكتاب – هي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه عما لا يليق بعظمته .

التجلي هو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى ، فإذا تجلى بفعل من أفعاله انكشف للسالك جريان قدرة الله في الأشياء فيرى أنه تعالى هو المحرك والمسكن شهودا حاليا لا يعرفه إلا أهله .

والتجلي الصفاتي هو ما ينكشف لقلبه من صفاته تعالى ، فإذا تجلى عليه بصفة من صفاته تعالى بعد خفآء صفة العبد ظهر عليه بعض آثار تلك الصفة ، فإذا تجلى عليه بصفة السمع صار يسمع نطق الجمادات وقس عليه سائر الصفات .

وأما تجلي الأسماء فهو ما ينكشف لقلبه من أسمائه تعالى فإذا تجلى عليه باسم من أسمائه اصطلم العبد تحت نور ذلك الاسم ويصير بحيث إذا نودي الحق تعالى بذلك أجاب المنادي : ذلك العبد المستغرق . « شيخ أرسلان » .

والتجلي عند المشائخ الكرام في نفسه على قسمين أحدهما شعشعاني والآخر غير شعشعاني ، أما نور شعشعاني فهو نور الذات الذي كالشمس في اختطاف الأبصار ، ولتجلي هذه المرتبة يعبرون بالبرقي الآني لكونه كالبرق الخاطف فإنه إن استمر هذا التجلي في آنين لا يقدر المتجلى له أن يتحمل ذلك ويقع صعقا كما صار ذلك لموسى عليه السلام في الطور بمفهوم قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ الآية .

وأما نور غير شعشعاني فهو كنور القمر لا يخطف الأبصار ، والمتجلى له يقدر تحمله لكن إن داوم عليه يكاد أن يصعق أو يصل إلى مرتبة الصعق وإن لم يصل إلى عين الصعق الشعشعاني ، فالفرق بينهما كما بين الشمس والقمر فتفطن ، وأن المتجلى له لا يشعر بنفسه عن غيره .

واختفاء الأغيار عند ظهور أنوار الحق سبحانه وتعالى في نظر المتجلى له كاختفاء الكواكب عند طلوع الشمس مع بقاء أعيانها ، وأهل الله سبحانه قد يجري على ألسنتهم في غلبة الأحوال أنهم الحق ، أي أنهم متحققون في الحق فانون فيه ، وليس المعنى أن المتجلى له يخرج عن الشعور بالكلية مطلقا ، فذلك صفة الأبله السفيه كما ذهب إليه أوهام الدجالين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وهذا التعريف نذكر في الغيبة إن شاء الله تعالى .

وقال بعض العارفين : اضطر كل ناظر بعقله إلى تحقق سبق الوجود على العدم ، إذ كل موجود يشهد بذلك ، ولو سبق العدم المطلق لاستحال وجود موجود ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِــدُ

لا ريب أن اللذة العقلية أتم وأعظم من الحسية بما لا يتناهى ، والترقي إلى الله تعالى بالأعمال الحميدة والأخلاق المجيدة ولذة مناجاته السعيدة من أفضل الكمالات وأعظم اللذات .

فمن العجب كيف جعل الحق تعالى على طاعته وما يقرب إليه جزاء ؟ ! فإن للدال على الهدى فضلا على الموَفَّق ، والمُمِدُّ على فعله أولى بأن يكون له الجزاء ، لكن بسطة جوده وسعة رحمته اقتضت الأمرين معا قال تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾

فانظر كيف أفاد إحسانه إحسانا وسماه جزاء ، واقض حق العجب من دقائق ذلك واشكر من سلك بك هذه المسالك !

فأنت أيها الطالب لا تعرف ضلالك عن معرفة الوجود الحق بسبب غلبة أحكام الكثرة والانحرافات عليك ، ولو عرفت لألزمت نفسك الرجوع عن ضلال هذا الشرك والكفر بإزالة كل بقية في النفس من أحكام الكثرة والانحرافات الخفية ؛ ليظهر وحدة القلب الكامنة فيها ، وحينئذ يستبين حقيقة الحق بظهور التجلي الوجودي الوجداني في القلب ويتبدل الشرك والكفر بالتوحيد الصرف .

وحقيقة الشرك والكفر الاحتجاب عن الحق سبحانه وتعالى في أي مرتبة كان بأي شيء كان ، وحقيقة الحجاب انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحقائق ، وبواسطة فناء كثرة صفات النفس والخرافات يقلب حينئذ حكم وحدة القلب وعدالته على أحكام كثرة النفس ويقهرها ، ثم بعد ذلك يرجع أحيانا إلى آثار نفسه فيه بحكم النشأة البشرية فيغلب عليه حكم التجلي الحاصل في قلبه ويظهر فيه ذلك التجلي بأحكامه ، ووقتا لا يغلب عليه أحكام النفس ولا أحكام التجلي ويكون مع وحدة قلبه .

ثم اعلم أن التجلي مطلقا ظهور أنوار الغيب إلى قلب العبد الصادق ، ولها مراتب أربعة :

الأولى مرتبة تجلي الآثار ، والآثار هي ظل وآثار الأفعال الإلهية ، ومعناه أن نفس السالك من جملة تلك الآثار .

والثانية مرتبة تجلي الأفعال ، وذلك أن جميع الآثار والألوان صنع الأفعال الإلهية ، ومعناه أن أفعال وصنع السالك من تلك الرشحة ، والأفعال أيضا ظل الأسماء والصفات الإلهية .

والثالثة مرتبة تجلي الصفات ، وذلك أن صفات الكمالية والجلالية والجمالية للحق سبحانه وتعالى ، والمعنى أن كمال السالك وكمال أوصافه من أثر كمال الله سبحانه على سبيل الانعكاس وأن الصفات ظل الذات .

والرابعة مرتبة تجلي الذات ، وذلك أن جميع الموجودات ولوازمها للحق سبحانه وتعالى ، وليس للسوى مدخل سوى مجرد الاسم ، وهذه نهاية المرتبة وهو أصل ومنبع جميع التجليات ، وباقي التجليات ظل هذه التجلية أو ظل ظلها أو فرعها ، والسالك الواصل إلى هذا المقام معدود من الواصلين ، جعلنا الله تعالى وإيّاكم من الواصلين إلى مقامات أرباب حق اليقين .

فالحاصل أن التجلي بالآثار يكون في الجسد ، وتجلي الأفعال في القلب ، وتجلي الصفات في الروح ، وتجلي الذات في السر ، وأن الشهود أيضا أربعة : شهود أفعال في القلب وشهود أسماء في الروح وشهود صفات في السر وشهود الذات في الأخفى .

ثم اعلم أن التجلي بطريق الأفعال رتبة من القرب ، ومنه يترقى إلى التجلي بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلى التجلي الذاتي ، والإشارة في هذه التجليات إلى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شيء فوق شيء وشيء أصفى من شيء .

فالتجلي بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم ، والتجلي بطريق الصفات يكسب الهيبة والأنس ، والتجلي بالذات يكسب الفناء والبقاء ، وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله تعالى فناء يعنون فناء الإرادة ، والإرادة ألطف أقسام الهوى ، وهذا الفناء هو الفناء الظاهر ذكره في « العوارف » للشيخ السهروردي ﷺ .

وذكر شيخنا شيخنا ﷺ في « جامعه » ٦٩ وقال : التجلي هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب ، والتجلي الأول هو التجلي الذاتي وهو تجلي الذات وحدها لذاتها ، وهي الحضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم ، إذ الذات وجود الحق المحض لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود الحق ليس إلا العدم المطلق ، وهو اللاشيء المحض فلا يحتاج في أحديته إلى وحدة وتعين يمتاز به عن شيء أي وحدته عينه لا عين غيره ، فوحدته عين ذاته وهذه الوحدة منشأ الأحدية والواحدية ، لأنها عين الذات من حيث هي ، أعني لا بشرط شيء هو الواحدية ، والحقائق في الذات الأحدية كالشجرة في النواة وهي غيب الغيوب .

والتجلي الثاني هو الذي تظهر به الأعيان الممكنات الثابتة التي هو شؤون الذات لذاته تعالى ، وهو التعين الأول بصفة العالمية والقابلية لأن الأعيان معلوماته الذاتية القابلية للتجلي الشهودي ، وللحق نزول عن الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية بالنسب الأسمائية .

والتجلي الشهودي هو ظهور الوجود المسمى باسم النور وهو ظهور الحق بصورة أسمائه في الأكوان التي من صورها ، وذلك الظهور مدد هو نفس الرحمن الذي أوجد به الكل . « جامع الاصول » .

ثم اعلم أن السالك ما دام أثرٌ من بقايا أحكام كثرة نفسه باقيا فيه فلا بد أن يكون مبتلى بالشرك الخفي بحيث يثبت وجودا آخر في مقابلة المحبوب يضاف إليه الآثار فيلتفت قليلا إليه وإلى الآثار ، وإلى ذلك الالتفات الإشارة بقوله سبحانه : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ، أي على علم

بأن له إلها مستحقا للألوهية سوى من اتخذه الساعة إلها ، وما دام في السالك أدنى تطلع إلى الغير فبقدر ذلك التطلع اليسير ينقطع عن تطلعه إلى محبوبه ، وينقطع عن وصله وقربه ، فإن عرف بيقين أن الذي اتخذه إلها هو فانٍ وهالكٌ يرجع من ضلال الالتفات عليه إلى هدى الإعراض عنه والإقبال بكلّيته على من علمه إلها حقيقيا ومحبوبا أصليا ، فإذا عرف هذا وأفنى ذلك القدر اليسير من بقايا أحكام كثرة نفسه الخفية بحيث يظهر وحدة قلبه ويتجلى فيه حضرة محبوبه فحينئذ وحّده توحيدا على بصيرة وانتفى عنه أثر إثبات الغير ، ولكن مع ذلك إذا رجع بحكم ضرورة النشأة إلى نفسه وحسه وعقله وزال عنه ظهور الوحدة فظهر في نظره شهود الكثرة يظهر له حينئذ شهود الغير والسوى بحيث يزعم ويدعي أن ذلك الغير **والسوى ثابت** ، فلم يثبت السالك في مقام التوحيد مالم يمح عنه إثبات الغير ودعواه إياه .

فهذا الشأن والأمر العظيم الذي هو حقيقة التوحيد وشهوده من ذلك السالك لا ينقصه إلا شهود الغير والغيرية والمغايرة بين المطلق والمقيد المضاف إلى نفس السالك وحسه وعقله المتسم كل واحد بِسِمَة الخلقية ، فإن كلا منهم لم يدرك الأشياء وأعيانهم أيضا إلا متميزا بالوجود مستقلا بالذات ، وكلا منهم أضاف إلى كل وجودا مغايرا لوجود الآخر ، ونسب إليه صفات وأحوالا مغايرة للصفات والأحوال المنسوبة إلى الآخر ، وادعى أن لكل وجودا ثابتا مستقلا غير وجود غير محتاج ولا متعلق بوجود سواه ، فلزم من هذا عين الشرك ونقص شهود عين التوحيد .

فحالة الكشف ظهر له عين التوحيد ، وحالة الاحتجاب عرض له هذا الشرك بحكم شهود النفس والعقل ، فلو انمحى عن السالك دعوى أن للغير والغيرية تحققا وثبوتا بحكم سراية أثر الجمعية من مقام الحقيقة وحضرة جمع الجمع في ظاهره وباطنه ونفسه وحسه وعقله ، لظهر له أمر التوحيد وحقيقته في كل حال أعني في حال الكشف والحجاب ، ولثبت له تمكن من شهود حقيقة التوحيد على كل حال ، ووصل إلى مرتبة الراسخين الكاملين

العارفين الموحدين بالحقيقة ، ولا يقدر السالك على ذلك إلا بالله سبحانه ، فهو سبحانه وتعالى مُثَبِّتُه بذلك المحو الذي من فعله ﷻ جزاء على فعل السالك الذي هو امتثال أمره سبحانه وتعالى لا حجتك .

وما دام العبد يضيف إلى نفسه صفة أو فعلا فهو عاكف على الشرك الخفي ، ونظر الشرك يفرق بينه وبين محبوبه وشهود الحقيقة مشروط بوحدة النفس وانخلاعها عن تكثير الصفات وتعداد الجهات ليحصل المناسبة بينها وبين الواحد النازل بها ، ويصل السالك بذوق الكشف والوجدان إلى مقام المنازلة وهو مقام ارتفاع الإثنينية كما قاله محمد فارسا قدس سره فتأمل فإنه دقيق .

فائدة

اعلم أن عند القوم تجليا بالجيم المعجمة وتحليا بالمهملة وتخليا بالخاء المعجمة :

فالتجلي ظهور الذات محجبة بالأسماء والصفات وذلك عند فنائه عن بشريته كما قال سيدي مصطفى البكري قدس الله سره ونفعنا به :

أبى القَلْبُ إلا حُبَّ دَعْدٍ وأسْماء إذا ما تَجَلَّتْ في بَراقِعِ أَسْماء

والتحلي القيام بمعاني الأسماء تعبدا كما قال في الحديث : « تخلقوا بأخلاق الله تعالى » .

والتخلي بالخاء المعجمة سقوط إرادة العبد واختياره اعتمادا وتوكلا عليه . « تنوير الصدر » ٦٥

واعلم أيها الصادق الأمين ، أنّ أسرار الملكوت محجوبة عن القلوب المدنسة بحب الدنيا التي استغرقت أكثرها طلب العاجلة ، وإنما ذكرنا هذا القدر تشويقا وترغيبا ، ثم إن صدقت رغبتك تشمرت للطلب واستعنت

فيه بأهل البصيرة واستمددت منهم ، فما أراك تفتح لو استبددت فيه برأيك وعقلك ، والموَفَّقُ بعضُهم[1] .

المعرفة أخص من العلم لأنها تطلق على معنيين كل منهما نوع من العلم :

أحدهما العلم بأمر باطن يستدل عليه بأثر ظاهر قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ .

وثانيهما العلم بمشهود سبق به عهد ، كما إذا رأيت شخصا رأيته قبل ذلك بمدة فعلمت أنه ذلك المعهود ، فقلت : عرفته بعد كذا سنة عهدته ، فالمعروف على الأول غائب وعلى الثاني شاهد .

فمن العارفين من ليس له طريق إلى معرفة الله تعالى إلا الاستدلال بفعله على صفته ، وبصفته على اسمه ، وباسمه على ذاته أولئك ينادون من مكان بعيد .

ومنهم من خُصَّ بحكم العناية الأزلية فيشهده سبحانه بعد المشاهدة السابقة في معهد ألست بربكم ، ويعرف به أسماءه وصفاته عكس ما يعرف العارف الأول .

وبين العارفين بون بين وتفاوت بعيد ، إذ الأول لغيبة معروفه كنائم يرى خيالا غير مطابق الواقع ، والثاني معروفه كمتيقظ يرى شهودا حقيقيا مطابقا للواقع ، والحق سبحانه وتعالى وحداني الذات والصفات والأسماء والأفعال ، بمعنى أنّ كل شيء نسب إليه ذات أو صفة أو اسم أو فعل فنسبتها إليه مجازية ، لأنها في الحقيقة عكوس أنوار تجليات الذات والصفات الأزلية والأسماء والأفعال الإلهية في مظاهر الكون ، وليس لمظاهرها شيء منها حقيقة كما للمرآة من الصور المتجلية فيها .

« ١ » عبارة تستعمل بمعنى الموفق قليل .

فالسمع والبصر وغيرهما من الصفات في أيّ موصوف كان هو الله تعالى حقيقة ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾إشارة إلى تخصيصه ﷻ بالصفات والأسماء ، وإظهار الحق تعالى سر ذاته وصفاته ما كان لخفائه عليه قبل ذلك ولكن ليتجلى باسمه (الظاهر) آخرا كما كان متجليا باسمه (الباطن) أولا .

والعجب كل العجب أنه سبحانه ما ظهر بشيء من مظاهر أفعاله إلا وقد احتجب به ! وذلك لإيقان صنعته وبليغ حكمته ، ولا نعني بالاسم اللفظ بل مدلوله وهو الذات الموصوفة بصفة كاللطيف والقهار ، وهذا معنى قول العلماء رحمهم الله تعالى : الاسم هو المسمى ، وعلامة المتحقق باسم من أسماء الله تعالى أن يجد معناه في نفسه كالمتحقق باسمه الحق علامته أن لا يتغير بشيء كما لم يتغير الحلاج قدس الله روحه تحقيقا لتحققه بهذا الاسم . انتهى كلام السادات .

وذكر شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ في « جامعه » ٢٢٥ : الستر والتجلي ، فالستر للعوام والتجلي للخواص ، والمراد بالستر قيام الحجب المانعة من المشاهدة ، وصاحب التجلي موصوف بالخشوع أبدا لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا تجلى الله تعالى لشيء خشع له » ، وللخواص أيضا ستر مع أنهم في دوام التجلي ، والحالتان في حقهم متناقضان لفظا لا معنى ، لأن التجلي عبارة عن انكشاف سرادقات الجلال عن كمال الجمال ، والستر في حق الخواص عبارة عن حفظهم عن التلاشي والاحتراق وتمكينهم في مقام الثبات ، إذ لولا ستره عليهم ما يكاشفهم به لتلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة إذ الخلق لا بقاء لهم عند وجود الحق ، وإلى هذا أشار النبي عليه الصلاة والسلام بقوله : « إنه لَيُغانُ[١] على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة » . والاستغفار طلب الغفر وهو الستر ، فمعناه أنه كان يطلب الستر للثبات والبقاء عند غلبة سلطان الحقيقة ، وإليه أيضا أشار ﷺ بقوله : « يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك » .

« ١ » وفي هامش نسخة « ش » : أي يقع الحجاب .

وفي الخبر : « إن الله جلّ وعلا لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره » .

وقيل : إنما قال الله تعالى لموسى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ ليستر عليه بتلك المشاغلة بعض ما كان فيه من دوام التجلي الحاصل له بمناجاة سماع الخطاب الإلهي ويردّه إلى حالة الثبات والتمكن .

فالحاصل أن الستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة ، وأصحاب الذوق كعوام هذه الطائفة ، فلا جرم أن عيشهم في التجلي وبلاءهم في الستر ، وأما الخواص فهم بين طيش وعيش ، إذا تجلى لهم طاشوا وإذا ستر عليهم ردّوا إلى الثبات والتمكن فعاشوا . انتهى

وينتقل من الغيبة إلى الشهود ، والمعنى أن الانتقال من الغيبة إلى الشهود من قبيل العطف التفسيري وليس المراد من الشهود ، والمعاينة رؤية الحقيقة بالحمل بالبصر وهو ظاهر قال ﷺ : « إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت » ، بل المراد به حالة تحصل للعبد عند رسوخه في كمال الإعراض عما سواه تعالى وتمام توجهه إلى حضرته بحيث لا يكون في لسانه وقلبه ووهمه وسرّه غيره ، وهذه الحالة سميت مشاهدة لمشاهدة البصيرة إياه واشتغال القلب والقالب به وأشار إليه من قال :

خَيالُكَ في عَيْني وَذِكْرُكَ في فَمي ... وَحُبُّكَ فيْ قَلْبي فَأيْنَ تَغيبُ ؟ !

ذكره شيخ زاده

وقال بعض سادات القوم : إن نهاية هذا الطريق هل هي حضور ومشاهدة أم فناء وغيبة ، وما يفهم من كلام بعض الأكابر أنها حضور ومشاهدة ، ولكن أشبه أن تكون النهاية في الواقع هي الفناء والغيبة فإن التعلق بالحضور والمشاهدة نوع تعلق بالغير . اهـ

وقال أيضا : إن للشهود معنيين : **أحدهما** شهود الذات المقدسة المبرأة عن الظهور في لباس المظاهر ، **وثانيهما** شهود الذات المقدسة من لباس المظاهر من غير وصف الكثرة بل بنعت الوحدة ، ويقال لهذا الشهود عند الصوفية شهود الأحدية في الكثرة ، وكان النبي ﷺ على هذا الشهود بعد البعثة . انتهى

ونقل عن الشيخ أبي سعيد أبي الخير قدس سره أنه قال : تكلم في ماهية التصوف سبعمائة شخص من مشائخ الطريقة قدس الله أرواحهم ، وأتم الأقوال وأحسنها في هذا الباب هو أن التصوف صرف الوقت لما هو أولى به . انتهى

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار قدس سره : كان الشيخ أبو سعيد قدس سره يقول لأصحابه : لا تجيؤوا عندي بلحم قديد بل بلحم جديد .

قال الشيخ محي الدين ابن عربي قدس سره : إن مقصود الشيخ أبو سعيد من هذا الكلام تعليم الهمة لأصحابه ، يعني لا تجيئوا عندي بأسرار الناس وحقائقهم ومعارفهم ، بل احضروا عندي بشيء خاص بكم ظاهر من مِنَصَّة قلوبكم . انتهى

وقال بعض الأكابر في معنى قول الشيخ عبيد الله الأحرار قدس سره قال : كان حضرة الشيخ بهاء الدين عمر قدس سره يركب فرسا أبيض في أكثر الأوقات فسئل عن سببه بعض خواصه فقال : إن اختياره للفرس الأبيض لكون بعض التجليات الصورية مشهودا له كذلك . . الخ ، يعني أن خصوصية كل صورة بالنسبة إلى أرباب المكاشفات والمجاهدات مبنيّة على اختلاف الاستعدادات واختلافات المعاني والحقائق اللتان تنكشفان لهم في صور الأشياء ، مثلا وقع التجلي الصوري لموسى عليه السلام في لباس شجرة في الوادي المقدس ، ووقع لسيدنا محمد صﷺ في صورة شاب مخطط الوجه كما نطق به بعض الأحاديث . انتهى كلامه .

ولا يخفى أنه كتب الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قدس سره في بعض مؤلفاته : رأيت ربي على صورة الفرس .

وقال الشيخ ركن الدين علاء الدولة ﷺ في شرح هذا الكلام في بعض مصنفاته : إن السالكين يرون الحق سبحانه وتعالى بالتجليات الصورية وهي مناسبة للآثار ، ويرونه بالتجليات النورية وهي مناسبة للأفعال ، وقد يرونه بالتجليات الذوقية وهي مناسبة للذات ، ويتجلى الحق سبحانه وتعالى للعبد في التجليات الصورية التي هي مناسبة للآثار في صورة جميع الأشياء من مفردات العنصريات والمعادن والنباتات والحيوانات وأفراد الإنسان ، فإذا تجلى في واحد من المواليد الثلاثة ثم أراد أن يتجلى في مرتبة أعلى منه يتجلى أولا في أفق ذلك المولود ثم يبتدىء بمولود آخر فوق ذلك ، كما أنه إذا تجلى من المعادن ثم أراد أن يتجلى من النبات يتجلى في صورة المرجان الذي هو أفق المعادن فإنه أقرب المعادن إلى مرتبة النبات لنموه مثل النباتات ، وإذا أراد أن يترقى من النبات إلى الحيوان يتجلى في صورة النخل لكونها أفق النباتات وأقربها إلى مرتبة الحيوان لوجود بعض خواص الحيوانات فيها فإنها تصير يابسة بقطع رأسها ولا تثمر من غير التلقيح وذلك من خواص الحيوان حيث لا تحمل إناثه حتى تجتمع مع ذكوره ، ومتى أراد الترقي من سائر الحيوانات إلى مرتبة الإنسان يتجلى في صورة الفرس لكونه أفق سائر الحيوانات بالنسبة إلى الإنسان لكونه أقرب الحيوانات إليه حيث أن فيه شعورا وفطنة ، وليس فوق الإنسان صورة في التجليات الصورية ، وغاية التجلي الصوري في مرتبة الإنسان أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى للسالك في صورة صاحب التجلي يعني المتجلى له .

وليس للسالك مزلة قدم أصعب من أن يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في صورة بحيث لا يرى السالك أحدا غير نفسه ، وكلما نظر يرى الكل نفسه ويجد الموجودات كلها محاطة بنفسه ، ومنشأ ظهور قول « سبحاني ما أعظم شأني » و « أنا الحق » و « ما في جبتي سوى الله تعالى » و « هل في الدارين غيري » وأمثالها ، كلها إنما هو هذا التجلي ، وأكثر زلة القدم وقعت لأهل الكشف في هذا التجلي الصوري حتى اجترؤوا على التفوه بمثل هذه الكلمات ، ووقع أكثر مزلة الأقدام للحكماء في التجلي المعنوي حيث أعرضوا

عن متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اغتراراً بمدركاتهم المعنوية فهلكوا في بادية البعد والضلال .

ولما كانت الأولياء محفوظين بيُمْن متابعتهم للأنبياء عليهم السلام وإن وقع منهم سهو في بعض أوقات غلبة السكر عليهم ، لكنهم رجعوا عنه في حال الصحو وتابوا ، فلا جرم رقاهم الله تعالى من منازل التجليات الصورية والنورية والمعنوية إلى مدارج التجليات الذاتية ، وخلصهم من مزلة الأقدام وأوصل سرهم إلى النعيم المقيم أعني التجلي الذاتي رفيع الدرجات ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . انتهى « الرشحات عين الحياة » .

وقال الشيخ العارف الرباني أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني ﷗ عن بعض العارفين قال : إن الحق سبحانه وهاب على الدوام فياض على الاستمرار ، فإن استعد العبد و تهيأ وصفا مرآة قلبه وجلاّها حصل له الوهب على الدوام ، ويحصل له في لحظة واحدة ما لا يقدر على تقييده في أزمنة لاتساع ذلك العالم وضيق هذا العالم المحسوس ، وكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولا غاية يقف عندها ، ومن كان يأخذ عن الله تعالى كيف ينتهي كلامه أبدا ، فشتان بين من يقول : حدثني فلان عن فلان وبين من يقول : حدثني قلبي عن ربي ﷯ ، وهذا وإن كان رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول : حدثني ربي عن ربي سبحانه ، وهذا هو العلم الذي يحصل للقلب من المشاهدة الذاتية والله ﷯ يرشدنا وإياكم إلى عمل نعمل صالحا يرضاه منا ، ولو فتحنا الكلام على هذه المعارف لكلت اليمين ولايكاد بالحقيقة يبين ، وليست هذه العلوم نتيجة عن فكر ونظر ، ومن طلب الأمر من غير طريقه لم يظفر بتحقيقه ، فنكل علم ذلك إلى الله وإلى من عرف الله تعالى من رسول مرسل أو ولي ملهم ، وفي الحديث : « ما التبس عليكم فكلوه إلى عالمه » . انتهى .

وأما المشاهدة والمكاشفة فقد ذكرناهما في فصلهما فراجعه .

وقال شيخ شيخنا ﷗ : وأما التجلي والواردات والأنوار فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى لا يتجلى لأرباب السلوك تجليا متساويا في الرتبة والأسلوب

الواحد والاطراد ، بل تختلف رتب التجليات باختلاف استعداداتهم من حيث القوة والضعف في الصفوة والزكاء ، ومن حيث التقرب والتبعد من الحضرة الإلهية ، لأن مراتب الكشف إنما تزيد وتنقص في التجليات الإلهية بقدر أنوار بصائر القلوب ، وقدر أنوار بصائر القلوب إنما يتفاوت بقدر القرب والبعد من الحضرة الإلهية ، كما أن مراتب رؤية الأبصار تتفاوت بقدر أنوار حاسة الإبصار ، و تفاوت أنوار حاسة الابصار هو باختلاف استعداد القوة الباصرة في اعتدال المزاج العنصري وباختلاف القرب والبعد من المبصرات ، لأن نور الباصرة«١» إنما يكون أزيد إذا كان مزاج الرائي أعدل وكان قربه عن المبصر أكثر ، فحينئذ تكون رؤيته أزيد وأكمل ، وكذلك الحال في شهود البصائر بأنوار التجليات الإلهية ، لأن نور البصيرة إنما يكون أزيد إن كان الاستعداد أقوى وكان قرب البصيرة منه تعالى أكثر فحينئذ تكون البصيرة أكثر شهودا وأكمل كشفا .

واعلم أن أشرف الأنوار وأعلاها نور الحق سبحانه وتعالى ثم نور الروح ثم نور القلب ، فإن ارتقى السالك من مرتبة القلب إلى مرتبة الروح صار نور بصيرته أشرف وأعلى من مرتبة نور القلب ، فعلم من هذا أنه كلما قرب السالك إلى الحضرة الإلهية كان نور بصيرته أشرف وألطف حتى صار له نور قريب التشابه بنوره تعالى ، فلذلك التبس الأمر لبعض من وصل إلى تلك المرتبة فتكلم بكلام دال على الله فتعالى الله علوا كبيرا ، لكن ذلك الكلام يعفى عنه وإذا تاب واستغفر واعتذر كان عذره مقبولا ، ولا يظن السالك أنه إذا وصل إلى تلك المرتبة يحصل له الاتحاد مع الحق سبحانه لأن اتحاد الخالق مع المخلوق محال ذاتي من كل الوجوه ، لأن الاتحاد معناه أن يصير الشيء بعينه شيئا آخر ، فهذا الاتحاد إما في الجسمانيات بأن يكون بالاتصال والامتزاج والتركيب وبطلانه ظاهر في حقه تعالى ، وإما في المجردات وبطلانه ظاهر أيضا ، لأن الشيئين إذا اتحدا فإن بقي أحدهما مع بقاء الآخر فيتعددان فلا

« ١ » الباصرة هي العين

اتحاد بينهما ، فإن بطل أحدهما وبقي الآخر فلا اتحاد أيضا ، وإن بطلا معا فلا وجود لهما فضلا عن الاتحاد ، فثبت بطلان الاتحادين بين الخالق والمخلوق .

وأما الاتحاد الذي يدل عليه كلام بعض الواصلين إلى نور الأحدية الذاتية في بعض السكرات فلعلاقة القربية ونسبة الأحدية التي تحت تلك العلاقة عند الالتفات إلى ذاته لاستعلاء نور الأحدية عليه ، فينطلق لسانه حينئذ بكلام حكم الأحدية وذلك الكلام ليس في الحقيقة منه بل هو كلام الحق تعالى يتكلم بلسان عبده لكمال قربيته إليه تعالى كما تكلم بالشجرة لموسى عليه السلام : ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾

وَلْتَفْـنَ حَتَّـى عَـنْ فَنائِـكَ إنَّـهُ   عَيْـنُ الوصـالِ فَعنْـدَ ذاكَ تَـراهُ
فـإذا فَنيـتَ بـهِ فَلَسْـتَ بذاتِـهِ   كَـلا وَلَا أيْضـاً تَكـونُ سِـواهُ
شَـيْئانِ مَـا اتَّحَـدا وَلكِـنْ ههُنـا   سِـرٌّ يَضيـقُ نِطاقُنـا عَمّـا هو

انتهى « جامع الأصول » ٢٢٤

واعلم أن هذا الطريق الذي نحن في صدد قطعه كله سبعة أقدام بعدد اللطائف السبع الإنسانية ، قدمان منها في عالم الخلق يتعلقان بالقالب أعني البدن العنصري والنفس ، وخمسة منها في عالم الأمر مربوطة بالقلب والروح والسر والخفي والأخفى ، وفي كل قدم من هذه الأقدام السبع ترتفع عشرة آلاف حجاب نورانية كانت تلك الحجب أو ظلمانية : « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة » .

ففي القدم الأولى التي توضع في عالم الأمر يظهر التجلي الأفعالي ، وفي الثانية التجلي الصفاتي ويقع الشروع في التجليات الذاتية في الثالثة ثم وثم ، على تفاوت درجاتها كما لا يخفى على أربابها في كل خطوة من الخطوات السبع يبعد السالك عن نفسه و يقرب من ربه سبحانه وتعالى حتى يتم القرب بتمام هذه الأقدام ، فحينئذ يتشرف بالفناء والبقاء ويبلغ درجة الولاية الخاصة .

واختار مشائخ النقشبندية ﷻ ابتداء هذا السير من عالم الأمر وهم يقطعون مسافة عالم الخلق أيضا في ضمن هذا السير بخلاف مشائخ سلاسل أُخَر ﷻ ، ولهذا كان طريق النقشبندية أقرب الطرق فلا جرم صارت نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم . شعر :

يَدُلُّ عَلى حُسْنِ الزَّمانِ رَبيعُهُ

وطريق هؤلاء الأكابر هو بعينه طريق الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فإن ما حصل للأصحاب في أول صحبة خير البشر عليه وعلى آله الصلاة والسلام بطريق اندراج النهاية في البداية قلما يحصل لكمّل الأولياء في النهاية ، ولهذا كان الوحشي قاتل حمزة ﷺ أفضل من أويس القرني الذي هو خير التابعين لنيله صحبة النبي ﷺ مرة واحدة ، سئل عبد الله بن المبارك ﷺ : أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز ﷺكذا مرة .

فينبغي أن يتأمل في أنه إذا كان بداية جماعة بحيث اندرجت فيها نهاية غيرهم ماذا تكون نهايتهم وكيف يسعها إدراك الآخرين ، وما يعلم جنود ربك إلا هو !

لَوْ عابَهُمْ قاصِرٌ طَعْناً بِهِمْ سَفَهاً — بَرَّأْتُ ساحَتَهُمْ مِنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ
هَلْ يَقْطَعُ الثَّعْلَبُ المُحْتالُ سِلْسِلَةً — قِيدَتْ بِهـا أُسْدُ الدنيا بِأَسْرِهِـــمِ

كذا قاله الإمام الرباني ﷺ الصمداني في « مكتوباته » ٧٠

فصل

في العبودية وما يناسبها والعباد

وقال الجيلي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته : الفرق بين العبادة والعبودية والعبودة هو أن العبادة صدور أعمال من العبد لله تعالى لطلب الجزاء ، والعبودية صدور أعمال البر من العبد لله تعالى لا عن طلب الجزاء عملا خالصا له تعالى ، والعبودة هي عبارة عن العمل بالله تعالى ، ولذلك كانت الهيمنة لمقام العبودة على جميع المقامات . « تنوير الصدر » على هامش « الأحزاب » في٧١

وقال ابن عطاء الله السكندري ﷺ في « حكمه » : كن عبدا لله تعالى في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى وفقرا وقبضا وبسطا .

والمعنى أي معنى قول (اجعلنا) صيرنا (عبيدا) عابدين متذللين لك خاضعين لعظمتك (في جميع الحالات) اجعلنا كاملين في العبودة الخالصة التى يختار فيها الرق على الحرية كما قال ابن الفارض ﷺ :

عَبْدُ رِقٍّ ما رَقَّ يَوْماً لِعِتْـقٍ   لَوْ تَخَلَّيْتَ عَنْهُ ما خَلّاكا

اهـ .

يعني ما مال خاطره إلى أن يعتق . منه ٧٢ . راجع « جامع الأصول » في ١٨٥ وفي ١٣٣

فصل

في بيان الفنآء والبقاء تفصيلا والغيبة عن الوجود ومعناها

وسئل أبو سعيد ابن الأعرابي ﷺ عن الفناء فقال : الفناء أن تبدوا العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم عقله .

قالوا : والفناء على ثلاثة أوجه : **فناء في الأفعال** ومنه قولهم : لا فاعل إلا الله تعالى ، **وفناء في الصفات** ومنه قولهم : لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله تعالى ، **وفناء في الذات** أي لا موجود على الإطلاق إلا الله تعالى وأنشدوا في ذلك :

فَيَفْنى ثُمَّ يَفْنى ثُمَّ يَفْنى　　　فَكانَ فَناؤُهُ عَينَ البَقـاءِ

« شرح الحكم » ١٩

وقال سيدي محي الدين ﷺ : من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ، ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل ، وأنشدوا في هذا المعنى :

مَـنْ أَبْصَـرَ الخَلْـقَ كالسَّرابِ　　　فَقَـدْ تَرَقَّـى عَـن الحِجابِ
إلـى وُجـودٍ يَـراهُ رَتْـقـاً　　　بـلا ابْتِعـادٍ وَلا اقْـتِـرابِ
وَلَـمْ يُشـاهِدْ بِـهِ سِـواهُ　　　هُنـاكَ يُهْـدَى إلـى الصَّوابِ
فَـلا خِطـابٌ بِـهِ إلـيـهِ　　　وَلا مُشـيرٌ إلـى الخِطـابِ

ابن عباد . اهـ« ١ »

« ١ » الرندي شارح « الحكم العطائية » ج ١ ص ١٦ .

وقالوا : الحجاب ينقسم إلى ما هو حجاب ظلمانيّ كثيف وإلى ما هو نوراني لطيف ، والحجاب الظلماني يكون في توحيد الأفعال للعوام الجهال والحجاب النوراني يكون للخواص في توحيد الأسماء والصفات الآخذين في طريق الأعمال الشاهدين لما يصدر عنهم من حسن الأفعال وسنيّات الأحوال .

ولكلّ حجاب علامة على من قام به ، فعلامة حجاب العوام برؤية الخلق وأفعالهم دون الله تعالى وعلامة حجاب الخواص برؤية أعمالهم وأن لهم فيها حولا أو قوة .

فالحجاب الظلماني يقتضي العذاب وسوء الحساب والثاني يقتضي الالتفات إلى الأغيار وكثائف الأستار والتعوق عن اللحوق بأهل التحقق والعيان .

فمن كان مشهده أفعال الخلق دون الله تعالى فهو بعد لم يخرج عن حيز المبعدين ولم يعدّ من أصحاب اليمين فضلا عن أن يكون من المقرّبين السابقين ، ومن شهد أن لا فعل لهم دون الله تعالى فهو معدود من عوام المؤمنين ومن جملة أصحاب اليمين فهو موحد في الأفعال وذلك متعين على كل مسلم متديّن ، فحيث صح له ذلك فقد نجا بحمد الله من ورطة الجحود وانتظم في نظام الإيمان وتكفل له بالأمان من جملة عباد الرحمن .

ومن ترقى من ذلك بأن شهد أن لا حياة لهم فذلك رتبة في التوحيد ومقام في التفريد الخاص بالمقربين ، وهو أول رتبة في طريق الإرادة وإشراق شمس السعادة ، وقد أذن له في الدخول وأن له الوصول والظفر بالمأمول ، وأماّ رتبة خواص الخواص فهو أن يشهدوا وجودهم عين العدم لاستغراق أرواحهم في شهود القدم بمطالعة أنوار الذات المحرقة وأسرار الصفات المشرقة ، فهذا هو الواصل الإمام الكامل فلو كلف إلى رؤية الغير لم يستطع إلى ذلك سبيلا ، جعلنا الله تعالى من محبيهم وأيّدنا على آدابهم آمين ، قاله السيد ابن زيني دحلان ﭬ .

وقال الشيخ السهروردي ﷺ : و من ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للإذن هو باق ، والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق ، والفاني محجوب بالحق عن الخلق ، والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثائق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج عن القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه . انتهى « عوارف » في الباب ٦١ .

وقال العارف بالله علي بن حسين الهروي عن شيخه عبيد الله الأحرار قدس الله أسرارهما قال : قال شيخنا : قال بعض أكابر النقشبندية قدس الله أرواحهم : إن وجود العدم يعود إلى وجود البشرية ، وأما وجود الفناء فلا يعود إلى وجود البشرية .

ومعنى هذا الكلام بحسب الظاهر أن المراد من وجود العدم هو تحقق صفة العدم في الطالب التي هي عبارة عن الغيبة التي تحصل للمبتدئين في الطريقة النقشبندية في أثناء مشغوليتهم ، وأما بحسب الحقيقة فإن وجود العدم عبارة عن ظلّ الوجود الحقيقي الذي يلقيه إلى مدركة السالك ثم بواسطة كمال شغله الباطني وخلو قلبه عن النقوش الكونية يظهر ذلك الظل بعد غيبته ، وهذا الظل هو وجود ذلك العدم وهذا الوجود يعود إلى وجود البشرية يعني يزول هذا الظل ثانيا ويستتر ويغلب لوازم وجود البشرية ، بخلاف الوجود الموهوب الحقاني الذي يقال له البقاء بعد الفناء فإنه لا يزول لحصوله بعد التحقق بمقام الفناء فكما أن الفناء يعقبه وجود البقاء كذلك هذا العدم يعقبه الوجود ، وذلك الوجود وإن كان في الحقيقة ظل الوجود الحقيقي الباقي لكنه بواسطة عدم التحقق بمقام الفناء يتوارى أحيانا إلى أن يكون ثابتا وراسخا انتهى .

وقال الشيخ عبيد الله الأحرار ﷺ : إذا استتر الملك والملكوت عن الطالب ونسيهما الطالب يكون ذلك فناء ، وإذا استتر وجود السالك عن نفسه يكون ذلك فناء الفناء ، امتُحِنَ فلان في هذا المعنى فاستولت عليه الهيبة فتضرع حتى ارتفعت عنه ولذا لم يجوز الأكابر امتحان هذه الطائفة .

وقال بعض السادات ﷺ : ليس معنى الفناء المطلق أن لا يكون لصاحب الفناء شعور بأوصافه وأفعاله أصلا ، بل معناه نفي إسناد الأوصاف والأفعال إلى نفسه بطريق الذوق وإثباته للفاعل الحقيقي جل ذكره ، وما قاله الصوفية إن النفي لا ينافي الإثبات إنما هو بهذا المعنى . انتهى

ثم اعلم أيها الرشيد الموفق أن أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة ولجميعهم محامل ، وكلهم تكلموا على وفق مشربه وعلى قدر استعداده ، وكلهم إن شاء الله تعالى على الحق والصواب وما قاله أهل الحق حق بلا ارتياب .

قال في « عوارف المعارف » : فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوحية فهو ثابت بوصف التوبة ، وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد ، وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس ، وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق .

و كل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على كون العبد ، فيغلب كون الحق على كون العبد ، وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن ، فأما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق ثم يأخذه في المعاملة مع الله تعالى بحسبه ، حتى سمعت أن بعض من أقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض«١» الله له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب ، وهذا لعمري فناء لأنه فني عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله تعالى .

والفناء الباطن أن يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولي على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسوسة ،

« ١ » أي يقدّر .

وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه ، وقد يتفق لبعض الناس غيبة الإحساس وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق .

وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري ﷺ وقلت له : هل يكون بقاء المتخيلات في السر ووجود الوساوس من الشرك الخفي ، وكان عندي أن ذلك من الشرك الخفي فقال لي : هذا يكون في مقام الفناء ، ولم يذكر أنه من الشرك الخفي أم لا . انتهى

وقد ذكر أيضا فيه : وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله تعالى فناء ، يعنون فناء إرادة الهوى كما ذكرنا هذا آنفا ، والإرادة ألطف أقسام الهوى ، وهذا الفنآء هو الفناء الظاهر وأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود ، ويكون في تجلي الذات وهو أكمل أقسام اليقين في الدنيا ، وأما تجلي حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة ، وهو المقام الذي حظى به رسول الله ﷺ ليلة المعراج ومنع منه موسى ﵇ بـ (لن تراني) ، فليعلم أن قولنا في التجلي إشارة إلى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة ، فإذا وصل العبد إلى مبادي أقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواه يكون تناوله الأقسام من الفتوح . انتهى « رشحة » ٢١٢ .

وقال بعض العارفين : إن الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلاً بمن فني فيه .

وقد قال عامر بن عبد الله ﷺ : لا أبالي امرأة رأيت أم حائطا ، ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات ، والبقاء يعقبه وهو أن يفنىعما له ويبقى بما لله تعالى .

وقيل الباقي أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا ، فيكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات .

وعندي أن هذا الذي ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوحية وليس من الفناء والبقاء في شيء .

ومن الإشارة إلى الفناء : روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه فقال : كنا نتراءى الله تعالى في ذلك المكان .

وقيل : الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل .

وقال الخراز قدس سره : الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق .

وقال الجنيد : الفناء استعجام الكل واشتغال الكل منك بكليته .

وقال إبراهيم بن شيبان قدس سره : علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية وماكان غير هذا فهو من المغاليط . انتهى

اعلم أن المقصود من الفناء الذي هو عبارة عن نسيان ما سوى الحق تعالى هو زوال تعلق المحبة بما دون الحق سبحانه وتعالى ، فإنه إذا زالت ذوات الأشياء وصفاتها وأفعالها عن النظر والإدراك يزول تعلق المحبة بها بالضرورة ، ولا بد في طريق الولاية من نسيان السوى ليزول التعلق بما دون الحق سبحانه وتعالى وفي مدارج قرب النبوة لا حاجة في زوال التعلق بالأشياء إلى نسيان الأشياء أصلا ، فإن في قرب النبوة لا يبقى التعلق بالأصل الذي هو حسن وجميل في حد ذاته اسما ولا رسما عن التعلق بالأشياء وهي قبيحة لا حسن فيها في نفسها سواء نسيت الأشياء أو لا ، فإن صفة الذم إنما عرضت للعلم بالأشياء بواسطة قبح التعلق بها لكونه مستلزما للإعراض عن جناب قدسه تعالى ، فإذا زال التعلق بالأشياء زالت صفة الذم عن العلم بها فلم يبق مذموما وكيف يكون العلم بالأشياء مذموما فإن الأشياء كلها معلومات الحق سبحانه وتعالى وعلمه بها من صفاته الكاملة .

فإن قيل : إذا لم يكن العلم بما دون الحق سبحانه وتعالى زائلا فكيف يجتمع العلم بالحق تعالى مع العلم بما سواه سبحانه وتعالى في وقت واحد فلا مندوحة إذا من نسيان ما سواه تعالى .

قلت : إن العلم المتعلق بالأشياء من قبيل العلم الحصولي والعلم المتعلق بحضرة الحق سبحانه وتعالى مشابه بالعلم الحضوري ، فكلا العلمين يجتمعان في وقت واحد ولا يلزم منه محذور أصلا ، وإنما يلزم المحذور إذا كان كلا العلمين حصوليين ، وإنما قلنا من قبيل العلم الحصولي ومشابه بالعلم الحضوري فإنه ليس هناك حقيقة الحصول ولا مجال للحضور ، وعلمه تعالى المتعلق بالأشياء ليس حصوليا فإنه لا حلول للحوادث في ذاته تعالى وصفاته ولا حصول ، وعلم مثل هذا العارف ظل من ذلك العلم ، والعلم المتعلق بحضرة الحق سبحانه وتعالى لا يمكن أن يقال أنه حضوري فإنه تعالى أقرب إلى المدركة من نفس المدركة أيضا .

والعلم الحضوري بالنسبة إلى ذلك العلم كالعلم الحصولي بالنسبة إلى العلم الحضوري ، وهذه المعرفة وراء طور العقل والفكر من لم يذق لم يدر .

فتقرر أن العلم بالأشياء ليس بمناف للعلم بالحق ، فلا يكون نسيان الأشياء لازما أصلا بخلاف طريق الولاية ، فإن زوال علاقة الأشياء هناك غير متصور بدون نسيان الأشياء ، فإن في الولاية تعلقا بالظلال وليس في ذلك التعلق قدرة إزالة التعلق بالأشياء مع وجود العلم بها ، فلا بد فيها أولا من نسيان الأشياء حتى تزول التعلقات بها ، وهذه معرفة مخصوصة بهذا الدرويش لم يتكلم بها أحد ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله تعالى لقد جاءت رسل ربنا بالحق قاله الإمام الرباني ﷿ في « مكتوباته » في ٣٧٠ .

وقال الخواجه علاء الدين نوّر الله مرقده وطيب مشهده : إن المريدين من بركة نظر حضرة الخواجه بهاء الدين ﷿ يتشرفون بسعادة المراقبة في القدم الأول ، وإذا أراد نظر حضرة رحمته يصلون إلى درجة الفناء ويفنون عن أنفسهم ويبقون بالحق . انتهى كلامه .

سأل بعض أكابر الطائفة حضرة الخواجة ﷿ عن معنى قول البعض : « الصوفي غير مخلوق » فما تأويل هذا الكلام ؟ أجاب حضرة الخواجه ﷿

وقال : إن للصوفي في بعض الأوقات صفة وحالا لا يكون فيها هو ، فهذا الكلام بالنسبة إلى ذلك الوقت ، وإلا فالصوفي مخلوق .

أشار ﷺ في هذا الجواب إلى حالة كمال الفناء فإنه يذهب فيها الوجود الوهمي ويضمحل بالكلية ويبقى الوجود الحقيقي المنزه عن نقائص الحدوث ، فالمراد بغير المخلوق هذا الوجود ، لا الوجود الوهمي الذي هو صفة الصوفي .

وهذا معنى لا يتضح بالعبارة وإنما المقصود منها الإشارة فعليك بمقام الإيمان في هذا الشأن حتى يذيقك الله تعالى لمحة من الفناء فتدخل مقام الإحسان وتشاهد الأمر بالعيان والله المستعان .

وإن أكابر الأولياء يعرض عليهم أحوال في الفناء كما في السكر ، بيد أن لهم في ذلك أسرارا خصهم الله تعالى بها لا يطلع عليها أحد إلا من أذاقه الله تعالىمن العلم اللدني .

فانظر إلى ما قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله : (أنا الحق) فأراد به حقيقة نفسه ، وكذلك قال فرعون : (أنا ربكم) لكن أراد به صورة نفسه ، فلو عرف فرعون حقيقة نفسه لكان قوله (أنا) مقبولا . والله أعلم

وقال الخواجه بهاء الدين قدس سره في معنى « الكاسب حبيب الله » : إن المراد من الكسب هنا كسب الرضا ، ومعنى هذا الكلام : ينبغي للعبد أن يكسب ملكة الرضا بكل ما يفعله الحق سبحانه ، وفي الحقيقة يتيسر حصول هذا المعنى إذا تحقق العبد بالفناء الحقيقي .

وقيل : الفاني لا يرد إلى أوصاف البشرية ، ذكره في « جامع الأصول » ، وبحصول الفناء التام يحصل له أول درجة الولاية الصغرى .

تنبيه

ليس معنى الفناء والزوال هو الفناء الوجودي والزوال الوجودي ، ومعنى البقاء بالله هو زوال الإمكان من الممكن رأسا وحصول الوجود له ثانيا ، فإنه محال عقلي والقول بذلك كفر ، بل هو خلع وليس مع بقاء الإمكانية مثل خلع وليس أثبته أرباب المعقول في العناصر بطريق الكون والفساد إلا أنهم أبقوا هيولاها ثابتا في الحالين مع تبدل الصور النوعية ، ونحن لا نقول بالهيولى ولا نثبته بل نقول أن الفناء والبقاء إعدام وإيجاد من القادر المختار جل شأنه ، جاء في الخبر : « لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين »، كأنه أشار إلى الإيجاد الثاني بالولادة الثانية .

وإنما قالوا البقاء بالله تجوزا وتشبيها لزوال الصفات الرذيلة وحصول الأخلاق الحميدة كأنها شبيهة بصفات مرتبة الوجود تعالت وتقدست ، وقد حققت في غير موضع أن ذات الممكن هو العدم ليس إلا هو فلا معنى لزواله ، فإن الممكن ممكن في جميع الأحوال حال الفناء والبقاء كما كان في حال عدمهما ، والواجب تعالى واجب على الاستمرار والدوام لا يلحق بجناب قدسه شيء ولا ينفصل عنه أمر .

ولا يخفى عليك أن بقاء الإمكان في الممكن ليس عبارة عن بقاء الأثر في الممكن وبقاء ثبوته في مرتبة من مراتب الثبوت فإنه مناف للفناء الأتم ، والفاني بهذا الفناء بعد رد الأمانات إلى أهلها ورد الظلال المنعكسة فيه إلى أصلها من الوجود وتوابعه كلها من الصفات الكاملة والنعوت الفاضلة لحق هو بالعدم الصرف الكامل في العدمية بحيث لم يوجد فيه إضافة ولا نسبة إلى شيء ولا اسم ولا رسم ، فإن وجود الإضافة في العدم ينبئ عن ثبوته ولو في الجملة « مكتوبات » الرباني ٧٠

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﵠ في « جامع الأصول » في ٥٦ : واعلم أن أكابر النقشبندية جعلوا أصل الفائدة في الجمعية والحضور ، وأنهم لا يمدون أيديهم إلى كل رطب ويابس ولا يتوجهون إلى الصور والأشكال الغيبية ولا يعتبرون

الكشف والأنوار ويرغبون بحصول أمور أربعة : الجمعية والحضور والجذبات والواردات .

فالجذبات عبارة عن انجذاب اللطائف إلى جهة الفوق ، والواردات عبارة عن ورود حال من جهة الفوق على القلب بحيث لا يطيق تحمله إلا بتعسر ويقولون لهذه الواردات في هذه الطريقة الإعدام والوجودات ، وهذا الوارد يرد على السالك في ابتداء حاله أحيانا بل يرد في كل شهر مرة ثم يكثر وروده فيرد في كل أسبوع مرة وفي كل يوم مرة بل في يوم مرات إلى أن يصل من التواتر إلى التوالي فيحصل اتصال الواردات ، وهذا العدم والوجود هو الفناء والبقاء في جهة الجذبة ، ولكن متى تحقق فناء القلب زال من ساحة الصدر التعلق العلمي والالتجاء لما سواه ولم يظهر خطور السوى أصلا وفناء القلب يصير في تجليات الأفعال الإلهية يعني رؤية أفعال ما سوى الحق آثار فعله تعالى ، وإذا غلبت هذه الرؤية على السالك يرى أيضا صفات الممكنات وذواتها مظهر صفات الحق وذاته ويترنم بالتوحيد الوجودي ، وهو عبارة عن رؤية وجود الممكنات أمواج وجوده ويرى ذاته تموجه في بحر وجود حضرة الحق ويقول لهذا أرباب التوحيد الوجودي الفنآء في الله ، وإذا استغرق السالك في هذا البحر لم يجد لبصيرته مشهودا سوى البحر ، وكلما نظر إلى كل جانب لا يرى غير البحر وأمواجه ، بل يجد ذاته قطرة من هذا البحر ويرتفع من نظره امتياز القطرة أيضا لكمال استغراقه . انتهى

وسئل أبو الحسن الخرقاني ﷰ : لمن يجوز التكلم في الفناء والبقاء ؟ قال : لمن إذا علقوه بشعرة في الهواء فجاءت ريح شديدة بحيث تقلع الأشجار وتهدم الجدار وتكدر البحار وتحرك الجبال والأحجار لا تقدر أن تحركه من مكانه قيد أشبار ، يعني لا يترك ما هو فيه وإن عظمت المصيبة وعمت الحوادث لقوة يقينه ، وقال : لا تصاحبوا شخصا إن أنتم تقولون الله هو يقول شيئا آخر . « رشحة » ١٥

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، فالحنيف هو الذي مال بكليته إلى الله تعالى ولم تبق له وجهة إلى سواه ، والخلة هي كصبغ الثوب فالعرض الجوهر والجوهر العرض ، فمن أسلم وجهه لله أي أسلم نفسه فلم يبق له في نفسه تصرّف ولا تدبير ، وصار حنيفا مائلا بكليته إلى الله تعالى لا يرى سواه ، صار بصره الذي يبصر به الخ كذا في « العقد النفيس » ١٢٦ .

فصل

في بيان الرابطة وكيفيتها وما يترتب عليها

الرابطة أمر مهم في هذه الطريقة الصديقية ويحصل بها منافع كثيرة، وإن السادات ما زالوا يواظبون عليها، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

فعلى مقتضى معناها قال الشيخ خواجه عبيد الله الأحرار السمرقندي قُدِّسَ سِرُّهُ: إن معنى الكينونة مع الصادقين على وجهين: أحدهما أن تكون المعية بالصورة بأن يكون بصدق الصحبة ملازما معهم مجالسا بحسن الظن مع أهل الصفاء فيتنوّر باطنه بتلك المصاحبة، وثانيهما بالمعنوية أي بالجهة المعنوية، وذلك بأن يكسب السالك الصادق طريق الرابطة مع أهلها، فبتلك الطريقة وبواسطة أهل الكمالة يتجوهر باطنه وينال مطلوبه.

ومن المعلوم أن صورة الرابطة أن المريد يخيل صورة شيخه بين حاجبيه ويجلس بالتواضع والانكسار فانيا في شيخه متسلما له بحيث يعلم أن نفسه في قبضة شيخه يتصرف فيها كيف شاء، ويصبر كذلك منتظرا لنزول الفيض من الشيخ حتى يحصل له المطلوب، وأن كبار المشائخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ عدوا الرابطة طريقا موصلا حتى قال شيخ محمد معصوم قُدِّسَ سِرُّهُ: إن الرابطة الكاملة التي حصلت برعاية آداب الصحبة كافية للوصول، فافهم، فبناء عليه إن رابطة المريد لشيخه مع الاستعداد التام والقابلية موجبة للفيض بقدر استعداده.

وإنما عدّت الرابطة من المهمات لما أن المراد من الرابطة مطلقا أن الصحبة مع الشيخ كلّ وقت حضرا وسفرا متعذر، فلذلك يحتاج المريد إلى الصحبة المعنوية ليرابطه في غيبته كما في صحبة حضوره، فصارت الرابطة متعارفة بينهم بالصحبة المعنوية، فافهم والله تعالى يتولاك.

ثم اعلم أيها الأعز وفّقك الله تعالى للاستقامة أن طرق الوصول إلى الله تعالى عند السادات النقشبندية ﷺ أربعة : فمنها الرابطة ، وهي طريقة مستقلة للوصول ، وهي عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ، فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤا ذكر الله » تحصل الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » .

ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على جليس الصالح ، والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المرء مع من أحب » ، فبحفظ الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله التي له .

وقيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله تعالى ، وإن وجد في إحضار الصورة سكرا أو غيبة يترك الالتفات إلى الصّورة ويكون متوجها إلى ذلك الحال ، كما نقل في « مقامات السنية النقشبندية » أنه كان واحد من الصوفيّة مشغولا بطريق الرابطة ، وكان يوما في مجلسه«١» متوجها إلى تلك الصورة فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها ، فقال خواجه نقشبند قُدِّسَ سِرُّهُ : خلني وكن متوجها إلى تلك الغيبة ، لأن زمان الغيبة عمّا سوى الله تعالى يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم .

وفي « المعربات » : قال الغوث الصمداني قُدِّسَ سِرُّهُ : ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته ، الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي وانصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات ، فنظره شاف للأمراض القلبية ، وتوجهه رافع للعلل المعنوية ، وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان ، الأقطاب والبدلاء بظلال مقاماته قانعون ، والأوتاد والنجباء بقطرة من بحار كمالاته متسلون كما قاله الشيخ الخاني قُدِّسَ سِرُّهُ في « بهجته » .

« ١ » كذا في الأصل والمقصود في مجلس الخواجه نقشبند قُدِّسَ سِرُّهُ .

واعلم أن استحضار الرابطة على أقسام : **الأول** أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة ولا يزول عن التوجه إليها حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة .

الثاني أن يتصور صورته بين جنبيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة كذلك حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة ، فبعد حصول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة ، وكلما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يرجع إليه ذلك الحال ، فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ .

فعند ذلك يشاهد روحانية الشيخ مع كمالاته في صورته لأن الكمالات لا تفارق الروحانية ، فتربّيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى فيكون من الواصلين الكاملين ، فبالرابطة يتربىّ المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب .

الثالث أن يتخيل صورة شيخه في جبهته ويقررها وسط الجبهة ، وهو أقوى لدفع المخيلات من القسمين اللذين قبله .

والرابع أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه ، وهو أعون على دفع الخطرات القلبية .

الخامس أن يتخيل الصورة في جبهته وينزل إلى وسط قلبه ويقدر أن القلب دهليز واسع ويقطع الخواطر جملة واحدة ، وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبها .

السادس أن ينفي نفسه ويثبت شيخه ، وهو أقوى لرفع البليات .

ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، فبالرابطة يستفيض الشيوخ عن

الصبيان الكاملين ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرف ولاية روحانية المفيض وتتصرف فيه الروحانية وتفيض عليه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلغه إلى الحضرات العلية ، سواء كان المفيض ميتا أو حيا وسواء عرف ذلك أو لم يعرف . انتهى ما ذكره الشيخ الخاني ﷺ في « بهجته » .

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﷺ في « جامعه » في ٥٦ : إن الرابطة عبارة عن حفظ السالك صورة شيخه في مدركه أو في قلبه أو يتصور صورته بأنها صورة شيخه ، فإذا غلبت الرابطة على السالك يرى صورة شيخه في كل شيء ويقولون لهذا الفناء في الشيخ ، فطريق الرابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب ، فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلا ، وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الإيصال . انتهى

وقال ابن علوان رضي الله عنه :

سَعِدَتْ عَيْنٌ رَأَتْكَ وَقَـرَّتْ وَ كذا عينٌ رَأَتْ مَنْ رَآكا

ومثّلوا ذلك بالشمس إذا أشرقت على الجدار أنار الجدار الآخر لمواجهة ذلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وهذه طريقة معروفة عند المشائخ يسمونها بالرابطة ، وهي رؤية وجه الشيخ فإنها تثمر ما يثمر الذكر بل هي أشد تأثيرا من الذكر لمن عرف شروطها وآدابها ، وذلك إنما يكون للشيخ الكامل العارف المتشرف بالتجليات الذاتية ، ومن ذلك كان تربيته ﷺ للصحابة وكانوا يستغنون برؤية طلعته الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ، ولهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم لا تتضاهى« ١ » ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى . انتهى

« ١ » أي لا يشابههم أحدٌ .

قال في « البردة » :

وَكُلُّهُــمْ مِنْ رَسولِ اللهِ مُــلْتَمِــسٌ غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

قال بعضهم : دخلت على ذي النون المصري ﷺ فرأيته هو وأصحابه مراقبين ، فانتفعتُ بالرؤية قبل سماع الكلام ، وهكذا العارف تستفيد من لحظه قبل أن تسمع شيئا من لفظه ، وترشدك أحواله من قبل أن تصل إلى سمعك أقواله .

قال بعضهم في معرفة مثل هذا العبد :

إذا أَنْتَ قد جالَسْتَ شَخْصاً وَلَمْ تَجِدْ حُضورَكَ يَنْمـو فَاجْـتَـنِـبْـهُ وَفارِقِ
وَلا تَصْحَبْ الأَغْيارَ واخْتَرْ مُصاحِباً يُفيدُكَ جَمْعَ القَلْبِ مِـنْ غَيْرِ عائِـقِ

وقال الشيخ العارف علي بن حسين الهروي ﷺ في « الرشحات » : قال مولانا نظام الدين ﷺ : المشيخة هي أن يقدر الإنسان أن يجمّل نفسه بجمال في نظر المريدين ، فإنه متى لم يوجد الجمال لا تتقوّى رابطة المريد بمراد وجه المحبة التي هي موجبة للجذبة والتصرف ، وقد علمت ذلك بتدبير العقل وتجربته ، ولكن لا وقت لي لأن أتكلّف دائما وأُظهر نفسي بالجمال حتى لا يقع فتور على عقائد الناس وعلاقتهم ، ولهذا سن تسريح اللحية وتحسين تكوير العمامة وتنظيف الثياب وغيرها مما يترتب عليه تحسين الظاهر . « رشحة » ١٩٦

ثم اعلم أن الوجه الذي صار سببا لفتور نسبة الرابطة مانع من الالتذاذ بالطاعات ، وسبب الفتور أحيانا يكون قبضاً وأحيانا كدورة طارية بواسطة ارتكاب زلات وإن كانت قليلة ، والوجه الأول ليس بمذموم ، بل هو من لوازم سلوك الطريقة ، وينبغي تدارك عروض الوجه الثاني بالتوبة والاستغفار إلى أن يرتفع أثره بكرم الله سبحانه وتعالى .

وحيث أن التميز بين القبض والكدورة يستدعي دقة النظر فالتوبة نافعة على كل حال أدام الله تعالى لنا ولكم الاستقامة « مكتوبة » ١٥٠ .

وقال الشيخ الهروي ﷺ في « المكتوبات الربانية » : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلف وتعمل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً ، فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار ﷺ في الفقرات أن ظل الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع ، يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعا تاما والسلام .

وقال ذو الجناحين محمد مراد المنزلوي ثم المكي ﷺ في هامش « المكتوبات » نقلا عن « مفتاح الفلاح » في آداب الذكر : قالوا – يعني المشائخ – : وإن كان – أي المريد – تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهاديه ، ويستمد أول شروعه في الذكر من همته معتقدا أن استمداده منه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في رسالته « مدارج السالكين » : الأدب السابع أن يخيل خيال شيخه بين عينيه ، وهو عندهم من أهم الآداب وآكدها .

وقال أيضا في « البحر المورود » : اعلم يا أخي أن ربط أحدنا قلبه بشيخه حي أو ميت ينفعنا ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخا ، لأن ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله تعالى لا لذاته ، ومحال أن يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنه الظمآن مآء ويفقد عند عبد من عباده مشهور بالصلاح مع أن السراب ليس له حقيقة ، بخلاف الصالح له وجود وحقيقة ، فافهم .

وقال الشيخ تاج الدين الحنفي ﷺ في كتابه المشهور بـ « التاجية » : الثانية طريقة الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالتجليات الذاتية ، فإن رؤيته بمقتضى « هم الذين إذا رؤوا ذكر الله » .

فينبغي أن يحفظ صورته في الخيال وتتوجه للقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس ، وإن وقفت عن الترقي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن في خيالك وتعتبر من كتفك إلى قلبك أمرا ممتدا وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك ، فإنه يرجى لك حصول الغيبة والفناء . انتهى

وقال الشيخ إبراهيم بن عمر الملا الأحسائي ﷺ في « رسالته » : فإن لم تمكنه مصاحبة الشيخ لتعذره ببعده عنه ، فعليه بإحضاره في خياله ويعتقد أنه في حضرته وصحبته ويتصور نفسه كأنها بين يديه ويحفظ ذلك التصور في خياله ويفنى في وجود الشيخ بكليته ، ثم يتوجه من وجود الشيخ إلى الله تعالى ويتكلف بذلك ، ويكرره مرة بعد أخرى إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن أسرار المعاني فيكون بالله لا بغيره ولا بنفسه . انتهى في هامش « المكتوبات » ٢٦٨

بيد أن قول العارف تاج الدين الحنفي ﷺ : وإن وقفت عن الترقي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن . . الخ ، وهذا لم نعهَد من مشائخنا ولم نسمع منهم و . . الخ .

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إن لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة ، وإن قدر عليها يجب عليه أن يترك الرابطة ، لأن الاشتغال بالرابطة حينئذ اختيار التنزل على الترقي وترجيح مرتبة الحجاب على مرتبة الشهود فذلك إعراض عن الله تعالى ، ولكن لا يترك محبة الشيخ ولا يترك نسبته لأن حفظ النسبة يزيد المشاهدة ويقرب السالك إلى مقام الأنس والمحادثة . « سلسلة الخواجكان »

ومن آداب الرابطة أن يعتقد المريد أن كمالات الشيخ لا تفارق الروحانية وأن الروحانية ليست مقيدة بمكان دون مكان أخرى ، ففي أي مكان يتصوره تحضر فيه روحانيته .

وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى ، وأن يحفظ محبة شيخه ، وأن يراعي نسبته في كل حال وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكن فيه ذلك الحال لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده .

وأن يداوم على الرابطة في جميع الحالات ولا يفارقها أصلا لما أن الرابطة تربي المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب .

ومع ذلك إن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرّف بقوة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن نظر إلى روحانيته بعين البصيرة شاهد الحق فيها .

فبالرابطة يستفيض الشيوخ عن الصبيان الكاملين ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرف ولاية روحانية المفيض ويتصرف الروحانية بولايته وتفيض فيه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلغه إلى الحضرات العلية ، سواء كان المفيض حيا أو ميتا و سواء عرف ذلك أو لم يعرف . « سلسلة خواجكان » .

وقال الشيخ محمد الخاني ﵏ : تنبيه : قد علم مما تقرر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله سبحانه وتعالى الأتمَّين ، ولكن هنا مزلة الأقدام لأن هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ونهايتها في بدايتها ، فربما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه فضلا عن حصول بقائه فيظن كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة فيخسر هو ومن رابط به ، فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك .

وقد أخل بهذا الشرط في هذا الزمان أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن بتلقين الذكر من جناب حضرة سيدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا أبي البهاء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجددي ﷺ وأمرهم أن يلقنوا رابطة للمريدين لأنه مشهود له بالكمال ومأذون له بذلك من قبل مرشده الكامل المشهود له . انتهى

وقد زجر الشيخ ضياء الدين شاه خالد ﷺ مريديه عن ذلك وكتب إلى المريدين والمأذونين بعنوان النهي عن ذلك والمقصود من ذلك أن حضرة الشيخ شاه خالد سليماني ﷺ لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأتمين .

ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك ، والعجب العجيب أن بعض مريدي هذا المنهي المزجور هم كذلك يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، وادّعى بعضهم أن الميت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفات إلى الدنيا ، وهذا القائل خطؤه أشد من خطأ مدعي الكمال في نفسه ، لأنه يفهم من قوله إنكار تصرّف الأولياء بعد موتهم نعوذ بالله من ذلك ، وكأنه غفل عما هو متفق عليه بين أهل الطريق .

ولقد سألت شيخنا العارف ذا الجناحين أبا عبد الرحمن زين الله الشريفي المعموري ونفسي فداه عن الرابطة إلى من نرابط ؟ فوصل الكتاب : يمكن أن ترابط إلى من هو أحب إليك سواء الشيخ خالد سليماني أو آخر من خلفائه من مشائخكم ، لأن الرابطة مربوطة بالمحبة الحبية ولا تؤثر الرابطة إلاّ مع المحبة التامة وقد كتب في حق ذلك كتابا وعبارته هذه :

واعلم أن الشيخ خالد السليماني ﷺ خرجت روحه الزكية من الدنيا إلى المقامات العلية من الآخرة ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ولم يأذن لأحد بأن يجعل إلى نفسه رابطة فيما نعلم ، بل كان ينهى عن ذلك أشد النهي كما قدمنا لك بعضه .

والشيخ إسماعيل القائم مقامه ﵇ لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة مع أنه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ومنصوب مقامه ، وكذلك الشيخ عبد الله الهروي ﵇ لما جلس مجلس الكمال بعد سيدنا الشيخ إسماعيل ﵇ لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء ، فانظر أيها الأخ إلى أدب هؤلاء السادة الكرام الذين هم أخص رجال الطريقة العلية . انتهى ما قاله الخاني ﵇ .

وقال : وقد أطلنا هنا لأجل التنبيه والتحذير من الاغترار بذلك ، لأن ضرره عظيم على المريدين لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، والناقص هو عاجز عن دفع الغفلة والظلمة وطرد الشيطان عن قلبه ، فكيف بمن يستحضره ، ويدلك على أن سبب ادعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول بعض الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدّد الألف الثاني ﵇ في بعض « مكتوباته » بقوله : ولما كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوال تشبه أحوال المنتهين ، بحيث لا يفرق بين هذين النوعين من الأحوال إلا عارف حديد البصر من الرجال .

الرابطة وهي عند الصوفية مطلقا انتظار المريد بعين البصيرة إلى روحانية الشيخ مع ميلان قلبه إليه بالمحبة الذاتية ، وقد أشرنا إليه في أول هذا الفصل ، وأما عند النقشبنديين فهي على نوعين :

أحدهما أن تكون عند حضور الشيخ ، فكيفية ذلك أن يتوجه المريد مع المحبة الذاتية إلى قلب الشيخ بطريق التسليم إليه والاستهلاك فيه حتى يفنى عن جميع صفاته في صفات الشيخ

وثانيهما أن تكون في غيبة الشيخ ، فكيفية ذلك أن يتصور المريد صورة شيخه بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة ولا يزال عن التوجه إليها حتى يحصل له الغيبة أم أثر الجذبة ، فبعد حصول أحد الأمرين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل يعني الغيبة أم أثر الجذبة ، فهكذ يداوم

على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ، فعند ذلك يشاهد روحانيته مع كمالاته في صورته لأن كمالاته لا تفارق روحانيته ، فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن يوصل إلى الله تعالى فيكون من الواصلين الكاملين .

فالرابطة تقرب المريد من الشيخ ولو كان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، وبها يستفيض الشيوخ عن الصبيان الكاملين ويستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرف ولاية روحانية المفيض ويتصرف الروحانية بولايته وتفيض فيه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلغه إلي الحضرات العلية سواء كان المفيض حيا أو ميتا وسواء عرف ذلك أو لم يعرف .

وهي أقرب الطرق للوصول إلى الله تعالى فلا يحتاج بعد ذلك إلى أمر آخر ، وهي أصل الوصول **لأن جميع الأصول تحتاج إلى الرابطة في ظهور خصائصها لا سيما في هذه الطريقة العلية** ، لأن جميع الأشغال تحتاج إليها فلا يفيد شيء منها إلا بمقارنة الرابطة ، فلذلك سميت هذه الطريقة الرابطة .

اعلم أن الرابطة فرع المحبة فمن لم يكن فيه محبة لم يكن فيه رابطة ، وهي مما يتوقف عليه الاستفاضة فمن كانت فيه الرابطة يمكن له التربية والاستفاضة ومن لم يكن فيه الرابطة لم يمكن الاستفاضة ولو قارن الخضر عليه السلام ، ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إذا كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوة الولاية ، لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن نظر إلى روحانيته بعين البصيرة شاهد الحق فيها .

وهي على قسمين : إما أن تكون مع الأحياء أو تكون مع الأموات .

فأما التي تكون مع الأحياء فقد بينا كيفيتها ، وأما التي مع الأموات فكيفيتها أن يجرد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية ويعري قلبه من العلوم والنقوش والخواطر الكونية ، ثم يتصور روحانية ذلك

الميت نورا مجردا من الكيفيات المحسوسة ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت أو حال من أحواله ، لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات الإلهية فمن أدخل المنبع في قلبه يناله فيض منه البتة .

وإن كانت الرابطة عند قبر ميت فلا بد أن يسلم على صاحب ذلك القبر ثم يقف في طرف اليمين قريبا من رجليه ويضع يده اليمنى على اليسري فوق السرة ويطرق رأسه على صدره ثم يقرأ الفاتحة مرة وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة وآية الكرسي مرة ويهب ثوابه لذلك الميت ،

ثم يجلس عنده ويتوجه إلى روحانيته في القبر بطريق الاستفاضة ، ومن توجه من محله إلى روحانية النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورة يستفيض منه ، وكذلك إذا توجه أحد من محله إلى روحانية الأولياء في قبورهم يستفيض .

فالرابطة من غير توجه كافية في الاستفاضة ، نعم إذا اجتمعت مع التوجه فنور على نور ، لكن المدار على قوة الرابطة فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريقة وكمالات الحقيقة ، ومن اختلّت رابطته انقطعت استفاضته ولم يحصل له أحوال السلوك ولم يظهر له أسرار الوصول « الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الحسيني الغازي الغموقي قدس سره .

فصل

في بيان السير والسلوك والجذبة

اعلم أيها السعيد أن لأهل الطريقة سيرا وسلوكا ، والمراد منهما سِيَرٌ علميّة« ١ » وسلوك عرفانية ، وهي من مقولة الكيف وليس هنا للحركة المكانية مجال .

قال الإمام الرباني مجّدد الألف الثاني ﷺ : إن للسير والسلوك أربع مراتب :

الأولى مرتبة السير إلى الله تعالى ، وهو عبارة عن الحركة العلمية ، وذلك أن الحركة من الأدنى الأسفل إلى الأعلى والأشرف ثم منه إلى أعلى الأعلى وأشرف الأشرف يترقى كذلك حتى ينتهي إلى علم واجب الوجود ، وممكنات هذه العلوم بالكلية مضمحلة عن نقش لسان السالك فافهم ، ثم بعد هذا العلم يحصل للسالك حال صادق ويعبر عنه عند المشائخ الكرام بالفناء في الله تعالى ونشير بعد إلى بيان هذا إن شاء الله تعالى .

والثانية من تلك المراتب سير في الله ، وذلك أيضا عبارة عن الحركة العلمية ، وهو علم مراتب واجب الوجود والأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات والتقديس والتنزيه الإلهي ، وما وراء هذه فهو مما لا يمكن التعبير عنه والإشارة والتسمية بل التعبير عنها محال فتدبر ، وسادات الطريقة يعبّرون عنها بالبقاء بالله تعالى .

والثالثة من تلك المراتب سير عن الله تعالى ، وهو أيضا عبارة عن الحركة العلمية ، وهذا سير العلم الأعلى إلى الأسفل ومنه إلى أسفل الأسفل بالتنزل ، كتنزل علم واجب الوجود إلى علم الأسماء والصفات ومنها إلى علم الممكنات رجوعا ، وأهل هذه حائزون مرتبة نسي الله بالله ورجع من الله مع الله ، والعارف الذي بهذا العلم واجد فاقد وواصل مهجور وقريب بعيد ، جعلنا الله تعالى في زمرتهم آمين .

« ١ » في الأصل عليّة .

والرابعة سير في الأشياء ، والسير في الأشياء هو سير العارف في علم الأشياء وهو مضمحل عن لسان اللوح ، وبعد كونه مضمحلا هو عبارة عن بروزه شيئا فشيئا وحصول المعارف بالكمالات ، ويعبر أكابر القوم لذلك بالتلوين بعد التمكين وهو أعلى المقامات .

فالحاصل أن السير الرابع يصير مقابل السير الأول والسير الثالث يصير معادل الثاني ، والسير إلى الله مع السير في الله تعالى إنما يحصل لتحصيل الولاية وهي عبارة عن الفناء في الله والبقاء بالله ، وأما السير عن الله مع السير في الأشياء فهي مقام الدعوة وتحصيلها ، وهي مخصوص للأنبياء والمرسلين وكمّل أوليائه المتقين ، ولأكابر الأولياء منها نصيب والحمد لله ربّ العالمين .

والسير إلى الله تعالى يكون في مرتبة القلب ، والسير في الله يكون في مرتبة الروح ، وسير مع الله في السر ، والسير عن الله في مرتبة الخفي ، فتفطن فهو دقيق .

قال بعض العارفين : السير إلى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها حتى تطهر من ذلك ويحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل إلى سعادة لقائه ، ولولا معاناة هذه الأشياء لم تيسر السير والسلوك ، **فما حياة القلب إلا في إماتة النفس ، فالنعمة العظمى الخروج عن النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى** .

قال أبو يزيد رضي الله عنه : من لم يمت لم ير الحق عز وجل ، ولا يمكن الخروج من النفس بالنفس ، وإنما يكون الخروج من النفس بالله تعالى . انتهى

وكان الشيخ محمد المغربي تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي رحمهم الله تعالى يقول : لا يصح لعبد أن يضع قدمه في طريق السير إلى حضرة الله عز وجل حتى يقطع ثلاثة منازل : يزهد في نعيم الدنيا ثم يزهد في نعيم الآخرة ثم يرضى عن الله تعالى إذا ضربه بالبلاء الذي يقطع أوصاله ، فبعد ذلك يبتدئ المريد للطريق إلى حضرة الله تعالى في طريق السير . انتهى « بهجة » ١٦ .

وسئل سيدي عبد الله بن علوي الحداد ﷺ عن معنى السير إلى الله تعالى ما هو ؟ فأجاب بأنه تزكية النفس والجوارح عن منكرات الأخلاق والأعمال ، وبذلك يقرب العبد من الله تعالى قرباً معنويا وكلما كان أزكى وأطيب كان أدنى وأقرب .

والسالك من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره ، والطريقة هي العمل بمقتضى ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ و ما شرعه الله تعالى يسمّى شريعة وكذا العلم بذلك فإنه أيضا يسمّى شريعة ، والعمل بذلك العلم يسمّى طريقة ، والحصول على ثمرة ذلك من مناجاة وجه الحق والوقوف على حق اليقين يسمّى حقيقة .

والواصل إلى الله تعالى من وصل من العلم بالله تعالى إلى حد انتهى إليه علم العلماء به من خلقه ، وأهل هذه المرتبة يتفاوتون فيها تفاوتا لا ينحصر . وللواصل إلى هذا المقام حالتان يسمّى إحداهما بالجمع والأخرى بالفرق ، وهي مذكورة في موضعها .

ثم اعلم أن الطالب إذا كان متوجها إلى فوق بطريق السلوك فمتى بلغ اسما هو ربه«١» وصار فانيا ومستهلكا فيه يصح إطلاق الفناء عليه ، وبعد البقاء بهذا الاسم يسلم إطلاق البقاء عليه ، وبهذا الفناء والبقاء يشرف بأول مرتبة من مراتب الولاية ولكن ههنا تفصيل ، وبسط الكلام فيه ضروري . انتهى« مكتوبات » ٣٢٠ .

وقال الشيخ على بن حسين الهروي ﷺ في « الرشحات » : ولا ينبغي للسالك أن يكون أدون من تلامذة النساج ، فإن أحدهم يبقى مدة في تعلم وصل الخيوط وترتيبها وأين له الاشتغال بأمور أخرى ، فكذلك ينبغي للطالب أن يسعى بالجدّ والجهد حتى يكون أستاذا في نفي الخواطر وماهرا في كيفية نفيه ، ولا ينبغي في الابتداء الاشتغال بشغل آخر غير نفي الخواطر .

« ١ » لعل المراد هو صاحبه ، لأن رب الشيء هو صاحبه ، فيكون المعنى : متى بلغ اسما مناسبا له من اسماء الله تعالى ، كالرحمن أو الكريم

والذين يطالعون الرسائل ويجمعون منها الكلام فلا نفع لهم منها أصلا ، بل أمثال ذلك كلها تعطيل وتضييع للأوقات ، فإن طريق الحق سبحانه وتعالى وأمره سلوك وعمل لا سماع وجدل وتطويل الأمل .

فمن كان في بغداد عند السلطان مثلا وهو قادر على أن يجالسه دائما ومع ذلك يكون مشغولا بمطالعة مكتوب كتبه واحد من كُتّابه ورعاياه وأرسله إلى الشام ومحتظيا به ، فهو في غاية الجهل والغواية ونهاية الغفلة والعماية ، فكيف يبعد إنسان عن حضور السلطان باختياره ويسافر من بغداد إلى الشام لمطالعة مكتوب كُتّابه . انتهى « رشحات » ٩٩ .

نقل عن حضرة الخواجه ﷺ سأله واحد من أكابر أئمة ما وراء النهر عن المقصود عن السير والسلوك ، فقال حضرة الخواجه : المقصود المعرفة التفصيلية ، فسأله ذلك الرجل أيضا عن المعرفة التفصيلية ، فقال حضرة الخواجه : الذي علم من المخبر الصادق إجمالا يعلم ذلك بطريق التفصيل ويرفع السالك عن مرتبة الدليل والبرهان إلى مرتبة الكشف والعيان . « مقامات » ٥٥

ثم اعـــلم أيها المأمون أن سادات هذه الطريقة العلية قالوا : إن رعاية هذه الطريقة وحفظها على آدابها لا يمكن ولا يتحقق إلا برعاية السالك بهذه الشروط الإثنى عشرة والرسوخ في القيام عليها :

الأول أن يعتزل السالك عن الخلق أي لا يخالط الناس إلا بقدر الضرورة .

والثاني ترك التلذذات والتنعمات وأن يؤثر القناعة منها حتى يتّصف بالقناعة .

والثالث الملازمة على الجماعة وأن لا يصلي إلا بالجماعة بكيف لا يترك الجماعة إلا بعذر ضروري .

والرابع ترك الفضول من الكلام إلا بقدر الحاجة الضرورية .

والخامس أن يكون الطعام واللباس وجميع الأشياء المنوطة خالية من الحرام بل ومن الشبهات وأن يحترز منها احترازا .

والسادس أن يتحمل أذايا الخلق ولا يشتكي عنها لأن من لا يحملها لا يصير سيّدا .

والسابع أن يكون مع عياله بالشفقة والعطف والمحبة وأن يحترز في حقهم بالغاية .

والثامن أن يكون عليّ الهمّة في إيثار إخوانه الفقراء بالبذل لهم والنظر بالشفقة إليهم .

والتاسع أن يكون مع العيال وغيرهم بحسن الخلق في المعاملة معهم .

والعاشر أن لا يتوغل مع أهل الدنيا ويفرّ منهم ولا يتواضع لأجل الدنيا الدنية لهم والمداهنة معهم فإن ذلك مما يوجب سخط الله تعالى ومقته .

والحادي عشر أن يكون ملازما ليلا ونهارا على الأوراد ومداوما عليها .

والثاني عشر أن يكون في اهتمام بليغ في حفظ الحضور وتصفية النسبة .

فإن داوم على رعاية هذه الشروط والملازمة عليها فلا ريب أنه بهذه العبادات والطاعات يبلغ مبلغ الرجال ويتفرد ويفتح البصيرة ويصير مستعدّا للمشاهدة ، وذلك مرتبة الصديقين .

بيد أنه يلزم لأجل حصول هذه الشروط أن يداوم السالك أيضا على هذه الأسباب لينال المسببات بالأسباب :

الأول قطع التفات السالك لقبول الخلق وردهم .

والثاني أن لا يفرح بمدحهم ولا يحزن بإذايتهم وسبهم بإضاعة وقته بالتتبع لمدح الناس واستقراء[1] ذامّيه ليوبّخه كما عليه مشائخ زماننا في الغالب .

والثالث أن يكون بالصبر والرضاء على أمور الدنيا ومضايقتها ونكباتها .

« ١ » بمعنى بحث و تفحص

والرابع أن يكون صادقا في جميع أموره عالما بكونه في نظر الله تعالى .

والخامس أن لا يدعو على أحد بالشر .

والسادس أن يرى كل أحد أفضل منه وينظر لنفسه بعين الحقارة من جميع الناس .

والسابع أن لا يتغافل عن ذكر الله تعالى .

والثامن أن يكون جميع ما يفعله بالاستخارة والمشاورة وأن لا يفعل شيئا إلا بهما .

والتاسع أن يستمدّ في جميع مهماته من أرواح المشائخ أرباب القلوب .

والعاشر أن لا يخوض في الخصومات مع الخلق والسعي إلى المحاكمات .

والحادي عشر أن لا يكون له مع أحد من المؤمنين عداوة ولا غل ولا غش وكبر وحقد وحسد بل ينظر إليهم بعين الاستعطاف والاحترام كأن جميعهم أولياء الله تعالى أو كلّ من رآه أبو العباس الخضر عليه السلام .

والثاني عشر أن لا يتغافل عن دعاء الخير للمؤمنين . وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقال الإمام الرباني قدس سره النوراني : اعلم أن مشائخ الطريقة النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم اختاروا ابتداء السير من عالم الأمر وصاروا يقطعون مسافة عالم الخلق في ضمنه ، بخلاف مشائخ سائر الطرقات ، فإن ابتداء سيرهم من عالم الخلق ، وبعد طي مسافة عالم الخلق يضعون القدم في عالم الأمر ويصلون إلى مقام الجذبة ، ولهذا كان طريق النقشبندية أقرب الطرق وقد ذكرنا ذلك غير مرة ، فلا جرم صارت نهاية الآخرين مندرجة في بدايتهم ، وقس من حال بستاني ربيعي« ١ » .

« ١ » أي يمكنك أن تعرف حال الربيع عامة بالنظر إلى هذا البستان خاصّة ، والمقصود أن الناظر إلى مشائخ الطريقة النقشبندية يمكنه أن يعرف عظمة هذه الطريقة .

ومع كون ابتداء سيرهم من عالم الأمر لا يتأثر بعض الطالبين من هذه الطريقة بسرعة ولا يجدون الحلاوة ولا التلذذ الذي هو من مقدمات الجذبة بالسهولة .

ووجه ذلك أن لطائف عالم الأمر ضعيفة فيهم بالنسبة إلى عالم الخلق وهذا الضعف هو الذي صار سدة في طريق التأثير والتأثر وامتداد زمان بطء التأثر إلى أن يقوى لطائف عالم الأمر فيهم وتغلب على عالم الخلق وأن ينعكس الأمر ، وعلاج هذا الضعف بحيث يكون مناسبا لهذه الطريقة هو التصرف التام من صاحب التصرف ، والعلاج المناسب لسائر الطرق تقديم تزكية النفس والرياضات الشديدة والمجاهدات الشاقة الواقعة على وفق الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام . انتهى

وينبغي أن يعلم أن بطء التأثر ليس من علامة نقصان الاستعداد ، وكم من طائفة تامّي الاستعداد يبتلون بهذا البلاء والسلام . « مكتوبات » ١٣١ ج ١

واعلم أن الأسفار أربعة : **الأول** هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الأسمائية ، **الثاني** هو السير فى الله بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى وهو نهاية الحضرة الواحدية ، **الثالث** هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الإثنينية ، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية ، السفر **الرابع** هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع . انتهى « جامع الأصول » ٧٦ .

وكان الشيخ الكبير داود بن ماخلان رضي الله عنه يقول : سيرك قدما واحدا على إثر قدم عارف أحسن من مائة ألف فرسخ تسيرها بهواك ، وكان يقول : أعلى مقامات المغفرة وجود الفتح الحقيقي وهو توقيع الولاية[١] « تقريب الأصول » ٥٢ .

« ١ » أي ختمها ومَهرها وتوثيقها .

وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ﵅ الروحاني في « مكتوباته » : لما كان مطمح نظر السالك بعيدا في رؤيته كان ذلك آفاقا لا أنفسا ، وصار السير أيضا منتسبا إلى الآفاق وقالوا بتمام السير إلى الله تعالى عند تمام هذا السير المنسوب إلى الآفاق ، وجعلوا الفناء مربوطا بهذا السير وعبّروا عن هذا السير بالسلوك ، فإذا وقع السير بعد ذلك يسمونه سيرا أنفسيا ويقال له السير في الله ويثبتون البقاء بالله في هذا الموطن ويرون في هذا المقام حصول الجذبة بعد السلوك ، ولما حصلت التزكية للطائف السالك في السير الأول وتخلّصت عن الكدورات البشرية حصلت لها قابلية ظهور ظلال الاسم الجامع الذي هو ربّ السّالك وعكوس ذلك الاسم في مرايا تلك اللطائف وتكون تلك اللطائف موارد تجليات جزئيات ذلك الاسم (الجامع) وظهوراتها .

وإنما يسمون هذا السير بالسير الأنفسي لأن الأنفس صارت مرايا ظلال الأسماء وعكوسها لا أن سير السالك في الأنفس كما مر في السير الآفاقي من أنه قيل سيرا آفاقيا باعتبار المرآتية لا لكون السير في الآفاق ، وهذا السير في الحقيقة سير في ظلال الأسماء في مرايا الأنفس . ولهذا قيل لهذا السير سير المعشوق للعاشق ، شعر :

ما صورَةُ المِرْآةِ مِنْ حَرَكاتِها   لـكِـنَّها انْطَبَعَتْ بِها لِصَفائِـها

يمكن أن يقال لهذا السير في الله باعتبار أنهم قالوا : إن السالك يتخلق في هذا السير بأخلاق الله تعالى وينتقل من خلق إلى خلق ، فإن للمظهر نصيبا من بعض أوصاف الظاهر ولو في الجملة ، فكأنه تحقق السير في أسماء الله تعالى . هذا نهاية تحقيق هذا المقام وتصحيح هذا الكلام .

واعلم أيها العبد الصالح أن قلوب المؤمنين بشوقها للقاء حبيبها تهون عليها المشاق وترتكب الأخطار وتقتحم العقبة الحائلة بينها وبين محبوبها ، فيصير العسير يسيرا والصعب ذلولا ، يذللون بشجاعتهم كل صائل ويجوزون

بشوقهم كل شامخ حائل ولم يلههم عن محبوبها عاجل ولا آجل مشمّرون للسباق عن ساق :

إذا كانَ المَآلُ لِقاءَ ليلى فَما لاقيتَ مِنْ تَعَبٍ نَعيمٌ

فإن الأجير في الطين مثلا في شدة أيام الحر لولا أن الأجرة تبعثه وتعينه على احتماله لما أمكن ، فإن المستغني عن الأجرة كالمستحيل في حقه ذلك الاحتمال ، وكلما كثرت الأتعاب زادت الأجور وتراكم الثواب « عقد النفيس » ١٢٨ .

وكتب في « مكتوبات » الرباني ﷻ أنه سأل سائل الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس الله سره الأقدس أنه ما المقصود من السير والسلوك ؟ فقال : كون المعرفة الإجمالية تفصيلية والاستدلالية كشفية ، رزقنا الله الثبات والاستقامة على الشريعة علما وعملا . انتهى

نقل حضرة الخواجه علاء الدين طيب الله مرقده عن حضرة الخواجه ﷻ أنه لما كان يحكي عن رياضاته ومجاهداته ذكر فتور الطالبين ، وقال في الآخر : كل صبح إذا خرجت من المنزل أقول لعل طالبا يكون واضعا رأسه على الأعتاب ، فأجد العالم كلهم شيوخا ليس فيهم مريد .

أشار الخواجه رضي الله تعالى عنه إلى أن شرط المريد وآدابه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ليس له إرادة ولا اختيار ، بل يدع نفسه للشيخ يتصرف فيه كتصرف الغاسل في الميت حتى يتنظف من الأوساخ الظاهرة والباطنة .

وهذا المعنى في المريدين أعز من الكبريت الأحمر ، فلذلك لا ينتج ولا يسير في السلوك إلا الفرد بعد الفرد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فما لم يكن المريد على هذا الوصف فهو بمعزل عن الإرادة ، وأكثر المريدين متمسكون بخيالات اعتقادات ، فإذا وجدوا من المشائخ خلاف معتقدهم أنكروا وخالفوا ، ففي الحقيقة هم مريدوا معتقداتهم ومتخيلاتهم لا مريدوا

مشائخهم ، ومن كان كذلك كان شيخا لا مريدا ، ولذلك قال ﭬ : كلهم شيوخ ليس فيهم مريد . ذكره في « البهجة السنية » .

وقال الخواجه بهاء الدين النقشبنديّ ﭬ : إن السالكين في دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون : فبعضهم قبل أن يصل إلى خاطرهم شيء من الشيطان والنفس يرونه ويدفعونه ذلك الوقت ، وبعضهم إذا دخل خاطرهم يدفعونه قبل أن يستقر ويستحكم ، وبعضهم بعد أن يدخل ويستقر يسعون في دفعه ، وهذا الدفع لا ينفع النفع البالغ ولكن إن حصلوا منشأ ذلك وسبب الانتقالات إليه فلا يخلو من الفائدة .

وقال حضرة الخواجه ﭬ : من أعظم الحرمان أن تجتمع بالأولياء ولا ترزق القبول منهم ، وما ذاك إلا لسوء الأدب في الباطن والظاهر ، ليس الشأن أن ترزق الطلب وإنما الشأن أن ترزق حسن الأدب ، لا تطالب نفسك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بحسن أدبك . انتهى كلامه « مقامات »٣٤

زار بعض السلاطين ضريح تربة أبي يزيد ﭬ فقال : هل ههنا شخص اجتمع بأبي يزيد ؟ فقالوا : نعم وأشاروا إلى شيخ كبير ، فقال له السلطان : ماذا سمعت منه ؟ قال سمعته يقول : من رآني لا تحرقه النار . فاستعظم السلطان ذلك الكلام فقال : كيف يقول أبو يزيد مثل هذا وأبو لهب رأى النبي ﷺ وتحرقه النار ؟ فقال ذلك الشيخ للسلطان : إن أبا لهب لم ير محمدا رسول الله وإنما رأى يتيم أبي طالب فلذلك تحرقه النار .

ففهم السلطان ما أشار إليه ذلك الشيخ يعني أن أبا لهب لم ير النبي بعين النبوة والتعظيم ولم يتأدب عند حضرته بامتثال أوامره ونواهيه ، وإنما رآه بعين الحقارة وكونه يتيما لأبي طالب لا يستحق الانقياد والخضوع بين يديه فلم تنفعه تلك الرؤية ، وهكذا الوارثون له ﷺ لهم حكم مورثهم ، فإن انقدت إليهم وخضعت وانكسرت بين أيديهم وجعلت أوامرهم من الفرائض عليك انتفعت بمصاحبتهم ، وصار نحاسك بحلول إكسيرهم عليه ذهبا إبريزا ، وإلا فمضرة اجتماعك أعظم من البعد عنهم ، فلو اجتمعت بالقطب يا أخي وأسأت الأدب

معه ولم تمتثل أمره كان اجتماعك هذا من أعظم أسباب هلاكك ، فتأدّب تفز بالمطلب والله يعصمك . انتهى

وقال الشيخ محمد الخاني ﷶ : فالمقصود من السير والسلوك وتزكية النفس وتصفية القلب إزالة الآفات المعنوية والأمراض القلبية كما قال تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ حتى يتحقق بحقيقة الإيمان ، فإن وجد إيمان مع وجود هذه الآفات فهو بحسب الصورة فقط ، فإن وجدان الأمارة حاكمة بخلافه ومصرة على حقيقة كفرها ، ومثل هذا الإيمان والتصديق الصوري مثل إيمان الصفراوي بحلاوة السكر فإن وجدانه شاهد بخلافه ، فكما أنه لا يحصل اليقين الحقيقي بحلاوة السكر إلا بعد إزالة مرض الصفراء فكذلك لا تحصل حقيقة الإيمان إلا بعد تزكية النفس والاطمئنان وحينئذ يكون وجدانيا ، وهذا القسم من الإيمان محفوظ من الزوال ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ صادق في شأنهم ، شرفنا الله تعالى بشرف هذا الإيمان الكامل الحقيقي .

وقال الشيخ النقشبندي ﷶ في بيان أن الجذبة التي قبل السلوك ليست من المقاصد والتي بعدها من المقاصد . انتهى

قال الخواجه بهاء الدين ﷶ : إنهم بنوا أمر السالك على الساعة حتى يقدر أن يدرك أنفاسه هل مرت بالحضور أو بالغفلة لأنهم لو بنوا أمره على النفس لم يقدر أن يدرك هاتين الصفتين . انتهى

و ذكر في مقامات حضرة الخواجه ﷶ ما لفظه هذا : وورد في الأخبار أن رسول الله ﷺ كان في السفر فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما كانا في خدمته وكانا يصومان ، فأمرهما الرسول ﷺ أن يأكلا وقال هذا سفر ويحصل الضعف بواسطة الصيام وتتخلفون بذلك عن خدمة الصحبة وتشغلون الغير بالخدمة .

فدل ذلك منه ﷺ أن ترك الصيام لاغتنام الخدمة أفضل ، وكيف لا يكون كذلك وقد قال ﷺ : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه المسلم » فاسلك يا أخي سبيل الاستقامة .

واعلم أنه لو أن إنسانا عبد الله مائة سنة بصيامها وقيامها وترك آثامها وكان الله في عونه لحظة واحدة ، فأيّ الأمرين تراه أنفع له أتلك اللحظة أم تلك المائة ؟ شتان بين النسبتين ، فلحظة من عناية ملك الملوك خير من عبادة الألوف من السنين .

فكذلك قيل : جذبة من جذبات الحق تعالى خير من عبادة الثقلين ، فلهذه النكتة العظيمة أمر ﷺ الصحابة بالإفطار لاغتنام خدمة الإخوان ، ولهذا أشار العارفون بأن **خدمة المشائخ خير للمريدين من النوافل** .

فتأمل يا أخي واعرف آداب الطريق وأزل من ساحة قلبك أوساخ المخالفات وحصباء التعويق واحرث أرض قلبك بآلات الموافقة والانكسار واسق هدى الأرض بمياه الاستغفار ، تغنم الحصاد وتأمن الفساد وتسود مع من ساد . انتهى والله الهادي

وقال شيخ مشائخنا مولانا أبو سعيد قُدِّسَ سِرُّهُ وذكره مولانا محمد مراد قُدِّسَ سِرُّهُ في « تعريبه » : إنه يحصل في سير لطائف عالم الأمر أنواع الكيفيات ويحصل في سير اللطيفة القلبية أعني مراقبة الأحدية الصرفة ومراقبة المعية الغيبة والاستغراق وقطع التعلقات والمقتضيات الطبيعية وغيرها .

ويحصل في سير لطيفة النفس الذي تستعمل فيه مراقبة الأقربية والمحبة الاستهلاك والاضمحلال وارتفاع الأنانية وغيرها ، ويرد القبض في سير لطائف عالم الخلق إلى العناصر الثلاثة سوى عنصر التراب ، وتحصل المناسبة لتجليات اسم (الباطن) والملأ الأعلى عليهم السلام وتهذيب اللطيفة القالبية .

وفي الكمالات الثلاثة تحصل اللالونية ولطافة نسبة الباطن ، وفي الحقائق السبعة تحصل وسعة الأنوار وبداهة ما كان نظريا محتاجا إلى الاستدلال

وزيارة الأنبياء عليهم السلام في المنام أو في عالم المثال وأذواق المحبة الذاتية . مصراع :

إلى مَنْ يَكونُ مَيْلُ لَيلى وَعَطْفُها . . . .

آخر :

وَما كُلُّ عَبْـدٍ يَشْتَريـهِ الخَلائِـقُ وَما كُلُّ مَنْ تَحْتَ الثِّيابِ رِجالُ

فإن نال سالك هذه الطريقة أمثال هذه العلوم والمعارف فمباركة له ، وإلا فقد اكتسب العجب والأنانية فويل له ، فكل من حصل في صحبته تلك الحالات فبها ونعمت ، وإلا فهو شين على الطريقة ويلحق به العار بالمشائخ الكبار . انتهى

والعجب من المريدين يشينون الطريقة وإنهم أصحاب إرشاد هداهم الله سبحانه إلى رضائه واشتياق لقائه آمين .

وقال شيخ شيخنا نجم العرفان أحمد ضياء الدين الكمشخناوي قُدِّسَ سِرُّهُ : **فاعلم أنه لا بد لمن أراد الوصول إلى مقام الكشف والشهود أن يخلص محبة الله تعالى عن محبة السوى** ، ويفرد قصده لذاته تعالى لا لأجل الكشف والكرمات ، ويعبد مخلصا لله لا للأجر والنجاة ، ويطبق جميع أعماله على قانون الشريعة وميزان السنة ، ويجرد قلبه عن غواشي العلوم وشواغل الخواطر ، ويزكي نفسه عن الأماني والآمال وأوساخ العناصر ، ويطلق روحه عن عقال القيود الجسمانية والعوائق الحيوانية ، ويحل عقاله عن قيود القوى والحواس ، ويزكي أخلاقه عن الرذائل والمذمومات ، ويجرد ذهنه عن العوائق البدنية والعادات الطبيعية ، ويتوجه على الدوام إلى العوالم الروحانية والمجردات القدسية ، ويستبعد عن مقتضيات البشرية ويستقرب إلى الخصال الملكية .

ويترك الدنيا وأهلها وما فيها ويعتزل أهل الدنيا ويقطع النظر عن المخلوقات وينظر إليها بنظر العدم والفناء ، ويعرض عن جميع المستلذات والمُحَسَّنات ،

ويجتنب جميع ما يشغله عن الله تعالى ويلازم جميع ما يتعلق بتوحيده تعالى من الذكر وسائر العبادات ، ويجتهد في محو الرسوم ونفي التعلقات .

ولا يطلب من الله تعالى بعمله أجر الآخرة بل لا يطالب إلا رضاه ، وأن يقصر طاعته على الفرائض والواجبات والسنن ، وبعد ذلك لا يشتغل إلا بعمل يورث التوحيد والتجريد والتفريد ، لأن الوصول إليه تعالى لا يصير إلا بهذه الثلاث ، ويترك الرخص والبدع والكسل والشهوة والغضب والعداوة ، ويلازم العفة والحلم والإحسان ، ويضطر على المجاهدات والرياضات والتفكر في المجردات والتوجه إلى الروحانيات ، ويلازم الجوع والعطش وعري الجسد وترك النوم ، ويختار الفقر والضرورة في جميع الأحوال ، ويلازم الزهد والورع والتقوى على كل حال ، ويحفظ خاطره عن صور المعقولات والمحسوسات وهواجس النفس ووساوس الشيطان ، ولا يهتم بهموم السوى لما ورد في الخبر : « إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه هم غد » ، ويصفو بمحبة لقاء الله تعالى واشتياقه وعشقه والانجذاب إلى جنابه ، ويرجو لقاء ربه بالأعمال الصالحات لما ورد : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ولقوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ .

واعلم أن أقسام طرق السلوك الثلاثة ، وما يتنوع منها كلها مبلغة للمرام لكن بعضها أصعب وأطول وبعضها أقرب وأسهل ، فإذا كان الشيخ داريا بمعالجة الأمراض وخبيرا بصفات النفوس والأغراض سلكه بكل حزب نهجه القويم ورد الخاسر لأحسن تقويم .

وذلك لأن النفوس الإنسانية مرايا للتجليات وبحسب كثافة المرآة وصدئها تنشرح في تلطيفها وجلائها ، وإياك والتحويل والتشديد فإن الحق أقرب إليك من حبل الوريد انتهى « جامع الأصول » في ١٥٠ .

وقال الشيخ أحمد بن علان ﷺ : ليس للسالك من الأحوال والمقامات والمكاشفات والأذواق إلا ما كان منه في استعداده ، فإن الحق تعالى يتجلى لكل سالك بحسب استعداده . فكلما ترقى السالك في سلوكه أشرقت عليه

تجليات أعلى مما تقدم ، ولا يزال يروى ويظمأ ويكون في ريه الظمأ كما تقدم من الإشارة إليه بقول الشيخ ابن بنت ميلق ﵁ :

فِي رِيِّهِ ظَمَأ وَالصَّحْوُ يُسْكِرُهُ   وَالوَجْدُ يُظْهِرُهُ طَوْراً وَيُخْفيهِ

والحاصل أنه لايزال السالك في سلوكه من التجليات والمقامات إلا ما سبق في علمه تعالى ولم يتعلق إلا بما في استعداده وإن كان ذلك الاستعداد أيضا من فيضه الأقدس يتجلى به في فيضه المقدس ولا يظلم ربك أحدا

ولهذا المعنى قال العارف أبو عبد الله القرشي ﵁ : الزم الأدب وحظك وحدك من العبودية ، ثم لا تتعرض لشيء فإن أرادك له أوصلك إليه ، وقال في « الحكم » : ليس الشأن أن ترزق حسن الطلب ، ولكن الشأن أن ترزق حسن الأدب ، فالطريق كله آداب كما ذكرناه فإن الحق تعالى يتجلى لكل سالك بحسب استعداده .

والآداب ثلاثة : آداب الشريعة وآداب الطريقة وآداب الحقيقة .

فآداب الشريعة امتثال الأوامر واجتناب المناهي ، وآداب الطريقة شهود المنة ، وآداب الحقيقة معرفة ما لك وما له سبحانه وتعالى ، فلك الفقر والعجز والضعف والذلة وله سبحانه الغنى والقوة والعزة ، ولهذا قال ﷺ : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » كما ذكرنا معنى ذلك في موضعه .

وقال الإمام العارف الرباني ﵁ في « المكتوبات » : إن بين طريق الخواجه النقشبند وطريق الخواجه عبيد الله أحرار قدس سرهما فرقا ومغايرة بعد الوصول إلى مقام الجذبة النقشبندية ، وكذلك بين علومهما ومعارفهما أيضا فرق ، وغالب توجه الخواجه أحرار ﵁ بعد ذلك إلى نسبة أجداده من طرف أمه وكانوا كبراء بطنا بعد بطن ، وهذا الفناء والانعدام الذي ذكر فيما سبق من لوازم نسبة هؤلاء الأكابر ، وهذا الفقير اختار لتربية الطالبين طريق حضرة الخواجه نقشبند لمصلحة أبناء هذا الوقت ورأيت المناسب ظهور علوم هذا الطريق ومعارفه التي هي أكثر مناسبة بعلوم الشريعة في مثل هذا الزمان

الفاسد الذي ظهر فيه ضعف تام في أركان الشريعة ، فعينت هذا الطريق لإفادة الطالبين فلو أراد الله الحق سبحانه ترويج الطريقة الأحرارية بواسطة هذا الحقير لنوّر العالم بأنوارها ، فإني قد أعطيت أنوار كل من هذين الشخصين المعظمين على وجه الكمال وكشف عن طريق تكميل كل منهما ، إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

مَليــكٌ مِــنْ عِنايَتِــهِ بِلُطْفِهْ　　　لَأعْطــى لِلْفَقيــرِ العالَمينــا

« مكتوبات » ٣٤٥ .

والسلوك هو تزكية النفس عن رذائل الأخلاق البشرية وتخليصها عن القيودات العنصرية والتعلقات الكونية بالرياضات الشاقة والمجاهدات اللائقة على موافقة الشريعة ومتابعة السنة مع الاشتغال بما يتلقن به من الأذكار الواردة .

وأما الجذبة فالمراد هنا جذبة المبتدئين ، وهي مشاهدة قلبية يحصل بها توجه للقلب إلى جناب الحق سبحانه وتعالى ، وأما جذبة المنتهين فهي مشاهدة روحية يحصل بها توجه الروح إلى مدارج الشهود . « تحفة الأحباب » وراجع « سلك العين » ٣٢٥

وقال شيخنا ﵁ في « جامعه » ١٤٥ و ٢٢٤ : واعلم أن الجذب وحده من غير سلوك في الطريق المستقيم بامتثال أوامر الحق والاجتناب عن نواهيه لا نتيجة له غير الدخول في حيز البله والمجانين ، فغايته السلامة من مواطن الهلاك لسقوط التكليف به كما في « المطالب الوفية » .

وكذلك السلوك بامتثال الأوامر والاجتناب عن النواهي من غير جذب إلهي لا نتيجة له غير دخول في حيز العلماء والعباد من أهل الظاهر القانعين بما يظهر عليهم من العلم والعبادة ، فيراهم الناس فيحمدونهم على ذلك فيرفعون أقدارهم ويكونون في باطن الأمر على رياء وعجب وكبر وحسد وغرور وغفلة وغيرها من أمراض القلب ويظهر صاحب هذه الواقعات شبيها بالحيوانات .

وأما السالك أولا المجذوب ثانيا أو بالعكس فهذان الرجلان هما أهل الله وخاصته ، فالسالك المجذوب عالم عامل بعلمه يورثه الله تعالى علم ما لم يعلم وكان فضل الله عليك عظيما ، والمجذوب السالك عامل عالم أخلص لله أربعين صباحا فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه كما قال الله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾

واعلم أن الشريعة المحمدية لمن تأمل جميع الأحكام المشروعة فيها وعمل بها على الوجه المشروع دون البدعة داعية إلى تحصيل الجذب الإلهي .

وأما العمل بها على طريق البدعة فهو مبعد عن الجذبة ، ولذا قبحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية ، والآيات والأحاديث وسير الأصحاب والتابعين والأولياء طافحة بذكر الجذب والصعق والخشية والبكاء قال الله تعالى : ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ وقال : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقال : ﴿مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ﴾. الآية . انتهى

وأما الجذبة هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيأة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه وجهد وتكلف .

والمجذوب هو من اصطنعه الحق تعالى لنفسه واصطفاه لحضرة أنسه وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب .

وقال الشيخ ابن بنت ميلق رضي الله عنه :

والناسُ عَبْدانِ مَجْذوبٌ وَسالِكُ مَا ... دُعــي إليــه بِتَعْـليــمٍ وَتَـنْبيـهِ

فقال الشيخ أحمد بن علان قدس سره في شرح قوله : (الناس عبدان) أي قسمان : الأول مجذوب سالك والثاني سالك مجذوب ، وقد ذكرنا طرفا من هذا قبل ، أي سالك الطريق الذي دعي إليها بتعليم من الشيخ في السلوك والذكر وتنبيه منه على دقائق يحتاج إليها السالك في سلوكه .

والحاصل أن المجذوب السالك هو الذي تقدمت له الجذبة بالعناية الإلهية ثم سلك هو الطريقة وعرف كيفية الوصول إلى مولاه ، والسالك المجذوب هو الذي سلك الطريق أولا بالآداب المعروفة عند المشائخ ثم حصلت له الجذبة وأشرقت عليه الأنوار وتحقق بالمعارف وتبدّت له الأسرار .

والجَــذْبُ أخْـذَةُ عَبْــدٍ بَغْتَــةً يُبْـدي عِنايَــةَ أمْرٍ لَيْــسَ يَنْويــهِ
هُوَ المُــرادُ وَمَخْطــوبُ العِنايَةِ لا يُحِــسُّ كُلْـفَـةَ تَكْليــفٍ تُلاقيــهِ

الجذب أخذة لقلب العبد من الأكوان بالعناية الإلهية وإدخاله في مقام الإحسان حتى يرى ما ليس يخطر ببال ولم ينوه في البكور والآصال ، كما ورد : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ولم يقيد ذلك بآخرة ولا دنيا ، فالعارف جنته حاضرة ، وما لغيره آجل فهو له نقد عاجل وهو المجذوب المراد ومخطوب العناية لا يحس كلفة في التكاليف الشرعية لأنها تصير له ذوقا وحالا .

ولهذا قال : يقال : « يصل العارف إلى مقام يسقط عنه التكليف » لا بالمعنى الذي يفهمه أهل الإباحة والزندقة ، بل بمعنى أنه لا يبقى عليه الكلفة في عملها ، لأن العبادات تصير في حقه كالعادات لا يذكر كالشهوات كما يصير الحضور لأهل الجنة سجية وخلقا ، فكذلك الأعمال عند العارفين .

ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام ﷺ بل قام حتى تورمت قدماه فقيل له : كيف تفعل ذلك وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ : « **أفلا أكون عبدا شكورا** » . فأفاد ﷺ أن هذا من شكر النعمة تمام الخدمة ، وذلك موجب للمزيد قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

ولهذا سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه لم يترك وردا في حال نزعه فقيل له في ذلك فقال : ومن أولى مني بذلك ، وهذه صحائفي تطوى ، فلم يترك الخدمة رضي الله عنه في مثل تلك الحالة فكيف سواها .

وَقَدْ يَغيبُ عَن الإحْساسِ مُخْتَطَفاً وَذو العِنايَةِ حِـفْـظُ الحَـقِّ يَحْميهِ

أي وقد يغيب المجذوب عن إحساسه ويفقد شعوره ، ومثل هذا يسقط عنه التكليف شرعا إذ التكليف منوط بالعقل والتمييز ، والمجذوب في مثل هذه الحالة غائب عن عقله وتمييزه ، ومع ذلك إن أرباب العنايات يحفظهم الحق في مثل هذا الوقت ويحميهم عن تضييع وظائف الخدمة ، فتارة يكون غائبا عن حسه فاقد الشعور وتارة يرد عليه الحس تكملة له فيأتي بما يريد من أنواع الخدمة والعبادات ، فهو في أخذه محفوظ وفي ورده قائم بالخدمة ملحوظ .

كان الشبلي ﵁ مستغرقا في جذباته ، فإذا جاء وقت الصلاة قام إليها وهذه عناية من الله تعالى بعبده .

ولقد كنت في حال جذبتي يعتريني قبيل الصلاة انعقاد في سائر جوارحي كأني مربوط ومكفوت لا أقدر أحرك يدي ولا ألتفت إلى جانبي ، فتقام الصلاة وأنا بهذه الحالة فأقول في قلبي كيف تقوم الصلاة وأنت جالس بين يدي الناس ، فعندما تتم الإقامة تنفك عنى هذه الحال وتفارقني حتى كأني نشطت من عقال ، وكنت على هذه الحال أياما حتى انقضت .

فإذا كان أهل الطريق محفوظين في حال الجذبة عن تضييع الفرائض فكيف لا يحفظون في حال التمكين والبقاء ؟ ! ولهذا قال أبو سعيد الخراز ﷼ : كل باطن خلافه الظاهر فهو باطل . انتهى كلام الشيخ أحمد بن علان ﷼ .

تَـراهُ يَعْبُدُ لا يَلْوِي عَلَى شُـغُـلٍ سِـوَى العِبادَةِ يَسْتَحْـلـي تَفانيـهِ
تَـرى الحَقائِقَ تَبْدو مِنْـهُ في نَسَقٍ مَـعَ الكُشـوفِ لِأَنَّ اللهَ يُـلْـقيـهِ
وَذو السُّلـوكِ تَراهُ فـي لَذاذَتِـهِ مُـجاهِـدَ الـنَّفْـسِ ذا رَعْيٍ لِباقيهِ
يَمْشـي عَلى نَهْجِ أَهْلِ الصِّدْقِ مُلْتَزِماً شُـرُوطَـهُمْ خائِفاً فـيما يُرَجِّيـهِ

أي السالك المجذوب - وهو القسم الثاني من أهل الطريق - تراه في إرادته مجاهدا لنفسه مراعيا لبقية أحواله متأدبا بآدابه باذلا جهده في

الوصول إلى منازل أحبابه يمشي على طريق أهل الصدق ملتزما شروطهم جامعا للخوف والرجاء ، فيخاف في رجائه ويرجو في خوفه كما هو شأن أهل الكمال في سلوكهم .

واعلم أن مقام الإحسان هو العمل على شهود الحق تعالى في حال العبادة ، وفي ذلك تنبيه عجيب فإنه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى لا هو ، فإن العبد إنما هو محل لظهور العمل لا غير .

وقال في الباب العشرين وأربعمائة : اعلم أن أعمالنا حقيقة لله وحده وإنما أضافها إلينا ابتلاء واختبارا لينظر الله تعالى – وهو العالم بما يكون قبل أن يكون – هل ندّعيها لأنفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة أو نضيفها له فنقف موقف الأدب نظير قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ ، فإنه تعالى إنما قال ذلك لينظر هل نضيف إليه ما أضافه إلى نفسه مع جهلنا بالكيف أم نردّ ظاهر ذلك ونؤوله فنقع في سوء الأدب . انتهى « يواقيت » ١٨٠

قلت : قد رأيت في كلام سيدي عليّ بن وفا ﷺ : إن وراء مقام الإحسان مقاماً آخر يسمى مقام الإيقان ، ولم أر ذلك في كلام غيره فليتأمل ، وقد تقدم في مبحث الأجوبة عن الأنبياء أن أهل مقام الإحسان لا يتصوّر منهم معصية ما دام في حضرة الإحسان ، وأن من هنا عصم الأنبياء وحفظ غيرهم من الأولياء لعكوف الأنبياء والأولياء في حضرة الإحسان ، أما الأنبيآء فهم فيها على الدوام ، وأما الأولياء فهم فيها في أغلب أحوالهم ، وغاية معصية أهل حضرة الإحسان أن يقعوا في خلاف الأولى لا في حرام ولا مكروه كما مر في الجواب عن آدم عليه السلام ، والله أعلم . « يواقيت » ١٢٦

وقال جلال المحلي رحمه الله تعالى : حقيقة الإحسان مراقبة الله تعالى في جميع العبادات الشاملة للإيمان والإسلام أيضا حتى تقع عباداتُ العبد كلِّها في حال الكمال والإخلاص وغيرها . انتهى« يواقيت » ١٢٥ .

وقال قدس سره أيضا[1] :

وَالجَذْبُ إنْ كانَ مِنْ بَعْدِ السُّلوكِ لَهُ ... فَضْلٌ عَلَى الجَذْبِ مِمَّا السّعْيُ تاليهِ
فَالجَذْبُ هذا الذي التَّفْضيلُ فيهِ عَلى ... الجَذْب الذي ظَهَـرَتْ حِسّاً بَواديـهِ
وَفي الحَقيقَةِ لَوْلا الجَذْبُ ما سُلِكَتْ ... طَـريقُ حَـقٍّ وَلا رُئِيَـتْ مَـرائيـهِ
لَولا العِنايَةُ وَالتَّخْصيصُ قَدْ سَبَقــا ... فــي دَعْـوَةِ العَبْـدِ ما قامَتْ دَعاويهِ

فقال الشيخ أحمد بن علان قدس سره في شرحه : الجذب الذي يجيء من السلوك أفضل من الذي يتلوه السعي ، أي من الجذب المقدم على السلوك .

وهذا الجذب المفضل هو الجذب الذي ظهرت في الحس ظواهره وأشرقت على جميع السالك أنواره وأزهرت أذاخره .

وفي الحقيقة لولا الجذب من الحق لعبده ما سلك طريق الحق ولا رئيت مظاهره ، ولولا العناية والتخصيص قد سبقا في دعوة العبد ما تمَّت له مقاصده ، عنايته فيك لا شيء منك ، وأين كنت حيث واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ؟ !

لم يكن في أزَلِهِ إخلاصُ أعمال ولا وجودُ أحْوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وأعظم النوال . انتهى « شرح ابن علان » ٣١ .

فإن قلت : فلم سمي المجذوب مجذوبا ؟

فالجواب كما قاله الشيخ الأكبر قدس سره في « الفتوحات » في الباب ٢١٦ أنه إنما سمي مجذوبا لجذب الحق تعالى له وأخذه بأعطافه ، ولولا أنه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ، ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة ، لكن من رحمة الله تعالى أنه نقله إلى ما هو أحلى وألذ ، فإن أحوال المجاذيب في لذاذاتهم لا يعادلها اللذة لكونها لذة معنوية في غير مادة محسوسة ، فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هى أعلى وأجل .

« ١ » أي ابن بنت ميلق .

فإن قلت : هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب إلى موته أم تزول ؟

فالجواب : تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها .

قال الشيخ محي الدين ﷺ : وكل جذب لا يمنح صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فتح . « يواقيت » ١٩٢ .

وقال الشيخ سيدي أبو المواهب ﷺ : إذا فتح على السالك فتح التعرف لا يبالي قلّ العمل أو كثر . « تقريب الأصول » ٧٧ .

وقال خاتمة المحققين العارف بالله عبد الغني النابلسي ﷺ في « خمرة الخان » : قال رسول الله ﷺ : « تعرّضوا لنفحات الحق فإن لله تعالى في أيام دهركم نفحات » ، والتعرض إنما يكون بالتهيؤ وإزالة الموانع ، وأصل ذلك الإيمان بالغيب عن العقل والحس والإستسلام لذلك باطنا وظاهرا حتى لا يبقى في العبد خاطر ينازعه في شيء من الدين ، ثم التأدب في معاملة الحق والخلق بالآداب الشرعية أمرا ونهيا حتى يجد الجاذب من قلبه إلى حضرة ربه من غير تكلف ويدخل في مقام الجذبة الإلهية ، كما قال ﷺ : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » وقد ذكرنا هذا آنفا ، فعند ذلك يدخل في تصرف الحق تعالى وتنعزل نفسه عن التصرف فيه فيسلم من الشرك الخفي والجلي ، ويدخل في دائرة أهل التوحيد ، فإما أن يبقى في مقام الجذبة مسلوب الاختيار أو يرد إلى مقامه الأول مسلوب الاختيار في حالة اختياره مطلقا على مراكز اضطراره ، ويعلم ولا يعلم وهو موجود وليس بموجود وفاعل وليس بفاعل ، وهكذا جميع أحواله متناقضة وفي هذا التناقض عين الوفاق . انتهى

فصل

في التلوين والتمكين وما فيهما

قال في « الرشحات » : قال ﷺ : لا يمكن معرفة هذه الطائفة في غير مقام التلوين ، وظهر لي الآن أن معرفتهم في مقام التمكين غير واقع ، فمن وجدهم في مقام التمكين وعمل فيه تقليداً لهم يبقى بلا حظ ولا نصيب ، بل يخاف عليه من الزندقة ، اللهم إلا أن يظهروا له أنفسهم عناية له . انتهى كلامه

لا يخفى أن التلوين عند مشائخ الطريقة ﷺ عبارة عن تقلّب قلب السالك وتنقله في الأحوال الواردة إلى القلب .

وقال البعض : إنه عبارة عن تقلب قلب بين الكشف والحجاب بسبب غيبوبة صفات النفس مرة وظهورها أخرى ، فلا جرم يمكن معرفة السالك في هذا المقام من جهة تلوين أحواله بين الصفتين المتقابلتين ، كالقبض والبسط والسكر والصحو وأمثالها .

والتمكين عبارة في اصطلاحهم عن دوام كشف الحقيقة بواسطة اطمئنان القلب في مواطن القرب ، فلا جرم لا يمكن معرفة السالك في هذا المقام ، فإن صاحب التمكين قد وصل إلى مرتبة سعة العلم ، فهو مماثل ومشابه لأهل الظاهر في الأكل والشرب والبيع والشراء والنوم واليقظة وسائر الصفات البشرية .

والتقليد لأهل التمكين في الأمور الطبيعية وترك الرياضات والمجاهدات موجب لخطر الزندقة ، كما قال الخواجه علاء الدين العطار ﷺ : وأما إذا حملنا التلوين على ما اصطلحه قطب الموحدين وغوث المحققين الشيخ محي الدين بن العربي ﷺ وأتباعه ، فمعرفة صاحب التلوين أشكل وأدق من معرفة صاحب التمكين ، فإنه قال في اصطلاحاته : إن التلوين عند الأكثرين مقام ناقص وعندنا هو أفضل وأكمل من كل المقامات وحال العبد فيه حال قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ، والتمكين عندنا عبارة عن التمكين في التلوين .

قال أستاذي مولانا رضي الدين عبد الغفور عليه الرحمة : إن معنى كلام الشيخ ﵇ « التلوين عندنا أكمل المقامات » ليس معناه أن السالك يتصرف في كل آن بتجلي من التجليات الغير المتناهية أو يدرك في كل زمان مدركا من المدركات التي لا حدّ لها ولا غاية ، بل المراد أن حقيقة السالك تكون لا لونية مشابهة للأصل ومطابقة له يعني الذات البحت المنزهة عن الكيف والكم ، فكما أن كل يوم هو في شأن واقع فيها كذلك هنا يظهر عن حقيقة السالك في كل زمان لون ما ، ويجعل السالك تابعا لنفسه وتكون نسبة حقيقته مساوية لجميح الألوان ، بل يعمل في كل لحظة بمقتضى لون من الشؤونات الإلهية ويكون في حقيقته لا لونيا ، كما قيل بالترجمة :

وَأنا الذي لا لَـــوْنَ لي مُتَعَيِّـنٌ   لَسْتُ أسْوَداً وَمُعَصْفَراً وَمُزَعْفَرا

فلا شك أن معرفة شخص يظهر بجميع الألوان ونسبته متساوية لها ، وفي حقيقته يكون لا لونيا أشكل وأعسر من معرفة صاحب التمكين الذي هو مقيم في مرتبة واحدة دائما وثابت ومستقيم على لون واحد والله اعلم . انتهى في « رشحات » ٧٣

وقال في « عوارف المعارف » في التلوين والتمكين : فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب ، وللقلوب تخلص إلى الصفات ، وللصفات تعدّد بتعدّد جهاتها ، فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها من عالم الصفات .

وأما أرباب التمكين فخرجوا عن مشائم الأحوال وخرقوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات ، فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات إذ جلّت ذاته تعالى من حلول الحوادث والتغيرات ، فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلّي الذات ارتفع عنهم التلوين ، فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها .

والتلوين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لأن جريان التلوين في النفس إبقاء رسم الإنسانية وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة ، وليس المعنيُّ بالتمكين أن لا يكون للعبد تغيّرٌ فإنه الآن أيضا بشرٌ ، وإنما نعني به أن ما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقض بل يزيد ، وصاحب التلوين قد يتناقض الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال . انتهى

وقال شيخ شيخنا قدس الله سرهما : التلوين هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة وهو الصراط المستقيم ، والتمكين هو مقام الاستقامة والثبات على الصراط المستقيم ، وإنما سموا أرباب التلوين لتلونهم وتبدل صفاتهم البشرية في طلب الصراط المستقيم ، بخلاف أرباب التمكين فإنهم ثابتون مستقرون على استقامتهم .

فالتلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق ، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف ، فإذا وصل تمكّن ، فصاحب التلوين أبدا في الزيادة وصاحب التمكين وصل واتصل .

وقال المشائخ : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم ، فإذا ظفروا بها فقد وصلوا ، يريدون بذلك زوال أحكام البشرية عنهم واستيلاء سلطان الحقيقة عليهم .

وقال أبو علي ﷺ : كان موسى عليه السلام صاحب تلوين لأنه رجع عن سماع كلام الله تعالى وطلب الرؤية إلى ستر وجهه لما أثرت فيه الحال ، ومحمد ﷺ كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب ليلة المعراج لم يؤثر فيه ما شاهده ولا ما سمعه تلك الليلة .

وكان يقول : مثال حالهما امرأة العزيز والنسوة ، فالنسوة لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن ما قلن لأنهن لم يكن لهن في حبه مقام تمكين ، وامرأة

العزيز كانت بيوسف أتم بلاء منهنّ ولم يجر عليها ذلك اليوم شيء مما جرى على النسوة لكونها صاحبة تمكين في حبه .

وقال غير أبي علي ﷺ : كلاهما كانا صاحبي تمكين ، يعني موسى ومحمد عليهما السلام بمعنى خروجهما عن أوطان البشرية ، لكن لما دخلا في ولاية الحق والحقيقة وهي لا منتهى لها كان فيها سلوك وتلوين يليق بتلك الحال ، غير أن جواذب الحق إلى قلب محمد عليه الصلاة و السلام كانت أقوى منها إلى قلب موسى عليه السلام .

ويدل على هذا النوع من التلوين قوله عليه الصلاة و السلام : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » ، وفي رواية أخرى : « لي مع الله وقت لا يسعني غير ربي »

أخبر عن وقت مخصوص ، وبهذا استدل من قال من المشائخ : التمكين لا يدوم ، واستدل أيضا بقوله عليه الصلاة و السلام لأصحابه : « لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة » .

وقيل : يصح دوام الأحوال كلها لكن للواصلين ، وخطاب النبي عليه الصلاة والسلام بما ذكروه إنما يكون على قدر فهم المخاطبين وبحسب أحوالهم .

وأما المسلوب عن نفسه وإحساسه بالكلية فهو من المحو المحض ، فلا تلوين له ولا تمكين له ولا مقام ولا حال ولا تسويف ولا تكليف ما دامت به تلك الغيبة ، إلا أنه قد يصدر منه فعل يظن أنه متصرف به وهو في التحقيق مصرف به قال الله تعالى : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾

ثم قيل : صاحب البرهان والنظر – وهو صاحب علم اليقين – في أول مقام التلوين ، وصاحب حق اليقين في آخره وهو أول مقام التمكين ، قالوا : لعل الخليل عليه السلام كان صاحب علم اليقين ، فكان في أول مقام التلوين لما أخبر الله عنه بقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ . انتهى « جامع الأصول » في ١٩٢

فصل

في بيان الإنابة وكيفية آداب الشغل وما يرد عليها والتلقين

وقال الشيخ الهروي عن شاه غلام علي الدهلوي ﷺ : إن البيعة على ثلاثة أقسام : بيعة للتوسل بالمشائخ الكرام وبيعة للتوبة عن المعاصي والذنوب العظام وبيعة لكسب النسبة والوصول إلى مرتبة الرجال الفخام هامش« رشحة » ٧٨

وقال الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي ﷺ : اعلم أنه إذا جاء عندك طالب بإرادة الطريقة ينبغي لك أن تتأمل وتتأنى كثيرا في تعليم الطريقة إياه خوفا من أن يراد إليك الاستدراج في هذا الأمر ومن أن يكون المنظور فيه خرء بيتك ، خصوصا إذا ظهر الفرح والسرور من مجيء المريد .

فينبغي سلوك طريق الالتجاء والتضرع في هذا الباب والاستخارات المتعددة إلى أن يحصل اليقين بكون تعليم الطريقة إياه مرضيا وأنه لا يراد به الاستدراج والإضلال ، لأن التصرف في عباد الله تعالى وتضييع الوقت في تربيتهم غير مجوّز بلا إذن الحق سبحانه وتعالى ، وفي قوله تعالى : ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ دلالة على هذا المعنى .

حكي أنه لما توفي واحد من الأعزة جاء الخطاب بأنه : أنت الذي لبس الدرع في ديني على عبادي ، قال : بلى ، قال : هلا وكلت خلقي إلي وأقبلت بقلبك عليّ والإجازة التي صدرت لك ولغيرك مشروطة بالشروط ومنوطة بحصول العلم بمرضاة الله تعالى فإنه ما جاء بعد وقت الإجازة المطلقة ، فينبغي رعاية تلك الشروط إلى ورود ذلك الوقت والشرط هو الإخبار فتفطن . . الخ .

وسئل الإمام الرباني ﷺ أنه قد يجيء بعض الرجال والنساء ويلتمسون الطريقة ولكن لا يحترزون من الأكل واللبس الحاصلين من الربا هل نعلمهم الطريقة أو لا ؟ ويقولون نحن نصلح بالحيل الشرعية ، ينبغي أن تعلمهم

الطريقة وأن ترغبهم في الاجتناب من المحرم ولعلهم يتخلصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . انتهى

وقال أيضا في ٢٠٢ : اعلم أن مقام المشيخة والإرشاد ودعوة الخلق إلى الحق وطريق الرشاد مقام عال جدا ، ولعلكم سمعتم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » ، وقد ذكرنا هذا في هذه الأرجوزة غير مرة فأي مناسبة بهذه المنزلة العلية لكل قاصر وعاجز .

هَلْ كُلُّ مَنْ خِلْتَ رجلا رجل مَيْدانِ أَوْ كُلُّ مَنْ صارَ ذا مُلْكٍ سُلَيْمانُ

فإن العلم بتفاصيل الأحوال والمقامات ومعرفة حقائق المشاهدات والتجليات وحصول الكشوف والإلهامات وظهور تعبير الواقعات كل ذلك من لوازم هذا المقام العالي ، وبدونها خرط القتاد .

غاية ما في الباب أن أكابر الطريقة ﷻ يجيزون بعض مريدهم بنوع إجازة قبل وصوله إلى مقام المشيخة بملاحظة بعض المصالح ، ويجوزون في حقه تعليم الطريقة للطالبين في الجملة ليطلع على الأحوال والواقعات ، ويلزم الشيخ المقتدى به في هذا النوع من التجويز أن يأمر ذلك المريد المجاز بالاحتياط وكشف مواد الغلط بالتأكيد واطلاعه على نقصه دائما وإظهار عدم تماميته وكماله بالمبالغة ، فإن تساهل الشيخ في إظهار الحق في هذه الصورة يكون خائنا ، وإن أساء ذلك المريد يكون مخذولا ، أما يعلم أن رضا الحق جل وعلا منوط برضا الشيخ وسخطه تعالى مربوط بسخطه ما هذه المصيبة وأي بلاء وقع . اهـ « مكتوبات »

وقال الإمام الشعراني ﷻ : واعلم يا أخي أن السر في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق جل جلاله ، وأقل ما يحصل للسالك إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أنه إذا حرك السلسلة تجاذبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الحق جل وعلا ، فمن لم يدخل في طريقهم كذلك فهو غير معدود منهم ولا يجاذبه أحد من الأولياء . اهـ

واعلم وفقك الله تعالى للخير أن تكميل الغير فرع كمال الإنسان نفسه وهو درجة الولاية الخاصة ، ولكن إذا ظهر في الصحبة رشد في الطالبين وحصلت لهم أحوال ومواجيد فهي أيضا غنيمة وإن لم يبلغوا حد الفناء والبقاء ، وحكمها في هذا الوقت حكم الكبريت الأحمر إن فعل ذلك أيضا ، ولكن تعليم الطريقة أيا من كان بعد الاستخارات والتوجهات مناسب بل لازم ، وينبغي أن تكونوا على خوف وخشية من هذا العمل حذرا من تسلط الشيطان من هذه الجهة أعاذنا الله تعالى وإياكم من شره . « مكتوبات » ١٤٧

ثم اعلم أيها الأخ الأسعد فرّحك الله باللطف الأبد« ١ » أن هؤلاء المشائخ النقشبنديين قدس الله أسرارهم في تربية الفقراء على حسب الطاقة والإمكان ، ولهم في ذلك كيفيات مختلفة ترجع كلها إلى واحدة ، فإنها وإن اختلفت ظاهرا ففي الباطن غير مختلفة ، وغاية أمرهم أنهم يأخذون العهد على المريد بأن يجلس على طهارة بين يدي الشيخ ويضع يده في يده ويقول له : هذا عهد الله بيني وبينك على الكتاب والسنة لا ترتكب كبيرة ولا تصر صغيرة وأنه متى وقع منك شيء من ذلك ووقعت في تلك المهالك تبادر بالتوبة ورفع تلك الحوبة وأن تلازم على فعل الواجبات وأن تواظب السنة والجماعة وأن تعمل بالعزيمة وتجانب عن الرخصة والبدعة ، ونحن أخَوان في الله تعالى الناجي منا يأخذ بيد أخيه يوم القيامة ، ونحن من أتباع إمام الطريقة وغوث الخليقة خواجه نقشبند بهاء الدين الأويسي البخاري قدس سره .

ثم يستتيبه عن جميع المعاصي والمخالفات التي أضاع فيها عمره ويقولان : **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم وأتوب إليه** ثلاثا ثلاثا ، ثم يقرأ الشيخ مرة للتبرك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، ثم يضع الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما ويغمضان أعينهما ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات على نية التلقين والتعليم لقلب المريد ثلاثا ، ثم يذكر المريد أيضا بقلبه

« ١ » لعله الأبديّ .

على نية التلقن ثلاثا ، ثم يرفع الشيخ والمريد أيديهما معا للدعاء فيدعو الشيخ له ويؤمن المريد ، وبعد تمام الدعاء يمسحان أيديهما على وجوههما .

وبعده يقبل المريد ركبة الشيخ ويقوم من محله وبإذن الشيخ يذهب ويشتغل بما أمر به الشيخ ويحفظ نسبة الشيخ على كل حال ويوفي العهد والميثاق ولا ينقضه إلى أن يموت « الآداب المرضية » .

وهذه ما عليها اصطلاح القوم مختصرا ونفصّله إن شاء الله تعالى بإيراد ما تلقينا من مشائخنا السادات القادات تيمنا والحمد لله رب العالمين .

ومن الناس من يدّعي المشائخ بقوله بأنه لا يمكن التلقين ولا إعطاء الورد ولا يجوز ذلك للمرشد الكامل للمريد السالك إلا إن كان السالك قد خرج من التعلّقات النفسانية بالكلية بلا بقاء تعلق مّا للدنيا ولا لما فيها ، فإن كان فيه حظ النفس ولو قليلا لا يجوز للشيخ تلقينه[1] .

وقد ذكروا للبرهان لذلك أقوال المشائخ الذين رأوهم في بعض الكتب ، وهذا الزعم منهم وَهَمٌ عظيم وخيال وفساد محال يقول بجهله ما ليس له علم من اصطلاحات المشائخ ومقاصدهم ، وما ذلك منهم إلا بمجرد عدم تهذبهم بأيدي المرشدين الكاملين .

ألم يعلموا أنّ النفس أمّارة حتى نفوس الأنبياء حتى أخلصهم الله تعالى بالأسباب بعنايته سبحانه وتعالى ، وليس الإنسان معصوما سوى الأنبياء ، فإن كان السالك قد تخلّص من حظوظ النفس والتعلّقات الدنيوية بالكلية فما المقصود من سلوكه في سلسلة المريدين مع كونه واصلا لمقام المرادين الكامين ، فبمثل هذا يريدون إطفاء نور هذه النسبة العلية ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون .

قال العارف أبو العباس ابن زروق رضي الله عنه : إقرار المرء بعيبه وبنعم الله تعالى عليه دون تتبع ذلك بتفاصيله يزيد في جرأته ويمنعه من التحقق بحقيقته ، وتتبع ذلك تفصيلا يقضي بارتسامه في النفس جملة حتى يؤثر موجبها اعترافا بالنقص في الأولى وشكرا للنعمة في الثانية فافهم .

« ١ » راجع المكتوب الخامس من « مكتوبات » السيد المؤلف .

وفائدة التدقيق في عيوب الناس وتعرفها وتعرف دقائق الأحوال معرفة المرء بنفسه وتواضعه لربه ورؤية قصوره وتقصيره ، وإلا فليس في قوة البشر التبري من كل عيب بإزالته ، إذ لو أنك لا تصل إلى الله تعالى إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا فافهم ، وقد فصلنا في تحليل هذا الإشكال بالكلام الثابت عن السادات .

وقال ﷺ أيضا : المسبوق بقول إن نقله باللفظ تعيّن العزو لصاحبه وإلا كان مدلسا وكذا بالمعنى المجازي للفظ القائل من غير زيادة عليه بالإشارة لوجه نقله ، فإن وقع له تصرف تمييز الوجه معه من غير إخلال بالكلام لزم بيان كل بوجهه ، وإلا فإطلاقه أو نسبته له إن تحقق تصرفه فيه أولى ، ولينظر فيه مع ما زيد عليه وما نقل إليه إذ قيل : من نقل بالمعنى فإنما ينقل فهمه لأنه ربما كان في اللفظ من زيادة المعاني ما لا يشعر به الراوي بالمعنى ولو في القمح بالبر ، ولا يلزم في التكميل والترجيح والتوفية هضيمة الأول ولا دعوى الثاني ، فإن إلزام ذلك مخل بإظهار الحق ثم إن إلزامه بلسان الحق فصيح بما لم يصح ردّ قائله ، وإلا بآء متهمه بالجحود فافهم .

وقال : مراعاة اللفظ لتوصيل المعنى لازم كمراعاة المعنى في حقيقة اللفظ ، فلزم ضبط المعاني في النفس ثم ضبط اللسان في الإبانة عنها والأصل المتكلم في الأولى واصل في الثاني ، فمن هذا الوجه وضع الأئمة لحن العامة ونبهوا على وجوه الغلط في العبارات وربما كفر وبدع وفسق محقق لقصور عبارته عن توصيل مقصده بوجه سليم عن الشبه ، وأكثر ما وقع هذا الفن للصوفية حتى كثر الإنكار عليهم أحياء وأمواتا ، وقد يكون الضرر من وجه آخر وهو عدم الإذن الشائع بين القوم حتى أن الحقيقة الواحدة تقبل من رجل ولا تقبل من آخر ، بل وربما قبلت من شخص وردّت من آخر مع اتحاد لفظها ومعناها وقد شاهدنا من ذلك كثيرا ونصّ عليه الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ . « قواعد » ٦٥ .

وقال الشيخ عبد الله الخاني ﷿ في بيان ما يتعلق بالأخذ والشروع في سلوك الطريقة العلية : قال في « معراج السعادة » : قال المحبوب الصمداني المجدد الألف الثاني ﵁ : الطالب إذا أراد أخذ الطريق من الشيخ فأول أمر يأمره الشيخ به الاستخارة اقتداء برسول الله ﷺ وامتثالا بأمره ﷺ ويكررها إما ثلاث مرات أو سبع مرات ، فإن لم يتذبذب في هذا الخطب الجسيم والمطلب الفخيم يشرع فيه مستعينا بالله سبحانه وتعالى .

وإن اكتفى الشيخ الكامل المكمل باطمئنان قلبه وإقباله على ذلك فهو يقوم مقام الاستخارة ، وإن انضم إليها ذلك فهو نور على نور في المبدأ والمعاد ، ويقدم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل للذنوب والمعاصي ، فإن الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام .

قال العبد الضعيف الراجي رحم الله تعالى إفلاسه : إن للشيوخ الكرام قدست أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله ﷺ حيث ثبت أن بعض المبايعين أرادوا المبايعة له ﷺ على أربع صلوات أو على أقل من ذلك فبايعه على ذلك وقال : الصلاة لا تترك ، فكذلك الشيوخ يقنعون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتمادا منهم على أن النور الإلهي إذا تمكن من قلبه يأبى أن يكون كل حركة وسكنة منه إلا بالله سبحانه وتعالى .

قال : ثم يلقنه ذكرا مناسبا لحاله ويمده في ذلك بتوجهه وهمته ويبين له آداب الطريق وشرائطه ويرغبه في متابعة الكتاب والسنة ويقطع عنده الكلمة بأن الوصول إلى المطلوب لا يمكن إلا بهذه المتابعة وينبهه على أن الوقائع والكشوف المخالفة أدنى مخالفة للكتاب والسنة لا يلتفت إليها أولو الأبصار ولا توزن بميزان الاعتبار .

وقال ﵁ في بعض« مكاتيبه » مجيبا لمن سأله أن بعض الرجال و النساء يريدون أخذ الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن ربا ، ويظهرون أن هذا الأخذ عنهم ليس إلا بالحيلة الشرعية هل يتأهل هؤلاء للطريقة : لقنوهم الذكر وعلّموهم ورغّبوهم في الاجتناب عن المحرم .

قال العبد الراجي رحم الله تعالى إفلاسه : المعنى في هذا أيضا ما قد سبق عن النبي ﷺ ، ومن هذا ما قاله الشيوخ في الكلام على « العوارف » من أن الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمعة والرياء لا يترك العبادة ، بل يستغفر الله تبارك وتعالى .

وقال رضي الله تعالى عنه مجيبا لمن سأله عن طريق التعليم للنساء : إن كانت المرأة محرما فأي مانع ؟ ! وإلا فتجلس وراء الحجاب وتأخذ الطريقة .

قال صاحب العروة الوثقى رضي الله تعالى عنه : ينبغي ترغيب الطالبين المسترشدين في وظائف الطاعات ورعاية الآداب ، والمقصود حصول هذه النسبة الشريفة ، أما العلم بحصول البياض« ١ » فأمر آخر ، إن تفضل الله سبحانه به فهو كرامة منه تعالى وإلا فلا ضير . « البهجة السنية » ٣٧ .

وقال الشيخ العارف أبو العباس أحمد الشهير بـ زروق ﷺ في آخر « قواعده » : قال شيخنا أبو العباس الحضرمي ﷺ : ارتفعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال ، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان ، وذلك جار في معاملة الحق والنفس والخلق ، فأما معاملة الحق فثلاث : إقامة الفرائض واجتناب المحرمات والاستسلام بالأحكام ، وأما معاملة النفس فثلاث : الانصاف في الحق وترك الانتصاف لها والحذر من غوائلها في الجلب والدفع والرد والقبول والإقبال والإدبار ، وأما معاملة الخلق فثلاث : توصيل حقوقهم لهم والتعفف عما في أيديهم والفرار مما يغير قلوبهم إلا في حق واجب لا محيد عنه .

وكل مريد مال لركوب الخيل وآثر المصالح العامة واشتغل بتغيير المنكر في العموم أو توجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حالة كونه في فسحة منه أو أراد استيفاء الفضائل أو تتبع عورات إخوانه وغيرهم أو تعلل بالتجريد أو عمل بالسماع على وجه الدوام أو أكثر الجمع والاجتماع

« ١ » البياض في عُرف القوم كناية عن نقاء الباطن وصفائه .

لا لتعلم أو تعليم أو مال لأرباب الدنيا بعلة الديانة وأخذ بالرقائق دون المعاملات وما بينه عن العيوب أو تصدر للتربية من غير تقديم شيخ أو إمام أو عالم أو اتبع كل ناعق وقائل بحق أو باطل من غير تفصيل لأحواله أو استهان بمنتسب لله تعالى وإن ظن عدم صدقه بعلامة أو مال للرخص والتأويلات أو قدم الباطن على الظاهر أو اكتفى بالظاهر عن الباطن أو أتى من أحدهما ما لا يوافق عليه الآخر أو اكتفى بالعلم عن العمل أو بالعمل عن الحال والعلم أو بالحال عنهما أو لم يكن له أصل يرجع إليه في عمله وعلمه وحاله وديانته من الأصول المسلمة في كتب الأئمة ككتب ابن عطاء الله في الباطن وخصوصا « التنوير » و« مدخل » ابن الحاج المالكي في « الظاهر » وكتاب شيخه ابن أبي جمرة ومن تبعهما من المحققين رضي الله تعالى عنهم ، فهو هالك لا نجاة له ، ومن أخذ بهما فهو ناج مسلم إن شاء الله تعالى والعصمة منه والتوفيق .

وقد سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ فقال : « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك » ، وقال عليه الصلاة و السلام : « في صحف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه ممسكا للسانه مقبلا على شأنه ، وعلى العاقل أن يكون له أربع ساعات : ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يناجي فيها ربه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوبه ويدلونه على ربه وساعة يخلي فيها بين نفسه وشهواته المباحة » أو كما قال[١] رزقنا الله تعالى ذلك وأعاننا عليه ووفقنا إليه وصحبنا بالعافية فيه فإنه لا غنى بنا عن عافيته وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين . اهـ

« ١ » الخبر عن وهب بن منبه قال : في حكمة آل داود : حق على العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يناجي فيها ربه وساعة يخلو فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوب نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين شهواتها التي لا قوام له إلا بها مما يحل .

وقال أيضاً : الغفلة عن محاسبة النفس توجب غلظها فيما هي به ، والتقصير في مناقشتها يدعو لوجود الرضا عنها ، والتضييق عليها يوجب نفرتها ، والرفق بها معين على بطالتها ، فلزم دوام المحاسبة على المناقشة والأخذ في العمل بما قارب وصح دون مسامحة في واضح ولا مطالبة بخفي من حيث العمل ، واعتبر في النظر تركا وفعلا ، واعتبر في قولهم : من لم يكن يومه خيرا من أمسه فهو مغبون ، ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، وإن الثبات في العمل زيادة فيه لأن إضافة اليوم لأمس مع ما قبله مضعف له سيما وقد قيل : فتح كل مقام على الضعف من الذي قبله وإن الفتوحات على تضاعيف بيوت الشطرنج ، ومن ثم قال الجنيد رحمه الله تعالى : لو أقبل مقبل على الله سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته منه أكثر مما ناله ، ويشهد لهذه الجملة ﴿فَيُضَاعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ فافهم .

قال بعض الأكابر : إن بعد صلاة العصر لساعة ينبغي أن يشتغل فيها بأفضل الأعمال ، قال البعض : إن أفضل الأعمال في تلك الساعة المحاسبة وهي أن يحاسب الطالب ساعات ليله ونهاره ، كم ساعة منها مرت على الطاعات وكم ساعة كانت مصروفة في المعاصي والسيئات ، فما كانت مصروفة في وجوه البرّ والطاعات فيشكر وما كانت مبذولة في طرق المعاصي والسيئات فيستغفر . « رشحة » ١٩٠ .

فصل

في بيان كيفية النفي والإثبات ومتعلقاتها وتلقين النسبة« ١ »

اعلم أيدك الله تعالى أن النفي والإثبات من أهميات الطريقة وضروريتها وهو مقام عظيم ، وذلك أن المريد المستعد إذا اجتهد في تصفية لطائفه وتنورت بسريانها في جميعها ينظر الشيخ إلى لطائفه بنظر الشفقة والمحبة الإلهية ويلقن له بالنفي والإثبات ، ولتلقينه آداب وذلك أن المريد الصادق يجلس أمام شيخه بإشارته مقابلا له متصلا ركبتيه بركبتي الشيخ .

وهذه الجلسة باقية موروثة من رسول الله ﷺ حين أتاه جبرائيل عليه السلام وجلس عنده متصلا ركبتيه بركبتي رسول الله ﷺ حين حضره لإعلام أحكام الدين ، ثم يغمض المريد عينيه ويطبق فاه ويلصق لسانه حنكه الأعلى ويلصق أسنانه بعضها بعضا ويحبس نفسه تحت السرة ثم يقول الشيخ أولا ثلاث مرات بإحضار كلمة (لا) من تحت السرة بحضور القلب بجره إلى الدماغ بالخط بالتخيل الصادق ، ثم يجر كلمة (إله) إلى جهة الكتف الأيمن بالتمييل والتحريك ، ويضرب كلمة (إلا الله) على القلب بالضرب العنيف بحيث يصل حرارة الضرب إلى جميع الأعضاء والمفاصل سراية ، ثم يفعل المريد كما فعله شيخه وأمره .

وهذا التلقين مما تتوارثه السادات من رسول الله ﷺ حين لقنه لعلي كرم الله وجهه ، وأن المريد ينفي وجوده عن الوجود والمحدثات بالفناء والعدم ويخيل من لفظة (لا إله) أي لا معبود أو لا مقصود إلا الله بنفي جميع التعلقات البشرية ، ويخيل من لفظة (إلا الله) إلا الذات الصرف البحت بإثبات وجوده الواجب له سبحانه وتعالى .

ثم بعد تلقين الشيخ هذا الذكر من النفي والإثبات لازمٌ على المريد أن يفني أوقاته جلها على هذا الذكر من غير فتور ولا قصور بالاستغراق التام

« ١ » وقد ذكرنا التلقين في فصل الإنابة فراجعه .

والاضمحلال عن جميع ما سواه سبحانه وتعالى ، وأن يكرر تلك الكلمة الطيبة بالدوام حتى يتقرر صورة التوحيد في القلب ويصير صفة لازمة للقلب حتى يكون الذكر ملكة لا يفارق عن القلب والقالب .

وتخييل قول (لا معبود إلا الله) من لفظة (لا إله إلا الله) حال المبتدئ ، و(لا مقصود إلا الله) حال المقتصد ، و(لا موجود إلا الله) حال المنتهي ، فتدبر فإنه مهم .

وقال مولانا الشيخ عبيد الله الأحرار ﷺ : إن المراد من الذكر المذكور والمقصود منه أن يكون قلب الطالب الذاكر دائما مع الحق سبحانه وتعالى بصفة المحبة والتعظيم ، فإن حصل للطالب الحضور في الجمعية والصحبة و حصل له الاستغراق ، فهي خلاصة الذكر وحضور القلب فيعم له الذكر ولا يبقى في قلبه أمر الدنيا ومصلحة الآخرة ولا همّ ولا فكر سوى في الله بالله ، ولا يخلو قلبه عنه البتة وتيسر له السير التام العلمي ، فيلزم عليه الاجتهاد لتخليص قلبه عن جميع التعلقات البشرية ليجتني من روضة العناية الإلهية ثمرة المعرفة ، والله يتولاك .

ثم بعد اشتغاله بالكلمة الطيبة وخلاص قلبه من الخواطر ببركة الكلمة الطيبة وصفائه عن الأغيار يأتي بـ (البازكشت) ويقول : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي بعد إتيان محمد رسول الله ﷺ بعد الكلمة الطيبة .

وإن المشائخ الكرام قالوا : إن لفظ محمد رسول الله ﷺ لفظ شريف وهو زينة الذكر ، وإتيانها في أثناء الذكر وإتيان (بازكشت) بعدها مرغوب ومهم عند السادات ويقولون : إن (بازكشت) ترجمان النية الخالصة ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾

وقال بعض أكابر الطريقة رضي الله عنهم في معنى (لا إله إلا الله) : إن الذاكر يقول في مرتبة سلوكه أحيانا : لا معبود إلا الله وأحيانا لا مقصود إلا الله وأحيانا لا موجود إلا الله ، فالمعنى أنه مادام لم يشرع في السير إلى الله تعالى

يلاحظ وقت الذكر لا معبود إلا الله ، وبعد شروعه فيه يلاحظ لا مقصود إلا الله وما لم ينته السير إلى الله ولم يضع قدمه إلى السير في الله فملاحظة لا موجود إلا الله كفر ، أعاذنا الله تعالى من الجهالة والتلبيس .

وللنفي والإثبات تسعة شروط وقوف قلبي لاطلاع القلب ، وحبس النفس لدفع الخواطر«١» ، وملاحظة الخط لإراءة طريق الذكر ، وملاحظة النقش لجريان لا إله إلا الله ، وملاحظة المعنى للوصلة بتخييل لا معبود إلا الله أو لا مقصود أو لا موجود إلا الله تعالى بحسب المقام ، وضرب لا إله إلا الله ضربا شديدا إلى القلب لتوسعة القلب ، وقوته لإخراج الأخلاق الرديئة الدنية ، وملاحظة عدد الوتري للتمييز ، وذكر (محمد رسول الله) للإيصال إلى ولدية النبوة ، و« بازكشت » وهو إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي لتصحيح النية . « جامع الاصول » ١٣١

قال مولانا محمد معصوم ابن المجدد ﷺ : والأكثر في طريقتنا تقديم اسم الذات ، فإن لم يتأثر الطالب منه يؤمر بمجرد الوقوف القلبي ويتوجه حتى يتأثر بإذن الله تعالى ، ثم النفي والإثبات وسائر الأشغال .

وبعد تعلم السالك طريق الاشتغال يقال له أنت مخير فكل شغل أبعد من التفرقة في حقك وأقرب إلى الجمعية اشتغل به ، لكن الاشتغال بالنفي والإثبات أدخل في الترقي وتنوير الباطن ، وإذا غلب على السالك الحضور والاستغراق فيؤمر بترك الذكر ما دام في هذه الحالة . انتهى

« ١ » وقال الشيخ العارف الهروي عن شيخه عبيد الله أحرار قدس الله أسرارهم في الرشحة قال حضرة شيخنا : ذكر يوما في مجلس بهاء الدين عمر ﷺ أن بعض أكابر الطريقة يأمر بحبس النفس في الذكر ويعدّه شرطا فيه فقال الشيخ : إن حبس النفس طريقة جوكية الهنود وإنما الشرط في هذا الطريق حصر النفس لا حبس النفس فبلغ هذا الكلام الخواجة يوسف عليه الرحمة بأن الشيخ ينفي الطريقة فكتب إلى الشيخ : سمعت أنكم نفيتم طريقة حبس النفس قائلا بأن أحدا من مشائخ الطريقة قدس الله أرواحهم لم يأمر بهذا ومن المقرر والمحقق أن الخواجة بهاء الدين وخلفاؤه قدس الله أسرارهم كانوا يأمرون بحبس النفس في الذكر فكيف تنفونه فكتب الشيخ ﷺ في جوابه : إن مقصودنا من هذا الكلام ليس نفي طورهم فأجمل في الجواب وأبهم « رشحة »٧٧ .

والحاصل كما قاله في « تحفة الأحباب » : إن من استعد لتقديم الجذبة على السلوك فله ذلك ، والمراد بالجذبة هنا جذبة المريدين وهي مشاهدة قلبية يحصل بها توجه القلب إلى جناب الحق سبحانه وتعالى .

وأما جذبة المنتهين فهي مشاهدة روحية يحصل بها توجه الروح إلى مدارج الشهود ، والسلوك تصفية القلب وتزكية النفس عن رذائل الأخلاق البشرية وتخليصها عن القيودات العنصرية والرعونة النفسية والتعلقات الكونية بالرياضات الشاقة والمجاهدات اللائقة على موافقة الشريعة ومتابعة السنة مع الاشتغال بما يتلقن به من الأذكار الواردة ، فله الاشتغال باسم الذات لما أنه يناسب لصاحب الجذبة ، لأن قلبه خال عن الأغيار وعن التعلقات إلى الأكوان فلا يحتاج إلى نفي تلك الأغيار ونفي تلك التعلقات ، بل إنما يحتاج إلى ظهور حقيقة جذبة المحبة الذاتية ، فهذا يحصل باشتغاله باسم الذات من غير احتياج إلى النفي والإثبات .

ومن استعد لتقديم السلوك على الجذبة فله أن يشتغل بالنفي والإثبات من غير حبس النفس إلى أن يستعد للجذبة ، وبعد ذلك أيضا يشتغل باسم الذات كما في ابتداء الأمر .

ومعنى الاشتغال هنا الاشتغال وفق تلقين الشيخ كذلك ، وليس المعنى الاشتغال بنفسه بلا تلقين من الشيخ كما يتبادر إليه بعض الأوباش .

وإنما اعتبر المشائخ ﷺ مراعاة استعداد الطالبين في تلقين الذكر لتسهيل سلوكهم ، لأنهم إن لم يعتبروا الاستعداد ولقنوا من يستعد لتقديم السلوك اسم الذات ، أو لقنوا لمن يستعد لتقديم الجذبة النفي والإثبات يدخل الاختلال في سلوكهما من بطء الوصول أو صعوبة السلوك أو غير ذلك من الآفات ويشق للشيخ والمريد إصلاح أمر السلوك وجبر ما فسد .

وكلاهما أي النفي والإثبات واسم الذات يتلقن بالقلب الحقيقي الذي هو عبارة عن اللطيفة الداركة للكليات والجزئيات المتوسطة بين روح الأمر

والنفس الناطقة ، وهذا القلب كله لسان يتكلم به وكله بصر يبصر به وكله سمع يسمع به وكله مدرك يدرك به ، والقلب الحقيقي مشارك لأخواته من حيث الحقيقة من الروح والسر والخفي والأخفى .

أما الروح هو عبارة عن اللطيفة النورانية الملكوتية وهي باطن القلب وألطف منه وإذا احتجبت الروح عن مراعاة القلب أساءت الجوارح الأدب ، لأن القلب والنفس والجوارح كلها لا تعمل عملا بدون مراقبة الروح .

وأما السر هو عبارة عن اللطيفة الربانية الجبروتية وهو باطن الروح وألطف منها ، ومرتبة السر محل دخول السالكين إلى عالم الجبروت ، وطريق الدخول في عالم الجبروت أن السالك يدخل أولا في مرتبة قلبه وتقطيع تلك المرتبة ثم يعرج منها إلى مرتبة الروح وتقطيعها أيضا ثم يعرج منها إلى مرتبة السر ثم يعرج منها إلى مقام مشاهدة عالم الجبروت ، وهذا الأمر مما لا يقف عليه كل أحد إلا حذاق السالكين الذين كثر سلوكهم فى هذا الباب دخولا وخروجا .

وأما الخفي هو عبارة عن لطيفة لاهوتية ملازمة بعالم الصفات ، وهو باطن السر وألطف منه ، ومرتبة الخفي مرتبة الحيرة والاستغراق .

وأما الأخفى هو عبارة عن لطيفة لاهوتية أيضا لكنه ملازم بعالم الذات ومظهر لتجلياتها كما ورد في الحديث القدسي : « إن في جسد ابن آدم لمضغة وفي المضغة فؤادا وفي الفؤاد سرا وفي السر خفيا وفي الخفي أخفى وفي الأخفى أنا » ، وإنما سمي الأخفى لكونه أبلغ في الاختفاء من الخفي وألطف منه وهو باطن الخفي .

والباطن من هذه اللطائف أكبر من الظاهر على خلاف العادة وذكرها الخفي ، وهو أفضل من الجهري بمراتب ، ولما وصل السالك إلى مرتبة الأخفى يكون جميع اللطائف متحدة مع الأخفى لكون تلك اللطائف حقيقة واحدة في الأصل ، لكن بحسب الأطوار والمراتب تكون متعددة .

وهذه المذكورات من اللطائف من عالم الأمر الذي خلقه الله تعالى بأمر (كن) أي من فوق العرش ، لأن عالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال وعن الجهة والمكان ، ومعنى (بأمر كن) أي بمجرد التجليات الإرادية من غير مادة من العنصر ورتبها بحكمته البالغة مع لطائف عالم الخلق على طريق التعشق والمحبة بحيث يكره منها مفارقة أخرى حتى كانت لطائف عالم الأمر بسبب ذلك التعشق مقهورة تحت حكم لطائف عالم الخلق . انتهى

وكل من هذه اللطائف محل الذكر أي محل ذكر اسم الذات على الترتيب المذكور بحسب التقدم والتأخر في اللفظ ، وجميع هذه مذكورة في مواضعها .

وقال الإمام الرباني ﷺ : النفي يكون في البداية والانتفاء في النهاية ، وبينهما فرق عظيم .

وقال ﷺ أيضا : ذكر اسم الذات يناسب الجذبة ، وذكر النفي والإثبات يناسب السلوك ، وفي هذه الطريقة الجذبة مقدمة على السلوك . وقال رضي الله تعالى عنه : **علامة سلامة القلب أن لا يخطر عليه غير الحق تعالى .**

ومن كلام الإمام الرباني أحمد سعيد الفاروقي ﷺ في « المقامات » : أن النفي والإثبات أن يحصر النفس تحت السرة ويصعد منها بكلمة (لا) بلسان الخيال وينتهي بها إلى الدماغ ، ومنه يأتي بكلمة (إله) وينزل بها إلى الكتف الأيمن كما ذكرناه مرات عديدة ، ومنه يجري (إلا الله) فيضرب بها على القلب بحيث يظهر أثر الذكر في سائر اللطائف ويقول عند إطلاق النفس بلسان الخيال : (محمد رسول الله) .

وحين الذكر يشترط ملاحظة المعنى بأن لا مقصود إلا الله ، وفي جناب النفي ينفي نفسه وسائر الموجودات ، وفي جانب الإثبات يلاحظ إثبات الحق تعالى .

ومن الشروط أيضا في كل ذكر بعد مرات أن يقول بلسان الخيال مع التذلل والانكسار : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي أعطني محبتك ومعرفتك .

ومن آكد الضرورات الذي لا بد منه خصوصا في الذكر أن يكون التوجه دائما إلى القلب ، وتوجه القلب إلى الذات الإلهية جل سلطانها ، لأن حصول نسبة الحضور في البال بدون هذين التوجهين محال ، وهذ يسمى عندهم بالوقوف القلبي .

وينبغي للسالك أن يتحفظ على قلبه من غلبة الخواطر عليه ويقال له : (نكاه داشت) .

وحبس النفس في الذكر مفيد ، ومن فوائده : حرارة القلب والشوق والذوق والرقة وانتفاء الخواطر وظهور المحبة ، ويمكن أن يكون موجبا لحصول الكشف .

وينبغي في ذكر النفي والإثبات مراعاة عدد الفرد إذا كان بالحبس ، ومن ثمه يقال لهذا الوقوف العددي ، وهذا الذكر مأثور عن سيدنا الخضر عليه السلام الذي علمه الشيخَ عبد الخالق الغجدواني قدس سره وبسطنا الكلام في هذا في غير هذا الموضع والله الهادي . « مقامات السعدية » ١٩٧ .

وقال الشيخ محمد معصوم قدس سره : إن الذكر في حد ذاته مسنون حسن ، وقال : إن الحبس يكون بدعة لو ثبت أن هذا العمل لم يكن في الصدر الأول وذلك ممنوع ، وأيضا إن حضرة الخضر هو الذي علم حضرة الخواجه عبد الخالق الغجدواني وأمره الخضر عليه السلام بأن ينغمس في الماء ليكون النفس محبوسا ، فلا يمكن الحكم في عمله بالبدعية .

ونقل عن حضرة المجدد قدس سره أن هذا الذكر قد وصل إلى أهل الطريقة النقشبندية معنعنا من الصديق الأكبر ، وطريقة الصحبة أيضا وصلت إليهم منه رضي الله عنه كذا في « كنز الهداية » هامش « المقامات » .

وقال الشيخ الهروي قدس سره : رأى مولانا في حجرتي مصحفا في الرف فقال ماهذا الكتاب ؟ قلت : هو مصحف ، قال : إن ذلك من البطالة ، يعني أن وظيفة المبتدئ في بداية سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات .

وقال : إن تلاوة القرآن وظيفة المتوسطين ، والصلاة شغل المنتهين ، وأهم المهمات للمبتدئين الاشتغال بالنفي والإثبات ، وترك الأهم والاشتغال بغيره بطالة كمن يقرأ الفاتحة في القعود زعما منه أنها أم القرآن ، وهذا الذي كثر في حق الدجالين الزعم قائلين : وهل شيء أفضل من القرآن كلام الله العزيز ؟ ! مع جهلهم معنى الفضيلة وما نطق بها السادات أرباب القلوب ، اللهم اجعلنا من الصادقين المخبتين .

ثم اعلم أيها الأخ المأمون طالب السر المصون أن التلقين مزلة أقدام كثير من المشائخ وأطالوا الكلام بالقال والقيل وبه ضل كثير في هذه الطريقة الصديقية وأضلوا بعضهم بمجرد التعصّب اقتداء بآثار الجهلة الدجالين المتشيخين ، وبعضهم بجهلهم اصطلاح القوم بعدم وقوعهم في أيدي المرشدين الكمّل ، وبعضهم بالتكبر والترفع بل بالعقد المكنوز في صدورهم على المرشدين ومريديهم باتباعهم الأهوية الشيطانية بغلبة رعونة نفوسهم فوقع أكثرهم في الخسران ، وبعضهم اجتهدوا في طلب مرشد كامل وبذلوا جهدهم بصفاء السريرة باتباع السنة ، ففازوا بمرامهم وربحوا في تجارتهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثم إن التلقين إنما وصل إلينا بالحقيقة من الله سبحانه وتعالى كما شهدت عليه آثار التنزيل بقوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾ .. الخ ، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ .. الخ ، وذلك كما أن التلقين من رسول الله ﷺ إلى خلفائه ثم إلى أصحابه ثم ورثته من العلماء الصالحين والمشائخ الكاملين بواسطة المشائخ بطنا بعد بطن لإخراج السالكين من بحر الظلمات إلى فضاء الرحمة ، كذلك وصل التلقين إلى الأنبياء أيضا بواسطة أبينا آدم عليه السلام بطنا بعد بطن . قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ، ثم من آدم إلى أولاده وأولاد أولاده إلى سيدنا سيد الكائنات عليه وعليهم السلام .

وهذا التلقين على قسمين وقد شهر بالنسبة ، فهي إذا تلقين ظاهر وتلقين باطن ، والمعنى في ذلك أن التلقين بالنسبة الظاهرية فرادى فرادى فقد

وصل إلينا من يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن عليا ﷺ سأل النبي ﷺ فقال : دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله ، فقال عليه الصلاة و السلام : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله الا الله »إلى آخر الحديث ، وقد ذكرناه آنفا ، وتسمى هذه نسبة عليّ في تلقين الذكر ، وعليه بعض الطرق كالشاذلية والقادرية وأمثالهما .

وأما التلقين الباطني وهي النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية وهو المراد المطلوب ، فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ الذات الجامع الذي هو اسم الجلالة لقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ .. الخ ، وتسمى هذه النسبة بالصديقية وهي منسوبة إلى الصديق الأعظم ، وعليها مشائخ هذه الطريقة النقشبندية ، وهي التي أخذها باطنا عن النبي ﷺ ، وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه ﷺ وعني به لقول النبي ﷺ عن ربه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » .

وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين ، فهما أصلان ومعهما عون الرحمن ، وهذه النسبة الباطنية الصديقية في الحقيقة من الله تعالى بلا واسطة آدم ﷺ ، بل بواسطة رسول الله عليه الصلاة و السلام فقط ، كما قال عليه الصلاة و السلام : « ما صب الله في صدري شيئا إلا وصببته في صدر أبي بكر » بخلاف سائر الطرق .

وأكثر المتشيخين معزولون عن فهم معنى النقشبندية ، ويبدعون في هذه الطريقة العلية أمورا لم تعهد قط من أحد ، وأرادوا إضاعة هذه النسبة السنية من أصلها لأجل الدنيا وجلب حطامها ، ويكتنزون ببدعاتهم الكنوز حلالا كان أو حراما حتى لا يخرجون الزكاة مما جمعوا ، اللهم نعم إن الزكاة إنما أوجب الله لتزكية أموالهم وكيف يزكى الحرام الذي جمعوها من أموال الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل بالخدعات والأقوال المموهة كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾

وأما التوحيد بـ : (لا إله إلا الله) فإن كل من توجه وقلبه لغير الله حجب عن الله تعالى ، وكل من ذكر وقلبه بغير مذكوره حجب بألف حجاب .

فإذا طهرت ظاهرك من الأنجاس والأدناس وباطنك من الوساوس والظنون والأوهام فقل خمسة آلاف مرة : لا إله إلا الله ، و يكون ذلك بعد تمام النفي و الإثبات وأقله عند الشاذلية اثنا عشر ، وإياك أن يكون ذكر عدد بلا حضور ومعنى .

وأصل الذكر التلذذ والحلاوة فإن غلب عليك خشوع ودموع واحتراق واغتراق فذلك علامة الفتح ، ولا يزال الذاكر يذكر حتى يدرك العجائب والغرائب والأسرار العظيمة والكيفية الفخيمة ، ثم لا يحرك لسانه بالذكر ويبقى الفكر وهو مقام الأكابر وفيه كلام فاعرف .

وهذا التوجه سريع الفتح وأكثر العباد تركوا العبادات والرياضات واشتغلوا بالتوجهات حتى أحرق الذكر من قلوبهم ما سوى الله وتوقفوا ، فإذا كان مع رياضة حصل الكمال الأعظم سريعا البتة بلا شك . انتهى « جامع الاصول » ١٨٤

فصل

في بيان الولايات

الولاية الصغرى و الولاية الكبرى والولاية العليا وما فيها من المراقبات والتجليات ودوائرها وما يعتريها

اعلم أيها الصديق أيّدك الله بالتحقيق أن المراقبة في اللغة انتظار الفيض الإلهي ، وفي اصطلاح سادات الصوفية هي على معنيين :

الأول علم العبد وشعوره بدوام اطلاعه تعالى في كل حال وهذه المراقبة واجبة في كل حين .

والثاني انتظار الفيض من الله تعالى مع ملاحظة ورود الفيض ومنشئه وموارده ، لكن إنها لا يتعقل فهمها إلا بالذوق الحاصل بواسطة المرشد أو بالعلم الوهبي من الله تعالى وقليل ما هم ، وقد يعبر بالإحسان المعروف على أن مفهومهما واحد لما أن المراقبة استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله وذلك عين معنى الإحسان .

ثم اعلم أن المراقبة نسبةٌ زكية وعبادةُ تصفيةٍ ، ومن تحقق بها نَوَّر الله سبحانه و تعالى قلبه بنور المعرفة واليقين ، وشرح صدره بكشف الحقيقة على النهج المبين ، فلا تخطئ فراسته ولا تبطل مكاشفته ، ويكون متصرفا في الملك والملكوت ومقربا في حضرة الجبروت وتحسن معاملته مع الله سبحانه وتعالى في جميع الأوقات ، ويكون كمن يعبد الله تعالى بجميع العبادات لأن مراقبة الله تعالى أعظم العبادات وأكمل الطاعات .

فلذلك كانت خواص الصحابة ﵃ يشتغلون بدوام المراقبة وطول الفكرة لما ورد : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » ، وهي من الطرق الموصلة إلى مرتبة المشاهدة ، فمن داوم عليها كان من الواصلين ، وهي عند العامة انتظار أحكام الله تعالى للعمل بها ، وأما عند الخاصة فهي على ثلاثة أنواع :

النوع الأول استدامة العلم باطلاع الحق في جميع الأحوال والاستمرار والاقتداء بجميع الأحكام في كل الأحوال .

النوع الثاني مطالعة آثار الأسماء والصفات في الكائنات والمسارعة إلى الله بجميع العبادات .

النوع الثالث مكاشفة أسرار حقائق الأسماء والصفات ومشاهدات أنوار التجليات .

وهذا النوع درجة الولاية الصغرى ومرتبة الوصول إلى الله تعالى ، وهو ما يبلغ إليه السالكون بالمراقبة ونهاية ما يصل إليه السائرون بالمحاضرة .

وفي هذه المرتبة تتم الأفنية وتقوم الأبنية وتنتفي الحالات وتثبت المقامات ، فمن وصل إلى هذه المرتبة يعمر أوقاته بالموافقة ويحمل أعضاءه بالعبادات وينور قلبه بالمشاهدة ، فيكون جميع أوقاته في خدمة الله تعالى ويصير جميع أعضائه في خدمة الله تعالى عامدا ويستمر قلبه في طلب الله تعالى شاهدا ويتحقق في المعرفة بحقيقة التوحيد ويقوم في العبودية بالترقي والمزيد ، وإن الولايات الثلاث إنما تحصل بالمراقبة وهي من أهم المهمات وإنها تحصل في الولايات ، ونذكر هنا الولايات ثم كيفية المراقبة وآدابها :

فأما الولاية الصغرى ، هي اتصاف العبد بصفات الله تعالى وتخلقه بأخلاقه ، والفرق بين الولاية الصغرى وبين الولاية الكبرى أن الولاية الصغرى ظل الولاية الكبرى ووسيلة للولاية الكبرى .

ولا تحصل الولاية الصغرى إلا بحيلولة حجب الأسماء والشؤون بخلاف الولاية الكبرى ، فإنها تحصل من غير حيلولة تلك الحجب ، ولا ينال السالك إلى الولاية الكبرى إلا بالوراثة ووساطة النبي ﷺ أو القائم مقامه ، لأن السالك في هذه المرتبة يشاهد ذات الحق تعالى في مرآة الروح المحمدية ، كما قال صاحب « تحفة الأحباب » : وقال مولانا وشيخ شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ في « جامع الأصول » : إن الولاية الصغرى عبارة عن سير تجليات الأفعال الإلهية وسير

ظلال الأسماء والصفات ، فاعلم أن دائرة ظلال الأسماء والصفات مبدأ لتعينات جميع الممكنات سوى الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، وأن كل فرد من أفراد العالم يصل إليه الفيوضات بتوسط الصفات والظلال التي هي وسائط المخلوقات وذات حضرة الحق ، ولولم تكن هذه الأسماء والصفات لم يوجد العالم الذي كان عدما محضا ، لأن الحضرة الموصوفة بالاستغناء ليس لها مناسبة بالعالم إن الله لغني عن العالمين ، فكل شخص من أفراد العالم يصل إليه فيوض وكمالات بواسطة يقولون لها مبدأ تعين هذا الشخص وحقيقته ويسمونه أيضا العين الثابتة ، وما قالته الصوفية من أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق إشارة إلى هذه الظلال .

وإذا دخلت هذه اللطيفة في دائرة الولاية الصغرى تفني وتستهلك في أصل أصله وحقيقته وتبقى بحقيقته هذه ، ففناء لطيفة القلب يصير في التجلي الفعلي ففي هذا الوقت يختفي عن نظر السالك أفعاله وأفعال جميع المخلوقات ، ولا يرى في نظره غير فعل الفاعل الحقيقي ، ويسمون ولاية هذه اللطيفة **ولاية آدم** عليه السلام ويقولون للسالك الواصل إلى مقصوده من طريق هذه الولاية **آدمي المشرب** .

وفناء لطيفة الروح يصير في الصفات الثبوتية لحضرة الحق سبحانه ، وفي هذا الوقت يرى السالك صفاته وصفات جميع المخلوقات مسلوبة عنهم ، ويرى أن كلها منسوبة إلى الله تعالى .

ولما كان وجود الأصل أصلا لجميع الصفات فلا جرم ينفي السالك وجوده ووجود الممكنات ويثبته لله تعالى وحده بالتوحيد الوجودي ، ويقولون لولاية اللطيفة **ولاية نوح وإبراهيم عليهما السلام** ، ويقولون للسالك الواصل من هذه **إبراهيمي المشرب** .

وفناء لطيفة السر يصير في شؤونات ذات الله ، وفي هذا المقام يجد السالك ذاته مضمحلة في ذات الحق سبحانه ، ويقولون لولاية هذه اللطيفة **ولاية موسى** عليه السلام ، والسالك الواصل من هذه **موسويّ المشرب** .

وفناء لطيفة الخفاء يصير في الصفات السلبية له تعالى ، وفي هذ المقام يفرد السالك جناب كبريائه تعالى عن جميع المظاهر ، ويقولون لولاية هذه اللطيفة **ولاية عيسى** عليه السلام ، والسالك الواصل من هذه **عيسوي المشرب** .

وفناء لطيفة الأخفى يصير في مرتبة الشأن الإلهي الجامع لهذه المراتب كلها ، وفي هذا المقام يصير السالك متخلقا بالأخلاق الإلهية .

واعلم أن ولاية هذه اللطائف كلها تكون في ولاية الدائرة الصغرى وأنهم كما يؤمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية كذلك يؤمرون في الولاية الصغرى بمراقبة المعيَّة التي هي مفهوم الآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

وتمام سير دائرة الإمكان يعرفه السالك إن كان له كشف ، أو يخبره الشيخ إن كان صاحب كشف ، وإن لم يكن لهما كشف فينبغي أن يلاحظ السالك جمعية قلبه ، فإن بلغ انتفاء الخواطر أوقاتها إلى أربع ساعات كاملا فحينئذ يشرع في مراقبة المعية بأن يلاحظ معيته تعالى به وبجميع لطائفه وعناصره بل بكل ذرة من ذرات الممكنات ، حتى يدرك معيته تعالى اللامثلية بالإدراك اللامثليّ ، وتحيط بالجهات الست ويضمحل التوجه والحضور الذي كان قد ظهر ، ففي ذلك الوقت يشرع في سير الولاية الكبرى . انتهى

وأما الولاية الكبرى هي ولاية النبوة ، وهي عبارة عن سير دائرة الأسماء والصفات وشؤونات الذات له تعالى : فاعلم أنه لما ورد على السالك أسرار التوحيد الوجودي وسر المعية ، كأن يرى في وجدانه نورا من العرش المجيد بل فوقه إلى الثرى محيطا به وبكل ذرة من الممكنات ، ولون ذلك النور لكونه لا لونيا كان مناسبا للسواد وكان مصداق : « كان الله في عماء » ، وقد رأى أنه طلع مثل الشمس من المطلع وانمحى ذلك النور الأسود الذي كان يظنه ذات الله تعالى ولم يبق له أثر ، ورأى أنه عاد وجود الممكنات الذي كان يوجد مضمحلا في ذلك النور الأسود إلى الظهور كوجود النجوم في شعشعان نور الشمس ، ولكن لعدم كون حدة البصر في السير القلبي بقدر يقدر على التمييز بين وجود الممكن والواجب كان يقول بالاتحاد .

ولما وهبوا له من عنايتهم حدة النظر في سير الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء ومقام الصحو والانتباه رأى أن لوجود الممكنات ثبوتا واستقرارا البتة ، ولكن يجد وجود الأشياء ظليا أثرا من الوجود الإلهي وقع على الإعدام وجعلها موجودة وكذلك يشاهد في لطيفة النفس ، ومن هنا يجد معنى أقربيته تعالى .

والفرق بين المعية والأقربية أن غاية المعية هي الاتحاد وكتمان الاثنينية ، فإنه وإن كان وجود الممكن مشهودا لكنه مستفاد من حضرة الحق لا ذات الممكن ، وكذلك صفاته وإن كانت ظاهرة فهي أيضا من ذلك الجناب سبحانه ، وحقيقته عدم لا يمكن الإشارة إليه أصلا .

فعلم من هذا التحقيق أن وجود الأصل بالنسبة إلى وجود الظل أقرب إلى الظل ، فإن ما ظهر من الأصل لا من غيره إذا نظر إلى وجوده يجده أثرا من الأصل ، وإذا نظر إلى صفاته يراها أثرا من صفات الأصل ، فلا جرم يعترف بأقربية الأصل ، كيف والقرب الذي ظهر الظل مع ذاته هو من وجود الأصل فجاء الأصل أقرب إلى الظل من وجوده .

وبيان الأقربية لا يسعه التقرير إذ العقل الناقص عاجز عن درك أقرب إليه من ذاته ، فإن هذه المعاملة وراء العقل و موقوفة على الانكشاف .

واعلم أيها المأمون أسعدك الله تعالى أن لطائف عالم الأمر الخمس أعني القلب والروح والسر والخفي والأخفى التي هي من أجزاء العالم الصغير أعني الإنسان أصولها في العالم الكبير كالعناصر الأربعة التي هي أجزاء الإنسان ، فإن أصولها في العالم الكبير وظهور أصول الخمس فوق العرش حيث يوصف باللامكانية ، ومن ههنا يقال لعالم الأمر لامكانيا تتم دائرة الإمكان خلقه وأمره وصغيره وكبيره بالوصول إلى نهاية تلك الأصول ، وإلى هذا الموطن ينتهي امتزاج العدم بالوجود الذي هو منشأ الإمكان .

فإذا طوى السالك الرشيد محمدي المشرب هذه الخمس من عالم الأمر بالترتيب وشرع في السير في أصولها من عالم الكبير وطوى كلها بالترتيب

والتفصيل بعلو الفطرة بل بمحض فضل الحق سبحانه وتعالى وانتهى إلى النقطة الأخيرة ، فلا جرم يكون قد أتم دائرة الإمكان بالسير إلى الله تعالى وصار مستحقا لأن يطلق عليه اسم الفناء ، يعني لأن يوصف به وشرع في الولاية الصغرى التي هي ولاية الأولياء ، فإن وقع السير بعد ذلك في ظلال الأسماء والصفات الوجوبية التي هي أصل الخمسة التي في عالم الكبير في الحقيقة ولم يتطرق إليها شائبة العدم وطوى كلها بفضل الله سبحانه وتعالى بطريق السير في الله وبلغ نهايتها ، فقد أتم دائرة ظلال الأسماء الواجبة أيضا وحصل له الوصول إلى مرتبة الأسماء والصفات الواجبة .

ونهاية عروج الولاية الصغرى إلى هذا المقام ، وفي هذا الموطن يتحقق الشروع في حقيقة الفناء ، ويوضع القدم في بداية الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

واعلم أن دائرة الولاية الكبرى متضمنة لدوائر ثلاثة وقوس ، يعني أن نصف الدائرة الأولى من الدوائر الثلاثة للولاية الكبرى ينكشف فيه سر الأقربية والتوحيد الشهودي ، والنصف السافل لهذه الدائرة للأسماء والصفات الزائدتين ، والنصف العالي مشتمل على الشؤونات الذاتية ، وإلى الدائرة يكون للطائف الخمسة الأمرية العروج .

ومورد فيض هذه الدائرة لطيفة النفس مع شركة اللطائف المذكورة ويتخيلون في هذه الدائرة الأقربية يعني مفهوم الآية : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ .

وإذا تيسر العروج من دائرة الأقربية يقع السير في دائرة الأصل . ومنها يترقى إلى أصل الأصل ومنها إلى الأصل الثالث الذي هو عبارة عن القوس ، وفي هاتين الدائرتين وفي النصف يحصل كمال الاستهلاك والاضمحلال ، وفي هذه الدائرة حقيقة الفناء وفي الولاية السابقة صورة الفناء ، ويعملون في هاتين الدائرتين وفي نصف مراقبة المحبة ، يعني مفهوم الآية ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ومورد الفيض فيها لطيفة النفس .

واعلم أن طريق المراقبة في هذه الدوائر أن يخيل السالك ذاته في داخلها ويلاحظ أن فيض المحبة من دائرة أصل الأسماء والصفات يرد على لطيفة أنانيته ، وكذلك في دائرة أصل الأصل أن فيض المحبة منها يرد على لطيفة أنانيته ، وكذلك في القوس الذي هو الأصل الثالث أن فيض المحبة منه يرد على لطيفة أنانيته ، وفي هذه الدوائر يفيد التوحيد بتهليل اللسان مع ملاحظة المعنى .

وعلامة قطع بعض الدائرة وتمامها هي أن الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس ، وكلما قطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانية بكمال الشعشعان ومقدارها الذي لم يقطع يعلم فإنه يرى بلا نور كالشمس في وقت الكسوف .

وعلامة تمام دائرة الولاية الكبرى أن معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلق بالدماغ هي تتعلق بالصدر ، وحينئذ يحصل انشراح للصدر وتكون سعة الصدر بقدر خارج عن البيان ، وإن كان سعة الصدر في السير القلبي بقدر خارج عنه رأى في قلبه سموات متعددة وشاهد فيه قلوبا كثيرة وتكون هذه السعة في القلب فقط ، وأما سعة الصدر التي تحصل في الولاية الكبرى فتكون شاملة لتمام الصدر عموما وتكون في محل لطيفة الأخفى خصوصا .

وعلامة شرح الصدر بطريق الوجدان هي أن يرتفع الاعتراض على أحكام القضاء ، وفي هذا المقام يصير مطمئنا ويحصل له الارتقاء على مقام الرضا ، ويكون راضيا بالقضاء في جميع الأحوال و الافعال . انتهى هكذا صرح مولانا شيخ شيخنا وذكره في « جامع الأصول » وسنورد على هذا بعيد هذا تتميما لزيادة التفصيل والله الهادي إلى سواء الصراط .

وأما الولاية الكبرى هي ولاية النبوة ، وفي هذه المرتبة يصير السالك صاحب القدرة ، ويقدر على إظهار ما يريده لكون هذه المرتبة مرتبة النبوة ، قال ﷺ : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » .

وإنّ الولاية الصغرى أيضا على نوعين :

الأول : ولاية عطائية وهي أن يعطيها تعالى لمن يشاء قبل المجاهدة بالجذبة الذاتية .

والثاني : ولاية كسبية وهي أن يحصلها العبد بعد الكسب بالجذبة الحاصلة بالمجاهدة والسلوك في طريق القوم وهي طريق المعرفة ، وفي هذه المرتبة يضع السالك قدمه في ابتداء الولاية ، وذلك معنى كلام القوم من أن بحصول الفناء التام في الذاكر - وهو استيلاء أمر الحق على العبد بحيث يغلب وجود الحق على وجود العبد ، فلا يكون للعبد اختيار عند ذلك بل يكون رجوعه في كل أمر إلى الله تعالى - حصلت له أول درجة الولاية الصغرى ، وهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه .

فحينئذ يكون ذلك الذاكر في هذه المرتبة متصفا بصفات الله تعالى لأن هذه المرتبة عبارة عن بقاء العبد بالله تعالى .

وأما الولاية الأعلى : وهي ولاية الملائكة على اختلاف مراتبهم في تلك الدرجة ، والسالك في هذه المرتبة يتجرد عن الصفة البشرية ويتصف بصفة الملكية ويتنزه عن التعلقات العنصرية ، وبقي ذلك الذاكر بالله تعالى بحيث لا يحجبه الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق لقوته على حفظ الجانبين ، فيكون الذاكر في هذا المقام مستقيما في العبودية في جميع الأحوال لأن مقام البقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية .

وهذا المقام موهبة إلهية وخصوصية ربانية ، ولذلك لا يرد الباقي بالله تعالى إلى صفاته الأصلية ، فحينئذ يليق للسالك الاشتغال بنوافل الصلاة في بعض الأوقات ليتقرب بها إلى الله تعالى بكمال التقرب بمقتضى : « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته » . . الخ ، لأن حصول المقامات والوصول إلى الدرجات منوطة بالنوافل ؛ لأن النوافل تنتج الأحوال الصادقة ، والأحوال الصادقة تنتج الكشف الصحيح ، والكشف الصحيح ينتج

معرفة الله تعالى التي هي النور الظاهر من تجلي الذات الإلهية ، ونذكر الصلاة النافلة ومتعلقاتها إن شاء الله تعالى في موضعها .

والعبد إذا تحقق بالحق لا ينكر قوله (أنا الحق) ، بل ذلك حق كما وقع لبعض العارفين رضي الله تعالى عنهم ، وبهذا القول وأمثاله ابتلي جم غفير من الأولياء لحكمة ربانية لتقاصر عقول العوام عن مقاصد الأولياء وأسرار الأصفياء ، ومعنى تحققه بالحق أن يكون مستغرقا به حتى لا يكون فيه متسع لغيره بل ولا لنفسه ، حتى لا يكون له أصلا كما قال بعضهم : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، وقول الآخر خطابا لله تعالى : وَقَدْ رُفِعَتْ تَاءُ المُخَاطَبِ بَيْنَنا .

وأهل التصوف لما كان الغالب عليهم فناء أنفسهم كان الجاري على ألسنتهم في أكثر الأحوال من أسماء الله تعالى اسم الحق ، لأنهم يلحظون الذات الحقيقية دون ما هو ها لله في نفسه«١» .

وأهل الكلام لما كان الغالب عليهم مقام الابتداء ورؤية الأفعال كان الجاري على ألسنتهم في الأكثر اسم الباري الذي هو بمعنى الخالق ، وهم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، والصديقون لا يرون شيئا سواه ، وهم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ .

رجعنا إلى ما نحن بصدده ، ثم اعلم أن كيفية المراقبة أن يكون السالك طاهر البدن والثياب وحضور القلب والفؤاد في مكان طاهر بحيث لا يصل إليه أصوات الحيوانات ولا يدخل فيه الإنسان ، ثم يجلس فيه على ركبتيه مستقبل القبلة مغمض العينين ، ثم يخرج من حوله وقوته وينسى جميع علمه ومعرفته ويعطل حواس ظاهره وفؤاد باطنه ، ثم يتوجه بالقلب المطلق مع الجذبة إلى جناب ذات الحق سبحانه على طريق الذهول والاستهلاك فيه ، ولا ينفك عن المراقبة بهذه الكيفية في جميع الأوقات بعد أداء الفرائض والسنن الراتبات

«١» أي هاء الجلالة أقرب من هويّتهم إلى أنفسهم .

حتى يزول عنه تزاحم الخواطر وتثاقل العناصر وتتزكى نفسه ويعتدل طبعه وتغلب روحانيته على جسمانيته .

فبعد ذلك إن استقرت فيه تلك الحالة وصارت له كالصفة اللازمة تستحب له مخالطة الناس ، وهذا موضع مزلة أقدام كثير ، ويلزم الاشتغال حينئذ بنوافل الصلاة وتلاوة القرآن والأوراد ، لأن السالك إذا وصل إلى هذه المرتبة يمكن له التقرب بجميع الأعمال ويعرف طريق الاستفاضة في أحسن الأحوال .

وإن للمراقبة شروطا وآدابا لا بد منها لمن يريد الترقي بها ونذكرها إن شاء الله تعالى ، فمن حفظها يرتقي من المراقبة إلى المشاهدة ومن المشاهدة إلى المكالمة كما قال الشيخ القطب الحقيقي إبراهيم الدسوقي ﷸ : نسألك مشاهدةً تتبعها مكالمة .

ثم إن شروطها أن تكون المراقبة بإذن الشيخ الكامل وتعليمه وتربيته وتلقينه ، وأن تكون مع الجذبة القيومية ، وأن تكون بعد قطع العلائق الحسية والمعنوية ، وأن تكون بعد ترك النسب والإضافات وبعد الوقوف عند الواردات .

وأما الآداب فهو دوام السكوت وملازمة البيوت وكف الحواس عن الإحساس وتعطيل القوى عن الإدراك - كما قال : العجز عن درك الإدراك إدراك - وترك مطالعة الكتاب والكتابة والإعراض عن اتباع النفس في طلب المعلوم والمعرفة ومخالفة الهوى وترك المنى والخروج عن كل داعية تدعو إلى السوى والسعي في طريق الوصول إلى الله الملك الأعلى ودوام التوجه إلى لقائه تعالى وترك الطمع إلى المقامات والاجتناب عن الكرامات والتأدّب مع الله تعالى في الظاهر والباطن ومراقبته في جميع المظاهر والمواظبة على كتمان السرائر .

فمن داوم على المراقبة بهذه الشروط والآداب ينال إلى ذلك الجناب ويبلغ مبلغ الرجال ويشاهد الجمال والجلال ويصح له التربية والتلقين ويقدر على إرشاد الناس إلى الله تعالى بحق اليقين ، ومن ليس كذلك فلا يليق للمشيخة والإرشاد كما عليه أكثر العباد .

فصل

في بيان مراقبات اللطائف الخمسة الآمرية

اعلم أن مراقبة لطيفة القلب من تجلي الأفعال الإلهية من الحضرة الآدمية على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، والسالك الواصل إلى هذه يسمى بآدمي المشرب .

وكيفية مراقبة هذه أن السالك يقابل بقلبه الصافي لقلب فخر الكائنات صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول بلسان القلب أو بلسان القالب : إلهي إن الفيض الحاصل من تجلي الأفعال الإلهية من قلب نبينا ﷺ إلى قلب أبينا آدم عليه السلام فأوصل إلى لطيفة قلبي ذلك الفيض بواسطة قلوب المشائخ الكرام .

ويستمرّ كذلك زمنا منتظراً لورود الفيض إلى قلبه ، فلا ريب أنه يرد إليه الفيض على قدر استعداده ، ومورد الفيض هو لطيفة القلب ومنشأ الفيض الأفعال الإلهية .

وعلامة ورود الفيض أن يجد السالك نفسه مسلوب الأفعال وينسب جميع أفعاله إليه تعالى بسبب غلبة التجليات .

وقال بعض السادات : إن المراقبة والتوجه وهي أن يلازم القلب معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق والاستهلاك بحيث لا ينفك عنه في أيّ حال كان ، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقا حصل مبادي الفناء ، ذكره « جامع الأصول »

وقال مولانا شيخنا قدس سره في « جامع الأصول » : وأما المراقبة فعليك بتسليم ما أمرت به في ظاهرك ، فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة وخذ بالتخليص في باطنك حتى لا يبقى فيه شيء مما نهاك عنه ، وأَعطِ الجدَّ حقه وقلّل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك ، فما ورد عليك من خطرات تصدّك عن مرادك فاعلم أولا قرب ربك منك علما

يباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك ودفع مضارك ، وانظر هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض فإن من الأرض ومن السماء قلبك ، فإذا نزل من السماء إلى الأرض شيء فمن ذا الذي يصرفه عنك غير الله ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم ، فأعط المعية حقها بلزوم العبودية له في أحكامه ، ودع عنك منازعة الربوبية في أفعاله فإن من ينازعه يُغْلَب ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

نعم الحق ما أقول لك ، ما من نفس من أنفاسك إلا والله متوليه مستسلما كنت أو منازعا ، لأنك تريد الاستسلام في وقت وتأبى النزاع ، وتريد النزاع في وقت آخر وتأبى الاستسلام ، فدلّت هذه على ربوبيته في جميع أفعاله لا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه .

فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه فيما يرد عليك بأن لا تشهد لشيء منك أوّليةً إلاّ بأوّليته ، ولا آخرية إلا بآخريته ولا ظاهرية الا بظاهريته ولا باطنيةً إلا بباطنيته .

فإذا تنبهت لمؤول الأول نظرت لما يؤَوِّل فيما يؤَوِّله ، فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس أو مكروه لا يلائمها مما لم يحرّمه الشرع فانظر لما يخلقه الله تعالى فيك بأثر ما يخطر ببالك ، فإن وجدت تنبيها على الله تعالى فعليك بالتحقق به فذلك أدب الوقت عليك ولا ترجع إلى غير ذلك ، فإن لم تجد السبيل إلى التحقق به فعَرِّسْ بين يديه فهو أدب الوقت عليك ، ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك .

فإن لم يكن ذلك منك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم ، فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام والتفويض ، وأحذِّرُك من الاختيار فإنه شر عند أولي الأبصار .

فإذاً هي أربعة آداب : آداب التحقيق وآداب التعريس وآداب التوكل وآداب الدعاء ، فمن تحقق به حفظ عنه ومن عَرَّسَ عنده كفي من غيره بربّه ، ومن توكل عليه كفي من اختيار نفسه باختيار ربه ، ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلح له أو منعه إن شاء فيما لا يصلح له .

ولكل أدب بساط :

الأول بساط التحقيق ، إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هنالك بِسِرِّكَ وحرام عليك أن تشهد غيره .

الثاني بساط التعريس ، فإذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن أفعاله فعَرِّسْ هناك بسرك وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهداً ومشهوداً ، وفي الأول فني الشاهد وبقي المشهود .

الثالث بساط التوكل ، فإذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف عن غيوبه جلست على بساط محبّته متوكلا عليه راضيا بما يبدو لك من آثار فعله في أنوار حجبه .

الرابع بساط الدعاء ، فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك إليه فقد دَلَّكَ على غناه واتخذ الفقر بساطا واحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم .

وأقل ما يكون منك إذا نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبراً لها ومختارا بها ، نعوذ بالله من دعاوى الشرك وتعطيل النفس عن المجاهدات ومن خلو القلب عن المشاهدات . اهـ بحروفه .

مراقبة لطيفة الروح
من تجلي الصفات الثبوتية من الحضرة النوحية والإبراهيمية

واعلم أن مراقبة لطيفة الروح الإبراهمية تكون على هذه الكيفية ، وذلك أن السالك يجعل لطيفة روحه مقابلا للطيفة روح حضرة فخر الكائنات ﷺ فيعرض حاله إلى الله سبحانه وتعالى قائلا : إلهي إن الفيض الحاصل من تجلي الصفات الثبوتية حصلت من حضرة روح لطيفة سيد الكائنات ﷺ إلى حضرات روحي لطيفة نوح وإبراهيم عليهما السلام ، فبواسطة أرواح سادات المشائخ فأوصِل وأنزِل ذلك الفيض إلى لطيفة روح هذا الفقير ، وينتظر بالانكسار إلى ورود الفيض برجاء الإفاضة منهم .

وقال شيخ شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ في « جامعه » : واعلم أن المراقبة هي أقرب الطرق إلى الله تعالى من حيث التقرب إليه كما قيل : القصد إليه تعالى بالقلوب أبلغ من حركات الأعضاء في الأعمال بالصلاة والصيام والأذكار والأوراد ونحوهما ، لأن صاحب الهمة العالية لا يزال عاملا بقلبه وتساعده على الأعمال جوارحه ، فهو يكون دائما في الترقي والتقرب وأبداً في التحبب . اهـ

وهي بعينها معنى النفي والإثبات من غير ملاحظة حروف الكلمة الطيبة ، لأن المراقبة هي ملاحظة إثبات وحدة الوجود الإلهية في الباطن ، وهذا المعنى هو بعينه معنى (إلا الله) لأن نتيجة ذكر النفي والإثبات هي المراقبة ، لأن حقيقة النفي والإثبات بالقلب هي أن يتلفظ الذاكر بلسان القلب (لا إله)نافيا بها جميع تعلقات القلب ، ثم يتلفظ أيضا بلسان القلب (إلا الله) مثبتا بها وجود وحدانية الحق فيه .

ولا حاجة في ذكر النفي والإثبات على هذه الكيفية إلى حبس النفس ، وإنما الحاجة فيه إلى الحضور مع المذكور والذهول عما سواه ، فإذا ذكر الذاكر هذين الاسمين بهذه الكيفية تحصل له بذكرهما صفوة وزكاء نفس ويكون الذاكر بذكرهما عارفا بالله تعالى وواصلا إلى الله تعالى ، فلا يحتاج ذلك لمعرفة الحق إلى طريق آخر .

والطريق الآخر في ملاحظة الذكر عند كلمة التوحيد هو أن يلاحظ نفي وجود إله عن قلبه بكلمة النفي وأن يلاحظ إثبات وجود الله فيه بدلا منه بكلمة الإثبات ، فنفي وجود إله أصل لجميع معاني (لا إله) ، وإثبات وجود الله أصل جميع معاني (إلا الله) ، فمن يلاحظ هذين المعنيين في كلمة التوحيد فكأنما يلاحظ جميع معانيها ، فبهذه الملاحظة يكشف الذاكر وحدة وجود الله ويصل إليه تعالى « جامع الأصول » .

مراقبة لطيفة السرّ
من تجلي الشؤنات الذاتية من الحضرة الموسوية

اعلم أيدك الله تعالى بالتقوى ، أن طريق مراقبة لطيفة السر أن السالك يعرض لطيفة سره مقابلا للطيفة سرّ سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام ويعرض إلى الحق سبحانه وتعالى ويقول : إلهي إن الفيض من تجلي الشؤون الذاتية وصلت من لطيفة سرّ رسول الله ﷺ إلى لطيفة سر حضرة موسى عليه السلام ، فبواسطة سر كرام المشائخ ويمنهم أنزل وأوصل إلى لطيفة سر الفقير بالإفاضة ، وينتظر بذلك إلى الفيض بكمال الخشوع .

وقال الشيخ عمر الشبراوي الشاذلي قدس سره في « تنوير الصدر » : السر هو ما يكتم في النفس من الحديث ، وعند العارفين باطن الروح ، وهي الحقيقة القابلة للتجليات ومحل المشاهدات وأصل مجتمع الأنوار الربانية المودعة في الذوات الإنسانية .

وقال الإمام المصنف : السر هو الذي لا يطلع عليه ملك ولا شيطان ولا تحس به النفس ولا يشهده العقل **وهوفي الإضمار لم تَحْوه الهِمَم** ولم تَدْرِهِ الفِطَن ، وهو لب لباب القلب من حقائق المحض من خطرات الإلهام كشرر النار الكامن في الشجر الرطب ، فإذا أراد الله إظهاره انتقل إلى الأحوال . « تنوير الصدر » ٤٠ .

مراقبة لطيفة الخفي

من تجلي الصفات السلبية من الحضرة العيسوية

وهو على هذا المنوال : وذلك أن السالك يجعل لطيفة خفيه مقابلا للطيفة خفي خاتم الأنبياء ﷺ ويعرض أمره إلى الحق سبحانه وتعالى ويقول : إلهي إن الفيض الحاصل من تجلي الصفات السلبية وصلت من لطيفة خفي رسول الثقلين ﷺ إلى حضرة لطيفة خفي عيسى عليه السلام ، فبواسطة لطيفة الخفي من المشائخ الكرام أوصل ذلك الفيض إلى لطيفة خفي هذا الفقير بالإفاضة ، ويصبر متنظراً بإظهار الذلة والمسكنة .

مراقبة لطيفة الأخفى

من تجلى الشأن الجامع الإلهي من الحضرة المحمدية بجميع الشؤون

اعلم زادك الله الحسنى وبلغك المُنى« ١ » ، أن طريق المراقبة من اللطيفة الأخفى هو أن يجعل السالك لطيفة أخفاه مقابلا لحضرة لطيفة الأخفى من رسول الله ﷺ ويعرض حاله إلى الحق سبحانه وتعالى بقوله : إلهي وسيدي إن الفيض الحاصل من تجلي الشأن الجامع وصل بالإفاضة إلى حضرة أخفى رسول الله ﷺ ، فبواسطة أخفى سادات المشائخ وبركاتهم أوصل وأنزل ذلك الفيض إلى أخفى هذا الفقير المفلس بالإفاضة الحقية .

وينتظر ورود الفيض بفضل الله وكرمه العميم ، وإن السالك الصادق إذا حاز الولاية الصغرى بالكمالة يعرج إلى الولاية الكبرى .

ونذكر ما في الولايات من المراقبات على أسلوب السادات وقد أشرنا إليها فيما سبق وإن منشأ الفيض في هذه المراقبات من المرتبة الأحدية ومورد

« ١ » جمع أمنية وهي ما يتمناه المرء

الفيض هي اللطائف بحال أن يكون السالك متصفا بالكمال وفقنا الله تعالى وإياكم الكمال وأنالنا أقصى الآمال .

ثم اعلم أيها المراد جعلك الله تعالى من أهل السداد أن معنى الشؤون الإلهية وطريق معرفتها وأن بيانها وإن كان يعسر تفصيلها بالقيل والقال إلا بالذوق الصحيح بواسطة الشيخ الكامل لكن نشير إليها بأسهل الطرق وإن لم نقدر تفصيلها بالكلية ، وذلك أن الشأن هو الفاصل المتخيل المتصور بين شيئين وهو معدوم وأمر غيبي وليس له في الخارج وجود كتخيل الفاصلة بين السواد والبياض وبين الحلو والمر بفرض الفاصلة بينها .

والمعنى في ذلك أن للحق سبحانه وتعالى تجليات متنوعة وظهورات مختلفة ، وما تُصور وتُخيل بينهما من الفاصلة يعبّر عنه بالشؤون الإلهية ، فحكمها ظاهر وهي في الحقيقة غيبي أبدا .

وللشأن الإلهي اعتباران : فالأول يعبّر عنه بالشأن المطلق ومرادها هي الأفعال الإلهية ، والثاني شأن ذاتي أي يعبر عنه بالشؤون الذاتية ، فإذا عُبّرت بها فمرادهم الاعتبارات الأصلية الإلهية .

ومن كل واحدة من تلك الاعتبارين يفيد الاسم من أسماء الله تعالى بظهور المرتبة المخصوصة له ، مثلا إذا قطعت النظر عن الظهورات التفصيلية للحق سبحانه وتعالى وصار المراد فقط تعيين الوجود الحالي يسمى بالأحد ، وباعتبار استلزام تبعية الأحوال الباقية واعتبار الظهور يسمى بالذات ، وباعتبار قبول آثار الشؤون واعتبار تعينها يسمى بالله وبالواحد ، وباعتبار ظهور الظاهر من الشؤون وباعتبار انبساط وجود الحق يسمى بالرحمن ، وباعتبار كون الرحمة العامة على الموجودة بالتخصيص يسمى بالرحيم .

وهكذا إن الاعتبارات الأصلية الإلهية تسمى بالشؤون الذاتية و الشؤون الإلهية ، فتفكر فإنه دقيق ولا يدرك كل أحد فهم هذه إلا بالذوق الصحيح والشيخ الكامل«١» .

ونفصل لهذه بكيف يبادر إليها الفهم إن شاء الله تعالى وما ذكرنا هنا هو الملخص المصفى من كلام السادات وإن ذكرت هنا بما لم يذكروا وحسبنا الله ونعم الوكيل . انظر في « جواهر المعانى » ٢٠٤ /٢

قال الشيخ عمر الشبراوي الشاذلي ﷻ : الأخفى هو باطن السر فلا يطلع عليه أحد ولا يعلمه إلا الله تعالى ، قال ابن الفارض ﷻ :

أَخْفَيْتُ حُبَّكُمُ فَأَخْفاني أَسَىً ... حَتَّى لَعَمْري كِدْتُ عَنِّي أَخْتَفي
وَكَتَمْتُهُ عَنِّي فَلَوْ أَبْدَيْتُهُ ... لَوَجَدْتُهُ أَخْفى مِنَ الُّلطْفِ الخَفي

إذ اللطف الخفي هو التوفيق الذي يخلقه الله تعالى في العبد من حيث لا يشعر ، وقوله : (كدت عني أختفي) إشارة إلى الفناء بالله تعالى فإنه إذا ظهر للعارف أخفاه عن نفسه فلا يجد غير الله تعالى .

وقال بعض العارفين : أخفى فعل ماض أي أنه تعالى يعلم أسرار العباد وأخفى سرّه عنهم . « تنوير الصدر على معرفة البر »٤٠ .

مراقبة الأحدية

في دائرة الإمكان نصفها السافل من العرش إلى الثرى

اعلم أيها الولد الأسعد أن دائرة الامكان أولى الدوائر ، وهو مقام شريف للسالك يشتغل فيها بمراقبة الأحدية الصرفة ، وهي التوجه إلى حضرة الذات من حيث أنه موصوف بصفات الكمال منزهة عن جميع النقائص وانتظار

« ١ » الشؤون هي الأفعال والشؤون الذاتية هي اعتبار نفوس الأعيان والحقائق في الذات الأحدية كالشجرة وأغصانها وأوراقها وثمارها إلى النواة وهي التي تظهر في الواحدية وتنفصل بالعلم « جامع الأصول »٧٦ .

الفيض من ذلك الجناب المقدس ، وهو مسمى الاسم المبارك **الله** ، ومورد الفيض فيها لطيفة القلب .

وإذا حصل الحضور والجمعية للقلب بحيث بلغ انتفاء الخواطر إلى ساعتين ، فذلك عند البعض علامة تمام دائرة الإمكان ، لكن هذه العلامة لمن ليس له كشف عياني وأما لصاحب الكشف فعلامته قطع بعض الدائرة وتمامها كما كتب حضرة الجدّ هي أن الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس وكلما قطع من الدائرة شيء ، فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانية بكمال الشعشعان ومقدارها الذي لم يقطع يرى بلا نور كالشمس في وقت الكسوف ، وقال بعضهم : علامة تمامها رؤية الأنوار ، وعلامة تمامها على ما قلنا حصول الحضور مع الله تعالى .

وتلك الدائرة تنقسم إلى الصنفين : أعلى وأسفل ، فالأعلى فوق العرش ويقال له عالم الأمر ، والأسفل من العرش إلى الأرض ويقال له عالم الخلق .

وبعد هذا يشتغل بمراقبة المعيَّة المفهومة من النظم الكريم : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ملاحظا معية الحق تعالى معه ومع كل ذرة من ذرات الكائنات ، وههنا التهليل اللساني مع التوجه إلى القلب ، وتوجه القلب إلى الله تعالى وملاحظة المعنى يفيد فائدة كثيرة ، وهذه المراقبة معمولة في دائرة الولاية الصغرى التي هي ولاية الأولياء نفعنا الله تعالى ببركاتهم ، ومورد الفيض هنا لطيفة القلب ، وهذه من الدوائر ثانيتها ويقال لها دائرة ظلال الأسماء والصفات أيضا ، وإن دائرة الظلال تتضمن مبادي تعينات الخلائق سوى الأنبياء والملائكة .

وظل كل اسم مبدأ لتعين شخص من الأشخاص حتى أن مبدأ تعين الصديق الأكبر هو النقطة الفوقانية من هذه الدائرة كذا قال الإمام المجدد ﷺ .

قال حفيده الشيخ عبد الأحد ﷺ : وهذه الدائرة مقام القطب والغوث والأفراد والأوتاد وسائر فرق الأولياء من أهل المناصب بالأصالة ، وأما الترقي من ههنا فبالوراثة والتبعية . . الخ .

وفي هذه الدائرة يقع السير في تجليات الأفعال الإلهية ، وفيها ظهور التوحيد الوجودي والذوق والشوق والآهة والصيحة والاستغراق والغيبة ودوام الحضور ونسيان ما سوى الحق المعبر عنه بفناء القلب .

وإذا أحاط التوجه بالجهات الست وزالت جهة الفوق فقد جاء وقت تزكية النفس التي محلها وسط الجبهة ، فحينئذ يشرع السير في دائرة الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام .

قال في « المناقب الأحمدية » : قال المؤلف عفا الله عنه : إن سيدي الوالد ﷤ قد توجه من كمال كرمه إلى غلامه هذا في هذا المقام وورد عليه غير التوحيد الوجودي جميع الأحوال . . وقد مر التوحيد الوجودي . . الخ .

واعلم أن انكشاف المقامات العالية لأهل القرب والكشف بصورة الدائرة لكونها في غير جهة من الجهات ، وإلا فأين للدائرة أن تصل إلى تلك المراتب العالية ، وهذا المقام ظل الأسماء والصفات التي هي في الولاية الكبرى لا مطلق الأسماء والصفات ، وههنا بطريق الظلية من جميع المقامات الفوقانية آثار وأشكال فافهم والله يتولاك .

ولما خلق الله تعالى الهيكل الجسماني الإنساني أودع هذه اللطائف الأمرية بالمواضع المذكورة من جسم الإنسان بالتعلق والتعشق له ، وإذا اشتملت عناية الحق بحال العبد يوصله إلى خدمة ولي من أوليائه ، وذلك الولي يأمره بالرياضات والمجاهدات لتزكية الباطن وتصفيته ويوجه لطائفه إلى أصوله بِيُمْن كثرة الأذكار والأفكار .

ففي هذه الطريقة ثلاثة أشغال : الأول الذكر سواء اسم الذات والنفي والإثبات كما سبق ، والثاني المراقبة وهي عبارة عن انتظار الفيض من المبدأ الفياض ، ولهذا عينوا لكل مقام مراقبة من المراقبات ، فعينوا لدائرة الإمكان مراقبة الأحدية وهي عبارة من مراقبة الذات الجامع لجميع صفات الكمال والمنزه عن جميع صفات النقصان ، وهو مسمى الاسم المبارك **الله** ، فيلاحظ ورود الفيض من تلك الذات على لطيفة القلب ، وفي بعض الأحيان يشتغل بهذه المراقبات بلا ذكر ولا يفيد الذكر بلا مراقبة . انتهى« جامع الأصول » ٥٥ .

مراقبة المعية

في دائرة الولاية الصغرى والولاية المطلقة

قال شيخ شيخنا ﷺ : حقيقة الولاية هذه فالولي في اللغة ضد العدو وفي اصطلاح أهل الحقيقة له معنيان : فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ، **وهو من يتولى الله تعالى رعايته وحفظه** فلا يكله إلى نفسه لحظة كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، والثاني : فعيل مبالغة فاعل ككريم وعليم ، وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيأتي بها على التوالي من غير أن يتخللها عصيان أو فتور ، وكلا المعنيين شرط في الولاية .

فمن شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما ، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع ، هكذا ذكره الإمام القشيري رضي الله عنه وغيره من أئمة الطريق قال : وسمعت الأستاذ أبا علي رضي الله عنه يقول : قصد أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه بعض من وثق بولايته ، فلما وافى مسجده رآه قد تنخم في المسجد فرجع ولم يسلم عليه وقال : من لا يؤمن على أدب من آداب الشرع كيف يؤمن على أسرار الحق ؟ !

واختلف أهل الحقيقة هل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي أم لا ؟ قال بعضهم : لا ، ولو ظهر له من الكرامات ما ظهر لجاز أن يكون ذلك مكرا من الله تعالى به ؛ لأن العاقبة هي الأصل وهي مجهولة فكم رجل انعكس عليه حاله وخالف مبدأه مآله ، وإلى هذا ذهب جماعة من شيوخ هذه الطائفة لا يحصون .

وقال بعضهم : يجوز أن يعلم أنه ولي باطلاع الله تعالى على عاقبة أمره ودوام حاله بطريق الكرامة ، والدليل - العشرة المبشرة بالجنة ، وإلى هذا ذهب الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله.

وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله : أولياء الله عرائسه ولا يرى العرائس إلا المحارم ، فهم مُخَدَّرون عنده في حجاب الأنس لا يراهم أحد في الدنيا والآخرة .

وقال أيضا : كُلٌّ يكاشف على قدر طاعته إلا من تولاه الله سبحانه وتعالى ببره وقام عنه بنفسه ، قال القشيري رضي الله عنه : وكلام أبي يزيد رحمه الله يشير إلى أن الخواصَّ ارتقوا عن هذه الأقسام كلها ، فلا العواقب في فكرهم ولا السوابق في ذكرهم ولا الطوارق في أسرارهم ، فأصحاب الحقائق مُحوا عن نعوت الخلائق .

ويجوز أن يكون الولي وليا ثم تبطل ولايته ، وقيل : لا يجوز ، والأول مختار .

والغالب على الولي أوان محوه صدقُه في أداء حقوق الله تعالى ، ثم رفقه وشفقته على خلق الله تعالى في كل حال ، ثم دوام التحمل منهم بتحييل الخلق وطلب الإحسان من الله إليهم ابتداء من غير أن يسألوه ذلك وتعليق الهمة بنجاتهم وترك الانتقام منهم وكف النفس عن أموالهم واللسان عنهم بكل حال والتعامي والعمى عن مساويهم ، ولا يكون خصما لأحد في الدنيا ولافي الآخرة . انتهى « جامع الأصول » ١٩٨

وأما المراقبة المعية على وفق قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بأن يلاحظ ورود الفيض من الذات التي هي معه ومع كل ذرة من ذرات العالم معية بلا كيفية على لطيفة القلب ، وفي هذا المقام يوجب الترقي للسالك التهليل اللساني مع رعاية الوقوف القلبي وملاحظة المعنى ، بأن يلاحظ وقت النفي نفي وجوده ووجود جميع ما سوى الله تعالى ، أو ما يراد نفيه بخصوصه ، ووقت الإثبات إثبات الحق تعالى على ما مر في النفي والإثبات .

ويستعمل هذه المراقبة في الولاية الصغرى التي هي ولاية الأولياء ، ومورد الفيض فيها لطيفة القلب ، وتنكشف لأهل الكشف هنا دائرة ثانية يقال لها ظلال الأسماء والصفات ودائرة الولاية الصغرى وهذه صورتها ٦

والسير هنا يقع في تجليات الأفعال الإلهية ، ويحصل أيضا في هذا المقام التوحيد الوجودي والذوق والشوق والتأوُّه والصيحات والاستغراق والغيبة ودوام الحضور ونسيان السوى الذي هو عبارة عن فناء القلب .

وفي هذا المقام علامة من جميع المقامات الفوقانية بطريق الظلية ، فإذا قطع السالك هذه الدائرة بعناية الله تعالى وتوجه المرشد وجذبه وحصل له الحضور التام يشرع في تزكية النفس التي محلها وسط الجبهة ، ويضع قدمه بعون الله ولطفه في دائرة الولاية الكبرى « رشحة » ٤١٤ .

وقال الشيخ إسماعيل حقي ﷺ في « روح البيان » في المجلد الأول في ٥٢٢ : قال حضرة الشيخ بافتاده أفندي ﷺ : الملكوت ليس في الفوق ، بل الملك والملكوت عندك هنا ، فإن الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والذهاب والإياب ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فللسالك مرتبة ينظر فيها إلى الله تعالى وإلى الحق ، ويسمي تلك بالمعيَّة ، ثم بعد ذلك إذا وصل إلى الفناء الكلي واضمحل وجوده يسمى ذلك مقام الجمع ، ففي ذلك المقام **لا يرى السالك سوى الله** ، كمن أحاطه نور لا يرى الظلمة ، ألا يرى أنّ من نظر إلى الشمس لا يرى غيرها ، وتلك الرؤية ليست بحاسة البصر ولا كرؤية الأجسام ، بل كما ذكره العلماء وكمّل الأولياء والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، والموحد إذا كان موحدا يوصله التوحيد إلى الملكوت والجبروت واللاهوت ، أعني الموحد يتخلص عن الاثنينية والتقييد بالأكوان والأجسام والأرواح ، فيشاهد عند ذلك سر قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ، اللهم اجعلنا من الواصلين « روح البيان » ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

قال خاتم المحققين عبد الغني النابلسي ﷺ في شرح كلام شيخه الباز الأشهب الشيخ أرْسَلانْ الدمشقي ﷺ : وهو معكم حاضر وناظر في عالم الدنيا وفي عالم الآخرة ، فإذا كنت معه سبحانه وتعالى أي وجدت أيها السالك بأن صَوَّر لك الحق تعالى في نفسك أنك موجود معه سبحانه وتعالى ، وإلاّ ففي حقيقة الأمر لا وجود لك معه تعالى أصلا ، بل ما أظهره لك مما نسميه أنت

إنما ذلك هو متصور بالنور المطلق الذي علمه تعالى على إطلاقه ثم قيده بالصُّوَر ، كما أن الصندوق والباب والكرسي هي ذات الخشب لا زائد عليها ، والصندوق والباب والكرسي بعد زوال الحقيقة الخشبية عدم صرف ، فلا وجود إلاّ للخشب إن وجد الصندوق والباب والكرسي وإن لم يوجد .

ولا تظن حيث ذكرنا لك هذا المثال أنّ الحق تعالى للعالم كالخشب لهذه الأشياء المصنوعة ، بل نور محمد ﷺ كذلك ، فإذا وصلت إلى الحقيقة المحمدية وصلت إلى الله تعالى ، فلا تحتاج حينئذ إلى أحد يعلمك « خمرة الحان وزنة الألحان في شرح رسالة الشيخ أرسلان » .

دائرة الولاية الكبرى

اعلم أيها المسترشد الأمين أن الولاية الكبرى ولاية عظيمة ، كيف لا وهي ولاية الأنبياء عليهم السلام ، وهي متضمنة لثلاث دوائر وقوس ونذكرها تفصيلا إن شاء الله تعالى .

وقد أكثر السادات كلاما في هذه الولايات على كيفيات مختلفة على حسب مشاربهم وإن كان مقصدهم واحدا ، جعلنا الله تعالى في بركاتهم ، لكن نذكر هنا كلام بعضهم تيمنا .

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني قُدِّسَ سِرُّهُ : إنّ مركز هذه الدائرة الظلالية ظل مركز الدائرة الفوقانية التي هي أصلها ، ومسماة بدائرة الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات ، والحقيقة المحمدية هي مركز هذه الدائرة الأصلية في الحقيقة التي هي إجمال الأسماء والشؤونات .

وتفصيل الأسماء إنما هو في الدائرة التي هي مرتبة الواحدية ، وإطلاق الوحدة والأحدية على مرتبة ظلال الأسماء مبني على اشتباه الظل بالأصل ، ومن هذا القبيل إطلاق السير في الله تعالى في ذلك الموطن ، فإنّ السير في ذلك الموطن داخل في الحقيقة في السير إلى الله تعالى هذا ، فإن وقع العروج بعد ذلك إلى دائرة الأسماء والصفات التى هي أصل دائرة الظلال بطريق السير

في الله تعالى يكون ذلك شروعا في كمالات الولاية الكبرى ، وقد ذكرناها في بيان الولايات«١» .

وهذه الولاية مخصوصة بالأنبياء عليهم السلام بالأصالة ، ووصل أصحابهم الكرام أيضا إلى هذه الدولة بالتبعية .

ثم اعلم أن الولاية عبارة عن نور بحكم ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يشرق من مشرق عناية الحق سبحانه وتعالى على قلب«٢» العبد فيحصل له بذلك انشراح الصدر وانفتاح القلب ، والإسلام الحقيقي يظهر في لباس نور اليقين كما قال الله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ، كما هو مراد قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾

ويختص هذا العبد بشرف القرب والمحبة والكرامة من الحق سبحانه وتعالى قال : ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وهذا السر النوري يسري في ورثته من الأولياء الصالحين ، وكلما ظهر منه في كل محل فهو أثر ذلك النور وأثر القلب والكرامة والمحبة وإن كان ذلك يسمى في لسان أهل الظاهر كرامة ، والله أعلم فافهم فإنه نفيس .

مراقبة الأقربية في الدائرة الأولى من دائرة الولاية الكبرى

إن أولى الدوائر من دوائر الولاية الكبرى دائرة مراقبة الأقربية المفهومة من قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ، فيلاحظ ورود الفيض من الذات التي هي أقرب إليه من عرق الروح ومنشأ للدائرة الأولى من الولاية الكبرى ، ومورد الفيض هنا لطيفة النفس مع اللطائف الخمسة .

وههنا أيضا التهليل اللساني والخيالي بشرائطه موجب للترقي ، ومن أحوال هذا المقام الحضور ودوام الانتظار والعروج والنزول والجذابات كما في القلب ، بل الجذبات ههنا في التدريج تخبط البدن كله ، وكيفيات هذا

«١» في ص ٥١٦ .
«٢» وفي هامش نسخة «أ» : قطب ، كذا في الأصل .

المقام وحالاته بالنسبة إلى ما في القلب لطيفة لا لذة فيها ، ولكن بعد ما ثبتت وقويت نسبة لطيفة النفس تكون حالات القلب في جنبها نسيا منسيا .

ومِـنْ بَعْدِ هـذا ما يَدِقُّ بَيانُـهُ وَما كَتْمُهُ أَحْظى لَدَيَّ وَأَجْمَلُ

وما فوق ذلك من المقامات فممّا اختص به الإمام الرباني ﷺ ويقال لمن سلكه مجدديا ، وقد قطع جميع المقامات المجدّدية أولاده وأحفاده وخلفاؤه وخلفاء خلفائه إلى يومنا هذا وتحققوا بأحوالها كلها ، لكن بعد جهد بليغ واجتهاد كثير ورياضة شاقة ومجاهدة شديدة وترك مقتضيات النفس والطبيعة وبذل الروح والمُهَج في أزمنة طويلة كما وقفت عليها في تراجمهم .

والآن قد تقاعست الأمم وتقاعدت الهمم وصار السالكون بحيث لو وجد فيهم من يتم سلوك الطريقة النقشبندية على وجه التفصيل فهو غاية الغنيمة ، وانحصرت همتهم في أخذ التوجه إلى آخر المقامات المجددية ، ويزعمون أنّ ذلك هو السير والسلوك ، هيهات هيهات : أين الثرى من السِّماك الأعزل ؟ فلا جرم لا يحصل لهم غير العجب والغرور والأنانية . . الخ . مختصرا ما في هامش « الرشحة » ٢١٥ .

وقال في « رشحات عين الحياة » : إن الله سبحانه وتعالى قد علّم رسوله ﷺ طريق المراقبة حيث قال : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ .

وأصل المسألة هو أن الله تعالى قال ذلك تعليما لنبيه ﷺ ، فخلاصة الأمر أن تكونوا مشتغلين بالله تعالى فإنه قريب إلى عبده من كل شيء ، بل هو أقرب من أن نقول أقرب ، فإن حال القرب لا تسعه العبارة ، فمتى عبروا عن القرب بالعبارة ينقلب القرب بُعْدا ، والقرب ليس هو قولك قد تقربت إليه حتى تعبِّر عنه بعبارة ، بل القرب كونك ممحوّا وفانيا فيه ، وذهولك عن نفسك وعن غيرك فيه ، وأن لا يكون لك علم بأنك أين كنت ومن أين جئت ، وأن لا تقدر أن تعبر عنه بعبارة مطلقا .

قال شخص عند واحد من الأكابر : إن الشيخ الفلان يتكلم في القرب ، فقال : إذا وصلت إليه قل له أن قرب القرب في المحل الذي نحن فيه بعد البعد ، فإن القرب عبارة عن عدم كونك ، فإذا كنت معدوما فيه كيف تسعه العبارة ؟ ! شعر :

لَيْسَ يسري قُرْبٌ بِالهُبوطِ والصُّعود   إنَّـمـا الـقُـرْبُ انْطِلاقٌ عَـنْ وُجودْ

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : قال الجنيد ﷺ : أستاذي في المراقبة هِرَّة ، فإني رأيت مرة هرة قاعدة على فم جحر فأرة متوجهة إليه بكليتها بحيث لا تتحرك منها شعرة ، فنظرت إليها متعجبا ، فبينما أنا في التعجب نوديت في سرّي أن : يا قليل الهمة إني لست بأقل من الفأرة في كوني مقصودا لك ، فلا تكن أنت أدون من الهرة في طلبي ، فشرعت في المراقبة من ذلك اليوم .

أعَلِمْتَ ما قالَ الحَبيبُ تَلَطُّفاً ؟   إيَّاكَ والنَّظَراتِ لِلْأغْيارِ

وقال شيخ شيخنا ﷺ : إن أقربية المراقبة من سائر الطرق ليست على إطلاقها ، بل بالنسبة إلى أهل الجذبة لأن المراقبة لا تصير أقرب الطرق إليه تعالى إلا بالنسبة إليه ، وأما بنسبة إلى غيره فليست المراقبة أقرب الطرق كما ذكرنا أقربية المراقبة في مراقبة لطيفة روح قبيل هذا ، بل تكون الأقربية بالنسبة إلى غير أهل الجذبة أبعد الطرق إليه تعالى ، لأن السلوك يحتاج إلى السلوك بالأسماء والمجاهدة . انتهى « جامع الأصول » ٢٠٤ .

واعلم أن مراقبة العبد وإن كانت كمالا لما فيها من حفظ السر عن الغفلة ، فهو قصور بالنسبة لما فوق ذلك من جهة شهود العبد ذلك من نفسه وأنه هو المراقب والمتحفظ عن الغفلة .

والأكمل أن يشهد ذلك من الله وأنه هو الذي استعمله ودفعه إليه وهو الحافظ له ، فهنالك يدركه من الحياء ما يحمله على التوبة مما ظن به أنه قريب ، فيلتزم التوبة بالرعاية لقلبه أن لا يشهد ذلك منه بحال ، ثم تناديه الهواتف أن ذلك اشتغال بما هو وصف له ، وذلك حجاب عن المراد ، فتظهر

له أوصافه فيستعيذ بالله ويأخذ في الاستغفار والتوبة ، ويطلب الرجوع من أوصافه بالرجوع إلى أوصاف مولاه .

والحاصل أنه كان أولا يراقب سره من الغفلة ، ثم صار يراقب أن يشهد الحفظ منه وكان يتوب من حظوظ الأغيار وصفاتها ، ثم صار يتوب من حظوظ نفسه وقوتها ، **فينتقل عن شهود كونه عاملا وحاملا إلى شهود كونه محمولا ومعمولا** ، وصار يستغفر من شهود الحالة الأولى ويراها ذنبا وكان من أهل التبليغ في الأحكام الشرعية في القيام بها والعمل بمقتضاها ، فصار ثابتا من أهل التبليغ في الأحكام القهرية والتعزز بها .

فيظهر بهذا كله أن العبد ما دام يشهد أوصاف نفسه فهو محجوب ، وعند تحقق الوصول تفنى أوصافه وتمحى نعوته ، فمن شهد وصف نفسه فهو محجوب بما يظن أنه كشف ، ومُبْعَدٌ بما يظن أنه قرب ، فلا يصل حتى يكون أمامه وراء وصباحه مساء ، فما دام بين جهاته وفي مضيق صفاته وتحت حجاب ذاته فهو بعيد لم يصل إلى البغية ، وهواتف الحقائق لأهل الله تعالى ناطقة ولهم مفاوضة ، وهي إنما تكون لمن سبقت له عناية ومنَّ عليه بنور الهداية . « تقريب » ١٦٨

مراقبة المحبة في الدائرة الثانية

ثم اعلم أيها الأمين أن الدائرة الثانية من دوائر ولاية الكبرى مراقبة المحبة المفهومة من قوله جلّ ذكره : ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فيلاحظ ورود الفيض من الذات التي هي تحبه وهو يحبها ، والتي هي منشأ الدائرة الثانية هي أصل الدائرة الأولى من دائرة الولاية الكبرى .

ومورد الفيض ههنا وفيما يأتي من الدائرة الثالثة والقوس لطيفة النفس فقط ، فيراقب فيها ورود فيض من ذات الحق سبحانه وتعالى من حيثية كونها محبا لها ، وباعتبار كونها منشأ للدائرة الثانية كما ذكرناها من الولاية الكبرى التي هي أصل الدائرة الأولى منها على لطيفة النفس فقط .

مراقبة المحبة في الدائرة الثالثة

وفي هذه الدائرة الثالثة المراقبة ، بأن يلاحظ أن الفيض يرد على نفسه من الذات التي تحبني وأحبها والتي هي منشأ للدائرة الثالثة التي هي أصل للدائرة الثانية من الولاية الكبرى وكذلك القوس بأن الفيض يرد على نفسه من ذات تحبني وأحبها وأنها منشأ للقوس الذي هو أصل للدائرة الثالثة من الولاية الكبرى .

وهذه الأصول الثلاثة اعتبارات في حضرة الذات ومبادئ للصفات والشؤونات . شعر :

لَمْ يَزَلْ كُلَّ زَمانٍ في مُحَيَّاهُ نِقابُ كُلَّما جِئْتُ حِجاباً فَلَهُ ثَمَّ حِجابُ

وفي هذا المقام العالي انشراح الصدر والشكر والرضا على حكم القضاء وتلقي التكليفات الشرعية بالقبول من غير احتياج في ذلك إلى دليل ، وصيرورة الاستدلاليات بديهيّات ، والطمأنينة من الصورات«١» الحاصلة من الجذبات وقوة اليقين بمواعيد رب العالمين والاستهلاك والاضمحلال للنفس ، وذوبانها ذوبان الثلج في الشمس ، وظهور التوحيد الشهودي ، وانتفاء أنانية السالك بحيث لا يرى في الوجود وتوابعه إلاّ الله سبحانه وتعالى وما له من ذلك شيء البتة ، فلا يكاد يسمع بإطلاق لفظ أنا عليه .

وفيه اتهام نفسه في النيات ورؤية القصور بحيث لا يرى نفسه محلا لشيء سوى الشرور والمنقصة المشوبة بالغرور ، وفيه تهذيب الأخلاق وتطييب الأعراق وتزكية الخصائل من سائر الرذائل كالحرص والبخل والحسد والحقد والكبر وحب الجاه وغير ذلك مما يذمه الشرع ويأباه .

فحاصل المعنى المراد أن الدائرة الثانية والثالثة ونصف الدائرة أنّ المراقبة مراقبة محبة والشغل بها بمثابة ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية

«١» لعله التصورات .

وفي ملاحظة معناها منشأ الفيض ، ومورد الفيض لطيفة النفس كما سبق آنفا والآن إن كيفية المراقبة في هذين الدائرتين أن السالك يخيل أن ذاته يعلم في داخل الدائرة ويلاحظ بأن فيض ذاته من محبة دائرة أصل الأسماء والصفات نزولا منها وواردا إلى لطيفة النفس ، وكذا يلاحظ بأن نصف الدائرة التى هي الأصل الثالث يرد عليها المحبة الإلهية ، والسالك حين سلوكه في هذه الدوائر يلاحظ معنى كلمة التوحيد والتهليل اللساني يفيد الترقي .

وكيفية ذلك بأن يمدّ كلمة (لا إله) إلى الرأس من جهة اليمنى كما ذكرنا ذلك و(إلا الله) يضربه بالعنف إلى صفحة القلب بالقوة وبإخراج حروفها من مخارجها بحيث يسمعها مع ملاحظة معناها بلا غفلة ، وإن علامة كمال سير الولاية الكبرى أن الفيض المتعلق بالدماغ يتعلق إلى باطن الصدر وينشرح هنالك الصدر ، وعلامة انشراح صدره ارتفاع الاعتراض عن القضاء والقدر عن صدره بالكلية ، وتطمئن نفسه تحت القضاء والقدر في أي حال كان ، وإذا اطمأنت النفس تحت الأقدار تعبر بالمطمئنة ، ومنها يترقى إلى مقام الرضا وهي أعلى مقام .

مراقبة المحبة في القوس

هو أيضا قوس المحبة ، فيفعل فيه ما فعل فيما قبله بتبديل قوله للدائرة الثالثة . . الخ ، بقوله للقوس الذي هو أصل الدائرة الثالثة منها ، وهذه الأصول الثلاثة المذكورة اعتبارات في حضرة الذات ومبادٍ للصفات والشؤونات ، ويحصل في هذا المقام انشراح الصدر والصبر والشكر والرضا والتسليم ، ويرتفع الاعتراض على قضايا الحق سبحانه وتعالى وقدره ، وتصير الاستدلاليات بديهيات بحيث لا يبقى الاحتياج إلى الدليل في قبول التكليفات الشرعية ، ويحصل أيضا الاستهلاك والاضمحلال والتوحيد الشهودي وانتفاء الأنانية لحصول اليقين بكون الوجود وتوابعه منسوبا إليه تعالى بحيث لا يقدر على إطلاق أنا على نفسه وغير ذلك من ارتفاع الرذائل وحصول الخصال

الحميدة ، وبتمام قطع دائرة الولاية الكبرى يتم السير في الاسم (الظاهر) ، فيقع السير والسلوك بعد ذلك في الاسم (الباطن) ، ويضع السالك قدمه بعنايته تعالى في دائرة الولاية العليا التي هي دائرة الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام ونذكرها عن قريب إن شاء الله تعالى .

مراقبة الاسم الظاهر

إن السالك إذا قطع الدوائر الثلاثة من الولاية الكبرى يشتغل بمراقبة مسمى الاسم الظاهر ، وهنالك منشأ فيض مسمى الاسم الظاهر ، ومورد فيض لطيفة نفس مع اللطائف الخمسة فان تراقب بملاحظة مورد الفيوضات فيناسب له التعريض إلى الاسم الباطن كما سنبينه هنا إن شاء الله تعالى ، وذلك أن سير الولاية الكبرى كان في الاسم الظاهر وفي سير اسم الظاهر ترد التجليات الصفاتية من غير ملاحظة الذات كما كان سير الولاية العليا في الاسم الباطن .

ثم اعلم أيها الولد الأمين أن الإنسان لا يدرك بباطن نفسه وبظاهرها شيئا إلا مما هو من أحكام تجليات اسمه الظاهر ، فإذا تجلى الحق سبحانه وتعالى باسمه الظاهر لظاهر نفس مَن تجلى له أدرك علما ظاهرا من العلوم الظاهرة وفتح عليه بذلك العلم الذي هو بصدده ولم يزهد في شيء من الموجودات ، فحصل ما حصل من العلوم وجد خير الدنيا والآخرة لانجلاء ظاهر النفس بما وصل إلى ظاهرها من التجلي ، ولم يزهد في شيء لعدم وصول التجلي إلى باطن نفسه وامتلائه به كما قاله سيدي حرازم ﷺ ، وهذا مقام عظيم ، لكن التجليات إنما تقع في الصفات من غير تلاحظ الذات كما ذكرنا هنا .

مراقبة الاسم الباطن في الولاية العليا

أيّها المأمون بعد ما تمّ دائرة الولاية الكبرى التي ينتهي بها السير في الاسم الظاهر بمحض فضل الله سبحانه وتعالى يقع السير في الاسم الباطن ، وهذه الدائرة تسمى بالولاية العليا التي هي ولاية الملائكة الكرام عليهم السلام ، وههنا المعاملة بالعناصر الثلاثة سوى عنصر التراب ، وفيه مراقبات ذات مسمى بالاسم الباطن ومنشأ الولاية العليا ، والترقي هنا منوط بالتهليل اللساني وصلاة النافلة ، وفي هذا المقام ظهور التوجه والحضور والعروج والنزول للعناصر الثلاثة ، وحصول وسعة عجيبة في باطن السالك ووجود المناسبة بالملائكة العليا ، وربما تظل له الملائكة ظاهرين .

وههنا تدرك الأسرار اللائقة بالستر عن الأغيار ، وإذا تمَّ للسالك سيره في اسم هو الظاهر واسم هو الباطن فقد حصل له جناحان يطير بهما إلى المقصود الذي هو الذات البحت الذي هو عالم القدس ومحل الأنس ، فحينئذ يقع السير بفضل الله تعالى جلّ إحسانه في كمال النبوة ونذكره هنا إن شاء الله تعالى .

واعلم أيها المأمون أن الولاية العليا درجة أعلى من الولاية ، حتى إنها تفوق على ولاية الأنبياء عليهم السلام ، وأفضليتهم من جهة النبوة والوسعة ههنا أزيد من الوسعة التي كانت في المقام السابق ، فإن تلك الوسعة على قدر وسعة الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات من غير اعتبار الذات ، وفي هذه الوسعة ذاته تعالى مع تلك الكمالات ملحوظة فشتان ما بينهما .

وليس تفوق حقيقة على حقيقة أخرى موجبا لأفضلية صاحب الحقيقة الأولى على صاحب الحقيقة الثانية ، إذ يجوز أن يحصل لصاحب الحقيقة التحتانية عروجات على الحقيقة الفوقانية ويتصل إلى مراتب القرب ، ويكون صاحب الحقيقة الفوقانية محبوسا في حقيقته ولا يحصل له عروج من حقيقة ولا يكتسب مزية القرب الذي هو مدار الفضل ، ألا ترى أن ولاية الملأ الأعلى فوق خواص البشر ، والحال أن الفضل لخواص البشر باعتبار العروج من

حقائق الملائكة ، والملائكة ما لهم عروج من حقائقهم كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾.

وذكر في « شرح المواقف » أن الملائكة وإن كانوا فوق البشر في بعض الأمور لكن الأفضلية بمعنى كثرة الثواب للبشر ، وأيضا عالم الأمر فوق عالم الخلق ، والفضل لعالم الخلق لأن قرب عالم الخلق أصلي وقرب عالم الأمر ظلي ، وعنصر التراب أدنى لطائف عالم الخلق وعالم الأمر ، وقد صارت دناءته بسبب رفعته ، والقرب الحاصل للأرضيين ليس للقدسيين السمائيين ، كذا قاله الإمام محمد معصوم قدس سره .

ويشرع في مراقبة الاسم الباطن التي هي في الولاية العليا في تزكية العناصر الثلاثة التي هي أجزاء هيكله الجسماني سوى عنصر التراب ، وتكرار التهليل والمداومة على الصلاة النافلة يورث الترقي في هذا المقام ، وههنا يحصل التوجه والحضور والعروج والنزول للعناصر الثلاثة المذكورة ، وتحصل المناسبة أيضا بالملأ الأعلى بل ربما تظهر الملائكة الكرام وتدرك أسرارا لائقة بالإخفاء والستر .

قال الإمام الرباني قدس سره : ولما انتهى سيري إلى نهاية الولاية الكبرى توهم لي أن قد تم الأمر ، فنوديت في سري أن كل ذلك تفصيل الاسم الظاهر الذي هو أحد جناحي الطيران والاسم الباطن أمامك بعد . اهـ

وقال شيخ شيخنا قدس سره : فاعلم أنه لما كان لسوى الأنبياء والملائكة مبادي التعينات وهي ظلال الأسماء والصفات وقد سموا سير هذه المرتبة بالولاية الصغرى ، وللأنبياء الكرام مبادي التعينات وهي الأسماء والصفات والشؤونات وقد سموا سير هذه المرتبة بالولاية الكبرى ، كذلك للملائكة العظام مبادي التعينات المسماة بالولاية العليا وسير العناصر سوى العنصر الترابي ، ولما تفضل وتعطف الشيخ على السالك بتوجه في دائرة الولاية الكبرى فاضت عليه أحوال كلّ دائرة وكيفياتها ، وإذا تفضل أيضا بتوجه لأجل شرح الصدر رأى أن معاملة الدماغ تعلقت بالصدر ووجد سعة ، وأدركت لعناصره الجذبات

الإلهية ووقع لها العروج وورد عليها أحوال اللطيفة اللونية وتيسر فناؤها الذي في ذات مسمى الباطن وحصل لها الاضمحلال وتيسر بقاؤها بتلك المرتبة المتعالية وحصلت المناسبة بالملائكة الكرام « جامع الأصول » .

واعلم أن سير الولاية الكبرى كان في اسم الظاهر وسير الولاية العليا كان في اسم الباطن ، فإنه وإن كان يرد فيه أيضا تجليات الأسماء والصفات ولكنه أحيانا يشاهد فيه الذات ، وقد كشف الصورة المثالية لحضرة زائدة فرأى أنها ظهرت ، ولكن قد أحاطت بها الأسماء والصفات لحضرة الحق كالخطوط الشعاعية للشمس ، وقد تشاهد من غير خطوط ولكنها تظهر وهي في كمال اللالونية وتعود الخطوط الشعاعية إلى الاستتار

وإن سير اسم الباطن فإنه وإن كان يرد فيه أيضا تجليات الأسماء والصفات ولكنه أحيانا يشاهد فيه الذات .

مراقبات كمالات النبوة

إن مراقبة كمال النبوة عبارة عن دوام التجلي الذاتي بدون حجب الاسمآء والصفات ، وهي مراقبة الذات البحت الذي هو منشأ كمالات النبوة ، ومورد الفيض لطيفة عنصر التراب فقط ، وفي هذا المقام العظيم قطع مسافة نقطة خير من قطع جميع مقامات الولاية ، وفيه يكون الحضور بلا جهة ويزول أمثال الاضطراب في الطلب والانتظار والوجد وقلق الشوق بحصول برد اليقين .

وهذه الدرجة العالية المشرفة أجل من أن ينالها أيدي الحال والمقام والمعرفة ، والمصداق قول الملك الجبار : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ، وههنا وجود الإدراك والوجدان وعلى عدم الوصول دليل وبرهان بل فيه النكارة والجهالة من لوازم النسبة في كل حال مع ما فيه من وصل العريان لفضل الملك المنان ، وهو وصول دونه حصول لأهل الولايات اتصال بربهم يجل عن التكييف والدرك بالعقل .

وههنا أيضا يحصل صفاء الوقت وحقيقة الاطمئنان واتباع الهوى لما جاء به المصطفى ﷺ وكمال الوسْعة في نسبة الباطن واللاكيفية واليأس والحرمان ، ومعارف هذا المقام شرائع الانبياء العظام عليهم الصلوات والتسليمات .

وهذا المقام بالأصالة خاص للأنبياء ، ولأتباعهم أيضا نصيب منه بالتبعية والوراثة ، وما كان من معارف الولاية من التوحيد الوجودي والشهودي فهو في هذا المقام كالمطروح في الطريق دون بلوغ المرام ، وقد ذكر التوحيد بأنواعه في فصله بحمد الله .

قال الإمام الرباني قدس سره النوراني في معنى قطع النقطة : ينبغي أن يقاس أن جميع هذه الكمالات المتقدمة فليست إلا كنسبة البحر مع القطرة انتهى .

ولا يلزم من حصول كمالات النبوة لبعض الأفراد من الأمة بطريق التبعية والوراثة أن يكون ذلك البعض نبيًّا أو مساويا لنبي ، لأن حصول كمالات النبوة شيء آخر وحصول منصب النبوة أمر آخر ، كما حققه حضرة المجدد مفصلا قاله الشيخ محمد معصوم قُدِّسَ سِرُّهُ .

وذكر الإمام الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ في « اليواقيت » و« الجواهر » عن بعض العارفين : اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا ، وإنما ارتفع نبوّة التشريع فقط ، وفي « الفتوحات المكية » في الباب السبعين والمائتين أن النبوة وإن انقطعت في هذه الأمة بحكم التشريع ، فما انقطع الميراث منها ، فمنهم من يرث بنبوة ، ومنهم من يرث برسالة ، ومنهم من يرث بنبوة ورسالة ، كذا في « عطية الوهاب » .

والدليل على هذا هو ما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » الحديث ، وفيه : قال ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة » ، وفي رواية : « خمسة وعشرين » ، وفي رواية : « سبعين » ، وقال ﷺ : « السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزؤ من أربعة وعشرين جزأ من النبوة » أخرجه الترمذي كذا في « الجامع الصغير » .

وهذه المرتبة هي مرتبة الخلافة ومنصب النيابة عن الحضرة الربوبية ، فحينئذ يجوز للولي الذي بلغ إلى هذا المقام تربية الخلق ودعوتهم إلى الحق وتكميلهم بالكمالات الإلهية وإيصالهم إلى معرفة الله تعالى ، وما وراءَها طفيليا«١» ، على أن الله تعالى جعل وراء هذه الكمالات حاجزا ومانعا للسالكين عن الوصول إليها ، مالم تشتمل عليهم العناية الإلهية ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

ولا يظن الظانّ بسهولة الأمر لحصول كمالات النبوة ، فإن أدنى درجة من درجات هذه الكمالات تقطع مقدار خمسين ألف سنة ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يتمكن الوصول إليها أبدا إلا بفضل الله تعالى وعنايته للسالك

كَيفَ الوُصولُ إلى سُعادَ وَدونَها ... قُلَلُ الـجبالِ وَدونَـهُنَّ حُتـوفُ
الرِّجْلُ حافِيَةٌ وَما لي مَرْكِـبٌ ... وَالكَفُّ صِفْرٌ والطَّـريقُ مَخـوفُ

وقد رمزنا إليها على سبيل الاختصار بالإجمال على مقدار طاقتنا وهمتنا ، فمن فتح له باب العناية فلا يُقِلَّ هذا المقدار ، وإن رمنا إلى التفصيل فلا تسعه الأسفار ، والله تعالى يتولاك .

ومعنى التجلي الذاتي بلا حجب الأسماء والصفات ليس هو ظهور الذات تعالت وتقدست ، هيهات ، فإن معنى التجلي ظهور شيء في مرتبة ثانية أو ثالثة أو رابعة إلى ما لا نهاية ، بل هذا مبني على اصطلاحات الإمام الرباني ﷺ من أن فوق الأسماء والصفات شؤونات واعتبارات كما بينه في « مكاتيبه » ويشير إليه قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ وقوله ﷺ : « إن لله سبعين حجابا » الحديث ، وما قاله القائل :

تَبارَكَ اللهُ وارَتْ ذاتَهُ حُجُبٌ ... فَـلَيْسَ يَعْـلَـمُ غَيْرُ اللهِ ما اللهُ

صادق في هذا المقام . اهـ

« ١ »الطُفَيْليّ :" الذي يدخل الوليمة والمآدبَ ولم يُدْعَ إليها « لسان العرب » .

مراقبة كمالات الرسالة

إن مراقبة كمالات الرسالة وهي انتظار الفيض من الذات البحت التي هي منشأ كمالات الرسالة ، ومورد الفيض من هنا إلى آخر المقامات هي الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك بعد تهذيب اللطائف العشر وتكميلها .

وههنا إحاطة العروج والنزول والانجذاب بالبدن ، وبعد ذلك مراقبة الذات البحت الصرف التي هي منشأ كمالات الرسالة ، ومورد الفيض الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك بعد تهذيب اللطائف العشر .

وقال شيخ شيخنا ﷻ في « الجامع » ٩٠ : اعلم أنهم قرروا التجلي الذاتي الدائمي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى كمال النبوة وفيها يعملون مراقبة ذات ، وهي منشأ كمال النبوة .

والمرتبة الثانية كمال الرسالة وههنا يعملون مراقبة ذات هي منشأ كمالات الرسالة ويرد فيض هذا المقام على الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك في هذا المقام ، والهيئة الوحدانية عبارة عن مجموع عالم الأمر وعالم الخلق ، فإنه تحصل لكل منهما بعد التصفية والتزكية هيئة أخرى .

مثلا إذا أراد شخص أن يركب معجونا من أدوية مختلفة التأثير فإنه يدق ويسحق كل واحد منها فرادى ، ثم يجمعها في قوام القند والعسل ، فيحصل للأدوية المذكورة هيئة أخرى وينشأ لها اسم المعجون ، فكذلك اللطائف العشر يحصل لها هيئة أخرى ويقع لها عروجات كثيرة في هذا المقام ، وفيما بعده من الفوقانية وأنواره وسعته ولالونيته أكثر من المقام السابق ، ونسبة كل مقام سابق بالنسبة إليه كاللب مع القشر .

والمرتبة الثالثة عبارة عن كمالات أولي العزم ونذكرها بعيد هذا إن شاء الله تعالى . انتهى

وقال أيضا ﷺ : واعلم أنه إذا وقعت معاملة الباطن على الهيئة الوحدانية يعني كمالات الرسالة يكون الترقي في الباطن بمحض الفضل ، ولا يبقى للعقل ولا للعمل دخل في ذلك أصلا ، وإن كان الترقي فى جميع المقامات بالفضل الإلهي لا بالعمل ، لكن لما كانت الأعمال هنالك كالأسباب ، أما في هذا المقام فلا دخل لتلك الأسباب ، وأن للذكر في إزالة الكدورات البشرية أثرا تاما لكنه لترقي هذه المقامات لا ينتج ، مثلا لو اشتغل بذكر اسم الذات أو النفي والإثبات أو التهليل اللساني يرى أن هذه الأذكار لا تصل إلى هذا المقام ، بل تقف في الطريق إلا إذا انضمّ إلى التهليل اللساني لفظ محمد رسول الله والصلاة عليه ﷺ ، فتحصل حينئذ قوة في هذه المقامات الفوقانية ، بل تفهم السعة بلفظ محمد رسول الله أزيد من التهليل ، ويحصل ترقيات في هذه المقامات بواسطة القرآن المجيد ، وكل مرتبة يصل إليها السالك فبواسطة الكلام المجيد . انتهى

مراقبة كمالات أولي العزم

وهي انتظار الفيض من الذات البحت التي هي منشأ كمالات أولي العزم ومورد الفيض الهيئة الوحدانية بعد التهذيب ، وتلاوة القرآن المجيد والصلاة بطول القنوت توجبان الترقي في الكمالات الثلاثة ، وفيما بعدها من الحقائق السبع وغيرها .

وهذه المقامات العالية الدرجات مع ما فيها من اللالونيات واللطائف أمواج البحر الغير المتناهي من الذات البحت الإلهي جل جلاله وعم نواله .

قال في « المقامات الأحمدية » : قال المؤلف عفا الله عنه : إن سيدي الوالد ﷺ من غاية إفضاله توجه إلى غلامه هذا في هذه الكمالات الثلاثة وأوصلني إلى الأحوال المكتوبة ، فأدركت الفرق بينهما عيانا بأن المقام الفوقاني كاللب والتحتاني كالقشر ، وعلمت أن في إطلاق الذات البحت والوصل العرياني كناية عن هذا .

ولأجل عدم الإدراك قالوا : لا حصول ثمة ، والهيئة الوحدانية تشاهده فوق رأسه ، وهي عبارة عن مجموع عالم الأمر وعالم الخلق ، فإنه تحصل لكل منهما بعد التصفية والتزكية هيئة أخرى .

مثلا إذا أراد شخص أن يركب معجونا من أدوية مختلفة التأثير فإنه أولا يدق ويسحق كل واحد منها فرادى فرادى ، ثم يجمعها في قوام القند والعسل فيحصل للأدوية هيئة أخرى وخاصية وتسمى باسم المعجون ، وكذلك اللطائف العشر تحصل لها هيئة أخرى ويقع لها عروجات كثيرة في هذا المقام كما ذكرنا ذلك في بيان مراقبة كمالات الرسالة ، كذا قال الجد ﵇ .

وفي هذا المقام لا تنقص قراءة القرآن من ثلاثة أجزاء والزائد أفضل ، ويشرع في الأذكار والأوراد المأثورة في الأحاديث الشريفة في الصباح والمساء والمنام وغيرها من هذه المقامات العالية وتفيد فائدة عظيمة ، وبقدر اتباع السنة السنية يحصل الترقي فافهم والله أعلم . انتهى

وقال شيخ شيخنا ﵇ : اعلم أن المرتبة الثالثة التي قرروا للتجلي الذاتي عبارة عن كمالات أولي العزم ، وهي تورد على هيئة الوحدانية ، فيض هذا المقام في كمال العلوم وكثرة الأنوار ، وههنا يعلمون مراقبة ذات هي منشأ كمالات أولي العزم ، وفي هذا المقام ينكشف أسرار المقطعات القرآنية والمتشابهات ، وههنا يجعلون بعضَ الأكابر صاحبَ سر يقع بين المحب والمحبوب يعطونه بواسطة الاتباع لرسول الله ﷺ نصيبا من الفضيلة الخاصة بذلك الجناب اهـ « جامع » في ٦٣ .

مراقبة حقيقة الكعبة الربانية

وهي انتظار الفيض من الذات ، وهي منشأ فيضه التي هي مسجودة للممكنات كلها ومنشأ لحقيقة الكعبة ، وههنا تشاهد عظمة الحق وكبرياءه سبحانه وتعالى ، وتغلب على باطن السالك هيبة عظيمة .

ومورد الفيض الهيئة الوحدانية بعد التهذيب ومراقبة الكعبة الربانية التي هي عبارة عن ظهور سرادقات العظمة والكبرياء الثابتتين للذات الإلهية جل سلطانها وعز إحسانها .

قال الإمام الرباني ﷺ : ليست صورة الكعبة عبارة عن الحجر والطين ، إذ لو لم يكن الحجر والطين في البين كانت الكعبة كعبة ومسجودا إليها للخلائق ، بل صورة الكعبة مع كونها من عالم الخلق كحقائق الأشياء أمر مبطن خارج عن حيطة الحس والخيال ، وهي من عالم المحسوسات وليست بمحسوسة أصلا ، وهي متوجه إليها للأشياء وليست في التوجه رأسا ، وهي وجود لبس ثوب العدم ، وعدم ظهر بكسوة الوجود ، وهي في الجهة بلا جهة وفي السمت بلا سمت .

وبالجملة هذه الصورة ذات حقيقة أعجوبة يعجز العقل عن تشخيصها وتحار العقلاء عن تعيينها ، وكان لها مثالا من عالم اللامثلية واللاكيفية ، وفيها تبعة أثر من اللاشبهية واللانظرية . انتهى

وفي هذه المراقبة تغلب على باطن السالك هيبة عظيمة ، وإذا تحقق السالك بالفناء والبقاء في هذه المرتبة المقدسة وجد ذاته متصفة بهذا الشأن ، وشاهد توجه الممكنات إلى جنابه بالعيان ويترنم لسان حاله بأفصح تبيان شعر :

وَكُلُّ الجِهاتِ السِّتِّ نَحْوي تَوَجَّهَتْ بِما ثَـمَّ مِنْ نُسْكٍ وَحَـجٍّ وَعُمْـرَةِ

وقال شيخ شيخنا قدس الله أسراهم : وأما الحقائق الإلهية فاعلم أنه بعد كمالات أولي العزم يقع السلوك إلى طرفين ، وذلك باختيار المرشد ، فأيهما شاء يسلك الطالب إليه :

أحدهما : طرف الحقائق الإلهية وهي عبارة عن حقيقة الكعبة وحقيقة القرآن وحقيقة الصلاة .

وثانيهما : طرف الحقائق الأنبيائية ، وهي عبارة عن الحقيقة الإبراهمية والحقيقة الموسوية والحقيقة المحمدية ، ولما توجه المرشد في حقيقة الكعبة شاهد في هذا المقام عظمة الحق وكبرياءه واستولت هيبته على الباطن .

وههنا يعلمون«١» مراقبة ذات هي مسجود للممكنات ، وكم شخص حصل له الفناء والبقاء في هذه المرتبة القدسية فوجد نفسه متصفا بهذا الشأن ، وعلم توجه الممكنات إلى جانبه وإن كان في الكمالات حصول لالونيات كثيرة ليس في هذه المقامات بهذا القدر ، لكن علو النسبة الباطنة وسعتها في هذه المقامات زيادة على الزيادة واللالونية في الحقائق الأنبيائية مع هذا العلو والسعة أقل منها في الحقائق الإلهية .

وسرّ ذلك أن السالك إذا حصل له الفناء والبقاء في مرتبة الذات البحت ، وتخلق بأخلاق تلك المرتبة فلا جرم يحصل في مدركه قوة يدرك بها النسبة الفوقانية ، وكذا لا يجد لالونيات تلك المقامات ، فإنه يعلم أن نسبة الكمالات مع النسب الفوقانية من جنس واحد ولو مناسبة صورية .

وسبب تمييز اللالونية في نسبة الكمالات أن السالك كانت قوة إدراكه بقدر ما حصل له قبل في الولايات بسبب الفناء والبقاء في مرتبة الصفات والشؤونات ، ولهذا يعسر إدراك مرتبة الذات ، فإن كمالات الولايات كانت حاصلة من مرتبة أخرى وكمال النبوة من باب آخر ، فلا مناسبة بينهما أصلا ولو مناسبة صورية .

وأما ما قاله بعض الأكابر من أن مرتبة الولاية ظل مرتبة النبوة فغير ثابت ، بل لا مناسبة بينهما في أمر ما أصلا .

وأما مرتبة الكمالات فلها مناسبة مع هذه الحقائق ، بل قال المحققون : إن الحقائق بالنسبة إلى الكمالات مثل الأمواج ، ومعنى هذا أن الكمالات لما كانت فوقانية مواطن التجليات الذاتية الدائمية فلا جرم أن كل نسبة إذا كانت

«١» في الأصل يعملون .

فوقانية لا تخرج عن مرتبة الذات ، فإطلاق لفظ الأمواج عليها سديد ، فتظهر في نسبة الحقائق أشياء لا تظهر في نسبة الكمالات .

مثلا يظهر في حقيقة الكعبة المعظمة عظمة وكبرياء ومسجودية للممكنات على نحو يعجز العقل عن إدراك ذلك ، حتى أن حصول هذه المراتب بدون توجه المرشد متعذر ، ولما توجه المرشد في حقيقة القرآن المجيد عاين أسرارا في سرادقات العظمة والكبرياء ورأى في عالم المثال حقيقة الكعبة وكيفيتها حتى عرج منها ودخل حقيقة القرآن . انتهى « جامع الأصول » ٦١

مراقبة حقيقة القرآن

وهي انتظار الفيض من الذات سبحانه وتعالى التي هي منشأ من مبدأ الوسعة ، وإطلاق الوسعة من ضيق العبارة والإحاطة اللامثلية للذات الإلهية التي هي منشأ لحقيقة القرآن ، وهنا تظهر بواطن كلام الله تعالى ويكون كل حرف من كلامه تعالى بحرا لا نهاية له موصلا إلى كعبة المقصود ، ويكون لسان التالي كالشجرة الموسوية .

ومورد الفيض الهيئة الوحدانية ويكون مجموع تاليه لسانا يتلو به القرآن ، وعلامة انكشاف أنوار القرآن المجيد في الغالب ورود ثقل على باطن العارف ، كما يومئ إليه قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ .

وقال مولانا وسر سرنا وشيخ شيخنا العارف القطب أحمد ضيآء الدين الكمشخانوي ﷺ في « جامع الأصول » : إن حقيقة القرآن عبارة عن مبدأ سعة حضرة الذات ، ويكون شروع سعة حضرة الذات من هذا المقام ، ويظهر هنا أحوال شبيهة بالسعة ، وإلا فإطلاق لفظ السعة هنا من ضيق ميدان العبارة .

وفي هذا المقام تظهر بواطن كلام الله تعالى ، وفيه وجدت كل حرف من حروف القرآن المجيد بحرا لا نهاية له موصلا إلى كعبة المقصود ، وهنا نكتة

عجيبة : وهي أنه لما كان في قراءة القرآن مع هذه القصص المختلفة والأوامر المتغايرة والنواهي المتباينة ظهور أشياء وأسرار وأنوار تلوح على قدرته تعالى وحكمته البالغة ، ذكر الله القصص وحكايات الأنبياء عليهم السلام لأجل تعليم العوام وتفهيمهم ، وأرشد الناس إلى أحكام الشريعة لهدايتهم ، ومع هذا يظهر في بطون تلك الحروف كيفيات عجيبة ومعاملات غريبة تزيد حيرة على حيرة ، ويكون في كل حرف ظهور شأن خاص يصاد به قلوب أهل الاختصاص .

وفي وقت قراءة القرآن يكون لسان القارئ كالشجرة الموسوية ويكون القالب كله لسانا ، وعلو النسبة هنا بحيث أن نسبة الكمالات مع علوها وسعتها بل نسبة حقيقة الكعبة المعظمة مع عظمتها وكبريائها تشاهد تحته ، وهنا يعملون مراقبة مبدأ سعة لامثلية حضرة الذات ، ومورد فيض هذا المقام هو الهيئة الوحدانية ، ثم بعد ذلك يتوجه المرشد في دائرة حقيقة الصلاة ونذكرها إن شاء الله تعالى قريبا .

مراقبة حقيقة الصلاة

وهي انتظار الفيض من الذات التي هي منشأ كمال الوسعة اللامثلية للذات الإلهية التي هي منشأ لحقيقة الصلاة .

والسالك المتحقق بهذه الحقيقة يخرج حين أداء الصلاة من النشأة الدنيوية ويدخل في النشأة الأخروية ، ويحصل له حالة شبيهة بالرؤية الأخروية ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة و السلام : « الصلاة معراج المؤمن » ، « وقرة عيني في الصلاة » .

ومورد الفيض الهيئة الوحدانية ، ويتجلى له على وجه الكمال بلا اشتباه حقيقة « أن تعبد الله كأنك تراه » ، كما أشار سيد الأنام عليه الصلاة والسلام إلى هذه الحالة الشريفة والرتبة المنيفة بالقول المذكور هنا « الصلاة

معراج » . . الخ ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أقرب ما يكون العبد من الرب في الصلاة » ، فلولا الصلاة ماذا يكشف النقاب عن وجه المقصود ؟ وأي شيء يدل الطالب على المطلوب المودود ؟ وهي التي يتلذذ بها أرباب العزائم ، وهي التي تتروح بها أصحاب السقام ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « أرحني يا بلال » رمز إلى هذا المعنى ، و« قرة عيني في الصلاة » لمح إلى هذا المتمنى ، أخرجه أبو داود والدارقطني بسند صحيح .

قال الحافظ العراقي ﷺ في تخريج أحاديث « الإحياء » : قال في « مجمع البخاري » : وكان اشتغاله ﷺ بها راحة له ، فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا ، وكان يستريح بها لما فيها من مناجاة ربه ، ولذا قال : « وقرة عيني في الصلاة » وما أقرب الراحة من قرة العين . انتهى

ثم إن من عدم الاطلاع على حقيقة الصلاة أن الجمَّ الغفير من هذه الطائفة طلبوا تسكين اضطرابهم من مقامات الأنغام وتصوروا دواءهم في السماع والوجد والتواجد قصدا إلى بلوغ المرام ، فلا جرم أن الرقص وأمثاله صارت لهم عادة وفي سائر أوقاتهم معتادة ، فلو لاح لهم من كمالات حقيقة الصلاة نبذة أو شمَّة لما التفتوا إلى الوجد والتواجد وما ركنوا إلى السماع والنغمة ، شعر :

ما شاهدوا شَمْسَ الحَقيقَةِ في العُلا   فَتَتَبَّعوا سَمَرَ اللّيالي مُهْمَلا

وقد سمعوا قوله ﷺ : « إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم في حرام » ، نعم الغريق يتعلق بكل حشيش ، وحبك الشيء يعمي ويصم ، قاله الإمام المجدد ﷺ

أيها الأخ الأسعد الأمجد كما أن بين الصلاة والنغمة فرقا ، كذلك الفرق بين الكمالات التي منشأها الصلاة وبين الكمالات التي منشأها النغمة ، فاعلم فإن العاقل يكفيه الإشارة .

أيها المسترشد إن هذا الكلام اليوم ثقيل على أكثر الناس وبعيد عن أفهامهم غاية البعد ، لكنهم لو أنصفوا ووازنوا هذه العلوم والمعارف وعلوم هؤلاء ومعارفهم بميزان الشريعة ، ولاحظوا صحة الأحوال وسقمها بمطابقة العلوم الشرعية وعدم مطابقتها ، ونظروا في أي منهما تعظيم الشريعة أكثر وتوقير النبوة أوفر لرجعوا عن الاستبعاد ولأقرّوا بأنه محض السداد قاله الإمام الرباني ﷺ وفقكم الله لنهج الاستقامة والسداد .

وقال شيخ شيخنا ﷺ : بعد حقيقة القرآن يتوجه المرشد في دائرة حقيقة الصلاة ، فيشاهد هنا كمال سعة لامثلية حضرة الذات ، وأي شيء أظهر من السعة والعلو في هذا المقام الذي أحد جزأيه حقيقة القرآن والآخر حقيقة الكعبة .

وههنا يعملون مراقبة كمال سعة لامثلية لحضرة الذات ، وإذا وجد السالك حظا من هذه الحقيقة الطيبة يخرج حين أداء الصلاة من هذا النشئ الدنيوي ويدخل في النشئ الأخروي ، ويحصل له حالة شبيهة بالرؤية الأخروية ، وإذا رفع يديه للتحريمة يغسلهما من الكونين وينبذ وراء ظهره كلتا الدارين ، ويقف قائلا : الله أكبر ، في حضرة الملك الجليل ، ويرى نفسه حقيرا مبتذلا ولا شيئا محضا في جنب عظمة الله تعالى ويفدي كله للمحبوب الحقيقي .

وحين القرآءة يكون موجوداً بوجود موهوب لائق بتلك الرتبة المقدسة ، ويصير متكلما مع حضرة الحق ومخاطبا ذلك الجناب المقدس ، ويكون لسانه كالشجرة الموسوية كما سبق في حقيقة القرآن .

وإذا ذهب إلى الركوع وأتى بغاية الخشوع يمتاز بمزيد القرب ، ويتشرف حين قراءة التسبيح بكيفية أخرى ، فلا جرم يحمد على هذه النعمة رافعا رأسه من الركوع ، ويقف أيضا في حضرة الحق .

والسر في أداء القومة أنه إذا أريد السجود فالذهاب من القيام إلى السجود أبلغ في مزيد التذلل والانكسار ، وأي شيء أبين من الذوق الذي يحصل حين أداء السجود حيث يعجز العقل عن إدراك ذلك ، والذي يفهم أن خلاصة

الصلاة هي السجود ، وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « الساجد يسجد على قدمي الله » .

ولما توهم في هذا القرب أن العنقاء اصطيدت كبّر رافعا رأسه من السجدة ، وقوله : « الله أكبر » أي أكبر من أعبده حق عبادته وأقرب إليه حق قربه .

وسؤال المغفرة في الجلسة نشأ من جريمة ذلك التوهم ، ثم يسجد ثانيا لطلب مزيد القرب ، ثم يقعد للتشهد ويأتي بشكر الجناب الإلهي وتحياته على إحسانه بهذا القرب ، والإتيان بكلمتي الشهادة لأن هذه الدولة القريبة بدون التصديق والإقرار بالتوحيد والرسالة محال ، وقراءة الصلاة على النبي ﷺ لأن حصول هذه النعمة بواسطة تبعيته عليه الصلاة و السلام ، واختار الصلاة الإبراهيمية لأن في الصلاة خلوة مع المحبوب الحقيقي ومنادمة مخصوصة ومصاحبة منصوصة عن مقام الخلة التي هي منصب الخليل عليه السلام ، فكأنه يطلب ببركة هذه الصلاة الإبراهيمية تلك المنادمة ، فيكون نديم الحق فافهم . « جامع الأصول » في ٦٣ .

مراقبة معبودية الصرف

قد انتهى السير الفوقي ولا مجال له ، بل للسير النظري مجال ، وهي انتظار الفيض من الذات التي هي المعبود الصرف ، وههنا يظهر سر معنى الكلمة الطيبة (لا معبود إلا الله) وأنه لا يستحق للعبادة حقيقة بأي نوع كانت احد غير حضرته الأحدية المجردة ولو أسماء وصفات فأين الممكنات ، ولا يبقى هنا حقيقة الشرك وينزع من أصله .

وهذه المرتبة أصل الكل وملاذ الجميع ، ويقصر عن شأن هذه المرتبة العالية الوسعة والامتياز أيضا ، ولا مجال للسير القدمي هنا بل للسير النظري بحمد الله مجال . ثمة شعر :

هذا الذي لَوْ لَمْ يَكُـنْ أيْضاً هُنـا   لَـكانَ بِالـوارِدِ باقِيَـةَ العَـنـا

وههنا مراقبة الذات التي هي المعبود الصرف ، ولعل أمر قفْ يامحمد إشارة إلى قصور القدم عن هذه المرتبة ، يعني : قف يا محمد ﷺ ولا ترفع القدم من مكانك ، فإن فوق مرتبة حقيقة الصلاة الصادرة من مرتبة الوجوب مرتبة تجرّد الذات العلية وتقدسها ، ليس لقدم إمكانٍ ثمَّةَ اتباعٌ وجولان ، وفي هذه المرتبة الرفيعة تنجلي حقيقة الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) ، فتنتفي العبادة من الآلهة التي لا تستحقها ، وتثبت للمعبود الحقيقي الذي لا يستحق العبادة أحد سواه ، وفيها يظهر كل الامتياز المقصود بين ما للعابد وبين ما للمعبود .

فمن هنا يعلم أن معنى الكلمة الطيبة بالنسبة إلى المنتهين (لا موجود إلا الله) ، وإلى المبتدئين (لا معبود إلا الله) ، وإلى المتوسطين (لا مقصود إلا الله) ، وما به الترقي في هذه المرتبة المقدسة بحيث يورث فيها قوة النظر وحدة البصر هو التعبد بالصلاة التي هي شغل أرباب النهايات .

وقد انتهى السير هنا في الحقائق الإلهية التي يتوقف الترقي فيها على التفضل والله الهادي إلى سبيل الرشاد ، ولا يبقى للعمل في ذلك دخل أصلا وإن كان الترقي في جميع المقامات بالفضل الإلهي جل شأنه لا بالعمل ، لكن كانت الأعمال هنالك كالأسباب ، وأما في هذه المقامات فلا دخل لتلك الأسباب ، وإن كان في الذكر في إزالة الكدورات البشرية أثر تام ، لكنه لترقي هذه المقامات لا ينتج ، مثلا لو اشتغل بذكر اسم الذات أو النفي والإثبات أو التهليل اللساني يرى أن هذه الأذكار لا تصل إلى هذه المقامات ، بل تقف في الطريق . . إلى آخر ما قاله حضرة الإمام الرباني قُدِّسَ سِرُّهُ .

ويظهر هنا كمال الامتياز بين العابدية والمعبودية ، والترقي في هذه المقدسة موقوف على المواظبة على الصلاة التي هي وظيفة المنتهين ، وبالحقيقة يكون الترقي بالتفضل الإلهي ، وبعده يقع السير في حقائق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والترقي فيها منوط بمحبة سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

اعلم كما أن الحق سبحانه وتعالى يحب ذاته كذلك يحب أسماءه وصفاته ، وكل واحد من هذه المحبة لها اعتباران : المُحبية يعني المصدر المبني للفاعل ، والمَحبوبية يعني المصدر المبني للمفعول ، وظهور كمالات المُحبية والمَحبوبية الذاتيتين إنما هو في الحبيب الأكرم ﷺ ، وظهور الكمالات المُحبية الذاتية في كليم الله ، وظهور كمالات المحبوبية الصفاتية والأسمائية في خليل الله على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، فيكون حينئذ شروع سير السالك في الكمالات الصفائية والحقيقة التي مقام الخلة كناية عنها ، وها هي نذكرها هنا .

وقال شيخ شيخنا قدس سره : إن المرتبة المقدسة المعبودية الصرف ليس للقدم السيري مجال ، بل للسير النظري فقط الذي يسير حيث شاء ، وقد تم السير القدمي الذي كان في مقام العابدية ، لكن من عناية الله تعالى أنهم ما أوقفوا النظر ، فيكون هنا السير النظري ، ولما توجه المرشد في هذا المقام رأى في المعاملة نفسه في مقام عال نوراني لا لوني جدا ، وكلما أراد أن يذهب إلى ذلك المقام لم يتيسر له ذلك ، فعلم حينئذ أن ذلك مقام المعبودية الصرف الذي لا مجال للقدم فيه إلا للنظر الذي يسير حيث شاء كما ذكرنا غير مرة .

وههنا ينكشف سر معنى الكلمة الطيبة (لا معبود إلا الله) كما أشرنا إليه أيضا هنا ، ويظهر أنه لا يستحق العبادة حقيقة بأي نوع كانت أحدٌ غير حضرة الأحدية المجردة ولو أسماء وصفات ، فأين الممكنات ، ولا يبقى هنا حقيقة الشرك وينزع من أصله ، وقد انتهى سير الحقائق الإلهية هنا . انتهى « جامع » ٦٣ .

مراقبة الحقيقة الإبراهيمية

المفهومة من قوله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ التي هي عبارة عن الخلّة ، وهي محبوبية الأسماء والصفات ، وهذه منشأ الخلة ومنشأ للحقيقة الإبراهيمية ، وفي هذا المقام تظهر المحبوبية الذاتية .

ومعنى هذه العبارة كما مرّ أنه تعالى كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله ، وأن لكل من هاتين المحبتين من المحبّية«١» والمحبوبية اعتبارين ، فظهور كمالات محبوبية الذات لحبيب الله ﷺ ، وظهور كمالات محبية الذات لكليم الله عليه السلام ، وظهور كمالات محبوبية الأسماء والصفات لخليل الله عليه السلام وغيره من سائر الأنبياء عليهم السلام ، وههنا تكرار الصلاة الإبراهيمية مفيد للترقي ، وعين الترقي في هذه الحقائق منوط بمحبة خير الخلائق ﷺ ، وسير السالك من هذه الحقائق هي الحقيقة الإبراهيمية المعبر عنها بمقام الخلة .

وهذا المقام لما له من كمال العظمة والاحتشام وكثرة البركات القابضة من رب الأنام كان سائر الأنبياء عليهم السلام تابعين لخليل الله تعالى في هذا المقام ، حتى أن رسول الله ﷺ أُمِر باتباع ملته عليه السلام حيث قال له : ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ ، ومن هنا شبه ﷺ ما طلبه من الله عز وجل من الصلاة والبركات بالصلاة والبركة الفائضتين على إبراهيم عليه السلام حيث علم أمته بقوله : « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهم وعلى آل سيدنا إبراهم ، إنك حميد مجيد » .

فانظر إلى جلال هذا المقام وعظم ما فيه من الخير والبركة ، وهنا للسالك مع الحق سبحانه وتعالى نوع مخصوص من المؤانسة والخلوة فيه ، وظهور محبوبية الصفات التي هي في عالم المجاز عبارة عن محبوبية الخط والخال والعارض«٢» ، فافهم والله يتولاك .

وقال منبع الأسرار مولانا وشيخ شيخنا قدس سره : إن الحقائق الأنبيائية هي عبارة عن الحقيقة الإبراهيمية والحقيقة الموسوية والحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية .

« ١ » في الأصل المحبة

« ٢ » لعلّها إشارات مجازيّة إلى علامات الجمال التي تغنّى بها المحبّون ، فالخطّ هو الخط الذي يكون بين الحاجبين ويظهر عند الغضبِ ، والخال نقطة داكنة وتسمّى الشامة ، كما قال الشاعر :

له غُرَّةٌ في طَرْفِهِ ثم عارِضٌ . . . وخالٌ على يدٍ يحارُ لهُ طرفي

فاعلم أنه كما أن الترقي في الحقائق الإلهية موقوف على التفضل ، كذلك الترقي في الحقائق الأنبيائية موقوف على المحبة ، ولما توجه المرشد في الحقيقة الإبراهيمية إليه بمراقبة ذات هي منشأ الحقيقة الإبراهيمية أفاض عليه ببركة التوجه كيفية عظيمة وأسراراً فخيمة في هذا المقام ، وبعد هذا وردت عليه الأنوار من هذا المقام الذي هو عبارة عن خلة حضرة الحق .

وههنا يظهر أنس خاص وخلوة ذات اختصاص مع حضرة الذات ، وقد فهم أن هذه المعاملة والكيفية التي تحصل في هذا المقام لا تظهر بهذه الخصوصية في سائر المقامات العالية ولو من قسم الفضل الجزئي ، فإن في هذا المقام تظهر المحبوبية الصفاتية ، وفي الحقيقة المحمدية والأحمدية تظهر المحبوبية الذاتية .

ومعنى هذه العبارة أن الذات المتعالي كما يحب ذاته يحب صفاته ، فالأول يقال له الحقيقة المحمدية والأحمدية ، والثاني يقال له اسم الخلة وإن كان هو الحقيقة الإبراهيمية ، وفي هذا المقام يحصل في السالك أنس مع الذات حتى لا يتوجه إلى غير حضرة الذات ولو أسماء وصفات ولا إلى مزارات المشائخ ، ولا يطيب له الاستمداد والاستعانة من غيره تعالى ولو أرواحاً وملائكة ، وههنا تكرار الصلاة الإبراهيمية مفيد للترقي . انتهى في « جامع الأصول » .

واعلم أن أسماء الرب ثلاثة : ذاتية ووصفية وفعلية ، لأن الاسم إما أن يطلق على الذات باعتبار نسبة وتعين ، وذلك الاعتبار إما أمر عدمي نسبي محض كالغني والأول والآخر ، أو غير نسبي كالقدوس والسلام ، وتسمى هذه الأسماء أسماء الذات أو معنى وجودي يعتبره العقل من غير أن يكون زائدا على الذات خارج العقل ، وهو إما أن لا يتوقف على تعقل الغير كالحي والواجب ، وإما أن يتوقف على تعقل الغير دون وجوده كالعالم والقادر ، وتسمى هذه الأسماء أسماء الصفات ، وإما أن يتوقف على وجود الغير كالخالق والرازق ، وتسمى هذه الأسماء أسماء الأفعال لأنها مصادر الأفعال . انتهى« جامع » ٧٣ .

مراقبة الحقيقة الموسوية أي المحبة الصرف للذات ، وهي انتظار الفيض من الذات التي هي منشأ للمحبية الذاتية للذات والمنشأ للحقيقة الموسوية ، وقد يحصل في هذا المقام من غير اختيار حتى جرى من لسانه﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ ، وههنا يفيد الترقي أيضا الصلاة اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين خصوصا على كليمك موسى عليه السلام ، ومنشأ الفيض قوله تعالى : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ .

وفي هذا المقام يظهر اصطفاؤه عليه السلام لكلامه تعالى ، وهي عبارة عن الحقيقة الموسوية فتدبر ، وفي هذه المرتبة يظهر كيفية عجيبة مع كمال القوة وينجلي محبة ذاته تعالى لذاته العلية ، وفيها مع ما فيها من المحبة الذاتية ظهور شأن الاستغناء ، ولهذا السر صدر عن الكليم عليه السلام في بعض المواضع كلمات تشعر بالاستغناء والدلال كما قال تعالى حكاية عن الكليم عليه السلام : ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ فافهم .

وقال شيخنا شيخنا قدس سره : وفي هذا المقام يتوجه المرشد في دائرة المحبوبية الذاتية الصرف ، وأمره هنا بمراقبة ذات هي منشأ الحقيقة الموسوية والمحبية الذاتية للذات ، فترد عليه كيفية هذا المقام بالقوة التامة وتظهر محبية ذاته تعالى لذاته ، والحقيقة الموسوية عبارة عن تلك المحبية .

وأما ما ذهب إليه بعض الأكابر من إثبات المحبوبية لموسى عليه السلام ، فإن كان مراده بذلك أنه عليه السلام محبوب للحضرة سلمنا ، فإن مرتبة النبوة والرسالة وأولي العزم لا تحصل بدون المحبوبية ، وإن الأنبياء الكرام كلهم محبوبون ومرادون لحضرة الحق وطريقهم طريق الأحباب ، فليس هذا الكلام منافيا لمطلبنا ، وإن كان مراده بذلك أن الحقيقة الموسوية عبارة عن المحبوبية الذاتية في الحقيقة الأحمدية ، فذلك محل تأمّل .

وقد تحمل كيفية في هذا المقام حتى جرى من لسانه من غير اختيار ربّ أرني أنظر إليك ، وهو خصوص هذا المقام ، والعجب أن هذا المقام مع ظهور المحبية الذاتية فيه يظهر فيه شأن الاستغناء والدلال ، وهذا من اجتماع الضدين ، ومن هنا يعلم سر ما صدر في بعض المواضع من حضرة الكليم عليه السلام من بعض كلمات تفهم الدلال مثل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ و ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ .

وهنا تفيد الترقي أيضا هذه الصلاة وهي : اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين خصوصا على كليمك موسى عليه السلام انتهى . والله يعصمك وهو ولي التوفيق في « جامعه » ٦٤ .

مراقبة الحقيقة المحمدية أي المحبية الذاتية والمحبوبية الذاتية ، وهي انتظار الفيض من الذات التي هي منشأ لمحبية ذاتية ومحبوبية ذاتية ، والمنشأ للحقيقة المحمدية ، فظهر له المحبية الممتزجة مع المحبوبية ، وفيها يظهر كمال الرغبة إلى اتباعه ﷺ في الحركات والسكنات ، خصوصا العمل بالكتاب والسنة ، وكثرة الصلوات على سيد الأنام ﷺ توجب الترقي .

منشأ الفيض قوله تعالى : ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ومن يكون تابعا لدلائل محبوبٍ لازم أن يكون متبوع محبوب بالطريق الأولى .

وفي هذه المرتبة المقدسة حصول الفناء والبقاء على طرز خاص ، وفيها ظهور اتحاد مخصوص مع سيد الورى ﷺ ، وفيها ينجلي معنى ارتفاع التوسط كما قال به أكابر الأولياء .

قال الإمام الرباني قدس سره : إن لتوسطه ﷺ معنيين :

أولهما كونه ﷺ حائلا وحاجبا بين السالك والمطلوب .

وثانيهما وصول السالك بطُفَيله بتوسط تبعيته ومتابعته ﷺ .

فالتوسط بكلا المعنيين كائن في السلوك قبل الوصول إلى الحقيقة المحمدية ، وأما بعد الوصول إلى حقيقة الحقائق فالتوسط بالمعنى الثاني .

لا يقال : يلزم من عدم التوسط هنا وإن كان بصفة واحدة قصور لجناب الحضرة الخاتمية عليه الصلاة والسلام ، لأننا نقول : إن عدم التوسط هذا مستلزمٍ لكمال ذلك الجناب لا لقصوره ﷺ ؛ لأن كمال المتبوع أن يصل تابعه بطُفيل تبعيته إلى جميع درجات الكمال وأن لا يترك دقيقة منها أصلا ، وهذا المعنى كائن في عدم التوسط لا في وجوده ، لأن الشهود في الأول بلا حجاب ، وهو أقصى درجات الكمال ، وفي الثاني بالحجاب ، فكان الكمال في عدم التوسط والنقص في التوسط .

ومن شوكة المخدوم وعظمته أن لا يتخلف عنه خادمه في مقام من المقامات أصلا ، وبتبعيته يكون في دولته شريكا على السواء ، وفي الحديث : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ويكون رؤية الأخروية بلا توسط شيء ولا حيلولة أمر ، وجاء في حديث صحيح : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه » ، وهذه المعارف من المعارف اللدنية الخاصة لهذا الفقير ، وأصحاب الظواهر يكادون يعتقدون عدم التوسط كفرا ، والحال أنه كمال الإيمان ويضلّلون من جهلهم قائله ويتصورون التوسط من كمال الإيمان ويعدون القائل به من كمل التابعين ، كل ذلك لعدم درك حقيقة الحال انتهى كلام محمد مظهر ﷺ .

رجعنا إلى ما نحن بصدده من أنه ينجلي فيها ارتفاع التوسط ويشتبه التابع بالمتبوع بحيث أن اسم التبعية كأنه يرتفع من البين بالكلية ويتوهم أن التابع كالمتبوع يأخذ ما يأخذ من الأصل ، كأنما يشربان من عين واحدة ويتشاركان في معانقة حبيب واحد على مخدة واحدة ويتمازجان تمازج اللبن مع السكر .

ومع هذا كله يظهر هنا نوع خاص من المحبة بسيد المرسلين ﷺ بحيث يفهم منه كلام إمام الطريقة المحبوب السبحاني مجدد الألف الثاني رضي الله عنه حيث قال : أحب الله عز وجل لكونه رب محمد ﷺ ، وفيها يظهر كمال الرغبة إلى اتباع

حبيب رب العالمين سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ في الحركات والسكنات كلها من الأمور الدينية والدنيوية .

واعلم أن الحقيقة المحمدية التي هي الظهور الأول حقيقة الحقائق بمعنى أن حقائق سائر الخلائق كالظل لها على الإطلاق ، سواء كانت حقائق الأنبياء العظام أو حقائق الملائكة الكرام على نبينا وعليهم السلام . انتهى

مراقبة الحقيقة الأحمدية

أي المحبوبية الذاتية فقط ، وهي انتظار الفيض من الذات التي هي منشأ المحبوبية الذاتية فقط ومنشأ الحقيقة الأحمدية ، وفي هذا المقام تنكشف المحبوبية الذاتية كما أن في الخلة انكشاف المحبوبية الصفاتية .

ومعنى المحبوبية الذاتية أن في ذات المحبوب مع قطع النظر عن صفاته« ١ » الجميلة شيء موجب للتعشق والمحبة ، وهنا هذه الصلاة يفيد الترقي وهي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أفضل صلواتك عدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك .

ومعنى انكشاف المحبوبية الصفاتية ظهور علو النسبة بشعشعان الأنوار وحصول الكيفيات العجيبة الأطوار ما يجل عن التقرير ويغني عن التحرير .

وملخصه انكشاف المحبوبية الذاتية التي هي عبارة عن ظهور حب المحبوب بنظر الذات ، يعني أن في ذات المحبوب مع قطع النظر عن صفاته الجميلة كالخط والخال كما ذكرنا هنا وغيرهما كما مر في بيان الخلة يكون شيء موجب للعشق والمحبة ، وهو أمر ذوقي لا يدركه إلا من أعطي الذوق ، ولنعم ما قال الشاعر :

ذاكَ المَليحُ لَهُ الهُوِيَّةُ ، كُلّهُ هُـوٌّ ، فَرُمْ أيـــنَ الهُوِيَّةُ أينا

« ١ » في الأصل صفات .

وقال الآخر :

ما كُـلُّ ذي خَـدٍّ وخالٍ شاهِـدا　　　بَلْ ذاكَ ذو هُوّ همة يكون جاذبا

وقد ذكر الشيخ محمد مظهر ﷶ في مناقبه ما ذكره القيوم الرباني مجدد الألف الثاني ﷺ في « مكتوباته » القدسية قال ﷺ : إن لنبينا ﷺ اسمين مباركين : أحدهما محمد ﷺ والآخر أحمد ﷺ ، وهما مذكوران في القرآن العظيم حيث قال الله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، وقال تعالى حاكيا لتبشير عيسى ﷺ : ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ولكل من هذين الاسمين المباركين ولاية على حدة .

أما الولاية المحمدية فإنها وإن كانت ناشئة من مقام محبوبيته ﷺ ، ولكن المحبوبية ثمة ليست بمحبوبية صرفة ، بل هي ممزوجة بنشاء من المحبة ، والمزج هذا وإن لم يكن ثابتا لها بالأصالة ولكن مانع لها من مقام المحبوبية الصرفة .

والولاية الأحمدية ناشئة عن صرف محبوبيته ﷺ بحيث لا شائبة فيها من المحبية أصلا ، وهذه الولاية لها تقدم على تلك الولاية وإنها أقرب إلى المطلوب بمرحلة واحدة وأرغب إلى المحب ، لأنه كلما كان المحبوب في محبوبيته أتم وفي استغنائه أكمل كان في نظر المحب أحسن وأجمل ، فينجذب المحب إليه جذبا أيّ جذب ، يتركه والها لا عقل له ولا قلب ، شعر :

ليسَ افْتِتاني حُسْنٌ من بَهائِهِ　　　بَلْ أَصْلُ بَلْوايَ من اسْتِغْنائِهِ

المراد من البلوى إفراط العشق المطلوب للعاشق .

سبحان الله اسم أحمد اسم سام عجيب حيث أنه مركب من الكلمة المقدسة أحد ، وحلقة حرف الميم التي هي من غوامض الأسرار الإلهية المكنونة في عالم اللَامثل ، ولا يمكن التعبير عن ذلك السر في عالم المثل بغير حلقة الميم ، ولو أمكن ذلك لعبر عنه الحق سبحانه وتعالى .

فالواحد أحد لا شريك له وحلقة الميم هذه كناية عن طوق العبودية المميز للعبد عن المولى ، فالعبد عبارة عن حلقة الميم ، وإنما جيء بلفظ أحد تعظيما له ﷺ وتخصيصا له .

سؤال : ما معنى الفناء والبقاء اللذين اصطلحت عليهما المشائخ قدس الله أرواحهم وعلقوا بهما الولاية ، وعلى أي معنى هذا الفناء والبقاء المذكوران في التعين المحمدي ؟

جواب : الفناء والبقاء المربوط بهما الولاية هما الفناء والبقاء الشهوديان ، فإن كان هنالك فناء وانتفاء فذلك باعتبار النظر ، وإن كان بقاء وإثبات فكذلك باعتبار النظر ، وللصفات البشرية ثمة استتار لا زوال .

والمراد من الصفات البشرية هاهنا اللوازم والحوائج البشرية ، فإنها تضعف وتستر عند غلبة الروحانية وتخمد ولا تزول لما تقدم في المقدمة في أحوال المجدد قوله : قباب أولياء الله صفاته البشرية . . . الخ .

وليس المراد هنا الصفات النفسانية المذمومة والأخلاق الرذيلة المكروهة ، فإنها تفنى بالكلية البتة عن الأولياء الواصلين إلى حقيقة الفناء والبقاء ، وقد فصلنا الفناء والبقاء في فصلهما فراجع . انتهى

وأما فناء هذا التعين المحمدي بخلاف ذلك ، فإن زوال الوجودي فيه متحقق للصفات البشرية والانخلاع من الجسدية إلى الروحية ، وفي جانب البقاء هنا أن العبد وإن لم يصر حقا ولم يخرج من دائرة المعبودية لكنه يكون أقرب إليه تعالى ، ويحصل له كمال المعية الإلهية ويزداد بعده من نفسه وتسلب عنه أحكامها البشرية . انتهى

مراقبة الحب الصرف الذاتي

وهي الحقيقة المحمدية عند الإمام الرباني ﷺ ، وما بيناه أولا هو ظلها ، فإن عنده أول معنى الحق بحضرة اللاتعين هو التعين الحبي ، وهو انتظار الفيض من الذات التي هي منشأ الحب الصرف ، كما ورد في الحديث القدسي : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأعرف » .

ويظهر هنا كمال العلو اللامثلية واللالونية ، فإن هذه المرتبة أقرب إلى مرتبة حضرة اللاتعين ومن المقامات المخصوصة بالنبي عليه الصلاة و السلام ، وحقائق سائر الأنبياء عليهم السلام لا تثبت في هذا المقام .

وقال ابن تيمية : لا يعرف سند صحيح ولا ضعيف لحديث « كنت كنزا » . . الخ وتبعه الزركشي والعسقلاني ، لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس ﷺ ، كذا قال مولانا علي القاري ﷺ .

وهذه هي الحقيقة المحمدية عند التحقيق ، وما بيناه أولا هو ظلها ، ويشير إليه حديث : « لولاك لما خلقت الأفلاك » .

وأما حديث : « لولاك لما خلقت الأفلاك » قد روى الديلمي عن ابن عباس ﷺ مرفوعا : « أتاني جبرائيل ﷺ فقال : يا محمد لولاك ما خلقت الجنة ، ولولاك ما خلقت النار » ، وفي رواية ابن عساكر : « لولاك ما خلقت الدنيا » ، كذا قال مولانا علي القاري ﷺ .

وقال شيخ شيخنا ﷺ : ويظهر هنا نسبة الباطن ، فإن هذه المرتبة أقرب إلى حضرة الإطلاق واللاتعين . اهـ

فإن عند الإمام الرباني ﷺ أول معنى الحق بحضرة اللاتعين هو التعيين الحبي ، وقرره ﷺ بأن هذا التعين الأول في الحقيقة المحمدية . انتهى

مراقبة اللاتعين

وهي انتظار الفيض من الذات المنزهة والتعينات كلها ، وهذه من المقامات المخصوصة أيضا بالنبي ﷺ ، ولا يكون هنا السير القدمي ، وأما النظر فلا بد منه أيضا فيها ، لكن نظر المسكين فيها لعدم تناهي الذات حائر وهائم . شعر :

قَدْ ضاقَ ذَيْلُ النَّظَرِ عَنْ وَرْدِ حُسْنٍ أَكْثَرِ   جانيهِ يَشْكو دائماً عَنْ ذَيْلِهِ المُقَصِّرِ

وههنا مراقبة الذات الموجودة بالوجود الخارجي المنزهة عن التعينات كلها ، ويقال المرتبة غيب الهوية وغيب المطلق وأبطن البطون ، وهي مرتبة استهلاك جميع النسب والاعتبارات والشؤنات ، وقد تقدم بيانها في أوائل الرشحات والله أعلم ، وهذا هو نهاية المقامات المجددية المعمولة في طريقة مشائخنا .

وهنا مقامات أخرى مثل دائرة السيف القاطع الواقعة حذاء دائرة الكبرى التي نذكرها هنا ، ودائرة القيومية الناشئة من كمالات أولي العزم المختصة بالقيوم ، ودائرة حقيقة الصوم الواقعة حذاء حقيقة القرآن ، لكنها غير مشهورة وغير معمولة إلا النادرين الكاملين في مقام التكميل ، كشيخنا ذي المواهب أبي عبد الرحمن زين الله الشريفي المعموري ونفسي فداه ، وكان يلقن لكمل خلفائه ، جعلنا الله تعالى في بركات أنفاسه وأنفاس مشائخه .

واعلم أنه قد كثر السؤال بين الإخوان عن معنى المنشأ وعن حقائق الأنبياء أنها قديمة أو حادثة ، ممكنة أو واجبة ؟

وجواب الأول : أن المنشأ اسم مكان من نشأ بمعنى مكان الظهور والطلوع والصدور ، وكثيرا ما يستعمل في معنى العلة والسبب والباعث لظهور شيء ووجوده كما يقال : منشأ هذا الأمر كذا ، بمعنى سبب ظهوره وعلته والباعث عليه .

وجواب الثاني : قال الإمام الرباني ﷺ في « المكتوبات » في المكتوب الحادي والعشرين بعد المائة من المجلد الثالث : فإن قيل إن هذا التعيّن الأول والحقيقة المحمدية هل هو ممكن أو واجب أو حادث أو قديم ؟ قلت : إن ذلك التعين تعين إمكاني ومخلوق حادث ، قال عليه الصلاة والسلام : « وأول ما خلق الله تعالى نوري » ، وكل ما هو مخلوق ومسبوق بالعدم فهو ممكن حادث ، فإذا كان حقيقة الحقائق ممكنة حادثة تكون سائر الحقائق ممكنة وحادثة بالطريق الأولى . انتهى منتخبا ذكره في « تعريب المنزلوي » .

مراقبة دائرة السيف القاطع

فاعلم أن هذه الدائرة وقعت حذاء دائرة الولاية الكبرى ، ووجه تسميته بهذا الاسم أن السالك إذا وضع قدمه في هذه فإنها تقطع وجوده مثل السيف القاطع وتعدمه ولا تترك منه اسما ولا أثرا ، ولهذا سموها بذلك ، وبعد هذا يتوجه المرشد في دائرة القيومية ، ونذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى .

مراقبة دائرة القيومية

وهي ناشئة من دائرة كمالات أولي العزم ، وسر ذلك أن القيومية منصب الأنبياء عليهم السلام من أولي العزم ، وخص الله سبحانه وتعالى من هذه الأمة بهذا المنصب العظيم حضرة المجدد الإمام الرباني وأولاده وخلفاءه ﷺ ، كما أن عبد الله الدهلوي ﷺ اتخذ هذا المقام فكان قيوم الزمان وقطب الأوان ، فكل أحد تعلقت المشيئة الإلهية بهذا المنصب أن يختص به فلا حاجة له بالتوجه ، ويظهر له في البين أحوال وأسرار لا يستقيم بيانها باللسان ، ويتشرف بفيض خاص من هذه الدائرة العالية الشأن التي قصرت عن كيفية علوها الأذهان .

اللهم اجعلنا من الواصلين إليها القائمين على آدابها العارفين بأسرارها وأيدنا في زمرة هؤلاء السادات بحرمة سيد الكائنات آمين يا رب العالمين .

مراقبة حقيقة الصوم

التي وقعت حذاء حقيقة القرآن وهي انتظار الفيض من الذات التي هي منشأ لحقيقة الصوم ، ويرد على السالك الذرة اللامقدارية آثار هذه الحقيقة العالية ، وأنوارها خارجة عن التعقل فظهر له عدم خاص وصمدية ذات اختصاص ، وحصل له حظ وافر وبحر عميق وأسرار لا يمكن إظهارها على حبيبه من الصلوات والتسليمات أوفاها والحمد لله أولا وآخرا .

وقد قال مولانا الشيخ محمد مظهر قدس سره الأنور : قد شرفني سيدي الوالد ﷿ في هذا المقام العالي الذي هو عبارة عن صمدية حضرة الذات تعالت وتقدست ، فتشرفت بأسرار هذا المقام وأنواره ، فله الحمد والمنة ، والتوجه إليها في رمضان أولى وأنسب . انتهى كلامه

وإني« ١ » الفقير الذليل قد شرفني شيخي أبو المواهب ونفسي فداه على هذه المراقبة العلية وأبدى لي بعض أسرارها بحيث يعجز اللسان من إبدائها ، وبفضل الله سبحانه وتعالى قد اتفق حين تلقين هذه المرتبة البحر الزاخر والطود الباخر مولانا محمد مراد المنزلوي ﷿ ، وقد وقع جمع كثير من اليوم الثاني من تلقين هذه المراقبة من الخلفاء والصلحاء ، وتصدق شيخنا ونفسي فداه بمال عظيم للحاضرين ، ودعا لي وسأل من الحاضرين الدعاء ، وخصص عدة من الخلفاء بالتسمية ليدعوا لي مع تأمين الباقين وأشهدهم على إجازتي وإقامتي خليفة مقامه في حياته وبعد مماته ، وسلم صك الخلافة ليدي وعليها خاتمه مع خطه ، ثم في اليوم الثالث دعاهم وتصدق لهم بصدقات كثيرة ولجمع كثير من الفقراء الواردين القائمين خارج الدار وألبسني الخرقة النقشبندية على نهج آداب مشائخه ، ودعا لي أيضا وأمنوا دعاءه وأوصاني وأمرني ونهاني ، جعلنا الله تعالى في زمرة عباده الصالحين إنه ولي المتقين .

« ١ » في هامش نسخة « أ » : أي المؤلف ﷿ .

وهذه بيان السلوك لمقامات هذه الطريقة منحها الله تعالى بلطفه العميق إلى السالك الصديق ، ولو صرف تمام عمره في شكر هذا الإحسان ولم يبق من نفسه اسما ولا أثرا وجعل ذاته وشأنه كتراب الذل والهوان لما أدى واحدا من ألوف إلا بلطف المنان ، الأمان الأمان ، نسألك حق الإيمان ياعزيز يا لطيف يا حنان .

وقال شيخنا نقلا عن مرشده أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ﷺ ما نصه في كتابه « جامع الأصول » ٢٠٥ : واعلم أن المراقبة هي رؤية جناب الحق تعالى بعين البصيرة على الدوام مع تعظيم مذهل وجذب حامل وسرور باعث وشوق حادث ، وقالوا : المراقبة مراعاة السر لاطلاع الحق في كل لحظة ولفظة كما ذكرناه على معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ ﴾ إلى آخر الآية ، والمعنى الثاني أدنى مراتب المراقبة .

وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى هاتين المرتبتين بقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، فإن دوام السالك على المراقبة مع المجاهدة التامة يترقى عن مرتبة المراقبة إلى مرتبة المشاهدة لأن المجاهدة بذرة المشاهدة فمن لم يزرع المجاهدة في أرض الاستعداد لم يحصد المشاهدة في التجليات من أرض الاستعداد ، بل المجاهدة إنما هي فلك بحر المشاهدة ، فمن ركب المجاهدة يسبح في بحر المشاهدة ، لأنه يكشف للعبد أن أنوار وجود وحدة الذات الإلهية محيطة بجميع الأشياء وأنه تعالى متجل بصفاته وأسمائه في مصنوعاته وأنه تعالى ظاهر في كل صورة ، لكن ذلك الكشف على حسب استعداد المكاشفين في صفاء أرواحهم وزكاء نفوسهم وجودة حواسهم واستعلائهم على الجسمانية وارتقائهم إلى الروحانية وتفاوت قربتهم من الحضرة الإلهية ، وبقدر هذه الخصوصيات يصير الابتهاج بأنواع الربوبية والاستكشاف بأسرار الأحدية . انتهى

وقال بعض العارفين : المراقبة تسليط هيبة حضور الحق ونظره على القلب وسائر الأعضاء في حركاتها وسكناتها ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

واعلم أن المراقبة أصل كل خير وسعادة ونجاة ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى وإصلاح وقته حاضرا ، وقال بعضهم : من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه .

وقال ابن عطاء ﷺ : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات .

وقال أبو عثمان ﷺ : قال أبو حفص الحداد ﷺ : إذا جلست تعظ الناس فكن واعظا لنفسك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ، فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك « جامع الأصول » ٢٠٥ .

وقال المعرب الشيخ محمد مراد المنزلوي ﷺ في « تعريبه » : إن دوام المراقبة يورث القوة في نسبة الباطن ، وإشراف الملك والملكوت بنظر الموهبة وكثرة ذكر التهليل تورث فناء الصفات البشرية ، والإكثار من الصلوات على النبي ﷺ يورث الواقعات الحسنة ، ويحصل الانكسار والتواضع من كثرة النوافل ، ويزيد النور والصفاء من كثرة التلاوة ، وذكر التهليل مفيد في الطريقة بشرط ملاحظة المعنى ، وأما مجرد تكرار اللفظ فهو من بضائع ثواب الآخرة .

وقال : إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمر لنسبة الجذبة الإلهية ، ويفيد النفي والإثبات في السير والسلوك وقطع مسافة الطريقة ٢٨ هامش .

وذكر الشيخ العارف علي الواعظ ابن حسين الهروي عن مولانا علاء الدين محمد العطاري ﷺ : أن طريق المراقبة أعلى وأقرب إلى الجذبة من طريق النفي والإثبات ، ويمكن الوصول من طريق المراقبة إلى مرتبة الوزارة والتصرف في الملك والملكوت . والإشراف على الخواطر والنظر بنظر الموهبة وتنوير البواطن كل ذلك من دوام المراقبة ، ويحصل من ملكة المراقبة دوام الجمعية ودوام قبول القلوب ، ويسمى ذلك بالجمع والقبول ، وقال : لما ذهبت في الابتداء إلى خوارزم كنت مشتغلا بحسب الباطن مع كل من الأصحاب باختيار باطنه ليعلم أنه هل لهذه الصفة بقاء أم لا ، فحصلت من ذلك الاشتغال فائدة عظيمة وبقيت تلك الملكة « رشحة » ٧٢ .

فصل

في بيان الطريق الذي وضعه أهل الله تعالى للوصول إلى الحق سبحانه وتعالى

ولهذا الطريق أسباب وأمور ، فمن ذلك الطريق الذي هو سبب الوصول المراقبة ، وقد ذكرنا المراقبات المشهورة بين كمّل المشائخ من هذه الطريقة الصديقية التي هي أعلى الطرق وأزكاها ، ونذكر هنا حقيقة المراقبة وما فيها من كلام السادات .

قال أبو العباس أحمد زروق ﷺ : تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة لنفي الصوارف عن القلوب ، فلزم الاهتمام بها لمن له في ذلك أدنى قدم .

والخواطر أربعة : رباني بلا واسطة ونفساني وملكي وشيطاني ، وكل إنما يجري بقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه ، فالرباني لا متزحزح ولا متزلزل كالنفساني ، ويجريان لمحبوب وغيره .

فما كان في التوحيد الخاص فرباني ، وفي مجاري الشهوات فنفساني ، وما وافق أصلا شرعيا لا يدخله رخصة ولا هوى فرباني ، وغيره نفساني ، ويعقب الرباني برودة وانشراح ، والنفساني يبس وانقباض ، والرباني كالفجر الساطع لا يزداد إلا وضوحا ، والنفساني كعمود قائم إن ينقص بقي على حاله ، فأما الملكي والشيطاني فمترددان ، ولا يأتي الملكي إلا بخير والشيطاني قد يأتي به فيشكل ، ويفرق بأن الملكي تعضده الأدلة ويصحبه الانشراح ويقوى بالذكر ، فأثره كغبش الصبح وله نفاذ ما بخلاف الشيطاني ، فإنه يضعف بالذكر ويعمى عن الدليل وتعقبه حرارة ويصحبه اشتعال وغبار وضيق وكزازة[1] في الوقت وربما تبعه كسل .

« ١ » أي ضيق .

فالشيطاني من يسار القلب والملكي من يمينه والنفساني من خلفه والرباني مواجه له ، والكل رباني عند الحقيقة ، ولكن باعتبار النسب ، فما عري عنها نسب للأصل ، وإلا فنسبته ملاحظة الحكمة ، ثم تحقيق هذا الأمر إنما يتم بالذوق ، فقد قالوا : من عقل ما يدخل جوفه عرف ما يهجس في نفسه .

واعلم أيها المأمون الموفق أن الوصول إلى الله تعالى الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى ، وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين ، وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه سبحانه وتعالى .

قال الجنيد رضي الله عنه : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير ، هيهات هذا ظن عجيب ، إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان .

وقال السهروردي رضي الله عنه في « عوارف المعارف » : واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار إليهما الشيوخ ، وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان ، فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون ، فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة التجلي ، فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار ، وهذه رتبة في الوصول .

ومنهم من يقف في مقام الهيبة والأنس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال ، وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول .

ومنهم من يرتقي إلى مقام الفناء مشتملا على باطنه نور اليقين والمشاهدة معمى في شهوده عن وجوده ، وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين ، وهذه رتبة في الوصول ، وفوق هذه رتبة حق اليقين ، ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روح العبد وقلبه ونفسه حتى قالبه ، وهذا من أعلى مراتب الوصول .

فإذا تحققت الحقائق بعلم العبد من هذه الأحوال الشريفة أنه في أول المنزل فأين الوصول هيهات ، منازل طريق الوصول لا تنقطع أبدا الآباد في عمر الآخرة الأبدي ، فكيف بالعمر القصير الدنياوي ؟ !

والحاصل أن الوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى العلم به ، أي إلى مشاهدته بعين البصيرة مشاهدة تغني عن الدليل والبرهان ، ويعبّر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلي وبالفيض الرحماني والتعرف العياني والذوق الوجداني .

وحاصل كلام السهروردي تقسيم الوصول إلى ثلاث مراتب ، كلها ذات تجل وشهود ، لكنها اختلفت باختلاف التجلي .

فالأولى : تجلي الفعل بأن يكشف لصاحبها عن صدور الأفعال كلها من الله تعالى ، فلا يمكنه رؤية الفعل من غيره مع ذلك ، وإنما ينكشف ذلك لبصيرته ، فمهما رأى فعلا من الأفعال أو نظر أثرا من الآثار من حيث أنه صنع الواحد ، فلا يرى السماء والأرض والحيوان والشجر من حيث أنها أرض وسماء وحيوان وشجر ، بل من حيث أنها صنع الله تعالى ، فمن ناظرها من هذه الحيثية كان ناظرا إلى الله تعالى ، وهو الذي يقال فيه أنه فني في التوحيد وفني عن نفسه ، وإليه الإشارة بقول بعضهم : كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بالله . وفي هذا المقام يسقط التدبير والاختيار ، وذلك أساس الطريق وعمدته ، وصاحب هذا المقام صاحب مقام علم اليقين .

والثاني : تجلي الصفات الجمالية من كرم وحلم ورفق وإحسان ورحمة ولطف وعطف وفضل وامتنان التي هي منشأ الأنس ، والجلالية من بطش وسطوة وعزة ونقمة التي هي منشأ الهيبة ، وهذا صاحب تجريد وتفريد أي لا يفعل الطاعة لأجل الأغراض الدنيوية أو الأخروية ، بل ما كوشف به من العظمة يقتضي أنه يؤديها عبودية وانقيادا ، فهو مجبول على قصد الأغراض ولا يرى نفسه فيما يأتي ، بل يرى نعمة الله عليه ، فهو صاحب فناء لفنائه عن السوى ، وبقاء لشهوده صفات الحق ، ولفناء صفاته المذمومة وبقاء صفاته

المحمودة ، وصاحب هذا المقام صاحب عين اليقين ، له سكر بما فاجأه تجلي نور الجمال والجلال يزيد على سكر صاحب علم اليقين .

والثالث : تجلي الذات المقدسة بما يتكامل من تشعشع أنوار قلبه في اليقين ، فيستولي على قلبه أنوار الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس ، وليس من ضرورته الفناء ، بل الكامل في ذلك هو الذي يكون في غاية الصحو يجمع بين الحق والخلق .

فعلم من ذلك أن قربك من الله سبحانه وتعالى أن تكون مشاهدا لقربه منك قربا معنويا ، فتستفيد من هذه المشاهدة شهود المراقبة في التأدب بآداب الحضرة ، ولو لم نقل ذلك بل أردنا القرب الذي هو من صفات الأجسام ، فهذا لا يصح لأن ذلك مستحيل على الله تعالى ، فمن أين أنت ووجود قربه قربا حسيا ، فالقرب الحقيقي قرب الله منك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ .

فحظك أنت من ذلك إنما هو مشاهدتك لقربه فقط ، وأما حقيقة قربك فليس لك منه شيء ، ولا يليق بك إلا وصف البعد وشهوده من نفسك ، وفي مناجاة ابن عطاء الله قدس سره : إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك .

لكن ينبغي للعبد أن لا ييأس من قبول العمل إذا لم يجد فيه حضور قلب ، فإن ذلك إلى الله تعالى ، فقد يقبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور أو حلاوة أو غير ذلك ، ولو لم يكن إلا قصد التقرب به وسقوطه عن نظرك لكان كافيا ، وقد تقدم أن من علامات قبول العمل نسيانك إياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية ، وتقدم أيضا قول « الحكم » : لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده انتهى كلام العارف السيد ابن زيني دحلان قدس سره ، وقد بسطت كلامه لكثرة منافعه وحلاوة مآثره ، فلله در العارف حيث بسط ما يغني عن جوع وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال بعض العارفين : الوصول عندي حصول نسبة الحضور بالله للقلب على سبيل الذوق والذهول عما سواه تعالى ، فإن كانت تلك النسبة متصلة فقد تشرف صاحبها بدوام الوصل . انتهى

وقال أيضا : الوصل في الحقيقة اجتماع القلب بالله تعالى على سبيل الذوق ، فإن كان حصول هذا المعنى على سبيل الدوام يقال له وصل دائمي ، وهذا هو النهاية .

وما قاله حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺ : نحن ندرج النهاية في البداية ، فالمراد به هو ذلك الوصل .

وما قاله : إنما نحن واسطة في الوصول لا غير ، فينبغي الانقطاع عنا والاتصال بالمقصود هو ذلك الوصل .

وقال : لو كان لهذه النسبة قدر ما عندكم لحملتم الأحجار فوق رؤسكم ، يعني لتحصيلها وحفظها . انتهى ما في « الرشحات » ٢١٢ .

وفي « جواهر » ج٢ في ٦٥ : اعلم أن الطاعة سبب للوصول إلى الجنة ، والأدب في الطاعة سبب لقرب الحق سبحانه . وذهبت كملاء المشائخ قدس الله أرواحهم إلى أن اللازم للمريد في الابتداء تصفية الباطن ، فيشتغل بالتصفية والتزكية حتى يحصل دوام المراقبة بتمام الحضور ، وإلا يزيد دنس القلب ومرضه بكل عمل صالح يؤديه على وجه الكمال . اهـ

وإن في كل نفس خزينة ، فينبغي أن يكون واقفا ، فإن الله تعالى حاضر وناظر ، وينبغي الاستحياء من الله تعالى وأن لا يغفل عنه فإن الله سبحانه يقول تشنيعا للغافلين وتوبيخا لهم : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ ، يعني ليس في جوف بني آدم قلبان حتى يجعل أحدهما مشغولا بالدنيا والثاني بالحق سبحانه وتعالى ، بل فيه قلب واحد ، فإن جعله مشغولا بالدنيا يبقى بلا حظ من الله تعالى ، وإن كان متوجها به إلى الله تعالى تنفتح من قلبه كوة إلى الله فتشرق منها إليه شمس الفيض الإلهي .

فكما أن الشمس إذا طلعت تكون كل ذرة من ذرات العالم محفوفة من نورها من المشرق إلى المغرب وينبسط نورها على الكل ، فإن كان بيت لا روزنة له ولا كوة يبقى محروما من ذلك النور البتة ، كذلك القلب إن كان حاضرا فحضوره بمثابة الكوة يشرق إليه منها نور فيض الوجود ، وإن كان غافلا يفوت عنه الاحتظاظ بذلك النور ، كالبيت الذي لا كوة فيه ، ولا نقص في فيض الإله ولا بخل ، ولكنما النقصان في نفس قابل . ذكره الشيخ عبيد الله أحرار قدس سره .

واعلم أن للوصول طريقين : الجذبة والسلوك ، وبعبارة أخرى : التزكية والتصفية ، والجذبة التي قبل السلوك ليست من المقاصد ، والتصفية التي قبل التزكية ليست من المطالب .

والجذبة التي تكون بعد تمام السلوك والتصفية التي تكون بعد حصول التزكية الكائنة في السير في الله من المقاصد المطلوبة ، فالجذبة والتصفية السابقة لأجل تسهيل السلوك على السالك ، وبدون السلوك لا ينال المطلوب وبلا قطع المنازل لا يظهر جمال المحبوب ، فالجذبة الأولى كالصورة للثانية ، وفي الحقيقة لا مناسبة بينهما .

فالمراد من اندراج النهاية في البداية اندراج صورة النهاية ، وإلا فحقيقة النهاية لا تسعها البداية . اهـ « البهجة السنية » ، مكتوب ٩٩

وقال قطب المشائخ حضرة خواجه بهاء الدين النقشبندي الأويسي قدس سره : معرفة كيفية التحول والانتقالات من صفة إلى صفة في غاية الإشكال .

و قد قال قدس سره : إن الطريق الذي بواسطتها يصل العارفون ويجدون معروفهم وغيرهم لا يجدون ثلاثة : المراقبة والمشاهدة والمحاسبة :

فالمراقبة – وقد ذكرناها في مواضعها غير مرة – وهي نسيان المخلوق بدوام النظر إلى الخالق ، يعني أن السالك ينبغي أن يكون ناظرا لجناب الأحدية ويرقم الفناء والعدم على ناصية جميع المخلوقات . ودوام المراقبة نادر ، وطريق حصولها وجدناه في مخالفة النفس .

والمشاهدة واردات غيبية تنزل على القلب بواسطة أن الزمان الماضي لا سكون له لا يمكننا إدراك ذلك الوارد على صفة يكون حالا فينا ، ولكن ندركه من القبض والبسط ، ففي القبض نكون مشاهدين للجلال ، وفي البسط نشاهد صفة الجمال .

والمحاسبة هي أن كل ساعة تمر علينا نحاسب أنفسنا فيما مر فيها هل مر بالحضور أو بالتفرقة ، فتجد الكل نقصانا فيشرع في العمل من رأسه .

وكان حضرة العزيزان ﷸ يقول : ينبغي لك أن تعمل وينبغي لك أن تنظر أنك لا تعمل ، وتنظر نفسك بعين الحقارة وتأخذ العمل من رأسه .

وقال الخواجه ﷸ : في هذا الحال نحن واسطة دولة الوصول ، فينبغي الانقطاع منا والاتصال بالمقصود .

وسنة أرباب التكميل والاتصال هكذا أن يربطوا أطفال هذا الطريق في مهد الحقيقة ويسقوهم ثدي التربية إلى أن يصلوا إلى حد الوصال ، وبعد ذلك ليسجوهم« ١ » عن ذلك اللبن بنوع خاص ويجعلونهم محرما لمقام حضرة الأحدية حتى يقدروا على حصول الفيض من حضرة الأحدية بغير واسطة ، فإنه لا يمكن الوصول إلى المقصود إلا بالدليل والخفير ، ولو وجد الواصل عمر الدنيا وصرفه في شكر الموصل له إلى هذه السعادة لما وفى بذلك . انتهى

وقال الإمام الرباني ﷸ في « مكتوباته » ٢٠٦ : إن أمثال هذه الكلمات يظهر لمبتدئ هذا الطريق كثيرا في أوائل الإقدام ، وهم لا يعتبرونها أصلا بل ينفونها ، وأين الوصل وأين النهاية ؟

كَيْفَ الوُصولُ إلى سُعادَ وَدونَها   قُلَـلُ الجِبـالِ وَدونَـهُـنَّ حُتوفُ

« ١ » سجى أي سكنَ وفتر .

والله سبحانه وتعالى منزه عن الكيف والمثال ، وكل ما هو داخل تحت الرؤية والإدراك والشهود والمكاشفة فهو غيره سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه وراء الوراء ، فلا تغتروا أصلا بجوْز هذا الطريق وموزه مثل الأطفال .

وقال المشائخ الكرام : منازل الوصول لا يقطع أبدا الآباد في العمر الأخروي الأبدي ، فكيف في العمر القصير الدنيوي . اهـ

وقال بعض العارفين : أول ما يتنبه العبد للعبادة ويستيقظ من سنة الغفلة وتتوق نفسه إلى الانخراط في سلك السعداء ، يكون بخطرة سماوية وجذبة إلهية وتحريك رباني وتوفيق سبحاني ، وهو المعني بقوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ، والمشار إليه في كلام صاحب الشرع ﷺ بقوله : « إن النور إذا دخل في القلب انفسح وانشرح » ، فقيل : يا رسول الله هل لذلك علامة يعرف بها ؟ فقال : « التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله » . « كشكول » ٢٣٩ .

وذكر العلامة خاتمة المحققين الشيخ محمد مراد المنزلوي ثم المكي قدس سره في هامش « المكتوبات » ما نصه : ومنها أن السالك إذا وقع سيره في تفاصيل الأسماء والصفات صار طريق وصوله إلى حضرة الذات جل سلطانها مسدودًا فإنه لا نهاية للأسماء والصفات حتى يمكن الوصول إلى المقصد الأقصى بعد قطعها ، وقد أخبر المشائخ من هذا المقام بأنه لا نهاية لمراتب الوصول ، فإنه لا نهاية لكمالات المحبوب .

والمراد بالوصول هنا وصول إلى الأسماء والصفات ، والمسعود هو الذي يقع سيره في الأسماء والصفات بطريق الإجمال وصار واصلا إلى حضرة الذات بالسرعة .

والواصلون إلى الذات يلزمهم الرجوع للدعوة بعد وصولهم إلى نهاية النهايات ، وعدم الرجوع غير متصور في ذلك الموطن ، بخلاف المتوسطين فإنه لا يلزمهم الرجوع بعد وصولهم إلى نهاية استعدادهم ، بل يمكنهم أيضا أن يرجعوا ، ويمكنهم أيضا أن لا يرجعوا ويختاروا الإقامة هناك .

فمراتب الوصول متصورة إلى المنتهين بالتمام بل لازمة ، وأما المتوسطون الذين سلكوا مسلك تفاصيل الأسماء والصفات فلا نهاية في حقهم لمراتب الوصول ، وهذا العلم من جملة العلوم المخصوصة بالفقير والعلم عند الله سبحانه وتعالى . اهـ ١٤٨ .

وقال أيضا في ٢٣ : ومنها أن نزول الواصلين إلى نهاية النهاية هو عين هذا النزول إلى غاية الغاية ، ومتى وقع النزول بتلك الخصوصية يكون صاحب الرجوع متوجها إلى عالم الأسباب بكليته ، لا أن بعضه متوجه إلى الحق وبعضه الآخر إلى الخلق ، فإن هذا علامة عدم الوصول إلى نهاية النهاية وعدم النزول إلى غاية الغاية .

وغاية ما في الباب يقع للطائف صاحب الرجوع توجه خاص إلى الجناب الأقدس جل سلطانه وقت أداء الصلاة التي هي معراج المؤمن ، ويبقى هذا التوجه إلى تمام الصلاة ، وبعد الفراغ منها يكون متوجها بكليته إلى الخلق ، ولكن المتوجه إلى جناب القدس وقت أداء الفرائض والسنن هي اللطائف الست ، وفى وقت أداء النوافل ألطف تلك اللطائف فقط يمكن أن يكون في حديث : « لي مع الله وقت » إشارة إلى هذا الوقت المخصوص والقرينة على تعيين تلك الإشارة في حديث : « وقرة عيني في الصلاة » ، والعلاوة« ١ » على هذه القرينة الكشف الصحيح والإلهام الصريح ، وهذه المعرفة من المعارف المخصوصة لهذا الدرويش الخ . هامش « مكتوبات »٢٢

وأما المشائخ فقد اعتقدوا الكمال في الجمع بين التوجهين والأمر إلى الله سبحانه وتعالى والسلام على من اتبع الهدى . اهـ

وقال القطب الشعراني ﵁ في « اليواقيت » في ١١٢ : وسمعت سيدي عليا الخواص ﵀ يقول : أكمل الورثة للأنبياء هم المجتهدون ﵃ ، لظهور قيامهم بالإرث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها ، بخلاف الصوفية عرفا إنما هم معدّون لتعليم الأخلاق الباطنية في الغالب . انتهى

« ١ » أي الزيادة .

وسمعته أيضا يقول : المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع ، لكون الشارع أمره أن يعمل بكل ما أدى إليه اجتهاده . وسمعته أيضا يقول : الاجتهاد وإن كان مبناه على الظن فقد يكون منتهاه إلى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين ، انتهى وقد ذكرناها في موضعها .

واعلم أن طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند السادات أربعة« ١ » على ما في « الحديقة » :

الطريق الأولى : وهي الأعلى والأقوى محبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب المشروط بثلاثة شروط : **الأول** أن يصحبه خدمة له وانتسابا إليه وافتخارا به وإقبالا عليه ، **الثاني** أن لا يعترض شيخه ولا ينكر عليه فعلا من أفعاله مطلقا ظاهرا وباطنا ، ويعد خطرات وهمه ذنوبا يستغفر الله تعالى منها ، لأن شيخه بيد الله تعالى والله تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولكنه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره ، **الثالث** أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل - كما ذكرنا هذه غير مرة - لا يخالفه في شيء مطلقا ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبدا .

وتلك الصحبة تكون مقرونة بأصلين هما كمال اتباع النبي ﷺ ومحبة الشيخ ، وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر ، فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ثم يصل إلى المريد ، وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه ، فهما شيخان مجازا وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد .

« ١ » وقال أبو سعيد القرشي ﵁ : الواصل الذي يصله الله تعالى فلا يخشى عليه القطع أبدا والمتصل الذي بجهده يتصل وكلما دنا انقطع وكان هذا الذي ذكره حال المريد والمراد لكون أحدهما مبادئا بالكشوف وكون الآخر مردودا إلى الاجتهاد ، وقال ابو يزيد﵁ : الواصلون في ثلاثة أحرف : همهم لله تعالى وشغلهم في الله تعالى ورجوعهم إلى الله تعالى ، وقال الساري ﵁ : الوصول مقام جليل وذلك أن الله تعالى إذا أحب عبدا أن يوصله اختصر عليه الطريق وقرب إليه البعيد ، وقال الجنيد ﵁ : الواصل هو الحاصل عندي ، وقال رويم ﵁ : أهل الوصول أوصل الله قلوبهم إليه فهم محفوظون القوى ممنوعون من الخلق أبدا « عوارف » .

وقال العارف عبد الغني النابلسي قُدِّسَ سِرُّهُ : ورسم ما يتخيله السالك من معاني التجليات الإلهية وقت حضوره معها بها لا بنفسه إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجه الرباني والإمداد الرحماني ، فتارة يتأتى بالإلقاء الإلهامي من القلب إلى القلب مع صدق الحال ، وتارة يتأتى بتقرير العبارات وتبيين الإشارات ، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة ، وشرطها كمال الصدق من الطرفين ، فيسري الحال الصادق بأمر الله في المريد الصادق ، وتارة ينظر الشيخ الصادق من قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه : « كنت بصره الذي يبصر به » في حديث التقرب بالنوافل ، وتارة ينظر المريد الصادق من قوله ﷺ : « إذا رؤوا ذكر الله » ، وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء والإخلاص في الخدمة والأدب مع المشائخ والإخوان والعلماء وحفظ حرمتهم غيبة وحضورا .

الطريق الثانية : الرابطة ، وهي طريق مستقل للوصول ، هي عبارة عن ربط القلب ، وقد ذكرنا في الرابطة بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ، فرؤيته بمقتضى « إذا رؤوا ذكر الله » بها تحصل الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » . ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح ، والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المرء مع من أحب » ، فيحفظ الصورة ويتحقق ويتصف بأوصاف الشيخ وأحواله التي له .

وقيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله تعالى كما ذكرناه ، وإن وجد في إحضار الصورة سكرا أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة ، فيكون متوجها إلى ذلك الحال ، كما نقل في مقامات النقشبندي قُدِّسَ سِرُّهُ أنه كان واحد من الصوفية مشغولا بطريق الرابطة ، وكان يوما في مجلسه متوجها إلى الصورة فوجد أثر الغيبة وما التفت إليها ، فقال خواجه نقشبند قُدِّسَ سِرُّهُ : خلني وكن متوجها إلى تلك الغيبة ، لأن زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم .

وإن هذه الرابطة مثل الصحبة كافية للانعكاس والانصباغ ، لأن الرابطة تجعل المريد في حماية ولاية شيخه بأن يكون ذلك المريد محفوظا عن الخلاف في جميع أحواله حتى يكون فانيا في الشيخ بترك اختيار نفسه باقيا مع اختيار شيخه فتنعكس إلى قلبه بواسطة الشيخ الأنوار الإلهية ثم لايزال المريد مع شيخه كذلك حتى يترقى من انعكاس تلك الأنوار بواسطة شيخه فلذلك قال بعض العارفين : أدخل الشيخ في قلبك وأسكنه فيه ولا تخرجه حتى تصير عارفا بسببه لأن المشائخ ينابيع الفيوضات الإلهية فمن أدخل المنبع في بيته فقد نال فيضه .

الطريق الثالثة : الالتزام بما لقنه من الأذكار ، وهو طريق مستقل أيضا للوصول ، وللذكر آداب كثيرة سبق تفصيلها وسيأتي بعضه .

الطريق الرابعة : التوجه والمراقبة ، وقد ذكرنا تفصيلها والحمد لله رب العالمين « جامع الاصول » ١٦٥ .

وقال ابن عطاء الله ﷾ في « الحكم » : وصولك إلى الله تعالى وصولك إلى العلم به ، وإلا فجل ربنا أن يتصل هو بشيء . الوصول إلى الله تعالى الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى ، وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين ، وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه .

وقال الجنيد ﵁ : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير ، هيهات ، هذا ظن عجيب ، إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان .

قال الشيخ أبو حفص عمر ابن محمد بن عبد الله السهروردي ﷾ صاحب كتاب « عوارف المعارف » : واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار إليهما الشيوخ ، وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ، ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال ، وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ، ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار ، وهذه رتبة في الوصول . ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال ، وهذا تجل بطريق وهو رتبة في الوصول . اختصارا « حكم » ٣٢ .

فصل

في الخلوة والجلوة والخمول والأربعينيات وشروطها

اعلم أيها المؤمن الصالح أن الله تعالى ألهم لأوليائه أحسن أسبابه لإقامة الدين الحنيفي وما يكون سببا لمعرفته سبحانه وتعالى ، ليحصل بها صفاء قريحتهم من الأوساخ النفسية ولتتطهر النفس الأمارة من الرعونة ليدخل في قلب وقالب من شاء من عباده نور ربوبيته وجوهر صمديته .

وقد ألف الصالحون لأجلها على العزلة والخلوة وروّضوا أنفسهم عليها لكون العزلة والخلوة من أعلى الأسباب لتزكية القلب ، وللخلوة عندهم شروط نذكرها إن شاء الله تعالى ، ولها كيفيات مختلفة شتى على حسب مقتضى أربابها .

واعلم أيها الأعز أن الخلوة أخص من العزلة ، وهي بوجهها وصورتها نوع من الاعتكاف ، ولكن لا في المسجد ، وربما كانت فيه ، وقد يكون عند بعض المشائخ موضعا معدا لذلك ، وذلك مما لا يستحسنه أرباب الطريقة النقشبندية خوفا من الشهرة وستراً للحال .

وأكثرها عند القوم لا حد له ، لكن السنة تشير للأربعين بمواعيد موسى عليه السلام ، والقصد في الحقيقة الثلاثين ، إذ هي أصل المواعدة ، وجاوز عليه الصلاة والسلام بحراء شهرا كما في مسلم ، وكذا اعتزل من نسائه ، وشهر الصوم واحد ، وزيادة القصد ونقصانه كالمريد في سلوكه وأقلها عشرة ، لاعتكافه عليه الصلاة و السلام للعشر ، وهي للكامل زيادة في حاله ولغيره ترقية ، ولا بد من أصل يرجع إليه .

والقصد بها تطهير القلب من أدناس الملابسة وإفراد القلب لذكر واحد وحقيقة واحدة ، ولكنها بلا شيخ مخطرة ، وله فتوح عظيمة ، وقد لا تصح بأقوام ، فليعتبر كل أحد بها حاله ، ولكن لا بد من إذن شيخ الصحبة وأمره حين بلغ إلى مقام الخلوة ووقتها معلوم لشيخه ، وإلا فالخلوة بنفسها خطر

عظيم والله ولي التوفيق ، وبها يكون فراغ القلب إن كانت بمصلحة مرشد كامل للعبادة والمعرفة المطلوبة .

وعلى قاصدها يلزم الزهد وإسقاط الكلف واختيار الأدنى وترويض النفس قبل الدخول على الأخلاق الحسنة والقناعة ، لأن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

ومن الشواغل الأحداث سنا أوعقلا ودينا« ١ » ، فلذا نهي عن صحبتهم ، إذ التلون مانع من الراحة ، ولذا أمر بمجانبة الصحبة وإيثار العزلة ، سيما في هذه الأزمنة ، لكن بشرطها لا كما يفعله جهلة المتشيخين ، وهي كفايته عن الخلق وكفايتهم عنه في الضروري دينا ودنيا مع سلامتهم من سوء ظنه وإقامة الشعائر الإسلامية من الواجبات والسنن المؤكدة ، كما قال أبو العباس أحمد ﷺ .

قال القطب الشعراني ﷺ في « لطائف المنن » : وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : الكامل هو من يُسلك الناس وهم في حرفهم ، لأنه ما ثم سبب مشروع إلا وهو مقرب العبد إلى حضرة الله تعالى ، وإنما يُبعد الناس من الحضرة الإلهية عدم إصلاح ذات بينهم في ذلك الأمر ، سواء العلم والعمل وسائر الحرف المشروعة .

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : إنما يستلذ بالبطالة وتعطيل السد من فسد حاله وقلّت مروته ، فآثر الدعة والراحة وتحمَّل منن الخلق وانتظرهم أن ينفقوا عليه كالنساء ، ولو كان عند هذا بعض مروة لقدم مرارة السبب والمشقة على حلاوة التلذذ بالمأكل والمشرب والملبس من صدقات الناس . انتهى

وكان يقول : استغناؤكم بالشيء أحسن من ادعائكم الكمال في الطريق وأنتم محتاجون إلى الناس ، فإن الحاجة إلى الناس تنافي ادعاء الكمال .

« ١ » المقصود قليل الدين .

وكان يقول : لا تتركوا الأسباب لما تجدونه من قوة اليقين ، فإن ذلك لا يدوم وربما عاقبكم الله ﷻ بقوله : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ .

فإن قيل : إن غالب مشائخ العصر لا حرفة بيدهم فكيف كمالهم ؟ فالجواب : إنهم لما اشتغلوا بالله ﷻ كل الاشتغال رزقهم من حيث لا يحتسبون ممن لا منة عليهم في الدنيا ولا حساب عليهم في العقبى ، فأين أنت منهم يا بطال ، فكلامنا مع المريدين لا مع العارفين والحمد لله رب العالمين .

ومما عمت به البلوى في هذا العصر أن الدجالين المتشيخين يُسلكون الناس في شرذمتهم وأروا لهم للتلقين طريقة ابتدعوها من أنفسهم لم تعهد من القوم ولم تسمع من أربابها ويجلبون حطام هذه الفانية باسم الدين والطريقة ، ويجلبون الأغنياء خاصة ، ولا يسألون من الحرام والحلال ، ويستحلون ما وقع في أيديهم والناس يبذلون لأجل الثناء والرياء أموالا وعطايا ، ويمتنعون عن آداء حقوق الناس التي يجب آداؤها فرضا ، ويظنون أن ذلك حسن ويحسنون صنعا أولئك هم الأخسرون الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويحسبونه هينا ، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا ولهم فىالآخرة عذاب أليم .

وقال في « لطائف المنن » : كان مبنى طريق الشاذلي والنقشي على الجمع على الله تعالى وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر ، وكان لكل مريد سبيل يحمله عليه ، فيسلك كل واحد بالسبيلِ الذي يناسبه ، وكان يأمر أصحابه بالجمع على محبته ، وكان لا يأمر أحداً بترك حرفته أو تجارته ، بل يعرفه الطريق وهو باق على حاله ، وكان يكره كل من ينادي على سر صاحبه بالإفشاء ، وكان يقول عن شيخه : اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري ، فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فرِدوا ، وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له .

وكان أبو العباس قدس سره يحث على الحرفة ويقول : عليكم بالسبب ، وليجعل أحدكم مكوكه« ١ » سبحته أو تحريك أصابعه في الخياطة . انتهى

أخرج أبو الشيخ والضياء المقدسي قدس سره قال عليه الصلاة و السلام : « من أخلص العبادة لله تعالى أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ، وابن ماجه : « من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها »عن عثمان

وقال شيخ شيخنا قدس سره : واعلم أن التوفيق للعزلة دليل سعادة الأبد ، لأن من خلط الناس داراهم ومن داراهم راآهم ، ومن راآهم نافقهم ، ومن نافقهم استحق الدرك الأسفل من النار بنص كتاب العزيز ، وعليك بمحو اسمك من صحائف القلوب وصفائح الألسن ، فإن العرفاء مظاهر بلاء ، والخامل كامل ، وطالب الاسم والرسم ظاهره عامر وباطنه خراب ، وطالب الحق والحقيقة باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

وقال سيدي أبو المواهب قدس سره : لا تصلح العزلة إلا لمن تفقه في دينه ، وقد كان السلف يشتغلون أولا بالعلم إلى سن الأربعين ، ثم يعتزلون للاستعانة بالعلم على العمل بما علموا .

وقال رضي الله عنه : دليلنا في القول بالخلوة ما صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حراء حتى جاءه الوحي ، فدل على أن الخلوة حكم مرتب عليه الوحي وذريعة مجيء الحق وظهور نور الله تعالى .

وقال رضي الله عنه : من شرط الخلوة الطي يعني ترك الأكل أو تقليله ، وله تأثير كبير ، واختار القوم الأربعين لأن الأربعين فيها يكون نتاج النطفة علقة ثم مضغة ثم صورة ، وهي مدة الدر في صدفه وعدد أيام توبة داود عليه السلام . « تقريب » ٢٨ .

« ١ » المكوك كرة من المَعدن أو نحوه يُلفّ عليها الخيط تستعمل في الخياطة .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ في « الشطحات » : لا تقاس هذه السلسلة العلية على كل زمّار ورقّاص ، فإن نسبتهم عالية جدا ، وقد جلس خواجه أوليا من كبار أصحاب خواجه عبد الخالق قدس سرهما الأربعين لأجل مراقبة الخواطر في باب مسجدٍ من مساجد بخارى ، وهذ أمر خارج عن طور العقل ودائرة الإدراك ، وسألوه عن الخلوة في الجلوة ، قال : هي أن تمشي في الأسواق ولا تسمع أصوات أهلها ، وكان لهؤلاء الأكابر أمثال هذه المشغولية والمفاخر ، ولا ينبغي أن يعد هذا الطريق أمرا سهلا .

وقال ﷺ : لا تعتقدوا طريقة خواجكان شيئا سهلا .

وكان خواجه محمد پارسا ﷺ مع كونه في نهاية الكمالات الصورية والمعنوية لا يفارق رسائل خواجكان ﷺ أبدا خصوصا « الرسالة القدسية » منها ، فإنه كان لا يتركها أصلا ، بل كان يطالعها دائما لكونه مما لا بد منه . انتهى

وقال العارف ابن عطاء الله ﷺ في « الحكم » : ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم تدفن لا يتم نتاجه .

لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لأن ذلك من أعظم حظوظه التي هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها ، وقد تسمح نفس المريد بترك ماسوى هذا من الحظوظ ، ومحبة الجاه وإيثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو مطالب بها .

قال إبراهيم بن أدهم ﷺ : ما صدق الله من أحب الشهرة .

وقال بعضهم : طريقتنا هذا لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل .

وقال أيوب السختياني ﷺ : والله ما صدق الله عبد إلا سرّه أن لا يشعر بمكانه .

وقال رجل لبشر بن الحارث ﷺ : أوصني ، فقال : أخمل ذكرك وأطب مطمعك .

وقال بعضهم ﷺ : ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح .

وقال أيضا : لا يجد حلاوة الآخرة من أحب أن يعرفه الناس .

وقال الفضيل ﷺ : بلغني أن الله ﷻ يقول في بعض ما يمن به على عبده : « ألم أنعم عليك ، ألم أسترك ، ألم أخمل ذكرك ؟ ! » .

ثم إن تلك الأشياء الراجعة إلى محبة الاشتهار والاستعلاء مما يقدح في إخلاص العبد على اختلاف مراتبه ، لأنه إما بسقوط الناس عن النظر إليهم أو سقوط النفس عن النظر إليها ، ولا يثبت للمريد جميع ذلك إلا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس ، لأنه إن لم يكن بهذه المثابة لم ينفك عن الأغراض التى تبعثه على استمالة قلوب الخلق ، لما يرى لنفسه عليهم من الحق ، فتدعوه نفسه إلى ذلك دعاء خفيا ، فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن له . انتهى

وقال أيضا : فإذا أخمل العبد نفسه وألزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لصفته ألما ولا لمذلته طمعا ، فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الإخلاص قلبه وينال من ربه أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية . اهـ .

وقال شيخ شيخنا ﷶ في « جامعه » ١٥٢ : واعلم أن العزلة والخلوة معروفتان ، وهما مطلوبتان شرعا ، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم ﵇ : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾

وقال النبي ﷺ : « خير الناس من يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، ثم رجل يعبد الله في شعب من الشعاب ويدع الناس من شره » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أحب الناس إلى الله الفرارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم يوم القيامة »

وقال أهل الحقيقة : الخلوة صفة أهل الصفوة ، والعزلة من أمارات الوصلة ، ولا بد للمريد من العزلة عن أبناء جنسه في ابتداء حاله ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه .

والعزلة نوعان : عزلة العوام وهي مفارقة الناس بجسده طالبا لسلامتهم من شره ، لا لسلامته من شرهم ، فإن العزلة على الوجه الأول صفة الأتقياء لأنها نتيجة احتقار النفس واستصغارها ، وعلى الوجه الثاني صفة الشيطان ، لأنها أنفة وعار من خلق الله ، وتَكَبُّرُ إبليس معناه أنا خير منه ، وإلى العزلة الأولى وقعت الإشارة بقوله عليه الصلاة و السلام في الحديث السابقة : « ويدع الناس من شره » .

وقيل لبعض الرهبان : أنت راهب ؟ فقال : لا ، بل أنا حارس كلب عقور عن أذى الخلق وهو نفسي أخرجتها من بين الخلق ليسلموا منها .

ومر رجل ببعض الصالحين فجمع ذلك الصالح ثيابه عن المار فقال له الرجل : لم تجمع ثيابك عني وثيابي ليست بنجسة ؟ فقال الشيخ : وهمت في ظنك ، ثيابي هي النجسة فجمعتها عنك لكيلا تنجسك .

والعزلة الثانية عزلة الخواص ، وهي مفارقة الصفات البشرية إلى الصفات الملكية وإن كانت للناس ومجاوراتهم« ١ » ، ولهذا قالوا : العارف كائن بائن ، معناه كائن بظاهره مع الناس ، بائن عنهم بباطنه وسرّه .

وقال أبو علي الدقاق ﵁ : البس مع الناس ما يلبسون وكل معهم ما يأكلون ، وانفرد بسرك .

وفي العزلة فوائد : منها السلامة من الغيبة والرياء والنفاق والاشتغال بزينة الدنيا ولهوها ، والأمان من ملل الأصدقاء ، وستر الفاقة عن العدو والشامت والصديق المتوجع ، والتفرغ للنظر في العلم واستنباط الحكمة .

« ١ » أي وإن كانوا بين الناس ويجاورونهم بأجسامهم لكن قلوبهم في عزلة .

ومن أراد العزلة فينبغي أن يحصل قبلها من العلم ما يصحح به عقيدة توحيده لكيلا يهويه الشيطان بوساوسه وما يصحح به فرائض الله عليه ليكون بناء أمره على أصل محكم وأساس قوي .

وينبغي أن تكون عزلته خالية من ذكر كل شيء سوى ذكر ربه ، ومن إرادة كل شيء بعزلته سوى إرادة ربه ، ثم يؤاخذ نفسه في عزلته بتأديبها وتهذيبها بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات والعبادات .

والحاصل أن العزلة الحقيقية عند القوم اعتزال الصفات المذمومة ومفارقتها .

واعلم أنه قد خلط في طريق الخلوة والأربعينية قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وختم عليهم باب الغرور ، ودخلوا الخلوة من غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلوة بالإخلاص ، وسمعوا أن المشائخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفوا بغرائب وعجائب ، فدخلوا الخلوة لطلب ذلك ، وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال ، بل الخلوة والوحدة والعزلة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله ، بل قالو : لن يصفو للعاقل فهم الأخير إلا بإحكام ما يجب عليهم من إصلاح الحال الأول .

وأما المواطن التي تجب على السالك فهي أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخاليا من جميع المرادات إلا مراد ربه ، وخاليا من مطالب النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية .

وقال محمد بن حامد ﷺ : خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ، وشرهما في الكثرة والاختلاط ، فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال ، وظن أنه على أحسن حال ، وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها ،

وأقبلوا على ذكر من الأذكار واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ، ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين«١» والبراهمة والفلاسفة وجمع لهم تأثير في الصفاء مطلقا .

فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالإخلاص في جميع الفرائض والسنن ، وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب العلوم الرياضية مما تعتني به الفلاسفة والدهريون ، خذلهم الله تعالى ، وكلما كثر ذلك كثر البعد من الله تعالى ، ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخواطر وغير ذلك حتى يركن إليه كل الركون ، ويظن أنه قد ظفر بالمقصود ، والله يريد الاستقامة وأنت تطلب الكرامة .

وقد يفتح على الصديقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل ، وقد لا يفتح ولا يقدح في حالهم عدم ذلك ، وإنما يقدح الانحراف عن حد الاستقامة ، فما ينتج من ذلك على الصديقين يصير سببا لمزيد إيقانهم ، والداعي لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد والأخلاق الحميدة ، وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس به حتى يخلع ربقة الإسلام من عنقه وينكر الحدود والأحكام ويظن أن المراد من المعاملات ذكر الله تعالى ، ويترك متابعة الرسول ﷺ إلى تلحُّد وتزندق ويلوح بأنواع الخيالات ، ويظن أنه بوقائع المشائخ عارف من غير علم بحقيقة عوارف ومعارف .

واعلم أن من العزيمة أن يختار السالك العزلة ، وهي الوحشة والتفرد عما يشغله عن الله تعالى مما سواه .

ولذا قال عليه الصلاة و السلام : « القناعة راحة والعزلة عبادة » .

« ١ » جمع راهب وهو عابد النصارى .

وقد ذكر شيخ شيخنا في كتابه « جامع الأصول » ما لفظه : واعلم أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصول والسعادة إلا بالخلوة ، ولا بد منها للإرشاد التام لفعله عليه الصلاة و السلام ، فإنه حبب إليه الخلوة وكان يخلو بغار حراء فيتحنث أي يتعبّد فيه الليالي ذوات العدد ، حتى جاء الحق وهو في الغار ، وقد أمر بالدعوة إلى الحق لجميع الكفار .

وللخلوة خمسة وعشرون شرطا :

الأول النية مع الإخلاص بقطع مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية ، فإن صحة الخلوة مبنية على تلك القضية .

فالواجب على المريد الطالب للحق وإرادته أن يخلص له بقلبه وقالبه في جميع حركاته وسكناته ، وأن يقطع علائقه من الدنيا الفانية ويصحح غرضه ويصدق مع الله في السر والعلانية .

الثاني أن يستأذن الشيخ في دخول الخلوة وأن يجعل التواضع لديه طبعا ، ولا يدخلها بلا إذن الشيخ وحضوره قطعا .

الثالث أن يدخل الشيخ الخلوة ويصلي فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى بتسهيل الأمر عليه وأن يجعله فيها سعيدا .

الرابع أن يدخلها كما يدخل المسجد ، مقدما رجله اليمنى مبسملا متعوّذا من شر النفس والشّيطان بالله اللطيف ، مخلصا لربّه ومولاه منقطعا عمّا سواه .

الخامس أن لا يعلق همته بكرامة تحصل له ، فجميع المرشدين نفروا عن الميل إلى الكرامات جميع المريدين .

قال ابن عطاء الله ﵁ : ما أرادت همّة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا نادته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك ، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا نادته حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر .

السادس أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس ولا ضوء النهار ، فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة ، فَسَدُّ طرقها شرط لفتح خلاص القلب من الأغيار ، ويلازم الوضوء فإنه إذا داوم عليه أوشك ان تلألأ منه الأنوار الإلهية وتظهر عليه أتم الظهور لقوله عليه الصلاة و السلام : « الوضوء نور » .

السابع أن لا يستند إلى جدار الخلوة ولا يتكئ علي شيء ولو مبنيا ملاحظا قوله تعالى : « أنا جليس من ذكرني » ، ثم يلازم خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقته وهو معه بمعناه وبروحانيته .

الثامن أن تشغل قلبك بمعنى الذكر مراعيا معنى الإحسان الذي له هيأك وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

التاسع الصوم فإنه يصفي القالب من الرطوبات الحسية فيصفوا القلب من الكدورات البشرية .

العاشر أن يعتقد في نفسه أنه إنما يدخل الخلوة لكي يستريح الناس من شره .

الحادي عشر أن يكون السالك في خلوته متيقظا لأعدائه الأربعة : الشيطان والهوى والدنيا ونفسه ، وأن يكون تاركا لغفلته .

فكلما يتجلى له في الخلوة من الصور فيقول له : أنا الله ، أو يقول له : أن الشيء الفلاني هو الله ، فليقل : سبحان الله الذي ليس كمثله شيء آمنت بالله ، وليذكر جميع ما يراه ويخطرله شيخه ، ويشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره ، فإذا أفناه عن الذكر به أو أنامه فتلك المشاهدة أو النومة ، وسبيل التفرقة أن المشاهدة تترك في المحل شاهدها فتقع اليقظة واللذة عقبها ، وأما النومة فلا تترك شيئا فيقع عقبها الندم والاستغفار .

الثاني عشر أن لا يتكلم مع أحد في الخلوة أو خارجها إلا مع شيخه لغرض واقعة ضرورة البيان أو الخادم الذي أقامه الشيخ للفقراء فيكلمه بقدر حاجته ، أو إذا تعين الكلام عليه شرعا كخوف سقوط الأعمى .

الثالث عشر أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الأصوات ، فإن القلب الرقيق يؤثرفيه الخطرات المذمومة ولو يسيرا وأثر القليل عليه كثير .

الرابع عشر إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليغط رأسه ورقبته بشيء مطرقا إلى الأرض غير ناظر إلى أحد .

الخامس عشر المحافظة على صلاة الجمعة والجماعة ، فتركها خطأ وغلط . فإن وجد تفرقة في خروجه فليكن له رفيق يصلي معه في خلوته ، وإلا فليحضر مع الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام ، فإذا سلم الإمام انصرف إلى خلوته .

السادس عشر نفي الخواطر مطلقا ولا يشتغل بالتمييز بين الخاطر الإلهي والملكي والشيطاني والنفسي ، إذ التمييز بينها ومعرفة أقسامها لا يكون إلا بتحصيل أنواع الأنوار .

والمبتدئ لم يسلم له هذا المقام فينبغي أن ينفي الجميع لئلا يضيع أوقات حضوره مع الحق تعالى ، ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر والخلوة أن يتفكر في معنى آية أو الحديث أو غيرها إلا إذا ورد عليه معنى من المعاني في أثناء الذكر من التنبيهات الإلهية والواردات الحقيقية من غير تدنيس لأفكار البشرية فيفهمها ويرجع إلى الحضور فإن خاف النسيان فليكتبها سريعا .

السابع عشر أن لا ينام إلا عن غلبة ، فإذا نام نام بالطهارة ، فإذا لزم المجاهدة وترك الاستراحة صار ذلك دأب الأركان الأربعة المائية والترابية والهوائية والنارية ، فيكشف له عن القلب الحجب البشرية ، فحينئذ ينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى مشاهدة ربه .

الثامن عشر الملازمة لأوسط الأمور في جميع الأحوال حتى ينال رتبة الكاملين من الرجال ، فيكون بين جوع وشبع في الطعام ، وقال بعض المتأخرين : ينبغي أن يكون طعام الخلوة دسما من غير حيوان وما خرج من الأنعام .

التاسع عشر إذا كان في خلوته لا يفتحها لمجيئ الناس للتبرك والزيارة إليه ، ولينظر إلى حال الرسول في ابتداء أمره وإرادة تكميل جمعيته على الله تعالى كيف كان يتحنث في غار حراء بمكة ولا يستصحب أحدا ﷺ .

العشرون ملازمة الذكر في لطيفة القلب ثم في لطيفة الروح ثم في لطيفة السر ثم في لطيفة الخفاء ثم في لطيفة الأخفى ثم في لطيفة النفس ثم في لطيفة الجسد ثم في النفي والإثبات المرتفع إلى الدماغ ثم في النفي والإثبات الذي كالمنشار يخرج من لطيفة القلب يمرّ على اللطائف المعارضة إلى لطيفة الروح بـ (لا) و(إله) تضرب إلى لطيفة الروح والا تمر على اللطائف بالرجوع ولفظة الجلالة تضرب لطيفة القلب ، وذلك بغير حبس النفس فيكون الذكر بـ (لا إله إلا الله) كالمنشار وكيفية ذلك وما بعده في « الدر المسبوك في انتهاء غاية السلوك » .

الحادي والعشرون إذا شاهد شيئا في الواقعة إما في النوم أو اليقظة أو في الفهوانية وهي ما بين النوم واليقظة لا يستحسن ذلك ولا يستقبحه ولا يزيد عليه ولا ينقصه ، بل يعرض جميع ذلك على شيخه ولا يطلب منه تأويله ، فربما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل ، ولا يكتم واقعته عن شيخه فإن الكتمان خيانة والله لا يحب الخائنين ، ولا يعرف تأويل واقعة الذكر إلا الذاكرون .

الثاني والعشرون دوام تخييل صورة شيخه وهو الرابطة بينه وبين خالقه ، فيجعل قلبه مربوطا به لأن ذلك يجره إلى مراقبة ربه .

والمراد من ربط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان وترك الإثم والعدوان ، فإنه إذا هم بمعصية يتمثل له

الشيخ فينزجر عن فعلها إن كان ربطه كاملا على محبته دائما ، كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السلام بقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ، وهو أنه مثّل له أبوه يعقوب عليه السلام عاضا على أنملته .

الثالث والعشرون دوام التوبة بالاستغفار عن الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر في كل يوم سبعين مرة .

الرابع والعشرون أن لا يعين مدة للخلوة وقت دخوله كأربعين وعشرين وسبع وثلاث من الأيام ، ولا يحدث نفسه بذلك ، فإن خطر له هذا الخاطر خرج من يوم دخوله ، بل يحدّثها أن الخلوة قبرها لا يخرجها منها إلى يوم النشور وإخراج الناس من القبور ، فيكون الأمر لشيخه متى أراد أخرجه .

الخامس والعشرون أن يرى الاستمداد الحاصل له إنما هو من شيخه ، واستمداد شيخه من النبي ﷺ ، فهو نائب عنه والنبي ﷺ نائب عن ربه عزّ وجل .

فلو أن رجلا جمع العلوم وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضات عند شيخ مرشد كامل وإمام ناصح مؤدب بالشرع عالم بالفنون ، فما حرم من حرم الوصول إلا بتضييع الأصول وترك الاقتداء بالدليل والعدول في هوى نفسه عن سواء السبيل .

فالمطلوب من العاقل العمل بما أمر به أفضل البشر ﷺ ودوام ترك الاعتراض على كل ما يرد عليك من الله تعالى من خير أو شر ، والإيمان بأن الخير والشر من الله تعالى بالقدر وأن جميع الكائنات بمراد الله تعالى ، لا يكون إلا ما يريد . وهو يقتضي التفويض والتسليم لله تعالى فيما عليك قدر ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تزجر . انتهى « جامع الأصول » في ٢٤٧

وقال أيضا قدس سره : واعلم أن السير والسلوك في أربعين يوما يشتغل فيها المريد بالخلوة مع الإخلاص التام بما يلقنه المرشد من أسمائه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام : « من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

وأحسنه أن يكون ابتداؤه في ليلة النصف من شعبان ويكون خروجه في آخر ليلة عيد رمضان ، فإذا أراد الدخول فليغسل ثيابه وخلوته وبدنه وينوي بالغسل التوبة من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطر .

وإذا كان عليه حق لأحد يدفعه له ، أو اغتابه يطلب منه السماح والرضا ممن له خلطة معه ، وليكن جلوسه في الخلوة مستقبلا للقبلة على الوضوء في جميع أوقاته ، وذلك بعد إتقانه لعلم الحال الذي لا بد له من معرفته في الفروض الخمسة من علم لا إله إلا الله وصومه وصلاته وحجه وزكاته .

وقد أمر الحق بذلك كله في كتابه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ، فعلمها أن تعلم بالمستحيل والجائز والواجب من صفاته . انتهى في ١٤٤ .

وعن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما يقول : عزت السلامة حتى خفي مطلبها ، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، فإن لم توجد في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول ، وإن لم تكن في التخلي فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي ، فإن لم توجد في الصمت فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد نفسه في خلوة والله الموفق . « كشكول » ١١٣ .

أودع تاجر من تجار نيسابور جاريته عند الشيخ أبي عثمان الحيري رحمه الله ، فوقع نظر الشيخ عليها يوما فعشقها وشغف بها فكتب إلى شيخه أبي حفص الحداد رحمه الله بالحال ، فأجابه بالأمر بالسفر إلى الري إلى صحبة الشيخ يوسف رحمه الله ، فلما وصل إلى الري وسأل الناس عن منزل الشيخ يوسف رحمه الله أكثر الناس في ملامته وقالوا : كيف يسأل تقي مثلك عن بيت شقي فاسق ؟ ! فرجع إلى نسيابور وقص على شيخه القصة فأمره بالعود إلى الري وملاقاة الشيخ يوسف المذكور رحمه الله ، فسافر مرة ثانية إلى الري وسأل عن منزل الشيخ يوسف ولم يبال بذم الناس له وازدرائهم به فقيل له إنه في محلة الخمارة ، فأتى إليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعظمه وكان إلى جانبه صبي بارع الجمال وإلى جانبه الآخر زجاجة مملوة من شيء كأنه الخمر بعينه ، فقال له الشيخ أبو عثمان رحمه الله : ما هذا

المنزل في هذه المحلة ؟ فقال : إن ظالما شري بيوت أصحابنا وصيرها خمارة ولم يحتج إلى شراء داري ، فقال له : ما هذا الغلام وما هذا الخمر ؟ فقال : أما الغلام فولدي من صلبي ، وأما الزجاجة فخل ، فقال : ولم توقع نفسك في مقام التهمة بين الناس ؟ فقال : لئلا يعتقدوا أنني ثقة أمين ويستودعوني جواريهم فابتلي بحبهن ، فبكى أبو عثمان بكاء شديدا وعلم قصد شيخه ، فهكذا أحوال أهل الله تعالى نفعنا الله تعالى بهم . انتهى « كشكول » ٦٥ .

وقال العارف بالله السيد أحمد بن إدريس ﷺ في مدح التخلي عن الناس : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ في مريم عليها السلام ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ ، فنتيجة الوهب تحصل من مقدمة العزلة . « عقد » ٥٧ .

وقال ابن عطاء الله ﷺ في « حكمه » : الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات على المريد ، فإن نفسه إذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها ، وبمداومته على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة ، فإن اعتراه شيء مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من أجل ذلك إلى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة ، وأنى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا : وقفة المريد شر من فترته .

قال الإمام أبو االقاسم القشيري ﷺ : والفرق بين الوقفة والفترة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفة خروج عن السير باستيلاء حالات الكسل ، وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء . انتهى كلامه ﷺ .

فبدايات الأمور هي التي يجب أن يراعيها المريد ، والله ولي التوفيق والتسديد ، ولا غنى للمريد في هذا القسم عن تحصيل ما يحتاج إليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي ، وعمل الباطن يرجع حاصله إلى أمر واحد وهو إخلاص التوحيد لله ﷻ باعتقاد العبودية له ، وذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام لأحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه .

وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى كتابه « التنوير في إسقاط التدبير » ، فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته الوصول إلى شيء من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الإجابات ، فإن ذلك فتنة وبلية قاطعة عليه طريق العبودية .

قال أبو عثمان المغربي ﵁ : من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا عن جميع الأذكار إلا ذكر ربه وخاليا من جميع الإرادات إلا رضا ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، وإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية .

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي ﵁ : من عمل ليجد أو يرى لم يفتح له بشيء حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية .

قال صاحب كتاب « عوارف المعارف » : من دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال وظن أنه حصل على حسن الحال ، قال : وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الأذكار واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة .

والوحدة في جمع الهم لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا ، فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالإخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك ، وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضته مما يعتني به الفلاسفة والدهريون .

وكلما أكثر من ذلك كثر البعد عن الله تعالى ، ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن إليه كل الركون ، ويظن أنه قد فاز بالمقصود من الخلوة ، ولا يعلم أن هذا الظن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصودة من الخلوة لقول بعضهم : الحق يطلب منك الاستقامة وأنت تطالبه بالكرامة « الحكم » ٦٤ ، وراجع « سلك العين » ٢٢٤ .

فصل

في بيان أحوال المتوجهين إلى الله سبحانه وتعالى من الرجال والأقطاب

اعلم أيها الأخ المسعود جعلك الله تعالى وإيانا من أصحاب الميمنة أن أحوال أولياء الله تعالى مختلفة باختلاف مقاماتهم واعتقاداتهم ، ففتح كل أحد ونوره على حسب فتح متبوعه ونوره وكمالة المتبوع يظهر من التابع ، فمن أخذ علم حاله عن أقوال العلماء مجردة كان فتحه ونوره منهم ، فإن أخذه عن نصوص الكتاب والسنة ففتحه ونوره تام ، ولكن فاته نور الاقتداء وفتحه ، ولذلك تحفظ الأئمة عليه حتى قال ابن المديني رحمه الله تعالى : كان ابن مهدي يذهب لقول مالك ، ومالك يذهب لقول سليمان بن يسار ، وسليمان يذهب لقول عمر بن الخطاب ، فمذهب مالك إذن مذهب عمر رضي الله عنه .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء و يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ ، وقال عز من قائل : ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ فافهم كذا قاله أبو العباس أحمد زروق رحمه الله تعالى .

وأرباب القلوب من السادات القادات تكلموا في أحوالهم بما لا يكاد يفهم منه شيئا إلا ما يسوء ظنه لقصور فهمه وذوقه عن فهم الأسرار اللدنية والآثار الربانية .

وأما من كان من أهل العلم الباطن فيشرح صدره ويستفيد من رموزاتهم أمورا عجيبة وتتنوع الفرع بتنوع أصله ، وقد تقدم أن أصل التصوف مقام الإحسان ، وهو متنوع إلى نوعين : أحدهما بدل من الآخر هما : أن تعبد الله كأنك تراه وإلا فإنه يراك ، فالأول رتبة العارف والثاني رتبة من دونه ، وعلى الأول يحوم الشاذلية ومن نحا نحوهم وعلى الثاني يحوم الغزالي رحمه الله ومن نحا

نحوه ، والأول أقرب لأن غرس شجرتها مشير لقصد ثمرتها ، ومبناها على الأصول التي يحصل لكل مؤمن وجودها ، فالطباع مساعدة عليها والشريعة قائمة فيها ، إذ مطلوبها تقوية اليقين وتحقيقه بأعمال المتقين فافهم .

وقال أبو العباس أحمد رحمه الله تعالى : في اختلاف المسالك راحة للسالك وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب والتوصل بالمراد ، فلذلك اختلف طرق القوم ووجوه سلوكهم ، فمن ناسك يؤثر الفضائل بكل حال ، ومن عابد يتمسك بصحيح الأعمال ، ومن زاهد يفر من الخلائق ، ومن عارف يتعلق بالحقائق ، ومن ورع يحقق المقام بالاحتياط ومن متمسك يتعلق بالقوم في كل مناط ، ومن مريد يقوم بمعاملة البساط ، والكل في دائرة الحق بإقامة حق الشريعة والفرار من كل ذميمة وشنيعة .

وقال في « القواعد » : لا حكم إلا للشرع ، فلا تحاكم إلا له . قال الله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ، وقد أوجب وحرّم وندب وكره وأباح ، وبيّن العلماء ما جاء عنه كل بوجهه ودليله ، فلزم الرجوع لأصولهم في ذلك من غير تعدٍّ للحق ولا خروج عن الصدق .

فمن أخذ بالأولين اطرح حيث يتفق إجماعا ، وحيث يختلف اعتبر إمامه في حكمه ، فلا ينكر عليه إلا ما اتفق عليه بمذهبه إن تكرر بغير ضرورة ، وإلا فالضرورة لها أحكام وما بعد الواجب والمحرم ليس على أحد فيه سبيل إن أثبت حكمه على وجهه ولم يتعلق بغير تركه ولم يخرج به الأمر لحد التهاون أو شهد أحواله بالإرزاء على ذلك ورقة الديانة به ، فربّ طاعم شاكر خير من صائم صابر ، ومن ثم أجمع القوم على أنهم لا يوقظون نائما ولا يصيمون مفطرا ومن وجه دخول الرياء والتكلف ولأن العناية بإقامة الفرائض هي الأصل لا غير ، وكل السنة تشهد لذلك والله أعلم .

وقال ﷺ أيضا : طلب التحقيق بالصدق يقضي بالاسترسال مع الحركات في عموم الأوقات دون مبالاة بغير الموجب والمحرم . فمن ثم وقع الغلط

لكثير من المتصوفة في الأعمال ، ولكثير من الناس في الإنكار عليهم خلاف الأولى بهم« ١ » ، فوجب الحفظ من الصوفي على إقامة رسم الطريقة بترك ما يريب ونفي ما يعيب وإن كان مباحا ، لأن دخوله فيه إدخال للطعن على طريقه فافهم .

النظر لعرف الحقيقة مخل بوجه الطريقة ، فمن ثم وقع القوم في الطامات وتكلموا بالشطحات حتى كفر من كفر وفسق من فسق بواضح الشريعة ولسان العلم ظاهرا وباطنا ، فلزم التحفظ في القبول بأن لا يؤخذ إلا عن الكتاب والسنة ، وفي الإلقاء لا يلقي إلا بالوجه الشائع فيهما من غير منازع ، وإلا فلا عتب على منكر استند لأصل صحيح .

وقد قال أبو سليمان الداراني ﷺ : إنها لتقع النكتة من كلام القوم في قلبي أياما فأقول لا أقبلك إلا بشاهدي عدل : الكتاب والسنة ، لما أن كل صوفي أهمل أحواله من النظر لمعاملة الحق كما مر فيها وصرف وجهه لنحو الحق دون نظرلسنته في عباده ، فلا بد له من غلط في أعماله أو شطح في أحواله أو وقوع طامة في أقواله ، فإما هلك أو أهلك أو كانا معا جاريين عليه ، ولا يتم له ذلك ما لم يصحب متمكنا أو فقيها أو مريدا عالما صديقا صادقا يجعله مرآة له ، إن غلط رده وإن أدهى دفعه وإن تحقق أرشده ، فهو ينصفه في حاله وينصحه في جميع أحواله ، إذ لا يتهمه ولا يهمله فافهم وفقك الله تعالي لمرضاته آمين .

وقال شيخ مشائخنا شاه غلام علي الدهلوي ﷺ : **حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ورأس كل خطيئة كفر ، فينتج من هاتين المقدمتين أن حب الدنيا كفر .**

وقال : إن علامة زوال العين أن لا يقدر السالك على أن يقول أنا ، كما قال الخواجه عبيد الله أحرار ﷺ : ما أيسر أن يقول أنا الحق وما أعسر إزالة أنا وما أشكلها ، فالمراد أن أصعب الأمور في هذه النسبة العلية تزكية النفس عن شائبة الأنانية وعن وجوده .

« ١ » أي وقع كثير من الناس في الإنكار عليهم وذلك خلاف الأولى بهم وهو ترك الإنكار .

وقال خواجه عبيد الله أحرار ﷰ : قال حضرة مولانا يوما : إن من طريقة أكابر خواجكان قدس الله أرواحهم المقررة عندهم ما إذا حضر عندهم شخص ينظرون ماذا يقع في خاطرهم بعد حضوره ، فما لاح في خاطرهم يحكمون بأنه وصف هذا الشخص ونعته ظهر فيهم بطريق الانعكاس ، فإن مرايا قلوبهم لما كانت مصفاة عن نقوش الغير والسوى بسبب كمال صفائها لا ينسب إليهم ما ظهر فيها ، فإن كان الظاهر فيهم ما يتعلق بالإيمان والإسلام من الصلاة والصوم وتحصيل العلوم الدينية يقولون ظهر نسبة الإسلام ونسبة الديانة ونسبة العلم . وإن ظهرت المحبة والعشق يقولون : ظهرت نسبة الجذبة ، انتهى ذكره في « الرشحات » .

وقد كتب العارف بالله الشيخ أبو سعيد ﷰ إلى بعض خواصه مكتوبا نقلا من رسالة مولانا الشيخ عبد الغني ابن الشيخ أبو سعيد قدس سرهما ما لفظه : وبعد الحمد والصلاة فليعلم أن المقامات والاصطلاحات التي قررها الإمام الرباني المجدد الألف الثاني ﷰ تظهر في كل درجة ، منها كيفيات وأنوار وحالات وأسرار ، واختيار الطريقة بدون تلك الأشياء عبث ، فلم يضيعون العمر ، فإن لم تكن المقامات العشرة من مقام إلى مقام الرضا حاصلة في باطن السالك ولازمة فيه فما الفائدة من هذه الطريقة ، وفقنا الله تعالى للقيام على آداب أرباب القلوب آمين .

وقال الشيخ الأكبر ﷰ في الباب الثاني عشر وثلاثمائة : اعلم أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى قلب ولي من أوليائه بأمر مّا تجلى الحق إلى قلب ذلك الولي برفع الحجب ، فيفهم الولي من ذلك التجلي ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولي به ، فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي ﷺ العلم بالضربة بين ثدييه وفي شربه اللبن ، ومن الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول وجدت في خاطري كذا وكذا ولا يعرف من أتاه به ، ولكن من عرف فهو أتم . « كبريت أحمر » ١٣٠« ١ » .

« ١ » أكثر الطريان تدبير على المتوجهين « تنوير » ٣٧ .

وإظهار الكرامة وإخفاؤها على حسب النظر لأصلها وفرعها ، فمن عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة مع ربه ، ومن عبر من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء .

وقد صح إظهار الكرامة من قوم وثبت العمل في إخفائها عن قوم كالشيخ أبي العباس في الإظهار وابن أبي جمرة في الإخفاء ﵄ ، حتى قال بعض تلامذة ابن أبي جمرة ﵁ طريقهما مختلف ، فبلغ ذلك شيخه فقال : والله ما اختلف قط طريقنا ولكنه بسطه العلم وأنا قبضني الورع ، وهذا فصل الخطاب في بابه والله أعلم . قاله أبو العباس ﵁ .

وقال سيدي أحمد بن زيني دحلان عن علي بن وفا ﵁ : العارفون يظهرون مواجيدهم للناظرين في مرايا الأدلة المقبولة عندهم والنظار يأخذون مواجيدهم من تلك الأدلة المقبولة . وقال منه أيضا ﵁ من استضعف لإيمانه فعاقبته التمكن وعلو الشأن ، ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ .

وقال أيضا في معنى قول العارفين « إن للربوبية سرا لو ظهر لعطل نور الشريعة » : المراد به الفناء وإعطاء سر التكوين ، وإن العبد يفعل ما يشاء يعني لو أعطي العبد ذلك لتعطلت أفعال الشريعة كلها وبطل القول بالكسب واختل النظام ، وقال في معنى قول بعضهم : يصل الولي إلى حد يسقط عنه التكليف ، المراد به : سقوط كلفة الأعمال ومشقّتها من باب « **أرحنا بها يا بلال** » .

وقال في قول سيدي عمر بن الفارض ﵁ : وكُلُّ بَلا أيّوب بَعْضُ بَلِيَّتي : إن بلاء أيوب ﵇ كان في الجسد دون الروح وبلاء العارف فيهما جميعا .

وقال سلطان المعنوي« ١ » أبو إسحق صدر الدين قنوي ﵁ بالأمر المهم بالإيضاح والتحقيق : إن الإنسان إن عمل فعلا أو عمل حسنا وكان ذلك الفعل مائلا إلى ما سوى الله تعالى بل لقصد آخر أيّ قصد كان ، فذلك عمل لأجل

« ١ » لعله المعاني .

مقتضيات نفسه وليس من العبودية لله تعالى ، بل هو ساقط عند الله تعالى من الاعتبار ، وإن كان عمله الحسن لله تعالى مجرداً بلا قصد ما في فعله بل يعمل بنية خير في العمل أو مفتضيا بالمأمور أو منتهيا عن المنهي فقط ، فذلك هو الرجل مصاحب الخير ، وإن كان الإنسان يعمل بالعمل الصالح لأجل رضاء الله تعالى وابتغاء مرضاته وليس له من عمله شيء ما من النية والقصد سوى مجرد وجه الله تعالى فذلك هو الرجل التام ، وإن كان الإنسان يعمل ويعلم أن جميع أعماله على مقتضى شهوده تعالى ويجتهد في تقربه إلى الله تعالى بالنوافل على حسب حديث رسول الله ﷺ : « لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته . . » إلى آخره ، فذلك هو الرجل التام الكامل ، وإذا كان الإنسان يعمل العمل الصالح بضم عمله للشهود والحضور ، وكان شهوده حينئذ بعين الحق بلا رؤية حظ نفسه ، بل برؤية جميع أفعاله وأحواله لله تعالى بإضافته له تعالى وبمشاهدة جميع حركاته وسكناته لله بالله ، فهو عبد مخلص وعمله خالص ، وإن كان الإنسان على طبق مضمون الحديث السابق « كنت سمعه وبصره » وكينونته بالشهود ، بكون جميع مراتبه ونسبته وسريان شهوده وثباته على سعة رحمته وإحاطة علمه ومتصفا بقبول أوصافه ومنسلخا عن أحوال نفسه مستغرقا في ربه بتمام الفناء ثم بكمال البقاء برفع الحجاب من قلبه وفتح بصيرته مديما ثابتا على ذلك فذلك هوالرجل اللائق للعبودية والخلافة وكامل في الإحاطة والإطلاق وماهر في جميع ما ينتسب إليه الخ وينبغي أن يكون مكملا ومقبولا لإرشاد الخلق إلى طريق الحق الخ .

فصل

في بيان الروح ومعنى الروحاني والجسماني وما يتعلقه من البرزخ

قال بعض الأعزة الذي كان له رجوع دائم إلى ملازمة مولانا الجامي ﷺ : كنت يوما في مجلس وعظ خواجه شمس الدين محمد الكوسوي ﷺ فقال في رأس المنبر : قد أشكل عليّ مدة مديدة ما يقوله أهل الشرع من أن ضغطة القبر بالنسبة إلى جميع الناس من المؤمنين والكافرين حق ، وقال : إنها تكون على وجه ينقلب الجانب الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن ، فإنه لا تردد في كون تلك الصورة تعذيبا محضا فكيف يتصور ذلك في حق الأنبياء والأولياء ، بل في حق صلحاء المؤمنين ، ثم خطر في قلبي أن الغرض من انقلاب الأيمن على الأيسر وعكسه هو جعل الروحاني جسمانيا والجسماني روحانيا ، ولما كان توجيه الخواجه إجماليا سألت يوما مولانا الجامي ﷺ عن معنى هذا الكلام ؟ فقال : إن الصوفية قدس الله أرواحهم يقولون للبرزخ قبر ، والبرزخ عبارة عن مرتبة تكون واسطة بين العالم الجسماني والروحاني ، ومعنى جعل الروحاني جسمانيا هو أن يجعل الروح مصورة بصورة مثالية ، يعني تظهر لها صورة مقدارية يمكن أن تكون عبارة عن كم وكيف ، ومعنى جعل الجسماني روحانيا ليس المراد بالجسم هنا البدن الكائن في حيطة القبر ، فإن الروح المجردة قد تركته بالكلية ، بل المراد منه أن طائر الروح الذي كان له تعلق لهذا الجسم الكثيف وقيل له من حيثية ذلك التعلق جسمانيا مجازا يظهر له بعد مفارقته من هذا الجسم تعلق آخر في هواء الانقطاع في غاية اللطافة ، ويقال له من حيثية ذلك التعلق روحانيا ، ووجه آخر لهذا الكلام أن الصفات الروحانية مخفية ومستترة في هذا العالم تحت حجاب الصفات الجسمانية ظاهرة وغالبة ، فكل فرد من أفراد الإنسان في هذا العالم أعني عالم الكون والفساد ظاهرة فيه الصفات الإنسانية والصفات السبعية والشهوية مخفية .

وقد قيل : إن جميع المعاني يكون مصورا في العالم الروحاني على وجه يظهر الشخص الذي كانت صفة من الصفات السبعية مبطنة فيه في صورة ذلك السبع ،

فحينئذ يكون الروحاني الذي هو صفة معنوية مستترة جسمانيا البتة ، والجسماني الذي هو صفة ظاهرة الآن روحانيا ، يعني مخفيا ومستترا ، فلا يلزم التعذيب على هذين الوجهين ، ذكره في « الرشحات » .

وقال أكابر السادات كحجة الإسلام والشيخ الأكبر والشيخ أحمد السهروردي وأمثالهم ﷺ : **إن روح الإنسان هو المسمى بالنفس الناطقة** ، واتفقوا على أنه من عالم الأمر ، أمر رباني وسر رحماني الذي ليس له مادة ، بل هو جوهر حصل بواسطة لفظ كن ، وليس له جسم ليكون له حلول في مكان ولا عرض ليقبل القسمة أو يحل في القلب أو الدماغ ، بل هو جوهر قائم بنفسه ويعلم نفسه وخلقه ويدرك المعقولات ، وفي العرض ليست هذه الصفات ، ولا يتصف بالكلية والجزئية ، وأن كونه متصلا للنفس أو منفصلا عنها أو داخلا فيها أو خارجا أو مختص لجهة أو له حلول أو له جهات مما لا يتعقل ، بل جميع هذه الصفات عارضة للجسم ولازمة له ، والنفس الناطقة معراة ومبراة من هذه الأوصاف ، ومع ذلك إنه حادث لا قديم ومن قال به كفر ، لكن ليس له الفناء ولا يجري عليه الموت بل يكون في إحدى الدارين ، والقرآن العظيم يشهد ببقائه قال تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ ، ومعلوم أن ليس للميت فرح وحزن ورزق وأمثالها ، بل المذكورات من شأن الموجود الحي كما قال عليه الصلاة و السلام : « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في رياض الجنة »«١» ، وذلك مقرر وثابت لدى أهل الإسلام ، وأن الدعاء بالمغفرة إنما هو للحي الموجود لا للميت المعدوم ، كما ذهب على خلافه جهلة القوم .

فالحاصل أن النفس الناطقة ليست منطبعة في البدن لتفنى ويقدم بموت البدن ، بل المعدوم الفاني بالموت هو الروح الحيواني ، وهو عبارة عن بخار اللطيفة المتكونة في القلب ، وهذا البخار يتصاعد إلى الدماغ وسائر الأعضاء بواسطة العروق والأعصاب ويحل في الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة نظرا إلى الاستعداد هو المسمى بالروح الحيواني ويبطل بالموت ، والنفس الناطقة ليس لها فناء ولا عدم .

« ١ » الحديث كما روي : « أرواح الشهداء عند الله يوم القيامة في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها فيشرف عليهم ربهم فيقول الكم حاجة تريدون شيئا فيقولون لا إلا ان نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى .

فصل

في بيان سلسلة الطريقة وكيفية قراءة ختم الخواجكان وما يلزم فيها من الآداب

وذكر صاحب « التعريب »[1] شيخنا محمد مراد المنزلوي ﷺ ونفسي فداه الذي هو الحبر المقدم في العلم الظاهر والباطن بما لفظه : وأما هذه الختمات فالمروي منها من قدماء أكابر النقشبندية هو ختم خواجكان ، وكانوا يستعملونه عند ظهور حادثة ووقوع بلية برعاية شروطه من عدم الزيادة على الأعداد المعينة والنقص عنها ويصرفون همتهم لدفعها ، إلا أنهم كانوا يستعملونه في جميع الأوقات ، وإنما كان استعماله واستعمال غيره من الختمات على سبيل الدوام عند مشائخنا المتأخرين ، ويمكن اختيارهم ذلك على الدوام لأمرين :

أحدهما : كثرة الحوادث والبلية في زماننا بحيث لا يخلو منه وقت كما يحكم به المشاهدة

والثاني : أن لكل مقام مقالا ولكل ميدان رجالا ، فإنهم لما رأوا عدم تأثر بعض الطالبين لقلة الاستعداد من طريق الخفية واحتظاظهم به اختاروا المداومة على تلك الختمات من أجلهم ، وذلك جائز بل مطلوب وليس بتغيير للطريقة .

وكيـفيـــتــه : أن يقرأ أولا سورة « الفاتحة » سبع مرات والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة و « ألم نشرح لك » تسعة وتسعين مرة والإخلاص ألفا ، ثم « الفاتحة » سبعا ثم الصلاة مائة .

ويزاد في آخر هذه الكلمات السبع مائة مرة « يا قاضي الحاجات يا كافي المهمات يا دافع البليات يا رافع الدرجات يا شافي الأمراض يا مجيب الدعوات يا أرحم الراحمين » ، ثم يهدي ثوابه إلى أرواح المشائخ خصوصا الخواجكان ، أعني من الخواجه عبد الخالق إلى الخواجه بهاء الدين النقشبند ﷻ ، ويسأل حاجته يستجاب بإذن الله تعالى . ثم ختم الإمام الرباني وهو لا

« ١ » كتاب « تعريب المكتوبات الشريفة » .

حول ولا قوة إلا بالله خمسمائة مرة ويزاد في رأس كل مائة « العلي العظيم » ، والصلاة في أوله وآخره مائة مائة ، ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم مولانا ومرشدنا وقبلة صدورنا ذو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله الشريفي المعموري ﷺ ، وكذا ختم مولانا جامع القطبتين أبو عبد الرحمن محمد ذاكر الوهبي الجسطاوي المحمدي الأويسي ﷺ .

ثم ختم الغوث الجيلاني ﷺ وهو : حسبنا الله ونعم الوكيل خمسمائة مرة والصلاة في أوله وآخره مائة مائة ، ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم خواجه النقشبند ﷺ وهو يا خفي اللطف أدركني بلطفك الخفي خمسمائة مرة ، والصلاة أولا وآخرا مائة مائة ، ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم محمد معصوم ﷺ وهو : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين خمسمائة مرة ، والصلاة أولا وآخرا مائة مائة .

وهذه الختمات الثلاث تستعمل عندنا في حلقة الصبح ، وأما عدهم بالحصاة فإنما هو للتسهيل ، فإنه كلما يحضر شخص يعطونه عددا معينا من الحصاة فيستعمل بقدره ، بخلاف ما إذا استعملوه بسبحة فإنه كلما يحضر أحد في أثناء الختم يحتاج حينئذ أن يقول لكل من الحاضرين أن استعملوا الآن هذا القدر ، وفي هذا كما ترى تعسر .

وإنما قلنا إن ما بيناه هو الطريقة دون غيره لتنبيه الطائفتين أعني القاصرين عن إدراك حقيقة الطريقة المغترين بظاهر صورتها المتشبهين بأهلها المقتصرين على تلك الختمات زعما منهم أنها هي الطريقة ، وقد عمَّ ذلك أكثر البلدان خصوصا ديارما وراء النهر التي هي كانت أولا معدن هذه الطريقة ومقر أهلها بل منبع العلوم وروضة جميع الفضيلة ، وصار الآن يقفون الضياع والعقار لهذه الختمات ويحضرون يومين من كل أسبوع في المساجد والرباطات ويستعملون هذه الختمات وينفقون محصول الوقف على من يحضر فيها ويحسبون أن ذلك هو الطريقة مع أن الوقف والوصية بالختمات باطلة والأكل منه حرام في غالب المذاهب .

وقد علمت أن هذه الختمات ليست من حقيقة الطريقة ولا من لوازمها ، بل هي من مستحسناتها لما أن الدعاء هنالك يكون غالبا بذكر أكابر السادات من أهل الله تعالى إلى رسول الله ﷺ ، وعند ذكرهم تتنزل الرحمة وكفى ذلك نعمة من الله تعالى .

والطائفة الثانية المنكرون المفترون على الطريقة وأهلها لما رأوا من أحوال الطائفة الأولى زعما منهم أن هذه الختمات هي الطريقة لا غير وأنها بدعة حتى سمعت أن بعضهم ألف رسالة في ردها ، ونحن نساعدهم في ذلك ، فإنهم لا يردون على الطريقة بل يذبون عنها في الحقيقة بالرد على الطائفة الأولى ونقول : ليت مشائخنا قدس الله أسرارهم لم يكثروا من ذلك ، فإن المتوسط الذي لم يبلغ مرتبة دوام الحضور ولم يتميز ظاهره من باطنه يتضرر منها وتوجب له الوساوس والخطرات ولا مرد لذلك ، فإنه مما حكمت به المشاهدة وشهدت به التجارب ، ولكن إن لهم في ذلك غرضاً صحيحاً وما يفعلونه أولى مما شعرنا .

وأيضا من المتشيخين طائفة أخرى خاصة في الديار الداغستانية ينكرون على الختم بالكلية وينسبونها إلى بدعة أو فاحشة ويحكمون على مستعمليها بالنفاق أو الجهل مع كونهم أجهل الجاهلين وأضل المغترين ، وبدل ذلك يجتمعون مع الأغنياء وأرباب الدنيا ويقرؤون المواليد ويغتابون الناس بل ينسبون أكابر الطرق إلى الجهل ويظهرون بأفواههم الباطلة ومزخرفاتهم العاطلة مقاماتهم وأحوالاتهم لأنهم دون غيرهم ، ويجرون الناس إليهم بالحيل المذاقة ، وأفسدوا الطريقة وأدخلوا فيها أمورا مبتدعة لم يسبق قط من السادات ، فعمَّت بسببهم الفتنة في الدين ووقعت الثلمة في الإسلام وصار الناس لا يميزون الطريقة من الطريحة ، لا كثر الله مثلهم وأراحنا الله تعالى من شومهم آمين .

مَتى ما تُخالِطْ عالَمَ الإنْسِ لَمْ يَزَلْ ... بِسَمْعِكَ وَقْرٌ مِنْ مَقالِ سَفيهِ
إذا ما الفَتى لَمْ يَرْمِ شَخْصَكَ عامِداً ... بِكَفَّيْهِ عَنْ ضِغْنٍ رَماكَ بِفيهِ
وَقَدْ عَلِمَ اللهُ اعْتِقادي وَإنَّني ... أَعوذُ بِاللهِ مِنْ شَرٍّ ما أنا فيهِ

فصل

في بيان الأوراد المشهورة في هذه الطريقة العلية من القرآن والنوافل والأدعية وبعض خصائصها

اعلم أيها المأمون وفقك الله تعالى لحوز العلم المصون أن الأذكار لأرباب الطريقة في أوقاتها عند أرباب القلوب جندٌ من جنود الله تعالى ، وبها يتقوى الذاكر فيما يفعله من الطاعات والعبادة ، وبمواظبتها بالخلوص ينال المسترشد إلى المقامات .

ونورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد ومثيرة لحرارة طبعه بانحراف عن طبعها . فمن ثم أمر بالصلاة على رسول الله ﷺ معها لأنها كالماء تقوي النفوس وتذهب وهج الطباع ، وسر ذلك في السجود لآدم عند قولهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ، ولهذا أمر المشائخ بالصلاة على رسول الله ﷺ عند غلبة الوجد ، والذوق لذلك شاهد .

وقد أشار إلى ذلك الصديق رضي الله عنه إذ قال : **الصلاة على محمد ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار** ، ألا ترى إلى آخره فليعتمد .

وقد نص في « مفتاح الفلاح » أن علامة الفتح ثوران الحرارة في الباطن والله أعلم كذا نطق أحمد زروق قدس سره .

واعلم أن النظر لسابق القسمة وواجب الحكمة هو القاضي بأن الدعاء عبودية اقترنت بسبب كاقتران الصلاة بوقتها ، وكذا الذكر المرتب لفائدة ونحوها ، لأنك إن قلت تذكير فإنما يذكَّر من يجوز عليه الإغفال ، وإن قلت تنبيه فإنما ينبَّه من يمكن منه الإهمال ، وإن قلت تسبب **فجل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل** وقد جاء الأمر وترتيب الإجابة عليه ، فلزم أن يراعى من حيث الحكمة ، ولذا صح بمفروغ منه ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ و﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ ، ﴿وَلَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ عند من قال به ، وهو دعاء الأبدال والله تعالى أعلم .

وسئل السيد الشريف أبي العباس أحمد بن إدريس المغربي الحسيني ﵁ عن الدعاء في الصلاة هل يأتي به بصيغة الجمع إذا كان إماما ولو كان واردا عن النبي ﷺ بصيغة الإفراد مثل « اللهم أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » ونحو ذلك ، فيقول : اللهم أعط أنفسنا . . الخ ؟ فقال : ائت بصيغة الجمع وإن كان واردا بصيغة الإفراد ، لأن في الحديث : « من أم قوما فأفرد دونهم نفسه فقد خانهم » .

وعن ثوبان ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن : لا يؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم ، فإن فعل فقد خانهم . ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن ، فإن فعل فقد دخل خائنا ، ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف » رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذي وابن ماجه وحديثه مختصر ، وقال الترمذي : حديث حسن ، ورواه أبو داود أيضا من حديث أبي هريرة ﵁ .

ومنها : أن يسأل الله تعالى بعزم ورغبة وحضور قلب ورجاء ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ، والنبي ﷺ وإن أتى بصيغة الإفراد فهو روح كل مؤمن ، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال : « ما دخلت شوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها » .

وأيضا إذا كان الإنسان منفردا يأتي بصيغة الجمع وينوي المسلمين وهو أولى ، هذا معنى ما ذكره السيد أعاد الله علينا من بركاته .

وسئل ﵁ عن الدعاء في الصلاة فأجاب بأنه يدعو فيها بما شاء ، فإن بعض الصالحين كان يدعو حتى بملح العجين .

والدعاء إنما هو تكريم وتعظيم لباب المناجاة ، وإلا فالله هو الغني عن عباده ، وهو يعلم بما تدعو في أي يوم وفي أي ساعة من قبل خلقك ، وهو كريم جواد ويعطي قبل السؤال وفضله ابتداء ، لكنه يري لك الخير كأنه وكيل

والوكيل ينظر مصلحة الموكل ابتداء وانتهاء ، فربما تدعو فلا يؤثر الدعاء في ظاهر الأمر ، وقد وعد سبحانه وتعالى بأن يستجيب : ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ ، ووعده الحق ولكنك حين تعلم بمصلحة تأخير الإجابة تحمد العاقبة ، فما أسعد من وكله ورضي به وكيلا ، وكفى به وكيلا ، وقد تصاب ببلاء فتدعو وتتضرع وذلك المقصود منك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ ، ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ، فتدعو أن الله يزيله عنك ثم لا يزول لكن لو عرفت حقيقة الأمر لاخترت بقاءه لأنه الدواء ولا بد للدواء من مرارة أو كيّ . انتهى .

قال النووي رحمه الله تعالى في « أذكاره » : **اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له** . انتهى .

ثـــم الاشتغال بالورد والأذكار من المهمات للسالكين نبتدئ من أهمها لما ورد فيها من الثواب الجزيل وفي تركها من الوعيد الشديد ، وأهمها وأفضلها الصلاة في الجماعة ، وهي أفضل من جميع الأوراد ، والقيام بالليل والصيام بالنهار ، ونذكر تفصيلها إن شاء الله تعالى بعيد هذا ، صرح بالنهي عن تركها فقال« ١ » :

لا تَتْرُكَنَّ جَماعَةً قَدْ فُضِّلَتْ ... بِالسَّبْعِ والعِشْرينَ مِنْ فَضْلٍ عَلا
وَلِمَ التَّعَلُّمُ إنْ تَكُنْ تَتَساهَلُ ... في مِثْلِ هذا الرِّبْحِ أَخْسَرَ أَجْهَلا

يعني لا تترك الجماعة في المكتوبات الخمس لأن الصلاة مع الجماعة تفضل على صلاة الفذ أي المنفرد بسبع وعشرين درجة ، وقيل بخمس وعشرين درجة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام .

« ١ » أي الشيخ العلامة زين الدين المليباري ﷺ في « هداية الأذكياء » .

وقال ﷺ : « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان – أي غلب – فعليك بالجماعة دآئما ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » ، رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم .

وقال ﷺ : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى » رواه أبوداود وغيره وصححه ابن حبان وغيره .

وقال بعض السلف : إذا قامت الجماعة نظر الله تعالى إلى قلب الإمام إن كان فيه خير[١] رضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم ، وإن لم يكن فيه خير نظر إلى قلوب المأمومين ، فإن كان فيهم من في قلبه خير رضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم ، وإن لم يكن فيهم من في قلبه خير نظر إلى اجتماعهم في الصلاة وإلى قيامهم بين يديه فيرضى عنهم ويتقبل صلاتهم ويغفر لهم .

وجاء في الحديث عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال : « خلق الله تعالى مدينة في الجنة يقال لها مدينة الجلال ، وفيها قصر يقال له قصر العظمة ، وفيه بيت يقال له بيت الرحمة ، وفيه أربعة آلاف سرير على كل سرير أربعة آلاف حوراء ، وفيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ، قيل : يا رسول الله لمن هذا ؟ قال : « لمن صلى لله الصلوات الخمس في الجماعة » .

(ولِمَ التعلم) : أي ولأي شيء التعلم للعلم إن تكن تتساهل في مثل هذا الربح الكثير الذي هو فائدة رأس مال تجارة الآخرة ، وذلك لا فائدة لك في طلب العلم الذي تزعم أنك حريص على اقتباسه ، فإنما ثمرة العلم النافع العمل به ، ومن أفضله صلاة الجماعة في المسجد ، فإن تعذرت فيه ففي بيتك لا سيما مع أهلك تحصيلا لثوابها لهم وتمرينا لهم عليها ، كذا في « كفاية الأتقياء في شرح هداية الأذكياء » للسيد بكري الدمياطي ﷺ .

« ١ » وفي هامش نسخة « أ » : أي الحضور .

قال العارف بالله الشيخ أبو العباس أحمد زروق ﵁ : اِستراق النفوس بملائمها طبعا لما فيه نفع ديني مشروع ، فمن ثم رغب في أذكار وعبادات لأمور دنيوية كقراءة سورة الواقعة لدفع الفاقة ، و : **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم** لصرف البلاء المفاجأة ، و : **أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق** لصرف ذوات السموم والحفظ في المنزل إلى غير ذلك من أذكار صرف الهموم والديون والإعانة على الأسباب كالغنى والعز ونحوه .

وبيان ذلك أنها إن أفادت عين ما قصدت له كان ذلك داعيا لحبها ، وحبها داع لحب من جاء بها ومن نسبت له أصلا وفرعا ، فهي مؤدية لحب الله وإن لم تؤد ما قصدت له فاللطف موجود بها ولا أقل من أنس النفس بذكر الحق ودخول ذلك من حيث الطباع أمكن وأيسر ، ولهذا الأصل أسس الشيخ أبو العباس البوني ﵁ ومن نحا نحوه في ذكر الأسماء وخواصها ، وإلا فالأصل أن لا تجعل الأذكار والعبادات سببا في الأغراض الدنيوية إجلالا لها والله أعلم « قواعد » ٤٤ .

وقال السيد الشيخ عبد الرحمن السقاف ﵁ : **من لا له ورد فهو قرد** ، ومن ليس له أذكار فليس بمذكر ، ومن لا يطالع « الإحياء » ليس له حياء ، ومن لم يقرأ « المهذب » ما عرف المذهب ، ومن لا له أدب فهو دب .

والكلام على فضل الذكر وما ورد فيه شهير لا حاجة إلى الإطالة ، وقد ذكرناها في بابه ما يغني عن جوع ويتخذ المريد ما يأمره به شيخه من الأذكار ، وإذا فقد الشيخ المرشد فالأذكار النبوية الواردة عن النبي ﷺ هي أفضل من غيرها .

ويكفي منها الورد اللطيف للقطب الحداد ، فإن الأذكار التي فيه هيأمهات الأذكار المأثورة ونوردها في هذه الأرجوزة إن شاء الله تعالى ، وكذا يكفيه تلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ .

وذكـــر العلامة سيدي عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي نزيل مصر في شرحه على صلاة سيدي أحمد البدوي ﵁ وفي كتابه المسمى « مرآة الشموس في مناقب آل العيدروس » أنه يعدم المربون في آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تعالى الصلاة على النبي ﷺ مناما ويقظة ، وأن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ ، **فإنها مقطوع بقبولها إكراما له** ﷺ ، وحكي اتفاق العلماء على ذلك .

قلت : ومعنى قول سيدي العيدروسي ﵁ أنه يعدم المربون ليس بالكلية بل يصير المربي أعز من الكبريت الأحمر ولا يظهر غالبا لقلة المستعدين والله أعلم . اهـ

وقوله (يعدم المربون) معناه يقلّ ، لما أن الأولياء اختفوا عن العوام إلا من قيضه الله لإرشاد الخلق .

وفي « لطائف المنن » للقطب الشعراني ﵁ : سمعت أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : إذا نمت في الليل مثلا فبادر إلى التوبة والاستغفار لتفريطك باستجلابك النوم وغيبتك عن حضور تلك المواكب الإلهية وحرمانك مما فرق فيها من الغنائم التي ليست في نعم الدنيا لها نظير ، فما أمرت بالاستغفار من النوم إلا لعدم كونك نمت عليه وعلى ذلك يحمل حديث : « ليس في النوم تفريط » عند بعض العارفين وإن كان ظاهر الحديث العموم .

ثم بعد ذلك يجب عليك الرضا من حيث كونه تعالى أنامك صحيح الجسم على راحة مثلا وأباح لك النوم في الجملة ، وربما كان نومك أرجح من قيامك لغلبة رؤية نفسك على من تراه نائما طول الليل وغلبة الإعجاب بذلك ، ومعلوم أن النائم سالم من المناقشة التي كان معرضا لها لو أنه قام الليل ، فربما قام رياء وسمعة وربما قام طالبا للثواب لا امتثالا لأمر الله تعالى ، وفي كل ذلك المناقشة .

وسمعـــت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يحث أصحابه كثيرا على نية القيام من الليل كل ليلة ليكتب للناوي أجر من قام تلك الليلة كاملا موفرا مع سلامته من المناقشة ويقول : قد قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، ولم يقل : وإنما لكل امرئ ما عمل توسعة على أمته ، فكل عمل لم يقسم لهم مباشرته يحوزون ثوابه بالنية . انتهى

وبالجملة فسدى اللحم ولحمته نِعَم كما أن سداه ولحمته من جهة أخرى ذنوب ، والحمد لله رب العالمين .

قال سيدي أحمد بن إدريس الحسيني المغربي ﷺ : إن الدعاء إنما هو تشريف وتكريم لباب المناجاة والكرم ، وإلا فهو سبحانه وتعالى أعطاك يا ابن آدم كل ما أنت مفتقر إليه بسؤالك حالا لا مقالا بأن جعل لك جميع ما في السموات والأرض وخلق فيك ما تنتفع به من الأعضاء والجوارح ، ثم هو أيضا يعلم حاجتك التي تسأله قبل أن يخلقك وقبل أن يخلق السموات والأرض .

والنكتة في أمره بالدعاء إظهار سر كرمه تعالى وأنه يجازي على كل شيء من جنسه جزاء وفاقا ، وذلك أنه سبحانه وتعالى باجتناب ما نهاه عنه والائتمار بما أمرنا به وجازانا على ذلك بأن ائتمر لأوامرنا وانتهى عن نواهينا ، فإنك تقول في الدعاء : اللهم اغفر لي ، فيأتمر لك بأن يغفر لك ، وتقول : اللهم لا تخزني ، فينتهي عن نهيك بأن لا يخزيك .

ولذا قال تعالى شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ أي : فليستجيبوا لي بالائتمار بما أمرتهم به والانتهاء عما نهيتهم عنه فإذا كانوا كذلك فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فائتمر لأمره وانته عن نهيه سبحانه وتعالى ما أكرمه .

ومع هذا فإن المصلحة في ائتمار العبد لما أمر به وانتهائه عما نهي عنه عائدة عليه ، واستجابة دعائه عائدة عليه ، والله سبحانه وتعالى غني عنه في الجميع . فانظر إلى هذا الكرم ، سبحان الله الكريم لا إله إلا هو . انتهى

وقال العارف ابن زروق ﵁ : استواء العبادتين في الاصل مع جواز ترك إحداهما للأخرى شرعا يقضي بالبدلية فيهما فالذكر بدل من الدعاء عند اعتراض الاشتغال به عنه وبالعكس وقد صح : « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » فظهرت افضلية الذكر في هذه الحالة . **والتحقيق أن الافضل في كل محل ما وقع فيه** إذ الكل وقع لأنبياء الله تعالى في أحوال ، وهم فيها على أفضل الأحوال . انتهى

واعلـــم أن الخواص ثابتة في الأقوال والأفعال والأعيان ، وأعظمها خواص الأذكار إذ ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى ، وقد جعلها الله تعالى للأشياء كالأشربة والمعاجين في منافعها لكل ما يخصه ، فلزم مراعاة العام في العموم وفي الخاص مما يوافق حال الشخص ، وعلم من اعتبار الجانب الشرعي في القسط والعمل سيما ، وقد قال مالك ﵀ في « المجهولات » : ما يدريك لعلها كفر ، قلت : وقد رأيت من يرقي بألفاظ كفرية والله أعلم . قال ابن زروق ﵁

وقال رحمه الله تعالى : ما خرج مخرج التعليم وقف به على وجهه من غير زيادة ولا نقصان ، فلقد روي أن رجلا كان يذكر في دبر كل صلاة سبحان الله والحمد لله والله اكبر مائة مرة من كل واحد ، فرأى كأن قائلا يقول : أين الذاكرون أدبار الصلوات ؟ فقام ، فقيل له : ارجع فلست منهم ، إنما هذه المزية لمن اقتصر على الثلاث والثلاثين ، فكل ما ورد فيه عدد قصر عليه ، وكذا كل لفظ ، نعم ، اختلف في زيادة سيدنا في الوارد من كيفية الصلاة عليه ﷺ ، والوجه أن يقتصر على لفظه حيث تعبد به ويزاد حيث ما يراد الفضل في الجملة . وقال ابن العربي ﵁ في زيادة (وارحم محمدا) إنه قريب من بدعة وذكره في المعارضة والله أعلم .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن زروق ﵁ : حق العبد أن لا يفرط في مأمور ولا يعزم على محظور ولا يقصر في مندوب ، فإن قصر به الحال حتى وقع في الأول أو الثاني أو الثالث لزمه الرجوع لمولاه بالتوبة واللجأ

والاستغفار ، ثم إن كان ذلك بسبب منه عتب نفسه ولامها ، وإن كان لا بسبب منه فلا عتب على قدر لا سبب للعبد فيه .

ودليل ذلك في حديث سؤال علي وفاطمة ، إذ سألهما عليه الصلاة و السلام من عدم صلاتهما بالليل فأجابه علي بقوله : إن الله قبض أرواحنا ، فمر وهو يقول : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ ولما ناموا ليلة الوادي حتى طلعت الشمس قال عليه الصلاة و السلام : « **إن الله قبض أرواحنا** » ، وذلك أن عليا وفاطمة تسببا بوجود الجنابة كما ذكره ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى ، فكان الجواب بالعذر وإن كان نفس الحق جدلا إذ سئلا عن السبب ، و الصحابة في الوادي لم يتسببوا بل وكّلوا من يقوم لهم بالأمر من هو أهلٌ للقيام به ، فافهم « قواعد » ٤٨ .

وإقامة الورد في وقته عند إمكانه لازم لكل صادق ، فإذا عارضه عارض بشرية أو ما هو واجب من الأمور الشرعية لزم إنفاذه بعد التمسك بما هو فيه جهده من غير إفراط مخل بواجب الوقت ، ثم يتعين تداركه بمثله لئلا يعتاد البطالة ولأن الليل والنهار خلفة والأوقات كلها لله تعالى ، فليس لك اختصاص وجه إلا من حيث ما خصص .

فمن ثم قال بعض المشائخ : ليس عند ربكم ليل و لا نهار ، يشير للكون بحكم الوقت لا كما يفهمه البطالون من عدم إقامة الورد .

وقيل لبعضهم وقد رأيت بيده سبحة : أتعد عليه ؟ قال : لا ولكن أعدّ له .

فكل مريد أهمل أوقاته فبطال ، وكل مريد تعلق بأوقاته دون نظر للحكم الإلهي فهو فارغ من التحقيق ، ومن لا يعرف موارد الأحوال عليه فغير حاذق ، بل هو غافل .

ولذلك قيل : من وجد قبضا أو بسطا لا يُعرف له سبب فلعدم اعتنائه بقلبه ، وإلا فهما لا يردان دون سبب . والله أعلم ، انتهى ما قاله أبو العباس أحمد زروق قُدِّسَ سِرُّهُ .

والأهـــم أن يديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا وإلا فباطنا ، وترتيب ذلك أن يصلي ما دام منشرحا ونفسه مجيبة ، فإن سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة ، فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة ، فإن سئم التلاوة أيضا يذكر الله تعالى بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة ، فإن سئم الذكر يدع ذكر اللسان ويلازم بقلبه المراقبة .

والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه ، فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب ، والمراقبة عين الذكر وأفضله ، فإن عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس فلينم ، ففي النوم السلامة ، وإلا فكثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان ، فليحترز من ذلك .

قــال سهل بن عبد الله ﷺ : **أسوأ المعاصي حديث النفس** ، والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فإنه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر في باطنه ، فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر . كذا ذكره ترجمان الحقيقة الشيخ السهروردي ﷺ في « العوارف » اهـ .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته أو صرف عنه مثلها سوءاً أو حط عنه من ذنوبه بقدرها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

فإذا الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق ، إلا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء ، وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعا أو تأخيرا وإن ألحّ في دعائه وسؤاله .

وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيرا له ، فقد جاء في بعض الأخبار : يبعث عبد فيقول الله تعالى له : ألم آمرك برفع حوائجك إليّ ؟ فيقول : نعم ،

وقد رفعتها إليك . فيقول الله تعالى : ما سألت شيئا إلا أجبتك فيه ولكن نجزت لك البعض في الدنيا وما لم أنجزه في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن ، حتى يقول ذلك العبد : **ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا** .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت فلم يستجب لي » .

وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على فرعون فيما أخبر الله عنهما حيث قال : ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ، ثم أخبر أنه قد أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى : ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، قالوا : وكان بين قوله تعالى لهما ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ وهلاك فرعون أربعون سنة ، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي على عدم استعجال ما طلبتما ، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . قاله السيد أحمد زيني قدس سره . انتهى

وناهيك شرفاً وعزّاً وحظّاً ما يتحصّله له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى وموافقة رضاه .

وقال رجل من أصحاب أبي عبد الله رضي تعالى عنه : قلت لأبي عبد الله : إن في كتاب الله تعالى آيتين أطلبهما فلا أجدهما . فقال : وما هما ؟ قلت : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ، فندعوه فلا نرى إجابة ، قال : أفترى الله تعالى أخلف وعده ؟ قلت : لا ، قال : ففيم عدم الإجابة ؟ قلت : لا أدري ، قال : لكني أخبرك عن ذلك : من أطاع الله فيما أمر به ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه ، قلت : وما جهة الدعاء ؟ قال : تبدأ فتحمد الله تعالى وتمجده بذكر نعمه عليك فتشكره ثم تصلي على النبي ﷺ ، ثم تذكر ذنوبك فتقر بها ، ثم تستغفر منها ، فهذه جهة الدعاء ، ثم قال : وما الآية الأخرى ؟ قلت : قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ فأراني أنفق وما أرى خلفا ، قال :

أفترى الله أخلف وعده ؟ قلت : لا ، قال : فبم ذلك ؟ قلت : لا أدري ، قال : لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حقه لم ينفق درهما إلا أخلف عليه .

قال الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ : أنه قال : « إن الله يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما خائبين » « مكارم الأخلاق » ١٠٨ .

وقال قطب العارفين أحمد بن إدريس الحسيني ﷺ في ٢٦ : قد يكون الدعاء في الساعة التي يتجلى فيها الحق سبحانه وتعالى بصفة الوهاب فلا يرد فيها الدعاء ، ولو كان من كافر ، فإن إبليس قال : رب أنظرني إلى يوم يبعثون وهو مطرود ملعون نجس الباطن والظاهر ، فاستجيب له وقال : ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾

ومن هنا نهانا رسول الله ﷺ عن لعن الدواب وغيرها حتى أن المرأة التي لعنت جملها وهي في سفر قال : « قد استجيب لك ولا نقبل ملعونا ، اطردوا الجمل » فطردوه وكان كلما أقبل إليهم الجمل طردوه بالخيل ، فحرمت المرأة الجمل وظلمته بسبب لعنها له .

والرجل الذي رأى قيام يوم القيامة وذلك أنه سرق سرجه فسأل عنه فقيل له : قد سرق ، فقال : ذهب في لعنة الله ، فلما رأى أن القيامة قد قامت وهو ممن قتل شهيدا فأتي بفرسه وبولها وزبلها يوضع في الميزان ، فقال : أين سرجها إنه يثقل في الميزان ؟ فقيل له : ذهب في اللعنة التي قلتها في ساعة كذا ، فقد يؤتى الرجل من قبل نفسه وهو لا يشعر .

ومن الحكايات العجيبة أن ذئبا برد في ليلة بردا شديدا ، فتمنى سلوقيا« ١ » يلحقه ليدفأ ، فما ثم إلا وقد أقبل عليه السلوقي فهرب منه حتى جوز فقال : لو رجمت في فمي لما تمنيت هذه الأمنية ، فما تم إلا ولقيه رجل فرجمه بحجر حتى هرس أسنانه فطلع إلى رأس الجبل ونادى بأعلى صوته : ألا من يريد أن يدعو فإن أبواب السماء قد فتحت .

« ١ » نوع من أنواع الكلاب .

والدعاء في نفسه إنما هو إظهار للعبودية والتذلل وإجلال وتعظيم لباب الكريم ، وليس لأنه غافل عنك سبحانه وتعالى أو عن حاجتك ، بل يعلم بما توسوس به نفسك قبل أن توسوس ، وهو يعلم السر وأخفى . وهو سبحانه وتعالى كريم جواد لا يحتاج إلى سؤال . قال شاعر في مدح بعض الملوك يسمى مَعْنَا« ١ » :

أيا جودَ مَعْنٍ ناجِ مَعْناً بِحاجَتي فَما لِي إلى مَعْنٍ سِواكَ سَبيلُ

فما ظنك بملك الملوك « عقد نفيس » .

اختلف العارفون في أن الأولى للعبد الدعاء أو الإمساك لأنه لا يرد القضاء والمختار التفصيل .

وهو أنه إن كان في مقام الجمال والبسط فالأولى له الدعاء تلذذا بمخاطبة مولاه ، وإن كان في مقام الجلال والهيبة فالأولى له الإمساك ، كما وقع للخليل عليه السلام حين ألقي في النار .

وقد جرت عادة الملوك أنهم في حال الغضب لا يقدر أحد أن يكلمهم ولا يراجعهم ، بخلاف حالة البسط ، ولله المثل الأعلى ، فالأولى للعبد التسليم في مقام الجلال والهيبة والغضب ، والأولى به الدعاء في مقام الجمال والبسط .

ثم إذا دعا فليكن بدعائه ممتثلا لأمر الله تعالى حيث يقول : ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ ، ولا يكن قاصدا لحظ نفسه ، بل يفعل ذلك عبودية وامتثالا للأمر . **وعلامة صدقه أن لا يضطرب قلبه إذا لم يحصل مراده** ، بل كان بعض العارفين يطمئن قلبه ويسكن إذا حصل غير مراده أكثر مما حصل مراده ويقول : إن مراد الله تعالى خير من مرادي ، والله أعلم بالمصلحة مني ، وأما إذا حصل مراده فإنه يقول : أخشى أن يكون ذلك استدراجا ، فمن كان يدعو امتثالا للأمر على هذا الشرط فهو خير له من الإمساك ، بخلاف من يريد أن

« ١ » هو معن بن زائدة .

الأشياء تجري على مراده ويضطرب قلبه ويسخط إذا تأخر مراده ، فهذا خلق مذموم ليس من أخلاق المخلصين ، ومن يكون مطمئن القلب إذا حصل مراد الله تعالى كان راضيا بقضاء الله تعالى ، فانيا في الله تعالى .

والفناء في الله تعالى من أعظم المقامات ، وعلامته أن يوفَّق صاحبه لأداء العبادات المفروضة ولا يخل بشيء منها ، ومن كان فناؤه فيه إخلال بشيء من الفرائض يخشى عليه السلب والانتكاس والعياذ بالله تعالى .

وصاحب الفناء الكامل يكون رجوعه إلى الصحو وإلى الخلق خيرا له لإرشاد العباد ودعوتهم إلى الله تعالى ، وإنما يجري عليهم أولا الفناء عن الخلق ليتجلى عليهم بصفة قهره فيسلبهم أعمالهم وأحوالهم ومقاماتهم وبقهرهم حتى يخافوه ولا يأمنوا مكره ويعرفوا قدر ما حباهم من النعم ، فإذا رجعوا إلى الخلق يكونون معهم باللطف والذل والتواضع والنصيحة والإرشاد . . الخ « تقريب الأصول » ١٠٤ .

وقال في « شرح الحكم » لابن عبّاد النفزي : ويعلم أن الخيرة له في جميع ما به يتولاه وإن خالف ذلك مراده وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

وعن جابر ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل او كف عنه من السوء مثله ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » . . الخ .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يحب الملحين في الدعاء » . وقد جاء في الحديث : « قال جبريل ﵇ : يا رب عبدك فلان أقضي له حاجة ؟ فيقول : دعوا عبدي ، فإني أحب أن أسمع صوته » رواه أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ .

ومقتضى هذا أن من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهة صوته ، وقد روي هذا المعني أيضا منصوصا . فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل إجابة دعائه .

قال أبو محمد عبد العزيز المهدي ﷺ : كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج ، وهو ممن قيل له : اقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته ، فإذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى ، لا مع اختيار نفسه ، كان مجابا وإن لم يعط ، والأعمال بخواتيمها . اهـ .

وقد تكون الإجابة مرتبة على شروط لا علم للداعي بها فتؤخَّر لعدم وقوع ذلك أو بعضه ، وذلك مثل وجود الاضطرار ، قال الله تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ، فرتب الإجابة على الاضطرار .

وقال بعض العارفين : إذا أراد الله تعالى أن يستجيب دعاء عبده رزقه الاضطرار في الدعاء ، والاضطرار لا يتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته . قال بعضهم : المضطر الذي إذا رفع إلى الله تعالى يده لم ير لنفسه عملا .

وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس الوصول إليه ، فكيف يتحقق مما ينبني عليه اهـ . من « الحكم » ٨ .

ومن الأوراد المهمة التي واظب عليها السادات المسبعات العشر ، وقد أوصاني شيخنا العارف أبو المواهب زين الله الشريفي ونفسي فداه بالمواظبة عليها وأكد الأمر في ذلك لخلفائه .

قال بعض الأكابر : إذا قارب طلوع الشمس يبتدأ بقراءة المسبعات ، وهي من تعليم الخضر عليه السلام علمها إبراهيم التيمي قدس سره وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ ، وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق فى الأذكار والدعوات . وهي عشرة أشياء سبعة سبعة : الفاتحة ، والمعوذتين ، وسورة الإخلاص ، وقل يا أيها الكافرون ، وآية الكرسي ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والصلاة على النبي ﷺ وآله بأن يقول : اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد وسلم ، والاستغفار بأن يقول : اللهم اغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وقوله سبعا : اللهم افعل بنا وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل ، إنك غفور رحيم جواد كريم رؤف رحيم . « مفتاح التفاسير » .

وقال علي الخواص رضي الله عنه : إذا توجهت إلى الله تعالى في حصول أمر دنيوي أو أخروي فتوجه إليه وأنت فقير ذليل ، فإن غناك وعزتك يمنعانك الإجابة ، وإن كان بالله عز وجل لأن الغنى والعزّ صفتان لا يصح للعبد الدخول على الله تعالى بهما أبدا ، لأن حضرة الحق تعالى لها العزة ذاتية ، فلا عزيزا ولا غنيا ، وهذا أمر من ذاقه لا يمكنه أن ينكره من نفسه . « تقريب » ٩٤ .

ومن كلام بعض العارفين : لا يكن تأخير العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختاره أنت لنفسك ، وفي الوقت الذي يريده لا في الوقت الذي تريده .

فريدة في الأدعية المأثورة والواردات المجربات عن السادات

مما يقرأ للأمر المهم والأوجاع منقول عن الصادق« ١ » رضي الله عنه تقول ثلاث مرات : اللهم أنت لها ولكل عظيمة ففرجها عني . وإن قرأته للوجع فضع يدك حال قراءته على موضع الوجع . « كشكول » للعاملي ٩٢ .

دعاء منقول عن سيد البشر« ٢ » صلى الله عليه وسلم : من أراد أن لا يوقفه الله تعالى على قبيح أعماله ولا ينشر له ديوانا فليدع بهذا الدعاء في دبر كل صلاة وهو : **اللهم إن مغفرتك أرجى من عملي وإن رحمتك أوسع من ذنبي ، اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني لأنها وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين**« ٣ » . منه ٩٤ .

« ١ » أي الإمام جعف الصادق رضي الله عنه .

« ٢ » وهو من دعاء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كذا في « حلية الأولياء » .

« ٣ » وقد كان الإمام الشافعي ملازما عليه . « شرح تائية السلوك » للعلامة الشرنوبي عبد المجيد .

ومن الواردات المجربة هذه : اللهم إني أسألك يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه ، يا من تسربل بالجلال والكبرياء واشتهر بالتجبر في قدسه ، يا من تعالى بالجلال والكبرياء في تفرد مجده ، يا من انقادت الأمور بأزمتها طوعا لأمره يا من قامت السموات والأرض مجيبات لدعوته ، يا من زين السماء بالنجوم الطالعة وجعلها هادية لخلقه وجعلها مفرقة بين الليل والنهار لعظمته ، يا من استوجب الشكر بنشر سحائب نعمه أسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وبكل اسم هو لك سميت به نفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك وبكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو أثبته في قلوب الصافين الحافين حول عرشك ، فتراجعت القلوب إلى الصدور عن البيان بإخلاص الوحدانية وتحقق الفردانية مقرّة لك بالعبودية وإنك أنت الله أنت الله أنت الله لا إله إلا أنت ، وأسألك بالأسماء التي تجليت بها للكليم على الجبل العظيم ، فلما بدا شعاع نور الحجب من بهاء العظمة خرت الجبال متدكدكة لعظمتك وجلالك وهيبتك وخوفا من سطوتك راهبة منك ، فلا إله إلا أنت ، فلا إله إلا أنت ، فلا إله إلا أنت ، وأسالك بالاسم الذي فتَقْت به رتق عظيم جفون العيون للناظرين الذي تدبرت به حكمتك وشواهد حجج أنبيائك ، يعرفونك بنظر القلوب وأنت في غوامض مسراة سوائد القلوب ، أسألك بعزة ذلك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تصرف عني وأهل خزانتي وجميع المؤمنين والمؤمنات جميعَ الآفات والعاهات والأعراض والأمراض والخطايا والذنوب والشك والشرك والكفر والنفاق والشقاق والضلالة والجهل والمقت والغضب والعسر والضيق وفساد الضمير وحلول النقمة وشماتة الأعداء وغلبة الرجال ، إنك سميع الدعاء لطيف لما تشاء . انتهى . « كشكول » ٢٤٤ .

وورد أيضا دعاء مجرب : يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، أسألك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة وعترته أئمة الأئمة أن تصلي عليه وعليهم وأن تجعل لي من أمري فرجا قريبا ومخرجا رحبا وخلاصا عاجلا إنك على كل شيء قدير .

والدعاء المشهور المروي عن الإمام الشافعي ﵁ : اللهم إني لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني ، أللهم وفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في طاعتك إنك ذو الفضل العظيم .

وليقل أيضا ما هو مروي عن الإمام الشاذلي ﵁ : اللهم إن الأمر عندك محجوب عني ولا أعلم أمرا أختاره لنفسي ، لكن أنت المختار لي فإني فوضت مقاليد أمري إليك ورجوتك لفقري وفاقتي ، فأرشدني إلى أحب الأمور إليك وأرجاها وأحمدها عندك عاقبة في الدين والدنيا والآخرة ، إنك على كل شيء قدير وتفعل ما تشاء وتحكم ما تريد . « تقريب » ١٤٢

وقال سيدي أبو المواهب ﵀ : ومما جربنا فصحّ أن من أراد قضاء حوائجه ودفع مصائبه فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس ، هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أول مرة ، فاعمل على ذلك فإنه الكبريت الأحمر والفرج القريب والمعين على ذلك الصبر . منه ٧٩ .

عجيب ما قاله الباز الأشهب حسين منصورالحلاج ﷺ حين قدم للقتل بسعاية الأوباش : إلهي أفنيت ناسوتيتي في لاهوتيتك وبحق ناسوتيتي على لاهوتيتك أن ترحم على من سعى في قتلي . « نفحات » ٢٠٩ .

ومما أرشد إلى قطب العارفين السيد أحمد بن إدريس المغربي الحسيني ﵁ : يا لطيف « ألف مرة » ، ثم تقول بعد كل مائة : الطف بي في أموري كلها كما تحب وترضى ، وأرضني في ديني وبدني ودنياي وآخرتي يا ذالجلال والإكرام ، اللهم يا لطيف لطفت بخلق السموات والأرض ولطفت بالجنين في بطن أمه ، الطف بي في قضائك لطفا يليق بجلالك وكرمك يا أرحم الراحمين ويا رب العالمين ويا أكرم الأكرمين « العقد النفيس » ٩١ .

ومن الأدعية التي تواظب عليها السلف السادات الدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر .

وقال أيضا في « عقده » ما معناه : إن من قال ذلك صباحا ومساء فقد صار نائبا عن جميع المخلوقات ناطق وصامت وجامد ومائع ومسلم وكافر في الحمد ، فيعود عليه أجر ذلك الحمد عن كل فرد من المخلوقات .

وهذا شيء لا يعلمه ولا يحصره إلا الله سبحانه وتعالى ، فسبحانه ما أكرمه جل وعلا يجازي بهذا الجزاء الوافي الذي لا يعد ولا يحصى على كلمة واحدة ، ثم انظر بلاغة كلام من لا ينطق عن الهوى الذي أعطي جوامع الكلم عليه الصلاة والسلام « العقد النفيس »٢٥٣ .

وقال الشيخ أبو بكر الخوارزمي ﵁ في « المفيد » : اعلم أن الدعاء نوع عبادة . قال النبي ﷺ : « الدعاء هو العبادة » ، **وقال الله تعالى** : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ، سمي الدعاء عبادة والدعاء هو العبادة والدعاء له كشف وإجابة .

قال النبي ﷺ : « ما من مسلم يدعو بدعوة لا يكون فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يكشف له من السوء مثلها » ، فقالوا : إذاً نكثر الدعاء ، فقال : « الله تعالى أكبر » يعني عطاء الله أكثر .

فإن قلت : يجب على المؤمن الرضاء بالقضاء ، فما معنى الدعاء وكل شدة وبلاء ، سراء وضراء بقضاء الله تعالى ؟

الجواب : عرفت شيئا وغابت عنك أشياء :

إذا رَأَيْـتَ نُيوبَ الّليـثِ بارِزَةً   فَـلا تَظُنَّنَّ أنَّ الّليْـث مُبْتَسِمُ

فلا تظن أيها المسترشد أن معنى الرضاء بالقضاء ترك الدعاء ، فالعاقل لا يترك السهم المرسل إليه حتى يصيبه مع قدرته على المعالجة بالحرز والتحرز عنه بوجه ، فمن جملة الرضاء بالقضاء أن يتوسل إلى محبوبه بمباشرة ما جعله سببا ، بل لا نترك الأسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه ، فليس من الرضاء للعطشان أن لا يمد اليد إلى الماء البارد زاعما أنه رضي بالعطش الذي هو من قضاء الله تعالى ، بل من قضائه ومحبته أن يزيل العطش بالماء ، فمعنى الرضاء بالقضاء ترك الاعتراض ولا يخالف قضية الدعاء .

وسئل بعض العلماء : لم لا يستجاب دعاؤنا ؟ قال : لأن الله تعالى أنعم عليكم فلا تشكرونه ، وعصيتموه فلم تستغفروه ، وسمعتم العلم فلم تستعملوه ، وصحبتم الزهاد فلم تعملوا بمثل أعمالهم ، ورأيتم الجبابرة وما لهم فلم تعتبروا .

وقال بعض العلماء : لا يمنعكم من الدعاء ما تعرفون من أنفسكم من الشر ، فإن الله سبحانه استجاب لعدوه إبليس مع كفره ، قال : ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ فاستجاب دعاءه فقال : ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ ، والدعاء أفضل العبادات لا يتداخله الرياء الخ . « مفيد العلوم » .

فصل

في الوصايا التي كانت من ضروريات المريد السالك في هذه النسبة السنية

عن أبي عبد الله الملطي قال : لما أراد موسى أن يفارق الخضر عليهما السلام قال : أوصني بشيء ! قال : كن نفاعا ولا تكن ضرارا ، كن بشاشا ولا تكن عضبانا ، ارجع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعير أحدا بخطيئة ، وابك على خطيئتك يا ابن عمران . انتهى

وذكر صاحب « التقريب » عن شيخه محمد مظهر قدس سرهما أن أهم ما ينصح به الإخوان الكرام أن يكون شغلهم بالله تعالى على الدوام ، وأن يصرفوا جميع هممهم إلى ذكر الله الملك العلام بلا غفلة لمحة عنه سبحانه ، حتى يحصل الحضور التام ويزول التعلق حبا وعلما بما سواه من الأنام .

وقال أيضا : خلاصة الحياة الطيبة تفويض الأمور إلى الله تعالى ورؤية تقلب الأحوال من تقدير الملك المتعال ، وعدم التكلم بلِم وكيف في الوقائع والحوادث ، وترك المعارضة وعدم المضايقة مع المكوَّن الحادث وتقوية القلب بتفكر مواعد الحق تعالى وتذكر خزائنه الغيبية ، واليأس من نفسه ومن الخلق بالكلية . انتهى

وقال الشيخ يوسف بن الحسين الرازي ﵁ حين سئل : يا بني صحح حالك مع الله تعالى لا يشغلك عنه ولا تشغل بما يقول الخلق منك ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإذا صحت حالك مع الله تعالى أرشدك للطريق إليه ، واقتد بسنة النبي ﷺ وظاهر العلم ، وإياك أن تدعي فيما ليس لك علم ، فما أهلك عامة المريدين إلا الدعاوى . « نفحات الانس » ١٥٦ .

قال بعض العارفين لشيخه : أوصني بوصية جامعة ! فقال : أوصيك بوصية الله رب العالمين للأولين والآخرين ، قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

ﭐلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ ، ولا شك أنه تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، ورحمته ورأفته به أجل من كل رأفة ورحمة ، فلو كان في الدنيا خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم في القدر وأعرف في العبودية من هذه الخصلة لكانت هي الأولى بالذكر والأحرى بأن يوصي به عباده ، فلما اقتصر عليها علم أنها جمعت لكل نصح وإرشاد وتنبيه وسداد وخير وارفاد « كشكول » ٢٤٢ .

وقال أيضا بعض العارفين : إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهي التقوى ، انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها ، فكم علق عليها من خير ووعد عليها من ثواب وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية اهـ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﭬ : اعلموا أيها الأحباب أن الحق سبحانه وتعالى مع كونه في غاية العظمة والكبرياء في غاية القرب منكم فكونوا في هذا الاعتقاد وإن لم يكن هذا المعنى معلوما لكم الآن ، لكن ينبغي أن تكونوا مع الأدب دائما في الخلاء والملأ ، فإذا كان أحدكم في بيته وحده لا يمدن رجليه ، واقعدوا في الخلوة مصاحبين للحياء ناكسين رؤسكم وغامضين عيونكم ، وكونوا مع الله تعالى بالصدق في السر والعلانية والظاهر والباطن ، فإن قمتم بحفظ هذه الآداب يكون لكم ذلك المعنى بالتدريج ، وينبغى تحلية أنفسكم بحليّ الآداب الظاهرية والباطنية .

فالآداب الظاهرية القيام بأوامر الشرع ونواهيه والمداومة على الوضوء والاستغفار وتقليل الكلام والاحتياط في جميع الأمور وتتبع آثار السلف .

والآداب الباطنية عسيرة جدا ، وأهم الآداب حفظ القلب عن خطور الأغيار فيه خيرا كان أو شرا ، فإنهما مساويان في كونهما حجابا عن الحق تعالى . انتهى

وقد كتب الإمام الرباني ﷺ الصمداني نصيحة إلى بعض مريديه بما لفظه : النصيحة التي أنصح بها هي تصحيح العقائد أولا بموجب أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية شكر الله تعالى سعيهم ، والعمل بمقتضى الأحكام الفقهية بعد تصحيح الاعتقاد أيضا ضروري ، لا بد من امتثال ما نحن به مأمورون ، ولا مهرب من الانتهاء والاجتناب عما نحن منهيون عنه .

ينبغي أولا أداء الصلوات الخمس من غير فتور ولا كسل مع رعاية الشرائط وتعديل الأركان ، ولا بد من أداء الزكاة أيضا على تقدير حصول النصاب ، وعند الإمام الأعظم ﷺ تجب الزكاة في حلي النساء أيضا .

ولا ينبغي صرف الأوقات في اللهو واللعب ، وإتلاف العمر فيما لا يعني ، فضلا عن صرفها في أمور منهي عنها ، وإياكم والرغبة في الغناء والنغمة والانخداع بالالتذاذ بها ، فإنها سم مطلي بالعسل ، وعليكم بالاجتناب عن الغيبة والنميمة بين الناس ، فإنه قد ورد في ارتكاب هاتين الذميمتين وعيد شديد .

والاجتناب عن الكذب والبهتان أيضا ضروري ، وهاتان الرذيلتان حرامان في جميع الأديان ، ومرتكبهما موعود عليه بوعيدات كثيرة .

وستر عيوب الخلق وذنوب الخلائق والعفو والتجاوز عن زلاتهم من عزائم الأمور ، وينبغي الشفقة والمرحمة على الممالك والأتباع ، والإغماض من تقصيراتهم دون أن يؤاخذهم بها ، وضرب هؤلاء المساكين بوجه وبلا وجه«١» وشتمهم وإيذاؤهم غير مناسب وغير ملائم .

ينبغي للإنسان أن ينظر إلى تقصيراته الواقعة في كل ساعة بالنسبة إلى جناب قدسه تعالى ، و هو تعالى لا يعجل في المؤاخذة عليها ولا يمنع الرزق بسببها .

« ١ » أي بسبب ولا سبب .

وبعد تصحيح الاعتقاد وإتيان الأحكام الفقهية ينبغي استغراق الأوقات بذكر الله تعالى على نهج أخذتموه ، وكل ما ينافيه ينبغى أن يجتنب عنه .

كُلُّ شَيءٍ غَيْرُ ذِكْرِ اللهِ لَـو أَكْلُ قِنْدٍ« ١ » فَهْـوَ سُـمٌّ قاتِـل

وقد قيل في الحضور أيضا أنه كلما يحتاط في الأمور الشرعية يزيد في المشغولية ، وإذا وقعت المساهلة في الأحكام الشرعية يزول الحلاوة والالتذاذ بالمشغولية ، والله يهدي من يشاء وإليه ينيب . « مكتوبات » ٥٠ .

وينبغى صرف الأوقات إلى ذكر الله تعالى بعد أداء الصلوات الخمس مع الجماعة وأداء السنن الرواتب ، وأن لا يشتغل بغيره سواء كان وقت الأكل أو النوم أو المشي .

وقد بينا لكم طريق الذكر فينبغي الاشتغال به بهذا الطريق المعهود ، فإن طرأ الفتور على الجمعية ينبغي البحث عن سبب ذلك الفتور وتعيينه وتشخيصه أولا ثم التثبت بأسباب تلافي التقصير ثانيا ، وينبغي التوجه إلى الحق بالالتجاء والتضرع التام ، وأن يسأله سبحانه دفع ظلمة الفتور والتقصير ، وأن يتوسل بالشيخ الذي أخذ عنه الذكر ، والله سبحانه الميسر كل عسير . وينبغي أن يكون الرغبة فى السعي والاجتهاد في تحصيل الإقبال بالكلية على جناب قدسه تعالى و الإعراض عما سواه تعالى .

هذا هو الأمر والباقي من العبث ، وحصول هذه الدولة العظمى موقوف في هذا الوقت على الإخلاص للطائفة العلية النقشبندية والتوجه إليهم ، فإن الذي يحصل في صحبتهم الواحدة لا يتيسر إلا بالرياضات الشديدة والمجاهدات الشاقة في مدة مديدة ، وذلك لأن في طريق هؤلاء الأكابر اندراج النهاية في البداية بحيث يعطى في أول صحبتهم ما يقع فى يد المنتهين في نهايتهم .

وطريق هؤلاء الأكابر هو طريق الأصحاب الكرام ، فإنه كان يحصل لهم في أول صحبة خير البشر عليه الصلاة والسلام ما يندر حصوله لأولياء الأمة

« ١ » القند عسل قصب السكر .

في النهاية ، وهذا طريق اندراج النهاية في البداية ، فعليكم بمحبة هؤلاء الأكابر فإنها ملاك الأمر والسلام اهـ . « مكتوبات » ٩٨ .

وقال[١] شيخ[٢] شيخنا[٣] حكاية عن الشاذلي قدس الله تعالى أسرارهم : انتزع عن حب الدنيا بالإيثار ، وعن المعصية بترك الإصرار ، وداوم على مسألة الرحمة اللدنية واستعن بها على الفعلية ، ولا تعلق قلبك بشيء تكن من الراسخين في العلم الذين لا يغيب عنهم سر ولا علم ، فإن خطر بقلبك خطرات المعصية والدنيا فألقها تحت قدميك حقارة وزهدا ، املأ قلبك علما ورشدا ولا تتشوَّف لها فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها ، ثم لا بد من معانقتها إما بالهمة والفكرة أو بالإرادة والحركة ، فعند ذلك يتحير اللب ويكون كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى ، ولا هدى إلا لمن اتقى ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا ، ولا يعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه ، ولا تهون النفس إلا على من عرفها ، ولا يعرفها إلا من عرف الله ، ولا يعرف الله إلا من أحبه ، ولا يحب الله إلا من اصطفاه الله واجتباه وحال بين نفسه وهواه .

وقل : يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد يا رب يا ملك يا موجود يا هادي يا منعم هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وأنعم على عبدك بنعمة الدين وبنعمة الهداية إلى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور بحرمة هذا الاسم الأعظم آمين .

وقـــال : إذا توجهت إلى شيء من عمل الدنيا والآخرة فقل : **يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير .**

« ١ » في « الجامع » ص ٣٢ .

« ٢ » أي أحمد ضيآء الدين ﷻ .

« ٣ » أي زين الله الشريفي ﷻ .

وقال : إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ .

وقال : إن المغبون في الدنيا والآخرة من أصحب مصائب الأجور بمصائب الثبور ، والرضا عن الله تعالى ثوابه الرضا من الله تعالى ، فمن لم يرض عن الله تعالى لم يرض الله تعالى عنه ، ومن يسخط عن الله تعالى يسخط الله تعالى عنه . قال الله تعالى : ﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾

وقال أيضا : حد السخط إرادة ما لم يرد الله تعالى بالحكم . وقال : من آمن بالقسمة حرم عليه أن ينازع في الحكم .

وقال : كل مصيبة يرجى ثوابها ولا يخاف عقابها فليست بمصيبة ، إنما المصيبة ما لا يرجى ثوابها ويخاف عقابها .

وقال أيضا : **أخس الناس منزلة عند الله تعالى من جعل دينه لقضاء حوائجه** .

وقال : إذا كانت لك حاجة وأردت أن تقضي فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تعالى ، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده ، واحذر أن يمر بصر قلبك إلى غير الله تعالى فتحجب عنه ، بل فوض إليه ولا تفرح ولا تحزن ولا تخف ولا ترجُ ولا تذل ، والمؤمن لا يذل نفسه ، وقل : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .

فاعلم أن أول قدم المريد في هذه الطريق ينبغي أن يكون على الصدق ليصح البناء على أصل صحيح ، فإن المشائخ قالوا : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول .

قال القشيري ﷺ : ويقبح بالمريد الانتساب إلى مذهب من ليس من أهل هذا الطريق ، لأن الناس إما أرباب النقل والأثر وإما أصحاب العقول والفكر . وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة«١» ، فالذي للناس غيوب فهو لهم

« ١ » أي جملة القسمين . « شرح زكريا الأنصاري على رسالة القشيرية » .

ظهور ، والذي لغيرهم من المعارف مقصود فلهم من الله تعالى موجود . فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال ، كما قيل :

لَيْلِـي بِـوَجْهِـكَ مُشْـرِقٌ　　وَظَلامُهُ في النَّاسِ ساري
فَالنَّاسُ في سُدَفِ الظَّلَامِ　　وَنَحْنُ فِـي ضَـوءِ النَّهـارِ

ولم يكن في عصر من الأعصار شيخ من الشيوخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك العصر من العلماء يتواضعون له ويتبركون به ويقدمونه على أنفسهم ، ولولا مزيته واختصاصه لكان الأمر بالعكس . « جامع الأصول » ١٠٤ .

ولقد كتب بخط الشيخ محمد فارسا ﷻ ما أوصاه حضرة الخواجه علاء الدين ﷻ زمن وفاته لأصحابه . قال للأصحاب : لا تقيسوا أحوالكم على ما يمر علَيّ من تفرقة الظاهر ، بل كونوا على رعاية الحضور الظاهري والباطني ، وإلا تكونوا متفرقين ومتحيرين .

وقال ﷻ : قد ذهبت الأحباب والأعزة وكذلك يذهبون ، ولا شك أن ذلك العالم أفضل من هذا العالم وقد أريت الخضرة في النظر فقال شخص : نعم الخضرة ، فقال : التراب أيضا طيب لم يبق ميل إلى هذا العالم أصلا غير أن الأحباب يجيؤون ولا يجدونني فيرجعون مكسوري القلوب .

وقـــال في هذا المرض للأصحاب : اتركوا الرسم والعادة وافعلوا خلاف ما هو رسم الخلق وعادة العامة ، وليوافق بعضكم بعضا .

وحكمة بعثة النبي ﷺ إنما هي لإبطال العادات ورسوم البشرية ، وليكن كل واحد منكم مقيما في جنب الآخر وجواره بنفي نفسه وإثبات صاحبه ، واعملوا في جميع الأمور بالعزيمة ولا تعدلوا عنها ما استطعتم ، والصحبة سنة مؤكدة فداوموا على تلك السنة خصوصا وعموما ، ولا تتركوها البتة ، فإن استطعتم على هذه الأمور التي أمرتكم بها يحصل لكم على استقامة لحظة ما حصل لي في جميع عمري ، وتكون أحوالكم في التزايد ، وإن تركتم هذه الوصايا وخالفتموها تكونوا أذلاء متفرقين انتهى « رشحات » ٧٤ .

وقال الشيخ عبد الخالق الغجدواني ﷺ في بعض تحريراته : إني لما بلغت من العمر اثنتين وعشرين سنة فوضني محيي القلوب الميتة أبو العباس أحمد الخضر ﷺ إلى الشيخ الكبير العارف الرباني خواجه يوسف الهمداني ﷺ ووصاه بتربيتي ، فما دام ساكنا فيما وراء النهر كنت في خدمته وملازمته واستفدت واستفضت ، ثم لما رجع خواجه يوسف إلى خراسان اشتغل خواجه عبد الخالق ﷺ بالرياضات وستر حاله عن الأغيار وبلغ ولايته وكرامته مرتبة كان يذهب إلى مكة في كل وقت من أوقات الصلوات ويرجع ، وظهر له في ولاية الشام مريدون لا يحصون ، وبنيت رباطات فيها على اسمه ، وجلس مدة في مقام الإرشاد ودعوة الخلق ودلالة الطالبين على طريق الحق ، وله رسالة « الوصية في آداب الطريقة » كتبها لأجل ولده المعنوي خواجه أوليا كبير ﷺ مشتملة على فوائد جزيلة وعوائد جليلة لا بد منها لجميع السالكين والمريدين ، و من جملتها هذه الفقرات الجامعة نوردها للتبرك والتيمن :

قال ﷺ : أوصيك يا بني بتعلم العلم والأدب والتقوى في جميع الأحوال ، وعليك بأن تتبع آثار السلف وأن تلازم السنة والجماعة وتعلم الفقه والحديث واجتنب الصوفي الجاهل ، وصل الصلوات بالجماعة على الدوام بشرط أن لا تقبل شيئا من وظائف الإمامة والآذان .

وإياك وطلب الشهرة ، فإن فى الشهرة آفة ، ولا تكن مقيدا بمنصب واختر الخمولة دائما ، ولا تكتب اسمك في الحجج والوثائق ، ولا تحضر محكمة القضاء ، ولا تكن كفيلا لأحد ، ولا تدخل في وصايا الناس ، ولا تصحب الملوك وأبناءهم ، ولا تبن رباطا ولا تقعد فيه ولا تكثر السماع ، فإن الإكثار منه يورث النفاق ويميت القلب ، **ولا تنكر السماع فإن أصحاب السماع كثير . وكن قليل الكلام وقليل الطعام وقليل المنام ، وفرّ من الخلق فرارك من الأسد** ، والزم الخلوة ولا تصحب الولدان والنسوان والمبتدعين والأغنياء المتكبرين والعوام كالأنعام ، وكل من الحلال واحذر من الشبهة .

ولا تتزوج ما استطعت فتطلب الدنيا ويكون دينك هباء في طلب الدنيا ، ولا تكثر الضحك واحذر في الضحك من القهقهة ، فإن كثرة الضحك تميت القلب . وانظر إلى كل أحد بعين الشفقة ولا تحقر أحدا .

ولا تزين ظاهرك **فإن تزيين الظاهر ينبئ عن خراب الباطن** ، ولا تجادل مع الخلق ولا تطلب شيئا من أحد ولا تأمر أحدا بالخدمة . واخدم المشائخ بالمال والبدن والروح ، ولا تنكر على أفعالهم **فإن منكر المشائخ لا يفلح أبدا** ، ولا تكن مغرورا بالدنيا ولا بأهلها .

وينبغي أن تكون مغموم القلب دائما ، وأن يكون بدنك مريضا وعينك باكية وعملك خالصا ودعآؤك مقرونا بالتضرع ، ولباسك خلقا ورفيقك طالبا صادقا ورأس مالك فقرا وبيتك مسجدا ومونسك الحق تعالى . انتهى ما ترجمه العارف بالله مولانا محمد مراد المنزلوي ثم المكي من كلام الهروي قدس الله أسرارهم .

فانظر أيها الرشيد إلى هذه الوصية ما أحسنها وألطفها مع اختصار العبارة ، كأنه نطق عن الحق بالحق وفقنا الله تعالى ولكم لاتباع السنة والوصول إلى حق اليقين .

فلا تغتر أيها الصادق الأمين بجوز الطريق وموزه مثل الأطفال ، ولا تتخيلوا الوصول إلى النهاية ولا تظهروا الوقائع لشيوخ ناقصين فإنهم يستكثرون القليل بمقياس وجدانهم ويزعمون البداية نهاية ، فلا جرم يقع الطالب المستعد في زعم الكمال ويتطرق الفتور إلى طلبه .

ينبغي للعاقل طلب شيخ كامل والتماس علاج الأمراض الباطنية منه ، وما لم يلق شيخا كاملا ينبغي نفي تلك الأحوال بحرف (لا) وإثبات المعبود بالحق المنزه عن الكيف والمثال .

قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره : كلما يكون مرئيا أو مسموعا أو مدركا فهو غيره تعالى ينبغي نفيه بحقيقة كلمة (لا) ، فعليك نفي ما يظهر في الأكثر ، وهو تعالى وراء الوراء ، ولا يتخيل في جانب الإثبات غير التكلم

بكلمة المستثنى أصلا ، وهذا هو طريق هذه الطريقة والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى ﷺ .

ومن المعلوم أن مدار هذه الطريقة على أصلين : الاستقامة على حد لا ينبغي أن يرضى بترك أدنى آدابها ، ومحبة شيخ الطريقة ، وقد ذكرناه غير مرة ، والثبات عليها والإخلاص على نهج لا يبقى مجال الاعتراض عليه أصلا ، بل يكون جميع حركاته وسكناته مستحسنة ومحبوبة في نظر المريد .

ونعوذ بالله سبحانه من وقوع خلل في أمر من الأمور المتعلقة بهذين الأصلين ، فإن هذين الأصلين إذا كانا على الاستقامة بعناية الله سبحانه وتعالى فسعادة الدنيا والآخرة نقد الوقت ، فينبغي الاحتياط في مراعاتها وتلافي التقصيرات بالتضرع والابتهال .

وإيـــــاك والغرور بمجرد اسم الإجازة ، فالإجازة سلسة ثقيلة يُغْتَرُّ بها كثيرا ، ولا ينفع الإجازة إلا بالاستقامة التامة ، ولا يلزم السعي والاجتهاد في تحصيل كل ما يقع في الخاطر ، وقد يقع أشياء تركها أولى وأنسب . والنفس اللجوجة إذا ولعت بأشياء تريد أن تحصلها وتتمها ولا تلاحظ في حقيّتها وبطلانها . ولقد حررت في حق هذه كلمات كثيرة ، فينبغي لك أن تكون في فكر نفسك وتدبير أمرك حتى تذهب بسلامة الإيمان ، وما ذا تنفع الإجازة والمريدون ؟ فإذا جاء طالب صادق حين اشتغالك بنفسك وشأنك فحينئذ تعلمه الطريقة ، لا أنك تجعل الطريقة أصل الأمر ومقصودا بالذات وتجعل معاملتك تابعة له ومقصودا بالعرض ، فإن ذلك ضرر محض وخسران صرف ، قاله الإمام الرباني قدس سره الصمداني .

وقال الشاذلي ﵁ : أشقى الناس من يعترض على مولاه وأركس في تدبير دنياه ونسي المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه واتبع هواه اهـ .

وقال العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المأوردي في كتابه « أدب الدنيا والدين » قال : وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى قال :

دخلت على الرشيد رحمة الله عليه يوما وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خده ، فلما أبصرني قال : أرأيت ما كان مني ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، فقال : أما أنه لو كان لأمر الدنيا ما كان هذا ثم رمى إلي بالقرطاس فإذا فيه شعر أبي العتاهية رحمه الله تعالى :

هَلْ أنْتَ مُعْتَبِرٌ بِمَنْ خَربَتْ ... مِنْهُ غَداةَ قَضى دَساكِرُه
وَبِمَنْ أذَلَّ الدَّهْرُ مَصْرَعَهُ ... فَتَبَرَّأتْ مِنْهُ عَساكِرُهُ
وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ أسِرَّتُهُ ... وَتَعَطَّلَتْ مِنْهُ مَنابِرُهُ
أيْنَ المُلوكُ وَأيْنَ عِزُّهُمُ ... صَاروا مَصيراً أنتَ صائِرُهُ
يا مُؤْثِرَ الدُّنْيا لِلَذَّتِهِ ... والمُسْتَعِدّ لِمَنْ يُفاخِرُه
نِلْ ما بَدا لَكَ أنْ تَنالَ مِنْ ... الدُّنْيا فَإنّ المَوتَ آخِرُه

فقال الرشيد : والله لكأنّي أخاطَبُ بهذا الشعر دون الناس ، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى مات رحمه الله تعالى .

وقال أبو حازم ﵁ : إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا فقْدُ ما زوي عنا . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت » .

وقال خالد بن صفوان ﵁ : بت ليلتي أتمنى فكسبت البحر الأخضر والذهب الأحمر ، فإذا يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران .

وقال مورق العجلي ﵁ : يا ابن آدم تؤتى كل يوم رزقك وأنت تحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن ، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك .

وقال أبو حازم ﵁ : إنما بيننا وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فقد مضى فلا يجدون لذته ، وإنا وهم من غد على وجل ، وإنما هو اليوم فما عسى أن يكون . انتهى « أداب الدنيا »١٠٤ .

وقال بعض الصلحآء : إن بقاءك إلى فنآء وفناءك إلى بقآء ، فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى .

وقال بعض العلماء : أي عيش يطيب وليس للموت طبيب .

وقال الرشيد لابن السماك رحمهما الله تعالى : عظني وأوجز . فقال : اعلم أنك أول خليفة يموت .

وقال بعض البلغاء : الأمل حجاب الأجل .

وقال بعض الشعراء :

أَلا إِنَّما الدُّنيا مَقيلٌ لِـــراكِبٍ   قَضى وَطَراً مِنْ مَنْزِلٍ ثُمَّ هاجَرا
وَراحَ ولا يَدْري عَلامَ قُدومُهُ   أَلا كُلُّ ما قَدَّمْتَ تَلقى مُوَفَّرا

وروى سعيد ابن مسعود ﷺ أن أبا الدرداء ﷺ قال : يا رسول الله أوصني . فقال ﷺ : « اكسب طيبا واعمل صالحا ، واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم واعدد نفسك من الموتى » .

وكتب الربيع بن خيثم ﷺ إلى أخ له : قدم جهازك وافرغ من زادك ، وكن وصي نفسك والسلام .

وذكر في « المكتوبات الربانية » في ١٦١ كتابا إلى شرف الدين حسين ﷺ : إياك أيها الولد والانخداع بطراوة الدنيا الدنية والافتتان بمزخرفاتها الشنيعة التي لا معنى فيها ، فإن الدنيا ليس لها مدار ولا اعتبار ولا هي محل قرار ، وهذا المعنى وإن لم يكن اليوم معلوما لكم ولكنه سيكون غدا معقولا البتة ، ولكن لا ينفع ، **وينبغي لك أن تكون مولعًا وحريصا بتكرار ذكر القلب** ، معتقدا أنه من أجل نعم الله جلّ شأنه ، وأن تصلي الصلوات الخمس مع الجماعة من غير تكاسل وفتور ، وأن تؤدي زكاة الأموال إلى الفقراء والمساكين بنشاط القلب ، وأن تجتنب المحرمات والمشتبهات ، وأن تكون مشفقا على الخلق ، وهذا هو طريق النجاة والخلاص اهـ « مكتوبات » .

وقال ذو النون المصري ﵁ : إياك وهذه الأوراد المتصلة فإن النفس تألفها ، وانظر ما فيه مخالفة نفسك من صيام وفطر فاعملها **فإن في متابعة النفس طاعة كانت أو معصية فتنة** ، فما ألفت النفس شيئا إلا وفيه بلاء وخطر « نفحات الأنس » ١٥٠ .

وقال أكابر السادات وذكره شيخ شيخنا ﵁ في « جامعه » ما نصه : إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة واحدة ، إلا من يدلّك على الله تعالى بإشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة ، وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك ، بل كن في ذلك عبد الله تعالى أمرك أن ترفض عدوه ، فإن كنت في هاتين الخصلتين الإعراض عن الدنيا والزهد في الناس فأقم مع الله تعالى في المراقبة والزم التوبة بالرعاية والاستغفار بالإنابة والخضوع للاحكام بالاستقامة .

وتفسير هذه الأربعة أن تكون عبداً لله تعالى فيما تأتي وتراقب قلبك أن لا يرى في المملكة شيئا غيره . فإذا أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز : إنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام بالمراقبة ، وأنت تسمع : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ فهنالك يبدو لك من الحياء ما يحملك على التوبة بما ظننت أنه قربة ، فالزم التوبة بالرعاية لقلبك ولا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت ، فإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى : أليس بالتوبة منه بدأت والإنابة تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك ، فهناك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله تعالى منها فتأخذ في الاستغفار والإنابة .

فالاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه وإن كنت بهذه الصفة ناداك من قريب : اخضع لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك ، وإنما هي ربوبية تولت عبودية ، فكن عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ، فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شيء عليم ، فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرقتَ من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من العالمين . اهـ « جامع » ٤٥ .

قال قثم الزاهد ﵁ : رأيت راهبا على باب بيت المقدس كالواله فقلت له : أوصني ، فقال : كن كرجل احتوشته السباع فهو خائف مذعور يخاف أن يسهو فتفرسه أو يلهو فتنهشه ، فليْله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون ، ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه البطالون ، ثم إنه ولى وتركني فقلت : زدني ، فقال : إن الظمآن يقنع بيسير الماء انتهى .

وقال عنوان المصري ﵁ : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﵁ عن وصية وقلت : أوصني يا أبا عبد الله ، فقال : أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى ، اِسْأله أن يوفقك لاستعمالها : ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم ، فاحفظها وإياك والتهاون بها ، فقال عنوان : ففرغت له ، فقال : أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه ، فإنه يورث الحماقة والبله ، ولا تأكل إلا عند الجوع وإذا أكلت فكل حلالا وسمّ الله واذكر حديث رسول الله ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه » فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، وأما اللواتي في الحلم ، فمن قال لك إن قلتَ واحدة سمعتَ عشرا فقل له : إن قلتَ عشرا لم تسمعْ واحدة ، ومن يشتمك فقل له : إن كنت صادقا فيما تقول فأسأل الله تعالى أن يغفر لي ، وإن كنت كاذبا فيما تقول فأسأل الله تعالى أن يغفر لك ، ومن وعدك بالخنى فعده بالنصيحة والدعاء ، وأما اللاتي في العلم ، فاسأل العلماء ما جهلت ، وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة ، وإياك أن تعمل برأيك شيئا ، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا ، **واهرب من الفتيا هروبك من الأسد** ، ولا تجعل رقبتك جسرا للناس ، قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي فإني امرء ضنين بنفسي ، والسلام على من اتبع الهدى .

وفي الحديث : « لا يترك الناس شيأ من دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه » « كشكول » ١٩٥ .

ومما أوصى به أمير المؤمنين ﷺ أولاده : يا بني عاشروا الناس عشرة ، إن غبتم حنوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم يا بني إن القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة وتتناجى بها ، وكذلك هي في البغض ، فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه ، وإذا بغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه « كشكول » ٢١٥ .

أوصى حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبند ﷺ بوصيتين ، هما للسالك كالعينين والأذنين :

إحداهما : أن السالك لو وصل في أي محل وصل لا يرى نفسه إلا في أول قدم من الطريق .

الثانية : أنه لو نال من السلوك على المراتب لا يرى نفسه إلا أنها أقل من نفس فرعون بمائة مرة ، وإن لم يرها كذلك فليس له في السلوك نصيب .

فانظر إلى هاتين الوصيتين تجد السالك يحتاج إليهما كاحتياجه للسمع والبصر بل أشد وأكثر ، فإنه متى أخطأهما أصابه العجب ، وهو أشد المهالك كما شهد بذلك سيد الكائنات ﷺ ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، وقد ذكرناها في هذه الأرجوزة ، وفقني الله تعالى وإياك وسائر السالكين لنيل هذه الأذواق ، ولا حرمنا اليسر في هذا المساق ويسّر لنا بفضله مطايا السباق . « تقريب » ١٦٣ .

وقد كتب مولانا الشيخ سراج الدين إسماعيل الكردميري النقشبندي إلى خليفته أبي إسحق محمد اليراغي قدس الله أسرارهم موصيًا له بالنصيحة بما نصه هذا : بحمد من تجلى ذاته لذاته في المرتبة الأحدية فظهر منه نقطة الحقيقة الأحمدية وفصلها لتعينات مختلفة في عالم الجبروت وجعلها مدارا لفيض الوجود والتقرب في عالم الملكوت ، وبعد فقد تحقق عندنا محبتكم الذاتية إجمالا وبإرسال المراسلة الميمونة تأكدت تفصيلا .

ثم اعلم أنه قد اتفق جميع الملل على أن المطلب الأعلى والمقصد الأقصى معرفة الله تعالى وصفاته تفصيلا ، وذلك لا يحصل إلا بعد تصقيل الروح الإنساني عن ظلمات النفس الحيواني وتوجيهها إلى مرتبتها الأولى ، وتخلية اللطائف عن منشأ الرزائل وتحليتها بمنبع الفضائل وتبديل الغياهب السائرة بالأنوار الباهرة وجعل عالم الخلق تابعا لعالم الأمر ، وذلك بعد التثبت بالانكسار التام والخضوع الأتم بيد مرشد كامل بلا واسطة أو بها ، حتى يتصرف قربا وبعدا في عالم الملك والملكوت أحياء وأمواتا ، فعلم أن تعشقكم إلينا إنما هو لمجرد التلاقي الجسماني ، وإلا فالتلاقي الروحاني حاصل والتصرف الباطني كامل .

ثم لا يخفى عليكم أن خليفة الفقير ما أرسل إليكم إلا من طرف الحضرات بعد العلم بأن ما يحصل عندنا يحصل عنده ، فمن يغتنم بصحبته يصل إلى ما لا يدركه علم العلماء وعقل العقلاء . اهـ

ثم إني أوصيك بالتمسك بالكتاب والسنة والأمر بتصحيح الاعتقاد بمقتضى آراء أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية على ما أطبق عليه أئمة الكشف والوجدان ، وأوصيك بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء وبسلامة الصدر وسماحة النفس وسخاوة اليد وبشاشة الوجه وبذل الندى وكف الأذى والصفح عن عثرات الإخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر وترك الخصومات وترك الطمع والاعتماد في قضاء الحوائج إلى الله تعالى فإنه لا يضيع من عول عليه ، وأن لا ترجو النجاة إلا في الصدق ولا الوصول إلى الله تعالى إلا في اتباع النبي ﷺ ، وأن لا تظن أنك أفضل من أحد ، بل لا ترى لنفسك وجودا ، وكل ما يتطاول عليك بالحسد والنميمة فوض أمره إلى الله تعالى ولا تغتب من أحد ، ولا تتكلم بالأحوالات لك بين الناس ليمدحوك .

واعلم بأن كل أحد فوقك علما وعملا ، وحبب أهل طريقتك محبة أولادك ، وإياك وابتداع أمور في الطريقة من جهتك أو من جهة شيخك ، وعضّ بنواجذك لأخذ اصطلاح السادات الموروثة من رئيس هذه الطريقة

النقشبندية مولانا بهاء الحق والملة الشيخ خواجه نقشبند بهاء الدين البخاري الأويسي قدس الله سره ، وعليك بالاقتداء أيضا لخلفائه وخلفاء خلفائه كالإمام الرباني ثم الشيخ خالد سليماني ﷺ ووسائطهم ، فإنهم سرج هذه النسبة العلية وساداتها جعلكم الله تعالى بالاستقامة الكاملة من أهل الحضور والمشاهدة وأفاض علينا من بركات أنفاسهم أمين .

وقال الإمام الرباني ﷺ في مكتوبه إلى جان جانان ﷺ : أيها المخدوم المكرم إن أهل هذه السلسة العلية وقعوا في هذه الديار غرباء ومناسبةُ أهل هذه الديار لطريقة هؤلاء الأكابر الذين هم ملتزمون للسنة بواسطة شيوع البدعة في هذه الديار قليلةٌ ، ومن ههنا اخترع بعض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظره في هذه الطريقة العلية أيضا بدعاتٍ وجذب قلوب الناس بعلاقة ارتكاب تلك البدعات إلى جانبه وظن هذا العمل بزعمه تكميلا لهذه الطريقة العلية ، حشاها عن ذلك وكلا ، بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة هداهم الله سبحانه سواء الصراط .

وحيث أن أهل هذه السلسلة العلية عزيزو الوجود في هذه الديار ينبغي لمريدي هذه السلسلة ومحبيهم إمداد هؤلاء الأكابر وطلبة هذا الطريق وإعانتهم ، فإن الإنسان مدني الطبع مجبول على التمدن محتاج في تعيشه إلى بني نوعه .

قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فإذا كان في كفاية مهمات خير البشر عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات دخل للمؤمنين فما المضايقة على الآخرين ؟

وأكثر أغنياء هذا الوقت يزعمون الدرويشية في عدم الاحتياج وليس كذلك ، فإن الاحتياج ذاتي لجميع الممكنات ، بل حسن الإنسان هو في هذا الاحتياج وذلّ العبودية ناشئ من هذه الجهة ، فإنه لو زال الاحتياج فرضا عن الإنسان وحصل له الاستغناء لا يكون فيه غير العصيان والعناد والطغيان ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ .

غاية ما في الباب أن الفقراء لتخلصهم عن التعلق بالأغيار يحيلون الاحتياج إلى الأسباب على مسبب الأسباب ويرون الدولة المبذولة العامة من خوان نعمته تعالى ويعتقدون أن المانع والمعطي في الحقيقة هو الله تعالى .

وحيث أوردت الأسباب في البين بواسطة حِكم ومصالح ، ونسب الحسن والقبح إليها يجعل هؤلاء الأكابر أيضا الشكر والشكاية راجعين إليها ويرون الحسنة والسيئة منها ، فإنهم لو لم يعتبروا الأسباب لأبطلوا معاملة عظيمة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ اهـ ١٠٧ .

وقال في « تقريب الأصول » والقول لأبي عثمان قال : قال لي أبو حفص ﷺ : **إذا جلست للناس أي لِوعظهم فكن واعظا لقلبك ولنفسك لينتفعوا بوعظك ، فإنه إذا صحت نيتك في وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك ووقع في قلب السامعين** ، ولا يغرنك اجتماع الناس عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله سبحانه وتعالى يراقب باطنك ، ولتكن راضيا بقضاء الله تعالى عليك وبما يصل منه إليك .

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ﷺ في شرحه على « رسالة القشيري » : يجب على العبد أن يرضى بما يُجريه الله عليه بشرط أن يكون الذي يجرى عليه مطلوبا شرعيا ، وأما إذا كان غير مطلوب شرعا ، فهو في رضا الشيطان لا في رضا الله تعالى ، نعم **يجب عليه الرضا بالقضاء من حيث القضاء** ، أي من حيث صدوره من الله تعالى ، لا من حيث المقضي ، أما من حيث المقضي فلا يرضى به إلا إن كان موافقا للشرع ، فيجب الرضا بالقضاء وببعض المقضيات لا بكلها ، إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أن يرضى به كالمعاصي والكفر ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ ، فلا يرضى العبد بما كان مخالفا للشرع ولو مكروها أو خلاف الأولى وإن كانت مرادة لله تعالى . « تقريب » ١٠٤

وقال الشيخ عبد الله الخاني ﷺ في « بهجته » : يا أخي رحمك الله قد سافرت إلى أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدعي أنها من كمل الصوفية وتنسب نفسها إلى الكمل وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله تعالى ورسله ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية وتقرر

أحوال الرسل وما جاؤا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان . فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان اهـ .

وصيـــــة : يا أخي ، لا تجادل فقهاء الشريعة رضوان الله تعالى عليهم على طريق أهل الله ، فإنهم أهل حق وقفوا عند الظاهر لأن استعدادهم الغير المجعول أعطي ذلك ، وإن جادلتهم فجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

وصيـــــة : عليك باعتقاد أهل الحديث ، واجتهد أن تكون منهم فإنهم هم ورثة الأنبياء ، وإياك وتقليد أهل الكلام فإنهم ملعبة للشيطان ، ولا تكفّر أهل القبلة ولا تتكلم فيهم إلا بخير .

وصيـــــة : إياك والتأويل فإنه دهليز للإلحاد والزندقة ، وإذا أولت على طريق أهل الإشارة فإياك أن تنفي الظاهر فإنه هو مراد الشارع بلا شك ومن نفاه فقد كفر بلا شبهة . وليكن حالك في المتشابهات حال مالك ﷺ حين سئل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، واحذر أن تكون من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله وقف عند ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وإياك أن تكون على خلاف هذه الحالة فتكون من ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ .

وإذا وقفت لما أمرتك به فلا تأمن مكر الله فتكون من الخاسرين وقل ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ .

وصيـــــة : عليك بالعزلة كما سنبينه لك إن شاء الله تعالى ، واعرف زمانك وإخوانك وعاملهم معاملة يستحقونها ، وأغلق بابك دون الخلق ، واغتنم الوحدة وكف جوارحك عن الفضول ، وتعرض لنفحات الله تعالى فإن لربك في أيام دهرك نفحات ، **وإياك والاختلاط بأهل الدنيا واعرض عنهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا** ، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب وعاقبها قبل أن تعاقب و مت بالاختيار حتى تحيى عند نزول هاذم اللذات .

وصيـــــة : احفظ الله يحفظك واتق الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله تعالى في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، فقد جف القلم بما هو كائن ، ولو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو جهد الخلق على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا .

واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا . وفيما أوردناه كفاية لأرباب العناية ، فإن الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو الفعال لما يريد . انتهى « بهجة » ١٥ ، وراجع « شرح سلك العين » ١٠١ .

وقال ﷺ : « من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله » « تفسير البحر » . وعن يحيى بن جابر رضي الله عنه قال : ما عاب رجل قط رجلا إلا ابتلاه منه بذلك العيب « شرح سلك العين » ١٠٢ .

وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : ليكن حظ المؤمن منك ثلاثا : فإذا لم تنفعه فلا تضره ، وإذا لم تسرّه فلا تغمّه ، وإن لم تمدحه فلا تذمه .

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه لرجل يسأله أن يعظه : **لا تكن ممن يرجو الآخرة بلا عمل ويرجو التوبة بطول الأمل** ، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بقول الراغبين ، إن أعطي منها لم يشبع وإن منع لم يقنع ، ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدهم ، ويكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت ، إن سقم ظلّ نادما وإن صح أمن لاهيا ، يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي ، إن أصابه بلاء دعا مضطرا وإن ناله رخاء أعرض مغترا ، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله ، إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط ووهن ، يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سئل ، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة ، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة ، يصف

العبر ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ ، فهو بالقول مُدل ومن العمل مُقل ، ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى ، يرى الغنم مغرما والغرم مغنما ، يخشى الموت ولا يبادر الفوت ، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ، ويستكثر من طاعته ما يحتقر من طاعة غيره ، فهو عن الناس طاعن ولنفسه مداهن ، اللهو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره ، يرشد غيره ويغوي نفسه ، فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ، ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه .

قال جامع « النهج » : كفى بهذا الكلام موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر . ذكره البهاء العاملي في « كشكوله » في ١٩٦ .

وإني المغبون أقول : كلما نظرت في هذه الموعظة أراها فكأنها جمعت لأجلي ، وليس من هذه الأوصاف شيء إلا وتقرر في نفسي . وفقنا الله تعالى لاتباع الحق أمين .

وقال الشيخ المقتول في بعض مؤلفاته : اعلم أنك ستعارض بأعمالك وأقوالك وأفكارك ، وسيظهر عليك كل حركة فعلية أو قولية أو فكرية صورا جانّيّة« ١ » ، فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مادة لملك تلتذ بمنادمته في دنياك وتهتدي بنوره في أخراك ، وإن كانت تلك الحركة شهوية أو غضبية صارت تلك الصورة مادة لشيطان يؤذيك في حال حياتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك انتهى « كشكول » ٣٥ .

« ١ » أي خفيّة .

فصل

في بيان شطحات الصوفية وخرافات متشيخي زماننا ثبتهم الله تعالى وإيانا بالقول الثابت

وقال ابن زروق ﷺ : الأغلب في الظهور لازم في الاستظهار بما يلازمه ، وقد عرف أن التصوف لا يعرف إلا مع العمل به ، فالاستظهار به دون عمل تدليس ، وإن كان العمل شرط كماله ، وقد قيل : يهتف العلم بالعمل ، فإن وجده وإلا ارتحل ، أعاذنا الله تعالى من علم بلا عمل .

وقال أيضا : لا يصلح العمل إلا بعد معرفة حكمه ووجهه ، فقول القائل « لا أتعلم حتى أعمل » كقوله « لا أتداوى حتى تذهب علتي » ، فهو لا يتداوى ولا تذهب علته ، ولكن العلم ثم العمل ثم النشر ثم الإجادة . وبالله التوفيق .

اعلم أيها الرشيد المسترشد أن سوء الخاتمة محذور ، ولها تفتَّتَ أكبادُ الصديقين ، فإن الموت أمر عظيم ، ووداع الدنيا وجعٌ أليم ، والفطام عن هذه المألوفات شديد ، وبين يدي كل برّ وفاجر عقبات صعاب ، فعندها يخشى نزع الإيمان . ولها أسباب كثيرة ، ولكن أخوفها وأصعبها شيئان إثنان :

أحدهما بدعة مترسخة في القلب ، متشبثة في جوانب الصدر ، ينقضي عليها طول الدهر ومدة العمر يعتقد أنها حق ، فإذا هي باطلة . فإذا كشف لصاحبها في وقت الموت وكشف له القناع تبين من بكى ممن تباكى ، ويظهر له أن ما اعتقده كان باطلا وأن ما تركه وهجره كان حقا ، فيخشى عليه زوال الإيمان .

والثاني أن يكون إيمانه ضعيفا ومحبة الدنيا غالبة على قلبه ، ومحبة الله تعالى ورسوله ضعيفة في قلبه . فإذا رأى أنه مسلوب من جميع الشهوات ممنوع من سائر اللذات قهرا ، ويحمل إلى دار لا رغبة له فيها ويذوق شرابا لم يذقه ، فيكره جميع ذلك ويكره الموت ويكره أمر الله تعالى وأمر رسوله ويكره مفارقة الدنيا والموت ، فحينئذ يخاف عليه نزع الإيمان ، كما قاله الشيخ أبو بكر الخوارزمي في « المفيد » ١٤٨ .

وسئل سيد الطائفة جنيد البغدادي ﷺ عن التصوف فقال : خلق كريم يظهره الكريم في زمان كريم من رجل كريم بين قوم كرام .

وقال أيضا : إذا صافى عبد أو ارتضاه بخالصته وعدّه من خاصته ألقى إليه كرمة كريمة من لسان كريم في وقت كريم على مكارم كريم بين قوم كرام « نفحات » ١٣٣ و « شرح سلك العين » ١٩٦ .

وقال ابن زروق ﷺ : لا علم إلا بتعلّم من الشارع أو من ناب منابه فيما أتى به ، إذ قال عليه الصلاة و السلام : « إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلّم ، ومن طلب الخير يُؤتَه ومن يتق الشر يُوقَه » .

وما تفيده التقوى إنما هو فهم يوافق الأصول ويشرح الصدور ويوسع العقول ، ثم هو منقسم لما يدخل تحت دائرة الأحكام ، ومنه ما لا يدخل تحت دائرة العبارة وإن كان مما تناوله الإشارة ، ومنه ما لا تفهمه الضمائر وإن أشارت إليه الحقائق مع وضوحه عند مشاهده وتحقيقه عند متلقّيه ، وقولنا فيه : فهمُ تجوّزٍ لا ثبات أصله لا غير ، فاعرف ما أشرنا إليه وبالله التوفيق « قواعد » ١٠ .

واعلم أيها الأمين على أسرار الحق المبين ، أن أكثر مشائخ زماننا بغلبة أهوية نفوسهم الخسيسة توغلوا في أمور لم تسمع من السلف ولا من الخلف ، وأروا نفوسهم نفوس الكمل من السادات ، بل بعضهم يتكلمون عن مقام القطبانية والغوثية ويضلون الناس بأهوائهم الباطلة وأقوالهم المزخرفة العاطلة لمجرد جلب حطام الدنيا باسم الدين ، ويعلمون الناس أمورا لم يسمع من أحد من السادات بابتداعهم أمورا خارجة عن هذه النسبة العلية الصديقية السنية ، فكادت الطريقة إلى الانطماس بهم أقرب ، فجعلوا أنفسهم في مسند الإرشاد للناس والرشد عنهم بعيد ، وتكلموا من الفيوضات وباب الفيض عنهم مسدود ، وعدوا أنفسهم بهذا الكمال والخيال والوصال الوهمي في مقام التكميل ومسند المشيخة ودعوة الخلق وضيعوا بعلة منقصتهم استعدادَ كثير من المستعدين للكمالات ، وأزالوا بشوْم برودة صحبتهم حرارة طلب الطالبين ، ضلوا فأضلوا ، ضاعوا فأضاعوا .

وتخيل هذه الكمالات وتوهم الوصال في المجذوبين غير السالكين أكثر منه في السالكين المجذوبين الغير الواصلين مع كونهم لا يعلمون السالك المجذوب من المجذوب السالك ، فضلا عن الكمال ، فإن المبتدئ والمنتهي متشابهان في صورة الجذبة ومتساويان في العشق والمحبة في الظاهر ، وإن لم يكن بينهما مناسبة في الحقيقة ، وكان أحوال كل منهما مغايرة لأحوال الآخر وممتازة عنها ، ما نسبة الفرشي بالعرشي ؟ ! فإن كل شيء يوجد في البداية فهو معلول وإلى غرض ما محمول ، وحيث كان ما في الانتهاء بالحق فهو للحق ، وسيذكر تفصيل هذا الكلام عن قريب إن شاء الله تعالى .

وتكون هذه المشابهة الصورية والمناسبة الضرورية باعثة على ذلك التخيل ، وحيث كانت الجذبة مقدمة على السلوك في الطريقة النقشبندية العلية كثر هذا القسم من التخيل والتوهم في مجاذيب هذا الطريق الذي لم يشرفوا بعد بدولة السلوك ، وقد ذكرنا في باب السلوك والجذبة طرفا من هذا ففيه ما يغنيك إن شآء الله تعالى .

فانظر أيها الأخ المنصف بالإنصاف ، وهل رأيت من مشائخنا أحدا إلا النادر إلا من فيه هذه العلامات ؟ ! كيف لا ، إن أكرمت أحدا في محافلهم ومجالسهم أو تكلّمت مع أحد دونه ، فيملأون غيظا وينظرون شزرا ويظهرون أمورا ، وتتكدر ألوانهم لمجرد إكرام أحد في مجلسهم لعلمه أو تقواه أو حسبه أو نسبه ، أوإن قدمت في محضرهم أحدا للإمامة فيُهْجَر مع صاحب الدار أو مع الجميع ، أو يفرّ من المجلس أو يفعل له ثانيا إعادة لشدة حقده وسوء ظنه للناس ، أو يتكلم من أمّ قوما بإظهار ما في باطنه من الخبث والران إن يخف من الفضيحة ، وإلا فبعد المفارقة يتكلم مع مريده أن فلان المكرَّم عندهم كذا وكذا بعدِّ مساويه ، وإن أمر أحدا بحاجة ، فإن قضى حاجته بالسرعة فيشرح صدره وتملأ عينه ضحكا ويمدح القاضي ويبشره بأمور عاليات ليس لنفسه منها شائبة ولا رائحة ، فإن لم يقض حاجته بعذر أو بعسر فيتوعد له ويقول : انظروا ماذا ينزل عليه من البلايا لأجل مسامحته في أمري ، فإن جاء له من

الله تعالى نكد أو قضاء فانظر حينئذ إلى بشاشته وإلى بشاشة مريديه الدجالين وأقوالهم أن فلانا ترك أدب شيخنا فكان قال كذا وكذا ، فالله تعالى ابتلاه ، هذه علامات مشائخ زماننا من أكثرهم ، لا كثر الله أمثالهم فينا آمين .

روي عن علي ﷺ أنه قال : إن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة : « ألم تكونوا يرخص لكم في السعر ؟ ألم تكونوا تبادرون بالسلام ؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج ؟ » . وفي حديث آخر : « لا أجر لكم ، قد استوفيتم أجوركم » .

وعن وهب بن منبه ﷺ أن رجلا من العباد قال لأصحابه : إنما فارقنا الأولاد والأموال مخافة الطغيان ، فنخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال والأولاد ، وإن أحدنا إذا لقيه أحد أحب أن يعظمه لمكان دينه ، وإن سأل حاجة أحب أن يقضى له لمكان دينه ، وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه ، فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس ، فإذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس ، فقال ذلك العابد : ما هذا ؟ فقيل له : هذا الملك قد أتاك ، فقال للغلام : ائتني بطعام ، فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر ، فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا ، فقال الملك : أين صاحبكم ؟ قالوا : هذا ، قال : كيف أنت ؟ قال : كالناس ، وفي رواية : بخير ، فقال الملك : ما عند هذا بخير ، وانصرف ، فقال العابد : الحمد لله الذي صرفك عني وأنت ذامٌّ لي .

ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم بسببه من الأشرار انتهى .

وقال أبو المواهب الشاذلي ﷺ : احذروا زخارف أهل الرضا عن النفس ، خصوصا الذين اتخذوا العلم حرفة وشبكة لصيد حرام الدنيا مع تكبرهم على الناس ، فإنهم قد حرموا خيري الدنيا والآخرة ولهم نُعوت ممقوتة وأحوال مزرية ، لم يبق لهم بين الناس حرمة ولا قبول شفاعة ، اتخذوا حسن الزي شعارا وتكبروا بذلك استكبارا .

وقد قال الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى في « الحكم » : **لأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه** « تقريب الأصول » . ٧٩

وقال السيد الشريف العارف بالله أحمد بن إدريس الحسني ﷺ : قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ، فقال ﴿إِنَّ كَثِيرٗا﴾ ولم يبق إلا قليل ، وهم أولياء الله تعالى الورثة للعلم من رسول الله ﷺ الذين بهم يقتدى . وهؤلاء أعز من الكبريت الأحمر ، قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ﴾ . وقال فيما عداهم : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ، ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ .

فإن ظفرت بواحد من أهل العلم من هؤلاء الأقلين فعضّ عليه بالنواجذ . وأنت تعرفه بالقرائن المنصوصة في القران ، وهو الذي لا يميل إلى الدنيا ولا يطمئن بها فيكون كبلعم بن باعوراء حيث أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل فيدخل في قوله تعالى ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ، ومن القرائن لا تجد مثله إلا قليلا ، والحق واضح والحق أحق أن يتبع . « عقد النفيس » .

فريدة

في الإنكار على أولياء الله تعالى

وما فيه من السخط وغضب الله تعالى

قد دون العلماء والصلحاء كتبًا في حق الإنكار على الصوفية لكون الإنكار موجبا لمقته سبحانه وتعالى عياذا بالله تعالى .

وبعضهم أنكروا عليهم لما رأوا منهم ما يوجب الإنكار كشطحات غالب المشائخ والصوفية في هذا الزمان كما ذكرناها آنفا ، ولكن نذكر هنا من أقوال مشائخنا بعض كلام السادات :

إن الإنكار على السادات الصوفية والطريقة العلية المتبعين للسنة السنية والدافعين للبدعة الردية ، خصوصا أهل العلم النافع والعمل الرافع والمعارف والأسرار والكشف الصحيح والأنوار ، سم قاتل وهلاك عظيم ، وقد ورد به الوعيد الشديد ، وهو أمر خطير ، وهو علامة إعراض القلب عن الله تعالى وحشوه بالأمراض ، ويخشى على فاعله سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .

وهو لا يصدر غالبا إلا من بعض المتفقهة القاصرين كما قال العارف عبد الغني النابلسي رحمه الله : **وقد اعتادت المتفقهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس الشرعية** بحيث لا يؤولون ما يجدونه مخالفا لعلمهم وإن كان له ألف تأويل ، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملا للخطأ ولو بوجه ضعيف وإن كان صوابه ظاهرا ، بل ربما بعضهم يجهل مذهب الآخر فينكر عليه ما خالف مذهبه ، بل ينكرون أصل الطريق وأربابها كلها .

وهذه طريق المتفقه المتعصب والسفهاء لا الفقهاء فإنهم قاصرون ، مرادهم أن يعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانية يريدون إنفاذها وشهوات نفسانية يحاولون إيجادها ، فيضطرهم الأمر إلى التفتيش عن عيوب الناس ، فكيف يؤولون شيئا مقصودهم التفتيش عليه ؟ ! ومتى ظفروا

بوجه فاسد في حال إنسان فكأنهم ظفروا بملك الدنيا ويفرحون شديدا ، إن رأوا حسنة في الكامل دفنوها ، وإن رأوا سيئة أفشوها ، فمن المحال أن يقبلوا عثرة مؤمن أو يتغافلوا عن زلة مسلم ، لأنهم في زعمهم لا يرتقون ولا بشيئ يرتفعون إلا بإنكار المناكر ، خصوصا على الكامل الخاشع والعابد الذاكر ، فيكونون ضُلّالا ومضلين .

وأما الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة ، فإن قلوبهم متجافية عن الدنيا مقبلة على الآخرة ، وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبر ولا عداوة ولا حقد ولا رياء ولا سمعة ، يعلمون أحكام الله تعالى على وجه التحقيق أصولا وفروعا ، ومن شدة شفقتهم على عباد الله تعالى لا يكادون يجدون في الناس منكرا أصلا من كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس ، ولا يجدون في الغير مفسدة يعدونها على أنفسهم ولا يخفى عليهم دسائس النفوس ، فهم في صدد كمال نفوسهم وتطهيرها ، فهم في شغل شاغل عن إنكار المناكر على الغير ، وإذا رأوا أمرا لا ينظرون منه إلا الوجه الحسن في حق الغير احتياطا وورعا .

وعندهم أحكام شرعية عظيمة وأمور كلية يقرؤونها للناس في الدروس وعلى الكراسي والمنابر ، وليس في قلوبهم وجود شيء منها في أحد من الناس على التعيين أصلا ، كما أن الله تعالى أنكر المنكر في القرآن بلا تعيين أحد مع علمه تعالى بالمناكير وأهلها في كل زمان ، ولذا كان عليه الصلاة والسلام يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » ولا يذكر أحدا بسوء .

فهؤلاء هم الناس الذين يليق في حقهم أن يقال علماء فقهاء أمناء أحكام دين الله تعالى ، ولقد روي عن أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما أنهما قالا : إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله ولي ، والمراد العاملون بلا شك لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يكون العالم عالما حتى يكون بعلمه عاملا » ، كذا ذكره بعضهم مرفوعا ، وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رواه ابن حبان والبيهقي رضي الله عنه . هكذا ذكره في « جامع الأصول » ١٩٤ و « جواهر » في ٥٩ وفي ٢١ من المجلد الثاني .

وقال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب ٣٦٣ من « الفتوحات » : اعلم أن من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاء به من آيات الصفات وأخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم إيمانهم بها إذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل ، فإن البحر واحد ، فكما وجب الإيمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون ، وكما سلمنا لما جاء به الأصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشريعة ، ويا ليت الناس إذا لم يؤمنوا بما جاء به الأولياء يجعلونهم كأهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم . انتهى

فتأمل في هذا المبحث وتعقله فإنك لا تجد ما فيه في كتاب ، والله يتولاك . « يواقيت » ١٤ و« قواعد » ١٤ و « عقد نفيس » في حق الأولياء من لم يشرب الخ . ٢٤٣ .

وقال ابن زروق رضي الله عنه : اعتبار النسب« ١ » في الواقع يقضي بتخصيص الحكم عن عمومه ، ومن ذلك وجود الغيرة على علوم القوم من الإنكار ، وحماية عقول العوام من التعلق بما يخص منها حامل على وجود القصد بتخصيصها ، هذا مع كثرة ما يخص منها ومداخل الغلط فيه علما وعملا ودعوى أو غير ذلك فافهم وأعط كل ذي حكم حقه .

فالأعمال للعامة والأحوال للمريدين والفوائد للعابدين والحقائق للعارفين والعبادات قوت لعائلة المستحقين وليس لك إلا ما أنت له آكل فافهم « قواعد » ٨ .

وقال الشيخ العارف أبو تراب النخشبي رضي الله عنه : إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى .

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيدي رضي الله عنه : التصديق بعلمنا هذا ولاية . يعني الولاية الصغرى دون الكبرى . انتهى . « سلك العين » ٢٨ .

« ١ » أي النسبة .

قال الإمام المحقق أبو العباس أحمد المشهور بزروق ﷺ : دواعي الإنكار على القوم خمسة :

أولها : النظر لكمال طريقهم ، فإذا تعلقوا برخصة أو أتوا بإساءة أدب أو تساهلوا في أمر أو بدا منهم نقص أسرع للإنكار عليهم ، لأن النظيف يظهر فيه أقل عيب ، ولا يخلو العبد من عيب ما لم تكن له من الله عصمة أو حفظ .

الثاني : رقة المدرك ومنه وقع الطعن على علومهم في أحوالهم ، إذ النفس مسرعة لإنكار ما لم يتقدم لها علمه .

الثالث : كثرة المبطلين في الدعاوي والطالبين للأغراض بالديانة ، وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى وإن أقام عليها الدليل لاشتباهه .

الرابع : خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتناء بظاهر الشريعة كما اتفق لكثير من الجاهلين .

الخامس : شحة النفوس بمراتبها ، إذ ظهور الحقيقة مبطل حقيقة ، فمن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم ، وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور أو معذور أو مغرور ، إلا الأخير والله أعلم .

وقال ﷺ أيضا : تعريف العيوب مع الستر نصيحة ، ومع الإشاعة والهتك فضيحة ، فمن عرفك بك من حيث لا يشعر الغير فهو الناصح ، ومن أعلمك بعيبك مع شهود الغير فهو الفاضح .

وليس لمسلم أن يفضح مسلما إلا في موجب حكم بقدره من غير تتبع لما لا تعلق له بالحكم ولا ذكر عيب أجنبي عنه ، وإلا انقلب الحكم عليه بقهر القدرة الإلهية حسب الحكمة الربانية والوعد الصدق الذي جاء في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك » .

ونهى عليه الصلاة و السلام عن التثريب للأمة عند جلدها في حد الزنا ، فكيف بالحر المؤمن القائم الحرمة بإقامة رسم الشريعة ، قد صح : « من ستر مسلما ستره في الدنيا والآخرة ، ومن أقال مسلما عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة » .

قال ابن زروق ﵁ : التعاون على الشيء ميسر لطلبه ومسهل لمشاقه على النفس وتعبه ، فلذلك ألفته النفوس حتى أمره به على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، فلزم مراعاة الأول في كل شيء لا الثاني .

ومنه قول سيدي أبي عبد الله بن عباد ﵁ : أوصيكم بوصية لا يعقلها إلا من عقل وجرب ، ولا يهملها إلا من غفل فحجب وهي : أن لا تأخذوا في هذا العلم مع متكبر ولا صاحب بدعة ولا مقلد ، فأما الكبر فطابع يمنع عن فهم الآيات والعبر ، والبدعة توقع في البلايا الكبر ، والتقليد يمنع من بلوغ الوطر ونيل الظفر ، قال : ولا تجعلو لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن .

قلت : بل يحثون على أن يجعلوا أهل الظاهر حجة لهم لا عليهم ، إذ كل باطن مجرد عن الظاهر باطل . والحقيقة ما عقد بالشريعة فافهم . « قواعد » ١٩ وراجع« شرح سلك العين » ٢٨ ورماح٢ /٢٣١

فصل

في الورع والتقوى والقناعة والفقر والغنى وأمثالها والأسباب

عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى يقول : عبدي اَدِّ ما افترضت عليك تكن [من] أعبد الناس ، وانته عما نهيتك عنه تكن من أورع الناس ، واقنع بما رزقتك تكن أغنى الناس » .

وقال ﷺ لأبي هريرة ﵁ : « كن ورعا تكن أعبد الناس » .

وقال الحسن البصري ﵁ : مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة .

وقال أبو هريرة ﵁ : جلساء الله غدا أهل الورع والزهد . أوحى الله تعالى إلى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : لا يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع .

قال بعض العلماء بالله تعالى : لا يتم الورع إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه : أولها حفظ اللسان من الغيبة ، والثاني الاجتناب عن السخرية ، والثالث الاجتناب عن سوء الظن ، والرابع غض النظر عن المحارم ، والخامس صدق اللسان ، والسادس أن يعرف منة الله كيْلا يعجب بنفسه ، والسابع أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل ، والثامن أن لا يطلب لنفسه العلوّ والكبر ، والتاسع المحافظة على الصلوات وأن يكون الاجتهاد لأن يصلي بالجماعة ، والعاشر الاستقامة على السنة والجماعة ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ذكره في « المكتوبات » الإمام الرباني/ ١٠٩ .

وقال الشيخ الهروي عن شيخه قُدِّسَ سِرُّهُ : قال الخواجه عبد الخالق الغجدواني قُدِّسَ سِرُّهُ : ينبغي أن يتحمل الثقل عن الناس ، وذلك لا يحصل إلا بكسب الحلال باليد في الشغل والقلب مع المحبوب ، كلامٌ مقرر في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم .

قال علي الخواص : لا يكمل الفقير حتى يحمل كله عن شيخه فإن من رمى أثقاله على شيخه فهو شيء الأدب ، وسئل ﷺ عن القساوة التي يجدها العبد في قلبه فقال للسائل : اشكر الله تعالى حيث ستر عنك حالك لتكون عبدا له صرفا لا عبد خشوعك وحضورك فقال له السائل : وأنا إن شاء الله عبد له صرفا مع ذلك ومع غيره فقال : صحيح لكن الامتحان آفاته كثيرة والمحبوب عند الله من ادخر له ما وعده به على أعماله إلى الدار الآخرة وخرج من الدنيا برأس ماله كاملا من غير خسارة « تقريب »٩٦

قال أبو حفص ﷺ : الفقير الصادق هو الذي يكون في كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه .

وقال سهل بن عبد الله ﷺ : إذا جنك الله الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك وتؤدي حق الله تعالى فيها وتنصح فيها لنفسك ، وإذا أصبحت فكذلك .

وسئل سهل ﷺ : متى يستريح الفقير ؟ فقال : إن لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه .

وقال مولانا وشيخ شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ : ليس الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير ولبس الصوف والتصنع ، وإنما هو بالصبر واليقين في الهداية ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ وهذا ثغر كريم لرجل كريم فيه خمس خصال : الصبر والتقوى والورع واليقين والمعرفة ، الصبر إذا أوذي أن لا يؤذي ، والورع فيما يخرج وفيما يدخل من فمه ، وفي القلب أن لا يلج فيه غير ما يحبه الله تعالى ورسوله ، واليقين في الرزق والمعرفة بالحق التي لا تذل معها لأحد من الخلق﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

وقال الشاذلي قُدِّسَ سِرُّهُ : الورع نِعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه ، فقد انتهى بهم الأمر إلى الأخذ من الله تعالى وعن الله تعالى والقول بالله تعالى

والعمل لله تعالى وبالله تعالى على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة ، وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون ، وهجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا أدنى ، وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عن ذلك ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلاتهم الشرع عليهم .

ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروع بدعوى وميراثه التعزز لحقه والاستكبار على مثله والصوْلة بعلمه والدلال على الله بعمله ، فهذا هو الخسران المبين .

والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ، ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك ، فسبحان من قطع كثيرا من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع المفسدين بفسادهم عن موجدهم ، فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم .

وقال ﷾ أيضا : أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة ، وأقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم ، ولا تقتد بمن لا يتورع عما تناولته أيدي الكافرين . انتهى

وسئل محمد بن منصور ﷾ عن حقيقة الفقر فقال : السكون عند كل عدم والبذل عند كل موجود « نفحات »١١٦ .

الفقر عدم الاملاك و الخروج عن احكام الصفات .

الفقير هو الذي لا يملك ولا يملك .

الصوفي من استصفى الحق لنفسه توددا ، والفقير من استصفى نفسه في فقره تقربا « منه »١٧ .

قال بعض الحكماء : من شرف الفقير أنك لا تجد أحدا يعصي الله ليفتقر وأكثر ما يعصي المرء ليستغني ، أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

إنَّــكَ تَعْصـــي لِـتَنــالَ الغِنــى وَلَسْــتَ تَعْصــي اللهَ كَــيْ تَفْتَقِرْ
يَـا عـائِــبَ الفَقْــرِ ألا تَنْـزَجِرْ عَيْــبُ الغِنى أكْثَــرُ لَــوْ تَعْتَبِـرْ

« كشكول » ٢٥٢

وسئل حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺ : ما معنى قول بعضهم « الفقير هو الذي لا يحتاج إلى الله » ؟ فقال : المراد من هذا النفي الاحتياج للسؤال ، كما قال السيد إبراهيم ﵇ : « حسبي من سؤالي علمه بحالي » .

قال في « الحكم » شرحا لهذا المقام : ربما دلهم الأدبُ على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته ، إنما يذكر من يجوز منه الإغفال وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال .

وسئل أيضا حضرة الخواجه ﷺ عن معنى قول بعضهم « إذا تم الفقر فهو الله » ، فقال : هذا إشارة إلى الفناء ومحو الصفات وذكر بيتا بالفارسي مضمونه : لما لم تكن ما ذا كان فلم يكن إلا الله وإذا لم تبق وفنيت من بقي فلم يبق إلا الله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ في هذا المعنى : لن يصل العبد إلى الله تعالى حتى يفنى أفعاله في أفعاله وأوصافه في أوصافه وذاته في ذاته ، فمن فنيت أفعاله وصفاته وذاته فليس له اسم ولا رسم ، ولم يبق إلا الله لفناء الوجودات الوهمية وبقاء الموجود الحقيقي انتهى .

وقال بعض أكابر الطريقة قدس الله تعالى أسرارهم : جاء الخضر ﵇ عند الخواجه عبد الخالق الغجدواني ﷺ مرة فجاءه الخواجه بقرصين من خبز الشعير من بيته فلم يأكله الخضر ﵇ فقال الخواجه : لم لا تأكل فإنه حلال ؟ فقال الخضر ﵇ : نعم ، لكن العاجن عجنه على غير طهارة فلا يجوز لنا أكله .

وقال السيد الشريف قطب العارفين السيد أحمد الحسيني في « العقد النفيس » : قال الله تعالى لموسى عليه السلام : إذا رأيت الفقر قد أقبل فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الدنيا قد أقبلت فقل هذا ذنب عجلت عقوبته .

والفقر الحقيقي عند أهل الله تعالى هو فقد ما سوى الله تعالى من القلب ، وذلك أنه ما جعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه ، فإذا اشتغل القلب بالمال فلا يتسع إلا له عن الله سبحانه وتعالى ، وإذا تخلى عن كل شيء اشتغل بالله عمن سواه ، اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يخزيني ، وأعوذ بك من كل صاحب يرديني[1] ، وأعوذ بك من كل أمل يلهيني ، وأعوذ بك من كل فقر ينسيني ، وأعوذ بك من كل غنى يطغيني ، وأعوذ بك من كل قاطع يقطعني عنك . « العقد النفيس » ١١٩ .

وقال في الحديث : « القناعة كنز لا يفنى » : إن القناعة عندنا أن لا يميز الإنسان بين خبز شعير ناضج وبين غير ناضج حين وجده ، وأن يأكل منه أيضا ما يقدر به أن يحرك يديه ورجليه للصلاة .

قال : ينبغي أن يعيش على وجه يتيسر ذلك العيش دائما ، وأن يقنع في الأكل واللبس بما لا شيء أدنى منه ، ثم فتح يده المباركة وقال : إذا جاع شخص يكفيه كفة من الأرز أو الدقيق ، فمن اعتاد هذا فقد استراح .

وقال : من وقع في صحراء لا ماء فيها ولا عمران ولا يُرجى فيها وجود طعام بوجه من الوجوه ، ومع ذلك لا يكون فيه توجه الخاطر إلى طعام ولا في باطنه استطلاع واستشراف عليه ، يمكن أن يقال في حقه أن القناعة حاصلة فيه على الحقيقة .

وسئل بعض العارفين من الصوفية عن الفقر ، فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر ، وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله ، وليس بحق في نفسه ، إذ الحق لا يكون إلا واحدا .

« ١ » وفي هامش نسخة « أ » : يؤذيني خـ .

ولذلك قال عبد الله الجلاء ﷺ وقد سئل عن الفقر فقال : اضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر .

وقال الجنيد ﷺ : الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يعارض وإن عورض سكت ، وقال سهل بن عبد الله ﷺ : الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر .

وقال آخر : هو أن لا يكون لك ، فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك .

وقال إبراهيم الخواص ﷺ : هو ترك الشكوى وإظهار أثر البلوى .

والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلّما يتفق إثنان ، وذلك كله حق من وجه فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ، ولذلك لا ترى إثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما في التصوف أو يثني عليه ، بل كل واحد منهم يدعي أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه ، لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم ، فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم ، ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ، ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل كما هو مبسوط في « إحياء علوم الدين »[١] .

وينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس المال ، وغرض المعطي ، وغرضه في الأخذ .

« ١ » قال في « الإحياء » : ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر أنه نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطئته صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفي لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر . اهـ

أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها ، فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه ، وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب .

وأما غرض المعطي فلا يخلو إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية ، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة ، أو الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما ممزوجا ببقية الأغراض .

أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ ، ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة ، فالأولى تركها ، فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض ، فقد أهدي إلى رسول الله ﷺ سمن وأقط وكبش فقبل السمن والأقط وردّ الكبش .

وكان ﷺ يقبل من بعض الناس ويرد على بعض ، وقال : « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قريشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي » ، وفعل هذا جماعة من التابعين .

وقال العارف أبو العباس ابن زروق ؓ : **المداهنة** رفع الباطل والحق بالباطل المشبه للحق ، **والمداراة** رفع الباطل بوجه مباح وكذا إثبات الحق ، سواء كان لك أو لغيرك ، وقد صح أن المداراة صدقة . وقد صح : « من شفع لأخيه بشفاعة فأهدي له من أجلها هدية فقد فتح بابا عظيما على نفسه من الرياء » .

والفرق بين الهدية والرشوة أن ما قصد للمودة فهو الهدية إن تجرد ، وما قصد لجر نفع غير ديني ولا في مال الشخص نفسه بل للإعانة فرشوة ، وهذه الأربع يخفى إدراكها على حذاق العلماء في آحاد المسائل ، فتعيّن الورع فيها والله أعلم . « قواعد » ٦٣ .

وجاءت إلى فتح الموصلي ﵁ صرة فيها خمسون درهما فقال : حدثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من آتاه الله تعالى رزقا من غير مسألة فرده فإنما يردّه على الله تعالى » ، ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها .

وكان الحسن ﵁ يروي هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزقه من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال : من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله ﷻ يوم القيامة وليس له خلاق .

وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء ، وقد كان الحسن ﵁ يقبل من أصحابه .

وكان إبراهيم التيمي ﵁ يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المِئِين فلا يأخذها .

وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئا يقول : اتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذه ، وإلا فلا .

وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو ردّه ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته ، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين .

وقال بشر الحافي ﵁ : ما سألت أحدا قط شيئا إلا سرياً السقطي ﵁ لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا ، فهو يفرح بخروج شيء من يده ويتبرم ببقائه عنده ، فأكون عونا له على ما يحب انتهى مختصرا من « الإحياء » . وهذه كلها على مقتضى آراء القوم ومشربهم .

ومن المواضع موضع الأخذ أولى من الرد ، كما قال بعض السادات : آفة الرد أعظم من آفة الأخذ .

قال ﷺ : « ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا » .

وقال ﷺ : « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله تعالى إليه » وفي لفظ آخر : « فلا يرده » .

وقال بعض العارفين : من أعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط .

وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيئا فرده مرة ، فقال له السري : يا أحمد ، احذر آفة الرد ، فإنه أعظم من آفة الأخذ ، فقال أحمد : أعد عليّ ما قلت ، فأعاده ، فقال أحمد : ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر ، فاحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فانفذه إلي .

وقد قال بعض العلماء : يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول فى شبهة أو غيره .

فأما إذا كان ما أتاه زائدا على حاجته فلا يخلوا إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه ، فلا وجه لأخذه وإمساكه إن كان طالبا طريق الآخرة ، فإن ذلك محض اتباع الهوى ، وكل عمل ليس لله تعالى فهو في سبيل الشيطان أو داع إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

ثم له مقامان : **أحدهما** أن يأخذ في العلانية ويرد في السر ، أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر ، وهذا مقام الصديقين ، وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة .

والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه ، أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه . فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية الخ . « إحياء » .

وقال أبو العباس أحمد المشهور بابن زروق قدس سره : طلب الشيء بوجه واحد مع الإلحاح أقرب لنواله وأدعى لدوام سببه المطلوب في نفسه لإفراد الحقيقة له ، فلزم التزام ورد لا تنتقل عنه حتى تحصل نتائجه ، وإلا فالمنتقل قبل الفتح كحافر بئر لا يدوم على محل واحد ، وكالمقطر قطرة على كل محل يريد تأثير المحل بالقطر أثرا يظهر لعمله مع ذلك أثر .

قيل : والدوام في الشيء زيادة فيه باعتبار العمر لا باعتبار العود ، ومن استوى يوماه هو الذي لم يعمل فيهما شيئا ، ومن احتوى أمسُه على خلاف يومه فهو المحروم ، فإنه ليس عنده إلا عمل أمسه .

وقال ﵁ : **إقامة الأسباب ملحوظ في الأصل بحكم إقامة العالم لإستقامة وجوده** ، فلذلك ذم ما خالف وجود حفظ النظام ووقع مستغربا في الوجود من الأسباب وغيرها وأكدته الغيرة الإلهية بلزوم نقيض المقصود كالفقر في الكيمياء والذل في طلب السيمياء وميتة السوء في علم النجوم ، لأن الكل خروج عن حكمة الأسباب ومعاندة لحكم الحق تعالى ومقاومة له في طلب الأكمل بالمتوهم ويزيد الأخير بالتجسس على مملكة الله تعالى كما أشار إليه في « التنوير » ، ولكل نصيب مما لصاحبه وإن اختلف البساط . قاله في « قواعده » . انتهى

وقال ﵁ : إن غاية اتباع التقوى التمسك بالورع ، وهو ترك ما لا بأس به مما يحيك في الصدر حذرا مما به بأس ، كما صح : « لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى يترك ما حاك في الصدر » .

وشك بلا علامة وسوسة ، وورع بلا سنة بدعة ، ومنه التورع عن اليمين في الحق بالحق من غير إكثاره ، فلا يصح قول من قال : من الديانة أن لا تحلف بالله صادقا ولا كاذبا ، لما استفاض من آثار السلف وأحاديث النبي ﷺ .

قال عليه الصلاة والسلام : « إن يحلف به ، فاحلفوا بالله وبروا وصدقوا » ، ونهى الله تعالى أن يُجعل عرضة للأيمان ، فليتق وقوعه غاية ولا يجتنب بالكلية .

فإن كان جازما على أحد بأكل ماله على وجه الحرام أو الغصب ووقع على صاحبه أن يحلف على طبق دعواه بكونه حقه أو حق غيره .

فينبغي عليه أن يحلف بالحق للحق ، وإلا أي وإن لم يحلف بعدّه من الديانة يحنث ، وذلك لأنه يترك أخاه المسلم أن يأكل الحرام مع قدرته إبراءه عن الحرام ، بل هو كالإعانة على معصية ، فتدبر فإنه مما عمّت به الجدوى وزلت فيها أقدام كثير والحمد لله رب العالمين اهـ .

ولما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه تحسر عند موته فقيل له : علامَ يا أبا عبد الله ؟ قال : ليس أسفي على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا وقال : « ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب » وأخاف أن نكون جاوزنا أمره وحولي هذه الأشياء ، وأشار إلى ما يليه وإذا هو سيف ودست وجفنة . انتهى

وكان أبو حازم قدس سره يقول : عجبت لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل مرحلة ، ويتركون العمل لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة .

وروى شيخ الطائفة في « التهذيب » في أوائل كتاب المكاسب بطريق حسن أو صحيح عن الحسن بن محبوب قدس سره عن حريز قدس سره قال : سمعت أبا عبد الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول : **اتقوا الله ومَوِّتوا أنفسكم بالورع وقوة الثقة** والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان ، واعلم أن من خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه طلبا لما في يديه من دنياه أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه ، فإن هو غلب على شيء من دنياه فصار إليه منه شيء نزع الله منه البركة ولم يوجره على شيء من دنياه ينفعه في حق ولا عتق ولا بر .

أقول : قد صدق رضي الله عنه ، فإنا قد جربنا ذلك وجربه المجربون قبلنا واتفقت الكلمة منا ومنهم على عدم البركة في تلك الأموال وسرعة نفادها واضمحلالها ، وهو أمر ظاهر محسوس يعرفه كل من حصل شيئا من تلك الأموال الملعونة ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا رزقا حلالا طيبا يكفينا ويكُفُّ أكفنا عن مدها إلى هؤلاء وأمثالهم إنه سميع الدعاء لطيف لما يشآء « كشكول » ٩٤ .

وقال أرسطو للإسكندر وهو صبي : إذا وليت الملك فأين تضعني ؟ قال : حيث تضعك طاعتك .

وبلغنا عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه فقد الحلال فسف من التراب مدة أربعين يوما حتى وجد الحلال اللائق بحاله ومقامه .

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول : ينبغي لكل مؤمن في هذا الزمان إذا حضر عنده طعام أو شراب أن لا يأكل منه حتى يقول بتوجه تام :

اللهم إن كان في هذا الطعام شبهةُ حرام فاحمني منه ، وإن لم تحمني منه فلا تجعله يقيم في بطني ، وإن جعلته يقيم في بطني فاحفظني من المعاصي الناشئة من أكله ، فإن لم تحفظني منها فمنّ عليّ بالتوبة النصوح ، فإن لم تمنّ عليّ بالتوبة فالطف بي ولا تؤاخذني يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .

وكان يقول : لا ينبغي لفقير السؤال حتى يبيع آلات الدار الزائدة على الضرورة كالطراحة والمخدة والعمامة الزائدة والثوب الزائد والأواني كلها حتى نعله الزائد .

وكان يقول : لا ينبغي لفقير في هذا الزمان إذا وجد الحلال الصرف أن يشبع منه ، بل يأكل بقدر سد الرمق فقط خوفا أن يقع في الحرام .

وسمعته أيضا يقول : **ليست القناعة أن تأكل كل ما وجدته ولو كسرة يابسة كل يوم ، وإنما القناعة أن تطوي ثلاثة أيام فأكثر مع وجود الأكل عندك** اهـ .

وقال بعض الأكابر : خاطب الحق سبحانه وتعالى الغوث الأعظم بهذا الخطاب : يا غوث الأعظم ! مر أصحابك باختيار الفقر ثم بالفقر عن الفقر ، فإذا تم فقرهم فلا هم إلا أنا . « رشحة » ١٩٨

وقال الشيخ محمد بن يوسف بن معدان البنا قُدِّسَ سِرُّهُ : إني دخلت في بئر زمزم لأدعو ، فسمعت صوت هاتف : يا ابن يوسف ! اختر من الأمرين واحدا ، أيَّهما إليك أحب ؟ العلم مع الغنى والدنيا أم المعرفة مع القلة والفقر ؟ فقلت : المعرفة مع القلة والفقر ، فسمعت الهاتف ثانيا : قد أُعطيتَ ، قد أعطيت « نفحات » ١٥٨ .

وقال في « الحكم العطائية » : من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك و يمنعك ما يطغيك ، وجدان الكفاية من الرزق ، وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد ، لما له في ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية .

أما مصالح الدين في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر ، إذ لو وجدها ربما أوجب له ذلك طغيانا كما قال الله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ فالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية ، وهو سبب الطغيان ، والطغيان أصل كل معصية لله ﷻ ، وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبي ﷺ أن يرزقه الله تعالى مالا ، وما مال إليه أمره أمر مشهور .

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خير الرزق ما يكفي ، وخير الذكر الخفي » .

وفي حديث أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما طلعت شمس ولا غربت إلا بجنبها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين : يا أيها الناس ! هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » ، أو كما قال رسول الله ﷺ .

وأما مصالح الدنيا في ذلك فسيأتي التنبيه عليها في قول المؤلف رحمه الله تعالى (ليقلّ ما تفرح به يقلّ ما تحزن عليه) .

وأما مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن أجل توصله بذلك إلى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى . ولأجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد ، قال الله تعالى : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ، أي لا تنس نصيبك في الآخرة أن تتوصل إليه بما آتاك الله من الدنيا .

وأما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج إلى التنبيه عليه ، إذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسألة عند وجود الحاجة والفاقة .

فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما أباح له من هذه المنة الجسيمة ، فيستعمل بذلك راحة نفسه والاستغناء من بني جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الأمور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها ، فإن طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك ، إذ يجرّه الحرص والطمع إلى ذلك . من « الحكم » جلد ٤٢/٢ .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : لا تعدل مع الفقر والصبر والسلامة شيئا ، استغن بالله في فقرك فإن الغنى يطغي وينسي الرب ، من آثر الحياة الدنيا آثر هواه على أمر الله تعالى ، آثر الطبع والنفس على أمر الله تعالى ، آثر الفطر على الصوم ، آثر الحرام على الحلال ، آثر الغفلة على التيقظ ، آثر المعصية على الطاعة ، ويحك ! سوأتك بادية ، استح من النبي ﷺ إنه قال : « لأن تسمع برجل خير من أن تأتيه ، ولأن تأتيه خير من أن تخبره » ، فإذا خبرته مَقَتَّه ومقتّ عمله ، المؤمن ملك في الدنيا وملك في الآخرة ، ارجع إلى ربك بالتوبة والذلة والافتقار والمسكنة والتضرع والمسألة يعطك مما في خزائنه ، ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ ، وهذه مفاتيح خزائنه قد مكنك منها فاشكر الله تعالى بها على ذلك وتمسك بها وتبرأ من حولك وقوتك وقل بصدق وإخلاص : لا حول ولا قوة إلا بالله . « تقريب الأصول » ٣٢ .

وقال ﷺ أيضا : إن أردت أن تصح على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك واقطع الطمع عن ربك أن يعطيك غير ما سبق لك ، ثم إن أردت أن تكون مرتبطا بالحق فتبرأ من نفسك واخرج من حولك وقوتك اهـ « منه »

ومن الأمثال : الأمير من قنع بالقليل عن الكثير ، ومن لم يرض باليسير فهو أسير .

وذكر في كتاب « المخزون » ما رواه علي ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « ابن آدم اِكفل لي بثلاث أكفل لك بالجنة : إن قنعت بما رزقك الله فأنت أغنى الناس ، وإن انتهيت عما حرم الله عليك فأنت أورع الناس ، وإن عملت بما فرض الله عليك فأنت أعبد الناس » .

وقال يحيى بن معاذ الرازي ﷺ : صارت الأغنياء بترك القناعة فقراء مع كثرة المال ، **وصارت الفقراء أغنياء بغير المال مع القناعة** .

وسمعت بعضهم يقول : بينما فتح الموصلي ﷺ جالس مع أصحابه إذا بصبيَّيْن معهما رغيفان على رغيف أحدهما كامخ« ١ » وعلى رغيف الآخر عسل ، فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل : أعطني من عسلك ملعقة ، فقال : على أن تكون كلبا لي ، قال فجعل في فمه خرقة وجعل يقوده ويقول : هو هو ، فالتفت فتح الموصلي إلى أصحابه وقال : لو قنع هذا بكامخه لم يصر كلبا لصاحب العسل .

إذا جَعَلْتُ القُنوعَ شَأني ... أتى مِنَ الرِّزْقِ ما كَفاني
فَاسْتَغْني بِالدَّهْرِ عَنْ فُلانٍ ... وَعَنْ فُلانٍ وَعَنْ فُلانِ

وقال الإمام الأجل الشافعي ﷺ :

أَمَتُّ مَطامِعي فَأَرَحْتُ نَفْسي ... فَإِنَّ النَّفْسَ ما طَمِعَتْ تَهونُ
وَأَحْيَيْتُ القُنوعَ وَكانَ مَيتاً ... فَفي إحْيائه عِرْضي مَصونُ
إذا طَمَعٌ يَحُلُّ بِقَلْبِ عَبْدٍ ... عَلَتْهُ مَذَلَّةٌ وَعَلاهُ هُونُ

« مخزون في تسلية المحزون » ٦٤

« ١ » الكامخ نوع من الأدم أي ما يُشَهّى به للطعام .

فصل

في الكرامات والواردات والواقعات

اعلم أيها المؤمن التقي أن الكرامات والواردات من خصائص الطرق غالبا ، وتكون رؤيتها في البداية أكثر منها في النهاية ، **وليس بالكرامة فضل ، بل الاستقامة هو المطلوب الأعلى** .

قال ابن عطاء الله ﷺ في لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبي العباس المرسي ﷺ : الناس على قسمين : قوم وصلوا بكرامة الله تعالى إلى طاعة الله تعالى وقوم وصلوا بطاعة الله تعالى إلى كرامة الله تعالى قال سبحانه وتعالى : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ . تقريب ١٢٤

وقد ذكرنا في حق ذلك كلاما ونذكر هنا أثرا منها ليكون تتميما لما ذكر : واشتهر على ألسنة العارفين : حقيقة بلا شريعة باطلة ، وشريعة بلا حقيقة عاطلة . وقالوا : الحقيقة كلها علم ، ومتى وردت الواردات الإلهية على قلب العبد فإنها تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه ستر عاداته لأن لها سلطنة عظيمة على ذلك .

فإذا وردت على قلب مشحون بأنواع الرذائل والقبائح والخبائث أزالت ذلك وأنبتت عوضا منه أحوالا علية وأوصافا سنية مرضية **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة** فالواردات الإلهية شبيهة بجنود الملك إذا حلّت قلّما قهرت ما فيه وأزالته وسرت أنوارها في الجوارح ، فلا يرى صاحبها إلا ساعيا في مرضاة ربه تعالى باتباع المأمورات واجتناب المنهيات وزيادة نوافل الخيرات رغبة في مرضاة المحبوب ، وهذه حالة السالكين ، وقد يقوى عملها في القلب حتى يفنى صاحبها عن الكون وعن نفسه ، وهذه حالة المجذوب .

لا يقال : إن العوائد مما جبلت عليها الطبائع ، فكيف تزيلها الواردات ؟ لأنا نقول : انّ الوارد له القهر كجند الملك ، ولذلك قال ابن عطاء الله ﷺ في « الحكم » : الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذاك لا يصادمه شيء إلا دمغه ، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ . انتهى كلام سيدي زين دحلان ﷺ اهـ وراجع « تنوير » ١٨ .

وقـــال الشيخ العارف علي بن حسين الهروي ﷺ عن شيخه عبيد الله الأحرار ﷺ : إن الدليل على صحة الأحوال الواردة أن يحصل تلك الأحوال وقت الفناء والاضمحلال ويزول الكلفة في الأعمال ويحصل الميل إلى الشريعة الغراء وتتجدد المحبة لها حتى يقوم بإتيان أحكام الشريعة بكمال الشوق والبهجة والسرور من غير كلفة وكسالة وفتور . انتهى .

وذكر في رشحات عين الحياة : سئل الشيخ أبو سعيد بأنه إذا خطر خاطر ونفيناه بكلمة بازكشت فانتفى فبأي علامة نعرف أنه نفساني أو شيطاني فقال : انظروا فإن عاد في اللباس الأول وخطر ثانيا مثل الأول فاعلموا أنه نفساني فإن الإبرام واللجاجة من صفة النفس فإنها تطالب بحاجة واحدة مرات كثيرة فإن حصلت تطالب بأخرى وإلا فهو شيطاني فإن مراد الشيطان إضلال وإغواء إن لم يقدر أن يقطع طريق السالك في لباس يأتي في لباس آخر ويدق بابا آخر . انتهى

والشيخ أبو العباس بن زروق ﷺ قال في « قواعده »/ ٥٣ : من ظهرت عليه خوارق تقتضي ما هو أعم من كرامته نظر فيما يفعله ، فإن صحت ديانته معها فكرامة وإن لم تصح فاستدراج أو سحر ، وإن ظهر بعد ثبوت الرتبة مناف مما يباح بوجه تأول مع إقامة الحق الشرعي إن تعين ، وإن كان مما لا يباح بوجه فالحكم لازم والتأويل غير مصادف محلا ، إذ الحقائق لا تنقلب والأحكام ثابتة على الذوات فلزم الحكم عليه بحكمه وأصل تأويل ما يباح بوجه مذكور في قضية الخضر وموسى عليهما السلام إذ بيّن الوجه عند فراقه . انتهى

وقال حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺ : الأولياء يطلعونهم على الأسرار ولكنهم لا يظهرون بغير إجازة ، وهذا سر عظيم لمن فهم وإخفاء الأسرار صنع الأبرار ، وذكر بيتا بالفارسي مضمونه : لا تظهر السر فتهريق الدم على الأرض .

وقال ﷺ : كل ما ظهر منا بالنسبة إلى إظهار الخواطر وأحوال الخلق فلسنا في البين إما بالإلهام أو بالإعلام بواسطة إشارة إلى مقام الفناء كما قال تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

وكتب في « النفحات » : إن ولاية جميع الأولياء تسلب بعد الموت إلا ولاية أربعة منهم ، اعلم أنه يمكن أن يكون مراده بالولاية التصرفات وظهور الكرامات ، لا أصل الولاية التي هي عبارة عن قرب إلهي جل سلطانه ، وأن يكون مراده بالسلب أيضا سلب كثرة ظهور الكرامات لا سلب أصل الظهور ، مع أن هذا الكلام كشفي ومجال الخطأ كثير في الكشف ، فلا يدري ماذا رأى وماذا فهم . انتهى .

وقال العارف الشيخ داود بن ماخلا ﷺ : إن الله تعالى يستر عن العارفين كثيرا من مقاماتهم وكراماتهم حتى لا تخطر الدعوى على بالهم . « تقريب » ٥٣ .

قال الإمام الرباني قدس سره النوراني : اعلم أن ارتكاب فضول المباحات باعث على قلة ظهور الخوارق ، خصوصا إذا أفضى كثرة مباشرة الفضول إلى حد المشتبه وأدت منه عياذا بالله سبحانه وتعالى إلى حوالي المحرم ، فأين الكرامات حينئذ وأين الخوارق ، وكلما يضيق دائرة مباشرة المباح واكتفى منه بقدر الضرورة يكون مجال الكشف والكرامة أوسع وطريق ظهور الخوارق أوضح ، وظهور الخوارق من شرائط النبوة ، لا من شرائط الولاية .

فإن إظهار النبوة واجب دون إظهار الولاية ، بل السر والإخفاء في هذه المرتبة أولى ، فإن هناك دعوة الخلق وهنا قرب الحق جل شأنه . ومعلوم أن الإظهار لازم للدعوة والستر مناسب للقرب .

وكثرة ظهور الخوارق من ولي لا يدل على أفضليته من الذين لم يظهر منهم من الخوارق كما ذكرنا ونذكره .

وقد حقق شيخ الشيوخ هذا المعنى في « العوارف » ، فإذا لم يكن قلة ظهور الخوارق وكثرته في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام موجبة للأفضلية والمفضولية مع كونها شرطا للنبوة ، كيف تكون في الولاية موجبة للتفاضل مع كونها غير شرط فيها ؟ !

وأظن أن المقصود الأصلي من رياضات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومجاهدتهم وتضييقهم في مباشرة المباح على أنفسهم هو تحصيل ظهور الخوارق التي هي واجبة عليهم وشرط نبوتهم ، لا الوصول إلى درجات القرب الإلهي جل سلطانه ، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مجتبون فيجر بهم بسلسلة جذب المحبة جرًّا جرًّا ويوصل بهم إلى درجات القرب الإلهي بلا مشقة منهم .

والطريق الذي يحتاج فيه للوصول إلى درجات القرب الإلهي إلى الرياضات والمجاهدات هو طريق الإنابة والإرادة الذي هو طريق المريدين ، وطريق الاجتباء هو طريق المرادين .

والمريدون يذهبون بأرجلهم بالمشقة والمحنة والمرادون يحملون إلى منزل المقصود بالإعزاز والإكرام ويوصل بهم إلى درجات القرب بلا محنة منهم . انتهى .

واعلم أيها السعيد المجددي **علامة وصول نفحة من مشام هذا العلم حصول التصديق الكامل بهذا العلم ويسلم لأهل هذا العلم حقا لهم** ، فإن التصديق بمقامهم ولاية فتدبر ، كما قال تاج العارفين أبو القاسم جنيد قُدِّسَ سِرُّهُ : التصديق بطريقتنا هذا ولاية صغرى .

وقال الخواجه : مذهب الحق أن كل كرامات الأولياء معجزة لرسول ذلك الولي وثبوت الولاية بظهور الكرامة المقارنة للاستقامة في متابعة الرسول ﷺ في الأفعال والأقوال .

ومن الأنفاس الشريفة لحضرة الخواجه قدس سره أنه قال : لا اعتماد على ظهور خوارق العادات والكرامات ، وإنما المعتبر الاستقامة ومتابعة السنة كما هو مسطور في العقائد ، وكل ما هو كرامة للولي تكون معجزة للرسول عليه الصلاة والسلام ، فإن بظهورها يعلم أنه ولي ولا يكون وليا إلا وأن يكون محقا في ديانته يعني على نهج الشرع وسيرته .

وفي كتاب « التعرف في علم التصوف » مذكور : أجمع فقهاء الأمة من أهل السنة والجماعة على إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في المعجزات ، كالمشي على الماء وكلام البهائم وطي الأرض وظهور الشيء في غير وقته وموضعه .

وقد ثبتت كرامات الأولياء وجاءت قضاء كل واحد في الأخبار والآثار بالنقل الصحيح ، ولسان التنزيل ناطق بذلك ، والمنكر لكرامات الأولياء والمتكلم فيها في الحقيقة كالمنكر للمعجزة ، والاعتراض على أهل الله تعالى غير مبارك ، فإن كل شيء يجري عليهم مبني على حكمة . فجعل ذلك سببا للقدح والطعن فيهم في غاية الخطر .

وذكر في كتاب « قوت القلوب في معاملة المحبوب » : كل من أنكر مقاما من مقامات أهل اليقين أو طريقا من طرق العارفين أحسن أحواله ضعف اليقين وأردى أحواله الكفر وأقل عقوبته حرمان الوجد وفقدان الشهود .

ونقل في « فاتحة العلوم » عن بعض العارفين : كل من لم يكن له من علم الصديقين والمقربين نصيب أخاف عليه من سوء الحال في النفس الأخير ، وأقل ما يحصل من خراب الحال لمنكر هذا العلم أنه لا يكون محفوظا من هذا العلم بوجه من الوجوه انتهى .

سئل حضرة الخواجه ﷺ عن الفقراء في نفي الكرامات ماذا يقولون فقال : كل شيء في صفة حقيقة كلمة التوحيد منفي ، فما الكرامات في جنب ذلك ، وأصحاب الكرامات كلهم محجوبون والعارفون عن النظر إليها معدومون .

سئل أيضا حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبندي ﷺ أن بصيرة ومعرفة أهل الله تعالى للخواطر والأعمال والأحوال من أين ؟ فقال : من نور الفراسة التي أكرمهم الله تعالى بها ، كما ورد في الحديث الصحيح : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله » .

و إن بعض المشائخ طلبوا من حضرة الخواجه بهاء الدين ﷺ الكرامات فقال : **كرامتنا ظاهرة ، مع وجود هذه الذنوب يمكننا أن نمشي على الأرض** .

وقال أيضا ﷺ : إن ظهور الأحوال من الشيخ كرامات في نظر المريد انتهى . ومر مثل هذا في فصل بيان أحوال المتوجهين راجعه .

وقال بعض الأعلام : لا ينال عبد الكرامة حتى يكون على إحدى صفتين : إما أن يسقط الناس من عينه ، فلا يرى في الدنيا إلا خالقه وإن أحدا لا يقدر أن يضره ولا ينفعه ، وإما أن يسقط الناس عن قلبه ، فلا يبالي بأي حال يرونه . انتهى « كشكول » ١١٤ .

فإن قـــيل : إن الكرامات وخوارق العادات التي ظهرت من حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ لم تظهر من ولي أصلا ، فيكون الفضل له من جميع الأولياء .

قلت : إن كثرة ظهور الخوارق لا دلالة فيها على الأفضلية ، بل يمكن أن يكون الذي لم يظهر منه خارق أصلا أفضل من الذي ظهرت منه الخوارق والكرامات ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

قال شيخ الشيوخ في « العوارف » بعد ذكر الكرامات وخوارق المشائخ للعادات : وكل هذه مواهب الله سبحانه وتعالى وقد يكاشَف بها قوم ويعطى ،

وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيء من هذا لأن هذه كلها تقوية اليقين ، ومن منح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ، وجعل كثرة ظهور الخوارق دليلا على الأفضلية كجعل كثرة فضائل علي كرم الله وجهه ومناقبه دليلا على أفضليته على الصديق رضي الله عنه ، فإنه لم يظهر منه هذا القدر من الفضائل والمناقب .

ثم إن خوارق العادات على نوعين :

النوع الأول : العلوم والمعارف الإلهية التي تتعلق بذات الواجب جل وعلا وصفاته وأفعاله وراء طور نظر العقل وخلاف المتعارف المعتاد ، وجعل الحق سبحانه عباده الخاصة ممتازين بها .

والنوع الثاني : كشف صور المخلوقات والإخبار عن المغيبات التي تتعلق بالعالم . والنوع الأول مخصوص بأهل الحق وأرباب المعرفة ، والنوع الثاني شامل للمحق والمبطل ، فإنه حاصل لأهل الاستدراج أيضا .

والنوع الأول شرافة واعتبار عند الحق جل وعلا ، لكونه مخصوصا بأوليائه وعدم مشاركة أعدائه فيه ، والنوع الثاني معتبر عند عوام الخلائق ومعزز ومكرم عند أنظارهم ، حتى لو ظهر ذلك من أهل الاستدراج يكادون يعبدونه من جهلهم ويطيعونه وينقادون له فيما يأمرهم به من رطب ويابس وينهاهم ، بل المحجوبون لا يعدون النوع الأول من الخوارق والكرامات ، والخوارق عندهم في النوع الثاني ، والكرامات مخصوصة عندهم بكشف صور المخلوقات والإخبار عن المغيبات .

ما أبعدهم عن العقل ، أي شرافة وأي كرامة في علم يتعلق بأحوال المخلوقات حاضرة كانت أو غائبة ، بل الأليق والأنسب أن يبدل مثل هذا العلم جهلا ليحصل نسيان المخلوقات وأحوالها ، واللائق بالشرافة والكرامة هو معرفة الحق تعالى ، وهي المستحقة للإعزاز والاحترام .

وَرُبَّ مَليحٍ لا يُحَبُّ وَضِدُّهُ　　　　يُقَبَّلُ مِنْهُ العَيْنُ وَالخَدُّ والفَمُ

« مكتوبات » الرباني ﷺ النوراني ٣٢

وسأل الملك حسين صاحب هراة حضرةَ الخواجه ﷺ و بعض المشائخ قالوا : الولاية أفضل من النبوة ، أيّ ولاية أفضل من النبوة ؟ فقال حضرة الخواجه : ولاية ذلك النبي أفضل من نبوته فافهم .

ومن المعلوم المقرر أن المزية لا تقتضي التفضيل والاقتداء لا يصح إلا بذي علم كامل أو دين .

ولو قيل بالتفضيل بالمزايا للزم تفضيل إبليس على عوام المؤمنين ، إذ له مزية خرق الهواء و المشي على الماء ونفوذ الأرض في لحظة وما أثبته الله تعالى له من أنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه .

وللزم تفضيل الخضر على موسى عليهما السلام وكل ذلك لا يصح ، فلزم أن التفضيل بحكم من الله في الجملة فلا يتعرض له إلا بتوقيف ثابت في بابه ، ولكن للدلائل ترجيح فوجب التوقف عن الجزم وجاز الخوض في الترجيح إذا أحوج إليه الوقت ، وإلا فترك الكلام فيه أولى والله أعلم ، قاله الشيخ ابن زروق ﷺ .

قال الشيخ العارف السيد أحمد زين دحلان ﷺ نقلا عن العارف ابن عطاء الله ﷺ في « الحكم » : الوارد يأتي من حضرة قهار ، لأجل ذاك لا يصادمه شيء إلا دمغه ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾

وقال ابن عطاء الله ﷺ : لا تُزَكِّيَنَّ واردا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة الإمطار ، إنما المراد منها وجود الأثمار .

والمعنى : لا تمدح الوارد ولا تفرح به وأنت لا تعلم ثمرته ، وثمرته تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة ، فإن لم يوجد هذا عندك فلا تفرح به فإن ذلك نوع من الاغترار وانخداع بلبسة الإظهار ، فكن على حذر منه .

فالوارد إنما يراد لثمرته لا لحظ النفس ، فإن كثيرا ممن يحصل عندهم تلك الأحوال القلبية يغترون بها ، وربما تركوا الأعمال الظاهرة مع وجود عقلهم .

ثم اعلم أن الواردات وسائل لحصول مقاصدها ، وهي ثمراتها التي تكون بعد حصولها . فإذا حصلت مقاصدها فلا وجه لطلب بقاء الواردات ، كما أنه لا يطلب بقاء السحاب والإمطار بعد حصول الأثمار ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾

فإياك أن تقف مع الواردات فتصير حجابا في حقك والمقصود أمامك ، ولا تحزن على فقد الوارد إذا فقدته فلك في الله تعالى غنى عن كل شيء ، وليس يغنيك عن الله تعالى شيء . ورحم الله تعالى القائل :

لِكُلِّ شَيءٍ إذا فارَقْتَـهُ عِوَضٌ   وَلَيْسَ لِلهِ إنْ فارَقْتَ مِنْ عِوَضِ

فلا تأس على فقد شيء إذا وجدت الله في كل شيء ، وكيف يأسى على فقد شيء من عنده مالك كل شيء ، وكيف تتعلق همة من رضي عنه الملك بغير الملك ، وليس يغنيك عن الله شيء إذا فقدته .

ولقد أحسن من قال :

المُلْكُ مُلْـكـي إذا ظَـفِرْتُ   بالوَصْلِ مِمَّنْ بِهِ كَلِفْتُ
إنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ أحِبُّ عِنْدي   في جَـنَّـةِ الخُـلْدِ لا نَعِمْتُ

انتهى

قال في « الحكم العطائية » وشرحه : **تنوعت أجناس الأعمال على العاملين لتنوع واردات الأحوال** ، أي الواردات التي تنتج أحوالا قائمة بقلوبهم تقتضي ميلهم إلى تلك الأعمال أو واردات هي الأحوال ، فإن الوارد قد يسمى حالا كما سيأتي ، يعني أن بعض المريدين نجده مشتغلا بالصلاة وبعضهم بالصيام وهكذا ، وسبب ذلك وارد إلهي اقتضى ميل هذا إلى كذا وهذا إلى كذا .

وينبغي لكلٍّ أن يعمل بمقتضى ميله المذكور إن لم يكن تحت تربية شيخ ، وإلا فلا يشتغل بشيء إلا بإذنه وإرادته .

وحاصل ذلك أن تنوع الأوراد في حق المريدين ناشئ عن تنوع الواردات على قلوبهم . فينبغي لكل مريد أن يعمل بمقتضى وارده بالشرط المتقدم ، لا يعمل بمقتضى وارد غيره ولا يعترض على ذلك الغير في عدم اشتغاله بما اشتغل به هو « شرح الشرقاوي » ١٠ .

وفـــي « التفسير الكبير » للإمام النحرير فخر الدين الرازي ﷺ : إذا ظهر فعل خارق العادة على إنسان فذلك إما أن يكون مقرونا بالدعوى أو لا مع دعوى ، والقسم الأول أن ما يكون بالدعوى إما أن يكون دعوى الإلهية أو دعوى النبوة أو دعوى الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشياطين ، فهذه أربعة أقسام :

القسم الأول ادعاء الإلهية ، وجوز أصحابنا ظهور خوارق العادات على يده من غير معارضة ، كما قال : إن فرعون كان يدعي الألوهية وكان يظهر على يديه خوارق العادات ، وكما نقل ذلك أيضا في حق الدجال ، قال أصحابنا : وإنما جاز ذلك لأن شكله وخلقته يدل على كذبه ، فظهور الخوارق على يديه لا يفضي إلى التلبيس .

والقسم الثاني ادعاء النبوة ، وهذا القسم على قسمين ، لأنه إما أن يكون ذلك المدعي صادقا أو كاذبا ، فإن كان صادقا وجب ظهور خوارق العادات على يده ، وهذا متفق عليه ، وبتقدير أن يظهر وجب حصول المعارضة .

وأما القسم الثالث وهو ادعاء الولاية ، فالقائلون بكرامات الأولياء اختلفوا في أنه هل يجوز ادعاء الكرامة ثم أنها يحصل على وفق دعواه أم لا .

القسم الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشياطين ، فعند أصحبنا يجوز ظهور خوارق العادات على يد إنسان من غير شيء من الدعاوى ، فذلك الإنسان إما أن يكون صالحا مرضيا عند الله تعالى ، وإما أن يكون خبيثا مذنبا ،

والأول من القول بكرامات الأولياء ، وقد اتفق أصحابنا على جوازه ، وأنكرها المعتزلة إلا أبا الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي .

وأما القسم الثاني وهو أن يظهر خوارق العادات على بعض من كان مردودا عن طاعة الله تعالى . فهذا هو المسمى بالاستدراج فافهم .

وقد ثبت أن كرامات الأولياء حق ثابت بكتاب الله تعالى والآثار الصحيحة المروية وإجماع أهل السنة والجماعة على ذلك ، وقد ذكرناها في هذا الكتاب وفي كتابنا « مواقف السادات » فراجعه .

وذكر في « المكتوبات الربانية » ما عبارته هذه : كتب الشيخ محي الدين بن العربي ﷽ : إن بعض الأولياء الكرام الذي ظهرت منه كرامات وخوارق كثيرة ندم في آخر النفس من ظهور تلك الكرامات وقال تمنيا : **يا ليت هذه الكرامات لم تظهر مني** ، فلو كان التفاضل باعتبار كثرة ظهور الخوارق لا يكون للندامة على ذلك الطور معنى .

فــــإن قيل : إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطا في الولاية كيف يتميز الولي من غير الولي وكيف يتبين المحق من المبطل ؟

أجـــــيب : لا يلزم التمييز ، بل يكون المحق ممتزجا بالمبطل ، **فإن اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشأة الدنيوية** .

والعلم بولاية ولي ليس بلازم أصلا ، وكثير من أولياء الله تعالى لا اطلاع لهم على ولايتهم ، فكيف يكون الاطلاع على ولايتهم لازما لغيرهم .

وفي النبي لا بد من الخوارق ليتميز النبي من غير النبي ، فإن العلم بنبوة نبي واجب . والولي لما كان داعيا على شريعة نبيه كفاه معجزة نبيه ، فلو كان الولي يدعو إلى ما وراء الشريعة لما كان له بد من خارق ، وحيث كانت دعوته مخصوصة بشريعة نبي لا يلزم الخارق أصلا .

العلماء يدعون إلى ظاهر الشريعة ، والأولياء يدعون إلى ظاهر وباطن الشريعة ، يدلون المريدين والطالبين أولا على التوبة والإنابة ويرغبونهم في الأحكام الشرعية ويهدونهم ثانيا إلى طريق ذكر الحق جل وعلا ، ويؤكدون في استغراق جميع أوقاتهم بالذكر الإلهي جل سلطانه إلى أن يستولي الذكر ولا يبقى في القلب غير المذكور أصلا ، ليحصل النسيان عن جميع ما سوى المذكور حتى لو كلف بتذكر الأشياء لا يكاد يتذكر .

ومن اليقين أنه لا حاجة للولي لأجل هذه الدعوة التي تتعلق بظاهر الشريعة وباطنها إلى الخوارق أصلا .

والشيخوخة والمريدية عبارتان عن هذه الدعوة التي لا تعلق لها بالخوارق ولا مساس لها بالكرامة ، مع أنا نقول : **إن المريد الرشيد والطالب المستعد يحس في كل ساعة في أثناء سلوك الطريق خوارق شيخه وكراماته ويستمد منه في المعاملة الغيبية في كل زمان** ، ويجد منه فيها مددا .

وظهور الخوارق بالنسبة إلى الأغيار ليس بلازم ، وأما بالنسبة إلى المريدين فكرامات في كرامات وخوارق في خوارق ، وكيف لا يحس المريد خوارق الشيخ فإن الشيخ أحيى القلب الميت وأوصل إلى المكاشفة والمشاهدة ، فإذا كان عند العوام الإحياء الجسدي عظيم الشأن فعند الخواص الإحياء القلبي والروحي برهان رفيع البنيان انتهى .

وقـــال مولانا شاه غلام علي الدهلوي ﷺ : إن طالب ذوق وشوق وكشوف وكرامات ليس بطالب لله . انتهى .

وقال أيضا : **إن الناس على أربعة أقسام : عديم المروة وصاحب المروة وصاحب الجود والفرد ، فعديم المروة هو طالب الدنيا ، وصاحب المروة طالب العقبى ، وصاحب الجود هو طالب العقبى والمولى ، والفرد هو طالب المولى فقط** .

وقال الشيخ أحمد بن زروق ﵁ في « القواعد » : كرامة التابع شاهدة بصدق المتبوع له من حرمته لثبوت الإرث له منه ، فمن ثم جاز التبرك بآثار أهل الخير ممن ظهرت كرامته بديانة أو علم أو عمل أو أثر ظاهر كتكثير القليل والإخبار عن الغيب حسب فراسته وإجابة الدعوة وتسخير الماء والهواء إلى غير ذلك مما صح من آيات الأنبياء ، فيكون كرامة الأولياء إذاً لأصل التأسي حتى يأتي المخصص ، ولم يزل أكابر« ١ » يتبركون بأهل الفضل من كل عصر وقطر ، فلزم الاقتداء بهم حسب ما يهتدي إليه الظن في الأشخاص . والله أعلم .

وقال ﵁ : يعرف باطن العبد من ظاهر حاله لأن الأَسِرَّة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجه أثره يلوح ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود

وقال ذلك الرجل لرسول الله ﷺ : فلما رأيته علمت أنه ليس بوجه كذاب .

وقال عز من قائل في المنافقين : ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ .

وقيل : **الناس حوانيت مغلقة ، فإذا تكلم الرجلان تبين العطار من البيطار ، لأن الكلام صفة المتكلم** ، وما فيك ظهر على فيك .

فمعرفة الرجل من ثلاثة : كلامه وتصرفه وطبعه ، وتتعرف كلها من مغاضبته فإن لزم الصدق وآثر الحق وسامح الخلق فهو ذاك ، وإلا فليس هناك ، والله أعلم .

وقال ﵁ أيضا : لكل بلاد ما يغلب عليها من الحق والباطل ، فإذا أردت أن تعرف صالح بلد فانظر لباطل أهلها هل هو بريء منهم أو لا فإن كان بريئا فهو ذاك ، وإلا فلا .

« ١ » لعله : الأكابر .

وبحسب هذا فاعتبر في أهل المغرب الأقصى السخاء وحسن الخلق ، فإن وجدته وإلا فدع ، وفي أهل الأندلس كذلك وفي أهل المشرق الغيرة لله وسلامة الصدر إلى غير ذلك .

وقد أشار رسول الله ﷺ لهذا الأصل فذكر أوصاف البلاد وعوارضها كقوله في المشرق : « الفتنة ههنا » وكذا نجد ، وفي الفرس : « لو كان الإيمان بالثريا لأدركه رجال منهم » ، وفي أهل اليمن « إنهم ذو أفئدة » ، وفي أهل المدينة : « إنهم خير الناس » مع ما وصفهم الله به من قوله ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وما وصف به أهل مصر من الأوصاف المذمومة وغيرها التي يبلغ عددها سبعة عشر موضعا في كتاب الله تعالى .

وقال عليه الصلاة والسلام : « السكينة والوقار في أهل الغنم ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل ، والغلظة والجفاء في الفدادين[1] تُبَّاع أذناب الإبل والبقر » ، وقال عمر رضي الله عنه في إفريقية : بلاد مكر وخديعة ، وقال مولانا جلت قدرته لذي القرنين في أهل المغرب الأقصى : ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ فدل على استحقاقهم لكل ما يعاملون به من خير أو شر وأنهم لكذلك والله أعلم .

ولنذكر هنا على مجرى صاحب « التعريب » مولانا محمد مراد المنزلوي قدس سره ما ذكره نقلا مما في « منازل السائرين » : قال شيخ الإسلام الهروي والإمام الأنصاري قدس سره في « منازل السائرين » وشارحه : والذي ثبت عندي بالتجربة أن فراسة أهل المعرفة إنما هي في تمييزهم من يصلح لحضرة الله جل وعلا ممن لا يصلح ويعرفون أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بالله سبحانه وتعالى ووصلوا إلى حضرة الجمع ، وهذه فراسة أهل المعرفة .

وأما فراسة أهل الرياضة بالجوع والخلوة وتصفية الباطن من غير وصلة إلى جانب الحق تعالى ، فلهم فراسة كشف الصور والإخبار بالمغيبات المختصة بالخلق ، فإنهم لا يخبرون إلا عن الخلق ، لأنهم محجوبون عن الحق سبحانه وتعالى .

« ١ » وهم الذين تعلو أصواتُهم في حروثِهِم ومواشيهم والمقصود سكان البوادي .

وأما أهل المعرفة فلاشتغالهم بما يرد عليهم من معارف الحق تعالى لا يكون إخبارهم إلا عن الحق تعالى .

ولما كان العالم أكثرهم أهل انقطاع عن الله سبحانه وتعالى واشتغال بالدنيا ، مالت قلوبهم إلى أهل كشف الصور والإخبار عما غاب من أحوال المخلوقات ، فعظموهم واعتقدوا أنهم أهل الله تعالى وخاصته ، وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتهموهم فيما يخبرون عن الله سبحانه وتعالى وقالوا : لو كان هؤلاء أهل الحق كما يزعمون لأخبرونا عن أحوالنا وأحوال المخلوقات ، وإذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى من هذه ، وكذبوهم بهذا القياس الفاسد وعميت عليهم الأنباء الصحيحة ، ولم يعلموا أن الله تعالى قد حمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق وخصهم وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم ، ولو كانوا ممن يتعرض لأحوال الخلق ما صلحوا للحق سبحانه .

وقد رأينا أهل الحق إذ التفتوا أدنى التفات إلى كشف الصور أدركوا منها ما لا يقدر غيرهم على إدراكه بالفراسة التي يثبتها أهل المعرفة ، وهي الفراسة فيما يتعلق بالحق سبحانه وتعالى وما يقرب منه .

وأما فراسة أهل الصفاء الخارجين المتعلقين بالخلق فلا يتعلق بجناب الحق سبحانه وتعالى ولا ما يقرب منه ، ويشترك المسلمون والنصارى واليهود وسائر الطوائف فيها ، لأنها ليست شريفة عند الله تعالى فيختص بها أهله .

وقال مولانا وشيخ شيخنا ﷺ : وأما الفرق بين الأحوال الربانية والطبيعة الشيطانية فلا بد من معرفتها حتى يميزها عيانا . قالوا : لمدعي السماع له حالات ثلاث :

فالحالة الأولى نقتصر على شيء منها ، وهو أن الإنسان إذا كان صاحب صدق فإذا ورد عليه شيء تشتغل الروح معه وتتحد الجوارح وينحرف الطبع ويتغير المزاج ، فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى إليه ، فإذا انصرف عنه

النور الملكي سرى عنه وقد عرق جبينه واحمر وجهه ، وقام كأنما نشط من عقال ، هي المحادثة ولأولياء الله تعالى فيها مشارب شتى .

والحالة الثانية هي أنه متى اشتد على الإنسان وغاب عن الوجود الحسي ، فإن حصل في تلك الغيبة علم يعقله هنا ويعقله إذا رجع إلى حسه ، ويعبر عنه على ما أعطاه الله تعالى من العبارة ، فهو الحال الإلهي ويملأ القلب سرورا عند الإفاقة ، وإن غاب ثم رد ولم يجد شيئا إلا أنه أخذ عنه بفيضة أفيضت عليه لم تتم له فائدة ، ولكن غاب عن حسه ، فهذا حاله من المزاج لما حمي القلب بالذكر أو بالتخيل صعد منه البخار من التجويف الكبير إلى الدماغ ، فحجب العقل ومنع الروح الحيواني من السريان ورمى بصاحبه كالمصروع ، فهذا حال صحيح ، ولكن من المزاج الطبيعي ليس له فائدة ، وكثيرا ما يرى شبحا أوسحابا أو بستانا أو برا أو بحرا ، وهو هذا البخار .

وأما الحالة الثالثة فهو الكذاب ، وهو الذي يعقل أهل مجلسه في السماع أو في خلوة ، فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس ، قد سخر به الشيطان ، فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم ، فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة ولو صادف الصحة فيها ، كما قال الفقهاء : من صلى جاهلا بكيفية الوضوء والصلاة والقبلة لا تصح صلاته وإن صادف الصحة .

فكما أن هذه المسألة أصل عند العلماء فكذلك عند الصوفية ، فلا يعول أبدا على ما يخاطب الجاهل بطريق فإنه لا يحسن أن يفرق بين الحق والباطل ، فكيف يعول على قوله ، فإن هذه الحالة شيطانية وإنه ليس في قوة الشيطان أن يغيبك عن حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه ، وإنما هو على وجهين إما أن يغيبك ولا يلقي إليك وأنت مع حسك وفي باطنك شيء من حرارة وتوهم واستماع إلى شيء وضرب من الاستعداد للخطاب ، فإن عرف أنه تمكن منه في هذا المقام ألقى إليه خطابا ، فيحسن بذلك على حسب ما يلقى إليه فيخبر عما وجده وإخباره أنه وجد هذا في نفسه صحيح ، وربما يقول له بمواقع خطابه : عبدي أنا ربك لا تنظر إليّ إلا بي ، فإن نظرت

إليّ بك أشركت ، فأنا الناظر والمنظور وأنا الساجد والمسجود وأنا الذاكر والمذكور ، وما أشبه ذلك من الخطاب .

ويقنع إبليس منه أن يعتقد أن ذلك من الله تعالى فيستولي عليه فيصير محلا له طول عمره ، فلو علم هذا الجاهل أن خطابة الحق لا تزيل إحساسا وليس بالوهم ولا بالخيال ولا بالاستعداد ولا بالانتظار ولا بخاطر يخطر بالبال ولا ببقاء الحس والقال لرجع عن جهله .

ولو علمت أن هذا من جهلك بنفسك وبغرور الشيطان بك لتبت إلى الله تعالى وعرضت هذه الأمور على مرشد يعرفك الحق ، فإن أمرتك ونهتك بضرب من العبادات فهي شيطانية ، فأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسي والمعوذتين والحمدلة والبسملة والاستغفار وترك الطمع والدنيا .

فهذه الثمانية السلاح وإن لم تأمرك ولكن تخبرك بمواقع في الكون من أمر مغيب من خوارق العادات ، فأنت على الاحتماء من أن تكون شيطانية أو غيرها ، فميز بينهما بسرعة الإلقاء والتفرقة ، وإن لم تلق إلا شيئا ثم شيئا آخر ثم آخر فهو روح شيطاني فألهمها فجورها وتقواها ، وإن استمر أمر واحد فإنك في حال الفتنة أيضا ، فلا تقبل من الإلقاء إلا ما حصل لك في حال الفناء الكلي عن نفسك وحسك ، ولا يبقى في تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك لما يكون منه ، فإن سر المشاهدة للبهت وسر الكشف للعلم وسر البقاء للأدب وسر الفناء للتوحيد وسر القبض للافتقار وسر البسط للسؤال وسر المعرفة للعجز ، والأسرار كثيرة فتفطن والله تعالى يعصمك . انتهى .

وقال مولانا أيضا في « جامع الأصول » : بسط الكرامة أربعة حب يشغلك عن حب غيره ، ورضا يفضل به حبك ، وزهد يحققك بزهد رسوله ، وتوكل يكشف لك عن حقيقة قدرته .

وقالوا : كرامة الصديقين خمسة : أولها دوام الذكر والطاعات بشرط الاستقامة ، والثانية الزهد في الدنيا بإيثار القلة ، والثالثة تجديد اليقين مع

المعارضات ، والرابعة وجود الوحشة مع أهل المنفعة والأنس مع أهل المضرة ، والخامسة ما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة ، ولهذه الفضائل أوقات وأشخاص وأماكن ، فمن طلبها في غير وقتها قلما يعثر عليها .

وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا من تحدثه نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها ، إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بمحاب الله تعالى ، ناظر لفضل الله تعالى ، آيس عن نفسه وعمله ، وقد تظهر على من استقام في ظاهره ، وإن كانت هيئة النفس في باطنه .

وقال الشاذلي ﵁ : كرامة الله تعالى في الرضا تلهيك عن المصائب إلى يوم اللقاء .

وقال : إنما هنا كرامتان جامعتان محيطتان في الدنيا : كرامة الإيمان بزيادة الإيقان وشهود العيان ، وكرامة العمل بالاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة ، فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفترٍ كذاب أوذو حظ في العلم والعمل بالصواب ، كمن أكرم بشهود الملك والخدمة إلى عين الرضا وجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى ، وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله تعالى وعن الله تعالى فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك مثبور .

وقيل لي : إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي ، فإن زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة فاعلم قربي منك ونظري إليك وإحاطتي بك وقدرتي عليك ، واستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي وقل : **يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود ، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ضاقت علي الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي ، ولا ملجأ منك إلا إليك ، فتب علي لأتوب إنك أنت التواب الرحيم** . انتهى .

وأما كرامات الأولياء فقد ذكرها شيخ شيخنا في « جامعه » بالتفصيل .

فمنها ما ذكره أنه هي ما يكرمهم الله تعالى به من الأمور الخارقة للعادة ، **ووقوع الكرامات جائز ومتحقق عند أهل العلم والمعرفة كما ذكرنا من قبل ، وفائدتها معرفة الولي الصادق من المدعي الكاذب بتعريف الله تعالى .**

وقال أبو عثمان ﷺ : من كان له سريرة صالحة سنية أظهر الله تعالى منها رداء يعرف به ، ولا بد من كونها فعلا خارقا للعادة في زمن التكليف .

والفرق بين المعجزة والكرامة قيل : بدعوى النبوة ، واختاره القاضي أبو بكر وهو المعتمد ، وقيل : بوجوب الإظهار في المعجزة ووجوب الإخفاء والستر في الكرامة ، وقيل : بالقطع وعدمه ، فالنبي يقطع بكون ذلك معجزة والولي يجوِّز كونه مكرا ، وقيل : إن كان ظهور الأمر الخارق للعادة على يد الشخص غير مقرون بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا ، وإن كان مقرونا بهما فإن لم يكن معه دعوى النبوة فكرامة ، وإلا فمعجزة .

وقال شيخ شيخنا قدس سره في « جامعه » : وقال المنكرون : الولي لا تصح له الولاية إلا إن ظهرت على يده كرامات ، ولو عالما عاملا متبعا السنن مجتنبا البدع بإخلاص ورسوخ وتمكن في اليقين والتيقن .

فنقول : هذه الشبهة لا يليق لها الجواب ، بل هي مغالطة كما سبق عن الأئمة : إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله تعالى ولي .

وقال السهروردي قدس سره : وفوق أصحاب الكرامات بسبب وبلا سبب أقوام ارتفعت الحجب عن قلوبهم فاستغنوا عن السبب وظهور الكرامات والخوارق ، ولهذا لم ينقل عن الصحابة إلا القليل من ذلك لما باشرت صريح الإيمان قلوبهم .

وقال زكريا الأنصاري رحمه الله : والكرامات أمر خارق للعادة على يد ولي غير مقارن لدعوى النبوة منه ، وفيها تثبت له ، ولهذا ربما وجدها أهل البدايات في بدايتهم وفقدوها في نهايتهم ، لأن ما هم عليه من الرسوخ والتمكن لا يحتاجون معه إلى تثبت ، ولذا قل ظهورها على يد السلف من الصحابة والتابعين ، وصاحب الكرامات لا يستأنس بها ، بل يشتد خوفه مخافة أن يكون

ذلك استدراجا ، والمستدرج يستأنس بما ظهر عليه ، وعند ذلك يستحقر غيره وينكر عليه ويحصل له الأمن من مكر الله تعالى وعقابه .

فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على من ظهر عليه ذلك دل هذا على أنه استدراج لا كرامة ، ولذلك قال المحققون : أكثر ما اتفق من الانقطاع من حضرة الرب سبحانه وتعالى إنما وقع في مقامات الكرامات ، ولذلك كانوا يخافون منها ويعدونها من أشد البلاء وحيض الرجال . انتهى .

وقال الشيخ أحمد بن علان ﷺ : وخرق العوائد الصادرة عن أولياء الله تعالى فهي صادرة عنهم في الظاهر وهم بمعزل عنها في الباطن ، لأنهم لا يرون لهم فعلا ولا وصفا ولا وجودا ، وهذا معنى قولهم : العارف كائن بائن .

ومن هنا يظهر لك لمعة من معنى قوله ﷺ في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . . » إلى آخر الحديث المشهور .

فمن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله كيف يستغرب منه صدور شيء من الخوارق ، وعُدْ عن فهمك وعملك وخيالك في فهم هذا الحديث وأمثاله ، فإنه من المتشابه الذي لا يليق بأمثالنا إلا الإيمان به على ما أراد الله تعالى ورسوله ﷺ ، كما هو طريقة السلف وطريقة القوم ، لأن علوم القوم فوق طور العقل ، فلا يتوصل إليها إلا بالذوق حتى يلوح للسالك ذوق من أذواق هذه الطورية وينفتح قلبه للحقائق ، فيفهم بقدر ما يُفهّمه الله تعالى على حسب استعداده .

وغاية ما يعبر المعبر إذا تَنَزَّل في عالم العبارات أن يقول : المراد من هذا الحديث بيان حال الفناء والخروج عن أوصاف البشرية ، وأما المعنى الذوقي فلا يفهمه إلا أربابه :

ما يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلّا مَنْ يُكابِدُهُ ولا الصَّبابَةَ إلا مَنْ يُعانيها

وقال أيضا : إن العقول الضعيفة تستشكل صدور الخوارق وتستغربها من مخلوق .

فاعلم أيها المحجوب لا عجب في صدور أمثال هذه الخوارق من السادات الكرام ، فإن الأشياء الصادرة عنهم كلها في الظاهر إنما هي صادرة من الله تعالى في الحقيقة ، ولله تعالى في الكون أسرار ترى فيه .

ولذلك قال العارف ابن بنت ميلق :

إنْ كُنْتَ تَعْجَبُ مِنْ هذا فَلا عَجَبٌ ... للهِ فـي الكَوْنِ أسْرارٌ تُرى فيـــهِ
لا شَيءَ في الكَوْنِ إلا وَهْوَ ذو أثَرٍ ... فَـما المُـؤَثِّـر غَـيْـرُ اللهِ قاضـيـهِ

أي لا شيء في الكون ذو أثر إلا والله سبحانه وتعالى هو المؤثر والقاضي فيه بالحقيقة .

فمع حفظ هذا الأصل كيف يبقى لك أيها المحجوب تعجب في مثل ذلك ؟ ! وقد تقدم الكلام المستوفى في هذا المعنى آنفا ، فصحح يا أخي في أحوال القوم الإيمان لتحوز الولاية الصغرى وتتدرّج إلى مقام الإحسان . انتهى

وروي عن علي الخواص ﵀ أنه كان يقول : أسنى ما أكرم الله به العلماء هو العلم خاصة ، فهو الكرامة التي لا يعادلها كرامة إذا عمل به ، وذلك لأن موطن الدنيا إنما هو للعلم والعمل ، وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فإن موطنه الدار الآخرة . انتهى .

وقد ذكر الشيخ الأكبر في الباب السابع والسبعين ومائة أن أعظم الكرامات أن يصل العبد إلى حد لو غفل العالم كله عن الله تعالى لقام ذكر ذلك الولي مقام ذكر الجميع ، فإذا قال : سبحان الله مثلا انتقش في جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى ، وذلك لأن الله تعالى إذا جازى ذلك الولي أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى « يواقيت » ١١٨ .

وذكر في « اليواقيت » قال : وسمعت عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلا وخوفا ، لاحتمال أن يكون استدراجا ، ومعجزات الأنبياء تزيد قلوبهم تثبتا ، لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم .

وأيضا فإن الأنبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين ، والأولياء يحتجّون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن .

وأجمع القوم على أن كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له أن يخرق له العادة إذا شاءها .

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول : من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية وإخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق . منه ١١٣ .

فإن قلت : فهل يستحب للولي أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال والكرامة ؟

فالجواب : نعم يستحب له ذلك ، كما صرح به سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه وقال : إن كان ذلك نقصا في المقام فهو كمال في العلم . انتهى

فإن قلت : فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذي يقع من بعض الأولياء كمال فيهم أم نقص ؟

فالجواب : هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات ، وقد أعطي الشيخ أبو السعود ابن الشبلي مقام التصريف في الوجود فتركه وقال : نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا ، **فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره مع أنه تلميذه** ، هكذا ذكره الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة .

وأيضا ، فإن الكامل لا يجد في الوجود شيئا حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه أو ينفذ همته فيه .

ومن شرط نفوذ الهمة أن تكون على حقير ، فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا ، فيجمع حقارته في قلبه ثم يتوجه بقلبه إليه فيؤثر فيه القتل أو المرض و نحو ذلك .

وقال الشيخ محي الدين ابن عربي ﷼ في الباب الخامس والثمانين ومائة قال : ولا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس ، إلا إن كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة . لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم ، هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم ، فإذا أحيا كبشا مثلا أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله تعالى لا بقدرته ، وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب فتأمل .

فإن قلت : فهل التطور الذي يقع للأولياء كمال أم نقص ؟

فالجواب : هو كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كأهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤا ، فإن من غلبت بشريته على روحانيته فهو كشف لا يصح له تطور ، إذ التطور من خصائص الأرواح .

وذكر الشيخ الأكبر ﷼ في « فتوحاته » : واعلم أن الكرامة على قسمين : حسية ومعنوية ، ولا تعرف العامة إلا الحسية ، مثل الكلام على الخاطر والإخبار بالمغيبات الآتية والأخذ عن الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الأرض والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك ، فهذا عند العامة هو الولي .

وأما الكرامة المعنوية فهي التي بين الخواص من أهل الله تعالى ، وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله تعالى على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها ، وأن يحافظ على آداء الواجبات والسنن في أوقاتها مطلقا ، والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة ، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء ، ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها ،

فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لأنها رسل الله تعالى إليه ، فترجع شاكرة من صنيعه معها .

فهذه عند المحققين هي الكرامات التي لا يدخلها مكر ولا استدراج ، فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ، ثم إذا فرضنا كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة ، فلا يبعد أن يجعلها الله ﷻ هي حظ جزاء أعمال ذلك الولي ، فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الخير .

وإنما قلنا إن الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج ، لأن العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلهي ، بل هي عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة . « يواقيت » ١٨

وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في « رسالته » : ولكثرة ما تواتر بأجناسها أي بأجناس الكرامات الأخبار والحكايات صار العلم بكونها فظهورها على الأولياء علما قويا ، انتفى عنه الشكوك ، ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكايتهم وأخبارهم لم يبق له شبهة في ذلك . « نفحات » مختصرا ٧٧ .

وقد ذكرنا الكلام في إثبات الكرامات من الكتاب والسنة .

قال الإمام المستغفري قُدِّسَ سِرُّهُ : كرامات الأولياء حق بالكتاب والسنة ، وظهورها عن أهل الله تعالى مشهورة حتى وصلت إلى حد التواتر بلا نهاية ، كما قال تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا﴾ و ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ و ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ﴾

وما صدر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال : يا سارية ، القصة مشهورة ، وما كتبه إلى نيل مصر ، وما صدرت من المشائخ ما هي خرق عادات غير محصورة .

وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى كثير الكشف لا يخطر عنده أحد بخاطر إلا ويقول : قل ما عندك .

وقال الشيخ محمد المغربي الشاذلي ﷺ : مرة الشيخ زكريا الأنصاري كان يقول لي : إذا حصل عندي صداع حال المطالعة يقول انوِ الشفاء بالعلم فأنوي به فيذهب الصداع لوقته .

وكان أي الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى لا يدعو لأحد أو عليه إلا ويستجاب فيه الدعاء ، فأشار عليه بعض الأولياء بالستر بالعفة وقال له : استر الطريق فإن هذا ما هو زمانها ، فلم يكد يتظاهر بشيء من أحوال القوم

وجاء مرة أعمى وسأله أن يدعو له بردّ بصره فدعا له وقال له سافر خوفا أن يرد بصره فيهتكه بين الناس فسافر فلما كان في غزة ردّ الله عليه بصره وكتب للشيخ يخبره بذلك « تقريب » ٩٢

والكرامات وخوارق العادات أنواع شتى لا يدركها ضبطا ، قال بعض كبراء العارفين : والأصل الذي يجمع لك هذا كله أنه من خرق عادة في نفس مما استمرت عليها نفوس الخلائق أو نفسه فإن الله تعالى يخرق له عادة مثلها في مقابلتها يسمى كرامة عند العامة .

وأما الخاصة فالكرامة عندهم العناية الإلهية التي وهبتهم التوفيق والقوة حتى خرقوا عوائد أنفسهم ، فتلك الكرامة عندنا ، وأما هذه التي تسمى في العموم كرامة فالرجال أنفوا من ملاحظتها ، لمشاركة المستدرج الممكور به فيها ولكونها معاوضة ، فيخافون أن يكون حظ عملهم ، لأن الحظوظ محلها الدار الآخرة ، فإذا عجل منها بشيء فزعنا أن تكون حظ عملها ، وقد وردت في ذلك أخبار ، وأنى يصح الخوف مع الكرامة ، فإذا ليست بكرامة عندنا ، وإنما هي خرق عادة ، فإن اقترن معها البشرى بأنها زيادة لا تنقص حظا ولا سبقت لحجاب فحينئذ يسمى كرامة ، فالبشرى على الحقيقة هي الكرامة .

وقال أيضا : أجل الكرامات وأعظمها التلذذ بالطاعات في الخلوات والجلوات .

ومنها مراعاة الأنفاس مع الله تعالى ، ومنها حفظ الأدب معه في تلقي الواردات في الأوقات ، ومنها الرضاء عن الله تعالى في جميع الحالات ، ومنها البشرى لهم من الله تعالى بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . « نفحات » ٨٠ .

واعـــلم أن الولاية على قسمين ، عامة وهي مشتركة بين جميع المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ، وخاصة وهي خاصة بالواصلين إلى الله تعالى من أهل السلوك ، والولاية عبارة عن فناء العبد في الحق تعالى والبقاء به .

ولا يشترط في الولاية الكرامات الكونية كما هو رأي أكثر الأوباش الجهلة ، فإن الكرامة الكونية توجد في غير الملة الإسلامية ، لكن يشترط فيها الكرامات القلبية كالعلوم الإلهية والمعارف الربانية .

فهاتان الكرمتان قد يجتمعان كما اجتمعتا في الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ أبي مدين المغربي رضي الله عنهما ، فإنه لم يأت من أهل الشرق مثل عبد القادر في الخوارق ، ومن أهل المغرب مثل أبي مدين مع ما لهما من العلوم والمعارف الكلية ، وقد تفترقان فتوجد الثانية دون الأولى ، كما في أكثر الكمل من أهل الفناء .

وأما الكرامات الكونية كالمشي على الماء والطيران في الهواء وقطع المسافة البعيدة في المدة القليلة وغيرها ، فقد صدرت من الرهبانية والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون ، وهكذا كثير من الممكور بهم يشرعون في الرياضات ، فيلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور ما يشبه بعض الآيات وخوارق العادات ، فإذا لم يكن مؤيدا بالإيمان ومقرونا برؤية البرهان لم يزدهم إلا العجب والغرور ، فانخراق حجب البشرية قد يحصل

بالرياضات فيلوح بسبب ذلك شيء من أنوار السر وحينئذ يرى الشخص بعض الآيات والمعاني المعقولة ، وقد كان لبعض الفلاسفة ولكن حيث لم يوجد الإيمان فعاقبة ذلك إلى الخزي والهوان .

فالفرق بينهم وبين المسلمين أن المسلمين مؤيدون بنور الإيمان فيزيدهم ذلك في القرب والكرامات فتظهر لهم فراسات وكشوفات من تجلي أنوار الحق ، كما قال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ذكره في « تقريب الأصول » ٢٢٦ .

وكان سيدي أبو المواهب ﷺ يقول : الفرق بين الكشف الحسي والخيالي أنك إذا رأيت صورة شخص أو فعلا من أفعال الخلق فغمض عينيك ، فإن بقي لك الكشف فهو خيالي وإن غاب عنك فهو حسي ، فإن الإدراك تعلق به الموضع الذي رأيته .

وإذا ورد عليك وارد الوقت فاقبله ولا تتعشقه ، فإن تعشقته حجبت به عن الترقي ، وإذا ورد عليك وارد فاحفظه ، فإنك تحتاج إليه إذا ربيت ، فإن أكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية لتفريطهم في حفظ ما ذكرناه وزهدهم فيه .

وكان ﷺ يقول : من المحال أن ينفتح لك باب الملكوت والمعارف وفي القلب شهوة ، كما أن من المحال أن ينفتح لك باب العلم بالله تعالى من حيث المشاهدة وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملكي والملكوتي . « تقريب » ٧٨ .

وقــــال أيضا ﷺ : ومن حظوظ النفس طلب الكرامات وخوارق العادات ، فالأولى بالعبد مجاهدة النفس في حملها على الاستقامة وإظهار الذل والفاقة لله تعالى عبودية له وامتثالا لأمر ، **فإن الاستقامة خير من ألف كشف وألف كرامة** ، والكرامة إنما تكون لتقوية اليقين ، ومن حصلت له الاستقامة قوي يقينه ، فلا يحتاج إلى الكرامة .

وقد أفرد كثير من العلماء ذكر معائب النفس بالتأليف كالحرث بن أسد المحاسبي وغيره ، فليرجع إليها من أراد سلامة دينه ودنياه .

ومن عيوب النفس وآفاتها القاطعة لها عن الوصول إلى معرفة الله التدبير لكل ما فيه شهوة وحظ لها ، أو لما ليس فيه شهوة وحظ لكنها ركنت إلى حولها وقوتها وغفلت عن الله تعالى . منه ٣١ .

وقال : قال ابن عطاء الله ﵁ في « الحكم » : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها .

قال الشارح : الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة ، وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة .

وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب ، وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ، ويصير قبيحها حسنا ، كما قيل :

وَعَيْنُ الرِّضا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَليلَةٌ

وعدم الرضا عن النفس على عكس الرضا عنها ، وذلك لأن العبد إذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الأخير :

كَما أَنَّ عَيْنَ السّخْطِ تُبْدي المَساوِيا . منه ٢١ .

وقال في « الحكم العطائية » : متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك ، ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ ، الواردات الإلهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ، ولها سلطنة عظيمة على ذلك ، فإذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك عنه بمرة وأثبتت عوضا عن ذلك أحوالا علية وأوصافا مرضية .

أنشدني سيدي أبو العباس المرسي ﵁ في هذا المعنى :

لَوْ عـايَنَتْ عَينـاكَ يومَ تَـزَلْزَلَتْ ... أَرْضُ النُّفـوسِ وَدُكَّتْ الأَجْبـالُ
لَرَأَيْتَ شَمْسَ الحَقِّ يَسْطَعُ نورُها ... حـينَ الـتَّزَلْزُلِ والـرِّجالُ رِجالُ

الأرض أرض النفوس ، والجبال جبال العقل ، والشمس شمس المعرفة ، والإشارة بالآية إلى هذا المعنى بينة . الوارد يأتي من حضرة قهار ، لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغه ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .

الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على أمره ، لأجل ذلك لا يصادمه شيء من رعونات البشرية إلا دمغه وأزاله وهو أيضا حق ورد على باطل ، والباطل لا ثبات له مع الحق . « الحكم » جلد ٣٩/٢ .

وقـــال فيه أيضا بما عبارته هذه : وقد يفتح على الصادقين بشيء من خرق العادة وصدق الفراسة وتبين ما ستحدث في المستقبل ، وقد لا يفتح عليهم ذلك ، ولا يقدح في حالهم عدم ذلك ، وإنما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة .

وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سبب مزيد انتفاعهم والداعي لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة ، وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق .

ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام من عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ، ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نعوذ بالله تعالى من الضلال ، وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويسمونها بوقائع المشائخ من غير علم بحقيقة ذلك ، انتهى كلامه ﷺ .

وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق ، فبمداومة العبد على مثل هذه الأساليب التي ذكرناها مشاهدا لتوفيق ربه ﷻ وتأييده له يحصل له من الله تعالى مزيد كثير ، وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتستنير سريرته بأنوار المكاشفات والملاطفات . « شرح الحكم » جلد٢/ ٥٤ ، ٦٤

وقال القطب الحقيقي الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ ذكره في « تقريب الأصول » : إذا كشف لك عن حقيقة من الحقائق وعارض كشفك الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك : إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة .

وقد أجمع العارفون والعلماء العاملون على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة .

وقال ﷺ : إذا عرض لك عارض يصدك عن الله تعالى وعن الإقبال على طاعته فأكثر من ذكر الله تعالى وأثبت . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ ، فهذا العارض فئة من الفئات ، فاثبت واذكر الله تعالى واستعن به يحصل لك الفلاح ويمنع لك هذا العارض « تقريب الأصول » ٣١ .

فصل

في بيان صفات الملامية وكلام السادات في حقهم والعارفين

اعلم أيها المقتفي بآثار السادات جعلك الله تعالى وإيانا من أهل السعادات أن للناس طبقات مختلفات ، ولكل منها رجال ولكل منهم أحوال ومقامات ، نذكر نبذة من أحوال بعضهم تيمنا وتبركا فالحمد لله رب العالمين .

الطبقة العليا وسادات الطريقة المثلى الملامية ، ومقامهم مقام رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وممن تحقق به من الشيوخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله ، وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه من أجلهم قدرا .

ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم كشف الإنسان ما في نفس الملك وعلم الآخرة المعجلة والدنيا المؤجلة ، والملامية أرفع الرجال ، جازوا جميع المنازل ورأوا أن الله سبحانه وتعالى قد احتجب عن الخلق في الدنيا ، واحتجبوا عن الخلق بحجاب سيدهم ، فهم من خلف الحجاب لا يشهدون في الخلق سوى سيدهم ، فإذا كان في الدار الآخرة وتجلى الحق سبحانه ظهر هؤلاء بظهور سيدهم سبحانه ، لا يتميزون عن المؤمنين بحالة زائدة يعرفونها يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس ، لا يبصر أحد من خلق الله تعالى واحدا منهم يتميز عن العامة بشيء زائد على عمل مفروض أو سنة معتادة في العامة ، قد انفردوا مع الله سبحانه وتعالى راسخين ، لا يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله سبحانه طرفة عين ، لا يعرفون للرياسة طعما باستيلاء الربوبية على قلوبهم وذلتهم تحتها ، قد أعلمهم الله سبحانه بالمواطن وما يستحقه من الأعمال والأحوال ، وهم يعاملون كل موطن .

قال الشيخ العارف أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي النيسابوري ﷺ : قوم زين الله بواطنهم بأنواع الكرامات ، وغار الحق سبحانه وتعالى عليهم أن يجعلهم مكشوفين للخلق .

وهذا من أسنى الأحوال أن لا يؤثر الباطن على الظاهر ، وهذا شبيه بحال النبي ﷺ لما رفع إلى المحل الأعلى من القرب والدنو وكان قاب قوسين أو أدنى ، أُرْجِعَ إلى الخلق وتكلم معهم في الأحوال الظاهرة ولم يؤثر من حال الدنو والقربة على ظاهره شيء .

وحال الصوفية - وهم الذين يظهر عليهم أنوار أسرارهم - شبيه بحال موسى عليه السلام ، لم يطق أحد النظر إلى وجهه بعد ما كلمه الله تعالى .

ومن أصول أهل الملامية ما قيل : هم قوم لم يكن لهم في الظاهر مراءاة للخلق ، ولا لهم في بواطنهم دعوى مع الله تعالى ، وسرهم الذي بينهم وبين الله عز وجل لا يطلع عليه أقاربهم ولا قلوبهم ، وهم على إظهار مقام التفرقة للخلق والتحقيق بعين الجمع مع الحق سبحانه وتعالى وقضاء الحقوق وترك اقتضاء الحقوق وترك الانتصار للنفس والانتقام لها ، وبذل النفس لمن يهينها .

وممن تحقق بمقامهم أبو حفص الحداد النيسابوري رحمه الله ، كان إذا دخل البيت يلبس المرقعة والصوف وغير ذلك من ثياب القوم ، وإذا خرج إلى الناس خرج إليهم بزي أهل السوق .

وأنهم إذا رأوا لأنفسهم إجابة دعوة حزنوا واستوحشوا وقالوا هذا مكر واستدراج ، وأنهم يتقون من فراسة المؤمن ولا يدعون لأنفسهم فراسة لما أن النبي ﷺ يقول : « اتقوا فراسة المؤمن » ، ومن يتق فراسة الغير فيه كيف يدعي لنفسه فراسة ؟

ويقولون : يجب أن تظهروا الغناء والاستغناء أيام حياتكم ، فإذا متم أظهروا فقركم عند موتكم .

ويقولون : يجب مخالفة النفس في جميع الأحوال .

وقال أبو يزيد البسطامي ﵀ وهو ممن تحقق بمقامهم من المشائخ رحمهم الله تعالى : الخلق يظنون أن طريق الوصول إلى الله تعالى أشهر من الشمس وأبين منها ، وإنما سؤالي منه ﷻ أن يفتح عليّ الطريق إليه ولو بمقدار رأس إبرة .

وكذلك كانت سادات مشائخهم رحمهم الله تعالى كلما كان حالهم مع الله تعالى أصح وأعلى كانوا أكثر تواضعا وأشد ازدراء بأحوالهم وأنفسهم .

وينبغي على مدّعي المشيخة والإرشاد أن يكون على رعاية آداب هولاء والتتبع بآثارهم والاقتفاء على أسوتهم ليكون من جملة الواصلين ، وليكون سلما يرتقى به إلى مقامات الوصول ، وللسادات كلام طويل في حق هؤلاء السادات كثر الله تعالى من أمثالهم .

وقال الشيخ الأكبر ﵁ في « فتوحاته » في الباب التاسع والثلثمائة : رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، عباد وصوفية وملامية ، وهم كمل الرجال ، فضابط العباد أنهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة ، لا يرون شيئا فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ، ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله تعالى .

وضابط الصوفية أنهم رجال فوق هؤلاء العباد ، لأنهم يرون الأفعال كلها لله تعالى مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ، ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شيء ، ولكنهم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لأهل الطبقة الثالثة ، وعندهم رائحة الدعاوى .

وضابط الملامية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق ﵁ أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ، ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها ، يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة ،

قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى ، لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم ، فهم أرفع الرجال مقاما ﷺ أجمعين . « الكبريت الأحمر » ١٢٨ .

وقال الشيخ بهاء الدين ﷺ : الأشياء تتبين بضدها ، والشغل بالحق غير الشغل بالخلق ، ولما كان في كل شيء استكراه من ضده ينجذب مما يكره إلى ما يحب ، ولهذا ترى أهل هذه السلسلة ربما يمشون في الأسواق ومواضع ازدحام الخلق ويقعدون فيها لينجذب قلوبهم إلى الحق سبحانه بواسطة ضدية الخلق والاستكراه من شغلهم « رشحات » ٢٠٠ ، وراجع إلى « نفحات الأنس » للجامي في ٢٢ وكذا في ٣٠ وراجع « سهلي » في ٤٦ .

ثم اعلم أيها الأخ الأسعد أن الزمان لا يخلو عن الأولياء لما أنهم في كل عصر ، لما أن علم المكاشفة متحقق وثابت إلى يوم القيامة لأصحاب السلامة من الندامة والملامة .

قال علي القاري ﷺ في شرحه لـ « عين العلم » : فالولاية باقية دائمة إلى قيام الساعة ، وقال في « روح البيان » أيضا : إن الأرض لا تخلو من ولي صالح .

قال في « جوامع الكلم » : إن الإمام السيوطي ﷺ نقل الحديث على أن الأرض لا تخلو من مسلم ومن أولياء ، وكذلك قال الفاسي ﷺ في شرحه لـ « الدلائل » ومثله في « منقذ الضلال » للإمام الغزالي ﷺ : وكما أن لكل زمان صاحب دولة ظاهر ، فكذلك له صاحب رحمة وتصرف معنوي ، ولذا قال النبي ﷺ : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » .

وقال في « روح البيان » : إن الأولياء في كل عصر من أعصار هذه الأمة على عدد الأنبياء ، وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وقد يزيد عددهم على عدد الأنبياء بحسب نورانية الزمان ، وقد ثبت أن كل أربعين رجلا في قوة ولي .

قال بعض العلماء : يخاف على من أنكر وجود الأولياء سوء الخاتمة . قال في « اللمعة » : سئل بعض العارفين عن عدد الأولياء أينقصون من عدد الأنبياء في زمن من الأزمان أم لا ؟ فأجاب وقال : لو نقص منهم واحد ما أمطرت السماء قطرة ولا أبرزت الأرض نباتا ، فلولا الصالحون لهلك الطالحون انتهى كلام « اللمعة »

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي ﭬ : الأولياء على عدد الأنبياء ، فلا بد أن يكون في كل عصر مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ولي ، لكل نبي ولي ، كم من ولي حبيب في البِيَع والكنائس ، حقت الكلمة وجفت الحكمة ونفذ الأمر .

قـــــال الطحطاوي ﭫ في حاشية « الدر المختار » : وقال محي الدين العربي الملقب بالشيخ الأكبر ﭬ في « الفتوحات المكية » : واعلم أن رجال الله تعالى في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس ، وهو اسم يعم جميعهم . وهم على طبقات ، كثير منهم يحصرهم عدد ومنهم من لا عدد لهم خاص فيقلون ويكثرون .

فمنهم الأقطاب لا يكون منهم إلا واحد وهو الغوث وهم الأئمة ، ولا يكون منهم في كل زمان غير اثنين .

ومنهم الأوتاد رضوان الله عليهم ، وهم لا يزيدون من أربعة ولا ينقصون ، وكلما نذكر من هؤلاء باسم الرجال فقد يكونون أيضا من النساء .

ومنهم الأبدال ﭭ ، وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم النقباء ﭭ ، وهم إثني عشر في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم النجباء ﭭ ، وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وإن اختلفت الأقوال في عددهم .

ومنهم الحواريون ، ومنهم واحد في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم رجبيون ﷺ ، وهم أربعون في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله تعالى ، وهم من الأفراد هم أرباب القول الثقيل من قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وسموهم رجبيون لأن حال هذا المقام لا يكون إلا في شهر رجب خاصة من أول استهلال رجب إلى انقضائه ، ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجدونه إلى دخول رجب من السنة القابلة .

ومنهم الختم رضي الله تعالى عنه ، وهو واحد في كل زمان ، بل واحد في العالم .

ومنهم ﷺ ثلثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ أربعون شخصا على قلب نوح عليه السلام في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ سبعة على قلب إبراهيم عليه السلام ، لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان .

ومنهم ﷺ خمسة على قلب جبرائيل عليه السلام ، لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان .

ومنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام في كل زمان وله الأمر ، وكان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه منهم .

وأما رجال عالم الأنفاس ﷺ ، فمنهم رجال الغيب وهم عشرة لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ ثمانية عشر نفسا لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ، وكان منهم شيخنا أبو مدين رضي الله عنه .

ومنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الإلهية ، ومن نمط هؤلاء ﷺ خمسة رجال لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان وهم على قدم هؤلاء في القوة .

ومنهم أيضا ﷺ خمسة عشر نفسا .

ومنهم ﷺأربعة وعشرون نفسا في كل زمان يسمون رجال الفتح لا يزيدون ولاينقصون .

ومنهم ﷺ سبعة أنفس في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ أحد وعشرون نفسا في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

و منهم ﷺثلاثة انفس وهم رجال الإمداد الإلهي والكوني في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ ثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ رجل واحد وقد تكون امرأة في كل زمان وهو القاهر فوق عباده .

ومنهم رجل واحد في كل زمان لا يقوم غيره مقامه .

ومنهم ﷺ رجل واحد وقد تكون امرأة ولا يوجد في كل زمان إلا واحد .

ومنهم ﷺ رجل واحد يسمى بمقامه سقيط .

ومنهم ﷺ رجلان في كل زمان يقال لهما رجال الغنى بالله ، والله غني عن العالمين .

ومنهم ﷺ رجل واحد يتكرر بقلبه في كل نفس ما تكاد تراه في إحدى المنزلتين إلا رأيته في الأخرى .

ومنهم ﷺ اثنا رجال عين التحكيم والزوائد وهم عشرة أنفس في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ اثنا عشر نفسا وهم البدلاء وما هم الأبدال في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

ومنهم ﷺ رجال الاشتياق وهم خمسة أنفس .

ومنهم ﷺ ستة أنفس في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون ، وكان منهم ابن هارون الرشيد السبتي .

وبـــــالجملة فما من أمر محصور بالعالم في عدد ما إلا ولله رجال بعدده في كل زمان يحفظ الله تعالى بهم ذلك الأمر ، وقد ذكرنا وأكثر الأولياء لا يعرفون والإمامين والأوتاد إلا النواب ، ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ، ثم إذا خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب ، فاعرف هذه النكتة فإنك لا تراها في كلام أحد غيرنا ، ولولا ما ألقي في سري من إظهارها ما أظهرتها . « يواقيت » ٩١ .

فلنذكر من رجال الله الذين لا يختصون بعدد خاص يثبت لهم في زمان بل يزيدون وينقصون .

فمنهم ﷺ الملامية كما ذكرنا ، فذكر في هذه الفرقة ثلاثة وأربعين صنفا بأسمائهم ومناقبهم .

ثم بعد أوراق قال أيضا : وأما عدد الأولياء الذين على عدد المنازل فهم ثلثمائة وستة وستون نفسا ، وهم الذين على قلب آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، وهم ثلثمائة وأربعون وسبعة وخمسة وثلاثة وواحد ، فيكون المجموع ثلثمائة وستة وخمسين ، هذا عند أكثر الناس من أصحابنا ، وذلك لحديث الوارد في ذلك .

وأما طريقتنا وما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه فهو مجموع الأولياء الذين ذكرنا أعدادهم من أول هذا الباب ، ومبلغ ذلك خمسمائة وتسعة

وثمانون نفسا ، ومنهم واحد لا يكون في كل زمان ، وما بقي منهم في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون .

والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات أقطاب دائما وأوتاد وأبدال ونقباء ونجباء ، وأما الذين زادوا على هؤلاء بالكشف فطبقات الرجال عندهم الذين يحصرهم العدد لا يخلو عنهم زمان خمس وثلاثون طبقة . انتهى كلامه بالاختصار من مواضع عديدة من الباب الثالث والسبعين من الجلد الثاني .

وفي « النهاية » : أبدال الشام هم الأولياء ، قال الجوهري رحمه الله : الأبدال قوم من الصالحين لا يخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد أبدل الله تعالى مكانه بآخر .

ثم قيل : إنهم سموا أبدالا لأنهم قد يرتحلون إلى مكان آخر ويقيمون في مكانهم الأول شَيخا آخر شبيها بشيخهم الأصلي بدلا عنه .

وفي القاموس : الأبدال قوم بهم يقيم الله تعالى الأرض ، وهم سبعون ، أربعون في الشام ، وثلاثون في غيرها . انتهى .

وذكر أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم : « خيار أمتي في كل قرن خمسمائة ، والأبدال أربعون . فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون ، كلما مات رجل بدل الله عز وجل من الخمسمائة مكانه وأدخل في الأربعين » .

وقال الشيخ زكريا رحمه الله تعالى في « رسالته » على « تعريف غالب ألفاظ الصوفية » : القطب : ويقال له الغوث ، هو الواحد الذي كان هو محل نظر الله تعالى من العالم في كل زمان ، أي نظرا خاصا يترتب عليه إفاضة الفيض واستفاضته ، فهو الواسطة في ذلك بين الله تعالى وبين عباده ، فيقسم الفيض المعنوي على أهل بلاده بحسب تقديره تعالى ومراده .

ثم قال : الأوتاد أربعة ، منازلهم على منازل الأركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب .

قلت : فهم الأقطاب في الأقطار يأخذون الفيض من قطب الأقطاب المسمى بالغوث الأعظم ، فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الأعظم .

ثم قال : الأبدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات منهم واحد أبدل الله تعالى مكانه آخر ، وهم سبعة .

قلت : الابدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعا ، وقد سبق للبدل معنى آخر فالأولى حمله عليه ، فإنهم أربعون على ما في الحديث السابق وسبعون على ما ذكره صاحب القاموس .

فقوله « وهم سبعة » وَهَمٌ . ثم قال : النقباء هم ثلثمائة ، والظاهر أنهم خمسمائة على ما سبق في الحديث ، ثم قال : النجباء هم المشتغلون بحمل أثقال الخلق وأوزارهم وهم أربعون .

وقد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا أن لله تعالى ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم ﷺ ، وله تعالى أربعون قلوبهم على قلب موسى ﷺ ، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ﷺ ، وله تعالى خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل ﷺ ، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ﷺ ، وله تعالى واحد قلبه على قلب إسرافيل ﷺ ، كلما مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه من السبعة ، وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله تعالى مكانه من الأربعين ، وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله تعالى مكانه من الثلثمائة ، وكلما مات واحد من الثلثمائة أبدل الله تعالى مكانه من العامة ، يدفع الله تعالى بهم البلاء من هذه الأمة .

ثم في الحديث دلالة على ما ذكرنا من احتمال أنه لا يلزم أن يكون الأبدال من أهل الخاصة ، بل يمكن أن يكون من أرباب الأحوال ، قاله علي القاري عليه الرحمة في كتابه « المرقاة شرح المشكاة » في بيان أشراط الساعة .

وفي الفصل الثاني أيضا : واعلم أن اختلاف النسب قد يكون لاختلاف الحقائق وقد يكون لاختلاف المراتب في الحقيقة الواحدة ، فقيل : إن التصوف والفقر والملامة والتقريب من الأول ، وقيل من الثاني وهو الصحيح على أن الصوفي هو العامل في تصفية وقته عما سوى الحق ، فإذا سقط ما سوى الحق من يده فهو الفقير .

والملامتي منهما هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا كأصحاب الحرف والأسباب ونحوهم من أهل الطريق ، والمقرب من كملت أحواله فكان بربه لربه ليس له سوى الحق أخبار ولا مع غير الله تعالى قرار ، فافهم .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ : العباد بنوا أمورهم على عشرة أصول : الصلاة والصوم والذكر والتلاوة والدعاء والاستغفار والتضرع واعتزال الناس وتحصيل القوت على وجه حلال وبساطهم الذكر .

والزاهد يزيد عليهم بأربعة أوصاف بالزهد في الدنيا عموما وفي الناس خصوصا وبالشوق إلى الأحوال ومقامات الرجال .

وأمـــا الأوليـــاء فهم درجات ، قسط منهم في العلوم والمعرفة والنور والتوجه واليقين وكشف الغيب والرسوخ فيه والتحقق بالفناء وبإيثار البقاء وبساطهم المحبة الفرعية .

وأما الصديقون فلهم في بدايتهم خمسة أحوال وخمسة في نهايتهم ، فالأولى طي الوجود عن أسرارهم وكشف أمور الدنيا لأرواحهم ومراقبة القلوب ومراعاة العقول وحفظ النفس .

وأما الخمسة التي في نهايتهم فالتحقق بالمحبة والهمة لأسرارهم والثبات في الخلة والاتصاف بالبقاء ، وبساطهم المحبة الأصلية انتهى .

وذكر شيخ شيخنا في « جامعه » أن المهيمون هم الملائكة المهيمة في شهود جمال الحق الذين لم يعلمو أن الله تعالى خلق آدم لشدة اشتغالهم بمشاهدة الحق

وهيمانهم ، وهم العالون الذين لم يكلفوا بالسجود لغيبتهم عما سوى الحق وولههم بنور الجمال ، فلا يسعون شيئا مما سواه وهم الكروبيون . اهـ

وقال السيد الشريف أحمد بن إدريس المغربي الحسيني ﷺ : قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ، فقال ﴿إِنَّ كَثِيرٗا﴾ ولم يبق إلا قليل ، وهم أولياء الله تعالى الورثة للعلم من رسول الله ﷺ الذين بهم يقتدى ، وهؤلاء أعز من الكبريت الأحمر . قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ وقال فيمن عداهم : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ، ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ .

فإن ظفرت بواحد من أهل العلم من هؤلاء الأقلين فعض عليه بالنواجذ ، وأنت تعرفه بالقرائن المنصوصة في القرآن ، وهو الذي لا يميل إلى الدنيا ، يطمئن بها فيكون كبلعم بن باعوراء حيث أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل ، فيدخل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ومن القرائن لا تجد مثله إلا قليلا ، والحق واضح والحق أحق أن يتبع انتهى .

وقال العارف ابن عطاء الله ﷺ في « الحكم » : تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال ، واردات الأحوال هي ما يرد على القلوب من المعارف الربانية والأسرار الروحانية ، وهي التي توجب لها أحوالا حميدة .

فمنها وارد يوجب هيبة ، ومنها وارد يوجب أنسا ، ومنها وارد يوجب قبضا ، ومنها وارد يوجب بسطا إلى غير ذلك من مختلفات الأحوال .

ولما كانت هذه الواردات أيضا متنوعة كانت أجناس الأعمال التي تقتضيها هذه الواردات أيضا متنوعة ، والأعمال الظاهرة أبدا تبع لأحوال القلوب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا في قوله (حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال) اهـ .

وقال شيخ شيخنا ومولانا أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قُدِّسَ سِرُّهُ في « جامع الأصول » : وأما تعريف القطب وسائر الأولياء فقالوا : إن الأقطاب كثيرة ، فإن كل مقدّم قوم هو قطبهم ، وأما القطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد ، وذلك أن نقبآءهم ثلثمائة ، وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، ولهم عشرة أعمال أربعة ظاهرة وستة باطنة ، فالأربعة الظاهرة فكثرة العبادة والتحقق بالزيادة والتجرد عن الإرادة وقوة المجاهدة ، وأما الباطنة فهي التوبة والإنابة والمحاسبة والتفكر والاعتصام والرياضة .

وأما النجباء فأربعون وقيل سبعون ، وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق ، فلا ينظرون إلا في الحق ، ولهم ثمانية أعمال أربعة باطنة وأربعة ظاهرة ، أما الظاهرة فهي الفتوة والتواضع والأدب وكثرة العبادة ، وأما الباطنة فالصبر والرضا والشكر والحياء ، وهم أهل مكارم الأخلاق والعرفان .

وأما الأبدال فسبعة رجال ، وهم أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال ، قد تخلصوا من الوهم والخيال ، ولهم أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة ، فأما الظاهرة فالصمت والسهر والجوع والعزلة ، ولكل من هذه الأربعة التفاصيل والأخبار .

أما السهر فظاهره عدم النوم ، وأما باطنه فعدم الغفلة ، وأما الجوع فظاهره جوع الأبرار لكمال السلوك ، وباطنه جوع المقربين لموارد الأنس ، وأما العزلة فظاهرها ترك المخالطة للناس ، وباطنها ترك الأنس بهم ، وأما الأعمال الباطنة فهي التجرد والتفريد والجمع والتوحيد .

ومن خواص الأبدال من سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته ، فذلك هو البدل لا الغير .

والبدل على قلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ . وهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به وهو قطبهم ، وقيل الأبدال أربعون وسبعة هم الأخيار ، وكل منهم لهم إمام منهم هو قطبهم .

وأما الأوتاد فهم عبارة عن أربعة رجال ، منازلهم : أربعة أركان العالم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومقام كل واحد منهم تلك الجهة ، ولهم ثمانية أعمال أربعة ظاهرة وأربعة باطنة .

فأما الظاهرة فكثرة الصيام وقيام الليل والناس نيام وكثرة الامتثال والاستغفار بالأسحار . وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والثقة والتسليم ، ولهم واحد منهم هو قطبهم .

وأما الإمامان فهما شخصان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله . فالذي عن يمينه ينظر في الملكوت ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو مرآة ما يتوجه من المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الإمدادات التي هي مادة الوجود والبقاء ، وهذا مرآة لا محالة . والذي عن شماله ينظر في الملك وهو ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية ، وهذا مرآة كذلك . وصاحب اليمين هو الذي يخلف القطب .

ولهما ثمانية أعمال : أربعة باطنة وأربعة ظاهرة ، فأما الظاهرة فالزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأما الباطنة فالصدق والإخلاص والحياء والمراقبة .

وأما الغوث فهو عبارة عن قطب عظيم ورجل عزيز وسيد كريم ، تحتاج إليه الناس عند الاضطرار في تبيين ما خفي من الأمور المهمة والأسرار ويطلب منه الدعآء ، وهو مستجاب الدعاء لو أقسم على الله لأبره في قسمه ، مثل أويس القرني في زمان رسول الله ﷺ ، ولا يكون القطب قطبا حتى تجتمع فيه هذه الصفات التي اجتمعت في هؤلاء الذين تقدم ذكرهم .

اعلم أن القطب وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه هو عبارة عن الفرد الجامع الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه وهو يسري في الكون والأعيان الباطنة والظاهرة سريان

الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعم ، وزنه يتبع علمه وعلمه«١» يتبع علم الحق وعلم الحق يتبع علم الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام من حيث حصة الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانية .

وحكم جبرائيل عليه السلام فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية ، وحكم ميكائيل عليه السلام فيه كحكم القوة الجاذبة ، وحكم عزرائيل عليه السلام كحكم القوة الدافعة فيها .

فالقطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب ، وهو باطن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا تكون إلا لورثته لاختصاصه عليها بالأكملية ، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة . انتهى

فإن قلت : فما المراد بقولهم فلان من الأقطاب على مصطلحهم ؟ **فالجواب** : مرادهم بالقطب في عرفهم كل من جمع الأحوال والمقامات ، وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون القطب في بلادهم أو بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات ، وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه .

فرجل البلد قطب ذلك البلد ، ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ، ولكن الأقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان إلا واحد وهو الغوث .

فإن قلت : فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشائخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمي وسيدي أحمد الزاهد وسيدي مدين وأضرابهم قدس الله اسرارهم ؟

فالجواب : كما قاله سيدي على الخواص رضي الله عنه : لا يلزم أن يكون أحدهم قطبا ، فإن مقام القطبانية عزيز جل أن يلمح سناء كل أحد ، ولكن المسلكون المذكورون كالحُجَّاب على باب الملك ، يُعَلِّمون كل من أراد دخول حضرة

« ١ » وفي نسخة « أ » : وعمله .

الملك الآداب اللائقة به ، وما ظهر على يديهم من الكرامات والخوارق إنما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة إخلاصهم ومجاهداتهم . « يواقيت » ٩١

وقـــال في « تنوير الصدر » في ١٧٤ : إن القطب هو الممد لأولياء زمانه ، ومن فيض أنواره تستمد جميع الأنوار ، فإن مقام القطبية أعلى درجات الأولياء بعد الصحابة ﷺ ، لأنه لا يتمكن في القطبية - كما قال الشعراني في « اليواقيت » في المبحث الخامس والأربعين نقلا عن الشيخ الأكبر - إلا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل **الم** و **المص** ونحوهما ، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة .

فإن قلت : فما علامة القطب ؟ فإن جماعة في عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم يرد دعواهم .

فالجواب كما قاله الشيخ الأكبر : إن اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والمتحقق بجميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة ، وهو مرآة الحق تعالى ومحلّ النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية .

ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء ، لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بإرادته الصون ، لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقص مقامه ، يغار لله ويغضب لله تعالى ، لا تظهر روحانيته إلا من خلف حجاب الشهادة والغيب ، حاله دائما العبودية والافتقار له تعالى ، ولا يكون له رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما .

إن كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم ، وإن لم يكن بيده دنيا وكان ما يفتح الله تعالى به لم تستشرف له نفس ، بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه ، يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه ثم ينصرف ، لا يجلس عند حاجته إلا لضرورة ، فإن لم يجد حاجته لجأ إلى

الله تعالى في حاجة طبيعته لأنه مسؤول عنها ومتولّ عليها ، ثم ينتظر الإجابة من الله تعالي فيما سأل عاجلا أو آجلا .

فمرتبته الإلحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته ، بخلاف أصحاب الأحوال ، فإن الأشياء كلها تتكون عن همتهم ، لأن الله تعالى عجل لهم نصيبا من أحوالهم في الجنة فهم ربانيون ، والقطب منزه عن الحال ، ثابت في العلم ، فإن أطلعه الله تعالى على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار«١» ، لا على وجه الافتخار ، ولا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ، ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء من خرق العوائد إلا في النادر لأمر يراه الحق تعالى ، فيفعله بإذن الله تعالى من غير أن يكون ذلك مطلوبا له .

وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا ، كثير النكاح راغب فيه موفي الطبيعة حقَّها على الوجه المشروع ، ومع ذلك يصبر على النكاح لعدم الطّول ، يعلم من تجلي النكاح ما يحرّضه على طلبه والتعشق فيه لا يتحقق له قط في العبودية ولا لغيره من العارفين عبوديته في شيء أكثر مما يتحقق في النكاح ، لا يرغب فيه للنسل وإنما يرغب فيه لمجرد الشهوة وإحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع ، فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة ، وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن إحساسه فهو قهر لذيذ ، وذلك من خصائص الأنبياء ، ولعلو مراقي هذا المقام جهله أكثر الأولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الإكثار منها .

وبالجملة فالقطب هو الرجل الكامل الذي حصل الأربعة دنانير ، كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال .

والأربعة هم الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون ، فهو وارثهم كلهم رضي الله تعالى عنه ، ومن شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق تعالى ، فلا يرتفع حجابه حتى يموت ، فإذا مات لقي الله

«١» في «اليواقيت والجواهر» : الافتقار لله .

تعالى ، وهو كالحاجب الذي ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى إلا صفة الخطاب لا الشهود .

فإن قلت : فهل يحتاج القطب في توليته إلى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر ؟

فالجواب : نعم ، كما قاله الشيخ الأكبر في « الفتوحات » وعبارته : اعلم أن الحق تعالى لا يولي عبدا قط مرتبة القطبانية إلا وينصب له سريرا في حضرة المثال يقعده عليه ، ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة ، **كما ينبئ صورة الاستواء على العرش عن صورة إحاطته تعالى علما بكل شيء** ، ولله المثل الأعلى .

فإذا نصب له ذلك السرير فلا بد أن يخلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه ، فيظهر بها حللا وزينة ، فإذا قعد على السرير قعد بصورة الخلافة ، وأمر الله تعالى العالم ببيعته على السمع والطاعة ، ودخل في البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى إلا العالون من الملائكة ، وهم المهيَّمون في جلال الله ﷻ ، العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر إلهي ظاهر على لسان رسول .

واعلم أن أول من يدخل عليه الملأ الأعلى على مراتبهم ، الأول فالأول ، فيأخذون بيده على السمع والطاعة . وأول من يبايعه النبي ﷺ ، ثم المقدمون من عمار السموات والأرض من الملائكة المسخرة ، ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ، ثم الجن ، ثم سائر ما سبح الله تعالى ، إلا العالون من الملائكة كما مر ، وكذلك الأفراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف ، إذ هم كل مثل مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية ، لكن لما كان الأمر يقتضي أن لا يكون في الزمان إلا واحد يقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواحد ، لكن لا بالأولوية وإنما هو بسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده .

ثم اعلم أنه لما كان نصب الإمام واجبا لإقامة الدين وجب أن يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد ، فحكم هذا الإمام في الوجود حكم القطب .

قال وقد يكون من ظهر من الأئمة بالسيف كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في وقتهما وقد لا يكون قطب الوقت ، فتكون الخلافة لقطب الوقت ، لا يكون إلا بصيغة العدل ، ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر ، فإن الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب إلا عادلا .

واعلم أن القطبية كما أنها قد تكون لولاة الأمور كذلك قد تكون في الأئمة المجتهدين من الأربعة وغيرهم ، بل هي فيهم أظهر ، ويكون تظاهرهم بالاستتار بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب شأنه الخفاء كما تقدم رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال الشيخ الأكبر المذكور : **وقد اجتمعت بالخضر** عليه السلام **وسألته عن الإمام الشافعي** رضي الله عنه **فقال : كان من الأوتاد الأربعة . ثم سألته عن مقام الإمام أحمد فقال : هو صديق .**

فإن قيل : هل يكون محل إقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور ؟

فالجواب : هو بجسمه حيث شاء الله تعالى لا يتقيد بالمكث في مكان ، ومن شأنه الخفاء كما مر . فتارة يكون حدادا وتارة يكون تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك .

ثم اعلم أن لكل بلد أو إقليم قطبا غير الغوث ، يحفظ الله تعالى تلك الجهة به ، سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا .

ثم قال : وقد اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد ، فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه ، فأشار إلي أن استره عن الحاضرين ففعلت .

فإن قلت : فهل للقطبية مدة معينة إذا ولّها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي ؟

فالجواب : ليس للقطبية مدة معينة ، فقد يمكث سنة أو أكثر أو أقل أو ساعة . فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها .

فإن قلت : فهل للقطبية تصريف في أن يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده ؟

فالجواب : ليس له تصريف في ذلك ، وقد بلغنا أن بعض الأقطاب سأل الله تعالى أن يكون القطبية من بعده لولده ، فإذا بالهاتف يقول له : ذلك لا يكون إلا في الإرث الظاهر ، وأما الوارث الباطن فذلك إلى الله وحده ، والله تعالى أعلم . نفعنا الله تعالى ببركاتهم آمين اهـ .

فصل

في بيان الإجازة والتلقين وآداب الشيخ الكامل

وقال الإمام محمد معصوم الفاروقي في « مكتوباته » ﯖ إنه لو أعطي الإجازة لتلقين الذكر والقيام للإرشاد إما في الواقعات أو في المنام بظهور أرواح الكبار من المشائخ العظام فهل يكفي هذا الإذن أو لا يكفي ؟

أجيب بأن الإجازة لإرشاد الناس والقيام مقام المشيخة أمر عظيم ولايجوز ارتباط مثل هذه الأمور بالرؤيا والواقعات ، بل لا بد من إعطاء الإجازة في حالة اليقظان .

وقال أيضا : إذا أعطى الإجازة يلزم على المعطي أن يشرط على السالك الاتباع بالشريعة العلية والتمسك بالسنة السنية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقال أيضا : فإن مكر الله تعالى على عباده كثير ، ومن أراد الخلاص منه يلزم عليه أن يتمسك الميزان الشرعي الذي ورد من صاحب الشريعة ﷺ ، ثم إن وافق الوارد الباطني على هذا الميزان أمسكه ، وإلا يترك ، فإن الإمام جنيد البغدادي ﯖ قال : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، يعني أن الكتاب والسنة هما ككفتي الميزان ، انتهى كلام « الخطاب » .

وقال الإمام الرباني ﯖ في المكتوبات : أتدري من المرشد : المرشد من تستفيد منه طريق الوصول إلى جناب قدس الحق جل سلطانه وتجد منه مددا وإعانة في هذا الطريق ومجرد لبس الكلاء والخرقة وأخذ الشجرة وغيرها مما صار عرفا ورسما بين الناس كلها خارجة عن حقيقة المرشدية والمريدية وداخلة في الرسوم والعادات إلا أن الخرقة إن حصلت من الشيخ الكامل المكمل وعاملت بها بالاعتقاد والإخلاص فاحتمال حصول الثمرات والنتائج قوي في هذه الصورة « مكتوبات » ١٦٢

وقال الإمام الغزالي رحمه الله : العلم بلا عمل جنون ، والعمل بلا علم لا يكون . وإذا لم تعمل اليوم ولم تتدارك الأيام الماضية تقول غدا رب ارجعوني لعلي أعمل صالحا ، ويقال لك : يا أحمق إنك من هناك جئت . انتهى كلامه .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : كل باطن – أي العلم الباطن ، وهو التصوف – يخالف الظاهر الذي هو علم الشريعة المأخوذة من الكتاب والسنة فهو باطل ، لأنه وسوسة شيطانية .

وقال أيضا : إن الأعمال مورث للأحوال ، ولا يورث الأحوال إلا من صحيح الأعمال ، فمثل هذه المكاشفات اللدنية إنما تنكشف بالاستقامة على متابعة رسول الله ﷺ .

وقال في « الخطابي » : إن للطريقة ظاهرا وباطنا ، فالظاهر الأعمال الشرعية ، وأما الباطن فالأحوال . انتهى

وقـــال العلامة أبو العباس أحمد بن زروق المشهور قدس سره : وحدة الاستحقاق مستفادة من شاهد الحال ، وقد يشتبه الأمر فيكون التمسك بالحذر أولى لعارض الحال .

وقد يتجاذب الأمر من يستحقه ومن لا ، فيكون المنع لأحد الطرفين دون الآخر ، وقد أشار سهل لهذا الأصل بقوله : إذا كان بعد المائتين فمن كان عنده شيء من كلامنا فليدفنه فإنه يصير زهد الناس في كلامهم ، ومعبودهم بطونهم وعدّد أشياء تقتضي بفساد الأمر حتى يحرم بَثُّه لحمله على غير ما قصد له ، ويكون معلمه كبائع السيف من قاطع الطريق ، وهذا حال الكثير من الناس في الوقت اتخذوا علمهم الرقائق والحقائق سلما لأمور لاستهواء قلوب العامة وأخذ أموال الظلمة واحتقار المساكن والتمكن من محرمات بينة وبدع ظاهرة ، حتى إن بعضهم خرج من الملة وقبل منه الجهال ذلك بادعاء الإرث والاختصاص في الفن .

ورأيت بعضهم يتبعون الشهوات ويفعلون أمورا لم تعهد من السادات أصلا .

ومن أفعالهم المنهية المنكرات ميلهم بالمحبة إلى الأغنياء والفساق والمنافقين ، فإن رأوا منهم الحرمة يستبشرون ويخبرون الناس في محافلهم أن الغني الفلاني أو الأمير أو صاحب الأمر احترمني كذا بتخليط الكذوبات والمزخرفات .

ومنهم من لا يذهب هو ولا مريدوه إلى المساجد للجماعة حتى ولا للجمعة بزعمهم أن الشيخ لا يريد الجماعة مع أولئكم المنافقين .

ومن أفعالهم يجلبون الغني الجاهل ويدفعون الفقير ، وإذا جاءهم عالم أو عابد متق أو كامل مرشد فيتغير طبيعتهم ويتكدر مجلسهم ويعبسون في وجهه خوفا من عدم وصول حظ له من الدنيا منه .

ومن أفعالهم جمع الحطام حلالا كان أو حراما ، بعضها بالحيل وبعضها بالسؤال وبعضها بالوسائط ، ويراءون فيها على كيفيات مختلفة وأمثالها منهم كثيرة ذكرناها في شطحات المتشيخين قاتلهم الله تعالى ولا كثرهم آمين .

ثم اعلم أيها الموفق المستعد لحوز المكارم أن ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم والعمل لازم لمنع التشعب والتشعث« ١ » .

فلزم الاقتداء بشيخ قد تحقق اتباعه للسنة وتمكنه من المعرفة ليرجع إليه فيما يرد أو يراد مع التقاط الفوائد الراجعة لأصله من خارج ، إذ **الحكمة ضالة المؤمن** ، وهو كالنحلة ترعى من كل طيب ثم لا تبيت في غير جبحها وإلا لم ينتفع بعسلها .

وقد تشاجر فقراء الأندلس وغيرهم في أكثر الأماكن من المتأخرين في الاكتفاء بالكتب عن المشائخ ثم كتبوا للبلاد ، وكل أجاب على حسب فتحه .

وجملة الأجوبة دائرة على ثلاث ، أولها النظر للمشائخ فشيخ التعليم تكفي عنه الكتب للبيب حاذق يعرف موارد العلم ، وشيخ التربية تكفي عنه

« ١ » أي التفرّق

الصحبة لذي دين عاقل ناصح ، وشيخ الترقية يكفي عنه اللقاء والتبرك وأخذ كل ذلك من وجه واحد أتم .

الثاني النظر بحال الطالب ، فالبليد لا بد له من شيخ يربيه واللبيب يكفي الكتاب في ترقيه ، لكنه لا يسلم من رعونة نفسه وإن وصل لابتلاء العبد برؤية نفسه .

الثالث النظر للمجاهدات ، فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها والاستقامة تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها .

وقد يكتفي دونه اللبيب بالكتب ومجاهدة الكشف ، والترقية لا بد فيها من شيخ يرجع إليه في فتوحها كرجوعه عليه الصلاة والسلام للعرض على ورقة حين فاجأه الحق .

وهذه الطريقة قريبة من الأولى والسنة معها والله أعلم ، كما قال الشيخ أبو العباس أحمد زروق ﷿ في « قواعده » .

وقال أيضا ﷿ : أخذ العلم والعمل عن المشائخ أتم من أخذه دونهم ، بل هو آيات في صدور الذين أوتوا العلم واتبع سبيل من أناب فلزمت المشيخة ، سيما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة و السلام ، وقد أخذ عن جبريل واتبع إشارته في أن يكون عبدا نبيا ، وأخذ التابعون عن الصحابة .

فكان لكلٍّ أتباع يخصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج في أبي هريرة ، وطاوس ووهب ومجاهد لابن عباس إلى غير ذلك ﭫ .

فأما العلم والعمل فأخذه جلي فيما ذكروا كما ذكروا ، وأما الإفادة بالهمة والحال فقد أشار إليها أنس ﭬ بقوله : ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه ﷺ حتي أنكرنا قلوبنا ، فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم في قلوبهم ، إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها ، فلذلك أمر بصحبة الصالحين ونهى عن صحبة الفاسقين .

وقال بعض الأكابر : ينبغي للشيخ أن يكون قادرا على أكل المريد ، فإن لم يكن كذلك فهو لا يستحق المشيخة ، ومعنى أكل المريد كون الشيخ بحيث يقدر أن يتصرف في باطن المريد ويأكل أخلاقه الذميمة ، يعني يقدر على إزالتها عنه ويثبت مكانها الأخلاق الحميدة ويوصله إلى درجة الحضور والشعور ذكره في « الرشحات » اهـ في ٤٤ .

وقال حضرة الخواجه ﷺ : هذه الطائفة على ثلاثة أقسام : مقلد وكامل وكامل مكمل .

فالمقلد يعمل بحسب سماعه ، والكامل لا يتجاوز عن نفسه ولا يمكن التربية إلا للكامل المكمل ، وقد عز وجوده في زماننا هذا ، والموجود مستور لقلة المستعدين ، والمدعين في مقام التكميل كثير ، والفقير في الدهشة والحيرة يسير ، وفقنا الله تعالى للاستقامة .

واللازم على المرشد أن يتفحص أحوال مريده وأن يامره بما يصلح له بنسبة إلى الزمان والوقت وأن يعين أمره حتى يشرع فيه باختيار المرشد . انتهى

وسئل الإمام قطب الإرشاد سيدي عبد الله بن علوي الحداد ﷺ عن قول كثير من العارفين : لا يكون الشيخ شيخا حتى يكون عنده علم بأصول الدين وفروعه .

فأجاب : بأن الشيخ الداعي إلى الله تعالى لا بد أن يكون عنده علم بأصول الدين وفروعه على الإجمال أو على التفصيل ، إما من طريق الكسب والتعلم أو من طريق الوهب والإلهام ، كما وقع ذلك لكثير كالشيخ سعيد العامودي ﷺ ، فإنه كان أميا والشيخ أحمد الصياد والشيخ علي الأهدل والشيخ أبي الغوث ﷺ وغيرهم . فلا بد للشيخ من علم بأمر الدين على الوجه الأكمل في الباطن والظاهر ، وقد ورد : « ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه » انتهى

وحاصله أن هؤلاء المشائخ الذين ذكرهم وغيرهم من الشيخ الكبير داود بن ماخلا وعبد العزيز الدباغ وشيبان الراعي والحداد وعلي الخواص ﷺ وأمثالهم كانوا أميين ، ثم لما فتح الله تعالى عين بصيرتهم تدفقت في قلوبهم بحار من

علوم الشرائع والحقائق ، وما ذاك إلا ببركة متابعتهم للنبي ﷺ وصدقهم في محبته ، ذكره السيد زيني أحمد دحلان ﷺ في « تقريب » ٥٥ .

وقال فيه : قال الشيخ أبو العباس ﷺ : قد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذا عنه ، وكفى بهذا منة .

فهو ﷺ هو الواسطة في الفيض العميم لمن له شيخ ولمن لا شيخ له وهو ﷺ فيضه من سيده وخالقه سبحانه وتعالى ، وإلى الله تعالى ترجع الأمور وإليه يُرجع الأمر كله ، إلى ربك الرجعى وإلى ربك المنتهى .

فهو سبحانه وتعالى ولي الجميع وسيدهم والكل عبيده وأصفياؤه ، والعبد قد يفنى في مقام الشهود لله تعالى فلا يرى إلا الله تعالى ويغيب عن الواسطة ، ولكن مقام البقاء أعلى ، وهو إثبات الوسائط مع اعتقاد أن أمور الوسائط قائمة بالله تعالى ، وهو مولاهم الذي في مظاهرهم أجلاهم .

وأعظم واسطة وأكمل رابطة هو سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ مدد الخلافة من نوره ﷺ الجاري من معنى قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

قال بعض العارفين : من خصائصه ﷺ أن نوره محيط بالكون كله من نقطة (كن) إلى أن عاد الدور في المكوّن ، فهو أعظم سبب في الوصول إلى السعادة الأبدية والخيرات الدنيوية والأخروية . انتهى « تقريب » ٦٧ .

وقال العارف سيدي علي وفا ﷺ : صورة الأستاذ الناطق مرآة سر المريد الصادق ، إذا نظر فيها ببصيرته شهدها على صورة سريرته ، فأول مبادي المريد أن تتحلى طويته بسمات أهل الصلاح والولاية ، فإذا كشف لبصيرته عن أستاذه رأى صورة صلاحه وولايته في صفاء صورة أستاذه فينطق أن أستاذه هو الصالح الولي ، فيستمد من بركات ملاحظته المتوالية وهممه العالية ، ولا يزال مطلبه من الأستاذ دعواته المنيفة وخواطره الشريفة ،

فيتودد إليه تودد المتأنس حتى ينفخ إسرافيل العناية في صور صورة قلبه روح تخصيص الأولى ، فهناك يشهد أستاذه آدم الزمان ومالك أزمة الأكوان فيعظمه تعظيم الشاب لأبيه المهاب إلى أن يسفر حجاب صورته الآدمية عن جمال ما خصه من الروح المحمدية ، فهناك يشهد أستاذه سيدا محمديا ويكون له عبدا ولا يجعل له في سواه إربا ولا قصدا إلى أن يغشى سدرة سر الأنوار الروحانية وينزع من البصر نزعة الزيغ وخطا الطغيانية ، فينظر إلى أستاذه فلا يرى إلا الواحد يتجلى في كل مشهد على قدر وسع الشاهد ، فيصير عدما بين يدي وجود ومحوا في حضرة شهود ، فأول أمره توفيق واوسطه تصديق وآخره تحقيق ، وهذه النهاية هي بداية السعادة بقدم الصدق فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ .

وقال ﷺ : المخصوص بالله تعالى هو الذي نفذ جميع الأقطار سره وجهره ، فلم يسعه غير الله تعالى ولم يسع الله تعالى غيره ، وغير المخصوص بالله تعالى بضد ذلك ، فهو مقيد في الأرض أو السماء أو البرزخ أو الجنة والنار . انتهى

وقال القطب الشعراني ﷺ : وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى يقول : لو أن الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء .

ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الأشياخ ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه دون شيئا في علاج الأمراض الباطنة لعدمها في عصرهم أو قلتها جدا حتى لا تكاد توجد ، وكان معظم اجتهادهم إنما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز ، وهذا أهم بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لعلها لا توجد .

وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال : لأيّ شيء لم يدون الأئمة المجتهدون شيئا في علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر لتنجلي قلوبهم كما يفعل

الصوفية ؟ فإنه لا يقول عاقل قط عن أحد يعني من الأئمة أنه يعلم من نفسه عجبا أو رياء أو غلا أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ، ولو أنهم علموا أن فيهم شيئا من ذلك لقدموا علاجه على سائر الأعمال من باب **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وما أمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** . فافهم . « يواقيت » ١٠٦ .

وقـــال السيد أحمد ابن إدريس الحسيني المغربي ﷺ : الحازم اللبيب من إذا ظفره الله تعالى بشيخ يعرِّفه بالله تعالى عض عليه بالنواجذ ، فإن أهل الله تعالى قليلون ولا يظفر بأحدهم إلا من وفقه الله تعالى واعتنى به ثم اقتدى به وصدقه في جميع أفعاله وأقواله ولو لم يقبله عقله في ظاهر الأمر فإن للقوم ابتلاء ، ألا ترى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، فإن فيها عبرة لمن اعتبر .

فإن موسى عليه السلام لو صبر على الخضر عليه السلام لرأى عجبا ، ولكنه رأى ذلك مخالفا في الظاهر لشريعته فلم يصبر ، وفي ذلك حكمة من الله تعالى وتكريم لنبيه موسى عليه السلام ليذوق مرارة تعليم المخلوق له فيعرف قدر تعليم الخالق له .

ثم الخضر عليه السلام صدق الله قوله ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ، وموسى عليه السلام صدق الله قوله ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ، لأنه لم يأمره بأمر حين يعصيه فيه ، وإنما نهاه بقوله ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ .

ومن هنا تبين أنه ليس من ائتمر فقد انتهى ، ولا من انتهى فقد ائتمر ، بل مصادر النهي غير مصادر الأمر ، فلما لم يصبر عليه السلام فاته العلم الذي جاء لتعلّمه من الخضر مع أنه قد جرت له عليه السلام أمور كالأمور التي أنكرها على الخضر عليه السلام ، فإنه في قوله في السفينة ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قد جرى له ما هو أعظم من ذلك وهو إتخاذ الحوت في البحر سربا حتى وصل إلى مقره ، فالذي قدر على إمساك ذلك قادر على إمساك الماء عن دخول السفينة ، ثم إمساك البحر له لما ضربه بعصاه فعبره هو وبنو إسرائيل وكان كل فرق كالطود العظيم ، ثم قتل النفس قد سبق منه قتل القبطي ، ثم عدم اتخاذ الأجر على الجدار ، قد استقى لابنتي شعيب ولم يطلب منهما أجره مع أنه كان في

شدة الجوع ، فإن قوله : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ لم يرد به إلا سد رمقه من الجوع ، وهنا استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، لكن طلبهما للطعام ليس بسؤال وإنما هو طلب حق ، فإن الضيافة واجبة ، فما استطعماهم إلا ليحطوا عنهم الواجب الذي عليهم ، فالمصلحة عائدة عليهم ، لا أنهما يسألانهم مسئلة افتقار إليهم ، أستغفر الله العظيم .

فإذا علمت بعائدة نفع الامتثال للشيخ في أوامره ونواهيه فما أرى لك إلا أن تكون بين يديه كما قال عبد الكريم الجيلي ﷺ :

وَكُنْ عِنْدَهُ كَالمَيْتِ عِنْدَ مُغَسِّلٍ يُقَلِّبُـهُ ما شـاءَ وَهْـوَ مُـطـاوِعُ

إلى آخر الأبيات . انتهى

وقال الشيخ أبو مدين ﷺ : من خرج إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتون ، وكل من رأيته يدعي مع الله تعالى حالا لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره ، ومن تحقق بعين العبودية نظر أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى وأقواله بعين الافتراء ، وما وصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية وفي الجوع صفاء الأسرار في استغراق الأذكار ، وفي الصبر حلول النظر .

وقال الشيخ العارف بالله تعالى أبو عبد الله القرشي ﷺ : الزم العبودية وآدابها ولا تطلب بها الوصول ، وأبت البشرية أن تتوجه إلى الله تعالى إلا في الشدائد ، فقيل له في ذلك فقال : عطشت مرة في طريق الحج فقلت لخادمي : اغرف لي من الماء المالح ، فغرف لي ماءً حلوا فلما ذهبت الضرورة غرفت فإذا هو مالح .

وكان يقول : لا يكون الابتلاء إلا في الفحول من الرجال .

وقال الشيخ داود ابن ماخلا ﷺ : لسان العارف قلم يكتب به ألواحا في قلوب المريدين ، فربما كتب في لوح قلبك ما لم تعلم معناه وبيانه عند ظهور

آياته ، وإذا أكرم الله تعالى عبدا طوى عنه شهود خصوصيته وأقامه في تحقيق عبوديته ، فالعبد إذا كان غائبا من حقوق عبوديته خيف عليه من الشطح والانبساط والتعدي عن حدود الأدب والعدول ، عن سواء الصراط المستقيم ، ومن أعظم أبواب الفتح يقظة العبد من غفلته انتهى كلام السيد زين أحمد ﷺ

وقال بعض العارفين : من خرج عن محبة الدنيا سمي عابدا زاهدا ، ومن خرج عن نفسه وهواها سمي عارفا .

وكان يقول : من عرف ما دون الله تعالى قبل معرفته لله تعالى حجب ، ومن عرف الله تعالى قبل معرفته لخلقه لم يحجب .

وقال أيضا : إنما يدخل العبد الوسواس في الصلاة ولا يدخله إذا سمع كلام عارف وهو بين يديه ، لأن المصلي يناجي ربه والمستمع للعارف يناجيه ربه ، ومن أعظم نعم الله تعالى على عباده أن يظهر بينهم عارفا وإن لم يعرفوه ولم يروه .

وقال أيضا : إذا عرفت الله تعالى فلا تظن شرا فما هناك بعد معرفته شر .

وقال أيضا : الكامل من يستر باطنه بظاهره ، وقال ﷺ : إذا نفخ في الصور يقول المريد الصادق سمعت هذا منذ زمان .

وقـــال بعض السادات : إن الشيخ من منح الله تعالى وهداياه للعبد المريد الصادق إذا صدق في إرادته وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته ، لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده ، وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الآداب معه لما أشهده من عالي مرتبته ورفيع درجته .

قال سيدي أبو مدين ﷺ : الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم ، الشيخ من هذّبك بأخلاقه وأدّبك بإطراقه وأنار باطنك بأشراقه ، الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه ، وليس شيخك من سمعت منه ، إنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته ، إنما

شيخك الذي أثرت فيك إشارته ، وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واجهك بقاله ، إنما شيخك الذي نهض بك حاله ، شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى ، شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى انجلت فيه أنوار ربك ، نهض بك إلى الله تعالى فنهضت إليه ، وسار بك حتى وصلت إليه ، ولا زال محازيا لك حتى ألقاك بين يديه ، فزجّ بك في أنوار الحضرة وقال : ها أنت وربُّك ! انتهى كلام سيدي أحمد زيني ﷺ في « تقريبه » ١٨٧ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار السمرقندي ﷺ : إذا حصلت لك نسبة في صحبة خواجه بهاء الدين ﷺ مثلا ثم وقعت في صحبة شيخ آخر ووجدت منه هذه النسبة أيضا فماذا تصنع أتترك صحبة خواجه بهاء الدين أم لا ؟ ثم قال : إذا وجدت هذه النسبة من كل مكان ينبغي لك أن تعتقد أنها أيضا من خواجه بهاء الدين ﷺ .

وقال أيضا في سياق هذا الكلام : إذا وجد المريد الصادق شيخا أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل ، لكن مع عدم الإنكار على الشيخ الأول .

وقال : قال الشيخ أبو عثمان الحيري ﷺ : كنت متمنيا من قلبي الاحتظاظ بمواجيد هذه الطائفة وأذواقهم في مبادي الحال دائما ، فوصلت إلى مجلس وعظ يحي بن معاذ الرازي ﷺ اتفاقا ، فاطمأن قلبي هناك فكنت في ملازمته مدة ، ثم وقعت بعد ذلك في صحبة شاه شجاع الكرماني ﷺ ، ولما حضرت عنده طردني عن مجلسه وقال : إنه صاحب أمل لا يجيء منه شيء ، فقلت في نفسي : هذا رأسي وهذا عتبته ، فلا أرفع رأسي عنها أبدا ، فأذن لي بحضور صحبته بعد مدة ، فكنت في ملازمته زمانا ، ثم توجه الشيخ في ذلك الأثناء لزيارة الشيخ أبي حفص الحداد ﷺ ورافقته فيه ، ولما وصلت إلى صحبته أخذني عني بالتمام ولكن لم أقدر أن أقول لشاه شجاع ﷺ أنا أكون هنا ، ولما تهيأنا للرجوع قال الشيخ أبو حفص لشاه شجاع : إن لي مع هذا الغلام الحيري

لأمرا فاتركه عندي ، فتركني عنده وذهب فتم أمري في صحبة أبي حفص ﷺ وخدمته . انتهى « رشحات » ١٩٤

وينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس بنور الإيمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده .

فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الأبرار ، ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ، ولكل من الأبرار والمقربين مباد ونهايات ، فيكون الشيخ صاحب الإشراف على الباطن يعرف كل شخص وما يصلح له .

والعجب أن الصحراوي يعلم الأراضي والغروس ، ويعلم كل غرس وأرض ، وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها ، حتى المرأة تعلم قطنها وما يتأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ، ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح ؟ ![١]

وكان رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له .

فمنهم من كان يأمره بالإنفاق ، ومنهم من يأمره بالإمساك ، ومنهم من يأمره بالكسب ، ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة[٢] .

وكان رسول الله ﷺ يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد . فأما في رتبة الدعوة فقد كان يعمم الدعوة ، لأنه مبعوث لإثبات الحجة ، يدعو على الإطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه دون غيره . كذا في « عوارف المعارف » .

« ١ » وفي هامش نسخة « جـ » : قوله : ولا يعلم الشيخ . . . الخ . معناه فيما بدا للفقير بتوفيق القدير أن سهروردي رضي الله عنه يقول : والعجب أن الصحراوي يعلم . . . الخ ، وكل صاحب صنعة يعلم . . . الخ ، ولا يعلم الشيخ حال . . . الخ . يعني أن كون أولائك يعلمون ما ذكر وكون الشيخ لا يعلم حال مريده هذا مما لا يصح أبدا ، ولا يكون . ولذا تعجب منه . هذا مراده في فهمي والله أعلم . رب اغفر لكاتبه .
« ٢ » وفي هامش نسخة « جـ » : قوله : **كأصحاب الصفة** هو بضم الصاد وتشديد الفاء وهم طائفة من الصحابة تركوا الدنيا رأسا وأقبلوا على العبادة .

واعلم أيها المسترشد من كل رشيد أن أكثر الدجالين من مشائخ زماننا – هداهم الله تعالى وإيانا إلي منهج الاستقامة وجعلهم أهلا للإنابة – يثبون على اسم المشيخة وثبة الأسد على فريسته ، ومنهاجهم جمع الناس إلى محافلهم والمكالمة معهم على صورة الوعظ ظهورا لمجرد جمع الحطام الدنيوية ، ليس لهم ولا لعقبهم منها ولو منفعة ، لما أن المال يذهب سريعا من طريق جاء ، ويجلسون للدعوة ويأكلون ويلبسون من أدناس الناس ، ويمتهنون لأجل الدنيا لذوي الأموال ، فيسد لهم الفتوح فيذهبون على ما كانوا عليه .

والأفضل لكل أحد أن يكون مع الأسباب لقوت نفسه وعياله ، والسؤال عند الضرورة على حكم الشرع ، وقد أشرنا إلى ذلك في فصل الشطحات ، اللهم لا تجعلنا وإياهم فتنة في الدين بحرمة سيد المرسلين وآله الميامين .

ومن المشائخ من يمكن له الأكل من الفتوح الإلهي ، وذلك إذا كمل الصوفي بالله تعالى وكمل زهده لكمال تقواه .

يحكم الوقت عليه التسبب وينكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الرب الكريم ، فيزول من باطنه الاهتمام بالأقسام ، ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله تعالى له بابا من التعريف بطريق المقابلة على كل فعل يصدر منه ، حتى لو جرى يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منهي عنه في الشرع يجد غب ذلك في وقته أو يومه .

كان يقول بعضهم : إني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي .

وقيل : إن بعض الصوفية قرض الفأر خفه فلما رآه تألم وقال :

لَوْ كُنْتَ مِنْ مازِنٍ« ١ » لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلي   بَنو اللَّقيطَةِ مِنْ ذَهْلِ ابنِ شَيْبـانا

إشارة إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك ، فلا تزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الإلهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة

« ١ » مازن وذهل أسماء لقبائل عربية .

وصفاء المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ، ويتجرد له حكم فعل الله تعالى ، وتنمحي عنده أفعال غير الله تعالى ، فيرى المعطي والمانع هو الله تعالى ذوقا وحالا لا علما وإيمانا ، ثم يتداركه الحق بالمعونة ويوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى ، قاله الشيخ السهروردي ﷺ

ومن آداب الشيخ الكامل أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق ، حتى يفيض على خلوته فائدة خلوته ، ولا يدعي لنفسه قوة ظنا منها أن استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وأنه غير محتاج إلى الخلوة ، فإن رسول الله ﷺ مع أنه على أكمل الأحوال كان له قيام الليل وصلاة يصليها ويدوم عليها وأوقات يخلو فيها .

فطبع البشر لا يستغني عن السياسة ، قل ذلك أو كثر ، لطف ذلك أو كثف ، وكم من مغرور وقانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترسل في الممازجة والمخالطة ، وجعل نفسه مناخاً«١» للبطالين بلقمة تؤكل عنده وبرفق يوجد منه ، فيقصده من ليس قصده الدين ولا بِغْيته سلوك طريق المتقين ، فافتتن وأفتن وبقي في خطة القصور ووقع في دائرة الفتور ، فما يستغني الشيخ عن الاستمداد إلى الله تعالى والتضرع بين يدي الله تعالى بقلبه وإن لم يكن بقالبه وقلبه ، فيكون له في كل كلمة إلى الله تعالى رجوع ، وفي كل حركة بين يدي الله تعالى خضوع .

وإنما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة ، لقلة معرفتهم بصفات النفس ، واغترارهم بيسير من الموهبة ، وقلة تأدبهم بالشيوخ .

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول لأصحابه : لو علمت أن صلاة ركعتين لي أفضل من جلوس معكم ما جلست عندكم ، فإذا رأى الفضل في الخلوة يخلو ، وإذا رأى الفضل في الجلوة يجلس مع الأصحاب . فتكون جلوته في حماية خلوته ، وخلوته مزيدا لجلوته .

«١» المناخ موضع قعود الجمل .

وفي هذا سر ، وذلك أن الآدمي ذو تركيب مختلف ، فيه تضاد وتغاير على ما سلفنا من كونه مترددا بين السفلي والعلوي ، ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق .

ولهذا كان لكل عامل فترة ، والفترة قد تكون في صورة العمل ، وتارة في عدم الروح في العمل ، وإن لم يكن في صورة العمل ففي وقت الفترة للمريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس وركون إلى البطالة .

فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته إلى الخلق ، فأفلح الخلق بقسم فترته ، وما ضاع قسم فترته كضياعه في حق المريدين ، فالمريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الإقبال على الله تعالى ، والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته ويعود إلى أوطان خلوته الخ . « عوارف المعارف » .

ومن أنفع الآداب للشيخ خاصة ولغيره عامة المواظبة على الجماعة خاصة في المسجد في كثير من القوم ، إلا إن تعذر ، أو غيره بعذر .

وإن الصلوات بالجماعة بالدوام مما يورث الترقي ، فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ ، فإن كانت تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه ، ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا البتة ، فبترك الجماعة يخشى عليه آفات .

وقد رأينا من يتشوش عليه عقله في خلوته ، ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك الجماعة ، وقد شاهدنا أكثر الدجالين المتشيخين ينفردون في الصلاة بإراءة ذلك للجهال مثله أمرا عظيما ، ويقولون في ذلك أمورا ليسوا فيها ، حتى رأيت بعضا منهم لا يصلي مأموما لئلا يقع عن عيون الأوباش ، فإن صلى مأموما يصلي صلاة بالإعادة ويري لمريديه في ذلك احتياطا .

وليس ذلك منهم إلا لأجل التعصب أو للتعنت أو التكبر ، لا كثّر الله تعالى مثلهم في الناس أولئك هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة . انتهى .

وقال حضرة الخواجه ﷺ : هذه الطائفة أمناء ، فكل ما منّ على[1] الطالب من ذرة أو قطمير فإنهم يرونه ويظهرونه له من طريق التحقيق ، فإن في مقام الشفقة لا ينبغي الإخلال بشيء ، فتارة يكون الشيء الحقير في نظرهم جبلا .

وقال أيضا : أولياء الله تعالى أهل الكرم ومعلمون ألطاف حضرة الأزل ، فالقصورات التي تقع من الطالبين يرونها ويجاوزون عنها ، ولكن أحوالهم مختلفة ، ففي زمان مشاهدة ألطاف الربوبية الجبل عندهم كالريشة ، وفي بعض الأحوال يرون الذر أعظم من البحر كما ذكرنا هنا . انتهى

وقال حضرة الخواجه ﷺ : ينبغى أن تكون معاملة سادات هذه الطائفة مع كل أحد بقدر قابليته ، فإن كان الطالب مبتدئا فيحملون ثقله ويخدمونه كما وقع الخطاب من حضرة العزة لداود عليه السلام : يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما ، يحتاج الطالب إلى زمن كثير حتى تحصل له قابلية سلوك الطريق ، وإلا فلا يفيد شيئا سوى الدهشة في صلاحيته .

وقال أبو العباس أحمد بن زروق ﷺ : لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقصد ، بل قد يكون مقصدا مع اختلاف مسالكه كالعبادة والزهادة والمعرفة مسالك لقرب الحق على سبيل الكرامة وكلها متداخلة .

فلا بد للعارف من عبادة ، وإلا فلا عبرة بمعرفته إذا لم يعبد معروفه ، ولا بد لها من زهادة وإلا فلا حقيقة عنده إذ لم يعرض عمن سواه .

ولا بد للعابد منهما إذ لا عبادة إلا بمعرفة ، ولا فراغ للعبادة إلا بزهد ، والزهد كذلك ، إذ لا زهد إلا بمعرفة ولا زهد إلا بعبادة ، وإلا عاد بطالة .

نعم ، من غلب عليه العمل فعابد ، أو الترك فزاهد ، أو النظر لتصريف الحق فعارف ، والكل صوفية والله أعلم .

« ١ » لعله ما منّ به .

وذكر شيـــخ شيـخنا قدس سرهما في « جامعه » في حق المرشد عدة شروط ، ومنها قال : ويشترط في المرشد أن يكون عالما بما يحتاج إليه المريدون من الفقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي تعرض للمريد في البداية ، وأن يكون عالما بكمالات القلوب وآدابها وآداب النفوس وأمراضها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها ، وأن يكون رؤوفا رحيما بالمسلمين خصوصا بالمريدين ، وأن يكون ناصحا لهم ، فينظر في حال من يصحبه منهم إن رآه قابلا للسلوك سلكه وحسن له الطريق وعلى ترك الأسباب أعانه ولكل ما أمكنه إعطاؤه من المال وغيره ملكه ، وإن رآه غير قابل لذلك رده إلى حرفته أو إلى تعاطي شيء من الأسباب هنالك ، فإن الله تعالى لا يحب العبد البطال .

ومن عـــلامـــة المرشد الأمين أن يستر ما اطّلع عليه من عيوب المريدين ، وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله من جوع وشبع ونوم وسهر وقبض وبسط .

والحالة الوسطى هي ما بين الإفراط والتفريط ، ولا يقدر عليها إلا الكمل من الرجال ، ولذا كان من اتصف بها صالحا للإرشاد بلا محال ، وأن يكون قد استوى عنده جميع المآكل والملابس ، وأن يكون غني النفس وحسن الخلق ، لا يغضب إلا لله ، وإذا جآءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عابسا ، وينبغي أن يكون جلاله ممزوجا بجماله ، وغضبه ممزوجا برضاه ، وقهره ممزوجا بلطفه ، وصلنا الله تعالى بلطفه وكرمه إلى تلك الصفات .

فإذا سئلت عما يجب على الشيخ في حق المريد وعما يجب على المريد في حق الشيخ ، فالجواب : يجب على الشيخ للمريد ثلاثة أشياء : التسليك في البداية ، والتبليغ في النهاية ، والحفظ في الرعاية ، ويجب على المريد للشيخ ثلاثة أشياء : امتثال أمره ، وكتمان سره ، وتعظيم قدره .

وإذا سئلت عن الأدب على كم قسم ؟ فالجواب : على ثلاثة : آداب مع الله الذي هو مولاك ، وآداب مع شيخك الذي رباك ، وآداب مع العلماء والصالحين ، وذلك من علامات المخلصين .

وقال الشيخ الأكبر ﷺ : يجب على الشيخ إذا رأى شيخا آخر فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر وتلامذته ، فإنه صلاح وسعادة في حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصف وناصح نفسه ولا صاحب همة ، بل هو ساقط الهمة وضعيفها ، بل ربما يكون محبا للرياسة والتقدم ، وهذا في طريق الله تعالى نقص .

ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » ، وإلياس وعيسى بل كل الأنبياء تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ في الدنيا ، وفي الآخرة تحت لوائه ، فهكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريق .

وقال الشعراني ﷺ : ثم إني إذا رأيت أحدهم أعرف مني بالطريق تلمذت له ، ولو كنت مأذونا لي قبل ذلك من شيخ آخر ، لأن المقامات ليس لها حد يقف عليه العبد .

قلت : فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه وكان حال الشيوخ التلمذ لمن هو أعرف منهم بالطريق و لو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع الخضر عليهما السلام ، فما تقول فيمن لم يشم رائحة من أسرار الطريق أو شم وهو ناقص منحط عن ذروة التحقيق ، فتبصر وانصف والله أعلم . اهـ . « جامع » ١١٢

وقال العارف ابن بنت ميلق ﷺ

أخلص ودادك صدقا في محبته — والزم ثرى بابه واعكف بناديهِ
واستغرق العمر في آداب صحبته — وحصّل الدرّ والياقوت من فيهِ
وابذل قواك وبادر في أوامرهِ — إلى الوفاق وبالغ في مراقيهِ
واحذر بجهدك أن تأتي ولو خطأً — ما لا يحب وباعد عن مناهيهِ
واعلم يقينا بأنّ الله ناصِرهُ — إن لم تكن ناصِرا فالله يكفيه
وأنزل الشيخ في أعلى منازلهِ — واجعله قبلة تعظيم وتنزيهِ
ولستَ تفعل هذا إن ظننتَ به — نقصاً ولا خللاً فينًا يعانيه

وقال الإمام الرباني في آداب المشائخ ومتعلقاتها ، ومن الإشارات الصادرة من الإمام الرباني المجدد للألف الثاني ﵀ ما ذكره في هامش « المكتوبات » في ٢٤ : ومنها إذا حضر الطالب عند شيخ ينبغي له أن يأمره بالاستخارة ، ويكرر الاستخارة من ثلاثة إلى سبعة ، فإذا لم يظهر بعد تكرار الاستخارة تذبذب في الطالب يشرع في أمره .

فيعلمه أولا طريق التوبة ، ويأمره بصلاة ركعتي التوبة ، فإن وضع القدم في هذا الطريق بلا توبة غير نافع ، ولكن ينبغي أن يكتفي في حصول التوبة بقدر الإجمال ويحيل تفصيله على مرور الأيام ، فإن الهمم قاصرة في هذه الأيام جدا ، فإذا كلف القاصرون بتحصيل تفصيل التوبة أوّلا فلا جرم أنه يستدعي مدة ، فربما يقع الفتور على طلبه في تلك المدة فيحرم من المطلب ، بل لا يتم التوبة أيضا .

وبعد ذلك يعلمه طريقا مناسبا لاستعداده ويلقنه ذكرا موافقا لقابليته ، ويبذل التوجه في أمره ويراعي الالتفات في حقه ويبين له آداب الطريقة وشرائطه ، ويرغبه في متابعة الكتاب والسنة وآثار السلف الصالحين ، ويعلمه أن الوصول إلى المطلوب بغير هذه المتابعة محال ، ويعلمه أيضا أن الكشوف

والوقائع إذا كانت مخالفة للكتاب والسنة ولو كان مقدار شعرة لا يعتبره أصلا ، بل يكون مستغفرا عنه .

وينصحه بتصحيح العقائد على مقتضى آراء الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، ويأمره بتعلّم الأحكام الفقهية الضرورية والعمل بموجبه ويؤكد في هذا الباب ، فإن الطيران في هذا الطريق بدون جناحي الاعتقاد والعمل لا يمكن أن يتيسر .

ويرشده بالتأكيد إلى رعاية الاحتياط في اللقمة والاجتناب من المحرم والمشتبه ، ويمنعه عن أكل كل ما يجده والتناول من كل محل يحصله من غير أن يصحح في هذا الباب فتوى الشريعة الغراء .

وبالجملة لا بد للسالك من أن يجعل كريمة ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ نصب عينه .

وأحوال الطالبين لا تخلو عن أحد الأمرين : إما أن يكونوا أصحاب كشف ومعرفة أو أرباب جهل وحيرة .

وكلتا هاتين الطائفتين متساويتان في الوصول بعد طي المنازل ورفع الحجب ، لا مزية لأحدهما على الآخر في نفس الوصول .

ومثلهما مثل شخصين وصلا إلى الكعبة الشريفة بعد طي المنازل البعيدة ، إلا أن أحدهما استعمل نظره في منازل الطريق وتفرج فيها وعلم كل واحد منها بالتفصيل على قدر استعداده ، وغمض الثاني عينيه منها ولم يطلع على تفاصيلها .

وهذان الشخصان متساويان في نفس الوصول إلى الكعبة لا زيادة لأحدهما فيه على الآخر ، وإن تفاوتا في معرفة منازل الطريق وعدمها ، وكذا هنا .

وأما بعد الوصول إلى المطلوب فلا بد لكل منهما من الجهل ، لأن المعرفة في ذات الله تعالى جهل وعجز عن المعرفة الخ هامش « المكتوبات »٢٤ .

وقال صاحب « المقامات السعدية » في ١٣٦ : جاء طالب إلى حضرة الشبلي ﷺ مستدعيا للإرادة والدخول في الطريقة ، فقال له الشيخ : هل تعلم كلمة الإسلام ؟ قال : نعم ، قال : كيف هي ؟ قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقال : قل هكذا : (لا إله إلا الله شبلي رسول الله) ، والشخص لصدقه في الطلب تكلم بما أمر به بلا توقف ، فقال الشيخ : أنا أخس أمته ، وإنما امتحنتك فعلمت أن لك إرادة وإخلاصا قويا ، فشرع في تربيته وأوصله إلى مطلبه رحمهما الله تعالى .

وكان يقول ﷺ : هكذا امتحن الأكابر المريدين في أول الطلب ، وما شرعوا في تربيتهم قبل العلم بصدق الطلب .

وقال : إن حضرة شيخ شيخنا بميرزا صاحب رحمه الله تعالى كان يقول أولا للطالب : ليس عندي شيء ، ارجع إلى أهل الكمال ، فإن ألحّ ثانيا يقول : إن في الطريقة النقشبندية عدم اللذة والكيف« ١ » ، كثير كلعق الحجر بلا ملح ، فارجع إلى مشائخ السلاسل الأخر ، فإن ألحّ ثالثا يأمره بالرياضات من الصوم وترك المألوفات ، فإن رآه ممتثلا في أمره جدا يقبله ، وإلا فلا . انتهى

ثم اعلم أن قول (الشبلي رسول الله) ليس فيه دعوى النبوة أصلا فتفكر ، بل فيه إيهام دعوى الرسالة التي تطلق على غير النبي كثيرا ، فيرفعه الفهم بحمله على مصطلح أهل الباطن وهو الرجوع بعد الفناء والمرسل من الله تعالى لإرشاد العباد ، أو على طريق أهل الظاهر بأنه أراد به رسول رسوله بحذف المضاف ، ولا قباحة فيه سيما إن كان لضرورة الاختبار .

وسمعت سيدي الوالد ﷺ يقول : في هذا الزمان بسبب قصور الطلب تُرك الامتحان واكتفي بالاستخارة المأثورة أو المعمولة ، لئلا يتقاعد المريد عن الطلب ، والحكم يختلف باختلاف الزمان اهـ .

« ١ » أي اللذة والسرور .

ومن آداب المشائخ أنه اجتمع شخصان في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر : تقدم ، فقال له : بمَ أستحق للتقدم عليك ؟ قال : لأنك صاحبت الجنيد نصف يوم ، فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم فضيلة يستحق بها التقدم عليه ، وهكذا أهل الإنصاف . ذكره الإمام أحمد بن علان ﷺ في شرحه . اهـ

وينبغى للشيخ أنه كلما يجيء مريد لطلب الطريقة وإرادة الإنابة أن يرى في النظر مثل النمر والأسد وأن يخاف من أن يراد به مكيدة واستدراج ، فإن وجد الفرح والسرور في النفس عند قدوم المريد ينبغي أن يعتقده شركا وكفرا وأن يتداركه بالندامة والاستغفار إلى أن لا يبقى أثر من هذا السرور ، بل إلى أن يجيء محل السرور والفرح الخوف والحزن .

وينبغي أن يجتنب غاية الاجتناب عن ظهور الطمع والتوقع في مال المريد ومنافعه الدنيوية ، فإنه مانع لرشد المريد وباعث على كون الشيخ خرابا ، فإن المطلوب هناك كله الدين الخالص ألا لله الدين الخالص ، لا مجال للشركة في جناب الحضرة الإلهية بوجه من الوجوه .

واعلم أن كل ظلمة وكدورة تطرأ على القلب فإزالتها تتيسر بالتوبة والاستغفار والندامة والالتجاء إلى الحق سبحانه وتعالى بأسهل الوجوه ، إلا ظلمة طرأت على القلب من طريق محبة الدنيا الدنيئة ، فإنها تجعل القلب خرابا وإزالتها في غاية التعسر ، بل في نهاية التعذر ، صدق رسول الله ﷺ حيث قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ، نجانا الله تعالى وإياكم من محبة الدنيا ومحبة أبنائها والاختلاط بهم ، فإنها سم قاتل ومرض مهلك وبلاء عظيم وداء عميم ، قاله الإمام الرباني ﷺ في « مكتوباته » في ١٥٥

واعلم أيها الأمين ، إني بسطت الكلام في حق الشيخ والمشيخة حتى ينفر منه طبع الناظر بناء على أهمية الأمر في تفصيله وكونه أحق للتفصيل لكون الإسلام مع غربته في هذا الزمان أن بعض الناس لأجل الدنيا يريدون محقه بالكلية ، فمن علامة ذلك ابتداع أمور في هذه النسبة السنية الصديقية التي هي زبدة الشريعة ووسيلة الحقيقة ، كيف لا وقد سمعت من بعض المتشيخين لما

سئلوا من أين أخذوا هذا الذكر والزعقات والمجالس المضحكة ، وهل كان الذكر الجهري لدى نقشبند بهاء الحق والملة الشيخ محمد البخاري الأويسي ﷺ ؟ فأجاب : وهل كان الناس في زمانه كما في زماننا ، والناس كانوا وقتئذ بكيف وفي زماننا بكيف آخر ، فلأجل ذلك لازم أن يكون الذكر بالجهر لا بالسر ، فانظر في هذا الجواب وجهالته وعدم معرفته على أن النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعي أمر جاهلي ، حيث قال الكفار : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ، فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ، وقالوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ فرد الله تعالى عليهم : ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ ، فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولا شخص ، إلا من حيث ما خصه الله تعالى به ، والأولياء في ذلك تبع للأنبياء ، لأن الكرامة شاهدة للمعجزات ، والعلماء ورثة الأنبياء في الرحمة والحرمة ، وإن تباينا في أصل الفضل فافهم . « قواعد » ٥٣

فصل

في المتفرقات وفي بيان العلوم والمعارف وما فيها من أقوال السادات القادات أهل السعادات التي ينبغي أن تكون في الشيخ الكامل المرشد المربّي

اعلم أيها الموفق ، وفقك الله تعالى إلى ما فوق ما أملت - أن العلم رأس الحكمة والمعرفة والولاية ، وبه ينال الإنسان ما تمناه ، وفوائده غير محصورة ، فانظر في عظم قدره كيف علق أولي العلم معه في التنزيل بقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ ، وكم مرة أثنى الله تعالى أهله وكم حديث في حقه .

ثم إن العلم علمان : علم ظاهر وعلم باطن ، والفرق بينهما أن الأول يحصل بمطالعة الكتب واستعلامها ، بخلاف الثاني ، فإنه لا يحصل إلا بمتابعة المرشد الذي ثبتت نسبته واتصلت سلسلته إلى سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » : فاعلم أن علم طريق الآخرة قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة ، فالقسم الأول علم المكاشفة هو علم الباطن ، وذلك غاية العلوم وهو علم الصديقين والمقربين .

وعلم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهير الباطن وتزكيته من صفاته المذمومة ، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معان مجملة غير متضحة ، فتتفسح إذ ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وتعالى وبصفاته الباقيات التامات وأفعاله وبحكمه إلى آخر ما قال .

ثم قال : وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله تعالى عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار .

وهذا هو العلم الخفي الذي رواه ﷺ : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، وإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى ، فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه ، فإن الله تعالى لا يحقره إذا آتاه » .

وأما القسم الآخر وهو علم المعاملة ، فهو علم أحوال القلب ، أما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضاء والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الخلق وحسن الظن وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص . . . ، إلى آخر ما قال .

وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والغدارة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة«١» والبذخ«٢» والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف«٣» والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله تعالى في سلب ما أعطي والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة .

« ١ » أي في الدنيا ، وفي الأصل : الرعبة .
« ٢ » أي الترف .
« ٣ » التفاخر .

فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة ، وأضدادها - وهي الأخلاق المحمودة - منبع الطاعات والقربات . إلى آخر ما قال .

هيهات هيهات ، قد اندرس علم الدين بتلبس العلماء السوء ، فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ ، انتهى كلام الإمام الغزالي ﷺ في « إحيائه » .

وقال العلامة علي القاري ﷺ في شرحه لـ « عين العلم » : العلم علمان أي علم الآخرة والمعتبر في الأحوال الفاخرة ، أو النافع في المرتبة الزاخرة ، أو علم التصوف والأحوال الناضرة ، نوعان : وقد ورد : « العلم علمان ، فعلم بالقلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان ، فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم » رواه ابن أبي شيبة والحكيم مرسلا والخطيب عن جابر مرفوعا

علم المكاشفة وهو ما يطلب منه كشف العلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن ، ومقابله المعاملة ، وهو ما يطلب منه مع الكشف العمل به ، وهو نور يظهر في القلب إما بالجذبة الإلهية ، وإما بالرياضة الشرعية وعند تطهير القلب وتزكيته من الأخلاق الذميمة والصفات الردية ، فيشاهد به الغيب أي ما غاب من غيره من العلوم المتعلقة بالرب سبحانه وتعالى من وجود ذاته وشهود صفاته في مكوّناته ومصنوعاته كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ وهو متحقق أي ثابت إلى يوم القيامة لأصحاب السلامة من الندامة والملامة .

وعن علي ﷺ : « علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه في قلوب من يشاء من عباده » رواه الديلمي وأبو عبد الرحمن السلمي .

ولا يصرح به أي لا يمكن التعبير عن علم المكاشفة لفقد الرواية أي تصريحا ، بل روي أحيانا تلويحا لأنه من الأمور الوجدانية ، فلا يمكن أن يروى وينقل إلا بالرموز والإشارات الإيمائية الوجدانية ، فإن العاقل تكفيه الإشارة ، والغافل لا يفيده إلا صريح العبارة .

وأيضا إن علم المكاشفة لا رخصة في إيداعها في الكتب ، وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين ، وعلم المعاملة طريق إليه ودليل عليه ، ولكن لم يتكلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه .

وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال ، وورد في حق ذلك أحاديث ذكرناها من قبل آنفا ، وعلم المكاشفة أفضل من علم المعاملة ، لأنه الأكمل والمقصود بالذات بخلاف علم المعاملة ، فإنه ليس مقصودا بالذات بل للعمل به .

وعلم المعاملة أي النوع الثاني ، وهو العلم بما يقرب إلى الله تعالى من المأمورات وما يبعد عنه من المنهيات .

وينقسم هو أيضا إلى قسمين ، إلى علم ظاهر يتعلق بأعمال الجوارح عادة وعبادة ، وإلى علم يتعلق بأحوال القلوب مذموما ومحمودا ، وهو أي علم المعاملة مقدم على العمل وعلى علم المكاشفة لأنه الشرط ، إلا إن جذبته العناية كما في سحرة فرعون ، وقد ورد : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

والحاصل أن السلوك إلى الله تعالى إما بتقديم المجاهدة على الجذبة وإما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير إليه قوله سبحانه و تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ .

ثم اعلم أنه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة .

هذا أي العلم المنقسم إلى المكاشفة والمعاملة ما ورد بفضله أي فضل تعلمه وتعليمه الشرع من الكتاب والسنة وأخبار الأمة ، وأيضا المراد من العلم المكاشفة فيما ورد : « فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي » ،

ولفظ الترمذي والدارمي عن أبي الدرداء : « كفضلي على أدناكم » ، وفيه مبالغة لا تخفى .

وفي حديث مشهور رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظه : « إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » و« إن العلماء ورثة الأنبياء » ، ولفظ الترمذي عن أبي أمامة ﵁ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » وقال حسن صحيح ، وورد « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة » .

والظاهر أن المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة ، بل المستجمع بين علم الشريعة وعلم الطريقة المؤدي إلى الحقيقة والمعاملة القلبية الواجبة فيما ورد : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » انتهى كلام علي القاري ﷺ .

وأمثال هذه كثيرة مشحونة في كتب القوم ، ونحن اكتفينا بهذا القدر لكفايته على العالم المنصف ، وإن لم يكن منصفا أو كان جاهلا غير مستمع كالأنعام فلا يخاطب بأمثال هذا الكلام .

وقال في « عوارف المعارف » : علم الباطن ما يزداد العبد به يقينا ، وهذا العلم يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده ليسوق الطالبين إليهم ويقربهم بطريقهم ويرشدهم بهم ، فهم ورثة علم النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم من يتعلم علم اليقين . انتهى والحمد لله .

نبذة في فضيلة علم الباطن وأهله على العلم الظاهر وأهله وإن كان في الكل فضل إن قارن الاستقامة

ويدل عليه ما مر في هذه الرسالة من الأحاديث الشريفة والآثار اللطيفة وكلام « الإحياء » و« عين العلم » وأمثالها .

فالأول ينتج الولاية الخاصة ، والثاني الولاية العامة وبينهما فرق ، وأهالي الأول إن كملوا يكونون من المقربين ، وصواحب الثاني إن عملوا يكونون من الأبرار ، وبينهما فرق كما في التنزيل .

والأولون في تطهير القلب وتزكية النفس بالأذكار المأخوذة من السادات الصوفية الصافية الموضوعة للتطهير والتزكية بخلاف الثاني ، وفي التنزيل : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وفيه أيضا : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ .

والأول ينتج الفناء في الله تعالى بخلاف الثاني ، فإن غالب أهاليهم ينكرون الفناء ويقولون إنه طامات غير معقولة ، كما صرح به الإمام الغزالي قُدِّسَ سِرُّهُ في أصول الأربعين ، وهو أول قدم في الولاية والأخيرون في ذكر اللسان ، فإذا سكت انقطع وإذا نام فني ، بخلاف الأولين فإنهم في أول السلوك عند كمل الشيوخ في الذكر بجميع اللطائف وذرات البدن ، فحينئذ يحصل للذاكر ضعف في البدن كما في شرح « سلسلة الذهب » ، فيذكر الجسد ويجري في جميع الجسد الكثيف ، فيكون كالقلب يتحرك بالذكر من أسفله إلى أعلاه ، ويسمى هذا (سلطان الذكر) ، قاله في « جامع الأصول » وغيره .

وإذا ناموا فذكرهم دائم لا ينقطع ، وإذا كان لسانهم في المقال كان بواطنهم وظواهرهم في الأذكار ، وإذا كان ظواهرهم في المخلوق كان بواطنهم في الخالق ، وإذا كان ظواهرهم في المعاملة كان بواطنهم في الحقانية ، ولا يمنع ظواهرهم عن بواطنهم ولا بواطنهم عن ظواهرهم ، وفي التنزيل : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ كما في « جوامع الكلم » .

والأولون في المعنى والأخيرون في الدعوى ، مع أن التصوف ترك الدعاوي وكتمان المعاني كما ذكرنا في موضعه كما في « مكتوبات » محمد معصوم الفاروقي ﷺ .

وقال الإمام الغزالي ﷺ : وقد كان أهل الورع مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب ، وكان الإمام الأجل الشافعي ﷺ يجلس بين يدي شيبان الراعي ﷺ كما يقعد الصبي في المكتب بين يدي أستاذه ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا ؟ فيقول : مثلك يسأل هذا البدوي ؟ فيقول : إن هذا وفق لما غفلنا عنه ، وكان أحمد بن حنبل ﷺ ويحي بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ﷺ ولم يكن له في العلم الظاهر منزلتهما وكانا يسألانه ، ولذلك قيل : علماء الظاهر زينة الأرض ، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت .

ثـــم قال : فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم ، ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه ، بل بعلم الآخرة وبسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر ﷺ الناس بكثرة صيام ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ، ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد المرسلين ﷺ كما ذكرنا هذا قبل .

فليكن حرصك في طلب ذلك السر ، فهو الجوهر النفيس والدر المكنون الذي لا مقيس ، ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول ذكرها وتفصيلها في هذا الكتاب ، فلقد قبض رسول الله ﷺ عن الآلاف من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ﷺ ، ولم يكن منهم أحد يحسن في صنعة الكلام ولا نصب أحد منهم نفسه للفتيا إلا بضعة عشر رجلا . انتهى كلام « الاحياء »

وقال الإمام الغزالي ﷺ أيضا : التقوى ثمرة علم الباطن ، دون الفتاوى والأقضية ، روى أنس بن مالك ﷺ قوله ﷺ : « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من الغدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب » .

ثم قال في موضع آخر : أشرف العلوم هو علم الآخرة أعني قسمي المعاملة والمكاشفة ، فغاية المعاملة المكاشفة ، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى .

ولست أعني به اعتقاد العامي وأهل الكلام ، بل ذلك نوع يقين وهو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر باطنه بالمجاهدة عن الخبائث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر الصديق ﵁ الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح ، كما يشهد به سيد البشر ﷺ .

فما عندي أن اعتقاد المتكلم لا يزيد على ما يعتقده العامي إلا في صنعة الكلام وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين حتى كان تفضيلهم أبي بكر بالسر الذي وقر في صدره

والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله تعالى وسلامه عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول .

فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكملين ، ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب .

وبالجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى ، وهو بحر لا يدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم . انتهى

وقال في « عوارف المعارف » : وقال ابن مسعود ﵁ : ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم بالخشية .

قال الحسن بن عبد الله : « إن الله لا يعبأ بذي علم » ، وفي رواية : « إنما يعبأ بذي فهم ودراية » ، فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ، ومثال علم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ، ومثال علم الوراثة كالزبد

المستخرج منه ، فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ، ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن . . إلى آخر ما قال من التفصيل الدال على فضل علماء الباطن على علماء الظاهر .

ثـــم قـــــال فيه : مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، وقد يقال : التوحيد والمعرفة والمشاهدة وللايمان من كل من فروعه علوم .

ثم قال فيه : فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة الزبد المستخرج من اللبن ، لأنه المشاهدة بعين اليقين وحق اليقين .

وعلم علماء أهل الدراية كاللبن لأنه اليقين بالاستدلال فقط ، فإن فضيلة الإنسان بفضيلة العلم ووزانة الأعمال على قدر الحظ من العلم ، وقد ورد في الخبر : « فضل العالم على العابد . . » إلى آخره

والإشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والنكاح والطلاق والعتاق ، وإنما الإشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين .

وقد يكون عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة ، وقد كان علمآء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم .

قال بعضهم : إذا أراد الله تعالى بعبد سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل ، فما أعجب هذه الكلمة وأحقها ، فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من المعرفة أكمل ، فكانت أعمالهم أزكى وأسلم وأفضل .

ثم قال : وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية وللعلماء الزاهدين ، فبان بذلك فضلهم وفضل عملهم .

ثم إني أصور مسألة يستبين بها فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره[1] . . إلى آخر ما قال .

ثم قال : وهذا من أوائل علم الصوفية ، فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم ؟ انتهى كلام « الجوامع » .

وقال ابن زروق رحمه الله : اعتبار المهم وتقديمه أبدا شأن الصديقين في كل شيء ، فكل من طلب من علوم القوم رقيقها قبل علمه بجملة أحكام العبودية منها وعدل عن جلي الأحكام إلى غامضها فهو مخدوع بهواه ، لا سيما إن لم يكن الظواهر الفقهية للعبادات ويحقق الفارق بين البدعة والسنة في الأحوال ويطالب نفسه بالتحلي قبل التجلي أو يدعي لها ذلك ، ولله درّ السري رضي الله عنه حيث قال : من عرف الله تعالى عاش ، ومن مال إلى الدنيا طاش ، والأحمق يغدو ويروح في لاش ، والعاقل عن محبوبه فتاش ، وفي « الحكم » : تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب ، والله أعلم . من « قواعد » ٨ .

وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه : العلم كله في كلمتين : لا تكلف فيما كفيت ولا تضيع ما استكفيت . « نفحات » ١٨٧ .

وقال في « تنوير الصدر » ١٩٢ : العلم النافع هو الذي يبسط في الصدر شعاعه فيظهر له كل شيء على حكمه ، لأنه إذا أشرق صدره بالنور عرف القبيح والحسن ، فيأتي الحسن ويجتنب القبيح ، وأما العلم الحاصل باللسان والتعلم ، فإن عمل به نجا وإلا فلا ، إذ هو محل للشهوة ونحو ذلك ، فإن ذلك محبط ومضيع للعمل .

« ١ » عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى المداواة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض . « عوارف المعارف » .

فــــائدة : قال الشيخ الأكبر : اعلم أن المصلي أو المدرس أو نحوهما من عمال الطاعة إذا أضمر في نفسه أنه يصلي مثلا رياء أو سمعة وكان قد أخلص في أول شروعه في الطاعة فلا يبالي ، فإن الأصل صحيح فلا يبطل عمله ، فإن ذلك الخاطر من الشيطان فإن غرضه أن يترك العبد العمل الذي شرع فيه على صحة ليخالف قوله تعالى : ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بسبب تلك الشبهة التي يلقيها إلى قلب العبد . انتهى

وقال العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المأوردي ﷺ في كتاب « آداب الدنيا والدين » في ٢١ : اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب ، لأن شرفه يثمر على صاحبه وفضله ينمي على طالبه ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، فمنع المساواة بين العالم والجاهل لما قد خصّ العالم من فضيلة العلم والآيات والأخبار في فضله وشرفه . . الخ .

ثم قال : واعلم أن كل العلوم شريفة ، ولكل علم منها فضيلة ، والإحاطة بجميعها محال . . الخ وإذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل ، وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها والعناية بأولاها .

وأفضلها علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون ، **إذ لا يصح آداء عبادة جهل فاعلها صفات آدائها ولم يعلم شروط إجزائها . . الخ .**

ويكفي لفضل العلم الباطن أن كثيرا من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين والمدرسين المقبولين عند الخواص والعوام والأمراء والوزراء ذوي الاحترام تركوا تدريسهم في العلم الظاهر لأجل طلب علم الباطن على ما قالوا في بيان مناقبهم كما في « الشقائق النعمانية في مناقب الدولة العثمانية » وغيره .

فمنهم أبو الفتح ﷺ ، قال في فصل الخطاب للإمام الرباني ﷺ : أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي كان صاحب كرامات وإشارات وصاحب قبول تام ، وكان من الفقهآء غير أنه مال إلى التصوف ، فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة

عن أخيه أبي حامد محمد الغزالي لما ترك التدريس زهادة فيه ، وفيه اختصر كتاب « إحياء » وسماه « لباب الإحياء » ، وله كتاب آخر سماه « التبصرة » ، طاف البلاد وخدم الصوفية وخدموه وصحبهم وصحبوه . كذا قال الإمام اليافعي رحمه الله .

ومنهم الإمام الغزالي قدس سره صاحب « الإحياء » حين كونه ابن خمسين سنة كان مدرسا في بغداد مقبولا عند العلماء والأمراء ، فقصد على ترك الدراسة والوطن لأجل مصاحبة أهل الخير والمعرفة والسلوك عندهم ، فألحّ عليه الأمراء والصلحاء وغيرهم فلم يقبل منهم ذلك ، وفارق بغداد وترك الدراسة وفرق ما كان معه من الأموال ولم يدخر منها شيئا سوى قدر الضرورة والكفاف لقوت الأهل والأولاد ولم يخبر إلى أين يذهب وارتحل إلى الشام .

ثم بعد ما مكث هناك مدة ما شآء الله تعالى قريبا إلى سَنَتَين ارتحل إلى الحرمين ، وكان هو من حيث الباطن من أهالي الكمال أيضا فحصل له إرادة ترك العزلة لنشر العلم تجددا لرأس المائة التي كان فيها ، فشاور في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدة ، فاتفقوا إلى الإشارة بترك العزلة وأبدوا المنامات الكثيرة المتواترة من الصالحين يشهد أن هذه الحركة مبدأ كل خير قدره الله تعالى على رأس هذه المائة ، فرجع وقال : إني أرجع إلى نشر العلم ، **وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكتسب الجاه وأدعو إليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي وبغيتي ، والآن أدعو الناس إلى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه** ، هذا الآن نيتي وقصدي ، يعلم الله تعالى مني ذلك ، كذا قاله الإمام الغزالي قدس سره في « المنقذ من الضلال » .

وقال فيه أيضا : وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاءها والقدر الذي أذكره نفعا لمن سمع به ، **إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع الشريف ليغيّروا شيئا من سيرهم**

وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة .

ثم قال هو فيه : ومن أول الطريقة يبتدئ المكاشفات والمشاهدات ، حتى أنهم في اليقظة يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى رجعات يضيق عنها نطاق الناطق ، فلا يحاول معبّر يعبّر عنها إلا اشتمل لفظه إلى خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه .

وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يتخيل طائفة إلى الحلول وطائفة إلى الاتحاد وطائفة إلى الوصول ، كل ذلك خطأ ، بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول : كان ما كان فما أنا أذكره . انتهى ما في « المنقذ » .

وقال الإمام في « مكتوباته » : قال الإمام أحمد بن حنبل في ترك الإمام الأعظم في آخر عمره في مدة سنتين الاستنباط والاجتهاد واختياره العزلة ما قال ، ولما سئل الإمام الأعظم عن سبب ذلك قال : **لولا السنتان لهلك النعمان** اهـ .

وقال الإمام الشعراني ﵀ في كتابه « الميزان » : سمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله تعالى يقول مرارا : كان أئمة المذاهب وارثين لرسول الله ﷺ في علم الأحوال والأقوال معا ، خلاف ما توهم بعض الصوفية حيث قال : إن المجتهدين لم يرثوا من رسول الله ﷺ إلا علم القال فقط . إلى آخر ما قال . انتهى

وقال في « در المختار » : إن داود الطائي ﵀ أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة ﵁ وهو فارس هذا الميدان . قاله ابن العابدين ﵀ . وقال في « الرسالة المدنية » : فالطريقة مقدمة للولاية . . . إلى آخر ما قال ابن المهمات .

وقال بعض العارفين : لكل شيء أهل ووجه ومحل وحقيقة وأهلية التصوف لذي توجه صادق أو عارف محقق أو محب مصدق أو طالب منصف

أو عالم تقيده الحقائق أو فقيه تفيده الاتساعات لا متحامل بالجهل أو مستظهر بالدعوى أو مجازف في النظر أو عامي غبي أو طالب معرض أو مصمم على تقليد أكابر من عرف في الجملة فافهم ، قاله في « القواعد الصوفية » اهـ .

وقال العارف الشيخ داود بن ماخلا ﵁ : الكامل من يستر باطنه بظاهره . « تقريب » ٥٢ .

وقال في « المرقاة » : الفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية والطريقة النقية الأحمدية ، ولها ظاهر سمي بالشريعة شرعت للعامة ، وباطن سمي بالطريقة منهاجا للخاصة ، وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لأخص الخاصة ، فالأول نصيب الأبدان من الخدمة ، والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة ، والثالث نصيب الأرواح من المشاهدة والرؤية .

قال القشيري ﵁ : والشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول ، ولله در من قال من أرباب الحال : ألا فالتزموا سنة الأنبياء واحفظوا سيرة الأصفياء ، ومن يبدع بدعة لم يكرم بوجدانه رتبة الأتقياء . انتهى كلامه

وقال أيضا : العلم علمان ، فعلم بالقلب أي حاصل وداخل فيه لا يطلع عليه غير الله تعالى ، فذلك العلم النافع ، إشارة إلى أنه في كمال العلوّ والرفعة لا يناله كل أحد ، ولعل في ذلك إيماء إلى أنه ينبغي أن يقرب المرء إلى العلم النافع ، كما أنه أورد في القسم الثاني « ذلك » إيماء إلى أنه ينبغي أن يبعد عنه[١] ، وعلم على اللسان ، ولكون ما فيه من الخطر بلا خلاف لتعلقه بالخلق المقتضي للسمعة والرياء والمداهنة للأمراء ، قال ﷺ : « فذلك حجة الله على ابن آدم » .

« ١ » أي بناء على أن اللام في « ذلك » للبعد ، و« ذاك » تستعمل للأقرب .

وقد يحمل الأول على العلم الباطن والثاني على العلم الظاهر ، لكن فيه أنه لا يتحقق شيء من علم الباطن إلا بعد التحقق من إصلاح الظاهر ، كما أن علم الظاهر لا يتم إلا بإصلاح الباطن .

ولذا قال الإمام مالك ﵀ : **من تَفَقَّه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق .**

وقال أبو الطالب المكي ﵀ : هما علمان أصليان لا يستغني أحدهما عن الآخر .

وقال العلامة المحقق أبو العباس أحمد زروق ﵇ : في كل علم ما يخص ويعم فليس التصوف بأولى من غيره في عمومه وخصوصه ، بل يلزم بذل أحكام الله تعالى المتعلقة بالمعاملات من كل عموما ، وما وراء ذلك على حسب قابله لا على قدر قائله لحديث : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله » .

وقيل للجنيد رحمه الله تعالى : يسألك الرجلان عن المسألة الواحدة ، فتجيب هذا بخلاف ما تجيب هذا ، فقال : الجواب على قدر السائل ، قال عليه الصلاة و السلام : « أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ثم اعلم أن العلم بفائدة الشيء ونتيجته باعث على التهمّم به والأخذ في طلبه لتعلق النفس بما يفيده إن وافقها ، وإلا فعلى العكس ، وقد صح أن شرف الشيء بشرف متعلقه ، ولا أشرف من متعلق علم التصوف ، لأن مبدأه خشية الله تعالى التي هي نتيجة معرفته ومقدمة اتباع أمره وغايته إفراد القلب له تعالى .

فلذلك قال الجنيد ﵁ : لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه وهو واضح . انتهى

وقال ﷺ : العلم إما أن يفيد بحثا على الطلب وحثا عليه ، وإما أن يفيد كيفية العمل ووجهه ، وإما أن يفيد أمرا وراء ذلك خبريا يهدي إليه ، فالأول من علوم القوم علم الوعظ والتذكير ، والثاني علم المعاملات والعبودية ، والثالث علم المكاشفة .

فالأول دائر على قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ، هذه لقوم وهذه لقوم كل على حسب قبوله ، والثاني دائر على قوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ ، والثالث راجع لقوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ و « من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم » .

وإن كان« إنما العلم بالتعلم » ففي الأصل لا في الفرع« ١ » ، ومن ثم قال أبو سليمان ﷺ : إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علما . انتهى

وقال العارف السيد أحمد بن إدريس المغربي رحمه الله تعالى : علم الله تعالى نبيه ﷺ ليلة أسري به ثلاثة علوم : علم الشريعة , وعلم الخواص , وعلم خواص الخواص ، فعلم الشريعة في جميع الأمة يعلمها الخاص والعام ، وعلم لم يعلمه إلا الخواص ، وعلم لم يعلمه إلا خواص الخواص ، وهو معنى قول علي ﷺ : ههنا علم – وأشار الى صدره – ما وجدت له حملة ، وقول أبي هريرة ﷺ : أخذت وعائين من علم عن رسول الله ﷺ ، أما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا الحلقوم ، اللهم اجعلنا من خواص الخواص برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

« ١ » أي الحكم الأصلي أنه لا علم إلا بتعلم عن الشارع ، أو من ناب مَنابَه فيما أتى به ، و طلب الشيء من وجهه وقصده من مظانه أقرب لتحصيله ، ولكن قد تبث أنّ دقائق علوم الصوفية منح الهية ، ومواهب اختصاصية ، لا تنال بمعتاد الطلب كما قال عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » « قواعد التصوف » .

وقال بعض العارفين : إن خلاصة العلوم المتداولة التفسير والحديث والفقه ، وخلاصة تلك العلوم الثلاثة التصوف ، وموضوع علم التصوف بحث الوجود .

وقد قالوا : ليس في جميع المراتب الإلهية والكونية إلا وجود واحد ظاهر بصورة العلمية ، وهذا المبحث في غاية الإشكال ونهاية الدقة ، والخوض فيه بالتعقل والتخيل موجب للضلالة والزندقة ، فإن في هذا العالم كلابا وخنازير وأمثالهما مما لا يحصى من الحيوانات الخسيسة وأنواع النجاسات والقاذورات ، وإطلاق الوجود عليها في غاية القباحة والشناعة ، واستثناؤها من الوجود موجب لإبطال القاعدة الكلية ومخالف لاصطلاح هذه الطائفة العلية .

فالواجب على الأذكياء الاشتغال بتصفية مرايا حقوقهم عن النقوش الكونية وعدم الميل عنه إلى أمر آخر ، حتى تشرق أشعة أنوار الوجود في اللطيفة المدركة بواسطة تصفية محالها وتزكيتها ، فيظهر لهم ذلك المعنى على ما ينبغي ، كما قاله الشيخ علي ابن حسين الهروي عن شيخه ﷺ .

وقال أيضا : إن التصوف أمر يسير ، وهو أن القلب مرآة ووجهه إلى عالم الملك ، والتصوف هو قلبُ وجهِ مرآة القلب إلى عالم الملكوت . انتهى

وقال بعض العارفين ﷺ : العلوم ثلاثة ، علم سلوكي فيجب إبداؤه ، وعلم كشفي فقد لا يباح إبداؤه ، وعلم سري فلا يباح إظهاره قط .

وقال العارف سيدي علي وفا ﷺ : سبقت كلمة الله تعالى التي لا تتبدل وسنته التي لا تتحول أن لا ينفخ روح علمه في مخصوص إلا انقسم الخلق له بين مَلَكيّ ساجد وشيطانيّ حاسد ، فاحرص على أن تكون لأهل النعم العلمية محتاجا خاضعا لتسلم أو تعلم أو ترحم ، وإياك أن تكون لهم مبغضا أو حاسدا فتسلب أو ترجم أو تحرم .

وقال ﷺ : **قلب العارف حضرة الله تعالى ، وحواسه أبوابها ، فمن تقرب إلى حواس العارف بالقرب الملائم له فتحت له أبواب الحضرة** . انتهى

وقال أيضا ﷺ : من عرف الحق فكل أوقاته ليلة قدر .

وقال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه : لا تجالسوا العارفين إلا بالأدب ، فربما مقت من أساء أدبه معهم ومحى من ديوان القرب ، ومن لم تؤدبه الصوفية فليس بأديب .

وكان ﷺ يقول : الواردات مختلفة من حيث الموردة عليه لا من حيث نفسها , فإنها واحد فهي كالمطر على أرض فيها أنواع من البذر ، فالمطر واحد والنبات مختلف ، يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل .

والتعبد هو مفتاح باب الخير ، فمن فاتته الأوراد في بدايته فقد حرم الواردات في نهايته ، فللأعمال أنوار كما أن للعارف أسرار ، فعليك أيها السالك بالدوام على الأوراد ولو بلغت المراد . انتهى

ويحكى عن يحي بن معاذ ﷺ أنه رأى أبا يزيد ﷺ في بعض مشاهدته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الأرض ، ضاربا بذقنه شاخصا بعينيه لا يطرف ، قال : ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال : اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك ، وإني أعوذ بك من ذلك ، حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء ، ثم التفت فرآني فقال : يحيى ! قلت : نعم يا سيدي ، فقال : مذ متى أنت ههنا ؟ قلت : منذ حين ، فسكت فقلت : يا سيدي حدثني بشيء ، فقال : أحدثك بما يصلح لك : أدخلني في الفلك الأسفل فدوّرني في الملكوت السفلي ، وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوّف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه فقال : سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك ، فقلت : يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه ، فقال : أنت عبدي حقا ، تعبدني لأجلي صدقا ، لأفعلنّ بك ولأفعلن ، فذكر أشياء ، فقال يحيى : فهالني

ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت : يا سيدي لِم لم تسأله المعرفة وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت ؟ قال : فصاح بي صيحة وقال : اسكت ! ويلك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه . انتهى

وقال الإمام علي ﷺ : ثم اعلموا معاشر الإخوان أن غواة آخر الزمان هم علماء زوقوا أفواههم ثم أفتوا واتبعوا أهواءهم ، لم يقرؤوا العلم ابتغاء الأجر وإنما ذاك لدنيا تسري ، تراهم قد وسعوا أكماما وملأوا بطونهم حراما ، لذلك تلقى الناس في المزلة ، إذ زلة العالم ألف زلة ، رزية العالم إن لم يعمل بعلمه ، والغير إذ لم يسأل . تمّ من « مجموعة الأحزاب » ٥٩٦ .

وقـــال الشيخ الأكبر في « الفتوحات » في الباب ٢٣١ : من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به ، أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه ، فإذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم أن المتصف به ممكور به حينئذ . « يواقيت » ١٠٨ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : لو جمع شخص علوم الأولين والآخرين لا يكون شيء من تلك العلوم ممدّا وأمينا له في النفس الأخير ، بل يكون جميع معلوماته ممحوا عن لوح مدركته إلا ما حصّله من ملكة الحضور والجمعية ، وما ينفع في النفس الأخير ويكون ممدّا ومعينا إنما هو هذا الحضور والجمعية لا غير .

فينبعي للعاقل أن يغتنم أيام الشباب بالتزام رياضة قليلة في مدة يسيرة وأن يقعد على زاوية حتى يحصل له ملكة الحضور والجمعية ويتخلص الخاطر من مزاحمة النفي والإثبات . انتهى

فائدة في بيان كون العلم حجابا : وهو موجب لزلة أقدام الطائفة المتشيخين ذكره الإمام الغزالي ﷺ في بعض مصنفاته ولا بأس بإيراده هنا على وجه الاختصار ، وهو هذه :

وقد علم مما سبق شرف جوهر القلب وصار طريق الصوفية واضحا ، وأظنك قد سمعت من الصوفية قولهم إن العلم حجاب من هذه الطريقة فتنكر عليهم بأنه إذا كان شيء بحيث يكون العلم حجابا عنه كيف يقدم عليه ، أم كيف يرغب فيه وأي فضيلة له ؟ فلا تنكر علي ، فإنه حق وصدق .

فإن الاشتغال بالعلم الذي يحصل من طريق المحسوسات يكون حجابا عن هذه الأحوال البتة ، فإن القلب مثل الحوض ، والحواس الخمس مثل الأنهار الخمسة ينصبّ منها الماء فيه ، فإن أردت أن تملأ الحوض بالماء الطاهر الصافي فتدبيره أن تسد هذه الأنهر أولا حتى لا ينصب فيه ماء من خارج ، ثم تفرغ الحوض من الماء والطين الأسود ثانيا ، ثم تحفر قعر الحوض ثالثا لينبع الماء الصافي من داخل الحوض ، فإن الحوض ما دام مشغولا بالماء الذي ورد عليه من خارج لا يمكن نبع الماء من داخله ، وإن سلمنا لا يكون طاهرا صافيا لاختلاطه بالماء النجس ، وكذلك لا يحصل العلم داخل القلب حتى يكون خاليا من كل علم حصل من خارج .

وأما لو امتنع العالم من تعلم العلم ولم يشتغل قلبه بما تعلم سابقا فلا يكون علمه السابق حجابا له عن الطريقة ، بل يمكن أن يكون سببا للفتوحات .

وكذلك إذا خلى السالك نفسه عن الخيالات والمحسوسات لا تكون الخيالات السابقة حجابا له ، وسبب كون العلم حجابا هو أن شخصا لو تعلم علما مع دلائله وبراهينه على ما بيّن في فن الجدال والمناظرة وأقبل عليه بكليته واعتقد أن ليس وراء هذا علم أصلا ، فإن وقع شيء على قلبه من خطرات سماوية يقول : إن هذا خلاف ما أنا سمعته وعلمته ، وكل ما هو خلافه فهو باطل ، فلا يمكن لمثل هذا الشخص انكشاف حقيقة الأمور ، فإن هذه الاعتقادات التي يعلّمها عوام الخلق إنما هي صورة الحقيقة لا عينها ، والمعرفة التامة هي خروج تلك الحقائق من الصورة إلى العين كخروج اللب من القشر .

ومن المعلوم أن من تعلم طريق الجدل في نصرة الاعتقاد الحق وحراسته لا تنكشف له الحقيقة أصلا ، فكيف يظن أن هذا هو الحقيقة لا غير ، فمن ظن ذلك يكون ظنه حجابا له عن الحقيقة .

ولما كان الظن غالبا فيمن تعلم شيئا من هذه العلوم لا جرم يكون هذا القوم محجوبين غالبا ، فمن خرج من هذا الظن لا يكون العلم حجابا له ، فإنه معتقد أن وراءه شيئا آخر أعلى من علمه ومتطلع عليه ، وإن تيسر لمثل هذا الشخص فتح فقد بلغ درجة الكمال ، ويكون طريقه أشد أمنا وأوضح ممن لم يترسخ قدمه في العلم قبل ، فإنه يمكن أن يبقى في عقدة الخيال الباطل مدة مديدة ، بل تكون شبهة يسيرة حجابا له ، والعالم يكون محفوظا من مثل هذا الخطر والسلام ، والله يتولاك . هكذا ذكر في « تعريب » محمد مراد رحمه الله تعالى .

فإن قلت : فما معنى قولهم (العلم حجاب عن الله تعالى) مع أن العلم هو الذي يكشف عن حقائق الأمور ؟

فالجواب ، كما قاله الشيخ في الباب الثاني من « الفتوحات » : أنه ليس المراد به ذم العلم - معاذ الله أن يريد القوم ذلك - وإنما مرادهم أن أحدا لا يعلم الحق تعالى إلا بواسطة العلم ، فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا أنت ، فما علم الحق تعالى حقيقة إلا علمك لا أنت ، وعلمك دائما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت في العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلي الحق لك حتى تدركه ، لأن كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين أبدا ، ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم .

فعلم أنه ليس مشهود كل أحد من الحق إلا علمه ، فإياك إن جريت على أسلوب الحقائق أن تقول : إنك علمت المعلوم ، فإنك ما علمت إلا بالعلم ، والعلم هو العالم بالمعلوم الذي هو الحق .

وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها ، فإن سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير ، بل لا تركّبه العبارة أصلا ولا الإشارة ، ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة . . الخ . « يواقيت » ٦٠ .

وقال العلامة الشيخ إسمعيل حقي النازلي ﵁ في « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ : واعلم أن العلم والدراسة جعلا سببا للربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله تعالى ، وكفى هو دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل .

فكأن مثله مثل من غرس شجرة حسناء تؤنقه أي تعجبه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ، فالعمل بغير العلم والعلم بغير العمل لا ينبت كل منهما بانفراده النسبة إلى الرب .

فعلم أن العالم الذي لا يعمل بعلمه منقطع النسبة بينه وبين ربه ، كالعامل الجاهل ، فكل منهما ليس من الله تعالى في شيء حيث لم تثبت النسبة إلا للتمسك بالعمل المبني على العلم .

قال علي ﵁ : قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك ، لأن العالم ينفر الناس عن العلم بتهتكه ، والجاهل يرغب الناس بتنسكه ، قال رسول الله ﷺ : « نعوذ بالله من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع » .

فعلى المعلم والمتعلم أن يطلب بعمله مرضاة الله تعالى وبعلمه الربانية ، فمن اشتغل بالتعليم والتعلم لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله ، والإشارة أن من دأب أهل الحقيقة تربية الأتباع والمريدين ليكونوا ربانيين متخلقين بأخلاق الربانية العاملين بما يعلمون من الكتاب وبما كانوا يدرسون من العلوم ولا يقنعون على دراستها ولا يغترون بمقالات أخذوها من أفواه القوم .

وبعض مدعي هذا الشأن الذين غلبت عليهم أهواؤهم وصفاتهم البشرية يدعون المشيخة من رعونة النفس قبل أوانها ويخدعون الخلق بأنواع الحيل

ويستتبعون بعض الجهلة ويصيدونهم بكلمات أخذوها من الأفواه ويمكرون ببعض أهل الصدق من الطلبة ويقطعون عليهم طريق الحق بأن يمنعوهم من صحبة أهل الحق ومشايخ الطريقة ويأمروهم بالتسليم والرضا فيما يعاملونهم ولا يعرّفون غيرهم فيعبدونهم من دون الله تعالى كما هو دأب أكثر مشائخ الزمان ، فإنه ليس من دأب من يؤتى الكتاب والحكم والنبوة « روح البيان » في ٣٤١ الجلد الأول .

وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه :

لَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ إِلَيكَ حَقّا   فَمـا أَحَدٌ بِغَيْـرِكَ يَسْتَدِلّ
فَإِنْ وَرَدَ الشّتاءُ فَأَنْتَ كَهْـفٌ   وَإِنْ وَرَدَ المَصيفُ فَأَنْتَ ظِـلّ

« نفحات »١٨٧

وقال قطب العارفين السيد أحمد بن إدريس الحسيني قدس سره في « العقد النفيس » ١٣٣ : القول بلا علم من خطوات الشيطان ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ، ثم في آية الإفك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ .

ثم قال تعالى في الوعيد لهم : ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾ ، فقدم الألسن على غيرها ، وفي غيرها من المواضع يقدم السمع أو غيره على حسب ما يقتضيه المقام ، والمقام هنا يقتضي تقديم الألسن لأن الإفك وقع بها .

فانظر أيها المسترشد في تسمية الله تعالى للقول بغير علم ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ ، فلا ينبغي أن يقول الإنسان إلا ما يعلم ، والعلم ليس إلا من عند الله تعالى ورسوله ﷺ ، وهو آية محكمة أو سنة ماضية أو لا أدري .

قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة : « يا أبا هريرة ! علم الناس القرآن وتعلمه ، فإنك إن مت وأنت على ذلك زارتك الملائكة كما يزار البيت العتيق ، وعلّم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك ، وإن أردت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حديثا برأيك » .

وعدم الاعتماد على هذا هو الذي أنشأ الخلاف في الأمة والشقاق ، ولو وقفوا عند الكتاب والسنة لكان الأمة في طريقة واحدة التي سلكها الصحابة ﷺ الذين هم واسطة عقد نظام هذه الأمة ، فنشأ الخلاف من حين ابتداء التأليف والقول بغير (قال الله) (قال رسوله) وإحداث في الدين ما ليس فيه ، إنا لله وإنا إليه راجعون . « عقد » ١٣٤ .

تزيين بكلام العارفين[١] : وقال الشيخ العارف بالله أبو عبد الله القرشي ﷺ : لو خير العارف بين مائة ألف خصوصية أو كشف حجاب لاختار أن يكشف له ذرة من حجاب ، والحال ما جذبك إلى حضرته ، والعلم ما ردك إلى خدمته ، ولولا ضيق المجاري كنت ترى النور جاري ، وما منعك من شم نسيم القرب إلا زكامك ، ولا حجبك عن شهود النور إلا ظلامك ، ومن تزايد له حب في محبوبه بسبب جديد فهو في دعوى نهاية المحبة بعيد ، والحالة التي لا اعتراض عليها من ظاهر ولا باطن جمع لا شطح فيه وفرق لا شك فيه ، ومن أبدى من أسرار الله تعالى ما لا يليق إبداؤه وأفشى من العلم المكنون ما لا يناسب إفشاؤه عوتب بسوء الظنون فيه أو بما هو فوق ذلك من العقوبات .

وقال ﷺ : قال الله تعالى : ابن أدم ، لو زال عنك (أنا) للاح لك من أنا ، فانظر أيها المنصف إلى هذا القول .

وقال ﷺ : لا ينال الشيطان من آدميّ نيلا إلا إن نزل إلى أرض شهوته .

« ١ » اعلم أن العارف هن من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله فالمعرفة حال تحدث من شهوده « جامع » .

وقال ﷺ : إنما فرّ العباد من الناس لأنهم وجدوا منهم نتن جيفة الدنيا لظواهر بشريتهم ، وإنما أقبل العارفون عليهم لأنهم وجدوا معهم طيب ريح الأرواح لباطن خصوصياتهم .

وقال أبو عبد الله السنجري ﷺ : علامة الأولياء ثلاثة : تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وإنصاف عن قوة « نفحات » ١٦٠

وقال ﷺ : ما عمل العارفون في هذه الدار على حال ولا مقام ، وإنما عملوا على تحقيق انحيازهم إلى الله تعالى وإن الكل في طي ذلك .

وقال سيدي علي وفا ﷺ : من شهد أن القدوس هو القائم بالأمور لم يشهد فى الوجود إلا الكمال ، ومن انعكس انتكس ، إن لكم لما تحبون فاعبدوا ما شئتم .

وقال في قوله تعالى ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ أي لفظ الله هى العليا لأنه الاسم الأعظم الجامع لحقائق جميع الأسماء .

وقال ﷺ : من عرف الحق لم ير إلا الحق ، فما ذا بعد الحق إلا الضلال .

وقال ﷺ : من أحب أن يكون في حفظ رب العالمين فليخدم بصدق أولياءه العارفين .

وقال ﷺ : ما أحب الله تعالى عبدا إلا ملأ قلبه استغراقا في محبة مرضاته ، ولا كره عبدا إلا ملأ قلبه محبة لمكروهاته .

وقال سيدي محمد أبو المواهب الشاذلي ﷺ في إنكار بعضهم على من قال (حدثني قلبي عن ربي) : لا إنكار ، لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء ، وهو دون وحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا إنكار إلا على من قال (كلمني الله تعالى) كما كلّم موسى ﷺ ، ففرّق بين أخبر وكلم يا من أنكر وتوهم . انتهى

وقال ﷺ : أقسم الحي القدوس أن لا يدخل حضرته أحد من أصحاب النفوس ، واحذر أن تخرق سور الشرع يا من لم يخرج من عادة الطبع ، واحذر أن تقول أنا مطلوق من الحدود لأني دخلت حضرة الشهود ، فإن الذي دعاك هو الذي نهاك . انتهى .

وقال العارف بالله الشيخ داود بن ماخلا ﷺ : لو تنفس عارف في بلده ثبت إيمان كل عبد فيها ، وكل عارف لا يميت وجوده أمام مريده لا يصل مريده إلى الله تعالى .

وقال : أمام كل وصول غيبي عارض شهواني ، وما نظر مريد لعارف بعين توقير ووداد إلا كان سالكا سبيل حق ورشاد ، ولا يلوح لك نور حقائق الإيمان حتى تخرج من عامة الأكوان ، ومواد الحكمة منطوية في القوة الإنسانية ، وإنما يفضل الحكيم على غيره باستخراجها من القوة إلى الفعل ، فإن كان لك في الوصول نية فلا تبق منك بقية ، فابن آدم ذو وجودات مطوية ، فتبصروا في خلالها فعسى يلوح لكم شيء من جمالها .

وكان يقول : أمتعة الدنيا لطف وبركة لأنها بساط لعطاء لا ينقطع وفضل لا ينحصر .

قال بعض العارفين : إن العبد بالإكثار من ذكر الله تعالى يتجوهر قلبه حتى تنفتح له شقائق نعمان الجنان وتهتف برائق معناه حركات اللسان ، فإذا حصلت فهذه الحالة الشريفة والخاصة المنيفة لازمتها ملكة يقتدر بها على قلب الأعيان في كل زمان ومكان ، وهي التي تصرف بها في القلوب حتى ترهبت فيه كل مرهوب بإذن علام الغيوب .

ولذلك يقولون : الولي نهّاب وهّاب ، فلهبته يقال : الولي إذا أرادك أغناك ، والولي إذا شاء كون ، والولي إكسير لأنه كامل التدبير عملا بقوله ﷺ : « **لا يزال عبدي يتقرب إلي** » . إلى آخر الحديث » رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ .

أيجوّز عاقل حلول القديم تعالى ربنا عن الحدوث والحلول والمكان والزمان ، كان الله تعالى ولا زمان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، ولا ضد له ولا ند له ولا حد له ولا حدود ولا شبيه له ولا مثل له ولا كفؤ له ولا شريك له ولا وزير له ، له الملك والملكوت والعزة والجبروت ، وإنما معنى ذلك عبارة عن تغطية أوصاف المحبوب من البشر بأوصاف الملك الأكبر .

ومـعنى قوله « كنت سمعه الذي . . » إلى آخر الحديث : أجعل سلطان حبي غالبا عليه حتى يسلب منه الاهتمام بشيء غير ما يقربه إليّ فيصير منخلعا عن الشهوات ، ذاهلا عن الحظوظ واللذات ، مقيما بقلبه ، أينما يتوجه لقي الله تعالى بمرأى منه وسمع ، لا تطرق حالته الغفلة ، ولا تحول دون شهوده الحجة ، ولا يعتري ذكره النسيان ، ولا يخطر بباله الأحداث والأعيان ، يأخذ بمجامع قلبه حبّ الله ، فلا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحب الله تعالى ، ويكون الله تعالى في ذلك له يدا ومؤيدا وعونا ووكيلا ، يحمي سمعه وبصره ويده ورجله عما لا يرضاه .

وحقيقة هذا القول ارتهان كلية العبد بمراضي الله تعالى وحسن رعاية الله تعالى له . فإن العرب إذا أرادوا اختصاص الشيء بنوع منه والاهتمام به والعناية به والاستغراق فيه والوله والنزوع له سلكوا هذا الطريق ، تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذلّك يمدك بعزه ، تحقق بضعفك يمدك بقوته وحوله ، تحقق بفقرك يمدك بغناه ، فإن من ثبت له الفقر الأكبر ثبت له الغنى الأكبر .

ووجه الحيلة أن لا تكون للعبد حيلة حتى لا يركن إلى شيء سوى مولاه ، فمن تحقق بأوصاف العبودية يمده بأوصاف الربوبية ، لا سيما إذا لازم الذكر الذي هو مغناطيس العبودية ، فيستوحش أن يسمى بالعبد في الحضرة الإلهية فيمده بأوصاف الربوبية . وأدنى ذلك شهادته إسراع اللطف من اللطيف ، لأن من لازم العبودية والافتقار والاضطرار والاحتياج أسرعت إليه المواهب .

فمن أراد أن تسرع إليه المواهب فليستحق بالفقر ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ ، وجدير لمن اعترف بالملكية لمولاه أن يعتني به ثم لا يسأل عمن شاناه وناواه ، ومن لازمه إظهار إنعام مولاه عليه فيخلع هو على من يشاء ممن قصده أو أوى إليه ، وفي الأمثال : ضيف الكرام لا يضام ، وكيف لا يثبت ذلك لعبد أكرم الأكرمين ؟ !

وقال سيدي أبوالحسن الشاذلي ﵁ : وناده من البُسُط الأربعة : يا عزيز من للذليل غيرك ، يا قوي من للضعيف غيرك ، يا قادر من للعاجز غيرك ، يا غني من للفقير غيرك .

فإذا فعلت ذلك كانت الإجابة طوع يديك ، ويفهم من قوله ﷺ : « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » . الخ . قاله سيد أحمد زيني ﵀ .

ثم اعلم أيها الرشيد – أيقظك الله تعالى إلى أجلّ مقامات التوحيد – أن للأولياء علامات كثيرة .

فمن ذلك ما نقل عن ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ قال في وصفهم : « إذا رأيتهم ذكر الله تعالى » .

قال إمام العارفين الخواجه علي الحكيم الترمذي ﵀ في شرح هذا الحديث في كتابه « نوادر الأصول في أحاديث الرسول » : إن قلب الولي معدن أنوار الجلال الإلهي ومنبت كبرياء القرب وبهائه ، وظهور نور وجه المولى ناشئ من قلبه ، فإن[1] أحيا قلب العبد المؤمن بالحياة الطيبة بذلك النور يكون عكس ذلك النور على صحيفة جبينه لائحا فحق كل من نظر إلى وجه ذلك الولي المحبوب حصل له ذكر الحق تعالى[2] .

« ١ » في الأصل فإنه .

« ٢ »و هم الأولياء الذين عليهم سمات ظاهرة من الله تعالى قد علاهم بهاء القربة و نور الجلال و هيبة الكبرياء و أنس الوقار إذا نظر الناظر إليه ذكر الله لما رأى عليه من آثار الملكوت والقلب معدن هذه الأشياء و مستقر النور و شرب الوجه من ماء القلب فإذا كان على القلب نور سلطان الوعد والوعيد تأدى إلى الوجه ذلك النور فإذا وقع بصرك عليه ذكرك البر والتقوى « نوادر الأصول فى أحاديث الرسول للترمذي » .

ونقل عن حضرة العزيزان ما مضمون هذه وذلك أنك إذا جلست مع كل شخص ولم تجد قلبك يجتمع معه ولا سكنت منك زحمة الماء والطين فاجتنبه ، وإلا فلا يجعلك روح العزيزان في حل ، كما قال بعض العارفين ما يقاربه :

إذا أَنْتَ مَعْ شَخْصٍ جَلَسْتَ وَلَمْ تَجِدْ حُضورَكَ يَنْمـو فَاجْـتَـنِـبْـهُ وفارِقِ
ولا تَصْحَب الأَغْيارَ وَاخْتَرْ مُصاحِباً يُفيـدُكَ جَمْعَ القَـلْبِ مِنْ غَيْرِ عائِـقِ

فأشار حضرة العزيزان إلى علامة الولاية ، فالعبد ببركة مجالسة كبراء الحقيقة يصل من صحبة الماء والطين إلى صحبة الروح والقلب ومن القالب إلى جمعية .

وحضرة الخواجه ﷺ كان كثيرا ما يقول : للولي ثلاث علامات ، الأولى إذا رأيت وجهه أحبه قلبك ، الثانية إذا تكلم في المجلس سلب وجود الكل بحديثه ، الثالثة أن لا يحصل من عضو من أعضائه حركة مكروهة .

وفي الحديث القدسي : « إذا وجدتُ قلب عبدي خاليا عن الدنيا والآخرة ملأته حبي ، حتى إذا ملأته قبضت عليه فكان في قبضتي كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي يتكلم وبي يعقل » إشارة غامضة إلى هذه العلامات وذلك أن العبد إذا كان يقول بالحق ويسمع بالحق . . الخ كانت جميع حركاته وسكناته على أتم ما يكون من الحسن والقبول ، وكل من رآه أو سمع كلامه أحبه وصار متعلقا به ، قاله الخواجه ﷺ ، جعلنا الله تعالى من أتباعه آمين .

وقال السري السقطي ﷺ : بداية المعرفة تجريد النفس للتفريد للحق . « نفحات » ١٠٧

ثم اعلم أيها الأعز أن ثبوت المزية لا يقضي برفع الأحكام ، ولزوم الأحكام الشرعية لا يرفع خصوص المزية .

فمن ثبت عليه أو لزمه حد وقع عليه مع حفظ حرمته الإيمانية أصلا ، فلا يمتهن عرضه إلا بحجة على قدر الحق المسوغ .

وإن ثبتت مزية دينية لم ترتفع إلا بموجب رفعها ، فالولي ولي وإن أتى حدا أو أقيم عليه ما لم يخرج لحد الفسق بإصرار وإدمان فيفي ظاهر الحكم عنه بالولاية .

وقد ورد عن النبي ﷺ حديث : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » ، « لو سرقت فاطمة . . » وقد أعاذها الله من ذلك ، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ .

فمن ثم أفتى الشبلي قدس سره بقتل الحلاج والحريري قدس سره بضربه وإطالة سجنه وقال هو في نفسه : ما على المسلمين أهم من قتله نصحا للدين من دعاوى الزندقة ، لا إقرارا على نفسه وإعانة على قتله بما علم براءته من حقيقته والله أعلم ، قاله الشيخ ابن زروق أبو العباس أحمد قدس سره . فتدبر في نفاسة هذا القول .

ونقل عن حضرة الخواجه قدس سره ، سئل عن بعض مشائخ الطريقة قالوا : إن الولاية المحمدية ختمت بنا ، فقال حضرة الخواجه : إنهم ختم ولاية زمانهم .

نقل الخواجه علاء الدين - روّح الله تعالى روحه - عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : إن هذة الليلة جماعة من أقطاب الزمان وأوتاد الأرض حضروا ووضعوني في لباد أبيض ورفعوا أطراف ذلك على تخت عظيم ، وبعد الآن ليس عليّ غم أصلا .

ونقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : لي ستون سنة وأنا مؤمن بهذا الطريق .

وكان حضرة الخواجه قدس سره يقول : إن الصلاة والصيام والمجاهدة طريق إلى الوصول لحضرة الأحدية تعالت وتقدست ، ولكن لا يحصل هذا إلا بترك الاختيار ورؤية قصور الأعمال .

ومر يوما على حضرة الشريعة قدس سره لغط أن التعلق بالسوى حجاب كبير لسالك الطريق ، ثم ذكر بيتا بالفارسي مضمونه : إن التعلق حجاب بلا حاصل فإذا تخلصت من هذه العقد وصلت . انتهى

وقال الشيخ العارف داود بن ماخلا ﷺ : إذا مرت بك سحابة حقيقية غيبية فقف تحتها ، فهي إما أن تظلك وإما أن تبلك .

ومن علامة عدم حرية الرجل نقله قدمه حيث قاده هواه ، فاثبت على حسن قصدك لتحقق حصول مقصودك ، ومن دليل استقامة المؤمن شوقه لما ليس فيه هوى نفسه وخوفه ورجاؤه مما لا يلائم نفسه ، والمريد سيره بباطنه ، وظاهره تبع ، والعابد سيره بظاهره ، وباطنه تبع ، فالعابد يراقب أوراده ، والمريد يراقب وارداته .

وقال رضي الله تعالى عنه : ما تعلم العلماء العلم ليعصموا ، وإنما تعلموه ليرحموا ، وما تعلموا ليتحصنوا بعلمهم من الأقدار ، وإنما تعلموا ليفروا إلى الله تعالى باللجأ والافتقار .

وكان يقول : أحوال أهل المعرفة غريبة جدا ، فإنهم إن كانوا مع بشريتهم فحيتان في الماء ، وإن كانوا مع خصوصياتهم فطيور في هواءهم ، وإذا كانوا بوصف نفوسهم غرقى في بحار الدنيا ، وإن كانوا بوصف أرواحهم جوالون في أفق العالم الأعلى ، وكلما قلت الحيلة من المخلوقات كثر من الخالق التوفيق والإعانات ، وميزان الأنوار إلى قلوب المريدين صدق المحبة . انتهى .

وقال في « عوارف المعارف » : قال يحيى بن معاذ قدس سره وقد سئل عن وصف العارف فقال : رجل معهم بائن منهم .

وقال مرة : عبد كان فبان ، فأرباب النهايات هم عند الله تعالى بحقيقتهم موفقين بتوفيق الله تعالى الأجلّ ، جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه ، بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة ، كلامهم دواء ونظرهم شفاء ، ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم .

قال ذو النون قدس سره : علامة العارف ثلاثة : لا تطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ، ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى .

فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية ، وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا ، وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت عنهم شكرا صافيا ، يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهدى له شيء ، لأنه مقهور تحت السياسة ملطوف به ، وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية . انتهى

وقال الإمام الغزالي ﷺ في « الإحياء » : إن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء ، فإذا جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف ، يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه ، فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض ، وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا ، إلا أنهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم ، وهم درجات عند الله تعالى ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم .

فظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى عند ذوي الكمال من لذات الحواس كلها ، وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه ، وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ، ولكن يؤثرون الرياسة . انتهى .

وقال الشيخ ابن زروق ﷺ : المقصود موافقة الحق وإن كان موافقا للهوى ، حتى قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد ، وقد أغرق قوم في مخالفة النفوس حتى خالفوا الحق في طي ذلك .

ومنه استئذانهم في الواجب والضروري الذي لا يمكن انفكاكه وتركهم جملة من السنن لا بعينها مع ترك ما ألفو منها ، وهذا وإن كان مؤثرا في النفس فهو مشير للباطل وصائر بصاحبه لعكس القصد ، نسأل الله العافية .

ومما نقل عن بعض السادات أن بعض المريدين كان ينظر في وجه حضرة الخواجه ﵁ فقال له : لا تنظر إلينا فتضيع قلبك وتصير مجنونا ، يعني أن أنوار الحق الساطعة في وجهه الشريف لا يقدر على تحملها كل أحد ، كما أن الناظر إذا أحدق في عين الشمس تغرق بصره وضاع ، كذلك الناظر في وجه العارف إذا أحدق نظره كان سببا لضياع قلبه ، إلا أن يمده ذلك العارف بمدده ويعطيه من تلك الأنوار بحق استعداده اهـ .

وهذا دليل على كون حضرة بهاء الدين النقشبندي ﵁ قطب الوجود ، وذلك لما أن الظاهر من وصف القطب هو كالشمس المحرقة لا يطيق لصحبته وقربته أهل الظاهر وأيضا أثقل لأهل الباطن لشدة استغراقه إذ رباه الله تعالى بجلاله واحترق بتجليات الجلال ، فصار كالنار المحرقة كما ظهر من موسى ﵇ آثار التجلي إلى ما شاء الله تعالى ويكون الخضر ﵇ في خدمته لنظام أمره ، ومقامه مقام الاستغراق ، ومقام قطب الإرشاد فوقه في أمور الباطن ، لأنه صاحب التصرف ولا تصرف لقطب المدار ، إذ كل ما يظهر منه يظهر بلا اختيار كأنه كالآلة . كذا ذكره القطب غوث الأنام الذي صافحه رسول الله ﷺ أبو عبد الله محمود الفعال الألمالي ﵁ . وراجع ابن الفارض ٨٢ في حق قلب العارف . اهـ .

ولما كان الخواجه قطب الإرشاد مع كونه قطب الوجود باتفاق الأولياء الصالحين والسادات العارفين فاق من جميع الأولياء ولم يبق لأحد مجال للخروج من قوله ولا سبيل لتغيير كلامه ، فلزم على المرشدين والمريدين المسلسلين له العض بالنواجذ لكلامه واصطلاحه .

فمن أدخل برأيه خلاف رأي الخواجه - عياذا بالله - فهو مبتدع ضال ، ضلّ باتباع الهوى ، أعاذنا الله تعالى وإياكم من الخذلان الحاصل من الكدورات لحضرات جنابه وخلفائه القائمين على آدابه ، جعلنا الله تعالى في زمرة الصالحين آمين .

وقال الإمام الرباني ﷺ الرحماني في « مكتوباته » في ١٣٤ بما عبارته : وسئلت عن معنى القطب وقطب الأقطاب والغوث والخليقة وعن خدمة كل منهم ووظيفته وأنه هل لهم اطلاع على خدمتهم أم لا والبشارة بقطبية الأقطاب التي تجيء من عالم الغيب هل لها أصل أو هي من اختراع الخيال والوهم ؟

ينبغي أن يعلم أن كل اتباع نبي عليه وعليهم الصلاة والسلام إذا أتموا بالتبعية مقام النبوة يشرف بعضهم بمنصب الإمامة ، وبعضهم يكتفي بمجرد حصول ذلك الكمال ، وهذان المعظمان متساويان في نفس حصول ذلك الكمال ، وإنما التفاوت في حضور المنصب وعدمه ، وفي أمور تتعلق بذلك المنصب .

وإذا تم لأتباع الكمل كمالات الولاية بشرف بعضهم بمنصب الخلافة يكتفي بعضهم بمجرد حصول تلك الكمالات كما مر آنفا ، وكل من هذين المنصبين يتعلق بالكمالات الأصلية .

وأما في الكمالات الظلية فالمناسب لمنصب الإمامة ، يعني لأن يكون حذاءه وظله هو منصب قطب الإرشاد ، والمناسب لمنصب الخلافة منصب قطب المدار .

وكأنّ هذين المقامين التحتانيين ظلال ذينك المقامين الفوقانيين ، والغوث عند الشيخ محي الدين العربي ﷺ هو قطب المدار المذكور ، وليست الغوثية عنده منصبا على حدة وممتازة عن منصب القطبية .

وما هو معتقد الفقير أنّ الغوث غير قطب المدار ، بل هو ممده ومعاونه في أموره وشؤنه ، وقطب المدار يستمد منه في بعض الأمور ، وفي تعيين مناصب الأبدال ونصبهم له دخل أيضا .

ويقال للقطب باعتبار الأعوان والأنصار قطب الأقطاب أيضا ، لأن أعوان قطب الأقطاب وأنصاره حكام .

ومن هنا قال صاحب « الفتوحات المكية » : ما من قرية مؤمنة كانت أو كافرة إلا وفيها قطب .

واعلم أن صاحب المنصب صاحب علم البتة ، وأمّا الذي فيه كمال ذلك المنصب دون نفس المنصب فلا يلزم كونه من أرباب العلم وكونه مطلعا على خدماته .

والبشارة التي تصل من عالم الغيب هي بشارة حصول كمالات ذلك المقام ، لا بشارة حصول منصب ذلك المقام التي هي منوطة بالعلم . انتهى وراجع « العقد النفيس » ٢١٨ في قوله : أخفى الله ثلاثة الخ .

وقال مولانا وشيخ مشائخنا شاه غلام علي الدهلوي ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ : إن الأولياء على ثلاثة أقسام : أرباب الكشف والعرفان ، وأرباب الإدراك والوجدان ، وأرباب الجهل والنكران ، يعني بالأحوال الحاصلة والعرفان .

وقال : إن العقل النوراني ما يدل على المقصود من غير دلالة أحد ، والظلماني ما يسلك الطريق بمصباح هداية المرشد .

وقال : ينبغي للطالب أن لا يغفل عن المطلوب لحظة ، ذكره في « التعريب » لشيخنا محمد مراد المنزلوي ونفسي فداه .

وقال الشيخ أحمد سعيد الفاروقي ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ : قباب أهل الله تعالى صفاتهم البشرية ، يحتاجون إلى ما يحتاج إليه الناس ، فالولاية لا تخرجهم من الاحتياج ، والحقّ سبحانه سترهم بوجه لا يدرك ظاهرهم كمالات باطنهم ، فكيف يدرك ما عداهم ، فباطنهم رحمة الله و ماء حياة ، من شربه حيّ بحياة أبدية ، وظاهرهم نقمة من نظر إليه حرم من بركاتهم السنية ، فهم كنيل مصر ، ماء للمحبوبين وبلاء للمحجوبين اهـ .

قال العارف بالله ابن عباد النفزي رحمه الله تعالى في « شرح الحكم » : أمّا العارفون الموحدون فإنهم على بساط القرب والمشاهدة ، ناظرون إلى

ربهم فانون عن أنفسهم ، فإذا وقعوا في زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم ، كما أنهم إذا صدرت عنهم طاعة أو لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا في ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم ، لأن السابق إلى قلوبهم ذكر ربهم ، فأنفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره ، وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من أنواره ، ولا فرق عندهم بين الحالين ، لأنهم غرقى في بحار التوحيد ، قد استوى خوفهم ورجاؤهم ، فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ، ولا يزيد في رجائهم ما يأتون به من الإحسان .

قال شارح « المجالس » : العارفون قائمون بالله تعالى قد تولى الله تعالى أمرهم ، فإذا ظهرت منهم طاعة لم يرجو عليها ثوابا ، لأنهم لم يروا أنفسهم عمّالا لها ، وإن ظهرت منهم زلّة فالدية على القاتل ، لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء ، قيامهم بالله ونظرهم إليه وخوفهم هيبته ورجاؤهم الأنس به اهـ .

وأما غيرهم فبقوا مع نفوسم في نسبة الأعمال والأفعال إليها ، وطلبوا الحظ لها وعليها ، فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا إلى أحوالهم ، وإذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم ، كما أنهم إذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم ، فتعلقوا بالأسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الأرباب ، فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره فيدَّعيَ مقامات الخاصة من المقربين ، وإنما هو من عامة أصحاب اليمين الخ .

فالاعتماد على فضله سبحانه وكرمه أولى إن كان حرا عاقلا من الاعتماد على الأفعال المدخولة والصفات المعلولة ، لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة معرفتنا بالكريم المتفضل .

ولذلك قال ابن عطاء الله ﷺ : من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ، والله أعلم .

ومما نقل في « نوادر الأصول » بالنقل الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ما معناه : إن الصديقين من أمتي لهم مرتبة خلافة الأنبياء ، يدعون إلى ما يدعوا إليه النبي ﷺ .

وقال أبو يزيد ﵁ : آخر نهاية الصديقين أول أحوال الأنبياء .

ومن كلمات حضرة الخواجه القدسية : نهاية مقام عامة المؤمنين بداية مقام الأولياء ، ونهاية مقام الأولياء بداية مقام الشهداء ، ونهاية مقام الشهداء بداية مقام الأنبياء ، ونهاية مقام الأنبياء بداية مقام الرسل ، ونهاية مقام الرسل بداية مقام المصطفى ﷺ ، ومقام المصطفى ﷺ لا يعلمه شخص ، وفي الأول مقامات أرواحهم كذلك وفي يوم الميثاق كذلك ، هم على هذه المراتب المذكورة كانوا ، وفي القيامة أيضا يكونون على هذه المراتب وأسرارهم في محبة الحق تكون على هذه المراتب .

وفي كتاب « ختم الولاية » للإمام خواجه محمد الحكيم الترمذي قدس الله روحه أورد في آية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ أن ابن عباس ﵄ قرأ « ولا محدّث أيضا » ، وفيه إشارة إلى أن بعض أولياء الله تعالى كذلك من طريق الإلهام يقع لهم محادثة وخطاب من جانب الحق تعالى ، يعرف ذلك إن وصل ذلك المقام .

وفي « نوادر الأصول » في شأن هذا الصنف من الأولياء : ولما صفت عقول المحدثين وطهرت قلوبهم وتنزهت من الآفات والشهوات والعلائق كلموا على القلوب ، فإذا كان الكلام على الأرواح في المنام جزءا من ستة وأربعين جزأ من النبوة ، فلهذا كان على القلوب في اليقظة كثيرا وربما كان ثلث النبوة ، وربما كان نصفها ، وربما كان أكثر على قدر قرب القلوب من ربها في تلك المجالس والخلوات . انتهى ما قاله خواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره .

وقال صاحب « الحكم » ابن عطاء الله وشارحه النفري قدس سره : **مما يدلك على وجود قهره سبحانه وتعالى أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه ،**

اتفقت مقالات العارفين والمحقيقين وإشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبيل هذا من أن ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى ، إذ لو وصف به لكان ذلك شركة وإثنينية ، وهو مناقض لإخلاص التوحيد ، قال الله تعالى : ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « أصدق كلمة قالها الشاعر : ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل » .

قال بعض العارفين : أبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية .

و قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﵁ : إننا لننظر إلى الله تعالى ببصر الإيمان والإيقان ، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ، ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراهم ، وإن كان ولا بدّ فنراهم كالهباء في الهواء ، إن فتشتهم لم تجدهم شيئا .

وقال ابن عطاء الله قدس سره في « تنوير الصدر » : فما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد ، **إذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته** ، ولا **فقد لغيره لأنّه لا يفقد إلا ما وجد** ، ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان اهـ .

واعلم أيها الأعز أن من تحقق بأحوال العارفين كانت أحوال أهل الجنة له نقدا عاجلا .

قال أبو يزيد ﵁ : إذا أعطاك حلاوة من ذكره فماذا تريد بالجنة ؟ ! وقال في كلام آخر : رأيت أعظم شيء مما يعذبني الله تعالى به ، **فلم أجد أشد عذابا من الغفلة** .

فادخل يا أخى جنة العارفين بدوام حضورك ، واقطع العلائق وتبتل إلى مولاك في بطونك وظهورك ، وقد ورد **أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة لا يتحسرون إلاّ على ساعة مرت لهم في الدنيا بغير ذكر الله تعالى** .

فاحرص على هذه الحالة التي إذا دخل أهل الجنة الجنة لا يتحسرون إلاّ عليها ، وأنفق أوقاتك وأنفاسك فيها ، ذكره الشيخ ابن علان ﵀ في شرحه اهـ . « ابن بنت ميلق » ١٥ .

وذكر في « اليواقيت » : سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : الكامل من الأولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له ، فيسرق الناس ماله حال حياته ويسرقون ستره وشمعه بعد مماته ، فلا يقابل أحدا بسوء ، بخلاف الولي الناقص ، كل من تعرض له عطبه ، وذلك علامة على بقايا بخل عنده . ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا . انتهى من ١١٧ .

وقال أيضا : وقد ذكر الشيخ أيضا في الباب الحادي والسبعين : ثم اعلم أن فتوة أولياء الله تعالى إذا أذن لهم في الشفاعة أن يبدؤا بالشفاعة فيمن آذاهم في دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص ، وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى في الآخرة عند الله تعالى من التقريب وإجابة السؤال ، وقد كان في دار الدنيا يجهل ذلك ، وهناك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منهم الخوف الذي حصل لهم من أولياء الله تعالى في ذلك اليوم العظيم .

قال : وإنما لم يبدأ الأولياء بالشفاعة فيمن أحسن إليهم واعتقدهم في دار الدنيا ، لأن المحسن مطمئن بما قدم من الإحسان ، فعين إحسانه يكفيه ويكون شفيعا له عند الله تعالى ، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . انتهى

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل الفقير حتى يسأل الله تعالى العفو والصفح في دار الدنيا عن كل من سبّه أو ذمّه أو أنكر عليه ، ليوافي القيامة مغفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبّهم أو

أنكر عليهم من أهل الله ﷻ ، ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو أنكر عليه والله أعلم . اهـ من « يواقيت »١٩٢ .

وقال الإمام القشيري قدس سره : المعرفة صفة من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته ، ثم صدق الله تعالى في معاملته ، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظِي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق في جميع أحواله وانقطع عن هواجس نفسه ولم يصغِ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره .

فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إلى الله تعالى رجوعه وصار محدَّثا من قبل الحق سبحانه وتعالى بتعريف أسراره فيما يجري من تصاريف أقداره ، سمي عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة ، فبمقدار أجنبيته من نفسه تحصل معرفته بربه ﷻ . « تقريب الأصول » في ٥ .

وقال شيخ شيخنا قدس سره : وأما المعرفة فهي ما قطعك عن غير الله تعالى وردّك إلى الله تعالى ، وخصلتان يسهلان الطرق إلى الله تعالى المعرفة والمحبة ، **حبك الشيء يعمي ويصم عن غيره** ، واعرف الله تعالى ثم استرزقه من حيث شئت غير مكِبٍّ على حرام ولا راغب في حلال ، وانصح الله تعالى في عباده ولا تخنه في أمانته ، واعبد الله تعالى باليقين تكن إماما من أئمة الدين ، وانتقل عن علم الجهلة إلى الجهل تكن من الوارثين ، ولك أسوة من المرسلين ومتحقق من النبيين .

ومن نسب وأضاف وأحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكن أو أمن لشيء أو بشيء غير الله تعالى أو تعدى حدا من حدود الله تعالى فهو ظالم ، والظالم لا يكون إماما ، قال الله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ومن صدق الله في نفسه فهو إمام قلّت روايته أو كثرت ، ومن كان إماما فلا تضره أن يكون أمة واحدة وإن قلّت أتباعه ، وقيل : حقيقة المعرفة الغنى بالله تعالى عن جميع الأنام « جامع الأصول » ٤٦ .

وذكر في « تقريب الأصول » ٥٣ قال الشيخ الكبير داود بن ماخلارضي الله عنه : لولا أن الله تعالى قيد الأرواح بقيدين ثقيلين لطارت إلى الله تعالى طيرانا .

قال الشعراني رضي الله عنه : المراد بالقيدين الأمر والنهي ، وكان رضي الله عنه يقول : قلب العارفين يكتب وقلب المريدين يكتب فيه وقلب الغافلين لا يكتب ولا يكتب فيه .

وكان يقول : إذا بدت لك الحقائق كان علما ، وإذا بدت فيك كان كشفا ، والعالم الرباني في الوجود كالقلب والوجود له كالجوف ، وما جعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه ، ولو أن المدد الحقيقي ورد في هذا العالم من عارفين على السواء لسرى في قلوب الآخذين وجود الشرك الخفي .

قال الشعراني قدس سره : مراده أن الرتبة في كل عصر لواحد في نفس الأمر ، والزائد أعوان له والله أعلم . ومراده بالواحد القطب الغوث ، والله تعالى أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : لو كشف للعبد المؤمن أو العارف على ما في طي قلبه لأشرقت منه الأكوان .

وكان رضي الله عنه يقول : لا بد أن يجلس العارفون في الجنة ويحدثوا الناس حديثا فوق هذا من حديث الجنة وعملها وأدبها . اهـ . « تقريب الأصول » ٥٢ .

وكان يقول : لولا روح الحقائق ماتت الخلائق .

وكان يقول : لا بد للعارف من التنزل من عليّ همته إلى درجة مريده ليربّيه .

وكان يقول : لو لم يصبح واحد الزمان يتوجه في أمر الخلائق من البشر لفجأهم أمر الله عز وجل فأهلكهم .

قال بعض العارفين : وكأنه يعني بواحد الزمان القطب الغوث ، والله أعلم . « تقريب الأصول » ٥٣ .

وكان داود بن ماخلا ﷺ يقول : العابد يُسلم في عمره مرة والمريد يُسلم في عمره كذا وكذا مرة .

وأتباع كل طائفة يأخذون بلإيمان ، وأتباع هذه الطائفة يأخذون بالعيان . والعارف لا قلب له يعيش به لأنه بربه لا بقلبه .

وكان بعض العارفين يقول : عاش من لا قلب له .

وأنشدوا :

يقولون لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبِكَ لَارْعَوى فَقُلْتُ : وَهَلْ لِلْعارِفينَ قُلــوبُ

« تقريب الأصول » ٥٢ .

و قال في « الحكم العطائية » : مطلب العارفين من الله تعالى إنما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية ، مطلب العارفين من ربهم أعلى من مطالب غيرهم ، سواء كانوا عبادا أو زهادا أو علماء ، لأن مطلب العارفين من ربهم إنما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس ، وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والأغراض في مطالبهم ، وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى : خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك .

وقال سيدي أبو مدين ﷺ : شتان ما بين من همّته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور . اهـ صـ ٦٢ من « شرح الحكم »

خاتمة في بيان العارف بالله تعالى وصفاته

ذكر الشيخ محي الدين ﷺ في الباب السابع والسبعين ومائة أن العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى ، وإذا ذكر الله تعالى واستولى عليه الذكر يغيب عن الأكوان ، يهابه كل ناظر ، هو مع الله تعالى بلا وصل ولا فصل ، كثير الحياء ،

في قلبه التعظيم ، يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه ، بطنه جائع وبدنه عار ، لا يأسف قط على شيء لكونه لا يرى غير الله تعالى ، طيار مدى الدهر ، تبكي عينه ويضحك قلبه«[١]» ، هو كالأرض يطأه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يجب وما لا يجب لا يقضي مطره قط من شيء وذلك ليدوم افتقاره إلى الله تعالى ذوقا ، شأنه الفقر والذل بين يدي الله تعالى ، يفتح له في فراشه كما يفتح له في صلاته ، وإن اختلفت الواردات بحسب المواطن وأطال في ذلك .

ثم قال : وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما بالحق في جمعيته ، نافذ الهمة ، مؤثرا في الوجود على الإطلاق من غير تقييد ، لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله تعالى ، جهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان ، لا يعرف مقامه فيجد ولا يفارق العادة فيتميز ، هو خامل الذكر مستور المقام عامّ الشفقة على خلق الله تعالى ، عارف بإرادة الحق تعالى قبل ظهور المراد ، فيريد بإرادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده ، شديد في لين ، يعلم مكارم الأخلاق من سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم ، يتبرأ ممن تبرأ الله تعالى منه ، يحسن إليه مع البرآة منه ، يشاهد لتسبيح المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها ، لا يظهر إلا لعارف مثله .

وأطال في ذلك ثم قال : وقد اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم ، فقالت طائفة : مقام المعرفة رباني ومقام العلم إلهي ، قال : وبه أقول ووافقني على ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين ﷺ ، وطائفة قالت : مقام المعرفة إلهي ومقام العلم كذلك ، وبه أقول أيضا ، فإنهم إن أرادوا بالعلم ما أردنا بالمعرفة ، وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي ، وعمدتنا قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ فسماهم

«١» بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه عز وجل يفرح قلبه .

عارفين وعلماء ، ثم ذكر قولهم فقال : ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ ولم يقل : يقولون « إلهنا آمنا » ولا « علمنا » ولا « شهدنا » .

وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا المبحث أن طريق المعرفة بالله تعالى عند القوم إنما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر«١» ، وتأمل قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ كأنه تعالى يقول : ما حذرناكم من النظر في ذات الله تعالى إلا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما أثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونها بأدلتكم العقلية فتحرمون الإيمان بها فتشقون شقاء الأبد .

ولذا اختلفت مقالات أهل النظر في الله تعالى ، وتكلم كل بما اقتضاه نظره ، فنفى واحد عين ما أثبته الآخر ، وما اجتمعوا على أمر واحد في الله تعالى من حيث النظر في ذاته ، وعصوا رسله بما تكلموا به مما نهاهم الله تعالى عنه نهي شفقة ورحمة بهم ، فرغبوا عن رحمة الله تعالى وضل سعيهم .

فاثبت يا أخي على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته أو لم تفهمه ، فإنه تعالى أعلم بنفسه وأصدق في قوله ، والله تعالى أعلم « يواقيت » ٥٨ .

« ١ » كما في « اليواقيت » ج ١ ، ص ٨٧ – ٨٨ .

فصل

في التوكل واقوال السادات فيها وفي الصدق واليقين وكونهم مع الأسباب والزهد وقبول الهدايا وأمثالها والتفويض والاستسلام

وقال الشيخ الكبير محفوظ بن محمود النيسابوري ﷺ : التوكل أن يأكل العبد بلا طمع ولا شره « نفحات » في ١٨٢ ، وقال الشاذلي ﷺ : حقيقة التوكل أن تدع التدبير من خُلُقِك ، وقيل : حقيقته نسيان كل شيء سواه ، وسره وجود الحق دون كل شيء يلقاه ، وسر سره ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه ، وحق التوكل صرف القلب عن كل ما سوى الله تعالى ، وكتب بعضهم إثباتا للأسباب بمقتضى الحكمة الإلهية و هذا تحقيق التوكل وأعلى درجاته ما نصه : إنما كان هذ المقام لأن فيه القيام بالعبودية ، والقيام بالعبودية أتم فيه حيث راعى صاحبه الحكمة التي اقتضتها إرادة الله تعالى مع اعتقاده أن السبب لا تأثير له والمؤثر هو الله تعالى وحده ، وأما المقام الثاني الذي يقطع صاحبه النظر عن الأسباب ، فصاحبه لم يراع الحكمة التي اقتضتها إرادة الله تعالى في وضع الأسباب التي أجرى العادة بحصول الشيء عندها لا بها ، فلم تتم العبودية لصاحب هذا المقام لأنه يريد أن الله تعالى يخرق له العادة ويبطل تلك الحكمة ، فهو وإن كان سكونه إلى الله تعالى ، لكن عبوديته لم تكمل ، ولهذا كان المقام الذي صار لمريم بعد كمالها وخوطبت فيه بقوله تعالى ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أتم وأكمل وأعلى من المقام الأول الذي كان لها قبل الكمال الذي أشير إليه بقوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ .

لكن يشترط لمن يتلبس بالمقام الأعلى أن لا يتعمق في الأسباب ، بل يتعاطى الأسباب الخفيفة التي أجرى الله تعالى العادة يقينا أوظنا عند حصولها أنه يوجد الشيء عندها لا بها مع كمال وثوقه بالله تعالى واعتقاد أن لا مؤثر سواه ، ويتبرأ من حول نفسه وقوته ، فهذا أكمل في العبودية من كون العبد

يريد أن يخرق الله تعالى له العادة ويوجد له الشيء بلا تعاطي سبب وكذا التعمق في الأسباب ، فإنه مناف لمقام العبودية ، بل مناف للتوكل ، كما حققه الإمام الغزالي ﷺ في « الإحياء » اهـ .

وذلك أن الإمام الغزالي ﷺ في « الإحياء » قسم الأسباب في كتاب التوكل إلى سبب مقطوع به ومظنون وموهوم ، وقال : إن تعاطي السبب المقطوع به والمظنون لا ينافي التوكل ، بشرط اعتقاد عدم التأثير مع اعتقاد أن المؤثر هو الله تعالى وحده ، وأما تعاطي السبب الموهوم حصول الشيء عنده فإنه مناف للتوكل .

قال : فالمقطوع به مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ومشيته ارتباطا مطردا لا يتخلف ، كما إذا كان الطعام موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج إليه ، ولكنك لست تمد يدك إليه وتقول : أنا متوكل ، وشرط التوكل ترك السعي ، ومد اليد إليه سعي وحركة ، وكذا مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء .

وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن الله تعالى يخلق نباتا من غير بذر ، أو تلد زوجتك من غير وقاع . فكل ذلك جنون .

فالتوكل في أمثال ذلك تعاطي تلك الأسباب ، مع العلم بأن الله تعالى خالق للطعام واليد وغير ذلك ، وخالق للشبع عند أكل الطعام ، لا أن الطعام هو المشبع ، فيكون سكون قلبك واعتمادك على فضل الله تعالى .

الرتبة الثانية الأسباب التي ليست متيقنة ، ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل بدونها ، كحمل الزاد في السفر مع الاعتماد على الله تعالى ، لا على الزاد .

الرتبة الثالثة ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة ، كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في طلب الاكتساب

ووجوهه ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل ، وهي التي نسبتها إلى دفع الضر نسبة الكيّ والرقية ، انتهى ما قاله السيد أحمد زيني ﷺ في « تقريب الأصول »[1] .

وقال قطب الطريقة النقشبندية ﷺ : الكاسب حبيب الله تعالى ، إشارة إلى كسب الرضا لا إلى كسب الدنيا ، وقال ﷺ : كل من سلّم نفسه للحق سبحانه وفوّض أمره إليه تعالى فالتجاؤه لغير الحق شرك فهو معفو من أهل العموم وأما أهل الخصوص فغير معفو عنهم .

وقال ﷺ : ينبغي للمتوكل أن لا يرى نفسه متوكلا ويخفي توكله في الكسب .

والتـــوكـــل هو الاكتفاء بعلم الله تعالى فيك عن تعلق قلبك بسواه ، فإذا علمت أن الله تعالى عالم بحالك ، قادر على كفايتك ، أرحم بك من أبيك وأمك بل ومنك ، انجمع قلبك عليه ولم تتوجه بقلبك إلا إليه ، ولم تنطرح إلا بين يديه وذلك من أعظم ما يحتاج إليه السالك في سلوكه ، واحتياجه إليه أشد من احتياج الظمآن إلى الماء .

وأما اليقين فالمراد منه الاعتقاد الجازم بأن ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ حق لا شك فيه ، على وجه يستولي ذلك على قلب السالك ويصير له كالعيان ، فتعلم حالا وذوقا أن الله تعالى ما خلق سائر الجن والإنس إلا ليعبدوه .

فلم يخلق لك الحواس إلا لتصرفها في الطاعة ، ولم يخلق لك القلب إلا لتجعله موضعا لذكره والفكر فيما يوصلك إليه ويقربك منه وأن لا تشغله بسواه ، فمن حصل له اليقين الذوقي على هذا الأسلوب لم يصرف اللسان إلا في ذكره ، ولم يصرف الأذن إلا في استماع كلامه وكلام رسوله وكلام أوليائه وكل شيء يوصله إلى مولاه ، ولا يصرف بصره إلا فيما ينفعه ويرشده إلى طريقه .

« ١ » راجع « العقد » في التوكل ١٥٩ ، و« رماح » في ٤٢ ج١ ، و « تنوير » في ٥٧ , وفي ٢٧ ، وفي ٥٣ ، و « يواقيت » في ١٩٧ ج ، و« سهلي » في ٣١ ، وفي ٣٢٩ ، وفي ٤٩ ، وفي ٦٩ ، في قوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ في المواضع تفصيل التوكل ، فراجعها .

وهكذا يحاسب نفسه في جميع النعم التي أنعم بها عليه مولاه ، حتى يحوز مقام الشكر الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى به عليه فيما خلق لأجله ، فيستوجب المزيد كما قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

وأصل ذلك كله التحقيق بمقام اليقين ومعرفة أن الله تعالى مطلع عليه في كل وقت ، فالحق سبحانه وتعالى مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال ، فأيما قلب رآه[1] مؤثرا له حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن ، وهذا المقام قطب دائرة أهل الطريق . . الخ .

ثبتنا الله تعالى وإياكم بالقول الثابت وهدانا إلى الصراط المستقيم آمين .

وقال الشيخ أحمد بن علان قدس سره : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الآية ، أي كافيه وناصره .

وحقيقة التوكل كما قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه أن تكتفي بعلم الله تعالى عن تعلق القلب بما سواه ؟ ! وصاحب هذا المقام لا يلتفت في نصرته إلى زيد ولا إلى عمرو ولا إلى أحد من الخلق ولا إلى نفسه وحوله وقوته ، لأن الكل سواء ، وهو لا يعرج على غير المولى .

قيل لأبي يزيد رضي الله عنه : فوّض أمرك إلى الله تعالى فقال : ليس لي أمر فأفوضه إليه وفرقان بين الأمر من الله سبحانه وتعالى وبين الأمر من العبد « عقد » ٥٨

وما أحسن ما قال في هذا المعنى :

أنا لا أعْرِفُ إلا أنْتُـــمُ   فَاجْبُروني بِعَطآءٍ مِنْكُمُ
كُلُّ شَخْصٍ وَعَـــزيـزٍ   لَيْـــــسَ إلا أنْتُـــمُ

واسمع ما قال الله تعالى في كتابه العزيز تحقيقا لهذا المعنى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ .

« ١ » أي الحق تعالى .

وكذلك المشائخ الكمل إذا قيل لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، ينصرهم الله تعالى على يدك أيها الطالب أو على يد غيرك ، والسعيد من أسعده بخدمتهم ووفّقه لنصرهم ومحبتهم .

وإذا سَخَّرَ الإلهُ أناساً لِسَعيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَداءُ

انتهى

وذكر القطب الشعراني ﷺ في « اليواقيت » ما لفظه : **خاتمة في بيان أن الاكتساب لا ينافي التوكل .**

ولا ينبغي نصب خلاف في أن السعي أفضل من التوكل على هذا ، لأن الحق تعالى جعل الرزق على حالين ، فما سبق في علم الله تعالى أنه يأتيك محمولا بلا سعي لا يقال فيه أن السعي أفضل ، وما سبق في علم الله تعالى أنه لا يأتيك إلا بالسعي في تحصيله لا يقال فيه ترك السعي أفضل ، فإن الرزق في طلب صاحبه دائر ، والمرزوق في طلب رزقه حائر ، وبسكون أحدهما يتحرك الآخر ، ولكن هذا الحال يحتاج إلى كشف ، ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعي وعدمه ، وغالب الخلق يقولون كل شيء رأيناه يحتمل أن يكون قسم لنا ، فتراهم يتجاذبونه ، وكل من غلب صاحبه تبين أنه له كالزقاق الذي يدخله الجاهل ، فإن رآه ينفذ خرج منه ، وإن رآه مسدودا رجع .

ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية ، وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا .

قال ابن السبكي ﷺ : والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الناس ، فمن كان في توكله خاليا من التسخط إذا ضاق رزقه ، ولا تتطلع نفسه إلى ما في أيدي الناس ، فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ، ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا ، فالاكتساب في حقه أرجح من التسخط والتطلع .

وقد سئل حسن البصري ﷺ عن شخص يريد أن يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول : أنا متوكل على الله تعالى ، فقال : إن كان له يقين كيقين إبراهيم عليه السلام فليفعل ، وإلا فليخرج إلى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا . انتهى

وقال الشيخ محي الدين قدس سره في باب الجنائز من « الفتوحات » : اعلم أن اضطراب قلب المؤمن في أمر رزقه لا يقدح في أصل إيمانه ، وإنما يقدح في كماله فقط ، وذلك لأن هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في أن الله تعالى لا يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ، ولكن لم يُعْلِمْه الحق متى يرزقه ، إنما أعلمه أنه لا يموت حتى يستكمل رزقه ، فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون فزعه من الموت ، أم رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب ، فيخاف من ألم الجزع المتوقع أو من دوامه إن كان وقع ، فهذا سبب الاضطراب . انتهى

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي ، وإن لامه أحد على ذلك يقول : سعيي لأجل العيال ، لا لأجل نفسي ، فمثل هذا يجب عليه أن يمتحن نفسه بأن يفرق جميع ما يكتبسه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيئا وينظر ، فإن وجد في نفسه رائحة اضطراب فليعلم أنه غير متوكل على الله ، وإنما هو مدع كذاب ، فإن القوم ما سعوا في الرزق إلا امتثالا لأمر الله تعالى حتى لا تتعطل الأسباب ، فهمتهم امتثال الأمر ، لا الاعتماد على الأسباب والله أعلم . انتهى « يواقيت » ١٩٨ .

وفي « تعريب » مولانا محمد مراد المنزلوي رحمه الله تعالى ما نصه : كان شيخ مشائخه« ١ » قدس سره موصوفا بكمال الزهد والتوكل ، وكان له استغناء تام عن الدنيا وأهلها ، وكان لا يقبل هداياهم إلا قليلا ، وكان يقول : وإن ورد

« ١ » مشائخه حبيب الله مرزا جان جانان قدس سره .

المنعِ عن رد الهدية ولكن لم يرد الأمر بوجوب أخذها أيضا ، وما هو يقين الحِليَّة فأخذه بركة ، فإن جاء أحد من أصحابي بشيء من الهدايا على وجه الإخلاص والاحتياط فأقبله ، وأما هدايا الأمراء والأغنياء فلا يخلو أكثرها من شبهة تعلق حقوق الناس بها ، وما هو كذلك يعسر الخروج عن عهدة حسابه يوم الحساب لما ورد في « سنن الترمذي » : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه » فالتأمل في أخذ الهدايا ضروري .

قيل : كان ﷺ مرة في أيام شدة البرد مرتديا برداء خَلِق فقط ، وكان النواب خان فيروز جنك حاضرا فيه ففاضت عيناه بالدموع من مشاهدة هذا الحال ، وقال لواحد من مصاحبيه : ما أسوأ إقبالنا وما أبعدنا من السعادة حيث أن وليا من أولياء الله تعالى قد ثبت انتسابنا إليه ، ومع ذلك لا يقبل هديتنا ، فقال له حضرة مولانا : إني نويت الصوم من قبول هدية الأغنياء ، وقد حان الآن وقت غروب شمس العمر ، فإن أفسدت صومي يلزم علي لكفارته عشرة كرونكه من الروبلة« ١ » ، وكان يقل من أكل طعامهم أيضا قائلا بأن ظلمة طعامهم تكدر نسبة الباطن ، ولهذا قيل : شر الطعام طعام الأغنياء . ذكره في « التعريب » .

وقال الشيخ عبد الله الملقب بشاه غلام علي الدهلوي ﷺ : لا بد في هذه الطريقة من أربعة أشياء : اليد المكسورة والرجل المكسورة والدين الصحيح واليقين الصريح ، فاليد المكسورة أن لا تمدها إلى الأغيار بالسؤال ، والرجل المكسورة أن لا تذهب بها إلى باب الأغنياء تاركا باب المولى المتعال ، والدين الصحيح ما لا ينقص من آدابه شيء ، واليقين الصريح ما لا يعتريه شك .

وقال الشاذلي رضي الله عنه : حقيقة الصدق موافقة الحق في السر والعلانية ، وحقيقة الإخلاص نسيان كل مذكور سوى المعبود .

« ١ » لكوك من الروبية كذا في الأصل .

فحاصل المطلوب أن من يريد الوقوف على باب مولاه وتمنى أن يفتح له باب القرب ورجاه ، فعليه أن يحفظ حواسه من كل ما فيه الاشتباه ، ويصون نفسه عن الحرام والشبهة ليتنور بالتصفية باطنه ، ويوافق بورعه سره وعلانيته ، لما أن آكل الحرام والشبهة مطرود عن الباب بغير شبهة .

ألا ترى أن الجنب ممنوع عن دخول بيته ، والمحدث يحرم عليه مس كتابه مع أن الجنابة والحدث أثران مباحان ، فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام وخبث الشهوات ؟ ! لا جرم أنه أيضا مطرود عن ساحة القرب ، غير مأذون له في دخول الحرم . « كشكول » [٢٣١] .

وسئل القطب الحسيني السيد أحمد بن إدريس ﷸ فى « العقد النفيس » عن التوكل ، فقال ﷛ : قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ ، وذلك أنهم علموا أن النصر لا يكون إلا من الله تعالى ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ ، فوكّلوه وفوّضوا ولم يعترضوا لأن الموكِّل لا يعترض على الوكيل إلا لأحد الأمرين : إما أن يكون متّهما للوكيل بنوع خيانة أو أنه ليس عالما بالمضار من العدو فيدفعها أو غير عالم بجلب المنافع لموكله فيجلبها ، وكل ذلك غير مجوّز على الله ، تعالى الله علوا كبيرا ، فلما صدقت الوكالة له جل وعلا لم يتكلوا على كثرة ولا اكترثوا من قلة ، فنجاهم من عدوهم ونصرهم عليهم . وفي يوم حنين يقول الله تعالى فيهم : ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ .

وذلك لأنه أصابهم ما أصابهم لأنهم اتكلوا على أنفسهم فوكلهم إليها فانهزموا ، ولم يبق إلا الرسول ﷺ فعمت المصيبة جميع الصحابة ، ولم يتكلم بتلك الكلمة إلا البعض وهي قولهم « لن نغلب اليوم من قلة » .

فانظر إلى هذه المصيبة التي أصابتهم من الله تعالى ، لكنها في الحقيقة من أنفسهم ، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾

ثم انظر إلى الحسنة ما تكون إلا من عند الله سبحانه ابتداء ، فإنك إذا فعلت الحسنة فمن أقدرك عليها ؟

لَكَ الحَمْدُ ياربِّي عَلى كُلِّ نِعْمَةٍ وَمِنْ أَعْظَمِ النَّعْماءِ قَوْلي لَكَ الحَمْدُ

انتهى ما في « العقد النفيس » ٢١

و قال الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره في كتابه « خمرة الحان في شرح كلام الشيخ أرسلان » قدس الله أسرارهم : التوكل على الله تعالى متعلق بالإيمان ، أي التوكل على الله تعالى ظاهرا و باطنا بترك الاهتمام والاعتماد على غير الله تعالى من جميع الأسباب الشرعية كالطاعات للثواب والمخالفات للعقاب والعاديات كالأكل للشبع وشرب الماء للري ولبس الثوب لستر العورة ودفع ألم البرد والحر ونحو ذلك ، أو العقل كاستعمال الحواس لإدراك الجزئيات أو الفكر لإدراك الكليات وما أشبه ذلك .

فإن اعتماد المكلف بقلبه على شيء من هذه الأسباب واتكاله عليه وطمأنينة قلبه به يمنعه من التوكل على الله تعالى ، إلا أن الاشتغال بهذه الأسباب كلها مع عدم الاعتماد عليها بالقلب وعدم طمأنينة القلب بها ، فإن ذلك لا يمنع من التوكل عليه تعالى ، وهذا هو المطلوب من المكلف في معاطاة الأسباب دون الأول .

وقال مولانا أبو الحسن الخرقاني قدس سره النوراني لما سئل أن الإنسان من أين يعرف أنه غافل أم يقظان ؟ قال : إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فكان من الفرق إلى القدم من خشية الله تعالى ملآن فهو يقظان .

وسئل عن الصدق فقال : الصدق أن يتكلم بالجنان ، يعني يترجم لسانه ما في جنانه « رشحات » .

وقال في « المصباح » اليقين : هو العلم الحاصل عن نظر واستدلال ولا يقبل الاحتمال ، وعين اليقين ما حصل من مشاهدة وعيان ، وحق اليقين ما حصل عن العيان .

قال سبط ابن الفارض قدس سرهما :

تَـنـقَّـلْ إلى حَــقِّ اليَقينِ تَنَزُّهاً عَنِ النَّقْلِ والعَقْلِ الذي هُوَ قاطِعُ

يعني تنقل عن علم اليقين الذي هو للعوام إلى عين اليقين مرتبة الخواص ، إلى حق اليقين مرتبة خواص الخواص ، فإن اليقين ما نزلت به الكتب وجاءت به الرسل من الشرائع والأديان والأخبار الصادقة .

فالعوام يعملون فقط ، والخواص يعاينونه بالكشف عنه فقط ، وخواص الخواص يتحققون به في ذواتهم أنه حق مضاف إلى اليقين . « تنوير الصدر » ١٨٤ .

وقال النابلسي قُدِّسَ سِرُّهُ : إن مشاهدة حق اليقين لا تنفع إلا إذا كان العبد في مقام الفناء ، وما دام العقل حاكما لا يصل لهذا المقام .

وإيضاح ذلك أن يقال : إن لله تعالى بيتا بمكة ثابتا بالأدلة القطعية يجب على القادر السعي إليه والطواف به فهذا هو علم اليقين الثابت بالأدلة ، فإذا شاهده وعاينه ببصره فهذا عين اليقين ، فإذا أشهده الله تعالى وحققه به بحيث يشاهد نسبته إلى الله تعالى فهذا هو حق اليقين . « منه » وراجع « سهلي » ٢٩

وفي ١٢٦ : علم اليقين عين اليقين حق اليقين ، راجع « خمرة الحان » للنابلسي في ٢٩ على متن : **واليقين خروجك عنك** . . الخ .

وفي « نوادر الأصول » : أن لأهل اليقين حظا من النبوة ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : « إن الهدى الصالح والسَّمْتَ الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزءاً من النبوة » ، فثمرة محبة أولياء الله تعالى سعادته بلا نهاية ، وعداوتهم سبب لغاية الخسران . انتهى

وأمـــــا اليقين فقالوا : من علم اليقين بالله وبما لك عند الله أن تتعاطى بين الخلق ما لا تصغر به عند الحق وإن صغرت به في أعين الخلق بلا اعتراض من الشرع ولا منازعة من الطبع .

بل من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد ، بل من حق اليقين الغرق في شيء كأنك نفس الشيء ، كمن اضطر إلى رؤية البحر فركبه وانكسرت سفينته فتلاطمت عليه أمواجه ، فمنهم من يعد« ١ » ويفنى ويذهب مع الذاهبين وينقل إلى درجات العليين ، ومنهم من يحيا ويبقى مع الباقين ، لا حظ للمقتدي به ، بل هو مستور عن الخلق أجمعين ، ومنهم من يبقى برزخا بين الحق والخلق ظاهرا بالنعتين كاملا في الوصفين قدوة للثقلين .

ومنهم الإمام الأكبر الفرد القطب الغوث الجامع المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق ، وما لا يسع أن يسمعه سامع ، ومن دونهم من لا درجة له من الأولياء والعباد والزهاد ومن أهل النظر بالدليل والبرهان ولم يطلع بعد على الكشف والعيان ، ومن دونهم أهل الوسائل بالأعيان والأحوال وأهل التخليط في الأفعال والأقوال ، من يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء .

وقال الشاذلي رضي الله عنه **: إن كنت مؤمنا موقنا فاتخذ الكل عدوا** كما قال إبراهيم عليه السلم : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وإن كنت محمديا فاتلُ هذه الآية : ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ﴿ والمؤمنون﴾ أخرج الفعل بشيئين الماضي والاستقبال تحقيقا للرسول والمؤمنين ، وأما الله تعالى فلا ماضي ولا استقبال عنده ، إذ لا يتحد عنده شيء« ٢ » .

« ١ » لعله يعود .
« ٢ » تنبيه إلى نفي اتحاد الله تعالى مع أحد من خلقه ، إشارة لقوله : فسيرى الله ورسوله والمؤمنون .

وقال ﷺ : الصادق الموقن لو كذبه أهل الأرض ما ازداد بذلك إلا يقينا ، ولو صدقه أهل الأرض لم يزد به إلا تمكينا .

وقال ﷺ : أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه وهو غني عن كل شيء : المحبة لله تعالى والغنى بالله تعالى والصدق واليقين ، الصدق في العبودية واليقين في أحكام الربوبية ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون . انتهى .

وقال قدس سره : وفي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين » وضعف اليقين إنما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة ، قال أبو طالب المكي ﷺ : وأضرّ ما ابتلي به العبد وأدخله وأعمله في هلاكه وأشده لحجبه وإبعاده ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة ، وقوة اليقين أصل كل عمل صالح .

وقال بعض هذه الطائفة : قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله : كيف الطريق إلى التحقيق والوصول إلى الحق ؟ قال : لا تنظر إلى المخلوقات فإن النظر إليهم ظلمة ، قلت : لا بد لي منهم ، قال : فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة ، قلت : لا بد لي منهم ، قال : فلا تعاملهم فإن معاملتهم خسران ووحشة وحسرة ، قلت : أنا بين أظهرهم ولابد لي من معاملتهم ، قال : فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة ، قلت : هذا لعلّة ، قال : يا هذا تنظر إلى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن إلى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات ! هذا لا يكون أبدا .

وقال ﷺ : حقيقة الاستقامة وجود الإقامة على بساط المشاهدة .

وقيل : هي الثبات على الحق بعون الحق . اهـ .

وقال شيخ شيخنا ﷺ في « جامعه » : الاستقامة في اللغة ضد الاعوجاج ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم .

والصراط المستقيم رعاية حد التوسط والعدل في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس والنكاح وكل أمر ديني ودنيوي ، فذلك هو الصراط

المستقيم في الدنيا كالصراط المستقيم في الآخرة ، ومن هُدي إلى معرفة الصراط المستقيم في الدنيا كان سببا لنجاته عند مروره عليه في الآخرة ، والهداية إلى معرفته من أعظم نعم الله تعالى على العبد ، قال الله تعالى : ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ، وقال في حق النبي ﷺ : ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ وقيل : الاستقامة أن لا تختار لنفسك غيرما يختاره الله تعالى لك ولا تدبّر لها أمرا .

وقال الشبلي قُدِّسَ سِرُّهُ : هي أن تشهد الدنيا قيامة وقد مدح الله تعالى المستقيمين بقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الآية ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لم يشركوا بالله تعالى شيئا ، وقال عمر رضي الله عنه : لم يروغوا روغان الثعلب ، أي لعبه ، فقول الصديق رضي الله عنه محمول على مراعاة أصول التوحيد ، وقول عمر رضي الله عنه محمول على ترك طلب التأويل .

وقيل : معناه : استقاموا بأفعالهم كما استقاموا بأقوالهم .

وقال النبي ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة » .

وقال أبو علي الدقاق قُدِّسَ سِرُّهُ : الاستقامة لها ثلاثة مدارج : أولها التقويم وهو تأديب النفس ، وثانيها الإقامة وهي تهذيب القلوب ، وثالثها الاستقامة وهي تقريب الرب .

واعلم أن الاستقامة درجة بها تمام الأمر وكماله ، وهي مقام لا يطيقه إلا الأكابر ، يؤيده ما حكي عن بعض المشائخ أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال له : يا رسول الله ! روي عنك أنك قلت : « شيبتني سورة هود » ، فما الذي شيبك فيها قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال : لا ، ولكن قوله تعالى : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ .

وقيل : إن الاستقامة توجب دوام الكرامة ، وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ . انتهى ما في « الجامع » ١٢٤ .

وقال بعض السادات : علامة صحة الأحوال استقامة الأفعال ، قال ﷺ لمن قال أوصني : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

و ذكر في « تقريب الأصول » ما عبارته : قال الإمام القشيري ﷺ : واعلم أن مدار الأمر كله في الوصول إلى الله تعالى الاستقامة والعمل على منهاج الشريعة مع الاقتداء والمتابعة للنبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من أمته ، وكل من للشرع عليه اعتراض فهو ممكور به مخادع ، وقد ارتحل عن بعض القلوب حرمة الشريعة فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة لمقاصدهم الخسيسة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام ، فعدوا ذلك في جملة الصدق وهو جهل منهم ، فكيف يكون صادقا من لم يعظم ما عظمه الله تعالى ولم يحترم من أمره الله تعالى باحترامه واستخفوا بأداء العبادات التي هي وسيلة لحضور القلب مع الله تعالى ، فإذا حضر[1] المُتَوَسَّلُ إليه أغنى عن الوسيلة . اهـ ٩٩

« ١ » في الأصل : حصر .

فصل

في الإخلاص وما فيه من علامات الخواص والاستقامة واليقين والصدق

اعلم أيها الموفق السعيد أن الإخلاص والاستقامة ليس فوقهما شيء ، و هما جوهران لا قيمة لهما وقل وجودهما ، والواجد هو الفائز ، ونحن نسمع اسمهما ولا نراهما ، كأخبار الجن نسمع ولا نرى ، وهما توأمان لا بد لأحدهما عن الآخر ، ورأس الأمر مربوط عليهما بالعروة الوثقى ، فإن حل منهما فلا أمر ولا شيء ، وللسادات فيهما كلام كثير ، ونذكر في أرجوزتنا هذه نبذة منهما ، جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما آمين .

وذلك أن حقيقة الاستقامة هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس في كل أمر ديني ودنيوي ترغيب وترهيب أو حال أو حكم أوصفة أو معاملة .

وذلك هو الصراط المستقيم كالصراط المستقيم في الآخرة ، والتمشي على هذا الصراط الذي يقال له الاستقامة الاعتدالية عسير جدا ، لأن الاستقامة على جميع حدود الله تعالى على الوجه الذي أمر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر .

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « شيبتني هود » ، ومن يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيّد بالمشاهدة القوية والآثار الصادقة ، ثم بعناية الله تعالى به وتفضله عليه بالتثبت كما قال تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ ثم بحفظ وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب ، ولولا هذه المقدمات لتفسخ دون هذا الخطاب ، ألا تراه كيف قال للأمة : « استقيموا ولن تحصوا » ، أي لن تطيقوا الاستقامة التي أمرت بها .

وذكر في « اللواقح » : سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : من أقل درجات الإخلاص أن يكون في أعماله كلها كالدابة المحملة ، فهي تعبانة من ثقل حملها منكسة الرأس ، لا تعلم بنفاسة ما هي حاملته ولا بخسته ، ولا تعلم هو لمن ولا إلى أين ينتهي حملها ، ولا ترى لها بذلك فضلا على غيرها من الدواب ، ولا تطلب على حملها أجرا . اهـ

وقال بعض المشائخ : صحح أعمالك بالإخلاص وصحّح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة . اهـ

ومما رواه الأئمة في الإخلاص مرفوعا قوله ﷺ : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض » رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

وروى البيهقي مرسلا أن رجلا قال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : : « الإخلاص » ، قال : فما اليقين ؟ قال : « الصدق » .

وروى الحاكم وقال صحيح الإسناد أن معاذ بن جبل قال : يا رسول الله أوصني ! قال ﷺ : « أخلص نيتك يكفك العمل القليل » .

وروى البيهقي مرفوعا : « طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تنجلي« ١ » عنهم كل فتنة عظمآء » .

وروى البيهقي أيضا والبزار مرفوعا أن الله تبارك وتعالى يقول : « أنا خير شريك ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فهو لشريكي وأنا منه بريء ، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله ، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص ، ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم ، فإنها لوجوهكم وليس لله منها شيء » .

وفي رواية لأبي داود وغيره بإسناد جيد مرفوعا : « إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه » .

« ١ » في الأصل تتجلّى .

وروى الطبراني مرفوعا : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ما ابتغي به وجه الله تعالى » .

وروى الحافظ رزين العبدري مرفوعا ومرسلا : « من أخلص لله تعالى أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

قال الحافظ المنذري : ولم أقف لهذا الحديث على إسناد صحيح ولا حسن ولا على ذكره في شيء من الأصول التي جمعها رزين ، والله أعلم .

وروى الإمام أحمد والبيهقي مرفوعا : « قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعة وعينه ناظرة » . انتهى

وروى الحافظ أبو نعيم عن عائشة ﵂ أنها كانت تقول : من رأى نفسه من المخلصين كان من المرائين ، ومن رأى نفسه من المرائين كان من المخلصين . والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة ، أعرضنا عن ذكرها .

وقال حضرة الخواجة ﷺ الولاية نعمة عظيمة ، ينبغي للولي أن يعرف أنه ولي حتى يقوم بشكر هذه النعمة العظيمة والولي محفوظ والعناية لا تتركه يتجاوز الحدود وتصونه عن الآفات البشرية والاعتماد على ظهور خوارق العادات والأحوال والكرامات فالمعتبر هو الاستقامة في الأفعال والأقوال .

قال الشيخ عبد الرحمن السلمي رحمه الله في كتابه « حقائق التفسير » لهذه الآية : ﴿فاستقم كما أمرت﴾ : نقل عن واحد من أرباب الحقيقة أنه قال : كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة

ومن كلام هذه الطائفة لو أن وليا دخل بستانا وسمع من ورق كل شجرة من ذلك البستان يا ولي الله ينبغي أن لا يكون له التفات سعيه في الظاهر ولا في الباطن لتلك الأصوات بل ينبغي أن يكون كل لحظة في تحقيق صفة العبودية والتفرغ في الزيادة وكمال هذا المقام ، كان ﷺ كلما كان الإنعام

والإكرام الإلهي عليه أكثر كان تضرّعه ومسكنته وعبوديته أكثر ولذلك قال أفلا أكون عبدا شكورا وكلما يقدر على الولي من القصور الحكمة في ذلك نفي وجود بشريته . انتهى

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ ينبغي أن يحصل يقينا لا يحصله ماء ولا يحرقه نار مثلا إذا حصل لشخص يقين بوجود قمح لا يقدر شيء أن يذهب بهذا اليقين بخلاف استحضار وجود قمح في الذهن فإنه قد يقع عنه ذهول بسبب تعارض أنواع الاشتغال . انتهى

وقال الإمام الرباني قدس سره : من كان في قلبه مقدار خردلة سوى هو الحق فاعلم أنه مرض إن تحلية الظاهر بالشريعة الغراء وربط الباطن على الدوام بالله أمر عظيم أي صاحب دولة يتشرف بشرف هاتين النعمتين العظيمتين والجمع بين هاتين النسبتين في هذا الوقت بل الاستقامة على ظاهر الشريعة عزيز الوجود جدا بل أعزّ من الكبريت الأحمر . رزقنا الله سبحانه وتعالى من كمال كرمه كرامة الاستقامة بمتابعة الشريعة وأذاقنا حلاوة الطريقة وأسعدنا بعرفان الحقيقة إنه جواد كريم .

قيل لمحمد بن الفضل ﷺ : حاجة العارفين إلى ماذا ؟ قال : حاجتهم إلى الخصلة الواحدة التي كملت بها المحاسن كلها ، ألا وهي الاستقامة ، فكل من كان أتم معرفةً كان أتم استقامةً .

وذكر في « تقريب الأصول » أيضا ما قاله الشبلي ﷺ : إن الاستقامة أن تشهد الوقت الذي أنت فيه قيامة قامت ، تستشعر فيها قيامك بين يدي مولاك ، فتحسن استقامتك له في دنياك وتنظر الأمر المطلوب منك في ذلك الوقت فتأتي به مخلصا لله تعالى[1] .

« ١ » رزقنا الله تعالى الإخلاص في النيات والصدق في العبادات وأدامنا على ذلك إلى المماة إنه قريب مجيب الدعوات آمين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين .

وقال أبو علي الجرجاني رضي الله عنه : كن طالب الاستقامة ، لا طالب الكرامة ، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة ، ومولاك يطلب منك الاستقامة ، فالكرامة الكبرى الاستقامة في خدمة الخالق ، لا بإظهار الخوارق ، ولا تتيسر الاستقامة إلا بإيفاء حق كل مرتبة من الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة ، فمن رعاية حد الشريعة العدالة في الأحكام ، فالاستقامة في مرتبة الطبيعة برعاية الشريعة ، وفي مرتبة النفس برعاية الطريقة ، وفي مرتبة الروح برعاية المعرفة ، وفي مرتبة السر برعاية المعرفة والحقيقة .

فمراعاة تلك الأمور في غاية الصعوبة ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « شيبتني هود » ، فالكمال الإنساني بتكميل تلك المراتب ، لا بإظهار الخوارق .

سئل أبو يزيد البسطامي قدس سره : ما الكمال عندك ؟ فقال أن تكون في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق .

والحاصل أن النفوس جبلت على الاعوجاج عن طريق الاستقامة ، إلا ما اختص منها بالعناية الأزلية والجذبة الإلهية ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، ومن لم يصبه رشاش النور الإلهي عند قسمة الأنوار فما له من نور يخرجه من الظلمات ، فالبعيد عن الشقاء من سبقت له الحسنى ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ ، فالحسنى هي السعادة ، ومن آثار سبق العناية الأزلية أن لا يسمعوا حسيس جهنم القهر ، وحسيسها مقالات أهل الأهواء والبدع المشوبة بالوهم والخيال وظلمة الطبيعة ، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . كذا في « تقريب الأصول » لسيد زيني قدس سره .

وقال أيضا : وقال ابن زكريا قدس سره في شرح قول « الحكم » : **من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله تعالى إليه لم يصمت إذا أساء** : كما ذكرنا هذا ، أي إذا حدثتك نفسك أيها المريد بأنك تأهلت للاقتداء وإظهار العمل والتحدث بالنعم ، وأن ذلك مقامك الذي أقامك

الله تعالى له وتوهمتَ حصول النتائج ، فاختبر حالك بهذا ، فإن كان يلحقك عند الإساءة قصور وخجل وانقباض فلست هناك .

قال : والكلام مع أهل الإرادة ، وأما العامة أمثالنا الذين إلى الآن لم يتوجهوا للطريق فالحذر من تسويل النفس لهم وتزوير الشيطان .

وذكر في الحكمة التي قبل هذه ، وهي قوله : **من علامة إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج** أن كمال الاستقامة التزام العبودية ، وذلك لا ينحصر في عمل مخصوص وحالة معينة ، فقد يحصل ذلك بالتعلم ، وقد يحصل بالتعليم ، وقد يكون بالعزلة ، وقد يكون بالاجتماع ، وقد يكون بالأسباب إلى غير ذلك من مختلفات الأحوال ، فالشأن أن تقيم حيث أقامك الله تعالى وترضى بما اختاره لك .

وعلامة ذلك أن تعبر من بساط إحسان الله إليك ، لا من بساط إحسانك أنت ، وأن تكثر الشكر لله تعالى في جميع الأحوال .

وحقيقة الشكر أن تصرف جميع ما أنعم الله تعالى به عليك فيما خلق لأجله ، فيشمل ذلك المال والبدن والأعضاء الظاهرة والباطنة ، فمتى استعملت شيئا منها في غير ما خلق له ، كان ذلك كفرانا لتلك النعمة انتهى .

قال بعض العارفين : لما نزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قلقت الصحابة خوفا من كونهم لا يقدرون على القيام بمعنى ذلك ، فأنزل الله تعالى رحمة لهم : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ .

فالاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر ، لأنها الخروج عن المعهودات والمألوفات ومفارقة الرسوم والعادات من حظوظ النفس والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ، ولذلك قال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا » .

قال الواسطي قدس سره : الخصلة التي كملت بها المحاسن هي الاستقامة ، حتى لو فقدت من أحد ثم ادعى كرامة قبح ذلك منه وعدّ نقصا في حاله ، ولو جرى ذلك له كان استدراجا ومكرا .

نعوذ بالله من بلائه وفتنته ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ . انتهى وراجع « سهلي » في ٨٠ و « العقد النفيس » ٢٥٣ .

واعـــلم أن الصدق أخص من الإخلاص ، فإن الإخلاص تجريد العمل من الشوائب كلها قليلها وكثيرها ، حتى لا يكون له باعث غير قصد التقرب ، فلا يبعثه عليه قصد الحظ العاجل ولا الآجل ، وهذا إخلاص خاصة المقربين .

وأما الأبرار فإخلاصهم السلامة من الرياء والسمعة ، وإن لاحظوا طلب الثواب والفرار من العقاب .

ثم إن إخلاص المقربين هو العمل بقصد الامتثال من غير طلب جزاء وإن أمكن حصوله ، فللنفس فيه تلبيس ومخادعة كثيرة فمن للعامل بصدقها وسلامتها من العيوب«١» حتى يحصل الصدق وهو مطابقة الباطن للظاهر فأنى لك به ، ومن يهدي للملوك الأمور النفيسة ليس كمن يهدي لهم شيأ معيبا ، فإن المهدي للمعيب إلى العقوبة أقرب .

فالعامل على خطر يخاف أن يظهر في عمله عيب أخفته نفسه ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ ، ولهذا وصف الله الكاملين بقوله : ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ .

فإذا حصل الريب في السلامة من العيب تكفيك السلامة من العقاب ، فالواجب على العبد أن يكون مستحيا من مولاه ، منكسر القلب بشهود التقصير في العبودية ، فبذلك تحقق فاقته واضطراره ، وخير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذاتك ، وبذلك يكثر العطاء ، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآية .

« ١ » أي كيف للعامل أن يتيقن سلامة عمله وأنى له بذلك ؟

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين قال له أوصني يا رسول الله ، قال : « أخلص لله يكفك القليل من العمل » « سهلي » ١٢٩

وقال الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس سره : **تصحيح أمور النية مهم في الغاية ،** لأن النية من عالم الغيب لا من عالم الكسب ، فلذلك لم يُصَلِّ ذلك الكبير في الدين يعني ابن سيرين جنازة الحسن البصري وقال : لم تحضرني النية .

وقال تاج العارفين ابن عطاء الله قدس سره في « الحكم » : الأعمال صور قائمة ، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها« ١ » .

إخلاص كل عبد في أعماله على حسب رتبته ومقامه ، فأما من كان منهم من الأبرار فمنتهى درجة إخلاصه أن تكون أعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي وقصد موافقته أهواء النفس ، طلبا لما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب ، وهربا عما أوعده به المجرمين من أليم العذاب وسوء الحساب ، وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي لا نعبد إلا إياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك ، وحاصل أمره إخراج الخلق عن نظره في أعمال برّه مع بقآء رؤيته لنفسه في عمله والاعتماد عليها .

وأما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا إلى عدم رؤيته لنفسه في عمله فإخلاصه إنما هو في شهود إنفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه في ذلك حولا ولا قوة ، ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذى به يصحّ مقام الإخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ ، أي لا نستعين إلا بك ، لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا .

فعمله الأول هو العمل لله تعالى ، وعمله الثاني هو العمل بالله تعالى ، فالعمل لله تعالى يوجب المثوبة ، والعمل بالله تعالى يوجب القربة ، والعمل لله تعالى يوجب تحقيق العبادة ، والعمل بالله تعالى يوجب تصحيح الإرادة ،

« ١ » وقال الشاذلي : حقيقة مشاهدة الغيوب بكشف القلوب ، وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأفكار .

والعمل لله تعالى نعت كل عابد ، والعمل بالله تعالى نعت كل قاصد ، والعمل لله تعالى قيام بأحكام الظواهر ، والعمل بالله تعالى قيام بالضمائر ، وهذه العبارات للإمام أبي القاسم القشيري ﵁ ، وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما في الشرف والجلالة .

فإخلاص كل عبد هو روح أعماله ، فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ، ويكون فيها أهلية وجود القبول لها .

وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار ، وتكون إذ ذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان اهـ .

وذكر العارف ابن عباد النفزي في شرحه على « الحكم » : قيل لسهل بن عبد الله التستري ﵁ أي شيء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص ، لأنها ليس لها فيه نصيب .

وقال يوسف بن الحسين ﵁ : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر .

قال الشيخ أبو طالب المكي ﵁ : والإخلاص عند المخلصين إخراج الخلق عن معاملة الخالق ، وأول الخلق النفس ، والإخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لأجل النفس ، وإلا دخل عليه مطابقة العوض أو تشوف« ١ » إلى حظ طبع ، والإخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن النظر إليهم في الأفعال ، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال اهـ .

وقال شيخ شيخنا ﵁ : وأما الإخلاص فقالوا : الإخلاص نور من نور الله تعالى استودعه الله تعالى قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره ، فذلك هو أصل الإخلاص ، ثم يتشعب أربع شعب : إرادة الإخلاص في العمل على التعظيم لله تعالى ، وإرادة الإخلاص على التعظيم لأمر الله تعالى ، وإرادة الإخلاص لطلب الأجر والثواب ، وإرادة الإخلاص في تصفية العمل عن

« ١ » التشوّف هو الترقّب والتطلّع .

الشوائب أن لا يراعي فيه غير ذلك ، وكل هذه الإرادات استعبدنا بها[1] ، فمن تمسك بواحدة منها نجا وأخلص لهم درجات عند الله تعالى والله تعالى بصير بما يعملون .

وأشار إلى ذلك بقوله : الإخلاص سر من سري استودعته من أحببته من عبادي .

وقال الشاذلي رضي الله عنه : رأيت كأني أطوف بالكعبة طالبا من نفسي الإخلاص وأنا أفتش عليه في سري ، فإذا النداء : يا علي كم تدندن مع من يدندن وأنا السميع القريب العليم الخبير وتعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين ما خلا علم الرسول وعلم النبيين ، وإنما مرادك الإخلاص وهو على ضربين : إخلاص الصديقين وإخلاص الصادقين ، فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب ، وإخلاص الصديقين لنظر وجود الحق مقصودا له ، لا لشيء من عنده ، فمن استودع ذلك في قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله : ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾

وقال رضي الله عنه : إن أردت السلامة من الغرور فأخلص العمل لله تعالى بشرط العلم ، ولا ترض عن نفسك بشيء .

وقال سهل رضي الله عنه : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله خاصة .

وقال آخر : الإخلاص أشد شيء على النفوس ، لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقال آخر : الإخلاص في العمل أن لا يريد صاحبه عوضا في الدارين .

وقال المحاسبي قدس سره : الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب تعالى .

وقال آخر : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها .

وقال الجنيد قدس سره : تصفية العمل من الكدورات . « كشكول » ٢٢٨

« ١ » أي تعبّدنا بها فإرادتها عبادة .

وقال في « تقريب الأصول » : الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق ، بأن لا تفرح برؤيتهم لما أنت فيه من العمل ليمدحوك ، وأن لا تخشى أن ينقصوك .

ولا بد أن تكون مع الإخلاص صادقا ، والصدق التنقي عن مطالعة النفس بأن تتخلص من الإعجاب ، فلا تستحسن عملك ولا تضيفه إلى نفسك .

فالمخلص لا رياء له ، والصادق لا إعجاب له ، ومتى شهد العبد في إخلاصه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، بل سماه بعضهم رياء فقال : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين ، فحق المخلص أن لا يرى إخلاصه ولا يسكن إليه ، فمتى خالف ذلك لم يكمل إخلاصه .

وقال ذو النون رضي الله عنه : من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من جميع الناس .

وقال الشيخ أبو عثمان المغربي قدس سره : الإخلاص ما لا يكون فيه للنفس حظ بحال ، بأن لا يكون فيه رياء ولا عجب ، وهذا إخلاص العوام ، وأما إخلاص الخواص ، فهو ما يجري عليهم من ربهم من الأعمال خالصة كاملة ، فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ، فلا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد ، وإنما اعتدادهم برحمة ربهم وفضله عليهم ، فذلك إخلاص الخواص في أعمالهم الجارية عليهم من ربهم .

والكلام في الإخلاص كثير اختصرنا على هذا . انتهى من « التعريب »١٠١

فصل

في الزهد

و اعلم أن الزهد المرغوب من مقامات التوكل التي هي أعلى المقامات ، والعارفون يتنافسون فيها ويصلون إلى الله تعالى بها ، ولا يحصل مقام التوكل إلا لمن صفت سريرته وسعدت عريكته .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه : إذا أردت عز الدارين فادخل في طريقتنا هذا يوما أو يومين .

وما أحسن ما قال بعضهم :

حَرامٌ عَلى مَـنْ وَحَّـدَ اللهَ وَحْـدَهُ وَأَفْـرَدَهُ أَنْ يَحْـتَـذيْ أَحَـداً رِفْـدا
فَيا صاحبي قِفْ بي مَعَ الحَقِّ وِقْفَةً أموتُ بِها وَجْداً وَأَحْيا بِها وَجْدا
وَقُلْ لِمُلوكِ الأَرْضِ تَجْهَدُ جَهْدَها فَذا المُلْكُ مُلْكٌ لا يُباعُ وَلا يُهْدى

رأى شخصٌ إبراهيم بن أدهم ﷺ وهو يرقع ثوبه فقال له : ما عوضك الله تعالى يا إبراهيم عن ملك بلخ ؟ قال : شيء لا يصل إليه عقلك ، ولكن أظهر لك شيئا مما تفهمه ، فرمى بإبرته إلى البحر ودعا الله تعالى أن يردها عليه ، فإذا كل حوتة في فمها إبرة من ذهب فقال : يارب ما أردت إلا إبرتي ، والتفت إلى ذلك الشخص وقال : هذا مما أعطاني مما تفهمه .

وما أحسن ما قال صاحب « الحكم » في مناجاته : إلهي ما وجد من فقدك وما فقد من وجدك ، لقد خاب من رضي دونك بدلا ، ولقد خسر من بغى عنك متحولا اهـ .

وقال العارف ابن زروق ﷺ : الزهد في الشيء برودته عن القلب حتى لا يعتبر في وجوده ولا في عدمه ، فمن ثم قال الشاذلي ﷺ : والله لقد عظمتها إذ زهدت فيها ، قلت : يعني بالظاهر ، لأن الإعراض عنها تعظيم

لها وتعذيب للظاهر بتركها ، كما أشار إليه ابن العريف ﵀ في « مجالسه » والهروي ﵀ في « مقاماته » .

وقد قال أيضا ﵁ : رأيت الصديق في المنام فقال لي : علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد ، كحال الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، إذ لم ينظروا إليها عند الفقد ولا شغلتهم عند الوجود ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ ، وما قال : لا يبيعون ولا يتحركون .

وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم ، قيل : ولم ذلك ؟ قال : كانوا أزهد منكم في الدنيا . ابن عباد ٣٩ في « سلك العين » ٤٨٢

وقد أدب الله تعالى الأغنياء بقوله : ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ وأدب الفقراء بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ ثم قال تعالى : ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ ، وذلك لا يقتضي عينا ولا وقتا ، فلزم التزام كل ما أمر الله تعالى به ، فافهم .

وقال أيضا : ما ذمّ لا لذاته قد يمدح لا لذاته ، ومنه وجود المال والجاه والرياسة ونحو ذلك مما ليس بمذموم لذاته ولا محمود في ذاته ، بل يحمد ويذم لما يعرض له ، ولذلك ذم عليه الصلاة والسلام الدنيا بقوله : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها » ، ومدحها بقوله : « فنعمت مطية المؤمن » ، وأثنى سبحانه على قوم طلبوا الرياسة الدينية إذ قالوا : ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « وأسالك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة » ، وقال ذلك الرجل له عليه الصلاة و السلام : دلني على عمل إن عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » الحديث . وقال يوسف الصديق ﵇ : ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ، إلى غير ذلك .

فلزم اعتبار النسب وتحقيق المقام إباحة ومنعا ، والمحاشاة أقرب لسلامة الضعيف من باب ضعفه لا لخلل في ذات الحكم ، إذ الأصل الإباحة .

ومن ثم قال عليه الصلاة و السلام لأبي ذر ﵁ : « إنك رجل ضعيف ، وإنك إن تطلب الإمارة وكلت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، فافهم انتهى من « القواعد » .

وقال أيضا : وملك العبد لما بيده من أعراض الدنيا غير متحقق له ، بل إنما هو خازن فيه لقصره عليه تصرفا وانتفاعا دون غيره ، ومن ثم حرم الله تعالى عليه الإقتار والإسراف حتى عدّ رسول الله ﷺ في المنجيات القصد في الغنى والفقر ، ونهى ﷺ عن إضاعة المال ، إلى غير ذلك .

فمن ثم قال لنا أبو العباس الحضرمي ﵁ : ليس الشأن من يعرف تفريق الدنيا فيفرقها ، إنما الشأن من يعرف كيفية إمساكها فيمسكها ، قلت : وذلك لأنها كالحية ليس الشأن في قتلها وإنما الشأن في إمساكها وهي حية .

وفي حديث : « ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك » .

وقال الشيخ أبو مدين ﵁ : الدنيا جرادة ورأسها حبها ، فإذا قطع رأس الجرادة حلت .

وقال الشيخ أبو محمد عبد القادر ﵁ لما سئل عن الدنيا : أخرجها من قلبك واجعلها في يدك ، فإنها لا تضرك انتهى .

وكل هذه الجمل تدل على أن الزهد فيها ليس عين تركها ، فافهم « منه »

وقال سيدي أبو المواهب رضي الله عنه : لما طلب موسى عليه السلام من الحق الرؤيا زيادة على ما آتاه من الكلام لم يجبه وقال : فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، فدلت الآية أنه لا ينبغي للعبد أن يطلب الزيادة على ما أعطاه الله تعالى إلا مع التفويض . « تقريب » ٧٨

فصل

في الرياء ومتعلقاتها

قال السيد أحمد زيني ﷺ نقلا عن « الحكم » : حظ النفس في المعصية ظاهر جلي ، وحظها في الطاعات باطن خفي ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه ، وذلك لأن حظها في التلذذ بها ، فإنها لا تطلب منك التلبس بالمعصية إلا لأجل أن تلتذ بها ، فيحصل لك الوبال والنكال ، وحظها في الطاعة باطن خفي لا يطلع عليه إلا أرباب البصائر ، وذلك لأن في الطاعة مشقة عليها ، فإذا أمرتك بالطاعة لم تعلم حظها فيه إلا بعد تفتيش ، فقد تريك أن حظها فيها التقرب إلى الله تعالى ، وفي الباطن ليس لها حظ إلا إقبال الناس عليك واشتهارك بينهم بالصلاح .

ومن حاسب نفسه وراقب خاطره تبين له مصداق هذا ، ومداواة ما يخفى أي زوال حظوظها الخفية صعب علاجه لأنه يحتاج إلى دقة فهم ونفوذ إدراك .

فأرباب البصائر يتهمون نفوسهم إذا مالت إلى عبادة من العبادات ويفتشون عن سبب ميلها إليها ، فإن كان لحظ من حظوظها تركوها أو عالجوا نفوسهم في حال فعلها ، حتى تكون خالصة لله تعالى .

وقد يجد الشخص من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع آخر ، وما ذاك إلا لأجل أن حظها فيه أكثر من الآخر ، فإذا كان من أهل البصائر انتقل عما مالت نفسه إلى غيره ، فإن طاوعته لم يكن لها في الاشتغال بذلك النوع حظ ، وإلا كان لأجل حظها .

ومن ذلك فعل الطاعات مع الرياء ، فإنه قد تحبه النفس ولو لم يره الناس ، لأن حظها إذا رآه الناس ظاهر جلي ، وأما إذا لم يروه فإنه باطن خفي ، وذلك في شخص فعل الطاعة في مكان لا يراه فيه أحد ، فيظن أنه مخلص فيه ليس عنده شيء من الرياء مع أن الرياء أخفى في النفس من دبيب النمل ، فيحتاج هذا الشخص إلى امتحان نفسه حيث ادعت الإخلاص .

وقد ذكروا لذلك علامات يعرف بها أنه مخلص أو مراء ، فإن كان يحب بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ، ويحب مسارعتهم إلى قضاء حوائجه بحيث إذا قصر أحدهم في حقه الذي يزعم أنه يستحقه حسب ما قام بنفسه يستبعد ذلك ويستنكره ، ويجد في نفسه تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره وإهانته وإهانة غيره ، فهو مراء بعمله وإن أخفاه عن أعين الناس ، حتى أن بعض من كان كذلك يظهر ذلك على لسانه ويتوعد من قصر في حقه بمعاجلة الله تعالى بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر له ويأخذ بثأره ، وذلك كله يدل على سخافة عقله وأنه مراء بعمله ، طالب به الثواب من الخلق لا من الخالق .

واعلـــــم أيها الأمين أن الدين قد امتزج بالرياء ، خاصة في زماننا هذا ، والمتشيخون خاضوا فيها لأجل جلب حطام هذه الفانية ، قد فرحوا بالنفاق وامتزجوا والتبسوا في العيان واشتبهوا وما لأقوالهم إذا كشفت حقائق بل جميعها شبه ، وسنبين قدرا منها إن شاء الله تعالى ، وذلك أن حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الخلق ، يفعل العبد عبادة ، و يبني مسجدا ورباطا ويتصدق بصدقة ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه ، ويكون مقصده رؤية الخلق دون رضا الرب تعالى ، فإن كان مقصده محمدة الخلق فقط فهو شرك . والرياء كبيرة عظيمة قال ﷺ : « لا أخاف على أمتي في شيء كما أخاف من الشرك الخفي ، ألا وهو الرياء » .

وعلاج ذلك شديد لامتزاجه بقلب الأدمي وترسخه فيه ، وسبب صعوبته أن الأدمي منذ كبر ونشأ بين الناس رآهم يتراءون فيما بينهم ويزين بعضهم بعضا ويمدح بعضهم بعضا ، وعلاجه علمي وعملي ، أما العلمي فأن يعلم ضررة أن كل ما يفعله الآدمي إنما يفعله لوصول لذة إليه في الوقت أو في ثاني الوقت ، فإذا علم العافية والعاقبة وجب أن يترك تلك اللذة في الحال . هكذا قاله الخوارزمي في « المفيد » اهـ مختصرا .

فصل

في ذكر البلاء وأهلها وما لهم عند الله تعالى من الأجور بها والصبر عليها

قال ابن عباد النفزي ﵀ في « شرح الحكم » : قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي ﵁ : ولقد مرضت في سالف أيامي مرضة ، فلما شفاني الله تعالى منها مثّلت في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين في قدر أيام علتي فقلت : لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها ، إلى أيهما يميل اختياري ، فصح عزمي ودام يقيني ووقفت بصيرتي أن مختار الله تعالى أكثر شرفا وأعظم خطرا« ١ » وأنفع عاقبة ، وهي العلة التي دبّرها لي ولا شوب فيه إذا كان فعله ، فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به ، فلما رأيت ذلك دق في عيني عبادة الثقلين في مقدار تلك المدة في جنب ما آتاني ، **فصارت العلة عندي نعمة** ، وصارت النعمة منة ، وصارت المنة أملا ، وصار الأمل عطفا ، فقلت في نفسي : بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق ، وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلاء اهـ .

فهذه هي وجهة التعرف التي فتحها الله تعالى له ، وحصلت له الغبطة بها وآثارها على عبادة الثقلين ، والله تعالى أعلم .

فإذا أنزل الله تعالى على العبد شيئا من البلايا فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه ، وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من السكون والطمأنينة ما يحمل عنه أثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجده حلاوته ، وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به ، فيرى من حق شكره أن يأتي بما يمكنه من أعمال بره .

« ١ » أي قدرا .

واعتبر جميع ما قلنا في هذه المسألة بالحكاية التي ذكرها أبو العباس ابن العريف رحمه الله تعالى في كتابه « مفتاح السعادة » و« منهاج سلوك طريق الإرادة » قال فيه : كان بالمغرب عمر الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله تعالى ونفعنا بذكره ، أصله من صقالية« ١ » وموطنه بغداد ، وجاوز سنّه التسعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار ، وعم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة .

قال الذي حدثني : رأيته يصلي على الماء ، ثم لقيت بعده محمد الأسفنجي ﷺ فإذا هو الأبرص فقلت له : يا سيدي كأن الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه ! قال : فقال لي : اسكت ، لا تقل ذلك ، إنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله تعالى شيئا أشرف ولا أقرب إليه من البلاء فسألناه إياه ، فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وإمام الأولياء و الأوتاد بغار في أرض طرسوس وجبالها ، لحمه يتناثر وجلده يسيل قيحا وصديدا ، وقد أحاط به الذباب والنمل ، فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله تعالى وشكره على ما أعطاه من الرحمة وأسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر . انتهى وراجع « سهلي » في ٧٩ .

وقال العارف بالله سيدي أحمد بن إدريس الحسني رضي الله عنه في الحديث القدسي « إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه »

معناه باعتبار ما يكون عند نزول المصائب من السخط والجزع لا في نفس الأمر ، فإن من وكل الله سبحانه وتعالى وحسن فيه ظنه فلا يرى كل مصيبة تصيبه إلا خيرا وإن كانت في الصورة شرا فإنه يعدّها خيرا ، لأن الصبر عليها من عزم الأمور ، فلولا هي ما وجد الصبر الذي ينال بسببه

« ١ » صقلّيّة : مدينة من مدن إيطاليا كانت إمارة تابعة للدولة الفاطمية .

خيرا ، فإذا لا يرى إلا خيرا ، وهو يحمد الله تعالى عند السراء وعند الضراء عازما ومعتقدا أن ما فعل به مولاه فهو خير .

ولو كشف له الغطاء ما اختار غيره ، ومن رآى غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، أي هو الذي صيره شرا بسخطه عند نزول المصيبة وعدم رضاه بها ، وإلا فلو رضي وحمد الله تعالى لكانت خيرا ، فإنه بسببها إذا قال : إنا لله وإنا إليه راجعون يصلي عليه الله تعالى وملائكته ، وأي خير أعظم من هذا ، قال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ .

وهذا معنى قوله تعالى : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ لأن كل ما أصابك من عند الله تعالى ، وإذا كان من عند الله تعالى فهو خير وإن كان في ظاهر الأمر شرا مع الرضا والتسليم والصبر ، فإذا لم ترض به فأنت الذي صيرت الخير شرا ، ثم تقع السيئة من العبد ، وقد فتح الله تعالى له باب التوبة ، فإذا تاب انقلبت تلك السيئة حسنة في نفسها ، فهي حسنة باعتبار المآل ، وهي من الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم يتب بل أصر عليها ، فهي سيئة وهي من نفسه بسبب إصراره عليها . « العقد النفيس » ١٣٤

فصل

في السبحة والعمامة والخرقة وزي أهل التصوف والسواك والإسبال

وعن الصادق ﷺ قال : ضمنت لمن يخرج من بيته متعمما تحت حنكه أن يرجع إلى أهله سالما .

وعنه قال : من خرج في سفر فلم يُدِرْ العمامة تحت حنكه فأصابه ألم لا دواء له ، فلا يلومنّ إلا نفسه .

وعن أبي الحسن ﷺ قال : أنا لضامن لمن خرج يريد سفرا متعمما تحت حنكه أن لا يصيبه السرقة والغرق والحرق . « مكارم الأخلاق » ٩٥ .

واعلم أن إلباس الخرقة ومناولة السبحة وأخذ العهد والمصافحة والمشابكة من علم الرواية ، إلا أن يقصد بها حال فتكون من أجله .

وقد ذكرنا الأحاديث في ذكر الحديث المسلسل في بابه في حقها ، وقد ذكر ابن أبي جمرة أخذ العهد في باب البيعة وألحقه بأقسامها ، وأخذوا إلباس الخرقة من أحاديث وردت في خلعه عليه الصلاة والسلام على غير واحد من أصحابه ومبايعة سلمة بن الأكوع تشهد لإيداع السر فيها ووجهها وطريقها ، ليس هذا محله ، نعم ، هي لمحب أو منتسب أو محقق ، وفيها أسرار خفية يعلمها أهلها والله تعالى أعلم .

وقال ﷺ أيضا : المتشبه بالقوم ملحق بهم لحديث : « من تشبه بقوم فهو منهم » ، لأنه مؤذن بالمحبة .

وقد صح : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال ﷺ : « أنت مع من أحببت » ، فجاز التشبه بأهل الخير في زيهم ، إلا إن قصد التلبيس والتغرير كلبس المرقعة وأخذ السبحة والعصا والسجادة والأصباغ ونحوه لما في ذلك

مما ذكر ومن حماية النفس عن كبائر لا تمكن معه ، وإن أمكنت فلا تمكن المجاهرة بها ، ثم لباس المرقعة أقدر على دفع الكلاب وأذهب للكبر وأقرب للحق مع الاقتداء بعمر ﵁ ، إذ لبسها مع وجود غيرها لصلاح قلبه .

ألا تراه حين ألبس غيرها قال : أنكرت نفسي ، وهي أيضا أقرب لوجود الحلال في اللباس ، نعم ولمنع أكثر الإذايات في الأسفار و غيرها ، وقد أمر الله تعالى النساء المؤمنات مع أزواج رسول الله ﷺ وبناته بالتدني« ١ » حتى يعرفن فلا يؤذين ، وكان عمر ﵁ يضرب الإماء على التنقب للتشبه بالحرائر .

وقال الشيخ أبو يوسف الدهماني ﵁ لفقير له أخذه العرب ولم يكن معه زي الفقراء : المفرط أولى بالخسارة ، لأن هذه الأسباب سلاح ، من دخلها احترم من أجل الله تعالى ، ومن لم يحترمه فقد هتك حرمة الله تعالى ، ومن هتك ذمة الله تعالى فلا يفلح .

وقال الشيخ لبعض الشباب : إياكم وهذه المرقعات ، فإنكم تكرمون لأجلها ، فقال : إنما نكرم بها لأجل النسبة إلى الله تعالى ، قال : نعم ، قالوا : حبّذا من نكرم لأجله ، فقال الشيخ : بارك الله تعالى فيكم أو كما اتفق اهـ .

وقال شيخ شيخنا ﵃ : خرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور ، منها التزي بزي المراد ، ليلتبس« ٢ » بصفاته كما يلبس ظاهره بلباسه ، وهو لباس التقوى ظاهرا وباطنا . قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾

ومنها وصول بركة الشيخ الذي ألبسه من يده المباركة إليه .

ومنها نيل ما يغلب على الشيخ في وقت الإلباس من الحال ، فيرى الشيخ ببصيرته النافذة المنورة بنور القدس أنه يحتاج إليه برفع حجبه العائقة وبتصفية

« ١ » أي بلبس الحجاب المُشار إليه في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ .
« ٢ » وفي نسخة « جـ » : ليلبس .

استعداده ، فإذا وقف على حال من يتوب على يده علم بنور الحق ما يحتاج إليه ، فيتنزل من الله تعالى ذلك حتى يتصف قلبه به ، فيسري من باطنه إلى باطن المريد .

ومنها المواصلة بينه وبين الشيخ ، فيبقى بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائما ، ويذكره الأتباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه وأحواله ، حتى يبلغ مبلغ الرجال ، فإنه أبٌ حقيقي كما قال عليه الصلاة و السلام : « الآباء ثلاثة أبٌ ولدك وأبٌ علّمك وأبٌ ربّاك » . « جامع الأصول » في ٧٢ .

وقد أطنب خاتمة المحققين الشيخ محمد مراد المنزلوي – ونفسي فداه – في « تعريبه » على هامش « المكتوبات » ما عبارته :

ومنها : ينبغي السعي حتى يتيسر العمل بالسنة والاجتناب عن البدعة ، خصوصا البدعة التي تكون رافعة للسنة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وأعجب من حال جماعة يحدثون في الدين مع وجود إكماله وإتمامه أشياء يطلبون بتلك المحدثات تكميل الدين ، ولا يبالون بما عسى يكون ذلك المخترع رافعا للسنة ، مثلا إرسال ذنب العمامة بين الكتفين سنة ، وقد اختار جمع إرساله من طرف اليسار ، وكان منظورهم في ذلك التشبه بالموتى .

وقد اقتدى بهم جمع كثير في هذا الفعل ولا يدرون أن هذا العمل رافع للسنة ومؤد إلى البدعة وموصل إلى الحرمة ، أيهما أفضل التشبه بالموتى أو التشبه بمحمد رسول الله ﷺ ، وهو الذي تشرف بالموت قبل الموت ، فإن يطلبوا التشبه بالميت فالتشبه به أولى والعجب أن نفس العمامة بدعة في كفن الميت فكيف ذنبها ؟ !

وبعض المتأخرين استحسن العمامة في كفن الميت إذا كان من العلماء وعند الفقير الزيادة نسخ والنسخ عين الرفع . ثبّتنا الله تعالى على متابعة السنة السنية المصطفوية على مصدرها الصلاة والسلام . انتهى ما في هامش « المكتوبات » ١٥١

وقال الشيخ السهروردي ﭬ : سمعت شيخنا يقول : جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ﭬ ونحن بأصبهان ، يريد منه الخرقة ، فقال له الشيخ : اذهب إلى فلان - يشير إليّ - حتى يكلمك في معنى الخرقة ، ثم احضر حتى ألبسك الخرقة ، قال : فجاء إليّ ، فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها ، فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن أن يلبسها ، فأُخْبِر الشيخ بما تجدّد عند الطالب من قولي له ، فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال : بعثته إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقة ، فكلمته بما فترت عزيمته ، ثم الذي ذكرته كله صحيح ، وهو الذي يجب من حقوق الخرقة ، ولكن إذا ألزمنا المبتدئ ذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيا بزيّهم فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ، وببركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يسلك مسلكهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم .

ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالي ﭬ ما أخبر شيخنا . . الخ يقول : سمعت أبا القاسم الجنيد ﭬ يقول : إذا لقيت الفقير فلا تبدأ بالعلم وابدأه بالرفق ، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه ، وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدئ الطالب ، وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدئ الطالب . « عوارف » .

وقال العارف أبو العباس زروق ﭬ في « القواعد » : اعتبار النسب الحكمية جار في الأمور الحكمية على وجه نسبتها منه ، فمن ثم اعتبر العدد في الذكر ، إذ مرجع الوجود إليه باعتبار جواهره وأعراضه ، فإذا وافقت النسبة محلها وقع التأثير حسب القسمة الأزلية .

ولعقد الأعداد وجه في الشرع ، إذ قال عليه الصلاة و السلام لنساء من المؤمنات : « واعقدن بالأصابع فإنهن مسؤلات مستنطقات » ، وأقر بعض أزواجه على تسبيحها في نوى كانت بين يديها .

وكان لأبي هريرة ﷺ خيط قد ربط فيه خمسمائة عقدة يسبح فيها .

والسبحة أعون على الذكر وأدعى للدوام وأجمع للفكر وأقرب للحضور وأعظم للثواب ، إذ له ثواب أعدادها وما تعطلت فيه لضرورة أو تعطل منها لغلط ونحوه لتعيينها ، وفي تحصيل ثواب ذكر جامع لعدد كقولك : (سبحان الله عدد خلقه) على ما هو به مع تضعيفه أو دونه أو لقوة أقوال بلا تضعيف .

قيل : وذوات الأسباب كتسبيح التعجب أفضل من مطلقها ، فيترك المطلق للمقيد في وقته ، والله تعالى أعلم . « قواعد » .

وذكر في « اللواقح » في ١٨ : وقد بلغنا عن الشبلي ﷺ أنه احتاج إلى سواك وقت الوضوء فلم يجده ، فبذل فيه نحو دينار حتى تسوك به ولم يتركه في وضوء ، فاستكثر بعض الناس بذل ذلك المال في سواك فقال : إن الدنيا كلها لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة ، فماذا يكون جوابي إذا قال لي : لِم تركت سنة نبيّي ولم تبذل في تحصيلها ما خصك الله تعالى به من جناح البعوضة ؟ فأعجزه ومضى .

وأظنك يا أخي لو طلب منك صاحب السواك نصفا واحدا حتى يعطيه لك لتركت السواك وقدمت النصف ، وأنت تزعم أنك من أولياء الله تعالى ومن المقربين عند رسول الله ﷺ .

والله إنها دعوى لا برهان عليه . وسيأتي ما يستفاد منه في الأحاديث : إن قليل العمل مع الأدب خير من كثير العمل من غير أدب .

وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ يقول لقراء القرآن : إياكم والغيبة والتكلم بالكلام الفاحش ثم تتلوا القرآن فإن حكم ذلك حكم من مس بألفاظ القرآن القذر ، ولا شك في كفره .

فعظم يا أخي سنة نبيك واستغفر الله تعالى من استهانتك بتركها ، فإنك لو صرحت بالاستهانة كفرت ، وحكم الباطن عند الله تعالى في ذلك حكم الظاهر ، والله غفور رحيم .

وروى البخاري وغيره واللفظ له مرفوعا : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة – وفي رواية مسلم – عند كل صلاة » ، و رواية النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه : « لأمرتهم بالسواك مع الوضوء عند كل صلاة » ، وفي رواية للطبراني : « ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى خفت على أضراسي » ، وفي رواية له : « حتى خشيت أن يدردرني – أي يسقط – أسناني » .

وروى أبو نعيم رحمه الله تعالى مرفوعا بإسناد جيد كما قاله المنذري : « لأن أصلي ركعتين بسواك أحب إلي من أن أصلي سبعين ركعة بغير سواك » ، وفي رواية أخرى بإسناد حسن : « ركعتان بسواك أحب إليّ من أن أصلي سبعين ركعة بغير سواك » .

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا ليس هذا موضع ذكرها .

وحمل العصا سنة ، وفي مسند الفردوس عن أنس ابن مالك ﵁ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : أيعجز أحدكم أن يتخذ في يده عصا في أسفلها عكاز يدعم عليها إذا أعيا ويجس بها الماء ويميط بها الأذى عن الطريق ويقتل بها الهوام ويقاتل بها السباع ويتخذها قبلة بأرض فلاة » .

وعنه ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « حمل العصا علامة المؤمن » .

فصل

في زيارة القبور وبناء الدار عليها وتجصيصها والكلام في حق ذلك

وقد صرح كثير من العارفين أن الولي بعد موته ووفاته تتعلق روحه بمريده ، فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات .

وممن صرح بذلك قطب الإرشاد سيدي عبد الله بن علوي الحداد ﷺ ، فإنه ﷺ قال : الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته ، لأنه في حياته كان مشغولا بالتكليف ، وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد ، والحي فيه خصوصية وبشرية ، وربما غلبت إحداهما الأخرى وخصوصا في هذا الزمان ، فإنها تغلب البشرية ، والميت ما فيه إلا الخصوصية فقط .

وقال أيضا : إن الأخيار إذا ماتوا لم تفقد منهم إلا أعيانهم وصورهم ، وأما حقائقهم فموجودة ، فهم أحياء في قبورهم ، وإذا كان الولي حيا في قبره فإنه لم يفقد شيئا من علمه وعقله وقواه الروحانية ، بل تزداد أرواحهم بعد الموت بصيرة وعلما وحياة روحانية وتوجها إلى الله تعالى .

فإذا توجهت أرواحهم إلى الله تعالى في شيء قضاه سبحانه وتعالىوأجراه إكراما لهم ، وهذا معنى قول بعضهم إن لهم التصرف ، فالتصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له ، ولا تأثير للولي ولا غيره في شيء قط ، لا حيا ولا ميّتا .

فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى ، فأهل البرزخ من الأولياء في حضرة الله تعالى ، فمن توجه إليهم وتوسل بهم فإنهم يتوجهون إلى الله تعالى في حصول مطلوبه .

فالتصرف الحاصل منهم هو توجههم بأرواحهم إلى الله تعالى ، والتصرف الحقيقي لله وحده ، فالواقع منهم من جملة الأسباب العادية التي لا تأثير لها ، وإنما يوجد الأمر عندها ، لا بها ، على حسب ما أجراه الله تعالى من العوائد ، وعلى هذا المعنى يفسر السلب الذي يسند إلى الأولياء فيقال : سلب فلان فلانا ، فهو بتوجهه إلى الله تعالى في حصول السلب إن أراده الله تعالى يحصل بفعل الله لا بفعله .

فاحذر أن يشتبه عليك أحد المعنيين بالآخر فتزل ، والله الهادي إلى سواء السبيل . انتهى راجع « تنوير الصدر » في ٢٢١ .

وقال الشيخ العارف علي الواعظ الهروي ﷺ في « الرشحات » : قد تقرر عند أهل التحقيق أن الترقي واقع بعد الموت .

وكلام الشيخ محي الدين بن عربي ﷺ ناظر لهذا المعنى الذي ذكرناه في فصل زيارة الأموات حيث قال : اجتمعت مرة في تجلٍّ من التجليات مع أبي الحسن النوري ﷺ فقبّلني وصار ريانا مني فقلت له : ألم تقل أن عطشان التوحيد لا يروي من الغير ، فخجل فقلت : من أخذ عن العالي لا يقال أنه أخذ عن الغير .

ولأرباب التحقيق كلام كثير غير هذا يدل على الترقي بعد الموت .

وقال : يقول راقم الحروف : قال الشيخ محي الدين بن عربي ﷺ في بعض مواضع « الفتوحات » : إن أحد نفاة الترقي بعد الموت الشيخُ أبو الحسن النوري ﷺ ، ولا يخلو حاله بعد الموت عن أحد الأمرين ، إما أن يعلم يقينا أن الترقي واقع أو يعلم أنه غير واقع .

فإن كان الأول ثبت المدعى ، وإن كان الثاني فهذا علم آخر حصل له بعد الموت ، فالترقي بعد الموت حاصل على كل حال . « رشحة » ١٩٧ .

ومن كلام شيخ مشائخنا الشيخ أحمد الفاروقي ﷺ : أمنية الفقير أن تكون أنفاس الحياة المستعارة مصروفة في مراضيه سبحانه في زاوية الخمول ولسانه رطبا بتكرار الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إلهي وفقني مع الأحبآء لذلك وبعّد عن صدورنا التعلق بما سواك علما وحبا حتى لا يخطر على قلبي خيال الغير أصلا آمين . « المقامات السعدية » .

وقال العارف الهروي عن شيخه عبيد الله الأحرار ﷺ : إن زائر مشاهد المشائخ الكرام يقدر أن يأخذ عنهم الفيض بقدر ما يعرف صفة المزور ويتوجه إليه بتلك الصفة ويحضر عنده بها ، وإن القرب الصوري في زيارة المشاهد المقدسة وإن كانت له آثار كثيرة ، ولكن لا يمنع البعد الصوري في الحقيقة عن التوجه إلى الأرواح المقدسة ، وفي قوله ﷺ : « صلوا عليّ حيثما كنتم » بيان وبرهان لهذا المعنى ، ومشاهدة الصور المثالية لأهل القبور عند التوجه والزيارة ليس لها كثير اعتبار في جنب معرفة صفاتهم ، ومع ذلك كله قال الخواجه بهاء الدين ﷺ : إن مجاورة الله تعالى أحق وأولى من مجاورة خلق الله تعالى .

وكثيرا ما كان يجري على لسانه المبارك هذا البيت

كَمْ تَعْبُـدونَ مَراقِـدَ الأمْواتِ   قُمْ وانْتَهِجْ في مَنْهَجِ السَّاداتِ

وينبغي أن يكون مقصود زائر مشاهد الأكابر ﷺ التوجه إلى الله تعالى ، وأن يجعل روح ذلك الولي الذي اجتباه الله تعالى إليه وسيلة لكمال التوجه ، كما أن التواضع للخلق وإن كان في الظاهر تواضعا لهم ينبغي أن يكون المقصود من التواضع في الحقيقة التواضع لله تعالى ، فإن التواضع إنما يكون محمودا إذا كان لله تعالى خاصة بمعنى أنه **يرى الخلق مظاهر لآثار قدرة الله وحكمته** ، وإلا فيكون تصنعا وتكلفا وسمعة وضعة لا تواضعا ، ويكون مذموما جدا كما ورد في الحديث : « من تواضع لغني لغناه ذهب ثلث دينه » ، وفي رواية : « ثلثا دينه » .

وقال بعض الأكابر ﷺ : هذا إذا تواضع بظاهره ، وأما إذا تواضع بباطنه فيذهب دينه كله . انتهى « رشحات » .

وقال شيخ شيخنا ﷺ في « جامعه » في آداب زيارة الأنبياء عليهم السلام والأولياء : فليتوسل المريد بروحانية مرشده الذي عمّه من خيره ، ويتخذه شفيعا إلى حضرة ذلك المزار في ابتداء سيره ، ويلاحظه أمامه على طريقة الشافعين للقوم العاصين ، ويستغفر كثيرا من جميع ذنوبه ومخالفة وعده ، بل من علمه وفضله وزهده ، ويلاحظ نفسه مفلسا من العمل الصالح ، ولا يتأذى بمشاق الطريق ، بل يعدها فضلا ونعمة من الله تعالى ، فإن في ذلك إشارة إلى حصول المطلوب ، كما وقع لموسى مع الخضر عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ .

ويخلص في حضرة القبر النية الظاهرية والباطنية ، ويسلم عليه من كل باب من أبوابه مع الذل والانكسار عند القرب لرجائه ويقول : السلام عليكم تحية مني إليكم ، ويقرأ في كل باب الفاتحة والإخلاص ثلاثا ثلاثا ، ويقول : أتوسل بكم إلى رب البرية لتسهيل أموري في الدنيا والآخرة .

والأحسن أن لا يقصد بتلك الزيارة غير مرضاة الذات القدسية ، لا غرضا من الأغراض الدنية .

ثم إذا وقع نظره على مرقد حضرة القبر يقرأ الفاتحة في كل خطوة مرة إلى سبع خطوات ، ويربط قلبه بقلب حضرة القبر على الوقوف القلبي للاستفاضة من باطنه ، سواء كان من الأحياء أو من الأموات .

ثم يقف متوجها إلى ضريح المزار قريبا من رجليه مستدبرا للقبلة ملاحظا مرشده الشفيع له بحضرة المزار ومتوسلا بذلك الشفيع إليه .

وحينئذ يسلم عليه ويقرأ الفاتحة والإخلاص قائما كأنه حي وهو واقف بين يديه ، فلو جلس وقرأ عُشرا من القرآن فهو أفضل .

ثم يستفيض من قلبه جاعلا قلبه ملاصقا بقلب المزار ، لكن قلبه أنزل ، ولا يسهو عن الوقوف القلبي بغاية التضرع والانكسار ولا يتغافل ، ويحسن الظن به إن كانت له حاجة فإنها تقضى بواسطته بإذن ربي قال تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي » ، كما ذكرنا هذا القول مرات .

ومدة تلك الاستفاضة بإقامته وعلى قدر ذوقه وجمعيته وأدبه ، ثم يدعو له وللمؤمنين والمؤمنات بقوله : « اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات » ، **ويخصص نفسه ومرشده بالدعوات الصالحات ، ويتوسل بالمزار إلى رابطته الداعي له إلى الله برشده لينيله من خيره ورفده** ، ويتحقق بإجابة دعواته ، فإنه لا يدعو داع بمباح إلا وصاحب المرقد يؤمّن على دعائه فيستجيب الله تعالى له بفضله وعنايته .

وإذا أراد الذهاب وانتصبت قدماه يسلم كالأول ويقرأ الفاتحة والإخلاص أو مع عُشرٍ من القرآن«١» ويتوسل به في أموره الدنيوية والأخروية إلى ربه .

ويفعل ذلك في كل باب من أبوابه ، ويخرج على قفاه ، فإذا فعل ذلك حصل مطلوبه وانتصر وانقطع عنه كل شر وضرر . « جامع الأصول » ٢٠٧ .

وقال الشيخ العارف الواعظ علي بن حسين الهروي ﷺ في « رشحات عين الحياة » : كشف القبور عبارة عن تمثل روح صاحب القبر بصورة مناسبة لصورته المثالية ، فيراه صاحب الكشف في تلك الصورة بعين بصيرته ، لكن لما كانت في الشياطين قوة التمثل والتشكل بصور مختلفة وأشكال متنوعة لم تعتبر أكابر النقشبندية ﷺ هذا الكشف .

وطريقتهم في زيارة أصحاب القبور واطلاع أحوالهم أنهم إذا وصلوا إلى قبر واحد من الأكابر يخلون أنفسهم عن جميع النسب والكيفيات ويجلسون منتظرين لظهور نسبةٍ ، فيعلمون من تلك النسبة حال صاحب القبر .

« ١ » بما يعادل ثلاثة أجزاء .

وطريقهم في صحبة شخص أجنبي أيضا كذلك ، فإذا جاء عندهم شخص ينظرون إلى بواطنهم ، فما ظهر فيها بعد مجيء هذا الشخص يرون أنه منه ، وليس لهم دخل فيه ، فيعاملون معه بمقتضى ذلك من اللطف والقهر .

وقال الشيخ محي الدين بن عربي ﷺ لمثل هذا الظهور « تجلي المقابلة » .

فظهور هذا المعنى إنما هو بواسطة صفاء بواطنهم المنورة وجلائها ولطهارة مرآة نفوس حقائقهم عن النقوش الكونية بحيث لم يبق فيها غير التجلي الذاتي بسبب كمال محاذاتها للذات المنزهة عن الكم والكيف ، فما يظهر في بواطنهم غير ذلك لا يكون منهم ، بل من انعكاسه في مرآة قلوبهم بواسطة تقابل شخص هو له .

وقال مؤيدا لهذا المعنى : قال مولانا نظام الدين خاموش عليه الرحمة يوما : قم بنا نزور اليوم مقابر شاش ، فذهبت في خدمته ، فقعد عند قبر زمانا ، ثم قام بكيفية عجيبة وقال : قد كانت نسبة الجذبة غالبة على صاحب هذا القبر ، وكان هذا قبر خواجه إبراهيم كيمياكر ﷺ وكان من مجاذيب زمانه ، ثم جاء عند قبر آخر وتوقف فيه لحظة ثم خرج منه وقال : كانت النسبة العلمية غالبة على صاحب هذا القبر ، وكان ذلك قبر الشيخ زين الدين كوى عارفان ﷺ ، وكان من العلماء الربانيين . « رشحة » ١٩٧ .

وقال الشيخ ابن زروق ﷺ في « القواعد » : ما صح واتضح وصحبه العمل لازم الإباحة« ١ » كزيارة المقابر ، فقيل : إلا لمجرد الاعتبار بها لقوله عليه الصلاة والسلام : « فإنها تذكر الآخرة . . » إلى آخره . اهـ ٥٥

« ١ » أي بقي على حكم الإباحة .

فصل

في الزيارات بين المشائخ والأصحاب وغيرها

وهي مما تورث المحبة والمودة وتجلب المنفعة إن كانت الزيارة برعاية حقوقها وآدابها

اعلم أيها المأمون أن القطب الشعراني ﷺ ذكر في « المنن » ما عبارته : أن من رأى شخصا مشهورا من الصالحين يتكدر من إخوانه إذا انقطعوا من زيارته وجفوه ، فليس ذلك من حيث الاستئناس بهم بحكم الطبع ، وإنما ذلك من حيث كونهم عنوانا على رضى ربه عنه ، وعدم رضا الحق تعالى من عبده لا يطاق حمله ، فلذلك طمَّن[1] الحق تعالى قلب نبيه ﷺ بقوله : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ .

وأنشد سيدي علي وفا قُدِّسَ سِرُّهُ من جملة أبيات :

أَنْتَ الحَياةُ فَلَيْسَ عَنْكَ تَصَبُّرٌ   وَجَفاكَ مَوْتٌ ما عَلَيهِ تَجَلُّدُ

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لفقير أن يتكدر من انقطاع الناس عن التردد إليه والغفلة عنه ، بل الأليق به الفرح ، لأن كثرة صحبة الناس اليوم تشغل الفقير عن ربه عَزَّ وَجَلَّ .

وفي القرآن العظيم : ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فليمتحن من يدعي محبة الوحدة بهذا الميزان ، فإن وجد نفسه تشتاق إلى رؤية من لا يذكّره الله تعالى فليعلم أنه كاذب في دعواه .

قال : ومن تأمل حال أكثر المزاورين اليوم من الفقراء وغيرهم وجد زيارتهم معلولة ، والحمد لله رب العالمين .

« ١ » أي طمْأن .

فصل

في النسك والرياضات والمجاهدة والزهد

قال محمد بن الفضل البلخي ﭬ : أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة في أوامره وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ . « نفحات » ١٦٩ .

واعلم أن السلف الصالحين قد بذلوا نفوسهم وأرواحهم لله بالمجاهدات والمكابدات بترك المتلذذات من الطعام والشراب والملبس والمسكن وغيرها حتى تقطرت الدم من دماغهم .

ولذلك قال السري السقطي ﭬ :

لا فــي النَّهارِ وَلا في اللَّيْلِ لِي فَرَجٌ   فَــلا اُبالي أطــالَ اللَّيــلُ أمْ قَصُرا

اهـ . منه ١٠٦

و في الحديث عن رسول الله ﷺ : « اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فكفّوا عن المعاصي » .

وروى محمد بن يعقوب رحمه الله تعالى بإسناده إلى جعفر بن محمد الصادق ﭬ عن النبي ﷺ : « أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتضرع لها ، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على يسر أو عسر » . « كشكول » ٢٤٠ .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﭬ : إن المقصود من الرياضات إنما هو نفي التعلقات الجسمانية بالكلية ، والتوجه الكلي إلى عالم الأرواح وعالم الحقيقة ، والمقصود من السلوك أن يتخلص العبد باختياره وكسبه عن هذه التعلقات التي هي مانعة للعبد عن الطريقة ، وأن يعرض كل واحد من تلك التعلقات على نفسه ، فإن كان قادرا على تركه فليعلم أن هذا التعلق ليس

بمانع عن الحق تعالى ولم يغلب عليه ، فإن لم يكن قادرا على تركه ورأى قلبه مربوطا فليعلم أنه مانع له عن الطريقة ، فليتثبت بتدبير قطعه وقلعه عنه .

وقد كان حضرة الخواجه إذا لبس ثوبا جديدا يقول أولا للاحتياط : إن هذا حق فلان ، ويلبسه مثل ثوب العارية .

وقال أيضا : ينبغي لأهل الطريقة أن يكثر من الرياضة والمجاهدة حتى يصل إلى مرتبة ومقام ، لكن للسالكين طريق آخر أقرب من جميع الطرق ، يمكن أن يصل منه إلى المقصود سريعا ، وهو أن يجتهد الطالب في أن يتمكن في قلب واحد من أرباب القلوب بواسطة خلق حسن أو خدمة لائقة به ، فإن قلب هذه الطائفة مورد لنظر الحق سبحانه وتعالى ، فيكون له نصيب منه انتهى .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﷺ : ليست الأصالة عند أهل التحقيق أن يكون آباء شخص وأجداده من جنس الأمراء والوزراء ، ولا أن يكونوا منتظمين في سلك الفسقة والظلمة ، بل الأصالة عبارة عن حسن جوهر يكون في ذات الإنسان كالفطرة السليمة والسيرة السنية ، والذي يظنه أكثر الناس من أصالة أفراد الناس فهو عين سوء الأصل .

وقال أيضا : إذا أراد رجل خبيث الأصل أن يعد عيب إنسان يجري أولا على لسانه عيوب نفسه التي هي مركوزة في طبيعته الخسيسة ، فإنها أقرب إلى فمه من عيوب غيره .

وقال أيضا : ينبغي إظهار الشفقة والمرحمة على جميع الفقراء والسائلين وأن لا يمنع اللقمة من الأخيار والأشرار نظرا إلى موجده مع قطع النظر عن ذات السائل ووصفه ، وليس من اللوازم أن يكون المحسَن إليه جنيدا أو شبليا ، فإن عالي الهمة وصاحب الورع لا يتردد إلى أبواب الناس ولا يسأل عنهم شيئا أصلا ، ولكن من أين يعرف أن لا يكون في هذا اللباس والخرقة صاحب دولة مجهول ، بل الواقع في أكثر أولياء الله تعالى أن يستروا أحوالهم بصورة الفقر والفاقة . كذا في « الرشحات » في ١١٩

وقال الشيخ ابن زروق ﵁ : النسك الأخذ بكل ممكن من الفضائل من غير مراعاة لغير ذلك ، فإن رام التحقيق في ذلك فهو العابد ، وإن رام الأخذ بالأحوط فهو الوَرِع ، وإن آثر جانب الترك طلبا للسلامة فهو الزاهد ، وإن أرسل نفسه مع مراد الحق فهو العارف ، فإن أخذ بالتخلق والتعلق فهو المريد .

وكل هذه قد توجه الكلام عليها في « القوت » و « الإحياء » ، فباعتبار الأول اعتبر نقل الفضائل جملة وتفصيلا بأي وجه أمكن ، ما لم تعارض سنة أو تنقض قاعدة أو تقم بدعة أو تدفع أصلا أو ترفع حكما ، حتى قالا بكثير من الموضوعات والأحاديث الباطل إسنادها كصلاة الرغائب والأسبوع« ١ » والأدعية وأذكار لا أصل لها ، كأذكار الأعضاء في الوضوء ونحوه ، وباعتبار الكل رغبوا ورهبوا بنحو ذلك ، ولهم فيه أدلة معلومة . والله تعالى أعلم .

واعلم أن السالك مسافر إلى مولاه ، ومتى كان معه أكثر مما يحتاجه في سفره كان ذلك معوقا له عن السير ، فإن حضرة الحق محرمة على من يدخلها ومن خلفه شيء يجذبه .

فتزهّد في كل ما لا تحتاج إليه حتى يؤل بك الأمر إلى أن تزهد في الدنيا والآخرة ونفسك ، ولا تريد سوى مولاك ولا ترغب في حال ولا مقام ولا ظهور كرامة بين الأنام .

وهذا الأخير هو الذي يقتل الدجالين من المتشيخين الذين يريدون إراءة شيء على سبيل الكرامة ليميل إليه الناس ، عافانا الله تعالى من سوء ظنوننا وأعمالنا ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾

قال ابن عطاء الله ﵁ في « الحكم » : كيف يشرق قلب وصور الأكوان منطبعة في مرآته ، أم كيف يرحل إلى الله تعالى وهو مكبل في شهواته ، أم

« ١ » وهي : أربع ركعات ليلا وأربع نهارا في السبت والأحد ، وليلة الاثنين اثنتا عشرة ويومه ركعتان ، وليلة الثلاثاء ركعتان ويومه عشرون وليلة الأربعاء ركعتان ويومها اثنتا عشرة ، وليلة الخميس ركعتان ويومه ركعتان وليلة الجمعة اثنتا عشرة ويومها .

كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ﷻ وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته . فافهم والله ولي التوفيق .

وقال بعض العارفين : ادعوا الله تعالى بلسان لم تعصوا به الله تعالى حتى تترتب عليه الإجابة ، يعني تواضعوا لأولياء الله تعالى وأظهروا لهم الانكسار والافتقار حتى يدعوا لكم فيستجابَ .

نحمد الله تعالى ونشكر هذه الطائفة ما أحسن حمل هذا الكلام إلى أعجب المحامل قدس الله تعالى أرواحهم وأعاد علينا بركاتهم ، فقد أيقظونا إلى سعة رحمة الله تعالى بعد أن آيسنا من أنفسنا ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

وقال الشيخ السهروردي قدس سره : ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الإحسان والدعاء له ، وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر عن الأغيار ورؤيتهم المنعم الجبار ، لكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله ﷺ على ما ورد أن النبي ﷺ خطب فقال : « ما من الناس أحد أمنّ علينا من ابن أبي قحافة ، لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » ، وقال : « ما نفعني مال أحد مثل ما نفعني مال أبي بكر » .

فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء ، والصوفي في الابتداء مغن عن الخلق ، ويرى الأشياء كلها من الله تعالى حيث طالع ناصية التوحيد وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن صِرف التوحيد ، فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق .

فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق سبحانه وتعالى ويثبت لهم وجودا في المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا ، وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط ، فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ، ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين .

فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطي والمسبب ، ويشكر الخلق لأنهم وسائط وأسباب . ذكره في « العوارف » .

وينبغي أن يعلم أن الرياضات والمجاهدات من شرائط طريق الإنابة والإرادة ، وأنها ليست بشرط في طريق الاجتباء ومع ذلك هي نافعة .

مثلا حصل حمل شخص جرا جرا وهو مع ذلك الجر يستعمل سعيه أيضا ، فلا شك أنه أسرع ذهابا من الذي لا يستعمل سعيه ، وإن جاز أن يكون الجر وحده أحيانا أقوى وأجدى من الجر المركب المذكور .

فالسعي والمشقة لا يكون شرط كمال الوصول في طريق الاجتباء ، كما أنه ليس بشرط في نفس الوصول ، نعم فيه احتمال النفع ولو في بعض المحال .

وفوائد الرياضات ومنافع المجاهدات التي هي عبارة عن الاقتصار على ضروريات المباح كثيرة لأرباب الاجتباء أيضا بغير المعنى المذكور ، مثل دوام الجهاد الأكبر وطهارة البطن ونظافته«١» من التلويثات الدنيوية ، فإن كل الحوائج الضرورية ليس بداخلة في الدنيا ، وكل ما هو فضول فداخل في الدنيا ونفع الآخرة في الرياضة والاقتصار على الضرورة قلة المحاسبة والمؤاخذة الأخرويّتين وأنها سبب لارتفاع الدرجات الأخروية ، فإن مسرة الآخرة تكون أضعاف محنة الدنيا ، فظهر لرياضات الأنبياء ومجاهداتهم عليهم الصلاة و السلام وجوه أخر غير الوجوه الذي ذكرناها آنفا .

فاتضح أن الرياضة والاقتصار على ضروريات المباح وإن لم تكن شرطا للوصول في طريق الاجتباء ولكنها محمودة في حد ذاتها ومستحسنة ، بل بالنظر إلى الفوائد المذكورة ضرورية ولازمة . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . انتهى ما قاله الإمام الرباني قدس سره في « مكتوباته » في ١١٠ .

« ١ » أي بالجوع والتقلل من الطعام .

وقال الشيخ المشهور بابن زروق ﵁ : لا بد من عبادة ومعرفة وزهادة لكل عارف وعابد وزاهد ، لكن من غلب عليه طلب العلم كان عابدا ، ومعرفته وزهده تابع لعباداته ، ومن غلب عليه ترك الفضول كان زاهدا ، وعبادته ومعرفته تابع لزهده ، ومن غلب عليه النظر للحق بإسقاط الخلق كان عارفا ، وعبادته وزهده تابع لأصله ، فالنسب تابع للأصول ، وإلا فالطرق متداخلة ، ومن فهم غير ذلك فقد أخطأ ، نعم يخف الأمر ويقوى بحسب البساط والله أعلم .

وقال الشيخ عبيد الله أحرار ﵁ : إذا قعدتم مع أحد من هذه الطائفة اجتهدوا في معرفة حقيقته ، ثم أنشد هذه الأبيات المثنويات :

كُنْتُ مَشْغوفاً بِكُلِّ الاجْتِماع صِرْتُ في صَحْبِ الخِيارِ والرّعاعْ

كانَ كُلُّ النَّاسِ أَصْحابي عَلى ظَنِّهِمْ والـقَلْـبُ بِالسِّــرِّ اخْتَـلَـــى

لَمْ يَكُنْ سِرِّي بَعيداً مِنْ أنيني وَلـكِـنْ أيْـنَ فَـهْـمٌ لـلـدَّنـــي

وقال الشيخ العارف الهروي عن شيخه ﵁ في « رشحات » : إن أفضل الأحوال الظاهرة والباطنة وأكملها الاجتهاد في التفويض المناسب للحال ، وكان جميع الأنبياء والأولياء على ذلك بأسرهم .

وينبغي للعبد أن يجتهد في كل لحظة دائما في كسب التفويض بباطنه بالنسبة إلى أحواله الظاهرة والباطنة ، وأن يمحو وينفي عن نفسه جميع أنواع الاختيار الذي يظهر منه بكسب التفويض ، وأن يعلم يقينا أن اختيار الحق سبحانه وتعالى له خير البتة من اختياره لنفسه .

واللازم على الطالب دائما بالنسبة إلى المرشد في حضوره وغيبته أن يقوم بكسب هذا التفويض بحسب أحواله الباطنية ، يعني لا ينبغي للطالب أن يختار شيئا من أحوال الباطن وأن يريد حصولها ، بل ينبغي له تفويض اختياره وإرادته لمرشده في حضوره وغيبته . انتهى « رشحة » ٧١

وقال الشيخ العارف السهروردي ﷺ في « عوارف المعارف » : ويجمع حمل حال الصوفية شيئان هما وصف الصوفية ، وإليها الإشارة بقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ .

فقوم من الصوفية خصوا بالاجتهاد الصرف ، وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الإنابة ، فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد ، وهذا حال المحبوب المراد يباديه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهادَه ، وفي هذا أخذ طائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين ، فأثار نزول الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال ، فأقبلوا على الأعمال باللذاذة ، والعيش فيها قرة أعينهم فيسهل الكشفُ عليهم الاجتهاد كما سهّل على سحرة فرعون لذاذة النازل فيهم من صفو العرفان تحمّل وعيد فرعون فقالوا : ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ قال جعفر الصادق ﷺ : وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكرا وقالوا : آمنا برب العالمين . انتهى .

وقد ورد : « أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأهم للكرامة ، فأسقط عنهم حركات الطلب ، فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على الألفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه » .

وبهذا الإسناد إلى عبد الرحمن السلمي ﷺ قال : سمعت علي بن سعيد يقول : المراد محمول في حاله ، معان على حركاته وسعيه في الخدمة ، مكفيّ مصون عن الشواهد والنواظر .

وهذا الذي قاله الشيخ أبو سعيد ﷺ هو الذي اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من النوافل ، وقد رأوا جمعا من المشائخ قلّت نوافلهم ، فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ، ولم يعلموا أن الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين ، فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلئوا بالحال فطرحوا نوافل

الأعمال ، وأما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل ، وفيها قرة أعينهم ، وهذا أتمّ وأكمل من الأول ، فهذا الذي أوضحناه إحدى طريقتي الصوفية .

فأما الطريق الآخر طريق المريدين ، وهم الذين شرطوا لهم الإنابة فقال تعالى : ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ ، فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف .

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ، يدرجهم الله تعالى في مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجير وظمأ الهواجر ، تتأجج فيهم نيران الطلب وتتحجب عنهم لوامع الارب ، يتقلبون في رمضاء الإرادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة ، وهي الإنابة التي شرَطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها ، وهذه الهداية أيضا هداية خاصة ، لأنها هداية إليه تعالى غير الهداية العامة التي هي التهدي إلى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الأولى .

وهذا حال السالك المحب المريد ، فكانت الإنابة غير الهداية العامة ، فأثمرت هداية خاصة واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمكابدات ، فخلصوا من مضيق العسر إلى فضاء اليسر ، وبرزوا من وهج الاجتهاد إلى روح الأحوال ، فسبق اجتهادهم كشوفهم ، والمرادون سبقت كشوفهم اجتهادهم .

أخبرنا الثقة الأمين يقول : سمعت الجنيد قدس سره يقول : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات انتهى .

فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ، ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف : **أحدهما** مجذوب أبقي على جذبته ، ما رد إلى الاجتهاد بعد الكشف ، **والثاني** مجتهد متعبد ، ما خلص إلى الكشف بعد الاجتهاد .

وللصوفية في طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ، ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق التابعة فهو مخذول مغرور .

قال الجنيد ﷸ : عِلمنا هذا مشتبكٌ بحديث رسول الله ﷺ . « عوارف المعارف » .

وقال بعض العارفين : إن إبليس إنما ينكّد مجاهدات العابدين ويكدّر صفاء أحوال العارفين ، لأنه يراهم يرفلون في خلع كانت عليه ويتبخترون بأندية كانت إليه ، ومعلوم أن كل من عزل عن ولاية عادى من استبدل به عنه غيرة على الولاية وحسرة على أبواب الرعاية . « كشكول » ٢٣٩ .

وقال الشيخ ابن زروق ﷸ في « قواعده » : الرياضة تمرين النفس لإثبات حسن الأخلاق ودفع سيئها ، وبهذا اختصاص عمل التصوف ، وأخذه من كتب السلمي أقرب لتحريره وتحقيقه وتحصيله لدومة تقدير تأصيله والإيماء لتفصيله ، بخلاف « رسالة » القشيري ، فإن ذلك منها متعذر لأن مدارها على الحكايات ومأخوذ من الأحكام من غير تأصيل وكلٌّ منهما متعذر السلوك تحقيقا لثلاثة أوجه :

أحدها عدم الانضباط لها لتلفق النفس وعدم انضباطها لتفقد تحقيق الأصل .

الثاني يحتاج في سلوك المميز من أخ بصير صالح أو شيخ محقق ناصح يبصّر بالعيوب وينبه على موارد الغلط واللبس .

الثالث إن وقعت السلامة فيها فالسلامة من الدعوى معها متعذرة لنظر صاحبها لنفسه فيما دفع أو جلب ، وهو أمر لا يمكن دفعه إلا بشيخ ، فلذلك اشترط أهلها وجوده فيها ، والله تعالى أعلم . في ٢٥ .

وقال حضرة الخواجه بهاء الدين ﷸ : المجاز قنطرة الحقيقة ، المراد أن جميع العبادات الظاهرة والباطنة والقولية والفعلية مجاز ، فما لم يجاوزها السالك لا يصل إلى الحقيقة اهـ .

وقال عبيد الله أحرار ﵇ : لو سمعت أو علمت أن في أقصى بلاد الصين كافرا يتكلم بكلام هذه الطائفة على أصوله لسافرت إليه ولازمته وقبلت منه المنة .

فانظر أيها المنصف الموفق أن هؤلاء السادات مع ما فيهم من نور الحقيقة يواظبون على رعاية أصول هذه النسبة العلية حذرا من وقوع التغيرات في اصطلاحاتهم ، ونحن وقعنا في زمان تعسا لرأسه أن كل أحد يدعي المشيخة بإبداع أمور لم يصدر قط من هذه السادات ويتكلمون بأقوال مموهة شيطانية نفسانية مبتدعا في كل ما يقولون ، وينكرون على أقوال هؤلاء السادات الذين أكثرهم البرخيون« ١ » .

والعوام الذين هم أضل من الأنعام يقتفون آثارهم ويظهرون أمورا لإرضاء هؤلاء المبتدعين سدّا لثلمة حظوظ نفوسهم الطماعة ويزعمون أن شيخهم مجتهد أو مجدد ، ولا يطلبون من الأحكام الشرعية ما تصح صلاتهم وصيامهم ولا ما يبطل به سوى طلب مجرد الاسم .

فكثرت الفتنة بهم في الناس وصار الدين الحنيفي ملعبة ومسخرة لهم ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، ولا يعلمون معنى الذكر والتذكر فضلا عن إتيانهم ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، فذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهِهِمُ الأمل فسوف يعلمون .

وقال في « رشحات » نقلا عن محمد بارسا ﵇ : إن الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب لا غير ، ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة والتفرجات المتشتتة ورؤية الألوان والأشكال المتنوعة ويستتر في القلب ، فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة .

« ١ » نسبة إلى آصف بن برخيا الذي أحضر عرش بلقيس لسليمان ﵇ وكان عنده علم من الكتاب ويعلم اسم الله الأعظم .

وأيضا تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتى وسماعها ، وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة واستماع الغنآء والنغمات المطربة .

وهذه المذكورات كلها موجبات للبعد والغفلة عن الحق سبحانه و تعالى ، فنفيها واجب على الطالب ، فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد الخيالات الفارغة ليتوجه إلى الله تعالى بقلب صاف .

وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يحصل ذلك المعنى من غير محنة ومشقة وترك لذات جسمانية وشهوات حسية ، والراحة المطلوبة إنما هي في دار الآخرة ، فإن التزمت مشقة يسيرة في أيام معدودة في الدنيا تسترح في الآخرة أبد الآباد ، فإنه لا قدر لهذا العالم بالنسبة إلى عالم الآخرة ، وكأنه بذر خشخاش مرمي في صحراء لا نهاية لها . انتهى .

وقال أيضا خواجه عبيد الله أحرار ﭬ : كان واحد من أصحابه يكتب رسائل في فصل الربيع ، وكان يخطر بباله أن يتنزه ويتفرج بعد إتمامها ، فجاء في ذلك الأثناء صحبته فأنشأ مضمون هذين البيتين :

دَخَلْتُ بِمَنْ أَهْوى بِبُسْتانٍ عابِــــرا   فَكُنْتُ مِنَ الغَـفَلاتِ لِلْوَرْدِ ناظِــرا
فَقالَتْ لَكَ الوَيْلاتُ يا مُدَّعي الهَوى   أَتَرْمُـقُ وَرْداً تارِكاً خَـدّي زاهِـرا

ثم قال : إذا ذهبت للتفرج فإن كنت محتظيا به فأنت غافل عن الحق سبحانه وتعالى ، وإن لم تكن محتظيا به فما الفائدة فيه ؟ وتكتب الرسائل ، فإن أردت العمل بما فيها فتكفيك كلمة وهي **كن مشغولا بالله** ، وإن لم ترد العمل بما فيها فما الفائدة في تحريرها ، يعني أن في كلمة لا وحدها ألف سهولة .

وهذا الكلام جار في جميع المقام ، ففي كل شيء غير الحق سبحانه قلت (لا) فقد تخلصت . انتهى .

وقال أيضا : إن من علامة الفتوة والمروة كون الإنسان محزونا ومهموما دائما ، فإن القعود على الفراغ في عالم الأسباب ليس بحسن ، والذي ليس له حزن وهم تفوح منه رائحة الغفلة والفتور ، والذي فيه حزن وهم يفوح منه طيب الجمعية والحضور ، ونسبة أكابر النقشبندية ﷺ تظهر في صورة الحزن والغم . انتهى .

واعلم أن التشديد في العبادة منهيّ عنه كالتراخي منها ، والتوسط أخذ الطرفين فهو أحسن الأمور كما جاء : « خير الأمور أوسطها » ، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ الآية ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ الآية .

قال عليه الصلاة و السلام : « أما أنا فأقوم وأنام وأصوم وأفطر » الحديث ، وكان يقوم من الليل نصفه وثلثه وثلثيه ، وهو الوسط باعتبار من يأتي على كله أو لا يقوم منه إلا اليسير .

وكذلك رد عبد الله بن عمر للوسط بصيام نصف الدهر وقيام نصف الليل وختم القرآن في سبع إلى غير ذلك ، فلزم التوسط في كل مكتسب لأنه أرفق للنفس وأبقى للعبادة .

والعبادة إقامة ما طلب شرعا من الأعمال الخارجة عن العبادة أو الداخلة ، سواء كان رخصة أو عزيمة ، إذ أمر الله فيهما واحد ، فليس الوضوء بأولى من التيمم في محله ، ولا الصوم بأولى من الإفطار في محله ، ولا الإكمال بأولى من القصر في موضعه .

وعليه يتنزل قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تترك عزائمه »«١» ، لا على الرخصة المختلف في حكمها ، إذ الورع مطلوب في كل مشكوك الحكم بخلاف المحقق ، فإن تركه تنطع .

وعلى هذا الأخير يتنزل كلام القوم قدس الله تعالى أسرارهم في ذم الرخص والتأويلات ، والله أعلم . قاله أبو العباس ابن زروق ﷺ .

« ١ » الحديث كما روي : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تترك عزائمه » .

وقال رحمه الله تعالى : إن كمال العبادة بحفظها والمحافظة عليها ، وذلك بإقامة حدودها الظاهرة والباطنة من غير غلو ولا تفريط ، والمفرط مضيع ، والغالي مبتدع ، سيما إن اعتقد القربة في زيادته .

فمن ثم قيل : الوسوسة بدعة وأصلها جهل بالسنة وخبال في العقل ، يدفعها دوام ذكر : (سبحان الملك الخلاق) ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ مع كل ورد والتزام التلهي ، والأخذ بالرخص من أقوال العلماء النافية لها ، لا تتبع الرخص فإنها ضلال فافهم . انتهى .

وقال بعض السادات : من أخذ عملاً من كامل مكمل فالمواظبة والمداومة عليه موجبة للوصول إلى درجات عالية ، وإن الاشتغال بدفع الأخلاق الردية مشكل جدا فالأولى أن يلتزم شيئا من الأعمال الباطنية أو ينتظر ظهور أمر يخلصه عن الكل .

وقال ﷺ خطابا لبعض الخدام والأصحاب كلمات ، وقال في أثناء الكلام والحاصل أنه : ينبغي أن يجتهد حتى يحصل للقلب توجه دائمي إلى الحق سبحانه ، فيمكن بعد ذلك حصول التنبه لصاحب هذا التوجه ، إن التوجه من الله تعالى إلى ذاته وليس للمتوجه دخل في البين . انتهى .

وقال الشيخ محمد الكوسوي ﷺ : ينبغي للسالك أن يكون مثل الباز ، فإنه يطير مرة فإن التقى صيدا فبها ، وإلا فيستقر ويستريح .

وأنا أقول : ينبغي أن يكون مثل هام ، فإنه لا يطير أصلا بل يستريح دائما ويقنع بكسرة عظم .

وقال : يقول الناس من غاية الكسالة (نفعل غدا أمرا) ، ولا يتفكرون أن يومهم هذا غد أمسهم ، فماذا يفعلون في هذا اليوم حتى يسوّفوا الأمر إلى غد .

وهذه القطعة مبينة لمضمون هذا :

وَما الدَّهْرُ إلّا ما مَضى وَهوَ فائِتٌ ... وَما سَوْفَ يَأتي وَهوَ غَيْرُ مُحَصَّلِ
وَعَيْشُكَ فيما أنْتَ فيه فَإنَّهُ ... زَمانُ الفَتى مِنْ مُجمَلٍ وَمُفَصَّلِ

انتهى .

واعلم أن الإنسان كما أنه لا بد له من تصحيح الاعتقادات كذلك لا بد له من إتيان الأعمال الصالحات .

وأجمع العبادات وأقرب الطاعات هو أداء الصلاة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « الصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين » .

ومن وفّق لمواظبة أداء الصلوة فقد امتنع عن الفحشاء والمنكر ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ مؤيّد لهذا الكلام .

والصلاة التي ليست بهذه المثابة - يعني لم تمنع صاحبها عن الفحشاء والمنكر - فهي صورة الصلاة لا حقيقة لها ، ولكن ينبغي أن لا تترك الصورة إلى أن تحصل الحقيقة ، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولا يستبعد اعتبار أكرم الأكرمين الصورة وأن يقبلها مكان الحقيقة .

فعليكم المواظبة على آداء الصلاة مع الجماعة ومع الخشوع والخضوع ، فإنها سبب النجاة والفلاح . قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ .

والحاصل أنه ينبغي أن يعمل مع وجود الخطر ، يعني الرد ، ألا ترى أن العساكر يحصل لهم اعتبار كثير في مقابلة حركتهم اليسيرة ومناضلتهم القليلة وقت غلبة العدو ، وإنما يعتبر صلاح الشبان لأنهم اختاروا الصلاح وكلفوا أنفسهم عليه مع وجود غلبة الشهوة النفسانية فيهم .

وقد نال أصحاب الكهف جميع تلك الحشمة والعظمة والرتبة عند الله تعالى بسبب هجرة واحدة من مخالفي الدين ، وورد في الحديث النبوي عليه الصلاة والسلام : « عبادة في الهرج كهجرة إليّ » ، فكان المنافي عين الباعث في الحقيقة . انتهى .

وقال الشيخ الكبير داود بن ماخلا ﷺ : المؤمن الذي يجاهد نفسه يختم الله له بالإسلام أكثر من مائة ألف مرة ، لتكرار موته في ذات الله تعالى بسيوف المجاهدة « تقريب الأصول » ٥٢ .

وقال الإمام الرباني ﷺ : التوسط في الأحوال كلها من الأكل والشرب وغيرهما أشد من رياضات شديدة ومجاهدات كثيرة شاقة ورعاية آداب الشريعة في العبادات والعادات ، لا سيما إقامة الصلاة على وجهها أجهد . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾

وقال عين القضاة الهمداني وكان قد حصل العلوم العقلية والنقلية نحو ثمانية عشر سنة : نظرت في حالي بعد تحصيل هذه العلوم فما وجدت قلبي إلا متفرقا ، فأقبلت إلى كتب الإمام محمد الغزالي ﷺ أربع سنين حتى ضبطتها وفهمتها وظننت أني قد حصلت المقصود ، فوفد علينا الإمام محمد الغزالي ﷺ فلازمته عشرين يوما ، فأشرقت عليّ أحوال وظهر أمور لو أني بقيت في طلبها ألف عام ما انتهى ذلك الطلب ، وكيف لا يكون كذلك ومطلب القوم ذات الحق سبحانه وتعالى ، لا يعرجون على اسم ولا على صفة ، بل لو قاموا في طلبهم أبد الآباد يرون أنفسهم في أول قدم . انتهى .

وقال بعض الأفاضل : رأيت أبا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد فقلت : يرحمك الله ، إن رحمة الله واسعة ! فغضب وقال : هل رأيت ما يدل على القنوط ، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فأبكاني والله كلامه .

ولينظر العاقل إلى حال الرسل والأبدال والأولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر في العبادات لا يفترون عنها ليلا ولا نهارا ، أما كان لهم حسن

ظن بالله ، بلى والله إنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله تعالى وأحسن ظنا بجوده من كل ظان ، ولكن علموا أن ذلك بدون الجد والاجتهاد أمنية محضة وغرورٌ بحتٌ ، فأجهدوا أنفسهم في العبادة والطاعة ليتحقق لهم الرجاء الذي هو من أحسن البضاعة .

ومن كلام الغزالي ﷺ : الفرق بين الرجاء والأمنية ، أن الرجاء يكون على أصل ، والتمني لا يكون على أصل .

مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول : أرجو أن يحصل منه مائة قفيزة ، فذلك منه رجاء ، ومن لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما قد ذهب ونام وأغفل سنة ، فإذا جاء وقت البيادر : يقول أرجو أن يحصل لي مائة قفيز ، فيقال : من أين لك هذه الأمنية التي لا أصل لها ؟

فكذلك العبد إذا اجتهد في عبادة الله تعالى وانتهى عن معاصيه يقول : أرجو أن يتقبل الله تعالى هذا السير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ، فهذا رجاء منه ، وأما إذا غفل وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله تعالى ورضاه ووعده ووعيده - كراقم هذه الحروف - ثم يقول : أرجو من الله تعالى الجنة والنجاة من النار ، فذلك منه أمنية لا حاصل لها « كشكول » ٢٣٢ .

والعاقل من يعمل في يومه لغده قبل خروج الأمر من يده ، ولله درّ القائل :

حَتَّامَ أنْتَ بِما يُلْهيكَ مُشْتَغِلُ ... عَنْ نَجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَمْرِ الهَوى ثَمِلُ
تُمْضي مِنَ الدَّهْرِ بالعَيْشِ الذَّميمِ إلى ... كَمْ ذَا التَّواني وَكَمْ يُغْري بِكَ الأمَلُ
وَتَدَّعي بِطَريقِ القَوْمِ مَعْرِفَةً ... وَأنْتَ مُنْقَطِعٌ والقَوْمُ قَدْ وَصَلوا
فَانْهَضْ إلى ذِرْوَةِ العَلْياءِ مُبْتَدِراً ... عَزْماً لَتَرْقى مَكاناً دونَهُ زُحَلُ
فَإنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جاوَزْتَ مَكْرُمَةً ... بَقاؤُها بِبَقاءِ اللهِ مُتَّصِلُ
وَإنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْداً فَأحْسَنُ ما ... يُقالُ عَنْكَ : قَضى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ !

« كشكول » ١٣٨

وحكي عن إبراهيم بن أدهم ﷺ أنه كان يسير إلى بيت الله تعالى راجلا ، فإذا أعرابي على ناقة فقال : يا شيخ إلى أين ؟ فقال إبراهيم : إلى بيت الله تعالى ، قال : وكيف راجل لا راحلة لك ؟ فقال : إن لي مراكب كثيرة ، قال : ما هن ؟ قال : إذا نزلت عليّ بلية ركبت مركب الصبر ، وإذا نزلت عليّ نعمة ركبت مركب الشكر ، وإذا نزل علي القضاء ركبت مركب الرضا ، وإذا دعتني النفس إلى شيء علمت أن ما بقي من العمر أقل مما مضى ، فقال الأعرابي : أنت الراكب وأنا الراجل ، سر في بلاد الله تعالى .

فالاشتغال طول العمر بالمجاهدة لازم حتى تنقلع الأخلاق الذميمة من النفس وتتبدل بالأوصاف الشريفة من الصبر وغيره ، ومثل هذه المجاهدة هي المرابطة .

روي أن واحدا كان يختم كل ليلة ويجتهد في العبادة ، فقيل له : إنك تتعب نفسك وتوقعها في المشقة ، فقال : كم عمر الدنيا ؟ فقيل : سبعة آلف سنة ، فقال كم مقدار يوم القيامة ؟ قيل : خمسون ألف سنة ، فقيل : لو عمر المرء بعمر الدنيا لحقَّ له أن يجتهد في العبادة لهذا اليوم الطويل ، فإنه سهل بالنسبة إليه . « روح البيان » جلد٤٠٩/١ .

وقال الشيخ شمس الدين محمد الروجي ﷺ : قال الشيخ محي الدين العربي ﷺ : ينكشف لبعض الأولياء سر ظهور العالم بعد رياضات كثيرة ، فطلبت أمس هذا المعنى من الحق سبحانه وتعالى فظهر أمر لم تطق قوتي البشرية لتحمل ثقله ، وكان يفارقني الوجود العنصري ويتلاشى ، وقرب أن تخرج روحي من بدني ، فناجيت الله سبحانه وتعالى متضرعا ليدفعه عني فأخفاه عني ، وأثره باق إلى الآن ، وكلامي اليوم من قبيل كلّميني يا حُميراء ، وتكلم في ذلك اليوم بكلام كثير على خلاف عادته .

وقال يوما : لو تركونى على اختياري ما كنت أفتح فمي بكلمة أبدا ، وإنما أتكلم بالضرورة ، ثم أنشد هذين البيتين :

وَلَقَدْ أحَدِّثُكُمْ بِأسْرارِ الهَوى ... عَمْداً لِيَسْتُرَ سِرَّهُ إعْلانُـــهُ

وَلَرُبَّما كَتَمَ الهَوى إظْهـــارُهُ ... وَلَرُبَّما فَضَحَ الهَوى كِتْمانُه

« رشحة » ١٥٥

وقال العلامة ابن عباد النفري الرندي ﷺ في شرحه « للحكم » : قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه : فأرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا إلى المستحسنات . قال : وهذا أصل كبير لهم في المجاهدات في أحوال الرياضات . اهـ .

وقال شيخ شيخنا قدس سره في « جامعه » : إن طرق التزكية والتصفية كثيرة لا تحصى ، فلذلك قيل : الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، وأصول تلك الطرق التي لا تحصى هذه ، وهي طريق الذكر ثم طريق المراقبة ثم طريق الوقوف القلبي ثم سائر العبادات البدنية من الصلاة والصيام والحج والجهاد ثم المالية من الزكاة والحسنات ثم الرياضات الحكمية من تجريد النفس عن الشواغل الدنيوية والعلائق البدنية وتقليل الأكل والنوم والعزلة عن الخلق وغير ذلك من الأمور الرياضية .

ثم اعلم أن الرياضات لا تفيد ولا تقرب العبد إلى الله تعالى ما لم تكن على موافقة الشريعة ومتابعة السنة ، كما قال الشيخ الجنيد قدس سره : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ ، فحينئذ لا بد لمن أراد التقرب إلى الله تعالى بالرياضات الحكمية أن يقتدي بالشريعة الغراء ويتبع السنة الحسناء حتى ينتج له من الرياضات التقرب إليه تعالى والمعرفة به .

فلعدم الاقتداء وترك الاتباع قد خلا المرتاضون بمجرد الرياضات الاختراعية عن نور الهداية في معرفة الحق سبحانه وتعالى مع تعمقهم في

تزكية النفس بتلك الرياضات الشاقة ، بل أفسدوا عقائدهم كلما تعمقوا في الرياضات ، لأن كل من لم يطبق رياضته بالشريعة ولم يتبع السنة فليس له نصيب من التقربات الإلهية والمعرفة الحقانية ، ولا تحصل له من تلك الرياضات إلا الأوهام الفاسدة والخيالات الكاسدة التي ليس لها من الله تعالى قبول ، بل إنما بها له عن طريق الحق خروج وعدول ، انتهى .

وفي الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه يفتح للعبد يوم القيمة كل يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة عدد ساعات الليل والنهار ، فخزانة يجدها مملوة **نورا وسرورا ، فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على أهل** النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار ، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه ، ثم **يفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة ، فيناله عند مشاهدتها من الجزع والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ، وهي الساعة التي عصى فيها ربه** ، ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه ، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا ، فيناله من الغبن والأسف على فواتها ما لا يوصف حيث كان متمكنا من أن يملأها حسنات ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ « كشكول » ١٢٨

وذكر في « المكتوبات » ٣٧٩ ما نصه : وحاصل السؤال الثاني أنّ في الطريقة النقشبندية العلية التزام اتباع السنة السنية النبوية ، والحال أنه عليه الصلاة والسلام والتحية صدر عنه رياضات عجيبة ومجاهدات شديدة كالجوع الشديد ، وفي هذا الطريق يمنعون عن الرياضة ، بل يرونها بواسطة ظهور الكشوفات الصورية بها مضرة .

والعجب أنه كيف يتصور احتمال الضرر في اتباع السنة ، أيها المحب من قال أن الرياضة ممنوعة في هذا الطريق ، ومن أين سمع أنهم يرون الرياضة مضرة ؟

وفي هذا الطريق دوام المحافظة على اتباع السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والسعي في ستر الأحوال واختيار توسط الحال ورعاية حد

الاعتدال في المطاعم والملابس وسائر الأفعال ، كل ذلك من الرياضات الشاقة والمجاهدات الشديدة .

غاية ما في الباب أن العوام كالأنعام لا يعدون هذه الأمور من الرياضات ولا يرونها من المجاهدات ، بل الرياضة والمجاهدة منحصرة عندهم في الجوع وكثرة الجوع عظيم القدر في نظرهم ، فإن الأكل عند هؤلاء المتصفين بصفات البهائم من أهم المهام وأعظم المقاصد ، فلا جرم يكون تركه من الرياضة الشاقة والمجاهدة الشديدة عندهم ، بخلاف المحافظة على السنة والتزام متابعتها وأمثالها ، فإن هذه الأمور لا قدر لها عند العوام ولا اعتداد بها ، حتى يرون تركها من المنكرات وتحصيلها من الرياضات .

فاللازم لأكابر هذه الطريقة أن يجتهدوا في ستر الأحوال وترك الرياضة التي هي عظيمة القدر عند العوام وباعثة على قبول الأنام ومستلزمة للشهرة المتضمنة على الآفات العظام .

قال عليه الصلاة والسلام : « بحسب امرئ من الشر – إلا من عصمه الله تعالى – أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه » .

وعند الفقير الجوع الكثير أسهل وأيسر جدا من مراعاة حد الاعتدال في المأكولات ، ورياضة توسط الحال مستحقة لأن تكون أزيد وأفضل من رياضة كثرة الجوع .

وقال فيها : قال حضرة والدى الماجد ﷺ : رأيت في علم السلوك رسالة ، ورأيت فيها أن رعاية حد الاعتدال في المأكولات والمحافظة على الحد الوسط فيها كافية في الوصول إلى المطلوب ، لا حاجة مع هذه المراعاة إلى الذكر والفكر ، والحق أن توسط الحال في المطاعم والملابس بل في جميع الأمور حسنة وجميلة جدا . شعر :

إِيَّاكَ وَالأَكْلَ حَتَّى يَحْدُثَ الثِّقَلُ   وَلا تَجوعَنْ إلى أنْ يَضْعُفَ البَدَنُ

وقال أبو الفتح علي الثقفي ﵁ : لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب نفسه ورعونات أعماله لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .

وقال سيدي أبو مدين ﵁ : من لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه « شرح حكم » ٦٥ .

وذكر في « العقد النفيس » من كلام القطب العارف السيد أحمد بن إدريس المغربي ﵈ ما عبارته : قال ﵁ : أصل التقوى هو الجهاد في سبيل الله ، والجهاد الأكبر هو جهاد النفس والشيطان ، والنفس هي أعظم الأعداء ، فهي كارَّة عليك في كل لحظة في مظهر صديق لك ، وهذا أعظم ممن كان متظاهرا بالعداوة . قال الشاعر :

احْــذَرْ عَـدُوَّكَ مَــــرَّةً وَاحْذَرْ صَديقَكَ أَلْفَ مَرَّةْ
فَـلَـرُبَّما انْقَلَبَ الصَّديقُ فَصارَ أَعْرَفَ بِالمَضَــرَّةْ

ثم قد علَّمنا الحق سبحانه وتعالى في القرآن كيفية الجهاد من كل وجه فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ والنفس هي أقرب ما يليك وغير ذلك ، فإن حاربت نفسك واتقيتها ودافعتها عن جميع جوارحك وأعضائك ضعفت ، وإذا ضعفت جنحت للسِّلم ، فإن جنحت للسلم فاجنح لها وبعد لا تضرك أبدا ، فإذا كنت مطيعا لها صرت عبدا لها تأمرك وتنهاك منهزما منها في ذل وأي ذل ، وصرت غير متق لله تعالى لأنك أمنت من بطشه ومكره ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنه

سبحانه وتعالى توعدك إذا اتبعت هوى النفس والشيطان فأمنت من أن توعده باتباع ما نهاك عنه ، ولو اتقيته لانتهيت عما نهاك عنه .

فإذا اتقيت نفسك فقد اتقيت الله تعالى ، وإذا لم تتق نفسك ولم تحاربها ولم تدافعها فلم تتق الله تعالى ، لأن تقوى الله تعالى مترتبة على محاربة النفس والشيطان « عقد النفيس » ١٣٨ .

وقال الشيخ جمال الدين ابو بكر الخوارزمي ﷺ في « مفيده » : واعلم أن النفس ما حملتها تتحمل ، فإذا هذبتها وأدبتها تهون عليك مصائب الدنيا ، وإن استرسلتها عقرتك وآذتك ، فتصبح في هم وتمسي في غم . فالجهاد الأكبر معالجة النفس ، والله تعالىأعلم .

وأنشد الشبلي ﷺ :

يَميناً صادِقاً حَقّاً بِرَبِّ العَرْشِ وَالكُرْسِيْ
فَما عالَجْتُ في عُسْرٍ كَمِثْلِ العُسْرِ في النَّفْسِ
فَإنْ صارَعْتُها وَيْلٌ وَإنْ صارَعْتُها عُرْسي
مَعَ الإبْليسِ إبْليسٌ وما الإبْليسُ في النَّفْسِ !

فمن يطيق رياضة النفس وخلق الإنسان على خلقة لا سبيل إلى نقضها ، خلق عجولا ضعيفا شهوانيا كارها للمصائب نفورا عن الفقر ، فخوف الفقر من جبلة النفس ، والامتناعُ منها[1] ، ولكن أرشدكم إلى دقيقة لطيفة تميزون بها بين ما هو لله تعالى وبين ما هو حظ النفس والشيطان .

مثاله : إنسان صائم قد أجهده العطش فنظر إلى ماء بارد ، فلا شك أنه يشتهيه ، فاشتهاؤه من قبل الجبلة ، وامتناعه من فعل الإيمان ، ورجل نظر إلى امرأة حسناء فلا يقدر أن لا يشتهيها ، ولكن غض بصره من فعل الإيمان ، وحب الرياسة من طبيعة الإنسان ، ولكن كف النفس عن الحرام وسفك الدماء وأخذ المال من الإيمان ، فافهم ذلك وقس عليه في الجملة .

« ١ » أي الامتناع عن الخير .

أفعال الخير تدل على السعادة ، وأفعال الشر تدل على الشقاوة ، والعاقبة مخفية ، والأعمال بخواتمها والسلام . ١٨٥ .

و قال أيضا : واعلم أنك لو أردت أن تجرب نفسك في ترك ولاية أو تجرع غصص واختيار عزلة لعَصتْ ، ولو تشفعت إليها بجبريل وميكائيل وكل ولي وزاهد لم تجب حتى تتشفع إليها بالجوع ، فحينئذ تطيعك وتتسلى عن الشهوات واللذات وتتذكر أيات .

أراكَ عَلَى البَطالَةِ لا تُبالِــي   حَلالاً كانَ كَسْبُكَ أَمْ حراما
وَتَقْطَعُ طولَ عُمْرِكَ بِالتَّمَنِّـي   وَبِالتَّسْويفِ عاماً ثُـــمَّ عاما
وَلَوْ عَلِمَ الخَلائِقُ سوءَ فِعْلي   لَما رَدُّوا عَلَى مِثْلي سَلامــا

وأعظم مصيبة تنزل بالإنسان عبادة نفسه ، فمن ابتلي به قسا قلبه ولم يخرج عن متابعة الهوى ، ومن كان متابعا للهوى كانت النار له مأوى ، ومن جزع في المصائب فقد أرغم القضاء والقدر ، كما قيل : لا أرضى بالقسمة ولا أشكر على النعمة ولا أستغفر من المعصية ولا أصبر على المحنة ، فأين حقيقة العبودية ؟ ١٨٨

وقال السري السقطي رضي الله عنه : خمسة أشياء من جوهر النفس : فقير يظهر الغنى ، وجائع يظهر الشبع ، ومحزون يظهر الفرح ، ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر المحبة ، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر الضعف . ١٦٦ .

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : استفدت من الصوفية طول صحبتي لهم شيئين : قولهم (الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك) ، وقولهم (إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر) . « لطائف المنن » ٦٥ .

وقال الحلاج لما قال له خادمه وقد قرب صلبه : أوصني ، قال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك . « الفتاوى الحديثية » ٢٣٠ .

فصل

في الخوف والرجاء وما يتعلق بهما

اعلم أيها الأخ الكيس المتفطن أن حسن الظن من علامة الإيمان ، والخوف والرجاء كجناحي الطير شيئان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر غالبا ، وليس للفقير بد من هذه الثلاثة لقصوره فيما هو فيه مع سعة رحمة الله تعالى وعظيم فضله وكرمه .

قال رسول الله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

وقال المشائخ رحمهم الله تعالى : الخوف والرجاء بمنزلة جناحي الطير وإنما يتيسر للطائر الطيران إذا لم يتفاوت جناحاه ، كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : بلغ خوفي ورجائي إلى حد لو قيل إنه لا ينجو إلا واحد لظننت أني ذلك الواحد ولو قيل إنه لا يهلك إلا واحد لظننت أني ذلك الواحد . انتهى كلام « كشف المحجوب »

وقال الحسن البصري رضي الله عنه : إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ليست لهم حسنة ، يقول أحدهم « أحسن الظن بربي » وهو يكذب ، ولو أحسن الظن بربه أحسن العمل ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾

قال ابن عباد قدس سره في « شرح الحكم » : حسن الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين ، والناس فيه على قسمين : خاصة وعامة ، **فالخاصة** حسنوا الظن بالله تعالى لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية ، **والعامة** حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم ، والتفاوت بين المقامين ظاهر ، ولذلك لا يخاف من الانقلاب والتغيير في أحدهما ما يخاف في الآخر ، لأن أرباب المقام الأول لما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا

بأنوار اليقين اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن ، وأرباب المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم إلى الأفعال ، وهي متلونة عليهم في كل حال ، وعند وقوع ما لا يلائمهم منها بهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم ، فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن وتحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع ، فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ وما أشبهه ، وليقس النادر على الغالب .

قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي ﭬ : حسن الظن عبارة عن قطع الوهم أن يكون أو لا يكون ، لأن الوهم قاتل ، فمتى أعطيت أذنك للوهم هلكت فالإصغاء بالأذن إلى الشيطان أو النفس جنس واحد . انتهى .

وقال يحي بن معاذ الرازي ﭬ : أوثق الرجاء رجاء العبد ربه ، وأصدق الظن حسن الظن بالله تعالى ، ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التي ينبغي للعبد أن لا يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب في الأهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع والسخط ، فإن أفعال الله تعالى لا تخلو عن اللطف والحكمة . اهـ .

وقال بعض العارفين : إذا كان أبونا آدم بعدما قيل له اسكن أنت وزوجك الجنة صدر منه ذنب واحد فأمر بالخروج من الجنة فكيف نرجو نحن دخولها مع ما نحن مقيمون عليه من الذنوب المتتابعة والخطايا المتواترة « كشكول »٢٥

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ : « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » .

وكان ابن مسعود ﭬ يحلف بالله تعالى : ما أحسن عبد ظنه بالله ﷻ إلا أعطاه ذلك ، لأن الخير كله بيده ، فإذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه ، لأن الذي حسن ظنه هو الذي أراد أن يحققه له .

وقال في « تقريب الأصول » : يروى أن الزهري ﭬ قارف ذنبا فاستوحش من ذلك وهام على وجهه ، فقال له زين العابدين ابن الحسين ﭭ : يا زهري ! قنوطك من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فرجع إلى أهله .

ويرحم الله القائل :

ذُنوبِيَ إنْ فَكَّرْتُ فيها عَظيمَـةٌ ... وَرَحْمَةُ رَبِّي مِنْ ذُنوبِي أوْسَـعُ
وَما طَمَعي فيْ صالحٍ قَدْ عَمِلْتُهُ ... وَلكِنَّـني في رَحْمَـةِ اللهِ أطْـمَعُ

فلا بد للمؤمن من خوف ورجاء ، والخوف بلا رجاء قنوط ، والرجاء بلا خوف غرور .

والخوف والرجاء حقيقتان متلازمتان ، ولذلك قيل : الخوف كله لأهل الرجاء إلا اليأس من رحمة الله تعالى ، والرجاء كله لأهل الخوف إلا الأمن من مكر الله تعالى .

قال يحي ابن معاذ ﭬ : من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ، ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ، ومن عبد الله تعالى بالخوف والرجاء استقام على المحجة البيضاء ، ومن عبد الله تعالى بالمحبة المجردة من الخوف والرجاء فقد تزندق وسلك مسلك القائلين بعدم الكسب والاختيار وسلب فاعلية العبد بالكلية وأنه مدفوع استعمل بكل وجه واعتبار فلا تكليف إذن حتى يترتب عليه الخوف والرجاء .

فهذا الذي يزعم أنه محب لله يعبده مقرا بربوبيته معترفا بالعبودية لربه تعالى وأن له الخلق والتصرف والإحسان والإنعام ويحبه لذلك ولا يخاف ولا يرجو فقد تزندق بفقد الخوف والرجاء .

فعلى العبد أن يستعظم ذنبه وإن كان صغيرا استعظاما لا يؤديه إلى اليأس والقنوط ، فإنه لا كبيرة إذا واجهك فضله تعالى .

فاتق ربك واحذره وخفه ولا تستهون شيئا من مخالفته ، فلا يكن في عزمك وطويّتك إلا تقواه واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فإن صدر منك مخالفة فحسن ظنك بالله تعالى واستحضر أنه أهل للعفو عنك ولمغفرة ذنبك فإنه أهل التقوى والمغفرة .

وفي الحديث : « المؤمن من سرته حسنته وساءته سيئته » ، أي سرته من حيث معاملة الله له بذلك حيث خلق الحسنة فيه لا من حيث كونه عمله وفعله ، وساءته سيئته من حيث كونه اكتسبها ولا ينظر إلى كونه مخلوقة لله تعالى ومقدرة عليه ، فإن هذا النظر يحمله على التهاون بها .

فالنظر إلى صفة العدل والفضل ناشئ عن شهود الجلال والجمال ، فصاحب النظر إلى عمله تارة يغلب خوفه وتارة رجاؤه ، وأما من يشهد العدل والفضل فإنه يستوي فيه خوفه ورجاؤه .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبعض بنيه : يا بني خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك ، وارج الله عز وجل رجآء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك .

وقال عمر رضي الله عنه : لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلا لرجوت أن أكون ذلك الرجل ، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا لخفت أن أكون ذلك الرجل .

ومن هنا قالوا : إن المؤمن الكامل يستوي خوفه ورجاؤه ، فيكونان كجناحي طائر ، واستحضر أن الإحسان لا ينفع مع البغض ، والإساءة لا تضر مع الحب ، فإذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر ، وإذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر . انتهى .

وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين السهروردي قدس سره في « العوارف » : ثم الخوف والرجاء لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الأنس

والهيبة لأنهما من ضرورة الإيمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب ، وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما ، ولا يخفى سبب القبض والبسط إلا على قليل الحظ من العلم الذي لم يحكم علم الحال وعلم المقام ، ومن أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط ، وربما يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط ، وإنما ذلك لمن استقام قلبه .

ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة ، لا تنقدح من جوهرها نار توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط . انتهى .

وقال الشيخ أبو الفضل الأحمدي رضي الله تعالى عنه : عليك بحسن الظن في شأن ولاة أمور المسلمين وإن جاروا ، فإن الله تعالى لا يسأل أحدا قط في الآخرة لم حسنت ظنك بالعباد ، ولا تسب من أحد إذا سببت إلا فعلَه لا عينه ، فإن عينك وعينه واحد ، فلا تسب إلا الفعل الردي المذموم لقوله ﷺ في الثوم : « إنها شجرة أكره ريحها » ، فلم يقل « أكرهها » وإنما كره ريحها الذي هو بعض صفاتها .

وكان رضي الله عنه يقول : لا يخلو المنقص لأعراض الناس عن ثلاثة أحوال : إما أن يرى نفسه أفضل منهم ، فهو حينئذ أسوأ حالا منهم كما وقع لإبليس مع آدم عليه السلام ، وإما أن يرى نفسه مثلهم ، فما أنكر إلا على حال نفسه حقيقة ، وإما أن يرى نفسه دونهم ، فلا يليق به تنقيص من هو خير منه . « تقريب » ٩٧ وراجع « العقد النفيس » ٢٢٨ و« السهلي » ٩١

وقال الشيخ السيد أحمد زيني دحلان قدس سره في « تقريب الأصول » : ومما يعينك على حسن الظن بالله تعالى تذكرك كثرة إنعامه عليك وإحسانه إليك ، فقد من الله سبحانه وتعالى عليك بما هو أصل الخيرات وأساس الفضائل والكرامات ، فأعطاك الإيمان من قبل أن تسأله إياه ، وناهيك أنه يوصلك بالإيمان إلى النظر إلى وجهه الكريم الذي يتلاشى في جنبه كل نعيم بعد

أن تتوصل به إلى الجنة بما فيها من أجناس النعيم ، وبعد أن أعطاك الإيمان عاملك بضروب النعم الدينية والدنيوية والمالية مما لا سبيل إلى استقصائه وعدّه ، فتذكر ذلك وتفكّر فيه .

ومما يعينك أيضا على حسن الظن بالله تعالى ضروب المحن والبلايا وأنواع الهم والحزن ، فإنها وسائل إلى طرقات رفيع المقاصد ، لا يعرف قدرها إلا أهل الهمم العالية والقلوب الطاهرة الزكية لأنها نعم باطنية حتى قال بعضهم في قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ النعم الباطنة هي البلايا والمحن وأنواع الهم والحزن ، فليكن العبد عند نزولها أشد فرحا منه عند نزول المحاب ، فذلك كله مما يقوّي حسن الظن لا مما يضعّفه كما يتوهمه بعض القاصرين ، فقد يجهل بعض الناس فيظن أن شدة البلاء وكثرته إنما تنزل بالعبد لهوانه ، وهذا لا يقوله إلا من أعمى الله تعالى قلبه ، بل العبد يبتلى على حسب دينه ، فكن حسن الظن بربك عند كل نعمة وبلية واعتقد أنه لا يريد بك إلا خيرا .

قال ابن عطاء الله ﷺ في « الحكم » : إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه ، فحسن ظنك به لوجود معاملته معك ، فهل عوّدك إلا حسنا ، وهل أسدى إليك إلا مننا ؟

وقد أشار بذلك إلى أن الناس على قسمين : خاصة وعامة ، فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية ، والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم ، والتفاوت بين المقامين ظاهر .

فينبغي لك أيها المريد أن تحسن ظنك به مطلقا في إيصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره ، فإن لم تقدر على حسن الظن الذي هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة وحسن الظن به بمقام العامة ، وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته وصحة الاعتماد والتوكل عليه ، وحسن الظن به لوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوف لورود فضله ورحمته .

ولا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه ، فإذا استعظمت الذنب فاستعظمه عظمة تحملك على التوبه والإقلاع وصدق العزم على أن لا تعود لمثله ، فهذه عظمة محمودة ، وهي من علامة إيمان العبد ، والعظمة المذمومة هي التي توقع في اليأس والقنوط وتؤدي إلى سوء الظن بالله تعالى .

ومن الذنوب التي يجب أن تتوب منها وتقلع عنها سوء طنك بالناس ، فإن ذلك من معاصي القلب الرديئة الموجبة سوء الخاتمة ، والعياذ بالله تعالى . انتهى كلام « التقريب » .

وقال الإمام الأجل الشافعي ﵁ : من أحب أن يختم له بخير فليحسن الظن بالناس .

وقال بشر الحافي ﵁ : من سره أن يسلم فليلزم الصمت وحسن الظن بالناس .

وقال الشيخ عبد العزيز الديريني ﵁ : من أراد أن الوجود كله يمده بالخير فليجعل نفسه تحت الخلق كلهم في الدرجة ، فإن المدد الذي مع الخلق كالماء ، والماء لا يجري من المواضع المنخفضة دون العالية والمتساوية ، ولا يرى الإنسان نفسه كذلك إلا ان أحسن الظن بالناس .

ومحل حسن الظن فيما يحتمل الخير والشر ، أما الأفعال التي صرح الشارع بتحريمها كالزنا وشرب الخمر وأخذ الرشا والمكس وأكل الحرام ونحو ذلك فلا يجوز فيها لمؤمن أن يحمل صاحبها على محمل حسن .

وقد أجمعوا على أنه لا يصل أحد إلى مقام حسن الظن بالناس إلا إن طهر الله تعالى قلبه من سائر الرذائل بحيث لا تخطر الفحشاء في قلبه ، وما دام في باطنه شيء من الرذائل فمن لازمه غالبا سوء الظن بالناس قياسا على ما عنده .

ولذلك قيل :

إذا ساَءَ فِعْلُ المَرْءِ ساَءَتْ ظُـنونُهُ وَصَدَّقَ ما يَعْـتادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـــمِ
وَعـادى مُـحِـبِّـيـهِ بِقَوْلِ عِداتِـهِ وَأَصْبَحَ في لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

ولا يسلم العبد من سوء الظن بالناس إلا بالتواضع ، ولا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها عن غش الكبر والعجب ، فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغليانها .

فالتواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته ، والمؤمن الكامل يشغله الثناء على الله تعالى عن أن يكون لنفسه شاكرا ، وتشغله حقوق الله تعالى عن أن يكون لحظوظه ذاكرا ، حتى أنه لا يلتفت في نسبة شيء من المحاسن إلى نفسه ولا يطلب حظا لها ، بل يكون حريصا على توفية حقوق الله تعالى وحقوق عباده . انتهى .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد زروق ﷺ : النظر بعين الكمال المطلق يقتضي التنقيص فيما ليس بنقص عند تحقيقه ، والعصمة غير موجودة لسوى الأنبياء ، فلزم أن ينظر الغالب على أحوال الشخص لا لكلها ، فإن غلب صلاحه رجح وإن غلب غير ذلك رجح ، وإن تساويا نظر فيه بوجه التحقيق فأعطى حكم المسالمة ، فإن أمكن التأويل في الجميع تأول مالم يخرج لحد الفسق البين أو يتعلق بما ينقض طريقه .

قيل للجنيد رضي الله عنه : أيزني العارف ؟ فسكت مليا ثم قال : وكان أمر الله قدرا مقدورا ، قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : ليت شعري لو قيل له أتتعلق همة العارف بغير الله ، لقال لا .

قلت : لأن عنوان معرفته تعلقه بربه ، فإذا انتقض ذلك انتفى عن المعرفة فافهم .

وسئل قطب العارفين السيد أحمد بن إدريس الحسيني المغربي عن قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

فأجاب بأن الظن يحصل للإنسان من قبل نفسه فيصدقه عليه الشيطان ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي إبليس المجال ، وليس أنه لولا إبليس ما عصي الله تعالى ، فإن إبليس عصى من قبل نفسه وليس له شيطان ، وهو أيضا يخطب على منبر فى النار بما حكى الله تعالى عنه في القرآن . ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾

وهذا الظن وقع فيه الناس إلا من عصمه الله تعالى ، ولذا قال تعالى : ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني لا المؤمنون جميعهم بل فريق ، نسأل الله العافية والسلامة .

فإنك ترى أنك لولا سعيك في الرزق لما أكلت ولا اكتسبت ، وهذا ظن اتبعته ورميت اليقين وهو قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾.

وهذا وإن كان في بني إسرائيل فهو عام لأن القرآن أنزل على رسول الله ﷺ ليتخلق به هو وأمته ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي لهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ ، أتى بقوله ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ بإضافة الرزق إليها ثم عطف بقوله ﴿وَإِيَّاكُمْ ﴾ تنكيتا لابن آدم لو فهم أن الدابة لما لم تحمل رزقها ابتدأناها بالرزق كما قدمناها في اللفظ بقولنا ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ ، وابن آدم لما كان له سعي في رزقه أخرناه في الرزق كما أخرنا لفظه بقولنا ﴿وَإِيَّاكُمْ ﴾ فهذا هو ظن من قبل نفس الإنسان .

فلما ألقى إبليس المجال بهذا الظن صَدَّقه ، فصار الإنسان عازما جازما بأنه لو لم يسع لما رزق أصلا .

كذلك العلم ظن الإنسان من قبل نفسه أن العلم هو ما عليه الناس الآن مكبُّون كالمنطق والتعمق في النحو والصرف وعلم الأصول ، فصدقه عليهم إبليس وصاروا عازمين جازمين بأن ذلك هو العلم لا علم غيره ، ثم يصدق الرجل قول الرجل إذا نقله له عن صاحب مذهبه ويعلم أنه صادق لا ريب فيه ، فيحكم به وهو يعلم علما يقينا أن الشاهد الواحد لا تقبل شهادته حتى ينضم إليه آخر أو امرأتان ، فيرمي هذا اليقين الذي هو من قبل الله تعالى ، ثم يعمل بظنه الذي حصل عن إخبار المخبر له بأن صاحب مذهبه قال كذا ، فيصدقه عليه إبليس ويرى أن ذلك هو الحق .

إذا قالَتْ حَذامِ فَصَدِّقوها   فَإنَّ القَوْلَ ما قالَتْ حَذامِ« ١ »

ثم قد يكون كلام إمامه معارضا لكتاب الله ولسنة رسوله اللذين جميع الأمة متلقية لهما بالقبول عن النقل الصحيح الذي لا يشك في صحة نقلهما من له أدنى مسكة بالإسلام . فإن وجد تأويلا قطر« ٢ » كتاب الله وسنة رسوله إلى قول إمامه ، وإن لم يجد تأويلا رماهما وعمل بقول إمامه ويقول : لو كان هذا الحديث صحيحا لعلمه إمامي فهذا معنى ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾

وإضافة الظن إلى إبليس لكونه كان بسببه المجال لإبليس في كونه صدقه عليهم ، وإلا فالظن والتصديق منه لكن لما صار التصديق له صار الظن داخلاً تحته فانقلب الظن له وصار الظن و التصديق كلاهما له . اللهم أعذنا من الشيطان حتى لا يكون له علينا سلطان« ٣ » .

« ١ » حذام اسم امرأة ، وهذا النظم يضرب به المثل عند العرب في تصديق الرجل لصاحبه « جَمْهَرَة الأمثال » للعسكري .

« ٢ » أي جعل فهمه للكتاب والسنة قطارا يوصله إلى قول إمامه .

« ٣ » يوجد في النسخة الأصلية هنا زيادة : وروى ابن ماجه أنه ﷺ قال : « عليكم بالبغيض النافع التلبينة فوالذي نفسي بيده إنه ليغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم الوسخ عن وجهه ، وروى أحمد والبخاري ومسلم أنه ﷺ قال : « التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن » . انتهى « عقد النفيس » ٢٥٨ .

فصل

في بيان رؤية الله جل وعلا ورؤية رسول الله ﷺ وشرف وكرم في اليقظة والواقعات والمنام ، وفي كونه ﷺ وسيلة لكل رحمة وخير ، وما تعلق بجناب حضرته والصلاة عليه ﷺ

قال في « تنوير الصدر » في٢٠ في حق رؤية الحق : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي لا تحيط به الأبصار كما تحيط بغيره ، فالمنفي في الآية الإدراك وهو الإحاطة ، وأهل السنة أثبتوا الرؤية وهي المعاينة ، وقد تكون بلا إدراك بل على وجه لا يحيط به التعريف من غير انحصار ولا إحاطة ولا مقابلة ولا إدراك ولا نهاية ولا تكيف ولا ثبوت مسافة بينه وبين الرائي له ، فيراه المؤمنون بإدراك يخلقه الله تعالى لهم ، يدركون به ما ليس في جهة كما خلق في قلوب العارفين في الدنيا العلم بما ليس في جهة ، ومقتضى كلام ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل التسوية بين الإدراك والرؤية ، فإنهما قالا : لا تراه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة ، ويدل على تخصيصها في الآخرة ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ، فقوله﴿نَاظِرَةٌ﴾ مقيد بيوم القيامة ، ويكون هذا جمعا بين الآيتين .

ثم اعلم أن تحقيق هذا المقام أن رؤية الله تعالى في الدنيا لم تثبت إلا لرسول الله محمد ﷺ بالإجماع ، وأما المؤمنون فيرونه في الآخرة .

وغاية ما تمناه العارفون الرؤية القلبية ، كقول سبط سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره ونور ضريحه :

أَنِلْنا مَعَ الأَحْبابِ رُؤْيَتَكَ التي إِلَيْها قُلوبُ الأَوْلِياءِ تُسارِعُ

ولذا لم يقل (عيون) بل قالوا : (قلوب الأولياء تسارع) ، لأن الرؤية في الدنيا بالقلب كما علمت ، وأما رؤية البصر فهي الموعود بها في الآخرة .

وأما قول ابن الفارض :

وَإذا سَألْـتُـكَ أنْ أراكَ حَقيقَـةً فَاسْمَحْ وَلا تَجْعَلْ جوابيَ لَنْ تَرى

وإن كان فيه ما يفيد بظاهره علوّ مقامه عن سيدنا موسى عليه السلام فأجاب عنه العلامة الأمير في « حاشيته على عبد السلام » بأن رؤية كل بحسبه ، أي فهو طالب للرؤية القلبية بخلاف سيدنا موسى عليه السلام ، و قال ابن الفارض قدس سره في محل آخر :

أبْـقِ لي مُقْلَـةً لَعَلِّـيَ يَـوْماً قَبْلَ مَوْتي أرى بِها مَنْ رَآكا

أويقال أن ابن الفارض قدس سره مراده الرؤية في الدار الآخرة بدليل التعبير بإذا ، فإنها تدل على الاستقبال ، على أنه إذا كان ممكنا فيجوز الطلب بكل ما يمكنه ذلك ، ولا يلزم من الطلب الحصول .

وما أحسن قول أبي الفارس قدس سره : لو نيل بالفضل مطلوب لما حرم الرؤيا الكليم وكان الحظ للجبل .

قال النابلسي قدس سره : قوله (وإذا سألتك) ولم يقل (وإن سألتك) إشارة إلى أن سؤاله سيتحقق منه الإمكان وعدم امتناعه .

وقوله (لن تراني) إشارة إلى ما أجيب به موسى عليه السلام للرؤية كان مع بقائه على مادته في جبلته ، ولهذا كان جوابه (لن تراني) ، يعني وأنت على ما أنت عليه من المادة الطبيعية والنشأة الإنسانية ، فإن الرؤية بالتجرد عن الأوصاف المذكورة كانت مدخرة للحقيقة المحمدية والنشأة الأحمدية ، وقد كان من غير سؤال منه صلى الله عليه وسلم ولا طلب ، وللورثة المحمدية نصيب من ذلك ، ولهذا ودَّ سيدنا موسى عليه السلام أن يكون من أمته عليه الصلاة والسلام ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » .

ولما كان سيدي عمر بن الفارض ﷾ من الأولياء المحمديين ومن ورثة محمد ﷺ قال : (لا تجعل جوابي لن ترى) ، ولا بد في أن يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل من الخصوصيات . انتهى اختصارا من « تنوير الصدر » ٢٢ راجعه .

وقال سيدي العارف بالله السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي في شرحه على صلاة سيدي أحمد البدوي ﷾ : إن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح ، حتى بعث بجسمه ﷺ ، فالأنبياء الذين سلفوا أخذوا منه ﷺ ، وأوليائهم ومتبعوهم أخذوا منهم . انتهى ما في « التقريب » للسيد ابن دحلان ﷾ .

وقال أيضا فيه : وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﵁ : كل نبي وولي مادته من رسول الله ﷺ ، فمن الأولياء من يشهد عينه ، ومنهم من تخفى عليه عينه ومادته ، فيبغي بالذي يرد عليه ولا يشتغل بمادته .

وقال سيدي محي الدين بن العربي ﵁ : كل نبي وولي إنما يأخذ بواسطة روحانية النبي ﷺ ، من الأولياء من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه ، وأما المهيمنون من طوائف الملائكة فإنهم لما كانوا في شدة الاستغراق في شهود الحضرة جعلوا كأنهم لا يعقلون غير الذات العلية ، فكمال الاستغراق أدمج لهم الحضرة المحمدية ، ولا يلزم من هذا نفي كونه ﷺ واسطة لهم كغيرهم كما لا يخفى انتهى .

وما أحسن ما قاله سيدي الشيخ محمد ابن الشيخ أبي الحسن البكري ﵁ في هذا المعنى :

ما أَرْسَلَ الرَّحمنُ أَوْ يُرْسِلُ ... مِنْ رَحْمَةٍ تَصْعَدُ أَوْ تَنْـزِلُ
مِنْ مَلَكوتِ اللهِ أَوْ مُلْكِهِ ... مِنْ كُلِّ ما يَخْتَصُّ أَوْ يَشْمُلُ
إلا وَطـهَ المُصْطَفى عِنْدَهُ ... نَبِيُّهُ مُخْتـارُهُ المُـرْسَـلُ
واسِطَـةٌ فيها وَأَصْلٌ لَهـا ... يَعْلَمُ هذا كُلُّ مَـنْ يَعْـقِلُ

والأبيات طويلة ، ثم قال في آخرها :

وأنْـتَ بابُ اللهِ أيُّ امـْرئٍ أتاهُ مِنْ غَيْــــرِكَ لا يَدْخُلُ

وقال بعض العارفين : مدده ﷺ موصول بكل موصول ومفصول ، والتلقي من يده في كل مدد مشهود لأهل العقول ، فمن زال حجابه عرف ، ومن ران عليه انحرف وانصرف .

قال سيدي عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس قُدِّسَ سِرُّهُ : كل من حصلت له الرحمة في الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات إنما خرج له ذلك على يد رسول الله ﷺ بواسطته ﷺ ، وهو الذي يقسم الجنة بين أهلها .

ولذلك عدوا من خصائصه ﷺ أنه أعطي مفاتيح الخزائن ، أي أعطي مفاتيح خزائن أجناس العالم ، فيخرج لهم بقدر ما يطلبون بحسب القسمة الإلهية ، فكل ما ظهر في هذا العالم فإنما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح ، فلا يخرج شيء من الخزائن الإلهية إلا على يديه ﷺ ، وهو معنى اسمه الخليفة ، فلا طاقة لأحد بالنفي والشهود بدون واسطته ﷺ ، فهو المرآة الكبرى والمَجلى الأعظم ، وأقواله وأفعاله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به ولا نهاية للمعرفة ، فما دام الإنسان يترقى فيها فهو مغترف من بحره ومستمد منه ، حتى الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليه و عليهم أجمعين .

وقال بعض السادات : قلت يوما لواحد من أكابر سمرقند إنه إذا رأى شخص في المنام أن الحق سبحانه وتعالى قد مات فما يكون تعبيره ؟ قال : قال الأكابر : إذا رأى أحد موت النبي ﷺ في المنام فتعبيره وقوع القصور والفتور في شرع صاحب الواقعة ، وكأنه رأى في منامه موت صورة الشريعة ، ولهذا الرؤيا مشابهة لتلك .

قال الشيخ عبيد الله أحرار ﷳ : يمكن أن يكون تعبيره على وجه آخر ، وهو أنه قد يكون لصاحب الرؤيا حضور بالله فيزول هذا الحضور ويتطرق إليه الغفلة والفتور ، فيكون تعبير هذا الرؤيا انعدام نسبة هذا الحضور والشهود .

وقال الشيخ العارف الهروي ﷳ : قد عبر مولانا عبد الرحمن الجامي ﷳ هذا الرؤيا بتعبير آخر وقال : يحتمل أن يكون قد زال من قلب صاحب هذه الواقعة وانعدم شيء من أهوائه التي كان يتخذها إلها بموجب قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فيكون رؤية موته تعالى انعدام ذلك الهوى واضمحلاله ، فعلى هذا تكون تلك الواقعة دليلا على زيادة حضوره . انتهى ذكره في « الرشحات » .

وقال العارف الشعراني ﷺ في « اللواقح »في ٨ : فإن أكثرت من الصلاة والسلام عليه ﷺ **فربما تصل إلى مقام مشاهدته** ﷺ ، وهي طريق الشيخ نور الدين الشوني والشيخ أحمد الزواوي والشيخ محمد بن داود المنزلاوي ﷳ وجماعة من مشائخ اليمن ، فلا يزال أحدهم يصلي على رسول الله ﷺ ويكثر منها حتى يتطهر من كل الذنوب ويصير يجتمع به يقظة أيّ وقت شاء ومشافهة ، ومن لم يحصل له هذا الاجتماع فهو إلى الآن لم يكثر من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ الإكثارَ المطلوبَ ليحصل له هذا المقام .

وأخبرني الشيخ أحمد الزواوي أنه لم يحصل له الاجتماع **بالنبي ﷺ يقظة حتى واظب على الصلاة عليه ﷺ سنة كاملة يصلي كل يوم وليلة خمسين ألف مرة ، وكذلك أخبرني الشيخ نور الدين الشوني ﷳ أنه واظب على الصلاة على النبي ﷺ كذا وكذا سنة يصلي كل يوم ثلاثين ألف صلاة .**

وسمعت سيدي عليا الخواص ﵀ : لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ أيّ وقت شاء .

قال : وممن« ١ » بلغنا أنه كان يجتمع بالنبي ﷺ يقظة ومشافهة من السلف الشيخ أبو مدين شيخ الجماعة والشيخ عبد الرحيم القناوي والشيخ موسى الزولي والشيخ أبو الحسن الشاذلي والشيخ أبو العباس المرسي والشيخ أبو السعود ابن أبي العشائر وسيدي إبراهيم المتبولي والشيخ جلال الدين السيوطي قدس الله أسرارهم كان يقول : رأيت النبي ﷺ واجتمعت به يقظة نيفا وسبعين مرة .

و أما سيدي إبراهيم المتبولي قدس سره فلا يحصى اجتماعه به ، لأنه كان يجتمع به في أحواله كلها ويقول : ليس لي شيخ إلا رسول الله ﷺ .

وكان الشيخ أبو العباس المرسي قدس سره يقول : **لو احتجب عني رسول الله ﷺ ساعة ما عددت نفسي من جملة المؤمنين** .

واعلم أن مقام مجالسة رسول الله ﷺ عزيزة جدا ، وقد جاء شخص إلى سيدي علي المرصفي قدس سره وأنا حاضر فقال : يا سيدي قد وصلت إلى مقام صرت أرى رسول الله ﷺ يقظة أيّ وقت شئت ، فقال له : يا ولدي بين العبد وبين هذا المقام مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام ، ومرادنا : تتكلم لنا يا ولدي على عشرة مقامات منها ، فما درى ذلك المدعي ما يقول وافتضح .

فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وكان مولانا صاحب الكرامات والكيمياء الشيخ **محمود** الفعال الألمالي قدس سره المدفون بحاجي ترخان ممن رآه وصافحه ﷺ يقظة وقصته مشهورة .

وأما الذين اجتمعوا معه ﷺ في الواقعة والمنام فكثيرة لا تحصى ، وقد اجتمعت به ﷺ في الواقعات والمنام بضعا وثلاثين مرة« ٢ » ، ورأيته أيضا مرات على حاله منكسرة الرباعية ، والحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

« ١ » وفي نسخة : مما .

« ٢ » وقد جمعت في « سراج السعادات في سير السادات » جميع ما أدركته من وقائع شيخنا هذا سيف الله قدس سره في حق رؤية نبينا ﷺ وأصحابه وأهل بيته وفي حق رؤية سائر الأنبياء والأولياء . فمن أراد أن يعرف تفاصيل وقائعه قدس سره فليراجع إليه في ترجمته ، والسلام . من الحقير حسن حلمي القحى . اهـ من خطه قدس سره .

وكان سيدي أبو المواهب الشاذلي ﵁ كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ ، وكان يقول : قلت لرسول الله صلى الله عليه إن الناس يكذبوني في صحة رؤيتي لك ، فقال رسول الله ﷺ : وعزة الله وعظمته من لم يؤمن بها وكذبك فيها لا يموت إلا يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا .

وقال« ١ » ﵁ : رأيت رسول الله ﷺ على سطح جامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة سنة ، فوضع يده على قلبي وقال : يا ولدي الغيبة حرام ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ .

وقال ﵁ أيضا : رأيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! صلاة الله عشرا على من صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضر القلب ؟ فقال : لا ، بل لكل مصل علي ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

وقال بعض العارفين : من فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ فإنه من صلى على النبي ﷺ صلى الله عليه عشرا ، فلو فعل الإنسان جميع الطاعات طول عمره وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله جميع عمره من جميع الطاعات ، لأنك تصلي على حسب وصفك والله يصلي عليك أي يرحمك على حسب ربوبيته ، عطية القوم على قدر أقدارهم .

هذا إذا كانت صلاة واحدة ، فكيف إذا صلى عليك عشرا بكل صلاة ؟ فما أحسن عيش من أطاع الله تعالى بذكره والصلاة على رسوله ﷺ . فكم من صنائع صنعت لك وأنت لا تدري ، وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة وردت فيها أحاديث لا تحصى ، ويفهم من مجموعها حصول فوائد للمصلي عليه لا تحصى .

« ١ » أي الإمام الشاذلي قدس سره ولعله من كراماته قدس سره .

فمنها امتثال أمر الله تعالى حيث قال : ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة لأنها أشرف مقامات العبد .

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ موافقة العبد لربه في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلف معنى الصلاتين ، وفوائدها نذكر إن شاء الله تعالى استقلالا ، وفقنا الله تعالى للقيام على أدب رسول الله ﷺ وشرف وكرم .

وقال الصفدي قُدِّسَ سِرُّهُ : قد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبي ﷺ وأمره بأمر هل يلزم العمل به أو لا ، قالوا : إن أمره بما يوافق أمره يقظة ففيه خلاف ، وإن أمره بما يخالف أمره يقظة ، فإن قلت إن من رآه ﷺ على الوجه المذكور من صفته فرؤياه حق ، فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بأرجحهما ، وما ثبت في اليقظة فهو أرجح ، فلا يلزمنا العمل بما أمره مما خالف أمره يقظة . انتهى . « كشكول » ١٣٦

وقال الشيخ الأكبر قُدِّسَ سِرُّهُ في الباب الرابع عشر من « الفتوحات » : اعلم أن الحق تعالى قصم ظهور الأولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت النبي محمد ﷺ ، وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم ، ولو أن أحدا من الأولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج إلى وحي على لسان غيره ، وإنما غاية لطف الله تعالى بالأولياء أنه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي . اهـ « يواقيت » ٨١ .

واعلم أن المنامات والواقعات لا اعتماد عليها ولا اعتبار لها ، فإن الإنسان لا يكون سلطانا أو قطب وقت في الحقيقة بسبب رؤية نفسه كذلك في المنام ، فإن كان في الواقع سلطانا أو قطب الوقت فمسلم ، وكذلك كل ما ظهر من الأحوال والمواجيد في الصحو والإفاقة ففيه مجال للاعتماد عليه ، وإلا فلا . « مكتوبات » ١٧٢

وسئل قطب العارفين السيد أحمد بن إدريس الحسيني رضي الله عنه عمن رأى النبي ﷺ على غير الصورة التي هو منعوت بها هل يعمل بها أم لا وهل الرؤيا على غير هذه الصورة حق أم لا ؟ **فأجاب** أنها رؤيا حق ، وأن من رأى النبي ﷺ فقد

رآه حقا وإن كان على غير صورته ، بدليل أن جبريل عليه السلام كان يجيئ للنبي ﷺ على صورة دحية رضي الله عنه ، وإنما تختلف حالات الرائين له ﷺ ، ففي المرآة تنظر صورتك ، فإن كنت حسنا رأيت حسنا وإن كنت قبيحا رأيت قبيحا ، كذلك من رأى النبي ﷺ يراه على قدر عمله مع الله تعالى ، والمؤمن مرآة أخيه ، وأما إذا أمره بأمر أو نهاه عن نهي ، فإن كان على الصورة المنعوت بها ﷺ فأمره في النوم كأمره في اليقظة في أنه يتبع ، وكذا ما نهى عنه ، وأما إذا لم يكن على صورته تلك الحالة فلا يتبع إلا إذا وافق الشرع .

ثم ذكر رضي الله عنه في المرآة معنى آخر فقال : والمرآة هذه آية عظيمة ، فإنك ترى صورتك فيها متيقنا لذلك ، وتعلم أيضا يقينا أنها ليست صورتك ، فهو عدم ووجود في حالة واحدة ضدان لا يفترقان ، وكذلك حين خلق الله تعالى آدم عليه السلام قبض يديه تعالى كما يليق بجلاله ثم قال لآدم : اختر أيهما شئت ، فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، ففتحها فإذا فيها آدم وذريته وجميع الأنبياء كما ورد ذلك في الحديث ، فذلك الظهور وجود في عدم وعدم في وجود ، فسبحان الله العظيم . « عقد النفيس » ٦٢

وقال شيخ شيخنا قدس سره في « جامع الأصول » : واعلم أن الواقعات القلبية والروحية والملكية تكون مع الذوق ويحصل للنفس منها قوة وشرب وشوق ، ويظهر لها التنفر عن الخلق ولذة عالم الشهادة ومشتهيات عالم الجسم ، ويحصل لها الاستئناس مع المغيبات والعالم الروحاني ولما ينكشف لها عالم الأسرار والحقائق تنقطع بالكلية إلى عالم الغيب ، ثم بعد ذلك تحصل المشاهدة ، وهي أن مرآة القلب إذا صفت بلا إله إلا الله وحصلت لها الصقالة وذهب عنها الصدأ تظهر لها أنوار الغيب بحسب الصقالة ، فتكون أولا كالبرق واللوامع واللوائح ثم كالسراج ثم كالشمع ثم كالمشعل ثم كالكواكب ثم كالهلال ثم كالبدر ثم كالشمس ثم أنوار مجردة ، ووصف ذلك يطول ، ثم من بعدها التجليات ، ويليها المكاشفات ، ثم الوصول إلى حقيقة المعرفة . انتهى

فصل

في بيان معنى القبض والبسط وما ورد فيهما من أقوال السادات

و قال في « الحكم العطائية » : بسطك كي لا يبقيَك مع القبض ، وقبضك كي لا يتركك مع البسط ، وأخرجك منهما كي لا تكون لشيء دونه .

القبض والبسط من الحالات التي يتلوّن بها العارفون ، وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين .

وسببهما الواردات التي ترد عل باطن العبد ، وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها .

والمقصود هنا أنهما وصفان ناقصان بالنسبة إلى ما فوقهما ، فإنهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده ، فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم إخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه .

قال فارس رضي الله عنه : القبض أولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط ، لأن القبض والبسط يقعان في الوجود ، وأما مع الفناء والبقاء فلا .

وكان الجنيد رضي الله عنه يقول : الخوف يقبضني ، والرجاء يبسطني ، والحقيقة تجمعني ، والحق يفرّقني ، إذا قبضني بالخوف أفناني عني ، وإذا بسطني بالرجاء ردني علي ، وإذا جمعني الحقيقة أحضرني ، وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني عني ، فهو في ذلك كله محركي غير مسكني ، وموحشي غير مونسي ، فحضوري لذوق طعم وجودي ، فليته أفناني عني فمتعني أو غيبني عني فروحني .

وقد تكلم صاحب كتاب « عوارف المعارف » في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله هنا اختصارا ، فمن أراد فلينظره هناك . اهـ .

العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل ، إنما اشتد خوف العارفين في البسط ما لم يشدوا في القبض من قِبل ملاءمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الآن ، فيخافون حينئذ من رجوعهم إليه وذوقهم لطعم نفوسهم ، وفي ذلك الطرد والبعد .

وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي إلى الجنيد ﷺ : لا أذاقك الله تعالى طعم نفسك ، فإنك إن ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ، ومن ثم يتأكد عليهم في ذلك ملازمة الأدب ودوام الانقباض والانكسار ، وذلك أمر عسير في هذا الحال ، ولذلك لا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل . « شرح الحكم » ٦٣

وقال شيخ شيخنا قدس الله تعالى سرهما في « جامعه » : وأما القبض والبسط فقالوا إنهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، والعبد قلما يخلو منهما ، والحق يقتضي منك العبودية فيهما .

فمن كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم بسببه أو لا ، وأسباب القبض ثلاثة : ذنب أحدثته ، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك ، أو ظالم يؤذيك في مالك أو نفسك أو عرضك أو عيالك أو جاهك أو دينك أو غير ذلك ، فإن ورد شيء من هذه الأسباب ، فالعبودية أن ترجع إلى الشرع ، أما في الذنب فبالتوبة والإنابة وطلب الإقالة ، وأما فيما ذهب عنك أو نقص لك فبالتسليم والرضا والاحتساب ، وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والسكون والثبات ، فاحذر أن تظلم نفسك فتنتصرلها فتعدّي الحق في حق الظالم ، فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك ، فإن فعلت ما أشرت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح ، وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب دعوتك ، فتلك درجة الصديقين والرحماء ، وتوكل على الله تعالى .

وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار ، فالقبض أشبه شيء بالليل ، والبسط أشبه شيء بالنهار ، فإذا ورد عليك القبض بغير سبب ، فالواجب عليك السكون ، وهو عن ثلاثة أشياء : عن الأقوال والحركات والإرادات ، فإذا فعلت ففي قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك ، أو يبدو لك نجم تهتدي به ، أو قمر تستضيء به ، أو شمس تبصر بها .

والنجوم نجوم العلم ، والقمر قمر التوحيد ، والشمس شمس المعرفة ، وإن تحركت في ظلم ليلك فقل : سلمنا ، تسلم من الهلاك ، واعتبر بقوله تعالى : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الآية فهذا حكم العبودية في القبضين .

وأما من كان وقته البسط ، فلا يخلو إما أن يعلم له سببا أو لا .

فالأسباب ثلاثة أيضا : الأول زيادة الطاعة أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة والثاني زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة ، والثالث المدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك وأنواع تعظيمك .

فإذا ورد عليك شيء من هذه الأسباب ، فالعبودية تقتضي أن ترى النعمة والمنة عليك من الله تعالى في الطاعة والتوفيق فيها وتيسير أسبابها ، **واحذر أن ترى شيئا منها من نفسك** ، وحقها أن يلازمها خوف السلب فتكون مفتونا ، هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى ، وأما الزيادة من الدنيا فهي نعم كالأولى ، وخَف مما بطن من آفاتها وغوائلها وتصريفها وجهة كسبها إلى غير ذلك من الواجبات والمندوبات والمحرمات ، وأما مدح الناس وسائر تعظيماتهم فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك ، وخف من الله تعالى أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك .

وأما البسط الذي لا تعرف له سببا ، فحق العبودية ترك السؤال والإدلال والصولة على النساء والرجال . اهـ . من ٣٤

فصل

في بيان الذل والتواضع والافتقار وما أشبهها من المدح والذم

قال أبو يزيد البسطامي ﵁ : إلهي ما ذكرتك إلا عن غفلة ، وما خدمتك إلا عن فترة . « نفحات » ١١٠ .

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي ﵁ : اعمل على أن ليس في الأرض أحد غيرك ولا في السماء أحد غيره « نفحات »١١٦

وقال علي الخواص ﵁ : من شرط التواضع أن يغيب عنك شهود التواضع اهـ . « تقريب » ٩٦ .

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير : إن لم تطب نفسا بأن أجعلك علكا في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين انتهى .

قال يوسف بن أسباط ﵁ وقد سئل : ما غاية التواضع ؟ قال : أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك .

وقد ذكر الشيخ أحمد ابن علان في شرحه على قول ابن بنت ميلق ﵁ :

وَلِلْفَقيرِ وُجوهٌ لَيْسَ يَحْصُرُها   عَدٌّ وَكُلُّ وُجودٍ فَـهْـوَ واديـهِ

الفقير هو الفاني الخارج من أوصاف بشريته المتحقق بعبوديته ، ومثل هذا تشرق عليه أوصاف الربوبية وتسطع عليه من مشرقة أنوار الخصوصية وتصدر من مظهره القدرة الإلهية ، ويكون متخلقا بأوصاف مولاه كما ورد : « تخلقوا بأخلاق الله » ، فتعم رحمته الخلق وتواضعه لكل فرد ، حتى كأن الخلق كلهم أجزاؤه ، فيتنعم إذا تنعموا ويتألم إذا تألموا ويقابل السيئة بالحسنة ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه ، كما وقع للنبي ﷺ حيث شج الكفار رأسه الشريف وكسروا رباعيته فقال الصحابة : ادع عليهم يا رسول

الله : فقال : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » ، فدعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بعدم العلم .

وكذلك ينبغي لورثته إذا بلغه من أحد سيئة أن يقول : اللهم اهد فلانا فإنه لا يعلم ، فمن اقتدى به ﷺ في مثل هذه الخصلة كان له من الإرث النصيب الوافر ، كما أشرنا إليه من قبل ، ومن تحقق بهذا المقام كانت أوصافه« ١ » تحصر ومحاسنه تتزايد في كل وقت وتظهر . انتهى .

ثم اعلم أيها الأخ الأسعد أن المشائخ أرباب التمكين لما علموا أن في النفوس الداء الدفين والحظوظ النفسية ورعونتها ودسائسها بالغوا في شرح التواضع إلى حدّ ألحقوه بالضِّعَةِ تداويا للمريدين .

والاعتدال في التواضع أن يرضى الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه ولو من الشخص جموح النفس لا وقفها« ٢ » على حد تستحقه من غير زيادة ولا نقصان ، ولكن لما كان الجموح في جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار ، فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت التداوي بالتواضع وإيقافها دون ما يستحقه ، لئلا يتطرق إليها الكبر ، وذم الكبر لا يخفى . « عوارف » من الباب ٣٩

قال الشيخ السهروردي ﯦ ترجمان الحقيقة شهاب الدين : وقد انفهم من كثير من إشارات المشائخ في شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع مقام الضعة ، ويلوح فيه الهوى من أوج الإفراط إلى حضيض التفريط ، ويوهم انحرافا من حد الاعتدال ، ويكون قصدهم في ذلك المبالغة في قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر ، فقل أن ينفك مريد في مبادي ظهور سلطان الحال من العجب ، حتى نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالإعجاب .

« ١ » لعله يقصد الأوصاف السيئة .
« ٢ » بأن لا يقف لنفسه على منزلة يراها أهلاً لها .

وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشائخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم ، وذلك إذا حدّق صاحب البصيرة نظره يعلم من استراق النفس السمعَ عند نزول الوارد على القلب .

والنفس إذا استرقت السمعَ عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يجفو على الوقت وصلاقة الحال ، فيكون من ذلك كلمات موزونة بالعجب كقول بعضهم : من تحت خضراء السماء مثلي ، وقول الآخر : قدمي على رقبة جميع الأولياء ، وكقول الآخر أيضا : أسرجت وألجمت وطفت في أقطار الأرض وقلت : هل من مبارز ، فلم يخرج إليّ أحد ، إشارة منه في ذلك إلى تفرده في وقته .

ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من استراق النفس السمع ، فليزن ذلك بميزان أحوال أصحاب رسول الله ﷺ وتواضعهم واجتنابهم عن أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشيء من ذلك ، ولكن يجعل لكلام الصادقين وجها في الصحة ويقال إن ذلك طفح عليهم سكر الحال ، وكلام السكارى يحمل .

ولقد رأيت في عصرنا ممن يدعي المشيخة ، بل يدعي القطبانية ، بل يدعي أنه خاتم الأولياء ويتكلم بكلام على نهج كلام الدسوقي والجيلاني وغيرهم قدس الله تعالى أسرارهم ، فلما امتحنتُ في عدة أمور وجدته لا يعرف اللطيفة حاشا عن المراقبة« ١ » ، ولم نجد عنده شائبة من آثار السادات ولا حولاً ولا قوة . إلخ .

« ١ » و هذا الحقير القحي رحم الله إفلاسه اجتمع مع واحد يدعى القطبانية ويقول لو كان على وجه الأرض أعلى مني رتبة في المشيخة فليتقدم فلما تفحصت عن أحواله ونظرت وتوجهت إلى ما فيه من صدقه أو كذبه وجدته رجلا لم يضع قدمه ولو في المقام الأول من الإرادة فضلا فيما فوقه بل أنكر على ذكر القلب وقال : إني سمعت أن شيخكم العسوى ومريديه يقولون إن القلب يذكر الله تعالى فهل لذلك لسان ؟ فكدت أن أبكي رحمة به و بما حلّ به من هذه المصيبة ، غفر الله له ولنا آمين . حسن حلمى سامحه الله من فرطاته آمين . « من خط قدس سره حسن حلمى أفندي ﵁ . على هامش الكتاب » .

ومما أوحاه الله تعالى إلى موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : يا موسى كن خلق الثياب جديد القلب ، تخفى على أهل الأرض وتعرف في أهل السماء . اهـ . وراجع « تنوير الصدر » ٨٩ من مبحث الذل و٦١ و« رشحات » ١٩١ .

ومن كلام بعض العارفين : لا تتعدّ همتك إلى غيره ، فالكريم المطلق لا تتخطاه الآمال ، من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا ، إذ ليس التواضع إلا عند رفعة ، فمتى أثبتَّ لنفسك تواضعا فأنت من المتكبرين .

وقال أيضا : ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع هو الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع ، إذا أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر إليه ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ « كشكول » ٢٣٩ .

وقال الإمام الرباني قدس سره النوراني : اعلم أن اللازم لأمثالنا الفقرآء اختيار الذل والافتقار والتضرع والإلتجاء إلى الحق والانكسار دائما وأداء وظائف العبودية والمحافظة على حدود الشريعة ومتابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية وتصحيح النيات في تحصيل الخيرات وتخليص البواطن وتسليم الظواهر ورؤية العيوب ومشاهدة استيلاء الذنوب والخوف من انتقام علام الغيوب ، واستقلال الحسنات وإن كانت كثيرة ، واستكثار السيئات وإن كانت يسيرة ، وكراهة الشهرة وقبول الخلق ، قال عليه الصلاة والسلام : « بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا ، إلا من عصمه الله تعالى » ، واتهام النيات والأفعال وإن كانت صحيحة مثل فلق الصبح ، وعدم اعتناء بالأحوال والمواجيد وإن كانت مطابقة للواقع ، وعدم الاعتماد عليها .

ولا ينبغي أيضا استحسان مجرد تأييد الدين وتقوية الملة وترويج الشريعة ودعوة الخلق إلى الحق جل وعلا ، فإن هذا القسم من التأييد قد يكون أحيانا من الكفار والفجار وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وكلما يجيء مريد لطلب الطريقة وإرادة الإنابة ينبغي أن لا يفرح به لئلا يكون مكرا واستدراجا ، وأن يكون في حذر وخوف في السر والعلانية زمن الإطاعة والعصيان حتى ينزل عليه الرحمة لمجرد فقره وافتقاره وانكساره كما قال جل وعلا في الحديث القدسي : « أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي » ، هذا والله يتولاك . اهـ

نقل عن حضرة الخواجه ﷺ أنه سئل أن الفقراء قد تجاوزوا عن أنفسهم ولا يطلبون منفعة فلماذا يقولون : اللهم اغفر لي ؟ فقال : يطلبون النظافة لغيرهم .

وسئل حضرة الخواجه ﷺ عن الفقراء في نفي الكرامات ماذا يقولون ؟ فقال : كل شيء في صفة حقيقة كلمة التوحيد منفي ، فما الكرامات في جنب ذلك ، وقال : أصحاب الكرامات كلهم محجوبون ، والعارفون عن النظر إليها معدومون .

وسئل أيضا حضرة الخواجه ﷺ أنّ بصيرة ومعرفة أهل الله تعالى للخواطر والأعمال والأحوال من أين ؟ فقال : من نور الفراسة التي أكرمهم الله تعالى بها كما ورد في الحديث الصحيح : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » . انتهى

وسأل بعض الأكابر حضرة الخواجه ﷺ إذا أخذ الحق سبحانه وتعالى حالا من عبده الفقير فماذا يصنع ؟ فقال حضرة الخواجه ﷺ : إن كان فيه رمق باق من ذلك الحال ، وإن لم يبق فيه رمق منه فالمقصود منه الصبر والرضا .

وقال ﷺ : طلبه تعالى طلب البلاء« ١ » ، وورد في الأحاديث القدسية : « من أحبني ابتليته » ، وهذا المعنى ظاهر ، فإن المحب يكون في طلب المحبوب ، فكلّما كانت عزته أكثر كان البلاء والخطر في طلبه أكثر .

« ١ » أي من طلب الله تعالى فكأنه يطلب الابتلاء لأنه من لوازم قربه تعالى من العبد .

ورد في الأخبار أن شخصا جاء إلى النبي ﷺ وقال : إني أحبك . فقال له : « استعد للفقر » ، وآخر قال : يا رسول الله إني أحب الله ، فقال رسول الله ﷺ : « استعد للبلاء » . انتهى

وقال ابن عباد النفزي الرندي ﷺ في شرحه على « الحكم » : قال الشيخ أبو طالب : ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلّته طعما ولا لضعته حسا ، فقد صار الذل والتواضع كونه ، فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ، ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه ، فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه ، لازم لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح ، وهما صنعتان له كسائر الصنائع ، وربما فخروا بهما لعدم النظر إلى نقصهما .

فهذه ولاية عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه ، وهذا مقام محمود محبوب ، وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب .

ثم قال : ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المستكبر العز ويستحليه إذا وجده ، فإن فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله ، كما أن المتعزز إذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لأن ذلك حياة نفسه .

فإذا لا بد للمريد من إسقاط جاهه وإخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين الناس ، كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاءه إليه ، فلما علم بذلك السائحُ استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا بمرأى من الملك ، فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له . اهـ .

وقد بالغ أئمة الصوفية ﷺ في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ، ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به .

وذلك مثل قصة الرجل[1] الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ، ومشى بذلك متحيرا بحيث يرى ويظن به السرقة ، فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة ، حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام ، فحينئذ وجد قلبه .

وفي ذلك قال بعض السادات : كما فعل الخواص في لبس خلعة ابن ملك لحمام لغسل تجردا ، ومثل ماذكر ما يروى عن أبي يزيد ﵁ في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه وإعطائه لمن يصفعه من الصبيان ، وطوافه على تلك الحالة في المحافل والمحاضر . والحكايتان مشهورتان ذكرهما الإمام أبو حامد الغزالي ﵁ .

قال بعض المصنفين : وإذا جاز لمن غص بلقيمات من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر إذا لم يجد غيره مع أن تحريمه مقطوع به ولا يفوته إلا حياة فانية ، فلأن يجوز مثل هذا إذا تعين أولى ، إذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى .

فإذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت **نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه** واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام ، وتلك الثمرة أخلاق الإيمان التي تكيفت بها نفسه وصات كصفات ذاتية له ، وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله تعالى في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

قال عيسى ﵇ لأصحابه : أين تنبت الحبة ؟ قالوا في الأرض ، فقال عيسى ﵇ : كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض .

وقد ورد في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة ، ولكن رغبنا عن ذكرها لشهرتها ، لكون الأرجوزة مختصرة لا تسع أمثالها .

« ١ » و قد أجاب ابن حجر ﵁ في « التحفة » لجواز فعل ما فعله هذا الرجل ﵀ بأجوبة مرضية فراجعه « قحي حسن أفندي » رحم الله إفلاسه .

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﵁ : اعلم أنك إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة ، إلا من يدلك على الله تعالى بإشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة ، وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك ، بل كن في ذلك عبدا لله أمرك أن ترفض عدوه .

فإن أتيت بهاتين الخصلتين الإعراض عن الناس والزهد في الدنيا فأقم مع الله تعالى بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والإنابة والخضوع للأحكام بالاستقامة .

وتفسير هذه الوجوه الأربعة أن تقوم عبدا لله فيما تأتي وما تذر ، وتراقب أن لا يرى قلبك في المملكة شيئا لغيره ، فإن أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز أنك قد عميت عن طريق الرشد : من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ فهنالك يدركك من الحيآء ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قريب .

فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك أن لا يشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت عنه ، فإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى : التوبة منه بدت والإنابة منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك ، فهناك تظهر أوصافك ، فتستعيذ بالله تعالى منها وتأخذ في الاستغفار والإنابة ، والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه ، فإن كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والانابة ناداك عن قريب : اخضع لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك ، وإنما هي ربوبية تولّت عبودية ، **وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شيء** ، فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها ، وأنا بكل شيء عليم . « شرح الحكم » للنفزي الرندي ﵁ في ٢١

وقال شيخ شيخنا ﵁ : **فاعلم أن التواضع من أفضل الأوصاف** الحميدة وأحسنها وأكرمها ، وبه نال النبي ﷺ الفضل على الأولين والآخرين ، فكان ﷺ أشد الناس تواضعا ، وقد خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ، فاختار

أن يكون نبيا عبدا ، فقال له إسرافيل عند ذلك : فإن الله تعالى قد أعطاك بما تواضعت له وإنك سيد ولد آدم وأول شافع وأول من تنشق عنه الأرض .

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه كان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم والأجير ويحمل بضاعته عن السوق .

وقال الشاذلي ﷺ : وسم السعادة في رجل عرف الحق فتواضع لأهله وإن عمل ما عمل ، ووسم الشقاوة في رجل جحد الحق وتكبر على أهله ولو عمل ما عمل .

وقال : خرجت البستان مع أصحابي بمدينة تونس ثم عدت إلى المدينة وكنا ركبانا على الحمير ، فلما وصلنا قريبا من المدينة نزلوا وكان طين« ١ » وقالوا : يا سيدي انزل هنا ، فقلت : ولِمَ ؟ فقالوا : هذه المدينة ونستحي أن ندخلها على الحمير فشلت رجلي وأردت موافقتهم ، فإذا النداء : يا علي إن الله تعالى لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ، ولكن يعذب على تعَب« ٢ » يصحبه الكبر . انتهى « جامع الأصول » ٣٨ .

وقال الشيخ أحمد بن علان ﷺ : إن العبودية لها أوصاف أربعة ، والربوبية لها أوصاف أربعة .

فأوصاف العبودية الفقر والضعف والعجز والذلة ، **وأوصاف الربوبية** الغنى والقوة والقدرة والعز ، فكلما تحقق السالك بوصف العبودية أمره الرب بوصف من أوصاف الربوبية .

قال في « الحكم » : كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متخلقا .

« ١ » أي على الأرض .
« ٢ » في نسخة : على راحة .

وقال أيضا : تحقق **بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بفقرك يمدك بغناه ، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته ، تحقق بذلّك يمدك بعزه ، تحقق بعجزك يمدك بقدرته .**

ومن هنا يفهم السر في قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ لم يسمه في هذا المقام بمحمد ولا بأحمد ولا برسول ولا بنبي ، وإنما وصفه بالعبودية بالإشارة إلى أن مقام الإسراء لا يحصل إلا من باب العبودية ، كما أنه ﷺ له إسراء ولم يصل إلى إسرائه إلا من باب عبوديته ، كذلك ورثته لهم إسراء بحسب استعدادهم ، ولا يصلون إلى إسرائهم إلا من الباب الذي دخله به مورثهم ﷺ .

فعض يا أخي بالنواجذ على العبودية ، واجعلها واسطة عقد أمورك ، وتمسّك بها في بطونك وظهورك .

وقال في « الحكم » أيضا : مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية ، خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ، إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا أقامك ، فعليك بمتابعته ﷺ في الأفعال والأقوال والأحوال تكن آخذا من العبودية بالنصيب الوافر .

وقد قال العارف بالله الشيخ ابن بنت ميلق رضي الله عنه :

يَدْنو وَيَعْلو وَيَرْنو وَهْوَ مُصْطَلِمٌ في الحالَتَيــنِ بِـتَمْيـيـزٍ وَتَوْليهِ

أي يدنو السالك بتحققه بأوصاف عبوديته ، ويعلو بإمداد مولاه بأوصاف ربوبيته ، فإن العبد كلما دنا وتحقق بأوصاف عبودبته علا وارتفع وأمده الرب بأوصاف ربوبيته ، فدنوّه عين علوّه ، وانخفاضه عين ارتفاعه وسُموّه .

وقوله (يرنو وهو مصطلم في الحالتين) ، أي حالة تحققه بعبوديته وحالة تعلقه بربوبية مولاه ، فالتمييز مناسب للتحقيق بالعبودية لأنه جهة فرقه ، والتولية مناسب لإشراق أوصاف الربوبية لأنه جهة جمعه ، فهو جامع فارق ، فجمعه يقتضي التولية ، وفرقه يقتضي التمييز .

وهذا حال أهل الكمال كما قال الشيخ : لما أن العارف وإن ظهرت فيه أوصاف الربوبية وأشرقت عليه فهو باق في عبوديته ، فالعبد عبد والرب رب ، فكلما أشرقت عليه أوصاف الربوبية أكثر وازداد في تحققه بعبوديته أكثر وتحلَّى بخلع الأوامر واجتناب النواهي ذوقا وحالا .

كما قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ، وهذا أعلى مراتب الإيمان ، لا يكمل إلا للعارف .

وقال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره : كلما ازداد العارف في المعرفة **ازداد اتهاما لنفسه واحتقارا لها** ، كما قال الله تعالى حاكيا عن نبيه عليه السلام : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ . « مقامات بهائية » ٥٤ .

وقال ابن عطاء الله قدس سره في مناجاته : إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك ، وهذا حالي لا يخفى عليك ، هذا تطارح منه على مولاه ومبالغة في بث شكواه وتلطف في سؤال رحماه ، وبمثل هذا يرجى إجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطاء ، وقد قالوا : أبواب الملوك لا تقرع بالأيدي بل بنفس المحتاج .

وقال بعضهم : قلت للنهرجوري قدس سره : أجد في قلبي قسوة ، وقد شاورت فلانا فأشار عليّ بالصوم فلم تزل ، وشاورت آخر فأشار علي بالسهر فلم تزل ، فقال النهرجوري رضي الله عنه : خلطا بك ، احضُر الملتزم إذا نام الناس وتضرع وقل : تحيرت في أمري فخذ بيدي ، ففعل فزالت القسوة .

وقال الشاعر :

وَما رُمْتُ الدُّخولَ عَلَيهِ حَتَّى ... حَلَلْتُ مَحِلّةَ العَبْدِ الذَّليـــلِ
وَأَغْضَيتُ الجُفونَ عَلى قَذاها ... وَصُنْتُ النَّفْسَ عَنْ قالٍ وَقِيلِ
وَذُلُّ العَبْدِ لِلْمَوْلى غِنـــاهُ ... وَغايَتُهُ إلى العِزِّ الطَّويـــلِ

فذل العبد لمولاه غاية العز والفخر .

وقال ذو النون المصري رحمه الله : **ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه** ، وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه . « الحكم » ٩٢ .

وقال السيد أبو مدين رضي الله عنه :

وَلا تَرَ العَيْبَ إلا فيكَ مُعْتَقِداً ... عَيْباً بَدا بَيِّناً لكِنَّهُ اسْتَتَرا
وَحُطَّ رَأسَكَ وَاسْتَغْفِرْ بِلا سَبَبٍ ... وَقُمْ عَلى قَدَمِ الإنْصافِ مُعْتَذِرا
وَإنْ بَدا مِنْكَ عَيْبٌ فَاعْتَرِفْ وَأقِمْ ... وَجْهَ اعْتِذارِكَ عَمَّا فيكَ مِنْكَ جَرى
وَقُلْ : عُبَيْدُكُمُ أوْلى بِصَفْحِكُمُ ... فَسامِحوا وَخُذوا بِالرِّفْقِ يا فُقَرا
هُمْ بِالتَّفَضُّل أوْلى وَهْوَ شيمَتُهُمْ ... فَلا تَخَفْ دَرَكاً مِنْهُمْ وَلا ضَرَرا

فحاصل المعنى : تحقق بأوصافك من فقرك وضعفك وعجزك وذلّتك ، فإذا تحققت بأوصافك وشهدت نفسك هذا الشهود رأيت نفسك كلها عيوبا لكن مستترة ، فعند ذلك تحظى بظهور أوصاف مولاك فيك الخ .

فتواضع وانكسر وحط أشرف ما عندك – وهوّ رأسك – في أخفض ما يكون – وهو الأرض – لتحوز مقام القرب ، أي فليكن شأنك دائما التواضع والانكسار وطلب المعذرة والاستغفار ، سواء وقع منك ذنب أو لم يقع .

وإن بدا منك عيب أو ذنب فاعترف واستغفر كما ورد : « أنين المذنبين أفضل عند الله من زجل[١] المسبّحين » ، لما في أنين المذنبين من الذلة والانكسار ، وربما خالط زجلَ المسبحين شيءٌ من العجب والافتخار .

فلذلك قال في « الحكم » : ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول ، وقضي عليك بالذنب وكان سببا للوصول .

« ١ » الزجل هو الصَّوت .

وقال القطب الشعراني ﷺ في « اليواقيت » في ١٩٢ : وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل الفقير حتى يسأل الله تعالى العفو والصفح في دار الدنيا عن كل من سبه أو ذمه أو أنكر عليه ليوافي القيامة مغفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم أوأنكر عليهم من أهل الله تعالى ، ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو أنكر عليه . والله تعالى أعلم .

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول : لا تكمل عبادة فقير حتى يصير يشاهد الشرع في كل عبادة عملها ، يعني يعملها بحضرته على الكشف والمشاهدة ، لا على الإيمان والحجاب .

ثم قال : فإن قال قائل ما دليلك على ذلك ؟ قلنا له : قد رأيت النبي ﷺ في واقعة من الوقائع فقلت له : يا رسول الله ما حقيقة متابعتك في العمل على موافقة شريعتك ؟ فقال : هي أن تعمل العمل مع شهودك للشرع حال العمل وبعد العمل . اهـ .

واعلم أن الإنسان متى اعتمد على الدنيا فاته الدين ، ومتى أطاع الله تعالى ورجح الدين على الدنيا آتاه الله تعالى الدين والدنيا على أحسن الوجوه ، وكما أن أكثر الأسباب الصورية وإن كان مدارا للفتح الصوري ، لكنه في الحقيقة لا يحصل إلا بمحض فضل الله تعالى ، فكذلك كثرة الأعمال والطاعات وإن كانت سببا للفتح المعنوي ، لكنه في الحقيقة لا يحصل إلا بخصوص هداية الله تعالى .

فلا بد من العجز والافتقار والتضرع إلى الله الغفار . « روح البيان » من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ في ٩٨٥ من المجلد الأول .

وقال الشيخ ابن عطاء الله في « الحكم » : لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك .

والمعنى أن من أرجعه الحق تعالى إلى نفسه ووكله إلى عقله وعمله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه ، فتكون أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرزولة ، ومن آواه الله تعالى إليه وأظهر جوده عليه ورأى الفضل والمنة لله عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه إلى حضرة قدسه ، وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممدوحة مقبولة ، كما قيل : لما أنست إلى حماك تعرفت ذاتي فصرت أنا وإلا من أنا .

والحاصل أنه إذا وكلك لنفسك وخلى بينك وبينها لم يبق فيك ما يستحسن ولم تنقص عيوبك ومساويك ، فإذا لم يوفقك ولم يعنك لم يظهر منك إلا النقائص ، وإن وفقك وأعانك ظهر عليك من الفتح العجب العجاب

ويقال للصديقين على لسان الحضرة : إذا رددناكم عليكم لم يبق إلا العجز والضعف والفاقة والذلة ، وإذا أخذناكم عن أنفسكم صرتم بنا أغنياء قادرين أقويآء أعزاء ، تنفعل لكم الأكوان وتتسخر لكم الأشياء .

ولبعضهم :

إذا كُنّا بهِ تِهْنا دَلالا   على كل المَوالي والعَبيدِ
ولكنّا إذا عُدنا إلينا   يُعطّلُ ذلُّنا ذلّ اليهودِ

قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه : إن الله تعالى يلقي على الخصوص الفاقة ويحوجهم إلى الخلق بالاحتياج والطمع فيهم ، ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم وحرمانهم مما في أيديهم ليردهم إليه ، فإذا رجعوا إليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لا يحتسبون ، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ ، واستحضر أن ذلك كله بالله لا بنفسك وقل : اللهم لا تكلني إلى نفسي ، ولهذا كان رسول الله ﷺ دائم الافتقار إلى مولاه ، وكان يقول : « لا تكلني إلى نفسي طرفة عين واكلأني كلاءة الوليد » ، أي المولود فإن أمه وأهله يبالغون في حراسته وحفظه من كل ما يؤذيه . « تقريب الأصول »١٢

وقال قطب العارفين السيد أحمد الحسيني المغربي قدس سره : قال عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى : طلبت الله تعالى من باب الصلاة فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصدقات فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصوم فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الذل فولجته ثم التفت فوجدته خاليا ، فالذل لله تعالى أصل العبادة ، فإن الصلاة عماد الدين لأن فيها الخضوع والتذلل ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وذلك أنه وضع وجهه الذي هو أشرف أعضائه وفيه أشرف جوارحه في الأرض الذلول .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ إلى قوله ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ فنصرهم الله تعالى في يوم بدر وهم أذلاء ، وفي يوم حنين لما أعجبتهم كثرتهم و ظنوا العز من أنفسهم فقال أحدهم : لن نُغلب اليوم من قلة غلبوا ، قال تعالى في حقهم : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ ، والحال أن القائل منهم ليس من كبار الصحابة فعمت المصيبة ، فلا ذل إلا لله ، ولا عز إلا بالله تعالى ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾

وأما الذل لغير الله تعالى فهو الذي تعوّذ منه رسول الله ﷺ بقوله : « أعوذ بك من الذل إلا لك » ، فمن تذلل لربه وخضع له فحق عليه أن يعزه في الدنيا والآخرة ، فالذل هو عين العز وأي عز أعظم وأكبر من تذلل العبد لمولاه .

فقد ترى رجلا عزيزا في ظاهر الأمر وهو عند الله تعالى بالعكس ، ورجلا ذليلا وهو عند الله عزيز ، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال لأبى ذر رضي الله عنه : « انظر إلى أحقر الناس منظرا فى عينك » وهو حينئذ في المسجد ، فنظر يمينا وشمالا فوجد رجلا في ذلة عليه ثوب رث فقال : هذا يا رسول الله ، فقال له رسول الله ﷺ : « انظر يا أبا ذر من أعز الناس في نظرك ؟ » ، فنظر إلى رجل في هيأة وعليه حلة ، فقال : هذا يا رسول الله ، فقال : « هذا – وأشار إلى

الحقير - أفضل عند الله من ملء الأرض من مثل هذا »[١] ، وكلا الرجلين من الصحابة وبينهما هذا التفاوت .

فانظر إلى قدر الذل لله والافتقار والاستكانة إليه ، اللهم خلقنا بأخلاق من اصطفيت من عبادك يا أرحم الراحمين . « عقد النفيس » ١٥٣ .

وهذا التواضع المهم إنما هو في مواضعه لا مطلقا ، وقد قال الإمام الشافعي ﷺ : **أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في محبة من لا ينفعه .**

وكان سيدى علي الخواص ﷺ يقول : لا تتواضع لظالم عليك ولا تبدأه بالصلح ، فتكبر نفسه بغير حق وتذل نفسك في غير محل انتهى[٢] .

فليكن الفقير على حذر ولا يقول أستغفر الله في محل يبنى عليه مفسدة ، وإنما ذلك في حق المؤمنين الذين يخافون على دينهم .

وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ ، بخلاف اللئيم فإنك إذا أكرمته ازداد طغيانا ، فاعلم ذلك . ذكره القطب الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ في « لطائف المنن » .

وقال ذو النون المصري قُدِّسَ سِرُّهُ : لا تسكن إلى مدح الناس ولا تجزع من قبولهم وردهم ، فإنهم قطاع الطريق ، واسكن إلى ما يتحقق من أحوالك سرا و علنا ، واطلب كل الخير والفضل في التواضع ، لما أن الخير كله في بيت ومفتاحه التواضع ، والشر كله في بيت و مفتاحه الكبر « نفحات الأنس » ١٥١ .

« ١ » الحديث كما روي : عن أبي ذر ﷺ أنه كان عند النبي ﷺ فطلع رجل من أشراف الناس ، فقال له النبي ﷺ : « يا أبا ذر ، كيف رأيك في هذا ؟ »فقال : لله ورسوله أعلم قال : « صدقت ، وليس عن هذا سألتك » فقلت : من أشراف الناس ، فطلع آخر من أهل الصفة من مساكين الناس ، فقال النبي ﷺ : « أي أبا ذر ، كيف رأيك في هذا ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « صدقت ، وليس عن هذا سألتك » فذكر أنه ممن لا يدعى ولا يفتقد منه مشهد ولا مغيب نحو ذا فلما قاما قال النبي ﷺ : « هذا خير من طلاع الأرض من مثل هذا » .

« ٢ » في الأصل زيادة : وقد آذاني شخص بمكة . . الخ

فصل

في البدع والسنن والفسق و أمثالها من الرياء وغيرها والكذب والطمع

وقال الإمام الرباني ﷼ في « رسالة المبدأ والمعاد » بما لفظه : ومنها ينبغي السعي حتى يتيسّر العمل بالسنة والاجتناب عن البدعة ، خصوصا البدعة التي تكون رافعا للسنة . قال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في دينا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وأعجب من حال جماعة يحدثون في الدين مع وجود كماله وإتمامه أشياء ، يطلبون بتلك المحدثات تكميل الدين ولا يبالون بما عسى يكون ذلك المخترع رافعا للسنة .

يقول المعرب مولانا محمد مراد ﷼ : شدد الإمام الرباني﷼ في البدعة تشديدا كثيرا في غير موضع من مكاتيبه ويحق له ذلك ، فلولاه لاستغرقت ظلمات البدعة جميع بلاد الهند وما وراء النهر .

ولا يخالف قوله في ذلك قول العلماء الأسلاف رحمهم الله تعالى حيث قسموا البدعة إلى حسنة وسيئة ، وأرادوا بالحسنة ما يكون له أصل في الصدر الأول ولو إشارة ، كبناء المنابر والمدارس والرباطات وتدوين الكتب وترتيب الدلائل ونحو ذلك ، والسيئة ما ليس له أصل فيه أصلا .

فالإمام ﷼ لا يطلق اسم البدعة على القسم الأول لوجود أصله في الصدر الأول ، فلا يكون مبتدعا ومحدثا ، بل يخصه بالقسم الثاني فقط لكونه مبتدعا ومحدثا حقيقة ولقوله ﷺ : « وكل بدعة ضلالة » ، فالنزاع بينهما لفظي ، أعني في إطلاق اسم البدعة على القسم الأول وعدم إطلاقه .

قال سيدي الشيخ محمد مظهر ﷼ في « المقامات السعدية » : وكان والدي﵁ يقول : البدعة الحسنة عند الإمام الرباني ﷼ **داخلة في السنة** ، ولا

يطلق عليها اسم البدعة بموجب « كل بدعة ضلالة » والنزاع لفظي بينه وبين العلماء القائلين بوجود الحسن في البدعة ، وأثبت هذا بأبلغ الوجوه في رسالة « الرابطة » اهـ .

و قال في هامشه : قوله (لفظي) إلخ ، أي فكل بدعة لم تخالف السنة – وهي البدعة الحسنة عند العلماء – داخلة عند الإمام الرباني ﷺ في السنة ، وإنما كتب ذلك ردا للوهابية القائلين بعدم الحسن في البدعة أصلا متمسكين بقول الإمام الرباني ﷺ .

قلت : وكون هذا النزاع لفظيا إنما هو بينه وبين العلماء المتقدمين ، وأما المتأخرون الذين وسعوا ذيل البدعة الحسنة وأدخلوا فيها كثيرا من البدعة السيئة خصوصا في زمنه وفي بلاده ﷺ كما رد عليهم أفعالهم المخصوصة التي ليس لها أصل في الصدر الأول ولم يرد بحسنها نقل من العلماء المتقدمين المتشرعين ، فالنزاع بينه وبينهم معنوي حقيقي ، فادر ذلك أيضا .

وقد وقع في كثير من مكاتيبه منعه عن قراءة المولد بعلة البدعة ولكن هذا المنع من وصف قراءة المولد لا من أصلها« ١ » ، كما فصل ذلك في المكتوب الثاني والسبعين من الجلد الثالث ، فتذكره . اهـ ، وراجع « تنوير الصدر » ٩٢ .

وذكر في « اللواقح » عن الخواص ﷺ أنه قال : : إذا راءى العبد بعلمه وعمله حبط عمله بنص الكتاب والسنة ، وإذا حبط عمله فكأنه لم يعمل قط شيئا ، فكيف يرى نفسه بذلك على الناس مع توعده بعد الإحباط بالعذاب الأليم . فليتنبه طالب العلم لمثل ذلك . اهـ .

قلت : وكذلك ينبغى للفقير المنقطع في كهف أو زاوية أن يتفقد نفسه في دعواها الإخلاص والانقطاع إلى الله تعالى ، فإن الصادق يفرح إذا غفل عنه الناس ونسوه فلم يفتقدوه بهدية ولا سلام ، ويفرح إذا انقلب أصحابه كلهم عنه واجتمعوا بشيخ آخر مرشد اهـ . راجع « عقد النفيس » ١٢٥ ، ١٥٧ ، و « جامع الأصول » ١٢٥

« ١ » أي الممنوع إنما هو طريقة القراءة التي ربما يصحبها رقص أو حركات تتنافى مع الأدب مع الحضرة النبوية الشريفة وأما أصل القراءة فلا مانع منه إن أتى بشروطه وآدابه .

وقال الشيخ أبو العباس ابن زروق ﵁ : إفراد القلب لله تعالى مطلوب بكل حال ، فلزم نفي الرياء بالإخلاص ونفي العجب بشهود المنة ونفي الطمع بوجود التوكل ، ومدار الكل على **سقوط الخلق من نظر العبد** ، فلذلك قال سهل بن عبد الله ﵁ : **لا يبلغ العبد حقيقة من هذا الأمر حتى تسقط نفسه من عينه** ، فلا يرى في **الدارين إلا هو وربّه** ، أو يسقط الخلق من عينه فلا يبالي بأي حال يرونه ، قلت : فلذلك ينتفي عنه كل شيء من ذلك ، وإلا دخل الرياء عليه حيث لا ينظر الخلق إليه باستشرافه لعلم الخلق بخصوصية .

وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي ﵁ : من أراد الظهور **فهو عبد الظهور** ، ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ، وعبد الله سواء عليه أظهره أو أخفاه انتهى . « قواعد »٦٢ .

وقال أيضا : إذا صح أصل القصد فالعوارض لا تضر ، كما قال مالك ﵀ في الرجل يحب أن يرى في طريق المسجد ولا يحب أن يرى في طريق السوق ، وفي الرجل يأتي المسجد فيجد الناس قد صلوا فيرجع معهم حياء ، وكما قال عليه الصلاة والسلام في الرجل يحب جمال نعله وثوبه ، ومن ثم قال سفيان الثوري ﵁ : إذا جاءك الشيطان في الصلاة فقال : إنك مراء ! فزدها طولا .

وقال الفضيل ﵁ : **العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء** ، والإخلاص أن يعافيك الله تعالى منهما . انتهى

وفي طيه« ١ » أن الرياء يقع بالترك كالفعل ، فاشتقاقه من الرؤية رؤية المرائي الخلق لا رؤيتهم له ، ولولا ذلك لما صح منه في الخلوة ، ثم هو فيما قصد للعبادة لا فيما قصد به الخلق مجردا ، فإنه الشرك الأعظم أو قريب منه والله أعلم ، وقال أيضا : قصد نفي الخواطر بإقامة الحجة على إبطالها يزيدها تمكينا في النفس لسبقها وقيام صورتها في الخيال ، فظهر أن دفعها إنما هو بتسليمها والتلهي عنها في أي باب كانت .

« ١ » أي في مضمونه ومعناه المستتر .

ومن ثم قال سفيان ﵀ : فزدها طولا ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ليقل : الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » .

ويقال : الشيطان كالكلب ، إن اشتغلت بمقاومته فرق الإهاب وقطع الثياب ، وإن رجعت إلى ربه صرفه عنك برفق .

وقد جاءني ليلة في بعض الصلوات وقال : إنك مراء ، فعارضته بوجوه فلم يرجع حتى فتح بتسليم دعواه وطردها في أعمالي بحيث قلت : الرياء في هذه إثبات للإخلاص في غيرها ، وكل أعمالي معيبة وهذا غاية المقدور ، فانصرف في ذلك الوقت والحمد لله .

وقال أيضا : إظهار العمل وإخفاؤه عند تحقق الإخلاص مستو ، وقيل وجود تحققه مقو لرؤية الخلق ، وقد جاء طلبه شرعا من غير إشعار بشيء من وجوه الإخلاص ولا الرياء ، فظهر أن مراعاته لخوف التلوين ولراحة القلب من مكابدة الإظهار في العموم ولحسم مادة ما يعرض أثناءه .

قيل : وتفضيل النافلة لما علل به عليه الصلاة والسلام من قوله : « اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ، فان الله تعالى جاعل منها في بيوتكم بركة ولا تتخذوها قبورا »[1] والله تعالى أعلم « قواعد » ٦٣ .

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ : قال : هم المنافقون غافلون عن مراعاة أوقات الصلاة ومراعاة حقوقها وهذا وعيد شديد إذ ليس كل من كان في سورة المطيعين واقفا مع العابدين كان مطيعا مقبول العمل ، وفي زبور داود عليه السلام : قل للذين يحضرون الكنائس بأبدانهم ويقفون مواقف العباد وقلوبهم في الدنيا أبي يستخفون أم إياي يخدعون ، وفي الخبر : « ليس لأحد من صلاته إلا ما عقل » تفسير « سهل »١٢٩

« ١ » **هما حديثان : الأول** : « إِذَا قَضَىَ أَحَدُكُمُ الصّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيباً مِنْ صَلاَتِهِ . فَإِنّ الله جَاعِلٌ فِي بَيْتِه مِنْ صَلاَتِه خَيْراً » .

والثاني : « اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ . وَلاَ تَتّخِذُوهَا قُبُوراً » .

فصل

في السماع والرقص والسكر والوجد والغيبة والاجتماع للذكر والدعاء والجذبة في الذكر

قال الإمام الرباني ﷴ في « المكتوبات » : واعلم أن الرقص والسماع داخل في الحقيقة في اللهو واللعب ، وقوله تعلى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ نازل في شأن المنع عن الغناء ، كما قال مجاهد ﵁ الذي هو تلميذ ابن عباس ﵄ ومن كبار التابعين أن المراد بلهو الحديث الغناء .

وفي « المدارك » : لهو الحديث السمر والغناء ، وكان ابن عباس وابن مسعود ﵃ يحلفان أنه الغناء .

وقال مجاهد ﵁ في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي لا يحضرون الغناء .

وحكي عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي ﷴ : من قال لمقرئ زماننا (أحسنت) عند قرآءته يكفر ، وبانت منه امرأته وأحبط الله تعالى كل حسنة .

وحكي عن أبي نصر الدبوسي عن القاضي ظهير الدين الخوارزمي ﷴ : من سمع الغناء من المغني وغيره أو يرى فعلا من الحرام فيحسن ذلك باعتقاد أو بغير اعتقاد ، يصير مرتدا في الحال بناء على أنه أبطل حكم الشريعة ، ومن أبطل حكم الشريعة فلا يكون مؤمنا عند كل مجتهد ، ولا يقبل الله تعالى طاعته وأحبط الله تعالى كل حسناته . أعاذنا الله سبحانه وتعالى من ذلك .

والآيات والأحاديث و الروايات الفقهية في حرمة الغناء كثيرة جدا على حد يتعذر إحصاؤها .

ومع هذه كلها لو أورد شخص حديثا منسوخا أو رواية شاذة في إباحة الغناء لا ينبغي اعتباره منه ، فإنه لم يفت فقيه في وقت من الأوقات بإباحة

الغناء ولم يجوز الرقص والضرب بالأرجل ، كما هو مذكور في « ملتقط » الإمام الهمام ضياء الدين الشامي ﵁ .

وعمل الصوفية ليس بسند في الحل والحرمة ، أما يكفيهم أن نعذرهم ولا نلومهم ونفوض أمرهم إلى الله تعالى ، والمعتبر هنا قول الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف والإمام محمد رحمهم الله تعالى ، لا عمل الشبلي وأبي الحسين النوري ﵁ .

وقد جعلت الصوفية القاصرون اليوم السماع والرقص دينهم وملتهم مستندين إلى عمل مشائخهم ، واتخذوه طاعتهم وعبادتهم أولئك الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهواً وقد علم من الرواية السابقة من استحسن الفعل الحرام فقد خرج من زمرة أهل الإسلام وصار مرتدا .

فينبغي التأمل ما ذا يكون شناعة تعظيم مجلس السماع والرقص بل اتخاذه طاعة وعبادة .

ولله الحمد والمنة لم يقبل مشائخنا بهذا الأمر وخلصوا أمثالنا المقلدين من تقليد هذا الأمر .

وقد نسمع أن المخاديم يميلون إلى السماع ويقعدون مجلس السماع وقراءة القصائد في ليالي الجمعة ، وأكثر الأصحاب يوافقونهم في ذلك الأمر .

والعجب ألف عجب أن مريدي السلاسل الأخر إنما يرتكبون هذا الأمر مستندين إلى عمل مشائخهم ، ويدفعون الحرمة الشرعية بعملهم وإن لم يكونوا محقين في هذا الأمر في الحقيقة .

وما معذرة أصحابنا في ارتكاب هذا الأمر وفيه ارتكاب الحرمة الشرعية من طرف وارتكاب مخالفة مشائخ طريقهم من طرف آخر ، فلا أهل الشريعة راضون عن هذا الفعل ولا أهل الطريقة ، فلو لم يكن فيه ارتكاب الحرمة الشرعية لكان مجرد إحداث أمر في الطريقة شنيعا ، فكيف إذا اجتمع معه

ارتكاب الحرمة الشرعية واليقين أن جناب العزيز لا يرضى بهذا الأمر ، ولكن لا يصرح بالمنع أيضا رعاية للأدب معكم ، ولا ينهى الأصحاب عن هذا الاجتماع أيضا . اهـ . في ٢٧٩ .

وقال ابن زروق ﷺ : حفظ العقول واجب كحفظ الأموال والأعراض ، فمن ثم قيل بمنع السماع باتفاق في حق من علم غلبة عقله به ، ولا يجوز قطع الخرق وإن أدخل على المكارمة لإضاعة المال ، ولا يجوز أن يدخل مع القوم من ليس منهم وإن كان عابدا أو زاهدا لا يقول بالسماع ولا يراه ، وكذلك العارف لأن حاله أتمُّ فيؤدّي لاغتيابه الجماعة بالنقص وصورة الهوى واغتيابهم له .

قال الشيخ أبو العباس الحضرمي ﷺ : كان يصحب بعض المشائخ فقيه ، فإذا حضر السماع صرفه ولا يسمع بحضوره مع كونه في أعداد أصحابه وقال : إن السماع فيه طريق ولكن لمن له معرفة . والله أعلم . « قواعد » ٤٩ .

وقال الشيخ علاء الدين ﷺ : إن الصياح من علامة الغفلة لأنه يحصل عند عدم الحضور بالمعنى ، فإن كان السالك حاضرا دائما لا تظهر صيحة منه أصلا ، فإن الحضور والشهود موجبان للفناء والذهول ولا صياح في مقام الفناء ، وحكم صاحب صيحة كحكم حطب رطب ، فإنه إذا ألقي في النار يظهر منه صوت ما دام رطبا .

وقد أحسن من قال في هذا المقام :

الوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ في الوَجْدِ راحَتُه ... وَالوَجْدُ عِنْدَ وُجودِ الحَقِّ مَفْقــــودُ
قَدْ كانَ يُطْرِبُني وَجْدي فَأَذْهَلَنــــي ... عَنْ رُؤْيَةِ الوَجْدِ مَنْ بِالوَجْدِ مَقْصودُ

« رشحة » ١٤٢

وقد ذكرنا هذا في فضل ذكر النسبة العلية فراجعه .

وقـــال العارف أبو العباس أحمد بن زروق ﵁ : إذا وقف أمر على شرطه في صحته أو كماله روعي ذلك الشرط فيه ، وإلا كان العمل فيه خارجا عن حقيقته .

وشرط السماع ثلاث :

أولها مراعاة آلاته التي يقع فيها ومعها وبها وعلى الزمان والمكان والإخوان .

الثاني خلو الوقت عن معارض ضروري أو حاجيّ« ١ » شرعا أو عادة ، إذ ترك الأولى للرخص تفريط« ٢ » بالحق وإخلال بالحقيقة .

الثالث وجود الصدق من الجميع وسلامة الصدر في الحال ، ولا يتحرك متحرك إلا بغلبة ، وإن فهم منه غيرها سلم له الأدنى وأدبه الأعلى وذكّره القرين .

ولا يزال الصوفية بخير ما تنافروا ، فإذا اصطلحوا قل دينهم ، إذ لا يكون صلحهم إلا مع اغضاء عن العيوب ، فإنه لا يخلوا المرأ عن عيب والله تعالى أعلم . « قواعد »٤٨

وقال ﵀ أيضا في ٤٥ : ما أبيح لسبب أوعلى وجه خاص أوعام فلا يكون شائعا في جميع الوجوه حتى يتناول صورة خاصة بخصوصها ليست عين الوجه الخاص بنفسه .

فلا يصح الاستدلال بإباحة الغناء في الولائم ونحوها على إباحة مطلق السماع ، ولا بإباحة إنشاد الشعر على صورة السماع المعلومة لاحتمال اختصاص حكمها .

« ١ » وحاجّه محاجّة فحجبه يحجبه من باب قتل إذا غلبه ، وهو منسوب لحاجة كالضروري منسوب لضرورة .
« ٢ » في الأصل تعريض .

فلذلك قال ابن الفاكهاني رحمه الله تعالى في « شرح الرسالة » : ليس في السماع نص بإباحة ولا منع ، يعني على الوجه الخاص ، وإلا فقد صح في الولائم والأعياد ونحوها من الأفراح المشروعة والاستعانة على الأشغال .

فإذاً المسئلة جارية على حكم الأشياء قبل ورود الشرع فيها والله أعلم .

ثم قال : والأشياء قبل ورود الشرع فيها قيل على التوقف ، فالسماع لا يقدم عليه ، وقيل على الإباحة ، فالسماع مباح ، وقيل على المنع ، فالسماع ممنوع ، وقد اختلف فيه الصوفية بالثلاثة الأقوال كاختلاف الفقهاء .

وقال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله : ليس من التصوف بالأصل ولا بالعرض ، وإنما أخذ من عمل الفلاسفة انتهى بمعناه .

والتحقيق أنه شبهة تتقى لشبهها بالباطل وهو اللهو ، إلا لضرورة تقتضي الرجوع إليه فقد يباح لذلك .

وقد ذكر المقدسي أن أبا مصعب سأل مالكا رضي الله عنه فقال : لا أدري إلا أن أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا ينكره إلا ناسك غبي أو جاهل غليظ الطبع .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل رحمهما الله : رأيت والدي يسمع من وراء الحائط لسماع كان عند جيراننا .

وقال ابن المسيب رضي الله عنه لقوم يعيبون الشعر : نسكوا نسكا أعجميا .

وقد صح عن مالك رضي الله عنه إنكاره وكراهته ، وأخذ من المدوّنة جوازه .

كل ذلك إن تجرد عن آلة ، وإلا فمتفق على تحريمه غير ما للعنبري وإبراهيم ابن سعد وما فيهما معلوم ، وقد بالغ الطرطوشي رحمه الله في الملة وغيره وتحقيقها آئل للمنع والله أعلم . « قواعد » ٤٦ .

وقال أيضا : اعتقاد المرء فيما ليس بقربة قربة بدعة ، وكذا إحداث حكم لم يتقدم ، وكل ذلك ضلال إلا أن يرجع لأصل استنبط منه ، فيرجع حكمه إليه ، والسماع لا دلالة على ندبه عند مبيحه ، وإن وقع فيه تفصيل عند قوم .

فالتحقيق أنه عند مبيحه رخصة تباح للضرورة ، وفي الجملة فيعتبر شرطها ، وإلا فالمنع والله أعلم .

ومن قول حسين منصور الحلاج رضي الله عنه

أَنْتَ بَيْنَ الشَّغافِ والقَلْبُ يَجْري ... مِثْلَ جَرْيِ الدُّموعِ فِي الأجْفانِ
وَمَحَلُّ الضَّميرِ جَوْفَ فُؤادي ... كَحُلولِ الأرْواحِ في الأبْدانِ
لَيْسَ مِنْ ساكِنٍ تَحَرَّكَ إلا ... أنْتَ حَرَّكْتَهُ خَفِيَّ المَكانِ
يَا هِلالاً بَدى بِأربَعِ عَشْرٍ ... لِثَمانٍ وَأرْبَعٍ وَاثْنانِ

« نفحات » ٢٠٦

فصل

في بعض الأسئلة والأجوبة الواقعة بين سادات الطريقة وما تعلق بها من الأسئلة

واعلم أن إحكام وجه الطلب معين على تحصيل المطلوب ، ومن ثم كان حسن السؤال نصف العلم ، إذ جواب السائل على قدرة تهذيب المسائل . وقد قال ابن العريف رحمه الله تعالى : لا بد لكل طالب علم حقيقي من ثلاثة أشياء : أحدها : معرفة الإنصاف ولزومه بالأوصاف ، الثاني تحرير وجه السؤال وتجريده من جهات عموم الإشكال ، الثالث تحقيق الفرق بين الخلاف والاختلاف .

قلت : فما رجع لأصل واحد فاختلاف ، يكون حكم الله في كلٍّ ما أداه إليه اجتهاده ، وما رجع لأصلين يتبين بطلان أحدهما عند تحقيق النظر فخلاف والله أعلم . « قواعد » ١١ .

قال الشيخ عبيد الله أحرار ﷫ : إن ما يصدر من الناس من سوء إن لم يكن في مقابلته حد و تعزير شرعي ينبغي أن لا يتأذى منه ، فإنه صدر عنهم بإقدار الله تعالى إياهم لهذا الفعل وتمكينهم فيه خلقه اهـ .

قال مولانا عبد الغفور ﷫ في توجيه هذا الكلام : إن الأفعال وإن كانت كلها من هذا القبيل سواء توجه إليه حد شرعي أم لا ، لكن المراد في القسم المذكور ينبغي أن ينظر إلى القضاء والقدر لئلا تثور الفتنة و الجدال وفي الصورة الأخرى ينبغي ان ينظر إلى الأحكام الشرعية لتبقى سلسلة أمور العالم على أحسن النظام ، ولئلا تطرق الإهانة إلى شريعة نبينا ﷺ ، فالتأذي في تلك الصورة والإيذاء والفتنة والجدال موجبة لرضاء الحق سبحانه وتعالى ومسرة رسوله ﷺ ، وفي ضمن الجدال والإيذاء ألوف من الفائدة صورة ومعنى ، والإهمال فيها والإمهال ليسا غير زندقة وإلحاد في الشريعة . انتهى .

وقال أيضا ﷺ في حكمة تأييد تعذيب الكفار على الذنب المتناهي متناهيا ، فما السبب في كون العذاب غير متناه على الكفر المتناهي ؟

فقال الإمام الغزالي ﷺ في جوابه : إن علم قدر جزاء الأعمال مختص بالله تعالى ، وإدراك هذا المعنى فوق إدراك العقول الناقصة ، والجزاء المماثل للكفر إنما يكون في النشأة الأبدية ، وليس لغير الحق سبحانه وتعالى اطلاع على حقيقة جزاء الأعمال وسره .

وقال بعض آخر : لما كانت نية الكفار وقصدهم المداومة على الكفر كان جزاءهم أيضا في الآخرة دائما ، فأما الذين لا يقولون بالعذاب الأبدي ولا يقرون به قالوا : إن الكفر جهل عارضي وليس بملائم لمزاج الروح ، بل المناسب لمزاجه وإدراكاته أمور حقة ، وصفة الجهل تكون مرتفعة في الأخير . انتهى .

وقال بعض السادات : وقعت يوما في فكر أن الإيمان الشهودي هل هو من الأحوال الظاهرية أم من الأحوال الباطنية ، فسمعت من وارد أنه بالنسبة إلى العبد من أحوال الباطن ، وبالنسبة إلى الحق من أحوال الظاهر ، فإن العبد يبلغ في هذا الحال حقيقة باطنه ويتجلى له الحق سبحانه باسم الظاهر وصفة الظاهر . انتهى .

فإن قلت : فهل يصح لأحد من الخلق التخلق بالقيومية الذي هو السهر الدائم ليلا ونهارا ؟

فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين أنه يصح التخلق به كباقي الأسماء الإلهية التي يصح التخلق بها لأحد من الخلق بلا فرق ، وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا أبو عبد الله بن جنيد ﷺ ، قال : والحق ما قلناه من وقوع التخلق به . انتهى

وقد كتب بعض المشائخ أن الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي وأولاده ﷺ كانوا في مقام القيومية ، وأطالوا في ذلك . والله أعلم

فإن قلت : فهل يصح لأحد التخلق باسم الهوية أو الأحدية أو الغني عن العالمين ؟ **فالجواب** كما قال الشيخ محي الدين ﭬ : لا يصح التخلق بذلك لأحد ، لأن هذه الأمور من خصائص الحق سبحانه وتعالى ، فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا .

وقد قال أيضا في باب الأسرار : اعلم أن التخلق بالأسماء على الإطلاق من أصعب الأخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق ، فإياك ياأخي أن يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك إلى مشهد من قال (أعوذ بك منك) ، فبمن استعاذ وإلى من لاذ . انتهى

فتأمل في هذه الجواهر ، فإنها لا تجدها مجموعة في كتاب والله تعالى يتولى هداك . ذكره صاحب « اليواقيت » في ١٠١ .

وقال أيضا فيه : **فإن قلت** : فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره من الأنبياء عليهم السلام ؟

فالجواب : إن الفرق بينهما أن ورثة الأنبياء آياتهم في الآفاق من خرق العوائد وغيرها ، وآية الوارث المحمديّ في قلبه ، فلذلك كان الوارث المحمدي مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير ، لأن خرق العادة إنما هو حال وعلم في قلبه ، فهو في كل نَفَس يزداد علما بربه علمَ حال وذوق ، لا يزال كذلك كما مرت الإشارة إليه أول مبحث المعجزات .

وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة : من علامة الوارث المحمدي أن يشهد نفسه خلف كل نبي ، ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه في أماكن على عددهم ، فإن جميع الأنبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم في محمد ﷺ ، فمن آمن به وصدقه فكأنه آمن بجميع الأنبياء حقيقة ، ثم إنه إذا تعددت صورته خلف جميع الأنبياء يصير يعلم أنه هو وليس غيره في كل صورة . وأطال في ذلك .

وقال في الباب ٧٣ في الجواب الثامن والخمسين : اعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين ، فأيّ ولي رأى قدما أمامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذي هو له وارث ، وأما قدم محمد ﷺ فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثا له على الكمال أبدا ، لأنه لو ورثه على الكمال لكان رسولا مثله أو نبيا بشريعة تخصه يأخذها عمن أخذ منه محمد ﷺ ، ولا قائل بذلك . فنعوذ بالله من التلبيس . انتهى « يواقيت » ٩٩

فإن قلت : فما حقيقة الصديقية ؟

فالجواب كما قاله الشيخ في كتاب « لواقح الأنوار » : إن الصديقية عبارة عن إيمان صاحبها بجميع ما أخبر به الرسل ، فتصديقه لذلك هو صديقيته انتهى ٩٩ .

فإن قلت : فما المراد بحديث : « إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ، يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم » .

فالجواب : المراد بهم أرباب العلوم وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدى أنبيائهم ، ولكن ليس لهم أتباع لعلو مقامهم ، فهم مستريحون يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ، ولا على غيرهم لأنهم ليس لهم أتباع . ذكره الشيخ في الباب ٧٣

فإن قلت : ما معنى الكبريت الأحمر وأي شيء هو ؟

فالجواب : الكبريت الأحمر هو الإكسير الذي يقلب به المعادن كتقليب النحاس ذهبا إبريزا والرصاص مثلا فضة خالصة وأما عند مشائخ السلسلة فالكبريت الأحمر عبارة عن المرشد الكامل الذي في مقام التكميل لما أنه يقلب الأوصاف المذمومة من المريد إلى الأخلاق الحميدة بنظره وتصرفه .

فإن قلت : ما معنى قريب إلى الله تعالى ، بعيد من الله تعالى ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ؟

فالجواب : إن القرب والبعد إنما هما عبارة عن طاعة العبد إلى الله تعالى ومعصيته ، وذلك أن العبد إذا أخلص قلبه لله تعالى بهمته واجتهاده امتثالا بأمره تعالى واجتنابا عن نواهيه واقتداء بسنة رسوله ﷺ ووقوفا على رعاية آداب المشائخ السادات حتى يصير حضوره شهودا يعبر بالقرب إلى الله تعالى ، وإذا خرج العبد عن الاستقامة واتبع هواه وخالف ربه ورسوله ﷺ يعبر بالبعد ، فافهم والله يتولاك .

وسئل حضرة الخواجه بهاء الدين قُدِّسَ سِرُّهُ أن بعض المشائخ من الصوفية قال : الصوفي غير مخلوق ، فما تأويل هذا الكلام ؟

فقال : للصوفي في بعض الأوقات صفة وحال لا يكون فيها هو ، فهذا الكلام بالنسبة إلى ذلك الوقت ، وإلا فالصوفي مخلوق .

أشار قُدِّسَ سِرُّهُ في هذا الجواب إلى حالة كمال الفناء ، فإنه يذهب فيها الوجود الوهمي ويضمحل بالكلية ، ويبقى الوجود الحقيقي المنزه عن نقائص الحدوث ، فالمراد بغير المخلوق هذا الوجود ، لا الوجود الوهمي الذي هو صفة الصوفي ، وهذا معنى لا يتضح بالعبارة ، وإنما المقصود منها الإشارة ، فعليك بمقام الإيمان في هذا الشأن . « بهائية » ٥٧ .

فإن قلت : فما حقيقة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ؟

فالجواب على ما قال القطب الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ في « اليواقيت » في ١١٢ : حقيقة علم اليقين أنه هو الذي أعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة .

وحقيقة عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف .

وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل في القلب من العلم بباطن ذلك الأمر المشهود .

مثال علم اليقين علم العبد بأن لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة ، يحج الناس إليه في كل سنة ويطوفون به ، فإذا وصل العبد إليه وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين ، لأنه حصل في النفس عند رؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا .

ثم إن الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه إضافة ذلك البيت إلى الله تعالى وخصوصيته على غيره من البيوت ، علم بإعلام الله تعالى تلك الخصوصية وكان علمه حق اليقين ، لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده ، فإن حق اليقين هو الذي حق استقراره في القلب ، فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر ، فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار ، وإلا فأين يقين الأنبياء من يقين آحاد الأمة .

يقال : يقن الماء في الحوض ، إذا استقر انتهى ، وقد ذكرنا تفصيلها أيضا في بابها .

وسئل حضرة الخواجه بهاء الدين نقشبند رضي الله عنه أن الجنيد قدس سره قال : اقطع القارين وصل الصوفيين ، فمن القاري ومن الصوفي ؟

فقال حضرة الخواجه : إن القاري هو المشغول بالاسم ، والصوفي هو المشغول بالمسمى .

وسئل حضرة الخواجه قدس سره : ما معنى قول بعضهم (الفقير هو الذي لا يحتاج إلى الله تعالى) ؟

فقال : المراد من هذا نفي الاحتياج للسؤال كما قال السيد إبراهيم عليه السلام « حسبي من سؤالي علمه بحالي » .

قال في « الحكم » شرحا لهذا المقام : ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته ، إنما يذَّكَّر من يجوز منه الإغفال ، وإنما ينبّه من يمكن له الإهمال .

وسئل أيضا حضرة الخواجه ﷺ عن معنى قول بعضهم (إذا تم الفقر فهو الله) .

فقال : هذه إشارة إلى الفناء ومحو الصفات ، وذكر بيتا مضمونه : لما لم تكن ما ذا كان إلا الله تعالى ، وإذا لم تبق وفنيت من بقي فلم يبق إلا الله تعالى .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ في هذا المعنى : لن يصل العبد إلى الله حتى يفنى أفعاله في أفعاله وأوصافه في أوصافه وذاته في ذاته ، فمن فنيت أفعاله وأوصافه وذاته فليس له اسم ولا رسم ولم يبق إلا الله لفناء الوجودات الوهمية وبقاء الوجود الحقيقي « مقامات بهائية » ٥٧ .

فإن قال : ما معنى زوال العين والأثر من الإنسان الكامل ، والحال أن ظاهره دائم على الصفات البشرية ، يأكل ويشرب وينام ويستريح ، قال الله تعالى في شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ ؟

قلت : الفناء والبقاء من صفات الباطن لا تعلق للظاهر بهما بالأصالة ، فإن الظاهر دائم على أحكامه والباطن ينخلع ويتلبس .

فإن قيل : لطائف الباطن متعددة كلها متحقق بالفنآء والبقآء أو بعضها وأيّ بعض هو ؟

قلت : المتحقق بهما إنما هو لطيفة النفس التي هي في الحقيقة حقيقة الإنسان المشار إليها بإشارة قول (أنا) ، فهي الأمارة بالسوء أولا والمطمئنة آخرا ، و القائمة بعداوة الرحمن جل شأنه ابتداء والراضية به والمرضية عنها انتهاء ، فهي شر الأشرار وخير الأخيار ، زاد شره شر إبليس ، وزاد خيره على خير أهل التسبيح والتقديس . « مكتوبات » الرباني في ٧٠ .

وذكر العلامة إسماعيل حقي ﷺ في « روح البيان » أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن ، تبقى بعد الموت درّاكة وعليه الجمهور .

فإن قلت : الحياة الروحانية المستتبعة لإدراك اللذة والألم مشتركة في الجميع ، فما وجه تخصيص الشهداء بها .

قلت : لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ، ومن لم يبلغ منزلتهم لا تكون حياته معتدا بها ، فكأنه ليس بحي . قال تعالى في حق أهل النار : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ « روح البيان »جلد ١٧٩/١ .

وسئل العارف الحسيني السيد أحمد المغربي ﷺ عن القدر .

فأجاب بما معناه : أنه لا ينبغي لأحد أن يخوض فيه لأنه لا يعرف إلا بفتح من الله تعالى وعلم لدني ، ثم من فتح الله عليه لا يمكنه أن يعبر عنه أصلا لأنه يمكن للمناقض أن يناقضه ، فالذي لم يعرف من جهة الله تعالى لا ينبغي له أن يخوض فيه ويمتثل قول الله تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ** ﴾ وقول رسول الله ﷺ : « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » . فإنه إن بحث عنه من جهة غير الله خيل له أنه من باب قول الشاعر :

أَلْقاه في اليَمِّ مَكْتوفاً وَقالَ لَهُ إيَّاكَ إيَّاكَ أنْ تَـبْـتَلَّ بِالـمـاءِ

وقول رسول الله ﷺ « أن تؤمن بالقدر خيره و شره » كافٍ . « عقد »١٤٥

وأما مبنى الطريق **فإذا سئلت** على أي شيء بني الطريق ؟

فالجواب : على ستة أشياء : التوبة والعزلة والزهد والتقوى والقناعة والتسليم .

وإذا سئلت عن أركان الطريق .

فالجواب ستة : الحلم والعلم والصبر والرضاء والإخلاص والأخلاق الحسنة في الصبر على الأمر المقضي .

وإذا سئلت عن أحكام الطريق

فالجواب ستة : المعرفة واليقين والسخاء والصدق والشكر والتفكر في مصنوعاته تعالى .

وإذا سئلت عن واجب الطريق ؟

فالجواب ستة : ذكر رب العالمين وترك الهوى والدنيا واتباع الدين والإحسان إلى المخلوقات وفعل الخيرات .

وإذا قيل لك ابن من أنت ؟

فالجواب : ابن الطريق .

فإن قيل : الطريق ابن من ؟

فقل : ابن محمد المصطفى ﷺ والصديق الأكبر وعلي الرضى رضي الله عنهما .

وإذا قيل : فما الربط والإلزام بمقابلة النكاح ؟

فالجواب : المبايعة ، فتكون البيعة بمنزلة النكاح ليصير ولدا صحيحا لا عاهرا ، فتقرأ عند ذلك البسملة والفاتحة والإخلاص والصلاة على النبي ﷺ ثلاثا ثلاثا بلا انتقاص لتكون مهرا .

والتوكل لغة تفويض الأمر إلى الغير ، واصطلاحا طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية في البداية والنهاية « جامع الأصول » ٩٨ .

وسئل العارف بالله السيد أحمد بن إدريس المغربي قدس سره بم يتميز الخاطر الرحماني من الخاطر الشيطاني ؟

فأجاب بما معناه : إن من قوي إيمانه فلا بد أن يتميز بمجرد وروده ، لأنه ليس للشيطان عليه سلطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ، فبضعفه وعدم سلطانه يتميز ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ ، فإذا استوى الخاطران فالتنازع ثبت هنا .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ، فيعرض كل واحد منهما على كتاب الله وسنة رسوله ، فما قبلاه منهما فهو الخاطر الرحماني .

مثل أن يخطر أمر يفضي بصاحبه إلى أنه يدبر رزقه ولولا أنه يسعى لرزقه لما رزق ولا أكل ، ويفضي به إلى أنه يدخر المال ويشح به أو إلى أنه يقصد مخلوقا وما يشابه ذلك ، فإنه إذا عرضه على كتاب الله تعالى وجده لا يقبله ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾

ثم إذا خطر خاطر يخوّف صاحبه من أي شيء سوى الله تعالى كائنا ما كان ، فليعلم أنه من الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

وربما جآء خاطر إبليس من طريق إنسان في صورة ناصح صديق لك إذا عرف أنه لا يقدر عليك فيأتيك عليك صديقك يشير عليك وينصحك . فاعرضه أيضا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن قبلاه فهو رحماني وإن لم فهو شيطاني ، لأنه إذا لم يقبله القرآن ولا السنة فهو النجوى الذي قال تعالى فيه : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ « العقد النفيس » ١٣٢

وسئل العارف بالله السيد أحمد بن إدريس الشريفي الحسيني رضي الله عنه عن قول الله تعالى في الحديث القدسي الذي آخره « ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » ، فإن النبي ﷺ خير الخلق

أجمعين ، والله يذكره إذا ذكره في خير من ملأه ، فما هو الملأ الذي يذكره الله فيه وهو خير من ملأه ﷺ مع أنه خير خلق الله أجمعين ؟

فأجاب بأن الملأ الذي يذكره الله تعالى فيه هو ملأه ﷺ نفسه ، ولكن لم يزل رسول الله ﷺ في الترقي ، فما ذكر الله تعالى إلا وارتقى إلى رتبة أعلى من الأول ، فيذكره الله تعالى في ملأءه ذلك بعد ترقيه ، فيكون ذكر الله تعالى في ملأ خير من الملأ الذي ذكر الله تعالى فيه ، لأنه قد ترقى إلى رتبة أعلى من الرتبة الأولى ، فالملأ واحد ، وباعتبار ترقيه متفاضل ، ولم يزل في ترقّ إلى ما لا نهاية له ، وأصحابه ﷺ ورضي عنهم أجمعين كذلك في ترق بعده ﷺ « منه » ٢٢١ .

وسئل الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى : ما معنى قول النبي ﷺ « لا تفضلوني على يونس بن متى » عليه السلام مع أنه ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم » ؟

فقال للجماعة الذين سألوه : لا أخبركم حتى تقضوا دين صاحبي هذا ، وكان له صاحب مدين فقضوه عنه ، فقال : المراد من ذلك أن قربي من الله تعالى حين ارتفاعي إلى شجرة المنتهى بل إلى العرش كقرب يونس حين كان في ظلمات ثلاث ، لا تفاضل بيننا في ذلك ، وهذا كما في بعض الأحاديث : « **إن ملكا جاء من فوق السموات السبع ، وملكا جاء من تحت الأرضين السبع ، وملكا من أقصى المغرب ، وملكا من أقصى المشرق ، وكلهم يقول جئت من عند الله تعالى** » . « العقد النفيس » ١٥١

فصل

في الاجتهاد والتقليد

المسألة الأولى في التقليد :

والتقليد قبول القول بأن يعتقد من غير معرفة دليله ، وأما مع معرفة دليله فلا يكون إلا لمجتهد لتوقف معرفة الدليل على معرفة سلامته من المعارض بناء على وجوب البحث عن المعارض ، ومعرفة السلامة عنه متوقفة على استقراء الأدلة كلها ، ولا يقدر على ذلك إلا المجتهد .

ومن لم يوجب البحث عن المعارض واكتفى بمجرد معرفة الدليل أجاز التمسك بالعام قبل البحث عن المخصوص ، فلم يكتف بمعرفته من غير مجتهد ، إذ لا وثوق بمعرفة غيره في الأدلة الظنية .

ويجب التقليد على من لم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق عاميا محضا أو غيره . اهـ

ودليل وجوب تقليد غير المجتهد مجتهداً قوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . اهـ

وقيل : لا يجوز للعالم الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد المطلق التقليد ، لأن له صلاحية أخذ الحكم من الدليل بخلاف العامي المحض . اهـ

وقال القاضي أبو بكر ﷺ : ليس في الشريعة تقليد ، فإن حقيقة التقليد قبول القول من غير حجة ودليل ، فكما أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام مقبول لقيام المعجزة الدالة على صدقه ، فكذا قبول أخبار الثقاة الحاذقين المفتين والحكام مقبول بالإجماع ، لقيام الدليل الشرعي على وجوب العمل ، فنزل أقوال المفتين الظنية في وجوب العمل عليها بالإجماع منزلة أخبار الآحاد والأقيسة عند المجتهدين في المصير إليها بالإجماع .

قلت : هو في الحقيقة إرشاد بدليل إجمالي على وجوب العمل بالتقليد يعم جميع مسائله ، ويفيد أن المذموم تقليد لم يقم دليل على اعتباره ، فالمراد بقولهم في تعريف التقليد (من غير معرفة دليله) إنما هو الدليل التفصيلي الخاص بكل مسألة شائعة . اهـ

المسألة الثانية : إنما يقلَّد من عرف أهليته ، فلا يستفتى إلا من عرف علمه وعدالته .

قال في « أصل الروضة » : فإن لم يعرف العلم بحّث عنه بسؤال الناس ، وإن لم يعرف العدالة مع معرفة العلم فقد ذكر الغزالي ﷺ فيه احتمالين ، أحدهما أن الحكم كذلك ، وأشبههما الإكتفاء أي بمعرفة علمه ، لأن الغالب من حال العلماء العدالة ، بخلاف البحث عن العلم فليس الغالب من الناس العلم . اهـ .

ويعتمد قوله (أنا أهل الفتوى) لأن الاستفاضة والشهرة بين العامة لا وثوق لها ، فقد يكون أصله التلبيس ، وأما التواتر فلا يفيد العلم إذا لم يستند إلى محسوس ، والصحيح الاكتفاء بالاستفاضة وهو دون التواتر وفوق خبر الواحد اهـ . وإن أردت البيان التام راجع إلى « رماح حزب الرحيم » ٦٣/١ ، ٩٦ .

وقال الشيخ ابن زروق ﷺ أيضاً في « قواعده » : ما أنكره مذهب فلا يكون أخذه من غيره وإن أبيح أو ندب لمن كان عليه إلا من ضرورة تبيحه بنص من أئمته ، وما لم ينكره المذهب يجوز به من غيره سيما إذا اقتضى احتياطاً أو تحصيل عبادة على مذهب ذلك الغير كاتقاء القمرين الأحداث ومسح الرقبة في الوضوء وإطالة الغرة وترك مسح الأعضاء بالمنديل وكصلاة التسبيح والحاجة والتوبة ونحوها ، وكاتقاء النصف الأخير من شعبان لمن لم يصم أوله واعتكاف جزء من النهار إذ غايته نفي كونه اعتكافا وإلا فهو عبادة ، وكذا إحداث نية نفل بعد الفجر إذ غايته أنه لا يعد صوما عند المالكية ، وقد عده الشافعية صوما .

قال بعض الصوفية : وعلى ذلك ينبغي أن يكون[1] المتجرد فإنه ضيف الله تعالى ، لئلا يضيع جوعه .

وللقرافي ﷺ في « قواعده » وابن العربي ﷺ في « سراجه » ما يشير لما هو أعظم من هذا في باب الورع ، وإليه كان يميل شيخنا القوري ﷺ في عمله ، ونحوه عن ابن عماد ﷺ في « وصية المريد » من « رسائله الصغرى » . والله أعلم .

« ١ » في الأصل : ينبني مذهب .

فصل

في الولايات

قد ذكرنا بيان الولايات في صحيفة ٥١٦ ، والبيان الباقي نذكر هنا إن شاء الله تعالى .

ثم اعلم أنَّ من تشرف بالولاية الكبرى بالعناية الإلهية بفضل الله وسعة رحمته سبحانه وتعالى وتمت الأفنية وحصلت الأبقية وانقطعت البرازخ من الأصول تشرف بولاية الملأ الأعلى .

والمراد من الأفنية مبادي الفناء التام ، والمراد بالأبقية درجات الولاية الصغرى والكبرى ، والبرزخ هو الحائل بين الشيئين .

والمراد هنا الأفنية والأبقية التي هي الحائلة بين السالك وبين الذات الإلهية ، لأن الأفنية والأبقية قبل الفناء التام هي البرازخ التي ما دام السالك فيها محجوبا عن الذات المطلقة ويكون السير فيها سيرا في البرازخ .

والمراد من الأصول الأفنية التي تتوقف عليها الأبقية ، لأن السالك إن لم يتصف بالفناء لم يتصف بالبقاء ، لأن حصول البقاء بعد حصول الفناء .

والمراد من الظلال الأبقية التي هي درجات الولاية الصغرى والكبرى ، لأن جميع درجات الولايتين في الولي ظل نبوة النبي ﷺ انتهى .

ومعنى ولاية الملأ الأعلى هي ولاية الملائكة عليهم السلام .

وإنما سميت الملائكة بالملأ الأعلى لكونهم فوق عالم الحس والشهادة ، وليس لهم مكان ولا أين باعتبار أصل جبلتهم .

والفرق بين ولاية الأنبياء وبين ولاية الملأ الأعلى أن ولاية الأنبياء يحصل بها الترقي في تجليات الذات المقدسة إلى أبد الآبدين دون ولاية الملأ الأعلى ، لأنهم لا يقدرون على تجلي الذات لكونهم من أهل الصفات ، فيكون

سيرهم من وراء حجاب الصفات كما ذكرنا في موضعه ، فلذلك قال جبرائيل عليه السلام في ليلة المعراج : لو تقدمت قدر أنملة لاحترقت ، فحينئذ تكون ولاية الأنبياء أشرف وأعلى من ولايتهم ، ثم بعد تشرف السالك بولاية الملأ الأعلى يتشرف بكمال النبوة . انتهى ما ذكره محمد مراد قدس سره في « تحفته » .

وقـــال الإمام الرباني مجدد الالف الثاني الشيخ أحمد الفروقي السرهندي قدس سره في « مكتوباته » : اعلم أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء . وهي إما عامة وإما خاصة .

ونعني بالعامة مطلق الولاية ، وبالخاصة الولاية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، الفناء فيها والبقاء أكمل ، ومن شرف بهذه النعمة العظمى فقد لان جلده للطاعة وانشرح صدره للإسلام واطمأنت نفسه ، فرضيت عن مولاها ورضي مولاها عنها ، وسلَّم قلبه لِمُقلّبه وتخلصت روحه كلية إلى مكاشفات حضرة صفات اللاهوت ، وشاهد سره مع ملاحظة الشؤون والاعتبارات .

وفي هذا المقام شرف بالتجليات الذاتية البرقية ، وتحير خفيّه لكمال التنزه والتقدس والكبرياء ، واتصل أخفاه اتصالا بلا كيف وضربٍ من المثال ، هذا . هنيئا لأرباب النعيم نعيمها .

ومما ينبغي أن يعلم أن الولاية الخاصة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام متميزة عن سائر مراتب الولاية في طرف العروج ، فلأن فناء الأخفى وبقاءه مختصان بتلك الولاية الخاصة ، وعروج سائر الولاية إلى الخفي فقط مع تفاوت درجاتها ، يعني أن عروج بعض أرباب الولايات إلى مقام الروح ، وعروج البعض إلى السر ، وعروج البعض الآخر إلى الخفي ، وهو أقصى درجات الولاية العامة .

وأما في طرف النزول فلأن لأجساد المحمدية عليه وعلى آله الصلاة والسلام نصيبا من كمالات درجات تلك الولاية ، لما أنه صلى الله عليه وسلم أسري به ليلة

المعراج بالجسد إلى ما شاء الله تعالى وعرض عليه الجنة والنار وأوحي إليه ما أوحي ، وشرف ثمة بالرؤية البصرية ، وهذا القسم من المعراج مخصوص به ﷺ ، والأولياء المتابعون له كمال المتابعة السالكون تحت قدمه لهم أيضا نصيب من هذه المرتبة المخصوصة ، وللأرض من كأس الكرام نصيب .

وغاية ما في الباب وقوع الرؤية في الدنيا مخصوص به عليه الصلاة والسلام ، والحالة التي حصلت للأولياء الذين تحت قدمه ليست برؤية ، والفرق بين الرؤية وتلك الحالة كالفرق بين الأصل والفرع والشخص والظل ، وليس أحدهما عين الآخر ، والله أعلم . انتهى ١٢٧

وقال شيخنا شيخنا قُدِّسَ سِرُّهُ : واعلم أن الولاية العليا كاللب ، والولاية الكبرى كالقشر ، بل كل دائرة تحتانية بالنسبة إلى دائرة فوقانية بهذه المناسبة إلا كمالات النبوة ، فإنها بالنسبة إلى الولاية لا تتصور فيها تلك المناسبة ويعملون في هذه الدائرة مراقبة ذات هي قسم الباطن .

ومورد الفيض في هذه الولاية العناصر الثلاثة سوى العنصر الترابي والتهليل اللساني ، وصلاة التطوع مع طول القيام يفيد الترقي في هذا المقام ، ولا يحسن ارتكاب الرخصة الشرعية ، بل العمل بالعزيمة يفيد الترقي فيه .

وسر ذلك أن العمل بالرخصة يجذب الإنسان إلى طرف البشرية ، والعمل بالعزيمة يظهر المناسبة بالملكية ، فكلما زادت المناسبة بالملكية تيسر سرعة الترقي في هذه الولاية .

وأما الأسرار التي تحصل في هذه الولاية فإنها ليست كالتوحيد الوجودي والشهودي حتى يأتي شيء منها بالبيان ، فالأسرار في هذه الولاية أليق بالاستتار وليست بقابلة الكشف والإظهار بوجه من وجوه القال اهـ« جامع الاصول » ٥٩ .

وأما بيان كمالات النبوة هو أنه لما تفضل وترحم الشيخ وتوجه إلى العنصر الترابي للسالك ورد على لطائفه فيض من كمال النبوة التي هي عبارة عن التجلي الذاتي الدائمي .

ومعارف هذا المقام فقدان جميع المعارف ، وتصير هنا نكارة حالات الباطن ، واللالونية واللاكيفية نقود الوقت .

وههنا تظهر قوة في الإيمانيات والعقائد وينقلب الاستدلالي إلى البداهي ، ومعارف هذا المقام شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وههنا يكون في نسبة الباطن سعة بحيث تصير سعة الولايات كلها من الولاية الصغرى والكبرى والعليا لا شيئا محضا وضيقا صرفا في جنب تلك النسبة .

ويوجد في الولايات مناسبة كل منها مع الأخرى صورية أوحقيقية ، وأما هنا فتنفذ تلك المناسبة ، وههنا تحصل حقيقة الوصل العرياني مع وجود الفقداني ونكارة حالات الباطن وحصول اليأس ورؤية القصور بحيث يرى نفسه أقبح من كافر الافرنج .

وأما كل من كان وصل قبل هذا فقد كان داخلا في دائرة الوهم والخيال وسرابا يحسبه ماء ظمآن الوصال ولم يكن هناك بيده شيء غير الحسرة والندامة .

ولما انكشف هذا المقام حين توجه الشيخ تيسر له معاملة شبيهة بالرؤية وإن لم تكن هي الرؤية الموعودة في الآخرة التي آمنا بها ، ولكن المعاملة التي تتيسر هنا كالرؤية بالنسبة إلى ما في الولايات من المشاهدات .

وكما أن الرؤية الأخروية مخصوصة بعالم الخلق ، فكذلك المعاملة هنا نصيب عالم الخلق ، وكما تصير لطائف عالم الأمر هنا لا شيئا محضا ، كذلك لطيفة النفس ولطائف العناصر كلها تصير هنا لا شيئا .

وهذه المعاملة مخصوصة بالعنصر الترابي ، وإن كان للعناصر الأخرى نصيب من هذه الدولة في تبعية هذا العنصر الترابي ، وههنا أحكام الشرائع وأخبار الغيب من وجود الحق وصفاته تعالى ومعاملة القبر والحشر وما فيه والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر به المخبر الصادق كلها يصير بداهيا وعينَ

اليقين ، فإن هنا يكون وجود الحق كالمرآة وتكون الأشياء كالصور المرئية في المرآة التي وجود الصور فيها وهمي وخيالي ووجودها واقعي ، لكن في المرآة الصورية تشاهد أولا الصورة ثم المرآة ، وأما ههنا فبخلاف ذلك ، لأن وجود المرآة ههنا مرئي في أول النظر ، ووجود الأشياء بعد تدقيق .

ولهذا يصير وجود الحق سبحانه وتعالى بديهيا ، ووجود الأشياء نظريا يحصل بعد دقة النظر ، وهذه معاملة عجيبة لأنه مع علو هذا المقام وبساطته ولالونيته إذا حصل الانكشاف التام في هذا المقام علم أنه كان مقابلا للنظر وتزايد حيرة .

وأعجب منها أنها لا تفيد أصلا لحصول هذا المقام أذكار الصوفية المعمولة لهم ، وأما التلاوة مع الترتيل وأداء الصلاة بآدابها والأذكار الثابتة في الحديث فكلها يفيد الترقي في هذا المقام ، وكذا الاشتغال بعلم الحديث والاتباع للسنة يقوى وينور في هذا المقام ، وههنا تنكشف حقيقة سر قاب قوسين أو أدنى « جامع الأصول » ٩٠ .

وهذه الأمور ترد مع زيادة أيضا في كمال الرسالة وأولي العزم فتفطن ، وقد ذكرنا إلى جميعها الإشارة والله ولي التوفيق .

وقال الشيخ محمد مراد المنزلوي ونفسي فداه نقلا عن شيخ مشائخنا مولانا شمس الدين حبيب الله ميرزا جانجانان مظهر الشهيد ﷸ : إن إدراك كيفية الحالات الباطنية يرى محظوظا في مرتبة الولايات ، وأما في مرتبة كمالات النبوة فلا شيء يوجد من أوصاف الباطن غير النكارة والجهالة .

وأما فيما فوق كمالات النبوة وإن كانت اللطافة واللالونية لازمة فيه لكن يمكن فيه إدراك كيفيات الأحوال في الجملة هامش « الرشحة » ٦٨ .

وقال الإمام الرباني ﷸ : وللولاية درجات بعضها فوق بعض إذ على قدم كل نبي ولاية خاصة به ، وأقصى درجاتها هي التي على قدم سيدنا ونبينا ﷺ ، إذ التجلي الذاتي الذي لا اعتبار فيه للأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات

لا بالإيجاب ولا بالسلب مخصوص بولايته ﷺ وخرق جميع الحجب الوجودية والاعتبارية علما وعينا يتحقق في هذا المقام ، فحينئذ يحصل الوصل عريانا ويتحقق الوجد حقيقة لا حسبانا ، وللكمل من متابعيه عليه الصلاة والسلام نصيب كامل وحظ وافر من هذا المقام العزيز .

فعليكم باتباعه ﷺ إن كنتم متوجهين إلى تحصيل هذه الولاية القصوى وتكميل هذه الدرجة العليا ، وهذا التجلي الذاتي برقي عند أكثر المشائخ رحمهم الله تعالى ، يعني أن خرق الحجب عن حضرة الذات جل سلطانه يكون في زمان يسير كالبرق ، ثم تسدل حجب الأسماء والصفات ويستر سطوات أنوار الذات تعالى ، فيكون الحضور الذاتي لمحة كالبرق والغيبة الذاتية كثيرة جدا .

وعند أكابر المشائخ النقشبندية قدس الله أسرارهم هذا الحضور الذاتي دائمي ، ولا عبرة عندهم للحضور الزائل المقيد بالغيبة ، فيكون كمال هؤلاء الأكابر فوق جميع الكمالات ونسبتهم فوق جميع النسب ، كما وقع في عبارتهم أن نسبتنا فوق جميع النسب وأرادوا بالنسبة الحضور الذاتي الدائمي .

وأعجب من ذلك أن النهاية في طريق هؤلاء الكمل مندرجة في البداية ، واقتداؤهم في ذلك بصحابة رسول الله ﷺ ، فإنهم في أول صحبة النبي ﷺ نالوا ما يتيسر في النهاية ، وذلك باندراج النهاية في البداية ، فكما كانت ولاية محمد ﷺ فوق ولايات جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلوات والتسليمات ، كذلك كانت ولاية هؤلاء الأكابر فوق جميع ولايات الأولياء قدس الله أسرارهم ، كيف وإن ولايتهم منسوبة إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، نعم ، لأفراد من كمل المشائخ قد حصلت هذه النسبة لكن باقتباس من الصديق الأكبر رضي الله عنه . انتهى « مكتوبات » ٢٩ .

ثـــــم اعلم أيها الولد البار ، أن الولاية الكبرى تشتمل على ثلاثة دوائر ونصف دائرة كما ذكرنا في صحيفة ٣١٥ وفي صحيفة ٥٢٢ .

ففي الدائرة الأولى ينكشف سر الأقربية والتوحيد الشهودي ، والنصف الأسفل من هذه الدائرة يتضمن الأسماء والصفات ، والنصف الأعلى منها

يتضمن الشؤونات الذاتية ويشتمل إليها وعروج أمر اللطائف الخمسة إلى قدر هذه الدائرة ومورد فيضها هي اللطائف الخمسة مع لطيفة النفس .

وتتحقق هنا مراقبة الأقربية التي تظهر من سر قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ وهي أي ملاحظة معناها هو منشأ الفيض ، وبعد تيسر العروج من هذه الدائرة أن السير يكون إلى أصل الدائرة ، ومنه إلى أصل الأصل حتى يصل إلى الأصل الثالث الذي هو نصف الدائرة .

وسير هذه على الترتيب الذي ذكر في مراتب التجليات ، فافهم وفقك الله تعالى لنيل الكمالات ومقام المراقبة مطلقا هو مقام الإحسان ، مقام من يعبد الله كأنه يراه ، وكم مرة ذكرناه فيعلم أن الله تعالى يراه من مازج لحمه ودمه معنى قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ ، واشتعلت فتيلة سراج قلبه بنار معنى قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ فصارت الخلوة والخلق بالنسبة إليه سواء فلم يشهد بظاهره وباطنه إلا مولاه ولم يتوجه في قضاء حوائجه إلا إلى الله تعالى .

والحـــاصل أن لب طريق القوم أن يعلم السالك أن الحق تعالى مطلع على سرائره وظواهره في كل نفس وحال ، فإن خطرت له خطرة نفسية أو شيطانية قال لنفسه : إن الحق مطلع على هذه الخطرة أيتها النفس ، فأيما أحب إليك إيثار الحق واتباعه فيما أمر ونهى أو اتباع مرادك ؟

فمن ساعدته العناية وأمدّه التوفيق آثر الحق تعالى بقلبه على نفسه وأعرض عن تلك الخطرة حتى جعلها معدومة كأمسه .

فمن رآه الحق تعالى مؤثرا له هذا الإيثار حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن ، ويصير الحق تعالى محبا له كما قال ﷺ في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطيته ولئن استعاذ بي

لأعيذه » فمن كان الحق تعالى سمعه وبصره ولسانه كيف يقع في طوارق المحن أم كيف تضله الفتن .

فاجتهد في تصحيح هذا المعنى واغسل القلب من السوى لتترقى في هذا المعنى فإن من بقيت فيه بقية لسواه لا يصلح أن يكون عبدا لمولاه ، فإذا محوت من قلبك السوى أفناك عنك وأودعك الأسرار وصرت من خواص عباده المقربين الأبرار .

فإذا أردت الدواء النافع والترياق المجرب لدفع سموم حياة هذه البلاقع فعليك بسماع كلام العلماء من القوم ، فإنهم أطباء القلوب ، والطبيب يعطي المريض ما يناسب مزاجه وسنه ووقته ، وكذلك أطباء القلوب يجري على ألسنتهم في كل زمان الدواء النافع لأهل ذلك الزمان ، فلذلك لما سئل بعض العارفين عن الحال إذا لم يظفر السالك بأحد من الأولياء قال : عليك بكلامهم ، فإن من طالع كلامهم ولم يكن رجلا يصير رجلا ، فإن كان رجلا يصير فتى .

قال الشيخ العارف السيد أحمد بن زيني دحلان ﷺ : قال الشيخ الفاضل والفرد الكامل محمد مراد المنزلوي ثم المكي ونفسي فداه قد أطنب كلامه في هذه الطريقة العلية على وفق آراء أكابر القوم ، ولقد صاحبته فرأيته بحرا لا ساحل له ، وقال في تعريبه : فأول مراقبة في الطريقة النقشبندية هي مراقبة الأحدية ، وهي ملاحظة ورود الفيض من الذات الأحد الموصوفة بجميع صفات الكمال المنزهة عن جميع النقائص والزوال على لطيفة القلب بواسطة الشيخ ، وفيها يحصل الحضور مع الله تعالى والغفلة والذهول عما سواه سبحانه وتعالى .

فإن امتد الحضور إلى ساعتين فهو علامة لقطع تمام دائرة الإمكان التي هو أول دوائر تنكشف للسالك حين سلوكه إن كان له كشف عياني .

فكلما قطع شيئا من الدائرة تظهر للسالك بالنورانية والتشعشع على قدره والذي لم يقطع بعدُ يرى مظلما بلا نور كطرف شمس حين الكسوف ، فإن قطع كلها يظهر له تمامها كقرص الشمس .

فعلامة قطع تمامها حصول الحضور على ما قلنا ، وبعضهم جعل رؤية الأنوار علامة لقطع تمامها ، ونصف دائرة الإمكان هذه من مركز الأرض إلى محدب العرش ، ونصفها الباقي فوق العرش حيث لا خلا ولا ملا« ١ » ، وهو المراد من قولهم اللامكان ، وانكشاف مقامات القرب لأهل الكشف في صورة الدائرة فإنما هو لعدم اتصافها بالجهة ، وإلا فأين الدائرة هناك . انتهى .

وقال الإمام الرباني ﷺ في « مكتوباته » : قد تظهر وقت العروج إلى مراتب نهاية النهاية بعناية الله سبحانه وتعالى وحرمة حبيبه عليه وعلى آله الصلاة والسلام مرتبة كل ذرة من ذلك الموطن أزيد من تمام دائرة الإمكان أضعافا مضاعفة ، فإذا قطع مسافة مقدار ذرة من ذلك الموطن بالسلوك كأنه تيسر قطع زيادة أضعاف دائرة الإمكان ، فكيف إذا طوى شخص مسافة طويلة من تلك المرتبة .

فعلم أنه لا مقدار لدائرة الإمكان بالنسبة إلى مرتبة الوجود ، فما فوقها ياليت لها حكم القطرة بالنسبة إلى بحر المحيط ، فبالضرورة لا يمكن وصول أحد إلى منزل الحبيب بقوة قدمه ولا يقدر رؤيته ببصر نفسه ، لا يحمل عطايا الملك إلا مطاياه . انتهى .

اعلم أرشدك الله سبحانه وتعالى وهداك إلى سواء الطريق أن الحق سبحانه الذي هو منزه عن الكيف والمثال والشبه وما يقع في الخيال كما أنه وراء الآفاق كذلك هو سبحانه وراء الأنفس أيضا ، فلا يكون تسمية السير الأفاقي بالسير بالله ، والسير الأنفسي بالسير في الله معنى ، بل كلا السيرين الآفاقي والأنفسي

« ١ » أي حيث لا مكان ولا حيث ولا جهة .

داخلان في السير إلى الله تعالى ، والسير في الله تعالى هو سير بعيد عن الآفاق والأنفس بمراحل ووراء ورائهما .

والعجب أنهم قرروا السير في الله تعالى في السير الأنفسي وقالوا بعدم نهاية ذلك السير ولم يجوزوا انقطاعه في العمر الأبدي كما مر .

وحيث كانت الأنفس كالآفاق من جملة دائرة الإمكان فعلى هذا التقدير لا يمكن قطع دائرة الإمكان ، فلا جرم يكون الحرمان دائما والخسران سرمدا ، ولا يتحقق الفناء أبدا ولا يتصور البقاء حينئذ ، فكيف الوصل والاتصال وكيف القرب والكمال سبحان الله إذا اكتفى الكبراء من الشراب بالسراب وزعموا إلى الله تعالى في الله تعالى وتصوروا الإمكان وجوبا وعبروا عن المثلي والكيفي باللامثلي واللاكيفي ، كيف نشتكي من الصغار ووضيعي الفطرة أي بلاء وقع بأي اعتبار . انتهى كلام الإمام الرباني ﷺ ١/٦٠ ـ٦٢

وقال أيضا : إن الطريق الذي اخترناه نحن ابتداء سيره من القلب الذي هو من عالم الأمر ، وبعد القلب يقع السير في مراتب الروح التي فوقه ، وبعد الروح تكون هذه المعاملة بالسر الذي فوقها ، وهكذا الحال في الخفي والأخفى .

وبعد طي منازل هذه اللطائف الخمسة وحصول العلوم المتعلقة بكل منها على حدّه وحصول المعارف كذلك ، وبعد تحقق الأحوال والمواجيد المخصوصة بكل واحد من هذه الخمس منفردة منفردة يقع السير في أصول هذه الخمس التي هي في العالم الكبير ، فإن كل ما هو في العالم الصغير أصله في العالم الكبير .

والمراد بالعالم الصغير الإنسان ، وبالعالم الكبير سائر الكائنات ، وشروع السير في أصول هذه الخمس من العرش المجيد الذي هو أصل قلب الإنسان ، وفوقه أصل الروح الإنسانية ، وفوقه أصل السر ، وفوقه أصل الخفي ، وفوقه أصل الأخفى .

فإذا طوى سير هذه الأصول الخمسة من العالم الكبير بالتفصيل وانتهى إلى نقطة أخيرة فقد أتم سير دائرة الإمكان ووضع القدم على أول منزل من منازل الفناء ، فإن وقع الترقي بعد ذلك يكون السير في ظلال الأسماء والصفات الإلهية جل سلطانه ، وهذه الظلال كالبرازخ بين الواجب والامكان وأصول لتلك الأصول الخمسة التي في العالم الكبير ويكون السير في هذه الظلال أيضا على الترتيب المذكور في فروعها ، فإن طوى بفضل الله سبحانه المنازل المتكثرة من هذه الظلال وانتهى إلى نقطتها الأخيرة يكون الشروع في أسماء الواجب وصفاته جل سلطانه ، وتقع تجليات الأسماء والصفات وظهورات الشؤون والاعتبارات ، فعند ذلك يكون قد أتم معاملة اللطائف الخمس الأمرية وأدى حقها .

فإن وقع الترقي بفضل الله سبحانه وتعالى بعد ذلك من هذا المقام تقع المعاملة على اطمئنان النفس وتيسر حصول مقام الرضا الذي هو نهاية مقامات السلوك ، ويحصل في هذا المقام شرح الصدر وتشرف فيه بالإسلام الحقيقي .

والكمالات التي تحصل في هذا الموطن حكم الكمالات المتعلقة بعالم الأمر في جنبها كحكم القطرة في جنب البحر المحيط ، وكل هذه الكمالات المذكورة متعلقة باسم الظاهر والكمالات المتعلقة باسم الباطن هي غيرها ، ولها مناسبة بالاستتار والتبطن ، فإذا حصلت كمالات هذين الاسمين المباركين بتمامها يتيسر للسالك جناحان للطيران ليطير بقوتهما إلى عالم القدس وتحصل له ترقيات خارجة عن القياس ، فافهم والله يعصمك وهو ولي التوفيق . انتهى من « المكتوبات » ١٣٦ .

فصل

في حسن الخلق والعفو والفتوة

قال العارف أحمد الحسيني رضي الله عنه : من أحسن أخلاق الإنسان العفو عمن ظلمه ، فإن الله سبحانه يعامله بالعفو فيما بينه وبينه ، وأيضا فإنه تعالى يلهم المظلوم منه أن يعفو عنه ، ففي الحديث القدسي : « يا عبدي لا تدع على من ظلمك ، فإن شئت آخذته بظلامتك وآخذتك بمن ظلمت ، وإن شئت أخرتكما حتى تسعكما رحمتي » « عقد » ١٤٣ .

وقال أيضا في ٧٢ حين سئل عن قوله تعالى : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ وفي قراءة ﴿إلا من ظَلم﴾ ، فأجاب أن (إلا) تكون استثنائية وتكون استدراكية ، وفي هذا الموضع يستقيم المعنيان ، فإن كانت استثنائية فالمعنى : أن الجهر بالسوء لا يحبه الله تعالى إلا من ظُلِم فلا بأس ، وذلك حيث ينازع الرجل خصمه ، لولا أنه يجهر بالسوء لما ظهر الحق .

وعلى قراءة ﴿إلا من ظَلَم﴾ بالفتح ، يقدر « إلا من ظلمه » ، وله شواهد من كلام العرب ، ولكن الاستدراك أولى بالمقام ، ويكون المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء ، لكن من ظلم فلا يحب الله الجهر بالسوء منه بل العفو ممن ظلم إلا لمن نور الله تعالى بصيرته .

وهي درجة عظيمة ، فإن من فعل شيئا بالعبيد لأجل مولاهم فحق عليه أن يعامله بما عاملهم . انتهى « العقد » وراجع « سهلي » ٥٤ .

وقال سيدي أبو المواهب رضي الله عنه : وقوع بعضهم في بعض المحرمات ليستتر بها عن أهل الزمان يقاس على من لم يجد ما يسيغ به اللقمة إلا الخمر ، قاله الغزالي رضي الله عنه .

قال : وإذا ساغ ذلك لأجل حياة دنيوية فأولى ما يفوت به حياة أخروية ، لا يقال : ارتكابهم فيه يوقع الناس في سوء الظنون لهم وهو حرام ، لأنا نقول : إن من أخلاقهم العفو والصفح وعدم المؤاخذة ، بل هم رحمة بين أظهر العباد .

وقال الشعراني قدس سره : ولو سامح العبد فحق الله تعالى باق من حيث أنه تعدى حدود الله تعالى ، فالإشكال باق .

قال بعض العارفين : ولا مانع من عفو الله تعالى عن ذلك الظن السيئ حيث كان حصوله نشأ من شبهة أوقعت صاحبه فيه « تقريب الأصول » ٧٨١ .

و ذكر في « العقد النفيس » للقطب العارف السيد أحمد المغربي رضي الله عنه : قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ، فسأل رسول الله ﷺ جبرائيل عليه الصلاة و السلام عن معنى ذلك ، فقال جبريل عليه السلام : حتى أسأل ربي ، فقال تعالى : « أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحسن إلى من أساء إليك » .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فليس المراد إعراض غضب ، بل معناه : لا تؤاخذهم بجهلهم ، لأن الإنسان ربما حفر حفرة في علم الله تعالى أنه لا يقع فيها إلا ذلك الحافر لها لكنه جاهل لذلك ، ولو علم لما حفرها ، فهذه حالة الجاهل ، فأذيتهم لك هي عين أذيتهم لأنفسهم ، لكنهم جهلوا ولو عرفوا لما آذوك ، فأعرض عن جهلهم هذا وتخلق بأخلاقنا فإنّا نعرض عمن جهل علينا ، فعسى أن يتوب منه ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

فائتمر ﷺ لأمر ربه وأعرض عن جهلهم حتى أنه طلب منهم أن يقتصوا منه حقوقهم إن كان لهم عليه حقوق ، فقال ﷺ : « أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم ولعله أن يكون قد قرب مني خفوفٌ[١] مِنْ بين أظهركم فمن كنت

« ١ »خفوف : أي حركة وقرب ارتحال . يريد الانذار بموته ﷺ .

أصبت من عرضه أو من شعره أو من بَشَره« ١ » أو من ماله شيئا هذا عرض محمد وشعره وبشره وماله فليقم فليقتص ولا يقولن أحد منكم إنى أتخوف من محمد العداوة والشحناء ألا وإنهما ليسا من طبيعتي وليسا من خلقي » .

ثم قال الله تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أتبع الله تعالى هذه الآية بالآية التي قبلها وذلك أن للشيطان مجالا عند هذه الخلال ، والاستعاذة من الشيطان هي التلفظ بلفظ « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومعنى قول النبيﷺ : « وأعوذ بك منك » أن الله تعالى هو الآخذ بناصية إبليس باسمه المضل ، قال الله تعالى : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ فلا سلطان له على عباد الله تعالى . انتهى « العقد » ١٩٠ .

ومن كلام الشيخ أبو علي الدقاق ﷶ : ومن الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان ، فالفتى من لا خصم له لكمال أخلاقه الحميدة وبعده عن الذميمة .

وقيل : الفتوة أن تكون خصما لنفسك لأجل ربك ، بأن تمنعها عن الميل إلى الشهوات والكسل والبطالات وتحثها على الاستقامة على الطاعات ، لا للخوف والرجاء بل لكمال المحبة والقيام بالعبودية .

ويقال : الفتى من لا يكون خصما لأحد .

وقال بعضهم : الفتى من كسر الصنم ، قال تعالى : ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ وقال : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ وصنم كل إنسان نفسه ، فمن خالف نفسه وهواها فهو فتى على الحقيقة .

وقال الحارث بن أسد المحاسبي ﷶ : الفتوة أن تنصف غيرك ولا تنتصف من غيرك ، بل تعطي الحق الذي عليك ولا تطالب غيرك بحقك لزهدك وكمال عدلك وإنصافك .

« ١ » أي جِلده .

وقال النصرآبادي ﵀ : الفتوة الإعراض عن الكونين أي الدنيا والآخرة والاستنكاف منهما بأن يعمل العبد لله تعالى ، فلا يكون له حظ سوى موافقة مولاه والعمل بما يرضاه .

وسئل الإمام أحمد ﵀ عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى عواقبه .

وقال سهل بن عبد الله التستري ﵀ : الفتوة اتباع السنة ، وهو ما كان عليه النبي ﷺ . وقد سئلت عائشة ﵂ عن خلقه ﷺ فقالت قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

وقال الجنيد ﵀ : الفتوة كف الأذى عن الناس وبذل الندى ، يعني الجود بالموجود من علم أو مال .

وقيل : الفتوة الوفاء بما عليك لله تعالى ولخلقه وحفظ الحدود بأن لا تتعداها .

وقيل : الفتوة أن تكون أعمالك صالحة ولا ترى نفسك فيها بأن تتبرأ من حولك وقوتك وترى أنها من فضل ربك عليك .

وقيل : الفتوة إظهار النعمة وإسرار المحنة ، لأنه تعالى إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يظهرها ، فإن إظهارها سبب لشكرها ، وإسرار المحنة دليل على الصبر واحتمال الأذى لأنه بإسرارها يسلم من اطلاع الخلق عليها ، ففي ذلك كمال المروة والفتوة . « تقريب الأصول » ٩٩ .

فـــــــائدة مـــهمــة

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونوافل ، فالفرض رأس المال وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة ، والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات .

قال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى : ما تقرب المتقربون إلي بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته

كنت . . . إلى آخر الحديث » ، ولن تصل أيها الطالب إلي القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح إلي حين تمسي .

فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك في جلوتك وخلوتك وسائر سكناتك وحركاتك ، وأنك في مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه ، فلا يسكن في الملك والملكوت ساكن ولا يتحرك متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويعلم السر وأخفى .

فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا بين يدي الله تعالى تأدّب العبد الذليل المذنب في حضرة الملك الجبار القهار .

فاجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك إلى مسائك .

فأصغ لما يلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك إلى رجوعك إلى مضجعك . والسلام على من اتبع الهدى .

[هذا آخر ما وجد بخط المؤلف الشيخ الإمام علم المشائخ الأعلام قطب الديار الداغستانية ومركز دائرة الولاية الأحمدية الأستاذ السيد خالد سيف الله من سلالة آل رسول الله ﷺ ورضي عنه وعن مشائخه وخلفائه وعمن اتبعوهم إلى يوم الدين ، ونفعنا به وبآثاره وتآليفه التي هي كهذا المؤلَّف النفيس « كنز المعارف » التي لا بد منها لكل سالك وعارف ، ولو تفحصنا عن جميع ما أشار إلى نقله من الكتب في هذا المؤلف الفريد والجمع المفيد وأتممناه على مقتضى مقصود المؤلف ﷼ لاحتاج إلى مجلد آخر مثل هذا كما قال لي ابن الأستاذ القحي ﷼ مشافهة وفقه الله تعالى ، ولكن لما عز وجود تلكم المؤلفات التي أشار إليها في ديارنا وتفرق ما كان جمعه المؤلف من تلكم النسخ الشريفة الفريدة اقتصرنا على هذا القدر . ففيه كما لا يخفى كفاية لمن تفكر واعتبر .

فالحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى دين الإسلام وشرفنا برسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ويدافع نقمه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، حمدا دائما مع خلوده لا منتهى له دون مشيته ، حمدا لا يريد قائله إلا رضاه يا رب لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وصل اللهم أكمل صلاة وأتمها وأبلغها على السيد الأكرم والسند الأعظم محمد المصطفى وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفا وسلم كذلك ، كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وانفعنا بمعارف أهل الصدق والصفا وإن كنا على موائد كرمهم من المتطفلين حيث أنهم قوم لا يشقى جليسهم .

والحمد لله رب العالمين جعل الله سبحانه وتعالى كل جهدنا في خدمة القوم خالصا لوجهه الكريم ، وجعل هذا المؤلف نافعا لي ولكل من يطالعه من إخوان الدين ، بالنبي الأمين وآله الأكرمين وخلفائه الميامين ، كثر الله أمثالهم في العالمين . والحمد لله رب العالمين على كل حال وفي كل حين .

ونوصي مؤكدا كل من طالع الكتاب ونظر وانتفع به أن يدعو لهذا الكاتب الفقير الضعيف العاجز الذليل ، غفر الله لنا ولمن استغفر لنا ولجميع أهل الإيمان إنه الكريم المنان] .

فهرسة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصول التدريس

الإدارة الدينيّة لمسلمي داغستان

أصول التدريس

داغستان ٢٠١٣

الإهداء

إلى الجانب المحمدي الأسمى

والحضرة النبوية العلية

إلى روح سيدنا محمد النبي الكريم

صلوات الله وسلامه عليه وعلى أله

وإلى أرواح ساداتنا آل بيته وأصحابه

وإلى أرواح مشايخنا الكرام

وعلمائنا العظام

وإلى روح سيّدي سبب الهداية من الظلام

سيّدي وشيخي سعيد أفندي قدّس الله سرّه

أهدي ما طاب من هذا الكتاب

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين . وبعد : فإنّ للتعليم والتدريث أصولاً وقواعد ينبغي على المعلّم الإلتزام بها كي يصل إلى النتيجة المطلوبة والثمرة المرغوبة . وقد ذكرتُ في هذه الرسالة بعضا من هذه الأصول راجيًا الله تعالى النفع بها ونيل الخير المطلوب والمأمول . ومن الله تعالى نرجو الرضى والقبول إنّه سبحانه خير مسؤول و أعظم مأمول . . .

حُرّر في ربيع الأنور ١٤٣٤ للهجرة المباركة

المحتوى

المرحلة الرابعة : الواجب المنزلي
الفصل الثالث في الإمتحان :
أولا : أوقات الامتحان
ثانيا : الأسئلة في الإمتحان
ثالثا : الأمانة لدى المعلّم
رابعا : الانتباه لأمانة الطالب
خامسا : الجو العام في الإمتحان
الفصل الرابع : المشاكل مع الطلاب
أولا : أنواع الطلاب
ثانيا :خطوات حل المشكلة
- فهم المشكلة من كافة جوانبها
- الحيادية
- تقدير إنفعال أحد الطلاب
- الرحمة والحزم معاً
- إدخال طرف خارجي إن استدعى الأمر
الفصل الخامس : وسائل التحفيز والتطوير « الثواب والعقاب »
أولا شروط العقاب :
تجنب الإهانة والتحقير في العقاب
أن يكون رادعا
أن لا يكون الدافع اليه الإنتقام
ثانيا شروط الثواب :
ذو قيمة
عدم المبالغة
في أوقات متقطعة
التقديم له بكلام ينبئ عن قيمته المعنويّة

الباب الأول : فضل العلم والتعليم
الفصل الأول : أهمية العلم وفضله
الفصل الثاني : طرق نشر العلم
الفصل الثالث : فضل التعليم

الفصل الأول : أهمية العلم وفضله

أول ما نزل من القرآن « إقرأ » لقد تميز الدين الإسلامي بأنّه الدين الأكثر دعوة إلى العلم والفهم ، فقد كان أول ما نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلّم من القرآن الكريم على الأرجح عند العلماء هو قول الله تعالى : **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** « ١ » **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** « ٢ » **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** « ٣ » **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** « ٤ » **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**« ٥ »

إنّه أمر إلهَيّ من الخالق جلّ جلاله بالقراءة والتعلّم لأنّ العلم الحقيقي والخالص لوجه الله هو الذي يوصل صاحبه إلى حقيقة التقوى ومخافة الله تعالى ، قال عزّ وجل : **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**

طلب العلم فرض :

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلّم طلب العلم نوعا من الفرائض المطلوبة من المسلم ، فقال صلى الله عليه وسلّم : « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم . . »

وهذا بيان إلى أنّ القادر على التعلم والمتخلف عنه آثم عند الله تعالى ، لأنّه ترك فرضا بدون عذر أو سبب .

الطريق الى العلم طريق الى الجنّة :

وكم رغّب النبيّ صلى الله عليه وسلّم أصحابه بالتعلم فقال لهم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنّة . . »

فكأنّه طوال سعيه في طلب العلم يسعى في طرقات الجنّة ويمشي إليها ، وكلّما سعى في طلب العلم ، وصبر على عنائه وجهده أكثر ، تيسّر له من طرق الجنّة والوصول إليها ما هو أعظم وأكبر .

حسد الغبطة جائز في العلم :

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلّم : « لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا

فجوّز الحسد المحمود – وهو تمنى حصول النعمة له دون زوالها عن صاحبها – فيمن أوتي علما وحكمة و قضى بها بين العباد ، وذلك لعظيم فضل العلم ورفيع مقامه عند الله تعالى .

الفصل الثاني : طرق نشر العلم

ولنشر العلم بين الناس طرق كثيرة و متنوعة ، منها :

١- **التعليم والتدريس** : وهو أوسعها وأكثرها فائدة وأعمقها أثراً ، لأنّه لقاء الروح بالروح والعقل بالعقل والجرم بالجرم[١] ، فتجتمع فيه كافة الآلات اللازمة لإيصال العلم وغرسه في الآخر ، ففيه يلتقي المعلّم والطالب في مكان واحد و يتمّ نقل العلم بشكل مباشر ومبسّط مصحوب بالشرح والتفسير وبيان المشكل ، وهذا لا يتوفّر إلاّ في التعليم ، ففي القراءة قد يجد القارئ أمرا أشكل عليه فهمه ويعسر عليه إيجاد من يبينه له ، بخلاف حال الطالب الذي يسأل معلّمه عن كلّ فكرة مشكلة .

٢- **التأليف والكتابة** : وقد إنتشر التأليف وكتابة الكتب منذ وقت طويل لدى المسلمين ، وإن الباحث في تاريخ المسلمين ليرى بأنّهم أمّة متعلّمة متحضّرة ، عرفت العلم ونشرت التآليف والتصانيف قبل بلاد الغرب بقرون طويلة ، وحين كان العالم بأسره يعيش فترة ما يسمّى بعصور الظلمات كان المسلمون يعيشون عصور النور والإزدهار الفكري والعلمي ، وقد إشتهر منهم مؤلفون في كل أنواع العلوم الدينيّة والدنيويّة ، وممن إشتهروا من المؤلّفين :

---

(١) – الجرم : الجسم والمادّة

في العلوم الدينيّة :

– في التفسير : الإمام الرازي وإبن كثير ، والقشيري ، والقرطبي وغيرهم رحمهم الله .

– في الحديث : البخاري ومسلم وأبو داوود وإبن ماجه والنسائي والترمذي وغيرهم رحمهم الله

– في الفقه : النووي والشيرازي والغزالي والرافعي في المذهب الشافعي ، وإبن عابدين والسرخسي في المذهب الحنفي ، والقراقي والقرطبي في المذهب المالكي ، والمقدسي والمرداوي في المذهب الحنبلي ، وغيرهم رحمهم الله أكثر من العدّ وأصعب على الحصر .

أمّا في العلوم الدنيويّة فقد إشتهر : جابر بن حيان في الكيمياء ، والخوارزميّ في الجبر والرياضات والفلك والجغرافيا ، والكندي في الفلسفة والفيزياء والبصاريات والمعادن والرازي في الطب والفلك والكيمياء وإبن الهيثام في البصاريات والهندسة وغيرهم رحمهم الله تعالى .

٣– **الخطب والمواعظ :** وقد شرّعها الله تعالى وجعلها عبادة ووزّعها على مواسم في السنة كي لا تخلو حياة المسلمين من الدروس والتعلم قدر الإمكان ، فشرع خطبة كل سبعة أيام يوم الجمعة ، يتعلم فيها المسلم من أمور دينه ما يعينه على التقرّب من ربه ، وشرع خطبة في يوم العيد وشرع خطبة للكسوف و الخسوف ، وأخرى للإستسقاء ، وسن للنكاح خطبة ، وجعل كل هذه الخطب من الأمور التي تساعد المؤمن ليصبح عبدا طالبا للعلم في كل أحواله ، ساعة فرحه ويسر حاله ، ووقت حزنه وإبتلاء الله تعالى له ، ليصير طلب العلم جزءاً من حياته لا يعيش بدونه .

٤- **النصيحة :** وهي باب من أبواب التعليم كبير جداً ، ومن يستهين به فهو غافل عن حقيقة وسرّ العلم وأنّه إنتقال معرفة الخير ووصولها إلى أيّ إنسان ولو فردا واحدا . قال صلى الله عليه وسلّم :

لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم

أي إنّ تعليم إنسان واحد بابا من أبواب الخير أفضل للمرء من كل كنوز الأرض لو إجتمعت لديه .

إنّ النصيحة ما هي في حقيقتها إلا تنبيه وتعليم للمؤمن ، وبيان لأوجه الخطء التي عليه تركها ، وجلاء للخير الذي ينبغي عليه إتباعه .

وبالجملة فإنّ الدين الإسلاميّ هو أكثر الأديان حثّا على طلب العلم وتشجيعا عليه ، ولن تجد في تاريخ البشرية أمة بلغت في التعلم و التعليم ما بلغت إليه أمّة الإسلام وما هذا إلاّ بفضل هذا الدين العظيم الذي كان نبيّه صلوات الله وسلامه عليه يخبر عن نفسه ويقول : « إنّما بعثت معلما » .

الفصل الثالث : فضل التعليم

لقد أمر الله تعالى عباده العلماء بنشر العلم, وحذّرهم من كتمانه وستره عن الناس, قال تعالى :

« **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** »

فهو عهد من الله تعالى لعباده العلماء على تبليغ العلم ونشره بين الناس,وعدم كتمانه . . .

وقد قال صلّى الله عليه وسلّم : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها . . . »

دعى صلّى الله عليه وسلّم لمن يبلغ علما تعلمه من حضرته لمن لم يسمع هذا العلم, وأيّ بركة أعظم من بركة دعاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للمعلّمين .

وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه أنّ الله تبارك وتعالى, وعباده من الملائكة وحتى النملة والحوت يصلّون على معلّم الناس خيرا , فقال صلّى الله عليه وسلّم : إن الله وملائكته وأهل السماوات و الارضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلّم الناس الخير » .

وحين يموت الإنسان وينقطع عمله, ويحتاج إلى أقلّ ذرّة من عمل الخير لا ينقطع عمل المعلّم, لأنّه ترك خلفه ما ينتفع به الناس, قال صلّى الله عليه وسلّم : إذا مات إبن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية, أو علم ينتفع به, أو ولد صالح يدعو له . . .

فالعلم النافع ذخيرة للمرء بعد موته يهدي لصاحبه الحسنات حتى بعد مواراته بالتراب . . .

الباب الثاني : نجاح التعليم
الفصل الأول : صفات المعلّم الناجح

صفات المعلّم الناجح

تتلخص صفات المعلّم الناجح في جملة من الأمور أهمّها :

١ .الرحمة

٢ .الإهتمام بالوقت

٣ .الزيّ « اللباس » الرسمي

٤ .مراعات الذوقيات

٥ .الإهتمام بالنظافات الشخصية

٦ .فهم الدرس والتحضير قبل الدرس

٧ .توزيع الإهتمام على كلّ الطلاّب

٨ .التأكّد من فهم الطلاّب

٩ .إستعمال السبورة

١٠ .الصوت المناسب

١١ .محبّة الدرس

١٢ .القراءة الواسعة

أولا : الرحمة

إنّ عمليّة التعليم هي إخراج العقل البشري من مكان الجهل المظلم إلى نور العلم, و هذا لا يكون إلاّ بدافع رحمة الجاهل والحزن لحاله والرغبة في نقله من جهله الذي هو فيه . . .

إنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم هو المعلّم الأول, وهو قدوة كل معلّم ناجح, و قد كان صلّى الله عليه وسلّم منبع الرحمة الكبرى على المسلمين, فقال له الله تعالى : وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين . . .

وإنّ صور رحمته صلّى الله عليه وسلّم بالمتعلّمين كثيرة ووفيرة .

رحمته صلّى الله عليه وسلّم بالشاب الذي طلب إباحة الزنا : حيث أتاه الشاب وقبل الإسلام لكنّه طلب من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الترخيس له بالزنا .

فتلطف معه صلّى الله عليه وسلّم, ولم يزجره أو ينهره لقوله ذاك, بل قال له : أترضاه لأمّك ؟ فقال الشاب : لا . فقال له النبيّ بأنّ الناس كذلك لا يرضونه لأمّهاتهم . ثمّ سأله : أترضاه لأختك ؟ فأجاب الشاب بالنفي . فأخبره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأنّ الناس كذلك لا يرضونه لأخواتهم . وتدرج معه صلّى الله عليه وسلّم حتّى إقتنع الشاب بنفسه بقبح هذا الفعل ولمس بقلبه شناعة فاعله . وكيف أنّه يأذي الناس, فتاب عن الزنا وتركه .

المعلّم الناجح ينشر الهدوء في الصف بسكينته :

إنّ المعلّم لا يكون ناجحا إذا حاول فرض سيطرته على الصف بالغضب والقوة, بل المعلّم الناجح هو الذي يفرض الهدوء في الصف بسكينته وهدوئه, وحسن أخلاقه التي أساسها رحمته بهذا الشاب الطالب للعلم, والراغب في الأخرة .

وإنّ المعلّم الذي يحاول إثارة الرعب والخوف في نفوس الطلاب بصياحه وصراخه ضعيف في حقيقة الأمر, إذ لا يستعمل سلاح الصراخ إلا من عجز عن الإقناع بالهدوء والسكينة . . .

الرحمة مطلوبة بطلاب هذا الزمان خاصة :

إنّ طالب العلم في زماننا يحتاج إلى رحمة مضاعفة, سواء كان ذكرا أم أنسى, فهو يرى – وهي ترى – ما يجري خارج أسوار هذه المدرسة من فسوق وفتن, وتدعوه نفسه إلى معافسة تلك الفتن, ويغريه شيطانه بإتباع الهوى والميل مع الدنيا وشهواتها, لكنّه مع ذلك كله يعرض عن كل تلك الزخارف ويقبل على طلب العلم الشريف الموصل إلى الأخرة وإلى رضوان الله تعالى . . .

وحق على كل معلّم أن يرحم هذا الطالب ويقدس الجهاد الذي يمرّ به ولا يظنّه أمرا سهلا فإنّ الله تعالى أخبر على لسان حبيبه صلّى الله عليه وسلّم بأنّه يحب الشيخ التائب لكن حبه للشاب التائب أشدّ .

وما ذاك إلاّ لأنّ الشاب مجموعة من الشهوات المتأججة التي لا يمكن أن تسكن وتهدء إلا بنور الله تعالى وهدايته .

وكم من معلم أحمق كان بغضبه وعنفه سببا إلى إعراض طالب عن العلم الشريف وداعيا له بسوء أخلاقه إلى ترك الدراسة الإسلاميّة وإستبدالها بالدراسة الدنيويّة .

ثانيا : الإهتمام بالوقت

إنّ الوقت عنصر أساسيّ في نجاح عملية التدريس, فكلما كان المعلّم حريصا على إستغلاله بأفضل الطرق كان ناجحا في الحصول على أفضل النتائج وأطيب الثمار .

إنّ المعلّم الناجح يسابق الزمن, ويتعامل مع الوقت معاملة الخائف من فواته دائما, فلا يسوّف في تحضير درسه, و لا يأجل درس اليوم إلى الغد, ولا يتأخر عن درسه دقيقة واحدة لأيّ عذر ما لم يكن طارئا وضروريّا .

المعلّم قدوة :

إنّ الطالب حين يرى معلّمه يسرع على الدخول إلى الصف بمجرّد رنّ جرس الحصة الدرسية سيحترم هذا المعلّم, وسيسارع إلى الدخول إلى الصف قبله, أمّا حين يعلم الطالب تأخر معلمه عن الدخول مسبقا فإنّه حينها سيتأخّر بدوره لأنّ القدوة في الأصل قد تأخّر .

وكم يكون المعلّم ظالما حين يسأل الطالب عن تضييعه لوقته ويحاسبه على ذلك ويوبخه عليه, وهو الذي نقل إليه مرض تضييع الوقت دون أن يدري !

وقت الدرس أمانة :

يخطئ المعلّم حين يظنّ أنّ وقت الدرس طويل وأنّ بإمكانه إتمام الدرس ولو تأخّر قليلا في الدخول, وبيان خطئه أنّ وقت الدرس أمانة شرعا, وسيسأل الله تعالى المعلّم عن هذه الأمانة هذه حفظها أم ضيّعها .

إنّ وقت الدرس من حق الطالب على المعلّم, و لا يجوز شرعا التفريط به أو تضييعه خارج هذا النطاق, والمعلّم الناجح هو الذي يقسّم وقت الحصّة الدرسيّة ضمن برنامج درسيّ ناجح, يخرج من خلاله الطالب فاهما حافظا واعيا لما تمّت دراسته في الحصّة .

إستغلال كلّ دقيقة علامة نجاح المعلّم :

قد يتساهل المعلّمون في تضييع خمس دقائق أو عشر دقائق من أوّل أو نهاية الدرس بحجّة إتمام المنهج وإنتهاء الدرس .

وكثيرا ما يخبرون بأنّ طلابهم فهموا الدرس تماما وأنّه لا توجد أسئلة لدى الطالب فلذا خرجوا من صفوفهم قبل إنتهاء الوقت المخصص . لكن الحقيقة مختلفة تماما .

إنّ المعلّم الفاضل هو الذي يحسن إستغلال كلّ دقيقة من درسه, وإن إنتهى من كلّ شيئ فبإمكانه أن يعاود التذكير بأبرز وأهمّ ما مرّ شرحه في درس اليوم, ويسأل الطلاب عن ذلك .

فإن إنتها وبقي في الوقت بقيّة فيمكنه أن يطلب من طلابه حفظ مقطع من الدرس ويصنع مسابقة وتنافسا بينهم في هذا حتى يسهّل عليهم أمر المذاكرة بعد الدروس .

علما بأنّ الدرس الحق لا يمكن أن ينتهي بالسرعة التي يتخيلها المعلّم, وإنّ المعلّم الذي يتوسّع في شرح درسه ويستعين بكتب أخرى غير مقررة في المنهاج في توسيع الشرح وزيادة المعلومات سيرى بأنّ الدرس الناجح يستغرق وقتا لا يمكن أن يستهان به .

ثالثا : الإلتزام بالزيّ « اللباس » المدرسي

إنّ الإلتزام باللباس المدرسي دليل التحضّر والرقيّ, وعلامة على تقدّم المدرسة ونظامها, كما أنّه يفتح نفس الداخل إلى المدرسة ويشعر المرء بالهدوء والسكينة وهذا أمر لا بدّ منه في كلّ مكان تعليميّ .

إنّ اللباس الموحد للطلاب يبعد الفوارق التي قد تكون سببا في تأخر عمليّة التعليم . ويمحو التمييز بين الغني والفقير . فحين يتباهى الغني بملابسه في الشارع

ويتفاخر بها, يزول هذا التفخر حين يلبس الطلاب كلّهم لباسا واحدا ومن نوع واحد, وهذا يساعدهم نفسيا على تقبّل التعليم بشكل أفضل وأكثر نفعا .

أمّا بالنسبة للمعلّم, فإنّ إلتزامه بلباس المعلّمين يجعله في عيون طلابه إنسانا منظّما, بعيدا عن الفوضى والعبثيّة . كما أنّ لباس المعلّمين الموحدة تضفي على المدرسة لونا من النظام والحضارة المطلوبة .

ويتأكد الأمر في حق المعلّمات, فحين نطلب من الطالبات الإلتزام بالحجاب ونأكّد على ضرورة إلتزام البنت بملابس الشريعة الواسعة التي لا تصف ولا تشف, فإنّ المطلوب من كل معلمة أن تبدأ بملابسها فتصلح حالها لأنّها القدوة في عيون طالباتها .

ومهما أمرت الطالبات بالإلتزام بالملابس الشرعيّة فإنّ ذلك لن يؤتي ثمرا ما لم تبدأ المعلّمات بإلتزام هذا الواجب والتطبيق له .

ويجدر التنويه إلى أنّ هذا الأمر لا يقتصر وجوبه على المدرسة وحدها, بل إنّ هذه الملابس الشرعيّة ليست شعارا للمدرسة فقط, بل هي إلتزام شرع الله تعالى وينبغي أن تلبس خارج المدرسة أيضا, وما إلتزامها في المدرسة إلا تدريب على التعويد ارتدائها في كل مكان خارج البيت .

رابعا : مراعات ذوقيّات

لا بدّ للمعلّم من أن يكون لطيفا يختار الكلمات التي يخاطب بها طلابه إختياراً ، ويتعامل معهم على درجة راقية من الذوق و الأدب .

وإنّ ديننا الحنيف هو منبع الذوق وهو أوّل من تكلّم في ضرورة ووجوب إستعمال الأدب في الحياة ونشره بين الناس .

قال صلى الله عليه وسلّم : من لم يشكر الناس لم يشكر الله . فبيّن أن الشكر وعبارات الثناء والإعتراف بالفضل هي من أساس شكر المنعم الجليل سبحانه وتعالى .

وكم كان صلى الله عليه وسلّم يرفق كلامه بعبارات راقية تعلّم الحاضرين حسن المنطق وجمال الخطاب ، فيقول مع كلامه : يرحمك الله . . . بارك الله بك . . . جزاك الله خيراً . . . من يفعل كذا ويكون رفيقي في الجنّة .

في دروس تعليميّة للمسلمين لاجتناب لغة الأمر البحتة وإرفاق العبارات بالكلمات اللطيفة والدعاء بالخير والوعد بهديّة وأمر طيب حسن .

ولأنّ المعلّم قدوة ينبغي أن تكون حسنة ، فإنّه مطالب بتحسين منطقه وكلامه وأفعاله مع الطلاب ، لينقل بدوره إليهم حسن القول والفعل والأدب .

فالمعلّم الذي يدخل الصفّ بهمجيّة ويغلق الباب بقوّة ، ويرمي الكتب على الطاولة رمياً ، ويثير الفوضى في الصف هو معلّم مقصّر في ذلك لأنّه ينقل الفوضى والعبث الى طلابه دون أن يشعر .

والمعلّم الذي يأكل بشماله أو يشرب ويسيل الماء على ملابسه أو يخرج الطعام من فهمه أمام الأخرين أو يتجشّأ بين الحاضرين يقلّل من قيمة المعلّم ويخلّ بآدابه .

إنّ المعلّم بشر ، يخطئ ويصيب ، لكن عليه أن يحرص على أن يكون في أكمل صورة وهو بين تلامذه وطلابه ، إنّه في عيون الطلاب صورة الكمال المطلوبة ، والدليل إلى طريق من كملوا من البشر ، ولا يستقيم ذلك ما لم يطالب المعلّم نفسه بواجبات إضافيّة زائدة على جميع من هم غيره .

خامسا : الإهتمام بالنظافة الشخصيّة

إنّ النظافة في الإسلام عنوان وشعار ، فلا تصح عبادة بدون طهارة . ومن هنا كان ديننا الحنيف أوّل من أعلن ضرورة النظافة وكونها عبادة لا عادة ، وجعلها من شعائر الله فأثاب عليها ، وعاقب على تركها .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلّم أنّ من أعظم الذنوب النخامة في المسجد لا تدفن . وأن من أحسن الخصال إماطة الأذى عن الطريق .

أنّ المعلم الناجح هو الذي يعلّم الطلاب بحاله قبل مقاله ، فلا يدخل إلى الصف بملابس وسخة ، ولا يفعل أفعالا تخلّ بالنظافة بين طلابه .

وحين يرى الطالب معلّمه نظيف الملبس ، حسن الرائحة ، نظيف الحذاء ، مهتمّاً بنظافة الصف ، حريصا على التنبيه على أيّ قذارة قد تحصل في الصف فإنّه بذلك يتعلّم من سلوكه معنى النظافة وقيمتها .

أمّا المعلّم الذي لا يرى إلاّ شعث الرأس ، وسخ الثياب ، نتن الرائحة ، فإنّه يسيئ إلى طلابه ويعلّمهم القذارة بسلوكه وفعله .

إنّ النظافة الشخصيّة أمر مهمّ في المدارس عموما ، ويتأكّد الأمر بالنسبة للمدارس الداخليّة التي يبيت فيها الطلاب خصوصا .

ففي المدارس الداخليّة يكون المعلّم كتابا مفتوحا يرى الطلاب كلّ ما فيه ، فليحرص المعلّم على الإلتزام بكلّ خلق حسن ونظيف ليكون صورة ناصعة للمعلّم الحق الذي ينشر علم الرسول صلى الله عليه وسلّم .

سادسا : فهم الدرس والتحضير قبل الدرس

إنّ عمليّة التدريس ليست عمليّة سهلة كما يظنّ كثير من الناس . إنّها عمليّة تحتاج على استعداد حقيقيّ وتحضير مسبق لما سيتم تدريسه للطلاب في الصف . ومسألة تحضير الدرس لا تعني مجرّد القراءة له وحسب . بل إنّها أمر أعظم خطرا من مجرّد ذلك .

يبدأ التحضير بقراءة سريعة للدرس المقرر إلقاؤه في الصفّ ، وذلك قبل الدخول إلى الصفّ بيوم أو يومين ، كي يتسنى للمعلم البحث عن جواب المسألة قد تشكل عليه أثناء التحضير .

يستعين المعلّم بالكتب الخارجيّة التي تتوفّر لديه في مكتبته الشخصية أو في مكتبة المدرسة ، والتي تتدرس العلم ذاته ، و يأخذ منها ما يراه مفيدا أو موسّعا لمعلومات درسه الذي يستعدّ له .

فيمكن لمعلّم السيرة أن يستعين بما في المكتبة من كتب للسيرة ليتوسّع في شرح ما قد يكون مختصرا في كتابه المقرر, و معلم الفقه يزيد من الأفكار والمسائل من كتب أخرى . وهذا يضفي على الدرس نكهة وطعما ممتعا ومفيدا في آن واحد .

لا بدّ في الإستعداد والتخضير للدرس من دفتر وقلم يثبت عليها المعلّم الأفكار الجديدة والمعلومات التي إستقاها من المراجع الأخرى ، ويلخص المعلّم كلّ ذلك على دفتره بشكل تشجيري أو رقمي ، يسهّل عليه الرجوع الى المعلومة عند الحاجة اليها وقت التدريس .

لا يكون التحضير قبل الدرس بالساعة . فإنّ هذا قليل النفع بل يكاد يكون عديم الفائدة, إذ المراد من التحضير الإستعانة بكتب أجرى لزيادة المعلومة وقبل الدرس بالساعة سيعسر تحصيل ذلك .

يتم رسم الجدول أو الملخص الذي رسمه المعلم في الدفتر للدرس على السبورة ، ويطلب من الطلاب نقله إلى دفاترهم ليكون معينا لهم على تذكر أفكار الدرس وقت المذاكرة والحفظ .

الحكمة من تحضير الدرس :

قد يقرأ المعلّم الدرس فيرى فيه فكرة غامضة ، أو كلمة غريبة ، أو قد يكون هنالك مسألة تحتاج على بحث ودراسة لفهمها ، وقد يكون في الكتاب خطأ مطبعي يجب تصحيحه ، أو غير ذلك .

والمعلم الناجح هو الذي يسبق الطلاب بالتنبيه على هذه الأخطاء أو المسائل وتبيينها لطلابه بكل هدوء ودون توتر وقلق .

ولو تفاجأ المعلّم بأمر من هذه الأمور ساعة الدرس فسوف تهتز صورته أمام الطلاب ، وستضعف الثقة في علمه ، ولن يتقبّل الطالب منه التنبيه أو التأنيب في وقت لاحق لأنّه يراه ناقصا عنه إذ هو – الطالب – قد نبهه للخطأ وليس العكس .

كما أنّ التحضير والتوسع في الدرس يعطي متعة إضافية للطلاب ، ويعينه على فهم درسه بشكل أجمل ، إذ الطالب في نفسه يحب ما لا يأمر بحفظه ، ويستمتع في كل أمر لا يطلب منه دراسته ، وإدخال هذه الأفكار النافلة والزائدة على الدرس يمنح الطالب راحة ومتعة أثناء فهم الدرس إذ يشعر أنّه لن يكلف بحفظ كل شيئ يلقى عليه . بل هنالك الكثير من هذه المعلومات زائدة وغير مطلوب منه حفظها بالإضافة الى ما يجده فيها من متعة العلم والفائدة .

سابعا : توزيع الإهتمام على كل الطلاب

إنّ العدل أساس الملك ، وعليه قامت السماوات والأرض ، وقد حرّم الله الظلم على نفسه وهو رب العباد وخالق البشر وجعله بين العباد محرما ممنوعا . فقال عزّ وجلّ في الحديث القدسي : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا .

إنّ المعلّم رمز العدالة في الصف ، ومن المفروض أن تكون قاعة الدرس وغرفة الصف واحة للعدل والمساوات بين الطلاب .

والمعلم الذي يميز بين الطلاب لأي إعتبار كان هو معلم خائن للأمانة التي ائتمنه الله تعالى عليها .

وكم من معلم كان سببا في إعراض الطالب عن كتابه ومقته للدرس بسبب تمييزه لبعض الطلاب على البعض الآخر .

الطالب الغني ، أو ذو الجاه ، أو المتفوق أو صاحب المكانة والقيمة بين الناس لا يجوز تمييزه ورفعه فوق أقرانه من الطلاب لأيّ سبب من الأسباب ، فلا يعقل أن يعاقب الطالب العادي على ترك الواجب ويسامح الطالب الغني ولا يعاقب . ولا يمكن أن يقبل عذر الطالب الوجيه في غيابه ولا يقبل عذر الطالب الفقير أو غير الوجيه .

نعم, قد يتساهل مع الطالب المتفوق المثابر المجتهد في دراسته إن أتى مرة وقد قصّر لعذر من الأعذار وما التساهل معه إلا سبب إجتهاده المتواصل ودراسته المثابرة, لكن المعلم الحصيف والذكي لا يظهر ذلك للطلاب ولا يشعرهم بالتساهل مع زميلهم المتفوق بل قد يشملهم بالعفو جميعا بسببه دون أن يخبرهم بذلك .

إنّ غرفة الصف ومنبر التعليم ليس ساحة للجزاء مكن أسدى لك معروفا أو أكرمك ، فتكرم لبنه أو تكافئه برفع قيمة ولده بين الطلاب . فالمؤمن يقيم لكل مقام مقالا ، ويعطي كل ذي حق حقه .

التوجه أثناء الشرح بعدل وإنصاف :

يخطئ بعض المعلمين فيحصر اتجاه وجهه في جهة معيّنة من الصف أثناء شرح الدرس ، ولا يلتفت إلى الجهة الأخرى وغالبا يكون ذلك عن غير قصد .

وهذا من الأخطاء الفادحة في عملية الشرح والتعليم, فالطالب الذي يشعر أنّ معلمه ينظر عليه ويوليه منه عناية ونظرا أثناء شرحه للدرس يضاعف ويزيد من استيعابه وفهمهم لما يسمع ، بخلاف الطالب الذي يحس بأنّ معلّمه لا يعيره أدنى اهتمام أو نظر ، فإنّه لا يهتمّ لما يسمع ، وربما انشغل بأشياء خارج الدرس ولا علاقة لها بمضمون الكتاب .

وكم سمعنى عن الطلاب انشغلوا في الحصة الدرسية بكتابة واجباتهم المنزلية لدروس أخرى ، وما السبب إلاّ إهمال المعلم وعدم توزيعه النظر والتوجه الى كل الطلاب الحاضرين مهما كانوا كسالى أو خاملين .

إنّ نظرة المعلّم تمنح الطالب الكثير الكثير ، وتشعره أنّه على درجة من الأهميّة وينبغي أن يرتقي بنفسه ليكون أفضل في عيون معلّمه .

والمعلم الناجح هو الذي يلقي بوجهه على كل طلابه سواء ليوزّع عليهم العلم بالعدل والسواء .

ثامنا : التأكد من فهم الطلاب

إن إنتهى الدرس وأتمّ المعلم الشرح والتوضيح ، وأنهى بيان ما تعيّن عليه بيانه ، إنتقل إلى مرحلة أخرى من التدريس وهي مرحلة التأكد من أنّ جميع الطلاب قد فهموا الدرس واستوعبوا المراد منه وأدركوا جميع النقاط الموجودة فيه .

ويتمّ التأكد هذا بطرق كثيرة منها :

١ . سؤال الطلاب اسئلة متنوعة عما ورد ذكره في الدرس والجواب عنها يكون غيبا ومن فهم الطالب .

٢ . تكليف أحد الطلاب بأن يعيد شرح قطعة من الدرس صغيرة ، بطريقته وعباراته ، بحيث يتمكن من إظهار فهمه للطلاب ومعلمهم .

٣ . سؤال الطلاب عن أهمّ الأفكار التي برزت في الدرس .

٤ . سؤال الطلاب عن حل أصعب نقطة وردت في الدرس وأشكل فهمها قليلا على الطلاب أثناء الشرح .

٥ . الإستفهام إن كان ثمة إشكال أو أمر لم يفهم من الدرس .

إن هذه الخطوات ضروريّة للتأكّد من فهم الطالب للدرس ، ولا يقبل من المعلم التساهل فيها بحجة أن الدرس سهل ولا يحتاج إلى هذه الأسئلة ، فمهما

كان الدرس المقرر سهلا ، على المعلّم أن لا ينسى أنّ هنالك طلابا من ذوي الفهم البطيء وقد يعسر عليهم فهم أيسر الأمور أحيانا . ثمّ إنّ من بين الطلاب من يخجل من السؤال ، أو يخجل من الظهور بصورة العسير الفهم بين زملائه ، فيتخاذل عن الإستفسار وطلب المزيد من الشرح, وهذه الخطوات هي التي تجعل المعلم في أمان من مثل هذه الحالات التي قد تعود بالفشل على العملية التدريسية .

تاسعا : إستعمال السبورة

لا بدّ في كل درس ناجح من الكتابة على السبورة وإستعمالها كركن أسسي من أركان التعليم .

فالكتابة كالحبل للعلم ، يربطه فلا يلتفت ولا يهرب ، والدرس الخالي عن الكتابة على السبورة درس جامد ميت بلا روح . لقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يشرح لأصحابه الحديث برسمه على الرمل وخط خطوطا توضيحية لما يقول ، وهذا أشبه ما يكون بالسبورة في زماننا .

عن عبد الله رضي الله عنه ، قال : خط النبي صلى الله عليه وسلّم خطا مربعا ، وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال : « هذا الإنسان وهذا أجله محيط به – أو : قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا » .

إن مساعدة الطالب على فهم الدرس واجب أساسي من واجبات المعلّم إن لم نقل هو واجبه الأصلي ، وعليه ؛ فكل ما من شأنه أن يعين المعلم في ذلك فعليه أن لا يقصر فيه بل يبذل الجهد والعناء في سبيل تحصيله .

وكم للكتابة على السبورة من أهميّة للطالب في زماننا ، فهي تطبع في ذهنه وعقله ملخص الدرس ومحتواه وزبدته ، وتسهل عليه تذكر مجموعه وحفظه ،

كما أنّها تشارك حاسة البصر في العملية الدرسية ، ومعلوم أنّه كلما كان عدد الحواس المشتركة في الدرس أكثر كان الفهم أقوى وأسرع ، فالسمع لكلام المعلّم ، والنظر لما هو مكتوب في السبورة والجواب عن الأسئلة المطروحة أثناء الشرح هو إشتراك لعدد جيّد من الحواس وهذا يجعل الفهم أفضل وأجود .

عاشرا : الصوت المناسب

يحتاج المعلم إلى صوت مرتفع يبلغ آخر طالب جالس في زاوية الصف ، وبدون هذا الصوت فالدرس فاشل بلا ريب وخاسر بلا شك .

من طبيعة الإنسان إنتباهه إلى الصوت المرتفع وإهماله للصوت المنخفض الضعيف ، ولا نعني بالوت المرتفع الصراخ أو الصياح ، بل ما يعبر عنه بالصوت الجهوري ، الذي يسمع كل من في الغرفة بشكل مريح دون إرهاق للأعصاب أو إتعاب للأذن .

ان المعلم ذا الصوت الضعيف الخامل سبب في إتعاب طلابه وإرهاقهم إضافة إلى أنّه عاجز عن إيصال المعلومة بشكل مثمر مفيد .

فحين يكون صوت المعلم منخفضا ، فإن الطالب الخمول والكسول قد ينام في الدرس حقيقة أو حكما والطالب المجدّ يرهق نفسه ويتعب في محاولة السماع والفهم لما يقوله المعلم .

كما أنّ الفكرة المشروحة في الدرس تحتاج إلى آلة حادّة لإيصالها والصوت الجهوري هو تلك الآلة المجديّة والنافعة .

والمعلم الذي يتكلم وهو مغلق لفمّه ولا يكاد يبين الحروف أو يفهم الكلمات هو معلّم محتاج إلى تصحيح طريقة النطق ومخارج الحروف لديه ، فالطالب مكلّف بفهم الفكرة فقط ، وليس مكلفا بحلّ رموز الكلمة ليعلم الكلمة المنطوقة أولاً ثمّ فهم المعنى بعد ذلك .

وكم كانت العرب تمدح بالفم الضليع والصوت الحسن الذي يبلغ إلى ما لا يبلغ غيره ، حتى أنّ الصحابة امتدحوا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك

فقالوا : ضليع الفم ، أي بحيث يبين مخارج الحروف ويفهم سامعه كلامه بسهولة ويسر .

احد عشر : محبّة الدرس

لا بدّ من أن يكون المعلّم محبا لما يعلّمه ، راغبا في تعليمه ، عاشقا لإيصال العلم المنوط به إلى الطلاب . . ومن لم يكن كذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون معلّما ناجحا . إن توقر الداعي والدافع على التدريس أمر لا بدّ منه في نجاح سير التعليم ، فالمعلّم الذي تدفعه ظروف الحياة ويدفعه فقره إلى التدريس لكسب المال وأخذ الأجرة على ذلك لن يكون معلما ناجحا لأنّ الدافع للتدريس لديه دافع ضعيف ، لا يتناسب مع عظمة التدريس والتعليم وقيمته .

كيف يطلب المعلم من الطلاب محبّة الدرس وهو نفسه لا يحب هذا العمل ولا يرغب فيه ؟ ! ! !

إنّ المعلم الذي يحب عمله ويعشقه ينقل إلى الطلاب حبّ العلم وعشق التعلّم ، وينتقل إحساسه هذا إلى طلابه ليعيشوا ساعة الدرس وكأنّهم في روضة من رياض الجنّة .

أمّا المعلّم الذي لا يحبّ درسه بل يكرهه ويتمنى لو ينتهي الوقت بأسرع ما يمكن ، ويتأخّر عن الدخول إلى صفه ، ويسارع في الهرب من الصف بمجرّد رن الجرس وإنتهاء الوقت ، هذا المعلم ينقل مقته وكرهه للطلاب فيكرهوا وجوده ويكرهوا حصته ودرسه ويتمنّون لو أنّه لا يدخل عليهم أبدا .

وكم إنتقل عشق الكتاب إلى الطلاب بسبب المعلم الذي كان يعلمه لهم ، والعكس بالعكس . فكم كره طلاب كتابا بسبب كره المعلم الذي كان يدرسه ولم يكن يحب عمله ولا يتقنه بسبب إنتفاء الرغبة الداخليّة لديه .

إثنا عشر : القراءة الواسعة

المعلم اللبيب هو المعلم الواسع القراءة ، والذي يحسّ بجوع ونهم للمعرفة والتعلّم .

إنّ كون المعلم معلما لا يعني أن يتوقّف عن طلب العلم أو عن القراءة ، بل على العكس تماما ، فإنّ المعلم بحاجة إلى القراءة والثقافة الدائمة ، فهو معرض لأسئلة الطلاب واستفساراتهم الدائمة والتي لا تنتهي .

لقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلّم بطلب الزيادة من العلم بينما لم يؤمر بطلب الزيادة في شيئ غير ذلك ، لأنّ العلم بحر لا ينتهي ، وكلّما توسع المرء في العلم ازداد علما بجهله وازداد احساسا بنقصه وبحاجته إلى الزيادة منه .

لا ينبغي أن يجلس المعلم وقت فراغه كجلسة العامي الذي لا صلة له بالعلم وأهله ، بل إنّ المعلّم إنسان مسؤول أمام الله تعالى أكثر من غيره ، وهو مطالب من الله تعالى عز وجلّ أن يستغلّ وقته بأحسن ما يعود عليه وعلى طلابه بالخير والعلم المفيد .

فلا يعقل أن يرى المعلم وقت الفراغ جالسا دون شيء يصنعه ، بل يمسك كتابا يقرأ فيه ، أو مجلة يستفيد منها ، ولقد كان حال المعلمين من السلف الصالح حالا راقيا جدا ، حيث كانوا يستغلّون كل دقيقة من أوقاتهم في الإستفادة والإفادة ، و لا يرضون أن يضيع عليهم شيء من أوقاتهم دون علم أو تعليم .

الفصل الثاني : مراحل الدرس الناجح

المرحلة الأولى : التذكير بالدرس الماضي

المرحلة الثانية : شرح الدرس المطلوب

المرحلة الثالثة : قراءة الدرس من الكتاب

المرحلة الرابعة : الواجب المنزلي

المرحلة الأولى : التذكير بالدرس الماضي

إن التدريس عملية متكاملة يرتبط فيها الأصل بالفرع ، والقديم بالجديد ، فلا بد في كل درس من تذكير الطلاب بالدرس الماضي ذكره ، وربطه مع درس اليوم المقرر ليحصل التسلسل المطلوب في ذهن الطالب وعقله .

وههنا يبدأ المعلّم بتذكير الطلاب بمجريات وأحداث الدرس الماضي ، ويتمّ ذلك بسؤال بعض التلاميذ بعض الأسئلة التي تخدم الدرس وتطمئن إلى حفظهم لما درسوه في الحصة الماضية .

ولكن يجدر التنبيه إلي أن هذه المرحلة ينبغي أن لا تستغرق وقتا طويلا ، بل يكتفي بعشر دقائق يسأل فيها بعض التلاميذ بعض الأسئلة وتوضع لهم القيمة على السجل ، ثمّ يبدأ بعدها بالدرس الجديد .

أمّا أن يستغرق ذلك وقتا طويلا ففي هذا إضاعة لوقت الدرس الذي يجب أن يستغل على أكمل وجه في تعليم ما هو جديد .

وبالنسبة للتأكد من سلامة حفظ التلاميذ فإنّ المعلّم الحاذق يكتفي بسؤال يكتشف فيه الطالب الدارس من عديم الدراسة ، ويؤجل موضوع الأسئلة والإختبار الطويل إلى زمان الإمتحان المقرر .

وكذلك فإنّ إهمال التذكير بالدرس الماضي والبدء بدرس جديد مباشرة أمر خاطئ ؛ إذ لا يكون ذهن الطالب مستعدا لتلقي المعلومات الجديدة كما لو بدأ المعلّم بتقديم لها وتذكير بما سبقها .

ويتعيّن الأمر ويلزم أكثر عندما يكون موضوع الدرس المقرر لليوم داخلا في موضوع الدرس السابق . فمثلا عند الكلام عن غزوة من الغزوات يجدر التذكير بما حدث قبلها ودعا إليها وأدى إلى حدوثها ، ثم التذكير ببداية الغزوة ثم البدء بما تقرر تعليمه في اليوم من مباحث .

وعند الحديث عن سنن الوضوء يمدح التذكير بالوضوء وفروضه بنزر يسير من الكلام لا يتجاوز الدقائق القليلة ثم الدخول في الدرس المطلوب .

إن هذه العملية تهيّئ الطالب وتعدّه نفسيا وذهنيا لإستقبال الدرس الجديد وهو على أتمّ الإستعداد .

ومن أروع طرق الدخول في الدرس الدخول المتدرج الذي ينتقل بالطالب وذهنه خطوة خطوة ليدخل به في الدرس براحة ودون مفاجأة أو صدمة .

فالمعلم الناجح هو الذي يصنع قصة تناسب موضوع الدرس من حياة الطلاب ، أو يستفيد من حدوث موقف معيّن في الصف ويجعل منه مدخلا للكلام في موضوع درسه المقرر .

كما لو دخل معلم وطالبان في الصف يتخاصمان ، وموضوع درسه المقرر هو أحكام الصلح ، فيصنع مدخلا مناسبا للكلام عن الصلح ، و يصلح بينهما ويدخل في درسه مستفيدا من كل دقيقة في الدرس لتعود العلم والفائدة على أكبر عدد من الطلاب .

المرحلة الثانية : شرح الدرس المطلوب

ثم يدخل المعلم في درسه المقرر ويبدأ بشرحه بعد أن يكون قد إستعدّ له سابقا وحضره كما بينّا في المبحث السابق .

ويجب التنبّه إلى عدة أمور أثناء شرح الدرس :

١ »الانتباه إلى تركيز الطلاب أثناء الدرس :

إن العلم من طرق الجنّة والتعلّم عمل صالح لا يحب إبليس أن يشتغل به ابن آدم ، لذلك نراه لا يمل من وضع المشاغل والعوائق في طريق الطلاب كي يصرفهم عن العلم ، ويحدث هذا كثيرا والمعلم يشرح الدرس .

فنرى الطالب مشغولا بقلمه أو بإصلاح ملابسه ، أو بالنظر في نوعيّة القماش التي صنع منها معطفه ، أو بتقدير جودة الحذاء الذي يلبسه صديقه ، أو برسم بعض الأشكال المضحكة على يديه . . أو طاولته . . أو دفتره . . أو حتى في الهواء ! ! !

ومن الطلاب من يشتغل بكتابة واجب آخر لدرس آخر .

ومنهم من يتشاغل بكتابة الرسائل إلى أصدقائه في الصف يخبرهم بما ينوي فعله بعد الدرس .

ومنهم من يشغل نفسه بتذوق بعض الأطعمة التي رصدها للاستراحة .

ومنهم من يتشاغل بالأذى المحض ! ! فيربط حذاء هذا بهذا . ويكتب على قميص هذا . . أو تربط حجاب هذه بهذه . . إلى آخر هذه الصور المضحكة المؤلمة من تشاغل بعض الطلاب عن دروس العلم في ساعة الدرس .

إنّ مسألة لهو الطالب وعبثه في الدرس مسألة ارقّت المعلمين منذ بداية التعليم في الأرض .

فعلى المعلم أن يكون لبيبا حاضر الذهن ، متفرسا في طلابه ، يكتشف ما يسترون من لهو ليمنعهم عنه ، ويوجه انتباههم جميعه إلى الدرس ، فلا تتعطّل أذهانهم بالنظر في أيّ شيء آخر .

ولذلك فثمة بعض التوجيهات التي يستحسن القيام بها بمجرد بدء الدرس ، منها :

-الأمر بإغلاق كل الكتب والدفاتر

- الأمر بإزالة كل شيء - مهما كان صغيرا - من الطاولة

- الأمر بالجلوس جلسة تحكاي الأدب على الفخذين استعدادا لبدء الدرس

- إن رأى المعلّم من طالب لهوا أو عبثا فيكتفي في البداية بالنظر اليه بحدة منبها ، فإن تكرر عبثه تنبه قولا ، فإن تكرر عبثه ينظر : فإن كان لهوه من النوع الذي يؤذيه وحده أنقص من قيمته واكتفى بذلك ، كما لو كان يلهو بالكتابة على يده أو ما شابه ، أمّا إن كان لهوه من النوع الذي يشوش به على الآخرين فيلجأ مع نقص القيمة إلى عقاب من نوع آخر ، كأن يطلب منه الوقوف وحيدا في آخر الصف رافعا إحدى يديه لمدة من الزمن يقدرها المعلم .

- إن شعر المعلم بأن النعاس دخل إلى أحد الطلاب فلا عيب في أن يطلب منه غسل وجهه أو إستنشاق هواء نقي سريعا كي يستعيد نشاطه ، ويستحسن أن يطلب ذلك بشكل عام اولاً فإن لم يستجب المخصص بالذكر طلب منه مباشرة بأسلوب رفيق رحيم .

- يحسن بالمعلم إدخال عنصر جديد على الدرس لتجديدي نشاط الطلاب واستعادة قوتهم الذهنية ، كأن يأمرهم فجأة بالوقوف ثم الجلوس ، ثم الوقوف ثم الجلوس ثم الوقوف ، ثم يكمل درسه بعد أن يراهم قد جددوا انتباههم لما يريد .

– توجيه الأسئلة الفجائية تدبير حسن يزيل النعاس ويجدد الانتباه للدرس ، وتوقع الطالب أن يسأله المعلم فجأة أي سؤال امرٌ يمنع حدوث اللهو والعبث ما أمكن .

– ليسأل المعلم طالبا فجأة : ما هي الفكرة التي نتكلم حولها ؟ إن هذا السؤال حارس من الإنشغال عن الدرس لجميع الطلاب إذ يصعب وقوف الطالب كمن لا يفهم شيئا بين زملائه وهو معهم دون أن يجيب . . .

٢ » **اللوحات الإيضاحية أو وسائل الشرح المساعدة :** فهي تزيد من الإلتفات إلى الدرس وتحبب الطالب بمقرره ، ويحسن أن تكون اللوحات ملوّنة بألوان تجذب انتباه الطالب وتنادي تركيزه ، وتكون غالبا مشجّرة بفروع الدرس المقرر وملخصة لما حواه الدرس من أبرز الأفكار .

المرحلة الثالثة : قراءة الدرس من الكتاب

بعد أن ينتهي المعلم من الشرح وتبسيط الفكرة وايصال المضمون كاملا الى الطلاب ، وبعد أن يسألهم إن كانوا فهموا درسهم بشكل جيد ، يتوجّه الى الأمر بفتح الكتب وتأتي مرحلة القراءة من الكتاب ، لإسقاط ما قاله المعلم وذكره في الحصة من معلومات وأفكار على ما كتب في الكتاب المطلوب دراسته ، وههنا تكون الخطوة الأكثر أهميّة ، إذ الطالب مسؤول عن الحفظ من هذا الكتاب ، وسيسأل في الإمتحان عما ورد في الكتاب لا عما شرحه المعلم ، فإن كان الطالب قد وجد الشرح متطابقا مع ما في الكتاب فقد نجح المعلم في عمله ، أما إن كان الشرح بعيدا عما ذكر في الكتاب أو متناقضا أو مخالفا له فقد خسر المعلم ولم ينجح .

إنّ قراءة الدرس من الكتاب بعد الإنتهاء من شرحه تدخل الطمأنينة إلى نفس كل من الطالب والمعلم ، فيطمئن الطالب إلى أن ما هو مطلوب منه من الحفظ أمر ميسّر بعد أن فهمه وطابقه بكلام أستاذه وكتابه ، ويطمئن المعلم إلى أن جميع ما ذكر في الكتاب قد تمّ فهمه لدى الطلاب .

كما أنّه كثيرا ما تغيب فكرة أو نقطة تحتاج توضيحا على المعلم ، فيتذكرها عند قراءة الدرس من الكتاب ويوضحها للطلاب .

إنّ كلا من الشرح والقراءة بعده ركنان أساسيان لا يستغنى بأحدهما عن الآخر ، فكما أنّه لا يحسن بالمعلم أن يشرح دون أن يختم بقراءة مقرره من الكتاب فكذلك لا يمكن أن يستساغ درس جامد مقتصر على القراءة من الكتاب . . . دون شرح أو بيان سابق له .

إن أجهزة الحاسوب والتكنولوجيا في زماننا باتت كثيرة وفيرة ، ويمكن لكل جهاز أن يقرأ كتابا كاملا على الطلاب . . . لكننا نحتاج إلى نقل روح الكتاب وحياته إلى قلوب الطلاب ، وهذا ما يعجز عنه أعظم حاسوب ولا يقدر عليه إلاّ الإنسان . . .

المرحلة الرابعة : الواجب المنزلي

وهذه هي الخطوة الأخيرة إذ يؤمر الطلاب بكتابة واجب المنزلي على دفاترهم ، ليعيدوا دراسة الدرس في منازلهم وبكتابته فإنّهم يربطون المعلومة ويحافظون عليها من التلفّت والهرب .

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

العلم صيد والكتابة قيده　　قيّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن المحال بأن تصيد غزالةً　　وتتركها بين الخلائق طالقة

ومعنى كلامه : بأنّ العلم كنز ثمين ، تتعب يا إنسان في تحصيله ، كما يتعب الصياد في صيد الغزالة السريعة ، فإذا أمسكتَ العلم فقيّده واربطه بالكتابة حتى لا يتفّلت ويهرب من جديد ، أرأيت صيّادا يصيد غزالة ويتركها دون قيد ؟

ويتم تصحيح الواجب المنزلي في درس متأخر ليكون ربطا للمعلومات وتذكيرا من النسيان .

الفصل الثالث : في الإمتحان

أولا : أوقات الإمتحان

ثانيا : الأسئلة في الإمتحان

ثالثا : الأمانة لدى المعلم

رابعا : الإنتباه لأمانة الطالب

خامسا : الجو العام في الإمتحان

أولا : أوقات الإمتحان

يقرّر الإمتحان للتأكد من سلامة سير الدراسة لدى الطلاب ، وحفظهم لما تلقّوه من معلميهم . ولذلك يجب توزيعه على أوقات متناسبة خلال العلم الدراسي . لا يعقل أن يكون في كل درس يدخل فيه المعلم على الصف إمتحان يستغرق ثلاثين أو عشرين دقيقة ! !

إن هذه هدر للوقت ومضيعة له ، إذ المعلّم مطالب بتدريس الجديد خلال هذا الوقت ويقتصر الإمتحان على مواعيده المقررة فقط .

نعم يسأل المعلّم الطلاب بعض الأسئلة – كما تقدّم – ليذكرهم وليختبر حفظهم ، وليكونوا على أهبّة الإستعداد في كل وقت ، لكن هذه الأسئلة تكون قليلة مختصرة لا تتجاوز العشر دقائق .

أما الإمتحان فيكون شهريًا . ففي كل شهر يشرع إمتحان لإختبار حفظ الطلاب لما درسوه خلال الشهر ، ثم يوضع حاصل الإمتحان في هذا الشهر .

وفي نهاية الفصل الأول من السنة يقرر الإمتحان الفصلي الأول ، وفي نهاية الفصل الثاني يقرر الإمتحان الفصلي الثاني .

ولا يجوز تضييع الوقت على الإمتحانات في غير هذه المواعيد إلا لأسباب طارئة كاحتمال غياب الطالب عن الإمتحان لمرض أو نحوه فلا بأس بتقديم أو تأخير زمن الإمتحان لعذر ما .

ثانيًا : الأسئلة في الإمتحان

شروط الأسئلة في الإمتحان :

١ »**مختصرة** : ومعنى كونها مختصرة أن لا تكون تفصيلية بشكل يرهق الطالب ويتبعه بشكل واضح ، لا ضير أن يكون هنالك بين الأسئلة سؤال واحد

يختبر حفظ الطالب للتفاصيل الطويلة ، أمّا أن يغلب على الأسئلة الطابع التفصيلي الطويل فهذا أمر لا يتناسب مع جو الإمتحان الذي يكتنفه غالبا الخوف والقلق ، ويقيّده الوقت القصير والذي قد لا يكفي الطالب لكتابة التفاصيل الطويلة .

فلا يسئل الطالب : ما هي أحكام الطهارة ؟ ! ! !

إذ كيف يمكن له أن يسرد أحكام الطهارة بشكل كامل في وقت لا يتجاوز الساعتين ويحتاج أن يسأل فيه سؤالا آخر . ومن المعلوم أن هنالك كتبًا بحالها تحدّث عن أحكام الطهارة ، فهذا وأمثاله من الأسئلة لا يصلح ليكون سؤالا موجَّها للطلاب بحال من الأحوال . . . إنّما الأجدر بالمعلّم أن يسئل : ما هي أنواع النجاسات ؟ أو كيف يتمّ التطهير من كذا وكذا . . . إلى غير ذلك من الأسئلة المختصرة المفهومة .

٢ » **وافية :** أي محيطة بالمقرر من مبدئه إلى منتهاه ، فلا يصح أن تقتصر الأسئلة في الإمتحان على النصف الأول من الكتاب وتهمل النصف الثاني منه ، فقد يكون الطالب لعارض ما لم يتقن دراسة الجزء الأول من الكتاب فيضيع عليه الإمتحان حينذاك ، بل توزع الأسئلة بشكل عادل من جميع أجزاء الكتاب حرصا على سلامة الطالب ما أمكن .

٣ » **واضحة :** والسؤال الموفّق هو ذلك السؤال المفهوم والمعلوم مراد المعلم منه ، أما السؤال الغامض غير المفهوم فمرفوض تماما في الإمتحان ، فلا يسئل الطالب سؤالا لا معنى له . . .

كمن درّس كتابا من الكتب في النحو مثلا ، وكانت الفقرة تبدأ بكلمة مثل : ويعرب . . .

فيسئل الطالب : أكمل : ويعرب . . .

إنّ هذا ليس سؤالا بكل مقاييس التعليم ، إذ المطلوب من الطالب الفهم والجواب المبني على الفهم ، أمّا الحفظ العاري عن الفهم فلا يحتاج إليه العالم ولا المتعلّم . . .

ولا يحسن أن يسئل المعلّم طالب العلم : أذكر المعنى الأوّل من معاني كان

. . . إن كان لها أكثر من معنى فقد لا يحفظ الطالب تلك المعاني مرتبة ولا عيب في ذلك ، بل يسئل : اذكر ثلاثة أو . . . معنى من معانى كان .

٤ » **متوسّطة الصعوبة :** لأنّها تتوجه إلى جميع الطلاب متفوقهم وكسولهم ، فلا يحسن أن تكون صعبة لا يعرفها إلا المجدّ ، ولا أن تكون سهلة يعرفها كل كسول لم يدرس ، بل تكون متوسّطة بين الصعوبة والسهولة لأنّها تخاطب كل الطلاب معًا .

أنواع الأسئلة في الإمتحان :

١ » **سؤال الذكاء :** وهو سؤال لا بدّ منه ويعتمد على تمييز من له درجة من الذكاء أعلى من أقرانه ، ويكون بإستخراج سؤال غامض من الدروس لا يدركه إلاّ من ركّز في دراسته وفهم طوايا وخبايا المعلومات التي درسها ، وغالبا ما يكون مكانه في كتب الفقه واللغة ، إلاّ أنّه لا يقَرّر عليه قيمة عظيمة لئلا يتضرر من عدم إدراكه بقيّة الطلاب ، إنّما الغاية منه إنتقاء أصحاب العقول المستنيرة من بين الطلاب ليولوا اهتماما أكبر في الوقت المقبل من السنة .

٢ » **سؤال الفهم :** وهو سؤال الذي عليه القيمة الكبرى ويتقاسمها مع سؤال الحفظ ، فالمطلوب من الطلاب الفهم والحفظ ، وعلى هذين السؤالين مدار القيمة ، أمّا سؤال الفهم فيعتمد على صحة فهم الطالب لما درسه ويجاب عليه بعبارات وجمل من صياغة الطالب لأنّه إستخلص الجواب مما درسه إستخلاصا ، كأن يسأل الطالب في السيرة : لماذا لم يعاتب النبيّ صلى الله عليه وسلّم من تخلف عن الخروج عن غزوة بدر كما فعل في تبوك ؟ فيجيب مما فهمه من كون المسلمين في بدر لم يخرجوا للغزو أصلا بل لأخذ العير التجاريّة من قريش في حين أنّهم في تبوك خرجوا للغزو وبقصد الجهاد ، فمن تخلّف في بدر لم يقصد التخلف ، ومن تخلّف في تبوك يختلف عنه .

٣ » **سؤال الحفظ :** وهو السؤال الذي يعتمد على حفظ الطالب لما درسه حفظا كاملا وافيا ، ويحسن أن يكون متوسط الطول ، واضحا حاويا لعدد من الأفكار المهمّة ، كأن يسؤال طالب التصوف : أذكر شروط التوبة مع شرح كل شرط منها .

٤ » **سؤال المساعدة :** وهو سؤال سهل يساعد الطلاب الضعاف على النهوض بقيمتهم ودرجتهم في الإمتحان ، وغالبا ما يكون واضحا شديد الوضوح ، لكن لا يجوز أن يعطى قيمة كبيرة إنّما هي درجة لا تسمن ولا تغني من جوع ، لكنّها قد تؤخر الموت على من يستحقّه ليتدارك نفسه ويدرس من جديد .

ثالثا : الأمانة لدى المعلّم

المعلم مثال الأمانة في الصف ، ولا يحسن به أن يخون تلك الأمانة لأيّ غرض أو غاية مهما كانت . وإنّ أسئلة الإمتحان أمانة سيسأل الله تعالى عنها من حفظها ، هل أدى واجب حفظها أم ضيّعها .

فالمعلّم الذي يسرّب الأسئلة وينقلها إلى التلاميذ وهو معلّم قد خان الله ورسوله ، وأفشى سرّا ائتمنه الله تعالى عليه .

وأدهى من ذلك المعلّم الذي يخبر طلابه بالأسئلة ليدرسوا ويحصلوا على نتائج ممتازة وهو يظن أنّه محسن بذلك ! ! !

إنّ الغاية من الامتحان هي إختبار الطالب وامتحان قدرته على الإجابة ومعرفة إذا كان قد أدى واجبه وحفظ درسه أم لا . . .

وليس من العدل أن يوضع الطالب الذي تعب ودرس مع الطالب اللاهي الذي أضاع وقته وأهمل دروسه في نفس القيمة أو الدرجة . . .

لقد علّمنا الله تعالى أنّه لا يجوز أن يتساوى في التقدير من عمل ومن لم يعمل قال تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون . . .

رابعا : الإنتباه لأمانة الطالب

لا يخلو الامتحان من محاولات غالبا ما تكون فاشلة للغشّ ونقل المعلومة لدى الطلاب .

ومسئلة الغشّ في الإمتحان مسألة تطوّرت كثيرا عبر الأزمان .

فمن أوقات كان الطلاب فيها يفتحون الكتب وينقلون المعلومات بالكتابة على أوراق صغيرة يسترونها بملابسهم وبين كتبهم ، إلى زمان صرنا نرى فيه أساليب للغش لا يمكن أن تخطر على بال بشر . . . إلا بشر علمه إبليس بعضا من دهائه وحيلته ! ! !

فعلى المعلم أن يكون حاضرا منتبها ، ضابطا لغرفة الامتحان بكل ما أوتي من قوة وحزم ، دون أن يؤثر على راحة الطلاب وسكينتهم .

وليعمل المعلم حواسه كلها في مراقبة الطلاب ، ولينتبه إلى الحيل والخدع التي قد يستعملونها في الغش ، فإن ضبط طالبا وهو يغش فليعاقبه بما يتناسب مع حالته ومستوى الضرر الذي كان يفعله .

خامسا : الجو العام في الإمتحان

لا بد أن تكون قاعة الإمتحان مكانا هادئا لا صخب فيه ولا ضوضاء ليستطيع الطالب التركيز في الإجابة .

يمنع كلام المعلم مع الطلاب أثناء الإمتحان إلا لسبب قاهر تمنع الأسئلة الفردية والجانبية بين الطالب والمعلم ، ومن كان له سؤال لا بد منه فليسئل على الملأ ودون إنفراد بالمعلّم .

يمنع كلام المعلمين مع بعضهم أو تجمعهم في مكان واحد لما في ذلك من ضوضاء تعيق تركيز الطلاب وتمنعهم عن الجواب السليم .

تمنع الكتابة على ورقة الأسئلة

يمنع كلام الطلاب مع بعضهم ولو لسبب بل يستغنون بكلام المعلّم .

يمنع تبادل النظر والضحك بين الطلاب حرصا على سلامة الإمتحان من محاولات الغش .

يسأل الطلاب عما يحتاجون من ماء أو حرارة أو برد حرصا على توفير أفضل جو مريح لهم في الإمتحان .

يجلس الطلاب في أماكن مريحة وصالحة للكتابة .

يمنع إحضار الكتب المقررة للإمتحان إلى قاعة الإمتحان .

يمنع إدخال الحقائب والهواتف والأوراق بل قلم الإمتحان وحده .

يمنع خروج الطالب من الصف قبل مضي نصف المدة للإمتحان حرصا على سلامته ونجاحه . يؤمر الطالب المنتهي بمراجعة الورقة وقراءتها مرة أخرى لعله ينتبه على خطأ قد سها عنه .

يمنع الطالب الذي قد إنتها من العودة إلى الصف بعد خروجه منه أو كتابة شيء في ورقته بعد أن سلّمها .

الفصل الرابع : المشاكل مع الطلاب

أولا : أنواع الطلاب

ثانيا : خطوات حل المشكلة

-فهم المشكلة من كافة جوانبها

- الحيادية

- تقدير إنفعال أحد الطلاب

- الرحمة والحزم معا

- إدخال طرف خارجي إن إستدعى الأمر

أولا : أنواع الطلاب

تنوّع وإختلاف النفوس :

لا بدّ للمعلّم أن يدرك أنّ الطالب في حقيقتهم نفوس مختلفة لا يمكن التعامل معهم بطريقة واحدة ، فما يصلح أن يكون طريقة للتعامل مع أحدهم لا يمكن أن يكون وسيلة للتعامل مع الآخر . . . وهكذا . . . فنفوسهم مختلفة ، وطباعهم متبانة ، وتربيتهم ليست على الدرجة والأسلوب الواحدة ، إذ كلّ طالب أتى من بيت ، وكلّ واحد جاء من أسرة ، ولكلّ أسرة نظامها الخاص بها ، والذي لا يمكن تعميمه على كل الأسر . . .

فقد يعيش هذا الطالب في بيت لا يرى بأسا بالصياح ورفع الصوت ، فيعتاد على الصياح والكلام بالصوت المرتفع ، وهذا لا يعني أنّه سيء في ذاته وشخصه ، بل لا بدّ من التنبّه إلى أنّ بيته التي عاش فيها قد طبعته بهذا اللون وشكلته بهذا الشكل أو ذاك .

ولذلك فالمعلّم الناجح هو الذي يتفهم نفسية كل طالب لديه ، ويتعامل مع كل طالب بالطريقة التي يراها نافعة ومجدية .

أنواع الطلاب :

وللمزيد من البيان يمكننا أن نجمل بإختصار بعض الأمثلة على إختلاف نفوس الطلاب وتنوعها بالأنواع الآتية :

١ »الطالب الخجول

وهو الطالب الذي إعتاد السكوت والاستماع ، وعندما يسئله المعلّم سؤالا يعجز عن الجواب مع كونه قد درس وحفظ ، إلا أنّه قد إعتاد الخجل ويصعب عليه الخروج من دائرة خجله هذا .

لا يمكن أن يعتبر المعلم هذا الطالب في زمرة الكسالى ويضع له قيمة ضعيفة لأنّه لم يجب ، فقد بذل جهد ودرس ، إلا أنه من المشكلة يحتاج لمن يساعده في التخلص منها ألا وهي الخجل والحياء الزائد .

هنا يأتي دور المعلّم في بيان حقيقة الحياء لهذا الطالب بأسلوب رحيم ،ويوضح له بأن المستحي قد دخل في من لا يتعلمان في حديث النبي صلى الله عليه وسلّم . حيث قال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه : اثنان لا يتعلمان مستحي ومتكبر .

ولا بدّ مع كل هذا من الصبر على هذا الطالب وإنتظاره زمنا حتى يخرج من طوق الخجل الذي أدخل نفسه فيه لسبب من الأسباب ، والمعلم العاقل هو الذي يتفهم طبيعة تلميذه فيرحمه ويساعده على التخلص من الأمراض النفسية التي يعاني منها والخجل واحد منها إذ يعيق الطالب عن تذوق حلاوة طلب العلم .

ومبدئيا يمكن للمعلم أن يقبل من هذا الطالب الجواب مكتوبا على ورقة ، إلى أن يتم خروجه من دائرة الخجل هذه . . . ويجيب كباقي زملائه شفهيا وعلى الملأ .

٢ » الطالب العنيد

قد يكون أحد الطلاب عنيدا متمسّكا برأيه لسبب من الأسباب ، وكثيرا ما يحاول الطالب العنيد إبراز ذاته ووجوده في عناده وتمسّه برأيه ، وهنا على المعلّم أن يكون حكيما ، وأن لا يضع نفسه موضع الند للطالب ، كيلا يصير الأمر ويتحول إلى مسألة عداء شخصي ، بل يطلب المعلّم من الطالب البحث في المسألة التي يعاند فيها ، ويطلب منه – لليوم التالي– الدليل على ما تمسّك به من رأي ، ويجعل المسألة فرسة مناسبة لتعليم الحوار العلميّ الراقي للطلاب .

فلو عاند الطالب في حكم شرعي أو في صحة إعراب جملة وردت في الكتاب فليطلبه المعلّم بالدليل وهنا تنتهي المشكلة ، أما الجدال والنقاش بلا نتيجة فهذا من أبواب الشيطان التي نهينا عن فتحها .

٣ » الطالب البليد « النعسان »

كثيرا ما يوجد في الصف طلاب يعانون من مرض عشق النوم والرغبة الملحّة فيه ، فيكثر الطالب البليد من التثاؤب وإظهار الخمول والكسل ، وهذا أمر خارج عن سيطرته ، وعلى المعلّم أن يساعده في علاج هذا الأمر بأمره بغسل وجهه برفق ولين ودون توبيخ أو تقريع أمام زملائه ، أو يأمر الطلاب جميعا بالنهوض زمنا لتجديد النشاط ثم الجلوس معا لئلا يؤذي مشاعره أمام زملائه فيسخروا منه .

٤ » الطالب الجبان

وهو الطالب الذي درس وتعلّم لكن يمنعه الخوف من الخطأ من الكلام ، فيرفع يده تارة ويخفضها أخرى ، وهو متردد دائما بين القيام للجواب وعدمه ، وواجب المعلّم نحو هذأ الطالب أن يعلمه الثقة بالنفس ، فيطلب منه القيام متى شعر بأنّه خائف أو متردد من ذلك .

ويجدر تنبيه الطلاب هنا إلى أنّ الخطأ أمر طبيعي ومن لا يخطأ لا يتعلم ، فلا ينبغي أن يمنعنا الخوف من الخطأ من الجواب ، وقد أخطأ من قبلنا فتعلموا من أخطائهم ، وحين قيل لأديسون مخترع المصباح لقد فشلت ألف مرة ولم تنجح, قال : بل تعلمت ألف طريقة لا يعمل فيها المصباح ، ولم أفشل .

٥ » الطالب الحاذق

بعض الطلاب يكونون سريعي البديهة يفهمون بسرعة تفوق زملائهم ، وقد ينعكس هذا سلبا على الدرس ، فبعضهم حين يفهم الفكرة يسارع في الجواب ويسارع في الانتقال إلى الفكرة التالية أو يطلب من المعلم سرعة الإنتقال إلى ما بعد هذه الفكرة .

وهنا واجب المعلّم أن يأمر هذا الطالب بالحلم والصبر ، فلا بدّ أن يفهم كل الطلاب الفكرة تمامًا قبل الإنتقال إلى ما يليها من أفكار .

٦ » الطالب المتهوّر :

وهنالك الطالب المتهور المتسرع ، الذي يضيع نفسه بتسرّعه وعدم تأنيه وتوثقه من جوابه ، فحين يسأل المعلم سؤالا ، يسرع في الجواب بدون التصبّر والتريّث لفهم حقيقة السؤال ، وكثيرا ما يكون تسرعه هذا سببا في ضياع قيمته في الامتحان .

لا بدّ للمعلّم من تنبيه هذا الطالب إلى أن التريّث مطلوب من الطالب ولا غنى عنه في طلب العلم ، وأن في التأنّي السلامة وفي العجلة الندامة .

وليحرص المعلم على أمر هذا الطالب بإعادة التأكد من سلامة إجاباته وقت الإمتحان ، ومن توثيق الأسئلة مع الأجوبة ، إذ كثيرا ما يأخذ الطالب السؤال من بدايته فقط ولا يكمله إلى آخره فيفهم سؤالا غير السؤال المراد في الإمتحان ، وهذأ يضيع عليه الجواب الصحيح .

٧ » الطالب الطيب والمسالم

من الطلاب من لا يحب المشاكل ، ويرضى بأن يظلم من غيره مقابل أن يحلّ السلام في الصف .

وهذا الطالب المسكين بحاجة إلى النصر والمعونة من المعلّم إن علم بحاله كي يترسخ عنده الإحساس بالعدل ولا يؤذيه الظلم في المدرسة .

فمتى علم المعلّم بظلم واقع في الصف لا بدّ عليه من حل الخلاف أو رفعه على الأقل إلى المسؤول عن ذلك والوقوف في صف المظلوم على الظالم مهما كانت قيمة الظالم كبيرة أو درجته رفيعة .

٨ » الطالب العدوانى

وكما يوجد المسالم يوجد العدواني المحب للمشاكل ، وهكذا فطر الله الخلق ، وواجب المعلم نحوه يكون بكفه عن الظلم ، وإرجاعه إلى الطريق السوي ، وتبيين عاقبة الظالمين والمن يؤذون المسلمين ونهيه عن ذلك .

وقد يكون صانع المشاكل هذا طيّب القلب في حقيقته ، لكنّه يريد بصنع المشكلة إبراز وجوده وإظهار نفسه للآخرين ، وعلى المعلم هنا نصحه على إنفراد ، وتبيين حقيقة المسلم القوي الخيّر من الضعيف الشرير .

٩ » الطالب المعاجز بالأسئلة

من الطلاب من يكثر من الأسئلة لا بقصد التعلّم ولكن بقصد تعجيز المعلم وإضاعة وقت الدرس .

وهنا متى إنتبه المعلم إلى هذه الوسائل في تضييع الوقت ينهى عن الأسئلة ويمضي في شرح الدرس ويخبر بتأجيل الأسئلة إلى نهاية الدرس ، وغالبا ما تتوقف الأسئلة التعجيزية إن أجِّلت إلى نهاية الدرس لأن الغاية منها هو إفشال الإستمرار في المقرر وقد تعذّر ذلك .

٠١ » الطالب الطموح غير العامل

من الطلاب من يحلم ويتمنى بأن يتعلم ويصير عالما و . . . و . . . و . . .
إلا أنّه لا يدرس و لا يتحرّك في سبيل ما يتمنّاه .

فلا بدّ للمعلّم من وعظ الطلاب بين الحين والآخر أن الأمنيات لا يمكن أن تولد ما لم نبذل الجهد في سبيل تحقيقها ، وإلا فسوف تبقى مدفونة في عالم الخيال ولن تخرج للحياة أو ترى نور الشمس .

١١ » الطالب الواثق من نفسه دائما

ومن الطلاب من يثق بقدرته وعلمه فيظن نفسه سالما من الوقوع في الخطأ ، ولا يبدي أي اهتمام لأي مخالف له بالرأي ، ظنا منه أنّه هو الصواب دائما .

ولا بدّ من تنبيه هذا الطالب إلى أن بشرا لم يسلم من الخطأ إلا الأنبياء المعصومون ، فليحذر من الغرور فهو الذي أودى إبليس وطرده من قمة النعيم إلى أسفل الجحيم والعياذ بالله تعالى .

٢١ » الطالب الملحاح

ومن الطلاب من يلحّ دائما على المعلّم بالجواب ، ويرغب في الإجابة عن كل الأسئلة بنفسه وقد يسبب هذا حدوث فوضى في الصف ، وعلى المعلّم تنبيهه إلى أنّه ليس الفرد الوحيد في الصف ، وأن عليه أن يكون محبًا لأخيه كما يحبّ لنفسه ، وهنا ينبغي تنبيه الطلاب على عدم رفع الأيدي وطلب الجواب إن كان زميلهم واقفا في معرض الإجابة ، لأنّ ذلك يشوّش عليه ، ويمنعه من التركيز على الجواب الصحيح ، وكما أنّهم يحبّون لأنفسهم النجاح والصواب فينبغي أن يحبوه لزميلهم وأخيهم في الإيمان .

ثانيًا : خطوات حل المشكلة

لا بدّ أن يكون لكل صفّ مسؤول نفسي يعتني بالمشاكل التي تنشأ بين الطلاب ويحلها بما هو أقوم ، وهذا المعلّم المسؤول عن حل هذه المشاكل مطالب بالرحمة والحزم معا ، فيرحم في المكان الذي يحتاج رحمة ، ويجزم ويحزم في المكان المحتاج للحزم ، وهذا يرجع في تقديره وعلمه إلى خبرته وقدرته على التمييز بين المواقف .

وعلى المسؤول عن حل المشاكل أن يتبع خطوات مدروسة في حل الخلافات بين الطلاب ، ويمكن تلخيص تلك الخطوات فيما يأتي :

١ » – فهم المشكلة من كافة جوانبها :

على المعلم أن يسأل الطلاب بهدوء عن كل حيثيات الخلاف الحاصل ، وليتجنّب في هذه المرحلة سؤال أحد المختلفين ، بل يسأل طالبا من الطلاب المعروفين بالعدل والخير ، ويستمع من هذا الطالب إلى كل نقاط الخلاف ، متى وقع ، وأين ، وحول ماذا ؟ وما الذي دار بين المتخاصمين . إلى ما هنالك من معلومات تفيد في حل الخلاف .

٢ » سماع الطرفين المختلفين :

ثم يستمع المعلم من كل واحد من المخاصمين على حدة ، وينبغي أن يستمع له بشكل مريح حتى يدلي بحجته تماما ، فالمعلم قد يكون قاضيا بين الطلاب في المسائل الصغيرة التي يختلفون فيها بينهم ، والعدل عدل في الصغير من الأمور والكبير منها على حد سواء . فلا يقدم ابن زميله أو صديقه على الآخر ، بل يساوي بينهما في كل شيء .

٣ » تقدير انفعال أحد الطلاب :

قد يغضب أحد الطلاب المتخاصمين ويسيء الأدب في حضرة المعلم ، وهنا على المعلم أن يكون هادئا يتحلى بالسكينة ، وليقدر أن الطالب لم يقصد إساءة الأدب إنّما أخطأ لفرط غضبه ، وينبهه في هذا المقام بشكل هادئ ورحيم إلى أن الغضب وإساءة الادب لا يجعلان الباطل حقا ولا يقلبان الحق باطلا فينبغي أن يتركهما المحاجج ولا يقترب منهما .

٤ » إدخال طرف خارجي إن استدعى الأمر :

إن كبر الخلاف وتعذر على المعلم حله ، أو رأى المعلم من البداية أن الأمر خارج عن قدرته ، أو فوق حدود ما يعلمه فلينقل الأمر إلى المدير أو ليستعن بغيره من المسؤولين عن مشاكل الصفوف الأخرى ، فحين تلتقي الخبرات وتجتمع تظهر الحلول الجديدة وتختفي التعقيدات في المسألة .

أولا : شروط العقاب ، تجنب الإهانة ، والتحقير في العقاب ، أن يكون رادعا ، أن لا يكون الدافع إليه الانتقام .

ثانيا : شروط الثواب ، ذو قيمة ، عدم المبالغة ، في أوقات متقطعة ، التقديم له بكلام ينبئ عن قيمته المعنوية .

أولا : شروط العقاب

لا بدّ من أمور تكون دافعة إلى تقدّم الطالب ومانعة من تأخره ، وحاملة له على تطوير نفسه وعلمه ، وهذا ما يسمّى بالوسائل التحفيزية . وهي تنقسم إلى قسمين : الثواب والعقاب . ولأن وقع الثواب يكون أكبر إن سبقه عقاب لمن أساء ، نبدء في بيان شروط العقاب الناجح والمثمر ، ويمكن تلخيصها في هذه الشروط :

١ » تجنب الإهانة والتحقير في العقاب

إن الغرض من العقاب هو تصحيح سير الطالب وتوجيهه إلى الطريق الصحيح ، وليس القصد منه إهانة الطلاب وتحقيره ، أو التقليل من شأنه .

إنّ العقاب المثمر هو الذي يتوجه إلى قلب الطالب فيوقظ فيه الحياء من الله تعالى ، ويجعله يخجل من سوء صنعه .

أما العقاب الذي يتوجّه إلى النفس ليذلّها ويهينها فإنّه يقظ في النفس العداوة والبغضاء ، ويزيد الشيطان هذه النار فيئججها ويمنع الطالب من العودة إلى الجادة المستقيمة بدل أن يصحح مساره ويزيل اعوجاجه .

٢ »أن يكون رادعا :

لكن وفي الوقت نفسه يجب على العقاب أن يكون رادعا مانعا للطالب من العودة إلى ما كان عليه من التكاسل والإهمال .

فقد يكون تأخير موعد نوم الطالب الخمول عقابا مناسبا .

وقد يكون منع الطالب الأكول من بعض الأطعمة عقابا مناسبا .

وقد ينجح فرض عقوبات حركية على الطالب الذي لا يحب الحركة .

وهكذا . . . ينبغي أن يختار العقاب بدقة وتفكير حتى يكون مانعا وزاجرا عما اقترفه الطالب .

٣ »أن لا يكون الدافع إليه الإنتقام :

المعلم ليس عدو الطالب كي ينتقم منه ، بل هو بمقام ابيه وأمه ، يريد له الخير ، ويخشى عليه الضلال ، لذلك لا يجدر أن يشعر الطالب أن هذا العقاب انتقام من شخصه بل هو تعذيب له ليترك السوء الذي علق به وأساء إليه .

ثانيا : شروط الثواب

وكما أنّ العقاب رادع ومانع ، فالثواب حافز ودافع ، والله تعالى خلق الخلق ووعدهم بالجنّة لمن أطاع وتوعّد بالنار من عصى .

لكن للثواب شروطا حتى يكون دافعا إلى التقدّم ، وسببا للتطوير .

من هذه الشروط :

١ »التناسب بينه وبين الجهد المبذول

فلا يصح أن يهدى طالب حصل على نتيجة مرضية هدية قيمة وعظيمة ، وإنّما يهدى هدية بسيطة تتناسب مع قيمته ونتيجته . وكذلك فمن غير الإنصاف أن يهدى الطالب الممتاز المتفوق الذي بذل جهدا كبيرا في حفظ أمر معين قطعة حلوى صغيرة أو لعبة تقدم للأطفال الصغار .

من المفروض أن توقظ الهدية في القلب دافع الزيادة ، وتستحثّ الرغبة في التقدم ، أما إهداء مثل هذه الأمور يخمد في القلب جذوة الفوز ، ويطفىء فيه الإحساس بالإنجاز .

من المؤكّد أن الطالب المخلص لا يدرس من أجل الهدية ، لكننا لا نتعامل مع نفوس كاملة ، بل مع نفوس بشرية تتحرك بالثواب والعقاب . لذلك علينا أن نأخذ بعين الإعتبار ما الذي يمكن أن يسير بهذه النفوس إلى الأمام وما الذي

يمنعها من التأخر . . . بالإضافة إلى التنبيه على أنّ القصد الأصلي من العلم هو إبتغاء رضوان الله تبارك وتعالى .

٢ » في أوقات متقطعة :

كما وأن الإكثار من الهدايا وصنع المناسبات في كل وقت هو نوع من التقليل من قيمتها فتتحول من أمر عارض إلى أمر اعتيادي فتفقد جزءًا كبيرًا من تأثيرها .

يجب أن تكون الهدايا في أوقات متقطعة ، بحيث لا يملّ الطالب منها بل يبقى متشوفا إليها متطلعا للحصول عليها . ومن المناسب أن تتخذ المناسبات الدينية كالمولد النبوي أو العيد أو ذكرى الهجرة أو غيرها مناسبة لتقييم الطلاب وتقديم الهدايا للمتوفقين منهم .

٣ » التقديم له بكلام ينبئ عن قيمته المعنوية

كأن يقدم المدير أو المعلم خطابا يتحدّث فيه عن أهميّة الإختهاد وطلب العلم ، ويبين فيه للطلاب أن العمل لا يضيع عند الله ولا عند الناس ، وأن جهد الطالب لا يمكن أن يذهب سدىً ، لذلك رأت المدرسة أن حقا عليها تكريم الطالب المتفوق بما يزيد في تفوّقه ، وليتمنى الآخرون الوصول إلى ما وصل إليه فيعملوا بعمله وينالوا مثل أجره .

إن هذا يمنح الهدية طابعا خاصا ، ويجعلها نوعا من الصور التي تحيطها هالة مقدّسة ومعظمة ، فلا تبقى مجرد هدية كأي هدية ، بل تأخذ صورة أكثر قيمة وأعظم أثرا في النفوس . . .

وكثيرا ما رأينا طالبا بلغوا سنا متقدمة ولا زالوا يحتفظون بهدايا مدرستهم حين كانوا طلابا ، لأنها عندهم رمز مقدس لا يمكن التفريط به . . .

تنبيهات تخص المعلّمين

١ » احرس على دخول الصف في الوقت المحدد
٢ » لا تخرج من الصف قبل قرع جرس انتهاء الوقت
٣ » حضّر لدرسك قبل اليوم المطلوب فيه إعطائه
٤ » استعن في تحضيرك للدرس بكتب أخرى للتوسّع
٥ » اكتب التاريخ والعنوان على السبورة فور دخولك
٦ » اكتب ملخّصا للدرس على السبورة قبل أن تجلس
٧ » ابدأ بالتذكير بالدرس الماضي والسؤال عنه ، ولا تستغرق في ذلك وقتا طويلا
٨ » ابدأ بدرسك بعد أن تأمر بإغلاق الكتب وإبعاد الملهيات
٩ » ارفع صوتك ليبلغ آخر طالب في الصف
١٠ » انظر إلى كل الطلاب وجميع الجهات أثناء الدرس
١١ » أشرك الطلاب في الدرس بسؤالهم بعض الأسئلة
١٢ » احرص على كمال إنتباه الطلاب وأنت تشرح
١٣ » إسأل طلابك إن كانوا قد فهموا ما شرحته بعد إنتهائك
١٤ » ابدأ بقرائة الدرس من الكتاب وفسّر الغريب
١٥ » إن زاد وقت لديك يمكنك أن تساعد الطلاب بالبدء بتحفيظهم درس اليوم
١٦ » ألزم طلابك بواجب منزلي تراه في الدرس القادم أول أو آخر الدرس
١٧ » اخرج عند إنتهاء الوقت تماما ولا تسبق الوقت بخروجك

الصف للمعلّم روضة من رياض الجنة . فليرتع فيها ما شاء أن يكون في الجنة . ففيه يذكر الله ، وهو مجلس حكى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : إذا مررتم برياض الجنّة ، فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنّة ؟ قال : حلق الذكر .

وطلب العلم والتعليم نوع من أنواع الذكر .

الخاتمة

الحمد لله الذي أرسل لنا سيّدنا محمّدا معلما عظيما رؤوفا بنا رحيما صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . وفي الختام لا يسعني إلا أن أرجوك أيّها المعلم أن تتذكّر الوقت الذي كنت فيه تلميذا تجلس على هذا الكرسي وخلف تلك الطاولة .

وتذكر كم كنت تتمنى أن تجد في معلّمك الرحمة التي تحيي قلبك وتعمره بدفء محبّة العلم .

إنّ تلميذك يتمنى منك الآن ما كنت تتمناه من معلّمك فكن له كما كنت ترجو أن يكون معلمك . . قلبا رحيما ، عطوفا ، فياضا بالحرص على منفعته والإشفاق عليه من الزلل ، ليكون لك كما تحب وتشتهي ، طالبا حافظا مجتهدا ساعيا في سبيل طلب العلم عمره ودهره كله . . .

هذا . . .

وإن أي عيب في طالبك فأنت سببه . . ومنك مبدئه . . إذ لو أخلصت لله فيه ، لما تخلّف عن الجدّ ساعةً واحدةً ، وما تراه في نفسك نحو طلابك ، يرونه في أنفسهم عليك ، فكن لهم ذلك المعلّم الحريص على الدرس يكونوا لك الطلاب الحريصين على الحفظ . . .

وإنّ قوام التعليم الصبر فالزمه وحافظ عليه ، فإنّ شجرة لا تثمر من يوم واحد ، ولو لا صبر الفلاح عليها وسقايته لها ليل نهار لما أثمرت ولما آتت أكلا . . وكذلك التعليم فافهم . .

وإنّك ولو صرت معلما فأنّك في الحقيقة لا تزال جاهلا بكثير من الأمور . . فاحذر الغرور وخذ نفسك بالتعلم والاستزادة من العلم لتبدع في تدريسك وتحسن خدمة العلم بأحسن طريق . . نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علّمنا ويزيدنا علما وفهما وفقها في الدين برحمته وهو أرحم الراحمين والحمد لله ربّ العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل

وتمّ بفضل الله في ربيع الأنور ١٤٣٤ للهجرة المباركة

الفهرس

رياض أخلاق الصالحين

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥مـ

دار الرسالة

داغستان - محج قلعة

شارع عزيز علي ٢

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

هاتف ٨٥-٤١-٦٣ فاكس ٧٧-٦٤-٦٣

رياض أخلاق الصالحين

ألَّفَهُ

الشّيخ أحمد بن محمّد عبد الله

مُفتي داغستان

دار الرسالة

داغستان - محج قلعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتّبعه إلى يوم الدين أما بعد :

فإنّ الأخلاق هي عماد هذا الدين وجوهره المتين ، وباستقامتها تستقيم الأُمَم ، وبانحلالها حلولُ المصائب والغُمَم[١] ، ولما كان صلاح الأمّة يبدأ بصلاح الفرد ، كان لِزاماً على كلّ عاقل طالِبٍ صلاحَ أمّته أن ينظر في أخلاقه ويعمل على إصلاح ما فسد منها .

وإن من ينظر في زماننا هذا يرى ما انتشر فيه من آفة وأمراض سرت إلى أخلاق البشر فكادت تحلّ عرى الإيمان وأوشكت الفضيلة أن تموت في القلوب ومن هنا كانت الحاجة ماسّة إلى جمع كتاب يحيي موات الأخلاق في قلوب العباد ، ويبعث الهمّة على تصحيح السلوك وتزكية النفوس وتحليتها بالقيِّم والفضائل النبيلة .

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله سببًا من جملة الأسباب ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

---

(١) الغمم جمع غمّة وهي المصيبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول : النفس وصلتها بالأخلاق الإنسانية

الفصل الأول : حقيقة النفس

الفصل الثاني : تزكية النفس

الفصل الثالث : التوبة

الفصل الأول : حقيقة النفس

اعلم أنَّ النفسَ لطيفة[١] ربَّانية ، وهي الرُّوح قبل تعلّقها بالأجساد ، فلما أمرها الحق أن تتعلق بالأجساد عرفت الأغيار[٢] فحُجِبَت عن حضرة[٣] الحق بسبب شُغلها عنه تعالى .

ومن المعلوم أن الروح الإنسانيَّ كريم الجوهر ، فقد خُلِقَ من نفخ الملك ، أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين قال : « إن أحدكم يُجمع خَلْقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك ثم يكون مُضْغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمَر بأربعِ كلمات : بكتب رِزْقه وأجله وعمله وشقيٌّ أم سعيد » وبعد ارتباط هذه الروح بالبدن يتكَوَّن المخلوق العجيب المسمَّى بالإنسان ، الذي جعله الله خليفة في الارض ليَعْمُرَها ، وأرسل الشرائع كلها لحفظ هذه النفس البشرية ورعايتها ، وإنّ العلم والأخلاق هما الأصلان اللذان يبنى عليهما كمال نفس الإنسان .

ولما كان المكلف المخاطَب من الإنسان هو نفسه ، و لأنَّ صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها ؛ كان تكميل النفس الإنسانية هو أعظم مقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل وشرع الشرائع .

إنَّ النفوس بما فيها من شهوة ، وبما فطرت عليه من غفلة ، وبما عرضتْ له من شؤون الحياة ، وبما سُلِّط عليها من قرناء السوء ، من شياطين الإنس والجن ؛ لا تزال في مقارفة الذنب ، فيجب إصلاحها بإزالة النقص الذي يحدثه الذنب فيها ، وإبعاد ضرره عنها ، وهذا لا يكون إلا بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى .

---

(١) اللطيف هو الخفيُّ الذي لا يمكن أن يُدرك بكيفية .
(٢) الأغيار جمع غير ، وهي كل ما سوى الله تعالى .
(٣) الحضرة هي القرب .

النفس عدوّ الإنسان الأول :

إن النفس مجبولةٌ على سوء الأدب ، والعبد مأمورٌ بملازمة الأدب ، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، فهي العدو الملازم للإنسان ، قال ﷺ : « أَعْدى عَدُوِّك نفسُك التي بين جَنْبَيْك » ، ولذلك فإن من أطلق العَنان(١) لنفسه في شهواتها وملذّاتها كان شريكاً لها في فسادها .

وحين تيقّظ أهل الله إلى هذه الحقيقة ، نبّهوا عباد الله إلى أنَّ الأساس والأصل في كل معصية وغفلة وشهوة وشرك إنما هو الرضا عن هذه النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفّة عن المحرّمات هو عدم الرضا عنها ، فقليل من العمل مع شهود المنَّة لله تعالى خير من كثير من العمل مع رؤية التقصير من النفس ، لأن شهود التقصير لا يخلو من الشرك في التقدير(٢) .

وإن العبد العاقل الذي عرف حقيقة نفسه ، ورأى ذلّها وفقرها و ضعفها وعجزها ومصيرها الآيل إلى الفناء ؛ عَرَف ربّه وخالقه بالعزّ والبقاء والقدرة والعظمة والكبرياء ، لأنه هو الذي خلق هذه النفس وسوّاها من العدم .

وحين خاطب الله تعالى أولياءه ودعاهم إلى حضرته ، نبّههم على أيسر الطرق وأقربها ، وهو طريق معاداة النفس ومخالفتها ، فقد قال الله تعالى لبعض أوليائه في المنام : عادِ نفسك فليس لِي من المملكة منازِعٌ غيرَها ؛ أي لأنها تطلب ما هو له تعالى : كالكبرياء والعظَمة وانقياد الناس وطاعتهم لها ، وهذه الصفات لا تجوز إلا للخالق العظيم سبحانه .

درجات النفس البشرية :

وليست النفس على درجة واحدة ، بل تتنوّع نفوس البشر على درجات متفاوتة بحسب قرب أصحابها من الله تعالى وبعدهم عنه ، فهناك النفس

(١) أطلق لها العَنان = تركها تسير كما تحب وتهوى .
(٢) لعل المراد أنه أثبت لنفسه نسبة في تقدير هذا العمل .

الأمّارة بالسوء ؛ وهي التي تأمر أصحابها بالمعاصي والغفلات مرة بعد مرة ، وهي التي قال عنها سيد الطائفة وإمامها الجنيد ﵁ : النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المُعينة للأعداء ، وإنما يريد بالأعداءِ الدنيا والشيطانَ اللذين يزيّنان لابن آدم المعصيةَ ويحسّنانها في نظره .

وتليها في الدرجة **النفسُ اللوّامة** ؛ وهي التي تلوم صاحبها على فعله للمعصية بعد أن يقع فيها ، وتليها في الرتبة **النفس الملهِمة** ، وهي التي تلهم صاحبها الخير وتدعوه إليه ، **ثم النفس الراضية** ، وهي التي رضيتْ بحكم الله تعالى وسلطانه فأسلمت له تسليماً كاملاً في كل ما يريد ويختار ، **ثم النفس المَرْضِيَّة** ، وهي التي نالتْ رضا الله سبحانه وتعالى ، وفي هذه المرتبة يضع السالك القدم الأولى في معرفة الله تعالى حق معرفته .

الفصل الثاني : تزكية النفس

اعلم أن للنفس حُجُبا نورانية وحُجُبا ظُلْمانية ، وسبيل المريد للوصول إلى تخلُّص النفس من الحجب إنما يكون بتقديم مجاهدتها ومخالفتها ، وأصل المجاهدة ومِلاكها فَطْمُ النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات .

ولا تَظُنَّ أنَّ تزكية النفس تتيسر بطريق العقل كما ظَنَّتْ الفلاسفة ؛ فإن تزكية النفوس كمعالجة الأبدان ، فكما لا يجوز للمريض استعمال الأدوية إلا بنظر طبيب حاذِقٍ ذي تجربة في المعالجة ؛ كذلك تزكية النفس لا تتيسر إلا بنظر نبيٍّ أو وليٍّ ذي تجربة بهذا الشأن ، ولا رجاء لإصلاحها إلا بإصلاح القلب الذي هو كالمَلِك ، ولا تَصْلُحُ الرعيّة إلا إذا صَلُحَ المَلِكُ .

وفي الحقيقة : فإن أمرَ النفس وعلاجَها أمرٌ عَسيرٌ لا يمكن بمرة واحدة ، بل بالتكرار مرة بعد أخرى ، و هي تشبه الدّابة الحَرون التي لا تنقاد إلا باللِّجام .

المفاتيح الثلاثة لتزكية النفس :

وإنما تذل النفس وتنقاد بثلاثة أشياء :

منها منع شهواتها ؛ فإن الدَّابة الحَرون إنَّما تلين إذا نَقَص علفها ، وكذلك النفس تذلّ إن مُنِعتْ ممّا تشتهي .

والثاني حَمْلُ أثقال الطاعات ؛ لأنَّ الدابة الحرون إذا قُلِّلَ علفُها وزِيدَ في حِمْلها ذَلَّت وصَغُرتْ وضَعُفَت قوتها وانقادت وأطاعت ، فكذلك النفس .

والثالث أن تستعين عليها بالله عز وجل وتتضرَّع إليه أن يعينك عليها ؛ لأنه هو الذي خلقها وهو تعالى أدرى بها وبأحوالها .

واعلم أنّ الله تعالى قد أخبرنا وبيّن لنا سبيلَ مجاهدة النفس وطريق تزكيتها ، ولو أنَّ طبيباً كافراً أخبرك في ألذّ أطعمتك بأنَّه يضرُّك في مرضك لَصبرتَ عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيَّدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقلَّ عندك تأثيراً من قول طبيب كافر يخبرك عن تخمين وظنٍّ ونقصانِ عقلٍ وقُصورِ علم ؟ ! فياليت شعري أَأَلَمُ الصبر عن الشهواتِ أعظم شدةً وأطولُ مدة أو ألم النار في دركات جهنم ؟ !

مخالفة النفس :

واعلم يا ولدي أن في مخالفة الإنسان لنفسه خيراً كثيراً ، وفي موافقتها واتِّباعها مفتاحُ كل الشرور ، ويكفيك في هذا إجماع العقلاء في كل العصور على أن مخالفة النفس هي مفتاح كل خير ، وأن الأصل في كل شر اتّباع هواها والانقياد له .

وقد عدّ العلماء مخالفة النفس رأس العبادة ، وعدّوا من مهمّات هذا الطريق ذبح النفس بسيوف المخالفة ، حتى قالوا : من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في

نفسه أربع خصال من الموت : موت أحمر وموت أسود وموت أبيض وموت أخضر ، **فالموت الأحمر** مخالفة النفس وهواها ومجاهدة الدنيا وفتنتها ومحاربة إبليس وأعوانه ، ولعلّ حمرته إشارة إلى الشهوات والموت عنها ، **والموت الأسود** احتمال أذى الناس ، وسواده علامة على صعوبة ذلك وشدّته على النفس ، **والموت الأبيض** الجوع ، وبياضه إشارة إلى النور الذي يقذفه الجوع في الباطن ، **والموت الأخضر** طرح الرقاع بعضها على بعض ، وترك الثياب المستحسنة ، فكأنَّ عيشه اخضرّ بقناعته ورضاه بالقليل .

ولقد حكم الله تعالى وقضى بأن تسري بركة مخالفة النفس على كل عبدٍ خالف هواه ولو لم يكن من أهل الإسلام ، فقد حُكي أنَّ راهبا اشتَهر ببلاد مصر بالمكاشفة ، فقال عالم من المسلمين : لا بد من قتله خوفا على المسلمين أن يفتنهم ، فقصده بسكّين مسمومة ، فلما طرق بابه قال : اِطرحْ السكين يا عالم المسلمين ! فطرحها فدخل ، فقال : من أين لك نور المكاشفة ؟ قال : بمخالفة النفس ، فقال هل لك في الإسلام ؟ قال : نعم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قال : ما حَمَلَك على ذلك ؟ قال : عرضتُ الإسلام على نفسي فأبت فخالفتها ، فحصل له الخير العظيم بمخالفته لنفسه .

وإذا كانت المخالفة للنفس تُثمر الفَتْحَ والقَبول ، فإن موافقتها في شهواتها والسيرَ معها في هواها لا يثمر إلا الخذلان والتأخير[1] عياذاً بالله تعالى .

حكي أن إبراهيم بن شيبان رحمه الله قال : كنت أشتهي في أوقات أن أتناول شُبعة عدس ، فلم يتفق[2] فكنت مرة بالشام فحملت إلي غَضارَة[3] فيها عدس فتناولت منه ، وخرجت فرأيت قوارير معلّقة فيها شيء شبه نموذجات فظننته خلاً ، فقيل لي : أَيْش[4] تنظر ؟ هذه النموذجات خمر وهذه الدنانُ خمر ،

(١) التأخير هو التأخر في السير والبطء فيه .
(٢) لم يتفق أي : لم يتيسّر .
(٣) الغضارة هي الآنية المصنوعة من الطين .
(٤) أيش كلمة تعني أيَّ شيء .

فدخلت حانوت الخمّار ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهَّم أني أصبها بأمر السلطان ، فلما علم حملني إلى ابن طُولُون[١] ، فأمر بضربي مائتي خشبة ، وطرحني في السجن ، فبقيت فيه مدة ، حتى دخل ذلك البلدَ أستاذي أبو عبد الله المغربيُّ ، فشفع لي ، فلما وقع بصره علي قال : أَيْش فعلت ؟ فقلت : اشتهيتُ شبعة عدس فأكلتها فعوقبتُ بمائتي خشبة ، فقال : نجوتَ مجاناً أي خرجتَ لا لكَ ولا عليك !

و رؤي رجلٌ جالساً في الهواء فسئل عن سبب ذلك ؛ فقال : تركت الهوى فسخر لي الهواء !

محاسبة النفس :

وإنَّ من أعظم الطرق الموصلة إلى صلاح النفس وتزكيتها طريق محاسبة النفس على كل ما تحدّث وتأمر به صاحبها ، فإنه إذا كان لك وكيل يحاسب نفسه فأنت لا تحاسبه لمحاسبته نفسه ، وإن كان وكيلا غير مُحاسِبٍ لنفسه فأنت تحاسبه وتبالغ في محاسبته ، فعلى هذا ينبغي أن يكون عملكً كله لله تعالى ولا ترى أنك تفعل فعلا والله تعالى لا يحاسبك .

وقد كان هذا الطريق دأبَ الأكابر الذين وصلوا إلى الله تعالى ، فقد أخبر الشيخ مكين الدين الأسمر ﷺ وكان من السبعة الأبدال قال : كنت في ابتداء أمري أخيط وأتقوَّت من ذلك ، وكنت أعدُّ كلامي بالنهار ، فإذا جاء المساء حاسبت نفسي فأجد كلامي قليلا فما وجدت فيه من خير حمدت الله وشكرته عليه وما وجدت فيه من غير ذلك تبت إلى الله واستغفرته ، إلى أن صار بَدَلا .

وقال أبو حفص الحدّاد النيسابوري ﷺ : النفس ظلمة كلها ، وسراجها سِرُّها ، ونور سراجها التوفيق ، ومعنى قوله : سراجها سرّها ، يريد سرّ العبد الذي بينه وبين الله تعالى ، وهو محلُّ إخلاصه ، وبه يعترف العبد أن الحادثات

(١) ابن طولون = اسم أمير ذلك البلد .

بالله لا بنفسه ، ولا من نفسه ، ليكون متبرئاً من حوله وقوته على استدامة أوقاته ، ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه[١] ، ومن هنا قال الشيوخ : من لم يكن له سِرٌّ فهو مُصِرّ .

ومن أعظم ما يعين العبد على محاسبة نفسه ، تنبيهها بالموعظة وتذكيرها بمآلها وعاقبتها كي تستقيم ، وقد وعظ أحد الصادقين نفسه فقال : يا نفس : أما تنظرين إلى الذين مضوا قبلك كيف بَنَوا وعَلَّوا ، ثم ذهبوا وخَلَّوا ، وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم ، أما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ، ويبنون ما لا يسكنون ، ويؤمِّلون ما لا يدركون ، يا نفس : ما أعجب أمرك ، كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية ؟ ! ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب إليك ، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا واحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ، فكيف يا نفس تبيعين ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة ؟ ! يا نفس : أما تستحين ! تُزَيِّنين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم ، ويحك أهو أهون الناظرين إليك ؟ ! ويحك يا نفس ، لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس لا يصيبهم بلاء إلا بشؤمك ، والعجب كل العجب أن تفرحي بزيادة مالك ولا تحزني بنقصان عمرك ، وما فائدة مال يزيد مع عمر ينقص ؟ !

---

(١) المعنى : إن نفس العبد كلها ظلمة ، وسراجها هو ذلك السر الذي يكون بين العبد وربه حين يتبرأ العبد من حوله وقوته ويقرّ لله تعالى بذنبه وضعفه ، ومتى اعترف العبد بهذا لربه في سرِّه أتاه من الله تعالى توفيق يحميه به من شر نفسه ، فمدار الأمر على السر الذي يعترف به العبد لربه بالضعف ، ثم على التوفيق الذي يُمدّ الله به العبد .

مجاهدة النفس :

وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير : انهماكٌ في الشهوات ، وامتناعُ عن الطاعات ، وإذا ثارت النفسُ عند غضبها فما من منازلة[١] أحسن عاقبة من غضبٍ يُكسَر سلطانُه بِخُلُقٍ حسن ، وتُخمَد نيرانه برفق ، فإذا اسْتَحْلتْ النفسُ شرابَ الرعونة فمن الواجب كسر ذلك عليها ، وإذلالها بعقوبة تذكِّرها حقارةَ قدرِها وخساسة أصلها ، وقذارة فعلها .

قال ذو النون ﵁ : إنما دخل الفساد من ستة أشياء : **الأول** ضعف النية بعمل الآخرة ، **والثاني** : صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم ، **والثالث** : غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل ، **والرابع** : آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق ، **والخامس** : اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ وراء ظهورهم ، **والسادس** : جعلوا قليل زلات السلف حجةً لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم[٢] .

ولمجاهدة النفس صور كثيرة عدّها الأكابر في كتبهم ، وها نحن ننقل لك بعضاً مما قالوه في هذا الشأن ليكون تبصرة لطالب الخير والرضوان :

١ .قال بعض العارفين : ما أخذنا التصوف من القيل والقال ، ولكن من الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات ، وامتثال الأوامر واجتناب المنهيات .

٢ . وسئل بعض الحكماء بأي قيد تُقَيَّد النفسُ ؟ قال : قَيِّدْها بالجوع والعطش ، وذَلِّلْها بإخماد العزِّ وإطفاءِ الشهوة ، واكْسِرْها بترك زِيِّ الأغنياء

٣ . وحكي عن أبي يزيد ﵁ قال : رأيت رب العزة في المنام فقلت له : يا رب كيف الطريق إليك ؟ فقال : خلِّ نفسك وتعالَ .

---

(١) المنازلة = المبارزة .

(٢) كالاحتجاج بالخلاف الحاصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وإغفال مناقبهما الطيبة رضي الله عنهما .

٤ . وقال أحد المشايخ : بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء : أن لا تأكل إلا عند الفاقة ، ولا تنام إلا عند الغلبة ، ولا تتكلم إلا عند الضرورة .

٥ . وقال أستاذ لتلميذه : دخلت الآفة[١] من ثلاثة : سقم الطبيعة ، وملازمة العادة ، وفساد الصحبة . فسأله تلميذه : ما سقم الطبيعة ؟ فقال أكل الحرام ،فقال التلميذ : وما ملازمة العادة ؟ فقال : النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة ، فقال : فما فساد الصحبة ؟ قال : كلما هاجت في النفس شهوة تبعتها !

٦ . وقال أحد العلماء : الواجب أن لا ننتقم لأنفسنا من المسيء ، بل نعتذر إليه ونتواضع له ، وإذا وقع في قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى تزول .

و الحاصل : أنَّ من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه ، ومن كرُم عليه دينه هانتْ عليه نفسه ، وجهد العوام في توفية الأعمال ، وجهد الخواص في تصفية الأحوال ، فإنَّ مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ، ومعالجة الأخلاق والتنقي من سفسافها صعب شديد .

الرضا عن النفس :

ومن عرف النفس وخسَّة أخلاقها لا يرى على وجه الأرض أحداً أشرَّ منه ولا أقبح ، ثم إنه لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ، ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها ، وبقدر تَحقُّق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه .

إنَّ تربية النفوس تكون بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل ، والعُجب هو أساس الرذائل ، فأول الترك تركه ؛ وهو المانع من اكتساب الفضائل ، فشرط وجود الفضائل تركه ، ومن لم يكن معجباً بنفسه كان بمَدْرَجَة التخلّق

(١) الآفة = هي كل ما يصيب شيئا فيفسده .

بمحاسن الأخلاق والتنزه عن نقائصها ؛ لأن الانسان مجبول على حب الكمال وكراهة النقص ، فإذا سلم من العجب فإن تلك الجِبِلَّة تدعوه إلى ذلك التخلّق و التَنَزُّه ، فإذا نُبِّه على نقصه لم تأخذه العِزّة ، وإذا رُغِّب في الكمال كانت له إليه هِزَّة ، فلا يزال بين التذكيرات الإلهية والجبلّة الإنسانية الخُلُقية ، يتهذّب ويتشذَّب ، حتى يبلغ ما قدّر له من الكمال .

ومن المعلوم أن من غوامض آفات النفس ركونها إلى استحلاء المدح و أمارة ذلك : أنه إذا انقطع عنها ذلك الشِّرْب[١] آل حالها إلى الكسل والفشل .

وإن الرضا عن النفس والإعجاب بها هو بريد مقت الله تعالى وسخطه ، فقد سئل ابن عطاء ﷺ عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى فقال : رؤية النفس وأحوالها ، وأشد من ذلك انتظار الأعواض على أفعالها ، وإنما يرى عيوب نفسه مَن يتهمها في جميع الأحوال ، وتالله ما أعزَّ الله عبداً بعزّ هو أعزّ له من أن يَدُلَّه على ذل نفسه ، وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه .

وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه ؟ ! والكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام يقول : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ « يوسف ٥٣ » .

قال أهل التفسير : أي لا أنزِّهها عن السوء من حيث هي هي ، ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى ، ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ أي : جميع النفوس التي من جملتها نفسي في حد ذاتها : ﴿ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي : تأمر بالقبائح والمعاصي ؛ لأنها أشد استلذاذاً بالباطل والشهوات ، وأميل إلى أنواع المنكرات ، ولولا ذلك لما صارت نفوس أكثر الخلق مُسخَّرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة ، وما صدرت منها الشرور ، ومن هٰهنا وجب

(١) الشِّرب = منبع الماء .

القول بأن كل من كان أوفر عقلا وأجل قدرا عند الله كان أبصر بعيوب نفسه ، ومن كان أبصر بعيوبها كان أعظم اتهاما لنفسه وأقل إعجابا .

و جاء في « التأويلات النجمية » : خلقت النفس على جِبِلَّة الأمَّارية بالسوء طبعا حين خُلِّيَتْ إلى طبعها لا يأتي منها إلا الشر ، ولا تأمر إلا بالسوء ، ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بنظر العناية يقلِّبها من طبعها ، ويبدِّل صفاتها ، ويجعل أمَّاريتها مبدَّلة بالمأمورية ، وشريرتها بالخيرية ، ولذا قال ﷺ : « رَبِّ لا تَكِلْني الى نفسي طَرْفَةَ عين ولا أقل من ذلك » .

وصيّة جليلة :

ومما أوصى به سيدنا الإمام بهاء الدين محمد النقشبندي قُدِّسَ سِرُّهُ للسالك كما في « البهجة » هاتان الوصيتان ؛ وهما من أنفس الوصايا لمن تدبّر وتأمّل :

أولهما : أنه لو وصل إلى أيِّ محلٍّ وصل ، لا يرى نفسه إلا في أوَّل قدم من الطريق .

وثانيهما : أنه لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلا أقلَّ من نفس فرعون مائة مرة !

فليتفقد العاقل نفسه ولو كان في الاطمئنان ، ولا يثقْ بدسائسها ، فأنَّى يحترز منها أمثالنا القائمون على متن الأنانيّة وحبّ الرياسة ؟ ! والله وليّ التوفيق .

وإننا في حقيقة الأمر لا نستطيع أن نخرج من النفس بالنفس ، إلا إن حفَّتنا العناية الربانية ، ولا شكَّ أن الأخلاق المذمومة هي التي تجرُّ صاحبها إلى ارتكاب الفسق والعصيان ، وهي داءٌ والطريقة دواءٌ ، وهي نجاسات معنوية والطريقة كالماء ، فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة ، والله تعالى أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل الثالث : التوبة

اعلم أنَّ أول المقامات هو التوبة ، ولا يُقبل ما بعدها إلا بها ، فإن ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ « البقرة ٢٢٢ » أي يُثِيب وَيُكْرِم التوابين من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ من الأقذار ، ويقال التوّابين من الزلة ، والمتطهّرين من الغفلة ، ولقوله تعالى : ﴿لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ « الحجرات ١١ » قال العلماء : الظَّالِمُونَ بوضع العصيان موضع الطاعة ، وتعريض النفس للعذاب .

وفي « التأويلات النجمية » : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ يعني : من مقالة إبليس وفعاله ؛ بأن ينظر الى نفسه بالعُجْب والى غيره بالحقارة ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ : فيكونون منخرطين في سلك اللعنة والطرد مع إبليس كما قال تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ « هود ١٨ »

وفيه دلالة بينة على أن الرجل بترك التوبة يدخل مدخل الظَّلَمة ، فلا بد من توبة نصوح من جميع القبائح والمعاصي لا سيما ما ذكر في هذا المقام .

وإذا وقع من العبد ذنب وقع معه ظلمة ، فمثال المعصية كالنار ، والظُّلْمة دخانها ، كمن أوقد في بيت سبعين سنة ألا تراه يَسْوَدُّ ؟ كذلك القلب يَسْوَدُّ بالمعصية فلا يطهر إلا بالتوبة إلى الله تعالى .

واعلم أن المعصية تتضمن آثارا ظاهرة وباطنة ، أما الآثار الباطنة فكالقساوة في القلب ومعاندة النفس ، وضيق الصدر بالشهوات[١] ، وفقدان حلاوة الطاعات ، و كثرة المشاغل التي تمنعه من التقرّب إلى مولاه ، وأن يصير عبداً لهوى نفسه .

---

(١) فيصير قلب العاصي قاسيا لا يلين لذكر الله ولا يرقّ لموعظة ، وتعانده نفسه فلا تستجيب له حين يأمرها بطاعة ، ويمتلئ صدره بالشهوات حتى يضيق بها .

ولو لم يكن في المعصية إلا تبدل الاسم لكان ذلك كافيا ، فإنك إذا كنت طائعا تسمى بالمحسن ، وإذا كنت عاصيا انتقل اسمك إلى المسيء المُعْرِض عن الله تعالى ، هذا في تبدل الاسم ، فكيف بانتقال الأثر من تبدل حلاوة الطاعة بحلاوة المعصية ، ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة ، فالقلب شجرة تسقى بماء الطاعة وثمراتها مواجيدها[1] ، فالعين ثمرتها الاعتبار ، والأذن ثمرتها الاستماع للقرآن واللسان ثمرته الذكر واليدان والرجلان ثمرتهما السعي في الخيرات فإذا جف القلب سقطت ثمراته .

من هنا كان من أهمّ المهمّات إصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة ، ولذلك قال ﷺ : « أَخْوَفُ ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فَيَصُدُّ عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة »

ويجب على التائب دوام الانكسار وملازمة الاستغفار كما قالوا : التوبة استشعار الوجل إلى الأجل ، وأول ما يبدأ به التائب بعد التوبة إسقاط مظالم العباد وحقوقهم عن ذمته بالأداء أو الإبراء ، فإن عجز عن ذلك يكون أبدا عازما على إيصال ذلك الحق إلى مستحقه متى قدر عليه ، ولا يزال يدعو لصاحب الحق إل ؛ى أن يوفيه حقه أو يبرئه منه ،

(١) أي : ما يجده القلب بعد الطاعة من آثار تظهر في الجوارح .

الباب الثاني : الأخلاق المذمومة

الفصل الأول : الحسد والحقد

حقيقة الحسد والحقد وثمراته :

فأما الحسد : فحقيقته أن يكره نعمة الله تعالى على أخيه فيحب زوالها عنه ، وهو من قبيح الخصال ، وأما الحقد : فهو الانطواء على العداوة والبغضاء والتقاطع .

و الحاسد إنسانٌ ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر ، ونبّه النبي المصطفى ﷺ على أن أصل كل الخطايا يرجع إلى أصول ثلاثة عدّ منها الحسد ، فقال ﷺ : « ثلاث هُنَّ أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن : إياكم والكبر ، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم عليه السلام ، وإياكم والحرص ، فإن آدم عليه السلام حمله الحرص على أن أكل من الشجرة ، وإياكم والحسد ، فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً » .

وقيل أوحى الله تعالى إلى سليمان بن داوود عليه السلام : « لا تغتابنّ صالح عبادي ، ولا تحسدنّ أحداً من عبادي »

وروي عن بعض الصالحين قوله : إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده .

وإن الحسد يحلق الدين ويمحو أثره من قلب صاحبه ، لما يورثه في القلب من ظُلمة وحجاب ، كما قال ﷺ : « دَبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم ، الحسد والبغضاء ، هي الحالقة ، ليس حالقة الشعر لكن حالقة الدين » ولذا قال بعض العارفين : ثلاثة لا تستجاب دعوتهم : آكل الحرام ، ومكثر الغيبة ، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين ؛ ولعلّ الحكمة في ذلك كونه ساخطاً على قسمة الله تعالى على عباده .

كيفية التعامل مع الحاسد :

لقد نبّهَنا الصحابة ﭬإلى حقيقة الحاسد وأنه إنسان لا يمكن إرضاؤه ، فقال معاوية ﭬ : كل إنسان أقدر على أن أرضيه ، إلا الحاسد ، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة ، ونُسِب إلى الإمام الشافعي ﭬ قوله :

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

ونصحَنا العقلاء بأن لا نتعنَّى في طلب رضا من يحسدنا ؛ لأن ذلك ضَرْبٌ من ضروب المحال ، فقالوا : إياك أن تتَعَنَّى في مودة من يحسدك ، فإنه لا يقبل إحسانك ، وإذا أردت أن تسلم منه فلبّس عليه أمرك ، ولا تظهر له فرحك ولا نعمتك .

الفصل الثاني : الكبر

منشأ الكِبر :

إنَّ حب الانسان لنفسه غريزة طبيعية ، وذلك يحمله على الإعجاب والفرح بها ، ومن الإعجاب بها ينشأ الكِبر والتعالي[١] على عباد الله ، والنظر إليهم بعين الاحتقار والاستصغار ، ومن احتقر الناس لم ير لهم حقا ، ولم يعتقد لهم حرمة ، ولم يراقب فيهم إلًّا ولا ذمة[٢] ، وكان عليهم أظلم الظالمين .

الكبر أهلك إبليس :

وإبليس كان هلاكه من عجبه بنفسه وأنه خلق من النار وأنه خير من آدم فتكبر عليه ، ولذلك كان من أقوى علامات السلب للعبد كونه لا يعجبه أحد من أهل بلده ، لا من علماء ولا من صالحين ، فإنه بذلك يُحرم بركة الخلق أجمعين ، ولا يصل إليه من أحد منهم مدد ، ومصداق ذلك قول الإنسان :

(١) التعالي = الاستعلاء على عباد الله .
(٢) إلا ولا ذمّة أي عهدا ولا ميثاقاً .

ما بقي أحد يعمل بعلمه ، ولا بقي أحد من الصالحين في هذه البلد ، وما شابه هذا الكلام ؛ وذلك لأن صفاته هي التي تجلَّت له في الناس ، نسأل الله العافية ، وصدق من قال : لا ينقص الإخوانَ إلا كل ناقص .

عِلاج الكِبر :

ولما كانت هذه العلة ناشئة عن العجب ، أعقب الله عز وجل ذكرها في القرآن الكريم بذكر الدواء الذي يقلعها من أصلها ، وذِكْرُ الإنسان ضعفه وعجزه أنجع دواء لمرض إعجابه بنفسه ، قال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا [1] إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ « الإسراء ٣٧ »

والمراد النهي عن المشي بالتكبر والتعظم ، وقوله : ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ الإسراء : ٧٣ ؛ أي لن تجعل فيها خرقا ونقبا بشدة وطأتك ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ الإسراء : ٧٣ : أي بتطاولك ، فالمراد به هو الطول المتكلف الذي يتكلفه المختال وهو تهكُّم[2] بالمتكبر ، وتعليل للنهي بأن التكبر حماقة مجرَّدة ، ولن ينال الإنسان بكبره وتعظُّمه شيئا من الفائدة ، وهو أي الكبر عاشر الخصال العشر[3] فان المشية بالخيلاء من الكبر ، وفي الحديث « من تَعَظَّم فى نفسه واختال فى مشيته لقي الله وهو عليه غضبان » .

---

(١) تقول العرب : أمرح الفرس إذا شبع وأخذ يمشي بخفة واختيال ، ويقال : مرح الرجل ، ولا يكون ذلك إلا لفرحه بنفسه وإعجابه بها .

(٢) التهكّم : هو السخرية والاستهزاء .

(٣) الخصال العشر هي الخصال التي نهى عنها الله تعالى في سورة الإسراء ، وتبدأ من قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ =

الفصل الثالث : حبّ الجاه

حقيقة حب الجاه :

اعلم أيها الهُمام ؛ أنَّ النفس الأمَّارة الإنسانية مجبولةٌ على حبِّ الجاه والرياسة ، وجميعُ همَّتِها الترفُّعُ على الأقران ، ومُتَمنَّاها بالذات أن يكون الخلائق كلُّهم محتاجين ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون محتاجة إلى الغير ، وهذه كلُّها هي دعوى الألوهية منها ، والشركة مع خالقها ، فإن لم تُنِلها إلى متمناها تصيرُ في مثابة الكلب العقور ؛ تؤذي مَن لاقاه .

عِلاج حب الجاه :

وِاعلم أيها الأخ المخلص أن اللازم لأمثالنا اختيارُ الذل والافتقار ، والتضرُّع والالتجاء إلى الحق والانكسار دائماً ، وأداء وظائف العبودية ، والمحافظة على حدود الشريعة ، ومتابعة السنَّة السنيَّة على صاحبها الصلاةُ والسلام والتحية ، وتصحيح النيات في تحصيل الخيرات ، وتخليصُ البواطن وتسليم الظواهر ، ورؤية العيوب ، ومشاهدة استيلاء الذنوب ، وكراهة الشهرة وقبول الخلق ، قال ﷺ : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا ؛ إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى » ، وقد قال مولانا الإمام ابن مشيش قُدِّسَ سِرُّهُ : احفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله تعالى لك .

= وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾

ولا تخدعنّك النفس بحيلتها وتوهمك بأنَّ حبك للجاه إنما هو لنُصرة هذا الدين وإعلاء كلمته ، فإن أَمْر الدين إلى الله تعالى ينصره ويعلي شأنه ، وقد تولى سبحانه ذلك وتكفّل به ، قال تعالى :﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ « التوبة ٣٢ » أي يريد الظالمون أن يطفئوا شرع الله وبراهينه الدالة على عظيم قدرته ، بأقوالهم في هذا الدين ، ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يظهر نور هذا الشرع الحكيم ولو كره الكافرون ذلك .

الفصل الرابع : الغضب

منشأ الغضب :

اعلم يا ولدي أن الناس يغضبون لحجابهم عن كون الله تعالى هو الفاعل لكل ما برز في الوجود وشهودهم الفعل من جنسهم .

ثم إن للنفس صفتين ذاتيتين تولَّدتا من بطن الأم ، **أَحَدُهُمَا** : الهوى ، **والأخرى** : الغضب ، فمن صفةِ الهوى يتولَّد الحرصُ ، و الشهوة ، والطمعُ ، وطولُ الأمل ، وحبُّ الدنيا ، وأمثالُها ، ومن صفة الغضب يتولَّد الكبر ، والعجب ، والعداوة ، والحسد ، والحقد ، وأمثالها من الأخلاق القبيحة ، وهاتان الصفتان لازمتان للنفس تحفظانها ، وذلك أنَّ صفة الهوى تجلب المنافع ، والغضب تدفع الأضرار ، وتخلُّصُ النفس بإزالتهما بالكلية منها يورث النقص ، ولا يحصِّل الكمال ، وإنَّ غَلَبَةَ الصفتين ؛ تورث الضرر والنقص في العقل والإيمان ، فتربية النفس لإيراث الاعتدال بين الطرفين من قانون الطريقة الأحمدية قدس الله أسرار أهاليها ، لما أنَّ بالتربية تتبدَّل الأوصاف الذميمة بالأخلاق الحميدة ؛ كتبدُّل الهوى بالمحبَّة الإلهية ، والشهوةِ بالعِفَّة ، والحِرْص بالغَيْرَة ، وباقيها بأمثالها .

تصوّر الأعمال على صورٍ شتى :

ثم إن جميع أفعال وأعمال الإنسان وأخلاقه مركوزةٌ في النفس ، ومكنوزة في القلب ، وكلُّها عبارة عن قوى الباطن ، وتظهر في عالم البرزخ على أمثال صور مختلفة وأشكال شتَّى ، فإذا كان كذلك ؛ لزم معرفة أشكالها ؛ أيُّها نورانيّ ، وأيُّها ظلمانيّ ! ومعرفة ذلك يكون بهذا الوجه :

وذلك أنَّه إن غلب في أحدٍ العشق والمحبَّة ، يظهرُ له في الرؤيا خيال على هيئة الذكر والتسبيح ، والتفاح ، والعنب ،والأشربة اللذيذة ، والبطيخ ، والعبادة ، والطاعة وأمثالها من الصدق ، والإخلاص ، والتقوى ، والجواهر ، والحور ، والغلمان وأمثالها من الأشكال .

وإن غلبت الشهوة ؛ أو القوَّة الغضبية ؛ يظهر ويتصوَّر له في الرؤيا تمثال الخنزير ، والثعبان ، والثور ، والحيَّة وأمثالها .

وإن غلبت صفة الكبر ؛ فيظهر تمثال الأسد ، والنمر ، والفهد ، وأمثالها .

وإن غلب الحرص والبخل ؛ فيظهر بصورة العقرب ، والعنكبوت ، وأمثالها . وتخييل هذه الصور ورؤيتها يكون في الرؤيا ؛ أو في الواقعة .

ومع ذلك إن السالك يرى في الرؤيا الأشياء في الابتداء كأنه يخاصم السبع والحيوانات والهوام ويقاتل معها ، فأولاً مع الكبار ، ثم بالصغار كالذباب والبعوض ، وهذه دليلٌ على محاربته للنفس ، وقتلها بالرياضة ابتداءً يقتل أضرَّها من الكبير ثم الصغير .

ما يجب فعله عند الغضب :

إن الواجب على العبد أن لا يخرج بالغضب عن الحق والصدق ، وأن يتبع توجيه النبي ﷺ حين قال : « إذا غضب أحدكم فليسكت » .

وعليه بالوضوء فإن الغضب نار ولا يطفئ النار إلا الماء ، أخبر بذلك رسول الله ﷺ .

وليحذر أن يسوقه غضبه إلى ما لا يُحمد ، أو يخرجه عن الحق والعدل ، وليحفظ قول النبي ﷺ : « ثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ ؛ فَأَمَّا المُنْجِيَاتُ : فَهِيَ التَّقْوَى فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ ، وَكَلِمَةُ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ . وَأَمَّا المُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِرَأْيِهِ » وفي رواية : « بِنَفْسِهِ » .

والحاصل أنه يجب على العباد أن يتخلّقوا بأخلاق الله تعالى كما قال ﷺ : « تخلَّقوا بأخلاق الله » ، بأن لا يغضبوا لأنفسهم ، ولا ينتقموا لها كما أن الله تعالى ، لا يغضب لذاته عزوجل ولو غضب لها لأهلك كل الخلق في طرفة عين .

الفصل الخامس : الغيبة والنميمة

حقيقة الغيبة والنميمة :

اعلم وفقك الله تعالى أن النبي ﷺ قال : « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » فقيل يا رسول الله أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه[1] » .

أما النميمة فهي نقل الكلام بين الناس بقصد إيقاع الفتنة بينهم ، وقد حذّر منها الشرع الحنيف تحذيراً عظيماً ، حيث قال ﷺ : « إن أبغضكم إلى الله عز وجل المشّاؤون بالنميمة المفرِّقون بين الإخوان » .

خطر الغيبة والنميمة :

إن الغيبة والنميمة من الصفات الذمائم ، وهي نجاسات معنوية ، لا يمكن التقرب بها إلى حضرة القدس الإلهية ، كما لا يمكن التقرب بالنجاسات

(١) بهتَّه = أي : أتيت بالبهتان وهو الكذب العظيم وهو أعظم وزراً من الغيبة .

الصورية في العبادات ، فلابد للسالك أن يزكي نفسه من جميعها بالاجتناب عنها حتى ينال الفوز والفلاح عند الله كما قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ « الشمس ٩ » ، أي لقد أفلح من زكّى اللهُ عز وجل نفسه .

إن الغيبة والنميمة من أخطر العوائق التي تعيق المريد وتسدّ في طريقه منافذ الخير وتغلق أبواب القبول أمامه ، فقد أكّد العلماء أنه لا شيء أسرع من مقت المريد وإحباط عمله من نظره في عيوب الناس ، وإطلاق لسانه فيهم بالغيبة ، والاستهزاء بهم ، وحذّروا أتباعهم من إشاعة زلات الإخوان ، احتقاراً لهم ، فربما كانت تلك الزلة التي وقعت منهم إنما قدرها الله تعالى عليه ليسدَّ بها ثلمة حدثت في دينهم من عجب أو كبر فيكون بها كمالهم من حيث أثرها ، ويؤيد ذلك قول ابن عطاء الله قدس الله سره : **معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا** .

قيل في الغيبة والنميمة :

وقد نُقل عن أهل الله كلامٌ نفيس في بيان ضرر الغيبة وخطرها ، وتقبيح شأنها في عيون السالك ، ليكون منها على حذر ، ويتجنّبها لما فيها من ضرر ، وها نحن ننقل لك بعضاً مما قيل في الغيبة ليتذكّر الغافل ويتعلّم الجاهل :

١ . قال ﷺ : « بِحسْبِ امرئ من الشر أن يَحْقِر أخاه المسلم ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » .

٢ . وقال ﷺ : « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ، فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » .

٣ . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنةَ نمَّام » .

٤ . وقال ﷺ : « ألا أخبركم بشر عباد الله ؟ قالوا بلى ، قال : المشَّاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبَرا ء العيب » .

٥ . وقال ﷺ : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » .

٦ . وقال ﷺ : « ليس للفاسق غيبة » .

٧ . وقال أحد الصالحين : مثل الذين يغتابون الناس كمن نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا .

٨ . وسئل الثوري رحمه الله عن قوله ﷺ : « إن الله يبغض أهل البيت اللحميِّين » ؛ فقال : هم الذين يغتابون الناس ويأكلون لحومهم .

٩ . وقيل للحسن البصري رحمه الله إن فلانا اغتابك فأرسل إليه بطبق حلوى وقال : بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك فكافأتك بقدر الإمكان .

١٠ . وذُكرت الغيبة عند ابن المبارك رحمه الله فقال : لو كنت مغتاباً لاغتبت والديّ لأنهما أحق الناس بحسناتي !

١١ . وقال الإمام ابن عطاء الله قدس سره : إذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر إليه إذا ذكرت له شخصا ، فإن وجدته يطوف على محل سوء حتى يقول لك خَلِّنا منه ، ذاك فعل كذا وكذا فاعلم أن باطنه خراب ، وليس له معرفة ، فإن المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه المؤمن .

١٢ . وقال الشاعر العربي :

جِراحاتُ السِّنانِ لها الْتِئامُ ولا يَلْتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ

ما يجب فعله مع الغيبة :

واعلم أن من ابتلي بوقوعه في الغيبة لزمه أن يقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين ويهدي ثوابها لذلك الشخص ، فقد رأى أحد الصالحين رسول الله ﷺ في المنام وأخبره بذلك ، وقال إن الغيبة والثواب يقفان بين يدي الله تعالى يوم القيامة ونرجو أن يكون ذلك بذلك .

ولا ينبغي للعاقل أن يتكدّر للغيبة فيه ، فإن من اغتيب بغيبة غفر الله له بها نصف ذنوبه ، ويجدر بالسالك أن لا يجالس من يرى محاسن نفسه وينكر على القوم ويغتابهم ، فإنه امرؤ باطنه خراب كما أخبر بذلك الصالحون .

ومن اغتيب أمامه أحد من إخوانه لزمه أن ينصره ويدافع عنه في غيابه ، وإلا فإن السكوت مع سماع الغيبة خذلان لأخيه المسلم ، وحق المسلم على المسلم أن يجيب عن إخوانه الغائبين إذا ذكروا بسوء ، قال يحيى بن معاذ الرازي ﷺ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تسرَّه فلا تغمّه ، وإن لم تمدحه فلا تذمّه .

حكي عن إبراهيم بن أدهم ﷺ أنه دعي إلى طعام فلما جلس قالوا : إن فلانا لم يجئ ، فقال رجل منهم : إنه ثقيل لا يقدر المسارعة في المشي ، فخرج إبراهيم ﷺ من بينهم ولم يأكل ثلاثة أيام شيئا ، ثم قال : ما شهدت مكانا اغتيب فيه المؤمن .

ومرة أضاف قوما فلما قصدوا إلى الطعام أخذوا في الغيبة فقال لهم : إن أقواما قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم تأكلون اللحم قبل الخبز ، ولم يأكل معهم .

وقد كان دأب الصالحين أن يجيبوا عن إخوانهم إن اغتيبوا ولا يمكنوا أحداً من الطعن فيهم ما وجدوا لأفعالهم محملا ، فإن سمعوا أحدا يقول عن أحد من العلماء أو الفقراء : فلان كبير النفس لأنه لا يجيب أحدا إلى المشي في زفة ؛ كانوا يقولون : إنما يمتنع من فعل ذلك إزراء بنفسه أو لشدة حيائه .

إنّ أهل السعادة إذا رأوا إنسانا على معصيته أنكروا عليه في الظاهر ، ودعوا له في الباطن ، وأهل الشقاوة ينكرون عليه تشفيا فيه ، وربما ثلموا عليه عرضه ، فالمؤمن من كان ناصحا لأخيه في الخلوة ساترا له في الجلوة ، وليس العكس .

الفصل السادس : حب الدنيا

الدنيا عدوّة الإنسان :

اعلم أن حب الدنيا مذموم في كل الشرائع ، وهو رأس كل خطيئة ، وسبب كل فتنة ، فعلى العبد أن يزهد في الدنيا وأن يخرج من قلبه حب الجاه ، فإن حب الجاه أضر على صاحبه من حب المال وهما دالان على حب الدنيا وهي عدوة للإنسان ، ويكفي في بيان نتنها ما ورد في أنه لما أهبط الله آدم وحواء عليهما السلام إلى الأرض ووجدا رائحة الدنيا وفقدا رائحة الجنة ، غشي عليهما أربعين صباحا من نتن الدنيا ، وقد روي أن الله تعالى قال للدنيا حين خلقها : يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه .

وحيث أطلق اسم نعيم الدنيا فالمراد منه المال والطعام والكلام والمنام ، فإياك أيها المريد أن تشغل قلبك بشيء من الملاذ الفانية ، فإنها كالشعر النابت في القلب ، وإذا نبتت شعرة واحدة في القلب مات صاحبه لوقته ، ولذلك جعل الله تعالى محل الشعر ظاهر جلد الإنسان دون باطنه ، ومن هنا تفهم حكمة دخول المؤمنين الجنة جُرْدا مُرْدا مكحَّلين على قلب رجل واحد ، أي لأنه لو نبت على أجسادهم الشعر لماتوا ، لأنهم كلهم قلوب جسما وروحا لا حجاب لهم عن ربهم ، فعلم أن كل مريد أحب الدنيا فالله يكرهه على قدر محبته لها كثرة وقلة .

وإن كل شيء يشغلك عن الله فهو دنيا ، وكل شيء يعينك على التوجه إلى الله فهو اخرى ، وفي الحديث قال ﷺ : « إن الله لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا ، وإنه مُنْذ خلقها لم ينظر إليها » ، وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه » .

العبادة مع حب الدنيا تعب جوارح :

وقد كان الإمام أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول : لا يصح لعبد مجالسة الحق جل وعلا في الدنيا والآخرة وهو يميل إلى شيء من الكونين ، فإنه لا يجالس الله إلا عبد الله ، وأما غيره فهو مجالس لما أحب من الأكوان لا يرقى عن ذلك .

وقد روي عن الشيخ أبي الحسن علي بن المزين ﷫ أنه قال : لو زَكَّيْتم رجلا حتى جعلتموه صدِّيقا لا يعبأ الله به وهو يساكن الدنيا بقلبه ، والله ما هلك من هلك من أهل الطريق إلا من حلاوة الغنى في نفوسهم .

وقال الإمام الشاذلي ﷫ : العبادة مع الدنيا شُغْل قلب وتعب جوارح ، وهي صورة بلا روح ، وحقيقة الزهد في الدنيا ترك الميل إليها بالمحبة لا بِخُلُوِّ اليد من الدنيا[١] لعدم نهي الشارع عن التجارة وعن عمل الحرف .

التحذير من الافتتان بالدنيا :

كان رسول الله ﷺ يذكّر المؤمنين بالحقيقة التي لا يجوز أن تغيب عن عقولهم وقلوبهم ، وهي كونهم عابري سبيل في هذه الدنيا ، وفي هذا التذكير يمنعهم من الوقوع في شَرَك[٢] حبِّ الدنيا ، وكان يقول ﷺ : « كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، واعْدُدْ نفسك في الموتى ، وإذا أصبحَتْ نفسك فلا تحدِّثْها بالمساء وإذا أَمْسَتْ فلا تحدِّثْها بالصباح ، وخُذْ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فإنك لا **تدري ما اسمك غدا** » .

وحين سئل الإمام الجنيد ﷫ : أيّ العلم أنفع ؟ قال : ما دلّك على الله تعالى ، وأبعدك عن نفسك ، والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ، وَدَوَامِ المجاهدة ، ورعاية السرِّ ، ومراقبة الظاهر ، والخوف من الله ، والإعراض عن الدنيا وعن طالبيها ، والتقلل منها ، ومجانبة أربابها ، وترك ما فيها لمن فيها من أهلها ، والنصيحة للخلق ، وحسن الخلق معهم ، ومجالسة الفقراء ، وتعظيم أولياء الله تعالى ، والإقبال على ما يعنيه .

وكان علي بن أبي طالب ﵁ يحذّر المؤمنين من طول الأمل واتباع الهوى ، لأنهما ثمرة حب الدنيا ، ويقول : إنما أخشى عليكم اثنين : طول الأمل ، واتباع الهوى ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

(١) ويلزم لكل سالك أن لا يغتر بهذا الكلام وأن يتفطن لحيل نفسه ومداخلها .
(٢) الشَّرَك هو المِصْيَدة التي يُصاد بها .

قالوا في الدنيا :

وقد أجاد العلماء والصالحون في بيان حقيقة الدنيا والتحذير من فتنتها ،وها نحن نسوق لك بعض أقوالهم الجامعة لكل خير :

١ . قال الإمام الجنيد ﵁ : من أصبح وهو يشكو ضيق المعاش فكأنما يشكو ربه ، ومن أصبح لأمور الدنيا حزينا فقد أصبح ساخطاً على الله تعالى ، ومن تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه .

٢ . وقال أحد العلماء : من أراد اللهُ تعالى أن يتخذه وليا كرّه إليه الدنيا .

٣ . وقيل : أبق لك أيها المريد شيئا من الدنيا يكفُّك عن سؤال الناس ولا تُسْرِفْ في ترك الدنيا بالكلية .

٤ . وقال أحد المشايخ : خصلتان إذا فعلهما العبد صار عن قريب إماماً يقتدي به الناس : الإعراض عن الدنيا ، واحتمال الأذى من الإخوان مع الإيثار .

٥ . وقال الإمام الشاذلي ﵁ : ولا يحبه الحق تعالى حتى يبغض الدنيا وأهلها ويزهد في نعيم الدارين .

٦ . وعنه ﵁ أنه قال : كل من أحب الدنيا فالله تعالى يكرهه ، فيجب على المريد أن يرمي الدنيا من يده ومن قلبه .

فاعلم يا ولدي بأن الدنيا ظل زائل ، وحاجز بين العبد ومولاه حائل ، لا يعد عبدا حقيقيا من كان في قلبه مثقال ذرة من حبها ، وليس بمقبول من لم يرمها بقشرها ولبّها .

الباب الثالث : الأخلاق المحمودة

الفصل الأول : العبودية :

حقيقة العبوديّة :

اعلم أن العبودية هي التبرُّؤُ من الحول والقوة ، والإقرار بما يعطيك المولى عز وجل ويُولِيك من الطَّول والمنة ، وهي معانقة ما أُمِرتَ به ، و مفارقة ما زُجرت عنه .

و مع أن عبارات العلماء اختلفت في بيان حقيقة العبودية ، لكنها كلها تتفق على معنى واحد ، وهو : **شهود الربوبية** ؛ لأن أوصاف العبودية مقابلة لأوصاف الربوبية على السواء ، فكل صفة استحقتها الألوهية طلبت العبودية وصفا مقابلا لها ، فإذا كان من صفاته تعالى القدرة ، فمن صفات العبد العجز ، وإذا كان من صفات الحق تعالى الكبرياء والعظمة فمن صفات العبد الذل والانكسار وهكذا .

وها نحن نسوق لك بعضاً مما عرّف به الأكابر عبوديّة العبد لله تعالى :

١ . قال عيسى عليه السلام : العبودية ترك الدعوى واحتمال البلوى وحب المولى .

٢ . وقال ذو النون قدس سره : العبودية أن تكون أنت عبده في كل حال ، كما أنه ربك في كل حال ، مِصْداقاً لقوله ﷺ : « ليس عبدٌ أكرمُ عند الله من عبْد عَبَدَ الله عز وجل على كل حال »

٣ . وقيل : العبودية إسقاط رؤية التعبد في مشاهدة المعبود .

٤ . وقيل :العبودية في أربع خصال : الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر عن المفقود .

٥ .علامات العبودية :

إن للعبودية علامات ، ومن تلك العلامات ترك التدبير وشهود التقدير ، وأن العبد لا ينبغي أن يكون له مع الله تعالى اختيار .

حكي أن إبراهيم بن أدهم ﷺ اشترى عبدا فقال : أي شيء تأكل ؟ قال ما تطعمني ، فقال أي شيء تعمل ؟ فقال ما تستعملني ، قال أي شيء لك إرادة ؟ فقال وأين تبغي إرادة العبد في جنب إرادة سيده ؟ ثم أتى إبراهيم نفسه وقال يا مسكين ما كنت لله ساعة في عمرك مثل ما كان هذا لك في هذه الحالة !

وقد نصح الإمام علي الخوّاص قُدِّسَ سِرُّهُ تلميذه الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ بقوله : كُلْ مما يرسله الله تعالى إليك بقدْر حاجتك ، ولا تزد على ذلك وأعط ما زاد على حاجتك لمن أراد الله تعالى ، ولا تبذل جهدك في تدبير أمور نفسك ، واسأله أن يدبرك بأحسن التدبير ، فقال له الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ : فهل أسأل أن يرزقني حلالا ؟ قال : نعم وقل : اللهم بارك لي فيه واسترني في الدنيا والآخرة يا جواد يا كريم ، ثم قال : إياك والجزع في مواطن الامتحان ، ومن سلَّم أمره إلى الله رزقه العلم والعمل حتى يكون إماما والله على كل شيء قدير .

ومن علامات العبودية أن لا يُرى على العبد أثر المَسْكَنَة في العدم ، ولا أثر الغنى في الوجود ، بل يستوي عنده كل حال ، وأن يضيّق على نفسه ويأخذها بالعزائم ، ويوسّع على الناس ، ولا يسكن إلى لذة ، ولا يطلبها ، كما قال العلماء : العبد عبدٌ مالم يطلب لنفسه خادماً ، فإذا طلب لنفسه خادماً فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها .

ومن آداب العبودية أن لا يجزع العبد من أربعة أشياء : من الجوع والعُرْي والفقر والذل ، وأن لا يرد من أحكامه تعالى شيئاً ، ولا يدَّخر عنه سبحانه شيئاً ، ولا يسأل غيره تعالى حاجة .

وقيل :الفقير كالسلطان مهابة وكالعبد الذليل تواضعا ومهانة ، ولا يكون الفقير فقيرا حتى يكون حمالا للأذى من جميع الخلائق إكراما لمن هم عبيده ، وكلما زاد علم العبد زاد افتقاره لربه وعلت همته . وقيل : لا يكن همك من العبادة إلا القرب من المعبود دون الأجر والثواب فإنه إذا منّ عليك بالدخول إلى حضرته فهنالك الأجور وأعلى منها ، ثم ينعم عليك حتى تكون أنت منعما على غيرك .

إن العبودية صفة للعبد لا تفارقه ؛ كما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لا يزول عنه ، و كلُّ من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك ، ومن استغنى بماله فهو فقير ، ومن استغنى بجاهه فهو حقير ، ومن استغنى بعشيرته فهو ذليل ومن استغنى بحسناته فهو مفلس ، ومن استغنى بالله فهو الغني على الحقيقة .

أن نرى أنفسنا دون كل جليس :

إن العبادة هي نهاية الذل والخضوع مع الشعور بالضعف والافتقار وإظهار الانقياد والامتثال ودوام التضرع والسؤال ، وإنما يكون الذل بخنوع القلب وخضوعه وانكساره للضعف والافتقار ، وهذا الخنوع هو أساس العبادة القلبية .

وإن من تحقق برؤية نفسه دون كل جليس يجالسه ؛ صار الوجود كله في مرتبة الشيخ له ، إذ ما من شيء في الوجود إلا وقد جعل الحق فيه خصيصة لم تكن في غيره من سائر الوجود ، فينظر صاحب هذا المقام إلى تلك الخصيصة ويتخلق بها ، فيأخذ من جليسه العاصي مثلاً الذل والصبر تحت بلاء الله عز وجل ، حتى يزول البلاء ، ويأخذ من الكلب إذا جالسه احتمال الجفاء وعدم الادخار لشيء من متاع الدنيا سوى ملء بطنه ، وكثرة رضاه عن ربه في أكل الرِّمم(١) وهو منشرح الصدر ، ويأخذ منه حفظ

(١) الرِّمم هي العظام البالية .

الود لمن أحسن إليه ، ويأخذ من الحجر والخشب الصبر على قطعه من الجبل بالحديد ، ونَحْتِ أضلاعه[1] ثم جعله في أسفل جدار الأخلية[2] ، ويأخذ من الحمار والجمل صبره على تحميله الأثقال ، وركوب صاحبها فوقه ، ويأخذ من الديك إذا جالسه كثرة استيقاظ قلبه وغيرته على عياله ، وعدم شح النفس عليهم ،ويأخذ من الشمعة والفتيلة كثرة تنويرها على من جالسها .وصبرها على عذاب نفسها بالنار لنفع جليسها .

ومن رأى نفسه دون كل جليس كان رفيقاً لرسول الله ﷺ **ومن فوائد** التحقق لهذا العهد[3] عدم رد الجواب المؤذي لمن كلمنا بكلام يغيظ ، **ومن فوائده** أيضا التسليم للخلق في سائر ما يدّعونه من مراتب الكمال فأسرار خلقه لا يطلع عليها إلا هو تعالى ، ثم من أعطاها من الخلق ، فإذا أخبرنا إنسان عن سر نفسه صدقنا ، وكان تكذيبنا له نفاقا بل هو رأس النفاق .

وقد نصح الإمام أفضل الدين قدس سره للإمام الشعراني قدس سره حين قال له : إذا دخلت محفلا أو لعيادة مريض من الأكابر فإياك والجلوس في صدر المجلس ولو كان خاليا ، لأنه ربما دخل أحد من الأكابر فأقاموك وأخجلوك ، فتخجل وتتحرك النفس ، فاعلم هذا واعمل به وما هذا إلا من باب رؤية النفس دون كل من تجالسه .

تبرئة النفس والإنكار على الخلق مُنافٍ للعبودية :

واعلم يا أخي أن من علامة جهل الفقير بنفسه تبرّيه من وصف نسب إليه ، سواء أكان من صفات المدح أو من صفات الذم ، ولو عرف نفسه لعلم أن سائر الصفات المحمودة والمذمومة التي في سائر عصاة المسلمين وصالحيهم تغرب وتشرق فيه ، فإنه فلكٌ لجريانها ، ففيه من صفات الخير إلى الطرف الأقصى ومن صفات الشر إلى الطرف الأقصى .

---

(١) النّحتُ هو التقطيع على شكل معيّن ، والأضلاع هي الأطراف .
(٢) الأخلية جمع خلاء .
(٣) العهد هو رؤية النفس دون كل جليس .

واعلم أن سائر الصفات المتفرقة في الخلق حتى المذمومة موجودة في كل عبد بتمامها وكمالها إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن الله تعالى طهر طينتهم ، وأما غير الأنبياء من سائر الأولياء والمؤمنين فلم يحصل لهم كمال طهارة الطينة ، وإنما عطل الحق فيهم صفات الشر عن الاستعمال ، فما دامت العناية تحف العبد فالصفات المحمودة كلها في العبد مستعملة والمذمومة معطلة عن الاستعمال ، وإذا تخلفت عنه العناية الإلهية تعطلت المحمودة عن الاستعمال وتحركت المذمومة فيقول الناس عند رؤيته : اللهم اكفنا السوء ، وانظروا إلى ظلمة وجهه .

ولو فهم العبد هذه الحقيقة لما أنكر على عبد من عباد الله ما يفعله الله به في واقع الأمر وحقيقته ، وقد أخبر الشيخ عبد القادر الدشطوطي ﷺ قال : أنكرتُ مرة على إنسان لا يطمئن في ركوعه ولا في سجوده[1] ، فقال لي : يا أخي أنا ناصيتي بيد الله تعالى يَمُدُّني إذا شاء ويَقْصُرني إذا شاء ، وأنا مشاهد للمحرك لا للحركة ، ثم قال الشيخ : لا تنكر قط إلا ما يهدم الدين .

أنت عبدٌ لما يشغل قلبك :

المرء عبدٌ لما غلب عليه واستولى على قلبه ، فإن كان العبد في أسر نفسه فهو عبد نفسه ، وإن كان في أسر دنياه فهو عبد لدنياه ، ولا ريب أن عبادة المريد مع محبته للدنيا شغل قلب ، وتعب جوارح ، فهي وإن كثرت قليلة عند الله تعالى ، وهي أشباح خالية من الأرواح ، ولهذا ترى كثيرا من أبناء الدنيا يقومون الليل كثيرا ، فإذا كان كثرة العبادة مع محبة الدنيا لا ترقّي صاحبها فكيف بمحبة الدنيا مع قلة العمل وارتكاب شيء من المعاصي ، روي أن أبا رزين ﷺ رأى رجلاً فقال له ما حرفتك ؟ فقال خِرْبِنْدَة أي خادم الحمار فقال له : أمات الله حمارك لتكون عبد الله لا عبد الحمار .

(١) لعل المراد من قوله : (لا يطمئن) أي : لا يأتي بحدّ الكمال من الاطمئنان وليس المراد ترك الواجب منه .

ولما جاء عَدِيٌّ بن حاتم رضي الله عنه النبي ﷺ وسمعه يقرأ قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال عدي : يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم ! قال : أليس إذا حرَّموا عليهم شيئا حرموه ، وإذا أحلوا لهم شيئا أحلوه ؟ قال بلى ، قال ﷺ : « فتلك عبادتهم إياهم » . فالمؤمن الموحد لا تكون طاعته إلا لله تعالى أو لمن طاعته طاعة لله تعالى ، وإن قيمة العابد بمعبوده ، كما أن شرف العارف بمعروفه .

الدعاء هو العبادة :

وفيه تظهر حقيقة العبودية ويلوح جوهرها المضيء ؛ لأن العبد في حالة الدعاء يظهر من نفسه منتهى الضعف والعجز والافتقار ، وينتظر من مولاه غاية الكرم والجود والعطاء ، وقد تقدّم أن العبودية هي التبرؤ من الحول والقوة والاقرار للمولى بالمنّة والعطيّة .

قال ﷺ : « الدعاء مُخُّ العبادة » وفي رواية : « الدعاء هو العبادة » فلخّص العبادة وجعل الدعاءَ زُبدتها ؛ لأن حقيقة العبادة هي التذلل والخضوع وهو حاصل في الدعاء غاية الحصول وظاهر فيه أشد الظهور .

الصفات المنافية للعبودية :

واعلم أن الصفات المانعة لصاحبها من دخول حضرة الله عز وجل حتى في صلاته هي أربعة أقسام : ربانية وشيطانية وبهيمية وسبعية :

فالرَّبَّانية التشبه بصفات الحق تعالى التي نهى عباده عن التخلق بها مطلقا : على سبيل العلو وطلب الرفعة كالتعاظم والتكبر والعز والغنى والقهر والاستيلاء على العباد بغير حق ورؤية نفسه على أحد من المسلمين

والشيطانية : التشبه بصفات الشيطان : كالحسد والبغي وكثرة الحيل والخداع والغش والنفاق والميل إلى أهل البدع والضلال

والبهيمية : كالشَّرَه والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ، ومن ذلك يتشعب الوقوع في الزنا والسرقة

والسَّبُعية هي الغضب بغير حق والحقد ومنها يتشعب الوقوع في قتل النفس التي حرمها الله والضرب والأذى

وأول ما يستولي على الإنسان الصفات البهيمية ، وإذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية ، فإذا قويت فكرته ولم يوفقه الله تعالى استعمل عقله في المكر والخداع ، واستعان بالشيطان فإذا استعان بالشيطان أدخل عليه صفات الربوبية .

فمن تخلّق بخلق واحد من أخلاق الشيطان أخرجه الحق من حضرته ، ومن أخرجه من حضرته سلّط عليه أعداءه ، وكأنّ لسان الحق يقول لإبليس وجنوده : ليس لكم على أهل حضرتي سبيل ، ولكن كل من خرج من حضرتي فعليكم به !

قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ « الإسراء ٦٣-٦٤ »

إن في هذا غاية التهديد ، وبيان قوله تعالى : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ ، أي بحملهم على كسب الأموال من الحرام وصرفها في الحرام ،وفي الأولاد بالتوصّل إليهم بالأسباب المحرمة ، و أما قوله تعالى : ﴿وَعِدْهُمْ ﴾ الإسراء : ٤٦ أي المواعيدَ الباطلة ، ثم قال تعالى : ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ النساء : ١٢٠ : يعنى وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ، وقد روي في الحديث : « إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني الأرض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا ، قال : الحمّام[1] قال : فاجعل لي مجلسا ،

(١) الحمّام = بيت الخلاء .

قال الأسواق ومجامع الطُّرُق(١) ، قال : اجعل لي طعاما ، قال : ما لم يذكر اسم الله عليه ، قال : فاجعل لي شرابا ، قال : كل مسكر ، قال : فاجعل لي مؤذنا ، قال : المزامير ، قال : فاجعل لى قرآنا ، قال : الشعر ، قال : فاجعل لي كتابا ، قال : الوشم(٢) ، قال : فاجعل لي حديثا ، قال : الكذب ، قال : فاجعل لي رُسُلا ، قال : الكهنة(٣) ، قال : فاجعل لي مصائد ، قال : النساء » .

ثمرات العبودية :

تحققْ بضعفك يمدُّك بقوته وحوله ، تحققْ بفقرك يمدُّك بغناه . فإن من ثبت له الفقر الأكبر ثبت له الغنى الأكبر . ووجه الحيلة أن لا تكون للعبد حيلة حتى لا يركن إلى شيء سوى مولاه (٤) ، فمن تحقق بأوصاف العبودية يمده بأوصاف الربوبية ، لا سيما إذا لازم الذكر الذي هو مغناطيس العبودية ، فيستوحش أن يسمى بالعبد في الحضرة الإلهية فيمده بأوصاف الربوبية . وأدنى ذلك شهادة إسراع اللطف من اللطيف ، لأن مَن لازم العبودية والافتقار والاضطراب والاحتياج أسرعت إليه المواهب . فمن أراد أن تُسرع إليه المواهب فليتحقق بالفقر ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾التوبة : ٦٠ ، فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية ، وكلما ازدادوا دينا ازدادوا قربا ، وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت عنهم شكرا صافيا ، يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهدى له شيء ، لأنه مقهور تحت السياسة ملطوف به ، وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية .

(١) مجامع الطرق = مكان اجتماع الناس في الطرقات .
(٢) الوشم = الوشم هو ما يكون من غرز الإبرة في البدن وذرّ مادة عليها يَزْرَقّ منها الجلد أو يَخْضَرّ .
(٣) الكهنة = جمع كاهن وهو المنجّم وهو من يدّعي علم الغيب .
(٤) لعل المراد أنه لا ملجأ للعبد ولا منجا له من الله تعالى إلا إليه .

الفصل الثاني : الرضا والتسليم والتفويض

حقيقة الرضا والتسليم والتفويض :

اعلم أن الرضا هو أن لا تعترض على الحكم والقضاء ، وليس أن لا تحسَّ بالبلاء ، واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أُمِرَ بالرضا به ، إذ ليس كل ما هو بقضاء الله تعالى يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به ، كالمعاصي ، و الرضا إخراج الكراهية من القلب حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور ، وهو سكون القلب إلى أحكامه تعالى ، وموافقته بما رضي الله به واختاره له ، ومن علاماته : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفِقدان المَرارة بعد القضاء ، وهَيَجَان الحب في ضمن البلاء ، وإنما ينال حلاوة الإيمان من رضي بالله ربا ، ولا ينالُه من كان للدنيا في قلبه مقدار ، والرضا على قسمين : رضا به تعالى ورضا عنه سبحانه ، فالرضا به أن يرضاه مدبّرا ، والرضا عنه فيما يقضي .

إن الراضي بالله تعالى هو الذي لا يعترض على تقديره ، و من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له حقيقة لم يتمنّ غير ما اختاره الله عز وجل له .

أما التفويض والتسليم فهما ترك الاختيار ، فالتسليم والإسلام والاستسلام كلمات تدل على معنى واحد وهو الانقياد وإظهار العبودية ، والتفويض هو أن لا يختار العبد شيئا من أمور دنياه ويكل اختيار ذلك إلى مولاه ، ثم لا يختار خلاف ما يختار له ، وقيل التفويض يكون قبل نزول القضاء والتسليم بعده ، والتسليم والتفويض من صفات أهل المعرفة .

فضل الرضا بقضاء الله :

إن الرضا هو سرور القلب بمرّ القضا ، ولذلك كان أجر الراضي بقضاء الله تعالى أجراً عظيما ، فقد روي أنه ينادي منادٍ يوم القيامة فيقول : أين صفوتي

من عبيدي ؟ فتقول الملائكة : مَن صفوتك من عبيدك ؟ فيقول : القانعون بِعَطايَ والرَّاضون بِقَضايَ .

وقال ﷺ : « قال الله تعالى لموسى عليه السلام : لن تتقرب إلي بشيء أحب إليَّ من الرضا بقضائي »

وقد أوصى الإمام أبو الحسن الشاذلي قدس سره فقال : فِرَّ من مختاراتك كلها إلى الله تعالى ، فإن من اختار شيئا لا يدري أيصل إليه أم لا ، ثم إذا وصل إليه لا يدري أيدوم له أم لا ؟ وإذا دام له إلى آخر عمره فلا يدري أَلَهُ فيه خير أم لا ؟ فالخيرة فيما اختاره الله .

وقيل للحسين بن علي رضي الله عنه : إن أبا ذر رضي الله عنه يقول : الفقر أحب إليَّ من الغنى ، والسُّقْم أحبُّ إليَّ من الصِّحَّة ، فقال : رحم الله أبا ذر ، أمَّا أنا فأقول : مَنْ وَثِق بحُسْن اختيار الله لم يختر غير ما اختاره الله .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الاشعري رضي الله عنه : أما بعد فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى فنِعِمَّا وإلا فاصبر .

وإن الرضا بما يقضي به الله ثمرة حسن الظن به تعالى ، لذلك قال ابن مشيش قدس سره : لا تَتَّهِمْ الله في شيء ، وعليك بحسن الظن به في كل شيء ، ولا تُؤْثِرْ نفسك على الله في شيء .

وقد عدّ العلماء الرضا بالقضاء من الحسنات التي لا تَضُرُّ معها السيئات ، فقيل : سيئتان قلَّ ما ينفع معهما كثرة الحسنات : السخط لقضاء الله والظلم لعباد الله ، وحسنتان قل ما يضر معهما كثرة السيئات : الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله .

وعدّوا الرضا من أفضل الأعمال فقيل : أفضل الأعمال أربعة : المحبة لله والرضا بقضاء الله والزهد في الدنيا والتوكل على الله .

إن من يرضى بقضاء الله تعالى يحيا مرتاح القلب ، ومن يختار لنفسه ويدبّر لها يعيش حياته مهموماً مكدّراً ، قال سهل التستري ﵁ : ذروا التدبير والاختيار ؛ فإنهما يكدران على الناس عيشهم !

وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري ﵁ : أَرِحْ نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك .

وقد دقّق الأكابر في هذه المسألة ، واعتبروا الاعتراض على حال العبد اعتراضاً على خالقه الذي قضى له بهذا الحال وقدّره عليه ، فقد قال الإمام الشعراني﵁ : أخذ علينا العهود إذا رأينا أحداً في ضيق أن لا نبادر إلى قولنا مسكين ؛ فإن في ذلك رائحة اعتراض على الله عز وجل ، بل نسأل الله له التفريج والصفح عنه .

الرضا والتسليم نهاية العبودية :

إن الرضا والتسليم هما نهاية العبوديَّة والعبادة ، وكمال الإسلام في التسليم والتفويض ، فإن صاحب التسليم لو طُوِّق في رقبته طوق اللعنة كإبليس ؛ لكان راضياً من حيث أنه قضاء الحق وتقديره ، مثل رضائه بإيمانه وإسلامه ؛ لأن الطالب الصادق راضٍ بقضاء الله تعالى وقدره لا بفعل نفسه ، وإذا وقع للطالب مكروهٌ وحصل التفاوت عنده فهو عبد نفسِه ، وإن لم يحصل عنده تفاوت فهو عبد ربِّه ، وهذا أصل كلِّ أمر وأساسُه ، فبهذا ينبغي لك أيها السالك أن تكون دائماً له عبداً ، كما أنه تعالى وتقدس دائماً لك ربٌّ ، ولله درّ القائل :

إذا كان في مدح وذم تفاوتٌ   لديك فأصناماً لَعمْرِيَ تَعْبُد

وهذا أصل اتَّفق عليه أكابر الخواص في سائر الطرق .

وسأل الإمام الشعراني ﵁ شيخه علياً الخواص ﵁ : هل أتكرّم وأؤثر أهل القِلَّة ؟ أم أتأدب مع الله تعالى الذي أفقرهم ؟ فقال : الأدب أرجح عندي ،

فإن الله تعالى ما أفقر غنيا إلا لحِكَم أراد إظهارها فلا تَجْهَلْ ، فإنَّ كل ما في الوجود بمَرْأى من الله تعالى ومَسْمَع ، فاصحبه تعالى بالأدب معه ومع مصنوعاته بما هي عليه في تلك الحالة التي شهدتها ، ولا تطلب نقلها عن تلك الحالة بغير إذن صريح منه ، وربما خالفت الأدب وطلبت أن تُغْنِيَ من أفقره الله فيحوّل تعالى حال ذلك العبد إليك وينقلك عما تحبه وترضاه ، إلى ما لا تحبه وترضاه كما طلبت أن تنقل ذلك العبد عما أحبه الله ورضيه له ، ثم إن عفا عنك ولم يعاقبك فقد يكون ذلك العفو استدراجا لك من حيث لا تشعر فتهلك مع الهالكين .

الراحة في التسليم :

ثم اعلم أنه من أقبح ما يكون من العبد من سوء الأدب أن يسأل ربه شيئا ويلحَّ فيه ، فإذا أعطاه له تَقَلَّقَ منه وسأل ربه زواله ، لكثرة ما ينفتح عليه بسبب ذلك من التعب ، بل لو أنه ترك السؤال من أصله حياء من الله عز وجل لأعطاه فوق ما يُؤَمِّل ، وضَمِنَ له حسن عاقبته ، فتَرْكُ السؤال أولى ، هذا فيما يتعلَّق بمصالح نفس العبد ، أما مصالح غيره من الناس فلا مانع منه .

وربما أتت النعم في المحن وربما أتت المحن في النعم ، فإذا نظرنا إلى باطن النعم وجدناها مشتملة على جملة من البلايا ، وأقلُّ ما فيها أن الحق يطالب صاحبها بالقيام بحقها من دوام الشكر عليها بالقلب لا باللسان ، وكذلك يطالب صاحبها بإضافتها إلى الله تعالى دائما ، وكذلك بصرفها في المواطن التي ندب الحق تعالى العبد أن يصرفها فيها ، وإذا نظرنا إلى باطن النِّقَم وجدناها من أعظم النعم ، لأنها تورث عندنا الندم والذل ، وخفض الجناح ، والله تعالى ما وضع لنا الطاعات والعلوم إلا ليَرُدَّنا إليه سبحانه وتعالى ، والأنبياء وكُمَّل الأولياء نفوسهم صارت بالتكاليف في غاية الذل ، فلم يبتلوا بشيء من النقائص .

وتأمَّلْ من لم يُزَكِّ نفسه من العُبَّاد إذا أُعجبوا بأعمالهم إن أراد الله تعالى أن يرحم مثل هؤلاء ابتلى أحدهم بزنى ، ثم يهتكه بين الجيران والمعارف ويسلط عليه من يسحبه إلى بيت الوالي ، فيكتبوا اسمه في سجل المجرمين فيصير يرى نفسه بعد ذلك أحقر من نقطة عذرة .

وقد هتف هاتف بالإمام الشعراني ﷼ : يا عبد الوهاب اسمع هذا الكلام الجامع لكل كلام ، ولميزان جميع ما جاءت به الكتب الإلهية : فقال له في المنام : نعم ، فقال : ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار نَفَسَا واحداً لفعل شيء ، أو تركه في مستقبل الأنفاس ، وإنما عليه أن يُعطيَ ما أبرزناه على يديه حَقَّه في حال شروعه في ذلك العمل ، فإن كان طاعة حمَدَنا عليها واستغفَرَنا من تقصيره فيها ، وإن كان معصية حَمَدَنا على تقديرها عليه ، واستغفَرَنا من مخالفة أمرنا ، وإن كان غفلة أو سهوا فعل ما هو اللائق بمقامه ، وقد قربنا لك طريق الأدب معنا في كل ما نجريه على يديك .

فقد علمتَ أنه لا يبرز منا فعل قط إلا وله دواء ، **وإنَّ حقيقة العبد كالبَوَّاب لظهور الأفعال من أبواب جوارحه** الظاهرة والباطنة ، فيعطي كل فعل حقه ، وهو عبد في كل حال انقلبت عليه .

إن الكامل ينظر إلى نسب الأشياء بعينين صحيحتين ، أما صاحب العين الواحدة كالفقيه والفقير فهو أعور ، فإن كل من شهد أنه فاعل لكنه قصر في الفعل فقد أشرك في الله عز وجل ، فإن الله تعالى لم يطلب منا قط خلق الأعمال وإنما قال : اعملوا ما أنا خالقه لا غير ، ومن هنا كانت شدة الندم على الذنب من شدة نسبة العمل للعبد ، ولكن لا يجوز للعبد احتقار معاصيه ؛ لأن تعظيمها يقوي استعداده ، ويرقيه إلى رتبة الإحسان ، فإذا ترقّى إليها احتقر الذنوب في جانب عفو الله عز وجل لأنه لا يرى هناك فاعلاً إلا الله تعالى ، فإياك يا أخي أن تأمر المؤمن بما تأمر به المحسن من عدم الندم ، فإن ذلك يرده إلى أسفل .

واعلم أن كل عارف لا يمكنه قط أن يشهد لنفسه مدخلا في إيجاد الفعل وإنما يشهد كونه محلا لظهور الأفعال ، لأنها لا تظهر إلا في جسم من حيث كونها أعراضا ، فكأنَّ أعضاء العبد أبواب للأعمال ، كالباب الذي يخرج منه الناس لا غير ، فليس الناس الخارجون متولّدين من ذلك الباب .

فإذا كانت نَفْس ذات العبد مخلوقة لله تعالى وحده فكيف ينشأ عنها شيء يتقبل والذات نفسها بأعمالها تلك لله تعالى لم تخرج عن ملكه طرفة عين ، ومن تحقق بهذا لم يفرح بكثرة إبراز الأعمال الصالحة على يديه ولم يحزن لقلتها .

قال الشيخ الشاذلي ﵁ : رأيت أني جالس مع رجل بين يدي أستاذي فقال : احفظ عني أربعة فصول ثلاثة منها لك وواحدة لهذا المسكين : لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار ، وفِرَّ من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وكُلُّ مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء ولا بد لك منه ، واسمع وأطع ، وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ، وعليك بالزهد في الدنيا والتوكل على الله ، فإن التوكل رأس في كل الأحوال ، واشهد بالله واعتصم به في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال ، وإياك والشك والشرك والطمع والاعتراض على الله في شيء ، واعبد الله على القرب الأعظم(١) ، ثم قال : والذي قطع نفس هذا المسكين(٢) أمران : دخوله في عمل دنياه بتدبيره ، وفي عمل أخراه على الرَّيْب في مواهب محبوبه ، فارجعوا إلى الله في أوائل التدبير والتقدير تحظوا منه بمدد التيسير ، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله لا يُعدُّ لها وزرا ، خذ رزقك من حيث أنزلك الله باستعمال العلم ومتابعة السنة ، ولا ترق قبل أن يرقى بك فتزل قدمك .

---

(١) لعل المراد بالقرب الأعظم مقام الإحسان .
(٢) يقصد بالمسكين الرجل الذي كان معه .

من رضي فله الرضا :

وقد أخبر الحق تعالى أن من علامات رضاه عن عبده أن يرضى العبد عن مولاه ، فقال عز وجل : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ « البينة ٨ »

وقال تلميذ لأستاذه : إذا وجدتُ قلبي راضيا عن الله تعالى علمت أنه راض عني ، فقال له الأستاذ : أحسنت يا غلام .

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام :يا ابن عمران إن رضاي في رضاك بقضائي .

الفصل الثالث الحياء

حقيقة الحياء :

اعلم أن الحياء لغويا الحشمة وانقباض النفس عن القبائح ، وفي اصطلاح أهل التصوف : الحياء هو انقباض القلب ،وعرّفه إمام الطائفة الجنيد قدس سره بقوله : رؤية الآلاء ، ورؤية التقصير ، فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء ، وهو ترك الدعوى[(١)] بين يدي الله ثم اعلم أن الحياء على وجوه :

١ . حياء الجناية ؛ كآدم عليه السلام ، فقد روي أنه حين أكل من الشجرة أخذ يجري في الجنة ، فناداه الحق تبارك وتعالى : أفراراً منا ! فقال : لا ، بل حياء منك .

٢ . وحياء التقصير ؛ كالملائكة يقولون له سبحانه : ما عبدناك حق عبادتك .

٣ . وحياء الإجلال ؛ كإسرافيل عليه السلام ، تَسَرْبَلَ[(٢)] بجناحه حياء من الله عزَّ وجلَّ .

٤ . وحياء الكرم ؛ كالنبي ﷺ حين أَوْلَم على زينب رضي الله عنها فجلس المسلمون وأطالوا الجلوس حتى تأخر الليل ، و كان ﷺ يستحي أن يقول

(١) الدعوى هنا يقصد بها ادعاء القيام بحق الله تعالى .
(٢) تسربل أي : لبس والمعنى ستر نفسه .

لهم : اُخرجوا ، فنزل قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ . . . ﴾ « الأحزاب ٥٣ » .

إشارة الى حفظ الأدب فى الاستئذان ومراعاة الوقت وإيجاب الاحترام ، وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن الى الطعام هو الدعوة اليه أي : إذا أذن لكم فى الدخول ودُعيتم إلى الطعام فادخلوا بيوته مع الأدب وحفظ أحكام تلك الحضرة .

وفى « التأويلات النجمية » : إذا انتهت حوائجكم فاخرجوا ولا تتغافلوا ، ولا يمنعْكم حسن خلقه من حسن الأدب ، ولا يَحْمِلَنَّكم فرط احتشامه على الإبرام عليه ، وكأنَّ حسن خلقه جَسَّرهم[1] على المباسطة معه ، حتى أنزل الله هذه الآية .

و قيل من حق العاقل الداخل على الكرام قلة الكلام وسرعة القيام ، ومن علامة الأحمق الجلوس فوق القدر والمجيء فى غير الوقت .

ويدخل في حياء الكرم ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴾ « القصص ٢٥ » قيل : إنما استحيت بنت شعيب من موسى عليه السلام ؛ لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة ، فاستحيت أن لا يجيب موسى عليه السلام ، فصفة المضيف الاستحياء ، وذلك استحياء الكرم .

٥ . وحياء الحشمة ؛ كعلي رضي الله عنه ، حين سأل المقداد بن الأسود حتى يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم خروج المذي ، لمكان فاطمة رضي الله عنها .

(١) جسّرهم أي : شجّعهم .

٦ . وحياء الاستحقار ؛ كموسى عليه السلام قال : إني لَتَعْرُض لي الحاجة من الدنيا ، فاستحي أن أسألك يا رب ، فقال الله عز وجل له : سَلْني حتى عن ملح عجينك ، وعلف شاتك .

٧ . وحياء الإنعام ، و هو حياء الرب سبحانه ، يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما عبر الصراط ، وإذا فيه : فعلتَ ما فعلتَ ، وقد استحييتُ أن أظهره عليك ، فاذهب ، فإني قد غفرت لك !

وقد بيّن ﷺ حقيقة الحياء حين قال : « أيها الناس ؛ استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : إنا نستحيي يا نبي الله ، والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء : فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

وقال بعض الحكماء : أَحْيوا الحياء بمجالسة من يُسْتَحيا منه .

الحياء من الإيمان :

واعلم أن من شرط المريد أن يكون باطنه بيت الاحتراق[1] على الدوام ، قال الفضيل بن عياض قدس سره : خمس من علامات الشقاء : القسوة في القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطول الامل .

وقد قالوا بأنه إذا ذهبت الهيبة والحياء من العبد لم يبق فيه خير .

وعلى قدر إيمان العبد وزهده في الدنيا ، يكون حياؤه من الله تعالى ،حتى قال الأكابر : إن الحياء والأنس يطرقان القلب ؛ فإن وجدا فيه الزهد والورع حَطَّا ، وإلا رَحَلا ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ « يوسف ٢٤ » قيل في البرهان : أن زليخة ألقت ثوباً على وجه

(١) أي : دائم الاحتراق حياء من التقصير في جنب الله تعالى .

صنم في زاوية البيت ، فقال يوسف عليه السلام : ماذا تفعلين ؟ فقالت : استحي منه ، قال يوسف عليه السلام : أنا أولى منك أن أستحي من الله تعالى .

من صور الحياء عند أهل الطريق :

ولقد برزت صورٌ عظيمة للحياء من الله تعالى لدى السلف الصالح ، وجميعها كان بغير تكلّف منهم ، فقد كان بعضهم يستحي من الله تعالى أن يدخل المسجد وهو بيت الله لأنه عصاه ، فقد رؤي رجل يصلي خارج المسجد ، فقيل له : لم لا تدخل المسجد فتصلي فيه ؟ فقال : استحيي منه تعالى أن أدخل بيته ، وقد عصيته !

ومنهم من يستحيي من الله أن يخاف سواه ، قال بعضهم : خرجنا ليلة فمررنا بأَجَمَة[1] ، فإذا رجل نائم ، وفرس عند رأسه ترعى ، فحركناه ، وقلنا له : ألا تخاف أن تنام في مثل هذا الموضع المخوف وهو مسبع ؟فرفع رأسه ، وقال : أنا أستحي منه تعالى ، أن أخاف غيره ، ووضع رأسه ونام .

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله : ربما أصلي لله تعالى ركعتين ، فأنصرف عنهما ، وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء .

حياء الله من عبده :

واعلم أن الحق تعالى يستحي من عباده ، فقد كتب في التوراة : اِستحِ من العصيان فإني أَستحي من عذابك ! ، وفي بعض الكتب : ما أنصفني عبدِي ، يدعوني فأستحي أن أرده ، ويعصيني فلا يستحي مني .

وفي الحديث قال ﷺ : « إن الله حَيِيٌّ كريم يستحي أن يرفع عبده يديه ويردهما صِفْرا » .

(١) الأجمة هي موضع الشجر الكثيف .

الفصل الرابع : حسن الخلق

فضل حسن الخلُق :

إن حسن الخلق هو أفضل مناقب العبد ، وبه يظهر جوهر الرجال ، وقد خصّ الله تعالى نبيه ﷺ بما خصَّه به ، ثم لم يُثْنِ عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى بخلقه ؛ فقال عزَّ من قائل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « القلم ٤ »

قال العلماء : الخلق العظيم أن لا يُخاصِم ولايُخاصَم ، من شدِّة معرفته بالله تعالى ، وقيل : المعنى لم يُؤَثِّر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق تعالى[١] ، وقيل : لم يكن لك همة غير الله تعالى .

وقد فسّر العلماء هذه الآية وأجادوا في ذلك ، فقالوا : وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم لا يدرك شَأْوَه[٢] أحد من الخَلْق ، ولذلك تحتمل من أذى الخلق ما لا يكاد يحتمله البشر ، قال بعضهم : لكونك متخلقا بأخلاق الله ، فلا تتأثر بافترائهم ولا تتأذى بأذاهم ، إذ بالله تصبر لا بنفسك ،كما قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ « النحل ١٢٧ » ، ولا أحد أصبر من الله ،وكلمة ﴿عَلَىٰ خُلُقٍ﴾ القلم : ٤ للاستعلاء ، فدلت على أنه ﷺ مشتمل على الأخلاق الحميدة ، ومستولٍ على الأفعال المرضية حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية له ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ « ص ٨٦ » أي لست متكلفا فيما يظهر لكم من أخلاقي ؛ لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلا بل يرجع إليه الطبع .

ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة ، فيصير الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حال المصاحبين والمعاملين كما في الحديث « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وفي حديث آخر « لا تجالسوا اهل الأهواء والبدع فإنَّ لهم عرَّة كَعَرَّة الجَرَب »[٣]

---

(١) أي : بعد أن طالعتَ وشاهدتَ أنوار الحق تعالى لم تعد تتأثّر بجفاء عبيده .
(٢) شأوه أي : شأن ذلك الخلُق .
(٣) عرة الجرب أي : حكّة الجرَب ، والجرب مرض معروف .

وإنما أفرد الخُلُق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم ؛ لينبه على أن ذلك الخلُق الذي هو ﷺ عليه جامع لمكارم الأخلاق ، اجتمع فيه شكر نوح وخُلَّةُ ابراهيم وإخلاص موسى وصدق وَعْد إسماعيل وصبر يعقوب وأيوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من أخلاق سائر الأنبياء عليهم السلام ، كما قال تعالى : ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ ، إذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى ؛ لأن ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول ﷺ ، ولا الشرائع ؛ لأن شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها في الفروع ، والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم ، لكون كل منهم مختصا بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه ، فلما أمر بذلك فكأنه أمر بجمع جميع ما كان متفرقا فيهم ، فهذه درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء عليهم السلام ، فلا جَرَم وصفه الله بكونه على خلق عظيم ، كما قال بعض العارفين :

لكل نبيٍّ فى الأنام فضيلة   وجُمْلتها مجموعة لمحمد ﷺ .

ويجمع هذا كله قول عائشة رضي الله عنها لما سُئلتْ عن خُلقه ﷺ فقالت رضي الله عنها : « كان خلقه القرآن » أرادت به أنه ﷺ كان متحليا بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف ، ومتخليا عما يزجر عنه من السيئات وسَفْساف الخصال[1] ، وفى رواية قالت للسائل : ألستَ تقرأ القرآن ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فذلك خلقه ﷺ » .

---

(١) سَفْساف الخصال أي : رذائلها وصغائرها ورديئها .

وفيه تنبيه للسامعين على عظيم أخلاقه ﷺ من الإيمان الذي هو أصل الأخلاق القلبية ، والصلاة التي هي عماد الأخلاق البدنية ، والزكاة التي هي رأس الأخلاق المالية ، والعفّة عن النساء الأجنبيات ، وحفظ الأمانة والميثاق ، وكرّر الوصف بالحفاظ على الصلاة تنبيها على أهمية أمر الصلاة وعظيم شأنها .

قال الجنيد قدس سره : كان ﷺ على خلق عظيم لجوده بالكونين[١] وقال الحسين النوري قدس سره كيف لا يكون خلقه عظيما وقد تجلى الله لسره بأنوار أخلاقه[٢] .

وفي « تلقيح الأذهان » لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر : أوتي ﷺجوامع الكلم لأنه مبعوث لتتميم مكارم الأخلاق ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وهو عين كونه الصراط المستقيم ، قال ﷺ : « إن لله ثلاثمائة وستين خُلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة ، قال أبو بكر رضي الله عنه : هل فيَّ منها يا رسول الله ؟ قال : « كلها فيك يا أبا بكر ، وأحبها الى الله السخاء » .

ولذلك كان أحسن أخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى ، وأحسن أخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء ، وإنما قال مع التوحيد ؛ لأنه قد توجد مكارم الأخلاق ولا إيمان ، كما أنه قد يوجد الإيمان ولا أخلاق ، إذ لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا .

مكارم الأخلاق هي زبدة الدين :

وإن مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله ﷺ لإتمامها هي زبدة الدين ، لقوله ﷺ :« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وحقيقتها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين ، قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة كل هين لين

---

(١) أي : لكونه ﷺ جاد على أمته بخير الدنيا وخير الآخرة ، ولم يطلب لنفسه شيئا .
(٢) والمعنى أن سرّه ﷺ قد استنار بأنوار أخلاق الرحمن جل جلاله ، فتخلّق بها كما ورد في الحديث : « تخلّقوا بأخلاق الله » .

سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قَبَعْثَرِيّ » ، قالوا : يا رسول الله وما قَبَعْثَري ؟ قال :« الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشير » . وقال مولانا العظيم ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة ٨٣ أي لا قبحا . وقال عز وجل ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ لإسراء :٥٣ ، والأحسن هو الذي جمع الحسن وزيادة .

وبالجملة فالذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاترك الناس والخلق منه ، فإن الله عز وجل يعامل العبد بوصفه وخلقه الذي يعامل به الناس ، فإن المجازاة على الوصف بالوصف جزاء وفاقا ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يسترحون فيه كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبدا لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد نفسه ، ولذلك جآء في الحديث عن الله تعالى أنه يقول للعبد يوم القيامة : « جعتُ فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني ومرضت فلم تعدني ، فيقول العبد : كيف تجوع وأنت رب العالمين ، وكيف تمرض وأنت رب العالمين ، وكيف تستسقي وأنت رب العالمين ؟ فيقول له سبحانه وتعالى مفسرا لذلك : أما أنه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده ، وجاع عبدي فلان أما أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، واستسقاك عبدي فلان أما أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي » ، ففسر سبحانه نفسُه قولَه « جعت ومرضت واستسقيتك » بقوله « جاع عبدي فلان ومرض عبدي فلان واستسقاك عبدي فلان » .

وللمكارم آثار ترجع على صاحبها في أي دار كان ، كما ورد في حق أبي طالب فقد قال العباس ﷺ : يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم ولولا أنا كان في الدرك الاسفل من النار » ، و رؤي أبو لهب في المنام وهو يمص ماء من إبهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله ﷺ وقال بعض الصالحين : من أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن ، فإنه لا فرق بين

النظر فيه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ ، فكأن القرآن انتشار صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

وقال بعضهم من أراد أن يرى رسول الله ﷺ فليعمل بسنته لا سيما في مكان أميتت السنة فيه ؛ فإن حياة رسول الله بعد موته هي حياة سنته ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ؛ لأنه ﷺ المجموع الأتم الأكمل .

وقال بعضهم : لم يبق بعد بعثة رسول الله ﷺ سَفْساف أخلاق أبدا ؛ لأنه ﷺ أبان لنا عن مصارفها كلها ، أراد أنه لم يبق وجهٌ من وجوه التحيّر ولا سببٌ لارتكاب الرذائل لكونه صلى الله عليه وسلم أبان ووضح الكريم من الرديء .

ويقال : إن الحق تبارك وتعالى عرض عليه ﷺ مفاتيح الأرض فلم يقبلها ، ورقّاه ليلة المعراج ، وأراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت إليها ، قال تعالى :﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ « النجم ١٧ » ، فما التفت يمينا ولا شمالا ، ولهذا قال تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي : لا بالبلاء تنحرف ، ولا بالعطاء تنصرف .

ومن المعلوم كم احتمل ﷺ من الأذى ،وكان يصبر على كل ذلك فقد شُجّ رأسه وثَغْرُه[١] ﷺ و مع ذلك كان يقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » ، ويوم القيامة حين يقول كل نبي : نفسي نفسي ، سيكون نداؤه ﷺ : « أمتي أمتي . . . »

قيل في حسن الخلق :

ولقد قيل في الخلق الحسن كلمات من ذهب ، أحببنا أن نسوق لك بعضاً منها ليكون تنشيطاً للعزائم ، وإيقاظاً للنائم :

(١) الثغر هو الأسنان .

١ . سئل رسول الله ﷺ : أيُّ المؤمنين أفضل إيماناً ؟فقال : « أحسنهم خُلُقاً » ، وسئل رسول الله ﷺ ، عن الشُّؤْم ، فقال : « سوء الخلق » .

٢ . وقال رسول الله ﷺ : « إنكم لا تَسَعُون الناسَ بأموالكم ولكن لِيَسَعْهُمْ منكم بَسْطُ الوجه وُحسن الخلق »

٣ . وقيل : يا رسول الله ، اُدْعُ الله تعالى على المشركين فقال : « إنما بُعِثْتُ رحمة ، ولم أُبْعَثْ عذاباً »

٤ . وقال الفضيل رحمه الله : لو أن العبد أحسن الإحسان كله ، وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين !

٥ . وقيل : حسن الخُلُق استصغار ما منك إليه تعالى واستعظام ما منه سبحانه إليك .

٦ . وقال شاه الكرماني رحمه الله : علامة حسن الخلق : كف الأذى ، واحتمال المُؤَن .

٧ . وقال وهب رحمه الله : ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحاً إلا جعله الله طبيعة فيه .

٨ . وقال الحسن البصري رحمه الله في قول الله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ « المدثر ٤ » أي : وخُلُقَك فحسِّن .

٩ . وسئل أبو حفص رحمه الله عن الخلُق . فقال : هو ما اختار الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ « الأعراف ١٩٩ »

١٠ . وقيل : الخلق : أن تكون من الناس قريباً ، وفيما بينهم غريباً .

١١ . وقيل : الخلق قبول ما يردُ عليك من جفاء الخلق ، وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق .

١٢ . وقيل : الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة .

١٣ . وقيل : الخلق السيء يضيق قلب صاحبه ؛ لأنه لا يسع فيه غير مراده ، كالمكان الضيق لا يسع غير صاحبه .

١٤ . وقيل : من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك .

من صور حسن الخلق :

وقد رويت عن السلف الصالح قصصٌ يحسبها المرء خيالاً ؛ وهي حق بلا امتراء ، ولكن أصحابها عرفوا الله تعالى فأدركوا بمعرفتهم حسن الخلق على حقيقته :

١ . قيل : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى واحداً من عبيده يُحسن الصلاة يعتقه ، فعرفوا ذلك من خُلقه ، فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له ، وكان يعتقهم ، فقيل له في ذلك ؛ فقال : من خَدَعَنا في الله انخدعنا له !

٢ . وقيل للأحنف رضي الله عنه[1] : ممن تعلمت الخلُق ؟ فقال : من قيس بن عاصم النقري ، قيل : وما بلغ من خُلقه ؟ قال : بينا هو جالس في داره إذ جاءت خادمة له بسَفُّود[2] عليه شِواءٌ ، فسقط من يدها ، فوقع على ابن له ، فمات ، فدهِشت الجارية ، فقال : لا رَوْعَة عليك ، أنت حرة لوجه الله تعالى ! .

٣ . وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : هل فرحت في الدنيا قط ؟ فقال : نعم مرتين ، إحداهما : كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال عليَّ ؛ والثانية : كنت قاعداً فجاء إنسان وصَفَعَني .

٤ . وقيل : كان أويسُ القَرَنيّ رضي الله عنه إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة ، فيقول : إن كان ولا بد فارموني بالصغار ؛ كيلا تدقّوا ساقي فتمنعوني عن الصلاة .

(١) الأحنف بن قيس رضي الله عنه كان من أهل الحِلم وحسن الخلق ، وبه يضرب المثل بين العرب فيمن حسن خلُقه وطابت سجيّته .

(٢) السَّفُّود هو العود من الحديد يُضمّ فيه اللحم ليشوى .

٥ . وشتم رجل الأحنف بن قيس ﷺ وكان يتبعه ، فلما قرب من الحي وقف ، وقال : يا فتى ، إن بقي شيء فقله ؛ كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك .

٦ . وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ دعا غلاماً له ، فلم يجب ، فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه ، فقام إليه فرآه مضطجعاً ، فقال : أما تسمع يا غلام ؟ فقال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابي ؟ فقال : أمِنتُ عقوبتك فتكاسلت ، فقال : اِمضِ ؛ فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى .

٧ . وقيل : نزل معروف الكرخي ﷺ نهرَ دجلة ليتوضأ ، ووضع مصحفه ومِلْحَفَتَه[١] ، فجاءت امرأة وحملتهما ، فتبعها معروف ، وقال : يا أختي ، أنا معروف ولا بأس عليك ، ألك ابن يقرأ ؟ قالت : لا . قال : فزوج ؟ قالت : لا ، قال : فهاتي المصحف وخذي الثوب .

٨ . ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي ﷺ بالمكابرة[٢] ، وحملوا ما وجدوا ، فسمعت بعض أصحابنا يقول : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : اجتزت بالسوق ، فوجدت جبتي على من يزيد[٣] ، فأعرضت ، ولم ألتفت إليه .

٩ . وقالت امرأة لمالك بن دينار ﷺ : يا مرائيْ ! فقال : يا هذه ! وجدتِ اسمي الذي أضلَّه أهل البصرة !

١٠ . وقيل ليحيى بن زياد الحارثي ﷺ وكان له غلام سوء : لِمَ تمسك هذا الغلام ؟ فقال : لأتعلم عليه الحلم .

---

(١) الملحفة واللّحاف وهو الثوب الذي يُلبس فوق سائر الثياب .
(٢) المكابرة هي المعاندة والمغالبة .
(٣) بيع من يزيد = نوع من أنواع البيوع ، ينادى فيه على السلعة وتباع للمشتري الذي يدفع زيادة على غيره .

١١ . وحكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي ، فقال : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة ، فضرب رأسه وأوجعه ، فلما جاوزه ، قيل له : إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر إليه ، قال : إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة ، فقال : لمَ ؟ فقال علمت أني أؤجر عليه ، فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير ، ونصيبك مني الشر !

١٢ . وحكي أن أبا عثمان الحيري رحمه الله دعاه إنسان إلى ضيافة ، فلما وافى[١] باب داره قال : يا أستاذ ، ليس الآن وقت دخولك ، وقد ندمت ، فانصرف ، فرجع أبو عثمان ، فلما وافى منزله عاد إليه الرجل ، وقال : يا أستاذ ، ندمت ! وأخذ يعتذر إليه ، وقال اُحضر الساعة ، فقام أبو عثمان ومضى ، فلما وافى باب داره قال : مثل ما قال في الأولى ، ثم كذلك فعل في الثالثة والرابعة ، وأبو عثمان ينصرف ويحضر ، فلما كان بعد مرات قال : يا أستاذ ، أردت اختبارك ! وأخذ يعتذر ويمدحه ، فقال أبو عثمان : لا تمدحني على خلقٍ تجد مثله مع الكلاب ؛ الكلب إذا دُعِيَ حَضَرَ ، وإذا زُجِرَ انزجر !

١٣ . وقيل : إن أبا عثمان رحمه الله اجتاز بسكة[٢] وقت الهاجرة ، فألقي عليه من سطح طست[٣] رماد ، فتغير أصحابه ، وبسطوا ألسنتهم في المُلقي ، فقال أبو عثمان : لا تقولوا شيئاً ، من استحقَّ أن يصبّ عليه النار ، فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب !

١٤ . وقيل : نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة رحمه الله ، فكان جعفر يخدمه جداً ، والفقير يقول : نِعْمَ الرجل أنت لو لم تكن يهوديّاً ![٤] فقال جعفر : عقيدتي لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة ؛ فسل لنفسك الشفاء[٥] ولي الهداية .

---

(١) وافى : أي : جاء .
(٢) السِّكة هي الطريق المستوي .
(٣) الطست نوع من أنواع الأواني .
(٤) لعل الفقير ظنه يهوديا ، و جعفر رحمه الله من تواضعه لم يبين له حقيقة عقيدته .
(٥) لعله كان مريضاً .

١٥ . وقيل : كان لعبد الله الخياط ﷺ حَرِّيف مجوسي[١] ، يخيط له ثياباً ، ويدفع إليه دراهم زيوفاً ، وكان عبد الله يأخذها ، فاتفق أنه قام من حانوته يوماً لشغل ، فجاء بالدراهم الزيوف ، فدفعها إلى تلميذه ، فلم يقبلها ، فدفع إليه الصحاح ، فلما رجع عبد الله قال لتلميذه : أين قميص المجوسي ؟ فذكر له القصة ،فقال : بئس ما عملت ؟ إنه منذ مدة يعاملني بمثلها ، وأنا أصبر عليه ، وألقيها في بئر ، لئلا يغر بها غيري .

الفصل الخامس : الزهد في الدنيا

معنى الزهد :

اعلم أن حقيقة الزهد هي فراغُ القلب مما سوى الرب تعالى ، و نسيانه الأسبابَ ونفض الأيدي من الأملاك ، وهو قَصْر الأمل و خلو القلب عما خلت منه اليد ، ويورث السخاء بالمِلك ، كما يورث الحب السخاء بالروح .

ولا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال : **عملٌ بلا علاقة** ؛ فلا يتعلّق بعمله بل يعلّق قلبه بالتوكل على الله تعالى وما عمله إلا أخذ بأسبابٍ أمره الله تعالى بالأخذ بها ، **وقول بلا طمع** ؛ بأن لا يبغي من كلامه الطمع فيما عند الناس ، **وعزٌّ بلا رياسة** ؛ فمهما أعزّه الله تعالى وأعلى شأنه يرى نفسه دون كل جليس يجالسه ولا يترأس على الخلق ولا يتعالى عليهم .

واعلم أن حب الدنيا مذموم في كل الشرائع وهو رأس كل خطيئة ، وسبب كل فتنة ، فعلى العبد أن يزهد في الدنيا وأن يخرج من قلبه حب الجاه ، فإن حب الجاه أضر على صاحبه من حب المال وهما دالان على حب الدنيا وهي عدوة للإنسان .

---

(١) الحَرّيف : الشخص الذي يُكثر المعاملة معه من بيع وشراء .

حقارة الدنيا توجب على العاقل الزهد فيها :

واعلم أن أهل الله كشفوا حقيقة الدنيا وعرفوا خسّتها ، فلم ينظروا إليها ولم يتعلقوا بها ، روي أن سيدنا عليا ﷺ دخل على المقابر يوما وقال : يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تخبروننا بأخباركم او نخبركم ؟ فسمع صوتا يقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، أخبرنا بما كان بعدنا ، فقال : أما أزواجكم فقد تزوجت ، وأما أموالكم فقد قسمت ، وأما الأولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى ، وأما البناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم فهذه أخبار ما عندنا ، فما أخبار ما عندكم ؟ فقال : قد تخرقت الأكفان ، وانتشرت الشعور وتقطعت الجلود ، وسالت الأحداق على الخدود ، وسالت المناخير بالقيح والصديد ، ما قدمناه وجدناه ، وما خلفناه خسرناه ، ونحن مرتهنون بالأعمال .

وقال الفضيل بن عياض ﷺ : لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي ولا أحاسب بها لكنت أتقذّرها كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه !

وقيل لإبراهيم بن أدهم ﷺ : إن اللحم قد غلا ! فقال : أَرْخِصوه ! أي لا تشتروه !

وقرّر أهل الطريق أن من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، وحين سئل ابو الحسين الحواري ﷺ عن الزهد قال : النَّظَرُ إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تَعزّزا ، وتَطَرُّفاً وتَشَرُّفاً .

وقد قال السيد الشريف قطب العارفين السيد أحمد الحسيني في « العقد النفيس » : قال الله تعالى لموسى عليه السلام : إذا رأيت الفقر قد أقبل فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الدنيا قد أقبلت فقل هذا ذنب عجلت عقوبته ، وورد في الحديث « القناعة كنز لا يفنى »قال أحد الصالحين : إن القناعة عندنا أن لا يميز الإنسان بين خبز شعير ناضج وبين غير ناضج حين وجده ، وأن يأكل منه أيضا ما يقدر به أن يحرك يديه ورجليه للصلاة .

لقد كان السلف الصالح يرون أن الأحمق من مات ولده وجعل يبكي عليه ولا يبكي على ما فاته من الله عز وجل ، كأنه يقول أنا أبكي على ما كان يشغلني عن ربي ، بل كان ينبغي له الفرح بذلك ويقبل على مولاه ؛ لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه تعالى ، فإن الولد والزوجة والخادم والصديق لا يبكون عليك إذا مت ؛ بل يبكون على ما فاتهم منك ، فسابقهم أنت بالبكاء وقل : يحق لي أن أبكي على فوات حظي من ربي قبل أن يبكوا علي ! .

إن من أراد الله أن يتخذه وليا كرّه إليه الدنيا ، وقد روي في الخبر : « ما دخلت الدنيا بين قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء »

وإن الدنيا لا تَزِن عند الله تعالى جناح بعوضة ، ومن فهم هذا المثال لم يمدح أهل الله تعالى إذا زهدوا في الدنيا ؛ لأن ما زهد فيه جميع الزاهدين مما خصّهم من الجناح شيء لا يرى بالبصر لصغره ، وكلَّ من مَدَحَ من أُعطي ذلك الزهد فقد عظّم الدنيا ، وكأنّ خُدَّام الحضرة الإلهية يقولون : لا نُمَكِّن أحداً يُحِب الدنيا أن يدخل إلى حضرة الحق تعالى إلا إن رمى ما معه من جناح البعوضة وداسه بنعله ، فما تجرَّأ أحد منهم أن يفعل ذلك !

وقد قال الإمام الشعراني ﵁ :أخذ علينا العهود أن نرى حقارة هذه الدنيا الدنيئة ، ونسعى في عمارة الدار الباقية ، ولا يخفى عليك أيها الأخ المحبوب ، والخليلُ المرغوب : أنَّ الأنفاس معدودة لا تزيد ولا تنقص ، وهذه الدار مزرعة الآخرة ، وأن مَن تعطَّل في أيام الزراعة يندم أيام الحصاد ، وقد قال تعالى﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ « النجم ٣٩ » وقال تعالى أيضاً في حق الرزق والنفقة ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ « هود ٦ » ، فالسعي والاجتهاد في طلب ما ضمن الله تعالى ، والتعطيلُ والفتورُ في طلب ما وُكِل إلينا من أعظم الحماقة وتَيقَّن أنَّ مَثَل مَن يهتم بأمر النفس كمن يُربِّي حيَّة تقتله ، ومثل من أقبل على الدنيا بالإدبار عن أمور الآخرة كمثل كلب أكبَّ على الجيفة المُنْتِنَة .

حقيقة الزهد :

وقد فهم السلف الصالح حقيقة الزهد في الدنيا ، واعتبروه درجات روي أنه سُئِلَ أبو يزيد البسطامي ﷺ عن ابتدائه وزهده فقال : ليس للزهد منزلة . فقيل له : لماذا ؟ فقال : لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد ، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه ، اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها ، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله !

ليس الزهد أن لا تمسك الدنيا ، ولكن أن تمسكها بيدك وتخرجها من قلبك ، هكذا فهم الصالحون حقيقة الزهد ، وكانوا يقولون : أبق لك أيها المريد شيئا من الدنيا يكفُّك عن سؤال الناس ولا تسرف في ترك الدنيا بالكلية .

و قال الشعراني ﷺ :أخذ علينا العهد أن لا نزهد في الدنيا لنعيم الترك ؛ وإنما يكون زهدنا كزهد العارفين ، فنعلق القلب بمحبة ربنا وحده ونمسك الدنيا بحذافيرها بعد ذلك ، وذلك لأن الله عز وجل قد امتن علينا بأنه سخر لنا ما في السموات وما في الأرض ولولا حاجتنا إلى كل شيء فيهما ما صح وجه الامتنان !

ولذلك كانوا يكثرون من التنبيه على خطورة إمساك شيء من الدنيا في قلب العبد ، ويحذّرون السالكين اشدّ التحذير من عواقب حب الدنيا ، ومن بديع أقوالهم في ذلك :

قال أبو الحسن علي بن المزين ﷺ : لو زَكَّيْتُمْ[1] رجلا حتى جعلتموه صديقا لا يعبأ الله به وهو يساكن الدنيا بقلبه ، والله ما هلك من هلك من أهل الطريق إلا من حلاوة الغنى في نفوسهم .

وقال الشاذليّ ﷺ : ولا يحبه الحق تعالى حتى يبغض الدنيا وأهلها ويزهد في نعيم الدارين ، وكل من أحب الدنيا فالله تعالى يكرهه فيجب على المريد أن يرمي الدنيا من يده ومن قلبه

(١) زكيتم أي : مدحتم .

وقال أبو الربيع الواسطي رحمه الله : قلت لداوود : أوصني ، فقال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفرّ من الناس كفرارك من السبع .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : تورّع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك .

طريق المسلم في محبة الدنيا :

لقد جبل الله تعالى النفوس على حب الولد والزوجة والجاه والمال ، ولئلا يقع السالك في المحذور من التعلق بالدنيا ، بيَّن لنا العلماءُ الطريق المشروع لمحبة هذه الأشياء ، فقال الإمام الشعراني قدس سره : اعلم يا أخي أن بيت الفتنة أربعة أمور : النساء والجاه والمال والولد ، **فأما محبة النساء** فطريقك يا أخي أن تحبهن بتحبيب الله لكونهن بعضَك ، فإنهن خُلِقْنَ منك فإذا أحببتهن فكأنك ما أحببت إلا نفسك ، ويؤيد ذلك حديث : (ابْدَأْ بِنَفْسِك) ، لا سيما والنساء محل الانفعال والتكوين والتوالد وما ظهر ملك الحق تعالى وظهرت أحكامه إلا بذلك ، فمن أحب النساء هكذا فقد أحبهن لله لا لنفسه وكانت محبته لهن نعمة من الله عليه ، لا نِقمة ؛ لأنهن رددنه إلى الله تعالى وإلى محبته ، فإن حبه لهن قد رجع إلى الله ؛ لكونهن مظهرا لظهور كمال الحق تعالى في الوجود لا لغيره ، وإلى ذلك الإشارة : « حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم النساء » وتسمى هذه المحبّةَ المطلقة ، ولنا محبة أخرى مقيدة وهي محمودة أيضاً مثل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة ، أو لأبي بكر رضي الله عنه ، وإنما كانت مقيدة لأنها إنما حصلت من أجل المناسبة الروحانية بين الشخصين في أصل النشأة ، والمزاج الطبيعي والنظر الروحي ولذلك كانت لا تزول ولا تتغيّر دنيا ولا أخرى .

وأما محبة الجاه : فسبب تأخر خروجها من رؤوس الصديقين عن سائر الصفات المذمومة ؛ كون النفوس كثيرة التعشق لها ، فإن الله إذا اعتنى بعبد لم يزل يخرج من نفسه الصفات المذمومة التي يدعيها لنفسه فإذا انتهى ذلك

الخروج وعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلم من قبل من الدعوى لأوصاف الحق أحب الرياسة حينئذ لكونها من أوصاف ربه لا فخرا وتكبرا على الخلق

وأما محبة المال فإن العارف كذلك يقلبها لله تعالى ، ولا بد لهم من حب المال كما قلنا في الرياسة ، من حيث أن ذلك مركوز في أصل الجبلة ، ونظروا في حديث « إن الصدقة تقع بيد الرحمن » ، فأحبوا ذلك المال حتى يتصدقوا به

وأما محبة الولد ، فقد جعل الله تعالى الولدَ من أعظم ما يمتحن الله به عباده ، لينظر هل تحجب الوالدَ المحبةُ لولده عن إقامة الحدود التي قدّرها الله تعالى على ولده من غير رأفة عليه أم لا ؟ ! فمن أعظم الامتحان جَعْلُ الحق تعالى الولدَ في صورة خارجة عن الأب كالأجنبي عنه ، وما هو أجنبي ، كما أشار رسول الله ﷺ بقوله : « وَأَيْمُ الله[1] لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فقد علمت من هذا التقرير أن كل من راعى هذه الفتن الأربع فلا خوف عليه من الدخول في الدنيا ، فإياك يا أخي أن تظن بأحد من الأولياء الذين دخلوا في الدنيا أن ذلك محبة في ذاتها قياسا عليك ، فإن ذلك سوء أدب في حقهم .

ميزان نفيس :

إذا علمت ذلك فامتحن نفسك يا أخي بقوله تعالى ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ « الأعلى ١٧ » ، وبقوله ﷺ « ما نقص مال من صدقة » وبقوله : « ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاد بها عزا » وقوله : « إن الصدقة قد تضاعَف لصاحبها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة » وقوله : « لو اجتمع الثقلان على أن يَرُدُّوا عن عبد ذرة من رزقه ما استطاعوا » فإن وجدت نفسك منشرحة عند صرف الدنيا عنك مُحِبَّة لمن عارضك في وصول رزقك الذي زعمت أنه لك فأنت مؤمن بذلك .

---

(١) بمعنى والله ، وهو صيغة من صيغ القسم .

وأعلِّمك ميزانا تطيش على الذرّ[1] تفرّق بها بين الدنيا والآخرة : وهو أن تعلم أن كل ما حصل بواسطته تكدير من الناس مما يتنازع الناس فيه ويتنافسون عليه ، فهو معدود من الدنيا التي أمر الشارع بالزهد فيها ، فإن أعمال الآخرة التي لا يخالطها دنيا لا نزاع فيها ، كصيام النهار وقيام الليل وكثرة الصدقات وحفر الآبار وعمارة الأَسْبِلَة[2] ونحو ذلك ، وما رأينا قط أحداً زاحمه أحدٌ فيما ذكرناه ، بخلاف التدريس والمشيخة ؛ وغيرهما مما في نظيره معلوم أو هدايا أو نشر صيت ، ونحو ذلك فافهم ، وقد سمع أحدهم بعض الرهبان يقول لخادم الكنيسة : أنت قليل الدين فاتر الهمة عن الخير كأنك تريد تطلب على ذلك شيئاً من الدنيا كالمسلمين !

وكان ﷺ يستحي أن يطلب حقه المتفق عليه بعد عمله ، ولما رعى الغنم مع رجل وانتهت المدة قال له الرجل : يا محمد طالب لنا خديجة بحقنا ، فقال ﷺ : « أنا أستحي من ذلك ! »

ينبغي للعلماء أن يكونوا راغبين عن الدنيا ، ومحرَّرين من أسر حُبِّ الجاه والرياسة ، وطمع المال والرفعة ؛ فهم حينئذ من علماء الآخرة ، وورثةُ الأنبياء ، وهم الذين يوزن مدادهم يَوم القيامة بدم الشهداء في سبيل الله ، فيترجَّحُ مدادهم ، ويكون قول القائل : « نوم العالم عبادةٌ » متحققاً في حقِّهم ، وهم الذين استحسن في نظرهم جمال الآخرة ونضارتها ، وظهرت قباحةُ الدنيا وشَنَاعَتُها ، فنظروا إلى الآخرة بنظر البقاء ، ورأوا الدنيا متَّسمة بسَمْت الزوال والفناء ، فلا جرم هَرَبوا من الفاني وأقبلوا على الباقي ؛ لأن الدنيا والآخرة ضرتان ؛ إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ، فإن كانت الدنيا عزيزة ؛ فالآخرة حقيرة ، وإن كانت الدنيا حقيرة ؛ فالآخرة عزيزة ، وجمع هذين الأمرين من قبيل جمع الأضداد .

---

(١) ميزان تطيش على الذر أي : ميزان دقيق بالغ الدقة .
(٢) الأسبلة جمع سبيل وهو كل ما كان في سبيل الله .

زهد النبي ﷺ :

وقد كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا ، وأبعدهم عنها ، وقد عرض الحق عليه ﷺ أن يُسَيِّرَ معه جبال تِهامة ذهبا وفضة وزمردا فقال : « لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما » ، وقال ﷺ : « ما يَسُرُّني أن عندِي مثل أحد ذهبا تمضي عليه ثلاثة أيام وعندي منه درهم واحد إلا درهما أَرْصده لدين » فقد كان ﷺ لا يحب أن يمسك من الدنيا شيئاً ، ولو أنه ملك مثل جبل أحد ذهباً فإنه يفرِّقه على المسلمين ولا يترك منه إلا ما يقضي به دَينه .

ونبه المسلمين إلى حقيقة المحبة ، وأن كمال الإيمان لا يتم إلا إن تُوِّج القلب بمحبته ﷺ ، وجُعِلَ حبه فوق حب كل حبيب ، فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين »

وبين للمسلمين أن الحرص على الدنيا لا يزيد صاحبه إلا ذلا ونهماً ، ولا يمكن أن يشبع طالب الدنيا منها مهما أوتي ، فقال ﷺ :« لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ، ولو أن له ثالثا لابتغى رابعا ، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب » !

وزيادة على ذلك ، فقد أحبّ النبي ﷺ أن يكون المسلم عفيف النفس ، ينظر إلى الدنيا بعين الرفعة والعزّة ، فقال ﷺ : « إن الصدقة أوساخ الناس وغُسالة ذنوبهم » ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى ضرورة كون النفس المؤمنة نفساً عزيزةً كريمةً عفيفةً عما في أيدي الناس لا تظهر فقرها وحاجتها إلا لله تعالى وحده .

بل وعلّم ﷺ المؤمنين أن الزهد باب المحبة لدى الله تعالى ، ولدى الناس فإن الناس لا يحبون الشخص الطامع بما في أيديهم ، فقال ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ،وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » .

ولذا قال العلماء :إذا أردت يا أخي قضاء حوائج الخلق عند الحكام وغيرهم فازهد في الدنيا ولا تجعل لك في ديوان صدقتهم وهداياهم اسما ، فإني أضمن لك التعظيم في قلوبهم والهيبة عند كل من يراك .

لقد قرّر الحق تعالى قاعدة عامة في الزهد حين قال : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ « الأحزاب ٤ » ،وبهذا يتأكد أن حب الدنيا لا يمكن أن يجتمع أبداً في قلب العبد مع حب الله تعالى وطلب رضوانه .

من ثمرات الزهد :

اعلم أن من زهد في الدنيا جعل الله تعالى غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، وما أحسن ما قال أحد الصالحين في مناجته : إلهي ما وجد من فقدك وما فقد من وجدك ، لقد خاب من رضي دونك بدلا ، ولقد خسر من بغى عنك متحولا

وقد رأى شخصٌ إبراهيم ابن أدهم وهو يرقع ثوبه فقيل له : ما عوضك الله يا إبراهيم عن ملك بلخ ؟ قال : شيء لا يصل إليه عقلك ، ولكن أظهر لك شيئا مما تفهمه ، فرمى بإبرته إلى البحر ودعا الله تعالى أن يردها عليه ، فإذا بحيتانٍ و كل حوت في فمه إبرة من ذهب فقال : يارب ما أردت إلا إبرتي ، والتفت إلى ذلك الشخص وقال : هذا مما أعطاني مما تفهمه !

الفصل السادس : الصدق

معنى الصدق :

إنَّ الصدق عماد أمر السالك ونظامه وتمامه وهو تالي درجات النبوة ، وأقلّ الصدق استواء السر والعلانية ، والصدّيق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، و إنَّ الصدق هو موافقة الحق[1] في السر والعلانية ، و الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قَدْر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب اطِّلاعَ الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ، ولا يكره أن يَطلع الناس على السيء من عمله .

(١) لعل المقصود بالحق هنا تقيض الباطل .

وقال الإمام الجنيد ﵁ : الصدق أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب ، و الكذب : كلام مردود عند الشرع مذموم عند الطبع .

فضل الصدق :

إن اللسان هو قيمة الإنسان فمن قوّمه زادت قيمته ، وحسبنا في بيان فضل الصدق حديث النبي ﷺ حين قال : « دع ما يَريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طُمَأْنينة والكذب ريبة » ، وقال ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار » .

وقيل للقمان ﵀ : ما الذي بلغ بك إلى هذه المرتبة ؟ فقال : صدق الحديث وترك ما لا يعني .

وقد اتفق العلماء على أن النجاة في الصدق ، حتى ولو كان في ظاهره جلب المتاعب ، فقالوا : عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك .

ومهما ظنّ التاجر أن بالكذب ينفق بضاعته فإنه موهوم ، فقد جاء في الأثر : « ما أَمْلَق[١] تاجرٌ صَدوقٌ » .

ضرر الكذب :

وقد حذّر النبي ﷺ من الكذب تحذيرا شديداً ، وبين أن كل الخصال قد توجد في المسلم ، إلا الكذب فإن المسلم لا يكذب ، وقد سأل أبو الدرداء ﵁ النبي ﷺ :يا رسول الله هل يسرق المؤمن ؟ فقال ﷺ : قد يكون ذلك ، فقال : هل يزني المؤمن ؟ قال ﷺ : بلى وإن كره أبو الدرداء ، فقال : هل يكذب المؤمن ؟ فقال ﷺ : إنما يفتري الكذب من لا يؤمن » وفي رواية : « لا إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون »

(١) أَمْلَقَ أي : افْتَقَرَ .

وخصّ ﷺ بالتحذير الذين يفترون الكذب ليضحكوا به الناس في مجالسهم ، قال ﷺ : « ويل للذي يحدث الحديث يضحك به القوم فيكذب ، ويل له ويل له . »

وبيّن أن الكذب الجائز منحصر في ثلاثة مواضع ، وهي : الحرب ؛ لأن الحرب خدعة ، والرجل يصلح به بين اثنين ، والرجل يصلح به بينه وبين امرأته .

ولا ريب بأن الكذب باب الآثام كلها ، وهو من أخطر الخصال وأقبحها ، روي أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال له : ابتليت بثلاث من المعاصي لا أصبر عنهن : الكذب والزنا وشرب الخمر ، فقال ﷺ أما الكذب فدعه ، فغاب الرجل فاستقبله الزنا ، فقال في نفسه أرتكب الزنا ثم يسألني النبي ﷺ هل زنيت ؟ فإن قلت نعم ضربني الحد ، وإن قلت لا نقضت العهد ، فترك الزنا ، ثم استقبل شرب الخمر فتأمل وقال مثل ذلك ، وتركه فعلم أن الكذب أصل المعاصي كلها !

وقال محمد بن الهروي رحمه الله : أعظم المصائب خصلتان : ترك الصدق مع عرفان ثوابه ، والإقامة على الكذب مع عرفان عقابه !

كلمات في الصدق :

وقد قيل في الصدق وعظمته كلام نفيس ، من ذلك :

١ . كان شقيق البلخي رحمه الله يقول : مثل المريد الصادق مثل رجل غرس نخلا وهو يخاف أن تطرح شوكا ، ومثل المريد الكاذب مثل رجل غرس شوكا وهو يطلب أن تحمل له رُطَباً .

٢ . وسئل أبو الفتح الموصلي رحمه الله عن الصدق ، فأدخل يده في كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق .

٣ . وقيل : الصادق هو الذي يتهيأ للموت ولا يستحي من سره لو كشف ، قال تعالى : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ « الجمعة ٦ » ،

فلو كان العبد صادقا في استعداده للموت لما أزعجه قدومه في أي وقت أتاه ، لعدم وجود ما يستحي من عرضه على الله تعالى .

٤ . و قال ذو النون ﷺ : الصدق سيف الله ، ما وضع على شيء إلا قطعه .

٥ . وقيل : من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت ، فقيل وما الفرض الدائم ؟ قال : الصدق .

٦ . وقيل : علامة الكذاب جوده باليمين بغير مُسْتَحْلِف .

٧ . وقيل : لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره .

٨ . وقيل في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ « التوبة ١١٩ » : يا أيها الذين آمنوا من أهل الكتاب كونوا مع الصادقين المسلمين ، أي استديموا الإيمان في الدنيا بالصدق تكونوا غدا مع الصادقين فى الجنة .

٩ . ويقال : الصدق نهاية الأحوال ، وهو استواء السّرّ والعلانية ، وذلك عزيز .

والصدق كما يكون فى الأقوال يكون فى الأحوال ، وهو أتمّ أقسامه .

الفصل السابع : الصبر وترك الانتصار لحظ النفس

حقيقة الصبر :

وأما الصبر فهو التَّجَلُّد[١] وحسن الاحتمال ، وترك الشكوى وضبط النفس وكظم الغيظ والشجاعة وسعة الصدر ، و قال ذو النون ﷺ : الصبر هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ، والاستعانة بالله تعالى ، وعلامة الصبر أن يكون العبد بين أصحابه ولا تُفَرِّق بينهم وبينه وهو في غمرة البلاء ، وقيل : علامته أن تستوي عنده النعمة والنقمة .

(١) التجلّد هو التّقَوّي .

فضل الصبر وثوابه :

لقد خصّ الله تعالى الصابرين بأجر عظيم فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ « الزمر ١٠ » ، وأمر نبيه ﷺ بالصبر الجميل فقال : ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ « المعارج ٥ » ، و الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة في القوم ولا يدري أحدٌ من هو ، وأمر المؤمنين بالصبر مع النفس والمصابرة مع الخلق فقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾ « آل عمران ٢٠٠ » ، وبيّن الحق تعالى أن الصبر لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى العبدَ إليه ، فقال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ .

وبيّن رسول الله ﷺ فضيلة الصبر بقوله : « الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله » ، و قال ﷺ : « الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب » ، و قال ﷺ : « نعم سلاح المؤمن الصبر والدعاء » و قال ﷺ : « أفضل العبادة انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ » ، وقال علي كرم الله وجهه : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

من جميل ما قيل في الصبر :

وقد نقلت عن العلماء كلمات في بيان فضل الصبر وحقيقته ، أحببنا أن نسوق لك بعضا منها :

١ . قال الجنيد قدس سره : الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس

٢ . وقال ابن عطاء الله قدس سره : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

٣ . وقيل : الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية .

٤ . وقال الخوَّاص قدس سره : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

٥ . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الصبر مطية لا تكبو .

٦ .أنواع الصبر :

وللصبر أنواع كثيرة ، منها :

الصبر على النفس : وقد كان الشيخ الشاذلي ﷷ يقول : من أراد أن يهجر أحدا من إخوان السوء فليبدأ بنفسه وليهجر أخلاقها السيئة فإن نفسه أقرب الأقربين إليه والأقربون أولى بالمعروف

ومنها الصبر على البلاء : بأن لا تعترض على التقدير ، فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر ، قال عمر ؓ : لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت ، وسئل رسول الله ﷺعن الإيمان فقال : « الصبر والسماحة » .

ومنها الصبر على المعسر(١) : قال ﷺ : « الصبر على المعسر صدقة يدفع الله بها سبعين بابا من البلاء عن نفسه وولده وماله » .

ومنها الصبر على أذى الناس : وهو باب عظيم من أبواب الصبر تحدث عنه العلماء وبين أهميته أهل التصوف لمكانه العظيم في الطريق إلى الله تعالى .

فضل الصبر على أذى الناس :

اعلم ان الواجب على المريد أن يحسن ظنه بأخيه ، و مادام المريد يسيء الظن بأحد من الخلق فهو دليل على نجاسة باطنه ، ومتى انتصر المريد لنفسه وأجاب عنها فاعلموا أن الله تعالى لم يُرِدْ أن يؤهِّله لأن يكون من أهل حضرته ، ولقد كان التابعون يُؤذَون ويُظْلَمُون ، وما أقل استعجالهم ودعاءهم على الظالمين لمعرفتهم بالله رب العالمين ، وإن دعا منهم داع فبإذن من الله لا عن ضيق وسخط ، قال الشاذلي ﷷ : هممت أن أدعو على ظالم فنوزعت في ذلك فرأيت أستاذي ﷷ يقول : إن تشأ إهلاك ظالم فلا تستعجل ، فالاستعجال بالإهلاك للأعداء وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية ، ومن أظلم ممن

(١) المُعْسِر هو المدين الذي لا يجد ما يسدّ به دينه .

ينازع إرادة مولاه ويتَّبِع شهوة نفسه وهواه ، ومن المعلوم أنه إذا انتصر الفقير لنفسه وأجاب عنها فهو والتراب سواء ، وأن من أجاب عن نفسه فقد هلك مع الهالكين ، ومن رضي عنها فقد خسر خسراناً مبيناً .

فإذا كان كذلك وكثرَ من يريد الاختلافات ويوقع الخلافات ، فالمرجو منكم مسامحة أولئك الحسدة الذين يبارزونكم ، وأن تتركوهم سدى ؛ تحذيراً للأولياء من مسِّ أنفاس الظلمة المبتدعين(١) ، الذين يَظُنُّون أنَّهم في عداد الأذكياء ، ويقدحون بأفهامهم الفاسدة فيما لايفهمون ، ويخوضون بقلَّة تقواهم فيما لا يعلمون ؛ لاهم وقفوا عند نصِّ القرآن ، ولاهم امتثلوا ماروي عن سيد ولد عدنان ﷺ ، ولاهم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحقِّ والعرفان .

والمقصود الصبر ، وتوكيل الأمر إلى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا بدَّ لكلِّ موسى من فرعونٍ ، ولكن الله غالبٌ على أمره .

حاجة الناس إلى الصبر على الأذى :

اعلم يا بنيّ أنه ينبغي الاعتناء في هذه الأزمنة بضرورة الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنَّى بقلبه ، أو أراد تحريكَ الشرِّ منه على الناس سلَّطهم الله تعالى عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ، وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العافية من تحريك شرِّ الناس وفتنتهم ، فإن تحرَّك عليه مِن غير سبب منه ! فالوجهُ الأعلى الذي تقتضيه رسومُ العلم مقابلَتُهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر ! فبالصفح والعفو عنهم إطفاءاً لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر ! فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، ولا يتحرَّك في شيء من إذايتهم ، وإن اشتعلت عليه نيرانُ شرهم ! فليدافع بالتي هي أحسن بلين ورفق ، فإن لم

---

(١) مسّ أنفاس الظلمة اي : ترديد أقوالهم أو الرد عليها ، وقد قيل في المحدّثين :

أهلُ الحديث همُ صحب النبي وإن لم يصحبوا نفسَه أنفاسَه صحبوا .

يقدر ! فعليه بالخروج إن قدر ، والهرب عن مكانه ، فإن عوَّقت العوائقُ عن الارتحال ؛ ولم يجد قدرة فليدافع بالأقلِّ فالأقل من الاذايَة ، فليفعل ذلك ظاهراً ، وليكثر التضرُّع إلى الله تعالى والابتهال سرّاً في دفع شرِّهم عنه مداوماً على ذلك حتَّى يفرِّج الله تعالى عنه ، فإنَّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسومُ العلم .

والحذر الحذر لمن تحرَّك عليه شرُّ الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشرِّ لمقتضى حرارة طبعه ، وظلمة جهله ، وعزَّة نفسه ، فإن المبادر للشرِّ بهذا ؛ وإن كان مظلوماً فاضَتْ عليه بحورُ الشرِّ من الخلق يستحقُّ بها الهلاك في الدنيا والآخرة ، وَتِلْكَ عقوبته لإعراضه عن جناب الله تعالى أولاً ، فإنه لو فزع إلى الله تعالى بالتضرُّع والشكاية ، واعترف بعجزه وضعفه لَدَفع الله تعالى عنه ضرر الخلق بلا سبب ، أو بسبب لا تعب فيه ، أو يشغلهم الله تعالى بشاغل يعجزون عنه ، فإمَّا أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم ، والصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر ؛ حتى يَرِدَ عليه الفَرَجُ من الله تعالى ، فيكون مثاباً دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا ! فبحمد العاقبة وظهور تَصَبُّرِه في الخلق على قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة ! فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعد الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾« الأعراف ١٣٧ » ، وقال تعالى ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ « النحل ١٢٦ » إلى غير ذلك من الآيات ، ولعَدَم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً ، وَوَقَعُوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة ، إلاّ مَن حفَّتهم عنايةٌ عظيمة من الله تعالى ، فإن العامَّة لا يرون في تحريك الشرّ عليهم إلاّ صورة الشخص الذي حرَّكه عليهم ؛ لغَيبتهم عن ذكر الله تعالى ، وعن غالب حِكَمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم ، فَطَالَتْ عليهم مكابدةُ الشرور ، وحُبسوا

في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإنَّ الكيِّسَ العاقل إذا نُصب عليه الشرُّ من الناس ؛ رآه تجلَّياً إلهيّاً لا قدرةَ لأحدٍ على مقاومته إلا بتأييد إلهي ، فكان مقتضى ما دلَّه عليه علمُه وعقلُه الرجوعُ إلى الله تعالى بالهرب والالتجاء إليه ، وتتابع التضرُّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصماً بالله تعالى في مقابلة خلقه ، فلا شكَّ أنَّ هذا تدْفع عنه الشرور بلا تعب منه ، ولو التهَبَتْ عليه نيرانُ الشرِّ من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه ؛ لاعتصامه بالله تعالى ، فإن مَن تعلَّق بالله تعالى لا يقوى عليه شيءٌ .

وهذا الباب الذي ذكرناه **كلُّ الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت** ، فمن أدام السيرَ على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة ، ومن فارقه وكَّلَه الله تعالى إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله ، فهلك كلَّ الهلاك في عاجله وآجله ، فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس ، هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أوَّل مرة فاعمل على ذلك ، فإنه الكبريت الأحمر ، والفرج القريب ، والمعين على ذلك الصبرُ .

ما يعين على الصبر :

ولقد دلّنا النبي ﷺ على بعض الأذكار والأدعية التي تعين المسلم على الصبر في حياته ، فقال ﷺ : « من قال عشر كلمات عند كل صلاة غداة وجد الله عنده مكفياً وعليه راضياً ؛ خمساً للدنيا ، وخمساً للآخرة ، حسبي الله لديني ، حسبي الله لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى عليَّ ، حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عند الموت ، حسبي الله عند المسألة في القبر ، حسبي الله عند الميزان ، حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم وإليه أنيب » .

وقال ﷺ راويا عن ربه تعالى في الحديث القدسي : « وعزتي وجلالي لا ينتصر بي عبدٌ من عبيدي أعلم ذلك من قلبه يقينا ، فيكيده أهل السّموات وأهل

الأرض إلا نصرته عليه » وعن أنس ﷺ قال : كان أكثر دعاء النبيّ ﷺ « اللهم آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، وقال رسول الله ﷺ « من قرأ آية الكرسيّ وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عزّ وجلّ » ، و قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه ، كلمة أخي يونس ﷺ ؛ فنادى في الظلمات أن : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وقال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دعا ربّه وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين . لم يدع رجُلٌ مسلم في شيء قط إلاّ استجاب له » .

إِنْ الحُكْمُ إلّا لله :

اعلم أنَّ الأمر كله لله تعالى وحده ، وما الخلق إلا صورٌ يحرّكها الحق كيفما يشاء ، وإن من تنبّه إلى هذه الحقيقة لم يغضب من عبدٍ على فعلٍ فعله به ، لعلمه أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى لا سواه ، وقال القطب الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس سره في « المنن الكبرى » : وممّا أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ مبادرتي لإقامة العذر لمن آذاني دون اللوم عليه وَمُقابلته بنظير فعله ، وَذلك لعلمي بأنه ما آذاني بقول أو فعل إلا بإرادة الله تعالى بعد تقدّم وقوعي في ذنب يوجب ذلك ، وكان مَطْمَحُ بصَري حضرة الإرادة الإلهية دون حضرات الخلق ، ومن كان هذا مشهده لا يصحّ منه تكدُّر ممّن أذاه ، ولا سَخَطٌ على مقدّرٍ من مقدّرات الحق تبارك وتعالى ، فأمّا عدم تكدّره من الخلق فلكونه يشهدُ أنّ الخلق كلهم لا يتحركون ولا يسكنون إلا وهم تحت الإرادة الإلهيّة ، فهم كالسوط الذي يضرب به الضارب أحداً ظلماً ، فالعاقل لا يترك إضافة الضرب للفاعل الحقيقي ويضيفَ ذلك إلى السوط ، وأمّا عدم سخطه على شيء من مقدَّرات الحق ؛ فلكونه يشهد أن ذلك فعل حكيم عليم أرحم به من والدته على الكشف والشهود .

فعلم أنه لا يصحّ التكدُّر من عبد آذاه أحد إلاّ إن كان مشهده أن ذلك من فعل الخلق ، وتأمّل يا أخي إذا وقع العبد في معصية وهُتِكَ بين الناس ، كيف يجد قلبه قد تفتت من القهر وشدة الندم ؟ ! فإذا شهد أن ذلك كلّه كان بتقدير الله عليه قبل أن يخلق يخفُّ عليه ذلك الألم .

وكذلك فاز من شهد أنّه لا فاعل حقيقة في الدارين إلا الله جل وعلا ، فإنه يتنعّم بكلّ فعل وقع له ؛ كالحكم في حال زبانية جهنّم يوم القيامة حين يكشف الغطاء عن كلّ عاصٍ لا يضيف إليهم أحدٌ فعلاً ، ولا يسمّيهم ظَلَمَة كما في الدنيا أبداً ، بل يراهم كالمجبورين ، فالكامل يرى جميعَ مَنْ ظَلمه في دَار الدنيا تحت القضاء والقدر ، ولا يضيف إليهم ظلماً قطُّ إلا بقدر نسبة التكليف لا غير(١) .

وقال الإمام الشعراني ﵁ أيضا : وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ عدم إتعاب سرّي في تدبير حيلة تؤذي من أذاني بقول أو فعل كما يقع فيه كثير من الناس ، فربما سهر أحدهم الليلة كاملة يدبّر في الحيل التي تؤذي عدوّه .

ثم لا يخفى عليك يا أخي أنّ أقبح شيء يقع فيه العالم أو الصالح مُقابَلته بالأذى لمَنْ يؤذيه ، أو يكشف سوأته للناس ولو بحق فضلا عن الزّور والبُهتان ، فإن الله تعالى سَتيرٌ ويحبّ من عباده الستارين ، فكما أنّ الحقّ تبارك وتعالى يرى العيب من عبده ويستره ، فكذلك ينبغي لعبده أن يفعله .

فمن الأدب مع ذلك مسامحة العدوّ فيما فعل ، وسؤال الله تبارك وتعالى أن يعفو عنه ، وكان علي الخواص ﵁ يقول : إذا آذاك إنسان أو نقصك بين الناس ، فخذ ذلك من باب تنبيهات الحقّ لتتفكَّر في ذنوبك ، وتأخذ في التوبة والندم على ما فعلته من الزلات ، وإياك أن تتفكر في نقائص مَن نقصَك .

---

(١) المراد بالتكليف إلزام الله تعالى للعبد ما فيه كلفة ومشقة من فعل المأمورات وترك المنهيّات .

واعلم يا أخي أنك لولا خروجك من حضرة ربّك عزّ وجلّ لَمَا سلّط عليك أحداً ؛ لأنّ من كان في حضرة الحق تبارك وتعالى ، ويَعْلم أنه يراه فليس لأحد من الجنّ والإنس عليه سبيلٌ .

قال الشعراني ﷺ : وممّا أنعم الله تعالى به عليّ مبادرتي إلى إقامة الحجة على نفسي دون الله عزّ وجلّ إذا ظلمني ظالم ، فعلم أن الظالم ما ظلمنا إلا بذنوبنا ، وذلك في الحقيقة جزاءٌ على أعمالنا لا ظلم لنا ، فلو رقَّت حُجُبُنا لرأينا حكم الظلمة في هذه الدار حكم زبانية جهنم على حدّ سواء ، لكن لا بدّ من نسبة الظلم إلى من ظَلَمنا في هذه الدار لأجل نسبة التكليف بخلاف الزبانية ، فإنّهم ليسُوا في دار التكليف .

فمن أراد أن لا ينزل بَلاءٌ ولا يسلّط عليه أحدٌ فليسدّ الباب الذي يدخل منه الجزاء الّذي يسوءه ، وذلك بترك المعاصي جملة[1] .

وقد قالوا : من عقل العاقل إذا أراد أن ينزح حوضاً[2] من الماء المُنْتِن أن يسدّ الميزاب الّذي ينزل ذلك الماء ثم ينزحه ، وإلا فكلّ شيء نزحه نزل من الميزاب بدله ، فليس لمن يدّعي أنه مظلوم دواء أنفع له من كثرة الاستغفار ، وليس لمن أغضب ربّه دواء إلا الاستغفار .

فعُلم أن قول العبد إذا وقع في معصية (أيْش أعمل ، هذا كان مقدّراً عليّ قبل أَنْ أخلق) سوء أدب مع الله تبارك وتعالى لما فيه من رائحة عدم إقامة الحجّة على نفسه .

---

(١) اعلم أن العبد تارة يبتلى بعقوبة مقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها ، وأخرى يبتلى بها تكفيرا وتمحيصا ، وأخرى يبتلى بها لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولي العزم من أهل الحالات والمقامات : فعلامة الابتلاء على وجه العقوبة عدم الصبر عند وقوعها ، والجزع والشكوى إلى الخليقة ، وعلامة الابتلاء تمحيصاً وتكفيراً للسيئات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران ، وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا وطمأنينة النفس .

(٢) نزح الحوض أي : أفرغ ماءه .

وقال الشعراني ﷺ : وممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليّ عدَمُ اشتغالي بمُقابَلة من آذاني ، وتنقيص مَن نقصني ، وإنما اَرْجعُ إلى تفتيش نفسي ، وأكثر من الاستغفار ، والاشتغال بالله عزّ وجلّ ، وشهودي أنّني جالس بين يدَيْه تعالى ، وهو يرى صنيع عبيده فيّ ، ومن كان مشهده هذا حمل أذى الثقلين ، وأيضاً فإني أعلم أن الحق تعالى لا يسلّط الخلق بالأذى على أحد وهو حاضرٌ بين يديه أبداً ، وإنه ما سلّط على أحد بالأذى إلاّ لغفلته عنه ، ولذا قالوا : إذا اشتغل الناس بك فاشتغل أنت بربهم ، فإن بيده زمام أمورهم ، ولا تقابلهم تتعب وتزدد من الأذى .

كثرة الأذى من أشراط الساعة :

واعلم أن النبي ﷺ قد أخبر بأن من علامات الساعة كثرة الأذى وانتشار الظلم بين الناس ، فعليك بالصبر فقد أوصى به النبي ﷺ أصحابه حين استوصوه ، قال رسول الله ﷺ : « للساعة أشراط ، قيل : يا رسول الله ما أشراطها ؟ قال : علوُّ أصوات الفسق في المساجد ، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف ، فقال أعرابيّ : فما تأمرني يا رسول الله ؟ قال : دع ما تنكر وخذ ما تعرف ، و كن جليس بيتك » .

وفي رواية : قيل : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلْتُم[١] ، وأعطوهم ما يطلبون منكم ظلماً منهم ، ولا تطلبوا حقوقكم منهم كرهاً ، وإن لم يعطوا حقوقكم فلا تحاربوهم ، بل اتركوها ، واسألوا الله الثواب على ما يطلبونكم ، لهم ما كسبوا ولكم ما كسبتم » .

(١) عليهم ما حُمِّلوا من إقامة العدل فإن لم يفعلوا فعليهم الوزر ،وعليكم ما حُمِّلتم من السمع والطاعة فإن قمتم بها فالله تعالى يجزيكم .

وقال رسول الله ﷺ : « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون[١] ، فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلّوا ، ما صلّوا » فقد أخبر ﷺ في هذا الحديث عن أمراء آخر الزمان وأن بعض أفعالهم يكون حسنا يعرفه الناس ، وبعضها يكون سيئا ينكره الناس ، فمن أنكر المنكَر بلسانه إن قدر على ذلك فقد برئ من النفاق ، ومن أنكره بقلبه وكرهه فقد سلم من مشاركتهم في الوزر ، ولكن من رضي بالمنكر وتابعهم عليه بالفعل فهو شريكهم في المعصية والعقوبة .

وقال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان قوم وجوههم وجوه الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين ، أمثال الذياب الضواري ، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة ، سفَّاكون للدماء ، لا يرغبون عن قبيح ، إن تابعتهم ركبوك ، وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدَّثوك كَذَبوك ، وإن ائتمنتهم خانوك ، صبيّهم عارم[٢] وشبّانهم شياطين ، وشيخهم لا يأمرك بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، الاعتزاز بهم ذل ، وطلب ما في أيديهم فقر ، الحليم فيهم غاوٍ[٣] ، والصادق فيهم متَّهم ، والمؤمن فيهم مُسْتَضْعَف[٤] ، والفاسق فيهم مُشرَّف ، والسنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يُسلَّط عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم » .

ولم ينقض قومٌ عهد الله وعهد رسول الله ﷺ إلا سلّط الله تعالى عليهم عدوّهم ، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وإذا لم يحكم أميرهم بكتاب الله تعالى جعل الله تعالى بأسهم بينهم .

وقد قال ﷺ :« من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحبّ أن يُؤتى إليه » .

(١) تعرفون وتنكرون : أي بعض أفعالهم معروف وبعضها منكر في الشريعة لديكم .
(٢) العارم هو المؤذي .
(٣) غاوٍ أي : ضالٌ منقادٌ للهوى .
(٤) مستَضعَف أي : ذليل .

فإن المرء لا يملك أمر خاتمته أن تكون على الإيمان أو غيره ، وأمر الخواتيم إلى الله تعالى ، لكن المقصود أن يفعل ما يكون سببا لحسن خاتمته وموته على الإيمان بالله واليوم الآخر ، كما ورد في الحديث : « يموت المرء على ما عاش عليه ، ويبعث كل عبد على ما مات عليه » ، فعلى العبد أن يحسن ظنه بالله تعالى مع أخذه بأسباب حسن الختام ، وأن يصبر على أذى الناس ويفعل معهم ما يحب أن يفعَلوا معه ، ويحسن إليهم كما قال ﷺ « الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » وبذلك يضمن له النبي ﷺ أن يزحزحه الله تعالى عن النار ويدخله الجنة .

وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تَقْتَتِلَ فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلّهم يزعم أنه رسول الله ﷺ وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ويكثر الهرج ؛ وهو : القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه ، فيقول الذي يعرضه عليه ، : لا إرب لي فيه ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتني كنت مكانه » .

الخير في تَحَمُّل الأذى :

واعلم أن المنافق كثير الشكوى قليل البلوى قليل المعنى[1] كثير الدعوى ، وقد أوصى الصالحون أتباعهم بالصبر على أذى الخلق حتى قال أحدهم لتلميذه : اصبر على قرصة البعوضة والعقرب ، ليحصل لك الإدمان على تحمل الأذى من غيرهم ، ورأى يوما مريدا يقتل بعوضةً فقال له : كيف تطلب طريق أهل الله تعالى وأنت تشفي غيظك بقتل البعوضة ولا تصبر على قرصتها ؟ !

(١) قليل المعنى أي : قليل الفائدة .

وكان أحد المشائخ يقول : أعظم أخلاق المريدين حفظ حرمات الإخوان ، وحسن العشرة معهم ، ومجانبة الادخار للثياب والطعام والدراهم .

وحين حبُس الشبلي ﷺ وقتا في المارستان[١] جاءه جماعة ، فقال من أنتم ؟ فقالوا : أحباؤك جاؤوك زائرين ، فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون ، فقال : يا كذابون ! لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي .

وقال أحدهم : إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل .

الفصل الثامن : الخوف والرجاء

اعلم أن الرجاء يكون عند وجود أسباب الفلاح وطرق النجاح ، والغرور عند عدم أسباب النجاح والفلاح ، أما الخوف فهو سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر ، واللازم أن تكون كلَّ وقت بين الخوف والرجاء ؛ لئلا يدركك الاستدراجُ ، كما هي وصيَّةُ السادات من شيخ إلى شيخ ، وإن الخائف لا يراه إلا الخائفون ، وإنَّ الثَّكْلى[٢] هي التي تحب أن ترى الثَّكْلى ، قال ﷺ : « لا يدخل النار من بكى من خشية الله ، حتى يلج الجمل في الضرع »

واعلم أن لكل شيء زينة ، وزينة العبادة الخوف ، و لما ظهر إبليس على ما ظهر طفق جبريل وميكائيل يبكيان طويلا ، فأوحى الله تعالى إليهما : مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يا ربنا لا نأمن مكرك ، فقال الله تعالى : هكذا كونا ، لا تامنا مكري .

والحقُّ أن الكامل لا يحكم على الله بشيء[٣] ولو بلَّغه أعلى المقامات ، وقال له : رضيت عنك رضاي الأكبر ، بل يبقى الخوف من مكر الله تعالى ملازما له .

---

(١) المارستان هو المستشفى .
(٢) الثكلى هي المرأة التي فقدت ولدها .
(٣) أي لا يأمن مكر الله تعالى .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ « المؤمنون ٦٠ » قال العلماء : أي : الذين يعطون ما أعطوه من الزكوات والصدقات وقلوبهم خائفة أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصّروا في القيام بشروط الإعطاء ،أو أن لا يكون قد وقع الإعطاء على الوجه اللائق ، وحين سئل رسول الله ﷺ : يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر ؟ فقال : « لا ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه »[١] .

وقد قال الإمام الشعراني قدس سره : أخذ علينا العهود أن نميل إلى الضعف في كل أحوالنا دون القوة ، وبتقدير مرتبة العرفان فإن من شرط العارف شدة الخوف ، قال ﷺ : « أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه » .

وأخذ علينا العهود أن نلحَّ بالاستغاثة عند حلول البلاء ، ونسأل الله تعالى الإقالةَ[٢] ولا نتجلّد ولا نتصبّر كما يفعل بعضهم ، فإن ذلك كالمقاومة للقهر الإلهي ، وربما زاد المرض والألم علينا حتى يَفنى بصبرنا فنسألُ الله تعالى الفرَجَ بفرارنا إلى مواطن العجز ، وإظهارُ التألم من قرصة البعوضة أولى ، فإن الله تعالى يحب من عباده إظهار الضعف وكثرة سؤال العفو والعافية .

الفصل التاسع : الرحمة

اعلم يا ولدي أن الله أرحم بعبده من والديه ، و أنه ينبغي لكل شخص مريد رحمةَ الله أن يرحم أخاه ، قال كعب الأحبار : مكتوب في الإنجيل : يا ابن آدم كما تَرْحم كذلك تُرْحم ، فكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباد الله ؟ !

---

(١) فقد أشكل على الصحابة رضي الله عنهم قول الله تعالى حين أخبر عن الذين يتصدّقون وينفقون وقلوبهم خائفة من الله تعالى ، وظنوا بأن سبب خوفهم ذنوبهم التي قد تمنعهم من قبول أعمالهم ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لهم أن سبب الخوف ليس الذنوب ، بل قربهم من الله تعالى زادهم خوفا منه عز وجلّ .

(٢) الإقالة هي رفع البلاء .

وقال ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمهُم الرَّحْمَنُ ، اِرْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .

فإياك يا أخي ونهرَ أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه ، والدواء المذكور هو الذكر ، وقال الشعراني قدس سره : من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق ، ولا تأمر أحدا قط أن يرجع عن معصيته حتى ترحمه بقلبك .

وقد كان النبيّ ﷺ يُلَيِّنُ القول لمن يَرْجُو إسلامَه لأنّه أرجى للهداية ، ومن المعلوم عند أهل الطريق أن الفاسق ضالة كل داع إلى الله ، أَيْنَمَا وجدها يلتقطها .

وقال ﷺ « نظرة في وجه أخ في الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة » .

وإن رحمة الله تعالى واسعة ، فعن داوود عليه السلام قال الله تعالى : إني لِأغفر لألف أحب إلي من أن أعذب واحداً بالنار لأني غفور رحيم .

وحكي أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وحكى بين يديه أن امرأة سقط ولدها من السطح عن يدها فرمت المرأة نفسها من السطح شفقة على ولدها ، فقال ﷺ : إن الله أشفق على أمتي من تلك المرأة على ولدها .

أهل التصوف هم أهل الرحمة :

وقال الشيخ السهروردي في « عوارف المعارف » : ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة . قال تعالى في وصف أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ الفتح : ٩٢ ، وقال تعالى : ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾ الأنفال : ٣٦ ، وإن التودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ما ورد في الخبر : « فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف » ، وقال النبي ﷺ : « المؤمن آلف مألوف ولا خير

فيمن لا يألف ولا يؤلف » ، وقال ﷺ : « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين يغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى المؤمنان إلا استفاد أحدهما من الآخر خيرا » .وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ : أحبك في الله . فقال : أبشر ثم أبشر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس ولا يفزعون ، ويخاف الناس ولا يخافون ، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . فقيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : « المتحابون في الله » .

ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض للبعض ، لأنهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الأخلاق ووقع القبول لوجود المحبة ، فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ . ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمسَ مرات في المساجد ، كل درب وكل محلة ، وفي الجامع في الأسبوعٍ مرة أهل كل بلدة ، وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين ، وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة في الحج . كل ذلك لحكمة بالغة ، منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين ، و لهذا قال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا » . وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إن مثل المؤمنين في توادّهم وتحابّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى له سائره بالحمى والسهر » . والتألف والتودد يؤكد أسباب الصحبة ، والصحبة مع الأخيار مؤثرة .

الفصل العاشر : الغَيْرَة :

اعلم أن الغَيْرة هي كراهية مشاركة الغير ، قال الشبلي قدس سره : الغيرة غيرتان : غيرة البشرية على النفوس ، وغيرة الإلهية على القلوب ، وقال الشبلي قدس سره أيضا : الغيرة الإلهية على الأنفاس أن تُضَيَّع فيما سوى الله تعالى ، و يقال : الغيرة غيرتان : غيرة الحق سبحانه على العبد : وهو أن لا يجعله للخلق ؛ فيضِنّ به

عليهم ، وغيرة العبد للحق : وهو أن لا يجعل شيئا من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى ، والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له .

واعلموا أنَّ من سنة الحق تعالى مع أوليائه : أنهم إذا ساكنوا في قلوبهم غيراً ، أو لاحظوا شيئاً ، شوَّش عليهم ذلك ، فيَغارُ على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه ، فارغة عما ساكنوه أو لاحظوه ، كآدم عليه السلام ، لمَّا وَطَّنَ نفسه على الخلود في الجنة أخرجه منها ، وإبراهيم عليه السلام لما أعجبه إسماعيل عليه السلام فلمَّا أَسْلما وتلَّه للجبين ، أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه وصفا سرُّه منه أمره بالفداء عنه .

قال رسول الله ﷺ : « ما أحدٌ أغير من الله تعالى ، ومن غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، و قال رسول الله ﷺ : « إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله تعالى : أن يأتي العبد المؤمن ما حرَّم الله عليه » قال العلماء : هذه الغيرة التى جاءت فى هذه الأحاديث فى وصف الله تعالى ليست منه على حسب ما هى عليه فى المخلوقين ؛ لأنه لا تجوز عليه صفات النقص تعالى ، إذ لا تشبه صفاته صفات المخلوقين ، والغيرة فى صفاته بمعنى الزجر عن الفواحش والتحريم لها والمنع منها ؛ لأن الغيور هو الذى يزجر عما يغار عليه ، وقد بين ذلك بقوله عليه السلام : « ومن غيرته حرم الفواحش » ، أى زجر عنها ومنع منها ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ « الأعراف ٣٣ » .

وحكي عن السري السَّقَطي رحمه الله أنه قرئ بين يديه ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ « الإسراء ٤٥ » فقال السري لأصحابه : أتدرون ما هذا الحجاب ؟ هذا حجاب الغيرة ، ولا أحد أغير من الله تعالى ، ومعنى قوله : (هذا حجاب الغَيْرة) يعني : أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين .

فالحق تعالى غيور ، ومن غَيرته : أنه لم يجعل إليه تعالى طريقاً سواه ، وقيل : أوحى الله ، سبحانه ، إلى بعض أنبيائه : أنَّ لفلان إلي حاجة ، ولي أيضاَ إليه حاجة ، فإن قضى حاجتي قضيت حاجته ؛ فقال ذلك النبي عليه السلام في مناجاته : إلهي ؛كيف يكون لك حاجة ؟ فقال : إنه ساكن بقلبه غيري فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته .

وحكى أحد الصالحين قال : بينما أدور في جبل لبنان إذ خرج شاب قد أحرقته الشموس والرياح فلما نظر إلي وَلَّى هاربا مستوحشا ، فقلت : يا أخي تكلم كلمة موعظة لعلي أنتفع بها ، فالتفت إلي كأنه فارٌّ ، وقال : احذروه فإنه غيور ، لا يحب أن يرى في قلب عبده أحدا سواه !

وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدقاق رحمه الله : لما دخل الأعرابي مسجد رسول الله ﷺ وبال فيه ، وتبادر إليه الصحابة لإخراجه ، قال رحمه الله : إنما أساء الأعرابي الأدب ، ولكن الخجل وقع على أصحابه ، والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته ، كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سبحانه يشقُّ عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة ، وطاعة من لا يعبده بالحرمة .

الفصل الحادي عشر :الإيثار و الكرم والجود

حقيقة الجود :

اعلم أن حقيقة الجود هي أن لا يصعب عليك البذل ، وقيل : الجود : إجابة الخاطر الأول ، بأن يسرع للبذل متى حدّثته نفسه بذلك ، وكان الدقاق قدس سره يقول : ليس السخاء أن يعطي الواجدُ المُعدَمَ(١) ، إنما السخاء أن يُعطي المعدمُ الواجد ، قال الله عزّ وجلّ :﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ « الحشر ٩ » نزلت

(١) الواجد هو الغني ، والمعدَم هو الفقير .

هذه الآية في الأنصار الذين سكنوا المدينة قبل المهاجرين ، حيث كانوا يحبون من هاجر إِلَيْهِمْ من أهل مكة وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مما خُصِّص به المهاجرون من الفيء ، ولا يحسدونهم على ذلك ، ولا يعترضون بقلوبهم على حكم الله بتخصيص المهاجرين ، حتى لو كانت بهم حاجة أو اختلال أحوال(١) ، وقيل نزلت الآية فى رجل منهم أهديت له رأس شاة فطاف على سبعة أبيات حتى انتهى إلى الأول ، وقيل نزلت في رجل منهم نزل به ضيف فقرّب منه الطعام وأطفأ السراج ليوهم ضيفه أنه يأكل ، حتى يؤثر به الضيف على نفسه وعلى عياله ، فأنزل الله الآية في شأنه ويقال : الكريم مَنْ بَنى الدار لضيفانه وإخوانه ، واللئيم من بناها لنفسه ويقال : صاحب الإيثار يؤثر الشبعان على نفسه وهو جائع .

وفي الخبر : « لم يجتمع في الدنيا قوم قط الا وفيهم أسخياء وبخلاء إلا في الأنصار فإن كلهم أسخياء ما فيهم من بخيل » .

قال حذيفة العدوى ﵁ انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به فقلت أسقيك فأشار برأسه أن نعم ، فاذا برجل يقول : آه آه ، فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه . . . فإذا هو هشام بن العاص فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول آه آه ، فأشار هشام أن انطلق اليه ، فجئت إليه فاذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمى فإذا هو قد مات . ! وهذا من قبيل الإيثار بالنفس وهو فوق الإيثار بالمال ، وقال في التكملة : الصحيح أن الآية نزلت في أبى طلحة الأنصاري ﵁ حين نزل برسول الله ﷺ ضيف ولم يكن عنده ما يضيفه به فقال : « ألا رجلا يضيف هذا رحمه الله ؟ » فقام أبو طلحة فانطلق به إلى رحله وقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول الله ، فنومت الصِّبْيَة ، واطفأت السراج وجعل الضيف يأكل ،

(١) الاختلال هو الفساد والاضطراب والضعف .

وهما يُريان أنهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية ، وكانت قناعة[١] السلف أَوفر ، ونفوسهم أقنع وبركتهم أكثر .

ويروى أن ملكا قال لوزيره : إن العلماء أحسن حالا وأصلح بالاً من الفقراء ، وقال الوزير بخلاف ذلك ، ثم قال الوزير : نمتحنهما فى أمرين :

١ . فبعث أحدا بعدة آلاف درهم إلى أهل المدرسة ، فقال : اذهب وقل لهم : إن الملك أمرني أن أعطي هذه الدراهم أفضلَكم وأكملَكم ، فمن هو ؟ فقال واحد منهم : أنا وقال الآخر : كذب بل هو أنا ! وهكذا ادعى كل منهم الأفضلية ، فقال الرسول لم يتميز الأفضل عندي ولم أعرفه ولم يعط شيئاً ، فعاد وأخبر بما وقع ، ثم أرسل الوزير تلك الدراهم إلى أهل الخانِقاه[٢] ففعلوا عكس ما فعله العلماء .

٢ . وأعطى بيده سيفا فقال : اذهب فقل لهم[٣] : إن الملك أمرني أن أضرب عنق رئيسكم فمن هو ، فقال واحد منهم أنا وقال الآخر بل أنا وهكذا قال كل منهم إيثاراً لبقاء أخيه واختياراً لفدآء رفيقه بنفسه ، فقال الرسول لم يتميز ما هو الواقع عندي ، فرجع وأخبر بما وقع فأرسل السيف إلى العلماء ففعلوا عكس ما فعله الفقراء ، فحَجَّ[٤] بذلك الوزيرُ على الأمير .

وأنت تشاهد أن فقراء زماننا على عكس هؤلاء الفقراء في البلاد والممالك قال أبو يزيد البسطامي ﷺ : غلبني رجل شاب من أهل بلخ حيث قال لي : ما حد الزهد عندكم ؟ فقلت : إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ، فقال : هذا فعل كلاب بلخ عندنا ، بل إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا .

---

(١) القناعة هي الرضا باليسير .
(٢) الخانقاه رباط الصوفية .
(٣) لهم أي : لأهل الخانقاه .
(٤) حجّه أي : غلبه في حُجَّته .

فضل الكرم والجود :

عن عائشة ﵂ ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « السخيّ : قريب من الله تعالى ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل : بعيد من الله تعالى ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . والجاهل السخيّ أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل » .

وقد قال ﷺ : « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى » ، وقال بشر بن الحارث ﵀ : النظر إلى البخيل يقسي القلب ، وقيل : بكى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﵁ يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني ، وروي عن أنس بن مالك ﵁ ، أنه قال : زكاةُ الدّار أن يتخذ فيها بيت للضيافة .

من جميل ما قيل في الكرم والجود :

١ . قال أحدهم : ما أحبّ أن أرد أحداً عن حاجة طلبها مني ؛ لأنه إن كان كريماً أصون عرضه ، وإن كان لئيما أصون عنه عرضي .

٢ . وقيل : ضيف الكريم كريم .

٣ . وقال إبراهيم بن الجنيد ﵀ : كان يقال : أربعة لاينبغي للشريف أن يأنف منهن ، وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وخدمته لعالم يتعلم منه ، والسؤال عما لم يعلم .

٤ . وقال عبد الله بن المبارك ﵀ : سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل .

من قَصَصَ الإيثار و الكرم والجود :

وقد رويت قَصص عن السلف الصالح تبين غاية الإيثار و الكرم والجود الذي وصلوا إليه ، من ذلك :

١ . ما روي أنه لما سعى غلام خليل[1] بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم ؛ فأما الجنيد ﷺ فإنه تستر بالفقه ، وكان يفتي على مذهب أبي ثور[2] ، وأما الشحَّام ، والرقَّام ، والنُّوريُّ ، وجماعة ، فقبض عليهم ؛ فبُسط النِّطْعُ[3] لضرب أعناقهم ، فتقدم النوري فقال له السّياف : تدري إلى ماذا تبادر ؟ فقال : نعم فقال : وما يُعَجِّلُك ؟ فقال : أوثر عليَّ أصحابي بحياة ساعة ، فتحيَّر السيَّاف ، وأنهى الخبر إلى الخليفة ، فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم ، فألقى القاضي على أبي الحسين النوري مسائل فقهية ، فأجابه الكل ، ثم أخذ يقول : وبعد ؛ فإن لله تعالى عباداً قاموا بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وسرد ألفاظاً أبكى بها القاضي فأرسل القاضي إلى الخليفة ، وقال : إن كان هؤلاء زنادقة : فما على وجه الأرض مسلم .

٢ . وقيل : كان عليّ بن الفضيل ﷺ يشتري من باعة المحلة[4] ؛ فقيل له : لو دخلت السوق فاسترخصت ، فقال : هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا .

٣ . وقيل : عطش عبيد الله بن أبي بكرة ﷺ يوماً في طريقه ، فاستسقى من منزل امرأة ، فأخرجت له كوزاً ، وقامت خلف الباب ، وقالت : تنحوا عن الباب ، وليأخذه بعض غلمانكم ، فإني امرأة من العرب : مات خادمي منذ أيام ، فشرب عبيد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف درهم ، فقالت : تسخر بي ؟ فقال : احمل إليها عشرين ألف درهم ، فقالت : أَسْأَل الله تعالى العافية . فقال : يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم ، فردّت الباب وقالت : أف لك . فحمل إليها ثلاثين ألف درهم ، فأخذتها فما أمست حتى كثر خُطَّابُها .

٤ . وكان أبو الحسن البُوشَنْجِيّ ﷺ في الخلاء ، فدعا تلميذاً له ، وقال له : انزع عني هذا القميص ، وادفعه إلى فلان ؛ فقيل له : هلا صبرت حتى تخرج من الخلاء ؟ فقال : لم آمن على نفسي أن تتغير .

(١) غلام خليل اسم الشخص .
(٢) أبو ثور فقيه جمع في مذهبه بين فقه الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي رحمهم الله .
(٣) النِّطْعُ هو بساط من جلد يُفرَش تحت المحكوم عليه بالقتل .
(٤) الباعة جمع بائع ، والمحَلة هي قسمٌ من أقسام المدينة .

٥ . وقيل لقيس بن سعد بن عبادة رَحِمَهُ اللهُ : هل رأيت أحداً أسخى منك ؟ فقال له : نعم ؛ نزلنا بالبادية على امرأة ، فحضر زوجها ، فقالت له : إنه نزل بك ضيفان ، فجاء بناقة ونحرها ، وقال : شأنكم بها . . . فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال : شأنكم بها ، فقلنا : ما أكلنا من التي نحرت لنا البارحة إلا اليسير : فقال : إني لاأطعم أضيافي الغاب[١] ، فبقينا عنده يومين أو ثلاثة ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك ، فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار في بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه ، ومضينا ، فلما مَتَع[٢] النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام : أعطيتموني ثمن قراي ؟ ! ثم إنه لحقنا وقال : لَتَأْخذنّه .

٦ . وقيل : خرج عبد الله بن جعفر رَحِمَهُ اللهُ إلى ضَيْعة له[٣] ، فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها ؛ إذ أتي الغلام بقوته ، فدخل كلبُ الحائطَ ودنا من الغلام ، فرمى إليه الغلام بقرص ، فأكله ، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكله ، وعبد الله بن جعفر ينظر إليه فقال له : يا غلام ، كم قُوتك كلَّ يوم ؟ قال : ما رأيت : قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟ قال : ما هي بأرض كلاب ، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت رده .قال : فما أنت صانع اليوم ؟ قال له : أطوي يومي هذا . فقال عبد الله بن جعفر : أَأُلام على السخاء ؟ ! إنَّ هذا لأسخى مني ، فاشترى الحائط والغلام وما فيها من آلات ، فأعتق الغلام ووهبها له .

٧ . وقال مُطَرِّفْ بن الشِّخِّيرْ رَحِمَهُ اللهُ : إذا أراد أحدكم مني حاجة فليرفعها في رقعة ؟ فإني أكره أن أرى في وجهه ذلّ الحاجة .

٨ . وقيل : سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار ، وقيل : اِئْتِ بحَمَّال يحمله لك ، فأتى بحمال فأعطاه طَيْلَسانه[٤] وقال : يكون كِراءُ الحمال من قِبلي .

(١) الغاب = الطعام البائت .
(٢) متع النهار أي : ارتفع .
(٣) الضَيعة هي الأرض الزراعية .
(٤) الطَّيْلسان هو لباس يلبسه العلماء .

٩ . وقيل : لما قربت وفاة الشافعي ﷺ قال : مُروا فلاناً يُغَسِّلني ، وكان الرجل غائباً ، فلما قدم أُخْبِرَ بذلك ، فدعا بتذكرته[١] ، فوجد عليه سبعين ألف درهم ديناً ، فقضاها ، وقال : هذا غسلي إياه .

١٠ . وقيل : خرج السريّ ﷺ يوم عيد ، فاستقبله رجل كبير الشأن ، فسلم السري عليه سلاماً ناقصاً ، فقيل له : هذا رجل كبير الشأن ، فقال : قد عرفته ، ولكن روي مسنداً : « أنه إذا التقى المسلمان قُسمت بينهما مائة رحمة : تسعون لأَبَشِّهِما[٢] ، فأردت أن يكون معه الأكثر » .

١١ . وقال بعضهم : دخلت على بشر بن الحارث ﷺ في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب وهو ينتفض ، فقلت : يا أبا نصر ، الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت ؟ ! فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه ، ولم يكن لي ما أواسيهم به ، فأردت أن أرافقم بنفسي في مقاساة البرد .

الفصل الثاني عشر : الفتوة و المروءة

حقيقة الفتوة والمروءة :

اعلم أنه وإن اختلفت العبارات في بيان حقيقة كل من الفتوة والمروءة ؛ فإن المعنى الذي تدور حوله واحد ، وهو : صدق اللسان واحتمال عثرات الإخوان ، وبذل المعروف لأهل الزمان ، وكف الأذى عن الجيران .

وقد سئل أبو الحسن البوشنجي ﷺ عن المروءة فقال : هي ترك استعمال ما هو محرّم عليك مع الكرام الكاتبين .

وقال الأنطاكي ﷺ المروة أداء الطاعات واجتناب المنهيات وترك اللذات عن الشهوات .

---

(١) التذكرة هي ما تذكر الإنسان بحاجته ،ولعل المراد هنا ورقة تُثبت عليها الديون ليذكرها صاحبها .
(٢) لأَبَشِّهما أي : لأكثرهما بشاشة ، والبشاشة طلاقة الوجه .

وقال أحدهم : أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره ، وسئل الجنيد ﷺ عن الفتوة ، فقال : أن لا تنافر فقيراً ، ولا تعارض غنياً ، والصدق قرين الحرية والفتوة .

المروءة والفتوة من شروط الطريق :

يا ولدي ؛ لقد أجمع القوم على أن المُرُوَّة ، والشجاعة ، والرجوليَّة ؛ شرطٌ في طريق الله تعالى و إني أريد أن أكون كالتَّيس[1] بترك ما بأيدي الناس ، والإعراض عنه ، ولا أريد أن أكون كالمعز بقبول إحسانهم من متاع دنيا لا تزن بأسرها عند الله جناح بعوضة .

وقال الإمام الخوّاص ﷺ حين سئل ما العلة في منع المريد من قبول الرفق من الناس ؟ فقال : لأن المروءة والطبع يحملانه على مكافأة الناس على إحسانهم وتوفية حقوقهم وعلى مراعاتهم .

وقد نبّه النبي ﷺ أصحابه على أهمية المروءة ،وحذّرهم من الوقوع فيما يجرحها أو يخرمها ، فقال ﷺ : « إياكم والجلوس في الطرقات ، فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقها ، قالوا وما حقها يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

وحين امتدح الله تعالى أهل الكهف امتدحهم بكونهم فِتْيَةً ، و من فتوّتهم شجاعتُهم التي جرّتهم إلى التوحيد وهو منبع الكمالات ، قال تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ « الكهف١٣ » .

يقال إنهم فتية لأنهم آمنوا على الوهلة[2] بربّهم ، آمنوا من غير مُهلة ، لمّا أتتهم دواعي الوُصلة[3] ، ويقال فتية لأنهم قاموا لله ، وما استقروا حتى وصلوا

(١) التيس هو الذكر من المعز .
(٢) الوهلة هي أول الأمر .
(٣) دواعي الوُصلة أي : أسباب الاتصال بالله تعالى .

إلى الله ، وقيل أصل الفتوة الإيمان ، ولذا سمى الله أصحاب الكهف فتية فقال : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ الكهف : ١٣ .

من جميل ما قيل في الفتوة والمروءة :

وقد قال السلف في الفتوة والمروءة كلمات مضيئة ، منها :

١ . قال أحد الصالحين : المروة عندنا أن نعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا ونصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا .

٢ . وقال الإمام الجنيد ﷺ : الفتوة بالشام ، واللسان بالعراق ، والصدق بخراسان .

٣ . وقال الفضيل ﷺ : الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان

٤ . وقال أبو بكر الوراق ﷺ : الفتى من لا خصم له .

٥ . وقال محمد بن علي الترمذي ﷺ : الفتوة أن تكون خصماً لرِّبك على نفسك .

٦ . ويقال : الفتى : من لا يكون خصماً لأحد .

٧ . وقيل : الفتى من كسر الصنم الأكبر ، قال الله تعالى : ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ « الأنبياء ٦٠ » وصنم كل إنسان نفسه ؛ فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة .

٨ . وقيل : الفتوة أن تنصِفَ ولا تنتصف .

٩ . وقال عمر بن عثمان المكيِّ ﷺ : الفتوة حسن الخلق .

١٠ . وقال النَّصرَاَباذِيُّ ﷺ : المروءة شعبة من الفتوة ، وهو الإعراض عن الكونين ، والأَنَفَةُ منهما .

١١ . وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله : الفتوة أن يستوي عندك المقيم والطارىء[١] .

١٢ . وسئل أحدهم ما الفتوة ؟ فقال : تركُ ما تهوى لما تخشى .

١٣ . وسئل بعضهم : ما الفتوة ؟ فقال : أن لا يُميزّ بين أن يأكل عنده ولي أو كافر .

١٤ . وقال الجنيد قدس سره : الفتوة كفّ الأذى ، وبذل الندى[٢] ، وترك الشكوى .

١٥ . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : الفتوة اتباع السنَّة .

١٦ . وقيل : الفتوة الوفاء والحفاظ[٣] .

١٧ . وقيل : الفتوة فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها .

١٨ . وقيل : الفتوة أن لاتهرب إذا أقبل السائل .

١٩ . وقيل : إظهار النعمة ، وإسرار المحنة .

٢٠ . وقيل : أن تدعو عشرة أنفس فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر .

٢١ . وقيل : ليس من الفتوة أن تربح علي صديقك .

٢٢ . وقيل : الفتوة إيثار الخلق بنفسك بعد أن تؤثرهم بالدنيا والآخرة .

٢٣ . وقيل : هي أن تصنع المعروف مع أهله ومع غيرأهله .

٢٤ . وقيل : أن يكون العبد أبدا في أمر غيره ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الله تعالى على حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه » .

---

(١) أي : أن يستوي إكرامك للمقيمين عندك والطارئين ضيوفا عليك .
(٢) النَّدى هو الخير .
(٣) لعلَّ المراد الوفاء بالعهد والحِفاظ على الأمانة .

٢٥ .وقيل : هي الصفح عن عثرات الاخوان وستر عيوبهم .

٢٦ .وقيل : هي أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك .

٢٧ .وقيل : إظهار النعمة وكتمان المحنة .

من قصص الفتوة والمروءة :

وقد رويت في الفتوة قَصَصٌ عظيمة عن الصالحين ، وها نحن نروي لك بعضا منها :

١ . حُكي أن سبب تسمية حاتم بالأصم رحمه الله أنه : جاءته امرأة تستفتيه ، فسألت حاتماً عن مسألة ، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت ، فخجلت ، فقال حاتم : ارفعي صوتك ، فأرى من نفسه أنه أصم ، فسرّت المرأة بذلك وقالت : إنه لم يسمع الصوت ! فغلب عليه اسم الأصم .

٢ . وقال ذو النون المصري رحمه الله : لمَّا حُملتُ إلى الخليفة ، فيما نُسب إليَّ من الزندقة ، رأيت سَقَّاء عليه عمامة ، وهو مُتَرَدٍّ بمنديل مصري ، وبيده كيزان خَزَف رُقاق[1] ، فقلت : هذا ساقي السلطان ؟ فقالوا : لا ، هذا ساقي العامَّة ، فأخذتُ الكوز وشربت ، وقلت لمن معي : أعطه ديناراً ، فلم يأخذه ، وقال : أنت أسير ، وليس من الفتوة أن آخذ منك شيئاً .

٣ . وقال ذو النون رحمه الله : كان فتى يسمى أحمد بن سهل التاجر ، وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمن رأس ماله فقلت له : ألا تأخذ ربحاً ؟ فقال : أما الثمن فآخذه ، ولا أُحَمِّلُك مِنَّةً .

٤ . وقيل : خرج إنسان يَدَّعي الفتوة من نيسابور إلى نَسا[2] فاستضافه رجل معه جماعة من الفتيان ، فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء

---

(١) الرُّقاق أي : الرقيقة .
(٢) نَسا قرية قديمة تقع في جمهورية تركمانستان .

على أيديهم ، فانقبض النيسابوري عن غسل اليد ، وقال : ليس من الفتوة أن تَصُبَّ النسوان الماء على أيدي الرجال !

٥ . وقيل : إن رجلاً من الحُجّاج نام بالمدينة ، فتوهَّم أن هِمْيانه[١] سُرِق ، فخرج ، فرأى جعفراً الصادق ﷺ فتعلَّق به ، وقال له : أنت أخذت همياني ؟ فقال له : ماذا كان فيه ؟ فقال : ألف دينار .فأدخله داره ووزن له ألف دينار ، فرجع الرجل إلى منزله ، فرأى هميانه في بيته وقد كان توهَّم أنه سرق ؛ فخرج إلى جعفر معتذراً ، وردّ عليه الدنانير ، فأبى أن يقبلها ، وقال : شيء أخرجته من يدي لا أَسْتَرِدُّه .

٦ . وقال الشعراني ﷺ : اعلم أن فتوة أولياء الله تعالى إذا أذن لهم في الشفاعة أن يبدؤا بالشفاعة ممن آذاهم في دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص . وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى في الآخرة عند الله تعالى من التقريب وإجابة السؤال ، وقد كان في دار الدنيا يجهل ذلك . وهناك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منهم الخوف الذي حصل لهم من أولياء الله تعالى في ذلك اليوم العظيم . قال : وإنما لم يبدأ الأولياء بالشفاعة فيمن أحسن إليهم واعتقدهم في دار الدنيا ، لأن المحسن مطمئن بما قدم من الإحسان ، فعين إحسانه يكفيه ويكون شفيعا له عند الله تعالى .

واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء ، لاسيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء .

وقال أبو علي الدقاق ﷺ : كمال الفتوة والإيثار لم يكن لأحد من البشر إلا لمحمد ﷺ فإن كل نبي يقول يوم القيامة نفسي نفسي وهو يقول أمتي أمتي .

(١) الهميان كيس توضع فيه النفقة يُشَدُّ على الوَسْط .

واعلم أن الحرية أشرف من الصدق والفتوة أشرف منهما والمروءة شعبة من الفتوة والفرق بين الزاهد والفتى أن الزاهد من آثر عند الغنى والفتى من آثر عند الحاجة كما قال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ .

الفصل الثالث عشر : الحرية :

اعلم أن الحرية هي أن لايكون العبد تحت رق المخلوقات ، ولا يجري عليه سلطان المكونات ، وعلامة صحتها : سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض ، وهي ترك نعيم الدنيا واختيار عبادة المولى .

واعلم أن حقيقة الحرية في كمال العبودية ؛ وسئل الجنيد ﷾ عمن لم يبق عنده من الدنيا إلا مقدار مصِّ نواة ، فقال : المكاتَب عبدٌ ما بقي عليه درهم ، قال الحسين بن منصور ﵀ : من أراد الحرية فَلْيَصِل العبوديةَ ، وإن مقام الحرية عزيز .

واعلم أن معظم الحرية في خدمة الفقراء ، قال يحيى بن معاذ ﵀ :أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد ، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار ! و أوحى الله تعالى إلى داود ﵇ : إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً ، وقال ﷺ : « سيد القوم خادمهم » .

من جميل ما قيل في الحرية :

١ . وقد قيل في الحرية كلام نفيس ، من ذلك :

٢ . قول أحد الصالحين : عَزَفَتْ نفسي[١] عن الدنيا ؛ فاستوى عندي حجرها وذهبها .

---

(١) عزَف عن الشيء إذا امتنع عنه .

٣ . وقال الدقاق رحمه الله : من كان في الدنيا حراً منها كان في الآخرة حراً منها .

٤ . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : إنَّ الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يُخرَج منها .

٥ . وقال أيضا : لا تصحب إلا حراً كريماً ؛ يسمع ولا يتكلم .

الفصل الرابع عشر : المحبة

اعلم أن حقيقة المحبة ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذا عند المحب ، ولا تحصل حقيقة المحبة من العبد لربه إلا بعد سلامة القلب من كدورات النفس لأن المحبة صفة محرقة وعلامتها قطع شهوات الدنيا والآخرة ، وعلامة حب الله للعبد حب العبد لله ومحبة الله للعبد إرادته كثرة الإنعام عليه والإحسان إليه بتقريبه وإعطائه الأحوال السنية والمقامات العلية ، وإرادته عز وجل صفة واحدة ولكنها تختلف باختلاف متعلقاتها فإذا تعلقت بعموم النعمة سميت رحمة ، وإذا تعلقت بخصوص النعمة سميت محبة .

واعلم أن المحبين على ثلاثة أقسام : عوام وخواص وخواص الخواص[1] ، ومن اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء ، وقد أجمعت الأمة على أن حب الله ورسوله فرض عين على كل أحد .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله عبدا قال : يا جبريل إنّي أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض » ، وقال صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه تبارك وتعالى : « إني إذا اطلعت على قلب عبدي ولم أجد فيه حب الدنيا ملأته من حبي » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « علامة حب الله حب ذكره » .

(١) لعلّ المرا بالخواصّ المريدون وخواص الخواص المرشدون .

قالوا في المحبة :

١ . محبة العبد لله هي التعظيم وإيثار الرضا وقلة الصبر وكثرة الاستئناس بذكره .

٢ . وقيل هي المبادرة إلى أداء الطاعات فرضا ونفلا وشدة اجتناب المعاصي ويؤيد ذلك قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى : « ما تقرب إلي المتقربون بأفضل من أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا » .

٣ . وقيل : المحبة هي حالة لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر .

٤ . وقيل : هي نار في القلب تحرق ما سوى المحبوب .

٥ . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ أي : لا تحبوا غيره .

٦ . وقال بعض العارفين حاكيا عن الله تعالى : عبدي خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فاشتغلت بما خلقته لك عني فإذا اشتغلت بالنعمة عن المنعم فما أديت شكر نعمته لأن كل نعمة شغلتك عني فهي نقمة وكل عطية ألهتك عني فهي بلية .

٧ . وبالجملة ففي دعوى المحبة خطر ، ولذلك قال الفضيل : **إذا قيل لك** أتحب الله تعالى فاسكت ، فإنك إذا قلت « لا » كفرت ، وإن قلت « نعم » ، فليس وصفك وصف المحبين ، فاحذر المقت . وقد قال بعض العلماء : ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ، ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك .

الفصل الخامس عشر : الاخلاص

حقيقة الإخلاص :

اعلم أن الإخلاص تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين ، و هو ضد الرياء فمن عمل عملا ولم يكن مع رياء فهو إخلاص ، والرياء : طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم الخصال المحمودة ، كأنْ يحب العبد اطلاع الناس على عبادته وغيرها ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي : « الإخلاص سر من سري ، استودعته قلب من أحببته من عبادي » .

واعلم أن الاخلاص لله تعالى يكون في الأقوال والأفعال والملك والوجود ، كل مرتبة بشروطها المقررة بين أهل التوحيد بأن لا نضيف لأحد من الخلق نفعا ولا ضرا ولا حلا ولا ربطا ولا نقول قط أنا ، ولا معَنا ، و لا لنا ولا عندنا ، إلا على سبيل المجاز والنسيان ، فإن ذلك معدود من الشرك الخفي وقال الله تعالى :﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ النساء : ٦٣ ، فنكّر الشيء ولم يعين شيئا دون شيء .

وقد سأل بعض الفقراء ربه المغفرة وقال : يا رب اغفر لي فإنك وعدت بالمغفرة كل من لم يشرك بك شيئا ، وأنت تعلم أني ما أشركت بك يوما واحدا ، فإذا بالهاتف يقول : ولا يوم اللبن ؟ ! فخجل واستحيى وتذكر أنه قدم له يوما لبن ليشرب منه فقال : أخاف أن يضرني ، فأحصاه الله عليه[1] ؛ لكونه نسب الضر إلى اللبن ! فتأمل ذلك .

علاج الرياء :

واعلم أن من يريد التخلي عن هذا الوصف يحتاج إلى شيخ كامل يفنى اختياره في اختياره ، حتى يسير به في طريق الغيب ويوصله إلى حضرة الله عز وجل ، وذلك أن من لم يسلك الطريق فهو واقفٌ في عبادته مع نفسه ومع الخلق في الأعمال ، ولو أنه دخل حضرة الإحسان لشهد أن الله تعالى هو

(١) أحصاه الله عليه أي : عدّه عليه .

الفاعل لجميع أفعاله خلقا وإيجادا ، وما بقي له إلا أن الفعل مسند إليه مجازا ، فصار يشهد جوارحه كالآلة التي يحركها المحرك فيرى الله تعالى هو الفاعل في جوارحه بالإمداد والقوى ، وقد قال ﷺ : « لا أخاف على أمتي في شيء كما أخاف من الشرك الخفي ألا وهو الرياء » وعلاج ذلك شديد لامتزاجه بقلب الأدمي وترسخه فيه ، وسبب صعوبته أن الآدمي منذ كبر ونشأ بين الناس رآهم يتراءون فيما بينهم ويزين بعضهم بعضا ويمدح بعضهم بعضا .

وروي عن الإمام الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ : إن كلاً من العابِدين اتخذوا من دون الله تعالى ما لم يأذن به الله تعالى ، وهم في ذلك على طبقات ؛ فمنهم من قصد بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت ، وانتشار الجاه ، ومنهم من يقصد بعلمه وعمله إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وكشف الغيوب ، ومنهم من لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور الحسان ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة ، ومنهم من يقصد بذلك السلامة من النار والخوف من الحساب والعقاب ، وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال ، ومنهم من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى والرضاء عنه والمحبة . ومنهم من لا قصد له في علمه وعمله إلا علمه باستحقاق مولاه العبادة ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوته فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى لا يرى أنه قام بذرّة واحدة من الأمور التي كلف بها على الوجه الذي أمر به ، ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ، وفي الإبريز : كل ما عملته بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله تعالى .

وأما المحرومون فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ولتحصيل أغراضها ولا تكون لله عز وجل ، وهذه الأعمال لا تزيد إلا بعداً من الله عز وجل ، لأنها

مخالفة لسر حقيقة الذات ، لأنه تعالى لم يقل : اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أنفسكم في هذه الحالة بجزيل العطية ، وإنما قال : اعبدوني واخلصوا لي العبادة وأنا أثيبكم ، فنيَّتنا في أفعالنا تكون لله عزّ وجل ولعظمته وكبريائه

وما أقبح العبد وأجهله حيث يظن أنه يُحَصِّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله وهو يعلم أن أفعاله لم يُحَصِّلْ منها ولو شعرة ، فإذا كانت الذات مخلوقة لله عز وجل والأفعال مخلوقة لله فكيف يسوغ لنا أن نعتمد في الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عز وجل ، ولا نعتمد على مجرد فضله ورحمته ! ولكن الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

واعلم أن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه هو الإكثار من ذكر الله تعالى بتلقين شيخ مأذون إجازته صحيحة حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقيّ ، ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ، ليس لعبد فيها غير النسبة ، وقال شيخنا عبد الرحمن العسليّ ﷺ : لا يتخلَّص الإنسان من الرياء إلا في مقام يرى السالك أن لا محرِّك إلا الله . .وذلك عند التكمُّل والله أعلم .

دقائق الرياء :

ومن دقائق الرياء العبادة مع قصد التقرب من حضرة الله تعالى فإن ذلك كالعمل بأجرة ، وهذه العلة من أخفى العلل وربما ترقّي صاحبها إلى قرب من حضرة الله تعالى فيقال له ارجع فلست من أهلها إنما أهلها من يعبد الله امتثالا لأمره ووفاء بواجب حقه تعالى .

ومنها ترك العمل من أجل الناس قال الفضيل ﷺ : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الحق منهما

ومنها قطع المزح المباح إذا دخل من يستحيى منه ، كان الفضيل ﷺ يقول : لو قيل إن أمير المؤمنين داخل عليك الساعة فسوّيت لحيتي لخفت أن أكتب في جريدة المنافقين ومنها الزيادة في الاطراق والخشوع لدخول أحد الأكابر

فاعلم أيها الأخ أن المخلص لا يبالي بأقوال الناس ولا يُسيئ قلبه بالذمِّ ، ولا يعجب ولا يفرح بالمدح ، فكن بالقلب مع الله ولا تقصِّر بقدر الطاقة ، وأحسن للخلق واسْعَ في المعيشة لعيالك ولنفسك ، واطلب الحلال حيث وُجد .

كان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول : لما خلق الله تعالى الخلائق قال : من أنتم فقالوا عبيدك ومحبوك ، فقال : انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف[١] ، فقالوا امتحنا بما شئت ، فخلق لهم الدنيا ، ففر إليها منهم تسعة أعشارهم وبقي العشر ، فقال للعشر : من أنتم ؟ فقالوا : عبيدك وأَحِبَّاؤُك ، فقال : انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف ، وقد نظرتم أصحابكم ، كيف ذهبوا إلى الدنيا ، فقالوا امتحنا بما شئت ، فخلق لهم الجنة ، وزينها في أعينهم ، فذهب إليها تسعة أعشار العشر ، ثم نظر إلى عشر العشر ، فقال من أنتم ؟ فقالوا : أحباؤك ، فقال : انظروا ما تقولون وقد رأيتم أصحابكم فقالوا : امتحنا بما شئت فضربهم بنوع من البلاء ، فثبتوا وهو الذي ثبَّتَهم ، فقال : أنتم عبيدي حقا ، لا إلى الدنيا فررتم ولا إلى الجنة فررتم ولا من البلاء فررتم ، ثم اشهدوا يا ملائكتي أني قد رضيتهم لحضرتي .

من جميل ما قيل في الإخلاص :

١ . قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ « الزمر ٣ » أي : السالم من أن يشوبه تشريك غيره في عبادته .

٢ . وقال ﷺ : « ثلاث لا يَغِلُّ[٢] عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين » .

٣ . وسئل الحسن ﷺ عن الإخلاص ما هو ، فقال : سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت

(١) المتالف هي المهالك .
(٢) « لا يَغِلُّ » من غل إذا صار ذا حقد وعداوة .

جبريل .عليه السلام عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي .

٤ . وقيل : متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص .

٥ . وقال الجنيد قدس سره : الإخلاص سر بين الله وبين العبد ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله .

٦ . وقيل لسهل رحمه الله أي شيء أشد على النفس ؟ فقال : الإخلاص ، لأنه ليس لها فيه نصيب .

٧ . وقال بعضهم : أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل .

٨ . وقيل : ما أخلص عبد أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

٩ . وقال أحد الصالحين :أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، فكأنه ينبتُ فيه على لون آخر .

الفصل السادس عشر : قضاء حوائج الناس وحفظ حرماتهم

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مشى في قضاء حاجة أخيه ثبَّتَ الله قدميه على الصراط » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ، و إنما يعطى العبد الجاه لأجل إقامة العدل في الوجود ،و قال علي الخواص قدس سره : إن لله عز وجل ملائكة ينزلون على الأرض بقصد الامتحان لمن سبق له تحويل النعم ، فيأتون إلى باب من اشتهر بالكرم وقِرى الضيف فيقفون عليه ويتعنتون في السؤال له فإذا أعطاه لهم سألوه ثانيا وهكذا حتى يحصل عنده النَّزاقة[1] ويخرج خُلُقُه عليهم ، فإذا فعل ذلك دعوا الله عليه فحوّل الله النعم .

(١) النَّزاقة هي الغضب .

ويؤيده قول النبي ﷺ : « إن لله عز وجل عند عباده نعما يقرها عندهم ، مالم يملوا من حوائج الناس ، فإذا ملوها حوّلها الله عنهم إلى غيرهم » ، وقوله ﷺ : « يا عائشة أحسني مجاورة نعم الله عز وجل ، فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم » .

فضل قضاء حوائج الناس :

اعلم يا بني أن تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى ، وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى ، وقد قال معروف الكرْخيّ رحمه الله : قال لي بعض أصحاب داوود الطائي رحمه الله : إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك ، فقلت : وماذاك العمل ؟ فقال : دوام طاعة ربك ، وخدمة المسلمين ، والنصيحة لهم ، وإن أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً ، أو تواضع له ، وأعظم الناس عزا غني تذلل للفقراء وحفظ حرمتهم .

وقد كان الصالحون يسعون في حاجات إخوانهم وفقراء زمانهم ، قال الإمام الشعراني قدس سره : سألت سيدي علي الخواص عن سبب انحلال القلوب من بعضها في هذا الزمان ، فقال : سببه رفع الأشياء التي كان يقع بها الإلف والمحبة من البر والهدايا والصدقات والخيرات وفي الحديث : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » .

وقال :أخبرني والدي : ما أظن انني اشتريت لي شاشا ولا جوخة[1] ولا قميصا ولا نعلا ولا صابونا ولا قمحا ولا شعيرا ولا سكرا ولا عسلا ولا ضحية ولا حلاوة ولا منديل حرير للمرأة ولا خفا ولا إزارا ولا شيئا مما يحتاج الحي إليه إنما يأتينا ذلك وغيره من هدايا الأصحاب .

(١) الشاش والجوخ نوع من أنواع القماش .

فعُلِمَ أنه لمّا عَدِمَ الناسُ الإحسانَ من بعضهم تفرقت قلوبهم ومن هنا تقطع البلاء فإنه لا ينزل قط على قوم قلوبهم مجتمعة على الخير والمحبة ، بل يقف البلاء بين السماء والأرض ولو مائة عام حتى يجد تنافرا بين الناس وتقاطعا فينزل .

واحذر يا أخي أن تنكر بباطنك على الفقراء إذا قالوا لك إن لم تبرّنا وتحسن إلينا فلا تجالسنا ، لأن ذلك إنما هو امتحان لك ، لا محبة في الدنيا ، فقصدوا في ذلك تحقيق دعواك فيهم ، بأنّهم أحب إليك من مالك ، كما يقع في هذه الدعوى كثير من التجار وأرباب الأموال فيقولون لشيخهم والله أنت أعز عندنا من جميع أموالنا ونسائنا ، ثم يطلب منهم دينارا واحداً فيثقل عليهم فيفتضحون ، وليعلموا أنه إذا ثَقُلَ عليهم دينار يعطونه لشيخهم فكيف لآحاد الناس !

وكان سيدي يوسف العجمي ﷺ إذا دق بابه داق قال لخَدَمِه : انظر من شِقِّ الباب[1] فإن وجدت معه شيئا للفقراء فافتح له وإلا فهي زيارات فشّارات[2] ، فقيل له مرة ما قصدكم بذلك ولستم تحبون الدنيا ؟ فقال : إن أعز ما عند الفقراء وقتهم وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فإن بذلوا لنا أعز ما لديهم بذلنا لهم أعز ما لدينا وإلا فنحن فريق وهم فريق لا رباطة بيننا إلا إفشاء السلام لا غير .

ثم اعلم يا أخي أن الإعانة على النكاح أفضل من الإعانة في فك الرقاب ، ومن الجهاد ، واحذر يا أخي أن تخرج من الدنيا وعندك ألف دينار وأكثر ولم تحفر بئرا ولم تزوج فقيرا ولم تَكْسُ يتيما ولم تُوَفِّ عن مُعْسِرٍ دينا ، ولم تدخل على جار سرورا .

وقد قال الإمام الشعراني ﷺ : أخذ علينا العهود أن نشارك جميع أصحاب الهموم في البلايا النازلة عليهم ، قال ﷺ : « المسلمون كالجسد الواحد إذا

(١) شِقِّ الباب أي : جانبه .
(٢) فَشّارات أي : بلا قيمة .

اشتكى منه عضو تداعى له جميع البدن بالحمى والسهر » ، و أخذ علينا العهود إذا خرجنا إلى مكان بعيد لا نرجع منه في العادة إلا في خمس دّرّج[١] فأكثر ، أن نقول : اللهم إن كان في علمك أن أحدا من إخواننا أو غيرهم يأتينا في هذه الغيبة لحاجة أو سلام فعوقه عن الخروج حتى نرجع وإن كان خرج عوّقنا له حتى يأتي .

الفصل السابع عشر : الورع

حقيقة الورع :

اعلم أن الورع هو ترك الشبهات ، والشبهة هي ما التبس على الناظر حكمه ولم ينكشف له حقيقة أمره .

أهمية الورع :

قال أبو الحسن ﵁ يروي عن أستاذه : احفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله تعالى لك ، إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله شاكرا ، وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرا ، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وحصون ذلك كله أربعة : صدق الورع وحسن النية وإخلاص العمل وصحبة العلم ولا تتم لك هذه الأربعة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح .

وإياك ثم إياك أن تأخذ من الناس من هذه الدنيا إلا ما صرّح الشارع بصحَّته ، وإياك ثم إياك من أن تمسَّ يدُك بما اعتاده قضاة الديار على جلبه ونهبه ، وقد زيَّن لهم الشيطان نجاسةً مموَّهةً بالذهب ، وسُمّاً مغلَّفاً بالسكَّر ، والأكل من السمِّ القاتل بطعم السكر الموهوم ، واختيار النجاسة الخبيثة رجاءَ الذهب المتخيل شأنُ السفيه المحض ، والبليد المجرَّد .

(١) الدرجة الواحدة تعادل أربع دقائق .

وإنَّ متاع الدنيا قليل جداً ، وقد تلف الأكثر من هذا القليل ، وأيضاً زال أكثرها وبقي الأقل ، ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ « الأعلى ١٧ »ومدَّتها دائمةٌ أبدية .

وقد خاطب شيخ تلميذا له أخذ بعض المال من الناس فقال له : يا ولدي ؛ أجمع القوم على أن المُرُوَّة ، والشجاعة ، والرجولية ؛ شرطٌ في طريق الله تعالى ، ومع ذلك فقد آثرتَ المهانة والجبن والأنوثة ، ولم تَدْرِ قط قدر الرجولية ، وقد كان منك ما كان ، مما استوجب الذلَّة والهوان ، كيف لم تَسْتَح من أخذ أقراش من فلان ، والحال أنك تعرف منِّي أني لا أقبل من الهدايا مع عدم جواز ردِّها في الشرع الشريف إلا أشياء لا يجوز ردُّها ككعك ونحوه مما يستحيي من الناس ردُّه ، وأكافئهم ؛ ولو بشيء قليل بقدر طاقتي ، وأنت خرقت نقاب الحياء بالكلية ؛ ولم تَسْتَح حتى من أراذل الناس !

يا ولدي ؛ إني أريد أن أكون كالتيس بترك ما بأيدي الناس ، والإعراض عنه ، ولا أريد أن أكون كالمعز بقبول إحسانهم من متاع دنيا لا تزن بأسرها عند الله جناح بعوضة .

وقال إبراهيم بن الأدهم رحمه الله : أطب مطعمك ولا عليك بعد ذلك ان لا تصوم النهار ولا تقوم الليل .

الورع لا ينافي التنعم بنعم الله :

وإن الورع الحقيقي لا يتنافى ولا يتعارض مع التنعم بنعم الله تعالى ، فإن الورع يكون عن المحرم والمكروه ، قال العلماء : ومن شأن المريد أن يكون ورعاً عن الحرام والشبهات وعمدة ذلك كله الورع في اللقمة فلو أراد آكل الحلال أن يعصي لما قدر ، ولو أراد آكل الحرام أن يطيع لما قدر .

وليس من الورع ترك المباحات ، فقد جاء في الحديث : « إن رجلاً نذر أن يصوم قائماً لا يَسْتَظِلُّ فأمره رسول الله ﷺ أن يجلس وأن يستظل ويتم

صومه » أمره أن يتمّ ما كان طاعة لله وأن يترك ما ليس بطاعة ، وليت المتورع بترك المباح يخرج سالما ، بل هو عاصٍ ؛ إذ أسند للشريعة ما ليس منها ، واعتقد ترجيح ما هو مُسْتَوٍ في الشريعة ، فهذا ضلال مبين .

وقد كان ﷺ يحب الحلواء بالعسل ويأكل اللحم وخصوصاً الذراعُ ، ويُنْقَع له الزبيب والتمر[1] ويتطيب بالمسك .

من جميل ما قيل في الورع :

١ . قال أحد العلماء : الورع ترك الشبهات .

٢ . وقيل : ورع الظاهر أن لا يتحرك إلا لله تعالى ، وورع الباطن أن لا يدخل قلبك إلا الله تعالى .

٣ . وقال سفيان الثوري رحمه الله : ما رأيتُ أسهل من الورع ، ما حاك[2] في نفسك تَرَكْتَه .

٤ . وقيل : هو أن تحفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم .

٥ . وسئل أحدهم :ما ملاك الدين ؟ فقال : الورع ، فقيل له : فما آفة الدين ؟ قال الطمع .

٦ . وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : لم يتقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع والزهد .

٧ . وقال أبو الفوارس الكرماني رحمه الله : علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات .

٨ . وقال : اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا ما بدا لكم .

---

(١) ينقع له الزبيب والتمر اي : يلقى في الماء لتخرج منه حلاوته إلى الماء .
(٢) حاك في النفس أي : تردّدت فيه النفس .

٩ . وقال : من غضّ بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشبهات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعوّد نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة .

١٠ . وقال شقيق ﷺ : أفضل أخلاق المرء أربعة الحلم عند الغضب ، والسخاوة عند القلة ، وصدق القول في كل حال ، والورع في الخلوة

١١ . وقال بعض العلماء : لا يتم الورع إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه : **أولها** حفظ اللسان من الغيبة ، و**الثاني** الاجتناب عن السخرية ، و**الثالث** الاجتناب عن سوء الظن ، و**الرابع** غض البصر عن المحارم ، و**الخامس** صدق اللسان ، و**السادس** أن يعرف منة الله كيْلا يعجب بنفسه ، و**السابع** أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل ، و**الثامن** أن لا يطلب لنفسه العلوّ والكبر ، و**التاسع** المحافظة على الصلوات وأن يكون الاجتهاد لأن يصلي بالجماعة ، و**العاشر** الاستقامة على السنة والجماعة[١] .

صور من ورع السلف الصالح :

وقد رويت عن السلف الصالح قَصص في الورع نسوق بعضا منها :

١ . قيل :كان حسان بن أبي سنان ﷺ لا ينام مضطجعاً ، ولا يأكل سميناً ولا يشرب ماء بارداً .

٢ . و كان والد الحارث المحاسبي ﷺ قدريا يقول بالقدر[٢] ، وحين مات رأى الحارث من الورع أن لا يأخذ من ميراثه خشية أن يكون على غير ملة أهل السنة والجماعة ، للنهي عن التوارث بين المسلمين وغيرهم كما في حديث : « لا يتوارث أهل ملتين شيئاً » .

---

(١) المقصود ملازمة مذهب أهل السنة والجماعة .

(٢) القدرية هي فرقة مخالفة ظهرت في الخلافة الأموية ويرون أن القدر من صنع الإنسان وأن الإنسان خالق أفعاله .

٣ . وقال أبو علي الدقاق قُدِّسَ سِرُّهُ : كان الحارث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرّك على أصبعه عِرْقٌ[١] ، وقَدّم إليه الجنيد قُدِّسَ سِرُّهُ يوماً طعاماً من وليمة عُرس لقريب له فلم يُسِغْه ، فقدّم له بعد أيام كِسَراً يابسة فأكل وقال : إذا قدّمتَ لفقير طعاماً فقدِّم إليه مثل هذا .

٤ . ومات صديق لحمدون القصّار قُدِّسَ سِرُّهُ وهو عند رأسه ، فلما مات أطفأ حَمْدونُ السِّراجَ فقالوا له : في مثل هذا الوقت يزاد في السراج الدهن ، فقال لهم : إلى هذا الوقت كان الدهن له ، ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة .

٥ . وقال الشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ : أخذ علينا العهود أن لا نُمَكِّنَ الخدام من الدخول على عيالنا ولو كانوا مخاصي .

وقد اختار السلف الصالح ترك الترفه في المطاعم والمشارب والملابس والمساكن ، وعلى هذا ينزل نهي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولده عن الجمع بين لونين[٢] فيما يظن الاكتفاء بأحدهما ، وأن يجعل ما يزاد على مقدار الحاجة في جهات الخير .

الفصل الثامن عشر : البعد عن الناس

ضرر الإفْراط في الاختلاط بالناس :

اعلم أن الخلوة ترك الاختلاط بالناس وإن كان بينهم ، و العزلة هي التبعد عن أرباب أهل الدولة بترك الطمع وعن أماني النفس وشهواتها بلزوم الورع .

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « السلامة في الوحدة والآفة بين اثنين ولتكن أبدانكم مع الناس وقلوبكم مع الله » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » . قيل هذا الزمان زمان الخلوة .

---

(١) العِرْق مجرى الدم في جسم الإنسان .
(٢) أي نوعين من الطعام .

واعلم أن من كثر اختلاطه بالناس فلا يُطمع في نواله حلاوة العبادة ، ومن أفرط في حب الدنيا خيف عليه سوء الخاتمة ، ومن اختار صحبة الظالم فلا ترجى فيه استقامة الدين ، ومن طلب رضا الناس فقلما ينال رضا الله تعالى عنه .

ومِن أنفعِ الأمور للعبد : دوام السكوت ، وملازمةُ البيوت ، والاعتزالُ عن الناس ملاحظاً أنه غيرُ لائق للخروج ، ومعتقداً أنَّه كالكلب العقور ؛ لا متكبِّراً ولا معجباً ، ولا شك أنه لا ينجو أحدٌ من الذنب مع المخالطة ، فإن قدر على حفظ اللّسان فلا بدَّ له من الاستماع ؛ والمستمعُ شريكُ القائل !

وحكي عن الجنيد ﵁ أنه قال : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه فليعتزل الناس فإن هذا زمن وحشة[١] العاقل إلا من اختار الوحدة .

الفصل التاسع عشر : التواضع والخشوع

حقيقة التواضع والخشوع :

التواضع هو الاستسلام للحق ، وترك الاعتراض على الحكم ، والخشوع : قيام القلب بين يدي الحق سبحانه بهمّ مجموع . وقيل : الخشوع : تذلل القلوب لعلام الغيوب ، وقيل هو : ذُبول[٢] يَردُ على القلب عند اطلاع الرب ، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ « الفرقان ٦٣ » أي متواضعين متخاشعين ، بسكينة وتواضع ، وإذا خاطبهم الجاهلون أجابوهم بجواب يسلمون فيه من الوقوع في الاثم .

قال ﷺ : « إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » ، وقال ﷺ : « حسب ابن آدم من الشر إلا من عصمه الله تعالى أن يشار إليه بالأصابع في دينه أو دنياه » وقال ﷺ : « ثلاث مهلكات :

(١) الوحشة هي الهم والخوف .
(٢) ذبولٌ أي : ذلٌ .

شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » ، وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقال أبو يزيد البسطامي ﷰ : هتف بي هاتف : يا أبا يزيد خزانته تعالى مملوءة من العبادة ، فإن أردت الوصول إليه عز وجلَّ فعليك بالذلة والافتقار[١] .

علامات التواضع :

اعلم أن الكبر بطر الحق وغَمْط الناس[٢] ، ومن علامات الخشوع الانقياد للحق ، و خفض الجناح للخلق ، ولين الجانب لهم ، و قبول الحق من أي شخصٍ كان ،و ترك التمييز في الخدمة ، وأن ترى أنْ لا أحد محتاج إليك ، لا في الدينٍ ولا في الدنيا ،و أن لا ترى لنفسك مقاماً ولا حالاً و لا ترى في الخلق من هو شر منك .

صور من تواضع السلف الصالح :

لقد كان السلف الصالح يتواضع بعضهم لبعض اقتداء بالنبي ﷺ فقد روي أنه ﷺ كان يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد ، و يعلف البعير ويَقُمُّ البيت[٣] ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا[٤] ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغني والفقير ، وكان هين المؤنة ، لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بَسَّاماً من غير ضحك ، محزونا من غير عبوسة ، متواضعاً من غير مذلة جواداً من غير سرف ، رقيق القلب ، رحيما بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ، ولم يمد يده من طمع .

---

(١) لعل المراد أن كثيراً من السالكين جاؤوا إلى الله تعالى من طريق العبادات كالصيام والصلاة والصدقات ، ولكن قليلا منهم جاءه من طريق الذل والانكسار .
(٢) غمْط الناس احتقارهم والتهاون في حقهم .
(٣) يقمُّ البيت أي يكنسه .
(٤) أعيا أي : تعب .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يسرع في المشي ويقول : إنه أسرع للحاجة وأبعد من الزَّهْوِ[١] ، وذهب مرة في حاجة له فقيل له هلا أمرتنا أن نحضرها لك ، فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر[٢] .

وقيل : ركب زيد بن ثابت ﷺ فدنا ابن عباس ﷺ ليأخذ بركابه فقال له : مه يا ابن عم رسول الله ! فقال ابن عباس : هكذا أمرنا ان نفعل بعلمائنا ، فأخذ زيد يد ابن عباس فقبلها ، وقال : هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ .

وقال عروة بن الزبير ﷺ : رأيت عمر بن الخطاب ﷺ وعلى عاتقه قِرْبة ماء ، فقلت : يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا ! فقال : لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت في نفسي نخوة[٣] فأحببت أن أكسرها ، ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها .

ورؤي أبو هريرة ﷺ وهو أمير المدينة وعلى ظهره حُزْمة حطب وهو يقول : طرّقوا للأمير ! وقال ابن عباس ﷺ : من التواضع أن يشرب الرجل من سُؤْر أخيه .

وكتب عمر بن عبد العزيز ﷺ لابنه : بلغني أنك اشتريت فَصّاً بألف درهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم ، وأشبع ألف بطن ، واتخذ خاتماً من درهمين ، واجعل فصَّه حديداً صينياً ، واكتب عليه : رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه .

وقُوِّمت ثياب عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو يخطب باثني عشر درهماً ، وكانت قباء وعمامة و قميصاً وسراويل وخفين وقلنسوة .

---

(١) الزَّهْو أي : الكِبر .
(٢) لعل المراد لم يُنقصْ ذهابه من قدره شيئا .
(٣) النخوة هنا الكبر والعظمة والفخر .

وقال إبراهيم بن أدهم ﵀ : سررت في إسلامي مرتين : مرة كنت في سفينة وفيها رجل مِضْحاك ، كان يقول : كنا نأخذ العلج[1] في بلاد الترك هكذا ، وكان يأخذ بشعر رأسي ويَهُزُّني ، فيسرني ذلك لأنه لم يكن في السفينة أحقر في عينيه مني . . والأخرى كنت عليلاً في مسجد فدخل المؤذن وقال : اُخرج ، فلم أطق ، فأخذ برجلي وجرّني إلى خارج المسجد .

وقال ﵀ : ما سررت بشيءٍ كسروري حين كنت يوما جالساً فجاء إنسان وبال علي .

وقال أحد الصالحين : ليس من الكرم استخدام الضيف .

موعظة للمتكبرين :

تأمل يا أخي في كل شيء بعين البصيرة تجد الحق تعالى مع كل شيء وصانع كل شيء فكيف تحقر خلقه ؟ ! وحاصل الأمر أنه لا ينبغي أن يغيب عنك شهود التعظيم لخلق الله تعالى بالبصر والبصيرة ،واعلم أنه لا يكمل الفقير حتى لايرى في أحد عورة[2] قط ، ومادام يرى في الناس عورة فهو محتاج لمن يكمِّله ويؤدبه حتى يوصله إلى مقام التأهل لحضرات الملائكة والأنبياء والأولياء ، وقد وقع للشيخ محيي الدين بن العربي ﷿ أنه ركب البحر فهاجت الريح فقال : اسكن يا بحير فإن عليك بحرا من العلم ، فسكن البحر لقوله ، فخرجت له من البحر هايشة[3] فقالت له : يا محي الدين اسألك عن مسألة فإن أجبت عنها كنت عالما وإن لم تجب عنها فأنت جاهل ، فقال ما هي ؟ قالت : إذا مَسَخَ الله زوج المرأة ماذا تعتد ؟ هل تعتد عدة الأحياء أم عدة الأموات ؟ فما درى الشيخ ما يقول فقالت له الهايشة : تجعلني شيختك وأنا أجيبك عنها ؟ قال : نعم ، قالت : إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الأحياء وإن

(١) العِلج هو الغليظ الجافي من الرجال .
(٢) العَورة هنا العيب .
(٣) هايشة أي : دابة عظيمة .

مسخ جمادا اعتدت عدة الأموات ، فمن ذلك اليوم ما سمع من الشيخ محيي الدين رائحة دعوى العلم حتى مات .

وتأمل قولك : لولا أني أخاف أن تتكبر نفس فلان لو تواضعت له لتواضعت له ، فإن قولك هذا في غاية الكبر ؛ لأنك أَثْبَتَّ لنفسك مقاما أعلى من مقام أخيك ثم تنَزَّلتَ له منه ، وأما تواضع العارفين فلا كبر فيه ؛ لأنهم لا يشهدون لهم مقاما على أحد من المسلمين وقد استعاذ الأنبياء من إبليس مع عصمتهم ، واستعاذوا من فتنة الدجال ، وقال سيدي علي الخواص ﵁ : فتنة الدجال هي خوف تصديقه فيما يدعيه من صفات الربوبية إذا أدركوه ، وروي أن الحق تعالى قال : « العظمة إزاري والكبرياء ردائي من نازعني واحدا منهما قصمته » .

فإياك يا بنيّ وإقامة الميزان على أحد ، فإن لله تعالى أربابا في صورة عبيد وعبيدا في صورة أرباب ، فإن الحق تعالى كثيرا ما يلبس عبده رداء العبودية فيجعله عبدا في عين نفسه سيدا في عيون الحاضرين ، واعلم أن من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكِبر ، و لا غريم أمطل من النفس ، ولا عدو أعظم من الشيطان ، ولا معارض أقوى من الهوى ، ولا يدفع المدد الهابط مثل الكبر ، لأن الغيث لا يقر إلا على الأرض المنخفضة لا فوق رؤوس الجبال ، فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل إلى قلوب المتواضعين ، والمراد بالمتكبرين من يردّ الحق لا من يكون ثوبه حسنا ، قال ﷺ : « ولكن الكبر بطر الحق » يعني دفعه واحتقار الناس ، ولا تعتقد أن الكبر لا يكون إلا في وزير أو صاحب دنيا ، بل قد يكون فيمن لا يملك عشاء ليلة . والكِبْر يفسد ولا يصلح ، لأنه تَكَبُّرٌ على خلق الله تعالى .

واعلم أن الظالمين وإن كانوا على هذه الشنيعة يجب أن لا ترى نفسك عليهم ، فإن السالك لو رأى نفسَه أفضل من الكلاب والذباب ؛ فهو محروم من كمالات الأكابر ، اللهم ؛ نعم يجوز لك أن تبغضهم لما أنهم تركوا الحق واتبعوا

الباطل وطُرِدوا عن طريق الله سبحانه ، فذلك بغضٌ في الله في الحال ، لكن من الممكن أن يتوبوا ويرجعوا أخيراً ، ويكونوا أحسن حالاً منَّا ، وقد سأل الشعراني قدس سره شيخه علياً الخواص قدس سره : كيف أرى نفسي وأنا عالم عامل دون الجاهل الفاسق ؟ فقال : التفاضل لا يقع في الذات حقيقة وإنما يقع في الصفات ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ « الكهف ١١٠ » ، فما فارق غيره إلا بالوحي مراعاة لمقام العبودية التي خلق لأجلها ،فعلم أن التفاضل لا يكون إلا في الأشياء الثابتة وأما العلوم والأحوال فإنها غير ثابتة فإذا سلبت يا أخي من العلم ذهب فضلك الذي رأيت به نفسك على الجاهل .

و قد افتخر رجلان عند موسى عليه السلام بالنسب والحسب ، فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة بتمامها فأوحى الله إلى موسى قل له : هم في النار وأنت عاشرهم .

واعلم أن ثلاثة أشياء هي من أفعال الكرام : **أولها** يحبون الإنفاق على المحتاجين ، **والثاني** يحبون العون لضعفاء المسلمين ، **والثالث** يحبون التواضع والاحتمال عن الخلق أجمعين ، وروى أبو سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « قُرَّاء الرحمن عزّ وجلّ أصحاب خشوع وتواضع ، وقراء القضاة[1] أصحاب عجب وتكبر .

وقيل : التواضع نعمة لا يُحسد عليها ، والكبر محنة لا يُرحم عليها ، والعز في التواضع فمن طلبه في الكبر لم يجده .

ولقد أخبر ﷺ أن من أحب أن يَتمثَّلَ له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار ، وأُخذت العهود على السلف الصالح بإكرام الناس على قدر ما هم عليه من التواضع فأحق الناس بالإكرام والبشاشة أكثرهم تواضعا لله تعالى ولخلقه .

(١) لعل المراد من قراء القضاة الذين ذكرهم مَالكَ بْنَ دِينَار قدس سره حين قال :إِنَّ مِنَ الْقُرَّاءِ قُرَّاءً ذَا الْوَجْهَيْنِ ، إِذَا لَقُوا الْمُلُوكَ دَخَلُوا مَعَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ ، وَإِذَا لَقُوا أَهْلَ الآخِرَةِ دَخَلُوا مَعَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ ، فَكُونُوا مِنْ قُرَّاءِ الرَّحْمَنِ .

و قال سيدي عبد القادر الجيلاني ما وصلت إلى الله بقيام ليل ولا بصيام نهار و لكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر والنداء بلسان الذل والافتقار ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبري من الحول والقوة .

إنَّ حضرة الحق تعطي صاحبها الخشوع قال ﷺ : « ما تجلى الله عز وجل لشيء إلا خضع » ، ومتى ظهر من عبد قهر أو منازعة تحققنا أنه ليس في حضرة الله تعالى أصلا .

الفصل العشرون : النصيحة

اعلم أيها الأخ أنَّ الدين النصيحة كما أخبر بذلك النبي ﷺ حين قال :

« الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ ! قال : لِلَّهِ وكِتابِهِ وَرَسُولِهِ وأئمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعامَّتِهِمْ »

وللنصيحة آداب يجب على الناصح التزامها ، منها :

١ . إخلاص النية لله تعالى وأن لا يقصد بنصحه الشهرة أو شفاء الغيظ

٢ . وأن ينصح في ستر لا في الملأ ، لأن النصيحة في الملأ فضيحة

٣ . و أن يستعمل الرفق واللين في نصحه لئلا يكسر قلب المنصوح

٤ . وأن يعمل بما ينصح به ، لئلا يقع في مقت الله تعالى : قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ « الصف ٢ـ٣ » وإنَّ مِنْ أفْرضِ النصائح أنْ ينصح الإنسان نفسه ، ولا يُدخلَها مداخل السوء ولا يلقيها في مهالك الإنكار على أولياء الله تعالى ، فإن كان إنكاره عن جهل فيجب عليه التثبت أوّلاً ، ومطالعة كتب العلماء المشتملة على سيرهم وإرشادهم وتعبّدهم ، ويحرم عليه إنكار ما لم يعلم .

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ « الإسراء ٣٦ » أي لا تتبع ما لا علم لك به ، فإن الله تعالى سائلك عن سمعك وقلبك وبصرك وما اجترحته في كل منها .

وقد آل الأمر إلى أن الأمور ثلاثة : أمْرٌ تبيَّنَ لك رُشدُه فاتَّبِعْه ، وأمر تبيَّن لك غيُّه فاجتنبه ، وأمر اخْتُلِف فيه فأرْجِعْهُ إلى عالمه .

الفصل الحادي والعشرون : المصافحة

اعلم أن عادة الصحابة ﷺ كانت إذا التقوا وإذا تفرَّقوا تصافحوا ﷺ ، وقد قال ﷺ : « تصافحوا ، فإن المصافحة تذهب بالشحناء » ، وقال ﷺ : « تمام التحية الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » ، وقال ﷺ : « أول من عانق إبراهيم وكان قبلُ السجودُ ، يسجد هذا لهذا وهذا لهذا ، فجاء الإسلام بالمصافحة » وقال ﷺ « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر الله لهما » وقال ﷺ « إذا التقى المسلمان فسلَّم أحدهما على صاحبه فإنَّ أحبَّهما إلى الله أحسنُهما بشراً بصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة ، للبادئ تسعون وللمصافح عشرة » .

الفصل الثاني والعشرون : بر الوالدين

اعلم يا ولدي أن أبرَّ البرِّ صلة الولد أهلَ ودِّ أبيه كما أخبرنا بذلك حبيبنا محمد ﷺ ، وأن عقوق الوالدين من جملة الكبائر ، قال ﷺ : « من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قالوا يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال « يَسُبُّ أبا الرجلِ فَيَسُبُّ أباه وَيَسُبُّ أُمَّه فَيَسُبُّ أُمَهُ » .

وقد أوصى الله تعالى ببر الوالدين فقال في محكم تنزيله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ « الإسراء ٢٣ـ٢٤ » .

فقد أمر تعالى كل مكلف أن لا يعبد إلا إياه وقرن ذلك بالأمر بالإحسان للوالدين لمناسبة ذلك ، فكما أنه تعالى سبب الوجود وهو الرب المربي على الحقيقة ، فالوالدان سبب الوجود الظاهري والمربيان في ظاهر الأمر ، وهما أول مظهر ظهرت فيه صفات الحق تعالى من الإيجاد والربوبية والرحمة بالنسبة إلى الإنسان ، ولذا قال ﷺ « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله » ويتأكد الأمر بالإحسان إليهما عند كِبَرهما في السنِّ لمزيد حاجتهما إلى ذلك في تلك السن ، لذا جاء النَّهي عن التقذّر(١) والتضجّر(٢) منهما ، ولو بكلمة « أفٍّ » وهي كلمة تقال عند التضجّر ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : لو كانت كلمة أصغر من أف لنهى عنها سبحانه .

الفصل الثالث والعشرون : الحزن

اعلم أن الحزن من أوصاف أهل السلوك ، وأن الله يحب كل قلب حزين ، وأنه تعالى إذا أحب عبداً جعل في قلبه نائحة ، وإذا أبغض الله عبداً جعل في قلبه مزماراً ، وقد كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكر ، والقلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب ، وإنما يستدل على حزن الرجل بكثرة أنينه ، والحزن يمنع صاحبه عن الطعام ، و أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن ، وكما أن على كل شيء زكاة ، فزكاة العقل طول الحزن .

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : لو أن محزوناً بكى في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه .

الفصل الرابع والعشرون : الجوع

اعلم أن الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة ، وأدبه أن لا ينقص من عادته إلا مثل أُذُن السِّنَّوْر ، وإن الجوع نور والشبع نار ، ولا تطفأ

---

(١) التقذّر أي : إظهار الاستقذار .
(٢) التضجّر من الضجر وهو إظهار الملل والضيق .

ناره حتى يحرق صاحبه ، ولما كان الشبع مفتاح الدنيا كان الجوع مفتاح الآخرة ، روي أنه جاءت فاطمة ﵂ بكِسْرة خبز لرسول الله ﷺ فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ فقالت : قرصٌ خَبَزْتُه ، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال : أَمَا إنَّه أول طعام دخل فم أبيكِ منذ ثلاثة أيام » .

وحين بكى أحد المشايخ من الجوع ، سئل فقال : أما علمتَ أن مراده تعالى من جوعي أن أبكي ؟ ! و سئل أحدهم : الرجل يأكل في اليوم أكلة ، فقال : أكل الصديقين ، فقيل : فأكلتين ؟ قال : أكل المؤمنين ، فقيل : فثلاثة ؟ فقال : قل لأهلك يبنون لك معلفاً .

وقال أحد التلاميذ : أمرني أبو عبد الله بن خفيف ﵁ أن أقدم له كل ليلة عشر حبات زبيب لإفطاره ، فليلة أشفقتُ عليه و حملتُ إليه خمس عشرة حبة ، فنظر إليّ وقال : من أمرك بهذا ؟ وأكل عشر حبات وترك الباقي .

الفصل الخامس والعشرون : الاستقامة

اعلم أن الاستقامة هي الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ، فكن أيها الولد أمين السرِّ والعلانية ، وادخل في دائرة الاستقامة ، فهي أعزُّ من الكرامة ، واعلم أن من كمال التقوى وجود الاستقامة ، وهي حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة ، كقوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف : ١٩٩ ، وكن مع أهل زمانك للصغار والداً ؛ وللكبار مولوداً ، وادع الناس إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالمعروف ، وكن ليِّنَ العريكة ، وكلِّم الناس على قدر عقولِهم ، عسى الله أن يجعلَك أميناً ، ويجعل زمرةَ المؤمنين أعواناً ، ولا تخرج عن دائرة الاستقامة ولا تأمَن من مكر الله ، فإنه أخفى من الخفيِّ .

ولقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ « فصلت

٣٠ » ، و معنى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي : أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله على ما شرعه لهم ، قال أبو بكر الصديق ﷺ : ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره ، وقال عمر ﷺ : أي لم يروغوا روغان الثعالب[1] وقال ﷺ : « استقيموا ولن تُحصوا ، واعلموا أن خير دينكم الصلاة ، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

واعلم أن الاستقامة درجة بها تمام الأمر وكماله ، وهي مقام لا يطيقه إلا الأكابر ، يؤيده ما حكي عن بعض المشائخ أنه رأي النبي ﷺ في المنام فقال له : يا رسول الله ! روي عنك أنك قلت :« شيبتني سورة هود » ، فما الذي شيبك فيها قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال : لا ، ولكن قوله تعالى : « فاستقم كما اُمِرْت » .

الفصل السادس والعشرون : المداراة

اعلم يا ولدي أن من عاش مدارياً عاش شهيداً ؛ لأن مداراة الناس من أخلاق الأنبياء والصديقين ، ومن كان سهلاً هيناً ليناً حرّمه الله على النار ؛ ومن ثَمَّ كان ﷺ في غاية اللين ، وكان إذا ذكر أصحابه الدنيا ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الطعام ذكره معهم .

وقال عمر ﷺ : إنكم بين الشدة والغِلْظة ، وكان ﷺ مع خادمه وعبيده بل مع عامة أصحابه في سهل ورأفة .

وقال تعالى ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ « الأحزاب ٤٣ » وفي آية أخرى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ « التوبة ١٢٨ » أي : جاءكم رسولٌ يشاكلكم فى البشرية ، فلما أَفْرَدْناه به من الخصوصية ألبسناه لباس الرحمة عليكم ، وأقمناه بشواهد العطف والشفقة على جملتكم ، وأَكْبَرُ هَمِّه إيمانكم .

(١) وراغ الثعلب حاد وذهب يمنة ويسرة في سرعة وخديعة .

فالمعنى : قد جاءكم أيتها العرب رسول عربى مثلكم وعلى لغتكم وذلك أقرب إلى الألفة وأبعد من اللجاجة ، وأسرع إلى فهم الحجة ، فإن الإرشاد لا يحصل الا بمعرفة اللسان ، و لأنه أول جوهر خلقه الله تعالى ، وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ سأل جبريل ﵇ فقال « يا جبريل كم عمرك من السنين » فقال يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع[1] نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال ﷺ « يا جبريل وعزة ربي أنا ذلك الكوكب » ولما خلق الله آدم ﵇ جعل نور حبيبه ﷺ فى ظهره فكان يلمع فى جبينه ، فوجوده الشريف وعنصره اللطيف أفضل الموجودات الكونية ، وروحه المطهر أَمْثَل الأرواح القدسية ، وقبيلته أفضل القبائل ، ولسانه خير الألسنة ، وكتابه خير الكتب الإلهية ، وآله وأصحابه خير الآل ، وخير الأصحاب ، وزمان ولادته خير الأزمان ، وروضته المنورة أعلى الأماكن مطلقا ، والماء الذي نبع من أصابعه الشريفة أفضل المياه مطلقا ، وقوله تعالى : حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أي على إيمانكم وصلاح أحوالكم ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ : أي لا رأفة ولا رحمة الا بالمؤمنين ، ومن ثمه قيل : الرفق في الأمور كالمسك في العطور .

الفصل السابع والعشرون : العدل

اعلم أن العدل هو عدم متابعة النفس على ما تشتهيه ،وقد أخبر النبي ﷺ أن عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة ، وحين دعا موسى ﵇ على فرعون بهلاكه أوحى الله إليه : يا موسى ما ضرني كفره ، ولعبادي نفع من عدله ، فلما قرن مع كفره ظلما أغرقه الله في اليم !

الفصل الثامن والعشرون : الحب في الله والبغض فيه

اعلم يا أخي أنه لا يتم لمحب الدنيا عدم كراهة أحد من الناس أبدا ، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ حيث ربط الزهد بمحبة الناس ، فقال : « ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » فأعداء الناس على حسب محبته في الدنيا .

(١) لعلّ المقصود السماء الرابعة .

ثم إذا أبغضت فلا تبغض إلا الصفات لا الذوات ، لأن الذات واحدة من حيث إنها ملك لله وخَلَقَها بيده ، وتأمل قوله ﷺ حين سئل عن الثوم : « إنها شجرة أكره ريحها » ، ولم يقل أكرهها .

وأعلمك يا أخي ميزانا تعرف به معاداتك للناس هل هي لله تعالى أو لهوى النفس وهو أن تعرض أعمال ذلك الرجل الذي كرهته على الكتاب والسنة فإن كانت أعماله محمودة فيها فأحببه ، وإن كانت مذمومة فأبغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك ، فقد أخذ علينا العهود أن لا نكره أحدا من المسلمين لحظ النفس ، وأما أهل المعصية والفسق المجاهرون ، فعلينا أن نبغضهم في الله تعالى ، وليس ذلك من سوء الظن في شيء .

الفصل التاسع والعشرون : القناعة

اعلم أن القناعة هي ترك التشوّف إلى المفقود والاستغناء بالموجود ، ورضا النفس بما قسم لها من الرزق ، وإن القانع غني وإن كان جائعاً ، والعاقل من دبّر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ، وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل وأمر الدين بالعلم والاجتهاد .

ومن لزوم القناعة أن يأكل أكلة واحدة في كل يوم وليلة فمن أكل مرتين فلا يسمى قانعاً ، وقد وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع : العز في الطاعة ، والذل في المعصية ، والهيبة في قيام الليل ، والحكمة في البطن الخالي ، والغنى في القناعة ، وقال الكتاني رحمه الله : من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة .

و قال أحد الصالحين : كنت جالساً عند الجنيد قدس سره أيام الموسم[1] ، فجاءه إنسان بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه ، وقال : تُفَرِّقها على هؤلاء الفقراء ، فقال : ألك غيرها ؟ فقال : نعم لي دنانير كثيرة ، فقال :

(١) أي : موسم الحج .

أتريد غير ما تملك ؟ فقال : نعم ، فقال له الجنيد : خذها ، فإنك أحوج إليها منا ، ولم يقبلها .

الفصل الثلاثون : الصَّمت

اعلم يا بنيّ أن الصَّمت صفة الرجال ، وهو من آداب الحضرة ،و إذا كان العبد ناطقاً فيما يعنيه وفيما لا بد منه فهو في حد الصمت ، وقد حثَّ عليه النبي ﷺ فقال : « أمسك عليك لسانك ، ومن صمت نجا ، وليسعك بيتك ،وابك على خطيئتك » ، فإذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم .

الفصل الحادي والثلاثون : الخمول

واعلم أن المصلحة في الخمول ، وترك الإظهار والشهرةِ في كل أمر ؛ نظراً إلى حال العصر وأهله ، وقد قيل :

الشهرة آفةٌ وكلٌّ يتمناها والخمول راحة وكلٌّ يتوقاها

وقال بشر رحمه الله : لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ، وقد نصح أحد المشايخ تلميذه فقال : كُن دائماً في الذلِّ والانكسار ؛ و لا تدخل في أهوال الدنيا و مواطن الاشتهار ، وذَرْ الدنيا والفخر لأهلها ، وكن على مكارهها وذوق مرارتها ، وكن مُعتبراً بمن مات من الإخوان والخلاّن ، واعلم أنهم لا يزالون عن مكانهم حتى نلحق بهم ونكون معهم .

الفصل الثاني والثلاثون : زيارة الإخوان في الله

رويَ أنَّ أخوين في الله التقيا ، فقال أحدهما للآخر : مِن أين أقبلت ؟ قال : حججتُ بيت الله الحرام وزرت قبر النبي ﷺ ، فأنت من أين أقبلت قال : من زيارة أخ أحبُّه في الله ، قال : فهل تهبُ لي فضلَ زيارتك حتَّى أهب لك فضل حجي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليّاً – أي : زماناً – فإذا بهاتف يقول :

زيارةُ أخ في الله أفضلُ عند الله من مائة حجة نافلة ، والنبي ﷺ يقول : « مَنْ زَارَ أَخَاهُ المسْلِمَ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ » .

وسأل الشعراني قدس سره شيخه علياً الخواص قدس سره : هل أزور إخواني في هذا الزمان أم أترك الزيارة خوفا أن أشغلهم بزيارتي عن أمر هو أهم منها ؟ فقال : حرر النية الصالحة أولا ثم زر فليس اللوم إلا على من يزور لغرض نفسيٍّ .

الفصل الثالث والثلاثون : الشكر

حقيقة الشكر :

اعلم أن الشكر هو إقرار العبد بأنه عاجز عن الشكر ، وهو كما قال الجنيد قدس سره عنه : الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة ، وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ، و رؤية المنعم لا رؤية النعمة ، وقيل هو معرفة قائمة بالقلب وكلمة قائمة باللسان .

الشكر محض نعمة من الله تعالى :

واعلم أن الشكر بحدّ ذاته نعمة من الله تعالى إذ لولا توفيقه لك لشكره لما قدرتَ عليه ، حتى قال بعض الصالحين : إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله إليه : الآن قد شكرتني ، ولما قال موسى عليه السلام : إلهي خلقت آدم وفعلتَ وفعلتَ فكيف شَكَرَكَ ؟ فقال : عَلِمَ أن ذلك مني فكانت مَعرِفته بذلك شُكْرَهُ لي .

الله تعالى وحده يستحق الشكر والثناء :

وكان مما أخذ على الصالحين من العهود شكر الله تعالى على المنع كشكره على العطاء ، فإنَّهم رعيته تعالى وقد أَمِنوه على أنفسهم[1] وهو تعالى أكرم من أن يخون عبدا استأمنه ، كما أخذ عليهم العهود أن لا يُظْهروا خُلُقا

(١) أي : جعلوا أنفسهم أمانة عنده .

محموداً إلا على وجه الشكر لله تعالى ، أو ليقتدى بهم في ذلك ، فإن لم يكن مشهدهم ذلك أَخْفَوا جميع أخلاقهم المحمودة ونَوَوْا بذلك وجه الله تعالى ، ولم يَتَصدّروا[1] قط في المحافل ؛ غيرة منهم على الحق تعالى أن يُزاحِموه في صفات الحمد في هذه الدار ، وقد بين الإمام الغزالي ﷺ أن للمدح ضررا كبيرا على الممدوح ، فإن المدح يحدث فيه عجبا وكبرا وقد يفرح الممدوح بالمدح فيفسد عمله ، ولذا قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم المَدَّاحين فَاحْثوا في وجوههم التراب » ، وقيل : إذا مُدِحْتُم فَتَذَكَّروا أنكم من تراب وتواضعوا ، ولا تُعْجَبوا بالمدح .

ومن كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ : إذا أراد الله بعبدٍ خيرا ستر عنه كمالات نفسه ، وجعله عبدا مملوكا لا ربوبية فيه تظهر ، فإن كل شيء أَلِفَتْهُ النفس من العلوم والمعارف فعلى العبد أن يرمي به ، وإن كان كشفاً وحالاً ، وما يضرّ ذا العبدَ إذا رضيه الحق تعالى عبدا ولا علم ولا عمل ؟ !

أدنى درجات الشكر :

لقد ذكر العلماء أن أدنى درجات الشكرِ شكرُ اللسان ، فلا أعجز ممَّن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوةُ الفاتحة ؛ في مقابلة ما أنعم الله تعالى عليه شكراً ، وَلْيَنْوِ عند تلاوتها أنه يستغرق في شكر جميع ما أحاط به علمُ الله من نعمه عليه ؛ الظاهرة والباطنة ، والحسيّة والمعنوية ، والمعلومة عند العبد ، والمجهولة لديه ، والعاجلة والآجلة ، والمتقدِّمة والمتأخِّرة ، والدائمة والمنعدمة ، ويتلو بهذه النية ما قَدَر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة ، فمن فعل ذلك كتبه الله تعالى شاكراً ، أو كان ثوابه المزيدَ من نعمه على قدر نيته بحسب وعده الصادق .وأما وجوه المحامد الجامعة فهي كثيرة لا

(١) أي : لم يتقدّموا في المحافل .

نطيل بذكرها ، مثل قوله ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، و قال آدم عليه السلام : « يا رَبِّ ! شَغَلْتَنِي بِكَسْبِ يَدِي ، فَعَلِّمْنِي شَيْئاً فِيهِ مَجَامِعُ الحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا آدَمُ ! إِذَا أَصْبَحْتَ فَقُلْ ثَلاثاً ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَقُلْ ثَلاثاً : الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ حَمْداً يُوافِي نِعَمَهُ وَيُكافِىءُ مَزِيدَهُ ، فَذَلِكَ مَجَامِعُ الحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ » .

والفرق بين الشاكر والشكور أن الشاكر هو الذي يشكر على العطاء والشكور هو الذي يشكر على المنع ، ولكل نعمة شكر يليق بها ، فشكر العينين غضّهما عن محارم الله وعيوب الناس ، وشكر الأذنين التصامم عن عيوبهم وشكر اليدين كفّهما عن أموال الناس وشكر الرجلين كفهما عن المشي في معصية الله وكذلك سائرالأعضاء ، وحقيقة الشكر أن تصرف جميع ما أنعم الله به عليك فيما خلق لأجله ، فيشمل ذلك المال والبدن والأعضاء الظاهرة والباطنة ، فمتى استعملت شيئا منها في غير ما خلق له ، كان ذلك كفرانا لتلك النعمة .

الحامدون الله على كل حال :

وقد أخبر ﷺ أن أول من يدخل الجنة الحامدون لله على كل حال ، وفي رواية : الحامدون لله على السراء والضراء ، وقال ﷺ : « الحمد لله شكر كل نعمة » .

يحكى عن السري قدس سره أنه قال : منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي الحمد لله ، مرة ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ ! فقال : وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل فقال لي : نجا حانوتك ، فقلت الحمد لله ، فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت حيث أردت لنفسي خيرا مما حصل للمسلمين !

وقيل : التزم الحسن بن علي رضي الله عنهما الركن وقال : إلهي أنعمت علي فلم أشكر وابتليتني فلم أصبر فلم تسلب النعمة لترك الشكر ولا أدمت البلاء لترك الصبر إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم .

الفصل الرابع والثلاثون : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدلالة على الخير والمنع عن الشر ،وعن ابن عباس ﵄ أنه قال :قلت : يا رسول الله تُخسَفُ الأرض وفيها الصالحون ؟ قال « نعم ، بادّهانهم[١] وسكوتهم عن المعاصي » ، وعنه ﷺ « يحشر يوم القيامة أناس من أمتي من قبورهم إلى الله عز وجل على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصي وكفُّوا عن نهيهم ويستطيعون[٢] » وقال ﷺ : « يا أبا هريرة مر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك »

وقد قال الإمام أبو سعيد الخادمي ﷿ في « البريقة المحمودة » : إنَّ المداهنةَ في الشرع عدمُ تغيير المنكر مع القدرة عليه ، رعايةً لجانب مرتكبه أو لجانب غيره ، أو لقلّة المبالات بالدين . انتهى . وقال الإمام البركوي ﷿ في « الطريقة المحمدية » : فهذا حرام .

ولا ينبغي السكوت رأساً عن إظهار الحق وإعلان الباطل ، فإن الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس ، والمداهنون يحشرون على صورة القِرَدة والخنازير ، وأْمُرْ بالعرف وانْه عن المنكر ، وخذ من خبر : « الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » حظّاً ، ولا تخفْ من لوم أحدٍ في الدين ، واعمل بالعلم ولو بعُشْر ما تعلم ، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً : « إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ، وَسَيَأتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا » .

ومنهم من يغيره بلسانه ، وهم العلماء ، فيغيرونه بسياسة ولطف لا بعنف وتكبّر ، ومنهم من يغيره بقلبه ، وهم المشائخ والأولياء الكاملون ، وكان سيدي إبراهيم المتبولي ﷿ يقول : تغيير المنكر باليد للولاة ومن قاربهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، وتغييره بالقلب لأرباب القول .

---

(١) من المداهنة .
(٢) أي : كفوا عن نهيهم مع كونهم يستطيعون ذلك .

واعلم يا بني أن المفسدة المترتبة لإنكار من ليس أهلا للإنكار أعظم من المصلحة الناتجة عنها ، ومن شأن المريد ألا يتصدر قط لإزالة منكر ، وقد بلغنا أن جماعة من الشباب كانوا يعبدون الله تعالى ويأكلون من عمل يدهم فكان إبليس كلما أراد ان يقترب من أحدهم كاد أن يحترق فبينما هم يوما في مجلس الذكر إذ حرَّشَ جماعةً من العيَّاق(١) كانوا بالقرب من هؤلاء الذاكرين ، فوقعوا في ضرب بعضهم بعضا بالعصيِّ حتى جرت منهم الدماء ، وكان قصده أن هؤلاء الذاكرين يقولون في أنفسهم إن تخليصنا هؤلاء أفضل مما نحن فيه لأنه خير متعدي النفع ، فتركوا مجلس الذكر ، و جاؤوا يخلصون بينهم ، فوقع العياق فيهم بالضرب ، فاشتغلوا بهم عن الذكر وغيره ، ففرح بذلك إبليس ، وكان جلُّ قصده إبطال مجلس الذكر لا غير .

وقد حكي أن رجلا جاء إلى بعض السلف شكا له من جار له يعمل بالمعاصي ، فقال له : هل قمت ليلة إلى الصباح من أجله ؟ قال لا ، قال : قم سبع ليال لأجله وادع الله عز وجل له ، فإن الله تعالى يتوب عليه فإن فعلت ذلك ولم يتب فاعلم أنك شر منه فاشتغل بنفسك .

الفصل الخامس والثلاثون : التقوى

اعلم أن التقوى هي أن لا ترى في قلبك شيئا سوى الله ، ولها ظاهر وباطن : فظاهرها محافظة الحدود ، وباطنها النية والإخلاص ، وقد عدّها الله تعالى خير الزاد فقال : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ « البقرة ١٩٧ » وقال العلماء : لا زاد كالتقوى ، وعدّوا من الحق أن تقام النوائح على فقدان تقوى الله من القلوب ، وقالوا : كل عالم لم يكن في علمه أربعة أشياء : التقوى فيما بينه وبين الله ، والزهد فيما بينه وبين الدنيا ، والتواضع فيما بينه وبين الناس ، والمجاهدة فيما بينه وبين النفس ، فلا يعتد به ولا يوثق

(١) العيّاق جمع عائق ، وهم صانعوا المشاكل .

بعلمه ؛ لأنه كمثل الحمار يحمل أسفارا ، وحين سئل رسول الله ﷺ : ما أكثر ما يُدْخِل الناسَ الجنةَ ؟ قال ﷺ : « تقوى الله وحسن الخلق » .فقيل ما أكثر ما يُدخل الناسَ النارَ ؟ قال : « الأَجْوَفان الفم والفرج » .

الفصل السادس والثلاثون : التوكل

حقيقة التوكل :

اعلم أن التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، ومعنى ذلك أن يستوي عندك الإكثار والتقلل ، وقد قال العلماء في تعريفه عبارات كثيرة ، منها :

١ . طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية

٢ . ترك تدبير النفس .

٣ . الثقة بما في يد الله تعالى واليأس عما في أيدي الناس .

٤ . الاكتفاء بالله عز وجل والاعتماد على الله عز جل .

٥ . وقال جبريل عليه السلام : التوكل هو الإِياس عن الخلق وأن تعلم أن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ، وحق التوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله .

والتوكل صفة الأنبياء عليهم السلام ، والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام ، والتفويض صفة نبينا محمد ﷺ ، وإن المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه ، كذلك المتوكل لا يهتدي إلا إلى ربه تعالى .

علامات المتوكل :

وللمتوكل علامات يعرف بها ، ومن علامة المتوكل : أن لا يسأل ولا يرد ولا يحبس . وأكمل أحواله أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل ،

لا يكون له حركة ولا تدبير ، فعليك بإسقاط التدبير ، وأنت تعلم أن الله تعالى كان لك قبل أن تكون لنفسك ، فكما كان لك قبل أن تكون ، يكون لك بعدك ، وعليك برفع الهمَّة عن الخلق ، فإنه ميزانُ الفقراء ، ومِسْبارالرجال[1] ، وكما توزن الذوات ؛ توزن الأحوال والصفات ، ولا تهتمَّ في أمر المعيشة ، فإن الله تعالى كان لك قبل أن يخلقك ، فحاشا أن ينساك بعد وجودِك في عرصة الظهور ، فما قام به غيرُك عنك لا تقم به لنفسك ، وقال بشر الحافي ﷺ : يقول أحدهم : توكلت على الله ويكذب على الله ، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به .

التوكل لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب :

واعلم أن التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته ، فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته ، ومن طعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ، واعلم أن التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب .

عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله أدعها وأتوكل ؟ فقال : « اعْقِلْها وتوكّل » ، وقد كان إبراهيم الخواص ﷺ من أهل التوكل وكان لا يفارقه إبرة وخُيوط ورَكْوة ومِقراض ، وكان يقول : إذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتَّهمه في صلاته .

وليس من التوكل ترك الأسباب وإغفال الحزم في الأمور ، بل على العاقل أن يتكيَّس في الأمور بأن يتيقظ فيها ويطلب أسباباً جرت عادة الناس على ارتباط تلك المطالب بها ،وقضية هذا : أنَّ التوكل من لوازم الإيمان ، فينتفي بانتفائه ؛ إذ الإيمان هو التوحيد ، ومن اعتمد على غير الله لم يوحِّده بالحقيقة ؛ وإن وحَّده باللسان . وليس المراد من التوكل ترك السبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين .

---

(١) مِسبار الرجال أي : مقياس الرجال .

وإن الدواء المحصل للتوكل ملازمة خمسة أشياء : أحدها أن يلحظ أن الله تعالى عالم بحاله ، وثانيها : اعتقاد كمال قدرته تعالى ، وثالثها : اعتقاده تنزيه الله تعالى عن النسيان والسهو ، ورابعها : أن يلحظ أنه منزه عن الإخلاف بالوعد ، وخامسها اعتقاده أنه الكريم الجواد .

كلمات ذهبية في التوكل :

وقد نُقلتْ كلمات في بيان حقيقة التوكل منها :

١ . قال ﷺ : « من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله » .

٢ . سئل يحيى بن معاذ رحمه الله متى يكون الرجل متوكلاً ؟ فقال : إذا رضي بالله تعالى وكيلا .

٣ . وسئل ابن عطاء قدس سره عن حقيقة التوكل فقال : أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها ، ولا نُزولٌ عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك على الأسباب .

٤ . وقال أبو حاتم السجستاني رحمه الله : شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشبي : وهو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطي شكر وإن منع صبر .

٥ . وقال ذو النون قدس سره : التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة إذا علم أن الله سبحانه وتعالى يعلم ويرى ما هو فيه .

٦ . وقيل : التوكل هو ردّ العيش إلى يوم واحد ، وإسقاط همّ الغد .

٧ . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

٨ . وقيل : التوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة الموحدين ، فالتوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخواص ، والتفويض صفة خواص الخواص .

٩ . وقال ذو النون ﷺ : التوكل : خلع الأرباب[١] وقطع الأسباب ، فقال السائل زدني ، فقال : إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية .

١٠ . و سئل أبو عبد الله القرشي ﷺ عن التوكل فقال : التعلق بالله تعالى في كل حال .

١١ . وسئل أحد العلماء : إيش التوكل ؟ فقال : الأخذ من الله تعالى[٢] .

١٢ . وقيل : للمتوكل ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم التفويض ، فالمتوكل يسكن إلى وعده تعالى .

١٣ . وقيل :صاحب التسليم يكتفي بعلمه ،وصاحب التفويض يرضى بحكمه .

١٤ . وقال أبو الدرداء ﷺ : ذروة الإيمان الإخلاص والتوكل ، والاستسلام للرب عز وجل .

١٥ . وقال بعضهم : إذا خَيَّرَك الله تعالى في شيء فإياك أن تختار وفِرَّ من اختيارك إلى اختياره فإنك جاهل بالعواقب .

١٦ . وفي التوراة : ملعونٌ من ثِقَتُه إنسانٌ مثله .

١٧ . وقالوا : من اعتصم بالله واستعان به أحوج الله إليه الناس ، وأنطقه بالحكمة

١٨ . وقيل لأبي يزيد ﷺ : ما التوكل ؟ فقال : ما تقول أنت ؟ فقال السائل : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرّك لذلك سرك ، فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ، ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل[٣] .

---

(١) خلع الأرباب فيه إشارة إلىٍ رؤية العبد أنْ ليس في الوجود فاعل ومؤثر إلا الله تعالى .
(٢) بأن لا ترى للأسباب مدخلاً بل ترى أن كل ما تأخذه هو من الله تعالى .
(٣) لعل المراد : أن لا يحدث عند العبد تمييز لو ألقاه الحق تعالى في الجنة أو في النار ، بل يكون فاقد الاختيار كالميت بين يدي الغاسل .

١٩ . وقال أبو بكر الوراق ﵀ : لو قيل للطمع من أبوك لقال : الشك في المقدَّر[١] ، ولو قيل ما حرفتك ؟ لقال اكتساب الذل ، ولو قيل ما غايتك ؟ قال : الحرمان .

٢٠ . وقال الشاذلي ﵇ : خمس من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له : التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى أمر الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الاولى .

٢١ . وقيل : اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل .

فضيلة التوكل :

اعلم أنه ليس في المقامات أعزُّ من التوكل ، ومن يتوكل على الله ويسلمْ لقضائه ويفوض الأمر إليه ويرضَ بِقَدَرِهِ فقد أقام الدين ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ، ومن أَحب أهل التوكل فقد أحب الله تعالى .

وأول التوكل المعرفة بالوكيل أنه هو العزيز الحكيم ، فإذا شهد العبد الذليلُ المَلِكَ الجليلَ قائما بالقسط والتدبير والتقدير ، وعنده خزائن السموات والأرض ، نظر العبد الذليل إلى سيده العزيز فقوي بنظره إليه ، وعزَّ به تعالى واستغنى بقربه عزّ وجلَّ ، فهناك حقت عبادته وخلص توحيده فعرف الخلقَ من معرفة خالقه ، وطلب الرزق عند معبوده ، ولم يحمد خَلْقا ولم يَذُمَّه ، ولم يمدحه لأجل أنه منعه أو أنه أعطاه ، لأنه عرف أن الله هو الولي المعطي ولم يشكر الخلق إلا لأن مولاه أمره بالشكر له ، تخلُّقا بأخلاقه تعالى واتباعا لسنة رسوله ﷺ .

وعليك بالزهد في الدنيا والتوكل على الله ، فإن الزهد أصلٌ في الاعمال والتوكل رأس في الأحوال ، واشهد بالله واعتصم بالله في الأقوال والأفعال والأخلاق والاحوال ، ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم ، وإيَّاك

(١) لأن الطمّاع لو توكّل على الله تعالى وعلم أن خزائن الله ملأى لا تنفد مهما أعطى غيره ؛ لما طمع في أخذ ما ليس له ، فعند الله تعالى ما يكفي الجميع .

والشكَّ والشركَ والطمعَ والاعتراضَ على الله في شيء ، واعبد الله على القرب الأعظم تحظ بالمحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية من الله والله ولي المتقين

وسأل الشعراني ﷺ شيخه علياً الخواص ﷺ عن ادخار القوت هل هو محمود ، لاطمئنان الجزء الذي فينا يحمل هَمَّ المعيشة ؟ فقال : ليس للفقير أن يدَّخر قوتا إلا إن كان على بصيرة بأنه قوته وحده ليس لغيره فيه نصيب ، وإلا فليس له أن يدخر ، لأن الحامل على ذلك إنما هو شح الطبيعة ، فقال الشعراني ﷺ : فإن علم أن ذلك قوت عياله لا يصل إليهم إلا على يديه فهل يدخر ؟ قال : نعم ، فقال : فإن علم أنه رزقهم ولكن لم يطلعه الحق أنه يأتيهم على يديه ، فقال : لا ، فقال : فإن أطْلعه الحق أن ذلك لا يصل إليهم إلا على يديه لكن في زمان معين لم يأت ؟ فقال : هو بالخيار إن شاء أمسكه على ذلك الوقت وإن شاء أخرجه عن يده ، فإنما هو حارس .

وسأله عن حج بعض الفقراء كل سنة من غير زاد ولا راحلة هل هو محمود أم مذموم ؟ فقال : هو مذموم ؛ لأن الله تعالى فرض الاستطاعة في الحج خوفا من تَحَمُّل مِنَن الناس في الطريق ووقوعه في الحقد والكراهة لكل من لم يُطْعمه ولم يُرْكبه فهذا أمر لازم ، ومنقولٌ عن السلف ، وأما من يَسْلِق الناسَ بألسنة حِداد[1] فسفره حرام .

وسأله : هل أعمل لي حرفة آكل منها ؟ فقال : لا تختر مع الله تعالى شيئا ، إلا مع استئذانه ، وإذنه لك ، فإن رزق العبد في طلب مرزوقه دائر والعبد في طلب رزقه حائر وبسكون أحدهما يتحرك الآخر ، فلا يقال السعي أفضل مطلقا ولا يقال ترك السعي أفضل مطلقا ، بل هو على قسمين :

(١) يَسْلِق الناسَ بألسنةٍ حِداد أي : يبالغ في إذايتهم بلسانه .

١ . رزقٌ يأتي إليك بلا سعي[١] فلا يقال في هذا السعيُ أفضل .

٢ . ورزقٌ لابدّ في وصولك إليه من السعي فلا يقال لو ترك هذا السعيَ كان أفضلَ . فافهم .

الفصل السابع والثلاثون : حسن الظن بالله تعالى

اعلم يا أخي أن حسن الظن بالله تعالى هو مَحَطُّ رحال الأولين والآخرين ، فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا » وفي رواية : « فليظن بي ما أحب » ، فالعاقل من أحسن ظنه بربه في كل نفس من أنفاسه ، إن ظننت أنه لا يضيعك في الدنيا ولا يكلك إلى نفسك طرفة عين فعل ، وإن ظننت أنه تعالى يوفي عنك حقوق العباد ولا يؤاخذك بحقوقه فعل ، وإن ظننت أنه تعالى يميتك على التوحيد فعل ، وإن ظننت به أنه لا يشهدك أهوال يوم القيامة فعل ، وإن ظننت أنه لا يحاسبك ولا يسألك عن شيء فعل ، وإن ظننت أنه يثبت قدميك على الصراط فعل ، وإن ظننت أنه يدخلك الجنة فعل .

الفصل الثامن والثلاثون : الصبر على أذى الأهل[٢]

اعلم يا بني أن عادة الصالحين هي الصبر على أهاليهم واحتمال الإيذاء منهن ، وقد روي عنهم في ذلك الكثير ، منه ما روي أنه كان للشيخ أحمد الرفاعي ﷻ امْرأة بذيّة اللسان[٣] تسفه عليه وتُؤْذيه ، فدخل عليْه الذي رآه في مقعَد صدْق يوْماً ، فوَجَد بيد امرأته محرَاكَ التنُّور وهي تَضْرِبُهُ بِهِ على أكتافه فاسودَّ ثوبهُ وهو ساكتٌ ، فانزعج الرجل وخرج من عنده فاجتمع بأصحاب الشيخ وقال : يا قوم ، يجري على الشيخ من هذه المرأة هَذا ، وأنتم

---

(١) كالإرْث مثلاً
(٢) الأهل هي الزوجة
(٣) بذية اللسان أي بذيئة اللسان وهي التي تسيء بلسانها

سُكوتٌ ؟فقال بعضهم : مَهْرُهَا خمسمائة دينار وهو فقيرٌ ، فمضى الرجل وجمَعَ الخمسَمائة دينار وجاء بهَا إلى الشيخ في صينيّة[٤] ، فوضعَهَا بين يَدَيْه ، فقال له : ما هَذا ؟ فقال : مَهْرُ هذه الشقيَّة التي فعَلتْ بك كذا وكذا ، فتَبسَّمَ وقال : لو لا صَبْري على ضَرْبهَا ولسانهَا مَا رَأيْتَني في مَقْعَد صدْق .

وحين أراد أحد الصالحين تطليق أهله ، فقيل له : ما يسوءك منها ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر أهله ، فلما طلقها قيل له : لمَ طلقتها ؟ قال : ما لي وللكلام فيمن صارت أجنبية منِّي .

فأوصيكم يا أولادي بأهاليكم خيراً ، حَسِّنوا خُلُقَكم معهن ، وَلينوا لهن ، وانبسطوا معهن ، وإن الناس يعيبون على أمثالنا بأيسر الأشياء وأقلِّها ، ويرون قليلَ عيبنا كثيراً ، ويعدُّون صغيرَ عملنا كبيراً ، الأمان الأمان ، الحذر الحذر ممَّا يلومه الناس قولاً وفعلاً ، فكونوا راضين أنيسين مؤنسين لقريناتكم ، جعل الله عقبى جمعكم إلى خير .

واعلموا أنَّا إذا أكثرنا القول مع أهالينا وأسأنا الكلام معهنَّ ، فإنهنَّ ولا ريب لا يتأدّبن معَنا ولا يحتَرِمْنَنَا ، والغالب عليهن أنهنَّ لا يَفْرَغن لخدمتنا لكثرة أشغالهنّ[٥] فسامحوا وتجاوزوا واعفوا ، وعِظوا وانصَحوا بلطف ورفق ، دون عنف ! فما فَعَلْن يكفينا .

والحمد لله رب العالمين

تمّ الفراغ منه في شهر الله المحرَّم لعام ١٤٣٦ للهجرة المباركة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

---

(٤) الصينية هي طبق تُقَدَّم عليه أواني الطعام

(٥) إشارة إلى وجوب التماس العذر للمُقَصِّرات من الزوجات

الفهرس

هذه بيانات

الفتاوى العمرية في الطرائق العلية

ألفها :

مفتي العساكر الحافظ

عمر بن الحاج عبد الله الداغستاني الميرطي ﭬ

تأليفاً للبين وإذهابا للغين من بين الأخوين

عسى الله تعالى أن يجعلها قرة للعين

لذينك المحقين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه :

هو الشيخ العلامة الفقيه المحدث الصوفي ، مفتي العساكر ، الحافظ الحاج عمر ضياء الدين بن عبد الله الأواري الداغستاني ، الـمِيَرْطِي مولدا ، الإستنبولي مهاجرا ﵀.

مولده ونشأته :

ولد رضي الله عنه في سنة ١٢٦٥ في قرية « مِيَرْطُه » (مائتلي) من ناحية سَلَتَوِيَ . أخذ عنه كثير من علماء داغستان ، ومنهم : الشاعر الأواري الموهوب الحاج علي بن غازي محمد الإنخوي ، والحاج حبيب الله أفندي القحي ، وغيرهما ﵏ . مفتي الآلاي[١] التاسع بالمملكة العثمانية ، وهاجر إلى إستنبول ، لعلها بعد ١٢٨٨ ، ونزل مصر برهة . ودرّس الحديث بالأستانة في الخانقاه خلفًا للعلامة إسماعيل نجاتي المتوفى سنة ١٣٣٨ ، إلى أن مات سنة ١٣٤٠ . ووصفه الامام الكوثري ﵀ في تحريره بـ« المحدّث » .

« ١ »آلاي : هو تقسيم عسكري تركي يعد مقابلا في وقته للواء المشاة .

مؤلفاته :

له نحو عشرين مؤلفا بالعربية والتركية والأوارية ، منها :

« سنن الأقوال النبوية من الأحاديث البخارية » ، طبع في استانبول سنة ١٣٠٨ ، عدد أحاديثه « ٤٥٤١ » حديثًا ، جمع فيه جميع ما في « صحيح البخاري » من الأحاديث القولية النبوية محذوفة المكررات .

و« زبدة البخاري » ، طبع في دار الكتب العربية بمصر سنة ١٣٣٠ ، عدد أحاديثه « ١٥٢٤ » حديثًا .

و« ميزان حق الأقوال وماذا بعد الحق إلا الضلال » ، جزءٌ في بيان فرضية التجويد على كل من كُلِّف بالصلاة من العبيد ، في تسع وعشرين صحيفة . مطبوع .

و« تجويد عُمَرِية خلاصة رسائل عربية وتركية » في خمس وعشرين صحيفة .

و« الفتاوى العُمَرِية الميرطية الداغستانية في الطريقة العليَّة » ، مطبوع في تركية .

و« رسالة في أصول الحديث » ، على طريقة السؤال والجواب ، وغيرها .

توفي في إستنبول سنة ١٣٤٠ أربعين وثلاث مائة وألف ، ودفن في جامع السليمانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ، جليل الإحسان ، عظيم الامتنان ، وبه نستعين وعليه التكلان .

الحمد لله فاتح الباب ، ورافع الحجاب ، والصلاة والسلام على حبيب الأحباب محمد وآله وصحبه الأنجاب .

وبعد :

فهذه « فتاوى » التقطتها من الكتب الفقهية ، والأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية ، الفقير الحقير الذي هو في باب المشائخ قطمير ، مفتي العساكر ، الحاج الحافظ عمر الداغستاني الميرطي ، عمّر الله قلبه بفيوضات اسمه **المعطي** ، سميتها : « فتاوى عمرية في الطرائق العلية » .

ويجب على مَن لم يُرزَق قلباً سليماً أن يَتعلم من الشيخ المرشد أدوية أمراض القلب ، وأما تعلم علم الظاهر فلا يغني عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين ، كذا في « تحفة » ابن حجر ، من كتاب السير . وفي الحديث : « اسْتَرْشِدُوا من الْعَاقِلِ تَرْشُدُوا ، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا » ، وكذا : « الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ » .

قال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : مَن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ، وفي رواية : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . وقال القشيري ﷺ : الشجرة إذا نبتت من غير غارس فإنها تتورق ولا تثمر ، وإن أثمرت لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين . والغرسُ إذا نقِل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه . وقد اعتبر الشرع وجود التعلم في الكلب المعلم لحلّ ما يقتله من الصيد بخلاف غير المعلم ، « روح البيان » .

يقول الفقير : فإن الكلب أخسأ الحيوانات وأحرصها ، ومع ذلك يقبل التربية ويترك حرصه وطمعه ، فكيف لا يقبل التربية الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات ؟ ! وقال المشائخ : من لم ير مفلحاً لا يفلح . ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فأصحاب رسول الله ﷺ تلقوا العلوم ، والآداب ، والأخلاق منه عليه السلام ، كما روي عن بعض الصحابة : عَلّمنا رسول الله ﷺ حتى الخرأة – بكسر الخاء المعجمة – يعني قضاء الحاجة .

قال الفخر الرازي ﷺ : ولما قال الله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾؛ لم يقتصر عليه بل قال : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، وهذا يدل على أن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء الصراط ، ويجنّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق ، وتمييز الصواب عن

الغلط ، فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل ، فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات أو معارج الكرامات ، فراجع : « التفسير الكبير » .

وقد ورد : « الرَّفِيقُ ثُمَّ الطَّرِيقُ » . وفي « سلك العين » : لا بدّ من مرشد حسي أو معنوي ، إلخ ، فراجعه .

اعلم : أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريق عن تلميذه قبل وفاته بسنتين ، فقال حين وفاته : لو لا السنتان لهلك النعمان ، كذا في « مكتوبات » الإمام الربّاني .وقد كان الإمام أبو حنيفة ﵀ يرى بكشفه نجاسة الذنوب التي تسيل مع ماء الوضوء ، كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال : بنجاسة الماء المستعمل ، كذا في « ميزان » الشعراني ﵀ . وقال الشعراني ﵀ في « طبقاته » : كان الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهما الله يتردّدان إلى مجلس الصوفية ، ويحضران معهم في مجالس ذكرهم ، فقيل لهما في ذلك : ما لكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال ؟ فقالا : إنّ هؤلاء عندهم رأس المال كله ، وهو تقوى الله عز وجل ، وذكره ، ومحبته ، ومعرفته . وقد كان الشافعي ﵀ يجلس بين يدي شيبان الراعي ﵅ كالصبي بين يدي المرضعة .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يومًا جالسا عند الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى فجاء شيبان الراعي فقال أحمد : إن هذا مع نقصان علمه لَيشتغل بتحصيل علم الباطن فإني أسأله من بعض مسائل الفقه ، فقال له الشافعي ﵀ : لا تفعل ، فلم يقبل وقال لشيبان ﵀ : ما تقول

فيمن نسي صلاة من الخمس في يوم وليلة ، ولا يدرى أيّ الخمس هي ماذا يصنع ؟ فقال شيبان ﵀ : قلب غفل عن الله تعالى فينبغي أن يؤدّب حتى لا يعود ، فغشي على أحمد ﵀ ، فلما أفاق قال له الشافعي ﵀ : ألم أقل لك لا تتعرض له ؟ ! وسئل أيضا يوما : عن زكاة الإبل ، فقال : أما عندكم فشاة عن كل خمسة إبل ، وأما عندنا فالجميع ، قيل له : فمَن إمامك ودليلك فيه ؟ قال : إمامي فيه أبو بكر الصديق ﵁ ، حين أتى بجميع ما ملك إلى رسول الله ﷺ ، فإذا قيل له : هل بقي لك ولعيالك شيىء ؟ قال : نعم ؛ الله تعالى ورسوله بقي لنا ، فتعجب السائل من جوابه . وشيبان الراعي ﵅ كان أميا ، فإذا كان حال الأمي هكذا فما ظنك بأئمتهم ؟ ! انتهى .

فقد سلك في هذا الطريق كثير من العلماء : كالغزالي ﵀ ، وألف فيه كتاب : « إحياء العلوم » ، فراجعه ، وكابن الهمام ، والسيوطي ، وابن حجر ، وغيرهم« ١ » ﵏ ، وقالوا : علم الباطن كالعلم بأمراض القلب ، من الرياء ، والعجب ، والحسد ، والحرص ، وسائر الأخلاق الذميمة ، وما يتولد منها ، والعلم بحدودها ، وأسبابها ، وعلاجها ، والعلم بتحصيل أضدادها ، من قهر النفس وتحقيرها ، والرضا بالقضاء ، وسائر الأخلاق الحميدة – فرضُ عين ، وحتم لازم على كل من لم يرزق قلبا سليما وقليل ما هم .

« ١ » والشعراني ، والشرنبلاني ، وخير الدين الرملي والحموي محشّي الأشباه ، والعز بن عبد السلام ، والتاج السبكي ، والشيخ زكريا الأنصاري ، والشاذلي ، وعبد القادر الكيلاني ، والجامي ﵏. (هامش الأصل)

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ﷺ : كل فقيه لا يجتمع بالصوفية فهو كالخبز الجاف بلا إدام ؛ لأن العلم رياسة عظيمة وللنفس فيه دسائس ، فربما خفيت على العلماء فضلا عن الطلبة .

وقال ابن حجر ﷺ : فليتخذ ثقة وحجة ولا يلتفت إلى من يتعصب وليتحرّ أورع المشائخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ، وليترك رسومه ، وليدخل تحت إشارته ، ومن ظفر شيخا بهذا الوصف فحرام عليه أن يتركه ، ويدلك عليه الأدلة الأربعة بل يشهد لك الكتب السماوية كلها ، وبالجملة : انه طريق وعرفان لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، وجميع العالم لو اجتهدوا في تغيير وتبديل شيء من أوضاعه لم يجدوا إليه سبيلا ، انتهى كلام ابن حجر ، معتمد الشافعية في الفقه ﷺ .

قال القشيري ﷺ في « رسالته » : فشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن علم النقول ، والعقول ، والأثر ، إلى عين اليقين ،فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور ، فالناس أهل التقليد والاستدلال ، وهم أهل التحقيق والوصال ، كما قيل :

ليلـى بوجهـك مشـرق وظلامـه في الناس سـار
فالناس في سـدف الظلام ونحـن فـي ضـوء النهار

حكي عن الفخر الرازي ﷺ : أنه سافر إلى بغداد فاستقبل إليه جميع أهل البلدة إلا عجوزا منهم ، فلما أخبره الناس عن استكناف

تلك العجوز أن تزور وتستقبل إليه ذهب إلى زيارتها وسألها عن عدم استقبالها ؟ فقالت : ما مزيتك لأنْ تستحق بالاستقبال والتعظيم ، قال : اني قادر على إثبات وحدانية الله تعالى بمائة ألف دليل ، فقالت : لا شبهة لنا في وجوده تعالى ووحدانيته ، ولا حاجة لنا لإثباته بالدلائل الخارجة ، فنحن أهل الشهود والوصال ، وأنتم بعد أهل التقليد والاستدلال ، فصدّقها بما قالت . ولم يكن في عصر من الأعصار شيخ من الشيوخ من هذه الطائفة إلا وأئمة العصر[1] يتواضعون له ، ويتبركون به ، ويقدمونه على أنفسهم ، ولو لا مزية الطريق وأهله لكان الأمر بالعكس ، كما تقدم حرمة الإمام الشافعي لشيبان الراعي الأمي .

ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ويقول : يا أنس ؛ كنتَ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آل بيته ، وان الله تعالى علمكم شأن المنافقين وأحوالهم كما قال تعالى :﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ ، فانظر يا أنس ؛ هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من تأثير خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضا ظنًّا منه من بكاء أنس رؤيةَ النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر ؛ لا تبكِ ، وإنما بكيتُ أنا من تأثير شدة خوفك من النفاق ، وعدمِ أمْنِك منه بعد ، فقال عمر : يا أنس ؛ من أمن من

« ١ » وفي نسخة : من العلماء

النفاق فهو منافق ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ﷺ ، ومعلوم أن هذا نفاق رياء لا نفاق شرك .

إن قلت : إني لا أتخذ شيخًا بل أطالع كتب الشرع والتصوف ، وأتعلم غوائل النفس ، وأمراض القلب وعلاجها ! قلت : نعم ؛ ولكن اشتغالك بالذكر ، والفكر ، ونفي الخواطر ، والوجود ساعة خير لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .

قال حضرة خواجه شاه نقشبند قدس سره الأمجد : أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود وإن كانت الصلاة والصيام طريقًا إلى الوصول إلى الله تعالى ، لكن لا يتم الوصول بها إلا بنفي الوجود ، وقد قيل : وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر ، فلذلك كان السالك يجد من المدد في الظاهر والباطن ما لا يجده في الصوم والصلاة . فلا تلتفت أيها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض ، والواجبات ، والرواتب ، واجتهد لقطع علائق القلب والفناء« ١ » إن كنت تريد الوصول إلى المعبود .

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : جلسة خير من ألف حجة أي : الجلوس ساعة متفكرا في عظمة الله تعالى منقطعًا عن سائر الخواطر خير من ألف حجة حج في غفلة ؛ لأنه ربما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب ذلك التفكر وأما الأخير فكالحمار يحمل أسفارًا يذهب إلى الحج ويرجع ولا يتفكر في شيء من عظمة الله تعالى ووعدِه ووعيده ولا يتخلص عن الأخلاق الذميمة .

« ١ » وفي نسخة :وإفناءه

إن قلت : فهلا يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ وأستاذٍ ؟ قلت : نعم ؛ يمكن إن تعلمت آدابه وأركانه وأصوله ولكن لا تقطع المسافة الروحانية كمثل مُرْكَب الرحى يظن أنه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنه يدور دائمًا حول دائرة الرحى ، وعيناه مستورتان فبركة اليد الصحيحة كثيرة ونفع صاحب النسبة وفيرة فلا بدّ لكل طالب النجاة ومريد الفوز والسعادة أن يتمسك بأذيال المشائخ من أهل الطريق . لقد فاز من كان له شيخ يرشده ، وخسر من لم يتخذ له شيخًا ، فلا بدّ لطالب الحق من شيخ أديب كامل وأستاذ حاذق يبصره بعيوب نفسه وآفات النفوس وفساد الأعمال ومَداخل العدوّ ، وينصحه نصيحة الأب بلا غرض ولا عوض فإذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدّبْ بآدابه ليسري من باطنه إلى باطنه حال قويّ كسراج يقتبس من سراج ولينسلخ من إرادة نفسه بالكلية فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله ؛ لأن سلسلة التسليم ينتهي إلى رسول الله وإلى الله على مقتضى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ، « روح البيان » .

وأجمعوا على أنّ من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له فلا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل[1] مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ثم يؤذن له صريحًا بأن يرشد ويلقن على

« ١ » اعلم : أيها الطالب الصادق والمراد من الشيخ الشيخ الكامل الفاني في الله تعالى لا الشيخ الناقص وأخذ الطريقة من الشيخ الناقص مضر للطالب كما قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني .(هامش الأصل)

شروط ما كان عليه السلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين كما قيل : الإسناد من الدين ، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، والإسنادُ سلاح المؤمن ، والإسنادُ سنة من السلف ، قاله أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقال الشعراني قدس سره في « الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده إلى زوال الصفات المذمومات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه لتصح صلاته وخشوعه من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولا شكّ أنّ علاج أمراض القلب كله واجب كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، وأمّا بغير اتخاذ شيخ فلا ينفعه ولو حفظ ألف كتاب ، فهو كمن يعرف كتابًا في الطبّ ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، واسم المرض ، وكيفية إزالته ، فاتخذ لك شيخًا ، وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ، فإنه كفر ؛ لأن الطريقة عبارة عن الأخلاق المحمدية والسنن النبوية ، انتهى كلام الشعراني .

وكذا الحال في العلم الظاهر فإنه لا بدّ من التكميل ثمّ الإذن من الأستاذ للتدريس ، قال في « الأشباه » : لما جلس أبو يوسف للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى أرسل إليه أبو حنيفة رجلا فسأله عن مسائل خمس :

الأولى - قَصّارٌ جَحَد الثَّوبَ ثمّ جاء به مقصورًا ، هل يَستحقُّ الأجرَ أو لا ؟ فأجاب أبو يوسف : يَستحقّ الأجرَ ، فقال

له الرجل : أخطأتَ ، فقال : لا يستحقّ ، فقال الرجل : أخطأتَ أيضًا ، ثمّ قال له الرجل : إنْ كانت القصارةُ قبل الجحود يستحقّ وإلا فلا .

الثانية – الدخولُ في الصلاة بالفرض أو بالسنَّةِ ؟ فقال : بالفرْضِ ، فخطّأه الرجل ، فقال : بالسنة ، فخطّأه الرجل أيضا ، ثمّ قال الرَجلُ : بهما ؛ لأنّ التكبير فرض ، ورفع اليدين سنّة .

الثالثة – طيرٌ سَقَطَ في قِدر على النار ، فيه لحم ومَرَق ؛ هل يؤكلان أم لا ؟ فقال : يؤكلان ، فخطّأه ، فقال : لا يؤكلان ، فخطّأه أيضًا ، ثمّ قال الرجل : إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثًا ويُؤكل وترمَى المَرقة وإلا يُرمى الكُلُّ .

الرابعة – مسلمٌ له زوجة ذِمِّيَّة ماتت وهي حامِلٌ منه ؛ تُدْفَن في أيّ المَقَابر ؟ فقال : في مقابر المسلمين ؛ فخطّأه ، فقال : في مقابر أهل الذِّمّة ؛ فخطّأه أيضا ، ثمّ قال الرجل : تدفن في مقابر اليهود ؛ ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكونَ وجهُ الوَلَدِ إلى القبلة ؛ لأنَّ الولدَ في البطن يكون وجهُه إلى ظهر أمِّه .

الخامسة – أمُّ ولد لرجلٍ تزوَّجَتْ بغير إذن مولاها فمات المَوْلى ، هل تَجب العدَّةً من المولى أم لا ؟ فقال : تَجب ؛ فخطّأه ، فقال : لا تجب ؛ فخطَّأه أيضًا ، ثمّ قال الرجلُ : إنْ كان دَخل بها لا تجِب وإلا تجب ، فعَلِمَ أبو يوسف تَقصيرَهُ فعاد إلى أبي حنيفةَ فقال : تزببت قبل أن تُحَصْرم ، « روح البيان » .

قال الحلبي رحمه الله : ومنها أي من النوافل ركعتا الاستخارة ، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنا الاستخارةَ في الأمور كُلِّها كما يُعَلِّمُنا السورةَ من القرآن ويقول : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ : اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي «١» وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي عَاجِله وَآجِلِه فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي عَاجِله وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ . ويسمي«٢» حاجته ثم يفعل مَا ينشرح لَهُ صدره ، « حلبي »«٣»

وفي الحديث : « مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ ، وَلا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ » . وفي حديث آخر : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ فإنها تطمئنّ للخير وتضطرب للشرّ ، فلا تفعلها وإنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ » .

أقول : هذه الاستخارة في حالة اليقظة لكن المشائخ استحسنوا الإستخارة في المنام بأن ينام المريد بعد ركعتي الاستخارة والدعاء المذكور فإن رأى في المنام شيئا مشروعا طيبا طاهرا كالبياض

« ١ » وفي نسخة : ودنياي .
« ٢ » وفي نسخة : قال ويسمي . . .
« ٣ » لعله : السيرة الحلبية

والمصحف والمسجد والعلماء والمشائخ وغيرِها فهو خير ، وإن رأى شيئا خبيثا منكرا حراما يجدّد الاستخارة إلى سبع مرات لئلا تكون تلك الرؤيا شيطانيا لا رحمانيا ؛ لأن النفس والشيطان لا ترضيان بالذكر وأخذ الطريق ، فالذكرخير مشروع فلا حاجة إلى الاستخارة في الأمور المشروعة كالصوم والحجّ والذكر لكن الاستخارة مستحب لأجل تعيين الوقت أو تعيين المرشد المعيّن أو لأمر خارج كما في الحديث : « إذَا هَمَمْتَ بِأمْرٍ فتدبَّرْت عَاقِبَتَهُ ، فَإنْ كَانَ رُشْدًا فَأمْضِهْ ، وَإنْ كَانَ غَيًّا فَانْتَهِ عَنْهُ » . فقد استحسن بعضهم قراءة سورة الكافرون لضم السورة في الركعة الأولى والإخلاص في الثانية . وقال الباجوري ﵀ : والأوْلى أن يقرأ في الأولى : آية :﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ إلخ ، وفي الثانية : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ إلخ .

وكيفية التلقين بعد ثبوت صدق المريد: أن يأمره الشيخ بالاستخارة ، وهو يستخير أيضا ، فإن وافقَتْ استخارتهما يأمر الشيخ المريدَ أن يغتسل بغسل التوبة ، ثمّ يصلي المريد صلاة التوبة ركعتين ثمّ يتصدق بصدقة ، ثمّ يجيئ عند الشيخ والشيخ يجلسه بين يديه ويلصق ركبته بركبتيه ، ثمّ يأخذ الشيخ بيده اليمنى يد المريد كالمصافحة ، ثمّ يستتيب الشيخ عن جميع المعاصي والمخالفات التي أضاع عمره بها ويأخذ عنه العهد على الاستحلال مع أرباب الحقوق وردِّ المظالم واسترضاء الخصوم ، ويأخذ العهد على التقيد

بمتابعة السنة والعمل بالعزيمة وترك الرخص والاجتناب عن كل بدعة والتخلق بالأخلاق الحميدة والتجنب عن الأخلاق الذميمة ، ثمّ يستغفر هو والمريد هكذا : أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم بديع السموات والأرض مِن جميع جرمي وظلمي على نفسي وأتوب إليه توبةَ عبدٍ ظالم لنفسه لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ، ثمّ يقرأ الشيخ هذه الآية :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ إلخ ، ثمّ يضع الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما ويغمضان أعينهما ثمّ يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات أي : الله الله الله ، على نية التعليم والتلقين لقلب المريد ثلاث مرات بالتوجه التام والحضور ، ثمّ يفتحان أعينهما ، ثمّ يرفع الشيخ والمريد معا أيديهما للدعاء فيدعو الشيخ ويؤمّن المريد ، ثمّ يمسحان أيديهما وجوههما ، وبعده يقبِّل المريد ركبة الشيخ ويقدِم من محله ويأذن الشيخ ويذهب ويشتغل بما أمر به الشيخ ، ويحفظ نسبة الشيخ ومحبته في كل وقت وحال ويوفي العهد والميثاق ولا ينقضه إلى أن يموت ، « خادمي في الطريق النقشبندي » .

سئل : فيما يفعله السادة الصوفية من إعطاء العهود للفقراء وأخذ الفقراء منهم العهد ، فهل ذلك مستحب أم لا ؟

أجاب : أخذ العهد حسن محبوب ؛ لأن الشيخ يذكر للمريد كلاما يعاهده عليه ، معناه : الرجوع عن المعاصي ، والدوام على الطاعة ، وهذا الدليل أصل أصيل جائت به الأحاديث ، منها : عن

عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه أنّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه : « بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَزْنُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شيئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَى فَهُوَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَفَى عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ » ، فبايعناه على ذلك ، والله تعالى أعلم ، « فتاوى خليلي » الشافعي المقدسي ، قدس الله سره الجلي .

وأما تعريف الشدّ والبيعة : فهو قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ ، ثمّ يقرأ الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاثا ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويوصي بالتقوى ، ونحو ذلك ، « فتاوى خليلي »

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : بينما كنا في الحديبية قائلون وقد سمعنا أنّ قريشا لم يقبلوا دخولنا في مكة زائرين إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فسرنا إلى رسول ﷺ وهو تحت شجرةٍ من أشجار السمُر فبايعناه ـ السمر : بضم الميم – فبايعوه على عدم الفِرار من الزحف ، وانّه إما فتح مكة وإما الشهادة ، ولما عَلِمت قريش بهذه البيعة كبرت

عليهم وخافوا أن يحاربوا ، فطلبوا الصلح على أن يرجع رسول الله عليه السلام في العام ويعود من قابل لئلا يتحدّث العرب بأنّه دخل عنوة ، فرضي على ذلك النبي عليه السلام أيضا ، وكذلك الصحابة فصالحوا على ذلك ورجعوا ، فنزلت سورة الفتح من أوله إلى آخره مرجعه عليه السلام من الحديبية ثمّ نزلت هناك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ أي : الذين عاهدوا والتزموا طاعة النبي عليه السلام والثبات على محاربة المشركين وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ،﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ﴾ أي : كأنّهم يعاهدون مع الله تعالى ؛ لأنّ المقصود ببيعة رسوله هو وجه الله وتوثيق العهد بمراعاة أوامر الله تعالى ونواهيه ، وإنما هو عليه السلام سفير ومعبر عنه ، وواسطة بينه تعالى وبين عباده ،﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : كأن يد الله حين مبايعتك ومصافحتك فوق أيديهم ليحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط الثالث أيدي المتبايعين إلى أن يتمّ العقد لا يترك واحدا منهما أن يقبض يده إلى نفسه ويتفرق عن صاحبه فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ البيعة كما هو عادة العرب أو إنّ رحمة الله أو نظره أو نصرته أو قوّته عليهم أو غير ذلك ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ أي : فمن نقض عهده وبيعته فإنّما يعود ضرر نقضه على نفسه ؛ لانّ الناكث هو لا غير ، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي : ومن ثبت على عهده وأتمّه بحقه فسيعطيه الله الجنّة ورضوانه تعالى ورؤيته في الجنان والنظر إلى وجهه الكريم ، « روح البيان » .

وقد كان علامة أصحاب رسول الله ﷺ معه في الغزاة أن يقول : يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب سورة الفتح ، وعند تلك المبايعة قال لهم رسول الله ﷺ : « أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ » ، فنزلت آية : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ، وبهذه الآية سميت تلك البيعة بيعة الرضوان . رضى العبد عن الله تعالى أن يرضى بقضائه ، ورضى الله تعالى عن العبد أن يراه مؤتمرا لأمره منتهيا عن نهيه . الشجرة هي : شجرة سمر أي : أم غيلان ، وهو كثير في واد الحجاز ، وقيل : سدرة ، وقد قطع تلك الشجرة عن أصلها في زمن عمر بأمره حين رأى الناس يزورونه ويعظمونه خوفا من الفتنة والفساد ، « روح البيان » .

اعلم : أن الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق أوّلا من ذرّات أرواح بني آدم كما قال تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، فهذا العهد والميثاق قبل خلقِ الأجساد ولأجل التوحيد وترك الإلحاد ، ثمّ أخذ أيضا من أبينا آدم عليه السلام عهدا وميثاقا لترك ما نهى الله تعالى عنه كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ ، ثمّ أخذ من جميع الأنبياء لتصديقهم نبوّة محمّد ﷺ وتبشيرهم به أمّتهم كما قال تعالى :﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ الآية ، ثمّ أخذ منهم ميثاقا لإقامة الدين كما قال تعالى :﴿وَمِنكَ وَمِن

نُوحٍ﴾ الآية ، ثم أخذ من جميع العلماء عهدا وميثاقا لنشر الدين كما قال تعالى :﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ، كذا ورد على خاطر الفقير حين وصل كتبته إلى هذا المحل : « لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

ففي « روح البيان » : المبايَعون ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايَعُ في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو : الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى ببيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به ، فأما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلا ، فإنّ الرسل معصومون من هذا ، والشيوخ محفوظون ، وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظا ؛ وإلا كان مخذولا ، ومع هذا فلا يطاع في معصية – لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق – والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى ، « روح البيان » .

وشرط المرشد الذي يصح له الإرشاد[1] : أن يكون عامِلاً بموجب الشريعة المطهرة على وجه الاستقامة بلا ميل ولا انحراف

« ١ » قال تاج الدين النقشبند ﷺ : ومن يريد أن يعرف الشيخ الكامل بالتحقيق يجلس على مقابلته ، فإن حصل له الجمعية وزال عنه التفرقة أو نقص فهو وليّ ، وإن لم يحصل له التمييز ففي وقت سكون الشيخ يجلس أيضا مقابله متوجها إلى الباطن ، فإن نقص من الخواطر والوساوس فوليّ مرشد وإلاّ فيتركه . الشيخ هو الذي بقوّة تصرّفه ترتفع الظلمات البشرية عن المريد وتثبت أنوار الجمال الإلهي ، فبسببه يحصل طلب الذات الأحدية ، فتحويل القلب عن الأدنى إلى الأعلى وانصراف الرغبة عن الأدنى على يد الشيخ ، وترك الدنيا على يد المريد . وقيل : الشيخ يحيي ويميت . (شرح أيها الولد)

ولا إعراض ، ويرشد الناس إلى اتباع الشريعة وذكر الله تعالى مع الحضور ، وأن ينصح الجميع بما أمكنهم ، فيدلهم على التقوى والاستقامة ، وينهاهم عن المنكر ، وينظر لكافة الخلق بعين الشفقة والرحمة ، ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ، وأن يكون عالما بما يحتاج إليه المريدون من فقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي في البداية تعرض للمريدين وأن يستر ما اطلع عليه من عيوب المريدين ، وأن يكون عالما بكمالات القلوب وآدابها وآفات النفوس وأمراضها : بالكشف إن كان من أهل الكشف ، أو بالحال الذي يعرض على المريد إن لم يكن له كشف ، أو بالدلائل الخارجة ؛ وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله أي : ما بين الإفراط والتفريط ، وأن يكون غني النفس ، وحسن الخلق ، لا يغضب إلا لله تعالى ، وإذا جاءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عَبْسٌ ، وأن يكون جلاله ممزوجًا بجماله ، وقهره ممزوجًا بلطفه .

والحاصل : أنّ جميعها يجمع قولنا (الاستقامة) .

وقال الشاذلي ﷾ : ولا يشترط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي كلِّها ، والمحافظة على الواجبات ، وما تيسر من المندوبات ، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن ، وأقل ذلك ألف مرة في كل يوم ، والاستغفار مائة مرة ، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة ، « روح البيان » .

وأما الكرامة« ١ » - فليست بشرط للمرشد ؛ لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم نادرًا حتى لم تنقل من الصديق الأعظم ﷺ مع أنه أفضل الأمّة .

والحاصل :أنّ أفضل الكرامة هو : الاستقامة« ٢ » ، كما قالت به : رابعة العدوية ﷺ ؛ حتى أن بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلا ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ؛ وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو ، « روح البيان » .

وقد قال عبد الله القرشي ﷺ : من لم يكن كارها لظهور الكرامات والآيات وخوارق العادات كراهة ظهور المعاصي فهو حجاب في حقه وسترها عنه رحمة ، فالخوارق كما أنها سبب للسعادة فهو أيضا سبب للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال ، « روح البيان » .

وقال بعضهم : إني لا أقبل الكرامة إلا بشاهدين عدلين أي : الكتاب والسنة ، وفي حديث البخاري عن جرير بن عبد الله ، قال : بايَعْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنُّصْح لكل مسلمٍ ، كذا في « البخاري » في كتاب مواقيت الصلاة .

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : « ألاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله » ؟! وكنا حديثي

« ١ » قال أهل الطريقة : كرامة الأولياء يجري عليهم من حيث لا يعلمون . « رسالة » .

« ٢ » والاستقامة خير من ألف كرامة . « مجالس » .قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ . منه .

عهد بيعته ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، قال : « أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله » ؟ ! فبسطنا أيدينا وقلنا : على ما نبايعك يا رسول الله ؟ ! قال : « أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَتُطِيعُوا » – وأَسَرَّ كلمةً خفيّةً – « وَلاَ تَسْئَلُوا النَّاسَ » ، ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدًا يناوله إياه ، رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت ﵁ قال : أخبَرني أبي عن أبيه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمكره والمنشط ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقولَ بالحق حيث كنا ، ولا نخافَ في الله تعالى لومة لائم ، « عوارف المعارف » .

لا ريب أن النساء شقائق الرجال ، وما ورد عن الشارع أمْرٌ ونهي إلا والرجال والنساء فيه مشتركون إلا ما كان مما اختص الله به الرجال من أمر المناصب والجهاد والإرثِ وغيرِ ذلك ، فمَن امتثل بالأوامر واجتنبَ عن النواهي فهو من أهل الجنة من رجل أو امرأة على ما وعده الله تعالى ، ومن أعرض عن ذلك كلِّه فهو من أهل النار على وعيده تعالى من رجل أو امرأة . وكم في النساء من امرأة توازي ألوفًا من الرجال ، كمريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وسائر الأزواج المطهرة ، وفاطمة الزهراء ، ورابعة العدوية رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وكم مِن رجل لا يقابِله نساء جميع العالم كمحمد ﷺ « فتاوى خليلي » .

قال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ ، على أن لا يتخذن إلهًا غير الله ولا يعملن إلا خالصًا لوجهه ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أي : لا يأخذن مال أحد بغير حق ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ أي : لا يجامعن بلا نكاح ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ أي : لا يدفن البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي : لا يقلن للمحصنة يا زانية أو غيرها من الافتراء ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي : لا يخالفن فيما أمرتهن ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، نزلت يوم الفتح فإنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء . سميت البيعة ؛ لأن المبايع يبيع نفسه بالجنة ومن عادة الناس حين المبايعة أن يضع أحد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعةً تشبيهًا لها بها في الإحكام والإبرام ، فمبايعة الأمة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع في امتثال أوامره واجتناب نواهيه والمعاونة له ، ومبايعته إياهم الوعد بالثواب وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم في الغلبة على أعدائهم الظاهرة والباطنة والشفاعة لهم يوم الحساب إن كانوا ثابتين على تلك المعاهدة .

واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح ، فروي : أنه لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس يده ثم غمس أيديهن ، وروي : أنه عليه السلام بايعهن وبين يديه ثوب قطري يأخذ بطرف منه ويأخذن

بالطرف الآخر توقيا عن مساس أيدي الأجنبيات ، وروي : إنه عليه السلام جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله تعالى عنه أسفل منه فجعل صلى الله عليه وسلم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن ، وروي : أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يبايع النساء بأمره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو أسفل منه عند الصفا ، وروي : أنه عليه السلام وَكّل امرأة وقفت على الصفا فبايعَتْهن وهي أميمة أخت خديجة رضي الله تعالى عنها والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : والله ما أخذ رسول الله على النساء قط إلا بما أمر الله وما مست كف رسول الله كف امرأة قط ، وكان إذا أخذ عليهن العهد يقول : قد بايعتكن على كلها ، وكانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحنهن فإذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن : « انطلقن فقد بايعتكن » .

يقول الفقير : إنما بايع عليه السلام الرجال مع مس الأيدي دون النساء ؛ لأن مقام الشارع يقتضي الاحتياط وتعليم الأمة وإلا فإذا جاز مصافحة عمر رضي الله تعالى عنه لهن كما في بعض الروايات جاز مصافحته عليه السلام ؛ لأنه أعلى حالا من عمر من كل وجهٍ ، وأما مصافحة الرجال النساء في زماننا هذا كما هو عادة الكفرة وأهل الذمة وبعض المتشيخة المبتدعة الرفضية كما سمعناه من الثقات ، والعياذ بالله تعالى فحرام قطعي ومنكر شنيع وضلال منيع ، « روح البيان » .

وروي : أن النساء اجتمعن عند النبي صلى ﷺ وطلبن أن يعاهدهن باليد فقال : « لا تمس يدي يد المرأة ولكن قوْلي لامرأة واحدة كقَولي لمائة امرأة » فبايعهن بالكلام ثم طلبْن منه البركة فوضع يده الشريفة في الماء ودفعه إليهن فوضعن أيديهن فيه ، « الروضة الأنيقة »

بايعه عليه السلام ليلة العقبة الثانية سبعون رجلاً بالمصافحة ، وبايعه المرأتان من غير مصافحة ؛ لأنه ﷺ كان لا يصافح النساء وإنما كان يأخذ عليهن العهد ، فإذا أحرزن قال : « إذهبن فقد بايعتكن » ، « إنسان العيون » .

وأما الخلوة بالنساء : فإن كن متعددات فيجوز مع الحجاب وإن كانت واحدة أو كثيرة غير مستورة فلا يجوز أصلًا ، « فتاوى خليلي » .

وبالجملة : كانت البيعة مع النساء والرجال أمرًا مشروعًا بأمر الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بفعله وقوله ومن ذلك كانت البيعة عادة مستحسنة عند الفقراء الصوفية حين إرادة التوبة والإنابة تثبيتًا للإيمان وتجديدًا لنور الإيقان ، « روح البيان » .

سئل : فيما هو معتاد بين بعض السادة الصوفية من إلباس الخرقة من الشيخ لمريده كأن يلبسه قباء أو يلف له عمامة بهيئة مختصة به أو يلبسه دَلَقًا« ١ » ويشده ويعطيه العهد ويلقنه الذكر ويؤدبه ويعلمه آداب طريق الفقراء ونحو ذلك ، فهل لذلك دليل ، وما معرفة جميع ذلك مفصّلا ؟

« ١ » دلق :ذويبة نحو الهرة طويلة الظهر يعمل منها الفرو .

أجاب : اعلم أن التزيّي بزي الصالحين مطلوب مرغوب فيه ، والذي يظهر أن الغالب على أهل هذا الزمان في لبسهم الخرقة إنما هو للتبرك ممن يلبس منه لحسن ظنه واعتقاده فيه ليتسم بوسمه فيكون نظره عليه وخاطره معه لعل يحصل له نفحات دعواته وأوقات قربه من الله تعالى ، وربما كان الشيخ ممن له جاه ووجاهة وكلمة نافذة بين الناس فيتقرب إليه بلبس زيّه ليدخل تحت كنفه لأجل مصلحة دنياه ، ومنهم من يبلغه ما جاء من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْم فَهُوَ مِنْهُمْ » ، « وَلا يحب رَجل قَوْمًا إلاَّ حشر مَعَهُمْ » ، « وَلا يحب الرَّجُل قَوْمًا إلا جعله الله مِنْهُمْ » ، والتزيّي بزي الصالحين وأهل الخير محبوب مطلوب كما أن التزيي بزي أهل الشر غير محبوب ، ولبس الخرقة فيه إظهار للتصوف وارتباط بين الشيخ والمريد ، وتحكم من المريد للشيخ في نفسه ، « فتاوى خليلي » .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ إني أسمَعُ منك حديثًا كثيرًا أنساهُ ، قال : « ابْسُطْ رِدَاءَكَ » ، فبسطتُهُ ، فغرفَ بيده ثم قال : « ضُمّ » ، فضمَمْتُه فما نسيتُ شيئًا بعد ، أي : بعد بسطه ، ثم لبسه ، كذا في « صحيح البخاري » في كتاب العلم .

والأصل في لبس الخرقة ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ليلة أسري بي أخذني جبريل وأدخلني قبة من نور وأخرج لي صندوقا

مقفولا ففتحه وأخرج لي منه زيَّ الفقراء وألبسني إياه » ، فلما ألبسه رسول الله عليه السلام ألبسه لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأنس بن مالك ، ولم تزل الأولياء والصوفية مستمرين على لبسه من زمن رسول الله عليه السلام إلى الآن ؛ ولأن الخليفة أو النقيب والتلميذ إذا شم الخرقة وجد فيها نفس شيخه الذي يقدمه إلى باب الله تعالى ويتذكر برؤيتها نعم الله تعالى فيزداد شوقا إلى الأحوال الشريفة ويأخذ في الاجتهاد والجدّ رغبةً في الوصول إلى المقامات السنية كما وصل شيخه ، ولبسُ الخرقة ارتباطٌ بين الشيخ والمريد ، وتحكم من المريد لشيخه في نفسه ، والله تعالى أعلم ، « فتاوى خليلي » .

يقول الفقير عمر القطمير : ولا حاجة إلى الاستدلال بشيء آخر سوى ما ورد وثبت بالتواتر ، وهو : أن كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه كان من أفصح شعراء زمانه ، وقد كان أنشد قصيدة حالة كفره يَهْجُوا النبي عليه السلام وأصحابه ، فلما سمعه عليه السلام قال : « دمه هدر فاقتلوه حيث وجدتموه » ، وقد كان عند النبي عليه السلام أخو كعب بن زهير مسلِمًا ، فكتب مكتوبا هكذا إلى أخيه الكافر كعب بن زهير : فلا بدّ لك من الحضور والالتجاء إلى باب شفقة رسول الله عليه السلام مسلِما مسلما مؤمنا ، فإن جئتَ فَبِها وإلا فليقتلنّك أصحابُ رسول الله قتلَ الكلب العقور بل يَعُدّون قتلك نعمةً عظيمة لاستحصالهم رضاءه عليه السلام ، فلما بلغه المكتوب جاء ملتجئا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل مسجد

رسول الله عليه السلام ، وقد كان النبي عليه السلام في المسجد وحَوْله جماعة من الصحابة فسأله النبي عليه السلام « مَنْ أنْتَ ؟ » فقال كعب : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ أنا كعب بن زهير ، ثم قال علي كرم الله وجهه : أأنتَ قلتَ لرسول الله مأمور مع أنه آمر ؟ فقال : ما قلتُ مأمور بل مأمون ، ثم قعد كعب في المسجد وأنشد قصيدة :

بانت سعاد

فلما بلغ إلى بيت :

إن الرسول لسـيف يستضاء به   مُهَنّدُ من سـيوف الله مسـلول

أو إلى بيت :

أنْبِيـت أن رسـول الله أوعدني   والعفو عند رسـول الله مأمول

ألقى النبي ﷺ خلعته الشريفة على ظهر كعب بن زهير رضي الله عنه وألبسه وأعطاه له بالكلية ، ثم لما مات كعب بن زهير اشتراها معاوية من ورثته بألف دينار وأزيد ، ووضعها في الخزينة رضي الله عنهم .

ويقال : الخرقة التي هي الآن في إسلام بُول في خرقة شريف بقرب جامع السلطان الفاتح هي الخلعة التي كان أعطاها لكعب بن زهير رضي الله عنه ، وأما الخرقة التي في جوار آيا صوفية فهي خلعته عليه السلام التي خلفت عن نفسه عليه السلام .

استطراد :

فيؤخذ من هذا أيضا جواز إنشاد الشعر بحسن الصوت والنغمات في المسجد ، وجواز إعطاء الصدقة والهدية والهبة في المسجد ، كذا ورد على خاطر الفقير ، والله تعالى أعلم .

والحاصل : أن البيعة للنساء والرجال وكذا إلباس الخرقة لهما من يد شيخ كاملٍ مرشد كما هو عادة بعض أهل التصوف كله علامة التفويض والتسليًم ودخولهُ في حكم الشيخ دخولُه في حكم الله تعالى وحكم رسوله عليه السلام وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أكسى النبي عليه السلام أم خالد كساء أسود مربعا له علمان فألبسها بيده الشريفة وقال : « أبلي وأخلقي » يقولها مرتين ويقول : « يا أم خالد ؛ هذا سَناء » والسناء هو الحسن بلسان الحبشة . « روح البيان »

حكي عن جعفر الخالدي رضي الله عنه : أنه قال : دخلت على بعض شيوخي فأعطاني قلنسوة فجعلتها على رأسي ثم خرجت عن البلد فجزت على أجمة قصب فخرج على السباع فكان السباع يقربون مني ويتذللون فتحيرت ورجعت إلى أمري فإذا هم يفعلون ذلك للقلنسوة ويلتمسون بركتها ، وثوب الفقراء أزهى ملبسا وأزكى مغرسا وأشرف جلبابا وأكثر عند الله تعالى ثوابا فهو أعظم تاج وضع على الرؤوس وأنفع عوذة دفع به كل بؤوس وقد جعل لها أقوام هم بشروطها قوام ومشائخنا تناقلوها إماما عن إمام موارثا عن وارث وانتهوا فيها إلى ما حدوا لهم فرحمة الله تعالى عليهم أجمعين ، « فتاوى خليلي » .

روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ ، فإن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار أنزل الله تعالى جبريل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا إبراهيم ذلك القميص إسحق وكساه يعقوب ثم يوسف عليهم السلام فجعله في قصبة وعلقها أي : للحفظ من العين وغيره فألقي في الجب وهذا القميص في عنقه ، وأما القميص الذي جاؤوا على قميصه بدم كذب فلعله قميص فوق هذا القميص ، وكان في ذلك القميص ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صحّ وعوفي ، وفي « التأويلات النجمية » فيه إشارة إلى أن قميص يوسف القلب« ١ » من ثياب الجنة التي كساه الله تعالى من أنوار جماله إذا ألقي على وجه يعقوب الروح الأعمى يرتد بصيرا ومن هذا السر أرباب القلوب من المشائخ يلبسون المريدين خرقتهم لتعود بركة الخرقة إلى أرواح المريدين فيذهب عنهم العمى الذي حصل من حب الدنيا والتصرف فيها .

قال بعض الحفاظ : من الكذب قول من قال : إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة ، انتهى . يقول الفقير : هذا من سنة المشائخ قدس الله أسرارهم فإنهم لبسوا الخرقة وألبسوها تبركا

« ١ »   لعلّ المراد : معنى القلب يؤخذ من كلمة (يوصف) ومعنى الروح يؤخذ من كلمة (يعقوب)بطريق الإشارة والله أعلم .

وتيمنا فليس لأحد أن يعارضها ، وزرتُ في بلدة قونية خرقة لطيفة محفوظة يقال : إنها من ألبسة الجنة ، وغسلت طرفا من ذيلها في طست له يستشفى بمائه وشربت على نية زوال الأمراض الظاهرة والباطنة ، والحمد لله ، « روح البيان » .

وذكر بعضهم للبس الخرقة شروطا ، منها : ستر عورة الكذب بلسان الصدق ، وستر عورة الخيانة بثوب الأمانة ، ثم يتخلق بالأخلاق الحميدة ويتجنب عن الأخلاق الذميمة مثل الصمت عما لا يعنيه ، وغضّ البصر عن الحرام ، والورع ، وحسن الظن ، والقناعة ، والتواضع ، والسخاء ، والعفو ، والصلاة ، والصوم ، والذكر ،والفكر ، والرحمة لجميع المؤمنين ، ويتجنب كثرة المجالس في الأسواق ، وغير ذلك .

وأما تلقين المشائخ الذكر على المريدين فحسن محبوب وثابت بالأدلة الأربعة على وفق السنة المحمدية ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقن أصحابه الذكر جماعة وفرادى ، فأما تلقينهم فرادى فقد روى يوسف الكوراني رحمه الله وغيره بسند صحيح : أن عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ : دُلّني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلِها على عباد الله تعالى وأفضلِها عند الله عز وجل ، فقال عليه السلام : يا علي ؛ عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات والجلوات ، فقال علي : كيف أذكرُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : غَمِّضْ عينيك واسمَعْ مني ثلاث

مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمعُ ، فقال عليه السلام : « لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه ، رافعًا صوته وعلي يَسمعُ ، ثم قال علي رضي الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مراتٍ مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسمَعُ ، قال النبي عليه السلام : « أفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » ، رواه : مسلم ، وأحمد بن حنبل عن أنس .

فهذه نسبة علي كرم الله وجهه و ﵁ في تلقين الأذكار الظاهرة الجهرية ، « فتاوى خليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية – أي : سواء كان لفظة الله الله أو النفي والإثبات والمراقبة أو الحضور من غير حركة اللسان وهي نسبة الصديق الأعظم التي اختص بها الصديق دون سائر الصحابة – أخذها باطنا بالتوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام : « ما صب الله في صدري شيئا إلا وصبَبْتُه في صدر أبي بكر » ، وكذا قوله عليه السلام من ربه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وَقر في قلبه » ، فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجه وإلقاء الذكر والمحبة والجذبة في قلب المريد ، والثاني دليلهم أيضا للذكر القلبي والحضور والمراقبة ، وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين الصديقية والعلوية فهما أصلان وعليهما عون الرحمن .

وأما تلقينهم جماعة : فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيب ؟ » يعني أهل الكتاب أو من لم يطلع بعد على أسرار الشريعة ، فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب فقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا كذلك : لا إله إلا الله ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ثم قال : « الحمد لله ، اللهم ؛ إنك بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد » ، ثم قال عليه السلام : « ألا أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم » ، قال المنذري : إسناده حسن ، « مسند » الإمام الحنبلي .

يقول الفقير مؤلف هذا الكتاب القصير : فمن هذا الحديث أخذ بعض السادة النقشبندية غلق الباب حين الختم ، وعدم إدخال الأجنبي الذي لا يعرف كيفية ختم خاجكان لئلا يشوش ذهنهم ، وهم في الحقيقة مصيبون فيه ؛ لأن في دخول الأجنبي محاذير كثيرة : كنقصان ختم خاجكان من القدر المحدود المعلوم الذي ورد فيه الآثار ؛ لأن الأجنبي لا يعرف لأي شيء تقسم وتوزع الحصاة والبقول بين المريدين حتى يعترض على توزيعها بعض الجهلة ، ويقول : ما هذه الحصيات مع أنها توزيع بمقابلة السبحة لمعرفة العدد والمحدود في قراءة الإخلاص وغيرها .

ومن محاذير دخول الأجنبي أيضًا : احتمال دخول السكران بل وقوعه كما رأيناه بالعيان وأخرجناه من الحلقة بالرجاء والامتنان ، وكما نشاهد كثيرًا من السكارى والمنافقين بل الكفرة الأفرنجية في محل ذكر سائر الطرق وزواياهم يجيئون إليها لأجل السير وإمرار الوقت .

ومن محاذير دخول الأجنبي أيضًا : اعتراضه على ما يقرؤونه ويفعلونه بقلة بضاعة علمه حتى أن بعض المتعصبين يعترضون[١] على تهليلهم ويقول : لا يجوز مدّ « لام » كلمة « إله » في : لا إله إلا الله ، وكذا كلمة : « اللهم » في : اللهم صل ، وكذا همزة : « آل » في : آل محمد ؛ إلا مقدار ألف واحدٍ ، فهذا الاعتراض من جهل المعترض ، وعدم اطلاعه كتب التجويد ، فإن سبب زيادة المد عند أهل التجويد أربعة اثنان ، منها : لفظيان ، وهما : الهمزة والسكون ، واثنان منها : معنويان ، الأول : التعظيم مع المبالغة كما في لفظة : (الله أكبر) و(إله) و(اللهم) ، وسائر الأسماء الإلهية ، والثاني : المبالغة فقط ؛ كما في (لاء) التبرئة مثاله : (لا ريب) (لا شريك له) (لا شبهة) وغيرها ، فمتى وجد هذان السببان أي : اللفظي والمعنوي يجوز مدّه مقدار خمس ألفات بلا خلاف ، فراجع « تجويد عمرية » و« شرح علي القاري للجزري » ، وغيرها .

« ١ » لعل الصواب : يعترض .

وأما مد همزة (آل) مقدار خمس ألفات ، فهو قراءة ورش في كل مد البدل مثل : آمنوا ، وآل عمران ، وغيرها . وأما قطع كلمة (على) مما بعده في وعلى آل محمد فهو أيضًا قراءة حمزة في كل حرف مد وقع بعده همزة منكرة كما في : (وعلى أبصارهم) ، وغيرها .

ولهذه الموانع يغلق السادات الخالدية أبوابهم حين يقرؤون ختم خاجكان ، وله أيضًا أصل صحيح ، وفي « صحيح البخاري » في باب غلق أبواب الكعبة والمساجد : أن النبي عليه السلام ، وبِلالاً ، وأسامة ، وعثمان ، دخلوا الكعبة ثم أغلق الباب ، فلبثوا فيه ساعة ثم خرجوا ، قال ابن عمر فسألت بلال فقال : صلى فيه .

إن قلت : إذا كانت نهاية الطرق وأصلها طريقة محمدية فلم لا يسمى جميع الطرق طريقة محمدية ؟ ولم يقال مثلا : طريقة نقشبندية ، وقادرية ، ومولوية ، وشاذلية ، ورفاعية ، وكبروية ، وأكبرية ، وسهروردية ، وجشتية ، وخلوتية ، وجلوتية ، وبدوية ، ونحوها ؟ ! الجواب : ذلك مجاز من قبيل تسمية الطريق باسم المارين لكثرة مرورهم وسعيهم واجتهادهم في تعمير ذلك الطريق وإصلاحه وكتسمية الأحاديث النبوية باسم مخرجها ، كما يقال : حديث البخاري ومسلم وغيرها مع أن الحديث حديث نبوي وليس للبخاري وغيره ، مدخل في الحديث إلا كتبته في كتابه نقلا عن الرواة مُعَنْعَنا ، وكما يقال : مذهب أبي حنيفة ، وشافعي ، ومالكي ، وحنبلي ، مع أنهم أخذوا مذهبهم من القرآن والحديث مجتهدين

فيه ، وما ابتدعوا شيئا من عند أنفسهم كما قال جنيد رحمه الله تعالى : الطرق كلها مسدودة إلا لمن اقتفى إثر رسول الله ﷺ . وفي الحديث : « لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا لَما وسعه إلا اتِّبَاعِي » .

وأما قولهم : طريقة خالدية مع أن خالدا قدس سره لم يغير شيئا ولم يزد على ما بينه مجدد الألف الثاني فمن قبيل منسوبية الطلبة إلى أستاذهم الأعلم الأشهر لكون حضرة خالد مرشدا كاملا بلا نزاع ولا اعتراض ولذلك يقال : الطريقة الخالدية المجدّدية أي : المنسوبة إلى الإمام الرباني مجدد الألف الثاني قدس الله أسرارهم .

إن قلت : فما بداية هذه الطرق العلية وما نهايتها ؟ قلت : بدايتها : الذكر والفكر بعد التمسك بحبل الشريعة ، ووسطها : الأنس بالله تعالى لا بالناس كما قيل : الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس ، ونهايتها : الحضور ثم المشاهدة لبعضهم ، والمقصود من جميعها : العبودية المحضة ، ورضاء الله تعالى لا غير كما يقولون : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، في أثناء ذكرهم وفكرهم .

اعلم أيها السالك أن الأبواب الإلهية والمراتب الربانية أربعة : الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ، والمعرفة ، فكلها حق وثابت ومنقول كما ورد في الحديث النبوي عليه السلام أنه قال : « الشريعة أقوالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة أحوالي ، والمعرفة رأس مالي » .

فالشريعة : يتعلق بالجسد وعمل الجوارح والأعضاء كالصلاة والصوم والحج والزكاة وكلمة الشهادة وسائر الفرائض والواجبات والمسنونات المذكورات في كتب الفقه ، وترك المنكرات ، وثمرتها النجاة من النار ودخول الجنة .

والطريقة : يتعلق بالقلب كالتخلق بالأخلاق الحميدة والتجنب عن الأخلاق الذميمة ويعبر عنهما بالتحلية والتخلية وذكر الله بلسان القلب ، وثمرتها تزكية القلب وتصفيته وتكميل الإيقان .

والحقيقة : يتعلق بالروح كالأنس بالله تعالى ، ونسيان ما سوى الله تعالى ، والحضور بلا فتور ، والمراقبة بلا غفلة كما قال بعضهم : لو غفلتُ عن الله طرفة عين لما عددتُ نفسي من جملة المسلمين ، وثمرتها تكميل النفس بالاطمئنان وسلامة القلب والمحبة الكاملة والفناء في الله تعالى .

والمعرفة : يتعلق بالسر كالمشاهدة ، والفناء في الفناء[١] ، والبقاء بالله ، فينسى حينئذ ذكر الله تعالى كما قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في هذا المقام :

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا   أخالك أني ذاكر لك شاكر
فلما أضاء الليل أصبحت شاهدا   بأنك مذكور وذكر وذاكر

« ١ » لعله : والفناء في الله تعالى .

وثمرتها : كمال العرفان والمشاهدة وكسب العيان .

واعلم : أن المعرفة أشرف من المحبة ؛ لأن المحب متلذذ بفنائه في المشاهدة ، وأما العارف فليس له إحساس بوجوده ولا حال ولذا قيل : الزاهد سيّار ، والعارف طيّار ، فالمعرفة أعلى من الحقيقة ؛ لأن المعرفة نهاية الحقيقة كما قيل : ذكر اللسان لتحصيل ذكر القلب ، وذكر القلب لتحصيل المراقبة ، فذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه كما قيل : الفكر ذكر القلب ، والعشق ذكر الروح ، والمعرفة ذكر السر ، وكما قال الشبلي رحمه الله حين سئل : متى تستريح ؟ ! قال : إذا لم أر لله ذاكرا ؛ يعني إذا صار الناس كلهم أهل حضور وشهود وفنوا في ذات المعبود وقال أيضا : والذي نفسي بيده لحضور قلبي في استغراق نور ربي خير من علوم الأولين والآخرين ، وهذا زبدة علوم جميع الأنبياء والمرسلين .

وقال بعضهم : بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب يعني لأنه تعالى صار مشهودا وكما قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في هذا المقام : فالعبد حق والرب حق فليت شعري من المكلف إن قلت : عبد فالعبد ميت أو قلت : رب فما يكلف ، وكما قال أبو يزيد البسطامي في هذا المقام : سبحاني ما أعظم شأني ، وقال جنيد البغدادي عليه رحمة الهادي : ليس في جبتي سوى الله ، وقال منصور وغيره : أنا الحق أنا الحق . ثم يترقون من هذا المقام أي : مقام الفناء الأتم في الله إلى البقاء الأكمل بالله فحينئذ يرون

الحق حقا والخلق خلقا ولا يؤاخذون بذلك الشطح الأول ؛ لأنهم كانوا حينئذ استغرقوا في بحر التوحيد وغابوا عن أنفسهم ثم أخلصهم الله عنه كما قال التفتازاني في « شرح المقاصد » : إذا انتهى سلوك السالك إلى الله تعالى يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث يضمحلّ ذاته في ذاته ، وصفاته في صفاته ، ويغيب عن كل ما سوى الله تعالى ، ولا يرى في الوجود إلا الله ، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد وإليه الإشارة في الحديث القدسي : « لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل » إلخ .

وقال ابن حجر ﵀ في « شرح المنهاج » في كتاب الردة : فلا يعترض على الصوفية بمخالفة اصطلاحهم اصطلاح غيرهم وإن جهله غيرهم ، ويعذر الولي بشطحه حال غيبه بقوله : أنا الحق أو أنا الله أو سبحاني ما أعظم شأني ؛ لأنه مسلوب الاختيار والتكليف وزائلُ العقل كالمجنون ، وقد أراق بعض أهل عصر دم بعض الأولياء بغير حق بسبب الشطح وأفتوا بأنهم ارتدوا فالعياذ بالله تعالى بل هم أهل الله بلا ريب وإلى هذه الأبواب الأربعة والمراتب الحسنة أشار في قوله تعالى :﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي : كلمة التوحيد ، وهو :الله أو لا إله إلا الله ، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي : كالنخل ،﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ وهو : الشريعة ، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو : الطريقة ، ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾ أي : ثمارها ،﴿كُلَّ حِينٍ﴾ وهو : الحقيقة ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ وهو : المعرفة ، فعلم من هذا أن الشريعة

أصل وأساس ، والطريقة فروعها ، والحقيقة ثمارها ، والمعرفة المحو وفناء كلها في إذن الله ؛ لأنها متوقفة ومربوطة بإذن الله ، كذا ورد على خاطر الفقير في الخلوة ، والله تعالى أعلم .

وإن شئت قلت : فالشريعة كأصل شجرة مثمرة ، والطريقة ذاتها وقدها ، والحقيقة فروعها ، والمعرفة ثمارها ، فمعلوم أن الشجرة لا تنبت بدون الأصل والعروق وإن نبت لا تثبت كما قال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ أي : كلمة الشرك ، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي : كشجرة الحنظل[1] التي لا عروق لها ، فمتى هبت الريح الشديدة انقلعت ، وكذا الأغصان لا تنبت بدون القد ، وكذا الثمار لا تنبت بدون الأغصان ، وفي « تفسير الحنفي » منقول في التوحيد أربع مراتب : قشر ، وقشر القشر ، ولب ، ولب اللب ، ومثاله : كالجوز الرطب الذي عليه قشر أخضر ، فمعناه حينئذ لا معبود إلا الله ، لا مقصود إلا الله ، لا موجود إلا الله .

والحاصل : أن الشريعة قشر يصون الطريقة التي هي لبّها عن الفساد والضياع ، وكذا الطريقة قشر يصون الحقيقة التي هي لب اللب ، وكذا الحقيقة قشر يصون المعرفة التي هي لب لب اللب ، فمثال الكل كالبيض الواحد ، فالقشر الخارج الغليظ كالشريعة والقشر الداخل الرقيق كالطريقة وبياض البيض كالحقيقة ولبها الأصفر كالمعرفة .

« ١ » الحنظلة شيء يشبه القثاء ينبت في الصحراء طعمه مرّ يقال له عند العرب : قثاء الكلب . (هامش الأصل)

وقد ورد : أن للقرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن وأن للإنسان ظهرا وبطنا ولبطنه بطنا إلى سبعة أبطن ، فالقرآن أقوال والإنسان أفعال ، والقرآن شرح حال الإنسان ، وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى ، وإياك عن عَلَّ هي أشد عِلة فكما أيد الله تعالى النبي بالوحي أيد الولي بالقرآن والإلهام ، فاللازم : تحصيل ما يتصحح به الحروف ، ورعاية المخرج ، ثم صرف باقي العمر إلى معرفة الله تعالى بالذكر ، والفكر ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، والاستقامة .

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى : إن هذا الطريق ليس في طوله وقصره أي : بعده وقربه مسافة ولا مساحة التي تسلكها الأنفس فتقطعها بالأقدام على قوة النفس وضعفها بل هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر ، وأصله نور سماوي ونظر إلهي يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها أمر الدارين بالحقيقة ، ثم هذا النور بما يطلبه العبد مائة سنة ويصرخ أي : يصيح فيها ويبكي فلا يجد لمحة ولا أثرا منه ومنهم من وفق في سنة في شهر في أسبوع بل في يوم بل في ساعة بل في لحظة فنال به في تلك اللحظة بتوفيق الله تعالى على حسب استعداده ، انتهى قول الماتريدي الذي هو صاحب المذهب في الاعتقاد ، فتفكر .

وقال إسماعيل حقي رحمه الله : ليس بين الطالب والمطلوب مسافة بل الوصلة عبارة عن إزالة وسخ القلب وتصقيل مرآته فإذا صقل

مرآة القلب ينعكس فيه شعاع شمس نور ذات الله تعالى كما تنعكس الأشياء الظاهرة في المرآة المصقلة دون المستورة بالوسخ والكبر ، « روح التفاسير » .

وقال الخادمي رحمه الله : علم الباطن هو : علم المكاشفة التي يظهر في القلب نوره ويشاهد به الغيب وهو المعني والمقصود من قوله عليه السلام على ما في « الجامع الصغير » : « علم الباطن سر من أسرار الله تعالى ، وحكم من أحكام الله يقذفه في قلب من يشاء من عباد الله » ، وقوله عليه السلام على ما في عين العلم : « إذا دخل النور في القلب انشرح » أي : عاين الغيب ، وقال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ ، وقال في « التاتارخانية » : وأما علم المكاشفة فلا يحصل بالتعليم والتعلم والتدريس ؛ وإنما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدمة للهداية أي : في آية : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : حفظت من رسول الله ﷺ وعائين ، فأما أحدهما : فبثثته أي : نشرته ، وأما الآخر : فلو بثثته قطع هذا البلعوم أي : الحلقوم ، كذا في « صحيح البخاري » .

اعلم : أن الطريقة عبارة عن كمال اتباع الشريعة الغراء والتأدب بآداب السنة السنية البيضاء ، والتمسك بعقائد أهل السنة والجماعة وعدم الخروج عن الأدلة الأربعة التي هي : الكتاب ، والسنة ،

والإجماع ، والقياس ، وكثرة ذكر الله تعالى ودوام الحضور والمراقبة على وفق « أفضل الأعمال أن تعلم أن الله معك » ، حيثما كنت ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وليس لطعنِ طاعن فيه سبيل ولا لاعتراضِ معترض فيه حجة ولا دليل كما سيجيء بيانها .

ففي « فتاوى الخليلي » رحمه الله تعالى : واعلم : أن الطريقة الفقراء عشرة أشياء : الطاعة ، والذكر ، والإيثار ، والقناعة ، والتوحيد ، والتوكل ، والتسليم ، والتأمل ، والشكر ، والفكر ، وقد يجمعها لفظ الاستقامة والتخلية والتحلية فمن اتصف بهذه الصفات يكون فقيرا وإلا فيكون مدعي ذلك زنديقا ؛ لأن مَن لا طاعة له لا عبادةَ له ، ومَن لا عبادةَ له لا يكون فقيرا ولا مريدا بل زنديقا ، فرأس الفقر : القرآن ، وروحه : الحديث أي : العمل بالقرآن والحديث ، وجسمه : إشارة المشائخ العارفين ، وصلاته : الشريعة ، وغسله : الطريقة ، وقبلته : الحقيقة ، وأصل الفقر : حسن الخلق والمحبة ، ومفتاحه : الصدق ، وثمرته : المعرفة ، وكنزه : المسكنة ، وجوهره : معرفة نفسك أي : بالعبودية ، وإذا ما كنت تعرف نفسك التي هي أقرب إليك من كل شيء فكيف تعرف البعيد ؟ ! انتهى كلام الخليلي رحمه الله تعالى .

سئل في رجال من الصوفية يدّعون أنهم على قدم القوم وأحوالهم مخالفة للشريعة باطنا وظاهرا ومن أحوالهم الذميمة تحليل المحرمات لا سيما الخلوة بالنساء وشيخهم يدعي العصمة ،

ومن تبعه ، ويصومون أيام العيد وأيام التشريق ولهم أوراد خارقة للشريعة اخترعوها من تلقاء نفسهم ويخرج الشيخ على النساء مسفرات الوجوه ويقبلن يديه وأقدامه ويختلي بهن من غير حضور محرم ويأمرهن باجتناب أزواجهن خوفا من الحمل ويخرجن إلى خلوته ويجلسن معه من غير إذن أزواجهن ويهدين إليه من الرياحين ، والطيب ما لا يوصف ، ويجعلون لهن مسجدا في مقبرة شيخهم الأول ويطوفون بقبره . فإن أنكر عليهم أحد يقولون : ذلك في الشريعة حرام وفي الحقيقة حلال ، فهل يجوز لنا أن ندعهم على ما هم عليه من المنكرات واستحلال المحرمات ، ومن أزواج النساء موافقونهم على ما هم عليه من المنكر وإذا استدل عليهم أحد بحديث يقولون : يكذب ، وأيضا إذا جاء أحد إليهم بالنقل يقولون : يكذب مصنفه وتكذب أنت فماذا يترتب عليهم ، أفيدونا أثابكم الله ؟

أجاب : اعلم وفقك الله تعالى : أن طريق التصوف مضبوط معلوم عند أهله طبق الكتاب والسنة لا مخالفة لأهله في حكم من الأحكام ولكن كثير من جهلة الصوفية الذين هم باسم الضلالة والبدعة أحق ما بينوه ؛ لأنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، وهنا أصل ضل عنه أولئك الجهلة وهو : اتقان ظاهر الشريعة الذي عليه الفقهاء فهذا لا بد منه لكل صوفي وغيره ولا يخرج عنه إلا كل مبتدع وضال بل كافر على مقتضى « نحن نحكم بالظاهر والله يتولى

السرائر »أولئك زنادقة أرادوا أن يقتفوا أثر المشائخ الكرام فأنّى لهم الاقتداء والاقتفاء بأولئك الأعلام فضلوا عن الطريق القويم وحادّوا عن الصراط المستقيم فركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء فضلوا وأضلوا فهل سمعتم أو نقل إليكم عن المشائخ الذين يقتدى بهم في التصوف استحلال محرم أو استباحة محظور أو أنه ادعى العصمة أو يدعي أنه وصل إلى درجة يسقط منه التكاليف الشرعية ، فكيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء عليهم السلام وكذا الصحابة والتابعون لم يبلغ أحد منهم إلى تلك الدرجة ولم يدع واحد منهم تلك الزندقة المنكرة .

وأما صوم العيدين والتشريق فحرام منكر وكذا خروج النساء سافرات الوجوه والصدور؛ لأنه خلاف نص القرآن وما عليه الإجماع فمخالفه إن كان عن قصد تحليله فهو كافر وإلا فهو آثمٌ .

وأما تقبيل اليد والرجل من طرف الأجنبيات للأجنبي فحرام؛ لأن كل ما حرم نظره حرم مسه .

وأما الخلوة بالنساء فإن كن متعددات فيجوز مع الحجاب وإلا فلا يجوز .

وأما أمرهن باجتناب الأزواج فهو حرج كبير وخطر عظيم لما فيه من داعية النشوز وقطع النسل الذي هو المقصود الأصلي من النكاح ومضاهاة النصارى في الرهبانية المنهية عنها في شرعنا .

وأما هدية الرياحين والطيب فلا بأس بها .

وأما جعل المقبرة مسجدا فقد لعن مَن فعل ذلك في الحديث ، كما ورد : « لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، فإذا منع ذلك في قبور الأنبياء فكيف بغيرهم .

وأما قولهم : ذلك في الشريعة حرام وفي الحقيقة حلال ؛ فهذا زور وبهتان وحرمان وكفر وزندقة ، فيا أيها المحروم الولهان مَن قال بهذا الخسران ليس لك عليه دليل من سنة أو قرآن بل دليلك ودلاّلك الشيطان يقودك إلى واد الطغيان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فيجب على كل مسلم ردّهم وزجرهم والعمل لهم معاملة المرتد والزنديق ، « فتاوى خليلي » رحمه الله تعالى .

يقول الفقير عمر القطمير : فإذا علمتَ كون الطرق العلية كلها منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفهمتَ أن الطريقة والحقيقة بدون الشريعة زندقة فإن وجدت أهل طريقة يفعلون شيئا منكرا أو حراما باجماع الأمة كترك الصلاة ، وشرب الخمر والمسكرات ، والزنا ، واللواطة ، وتحليل المحرمات ، وفعل الكبائر ، وإصرار الصغائر قائلين : بأن ذلك حرام في الشريعة وحلال وجائز في الطريقة فاحذر عنهم وفِر منهم كما تفر من الأسد والحية المهلكة ، ولا تقرب منهم فإنهم حزب الشيطان وأهل الطغيان ، فهم ضالون مضلون وعن طريقته عليه السلام مبعدون .

وأما فعل ما فيه شبهة أو كراهة أو ما فيه وفي حقه دليل ظني فلا يقدح في الإرشاد والطريقة فاحمله بمحمل حسن وتوجيهٍ مناسب ، وتأويلٍ جائز ؛ لأن لهم فيه دليلا يستدلون به وذلك كرقص السادات المولوية وسماعهم ودورانهم ، ودفوف السادات الرفاعية والقادرية وتحلقهم فإن لهم فيها أدلة يتمسكون بها وكالجهر والصيحة بالذكر وكشرب الدخان وتطويل الشوارب ؛ لأن الدخان وعدم قص الشوارب غايتهما كراهية تنزيهية في الأصح . فلا يقدح في الإرشاد كما سيجيئ تفصيلها على صورة الفتوى ، ويحرم رفع الصوت في المسجد بغير ذكر الله ، ذكره : أبو الليث الفقيه ، في كتاب « التنبيه » ، وذكر في « مجموع النوازل » و« الفتاوى » و« الخانية » و« السراجية » و« الصغير » و« الملتقط » و« التجنيس » و« المزيد » : أن قراءة القرآن بصوت رفيع في الحمام يكره ؛ وبصوت خفي لا يكره . ولا يكره التسبيح والتهليل وإن رفع صوته ، « عمدة الأبرار » . فإذا جاز الذكر بصوت رفيع في الحمام مع احتمال كون القاذورات ومكشوفي العورة فيها غالبا فلم لا يجوز في المساجد والزوايا والبيوت والخلوة في مكان ظاهر ، « جامع »

وقد كان النبي عليه السلام يجهر مع الصحابة بالأذكار والتسبيح والتهليل ، « بستان الأنوار » . وفي الحديث : أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته كان أوْلى ،

فقال النبي عليه السلام : « دعه فإنه أواه » ، وكذا مثله في حديث ابن أدرع ، وكذا في حديث ذي البجادين ، رواه البيهقي ﵀ .

وقال السيوطي ﵀ في « نتيجة الفكر » : الحمد لله ؛ وسلام على عباده الذين اصطفى سألت أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه أو لا ؟

والجواب : أنه لا كراهة في شيء من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص وها أنا أبيِّن ذلك فصْلاً فصْلا إلى آخره ، فراجعه فإنه رسالة مستقلة في حقه .

سئل عن حلق الذكر والجهر به في المساجد من جماعة وإنشادِ القصائد الصوفية وقولهم : يا كيلاني شيء لله ورفع أصواتهم ورقصهم ؟

أجاب : كله جائز ؛ لأن الأمور بمقاصدها ، والجهر بالذكر مشروع وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفس جاهلة . وقد ورد : « من أحب قوما حشره الله معهم » ، وفيه إشارة لمن أحب الصوفية أو تشبّه بهم ، « فتاوى خيرية من كتاب الحظر والإباحة » .

سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل ؟

أجاب : العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله : نعم ، له أصل صحيح ، فقد روي في الحديث : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه رقص بين يدي النبي عليه السلام لما قال له النبي عليه السلام : « أشبهت خلقي وخلقي » ، وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه النبي عليه السلام ، وقد صح : التمايل والرقص في مجالس الذكر والسماع عند جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى ، انتهى كلام ابن حجر رحمه الله . فجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة الوجد في مجالس الذكر والسماع . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض بكى ثلثمائة عام » ، أقول كما يشهده الحديث الصحيح : لو وزن دموع آدم بدموع ولده لرجح دموعه على دموع جميع ولده ، فأوحى الله تعالى إليه ما يبكيك ؟ قال : يا ربي ؛ لست أبكي شوقا إلى الجنة ولا خوفا من النار ولكن أبكي على فراق الملائكة الذين يطوفون على العرش سبعون ألف صف جرد مرد يرقصون ويتواجدون كل واحد منهم قد أخذ بيد صاحبه يقولون بأعلى صوتهم : من مثلنا وأنت ربنا ، من مثلنا وأنت حبيبنا ، وذلك دأبهم إلى يوم القيامة ، فأوحى الله تعالى إليه أن ارفع رأسك يا آدم فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يطيرون حول العرش فسكن روعه . قالت الصوفية : تقلد إخواننا في السبب بالتواجد

وأصحابنا من أهل السماء في المذهب أي : في الوجد أو التواجد ، ولا حاجة إلى حصول الوجد بالفعل بل يكفي مجرد التشبيه والتقليد كما ورد في الحديث : « فإن لم تبكوا فتباكوا » ، وقس عليه فإن لم تجدوا فتواجدوا ، « فتاوى خليلي » .

سئل : ما تقول سادة العلماء في رجل معترض يقول : في حق السادة الخلوتية وغيرهم حين يقومون لذكر ويدورون محلقين آخذين بأيدي بعضهم بعضا ويسمونه : الهوية ، أنهم يكفرون ؛ لأنهم يرقصون ويتلاعبون بالذكر ، ويكفر من يقول : بجواز ذلك ، فماذا يترتب على هذا الخبيث في إنكاره على هذه الطائفة الفائزة الناجية إن شاء الله تعالى الذين يجتمعون على تلاوة القرآن العظيم وذكر الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإخراجه لهم عن دائرة الإسلام وهل لهؤلاء الطائفة مستند من السنة المطهرة أو من أحد من السلف الصالح أم لا ؟ ومن جملة اعتراضه وشدة افترائه أن قال لجماعة اقضوا صلاتكم التي صليتموها خلف من يفعلها أو يقول بجوازها ، ومن جملة اعتراضه أيضا : أن قال من يقول : يا سيدي يا أحمد البدوي ، يا كيلاني ، يا رفاعي ، أو غيرهم من الأولياء يكفر ؛ لأنه أشرك مع الله تعالى غيره مع أن قائل هذا إنما يقوله بقصد التوسّل بولي الله إلى الله لقربه من الله تعالى مع اعتقاده أن الله واحد لا شريك له ، فهل اعتراضه مردود أم لا ، وهل التوسلُ بالأنبياء والأولياء جائز في الحياة وبعد الممات أم لا ؟

أجاب : قال الشيخ الإمام العلامة أبو العز أحمد العجمي الشافعي الوفائي الأزهري ﷺ : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، هذا المعترض لا يعبأ باعتراضه ، ولا يتابع في أقواله ، وإن اعتقد أن ما عليه هذه الطائفة كفر فقد باء به ، وعليه أن يجدد إسلامه مع تعزيره وتنكيله لإسائته الأدب وتمويهه . فقد واظب هذه الطائفة جملة أعلام من مشائخ الإسلام كالعلامة المقدس ، والعلامة الشرنبلالي ، وحضر مجالسهم جهابذة حفاظ دأبهم النقل عن الشريعة بأوثق حفاظ فهؤلاء سند أيّ سند وسلف أيّ سلف ، وما يفعلونه ليس برقص إنما هو مجرد دوران ومع الفرض والتقدير ، فالرقص الخالي عن التكسر والتثني لا حرمة فيه ما لم ينضم إليه محرم كآلة ومزمار ، واشتمل على تكسر وتثن . وأمره بقضاء الصلاة دليل سوء عقيدته إما لكونه لا يرى صحة الصلاة إلا خلف معصوم أو اعتقاد كفرهم هذا كفرٌ والعياذ بالله تعالى فإن الصلاة صحيحة خلف كل بر وفاجر ، ولا قضاء كما لو بان إمامه محدثا أو ذا نجاسة خفية وإنما يلزم القضاء إذا بان إمامه كافرا معلنا أو مخفيا .

وقوله : يا سيدي ، يا بدوي ، ويا شيخ فلان ، ليس من الإشراك ؛ لأن القصد التوسل والاستغاثة ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ .

وقد سئل أستاذنا علامة الإسلام حامل لواء الشريعة الغراء على أحسن نظام الشيخ محمد الشوبري رحمه الله تعالى عما يفعله السادة الخلوتية من ذكر الله تعالى قائمين محلقين رافعي أصواتهم بقولهم هو هو هو ، فهل لمن يعرف ذلك الاعتراض عليهم ويدعي أنهم يُمنعون من ذلك ؟

أجاب : بأن طريق السادة الخلوتية من أعظم الطرق العرفانية قصد سلوكها كثير من الأئمة الأعلام السادة القادة العظام لتصفية السرائر وتنوير الأفئدة والبصائر والتخلص من الدعوات النفسانية والتخلق بأخلاق تلك الأسرار العرفانية فأشرقت واللهِ عليهم أنوارها ودارت فيهم وبهم وعنهم أسرارها فيا لها من أمور ما أعذبها ومشاهد ما أطيبها وما يعقلها إلا العالمون إلى أن قال : فلا منع ، ولا إنكار من ذلك ، ولا اعتراض على أهل هذه المسالك ، « فتاوى خليلي » .

وفي « حاوي الفتاوى » لخاتمة الحفاظ والمحققين شيخ المحدثين العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى **سئل** في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ثم إن شخصا من الجماعة قام من المجلس ذاكرا فاستمر على ذلك فهل لأحد منعه وزجره ؟

أجاب : لا إنكار عليه ، فقد سئل عن هذا السؤال شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني رحمه الله تعالى فأجاب بمثل ذلك وزاد : ليس لأحد منعه ، ويلزم المتعدي بذلك التعزير . وسئل عنه العلامة برهان الدين الأنباسي رحمه الله تعالى فأجاب بمثل ذلك وزاد : أن صاحب

الحال مغلوب والمنكر محروم ، فالسلامة في تسليم حال القوم . وأجاب بذلك بعض الأئمة الحنفية والمالكية كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة . وكيف ينكر الذاكر قائما والقيام ذاكرا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ ، وقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان النبي عليه السلام يذكر الله تعالى في كل أحيانه ، وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم ، فذلك من شدة شهودهم بالتواجد لما ورد في حديث جعفر بن أبي طالب : أنه لما رقص بين يدي النبي عليه السلام لم ينكره ؛ كما تقدم ذكره .

وقد أجاب العلامة الشيخ الشبراختي المالكي رحمه الله تعالى على ذلك بقوله : هؤلاء السادات ذكرهم مشهور مشهود ويحضرهم فيه العلماء والفقهاء قرنا بعد قرن من قديم الزمان إلى الآن فهم على حال محمود وطريق بالخير معهود فمن آذاهم مستحق لما في الحديث القدسي من الوعيد : « من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب » ، ومن لم يكن منهم وليا فهو في حمى الأولياء لحبه لهم ومشيه على طريقتهم ، وما رأينا السادة الخلوتية بمصر ، وكذا السادة الدمرداشية ، والسادة الذين هم فروع الأستاذ سيدي كريم الدين الخلوتي وغيرهم إلا في غاية من الإتقان بذكر كلمة الإيمان والنطق باسم الله الأعظم على الوجه المعظم مما استنارت به سرائرهم وزكت به ضمائرهم فمن نسبهم إلى الكفر فهو الكافر وصلاتهم في

غاية الصحة فعلى من كفرهم أن يراجع إسلامه ، وعلى ولي الأمر أن يدفع عن هؤلاء السادة ، ويكف عنهم ألسنة الجهلة المتكلمين فيهم بغير ما يجوز في حقهم ، فمثل هؤلاء السادة المحبين لما اندرس من طريق القوم لا يجوز التكلم عليهم ، والخوض في حقهم مع ما لهم من الأذكار في الخلوات والجلوات ، وما هم عليه من الصيام والقيام فهم السادة الأعلام ، وممن يرحم الله بهم الأنام ولا عبرة بمن خالفهم فإنه محروم ؛ والسلام ، « فتاوى خليلي » .

سئل : هل يجوز الاعتراض على السادة الصوفية فيما يفعلونه في الذكر من رفع الصوت والرقص والهوية والتحلق لذلك أوْ لا ، وهل يجوز التوسل بالأنبياء ، والأولياء ، والصلحاء ، وهل يجوز الاهتزاز حالة الذكر ، وهل السماع لهو باطل أو حلال ، وهل قول المعترض : الحصير الذي يرقص عليه لا يصلى عليه حتى تغسل ، ونقله عن قاضيخان أَلَهُ أصل أو لا ؟ وقوله : إن الرقص والتواجد أحدثه السامري ، وينبغي للسلطان ونوّابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد ، وهل يكره المشي في الذكر والدوران ، وهل قال بعضهم يكفر فاعله ، وهل ورد أنه لما رأى عليه السلام رجلا مشى في حال الذكر وسقط على الأرض وصار كالخشبة ، فقال لأصحابه : « اذبحوه أو ألقوا عليه هذا العمود ، لا أبرح من مكاني حتى أجدّد إيمانه » ، هل له أصل في السنة ، وهل ذكر في كتاب البزازية أن دَوَران الصوفية في مجلس الذكر لعب وتشبه بفعل المشركين في

أيام كفرهم ، وهل قال الطحاوي : دوران الصوفية حرام ، والحضور معهم حرام ، وهل قال صاحب « جامع الفتاوى » : دوران الصوفية حرام ولو استحلوا ذلك كفروا ، أو قال الطرطوشي : دورانهم رقص أحدثه السامري أوّلا ، فهل هو حرام وتشبه بالكفرة الضالين فالمأمول من سيدي تتفضلوا علينا بالجواب على هذه الأسئلة حتى نكون في ذلك على بصيرة ، وتزيلوا منا الشك في ذلك لأجل أن ندحض المعترض أثابكم الله تعالى الجنة ؟

أجاب : لا شك أن من عارض السادة الصوفية فيما هم فيه من ذكر وعبادة وغيرهما لا يخلو ، إما أن يكون اعتراضه لغرض نفساني فهذا لا نظر إلى اعتراضه ويترتب على أفعاله مقتضاها ، وإما أن يكون لحسد أهل الطريق وبغضِهم ، فلا يخفى ابتداعه وضلاله فإن السادة الصوفية على حقٍ وطريقهم مسدد مبني على التفويض والتسليم ، وقول القائل إن الذاكرين على تلك الحالة يكفرون ، فإن قال : بكفرهم عن تصحيح واعتقاد فلا يخفى إثمه بل كفره ؛ لأن من كفر مسلما عن اعتقاد بلا تأويلٍ كفر ، وإن قال ذلك لما اشتمل عليه فعلهم من الرقص والهويةِ فهذاً لا يقتضي التأثيم فضلا عن التكفير ، فقد صرح أئمتنا بأن الرقص لا حرمة فيه ولا كراهة .

لما ورد في « صحيح البخاري » و« مسلم » : أنه ﷺ وقف لعائشة رضي الله تعالى عنها يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفون ، والزفن : الرقص ؛ ولأنه مجرد حركات على استقامة أو

اعوجاج ، نعم ؛ إن كان بتكسرٍ حرم وهم لا يفعلونه بتكسر كما هو مشاهد منهم ، ثم لا يخفى على كل أحد أن الذكر بسائر أنواعه محمود سواء كان بتسبيح أو تقديس أو ذكر أو غير ذلك ، كما ورد في ذلك آيات وأحاديث وآثار جمة .

واعلم : أن الاعتراض على القوم مما يوجب الخذلان فيوقع فاعله في واد من الخسران ، كما نص على ذلك العلامة ابن حجر من أئمتنا : فمن اعترض عليهم يخشى عليه سوء الخاتمة كما وقع لكثير من الناس ، أنهم مقتوا بذلك ولم يفلحوا ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .

وأما التوسل بالأنبياء والأولياء والعلماء : فقد نص أئمتنا أنه يجوز التوسل بأهل الخير والصلاح سواء كانوا أحياء أم أمواتا ، ولا ينكر ذلك إلا مَن ابتلي بالحرمان وسوء العقيدة ؛ نعوذ بالله من المنكر ومن سيرته . وأما الاهتزاز في حالة الذكر فمندوب لما روي الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه وصف الصحابة يوما فقال : كانوا إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على ثيابهم ، قال أهل اللغة : ماد يميد إذا تحرك ، ومادت الأغصان تميد أي : تمايلت ، وهذا صريح على أن الصحابة كانوا يتحركون في الذكر حركة شديدة يمينا وشمالا ؛ لأنه شبه حركتهم بحركة الشجر

يوم الريح ، ومن المعلوم أن الشجر يوم الريح يتحرك حركة شديدة ، فثبت مطلقا إباحة الميلان بهذا الأثر على أن الرجل غير مؤاخذ بما يتحرك ويقعد ويقوم ويلبث على أيِّ نوع كان بعد أن لا يكون منهيا عنه ، ولم يرد عنه عليه السلام نهي عن الحركة في الذكر ؛ ولو كان فيها كراهة لَبيّنها لأمته فيما ورد عنه ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

وأما السماع : فهو محمود كما أفتى به أئمة الشافعية وغيرهم بخلاف السماع الذي يجتمع عليه الفساق بالآلات المنكرة مع الخمر والزنا ونحو ذلك ؛ لأن الأمور بمقاصدها كما سيجيئ .

وأما قوله في الرقص والتواجد أول من أحدثه السامري ، فكيف يجوز لمسلم أن يشبه الذاكرين الله كثيرا بالكافرين ؟ ! قال تعالى : ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ، وأيضا : فمن يعلم أن أصحاب السامري أحدثوه وكانوا يفعلون ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله على المعترض ونعم الوكيل ، « خليلي » .

وأما قوله : ينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد ، نسأل الله تعالى أن يحفظ السلطان ونوابه من وساوس هؤلاء الجهال ، شياطين الإنس ، أهل الضلال والإضلال ، وكيف

يسوغ منعهم وقد قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، « خليلي » ، وفي الحديث : « ما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترة » أي : وبالا ، رواه ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ .

وأما قول المعترض : ويكره المشي في الذكر ، وقيل : يكفر فاعله ، فهذا كلام لا معنى له ولا أصل له فان المشي في الذكر مباح بأن يذكر الله تعالى ماشيا لا مانع منه شرعا ولا عقلا . ونقل الحاوي رحمه الله : أن ما روي عن سعيد باطل ، « فتاوى خليلي » .

واعلم : أن السالكين إذا اجتمعوا في منزل وذكروا الله كثيرا بأعلى صوتهم وضربوا أرجلهم على الأرض مع الحركة أيّة حركةٍ كانت ؛ وكانت نيتهم بذلك إزالة الألم الروحاني عن القلب كما أزال أيوب عليه السلام ألمه الجسماني بركض رجله على الأرض جاز ذلك منهم إلخ ، « تفسير روح البيان » ، في قوله تعالى : ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ ، وأما قوله : فيمن مشى ودار وسقط على الأرض وصار كالخشبة ورآه ﷺ :(إذبحوه أو ألقوا عليه هذا العمود لا أبرح من مكاني حتى أجدد إيمانه) فانظروا ما أجهل هذا الكاذب على رسول الله عليه السلام كيف أتى بما هو مخالف للعقل والنقل كيف يجدد إيمانه من إتيانه بذكر الله تعالى ، وكيف يكفر من يأتي بذكر الله

تعالى الذي هو سبب الإيمان ، وكيف ينهى النبي عليه السلام عما جاء داعيا إليه حتى قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » ، الحديث ، فكيف يحكم بكفر من قالها ويجدد إيمانه ، وقد ورد في الحديث عن أسامة بن زيد لما قتل من قال : لا إله إلا الله في الحرب واعتذر بأنه قال خوفا من السيف ، فقال له النبي عليه السلام : « هلا شققت قلبه » ، فنسبة الأمر بالذبح إليه عليه السلام وإلقاء العمود عليه أمر شنيع لا يصح نسبة ذلك إليه عليه السلام ممن يؤمن بالله واليوم الآخر .

وأما قوله : ذكر في كتاب « البزازية » رفع الصوت والجهر بالذكر حرام ، فهو كلام لا أصل له ، فقد صرح في « البزازية » من كتاب الكراهة والاستحسان بما صورته في الفتاوى للقاضي خان رحمه الله : رفع الصوت بالذكر جائز ولو في الحمام ، ومحل الفسق بلا كراهة . وأما ما نقل عن ابن مسعود : أنه سمع قوما اجتمعوا في مسجد يهللون ويصلون على النبي عليه السلام جهرا فراح إليهم وقال : ما عهدنا ذلك على عهده وما أراكم إلا مبتدعين فما زال يذكرهم حتى أخرجهم من المسجد ، فهذا القول باطل ، وكيف أخرجهم من المسجد ومنعهم عن ذكر الله تعالى وهو يعلم أن مانع ذكر الله تعالى في المسجد من أظلم العباد كما قال تعالى :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الخ[١] ، مع أن رفع الصوت بالذكر جائز بل لازم كما

« ١ » ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ،

في الآذان ، والخطبة ، والحج ، والتلبية ، وقراءة القرآن في الصلاة وخارج الصلاة ، فيقر المعترض من ورطة ويقع في ورطة أخرى .

وأما قوله : قال الطحاوي ﷺ : دوران الصوفية حرام ، والحضور معهم حرام ، وقال صاحب « جامع الفتاوى » : دوران الصوفية حرام ولو استحلوا ذلك كفروا ، وقال الطرطوشي : دورانهم رقص أحدثه السامري أولا فهو لهو ولعب حرام بالاتفاق ، وتشبه بالكفرة الضالين ، فإن أرادوا بالدوران ما يفعله فقراء الدراويش في الطريقة المولوية فهو رقص الصوفية وتواجدهم ، وقد ذكرنا أنه جائز وله أصل في السنة في رقص جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، ووقوف النبي ﷺ لعائشة لتنظر إلى الحبشة حين الرقص كما مر ، وهلا كان تشبيه الذاكرين الله كثيرا بالملائكة الطائفين حول العرش وتشبيه أهل الذكر بهم أولى وأحق من تشبيههم بعباد العجل. الكافرين بالله تعالى وكيف يسوغ لمسلم أن يشبه ذكر الله تعالى بكفر الكافرين ، ويشبه الذاكرين الله تعالى كثيرا بالكافرين به سبحانه وتعالى على أن هذه النقول المذكورة عن الطحاوي وعن صاحب « جامع الفتاوى » وعن الطرطوشي ﷺ أمور باطلة غير صحيحة ، وهي كذب وافتراء على العلماء أئمة الدين ، فإن من يكذب على الله تعالى ويكذب أيضا على رسوله عليه السلام وعلى أصحابه الكرام يسهل عليه الكذب على علماء ملة الإسلام وعلى فرض صحة النقل عنهم ، فلعل مرادهم صوفية مخصوصون في زمانهم

اطلعوا عليهم أنهم يرقصون بالتثني والتكسر كفعل الفسقة في حال الفسق مع الغناء المناسب لأفعال الفسق وعلموا أنهم يتخذون ذلك عادة وإلا فكيف يتصور ممن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحكم بأن الحركة مع الخشوع القلبي بذكر الله تعالى منكر حرام ، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وكذا :﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ، وكذا :﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ، فإن صاحب الخشوع القلبي والوجل بذكر الله تعالى قد يغيب عقله عن احترام الناس واعتبار أهل المجلس فيقوم ويدور ويتواجد وربما ينصرع إلى الأرض على حسب قوة استعداده لتحمل الواردات الإلهية عليه فهو في طاعة وعبادة من غير شبهة عند أحد من عامة أهل الإسلام والإيمان فضلاً عن غيرهم من العلماء والأعيان ، ولا يجوز حمل كلام العلماء على معاني سوء الظن في جميع الصوفية الموجودين في زمانهم ، والذين ليسوا بموجودين في زمانهم ممن هم الآن جميع الصوفية عليه من الذكر والخشوع والحركة ، وأما الحكم بكفرهم فخطأ عظيم .

والحاصل : أن أصحاب هذه النقول من الفقهاء إذا أساؤوا ظنونهم في طائفة من الصوفية فحملوا أحوالهم في ذكر الله تعالى على اللهو واللعب ، وطعنوا في شأنهم مما يعلمه الله تعالى لا يلزمنا أن نتبعهم

في سوء الظن في كل أهل الذكر في جميع الأزمان ، ونرتكب هذه المعصية كما ارتكبوها ، ونعتقد أنها طاعة ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ، فإن سوء الظن بالمسلم حرام قطعي والتأويل واجب في أفعاله وأقواله كما قاله العلماء والسماع عند الطائفة الصوفية غير السماع المحرم عند الفقهاء من علماء الأحكام الشرعية ؛ لأن الطائفة الصوفية نيتهم صحيحة وقلوبهم فارغة من سوء الظنون ولنا على هذه الأسئلة رسالة اختصرنا هذا الجواب منها ، وقد عمل عليها أيضا رسالة نفيسة العلامة الشيخ عبد الغنى النابلسي المقدسي وقد أجاد وأفاد وأتى فيها بالقصد والمراد جزاه الله تعالى خيرا والله تعالى أعلم ، « فتاوى خليلي » ملخصا .

أقول : وأما قول بعض المعترضين بأن الحصير الذي يرقص عليه لا يصلى عليه حتى يغسل ، وكذا التراب لا تجوز الصلاة عليه حتى يحفر ويرمي ترابها ، إلخ ، فباطل لا أصل له ، فكيف مع أن الحصير الذي يزنى فوقه ويشرب الخمر ويعبد للوثن فوقه يجوز الصلاة عليه بلا غسل إن لم يكن عليه نجاسة ظاهرة بالاتفاق ، فلا حول ولا قوة إلا بالله الدوران حلال لأهله ، وقد كنت أفتيتُ أوّلا بحرمته فتبتُ ورجعت عنه ، فإنه جائز بلا شبهة ، والله تعالى أعلم ، أبو السعود رحمه الله ، ملخصا .

سئل : فيما اعتاده السادة البسطامية ، والقادرية ، والسعدية ، والصمادية ، والرفاعية ، وغيرهم من حلق الذكر والجهر به في

المساجد ، وقد ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادِهم وأشياخهم ، وينشدون القصائد الصوفية والأشعار بالألحان المطرِبة ، والنغمات الموسقية ، ويحصل لهم وجد عظيم وحال ، يقعد ويقيم فيرفعون أصواتهم بالذكر ويرقصون ويقولون : يا أبا يزيد البسطامي ، يا عبد القادر الكيلاني ، يا أحمد الرفاعي ، ويقولون : شيء لله يا عبد القادر ، ونحو ذلك ، فهل ذلك حلال ، وهل يجوز الاعتراض عليهم في هذه الأحوال ، أم كيف الحال ؟

أجاب : قد رفع شبهة هذا السؤال للعلامة الشيخ خير الدين الحنفي الرملي رحمه الله تعالى ، وسطر في فتاواه فأجاب بما ملخصه اعلم أوّلا أن من القواعد المشهورة في كتب الأصول أن الأمور بمقاصدها ، والشيء الواحد قد يتصف بالحل والحرمة باعتبار ما قصد له ، وهي مأخوذة من الحديث الذي رواه الشيخان : « إنما الأعمال بالنيات » ، ومدار غالب أحكام الإسلام عليه إلى أن قال : وبعدُ : فإن لله تعالى عبادا إذا قاموا قاموا بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وحقيقة ما عليه الصوفية لا ينكرها إلا كل نفس جاهلة غية .

فأما حلق الذكر والجهر به في المساجد وإنشاد القصائد : فقد جاء في الحديث ما اقتضى ذلك نحو : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : « حلق الذكر » ، قالوا : وما الرتع ؟ قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ، ونحو : « وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » ، رواه البخاري ومسلم .

والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر ، وكذا حلق الذكر وطواف الملائكة بها ، وما ورد فيها من الأحاديث فإن ذلك إنما يكون في الجهر بالذكر ، وأما ما ورد في حق طلب الأسرار في بعض الأسفار مثل حديث : « اربعوا » أي : ارفقوا « على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا » بل « تدعون سميعا قريبا » ، فلحكمة : اقتضت طلب الأسرار هنالك ، والجمع بينهما بأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال . وذكر بعض العلماء أن الجهر أفضل ؛ لأنه أكثر عملا ولتعدي فائدته إلى السامعين ويوقظ قلب الذاكر ويطرد النوم ويزيد النشاط .

وأما قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ ، أجيب عنه : بأنها مكية كآية الأسرى :﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ، نزلت لئلا يسمعه المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله فأمر به سدًّا للذريعة كما نهى عن سب الأصنام لذلك ، وقد زال إلى أن قال .

وأما رفع الصوت بالذكر : فجائز ، وفي هذه المسألة للعلماء كلام يتحمل مجلدا ، « فتاوى خليلي » .

ولا يكره التسبيح والتهليل وإن رفع صوته ، « الحلبي »

وأما إنشاد الأشعار في المسجد : فلو لم يكن فيه إلا حديث كعب بن زهير ، وقصيدته المشهورة :

بانت سعاد

وإشارته عليه السلام إلى الصحابة أن اسمعوا لكفى ، وقد ثبت بالنصوص الغناء في بيته عليه السلام ، وضرب الدف في حضرته ، ورقص الجيوش في مسجده ، وإنشاد الشعر بالأصوات الطيبة بين يديه كما في « البخاري » ، والأخبار فيما يشهد لهذا كثيرة ، والأثر به مستفيض ، وقول العلماء : إنما الشعر كلام فحسنه حسن الكلام ، وقبيحه قبيح الكلام ؛ كما كان النبي عليه السلام يضع منبرا لحسان ليهجو المشركين ، وببشره« ١ » بأن معك روح القدس ، فما جاز على النثر جاز عليه .

وأما قوله (يا شيخ عبد القادر) فهو نداء ، وإذا أضيف إليه (شيء لله) فهو طلب شيء إكراما لله تعالى ، فما الموجب لحرمة ذلك ، « فتاوى خليلي » .

وأما قراءة أشعار العرب : وما كان فيها من ذكر الفسق والخمر والغلام فمكروه ؛ لأنه ذكر الفواحش ، « إحياء العلوم » .

سئل : عن السماع باليراع وغيره من الآلات المطربة هل ذلك حلال أم حرام ؟ أجاب : حرام لمن يعترض عليه ، ومباح لمن لم ينكر عليه لقوة حاله ، « فتاوى خيرية » ، وجميع الطبول جائزة إلا الدريكة ، وهي طبل واسع الرأس ، ضيق الوسط ، فإن الطبول محركة للقلوب إلى عَلام الغيوب ، « فتاوى خليلي » .

« ١ » لعلّ الصواب : ويبشّره .

اعلم : أن قول القائل : السماع حرام ؛ دعوى بلا دليل ، ولا يدل على تحريمه نص ولا قياس بل النص يدل على إباحة الصوت الحسن ، كما ورد : « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » أي : في مدح صوت سلمان الفارسي ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي : في ذم الصوت الكريه .

والحاصل : أنه لا يحرم من الأصوات إلا ما ورد الشرع بالمنع منها بسبب كونها شعار أهل الشرب ، وهي الملاهي والأوتار ، والمزامير ، والكوبة فقط ، بل الصوت الحسن كصوت العندليب بلا فرق ، « إحياء » .

سئل : ما قول شيخ الإسلام حَلّال المشكلات فيما يفعله السادة الصوفية من السماع والرقص والدفوف ، هل ذلك حلال أم حرام ، وهل يكفر مَن أفتى بحل السماع أم لا ؟

أجاب : سماع ما يحرك الأحوال السنية المذكِرة للآخرة مندوب إليه ، فمن كان عنده هوى مباح كعشق زوجته أو أمتِه فسماعه لا بأس به ، ومن كان عنده هوى محرم فسماعه حرام . ومن قال : لا أجد في نفسي شيئا من الأقسام المذكورة فسماعه مكروه في حقه وليس بمحرم .

فمن جزم بتكفير أهل السماع فقد أخطأ فيما قال ، ووقع في الكفر والضلال واستحق العقوبة والنكال ولا يخرج المؤمن من

الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه ، فمن كفر مسلما فهو كافر ، وقد ورد : « اعلنوا النكاح ولو بالدف » ، وأيضا : يجوز التغني بالدف لدفع الوحشة ، وبالشعر لتعلم الفصاحة ونظم القوافي .

وأما الرقص : فقد وقع لجعفر ، وعلي ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – في حضور النبي عليه السلام فلم ينكره .

والحاصل : أن الدف ، والسماع ، والتغني ، والرقص ، إن كان داعية للخير يحل ، وإن كان داعية للشر يحرم ، وشبهوه بسوق الدابة ، « فتاوى خيرية » .

اعلم : أن هذه أمور ثلاثة[1] : التواجد ، والوجد ، والوجود .

فالتواجد : هو : التكلف ، والوجد : حقيقته ، والوجود : نهايته ، وكلها محمودة ، وللمريد الصادق أن يتواجد لطلب الوجد بمنزلة ، « فإن لم تبكوا فتباكوا » ، وقس عليه ، فإن لم تجدوا فتواجدوا فإن هذه الأحوال قد يتكلف مباديها ، ويتحقق أواخرها ، « إحياء » .

وأما تواجد النبي عليه السلام نفسه ، وسقوط ردائه حين أنشد الأعرابي ، « قد لسعت حية الهوى كبدي » إلخ ، ثم تقسيمه بين الصحابة قطعة قطعة ، فقد ذكره علي القاري في « الموضوعات » ، ولكن الغزالي رحمه الله ذكره في « الإحياء » ، تأمل .

« ١ » وفي نسخة : ثلاثة مرتبة .

والحاصل : أن الرقص المجرد مباح عند الشافعي مطلقا إلا إذا كان في محل فسق وفجور ، أو كان بتكسر أو تثنّ كفعل المخنثين . ثم الرقص على ثلاثة أقسام : إن كان سببه حراما ؛ فحرام ، وإن مباحا ؛ فمباح ، وإن محمودا ؛ فمحمود ، وكذا السماع .

واعلم : أن السماع لا يحرك ما ليس في القلب ، فالرقص والسماع مباح لمن غلب عليه حب الله والشوق إليه ، إلخ ، « إحياء العلوم » ، ملخصا في الجلد الثاني ، في كتاب السماع ، فراجعه تجده مفصلا .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث«١» ، فقال أبو بكر : أبِمزامير الشيطان في بيت رسول الله عليه السلام ؟ ! وذلك في يوم عيد ، فقال رسول الله عليه السلام : يا أبا بكر ؛ دعهما أن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا ، « البخاري » ؛ في كتاب العيدين . وكذا أقام النبي عليه السلام عائشة خلفه لتنظر إلى السودان الذين يلعبون يوم العيد بالدَرَق«٢» والحراب ، « البخاري » .

ويجوز الدف لعرس وختان وغيرهما وإن كان فيه الجلاجل . ومن قال : إن الدف الذي ضرب بين يدي النبي كان على غير جلاجل فعليه الإثبات والبيان ابن حجر في باب الشهادة ملتقط من الحنفية ، « إقامة الدين خطامي » . ولا يحرم ضرب الكف

« ١ » يوم بعاث : هي آخر معركة من معارك الأوس والخزرج بيثرب قبل هجرة الرسول ﷺ (الكامل في التأريخ)

« ٢ » درق جمع درقة : ترس من جلد ليس فيه خشب وعقب .

بالكف ، وكذلك ضرب النَوْبة للتنبه أو تذكر نفح الصور للمناسبة بينهما فإن ضرب تلك الآلات بعينها حلال تارة وحرام أخرى باختلاف النية ، والأمور بمقاصدها ، يعني إن كان للتفاخر في محل الفسق حرام وإلا فحلال ، « رد المختار على الدر المختار » ، في باب الخطر .

اعلم : أن الذكر هو العمدة في جميع الطرق العلية ، فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، والفكر ، والحضور ، والمراقبة ، وذلك أفضل العبادات وأقرب الطاعات والقربات في الطرقات بعد أداء الفرائض ، والواجبات ، والسنن المؤكدات ؛ لأن العابدين لو اشتغلوا بجميع الطاعات سوى ذكر الله تعالى ليلا ونهارا ، قلما يحصل لهم تزكية النفوس وتصفية القلوب وهو مأمور به وثابت بالأدلة الأربعة ، وأفضليته ثابتة بقوله تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ؛ أي : ولذكر الله أكبر في إزالة مرض القلب من الصلاة وتلاوة القرآن . فالصلاة وإن كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر وكذا التلاوة لا توصلان إلى الله تعالى بل توصلان إلى الجنة والثواب العظيم . وأما الذكر : فهو موصل إلى الله تعالى فبينهما فرق عظيم ؛ لأن قيمة الذكر بقدر المذكور ، فحينئذ فذكر الله أكبر من قراءة القرآن وصلوات النوافل ، « روح البيان » ، ملخصا .

اعلم : أن الذكر من الواجبات ؛ لأن الأمر إذا تكرر يكون للوجوب على قاعدة الأصوليين ، وقد تكرر الأمر بالذكر في القرآن والحديث في مواضع لا تحصى ، « حجة الذاكرين » ؛ ملخصا .

واعلم : أن الله تعالى وقّت العبادات كلها كالصلاة ، والصوم ، والحج ، بالمواقيت المخصوصة إلا الذكر ، فإنه أمره على كل حال وفي كل حين ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ، والذكر الكثير ليس بالعدد بل بالحضور ، وعدم نسيان الله تعالى على كل حال ، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ ، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ ، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ ، والأمر فيه للوجوب على الأصح . ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ ، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، فراجع : « روح البيان » في تفاسير هذه الآيات .

وفي الحديث : « ذاكر الله في الغافلين كالمجاهد في سبيل الله » ، « داماد » من كتاب الاستحسان . وفي الحديث أيضا : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ممن أعطي الذهب والورق وخير من أن لو غدوتم إلى عدوكم فضربتم

رقابهم وضربوا رقابكم أذكروا الله كثيرا » ، هب[١] عن ابن عمر . وفي بيان الذكر وفضيلتِه رسائل مستقلة وأحاديث جمّة ، فمن أراد التفصيل فليراجعها .

سئل : في السبحة ؛ هل لها أصل في السنة ، وهل الأفضل التسبيح بعقد الأصابع أو بالسبحة أو في ذلك تفصيل ؟

أجاب : الأصح ان للتسبيح أصلا في السنة ، فمن ذلك ما صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : رأيت رسول الله عليه السلام يعقد التسبيح بيده ، وصح أيضا عن صفية رضي الله تعالى عنها أنها قالت : دخل عليَّ رسول الله عليه السلام وبين يديّ أربعة آلاف نواة أسبّح بهنّ ، فقال : « ما هذا يا بنت حيي ؟ » قلت : أسبح بهنّ فقال : « قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا ؟ قلت : علِّمْني يا رسول الله فقال ﷺ : « قولي : سبحان الله عدد ما خلق من شيء » ؛ انتهى . وقد ألف في السبحة الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ؛ فراجعه .

وعن بعض العلماء : إن التسبيح بعقد الأنامل أفضل من السبحة ، وفصل بعضهم فقال : إنْ أمِن المسبِّح من الغلط كان تسبيحه بعقد الأنامل أفضل ، وإن لم يأمَن من الغلط فالسبحة أفضل ، كما أفتى بذلك العلامة الشهاب ابن حجر رحمه الله تعالى ، « فتاوى خليلي » .

« ١ » (هب) للبيهقي في « شعب الإيمان » (هق) له في « السنن » « التنوير شرح جامع الصغير »

وقد ورد « نعم المذكر التسبيح » وليس للذكر وضع مخصوص ، وهيئة مخصوصة وحد معلوم وصيغة معينة بل يجوز بجميع أسمائه تعالى وصفاتِه كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ ، ويجوز الذكر بجميع الأنواع وبهُوَ وباسم منفرد أي : بلا تركب وبالقلب فقط ، وبالحلقوم فقط ، ويجوز الذكر بجميع أسماء الله وصفاته طرا ، وبهو ، وها ، وهي عند غلبة الحال ، وبغير العربية ، والله تعالى أعلم ، « فتاوى ابن حجر » ؛ ملخصا . فإن من الحلق إلى القلب الصنوبري مجرى متصلا إليه فيحصل بسبب ذكر الارة[١] حرارة في القلب ، ويصفو ويظهر نور الذكر ، كذا في « بستان الفقه » و« فتاوى الحديقة » .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ أي : خفية ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ أي : متضرعا وخاضعا وخاشعا وخائفا من التقصير في الأعمال ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ بحيث يسمع ممن معه أو خلفه ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ أي : بجميع الأوقات ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ أي : عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه ، « روح البيان » .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في « شرح مسلم » : واختلف في أن الذكر كالتهليل والتسبيح ونحوها بمجرد القلب أي : بلا حركة اللسان والفم أفضل أو باللسان مع حضور القلب ، احتج من رجح الأول بأن عمل السر أفضل لبعده عن الرياء ، واحتج من رجح الثاني

« ١ » لعلّ الصواب : ذكر الحلقوم أو ذكر اللسان .

بأن العمل فيه أكثر ؛ ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين فاقتضى زيادةً ، والصحيح : الأول لبعده وخلاصِه عن الرياء .

أقول : وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما تقدم ذكره .

وأما الأذكار التي وردت فيها الأخبار والآثار كالتسبيح والتحميد والتكبير عقيب المفروضات فلا بد من تلفظها باللسان ؛ انتهى ، « النووي » . أقول : وكذا قراءة القرآن والتسابيح والتكبيرات في الصلاة ، وكذا تشميت العاطس ، وإجابة المؤذن ، والسلام مع عدم العذر وإلا فبالقلب فقط كما في الخلاء ومحل النجاسات ، كما في « الباجوري » في آداب الخلاء . وأما غير المأثورات فجائز مطلقا .

وفي « روح البيان » : الذكر على مراتب ، والذكر اللساني بالنسبة إلى الذكر القلبي تنزل .

روي : أن عيسى عليه السلام حين ترقى إلى مراتب الذكر جاءه إبليس - عليه اللعنة - فقال : يا عيسى ؛ اذكر الله تعالى ، فتعجب عيسى عليه السلام مِن أمره بالذكر مع أن جِبلّته وطبيعته المنع من الذكر ثم ظهر له أنه أراد أن ينزله من مرتبة الذكر القلبي إلى مرتبة الذكر اللساني ، وذلك كان تنزلا بالنسبة إلى مقامه ؛ لأن الأنبياء وكمل الأولياء ذكرهم الحضور والمراقبة والمشاهدة بالقلوب والأرواح بلا إتعاب الألسنة والإشباح ، وقوله تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ ، في حق زكريا عليه السلام ، فيه قولان ،

أحدهما : أنه تعالى أمر زكريا بحبس لسانه عن أمور الدنيا إلا رمزا دون الذكر والتسبيح ، وثانيهما : أن المراد منه الذكر القلبي أي : بلا حركة اللسان ، إلخ ، كما قيل : من عرف الله كل لسانه ، « روح البيان » .

وفي الحديث : « الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا » . حب[١]

عن عائشة ﵂ يعني أن الذكر القلبي الذي لا تسمعه الكرام الكاتبون من الملائكة يزيد ثوابه ودرجته على الذكر اللساني الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا ، وذلك لبعده عن الرياء والسمعة وخلوصه عن كثير من الخواطر الدنيوية بسبب الجمعية القلبية وقصر الهمة على الذات الأقدس بالملاحظة التامة ، وفي حديث آخر : « اذكروا الله ذكرا خاملا » قيل : يا رسول الله ؛ ما الذكر الخامل ؟ قال : « الذكر الخفي » . وفي حديث آخر : « خير الذكر ما يخفى وخير الرزق ما يكفى » ، وفي « حسبحال السالك » : الذكر قسمان ، الأول : التذكر ، وهو : التكلف أي : تكلف السالك على لسانه ذكر الله ، والثاني : الذكر الحقيقي ، وهو جريان القلب بالذكر دون اللسان ، فتسمية الأول بالذكر مجاز من قبيل تسمية السبب باسم المسبب ، وأكثر الناس عنه غافلون .

« ١ » (حب) لابن حبان بكسر الحاء وتشديد الموحدة . وهو محمد بن حبان أبو حاتم التميمي . (فيض القدير)

والحاصل : أن الذكر اللساني وسيلة إلى الذكر القلبي وهو وسيلة إلى الحضور والحضور وسيلة إلى المراقبة ثم إلى المشاهدة كما قيل : الفكر : ذكر القلب ، والعشق : ذكر الروح ، والمعرفة : ذكر السر . وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « إحياء العلوم » : ما حاصله : الذكر قد يكون باللسان ، وقد يكون بالقلب ، وقد يكون بالجوارح ، بأن يكون جوارحهم مستغرفة في الأوامر وخالية من النواهي كما في الحديث : « من أطاع الله فقد ذكر الله » ، فالذكر اللساني : بالذكر ، والحمد ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والقراءة ، ونحوها . والذكر القلبي بالفكر : وهو إما في دلائله الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته ليزول شبهتهم . وإما في تكاليفه ، وأوامره ، ووعده ، ووعيده ، ليسهل عليهم الفعل . وإما في أسرار مخلوقاته أي : حقيقة أكوانه حتى يصير كل ذرة منها كالمرآة المجلوة المحاذية لذات الله تعالى ، فإذا نظر إليها السالك أي : إلى تلك المرآة بمرآة قلبه انعكس شعاع بصره من تلك المرآة المجلوة إلى نور ذات الله ذي الجلال ، وهو مقام لا نهاية له ، انتهى كلام الغزالي رحمه الله ملخصا .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ أي : يذكرونه دائما على الحالات كلها ، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾ أي : يعتبرون في خلقهما بالقلب والتخيل وإنما خصص التفكر بالخلق دون الحق

لقوله عليه السلام : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره » أي : لا تعرفون حقيقة كنهه وذاته فتهلكوا حينئذ كما قال الصديق : العجز عن درك الإدراك إدراك ، والبحث عن سر ذات الله إشراك ؛ بل يكفي للإنسان أن يتفكر في أوصافه تعالى وعظمته وكبريائه وحقارة سائر المخلوقات في جنبه ، ولا بأس لحائض وجنب بقرائة أدعية ومسها وحملِها وذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل وزيارة القبور والأكل والشرب بعد المضمضة والاستنشاق وغسلِ اليد ، « در المختار » .

ولا يكره للمحدث قرائة القرآن بلا مس المصحف بالإجماع ، ويحرم للجنب ، « حلبي » . قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ، ولم يقل : يا أيها الصالحون ، وكذا الخطاب في : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ، ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب فربما يحصل له أجر جزيل ، وفي الحديث : « إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وأنهم يقومون وما عليهم منها شيء » ، رواه أحمد بن حنبل ، في الزهد .

وأما النظر إلى الأمرد فلا يحرم ذلك إلا إذا كان بشهوة ، ولا يحرم دخولهم في المساجد فضلا عن الزوايا ، ومحل الذكر كما كان النبي عليه السلام يحمل الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى المسجد . **وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير** ، رجل

يذكر الله ويسبح في مجلس الفسق قالوا : إن نوى أن الفسقة يشتغلون بالفسق وأنا أشتغل بالتسبيح فهو أفضل وأحسن كمن سبح الله في السوق ، إلخ ، « قاضيخان » .

أما إذا سجد للسلطان إن كان قصده التعظيم والتحية دون العبادة لا يكون ذلك كفرا ، أصله : أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، وسجود إخوة يوسف عليه السلام ، « فتاوى قاضيخان » من كتاب الاستحسان . فإذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يفتي بعدم التكفير ، « فتاوى علي أفندي » .

ولا يخرج المؤمن من الإيمان إلا بجحود ما أدخل فيه أي : بإنكار شروط الإيمان ، « فتاوى علي أفندي » .

اعلم : أن الرابطة لغة : الشد والتقوية والتوثيق كما قال تعالى : ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ أي : يشدها ويقويها بجعلها واثقة بسبب الربط ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ أي : شدوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين أنفسكم على الطاعة كما في الحديث : « فذلكم الرباط فذلكم الرباط » ، ومعنى الآية : اصبروا على مضض الطاعات ، ومصابرة النفس في رفض العادات ، ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة ، فعلم من هذا : أن الصبر دون المصابرة ، والمصابرة دون المرابطة ، ولا بد

من السلوك حتى يتجاوز العبد عن الأحوال والمقامات إلى أقصى النهايات . وقال تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : شددنا عليه بالصبر والثبات ، والربط : الشد ، وهو العقد القوي ، « روح البيان » ، ملخصا .

ثم اعلم : أن الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعا ، وهي : رابطة الحضور ، رابطة الموت ، رابطة المرشد .

أما رابطة الحضور : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة وتفكره مَعيَّته تعالى وكونه حاضرا وناظرا إليه ، وسميعا عليما بصيرا على مقتضى كأنك تراه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، عامِلا على مضمون الحديث : « أفضل الأعمال أن تعلم ان الله معك حيثما كنت » ، فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها ، بل هي المقصود الأصلي . وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة ؛ كما سيجيئ تفصيلها .

وأما رابطة الموت : فهي عبارة عن ربط القلب بالموت والقبر والقيامة وتفكر أهوالها وأحوال نفسه على مقتضى « موتوا قبل أن تموتوا ، وحاسبوا قبل أن تحاسبوا ، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور » .

وأما رابطة المرشد التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظ لهم من فيوضات أهل الله المكملين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفًا لاعتراضهم بغير دليل مبين : فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبي من أنبياء الله تعالى عليهم السلام أو وليٍّ من أوليائه تعالى أو على جميعهم أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه أو سيدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة إن كان من أهلها أو شيخه ومرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنه بلا تردد فهذه الرابطة الحبيبة ملزوم ، وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم وتخيل صورهم أو صور روحانيتهم ، وذلك أن المريد إذا ربط قلبه بهم بالمحبة الكاملة بحيث كأنه حاضر معهم في مجلسهم وناظر إليهم على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي : جسما إن أمكن أو روحا إن لم يكن يلزم عليه تخيل صورهم وتذكرهم وتخطرهم جسما أو روحا بالضرورة والطبيعة ؛ لأن المحبة عبارة عن توجه القلب وميله نحو المحبوب ، وطول الفكر في محاسن المحبوب ، وصفاته الجميلة حتى يصير بينهما الايتلاف الروحاني ، ثم تتأكد المحبة فتصير خلة ، ثم تتقوى فتصير هوى ، ثم يزيد الهوى فيصير عشقا ، وهو إفراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه ، وذكره وفكره ، ولا يغيب عن خاطره وذهنه كما قال اليافعي رحمه الله : الحب نار سوى المحبوب تحرقه ويعقب البرد من عذب الوصالات . فإذا تمت الرابطة وحصلت الايتلاف الروحاني بين السالك المرابط وبين المرابط عليه فله أن

يستمد من روحانيته ، ويستفيض من فيضه وبركته ، ويتوسل به إلى الله تعالى ، وكذا يطلب الشفاعة والهمة والإعانة به فحينئذ يستفيض منهم في الغيبة كالحضور وينزجر عن المعاصي والشرور ، فهذه هي الرابطة عندنا بل الرابطة موجودة في قلب كل مؤمن ومؤمنة يحب الله ورسوله ويحب أولياء الله تعالى بالضرورة والطبيعة على حسب محبته واستعداده وقابليته كما هي مشاهدة في حق النبي عليه السلام وسائر الصحابة حتى ينبغي لكل مؤمن أن يلاحظ خطا ممدودا من النور كالتلغراف من قلبه إلى قلب النبي ﷺ ، ويستفيض منه في كل وقت وعلى كل حال ، وكذا تخيل شخصه الكريم حتى في تحية الصلاة المفروضة ، كما قال الغزالي في « الإحياء » : واحضر في قلبك النبي عليه السلام وشخصه الكريم ثم قل : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ، وليصدق أملك في أنه بلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ، انتهى قول الغزالي رحمه الله ملخصا .

ثم اعلم : أن الرابطة الحبية القلبية كانت تحصل للصحابة والتابعين وأتباعهم بلا احتياج إلى التكلف والتنبيه منهم على وجه الاضطرار ، ثم لما تمادى الزمان وتكدرت القلوب ، وقلت المحبة احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها فأمر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ثم عبروا عن هذه المحبة بالرابطة ؛ لأن العشق والمحبة يربط قلب المحب بالمحبوب ويقيد به فيحصل الارتباط الروحاني

بينهما ، وقد يسمونها نسبة ويسمى طريقهم : طريق العشق والمحبة رضاء لله لا لغرض سواه كما في الحديث : « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » ، وهذه المحبة اختيارية وعقلية ؛ لأنه يختاره بحكم العقل منفعته بخلاف محبة الأولاد ، فإنها طبيعية وشهوتية ، وقد تنقلب الاختيارية اضطرارية ، وذلك بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما ، ثم إن الرابطة والمحبة أصالة لرسول الله عليه السلام وتبع لورثته الكاملين ، فكيف لا وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ ، فانظر كيف أشركهم في الدعوة والإرشاد ، فكما جازت الصلاة والسلام عليهم تبعا جازت الرابطة إليهم تبعا ، « رسالة الرابطة » لأخينا العالم فصيح أفندي البغدادي ﷯ ، فلله دره حيث ألف فيها رسالة نفيسة ، وكذا ألف فيها : رسالة العالم الفاضل وحيد العصر محمد فوزي أفندي ؛ المشهور : بادرنه مفتي السابق ردا للمنكر المتعصب سيد خواجه ، وكذا فيها : رسالة لملا جامي ، وكذا فيها : رسالة نفيسة لمولانا حضرة خالد ، وكذا فيها : رسالة لعبد الغني النابلسي ، وكذا : للخادمي ، وغيرهم ﷻ ، فراجعها إن لم تقنع برسالتي هذه .

قال الشيخ محمد البوصري ﵁:

أمِــن تذكــر جيران بذي ســلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

قال الخربوطي ﵁ في « شرحه » : قيل : المراد من السلم – دار السلام من الجنان أو السلامة من الأثام ، فعلى هذا يكون المراد من

الجيران أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين ، والمراد : بجواريتهم جواريتهم في عالم الأرواح كما في الحديث : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف » .

فحاصل المعنى حينئذ - أمن تذكر الجيران - في عالم الأرواح الكائنين في محل ذي سلامة ؛ لأن محل الأرواح أعلى عليين ، « خربوطي » ملخصا فراجعه .

وفي بيت آخر :

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني   والحب يعترض اللذات بالألم

أي : لما جاء إلى خيال المحبوب ومحبة المعشوق فأيقظني من النوم ؛ لأنه إذا امتلأ قلب المشتاق بخيال المحبوب والأشواق يسلب النوم من عينيه ، ولا يحجب عنهما أبدا ، « خربوطي » .

وفي بيت آخر :

وَكُلُّهُم من رسُولِ الله مُلْتَمِسٌ . . . غَرْفًا منَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا منَ الدِّيَمِ

وخوطب النبي عليه السلام كأنه الحاضر ليكون حضوره سببا لمزيد الخشوع ، « شرح العباب » لابن حجر رحمه الله . ويسلم على النبي ﷺ ويمثله بين عيني قلبه . وقد رأى ابن عباس رضي الله عنه صورة رسول الله ﷺ حين نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة ، ابن حجر رحمه الله في « شرح الشمائل » ملخصا .

ومن آداب الذاكر : أن يخيل شخص شيخه بين عينيه ، وهذا من آكد الأداب ، « النفحات القدسية » للشعراني ﷺ .

وفي « البخاري » في آخر كتاب الدعاء في باب فضل ذكر الله ومجلس ذكر الله : يقول الله تعالى للملائكة الحافين حولهم : فإني أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ؛ ليس منهم إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم ، فراجعه فإنه حديث طويل .

وفي حديث آخر : « ومن آداب الدعاء : أن يتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين من عباده » ، « رواه البخاري » كما في « الحصن » .

الثالثة : الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالصفات الذاتية ، فإن رؤيته بمقتضى « هم الذين إذا رؤوا ذكر الله » تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب « هم جلساء لله » تنتج صحبة المذكور « تاجية » لتاج الدين وشرحه لعبد الغني النابلسي ﷺ .

ويسلم على النبي ﷺ في التحيات ، ويمثله بين عيني قلبه ، ثم يسلم على عباد الله الصالحين كذلك ، « عوارف المعارف » للسهروردي ﷺ . إذا دخلت في الصلاة فإنك تناجي الله وتكلم رسوله لأنك تقول : السلام عليك أيها النبي ، ولا يقال : أيها الرجل عند العرب إلا لمن يكون حاضرا ، « تاج العروس » لعطاء الله الإسكندري ﷺ . وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ثم قل : السلام عليك أيها النبي ، « إحياء العلوم » .

نعم ؛ مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها ، وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب المقام المحمود ، كذا في « رسالة رابطة » لمولانا حضرة خالد قدس سره . لعل معناه : أن إحضار صورة الغير عند خطاب : السلام عليك ، وإلا فإن مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب مشروع ، كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله في باب الخشوع من « الإحياء » ما معناه : فإن كان المصلي لا يخشع في صلاته فليلاحظ عنده أو خلفه أو أمامه رجلا صالحا يستحي منه من أستاذه أو شيخه وكأنه ناظر إليه فحينئذ يتم ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته ، « إحياء العلوم » فراجعه إن كنت من المنكرين .

وفي الحديث : « استحي من الله استحيائك من رجلين من صالحي عشيرتك » ، وفي الحديث : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » ، وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكرهم وتفكرهم مع أنا مأمورون به في قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، ونسلم عليهم ونقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهل يكون القراءة بلا ملاحظة معنى بحيث لا يعرف محل توجه الضمائر ومرجعها فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبة الكاملة ، وأما الشيطان في : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وكذا اليهود والنصارى في : ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، فنذكرهم على طريق العداوة ،

ونخيل صورهم حين ذكر اسمهم الخبيث بالبغض والنفرة والعداوة ، هذا ما خطر على بال الفقير والله أعلم . فإذا غلب على الذاكر التفكر الغير المشروع في الله تعالى يصرف باله نحو : نائبه وخليفته تعالى فيأمن منه فهذه من جملة فوائد الرابطة ، ثم إذا كان التفكر في آلاء الله وفي خلق السموات والأرض جائزا ومرغبا فيه ، فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله وأشرف آلائه محمد عليه السلام وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين ، كذا في « رسالة الرابطة » لفصيح أفندي قُدِّسَ سِرُّهُ .

وكان عليه السلام يلعن أبا جهل ، وأبيّ ابن خلف ، وعتبة في القنوت ، وكانت الصحابة يقولون : السلام على فلان وفلان وفلان . وقال العارف الشيخ السهروردي رَحِمَهُ اللهُ في الباب الحادي والخمسين من « العوارف » : سمعت أن الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره كان إذا جاء إليه مريده زائرا لا يخرج إليه بل يفتح الباب ويصافح المريد ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته ، وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة المريدين يخرج ويجلس معه ، فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار من هذه المعاملة ، فانتهى ما خطر للفقير إلى الشيخ فقال الشيخ : رابطتنا مع الفقير رابطة قلبية فنكتفي معه بموافقة القلوب ، وأما من هو من غير الجنس فمتى لم نوف حقه من الظاهر استوحش ، انتهى بعبارته ، « عوارف المعارف » للسهروردي رَحِمَهُ اللهُ .

وقال مولانا جلال الدين الرومي قدس سره الديمومي في « مثنوي شريف » ما معناه بالفارسية : كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب إلا رابطة الأنبياء والأولياء الذين أفناهم الله تعالى عنهم وأبقاهم به وتخلقوا بأخلاقه بل هي خارقة الحجاب وقاطعة التعلقات والأسباب ، فالرابطة معجزة لنفسية« ١ » لرسول الله عليه السلام باقية مستمرة إلى يوم القيامة ، وكرامة لخلفائه المرشدين الكاملين متجددة في قلوبهم وفي قلوب السالكين كل وقت وحين إلى أن قال : (كراثر برجان زنذبي واسطة متصل كردد به ينهان رابطة) ، « مثنوي » .

وكذا ذكر فيها مولانا ملا جامي ﷿ (وهيج طريق أزاين أقرب نيست وإليها) « رسالة توجه خاجكان » لملا جامي ، وكذا ذكرها الخادمي ﵀ في « رسالته » المعمولة في الطريقة النقشبندية وغيرهم من الأكابر .

وقال نجم الدين الكبرى ﵁ : فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل لا يحصل السبعة الجنيدية للخلوة ولا يتصفى بها مرآة القلب بدون رابطة القلب مع الشيخ وقد جربناها فوجدناها كما قال .

واعلم : أن السر في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل ، وأقل ما يحصل

« ١ » و في نسخة : أنفسية . لعل الصواب : نفيسة .

للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك السلسلة بالرابطة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله تعالى ، فمن لم يدخل في طريقهم فهو غير معدود منهم ولا يجيبه أحد إذا حرّك السلسلة ، وأجمعوا على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق ، « جامع الأصول » .

والثالث : محبة الشيخ الكامل ، وحسن صحبته وخدمته ، ولا يعترض عليه في شيء ولا ينكر ، ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغسال كما قال تعالى : ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ ، ويرابطه وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ، ورؤيته بمقتضى « هم الذين إذا رؤوا ذكر الله » تعالى تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب « هم جلساء الله » تعالى والجليس الصالح والشيخ كالميزاب ينزل الفيض والنور من قلب الرسول عليه السلام الذي هو كالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي هو بمثابة الحوض الصغير النوري ، وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله تعالى إلى قلب الرسول عليه السلام ثم إلى المشائخ ثم إلى قلب المريد بواسطتهم ، وإن وجد الفتور في الذكر فليحفظ صورة شيخه في خياله بموجب ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، و : « المرء مع من أحب » ، وقيل : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الرسول ﷺ ، والفناء في الرسول

ﷺ مقدمة الفناء في الله تعالى وذلك باتصافه بصفة الشيخ وتخلقه بأخلاقه . وهذا هو الطريق المستقل أيضا للوصول إلى الله عز وجل ، « حديقة » للشعراني قُدِّسَ سِرُّهُ .

إن قلت : ما الفرق بين المحبة والرابطة ؟ قلت : المحبة ملزوم والرابطة لازم ، فقولنا : رابطة شريف من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم فافهم جدا كما قال إسماعيل حقي قدس سره الجلي : الرابطة إثنان ، رابطة الحق ، ورابطة الطبع . فمحبة أولياء الله رابطة الحق ، ومحبة الأولاد والأهل والأقرباء رابطة الطبع ، وكذا قال في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي : من غير رابطة قرابة أو رحم ، « روح البيان » .

قال النبي عليه السلام : « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين » ، وفي حديث آخر : « الآن كمل إيمانك يا عمر » ، حين قال عمر : يا رسول الله ؛ إني أحبك من نفسي ، روي : أن النبي ﷺ لما قال : « مَن أحبني فقد أحب الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله » . فقال المنافقون لقد قارف الشرك ، وهو ينهى عنه ما يريد إلا أن نتخذه ربا ؛ كما اتخذت النصارى عيسى ، فنزلت : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ؛ لأنه في الحقيقة مبلِّغ والآمر هو الله تعالى فعلى المرأ أن يحب النبي ﷺ ويتبعه ويتبع أولياء الله تعالى فالاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول ، « المرأ مع من أحب » ، « روح البيان » .

اعلم : أن مِن جملة الأدلة الواضحة في إثبات الرابطة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ ؛ لأن الصلاة عليه لاستجلاب رحمة على أنفسنا وابتغاء الوسيلة إلينا ؛ كما ورد في الحديث : « ابتغوا إلى الله تعالى الوسيلة بالصلاة عليّ » ، قال عياض ﷺ : الصلاة من الله رحمة لمن دون النبي ، وأما للنبي فهي زيادة مكرمة وتشريف ، « شفاء شريف » ، الصلاة من الله تعالى وصلة ، ومن الملائكة رفعة ، ومن الأمة متابعة ومحبة .

وحكمة مشروعية الصلاة عليه ؛ لأن الاستفاضة في اقتباس العلوم اللدنية والمعارف الإلهية من روح رسول الله عليه السلام تتوقف على حصول المناسبة الروحانية بين المستفيض وبينه عليه السلام إذ هي أمور روحانية ، فلا بد من حصولها بينهما ولذلك شرعها ، فإن الصلاة والتسليم عليه بحضور القلب والمحبة الكاملة مع تدبر معناهما ، والتفكر في أنه على من يصلي ويسلم تستلزم التوجه إليه وتصوره وتخيله بوجه ما ، وربط القلب به لا محالة ، وهذا بديهي عند كل من له عقل سليم وطبع مستقيم إلا أن يكون القارئ جاهلا لا يفهم ما يقول ، ولا يعرف اسم الرسول ؛ لأنه إذا ذكر اسم شيء مّا أَوْ رُؤي بالعين عنده لا بد من تخيل مسماه ، وتصوره سواء كان خيرا أو شرا ، وسواء كان بطريق المحبة أو بطريق البغض والعداوة ؛ لأن الإنسان إذا ذكر عنده واحد أو

رؤي مثلا كالسلطان والعالم الفلاني أو الشيخ الفلاني أو البنت الفلانية أو اليهودي الفلاني لا بد من تخيل صورة ذلك المذكور في قلب الإنسان أو في خزانة الخيال التي في ناصية الإنسان بين عينيه ودخول صورة شخصه فيه بحيث لا يمكن دفعه في ذلك الوقت أصلا ، لكن إن كان التخطر والتخيل والتفكر بطريق الشهوة والمحبة المجازية تتولد منه حرارة الشهوة حتى يكاد ينزل المني بل ينزل بدوام تفكر المحبوبة وتخيلها كأنه جامعها ،وإن كان بطريق العداوة يتولد منه البغض ويتزايد كلما خطر بباله وخياله وتنفر منه الطبع وتنقبض ويؤثر في القلب تأثيرا بحيث يظهر تأثيره المضرة إلى ظاهر البدن حتى يمرض بسببه كما هو مشاهد .

وإن كان التخيل والتصور والتذكر والتفكر بطريق الحب في الله تعالى والاستفاضة والاستمداد والتوسل والتوسط وطلب انعكاس الفيوضات الإلهية من قلبه إلى قلب المرابط المستفيض يتولد منه أمور عظيمة روحانية مقبولة مرضية عند الله تعالى من الإعراض عن الدنيا ، والإقبال على الله ، وانعكاس الفيوضات الإلهية ، والتخلق بأخلاق شيخه ومرشده ، وتزايد المحبة الإلهية والقرب إلى الله تعالى ، والوصلة والفناء في الله بعد الفناء في شيخه ؛ يعني بعد التخلق بجميع أخلاق شيخه المستقيم المرشد ، وتحصيل رضاء الله تعالى ؛ لأن المريد إنما يحب شيخه بحب الله تعالى ، فلو أعرض شيخه عن الصراط المستقيم أو ارتدّ – والعياذ بالله – فلا يحبه

أصلا بل يبغضه ، فإذا تحقق هذا فقد تحققت الرابطة وحصلت إذ هي عبارة عن المحبة الكاملة ، فيستلزم عليها بالضرورة التوجه والتصور وربط القلب به ، وتذكره على مقتضى ، « إذا أحب شيئا أكثر ذكره » مع أن الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة وعالمين بمعنى اللغة والكلام ، فهل يتصور منهم أن يصلّوا على النبي ﷺ غافلين من غير تخيل جماله ، واستحضارِ شخصه الكريم في قلوبهم ، وهو قرة عيونهم ، وروح أنفسهم ، وهذا من قبيل المحال كما قال أهل النظر : الطلب بلا تصور محال ؛ لأنه توجه القلب نحو المطلوب ، كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم وقل : السلام عليك ، وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ، وأما الصلاة على النبي بلا محبة ولا استحضار شخصه ولا ملاحظة ذاته الكريم فقليل الفائدة بل كمشي البهائم فيلاحظ صورة النبي عليه السلام أو روحانيته بالملاحظة الإجمالية إن لم يمكن له ضبط شمائله الشريفة وحليته المنيفة على ما بيّن في الكتب . قال : الاستحضار بقدر الإمكان مع ربط القلب بحضرته العلية بالمحبة الكاملة يكفي في تحصيل المناسبة الروحانية إلى ذاته العلية ثم إذا حصل الاستعداد وترقى الحال والمقام عسى أن يتجلى له روحانيته العلية فيحصل المرام ومن هنا احتاج السالك إلى انتساب المرشد الحي الذي هو نائبه عليه السلام ليتوجه إليه بواسطة الفاني في الرسول وفي الله . فإن

لم يجد مرشدا حيا فيتوجه أوّلا إلى روحانية شيخ من المشائخ المشهورين بالإرشاد كعبد القادر ، وشاه نقشبند ، وجلال الدين الرومي ، أو غيرهم قدس الله أسرارهم أو يتوجه إلى النبي ﷺ بلا واسطة على قدر الإمكان بالضرورة ، « رسالة رابطة » لأخينا فصيح أفندي قُدِّسَ سِرُّهُ .

قال الفاسي رضي الله عنه في « شرح دلائل الخيرات » في شرح حديث : « إن أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة » ؛ لأن كثرة الصلاة تدل على شدة حبه ، وقوة متابعته ؛ لأن من أحب شيئا أكثر ذكره ، « والمرأ مع من أَحَب » ، وإن المحب لمن يحب مطيع فحينئذ قرب روحه من روحه عليه السلام ، وحصل بينهما التعارف ، والايتلاف ، والارتباط ، والمناسبة ، فكان أوْلى الناس به .

ومن أجل الفوائد المكتسبة في الصلاة على النبي عليه السلام انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعا ثابتا متأصلا متصلا حتى يتمكن حبه من الباطن تمكنا صادقا خالصا يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي عليه السلام ويؤلف بينهما في محل القرب ؛ لأن الحب يوجب الاتباع للمحبوب ، والاتباع يؤذن بالقرب والوصال ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ . وفي الحديث : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف » ، انتهى كلام الفاسي رحمه الله تعالى .

فكما لا تقبل الصلاة إلا بالتوجه إلى الكعبة لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله عليه السلام وربط القلب به وبنبوته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء ؛ لأنهم وإن كانوا أنبياء لكن لا يحصل فيض منهم إلا بعد ارتباط القلب بمحمد صلى الله عليه وسلم ، كما لم يحصل الإيمان والفيض لليهود بمجرد ربط قلوبهم بموسى عليه السلام مع أنهم يقرون وحدانية الله تعالى . وفي الحديث : « لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي » ؛ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ﴾ .

وحقيقة الرابطة إلى رسول الله عليه السلام : أن يتوجه السالك ويقابل لطائفه لطائف الرسول عليه السلام ويستفيض منه بكمال الأدب والتضرع بلا واسطة إن كان من أهله ، وإلا فبواسطة المرشد ، وقد صرح بالتصرف والإمداد جماهير المفسرين في قوله تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ أي : مثل له يعقوب عليه السلام عاضا على أنملته ، وقيل : ضرب بيده في صدره فسكن شهوته ، فلم يقربها ، ولولا أن رأى ذلك البرهان ليحتمل أن يجامع كما قيل : جواب لولا في الآية محذوف ، وهو لجامَعَ ، « تفسير الكشاف » .

فإذا تحقق ولاية الولي يتصور في صور عديدة ، وليس ذلك بمحال ؛ لأن المتعدد هو الصورة الروحانية ، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى ، كتاب « المتجلي » للسيوطي رحمه الله. فإن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم

ويقع منهم التصرف والكرامة في الحياة وبعد الممات ، الحموي . في « نفحات القرب » . الروح تظهر في الدنيا في سبعين ألف صورة ، ففي البرزخ من باب أوْلى « رسالة الرابطة » لحضرة خالد قدس سره .

إن الشيطان كما لا يتمثل بصورة النبي لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضا بشرط ذكره ثَمَّ « فتح الباري شرح البخاري » عند قوله(ثم حبب إليه الخلاء) الروح في الدنيا كالسيف في الغمد ، وأما بعد الموت فكالسيف المسلول لتجرده عن العلائق الجسمانية . « كمال باشا » : ويصح ظهور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيوض منها حتى بعد الموت . « شرح المواقف » : فإن ولايتهم ثابتة بالتواتر والشهرة فيدخلون الجنة على مقتضى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، « ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » ، ونحسن فيهم الظن كما في الحديث : « اذكروا موتاكم بالخير » . فلأجل ذلك يجوز التوسل والترضية والترحمة لهم ، قال تعالى : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي : ما نشد به قلبك حتى يزيد يقينك ويطيب به نفسك ، إلى آخره ، « روح البيان » .

وقال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ إلى ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ ، هذا ذكر أي : شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبدا على لسان أمة محمد ﷺ ، كما يقال : يموت الرجل ويبقى اسمه ، ويموت الفرس ويبقى ميدانه .

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ أي : جاها ، وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ، ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له ، مثنون عليه . فحصل بالاوّل : الجاه ، وبالثاني : حسن الذكر ، فقوله : ﴿فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ أي : في الأمم بعدي .

وعبر عن الثناء الحسن ، والقبولِ العام باللسان لكون اللسان سببا في ظهوره ، وانتشاره ، وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضا الله تعالى ومحبته ، والله تعالى إذا أحب عبدا يلقي محبته إلى أهل السموات والأرض ، فيحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء ، إلخ ، « روح البيان » ؛ فراجعه . ذكر الأولياء جند من جنود الله ، « طبقات » للشعراني قدس سره .

والحاصل : أن تخيل صورة الشخص بين الحاجبين أو بين العينين أو بين عيني القلب أو في خزانة الخيال أو غيرها على اختلاف الأقوال في تعيين محل القوة المفكرة ، إنما يحصل ذلك بسبب فرط المحبة أو فرط العداوة أو فرط الشهوة وذلك موجود في جميع بني آدم حتى ترى نفسك ينزل منها المني بتخيل صورة المحبوبة أو الغلام المحبوب في محل الخيال وترى نفسك أيضا ترابط الأجنبية الحسناء وتخيلها بين حاجبيك حتى تجامع زوجتك كأنها هي الأجنبية الجميلة كما بين حكمه الفقهاء بأن تخيل صورة الأجنبية حالة الجماع ، قيل : مكروه ،

وقيل : لا يكره لازدياد لذة الجماع ، وكذا ترى نفسك ترابط العدو حتى يعرق بدنك من تجسم صورة العدو بين عينيك . فإذا كان الأمر في الأمور الظلمانية هكذا فكيف لا تخاف من الله تعالى أن تحكم بأن الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محل اقتباس الفيوضات الإلهية شركا أو حراما ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

فقد اتفق أهل المذاهب الأربعة : على جواز التوسل بالأنبياء ، والأولياء أحياء وأمواتا ، وكذا التوجه إلى قبور الأنبياء والأولياء ، والتوسل بهم ، والاستغاثة بهم ، ويتأدب الزائر مثل ما لو كانوا أحياء ، وكذا قراءة الفاتحة بعد الدعاء ، وقول بعضهم للنبي ﷺ أو لفلان جائز ؛ بل مطلوب شرعا ، كما ثبت الزيارة إلى الروضة المطهرة بلا منكر ولا نكير ، وكذا الاستمداد والاستشفاع من روحه ﷺ ، وكذا الزيارة للخلفاء الأربعة وسائر الصحابة والاستمداد منهم والاستشفاع من أرواحهم ، وتقبيل ضرائحهم لتبرك غير ممنوع ، « فتاوى خليلي » . ويجوز تقبيل ضرائح الأنبياء والأولياء تبركا ، « باجوري » .

الاجتماع بالشخص جائز وواقع يقظة ومناما لحصول ما به الاتحاد ، وقد تقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ، ومن حصل الأصول الخمسة أي : الاشتراك في الذات ، وفي الصفات ، وفي الأفعال ، وفي الأحوال ، وفي المراتب ، وثبت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء ، « شرح المشارق » في حديث : « من رآني » .

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في « المطالب العالية » سألني الملك الصالح السلطان غوري بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور ، فكتبتُ له فيها رسالة وأنا أذكر هنا ملخص ذلك الكلام فيه مبني على مقدمات وأطال فيه الكلام وخلاصة خلاصته : أنا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد مفارقة الأبدان مدركة للجزئيات بل هي أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه لزوال الغطاء والوطاء والانكشاف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة ، فصارت العلوم البرهانية ضرورية ، وكانت تلك النفوس الروحانية تحت غبار وبخار ، فلما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت فحصل لها نوع من الكمال إلى أن قال ، فإذا عرفت هذه المقدمات فنقول : إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس أي : الروح كامل الجوهر شديد التأثير ، ووقف هناك ساعة تأثرت نفسه من تلك التربة ، وحصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة ، وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلق بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميتِ ملاقاة بسبب إجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمِرآتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فينعكس نور هذا إلى ذاك ونور ذاك إلى هذا ، وبهذا الطريق يصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور ، وهذا هو السبب الأصلي في شرعيّة الزيارة ، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى

أدق وأحق بما ذكرناه ، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله تعالى ، انتهى كلام الفخر الرازي ﷺ ملخصا .

وأما حديث : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » ، فالمراد منه : المساجد لا المقابر ، وفي الحديث : « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » ، وفي الحديث : « المؤمن مرآة المؤمن » أي : ينعكس من مرآة قلب أحدهما إلى الآخر ، ما في القلوب فربما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر كما وقع لداود عليه السلام كما قال تعالى :﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ، وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال : كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه ولهمة أهل الله تعالى ونظرهم وتوجههم وأنفاسهم ومسهم وصحبتهم تأثيرٌ عظيم فمَن ذاق يعرفه ومن لم يذق لم يعرف . فكيف مع أن المشهور على أن العلوم العقلية كالمنطق والحكمة وغيرها إنما كان تحصيلها في زمان المتقدمين من الحكماء الفلسفية بتوجه الأستاذ إلى قلوب الطلبة وإلقائِها بالهمة إلى قلوبهم بعد رياضةٍ تامة ، فإذا ثبت التصرف من الحكماء الفلسفية الكفرة كسقراط ، وبقراط ، وأرسطا طاليس ، وغيرهم ، في قلوب الطلبة فلا مجال للإنكار على ثبوت التصرف ونفع التوجه من قلوب أولياء الله تعالى ، والعلماء العارفين في قلوب المريدين بل معلوم عند كل أحد من الجهلاء فضلا عن العلماء نفع التوجه ، والنظر الظاهري ؛

لأن المتكلم إذا ألقى الخطاب إلى المخاطب بالمواجهة لا بالمدابرة له تأثير عظيم ألا يرى أن الطلبة ينظرون ويتوجهون إلى وجه الاستاذ وفمه حتى يقرر الدرس ، فلو كان يقرر الدرس بالمدابرة لما يجلس في درسه أحد وهذا بديهي ، فافهم جدا .

ففي « شرح العقائد » : وكرامات الأولياء حق ، فيظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة ، وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة ، والمشي على الماء وفي الهواء ، وكلام الجماد والعجماء وغيره ، فما لَا يكون مقرونا بالإيمان والعملِ الَصالح يكون استدراجا ومكرا .

كرامات الأولياء أحياء وأمواتا في كل عصر بل في كل يوم ثابتة وواقعة ، وكذا صلاتهم في قبورهم ، وقراءة القرآن في مرقدهم كما ثبت في الحديث سماع بعض الصحابة من يقرأ سورة الملك في القبر .

وأما حديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » ، إلخ ، فالكرامة ليس من عمل العبد بل من محض إكرام الله تعالى لعبده ، وأما قوله الأمالي : كرامات الولي بدار دنيا لها كون فهم أهل الوصال ، فمعناه : أي : الكرامة الواقعة من الأولياء أحياء وأمواتا واقعة في الدنيا ، « فتاوى خليلي » ملخصا .

وقد وقع لسيدي أحمد البدوي ﷽ غسل جنازة نفسه بيده كرامة له بعد الموت ، « باجوري » في كتاب الجنائز .

الناس في إنكار الكرامة وأهلها على ثلاثة أقسام ، قسم : ينكرونهم بالكلية ، وهم المعتزلة ، وقسم : يؤمنون ويقرون بوجودهم في عصر المتقدمين ، وينكرون وجودهم في هذا العصر وهم المعترضون المحرومون ، وقسم : يؤمنون ويقرون بوجودهم في هذا العصر ولكن لا يعتقدون ولا يحسنون الظن في واحد من مشائخي عصرهم على الخصوص ، وهم أيضا محرومون عن بركة جميع أهل الله تعالى ، وذا سنة الله تعالى ، لينالوا إلى كمال الإيمان بالشكر والصبر .

استتار الرجال في كل عصر تحت سوء الظنون قدر جليل
ما يضر الهلال في حندس الليل سواد السحاب وهو جميل

انتهى ما في « الطبقات الكبرى » للشعراني رحمه الله ، ملخصا .

والأولياء في كل عصر موجودة لكن الناس ينكرونهم ولو رأوهم يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء ، وذا سنة الله لتطهير جوهرهم من غش الآثام ، « روح البيان » .

سئل عن القطب ، والأنجاب ، والأبدال ، والنقباء ، والعمد ، والأخيار ، والصلحاء ، هل لهم وجود في الكون حقيقة ما دام الدهر إلى يوم القيمة ، والمنكر المبطل لا يعول عليه ، وهل لذلك دليل من الكتاب والسنة ؟ أوضحوا لنا الجواب مبسوطا أثابكم الله تعالى الجنة .

أجاب : نعم ، هؤلاء السادات المذكورون موجودون في كل زمان بين أظهرنا كلما مات واحد منهم أقام الله تعالى مقامه آخر ، نفعنا الله ببركاتهم ، فالمنكر لذلك محروم من بركات الأقطاب مبعود من درجة الأحباب

سئل عن العلماء والسادة الصوفية هل يقال لهم : أولياء الله تعالى سواء العامل فيهم أم غير العامل ؟ أوضِحوا لنا الجواب .

أجاب : الولاية عامة وخاصة ، فالعامة : ولاية الإيمان كما قال تعالى :﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم﴾الخ ، والخاصة : ولاية الاتقاء والمحبة فالعاملون وغيرهم ، يطلق عليهم أنهم أولياء الله تعالى ، وأما الخاصة فلا تطلق إلا على العلماء العاملين أو الصلحاء المتورعين . وقال الشافعي : ما اتخذ الله من ولي جاهل ، ولو اتخذه لعلّمه كما علم أويس القرني رحمه الله ، كما قال تعالى : ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ، وشيبان الراعي وغيرهم من المشائخ الأمّيين قدس الله أسرارهم .

والحاصل : أن الولي من يعرف الله تعالى بالربوبية والمحبة ويعرف نفسه بالعبودية والاتقاء كما قال تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي : العارفون بالله تعالى .

واعلم : أننا إذا رأينا مسلما ماشيا على الطريقة المستقيمة فاعتقاده والقرب منه والاقتداء به أمر مندوب إليه ، وأما إذا رأينا شخصا عاقلا تاركا لبعض الواجبات أو كلها مرتكبا للمنهيات ، فلا

تعتقده بل ننكر عليه ، ولا يخفى أن في كل مؤمن بركة الإيمان ، فيصح إطلاق المبارك لجميع أهل الإيمان والله الهادي للصواب ، « فتاوى خليلي » ملخصا .

وفي مناجات زين العابدين ﵀ : فيا أقطاب ، ويا أوتاد ، ويا أبدال ، ويا أسياد ، أجيبونا ذوي الإمداد ، إلخ .

كل مؤمن إخوة[١] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وفي الحديث : « تواخوا في الله أخوين أخوين » ، وقد آخى النبي عليه السلام بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين أصحابه مرتين ، فهذه الأخوة أخوة خاصة فوق الأخوة العامة ، وكذلك أخوة المريدين المنسوبين إلى شيخ واحد أخوة كاملة خاصة زائدة على الأخوة العامة .

وفي الحديث : « أكثِروا من الإخوان فإن ربكم حيّ كريم يستحيي أن يعذب عبده بين إخوانه يوم القيامة » ، « روح البيان » ملخصا .

أَتَقْـــدَحُ فيمن شـــرَّف الله قدرَه   ولا زال مخصوصا به طيّب الثنا
رجـــال لهم حال مع الله صادق   فـــلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا

« طبقات » .

« ١ » لعل في العبارة سقطا ، وعبارة « هدية الذاكرين » هكذا : وأما الاخوّة واتخاذ الأخوّة فلقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . . .

وناهيــك الأدلــة والفتــاوى بنــا الســلطان للذكــر الزوايــا
ولولا دفع بعــض الناس بعضا لهدمــت المســاجد والزوايــا
فللــه المحامــد والثنايــا على مــا دام ذكره فــي الزوايا
وصلى الله ختم الرســل جمعا على ما دام مدحــه في الزوايا

وأما الدعاء : فمحبوب لعامة المسلمين ، فضلا للسلطان ، أيده الرحمن حتى لو قلنا : أن الدعاء له واجب على كافة المسلمين لما يكون ذلك خطأ ؛ لأنه أمير المؤمنين وعماد المسلمين ، فإنه يقاوم سبعة ملوك مثله في القوة من النصارى ، فكيف لنا الطاقة بهم وبمقاومتهم إلا ببركة الدين ودعاء المؤمنين ، « فتاوى خليلي » .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : من أنكر إمامة السلطان فهو : زنديق ، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو : مبتدع ، ومن أتاه من غير دعوة فهو : جاهل .

وعنه : هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة ، اثنتان وسبعون هالكة يبغضون السلطان والناجية هذه الواحدة التي مع السلطان .

وسئل : أي الناس خير ؟ **فقال** : السلطان ، **فقيل** : نراه شر الناس ؟ **فقال** : إذا كان الخليفة غير صالح فهو : من الأبدال ، وإذا كان صالحا فهو : القطب الذي تدور عليه الدنيا ، « روض الأخيار » .

اللهم ؛ اجعل آخر كلامنا : الله ، لا إله إلا الله ،

واجعل آخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس

مسيرة السالكين على سيرة السائرين

للشيخ سليمان زهدي قدس سره ورزقنا من فيوضاته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بارئ النسم فالق الأمم ليعرفوه واستيقنوه ، علّم الإنسان أظهر التبيان ليعبدوه ويخلصوه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي وضع الشريعة ليقسطوه وأوضح الطريقة ليسلكوه ونصح الخليقة لينتهوه وعلى آله الذين هم نجوم الهدى ليحسنوه وسبل الاهتداء ليوصلوه .

أما بعد : فلما التمس من الحقير النقير سليمان زهدي ابن حسن بعض الإخوان المأذونين من الطريقة العلية بحسن ظنهم إلى الفقير أن يبيّن لهم اللطائف وأحوالها والمقامات على أصول النقشبندية البهائية والمجددية الخالدية الضيائية أجاب الفقير بِلَيْتَ ولعلَّ ، ولما ألحّوا ولم ينفعني التعلّل شرعت بحول الله تعالى ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتجأت بكرم حرم الإله ، لكن بطريق الإيجاز والإجمال ومنه التيسير والإكمال ، وسميت « **مسيرة السالكين على سيرة السائرين** » . وما سيذكر ليس علم السطور المفهوم من الألفاظ بل هو علم الصدور المعنعن من أهله إلى أهله ، عليك الاقتباس من صدور أهله بآدابهم والعبارات للتمكين بعد التكميل .

وبعد : فاعلم أوّلا أن للإنسان لطائف عشر كما أفرد[1] بذلك الإمام الرباني مجدد الألف الثاني قدس سره وهي على قسمين : خمس من عالم الخلق وخمس من عالم الأمر .

القسم الأول : نفس الحيواني والعناصر الأربعة وهي التراب والماء والهواء والنار بعضها ثقيل بالذات وبالإضافة وبعضها خفيف بالذات وبالإضافة . والثقيل بالذات وهو الذي حركته إلى الأسفل بالذات فهو التراب ، والثقيل بالإضافة وهو الذي حركته إلى الأسفل بالإضافة وهو الماء ، والخفيف بالذات وهو الذي حركته إلى الأعلى بالذات وهو النار ، والخفيف بالإضافة وهو الذي حركته إلى الأعلى بالإضافة وهو الهواء .

والجسم المركب منها على قسمين : لطيف وكثيف .

والأول مركب من الثلاثة أو دونها غير التراب وهو الملك والجن وغيرهما . **والثاني** مركب من الأربعة وهو الإنسان والحيوانات وغيرهما ، وإن كان الأجزاء المركبة منها على السيان

[1] في نسخة : فرد

فحكم الجسم المركب الاعتدال على كل حال وإن مختلفة المقدار من أحكام الأجزاء فالحكم للغالب . فإن لكل منها خاصة مستقلة ، فالتراب بارد ويابس ، والماء بارد وراطب ، والهواء حار وراطب ، والنار حارة ويابسة . وللتراب خاصة فائقة للإنسان وهي سر الخلافة والتفضيل على الكل من الجن والملائكة .

وأما نفس الحيواني فهي الجوهرة البخارية اللطيفة الحاملة لقوة الحياة والحسّ والحركة الإرادية وغيرها وتسمى روح الحيواني فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوئه عن ظاهر البدن وعن باطنه . وله ثلاث مراتب وإن تعلق ظاهر البدن وباطنه فهو اليقظة وإن باطنه فقط وهو النوم وإن لم يتعلقهما وهو الموت . وذلك إما باجتماع البخار في الدماغ فانقطع ضوئه الظاهري فيحصل به النوم, وإما بضعف القوة الجسمانية بانقطاع الأرزاق بتقدير الله فانقطع ضوء الظاهر والباطن فتحلل الموت . والطبيعة تابعة للحياة وهي عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي وأما محلّ سلطنة النفس فالدماغ, وتسمى في هذا المقام النفس الناطقة وحقيقة الإنسان ونفس الإنسان والعقل بسبب تعلّقها إلى اللطيفة الربانية والدرة البيضاء المودعة في جوف الدماغ ما بين الجبينين وهي محلّ مشاهدة الأعيان الثابتة الغيبية بجزئياتها كشفا وجدانيا بعد التصفية التامة قبل الفناء وكشفا حقيقيا بعد الفناء والبقاء بالاتباع التام .

وأما كشف الوجداني فيحصل لمن اجتهد بالرياضات الشاقة وتصفيتها ولو كافرا . **وأما كشف الحقيقي** فما يحصل إلا بعد شرح الصدور بنور الإيمان بشرطه وقبل التصفية فمحل الكبر والغضب والعنف والغلظة والجبر والأنانية وكل صفة رذيلة .

وأما في دائرة الدماغ فبطون ثلاثة وفيها الحواس الخمس الباطنة وهي حس المشترك وحس الخيال وحس المتخيلة وحس الواهمة وحس الحافظة وفي أول البطن الأول الأكبر حس المشترك وكل شيء يحس بالحواس الخمس الظاهرة يرتسم فيه لأنه خزينة الحواس الظاهرة, ومنها ينتقل إلى خزينة الخيال في آخر البطن الأول ومنها إلى خزينة المتخيلة وهي في البطن الثاني الصغير الطويل, ومنها إلى خزينة الواهمة وهي في أول البطن الثالث, ومنها إلى خزينة الحافظة الثابتة في آخر البطن

الثالث, وكل شيء يدخل في الحافظة لا ينسى أبدا وكل شيء لا يصل إليها ينسى بمقتضى المراتب والبعد . وهذه المذكورات صفة للنفس في مراتب الحس والإدراك لا كما زعمه الفلاسفة .

وأما الحواس الخمس الظاهرة فالسمع والبصر والشم والذوق واللمس .

وهذه الحواس العشر سبب علوم الكفار وحكمة اليونانيين والمشائيين منهم بعد تصفيتها وغاية مرمى عقولهم وفوق ذلك ليس لهم نصيب إلا بنور الإيمان . وأما للمؤمنين السالكين إلى طريق الرضا هي حجب عظيمة وظلام سخينة لا تزول إلا إذا كان عناية الإله يتنفر عن كل المحسوسات والمعقولات ويستقبل إلى قلبه ولطائفه .

وللنفس صفات سبع : **نفس أمارة** وهي التمكين في طبيعتها الأصلية السفلية والانهماك في اللذات والشهوات ودواعي الشيطنة والأمر بها والدنيا عندها كالعروسة المهيئة تحرص على المعانقة .

ونفس لوامة وهي قدر ما تنبهت عن الغفلة تنقاد إلى أمر الله والخيرات والحسنات وقدر ما زهلت تلوم إلى أصلها الرذيلة وتمكن بها .

ونفس ملهمة وهي التي انخلعت عن الوسواس وحديث النفس ويغلب عليها إلهام الملك بالحق والانقياد ولو بقي بعض رعونتها فإنه وإن فنى البدن والجسم الكثيف فالنفس على أنانيتها .

ونفس مطمئنة وهي التي تنورت بنور القلب وانخلعت عن صفاتها الذميمة واتصفت بالأخلاق الحميدة أو سكنت تحت الأمر وزال اضطرابها لأنها فنيت .

ونفس راضية وهي التي انعدمت أنانيتها بالفناء الحقيقي واتصفت بالتجليات والشؤنات الذاتية بعد الموت الإرادي .

ونفس مرضية وهي التي ارتدت برداء البقاء الحقيقي وتزينت بالاعتبارات الذاتية بوجود الموهوب .

ونفس عبودية وهي التي آلت عن تعبّد جميع كمالات الأفعال والأسماء والصفات والشؤنات والاعتبارات كلها إلى عبادة الذات الصرف المطلق, ولا تستكمل النفس بهذا الترقي والغاية إلا بعد السلوك بطريقة موصلة من الطرق العلية . وأقرب الطرق إلى ذلك الطريقة المجددية النقشبندية

ولاسيما على مواظبة الخالدية الضيائية قدس سرهم . ولا يمكن تصفيتها إلا بتصفية اللطائف الخمس الأمرية وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفى ولها دائرتان وفي الدائرة الأولى يحصل سير الافاقي لتعلقها أوّلا بمواد البدن والجسد ، وفي الثانية يحصل سير الأنفسي لتعانقها بالنفس بلا واسطة مواد الجسد لفناء الجسد في هذا المقام بالذكر .

واعلم أن النفس سارية في جميع البدن واللطائف كما هو المفهوم من تعريفها السابق فباعتبار تعلقها إلى المضغة المعدة الصنوبري الشكل تحت الثدي الأيسر قدر الإصبعين أو زائدًا المائلة إلى جنب اليسار قدر الإصبع أو نحوه تسمى قلبا وروح الحيواني وباعتبار تعلقها إلى الكبد الأبيض تحت الثدي الأيمن مثل القلب تسمى روحا وروح الإنساني وباعتبار تعلقها إلى الطحال الواقع بين الصدر وبين الثدي الأيسر تسمى سرا وباعتبار تعلقها إلى المرارة الواقعة بين الصدر وبين الثدي الأيمن تسمى خفيا وباعتبار تعلقها إلى الكليتين في وسط الصدر وباعتبار المحاذات تسمى أخفاء . وللنفس في هذه المعادن خاصة عجيبة وأسرار موهوبة من عند الله باعتبار المحل ، فمعدن القلب محل الرقة والمعرفة والحب والصبر ، ومعدن الروح محل الرحمة والبسط والسرور ، ومعدن السر محل الفرح والضحك والغرور ، ومعدن الخفي محل الحزن والخوف والبكاء ، ومعدن الأخفى محل الشهوة والجرأة والشجاعة والحرص .

وأما القلب فلطيفة ربانية وقوة مودعة في المضغة المعدة منبثّة في جميع البدن من الأعضاء والأجزاء بواسطة العروق والعصب وهو محل النظر الإلهي وإلهام الملك وإلقاء وسوسة الشيطان كما ورد في الأثر : « **ما من آدمي إلا لقلبه بيتان في أحدهما ملك وفي الآخر شيطان فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر الله وضع[2] الشيطان منقاره في قلبه ووسوس[3]** » ، أو كما قال وكذا حديث اللمة .

وأما الروح فلطيفة ربانية مدركة منطبعة في البدن مودعة في الكبد وقد تكون مجردة مشرقة

.

---

2 في نسخة : يضع

3 " ما من آدمي إلا لقلبه بيتان في أحدهما الملك وفي الآخر الشيطان فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه ووسوس له" أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه .

وأما السر فلطيفة ربانية مدركة مودعة في الطحال .

وأما الخفي فلطيفة ربانية مدركة مودعة في المرارة .

وأما الأخفى فلطيفة ربانية مدركة مودعة في الكليتين . وهذه الكيفية بسبب تعلق كل منها إلى البدن, والمادة المقررة في سير الافاقي .

وأما في سير الأنفسي بعد فناء الأجسام الكثيفة فيصير ذلك اللطائف صفة للنفس المجردة عن المادة وقائمة بها وفناء اللطائف قبل فناء النفس وبقائها ببقاء النفس .

وللطائف الآمرية نسب غريبة واعتبارات عجيبة فإن مقام القلب مقام ولاية آدم عليه السلام فلكلّ من الأنبياء عليهم السلام ولاية على حدة بالأصالة لهم وبالتبعية لأمتهم وأما نبوتهم فوق ولايتهم فمخصوصة لهم إلا لأخص الأمة نصيب بالطفيلى . ومقام الروح مقام ولاية نوح وإبراهيم عليهما السلام لأن للروح اعتبارين كما سبق بطريق الانطباع والتجرد . ومقام السر ولاية موسى عليه السلام . ومقام الخفي ولاية عيسى عليه السلام ، ومقام الأخفى ولاية سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونسبة أخرى فإن عالم القلب عالم الملك والشهادة وعالم الروح عالم الملكوت والأرواح وعالم السر عالم الجبروت وعالم الخفي عالم اللاهوت وعالم الأخفى عالم الغيب الهوية الإلهي واعتبار آخر مرتبة القلب مرتبة الأفعال ومرتبة الروح مرتبة الأسماء ومرتبة السر مرتبة الصفات الثبوتية ومرتبة الخفي مرتبة الصفات السلبية ومرتبة الأخفى مرتبة الذات المطلقة .

ولكل لطيفة من اللطائف الأمرية أنوار على حدة ، فنور القلب أصفر اللون ونور الروح أحمر اللون ونور السر أبيض اللون ونور الخفي أسود اللون ونور الأخفى أخضر اللون ونور النفس الناطقة أزرق اللون وألوان هذه الأنوار قبل الفناء .

وأما بعد الفناء باتصاف الوجود الموهوب الرفرفي من الله والبقاء الأول بالصفات فإن نور الجميع على لون واحد وهو اللون الحقيقي .

وأما بعد البقاء الحقيقي بالذات فنور الجميع بلا لون ولا كيف ليس مثله شيء وتلقين ألوانها للمريد ممنوع .

وأما المشاهدة والكشوف بهذه الأنوار والأحوال فليست حاصلة لكل شخص من المريدين بالسهولة[4] بل حصوله لكل فرد بمقتضى أجزاء العناصر والطبائع في التلوين فإن كلًّا منهما أحكام مستقلّة مؤثرة في الأجسام فإن كان الجسم المركب منهما مساوية الأجزاء في كلّ حال والقابلية الأزلية والاستعداد تامة كاملة للجسم والتوفيق رفيقا له فحصول ذلك أسهل بيد المرشد الكامل من توجّه واحد أو توجّهين إلى السنة أو السنتين وإلّا فالسهولة والبطوئة على اختلاف الأجزاء والقابلية متفاوتة الحصول والحال أن حصول ذلك ليس بمقصود لأنّه قطع طريق السالكين بل المقصود تحصيل الحضور الدائم في الملأ والخلاء في البداية ليكون السالك طالب الرضا على البصيرة وظهور الحيرة والمشاهدة والعيان وحق اليقين في النهاية لتحقّق العبودية والفتوة ومرتبة الإنسان هذا .

وأما الرؤيا التي في النوم فحاصلة في عالم المثال بمقتضى سير السالك في العناصر واللطائف ومناسبتهما بين الرائي والمرايا وحسنها وقبحها بتصفية العناصر واللطائف وكدوراتهما ويعرف بعلاماتها .

ثم اعلم إذا أخذ السالك سير الافاق بعد تلقين الذكر من المرشد الكامل المكمل المستكمل بسلوك السادات المأمور من طرفهم ظاهرا وباطنا لخدمة الفقراء المتوجهين إلى الله عموما كالخلفاء المأمورين للإرشاد لا كالمأذونين المأمورين لأنفسهم على أصولهم وآدابهم, إذا حصل للسالك حرارة القلب بمقتضى غلبة عنصر النار أو الحركة بغلبة عنصر الهواء أو الصفوة والسكونة بغلبة عنصري الماء والتراب أو حصول الكل بالتفاوت أو الاتفاقية أو التحير التام من مساوات أجزاء العناصر والطبائع بطريق التمليك والدوام في النوم واليقظة لا بطريق الانعكاس والسراية من الغير, يلقن الذكر إلى لطيفة الروح والسر والخفي والأخفى والنفس الناطقة ولطيفة الكل بجميع الأعضاء والأجزاء حتى الجزء الذي لا يتجزأ من البدن والشعرات إما تلقينا وحادا بالتأني وإما مرة واحدة في توجه واحد وإذا حصل للطائف مثل أحوالات القلب بطريق التمليك والثبات كذلك وسراية الذكر بجميع البدن والشعرات بل الجزء الذي لا يتجزأ من أجزاء نفسه ومن أجزاء الكائنات تابعة لنفسه

[4] في النسخة : بالتسوية

والغلبة عليه في النوم واليقظة بالأصالة ويسمون ذلك الذكر سلطان الذكر يلقن له ذكر النفي والإثبات بإجراء ذكر « **لا إله إلا الله** » بالقلب على سبعة الشروط والأركان على المشهور منهم .

الأول وقوف القلب بإحضار جميع اللطائف والأعضاء والأجزاء في حضور الذات بلا مثل ولا كيف والاستغراق فيها .

والثاني حبس النفس تحت السرة والإرسال بالتدريج مع الذكر حتى لا يأخذ الخفقان .

والثالث ملاحظة الخط بمد « **لا** » من السرة إلى الدماغ وبمد « **إله** » منه إلى الكتف الأيمن وبمد « **إلا** » منه إلى القلب وإثبات « **الله** » فيه على صورة لاء المعكوسة المرسومة بالخيال في الصدر بنور الذكر الدالة على نفي الوجود ومحو البدن وقاطعة الخواطر بالمحو هكذا صورتها « لا » والذكر جار عليها .

والرابع ملاحظة المعنى بلا محبوب أو بلا مقصود أو بلا معبود إلا الله تشبيها للغاية ولا يلاحظ بلا موجود لأن الجسد موجود في هذا المقام .

والخامس الضرب الشديد بـ« **إلا الله** » بحيث تزلزل اللطائف والبدن كلها .

والسادس وتر العددي يعني التنفس على عدد فرد لا زوج .

والسابع ضم « **محمد رسول الله** » قبيل التنفس و« **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** » .

ويتكرر هكذا إلى أن يحيط حرارة الذكر بجميع البدن أو إحاطة الحركة والاضطراب أو ظهور السكونة والوسعة أو كثرة الاستغراق بالتمكن والبسط . وأما نتيجة ذلك الذكر فذوبان البدن وطلوع كوكب المحو . وإذا وصل وتر العدد إلى واحد وعشرين بمراعات الشروط لا بدّ من حصول النتيجة باتفاق السادات قدس سرهم وظهور ذلك بطريق التمليك والثبات لا بطريق الانعكاس والتوارد . فإن بعض أحوال النهاية يحصل في البداية بطريق لا عبرة لها وإذا حصل النتيجة يلقن ذكر الوقوف وهو أن يحضر جميع اللطائف والأعضاء والأجزاء في حضور الذات بلا مثل ولا كيف بلا تكلف ذكر اسم الذات بل يكون حاضرا بالمسمى وإذا غلب عليه الاستغراق والحضور في الخلاء والملأ والتمليك والنفس قائمة على حالة لوامة يلقن له مراقبة أحدية الأفعال . والمراقبة مطلقا استدامة العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله . وأما الأحدية فالتوجه مع الاطلاع إلى الذات

المتصفة بجميع الصفات الكمالية والمنزهة عن النقائص على الدوام في كل حال بإحاطته تعالى بجميع الوجود والأشياء بلا كيف ولا كمّ ليس مثله شيء . وينتظر الفيض من الفيّاض المطلق ومورد الفيض هنا القلب . وإذا غلب عليه هذه الأحوال وظهر أفعال الإله لا فاعل في الكون إلا الله الفعال بظهور فعل الفاعل الحقيقي في الحركات والسكنات بحيث لا ينظر إلا بنظر الله ولا يمشي إلا بمشيئة الله وإمشائه ويظهر له معنى الحديث القدسي : « **فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش** » إلى آخره . ويغلب عليه هذه المعاملة ومحوية الوجود بالتمليك وينتهي سير الافاقي إلى الغاية ويظهر له ظلال الأسماء ويحصل فناء القلب والنفس قائمة على حالة ملهمة . وهذه الكيفية والغاية مقدرة في الأصل بخمسين ألف سنة ممّا تعدّون ولكن بعناية الإله وبهمة المرشد يصير البعيد قريبا ويبتدأ بسير الأنفسي الذي هو فوق العرش العظيم ببداية اسم الظاهر يلقن له مراقبة المعية وهي التوجه إلى الذات بأن يطلع المعنى الحقيقي لقوله تعالى : « **وهو معكم أينما كنتم** » بحقيقة الحال وينتظر الفيض من الفيّاض المطلق ومورد الفيض هنا اللطائف الأربع غير النفس . ويتشرف بفناء في الشيخ ويتلطف بحقيقة معيته تعالى في الكون بجميع الأشياء والوجود لكن ليس كمعية الخلق مع بعضهم ولا بطريق السريان في الوجود ولا التداخل في الأشياء بل سر بين الرب وبين العبد المشرف بالولاية الصغرى وظهورها له أظهر من الشمس في وسط السماء . والدنيا وما فيها والسموات السبع والكرسي والعرش والجنة والنار عند ذلك السالك كالذرة في شعاع الشمس . لكن في هذا المقام يخاف عليه بأن ينكر شيخه ويرى نفسه أفضل وأكمل منه كأنه هو ملك الملك والتصرفات كلها تحت يده والحال أن النفس مزيّنة بجميع كمالات الأفعال والأسماء الظاهرة وقائمة بالرياسة ودائمة بالأنانية ولا بدّ من مرشد كامل يخلّصه عن هذه البليّة العظيمة والورطة الكبيرة بجمعية النظر إليه وبالهمة التامة له, لأن المسكين بعدُ في برزخ النفس مقيّد ومحبوس وذكر التهليل باللسان سبب الترقي في هذا المقام بملاحظة لا موجود إلا الله وذكر اسم الذات كذلك سبب للترقي ويظهر له التوحيد الشهودي, وإذا وافقت له العناية الإلهية بالجذبة والسلوك أو بهما وفنيت النفس وفقدت الأنانية ووصلت إلى الاطمئنان بحيث لا تبقى ولا تذر بتجاوز المراتب الثلاث باعتبار المظاهر الثلاثة وبلحوق النقطة التي هي أصول الأسماء الظاهرة في المراتب الثلاث وحقيقتها وبداية الأسماء الباطنة

وصافحت له الولاية الكبرى وهي ولاية الأنبياء عليهم السلام بالأصالة ووهب له الوجود الموهوب الرفرفي من فضل الله بعد الاستهلاك والاضمحلال والجمع يلقن له المراقبة الأقربية بالمعنى الحقيقي الباطني لقوله تعالى : « **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** » .

وهو التوجه إلى الذات باطلاع أقربيتها إلى السالك من ذاته الموهوب ومن روحه المرغوب وينتظر الفيض من الفيّاض المطلق ومورد الفيض النفس الراضية في اسم الباطن والذكر باسم الذات والتهليل اللساني سبب الترقي بملاحظة معنى لا مقصود إلا الله ويظهر له التوحيد الوجودي وإذا ترقت المعاملة يسير المراتب الثلاث لاسم الباطن والمعانقة مع النقطة التي هي حقيقة اسم الباطن والولاية العليا التي هي ولاية الملأ الأعلى عليهم السلام بالأصالة وظهور الشؤنات والاعتبارات الصفاتية وظهور التفرقة بعد الجمع وهي جمع الجمع يلقن له مراقبة أحدية الذات, وهي التوجه إلى الذات الأحد الصمد القيوم والانتظار للفيض من الفيّاض المطلق ومورد الفيض النفس المرضية والعناصر الثلاثة غير التراب وكثرة النوافل وطول القراءة في الصلاة والذكر باسم الذات والتهليل بملاحظة لا مقصود تارة ولا معبود تارة أخرى مفيد للترقي, وإذا تعارجت المعاملة إلى مرتبة كمالات النبوة وكمالات الرسالة وأولي العزم وظهور الشؤنات الذاتية واعتباراتها وقيومية الإلهي بذاته يلقن مراقبة الذات الصرف والبحت والتوجه إليه من حيث أنه منشأ كمالات النبوة والرسالة وأولي العزم ومبدأ الحي القيوم بذاته والفيض من الفيّاض المطلق ومورد الفيض هنا نفس العبودية وعنصر التراب . وفيها مقامات أولي العزم .

منها مقام الخلة والأنس وهو حقيقة إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ، ومقام المحبية الصرفة وهو حقيقة موسى وهرون عليهما السلام ، ومقام التحير في المحبية وهو مقام عيسى عليه السلام ، ومقام المحبية والمحبوبية المممتزجة وهو مقام الحقيقة المحمدية عليه أزكى الصلاة والتسليم وعلى آله ، ومقام المحبوبية الصرفة وهو مقام الحقيقة الأحمدية صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وعترته أجمعين . وكثرة الصلاة على النبي مفيدة للترقي وفيها التعين الأول وهو الحب الصرف الذاتي واللاتعيّن وهو انقطاع النسب والرتب من كل الوجوه عن ذات السالك .

وأما الحقائق الإلهية فأربع بالاعتبار **حقيقة الكعبة الحسناء** وهي عبارة من ظهور الذات بعظمته وكبريائه ومسجوديته ومعبوديته للممكنات, **والحقيقة القرآنية** وهي عبارة من مبدأ وسعة اللامثلية للذات ومنشأ القرآن, **وحقيقة الصلاة** وهي عبارة عن كمال وسعة اللامثلية لحضرة الذات المقدس, **وحقيقة المعبودية الصرفة** لحضرة الذات الأقدس وهي الذات المعبود لذاته بذاته وهي سر « **قف يا محمد ، فإن ربك يصلي** » . والعمل بالعزيمة وكثرة قراءة القرآن المجيد مفيدة للترقي ولاسيما في الصلوات الخمس المفروضة وفي السنن الرواتب والنوافل لأن حقيقة العبودية المعبودية مبسوطة للسالك والتنزل وصل إلى كماله ونهايته .

اعلم أن ذكر التهليل بضمّ « **محمد رسول الله** » في رأس كل مائة ممد للعروج والجزبة وفي مرات دون المائية موجب للعروج والنزول وفي كل مرة مفيدة للنزول . وكثرة الذكر باسم الذات سبب الجذبة والسكر ، وكثرة التهليل سبب المحو والصحو ودفع الخواطر ، وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب الرؤيا الصالحة ، وكثرة التلاوة سبب الأنوار ، وكثرة الصلوات سبب التضرع والتذلل والخضوع .

وأحوال السالك ثلاثة : في الابتداء **الخوف والرجاء** ، وفي الأوسط **القبض والبسط** ، وفي الغاية **الجلال والجمال** .

ثم اعلم أن ما ذكرنا من المقامات مندرجة في أربعة مقامات مرتبة الأفعال وهي مقام قطب الظاهر وهي كثير أهله ومعروف لمثله ، ومرتبة الأسماء وهي مقام قطب الباطن وهو قليل أهله ومعروف لمثله ، ومرتبة الصفات وهي مقام قطب الحد وهو الأقل جدا ومعروف لأهله ، ومرتبة الذات المطلقة وهي مقام قطب المطلع وهو كالكبريت الأحمر وهو الإنسان الكامل والعبد الثابت وهو الجامع لجميع العوالم الكونية والإلهية ، الكتاب المرقوم والرق المنشور .

وما ذكرناه في هذا القلزم للدرر مأخوذ من مشايخنا الكبار مشايخ الخالدية الضيائية الأبرار قولًا وحالًا ، ظاهرًا وباطنًا ولكن اختصرناه بغاية الاختصار لضيق وقت الحج وسلوك الإخوان في هذه الأيام وكثرة اشتغال الأوان في دار الأمان . وما توفيقي إلا بالله ، إليه أنبت وعليه التكلان .

إذا تاريخه أبان في كز ذي القعدة الزمان والسلام مسكية الختام تمت .

نهجة السالكين وبهجة المسلكين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا الله أن هدانا ، والصلاة والسلام على نبيه الذي قال تعليما لنا : « **اللهمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا** » وعلى آله وأصحابه الذين هم نجوم الهدى وسبل الاهتداء لمن بهم اقتدى .

أما بعد : فلمّا التمس من الحقير بعض الأحبة أن أحرّر لهم أدب مدارج السالكين ودأب معارج المسلكين على ما اقتبسناه من أصول طريقة مولانا خالد ضياء الحق والحقيقة والدين ، قدّس الله سرّه وأفاض على العالمين برّه ، فأبينا أن أسطر لهم ما طلبوه كيلا يلتبس به أهل السطور المتشبه المتشيخ بأهل الصدور والرسوخ السنوح .

ثمّ طلب مثل ذلك بعض أحبة أخرى, فلاح لي كتابة مأمورا أحرى كيلا يلجم بالكتمان عقوبة أخزى ، فعريت من حولي وقوتي واستعنت منه وهو نعم المولى ، وسميته « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » . اللهم انفعنا به والمؤمنين آمين .

اعلم أيها الأخ الصادق أنسك الله بسديد الصديق أن آداب السلوك الواصل إلى الخواجكانية قدّس سرّهم مندرجة في **ثمان كلمات فارسية** باصطلاحهم, نوردها ونفسّرها تبرّكا وهي :

هوش دردم – التنفس بلا غفلة يعني توالي الحضور والوقوف مع توالي النفس في جميع الأحوال والأماكن ؛

نظر برقدم – النظر على القدم للتقوية على الحضور والتصفية في سير الأفاقي . فإن الحواس الخمس الظاهرة كالموارد بألوان المياه لمجارى فيوض القلب الصافي فيكدر بكدورات السواء لا بدّ من محافظتها حتى يكون قلبا واسعا كالبحر المحيط فلا يضرّه الموارد ؛

سفر در وطن – السفر في الوطن يعني تبديل الأخلاق والصفات في سير الأنفسي فالسير من الأفاق إلى الأنفسي ومن الفناء إلى البقاء وهكذا من الشؤون إلى الشؤون ومن التعين إلى اللاتعين ؛

خلوة در انجمن – الوحدة في الكثرة وذلك إذا اتّخذ السالك الخلوة في البداية يكون حاله الكثرة في الوحدة ويهجم عليه الخواطر, وإذا ترقّى الحال وغلب عليه الحضور يكون الوحدة في الخلوة والكثرة في الجلوة ، وإذا ارتقى المعاملة يكون الوحدة في الكثرة فيكون الحقّ سمعَه وبصرَه كما ورد فلا يزاحم السواء[1] عند المولى ؛

يَادْ كَرْد – بمعنى ذكر الله ذكر اسم الذات بالوقوف وذكر النفي والإثبات مع الشروط ؛

بَازْ كُشْت – يعني « **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** » ، وذلك أصل الأصول والنية الخالصة لأجل العبودية لذاته في الأعمال كلها والمقصود في الابتداء والانتهاء فمن ذكر الله وعمل لغير ذلك من الأعراض الدنيوية والأخروية مثل خوارق العادات وغير ذلك من الأحوالات فهو خارج عن طريقة النقشبندية ولا يعدّ نفسه منهم قبل تصحيح النية ؛

نَكَاهْ دَاشَتْ – يعرف أنه مذكور وذاكره هو الله تعالى كقوله تعالى : « **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا** » يعني ظهور المراقبات ؛

يَادْ دَاشْت – ظهور التوحيد الحقيقي باللسان بعد الفناء والبقاء الأتمّين ؛

وَغَيْرُ إِيْن هَمه بَيْدُاسْت – وغير ذلك ضيعة في الدنيا والآخرة .

وتفسير الكلمات المذكورة مفصلة في الرشحات ويلازمون السلف مع مراعاة الأصول صحبة المرشد بعضهم إلى الموت وبعضهم إلى ما أراد الله تعالى . فلما قصرت الهمم وكثرت الفتن وضاعت الأصول عن أكثر الصدور وبدلت الملازمة بالمراسمة قامت غيرة الله عز وجل تجدد الأمثل بعد الأمثل .

[1] لعل – السوى

هيأ الله تعالى الإمام الفائق من نسل سيدنا عمر الفاروق الإمام الرباني مجدد الألف الثاني قدّس الله سرّه الريحاني وظهوره بعد خدمة كاملة لشيخه وإجازة شاملة من الطرائق الخمس وهمة عالية له من شيخه في السرهند, وارتفعت شمس سناه في الضحى وزال الظلام بعدما هجم الليل وغشى, وبه تجدد الأصول فتبين الوصول عن الفصول واهتمّ السلوك والأربعين وخلوة سلفه الصالحين وحثّ عليه بكمال الآداب و اتباع سنة سيد المرسلين, ما زال مؤيدا طريقه بخلف بعد خلف إلى أن أراد الله تعالى نشر أنوار ذلك الزلال إلى أهل الروم وما حواه من المدن . وهم مشرف كالهلال بعدما طمس العيون فيها واندرس أهل اليقين ما لهم سمة إلا الاسم وما بقي الحقيقة إلا الصور والرسم ولكن القدير قادر على إحياء العظام الرميم . **"إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"** قدر ذلك النشر في الأزل بوجود مولانا خالد من نسل سيدنا عثمان بن عفان المبشر بالموائد بعدما تضلع من العلوم والفنون وحق إلهنا بالفرائد نثر زواخرها وفواخرها على أهلها بقي ولهان إلى وصلة ربّه من غير فوائد ولو انصبغ من الأحوال من بعض الطرائق العوامد . فإذا أخذته جذبة الرحمن وألقته إلى شيخه جامع كمال الصوري والمعنوي سيّدي الشيخ عبد الله الدهلوي بالبشارات والإيقان واختار الخلوة والأربعين بأمر شيخه مرة بعد أخرى . وحصل ما حصل منه في أقلّ من الأوان وأمره برجوعه إلى وطنه بعد الإجازة الكاملة والأمان, وفضّله على جميع خلفائه برجحان, ثم بشر بكتاب له بقطبيته ومجدّد الزمان وهو أروى عطاش العالم بزلال أنسه, وزكاها بفيوض قدسه وألبس أهله حلل الخلة وحلّى الحب لذاته وشيد السلوك والأربعين وهو من آداب الطريقة بل جعله من أعظم أركانها لفتور الهمم عما أخفى من النعم إذ به يحصل كمال اتباع السنة النبوية ويصاد به أحوال المصطفوية وينال به يقين الصدّيقية .

ثم اجتاز من أفضل خلفائه للحرم المحترم وهو أفضل البلاد باتّفاق الآنام سيّدي السيّد النبيل الشيخ عبد الله الجليل آمراً ناهيًا مرخصا للإرشاد وهاديًا إلى الصراط السداد وفي حجة وداع مولانا خالد أمر لسيّدي الشيخ سليمان القَرِيمي في مكة المكرمة بأن أصحب بالشيخ عبد الله ولا تفارقه لك منه الكفاية وقبل شربه جرعة الوصال, أقام مقامه سيّدي الشيخ عبد الله سيّدي الشيخ سليمان كما اختاره مولانا خالد قدّس سرّه وجعل له معاونا وتابعا في أمر طريقة الولي الكامل العالم الشيخ سالم العربي والعلامة الجليل الشيخ إسماعيل الجاوي, وبهم حصلت الوسعة الكاملة وانتشرت الفيوضات الشاملة والشيخ سالم وصل

إلى ربّه قبلهما بسنين وسيّدي الشيخ سليمان يوم الأحد والثاني يوم الاثنين في اثنين وعشرين وثلاث وعشرين من ذي الحجة سنة خمس وسبعين بعد الألف والمأتين شربا كأس المنيّة ولحق إلى الرفيق الأعلى, وهو أقام الحقير مقامه كما أقامه شيخه آمراً ناهيًا على جميع خلفائه في وصيّته مرّة بعد أخرى لتردّد بعض إخوانه وقلّة ثباتهم وفتن زمانه وجعل لي المعين هو الله والمداومين لحلقة السادات لله وفي الله وذلك بالأمر والإشارة من حضرت شاه نقشبند وحضرت مولانا خالد قدّس سرّهما ومنهم وصل للحقير ما سيذكر من الأصول ومن سيّدي الشيخ السيّد إسماعيل البروسي ظاهرا وهو أجازني من الطريقة أولًا وهو خليفة المرحوم سيّدي الشيخ عبد الله ووصل من روحانية حضرت مولانا خالد قدّس سرّه معنا مؤكدا قدّسنا الله بأسرارهم القدسية وألحقنا نزلهم الأنسية آمين .

اعلم أن طريقتنا إما طريقة رابطة معنعنة كما بيّناها في رسالتنا « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » ، وإما طريقة ذكر معنعن مسلسل ، وهما طريقتان مستقلّتان للوصلة إلى الله عزّ وجلّ بانفرادهما وإذا اجتمعا فيكون أقرب الطرق وصلة والترقّي فيها إما بجذبة إلهي أو الجذبة مع السلوك والجذبة إما استغراق في المذكور أو غيبة فيه بلا شعور ، فتنبّه .

وللسلوك والأربعين شروط ثلاثة وأركان خمسة وآداب للمتأدّبين .

الأول من الأول أمر المرشد للسلوك أو إذنه فقط لا يكون مع التابع أو المأذون لنفسه في بلدة واحدة إلا إذا أذن لتابعه حال غيابه لا بأس به .

والثاني اتخاذ الخلوة كالقبر لموت الإرادي بحيث يربط نفسه ليأمن الناس من شؤمها ومن شرها حتى تتوب إلى الله تعالى توبة نصوحا من ضيعتها مع حضور الجمعة والجماعة وإتيان السنن كلها وقضاء حاجته إن لم يكن له مقضى بمحافظة الحال .

والثالث النية للأربعين أو نصفه أو ربعه للعبودية واتباع سلفه لأن العمل بلا نية صحيحة لا يفيد إلا البعد والعمل بهوى النفس أو بغرض من الأغراض لا يفيد إلا الخسران بحيث يعض بالنواجذ بما حصل له فيه إلى الموت .

والأول من الثاني تقليل الكلام يعني ترك ما لا يحتاج إليه من الكلام وترك ما لا يعني منه لأن اللسان ترجمان الجنان يغفل به فضلا عن المحرّمات مثل الغيبة والنميمة .

والثاني تقليل الطعام بحيث لا يحصل به الكسل والثقل من الشبع ومن الجوع ، والطعام يقوي النفس ويسمن الجسد وضدّهما مطلوب والصوم للمنتهي وتركه للمبتدئ أولى .

والثالث تقليل المنام يعني تنقيص النوم بالتدريج على الكفاية لأن النوم غذاء الجسد وسبب عافيته الاعتدال منه وتابع للأكل والشرب وفي هذه الثلاثة معنى آخر مطلوب في المقام وذلك تقليل الكلام النفسي وهو الخواطر خيرها وشرها غير حضور ذات الله عز وجل حتى تنقطع مرة أو لا تضرّ بحضوره وتقليل الطعام وهو طعام النفس والعقل يعني العلوم العقلية والرياسية وهي حجاب متين لأنه سبب الفخر والوجود كما قيل : **وجودك ذنب لا يقاس له ذنبا غيره** ، وإعدام الوجود والفناء مطلوب لأجل البقاء . وتقليل المنام يعني نوم الغفلة والغافل عن ذكر الله كالنائم بل كالميت في الدنيا معدوم القدرة لصلاحه ورشده لا بدّ له من مرشد يحييه عن غفلته ويرشده لصلاحه ووصلته .

والرابع وهو الركن الأعظم ذكر المدام بإرادته وهمّته بصرف جميع أوقاته وأزمانه لمشغولية الذكر مما أمر به شيخه بآدابه وشرطه ولا يحرّك أعضائه حالة الذكر والختم والتوجهات غير الإصبع الذي يجرّ السبحة به ويعدّ ولا يتأوّه ولا يأنّ ولا يصيح بالحالات والغنايات وكل ذلك مدخل للشيطان وحظوظ للنفس وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك كما مر ويهتم المرشد منع ذلك وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادعاء العشق وليس طريقتنا طريق العشق والهيجان بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية لذاته ورضائه تعالى بعد سدّ ما يحتاج إليه بالذكر يستغرق جميع حالاته من النوم واليقظة ويترك الأوراد والأشغال كلها غير الذكر المأمور به في السلوك والعاجز لا ينقص عن خمسة وعشرين الفا[2] والمقتدر لا ينقص عن سبعين الفا من اسم الذات والزيادة عليها مطلوب في الليل والنهار والتلقينات على نظر المرشد بعلاماته كما بيّنّاه في رسالتنا « **مسيرة الحكم للسالكين** » وإذا لقّن النفي والإثبات للمريد يشتغل باللطائف كلّها في الليل دورة وفي النهار دورة ويشتغل بينهما بالنفي والإثبات اشتغالا كثيرا بشروطه . ولو كان المريد أهل الوقوف أو أهل مراقبات

---

[2] نسخة-آلاف

يشتغل مثل ما ذكر حتى يغلب عليه الوقوف والمراقبة فيشتغل بأحدهما بلا خواطر ولا فتور وإذا فتر فيرجع إلى الذكر هكذا يشتغل في سلوكه وفي أواخره ختم التهليل على أهله لأرواح السادات وأما في غير أوقات السلوك فيشتغل بالذكر تارة للعبودية وبالوقوف أو المراقبة أخرى للأنسية فلا يخلوا عنهما دائما مرشدا كان أو مريدا امتثالا بأمر **"فاستقم كما أُمرتَ"** وفاء بالعهود فإن الإنابة للمرشد عهد وبيعة بإتيان جميع ما في طريقته مهما أمكن إلى مماته كما كان حال الأصحاب بما بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم في إسلاميتهم إلى وصولهم إلى الله عز وجل والإنابة للمرشد كالبيعة للنبي صلى الله عليه وسلم .

والخامس ثلاثة توجهات معهودة في الليل والنهار دأب ساداتنا في مكة المكرمة صان الله أهاليها وأعان مواليها بعد صلاة العشاء ووقت السحور إن كان السالكين خمسة فيقدم ختم الخواجكان والأقلّ عنها مخيّر فيه قبل التوجه فيهما وبعد صلاة الظهر بلا ختم خواجكان وذلك مخصوص للسالكين ولا يدخل فيهم غير السالكين وقراءة القرآن وختم خواجكان بعد العصر كل يوم في مكانهم والتوجه بعد الظهر يوم الجمعة ويوم الثلاث في زاوية الصديق الأكبر رضي الله عنه وأرضاه في زقاق الحجر لعامة الإخوان وتغليق الباب والخلوّ عن نظر الناس وتغميض العينين في الكل وعدم دخول الأجنبي في الحلقة من واجبات طريقتنا العلية واشتغال الذكر في الحرم الشريف منفردا في الغلس أو من وراء الأسطوانة مستورا عن النظر لا بأس به وأجزاء ذلك في كل مكان على نظر المرشد باتباع سلفه لا يزيد ولا ينقص عن ذلك وآدابه كثيرة والطريقة كلها أدب والطرق إلى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق وحقيقته سنوح في حشاء أهل الصلاح وبه حصل لهم النجاح والفلاح وأخذ جميع الأدب من الكتاب تضيع الأوقات بل اللازم ذكر ما هو الأهمّ والتمسّك بأمر المرشد كما بيّنّاه في رسالتنا « **صحيفة الصفا لأهل الوفا** » .

وأما الأدب مع المرشد فمختلف باختلاف الأمزجة فإن أدنى الأصحاب في مرتبة الولاية فطباعهم متنوعة والأقرب لأدب المرشد كالأدب للأبوين يخفض جناح الذل وبسط الرحمة لهما بمقتضى مشربهما بل المرشد أولى منهما .

ومن آداب السلوك ترك الحيواني في الأكل ويأكل من النباتي والعسل نباتي فإن البشرية مشتركة بين صفة البهيمة وصفة الملكية وتقليل الاشتراك بتقليل المناسبات بينهما بل المقصود إعدام صفة البهيمة بتبديل الغذاء الظلماني إلى الغذاء النوراني ويستملك صفة الملكية وهي لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون

من الذكر والحضور والمراقبات والشؤنات الإلهية وغير ذلك والقربان من صفة البهيمة إلا بنيّة الاتّباع في غير السلوك فيثاب عليه ومنه أكل الحيواني مرة واحدة في العشرين وإن لم يأكل فيها وفي التسعة وثلاثين أو في واحد وأربعين بإذن المرشد بعد حلية الطعام ان لا يكون منفوسا ولا معيونا ولا معمولا بيد منكر الطريقة أو الشيخ ولا يجتمع السالكون للأكل في سفرة واحدة إلا بمراعة الأدب لا بأس به والأولى أن يأكلوا منفردا في خلوتهم ويداوم السنن الرواتب والتهجد والإشراق والأوابين مستورا عن النظر ولاسيما عن نظر المرشد ولا يخبر خطراته ورؤياه إلا لمرشده ولا يطلب منه التعبير والتأويل ولا يخبر أحواله واشتغاله قبل استفساره إلا إذا غلب عليه الخواطر فيخبر بعينه ويعالج في دفع الخواطر بالرابطة وبكثرة الاشتغال, وبتجديد الوضوء والاغتسال وبتبديل مكان ذكره والمرشد بكشفه لا يعامل المريد بل بخبره يعامله ولا يستند المريد حال الاشتغال ولا في حلقة الختم والتوجهات إلى شيء أو إلى أحد في جنبه بل يقعد على عكسه تورك الصلاة أو كيف ما تيسر له واضعًا يديه المفتوحتين على ركبتيه طالبًا رضائه تعالى ولا يتساهل في التوجه ولا يغفل عن نزول الفيوض إلى حقيقته بمقتضى المراتب له واكتساب الفيوض لا يحصل إلا من المرشد المختار يدًا بيد والسبب للاكتساب لا يكون إلا الحبّ الصادق له العاري عن التصنّع والتشبّه وهو منتج الإخلاص والأدب مع المرشد وهما منتجان الفناء في الله عز وجل ويقدّم به شيخه على جميع المشايخ ويفضّله كما قيل :

« **حبك الشيء يعمي ويصمّ عن غيره** » وكل ما يحصل من الشيخ خلاف مشربه أو خلاف المشروع يأوّله هو بتأويل صحيح أو منوط على حكمة خفيّة أو امتحان له بذلك يزيد حبّه له فلا ينكر عليه بأدنى شيء مخالف لمشربهم فضلا عن مخالفة الشرع فإن الشرع يبيح المحظورات لمصلحة ظاهرة أو لحكمة خفية فالمريد لا يعرف حقيقة ذلك فيجب عليه التأويل اوالسؤال عنه لمرشده إن أمكن ولا يقطع الفيوض عن نفسه بذلك .

وأما المتشيخ المتشبه فظاهرهم مزيّن على مشرب الناس ويراؤن أنهم في كل واد يهيمون وهم قطع طريق الوصلة والسمّ القاتل عن حيات الحقيقي فيجب الفرار والبعد عنهم لتحصيل رضاء الله عز وجل .
فإن الإنسان مبتلى من أولهم إلى غايتهم فلما أراد الله تعالى إبراز ذاته العلية اقتضى شأن الحبّ إيجاد نور نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم من نور ذاته عز وجل وأظهر من نوره صلى الله عليه وسلم العوالم كلّها

فلمّا تموّجت الأنوار وتلاطمت الأطوار اقتضت الحكمة الإلهية هبوط ذلك من الجنة الوصلة إلى حجب عالم الأرواح عقوبة لهم بجناية شانهم ولحجابهم عن ذات البحت . ولما آنست الأرواح بعضهم مع بعض ونسيت شأن الأول لبعد العهد فيها حقّت عليهم الرد إلى محبس عالم الأجساد والقيود لبعدهم عن الذات وأنسيت بعضهم مع بعض عقوبة لهم فوق العقوبة الأولى, وسلط عليهم أنفسهم وقرينهم والطبيعة وأمزجة المقيدة والدنيا وحبها المبعدة عن رضاء الله عز وجل وأمرهم بقوله **"ففروا إلى الله"** من هذه القيودات, وارحموا أنفسكم من المعيوبات, والأنبياء العظام وأهل الله الكرام سالمون عن ذلك في كل زمان نزلوا مع الغافلين عن منزلتهم الأولى إلى الدنيا عالمون عارفون ولا يعصون الله ولا يغفلون عن أصلهم لومة لائم ولا نسيان مع وصلهم إلى هذا المكان, ويفعلون ما يؤمرون في كل آن, جاؤوا لدعوة الغافلين الناسين عن أصلهم والساهين عن وصلهم إلى مقامهم ومنزلتهم الأولى رحمة من رب العالمين ورأفة من الرؤوف الرحيم فدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة بقدر عقولهم واقتدارهم وساد من صافحت السعادة واتبع الرسول والحق وقال الحق أحق أن يتبع وعرجوا إلى منزلتهم الأولى في الدنيا بجهاد النفس وقطع الهوى, ونالوا ما نال السعداء والشهداء فإنهم شهداء الجهاد الأكبر, وطغى من عانقت الشقاوة وغارت الهوى, واتبع خطوات الشيطان وشهوات النفس الأمارة فتردّى, وخلف عن جهاد النفس وغوى ووصلوا السجن المؤبد الأذى وهو الجحيم والنار اللظى, فمنهم أبدا بقي ومنهم رجع إلى الجنة المأوى, بمقتضى جناياتهم في الأولى, ومنهم حبس في الأعراف بتقدير المولى . يا أيها القائل الغافل عن أصله ويا أيها المسوف العاطل عن وصله تنبه تنبه فانته عن الأمل ولازم على العمل العاري من الأغراض والعلل بنظر المرشد من الكمّل لمقصودك العزيز تنل .

اللهم اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت وتوفنا فيمن رضيت وكل ذلك في يديك وصل وسلم على أشرف رسلك وأتمّ واصلك وعلى آله المنعمين بمرضاتك والتابعين المشتاقين إلى رضوانك وعلى أضعف عبادك وأقصر عبادك إلى وصلك ولقاءك .

قد فرغ القلم من تسويد الرقم في السبت الثامن من الرجب الأصمّ في السنة الثمانية والثمانين بعد الألف والمأتين في الطائف لطيف الاستيناس في جوار سيدنا عبد الله بن عباس رضي عنهم رب الناس آمين .

وعليكم السّلام وعليكم السّلام وعليكم سلام السّلام مع التّحية والإكرام

أيّها العالِمُ فلان إلخ

أيّها العالِمُ من المعلوم المشهور ممّا تُقرِّر أئمّةُ الصّوفية الصّادقة المتّصلة سلسلتُهم على صاحب الشّريعة والطّريقة أنّ المراد بالمرشد الكامل الذي يصحّ أن يُجْعَلَ رابطةً للمتوسّلين به هو الذي حصل له مقامُ البقاء بعد الفناءِ في الله تعالى الأتمّيْنِ .

فلذلك تورّع ساداتُ الصّوفيةِ ، وتأدّبوا في حقّها ، ولم يأذَنُوا أن يُرابَط عليهم ولو بعد حصولِ الكمالِ وبَلَغَ مَبْلَغَ الرّجالِ ، وشَهِدَ بذلك أهْلُ العلم والعرفان .

وإنّ الشّيخ خالد البغدادي[1] قدّس سرّه أَمَرَ مريديه ومن يقتدى به بالرّابطة على نفسِه الشّريفةِ بأمْرٍ من شيخِه ومرشدِه بعد كمالِه ، وإنّه مَنَعَ خلفائَه عن ذلك لما رآه ممّن تَرَصَّدَ للمشيخة في زمنه ما لا يوافِقُ اصطلاحَ القومِ بالأمر بالرّابطة على أنفسهم قبل بلوغِهم مبلغ الكمالِ ولم يحصُلْ لهم البقاءُ بعد الفناءِ خوفاً عن وقوعهم فيما لا يصحّ في اصطلاح أئمّة السّادات النّقشبنديّة ، فقال : لا تُعَلِّمُوا رابطةَ صُوَرِكم لأحَدٍ ولو ظهرت له فإنّه من تلبيس إبليسٍ ولا تَسْتَخْلِفُوا أحداً إلا بأمري فضْلاً عن مزاحمتهم لخلفاء الأطراف من نحو : أمّ زنجان ، وبدليس[2] إلخ كذا في « البهجة » منقولا عن مكتوباته .

ثمّ إنّ خليفة القائمَ مقام الشّيخ إسماعيل خَرَجَ من الدّنيا ، ولم يأذَنْ لأحد أن يرابِط بصورته الشّريفة مع أنّه مشهودٌ له ببعض الكمال من مرشده الكامل تأدُّباً عند السّادات الكرام وتذلّلا لنفسه .

---

[1] العلامة العارف قطب أولياء الزمان أبو البهاء ضياء الدين الشيخ خالد شاه البغدادي قدّس سرّه ، ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولدسنة 1193 هـ في قصبة قره ذاغ بلدةمنالسليمانيةفيالعراق ، وكان مجازا في الطرائق الخمس : النّقشبندية ، والقادرية ، والسّهروردية ، الكبراوية ، الجشتية ، توفي ليلة الجمعة 14 ذي القعدة 1242 هـ » « المواهب السرمدية » ص223 .

[2] « زنجان » هي إحدى محافظات إيرانتقع شمال غرب البلاد عاصمة محافظة زنجان ، و« بدليس » هي إحدى محافظات تركيا تقع في منطقة شرق الأناضول . « وكيبيديا »

وإنّ السلسلة المسلسلة من الشّيخ خالد كانوا يُرابِطون عليه إلى أن يَصِل إلى الشّيخ خالد محمود أفندي الألمالي الدّاغستاني قدّس سرّه العالي ،وإنّه أَمَرَ مريديه وخلفائه بالرّابطة عليه بعد كماله وبلوغه مبلغ الرّجال ، ، وحَصَلَ له البقاءُ بعد الفناءِ أَدَباً مع الشّيخ خالد بدفع مشقّةالخلق والمريدين عن حضرته وبتحمّله بنفسه ، وإنّه قدّس سرّه بعد موت شيخه يونس أفندي الاليي

[3] كان يربّي المريدين ، وحبسه الحكماء ، وتغرّبه من ولايته الوطنية إلى ولاية قَزَانْ وأُفَ ، ولقيه هنالك الشيخ الأكبر والقطب الأعظم هاشم اليمشاني قدّس سرّه .

فربّاه واتّخذه ولداً معنويّاً ، وزَوَّجَ له بنته ، وكان عنده برهة ، وكمّله وبلّغه مبلغ الرّجال ، وأَذِنَ له في جميع ما صبّ في صدره من مشايخه ، ولبسه الخرقة ، وكَتَب له صكّ الإجازة المطلقة على وفق اصطلاح القوم ، فبعد ذلك رجع إلى وطنه الأصليّ الألمالي الداغستاني ، واشتهرت طريقتُه ، وظهرتْ بركتُه في ولاية ژُرْ .

وكان له من الخلفاء الكاملين الواصلين المواصلين في ولايتهم الشيخ أحمد أفندي التَلَالِي[4] ، والحاج جبرائيل أفندي اللَّكِتِيّ الزّاخُوريّ[5] ، والشّيخ إسماعيل أفندي السّواكلي[6] ، والحاج

---

[3] ولد سنة 1219 في قريته « اللالالية » ، أخذ عن : الشيخ الحاج إبراهيم أفندي القدقاشني قدس سرّه ، أخذ عنه : الشيخ محمود أفندي المالي قدس سرّه توفي سنة 1277 في قريته اللالالية.« سراج السعادة » ص 153 .

[4] هو مجدد المائة الرابعة شمس سماء الطريقة النقشبندية الحاج أحمد أفندي بن مصطفى التلالي ولد سنة 1251 في قريته « تلا » ، نشأ في حجر أبيه ثم مات وبقي يتيما ، في شباب زمان طلب العلوم النقلية والعقلية عن إسماعيل أفندي الإيلي ، أخذ عن الشيخ محمود أفندي الطريقة النقشبندية ثم صار مأذونا منه ، توفي 1309 هـ . « هدايا الزمان في طبقات الخوجكان النقشبندية » ص488 .

[5] الشيخ جبرائل أفندي الزخوري ثم الكيتي النّقشبندي المجاز من طرف الشيخ أحمد التلالي قدس سره ، توفي 1307 هـ ودفن في مسكنه . « تحفة الأحباب » ص 35 .

[6] الشيخ إسماعيل أفندي السّواكلي النّقشبندي قدس سرّه المجاز من طرف الشيخ أحمد التلالي قدّس سرّه ، توفي سنة « 1302 هـ » ودفن في قريته سواكل .« تحفة الأحباب » ص 35

حمزة أفندي الزاخوري[٧] ، والحاج حضرة أفندي بن الحاج عثمان الزَاخُوري[٨] ، والحاج بابا أفندي القاضي الجنيغني ، نور الله أفندي الليفي محمّد أفندي الأَرْجِي الداغستاني .

فبعد انتشار أمرِه في ولايته طلبه الحكماءُ ثانيا وحبسه وأرسله إلى تفليس لدى السلدار الأعظم بعد ظهور كرامته وعدم قدرة ولاتهم باتّخاذه مسجوناً وأنّه مسجنه وهرَب منه إلى حاج طارخان وسكن فيها مدّة سنين مخفيّا مستورا أي : ثمانية سنة بلا اشتهار ، وكان يعيش مع العوامّ .

فبعد مضيّ تلكم السّنون العديدة ظهرت كرامتُه لأبعاض خواصّهم وانتشرت فيها طريقتُه العليّة ، وتوطّن فيها وتزوّج ومات قدّس سرّه ، ودفن في مقبرتهم عند الأولياء الكرام المشهورين فيها بشيخ الزّمان وتكلى بابا واسنحار قاضي وياغ مرسي وكلّهم في زائرة واحدة حولهم حيطان مرتفع بلا سطح .

وكان له في حاج طرخان خليفتان وهما عبد الوهّاب الأشترخاني المشهور فيها بـ« وهب حضرة » ، ومحمّد ذاكر الجِسْطَاوِيّ القَزَانِي[٩] .

ثمّ ذلك رَابَطَ عليه خلفائُه ومريدوه في حياته وبعد مماته وحَصَلَ منه الأثرُ العظيمُ والبركةُ العميمُ هذا ما تواتر في حقّه قدّس سرّه .

وكتب محقّقُ هذه الطّريقة النّقشبنديّة العليّة الشّيخ حسن أفندي القحيّ في كتابه « سفر الأسنى في رابطة الحسنى » : « فقد سمعتُ شيخنا قدّس سرّه يقول : إنّه كان يقول ومريدوه

---

[7] الشيخ حمزة الزخوري الإيليسوي قدّس سره المجاز من طرف الشيخ أحمد التلالي قدّس سرّ ، توفي1308 .« تحفة الأحباب » ص 35

[8] الشيخ حضرة أفندي الزاخوري النّقشبندي المجاز من طرف أحمد التلالي قدس سرّه ، توفي سنة « 1284هـ » .« تحفة الأحباب » ص 35

[9] الشيخ العارف المربّي المسلّك أبو عبد الرحمن الجِسْطَاوِي القَزَانِي ، تفقّه على الشّيخ عبد الله المچكروي واشتغل بالتدريس في بلده سنين ، أخذ الطريقة عن الشيخ محمود أفندي الألمالي ، ومن مصنفاته : « تبصرة المرشدين » ، توفي تقريبا سنة « 1310هـ » .

يرابِطون بالشّيخ خالد قدّس سرّه لكنّه قال : يا أولادي ؛ حَصَلَ لي الكمالُ بالشّيخ خالد والشّيخ محمّد نقشبند ، وحصل لي الكمالُ بالنّبي صلى الله عليه وسلّم وأرى الخضر عليه السّلام دائماً فالآن كَمُلْتُ عن الشّيخ خالد فرابطوا الآن بنفسي فبعد ذلك قال له المريدون : إنّ البركة تحصل لنا برابطة نفسك ، فأقرّهم على ذلك » انتهى[10] .

وسمعت يحكي عن الشيخ محمود أفندي أنّه كان يقول : لو رابط إليّ المريدُ متوجّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشّيطان أن يعقد ما بينه وبينهما فإن يقف يحرق بنوري انتهى من عينه .

وكتبه قدّس سرّه أيضا في كتابه « سراج السعادة في سير السّادات » : وُلِد رضي الله عنه تخمينا فيسنة « 1225هـ » في القرية « الألمالية » ، ونشأ في صغره وصباه نشأةً غربيةً وتربيةً عجيبةً ، كان في شبابه من أعجب الزّمان ونادرة الأوان في الفهم والحفظ وتحرير الكتابة وتنظيف الخطابة ، كان محرّر السّلطان زمانه دنيال سلطان وقريبه حاج أغابيك الإيليسويّين ، وكان يحرّر أمرهما غاية تحريرٍ ويقرّرهما في نهاية تقرير ، وكانا يتعجّبان من وفور عقله وكمال قوله ، كان حينئذ يعلم الكيمياء ، فبسببه أرسله أكابر الحكماء إلى ولاية سبير ، وغرّبوه إليها وأقام هناك مدّة سنين .

ولمّا تجلّى عليه تجلى الإرادة وظهر كونُه من الرّجال المرادة خَدِمَ الحاج يونس أفندي اللالي قدّس سرّهما ووصل إلى مقام الولاية الصغرى وحال الفناء في الله والبقاء بالله ، ولكن بقي في مقامه المقدّر في العلم الأزليّ بلا وصولٍ إليه ورجوع عليه لعدم قوّة شيخه المذكور لذلك ثمّ لما أرسل بقدرة الله تعالى ، وحكمته إلى ولاية قزان وبلاد الرّوس صادفه هناك شيخٌ عظيمٌ ووليٌّ كريمٌ أظنّه هاشم أفندي اليمشاني كما قاله محمود أفندي بن عبد الله القَزَاني المنزوري وبخدمته وصل إلى مقامه المقدّر ومنزله المقرّر .

---

[10]« سفر الأسنى في رابطة الحسنى » ص72 .

ومما شافهنا في حقّه نقلا عن فمّ الشّيخ محمود أفندي : أخونا الكبير وصديقنا الوفير الشيخ الحاج شرين أفندي الكلّوكي أنّه قال له الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه أنّه لمّا وَصَلَ إلى ديار قزان ناداه الشّيخ هاشم أفندي اليمشاني للضّيافة من مسافة ستّة مراحل للكرامة ولما وصل لديه حفظني عنده في حجرته وأكرمني في خلوته ثمّ حمل عليه بعض مريديه وأخصّ محبّيه طعاما مستورا وشيئا مبرورا ثمّ وضعه قبالتهما ثمّ قال الشيخ هاشم أفندي : يا ملّا محمود انظر إلى ما في السّفرة ، وتأمّل بالعبرة لعلّك تدرك قال : فتأمّلتُها بالبصيرة تأمّلَ اعتبارات فرأيتُ كلّ مرّات بحرا يدور عليه إوزّ فقال : يا ملّا محمود ألم تنسه ؟ وألم تدرك ؟ قال : قلت له تأمّلتُ لكن لا أرى شيئا ما إليه استندت لأقول فقال : قل ما وصل إليه إدراكك فقلت : إنّي أرى بحرا كبيرا و إوزّ يضرب جناحه يسير عليه كثيرا فقال : بارك الله فيك أدركت حقيقتها وكوشفت سريرتُها فكشف السّفرة فوجد فيها بهتة وعليها بيض الإوزّ ثمّ أكلا حتى شبعا ثم قال الشيخ : يا ملّا محمود إنّك لم تَصِلْ إلى المقام وإلى ما قرّره الله تعلى من المرام فإن خَدَمْتَنا ووقفتَ في تربيتنا . تصل إليه إن شاء الله تعالى ، فقلتُ : سمعاً وطاعةً حبّاً وكرامةً ، ثمّ ردّني الشّيخ إلى المكان الأولى الذي كنت فيه و اعطاني اربعين تمرة بيده المباركة و قال اسكن في خلوة حجرتك التي كنت فيه وكُلْ كلّ يوم وقت الفطر تمرة واحدة بعد أن تقرأ الصّلاة للرّسول عليها مائة مرّة فبعد تمام الأربعين يوما نحضر إليكم إن شاء الله تعالى .

ثم قال : فبعد تمام المدّة وانتهاءِ العدّة جاء الشيخُ وتَوَجَّهَ توجّها بليغا ، وقال قبل التوجّه : إذا جاء عليك حالة عظيمة ورفعة جسيمة لا تخف ولا تفرّق عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الشّيخ بالرّابطة .

ثمّ لما توجّه الشيخ ، وكان حينئذ في حجرتي وأقامني في خارجِها في طاقة صِرْتُ في حال الفناء في الله جاء صوتٌ هائلٌوكلامٌ غائلٌ مع زمرة الملائكة وفئة الرّوحانية واجلسوني على سرير عظيم نواري أخضر وارفعوني إلى سماء الدّنيا ثمّ منه إلى الثّاني ثمّ إلى الثّالث حتى انتهيتُ بهم إلى السّماء السّابعة ثمّ رفعت بهم إلى العلى حتى ارتقيتُ إلى سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى وخفت وسالت منهم الرجوع فرجعروني ووضعوني على المكان الذي كنتُ فيه

والعجائب التي رأيتُها لا يُدركها إلا الله تعالى ولكن لم ألتفتْ إليها ولم يسكن في قلبي إلا الله فسبحان القادر المقتدر . انتهى ما حكاه الشيخ شرن أفندي عن فمّه رحمهما الله تعالى ورزقنا من بركاتهما .

فبعد ذلك أجاز له الشّيخ هاشم أفندي اليمشاني إجازة تامّة ، وزوّجه بنته ، وأكرمه غاية الإكرام ونهاية الاحترام ، وكان بعد ذلك ذا تصرّفٍ عظيمٍ وخوفٍ من الله تعالى جسيم حتى إذا نظر إلى أحد ما من المسلمين أو سلطان من الكافرين بالهيبة . . كان يصير مطروحاً وكلّ أعضائه مجروحاً ، وإذا تنفّس على من ينكره أو أحد يكرهه . . كان يغشى عليه كان الموت يرمي إليه وإذا جَرَّ نفسَه إليه . . كان كلٌّ واحدٍ منهما يقعد كالميّت القائم من قبره يرتعد بحيث صار جميعُ أعضائه متفرّقةً وأعصابُه متمزقةً .

وصدورُ مثل هذه التصرّفات منه كثيرةٌ وأخبارُه شهيرةٌ وبه أخبرنا كثيرٌ من الثّقات من رجال قريته الرّوات كذا في « طبقات الخوجكان » 70 .

وفي بعض مكاتبه قدّس سرّه ما يصرح أنّه اجتمع مع الخضر عليه السّلام ، وأمر بالصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبكلمة التّوحيد ، وأنّه اجتمع مع النّبي عليه السّلام ورآه بعيني رأسه ولقّنه الكلمة الطيّبة ، وأنّه وجد الحقائق واليقين بواسطة خضر عليه السلام ، وأنّ تربيته الخاصّ من النّبي عليه الصّلاة والسّلام بعد واسطة شيخه يونس أفندي حيّا وميّتا ؛ لأنّه كان سبباً للفناء ، وأنّه ربّاه الشيخُ مجدّد الألف الثّاني الإمام الربّاني قدّس سرّه ثمّ ابنه الإمام المعصوم قدّس سرّه ثمّ الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه ثمّ الغوث ذو الجناحين خالد البغدادي قدّس سرّه بعد تربيته في أوّل السّلوك ثمّ غوث الواصلين الإمام النّقشبندي قدّس سرّه في أوائل السلوك فانظر إلى مقامه واعتبر برفعة مربّيه وكثرتهم رزقنا الله نصيباً من فيوضاته آمين [11] ، هذا عين ما في « سراج السعادة » ، وأخبارُه العجيبةُ وآثارُه الشهيرةُ كثيرةٌ مذكورةٌ فيه فراجعه .

---

[11] « سراج السّعادة في سير السادات » ص153 .

ثمّ إنّ الطّريقة النّقشبندية العليّة تفرق إلى الجهتين الكريمتين من الشّيخ محمّد الصّالح خليفة الشّيخ إسماعيل ، وكان من خلفائه الشيخ إبراهيم القدقاشي والشيخ خاصّ محمّد الشّرواني ، وإنّه أَذِنَ لمحمّد اليَرَاغِي قدّس سرّه وإنّه أَذِنَ للشّيخ جمال الدّين الغُمُوقِي ، وإنّ اليَرَاغِيّ كان شيخ الإمام غاز محمّد الكِمْرَاوِيّ وإنّ جمال الدّين أَذِنَ لعبد الرّحمن الثُّغُورِي فمنه انقطع سلسلتُهم الخالصة النّقشبنديّة ، وإنّ المتشيّخون المنتسبون إلى الشّيخ الثُّغُورِيّ تَغَيَّرُوا أصول الطّريقة النّقشبنديّة العليّة وأَظْهَرُوا الأذكار وتَرَكُوا ذِكْرَ القلبِ مع كونه من أفضل الأذكار ؛ كما قال عليه الصّلاة والسّلام : الذكرُ الّذي لا تسمعه الحفظةُ يزيدُ على الذّكر الذي تسمعه سبعين ضعفا ، وقال : خيرُ الذكر الخفيّ وخير الرّزق ما يكفي ، فراجع إلى « جامع أصول الأولياء » ففيه بسط ص 176 وإلى الحميدية 3ج 424 ص ،وإلى كتاب « الرقاق » ص 340 .

وقال رئيسُ الطّريقة النّقشبندية وغوث الخليقة محمّد البخاري قدّس سرّه : المعرِضُ عن طريقنا فهو على خطر في دينه ، وقال الإمام الربّاني مجدّد ألف الثاني ما حاصلُه :إنّ البدعة في الطّريقة ليست عند الفقير بأقلّ من البدعة في الدين وبركات الطّريقة إنّما تفاض ما لم يحدث فيها مُحْدَثٌ فإذا حَدَثَ فيها مُحْدَثٌ ينسدّ طريقُ الفيوض ، وقد قال سيّد الطّائفة خالد البغدادي قدّس سرّه : من غيّر أصول طريقتنا فليس منّا .

قال الشّيخ سليمان الزّهدي أيضا : إنّ المخالفين لأصول الطّريقة مطرودون بل هم عنها مبعودون انتهى .

إنّ الطّريقة النّقشبندية العليّة هي الطّريقة الخالصة عن كدورات جهلة الصّوفية كما قال الحافظ ابن حجر في فتاويه : الطّريقة الخالصة من كدورات جهلة الصّوفية هي الطّريقة النّقشبندية انتهى .

ومعلومٌ مشهورٌ أنّه لم يتغيّر أصولُها إلى أن يصل إلى هذه النّسبة المذكورة وأنّها وصلت إلينا بالسلسلة الخالصة وبالتواتر كما وصلت الشريعةُ كذلك فللشريعة أئمّةٌ موثوقةٌ وللأئمّة تصنيفاتٌ عديدةٌ بحيث لا يحصى في بيان الشريعة المحمّدية وتواترت تلكم التصنيفاتُ

المعتمداتُ وبيّنت الشريعة بالأدلّة التي توافق على الكتاب والسّنة بالإجماع والقياس واختلف في استنباط الأحكام من الكتاب مذاهب الأئمّة الأربعة ، وذلك رحمة للأمّة المحمّدية كما قال عليه الصّلاةوالسّلام : « اختلاف الأئمّة رحمة »[١٢] ،وبلغت تلكم الأحكام والكتب المصنّفات إلينا ، فنحن نسير خلف سيرهم ، ونحكُم بما حكموا به ، الحمد لله الذي أنعم علينا هذه النّعمة العظيمة .

وكذلك للطّريقة أئمّة وللأئمة تصنيفات مصنّفة ببيان أصول واصطلاح طرقهم فلكلّ قوم اصطلاح فإنّما وافق على تصنيفات أئمّة الشّريعة هو الشّريعة ، وإنّما خالف على اصطلاح الأئمّة هو المخالِف على الشّريعة وكذلك الطّريقة لا فرق أنّ الموافِق على اصطلاح أئمّة الطّريقة فهي طريقة محمودة وخالفه فهي بدعة مطرودة ، وأنّ التواتر حجّة قويّة عند الأصوليّين .

وليس لنا حجّة لكون الكتاب كلام الله القديم إلا العجز والتّواتر ولكون السنّة الأحمدية كلام سيّد البشر إلا التواتر فإنّ الحجّةَ الكافيةَ للكتاب والسّنّة كونها كافية تامّة للشّريعة والطّريقة يعلم بطريق أولى ، هذا .

فإن أردتَ التّصريح والبيان التامّ في عدم تغيّر أصول الطّريقة النّقشبندية عند أئمّتها بعد الشيخ خالد البغدادي قدّس سرّه فانظر إلى « أنهار الأربعة » لأحمد سعيد المجدّدي ، وإلى « بهجة السنية » للشيخ محمّد بن عبد الله الخاني ، وإلى « الحدائق الوردية » للشيخ عبد المجيد بن محمّد الخاني ، وإلى « سلسلة الخواجكان » ، وإلى « جامع أصول الأولياء » للشيخ الأكبر والغوث الأعظم أحمد ضياء الدين الكمشخناوي ، وإلى « أدب المرضية » للشيخ جمال الدين الغموقي الحسيني ، وإلى « كنز المعارف » للشيخ المستور سيف الله الغازي غموقي النّزبكري

---

[12] وقال الزرقاني رحمه الله تعالى في « مختصر المقاصد » رقم « ٣٦ » : « الوارد » قال ابن دَيْبَع الشيباني في « تمييز الطيب من الخبيث » رقم « ٤٥ » : « زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له ، لكن ذكره الخطابي في « غريب الحديث » مستطردا ، وأشعر بأنّ له أصلا عنده ، قلتُ : قال شيخنا الجلال السيوطي رحمه الله تعالى : أخرجه نَصْر المقدسي في « الحجة » و البيهقي في « الرسالة الأشعرية » بغير سند ، وأورده الحليميُّ ، والقاضي حسين ، وامام الحرمين وغيرهم ، ولعله خُرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا ، و الله تعالى اعلم » ، وانظر إن أردت التفصيل عنه في « كشف الخفاء » رقم « ١٥٣ » و« المقاصد الحسنة » رقم « ٣٩ » ، و « الجامع الصغير » مع شرحه للمناوي رقم « ٢٧٧ » .

الحسيني ، وإلى « تنبيه السالكين » ، و« البروج المشيدة » ، و« تلخيص المعارف » ، و« درّة البيضاء » ، و« سفر الأسنى » للشيخ المجدّدي حسن أفندي القحي هل تجد فيها ما يخالف أصول الطريقة النّقشبندية العليّة ؟ فجميع هؤلاء المذكورين كانوا بعد الشيخ خالد قدّس سرّه ، وكانوا من خلفائه وخلفاء خلفائه ثمّ وثمّ إلى أن يصل إلى السّلسلة الحالية .

ثمّ انظر إلى ما يفعله المريدون المتّبعون بهم أيوافق ما أمروا به باصطلاح القوم أم لا فإن خالفوا عليهم فليسوا منهم وإلا فهم على الحقّ لا نكير عليهم .

ثمّ إنّ السّلسلة المسلسلة إلى هذه النّسبة الباقية الحالية الخالصة المتّصلة على خير البريّة وسيّد الأئمّة محمّد مصطفى إنّما تسلسلت بأحد الفريقين المذكورتين قبل أنّ الشيخ إبراهيم المذكور القدقاشي أجاز للحاج يونس أفندي اللّالِي وأنّه أجاز للشيخ محمود أفندي الألمالي وأنّه أجاز للشيخ جبريئل أفندي اللكتي الژاخوري وأنّه أذن للحاج عبد الرحمن العَسَوِي وإنّه أجاز للشيخ حسن أفندي القحي ، وكانت الإجازة للجميع إجازة مطلقة ، وكان الشيخ حسن أفندي مجازا من الشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني الژادي الأواري ، وإنّه كان خليفة الشيخ أحمد التّلالي قدّس سرّه في الطّريقة النّقشيندية ، ومن الشيخ المخفيّ المستور سيف الله أفندي النّزبكري الغازي غموق الحسيني في الطّريقة النّقشبنديّة العليّة والشّاذليّة السّنّيّة والقادريّة الجليّة فإنّه قدّس سرّه كان شيخا كاملا من الطّرق المذكورة .

وكان هو مأذونا في الطّريقة النّقشبندية وفي جميع فنون العلوم النّقلية والعقلية وفنون التّفاسير والأحاديث وغيرها من وظائف السّادات العليّة من الدّلائل والأحزاب واه واه من الشيخ الكامل زين الله الشّريفي الأوفوي فإنّه خليفة الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين الكمشخناوي وأجاز لسيف الله في الشّاذليّة الشيخ محمّد صالح البخاري وفي القادرية ربّاه روحانية الشيخ الأكبر عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه وصار أويسيا .

ثمّ إنّه قال لحسن أفندي القحي : إنّي صبّبتُ جميع ما في صدري في صدرك فأنتَ خليفتي في جميع ما أجازني أشياخي قدّس الله أسرارهم ولبسه الخرقة الشّريفة وكتب له صكّ

الإجازة ، وحصل له الكمالُ من هؤلاء المشايخ الكرام أنّه جدّد الطّريقة وطرَد المنكرين المتشيخين المبتدعين وأنّه كان محقّق الطّريقة والشّريعة ولم يظهر منه ولو صغيرا مّا ما يخالف الشّريعة وأصول اصطلاح أئمّة الطّريقة .

وكان من خلفائه الشّيخ اليعسوب محمّد العسوي ، والشّيخ العاجز قطب البلاء حميد أفندي الهَنْدِخِيُّ ، فهذه النّسبة العليّة هي نسبة صادقة صدّيقية خالصة مُحْكمة مشدّدة لم يقع فيها خللٌ ولا نقصٌ ،ولم يأذن لأحد من هؤلاء المذكورين إلا بعد الكمال وبعد البلوغ إلى مبلغ الرّجال وأنّهم كانوا من الذين فتح الله لهم من الفتوحات الإلهية والإلهامات السّماوية ، وذلك معلوم مشهور بالعَيان لدى كلّ من تصاحب معهم بلا ارتياب ، هذا .

ثمّ إنّما كتبت في حقّ صورة الشيخ الحيّ والميت في الرّابطة ما لفظه هذا : يستحضر صورة شيخه إن كان حيّا ونور روحه إن كان ميتا ، فذلك ليس في كتب الأئمّة واصطلاح سادات النقشبندية فيما نفهم لكن الطرق الواردة من منبع الفيوضات وسيّد السادات محمّد المصطفى كثيرة يصحّ أن يكون في اصطلاح سائر الطّرق غير النّقشبنديّة .

ففي « الرّسالة الخالدية » منقولا عن العارف الشعراني : السابع : أن يتخيّل شخص شيخه بين عينيه إلخ .

وفي « سلسلة الخواجكان » : الوجهُ الأوّلُ : أن يتصوّر المريد صورةَ الشيخ بين عينيه ثم يتوجَّه إلى روحانيته في ذلك الصّورة إلخ .

وفي « البهجة السنية » : ثم يقرّر صورة شيخه ومرشده الكامل في ناصيته إلخ ، وفي « البهجة » : أيضا أن يتخيّل صورة شيخه بين عينيه ثمّ يتوجّه إلى روحانية الشيخ في تلك الصورة إلخ ، وفي « آداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغموقي :« وثانيهما : أن تكون عند غيبة الشيخ فكيفية ذلك أن يتصوّر المريد صورة شيخه بين عينيه ثمّ يتوجّه إلى روحانية الشّيخ في تلك الصّورة إلخ » .

وفي « سفر الأسنى في رابطة الحسنى » لحسن أفندي القحي قدّس سرّه : « ويتخيّل صورَهم أو صور روحانيّتهم إلخ ، وكونوا مع اصادقين أي : جسما إن أمكن أو روحا إن لم يمكن يلزم عليهم تخيّلُ صورهم وتذكرهم وتخطرهم جسما أو روحا إلخ »[١٣] .

ولم نجد في كتب أئمّة النّقشبنديّة في حقّ الرّابطة إلا هذه المذكورات وإنّ النور إنّما يلاحظ في المراقبة لا في الرّابطة أنّ المراقب يقرأ مقدّمة المراقبة ثمّ ينظر إلى نقطة القلب ويلاحظ كأنّ النبي عليه الصلاةوالسلام واقف امامه ويستفيض من الله تعالى وصولَ الفيض الحاصل في تلك الآية الشّريفة أي : وهو معكم أينما كنتم [الحديد : 4] بواسطة ذات النّبي عليه الصّلاة والسّلام وتلاحظ ذاته نورامجرّدا فافهمْ هذا ما وجدناه في تقريرات سادات النّقشبنديّة قدّس الله أسرار أهاليها .

أيّها الأخُ أنّ أصول الطّرق العليات الواردات من صاحب الشّريعة والطّريقة وتلقين المشايخ الذّكر على المريدين فحسنٌ محبوبٌ ثابةٌ بالأدلّة الأربعة على وفق الشّريعة المحمّدية ، فمن أراد البيان . . فليراجعْ إلى « مسند » الإمام أحمد بن حنبل ، وإلى ما رواه يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح .

إنّ الطّريق العليّة الجهريّة كلّها وردت من عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه وإنّ الطريقة النّقشبنديّة وردت من الصدّيق الأكبر أخذها باطنا بالتوجّه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإنّه عليه الصلاةوالسلام توجّه له في غار ثور ، وقال عليه الصّلاة والسّلام : ما صبّ الله في صدري شيئا إلا وصبّبته في صدر أبي بكر رضي الله عنه ، وكذا قال عليه الصّلاة والسّلام من ربّه : ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وقرّ في قلبه .

فالحديثُ الأوّل دليلُ السّادات النّقشبنديّة ؛ لثبوت التوجّه وإلقاء الذّكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضا للذّكر القلبيّ فالحضور والمراقبة .

---

[13]« سفر الأسنى في رابطة الحسنى » ص23 .

ثمّ إنّ الشّيخ الكامل هو بني الوقت ، وخليفة الرّسول وطبيب الأرواح وإنّ بدن الإنسان مجتمعة من الجسد والرّوح لا روح بلا جسد ولا جسد بلا روح ، وفي « الجسد مضغةُ لحم إن صلحت صلح الجسد وإن فسدت فسد الجسد »[14] ، وهي القلب كما قال عليه السلام ، وإنّه صلّى الله عليه وسلّم قال : سيِّدُ جوارح القلب فإذا حصلت الأمراض في الجسد ظاهرا كان أو باطنا لا بدّ من الطبيب ، وإنّه تعالى جعل لكلّ داء دواء كما قال عليه الصلاة والسلام : « لم ينزل الله داء إلا له دواء » .

ثمّ إنّه تعالى بنعمة الوهبية علّم الإنسان ما لم يعلم من العلوم العقلية والنقلية من الطبّ وغيرها بحيث يدرك الداء والدواء والعلاج وتواترت الأعلام في جميع العلوم إلى هذه الأيام الأخيرة بحيث يزيد الإدراك والتفطن والذكاء يوما فيوما بالتجربة والتدريج وخاصّة في علم العلاج والتداوي ، وإنّه تعالى التزم على الإنسان حقّا للجسد كما ورد : عليك حقّ لجسدك لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها .

ولذلك منع عن التكلّف عليها بحيث لا طاقة ولا قدرة فبه وجب على كلّ من له عقل سليم أن يطلب الطبيب اللبيب والحكيم العليم ؛ ليعالج لدائه ليكون جسدُه صحيحاً سالماً عن الأمراض والأسقام لحوائج الدارين إلى أن ينقضي الأجلُ المقدّر في الأزل وأنّ الجسد لا يخلو عن الأمراض ظاهرا وباطنا وأنّها عليلة سقيمة من الطرفين .

وشرطُ الطّبيب أن يكون يعلم الداءَ والدواءَ والعلاجَ وما يَرِد عليه من الخفّة والشدّة ، وأن يكون مشاهدا بصدقه وعلمه ومتدرّسا عند عليم حكيم ومسلّما إلى يده وثيقة الشهادة بصحبة لتلك الخدمة الدختورية وإلا فدوائه داء ، وشفائه فناء ، فعليه الضّمان والقصاص بما فعله ما يخالف اصطلاح الأطباء وقانون الحكماء .

فهذه الأمراضُ الحاصلةُ في حواسّ الجسدِ وأعضائها لا يكونون إلا أيّاما قلائل في برهة إقامتها في هذه الفانية . وإنّ الصحّة والسلامة إنّما تطلب للجسد ؛ لإصلاح أمر الدارين ولإتمام

---

[14] جزء من الحديث الذي رواه البخاري رقم : 53 ، ومسلم رقم : 1599 .

ما كلّفه الله تعالى من أحكام الشّريعة ولإصلاح المعيشة الضرورية التي مبناهما عليها في هذه الحياة غير المؤبّدة .

فإذا كان علاجُ أمراض الجسد واجباً فكون علاجِ الرّوح وأمراضِه واجبا بل آكدُ وجوبا يعلم بطريق أولى ؛ لكون سفره طويلة وبرهته أبدية فلذلك لا بدّ ثمّ لا بدّ ؛ لإصلاح أسقام وأمراض حواسّ الرّوح ولإصلاح سيّد الجوارح من الطّبيب الحاذق والدّختور الصّادق الذي يعلم الداءَ والدواءَ والعلاجَ ظاهرَه وباطنَه الذي عدّله المعدّلون ، وزكّاه المزكّون ، وشَهِدَ له أهلُ العلم والعرفان بثقته وترصّده لتلك الوظيفة الوارثة من صاحب الشّريعة والطّريقة بتسليم وثيقة الشّهادة للإذن والإجازة من عليم كامل مكمّل له بصيرة روحانيّة باطنيّة وسلسلة مصطفويّة .

فالعلمُ الظّاهرُ والبصارةُ من حواس الجسماني ، والعلم الباطن اللّدنية والبصيرة من حواسّ الروحانيّة فلا بدّ للطّبيب الرّوحاني من البصيرة الرّوحانية والعلم الباطن اللّدنيّة كما لا بدّ للطّبيب الجسماني من البصارة الجسمانية والعلم الظّاهر الإعلاميّة ، فالأعمى لا يعالج والجاهل لا يعلّم ولا يدرّس .

ثمّ إنّ البصيرة الرّوحانية لا تحصُل إلا بالتّعليم والتّلقين والتّدريج والتّخليص في العبادة بالانصباع من الواصل المواصل والكامل المكمّل ، وإنّ الكامل يكمّل من اقتدى بأمره ويرشد من تخلّق بأخلاقه والحكمة والعلوم اللّدنية تنبت في القلب كما ينبت الحبّ في الأرض .

وذلك إنّما يكون بالتّواضع والعبوديّة الخالصة مع اقتداء على المرشد الكامل الذي نسبتُه متعلّقة إلى منبع العلوم سيّد الكائنات محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وإلى هذه إشارة النّبي عليه الصّلاةوالسّلام بقوله : « من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمةمن قلبه على لسانه »[15] .

---

[15]أبو نعيم في « الحلية » : 5/ 189 .

ثمّ إنّ الجسد عند أهل البصيرة الذين حصل لهم الفتوحات الإلهية بفضله ومنّه مركّب من عشر لطائف كما بيّنه مصنّف « أنهار الأربعة » منقولا عن مكتوبات الإمام الربّاني مجدّد الألف الثاني خمس من عالم الأمر ، وخمس من عالم الخلق ، فلطائفُ عالَم الأمر هي القلب والروح والسرّ والخفى والأخفى ، ولها أصولٌ فوق العرش المجيد ، ولها تعلّق بالعالم الإمكانيّ ، وقد أَوْدَعَ اللهُ تعالى تلك الجواهر المجرّدة بقدرته الكاملة في مواضع عديدة من جسد الإنسان ، فنسيت أصولها بسبب تعلّقها بالعوائق الجسماني والحظوظات النّفسانية إلى أن يتوجّه إليها شيخ كاملٌ مكمّلٌ ، فحينئذ تذكّر أصولها وتظهر فيها ميولات إليها بالجذبات الإلهيّة ترد عليها حتى تَصِلَ إلى الأصلِ ثمّ إلى الأصل ثمّ وثمّ وثمّ حتى تنتهي إلى الذّات البحت المعرّات عن الصّفات والشّئُونات ، فيحصُل لها الفناءُ الأتمُّ والبقاءُ الأكملُ .

ولطائفُ عالم الخلقِ هي : النّفس ، والعناصر الأربعة . وأصلُ كلّ لطيفة من لطائف عالم الخلق أصلُ لطيفة أخرى من لطائف عالَم الأمر ، فأصلُ النّفس أصلُ القلب وأصلُ الهواء أصلُ السرّ ، وأصلُ النّار أصلُ الخفى وأصلُ التّراب أصلُ الأخفى .

ولكلّ من هذه اللطّائف نورٌ على لون ، فنورُ القلب أصغرُ ، ونور الرّوح أحمرُ ، ونور السرّ أبيض ، ونور الخفي أسود ، ونور الأخفى أصفر ، ونور النّفس بعد التّزكية بلا كيف . انتهى ما في « أنهار الأربعة »في ص 4 .

وفي « مسيرة الحكم » ما حاصلُه هذا فراجعْه ، وعلم ممّا ذكر كون اللّطائف المودعة في الجسد نورنيا وهذه الأنوار مخفيٌّ عن ابصار العوام ولا يرى ذرّة من تلكم الأنوار المشرقة في البدن إلا الكامل المكمّل والواصل المواصل الذي تخلّق بالأخلاق الأحمديّة وتنوّر بالأنوار الإلهية بلقاء شيخ كامل ومرشد صادق الذي وصل إلى تلك المرتبة بتربية من تَعَلَّقَ نسبُه الرّوحيُّ إلى منبع الأسرار سيّد الكائنات محمّد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم .

ثمّ إنّ الكامل يرى الأنوار الباطنيّة والأمراض الظّلمانية ، وهي الرّانات الحاصلات بالعوائق الجسمانية والرُّعُونات النّفسانية كما قال تعالى جلّ جلالُه : كلا بل ران على قلوبهم ما

كانوا يكسبون [المطففين : 14] وأنّه طبيب الداء الحاصل فيها والدّختور ؛ لإذهاب الأمراض الرّاسخة في اللّطائف النّورانيّة .

فعلى العاقل الكيّس أن يجتهد لعلاج أمراضه الباطنة بطلب من يداويها ولو بتبذير المال المهيئ للحجّ .

ومعلومٌ باليقين عدمُ فرد واحد من الرّجال والنّساء مَنْ لا داء له في باطنه وليس للإنسان زمانٌ ولو قليلا لا يستويه الأعداءُ الأربعةُ ولا يأمره الأمارة يرمي عليه الأحجار وينعف عليه الرِّماح ، فهو مجروحٌ كلّ حين ، ومردودٌ باللعين عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيّئات قبائح أعمالنا وأقوالنا آمين .

وكتب الإمام الربّاني مجدّد الألف الثّاني قدّس سرّه في « الدرر المكنونات » ص 192 ج1 ما لفظه : أيها السّعيد النّجيب إنّ الإنسان إذا طرأ عليه مرضٌ من الأمراض الظّاهرة أو عرضت لعضو من أعضائه آفةٌ يسعى سعيا بليغا حتى يندفع عنده ذلك المرض وتزول عنه تلك الآفة وقد استولى عليه المرضُ القلبيُّ الذي هو عبارة عن تعلّق القلب بما دون الحقّ جلّ وعلا ، وعلى نهج كان يوقعه في الموت الأبديّ ويلقيه في العذاب السّرمدي ، وهو لا يتفكّر بعد في إزالته أصلا ،ولا يسعى في دفعه قطعا فإن لم يعلم أنّ هذا التعلّقَ مرضٌ فهو سفيهٌ محضٌ وإن عَلِمَ ومع ذلك لا يبالي به فهو بليد صرف ولأجل إدراك هذا المرض لا بدّ من عقل المعادفانّ عقلَ المعاش لقصور فكره مقصورٌ على إدراك الظّاهر لا يتعدّاه إلى بواطن الأمور فكما أنّ عقل المعاش لا يدرك المرض المعنويّ أو لا يراه مرضا بواسطة ابتلائه بالتّلذذات الفانية وانغماسه فيها كذلك عقل المعاد لا يحسّ الأمراض الصّورية ولا يعدّها أمراضا بسبب رجائه المثوبات الأخروية عقل المعاش قصيرُ النّظر وعقلُ المعاد حديدُ البصر عقل المعاد نصيب الأنبياء والأولياء عليهم الصّلاة والسّلام عقلُ المعاش مرغوبُ الأغنياء وأرباب الدنيا شتّان ما بينهما .

والأسباب المحصّلة لعقل المعاد ؛ ذكرُ الموت ، وتذكّرُ أحوال الآخرة ، ومجالسة ُقوم تشرّفوا بدولة فكر الآخرة ، شعر :

دلائلك يا هذا على كنز مقصد *** فإنّ أنا لم أبلغ لعلّك تبلغ

فينبغي أن يعلمَ كما أنّ مرضَ الظّاهرِ مُوجِب للعسرة والتّعب في أداء أحكام الشّريعة كذلك مرضُ الباطن أيضا مُستلزِم لذلك قال الله تبارك وتعالى : كبر على المشركين ما تدعوهم إليه [الشورى : 13] ، وقال سبحانه وتعالى : إنّها لكبيرة [سورة البقرة : 45] .

والمستلزمُ لذلك العسر في الظّاهر ضَعْفُ القُوى والجوارح ، وفي الباطن ضعفُ اليقين ونقصُ الإيمان وإلا فليس في التّكاليف الأصلية عسرٌ أصلا بل فيها كلّها تخفيفٌ وتمامُ اليُسْر والسُّهولة ، وقوله تعالى : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [البقرة : 185] ، وقوله تعالى : يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا[النساء : 28] شاهدان عدلان لهذا المعنى ، شعر :

ما ضرّ شمسَ الضُّحى في الأُفقِ طالعةً ** أن لا يرى ضوئَها من ليس ذا بصَر

فكان إزالة هذا المرض لازما والالتجاء إلى الأطباء الحذّاق فرضاً ما على الرّسول إلا البلاغ . والسلام والإكرام ، تمّ ما في « الدرر » ، وأمثال هذه في مصنَّفات أئمّة الصّوفية في حقّ إصلاح الباطن وعلاج أمراض القلب كثيرةٌ جدّا فليراجع .

ثمّ إنّ من يتشيّخ ويسعى في علاج بواطن العوامّ مع كونه لا يطّلع على الأمراضِ الباطنةِ ، ولا يعلَمُ الداءَ والدواءَ والعلاجَ كمَنْيداوي النّاس وهو مريضٌ فضررُه أشدُّ بدرجات مِن ضررِه ، فيجب على من له عقلٌ سليمٌ أن يتفطّن فيما ينفعُه ويضرُّه ، وأن يفارِقَ بين الحقّ والباطل ، هذا .

وحاصلُ هذا الباب أنّ الشّيخَ الكاملَ يجوزُ أن يجيز للنّاقِص بتعليمَ الطّريقة للطّالبين ، وغرضُه من ذلك أن يبلغ الكتاب الأجلّ باجتماع أهل الذّكر كما أجاز بهاءُ الدين نقشبند ليعقوب الچرخي قدّس سرّه قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ما وَصَلَ منّي إليك فلْيَصِلْ إلى النّاس ، ثم تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشّيخ علاء الدّين ، وينبغي أن يعلم أنّ النّقص

وإن كان ينافي الإجازةَ ؛ لما فيه من ضرر الطّالبين لكن لمّا صَدَرَ من كامل مكمّل . . يكون هذا نائباً منابَه ، ويكون يدُه يدَه فلا يتعدّى ضررُه .

وأما الأخذُ من الشّيخ النّاقص لم يأذن له الشّيخُفي التلقين والإرشاد . . مضرّ للطالبين كما هو مذكور في الكتب كـــ « الإبريز » وغيره فراجعه ، هذا عين ما في « البروج المشيّدة » .

ثمّ إنّ الشّيخ النّاقص المجاز له من الشّيخ الكامل فله إمكانٌ أن يكمّل من غيره الكامل المكمّل بالملاقات الجسمانيّة وبالملاقات الرّوحانيّة في عالم السّير إلى الله تعالى .

وإنّ النّاقص يبلغ إلى الدّرجة التي يصاحِب روحانيّته مع أرواح الأحياءِ والأمواتِ في ذلك العالَم ، وكذلك من أجاز له النّاقصُ لا فرق يجتمع روحانيّتُه في العالَم المذكور ، وذلك العالم عالم اللّاهوت ففي تلك العالَم يحتمع أرواحُ المشايخ من الأحياء والأموات ، فإذا اجتمع روحانيةُ النّاقص مع روحانية الكامل في تلك العالم المذكور . . يربّيه إلى أن يكمُلَ ويبلُغَ مَبْلَغ الرّجال ودرجةَ الكَمال بحيث يصحُّ للرّابطة على نفسه ؛ كما وقع ذلك لأبعاض وخواصّ أئمّة الصّوفية ، فإقامتُه للمشيخة الحقيقيّة من شيخه الكامل أو النّاقِص الّذي اتّصل نسبُه بالنبي عليه الصلاة و السّلام هي حجةٌ قويّةٌ ؛ لوصوله إلى درجة الاجتماع مع الأرواح في عالم السّير .

وإنّ السّادات المسلسلة بالنّبي هم الثّقاةُ فشهادتُهم حجّةٌ تامّةٌ للثقة بكماله .

وفي « الحدائق الوردية » ما لفظه هذا : اعلم أنّ الإمامَ بهاء الدّين الشّاه نقشبند أَخَذَ الذّكر الخفيّ عن روحانيّة الشّيخ عبد الخالق الغُجْدُوَاني ، ولم يجتمع معه في عالَم الأجسام ؛ لأنّ بين الإمام بهاء الدين والإمام عبد الخالق الغُجْدُوَاني قدّس الله سرَّهما العزيز خمسُ وسائط من رجال السّلسلة العليّة ؛ كما مرّ آنِفاً ، وكذلك الشّيخ أبو الحسن الخِرْقَانِي المتقدّم ذكرُه أَخَذَ الطّريقة المرضيّة عن روحانيّة الإمام أبي يزيد طيفور عيسى البَسْطَامِي قدّس الله سرّه العزيز ، وذلك في ظهوره له في عالَم السّير إلى الله تعالى ، فإنّ الرّوحانياتِ تجتمعُ في ذلك كاجتماعهم في المنام وبعد الممات ، وهو عالم اللّاهوت الخارِجُ عن عالم الأجسامِ ، وأرواحُ الخلق كلُّهم الأحياء

والأموات في ذلك العالَم منهم من يدبِّر الله له جسما في عالم الأجسام وهم الأحياء ومنهم من لا يدبّر اللهُ له شيئا من الأجسام وهم الأمواتُ ، ومن لم ينفخ فيه الرّوح ولم يسو جسمه إلخ .

وكلٌّ مَنْ أَخَذَ عن الرّوحانيّات يسمّى أُوَيْسِيا في اصطلاح ساداتنا النّقشبندية قدّس الله أسرارهم العلية .

ثمّ اعلم أنّ هذه النّسبة الرّوحانية عند العارفين بالله تعالى أقوى اتّصالا من الجسمانية ؛ إذ هي من علامة كرامة الحقّ عزّ وجلّ لعبده ، فإنّ من اصطفاه لنفسه تعالى أَذِنَ لروحانيّة أحد أحبابه بتربيته ؛ كما وقع لأكابر أهل الله تعالى فإنّ خَتْمَ الأولياء المحمديين الشّيخُ الأكبر محي الدين ، والعارف الكبير الشّيخ عبيد الله أحرار ممّن ربّته روحانيّة عيسى عليه السّلام والغوث النّقشبند ربّته روحانيةُ الإمام عبد الخالق الغُجْدُوَاني ، والإمام الربّاني ممّن ربته روحانيّةُ أمير المؤمنين عليّ رضي الله فاتّصالُ يدِهم بهم اتّصال روحانيّ وهو أقوى من الجسماني ، ولذلك كانت السّادات النّقشبندية تخصّ هذه السّلسلة بالذّكر في التّابعين دون بقيّة السّلاسل علماً بأنّ اتّصال الأرواح أشدُّ من اتّصال الأشباح إلخ تمّ عين ما « الحدائق الوردية » اختصارا ص 15 .

وفي « جامع الأصول » : اعلم أنّ لكلٍّ من الأولياء خصوصيّة وهمّة في الحياة والممات كَنَقْش الحقيقة والإلقاء في بحر الوحدة والفناء والاستغراق لشاه نقشبندي محمّد بهاء الدين ، وقوّة التّصرّف والإمداد لعبد القادر الجيلاني ، وقوّة العلم والواردات لعلي أبي الحسن الشاذلي إلخ ، وكلّ قوم بما لديهم فرحون .

قال عليّ القرشي : رأيت أربعة من المشايخ يتصرّفون في قبورهم كتصرّف الأحياء ؛ الشيخ عبد القادر ، والشيخ معروف الكَرْخِي ، والشيخ عقيل المنجي ، والشيخ حياة بن قيس الحراني إلخ .

وقال شمس الدين الحنفي : إنّ الله تعالى قد أطلعني على مقام عبد القادر ، وعلى مقام أبي الحسن الشاذلي ، فوجدت مقام أبي الحسن الشاذلي أعلى من مقام عبد القادر قال ذلك ؛ لأنّ سيّدنا عبد القادر سُئِلَ يوما ، فقيل له : سيّدي من شيخُك ؟ ، فقال : أما فيما مضى . .

فكان سيّدي حماد الدّباسي ، وأما الآن . . فإنّما أستقي من بحرين بحر النبوّة وبحر الفتوة يعني : ببحر النّبوة النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، وببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال سئل سيدي أبو الحسن الشّاذلي فقيل من شيخك ؟ ، فقال أمّا فيما مضى . . فكان سيّدي عبد السّلام بن مشيش ، وأمّا الآن . . فأنا أستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية ، أمّا السماوية . . فجبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، والرّوح ، أما الأرضيةُ . . فأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والنّبي عليه الصّلاة والسّلام إلخ تمّ ما في « جامع الأصول » ملخّصا ص5 .

ثمّ إنّ الشيخ محمود أفندي الألمالي الأستراخاني قدّس سرّه كمّله الشيخ الأكبر هاشم اليمشاني كما ذكر قبل بالملاقات الجسمانية والصحبة الحقيقية ، وقال قدّس سرّه على الخلفاء والمريدين بالرابطة على نفسه بعد كماله بالتّربية الجسمانية والرّوحانية .

وإنّما قاله شيخنا وشيخ مشايخنا خالد البغداديّ بعدم الرّابطة على غيره وبعدم الإجازة إلا بإذنه يصحّ أن يكون بأن لم يكن في زمن قبضته من يصحّ للرّابطة بل يصحّ أن يكون تأدّبا عند أئمّة النّقشبندية العليّة فبعد موته وموت خليفة إسماعيل يصحّ أن يحصُل الكمالُ لخلفائهم كم ترك الأوّلون للآخرين .

ويصحّ الاختلافُ والاجتهادُ في اصطلاح أئمّة الصّوفية ؛ كما يصحّ لأئمّة الشّريعة فلكلّ قوم اصطلاح ، ولكلّ مقام مقال ، ولكلّ مقال مقال ، وأخرى ففي عصرنا هذا من يدّعي انقطاع الطّريقة النّقشبنديّة وليس في الكتاب ولا في السّنّة ولا في آثار الخلف والسّلف ما يكون حجّةً لذلك فللطّريقة النّقشبنديّة وعدم انقطاعها حُجَّةٌ قويّةٌ ، وهي الآثار والأمداد الحاصلة من المترصّدين لتربية المريدين بحصول آثار الأذكار ، وتبديلها بالنّتيجة الحاصلة وفْقَ اصطلاح أئمّة الصّوفية وبوصولهم إلى المراقبات والمشاهدة بحيث يصيّرونهم من الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ومن الذين إذا رؤوا ذكر الله ، ويبلغهم إلى الولاية الصّغرى والكبرى ، فمنهم من بَلَغَ إلى المراقبات وحصل لهم الفناءُ الأتمُّ ، ومنهم من بَلَغَ إلى المشرب المحمّديّ ، فلو لم يكن

سلسلتهم متّصلة بالنبي الكريم . . لم يحصل لأحد من المريدين آثارُ الغيبة والفناء والاستهلاك ، ولم يرتقيهم إلى المقامات العليات من الولاية الصغرى والكبرى .

ثمّ إنّ المرشد الكامل نبيٌّ الوقت ونائبُ الرّسول ، وإنّ السّادات الكرام هم مياذيب الفيوضات الرّبّانيّة الواردات من منبع الفيض والمدد ، فإذا انقطع الفيض الإلهي . . لا يحصل الكمالُ ، ولا يبلُغ مَبْلَغ الرّجال ولا يرتقي إلى المقامات .

وإنّ الطريقة هي طريقةُ السّير إلى لله تعالى ، فالمسافرُ إذا سرى لا بدّ له من انقطاع الأماكن وإنّ من يدور مثل الرّحى ؛ لا يصل إلى ما رجا ، فساداتُ الطّريقة العليّة الخالصة يألفون المريدين في السّير والسّلوك بالتّدريج يوما فيوما فيصبغونهم بحيثُ يحصُل لهم صبغةُ الله ؛ كما كان النّبيّ عليه السّلام في أوّل الإسلام يدعو الناس إلى الإسلام بالتّدريج فذا مبسوط في الكتب فراجع .

وأخرى فمن العلماء من يدّعي بعدم الحاجة إلى الطّريقة وكون ما يفعلون أهل المتصوّفين من أوراد الطّريقة وتربية المريدين وتلقين الأذكار ما لا طائل فيها ، ولا أصل لها وإنّ الشيخ المرشد مفقودٌ . . فهُمُ الذين طَمَسَ اللهُ بصيرتهم ، وقسى الله قلوبَهم فضررُهم في الدّين أشدّ ضررا من الكافرين : يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواهم [التوبة : 32] الآية .

فإنّهم يفترون بأنفسهم ويغترّون من تبعهم ثمّ إنّهم يخالفون أمر الله سبحانه و تعالى ، وقال جلّ جلاله :يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا[الأحزاب : 41] ، وقال تعالى : ولذكر الله أكبر[العنكبوت : 45] ، وقال : فاذكروني أذكركم [البقرة : 152] ، فالمترصّدون للمشيخة لا يلقّنون إلا الأذكار ظاهرا وباطنا ولا يأمرون المريدين إلا بطرد أنفسهم عن المنهيّات واتّباع الشّهوات .

ولا يطيق الذكرُ الكثيرُ على وفق الأمر إلا مَنْ دخل في تربية المشايخ الكرام ، فذا معلومٌ مشهورٌ لدى كلّ من دخل في دائرتهم بالعيان .

وكتب العالم العابد الزاهد العارف بالله عبد اللّطيف الحُزِيّ إلى أبيه الكريم من بخارى هذا الكتاب المذكور بعدُ وعبارته بالتّمام رقمتُ في هذه الكرّاسة لتكون تبصرةً لأهل الأدب والإنصاف ولتكون حجّةً على من يعانِد أهل الله أهل العلم والعرفان .

وهو هذا :

إلى الأب السّعيد محمّد[سلام الله تعالى][16] ، لا يخفى عليك أنّ الوقوفَ بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة مع عظمته وجلاله أمرٌ عظيمٌ يتلاشى عنده كلُّ عظيم حتى الجحيم والحميم ، فينبغي للمؤمن أن يستعدّ لذلك استعدادا تامّا بادّخار ذخيرة من الذخائر الجالبة لمرضاته سبحانه وتعالى ، وأعظمُها ذكرُ الله عزّ وجلّ ؛ لأنّه الكنز المُطْلَسَمُ ومغناطيس كلِّ خيرٍ دنيوي وأخرويّ ، ومن ثمّ قال تعالى عز وجلّ : **ولذكر الله أكبر** ، وبيانُه أنّ قلبَ الإنسان مشحونٌ بالدّسائس الخفيّة والنّجاسات المعنويّة المانعة عن معرفة حضرة الله القدسي ، فإذا ذكر الله سبحانه وتعالى يزُول كلُّها أو بعضُها فينعكِسُ إلى القلب بعضُ أشعة معرفة عظمة نور الإله اللامثلي جلّ جلالُه ، فيحصل له الخُشوعُ الحقيقيُّ في الصّلاة وغيرها ، فذكرُ الله سبحانه وتعالى أكبرُ الطّاعات وأساسها لكن يشترط كون الذّكرِ كثيرا كما قال سبحانه وتعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكرو الله ذكرا كثرا ، ولا يطيق الذّكر الكثير إلا من دخل في تربية المشايخ ، ألا ترى أن من لا يطيق ذكر الله سبحانه وتعالى إلا ألف مرة يذكُر الله سبحانه وتعالى في مجلس واحد قبل أن يقوم من مقامه نحو ثلاثين ألفا إذا تعلّق بواحد من المشايخ ، ومن ثَم اتّفقت الكلمةُ على المذاهب الأربعة علىأنّ التّلقين ، وأخْذَ العهد فرضُ عينٍ على كلّ مسلم ومسلمة ؛ لأنّ ما لا يتمّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ ، ولعلم كمال المرشد ميزانٌ حَسَنٌ وهو أنّه إذا أخذ عليه الذّكر فإن أطاق الذّكرَ الكثير ، وحصل له جذبة لذيذة . . فهو الشيخ المرشد وإلا فهو ليس بشيخ مرشد مربٍّ للسّالكين ، فحينئذ يجوز تركُ ما أخذ من الورد كما نَطَقَ به نصوصُ الأئمّة ألا ترى أنّ

[16]من نسخة أخرى من رسالة العلامة عبد اللطيف الحُزِّي رحمه الله تعالى .

الشّيخ ابن حجر والرّملي والشّربيني وغيرهم لم يطيقوا الذّكر الكثير مع كونهم أئمة ، فاحتاجوا لأخذ الأوراد عن الشائخ .

ومن العجائب أنّ الشّعراني مع كونه إمام العلم الظّاهر ومجتهد الفتوى[17] احتاج لأخذ العهد عن الأمّيّ الذي لا يكتب ولا يقرأ وهو علي الخواصّ البرلسي ، وكذلك سلطانُ العلماء شيخ الإسلام عزّ الدّين بن عبد السلام الذي هو معتمد ابن حجر احتاج لأخذ العهد مع كونه مجتهد المذهب ؛ لعدم طاقته الذّكر الكثير ، فهذا عادة الله تعالى جَرَتْ في الذين سلفوا ، فعلى هذا يجب عليك أيّها الأبُ الرّشيدُ أن تتفطّن لهذا الأمر المهمّ ، وأن لا تتهاون في حقّه ولا تغترّ بالذين لم يذوقوا حلاوة فإن السّعادة الإنسانيّة منوطةٌ بها ، وأفلاكها دائرة على مركزها فإن كُنْتَ في شكّ من هذه فعلّقْ نفسَك بواحدٍ من المشايخ ، فإن لم تقل . ضاع عمري العزيز إلى الآن بعدم ذوق هذه اللّذّة العجيبة ، فأنا كاذب في جميع ما ذكرتُه في هذه الصّحيفة وإلا فإلى وحتى ؟! وأمّا الذين يقولون أنّ التّلقين لا أصْلَ له ، وأن الشّيخ المرشد مفقودٌ فهُمْ الذين طَمَسَ الله سبحانه وتعالى بصيرتَهم فضَرَرُهم في الدّين أكثرُ من ضرر الكافرين ؛ لأنهم يمنعون الخلق أن يذكروا الله سبحانه وتعالى ويسعوْنَفي خراب المساجد يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، [التوبة : 32] الآية .

فإن أرادوا الوقوفَ على حقيقة هذا الأمر . فأنا بفضْل الله تعالى أوتيهم بأحمال بَغْلٍ من الدّلائل العقليّة والنّقليّة النّاطقة بحقيقة هذا الأمر وفساد ما يقولونه وذكرنا سابقاً ما يتّضح به كمالُ الشّيخ المرشد ، وهو ميزانٌ صحيحٌ يجرِّب به المشايخ .

وإنما أطلقنا الكلامَ حرصاً على أخْذك العهد ولو بواسطة فتذكّر فإنّي لك ناصِحٌ أمين ، ولا تلتفتْ إلى ما يقولونه فإنّهم جاهلون والله سبحانه وتعالى شهيدٌ على ما أقول ، وسيعلم الذين

---

[17] بل مجتهد المذهب بل المجتهد المطلق ولكن كان متعبدا بمذهب الشّافعي رضي الله عنه في الظّاهر ، وإلا فالمذاهب الأربعة كانت سواء لديه وكان يعمل بالأحوط والأحوط فمن أنكر على كلامه هذا . فليراجعْ مصنّفاته من « الميزان » و« اللطائف » يجد ما ذكرتُه محقّقا والله أعلم . « شعيب أفندي الباكني » .

ظلموا أيّ منقلب ينقلبون [الشعراء : 227] ، والسلام من أحقر الخليقة عبد اللّطيف الـحُزِّيِّ طالب العلم الشّريف .

صحيفة الصفا لأهل الوفا

بسم الله الرحمن الرحيم

نعوذ بك يا ذا الكرم * بسم الصمد انفتح الهمم

و الحمد لك اللهم بما * انعمت علينا من نعم

يا رب صلاة منك على * محبوبك اسعد الحرم

و الآل و أصحابه و من * استتبعهم من ذي الهمم

يا رب صببت الفيض الى * روح و امين و الكرم

و منه الى محمدنا * فالعز لنا بالمعتصم

و منه الى الصديق و* بالسلمان و قاسم السنم ا

و بجعفرنا ذي النسبين و* الى الطيفور المختتم ب

و ابي الحسن و اب لعلي و *الى يوسف المحترم ج

و بعبد الخالق ثم العارف* ثم الانجير الشيم د

و برامتني و الى البابا و* بسيد كلال الكلم ه

و منه الى الشاه النقشي و* الى العطار المستلم و

و بيعقوب و باحرار و* الى الزاهد المنتقم ز

و بدرويش و بخواجكي و* بشيخ الباقي البكم ح

و الى احمد الفارقي و* الى معصوم المعتصم ط

و الى السيف و بسيدنور و* الى المظهر المقتحم ي

و الى عبد الله الديلي و* بمولانا عين الحكم ك

و الى عبد الله المكي* نشر الافاق في الحر م

و الى اخويه سليمان الق * قرعي و اسماعيل النسم ل

و الى زهديهما فضلا* منك لهم يا معطي الحكم

و اجعله لمن احب * بهم توفيقا ما دام الديم

الحمد لله وكفى وسلامعلى عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فهذه نبذة في إصلاح القلب سميت « **صحيفة الصفا لأهل الوفا** » .

فاعلم أن الوظائف ثلاث للمبتدئين السالكين بطريق السادات الكرام النقشبندية البهائية والخالدية الضيائية : **الرابطة الشريفة** ، **الوقوف القلبي** ، **دوام الذكر** .

الأولى أن يلاحظ المريد روحانية المرشد بين جبينيه نورا منيرا لجميع وجوده مع القلب وينتظر نزول الفيض إلى قلبه بذلك النور .

والثانية أن يجمع إدراكه وحواسه في قلبه الصنوبري والقلب متوجه مستغرق في الذات بلا مثل ولا يقصد غيره .

والرابطة مقدمة الوقوف القلبي ويلازم بهما مهما أمكن في كل زمان ومكان حتى في الخلاء . وأنفع ما في حفظ ذلك النسبة عدّ النفس يعني التنفس بلا غفلة وأسرع ما في حصول المقصود التسليم والتجرد عن الإرادة في أمر الطريقة بل في كل أمر كالميت بين يدي الغسال ، طوبى لمن كان حاله هكذا في أول مرة .

وأما الثالثة أن يفرغ قلبه عما سواه تعالى مهما تيسر ويجلس على عكس تورّك الصلاة متوجها إلى القبلة بعد صلاة الركعتين والدعاء إن لم يكن وقت كراهة ويغمض عينيه ويقول بلسانه مع موافقة القلب :« أستغفر الله » إما خمسة وإما خمسة عشر وإما خمسة وعشرين مرة ويقرأ الفاتحة مرة ثم الإخلاص ثلاثا ويهدي مثل ثوابها إلى روح إمام الطريقة وغوث الخليقة محمد بهاء الدين شاه نقشبند قدّس سرّه ويستمدّ منه مدة ويلصق لسانه بالدماغ ويتفكر الموت والغسل والقبر والمحشر وأهوالها بالعبرة ويتوجه بعد رابطة المرشد مع الوقوف إلى قلبه ويجري اسم الذات في قلبه « **الله الله** » ويعده بالتسبيح ويقول بقلبه في ابتدائه و في كل مائة عدد أو في خطرات :« **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** » . وإذا أخذه استغراق ولو بشعور يتبع له حتى فرغ منه من غير تكلّف ذكر ، وإذا فرغ اشتغل به ، وإذا غلب عليه نوم أو غفلة أو كسلان فيترك فيها ويذكر وقت نشيط ويستفيض بعد ختام الذكر مدة يسيرة مع الوقوف إذًا تفيض أمور عزيزة وإن لم يفهمها ويكون محل الذكر خاليا عن النظر ويسد الباب وأظلم المحل أنفع جمعا والحاصل يحفظ حاله وباله ولا يشبه الناس في الحضور والوقوف ولو كان مشابها لهم في الصورة . ولا ينقص ورده في الليل والنهار من خمسة ألاف, والزيادة عليها مطلوب وإن كثر .

ومن الأركان التوجه وهو أن يلاحظ قلبه تحت قلب المرشد يسيرا ولطائفه كذلك إنأهل لطائف وينتظر بواسطته الفيض ولو أهل نفي إثبات كذلك وان سبح المرشد فاتبع قلبه أو لطائفه دويّ تسبيحه مع الوقوف .

ومن المهمات ختم خواجكان قدس سرهم ويكون محله مسدود الباب ومستورا عن الناس, وشرطه بعد الرابطة والوقوف مراعة الأعداد المعينة, وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمد منهم بحصول المقصود .

ومن الأعمال والآداب . واعلم أن النية اوالحضور شرط لكل عمل يقصد به القربة . إن كان العمل فرضا أو واجبا ينوي به امتثال أمر الله واتباع نبيه ويشرع لله ، وإن من السنن الرواتب والمستحبة فينوي اتباع النبي والسلف الصالحين كذلك ، وإن من ضروريات البشرية كالأكل والشرب وغيرهما ينوي التقوى على الطاعة .

ومنها دوام الوضوء والطهارة وصلاة الشكر والاستخارة قبيل الإشراق والإشراق والضحى والأوابين والتهجد ، وإن ضاق الوقت كفى الركعتان في الكل وإلا فبالمشروع الواسع ويعمل بتلقين المرشد في الأمور كلها إلا الفرائض والواجبات والسنن, ولا يقلّد عمل الشيخ من غير تلقين له ويستقيم فيما لقن له ولا يحدث رؤياه وخطراته بغير مرشده إلا إياه, ولا يطلب منه تعبيره وتأويله . إن أمر بشيء فيلازم عليه ويحافظ الأوقات الفاضلة بالذكر أو الوقوف فقط وهي من طلوع الفجر إلى إشراق الشمس وبعد العصر وبين العشائين ولاسيما نصف الليل ووقت الانبساط . ولا بدّ له أن يعرف قبضه وبسطه ، وإن كان البسط غالبا فيشكر الله ، وإن كان القبض غالبا فيستغفر الله ويلازم الرابطة والوقوف والحال ، إنّ القبض نعمة فإنه منبئ عن الغفلة . وبعد حلية الأكل والشرب واللبس أن لا يكون منفوسا ولا معمولا بيد تارك الصلاة ولا بيد المنكر على الطريقة مهما أمكن .

والأدب في زيارة القبور إن كان صاحب القبر نبيًّا من أنبياء الله عليهم السلام أو أصحابا, يقوم في وجاه القبر يبتدأ بالصلاة والسلام أوالسلام فقط ويقرأ الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثا أو إحدى عشر مرة مع الصلاة على النبي عليه الصلاة السلام ويستمد منهم متوسّلا بشيخه إليهم وإن كان مثل الشيخ باستئذانه منه يستفيض منهم ويقصر الأعمال كلها لله تعالى ولا يستعيض منه تعالى شيئا من أحوال الدنيا والآخرة وإن أعطى شيئا من فضله فيشكر له .

والآداب مع المرشد كالآداب للأبوين بل كالآداب للنبي صلى الله عليه وسلم والمرشد أحق من الأبوين ولا يغر بإلتفاته الصوري ولا ينفعل بزجره ويجتنب غاية الاجتناب عن منكر الطريقة والدخال وصاحب قيل وقال بل عن كل متشيخ ومتشبه معطل يتكلم كلام الصوفية قدس سرهم بمقتضى عقله وباحث عن الأحوال . ولا بأس أن يجلس يسيرا مع من يعرف عجزه ويشتغل بحاله ويصاحب بإخوان المتماثل في الحال والمقام ولا يبحثن في ذات الله تعالى ولا في صفاته العالية ولا من القدر بل رضي حكمه وداوم بحضوره وحبه تعالى .

وهذه المذكورات ملخص كلام السادات فاعتبروا يا أولي الألباب ولا يحصل المقصود إلا بالآداب .

واعلم أن هذا العلم ليس علم السطور بل كان علم الصدور فلازموا صدور أهله بحسن الأدب أيها الإخوان أرشدكم الله جميعا . عليكم بالأربعينيات التي هي منهج الأنبياء والمرسلين وسنة الله من قبلهم وطريقة السلف الصالحين وإكسير محض لانحلال عقود العناصر والطبائع وترياق المحو ومدفعة الظلمات .

ويداوم الصلوات الشريفة التي أمر بقراءتها مولانا قدس سره فإن نفعها كثيرة ويقرأ عقيب كل فرض هذه الصلاة : **اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وصحبه ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وصحبه ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين ، إنك حميد مجيد ، وكما يليق بعظم شأنه وشرفه وكماله ورضاك عنه وما تحب وترضى له دائما أبدا عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضا نفسك وزنة عرشك أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، وسلم تسليما كذلك وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى أهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين .**

وكذا عقيب كل فرض ثلاث مرات : **اللهم صل على سيدنا محمد بعدد كل داء ودواء وبارك وسلم عليه وعليهم كثيرا** وفي الثالث يضمها الآتي كثيرا **وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .**

وكذا في الصبح والمساء عشر مرات : **اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك وعدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك .**

وكذا في الصبح والمساء ثلاث مرات : **صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، عليه وعليهم السلام ورحمة الله** وبركاته .

وكذا يوم الجمعة ألف مرة : **اللهم صل وسلم على شفيعنا محمد وعلى آل محمد** .

ومن كان حنفي المذهب يقرأ بعيد السنة الراتبة الأخيرة ، فإن الفصل بينها وبين الفرض مكروه . وقرأة السلسلة الشريفة مستحبة ويقرأ النظم الأول للتشكّر والثاني للتوسّل .

هذه السلسلة الشريفة البهائية الضيائية للتوسل

عياذا به الحي الذي واحد القهار

و نرجو الرضا بسم الذي اعظم الاسرار

فحمدا لك اللهم ارسلتنا النبي

صلاة مع السلام منا على الاخيار

و اتبعتناه ثم من بعده ولى

فثبت و رضنا الى غاية الدوار

بجاه ضياء الدين خالد مولينا

و اخلافه و السالف الامجد الابرار

و عبد الله و حبيب الله و النور

و سيف و معصوم و احمدنا المختار

و باقي و خوجكي و مولينا درويش

و شيخه زاهد و عبيده الاحرار

و يعقوبنا و العطار و الشاه النقشي

و سيد و البابا و على ذي الاسرار

و محمودنا و العارف ثم الغجدوي

و يوسف ثم ابي علي ذي الافكار

و ابي حسن ثم مولينا الطيفور

و جعفرنا و القاسم مظهر الانوار

و سلمان و الصديق و محمدنا

و جبريل و الله الذي ماجد الستار

الهي و كملنا و اختم بجاههم

بما يرضيك مولى الموالى و يا غفار

تم اتماما و رسما كتابا طاب تاريخا و بدأ لبابا

و السلام على من استهدى

و اتبع الهدى و اهتدى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لكتابه وفضّلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه ويستجلب المرغوب من رضائه ويستعطف المحزون من عطائه وجعلنا من الشاكرين لنعمائه والعارفين لآلائه ، وصلى الله على رسوله المصطفى ونبيه المجتبى وعلى آله وعترته الطيبين الطاهرين وأصحابه وأمّته أجمعين .

وبعد :قال شيخ المحققين وحبر المدققين والمصدّقين وأرباب المشاهدين بأنوار الله والعارفين بذات الله : لما رأيت همم الطالبين المتصوفين الذين رزقهم الله الفهم في المعرفة والأدب في العلم واللحظة في الحكمة والنظر في الحكم واجتهاد المجتهدين في ذات الله أردتُ أن أوضّح سلسلة المصنوعات بالكشف الحالي وبالإلهام الربّاني : فسلسلة خلق الأشياء **ثلاثة** : **أوله** سلسلة خلق أرواح الإنسان **والثاني** سلسلة خلق أرواح الملائكة و**الثالث** سلسلة خلق الكائنات

و أما سلسلة أرواح الإنسان : **فأوله روح محمد صلى الله عليه وسلم** خلقه من نوره كما قال الله تعالى بلسان القدسي : « **خلقتُ محمدا من نور وجهي في عالم اللاهوت في أحسن تقويم** » [1] ، وهو الوطن الأصلي للروح وهي حمة ربانية روحانية سلطانية قدسية في عالم اللاهوت كما قال الله تعالى : ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ ، ثم خلق الله أرواح المرسلين المقربين من نور محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم خلق الله أرواح الأنبياء العام من نور أرواح المرسلين ثم خلق الله أرواح أولياء أخص الخواص[2] من نور أرواح أنبياء العام ثم خلق الله أرواح أولياء الخاص من نور أرواح أخص الخواص ثم خلق الله أرواح أولياء العام من نور

---

[1] أي تحصين أي تصوير وهي اسم حجلة الانس في عالم اللاهوت « بيان الأسرار »

[2] أخص الخاص

أولياءالخاص ثم خلق الله أرواح المؤمنين العاصين من أرواح أولياء العام ثم خلق الله أرواح المشركين من وجه جلال روح العاصين ثم خلق الله أرواح المنافقين من أرواح المشركين وهم في الدرك الأسفل من النار كما قال الله تعالى : ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾ فهم آخر سلسلة الإنسان

ثم سلسلة أرواح الملائكة : أوله روح جبرائيل خلق[3] الله من نور روح المرسلين ولذلك جعل وسيلة للمرسلين بالعلم والوحي ، ثم خلق الله الملائكة الجبروتية من روح جبرائيل ثم خلق الله الملائكة الملكوتية من نور الجبروتية ثم خلق الله الملائكة الملكية من نور الملكوتية ثم خلق الله الجان من نور جلال الملكية كما قال الله تعالى : ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾ ثم خلق الله الجن وهو إبليس وذريته من نار الجان وهو أسفل سلسلة الملائكة ولهذا يدخل تحت الأمر للملائكة بالسجود لآدم كما قال الله تعالى :« **وإذ قلنا للملائكة أسجدوا فسجدوا الا إبليس كان من الجن** », و أما الجن الذين في قوله تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ ، فهم من ذرية آدم خلق الله من نطفة آدم عليه السلام باحتلام وراء القاف في مفازة[4] كما قال الله تعالى : ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن . .**﴾ **إلى** ﴿**أحدا** ﴾

ثم سلسلة خلق الكائنات : أوله در من درّ دري نور محمد صلى الله عليه وسلم, وهو بقية عرقه حين تجلى الحق إلى حبيبه فكان الدرّ معلقا في الهواء ثم نظر الله إليه بنظر الحياء فذاب الدر و بقيت ذلك الدر الصخرة المباركة فكان بحرا معلقا في الهواء, ثم نظر الله اليه ثانيا بنظر العشق فغلى البحر غليانا شديدا فصعد منه دخان وزبد فخلق الله السموات وما فيها من الحور العين والجنان والغلمان والشمس والقمر والنجوم وما فوقها إلى العرش والسدرة من دخانه لأنه كان صافيا من الكدورات ، ثم خلق الله الأرضين وما فيها من حشرات الأرض وما تحتها إلى الثرى من زبد البحر, وهذا البحر الآن معلق تحت الثرى لا يعلمها إلا الله حقيقته كما قال الله

---

3 لعله خلقه

4 مفازات

تعالى : ﴿**منه آيات محكمات . . لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾ أي المتصرفون في باطن العلم بالله وكما قال : ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**﴾ قدرا معلوما لمن أراد من بين الأنبياء والأولياء

فأصل الأشياء كلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : « **لولاك لولاك يا محمد لما خلقت الأفلاك** » ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أنا أولكم وآخركم و شفيعكم** » أي آخره, وهو رحمة للعالمين لبعضهم بالرحمة الخاصة الرحمة الرحيمية ولبعضهم بالرحمة العامة الرحمانية في الدارين ولبعضهم بالمعيشة الدنياوية

الفصـــــــــــــــــــــل الأول : في بيان خلق آدم عليه السلام لمعرفته :

كما قال الله تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ أي إلا ليعرفون

وقد خلق الله أبونا[5] آدم لمعرفته من أديم الأرض فركب عناصره الأربعة بيدي قدرته ووضع فيه صفة القهر واللطف و المعرفة و العلم و القابلية كلها كما قال الله تعالى « **خمرت طين آدم بيدي أربعين صباحا** »والمراد باليدين صفتان : صفة القهر و اللطف وصفة الجلال والجمال وصفة العلوي والسفلي وصفة النوراني والظلماني الناراني ، ثم خلق الله الذرية من نطفة آدم عليه السلام كما قال الله تعالى : ﴿**وهو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**﴾ ، وكما قال الله تعالى : ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة**﴾ يعني سلّ واستخرج من صلب آدم وكان آدم ﴿**من طين**﴾ فلما خلق ذريته من نطفته ناسب حال الذرية حال أبيهم لأن الولد سرّ أبيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **الولد سر الأب** »

وكان قلب آدم عليه السلام بين الصفتين من صفات الرحمن يعني فكان أولاده أيضا مظهرا للصفتين من صفات الرحمن يعني صفة النور والنار والجلال والجمال والجنة مظهر النور والجحيم مظهر النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :« **قلوب العباد كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء** » بانقلاب جزء الاختيارية وهو النية والعزم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :« **لا ينظر الله إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم** »

مطلب مهــــــــــــــــــــم :

فيجب للإنسان تصفية صفة العلوي من السفلي في العنصرية حتى يكون أهلا للعلوي فيحتاج إلى العالم الذي يكون علمه آلة للتصفية وهو علم التصوف الذي يحصل من تلقين

---

[5] لعله ابانا

المشائخ الذي جاء من عند الله بأمر الله وبإلهام التلقين جاء من الله وبإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكميل الناقصين بولاية الخاصة على بصيرته كما قال الله تعالى : ﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الله عهدا**﴾ والآية على معنيين والشفاعة أيضا : فالشفاعة في الدنيا كون النبي صلى الله عليه وسلم والولي وسيلة وواسطة بين العباد وبين الرب عز و جل دلالة وهداية وإرشادا وفي الآخرة نجاة ورحمة ومرتبة وقربة بين يدي الله تعالى

وينبغي للإنسان أن يحصل حياة القلب بتلقين الشيخ الكامل بملازمة الذكر أولا بلسانه بضرب شديد حتى يحذف نوره في قلبه ثم يشتغل بلسان الجَنان بالخفية[6] حتى يصل إلى مقصوده كما قال الله تعالى : ﴿ **فاذكروا الله كما هداكم**﴾ إلى مراتب ذكركم وهي مقامات المعراج إلى الله في العوالم والسير في الله بالله . فهذه التصفية لا تحصل إلا بالأسماء الحسنى الباطنية فهو اثني عشر اسما في اصطلاح الأكابر يثبت في قلوب العارفين بنور التلقين كما قال الله تعالى : ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ **وفي** التلقين اثني عشر حرفا فثبت بكل حرف اسم واحد كما قال الله تعالى ﴿**أصلها ثابت وفرعها في السماء** ﴾ أي في أرض القلب وفرعها في سماء الروح وهواء الصدر

فالتلقين بمنزلة عصا موسى وقساوة القلب بمنزلة الحجر الذي كان في بني إسرائيل أخذ ثوب موسى حين الاغتسال وفرّ إلى جماعة بني إسرائيل كانوا يلتمسون أن يرى بدن موسى عريانا صحيح أم سقيم فضرب موسى عصاه فانفجرت منه اثنتي عشر عينا كما قال الله تعالى : ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرةعينا**﴾ فحصل لبني إسرائيل طهارتهم ومعيشتهم بهذا الماء وكانوا اثني عشر سبطا ، فكذا التلقين إذا ضرب على قساوة القلب يخرج منه اثني عشر اسما وهو أصول الأسماء فحصول طهارة الباطن بهذه الأسماء

[6] بالحقيقة- نسخة

حتى يكون أهلاً لمسّ حقيقة القرآن وبواطن العلوم وصولا كما قال الله تعالى : ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون**﴾

فبعض المشائخ يختار من هذه الأسماء **الأربعة الأول لتطهير العناصر** ، وبعضهم يختار **سبعة** أسماء لأن في تركيب الإنسان سبع درجات في ظاهره وسبع طبقات في باطنه بمنزلة سبع سموات وسبع أرضين كما قال الله تعالى : ﴿ **خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**﴾ فحصول التطهير بين علوي كل طبقة من سفليتها لا يحصل إلا بهذه السبعة حتى يرجع كل واحد إلى أصله

وبعضهم يختار **تسعة أسماء** لتطهير ثمانية عشر ألف عالم في وجود الإنسان علوياتها من سفلياتها فيخرج تفاسير علوم العلويات من خزائن الحضرات الإلهية من لب التوحيد ويكون العارف أهلا للقربة بهذه العلوم وهو يحصل بملازمة[7] أسماء التوحيد بلسان السر في سر الإنسان **وهو ثلاثة أسماء : أوله** للمبتدئ, **والثاني** للمتوسط, **والثالث** للمنتهي . فحظ المبتدئ من أهل القربة نسيم القربة وحظ المتوسط رؤية الله في مقدار أسبوع مرة وحظ المنتهي رؤية عكس جمال الله تعالى في كل لحظة من صفاته في الدنيا وأما ذاته ففي الآخرة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة فيراه بنوره إن شاء الله تعالى فهذا نصيب الأنبياء والأولياء المصدقين المحققين في أخصّ الخواصّ لأنه فنَوا عن البشرية النفسانية وهذا الفناء فناء في الفناء وهذا حقيقة معنى الفقر

والفقر ثلاثة أحرف : فاء وقاف وراء ، **فالفاء** عبارة عن فناء صفة البشرية السفلية وبقاء صفة القدسية العلوية التي تكون مرآة صفات الله تعالى كما قال الله تعالى ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ والمراد منه التخلق بأخلاق الله تعالى أي الاتصاف بصفاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :« **إذا تمّ الفقر فهو الله** » أي لا يبقى إلا صفات الله عز وجل .

---

7 ملاحظة

وأما القاف فهو قربة إلى الحضرة بعد الفناء فإذا حصل الفناء يكون العارف أهلا للقربة في عالم القدس والأنس والحيرة والمحوية والغيبة عن الأنانية كما قال الله تعالى : ﴿**جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب**﴾ وقد أوّل الغيب بغيبة العارف عن وجوده في شهود الله والسكر والمحو والفناء وهو مقام أهل الرؤية في الآخرة

وأما الراء فهو رؤية الله في الآخرة في جنات عدن بعين البصيرة بلا كيف ولا شبيه ولا تعبير ولا جهة وبلا نطق ولا سر ولا جهر ولا مكان فبقي العارف في صفة الفناء في صورة الروح القدسي لا يعرفهم أحد غير الله كما قال الله تعالى في الحديث القدسي : « **أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم احد غيري** » .

وأما الاعوجاج في تيجانهم بصورة الدال فهو إشارة إلى اعترافهم بعيوبهم فكان أربع دالات بعدد التطهيرات دالة على رؤوسهم على اعوجاجهم في العناصر الأربعة كيلا يغيروا بالأحوال الشريفة عن أصل تراكيبهم وأيضا هو صفة العبودية في صورة الركوع على الحدّ الأعدل ومرادهم إظهار عيوبهم على عيونهم ونقصهم بين الخلائق وعرض عيوبهم بين يدي الله والله غفور رحيم غفور لمن تاب رحيم لمن مات على التوبة وندامته واعترافه وإن الله هو التواب الرحيم

وأما كون لباسهم من الصوف الأسود لأن لباس المتعزّين أسود مع أن ما فاتهم المنافع الأمر من منافع الدنيا من البنين وغيرهم مثلا فكيف لا يتعزى بلبس الأسود من فاته المنافع الأخروية من قابليات الإنسانية فأولى لهذا أن يتعزى بترك الزينة والبكاء والحزن وقد ماتوا من أكثر الناس والطفل المعنوي[8] الذي هو محروم عن الحق وأهل الله فهذه هي المصيبة العظيمة والندامة الأبدية فلن يجيء ذلك إلا بالتوحيد الخاص من تلقين أهل الله الذي كان سيره عن الله

---

[8] اي حقائق علوم الروحية الذي انفتح في القلب

وأما علم الفقر فهو حقيقة الفناء وفناء الفناء والفقر سواد الوجه في الدارين يحجب من رؤية غير الله فقد عميت عيونهم[٩] عن رؤية الأغيار في الدنيا والآخرة لأن أنوار حواسهم من نور الحق كما قال في الحديث القدسي : « **إذا أحببت عبدا كنت له سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش** » وكل هؤلاء من صفات الحق ترجع إليه ولا يضاف إلى غيره

[9] في الظاهر و الباطن

الفصـــــــــــــــــل الثاني : في بيان ابتداء إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة وإجماع الخواص من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الساعة :

قال الله تعالى في حق أصحاب الصفة : ﴿**وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها**﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** » .

سبب نزوله روي في « **بستان الشريعة** » أن عليا رضي الله عنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكا فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الوحي بقوله تعالى : ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾ مقارنا بالعلم اللدني تنبيها على أن هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ثم قعد جبرائيل مربعا كالمعلم فلقن النبي صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات

مطلب مهـــــــــــم : ثم أمره أن يلقن عليا لأنه أول من التمس التلقين ثم حضره أربعمائة من الصحابة رضي الله عنهم فلقنهم جميعا ثم قال صلى الله عليه وسلم :**"رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"**

وقال عليه السلام :**" لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى نفى من قال الله الله "**

مهـــــم : ـ يعني بالقلب الحي ـ

وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر .

مطلب مهم : فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا أما ظاهره فكما ذكرنا وأما باطنه فمن طريق الكشف والمشاهدة في النوم واليقظة فإنه صلى الله عليه وسلم هو الشاهد لصدق دعوى المشائخ بل جميع الأنبياء كما قال الله تعالى : ﴿**وجئنا بك**

على هؤلاء شهيدا﴾ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **"من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي"** ، وفي رواية **"ومن تبعني"** وكذلك لا يتمثل بصورة جميع الأنبياء

مهـــــــــــــــــــــــــــــم : وكمثل الأولياء الذين هم مظاهر اللطف ، ولا يتمثل بصورة المصحف والكعبة والجنة والحور والقصور والغلمان والملائكة والمطر والسحاب الأبيض ونحو ذلك لأنها مظاهر صفة اللطف والشيطان مظاهر القهر والاسم المضل فلا يظهر بضد من اللطف والاسم الهادي .

مطلب : وأما دعواه للربوبية فمن طريق القهر و الضلال و قد وسع الحضرات الأسمائية الجامعة **ولا يظهر أيضا بصورة الاسم الجامع نحو الله,** لأن لطفه غالب كما قال الله عز وجل :« **سبقت رحمتي غضبي** » بخلاف اسم القهر المجرد نحو المتكبر والجبار .

وحياة القلب بالعلم اللدني الملقن من حضرات العزة . وهو حاصل الحكمة الربانية في أهل السر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :« **إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمها إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به أنكروا أهل العزة** » .

وقال أبو يزيد : في العلم علم لا يعلمه العلماء وفي الزهد زهد لا يعرفه الزاهدون إلا العارفون

وإذا غلب حكم هذه الحكمة غرق العارف في بحار المعرفة وغاب عن العلوم الرسمية ودقائق أبحاثه وفروعها فبقي الأصول عندهم مما يتعلق بالفرائض العينية والسنن النبوية العملية والنوافل القريبة وأنفع الأعمال, فلا ينبغي امتحانهم بكل مسألة من علوم الدنيا وإن كان فقيها لأن قمر العلوم يتلاشى في قرب شمس التوحيد كما تلاشى نور القمر بطلوع نور الشمس و قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"أنتم أعلم بأمور دنياكم مني"**

ثم أمر الله تعالى لأهل دعوته بالحكمة فقال : ﴿ **ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ .

الآية والحديث يدلان على أن الشريعة والطريقة والحقيقة طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم :« **الشريعة**[10] **أقوالي والطريقة**[11] **أفعالي والحقيقة**[12] **أحوالي** » فيجب على المشائخ اتباع المصطفى قولا وفعلا وظاهرا وباطنا ليهدي الناس إلى الله تعالى باتباعه على بصيرة ومن خالفه فعلا أو قولا أو حالا فقد ضلّ ضلالا بعيدا

مهـــــم : وكذا من خالف المشائخ المتسنية التابعة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن شيخه في قومه كالنبي في أمته كما قال صلى الله عليه وسلم :**"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"** وقال أبو يزيد : من لا شيخ له فشيخه الشيطان .

مطلب مهم : فلا بد للمريد الصادق أن يوافق شيخه في الشريعة والطريقة فإن موافقته كموافقة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشرع في عمل وذكر إلا بإذن الشيخ من قلبه

مهم :

لأن همة الرجال تقلع جبال قساوة القلب, ويسلم نفسه إليه كالميت بين يدي الغاسل ويجاهد بإشارته معتدلا فبالمجاهدة ينفتح سد سبيل مسدود وأبواب الخزائن الرحمانية كما قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ .

---

10 شجرة

11 أغصانها

12 أثمارها

ويجب أن يتصف بأخلاق الشيخ من السخاوة والحلم والعفو وحسن الخلق والشفقة والتواضع ونحوها وبهذه المعاني

مهم :

قال أرباب البصيرة وأصحاب الحقيقة أن تربية الشيخ والأستاذ أعلى من تربية الوالدين لأن تربية الشيخ والأستاذ للقلب والروح والسر وتأديب حقيقة للحضرة الصمدية وتربية الوالدين للقلب والجمساني فحقهما أعلى من حقهما .

الفصـــــــــــــــــــــــل الثالث :في بيان وجوه السير والمقامات

فالمقام الأول السير إلى الله تعالى بالفرار من النفي إلى الإثبات ومن البعد إلى القرب حتى ينتهي إلى مبدئه الأعلى ومقصده الأقصى بشرط أن يسير إليه على الصراط المستقيم .

والمقام الثاني السير لله تعالى أي لرضائه بجميع وجوده في مراتع فضله .

والمقام الثالث السير على الله تعالى أي على قدرته وقوته الألوهية بجذبته في الظاهر والباطن بإثبات نوره وناره على كل شيء .

والمقام الرابع السير مع الله تعالى أي مع هدايته ومشاهدته ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ وبهذه الهداية ونورها يخمد نار القهر والضلالة كما قال الله تعالى: ﴿ **قل جاء الحق وزهق الباطل**﴾, يعني إذا جاء هدايته محى ضلالته وبلطفه يذهب قهره .

والمقام الخامس السير في الله تعالى أي في صفات الله تعالى من الإحياء والإماتة في القوالب والقلوب .

والمقام السادس السير عن الله أي عن سير الربوبية في باطن الأشياء كشفا وشهودا بلا اختيار تبريا من الحول والقوة إلا بالله .

والمقام السابع السير بالله أي بصفات جلاله بفناء بشريته وقهر احدّيته حتى ينتقل إلى عدميته . فيوجد بالحق الموجود الباقي المطلق الموهوب الحقاني كأنه الآن جاء من العدم إلى الوجود كيوم ولدته أمه, وحاصله تبديل الأخلاق وفناء الأحوال .

والمقام الثامن الجلوس في موضع الإفلاس بسخاوة موجوده من ماله وجوده لطلب رضاء مولاه .

والمقام التاسع التصفية أي تصفية بقية أثر العناصر ليفتح له باب القربة بعد كونه مخلصا .

والمقام العاشر الأنس في داخل الحرم وقوته نسيم القربة من نفس الرحمن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :**"إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن"** .

والمقام الحادي عشر مقام الحيرة والسكر والهيبة والغيبة بمشاهدة عظمة الله تعالى وهيبة جلاله فيغيب عن وجوده بالكلية

مهـــــــــــــــــم : قال صاحب التعريف : أشد الناس تحيّرا أعرفهم بالله

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :**"يا دليل المتحيرين زدني تحيرا فيك"** فلكونهم غائبين عن وجودهم سمّوا أهل الغيب وقد تؤول قوله تعالى : ﴿**جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب**﴾ ، بسبب غيبتهم عن أنفسهم في تصاريف قبضة القدرة وهم أولهة معشوقية حيث رأوا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

والمقام الثاني عشر مقام المحوية في طلعة الجمال الصمدي الأزلي الكمالي بعين السر في عالم اللاهوت بلا تشبيه و لا كيف ولا تمثيل ولا تعبير كما قال الله تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ وهو مقام الموحدين الفانين من تفنيتهم في عين الوحدة فليس لهم وجود في البين ثم يرتفع المرآة في الآخرة فيكشف وجه الأعظم الذي هو حاصل أمهات الأسامي وهو عين المسمى ومربوب حقيقة الحقائق وراء التعيّن الأول ووراء ذلك سر عميق لا يتسع اللسان والعقل والفهم فسبحان الله عما يصفون في عالم الخلق والحروف والأصوات والألفاظ وهو الملك القدوس الواحد الأحد الصمد الفرد الوتر الكبير المتعال فسبحان من لاغاية لعظمته ولا نهاية لكبريائه وقدرته

و يكفي هذا القدر من تتمة السلوك والسير ترغيبا للطالبين ولو لم يكن المشائخ مأمورين لما تكلموا بشيء من الأسرار عند الأطفال . ونشر العلوم والمعارف في هذا آخر الزمان أهم لانصراف الهمم عن طلب الحق ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي كلما يذكر حال آخر الزمان ويقول : **"غمّي لأجل أمتي الذين هم في آخر الزمان"** فلنا الويل لوقوعنا في ذلك الزمان ولذلك قال أكثر الأولياء : فمن يحمل هذا الحمل للعبد بين المنزلين والحالين ولم يجترؤوا على الدخول والاختلاط لخوفهم بأنفسهم ومن نجا برأسه فقد ربح وكل حزب بما لديهم فرحون .

الفصل الرابع : في بيان سلسلة المشائخ والقطبيين الذين يرثون علم الولاية من النبي الرسول صلى الله عليه وسلم كما هم النبيين في الأمم الماضية

مطلب مهم : كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"** و :**"لكل نبي نظير في أمته ونظير أمتي العلماء"** كما قال الله تعالى : ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا : **"العلماء ورثة الأنبياء"**

مهـــــــــــــــم : ثم الورثة ثلاثة أقسام : **فالعلماء الظاهرية** المحضة بمنزلة ذوي الأرحام **والعلماء الباطنية** بمنزلة ذوي الفروض **والعلماء الجامعة** للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة الأقرب فالأقرب ، القطب بمنزلة الابن الصلبي وقطب الأنبياء عليهم السلام محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم النبيين وقطب الأولياء علي رضي الله عنه لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه ثم منه إلى الحسن البصري ومنه إلى حبيب العجمي ومنه إلى داود الطائي و منه الى المعروف الكرخي و منه الى السري السقطي و منه الى جنيد البغدادي و منه الى ممشاد الدينوري ومنه إلى محمد الدينوري ومنه إلى محمد البكري ومنه إلى وحي الدين قاضي عمر البكري ومنه إلى ابي النجيب السهروردي ومنه إلى قطب الدين الأبهري ومنه إلى ركن الدين محمد النجاشي ومنه إلى شهاب الدين التبريزي ومنه إلى سيد جمال الدين ومنه إلى شيخ إبراهيم الزاهدي ومنه إلى أخي محمد ومنه إلى عمر الحلوان ومنه إلى مراهم الشرواني ومنه إلى حاجي عز الدين الشرواني ومنه إلى صدر الدين جماري ومنه إلى سيد يحي الباركوي قدس الله ارواحهم ومنه إلى يوسف الفاضل المسكري رحمة الله عليه ومنه إلى ابنه شيخ أحمد المسكري رحمة الله

عليه رحمة واسعة ومنه إلى ابنه الفاضل أبي القاسم المسكري ومنه إلى تراب الأقدام[13] أحمد الزريكراني رحمة الله عليهم وعلى من تبعهم .

[13] ومنه يُفهم كون صاحب الكتاب أحمد الزركراني فتدبّر فيا ليتني أعلم اسمه - هذه المقالة قاله حسن أفندي قدس سره قبل ان وجدت نسخة باسم مصنفه و قد وجدت و اسمه اي مصنفه الشيخ يوسف المسكري قدس سره .

الفصل الخامس : في بيان الطهارات التي يكون الإنسان بها أهلا لمسّ القرآن وباطن حقائقه كما قال الله تعالى : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾

وقال ابن عباس : يعني أقسم بنزول القرآن نجوما أي متفرقا قطعا على محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿**إنه لقرآن كريم**﴾

قال مقاتل : أكرم الله القرآن وأعزه لأنه كلامه والله متكلم بكلام واحد أزلي قائم بذاته ليس من جنس الحروف والأصوات غير متجزّ وإنما الحروف والأصوات مظاهر القرآن وقوالبه

مهـــــــــــم : وحقيقة القرآن صفة الله تعالى عريانا فلما نزل به جبرائيل كساه الله تعالى كسوة الحروف كما أن الماء إذا أخذ من معدنه يحتاج إلى الظروف لينتفع منه الناس

وقوله تعالى ﴿**في كتاب مكنون**﴾ : أي مستور في اللوح المحفوظ الذي عند الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿**وعنده أم الكتاب**﴾

وقوله : ﴿**لا يمسه إلا المطهرون**﴾ لا يمس ظاهر المصحف إلا من طهر من الأحداث والجنابةوالحيض

مهـــــــــــم : ولا يمس باطن القرآن ولبه إلا المطهرون من الأحداث الباطنة يعني لا يصل إلى صفة الله إلا من تطهر من الصفات البشرية والأخلاق الذميمة فطهر الظاهر في علم الظاهر بالماء الطاهر وطهر الباطن بالعلم الباطن الذي هو حقيقة القرآن .

مهـــم : وفي باطن الإنسان اثني عشر طورا في القلب وكل طور لعلم باطن وهو نور من نفائس موهبة[14] الله فلا بد لكل طور طهارة من خبائث الباطن النفسانية حتى يصير محلا للعلم

[14] معرفة

الباطن وهو[15] معرفة حقيقة الإنسان للقرب كما قال الله تعالى : « **إن رحمة الله قريب من المحسنين** » .

مهـــــــــــم : ولا يحصل طهارة الباطن إلا بأسماء الباطن التي يقرأها لسان القلب بعد حياته ونطقه وهي اثني عشر اسما من أصول الأسماء وحصول هذه الأسماء من تلقين الشيخ الكامل المكمل الواصل المقبول عند الله المردود بأمر الله وبإذن الرسول لتكميل الناقصين .

مهـــــــــــم : والفرق بين بعث النبي عليه الصلاة و السلام والولي أن النبي عليه الصلاة و السلام يبعث لدعوة الكفار إلى الإسلام وتكميل الناقصين بعد الإسلام الظاهر ويجب له دعوى النبوة وإظهار المعجزة .

مهـــم : والولي يبعث للتكميل الناقصين لا لدعوة الكفار حاملا لأمانة النبي صلى الله عليه وسلم ووكيلا في تصرف ولايته بنعت متابعته فالنبي صلى الله عليه وسلم مستقل بنفسه والولي تابع له محتاج إليه

مطلب مهم : ولا تطلب منه المعجزات والكرامة إلا صدق المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ابتداء وانتهاء ودائرة النبوة ختمت بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ودائرة الولاية التي هي باطن نبوية فتحت به وتختم بالمهدي .

مطلب مهم : والأسماء طرق الأولياء إلى المسمى ومنها يظهر ينابيع الحكمة القلبية

مهـــــــــــم : فأولا باللسان بضرب شديد على قسوة القلب ليخرج به ينابيع الحكمة كما خرج اثني عشر عينا بضرب موسى عصاه الحجر وهو سر كون الأسماء اثني عشر ولأن مصوّرها اثني عشر حرفا وهو **"لا إله إلا الله"** فبعد ظهور السر وظهور الأسماء يتجلى سر الأسرار

---

15 وهو معنى حقيقة الاحسان ـ نسخة

على حسب قابليات المتجلى لهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة"**

مهم : فيصير الإنسان أهلا لمسّ العلم اللدني كما قال الله تعالى :﴿ **وعلمناه من لدنا علما**﴾ فلا يتناهى علمه ، قال الله تعالى : ﴿**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي**﴾ لأن متعلقات صفات ذاته لا نهاية لها فلو كتب كل الكائنات أبد الآبدين أقلاما ومدادا وبياضا ما نفد معاني كلمة واحدة من كلمات الله وإنما يعلم الناس على قدر فهومهم لمصالح معاشهم ومعادهم وعبوديتهم وثوابهم وعقابهم ووعدهم ووعيدهم .

وأما الكمال من فائدة الكلام فالأنبياء والأصفياء والأولياء فمن أراد أن يكون صاحب هذا العلم فلا يشرك بعبادة ربه أحدا حتى يكون عارفا بالله .

مهـــــــــم : فالولي من خلص من الشرك الخفي والأخفى ، قال أهل المعرفة : الولي الذي خالف نفسه والشيطان بالعداوة وولى بوجهه وقلبه إلى الرحمن بالعبادة والمحبة . الولي ضد العدو .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **"إن في أمتي رجالا يحفظ بهم أهل الفساد وينزل الله الرحمة لأجلهم ويدفع العذاب من قبلهم فيا شوقاه إليهم ينفردون من الناس ويتعجبون من الناس وهم عند الناس مجانين وما فيهم شيء من الجنون إلا أنهم أبدال"** .

وعنه صلى الله عليه وسلم : **"ضحك أولياء الله عبادة ومزاحهم تسبيح ونومهم صدقة فإذا كان يوم القيامة يقومون من قبورهم ويتوجهون إلى العرش يقولون لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير كله لديك"** .

الفصل السادس : في بيان تبديل السيئات إلى الحسنات بالتوبة والتلقين[16]

وينبغي للإنسان أن يطلب أهل التلقين ويأخذ منه التلقين بالاعتقاد الصحيح والإخلاص حتى يبدل الله سيئاتهم حسنات كما قال الله تعالى :﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** » .

قال ابن عباس : نزل هذه الآية بمكة وكان المشركون قالوا : وما يغني عنا الإسلام وقد عدانا[17] بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا وغير ذلك فنزلت هذه الآية

قال الحسن : أبدلهم الله بالعمل السيء إلى العمل الصالح بالشرك إخلاصا وإسلاما وبالفجور إحسانا وبالزنا عفة وإحصانا

وقيل : يمحو الله السيئة عن العبد ويثبت ببدلها الحسنة وعنده أم الكتاب ، والمراد منه علم الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ **قل إنما العلم عند الله**﴾ ، وقوله تعالى : ﴿**حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة**﴾ ، أي ذات طينة سوداء ، تغرب فيها الشمس وتغيب نور الشمس بطينها ويسود الليل منه حتى تدور الشمس في مطلعها بحر صاف يظهر الشمس فيه من الطين فتطلع بنور تام ثم يجد الناس هداية بنورها على وجه الأرض لأمور معايشهم .

مهـــــــــــــــــم : فكذا شموس التوحيد التي تحصل في بواطن القلب من أنوار التلقين قد تغرب في ظلمات طينة الذميمة فلا يعرف الناس حالهم بسبب هذه الظلمات وعلاج كشفها التصفية مع التلقين في نبع بحر الحياة ويظهر وجه الشموس من تلك الظلمات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :« **كلمة الحكمة تحيي القلوب الموات كما يحيي الماء الأرض الموات** » . فإذا حصل التطهير يكون العارف عالما بعلم الله بصيرا برؤية الله مشاهدا بحقائق

---

[16]التلقين بمنزلة الذكر آلة الرجل وقلب المريد الغالب بمنزلة الأنثى والعادة الإلهية جرت بأنه لا يحصل الولد إلا باجتماع الوالدين « الغرائب » .

[17]لعله أشركنا

الأشياء في سره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :« **المؤمن ينظر بنور الله** », يعني بلا حجاب من الكائنات كما قيل : رأيت ربي بنور ربي ، وهذا النور نور شمس التوحيد لأهل التصفية .

الفصل السابع : في بيان قوله تعالى : ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾

قال بعض المفسرين : رب أدخلني في القبر بضياء الرضاء وأخرجني منه في البعث مخرج صدق بكرامة اللقاء

وقيل : إدخال المدينة وإخراج مكة سالما

وقيل : مدخل صدق أن يكون دخوله في الأشياء بالله لله لا بغير الله

وقيل : في تبليغ الرسالة أن لا يكون ميلا إلى أحد ولا تقصيرا في حقوق التبليغ وشروطه وأخرجني من ذلك على السلامة وطلب رضاك وموافقة أمرك فيه .

وقوله ﴿**من لدنك سلطانا نصيرا**﴾ يعني زيّني بزينة الجبروت ليكون الغالب عليّ سلطان الحق لا سلطان الهوى .

وقيل : أخرجني من القبر إلى الموقف بين يديك على طريق الصدق مع الصديقين

وقال جعفر : أدخلني ميدان معرفتك وأدخلني[18] عن مشاهدة المعرفة إلى شهود الذات

قال الجنيد : إلى سلطان وقهر على أعدائك

وقال سهل : واجعل لي لسانا ينطق عنك لا عن غيرك

وقوله ﴿**جاء الحق وزهق الباطل**﴾ : الحق ما كان لله والباطل ما كان لغير الله

ويقال : الحق من الخواطر ما دعى إلى الله والباطل ما دعى إلى غير الله

---

[18] لعله وأخرجني

قال الفارس : الحق ما يجمع شملك على سبيل الحقيقة والباطل ما يثبت[19] عليك أمرك ويفرق عليك

وقوله : ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ : شفاء من داء الجهل للعلماء ومن داء الشك للموقنين ومن داء النكرة للعارفين ومن لواعج الشوق للمحبين ومن داء القنوط للمريدين العاصين ﴿**ولا يزيد الظالمين**﴾ مخالفتهم ﴿**إلا خسارا**﴾ والخطاب واحد والكتاب واحد ولكنه لقوم رحمة وشفاء ولقوم سخط وشقاء كحّل بصائر قوم بالتوحيد وأغشى على بصائر قوم بسيئة محجوبا .

---

[19] لعله يشتت

الفصل الثامن : في بيان النصيحة للسالكين

ويجب للسالك أن يكون ظاهر أفعاله وأقواله بآداب الشريعة والمعرفة حتى يحصل الحقيقة وعلامة أهل الحقيقة أن يكون أفعاله وأقواله بآداب الشريعة وملاحظته في قلبه بأسماء الطريقة ويكون في فؤاده محبة الله ومحبة رسوله ومحبة أوليائه غالبة على غير الله ويكون شغله في سره مراقبة ومناظرة إلى جمال الله بكشف جلاله بلا قيد ولا تردد ويكون حاله في إفناء الذميمة ولا يأتي عليه من دعاوى النفسانية .

مهم : ولا يكشف سر الربوبية ويترك الإضافات ولا يدعي لنفسه شيئا من مراتب الإنسان ويضيف الكمالات إلى الله ويكون في نفسه ذليلا حقيرا فقيرا مذنبا محتاجا إلى رحمة الله حيا وميتا ويتكلم مع الناس بالعلم والحلم والتواضع لله بلا قهر ولا غضب و لا عناد ولا غيبة بينهم ولا طمع في سعيه من الدنيا ويكون غرضه في سعيه رضاء الله محضا وينصح للمسلمين عامة ميله هاديا إلى الصراط المستقيم وبالعلم والأدب آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر كما قال الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ ، وكما قال الله تعالى : ﴿**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ ـ أي بالحلم واللين ـ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"العالم يعظ بالحلم والأدب والجاهل يعظ بالغضب والقهر"** .

وينبغي للسالك أن لا يأكل ولا يشرب من الحلال إلا بقدر حاجته ولا ينام في حالة الأوقات ومحل العبادات والذكر وينام بعد العشاء بقدر الحاجة كما قال الله تعالى : ﴿**وجعلنا نومكم سباتا**﴾ . **مهم** : ونوم القيلولة سنة لإحياء الليل بعضا ويكون حاضرا بينه وبين الله تعالى لله بالله في الله مع الله في صفات الله محرما[٢٠] لذات الله وآنسا مع معرفته في كل الأوقات

---

[20] اي قصدا

مهم : ويجدد إيمانه في كل يوم ويصلي المفروضات بأوقاتها ويصوم بأمر الله ويؤدي الزكاة والحج بما أمر الله تعالى مرة في عمره إن استطاع إليه سبيلا كما فعله الأنبياء والأولياء وقد أوعد الله تعالى من يخالف طريقتهم بنار جهنم كما قال الله تعالى : ﴿**إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا**﴾ .

قال ابن عباس : إن على جسر جهنم محاسبة في سبع مواضع كما قال الله تعالى ﴿**إن جهنم كانت مرصادا** ﴾, يسأل الله العبد عند أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن أجاب العبد عنها تامة نجا منه ثم يسأل عند الثاني عن الصلاة فإن أجاب عنها تامة نجا منه ثم يجاوز إلى الثالث فيسأل عن الصوم المفروضات فإن أجاب عنها تامة نجا منه ثم يجاوز إلى الرابع فيسأل عن الزكاة فإن أجاب عنها تامة نجا منه ثم يجاوز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن أجاب عنها تامة نجا منه ثم يجاوز إلى السادس فيسأل عن صلة الرحم فإن أجاب تامة نجا منه ثم يجاوز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن أجاب منها خرج منها سالما فيها ونعم وإلا فيقال : انظروا إلى أعماله فإن كان له تطوع كمل به الأعمال الناقصة فإذا فرغوا من هذه المحاسبة أذن الله أن انطلقوا إلى الجنة برحمة الله بالسلامة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه"** .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **"إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا"** قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : **"حلق الذكر وحلق الدرس"** وفي رواية أخرى : **"المساجد"** قالوا : وما الرتع فيها ؟ قال : **"سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"** .

وقال عليه الصلاة و السلام : **"أفضل ما قلت أنا وما قال النبيون من قبلي لا إله إلا الله"** .

وقال صلى الله عليه وسلم :**" لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله لأنه قسوة القلب وأبعد الناس من الله القلب القاسي إلا أن يتوب ويذكر الله ذكرا كثيرا فله نجاة"** .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : **"ألا من ذكرني في ملأ بين الناس ذكرته في ملأ خير منه ــ يعني الملأ الاعلى بين الملائكة في الجنة ــ ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي"** وهو ذكر الحال في القلب ذكر الله في القربة يعوضه .

قال فضيل بن عياض : إن البيت الذي يذكر فيه اسم الله يضيء أهل السماء بنوره كما يضيء المصباح لأهل البيت المظلم وإن البيت الذي لا يذكر فيه اسم الله مظلم على أهله خصوصا المساجد فإن المساجد ينبغي أن لا تخلو عن ذكر الله فإن خلا عن ذكر الله فلا فرق بين المسجد وبين سائر البيوت المظلمة

مهـــــم : واعلم أن في ذكر الله خمس خصال :

أولها رضاء الله تعالى .

والثاني حرز من الشيطان .

والثالث فيه رقة القلب .

والرابع يزيد من الحرص على طاعة الله .

والخامس يمنعه من المعاصي .

الفصل التاسع : في بيان إيمان المؤمنين

يجب أن يؤمن بالله وبجميع ما جاء به من عند الله قال الله تعالى : ﴿**والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ .

مهـــم : الرسل نوعان :**رسل الأصلي** وهم الأنبياء, **ورسل الفرعي** وهم أولياء هذه الأمة الذين يرسلون من عند الله بأمر الله بواسطة سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم ، وقد أضاف الله تعالى إليه رسل عيسى عليه السلام إلى قرية أنطاكية بقوله : ﴿**إذ أرسلنا إليهم اثنين**﴾ .

فإذا يجب الإيمان بالأولياء أيضا على الإجمال مطلقا ، أما إذا أشير إلى أحد من النبي في المنام بأنه ولي متصرف وجب الإيمان به على التعيين ومتابعته بلا تردد لأنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : **"من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي ومن تبعني"** .

مهم : والعلم اللدني عند الأولياء الورثة الكاملين للنبي صلى الله عليه وسلم وظاهر النبوة المحمدية ختمت به وباطنها لا يختم إلى يوم القيامة وهو الولاية عموما وخصوصا قال الله تعالى : ﴿**من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾ . قال الله تعالى : ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾ مطلقا أميا أو غيره كما قال الله تعالى : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا من أنفسهم**﴾ **ـ يعني أميا ـ**

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير عاملا[21] ولم يتعلم من أحد وأيضا أكثر الأولياء أمّيون كالحبيب العجمي والبشر الحافي فلا يحقرن أحد أحدا بظاهر الجهل فلعل قلبه عالما ونظر الحق في القلب فيجب الإطاعة لأولياء أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأمر الله كما قال الله تعالى : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ .

---

[21] في نسخة- عالما

مهـــــــــم : والمراد باولي الأمر في الحقيقة هم الولياء المرشدون وللعامة الظاهرة العلماء والأمراء الظاهرية ولأهل الله العلماء الباطنية من الأولياء السنيين التابعين للنبي صلى الله عليه وسلم المشاهدين له في مشاهدتهم لصدق أحوالهم .

مطلب مهم : ومتى لم يكن حركة الولي وسكناته بإذن النبي صلى الله عليه وسلم عيانا وشهودا فهو لا يصلح للإرشاد والدعوة لعدم بصيرته كما قال الله تعالى : ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ .

والإلهام الرباني كالوحي إذا كان بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الأنبياء بالإلهام في المنام قال الله تعالى : ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله**﴾ ـ في الدنيا ـ ﴿**إلا وحيا**﴾ ـ للأنبياء ـ ﴿**أو من وراء حجاب**﴾ ـ للأولياء والملائكة ـ ﴿**أو يرسل رسولا**﴾ ـ للعامة ـ ﴿**فيوحي بإذنه**﴾ فيتكلم مع الكل بالواسطة إلا مع محمد صلى الله عليه وسلم فانه بلا واسطة في مقام او أدنى و تكميل الايمان بشهادة الرسول و الولي و بمتابعتهما لان متابعة الولي في الحقيقة هي متابعة النبي صلى الله تعالى عليه و سلم, كما قال الله تعالى : ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . .**﴾ إلى قوله : ﴿ **يعجب الزراع** ﴾ فكذلك مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أصل خلقته على عالم الأرواح العليا كما قال عليه الصلاة و السلام : **"كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"**, فلما خلق الله محمدا صلى الله عليه وسلم نظر إليه وعرق النبي صلى الله عليه وسلم فقطرت منه ست قطرات فخلق الأرزاق من أول قطرته وخلق الورد الأحمر من الثانية وخلق أبو بكر من الثالثة وعمر من الرابعة وعثمان من الخامسة وعلي من السادسة وعلى هذا الترتيب خلقهم وخلافتهم وموتهم في الدنيا وحشرهم في الآخرة بعد قيام النبي صلى الله عليه وسلم من قبره وهم بمنزلة الابن الوارث الكامل وبمنزلة العصبات لا بمنزلة أصحاب الفروض ولا بمنزلة ذوي الأرحام وهم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل كهارون مع موسى في الدعوة إلى الله بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى**

الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ كما ذكرنا في الفصل الرابع والخامس من الأولياء الوارثين الكاملين .

مهم : فكأنهم شركاء النبي في الدعوة إلى الله تعالى بشريعته كأنبياء بني إسرائيل في الدعوة بشريعة موسى في حياته وبعد مماته حتى جاء شريعة عيسى فنسخها ثم جاء شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فنسخ جميع الأديان كما قال الله تعالى : ﴿**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ كثمار يظهر في الانتهاء على جميع الفروع من الشجر فلا ينسخ هذه الشريعة إلى يوم القيامة .

مهـــــــم : فأولياء أمته[22] بمنزلة الأنبياء المتقدمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"** والأولياء السنيون متفاوتون في الوصول والتوحيد كما ان النجوم متفاوتة ، وأما من ادعى الارشاد وكان منه نقصان في أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله ومخالفة الشرع فهو مدّع كذاب إما حلولي أو شمراخي أو إباحي أو نحو ذلك

مهم : فالميزان الحق الشريعة وأخلاق المصطفى وأحواله وسننه .

[22] قوله فأولياء أمته إلى قوله أو إباحي وجدته مكتوبا على هامش بيان الأسرار بكتبة النقل بهذه العبارة « سلسلة مشائخ » ومن ذلك يفهم كون اسم الكتاب ما مرّ فافهم ووجدت في

الفصل العاشر : في بيان قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ الأية

فتسليم الأمانات الظاهرة إلى أهلها ظاهر اي من الامانات, وللعباد حقوق وأمانات يجب رعايتها كحقوق الجار والضيف والأيتام والمساكين والأرامل بالشفقة والتناول ، وحقوق الشيوخ الذين يكون بهم الوسيلة إلى الله وتعظيم الوالدين وذوي القربى وصلة الرحم وحق الإسلام والأخوة

مهم : فأحب لأخيك ما تحب لنفسك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"لن تؤمنوا حتى تحابوا"** .

وحقوق الله أكثر من أن تحصى فالحمد لله على توفيق شكره وعبوديته ثم إن الكمالات في الإنسان من العلم والعمل الصالح والمعرفة أمانات من عند الله خاصة لا شريك له في ملكه فمن أضاف على نفسه شيئا من الكمالات أو رأى نفسه في البين موجودا فهو الشرك لأن التوحيد إسقاط الإضافات وحقيقة الفناء في هوية الحق وصفاته وإن الحواس والإدراكات الظاهرة والباطنة فينا أمانات من الله فيجب لنا صرفها لما خلقت لأجل رضاء الله وأمرت به كما هو معنى حقيقة الشكر ، وإن التكاليف الشرعية أمانات والأمانات الكبرى و هي المعرفة الحقيقية وهي معرفة ذات الله تعالى مع جميع صفاته بالشهود كما قال الله تعالى : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض**﴾ الآية .

قال المحققون : المراد من العرض عرض نور تجلي الذات على القابليات العلوية والسفلية فلم يقبلها العلوي المجرد كالسموات واهلها لأنها صاحب جهة واحدة من النوراية لأنه لم يكن له استعداد المرآة لأن المرآة يجب أن يكون ذات جهتين و وجهين من لطيف وكثيف علوي وسفلي وكذا لم يقبلها السفلي المجرد كالأرض والجبال لعدم استعدادها بالكلية لأنها ذات جهة واحدة وكذا الجبال أيضا لقوله تعالى : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال**

فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ ، لأن الإنسان كالمرآة ذات وجهين كما مر فحصل له استعداد المرآة الحقيقية تجلي الذات

وفي بعض التفاسير : المراد من الإنسان المذكور في الآية آدم وذريته بالتبعية ، وقوله تعالى ﴿**إنه**﴾ ـ أي الإنسان ـ﴿ **كان ظلوما**﴾ ـ يعني ظلم نفسه حين عصى ربه فأخرج من الجنة ووقع في ظلمة سجن الدنيا و ـ ﴿**جهولا**﴾ ـ يعني جهل بطريان النسيان والحجب والكونات من علوم اللدنية والمبدأ العالية من إمداد فيوض القدس واللاهوت فاحتاجوا إلى الكشف من الحجب من مرآة قلوبنا فيعودون إلى المبدأ الأعلى بعد الفناء في الله أي في صفات الله

وقال مقاتل : ظلوما بنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل

وقيل : هو صفة المدح لآدم في صورة الذم تأكيدا

وكذلك الجهل هو الفناء من علوم التعينات على مظاهر الحروف بالاتصال إلى بحر العلم اللدني حتى تفنى نفسه بالكلية في بحر الأحدية فبقي هو بلا هو ولذلك قال الجنيد : هو العارف وهو المعروف ولا تسع ذلك المقام اثنينية وكثرة والألوان والأكوان في هذه الأشكال ، وهو من العرش إلى الفرش كزبد صغير على وجه بحر غير منتهي فوسع بحر القلب حقيقة قلب العارف فكأنه غير متناه أيضا كما قال أبو الحسن الخرقاني : **كل شيء له نهاية إلا ثلاثة النفس والمعرفة ودرجات المصطفى عليه الصلاة و السلام** .

وقال أبو يزيد : لو أن العرش وما حواه ألف ألف مرة ألقي في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به كما قال الله : **"لا يسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب المؤمن"** لأن سرّ الإنسان من صفات الحق فله مناسبة بينه و بين الله تعالى كما قال الله تعالى : الانسان سري وأنا سره ولا تظنن أن الإنسان هذا القالب العنصري فإنه بمنزلة البيضة فالتربية تبدله إلى الطير والقطرة تصل إلى البحر والغلس إلى الشمس والتجلي إلى المتجلى ويفنى المحل فيه وليس هذا الوصول من قبيل وصول شيء إلى غيره أو جسم إلى جسم أو علم إلى معلوم أو جهة أو مدة تعالى الله

عن ذلك علوا كبيرا والغيرة الأحدية قاهرة غيره فلا يفني ولا تذلّ ولذلك لا تنتهي ، ومعنى لا إله إلا الله لا موجود غير الله يعني نظرا إلى الحقيقة وليس المراد من الملكوت والجبروت واللاهوت هذه السموات والعرش والجهات المقابلات بل هي صفات الله تعالى القائمة بالذات المقدس لأنها لو كانت لها مناسبة بيننا وبين الله لحملت الأمانة ولا يحمل العطايا إلا مطاياه والله غني عن وجود العالمين وعدمها ، فالقلب والسر مظهر تجلي عكس جمال الله ومجلى محبته لأنه أحبه ثم خلقه قال الله تعالى : **فأحببت أن أُعرَف** ، فعليك أيها السالك[23] بتصقيل مرآة قلبك من محبة غيره وذكره بأسمائه الحسنى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**"من أحب شيئا أكثر ذكره"** والشوق مطية المحب للمعراج الروحاني ولكل مقام شوق و ذوق آخر ،وذوق المحب نوعان : **الأول** من جهة نفسه باختياره وهو السير المحبي وهو كجذب البحر إلى القطرة في غاية التكلف **والثاني** السير المحبوبي من جهة المعشوق وهو كجذب القطرة إلى البحر ولذلك ظهر المعراج وهو المقصود من السلوك والجذبة بلا اختيار ولا تكلف كجذبة النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج أولا إلى الآفاق ثم إلى الأنفس بالبراق ثم بالرفرف ثم بما شاء الله وهو حال سر السر لا يظهر منه في ظاهر القلب غالبا كالمشرب المحمدي .

تم فرغ من تحرير رسالة السلسلة

للشيخ الامام جمال المحققين و كمال المدققين

مولا شيخ يوسف المسكري قدس سره

تم .

---

[23] نسخة ـ الانسان

تمت الرسالة بعون الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد و آله وصحبه أجمعين بيد الحقير حسن أفندي القحي سامحه الله من فرطاته ورحم الله إفلاسه

آمين يا مجيب

وقد وقع نسخها من النسخة المغلوطة من مواضع ومن ظفر بالنسخة الصحيحة فليصححها ولم أدر إسمها ومن داره فليبينه والسلام

وأوصيكم بالدعاء[٢٤] .

في يوم الخميس من جمادى 2 من 1340 اللهم ارزقنا حسن الخاتمة آمين

[٢٥]

و قد وجدت نسخة ثانية و صحح بقدر طاقة و قد عرف اسم مصنفه لله الحمد من قبل و من بعد .

---

[25] اعلم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :« الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى قبل نزول الوحي ستة أشهر آثار النبوة في المنام ثم أوحي إليه بالتنزيل ودام ذلك ثلاثا وعشرين سنة فالأشهر الست الأولى يكون جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة لأن الثلاث والعشرين من السنين ستة وأربعون وستة أشهر فتأمّل « مقامات الأولياء » لأبي بكر الوراق رحمه الله تعالى رحمة واسعة :

راقب الله في الأمور جميعا إنما الصبر قد يزول سريعا
إن بعد الظلام ضوء نهار إن بعد الشتاء تلقى ربيعا

بسم الله الحمن الرحيم

الحمد لوليه الذي جعل الادب مفتاح السعادة وحصنا حصينا على الشريعة والديانة وبروجا مشيدة للازمها السيادة . فمن ترك الأدب هدم حصن دينه ونهبوا نقد ايمانه لصوص هواه وحظوظ نفسه بالغواية . والصلاة والسلام على نبيه الذي قال الدين النصيحة لله وللرسول وللمؤمنين والمؤمنات وقوامه العدل والاحسان والاستقامة وعلى اله المتادبين بادابه التي هي الوسائط بين الافراط والتفريط لأهل العناية ومن انحرف واعتزل منها ذرة تقرب منه الشقاوة اعاذنا الله منها مع الخالان بمحض الوقاية .

اما بعد فقد ساقني الى جمع كلام الكمل بعض قول المستغنين الطاعنين على رابطة الواصلين ووسيلة المتقين وسلم حق اليقين محبة فيهم وشوقا اليهم .

لي سادة من حبهم اقدامهم فوق الجباه ٭ان لم اكن منهم فلى في حبهم عز وجاه

وسميته "تبصرة الفاصلين عن اصول الواصلين" و ما توفيقي الا بالله عليه الاتكال و اليه الانابة .

و اعلم مثل هذا الجمع و النصح كماء النيسان شفاء للعامة و اذا دخل في الصدف فيصير درا ، و اذا دخل في فم الافعى فيكون سما فكذلك تلك

النصيحة تزيل تردد المترددين على الحق و تزيد محبة العاشقين و يتشدد انكار المنكرين و استغناء المستغنين كيف لاعدو المرء لما جهله ان الانسان كان ظلوما جهولا , و لكن بعنايته تعالى علم الانسان ما لم يعلم ،« **كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى** » ، فالاستغناءسبب الحرمان و الاتباع رضا الرحمن .

ثم اعلم ان الاستغناء و الانكار على الحق و على اهله شائع من لدن ابينا ادم عليه السلام الى الان ، و سبب ذلك اما جهل البسيط او المركب بعلومهم و اما التعصب او الحسد منه و مع هذا يحسب نفسه مع الواصلين, بل يرى نفسه افضل الناس و عمله احسن الاعمال ، و زين لهم الشيطان اعمالهم فيستغنى باستغراق ظلمتها عن نهار الحق كلا انه انانية النفس و غوايتها عن الصراط السوي و الحال ان النفس لامارة بالسوء و الرياسة و يتشدق الكلام غرورا و يحرم عن مسلكهم عبورا ، عن انس رضي الله عنه « « ان امتك لا يزالون ما هكذا ما هكذا حتى يقولون الله خلق الخلق فمن خلق الله » » و كذلك الرمى على الانبياء و المرسلين و الاولياء و الصالحين خصوصا على سيدهم بالافك و الافتراء و الجنون وهو بريء عن كل ذلك و رحمة للعامة و حبيب رب العالمين ، و الطعن على اهل الله رفعة لهم و زيادة كالمسك الازفر تفوح رائحته و تنتشر اذا دق او حرك ، و على الطاعنين ندامة و حسرة و سبب سوء الخاتمة . عن انس و ابي هريرة رضي الله

عنهما « « من اهان لى » » و يروى « « من عادى لي وليا فقد بارزنى بالمحاربة » »و في رواية« « فقد اذنته بالحرب » » .

و اعلم ان معاشر النقشبندية و الخواجكانية متفقون على ان الرابطة اصل من اصول طريقتهم المنتسبة الى الصديق الاكبر رضي الله عنه معنعنا و هم اهل الله الكرام و اهل الامانة و الاحسان و صاحب حق اليقين ليلهم كنهاهم مثلهم قوله تعالى« **و الذين امنوا نورهميسعى بين ايديهم و بايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا و اغفر لنا انك على كل شئ قدير** » و مثلهم قوله صلى الله عليه و سلم« « خياركم الذى اذا رؤوا ذكرالله تعالى » » و امتلأ العالم بذكر القلبي الذى هو افضل الذكر بواسطتهم و تلقينهم و انتشرت نفحاتهم المسكية بصحبتهم حقيقة او حكما كقوله صلى الله عليه و سلم « « **انما مثل الجليس الصالح و جليس السوء كحامل المسك و نافخ الكير ،فحامل المسك اما ان يحذيك و اما ان تبتاع منه و اما ان تجد رائحةطيبة و نافخ الكير اما ان يحرق ثيابك و اما ان تجد رائحة خبيثة** » »

و الشق الاول مثيلهم لان كلهم صاحب العلوم الظاهرةوالفنون الباهرة قائمون بالنشر و التدريس و باطنهم معمور بالنور و الحضور و الانس و حق اليقين منورين قلوبهم محبيهم بمصقلة جوهرة ذاتهم السنية كقوله تعالى

« **نورهم يسعى بين ايديهم** » و عن ابي هريرة رضي الله عنه « « المؤمن مرآة المؤمن » »و عن علي رضي الله عنه « « لكل شيئ معدن و معدن التقوى قلوب العارفين » » و هم مرآة الحب و معدن التقوى .

واماقطب العالم و مرجع الخواص و العوامذو الجناحين الكاملين فريد عصره و وحيد دهره مولانا خالد قدس الله سره العزيز فسلك احسن المسالك في رسالته لاخوان اهل اللاسلامبول حين سمع القال والقيل على الرابطة الشريفة من اهل الغفلة و التعطيل و هو مسلك الاتباع للسلف الصالحين و التابعين الفالحين عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه « « المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ علي صخرة استناخ » » و عن ابي بريدة رضي الله عنه « « عليكم بما عرفتم من سنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وان عبدا حبشيا انما المؤمن كالجمل الانيف حيثما قيد انقاد » » هكذا علامة المؤمن الاتباع لسلفه بعد ثبوت انهم من اهل السنة و الجماعة واهل المذهب من المذاهب الاربعة المتفق عليها انها على الحق .قال مولانا قدس سره في عنوان رسالته بعبارته :و قرع سمع هذا المسكين ان بعض الغافلين عن اسرار حق اليقين يعدون الرابطة بدعة في الطريقة و يزعمون شيئ ليس له اصل ولا حقيقة , كلا انها اصل عظيم من اصول طريقتنا العلية النقشبندية بل اعظم اسباب الوصول بعد التمسك بالكتاب العزيز و سنة الرسول , ومن سادتنا من كان يقتصر في

السلوك و التسليك عليها و منهم من كان يأمر بغيرها مع تنصيص على انها اقرب الطرق الى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى , ومنهم من اثبتها بنص قوله تعالى « يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » فقال من السادة الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه احرار قدس سره ما حاصله : ان الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين الكون معهم صورة و معنى , ثم فسر الكينونة المعنوية بالرابطة و هو عند اهله مشهور و في كتاب الرشحات بالتفصيل مسطور ,فكأنهم لم يتصورا معنى الرابطة اصطلاحا والا لما وسعهم انكارها اذ هى في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانيةشيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته لتأدبه معه ويستفيض منه في الغيبة كالحضور و يتم له بإستحضاره الحضور و النور وينزجر بسببها عن سفاسف الامور وهو امر معلوم , ولا يتصور جحوده الا ممن كتب الله المقت والحرمان لانه ان كان ممن يعتقد بالاولياء فقد صرحوا بحسنها وعظم نفعها بل قالوا بها واتفقوا عليها كما لا يخفى علي من تتبع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الانسية ، وان كان ممن يعتقد ائمة الشرع واساطين الاصل والفرع فقد قال بها من كل مذهب من مذاهب الاربعة ائمة تصريحا و تلويحا

وها انا اعد لكم بعض ما ذكروه مع تعيين الاماكن ليراجعها من كان في قلبه مرض ولا ينكرعلىالاولياء بمجرد الهوي والغرض.

فاقول وبالله التوفيق الى الاخ . وسيذكر ما نقله قدس سره من كل مذهب من الائمة المشهورة في كتبهم المنشورة اثباتا و اقرارا ايجابا و استحبابا لوصولها الي الاخلاص و الحضور باتفاقهم علي ان الحضور والاخلاص واجب في العبادة لقوله تعالى « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » و لقوله تعالى « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » اى من الشرك الخفي و الجلي مما سواه تعالى و لقوله صلى الله عليه و سلم « « **لا يقبل الله عن قلبلاه** » » اي غافل وقوله عليه الصلاة و السلام « « **الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان لمتكن تراه فإنه يراك** » » ومحل الاخلاص القلب واصلاحه عن كل فاسد وسهو وغفلة واجب على الرجال والنساء من العالم والجاهل على السواء مهما امكن لقوله عليه الصلاة والسلام لابي ذر رضي الله عنه « « **الا إن فيجسدك مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الاوهي القلب** » » وفساده مرض الغفلة وصلاحه حضور الدائمي على كل حال في النوم واليقظة كماقال عليه الصلاة والسلام عيني تنام وقلبي لا ينام وطبيب مرض الغفلة بنو ادم عليه السلام من احياء الله بعد تسليم التام والاعتقاد الصادق على انه سبب نجاتي والمحبة الخالصة على انه لا يجئ منه الكراهة والضرر والصحبة الكاملة على انه لا ينفك في الغياب والحضور حتى يفني جسده واحواله في مرشده وينصبغ باحوال مرشده وينعكس نوره له حتى يصير اقباله الى الله

كاقبال مرشده اليه ، ولا يمكن هذه الاحوال الا بالصحبة مع التسليم والحب لله وهي الرابطة . غاية ما في الباب تغيرواالاسم اقتباسا بقوله تعالى « ياايها الذين امنوا اصبرو اوصابروا ورابطوا واتقو الله لعلكم تفلحون » واصطلاحا منهم في جهاد النفس وهي من آكد الاصول عندهم كما قال شاه نقشبند محمد بهاء الدين قدس سره طريقتنا طريقة الصحبة كما قيل الحج عرفة يعني اقوى الاركان ويرشدك عليها احاديث المذكورة آنفا مثل « « **اذارؤوا اذكر الله** » » ومثل « « **جليس الصالح** » »ومثل « « **معدن التقوى** » » قلوب العارفين ومثل المؤمن مرأة المؤمن وهذه امر ظاهر البداهة وعليه الاثار كثيرة وفيرة .

واما الحب فهو ميلان القلب الى شيئ وهو اما مذموم بسبب الشهوات النفسانية وقضاء وطرها كقوله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع حياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

او مباح كحب اسباب الخيراتو الحمية وكل مباح شرعي و ان وجد الاتباع فعليه يثاب ،

او مستحب كحب العلماء و الصلحاء و المجتهدين لأخلاقهم الحميدة و كمالاتهم السنية وأوصافهم الجميلة رجاء من شفاعتهم و مددهم كما قال عليه الصلاة و السلام « « **المرء مع من احبه** » »

او واجب كحب الانبياء عليهم الصلاة والسلام و الصحابة و التابعين و اهل الصفا و الوفا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ،و في حديث طويل عن سيدنا عمر رضى الله عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم « « **من آل محمد الذي امرنا بحبهم و اكرامهم و البرور بهم فقال اهل الصفا و الوفا من آمن بي واخلص** » » و قال عليه الصلاة و السلام « « **لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله و ماله و الناس اجمعين** » » و في رواية « « **مننفسه** » » و في رواية « « **الا لا ايمان لمن لا محبة له** » » و اهل الله الكرام وارثه صلى الله عليه و سلم قولا و فعلا و حالا و الوراثة التامة بمجموع ذلك الثلاث كما قال عليه الصلاة و السلام « « **الشريعة اقوالي و الطريقة افعالي و الحقيقة احوالي** » » و المحبة لأهل الله واجب لا محالة ، لأنهم اهل الصفا و الوفا ، بل لمن اتبع آثارهم . و قال سفيان من احب من يحب الله فإنما احب الله و من اكرم من يكرم الله فإنما يكرم الله

او فرض كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فإن النبي صلى الله عليه و سلم اشد حبا لله واحسن محبوبا عند الله و من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم قولا و فعلا و حالا يصل الى محبة الله و من احب الله فالله تعالى يحبه كقوله تعالى « يحبهم و يحبونه » و قوله تعالى « ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين » عن انس رضى الله عنه قال تعالى « « **حقت محبتى للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي**

للمتزاورين فيّ و حقت محبتى للمتبازلين فيّ و المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون و الصديقون و الشهداء » »

وعن ابي هريرة رضي الله عنه « « **و المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون و الشهداء** » » و نتيجة حب المؤمنين و الصالحين ان يرى في نفسه ان جميع اهل الايمان اخوة له فيعاملهم معاملة الاخوان من ابوين بالطبع لا بالتصنع لقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » و عن انس رضى الله عنه « « **المؤمن اخو المؤمن يكفي عن ضيعته و يحيطه من ورائه** » » فكيف الطعن بمجرد الظن فإن الظن لا يغني عن الحق شياء .و علامة محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم ان يرى في نفسه جميع اهل الايمان كنفس واحدة و يقدم كل واحد منهم على نفسه على كل حال

. و علامة حب الله ان يرى في نفسه جميع خلق الله من الملل المختلف و الاجناس المتنوعة احب اليه يقينا ان ما خلق الله ليس عبثا بل عدل منه تعالى يحبه بحبه و يبغضه ببغضه . عن ابي بكر رضى الله عنه « « **الشرك اخفى من امتي عن دبيب النمل علي الصفا في الليلة الظلماءو ادناه ان تحب على شيئ من الجود او تبغضه على شيئ من العدل و هل الدين الا حب لله و البغض لله** » » . و علامة حب الله الي عبده رفع الحجب عن بصيرة العبد و رؤيته بنور الله و جميع احواله من الله ليس من نفسه كقوله عليه الصلاة و

السلاة « **لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ومن احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يمشي ولئن سألني لأعطيته** » » الى اخره فإنه محبوبه اذا هم لشيئ او خطر بقلبه حصل في ساعته وجودا وعدما واما قوله تعالى « **ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله** »في حق المشركينمن اهل الاصنام ، لا يجوز الحمل ولا التأويل على اهل الايمان ابدا ويكفر حامله لانه نص قاطع في المشركين اهل الطواغيت وقد امرنا بكفرها وقتال اهلها كافة وامرنا بحب اهل الصفا والوفاء والبرور بهم والاتباع على اثرهم والاقتباس من مشكاتهم ولا تلبس الحق بالباطل فليتنبه ،وقوله قدس الله سره العزيز اذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه اه . فالاستمداد اما بمعنى الاستشفاع ، فهوثابت لاهل الله ولاحبائه بقوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه » و قال ابن الشيخ في حاشية القاضي و عنده فيه وجهان احدهما متعلق بيشفع و الثاني انه متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير في يشفع اى لا احد يشفع مستقرا عنده الا بإذنه و قوى هذا الوجه بأنه اذا لم يشفع عنده و[1] قريب منه فشفاعة غيره ابعد و الوجه الاول لا احد يشفع عنده في حال من الاحوال الا في حال كونه مأذونا له إنتهى . وقال

[1]لعله بلا حرف واو 1

عليه الصلاة و السلام «« **يحشر الله تعالى في قبور مكة** »» و في رواية في «« **وادي ثنية الحجون سبعين الف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب وجوههمكالقمر في ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين الف رجل فقيل من هم يا رسول الله فقال من الغرباء** »» و الاول في الدنيا و الاخرة و الثاني مخصوص بالاخرة و من انكر الشفاعة حرم في شفاعتهم في الدنيا و الاخرة او بمعنى الاستعانة في الامور .

وقال قاضي البيضاوي في قوله تعالى « و السابقات سبقا و المدبرات امرا » او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا فتنشط الى عالم الملكوت فتسبح فيه فتسبق الى حضائر القدس فتصير لشرفها و قوتها من المدبرات ، او حال سلوكها فإنها تنزع من الشهوات و تنشط الى عالم القدس و تسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تكون من المكملات انتهى . و الشق الاول ظاهر في تدبير الارواح في امور الدنيا بعد مفارقة الابدان ، و الثاني في تدبير النفوس الفاضلة حال كونهم في الدنيا قبل المفارقة . و قال ابن الشيخ رحمه الله بعد التفصيل و لا الشك ان الارواح السابقة اشرف فلا جرم اوقع القسم بها حيث قال و السابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لعلو همتها في تكميل النفوس القاصرة و لشرفها و قوتها لا يبعد ان يظهر فيها آثار و تدبيرات في هذا العالم فتكون من المدبرات ، الا ترى ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه

انتهى . عن عبادة بن صامت رضى الله عنه «« **الابدال ثلاثون رجلا بهم يقوم الارض و بهم يمطرون و بهميبصرون** »» اي بسببهم و كرامتهم و محبوبيتهم عند الله لا عند انفسهم ولو اهموا لشيئ و الله لاسرع اجابة همتهم و لذا قيل **همة الرجال تقلع الجبال** وهذا الرجال موجود في كل زمان . عن ابي هريرة رضى الله عنه قال عليه الصلاة و السلام «« **خيار امتي في كل قرن خمسمائة و الابدال اربعونفلا الخمسمائة ينقصون و لاالاربعون كلما مات رجل ابدل الله من الخمسمائة مكانه و ادخل في الاربعين مكانه** »» و اما قوله صلى الله عليه صلاة و سلم عن عائشة رضي الله عنها «« **خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيئ قوم لا خير فيهم** »»و عن ابن مسعود «« **خير الناس قرني الذي انا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و الآخرون اراذل** »» فمحمول على الفرق الضالة التي بينها صلى الله عليه و سلم بقوله «« **ستفترق امتي علي ثلاث و سبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قيل ومن هم يا رسول الله قال انا واصحابي و ما انا عليه** »» وهم اهل السنة و الجماعةالسالمة الآمنة عن الضلالة و اهلها و هم واصلة الى المهدي الموعود و عيسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام و يحفظون دينهم كالجمرة في اليد من الفتن . و قال عليه الصلاة و السالم «« **امتي كالمطر لا يدري اوله خير ام اخره** »»وعن جابر رضى الله عنه «« **خير امتي اولها و اخرها وسطها الكدر** »» و نسب الخير الى الاول و الى الاخر لمشقة حفظ

الدين فيهما و اما قوله صلى الله عليه و سلم عن انس رضى الله عنه « **خير هذه الامة اولها و اخرها اولها فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و اخرها فيهم عيسى بن مريم و بين ذلك نهج اعوج ليسوا منك و لست منهم** » فلبيان كمالات الاصحاب رضى الله عنهم و علو درجاتهم و كمالات من وصل الى عيسى عليه السلام ، وليس للواسطة هذه الدرجات و الكمالات و القريب منهما عليهما الصلاة و السلام له رفعة بمقتضى الاقربية و القرب من المقرون .

و اما الانسان اذا وصل الى مقام الحب و الخلة فلا يستمد عما سواه تعالى ابدا كما قال الخليل عليه السلام حين قيّد بقيد نمرود قال له جبريل عليه السلام هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال سله قال حسبي عن سؤالي علمه بحالي وكما خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بسبع المثاني في قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين » اي قل ان الخليل قيد رجلاه ويداه بقيد نمرود واما انا قيدت بالصلاة رجلي ويدي وعيني واذني وانا مشرف على صراط مستقيم بعبادتك فكمالم يرض الخليل بغيرك معينا لا اريد الا عونك فإياك نستعين كما قال عليه الصلاة و السلام قال الله تعالى « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي** » واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثني علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال تعالى مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال تعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل الى آخر

الحديث وهذه الحالة مقام الحب والاستقامة وهو امر عظيم كما قال عليه الصلاة و السلام« « شيبتي سورة هود واخواتها » » ولا يمكن الاستعانة من الغير لأنه كالعدم كما قيل حبك الشيئ يعمى ويصم وجزاء خلتهم وحبهم من الامة تقول جهنم جزيا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي كما قيل في حق الخليل يا نار كوني بردا وسلاما . واما العوام فتشبههم كافية كما قال عليه الصلاة و السلام « « **من تشبه قوما فهو منهم ولو بالتكلف** » » كما قال عليه الصلاة و السلام « **فإن لم تبكوا فتباكوا يعني كالباكين** » في الدعاء محتاجون للمعاونةمن الغير ولو بطريق الإنعكاس وهو امر ظاهر لأدنى صاحب الوجدان كما لو دخل واحد على الباكين يجئ له البكاء بالتبع لهم ولو دخل على الضاحكين يجئ له الضحك بلا بيان سبب ولو صاحب مع اهل الصفا والوفا يحصل صفاء القلب والإخلاص والخشوع فيصير سبب القبول عند الله فهذه معاونة حال الصالحين في العبادة ، و الطاعة للعوام من قبيل الاسباب كما ورد في الحديث « « **مثل الجليس الصالح** » » بل النظر الى موضع السجود سبب جمع الخاطر و الخشوع و كذا اللبث في المآثر و هو جماد ليس له خاصة حقيرة من خواص الانسان فإن لكل الاعضاء و الاجزاء من الانسان الكامل خاصة عجيبة و اسرار خفية و رحمة عظيمة فإنه لا ينفك نظر الله منه ولا يزال رحمته عليه ، كما قال تعالى « « **هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شياء مذكورا** » » و كما قال عليه الصلاة و السلام حين طاف الكعبة « « **ما اطيبك و اطيب ريحك ما اعظمك و اعظم حرمتك و الذي نفسي بيده لحرمة المؤمن اعظم عند الله منك حرم ماله و دمه و ان نظن به الخير** » » و مصاحبته سبب الرحمة و الغفران و الوصلة و الرضوان ولو كان

المصاحب جاهلا لم يفهم من هذه المعاني شياء اصلا و مصاحبته بالاخلاص كافية لنزول فيض الرحمة . و قوله قدس سره بكثرة رعاية صورته لتأدبه معه اه ، بسبب رعاية صورة مرشده في القلب يتقوى الصحبة المعنوية كالظاهر كأنه مع مرشده في المجلس و يتأدب عنده في ذكره و فكره و حضوره اعتمادا على ان اهل الصفا جواسيس القلوب كما قال عليه الصلاة و السلام « « **اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** » » فإن صورة اهل الصفا و اجزائه من العناصر و الطبائع و الحواس الظاهرة و الباطنة و لطائفه حتى الشعرات في جسده تبدل كل منها عن الظلمات الى النور بنور الذكر و الحضور ينعكس نورها لأعضاء صاحبه و اجزائه و ينصبغ المصاحب باحوالها فإن للجسم و الصورة مدخل عظيم كما قال تعالى « ان الله اصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم والجسم »

و اما تفكر صورة النبي صلى الله عليه و سلم و تفكر صورة الاصحاب و الصلحاء فمشروع ليس بممنوع في الشريعة المطهرة . فما معنى الصحابة الذين رأوه صلى الله عليه وسلم إلا إنطباع صورته صلى الله عليه وسلم في قلوبهم ، لان حليته صلى الله عليه وسلم مروية بطرق متعددة بعبارة انفسهم ، و قرأتها مستحبة وما يحصل من قرأتها الا صورته و شكله و هيئته الشريفة و مقدار قامته و ملاحته صلى الله عليه و سلم في ذهن القارئ . و قال شراح الحليةان من قرأها بمراعات معانيها و حضوره صلى الله عليه وسلم في القلب فتزيد الشوق و الذوق و المحبة و الوداد و بذلك المناسبة يحصل الاجتماع و الرؤيا في منامه ، و كذا حلية الصديق الاكبر و حلية عمر الفاروق و حلية

عثمان ذي النورين و حلية علي المرتضى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين مروية و مكتوبة في الكتب المعتبرة ، ولا احد يمنع من القرأة و لا من الكتابة من اهل السنة و الجماعة بل قرأتها تزيد المحبة و هى واجبة لهم و زيادتها مرغوبة و كذلك حلية اهل الصفا و الوفا و اوصافهم مروية .

واما الخواطر التي تجيئ للانسان حال كونه في الصلاة من صورة الممكنات بإرادته او بغير إرادته من غير قصد عبادة لها فما قال احد من الفقهاء مثلها يفسد صلاة المصلي ، ولا قال يحرم عليه بل مثلها معدودة من التكليف ما لا يطاق .

و اما المفسد اتخاذ واحد معين منها معبودا لنفسه واحضاره في نفسه لقصد العبادة له وذلك الاعتقاد و النية مخرج عن الدين و مبطل للعمل و ظاهر الشريعة لا يحكم بالكفر بل هو منافق . و اما الصلاة الى وجه الانسان فمكروه للمشابهة لا الى جنبيه وفي غير الصلاة من العبادة كالتدريس و الوعظ و النصح و الخطبة و كتعليم الذكر و تلقينه فالمواجهة من الطرفين مستحبة لاجل الافادة و الاستفادة ظاهرا و باطنا ، و الرابطة من المريد لاجل استفادة نسبة الباطني و المعنوي لا لشيئ اخر ، و شرط الاستفادة التوجه التام و جمع الخاطر بالاهتمام و بهما ينفتح باب الافادة وبعدمها ينسد هذا ولا تلبس الحق بالباطل و لا تكتمها و اتبع سبيل من اناب و قل الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا ان هادانا الله .

و اما تصوير صورذي الروح و نقشها في الحجر و الجدار و البساط فممنوع و الاستعمال بلا اهانة مكروه و النظر للتأنس و التبرك به والصحبة معه تعظيما حرام كما قال عليه الصلاة و السلام لا يدخل الملائكة بيتا فيه

صورة او كلب . و كسر النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة صورة جده ابراهيم عليه السلام حين عرضوا اليه صلى الله عليه وسلم . فإن خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم و كل شيئ مخالف للشريعة او بدعة محدثة فهو ضلالة ، و كذلك كره التقبيل والاستلام و اللمس مطلقا بالامكنة المباركة و المآثر المشرفة الا ما مسه النبي صلى الله عليه و السلم مثل الركنين في الطواف و الملتزم في الدعاء و غيرهما و كذلك العبادة على اشتهاء نفسه و اتباع هواه واتخاذ العبادة عادة كما قال تعالى « **افمن اتخذ الهه هواه** »من غير امتثال امر الله واتباع نبيه و الخلفاء الراشدين المهديين و الصلحاء و التابعين المجتهدين و من لم يتبعهم فهو تابع لرأيه و واقع في واد الخسران كما قال عليه الصلاة و السلام « « **من عمل برأيه فقد تم خسارته** » » و كذا كره تفضيل احد على احد ما لم يبين صاحب الشريعة تفضيله على غيره الا بفضائله و اما قول المجاذيب و السكران فساقط عن الاعتبار

و اما الدليل على الرابطة من الكتاب فقوله تعالى « **ياايهاالذين امنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين** » والكون معهم ظاهرا و معنى فليس بمقصور على حرف واحد و قال عليه الصلاة و السلام « « **القرآن ذو وجوه فاحملوه على احسنها** » » و قوله تعالى « **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة و جاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون** » و الوسيلة كلما يتوسل به الى المقصود و اقرب الوسائل الى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم و نوابه صلى الله عليه وسلم من الاولياء و الرابطة وسيلة لوصول احوالهم ، واحوالهم حالة الوصلة الى الله تعالى وقوله تعالى « « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني**

يحببكم الله » » فلاتباعسبب الوصلة الى محبة الله تعالى قولا وفعلا وحالا والاخير هو الرابطة .

واماالسنة فقوله صلى الله عليه وسلم « « **انما مثل الجليس الصالح** » »الى اخر وقوله فيه« « **اما ان تجد رائحة طيبة** » » وذلك التمثيل تمثيل علم الوجدان لاعلم الحواس الظاهري ولا يحصل ذلك العلم الا مع الجليس الصالح لعلم اللدني ظاهرا و معنا وذكر البخاري رحمة الله عليه ان سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه شكي للنبي صلى الله عليه وسلم عدم انفكاكه صلى الله عليه وسلم عنه حتى في الخلاء وهو ظاهر وكذا الرواية عن الاويس القرني بغيابه صلى الله عليه وسلم .

واماالاجماع فان معاشر النقشبندية المنسوب طريقتهم الى الصديق الاكبر رضي الله عنه معنعنا ومسلسلا جماعة كثيرة وفيرة وهم من اهل السنة والجماعة ومقلدون الى مذهب من المذاهب الاربعة ومقرون الرابطة قولا وفعلا ايجابا واستحبابا وكل واحد منهم متضلع من العلوم الظاهرة والفواضل ومتحل بالاحوال والفضائل ومتخل عن كل الرذائل وقال عليه السلام « « **لا تجتمعامتي على الضلالة** » » وقال « « **ما رأه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن** » »

واماالقياس فالواسطة الى المقصود فهي من المقصود خذها ولا تنس نصيبك من اقوال الائمة فاتبعهم ولا تتبع خطوات الشيطان فمن يهدي الله فهو المهدى ومن يضلله فلا هادي له الى سبيل الرشاد ، وقوله قدسسره فأقول و بالله التوفيق و هو الهادى الى سواء الطريق قد صرح بالتصرف والامداد للروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالي « **لولا ان رأى برهان**

ربه » ومنهم صاحب الكشاف مع انحرافه عن الاعتدال و اتصافه بالانكار و الاعتزال ، و لفظه فسر البرهان بأنه اى يوسف عليه الصلاة و السلام سمع صوتا ايّاك وايّاها فلم يكترث له فسمعه له ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته و قيل ضرب بيده في صدره الى اخر ما قال و قوله قدس سره مع انحرافه عن الاعتدال صريح الثبوت في الاعتزال و تقديم قوله اشارة الى ان علمه بقواعد العربية معتمد وتفسيره مأخذ والعلم والمحارة ليسا سبب التوفيق .

واخذ قدس سره قوله الموافق الحقيق وترك قوله المزيف المزخرف وهو جائز لقوله عليه الصلاة و السلام « « **اطلبو العلم ولو بالصين** » » ومعلوم ان اهل الصين في زمنه صلى الله عليه وسلم اهل الكفر وهذا كاخراج الجواهر من النجاسة وهو مقبول جدا وشرع قدس سره في بيان اقوال ائمة المذاهب بقوله . وقال من الأئمة الحنفية الشيخ الامام اكمل الدين في شرح المشارق في حديث من رأني الى آخره الاجتماع بالشخص يقظة ومناما لحصول مابه الاتحادوله خمسة اصول كلية الاشتراك في الذات وفي صفة او حال فصاعدا او في الافعال او في المراتب وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين او اشياء لا يخرج عن هذه الخمسة و بحسب قوته على مابه الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع اويقل وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل الاصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين ارواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء . وقال منهم ايضا محشى الاشباه احمد بن محمد الشريف الحموى في « كتاب نفحات القرب والاتصال » بإثبات التصرف لاوليآء الله تعالى والكرامة بعد الإنتقال ما

خلاصته ان الاوليآء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم و حمل عليه ما في بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال صلى الله عليه وسلم « « **ينادي من كل باب من ابواب الجنة بعض اهل الجنة فقال ابو بكر الصديق وهل يدخل احد من الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم** » » انتهى بالمعنى ، وقالوا ان الروح الكلية تظهر في سبعين الف صورة في دار الدنيا ففي البرزخ من باب اولى لأن الروح فيه اقوى واكثر استقلالا بسبب المفارقة عن البدن انتهى . ومن الأئمة الشافعية الامام الغزالي في الاحياء في باب تفضيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة ما نصه واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل السلام عليك ايها النبي وليصدق املك في انه يبلغه ويرده عليه ما هواوفى منه انتهى .

وقال منهم العلامة الشهاب بن حجر المكي شيخ الشهاب الخفاجي في شرح العباب في بيان معاني كلمات التشهد ما نصه و خوطب صلى الله عليه وسلم كأنه اشارة الى انه تعالى يكشف له عن المصلين من امته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بافضل اعمالهم و ليكون تذكرحضوره سببا لمزيد الخشوع و الحضور ثم ايده بما مر من الاحياء ، و شيخ الشيوخ الامام العارف السهروردي الشافعي في العوارف في باب صلاة اهل القرب مثله و من عبارته و يسلم علي النبي صلى الله عليه و سلم و يمثله بين عينى قلبه انتهى . و صرح العلامة الشهاب ابن حجر في اواخر شرح الشمائل وفاقا للحافظ الجلال السيوطي في كتاب تنوير الحلك في رؤية النبي صلى الله عليه و سلم

و الملك انه حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما « « **انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فدخل على بعض امهات المؤمنين فاخرجت له مرآته صلى الله عليه وسلم فرأى صورته و لم ير صورة نفسه** » » انتهى .و هذا هو الفناء في الرابطةفي اصطلاح القوم ، و لا يقال ليس الكلام في صورة النبي صلى الله عليه و سلم لانا نقول ان هذا ليس من خصائص الانبياء و كل ما هو كذلك فهو مشترك بينهم و بين الاولياء و لا شك في هذا عند اهله ، نعم مخاطبة غيره صلى الله عليه وسلم في الصلاة مبطلة لها و احضار الصورة فيها و التسليم على صاحبها من خصائص حضرة روح الوجود و صاحب المقام المحمود عليه و على آله و صحبه الصلاة و التسليم من الكريم الودود و هو غير مراد فيما نحن فيه هذا .

و قال منهم الامام الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة كبيرة الفها في مثل هذه المادة سماها كتاب المنجلي في تطور الولي نقلا عن الامام السبكي الشافعي في « الطبقات الكبرى » الكرامات انواع الى ان قال الثاني و العشرون التطور الولي باطوار مختلفة و هذا الذي يسميه الصوفية بعالم المثال و بنوا عليه تجسد الارواح و ظهورها في صور مختلفة في عالم المثال و استأنسوا له بقوله تعالى « **فمثل لها بشرا سويا** » و منه قضية قضيب البان ثم ذكرها و ذكر غيرها انتهى .

و قال منهم الامام العارف الشعراني قدس سره في كتاب « نفحات القدسية » عند عداد آداب الذكر ما نصه **السابع** :ان يخيل شخص شيخه بين عينيه وهذا عندهم من اكد الاداب انتهى بحروفه ، قلت و ليس الرابطة عند معاشر النقشبندية الا هذا كما يشهد له ما في جميع كتبهم المعتمدة ، و ذكر

العلامة السفيري الحلبي من الشافعية في شرح البخاري عند قوله « « **ثم حبب اليه الخلاء** » » ان الشيطان كما لا يقدر ان يتمثل بصورة النبي صلي الله عليه وسلم لا يقدر ان يتمثل بصورة الولي الكامل ايضا بشرط ذكره ثمه . و قال من اكابر الحنفية ايضا العلامة الشريف الجرجاني قدس سره في اواخر « شرح المواقف » قبيل ذكر فرق الاسلامية بصحة ظهور الاولياء للمريدين و اخذهم الفيوض منها حتى بعد الموت و كذا في اوائل حواشيه على « شرح المطالع » ، و قال منهم ايضا الامام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين الحنفي النقشبندي العثماني قدس سره عند بيان طرق الوصول الى الله تعالى في رسالته المعروف بالتاجية ما نصه الطريقة الثالثة الرابطة بالشيخ الذي وصل الى مقام المشاهدة و تحقق بالصفات الذاتية ، فإن رؤيته بمقتضى « « **هم الذين اذا رؤوا ذكر الله** » » تفيد فائدة الذكر و صحبته بموجب « « **هم جلساء الله تعالى** » » تنتج صحبة المذكور الى ان قال فينبغي ان تحفظ صورته في الخيال و تتوجه للقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة و الفناء عن النفس و ان وقفت عن الترقي فينبغي ان تجعل صورة الشيخ على كتفك الايمن و تفرض عن كتفك الى القلب امرا ممتدا و تأتي بالشيخ على ذلك الامر الممتد و تجعله في قلبك فإنه يرجى لك بذلك حصول الغيبة و الفناء انتهى بحروفه ، و جري عليه قدوة المحققين و زبدة المتأخرين الشيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي قدس سره و اقره في شرحه على التاجية .

و قال من ائمة الحنابلة الغوث الاعظم و الإمام الافخم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي ما معناه ان للفقير السالك طريق القوم رابطة قلبية مع

الاولياء و يستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطنا فلا بأس بعدم اكرامه ظاهرا بخلاف الاجنبي الذي ليس له رابطة معهم انتهى .

و عن الامام السهروردي في باب آداب المريد مع شيخه و من عوارفه . و قال منهم ايضا العلامة شمس الدين بن القيم في كتاب الروح للروح شأن اخر غير شأن البدن فتكون في رفيق الاعلى و هي متصلة ببدن الميت بحيث اذا سلم على صاحبها رد السلام و هي في مكانها هناك انتهى نقلا عن الحافظ السيوطى في كتاب المنجلي ، قلت و النصوص بهذا المعنى اكثر من ان تحصى و فيه دلالة ظاهرة على نوع تصرف للاولياء بعد الموت . و قد الف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك فليحذر الموفق عن انكاره فإنه من المهالك .

و قال من ائمة المالكية الامام الجليل صاحب المختصر المشهور الشيخ خليل رحمة الله تعالى عليه ما نصه : الولي اذا تحقق ولايته تمكن من التصور في روحانيته يعطى من القدرة التصور في صور عديدة و ليس ذلك بمحال لان التعدد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله نقله السيوطي عنه في الكتاب المذكور و نقل فيه ايضا عن الامامين الهمامين من المالكية الشيخ ابي العباس المرسي و تلميذه عطاء الله قدس سرهما ما يقاربه ، فكيف يسوغ للعوام انكار مثل هذه الاحكام بعد تصريح الاولياء الكرام و العلماء الاعلام الذين هم اهل الحل و الابرام ، ومنهم من يتلقى العلوم اللدونية بلا واسطة من الحي الذي لا ينام . و اقتصرت على هذا القدر من الكلام خوفا من الاملال و الاسئام و الا لألفت فيه مجلدا حافلا بعون الله تعالى الملك المنعام ولولارعاية الشفقة على الاخوان في الدين من وقوعهم

في انكار تطور الاولياء الكاملين لما اقدمت على اظهار بعض هذه الاسرار لكن ألجأني اليه امران الامر الاول المنع الذب عن الطريقة التي هي عروة الوصول وسلم رضوان الله تعالى واتباع الرسول التي اصولها التمسك بعقائد اهل السنة الذين هم الفرقة الناجية وترك التقاط الرخص والاخذ بالعزائم ودوام المراقبة والاقبال على المولى والاعراض عن زخارف الدنيا وعن كل ما سوى الله تعالى و تحصيل ملكة الحضور المعبر عنه في الحديث الشريف بالاحسان « « **وهو ان تعبد الله كانك تراهفإن لم تكن تراه فإنه يراك** » » في الخلوة والجلوة مع التحلى بالاستفادة والافادة في علوم الدين والتزي بزي عوام المؤمنين واخفاء الذكر وحفظ الانفاس بحيث لا يدخل ولايخرج نفس مع الغفلة عن الله الكريم والتخلق باخلاق صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة والتسليم . وبالجملة فهذه الطريقة بعينها هي طريقة الاصحاب الانجاب عليهم الرضوان من غير زيادة ولا نقصان وهي عبارة عن عزائم الكتاب والسنة ولهذا قال امام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ محمد بهاء الحقوالدين البخاري المعروف بنقشبند قدس سره ما معناه من اعرض عن طريقتنا فهو على خطر في دينه والامر الثاني التحذير عن تمويه الغافلين وتزويرهم لئلا يؤدي الى انكار هذه الطائفة وتكديرهم ويسرى من شؤمه والعياذ بالله تعالى شيئ الى باب لايزال الفقراء الصادقون متضرعين الى الله تعالى لتأييده وبقائه ولحفظه من فتن حساده ومكايد اعدائه وهذا الفقير يوصيكم بجميع ما تقدم من الأداب و يخبركم ويوصيكم بأنه يبرأ الله تعالى من كل ما يخالف السنة والكتاب ولم يتبع هدى النبي والاصحاب ويأمركم بصالح الدعاء في الصباح والمساء لدوام تأييد الدولة العثمانية التي عليها مدار الاسلام نصرتها على اعداء الدين من

النصارى الملاعين والاعجام المرتدين اللئام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام انتهى . وفي رسالة الاداب لبعض خلفاء مولانا خالد قدس سره بعبارته ولفظه .

واما الأداب الثاني فأدب الرابطة وكماله ان تنظر بخزانة الخيال وهي ما بين العينين الى وجه روحانية المرشد بل الى عينيه ايضا لأنه منبع الفيض ثم تلاحظ داخلا الى تلك الخزانة وحاضرافيها وانت متضرع ومتوسل اليه ثم تلاحظ نازلا الى القلب وقعره نزولا بعد نزول وانت تجري وتتنزل جريانا بعد جريان ولا تغيبه عن عينك الخيال حتى تغيب انت عن نفسك لأن قعر القلب لا نهاية له ولتيسير الى الله تعالى يحصل منه ولو جمع وقوفه مع هذه الرابطة لكان اسرع نزولا لأن المقصود الذات والرابطة انما هو لان يكون وسيلة اليه تعالى . فإن قيل هل للرابطة اصل ثابت فتقول نعم لها اصل بالكتاب و السنة والقياس .

اما الكتاب فما قال الله تعالى « **وابتغوا اليه الوسيلة** » فإن قيل غير الرابطة قلنا المفهوم عام . واذا ثبت الامر بطلب الوسيلة فالرابطة افضل الوسائل لانه اما النبي صلى الله عليه وسلم و اما النائبون منابه و كذا لقوله تعالى « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى** » اشارة الى الرابطة ايضا لان الاتباع يقتضي اما رؤية المتبوع او تخيله و الا لا يعد اتباعا ، **و اما السنة** فقد ذكر البخاري ان سيدنا ابا بكر الصديق رضى الله عنه شكى الى النبي صلى الله عليه و سلم عدم انفكاكه صلى الله عليه و سلم عنه حتى في الخلاء و ايضا بحسب الروحانية و كان ابو بكر رضى الله عنه يأخذ منه صلى الله عليه و سلم .

و اما القياس فتخيل الوسائل من حيث انها وسائله الى المقصود بالذات و معينة عليه لا بأس بها و انما الممنوع جعل الوسائل نفسها مقصودا بالذات فليس كذلك و ليس . و المنكرون بين الامرين لا يفرقون لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ، و في الكتاب « **المسمى بالرحمة الهابطة فى ذكر اسم الذات و الرابطة** » تأليف خليفة مولانا خالد قدس سره الشيخ حسن بن احمد الدوسرى البصرى الخالدى الشافعى رحمة الله عليه بلفظه

الباب الرابعالقول الاسنى في استحباب الرابطة الحسنى .

اعلم ايها الاخ ارشدك الله ان الرابطة من جملة الوسائل الموصلة الى الحضور في عبادة الله تعالى عز و جل و الوسائل لها حكم المقاصد ، قال سيدى الحبيب عبد الله بن علوى الحداد في كتابه اتحاف السائل ، الحضور مع الله تعالى روح العبادات و هو المقصود منها و به يعبأ المحققون و الاعمال التى تصدر مع الغفلة يرونها الى العقوبة و الحجاب اقرب منها الى المكاشفة و الثواب فالرابطة تفيد الحضور و الحضور يفيد رفع الحجاب فالرابطة تفيد رفع الحجاب و رفع الحجاب مطلوب و كلما افاد المطلوب مطلوب فالرابطة مطلوبة فقد هلك من لا رابطة له ، و كل انسان له رابطة لكن شواهد الرحمة الهابطة « « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** » » ، فالرابطة رسول اللهصلى الله عليه و سلم دائمة و اسناها و اسماها قوله صلى الله عليه و سلم « « **لى مع الله وقت لا يسعنى فيه غير ربى** » » ، و رابطة الاوليا قوله صلى الله عليه و سلم حاكيا عن الله تعالى« « **ما وسعنيأرضي و لا سمائي** » » الحديث .

و رابطة المريد قوله صلى الله عليه و سلم ايضا حاكيا عن ربه سبحانه و تعالى « « **وجبت محبتى** » » الحديث ، و هذا الامر لا يدركه الانسان الا بالذوق و الوجدان فان احببت يا اخى ان تسلك سبيل الرحمة الهابطة فيكون لك على التقوى مرابطة فعليك بطريق الرابطة فانها تعلق القلب و تعلق القلب بطاعة الله و رسوله منتج لمحبة الله و رسوله ، و الرابطة يحصل بها زوال الغفلة و جمع القلب على الله تعالى و ذهاب القسوة من القلب و الخشوع و نزول الرحمة و كل ذلك يثمر المحبة لله ، فانا يا اخي تحققت و ابصرت ربح من سلك هذه المسالك و تيقنت انك غر لم تدر و لم تدرك ما هنالك او مغرور تلقى نفسك في الاذكار الذى هو افضح المهالك افترى انى اصغى لتعذلك او اميل الى تزخرف اقوالك او يخفى على دقيق احتيالك هيهات هيهات ذلك

شعر

فلا تلحني فيما اعاني فانما * غرامي كهل و العذول رضيع

دعاني الهوى حتى اغيب و انني * اشاهده و الحاضرون هجوع

محاني عن عيني و عن عين عينه * فصيفي شتى و الخريف ربيع

و عن غائبي عن شاهدي و هوانه * كذلك و لا يخفى عليك صنيع

فزاد هيامي فيه حتى اذا جنى * سقامي ذنبا فالغرام شفيع

و ما سائني ما سامني سوء محنة * فمحنة قلبي ان تسيل دموع

ابي الوجد الا ان يريق مدامعي * دما و هيامي في الوجود يشيع

هل الحب الا ما هوته اضالعي * فلله حب ضمنته ضلوع

لهيب الحشا اني بعشقي سنا الرشا * سليب الحجى مني الفؤاد لذيع

فهب لي اذنا تسمع القول او حجى * يرجح ما تتدعوا له و نطيع

فان قال الاخ المنكر لها تاب الله عليه قد عرفنا على هذا القول ان الرابطة تعلق القلب و هذا لا نقول بمنعه و الحب في الله واجب و محبة الصالحين ثابتة لكن من اين لكم ان استحضار صورة رجل في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها وان استحضاركم سبب تعلق القلب وانه جائز فالجواب عن هذا من وجوه :

الاول قولك من اين لكم ان استحضارصورة رجل في الذهن تحصل هذه المطالب كلها ، اقول لنا ان هذه المطالب تحصل بما ذكرناه كما حصلت لك اضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبهناك عليه ولكنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور الا ترى انك اذا كبرت تكبيرة الاحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة او صدقة او برابطة الحاكم او الوزير او مالك او اهلك او بكل في ركعة او سجدة وتنسى من انت

واقف بين يديه ولاتستحي منه وتنسى نفسك وتخرج من الصلاة ولا تدري اي شيئ قلت اتنكر ذلك ما اريكه[2]تجحدت .

الثاني قولك وان استحضاركم بسبب تعلق القلب اقول لا يخفى ان سبب استحضار الشيئ تعلق القلب به واهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلفون استحضار صورة محبوبهم ولا يحصل لهم الا بالتكلف لأنهم دائما يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة ومن كان شغله نفى ما سوى الله فلا جرم انه لا يستحضر احدا الا بسبب تعلق القلب مع التكلف للفائدة التي ذكرناها وانت تشهد سبب تعلق القلب ولا تكتموا الشهادة وذلك لأنك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك فإذا كبرت للصلاة ظهرت لك صورها وصارت قبلتك التي تسجد اليها ونسيت ما سواها لتعلق قلبك بها واستيلائها عليها وانتقاشها في نفسك فإنه يحصل لك ويجوزلك استحضار هذه المطالب وهم يحرم عليهم السعي في حب هذه المثالب وانت محق وهم مبطلون اهكذا يكون الانصاف ما هذا الا الاعتداء و الجدال والخلاف . **الثالث** قولك وانه جائز اقول من المعلوم ان الاصل في الاشياء الحل ما تثبت الحرمة فكل شيئ لم ينه عنه الشرع فهو مباح وفعله جائز فحركات الانسان وتصوراته المباحة فعلها جائز فإذا وصلت الى

---

[2] لعله - أراكه

مندوب ففعلها مندوب فالرابطة بإعتبار الاصل فعلها جائز وبإعتبار ما توصل اليه مندوب .

الرابع عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوز لك سبنا و لا الانكار علينا بما لم تحط به علما كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مطلوبنا .

الخامس قدعلم و قرّر و اشتهر ان للمصلي يسن له النظر الى موضع سجوده في جميع صلاته ، و يسن للاعمى و من هو في ظلمة ان تكون حالته كحالة الناظر لمحل سجوده . و المراد من ذلك جمع القلب و الحضور و عدم التفرقة ، و هذا من أنواع الرابطة فلا تجعل تخيل الرابطة كتخيل الاعمى النظر الى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة ، فان المقصود واحد الا أن أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام ليتواصلوا بها الى رابطة الصلاة وهي ان تعبد الله كأنك تراه .

السادس اذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملا و أثبت كل منهم فائدته و قرر منفعته فهل يجوز لاحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب و مع عيونهم عيون الناس أهل العلم و الفضل و ما انت و علمك بالنسبة اليهم الا كفحام عند جوهري او كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي فالاولى انك تعترف لهم و اذ فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبتهم و اذا لم تحبهم فلا تسبهم .

شعر

واذا كنت بالمدارك غرا ❊ ثم ابصرت حازقالاتمار

و اذا لم تر الهلال فسلم ❊ لانأس راوه بالابصار

السابع قد علمت ان أحكام الشرع لا تثبت الا بدليل ، وان يكون نصا لا محتملا و لا عاما ولا مخصوصا ككل بدعة ضلالة لما يلزم عليه من الفساد ان من البدعة ما هو واجب و تنزلنا و فرضنا ان عمل الرابطة لا دليل لنا عليه و انما فعلنا لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة ، فالانكار علينا من ايّ وجه و ما دليله ، و لقد أصبت بقولي في الرسالة مهملة الحروف .

شعر

حسد المرأ و المراء مراد الله ❊ ما لامرء سواه عماد

ما اراد الاله اسعاد مملو ❊ ك اراد مراده الحساد

الثامن وهو ضرب مثل : امر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداوات مملكة من أمراض غلبت على أكثرهم مرض البطن حتى آلت بالاكثر الى عدم القيام بالخدمة . و كان الطبيب حكيما ماهرا و عالما راسخا و عارفا كاملا ، و من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . فقال في نفسه تنفيذ هذا الامر من أهمّ المهمات واوجب الواجبات و تعليمه لمن يتأهل للقيام بعلمه موجب

لدوام الاجر و الموثبات ، ذخير العلم ما نفع . و اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث أحدها علم ينتفع به ، فقصد الى بعض المرضى ممن تفرس فيه و عرف انه يكون أهلا للقيام بهذه الوظيفة و تنفيذها على الوجه المراد اذا عوفي فعالجه حتى عوفي ثم علمه الطب و الحكمة و أخبره بالأدوية و خواصها و أعطى دواء البطن و قال له خذ هذا الدواء و انفع به الناس و لا تطلب عليه أجرا و كن محتسبا لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك ، فان أحبّ الأعمال الى الملك عملك هذا فقال سمعا و طاعة ، فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو فاذا هو عسل أبيض فقال الحمد لله فيه شفاء للناس ، فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الاخ بصرك الله بعيبك و وفقك لترقيع جيبك ، فقال ما هذا الذي عندك فقال دواء البطن للمبطونين ، فقال له أرني اياه فأظهر في ظرف مختوم على فيه فاشمه من قبله فقال له ما هذا دواء البطن ، هذا سمّ أتيت تهلك به الناس هذا سمّ ساعة فقال يا اخي هذا عسل مصفى هذا للذين آمنوا هدى و شفآء و الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى فذقه حتى تعلم فقال له ما انت أعلم مني و لا أعرف ، من ذاق هذا هلك . ايها الناس هذا ما أنزل الله من سلطان و أكثر الناس حمقى و شبيه الشيئ منجذب اليه فترك التداوي به مع شدة احتياجهم اليه بسبب كلام هذا الاحمق المغرور ، فلا يزال يتكلم في ذم الدواء و المداوى و المتداوى و يصد عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطله عن خدمة الملك فكيف يكون حال

هذا الشخص اذا حضر بين يدي الملك ، و ستذكرون ما اقول لكم و لتعلمن نبأه بعد حين .

التاسع من المعلوم انا لا نبتكر شيأ جديدا و انما قلدنا من سبقنا من العلماء العاملين و الاكابر العارفين من أهل المذاهب الاربعة كما سترى تقريرهم الرابطة و كيفيتها بل أقسم ان جميع حركاتي و سكناتي في الطريقة هو ما عليه أهل مذهبي الشافعية ، و قد استوفيت كتبهم جميع ما يتعاطاه من الاعمال المخصوصة فما وجه الانكار علينا مع اتباعنا لأئمة الدين و العلماء العاملين كالغزالي و النووي و القاضي زكريا و ابن حجر و الشعراني و المناوي و غيرهم ، أتظن ان انكارك ما يتوجه على أوْلئك السادات الابرار و الاولياء الاخيار أولي الانوار و الاسرار ، اما تخشى محاربة الواحد القهار ، اما علمت ان الانكار يؤول صاحبه الى سوء الخاتمة و دخول النار ، أتظن ان انكارك ظاهرا و اعترافك باطنا ليس من التلبيس و مشاكلة الابليس و جحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما و علوا ، تنبه لنفسك ايها المغرور و اخش عواقب الامور « **انك ميت و انهم ميتون و سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** » .
و هذا السؤال ما يحتمل هذه الاجوبة و انما اوردناها نصيحة و إفادة و ترغيبا و ترهيبا ، و لكل امرء ما نوى ، فنسأل الله ان يمن عليك بالهداية و سلوك سبيل الابرار و ان يخفيك الاضرار و سبيل الاشرار ، إنه وليّ المؤمنين .

و اعلم يا اخي ان سبب الانكار احد امرين ، لا يخلو من احدهما كل منكر ، **الجهل وهو الاكثرو عدم العمل بالعلم وهو الأغلب**على من ينتسب اليه . فان كنت جاهلا يا اخي فلا تقف ما ليس لك به علم فتقع في الظلم ، ولا تقل هذا حلال و هذا حرام فتحكم بغير ما أنزل الله و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . و ان كنت عالما فاعمل بعلمك يا اخي تفلح و لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . و ما أحسن ما قلت في الرسالة المهملة الحروف : اما والله للعلم و العمل المراد و لإدراكهما أرسل الله الرسل الى الامم كمحمد صلى الله على روحه و سلم ما عود ماس و مال و ماد و كصالح و لوط و رسول عاد و لا احد اهملهما الا وهلك حالا و حال المعاد و آل امره الى سوء مهاد ، و هل الهدى حاصل الا للسالك سلكهما وصل الى سوح و دار ملكهما و حلاه الملك اساور هداه و حلله و أمده و أصلح عمله ، لا و الله لا در الا دره و لا مد الا مده و لا عوائد الا عوائده و لا هدى الا هداه و لا معول الا ما اسداه .

شعر :

هو المولى المراد و ما عداه ❋ كال ما علا صحراء لامع

هو الملك المطاع و ما سواه ❋ له ملك و مملوك و طاوع

و هل آل كماء الورد امسى ❋ و هل اجدراه و هو طامع

الا وحد الهك و ادعه لا ❊ اله سواه وهو الله سامع

اما و الله ما مولاك ساه ❊ و لا لاه و لا واه و هالع

هو الحكم المصور وهو عدل ❊ و حول الله مسموع المسامع

له الملك السما و كل ملك ❊ و مالكه و مودوع و رادع

اما وهداه لهو الله مولى ال ❊ ورى طرا محلهم المصارع

اما و علاه لهو الدهر سام ❊ و معلوم السمو لدى المطالع

اما و علوه لله داع ❊ الى دار السلام الا مسارع

اما و الله ما هو صاح الا ❊ اله صمد و واسع

اوحده و لم ار ما سواه ❊ و لم اره سواه لدى المطالع

اما الآؤه دهرا اراها ❊ كمدرار السما اما اطالع

الم ار ما رأى الكرما لما ❊ سموا وهم اولو حلس الصوامع

ارى صرحا له روح و راح ❊ و لولا الراح لم اسل المدامع

و لولا الراح ما للروح سكر ❊ و لولا السكر ما للصرح صادع

الم اعلم و هل علم كعلم امر ❊ رى اعلا مطامعه المدامع

دعاه المحو اطوار عداد ❊ و صار مسامر الصحو لطاوع

اصاح اعلم و علم كل حر ❊ مسرما رأى ولو اللوامع

و دع كل امرالهاه لهو ❊ الا و ارحل الى المولى و سارع

و اودع كلما الهاك طرا ❊ و سله لا سواه سؤال راكع

و صل على امام الرسل طه ❊ و سلم ما رعوى وارع و طامع

انشا قصيدة تائية الشيخ ابوبكر الشافعي البوصري لرد من هجوا الشيخ حسين صاحب رحمة الهابطة بقوله :

الا يا ايها الغاوي بوادي الجهالة ❊ رويدك لا تنطق بزور المقالة

لقد جئت ادا في المقال مصرحا ❊ ببهتان افاك و لغو البطالة

و فهت بهجو الاختلاف الذي حوا ❊ لاقوال افك واضحات البداهة

اتحسب ان الله يخفى عليه ما ❊ تقولت او اضمرته من عداوة

لغوت الامام عالم متنسك ❊ نصوح لخلق الله صافي السريرة

صبور على ايذاء كل معاند ❊ و راض بأقدار الحكيم المرادة

حسين الذي قد حسن الله فعله ❊ فاحسن به من قدوة و خليفة

سرى سلسبيل الدوسرى لقد سرت ❊ موارد اسرار له في البرية

بزهد و تقوى فاق أهل زمانه ❊ و ادمان ذكر في حضور و خلوة

و أحيا ليل مع صيام هواجر ❋ و هجران منهي و بذل الفتوة

و إرشاد خلق الله للحق معلنا ❋ و هدى جميل في مقام استقامة

و كم من مقامات له و مناقب ❋ يميزها فرسان فنّ الفراسة

اتهجوه بالقول الشنيع و لم يزل ❋ مقيما لاركان الهدى المستقيمة

و تطعن فيمن لا يريد برشده ❋ سوى نفع من ينجو النهج المحبة

فويحك ماذا قد دعاك لذمه ❋ و ليس محلا للصفات الذميمة

فلا شك ما عاديت الا لشهوة ❋ كحبّ علوّ او حضوض دنية

أتيت بلغو الهجو فيه تناقض ❋ لجمعك في مدح و ذم لفرقة

أتمدح أشياخ السلوك و تزدري ❋ لاتباعهم في نهجهم و الطريقة

لعمري لهذا منك أكبر ناقض ❋ لقولك هذا الهجو من غير مرية

فان قلت هم قد خالفوا من امامهم ❋ من السادات الهادين اهل المروة

فأوضِح لنا ما خالفوا فيه هديهم ❋ و ما أحدثوه من ضلالة بدعة

بنص صريح القول ان كنت صادقا ❋ و الا فقول الافك ليس بحجة

بلى هم اناس خالفون بنسكهم ❋ و زهم في الفانيات الحقيرة

اتزري بقطب الوقت بالشيخ خالد ❋ امام الهدى محي علوم الحقيقة

بعلم لقد أضحى و هدى مسدد* يجدد نهج السادة الخالدية

فاحيى علوم الدين بعد دروكها * على وفق منهاج الهداة الأئمة

اتشمت بالطاعون حل بسوحه* و اتباعه ممن احظى بالشهادة

فليس به قد خصصوا دون غيرهم * و كل فتى يلقى لخطب المنية

و قد مات بالطعون في الشام معشر * افاضل من أصحاب خير البرية

غلوت بنكر في المقال جهلته * و لم ترع ما في ضمنه من أذية

نسيت بالجهل ويلك للذي * يخالف نصا للكتاب و سنة

كذبت لعمر الله ما كنت صادقا * بقولك فيهم انهم في الضلالة

و تالله ما ضلّوا و لا جانبوا الهدى * و لا عطّلوا أمرا اتى في الشريعة

و ان خالفوا المنصوص ضمن اعتقادهم * فحاشهموا من سوء كل عقيدة

تعرضت بالذم الصريح لكتبهم * و لم تر ما في طيّها من عبارة

اذقت كما ذاقوا و ادركت شاؤاما * انالوه من أسرار علم الحقيقة

تعاطيت بالتكذيب اصرارا و قلة * احترام على السادات اهل السعادة

كذبت بالعلم الذي لم تحط به * و لم تروه في واضحات الادلة

و انكرت اشياء و تعلم ليس في * تعاط لها ما في مناهي المحجة

أتنكر غلق الباب في حال ذكرهم * لأجل صفا مع فيوض منيرة

و خشيت جهال يسيئون مادبا * فيمزج ما يصفوا لهم بالكدورة

نعم جاء هذا في الحديث المعنعن * عن المصطفى مع جملة من صحابة

رواية شداد بن اوس اتت به * و أوردها أهل العلوم الشهيرة

أتنكر عدا بالحصى في حضورهم * لدى الختم كي يحصوا عدّ التلاوة

به العد جاءنا في الحديث لزوجة * النبيّ و تقرير لها عند رؤية

أتنكر حال الذكر صوت خشوعهم * و أحوالهم للواردات المفيضة

الم تقرأ القرآن في وصف صفوة * يخرون للاذقان من اجل خشية

لعمري ما أنكرت شيأ محرما * بنص قياس او كتاب و سنة

فويل لما قد كنت غرا فما الذي * دعاك لانكار اصطلاح الأئمة

الم تر ما قد قال قطب زمانه * الشهير بحداد اسير المحبة

و ما في طريق القوم بدا ولا انتهى * مخالفة للشرع فاسمع و أنصت

و سلم لاهل الله في كل مشكل * لديك لديهم واضح بالادلة

فليتك اذ لم ترع حق حقوقهم * كففت الاذى عنهم لخوف العقوبة

فقد جاء نصّ في الحديث مصرح * بايذان حرب من اله البرية

لمن بارز المولى بايذاء اهله * بان صار من أعداء أهل الولاية

فيا ويل من عاداهمو او جفاهموا * فسقا له عادى مليك الخليفة

فيا يدع في ذا لست اول منكر * على السادة أخيار أهل الطريقة

يفيض مولانا لهم من يعينهم * من الخلق كي يحظو باكمل رتبة

كما قد جرى فيما مضى لاولي الشقاء * فهم وارثوهم في رخاء و شدة

و لا عيب فيهم غير ان طريقهم * مشيّد بآيات الكتاب و سنة

فلو كان إنكار الجهالة حجة * لما أنكر الكفار حق النبوة

و أكبر ما انكرته لم يكن جرى * و لكنه افك اتى في المقالة

أجبتك عنهم لا لملحظ شهوة * و لا مدحت البغي بها نيل رفعة

سوى انني أرجو بذاك رضاهم * علي كي أحظو بصالح دعوة

و انس و ان لم أحظ من بعد وصلهم * فلي في هواهم رفع جاه و عزة

و ان لم أذق من سلسبيل شرابهم * فجيئ لهم لي فيه منحة نعمة

محبتهم سمتي و هديي و منهجي * و أفضل ما عندي و أوثق عروة

بحبي لهم أرجوا من الله نصرة * على من يعاديني لكشف كربتي

و امنى في قبري و عيشي و محشري * و فوزي بجنات النعيم لرؤية

فيا رب و فقني لنهج سبيلهم * سبيل الهدى هدى النبي ذي الرسالة

عليه صلاة الله ثم سلامه * و آل و اتباع له مع الصحابة

دواما لدى الازمان ما لاح بارق * و حق تبدي للقلوب المنيرة

و ما غرد القمريأو منشد جدي * فهيج اشواقا لاهل المحبة

و ناسب القصيدة من النصيحة للامام الهمام العلامة الشيخ إسماعيل بن ابي بكر المقرئ الشافعي اليماني صاحب الروض و الارشاد رحمه الله تعالى وهي :

الى كم تماد في غرور و غفلة * و كم هكذا نوم الى غير يقظة

و قد ضاع عمر ساعة منه تشتري * بملاء السماء و الارض اية ضعيفة

أتنفق هذا في هوى هذه الّتي * ابى الله ان تسوى جناح بعوضة

و ترضى من العيش السعيد تعيشه * مع الملاء الاعلى بعيش البهيمة

فيا درة بين المزابل القيت * و جوهرة بيعت بأنحس قيمة

افان بباق تشتريه سفاهة * و سخطا برضوان و نارا بجنة

كلفت بها دنيا كثير غرورها * تعامل من في نصحها بالخديعة

و ان أقبلت ولت و ان هي أحسنت * أسأت و ان صافت فثق بالكدورة

ولو نلت مال قارون لم تنل * سوى لقمة في فيك منها و حرقة

و عيشك فيها الف عام و ينقضي * كعيشك فيها بعض يوم و ليلة

و هبك بلغت الملك فيها الم تكن * لتنزعه من فيك أيدي المنية

عليك بما يجدي عليك من التقى * فانك في لهو عظيم و غفلة

اما تستحي من مالك الملك ان يرى * صدودك عنه يا قليل المروة

تصلي بلا قلب صلاة بمثلها * يكون الفتى مستوجب للعقوبة

تصلي و قد أتممتها غير عالم * تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة

فويلك تدري من تناجيه معرضا * و بين يدي من تنجى غير محبة

تخاطبه اياك نعبد مقبلا * على غيره فيها لغير ضرورة

ولو رد من ناجاك للغير طرفة * تميزت من غيظ عليه و غيرة

ذنوبك في الطاعات وهي قليلة * اذا عديت أغنتك عن كل ذلة

سبيلك ان تستغفر الله بعدها * و ان تتلى في الذنب منها بتوبة

الهي لا و أخذتنا بذنوبنا * و لا تخزنا و انظر الينا برحمة

و كن شغلنا عن كل شغل و همنا ❋ و تغنينا عن كل همّ و بغية

و صلّ صلاة لا تناهي على الذي ❋ جعلت به مسكا ختام النبوة

و آل و صحب أجمعين و تابع ❋ و تابعهم من كلّ انس و جنة

و ناسب كتابة هدى المسترشدين للحقير سليمان زهدي بن حسن الخالدي المجاور ببلد الله الحرام مرتب تبصرة الفاضلين وهو مكتوب لبعض الاحبة قبل التبصرة .

ملاذا ملجئا مما سوى الله ❋ معادا مبدأ في أسماء الله

صلاة بعد حمد و سلاما ❋ على أصل و فرع من نور الله

نظمنا لؤلؤا درّا مضيئا ❋ للمؤمنين المنقادين لله

و سميناه هدى المسترشدين ❋ تلألاء نوره لمنصف الله

ايا احباب و يا اخوان في الله ❋ فلا تصرف مرات الحب لله

و ان لم تصرفها بما سوى الله ❋ تكن من المحسنين لدى الله

هل جزاء الاحسان الا الاحسان ❋ وارد لكم فضلا من الله

عليكم الصلاح و الترقي ❋ بما في الاحسان ان تعبد الله

و ان قلبتها بما سوى الله ❋ تكن من المطرودين لدى الله

لظلمك النفس و تعديها ❊ بغير ما لها من رجعة الله

وهي هاربة من إقباله ❊ لاحراق خبثها نور حبا لله

و خالفها و جالب الدواء ❊ بتلك تؤمر نحو شرع الله

هوآء صادق دواء محض ❊ و طبع ابق من دواء الله

طبيبا حاذقا و اطلب عليل ❊ و جاهد و ابتغ في سبيل الله

نبينا من أقرب الوسائل ❊ و بعده النوائب الى الله

و كانت للنوائب شروط ❊ علوم الدين و العرفان بالله

لهم امارات لولا العلامات ❊ لما يعرف الغير منهم بالله

سوى تبشيرهم و تنذيرهم صفاتهم صفر و صفى الله

وهو كماء الزمزم للناس ❊ لذامر و ذاك زلال الله

طباعهم طباع صفروي ❊ يذوقون مرا بآلآء الله

طباع سليم لهؤلاء ❊ يشوقون الحق بانوار الله

و هم ترياق الخبث و الخبائث ❊ تفر الخبائث منهم بالله

لان جمع الضدين محال ❊ و كانوا هؤلاء حبيب الله

و هم حبيب الكليم ثم حبيب ال ❊ مسيح خارقا لعادة الله

و لا تطلب بخارق منهموا ❊ و ليس مخصوصا لولي الله

فطهر ثوبك من لوث الدارين ❊ و طهر قلبك عما سوى الله

و كن مقتصدا مخلصا لله ❊ توكل عليه ففر الى الله

الى شيخ او نائبه و اذهب لديه إجلس و اعتمد على الله

بآداب كلّم في الدين عنده ❊ و رقب القلب لورود الله

و ان أفتى القلب في صلاحه ❊ فخذ وسيلة لك الى الله

و ان لم يفت حشاء كذلك ❊ و سل القرين حسبة لله

لك الاستخارة في المنام ❊ لنيل المقصود به من الله

و جر به كرارا و مرارا ❊ متى أيقنت واف بعهد الله

و لكن تتقي من امتحان ❊ فان الممتحن ملعون الله

كفيك المعروف بين العلماء ❊ بعلوم و التشويق الى الله

كفيك المذكور له صلاحا ❊ و ان لم تدركه بأسرار الله

استغنى المأموريدا صحيحا❊ عن المذكورات وهو يدالله

و هم كالناس بين الناس لكن ❊ مستورون تحت قباب الله

بذالك اصعب وجدانهم ❊ من النبيين و الله و بالله

و لكن اجتنب من الصورية* يري كسراب لظمان الله

فلا رحم ولا انصاف لهم * يسم العطشان بما سوى الله

و ناسبهم الطبع كثيرا * و فيرا فاستعذ منهم بالله

و هم يطلبون بعقولهم * و العقل قاصر في احكام الله

فكيف يحصل العرفان به * و ناس راغب به عن الله

و لكن عارفون يعرفون * بعرفان موهوب من عند الله

لهم بعد الفناء و البقاء * و بعد الارتدى برآء الله

فنعم العارف و نعم العرفان * بريئا دائما مما سوى الله

و نعم المرتدى براؤه*المتكبر في كبرياء الله

كفيك التبيين من أحوالهم * به فاطلب هدى مهديا لله

عليك أسلم الطريق منه * و بعد ذلك تسليم بالله

فانت كتاب مرقوم و الش * يخ شرح مبين بتأييد الله

اقرأ كتاب ذاتك المتين * بشرح المبين فضلا من الله

و كن مستسلم الشيخ كالميت * لغسله النفس بفيوض الله

و صابون الصبر منك دائما * و ليفا لالفة حسبة الله

و تبخيرك بعد تطهيره ❊ بعودة العود خالصا لله

و تكفين احرامك الحضور ❊ و تدفينك في استغراق الله

و جلاء القلب بمصقلة ❊ و محو الوجود بمطرق الله

و الباس القباء بالكمال ❊ و افناء الجسد في أسماء الله

و شرب الحياة من حياضه ❊ و بالتهليل صح توحيد الله

بذلك كان راضيا مرضيا ❊ الى ان تدخل في عباد الله

تجلى خاصة منهم جمالا ❊ و يبقون به من بقاء الله

و أرداهم به بعد اللقا ❊ حصونا مصونا مما سوى الله

ايا زهدي فكن عبيد الله ❊ مع الله و في الله و بالله .

تم الكلام و السلام بعون الله الملك العلام ، الحمد لله اولا و آخرا ظاهرا و باطنا الى مد الزمان و دور الليالي و الايام ، سبحان ربنا رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و علينا معهم اجمعين آمين .

هذا السؤال ورد للحقير من اهل جستاي تابع قزان هكذا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى . و بعد : فما قول مشايخ الاسلام و فقهاء الحرم في شيخ الطريقة العلية النقشبندية الخالدية يلقن الذكر بالنسوان الاجنبيات باذن شيخه له من ورآء الستارة و بالاحتراز عن محظور الشريعة و الطريقة فهل هو مباح او مندوب على الاطلاق او التقييد ام هو محظور و ممنوع كذلك ام كيف الحال أفيدونا بالاقوال الصريحة و الروايات الواردةمن الكتب المعتبرة أثابكم الله .

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده و على آله و أصحابه العمدة ، رب زدني يقينا و أدمني حمده .

و بعد : فقوله شيخ الطريقة العلية النقشبندية الخالدية وهي طريقة ملقنة مشهورة مسلسلة معنعنة مروية عن النبي صلى الله عليه و سلم الى الصديق الاكبر رضي الله عنه و منه الى خلفه خلفا بعد خلف الى ان اوصله الله تعالى باواننا و الى ما شاء الله من الزمان ، و هي في الاصل بيعة خاصة في الاسلام بايع النبي صلى الله عليه و سلم لمن شاء بما شاء و عهود مشروعة و طريقة مسنونة لتحصيل كمال الاخلاص و اليقين الذي هو الفرض الاول بعد الايمان على المكلفين بالاشتراك و في تنوير الابصار .

و اعلم ان تعلم العلم يكون فرض عين وهو بقدر ما يحتاج في دينه ، و فرض كفاية وهو ما زاد عليه لنفع غيره ، و مندوبا وهو التبحر في الفقه و علم القلب انتهى . و في الشامي وهو معطوف على الفقه لا على التبحر لما علمت من ان علم الاخلاص و العجب و الحسد و الرياء فرض عين و مثلها غيرها من آفات النفوس انتهى . و قال العلامي في فصوله : من فرائض الاسلام تعلم ما يحتاج اليه العبد في إقامة دينه ، و اخلاص عمله فرض على كل مكلف و مكلفة انتهى . و في تبيين المحارم : لا شك في فرضية علم الفرائض الخمس و علم الاخلاص انتهى . و طريق تحصيله و الخلاص عن غفلات القلب و هفوات النفس ذكر الله عز و جل باصوله « **الآ بذكر الله تطمئن القلوب** » و العمل به واجب لا محالة و التبحر به مندوب لحق اليقين و تلقين الذكر و البيعة به من المأمور به بيد صحيح سنة متواترة ، و يدل على الاشتراك نص القرآن و صريح التبيان كقوله تعالى « **ان المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و الحافظين فروجهم و الحافظات و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات** » الاية . و البيعة المخصوصة لهن قوله تعالى « **يا ايها النبي اذا جآءك المؤمنات يبايعنك** » الىقوله تعالى « **فبايعهن** » الاية و قصة البيعة لهن و مكالمة هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان بين الاجانب و عدم إنكار النبي

صلى الله عليه و سلم عليها بل جاوب معها هي مشهورة ، و الصحيح ان النبي صلى الله عليه و سلم بايع الاجنبيات بالكلام لا باليد ، و الاصح من اقوال الفقهاء في الاجنبيات غض الصوت و الوجه واجب عليها لدفع الفتنة في زماننا و النظر على حجم جسدها مستورا واستماع صوتها بلا شهوة مباح ومعها محظر واما العجائز الشوهاء كالرجل في السفر والخلوة معها والحيلولة بين الاجانب مع القدرة عليها وغيرها على قول الاكثار واما تكميل حالتهن فقال صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه و عليهم الصلاة و السلام .

قال مولانا عبد الرحمن ابن احمد الجامي في« **نفحات الانس** » قال محي الدين العربي المعروف بالشيخ الاكبر في فتوحاته وماذكرته من الرجال ليس كلهم رجال بل بعضه نسوة بلغت مبلغ الرجال وعد في النفحات ثلاثا وثلثين نسوة ولية لهن صحبة مع الرجال استفدن منهم وافدن لهم فراجعه وذلك تلقين خاص وبيعه مخصوصة من اهلها لأهلها كما مر ولذلك لم يبينوا النقباء المجتهدين والفقهآء العاملين تلقينات اهل الطريقة في باب مستقل الاان الطريقة والشريعة توأمان كالروح والجسد احدهما لتحصيل كمال الاخلاص الذي هو العمل بالقلب والآخر لتحصيل اركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح فإن الروح بلا جسد ماله قيام وان الجسد بلا روح ماله دوام وذلك

امر مشترك بين المكلفين من الرجال والنسوان وعمل مشايخنا الخالدية في المكة المكرمة يلقنون الذكر للنسوة التي يعرفن مراعة اداب الطريقة لا الشابة واهل الهوى منهن من ورآء الستارة او بواسطة المحرم من احدهما بلا خلوة صحيحة وتعليمات المشكلات لهن كذلك ويشتغلنا الذكر الملقن لهن في بيوتهن بعد قضآء حاجة زوجها وخدمة بيتهاواولادهاولا لهن جمعية ختم خواجكان ولا حلقة توجه بل يذكرن في بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجهلة وهذه التي وصلت من مشايخهنا في حقهن خذها ولا تتبعوا الهواء ليضل به الناس واتبع سبيل من اناب حامدا مصليا مسلما وانا المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي المجددي النقشبندي ابن حسن المجاور ببلد الله الامين قد بيض في محرم رصزغ

هذه حادثة الحال لبعض الخلفاء

من ترك امر الارشاد في بلدة بلا عذر و استقام غيره فيها به سنينا حين ترك الاول افيدونا كيف الحال .

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لوليه والصلاة والسلام على نبيه و على اله

وبعد :رب زدني علما و هيِّئ لنا من امرنا رشدا نعم و الحال ما ذكر فإن ترك المأمورية من غير عذر مع وجود الطالب نقض العهد و تخلف البيعة و هو مسقط السابقية بل مسقط المأمورية بالارشاد فليتدارك المبتلى الى تحصيله منزلته الاولى بالملازمة الى المرشد المأمور به . واذا حصل منزلته الاولى لم يحصل السابقية له فيتبع لمن سبق عليه في حال فترته و ذلك غنيمة له . فإني سمعت عن سيدي الشيخ سليمان عن سيدي الشيخ عبد الله خليفة مولانا خالد قدس سره قال وصل خبر الشيخ اسماعيل الشرواني

الذي هو مأمور بالارشاد في الاماسية انه كتب الاجازة لبعض من رباه من غير استئذانه من مولانا خالد قدس سره حين سمعه اراد حضرت مولانا ان يطرده من الطريقة العلية مرة واحدة واستشفع بعض الخلفاء حضرت قدس سره لكمال علمه و جلالة منزلته و قبل الحضرت و كتب له بان لا يشتغل بالارشاد و ما حصل من الطريقة العلية كفاية لنفسه ، والعبد الوهاب المطرود المشهور طرد لاجل بعض الدسائس على حضرت مولانا قدس سره و الشاه

النقشبند و الشيخ عبيد الاحرار قدس سرهما طرداهم لادنى شيئ كما في الرشحات و المراعات و التأدب مع روحانيتهم اولى و احق كما كان في حياتهم بإشارة قوله تعالى « فالمدبرات امرا » اى النفوس الفاضلة فسر بذلك القاضي و غيره و ترك التأدب معهم في حالتيهم يقضي الى هذه الحالات فليتنبه البصير الله حسبي و نعم النصير

كتبه ببنانه المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي المجدي المجاور ببلد الله الحرام في عام رفطغ تمت

هذه نصيحة لمن يؤذي على اهل الاستقامة بالغواية و الطغيان

بسم سبحانه من الحقير القليل المعترف الذليل الى اخيه الحبيب الشيخ محمد طيب عسى الله طيب حاله و مأله بطيب التوبة و ريحان الاستقامة امين يا معين فالبادي لتسطير الالوكة الحقوق القديمة و النصيحة الشريفة للاخوة كما امر لنا سادتنا بالنصيحة للاصاغر و الاكابر و اتباعا لقوله صلى الله عليه و سلم « « **الدين النصيحة لله و للرسول صلى الله عليه وسلم** » » يا اخينا قد اقمت في المكة المكرمة و حضرت حلقة السادات الكرام و الختم خواجكان و التوجهات عندنا و لكن ما حصل منك الدوام و كثرة اشتغال بالذكر مثل سائر الاخوان و قلة المبالات منك في اداب الطريقة العلية ، و صار ذلك

سببا لتركك حلقة السادات عندنا و وصولك الى المنكرين و المطرودين عن طريقتنا و المتشيخيين المرتسمين في المكة المكرمة ، ثم اعطى المتشيخ المطرود لك الاجازة ثم وصلت الى بلاد جاوي و كنت تريد التشيخ مثله و تؤذي على اهل الحق و الاستقامة و هذا الفعل منك لا يرضى الله ولا رسوله و لا سادات الطريقة العلية و كنت ضالا و مضلا على الناس كما كان المتشيخين المطرودين هنا لولا وصولك اولا عندنا فما بينت لك هذه النصيحة ، و الامام الذي اخذ طريقة التشيخ من عند المتشيخ ولا انصح له فإنه بعيد عنا لا نعرفه ولا يعرفنا لان الباطل لا يسعد و الحسود لا يسود ، و الواجب عليك التوبة النصوحة عما فعلت و الرجوع عما جرى و الدخول الى طريق التربية و الوصول الى رضاء الله تعالى بيد المرشد المأمور بيد صحيحة مثل الشيخ عمر و الشيخ عبد الحليم و الشيخ عبد الوهاب هناك ان لم تصل الى المكة المكرمة و ان لم تفعل ما امرت لك من طرف السادات فانتظر العقوبات الدنيوية و الاخروية لان الله تعالى غيور يحارب من خالف اوليائه و ينتقم على من غير طريق وصوله اليه اى ظلم اكبر من هذا الظلم . « فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون »

و السلام على من اتبع الهدى واهتدى حامدا مصليا مسلما

من مسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي المجددي ابن حسن المجاور ببلد الله قد بيض في صفر رصزغ ، تمت .

هذا رد ما في رسالة عبد الرحمن بن يوسف الجاوي البنجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل و القليل من كل القليل الى اخيه ذي الشيم الجميل و الحبر الجليل سلمه الله تعالى و ادامه على احسن الحال و وقاه من كل مكروه و محال امين .

و بعد : فالبادي اولا تفحص احوالكم السنية و اجبار بالكم العالي و ثانيا اتباع قول النبي صلى الله عليه و سلم « « **الدين النصيحة لله و للرسول و للمؤمنينو المؤمنات** » » في حق رسالة الادب المنسوبة لكم و صلت الى الحقير المبوبة بخمسة عشر بابا . الباب الاول في بيان كيفية الذكر و الباب الخمسة عشر في بيان ذكر طريقة الشرطية و السمانية و طالعناها كاملا و علمنا ما فيها من الاصول و الفصول .

فبعض الاصول تلفيق مختلط باصول الخالدية و غيرها و حكم التلفيق في المذهب باطل وكذا في الطريقة و بعض الابواب و الاصول خارجة عن اصول الخالدية مرة واحدة و حكم الباب السادس [3] و العاشر [4] خلاف الشرع الشريف بل يخاف عليه الكفران لم يعلم القائل بتأويل في قوله يا اخينا ان كان

[3] الباب السادس في بيان صورة الحياة و هي علامة الحياة و اذا اردت ان تعرف حياة نفسك فانظر بنظر هلو بلاغ و معناه بالعربي الكهنة الذين يخبرون ببعض المغيبات فانهم اذا نظروا و وجدوا من تلك العلامات يعرفون ان عمرهم ما بقى الا اربعين يوما ، و بعض العلامات تشير اى يوم و ليلة او ساعة واحدة و متى وجدت عن علامات نفسك فاجتهد بالذكر و اشتغل بلايمان الحقيقي الذي سيأتي ذكره في بابه لان الشيخ عالم باعمار مريده الماضية و المستقبلة حتى لو طلب واحد منه زيادة عمره القصير لامكن الى ان بلغ مائة سنة مثلا انتهى .

[4] الباب العاشر اذا اراد ان يأكل شيأ فليتأمل و هو من الله تعالى و لا يشك في حله و حرمته انتهى منه .

هذا الامر صحيح عندكم و عملكم على الرسالة المذكورة و نسبة طريقتكم الى مشائخنا الخالدية فالمرجو من جنابكم ان تسمعوا قولنا و تستقيم على اصولنا لان الطريقة كلها ادب و ترك الاداب ترك الطريقة و ابطالها و الحقير اخذ الطريقة و اصولها و احوالها من مشائخنا بلا واسطة و امروني عليها و اوصوا بها الينا وصية صحيحة و اقاموني في مقامهم بالارشاد و الحقير نظر في الزمان قصرت الهمم و كثرت اللمم و الحكم لذلك كتبت رسالتنا « **صحيفة الصفا لاهل الوفا** » في الادب و « **مسيرة للسالكينفي بيان المقامات** » و ارسلتهما و في اطرافها « **رسالة منظومة فيالادب لبعض خلفاء مولانا خالد قدس سره** »و هذه الثلاث كفاية في طريقتنا لمن عمل بها و الرسالة التي لكم ان اخذتم الاصول من مشائخنا اخذتم بواسطة الترجمان و اظن هذه الغلطات كلها من الترجمان و عليكم ترك احكام الرسالة المذكورة و نشر اصولنا ان كانت نسبتكم الى طريقتنا الخالدية و سنكتب لكم رسالتنا « **نهجة السالكين و بهجة المسلكين** » ان شاء الله تعالى و بينوا لنا حقيقة الحال و السلام مسكية الختام

من المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي المجدي

النقشبندي ابن حسين المجاور ببلد الله الامين

في عام رفحغ

تمت

هذا اعتذار لبعض تارك الادب بمخالطة المنكرين و المطرودين من الحقير سليمان بن حسين الخالدي الى اخيه ابى بكر ابن اسماعيل سلمه الله يا اخي انك كنت ضائعا قريب سنة ما حصل الاتفاق بيننا لا في المعايدة ولا في المؤانسة و هذا امر لا يجوز بين اهل الايمان فضلا عن ان يكون بين الاحبة والاخوان ومع ذلك المواصلة واجبة بيننا كالابوة والبنوة وانت شاهد على ذلك من مشايخك انشدك الله وللرسول بان تتوجه الينا جلسة خفيفة لاجل الصحبة والمصلحة ان علينا خطاء فانتم سامحوا لنا وان عليكم وكنا مسامحين وبعد ذلك فكن على الصلاح والاصلاح فان ابيت عن المواجهة فبين لنا سبب الاباء ورد كلمتي فيكون لي عذرا عند سادتي بقيام الحقوق بين اخواني يوم لقائي والسلام ختام . تمت

هذه حادثة رد الرد

بسم الله الرحمن الرحيم من الفقير الى الله

الى اخيه و محبيه لوجه الله الشيخ محمد جميل جمل الله حاله و مأله وصل لنا كتابكم العزيز و ارسلنا جوابه اوصله الله تعالى .

و بعد : ان خليفة من خلفائكم جاء الينا قبل ثلاث سنين و دخل السلوك مع الاخوان و استقام ثم رجع الى بلده و العام الخمسة و التسعين اتى للحج و

دخل السلوك و استقام مثل عادة الخلفاء الجاوي و هم يتخذون السلوك عندنا غنيمة و ورد هذه السنة كتاب من عندكم لخليفتكم المذكور و رفيقه بهذا العنوان

ان هذا الكتاب يقدم الى الشخصين الكاذبين شديدي الشر المنافقين تونكو فنجغ موغى و تونكو محمد رشيد موغى ايضا و هذا الكتاب على قدر الاختصار من الخبر و هو ان المقصود منكما ان تأتيا الى باب بيت الله الحرام حال كونكما مستقبلين الى الحجر الاسود واضعين ايديكما اليه و تقولان بلسانكما ما نحن مسترشدين من محمد جميل تونكو و نزعنا مشيخته عنا و تشهدان الحجر الاسود على ذلك و ايضا ورقة الاجازة يردها تونكو فنجع و يعطيها الى اهل تونكو المقيم في المكة المكرمة اسمه محمد طيب تونكو ان كان لا تعرفوه يحتاج ان تسأل الناس عنه لازم لازم لازم و تعطوها له هذا ما لزم من الحقير المفتقر الى ربه القدير الحاج محمد جميل ابن الجهمى حين وصل المكتوب فجعوا فجعة كبيرة و روعوا روعة شديدة فجاؤوا الى الحقير و سألتهم عن سبب ذلك فقالوا اهل بلادنا جعلوا شيخ الجماعة منهم الشيخ عبد الغني ، و نحن طلبنا الرخصة من شيخنا الشيخ محمد جميل بالنزول الى شيخ بلدنا في المكة المكرمة و اذن لنا الاتيان الى الشيخ بلدنا و بعد ما رجعنا من عند الشيخ محمد جميل اخبرلنا بعض الخلفاء انتم لا تنزلوا على الشيخ عبد الغني انزلوا على الشيخ عبد اللطيف ، وقلنا له اخذنا الاذن من الشيخ ثم

نزلنا عند الشيخ عبد الغني شيخ بلادنا ، ما عرفنا غير هذا مخالفة لا من امر الطريقة و لا من امر الشريعة . يا أخينا ان كان ما قالوه هو الحق ليس فيه المخالفة بل هو عادة جماعة الجاوي اذا نزل مرة عند شيخ و ينزل عند شيخ آخر مرة ثانية و هكذا مرة بعد أخرى كثير الوقوع و هذا من قبيل قوله صلى الله عليه و سلم لاصحابه انتمأعلم بأمر دنياكم و ما كتبتم لهم و شددتم عليهم ، والحال ما ذكر لا يرضى الله تعالى و لا رسوله و لا السادات الكرام . فان تعليم العلم و الذكر من جملة صدقة الجوارح . و قال تعالى « **و لا تبطلوا صدقاتكم بالمن و الأذى** » و قال صلى الله عليه و سلم « « لا تروعوا المسلم فان روعة المسلم ظلم عظيم » » ، نعم وقع الطرد على بعض الناس من المشايخ الكبار و ذلك ان المطرودين ارتكبوا شيأ مخرجا عن الطريقة و أصروا عليه و ما تابوا عنه ، و المشايخ بيّنوا للناس انهم مطرودون عن الطريقة العلية بذلك . و اما تلميذكم المشار اليهما و هما من المخلصين المستقيمين في امر الطريقة و نسألكم السماح عن قصورهما و كسورهما و جبر خاطرهما باللطف و الاحسان . و قال عليه الصلاة و السلام « « من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل لم يرد على الحوض » » ، و قال الامام الشافعي من استرضي فلم يرض فهو شيطان ، و انتم برئ عن كل ذلك و المرجو من جنابكم التجمل مع الاخوان كاسمكم الجميل و السلام ، ختام من المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي المجددي النقشبندي ابن حسن المجاور ببلد الله الحرام ،

في عام رصوغ و السلام

ختام

تمت .

أسئلة وردت عن بعض الخلفاء الجاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اوجب التحابب لعقود الاخوة ولو بمراسلة الكتاب و الصلاة و السلام على النبي الكريم الذي أوعد على من كتم جواب سائل بلجام العتاب و على آله المقدسين عن زيغ المتشابهات بتمسك محكم الكتاب و باتباع فصل الخطاب .

اما بعد : فهذه اسئلة وردت من بعض خلفاء الطريقة الخالدية هكذا : ما قولكم دام علاكم في شخص باشر الاشتغال بإجراء الطريقة النقشبندية الخالدية و انتسب منه جماعة و أدخلهم ربع السلوك الاربعينية و بعد فراغهم أجاز لبعض منهم و أدخل الناس على يده في السلوك فهل يكون المجاز له بمجرد ما ذكر مرشدا كاملا و تصح خلافته و مضى مثله ما بين معاشر السادات النقشبندية ، و كذا هل يمكن المريد من غير السلوك الاربعينية او نصفها او ربعها مريدا كاملا لا يقال للخلافة و إعطائهالخلافة و جرا مثله في إجراء أصول الطريقة المزبورة ، و كذا الفتى اذا لم يبلغ عمره الحلم هل يجوز تلقينه الطريقة و الاذن له في الخلافة و كذا هل يجوز لخلفاء الخالدية إظهار أورادهم المعهودة كالتوجهات و الختم خواجكان بين أعين الناس و مواضع اجتماعهم كالاسواق و ما أشبهها ام يكونون بفعلهم ذلك تاركين أصول الخالدية و آدابها أفيدونا بالجواب في هذه الاسئلة لان تكون للغافل تذكرة و لكم الثواب الحمد لله رب العالمين .

رب زدني يقينا و ألحقني بالصالحين ، و بعد : فان هذه الاسئلة لا تقتضي الجواب لمن كان له في أصول الخالدية ممارسة و اطلاعا في كتبهم و رسائلهم و لكن الحقير يجيب بحول الله لمن لا اطلاع له بذلك و نصيحة للمبتلى به .

اعلم ان جواب هذه الاسئلة يوجب معرفة الخلفاء المأمورين بالارشاد و مقامهم و آداب مسلكهم . فالخليفة اما ان يكون قائما مقام شيخه بامره له و بوصيته اليه وهو كشيخه في مقامه و حالته كلها ، فلا يجوز تخلف الخلفاء و المريدين عنه ابدا بل يتبعون القائم مقام الشيخ هلمّ جرا او باتفاق آرآء الخلفاء و المريدين على واحد منهم فيقيمونه مقام الشيخ كذلك بشرط الصلاح بتكميل المقامات المعروفة عندهم, و اما مأمورا بالارشاد من شيخه لبلدة مخصوصة او ما تيسر له الارشاد من البلدان او الناحية بشرط ان لا يوجد غيره مأمورا بالارشاد قبله في ذلك ، فاذا وجد غيره يتبع له و يلازم في خليفته فان المقصود الاستقامة لله . فهي حاصلة بالاتباع فانهم كجسد واحد فاذا استعمله السابق في الحلقة فهو بنظره كما بيناه في هامش « **نهجة السالكين و بهجة المسلكين** » رواية عن مشايخنا فان تعدد المأمور في بلدة واحدة ممنوع الا ما استثناه مولانا خالد قدس سره وهو اسلامبول فهو ثلث قطعة حاجزها البحر ، و اما مأذونا لنفسه فهو لا يصلح للخلافة بل المأمول منه الاستقامة بالاتباع على كل حال فلو استعمله مرشده في الخلقة فهو لمصلحة الاستقامة له ، فاصل الاربعين في الطريقة من آدابها و لكن لا يستكمل النفس و لا تتم التربية في زماننا الا بالاربعينيات بشروطها و آدابها .

و اما استحقاق الخلافة باربعين واحد للمبتدئ ما سمعناه من مشايخنا و لا رأيناه فلا يحصل في هذا الزمان أصلا . فلا يغرك قصة العزيزان فان ذلك

خارق للعادة فلا يجوز طلبها ، و روى ان العزيز ما طاق بما استحمله من الاحوال فتوفي في ظرف اربعين يوما و كذلك استكمالحضرت مولانا خالد قدس سره فإنه من جهة علومه العقلية و النقلية امام زمانه و فريد عصره و فائق اقرانه و من جهة طريقته كان قادرية مأمورا بالارشاد و لكن ما نال احوال النقشبندية ، ثم دخل فيها و حاز الاكمال بعد التكميل و القطبية و تمهيد الاصول بالتجريد ببيان شيخه له قدس سرهما و ذلك في سنة واحدة و اربعين متعدد فلا يقاس عليه غيره . و قال قدس سره ملكتنصف مريد في عمري اراد به الشيخ اسماعيل القائم مقامه و الحقير امعن احوال المريدين في المدينة المنورة و المكة المكرمة اربع و عشرين سنة فلم نجد احدا من الصلحاء يستحق الخلافة في عشرة اربعينات الا نادرا ، و الحال ان اربعينا واحدا في المكة المكرمة يعدل مائة الف اربعينات في غيرها كما ورد في مضاعفات الحسنات فيها ، بل بعض الخلفاء يجيئ عندنا و يدخل الاربعين فلم يتحقق له احوال حقيقة القلب فيه فكيف الاستحقاق للخلافة . قال سيدي الشيخ سليمان قدس سره ان السيد الشيخ عبد الله قدس سره اجاز لبعض من لم يستكمل المقاتبقاعدة خير الناس من ينفع الناس و كذا جرى مني لبعض المريدين و لكن ما رأيت منهم خيرا بل جرى منهم الضرورة على الطريقة و على أهلها ، ثم قال للحقير لا تعط الاجازة لمن لا يستحقها نعم أمر مولانا خالد قدس سره بختم خواجكان فقط لخمسة نفر اجتمعوا من المريدين يباشر

احدهم و ما دونهم مخيرون في الفعل و الترك و نهى قدس سره عن تلقين الطريقة للامرد الصبيح و اذا لم يكن الامرد صبيحا رخص تلقين الذكر له .

و اما الارشاد منه اذا استكمل العلوم العقلية و النقلية و حاز المقامات و الخلافة بشرآئطه فلا بأس بالارشاد و لكن لم يسبق نظيره في السلسلة النقشبندية فافهم و لا تك كحماق الزمان و كذا منع قدس سره الجهال عن الارشاد ولو استكمل المقامات فهي لنفسه .

و اما إظهار الاحوال للاجانب لا يجوز عند الخالدية فكان اشتغالهم في محلهم مسدودا بالباب و مستورا عن نظر الناس كما هو المشهور عملهم و من خالف على أصول سادتنا الخالدية و تخلف عن المأمور بالارشاد منهم و ترك آدابهم فهو ناقض عهده عنهم و خارج عن بيعتهم و مطرود عن طريقتهم و بذلك كان مقطوعا عن فيوضاتهم و محروما عن بركاتهم ، و اذا عمل المشيخة مع هذه الحالة المهلكة و التخلف فهو متشيخ زين له الرسم و الصورة كسراب بقيعة او كشجرة اجتثت في الارض ما لها من قرار وهو قطاع الطريق على طالب الحق و ضلّ سعيه و أضلّ تابعيه ، فيجب للخلفاء المأمورين بالارشاد صيانة مريد الحق عنهم و حماية الحلقة عن جماعتهم كي لا يسري شناعة الطرد للمخلصين و شينهم للمريدين فان المتشيخين المشتبهين كثر في زماننا حتى في المكة العظمة فان سيدي الشيخ سليمان قدس سره منع المخلصين عن يحيى بك الداغستاني المطرود عن طريقتنا

بتخلف قائم مقام شيخه و مخالفته الاصول و كذا منعهم الحقير عن صحبة ابنه خليل باشا و رحيمه موسى المتشيخين في المكة المكرمة و المطرودين عن طريقتنا بسبب التخلف و المضلين على طالب الحق و لكنّ المعصوم من عصمه الله تعالى عصمنا الله عز و جلّ و المخلصين عن كيد المتشبهين المشتبهين و مكر المتشيخين المرتسمين بفضله العميم آمين . و علم الجواب مما ذكر ان المذكورين في السؤال و الحال ما ذكر فيه ان هم الا من المتشيخين و من اصحاب المرتسمين الخارجين عن طريقة الخالدية المجددية الضيائية بهذه الحالة المهلكة و الرسوم الملجئة الى تهاون الاصول بسد المسالك عن أهل الوصول الناجي المحفوف تحت قباب الله عز و جل فيجب عليهم التوبة و الرجوع عن اجراء الرسوم المذكورة بتجديد الانتساب من المأمور بالارشاد بيد صحيح في زمانهم لصلاحهم و فلاحهم بتكميل المراتب و المقامات و الاستقامة على الاصول المعهودة هذا .

الحمد لله رب العالمين و سلام على المرسلين و التابعين الفالحين آمين .

قد بيض في ذي الحجة رصوغ ، و انا المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي المجددي النقشبندي ابن حسن عفا عنهما و عن المؤمنين المجاور ببلد الله الامين .

تمت

سؤال الاخر المرفوع من الجاوي بسم الله الرحمن الرحيم

نرفع سؤالا الى مرشدنا و مولانا فيما جرى في بلادنا الجاوي وهو : هل يصح الانتقال من طريقة الى طريقة اخرى من الطرق المشهورة المأثورة و كذا هل يجوز الرقص و السماع في الطريقة الخالدية النقشبندية او في الطرق المشهورة . أفيدونا بالنقل الصريح عن السلف الصالحين و الفقهاء العاملين و لكم الثواب من الوهاب .

نحمده و نصلي على نبيه ، رب زدني علما و ألحقني بالصالحين .

اعلم ان الرائق المأثورة المشهورة المعنعنة الواصلة من السلف الى الخلف كالمذاهب الاربعة المقبولة يجوز الانتقال من مذهب الى مذهب آخر مطلقا من غير تلقين للعامي و كذلك الانتقال من طريقة الى طريقة آخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه و الاستقامة بآدابه و لكن يجب على الانسان دخول طريقة سالمة عن البدع المنكرة و تابعة للسنة السنية .

اما الرقص في الطريقة الخالدية النقشبندية لا يجوزونه أصلا الا تحريك اصبع بالسبحة في حالة الذكر لتعيين عدد الذكر المشروط لهم كما هو المشهور في كتبهم و رسائلهم ، و اما غير النقشبندية من الطرق المشهورة اختار بعض سلفهم الرقص و السماع لتهييج قلوب الغافلين الى محبة الله تعالى و وجدوا فائدته فكان الارتكاب للمنافع بقيودات و شروط و لما روى من تمايله صلى الله عليه و سلم حين السماع و لكن قال « « **لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب و لا نبي مرسل** » » فافهم .

و سئل الجنيد سيد الطائفة قدس سره عن تركه السماع فأجاب بفقدان اهل السماع و فقد شروطه و قيوده و آدابه و قال ان المريد الطالب للسماع فيه بقية البطالة و لذا قيل لا يصح الا لعارف مكين و لا يباح لمريد مبتدئ كذا في عوارف المعارف . و معاشر النقشبندية لا ينكرون ذلك على سلفهم و لا يقرونه لخلفهم بل أصولهم اتباع السنة النبوية و العمل باقوال الأئمة المرضية و الفرار عن البدع الردية .

قيل من كان وجده وجدا صحيحا　　فلم يحتج الى قول المغن

له في ذاته طرب قديم　　و سكر دآئم من غير دن

و اما اقوال الأئمة كما في كتاب الطريقة المحمدية للبركوي و نكتفي بذكر بعض نصوصه بعبارته ، الصنف التاسع في آفات بدن غير مختصة بعضو معين مما ذكر ، وهذه كثيرة جدا و منها الرقص وهو الحركة الموزونة و الاضطراب وهو غير الموزونة فكل من لعب غير مستثنى ، و يدخل فيهما ما يفعله بعض الصوفية في زماننا بل هو أشد من كل ما عداه منهما لانهم يفعلونه على اعتقاد العبادة فيخاف عليهم امر عظيم . قال الامام ابو الوفا ابن عقيل رحمه الله قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال « و لا تمش في الارض مرحا » و ذم المختال و الرقص أشد المرح و البطر . و قال الطرطوشي رحمه الله حين سئل عن مذهب الصوفية ، اما الرقص و التواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون عليه و يتواجدون فهو دين الكفار و عباد العجل . و قال في التتارخانية الرقص لا يجوز ، و في الزخيرة انه كبيرة . و قال الامام البزازي رحمه في فتاواه قال القرطبي رحمه الله ان هذا الغنا و ضرب القضيب و الرقص حرام بالاجماع عند مالك و ابي حنيفة رحمهما الله و الشافعي و احمد رحمهما الله في مواضع من كتابه و سيد الطائفة احمد القسوي رحمه الله صرح بحرمته . و رأيت فتوى شيخ الاسلام جلال الملة و الدين الكيلاني

رحمه الله ان مستحل هذا الرقص كافر الى آخر ما في الكتاب ، و نظيره في كتاب تبيين المحارم و في غيره كثير .

قيل يرقصون رقص الفجار   و ينعقون مثل الحمار

و يظنون انهم على طريق الابرار   بل هم اضل من الكفار .

كتب الحقير جوابا للسؤال لا لاهل الجدال ، فان زماننا زمان لكم دينكم و لي دين ، و العافية للمتقين .

قد بيض في محرم ستة و تسعين بعد الالف و المأتين

و انا المسكين المستهام سليمان الزهدي الخالدي

المجددي ابن حسن بن سليمان بن محمود

عفا عنهم و عن جميع الانام

المجاور ببلد الله الحرام

تمت

سنة 1298

سوّد السيد عثمان النوري

بسم الله الرحمن الرحيم   و به نستعين و عليه التكلان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله محمد وآله و صحبه أجمعين .

اما بعد : فيقول العبد الفقير الى الله خادم الفقراء المريدين المجاهد في سبيل الله المجاور للهبحرم مكة المكرمة, خليل حمدي النقشبندي الخالدي ابن المرحوم الشيخ يحيى الداغستاني, خليفة الشيخ عبد الله المكي خليفة الشيخ خالد ضياء الدين البغدادي قدس سره العزيز .

هذه رسالة خالدية موضوعة للمريدين الطالبين الاشتغال بطريقة النقشبندية, و بيان كيفيتها على الترتيب .

الاشتغال الاول في اسم الذات . اعلموا يا إخواني ان الانسان عبارة عن اللطائف العشرة .**خمسة منها في عالم الامر** و فرعها في وجود الانسان, لكل واحد منها تعلق بموضع . **الاولالقلب** وهوتحت الثدي الايسر بقدر أصبعين مائلا الى الجنب . **و الثاني الروح** وهو تحت الثدي[1] الايمن بقدر اصبعين مائلا الى الصدر . **و الثالث السر** وهو فوق الثدي الايسر بقدر أصبعين مائلا الى الصدر . **و الرابع الخفي** وهو فوق الثدي الايمن بأصبعين مائلا الى الصدر . **و الخامس الاخفى** وهو

[1]ساقط في الاصل

في وسط الصدر . و لكل واحد منها نور, و كل واحد منها تحت قدم نبي من الانبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين .

فالقلب تحت قدم آدم عليه السلام, و نوره أصفر . **و الروح** تحت قدم نوح و ابراهيم عليهما الصلاة و السلام, و نوره أحمر . **و السر** تحت قدم موسى عليه السلام, و نوره أبيض . **و الخفي** تحت قدم عيسى عليه السلام, و نوره أسود . **و الاخفى** تحت قدم نبينا محمد صلى الله عليه و سلم, و نوره أخضر .

و **الخمسة الباقية في عالم الخلق و الشهادة .**

الاولىمنها لطيفة النفس . وهي كائنة في الجبهة بين الحاجبين و لا لون أنوارها .

و العناصر الاربعة وهي **التراب** و **الماء** و **الهوى** و **النار** التي هي مادة وجود الانسان . و ليعلم ان هذه اللطائف التي لها أصل في عالم الامر عند الصوفية يظهر فيها تجليات ثبوتية . **فالقلب** يظهر فيه تجلي الافعال, **و الروح** يظهر فيه تجلي الصفات الثبوتية, **و في السر** الشؤن الذاتية, **و في الخفي** الصفات السلبية, **و في الاخفى** الشأن الجامع . فمن حصل له الترقي في

احدى هذه اللطائف و ظهر له الكيفية و الحال يكون على مشرب نبي, كانت هذه اللطائف تحت قدمه . و اللطائف التي في عالم الناسوت لها تعلق باللطائف الخمسة التي أصلها في عالم الامر مثل نسبة اصل الى اصل القلب, و الهوى الى الروح, و الماء الى السر, و النار الى الخفي, و التراب الى الاخفى .

و الاشتغال الثاني النفي و الثبات . و طريق النفي و الاثبات هكذا : ينبغي ان يمد لفظ حرف **"لا"** من السرة في وسط اللطائف على الاخفى حتى ينتهي الى لطيفة النفس الناطقة . وهو في البطن الاول من الدماغ, و يقال لها الرئيس . و يميل **"باله"** الى جانب الكتف الايمن و تجره على الروح و يضرب **"الا الله"** على القلب الصنوبري بالقوة بحيث يظهر آثرها و حرارتها في سائر الجسد, و يلاحظ صورة **"لا"** .

و ينبغي ان يعلم ان للنفي و الاثبات شروطا : **الاول** ملاحظة الخط . **و الثاني** حبس النفس . **و الثالث** رعاية الوتر . **و الرابع** محمد رسول الله . **و الخامس** ملاحظة النفس . **و السادس** ان يقول بلسان القلب **الهي انت مقصودي و رضاك مطلوبي** . و يحصل حينئذ الوقوف القلبي و الوقوف العددي .

و ينبغي للمريد عند ملاحظة حرف **"لا"** وحده ان يرى و يعلم ان وجود جميع الاشياء و شأنها فانٍ, و كل شيئ سوى الله حادث, و لا يلتفت الى شيئ منها . و عند ملاحظة **"محمد رسول الله"** يلاحظ في قلبه انه يغوص و يسبح في بحر الحقيقة كما يغوص الغواص في البحر, لانه هو الواسطة العظمى .

و ينبغي لك ايها الطالب ان تعلم ان جناب الحق جل جلاله هو المقصود للمريد لا غير . و هكذا الصدق لان مقصوده لا يكون الا رضاء الحق جل جلاله . و يدوم على الذكر حتى يحصل له المحوية . و في وقت المحوية يكون ساكنا عن أذكار اللطائف و لا يتحرك, لان أذكار اللطائف في هذه الحالة غير مقصودة . و من شروط المحوية سكون اللطائف عند ظهورها . و ليس من الشرائط كثرة الذكر بل الشرط ان يكون الذكر وترا . و يحصل عند الذكر الذوق و المحبة و الجذبة و في كل مرة, يعني كل ما يقول **"لا اله الا الله"**, و في كل نفس . و اذا بلغ احدى و عشرين مرة و لم ينفتح له باب من الجذبة و الصراف الباطن الى الله فليعرف أنه أخل بشرط, **فليستأنف بهذه الشروط من الثلاثة الى احدى و عشرين** . و هذا هو التوحيد الحقيقي لا غير, و لا يحصل المقصود بغيره .

و ينبغي ان يعلم ان معنى **"لا اله الا الله"** لا معبود و لا مقصود و لا موجود الا الله . الاول حال المبتدئ, و الثاني حال المتوسط, و الثالث حال المنتهي . و غير المستقيم لا حال له منها .

و الاشتغال الثالث المراقبة . فيشتغل بمراقبة الاحدية وهي انتظار الفيض « **و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** » .و هو مسمى اسم الذات و النفي و الاثبات كما مر, **لان القلب لا ينفتح الا بذكر كثير**, و هذه تسمى دائرة الإمكان . و في النصف الاسفل منها يحصل سير الأفاق, وهو عبارة من رؤية الانوار في الخارج بالوان مختلفة, و في النصف الاعلى منها, وهو عبارة عن رؤية النور و التجليات في الباطن, و في هذه الدائرة يحصل اندراج النهاية في البداية « **اَلاَ الى الله تصير الامور** » .

ثم اذا قلّت الخواطر و مضت أربعة ساعات يشتغل بالمراقبة المعية بان يلاحظ معيته تعالى في كل لحظة و نفس, **"وهو معكم اينما كنتم"**, وهي الدائرة الثانية من الولاية الصغرى . و جميع أنوار العبادات يفيد الترقي بهذه الدائرة, و يحصل الذوق و الشوق و الحضور و الواردات و الاستغراق و الغيب و الاخلاق الحميدة . و يحصل لبعضهم التوحيد الوجودي, وهو أن يرى الممكنات في أنوار بحر وجود الحق, لان وجوده تعالى ظهر بكثرة الامكانية بسبب كثرة المحبة, و فيها يقع السير للطائف الخمس المتقدمة, و لسير لطيفة

القلب في تجليات الافعال الالهية, و سير لطيفة الروح[2] . و سير لطيفة السر في تجليات الشؤنات الذاتية و استغراق ذاته في ذات الحق سبحانه . و سير لطيفة الخفي في تجليات الشؤنات السلبية و تجريد الحق عن جميع ما سواه . و سير لطيفة الاخفى في تجليات الشأن الالهي الجامع للمراتب المذكورة, و بحصول تلك المقامات تتم دائرة الولاية الصغرى .

ثم اذاأحاط التوجه بالجهات الست و زال الانتظار بحصول الفيض المنتظر في سير الولاية الكبرى التي هي عبارة عن السير في أحوال التجليات الخمسة المذكورة, وهي الدائرة الثالثة المتضمنة لتلك دائرة المعبر عنه بالقوس .

و في الدائرة الاولى مراقبة الاقربية قال تعالى « **و نحن أقرب اليه من حبل الوريد** », فيتوجه الى الله تعالى بملاحظة أقربيته تعالى, و مورد الفيض فيها لطيفة النفس مع اللطائف الخمس . و النصف الاسفل من الدائرة الاولى يشتمل على تجليات الاسماء و الصفات الذاتية, و النصف الاعلى منها متضمن للاعتبارات و الشؤن الذاتية . و الدائرة الثانية مشتملة على أصول تلك التجليات, و الدائرة الثالثة مشتملة على أصول أصولها, و القول مشتمل على أصول أصولها, و في الدائرة الثانية أصول الثالثة و القوس مراقبة المحبة, قال تعالى :« **يحبهم و يحبونه** », و مورد الفيض فيها لطيفة النفس فقط . و التهليل

---

[2]لعله (في تجليات الصفات الثبوتية)- كما في سائر كتب القوم, ساقط في الاصل

اللساني في هذه الدائرة مفيد للترقي, و في هذه الولاية الكبرى التي هي ولاية الانبياء عليهم الصلاة و السلام يظهر التوحيد الشهودي, و يحصل فناء الفناية و الاستهلاك و الاضمحلال في نسبة الباطن, و زوال العين و الأثر,و شرح الصدر, و الإسلام الحقيقي, و اطمئنان النفس, و الارتقاء على مقام الرضاء, و زوال الصفات الذميمة, و التخلق بالأخلاق الحميدة . و بحصول تلك التجليات التي هي ظلال الأسماء و الصفات و التجليات أصولها يتم سير تجليات الاسم الظاهر, و بعده سير تجليات الاسم الباطن و حالاته, و يسمون هذه بالولاية العليا . و في الكمالات الثلاثة يحصل الوسعة في نسبة الباطن, و القوة في أمور الشرع . و من كثرة الاشتغال تحصل هذه المقامات العالية و الفرق بينهما .

و الطرق الى الله تعالى ثلاثة : **الذكر** و **المراقبة**كما مر و الثالث **صحبةالشيخ المئثر** .

تمت الخالدية القصيرة من كتاب قطب الاولياء أستاذنا و مولانا و سيدنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره .

هذه تذكرة لأخيه الطالب الورع

حسين ولد هطنكو القحي

و الكاتب نصر الله القحي

الحقير المتلاشي

اللهم اغفر لهما

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدور العارفين لمكاشفة الأسرار, ونوّر قلوب الواصلين لمشاهدة جماله من وراء الأستار . فسبحان من جعل محبته موصلة إلى جناب الأسنى, وأظهر تجليات ربوبيته للعاشقين في مقام الأعلى ثم دنى .

والصلاة والسلام على من خصه الله بالجلوس على سرير فتدلى وأراه ما لم يره أحدا من أياته الكبرى, سيدنا محمد الذي اتصلت الى شمس نبوته نبوة سائر الأنبياء, وانتهت الى درجة ولايته ولاية جميع الانبياء, وعلى أله وأصحابه الذين هم شموس الهدى ونجوم الاهتداء .

وبعد فإنّ رسالة السلوك والأدب المسماة بسلسلة الذهب التي ألّفها العالم القطب الرباني والعارف الغوث الصمداني مهبط الأسرار الإلهية ومورد المعارف الصمدانية عمدة العلماء الأبرار وقدوة الأولياء الأخيار قرة عيون العارفين وغرة وجوه الواصلين الذي لا يأتين بمثله الملوان ولا يرى بشبهه عينا الزمان .

بيت :

حلف الزمان لياتين بمثله   حَنَثتَ يمينك يا زمانُ فكفِّر

أعني به جناب الأستاذ الأعظم والعلم الفرد الهمام الأتم سيدنا ومولانا الشيخ محمد مراد قدس سره نفعنا الله تعالى منه بالامداد .

ولمّا كانت رسالته الشريفة مشتملة على خلاصة الأصول النقشبندية على وجه الإيجاز والإختصار **أردتُ** أن أشرحها مع قلّة البضاعة وكثرة التقصير متوكلا على عناية الملك القدير فشرحتها بعون الله الوهاب بهذا الشرح المستطاب وسميته **بتحفة الأحباب في السلوك إلى طريق الأصحاب**, وأسئل الله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يصيّره مشحونا من النفع العظيم بحرمة إحسانه القديم .

ولمّا كانت البسملة واجبة في أوائل الرسائل والكتب قال الشيخ قدّس سرّه أداء للوجوب **بسم الله الرحمن الرحيم**, هذه الكلمة تكوين لكلّ أمرٍ وتكميل لكلّ خير .

قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم " **كلّ أمرٍ ذي بال لم يُبدأ بالبسملة فهو أبتر"** . وقال جبرائيل عليه السلام مر أمّتك لا يدعوها في أمورهم **الحمد لله** .

الحمد تعريف المحمود بلسان الثناء بالصفات الكماليّة, **والله** اسم للذات المستجمعة بجميع الأسماء والصفات فهذا الإسم أصل كلّ موجود ومنبع كلّ مشهود فليس في العالم شيء إلا فله تعلّق بهذا الإسم الشريف من حيث الحقيقة الجامعة الكلّية, فلذلك كانت الحقيقة المحمديّة مظهر هذا الإسم . **ربّ العالمين** هذا الإسم الشريف لا يعقل إلا مضافاً للمربوبين لأنه اسم للحق سُبْحانه وتعالى باعتبار نسبة الذات المقدّسة إلى الموجودات الغيبيّة أرواحا كانت أو أجساما من حيث ربوبيّتها الكلية التي تتضمن أسرار التدبيرات الكونيّة لأنّ كلّ ما ظهر من الأكوان فهو صورة اسم ربّاني يربّيه الحقّ سبحانه بذلك الإسم, فلذلك قيل الربّ بمعنى المربّي, **والعالمين** جمع عالم اسم لما يعلم به الخالق لأنّ كلّ فردٍ من أفراد العالم علامته تدلّ على أمرٍ خاصٍّ من ربوبيته تعالى, **والصلاة والسلام** هذا ثناء على النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلّم على حكم الوجوب بطريق الدعاء قال الله تعالى « **يآ أيها الذين امنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما** », **على سيّد المصطفين** أي زعيم المصطفين وأشرفهم وهو من صيغ المبالغة من ساد يَسود والمصطفين بفتح الفاء وسكون الياء اسم مفعول من الإصطفاء بمعنى الإجتباء, والمراد من المصطفين ههنا الأنبياء عليهم السلام, **وعليهم** أي على المصطفين, **وعلى آل كلٍّ** أي آل كلّ المصطفين وآل جمع في المعنى ومفرد في اللفظ لأنّ أصله أهل قلبت هاؤها الفا وكلّ يضاف وقد لا يضاف فعند عدم اضافته يقدّر فيه المضاف إليه وعلى التقديرين يكون كلّ لجمع الذات أو الأجزاء, **وصحبهم** أي صحب المصطفين والصحب جمع صاحب على غير قياس مثل راكب وركب وصحب الأنبياء هم الذين اجتمعوا مع الأنبياء مسلمين وماتوا على الإسلام, **أجمعين** تأكيد للإجتماع المقصود من فحوى الكلام, **وعلى سائر الصالحين** الصلاح هو القيام على الحالة الشريفة المقربّة إلى الحقّ سبحانه وتعالى ويقابله الفساد .

وبعد هذا ظرف مكان ثمّ استعير للزمان وهو متضمّن معنى الشرط لكونه قائما مقام الشرط المحذوف وهو مهما يكن من شيء فلذلك وقعت الفاء في عقيبه, **فإنّ الغاية** أي الفائدة

المرادة سواء كانت تلك الفائدة عائدة إلى فاعل وإلى مفعول أو إلى غيرهما **القُصوى** أي البالغة تلك الفائدة إلى غاية الإرادة والقصوى مؤنّث أقصى وهو من القصى بمعنى البعد والناحية **من سرّ الإيجاد** أي من سرّ ايجاد الله تعالى الجنّ والإنس **إنما هو** أي تلك الغاية, وإنما ذكر الشيخ قدّس سرّه الغاية بضمير المذكر لكونها مؤنّثا لفظيّا يجوز ذكرها بضمير التذكير بالنظر إلى المعنى **التحقق** أي تحقّق الجنّ والإنس **بكمال الإيمان** بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ومن عند رسوله, والإيمان هو الإذعان والقبول وكماله تمكّن حقيقة لا الإيمان في القلب بحيث تظهر نورانية تلك الحقيقة في جميع الأعضاء فحينئذ لا يمكن للنفس مجال المخالفة لله ولرسوله بل تحصر اوقاتها لمراضي الحقّ سبحانه وتعالى ومتابعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم, **والإيمان** الحقيقي مركّب من ثلاثة أركان : **الأول** إيمان عطائيّ وهو الذي كتبه الله تعالى بنور روحاني في قلوب المؤمنين عند ابتداء خلقهم, **والثاني** تصديق بوحدانيّة الحقّ سبحانه وتعالى وبما جاء به الرسول, **والثالث** اقرار اللسان بلا إله الاّ الله محمّد رسول الله وإن جمعت هذه الأركان الثلاثة صار الإيمان حقيقيّا, **والإسلام** وهو الخضوع والإنقياد بما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم من الأوامر والنواهي مع العمل بها, **وكمال الإسلام** تحقّق العبد بجميع الأحكام الشرعية مع اظهار العجز والإفتقار والذل والتسليم من حيث الظاهر والباطن **وكمال الإسلام** إنّما يحصل بعد ذبح النفس بسيف المجاهدة على اتباع السنة والعمل بالعزيمة **والإحسان** وهو تصفية العمل من طلب عوض وقصد غرض ورؤية رياء وهذا الإحسان هو معنى الإخلاص .

وأما كمال الإحسان هو تحقّق العبد بمشاهدة حضرة الإلهيّة بنور البصيرة في جميع العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام " الإحسان أن تعبد اللهَ كأنك تراه" **المعبر** اسم مفعول من باب التفعيل أي المفسّر هذا الإحسان عند أهل الله تعالى **بحق اليقين** وهو مشاهدة الذات المقدسة مع اتصافها بالألوهية الموجبة لدوام عُبودية شهود أهل **المحقّق** اسم فاعل من باب التفعيل أي الموجب هذا الحقّ اليقين **لدوام العبوديّة** وهي عبارة عن دوام الحضور بالله تعالى من غير مزاحمة الخواطر وتعلقّات الأغيار .

وهذا الحضور عند المشائخ يسمّى بالنسبة المواصلة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **على طريق الإستهلاك** وهو افناء العبد كلّيته في عبوديّة مولاه بحيث لا يبقى له إسم ولا رسم من أنيّته فيكون مستهلكا في أفعاله وأوصافه وذاته بسبب زوال احساسه **المنعكس جماله** أي جمال دوام العبوديّة, وإنما أضاف الجمال الذي هو عبارة عن تجلي ذات الحق إلى دوام العبودية, لأن دوام العبودية سبب لمشاهدة جمال الحقّ سبحانه وتعالى . وطريق الوصول إليه والمنعكس اسم فاعل من الإنعكاس وهو في اصطلاح المشائخ انطباع صور التجلّيات الإلهية في مرايا القلوب **من مجالي المتحققين** أي المتصفين به أي بدوام العبوديّة والمجالي جمع مجلى وهو محلّ التجلّي والمراد بالمجالي هُنا قلوب العارفين الذين قد تجلّى الله تعالى في قلوبهم لدوام عبوديتهم **اصطفاء واجتباء** منصوبان على التميز من المتحققين والإصطفاء من الصفوة وهي التزكي عن كدورات التعلقات الكونية والتطهر عن الظلمات الهيولانيّة والإجتباء هو التقرب إلى جناب الحقّ سبحانه وتعالى بالتوفيق والعناية الإلهية **إلى الكائنين** أي إلى قلوب الكائنين وإلى متعلق بقوله المنعكس جماله معهم أي مع هؤلاء المتحققين بدوام العبودية, والكائنين جمع كائن وهو من الكيْنُونَة وهي المعية والإجتماع مع أهل الله تعالى وهي على نوعين كينونة بحسب الظاهر وهو الإجتماع الصوري مع أهل الله تعالى وكينونة بحسب الباطن وهي الإرتباط القلبي مع اهل الله تعالى وهذا الإرتباط لا يكون إلا بعد الأخذ نسبتهم المعهودة التي هي سبب انعكاس الكمالات الإنسانية من باطن الشيخ الكامل إلى باطن المريد الصادق فيقوم ذلك المريد عن شيخه مقام البدليّة فلذلك قال الله تعالى « وكونوا مع الصادقين » والمرتبطين أي و إلى قلوب المرتبطين **بهم** أي بهؤلاء المتحققين بدوام العبودية **حبّا** تميز من المرتبطين وارتباط المحبّة أصل عظيم في تحصيل الكمالات الإنسانية **وصحبة** تميز أيضا أي المرتبطين بهم من جهة الصحبة والمراد من الصحبة هنا المجالسة مع المتحققين بدوام العبودية لإستماع كلامهم **واتباعا** تميز أيضا أي المرتبطين بهؤلاء المحققين من جهة المتابعة في جميع مجاهداتهم الزكيّة ورياضاتهم العليّة **ولقد سَبَقَت تلك الحسنى** أي دوام العبودية على طريق الإستهلاك **من مجلاها** أي مجلى تلك الحسنى والمراد بالمجلى هاهنا ذات نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه أول من تجلّت فيه تلك الحسنى ثم في سائر الصحابة رضي عنهم على قدر استعداداتهم بطريق انعكاس تلك الحسنى منه صلى الله

تعلى عليه وسلم إليهم **الجامع** ذلك المجلى جميع الكمالات العلمية والعملية بحيث لا يمكن وجود كمال إلا ويكون فيه موجودًا فيه قبل ذلك لكون ذلك المجلى خليفة الله ومنه ظهور جميع شؤنات الله تعالى وعطاياه كما جاء في الحديث " الخلق مني وأنا من الله" وفي حديث آخر "أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا أقسم" **للحافين** أي للملازمين من حيث المحبّة والإيمان والإتباع **به** أي بذلك المجلى والمراد من الحافين الصحابة رضي الله عنهم **انعكاسا وانصباغا** منصوبان على التميز من قوله سبقت تلك الحسنى يعني سبقت تلك الحسنى من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعليّ وغيرهما من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بطريق الإنعكاس والإنصباغ ثمّ للتابعين ثم للذين يلونهم من بعدهم **وتسلسلت بها** أي بتلك الحسنى بحسب التلقي بعد ذلك **الصوفيّة** أي الذين لبسوا الصوف وتركوا الدنيا واشتغلوا بعبادة المولى **عُموماً** أي من جهة العموم في التلقي بتلك الحسنى **وخصّت** بفتح الخاء **معها** أي مع تلك الحسنى من حيث الخصوصية بحقيقة تلك الحسنى **سابقة العناية** فاعل خصّت من قبيل اضافة الصفة إلى الموصوف والعناية اعطاء السعادة الذاتية للأعيان الثابتة في الأزل, فلذلك يُقال لتلك العناية المشيّة الأزليّة, **صدّيقهم** مفعول خصّت والصدّيق بالدال المشدّدة من صيغة المبالغة هو الذي استقام ظاهره وباطنه مع الحقّ سبحانه وتعالى في جميع الأحوال بحيث يكون ظاهره على عبادة الحق وباطنه على مشاهدته على الدوام ولا يكون ذاهلا عن عبوديّة الله تعالى **بزيادة جذبة المحبّة الذاتيّة** الباء متعلّق بخصّت والجذبة تقريب الحقّ عبده إلى جنابه بمقتضى عناية الأزلية المهيّئة لذلك العبد جميع ما يحتاج إليه في طيّ الأحوال والمنازل بلا كلفة ولا سعي من ذلك العبد, والمحبة الذاتية هي ميل الروح بغلبة الحكم الذاتي إلى جمال ذات الحقّ سبحانه وتعالى في مرتبة الأحدية الذاتية من غير اعتبار الصفات والأسماء وهذه المحبة لا يمكن بالكسب تحصيلها ولا يمكن بالنطق تعريفها لأنها من أنوار الذات المطلقة ولا يتصف بها إلا من كان مظهرا لذلك النور الذاتي في عالم الأزل **المندرجة** بسبب تلك الجذبة المحبة الذاتية **النهاية** أي نهاية السلوك وهي مشاهدة أنوار الذات المقدّسة **في البداية** أي في بداية السلوك وهي أوّل توجّه السالك إلى جناب الحقّ سبحانه وتعالى ومعنى اندراج النهاية في البداية أن المبتدي في سلوك طريق المعرفة بزيادة جذبة المحبّة الذاتيّة إذا جمع همّته للتوجّه إلى الذات الإلهيّة حصلت له في أول وضع قدمه في التوجه إلى جناب الحقّ

مشاهدة أنوار الذات المقدسة التي هي نهاية السلوك في غير طريق الجذبة, لأن بداية طريق الجذبة مجلى نهاية فيصل المبتدئ مع تلك الجذبة في بداية سلوكه إلى تجلّي الذات المقدسة الذي هو نهاية السلوك فيستغرق المبتدئ مع تلك الجذبة كل البدايات والنهايات في بداية سلوكه فهذا معنى اندراج النهاية في البداية في طريق الجذبة **وتسلسلت بها** أي بتلك الحسنى **النقشبنديّة** أي المشائخ النقشبنديّة **خصوصاً** أي حيث خصوصيّتهم لحصول تلك الحسنى في بداية سلوكهم بزيادة جذبة المحبّة الذاتية دون مشائخ سائر الطرق لكون سلوكهم من غير زيادة الجذبة المحبّة الذاتية **عليه** أي على سيّد المصطفين **مع السابقين** أي المصطفين من الأنبياء عليهم السلام واللاحقين أي الأولياء والصالحين من أمته عليه الصلاة والسلام **أفضل الصلاة وأكمل التحيّات وأجمل التسليمات** مبتدأ مؤخر وهو مع خبره المقدّم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه **فتزيّنوا** أي اتصفوا هؤلاء المشائخ النقشبنديّة **لها** أي لتلك الحسنى **بالعمل على السنّة** في جميع الحركات والسكنات في العبادات والعادات **والعزيمة** أي بالعمل على العزيمة وهي اسم ما صَعُب وشقّ على النفس من العبادات **وتطهّروا لها** أي لتلك الحسنى **بالإجتناب عن البدعة** وهي اسم لما استحدث بعد النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم من الأهواء الرديّة والأعمال القبيحة لأنّ كلّ بدعة ضلالة **والرخصة** وهي اسم لما سَهُل على النفس من العبادات لأنّ رجال الله لا يصحبون أهل الرخص لأنّ أهل الرخص ضعفاء في الدين **ووقفوا** أي أقاموا **لإنعكاسها** أي لأجل انعكاس صور تجليات تلك الحسنى في قلوبهم **على دوام الحضور** مع الحق سبحانه وتعالى في جميع الأحوال **وكمال الإتباع** أي على كمال اتباع السنة ظاهرا وباطنا اعتقادا وعملا **وعكفوا** أي لازموا **لإنصباغها** أي لإنصباغ قلوبهم بأنوار تلك الحسنى **في تَشَرُّب الإنتفاء** أي في مقام الإستفاضة والقبول للإنتفاء في الأنوار الذات المطلقة . والإنتفاء هو الإستهلاك اللازم لدوام العبوديّة . والتشرب من باب التفعيل بمعنى الشرب يقال تشرّب الحوض الماء أي شربه لكن المراد من التشرب هاهنا الإستفاضة والقبول **في المجالي** أي في مجالي تجلّيات الذات المقدّسة والمراد بالمجالي العبادات التي جعل الله تعالى تلك العبادات مجالي تجلّيات ذاته المقدّسة لأن العابدين العارفين يتراؤن تجلّيات ذات الحقّ سبحانه على تفاضل استعداداتهم في تلك المجالي ويشاهدون تجلّيات الحقّ سبحانه وتعالى فيها على معنى حديث "الإحسان أن تعبد الله ربّك

كأنك تراه" **بتمام الإقبال** أي بتمام توجّههم إلى جناب الحقّ سبحانه وتعالى **فتجلّت** في عقيب ما ذكر **لهم** أي للنقشبنديّة **صباحتها** أي صباحة تلك الحسنى والصباحة الحسن **وانجلت** أي انكشفت **لهم ملاحتها** أي ملاحة تلك الحسنى **والملاحة** الجمال **فطوبى لمن استمسك بهذه العروة الوثقى** أي بهذه النسبة العليّة التي هي كالعروة الوثقى في عدم انفصالها .

لقد منّ الله تعالى عليّ من محض فضله أي لا من حيث الإستعداد والإستيجاب **بتلقي هذه النسبة** أي بأخذ هذه النسبة . ولفظ النسبة قد يقع في عبارات المشائخ على كثير فمرّة يقولون النسبة ومرادهم بها دوام العبوديّة على طريق الإستهلاك ومرّة يقولون النسبة ومرادهم بها الصفة الغالبة على الشخص ومرة يقولون النسبة ومرادهم بها الإنتساب, **بعمومها** أي عموم هذه النسبة والمراد بعموم النسبة الإشتغالات التي يشتغل بها السالك عند سلوكه في هذه الطريقة العليّة كالإشتغال بالذكر والإشتغال بالرابطة والإشتغال بالوقوف القلبيّ وغير ذلك **وخصوصها** أي خصوص هذه النسبة والمراد بخصوص هذه النسبة دوام العبوديّة التي هي نتيجة هذه الطريقة العليّة ولا ينال إلى هذه النتيجة إلاّ من سبقت له العناية الإلهية **عن سيّدي الشيخ محمد معصوم الفاروقيّ** أي المنسوب إلى عمر الفاروقيّ رضي الله تعالى عنه وكان مولده في سرهند سنة سبع وألف وجلس في سند ارشاد السالكين وتكميل نفوس الطالبين بعد انتقال والده إلى رحمة الله تعالى وعمره حينئذ ستة وعشرون سنة وقد توفّى إلى رحمة الله المولى في سنة ثمان وتسعين وألف ودُفن في سرهند وهو قد تلقّى هذه النسبة **عن والده مجدّد الألف الثاني** اسمه احمد الفاروقي وهو من أولاد عمر رضي الله عنه وكان مولده في سرهند وقد توفّى إلى رحمة الله تعالى في سنة أربع وثلاثين وألف في ثامن وعشرين من شهر صفر ودفن في مدينة سرهند وإنّما لقّب بمجدّد الألف الثاني لأنّ الله تعالى جدّد به دينه في رأس الألف الثاني وهو قد أخذ هذه النسبة **عن محمّد الباقي** أي عبد الباقي وهو قد كان في أوائل حاله من الملاميين ثمّ سلك في طريق المجاهدة ومشى بالإتباع على السنّة حتى صار أتبع الناس وأشرعهم من حيث الشريعة وأجهدهم من حيث الطريقة وأعرفهم من حيث الحقيقة وهو قد أخذ هذه النسبة **عن مولانا خواجكي إمكِنكي** واسمه الشريف خواجكي أصله خواجه ثم زيدت الكاف والياء للنسبة وفي هذا الإسم

مدح عظيم وأمكنكي أصله إمكنه بكسر الهمزة مع سكون الميم وهي قرية من قرى بخارى ثم زيدت الكاف والياء معاً للنسبة وهو قد أخذ هذه النسبة **عن والده الكريم درويش محمّد** وقد اشتهر في عصره بدرويش ولي وكان صاحب الولاية العظمى والمقام الأسنى وقد اتفق أهل زمانه على ولايته وعلوّ شأنه وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خاله محمد زاهد** وهو قد خدم خواجه أحرار اثنى عشر سنة وكان الخواجه يحبّه أكثر من أولاده حتى جَعَلَه خليفة في مقامه بعد وفاته, وهو قد توفّي إلى رحمة الله تعالى بعد ألف من الهجرة, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خواجه عبيد الله المعروف بخواجه أحرار** بإضافة خواجه إلى أحرار وفي هذا اللقب مدح عظيم قد أفادته الإضافة . وأحرار جمع حر , والحر عند أهل الله من أقام حدود العبودية على وجه الكمال و خرج عن رقّة الأغيار, وكان مولده في تاشكَند في رمضان سنة ست وثمان مائة وقد توفى إلى رحمة الله تعالى في سنة خمس وتسعين وثمان مائة ودفن في كَشغِير في موضع كان اسم ذلك الموضع محوطة ملّايان وهو قد أخذ هذه النسبة **عن مولانا يعقوب الجرخيّ** وكان مولده في جرخ وهي قرية من قرى غزوين وقبره في هَلْفِتُوا بالهاء المفتوحة مع سكون اللام وبالفاء المكسورة والتاء المثناة الفوقيّة بعدها الواو وهو قد تولّي بخدمة الإفتاء أولا ثم أخذ هذه النسبة **عن رئيس الطريقة سيّدنا ومولانا خواجه بهاء** الدين محمد بن محمد البخاريّ وقد اشتهر في هذه الطريقة بنقشبند لأنّ المشائخ من وقت الخواجه انجير الفغنوي إلى وقت سيّد أمير الكلاليّ كانوا يجمعون الذكر الخفيّ مع الذكر الجهريّ, فلما جاء الخواجه بهاء الدين ترك الذكر الجهري واشتغل بالذكر الخفي على طريق ربط نقش الذكر بلا اله إلا الله في قلبه فلهذا سمّي بنقشبند . وإنّما سمّي برئيس الطريقة لأن ظهور الجذبة المحبّة الذاتيّة بذكر لفظة الجلالة إنما هو منه أولا, ثم تسلسلت عند المشائخ . وكان مولده في شهر محرّم سنة ثمان عشر وسبع مائة في قصرعارفان وهي قرية من قرى بخارى بفرسخ, وكان أويسيّا قد تربّى من روحانيّة الخواجه عبد الخالق, وقد توفّي إلى رحمة الله تعالى في يوم الإثنين من ربيع الأوّل سنة احدى وتسعين وسبع مائة, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن مولانا سيّد أمير كلال** بضم الكاف العربيّة وباللامين بينهما الألف معناه صانع الفخار وكان مولده ومدفنه في سوخار بالسين المهملة بعدها الواو والخاء المعجمة والألف بعدها الراء وهي قرية في خمس فراسخ من سماس وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خواجه محمّد بابا سماسي**

بفتح السين المهملة والميم بعدها الألف والسين المهملة وهي قرية من قرى رامتين على مقدار فرسخ منها ومن بخارى على ثلاثة فراسخ وكان مولده ومدفنه في سماس وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خواجه عليّ الراميتني** وقد اشتهر عند الخاجكان بلقب عزيزان وكان مولده في رامتين وهي بلدة عظيمة في أرض بخارى وكان بعدها من بخارى بفرسخ وقبره في خوارزم وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خواجه محمود انجير الفغنويّ** وهو اسم مركّب من اسمين الأول انجير وهو في لسان الترك بمعنى التين والثاني الفغنوي بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة بعدها النون المكسورة ثم الياء الممدودة وهي قرية في أرض بخارى وهو كان يشتغل بالبناء لمعيشة عياله ولمّا جلس على سند تربية السالكين اشتغل بالذكر الجهري بناء على استعدادات السالكين فكان ابتداء ظهور الذكر الجهريّ منه وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خواجه عارف الريوكري** بكسر الراء المهملة وسكون الياء والواو معا وبكسر الكاف العجمية بعدها الراء وهي قرية من قرى بخارى في ست فراسخ عنها وكان مولده ومدفنه فيها وهو قد أخذ هذه النسبة **عن رئيس الطريقة خواجه عبد الخالق الغجدواني** بضمّ العين المعجمة وسكون الجيم العجميّة وبضمّ الدال المهملة بعدها الواو والألف والنون وهي قرية عظيمة في أرض بخارى, وكان مولده ومنشأه ومدفنه فيها وهو قد اجتمع مع الخضر عليه السلام وتبناه الخضر وعلّمه طريق الذكر الخفيّ وأمره بأن يغمس في الماء ويذكر بقلبه لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل مثل ما أمر فحصَلَت له الجذبة القيّومية, ثم تسلسلت تلك الجذبة بالذكر الخفيّ في هذه الطريقة عند الخاجكان, فهو كان أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة فلذلك كان رئيس الطريقة في الذكر الخفيّ, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن خواجه يوسف الهمداني** أبو يعقوب ابن ايوب الهمداني وكان مولده في همدان سنة اربعين واربع مائة ثم ذهب إلى بغداد وهو ابن ثمان عشر سنة وروي أن خواجه يوسف ومشائخه قدّس الله تعالى أسرارهم كانوا من أهل الذكر الجهريّ لكنّه لم يعلم الخواجه عبد الخالق بالذكر الجهريّ بل تركه على ما علّمه الخضر عليه السلام من الذكر الخفيّ فلذا قيل أن الخضر عليه السلام شيخه بحسب تعليم الذكر والخواجه يوسف شيخه بحسب التربية والصحبة وكان الخواجه يوسف يسكن تارة في مرو وتارة في هراة وفي آخر خروجه من هراة إلى مرو توفّى في الطريق سنة خمس وثلاثين وخمس مائة ودفن في الموضع الذي توفّى فيه وقيل نقل إلى

مرو ودفن فيه, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن الشيخ أبي علي الفارمدي** الطوسي واسمه فضل بن محمد وكان تلميذ أبي القاسم القشيري في علم الظاهر وكان من كبار خراسان وأفاضل أهل العرفان وهو قد أخذ هذه النسبة **عن الشيخ أبي الحسن الخرقاني** علي ابن جعفر وكان ولادته بعد وفاة البسطامي بزمان وهو أويسي قد تربّى من الروحانيّة وقد توفّى في الليلة الثلثاء من شهر عاشراء سنة خمس وعشرين وأربع مائة وهو قد أخذ هذه النسبة **عن روحانية الشيخ أبي يزيد البسطامي** طيفور ابن عيسى ولقّبه عند أهل الصوفيّة سلطان العارفين وقد وصل في العلوم الشرعيّة إلى درجة الإستنباط فلمّا كشف الله تعالى له المعارف الإلهية ترك الإستنباط واشتغل بعلم التوحيد وقد توفّى في سنة احدى وستين ومأتين وقيل أربع وثلثين ومأتين ودفن بوصيّة تحت قدم شيخه الأجل المشهور بالكردي لكن اشتهر مزاراته في مواضع عديدة ولعلّها مقاماته, وهو أويسيّ قد أخذ هذه النسبة **عن روحانية الإمام جعفر الصادق** وهو قد ولد بالمدينة المنوّرة في ثمانين من الهجرة وكان أفضل العلماء وأعلمهم قد روى عنه أبو حنيفة ومالك وغيرهما من المجتهدين وقد توفّى بالمدينة المنوّرة في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وهو قد أخذ هذه النسبة **عن والد والدته قاسم بن محمد بن الصديق الأكبر** رضي الله تعالى عنهم وكان قاسم أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة وهم سعيد بن المسيب وعروة وخارجة وعبيد الله وسليمان وأبو سلمة وقد توفّى بالمدينة المنوّرة سنة ثمان ومائة ودُفِن بالبقيع, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن سلمان الفارسيّ** أبي عبيد الله مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مولده في قرية من قرى أصبهان من ديار العجم وكان مجوسيا وقد سافر إلى ارض الشام وصحب هناك الرهابين النصارى سنينا عديدة ثم سافر إلى أرض الروم ووصل إلى عموريه وهي البروسة وصحب هناك الرهابين أيضا فأخبروه بقرب عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم توجه إلى المدينة المنورة فأسره بنو قريظة وهم اليهود, فلما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة افترص يوما بالوصول إلى مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأظهر إسلامه . ثم اشتراه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاث مائة نخلة واربعين أوقية من الذهب على طريق المعجزة من عثمان بن سهل القريظي اليهودي وأعتقه وكان إسلامه في سنة الهجرة واعتاقه في السنة الخامسة وعاش ماتين وخمسين سنة على رواية وتوفى في خلافة عثمان رضي الله عنه .

وكان قبره في المحل القريب من البيت وهو بعد تشرفه بصحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبشرف أن سلمان منا, قد أخذ هذه النسبة **عن الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه** بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه خليفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالإستحقاق وكان أفضل الصحابة على الإطلاق قد بويع يوما قبض فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مولده في منى بعد عام الفيل في السنة الثالثة من مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أول من آمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عمره حينئذ ست وعشرون سنة وقبض يوم الإثنين من جمادى الآخر سنة ثلاث عشر من الهجرة وهو حينئذ ابن ثلاث وستين سنة ودفن عند قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قد أخذ هذه النسبة **عن قطب العالمين محمد المصطفى ورسول رب العالمين** سيد الأولين والآخرين وأفضل الأنبياء والمرسلين قطب العالمين ومرشد الخلائق أجمعين عليه الصلاة و السلام وقد ولد بمكة المكرمة في عام الفيل يوم الإثنين من شهر ربيع الأول وأرسله الله تعالى في السنة الحادية والأربعين ثم أقام بمكة عشر سنين ثم أخرجه القريش منها وخرج معه أبو بكر حتى أتيا الغار المعروف ودخلا فيه الليلة فلمّا أصبح لقّنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هناك كلمة **لا اله إلا الله** بالقلب على الكيفية المعهودة وكان ذلك التلقين على وجه التثليث وقد خص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذكر الخفيّ بأبي بكر من بين الصحابة وصبّ في صدره جميع المعارف الإلهية لكونه في المرتبة الصديقية التي هي أقرب المراتب إلى مرتبة النبوّة فلذا قال عليه الصلاة والسلام "ما صبّ الله تعالى في صدري شيئا إلا وَصَببته في صدر أبي بكر" . ثم خرجا من الغار وهاجر إلى المدينة المنورة, وقد توفى عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة بعد مكثه فيها عشر سنين وشهرين في نصف نهار يوم الإثنين من ثاني عشر من ربيع الأول سنة عشر من الهجرة ودفن في بيت عائشة رضي الله عنها **عليه وعليهم وعلى سائر الآل والصحب أفضل الصلوات وأكمل التسليمات** جملة دعائية في الصورة الخبرية **والنقشبند** يعني خواجه بهاء الدين قدس سره **أيضا** أي كما أخذ هذه النسبة من حيث الصورة الجسمانية عن سيّد أمير كلال أخذها **عن روحانية الغجدواني إلى آخر النسبة** المذكورة فيما سبق المنتهية إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **والفارمدي** يعني الشيخ أبا علي الفارمدي **أيضا** كما أخذ هذه النسبة عن الشيخ أبي الحسن الحرقاني أخذها **عن الشيخ أبي القاسم**

الكركاني علي بن عبد الواحد وهو أويسي من حيث التربية ومن حيث الصورة قد أخذ هذه النسبة **عن الشيخ أبي عثمان المغربي** سعيد بن سلام وكان مولده في ناحية قيروان المغرب . ثم جاور بمكة ثلاثين سنة ثم بالتقدير ذهب إلى نيسابور وقد توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة ودفن في نيسابور وهو قد أخذ هذه النسبة **عن الشيخ أبي علي الكتاب** حسين بن أحمد وكان من مشائخ مصر القاهرة وقد توفى سنة نيف وأربعين وثلاث مائة وقد أخذ هذه النسبة **عن الشيخ أبي علي الروذباري** أحمد بن محمد وكان من أبناء الوزراء ونسبه ينتهي إلى كسرى ملك وكان بغدادي الأصل ثم أقام في مصر القاهرة ومات فيها سنة إثنين وعشرين وثلاث مائة, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن الشيخ أبي القاسم جنيد البغدادي** المشهور بسيّد الطائفة وكان أصله من نهاوند لكنه ولد ونشأ في بغداد ومات فيه سنة سبع وتسعين ومأتين ودفن في جانب المغرب من بغداد وهو قد أخذ هذه النسبة **عن السري السقطي** والسري بفتح السين المهملة وكسر الراء المهملة وبالياء المشدّدة على وزن صبي بمعنى مرغوب ومقبول والسقطي بالياء المشددة وهي للنسبة والسقط بمعنى الردي يقال متاع سقط أي ردي وإنما نسب إلى هذا الإسم لأنه قدّس سرّه كان في أوائل حاله يقعد في الدكان ببغداد ويبيع الأشياء الخلقة على رخص الثمن ثم ترك القعود في الدكان واحترز عن الدنيا فلذا نسب إلى السقط وهو خال جنيد رضي الله عنه وقد توفى في يوم الثلثاء ثالث يوم رمضان سنة ثلاثة وخمسين ومأتين وهو قد أخذ هذه النسبة **عن معروف الكرخي** أبي محفوظ والكرخ محلّة في بغداد, ونقل أن معروف كان صبيّا نصرانيّا أرسله أبوه إلى المكتب فضربه المعلّم فهرب إلى عند علي الرضا فأسلم على يده وكان من موالي علي الرضا, وقد توفي سنة مأتين ودفن في بغداد, وهو قد أخذ هذه النسبة **عن الإمام علي الرضا** أبي الحسن وهو أحد الأئمة الإثنى عشر وقد ولد بالمدينة المنورة في الربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة وبويع له في عهد ولاية المأمون ومات بطوس من أرض خراسان في قرية يقال لها سيناباد ودفن في القبّة التي فيها هرون الرشيد وكان وفاته في شهر رمضان سنة ثلاث ومأتين وقيل مات مسموما من جهة المأمون وهو قد أخذ هذه النسبة **عن والده الإمام موسى الكاظم** وهو من الأئمة الإثنى عشرولد بالمدينة المنورة يوم الأحد في السابع عشر من شهر صفر سنة ثمان وعشرين ومائة وسكن بالمدينة المنورة فقدم هارون إلى المدينة فحمله منها إلى بغداد وحبسه فيها إلى أن توفى

في حبسه يوم الجمعة من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ودفن في مقابر قريش ببغداد وهو قد أخذ هذه النسبة **عن والده جعفر الصادق** وهو قد أخذ هذه النسبة أيضا **عن والده زين العابدين** علي ابن الحسين ولد بالمدينة المنورة يوم الثلثاء في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين وقد توفى بالمدينة المنورة يوم الثامن عشر من المحرم سنة أربع وتسعين ودفن بالبقيع وهو قد أخذ هذه النسبة **عن والده الإمام حسين أبي عبد الله** سبط النبي صلى الله عليه وسلم ولد بالمدينة المنورة في اليوم السادس من شعبان في السنة الرابعة من الهجرة وروي أن أهل الكوفة بعثوا إليه أربع مائة مكتوبا وبايعوا ثمانية عشر ألفا على حرب يزيد فتجهز للسير وسافر في سبعين فارسا من أهل بيعته وأتى العراق ثم جهز عبد الله بن زياد من طرف يزيد عامل الكوفة جيشا لقتال حسين فتلاقوا مع حسين بكربلاء وقاتل معهم فاستشهد حسين وجميع من معه إلا زين العابدين وذلك من يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وكان قبره بكربلاء ورأسه الشريف في مسجد دِمشق على رأس أسطوانة على أصح الرواية وهو قد أخذ هذه النسبة **عن والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قد ولد في جوف بيت الله تعالى الحرام قيل لم يتيسر ذلك لأحد لا قبله ولا بعده وكان ذلك ليلة الأحد في الثالث والعشرين من شهر رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل وهو أحد الخلفاء الأربعة فكانت خلافته على ما ذهب إليه الأكثرون ست سنين الا أشهر, ثم ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة من رمضان بسيف مسموم في جبهته الشريف فبقي الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد سنة ثنتين وأربعين ودفن بالكوفة وهو قد أخذ هذه النسبة **عن سيد المرسلين ورسول رب العالمين** حين قال : يا رسول الله دُلّني على أقرب الطرق فقال صلى الله تعالى عليه وسلم " يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى" فقال كيف أذكر يا رسول الله فقال غمّض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل انت ثلاث مرات وأنا أسمع منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا اله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع ثم قال علي ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي يسمع **عليه وعليهم وعلى سائر الآل والصحب أنمى الصلوات وأزكى التحيات** هذه جملة دعائيّة أو خبريّة بطريق الحكاية **وهذه النسبة** أي الطريقة التي ذكرت فيها أئمة أهل البيت **تسمّى سلسلة الذهب** إظهارا لشرافتها وتعظيما لشأنها وكل نسبة ذكرت فيها أهل البيت سواء كانت تلك النسبة

في علم الظاهر أو في علم الباطن تسمى بسلسلة الذهب لعزّتها بعزّة أهلها **والكرخي أيضا** أي كما أخذ هذه النسبة عن الإمام علي الرضا أخذها **عن داود الطائي** أي المنسوب إلى قبيلة الطائي وهي قبيلة حاتم المشهور بالسخاء ولذلك كان داود بسبب انتسابه إلى تلك القبيلة أسخى الناس في عصره حتى نقل أنه لما يحلق رأسه يعطي الدنانير للحلاق ولقبه أبو سليمان كان مولده في الكوفة وكان من تلاميذ الإمام الأعظم فانقطع عن الخلق وتزهّد عن الدنيا وقال الكرخي ما رأيت أحداً كانت الدنيا في نظره أحقر غير داود الطائي لأن جميع الدنيا وأهلها عنده ليس شيء وقد توفى إلى رحمة الله تعالى سنة خمس وستين ومائة ودفن فيها وهو قد أخذ هذه النسبة **عن حبيب العجمي** أي المنسوب إلى العجم وهو ضد العرب وإنما نسب إلى العجم لكون اللكنة في لسانه حتى لم يقدر على تجويد القرآن ونقل أنه يقرأ الحاء هاء في الحمد لله رب العالمين وهو كان يقول وإن كان لساني عجميا ولكن قلبي عربيّ وكان من أهل الدنيا الكثيرة فتركها وسلك في طريق الفقر والتجريد وقد سكن بالبصرة ومات فيها سنة خمس وعشرين ومائة ودفن فيها وهو قد أخذ هذه النسبة **عن الحسن البصري** وكان مولى زيد ابن ثابت رضي الله عنه وقد ولد بالمدينة المنورة في سنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى وقيل أعطته أم سلمة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثديها فدرّ عليه فكانت العلوم والفصاحة من بركة ذلك, وكان أشبه الناس كلاما برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم, وقد توفى إلى رحمة الله تعالى في زمان حكومة هشام رجب سنة مائة وعشر ودفن بالبصرة وقد أخذ هذه النسبة عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه, وهو قد أخذ **عن سيد الكونين** أي سيد الدنيا والآخرة أو سيد عالم الأرواح وعالم الأجساد **عليه وعليهم وعلى سائر الآل والصحب أتم الصلوات والبركات** وهذا الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم من أمته ليس لإحتياجه عليه الصلاة والسلام إليها, وإنما هي إظهارا لخصوصيّته مع الحق سبحانه وتعالى وإقرارا بسيادته على الخلق .

وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أيضا أي كما أخذ هذه النسبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها **عن الصديق الأكبر** رضي الله تعالى بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم لأن عليّا قد تربى بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث الباطن عن الصديق رضي الله تعالى عنه وكذلك كانت خلافته عن الصديق رضي الله عنه, وكذلك كانت خلافة عمر

وعثمان عن الصديق رضي الله عنهم لكونهما مربين من حيث الباطن عن الصديق بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال أهل التحقيق إن عليا رضي الله تعالى عنه قد تربى بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث الباطن عن الخلفاء الثلاث والصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه قد أخذ هذه النسبة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **وعليهما وعلى سائر الآل والصحب أجمعين** هذا صفة للآل والصحب لا حال عنهما لجواز أن يكون أجمعين صفة للمعرفة كما ذكر خواجه محمد بارسا في قدسيته أي في رسالة المسماة بالقدسية يعني أن محمدا بارسا ذكر في تلك الرسالة أن عليا قد أخذ هذه النسبة عن الصديق الأكبر, والصديق أخذها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **أحيانا الله تعالى بحبهم** جملة دعائيّة على صورة الخبريّة,

وأماتنا عليه أي على حبّهم **وحشرنا معهم** في يوم الحشر والجزاء **ورزقنا من بركاتهم** الفوز **برضائه ولقائه** في دار الدنيا **وبالحسنى وزيادة** في الدار الآخرة . والمراد بالحسنى الجنة وبالزيادة مشاهدة الله تعالى في الجنة **آمين** هذا اللفظ خاتم رب العالمين يختم بدعاء عبده يعني كما أن الختم يحفظ الكتاب عن وقوع الفساد في مضمومه كذلك لفظ آمين يحفظ دعاء العبد عن وقوع فساد الخيبة وعدم الإجابة فيها .

اعلم ان الطريقة النقشيبنديّة أي الطريقة المنسوبة الى بهاَء الدين نقشبند **قدّس الله أسرار أهاليها** أى أهال الطّريقة النقشبنديّة وأهالى جمع أهل زيدت الياَء في اَخره على غير قياس هي أي هذه الطّريقة **طريقة الصحابة رضى الله تعالى عنهم** بفتح الصاد مصدر صحب لكنّها تجيئ بمعنى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **على أصلها** أى على أصل طريقة الصحابة التي أخذتها الصحابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **لم يزيدوا** المشائخ النقشبنديّة على أصل طريقة الصحابة من عندهم شيئا **و لم ينقصوا** منها شيئا لأنّ الزيادة على طريقة الصّحابة و النّقصان عنها لا تنتجان فائدة أصلا, و إنما يخيّب و يخسر من دخل في طريقة الصحابة و لم يراع أدابهم و يخترع فيها ما ليست عليه الصحابة رضى الله تعالى عنهم, **وهي** أى طريقة الصحابة **عبارة عن دوام العبوديّة** أى دوام التوجّه إلى الحقّ سبحانه وتعالى بعد التحقق بكمال الإيمان بالله تعالى وبرسوله **ظاهرا و باطنا** أي من جهة الأركان الظاهرة والباطنة **بكمال الإلتزام بالسنّة** في

جميع الأحوال **والعزيمة** في جميع الأعمال **و تمام الإجتناب عن البدعة و الرخصة في الحركات و السكنات** بحيث يكون ذلك الإجتناب مع الخشوع والخضوع والرجاء والصدق والوفاء بالعهد **في العبادات** جمع عبادة وهي عبارة عن إمتثال أحكام الشرعيّة من حيث التقرب إلى الحق سبحانه وتعالى, **والعادات** جمع عادة وهي ما يقتضيه الطبيعة البشريّة من الأمور المباحة **والمعاملات** جمع معاملة وهي الأقوال والأفعال المتعلّقة بالمعاشرة والإيتلاف مع الخلق **مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول** عما سوى ذاته تعالى **والإستهلاك** في أنوار ذاته تعالى **فهي** أي الطريقة النقشبندية التي هي طريق الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعينها **طريق الإنصباغ** أي الطريق الذي تنصبغ فيه قلوب السالكين بأنوار معارف قلوب الواصلين **والإنعكاس** أي الطريق الذي تنعكس فيه صور المعارف الإلهيّة من مرايا قلوب الواصلين إلى قلوب الطاهرة السالكين **بكمال إرتباطهم** أي إرتباط السالكين إلى الواصلين حبا أي من جهة المحبة لأن المحبة هي الأس في هذه الطريقة, لأن النسبة المعهودة فيها تنعكس عن صدر إلى صدر بإرتباط المحبة كإنعكاس الصور المحسوسة إلى الذوات الصقيلة مع هذه المجاهدة التي هي دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول والإستهلاك الزكيّة أي الطاهرة عن دنس الرياء والسمعة المستورة أي الخفية عن الأغيار بحيث لا يطلع على تلك المجاهدة غير الحق سبحانه **يستوي في إستفاضتها** أي في إستفاضة هذه الطريقة **الشيوخ** أي الذين بلغوا إلى حدّ الشيب **والصبيان** الذين لم يبلغوا إلى حدّ البلوغ ولما كانت هذه الطريقة طريقة الجذبة الذاتيّة الروحانيّة من غير توقف على العبادات الجسمانية يستوي في إستفاضتها المكلّف وغير المكلّف لإمكان استفاضة هذه الطريقة بالروحانيّة **وفي إفاضتها الأحياء والأموات** أي ويستوي في إفاضة هذه الطريقة العليّة الأحياء والأموات, يعني قد تفيض الأموات هذه الطريقة العليّة إلى المستعدّين من حيث الروحانيّة كما تفيضها الأحياء إليهم من حيث الجسمانية .

مندرج انتهاؤها بالإضافة أو بغير الإضافة وهو خبر ثان لقوله فهي أي مندرج انتهاء هذه الطريقة **في الإبتداء** أي في ابتدائها وقد سبق معنى اندراج النهاية في البداية, **وابتداؤها** أي ابتداء هذه الطريقة **انتهاء غيرها** أي انتهاء غير هذه الطريقة لأن أرباب الطرق يسلكون في طرقهم من

غير الجذبة . وإنما تحصل لهم الجذبة في انتهاء طرقهم بخلاف الطريقة النقشبنديّة لما فيها من انجذاب المحبّة الذاتية في بدايتها . فعلى هذا التقدير يكون ابتداء هذه الطريقة انتهاء غيرها بسبب ذلك الإنجذاب **مما فضّل** من باب التفعيل **به** أي بذلك الإنجذاب **واسطتها** بالرفع فاعل فضّل وواسطة هذه الطريقة **الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه** . وإنما فضّل الصديق بهذه الطريقة لكونه نسبته إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالطريقة الصديقية والحبية, وهذه أكمل من جميع النسب وأعلاها فلذلك قال بعض المشائخ إن نسبتها فوق سائر النسب لأنها متصلة إلى الصديق رضي الله تعالى عنه .

ولها أي وللطريقة النقشبندية **أصلان** تثنية أصل وهو ما يبتني عليه غيره **أصيلان** تثنية أصيل بمعنى القوى **من أعطي** مبنيّ للمفعول والضمير فيه راجع إلى من القائم مقام الفاعل **هما** مفعول ثان راجع إلى أصيلان **أعطي** مبنيّ للمفعول والضمير فيه راجع إلى من أيضا **كل شيئ** مفعول ثان **كمال اتباع النبي عليه الصلاة و السلام** أي الأصل الأول من هذين الأصلين كمال اتباع النبي عليه الصلاة و السلام في جميع الحركات والسكنات في العبادات والعادات كما مر فيما سبق أنّ الطريقة النقشبنديّة عبارة عن دوام العبوديّة ظاهرا وباطنا بكمال الإلتزام بالسنة **ومحبّة الشيخ الكامل** أي الأصل الثاني محبّة الشيخ الكامل الذي يكون واسطة بين الله تعالى وبين عباده وهذه المحبّة هي أصل لجميع الكمالات لأن المريد إذا خلّى قلبه عما سوى محبّة شيخه وعن كلّ ما يكون مانعا عن محبته حتى يصير قلبه متمسّكا في محبّة شيخه بحيث يكون ذلك المريد فانيا فيه فيكون ذلك المريد قابلا للكمالات غير المتناهية على طريق الإنعكاس من الحضرة الإلهيّة بواسطة شيخه, كما قيل محبّة الشيخ كافية في الوصول إلى الله تعالى **لكنها** أي لكن هذه المحبة **ليست توجد بالتكلف** أي بالسعي في أسبابه والجهد في اكتسابه **بل التكلف فيها زندقة** أي ميل وإلحاد إلى ما لا يفيد فائدة من المحبة بل إنما يفيد عداوة ونفرة لأن هذه المحبة لا تدخل تحت الإكتساب والتحصيل لأنها من ايتلافات الأرواح بالتّأليفات الالهيّة كما قال الله تعالى : « **لوأنفقت ما في الارض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم و لكنّ الله الّف بينهم** » **بل هي** أي هذه المحبّة **من عطاء الله تعالى يمنّ بها على من يشاء من عباده** المؤمنين الّذين سبقت لهم تلك

الأيتلافات الروحانيّة قال تعالى : « فاصبحتم إخواناً » **فالصحبة** اي صحبة الشّيخ الكامل الذي كان سلوكه بطريق الجذبة **بشروطها** أي بشروط تلك الصحبة .

و شروط الصحبة هي المحبة و الأخلا ص و حضور القلب و الاعتقاد و التّسليم و التّواضع وأيثار الفقر والأصغاء بحسن القبول **كافية** تلك الصّحبة **للأنعكاس** صور الأنوار الألهيّة من حضرة الذّات المقدّسة الي استعدادات قلوب الطالبين **و الإنصباغ** اي كافية تلك الصّحبة لانصباغ قلوب الطّالبين بتلك الأنوار لأنّ تحت صحبة الواصلين أسرار لا يتمكّن الوصول أليها الّا بالصّحبة, فلذلك قال بعض العارفين أصحبوا مع الله تعالى فأن لم تستطيعوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله فأنّ بركة صحبته توصلكم إلى صحبة الله تعالى ثمّ أي بعد مرتبة الصّحبة بشروطها مرتبة **الرابطة** و هي تخيّل المريد صورة شيخه في خياله و هذه الرابطة مثل الصحبة كافية للأنعكاس و الأنصباغ لأنّ الرابطة تجعل المريد في حماية ولاية شيخه بأن يكون ذلك المريد محفوظا عن الخلاف في جميع أحواله حتّى يكون فانيا في الشيخ بترك إختيار نفسه باقيا مع إختيار شيخه, فتنعكس إلى قلبه بواسطة الشيخ الأنوار الألهيّة ثمّ لا يزال المريد مع شيخه كذلك حتّى يترقّى من إنعكاس تلك الأنوار بواسطة شيخه إلى إنعكاسها من غير الواسطة فلذلك قال بعض العارفين أدخل الشيخ في قلبك و أسكنه فيه و لا تخرجه عنه حتّى تصير عارفا بسببه لانّ المشائخ منابيع الفيوضات الإلهيّة فمن أدخل المنبع في بيته فقد نال فيضه **ولو بالمغايبة** أي ولوكان تلك الرابطة بالمغايبة عن الشيخ لأنّ الرابطة على طريق المحبّة قد تفيد بالغيبة كما تفيد في الحضور . فالرابطة سوآءٌ كانت في الغيبة أو في الحضور تكون في حقّ السالك أنفع من الذكرو من الوقوف القلبي **ثمّ** أي بعد الرابطة من حيث المرتبة **الإتزام** أي إلزام المريد **بما يتلقّن منه** أي من الشيخ الكامل **من الأذكار الواردة عندهم** أي عند المشائخ النقشبنديّة **معنعنا** صفة المصدر المحذوف أي ورودا معنعنا أي متواصلا من حيث التلقي إلى النبي عليه الصلاة و السلام **كاسم الذات** و هو لفظة الجلالة **و النفي و الإثبات** و هو كلمة التوحيد . وطريق تلقّن المريد من الشيخ بإسم الذات أو النفي و الإثبات أنّه لا بدّ للمريد أن يستخير أوّلا و كذلك الشيخ ثمّ يتطهّر المريد من حيث الظاهر إستحبابا ثمّ يجلس على ركبتيه بين يدى الشيخ مع حضور القلب و جمع الهمّة, ثمّ يقول الشيخ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم

أستغفر الله العظيم الّذي لا اله الّا هو الحيّ القيّوم و أتوب إليه ربّ اغفر لي, ثمّ يقول المريد مثل ما قال له الشيخ ثمّ يقول الشيخ أيضا ثمّ يقول المريد كذلك ثمّ يقول الشيخ ثمّ المريد كذلك ثمّ يلصق المريد لسانه الى الحنك الأعلى يغمض عينيه ثمّ يحضر في مقابلة قلب الشيخ والشيخ يتوجّه إلى قلب المريد و يلقّن قلب المريد بقلبه إ سم الذات ثلاث مرّات و المريد يتلقنه منه بقلبه من تحت ثديه الأيسر و يذكره بقلبه ثلاث مرّات كذلك, وكذلك الحال في تلقين النفي و الإثبات إلاّ أنّ المريد في تلقّن النفي و الإثبات يحبس نفسه و يأخذ كلمة "لا" من فوق السرّة و يمدّ طرفيها إلى الدماغ ثمّ يأخذ منه كلمة "اله" إلى الكتف الأيمن حتّى يتأثر منها جميع البدن ثمّ يأخذ كلمة "إلاّ الله" و يضرب بها إلى القلب الصنوبري حتّى يتأثّر منها جميع البدن و يكرّرها على هذه الكيفيّة ثلث مرات كذلك . ثم يرفع الشيخ يديه و يدعو للمريد و يقول اللهم خذ منه و تقبّل منه وافتح عليه أبواب كلّ خير الّتي فتحتها على أنبيائك و أوليائك وأهل طاعتك أجمعين واهديه إلى صراطك المستقىم و كن له عونا و معينا يا أرحم الراحمين و صلّى الله على سيّدنا محمّد و على أله و صحبه و سلّم .

فمن يستعدّ لتقديم الجذبة و المراد بالجذبة هنا جذبة المبتدئين و هي مشاهدة قلبية يحصل بها توجّه القلب إلى جناب الحقّ سبحانه و تعالى . وأمّا جذبة المنتهين فهي مشاهدة روحية يحصل بها توجّه الروح إلى مدارج الشهود **على السلوك** و هو تزكية النفس عن رذائل الأخلاق البشريّة وتخليصها عن القيودات العنصرية و التعلقات الكونيّة بالرياضات الشاقة و المجاهدات اللّائقة على موافقة الشريعة و متابعة السنّة مع الإشتغال بما يتلقّن به من الأذكار الواردة . **فله** أي لذلك المستعدّ لتقديم الجذبة أن يتلقّن **الأوّل** أي إسم الذّات و هو يناسب لصاحب الجذبة لأنّ قلبه خال عن الأغيار و عن التعلقات بل إنّما يحتاج إلى ظهورحقيقة الجذبة المحبّة الذاتية فهذا يحصل بإشتغاله بإسم الذات من غير إحتياج إلى النفى و الإثبات **و من يستعدّ لتقديم السلوك** على الجذبة, **فله** أي فلذلك المستعدّ لتقديم السلوك على الجذبة أن يتلقّن **الثاني** أي النفي و الإثبات ثم يشتغل به من غير حبس النفس إلى أن يستعدّ للجذبة و بعد ذلك يتلقن بإسم الذات كمن يتلقّن في إبتداء الأمر . و إنّما إعتبر المشائخ مراعات إستعداد الطالبين في تلقين الذكر لتسهيل سلوكهم لأنّهم إذا لم يعتبروا الإستعداد و لقّنوا من يستعدّ لتقديم السلوك إسم الذات

أولقّنوا من يستعدّ لتقديم الجذبة النفي والإثبا ت يدخل الإختلال في سلوكهما من بطء الوصول أو صعوبة السلوك أو غير ذلك من آفات السلوك, فحينئذ يتعب الشيخ و المريد معا في إصلاح أمر المريد **وكلاهما** أي النفي و الإثبات و إسم الذات يتلقّن **بالقلب** الحقيقيّ و هو عبارة عن اللطيفة الداركة للكلّيات و الجزئيّات المتوسّطة بين روح الأمر و النفس الناطقة و هذا القلب كلّه لسان يتكلّم به وكلّه بصر يبصر به و كلّه سمع يسمع به و كلّه مدرك يدرك به **و هو** أي القلب الحقيقيّ **وأخواته** أي مشاركت القلب من حيث الحقيقة **من الروح** هي لطيفة نورانية ملكوتية و هي باطن القلب وألْطف منه و إذ اجتجبت الروح عن مراعات القلب أسآءت الجوارح الأدب لأنّ القلب و النفس و الجوارح كلّها لا تعمل بدون مراقبة الروح **و السر** هي لطيفة ربّانيّة جبروتية و هو باطن الروح و ألطف منها و مرتبة السرّ محلّ دخول السالكين إلى عالم الجبروت و طريق الدخول في عالم الجبروت أنّ السالك يدخل أولا في مرتبة قلبه و يقطع تلك المرتبة, ثمّ يعرج منها إلى مرتبة الروح و يقطعها أيضا, ثمّ يعرج منها إلى مرتبة السر ثمّ يعرج من مرتبة السرّ إلى مقام مشاهدة عالم الجبروت, وهذا الأمر ممّا لا يقف عليه كلّ أحد و إنّما يقف عليه حذّاق السالكين الذين كثر سلوكهم في هذا الباب دخولا و خروجا **و الخفيّ** وهو لطيفة لاهوتية ملازمة بعالم الصفات و هو باطن السرّ و ألطف منه مرتبة الخفي مرتبة الحيرة و الإستغراق **و الأخفى** هو لطيفة لاهوتية أيضا لكنّه ملازم الذات و مظهر لتجليّاتها كما ورد في الحديث القدسي "إنّ في جسد بني آدم لمضغة و في المضغة فؤادا و في الفؤاد سرّا و في السر خفيّا و في الخفيّ أخفا و في الأخفى أنا", وإنّما سمّى الأخفى لكونه أبلغ في الأختفاء من الخفى و ألطف منه وهو باطن الخفى و الباطن من هذه اللطائف أكبر من الظاهر على خلاف العادة و لمّا وصل السالك إلى مرتبة الأخفى يكون جميع اللطائف متحدّدة مع الأخفى لكون تلك اللطائف حقيقة واحدة في الأحد لكن بحسب الأطوار والمراتب يكون متعدّدة **من عالم الأمر** أي من فوق العرش لأنّ عالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحسّ و الخيال و عن الجهة و المكان **الذي خلقه الله تعالى بأمر كن** أي بمجرّد التجلّيات الإراديّة **من غير مادة** أي من غير عنصر سوى التجلّيات الإراديّة, **و ركّبها** أي ركّب الله تعالى هذه اللطائف العلوية بحكمته البالغة **مع لطائف عالم الخلق** على طريق التعشق و المحبّة بحيث يكره منها مفارقة الأخرى, حتى كانت لطآئف عالم الأمر بسبب ذلك

التعشق مقهورة تحت حكم لطائف عالم الخلق **الذي خلقه** الله تعالى **من مادة** أي من عنصر **وهي** أي لطائف العالم الخلق **النفس الناطق و العناصر الأربعة** والمراد من النفس الناطقة ها هنا هي الحقيقة الأنسانية الحاصلة من تعلّق روح الأمر إلى النفس الحيوانية وعلى هذا التقدير تكون النفس الناطقة غير القلب الذي كان محلّه المضغة الصنوبرية و المراد من العانصر النار و الهواء و الماء و التراب و لكلّ واحدة من هذه اللطائف السفلية نسبة إلى تلك اللطائف العلوية, فنسبة النار إلى الروح و نسبة الهواء إلى الخفى و نسبة الماء إلى الأخفى و نسبة التراب إلى السر و نسبة النفس الناطقة إلى القلب و بهذه النسب صار لكلّ واحد من اللطائف العلوية محلّ خاصّ في البدن المركّب من العناصر الأربعة **فمحلّ القلب** الحقيقي **المضغة** الصنوبرية **تحت ثدي اليسار** من الصدر و المضغة قطعة لحم تمضغ **و الروح** أي و محلّ الروح **مثلها** أي مثل المضغة الصنوبرية **في اليمين** أي في جهة اليمين من الصدر تحت ثدي اليمين **والسرّ** أي ومحلّ السر **في يسار الصدر** ممّا فوق قلب الصنوبري **و الخفى في يمينه** أي في يمين الصدر ممّا فوق محلّ الروح **والأخفى في وسطه** أي في وسط الصدر من بين السرو الخفى **و النفس** الناطقة **في الدماغ** من الرأس والدماغ بيت الحواس الخمسة الباطنة, و النفس الناطقة في الدماغ تتصرفّ تلك الحوّاس بما أودعه الله تعالى بواسطة القلب و القلب كالسلطان في البدن و النفس الناطقة وزيره .

والعناصر تندرج أي في النفس الناطقة و طريق إندراج العانصر في النفس الناطقة أنّ الله تعالى ركّب بسائط العناصر أوّلا بعد كسر كلّ واحدة منها صورة ما يقابلها حتى صار مجموع تلك العانصر كأمر واحد .

ثمّ أوجد الله تعالى من ذلك الأمر الوحداني طبيعة جامعة للعناصر المركّبة مع طبائعها, و تلك الطبيعة هي المزاج المعتدل القابل للحياة . ثمّ أوجد الله تعالى من ذلك المزاج حقيقة حيوانية, ثمّ أوجد الله تعالى من الحقيقة الحيوانية النفس الناطقة التي هي الحقيقة النوعية, فصارت العناصر مندرجة تحت الطبيعة الكلّية و الطبيعة الكلّية مع ما فيها مندرجة في النفس الناطقة فكانت العناصر بهذه الوسائط مندرجة في النفس الناطقة, فلذلك كان قيام النفس الناطقة بالعناصر و كانت حياة العناصر بالنفس الناطقة و لذلك اتّصفت النفس الناطقة بالكمالات اتّصفت العناصر بها أيضا اتّباعا للنفس الناطقة .

و كلّ أي كلّ محلّ **من المحال** المذكورة **محلّ الذكر** أي محلّ ذكر إسم الذات باللطائف المذكرة **على الترتيب** المذكور بحسب التقدم و التأخر في اللفظ **فكيفية ذكر إسم الذات بالقلب** أي بلسان القلب الحقيقي و كذا بسائر أخواته **مثلا أن يلتصق اللسان** من غير شدّة و حدة **بسقف الحلق** أي بالحنك الأعلى **و ينطلق النفس** أي و يجري النفس **على حاله** الأول الذي كان النفس على ذلك الحال قبل التصاق اللسان **و الأسنان** الفوقانية تضع **على الأسنان** التحتانية **ويتخيل** الذاكر بعد ذلك **في القلب** حبّا لا تكلّفا حضورا لا عددا من غير أن يتصوّر صورة القلب و من غير أن يحرّكه بالذكر بل يحرّك الذكر على القلب **لفظة الجلالة** و هي لفظة الله **بمعناها, وهو** أي معنى لفظة الجلالة **ذاته تعالى الصرفة البحت** أي المطلقة العارية عن إعتبار الصفات و الأسماء في تلك الذات المقدّسة **كما هو عليه** أي كالمعنى الذي عليه **مفهوم الإيمان** أي حقيقة الإيمان **به تعالى** أي بأنّ الله تعالى واحد ليس له شريك و ليس كمثله شيئ و هو خالق و العالم مخلوقه و محتاج إليه تعالى و هو ليس بمحتاج إلى شيئ أصلا **فاليستمرّ** تخيل لفظة الجلالة في القلب **على ذلك** أي المعنى الذي عليه مفهوم الإيمان **من غير إنقطاع** ذلك التخيل عن القلب **و أن يتكلم** الذاكر **باللسان عند الحاجة** و عند إشتغاله بإشتغال الدنيا **فلا ينقطع خياله** عن ذلك التخيل ليكون ذلك التخيل صفة لازمة للقلب, **فإنّه** أي عدم إنقطاع الخيال عن ذلك التخيل **مدخل** لدخول الذكر **لما وراء هذه القوى الوهبانية** و إنّما عبّر الشيخ قدّس سرّه عن اللطائف المذكورة بالقوى الوهبانية لأنّ هذه اللطائف على التفصيل المذكور لا توجد في كلّ أحد بجبليته الأصلية الاّ بان يهب الله تعالى اليه تلك اللطائف, فلذلك عبّرعنها بالقوى الوهبانية **عند رسوخ القلب** أي حضوره **بالمذكور** أي بالذات الصرفة المطلقة **و نسيانه** أي و عند نسيان القلب **ما سواه** أي ما سوى المذكور لإستهلاكه في المذكور فإنّ حقيقة ذكر الشيئ **نسيان ما دونه** أي ما دون ذلك الشيئ لأنّه إن لم يكن في الذكر وجدان المذكور و نسيان ما دونه فهو ليس بذكر عند هذه الطائفة العلية لأنّ الذكر عندهم عبارة عن تجلى الحقّ لذاته بذاته في عين العبد من حيث إسمه المتكلّم . **فإذا أدام الذكر** في القلب بطريق التخيّل **دام النسيان** أي نسيان القلب ما سوى المذكور لأنّ دوام ذكر الحقّ سبحانه وتعالى يستلزم دوام نسيان ما سواه, كما أن دوام ذكر ما سواه يستلزم

دوام نسيانه سبحانه وتعالى, فلذلك أمر الله تعالى حبيبه بذكره عند نسيان ما سواه في قوله تعالى « واذكر ربك إذا نسيت » يعني إذا نسيت غير ربك **وإذا ارتسخ** الذكر في القلب حتى يكون حضور المذكور ملكة له بحيث لو تكلّف الذاكر **باخطار**[1] **الغير** أي غير المذكور **لم يخطر** في قلبه ذلك الغير لرجوع القلب إلى صفته الاصلية **انقلب ذكره** أي ذكر القلب **إلى الروح** في جانب اليمين من الصدر تحت ثدي اليمين, وانتقال الذكر إلى الروح وإلى سائر أخواتها قد يكون بإذن الشيخ ظاهرا وباطنا وقد يكون بقوّة الرابطة من حيث النسبة . وبعد انقلاب الذكر إلى الروح يتخيّل الذاكر لفظة الجلالة في الروح كما تخيّلها في القلب على طريق الدوام ويجتهد فيه اكثر من الأول حتى يرتسخ الذكر في الروح بحيث يكون حضور المذكور ملكة في الروح . **ثم** أي بعد ارتساخ الذكر في الروح على الكيفيّة المشروحة ينقلب الذكر **إلى السر** في جانب اليسار من فوق القلب وبعد ذلك يتخيل الذاكر أيضا لفظة الجلالة في السر على الدوام, حتى يرتسخ الذكر فيه على وجه يكون حضور المذكور فيه ملكة كما كان في الروح لكن المجاهدة بالذكر في مرتبة السر تكون أشدّ من المجاهدة في مرتبة الروح وإذا ظهر بعض آثار الذكر في الذاكر مثل ضربات العروق النابضة وتحركّات الأعضاء ورعشات البدن فلا بدّ للذاكر أن لا يلتفت إليها, بل يزيد المجاهدة في الذكر حتى يمرّ عن تلك العقبة لأن حصر خطرات الذكر في مرتبة السر كثيرة قد يضل بها كثير من السالكين, **ثم** أي بعد ارتساخ الذكر في السرّ ينقلب الذكر **إلى الخفيّ** في جانب اليمين فيما فوق الروح وبعد ذلك يتخيّل الذاكر لفظة الجلالة في الخفي على الدوام ولا ينقطع عن ذلك التخيّل في جميع الأحوال والسالك يجتهد في مرتبة الخفي أكثر ممّا اجتهد في المراتب الثلاث حتى يرتسخ حضور المذكور فيه كذلك . **ثمّ** أي بعد ارتساخ الذكر في الخفي ينقلب الذكر**الى الأخفى** في وسط الصدر فيما بين السر و الخفى ثمّ بعد ذلك يتخيّل الذاكر أيضا لفظة الجلالة في الأخفى على وجه الدوام مع مراعات الأدب بالحق سبحانه و تعالى لأنّ هذه المرتبة تجلى الذات الإلهية فلا بدّ للذاكر ان لا يغفل عنها بل يكون على التيقّظ و التوجّه الى الذات المقدّسة المطلقة لعلّه ينال الى ذلك التجلي و يحصل له الوصول التام و التمكين في المقام .

---

[1] و في نسخة - بإحضار

ثمّ أي بعد ارتساخ الذكر في الأخفى ينقلب الذكر **إلى النفس** الناطقة في الدماغ و بعد ذلك يتخيّل الذاكر لفظة الجلالة في النفس الناطقة على الدوام حتى يسري الذكر إلى جميع ذرّات البدن فعند ذلك يحصل للذاكر ضعف في بدنه بحيث لا يقدر على القيام و القعود و الحركة و السكون و بذلك الضعف تعرض للذاكر الكسالة و الكهالة فلا بدّ له عند ذلك أن يعزم إلى الذكر و يشدّ همته للمجاهدة حتى يعبر عن ذلك "البرزخ" لان الكسل برزخ عظيم لأهل السلوك, و إنّما يظهر ذلك البرزخ لمن كان في قيد العناصر و لم تظهر له الجذبة الروحانية, فلذلك أي فكما كان رسوخ الذكر للقلب كان **الرسوخ** كذلك **لما بعد القلب من اللطائف** المذكورة **على الترتيب المذكور فإذا إرتسخ الذكر في لطيفة النفس** بكمال المداومة على الذكر من غير إنقطاع عنه **حصل سلطان الذكر** أي غلبته **بأن يعمّ** الذكر **على جميع الإنسان** أي على جميع بدن الذاكر بأن يسمع و يرى انّ جميع بدنه يذكر لفظة الجلالة كسائر اللطائف المذكورة **بل على جميع الأفاق** أي بأن يعمّ الذكر على جميع الأفاق و المراد من الأفاق ما هو مغاير لبدن الذاكر من الموجودات الخارجة يعني لايرى الذاكر شيئا من الحجر و الشجر و المدر و غير ذلك الا و يراه ذاكرا بلفظة الجلالة **أيضا** أي كما يعمّ الذكر على جميع الإنسان, **فعند ذلك** أي عند عموم الذكر على جميع الإنسان و الأفاق **يتلقّن** الذاكر من الشيخ الكامل **بالنفي و الإثبات** **يعني بكلمة لا اله الا الله** مع الضمّ اليها كلمة محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنّ الخضر عليه السلام هكذا علّمها عبد الخالق قدّس سرّه و أمره بأن يغطس في الماء و يذكر هاتين كلمتبن معا, و أنّ الخضر عليه السلام هكذا أخذها عن الصديق الأكبر رضي الله عنه . و روي أنّ الصديق ما ذكر كلمة التوحيد الا ضمّ اليها كلمة محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم, و قيل أ نّ الجذبة القيومية المأخوذة عن الشيخ عبد الخالق إنّما تحصّل بذكر هاتين كلمتين على الكيفية التي أخذها عن الخضر عليه السلام و لكن بعض المشائخ النقشبندية يكرّركلمة التوحيد و لا يكرّر معها محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم بل يضمّه إليه عند الوقوف على العدد الوتر و بعضهم لا يضمّه إليها الا عند فراغه عن الإشتغال بالذكر و كلّ هذه الطرق الثلثة مسالك موصلة إلى المطلوب, و لكن أولى منها مسلك الشيخ عبد الخالق قدس سره, و هو ضمّ محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى كلمة التوحيد في كلّ مرّة لأنّ جمال القيّومية إنّما يظهر على وجه الكمال إذا ضمّ محمد رسول

الله صلى الله عليه و سلم بكلمة التوحيد في كلّ مرة من تكرا ر تلك الكلمة . **و كيفيّته** أي كيفية ذكر النفي و الإثبات بالقلب **أن يلصق**[2] **اللسان** بالحنك الأعلى و توضع الأسنان على الأسنان و الشفة على الشفة **كالأوّل** أي كالكيفية المذكورة في إسم الذات **و يحبس النفس تحت السرة** أي و يحبس الذاكر نفسه في جوفه بحيث لا يضيق عليه حبسه ثمّ ان غمض عينيه يكون له أولى ليحصل له كمال التوجه إلى الذكر **و يتخيّل منها** أي من السرة من وسط جوفه **"لا"** بحيث يكون كرسيها على السرة و يمدّ طرفيها **إلى منتهى الدماغ** و يلاحظ معها نفي مقصودية ما سوى ذات الحق سبحانه من حسن و قبيح **ومنه** أي ثم من منتهى الدماغ يتخيّل **إله** وينزل بها **إلى كتف الأيمن** ويلاحظ معها إنتفاء مقصودية غير ذات الحق و بطلانها **ومنه** أي ثم من الكتف الأيمن يتخيّل **إلاّ الله وينزل بها** بحسب التخيل من عرق نورانيّ **إلى القلب** و يضربها على رأس القلب بالنفس الدائر في الجوف ويلاحظ معها مقصودية ذات الحق سبحانه **فيحيط** هذه التخيلات الثلثة **على محل اللطائف كلها** بسورة لآء المعكوسة التي يكون أحد طرفها في السر وطرفها الآخر في القلب وكرسيها بين الدماغ و بين الكتف **ويلاحظ** الذاكر مع هذه التخيلات **معناها** أي معنى كلمة لا إله إلاّالله **أن لا مقصود إلاّ ذات الله تعالى** . و بملاحظة هذا المعنى ينقطع القلب عن التعلق إلى ما سوى ذات الحق سبحانه وتعالى ويظهر فيه التعلق إلى الذات المقدسة وإنما يلاحظ الذاكر في هذه الكلمة نفي مقصودية ما سوى الذات الإلهية ولا يلاحظ نفي معبودية ما سوى ذاته تعالى **فإنّ نفي المقصودية أبلغ من** لا المعبودية لأنّ المقصودية أعم من المعبودية **لأنّ كل معبود مقصود** سواء كان ذلك المعبود حقا أو باطلا **وإن لم ينعكس** أي وإن لم يكن كل معبود مقصودا بل بعض مقصود معبود ففى الأعمّ يستلزم نفي الأخص دون عكسه **و في أخرها** اي وفي أخر كلمة لا إله إلاّ الله يتخيّل **محمد رسول الله** و في تخيل هذه الكلمة يميل الذاكرمن حيث التخيل إلى يمين القلب **ويريد به** اى بمحمد رسول الله **التقيد بالإتباع** اي بإتباع النبي صلى الله عليه و سلم بحسب الظاهر والباطن في جميع الأحوال والمقامات, حتى يتيسّر له الوصول إليها لأن السالك لا يصل إلى كمال أصلا إلاّ بإتباعه عليه الصلاة والسلام **ويكررها** أي ويكرركلمة لاإله إلاّالله محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم **على قدر قوة النفس** على الذكر من غير تضايق

---

[2] يلتصق - نسخة

النفس عن الحبس المخل عن الحضور **ويطلقه** اي ويطلق الذاكر نفسه بحصول التضايق عن الحبس المخل **من الفم** أو من الأنف أي من أيهما يريد إطلاقه فهو مخير **على الوتر** اي عند وقوفه على العدد الوتر من الأوتار كالثلاثة او الخمسة او السبعة او غير ذلك إلى إحدى وعشرين قال بهاء الدين قدس سره إنّ حبس النفس و الوقوف على العدد الوتر ليس بلازم في النفي والإثبات و إنما اللازم نفي البشرية وهو يحصل بمجرد النفي والإثبات وأما فائدة حبس النفس فهي أشرح للصدر و اطمئنان القلب وحصول الحلاوة الروحانية ونفي الخواطر, و أما فائدة مراعات العدد فهي جمع الخواطر عن التفرقة **ويقول الذاكر** بلسانه أو بقلبه بعد إطلاق نفسه **إلهي أنت مقصودي و رضاك مطلوبي** من ذكر هذه الكلمة الطيبة وهذا الكلام يفيد نفى مقصودية الغير و نفي الخواطر من مليح و قبيح و يجعل الذاكر خالصا لله و يورث في القلب محبوبية الحق و مقصوديته سبحانه . و إن لم يتحقق الذاكر بمعنى هذا الكلام فليقل بالتقليد إلى المشائخ حتى يتحقق بمعنى هذا الكلام بالتدريج **كما يتخيل** أي كما يتصور الذاكر **بعد كل تهليلة** لا مقصود إلا ذات الله . **فإذا استراح** الذاكر بعد إطلاق نفسه **يشرع في نفس أخر** ويحبسه أيضا في جوفه ثم يشتغل بذكر كلمة التوحيد و يكررها على قدر قوة النفس على ذكرها, ثم يطلقها عند الوقوف على العدد الوتر كما فعل في نفسه الأول هكذا و هكذا **لكن يراعى ما بين النفسين** أي ما بين خروج أحد النفسين و دخول الآخر بألا يغفل قلبه في ذلك الآن عن التخيل **بل يبقى التخيل على حاله** من غير إنقطاع **لئلا يخلى الأستمرار** أي استمرار تخيل معنى كلمة التوحيد **فإذا إنتهى العدد** الوتر بالشروط المذكورة **إلى إحدى و عشرين تظهر النتيجة** أي نتيجة كلمة التوحيد ولايختص ظهور النتيجة بهذا العدد لأنه يجوز أن تظهر النتيجة في سائر العدد الوتر من الأوتار لكن المشائخ عينوا ظهور النتيجة هذا العدد بناء على أكثر ظهور النتيجة في هذا العدد لأن في هذا العدد اجتمعت أوتار عشرة وهي ثلثة سبعة و سبعة ثلثة و مجموعهاعشرة كاملة, و في تلك العشرة سر عظيم عند أرباب الكشف قال تعالى « تلك عشرة كاملة » و قال تعالى « و أتممناها بعشر » **وهي** أي النتيجة **نسبتهم** أي نسبة المشائخ النقشبندية المتسلسلة عندهم بالتلقى المتواصلة إلى النبي صلى الله عليه و سلم **من الذهول** والنسيان بجميع ما سوى ذات الحق سبحانه تعالى **و الأستهلاك** أي الأستغراق في مشاهدة أنوار قيّوميّة ذات الحق سبحانه في جميع الأشياء, **وإن لم تظهر** النتيجة عند إنتهاء العدد

الوتر إلى إحدى و عشرين **فبما** أي بسب ما **وقع** من الذاكر من الخلاف أى المخالفة **في الأداب** جمع أدب و هو المحافظة على الأحكام الشرعية بحيث لا يجري على العبد شئ مما لا يسوّغه الشرع .

و أداب الطريقة النقشبندية هي كمال التمسك بالشريعة و الإجتهاد على متابعة السنة و الإشتغال بعمل العزيمة و الإجتناب عن البدعة و الرخصة و الإحتراز عن أهل الهوى والبطالة و ترك فضول الكلام و كثرة الطعام و المنام, و أن لا يأكل عن طعام الغير[٣] ودوام الإفتقار إلى الله تعالى مع الإنكسار و الإلتجاء إليه تعالى في جميع الأمور و قطع الطمع عن أهل دار الغرور و الرضآء بالمقدور .

واعلم أنّ كل أحد إذا جاهد في ذكر كلمة التوحيد و لم تظهر النتيجة من مجاهدته فاعلم أنّ فيه خلاف في أدب من هذه الأداب لأنّ الخلاف في الأدب يوجب الضرر بالخاصية و إن كان بأدنى شئ **فليستأنف** أي فليبتدئ ذلك الذاكر بالمجاهدة الزكية المستورة بتجديد العهد عن شيخه في كلمة التوحيد من أول الأمر **وليطابق القول الفعل** أي وليجعل جميع ما صدر عنه على مطابقة مضمون الذكر و مضمون الذكر هي مقصودية ذات الحق سبحانه و تعالى عملا و إعتقادا **و اتباعا** أي بأن يكون ذلك الذاكر قاصدا في جميع عمله و اعتقاده و اتباعه مقصودية ذات الحق سبحانه و تعالى لا غيرها, **فإن المقصودية فيما سواه** أي فيما سوى الحق سبحانه و تعالى **إذا كانت باقية** في قلب الذاكر و لم ينف تلك المقصودية بكلمة لاإله إلاّ الله **أو خلاف الاتباع** بالسنة في شئ ممّا صدر عن الذاكر من القول و الفعل **إذا كان ثابتا** في الواقع أي في نفس الأمر **لزم الكذب** من الذاكر في ذكره بلا إله الا الله محمد رسول الله, لأن من يقول هذا الذكر على وجه الصدق لا يكون مقصوده إلا الله و لا يكون متبوعه إلا النبي صلى الله عليه و سلم في جميع الأحوال والأفعال والأقوال و جاء في الحديث القدسي إذا قلت لا إله الا الله وأنت عابد هواك و درهمك ودينارك ماذا يكون جوابك كذبت يا عبدي لم تقول ما لم يكن . **فليس** ذلك الذاكر **بصادق** في ذكره بكلمة التوحيد لأنّ ما وقع منه من القول و الفعل لم يطابق مضمون الذكر لأنّ مضمون الذكر عدم بقاء مقصودية ما سوى الحق و ثبوت إتباع النبي في جميع الأحوال,

[3] عن الطعام الغير الحلال ـ نسخة

ولاحصر لذكر هذه الكلمة الطيبة في حصول النتيجة **في العدد** اى في هذا العدد وهو احدى وعشرون و نقل أنّ واحدا من أرباب الذكر قد وصل في حبس النفس في ذكر هذه الكلمة إلى واحد وألف في نفس واحد **فإذا جاهد** الذاكر **فيه** اى في ذكر هذه الكلمة الطيبة **حق الجهاد** اى بأن يكون ذكره بهذه الكلمة الطيبة على نفى مقصودية ما سوى الحق و إثبات مقصوديته سبحانه و تعالى وأن يكون جميع ما صدر عنه مطابقا بمضمون الذكر قولا و فعلا واعتقادا و إتباعا **وانتفى المنفى** و هومقصودية ما سوى الحق **و ثبت المثبت** و هو مقصودية الحق **وظهرت النتيجة** و هي نسبتهم المتسلسلة عند هؤلآء المشائخ من الذهول و الإستهلاك **تصح له** اي للذاكر عند ظهور النتيجة **المراقبة,** **وهي أن يلازم القلب** على طريق المشاهدة **معنى إسم الذات** وهو ذات الله الصرفة البحت المجردة عن لباس الحروف و الصوت و العرابية و العبرانية و المنزهة عن الجسمية و الجسمانية و الجوهرية و العرضية و الكيفية و الكمية **على مفهوم الإيمان** اى على مفهوم إيمان أهل السنة و الجماعة, و هو أنّ الله تعالى هو الآله الحق الأول الآخر الظاهر الباطن الواحد الأحد الحيّ العليم المتكلم الفعّال لما يريد **على طريق الإستغراق والإستهلاك** في معنى إسم الذات **بحيث لاينفك القلب عنه** أي عن الإستغراق في معنى إسم الذات في جميع أحواله **فإذا انتهى أمره** أي أمر القلب في الإستغراق والإستهلاك في معنى إسم الذات **إلى إنتفاء العلم** اى انتفاء علم ذلك[4] القلب **مطلقا** اي بحيث لا يبقى له شعور ولاحس أصلا لا لنفسه ولا لغيره لأنّ القلب في ذلك المقام يتصف بالجهل التام و العدم المطلق فحينئذ **حصل له** أي لذلك القلب مبادى الفناء وهي الغيبة والسكر ووجود العدم . وعند حصول **مبادى الفناء** في القلب **يسوغ** اي يجوز **له** اي للذاكر **الذكر اللساني بلا إله إلاّ الله** بإذن الشيخ الكامل أيضا, و يلاحظ الذاكر حينئذ فى هذه الكلمة نفي وجود الموجودات و إثبات وجود الحق سبحانه لأنّ هذا المقام مقام نفي وجود غير الحق سبحانه, خلافا للمقام الأول لأنّ المقام الأول نفي مقصودية عن غيرالحق وإثباتها للحق سبحانه و كيفية الذكر اللساني ان يقول الذّاكر هذه الكلمة الطيبة من غير تحرك الأعضاء ولا يميل إلى اليمين و الشمال ويبتدئ **لا** من فوق السرة ويمد طرفيها إلى تحت ثدى

---

[4] ذكر – نسخة

اليمين **وإله** متصلة بطرفي "لا" في تحت الثدي, ثم يأخذ **إلاّ الله** من تحت ثدي اليمين و يضربها على القلب ويلاحظ معناه بأن لا موجود إلاّ الله .

و لذكر اللساني كيفية أخرى, وهو أن يأخذ لا من تحت ثدئ اليمين بحيث يكون كرسيها تحت الثدي و يمد أحد طرفيها إلى القلب والأخر إلى السرة **وإله** متصلة بكرسيها في تحت الثدي ويأخذ **إلاّ الله** من تحت الثدي الأيمن ويضربها أيضا إلى القلب لكن الطريق الأول أحسن من الطريق الثانى لكون تأثير الذكر في الطريق الأول أكثر من التأثير الحاصل بالطريق الثاني **من التدبر الحقيقي** وهوملاحظة نفى الوجود المحدثات في طرف النفي وإثبات وجود الحق فى طرف الإثبات لأنّ ملاحظة غيرهذا المعنى في هذا المقام سقوط عن مرتبة تجلى الذات بالوجود المطلق إلى مرتبة تجليها بالمحبوبية **و أقّله** أي أقل عدد الذكر اللساني **خمسة آلاف في الملوين** أي في الليل و النهار وليس لأكثر الذكر اللساني حدّ معيّن من مراتب العدد لأنّ أكثر الذكر اللساني يكون بإستغراق جميع الأوقات في الذكر **وبحصول الفناء التام** في الذاكر وهوإستيلاء أمر الحق على العبد بحيث يغلب وجود الحق على وجود العبد فلا يكون للعبد إختيار عند ذلك بل يكون رجوعه في كل أمر إلى الله **حصلت له** أي لذلك الذاكر عند حصول الفناء التام **أولّ درجة الولاية الصغرى** . و هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه فحينئذ يكون ذلك الذاكر في هذه المرتبة متصفا بصفات الله تعالى لأنّ هذه المرتبة عبارة عن بقاء العبد بالله تعالى و الولاية ثلاثة دراجات الدراجة الاولى هي الولاية الصغرى وهى إتصاف العبد بصفات الله تعالى وتخلقه بأخلاقه و هذه الولاية على نوعين النوع الأول ولاية عطائية وهى أن يعطيها الله لمن يشاء قبل المجاهدة بالجذبة الذاتية والثانية ولاية كسبية وهي أن يحصّلها العبد بعد الكسب بالجذبة الحاصلة بالمجاهدة و السلوك في طريق المعرفة .

وفي هذه المرتبة يضع السالك قدمه في إبتداء الولاية .

والدرجة الثانية هي الولاية الكبرى وهي ولاية النبوة وفي هذه المرتبة يصير السالك صاحب القدرة ويقدر على إظهار ما يريد لكون هذه المرتبة مرتبة النبوة قال عليه الصلاة والسلام علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل .

و الدرجة الثالثة ولاية الملأ الأعلى وهي ولاية الملائكة على إختلاف مراتبهم في تلك الدرجة والسالك في هذه المرتبة يتجرد عن الصفة البشرية ويتصف بالصفة الملكية ويتنزه عن التعلقات العنصرية . **ويبقى** ذلك الذاكر **بالله تعالى** بحيث لا يحجب الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق لقوّته على حفظ الجانبين فيكون الذاكر في هذا المقام مستقيما في العبودية في جميع الأحوال لأنّ مقام البقاء يدور على أخلاق الوحدانية و صحة العبودية وهذا المقام موهبة إلهية وخصوصية ربانية ولذلك لايرد الباقي بالله إلى صفته الأصلية فحينئذ يليق به أي بذلك السالك **الإشتغال بنوافل الصلوات** في بعض الأوقات ليتقرب بها إلى الله تعالى بكمال التقرب لأنّ المقامات و الوصول إلى الدرجات منوطة بالنوافل, لأنّ النوافل تنتج الأحوال الصادقة والأحوال الصادقة تنتج الكشف الصحيح والكشف الصحيح ينتج معرفة الله تعالى التي هي النور الظاهر من تجلى الذات الإلهية, كما قال تعالى في الحديث القدسي لا يزال العبدي يتقرب إليّ بالنوافل إلى أخر الحديث . وأفضل ما يتقرّب به العبد من النوافل الصلاة النافلة, و الصلاة النافلة التي يشتغل بها المشائخ النقشبندية على طريق الورد في طريقتهم العلية على قسمين قسم مخصوص بالليل, و قسم مخصوص بالنهار .

أما القسم المخصوص بالليل فصلاة الأوابين وهي ست ركعات إلى إثنى عشر ركعة بعد صلاة المغرب إلى وقت العشاء, ثم صلاة التهجد وهي إثنى عشر ركعة بعد النوم في الثلث الأخير . وأما القسم المخصوص بالنهار فصلاة الإشراق وهي ركعتان إلى أربع ركعات إذا ارتفعت الشمس قدر رمح, ثم صلاة الضحى و هي أربع ركعات إلى ثمانية ركعات بعد الربع الأول من النهار . وهذه المذكورات من الصلاة هي أوراد الطريقة النقشبندية فلا بد للسالك الواصل إلى درجة الولاية الصغرى أن يداوم عليها وإن أراد أن يزيد عليها فليصل بالنية النافلة .

فإذا انتهت الولاية الصغرى إلى غايتها **بمحض فضل الله وكرمه** لا بالكسب و السعي من السالك لأنّ درجات الولاية كلها موهبة إلهية لا مدخل فيها لإكتساب العبد **تشرف** السالك **بالكبرى** أي ولاية الكبرى **وهي ولاية الأنبياء عليهم السلام** والفرق بين الولاية الصغرى و الولاية الكبرى أنّ ولاية الصغرى ظلّ ولاية الكبرى ولا تحصل الولاية الصغرى الّا بحيلولة حجب الأسماء و الشؤن بخلاف الولاية الكبرى فإنها تحصل من غير حيلولة تلك الحجب ولا ينال

السالك للولاية الكبرى إلاّ بالوراثة وواسطة النبي صلى الله عليه و سلم لأنّ السالك في هذه المرتبة يشاهد ذات الحق في مراتب الروح المحمدية **ساغ** اي جاز **له** اى لذلك السالك **الإشتغال بتلاوة** القران لأنّ السالك في هذه المرتبة يجوز له التقرب بكل ذكر من الأذكار خصوصا بتلاوة القران, لأنّ القران أفضل الذكر من حيث التقرب لمن وصل إلى هذه المرتبة, لأنّ السالك في هذه المرتبة يشاهد في تلاوة القرآن أنواع تجليات مختلفة في تلاوة الآيات مختلفة المعاني .   و تلاوة القرآن في الطريقة النقشبندية على طريق الورد تلاوة سورة يس بعد صلاة الصبح وسورة الملك بعد صلاة الظهر والسورة النبأ بعد صلاة العصر وسورة السجدة بعد صلاة الأوابين و سورة الملك أيضا بعد صلاة العشاء وسورة الفاتحة وسورة الكافرون وسورة الإخلاص و المعوذتين وخاتمة سورة البقرة وخاتمة سورة الحشر فبل النوم في الفراش .

و في هذه الطريقة النقشبندية ورد أخر وهو تلاوة ختم الخاجكان في الأوقات المباركة وهذا الختم مخصوص بفقراء هذه الطريقة وبمن أذن له و طريق قراءة هذا الختم أن يقرأ قبل الشروع في الختم هذا الدعاء بعد البسملة **اللهم يا مفتح الأبواب و يا مقلب القلوب و الأبصار يا دليل المتحيرين ويا غياث المستغثين توكلت عليك يا رب العالمين وأفوض أمرى إلى الله إنّ الله بصير بالعباد ولاحول ولاقوة إلآبالله العلي العظيم** ثم يقرأ الفاتحة سبع مرات ثم الصلاة على النبي مئة مرة ثم سورة ألم نشرح تسع وسبعين مرة ثم سورة الإخلاص واحدة و ألف مرة ثم سورة الفاتحة أيضا سبع مرة ثم الصلاة على النبي مئة مرة بشرط أن تكون قراءة هذه المذكورات في مجلس واحد و أن تكون جميع السور مع البسملة في كل مرة و التعوذ في إبتداء القراءة, و يقسم هذه السور على عدد الجماعة إن كان مع الجماعة,

ثم يهب ثوابه إلى أرواح الخاجكان و سائر الأرواح المقدسة ثم يتوسل ببركتهم إلى حاجتهم ثم يستعمل بعد الفراغ ما تيسر من الحلاوة وهذه المذكورات من تلاوة القران أوراد الطريقة النقشبندية وإن أراد أن يقرأ غيرهذه الأوراد فليقرأ **سيما** إن كانت التلاوة **في الصلاة** تكون تلك التلاوة أولى من التلاوة التى تكون في غير الصلاة **وإذا اشتملت عليه** اي على من تشرف بالولاية الكبرى العناية الإلهية بمحض فضل الله تعالى و كرمه **وتمت الأفنية** جمع فناء و المراد

بالأفنية مبادئ الفناء التام **وحصلت الأبقية** جمع بقاء و المراد بالأبقية درجات الولاية الصغرى و الكبرى **وانقطعت البرازخ** جمع برزخ و هوالحائل بين الشيئين . والمراد بالبرازخ الأفنية و الأبقية التي هي الحائل بين السالك وبين الذات الإلهية لأنّ الأفنية و الأبقية قبل الفناء التام و هي البرازخ التي ما دام السالك فيها يكون محجوبا عن الذات المطلقة و يكون السير فيها سير في البرازخ **من الأصول** والمراد من الأصول الأفنية التي تتوقف عليها الأبقية لأن السالك إن لم يتصف بالفناء لم يتصف بالبقاء لأن حصول البقاء بعد حصول الفناء **والظلال** والمراد من الظلال الأبقية التي هي درجات الولاية الصغرى و الكبرى لأن جميع درجات الولايتين في الولي ظل النبوة النبي عليه الصلاة والسلام, **تشرف** ذلك الذاكر الذي شملت عليه العناية الإلهية **بولاية الملأ الأعلى** هي ولاية الملائكة عليهم السلام وإنّما سميت الملائكة بملأ الأعلى لكونهم فوق عالم الحس و الشهادة و ليس لهم مكان ولا أين بإعتبار أصل جبلّتهم و الفرق بين الولاية الأنبياء و الولاية الملأ الأعلى أنّ ولاية الأنبياء تحصل الترقي في تجليات الذات المقدسة إلى أبد الأباد دون ولاية الملأ الأعلى لأن الملأ الأعلى لا يقدرون على تجليات الذات لكونهم من أهل الصفات فيكون سيرهم من وراء حجب الصفات فلذلك قال جبرائيل عليه السلام في ليلة المعراج لو تقدمت قدر أنملة لاحترقت, فحينئذ تكون ولاية الأنبياء أشرف و أعلى من ولاية الملأ الأعلى . **ثم** أى بعد تشرف السالك بولاية الملأ الأعلى يتشرف **بكمالات النبوة** وهذه المرتبة هي مرتبة الخلافة و منصب النيابة عن حضرة الربوبية . فحينئذ يجوز لذلك الولي تربية الخلق ودعوتهم إلى الحق وتكميلهم بكمالات الإلهية وإيصالهم إلى معرفة الله تعالى, **وما ورائها طفيلا** اى جعل الله تعالى وراء هذه الكمالات حاجزا ومانعا للسالكين عن الوصول إليها مالم تشمل عليهم العناية الإلهية,

وطفيلا بفتح الطاء المهملة وكسر الفاء إسم جبل من جبال مكة شرفها الله تعالى و ذلك الجبل حاجز عن وصول إلى مكة لمن كان من وراء ذلك الجبل و قد كنّى الشيخ قدس سره بالطفيل عن الحجاب في طريق السلوك **ذلك** التشرف بهذه الكمالات النبوة **فضل الله يؤتيه من يشاء** من عباده **و الله ذوالفضل العظيم** لأنه قادر أن يؤتي عباده أعلى من ذلك **ولايظن الظانّ** أي لايزعم الزاعم **بسهولة الأمر** أي حصول كمالات النبوة **فإن أدنى درجة** من درجات هذه الكمالات تقطع **مقدار خمسين الف سنة,** و إذا كان الأمر كذلك فلا يمكن الوصول إلى هذه الكمالات إلى

أبد الآباد إن لم تشتمل العناية الإلهية عن السالك, **كيف الوصول إلى سعاد* و دونها قلل الجبال ودونهنّ حتوف** كيف السؤال عن كيفية الأشياء و لكن ههنا إستخبار على طريق التنبيه على المخاطب بأن الوصول إلى سعاد المعشوقة متعسر لا يمكن إلاّ بإلقاء النفس في تلك المهالك و إختيار الموت في ذلك الطريق و سعاد غير منصرف و هوعلم المحبوبة من نساء العرب و لكن أرباب الكشف يكنون بهذا الإسم عن التجليات الإلهية . و دون ظرف و هو ضد الفوق و قد يجئ بمعنى عند و بمعنى قريب عن الشئ و قلل جمع قلة وهي أعلى الجبل و قلة كل شئ أعلاه و حتوف بالحاء المهملة جمع حتف و هو الهلاك أو ما يضاهيه من المصائب و العلماء المكملين و العرفاء المحققين يعبرون بهذا البيت الفصيح عن صعوبة حصول مطالبهم العلية وعسورة وصول الى مقاصدهم البهية على طريق الإستعارة و الكناية إشارة الى عزة تلك المطالب و شرافتها و ثاني هذا البيت هذا **و الرجل حافية و ما لي مركب* والكف صفر و الطريق مخوف** و قال صاحب الروضة أنّ هذين البيتين لأبي حنيفة رحمه الله تعالى **وهذه** أي الأصول المذكورة في هذه الرسالة **إشارة إلى إجمال هذا الشأن** اى إلى اجمال الطريقة النقشبندية **تذكارا** اي من جهة التذكير **وأين الإجمال و أين التفصيل** أي وليست هذه المذكورات اجمال الطريقة النقشبندية ولا تفصيلها وأين إستفهام إنكاري **فإنه** فإنّ هذا الشأن **لا تسع الأسفار** جمع سفرة وهو بمعنى الكتاب **لكنّ من شملت عليه العناية الإلهية[5] لا يقدر** اى لايقل له **هذا المقدار** الذي ذكر في هذه الرسالة من الإشارة إلى اجمال هذا الشأن

لا يحمل عطايا الملك إلاّ مطاياه, و بهذا الكلام يضرب المثل عند أعظم الأمور بحيث لايقدر أحد أن يحمل ذلك الأمر الا أصحاب ذلك الأمر .

ولمثل هذا أي ولمثل هذا التأليف البديع في هذا الشأن العظيم على طريق الإشارة إلى الأجمال **فليعمل العاملون** الذين هم أرباب هذا الشأن .

قاله **وصنفه** اى ألّف هذا الكتاب الجليل القدر **الفقير** أي المضطر تحت مجارى الأقدار **محمد مراد** هذا لقبه وفي هذا اللقب مدح عظيم جميل لأنّ معنى المراد عند الصوفية هو الذي

---

[5] في نسخة - الازلية

إجتباه الله تعالى و سيره إلى جنابه من غير قصد منه ووجه تسمية قدس سره بهذا اللقب أنّه قد سبقت جذبته على سلوكه حتى سمعت أنّ الشيخ قدس سره قد وصل إلى كمالات الولاية النبوة في ستة أشهر ثم أخذ الخلافة لتربية الخلق واشتغل بها .

غفر الله له و لوالديه ولمن توالدا تثنية توالد و ضمير التثنية راجع إلى والديه **و لسائر أحقائه** اى لسائر أهل الحقيقة **و أحبائه** أي أهل محبته ولجميع المؤمنين والمؤمنات من الأحياء و الأموات **والحمد الله رب العالمين** قال عليه الصلاة والسلام أفضل الدعاء ألحمد الله لأنّ الحمد يقتضي زيادة النعمة فليس دعاء أفضل مما يقتضي زيادة النعمة قال تعالى « ولئن شكرتم لأزيدنّكم » .

وصلى الله على أحمده و محمده ويجوز إضافة العلم إذا كان بين المضاف و بين المضاف إليه خصوصية لا توجد تلك الخصوصية بين غيرهما كما يقال زيد الخيل إذا كان لزيد خصوصية مع الخيل لا توجد تلك الخصوصية لغير زيد مع الخيل **و على أحبته و سلّم و بارك وكرم** وقد ورد أنّ كل عمل يكون في أوّله الحمد الله و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و كذلك يكون ختامه بهما فذلك العمل يكون مقبولا عند الله تعالى البتة .

رسالة بيان الطريقة النقشبندية الاحمدية قدس الله

اسرارها وافاض على العالمين انوارها

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اوراد شكورا ورفع عن الذاكرين الحجاب ولقاهم نضرة وسرورا .

والصلاة و السلام على نبينا محمد سيد الذاكرين وسند العارفين الذي كان صبارا شكورا وعلى آله واصحابه الذين بذلوا اموالهم وانفسهم في طاعته فسقاهم ربهم شرابا طهورا .

وبعد : فهذا بيان بعض الاوراد اليومية و الليلية للطالبين المبتدئين المنتسبين الى الطريقة العلية النقشبندية الاحمدية قدس الله اسرارها و افاض على العالمين انوارها .

فليعلم اولا ان هذه الطريقة الشريفة مبنية على اتباع السنة السنية واجتناب البدعة الغير المرضية و في العقائد على ما قرره اهل السنة والجماعة شكر الله سعيهم, وفي الفروع على ما قرره اهل مذهب من الحنيفة و الشافعية والمالكية و الحنبلية ولا يمكن حصول المعرفة الالهية الا باتباع الشريعة الغراء السنية والتخلق بالاخلاق الشريعة النبوية وبالمحبة للمشايخ الكرام الذين هم الوسائل الى الله تعالى والاستمداد بهم .

فالواجب على المريد أن يقوم آخر الليل للتهجد و اذا انتبه من نومه قال **"استغفرالله و سبحان الله والحمد لله والله اكبر"** عشرا عشرا ثم ليتطهر ويصلي التهجد وادناه ركعتان واعلاه اثنتا عشرة ركعة, وبعد ذلك يشتغل بالذكر القلبي الذي لقنه الشيخ و هو اسم الذات بأن يقول بالخيال بدون حركة اللسان من القلب الذى هو تحت الثدي الايسر بفاصلة أصبعين مائلا إلى الجنب « **الله الله** » ملاحظا ذات الله سبحانه كما آمن به من غير تكييف ولا تمثيل . و إن علمه الشيخ اللطائف الآخر فليشتغل منها أيضا وهي لطيفة « **الروح** » و محلها تحت الثدي الأيمن بفاصلة أصبعين مائلا إلى الجنب . ولطيفة « **السر** » وهي بجنب الثدي الايسر بفاصلة أصبعين مائلا إلى الصدر . و لطيفة « **الخفى** » وهي بجنب الثدي الايمن بفاصلة أصبعين مائلا إلى الصدر .

و لطيفة « **الاخفى** » وهي في وسط الصدر .

ولطيفة « **النفس** » وهي فى وسط الجبهة .

ولطيفة « **القالب** » وهي جميع البدن حتى يجري الذكر من أصل كل شعرة وهو المسمى بسلطان الاذكار .

و ينبغى له أن يغرق اوقاته في الذكر ليرى الاثر سريعا . و أقل الذكر من كل لطيفة الف الف في اليوم والليلة . وان وجد فرصة و كمل ذكر القلب خمسة الاف وهو أحسن .

و ان علمه الشيخ مراقبة الاحدية فليشتغل بها ايضا لانها المقصود من الذكر وهي ملاحظة ورود الفيض من الذات الموصوفة بجميع صفات الكمال المنزهة عن جميع النقاىص على لطيفة القلب بواسطة الشيخ وفيها يحصل الحضور مع الله تعالى والغفلة عما سواه سبحانه . فإن حصل للمراقب ذلك الأمر وبقي إلى ساعتين و علمه الشيخ مراقبة المعية فليشتغل بها ايضا . وهي انتظار ورود الفيض من الذات التي هي معه و مع كل ذرة من ذرات العالم معية لا كيفية لها على لطيفة القلب ايضا . و يواظب على ذلك حتى يحصل له الحضور مع الله تعالى على الدوام .

و معنى الحضور : ان لا تخطر على قلبه خطرة تزاحمه عن توجهه الى الحق سبحانه اصلا, فان اشتغل ظاهره بالخلق كان باطنه مع الحق تعالي . و ليذكر النفى و الاثبات ايضا, وهو يفيد لدفع الخواطر و تهذيب الاخلاق فائدة عظيمة . و طريقه ان يحبس النفس ويقول بالخيال « **لااله الاالله** » مادا لفظ « **لا** » من السرة الى الدماغ ونازلا بلفظ « **اله** » الى الكتف الايمن وبلفظة « **الاالله** » من الكتف الايمن الى القلب ملاحظا معناه لا موجود و لا مقصود و لا معبود و لا محبوب, أو الذى يريد نفيه عن خاطره ولا يحرك عضوا من أعضائه بل يشتغل بالخيال الصرف من غير تكلف .

ويقول مرة فى نفس واحد الى ثلاثة ايام فاذا اعتاد فيقول ثلاثا في نفس واحد اياما فاذا اعتاد فخمسة ثم سبعة ثم تسعة وهكذا الى ان يصل الى احدى وعشرين مرة في نفس واحد

ويقول عند اخراج النفس « **محمد رسول الله** » بالخيال ايضا . وهذا اقل درجات الذكر المعتبر الذى تترتب عليه الاثار من الذوق والشوق والحرارة فى الباطن والاستغراق في المراقبة ويفعل ذلك في الليل والنهار في وقت واحد, او اوقات متفرقة احدى عشر مائة مرة . ولا يشتغل بذكر النفى والاثبات الا بعد دخوله في المراقبة .

و اذا غلب على المريد الحضور فينفعه التهليل اللساني لدوام الحضور, وهو ان يقول لا اله الا الله باللسان مع ملاحظة المعنى ونفي نفسه واثبات الحق سبحانه . **و ليستحضر في الذكر والمراقبة سيما عند ورود الخواطر صورة شيخه امامه بكمال التعظيم وهو المسمى بالرابطة .**

و ليقل بعد كل مائة مرة من اى ذكر كان بالخيال بكمال التضرع الى الله تعالى **"الهي انت مقصودي ورضاك مطلوبي اعطني محبتك و معرفتك"** ثم يذكر . وهكذا حتى يطلع الفجر فيصلي السنة والفريضة فى اول الوقت بالجماعة و بعد كل فريضة يسبح ثلاثا و ثلثين ويحمد كذلك ويكبر كذلك و يقول تمام المائة « **لااله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير** » . و ان قالها عشرا بعد صلاة الصبح و عشرا بعد صلاة المغرب قبل ان يثنى رجله فهو اولى, و يقول « **اللهم اجرني من النار** » سبعا بعد الصبح و سبعا بعد المغرب .

ثم يشتغل بالذكر القلبي والرابطة والدعاء الى طلوع الشمس, ثم يصلي سنة الاشراق و الاولى اربعا .

وبعد ذلك من كان مشتغلا بالعلم فليشتغل به ومن كانت له صنعة اوبيع او شراء فليذهب الى ذلك مراعيا للآداب من حسن النية و الصدق و عدم الكذب وعدم اليمين, ولا يغفل عن الله تعالى مرة واحدة, بل يذكر الله تعالى في أثنائها . و اذا فرغ منها فليستغفر الله تعالى خمسا وعشرين مرة .

ولا يصحب الاغيار وهم الذين لا يعتقدون فى مشايخ الطريقة خصوصا

مع من يتكلم على الشيخ اولا يحبه او يكون الشيخ معرضا عنه فإن المجالسة معهم سم قاتل فليجتنب ذلك أشد الاجتناب .

و ليكن فى حضرة شيخه مسلوب الاِختيار كالميت بين يدي الغاسل ممتثلا لأمره و نهيه متأدبا معه بالآداب الظاهرة والباطنة ملتمسا رضاه, **و في غيبته يتشخص صورته الزكية يربط قلبه به معتقدا معيته المعنوية الروحانية غير ملتفت الى احد من المشايخ سواه متيقنا انه الباب الذي فتح له الى الله .**

و ليصم من كل شهر ثلاثة ايام و يوم الاثنين و يوم الخميس وستا من شوال و عشر ذي الحجة ويوم عاشوراء ولو قدر على ان يصوم يوما و يفطر يومين فحسن, والاحسن صوم داوود عليه السلام صوم يوم و افطار يوم, وبه تحصل تصفية عظيمة .

وليجتهد في شهر رمضان بأنواع العبادات حتى يكون في جميع الشهر بالحضور التام, فان الجمعية فى هذا الشهر موجبة للجمعية في سائر السنة و التفرقة في هذاالشهر موجبة للتفرقة في سائر السنة و اذا ذهب الى الأكل فليراع آدابه من غسل اليدين في أوله و التسمية و غير ذلك ولا يغفل عن الله تعالى فيه بل يتذكر الله تعالى في أثنائه .

و لو صلى سنة الضحى اثنتي عشرة ركعة بقرأة خفيفة لكان حسنا والأوسط ثمان ركعات والادنى اربعا ويقيل قليلا قبل الظهر ليكون معينا له على التهجد .

ويصلي سنة الزوال اربعا بطول القنوت قبل سنة الظهر ثم يصلي الظهر مع الجماعة بسننها و آدابها . و بعد ذلك يقرأ شيأ من القرأن بالنظر بكمال التأدب والترتيب متدبرا معانيه . ثم من له شغل اشتغل به والا فيشتغل بالذكر حتى يجيئ العصر فيصلي سنة العصر اربعا, ثم الفريضة في اول الوقت مع الجماعة بسننها وآدابها .

ثم من له شغل اشتغل به و من ليس له شغل فليطالع كتب القوم سيما تأليف الامام الغزالى و العارف السهروردي او رسائل السلوك للسادات النقشبندية الاحمدية او

مكتوبات سيدنا الامام الربانى او المقامات السعدية تأليف هذا الفقير فإنها جامعة نافعة جدا .

ولا يغتر بما يقع له من الكشوفات و الظهورات فإنها ليست من المقاصد وإنما المقصود الاستقامة على اتباع السنة ظاهرا و باطنا .

اما في الظاهر فان يهذب اخلاقه باتصافه بالحلم و التواضع و المسكنة و الشفقة خصوصا على من يعول والاحسان و المدارات والايثار و الخدمة خصوصا للفقراء و العفو و الصفح و السخاء و الحياء و الصدق و الامانة و الوفاء بالعهد و حسن الظن و تصغير النفس و استحقار ما هو عنده و استعظام ما هو عند غيره, و اجتنابه عن الكذب و الخيانة و الغضب و المجادلة و الغيبة و النميمة و السب و الفحش و الاهانة و الاذية و الظلم .

واما في الباطن فباتصافه بالتوبة والإنابة و الزهد و الورع و الصبر و الشكر و التوكل ، و الرضاء ، و الإخلاص و الرجاء و الخوف و اجتنابه عن الحرص و البخل و الحقد و الحسد و البغض و الكبر والعجب و الرياء و السمعة و الأنانية و غيرها .

و ليشتغل اول النهار و آخره بالتسبيح و التهليل و التحميد و التكبير و الاستغفار و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم . فإذا دخل وقت المغرب صلى الفريضة بلا تأخير مع الجماعة بسننها و آدابها .

و إن صلى سنة الاوبين و اعلاه عشرون و اوسطه اثنا عشر و أدناه ست ركعات لكان أفضل . ثم يشتغل بالذكر و المراقبة إلى العشاء, ثم يصلى سنة العشاء و فرضه مع الجماعة بسننها و ادابها .

و يسبح قبل النوم ثلاثا و ثلاثين و يحمد كذلك و يكبر كذلك و لا يشتغل في هذا الوقت بغير الله تعالى حتى يجيئه النوم و لينم على طهارة مضطجعا على يمينه مقابلا بوجهه القبلة متهيئا للتهجد على فراش طاهر .

و اللازم على المريد دوام الطهارة فى سائر الاوقات **لأن لطهارة الظاهر تأثيرا عظيما في طهارة الباطن .**

و ينبغي له أن يتوسل إلى الله تعالى بمشائخه الكرام قدس الله أرواحهم فى وقت واحد من الليل أو النهار و الأولى بعد فراغه من التهجد . ولو فعل في وقتين فهو أفضل و ذلك أن يقرأ الفاتحة مرة و الإخلاص ثلاثا . ثم يقول **اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى روح سيد المرسلين و شفيع المذنبين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم, ثم إلى أرواح إخوانه من الانبياء والمرسلين و الملائكة المقربين و الصحابة والتابعين وجميع أولياء الله الصالحين خصوصا الى أرواح السادة النقشبنديين الاحمديين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .**

ثم يقول : الهي بجاه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم, « و » بجاه سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم,« و » بجاه سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا أبى يزيد البسطامي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا أبي الحسان الخرقانى رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا أبى على الفرمدي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا أبي يوسف الهمداني رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا عبد الخالق الغجدواني رضي الله عنه « و » بجاه سيدنا عارف الريوكر بابا سماسي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا محمود الانجير فغنوى رضي الله عنه,« و » بجاه سيدنا عزيزان على الراميتنى رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا محمد بابااسماسئ رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا امير كلال رضي الله عنه,« و » بجاه سيدنا امام الطريقة والحقيقة السيد بهاءالدي النقشبندي رضي الله عنه,« و » بجاه سيدنا الشيخ علاءالدين العطار رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ عبيد الله احرار رضي الله عنه,« و » بجاه سيدنا الشيخ محمد زاهد رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ درويش محمد رضي الله عنه,

« و » بجاه سيدنا الشيخ خواجكي الامكنكي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ محمد الباقي بالله رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا إلامام الرباني المجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ محمد معصوم رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ سيف الدين رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا السيد نور محمد البدواني رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا حبيب الله مرزا جان جانان المظهر الشهيد رضي الله عنه, « و » بجاه سيدنا الشيخ عبدالله الدهلوي رضي الله عنه .

و ترزقهم محبتك و معرفتك وحظا وافرا من بركاتهم و كمالاتهم وتزيدهم ذوقا وشوقا إليك ياارحم الرحمين والله الموفق والمعين وصلى الله على سيدنا محمد سيد العالمين و على آله وأصحابه الشاكرين الذاكرين والحمدلله رب العالمين .

انتهى ما حرره الفقير إلى رحمة مولاه الغني محمد مظهر العمرى النقشبندي بالمدينة المنورة تغمده الله سبحانه برحمته وغفرانه واسكنه بحبوحة جنانه آمين .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين وعليه التّكلان

الحمد لله الذي أرشدنا إلى أوضح الملل والأديان ، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم .

قال أهل الإشارة : الأذكار على سبعة أوجه : **ذكر باليدين** ، **وذكر بالرّجلين** ، **وذكر بالأذنين** ، **وذكر بالعينين, وذكر بالقلب** ، **وذكر بالروح** ، **وذكر باللسان** .

أما الذكر باليدين . . فهو إعانة الضّعفاء والمساكين بالزّكاة والصّدقات قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لما أنزل الله تعالى هذه الآيات : « **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** » .[أنعام : 160] . فقلت : يا ربّ هذه قليل في حقّ أمّتي . قال الله تعالى : إن قلّلت هذا فليكن بحسنة واحدة سبع مائة ، فنزل قولُه تعالى : « **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة** » [البقرة : 261] . قلت : يا ربّ قليل في حقّ أمتي ، فنزل قوله تعالى : « **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعف له أضعافا كثيرة** » [البقرة : 245] . قلت : يا ربّ هذا قليل في حقّ أمّتي قال الله تعالى : فليعبدوا وليصبروا على ما أعطيهم فإني أجازيهم جزاء بلا حساب فنزل قولُه تعالى : « **إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب** » .

وقد جاء في الخبر : من تصدّق ثمرة واحدة يجب ثوابه يوم القيامة مثل جبل أحد في ميزانه .

وأمّا الذكر بالرّجلين . . المشي إلى المساجد ، والمشي إلى علماء الدين والفقراء الصالحين .

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"من مشى خلف عالم خطوتين وجلس عنده ساعتين وسمع منه كلمتين وجبت له الجنتان"** ، وقال النّبي صلّى الله عليه وسلّم : **"عظّموا العلماء فإنّكم تحتاجون إليهم في الدنيا والآخرة"** ، وقال النبي صلى الله عليه وسلّم : **"من أكرم عالماً فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله ومن أكرم الله فله الجنّة ومن أهان عالما فقد أهانني ومن أهانني فقد أهان الله ومن أهانه الله فله النار**[1] " ، قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم : **"من أراد أن ينظر إلى عتقاء الله تعالى من النار فلينظر إلى وجه العلماء والمتعلّمين"** ، وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"النّظر إلى وجه العلماء عبادة"**, وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"نوم العالم عبادة"** ، وقال أيضا :**" نوم العالم خير من عبادة الجاهل"** ، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : **"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل من أحبّ العلم والعلماء لم يكتب أيام حياته خطيئة"** ، وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"من خدم عالما سبعة أيام فقد حرّم الله تعالى سبعة ألف سنة ويعطى الله له بكلّ يوم ثواب ألف شهيد وأجر زيارة الفقراء و الصالحين"** ، وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"من مشى إلى فقير ليزوره سبعين خطوة كتب الله بكلّ خطوة سبعين حجّة مقبولة"** قال الله تعالى : **" محبتي محبّة العلماء والفقراء يا موادة الفقراء واقرب مجالسهم فإنّ الفقراء أحبّائي"** .

وأما الذكر بالأذنين . . استماع كلام الله تعالى . قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"استمعوا اغتنموا القرآن باستماعه فإنّه قريب عنكم راحل فإذا كان أوان رحلته فإنّ الحفاظ ينسون جميع القرآن ثمّ ينظرون في المصاحف ولا يجدون حرفا من القرآن"** .

وعلامة ذلك يصير الشعرُ مقام القرآن والغناء مقام التسبيح واللعب مقام الطاعات .

ثمّ ينسون الناس جميع العبادات ويجمع الصبيان على أبواب المساجد أن آباءنا كانوا يقومون ويقعدون ويدخلون البيت ولا يدرون أنّه كان صلاة .

1

وأمّا الذكر بالعينين . . البكاء من خشية الله تعالى . قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : **"إنّ العيون كلّها باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين ، عين بكت من خشية الله تعالى ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين أعرضت عن محارم الله تعالى"** .

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"ما بكى باك من خشية الله تعالى في أمته إلا غفر الله تعالى تلك الأمّة"** .

و قيل : إذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار ومثل جبل فتصعد أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم فيجتهد الرسول في دفعها فلم يقدر وينادي لجبرئيل عليه السلام الحقّ فإنّ النار قد قصدت أمّتي فيأتي جبرئيل عليه السلام بقدح من الماء فيناول الرسول ، فيقولون : يا رسول الله خذ هذا فراش عليها فيأخذ فيرشّ عليها فتطفئ النار في الحال فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما هذا الماء ، فيقول جبرئيل : هذا الماء إنّها هو دموع أمّتك الذين بكوا من خشية الله تعالى في الخلوة فأمرت أن آخذ وأحفظ إلى الآن وأمرت أن أعطيك أن ترشّ على النار فرششته فانطفى النار كما ترى .

وأمّا الذكر بالقلب . . الإعراض عن الدنيا ، ويجب أن تقنع عن الدنيا والتوجّه إلى الآخرة .

ويجب على العاقل أن لا يميل إلى الدنيا ، ويجب أن تقنع من الدنيا بالقوّة وما يستر عورته لأنّها سجن المؤمن كيف يميل إلى السجن .

و قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : **"الدنيا سجن بل الدنيا جيفة بل الدنيا ملعونة وحبّها رأس كلّ خطيئة"** .

قيل : إنّ عيسى عليه السلام مرّ بشابّ وهو يبكي فقال : يا ربّ ما أحسن هذا الشابّ وهو يبكي من خوفك فقال الله تعالى : يا عيسى لو أجرى مَخَّ رأس هذا المكان دموعه لم أغفر له فقال : عيسى لم يا ربّ كيف ربّ كيف ذلك قال الله تعالى : **إنّ له ميلا إلى الدنيا** .

و قيل : لما مرّ إبراهيم قاصدا إلى بيت الله تعالى فوصل إلى مكّة في اثنا عشر سنة فكان يصلّي في كلّ خطوتين ركعتين .

قال : جاورت في مكّة ومدينة ثمّ قصدت ديار الشام ووجدت من البدلاء جالسين على عين من الماء فسلّمت عليهم فردّ عليّ السلام واحد منهم فقلت : يا سادتي أتيت إليكم حتى تقبلوني وتكرموني فقالوا كيف نكرمك والدنيا في قلبك فقلت : والله تركت دنياي فقالوا : أمالك أين في بلادك في الأوقات تشتغل قلبك به ، قلت : يا سادتي صدقتم فإنّي تبت عن ذلك ثمّ قاموا كلّهم وعانقوني وقبّلوني ثمّ أنشد إبراهيم بن أدهم هذه الأبيات :

هجرت الخلق طرّا في هواكا *** وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحبّ إربا *** لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

تجاوز عن ضعيف قد أتاكا *** وجاء راجيا يرجو نداكا

فإن يك يا مهيمن قد عصاكا *** ولم يسجد لمعبود سواكا

إلهي عبدك العاصي قد أتاكا *** مقرّا بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت أهل لذاك *** وإن تطرد فمن يرحم سواكا

وأمّا الذكر بالروح . . الشوق إلى لقاء الرّحمن ، وكان أبو عبيدة الخواص يضرب يديه على صدره ويقول : واشوقاه إلى من يراني ولا أراه فإذا اشتاق العبد إلى الله تعالى يشتاق أيضا إليه اشتياق الله تعالى إلى العبد رحمته ومغفرته كما روي أوحى الله تعالى إلى داوود النبي عليه السلام فقال : **يا داوود إذا طال شوق الأبرار إليّ فإنّي إليهم لأشدّ شوقا** .

وأمّا **الذكر باللسان** . . تلاوة القرآن ، والتسبيح ، والتحميد ، والتهليل ، والتوحيد ، والتمجيد ، فإذا ذكرت الله تعالى مع ضعفك وهو بعزّته وعظمته وجلاله وكبريائه يذكرك .

أما ترى قوله تعالى : « **فأذكروني أذكركم واشكرولي ولا تكفرون** » [البقرة : 152] يعني : أذكروني بالتّذلّل أذكركم بالتفضّل أذكروني باعتراف الخطايا أذكركم بالبدل والعطايا أذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص أذكروني بالتوبة والاستغفار أذكركم بالمغفرة فأذكروني بالطاعة أذكركم بالجنّة فأذكروني على وجه الأرض أذكركم وأنتم تحت الأرض فأذكروني بالغيب أذكركم بالمشاهد .

تمّ الكتاب بعون الله المعبود ووفّقنا الله أسباب الهداية وتوفيقه المحمود أمين .

يا خالق الخلق طورا بعد أطوار ** يا عالم السرّ في جهر وإضمار

ارحم لصاحبه أيضا لكاتبه ** والمستعير له إن ردّ والقارئ .

سلسلة الخواجكان في آداب عبودية الاعيان

الشيخ احمد الطربزوني

قدس سره

بسم الله الرحمان الرحيم و به نستعين و عليه التكلان

الحمد لله الذي أظهر بالأذكار خفايا لطائف صدور الذاكرين, و فتح بالطاعات خبايا[١] دوائر نفوس العابدين, و الف بالمحبة بين قلوب المريدين و قلوب المشائخ الكاملين, و بلغ بالصحبة أرواح السالكين الى درجات الواصلين, و سبحان الذي كشف أسرار جماله من سرادقات الصفات للمراقبين, و أظهر انوار جلاله من سبحات[٢] الذات للمشاهدين .

و الصلاة و السلام على من فضله الله تعالى بدنوه من قاب قوسين[٣] على كافة المقربين و خصصه بشهوده رأي العين دون سائر المرسلين سيدنا و مولانا محمد الذي أخذ الله تعالى للإيمان برسالته ميثاق النبيين و أوجب

1 بمعنى الخفايا
2 بمعنى الانوار
3 اي قدرها وهو عبارة عن غاية القرب

طاعته على الثقلين الى يوم الدين و على آله الذين ساروا بسنته على العالمين و أصحابه الذين فازوا ببيعته على الناس أجمعين .

و بعد : فإن أفضل الأعمال و أشرف الأحوال إتباع السنة في كل حال لكن لا يمكن هذا الإتباع إلا بالسلوك في طريقة من طرق العبودية التي وصلت عن النبي صلي الله عليه وسلم بواسطة الصحابة إلى المشايخ الصوفية لاسيما من تلك الطرق العلية الطريقة النقشبندية لأنها باقية على أصلها من غير نقص ولا زيادة فيها بخلاف سائر الطرق لتغيرها عن أصلها بما أحدثته المشايخ المتصوفة فيها من الأمور البدعية, و لأن نسبة هذه الطريقة العلية نسبة جليلة[4] وصلت إلى الخاجكان عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

واما نسبة سائر الطرق فليس كذلك لأنها إنما وصلت إلى مشايخها عن طرق اخرى غير طريقة أبي بكر رضي الله عنه ولأن جذبة المحبة الذاتية إنما تحصل في بداية هذه الطريقة العلية و في سائر الطرق انما تحصل في نهايتها, فلذلك كان الواصلون في بداية هذه الطريقة العلية أكثر من الواصلين في نهاية غيرها ولأن السير في هذه الطريقة إنما يكون في احدية الذات وفي غيرها في واحدية الصفات فشتان ما بين السير في الذات وبين السير في الصفات . فقلما يخرج السالك عن التلوين في سير الصفات ولأن الولاية الكبرى إنما تعطى في

---

[4] و في نسخة خبية

هذه الطريقة العلية و في غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط, لما فيه من المخالفة في آداب السنة .

فلما كانت الطريقة النقشبندية كاملة على إتباع السنة وشاملة على الفضائل الجمة **أردت** السلوك فيها من بين الطرق الصوفية وتلقيتها بعموم النسبة و خصوصها عن حضرة سيدي الإسناد صاحب الفيض والامداد الشيخ محمد ابن الشيخ محمد مراد قدس الله أسرارها . وهوتلقاها عن والده الشيخ الأعظم وهو تلقاها عن الخواجه محمد المعصوم وهو تلقاها عن والده الخواجه أحمد الفروق المعروف بمجدد الألف الثاني, وهو تلقاها عن الخواجه محمد الباقي, وهو تلقاها عن الخواجه مولانا خاجكي الإمكنكي, وهوتلقاها عن والده الخواجه درويش محمد, وهو تلقاها عن خاله الخواجه محمد زاهد, وهو تلقاها عن الخواجه عبيد الله خواجه الاحرار, وهو تلقاها عن الخواجه مولانا يعقوب الجرخي, وهو تلقاها عن الخواجه علآء الدين, وهوتلقاها عن رئيس الطريقة الخواجه بهآء الدين النقشبند, وهوتلقاها عن الخواجه سيد أمير كلال, وهو تلقاها عن الخواجه محمد بابا السماسي, وهو تلقاها عن الخواجه علي الرامتني, وهو تلقاها عن الخواجه محمود إنجير الفغنوي, وهو تلقاها عن الخواجه عارف الريوكري, وهو تلقاها عن رئيس الطريقة الخواجه عبد الخالق الغجدواني, وهو تلقاها عن الخواجه يوسف الهمداني, وهو تلقاها عن الخواجه أبي علي الفارمدي, وهو تلقاها عن

الخواجه أبي الحسن الخرقاني, وهو تلقاها عن روحانية سلطان العارفين ابي يزيد البسطامي, وهو تلقاها عن روحانية الإمام جعفرالصادق, وهو تلقاها عن الامام قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه, وهو تلقاها عن مولى رسول الله سلمان الفارسي, وهو تلقاها عن صاحب رسول الله الصديق الأكبر, وهو تلقاها عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم و عليهم اجمعين .
و ايضا تلقاها علي الفارمدي هذه الطريقة العلية عن الخواجه ابي القاسم الكرماني وهو تلقاها عن الشيخ ابي عثمان المغزلي وهو تلقاها عن الشيخ ابي علي الكاتب, وهو تلقاها عن الخواجه علي الروذباري , وهو تلقاها عن سيد الطائفة الشيخ الجنيد البغدادي, وهو تلقاها عن خاله الشيخ السري السقطي, وهو تلقاها عن الشيخ معروف الكرخي, وهو تلقاها عن الامام علي الرضى, وهو تلقاها عن والده الامام موسى الكاظم, وهو تلقاهاعن والده الامام جعفر الصادق, وهو تلقاها عن والده الامام الباقر, وهو تلقاها عن والده الامام زين العابدين, وهو تلقاها عن والده الامام حسين سبط رسول الله عليه الصلاة و السلام, وهو تلقاها عن والده الامام علي ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم, وهو تلقاها عن امام المتقين و خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه و عليهم اجمعين .

ثم لما كانت الطريقة النقشبندية عبارة عن هذه الأركان وهي الذكر والمراقبة, وإتباع السنة, والإتصاف بالأخلاق المحمودية, وصحبة المشايخ

الصوفية, والمحبة لشيخ التلقين, و التربية, كتبت رسالة التلقين مبينة لهذه الأركان ليعرف السالكون آداب السلوك بكمال العرفان حتى لا يكون سعيهم في الطريقة على الخسران . لان من سلك بالجهل بالطريقة لا يلتقي فيه الهداية والتوفيق . فذكرت فيها ما لقيته[5] عن المشايخ النقشبندية من أحكام السلوك و آداب العبودية و اوردت فيها ما فتح الله علي من الاحوال السنية ليكون ذلك سببا لدعاء الإخوان ووسيلة إلى العفو والغفران .

ورتبتها على ستة أبواب وخاتمة .

و الباب الأول في فضل الذكر على سائر الأعمال, وطريقة تلقينه على وجه السر[6], وكيفية الذكر القلبي في إسم الذات والنفي والإثبات .

الباب الثاني في تعريف المراقبة وكيفية الإشتغال بها وآدابها .

الباب الثالث في إتباع السنة وفي آداب العبودية .

الباب الرابع في تزكية النفس عن الأخلاق الردية وتخليقها بالأخلاق المحمدية .

الباب الخامس في فائدة صحبة المشايخ الصوفية والتصرف بها في النفوس الادابية[7] .

---

5 تلقيته

6 و في نسخة - سنة

7 الانسانية- نسخة

الباب السادس في محبة المريد لشيخ التلقين, والتربية, والرابطة به في الحضور و الغيبة .

والخاتمة في شرح الكلمات القدسية بالألفاظ الفارسية الواردة عن الخواجكان النقشبندية لبيان اصول الطريقة العلية .

وسميت هذه الرسالة « **سلسلة الخواجكان في آداب عبودية الأعيان** » وجعلتها هدية لحضرة مفتخر العز والإجلال, ومقر السعد والإقبال, ملاذ أرباب العلوم والفضائل, ومآب أصحاب الجد والافاضل, مظهر العناية والإختصاص, ومشعر الديانة والإخلاص المحفوظة في حسن الصورة و الملحوظ بعين العون والتوفيق, عمدة العرفان الكرام, وقدوة العلمآء العظام, صاحب اقتاب صدر الشريعة العليآء, وملك ابدآء شرف الملة السمحاء منفذ أحكام رب العالمين, ومقيم سنة رسول الأمين أعني به شيخ الإسلام والمسلمين ولي الحق والدين اعزه الله تعالى بالعزالرصين وامده في كل وقت وحين .

الباب ألاول فيه فصلان :

الفصل الأول في فضل الذكر على سائر الأعمال و كيفية تلقينه و الأشتغال بالذكر الخفي بالقلب و أخواته .

اعلم ان الذكر امر لازم و فرض دائم قال الله تعالى« فاذكروني اذكركم » فهو سيف المريدين و حصن الذاكرين و منشور الولاية فمن ذكر الله تعالى فقد يعطى له منشور الولاية وهو اقرب الطريق الموصول و احسن الأعمال للقبول . قال علي كرم الله وجهه يا رسول الله دلني على اقرب الطريق الى الله تعالى و افضل العمل عنده فقال صلى الله عليه و سلم : « عليك بمداومة ذكر الله تعالى سرا و جهرا » . فليس عمل أكرم عند الله من ذكره لانه تعالى جليس من ذكره و ليس عمل يكفي العبد عن سائر الأعمال إلا[8] ذكر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم : « من ذكر الله فقد أطاع الله و ان لم يصل و لم يصم » . قال الشبلي قدس الله سره العزيز رأيت رجلا يقول "الله الله" فقلت له لا يكفيك ذلك من عمل فقال عشر مرات "الله الله" فوقع ميتا فانشق صدره فرأيت مكتوبا على كبده "الله الله", وسمعت قائلا يقول يا شبلي هذا من المحبين قليل, فقلما وفق[9] المرء بالذكر إلا وقد وصل ولا سيما بالذكر القلبي الذي هو شهود و زلفى و حضور و قربى وهو ذكر حقيقي يبدل الغيبة بالحضور و يفني الذاكر في المذكور لكن مع هذا لا بد ان يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذي عرف أسرار الأذكار و خواصها بتلقين شيخ آخر وهو كذلك الى رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى يثمر في الذاكر شهود المذكور لان الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه ان يكون بتلقين

---

[8] و في نسخة- عن

[9] و في نسخة- فقلما ولع الاطراء

الرسول عليه الصلاة و السلام , ثم بتلقين خلفائه الذين تلقنوا تلك الأسماء كابرا عن كابر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم . ولو ان ذاكرا يذكر جميع الأذكار في جميع الليل و النهار فلا يبلغ مبلغ الرجال ولايصل الى مرتبة الكمال و لا تحصل له نتيجة الاذكار الا بتلقين الشيخ الكامل و تربية المرشد الواصل .

و اقل ما يحصل للذاكر اذا تلقن الذكر عن الشيخ الكامل و دخل في سلسلته لما حركه حلقة الذكر يجاوبه ارواح المشايخ الى رسول الله صلى الله عليه و سلم .

ومن لم يتلقن الذكر منهم ولم يدخل في سلسلتهم لم يجاوبه احد منهم و لم يحرك حلقة الذكر طول عمره .

ثم اعلم ان كيفية تلقين الذكر على وجه السنة ان يأمر الشيخ المريد بعد معرفة صدق ارادته بصومه ثلاثة ايام مع الرياضة و العزلة و يأمر بالاستغفار و الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه و سلم في تلك الايام و بالاستخارة في لياليها , ثم يغتسل المريد في اليوم الرابع او يتوضأ و يصلي صلاة التوبة ركعتين و صلاة الاستخارة ركعتين . ثم يأتي الشيخ و يجلسه الشيخ بين يديه مستقبل القبلة بحيث يتصل ركبتاه بركبتي الشيخ, و يستتيبه الشيخ عن جميع ذنوبه, و يأمره برد المظالم الى اصحابها, و يأمره بقضاء ما ترك من الفرائض و الواجبات, ثم يتعاهد معه على البر و التقوى و متتابعة السنة و العمل بالعز, و

الاجتناب عن البدعة و ترك الرخصة ثم يمسك الشيخ يده اليمنى بيد المريد مثل المصافحة هذا ان كان المريد ذكرا و ان كان انثى يأخذ الشيخ طرف ثوبها وهي تأخذ طرف الآخر . ثم يقرأ الشيخ « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » الى آخر الآية للتبرك .

ثم يضع الشيخ و المريد ايديهماعلى ركبتيهما, ثم يتوجه الى قلب الشيخ وهو يذكر بقلبه الله الله ثلاث مرات لتلقينه قلب المريد . ثم يذكر المريد بقلبه ايضا الله الله ثلاث مرات للتلقن منه . ثم يرفع الشيخ و المريد ايديهما و يدعو له الشيخ و يؤمن له المريد . و يستحب للشيخ ان يذكر بعد الدعاء ذكر اساتيذه لان في ذكرها بركات كثيرة . هذه كيفية تلقين اسم الذات .

و اما كيفية تلقين النفي و الاثبات فهو مثلها, لكن الشيخ و المريد يذكره بحبس النفس . هذا طريق تلقين ذكر القلبي .

و اما طريق ذكر اللساني فهو ان يذكر الشيخ النفي و الاثبات ثلاث مرات ايضا يرفع الصوت و المريد يسمعه . ثم يذكره المريد كذلك و الشيخ يسمعه,فهو كذا ورد في السنة . هذا التلقين عند الصوفية تسمى بالنسبة العامة . و اما النسبة الخاصة فهي فيضان السر المكتوم من قوة ولاية الشيخ الى استعداد المريد بتخصيص المشيئة الالهية .

فالنسبة العامة اكتسابية و النسبة الخاصة وهبانية يهب الله لمن يشاء بواسطة تلقين المشايخ .

ثم اعلم ان لكل طريقة اسماء, إما ثلاث و إما سبعة و إما أكثر و إما أقل يلقنها المشايخ المريدين و يوصلهم بها الى الله تعالى .

و أما للطريقة النقشبندية فاسمان : **احدهما اسم الذات و الثان النفي و الإثبات** . فمن كان من اهل الجذبة يلقن الشيخ اسم الذات ثم النفي و الإثبات بحبس النفس و ان لم يكن من اهل الجذبة يأمره الشيخ بذكر النفي و الإثبات باللسان فيذكره المريد كذلك حتى يحصل له الجذبة, و اذا حصل له الجذبة يلقنه الشيخ اسم الذات ثم النفي و الاثبات بحبس النفس كذلك . هذا مسلك أكثر المشايخ النقشبندية . وإنما اختاروا هذا المسلك لتسهيل السلوك على السالكين وأما مسلك بعض منهم فهو أن يلقنوا المريدين النفي والإثبات بحبس النفس في اول الأمر ويسلكونهم بذلك حتى يوصلهم به إلى الله تعالى وكلاهما طريقة واحدة لكن اختلفت وجوههما فلكل وجهة .

ثم اعلم ان كيفية ذكر اسم الذات باللطائف « وهو القلب و الروح و السر و الخفي و الاخفى و النفس الناطقة » و هي ان يلصق الذاكر لسانه الى الحنك الاعلى و يضم الشفتين ثم يتوجه الى القلب الحقيقي في القلب الصنوبري تحت الثدي الايسر و يذكر به هناك الله بطريق التعقل لا بطريق العدد

يلاحظ معناه عند الذكر انه الذات الواجب الوجود ليس كمثله شيئ من الوجود . فهكذا يداوم على ذكر هذا الاسم الشريف بحصر جميع اوقاته فيه بعد اداء الفرائض و السنن الرواتب و يترك غيره من الاوراد و النوافل . فان حصل له من مداومة الذكر الاستغراق في المذكور و النسيان عما عداه و استقر فيه انتقل الذكر الى الروح, فيذكر به تحت الثدي الايمن كذلك حتى يحصل له الاستغراق و النسيان آخر فاذا استقر فيه الاستغراق انتقل الذكرالى السر, فيذكره به فوق القلب الصنوبري في جانب اليسار كذلك حتى يحصل له الاستغراق و النسيان ايضا, فان استقر فيه الاستغراق انتقل الذكر الى الخفي, فيذكره به فوق محل الروح كذلك حتى يحصل له الاستغراق و النسيان, فاذا استقر فيه الاستغراق انتقل الذكر الى الاخفى, فيذكره به في وسط الصدربين محل السر و محل الخفي كذلك حتى يحصل له الاستغراق و النسيان ايضا, فاذا استقر فيه الاستغراق انتقل الذكر الى النفس الناطقة, فيذكر بها بالدماغ من الرأس كذلك حتى يحصل له سلطان الذكر . فاذا حصل له سلطان الذكر يسري في جميع جسده اولا, بحيث لا يبقى منه جزء الا وهو يذكر الله به . ثم يسري في جميع الآفاق بحيث لا يرى شيأ الا يراه ذاكرا بذكره حتى لو كان في ذلك الوقت الف شخص مشغولا بالف ذكر مختلف فهو لا يراهم الا انهم يذاكرون بذكره . فهذا كشف خيالي لا يطابق الواقع, فاذا استقر سلطان الذكر في الانفس و الآفاق يلقنه الشيخ النفي و الاثبات بحبس النفس . فكيفية

اشتغال النفي و الاثبات بحبس النفس ان يأخذ الذاكر نفسه و يحبسه في جوفه .

ثم يتخيل "لا" بان يجعل كرسيها فوق السرة و يمدها الى الدماغ في الرأس . ثم يتخيل "اله" من الدماغ و ينزل بها الى الكتف اليمن, ثم يتخيل منه "الا الله" و ينزل بها الى القلب الصنوبري الى جانب اليساري يصير بها بالنفس الدائر في الجوف على القلب الحقيقي في القلب الصنوبري . و يحصل من ذلك التخيلات "لا" المعكوسة في الخيال و يلاحظ معناه "لا مقصود الا الله " و يجتهد به في جميع التعلقات من القلب و اثبات مقصوديته "الله" و محبوبيته فيه, و يكرر ذكره بهذه الكيفية حتى يضيق صدره عن حبس النفس فعند ذلك يقف على وتر من الاوتار و يضم اليه "محمد رسول الله" .

ثم يطلق نفسه و عند ضم هذه الكلمة الشريفة بها يلاحظ ادخال نفسه في اتباع سنته عليه الصلاة و السلام و الاستمداد من روحانيته لانه صلى الله تعالى عليه و سلم هو الواسطة في حصول في جميع الفيوضات, ثم يخيل بعد اطلاق النفس هذه الكلمة "الهي انت مقصودي و رضاك مطلوبي" لان تخيل هذه الكلمة عند ارباب هذه الطريقة العلية من الزم اللوازم لان الذكر يستمر بتخيلها على معنى النفي و الاثبات و يترسخ في التوحيد و يتجرد قلبه عن العلائق و يندفع عنه الخواطر و يزداد فيه الاخلاص و يترقى الى مقامات الاختصاص, فلذلك امروا بها السالكين ولو لم يتحققوا بمعناها, لانهم

بالمداومة عليها يتحققون . فمن داوم على ذكر النفي و الاثبات بهذه الكيفيات و بلغ وقوفه على الاوتار الى احد وعشرين ظهرت له النتيجة التي هي الجذبة القيومية . فعند ذلك يعلمه الشيخ طريق المراقبة . فعند ذلك يترك الذكر و يشتغل بالمراقبة لكن لا بد له ان يذكر النفي و الاثبات باللسان في كل يوم بعدد معلوم مثل خمسة آلاف او عشرة آلاف او غير ذلك .

ثم اعلم ان حبس النفس والوقوف على العدد الوتر ليس شرطا في الذكر القلبي بالنفي والإثبات . إنما الشرط فيه نفي مقصودية الغير و اثبات مقصودية الحق سبحانه وتعالى . وقد يحصل هذا من غير حبس النفس ومن غير الوقوف على العدد الوتر أيضا, وليس بلوغ الوقوف إلى احد وعشرين شرطا في ظهور النتيجة لأنه قد يبلغ الوقوف إليها ولم يظهر النتيجة . وإنما الشرط في ظهورها إنتفآء وجود المحدثات وتجرد القلب عن العلاقات . فإذا حصل له هذان الأمران ظهرت النتيجة ولو لم يبلغ الوقوف إلى هذه المرتبة . وإن بلغ الوقوف إلى أحد وعشرين ولم تظهر النتيجة فمن الخلاف في الآداب فليراع الادب لان ترك الآدب بالخاصة يفسد العمل .

فاعلم ان نسبة الطريقة النقشبندية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وان ذكر النفي والإثبات بالقلب على كيفية المذكورة انما هو عن الخضر عليه السلام . لأنه علم طريق الذكر الخفي عبد الخالق الغجدواني قدس سره العزيز .

و الفصل الثاني في شروط الذكر و آدابه .

اعلم ان الذكر لا ينتج الحضور و لا يثمر شهود المذكور الا بمقارنة الشروط و الآداب التي ذكرها المشايخ في هذا الباب .

اما شروطه فهي ان يكون الذكر بتلقين الشيخ و ان يكون باخلاص العبودية و ان يكون بتكثير المحبة و طلب الوصلة و ان يكون بالحضور من غير غفلة, و ان لا يذكر الله الا بنفسه, و ان يكون بعقد السريرة بعنايته تعالى, و ان يكون القلب معلقا بالمذكور لا بالذكر, و ان يكون مع الاستمداد من الشيخ .

و اما آدابه فهي ان يكون الذاكر تائبا متوضأ جالسا في محل طاهر مستقبل القبلة واضعا يديه على فخذيه مغمضا عينيه ساكنا بجميع اعضائه بحيث لا يتحرك منه شعرة, و ان يكون متوجها الى القبلة بكليته و جميع همه و ان يتعلق اسم الذات بهيئته من غير عربية و لا عمرانية و لا سريانية . و ان يذكره بكل لطيفة في محلها و ان لا يلتفت عند الذكر الى شيئ من الواردات . و ان ظهر له حال من الذكر كالجذبة و الحضور بالمذكور فليتبعه . و ان حصلت له غيبة من غير حضور عند الذكر فليضطجع على شقه الايمن حتى تندفع عنه تلك العلة و ان ظهر فيه انقباض او فترة فلا يقطع . الذاكر الصادق لا ينقطع عن الذكر في كل حال و ان لا يفرغ عن الذكر قبل حصول الحال, و

ان حصل له سر من اسرار الذكر فليكتم الا عن شيخه . و ينبغي له ان يقول للشيخ جميع ما يظهر له عند الذكر من الواردات و الخواطر و الاذواق بين يدي الشيخ فيه . و ان حصل من الذكر في يده تزلزل او ارتعاش او حرارة زائدة او خفقان في قلبه فليغتسل بالماء البارد في الصيف و بالماء الحار في الشتاء . ثم ليرجع الى الذكر بكمال الهمة و ليجتهد في الذكر حتى تزول تلك العلل و تحصل له رزانة الجد و ثبات القلب و ان هجمت على قلبه الخواطر الردية عند الذكر و لم يقدر على دفعها فليقم فليتوضأ .

ثم ليذكر قدير او ليستغفر الله تعالى و ليصل على النبي صلى الله عليه و سلم, و ليتصور صورة الشيخ فانها تدفع جميع الموانع عن الذاكر و ان انكشف له انوار الذكر على هيئة الكواكب او على هيئة اخرى فلا يعتقد انها المذكور لان المذكور منزه عنها و عن جميع الكيفيات و لا بد له ان يعرف مقامه من الذكر حتى يترقى فيه و يتحرز عن التنزل عنه و ان لا ينقل الذكر في اللطائف الا باذن الشيخ, و ان انتقل الذكر بذاته فلا حاجة لاذن الشيخ فبه و ان عرت عليه ملاحظة معنى اسم الذات على ما هو عليه الايمان فليتعقل هيئته اللفظية مع حفظ القلب عن الخواطر, فحينئذ يعمل الاسم الشريف فيه بخاصيته فيكشف له معناه . و ينبغي له ان يلاحظ في النفي و الاثبات ما عينه الشيخ من معانيه لان الشيخ يعرف ما يناسبه منها, فينتج له الذكر بل ان يلاحظ معنى لا يناسب مقام الذكر يضره, حتى قيل ملاحظة المبتدئ فيه لا موجود الا الله

كفر . و ان يكون مع قلبه عند الفراغ عن الذكر و ان يكون مراقبا لوارد الذكر في كل حال . و اذا فرغ عن الذكر لمصلحة فليحفظ قلبه على معناه, و ليدفع الاغيار عن الدخول فيه . و ليقل قبل الشروع في مصلحته : **اللهم كن وجهتي في كل وجهة و مقصدي في كل قصد و غايتي في كل قصد و ملجئي و ملاذي في كل شدة و وكيلي في كل امر و تولني تولى محبة و عناية في كل حال .**

و اذا قال الذاكر هذه الكلمات يحفظ الله قلبه على معنى الذكر و يدفع عنه ما يشغل عنه و يفتح عليه بقرأتها أكثر ما يفتح بالذكر . فمن داوم على الذكر مع حفظ هذه الشروط و الآداب حصلت له نتيجة الذكر من غير شك و لا ارتياب .

الباب الثاني فيه فصلان :

الفصل الاول في تعريف المراقبة وأنواعها وكيفية الإشتغال بها وآدابها .

اعلم أن المراقبة نسبة زكية وعبودية حقيقة فمن تحقق بها نور الله قلبه بنور المعرفة وشرح صدره بكشف الحقيقة فلم تخطأ فراسته ولم تبطل مكاشفته ويكون متصرفا في الملك و الملكوت ومقربا في حضرة الجبروت, وتحسن معاملته مع الله تعالى في جميع الأوقات ويكون كمن يعبد الله تعالى

بجميع العبادات, لأن مراقبة الله أعظم العبادات وأكمل الطاعات فلذلك كانت خواص الصحابة رضي الله عنهم يشتغلون بدوام المراقبة وطول الفكرة . و قد ورد « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » وهي من الطرق الموصلة إلى مرتبة المشاهدة فمن داوم عليها كان من الواصلين .

ثم اعلم أن المراقبة عند العامة إنتظار أحكام الله تعالى للعمل بها واما عند الخاصة فهو ثلاثة أنواع .

النوع الاول : إستدامة العلم باطلاع الحق تعالى في جميع الأحوال و استمرار الإقتداء بجميع الأحكام في كل حال .

و النوع الثاني مطالعة آثار الأسماء و الصفات في الكائنات و المسارعة للوصول الى الله تعالى بجميع العبادات .

و النوع الثالث مكاشفة اسرار حقائق الأسماء و الصفات و مشاهدة انوار تجليات الذات . و هذا النوع هو درجة الولاية الصغرى و مرتبة الوصول الى الله سبحانه و تعالى و هو غاية ما يبلغ اليه السالكون بالمراقبة و نهاية ما يصل اليه السائرون بالمحاضرة . و في هذه المرتبة تتم الافنية و تقوم الابقية و تنتفي الحالات و تثبت المقامات فمن وصل الى هذه المرتبة يعمر اوقاته بالموفقات و يحمل اعضائه بالعبادات و ينور قلبه بالمشاهدات, فيكون جميع

اوقاته في طاعة الله تعالى واحدا و يصير جميع أعضائه في خدمة الله تعالى عامرا,

و يستمر قلبه في طلب الله تعالى شاهدا و يتحقق في المعرفة بحقيقة التوحيد و يقوم في العبودية بالترقي و المزيد .

ثم اعلم ان كيفية المراقبة ان يكون السالك طاهر البدن و الثياب و حاضر القلب و الفؤاد في مكان طاهر بحيث لا يصل اليه أصوات الحيوانات ولا يدخل فيه الإنسان ثم يجلس فيه على ركبتيه مستقبل القبلة مغمض العينين . ثم يخرج عن حوله و قوته و ينسى جميع عمله و معرفته و يعطل حواس ظاهره و قوى باطنه, ثم يتوجه بالقلب المطلق مع الجذبة الى جانب ذات الحق سبحانه و تعالى على طريق الاستهلاك فيه, و لا ينفك عن المراقبة بهذه الكيفية في جميع الأوقات, بعد ادآء الفرائض و السنن الراتبات حتى تزول عنه تزاحم الخواطر و تثاقل العناصر و تتزكى نفسه و يعتدل طبعه و تغلب روحانيته على جسمانيته . فبعد ذلك اذا[١٠] استقر فيه تلك الحالة و كانت له كالصفة اللازمة, يستحب له مخالطة الناس . و يلزم له الإشتغال بنوافل الصلوات و تلاوة القرآن و الأوراد لان السالك اذا وصل الى هذه المرتبة يمكن له التقرب بجميع الأعمال و يعرف طريق الإستفاضة في أحسن الحال .

---

[10] في نسخة – "ان"

ثم اعلم ان للمراقبة شروطا و آدابا فمن حفظها يرتقي[11] من المراقبة الى المشاهدة . فشروطها : ان تكون المراقبة باذن الشيخ و تعليمه و تربيته و تلقينه و ان تكون مع الجذبة القيومية و ان تكون بعد قطع العلائق الحسية و المعنوية و ان تكون بعد ترك النسب و الإضافات و بعد الوقوف عند الواردات .

وأما آدابها فهي دوام السكوت, و ملازمة البيوت, و كف الحواس عن الإحساس, و تعطيل القوى عن الإدراك, و ترك مطالعة الكتب و الكتابة, و الإعراض عن اتباع النفس في طلب العلوم و المعرفة, و مخالفة الهوى و ترك المنى, و الخروج عن كل داعية تدعو الى السوء, و السعي في طريق الوصول الى الله تعالى, و دوام التوجه الى لقاء الله تعالى, و ترك الطمع في المقامات, و الإجتناب من الكرامات, و تأدب مع الله تعالى في الباطن و الظاهر, و مراقبته في جميع المظاهر . فمن داوم على المراقبة بهذه الشروط و الآداب يتقرب الى ذلك الجناب و يبلغ مبلغ الرجال و يشاهد الجمال و الجلال و يصح له التربية و التلقين و يقدر على إرشاد الناس الى الله تعالى بحق اليقين .

و الفصل الثاني فيما يلزم للسالك في هذه الطريقة العلية من النوافل من صلاة و صيام و قرأة القرآن و اوراد و أذكار لان السالك متى وصل الى مرتبة المراقبة يمكن له التقرب بكل عبادة نافلة كما ورد في الحديث القدسي « لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل » فمن تلك النوافل صلاة الأوابين و هي ستة

---

11 في نسخة - يترقى

ركعات الى اثنا عشر ركعة فمن اراد ان يصلي اكثر من ذلك فليصل بنية النافلة الأخرى و وقتها بين المغرب و العشآء, و يستحب ان يقرأ فيها سورة البروج و سورة الطارق و سورة الليل و سورة القدر, و يستحب ان يسلم في كل ركعتين و يستحب له ان لا يفارق مصلاه الى وقت العشاء لان إحياء هذا الوقت بالصلاة و القرأة سنة مؤكدة و كان صلى الله عليه و سلم لا يدع إحياء هذا الوقت .

و منها صلاة تهجد وهي سنة مؤكدة و قد كادت ان تكون واجبة عند المتهجدين و هي احدى عشر ركعة مع الوتر الى سبع عشر ركعة و هذا اكثر ما روى من صلاة تهجده صلى الله تعالى عليه و سلم . و افضل اوقاتها نصف الليل . و يستحب فيها تطويل الركعات و التسليم في كل ركعتين . و يستحب ان يقرأ فيها آية الكرسي مع الآيتين بعدها و قوله تعالى لله ما في السماوات و ما في الأرض الى آخر السورة و آخر آل عمران و قوله تعالى « سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا » الى « الا خسارا » او سورة يس و اول الحديد و آخر الحشر و سورة القدر و سورة الإخلاص . و يستحب ان يشتغل بعد التهجد بسائر الطاعات الى صلاة الفجر .

و منها صلاة الإشراق وهي ركعتان الى اربع ركعات . و وقتها عند ارتفاع الشمس قدر رمح . و يستحب ان يقرأ في الركعة الأولى سورة الشمس مرة و في الثانية سورة الإخلاص اربع مرات و في الركعتين الأخيرتين يقرأ

المعوذتين, و يستحب ان يصلي بعد صلاة الإشراق صلاة الاستخارة ركعتين يقرأ في الاولى سورة الكافرون و في الثانية سورة الاخلاص ثم يقرأ بعد السلام دعاء الاستخارة . و كان صلى الله عليه و سلم يعلم اصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم القرآن مع القرآن .

و منها صلاة الضحى وهي ثمانية ركعات الى اثنى عشر ركعة و اول اوقاتها من وقت الإشراق و افضلها عند ارتفاع الشمس الى ربع السماء, و يستحب ان يقرأ فيها آمن الرسول الى آخر السورة و آخر الحشر و سورة الليل و سورة الضحى و سورة الم نشرح لك و سورة و التين و سورة القلم, و يستحب ان يطول الركوع و السجود فيها و يسلم في كل اربع ركعات, و يستحب ان يصلي بعد سنة الأخيرة من الظهر و العشاء اربع ركعات و كان النبي صلى الله عليه و سلم يصليهن, و يستحب ان يصلي بعد الوضوء ركعتين و عند دخول المسجد ركعتين, و يستحب ان يصلي صلاة التسبيح اربع ركعات في كل يوم مرة, و ان لم يقدر ففي كل اسبوع مرة, وان لم يقدر ففي كل شهر مرة, وان لم يقدر ففي كل سنة مرة وان لم يقدر ففي العمر مرة .

و كيفيتها ان يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و سورة فاذا فرغ من القرأة في اول ركعة وهو قائم يقول : **سبحان الله و الحمد لله ولا اله الا الله و الله اكبر** خمسة عشر مرة, ثم يركع فيقولها عشر مرات, ثم يرفع رأسه فيقولها عشر مرات, ثم يسجد فيقولها عشر مرات, ثم يرفع رأسه فيقولها عشر مرات

ثم يسجد سجدة ثانية فيقولها عشر مرات ثم يرفع رأسه فيقولها عشر مرات بعد السجدتين و قبل القيام, ثم يقوم فذلك خمسة و سبعون في كل ركعة يفعل ذلك في اربع ركعات .

و منها صوم كل يوم الإثنين و الخميس و صوم ثلاثة ايام من اول كل شهر و ثلاثة من اوسطه و ثلاثة من آخره و صوم العشر الأول من ذي الحجة و المحرم و النصف الأول من شعبان .

و لا يستحب للسالك ان يزيد على إفطار اربعة ايام متتابعة فان ذلك يقسي القلب و يغير الحال . و يستحب للسالك إحياء الليالي المباركة وهي ليالي اوتار العشر الأخير من رمضان, و ليلة عرفة و ليلي العيدين, واول ليلة من شهر رجب, وليلة النصف منه, وليلة سبع و عشرين منه, و ليلة النصف من شهر شعبان, واول ليلة المحرم, وليلة عاشوراء . و يستحب له ان يصلي في تلك الليالي مائة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و سورة اللإخلاص عشر مرات فمن صلى هذه الصلاة في تلك الليالي نظر الله اليه سبعين نظرة و قضى بكل نظرة سبعبن حاجة ادناها المغفرة .

و منها قرأة القرآن فلا بد لمن وصل الى مرتبة المراقبة ان يجعل له كل يوم و ليلة وردا من القرآن لان قرأة القرآن للمنتهي افضل من الإشتغال بالذكر . و يستحب له ختم القرآن في كل أسبوع مرة وان لم يقدر على ذلك

ففي كل شهر[12] و قرأته من المصحف افضل من القرأة من ظهر القلب و الإخفاء في القرأة افضل من الجهر و قرأة الليل افضل من قرأة النهار . و يستحب قرأة سورة يس و سورة الواقعة بين المغرب و العشاء و سورة يس بعد الصلاة الصبح و سورة الملك بعد الصلاة الظهر و سورة النبأ بعد صلاة العصر . و مما يلزم قرائته في هذه الطريقة العلية ختم الخواجكان و في قرأته فيض كثير و فضل غريز . فقد لازم بقرأة الخواجكان قدس الله سرهم العزيز في كل ليلة الإثنين و ليلة الجمعة وهو مروي عن الحسن البصري و لكن لملازمة الخواجكان بقرأته اضيف اليه .

فشروط قرأته ان يكون قارئه من اهل هذه الطريقة العلية و مأذونا منهم بقرأته و ان يكون متوضئا جالسا على ركبتيه في مكان طاهر متوجها الى القبلة و ان يراعي الترتيب و العدد بحيث لا يقدم بعض ما يقرأ فيه على البعض و لا يزيد و لا ينقص في العدد و ان كان مع الجماعة يقسم العدد عليهم و ان يستحضر روحانية الخاجكان قبل الشروع فيه و يستمد في قرأته منهم و يستحب ان يتبخر بالبخور عند القرأة و ان يرفع يديه قبل الشروع فيه و يقرأ هذا الدعاء : **اللهم يا مفتح الأبواب[13] و يا مقلب القلوب و الأبصار و يا خالق الليل و النهار و يا دليل المتحيرين و يا غياث المستغيثين توكلت عليك يا رب العالمين و افوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ولا حول ولا قوة**

[12] في نسخة ففي كل شهر مرة
[13] و في نسخة- و يا مسبب الاسباب

الا بالله العلي العظيم[١٤] سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات ثم يصلي على النبي صلى الله عليه و سلم مائة مرة, ثم يقرأ سورة الم نشرح لك مع البسملة تسعا و سبعين مرة, ثم يقرأ سورة الإخلاص مع البسملة احدى و الف مراة, ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات أيضا ثم يصلي على النبي مائة مرة أيضا ثم يهب ثوابه لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لأصحابه و لأرواح الخاجكان النقشبندية و هذه أحسن ثم يرفع يديه و يدعو الله و يتوصل به الى حصول المقصود و يأكل بعد الفراغ عن الدعاء بعضا من الحلويات كالتمر و الزبيب . فلا بد للسالك ان يجعل هذه النوافل اورادا و يداوم عليها و لا يترك بعد ان جعله وردا لان الله تعالى يمقت من تعود بعبادة ثم تركها . كما قال « تارك الورد ملعون » لان ترك الورد اعراض عن الله تعالى فمن ترك الورد اعرض عن الله تعالى و من اعرض عن الله تعالى فقد اعرض الله عنه و من اعرض الله عنه فهو ملعون و مطرود .

[14] و في نسخة- يا رب فوضت امري الى اليك يا فتاح يا وهاب يا باسط و صلى الله على خير خلقه محمد و على آله و صحبه اجمعين

و الباب الثالث

في آداب العبودية على طريق السنة .

اعلم ان حقيقة العبودية اتباع السنة فلا بد لكل سالك ان يتبع السنة حتى يتحقق بحقيقة العبودية, لان اتباع السنة يخرج العبد عن عبودية الهوى فمن لا يتبع السنة فهو عابد الهوى[١٥] . قال النبي صلى الله عليه و سلم : « تعس[١٦] عبد الهوى » فمن يتبع السنة يخرج عن اتباع الهوى و يكون محبوبا عند الله . قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فلا يصل احد الى الله تعالى بطريق من الطرق إلا بطريق الإتباع, لأن جميع الطرق مسدود غير طريق الإتباع لانه مفتوح موصل الى الله تعالى, فلا بد لكل احد من الإتباع بآداب الرسول صلى الله عليه و سلم في جميع العبادات و العادات حتى يمكن له الوصول قال الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » فمن ادعى الوصلة و أظهر الكرامة و ترك آدابا من آداب السنة فهو مستدرج مخذول فليس له نسبة بجانب الحق فضلا عن الوصول .

ثم اعلم ان آداب السنة كثيرة وكتابة جميعها هنا عسيرة لكن كتبت منها هنا بعض ما يقع في أكثر العادات والعبادات فمن داوم عليها يكون من اهل السنة والجماعة .

---

15 و في نسخة- فمن اتبع السنة فهو خرج عن عبودية الهوى فمن لم يتبع السنة فهو مؤيد بالهوى
16 التعس -الهلاك

فمن تلك الآداب آداب الدخول في بيت الخلآء وهي أن يخلع من اراد الدخول فيها ما كان عليه من التاج والخرقة وسائر ما يلزم احترامه ويخفف ثيابه ويشمر زيله وكمه ثم يقول عند دخوله فيها « أعوذ بالله من الخبث والخبائث » فيقدم رجله اليسرى ويدخلها ثم يقعد بحيث لايستقبل القبلة ولايستدبرها ولايستقبل الشمس و القمر ولايستدبرهما إن كان يقعد في الصحرآء, ولا يتكلم فيه ولا يطول القعود فيها, وبعد قضآء حاجة يستنجي بالحجر و الماء معا ان امكن جمعهما و الا يستنجي باحدهما فكيفية الاستنجاء بالحجر بان يأخذ الحجر بشماله ويمر به على مقعده من مقدمها إلى مؤخرها . ثم يأخذ حجرا ثانيا ويمربه من مؤخرها إلى مقدمها ثم يأخذ حجرا ثالثا فيدير به حول المسربة, والحجر الواحد يكفي عن الثلاثة ان كان له اشعاب ثلاثة .

وكيفية الإستنجآء بالماء أن يضع أصابعه اليسرى على المسربة ويصب المآء بيده اليمنى على كفه اليسرى ويحرك أصابعه حتى تزول عنها النجاسة ولايرفع اصابعه حتى يتيقن طهارتها ثم تجفف مقعده بالخرقة او بيده اليسرى ثم يقوم ويقدم رجله اليمنى فيخرج منها, ويقول « الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني اللهم طهر قلبي من[١٧] النفاق وحصن فرجي من[١٨] الفواحش وبطني من الحرام » .

17 و في نسخة- عن
18 و في نسخة- عن

و منها آداب البول وهي ان يقعد في أرض رخوة ثم يمسك ذكره بيده اليسرى ويبول فلما إنقطع البول يمسك من أصل ذكره بيده اليسرى و يمر بها الحشفة ويفعل بها ثلاثا ثم يأخذ حجرا بيمينه وذكره بيساره ويمربها على مخرج البول حتى يجففه ثم يقوم ويمشي بخطوات ويتنحنح و يحرك حتى يخرخ ما كان في احليله من بقية البول . ويستحب غسل ذكره ان إنتشر البول على الحشفة .

و منها آداب الوضوء وهي أن يقعد في محل رفيع مستقبل القبلة . ثم يستاك وينوي الوضوء للصلاة ويقول بسم الله العظيم والحمد لله على دين الإسلام ويغسل كفيه ثلاثا ثم يمضمض ويستنشق ثلاثا ثم يغسل وجهه ثلاثا من أصول شعر رأسه إلى ما يدلي من لحيته طولا ومن أذن إلى أذن عرضا ويخلل لحيته ثلاثا إن كانت كثيفة وإلا يجب غسل اصول شعرها, ثم يغسل ذراعه الايمن مع كفه ومرفقه ثلاثا, ثم يغسل ذراعه الايسر كذلك ثم يبل يديه و يمسح بهما رأسه مبتدأ من مقدم رأسه ويمر بهما إلى مؤخره ثم يردهما إلى ما ابتدأ منه, ثم يمسح أذنيه ظهرا وبطنا, ثم يمسح عنقه بظهور أصابعه, ثم يغسل رجله اليمنى مع كعبيه ثلاثا, ويخلل أصابعها, ثم يغسل رجله اليسرى كذلك, ويقرأ الأدعية المخصوصة بكل عضو مع حضور القلب عند غسله لأن الوضوء إن كان بالذكر والحضور يحصل منه النور كما ورد « الوضوء نور », ثم يرفع رأسه إلى السمآء و يقول : **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله أللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني شكورا صبورا واجعلني أذكرك كثيرا واسبحك بكرة وأصيلا .

و منها آداب الدخول في الحمام وهي أن ينوي الطهارة للطاعة عند الدخول فيه ويخلع ثيابه من اليسار ويتزر من فوق سرته الى انصاف ساقيه ويقدم رجله اليسرى فيه ويقول **أعوذ بالله من الرجس والشياطين**, ولا يسلم فيه على أحد بل يقول عافك الله, ولا ينظر إلى عورات الناس و لا يقعد في خلوة فيه مكشوف العورة و لا يكثر فيه الكلام, ولايطيل القعود فيه, ويغسل قبل الغسل محل النجاسة بيده اليسرى, ثم يغسل كفيه ثلاثا ثم يمضمض ويستنشق ثلاثا ويبالغ في إيصال المآء في حلقه وخيشومه إن كان جنبا, ثم يتوضأ مثل ما يتوضأ للصلاة, ثم يأخذ المآء بيده اليمنى ويصب على شقه الأيمن ثلاثا ظهرا وبطنا إلى فخذه وساقه ثم يصب على شقه اليسرى كذلك و يدلك ما أقبل من جسده وما أدبر مما يتصل إليه يداه ثم يأخذ المآء ويصب على رأسه ثلاثا ويدلكه ويخلل لحيته وشعر رأسه ان كان فيه شعر ثم يفيض المآء على سائر جسده إحتياطا ولا يبالغ في صب المآء من غير حاجة ثم يقدم رجله اليمنى ويخرج منه ويقول بعد خروجه : **اللهم طهر نفسي من السوء كما طهرت جسدي من الحدث اللهم نورقلبي بنور معرفتك كما نورت قلوب انبيائك واوليائك اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من**

المتطهرين و اجعلني من عبادك الصالحين و اجعلني من الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون .

فلا بد أن يعتبر التيامن في الامورات الحسنة والتياسرفي الأمورات الخسية و يستحب نتف الابط وحلق العانة في كل عشرين يوما وقلم الاظافر وحلق الرأس في كل عشرة ايام .

و منها آداب الآذان وهي أن يترك ما يشتغل به من أمور الدنيا عند سماع الاذان والقيام عند سماعه احسن ويقول ما قال المؤذن الا عند قوله حي على الصلاة ويقول لاحول ولاقوة الا بالله وعند قوله حي على الفلاح ما شآءالله تعالى كان ومالم يشأ لايكون وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت ويقول بعد فراغ المؤذن **رضيت بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وآل محمد وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ياارحم الراحمين** . ثم يجيب الآذان بالفعل ويذهب إلى مسجد الجماعة .

و منها آداب الصلاة وهي أن يستقبل القبلة استقبالا صحيحا ويحضر قلبه مع الله تعالى ثم يرفع يديه الى حذاء منكبيه بحيث يكون كفاه إلى جهة القبلة وإبهاماه عند شحمة اذنيه واصابعه إلى السماء . ثم ينوي لتلك الصلاة

فيقول الله أكبر ويرسل يديه بالرفق ويضعهما تحت سرته وينظر إلى موضع سجدته ولا يلتفت إلى غيره ثم ينزل للركوع ويضع يديه على ركبتيه ويفرج أصابعهما ويجافي عضديه عن جنبيه بقدر خمس أصابع ويساوي راسه مع ظهره وينظر على قدميه, ثم يرفع راسه مع ظهره ويطمئن قائما, ثم ينزل للسجود بالإستقامة ويضع جبهته مع أنفه على الأرض بحيث يكون راسه بين كفيه, وتكون أصابعه مضمومة مستقبل القبلة وينظر إلى طرف انفه ويكون بطنه وعضداه بعيدا عن فخذيه بخمس أصابع وتكون أصابع رجليه متمكنة على الأرض متوجهة إلى القبلة ثم يرفع رأسه ويطمئن جالسا . ثم ينزل إلى السجدة الثانية ويفعل مثلها كما فعل في الاولى واذا قعد للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى وينظر على فخذيه عند ذلك و يرفع اصبعه المسبحة في "لا اله" و يضعها في "الا الله" . ويسلم مع إستواء عنقه إلى منكبه و بعد فراغه من الصلاة يقرأ آية الكرسي ويسبح ثلاثا وثلثين ويحمد ويكبر كذلك ويرفع يديه للدعآء إلى حذو منكبيه ويفتح كفيه إلى السمآء .

و منها آداب الصوم وهي أن يمسك حواسه عن الإحساس الكاسدة وقلبه عن الأفكار الفاسدة وأن لا يشتغل بشيء ينسى الم الجوع وأن لا يهتم بامر الطعام بعد العصر وان يترك ما تشتهيه نفسه من الاطعمة النفيسة وان يشتغل بالاعمال الصالحة في ذلك اليوم لأن الأعمل الصالحة إذا إجتمعت تزداد فضيلته وان يشتغل بعد العصر بالإستغفار و التسبيح والدعآء إلى وقت

الغروب لأن ذلك الوقت وقت الإجابة للصائم وان يفطر بمآء او بتمراو بذبيب او بلبن ويقول عند الإفطار **اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبل مني إنك انت السميع العليم .**

و منها آداب قرأة القرآن وهي أن يكون متوضئا جالسا في مكان طاهر على ركبتيه مستقبل القبلة, ثم يحضر قلبه مع الله تعالى ويلقي سمعه لكلام الله تعالى, ثم يتعوذ ويقرأ المعوذتين وسورة الفاتحة ثم يشرع في قرأة القرآن بترتيل اللفظ وتأمل المعنى ويكون كانه يسمع من الله تعالى ويتأدب عند كلام الله تعالى بغاية التأدب فإذا قرأ آية فيها ذم المغضوبين فليحسب نفسه هناك, وإذا قرأ آية فيها مدح الصالحين فلا يحسب نفسه هناك, وإذا قرأ آية فيها ذكر أنبيآء الله تعالى فليتشوق برئيتهم وشفاعتهم, وإذا قرأ آية فيها ذكرالله تعالى فليراقب فيها تجليات الحق سبحانه وتعالى, وإذا فرغ من القراة فليقل صدق الله العظيم وبلغ رسوله النبي الكريم سبحان ربك إلخ . . . ثم يقرأ الفاتحة ويدعو الله تعالى بكشف أسرار كلامه تعالى .

و منها آداب الأكل وهي أن لا يأكل الا عن ضرورة ولايأكل إلا عن حلال لان مدار هذا الامر على الاكل من الحلال . وأن ينوي بالأكل القيام بطاعة الله تعالى, وأن يضع الطعام على السفرة على الأرض, وأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده, وأن يسمي الله تعالى في إبتداء الأكل وان سمي الله في كل لقمة فهو أحسن, وأن يصغر اللقمة ويجود مضغها وأن يأكل ما يليه من حافة

القصعة و نحوها, وأن لا يأكل بشماله لأن الشيطان يأكل بالشمال, وأن لايذم طعاما إن أعجبه أكل والا يترك, وأن لا يأكل متكأ ولامضطجعا, وأن يأكل بالاصابع الثلاثة الا الثريد فيأكل بالاربع, وأن لا يكثر الكلام عند الأكل, وأن لا يسكت بالمرة, وأن يرفع يديه عن الطعام مع بقية الإشتهآء, وإذا شرب بين الأكل فليشرب بثلاث مرات وليتنفس في كل مرة, و ليبعد الكوز عن فمه عند النفس, وليقل في أول شربه بسم الله الرحمن الرحيم وفي أخره ألحمد لله, وهكذا يفعل كلما شرب المآء . وان يلعق أصابعه في أخر الطعام ويقول عند الفراغ من الأكل : **الحمدلله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين** .

و منها آداب لبس الثياب وهي أن يكون الثوب من حلال وأن يكون أبيض ومصبوغا ولكن لا يكون أحمر ولا أصفر ولا مخطوطا بخطوط حمر وصفر وخضر لأنها ثياب أهل الكبر والهوى, وان يكون خشنا مرقعا لأن المرقع لباس الآنبياء والأوليآء ,وان يغسل ثيابه عند الاتساخ لأن غسل الثياب يزيد في العبادات, وأن يكون اكمامه قصيرة واسعة واذياله فوق الكعبين وان يسمى الله تعالى في لبسه عند القعود من طرف اليمين و في خلعه من طرف اليسار[19] , وإذا لبس ثوبا جديدا فليقل : **اللهم لك الحمد على ما كسوتني هذا الثوب أسئلك خيره وخير ما صنع له وأعوذبك شره و شر ما صنع له** .

[19] و في نسخة- وأن يبتدأ في لبسه من طرف اليمنى و في خلعه من طرف اليسار

ومنها آداب الكلام وهي أن لا يتكلم الا عن حاجة, وأن لا يتكلم إلا بكلام صادق و لا يتكلم بالغيبة وبما لا يعنيه وأن لا يتكلم بالسرعة وليتكلم بالتأني والتفكر, وأن لا يتكلف فيه بالفصاحة, وان لا يكون في كلامه التعريض والكناية, والهزل والمزاح, وليتكلم عن جد ولا يذم أحدا, ولا يشتم مخلوقا, وان لا يبالغ في مدح أحد, وأن لا يرفع صوته بالكلام, وليكن عذب اللسان, وأن لا يقطع كلام الناس بكلامه, وليتكلم مرة وليسكت مرة, وليستمع كلام الناس بالإقبال إليهم بوجهه .

ومنها آداب المشي وهي أن يمشي بنية الخير مع التواضع والوقار والسكينة وان ينظر على قدميه, و ان لا يلتفت الى اليمين و الشمال من غير اقتضاء امر, و ان نظر الى الآفاق فلينظر بالإعتبار و الإستدلال و ان يكف بصره عن النظر الى المحظورات وان رأى منكرا فلينه عنه, و ان يسلم على كل من لقيه, و ان يسرع في مشيته متوجها الى امامه بحيث لا تخل سرعته سكينته و ان مشى مع الرفيق فليوافقه وان لا ينسى ذكر الله تعالى على ما أعطاه الله تعالى و لا يشتغل قلبه عن مراقبة الله تعالى لاشتغاله بالمشي, و ان يميط الآذى عن الطريق وان يشكر الله تعالى على ما أعطاه الله القدرة على المشي .

ومنها آداب الجلوس وهي ان لا يجلس الا في موضع طاهر محترم خال عن التهم و ان يجلس متوضئا على ركبتيه مستقبل القبلة و ان عجز عن

ذلك فليجلس مربعا[20] وان لا يستلقي ولا يضطجع ولا يتكئ ولا يمد رجليه الا عن ضرورة و ان يذكر الله تعالى عند جلوسه و يتفكر في آلائه و ان لا يغفل فيه عن الله تعالى و ان كان يجلس مع الناس فليراع الآداب معهم .

و منها آداب النوم و هي ان لا ينام الا عن ضرورة فاذا غلب عليه النوم فليأت الى فراشه, و ليقرأ خمس آيات من اول سورة الحديد و ثلاث من آخر الحشر و سورة الكافرون, ثم يجمع كفيه فينفث فيهما ثم يقرأ فيهما سورة الإخلاص و المعوذتين مرة مرة ثم يمسح بهما جميع جسده يبدأ بهما من رأسه ووجهه و ما أقبل من جسده و ما أدبر منه يفعل كذلك ثلاثا, ثم يتوب عن ذنوبه و سوء خلقه و يستاك و ينوي بالنوم عروج روحه الى الملاء الأعلى و القوة على طاعة المولى . ثم يضع جنبه الأيمن على الفراش متوجها الى القبلة و لا يمد رجليه بطولهما و يقول عند وضع جنبه على الفراش : **باسمك اللهم ربي وضعت جنبي و باسمك اللهم ارفعه اللهم قني عذابك يوم تبعث و تجمع عبادك** .

و ان يذكر الله تعالى عند تقلبه في فراشه, و اذا استيقظ فلا يعد الى النوم الثاني و ليقم .

[20] في نسخة- مقرفصا

و يقول عند قيامه : **الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور** .

ثم يباشر الوضوء و يتوضأ و يشتغل بعبادة تناسب بذلك الوقت . فمن اتبع السنة في هذه العبادات و العادات يرتقي الى الدرجات العاليات .

و الباب الرابع

في تزكية النفوس عن الصفات الحيوانية و تخليقها بالأخلاق الربانية .

اعلم ان الإنسان لا يتقرب الى الحضرات العلية ولا يشاهد الأسرار الالوهية الا بتزكية نفسه عن الصفات الحيوانية و تخلقه بالأخلاق الألوهية فلذلك قال صلى الله عليه و سلم : « تخلقوا باخلاق الله تعالى » لان الله تعالى لا يستنيب الا من اتصف بصفاته و لا يستخلف الا من تخلق بأخلاقه لان العالم لا يستنيب الجاهل و الحكيم لا يستخلف السفيه فلذلك كان آدم عليه السلام خليفة الله لإتصافه بأخلاق الله تعالى, و أشار اليه صلى الله عليه و سلم « خلق الله تعالى آدم على صورته » و كان نبينا صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين و خليفة رب العالمين لكونه على خلق عظيم, قال صلى الله تعالى عليه و سلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . فلا بد لمن اراد ان يكون صاحب الخلافة الربانية و وارث العلوم النبوية ان يتخلق بالأخلاق الإلهية و

يتأدب بالآداب المحمدية حتى يكون خليفة الله تعالى في الدين و هاديا اليه بحق اليقين .

ثم اعلم انه لا يمكن لكل احد ان يزكي نفسه عن الصفات الحيوانية الا بان يسلك في طريقة الصوفية التي هي طريق تهذيب الأخلاق و التصفية, و ان يعرف حقائق الأخلاق الرذيلة و علاج زوالها, و يعرف الأخلاق الفاضلة و طريق اتصافها .

فمن ألأخلاق الرذيلة الحرص و هو إفراط شهوة البطن و الفرج, و علاج زواله تقليل الطعام و تكثير الصيام و ترك أكل النفائس الأطعمة و ملازمة الذكر و المراقبة و المجالسة مع المشايخ و الصلحآء و الإجتناب عن صحبة الأحداث و النساء .

و منها البطالة و هي القعود عن اكتساب سعادة الدنيا و الأخرة . و علاج زوالها ان يلاحظ ان اهل البطالة محروم و مغبون و ان يجالس مع اهل السعي و الإجتهاد و يصاحب مع العباد و الزهاد .

و منها الحسد و هو تمني استجماع جميع الخير فيه و ارادة زواله من الغير, و علاج زواله ان يعرف ان الحسد لا ينفع صاحبه ولا يضر لغيره بل ان صاحب الحسد لا يخلو عن الغموم و الهموم و المحسود منعم و ممنون .

و منها الطمع وهو توقع الخير من الغير من غير استحقاق, و علاج[21] زواله ان يلاحظ ان الطمع لا يجلب النفع و لا يدفع الضر و لا يفيد الخير و لا يحصل منه الا الدنأة و قلة الحياء وان ما قدره الله تعالى له يوصله اليه من غير سبب و ما لا يقدر له لم يصل اليه و لو لم يطمع .

و منها البخل وهو الإمساك من انفاق المال مخافة الفقر و التعزز به, و علاج زواله ان يعرف ان انفاق المال افضل العبادات و التقوى و به يتقرب العبد الى الله تعالى و يكون محبوبا عند الورى و ان يعرف ان البخل يظهر العيوب و ينفر القلوب و يكون سببا للمذمة في الدنيا و للعذاب في الأخرة .

و منها الحقد وهو غضب مستمر كامن في النفس, و علاج زواله ان يعرف ان الحقد يضر صاحبه لانه معذب بنار الغضب ليلا و نهارا, وان لا يرى في المحقود عليه الا خيرا, و ان يتذكر الحقوق التي بينه و بين المحقود عليه حتى يعفو سوء صنعه و يشفقوا اليه .

و منها الغضب وهو شدة هيجان النفس لطلب الإنتقام, و علاج زواله ان يعرف ان الغضب منشاؤه الفساد و لا يتصف به الا اشرار العباد و ان عاقبته حسرة و ندامة وانه يؤدي الى المعصية و الضلالة .

و منها العجب وهو ان يظن المرأ اختصاصه بزيادة الكمال . و علاج زواله ان يلاحظ خسة نفسه و دنأة طبعه و ان يعرف انه متصف بالنقصان و

[21] ذلك- نسخة

العيوب و ان الناس افضل منه من جميع الوجوه و ان يعرف ان احدا لا يختص بالكمال و لا بد ان يوجد اكمل منه في كل حال .

و منها الكبر وهو تعظيم المرء على غيره باعتبار ما فيه من العظمة . و علاج زواله ان لا ينظر لنفسه بعين الإستعظام ولا ينظر على الغير بعين الإستصغار وان يتذكر مذمة اهل الكبر في القرآن و الحديث و ان يتفكر عظمة الله و كبريائه و ان يلاحظ انهما مختص به تعالى لا بخلقه .

و منها الجبن وهو الإحجام عما يجب عليه الإقدام . و علاج زواله ان يعرف انه سبب المذمة و الحقارة عند جميع الناس و ان الآجال مقدرة لا ينفع فيها الإحتراز و ان الشجاعة صفة الرجال و افضل الخصال .

ومنها حب الدنيا وهو الرغبة في جمع المال . و علاج زواله ان يعرف ان حب الدنيا لا يزيد فيها و انما زيادتها باعطاء الله تعالى و احسانه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة و ترك حبها يقرب العبد الى حضرة الإلهية .

وأما الأخلاق الفاضلة و فوائد التخلق بها فهي ما يأتي :

ومنها العفة وهي تبعيد النفس عن الصفة البهيمية و تنفيرها عن الشهوة الحيوانية فمن تخلق بها تغلب عليه صفة الملكية و يكون صاحب النفس القدسية .

و منها الحلم وهو ترك الإنتقام عند هيجان نار الغضب مع القدرة على اخذه فمن تخلق به يكون صاحب التمكن و القربة .

و منها الود وهو المرحمة و الشفقة من غير شهوة فمن تخلق به يكون من اهل الإرشاد و التربية .

ومنها التواضع وهو ترك تعظيم النفس على الأنام و مقابلة الخلق بالتعظيم و الإكرام فمن تخلق به يكون صاحب الفيض و القبول .

و منها البشر وهو اظهار السرور و البشاشة عند ملاقات الأحبة فمن تخلق به يكون سعيدا او مباركا .

و منها سلامة الصدر وهو ظن الخير في جميع الخلائق و النظر اليهم بعين الرضآء فمن تخلق بها يكون صاحب الصفوة و الإنشراح .

و منها السخاء وهو بذل المال للمستحقين من غير ملاحظة العوض و لا لعلة الغرض فمن تخلق به يكون صاحب الإخلاص في النية و راقيا الى المرتبة العلية .

و منها الشجاعة وهي الإقدام على الخطوب من غير خروج عن حد الشرع فمن تخلق بها يكون أهل الهيبة و العزة .

ومنها الصبر وهو تحمل البلاء و المصيبة لتحصيل رضاء الله تعالى في الدنيا و الأخرة فمن تخلق به يكون منصورا مؤيدا .

ومنها الهمة وهي طلب الحق سبحانه و تعالى و الإعراض عن جميع السوى فمن تخلق بها يكون من الواصلين الى الله تعالى و المقربين الى الملك الأعلى .

ومنها الوفاء وهو ايجاز ما يرتهن به اللسان مع طمأنينة الجنان فمن تخلق به يكون من أهل التنعم و الحظوظ .

ومنها كتمان السر وهو حفظ ما أؤتمن عليه من الخصائص فمن تخلق به يكون صاحب العلوم و الحكم و مقربا في بساط الحرم .

و منها القناعة وهي وقوف النفس عند ما رزقه الله تعالى من غير تشوق الى الزيادة, فمن تخلق بها يكون أهل العز و علو الجناب .

و منها الزهد وهو ترك الدنيا مما زاد على الكفاف للأشتغال بطاعة الله تعالى فمن تخلق به يكون محبوبا عند الله و مقبولا عند الناس .

و منها التوكل وهو عدم الإهتمام باكتساب ما يحتاج اليه اعتمادا على كرم الحق سبحانه و تعالى فمن تخلق به يكون صاحب المعرفة و اليقين . فمن تخلق بمجموع هذه الأخلاق الفاضلة و اتصف بجميع هذه الصفات

الكاملة يكون صاحب الإتباع التام بسنة حضرة خير الأنام و يكون من الأولياء الكرام و الأصفياء العظام الأخيار فصح له دعوة الخلق الى الشريعة و هداية السالكين الى الحقيقة .

و الباب الخامس فيه فصلان :

الفصل الأول في فوائد صحبة المشايخ الكاملين و كلام اصحاب التربية و التلقين .

اعلم ان الصحبة عند ارباب الطريقة قد تجيئ لمعان عديدة .

فالصحبة مع الله تعالى قبول احكامه تعالى بحيث لا يزول عن القلب امتثالها و لا يخطر فيه مخالفتها مع التبعية[22] بآداب العبودية والتحقق[23] باسرار الربوبية .

والصحبة مع الرسول عليه الصلاة و السلام اتباع السنة السنية و التخلق بأخلاقه الزكية مع الإشتياق لرؤيته العلية .

و الصحبة مع المشايخ المجالسة معهم واستماع كلامهم بالخدمة[24] والمحبة والإقتداء بهم في آداب الطريقة و الدخول تحت تربيتهم للوصول الى الحقيقة .

و الصحبة مع التلامذة العهد و التخليق و تعليم آداب العبودية و التبيين و كشف اسرار حق اليقين .

ثم اعلم ان الصحبة في جميع الطرق العلية سبب مستقل في الإيصال الى المرتبة الحقيقة لان مدار الوصول في الطرق كلها صحبة المشايخ الكاملين و نصيحة المرشدين الواصلين لان الشيخ الكامل يوصل المريد الصادق بصحبة واحدة الى درجة الكمال و يكشف له انوار الجمال و الجلال ويظهر له اسرار مقامات الوصال من غير احتياج الى مداومة الذكر و مباشرة الرياضة و كثرة الأعمال .

---

22 التقييد بارباب العبودية - نسخة

23 التخليق- نسخة

24 الجذبة- نسخة

فبالجملة ان للصحبة فوائد كثيرة لا يمكن احصائها بالتفصيل و الإجمال لان احكام النبوة و اسرار الولاية و آداب العبودية و الكمالات الإنسانية كلها انما تستفاد من صحبة أهل الكمال والمقارنة بارباب المقامات و الأحوال لان الله تعالى اجرى عادته في كشف الأسرار و افاضة الأحوال و اعطاء الكمال ان يجعل صحبة العارفين وسيلة اليها و سنة الواصلين واسطة لها, الا ترى ان النبي صلى الله عليه و سلم مع كونه عند الله اقرب المقربين و اكرم المكرمين انما اتصف باحكام النبوية و تحقق بآداب العبودية و تجمل بالكمالات الإنسانية بصحبة جبرائيل عليه السلام في ثلاثة و عشرين سنة و ان الصحابة رضي الله عنهم مع كونهم اكثر الناس فطانة و اوفر الخلق ذكوة انما اكتسبوا احكام الشريعة و آداب الطريقة و اسرار الحقيقة بصحبة النبي صلى الله عليه و سلم فلذلك نسبوا الى الصحبة, فالصحبة عند الصوفية من جملة الفرائض لان علم التصوف انما يكتسب من صحبة المشايخ الكاملين لا من مطالعة الكتب و الأسفار ولا من الرياضة في الليل و النهار, لان مطالعة الكتب لا يفيد في ذلك العلم الا الإطلاع على مناقب العارفين و احوالها ومحافظة العبارات و حكايتها و ان الرياضة من غير صحبة المشايخ وتربية الكاملين لا تورث الا الوسوسة والجزبرة و التلوين و الذبذبة فما يجد السالك في صحبة الشيخ الكامل في لحظة واحدة لا يجده بمطالعة الف كتاب ولا رياضات الف سنة لان الشيخ الكامل يتصرف في المريد بصحبة واحدة و

يوصله الى مرتبة المشاهدة التي لا يمكن الوصول اليها بوجه من الوجوه من غير صحبة ولا سيما الصحبة في الطريقة النقشبندية لان نسبتها العلية ملاقات[٢٥] بمجرد الصحبة لان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما صحب النبي صلى الله عليه وسلم في غار الهجرة تلقاها منه صلى الله عليه و سلم هناك بالصحبة فلذلك كانت الصحبة في هذه الطريقة العلية افيد من جميع طرق الوصول . قال خواجه بهاء الملة و الدين قدس سره العزيز طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية .

فاما كيفية الإستفاضة بالصحبة فهي ان المريد لا يسمع صحبة شيخ يستكشف من ورآء حكايتها تجليات الحق سبحانه و تعالى فتزول بها عنه الحجب المباينة و الصفات المخالفة و تحصل بين المريد و بين الشيخ قربة روحية و نسبة فطرية ثم لا يزال المريد في صحبة شيخه كذلك حتى يكون فانيا عن جميع صفاته و ذاته مستهلكا في صفات الشيخ و ذاته فحينئذ ينطبق في قلب المريد ما كان في قلب الشيخ من صور التجليات و صور الكمالات بطريق الإنعكاس و الإنتقاش لان القلوب كالمرايا الحسية ينعكس في بعضها ما كان في بعض الآخر من صور المعنوية اذا اخذت صفاتها فبعد ذلك يقوم المريد عن شيخه على البدلية و يكون عارفا بالله مثل شيخه .

25 لعله متلقات

ثم اعلم ان العارفين المسلكين قد أجمعوا على ان المريد الصادق اذا دخل في صحبة الشيخ الكامل بالإنقياد و التسليم انصبغ باطنه بانوار باطن الشيخ في اول قدم يضع فيها فلا يعود الى حالته الأولى . فمن دخل في صحبة الشيخ و لم ينصبغ باطنه بانواره ولم يحصل فيه حال من احواله ولم تندفع عنه الخواطر الكونية ولم يتلطف الكثافة العنصرية فليعلم انه ليس من ارباب الحال ولم يبلغ مبلغ الرجال فليترك صحبته لان صحبة الناقص تقطع السالك عن السلوك و تؤخره عن الصعود لان القلوب تأخذ حظها من الصحبة سواء كانت صحبة الناقصين او صحبة الكاملين و سواء قصدوا ذلك او لم يقصدوه فكذلك[٢٦] كان صحبة الأغيار عند الصوفية من المحظورات . قال مالك بن دينار صحبة الكلب احب الي من صحبة الرجل السوء لان صحبته تنسي الحق و مجالسته تميت القلوب .

الفصل الثاني في آداب صحبة المشايخ الصوفية التي تجب على المريد رعايتها .

اعلم انه لا بد لمن دخل في صحبة المشايخ الصوفية ان يراعي آداب صحبتهم و يحفظ حرمتهم لانهم جلساء الله و صحبتهم صحبة الله تعالى فمراعات آداب صحبة الله تعالى واجبةعلى كل احد .

[26] لعله فلذلك

قال في « نزهة المجالس » قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « من اراد الجلوس مع الله[27] فليجلس مع اهل التصوف » فيجب مراعات الآداب معهم في كل حال . فمن تأدب معهم فقد فاز بالفوز الجميل و من ترك الآداب معهم فقد ضل عن سواء السبيل . فال الشيخ جنيد قدس الله سره من جالس مع هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الإيمان وابتلاه الله تعالى بالمقت .

ثم اعلم ان آداب صحبة المشايخ كثيرة و في ذكرها في هذا المختصر عسيرة لكن ذكرت بعضها منها, فمن يراعيها يستغني عن جميعها :

فمنها انه لا بد للمريد قبل الدخول في صحبة شيخه ان يغتسل و يتوضأ لان الطهارة تزيد الإفاضة و تكثرها, و ان يتوب عن ذنوبه و كل خلق مذموم, و ان يجرد قلبه عن العلوم و القيود, و ان يدخل عنده بعد الإذن بالتواضع و التذلل و اطراق الرأس, و ان يسلم عليه بقلبه لا بلسانه, و ان يقبل يده اليمنى و يقهقر الى ورائه و يقف قائما عند الباب, وان أمره الشيخ بالجلوس فليجلس حيث أمره فيه, و ان لا يطأ سجادة الشيخ عند تقبيل يده بل يطويها او يمشي على ركبتيه, و ان لا يدخل في قلبه الخواطر عنده لان الخواطر متى تدخل

[27] و المراد من الجلوس مع الله تعالى هو جالس مع رجل رابط قلبه الى الله مع الذكر و العبادات. و لا يدخل غيره الى قلبه و من توقره لعبادته و صلاح تقواه توقره الله مع هذا الرجل و يعززه في الدنيا و الآخرة لا حقيقة الجلوس و المراد الحياء و الادب الى من استحيى من الله تعالى

و المراد من اصحاب الصحبة رجل عابد رابط قلبه الى الله بان يتأمل مع ذكره قدر العزة و الخلق من العدم الى الوجود و اعطاء انواع النعم لبني آدم و احسان الايمان بالطف و الكرم و احسان الطاعة الى عباده العاجزة بالعبادة اللائقة الى شأنه بان يقول ما عبدناك حق عبادتك يا معبود و ما شكرناك حق شكرك يا مشكور و غير ذلك.

تنعكس الى قلب الشيخ فيتأذى بها, و ان لا تحدث نفسه بالخروج من عنده بل يلزم عليه اذا دخل عند الشيخ ان ينوي بعدم الخروج من عنده .

وان لا يبدأ الكلام الا باذنه و ان سأله الشيخ عن شيئ فليجب بمقدار ما سأل عنه و ان لا يطول الجواب و ان سأل الشيخ مسئلة فلا يطلب منه الجواب فاذا اجاب فليأخذ الجواب و الا فلا ينتظر منه الجواب, و ان لا يرفع صوته بالكلام و ليخفض الى حد ما يسمعه الشيخ .

و ان لا يطيل النظر الى وجهه لان ذلك ينافي الآدب ويسقط هيبة الشيخ عن قلبه فينقطع عن الإستفاضة, و ان يكون بين يدي الشيخ كاللص بين يدي سلطان محتشم, و ان لا يتغير قلبه عن الشيخ اذا نقصه[٢٨] او شتمه عند اصحابه .

و ان باسط مع الشيخ فليحذر فربما يكره ذلك, و ان يرى نفسه عند الشيخ في غاية الافلاس حتى يكون محل رحمته و شفقته, و ان لا ينظر عنده الى شيئ من اهله وماله, لانه متى نظر شيئا منهما لا يرى فائدة الصحبة .

و ان لا يتعرض على شيخه لو صدر عنه ما يخالف ظاهر الشيخ[٢٩] و ان لم يقدر على توفيق كلامه فليقل هو أعلم بمراده و ليتذكر قصة الخضر مع

---

[28] في نسخة- نفضه
[29] الشرع عله

موسى عليهما الصلاة و السلام, ولا يخالف في امر اصلا ولو امره بإلقاء نفسه في النار لان عدم الفلاح من عدم امتثال امر الشيخ .

وان لا يؤول كلام الشيخ في المواجيد و الحقائق و ليحمله على ظاهره و ليسارع الى ما ندبه اليه وان كان مخالفا للنقول, لان الشيوخ لا يتقيدوا بالنقول .

وان يستمع كلامه بالإستقبال اليه بوجهه و القبول منه بقلبه و ليتأمل في اشارته و رموزاته حتى يطلع على المراد من الكلام لان من لم يستمع كلام شيخه بالإقبال و القبول خرج نور الإقتداء من قلبه, و ان لا يرد كلام الشيخ بكلامه ولو كان الحق في يده لان فيه نقض العهود .

وان لا يقول له لم لان فيه اعتراضا عليه, وان يعتقد انه من اولياء الله وانه محفوظ عن الخلاف, وان لا يعتقد فيه العصمة لإمكان صدور المعصية من الأولياء, وان يعتقد انه افضل المشايخ و طريقته افضل الطرق لانه اذا لم يعتقد كذلك تميل نفسه الى شيخ آخر و يتشوق الى طريقة أخرى فينقطع عن الإستفاضة عنه و اذا دخل في صحبة الشيخ و حصل له حال فليحفظه حتى يكون له ذلك ملكة . وان حصل له حال آخر احسن من الأول فليترك الأول وليحفظ الثاني و ان لم يقدر على حفظه فزال عنه فليرجع الى صحبته مرة ثانية ليعود اليه ذلك الحال او حال آخر فلا بد للمريد ان يحفظ جميع الأحوال الحاصلة من صحبة الشيخ حتى يصير صاحب الأحوال و يصل الى

مقامات الكمال . و ان لا يكثر التردد عند الشيخ, و ان لا يدخل في صحبته الا باقتضآء احكام السلوك و دخوله . وان لا يطيل الجلوس عنده لانه ينافي المحبة و يزيل الهيبة و يقطع الإستفاضة . وان يحترز عن الإطلاع على احوال الشيخ من قيامه و قعوده و أكله و شربه و عبادته و مجاهدته و غير ذلك لان الإطلاع عليها يؤدي المريد الى تنقيص شيخه . وان لا يكتم عن الشيخ ما يظهر له من الأحوال و الأذواق و الترقي و التنزل لان كتم المريد شيئا من احوال سلوكه عن الشيخ يقطعه عن السلوك و يمنعه عن الوصول و ان كشف له سرا من اسراره فلا يفشه ولو نشر بالمناشر . واذا اراد الخروج من عنده فاليستأذنه فاذا اذن له فليقبل يده و ركبته و ليخرج بالقهقرة ولا يول ظهره حتى يتوارى عنه بجدار او غيره ولا ينسى صحبته من حيث لفظها و معناها و ليعمل بما يقتضيه دلالتها و اشاراتها . فمن تأدب بهذه الآداب فقد ينتفع من الصحبة فتكون له صحبة موصلة الى الله و الا تكون الصحبة عليه مقتا و ضلالا .

الباب السادس فيه فصلان :

الفصل الأول في فائدة المحبة و احتياج المريد اليها في الإستفاضة و آداب المحبة . اعلم ان المحبة اعظم اركان هذه الطريقة العلية لان نسبتها

الخاصة متلقات بالمحبة لان ابا بكر الصديق رضي الله عنه انما تلقى هذه النسبة عن النبي صلى الله عليه و سلم بجذبة المحبة . ثم تسلسل تلقيها عن المشايخ كذلك فلذا سميت هذه الطريقة الجذبة لكون الجذبة سببا لحصول نسبتها الخاصة فلو لم تكن المحبة لم تحصل الجذبة ولو لم تكن الجذبة لم تحصل النسبة لان المحبة تسلب بلطائف صاحبها انانية المريد حتى تنفيه في شيخه بحيث لا يريد و لا يختار الا بارادة الشيخ و اختياره فحينئذ تجذب المحبة ما كان في الشيخ من المعارف الإلهية و التجليات الربانية الى المريد بالتدريج, فيقوم المريد عن شيخه على البدلية, لان المحبة كالمغناطيس تجذب صفة المحبوب الى المحب و تجعل احدهما مثل الآخر كما قال الشيخ سرى السقطي قدس سره العزيز : لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول احدهما للآخر يا انا . فلا بد في المريد من محبة الشيخ الذي يكون واسطة لمشاهدة الحق سبحانه و تعالى, لان الشيخ مرآة تجلي الحق فاذا احبه المريد بالمحبة الكاملة حتى فنى بها فيه تلك الحالة يشاهدها من غير واسطة الشيخ فيكون مظهرا لتجليات مثل شيخه .

فالحاصل ان المريد لا يقرب الى الله تعالى الا بمقدار قربه لشيخه و لا الى الشيخ الا بمقدار محبته له و لا يكون محبة الشيخ كافية في الوصول الى الله تعالى فلذلك كانت محبة هذه الطائفة عين الحقيقة .

ثم اعلم ان محبة الله تعالى على قسمين :

القسم الأول بغير واسطة المخلوق وهو محبة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و ارباب الجذبات الإلهية لان محبتهم من مقتضيات الذات الأحدية بسبب اختصاص الوحدة من غير واسطة المخلوقات ولا بواسطة الأسماء و الصفات .

و القسم الثاني بواسطة المخلوق وهو محبة سائر الأولياء لانهم انما وصلوا الى محبة الله تعالى بمحبتهم الأنبياء عليهم السلام, فكانت محبتهم للأنبياء عليهم السلام واسطة الى محبة الله فلو لم يكن لهم تلك المحبة لم تكن لهم محبة الله فلذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم : « احبوا من احب الله », و قال ايضا « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه و ماله وولده » و قال ابو العباس المرسي قدس سره : ان لم تقدر ان تحب الله فكن محبا لمحبه حتى تكون محبا له تعالى لان محبته توصل الى محبة الله تعالى و لكن تلك المحبة ايضا وهبية الالهية لا تدخل تحت الإكتساب لانها من التأليف الإلهي و التعطيف الرباني . كما قال الله تعالى : « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله الف بينهم » و التكليف في اكتسابها يؤدي الى التنافر و التباغض و ذلك إلحاد و زندقة .

واما آداب محبة المريد لشيخه فهي ان يجرد قلبه من محبة ما سوى الشيخ بحيث لا يرى على وجه الأرض احدا احب اليه من شيخه . و ان يطيعه في جميع ما يأمره . و ان لا يخالف في أمره أصلا . و ان لا يعمل عملا

يكرهه الشيخ و ليطلب رضاه في كل حال و ان يحفظه في الغيبة كما يحفظه في الحضور . و ان لا يتقدم عليه في كل حال من الأحوال و ليكن سلوكه في الظاهر و الباطن تبعا له, و ان يكون تحت تصرفه كالميت بحيث لا يسكن ولا يتحرك الا بتسكين الشيخ, و تحريكه . و ان يحب جميع من يحبه الشيخ و يبغض من يبغضه .و ان لا يجالس الا مع أصحاب الشيخ و أحبائه, و ان لا يجتمع مع شيخ آخر من الأحياء و الأموات . و ان يحفظ ما أعطاه الشيخ من القميص و العمامة و التاج و الخرقة و ليعظمها تعظيما للشيخ .

و ان لا يكثر زيارته و ان لا ينساه و ان لا يخرجه عن خواطره في كل حال, و ان يتذكر محاسن أخلاقه و كمال عرفانه و تربيته و تأدبه اياه و ان يهديه بعض الهدايا و ان لا يطلب منه غير تربيته و الإرشاد وان يعتقد انه احب عند الشيخ من جميع احبائه حتى من أولاده . وان يعتقد ان لا يوصله احد الى الله تعالى الا هو . فمن يراعي هذه الآداب و يتأدب بها يزداد في محبة شيخه حتى يكون بالمحبة فانيا في الشيخ فاذا فنى فيه تم الأمر .

الفصل الثاني في رابطة المريد مع الشيخ و آدابها .

اعلم ان الرابطة فرع المحبة فمن لم يكن فيه محبة لم تكن فيه رابطة فالرابطة مما تتوقف عليه الإستفاضة ولو قارن الخضر عليه السلام فالرابطة اصل الاصول لان جميع الأصول يحتاج الى الرابطة في ظهور خصائصها لا

سيما في هذه الطريقة لان جميع الإشتغال يحتاج اليها فلا يفيد شيئا منها الا بمقارنة الرابطة فلذلك سميت هذه الطريقة العلية **طريقة الرابطة** .

ثم اعلم ان الرابطة عند الصوفية اسم انتظار المريد بعين البصيرة الى روحانية الشيخ مع ميلان قلبه اليه بالمحبة الذاتية . و اما عند المشايخ النقشبندية فهي على نوعين :

النوع الأول عند حضور الشيخ فكيفية ذلك ان يتوجه المريد مع المحبة الذاتية الى قلب الشيخ بطريق التسليم له و الإستهلاك حتى يفنى عن جميع صفاته في صفات الشيخ فحينئذ يتصرف فيه الشيخ و يبلغه الى مرتبة الشهود و يوصله الى مقام حق اليقين من غير احتياج الى طريق آخر .

فالرابطة اقرب الطرق في الوصول الى الله تعالى لان الشيخ الكامل يمكن ان يتصرف في باطن المريد الصادق برابطة واحدة في مجلس واحد و يوصله الى الله تعالى فلا يحتاج بعد ذلك الى امر آخر و قد وقع هذه التصرف عن كثير من الخاجكان و غيرهم من المشايخ الكرام حتى قيل كان دأب السيد احمد البدوي قدس الله سره لما اتاه المريد ينظر اليه و يبلغه بنظرته في ذلك المجلس و يعطيه الخلافة في ذلك الوقت و يوصله الى بلدة لإرشاد الناس .

و النوع الثاني ان يكون عند غيبة الشيخ فكيفية ذلك على وجهين :

الوجه الاول ان يتصور المريد صورة الشيخ بين عينيه ثم يتوجه الى روحانية الشيخ في تلك الصورة و لا يزال عن التوجه اليها حتى يحصل له الغيبة ام اثر الجذبة .

و الوجه الثانى ان يتصور صورة الشيخ بين جنبيه ثم يتوجه الى روحانيته في تلك الصورة كذلك حتى يحصل له الغيبة او اثر الجذبة, فبعد حصول احد الأمرين في الوجهين يترك الرابطة و يشتغل بذلك الأمر الحاصل يعني بالغيبة ام الجذبة . و كلما زال عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود اليها ثانيا حتى يرجع اليه ذلك الحال فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته و صفاته في صورة الشيخ فعند ذلك يشاهد روحانيته مع كمالاته في صورته لان كمالاته لا تفارق الرحانية و تربية روحانية الشيخ بعد ذلك الى ان يوصله الى الله تعالى فيكون من الواصلين الكاملين . فالبرابطة يترقى المريد من الشيخ ولو كان احدهما في المشرق و الآخر في المغرب .

ثم اعلم ان الرابطة انما تفيد ان كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوة الولاية لان الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه و تعالى, فمن ينظر الى روحانيته بعين البصيرة يشهد[30] الحق فيها, فبالرابطة يستفيض الشيوخ عن الصبيان الكاملين و يستفيض الأحياء عن الأموات المتصرفين لان الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرف ولاية روحانية المفيض و يتصرف فيه

---

30 يشاهد- نسخة

الروحانية بولايته و تفيض فيه من الكمالات الإلهية و التجليات الربانية و تبلغه الى الحضرات العلية سواء كان المفيض حيا او ميتا و سواء عرف ذلك او لم يعرف .

ثم اعلم ان كيفية الرابطة مع الاموات ان يجرد المريد نفسه عن العلائق العنصرية و يطلق باطنه عن القيودات الطبعية و يعري قلبه عن العلوم و النقوش و الخواطر الكونية ثم يتصور روحانية ذلك الميت نورا مجردا عن الكيفيات المحسوسة و يحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت او حال من احواله لان روحانية الكاملين منبع الفيوضات الإلهية فمن أدخل المنبع في قلبه يناله فيض البتة .

و اما ان كانت الرابطة عند قبر ميت فلا بد ان يسلم على صاحب ذلك القبر, ثم يقف في طرف اليمين قريبا من رجليه و يضع يده اليمين على اليسرى فوق السرة و يطرق رأسه على صدره ثم يقرأ الفاتحة مرة و سورة الإخلاص احدى عشرة مرة و آية الكرسي مرة و يهب ثوابه لذلك الميت, ثم يجلس عنده و يتوجه الى روحانية ذلك الميت في القبر بطريقة الإستفاضة كذلك لقوله صلى الله علي و سلم « اذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من اهل القبور » اه . و من توجه من محله الى روحانية النبي صلى الله عليه و سلم في قبره الشريف في المدينة المنورة يستفيض منه و كذلك اذا توجه احد من محله الى روحانية الأولياء في قبورهم ينتفع بهم .

فالرابطة من غير توجه كافية في الاستفاضة . نعم اذا اجتمعت الرابطة مع التوجه فنور على نور لكن المدار على قوة الرابطة . فمن داوم عليها حصل له جميع احوال الطريقة و كمالات الحقيقة و من اختلت الرابطة انقطعت استفاضته و لم تحصل له احوال السلوك و لم يظهر له اسرار الوصول .

و اما آداب الرابطة فهي ان يعتقد المريد ان كمالات الشيخ لا يفارق الروحانية مع ان الروحانية ليست مقيدة بمكان دون مكان, ففي اي مكان يتصوره تحضر فيه روحانيته . و ان يعتقد ان تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه و تعالى, و ان يحفظ محبة شيخه و ان يراعي نسبته في كل حال و ان لا يترك الرابطة عند حصول بعض الاحوال قبل ان يتمكن فيه ذلك الحال, لانه ان ترك الرابطة تزول عنه ذلك الحال لان احوال الشيخ كالعارية عنده و ان يداوم على الرابطة في جميع الحالات ولا يفارقها أصلا .

ثم اعلم ان المريد انما يحتاج الى الرابطة ان لم يقدر على الإستفاضة من الله تعالى من غير واسطة, وان قدر عليها يجب عليه ان يترك الرابطة لان الإشتغال بالرابطة حينئذ اختيار التنزل على الترقي و ترجيح مرتبة الحجاب على مقام الشهود, فذلك اعراض عن[31] الله تعالى و لكن لا يترك محبة الشيخ و

[31] عند - نسخة

لا يترك نسبته لان حفظ المحبة و النسبة يزيد المشاهدة و يقرب السالك الى مقام الأنس و المحادثة .

و الخاتمة

في شرح الكلمات القدسية بالألفاظ الفارسية .

وهي احدى عشر كلمة يدل كل واحد منها على اصل من اصول الطريقة النقشبندية .

الكلمة الأولى هوش دردم . هوش بمعنى الفعل و در بمعنى في و دم بمعنى النفس فالمعنى المراد بها عندهم عقل السالك ينبغي ان يحفظ النفس عن الغفلة عند دخوله و خروجه ليكون قلبه حاضرا مع الله تعالى في جميع الأنفاس, لان حفظ الأنفاس عن الغفلات يؤدي القلب الى الحضور مع الله تعالى و حضور القلب مع الله تعالى في الانفاس إحيائها بالطاعات و ايصالها الى الله تعالى بالحياة, لان كل نفس يدخل و يخرج بالحضور فهو حي موصل الى الله تعالى و كل نفس يدخل و يخرج بالغفلة فهو ميت مقطوع عن الله

تعالى . و يجوز ان يكون كناية عن إنتباه الذاكر عن سنة الغفلة في حال الذكر لان المقصود من الذكر استمرار ملاحظة معناه و استمرار ملاحظة معنى الذكر يؤدي الى تجلي ذلك المعنى, و ذلك لا يمكن الا بحفظ الأنفاس عن الغفلات .

والحاصل ان هذا الامر لا يتم الا بحفظ الأنفاس لان حفظها يؤدي الى الحضور و الحضور سبب شهود تجليات الحق سبحانه و تعالى **لان لله تعالى تجليات** بعدد أنفاس الخلق فمن حفظ انفاسه عن الغفلات كان حاضرا مع الله تعالى فيصيب من تلك التجليات .

ثم اعلم ان حفظ الأنفاس عن الغفلات بالدوام عسير على السالكين فاذا دخلت الغفلة فيها فلا بد لهم ان يستغفروا الله تعالى عنها لان الاستغفار يزكي الأنفاس عن الغفلات و يتداركها بالحسنات .

و الكلمة الثانية نظر بر قدم بر بمعنى على فالمعنى المراد بها عندهم نظر السالك ينبغي ان يكون على قدميه عند المشي, لئلا ينظر الى الآفاق لان النظر اليها يورث الحجاب في القلب, لان اكثر الحجب في القلب هو الصور المرتسمة فيها من طريق النظر, او لئلا يشتغل عن الذكر بالنظر الى المبصرات فان الذاكر المبتدئ اذا تعلق نظره بالمبصرات اشتغل قلبه عن الذكر بالتفرقة الحاصلة بالنظر الى المبصرات لعدم قوته على حفظ القلب عن التفرقة

الحاصلة بتعلق النظر الى المبصرات, و لئلا ينظر الى وجوه الأغيار لان النظر في وجوه الاغبار عند الصوفية من المحظورات, لان القلوب الصافيات مثل المرايا الصقيلة ينطبع فيها ما كان في القلوب القاسية من الاخلاق الذميمة و الأفكار الفاسدة بمجرد النظر الى وجوه اصحابها او لئلا يصيب نظره الى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك, لان النظر سهم من سهام الشياطين فمن اصابه ذلك افتتن في طريق الله تعالى, فحينئذ ينبغي للسالك ان يغمض بصره بالنظر على قدميه لئلا يصيبه ذلك السهم و يجوز ان يكون كناية عن علو الهمة لان صاحب الهمة لا ينظر الى ما سوى الحق سبحانه و تعالى كصاحب السرعة في المشي, لانه لا ينظر الا على قدميه لئلا يخبط في مشيه . و يجوز ان يكون كناية عن التواضع لان اصحاب الكبر و التجبر لا ينظرون على اقدامهم . و يجوز ان يكون اشارة الى اتباع السنة في المشي لان النبي صلى الله تعالى عليه و سلم اذا مشى لم يلتفت يمينا و شمالا و كان ينظر على قدميه متوجها الى امامه مسرعا في مشيه كانما ينحط[٣٢] من صبب .

و الكلمة الثالثة سفر در وطن السفر عند العامة ذهاب الشخص من بلد الى بلد و الوطن ما يسكن فيه انسان من بيت او بلد فالمعنى المراد بها عندهم سفر السالك ينبغي ان يكون من عالم الخلق الى جناب الحق سبحانه و تعالى كما اشار اليه خليل الله تعالى عليه السلام « اني ذاهب الى ربي », او

32 في الاصل يخط

من حال الى حال احسن منه او من مقام الى مقام اعلى منه . كما قال ابو عثمان المغربي قدس الله روحه يجب على السالك ان يسافر من عند هواه او شهوته و مراده لا من بلد الى بلد فهذا السفر هو السفر الباطن .   و اما السفر الظاهري فهو ذهاب من بلد الى بلد . و انما اعتبر ارباب السلوك السفر الظاهري للوصول الى المرشد المربي فلما[٣٣] وصل اليه يجب عليه ان يسلم امره اليه و يقيم عنده و يترك السفر الظاهري حتى يقدر على السفر الباطني و يتم الإرادة . و كان الشيخ الترمذي قدس سره يمنع السالك عن السفر الظاهري و يقول مفتاح كل خير و مفتاح كل بركة الصبر في موضع ارادتك الى ان تصح لك الإرادة, فاذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت لك اوائل البركة فانت في السفر الى الله سواء تسافرت من حيث الظاهر او لم تسافر .

ثم اعلم ان المشايخ انما منعوا السالكين عن السفر الظاهري, لان فيه المشاق و المحن لا يتحملها اهل البدايات لعدم تمكنهم في مقام العبودية و الشهودية فتؤديهم تلك المشاق الى ارتكاب المخالفة في طريق السلوك و ترك الفرائض و السنن و تورث في قلوبهم التفرقة و تضييع اعمارهم بغير فائدة . قال الشيخ ابو بكر الدقاق **آفة المريد ثلاثة** : التزوج, و قرأة الفقه الذي لا حاجة به, و السفر قبل الكمال .

[33] فاذا- نسخة

و اما في النهاية فلا بأس عليهم في السفر الظاهري لانهم راسخون في مقام العبودية قادرون على تحمل المشاق و المحن فلا يرتكبون فيه المخالفة و لا يحصل في قلوبهم التفرقة بل تحصل لهم الترقيات الى الدرجة العاليات بسبب تحمل مشاق السفر و محنه كما كان[34] السلف الصالحون اذا استوطنت نفوسهم في محل و حصل لهم الإيتلاف مع الناس سافروا لرفع العادات و ترك الراحات و قطع الالفة[35] و اختيار الذلة لتحصل لهم التجرد التام حتى يصلوا الى اعلى مقام .

و الكلمة الرابعة خلوة دارانجمن الخلوة في اصطلاح الصوفية بيت معروف يتخلى فيه اهل السلوك للتعبد و انجمن جمعية الناس فالمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي ان يكون قلب السالك حاضرا مع الحق غائبا عن الخلق مع كونه بين الناس فحينئذ يكون هذه الكلمة بمعنى المراقبة و يجوز ان يكون كناية عن محادثة القلب بحيث لا يطلع عليها الناس مع كونه فيما بينهم و قيل انها كناية عن كون الذاكر مستغرقا في الذكر القلبي بحيث اذا دخل في السوق لم يسمع اصوات الناس بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب . و قيل انها كناية عن استيلاء النسبة العلية بحيث لا ينافيها معية الخلق ولا يضرها المعاملة معهم .

---

34 ان- نسخة
35 الآفات- نسخة

ثم اعلم أن الخلوة نوعان :**الاول** من حيث الظاهر و هي إختلاء السالك في بيت خال عن الناس و قعود فيه ليحصل له الإطلاع في عالم الملكوت و الشهود في عالم الجبروت, لان الحواس الظاهرة ان احتبست عن احكامها انطلقت الحواس الباطنة للمطالعة آيات الملكوت و مكاشفة اسرار الجبروت .

و النوع الثانى الخلوة من حيث الباطن في مشاهدة اسرار الحق و الظاهر في معاملة الخلق بحيث لا يشغله معاملة الظاهر عن مشاهدة الباطن فيكون الكائن البائن[٣٦] و هذه هي الخلوة الحقيقية كما اشار اليها الله تعالى في قوله « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله » و هذه الخلوة خاصة بالطريقة النقشبندية لان اربابها لا يختلون بالخلوة الظاهرة و انما خلوتهم من حيث الباطن عند جمعية الناس كما قال الخواجه بهآء الحق و الدين النقشبند قدس سره العزيز **طريقتنا في الصحبة و الخير في الجمعية** و انما اختاروا هذه الخلوة اتباعا بالسنة, لان النبي صلى الله عليه و سلم اختار الجمعية على الخلوة و قال « المؤمن الذى يخالط الناس و يصبر على آذاهم خير من المؤمن الذى لم يخالط الناس » و قال الشيخ ابو سعيد الخراز قدس سره ليس الكامل من صدر منه انواع الكرامات . و انما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع و يشتري معهم و يتزوج و يختلط بالناس و لا يغفل عن الله لحظة واحدة .

---

[36] الباطن- نسخة

و **الكلمة الخامسة يا دكرد ياد** بمعنى الذكر و كرد اصله كردن وهو مصدر سقطت نونه للتخفيف فالمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي للسالك ان يذكر النفي و الإثبات باللسان بعد وصوله الى مرتبة المراقبة كل يوم بعدد معين مثل خمسة آلاف او عشر آلاف او غير ذلك . وانما اشترطوا ذكر النفي و الإثيات باللسان في هذه المرتبة لان القلب بتعلقه بالعناصر يصدوا بصداء العناصر فاذا ذكر النفي و الإثبات باللسان يتجلى صداؤه و يترقى في المراقبة حتى يصل الى مرتبة المشاهدة . و قيل انها عبارة عن تكرار الذكر مع الدوام سواء كان بالقلب او باللسان و سواء كان اسم الذات او النفي و الإثبات الى ان حصل له الحضور في المذكور و يجوز ان يكون كناية عن ذكر الله تعالى مطلقا اذا حصل له النسيان عن ذكر الله و الغفلة كما قال الله « و اذكر ربك اذا نسيت » .

والكلمة السادسة باز كشت باز بمعنى الرجوع وكشت بالكاف الفارسي أصله كشتن وهومصدر سقطت نونه فالمراد بها عندهم أنه ينبغي للذاكر ان يرجع عند ذكر النفي والإثبات بعد إطلاق نفسه إلى تجلي هذه الكلمة الشريفة **"الهي انت مقصودي و رضاك مطلوبي"** وتخيل هذه الكلمة يؤكد معنى النفي والإثبات ويورث في قلب الذاكر سر التوحيد الحقيقي حتى يفني عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في مظاهر,فلذلك كانت الخاجكان النقشبندية يأمرون بها الذاكرين بها ليتصفوا

بمضمونها بالمداومة عليها لأن من خاصية هذه الكلمة ظهور سر التوحيد وانكشاف حقيقة التجريد والتفريد . وقيل إنها كناية عن رجوع الذاكرإلى الله تعالى عند الذكر بإظهار العجز والتقصير فيه لأنه لا يقدر احد على حق الذكر الا بإعانة الله تعالى ولهذا ورد « ما ذكرناك حق ذكرك يا مذكور » و إن الذاكر لا يمكن له الحضور في الذكر ولاينكشف له أسرار الذكر ولا يتيسر له الوصول الى الله تعالى بالذكر الا اذا كان ذكره به تعالى لا بنفسه فلذلك كانت كلمة باز كشت اشارة الى رجوع الذاكر الى الله تعالى حال ذكره ليحصل له الوصول بالذكر إلى المذكور عز وجل❋

والكلمة السابعة ناكاه داشت نكاه بمعنى الحفظ و داشت اصله داشتين وهو مصدر سقطت نونه فالمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي للذاكر ان يحفظ قلبه على ملاحظة معنى النفي و الإثبات لانه لو لم يحفظ قلبه على ملاحظة معنى النفي و الإثبات عند الذكر يدخل فيه الخواطر فان دخلت فيه الخواطر لا تحصل فيه نتيجة الذكر التي حضور القلب بالمذكور . و قيل معناها انه ينبغي للذاكر ان يحفظ قلبه عن دخول الخواطر فيه بمقدار ساعة او ساعتين او اقل او اكثر و هذا المعنى تجد بالوقوف القلبي .

ثم اعلم ان حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو بربع ساعة امر عظيم عند الصوفية لان من قدر على ذلك فقد تصوف لان التصوف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر و تعطيله عن الأفكار . **فمن قدر على هذين**

الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه و من عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربه كما قال النبي صلى الله عليه و سلم « **من عرف نفسه فقد عرف ربه** » . و قال الشيخ ابو بكر الكتابي قدس سره كنت بوابا على باب قلبي اربعين سنة و ما فتحته لغير الله حتى صار قلبي لم يعرف غير الحق سبحانه و تعالى . و قال بعضهم حرست قلبي عشر ليال ثم حرسني قلبي عشر سنة .

و الكلمة الثامنة يادداشت فالمراد بها عندهم انه ينبغي للذاكر ان يحفظ قلبه للحضور بالمذكور عند ذكر النفي و الإثبات بحبس النفس . وقيل هي كناية عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حال فحينئذ يتحد مع المراقبة . و قيل هي كناية عن حفظ القلب عند شهود التجلي الذاتي .

ثم اعلم ان الحضورات الحاصلة من الذكر و المراقبة و الصحبة و الرابطة و كلمة يادداشت متحدة من حيث الحقيقة لان الحضور شهود انوار الذات الأحدية لكنها مختلفة من حيث الكيف لا يعرف ذلك الاختلاف الا الخواص .

و الكلمة التاسعة الوقوف الزماني فالمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي للسالك ان يقف على زمانه بانه هل عبر بالحضور ام بالغفلة و اذا حصلت فيه الغفلة يردها عنه بالاستغفار و الرجوع الى الله تعالى و يثبت على الحضور فمن لم يقف على زمانه ولم يعط حقه من الحضور و الطاعات كان عمره

ضائعا في الغفلة و المعصية . فمن اجل ذلك الكرامات معرفة الأوقات لان معرفتها يحفظ العبد عن المخالفات و يشغله بما يقتضيه الأوقات من العبادات . و قيل انها كناية عن محاسبة الازمنة الماضية بانها هل مضت بالحضور و الطاعات ليشكر عليها او مضت بالغفلة و المعصية ليستغفر عنها و يتدارك الأزمنة الآتية بالحضور و الطاعات . فالسالك بالوقوف الزماني يتحقق بدوام العبودية و كمال المعرفة لان حقيقة العبودية تعمير الأوقات بالمحاسبات و غاية المعرفة دوام الحضور في جميع الأوقات .

و الكلمة العاشرة الوقوف العددي فالمعنى المراد بها عندهم انه ينبغي للذاكر ان يقف على العدد الوتر في ذكر النفي و الإثبات بحبس النفس مثل الثلاثة و الخمسة و السبعة الى احد و عشرين فاذا بلغ الوقوف على العدد الوتر الى هذه المرتبة نظر الى النتيجة فان لم تحصل عند بلوغ الوقوف الى هذه المرتبة فمن الخلاف الواقع في آداب الذكر و اتباع السنة فليعد الذاكر الى اول الأمر و ليراع الآداب و اتباع السنة .

ثم اعلم ان نسبة الطريقة النقشبندية انما وصلت الى الخاجكان عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه **بتلقين النفي و الإثبات باللسان** .

و اما الذكر القلبي على الكيفية المعروفة فانما وصل اليهم من الخضر عليه السلام لانه علم الذكر القلبي لعبد الخالق الغجدواني فمنه تسلسل الذكر

القلبي عندهم فنسبة الطريقة النقشبندية عن الصديق ابي بكر بتلقين الذكر اللسان . و الذكر القلبي عن الخضر عليه السلام, فليس حبس النفس و الوقوف على العدد الوتري شرطا في ذكر النفي و الإثبات بالقلب . و انما الشرط فيه نفي ما سوى الحق سبحانه و تعالى و هذا المعنى قد يحصل بالذكر القلبي من غير حبس النفس و غير الوقوف على العدد الوتري لكن فائدة حبس النفس حصول جمعية القلب و رفع الخواطر و زيادة تأثر الذاكر من الذكر .

و اما فائدة مراعات الوقوف على العدد الوتر لان الوتر يناسب معنى التوحيد فيتأكد معنى التوحيد به فان الله وتر يحب الوتر و ان النبي صلى الله عليه و سلم امر بالإيتار في كل شيئ و ليس بلوغ الوقوف الى احدى و عشرين شرطا في ظهور النتيجة ايضا لان ظهورها قد يكون في اقل الاوتار لكن نهاية مراتب ظهور النتيجة في هذه المرتبة . فلذلك قال الخواجه بهاء الدين قدس الله سره اذا بلغ الوقوف العددي الى احدى و عشرين تظهر اول المرتبة من مراتب العلم اللدني .

و الكلمة الاحدى عشر الوقوف القلبي و المعنى المراد بها عندهم انه ينبغي للذاكر ان يقف على قلبه عند الذكر ليرد عنه الغفلة و الخواطر[٣٧] لان القلب ما دام فيه شيئ من الغفلة و الخواطر لم يحصل فيه الحضور بالمذكورات ولو كان يذكر الله طول عمره . و قيل انها كناية عن حضور

[37] في نسخة- و ان لم يقف على قلبه عند الذكر

القلب مع الحق سبحانه و تعالى في كل حال فالوقوف القلبي بهذا المعنى يتحد مع المراقبة . و قيل انها كناية عن توجه السالك الى قلبه على الدوام ليحفظ عن الغفلة و الخواطر, فاذا داوم السالك على الوقوف القلبي و يشتغل بالغيبة حتى يحصل الفناء و اذا حصل فيه الفناء يتم الامر بهذا المعنى من الطرق الموصلة, حتى ان الذاكر اذا لم يتأثر قلبه عن الذكر يامر الشيخ بالوقوف القلبي فيتأثر باذن الله تعالى و ايضا اذا حصلت التفرقة في القلب و لم يقدر السالك على دفعها بطريق من الطرق و ليشتغل بالوقوف القلبي بهذا المعنى فانه تندفع عنه باذن الله تعالى .

و اما كيفية الإشتغال بالوقوف القلبي بهذا المعنى فهو ان يعطل السالك جميع حواسه و قواه عن احكامها, ثم يتوجه بالتوجه التام مع العزم و الإهتمام الى حقيقة قلبه في القلب الصنوبري تحت الثدي الأيسر و يستمر على التوجه التام من غير فتور و لا ذهول و لا يدخل في قلبه الخواطر من خير و شر حتى يرجع القلب الى صفته الأصلية و سيرته الذاتية و يتجرد عن الحجب الكونية و الظلمات العنصرية فيشاهد الحق سبحانه و تعالى بالمشاهدة التي كانت عليها من حيث الجبلية لان القلوب في خلقتها الأصلية كانت على مشاهدة الحق سبحانه و تعالى لكن بسبب تعلقاتها بالأبدان حجبت عن المشاهدة الأصلية . فاذا انقطعت عن تعلقات الأبدان رجعت الى صفاتها الأصلية ولا تزال بعد ذلك عن تلك الصفة . قال الشيخ ابو حفص قدس الله

سره حرست قلبي عشرين ليلة ثم حرسني قلبي عشرين سنة ثم وردت حاله فصرنا فيها محروسين جميعا .

و صلى الله تعالى و سلم على سيدنا و مولانا محمد وآله وصحبه اجمعين و الذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين

و الحمد لله رب العالمين .

تم في 5 من ربيع الآخر سنة 1326 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قد فتحا ❊ ابواب رشد للهدى قد منحا

ثم الصلاة و السلام سرمدا ❊ على النبي الهاشمي احمدا

و آله و صحبه الاماجد ❊ هم بينوا مسالك المقاصد

و بعد قد قال الفقير الخالدي ❊ المقتدي بخير خلق الواحد

خير الورى الداعي الى الارشاد ❊ فاتبعه تلك مسلك السداد

بقوله و فعله المأثور ❊ و اتبع طريق صاحب المشهور

اعني ابا بكر الامام الهادي ❊ صديقه المرشد للعباد

و قد نظمت صاح في الطريقة ❊ ارجوزة اقوالها وثيقة

سميتها كفاية المريد ❊ في آداب الموفق السعيد

شروطها صمت و جوع و سهر ❊ ذكر مدام و اعتزال عن بشر

و نقي خاطر و دم على الطهر ❊ و رابطة بين المساء و البكر

آدابها كثيرة شهيرة ❊ يعقلها من كان ذا بصيرة

اقسامها ثلاثة قالوها ❊ بمرشد و رفقة رووها

و آداب النفس بأن يحميها ❊ من المعاصي كي لا تغويها

و خالف النفس الى الممات ❊ كذلك الشيطان ذا الآفات

و ازهد عن الدنيا و حب الجاه ❊ و الحسد المذموم و الملاهي

كذا الهوى يقلعه عن فكره ❊ و يحرق القلب بنار ذكر

بداية المرء السعيد المحرقة ❊ تهذيبا لأخلاق فهي المشرقة

و في الحديث **سددوا و قاربوا** ❊ و في العزيز **و الذين جاهدوا**

و آداب المريد مع إخوانه ❊ يحفظ ما يعثر من لسانه

يحبهم جميعا بالمودة ❊ و كلهم جماعة ممدة

يبدأ في حاجاتهم على التي ❊ تخصه من شدة المحبة

و ليشهد الفضل لهم عليه ❊ ان غرض بدا لهم لديه

يخدمهم جميعا في السفر ❊ و يستديم ودهم في الحضر

و كن لهم في كل خير ساعى ❊ و ودهم و عرضهم فراعى

و ان اسآؤا فاصنع الجميلا ❊ فلا تقم عليهم بالدليلا

و لا تطالب من اذاك متهموا ❊ فاصفح عن الجاني كذا و عنهموا

و افتح باب التأويل ان قالوا ❊ فانهم للحق شاهدوه

دع الجدال معهم ثم المرا ❊ فمن يجادل سار سيرا لقهقرا

و كن اديبا ابدا لا يعترض ❊ فتنطرد من بينهم و تندحض

اطمع لمن ولى عليك المرشد ❊ و لا تقل لي حسب و سودد

قد صح ان المصطفى خير البشر ❊ ولى اُسامة حينا على عمر

و آداب المريد بالشيخ الولى ❊ يكون كالميت عند الغاسل

او كالرفيق الدائم للقرب ❊ و ليستمرن له في الحب

و الصدق ثم الاعتقاد الدائم ❊ ولا يكن عن وده بنائم

يخدمه بالنفس ثم المال * ولا يحقر امره بحال

يقدم الشيخ على ابيه * و امه و الاخ مع بنيه

و لا يقل مالي و لا عيالي * و لا حياتي بل لا اتصالي

فهو ابو روحي كذا ايماني * اما ابا الجسم فذاك الفاني

وهو الذي يسوقني للباقي * و قد سقاني خمرة الخلاق

و قد حماني سرمدا من العدا * اورثني ملكا يدوم ابدا

فحقه على في البكور * ادعو له في الليل و السحور

زخيرتي تبقى ليوم صعبي * واسطة بيني و بين ربي

سلكني في سلك اهل الخير * و قد حماني عن وقوع الضير

جميع ما أملك في حياتي * فهو له كذا بعد مماتي

فلا ازع عما رأيت من اربه * فان قربي ابدا في قربه

فان أردت الرشد فاقتفيه * ففي الصلاة ابدا ساويه

الّا بنفل فلتكن ورائه * كذا يمشي و لا تكن حذائه

و كن ذليلا صاغرا لديه * و لا تقدم هاجما عليه

احسن جميع الاعتقاد فيه * و احذر كلام العنف ان تبديه

او ترفع الصوت اذا ما قد حضر * فقد نهى عن ذاك خالق البشر

فالشيخ كالرسول في التعظيم * وهو خليفة النبي الكريم

لا تعقد النكاح من زوجاته * لا بأس ان نكحت من بناته

بل يستحب ان تكن يتيمة ❊ دليل ذا فاطمة الكريمة

فان فعلت فلتكن كالعبد ❊ لها دواما بتمام الود

و لا تنم له على سجادة ❊ الا اذا جرت بذاك العادة

لا تأكل الطعام الا اذا ❊ دعاك خلى يرتفع عنك الا ذا

و ان اردتم عليه الدخول ❊ فاستأذن للرضآء و القبول

متى استشكل الرضاء دعه ❊ او قال قولا يا فتى فاسمعه

ان من قشور العلم او من لبه ❊ و اخدم عسى ان تدخلن في قلبه

متى تجلى ربه عليه ❊ يراك فيه حاضرا لديه

و لا تقل لما اذا نهاكا ❊ و انته و اصبر الصبر لذاك

فللمربي نظر في التربية ❊ لعل ذا يكون منه تروية

و دم عل الحب ولو قد زجرك ❊ فانه في قلبه لن يهجرك

و انف للفكرة مع الخواطر ❊ و كن لديه مثل زهر ناضر

و الضحك دعه و كذا المخاصمة ❊ كذاك قول الزور و المحاكمة

فاجلس اذا يا صاح في حضرته ❊ مثل مصل دام في هيئته

و لا تكلم احدا آذاكا ❊ لو قريبا و ان يكن اخاكا

و هذه الآداب بعض ما وجب ❊ على المريد المستطاب المنتخب

وهي التي توصله للرتب ❊ بنسبة فوق نسب الآدب

و للمقامات التي فوق العلى ❊ مرجعها التواصل الى الولى

مراقبا للواحد المتعالي ❊ في حبه يبقى كالثوب البالي

يفني الصفات منه في مولاه ❊ يرضى بما الله له يرضاه

هناك نفسه صارت رضية ❊ و طاب فعله و كذا النية

و صار قابلا الى الارشاد ❊ و دانى بالنفع الى العباد

خاتمة

فالمرشد الفريد ❊ العالم ما يحتاجه المريد

من فقه او عقائد التوحيد❊ و في الحديث المتقن السديد

و في الطريق عارفا سلوكها ❊ و للنفوس عالما شكوكها

و ان يكون ناصحا عفيفا ❊ ذا همة في حاله لطيفا

و ان يكون غاضبا لله ❊ ينهى عن المغاني و الملاهي

و ان وجدت هذه الشروط ❊ فاتبع و كن في فعله منوطا

و احمد المولى الكريم الباري ❊ و صل دائما على المختار

و آله و حزبه اهل الوفى ❊ و صحبه و صحبهم و قد كفى

هذه رسالة العارف الناظم الفاضل الكامل مولانا الشيخ احمد بن سليمان النقشبندي الخالدي المحمودي الأحمدي الرافعي الخلوتي الشاذلي القادري رفع الله درجته و احشرنا و اياه في زمرة الأنبياء و الصديقين . آمين .

كيفية ذكر طريقة النقشبندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده و صلى الله و سلم على رسوله و عبده و على آله و صحبه من بعده .

اما بعد : فهذا كيفية ذكر القلب باسم الذات او النفي و الإثبات عند طائفة النقشبنديين الأحمديين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

و كيفية الأولى ان يجلس الذاكر مفترشا او متوركا مستقبل القبلة غاضا بصره و ان يكون متوضأ لكن هذه ليست شروطا للذكر بل هي شروط كمال و ان يجعل قلبه خاليا عن ما سوى الله تعالى مستحضرا صورة شيخه الزكية امامه بكمال الآدب معه, و يسمى هذا عندهم بالرابطة . و يتوجه بكليته الى القلب الصنوبري الذي هو و ذكر القلب محقيقي الذي هو من عالم الأمر يعني نشأ من امره المفهوم من قوله جل و على « **اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون** » و القلب الصنوبري من عالم الخلق المفهوم من قوله تعالى « **الله الذي خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة ايام** » ثم يمر على قلب اللفظ المبارك **"الله الله"** بالخيال الصرف من غير ان يتحرك عضو من اعضائه سوى المسبحة التي يحرك بها السبحة و ينطق بلسان قلبه بهذا اللفظ الخطير و يلاحظ معناه من غير تمثيل ولا تصوير وهو الذات المتصفة بصفات الكمالات المنزهة عن جميع النقائص المسمى بهذا الإسم . و بعد كل مائة او مئتين او أكثر يقول بلسان الخيال بكمال التضرع و الخشوع **الهي انت مقصودي و رضاك مطلوبي أعطني محبتك و معرفتك** .

ثم يرجع الى الذكر و هكذا حتى يفرغ من القدر الذي اراده و ينبغي ان يستغرق اوقاته بالذكر, حتى يرى الأثر سريعا و ليحفظ قلبه من هجوم الخواطر . فان الخواطر اذا تركت في القلب و تمكنت لا تخرج الا بمشقة شديدة فليجتهد في دفعها عن القلب بدوام التوجه اليه و توجه القلب الى الذات الأقدس الموجب لدوام الحضور . فاذا جرى الذكر فيه و امر الشيخ بالإشتغال بالذكر في لطيفة أخرى فليشتغل به فيها .

و اللطائف الموضوعة في الإنسان سبعة و كلها محل الذكر :

الأولى لطيفة القلب و موضعها تحت الثدي الأيسر بفاصلة أصبعين مائلا الى الجنب .

و الثانية لطيفة الروح و موضعها تحت الثدي الأيمن بفاصلة أصبعين مائلا الى الجنب .

و الثالثة لطيفة السر و موضعها فوق الثدي الأيسر بفاصلة أصبعين مائلا الى الصدر .

و الرابعة لطيفة الخفي و موضعها فوق الثدي الأيمن بفاصلة أصبعين مائلا الى الصدر .

و الخامسة لطيفة الأخفى و موضعها وسط الصدر .

و السادسة لطيفة النفس و موضعها وسط الجبهة .

و السابعة لطيفة القالب و موضعها جميع البدن . و يسمى الذكر فيها عندهم سلطان الأذكار, لان الذكر فيها اذا ادامه الذاكر[1] يجري بطبعه الى منبت كل شعرة و الى لحمة و دمه من غير احتياج الى تحريك السبحة حتى يكون بحيث لو تكلف في منع الذكر و الحضور من القلب لا يمتنعان . و اقل الذكر في اليوم و الليلة خمسة آلاف لمن يشتغل في القلب فقط .

و اما من اشتغل في جميع اللطائف فاقله الف في كل لطيفة في اليوم و الليلة فان كمل خمسا و عشرين الفا في اليوم و الليلة فهو أحسن لانه موجب لسرعة جريان الذكر في اللطائف و موجب لدوام حضور القلب مع الله تعالى ايضا . فاذا جرى الذكر في جميع اللطائف و علم الشيخ كيفية مراقبة الأحدية فليشتغل بها . و هي عبارة عن انتظار ورود الفيض من الذات المتصفة بصفات الكمالات المنزهة عن جميع النقائص على لطيفة القلب .

و كيفيتها ككيفية الذكر الا انه هنا لا يذكر و لا يحرك السبحة بل يدع قلبه خاليا عن ما سوى الله تعالى و ينظر ورود الفيض من ذاك الجناب قلبه فاذا وصل الى مراقبة الأحدية دخل وقت ذكر النفي و الإثبات و كيفية العمل به ان يحبس النفس تحت سرته و يلصق لسانه باللهات

---

[1] في نسخة- الذكر

و يقول بلسان الخيال **"لا اله الا الله"** مادا بكلمة **"لا"** من السرة الى الدماغ و نازلا بكلمة **"اله"** من الدماغ الى الكتف الأيمن و يأتي بكلمة **"الا الله"** من الكتف الأيمن الى القلب الصنوبري الذي تقدم ذكر موضعه و نفس هذا المجموع في صورة لا المعكوسة هكذا . و يلاحظ معناه بان **لا معبود الا الله** او **لا موجود الا الله** او **لا مقصود الا الله** . فاذا ضاق النفس أطلقه قائلا بالخيال **محمد رسول الله** . ثم يحبس النفس ثانيا و يذكر على سنن ما سبق و لا يطلق النفس الا في الوتر فيقولها اولا في نفس واحد ثلاثا و يفعلها اياما . فاذا اعتاد من غير تعب يديرها اثنين فيقولها خمسا في نفس ثم يديرها اثنين كذلك و هكذا يزيد اثنين اثنين بعد الإعتياد الى ان بلغ في نفس واحد احدى و عشرين مرة فلا يزيد بعد ذلك . و هذا الذكر مفيد لدفع الخواطر من القلب و تهذيب الأخلاق و حصول التأوه و الذوق و الشوق و الحرارة في الباطن, و الإستغراق في المراقبة بالشروط المذكورة, فاذا بلغ الى احدى و عشرين مرة في نفس واحد و لم يحصل له آثار و لا فائدة من فوائده المذكورة فليعلم ان عمله فاسد فليستأنف من اوله مراعيا هذه الشروط, و ان يلاحظ حين النفي ما سوى الله تعالى حتى نفسه و حين الإثبات اثبات وجود الحق سبحانه و تعالى . فاذا حصل في المراقبة الأحدية الإستغراق ساعة او ساعتين و الحضور مع الأحد من غير مزاحمة الأغيار امر الشيخ بالإشتغال بالمراقبة المعية المفهوم من قوله جل و على « **وهو معكم اينما كنتم** », فيشتغل بها . وهي عبارة عن ملاحظة انتظار ورود الفيض من الذات التي هي معه و مع كل ذرة من ذرات العالم معية لا كيفية لها الى لطيفة القلب ايضا و تهليل اللسان بان يقول **"لا اله الا الله"** باللسان مع رعاية المعنى كما تقدّم موجب للترقي في هذا المقام .

و ينبغي للمريد ان لا يترك التوسل الى الله تعالى بالمشايخ الكرام في اليوم و الليلة مرة, و في الليل و بعد التهجد افضل, و ان لم يقدر ففي الأسبوع مرة, لا سيما عند وجود الحاجة عند الله تعالى, سواء كانت لجلب المنافع او لدفع الشدائد . و ذلك بان يقرأ الفاتحة مرة, و قل هو الله احد ثلاث مرات, و يهدي ثوابها الى روح سيد المرسلين و شفيع المذنبين سيدنا محمد و الصحابة و التابعين و الى ارواح المشايخ النقشبنديين الأحمديين, بان يقول : **أوصل اللهم ثواب ما قرأته الى**

روح سيد المرسلين و شفيع المذنبين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه اجمعين, ثم الى ارواح آبائه و إخوانه من الأنبياء و المرسلين و الملائكة المرقبين و جميع اولياء الله الصالحين خصوصا الى ارواح ساداتنا النقشبنديين الأحمديين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين, الهي أسئلك باسمك الأعظم و بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و بجاه سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه هكذا الى آخر السلسلة .

تم بيد الكاتب هطنو محمد المجدي

النّور الساطع والبرهان القاطع

تصنيف

العلامة الشيخ محمّد بن محمّد حسن بن حمزة بن ظافر المدني « ت1321هـ »

ترجمة المصنّف

هو الشيخ الإمام العلامة الفقيه الصوفي الشاذلي سيدي محمّد بن محمّد حسن بن حمزة ظافر الطرابلسي ، المدني ، المالكي .

ولد في مسراتة بطرابلس الغرب سنة 1244هـ .

توفي سنة 1321هـ وسكن المدينة واستقرّ شيخا لزاوية الشاذلية بالقسطنطينية وتوفي بها .

ومن تآليفه :

- الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية .
- النور الساطع والبرهان القاطع « هذا الكتاب »
- الرحلة الظاهرية
- أقرب الوسائل في شرح منتخبات الرسائل للدرقاوي [1]

[1] انظر معجم المؤلّفين (207/11) ، معجم المطبوعات لسركيس (1255/2) .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله الّذي خَلَقَ الْخَلْقَ بقدرتِه ، ودَبَّرَهم بحكمتِه ، وشرَّفهم بعبادتِه وطاعتِه ؛ فقال عزّ من قائل : « **وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون** » [الذاريات : 56] ، فسبحان من إلهٍ تجلّى بجماله ، وتردّى برداء كبرياء عظمته وجلاله ، وتقدّس بأسمائه ، وتنزَّهَ في علوِّ سَمائِه ، لا يُسْأَلُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْأَلُون ، اختصّ من شاءَ لمحبّتِه ، وفَتَحَ بصائرَهم لموارد أسرارِ

حضْرَتِه ، وأفنى نفوسَهم في شهود عظمتِه ، فأشرقتْ قلوبُهم بأنوارِ شمْسِ فَرْدانيتِه « **وهم في ما اشتهت أنفسُهم خالدون** » [الأنبياء : 102] .

والصّلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم مَظْهَرِ أسرارِه ، ومَرْكَزِ أنوارِه ، خاتَمِ رُسُلِه وأنبيائِه ، صلاةً تُرْضيكَ وتُرْضيه وتَرْضى بها عنّا لنكونَ من الّذين لا خوفَ عليهِمْ ولا هم يَحْزَنُون ، وعلى آلِه وأصحابِه نُجُومِ الْهُدَى وأئمّةِ الاقتداءِ والتّابعينَ ، ومن تَبِعَهُمْ بإحْسانٍ إلى يَوْمِ يُبْعَثون .

وبعد : فيقولُ أفقرُ الْوَرَى و خادمُ الفقراءِ محمّدُ ابن الأستاذ محمّد حسن بن حمزة ظافر المدني ، عامله الله بلطفِه الخفيِّ ، وأَسْبَغَ عليه نعمَه الوفية ، وحَفَّه بإمداد الحضرةِ القُدْسِية :

لما رأيتُ الطّريقة قد انتشرتْ ، وأحوالَ المريدين في السلوك اتّسعتْ ، وهمّةَ العامّةِ عن إدراكِ حقيقتِها قصرت . . أردتُ أن أبيِّن – إن شاء الله تعالى – أحوالَ هذه الطريقةِ المدنيّةِ التي هي فَرْعٌ من الطّريقةِ الشّاذليةِ العليّة زيادةً في إيضاحِ سلوكِها وتجديداً وتمريناً للسّالكين وتمهيداً برسالةٍ مختصرةٍ جامعةٍ لأدلّةٍ مرضيةٍ ، وبراهينَ قاطعةٍ قويّةٍ ، وسَمَّيْتُها : « **النّور الساطع ، والبرهان القاطع** » راجياً من اللهِ تعالى أن ينوِّرَ بها قلوبَ المريدين ويجعلَها خالصةً لوجهِه الكريمِ ، آمين .

فأقولُ واللهُ المستعانُ ، مُسْتَمِداً من فيْضِ بحْرِ عطائِه استخراجَ الدُّرَرِ الْحِسانِ : إنّ مَبْنَى أساسِ هذه الطريقةِ على تَقْوَى اللهِ العظيم ، واتّباعِ ما أُمِرَ بِهِ على لسانِ نبيِّهِ الكريمِ ؛ كما قال عزّ من قائل : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » [الحشر : 7] .

وهي متلقّاةٌ عن مشايخِ سادات ذوي معارف وكمالات بطريق التَّسَلْسُلِ إلى فَخْرِ الكائنات عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التّسليماتِ بأسانيدَ مسطورةٍ محفوظةٍ مشهورةٍ .

أحببتُ أن أذكرَ السندَ في الأوّلِ تبرُّكاً وتيمُّناً ، وليرتاحَ المريدُ ؛ لحصول النّجاحِ آمِناً مطمئِنّاً سِرّاً وعَلَناً مُؤَمِّلاً من الله بحرمتِهم القبولَ ، إنّه أكْرَمُ مسؤولٍ .

اعلم أنّي قد تلقّيتُ هذه الطريقةَ الشّريفةَ عن والدي - رحمه الله تعالى - وهو تلقّاها عن سيدي ومولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحَسَني عن سيدي علي الجمل العمراني الحسني عن سيدي العربي عن والده سيدي أحمد بن عبد الله الفاسي عن سيدي قاسم الحصاصي عن سيدي محمّد بن عبد الله الفاسي عن سيدي عبد الرحمن العارف بالله عن سيدي يوسف الفاسي عن سيدي عبد الرحمن المجذوب عن سيدي علي الصنهاجي المكنّى بـ « الدوار » عن سيدي إبراهيم إفحام عن قطب العارفين أحمد زروق عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي عن سيدي يحيى الفادري عن سيدي علي بن وفا عن والده سيدي محمّد بحر الصفا عن سيدي داود بن باخلا عن تاج الدين سيدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري ، عن سيدي أبي العباس المرسي عن البدر الطالع والنور الساطع القطب الغوث الفرد الجامع سيدي أبي الحسن الشاذلي – قدّس سرّه – عن القطب سيدي عبد السلام بن مشيش ، عن سيدي عبد الرحمن الحسني الزيات المدني عن سيدي تقي الدين الفقير – بالتصغير فيهما – عن سيدي أبي الحسن علي نور الدين عن سيدي تاج الدين عن سيدي محمّد شمس الدين التركي عن سيدي زين الدين القزويني عن سيدي أبي إسحاق إبراهيم البصري عن سيدي أبي القاسم أحمد المرواني عن القطب سعيد عن القطب سعد عن سيدي أبي محمّد فتح السعود عن القطب سعيد الغزواني عن سيدي أبي محمّد جابر عن سيّدنا الحسن السبط عن والده سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه عن فخر الكائناتِ وأشرف كلّ المخلوقاتِ عليه وعلى آلِه الكرامِ وأصحابِه وأتباعِه أفضل الصّلاة وأكمل السّلام .

وقد نَظَمَ بعضُ المريدين المُنْتَمين الصّادقين أسماءَ هؤلاءِ السّاداتِ ذوي الكرماتِ الباهراتِ على سبيل التبرّكِ والاختصارِ ؛ ليسهل حفظُها على الإخوان الأخيارِ مُبْتَدئاً من حضرة الرّسالة مختتِماً بخادِمِ هذه السُّلالَةِ .

فقال : كان الله له :

أشفيعُنا[2] لعلي حسنكَ جابِر ** وسَعيدُ فَتْحِ سُعُودِ سَعْدِك زاهِرُ

وسعيدُ المروانِي بصرِي زَيْنِ ال ** تُّرْكي وتاج نورٍ فَخْرٌ باهِرُ

وفُقَيْر الزيّاتِ وابن مشيشٍ ** والشّاذليُّ المرسِي عطاءٌ وافرُ

داودُ بَحْرِ صَفَا الوفَا يحيى ابن ** عقبةَ أحمدُ إبراهيمُ ثمَّ الدائرُ

مجذُوبُ يوسفَ عارفٌ بمحمّدٍ ** خصاص أحمدَ تجلُّهُ لكَ ناصرُ

وعليَّ والعربيُّ ولأحْسَنِ العُلَا ** ومحمّدُ الْأوْصافِ فَرْدٌ ظافرُ

[أحوال المريد مع الشيخ]

ثمّ إنّه لا يتمُّ حالُ المريدِ فيها إلا بصُحْبَةِ شيخٍ عارِفٍ متحقِّقٍ بسرّ السِرِّ ولطائفِ العوارفِ ، وهو شرْطٌ من الشّروطِ ؛ كما قيل : لولا الواسطةُ لذَهَبَ الموسوطُ ، ويكون عالماً متشرّعاً ، زاهداً متورّعاً ذا همّة عليّة ، وأخلاق نبوية ، جامعاً للعلمين راسخةً قدمُه في الحضرتيْنِ ، فيصحبه بنيّةٍ صالحةٍ ، وعزيمةٍ ناجحةٍ ، ويجمَعُ قَلْبَه عليه ، ويكون كالميّت بين يديه لا يتردّد في كَماله ولا يَعْتَرِضُ على أحوالِهِ بل يسلُكُ معه سبيل التّسليم ، والمعاملة بالإجلالِ والتّعظيمِ ؛ لتجري إليه مجاري الأمدادِ ، ويحصُلَ بذلك على المرادِ .

وقد سألت الوالد – رحمه الله تعالى – عن الصُّحبة ؟ فقال : تنقسم إلى قسمين : تبرّكٍ ووصولٍ .

أمّا التبرّك . . فيكون بمجرّد الانتسابِ والمحبّةِ ولو من غير ملازمة . وأما الوصولُ . . فلا يكون إلا بالصّحبة الحقيقية التي أشار إليها سيدي عبد الكريم الجيلي[3] في « منظومته العينية » بقوله :

---

[2] هكذا في الطّبعة المصرية ، ونسخة الشيخ محمد عارف أفندي القحي قدّس سرّه ، وفي طبعة دار الآفاق العربية : أشفعنا .

وإن ساعَد المقدورُ أو ساقَك الْقَضا * إلى شيخِ حقٍّ في الحقيقة بارِع

فقُمْ في رِضاه واتَّبِعْ لمرادِهِ * ودَعْ كلَّ ما مِن قبْلُ كُنْتَ تُصَانِعُ

وكُنْ عندَه كالميتِ عند مُغْسِّل * يقلّبه ما شاءَ وهو مطاوِع

لا تعترضْ فيما جهلْتَ من أمره * عليه فإنَّ الاعتراضَ تنازُعُ

وسلِّمْ له فيما تراه ولو يكُنْ ** على غير مشروعٍ فثمّ مُخادِع

ففي قصَّةِ الخضر الكريم كفايةٌ * بقتْلِ غلامٍ والكليمُ يدافِعُ

فلما أضاءَ الصُّبْحُ عن ليل سرِّه * وسلَّ حُسَاماً للمحاجِجِ قاطِعُ

أقام لهُ العذرَ الكليمُ وإنّه * كذلك عِلْمُ الْقومِ فيه بَدائِعُ

والحاصل أنّ الإرادةَ من الروابطِ الأكيدةِ بين المريدِ والشيخِ في هذه الطريقةِ فإذا اختلّت إرادتُه اخْتَلَّ نظامُ صِدْقِه وانحلّتْ عزائمُ قلبِهِ عن صدقِ التوجّهِ لربّهِ ؛ لأنّ الشيخ بابُ اللهِ تعالى ولا وصولَ إلى اللهِ تعالى إلا من بابِهِ .

ولذا قال سيدي مصطفى البكري[4] :

والزمْ بابَ الأستاذِ تفُزْ * وتكُنْ بذاكَ خَلَّ نَجَا

---

[3] هو عبد الكريم بن إبراهيم بن محمّد عبد الكريم بن خليفة بن أحمد وهو من ذريّة عبد القادر الجيلاني ، ويلقبه البعض بالجيلي والبعض بالجيلان أو الكيلان نسبة جيلان ، وهو جيلان منطقة فارسية تقع جنوب بحر الخرز وشمال جبال البرز وتحدها من الشرق طبرستان ، ولد ببغداد سنة (767 هـ) ، أخذ عن شرف الدين الجبرتي وغيره ، ومن معاصريه: خواجه بهاء الدين محمّد بن الشاه نقشبند التقى به واستفاد منه ، مؤلّفاته : «الإنسان الكامل» ، و«المناظرة الإلهية» ، وتوفي : سنة (826- 805 هـ) . «أعلام العرب عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية» ، ليوسف زيدان .

[4] هو كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري الأستاذ الكبير والعارف الرباني الشهير ، ومن مؤلّفات: أرجوزة في الشمائل ، والتواصي بالصبر والحق ، وشرح القصيدة المنفرجة ، توفي : سنة (1162 هـ). «الأعلام » ، للزركلي : 190/4 .

قال تاج الدين سيّدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري في « الحكم » : « سبحان من لم يجعل الدليلَ على أوليائه إلا من حيثُ الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصل إليه » ، فصار الوصولُ إليهم من علماتِ السّعادةِ وحصولُ النّفع بهم لمن اجتباه وأراده ؛ لأنّهم قد خُصُّوا بالكمالِ وأوْدعُوا من الولايةِ سرّاً مكلّلا بتاج الجمال .

وفي « لطائف المنن » لسيدي ابن عطاء الله تعالى ما نصّه : إنّما يكون الاقتداءُ بوليّ دَلَّك اللهُ عليه وأطلعَك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهودَ بشريتِه في وجود خصوصيتِه فألقيت إليه القيادَ فسلك بك سبيلَ الرَّشادِ يعرِّفُك برعوناتِ نفسك في كمائنِها ودقائقِها ويدلُّك على الجمْعِ على الله تعالى ويعلِّمُك الفرارَ عما سوى اللهِ تعالى ويسايرُكَ في طريقِك حتى تصلَ إلى اللهِ تعالى انتهى .

فمن ذلك يُعْلَمُ أنّ شهود البشريةِ من القواطعِ الكليّةِ ولذا ينبغي أن يراه بعين الكمالِ وأنّه محفوظٌ من الزيغِ والضلالِ ، ولا يعتقد فيه العصمة التي هي خاصة بمقام النبوّةِ والرسالةِ بل هو عبد من عباد الله تعالى أقامه الله تعالى ؛ لإرشاد خلقه بطريق الدلالة على قَدَمِ صاحب الرّسالة .

ولما أن كان هذا الشيخُ المرشدُ له قوّة كاملةٌ في التصرّفِ بإذن الله تعالى فيُحْيِي قلبَ المريد بنظرةٍ ويقطع عنه المددَ في لحظةٍ حفظنا اللهُ تعالى ينبغي للمريد أن يراعيَ أوقاتَه معه بحسْنِ الأدبِ والتجمّلِ بالصِّدق في الطلبِ ويتركَ لاختياره اختيارَه ويخلعَ في حبّه عذارَه ولا يعترض عليه فيما يراه مخالِفا أطوارَه .

ولله درّ الشريشي[5] حيث قال :

ولا تعترضْ يوماً عليه فإنّه ** كفيلٌ بتشتيت المريدِ على هجرِ

ومن يعترضْ والعلم عنه بمُعزلٍ ** يرى النّقصَ في عين الكمالِ ولا يدرِي

---

[5] أبو العباس، تاج الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي، الشريشي السلوي مالكي، ولد سنة (581هـ) ، أخذ التصوّف عن أبي حفص السهروردي واشتهر بقصيدة له في التصوف رائية سماها: «أنوار السرائر وسرائر الأنوار» ، توفي: سنة (641 هـ). «الأعلام» ، للزركلي: 219/1 .

ومن لم يوافقْ شيخَه في اعتقادِه ** يظلُّ من الإنكار في لهب الجمرِ

ومن لم يكنْ سلبُ الإرادة وصفَه ** فلا يطمعنَّ في شمِّ رائحة الفَقْرِ

فذُو العقلِ لا يرضى سواه وإن نَأَى ** عن الحقِّ نأى الَّليلَ عن واضحِ الْفجرِ

حُكِي عن بعضِ المشايخِ أنّه أتاه رُجُلٌ ، وقال له : يا سيّدي ! أعطِنِي وِرْداً ؟ فلم يجبْهُ لعذرٍ مَنَعَهُ عن إجابتِه في الوقتِ ، فألحَّ المريدُ في سؤالِه ، فقال : نعطيك البصل ، فظنّ المريد أنّ الشيخ لقَّنه ذلك ، فتلقّاه بقلْبٍ صافٍ ، واعتقادٍ كاملٍ وافٍ وصار يذكُرُ : البصلُ البصلُ ، حتى وَصَلَ وفَتَحَ اللهُ عليه في الحالِ ببركةِ ذلك الامتثالِ .

فانظرْ دواعيَ المحبّةِ كيف حملتْهُ على صدْق طلبِه في معرفة ربِّه حتى خَلَقَ جِلْبابَ الحياءِ عمّا سوى الله تعالى ، وأعطى التوجّهَ حقَّه فنال فوق ما يتمنّاه ، فهكذا ينبغي التّمسّكُ بأذيال أهلِ الهوى ، وهُمْ شهداءُ المحبّةِ أهلِ التّمكينِ والواصلون الخاصّة من أربابِ اليقينِ .

ولله دَرُّ سُلْطان العاشقين سيّدي عمر بن الفارض[٦] حيث قال :

تمسّكْ بأذيالِ الْهَوَى واخلَعْ الحياءَ وخلِّ سبيل النّاسكين وإن جَلَوْا

وقُلْ لقتيل الحبِّ وفّيت حقّه وللمدّعي هيهات ما الكحلُ الكحلُ

وممّا ينبغي للمريد عند انتظامِه في سلْكِ أهل الطريق وإقدامه على عهد أرباب العناية والتوفيق : أن يتيقّن أنّ ذلك العهد هو عهد الله بدليل قوله تعالى :إنّ الذين يبابعونك إنّما يبايعون الله [الفتح : 10] .

---

[6] شرف الدين أبو الحسن عمر بن الفارض على بن المرشد بن علي ، المصري ولد سنة (576 هـ) ، قال البلقيني: (العارف المحب ، المنعوت بالشرف صاحب الديوان المعروف الفائق ، والشعر الرائق .. ، ونسب إلى الاتّحاد ، وأوَّل عاين مقامه في منازل العارفين فاستبشر، ونسب إلى الصّلاح والخير والتجريد) ، توفي : في جمادى الأولى سنة (632 هـ). «طبقات الأولياء» ،لابن الملقن الشافعي 465/1 .

وأن يكون الوفاء نصب عينيه بياتا ومقيلا ؛ لقوله عزّ من قائل : « **وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولا** » [الإسراء : 34] فعند ذلك يتقدّم للشيخ بنية صافية ، وعقيدة وافية بحيث لا يرى في عصره أكمل من شيخه .

كما قال سيّدي أحمد الشريشي في قصيدته :

ولا تقدّمنّ قبل اعتقادك أنّه * مربٍّ ولا أولى بها منه في العصر

فإنّ رقيب الالتفات لغيره * يقول لمحبوب السراية لا تسر

فإذا صار من الأصحابِ ولَزِمَ الأعتابَ ووَقَفَ بالبابِ كالبوّابِ وخَضَعَ لذلك الجناب ومرغ وجنتيه على التراب وشمّر عن ساق الجدّ في تعاطي الأسبابِ وتحقّق أنّه من الطّلاب نُودِي من خلف الحجابِ : عليك بالثّبات إيّاك والالتفات ، فكلُّ مَنْ سار وَصَلَ ومَنْ لَزِمَ البابَ دَخَلَ .

ولرابعة العدوية رحمها الله تعالى :

الزمِ البابَ إن أردتَ الوِصالا ** واهجرِ النّومَ إن عشقتَ الجمالا

واجْعَلِ الرُّوحَ منك أوّل نقد ** في حبيب أنواره تتلألأ

جلُّهم يعبدون من خوف نار ** ويروْنَ النجاةَ حظّا جزيلا

أو بأن يسْكُنُوا الجنانَ فيضحوا ** في رِياضِ ويشربوا السلسبيلا

ليس لي في الجنانِ والنّار رأي ** أنا لا أبتغي بحبّي بديلا

إن تخللتَ مسلك الرّوح منّي ** ولذا سمّي الخليلُ خليلا

فإن فهم الخطابَ وسمِعَ وأجاب ورَجَعَ إلى اللهِ تعالى وأنابَ واستعدَّ لمنادمة ذلك الجنابِ كي ينجليَ فؤادُه بجمالِهِ وينتعش بقرْبه ووصالِه أنْشَدَ بلسان حاله :

قُمْ يا نديمي إلى المدامة واسقِنا ** خمراً تنور بِشُرْبِها الأرواحُ

فيناديه إذ ذاك سَاقَ الملاحَ يحي على الفلاحِ ادْخُلْ أنا السّاقي والطّبيبُ الواقي الرّاقي فيدخُلُ فإذا هو بإخوانِ أخدان ليس فيهم خوان وندامى ليس فيهم ندمان تَدُورُ عليهم كؤُوسِ الصّفا من رحيق الوفا المختوم بالعرفانِ والمدد ختامه يَنْعَشُ الروحُ والجسدُ ويشاهِدُ صورَ تجلّي الجمالِ في نُعُوتِ الْكمالِ فيطيشُ من ذلك عقله ويَنْدهِشُ لُبُّهُ فيناديه منادى القبولِ ولسانُ حالِهِ يقول :

اخلعْ عذارَك ما عليك جُناحُ ** فالحبُّ في حكْمِ الهَوَى فَضّاحُ

واشْرُبْ إذا دارت عليك مدامةُ ** تَصْفُوا بصُفْوَةِ راحها الأرواحُ

ما مازجت قلب امرأٍ إلا بدا ** من نورِ صفوتِها له مِصْباح

بظُهُورِها ظهرت لنا سُبُلُ الْهُدَى ** وبنورِها يَبْدُو لنا الإصباحُ

فيخلع عند ذلك العذارَ ويرفُضُ الوساوسَ والأفكارَ ويجثّ على ركبتيه ويقبّل الكريمتين يديه ويتّخذُه واسطة إلى المولى الكريمِ : « **واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ** » [البقرة : 213] .

ذكر تلقين العهد وما ينبغي للمريد أن يفعل قبله وبعده

ينبغي لكلِّ مريدٍ إذ أراد أخذَ العهدِ أن يتوبَ من الذنوبِ نادماً على ما وَقعَ منه من المعاصي والعيوب عازماً على اجتنابِ المناهي والابتداعِ محافِظاً على سنّة اللهِ وسنّةِ رسولِه ما استطاعَ .

فيجْلِسُ أمامَ أستاذِه بانكسارٍ وأدبٍ معظّماً له بفؤادٍ خالٍ عن الشّبهات والرّيب متوجِّها بقلبِه وكليتِه إليه متلقّيا بالقبولِ ما يلقّيه عليه فيصافح شيخه ؛ لأن المصافحةَ سنّةٌ سنيّةٌ متلقّاة

بطريق التّسلسلِ عن خير البريّةِ – صلّى الله عليه وأصحابه وأتباعه وأحبابه ، وقد عدّها الأشياخُ في الأركان لتلقّي الخلفِ عن السّلفِ لها عن سيّد الأكوان .

وعند وضعِ اليدِ باليدِ يتلُو الأستاذُ آيتي العهْدِ وهما قوله تعالى : « **وأوفوا بعهد الله إذا عادتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** » [النحل : 92] ، وقوله تعالى : « **إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه الله أجرا عظيما** » [الفتح : 10] ثمّ يلقّنه الوردَ المبارك وهو : أستغفر الله مائة مرة ، اللهم صلّ على سيّدنا محمّد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم مائة مرة ، لا إله إلا الله مائة مرّة ويختمها بقوله : سيدنا محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرة واحدة ، وذلك مرّة في الصباح ومرّة في المساء ؛ لأنه الواسطة في تأكيد الرابطة .

فإن تفرّس فيه الأهليةَ يأمُره بلبْسِ الخرقةِ البهيةِ وهي جُبّة من صوفٍ مرقّعة قد صارت لهذه الطريقة شعاراً ولمريديها دثاراً يلبسُونها للمتجرّدِ في بدايته ؛ لتتمرّن نفسه على المجاهدة والزّهد والمخالفةِ ولكلّ طريقة علامة وزيّ مخصوص مبيّن عندهم وعليه منصوص .

ثمّ يَأمُرُهُ بالتّقوى ومراقبةِ اللهِ في السّرّ والنّجوى والإكثارِ من ذكر اللهِ في الخلواتِ والجلواتِ والمحافظةِ على الصّلواتِ في الأوقاتِ بالجماعاتِ وترك ما لا يعنيه والفرار مما عن مولاه يلهيه والتمسّكِ بما يقرّبه منه كنوافلِ الخيراتِ وإكثارِ الأذكارِ والطّاعاتِ وامتزاجِهِ مع إخوانِهِ مزاحمتهم فيما به علوُّ شأنِه وأن يتحلّى بعقد مكارمِ الأخلاقِ الفريدِ الذي نوّر حالَ كلِّ مريدٍ فإن تهذّبت منه الأخلاقُ وشدّ للخدمة النطاق وانشرح للذكر قلبُه واطمأنّ به لبُّه . . يلقّنه حينئذ الذّكرَ الخاصَّ المقصور على الخواصّ ؛ لأنّ ذاكره يحتاج إلى استعدادٍ كبيرٍ وتخلّ عن كلّ ما يشغلُه من جليلٍ وحقيرٍ مع مخالفة هواه ومفارقة ما يهواه وتقليله من لغو الكلام والأكل والشرب ؛ ليقلّ نومُه ويخفّ بدنُه فيسهل عليه القيامُ والتهجّدُ والنّاس نيام .

ويكون في حالة الذّكر طاهر البدن والثياب على وضوء مستقبل القبلة حاضرَ القلب مع الله تعالى الحضور التامّ مستوحشاً من الخلق مستأنساً بالحقّ سائراً بالصّدق مخلصاً في أعماله إخلاصا كاملا لمولاه لا يريد بها سواه صارفا همّته في الوصول غاضّا نظره عمّا سواه وهو المأمول مشمرّا عن ساق الجدّ ولسان الحال قد أنشد :

يا ليل طُلْ أو لا تَطُلْ ** لا بدّ لي أن أسهرَكَ

لو بات عندي قمري ** ما بتّ أرعى قمرك

ويتحلّى بطُولِ السَّيْرِ وما في المناجاة من اللذات ، ويمرّن نفسَه بأنواع المجاهدةِ على الطاعاتِ .

قد قال أستاذ والدنا مولاي العربي الدرقاوي[7] رضي الله عنه : لا تستعجلوا الفتح كما استعجله من استعجله ففاته بذلك فتح الطريقة وخيرها وسرّها وبركتها ونعيمها ؛ لأن من أراد اقتطاف الشيء قبل إبّانه ، عوقب بحرمانه انتهى .

فإن تمكّن قدمه في السير إلى الله تعالى وتهذّبت أخلاقه وطابت أعراقه وتقوت روحانيته وضعفت بشريته كان روحانيا برزخيّا قابلا للتجلّي متدرّبا في طريق الترقّي والتدلّي متوجها بكمال الاستعداد والإقبال لإجابة نداء : يا عبدي فارق نفسك وتعال .

فإن فهم العبارة ، ووعى التلويح والإشارة ازداد غراما على غرام وهياما على هيام ولاح له مقام فقال : أنا من أهوى ومن أهوى أنا فأجابه لسان الحال :

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانيا ** ولم تفن ما لم تجتلّي فيك صورتي

---

[7] أبو عبد الله الدرقاوي الحسني العربيّ (أو محمد العربيّ) بن أحمد ابن الحسين بن علي، وتفقه وتصوّف بفاس ، ولد سنة (1150 هـ) هو أوّل من نشر الطريقة الدرقاوية في المغرب ، وله رسائل في التصوف، وتوفي: (1239هـ) .
«الأعلام» : 233/4 .

فعلم أنّ وراء ذلك مقاما فسار واستشرفه فأدهشه الحيرة ويا لها من حيرة قد أدهشت العقول وفي المعنى أقول :

فوا حيرة حيران من سكرة الهوى ** و واعجبا أن فاق من سكرة الحبّ

حيرة تاه بها عن الملك والملكوت وفني عن شهود عالم الناسوت في معالم الجبروت وانمحى هناك اسمه واندرس رسمه وبقي هو هو لا هو فاحتار في حيرته بذاتها وغاب عن إدراك حقيقة صفاتها .

ولله درّ سيدي ابن الفارض حيث قال :

وما احترتُ حتى اخترتُ حبيبَك مذهباً ** فواحيرتي إن لم تكن فيك حيرتي

ولما أن بلغتِ الحيرةُ منه ما بلغت لمعت بوارقُ أنوار الوصالِ وسطعت وسمع بشير التهاني قد أعلن بالنداء : « **إنّ هدى الله هو الهدى** » [البقرة : 120] أفقْ من حيرتِك وانتبهْ من دهشتِك فهذا مَحَطُّ رِحالِ السائرين ، أقبلْ ولا تخفْ إنّك من الآمنين ففرِح بتلك الْبُشْرَى والتفتُّ يمنةً ويُسْرَى فرأى عند ذلك ما رأى : « **ما كذب الفؤادُ ما رأى** » [النجم : 11] الأبواب قد فتحت والسُّتُور قد رفعت .

وقيل له : إنّ هذه حضرة المقرّبين : ادخلوا بسلام آمنين [الحجر : 46] فدخل الحضرةَ وراقت الحيرةُ وشاهد ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ فطَرَبَ ومَالَ .

وفي المعني قال :

سَمِحَتْ ليلى بوصْلٍ ** رفعت دوني السُّتُور

وسقتني من رحيق ** نور كاسات الخمور

وانثنت تَرْنُو بطرف ** أدعج والوجه نور

وأرتني ما أرتني ** ظاهر خافي الظهور

من يذق يدري وحقا ** يتهني بالحضور

فتنعمْ بالوصال وشاهدْ أنوارَ الجمالِ ، وقرّت عيناه بمعاينة أسرار تلكِ اللّطائف في رياضِ جنّاتِ المعارفِ وسَكن منه إذ ذاك الفؤادُ وطابَ عيشُه مذ بلَغ المرادُ ، وحَطَّ رحاله ببابِ العُبُودِيّة مُؤَدّياً ما وجَبَ عليه من الفرائضِ والسُّنِ السَّنّيّةِ مُعْطياً كلّ ذي حقٍّ حقَّه لا يغلِب فرقُه جمعَه ولا جمعُه فرقَه قد تردّى بالكمالِ واتَّزرَ بالجمالِ وانفردَ بالخصوصيّةِ التي من خصّ بها صار إماماً للسّالكين وقدوةً للمقتدين فإن شاء الله تعالى بعد ذلك أحيا به عبادَه وجعلَه واسطةً ودليلاً وإن شاء سَتَرَه عنهم ورزقَه من الاستقامةِ حظّاً جزيلاً ، وهذا شذى عنبرة خلاصة السّير الحميد .

وسأبيِّنُ لَكَ ما لا بدّ منه لكلّ مريدٍ ؛ لأنّ للطّريقة آداباً ينبغي مراعاتُها وعدمُ التّساهلِ فيها ؛ لأنّها الأسبابُ المُعِينةُ له على بلوغ مطلوبِه وحصولِ مرغوبِه .

فمنها : مراعاةُ الأوقاتِ ، وتعميرُها بأنواع الطاعاتِ ؛ لأنّ لكلِّ وقتٍ أعمالاً وآداباً تخصُّه يلزم المريدَ أن يراعيها وعلى أصولِها المطلوبة يجريها وذلك **كتأدية الصلوات المكتوبة في الجماعات والتفقّه في الدين** فقد قال صلّى الله عليه وسلّم : « **من يرد الله به خيرا يفقّه في الدين** »[8] .

وحضورُ مجلسِ الوعظ ، والاجتماعُ على الذكرِ والمذاكرةِ في أصول الطريقة ، وأسباب التوفيق ، والامتزاج مع الإخوان ، وعدم التميّز عنهم في الأكل والزيّ والنوم ، ومنافستهم في القرباتِ وأنواع الطاعات والاعتناء بخدمتهم ، وعدم العدول عن صحبتهم لما فيها من صفاءِ عيشتِه .

كما قال سيدي أبو مدين الغوث في قصيدته :

---

[8] رواه البخاري (69) ، ومسلم (1719) .

ما لذّةُ العيشِ إلا صحبة الفقراء ** هم السّلاطين والسّادات والأمرا

فاصحبْهُمْ وتأدَّبْ في مجالسِهم ** وخلّ حظّك مهما قَدَّمُوك ورا

واستغنمِ الوقتَ واحضرْ دائما مَعَهمْ ** واعلمْ بأنّ الرّضا يخصّ مَنْ حَضَرَا

مع استجلاب قلوبهم ، وموافقتهم على مطلوبهم ، وتجلّيهم ، واحترامهم ، وتعظيمهم ، وإكرامهم ، ونظره إليهم بعين الكمال وأنّهم محفوظون من النّقصِ والزّيغِ والضّلالِ .

قال بعضُ المريدين لأستاذِه : متى نصِلُ مقامَكَ يا سيّدي فقال له : حتى يصير أقلُّ إخوانك الفقراء عندكَ بمنزلتي .

يُشيرُ إلى أنّ تعظيمَ مقام المريدين واسطةُ انتظامِ هذا العقدِ الثَّمينِ وأن يتعرّض لنفحاتِ اللهِ تعالى كما قال أستاذ والدنا مولاي العربي الدرقاوي رحمه الله تعالى : تعرّضُوا لنفحاتِ ربّكم ولا تعجزُوا ولا تكسلوا ؛ لئلا يفوتكم ما فات جُلُّ النّاس ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

منها ؛ التعرّضُ للأفعالِ التي تُنْتِجُ له نصيحةَ إخوانِه ليكون على بصيرةٍ من عيوبِ نفسِه وأن يتّخذ منهم خليلاً يحكمُهُ في نفسه ليُساعِده في السّير ويبصره بعيوبِه ويدلُّه على سبيلِ الخيرِ .

ومنها ؛ عَدَمُ الإنكارِ على أستاذِه وإخوانِه فيما يَقَعُ منهم من الأفعالِ المخالفةِ لطبْعِه بل يحملُها على محملِ الكمالِ فلربّما يكونُ ذلك امتحاناً له في صدقِهِ وثباتِهِ واختباراً لحقائقِ حالاتِه كما وقع لكثيرٍ من المريدين فمنهم من أخذ الله بيدِهِ فرَجَعَ وانْتَفَعَ ومنهم من انقطعت به الأسبابُ وانسدّتْ دونه الأبوابِ فتاهَ عن[9] طريقِ الصّوابِ ومَنَعَ عمّا فيه شَرْعُ حَفِظَنَا الله تعالى .

ومنها ؛ امتثالُه أمرَ أستاذِه وتلقّيه بالرّضا والتّسليم ، وانقيادُه له بقلبٍ سليمٍ ؛ لأن من قال لشيخِه : لم ؟ لا يفلح أبدا ، فلا بدّ من الرابطة القلبية والفناء فيه بالإخلاصِ وصدق النيّةِ بحيث لا يرى سواه ؛ لأنّه الواسطةُ بينه وبين اللهِ تعالى فيَلْزَمُهُ أن يؤثِّرَه على كلِّ شيءٍ ولا يؤثّر عليه شيئاً

---

[9] نسخة- على طريق الصواب

، وأن يفديه بماله و ولده و والديه و روحه التي بين جنبيه ، وأن يرجعَ إليه في المهمّاتِ ولا يكْتُمَ عنه شيئاً من الخطراتِ والوارداتِ وألا يهتمَّ بأمر معيشته ، ولا ما يتعلّق بأحوال بشريته إن كان متجرّدا من الأسباب في حضرته بل يكون فارغ الفؤاد على قدم الجدّ والاجتهاد مع دوام الاستعداد لتلقّي الفيوضات والإمداد ؛ لأنّ أستاذه قائم بمؤنته ، وما يتعلّق بضرورته وإن كان متسببا أي : من أهل الأسباب ، فليكثر الذهاب والإياب ويتطفل على الأعتابِ ويلزم بقلبه الباب ليسلك طريق الصّواب ويلزم الثبات ويتعرّض للنفحات ويستمطر المدد والفيوضات لتشمله البركاتُ وتحفّه العناياتُ وينال ما ناله أهلُ التّجريد من الزّيادة في الكمالاتِ .

ومنها : علوُّ همّتِه في طلَبِ المعالى واستخراج فرائد اللآلئ من بحر فيضِ الكريمِ المتعالي على قدر طاقته فقد ورد : « إنّ الله تعالى ينزل العبد على قدر همّته » .

ومنها ؛ عدم التشوّق إلى المقامات والتشوّق إلى مراتبِ أهلِ الكشف وأصحاب خوارق العادات باطّلاعِهم على المغيبات ؛ لأنّ ذلك كلَّه فضولٌ مبتذلٌ عند أرباب الوصولِ ورحمه الله من قال :

ولا تلتفتْ في السّير غيراً وكلُّ ما ** سوى الله غير فاتّخذْ ذكرَه حِصْنا

ومهما تَرَى كلَّ المراتبِ تجتلي ** عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

وقُلْ ليس لي في غيرِ ذاتك مطلبُ ** فلا صورة َتجلّى ولا طرفة تجني

ومنها ؛ علوُّ الهمّةِ عن الخلقِ ، والتركُ لما في أيديهم ، وعدمُ التّشوّف إليهم وقطع النّظر عنهم بحيث لا يقبَلُ منهم إلا ما أتاه من غير تشوُّفٍ ولا سؤالٍ كما في الموطأ : « إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أرسلَ إلى عمر بن الخطابِ بعطاء فردَّه عمرُ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : لم رددته ؟ فقال : يا رسولَ الله أليس أخبرتَنا أنّ خيراً لأحدنا ألّا يأخُذَ من أحدٍ شيئاً ؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّما ذلك عن المسألةِ فأمّا ما كان من غير مسألة . .

فإنّما هو رِزْقٌ يرزقكُه اللهُ فقال : عمر بن الخطاب : أما والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذتُه »[١٠] انتهى .

ومنها ؛ أن يتورّع في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه بتركِ الشَّهواتِ وعدمِ الدُّخُولِ فيما لا يعني ولو في المباحات ؛ لأنّ الورع أوّلُ الزّهد .

وفي « قوت القلوب » لأبي طالب محمّد بن علي المكّي ما نصّه :قلت لأبي عبد الله : رجل سقطت منه ورقةٌ فيها أحاديثُ فوائد فأخذتها ترى أن أنسخها وأسمعها ؟ قال : لا إلا بإذن صاحبها .انتهى

وقال سيّدنا الصدّيق رضي الله عنه : كنّا نَدَعُ سبعين باباً من الحلال مخافةَ أن نقَعَ في بابٍ من الحرام .

ومنها ؛ الزُّهْدُ فينبغي أن يزهَد في الحلالِ فضلاً عن الحرامِ والمكروه والمشبوه فإنّ الزهدَ في الحرام واجبٌ وفي الحلال فضيلةٌ فإذا زهَد في الحلالِ فالحرامُ من باب أولى وأحرى .

ولذا ردّ إبراهيم التّيمي خمسين ألف درهم دفعت له فسئل عن ذلك فقال : أكرَهُ أن أمحَو اسمي من ديوان الفقراء بخمسين ألفا .

وكان السّلفُ الصّالح يقول : نعمةُ اللهِ علينا فيما صرف عنّا من الدّنيا أعظمُ من نعمتِه علينا فيما صُرِف إلينا . وقال سهل بن عبد الله : لا يصحّ التّعبّد لأحد ولا يخلص له عمله حتى لا يخرج ولا يفرّ من أربعة أشياء : الجوع والعري والفقر والذلّ .

وقال ابن السماك[١١] : الزّاهد من خرجت الأفراحُ والأحزانُ من قلبه فهو لا يفرَحُ بشيءٍ من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها ؛ فإنّه لا يبالي على عسْرٍ أصبحَ أم على يسْرٍ فمن الزُّهْدِ أن

---

[10] رواه مالك في «الموطأ» (1587) .

[11] الزاهد العابد أبو العباس محمّد بن صبيح المذكر مولى بني عجل الكوفي المعروف بـ«ابن السَّمّاك» نسبة إلى بيع السّمك وصيده ، أخذ عن هشام بن عروة والأعمش ، وأخذ عنه الإمام أحمد ، توفي سنة (183) بالكوفة . وفيات الأعيان : 301/4 .

يكون بفقرِه مغتبطاً مشاهداً لعظيم نعمةِ اللهِ عليه ثمّ يخافُ أن يسلَب فقره ويحول عينُ زهده كما يكون الغنيُّ مغتبطا بغناه يخاف الفقرَ ثمّ عن وجودِ حلاوةِ الزُّهد حتي يعلمَ اللهُ من قلبه أنّ القِلَّة أحبُّ إليه من الكثرةِ وأنّ الذلَّ أحبّ إليه من العزِّ وأنّ الوحدةَ آثَرُ عنده من الجماعة وأنّ الخمولَ أعجبُ إليه من الاشتهارِ والمقصودُ : أن يزهدَ فيما سوَى اللهِ تعالى .

قيل : من صَدَقَ في زهْدِه أتته الدنيا راغمةً فعند ذلك تكون في يدِه لا في قلبِه فيتصرّفُ فيها على طبْقِ أمر ربِّه متَّبعاً قَوْلَ المصطفى صلّى الله عليه وعلى آله : « الخلقُ عيالُ اللهِ وأحبُّ الخلقِ إلى الله من أحْسَنَ إلى عِيالِه »[١٢] .

والحاصلُ أنّ كلّ من زَهَدَ في الدّنيا أتته راغمةً ومن طلبَها أعياه حصولُها .

ولذا قيل : لو سقطت قلنسوةٌ من السّماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدها . وفي الحديث القدسي : « يا دنيا اخدمي من خدمني واتبعني من خدمك »[١٣] .

ومنها ؛ **الفقرُ** فينبغي أن يختار الفقرَ على الغِنَى ويتحلَّى به ؛ لما فيه من الشّرف الأكمل والوصفِ الأجملِ وكفى الفقراءَ فخراً وشرفاً وجمالًا مَدحُهم في الكتاب العزيزِ بقوله سبحانه وتعالى : « **للفقراء المهاجرين . . إلى هم الصادقون** » [الحشر : 8] وقوله تعالى : « **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله . . إلى من التعفف الآية** » [البقرة : 273] .

وفي الحديث الشريف : « إنّ الله تعالى يحبّ الفقير المتعفف أبا العيال »[١٤] .

وَوَرَدَ في الخبر عن سيّد البشر صلّى الله عليه وسلّم : « يدخُل الفقراءُ الجنّةَ قبل الأغنياءِ بخمسمائة عام »[١٥] .

---

[12] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» : 42/6 ، والطبراني في «الأوسط» : 356/5 .
[13] رواه الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» : 239/5 .
[14] رواه ابن ماجه (4121) .
[15] رواه أحمد (10751) ، والترمذي (2352) ، والدارمي (2844) .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين »[١٦] .

فهذا منه صلّى الله عليه وسلّم تفضيلٌ للفقراء وإكرام لهم وتنبيه وحثٌّ على فضلهم .

وروي أنّ سيّدنا إسماعيل عليه السلام قال : « يا ربّ أين أطلبُك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم من أجلي قال : ومن هم : قال : الفقراء الصّادقون »[١٧] .

والفقيرُ إذا أطلق في الطريقة فالمراد به من افتقر إلى الله واستغنى به عمّن سواه وقد صار علما بالغلبة على المريد الصادق ذي الجد والتجريد .

ومنها ؛ **المجاهدة** فيلزمه أن يكون في بدايتِه صاحبَ مجاهدة ليتنعّم في نهايتِه بمقام المشاهدة ؛ لأنّ البدايات مجلاة للنهايات ومن أشرقت بدايتُه أشرقت نهايتُه قال تعالى : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا** » [العنكبوت : 79] .

وقيل : إنّ رأسَ المجاهدة وملاكَها فطمُ النّفس عن المألوفاتِ وحملُها على خلاف هواها في عموم الأوقاتِ فلذا ينبغي أن يعوّد نفسَه الجوعَ الذي هو أحد أركان المجاهداتِ والموصِلُ للعلم والحكمة ووسيلةٌ لصفاءِ الذّهن وحضورِ القلب وتهذيبِ النّفس وخفّة البدنِ في الطّاعاتِ والرّغبة في العبادات ؛ لأنه الكاسرُ للشّهوات ولذا اتّخذوا أربابَ السّلوك وصْفاً من أوصافٍ وعَوَّدُوا أنفسَهم فتفجرتْ ينابيعُ الحكمةِ من قلوبِهم بسببه .

قيل : لو أنّ الجوعَ يباع في السّوق لما كان ينبغي لطلابِ الآخرة إذا دخلوا السُّوق أن يشتروا غيرَه ، وكان صلّى الله عليه وسلّم يجُوعُ حتى يَرْبِطَ على بطنِه الحجارةَ من شدّةِ الجوع .

---

[16] رواه التّرمذي (2270) ، وابن ماجه (4116) .
[17] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء : (32/4) ، والبيهقي في الزهد الكبير : (162/2) بنحوه .

وفي الحديث : « جاءت فاطمة – رضي الله تعالى عنها – بكسرة خبز لرسول الله ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت : قرصا خبزته ، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرةِ ، فقال : أما إنّه أوّل طعامٍ دَخَلَ فمَ أبيك منذ ثلاثة أيام »[18] .

وفي بعض الرّوايات : « جاء فاطمة – رضي الله عنها – بقرص شعير » انتهى .

فينبغي لكلِّ مريدٍ أن يأخُذَ حظَّه ونصيبَه من ذلك ولو بترك لُقْمَة من غذائِه ولُقْمَةٍ من عشائِه ؛ لأنّ الله تعالى جَعَلَ في الشّبع المعصيةَ والجهلَ وجعل في الجوع العلمَ والحكمةَ .

قيل : الجوعُ نورٌ ، والشبعُ نارٌ ، والشّهوة مثل الحطبِ يتولّد منه الإحراقُ ، ولا تنطفئ نارُه حتى تحرق صاحبَها : فافهم ترشد .

ويلزمه أن يتجرّع مرارةَ الصّبر ليتلذّذ بحلاوته في نهاية الأمرِ كما قيل : والصّبر كالصِّبِرِ مُرٌّ في مَذاقته لكن عواقبَه أحلى من العسلِ . قال سيّدنا علي – كرّم الله وجهه – الصّبر من الإيمان بمنزلة الرأسِ من الجسد .

وقد تكلّم القومُ فيه بكلام كثير ، ونهاية ما قيل : الصّبر هو الوقوفُ مع البلاءِ بحسنِ الأدبِ ، قال تعالى : « **واصبر وما صبرك إلا بالله** » [النحل : 127] .

وقال سبحانه وتعالى : « **واصبروا إنّ الله مع الصابرين** » [الأنفال : 36] .

فتأمّلْ هذه المزيّةَ التي نال بها الصّابرون شرفَ المعيّة فعليك بذلك أيّها السّالك تُدْرِك ما هنالك .

ويلزمُهُ أن يقنع باليسير من الدّنيا ؛ لأنّ القناعة كَنْزٌ لا يفنى وقيل : الفقراء أمواتٌ إلا من أحياه الله بعزّ القناعةِ . وفي الزّبور : القانع غنيّ ولو كان جائعاً .

---

[18] رواه البيهقي في «شعب الإيمان»: (10430) ، والطباني في «المعجم الكبير» : (258/1).

وقيل : لأبي يزيد[19] : بم وصلْتَ إلى ما وصلْتَ ؟ فقال : جمعتُ أسباب الدنيا فربطتُها بحبل القناعة ووضعتُها في منجنيق الصّدق ورميتُ بها في بحر اليأس فاسترحتُ .

ويلزمه أن يتحلّى بالفاقة فقد قيل : الفاقةُ أعيادُ المريدين وأن يصمت عمّا لا يعني من فضولِ الكلامِ ؛ لما في ذلك من الملامة وكثرة الندامة وعدم السلامة ؛ لأن اللّسان بمثابة الثُعبان خطرُه جليلٌ وأمنُه قليلٌ فإن من لم يتوقه لَحِقَه آذاه ، ومن ملكه فقد بلغ مُناه وقيل لذي النّون المصري : من أصونُ النّاس لنفسه ؟ قال : أملكُهم للّسانه .

والصُّمْتُ من آداب الحضرةِ ، قال الله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » [الأعراف : 205] .

وقال سبحانه وتعالى : « **وخشيت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا** » [طه : 108]

.

وفي « الرسالة القشيرية » : صمتُ العوامّ بلسانِهم ، وصمتُ العارفين بقلوبِهم ، وصمْتُ المحبّين من خواطرِ أسرارِهم .

أقول : فمن تمسّك بالأدنى الذي هو صمْتُ العوامِّ ظَفَرَ بما بعده وبالله التّوفيق .

ومنها : **الخوف والرّجاء** فينبغي أن يكون دائماً بين خوفٍ ورجاءٍ وأمنٍ والتجاءٍ ، فالخوفُ سوطُ الله يقوّم به الشاردين عن بابِه ، والرجاءُ ارتياحُ القلوبِ لرؤية كَرَمِ المرجوِّ وثوابِه فكن بينهما مُرتاحاً إن أردتَ صلاحاً ورجوتَ فَلاحاً ورُمْتَ نَجاحاً .

قيل : الخوفُ والرّجاءُ هما كجناحي الطّائر إذا استويا استوى الطّيرُ وتمّ طيرانُه وإذا نقص أحدُهما وقع فيه النّقصُ وإذا ذهبا صار الطّائر في حدّ الموت .

---

19 سيّد الزهاد ، الورع ، التقي ، نادرة الزمان أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان البسطامي ، ولد سنة (188هـ) ببسطام ، وهو أويسي التربية ربّته روحانية جعفر الصّادق ، توفي (261هـ - 264 هـ) . «تهذيب المواهب السّرمدية» ، محمّد أمين الكردي ص 76 .

ومنها : التوكّلُ فيلزمُه أن يتوكَّلَ على اللهِ تعالى في جميع أمورِه قال تعالى : ومن يتوكّل على الله فهو حسبه [الطلاق : 3] .

وشرط التّوكّلِ ما قاله أبو تراب النخشبي[20] : طرحُ البدن في العبوديَةِ ، وتعلّقُ القلبِ في الرُّبُوبيّة ، والطُّمأنِينَة إلى الكفاية ، فإن أعطي شَكَرَ وإن مُنِع صَبَرَ .

قيل : حركةُ المظاهرِ لا تنافي توكّلَ القلبِ بعد ما تحقّق العبدُ إنّ التّقدير من قبل اللهِ تعالى فإن تعسّر شيءٌ فتقديرُه وإن اتّفق شيءٌ فتيسيرُه .

ومنها : التّقوى قال الله تعالى : « **واتّقون يا أولي الألباب** » [البقرة : 197] .

فينبغي له أن يجْعَلَ التّقوى رأسَ مالِه ، فمن كان رأسُ مالِه ذلك كلّت الألسنُ عن وصْف ربْحه .

قال تعالى : « **إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** » [الحجرات : 13] .

قال : « **ومن يتّق الله يجعل له من أمره * ذلك . . إلى ويعظم له أجرا** » [الطلاق : 5-4] .

ويلزمُه أن يتّقي الكبرَ والحرصَ والحسدَ فقد ورد : « ثلاثٌ هنّ أصلُ كلّ خطيئة فاتّقوهنّ واحذروهنّ إياكم والكبر فإنّ إبليس حمله الكبرُ على ألا يسجدَ لآدم ، وإياكم والحرص فإنّ آدم حمله الحرص على أن يأكلَ من الشّجرة ، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنّما قَتَلَ أحدُهما صاحبَه حسداً »[21] .

وقيل : الحاسدُ جاحِدٌ ؛ لأنه لا يرضى بقضاء الواحد والحسود لا يسود .

---

[20] أَبُو تُرَاب الّنخشبي اسْمه عَسْكَر بن حُصَيْن ، وَيُقَال عَسْكَر بن مُحَمَّد بن حُصَيْن صحب أَبَا حَاتِم الْعَطَّار الْبَصْرِيّ وحاتما الْأَصَم الْبَلْخِي ، وتوفّي فِي الْبَادِيَة قيل نهشته السبَاع سنة (245 هـ) . «طبقات الأولياء» ، السلمي : (127/1) .

[21] رواه الطّبراني في «المعجم الأوسط» (173/1) .

ويتّقي أيضا الغيبةَ والنّميمة عملاً بقوله تعالى : « **ولا يغتب بعضكم . . إلى ميتا** » [الحجرات : 12] .

وقوله : « **ولا تطع كلّ حلّاف مهين * همّاز مشاء بنميم** » [القلم : 11-10] .

وقيل : يعطى الرجلُ كتابَه فيرى به حسناتٍ لم يَعْمَلْها فيقال له : هذا بما اغتابك النّاسُ وأنتَ لم تُشْعِرْ .

وقد ذكرت الغيبةُ عند عبد الله بن المبارك فقال : لو كنتُ مغتاباً أحداً لأغتبتُ والديّ ؛ لأنّهما أحقّ بحسناتي .

واعلم : أنّ حظَّ المؤمنِ من أخيه ثلاثُ خصالٍ : إن لم ينفعْه فلا يضرُّه وإن لم يسره فلا يغمّه وإن لم يمدَحْهُ فلا يذمُّه ، وبالله التّوفيق .

منها ؛ الصّدق فيلزمُه أن يكون صادقاً مع الله تعالى في سائر أحوالِه ؛ لأن الصّدق عمدةٌ في طريق وبه يصِلُ المريدُ لدرجة أهل التّحقيق وهو تالٍ لدرجة النّبوّة .

قال تعالى : « **فأؤلئك مع الذين أنعم الله . . والصالحين** » [النساء : 79] .

وقال : « **يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » [التوبة : 119] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « لا يزال العبدُ يصدق ويتحرّى الصّدقَ حتى يكتب عند الله صدّيقا ولا يزالُ يكذِبُ ويتحرّى الكذبَ حتى يكَتبَ عند الله كذّابا »[22] .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : حقيقةُ الصّدق أن تصدق في موطِنٍ لا ينجيك منه إلا الكذبُ .

وقال ذو النّون المصري رحمه الله تعالى : الصّدقُ سيفُ اللهِ ما وقع على شيء إلا قطعه فعليك به أيّها المريدُ تنلْ ما تريد .

---

[22] رواه مسلم (4720) .

ومنها ؛ الحياءُ فيلزمُه أن يستحيَ ؛ لأنّ الحياءَ من الإيمان وفي الحديث : « أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال ذات يومٍ لأصحابه : استحيُوا من الله حقَّ الحياءِ قالوا : إنّا نستحي يا رسولَ الله والحمدُ لله قال : ليس ذلك ، ولكن من استحي من الله حقَّ الحياءِ فليحفظِ الرّأسَ وما وعى وليَحْفَظِ البطنَ وما حوى وليذكُرِ الموتَ والبلاءَ ومن أراد الآخرةَ ترك زينةَ الدّنيا فمن فَعَلَ ذلك . . فقد استحي من الله حقّ الحياء »[٢٣] .

ومنها ؛ **الجود والسّخاء** فينبغي أن يتّصف بهما ؛ لأنّهما وصفان حميدان لا يتّصف بهما إلا من أحبّه وأراد اختصاصَه قال تعالى : « **و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » [الحشر : 9] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : السّخيّ قريبٌ من الله تعالى قريبٌ من النّاس قريبٌ من الجنّةِ بعيدٌ من النّار والبخيلُ بعيدٌ من اللهِ تعالى بعيدٌ من الجنّة قريبٌ من النّار ، والجاهلُ السّخيُّ أحبُّ إلى الله تعالى من العابد البخيل »[٢٤] .

وحقيقةُ الجودِ ألا يصعُب عليه البذلُ وعند القومِ السخاءُ هو الرّتبة الأولى ثمّ الجودُ بعده ثمّ الإيثارُ فمن أعطى البعضَ وأبقى البعضَ فهو صاحِبُ سخاءٍ ومن بذل الأكثرَ وأبقى لنفسِه شيئا فهو صاحب جُودٍ والذي قاسى الضّررَ وآثره غيرَه بالبلغة فهو صاحبُ إيثارٍ .

ومنها : **مخالفتُه لنفسِه** فيلزمه أن يخالفها ويتمّها ولا يركَن إليها بل يعرض كلَّ ما حسّنته له على الشّرع خيفة خداعها .

قال سيّدي البوصيري :

كم حسنت لذة للمرء قاتلة ** من حيث لم يَدْرِ أنّ السُّمَّ في الدّسم

[23] رواه أحمد (3489) ، والترمذي (2382) .
[24] رواه الترمذي (1884) .

وأن يخالف هواه أيضا قال أستاذ والدنا مولاي العربي الدرقاوي رحمه الله تعالى : مخالفَةُ الهوى تُنْتِج العلمَ الوهبيَّ والعلمُ الوهبيَّ يُنْتِج اليقينَ الكبيرَ واليقينُ الكبيرُ ينفي الشكوكَ والأوهامَ بالكليّة ويزج صاحبه في الحضرة الرّبّانية .

قال تعالى : « **وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى** » [النازعات : 40-41] .

ومنها ؛ أن يتخلّق بمكارم الأخلاق ؛ لأن صاحب الأخلاق الكريمة والطّبيعة السّليمة أقوى النّاس إيماناً وأفضلهم منقبةً وإحساناً وقد مدح اللهُ تعالى نبيَّه الكريم فقال : وإنّك لعلى خلق عظيم [القلم : 4] .

قال بعضهم : الخلقُ العظيمُ صاحبُه لا يخاصِم ولا يخاصَم لشدّة معرفته بالله تعالى بل مذهبُه التّسليمُ لتقدير السّميعِ العليمِ .

[الفتوّة في الدين نهج الصالحين]

وأن يكون صاحب فتوة يخدم إخوانه ويقضي حوائجهم ويتفقّد أحوالَهم من غير تشوُّفٍ للمكافات ويتحمّل الأذى ويكفّه ؛ لأنّ كفّه من الواجباتِ ويغضّ نظرَه عن المساوي ويصفح عن العثراتِ .

قال سيّدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه :

بالتفتي على الإخوان جُدْ أبدا ** حسّا ومعنى وغضّ الطرف إن عثرا

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : الفتوّة كفُّ الأذى وبذل النّدى .

وقيل : قَدِمَ جماعةٌ من الفُتْيان لزيارةِ رجلٍ يدّعي الفتوّة فقال : الرّجل : يا غلام قدّم السُّفْرَة فلم يقدّمها فأعاد القولَ ثانياً وثالثاً فنظر بعضُهم إلى بعضٍ .

وقالوا : ليس من الفُتُوّة أن يستخدِمَ من يتعاصي عليه ، فقال الرّجل : لم أبطأتَ بالسفرة ؟ فقال الغلام : كان عليها نملٌ فلم يكن من الأدبِ تقديم السّفرة إلى الفتيان مع النّمل ولم يكن من الفتوّة إلقاءُ النمل من السفرة فلبثتُ حتى دبّ النّملُ فقالوا : دقّقتَ يا غلام مثلك من يخدم الفتيان .

وفي الرسالة القشيرية : إنّ من الفتوّة السّتر على عيوب الأصدقاء لا سيّما إذا كان لهم فيها شماتةُ الأعداء .

سأل شقيق البلخي جعفرَ بن محمّد الباقر عليه السّلام عن الفتوّة فقال جعفر : ما تقول أنت فيها ؟قال : إن أعطينا شَكَرْنا وإن مَنَعْنا صَبَرْنا فقال جعفر : الكلابُ عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق : يا ابن بنتِ رسولِ الله ما الفتوّةُ عندكم ؟ قال : إن أعطينا آثَرْنا وإن مُنِعْنا شَكَرْنا .

فهذا نهايةُ حدّ الفتوّة وغايةُ دَرَجَةِ المروّة فكُنْ لها مالكاً ولطريقها سالكاً .

ومنها ؛ الإخلاصُ فينبغي أن يُخْلِصَ لله في جميع أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه ليكون من خاصّ خواصّ عباده المقرّبين .

قال تعالى : « **وما أمروا إلا ليبعدوا الله مخلصين له الدين** » [البينة : 5] .

وفي الخبر المسنَدِ : « أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أَخْبَرَ عن جبريل عن الله – سبحانه وتعالى – أنّه قال : الإخلاصُ سرٌّ من سرِّي استودعتُه قلبَ من أحببتُه من عبادِي »[٢٥] .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « ما أخلص عَبَدٌ قطُّ أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيعُ الحكمةِ من قلبِه على لسانِه »[٢٦] .

---

[25] رواه الديلمي في «الفردوس» (187/3) .
[26] رواه ابن أبي شيبة في «المصنّف» (187/7) ، وابن المبارك في «الزهد» (359/1) .

وفي الرّسالة القشيرية : الإخلاصُ إفرادُ الحقِّ سبحانه وتعالى في الطّاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعتِه التقرّبَ إلى الله دون شيءٍ آخرَ من تصنُّعٍ لمخلوقٍ واكتسابِ محمدةٍ عند النّاس أو محبّة مدحٍ من الخلقِ أو معنى من المعاني سوى التقرّبِ إلى اللهِ فإذا أخلص العبدُ انقطع عنه كثرةُ الوسواسِ والرّياء انتهى .

والحاصِلُ أنّ الإخلاصَ روحُ الأعمالِ ، فإذا خلتِ الأعمالُ من الإخلاصِ بقيتْ كجسدٍ بلا رُوحٍ .

ونجاحُ كلِّ أمرِ الاستقامةُ فمن أُتيها أوتي الكرامةُ وخَرَجَ من الملامة وكانت على نجاحِه وصلاحِه وفلاحِه أعظمُ دليلٍ وأكبرُ علامةٍ .

فعليك بها أيّها السّالك تبلغ آمالَك وتفُزْ على أقرانِك وتتأيّد أحوالُك ويتأسّس على التّقوى بنيانك وتظفر العنايةَ والتّكريمَ وتختصّ بمزيدِ العظيمِ : « **ذلك فَضْلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » [الحديد : 21] .

الحضور في الذّكر ومجالسة أهله

وكنْ حاضرَ القلبِ دائماً بصدْقِ توجّهِكَ إليه في حال المراقبة في كلِّ وقْتٍ من الأوقاتِ وساعةٍ من السّاعات مع المداومةِ على الطّهارةِ والإكثارِ من الذّكر الخفيّ والجليّ .

كما قال سيدي أحمد الشّريشي رحمه الله تعالى :

لا تكنْ إلا تالِياً أو مصلّياً ❊❊ ودائمْ ذكر القلبِ أيّدْ من ذكر

وحيث كان عكوفُ المريدِ على ذكر السّرّ ومداومتِه عليه تُنْتِجُ في باطنِه حرارةً مؤثّرةً مُقْلِقَةً لسرّه وربّما تزدادُ فيخشى عليه بسببها الإغماء والتّعويق في السّير جعلوا الذّكر الجهري دواء لذلك بحيث يجتمع المريدون حلقةً ويذكرون جهراً قياماً وقعوداً مع سَماع إنشادِ كلامِ القومِ

ليتروَّح بذلك فؤادُهم ويلطف استمدادُهم فترى كلّا منهم ما بين تواجد وَوُجْدان نشوان غير حيران .

ويكون هذا الذّكرُ في كلّ يومٍ بعد آداء صلاة الصّبح وأداء صلاة المغرب ، ومن تخلّف لعذر حقيقي لا يؤاخذ بذلك .

وكيفيتُه أن يجتمعُوا حلقةً بخشُوعٍ وحضورِ قلبٍ ثمّ يستفتح النّقيبُ إن لم يكن الشّيخُ حاضراً بتلاوة المشيشة الممزوجة فيقرؤها جمعاً مرتّبا مرتّلة مع تدبّر معانيها وبعد إتمامها يستفتح الذّكرَ بقوله : لا إله إلا الله فيذكرونه بلا عددٍ على اصطلاحِ غير مغايِرٍ ولا مغير للاسم مع تنقلِيه من هينة إلى أخرى على حسب قاعدتِهم .

ثمّ ينتقل منه إلى الاسمِ المفردِ على الاصطلاحِ المختصِّ به فيلزم النّقيبُ أن يراعيَه وعلى قواعدِه يجريه مع عدم تغيير الاسمِ الشّريفِ ، ويلزمُه أيضا أن يراعى أحوالَ المريدين وحركاتِهم وسكناتِهم وميزانِهم وإنشادهِم ما لم يغلِبْ على أحدهم الحالُ ويأخذُه الوجدُ حتى يغيبَه عن نفسِه فإنّه لا يؤاخذ بذلك .

ولله درّ من قال :

فإنّا إذا طِبْنا وطابت نفسناً ** وخامرْنا خمرَ الغرام تهتكنا

فلا تلُمِ السّكران في حال سكره ** فقد رفع التّكليف في سكْرِنا عنّا

وبعد إتمامِ الذّكرِ يتذاكرون في أسرار الطّريق وآدابِها وأسبابِ التّوفيق التي يكرع بها من زلال شرابها .

سَمِعْتُ والدنا – رحمه الله تعالى – يقول : النّاس خمرتُهم في الحضرةِ ونحن خمرتنا في الهدرة يعني المذاكرةَ التي أشرْنا إليها ؛ لما فيها للمريد من المدد والإفاضة التي هي فوق العادة .

ويلزمه المحافظةُ على قراءة وردِه حسب ما تلقّاه من شيخِه وإن كان مأذوناً في ذكر الاسمِ الخاصِّ فيستغرق فيه غالب أوقاته .

ويحافِظُ على صلاة الضّحى وبقيّة النّوافل المستحبّة كالاستخارة النّبوية وصلاة التّسبيح ؛ لما ورد فيها من الفضائل التي لا يمكِنُ أن تستقصيها ولا بأس بالتنقّل في العبادة وأنواع الأذكارِ آناءَ اللّيل وأطراف النّهار وكذا الاستغفارُ والصّلاةُ على النّبي المختار – صلّى الله عليه وعلى آله الأخيار وأصحابه السّادة الأبرار – ما بزغت شمسُ النّهار وهبت نسمات الأسحار فحركت الأشجارُ وعطرتِ الأزهارُ .

هذا ولما ظهرتِ الطّريقةُ وانتشرت وعَلَتِ دعائمُ أركانِها واشتهرتْ وعمّ فيضُ بركاتِها سائر المريدين وذلك بعد عام المائتين والألف من بعد الأربعين تطاولتْ أعناقُ الحساد إليها وتكلّمت الألسنة بالإنكارِ عليها بكلام لا طائلَ تحتَه بل أَوْجَبَ تقريعَ صاحبِه ومقْتِه حيث إن شمس علاها قد أشرقتْ في بُرْجِ سماءِ الرّشد والمدد لا يُنْكِرُ سواطعَ أنوارِها إلا من استولى على فؤادِه العمَى وعلى عينه الرّمد .

قد تنكر العينُ ضوءَ الشّمسِ من رَمَدٍ ** وينكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَم

و ذلك كاعتراضهم على الذّكر جهرا مع الجماعةِ وجعلهم الإنشادَ ولبسَ الخرقة من أخسِّ بضاعةٍ وغير ذلك من التّرهات التي أوردُوها وقد تصدّى لها بعضُ علماء الأزهرِ وغيرِه وردُّوها .

وسأذكُرُ بعضَ ما أوردوه من الأقوالِ لتتحقّق أن هذه الطّريقة على قدم الشّريعة في سائر الأحوالِ فمن سَلَكَها حاز الشّرفَ مَنْ ذَاقَ عَرَفَ .

فمن ذلك ما أجاب به فخرُ العلماءِ الأعيانِ وعمدة صلحاء الزمان الشيخ محمّد فتح الله – قدّس روحَه ونوّر مرقدَه وضريحَه – عن سؤال وردّ عليه ونَصُّ جوابِه :

الحمد لله وحدَه حيث كان هذا الرّجلُ بهذه الحالةِ وأجلسه أستاذُه لذلك فله فِعْلُ ما ذكر ولا حرج عليه ولا بدعة في ذلك ؛ لأنه ورد أنه عليه الصلاة والسلام لقّن أصحابه حماعة وفرادى .

أما الجماعة . . فقد ورد عن شدّاد بن أوس أنّه قال : « كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : هل عندكم من أحد ؟ أي : من أهل الكتاب قلنا : لا ، قال : ارفَعُوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله فرفعْنا أيديَنا ساعةً وقلنا : لا إله إلا الله »[27] .

وأمّا فرادى . . فقد ورد أنه قال عليه الصّلاة والسّلاة لقّن علي بن أبي طالب حين سأَلَه ذلك كما رواه الشيخ يوسف الكوراني بسند صحيح : « إن عليًا سأل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسولَ الله دلّني على أقربِ الطّرق إلى الله وأسهلِها على عبادِه فقال صلّى الله عليه وسلّم : أفضلُ ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ثم قال علي كيف أذكر يا رسولَ اللهِ فقال : غمِّضْ عينيك واسمعْ منّي ثلاث مرّات ثمّ قُلْ أنتَ ثلاث مرّات وأنا أسمَعُ ، فقال عليه الصّلاة والسّلام : لا إله إلا الله ثلاث مرّات مُغْمِضاً عينيْه رافعاً صوتَه وعلي يسمَعُ ثمّ قال عليّ : لا إله إلا الله ثلاث مرّات مغمضاً عينيه رافعاً صوته والنّبي عليه الصّلاة والسّلام يَسْمَعُ »[28] .

بل يلزمُه العملُ به والقيامُ بوظائفِ الأورادِ والأذكارِ التي عاهد عليها شيخُه وتلقّاها عنه لالتزامِه طاعتَه ولا معنى لِلْعَهْدِ إلا الامتثال والعمل بما أمره به وقد نصّ في بعض حواشي التّفسير أن تَرْكَها اختياراً كَسْلاً فُسُوقٌ ومن لازم أورادَ شيخِه فاز بمقاصده في الدّارين .

كما قال في « المبتهجة » :

والزمْ بابَ الأستاذِ تَفُزْ ** وتكُنْ بذلك خلّ نجيّ

و هذه الأوضاعُ التي وَضَعَها أهلُ الطّريق في الذّكر من القيامِ والجهرِ والاهتزازِ وقصر الاسمِ الشّريف في بعضِ الأحوالِ وإفراد لا إله إلا الله عن محمّد رسول الله والإنشاد والاجتماع

---

[27] رواه أحمد في «مسنده» (124/4) ، والحاكم في «المستدرك» (679/1) .
[28] رواه مالك في الموطأ (449) .

على الذّكر ولبس الخرقة ليس فيها مُنْكر ولا دليل على منعها بل هي مشروعة ؛ لأنّهم لما رأوا الهممَ قَصُرَتْ وغلِب على النّاس الكسلُ وحبّ البطّالة التي جبلتْ عليه النّفسُ جعلوا تلك الأمورَ وسيلةً الى الرّغبة ؛ لأنّ الوسيلةَ تعطى حكم المقصدِ ولهم فيها أدلّةٌ من الكتاب والسّنة .

أما القيام . . فقولُه تعالى : « **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** » [آل عمران : 191] على ما فيها من التفاسير فهي دالّةٌ على إباحة القيامِ فيه بل أولى إذا لحِقَه الكسلُ والفتورُ عند الجلوس .

وأمّا الجهر . . فقد تقدّم أنّ عليّاً تلقّى الذّكرَ عن النّبي جهراً والمريد يذكر على ما تلقّى من شيخِه .

وقد ورد الأمرُ به في تكبير العيد وهو ذاهب للمصلّي والتّلبية والرّباط فكذلك الذّكرُ ليقبل النّاس عليه ويشتغلوا به وتلين له قلوبهم .

وقد ورد أنه صلّى الله عليه وسلّم : « كان يجهر بالقرآن في المسجد فيسمعه أهل الدّور حوله وأنّ أصحابه كانوا يقرؤون معقبات الصّلاة جهرا في زمنه صلّى الله عليه وسلّم »[٢٩] .

عن جابر بن عبد الله الأنصاري : أنّ رجلا كان يرفع صوته بالذّكر فقال آخر : لو أنّ هذا خَفَضَ من صوتِه فقال صلّى الله عليه وسلّم : « **دَعْهُ فإنّه أواه** »[٣٠] أي : رحيم رقيق القلب .

وروي أنّ أناسا كانوا يرفعون أصواتَهم بالذّكر عند غروب الشّمس في زمن عمر بن الخطاب فإذا خَفَضُوها أَرْسل لهم أن ثوّروا الذكر أي : ارفعوا أصواتكم به .

وقال الغزالي : إنّ الله شَبَّهَ القلوبَ بالحجارةِ والحجرُ لا ينكسر الا بقوّة تامّة فكذلك القلب القاسي لا يتأثّر إلا بالذّكر الجهري القويّ .

الاهتزاز في الذكر

---

29 رواه أحمد في مسنده (522/6) بنحوه .
30 رواه ابن أبي شيبة في المصنّف (522/3) .

وأما الاهتزاز . . فقد ذَكَرَ القومُ في كتبهم طلبه للذّاكر يبتدئ في لا إله إلا الله من السرّة مائلا لليمين ويختم بإلا الله على اليسارِ فيصل الاسمُ الشريف للقلبِ اللحمي ويقرعه فيكون أقوى في الاستحضار وأشدَّ في نفي الأغيار كما نصّ عليه في « منهج السالك » وغيره .

ورُوِي في بعضها أيضا : « أنّه صلّى الله عليه وسلّم بشّر بعضَ أصحابِه ببشاراتٍ فكلٌّ من بشَّره منهم حجل واضطرب وتمايل فرحاً بما بشّر به ؛ فدلّ على جواز الاضطراب والاهتزاز عند الهيام والفرح » .

وقد اختلف الفقهاء في الاهتزاز عند قراءة القرآنِ وانحطّ الحالُ على فعله بقدر الحاجة للنّشاط ودفع الكسلِ فكذلك الذّكر لعدم الفارق لكن مع الأدب فلا يتجاوز الحدَّ حتى يكون تلاعباً ورقصاً وهذا فيمن تمالك حالَه وضبط أفعالَه وكانت باختياره .

وأما من غلب عليه حالُه وسلب بالذّكر اختيارُه وغاب عن حسّه وشعوره . . فلا حرج عليه فيما يَصْنَعُ ؛ لأن أفعالَه اضطرارية ولا تكليف إلا بفعل اختياريّ .

كما قال العارف :

وبعد الفناء في الله كُنْ كيف ما تشاء ** فعلمُكَ لا جهل وفعلُك لا وِزْرَ

وأما قصرُ الاسم الشريف وعدمُ مدِّه . . فهو جار على بعض لغات العرب كما نقله العلامة الصبّان في رسالته على البسملة أنّ بعض العرب يقصره قال : ذلك ينفع المسرعين في الذّكر والذّاكر إذا لهِجَ بالذّكر وأسرع به وتابعَه . . التهب قلبُه واحترق وزاد شوقُه وتلهفه للمذكور وقوي استحضارُه كما هو المقصود .

[إفراد كلمة التّوحيد في الذكر]

وأما إفراد لا إله إلا الله عن محمد رسول الله . . فلأنها متضمّنة لها وصارت كالعلم عليهما كما في حديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله »[٣١] .

ولم يقل محمّد رسول الله ؛ ولأن محمّدا رسول الله إقرارٌ بالرّسالة ويكفي فيه مرة واحدة في العمر . ولا إله إلا الله رأس الذّكر ، وأنفعُ ما يعالج به القلب في إصلاحِه وإقبالِه على المذكور ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الرديئة ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلبِ وصفائِه ورياضة النّفسِ وتهذيبِها ولذلك اختارها الصّوفية لتربية المريدين وتهذيب نفوسهم كما نصّ عليه سيدي علي المرصفي[٣٢] في « منهج السالك » .

[الإنشاد الديني]

وأما الإنشاد وسماعه . . فلا بأس به لاشتماله على حكم ومواعظ ؛ كما ورد : « إنّ من الشعر لحكمة »[٣٣] فتقوى به الروح وتنتعش ؛ لأنه لها كالغذاء وينهض الجسم ويهيم في الذكر وكان صلّى الله عليه وسلّم يسمعه ويتمثل به تروحا ويأمر حسان به .

ويقول : « اللهم أيده بروح القدس »[٣٤] وهو جبريل ونهى من أنكره عليه في المسجد الشريف ؛ كما وردت به الأحاديث الصحيحة .

فهو مأمور به في الجملة خصوصا إذا كان فيه ذكر الصالحين وسيرهم فيه تنزل الرحمات وربّما أورث السامع اعتبارا واهتداء بهديهم .

---

[31] رواه البخاري (24) ، ومسلم (29) .

[32] الأديب اللغوي سيد بن علي المَرْصَفي ، كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر ، من مؤلّفاته : «رغبة الآمل من كتاب الكامل» ، توفي سنة (1350هـ) . معجم المؤلّفين (287/4) والأعلام (147/3) .

[33] رواه البخاري (5679) بنحوه .

[34] رواه البخاري (5679) بنحوه .

وأما الاجتماع على الذّكر وإيقاعه في الجماعة . فقد قالت الصوفية : إنّ الذّكر في الجماعة كالصّلاة فيها ؛ لما في الحديث القدسي : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه »[٣٥] ، هذا يدلّ على فضيلة الذّكر جماعة .

وفي الحديث : « يد الله مع الجماعة »[٣٦] أي : نصره وإعانته وعسى فيهم مقبول فتعمهم بركته والمنفرد معرض لتلاعب الشّيطان به واغتياله له وقطعه عن الخير ، وقد قالوا : الشّاة الفريدة أكيلة السّبع ، وهو من التّعاونِ على البرّ المأمور به بقوله تعالى : « **وتعاونوا على البرّ والتقوى** » [المائدة : 2] .

وفي « منهج السالك » أنه قال : « إذا رأيتُم رياضَ الجنة فارتعوا » ، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : « مجلس الذكر »[٣٧] .

وفيه أيضا عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : خرج علينا رسول صلّى الله عليه وسلّم فقال : « أيّها النّاس ارتعوا في رياض الجنة » قلنا : يا رسول الله ما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس الذكر »[٣٨] .

فهذا يدلُّ على طلب الجماعةِ فيه وجميعُ أوامر الذّكر الواردة في الكتاب والسّنة كـ « **اذكروني أذكركم** » [البقرة : 152] « **يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** » [الأحزاب : 41] مطلقة شاملة للمفرد والجماعة وليست مقيّدةً بالإفراد ولم يرد – فيما أعلم – ما يدلُّ على النّهي عن الجماعة فيه .

وأما قوله تعالى : « **واذكر ربّك في نفسك** » [الأعراف : 205] . فلا يدلّ على ذلك ؛ لأن ذكر النّفس لا يدلُّ على نفي الذّكر جماعةً كما هو مقتضى القاعدة الأصولية وهذا على أنّ الخطاب عام .

---

[35] رواه البخاري (6856) ، ومسلم (4832) .
[36] رواه الترمذي (2092) .
[37] رواه أحمد (12065) ، والترمذي (3431) .
[38] رواه أحمد (11225) .

وقال سيدي يوسف العجمي[39] : إنّ الخطاب فيها للرّسول صلّى الله عليه وسلّم وهو المأمور بذلك خاصة ، وذلك أنّ الله يأمر العامّة بالنّظر بقوله : « **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** » [الغاشية : 17] وأَمَرَ الخاصّة بالتّدبّر بقوله : « **أفلا يتدبرون القرآن** » [النساء : 82] ؛ لأنّ الاستفهام توبيخيٌّ فيستلزِمُ الأمرَ وأَمَرَ سيد أهل الحضرة بقوله : « **واذكر ربّك في نفسك** » [الأعراف : 205] ؛ لأنه عرف نفسَه وربَّه ومن لم يعرفهما فكيف يذكر ربّه في نفسه بل هم المخاطبون بقوله تعالى : « **اذكروا الله ذكرا كثيرا** » [الأحزاب : 41] كذا ذكره في « منهج السالك » للسيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى .

وأما لبس الخرقة . . فلا بأس به لمن كان أهلاً ليتميّز بها ويُعْرَف فيحترم وتقبل عليه النّاس ويأخذون عنه ؛ كما قالوه في لبْسِ زيّ العلماءِ وهي من الشّعار القديمة ولها أصلٌ صحيحٌ في السّنة وهو أنّ سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا علي بن أبي طالب ألبسها لسيّدنا أويس القرني بأمره صلّى الله عليه وسلّم فتبيّن بهذا وعُلِمَ أنّ ذاك الرّجل المسئول عنه هو ومن تَبَعَه على الحقّ والهدى ؛ لأنّ طرقَ القومِ كلّها حقٌّ صحيحةٌ وَضَعَها صفوةٌ عبيد الله الكاملين أهل البصائر النيّرة المتّصل سندُهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مستندين للكتاب والسّنة وليست خارجةً عنهما بل هي ثمرتُها ، ولذا قالوا : شريعة بلا طريقة عاطِلة وقالوا : من تشرّع ولم يتطرّق . . فقد تفسّق .

فهي مقرّبة إلى الله موجِبة لمحبّتِه ؛ لما في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه »[40] أي : بنوافلِ الطّاعاتِ من صلاةٍ وصومٍ وقراءةٍ وذكرٍ واستغفارٍ وصلاةٍ على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهي لا تخرُجُ عن هذا فمن تمسّك بها وهدى النّاس إليها حتى

---

[39] هو يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر العجمي الكوراني ، كان ذا طريقة في الانقطاع والتسليك ، أخذ عن محمود الأصفهاني ، وحسن الشمشيري ولبس الخرقة منهما ، توفي في زاويته بالقرافة الصغرى سنة (768) . «طبقات الأولياء» : 492/1 .

[40] رواه البخاري (6137) .

اهتدوْا فهو ناجٍ سعيدٌ ؛ لما في الحديث : لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لَكَ من حُمُرِ النَّعم »[41] أو كما قال .

وإنّ إنكارَ هذا المنكِر ومعارضتَه لهؤلاء الجماعةِ وأمثالِهم محضُ جهلٍ وعنادٍ لانطماس بصيرته وعماه وحجبِه عن طريق الهدى وعدم معرفتِه لأوضاعِ الطّريق فعلى ولاةِ الأمورِ زجرُه وقهرُه هو وأمثالُه ونصرُ دعاة الخيرِ أهل الطّريق لتنتشر عنهم ويعمّ بها النّفع ويحصل بها الاهتداءُ وتَنْزِلُ بها الرّحماتُ ويؤجرون على ذلك ، والله أعلم .

قاله وكتبه الفقير : محمّد فتح الله ابن الشيخ عمر السديسي المالكي الخلوتي الحفني الصاوي عفا الله عنه آمين .

من أجوبة فقهاء ومشايخ الأزهر السّادة الصّوفية في لبس الخرقة الشّريفة وطريقة الذّكر ونحو ذلك

ومنه ما كتبه العلّامة الشيخ إبراهيم السّقا[42] – حفظه الله تعالى – ونصُّه : الحمدُ للهِ الجهرُ بالذكر مطلوبٌ مرغّبٌ فيه محبوبٌ بنصّ الصّادق المأمون : « اذكر الله حتى يقولوا : مجنون »[43] .

والذّكر في نفسِه المُسرّ عن أبناءِ جنسِه لا يتأتّى رميُه لذكره بالجُنون إذ لا يعلم أحدٌ سرَّه المكنون ، فلا يحصل امتثالُ شريف هذا الأمرِ إلا برفيع الصّوت وشريف الجهر والخروجِ فيه عن المعتاد المألوف حتى يصلَ في اعتقاد أهلِ الانتقادِ إلى رتبة المنكِر وينتصلَ من درجة المعروفِ وإنشاد كلام العارفين لتذكير نفوس المحبّين منتظم في سلك وذكر : « **فإنّ الذّكرى تنفع المؤمنين** » [الذاريات : 55] فمنكرُ هذين على أهل السّلوك من أهل الوساوس والشّكوك أو هو صاحب هوى مبتدعٌ قائلٌ برأيه غير متّبع وقوله : « إنّكم تذكرون سميعا فلا حاجة لرفع الصّوت »

---

[41] رواه البخاري (2787) ، ومسلم (4423) .
[42] شيخ الأزهر إبراهيم بن حسن السقا المصري ، كان شافعي المذهب ، خلوتي الطريقة أخذها عن الشيخ أحمد الصاوي ، ومن مؤلّفاته : «غاية الأمنية في الخطب المنبرية» ، و «حاشية على شرح البيجوري لعقيدة السباعي» ، توفي (سنة 1298) «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» : 505/1 ، و«الأعلام » : 54/1 .
[43] رواه أحمد في «مسنده (11226) .

مسلّم المقدمتين لكنّه حقٌّ أريد به الباطلُ والبهتانُ والمينُ إذ لم يدع الذّاكر الجاهر صميم الإله ولا حاجة لرفع صوتِه لنحو تلاه فإن أراد أنّه لا حاجة للذّكر . فهو محجوج بحاجة امتثالِ الأوامرِ وكأنّه تشبُّثٌ وما درى : بـ « إنّكم لا تدعون أصما ولا غائباً »[44] من أفضل الوَرَى – عليه الصّلاة والسّلام وعلى آله وأصحابه الكرام ، وترك آخَرَ الحديث : « أربعوا على أنفسكم »[45] بمعنى : أرفقوا بها المشير لعلّة الإضرار ولولاها ما أمر ولا نهى ، وأرواح المحبّين تحنّ أبدا إلى الأنينِ بل يحقّ لها البكاءُ والعويلُ إذا لا تقنع بقليل بَدَلَ جليلٍ فرَفْعُ الأصواتَ بذكر المحبوب أمسُّ وأولى من بكاءٍ على فوات المطلوبِ وشغل للإسماع عن تُرُهاتِ الأقوالِ حتى يصلَ الذّاكر بصرْفِ جوارحِه وحواسِّه إلى مقام العالي ولذا أمر بسدّ العينين وتضييق المجاري وسهر الليل وترك الأنامِ ،وما هو بينهم من الكلام سائرٌ سارى جارى فلا يجاب هذا المعارض لما رام بل يزجر ويكفّ عنه والسّلام .

فإن كان إنكارُه لمنكرٍ اقترن بما في السّؤال فلا تخفى عليكم المنكراتُ ويدورُ على أمْرِها الحالُ فإن ثبتت وجب النّهيُ عنها حتى يخرج المتلبّس بها عن مناكرِه ويتنصل منها والله أعلم .

كتبه الفقير السقا الشافعي الخطيب بالأزهر حالا عفي عنه .

وإلباسُ الخرقة ثابتٌ بما ذُكر في الجوابِ فوقه وفيه الكفايةُ والله يتولّى العناية .

كتبه : إبراهيم المذكورلذهولٍ اعتراه أوّلا فأخّره .

ومنه أيضا ما كتبه العلامة الشيخ محمّد حسين الكتبي رحمه الله تعالى ونصُّه :

الحمدُ للهِ حيث كان هذا الرّجلُ ومن تَبِعَه على هذه الصّفة فهم على أكمل الأحوالِ ولا يسوغُ الإنكارُ عليهم بأنّهم مراءون ؛ فإنّ الرياء والإخلاصَ من أعمال القلوب ، وهي ممّا لا

---

44 رواه النسائي في «السنن الكبرى» :398/3 . وابن شيبة في «المصنّف» : 232/2 .
45 رواه البخاري (2770) ، ومسلم (4873) .

يطّلع عليها فلا يُطْلَقُ المنعُ بسبب الرّياءِ ؛ إذ لا يتحقّق في كلّ شخصٍ ومن القواعد الفقهية : **الأمورُ بمقاصدِها** ، وهي مأخوذةٌ من حديثٍ : « **إنّما الأعمال بالنيات** »[٤٦] .

والاحتجاجُ بما ظاهِرُه الحظرُ لا يصحّ للجوابِ عن ذلك والجمعُ بين الأحاديث في كثيرٍ من المصنَّفات وفتاوى الأئمّة الحنفية والشّافعية .

قال الإمام السيوطي[٤٧] في « فتاوى الحديثيّة » : سألتَ أيّها الأخُ – أكرمَك الله – عمّا اعتاده السّادة الصّوفية من عقد حلق الذّكر والجهر ورفع الصوت بالتهليل فهل ذلك مكروهٌ أم لا ؟

الجواب : لا كراهة في شيءٍ من ذلك قطعا ؛ لثبوت ذلك بالأحاديث الصّحيحة ثمّ ذكر أربعة وعشرين حديثا منها ؛ ما يتعلّق بالذّكر في المجالس ، والذّكر في الخلوة ، والذّكر في الملأ ، والذّكر في الأسواق ، والذّكر الذي يشهَدُ به الجبالُ والبيوتُ وسائر الأمكنة ، وقال : فإنّها مما لا يكون إلا بالجهري انتهى .

وأدلّةُ الذّكرِ الجهريِّ كثيرةٌ منها ؛ ما أخرجه عبد الرزاق في « مصنّفه » في باب الذّكر بعد الصّلاة عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال : « **إنّ رَفْعَ الصّوت بالذّكر حين ينصرف النّاس عن المكتوبة كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم** »[٤٨] .

وعن عبد الله بن الزُبَيْر قال : « **كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا سلّم من صلاتِه قال : بصوته الأعلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كلّ شيء قدير ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم** »[٤٩] .

---

[46] رواه البخاري (1) ، ومسلم (3530) .
[47] الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر بن محمد السيوطي، ولد مسهلّ رجب سنة (٨٤٩ هـ) بالقاهرة، أخذ عن: جلال الدين المحلي، وشرف الدين المناوي، ومحي الدين الكافجي ، من مؤلفاته: و«الإتقان في علوم القرآن»، و«الأشباه والنظائر»، وغيرهما ، توفي سحر ليلة الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى سنة (٩١١هـ) رحمه الله تعالى . «حسن المحارضة» : ٣٣٢/١ ، و«شذرات الذهب» : ١٤/١٠.
[48] رواه البخاري(796) ، ومسلم (919) ، وعبد الرزاق في «مصنّفه» : 245/2 .

وأخْرَجَ أبو شجاع الديلمي في « مسند الفردوس » عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « **من قال لا إله إلا الله ومدّ بها صوته أسكنه الله دار الجلال ورزقه النظر إلى وجهه** »[٥٠] .

وأخرج البيهقي عن زيد بن أسلم قال : قال ابن الأدرع : انطلقتُ مع النّبي صلّى الله عليه وسلم ليلةً فمرّ في المسجد على رجلٍ يرفع صوتَه بالذّكر فقلت : يا رسولَ الله عسى أن يكون هذا مرائيا قال : « لا ولكنه أواه »[٥١] .

وأخرج ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال : إنّ رجلاً كان يَرْفَعُ صوتَه بذكر اللهِ ، فقال رجلٌ : لو أنّ هذا خَفَضَ مِنْ صوته ، فقال عليه الصلاة و السلام : « **دعه فإنّه أواه** »[٥٢] .

ونقل السّيُوطي في « الدر المنثور » في تفسير قوله تعالى : « **إنّ إبراهيم لأوّاه حليم** » [التوبة : 114] أحاديث في تفسير الأواه منها ؛ أنّه الذي يُكْثِر ذكرَ الله ، ومنها ؛ أنّه الذي علّق قلبَه بالله ، ومنها : أنه الموفق وهو لغة الحبشة ، ومنها ؛ أنّه الذي يُكْثِرُ التأوّه .

ونقل الفاضل الشهير بـــ « طاش كبرى زاده » في « شرح الجزري » : أنّ الجهر بالأذكارِ والإسرارَ بها منقولٌ عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم فهما جائزان ، لكن إذا لم يخلص نيته من الرياء . . فالإسرارُ أولى .

ولا يخفى أنّ الإخلاصَ والرّياءَ مما لا يطّلع عليه ، فليس لأحَدٍ أن يُنْكِرَ على أحَدٍ بأنّه مراءٍ ولذا ورد : « **اذكروا الله ذكرا كثيرا** » [الأحزاب : 41] حتى يقول المنافقون : إنّكم مراءون ، وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » في الزهد ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، وسعيد بن منصور في « مسنده » عن أبي الجوزاء رضي الله عنه ، وأخرجه أيضا الطبراني في « الكبير » عن ابن عبّاس رضي الله عنه .

---

[49] رواه الشافعي في «مسنده» : 179/1 ، والبيهقي في «معرفة الآثار والسنن» : 172/3 .
[50] ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» : 172/4 .
[51] رواه البيهقي في شعب الإيمان : 148/2 ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة : 347/9 .
[52] رواه الحاكم في «المستدرك (522) .

وفيه توبيخٌ عظيمٌ ، وزجرٌ فخيمٌ لمن طَعَنَ في الذّكر الجهريّ ، والأحاديثُ في الجهر بالذّكر كثيرةٌ فلا حاجةَ إلى الإطالة .

قال الإمام الواحديُّ[53] في تفسيرِه المسمى بـ « الوسيط » : الذّكرُ من جملة الفرائضِ وإعلانُ الفرائضِ أولى وأحبُّ كما أجمع عليه العلماء .

وقال قاضي خان[54] من مرجحي مذهب أبي حنيفة وغيره : الذّكر في الأسواقِ ومجالسِ الغفلة والفسق جائزٌ بنية أنّهم مشتغلون بالدّنيا ، وهو مشتغلٌ بالتّسبيح ، وهو أفضلُ من التّسبيحِ وحده في غير السّوق .

وأما ما رُوي عن ابن مسعود : « أنه رأى قوما يذكرون برفع الصّوت ، فقال : ما أراكم إلا مبتدعين »[55] فلا أصل له ، وذلك أنه لم يثبت عند الأئمة الحفّاظ بل ثَبَتَ في صحيح مسلم خلافَه عن ابن عبّاس ، قال : « **إنّ رفع الصّوت بالذّكر حين يَنصرِفُ النّاسُ من المكتوبة كان على عهد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم** » .

وأيضا قال بعضُ الأئمّة : ما زال ابن مسعود يذكر الله في المجالس فكيف يُنْكِرُه .

وعلى تسليم ثبوتِه يكون معارِضا للأحاديث الصّحيحة فلا يُعْتَبَرُ به أصلا .

وأما ما ورد : « إنكم لا تدعون أصمّ . فهو من مطابقة الكلام لمقتضى الحالِ ؛ لأنهم قالوا : يا رسول الله أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه »[56] ؟ فهو صريح في الدعاء .

---

[53] الإِمَامُ العَلاَّمَةُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو الحَسَنِ، عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الوَاحِدِيُّ النَّيْسَابُوْرِيُّ الشافعي ،كَانَ طَوِيْلَ البَاعِ فِي العَرَبِيَّةِ وَاللُّغَات ، أخذ عن الثعلبي ، صنّف التفاسير الثَّلاَثَة : الْبَسِيط والوسيط والوجيز ، توفي :نَيْسَابُوْرَ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ (468هـ) . «سير الأعلام النبلاء»: 453/13

[54] الإمام الكبير فخر الدّين حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني الحنفيّ ، المعروف بــ «قاضي خان» صاحب الفتاوى المشهورة ، توفي سنة (560 هـ) . «جواهر المضية في طبقات الحنفية» : 205/1

[55] ذكره المناوي في «فيض القدير» (457/1) .

[56] رواه البيهقي في شعب الإيمان (451/1) ، وابن أبي شيبة في المصنّف (107/1) .

قال بعضُ المحقّقين : أنه كان صلّى الله عليه وسلّم ينتظر الوحيَ ، وكانت أصواتُ النّاس بالتكبير تُشْغِلُه ، فأشار عليه الصلاة و السّلام إليهم بالذّكر القلبيّ في تلك الحالة .

قيل : كان النّبي يشمّ من بعضهم رائحةَ الرّياء ، فمنعهم بأحسن وجهٍ .

قال المحقّقون من المفسّرين عند قوله تعالى : « **اذكروا الله ذكرا كثيرا** » [الأحزاب : 41] أي : دُومُوا على ذكرِ الله في الأحوالِ كلِّها قائمين وقاعدين ومضطجعين مرضى وأصحّاء ليلاً ونهاراً سرًّا وعلانيةً حركةً وسكوناً في البرِّ والبحرِ والسّفرِ والحضرِ في الحلمِ والغضبِ في السّرورِ والتّعبِ في السّوقِ والطّربِ في الطّاعةِ والمعصيةِ في الجنابةِ والطهارةِ في الشّدةِ والفرجِ وفي كلّ حال إلا حال الإنزال ؛ لأن فيها يكون المرؤُ مغلوباً على عقلِه معذوراً في تركِه وفعلِه وهذا مجموعُ ما في التّفاسير المشهورة كـ« أبي السعود » و« القاضي » و« الكازروني » و« الرازي » .

أمّا الاهتزاز عند الذكر . . فلقولِه صلّى الله عليه وسلّم : ليس بكريمٍ من لم يهتزّ عند ذكْرِ الحبيبِ .

قال الحرقاني : الرّجلُ هو الّذي إذا قال : لا إله إلا الله اهتزّ من فرق رأسِه إلى أصبع قدمِه ، وإن لم يهتزّ فليس برجلٍ .

وأما إنشادُ كلامِ القوم المتضمّنِ للمعارف والحكم وتهييج الأشواق وتجديد الأذواق . . فليس فيه حرجٌ نُقِل عن بعض أصحاب أبي حنيفة حوازُ السّماع .

ونقل أبو طالب المكيّ إباحة السّماعِ عن جماعة من العلماءِ وقال : سَمِعَ ذلك من الصّحابة عبدُ الله بن جعفر ، وابن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ،ومعاوية وغيرهم ، وقد فَعَلَ ذلك كثيرٌ من السّلف ، وتابعيهم بإحسان ،ثمّ قال : ولم يَزَلِ الحجازيُّون عندنا بمكّة يَسْمَعُون السّماع في أفضل أيام السّنة ولم يزل أيضا أهلُ المدينة يواظبون على السّماع .

قال يونس بن عبد الله : سألتُ الإمام الشّافعي عن إباحة السّماع ، فقال : لا أعلمُ أحداً من أهل المدينة يكره السّماع .

فعلم من هذا أنّ من قال بالكراهة فمرادُهُ التّنزيه لا التّحريمُ ، فأمّا من قال بالتحريم . . فمرادُه السَّماع المقارِنُ للأهوية النّفسانية والخواطر الشّيطانية ، فهذا السَّماع يجرّ صاحبَه إلى الملاهي ، ولا يوردُه على العشق الإلهي .

وقد أَطْنَبَ صاحبُ « الإحياءِ » في منع القولِ حرمة السّماع وإبطال دليل الحرمة ، قال في « العوارف » : روي أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم دخل عليه رجل وعنده قوم يقرؤون القرآن ، وقوم ينشدون الشعر ، فقال : يا رسول الله قرآن وشعر ؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم : « من هذا مرة ومن هذا مرة » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « **إنّ من الشّعر لحكمةٌ** »[57] .

قال تعالى : « **ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة** » [النحل : 125] .

وروي : « **أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم مرّ على أصحاب الدرق ، فقال : « خذوا يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أنّ في ديننا فسحة** »[58] .

استدلّ بهذا من يرى إباحة السّماع ، والسّماعُ لمن تخلّى من الهوى وتهلّى بالتّقوى واحتاج إلى ذلك احتياجَ المريضِ إلى الدّواء مطلوبٌ محبوبٌ .

نقل خير الدين تفصيلا ، فقال : إن كان ذا داعيةً للخير يحِلُّ وإن للشرّ يحرُمُ وشبّهوه بسوق الدّابة إن احتيج إليه حَلَّ وإلا حَرُمَ ، وأنشد :

أو ما ترى الإبل الّتي * هي و يك أغلظ منك طبعا

تصغي إلى صوت الحدا * ة وتقطع البيداء قطعا

---

57 رواه أبو داود (303/4) ، وابن ماجه (1235/2) ، والترمذي (137/5) .
58 ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (259/4) .

وأجمعُ عبارةٍ فيه ما قاله بعضهُم : قد حرّمه من لا يعترض عليه ؛ لصدق مقاله ، وأباحه من لم ينكر عليه ؛ لقوة حاله .

فمن وجد في قلبه شيئاً من نورِ المعرفة . . فليتقدّم وإلا فرجوعُهُ إلى ما نهاه عنه الشّرعُ أسلمُ وأحكمُ .

وأما لبس المرقعة وإلباسها . . فهو مأثورٌ ثابتٌ ، ويكفي فيه ما أشار إليه المحقّق السابق في الجواب ، والله أعلم بالصواب .

الفقير محمّد حسين الكتبي الحنفي عفي عنه .

ومنه أيضا ما كتبه العلامة الشيخ إبراهيم الملّوي[٥٩] – رحمه الله – ونصُّه : الحمد لله ، حيث كانوا على الكتابِ والسّنة مشتغلين بالذّكر والأورادِ ؛ فلا ينبغي التّعرُّضُ لهم والإنكارُ عليهم إذا كانوا بتلك المثابة ، والله أعلم . الفقير إبراهيم المالكي خادم العلم والفقراء بالأزهر عفي عنه ، آمين .

ومنه أيضا ما كتبه العلّامة الشيخ حسن العطّار[٦٠] رحمه الله تعالى ونصُّه :

الحمدُ للهِ إذا كان حال هؤلاء الطّائفة كما هو مذكورٌ في السّؤال . . فهم على أكمل الأحوالِ والمنكِرِ عليهم متعنّتٌ جهولٌ ، ومثل إنكاره هذا يعدّ من الفضول والله أعلم الفقير حسن العطار خادم العلم والفقراء بالأزهر غفر له .

---

59 أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الملوي المُجِيري، أبو العباس شهاب الدين، الشافعيّ الأزهري: شيخ الشّيوخ في عصره مولده ووفاته بالقاهرة ، قال الجبرتي: «حجّ وأخذ عن جماعة، وعاد إلى مصر ، وهو إمام وقته في حَلّ المشكلات، المعول عليه في المعقولات والمنقولات، حموي الأصل»، له كتب ، منها : شرحان لمتن السلم ، كبير وصغير ، و «شرح عقيدة الغمري» ، و «حاشية على شرح القيرواني لأم البراهين»، ، وغيرها. توفي رحمه الله سنة (1181(هـ). «الأعلام» للزركلي: 152/1

60 الشيخ حسن العطّار نشأ في ظل أبيه الشيخ محمد كتن ، ويمت بنسبه إلى أسرة مغربية وفدت إلى مصر ، أخذ عن : الشيخ محمّد صبّان ، و الشيخ محمد أمير ، من مصنَّفاته: «حاشية على شرح جمع الجوامع» ، و «حاشية على الأزهرية» ، توفي : سنة (1250هـ) . «الأزهر وأثره في النّهضة الحديثة» : 132/3 .

ومنه أيضا ما كتبه العلامة الشيخ عليش[٦١] – حفظه الله تعالى – ، ونصُّه : الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله جوابي عن هذا السّؤال كجوابي هذين الشّيخين الأعلى والأيمن – رحمهما الله تعالى رحمة واسعة – والله تعالى أعلم ، صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم .

عبد الله محمّد عليش المالكي عفي عنه آمين .

ومنه ما كتبه العلامة الشيخ أحمد السّباعي – رحمه الله تعالى – ، ونصّه :

الحمدُ لله وحده ، والصّلاة والسّلام على من لا نبيَّ بعده ، الجوابُ : ما ذُكِرَ أعلاه ولا يحتاج إلى كلام أدناه من يرتجي أن يكون في الخير ساعيَ الفقير أحمد السّباعي .

ومنه ما أجاب به العلامة الشيخ جمال المكي – رحمه الله تعالى – ونصّه :

الحمد لله ربّ العالمين ، ربّ زدني علما ، أما الذكر . . فهو لا يخلُو إمّا أن يكون في وقت صلاةٍ أو تعليم علمٍ فهو حرام حيث يشوِّشُ عليهم ، وإن خلا عن ذلك فللعلماءِ فيه كلامٌ كثيرٌ .

وقد وقع سؤالٌ للعلّامة الرّملي[٦٢] فأجاب بقوله : فقد جاء في الحديث ما اقتضى طلبَ الجهرِ نحو : « وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » . رواه البخاري ، ومسلم ، والتّرمذي ، والنسائي ، وابن ماجه .

ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيحٍ وزاد في آخِرِه : قال قتادة : وإليه أسرعُ .

---

61 أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن محمد عليش ، المالكي ، الأشعري ، الشاذلي ، فقيه ، متكلم ، نحوى ، صرفي، بياني، فرضي، منطقي، ولد بالقاهرة سنة (1217هـ) ، من مصنّفاته : منح الجليل على مختصر خليل، وحل المعقود من نظم المقصود ، توفى : سنة (1299هـ) . معجم المؤلّفين : 12/9 .

62 المحقّق مُحمّد بن أحْمد بن حَمزة الرملي المصري الأنصاريّ الشافعيّ،ولد (٩١٩هـ)أخذ عن والده شهاب الدين الرمليّ، والإمام برهان الدّين بن أَبى شريف، وأخذ عنه: النُّور الزياديّ و سالم الشبشيرى، الشهاب القيلوبي، شمس الدين الشوبري ، من مصنفاته: «نهاية المحتاج بشرح المنهاج»، و«شرح الزبد »، توفي سنة (١٠٠٤هـ) رحمه الله تعالى.معجم المؤلّفين: 255/8.

والذّكر في الملأ لا يكون إلا عن جهرٍ ، وكذا حلقُ الذّكر وطوافُ الملائكة ، وما ورد فيها من الأحاديث فإنّ ذلك إنّما يكون في الجهرِ بالذّكر وهناك أحاديثُ اقتضتْ طلبَ الإسرارِ . والجمع بينهما بأنّ ذلك يختلفُ باختلاف الأشخاصِ والأحْوَطُ كما جمع بين الأحاديث الطّالبة للجهر بالقراءة والطّالبة للإسرار بها ، ولا يعارض ذلك خير الذّكر الخفيّ ؛ لأنّه خيفةُ الرياء أو تأذّي المصلّي والنّيام والجهرُ ذَكَرَ بعضُ أهلِ العلم أنّه أفضل حيث خلا عما ذُكِر ؛ لأنه أكثرُ عملا ، وتتعدّى فائدتُه إلى السّامعين ويُوقظ قلب الذّاكر فيجمعُ همَّه إلى الذّكرِ ، ويصْرِفُ سَمْعَه إليه ويطْرِدُ النّوم ويزيد النّشاط وقوله تعالى : « **واذكر ربّك في نفسك** » [الأعراف : 205] أجيب عنه بأنّها مكيّةٌ كآية الإسراء : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها [الإسراء : 110] . نَزَلَتْ لئلا يسمَعَ المشركون فيسبّون القرآن ومن أنزله فأُمِر به سدّا للذّريعة كما نهى عن سبّ الأصنامِ بذلك وقد زال .

وبعض شيو خ مالك وابن جرير وغيرهما حملوا الآية على الذّكر حالةَ قراءة القرآنِ تعظيماً له ، ويدلّ عليه اتّصالُها بقوله تعالى : « **وإذا قرئ القرآن** » [الأعراف : 204] إلى آخره .

قالت السّادة الصّوفية : الأمرُ في الآيةِ خاصٌّ به صلّى الله عليه وسلّم ، وأما غيرُه ممّن هو محلُّ الوساوس والخواطر الرديئة . . فمأمورٌ بالجهرِ ؛ لأنه أشدُّ في دفعِها ، ويؤيّدُهُ حديثُ البزارِ : « من صلّى منكم باللّيل . . فليجهر بقراءته ؛ فإن الملائكة تصلّي بصلاته وتسمع بقراءته ، وإن مؤمني الجنّ الّذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته ويسمعون قراءته ويطرد بجهره عن داره والدور التي حوله فسّاق الجن ومردة الشياطين »[٦٣] .

وتفسيرُ الاعتداءِ لا يحبّ المعتدين بالجهر بالدعاء مردودٌ بأنّ الرّاجِحَ من تفسيرِه التّجاوزَ عن المأمور به ، والاختراع بما لا أصل له في الشّرع ، والتّوفيقُ بين ما ورد في الجهر والإسرار واجبٌ .

---

[63] رواه البزار في مسنده (97/7) .

فإن قلتَ : صرّح في « الخانية » بأنّ رفعَ الصّوت بالذّكر حرامٌ ؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام لمن رفع صوتَه بالذّكر : إنّك لا تدع أصما ولا غائبا .

قوله عليه الصّلاة والسّلام : « خيرُ الذّكر الخفيُّ »[64] ؛ لأنّه أبعدُ من الرّياءِ وأقربُ إلى الخضوعِ محمولٌ على الجهريّ الفاحش المضرّ .

وفي « البزازية » ناقلا عن الفتاوى : إنّ الذّكر بالجهر في المسجد لا يمنع احترازاً عن الدّخول تحت قوله تعالى : « **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه** » [البقرة : 114] .

وصنيعُ ابن مسعود يعني إخراجَه جماعةً من المسجد سمعهم يهلّلُون ويصلون على النّبي صلّى الله عليه وسلّم جهرا يخالِف قولَكم .

قال : قلتُ : الإخراجُ من المسجد لو نُسِبَ إليه بطريق الحقيقةِ يجوزُ أن يكون لاعتقادهم العبادةَ فيه ، ولتعليم النّاس أنّه بدعة ، والفعل الجائز يجوز أن يكون غيرَ جائزٍ فيه لغرضٍ يلحقُه فكذلك غيرُ الجائز يجوز أن يجوزَ لغرض كما ترك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الأفضلَ تعليما .

ثم قال : وما رُوِي في الصّحيح أنّه عليه الصّلاة والسّلام قال للرّافعي أصواتهم بالتّكبير : « أربعوا على أنفسكم إنّكم لا تدعون أصمّا ولا غائبا إلخ » .

يحتمل أنّه لم يكن في الرّفع مصلحة .

فقد رُوِي أنّه كان في غزاة ، ولعلّ رفع الصّوت لم يكن فيه مصلحة ؛ لأنّ الحرب خدعةٌ ، وأمّا رفع الصوت بالذكر . فجائزٌ انتهى ملخّصاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

[64] رواه أحمد في «مسنده» (172/1) .

وأمّا الوجد عند سَماع القارئ أو المنشِدُ . . فهو أصلٌ أصيلٌ عند أربابِ القلوب ، وقد أثنى الله تعالى على أصحاب الوُجْدِ فقال سبحانُه وتعالى : « **إذا سَمِعُوا ما أنزل إلى الرّسول ترى أعينهم تفيض من الدّمع** » [المائدة : 83] .

وقد اشترط كثيرٌ من القومِ بدأته بسَماع آياتٍ من كتابِ الله تعالى ؛ فإنّ غالبَ أربابِ القلوب إنّما يظهر عليهم أثرُ الوجد عند سَماع القرآن .

روي أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « **فكيف إذا جئْنا من كلِّ أمّةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** » [النساء : 41] ؛ فقال : حسبك وذرفتْ عيناه[٦٥] .

وبكى أيضا عند قراءة : « **إن تعذبهم فإنّهم عبادك** » [المائدة : 118] .

وأما ما نقل عن الذين تواجدوا عند سماع آية من الصحابة والتابعين . . فأكثر من أن يحصى فمنهم من صعق ومنهم من بكى اليومين والجمعة ، ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته ، ومات ابن أبي أوفى من التّابعين عند قراءة : « **فإذا نقر في الناقور** » [المدثر : 8] فصَعِقَ .

وسمع عمرُ رضي الله عنه قارئاً يقرأ : « **إنّ عذاب ربّك لواقع** » [الطور : 7] فصاح صيحة سمعت بأقطار المدينة ثمّ غشى عليه يوما ، وحمل إلى منزله ثم ضعف شهرا .

وسَمِعَ الشّافعيُّ قارئاً يقرأ : « **هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون** » [المرسلات : 35-36] فغشى عليه يومين .

وبشرط أنّ المُسْمِعَ مريدٌ للشّيخ أو لغيرِه قد خَدَمَ الفقراءَ أو سقي بشرابهم وامتزج بأحوالهم وتهذّب بتسليكهم ، وله اعتقادٌ صالحٌ ، وقلب خاشع محزونٌ على ذنوبِه وعيوبِه

[65] رواه البخاري (4763) .

ويَحْفَظُ كثيرا من الأشعار الرّبّانية ، وكلام القوم ، وهو فصيح الكلام ، حسن الصوت ، كثير الحياء سريع البكاءِ ولا مللَ عنده في السّماع انتهى ملخصاً من جواب سؤال أجاب عليه العلامة شهاب الدين الحمصي الشافعي ووافق عليه العلامة يحيى بن موسى الحنفي .

وأما حكم مبايعة المشايخ . . فقال العلامة حقي أفندي[٦٦] في تفسيره « روح البيان » عند قوله تعالى : إن الذين يبايعونك [الفتح : 10] إلى آخر الآية تبين بهذه سنة المبايعة وأخذ التلقين من المشايخ الكبار ، وهم الذين جعلهم الله تعالى قطب الإرشاد بأن أوصلهم إلى التّجلي العيني بعد التجلي العملي .

وعن شدّاد بن أوس وعُبادة بن الصّامت قالا : كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : هل فيكم غريبٌ يعني : أهلَ كتاب قلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغَلْقِ البابِ وقال : ارفعوا أيديَكم فقولوا : لا إله إلا الله فرفعنا أيديَنا ساعةً ثمّ وَضَعَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يدَه ثم قال : الحمد لله اللهم إنّك بَعَثْتَني بهذه الكلمة ، وأمرتَني بها ووعدني عليها الجنّة إنّك لا تخلف الميعاد ثمّ قال : أبشروا إنّ الله قد غفر لكم كما في « ترويح القلوب » لعبد الله البسطامي قدّس سرّه .

وأُخِذَ من التّقرير المذكورِ أخْذُ اليد في المبايعة وذلك بالنّسبة إلى الرّجال دون النّساء . قال أبو يزيد البسطامي : من لم يكن له أستاذ فإمامُه الشّيطان ، وسمعتُ كثيرا من المشايخ يقولون : من لم ير مفلحا لا يفلح ، لنا في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ .

فأصحابُ رسولِ الله تلقّوا العلومَ والآدابَ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما رُوِيَ عن بعض الصّحابة : « عَلَّمَنا رسولُ الله كلَّ شيءٍ حتى الخراة »[٦٧] – بكسر الخاء المعجمة – يعني : قضاءَ الحاجة .

---

[66] المفسّر الصّوفي إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي ، له كتب عربية وتركية فمن العربية : «روح البيان في تفسير القرآن» ، و«الرسالة الخليلية» ، توفي سنة (1127هـ) الأعلام : 313/1.

[67] رواه مسلم (262) .

فلا بدّ لطالب الحقِّ من أديبٍ كاملٍ وأستاذٍ حاذقٍ ، يبصِّرُه بآفاتِ النّفوس وآفاتِ الأعمالِ ، ومداخل العدوِّ فإذا وَجَدَ مثلَ هذا فليلازمْهُ ، وليصحبْهُ وليتأدّبْ بآدابه ؛ ليسرى من باطنه إلى باطنه حال قويٌ كسِراج اقْتَبَسَ من سراجٍ ولينسلخْ من إرادة نفسِه بالكليّة ، فإنّ التّسليمَ له تسليمٌ للهِ ولرسولِه ، فإنّ سلسلةَ التّسليم تنتهي إلى الرسول وإلى الله عزّ شأنه انتهى منه ملخّصاً ، واللهُ الهادي وعليه اعتمادي .

أُمِرَ برقمِه راجي لطف ربّه الخفي جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي مفتي مكة المكرّمة كان الله لهما حامدا مصليا مسلما .

ومنه ما أجاب به العلّامة الشيخ محمّد بيرم الخامس التونسي[٦٨] – حفظه الله – ونصّه :

الحمد لله وحده ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد الذي لا نبيَّ بعده وعلى آله وأصحابه المؤيّدين ملّته والمكثرين جندَه .

أما بعد : فقد وقفتُ على تحريراتِ العلماءِ الأعلامِ ، هداة الأنام ، المرسومة بخطوطهم أعلاه ، وتبرّكتُ بما تضمنتْه من الفؤائدِ الخالصةِ من الاشتباه وأخطرني من لا تسعني مخالفةُ أمرِه أن أقتفي أثرَهم فامتثلتُ متطلّباً فيوضَ صدْرِه ، وأقولُ : إنّ المسائلَ المبحوثَ عنها يستدعِي الكلام عليها فرادى تقديم مقدّمة ، وهي أنّ طُرُقَ المشايخ أولياء الله رضي الله عنهم مآلُها هو التقرّب إلى الله تعالى لكي يكونَ مع عبدِه في جميع أحوالِه .

ومن المعلومِ أن التّقرّبَ له سبحانه وتعالى إنّما يكون بما شُرِعَ من الدّين بواسطةِ فخْرِ المرسلين عليه الصّلاة والسّلام ؛ إذ لا مجالَ للعقلِ والاختراع فيما يرجع إلى إرضاء الخالق جلّ وعلا .

---

68 العالم الرّحالة المؤرّخ محمد بيرم الخامس ابن مصطفى ابن محمد الثالث من بني بيرم ولد بتونس سنة (1256هـ) ، وولي بعض المناصب ولد بها ، من مؤلّفاته: «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار» ، وتوفي بالقاهرة سنة (1307هـ) . الأعلام : 108/8 .

ويرشدُ إلى ما تقدّم الحديثُ القدسي المرويَّ في الصّحيح : « ما زال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به . . إلخ » الحديث .

وعلى ذلك فيلزمُ وزنُ أعمال الشّيخ بميزان الشّرع ، فإن واقفتْ عَمِلَ بها ، وإلا ردّت ؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم : « كلّ عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ »[69] .

ومن دقائقِ ما يجب التّنبهُ إليه هو الاحترازُ من مشابهة البدعةِ المذمومةِ في الدّين ، وهي : اختراعُ شيءٍ على أنّه عبادةٌ من غير الرّسول صلّى الله عليه وسلّم مع أنّه لم يكن عمله عليه ، ولا أمرٌ به لا بالإجمال ولا بالتفصيلِ كما بيّن ذلك أبو إسحاق الشاطبي في كتابه « الاعتصام » وأطال فيه البرهان وعَدَّ من ذلك اتّخاذّ السّنن والنّوافل مَأْخَذَ الفرائضِ ؛ لإخراجها عن موضوعها الّذي هو مجرّدُ التّرغيب إلى الالتزام والإيجاب .

ويَشْهَدُ له من نصوصِ فقهائِنا الحنفية ما ذكروه من استحباب التّنفّل في البيت سيّما ممن يقتدى بهم خشيةَ التلبّسِ على العامّة بالوجوب ، فإذا تمهّد هذا وكان العملُ المبحوثُ عنه خالِياً عن تلك الشّائبة ، ومؤسّسا على قواعد التّشريع فلا شكّ في جوازِه ، وطلبِ ما هو مطلوبٌ منه .

وبيان ذلك يستدعي بيان إفراد مباحثَه التي عشرة مباحثُ :

الأوّل : إن هذا الطّريق له سندٌ يتّصل بصاحبِ الشّرع عليه الصّلاة والسّلام فهذا لا شكّ أنه من أصول قواعد ديننا المتين .

وقد نصّ العلماءُ في دواوين عِلمِ الحديث وعلمِ الأصول والفقه : إنّ السّند من خصائص هذه الشريعة المباركة ، والأصل فيه هو ما قدّمناه من أن التّشريع خاصٌّ بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم فيلزمُ إسنادُ الأمرِ إليه ، وذلك يتوقف على السّند والرّواية بشروطها .

---

69 رواه البخاري (2499) ، ومسلم (3242) .

الثاني : إنّ هذا الطّريق يجهر فيه بالذّكر وهذا سائِغٌ فقد نقل في « ردّ المختار » عن « الفتاوى الخيرية » ما نصّه : جاء في الحديث ما اقتضى طلبَ الجهرِ بنحو : « وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » . رواه الشّيخان .

هناك أحاديثُ اقتضتْ طلبَ الإسرار والجمعُ بينهما بأنّ ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما جمع بذلك بين أحاديث الجهر والإخفاء بالقراءة ولا يعارض ذلك خبرُ الذكر الخفي ؛ لأنه حيث خيف الرياء أو تأذى المصلين أو النيام فإن خلا عن ذلك قال بعض أهل العلم : إنّ الجهر أفضل ؛ لأنه أكثر[70] عملا ولتعدّي فائدتِه إلى السّامعين فيجمع همَّه إلى الفكرِ ويصرف سمعَه إليه ، ويطرد النّومَ ويزيد النّشاط انتهى .

الثالث : إنّ هذا الطّريق يذكر أصحابه فرادى ومجتمعين فهذا أيضا سائِغٌ ، أما الأفراد . . فلأنه الأصلُ ، وأما الاجتماع . . فقد نقل الحموي في حواشيه عن الإمام الشعراني[71] ما نصُّه : أجمع العلماءُ سلفا وخلفا على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها إلا أن يشوّش جهرُهم على نائم أو مصلّ أو قارئ .

الرابع : التزامُ الذّكر في أوقات معيّنة ، فهذا إن كان الالتزامُ بمعنى الوقوع الخارجيّ وإجرائه مجرى سائر النّوافل في الاعتقاد من غير عقد القلب على الالتزام به . . فلا بأس ولا شكّ في مطلوبيّته ، وإن كان بمعنى عقد القلب على الالتزام به كالتزامه بالفرائض . . فهذا مكروه ؛ لأنه إخراجٌ للمشروع عن صفته .

وقد صرّح علمائنا بذلك وبأنّه يكره النّذر لقلبه المندوب واجبا ثمّ على تقدير وقوع الالتزام فإنّه يلزم العملُ بما التزم به لما في الالتزام من معنى العهد الذي يجب الوفاءُ به منا حرّرنا ذلك فيما كتبناه على باب الوفاءِ بالعهد وغيره من صحيح البخاري .

---

70 في نسخة أفضل

71 أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن نور الدين علي الأنصاري الشافعي ، ولد 27 من شهر رمضان المبارك سنة (897هـ) ، أخذ عن : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وأخذ عن عبد الرؤوف المناوي ، من تصانيفه : «الميزان الكبرى الشعرانية» ، و«الأنوار القدسية» ، توفي يوم الاثنين بعد العصر 12 جمادى الأولى سنة (973هـ). «الكوكب السائر» : (153/3) .

ومن المعلوم أن سادتَنا الأولياء – رضوان الله عليهم – أشدّ النّاس تحفّظاً على الشّريعة ونقل عن كثير منهم أنه قال ما معناه : **ما يبلغكم عني فزنوه بميزان الشّرع ، فإن وافقه الشّرع فخذوه ، وما لا فاضربوا به الحائط** .

وعلى ذلك فيلزمُ أن تحملَ أورادَهم كلَّها على المنهج المشروع ومنه إجراءُ النّوافل على صفتها ، وليس مرجعُ ذلك إلا عملُ القلب فيجاهدون أنفسَهم بأنواع الطّاعات ويبقون كلّا منها على صفتِه المشروعة ؛ لأنهم أشدّ النّاس اتّباعا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فينبغي لمريدهم التّنبّه إلى ذلك والعملُ بمقتضاه .

الخامس : الذكر قياما وقعودا ، هذا أيضا لا شكّ في جوازه ؛ إذ صلاة النّافلة قد أجيزتْ على نحو ذلك فما بالُك بمجرّد الذّكر ؟

السادس : اهتزازُ الذّاكر عند الذّكر فهذا وإن كان ظاهر الوهبانية منعه لكن المعتمد ما ذكره ابن كمال باشا ، ونقله العلامة الصفوة ابن عابدين وأقرّه ونصّه :

ما في التّواجد إن حقّقت من حَرَجٍ ، ولا الشّمائل إن أخلصت من بأس فقمتُ تسعى على رجلٍ ، وحقّ لمن دعاه مولاه أن يسعى على الرّأس . الرّخصة فيما ذكر من الأوضاع عند الذّكر والسّماع للعارفين الصّارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال ، السّالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال ، فهم لا يستمعون إلا من الإله ، ولا يشتاقون إلا لله إن ذكروه . . ناحوا ، وإن شكروه . . باحوا ، وإن وجدوه . . صاحوا ، وإن شهدوه . . استراحوا ، وإن سرحوا في حضرة قربة . . ساحوا إذا غلب عليهم الوجد بغلباته وشربوا من موارد إراداته .

فمنهم من طرقته طوارقُ الهيبة فخر وذاب ، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرّك وطاب ، ومنهم من طلع عليه الحبّ من مطلع القرب فسكر وغاب ، هذا ما عنّ لي في الجواب ، والله الموفّق للصّواب انتهى ، ومنه يعلم أيضا التّصريح بجواز الذّكر قائما .

السابع : إفرادُ الذّاكر لكلمة « لا إله إلا الله » فذا لا مريَة في جوازه .

قد ورد في الصّحيح : « أفضل ما قلته أنا والنّبيون من قبلي لا إله إلا الله »[72] .

ورد في التّسبيح والتّحميد والتّكبير دبر كلّ صلاة ثلاثا وثلاثين ختامها بـــ « لا إله إلا وحده لا شريك له . . » إلخ .

وكذلك أحاديث صلاة التّسبيح بحيث أنّ المسألة أوضحُ من أن يؤتى فيها بدليلٍ بل إفراد ذكر اسم الجلالة وحده جائزٌ .

وفي « رد المختار » ما نصّه : روى هشام عن محمّد أبي حنيفة أنّه اسم الله الأعظم ، وبه قال الطحاوي وكثير من العلماء ، وأكثر العارفين حتى أنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما في « شرح التحرير » لابن أمير حاج انتهى .

الثامن : القصرُ في اسم الجلالة بحذف الألف بين اللّام والهاء قد سمع في لغة بعض العرب ، ولا مانع من التكلّم بأيّ لغة من لغاتهم بل قد جوّز الفقهاء ذبحة من سمّي بتلك اللغة ، وقالوا : بانعقاد يمينه .

قال ابن الشحنة[73] في « شرح الوهبانية » : المرادُ بـ « الهاوي » الألف بين الهاء واللّام فإذا حذفها الحالفُ أو الذابحُ أو الدّاخلُ في الصّلاة ، قيل : لا يضرّ ؛ لأنه سُمِعَ حذفُها في لغة العرب وقيل : يضرّ انتهى .

التاسع : إنشادُ الشّعر في مدائح النّبي صلّى الله عليه وسلّم والتّشويق للحضرة القدسيّة أو الثّناء على بعض الصّالحين ؛ فهذا جائزٌ شرعا ، ولا محذورَ فيه بل ورد ما يدلُّ على التّرغيب فيه على الجملة .

قال في « الضياء المعنوي » العشرون : أي : من آفات اللسان الشعرُ .

---

[72] رواه البخاري (799) ، ومسلم (930) .

[73] القاضي الفقيه أبو البركات سريّ الدين عبد البرّ بن محمد بن محمد، المعروف بـ«ابن الشحنة» الحنفي ، ولد بحلب سنة (851هـ) من مصنّفاته : «الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية» ، و«غريب القرآن» ، و«تفصيل عقد الفرائد» توفي سنة (921هـ) .الأعلام : 44/7 .

سئل عنه النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقال : « كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح »[74] .

فما كان منه في الوعظِ والحكمِ وذكرِ نعمِ الله وصفةِ المتّقين فهو حسنٌ ، وما كان في ذكر الاطلالِ والزمانِ والأممِ فمباحٌ وما كان في هجوٍ وسخفٍ فحرامٌ ، وما كان في وصف القدور والخدود فمكروهٌ .

كذا فسّره أبو اللّيث السّمرقندي ومن كثُر إنشادُه وإنشاءُه حين تنزل به مهماتُه ويجعله مكسبةً له تنقص مروءتُه وتردّ شهادتُه انتهى باختصار .

وذكر ابن الهمام في شهادات الفتح تفصيلا يؤول إلى نحو ما ذُكِر مع زيادةٍ أنّ ما كان من الغزل إنما يحرُم إذا كان المتغزِّل فيه حيّا معروفاً ولم يقصِدْ من ذكر الشّعر الاستشهادُ على قاعدةٍ بلاغيةٍ أو نحويةٍ .

ما إذا خلا عما ذُكِر فهو مباحٌ مطلوبٌ واشتهار قصيدةِ كعب مع ما في طالعتِها من ذكر سُعاد وإنشادها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومجازاته بالعفو والبردة كافٍ في الدّليل .

وكذلك جعْل منبرٍ لحسان في المسجد ليناضل بشعره عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صريحٌ في جوازِ الشّعر ولو في المسجد إذا كان الشّعرُ على الصّفة السّابقة .

العاشر : لُبْسُ الخرقة للتّلامذة فهذا أمرٌ مباحٌ ولا مشاحةَ في المباحات وأصلُ اتّخاذها للعارفين كما نصّ عليه السّهروردي في « عوارف المعارف » : هو إقامتُها مقام عهد بين الشّيخ والتّلميذ في تسليم التّلميذ وانقيادِه لشيخِه فيما يعلمه من علوم الشّريعة وتهذيب الأخلاق ، وأبقيت على أصلها في المريد الحقيقيّ وأخرجت عنه لمجرّد الانتسابِ والتّشبّه في المريد المنتسب ومآل ذلك إلى اصطلاح على شيءٍ مباحٍ ، وجعله علامةً على شيءٍ آخرَ إما مباحٍ أو مندوبٍ إليه فهذا ملخَّصُ ما رأيناه من النُّصوص مُنْطَبِقاً على الفروع المسطورة .

---

[74] ذكره القطبي في تفسيره (12/ 271) .

وبناء على ذلك فلا وجْهَ إلى إنكارِ مَنْ أَنْكَرَ على إشاعة هذه الطَّريق بين العامّة ، وأهل السّذاجة من البداوة ؛ إذ لا ريب في تهذيب أخلاقهم بها وإرشادهم بها إلى عمل الطّاعات بما فيها من المشروع .

ولا يضرّ أن يكون بعضُ أحوالِها مباحاً فقط ؛ إذ من شرط الإنكارِ والنّهيِ عن المنكَر أن يكون العملُ مجمعاً على منعه فكيف والحالةُ ما ذكرناه في هذه الطّريقة من كون بعض فروعِها مندوباً إليه وبعضِها مباحًا ثمّ إنّ اشتهارَ مثلِ هذه الطرق في العامّة مما لا يشكّ عاقل في جلبه إلى الخير .

لولا ما يعتري بعضِها من جهل المنتسبين إليها فيحمَلُ على حصولِ التّقاطع والتّدابر بين المسلمين بادعائه الأفضليةَ لطريقته أو منع التّلامذة من تعظيم الصّالحين إلى غير ذلك مما يوسوس لهم به الشّيطان ويخلط به عليهم طريق الآخرة بطريق الدّنيا من التّنافس والتّفاخر المُوجِب للتّقاطع والتّدابر .

والحالُ أنّ الله جلّ وعلا يقول : « **إنّما المؤمنون إخوة** » [الحجرات : 10] وفي الحديث الشريف : « كونوا عباد الله إخوانا »[75] .

وقد علمنا مما تقدّم أن الأولياءَ أشدُّ محافظةً على الشّرع فمن مرغوباتِهم زيادةُ الوحدة والإخلاص بين عموم المسلمين والله يهدي للتي هي أقوم : « **وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** » [هود : 88] حرّره العبد الفقير محمّد بيرم لطف الله به .

ومنه ما أجاب به العالم العلامة والحبر الفهامة الشيخ رحمة الله ابن الشيخ خليل الرحمن الهندي[76] حفظه الله تعالى ، ونصّ عبارته : الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى **وبعد** : فإنّي طالعتُ هذه الرّسالة وما كتبه العلماءُ الأعلامُ في جواز الذّكر الجهري والبيعة وإلباس

---

[75] رواه أحمد في مسنده (9387) .

[76] رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي ، الهندي ، الحنفي ، الدهلوي ، نزيل الحرمين ، من تصانيفه : إظهار الحقّ ، والنصرين في إثبات صلاة العصر على المثلين ، توفي سنة (1306هـ) . «الأعلام» : 18/3 ، و«معجم المموٴلفين» : 154/4 .

الخرقة وتلقين الذّكر في الأمور المذكورة . . ما أجاب به الشّيخ العلّامة جمال المكي طاب ثراه ، والعلامة الشيخ محمّد بيرم دام فضله : بأنّ الذكر الجهريّ إذا كان مشوّشا على المصلّي أو القارئ أو النائب فغير جائزٌ ، وإن كان خالياً عن ذاك التّشويش . . ففيه اختلافٌ بين العلماء والمختار أنه جائزٌ سواء كان الذّاكر منفرداً أو في جماعة الذّاكرين وسواء كان ذاك الذّكر في المسجد أو غيره وسواء كان الذّاكر قائماً أو غير قائم وإن الوجد عند السّماع من القارئ أو المنشد فممدوحٌ ، وأن البيعة وتلقين الذّكر من المشايخ الكبار الصّالحين فسنتان وأن إلباس الخرقة للتلامذة من الأمور المباحة ، ولما وضح العلّامتان المزبورتان هذه الأمور حقّ التّوضيح تركتُ التّوضيح ، والله أعلم وعلمه أتمّ .

كتبه بيده الراجي مغفرة ربّه المنّان رحمة الله ابن خليل الرحمن غفر الله لهما .

وألحق الشيخ محمّد فتح الله أيضا ما نصّه : الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد سند المتشرّعين والمتطرّقين .

أما بعد : فإنّ طرق القومِ صحيحةٌ مشهورةٌ ومؤيّدةٌ بالأدلّة الشّرعية ومنصورةٌ ومعارِضُها معاندٌ جحودٌ وعن رحمة الله مطرودٌ ، وعن بابه مبعودٌ ، ثم إنّه ورد علينا جماعةٌ من أهل الطّريقة المدنية بالبلاد المغربية ، وفي أيديهم سؤالٌ عن أوضاع الطّريق هل هي صحيحة ؟ وهل لها من تحقيق حملهم على ذلك إنكار المنكرين ومعارضة الجائرين الملحدين ؟

فأجابهم أعيانُ العلماءِ بالجامع الأزهر ومحفل الدّين الشّريف المنيف الأنور بما تقرّ به العينُ ويزول عن القلبِ به في ذلك الشّأن الغشاء والرّين فمنهم العمدةُ الفاضلُ والرّحلة الكامل ، شريف النّسب ، عزيز الحسب ، مفتي السّادة الحنفية ، وسيد أهل الطريقة الخلوتية السيّد محمّد حسين الكتبي ، فقد أجاد وأفاد ووفّقه الله في جوابه للسّداد فجزى اللهُ الجميعَ خيراً إنّه على ما يشاء قدير وصلّى الله على سيّدنا محمّد النّبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما انتهى بحروفه .

هذا ما سمحت به القريحةُ الخامدةُ ، والأفكارُ الجامدةُ في أحوال هذه الطّريقة الشّريفة الأنيقة ، وما صار الحصولُ عليه من أجوبة سادتنا العلماءالكرام البدور الأعلام في تأييدها قيّدنا كما وجدناه ، لتعلم أيها المنكرُ أنّ إنكارك في غير محلّه ، وأنّ طريق الله سالمةٌ من الاشتباه ، فاتركْ عنك هذا الهذيان المُوجِب لغضب الرّحمن فإن طريقَتنا ما فيها ملام لا مع أهل الظّاهر ولا مع أهلِ الباطن مشمولةَ الأطراف في الأوصافِ والاتّصاف بالإنصاف ، محمولة على مرضاة الله ورسوله تُعْطى كلٌّ ذي حقٍّ حقَّه وكلّ ذي قسط قسْطه لا جذبها يُخِلُّ بسلوكها و لا سلوكها يخلّ بجذبها كما قال جلّ ثناؤه ، وتقدّست صفاتُه وأسماؤُه : « **مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان** » [الرحمن : 19–20] وإنّما أهلُ العقول السّخيفة والأفكار الضّعيفة إذا سمعوا ما لا تُدْرِكُه فهومُهم وتقصر عنه علومُهم ورموه بسهام الإنكارِ ونظرُوا إليه بعين الاحتقارِ ، وصدروا عنه نفورا . و قالوا منكرا من القول و زورا : « **ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولى الأمر منهم إلى يستنبطونه منهم** » [النساء : 17] .

فالمرجُوُّ أن يحقق جميعنا بالرّجوع إلى ما فيه رضاه ويجعلنا من الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله وأن نكون ممّن سبقت لهم السّعادة وبلغ من الهداية أمانيه ومراده ونال من ذلك أوفر نصيبٍ كما قال ثم يتوبون من قريب .

تمّت بحمد لله الحميد المجيد المجيب ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد النّبي الرّسول الحبيب ، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم ما فاح مسك وطيب وكان تحريرها أيام إقامتنا بدار الخلافة الإسلامية ، الأستانة العلية في أيام خلافة ذي الشّوكة والعدل ، مؤيّد آثار الشّريعة الغراء ومشيد أركان بنيان الفضل ، وارث الفخر كابرا عن كابر ، السّاري على أثر السّلف من الخلفاء والأكابر ، المجتهد فيما يصلح أحوال الدّولة العليّة ، ويعود آثارُ نفعِه على الأمة المحمّدية ، المعتمد على الله والمستمد من مدد رسول الله صلّى الله عليه سلّم المتشرّف بخدمة الرّوضة المعطّرة ، والكعبة الشّريفة المطهّرة مولانا السّلطان ابن السّلطان الغازي عبد الحميد خان الثّاني ، لا زال ملحوظاً في جميع شؤونه محفوظاً بالسّبع المثاني ، وخلد الله بالعزّ والإقبال

ملكه ، وجعل الدّنيا بأسرها ملكه ، وأيده وجيوشه بدوام النّصر ، وحفظ سلطنته بما حفظ به الذكر ، آمين بحرمة طه ويس صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه الطّيّبين الطّاهرين ، والحمد لله ربّ العالمين .

وكان فراغُ تحبير هذا النّحرير بعون اللّطيف الخبير بقلم مؤلّفه ، كان الله له وبالتّوفيق والإحسان عامله في يوم السّبت السابع عشر من شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثمان وتسعين بعد المائتين والألف من الهجرة من له العزّ والشّرف عليه وعلى آله أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليمات ، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحاتُ .

قد قرّظها الأديب الكامل والعالم الفاضل الشّيخ سيّدي محمّد السّنوسي التّونسي حفظ الله ورعاه آمين بقوله :

يمينا بمن أدنى لنا كلّ شاسع ❊ وأجرى لنا بالهدى عذب المشارع

لأنّ الهمام الأوحدي محمّدا ❊ غدا ظافرا يقتاد خير المنافع

فأحيا طريق الله عن خير والد ❊ وأجلاه بين الناس أرحب واسع

وعضد بالفتيا شعائر ذكرهم ❊ فكانت به نورا على نور ساطع

ومن رام تعنيتا بجهل فنوره ❊ غدا ساطعا يسمو ببرهان قاطع

فلا زال يهدي بالمعارف راقيا ❊ مدارج عزّ عند أكرم رافع

يقول مصحّحه مصطفى رشدي بن إسماعيل جمله الله والمسلمين بكلّ وصف جميل : لما منّ الله تعالى عليّ بمطالعته وعجز فكري عن إدراك كنه بلاغته حيث إنّها تدهش العقول وطفقت للتقريظ أقول :

ترى ما بدا بدر أم النور ساطع ❊ أم الحجب زالت أم أمطيت براقع

أم الصحو بعد المحو لاح فأشرقت ❊ لنا الشمس أم برق المراتع لامع

قل الله وارفع إن فتحت ولا ترع * فقد صحّ للأضداد فيك التجامع

وإن منكر جهلا رماك بريبة * فذا النور والبرهان ساطع قاطع

تصدى لردّ آفكين وردعهم * بصارم عزم للمخادع قامع

وأفصح بالإيضاح سرّحقيقة * لمن كان ذا لبّ له الحقّ جامع

مؤلّفه غوث الخليقة ظافر * إمام له قطب الحقيقة راجع

هو الشمس والبدر المنيران في العلا * هو الحبر بحر العلم والفضل واسع

هو الأرض حلما والجبال تمكنا * كذا الفجر ضوءا والغيوث الهوامع

ولّى إلى المولى هداه وأنه * لداع إلى الأولى وللحجب رافع

له الفضل ما رشدي بإرشاده شدا * ترى ما بدا بدر أم النور ساطع

ولمّا تمّ بحمد الله طبعه وزهت رياض مبانيه ، وأشرقت في سماء التحقيق بدور معانيه ، وكان تمام طبعه لداعي عموم نفعه بالمطبعة البهية العثمانية في مقرّ الخلافة العلية صانها ربّ البرية بأمر ولي النّعم فاروق هذا الزّمان ، منبع الجود والكرم والفيض والفضل والإحسان أمير المؤمنين ، وقائد جيش الموحدين على الإطلاق ناصر الدّين المتين وقامع المعتدين أهل الشّرك والنّفاق غوث الخلائق أجمعين غياث المظلومين من أيدي المعتدين خليفة سيّد الكونين خادم الحرمين مولانا السّلطان ابن السّلطان الغازي عبد الحميد خان ابن السّلطان الغازي عبد المجيد خان غمره الله بسحائب العفو والرّضوان ، اللهم خلّدْ ملكه بدوام الدهر وأحرسْه من كيد كلّ الأنام وأرعاه بعينك التي لا تنام بحرمة سيّد الأنام عليه الصلاة والسّلام ولما تهيّأ طبعها للتّمام واتّشح بوشاح الختام والكمال وذلك في يوم الخميس الموافق لأحد وعشرين بقين من شوّال سنة ألف وثلاثمائة وواحد من هجرة من له الشّرف الجميل وجميل المحامد أرّخته بقولي :

بساطع نورك القلب استنارا * وبدّل ليله الداجي نهارا

وأرشدنا لسرّ القرب لما * بنا أسرى إلى الساقي قد أنارا

أدار لنا عقاب الراح صرفا * معتقة سناها قد جهارا

روينا مذ روينا عنه معنى * عميقا صين خوفا لا اختيارا

سرى سرّا فهمنا مذ فهمنا * وسرنا مذ سبرنا حيارى

وردنا بحر ظاهر مذ تتبدى * لنا والكون وأورثه انبهارا

رضينا قسمة الرحمن أبدت * لنا شأنا والثاني اشتهارا

ألا يا ظاهرا بالفيض حاشا * لنورك أن يبارى أو يمارا

حوى حكم الحقائق من معان * لقد وضعت مبانيها ستارا

ودلّ على سلوك طريق قوم * عليهم قطع هذا الكون دارا

هداة يرشدون إلى المعالي * سراة ينجدون من استجارا

فيا الله درّك من إمام * منحت الدرّ فضلا والنضارا

ويا الله درّك من همام * كريم نال فضلا وافتخارا

لأنت وأيم ربّ العرش مولى * بديع الستر فيه لقد أنارا

لذاك أمير أهل العصر طرّا * حباك الود والقرب استنحارا

أمير المؤمنين مجيد أصل * حميد الفعل سيد من أجارا

مليك قد رقى أوج المعالي * وصان الملك لما قيل بارّا

مليك طال ما أحيا الليالي * بطاعته وما رام اصطبارا

ولما أن رأى الأنوار ضاءت * وساطع نوره في الملك سارا

أشار بطبعه ليعمّ نفعا * ويهدي كلّ من في الكون حارا

أتنكر فضل من بلغ الثريّا * مقاما بل وأكسبها ازدهارا

وهذا نوره قد عمّ طبعا * وهذا سيفه سلّ انتصارا

زهى بالطبع والتاريخ باد * بساطع نورك القلب أشتارا

سنة 1301 هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور الهداية والعرفان

للشيخ محمد أسعد قدس سره صاحب زاده

النقشبندي العثماني

خادم الفقراء

و العلم الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيّد الشريعة الأحمدية بظهور الزمرة التقية النقية أهل الأخلاق المحمدية فأحيا بهم الأرواح الطاهرة الزكية كما أفنى بتوجهاتهم تطورات النفوس الأبية فسبحانه من إله ربط قلوبهم بسلاسل الجذبات الرحمانية وحلّ أفكارهم من قيود الأوهام الغيرية ودفع عنهم شرور الجبابرة لاشتغالهم بذكره عن سواه من البرية والصلاة والسلام على خير داعٍ إلى توحيده وأكمل قائم بإرشاد عبيده سيدنا وسندنا وشفيعنا محمد عروس حضرة التوحيد وقائد ركب أهل الفناء والتجريد ناسوت الأكوان الواحدية ولاهوت التفرقات الأحدية إمام الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين قامع أهل الافتراء والعدوان المنزل عليه في محكم القرآن : ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ وعلى من صَحِبَه وآلَ إليه ومن تبع هديه وعوّل عليه ما تعاقب الضياء والدجى وتوارد الخوف والرجا .

أما بعد : فيقول أسير الذنوب وكثير المساوئ والعيوب المحتاج إلى نفحات الرب المعبود الواهب محمد أسعد بن الأستاذ الشيخ محمود الخالدي العثماني الملقب بالصاحب أفاض الله تعالى عليه من رشحات ذوي المراتب والمقامات ومنّ عليه ببصيرة يتذكر بها ما مضى ويرى بها ما هو آت : إن الورد المعروف عند أسلافنا السادات النقشبندية وأصحابنا القادات الخالدية قدّس الله تعالى أسرارهم وأفاض علينا أنوارهم المسمّى بالختم الخواجكني المحتوي على بعض آيات من القرآن العظيم والسبع المثاني هو ليس في الحقيقة من شرائط هذه الطريقة الأنيقة بل هو من أوراد أكابر مشائخها الكرام البررة الأعلام ، أعني حجة الطريقة وعندليب[1] حلقات الحقيقة الغوث الصمداني مولانا وسيدنا الخواجة عبد الخالق الغجدواني قدس الله روحه الطاهرة وأيدنا بعلومه وأسراره الباهرة وقد تلقاه من حضرة نقيب الرجال سيدنا الخضر عليه السلام كما هو عند المحققين مشهور وفي بطون المصنفات مسطور .

---

[1] عندليب طائر يقال له الهزار يصوّت ألوانا

ولما خفي على كثير من المشائخ الكرام والمريدين الأعلام ورأيت قول سيدي وسندي وقدوتي ومن إليه في الحقيقة صحة نسبتي غوث الثقلين العم الأعظم مولانا خالد المجددي العثماني الشهير بذي الجناحين قدس الله تعالى سره وأعلى في الجنان مقره في بعض ما حرره من الفوائد التي هي أغلى من الدرر الفرائد : إن لكل ورد وارد ، ووقفت على التاريخ المسمى بـ « التاج المكلل » تأليف الفاضل المشهور صديق حسن خان البخاري القنوجي[2] بهوبال فرأيت فيه سؤالا وارداً عليه من الأديب الفاضل السيد نعمان بن الإمام العلامة الكبير والحجة المفسر الشهير السيد محمود الألوسي مفتي بغداد على الرابطة الشريفة التي تستعملها ساداتنا الأئمة النقشبندية زبدة القادة الصوفية أفاض الله تعالى علينا من أنوارهم القدسية ، **وملخص ذلك السؤال** : ما قولكم في حكم الرابطة المستعملة عند أصحاب الطريقة النقشبندية أفاض الله علينا من علومهم المرضية ؟ وهل لها أصل من السنة والكتاب أم هي اختراع واجتهاد ؟ فإن كان لها أصل فما هو ؟ وإلا فهل في ذلك شرك أصغر وتضليل لأنها تصوير المريد شيخه الغائب وكلما ذكر الله تصوّر صورته في سويداه أم ليس في ذلك بأس حيث قال بها جمع من الأواخر ؟ وهل يعارض ما استدلوا به من قصة يوسف عندما همّ ورأى يعقوب عليهما السلام حديث :« **اعبد الله كأنك تراه** » ؟ فأميطوا عنا غبار الشك والترديد . . الى آخره .

فأجابه بما ملخصه : أما مسألة الرابطة فلا يخفى أنها من البدع المنكرة وقد صرح بالنهي عنها الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي إمام هذه الطبقة في كتابه « القول الجميل في بيان سواء السبيل » فقال : قالوا والركن الأعظم ربط القلب بالشيخ على وصف المحبة والتعظيم وملاحظة صورته ، قلت : إن لله تعالى مظاهر كثيرة فما من عابد غبيا كان أو ذكيا إلا وقد ظهر بحذائه أنه شيء صار معبوداً له في مرتبته ولهذا السر نزل الشرع باستقبال القبلة والاستواء على العرش وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« **إذا صلى أحدكم فلا يبصق قبل وجهه فإن الله بينه وبين قبلته** » وسأل جارية سوداء فقال : « **أين الله** » ؟ فأشارت إلى السماء الحديث ، فلا عليك

[2] هو من الوهابية راجع « شواهد الحق »

أن لا تتوجه إلا إلى الله ولا تربط قلبك إلا به ولو بالتوجه إلى العرش وتصور النور الذي وضعه عليه وهو أزهر اللون كمثل نور القمر أو إلى القبلة فيكون كالمراقبة بهذا الحديث ، وقد أفاد الشيخ العلامة محمد إسماعيل الدهلوي في كتابه « الصراط المستقيم » أن هذه الرابطة بمكان من الشرك لا يخفى وأقول : ما لنا ولقلبنا وربطه بالشيخ كائنا من كان وإنما تربط قلوب الأنام ببارئها ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ ، وبالجملة هذه المسألة من البدع بلا مرية وحكمها حكم سائر البدع التي أحدثها المتصوفة من غير دليل من كتاب وسنة ويكفي في ردها حديث « **كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد** » و« **كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** » . **انتهى** .

فلما رأيت ما في السؤال والجواب ظهر لي عدم فهم السائل والمسؤول للمسؤل[3] ولم يسلكا ما سلك عليه الصفوة من علماء الدين وما درج عليه السلف والخلف من أهل الزهد واليقين ، ومن جملتهم والد السائل المذكور في بعض تأليفاته كما يأتي نصّه بلفظه إن شاء الله تعالى ، أحببت أن أبين ما اشتمل عليه الورد المذكور من النكت والأسرار المؤيدة بفصوص الحكم ونصوص الأخبار مع بيان الرابطة الشريفة وما اشتملت عليه من المزايا المنيفة [4] وأثبت ذلك بأدلة عقلية وبراهين نقلية لينكشف لهما عن سر ذلك الغطاء ويتميز لهما وجه الصواب من الخطأ في ضمن هذه الرسالة الخالية عن الإطناب مستعينا في ذلك بقوة رب الأرباب وسميتها بـ :

نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان

والله الكريم أسأل وبجاه خير خلقه أتوسل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وسببا للفوز بجنان النعيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، **و** حيث أقول ـ الأخ المنكر لها هداني الله وإياه ـ فمرادي به السائل والمسؤول وبالله أستعين ،فأقول :

---

[3] لعل المراد للمسألة

[4] النيف الزيادة

اعلم أيها الأخ منّ الله تعالى عليّ وعليك بمحبة أوليائه وسلك بنا سبيله المهتدى بضيائه أن الختم الخواجكان عند أئمة هذه السلسلة السنية والطريقة العلية إنما يقصدون بقراءته القربة إلى حضرة الله تعالى والحظوة بنفحات[5] مواهبه التي تترادف على قلوب أصفيائه وتتوالى ، وهو مشهور لدى هؤلاء الأكابر والسادة الأخيار بسرعة الإجابة في جلب المنافع ودفع المضار ، ومن قرأه بصدق نية وصفاء طوية[6] فاز بكمال القصد وغاية الأمنية ومن دأبهم قدس الله تعالى أسرارهم المداومة على تلاوته لما رأوه[7] من مزيد فضله وعظيم بركته ، فإنه ترياق مجرب لحصول كل مقصد ومطلب **وله أركان وشروط وآداب ،**

أما أركانه فسبعة :

الأول الخلوة في محل مستقل لراحة القلب والبال ، لما روي أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو[8] التعبدـ الليالي ذوات العدد حتى جاءه الحق . . الحديث رواه البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

والثاني الوضوء لما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :« **الوضوء يكفر الذنوب ــ أي الصغائر** »

والثالث الإحسان المعبر عنه بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :« **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

والرابع : الرابطة الشريفة وهي عبارة عن استحضار روحانية أئمة رجال سلسلة الخواجكان بواسطة الأستاذ للاستفاضة من روحانيتهم قدست أسرارهم مع الالتفات إلى القلب وملاحظة اسم

---

[5] نفح الطيب فاح أو تضوع أي تحرك فانتشر رائحته

[6] الضمير والنية

[7] لعله رأوا

[8] التحنث

الذات لدفع الخواطر النفسانية وقطع الوساوس الشيطانية ، وأدلتها الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وسيأتي بيان ذلك بأدلة قطعية تقبلها قلوب المنصفين وتنكرها عقول أهل الأهواء المعاندين .

والخامس الصدق في الطلب وهو من أهم شعائر المريد فإن الصدق هو الاكسير[9] الأعظم ما وضع على شيء إلا وقلب عينه .

والسادس الذكر القلبي وله آداب كثيرة ذكرناها في رسالة مستقلة فعليك بها والمراد منه في هذا المقام مراعاة الوقوف القلبي وله وجوه المراد منها ههنا اليقظة وحضور القلب بذكر الرب جلت عظمته بحيث أن لا يكون التفاته إلى ما سواه تعالى **وأن يتوجه المريد إلى دائرة قلبه بعد فراغه من عدد نوع من الورد المذكور وأن يلاحظ أن بَدَنَه في وسط تلك الدائرة كالكرة ويستغرق في تلك الملاحظة إلى أن يستأنف** فإذا استأنف القراءة وانتهى من العدد فليرجع إلى الوقوف المشار إليه لظهور اللمعان النوراني .

والسابع الصمت إلا عند القراءة في الختم الشريف لقوله صلى الله عليه وسلم :« **أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب :الصمت وهو أول العبادة** . » الحديث أخرجه الطبراني عن أنس كذا ذكره الإمام الغزالي في « إحيائه » .

وأما شروطه : فمنها أن من اراد قبول الإجابة عند تلاوته فلا بد أن يكون مأذونا من أحد رجال هذه الطريقة العلية قدّس الله تعالى بأسرارهم نفوسنا وأنفاسنا وخلص ببركاتهم أرواحنا من قيود غلبة تحكم أوهامنا وإيهامنا ، وأعدمنا بتوجهاتهم في غيبة أحدية عين عيوبنا وغيب غيوبنا بحرمة صاحب الوسيلة صلى الله عليه وسلم ليلاحظوه بالإمدادت الباطنية ويسعفوه[10] بالفيوضات الخواجكانية الذين وصفهم حضرة قطب الأقطاب وغوث العالم بلا ارتياب إمام العارفين وعمدة

---

[9] الإِكسير الكيمياء والكيمياء مثل السيمياء اسم صنعة وهو العلامة « مخ »

[10] وأسعفته أعنته على أمره

المحققين ومظهر النور على المسلمين سيدي العم الأكبر مولانا خالد ضياء الدين قدس سره بقوله : فإنهم قد يكرمون أناسا بعون الله تعالى بدولة الشهود وبالهمم القاهرة ولو كانوا متقلبين على الفرش الممهدة بالثياب الفاخرة بشرط كمال الإخلاص واتباع السنة وترك البدع والإعراض القلبي عن متاع الدنيا والميل إلى نعيم الآخرة ، وعليهم حمل كثير من الأولياء وبعض العلماء ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :« **ليذكرن الله عز وجل أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى** » .

قالوا : هذا الحديث الشريف دليل على صحة ما عليه السادة النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم وأفاض علينا أنوارهم ، ومن لم يوفق لإلقاء عصاه في حبهم ويَحُظْ بكمال ذوقهم وريّهم فجدير بالبكاء على نفسه ، ولله در القائل :

على نفسه فليبْكِ مَن ضاع عمره وليس له فيها نصيبٌ ولا سهمُ

فعليكم ببذل الهمة في الاعتناء بالأذكار الخفية والاستمدادات من هذه السلسلة السنية ، ولا يصدنكم عنها ما أنتم فيه من المراتب العلية ، فقليل هذه الطائفة كثير وضعيفهم عند الله جليل[١١] خطير[١٢] وقطراتهم تزري[١٣] بالبحر فضلا عن الغدير[١٤] كأن فيهم يقول من يقول :

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ قليلُكَ لا يُقالُ له قَليلُ

« من مراسلاته قدس سره بأدنى تصرّف » .

وقد شرط رضي الله عنه وعنّا به شرطين آخرين :

[11] عظيم « مخ »

[12] ورجل خطير أي له قدر

[13] تحقر

[14] والغدير القطعة من الماء « مخ »

أحدهما أن لا يحضر فيه أجنبي والمراد به من لم يكن داخلا في الطريقة لأن فيه نوع خلوة ، ولأن أفضل العبادات عند الله تعالى وأقربها وأسلمها ما كان خالصا لله ولا يكون خالصا إلا إذا كان خاليا من الغفلة ولا يكون خاليا عنها إلا إذا كان خاليا عن الرياء وزوال الرياء مطلوب وكل ما أوصل إلى المطلوب مطلوب ، قال الله تعالى : ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾والهباء الغبار وذلك كناية عن عدم قبوله منهم لعدم إخلاصهم فيه قال تعالى :﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾

وأخرج أبو نعيم عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدّق فذكر بخير ارتاح له فرأى بذلك بمقالة الناس فنزل قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » **قالوا : يا رسول الله ، وما الشرك الأصغر ؟ قال :« الرياء** » .

ثانيهما أن يغلق الباب على القارئين ، فكما أنهم في طاعة الله قد قيّدوا ألسنتهم بذكره وغضوا أبصارهم عن ملاحظة غيره ناسب غلقهم الأبواب الظاهرة يلتمسون كمال الإخلاص في عبادتهم وهذا الشرط مع الشرط الذي قبله من أعظم الشروط الخالدية وعلى الخصوص وقت التوجه لما ثبت عند جنابه رضي الله تعالى عنه بالكشف الصحيح والوجدان الصريح وفي ذلك سلامة من الرياء ومن التشويش على القارئين ولإخفاء الذكر دلائل من الكتاب والسنة :

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿**واذكر ربك في نفسك . .**﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية** ﴾ ، لأن الذكر الخفي هو الذي بحصول المطالب حفي[١٥] أكثر فضلا وأكبر محلا فكم هطلت المواهب من سحابه ، وبدت المواهب من تحت نقابه وجليت به التجليات وجذبت بأعِنَّتِه الجذبات ، كيف لا وهو سر مصون ودرّ في صدف السرائر مكنون ، لا تطلع عليه ملائكة

---

[15] وحفي به حفاوة بالغ في إكرامه وألطافه والعناية بأمره

الرحمن ولا تكتبه الحفظة في ديوان ، وكونه أفضل من الذكر الغير الخفي هو الذي نصّ عليه الكثير من العلماء الراسخين والكمل العارفين .

وأما السنة فما في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه** » رواه البخاري وغيره .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفا إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق إلى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى : انظروا هل بقي من شيء ؟ فيقولون : ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول الله تعالى : إن لك عندي حسنا وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي** » رواه أبو يعلى والبيهقي والديلمي وغيره .

قال العلامة المحقق الملا علي القاري رحمه الله تعالى في شرحه على « المشكاة » بعد ذكره هذا الحديث وما يقاربه ما نصه : والحديثان حجتان ظاهرتان للسادة النقشبندية زبدة القادة الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم العلية انتهى .

وفي « الجامع الصغير » : « **خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي** » ، والأحاديث في ذلك كثيرة .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان : **أحدهما** وهو أرفع الأذكار وأجلها التفكر في عظمة الله تعالى وجبروته وملكوته وآياته في أرضه وسمواته ، وفي كتاب « الأذكار » للإمام النووي قدس سره : الذكر يكون بالقلب واللسان والأفضل ما كان بهما فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل . انتهى

قال العلامة السيد محمود الآلوسي البغدادي في كتابه « الفيض الوارد على روض مرثي مولانا خالد » بعد نقل هذا الكلام ما ملخصه : والقلب موضع الإيمان ومعدن العرفان ومهبط

الأنوار الإلهية ومعترك الأسرار الربانية فكيف وقد خصه الله تعالى بالإيمان والخشية والإنابة والذكرى والتقوى والسلامة فينبغي تطهيره بكثرة الأذكار وتجريده بالمداومة عليها عن الأغيار إما بالذكر اللساني وإما بالذكر الجَناني ، فأما الذكر اللساني فهو قليل الجدوى وكثيراً ما لا يسلم من البلوى بل إذا تأملت وتحقّقت وأنصفت علمت أن الذكر بمجرد اللسان لا فائدة فيه بالكلية ولا يوجب القرب من الحضرة القدسية ، فقول الإمام النووي : فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ؛ ليس فيه أفعل التفضيل على بابه وهو من قبيل قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام : ﴿ **هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم**﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة** ﴾ .

نعم الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده إذ الأجر على قدر النصب ، وهذا إن أمِنَ من السمعة والرياء ، ولكن المريد في حال البداية لا يمكنه الجمع بين الذكرين فكان الأولى بشأنه الذكر القلبي بلا امتراء[16] ولا مين ، وإذا امتلأ القلب طفح[17] على اللسان بل على سائر الجوارح والأركان ، فاعتنِ بهذا التحقيق فإنه بالاعتناء حقيق وفي كلام كثير من العلماء ما يؤازره[18] ويؤيده وينصره فافهم ولا تغفل انتهى .

وكان الشبلي قدس الله تعالى سره كثيرا ما ينشد في مجلسه :

ذَكَرْتُكَ لا أَنِّيْ نَسيْتُكَ لَمْحَةً وَأَيْسَرُ ما في الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسانيْ

فَلَمَّا أَراني الوَجْدُ أَنَّكَ حاضِرِيْ شَهِدْتُكَ مَوْجوداً بِكُلِّ مَكانِ

فَخاطَبْتُ مَوْجوداً بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ وَلاحَظْتُ مَعْلوماً بِغَيْرِ عَيَانِ

وكان أبو علي الدقاق قدس الله تعالى سره ينشد أيضا لبعضهم :

ما إِنْ ذَكَرْتُكَ إلا هَمَّ يَغْلِبُنِيْ قَلْبيْ وَسِرِّيْ عِنْدَ ذِكْراكا

---

[16] والامتراء الشك « مخ »

[17] طفح الإناء امتلأ حتى يفيض « مخ »

[18] آزره عاونه

حَتَّى كَأَنَّ رَقِيْباً مِنْكَ يَهْتِفُ بيْ   إِيَّاكَ وَيْحَكَ وَالتِّذْكارَ إِيَّاكا !

والحاصل أن حضرة مولانا خالد قد أرغم الله به أنف الجاحد والحاسد حيث حصل باتباعه على أعلى مقامات الشريعة ووصل إلى أسنى منازلها الرفيعة وهو جدير بمثل ذلك ، إذ هو مجدد الدين والطريقة وإمام أهل الاجتهاد بالحقيقة كما أنه وعاء المعارف اللدنية ومجمع العلوم العقلية والنقلية .

قال العلامة السيد محمود الألوسي في رحلته الكبرى المسمّاة بـ « **نزهة الألباب وغرائب الاغتراب في الذهاب والإقامة والإياب** » عند ذكر أشياخه وما قرأ عليهم ما نصه : وقرأت مسألة الصفات من الخيالي على حضرة مولى لا يصل إلى حقيقة فضائله خيالي ، المُجَدّدي المَجْديّ حضرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي وهو صاحب الأحوال الباهرة والكرامات الظاهرة والأنفاس الطاهرة الذي تواتر حديث جلالته وأجمع المنصفون على ولايته وعمت بركاته الحاضر والبادي وانتشر صيته في كل واد ونادي ، بَهَرَ بِجُلّ صفاته أطوار العقول وأنال من تلامذته غاية الوصول امتدّ في المقامات والأحوال باعه وعمرت بالفضل والأفضال رباعه[١٩] كان حريصا على سلوك طريق أهل السنة والجماعة لا يصرف من أوقاته ساعة في غير حَلّ دقيقة علم أو طاعة حسن السمت[٢٠] والسيرة ، نير القلب والسريرة إن توجه إلى قلب مريد ملأ نورا أو ربط على إكرام معدم أفعم[٢١] واديه بأيدي أياديه سرورا :

الإمام الجليل غَوثُ البَرايا   غيثها المُرتجى ندى إحسانهْ

ذو سَجايا مثلُ الرِّياضِ سَقاها   وابلُ القَطْرِ من نَدَى هَتّانِه[٢٢]

---

[19] الربع المحل والمنزلة والنفس وجماعة الناس

[20] والسمت هيئة أهل الخير

[21] أفعم الإناء ملأه« مخ »

[22] هتن المطر قطر

بَحْرُ جودٍ لَهُ جَداولُ عَشْرٌ في يديهِ تَدَفَّقَتْ مِنْ بَنانِهْ

سارَ في الخافِقَيْنِ ذِكْرُ عُلاهُ وَعَلا قَدْرُهُ عَلى كِيْوانِهْ[٢٣]

فائِضُ العلمِ عن رَوِيَّةِ فِكْرٍ كادَ يَجْلوْ سِرَّ القَضا بِعَيانِهْ

ثابِتُ الفِكْرِ كَمْ خَفايا عُلومٍ قَدْ جَلاها بِالكَشْفِ عَنْ بُرْهانِهْ

فَهوَ كَشَّافُ مُشْكِلاتِ مَعانٍ حَلَّ أَلْفاظَها بَديعُ بَيانِهْ

وبالجملة ما حوى أحد في عصرنا فضله وأنا لم أر مثلا له وأظن أنه هو أيضا ما رأى مثله وإنكار الآخرين من غير روية[٢٤] ومن المنكرين من كان كالبائل في بئر زمزم أراد أن يشهر اسمه بالإنكار على ذلك العالم العيلم[٢٥] وله قدس سره في ذلك سلف أجلّة اُبتلو بالإنكار عليهم مثله ، وتحملوا من معاصريهم حملا ثقيلا وصبروا على ما نالوا من معاديهم صبرا جميلا تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، على أن ذلك إنما هو نقص قدر من آذاهم ولم ينقص قدر ذرة من شامخ علاهم

من كانَ فَوقَ مَحَلِّ الشَّمسِ رُتْبَتُهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيءٌ وَلا يَضَعُهْ

وكان له قدس سره عليّ شفقة شفيقة ، وقد أمرني بالاشتغال بالعلم وضمن لي أن لا أحرم من بركة الطريقة ، وها أنا إلى هذا الزمن منتظر تحقق ما ضمن وكأني في بِرْكَة تلك البَرَكَة أسبح إن شاء الله ولا سبح السمكة ، وقد طارت روحه إلى حظيرة القدس في دمشق الشام فحُبستْ في أقفاص الأسى لطيرانه قلوب المسلمين والإسلام وقيل في تاريخ ذلك غير ما قيل هناك ومنه قول السياه بوش من قصيدة شرحتها شرحا نفيسا سميته « الروضة الأحمدية » :

---

[23]كيوان نجم يقال له زحل « العين للفراهيدي »

[24]روية تفكر

[25]بحر

ولما هَويتَ الحَقَّ قُلْتُ مُؤَرِّخاً هوَى لِلِقاءِ الحَقِّ في القُدْسِ خالدُ

وَحِيْنَ بَكَتْ أَهْلُ الطَّرِيْقَةِ ارَّخوا بَكى فَقْدَكَ الدَّرْسُ الإِلهيُّ خالدُ

وَحيْنَ نَحَوْتَ[26] القُدْسَ قُلْتُ مُؤَرِّخاً دَنى بِإِزاءِ القُدْسِ في القُرْبِ خالدُ

وَحينَ اتَّحَدْنا في الطَّرِيْقَةِ نِسْبَةً وَقَدْ طَهُرَتْ أَعْراضُنا والمَحامِدُ

نَبغْتَ[27] بِصِدْقٍ عَنْ لِسانيْ أَرَّخوا مَقامُكَ صِدْقٌ عِنْدَ مَولاكَ خالدُ

إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى

وقال العلامة المجدي الشيخ عثمان بن سند الوائلي النجدي نزيل البصرة في كتابه المسمى بـ « **أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد** » ما نصه : قسما لقد أوضح منهاج الفوائد وشرح الصدور بمصابيح الأمثال والشواهد واَطْلَع في أرجاء الأفهام شموس الفوائد وعني بإفصاح تحقيقات وإيضاح مشكلات تدقيقات وجلا عرائس أفكار وجنى غرائس أنظار وجرى في مضمار فلم يشق له غبار فهو الحقيق أن ينشد فيه أديب لم يزل يعاني قوافيه :

بِأَيِّ بَنانٍ لِلْعُلومِ يُشيرُ فَتىً ما سَقاهُ مِنْ هُداهُ نَميْرُ

أَحْبابَنا ماذا التَّقاعُدُ عَنْ فَتَىً ذَكاهُ بِاِكْسيْرِ العُلومِ يُميرُ

ألا فَارْحَلوا الهَوْجَ المَراقيلَ لاجتدا دَقائِق عَنْ نَهْجِ الرَّشادِ تُنيرُ

وارْتاعَ أَزْوادُ الفُهومِ بِمَرْتَعٍ بِهِ رَوْضُ مِنْ اِحْيا العلومِ نَضيرُ

هُوَ الرَّوْضُ رَوَّاهُ سَحائِبُ فِكْرِهِ لِقُطْبٍ يَحُلُّ البَحْثَ حَيْثُ يُشيْرُ

وَكَمْ مَنْهَلٍ صَفَّاهُ عَنْ كُلِّ ما قَذا ذَكاهُ عَلى حَلِّ الغويْصِ قَديْرُ

---

[26] قصدتَ

[27] ظهرن

ثم قال : إن كان الغزالي يفتخر بـ « الإحياء » فإنه في منهاجه المنير يحيى ، وإن افتخر ابن المعزي بعنوان الشرف أو بروض منه أزهار تقتطف فلهذا الإمام من الدرر ما لا يضاهيه الدر في الصدف ومن الغرر ما هو البدور بلا سَدف ثم أنشد :

إن كنتَ مُكَذِّبَ ما أقولُ بِقَدْرِهِ   فَاسْأَلْ مَآثِرَهُ الّتيْ لا تُحْصَرُ
وَمَباحِثاً فِقْهِيَّةً كَشَفَ النِّقابَ لَها   فَأَبْدَتْ عَنْ صِحاحِ الجَوْهَرِ
شَكَرَ النَّواويْ والتَّقِيُّ ذَكاءَهُ   في مَبْحَثٍ لَوْلاهُ لَمْ يُتَسَوَّرِ
غُرَراً أَراها في وُجوهِ مَباحِثٍ   كَالشَّمْسِ لَوْلا فِكْرُهُ لَمْ تُسْفِرِ
عِلْماً إِلى عَمَلٍ أَضافَ فَقُلْ بِهِ   مَا شِئْتَ مِنْ مَدْحٍ وَلا تَسْتَكْثِرِ
وَحَوى كَما يَبْغيْ يَراعاً مَا جَرَتْ   إلا جَرَتْ بِجَواهِرٍ في دَفْتَرِ
شَتَّانَ ما مَدُّ الخِضَمِّ وَمَدُّه   قَدْ حازَ فَضْلًا في العُلا لَمْ يُحْرَزِ
فَلَكَمْ أَرانا مِنْ جَواهِرِ فِقْهِهِ   ما كان حِلْيَةَ كُلِّ لَفْظٍ مُقْفِرِ
كَمْ حارَ أَرْبابُ النُّهَى فِيْ مُشْكِلٍ   فَأَبانَهُ مِنْهُ ذَكاءٌ حَيْدَرِيّ

إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى

وقال العالم العلامة والمرشد الكامل الفهامة الهمام السري سيدي الشيخ حسين بن أحمد البصري الدوسر صاحب كتاب « الأساور العسجدية في المآثر الخالدية » في رسالته« الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة » عند قوله صلى الله عليه وسلم :« **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** » ما نصه : وصفهم بالظهور وهو شامل للشهرة كالغلبة والنصرة فاعتقاد خلافه مهجور ومحذور .

فإن قيل : المراد بالطائفة أهل السنة وهم ظاهرون ولله الحمد فيقال : لا شك أن مذهب أهل السنة هو الحق وأن أهل السنة بالنسبة إلى فرق هذه الأمة هم الطائفة لكنْ للحق شروط لا يتم إلا بها وليس كل فرد من أهل السنة جامع الشروط ، فخواص أهل السنة بالنسبة إلى عوامهم هم الطائفة ومنهم المجتهدون في الأحكام الشرعية والعقائد الدينية والمجاهدون لإعلاء كلمة الله تعالى .

فإن قيل : بل المراد بالطائفة أهل العلم من الفقهاء والمدرسين فيقال : وهذا حق أيضا وهل الطائفة المحقة المهدية إلا أهل العلم ، لكن إن كان هذا الفقيه العالم المدرس عدلا جامعا لشروط الإسلام فضلا عن الإيمان فضلا عن الإحسان والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، مع أن هذه المقامات التي وردت بها الشريعة لا يكون العبد محقا ظاهرا وباطنا حتى يتصف بها ، وأما الفقهاء المدرسون الذين يقرؤون دروس الغيبة ويقررون مسائل الريبة ويقعون في الأخيار ويزدرون الفقراء ويتذللون للجهلة والحمقى من الأغنياء والتجار ويكادون يعبدون الأمراء مع ما يشاهد من أكلهم الحرام والكبر والعجب والترفع على الأنام ، فهؤلاء فسقة الأنام وقد تَعرف الفسقة جملة من العلوم والأحكام وهم أقبح حالا من العوام ، فأين هم وأين الطائفة الظاهرة على الحق على الدوام !

وإنما المراد بالطائفة العدول من العلماء العاملين والمشائخ الكاملين الذين يصدق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم :« **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين** » . فهذا الحديث مصرّح بأن العدول يحملونه ، لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئا والعدول الظاهرون اليوم كالمرشد الكامل العالم العامل العارف الماجد حضرة مولانا الشيخ خالد والأكابر من أتباعه وأناس في الحرمين وبغداد واليمن نعرفهم والله أعلم بعباده ، ومن لا نعرهم أكثر فهؤلاء على هدى من ربهم والسعيد من كان من حزبهم .

أما مولانا الشيخ فلما هو مشاهد من علو همته وعدم مبالاته بما سوى الله تعالى من ملك وغيره وجميل مروءته وحسن خلقه وغزارة علمه وإتقانه العلوم العقلية والنقلية وتبحره خصوصا في العلوم

الشرعية كما أنه وعاء العلوم اللدنية وما يجري لأتباعه وأتباع أتباعه من الأحوال السنية والكشوفات الإلهية والأذواق والمواجيد وغير ذلك مما رأيناه وشاهدناه وقد أشرت إلى جُمل منه في « الأساور العسجدية » لا يدرك معانيها إلا من له قلب ، ومن ذلك عظيم شفقته ورأفته بالمسلمين واعتنائه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي حمله على أن وَجَّه إلى كل قُطْرٍ قَطْراً يحيي به موات القلوب وإلى كل أفق بدرا يهتدى به إلى المطلوب ، فيالها من نعمة يجب شكرها على المسلمين ، وكفرها لا يكون إلا من ضعيف الدين عديم اليقين ليس هو من المتقين فإن المتقي ما تحمله النفس على الحسد ولا يؤول به اتباع الأهواء إلى جحود فضل أهل التقوى .

وأما أكابر أتباعه فلما شاهدناه من بعضهم الذين رأيناهم من العمل بالعلم والنصيحة والتعليم وحسن السيرة وإخلاص السريرة التي يدل عليها عدم التفاتهم إلى الخلق إلا بنفعهم واعتمادهم على الحق في خفضهم ورفعهم واستغراقهم العبادة وانهماكهم فيما يوجب لهم السعادة فلا شك أنهم من خلاصة الطائفة المذكورة ممن ذكرهم الله تعالى في سورة الشورى ، فعليك يا أخي بمحبة هذه الطائفة وصحبتهم وخدمتهم والانتساب إليهم فإنهم القوم لا يشقى جليسهم ، فكيف محسوبهم وفقني الله وإياك إلى ما يوجب النجاح والنجاة من الهلاك بمنه وكرمه وهو أكرم الأكرمين انتهى .

وقال الإمام العالم العلامة والحجة الرحلة الفهامة المحقق المتين مولانا السيد محمد بن عابدين ناعتا لجنابه قدس سره في كتابه « **سلّ الحسام الهندي لنصرة حضرة مولانا خالد النقشبندي** » بقوله : هو الإمام الشهير والعارف الكبير الذي ورث من العوارف والمعارف كل طريق ولم ينكر فضله إلا الجاحد المعاند والمكابر الحاسد الإمام الأوحد والعلم المفرد إلهام الماجد حضرة سيدي الشيخ خالد الذي ابذل جهده في نفع العبيد وإرشادهم إلى الدأب على كلمة التوحيد حتى غدا طب العارفين في سائر الآفاق وملاذ المريدين على الإطلاق واشتهرت به الطريقة النقشبندية الواضحة الجليلة [في] عامة البلاد الإسلامية والممالك المحمية مع ما حاز من علوم باهرة بهية وتأليفات شائقة شهية فلا تبدو نفائس لآلئ التحقيق من بحار التدقيق إلا بغَوّاص أفكاره

ولا تجلى عرائس جواري الترقيق على منصات التنميق إلا لخطاب أنظاره ، فلذا شاع صيته وذاع وعم النواحي والبقاع وتليت آيات فضائله على ألسنة الأصائل والبكور ونشرت رايات فواضله على رماح الظهور ، وظَهَرَ ظُهورَ البدر التام معتقدا بين الخاص والعام حتى بين أعيان الدولة المنصورة ذات المحامد المأثورة لا زالت موطدة البنيان عالية الشأن بين خليفتها الأعظم وخاقانها المحمود المعظم الذي شيد دعائم الدين وأباد جيوش الكافرين الجاحدين ونفعه والمسلمين بإمداد هذا الإمام والحبر البحر الهمام ، ومن أراد الوقوف على أوصاف هذا الإمام فليرجع إلى الكتاب الذي ألفه فيه الإمام الهمام خاتمة البلغاء ونادرة النبغاء الأوحد السند الشيخ عثمان بن سند الذي سماه « **أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد** » فإنه كتاب لم يُحَكْ بِبَنَان البيان على مِنواله ولم تنظر عين إلى مثاله بما اشتمل عليه الفقرات العجيبة والقصائد الرائقة الغريبة عارض فيه المقامات الحريرية والأشعار الحسانية والجريرية .

ثم إن حضرة هذا الإمام الأفخم قد تفضل الله تعالى به على أهل الشام وأنعم حيث جعلها محل قراره ومحطّ رحاله وتسياره ودخلها سنة ثمانية وثلاثين بخدمه وحشمه وجملة من الخلفاء والمريدين فغصّت أبوابه بالزحام وهرع إلى خدمته الخاص والعام يتبرك بزيارته الأمراء والحكام نافذ الكلمة فيهم بلا نقص ولا إبرام ، تتوارد عليه المكاتبات من أعيان الدولة المنصورة وأمراء عامة الأقطار المعمورة وهو مع ذلك لم يشتغل عن نشر العلوم الشرعية وإشادة شعار الطريقة النقشبندية وإرشاد السالكين وتربية المريدين وإحياء كثير من مساجد دمشق الشام قد آلت إلى الاندراس والانهدام ، بإقامة الصلوات والأوراد والأذكار وإرشاد الخلق إلى طريق السادة الأبرار حتى صار عينَ جِلَّق[28] وبدرها المتألِّق ودر تاجها وسبب رواجها والمشار إليه من بين أهلها والمعول عليه في رفع الملمات وحلها ، إلى أن أصيبت بعين الزمان ورميت بطوارق الحدثان بسبب الطاعون الداعي إلى الهلاك والحتف الواقع فيها عام اثنين وأربعين ومائتين وألف فلبّى داعيه المجاب إلى دار المقام في ليلة الجمعة لأربع عشرة خلون من ذي القعدة الحرام من ذلك العام ،

---

[28] جِلَّق من أسماء مدينة دمشق « مختار الصحاح »

ولقد زرته يوم الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة قبل الغروب من ذلك اليوم فذكرت له أني رأيت منذ ليلتين في النوم أن سيدنا عثمان بن عفان ميت وأنا واقف أصلي عليه فقال لي : أنا من أولاد عثمان ! فكأنه يشير إلى أن هذه الرؤيا تومئ إليه ، ثم أخبرت أنه لما صلى العشاء التفت إلى مريديه فاستخلف وأوصى وفعل ما أراد واستقصى ثم دخل إلى بيته فطعن تلك الليلة ليفوز بقسم الشهاة وينال الحسنى وزيادة ، فرحم الله روحه ونوّر مرقده وضريحه ومتعه بما كان غاية متمناه وأفنى عمره في طلبه ورجاه من الفوز بلذة النظر إلى وجهه الكريم في دار النعيم المقيم وجمعنا وإياه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الوريف في مقعد صدق ومقام منيف ، وقلت فيه أندبة وأرثية وأذكر بعض فضائله الجمة بقصيدة جعلتها للخاتمة تتمة :

أيُّ رُكْنٍ مِنَ الشَّريعَةِ مالا ... فَرَأَيْناهُ قَد أمالَ الجِبالا

مُذْ رُزيْنا بِأَوْحَدِ العَصْرِ عِلْماً ... وَبهاءً وبَهْجَةً وكَمالا

وَاجْتِهاداً وطاعةً وصفاءً ... وَسَخاءً وَعِفَّةً وَنوالا

هُوَ بَحْرُ العُلومِ شَرْقاً وَغرباً ... وَيمِيْناً وَقِبْلَةً وَشِمالا

فَإِذا عَنَّ مُشْكِلٌ كَلَّ عَنْهُ ... كُلُّ سَهْمٍ يَحُلُّ عَنْهُ الشّكالا

مَنْ تَجلّى سَناهُ فينا أرانا ... كلَّ بَدْرٍ وَقْتَ الكَمالِ هِلالا

وَسقى أَهْلَ عَصْرِهِ كَأْسَ قُرْبٍ ... وَحساهُمْ مِنَ الرَّحيقِ الزُّلالا

هُوَ قُطْبٌ دارتْ عليهِ رَحا العِرْ ... فانِ وَهُوَ الفَريدُ قالاً وحالا

هُوَ شَيخُ السُّلوكِ مَنْ نالَ هَدْياً ... مِنْ سَناهُ قَدْ تَزَكَّى فِعالا

وَلِعُثْمانَ ذي الحياءِ وَذي النّو ... رَيْنِ صَحَّ اِنْسابُهُ إجلالا

وَبِهِ اْزْدانَ دِيننا وَطَريقُ النَّقشبندي ... ناد

مِنْهُ جَمالا

ما رأينا كَعِلْمِهِ وَتُقاهُ وَلِجَدْواهُ ما رأينا مِثالا

دَمِثُ الخَلْقِ لَمْ يُكَدِّرْ صَفاهُ جَاهِلٌ رامَ مِنهُ شيئاً مُحالا

كَثُرَتْ حاسدوه فازدادَ هَدْياً مَن أشاعوا الرَّدى وزادوا ضلالا

وَرَمَوهُ بِالإِفْكِ ظُلْماً ورامو ذُلَّهُ مَنْ رَأوهُ فاقَ خِصالا

فَتَغَاضى عن القَبيحِ وأبْدى ما بِهِ زادَ رفعةً وجَلالا

أَيَظُنُّ الحَسودُ يُطفِئُ نوراً قد أراد الإلهُ أنْ يَتَلالا

دَأْبُهُ نَشْرُ حِكْمَةٍ وَعُلومٍ كَمْ بِهِ مُبْعَدٌ تَقَرَّبَ حالا

كَعِدادِ النّجومِ أتْباعهُ في كُلِّ قُطْرٍ به صَفَوا أعْمالا

كَمْ لَهُ مِنْ خَليفةٍ زادَ قُرْباً وامْتَطَى في التُّقى مَقاماً تعالى

كَمْ بِهِ مَسْجِدٌ أعيدَ سَناهُ وَاكْتَسى منْ جَمالِهِ سِرْبالا

وَلَكَمْ عَال عاجزاً وفقيراً فَقَضى مِنْ نَوالهِ آمالا

وَلَكَمْ شادَ سُنَّةً قَدْ تداعَتْ وَشَفى بِالّلسانِ داءً عُضالا

وَلَكَمْ حازَ خِصْلَةً قَدْ تَسامَتْ دونَها النَّجْمُ في عُلاهُ مَنالا

وَمَزايا إذا أَرَدْتَ عِدادَ الْأ قَلَّ مِنْها فَلسْتَ تُحْصي الرِّمالا

قَدْ أجابَ الإلهَ لمَّا دَعاهُ وَلِدارِ النَّعيمِ رَامَ انْتِقالا

فَبَكَتْهُ العُيونُ دَمْعاً غَزيراً فَكَأَنَّ العُيونَ اَضْحَتْ ثُكالا

خالد القُطْبُ إنْ يَزُلْ فَهُداهُ خالدٌ في الأنامِ لَيْسَ مُزالا

فَعَلَيْهِ مِنَ المُهَيْمِنِ رُحْمى   كُلَّ حينٍ عَلى ثَراه تَوالا

ما سَرى في الضمير ذِكْرٌ خَفِيٌّ   وَارْتَضاهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى

انتهى . بتقديم وتأخير .

أقول وقد ألف أيضا في سِيَرِه الشريفة ومناقبه الأنيقة المنيفة أفاضل من المشاهير والأئمة النحارير مع تنائي أماكنهم واختلاف مساكنهم كالشيخ محمد أمين السويدي البغدادي والسيد عبيد الله الحيدري والشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي والمنلا محمد أمين مفتي الحلة والشيخ محمد بن عبد الله الخاني والشيخ أحمد الطرابلسي الأروادي والشيخ أبي بكر الأحسائي والسيد إبراهيم الحيدري والسيد إسماعيل الغزي العامري مفتي السادة الشافعية بدمشق والسيد داود بن سليمان البغدادي والشيخ إسماعيل بن علي الدركي والحاج شكري أفندي الرومي الإسلامبولي وأضرابهم ممن علا قدره ونمى فضله .

وبالجملة فقد أحيا بصنيعه ذكر المجتهدين العظام والأولياء الكرام كما أفاده العلامة محمد بن سليمان البغدادي في كتابه « **الحديقة الندية والبهجة الخالدية** » ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابنا « **جمع القلائد ومجمع الشوارد في فرائد حضرة مولانا خالد** » قدس سره فإن اطلعت على ذلك الكتاب تيقنت الكلام السابق وأذعنت للمحافظة على اتباع الشريعة الأحمدية في السابق واللاحق وعلمت أن جنابه من أجلّ الأئمة القامعين للبدع الردية أهل العلم العلم النافع والعمل الرافع والمعارف والأسرار والكشف والأنوار ولله در القائل :

ليالينا بالرِّقْمَتينِ وحاجِرِ   سَقاكُنَّ ثَجَّاجُ الرِّضا بالمَواطِرِ

سَقانا زُجاجَ الحُبِّ قَرْقَفَ مَشْرَبٍ   سَكِرْنا بِهِ عَنْ كُلِّ بادٍ وحاضرِ

فَغِبْنا عَنِ الأشْباحِ حَتَّى كَأَنَّنا   مِنَ الرَّاحِ أرْواحٌ وَأَوْهامُ خاطِرِ

هَوىً رَقَّ مَعْناهُ دَعانا بِرَمْزِهِ   إلى رَشْفِ صَهْباءَ لَهُ بالخَواطِرِ

فَلَبَّاهُ مِنَّا كُلُّ مَنْ رَقَّ شَوْقُهُ وَعاناهُ مِنَّا كُلُّ صافي السَّرَائِرِ

لَقَدْ ضَمَّنَتْنا مُقْلَةْ الحِبِّ ماقَها فَها كُلُّنا لِلْحِبِّ إنْسانِ ناظِرِ

صَفَوْنا فَلا اَقْذاءَ فيما أدارَهُ عَلَيْنا مِنَ الصَّهْباءِ أَلْطَفُ دائِرِ

وَكَمْ لامَنا فَدِمُ الطِّباعِ وَلَوْ دَرى بِمَحْبوبِنا أَلْقى لَنا بِالمَعاذِرِ

عَذيريْ لِمَنْ لامَني في سُلافِهِ هِيَ الرُّوح بَلْ والُّلبُّ مِنْ جِسْمِ ذاكِرِ

مُشَعْشَعَةٌ أَبْدَتْ جَناباً هِيَ التُّقى وَرَقَّتْ لِأَنْقاشِ الشّمولِ لِسائِرِ

بِها نَقْشُ مَقْتولِ الهَوى تَعْشَقُ الفَنا فَكَمْ فَنِيَتْ مِنْها نُفوسُ أكابِرِ

وَكَمْ رَ شَفوها والظلام رَواقُه سُرادِقُهُمْ عَنْ كُلِّ خَبٍّ وماكِرِ

فَغابوا عَنِ الأجْسامِ والقَلْبُ حاضِرٌ يُلاحِظُهُ ساقيهِ منه بِناظِرِ

فَكَمْ واصلوا ليلاً بِصُبْحٍ وَشَوْقُهُمْ إليه ثَنى منهم زِمامَ الضَّمائِرِ

فَلَمْ يَبْقَ لِلْأكْوانِ رَسْمٌ لَدَيْهِمُ لَدُنْ شاهدوا مَحْبُوبَهُمْ بِالبصائِرِ

فَهاتِ اسْقِنيها قَهْوَةً قادِرِيَّةً فَلَسْتُ على تَرْكِ احْتِسائِها بِقادِرِ

وَهاتِ اسْقِنيها بِنْتِ ذِكْرٍ يُديرُها رَقيْقُ الحَواشي مُرْشِدٌ كُلَّ حائِرِ

وَهات اسْقِنيها مِنْ يَدَيْ عاصِرٍ لها بِراوُوقِ أذْكارٍ بِأَفْيَحِ سامِرِ

بِقُطْبٍ لَهُ الأذْكارُ صَهْباءُ وارِدٍ سِوى الله لم يرمق بإنسان خاطرِ

من النَّفَرِ القَومِ الذينَ وُجوهُهُمْ إلى الحق تهدي كل سارٍ وسائِرِ

وأبيضُ نَظَّارٌ بعينِ إلهِهِ ضَمائرَ غيبٍ نيِّراتِ المظاهِرِ

ومُوقِدِ نارٍ يَهتَدي بِشُعاعها سُراةُ سراةٍ للهدى بالسَّرائِرِ

وكم قائلٍ هذا ابنُ عثمان خالدٌ أراهُ فُضَيلاً أو أوَيْسَ بن عامِرِ

رُموزٌ لقدْ أضْحَتْ رُموزاً لأُنْسِهِ إلى الله سَبَّاقٌ لِغُرِّ المآثرِ

تَخالفَ فيه الواصفونَ فَقائلٌ هو القطب لولا أنه ذو مواطِرِ

وآخَرُ هذا البدرُ لولاه نَيِّرٌ مع الشمس نَسَّاخٌ خِضابَ الدَّياجِرِ

سقى من سقى من طالبيه سُلافَهُ من الذكر لم تَدْنُسْ بِراحَةِ عاصِرِ

دَعَتْ للهدى فيه علومٌ ذَواخِرٌ إذا أَدْخَرَتْ لم تُبْقِ ذَرّ الزَّواخِرِ

ذَواخِرُ يَرْويها عن الخِضْر سرّه جَرَينا فحَلَّينا اليها بالجَواهِرِ

فيا حاسديه إنه الشمس فانظروا لأشْباهِ فضلِ السنِّ ذاتِ نظائِرِ

تَبيْنُ إلى القوم الذين تسَنَّموا لِعُثمان أكْوارَ العُلا والمَفاخِرِ

فكانوا بذي النورين اَفْضَلَ مَعْشَرٍ إذا حضروا كانوا أنوفَ العَشائِرِ

بِعَبْدِ منافٍ أحْرزوا كُلَّ سُؤْدُدٍ صَميمٍ ومَجْدٍ لم يكن بمَفاخِرِ

ومَعْدِنِ عِرْفانٍ سمَوا بمعارفٍ أوابدَ لمْ تُدركْ بأعمالِ خاطِرِ

معارفُ اَضحتْ للجنيد مطالباً وإنْ كنَّ للجيليِّ سرَّ السَّرائِرِ

فَدَعْ عنك ما قال الحواسد إنه هو الغيث كم غاث النُّهى بالمَواطِرِ

إذا أخذته نشأَةُ الذكرِ خالَه لدى السكر غَضّاً كل سام وسامِرِ

أبانتْ لنا نهْجَ السلوكِ فأصبحتْ مَناهِجُهُ تَهدي لأسنى الذَّخائِرِ

فلم يبقَ في بَيْدائِهِ غير مُهْتَدٍ ولم يبق في ظلمائه غير سائِرِ

فَدَيْناه بالأرواحِ إذ كان للتُّقى هو الروح فانْشُقْهُ بِأنفِ الخَواطِرِ

رِياضُ التُّقى لَولاه روضٌ زهيرةٌ لَما كُنَّ في ذا العصر ذاتُ أزاهِرِ

تُخَبِّرُنا مِنْهُ العلوم بأَنَّهُ هُوَ البَحْرُ لَوْلا أنه غَير زاخِرِ انتهى .

وسنده في غلق الباب مستنبط مما رواه الطبراني والإمام أحمد والبزاز بإسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يجمع مع أصحابه فقال :« **هل فيكم غريب ؟** » يعني أهل الكتاب ، فقالوا :**لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال :« ارفعوا أيديكم ، وقولوا لا إله إلا الله** » الحديث .

وإذا تمهّد هذا فأقول : إن في قوله صلى الله عليه وسلم « **هل فيكم غريب** »إشارة للتنبيه على طرق القوم وعلى الأخص الطريقة العلية الصديقية الخالدية السالمة من كدورات جهلة الصوفية مبنية على السر وصفاء الوقت وعدم دخول الرياء فيها من حضور من ليس منهم ولا يذعن لطريقهم بتأثير حرارة الذكر القلبي التي قد تعتري بسببها أكثر المريدين الحالات الربانية والجذبات الرحمانية فمنهم من يغيب عن حسه ومنهم من يفنى عن رؤية نفسه ومنهم مضطرب باك هائم وحول حماهم حائم ، وعلى الخصوص إذا كان الداخل عليهم منافقا أو مجنونا مغلوبا فاسقا مصرا على فسقه فربما استهزأ بهم فيمقته الله تعالى بسببهم فلا يستبعد حينئذ أن يكون وزره على من لم يمنعه من الدخول إلى حضرتهم وإلا سلم المنع من دخول الأجنبي المتصف بهذه الصفات الخبيثة لأن الطريقة العلية النقشبندية وعلى الأخص المجددية الخالدية لا تقبل الغش كالبدع والرخص وغيرها حيث أسست قواعدها على وفق آراء أهل الحق الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة .

وقد وفقني الله تعالى للوقوف على سؤال بهذا المعنى رفع إلى العلامة السيد محمود الألوسي مفتي بغداد ذكر في كتابه « نزهة الألباب » فوجدته قد أجاب بما أجبت به بما نصه :

السؤال الثاني عشر : ما الحكم في طرد شيوخ الوقت من يحضر قراءتهم السور المعبر عنها بختم الخواجكان ولو في المسجد ولو قاصدا الصلاة مع قول صاحب « التحفة » : المسجد وقف

للمصلي بالأصالة والقارئ ولواعظ بالتبع وقول صاحب « الأنوار » : يسن الجلوس في حلقة القراءة والإصغاء إليها إلى غير ذلك مما يدل على قبح ذلك الطرد ؟

الجواب :إنه لا شبهة في أن الطرد عن مثل ذلك في كل مكان قبيح وهو في المسجد أقبح وقلّ من يفعله لكن قبح ذلك إنما يسلم أن لو كان للمطرود رغبة في أن يشارك الجماعة في القراءة بدليل أنه لو قرأ ما يقرؤون أو القرآن كله أو أصغى إليهم غير جالس في حلقتهم ولا مطلع على ما يقع منهم لم يمنعوه ، بل ذلك الطرد يحتمل أن يكون لكراهة أن يطلع على ما يقع منهم حيث إنهم ترد على بعضهم واردات لا يحتملها فيضعف منها أو يعتريه ما يغير هيئته ويهول رؤيته ويشوه خلقته ويخرج عن الانتظام حركته فربما يفضي ذلك إلى سخرية من حضرهم وليس منهم واستهزائه واستخفافه بهم حتى أنهم لو أمنوا من حضور الأجنبي نحو ذلك لم يمنعوه ولو دخل عليهم في بيوتهم فضلا عن كونهم في المسجد وذلك بأن يكون صالحا عارفا بأحوال السالكين عاذرا لهم فيما يصدر عنهم عند تلاطم أمواج الواردات عليهم ، ولا أظن أن في الطرد لهذا الغرض بأسا أو في إباحته لهذا المقصد التباسا ويحتمل أن يكون ذلك لأن الأجنبي قد يكون منكرا منتقدا لا مسلما معتقدا فيكون حضوره حسبما جربوه مانعا من الرقة والفيض وحصول الجمعية لانعكاس حال الجليس على جليسه وإن البياض قليل الحمل للدنس ولا تكاد تطيب أنفسهم ببعد ما عن محبوبهم وإن ترتب عليه قرب ما لأجنبي منه ودرء المفاسد أولى كما قالوا من جلب المنافع فلا يرد أنه كما يخشى انعكاس حاله عليهم يرجى انعكاس حالهم عليه .

وقد حكي أن الجنيد قدس سره وهو من تعلم جمع أصحابه في خلوة فاشتغلوا بالذكر والفكر فلم يحصل لهم ما عوّدوه قال : انظروا هل فيكم أجنبي حرمتم الفيض بسببه ؟ فنظروا فقالوا : لا ، فقال : انظروا هل تجدون شيئا من آثاره فنظروا فوجدوا نعلا لمنكر فقال قدس سره : من هنا أتيتم !

فانظروا إذا كان هذا حال نعل المنكر فكيف لو حضر هو بنفسه ! وحاصل الأول أن الطرد لمصلحة المطرود وحاصل الثاني أنه من مصلحة الطارد كمنع قارئ يشوش على مصل مثلا

وحاصلهما أنه ليس رغبة في أن لا يحصل له ثواب قراءته أو استماع وربما يستأنس في هذا المقام بما روي في الحديث الصحيح أخرج الحاكم في مستدركه عن يعلى بن شداد قال :

حدثني أبي شداد بن اوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢٩] إذ قال :« **هل فيكم غريب** » ؟ يعني أهل الكتاب **قلنا :لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال :** « **ارفعوا ايديكم فقولوا لا إله إلا الله** » **فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال :** « **اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد** » **ثم قال :** « **أبشروا فإن الله قد غفر لكم** » وكذا بما صح من رواية مسلم **أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فأغلقتها عليه** . . الحديث

قال النووي عليه الرحمة : إنه أغلقها عليه صلى الله عليه وسلم ليكون أسكن لقلبه وأجمع لخشوعه ولئلا يجتمع الناس ويدخلوا أو يزدحموا فينالهم ضرر فيتشوش عليه الحال بسبب لغطهم . انتهى

وقد كان معه عليه الصلاة والسلام أسامة وبلال رضي الله تعالى عهما فلا تغفل .

ثم إن تفسير القرب في الخبر السابق في أول الكتاب غير متعين كما لا يخفى على المنصف من ذوي الألباب ، فتأمل هذا فإنه نهاية ما عندي في الجواب مما لم أجده لعمرك في كتاب ، فإن حصل به الإقناع فذاك وإلا فاستضئ بنور فكرك الوقاد فلعلك تجد على النار هداك .

ثم اعلم أنه يقال نحو ذلك في طردهم الأجنبي عن جمعيتهم للتوجه المعروف فيما بينهم ورابطتهم على الطرد هناك أقوى من رابطتهم على المطرود في الختم الخواجكان ، وبالجملة إياك ثم إياك من الإنكار عن هوى على ذوي العرفان . انتهى بحذفٍ مّا .

وأما آدابه فسبعة :

---

[29] كذا في « الفيوضات الخالدية »

الأول تغميض العينين لجمع الخواطر وعدم التفرقة لما روي عن أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : **دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على العباد وأفضلها عند الله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام :« يا علي غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات** » الحديث رواه الإمام السيوطي من طرق متعددة حسن أحاديثها .

والثاني طهارة البدن والثوب والمكان لما روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **الطهور شطر الإيمان** » رواه مسلم والترمذي والنسائي .

والثالث الجلوس متوركا عكس تورك الصلاة لاستراحة القلب والبدن ولاتباع الأصحاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

والرابع الاصغاء أثناء قراءته وعدم تشويش الفكر لما روي : « **الحكمة عشرة أجزاء منها في الصمت وواحد في الكلام** » .

والخامس توزيع الختم الشريف على الحاضرين بعدد تعليمهم إن كانوا جماعة كما ستأتي الإشارة إلى تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى

والسادس : الترتيب المأثور عن أئمة هذه النسبة العلية أعني السادة النقشبندية قدسنا الله تعالى بأسرارهم السنية اثناء قراءته .

والسابع ضبط العدد لحصول المدد ولما كانت الإجابة موقوفة على سر ضبط أعداد القراءة المخصوصة في المشار إليه وإن ذلك بدون وضع آلة يعرف بها ضبط العدد المذكور متعسر بل متعذر وضعوا في أثناء قراءته مائة حبة من النوى والحصى لأجل ضبط العدد المنوه عليه .

فإن قيل : ما السر في ضبط الأعداد في قراءة الأوراد ؟ قلنا : إن الأوراد كالمفاتيح لأبواب المغيبات وبلوغ المقاصد والآمال والحاجات وإن أسنان المفاتيح إذا كانت موافقة لمراتبها تفتح

الأبواب لا محالة وتحصل المثوبة من ذي الجلالة أما إذا كانت الأعداد زائدة عن المراتب فقيل إن ذلك لا يضر في حصول المطالب والأولى ضبط الأعداد المأثورة التي سنفصلها إن شاء الله تعالى .

وقد روي عن سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم في تعيين أعداد مخصوصة أحاديث كثيرة ولها أسرار عجيبة لا يدركها إلا أهل المعرفة ، فمنها ما أخرجه النسائي عن أبي هريرة مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة وهلل مائة تهليلة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر** » وعنه أن فقراء المهاجرين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : **قد ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال** :« **وما ذاك ؟** » **قال : يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق ، فقال صلى الله عليه وسلم** :« **أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟** » **قالوا بلى يا رسول الله ، قال** :« **تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة** » ، قال أبو صالح : فرجع فقراء المهاجرين إليه صلى الله عليه وسلم فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال :« **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** » قال سميّ : فحدثت بعض أهلي بهذا الحديث فقال : وَهِمْتَ إنما قال لك تسبح الله تعالى ثلاثا وثلاثين وتحمد الله ثلاثا وثلاثين وتكبر الله أربعا وثلاثين .

قال حضرة إمام العارفين وعمدة المدققين ثالث الشمس والقمر ومجدد القرن الثالث عشر المبعوث الرباني ضياء الدين العم الأكبر مولانا خالد المجددي العثماني في حاشيته على « **جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد** » من كتب الحديث للإمام المحدث العلامة الشيخ محمد بن سليمان المغربي ما نصه : وحاصله أن كيفيات التسبيح خمس : ثلاث وثلاثون تسبيحة وتحميدة وتكبيرة وثلاث وثلاثون من الآخرين وأربعة وثلاثون تكبيرة والثالث عشر من كل واحدة والرابعة إحدى عشرين من كل واحدة والخامسة كالأولى وتزيد الختم لا إله إلا الله وحده . . الى آخره

وتقدمت سادسة وهي خمس وعشرون من ذلك وزيادة التهليل كذلك فيصير المجموع مائة ولعلك تقول العمل بالمضطرب يوقع في الاضطراب ويحير الألباب فيحتاج إلى ضبط ذلك كما ضبط الفقهاء مذاهبهم وأقعدوها وأسسوها .

وقال السيد عبد الله الميرغني : لا شك أنه صلى الله عليه وسلم الشارع والمشروع[30] والمؤصل والمفرع وقد بعث بالحنيفية السمحة السهلة فأسس شريعته على اختلاف الأحوال وتغير شؤون الرجل لا على الحجر والصخر انتهى .

أقول : وقد اتفق العلماء المحدثون والفقهاء العاملون على أن لا يزيد الإنسان ولا ينقص عما ورد لأن في ذلك أسرار لا يدركها إلا أهلها فكذلك ما ورد من رعاية ضبط الأعداد عن الأئمة النقشبندية قدست أسرارهم فإن طريقتهم لحمتها وسداها ما ورد عن النبي المختار واقتفاء آثار أجلاء الصحابة الأبرار ، قال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري في باب الأذكار بعد الصلاة : مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة والأركان يمكن أن يقال بهم أضيفوا التهليل إليها ثلاثا وثلاثين وقد كان بعض العلماء يقول : إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلاة إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد .

وقال شيخنا الحافظ أبو الفضل في شرح الترمذي : فيه نظر لأنه أتى بالمقدار الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل له الثواب بذلك فإذا زاد عليه من جنسه فكيف تكون تلك الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله انتهى .

ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنية : فإن نوى عند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد ثم أتى بالزيادة فالأمر كما قال شيخنا لا محالة وإن زاد بغير نية بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلا فرتبه هو على مائة فيتجه القول الماضي .

---

[30] لعله المشرّع

وقد بالغ القرافي في القواعد فقال : من البدع المكروهة الزيادة في المندوبات المحددة شرعا لأن شأن العظماء إذا حدّوا شيئا يوقف عنده ويعد الخارج مسيئا للأدب .

وقد مثله العلماء بالدواء يكون مثلا وفيه سكر ولو زيد فيه وقية[٣١] أخرى لتخلف الانتفاع به فلو اقتصر على الأوقية في الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع ويؤيد ذلك أن الأذكار المتغايرة إذا ورد لكل منها عدد مخصوص مع طلب الإتيان بجميعها متوالية لم تحسن الزيادة على ذلك العدد المخصوص لما في ذلك من قطع الموالاة لاحتمال أن يكون للموالاة في ذلك حكمة خاصة تفوت بفواتها والله تعالى أعلم . انتهى « من تنقيح الفتاوى الحامدية لعلامة مولانا السيد محمد عابدين الخالدي قدس الله تعالى روحه » .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن دليل وضع حبات النوى مستنبط مما أخرجه الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن فقال : « **ما هذا يا بنت حيي ؟** » **قلت : أسبح بهن فقال :** « **قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا** » **قلت : علمني يا رسول الله ، قال :** « **قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء** » .

وأما دليل وضع حبات الحصى أيضا فمستنبط مما أخرجه البغوي في « **معجم الصحابة** » وابن عساكر في « **تاريخه** » من طريق معتمر بن سلمان عن أبي بن كعب عن جده عن أبي صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به حتى يمسي .

وقد عينوا لقراءة الورد الشريف أوقاتا مستطابة رجاء حصول القبول والإجابة لما ثبت عندهم قدست أسرارهم بالتجربة والعيان والأدلة والبرهان فيمن سلط عليه ظالم أو حبس لدين أو جرم وهو مظلوم أو كان أسيرا في يد كافر واضطرب في أمره أو أعرض له قبض أو غمّ أو غير ذلك فليراع أركانه وشروطه وآدابه التي بيناها آنفا ثم يواظب على قراءته إلى أن يحصل مراده .

---

31 **لعله أوقية**

وإذا استعان في قراءته على حصول المطلوب بأشخاص أخر منسوبين إلى هذه الطائفة السنية أماتنا الله تعالى على خدمتها وحشرنا في زمرة أئمتها فليوزع عليهم الختم المشار إليه ثم يشتغلون معا في مكان واحد فيكون ذلك أتم في حصول المقصود إذ توجه القلوب واجتماع الهمم في حصول أمر ليس كتوجه قلب واحد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يد الله مع الجماعة فالشاذ منهم يختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم القاصية** » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وقال عليه الصلاة والسلام :« **إن لله تعالى سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى : غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** » رواه البزار عن أنس بن مالك .

وإذا تمهّد ذلك فاعلم أن السرفي الاجتماع إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض من شيخ مأذون ببيعة صحيحة معنعنة يدا عن يد إلى أن تتصل بناظم درّ هذا العقد ونير سماء العلى والمجد سيدنا وسندنا عبد الله العتيق حضرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه وجعله شفيعا لنا يوم نلقاه كما تلقنه عن سيد الكونين صلى الله تعالى عليه و سلم بواسطة طاوس الملائكة سيدنا جبريل الأمين عليه السلام عن حضرة الحق جل وعلا إله العالمين ، ومن لم تكن بيعته كذلك فهو غير معدود من القوم ولا يجيبه أحد إذا حرك السلسلة كما صرح به غير واحد منهم سيدي الشيخ الوالد الماجد قدس سره .

ولا يخفى أن إظهار مراده المستعان به ليس بلازم إذ المستعان به في الحقيقة هو الفياض المطلق جل وعلا وهو يعلم السر وأخفى والأولى أن يكون الختم الشريف في أشرف الأوقات كيوم الجمعة وليلتها ويوم الخميس وليلته وبعد العصر فيهما ويوم الاثنين .

وقال سيدي الوالد الماجد قدس سره : ينبغي للسالك في هذه المسالك أن يتوصل لقضاء حاجته وحصول مقاصده بالختم الخواجكان بحضور قلب وصدق نية انتهى .

ونقل عنه قدس سره أيضا أنه كان يقول : ينبغي لمن أراد ذلك وكان منفردا أن يصلي أولا اثني عشر ركعة طلبا لمرضاة الله تعالى وقصدا لحصول الحاجة فيقرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي سبع مرات ثم يقرأ الفاتحة والإخلاص ثلاثا ويهب ثواب ذلك إلى روحانية سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأرواح ساداتنا الخواجكان قدس أسرارهم ثم يتصدق بصدقة على فقرائهم انتهى .

قلت : وهذه الصلاة واردة عن حضرة النبي الأكرم والرسول المعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم رواها عنه فحول الرجال من الصدر الأول وتسمى صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الأمر وقست حاجته في إصلاح دينه أو دنياه إلى أمر يتعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهب رضي الله تعالى عنه أن من الدعاء الذي لا يردّ أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ خرّ ساجدا ثم قال : **سبحان الذي ليس العزّ إلا له سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي المنّ والفضل سبحان ذي العز سبحان ذي الطول والنعم أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم ومجدك الأعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد نبي الرحمة وآله .**

ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله تعالى ، وكان يقول : لا تعلموها سفهاءكم فيستعينون بها على معصية الله تعالى انتهى .

ورواه ابن مسعود أيضا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقرأ هذا الدعاء قبل الشروع فإنه مأثور عن هؤلاء الأكابر رضي الله عنهم وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم يا مفتح الأبواب ويا مسبب الأسباب ويا مقلب القلوب والأبصار ويا خالق الليل والنهار ويا دليل المتحيرين ويا غياث المستغيثين أغثني ، توكلت عليك

يا رب العالمين وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى .

ثم يباشر قراءة الختم الشريف برعاية الخصائص المارة وهذه صيغته مع الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة :

الاستغفار خمسة وعشرون مرة : للطهارة من الذنوب وتفريج الهم والضيق .

أما الأول فلقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض روايات الحديث الصحيح :« **من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعا وعشرين مرة أو خمسا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الأرض** » .

وأما الثاني فلقوله صلى الله تعالى وسلم :« **ألا أدلكم على دائكم ودوائكم ألا إن داءكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار** » **رواه البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه وقال عليه الصلاة والسلام** :« **إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار** » **رواه البيهقي عن أنس بن ماك ايضا .**

وأما الثالث فلما أخرجه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال :« **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب** » ،

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرّ من الزحف** » انتهى بالسند الأول .

ثم الرابطة الشريفة : والمقصود منها استحضار روحانية أصحابنا السادة الخواجكان من الشيخ المرشد إلى النبي صلى الله عليه وسلم للاستفاضة من أرواحهم الطيبة الطاهرة الزكية والسر في ذلك كما قال المحقق الشاه أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة : إن النفوس البشرية لابد لها من التعرض لنفحات الله ولا شيء في التعرض لها كالتوجه إلى أنوار التجليات وإلى شعائر الله في أرضه والتكفف لديها والإمعان فيها والوقوف عليها ولا سيما أرواح المقربين الذين هم أفاضل الملأ الأعلى ووسائط جود الله على أهل الأرض وذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالتعظيم وطلب الخير من الله تعالى في حقه آلة صالحة للتوجه إليه مع ما فيه من سد مدخل التحريف حيث لم يذكره إلا بطلب الرحمة له من الله تعالى وأرواح الكمل إذا فارقت أجسادها صارت كالموج المكفوف لا يهزها إرادة متجددة وداعية سانحة ولكن النفوس التي هي دونها تلتصق بها بالهمة فيجلب منها نورا وهيئة مناسبة بالأرواح وهي المكنى عنها بقوله عليه الصلاة والسلام :« **ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله روحي حتى أرد عليه السلام** » وقد شاهدت ذلك ما لا يحصى في مجاورتي المدينة سنة ألف ومائة وأربع وأربعين انتهى .

واعلم أن الأرواح الإنسانية بحسب ظهورها في النشأة المختلفة على أنواع ثلاث :

الأولى أرواح مجردة وهي قبل تعلقها بالأجساد الإنسانية .

والثانية أرواح متصرفة وهي متعلقة بها وهي متصرفة فيها لكسب الكمالات الدنيوية والأخروية .

والثالثة أرواح مفارقة لأنها فارقت الأجساد لكن تعلقها باق بسبب البعث والحشر والميزان والنشر .

إذا علمت هذا فاعلم أن لأرواح الكمل تصرفات ثلاثة :

الأول التجسد والتمثيل بالصور والتمثيل إما قبل تعلقها بالأجساد لتجسد روح سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه لاستخلاص سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه من السبع المفترس

وإما بعد تعلقها بها كتجسد الكاملين لمريديهم في حالة اليقظة حين انشغالهم بالرابطة الشريفة أو في الرؤيا حالة المنام مع مكالمتهم وإرشادهم إياهم وكتجسدهم في الصور في أمكنة متعددة في لحظة واحدة كما وقع مع قضيب البان والشيخ مفرج الصعيدي قدس سرهما على ما حكاه الإمام اليافعي في « روض الرياحين » وهذه الحالة باقية لهم بعد مفارقتهم الأجساد كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أرواح الأنبياء في السماء وصلوا معه جماعة في بيت المقدس .

والثاني : التصرف في الأجساد النورانية كجسد نبينا صلى الله عليه وسلم لأن أصل خلقته نوراني وروحانيته سر ملكوتي ولهذا لا يرى له صلى الله عليه وسلم ظل بالغدو والآصال .

والثالث التصرف في الأشياء بأن تجعلها جسما لطيفا وهذا أمر يكون من الملائكة والجن كتصرفهم بعرش بلقيس .

والاستفاضة من أرواحهم قدست أسرارهم على أربعة أقسام :

الأول تربية المرشد للمريد في عالم الظاهر بالمشافهة والمواجهة كتربية النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ويسمونها بالصحبة .

والثاني تربية المرشد للمريد بالروحانية من غير اجتماع حتى كتربيته صلى الله عليه وسلم أيضا لأويس القرني رضي الله تعالى عنه وكتربية الإمام جعفر الصادق لأبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه وكتربية القطب الرباني رئيس سلسلة الخواجكان الخواجة عبد الخالق الغجدواني لإمام هذه الطبقة وزعيمها ذي الفيض الجاري والنور الساري محمد بهاء الدين الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبندي قدس الله تعالى أسرارهما وقد منّ الله تعالى بهذه التربية من روحانية الإمام العامل والفاضل الفاصل بين الحق والباطل مفخر الخواجكان النقشبندية وخلاصة سبحة الكاملين في الطريقة الخالدية سَبَّاح ابحر التوحيد وسَيَّاح فيافي التجريد النجم الثاقب الذي من الحق داني سيدي وسندي ووالدي وقرة عيني حضرة مولانا الشيخ محمود صاحب الخالدي النقشبندي العثماني وهو أول من تخلف على أخيه وشقيقه قطب دائرة الإرشار ورحلة الأبدال والأوتاد غوث

الثقلين المستضيء من الكتاب والسنة بمصباحين ضياء الحق والحقيقة والدين مولانا خالد العثماني المجددي الشهير بذي الجناحين قدسنا الله تعالى بأسرارهما وأفاض فيض الإحسان على فرعهما وأصلهما .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا « جمع القلائد ومجمع الشوارد في فرائد مولانا خالد » قدس سره مع أنني ولله الحمد قد أخذت هذه الطريقة بعمومها وخصوصها وتسنمت منازلها الرفيعة بمنطوقها ومنصوصها عن الإمام الكبير والمرشد الكامل الخبير من نقش بنده بطراز الطاعات فبرز نقشبنديا وطهر عن السوى خلده بماء المجاهدات فظهر خالديا ، الصمصام الهندي مولانا وسيدنا الشيخ علي الخالدي المشتهر ببيك زاده الخربوني النقشبندي قدسنا الله تعالى ببركاته ومتعنا بطول حياته .

والثالث تربية المريد للمريد بالرؤيا المثالية ويسمُّون هذه التربية التي قبلها بفيض البركات .

والرابع تربية الأرواح المجردة عن المادة كتربية روح حضرة سر الوجود صاحب المقام المحمود عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام من الكريم الودود لأرواح جميع الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ويسمونها بتربية الروح والأبدان أن يكون بين المفيض والمستفيض مناسبة تامة .

والمناسبة التامة لا تكون إلا بثلاثة أشياء :

الأول القدم وهي عبارة عن طي مراحل الآداب وسلوك السالك مسلك الأخلاق وعبور مقامات النفس وهي القلب والروح والسر والخفي والأخفى كما سيأتي ذلك مفصلا .

والثاني لسان الصدق وهو عبارة عن إيصال الكمال إلى الطالبين على قدر استعدادهم ما علمهم الله تعالى بطريق الوحي والإلهام وسماع الخطاب من الله تعالى أو من الملائكة وصاحب هذا المقام خبره صدق وشفاعته مقبولة ودعاؤه مستجاب وعلمه مثبت للحق ومزهل للباطل وكاشف لأسرار المعاني وحكمه نافذ وتلقينه موصل إلى المطلوب الحقيقي .

والثالث القلب الصادق وهو إما عبارة عن انكشاف الآيات الغيبية والشهودية في قلب الكامل المكمل وإما عبارة عن ثبوت المعاني المجردة عن الصور في القوة العلمية له وقد حكي بعض ما قررناه في « تفريح الخاطر » .

وإذا علمت هذه الأقسام والمناسبة بين المفيض والمستفيض علمت أن للرابطة الشريفة سرا لا ينكره إلا معاند جاهل بعيد عن الحق والتحقيق بمراحل وقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة أجلاء وعلماء أصفياء ، **وأدلتها الكتاب والسنة والإجماع والقياس .**

وحيث علمت ما تقدم من خبط صاحب « التاج المكلل » في جواب سؤال الأديب السيد النعمان الألوسي خبط عشواء وأنها من البدع المنكرة وجب أن أكشف لهما البراقع عن وجهها وأميط لها الحجب عن حقيقة كنهها **لأن رابطة الكاملين إنما هي مرايا لكمالاته تعالى فالكمال الإنساني مرآة للكمال المحمدي والكمال المحمدي مرآة للكمال الإلهي ولا يتجلى الحق للكامل إلا من خلف حجاب الكمال المحمدي إذ هو الواسطة العظمى التي لا وصول إلا بها** ، لكن ربما غفل عن ذلك بعض القاصرين فظن أنه أخذ عن الحق جل وعلا بدون واسطته صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك غلط محض لأن التكميل لكل كامل إنما يكون من الحضرة المحمدية وكماله تعالى لا يشبه كمال غيره فكمال المخلوقات بمعان موجودة في ذواتهم وهي مغايرة لذواتهم وكماله تعالى بذاته لا بمعان زائدة عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فكماله عين ذاته ولذا صح له الكمال المطلق التام ، ولا يعرف ذلك الكمال إلا بمتابعته ومحبة أصحابه ونوابه وأنصاره الوارثين لأحواله صلى الله عليه وسلم فمن قصده بواسطتهم فقد أتى البيوت من الأبواب ومن أتى الباب دخل ومن دخل الدار حصل ومن حصل وصل ومن وصل اتصل ومن اتصل تأصل ومن تأصل ارتقى ومن ارتقى استقى وتلقى كيف لا وطاعة هؤلاء النجوم طاعة هذا البدر المنير وطاعته طاعة الله تعالى ومحبته محبة الله تعالى ومبايعته مبايعته تعالى لرفعة قدره عند الله عز وجل جعلنا الله تعالى من المتبعين لسنته وتوفانا على ملته بجاهه صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم .

وإذا علمت ذلك تبين لك شناعة ما زخرفه السائل البغدادي وما لفقه المسؤول البهوبالي وذلك ناشئ من إعجابهما وادعائهما الاجتهاد ودونه خرط القتاد ، فإن من اتصف بمثل تلك الدعوى الطويلة العريضة لا يصغي إلى أحد ولو كان عارفا بل يكون ديدنه اتهام المسلمين بما ليس فيهم لشدة حمقه وهو يعتقد ذلك منحة من الله تعالى وهي محنة وبلية نسأل الله العافية وقد يقدر كل عارف أن يبين له الصواب ويزيل عنه النقاب فإن كان منصفا اقتنع وارتدع وإلا بقي مصرا على عناده المبتدع .

فنقول : إن المقصود من الرابطة في الشيخ الكامل الفاني في الله تعالى والباقي به إنما هو الاستمداد منه ، والاستمداد منه هو الاستمداد من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والاستمداد منه عليه الصلاة والسلام هو الاستمداد من الله تعالى ولهذا قالوا : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في النبي عليه الصلاة والسلام والفناء في النبي صلى الله عليه وسلم مقدمة الفناء في الله تعالى .

وهذا لا ينكره أحد إلا كل من ليس له وقوف على حقيقة الحال والمرام وعما حررته العلماء الأعلام ونقلته عن أجلة الصحابة الكرام :

من ذلك ما ذكره العلامة الشيخ البربير في كتابه « **الشرح الجلي على بيتي الموصلي** » نقلا عن العلامة المحقق الشهاب الخفاجي في « سوانحه » قال : رأيت في فتاوى الحافظ السخاوي أن ابن عباس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ـ أي بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم ـ فتفكر في ذلك ثم دخل على بعض أمهات المؤمنين وأظنها ميمونة فأخرجت له مرآة النبي صلى الله عليه وسلم فنظر فيها فرأى صورة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ير صورة نفسه انتهى ، قال الشرباد : وفي ثبوت ذلك نظر فليحرر .انتهى .

قلت : وفي هذا النظر نظر ! لأنه إن كان وجه النظر من حيث ثبوت الرواية فذكر مثل ذلك الحافظ السخاوي لها يدفع ذلك الوجه إذ لو كان فيها مقال من حيث المتن أو السند لنبه عليه لأنه معدود من الحفاظ الحافظين لأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اختلال المعاني والألفاظ لاسيما وقد ذكر هذا الأثر النجم الغزي في « منبر التوحيد » ونسبه إلى ابن العربي المالكي

من هو في ذلك الفن الجوهر الفريد ، ولا يقدح في الحافظ السخاوي ما قاله الحافظ السيوطي ولا ما قاله هو فيه لأن المعاصرة توجب المنافرة والاتحاد في الصنعة يغير من كل من المتعاصرين طبعه ، وقد ورد أن عدو المرء من يعمل بعمله وذلك لشدة حرص الإنسان على الانفراد وفسحة أمله .

وإن كان وجه النظر من معنى ذلك الخبر ففي ذلك النظر أيضا نظر ! لأنه ثبت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من المعجزات والأمور الخوارق للعادات ما هو أعجب من هذا خبرا وخبرا لاسيما والمرآة المذكورة منسوبة إليه وقد ذكر في شمائله أنه كان لا يفارقها حضرا ولا سفرا انتهى .

فالتقرب بقالبه الذي هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل ماله منها مناسبة إليه تقرب موجب للقرب إليه مقتض لشفاعته فإنه لو وضع شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب انتهى ملخصا من « المضنون به على غير أهله » لحجة الإسلام قدس سره .

ثم قال : والأصل في ذلك أن وراء ما يتصوره العقلاء أمورا ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها إلا الله تعالى والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده وإن اجتمع الحذاق وتفكروا في الشكل الموضوع على مناسبة الأعداد لسهولة الولادة حال الطلق ما عرفوا تلك الخاصية فكيف يطمع الإنسان أن يعرف حقائق ما ورد به الشرع من الأوامر والنواهي والأخبار والوعد والوعيد وغير ذلك ، والعقل ضعيف وتصرفه مختصر بالنسبة إلى تلك العجائب والخواص انتهى .

وبهذا تعلم أن ما قاله صاحب « التاج المكلل » في جواب السائل ناشئ من ضعف العقل وعدم المعرفة ، وقد ذكرنا رد جوابه في تعليقاتنا على الكتاب المذكور فليراجعها من أراد الوقوف عليها .

ولكن لما كان الأخ المنكر لها تاب الله عليه متعصبا مجادلا لا جرم أن يلقي علينا ما أورده من هو على شاكلته بقوله : إن الرابطة التي تأمرون بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب وهما أمران شرعيان لا بد لهما من دليل والأدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من الأدلة راجع إليها فما الدليل على ندب الرابطة أو وجوبها ؟ وأيضا لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم شيخ الصحابة لأنهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها فلم يبلغنا أنه أمرهم بتصور صورته التي هي أكمل الصور الإنسانية فلو أمرهم لنقل إلينا لاسيما إن كان ذلك واجبا لأن الواجب مما تتوفر الدواعي على نقله ؟

قلنا له حينئذ على لسان السادات الخالدية قدست أسرارهم لعله يتذكر أو يخشى فإن الذكرى تنفع المؤمنين : إن الجواب عن ذلك بوجوه :

الأول : أن الرابطة الشريفة التي نأمر المريدين بها بأمر سادتنا الأئمة النقشبندية وقاداتنا المجددية الخالدية **مندوبة لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة ، والوسائل لها حكم المقاصد والأمر الذي لم يَنْهَ عنه الشرع يسوغ فعله إما على طريق الإباحة إن أدى إلى مباح أو الندب إن أوجب مندوبا أو الوجوب إن حصل واجبا لا يتحصل بغيره ،** وقد حصل لنا بالتجربة ونحن قوم أكثر من عدد التواتر أنا إذا تصورنا الرابطة الشريفة انتفت عنا الأغيار كلها وبقي في هذا الغير وحده فأعرضنا عنه حينئذ وهذا مثل إنسان له أعداء فتردد إلى واحد منهم وسلطه على باقيهم فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلا وحده فيقدر على إزالته فيزيله وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمله فإنه ظاهر للحس مطابق للواقع لأن الرابطة الشريفة ليست مرادة لعينها بل مرادة لغيرها .

الثاني : قوله لا تخلو بقرينة الآمر بها من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب .

قلنا : لا نسلّم أن غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب فإن الطبيب قد يأمر المريض بتعاطي بعض الأدوية فإن كان امتثال أمر الطبيب واجبا أو مندوبا فما نستعمله من قبيله .

الثالث قوله وهما أمران شرعيان لا بد لهما من دليل .

قلنا هذا بناء على قولنا أن الرابطة توصل إلى أمر مندوب وما أوصل إلى المندوب مندوب ، فالدليل موجود لا على قول الأخ المنكر لها تاب الله عليه من أن كل مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما ويكون لغرض ما .

الرابع قوله والأدلة الكتاب

قلنا وهل يعزب عن الكتاب شيء وهو قد جمع كل رطب ويابس ؟ !

قال الله تعالى :﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ .

فإن قال الأخ المنكر تاب الله عليه : المراد في ذلك غير الرابطة ؛ **يجاب** : بأن المفهوم عام وإذا ثبت الأمر بطلب الوسيلة فالرابطة الشريفة من أفضل الوسائل لأن الوسيلة إما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإما النائبون منابه قال تعالى : ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ . وفي ذلك إشارة إلى الرابطة الشريفة ولا يخفى على الأخ المنكر لها تاب الله عليه ما قرره أهل العلم من أن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حسا أو تخيله معا[32] وهو غرضنا من الرابطة وإلا فلا يعد اتباعا وأنت خبير بأن الوسيلة بالأعمال الصالحة ولا تكون الأعمال الصالحة إلا بالإخلاص ولا يكون العمل خالصا إلا إذا خلا عن الشوائب وقد حصل لنا بالتجربة أنا إذا اشتغلنا بالرابطة الشريفة خلت أعمالنا من شوائب الغفلة والعمل مع الغفلة غير معتد به لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل

---

[32] لعله معنى

منها فهي من الوسائل الموجبة زوال الغفلة وزوال الغفلة مقصود وما أوصل إلى المقصود مقصود ومن لازم زوال الغفلة الحضور وهو من أشرف الوسائل فالرابطة الموجبة زوال الغفلة هي من اشرف الوسائل .

الخامس قوله والسنة

قلنا : وهل يشذ ذلك عن كلام سيدنا صلى الله تعالى عليه وسلم وتحت كل كلمة منه بحار من المعاني مما يتوصل الى خيري الدنيا والآخرة !

وقد قال صلى الله عليه وسلم :« **إن أرواح المسلمين لتلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه** » انتهى من حديث عبد الله بن عمر ، وهل ذلك غير المحبة القلبية والمعية الروحانية المعبر عنها بالرابطة التي هي مشتركة بين الأنبياء والأولياء أمواتا كانوا أو أحياء .

وذكر الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه شكا إلى النبي صلى الله لي وسلم عدم انفكاكه عنه حتى في الخلاء أيضا بحسب الروحانية وكان حضرة سيدنا الصديق الأكبر كرم الله تعالى وجهه يأخذه الحياء منه عليه الصلاة والسلام .

وقد روي أن ثوبان مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال : ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة على لقائك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك تدفع مع النبيين وإن دخلت الجنة كنت في منزلي دون منزلتك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فقال صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين** » فأنزل الله تعالى : ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾ فدعا به وقرأها عليه .

فلينتبه الأخ المنكر لها تاب الله عليه أن أحوال الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم هكذا كانت معه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة القلبية والمعية الروحانية التي هي سر الصحبة

في الحقيقة التي أشار إليها صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : « **من أحبني كان معي في الجنة** » . فذاقوا بها حلاوة الصحبة والإيمان ودخلوا جنة المشاهدة والعيان فكذلك يجب أن تكون أحوال أمته معه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام حتى يفوزوا بالسعادة كما فاز بها أولئك السادة .

ولا شك أيضا في جواز الرابطة في التوجه إلى أولياء الله العارفين والمشائخ الكاملين الذين هم مأمورون بتسليك العباد وإرشادهم إلى أقصى المراد فإنهم قدست أسرارهم أتباعه ونوابه وورثته وأنصاره الذين أمرنا بحبهم وطاعتهم والبر والإحسان كيف وقد قال تعالى : ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ الآية .

وقال تعالى :﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ .

فلينظر الأخ المنكر لها تاب الله عليه كيف أشركهم به في الدعوة وكيف أوجب لهم الطاعة علينا ، وإن لم يكن هؤلاء السادات أولي الأمر فمن هو أجدر منهم بهذا المنصب الرفيع ؟ !

ومن السنة أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** » الحديث .

والأعمال بدنية وقلبية فالحركات والتصورات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوّي بها عليها فله ما نوى ولو لم يدرك مراده فكيف إذا تحقق له حصول المراد ، ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان : أنت جائع مثلي ؛ لا يوجب له جوعا ، فكذلك قول الأخ المنكر لها تاب الله عليه : لا نرى صحة ما ترونه ؛ لا يوجب عدم صحة رؤيتنا فعليه أن يقول : إن كان ما تدعونه حقا فأنتم وشأنكم ، ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه .

وها أنا أضرب مثلا : وذلك كما قيل إن السلطان أمر طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم كمرض البطن حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيامة بالخدمة وكان الطبيب عالما بفنون الحكمة خبيرا ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقال في نفسه :

تنفيذ هذا الأمر من أهم المهمات وأوجب الواجبات وتعليمه لمن يتأهل للقيام بعلمه موجب لدوام الأجر والمثوبات وذخيرة العلم من أنفع الذخائر لليوم الآخر فإنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث أحدها علم ينتفع به فتفرس في بعض المرضى وجود الاستعداد والأهلية وتنفيذها على الوجه المراد إذا عوفي فعالجه حتى شفي ثم علّمه الطب والحكمة وأخبره بالأدوية وخواصها وأعطاه دواء البطن للمبطونين وقال له : خذ هذا الدواء وانفع به الناس ولا تطلب عليه أجرا وكن محتسبا لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك فإن أحب الأعمال إلى السلطان عملك هذا فقال : سمعا وطاعة ، فنظر النائب بعد خروجه من عند أستاذه الدواء فإذا هو عسل أبيض فقال : الحمد لله فيه شفاء للناس وصار يداوي به تلك العلة العضلة فيحصل البرء منها في أقرب الأوقات ، وبينما هو كذلك إذ أتاه شخص أحمق ـ مثلك أيها الأخ المنكر بصرك الله بعيبك ووفقك في السعي في كشف حجبك ـ فقال له : ما هذا الذي عندك ؟ فقال : دواء للمبطونين ، فقال : أرني إياه فأظهر له في ظرف مختوم فقال له : ليس هذا دواء للبطن وإنما هو سمّ قتال دون التباس أردت أن تهلك به الناس فقال له : يا أخي والله ما هذا إلا عسل مصفى ودواء هو للذين آمنوا هدى وشفا فذقه حتى تعلم صدق ما أقول فقال : ما أنت أعلم به مني ولا أعرف أن من ذاقه هلك ، ثم التفت إلى من حضر وقال : أيها الناس إن هذا ما أنزل الله به من سلطان ، وأكثر الناس حمقى مثل السائل والمسؤول وشبيه الشيء منجذب إليه ، فتركوا التداوي به مع شدة احتياجهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور ولا يزال يتكلم في ذم الدواء والمداوي والمتداوي ويصد عنه من أراد التداوي به من مرضه الذي أخره عن خدمة الملك حتى أثّر في أكثرهم فكيف يكون حال هذا إذا حضر بين الملك لله درّ القائل :

إذا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتى   فَأَوَّلُ مَا يَجْنيْ عَلَيْهِ اجْتِهادُهُ

السادس قوله : والإجماع

قلنا قد أجمع أهل فنّ التصوف على عمل الرابطة الشريفة وأقرّ منهم الجمّ الغفير وعلى الخصوص ساداتنا الأئمة النقشبندية وقاداتنا المجددية الخالدية أولو الواردات الإلهية والنفحات

الإحسانية العرفانية الذين ذاقوا بها من صافي خمرة المحبة فغابوا وأفيض عليهم بسببها من أنوار التجلي ما به ذابوا ، فَهُم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما المنسوب طريقهم إلى الصديق الأكبر والختن الشفيق الأزهر رضي الله عنهما ، فإنه لا يزال فيض الإحسان على فرعهما مسلسلا إلى أن يتصل بالإمام المهدي صاحب الزمان على ما بشر به غير واحد من أهل العرفان ، لازالت أسرار هذه الطريقة مرسومة في صحائف الدهر ولا برحت أنوارها ساطعة على جبهة العصر فأهلها هم خواص الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة أقوالا وأفعالا وأحوالا قد حازوا أوفر المنح والمواهب وسلكوا سبيل السلامة باتباع الأربعة المذاهب ، وكل واحد منهم متضلع من سائر العلوم ومحيط بما فيها من المنطوق والمفهوم ، كيف لا وقد أطبق جماهير العلماء وأساطين الدين في كافة بلاد المسلمين من القديم والحديث بالثناء على فضل سلوك سالكي هذه الطريقة المرضية وأذعن لحقيقتها وحسن تمسك أهاليها بالسنة السنية أعلام البرية .

من ذلك ما نقله العلامة السيد محمود الألوسي في « **الفيض الوارد** » : وقد نص كثير من العلماء الأعلام ومشاهر الإسلام على فضل هذه الطريقة وشرفها وبالغوا في مدحها ووصفها فذكر العقل الحادي عشر العلامة الشهاب أحمد بن حجر في خاتمة فتاواه أن الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي طريقة النقشبندية . انتهى .

وقال العلامة المحدث شارح « المشكاة » عبد الحق الهندي الدهلوي في رسالته « **موصل المريد إلى المراد** » : ليس عند المنصف لكسب حالات الفناء والبقاء طريقة أحسن من طريقة النقشبندية .

وقال العلامة الشيخ عبد القادر الخلوتي الكيالي في كتابه « **الفيوضات الإحسانية** » ما نصه : **إن أحباب الله تعالى هم أجل نعمة في الكون وبجاههم يلتمس الراجون من الله العناية والعون طريقهم أقرب الطرائق وأعلاها ومنهلهم أعذب المناهل وأرواها ومشربهم أحلا المشارب وأصفاها لا سيما السادات النقشبندية أولي الورادات الربانية والنفحات الإحسانية نفوسهم في**

منازل الخدمة سائرة وأرواحهم في حضرات القرب طائرة أفيض عليهم من أنوار التجلي الأقدس فغابوا وذاقوا من صافي خمرة المحبة فذابوا تراهم صاحين وهم يهيمون وتراهم ضاحكين وهم متيّمون [٣٣] فمنهم من غاب عن حسه ومنهم من فني عن رؤية نفسه **وجودهم في الأرض من أعظم النعم** حيث بهم تستكشف البليات والنقم ، فلولا وجودهم ارتفعت الأمطار ولولا ركوعهم وسجودهم تعطلت الزروع والثمار هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يمرون باللغو كراما ويبيتون لربهم سجدا وقياما من سلك طريقهم هدي إلى الصراط المستقيم ومن دخل في زمرتهم نجا من نار الجحيم . انتهى .

وقال العلامة الشيخ محمد بن سليمان البغدادي في « حديقته الندية » ما ملخصه : والطرائق وإن استوت كلها بالنسبة للدلالة على الله تعالى لكنها تختلف وتتفاوت بالنسبة لأقربية الدلالة والوصول إلى الله تعالى فأقرب الطرائق وأسهلها على المريد للوصول إلى أعلى درجات التوحيد الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها السنية . انتهى .

وقال العلامة المحقق المنلا علي القاري في « شرح حصن الحصين » عند قوله صلى الله عليه وسلم : « **من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة** » ما نصه : ولعل هذه الفضيلة بخصوص السوق لأنها محل الغفلة فالذاكر فيها كالمجاهد في الفارين وهذا دليل لما اختاره السادة النقشبندية من أكابر الصوفية حيث قالوا الخلوة في الجلوة والعزلة في الخلطة فالصوفي كائن بائن وغريب قريب وعرشي فرشي ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله تعالى ببركاتهم ومن تتبع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف أخباره وأحواله وعلم أقواله وأفعاله تبين له أن هذه الطريقة هي التي اختارها صلى الله عليه وسلم بعد البعثة وحثّ أمته على هذه الحالة وتبعه أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم دون ما

[33] أي محزونون

ابتدعه المبتدعة ولو كان بعضها مستحسنة في الجملة . انتهى, وناهيك بهذا التعبير من هذا النحرير .

وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس الله سره في مكتوباته ما ملخصه : ومن خواص الطريقة العلية النقشبندية أيضا تقدم الجذبة فيها على السلوك وأن ابتداء سيرها من عالم الأمر لا من عالم الخلق بخلاف أكثر الطرق وكون قطع منازل السلوك في هذا الطريق مندرجا في ضمن طي معارج الجذبة وتسير سير عالم الخلق في سير عالم الأمر فلهذا لو قيل إن قطع منازل السلوك في هذا الطريق مندرج البداية في النهاية لساغ ذلك أيضا فعلم أن سير الابتداء في هذا الطريق مندرج في سير النهاية لأنه يتنزل في سير الانتهاء إلى سير الابتداء وبعد تمام سير النهاية يكون سير البداية .

قال الإمام نقشبند قدس سره : طريقتنا أقرب الطرق ، وقال ايضا : معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي قدس سره .

وقال الغوث الأعظم مولانا الخواجه عبيد الله الأحرار : إن اعتقاد السلف قد يذهب بالبعض إلى إنكار هذا الكلام مع أنه لا ينافي في أمر من أمور الشرع بل حديث : « **أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره** » يدل على ذلك وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج في ابتدائها فالمحروم من يدخل هذا الطريق ولا يستقيم ويذهب ولا نصيب له وما ذنب الشمس إذا لم تكن هناك عين تبصر ؟ !نعم إذا وقع طالب في يد ناقص فأي ذنب للطريق وأي تقصير للطالب ويذهب ولا نصيب له ، ومن خواص هذه الطريقة أيضا أن أكابرها جعلوا الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية والأذواق والمعارف خادمة للعلوم اللدنية ، لا يستبدلون الجواهر النفيسة الشرعية مثل الأطفال بجوز الوجد وزبيب الحال ، ولا يغترون بترهات الصوفية ومن هنا لا يجوزون السماع والرقص ولا يقبلون على الذكر الجهري حالهم على الدوام ووقتهم على الاستمرار التجلي الذاتي الذي لغيرهم كالبرق لهم دائم والحضور الذي يعقبه غيبة ساقط عن حيز الاعتبار عند هذه السادة الأخيار بل كانت حالتهم أعلى كما اشار إليه السيد عبيد الله الأحرار . انتهى .

وقال العالم العلامة والبحر الفهامة المتسلق عن الحجاب البشري السيد مشيخ بن السيد صادق باعبود الباعلوي في « **النفحة المحمدية** » ما نصه : قال مولانا العارف بالله تعالى عبد الله بن علوي الحداد قدس الله سره : ولابد من شيخ تسير بسيره إلى الله من أهل النفوس الزكية من غير أن تكتم عليه شيئا من أمورك كلها حتى لو قضى الله عليك بمعصية ينبغي لك أن تعرض عليه ذلك يسعى في دفع المقتضي لتلك المعصية بمداواتك بما يعرفه من أمرك أو يتشفع لك عند الله ويلتجئ إليه فيزول عنك كثافة تلك الزلة وهم على مذاهب شتى وطرق لا تحصى كطريق القادرية وطريق الأويسية وطريق الفردوسية وطريق الخلوتية وطريق الهمدانية وطريق الشطارية وطريق الجستية وطريق السهروردية وطريق الأحمدية وطريق الشاذلية وطريق الوفائية وطريق القشيرية والله أعلم ، وغير ذلك من الطرق ولنذكر ههنا طريقا مباركا[٣٤] موصلا للمقصود إن شاء الله تعالى وهي طريقة النقشبندية : قد وصل بها خلق كثير وجم غفير درجوا بها في دوائر الولاية العظمى ووصلوا بها إلى مراتب الإمكان والتمكين بعد أن قطعوا مسافات الطريق بالجد والاجتهاد وتحققوا بآية

﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ ،وبالجملة فالوصول والسلوك صعب جدا إلا على من سهّل الله تعالى عليه ذلك وبالله التوفيق ، فليطلب المريد من يكون ماهرا في هذا الطريق موصوفاً بأوصاف الكمال والتحقيق . انتهى .

وقال بعض أكابر شراح « الحكم العطائية » : السالكون على قسمين : سالك مجذوب ومجذوب سالك ، فالأول يشهد الآثار أولا ثم يستدل بها على الأسماء ويستدل بالأسماء على ثبوت الأوصاف ويثبتون الأوصاف على وجود الذات لأنه محال أن يقوم الوصف بنفسه وهذا هو شأن العموم وأكثر ما في الكتاب والسنة يشير إلى ذلك كقوله تعالى : ﴿**إن في خلق السموات والأرض** ﴾ الآية ، والثاني يشهد الذات أولا وينكشف له ما يليق باستعداده ثم يردّ إلى شهود الصفات ثم يرجع إلى التعلق بالأسماء ثم يرد إلى شهود الآثار عكس ما كان السالك الأول عليه ، فنهاية السالك المجذوب بداية المجذوب السالك لكن لا بمعنى واحد ، فإن مراد السالك

---

34 **مجربا**

المجذوب شهود الأشياء لله تعالى ومراد المجذوب السالك شهود الأشياء بالله تعالى ، فالأول عامل لتحقيق الفناء والمحو والثاني مسلوك بطريق البقا والصحو ، ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم منه التقاؤهما في السير هذا في الترقي وهذا في التدني ومن هنا تعلم أن المجذوب السالك أعلى من السالك المجذوب لاشتراكهما في العبور على المنازل وزيادة المجذوب السالك بأنه يشهد الأشياء بالله تعالى وهذا أعلى ممن شهدها لله تعالى كما لا يخفى ، وأيضا إن السالك المجذوب ينتهي إلى الفناء وهذا ينتهي إلى البقاء والصحو بعد الفناء وهذا أكمل من الأول لأنه مقام الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ووارثيهم من المرشدين المكملين **إذ مقام الإرشاد لا يصح ولا يصلح إلا لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء** فلا بد للقسم الأول من الرجوع إلى هذا المقام حتى يصح منه الارشاد ، وغالب طريق السادة النقشبندية الجذب أولا ثم السلوك وهذا يعرفه من ذاق طريقهم فاجتهد أيها الأخ في تحصيلها تكن من الملوك وهذا بحث نفيس . انتهى

وقال الإمام العارف المحقق الشيح مراد البخاري الأزبكي قدس الله سره في مطلع رسالته : إن الغاية القصوى من سر الإيجاد إنما هو التحقق بكمال الإيمان والإسلام والإحسان المعبر عنه بحق اليقين المحقق بدوام العبودية على طريق الاستهلاك المنعكس جماله من مجالي المتحققين به اصطفاء واجتباء إلى الكائنين معهم والمرتبطين بهم حبا وصحبة واتباعا ، فلقد سبقت تلك الحسنى من مجلاها الجامع للحافين به انعكاسا وانصباغا وتسلسلت بها النقشبندية خصوصا فتزينوا لها بالعمل على السنة والعزيمة وتطهروا لها بالاجتناب عن البدعة والرخصة ووفقوا لانعكاسها على دوام الحضور وكمال الاتباع وعكفوا لانصباغها على تشرب الانتفاء في المجال بتمام الإقبال فتجلت لهم صباحتها وانجلت إليهم ملاحتها فطوبى لمن استمسك بهذه العروة الوثقى . .

ثم قال بعد كلام : **اعلم** أن الطريقة النقشبندية قدس الله تعالى أسرار أهاليها طريقة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهرا وباطنا بكمال الالتزام بالسنة والعزيمة وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور بالله تعالى على طريق الذهول

والاستهلاك فهي طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حبا مع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوي في استفاضتها الشيوخ والصبيان وفي إفاضتها الأحياء والأموات ويندرج انتهاؤها في ابتدائها وابتداؤها في انتهاء انتهاء[35] غيرها لما فيها من انجذاب المحبة الذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ولها أصلان اصيلان من أعطيهما أعطي كل شيء : كمال اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحبة الشيخ الكامل ، لكنها ليست توجد بالتكليف بل التكلف فيها زندقة بل هي من إعطاء الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده ،فالصحبة بشروطها مع هذين الأصلين كافية للانعكاس والانصباغ . انتهى

للنقشبندية تصرفات عجيبة :

وقال الإمام الشاه أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه « القول الجميل » ما نصه : وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على المراد فيكون على وفق الهمة والتأثير في الطالب ودفع المرض عن المريض وإفاضة التوبة على العاصي والتصرف في قلوب الناس حتى يحبوا ويعظموا وفي مداركهم حتى تتمثل فيها واقعات عظيمة والاطلاع على نسبة أهل الله من الأحياء وأهل القبور والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور وكشف الوقائع المستقبلية ودفع البلية النازلة وغيرها

وقال صاحب « الحديقة » : وبالجملة والتفصيل فشأن هذه الطريقة العلية كبير وأمرها خطير لأن مبناها على اتباع السنة السنية وقمع البدعة الردية ، فلا تلم أيها الناظر الماهر هذا الفقير القاصر على الإطناب في هذه الخصائص والإكثار من تلك المفاخر فإن هذه الطريقة الأنيقة جوهرة نفيسة لا يعرف ثمنها إلا المنصف الحاذق الوثيق كيف لا ومؤسسها بالتهذيب والتنقيه أفضل الأئمة بعد الأنبياء عليهم السلام على التحقيق سيدنا ومولانا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ومشيدها بالنظر الرجيح والكشف الصحيح والنقل الصريح من بدايته النهاية ونهايته ليس لها غاية شيخ مشائخ الإسلام بهاء الحق والحقيقة والدين النقشبند الإمام قدس الله سره ، وقد قيل :

---

[35] كذا في الأصل ولعله وقع سهوا تدبر

على قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وَتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغيرِ صِغارُها وَتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظيْمِ العَظائِمُ

فهي أم الطرائق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق ، فلا جرم ترى منكري الأولياء لاستقامتها واعتدالها لها مذعنين فضلا عن الموفقين المعتقدين لتحرزها عن الشطح والرقص وسفاسف السماع وسلامتها عن كدورات جهلة الصوفية وزخارف الرقاع والابتداع ، قد جرى على قبولها الوفاق وأقرَّ بفضلها علماء الآفاق فهي الطريق الأسلم الواضح والمشرب الأعذب الأروى والمصون عن قدح كل قادح

على نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْها نَصيبٌ وَلا سَهْمُ

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم ورقانا إلى معارج سرها المكتوم ورحم الله من عرف الحق فأنصف وسلك الجادة وما تعسّف فإن الحق أحق أن يتبع والباطل عن هؤلاء السادة قد اندفع حشرنا الله تعالى تحت ألويتهم الظاهرة ونفعنا الله تعالى بمدد أرواحهم الطاهرة في الدنيا والآخرة

والرابطة الشريفة عند هؤلاء السادة الأبرار والقادة الأخيار طريق مشهور وسنن بألسنة أهل السنة مشكور وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تجتمع أمتي على ضلالة** » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم :« **ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن** » رواه ابن مسعود مرفوعا وموقوفا .

على أنه لا يجب علينا الاستدلال على الرابطة الشريفة بدليل لأن دليل من قلدناه من العلماء العاملين والأولياء العارفين كافٍ وافٍ بالمقصود ، كما أن الأئمة المجتهدين أساطين الدين المتين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لا يلزم من قلدهم أن يطلب منهم الدليل باتفاق المحققين ولا يخفى على اللبيب المنصف أنّ ما استعمله الصفوة من عباد الله وأجمعوا عليه عين ما حثّ عليه سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو حجة لكل من انتظم في سلكهم واستوى في ركوب بحر الحقيقة على فلكهم فكيف يسوغ اعتراض الأخ المنكر لها ـ تاب الله عليه ـ على هؤلاء القوم منهم : الجنيد والجيلي والدسوقي والغزالي وأضرابهم ممن علا قدره ونما ذكره ، فإنهم في

الحقيقة هم الذين قرروا الرابطة الشريفة واستنبطوها بكيفيتها المنيفة وشيدوها بالأدلة العقلية والبراهين النقلية لما ثبت عندهم بالوجدان الصحيح والنقل الصريح **بأنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى**

قال سيدنا سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه : لا نجاة يوم يخسر المبطلون لا[36]للنبي أو تابع النبي أو محب له ، ولو أن عارفا بالله تعالى في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محب له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته وإن الرجل ليعانق الرجل وإن بينه وبينه لأبعد ما بين المشرق والمغرب وقلب العارفين يكتب وقلب المريدين يكتب فيه . نقله الشيخ المحقق حسين الدوسري البصري في « الرحمة الهابطة »

قال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدس الله سره : أولادي إن صح عهدكم معي فأنا قريب منكم فإن أخذتم عهدي وعملتم بوصيتي وسمعتم كلامي فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات شيء تستخيرون به ربكم فوجهوا وجهكم إليّ وأطبقوا أعين حسكم وافتحوا عين قلبكم فإنكم تروني جهارا وتستشيروني في جميع أموركم فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه وليس هذا خاصا بي هو لكل شيخ صدقتم في محبته قد يعلم ذلك شيخكم وقد لا يعلمه هكذا جرت سنة الله تعالى مع أوليائه انتهى, نقله الشيخ حسين الدوسري في « الرحمة الهابطة »وأقره الشعراني في « الطبقات الكبرى »

وقال إمام العلماء وقدوة الأصفياء سيد الطائفتين ومستند الفرقتين الجنيد قدس الله سره في بيان شروط الخلوة ما نصه : وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الوقائع منه حتى يفنى بصره في تصرف الشيخ . انتهى, نقله الإمام العارف الشيخ محمود عزيز الرومي الاسكندراني المشتهر بالهدائي قدس الله سره في كتابه « جامع الفضائل وقامع الرزائل »

---

[36]لعل الصواب إلا

وقال حجة الإسلام وقدوة الأنام سيدنا أبو حامد الغزالي قدس سره في كتابه « المضنون الكبير » في الفصل الثامن من الركن الرابع ما نصه :

فصل : أما التقرب لمشاهدة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة وهذا يحصل **من جهتين** : الاستمداد من هذا الجناب والإمداد من الجانب الآخر ، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين ، أما الاستمداد فهو يصرف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها ، ومن أقبل في الدنيا بهمته وكليته على إنسان في دار الدنيا فإن ذلك الإنسان يحس بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهيأ بذلك التنبيه فإن اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة هل هو مثاب أو معاقب ، فإن النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين في حالة اليقظة لها فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى ، وكما تؤثر مجاهدة صورة الحي في حضور ذكره وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه فإن أثر ذلك الميت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ، ومن ظن أنه قادر على أن يحضر في نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فإن للمشاهدة أثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضا جزافا ولا تخلو عن أثر كما قال عليه الصلاة والسلام :« **من صلى علي مرة صليت عليه عشرا ومن أجاب المؤذن حلت له شفاعتي ومن زار قبري حلت له شفاعتي** » . انتهى باختصار .

فإن قال الأخ المنكر لها تاب الله عليه : إن هذا النقل يوجب الارتباط بمن هو حي ويضعف الارتباط بغيره .

قلنا : الارتباط إنما يكون بمن هو فانٍ عن وجوده والارتباط بغيره لا يورث الفناء للسالك بل قد يورطه في المعاطب والمهالك ، كما أفاده حضرة سيدي العم في بعض مكتوباته فحيث تحققنا الفناء في شخص ارتباطنا به سواء كان حيا أو ميتا ولا فرق في ذلك عندنا إلا بمقدار ما ذكره حجة الإسلام فليعلم ذلك .

ومما يؤيد هذا ما قاله الإمام المحقق الشاه أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في « الحجة البالغة » أن الإنسان إذا مات كان لنسمته نشأة أخرى فينشئ فيض الروح الإلهي فيها قوة فيما بقي من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام بمدد من عالم المثال أعني القوة المتوسطة بين المجرد والمحسوس المنبثة في الأفلاك كشيء واحد وربما تستعد النسمة حينئذ للباس نوراني أو ظلماني بمدد من عالم المثال ومن هنالك تتولد عجائب عالم البرزخ . انتهى

ويرشح ما ذكرناه العلامة العارف الشيخ يونس الكردي الابراي في معرباته « مراسلات برهان الولاية المحمدية وحجة الشريعة الأحمدية المبعوث الرحماني لتجديد الألف الثاني شيخ مشايخنا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي المعروف بالإمام الرباني » ما نصه : فيستوي في هذه الطريقة العلية في إفادتها الأحياء والأموات وفي استفادتها الشيوخ والصبيان وذلك لأن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبة الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي والتصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات فنظره شاف للأمراض القلبية وتوجهه دافع للعلل المعنوية وارتباطنا حبي ونسبتنا انعكاسي وانصباغي لا يتفاوت في القرب والبعد وإذا كانت الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حبيا وانعكاسيا وانصباغيا فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلونه وصبغه ساعة فساعة ويتنور بطريق الانغعكاس بأنواره . انتهى ملخصا .

وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي مصطفى البكري الصديق قدس الله سره في « المنهل العذب » ما نصه : وحيث كان مقصود أهل الطريق من هذا الورد أي الستار المشاهدة والمراقبة

وحصول الجمعية الباطنية بواسطة الجمعية الظاهرية فاستماعه أرفع من قراءته وحده فإن تلاوته ذكر لساني وذكر القلب أرفع منه وثمرته المشاهدة وهي المقصودة من المجاهدة في جميع الظاهر والباطن على الله تعالى سر كبير وقد أسس السادة النقشبندية طريقتهم على هذه الجمعية فيجتمعون على الشيخ ويتعلقون بباطنه تعلق الرضيع بأمه ويقبلون عليه ويتحلقون بين يديه حتى يجعلونه فيهم قلبا ويتعشقون جميل صفاته ، وتختلف منهم المراقبة باختلاف الأحوال فمنهم المراقب لباطن الشيخ بشهود الحضرة ومنهم المشاهد لظاهره ومنهم المشاهد لخياله ويشتغل الشيخ لشهود الحضرة المحمدية والذات العلية الأقدسية ويستمد منها بواسطة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويفيض على حضار مجلسه اللابسين من أثوابه وملبسه ، فعند ذلك تشرق فيهم تلك الإمدادات الربانية وتبرق عليهم بوارق هاتيك اللمحات الأقدسية فيستغرقون بحضور هذا المجلس المختص بالتطهير والتقديس عن رؤية أهل الكائنات فهذه جلسة المريد الصادق مع شيخه والإخوان كذا ذكره العالم سيدي الشيخ عمر جعفر الشبراوي قدس الله سره في كتابه الجليل المسمى بـ « مفتاح الأسرار على ورد الستار »

وقال العالم الإمام والمحدث العارف الهمام سيدي الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي العثماني معرب « النفحات والرشحات » قدس الله سره في رسالته المشهور بـ « التاجية الصغرى » ما نصه : وإذا فرغ من مهماته الدنيوية يتوضأ يعني المريد وضوءا جديدا ويدخل خلوته وأول ما يجلس يستحضر صورة شيخه . انتهى

قال العالم العلامة قدوة العارفين وزبدة المحققين سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره في شرحه للرسالة المذكورة المسمى بـ « مفتاح المعية » : عند قول المائة يستحضر صورة شيخه على أكمل الأحوال ليحصل له المدد منه فإن شيخه بابه إلى حضرة الله تعالى ووسيلته إليه كما قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ولا قدرة للسالك في ابتداء سلوكه أن يعرف ربه حتى يسقط الواسطة بين الله وبينه وإذا لم يعرف ربه لا يمكنه أن يشهد بقلبه إلا مخلوقا حادثا فإن شهده على أنه ربه فهو من

الكافرين نعوذ بالله تعالى ، فالواجب عليه أن يشهد شيخه ويتصور صورته حتى يستمد من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه المستمد منه تعالى ويبقى على ذلك حتى يحصل له الفتح الإلهي ، ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربه هو الأكمل ولكن نعلم عن يقين علما ذوقيا وجدانيا بحسب ما كنا عليه أن هذا لا يمكن للمريد في ابتداء سلوكه أبدا بالضرورة فإن جميع الخواطر والمقاصد لا تقع إلا على مخلوق حادث يعرفه العارف ويجهله الجاهل وذلك المخلوق الحادث هو الرب عند الجاهل لعدم معرفته ولا عذر في الكفر فيجب عليه اتخاذ الوسيلة ليفرق بين الحادث المقدور على إدراكه والقديم المعجز عن إدراكه فرقا شهوديا ذوقيا لا خياليا ، ثم بعد ذلك يسقط الواسطة ولهذا قالوا : من لا شيخ له فشيخه الشيطان ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له شيخا متخلقا بأخلاق الرحمن قال تعالى : ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ . انتهى .

وقال القيوم الرباني مجدد الألف سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس الله سره في المجلد الأول من كتاباته الفارسية ما هذه ترجمته : اعلم أن المقصد الأقصى والمطلب الأسنى الوصول إلى جانب القدس جل وعلا ، ولما كان الطالب في الابتداء بواسطة تعلقات شتى في غاية التدنس والتنزل وجناب قدسه تعالى في كمال التقديس والتنزيه والمناسبة التي هي سبب الإفاضة والاستفاضة بين الطالب والمطلوب مسلوبة فلا جرم أنه لا بد من مرشد كامل بصير بالطريق يكون برزخا ويكون له حظ وافر من الطرفين حتى يصير واسطة لوصول الطالب إلى المطلوب وبقدر ما يحصل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين ومتى حصل للطالب المناسبة التامة خرج المرشد من البين بالكلية وأوصله إلى المطلوب من غير توسطه ، ففي الابتداء والوسط لا يمكن شهود المطلوب دون مرآة المرشد وفي الانتهاء يتجلى له جمال المحبوب دون واسطته ويحصل له الوصل العريان والذي قال لو خطر المرشد في ذلك الوقت لقطعت رأسه من جسده من الجنون فإن أرباب الاستقامة لا يقولون ذلك ولا يسيئون الأدب هنالك بل يطلبون مراداتهم من بركات المرشد . اهـ من زبدة الرسائل الفاروقية وعمدة المسائل الصوفية

أعني معربات العارف الكبير الشيخ يونس بن عبد الرحمن الكردي الإيراني نزيل دمشق الشام قدس الله سره .

وقال القطب العارف[٣٧] من بحر حق اليقين ابن عطاء الله الاسكندري والإمام تاج الدين الشاذلي قدس الله سره في كتابه « مفتاح الفلاح » في آداب الذكر : قالوا ـ يعني المشايخ ـ وإن كان ـ أي المريد ـ تحت نظر شيخ يخيل بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهاديه وأن يستمد أول شروعه في الذكر من همته معتقدا أن استمداده منه هو استمداده من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه نائبه انتهى, نقله الدوسري في « الرحمة الهابطة »

وقال العالم الإمام والفاضل الهمام مولانا الشيخ أحمد سعيد صاحب زاده المجددي قدس الله سره في كتابه « **الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة** » الذي ترجمه من اللغة الفارسية حفيده العارف المحقق مولانا محمد معصوم نجل الشيخ عبد الرشيد العمري المجددي قدس الله سرهما ما نصه : اعلم أن التصوير في الشريعة المحمدية ممنوع والتصور محمود والمنع من التصور ما وجدناه في كتاب قط بل حصول العلوم بأسرها موقوف على التصور كما لا يخفى على الأذكياء ، وفي حفظ صورة الشيخ في حال الذكر عين حكمة التذكير لأن المذكور واقف لديه لا يتركه غافلا عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا .

وقال المحقق الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالته : الرابع أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ولو نادى شيخا بلسانه في الاستعانة جاز انتهى .

قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي : إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية فالذاكر إذا صور صورة شيخه في قلبه تفيض الإمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ومن قلب سيد المرسلين على قلوب المشايخ على الترتيب حتى

---

[37] كذا في الأصل ولعله الغارف بالغين والله أعلم

ينتهي إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على قلبه استعمال الآلة ، إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يؤثر ويقع محصّلا للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم :« **الذكر سيف الله** » ولكن ليس للسيف ضارب إلا لقوة مستفادة من حضرة بني السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى : ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه وهو استمداده من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه نائبه . انتهى من عينه .

وقال نور السلالة الهاشمية ومصباح السلسلة الفاطمية الرفيع العماد الشامخ الوتاد العالم العامل والمرشد الكامل السيد مشيخ بن السيد صادق باعبود الباعلوي قدس الله سره المتوفى سنة سبعين ومائة وألف في رسالته « النفحة المحمدية » في الباب الثاني منها ما نصه : فإن حصل للمريد فتور فليجدد الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالتجلي الذاتي فإن رؤيته بمقتضى **هم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى** تفيد فائدة الذكر ، وصحبته بموجب هم جلساء الله تعالى تنتج صحبة المذكور وإذا تيسر صحبة مثل هذا العزيز الوجود ورأى المريد أثره في نفسه فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر الذي يشاهده في نفسه بقدر الامكان ولا يفتر عنه في جميع أوقاته فإن حصل له في ذلك المعنى فتور فليراجع صحبة الشيخ ويجلس معه بفراغ قلبه وقوة توجهه ترجع له ببركة ذلك ، وهكذا يفعل مرة بعد أخرى حتى تصير تلك الكيفية ملكة له وهي الأثر المذكور وإن لم يحصل المريد من صحبة ذلك الشيخ أثر في نفسه ولكن حصل له محبة وانجذاب إلى الله تعالى فينبغي للمريد أن يحفظ صورة شيخه في الخيال ويتوجه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل له الغيبة والفناء عن النفس . انتهى .

وقال العلامة الإمام والكامل الهمام الشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في كتابه « **الحديقة الندية والبهجة الخالدية** » عند بيان طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند الأئمة النقشبندية ما نصه : الطريقة الثانية الرابطة وهي طريق مستقل للوصول وهو عبارة عن ربط القلب

بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ، فرؤيته بمقتضى **هم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى** تحصل بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب **هم جلساء الله تعالى** ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح ، والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحر المحيط إلى قلب المريد المرابط وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب **المرء مع من أحب** فبحفظ الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله .

وقيل : **الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله** وإن وجد في إحضار الصورة سكرا وغيبة يترك الالتفات إلى الصورة فيكون متوجها إلى ذلك الحال كما نقل في مقامات الإمام نقشبند قدس الله سره إنه كان واحد من الصوفية مشغولا بطريق الرابطة وكان يوما في مجلسه متوجها إلى الصورة فوجد أثر الغيبة وما التفت إلى الغيبة فقال حضرة الخواجه نقشبند : خلني وكن متوجها إلى تلك الغيبة لأن زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمونه زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم . انتهى

قلت : ومما يرشح هذا أيضا ما نقله الإمام العارف الخواجه صلاح بن المبارك في كتابه« مقامات البهائية » عن قطب البلاد وغوث العباد صاحب العلم والبند مولانا وسيدنا السيد محمد بهاء الدين المعروف بشاه نقشبند قدس الله سره إنه كان يقول : الطريقة كله أدب وشرط طالب هذا الطريق ثلاثة آداب : أدب بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى وأدب بالنسبة إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريق .

أما الأدب بالنسبة إلى الحق تعالى فهو أن يكون في الظاهر والباطن مستكملا للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضا عن السوى بالكلية .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أن تدخل نفسك بالكلية إلى مقام ﴿فاتبعوني﴾ وتراعي ذلك في جميع الأحوال على سبيل الوجوب وتعلم أنه

واسطة الحق تعالى في جميع الموجودات كل شيء وكل أحد منطرح على أعتاب عزته ، **وأما الأدب** الذي بالنسبة إلى مشائخ الطريقة فهو واجب ولازم على الطالبين لأنهم رضي الله تعالى عنهم بواسطة متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق فينبغي للمريد أن يكون في الغيبة والحضور مراعيا لأحوالهم مقتديا برأيهم مستمسكا بأذيالهم . انتهى

وقال المحقق الهمام والمدقق المقدام قطب العارفين سيدي الشيخ زين الدين الحافي قدس الله سره في كتابه « الوصايا القدسية » ما نصه : والثاني دوام الخلوة يدخل فيها كما يدخل في المسجد مبسملا مستعينا مستمدا من أرواح المشائخ بواسطة شيخه مخلصا لله منقطعا عما سواه بقلبه أيضا ويقعد مربعا أو كما يقعد في التشهد أو محتبيا حسبما يستريح قلبه دون تألم الأعضاء المشوش للقلب متوجها إلى القبلة غير مستند إلى جدار الخلوة ولا متكئ مطرق الرأس تعظيما مغمضا عينيه ملاحظا قوله تعالى :

« **أنا جليس من ذكرني** » ، ثم جعل[٣٨] خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو بمعناه وروحانيته فإن من هو شيخ حقيقة فلروحانيته رفيقته في طريقه متعلقة بروحانية كل واحد من مريديه ولو كانوا ألوفا . . ثم قال بعد كلام : والسابع دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ويكون في اعتقاده أن هذا المظهر[٣٩] هو الذي عينه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة ولا يحصل لي الفيض إلا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا من المشائخ مملوءة ومتى ما يكون في باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة الوحدانية فالإنسان في الجهات وله بدن وروح ، والله سبحانه وتعالى منزه عن الجهات في حكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحق الذي ليس في الجهة أن عيّن للبدن الإنساني المركب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون توجهه من تلك الجهة الواحدة إلى الحضرة الواحدية وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان ، وعيّن الروح الإنساني الذي هو مهبط

---

[38] **لعله يجعل**

[39] **يعني الشيخ**

أنوار الصفات الإلهية جهة واحدة يكون توجهه إليه من تلك الجهة هي روحانية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عالم الأرواح وكما لا يقبل الصلاة إلا بالتوجه إلى الكعبة لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله والتسليم له وربط القلب بنبوته وأنه الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء وأنهم وإن كانوا أنبياء الله وكلهم على الحق ولكن لا يحصل من الله تعالى فيض إلا من ارتباط القلب بمحمد صلى الله عليه وسلم فيتوجه البدن إلى الجهة الواحدة وبتوجه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للإنسان استعداد استفاضة من الحضرة الوحدانية .

ومن ههنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط ،وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشائخ في كتبهم **أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته** . فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته ، وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد بهم كلهم ويدعو لهم لكن استمداده الخاص واستفاضته يكون من روحانية شيخه وحده ويعلم أن[٤٠] استمداد من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإن شيخه متعلق مستمد بشيخه وشيخه أيضا هكذا إلى رسول الله فهو مستمد من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو من الحق جل اسمه هكذا جرت سنة الله التي خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل هو أصل الأصول ولهذا بالغ المشائخ قدس الله أرواحهم في رعاية هذا الشرط حتى قال الشيخ نجم الدين قدس الله سره أنه كالأستاذ بالنسبة إلى الأدوات في صفة[٤١] المرآة وكما أن المطرقة والسندال والمنفخ والنار وغيرها إذا جمعت ولا يكون ثمة أستاذ يصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة كذلك الشرائط السبعة الجنيدية للخلوة لا يتصفى بها مرآة القلب بدون ربط القلب مع الشيخ وقد جربناه فوجدناها كما قال قدس الله سره ،وأكثر المريدين إذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون إلا من هذه الجهة أعني عدم

---

[40] لعله أنه

[41] لعله في صنعة

ربط القلب بالشيخ بالتسليم والإذعان والمحبة الصادقة والامتنان والاعتراض يسد باب الفيض . انتهى .

وقال العالم الباهر والعامل الفاخر الخواجه محمد باقر بن شرف الدين الحسني العباسي اللاهوري في كتابه « كنز الهدايات » نقلا عن قطب دائرة العلوم ومركز إحاطة المنطوق والمفهوم منار الأولياء العروة الوثقى شيخ مشائخنا مولانا وسيدنا الخواجه محمد الفاروقي المجددي المشهور بالإمام المعصوم قدس الله سرهما ما هذه ترجمته : مدار الوصول إلى درجة الكمال مربوط برابطة المحبة للشيخ المقتدى به فإن الطالب الصادق من طريق محبة شيخه يأخذ من باطنه الفيوض والبركات وينصبغ ساعة فساعة بلون الشيخ وبتلك المناسبة المعنوية قالوا : الفناء في الشيخ مقدمة الفناء الحقيقي والذكر المجرد عن الرابطة المسطورة وعن الفناء في الشيخ ليس موصلا وإن كان الذكر من أسباب الوصول ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ والفناء فيه ، نعم هذه الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة وتوجه الشيخ والتفاته من غير التزام طريق الذكر موصلة ، وأما في السلوك والتسليك الاختياريين المربوطين بطريق آخر فمدار الأمر في ذلك على الوظائف والأوراد وابتناء المعاملة على الرياضات والأربعينات فليس للطالبين رجوع إلى شيخ الطريقة بتلك المثابة وأما في هذه الطريقة التي هي طريقة الصحابة الكرام عليهم الرضوان فالافادة والاستفادة انعكاسيا فيكفي في ذلك صحبة الشيخ المقتدى به مع رعاية الآداب ، وأما وظائف الأذكار والطاعات فمن الممدات والمعاونات وقد كانت صحبة خير البشر صلى الله تعالى عليه وسلم بشرط الإيمان والتسليم والانقياد كافية في حصول الكمالات ولأجل ذلك صار الوصول في هذه الطريقة أقرب وتساوت في أخذ الفيوض والبركات من الشيخ الكامل الصبيان والكهول والشيوخ والأحياء والأموات والرياضة في هذه الطريقة العالية المتضمنة اندراج النهاية في البداية إنما هي اتباع السنة السنية واجتناب البدعة غير المرضية . انتهى .

وقال الإمام العالم المحقق والهمام العامل المدقق تفتازني أوانه وجرجاني زمانه ضوء الشمس والقمر الشيخ نعمة الله بن عمر في رسالته التي ألفها في زمان دولة ساكن الجنان المرحوم

السلطان سليم خان لإسعاف العارف الإمام والعلامة الهمام السيد أحمد المدني الشهير بجمل الليل المسماة بـ « **الرسالة المدنية في طريقة السادة النقشبندية** » ما نصه : فإن خطر في قلب المريد صورة الشيخ في أثناء الذكر بسبب كثرة المحبة له فليجعل صورته أيضا في القلب لأنه يضمحل ويمحو بسبب غلبة الذكر الإلهي ويبقى الذكر فقط ثم يحصل فيه الحضور والنسبة الذاتية بسبب التوجه إليه فهذه النعمة منوطة بكثرة صحبة مع الشيخ و الرابطة له, فلا يفارقه عن صحبته الا بإذنه . و إذا تأملت مجرد ذكر القلب فهذه النعمة تستحصل بالمحبة بين المريد وشيخه من الجانبين لأن الفناء في الشيخ مقدمة على الفناء في الرسول عليه الصلاة والسلام والفناء في الرسول عليه الصلاة والسلام مقدمة على الفناء في الله والبقاء بالله . اهـ

قال العالم العامل والإنسان الكامل صاحب التأليفات العديدة والتصنيفات المفيدة التي هي تنوف[٤٢] عن المائة والثلاثين تأليفا كما نص على ذلك هو بخطه مولانا الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي في كتابه « مرآة العرفان » ولبه شرح « رسالة مَنْ عرف نفسه عرف ربه » ، للشيخ الأكبر قدس الله سرهما بعد ذكر كيفية قطع صفات النفس السبعة : وفي بعضها يتوجه الشيخ للمريد كطريقة الشيخ الأكبر قدس الله سره الأفخر وفي بعضها ينظر الشيخ للمريد نظر محبة كطريقة سيدي الشريف العلوي والقطب النبوي السيد أحمد البدوي قدس الله تعالى سره وفي بعضها بفيضان العلم بالمحاذاة التامة الصحيحة كالطريقة الأحمدية والخالدية فيمتلئ المريد علما بالمحاذاة وإن لم يسمع ما يقوله الشيخ كما كان يقع لي وقت حضور درس العلم عند شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ خالد ضياء الدين فكنت أستغرق في حضرته لا أسمع ولا أرى وعند حضوري إلى المدرسة البدريئة في دمشق المحمية يسألني بعض العلماء عما قرره الشيخ بالدرس فأجد ما قاله وزيادة في حفظي فأقرر له ذلك فيتعجب . انتهى .

وقال العالم العارف الشيخ علي بن عبد النبي العشاقي في رسالته « الحبل المتين الموصل للطالب إلى رضا رب العالمين » ما نصه : الطريق الثالث طريق الرابطة وهي أن يربط السالك قلبه

---

42 **لعله - تفوق**

إلى مرشد كامل عالم عامل ويكون كامل المحبة تام الإخلاص والانقياد له فإنه رفيقه ودليله الهادي له إلى الحق والسالك يطلب منه أن ينقاد إليه ولا يعترض عليه بما لا يظهر له سره فإن ملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وحالهما فلا ينبغي له أن يعارضه فيما ظهر له حتى تلوح له الحكمة منه على أن الشيخ الكامل بسبب علمه وعمله وقرب منزلته عند الله تعالى بمنزلة البحر فلا يتكدر بشيء وأما المريد فهو كالحوض الصغير يتكدر ويتغير بأدنى شيء فلا يستنكر صورة ما من الشيخ بل يسلم له جميع ما يصدر منه حتى يكشف الله تعالى له عن سر ذلك وسببه ومتى ظهر السبب بطل العجب ، ولا بد للسالك أن يقدم أستاذه على أبيه ويحبه فوق محبته أبيه وقد قال بعض الفضلاء : حق الأستاذ آكد من حق الوالد فإن الوالد وسيلة إلى وجود صورة الإنسان والأستاذ وسيلة إلى التحقيق بحقيقة كمال الإيمان ، وقال العلامة البحر الشهاب أحمد بن حجر المكي الهيتمي في شرح الهمزية عند قول الناظم :

وامْلَأْ السَّمْعَ مِنْ مَحاسِنَ يُمْلِيْـ ـها عَلَيْكَ الإِنْشادُ وَالإِنْشاءُ

ما نصه : فإنها تحدث للسامع سكرا ورائحة وطربا وتحرك النفس إلى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وألذّ من عناق الشوابّ . انتهى .

أقول : وقد جرى على ذلك أيضا الإمام الكبير والمفسر الشهير الشيخ سليمان الجمل في حاشيته « الفتوحات الأحمدية على متن الهمزية » عند قول المائن[43] البيت المذكور بما نصه : **أحدهما** أنها في نفسها توجب لذة قوية **الثاني** أنها تحرك النفس إلى جهة محبوبها فيحصل الميل للمحبوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر فيحصل للروح أعجب من سراب الشراب وألذ من لذة عناق الشواب . انتهى .

---

[43] لعله الماتن

وناهيك بهذين الإمامين من حجة وأي حجة فإن من تأمل تقريريهما بعين الإنصاف ظهر له أنهما كماء نَيْسان لأولياء الرابطة الشريفة في قلب الصدق وكما يحصل في قلب الأفاعي لمنكريها ممن صدّ عنها وصدف فلا تغفل .

وقال العالم الرباني والعارف الصمداني سيدي الشيخ محمد المغني الخادمي قدس الله سره في « رسالته العلية في آداب الطريقة النقشبندية » عازيا إلى التاجية بما نصه : إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء ذكره تفرقة أو وسوسة أو قبض فيغتسل بالماء البارد أو يتوضأ ويصلي في خلوته صلاة الحاجة ويستغفر ويدعو ويتوجه لحاله وإن لم يندفع فيتخيل صورة النبي صلى الله عليه وسلم أو صورة شيخه . انتهى

وقال العالم العلامة والكامل الهمام المحقق البياني وحياة سر روح المعاني مفتي الأنام المستمد من الفيض القدوسي خاتمة المفسرين أبو الثناء الشهاب محمود الألوسي في كتابه « الفيض الوارد على مرثية مولانا خالد » مستطردا من بحث يتعلق بنفي الخواطر عند قول الناظم :

ومَنْ قُدْوَةُ التَّعْرِيفِ والكَشْفِ بَعْدَهُ ؟ وَمَنْ لِأَباليْسِ المَخايِلِ طارِدُ

ما نصه : وأما خاطر الشيخ فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب مشتملا على كشف معضل وحل مشكل في وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ وذلك داخل تحت الخاطر الحقاني لأن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب وكل لحظة يصل إمداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ . . ثم قال بعد كلام : ولنفي الخواطر أسباب كثيرة منها : إحضار صورة الشيخ على الوجه الذي سموه بالرابطة قيل وهو من أعظم الأسباب ، ومنها إدامة النظر إلى شيء واحد فإن ذلك يورث الذهول وفيه سدّ لباب الخطرات إلى غير ذلك . انتهى .

قلت : فانظر إلى هذا التحرير من هذا الإمام النحرير ومن تأمل ذلك وتحقق ما هنالك أسقط ما وقع من سؤال نجله وتبين له حقيقة انحرافه وميله وعلم أن ذلك ما هو إلا نزغة وهابية

وتسويلات غير مرضية وحسبك دليلا على تخطئته ولو رجع إلى أقوال والده قدس الله روحه لكان غنيا عن السؤال والجواب والظاهر أنه لم يحط به ـ أي بما قاله والده ـ علما وأغرب من هذا كله صدور السؤال بهذا التعبير من مثل هذا الماجد إلى أمير بهوبال الذي شذّ عن مذهب الأئمة وذهب إلى الحجاز معرضا عن زيارة شفيع الأمة كما أفاده الإمام الهمام المولوي عبد الحق اللكهوري في كتابه :« **تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد** » في الرد على تلفيقات صديق حسن خان وهو من الوهابية كما في « **شواهد الحق** » : ومن كان في ريب من حقيقة حاله وهو لما بينا جاحد فليرجع إلى الكتاب المذكور ليكون بشأنه خبيرا بصيرا وكفى بربك هاديا ونصيرا .

وقال الإمام المحدث الشاه أحمد ولي الله الدهلوي في رسالته « **القول الجميل** » ما يناقض ما نقله عنه صاحب « **التاج المكلل** » من الرسالة المذكورة أيضا في موضعين فلا بأس بإيراد شيء منها ليكون المطلع على بصيرة ويتضح له الرشد من الغي ، وهذه عبارته : وثالثها الرابطة بشيخه وشرطها أن يكون الشيخ قوي التوجه دائم البادداشت ـ أي دائم الحضور مع الله تعالى ـ وإذا صحبه المريد خلى نفسه عن كل شيء إلا صحبته وينتظر ما يفيض منه ويغمض عينيه ويفتحها وينظر بين عيني الشيخ فإذا أفاض شيء فليتبعه بمجامع قلبه وليحافظ عليه وإذا غاب الشيخ عنه تخيل صورته بين عينيه بوصف المحبة والتعظيم فتفيد صورته ما تفيد صحبته .

سمعت سيدي الوالد يقول : **يجب على السالك إذا كان على هيئة وحصل له شيء من هذا المعنى أن لا يغير تلك الهيئة فإن كان قائما لا يقعد وإن كان قاعدا لا يقيم** انتهى بحروفه .

« قلت » : وقد شيد أركان هذا التقرير نجل العالم المحقق والعامل المدقق محدث الديار الهندية وصاحب التحفة الاثني عشرية المفسر الوجيز مولانا الشاه عبد العزيز قدس الله سره كما نقله عن الفاضل الشيخ صادق المدارسي الهندي في زوائده الواقعة على « القول الجميل » بما نصه : فالحق أن هذه الطريقة أقرب للمريد ولو لم يكن هو صاحب علم وفهم فيتصرف فيه شيخه بمزيد محبته فيه ورابطته معه لأنه قال مشائخ الطريقة : كن مع الله وإن لم تكن كن مع من كان مع الله ، وقال تبارك وتعالى في كلامه المجيد : ﴿ **كونوا مع الصادقين**﴾ ، ففيها إشارة إلى

الرابطة بشيخه إذا كان الشيخ كاملا واصلا للشهود الذاتي فيحصل من توجهه في أقرب زمن بأسهل طريق ما لا يحصل في الزمن الطويل بعد كل صعب . انتهى

فانظر رحمك الله إلى هذا الكلام من هذا العالم الهمام وإذا تأملت في هذا المقال وأمعنت فيما قال أسقطت ما تورك عليه صاحب « التاج المكلل » وعدت إلى هذا القول الثاني وهجرت القال الأول ونحن إن أخذنا بكلامه وعملنا بمقصده ومرامه نأخذ بالثاني وإلا فلا فتأمل

وقال الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة الأردبيلي شارح « المشكاة » في رسالته المكية ما نصه : الشرط السابع دوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات بالله من جهة الإرادة التامة لأنه الرفيق في الطريق قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ وقال تعالى﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ .

ثم قال : **فصل** : على المريد أن يتيقن أن روحانية الشيخ غير متحيزة بموضع دون موضع وكل ما لا يكون متحيزا استوت عليه الأمكنة كلها ففي أي موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيتها والبعد إنما يتعلق بالمريد فإذا تذكر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه فتعلق به قلبه فاستفاد منه وإذا احتاج المريد الشيخ ليحل له إشكال واقعة يستحضره بقلبه ويسأله عما يشاء هذا لا بلسان الظاهر بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال وإنما يسر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب وينفتح له طريق القرب إلى الله تعالى فيجعله محدثا . انتهى نقله الإمام الدوسري قدس الله سره في « **الرحمة الهابطة** » .

قال الإمام الأوحد والعالم المفرد المحقق السري سيدي الشيخ حسين بن أحمد الخالدي الدوسري قدس الله سره في الرسالة المذكورة ما نصه : اعلم أيها الأخ وفقك الله لسلوك الصراط المستقيم وعصمني وإياك من الشيطان الرجيم أن الرابطة عبارة عن تعلق القلب بشيء على وجه المحبة وهذا التعلق تارة يكون محمودا وتارة يكون مذموما وتارة يكون مباحا لأنه لا يخلو إما أن يكون مأمورا به أو لا ، **فالأول** المحمود كحب الله وحب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والحب

في الله وحب ما يقرب إليه ، **والثاني** أن يكون منهيا عنه أولا ، **فالأول** مذموم كحب المحرمات والمكروهات وإن لم يترتب على المكروهات عقاب لأنه يترتب عتاب ، **الثاني** المباح كحب الإنسان أهله وولده بالطبع الجبلي لا انفكاك لأحد عنه فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب والمذموم يتضمن الحرام والمكروه والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهي عنه وهو قولنا أولا فتعلق القلب حاصل لكل إنسان فلو تنبه المنكر لعلم أن ما ينكره عليه عين ما يستحضره وأن الذي يجهله هو الذي يفعله بل ما يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إياها فيها من إساءة الأدب مع الله تعالى ما لا يمكن جحده ولعلم أنه يتأكد عليه أن يعمل عملا يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر لشدة سكره في غفلته وذلك أنه إذا كبّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام وأعرض عن ربه ونسي نفسه ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾ واشتغل إما برابطة وقفه أو ملكه أو حرفته أو زوجته إن كانت نفسه مفتونة بها أو ولده أو تقرير مسألة يلقيها إبليس إليه ليخرجه من صلاته مفلسا أو مخاطبة من يرتجى منه زكاة أو صدقة فيقول ﴿**إياك نعبد**﴾ وهو مقبل على معبوده الشهودي ورابطته التي هي نصب عينه ويستمر على هذه الحالة حتى يسلّم فإذا سلم التسليمة الأولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء والعارفون في وقت مخصوص ليحصل بواستها انتفاء الغفلة حتى يقبلوا على ربهم في صلاتهم وذكرهم بقلب حاضر . انتهى

وقال الشيخ الإمام والعارف الهمام أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي قدس الله سره في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري رحمه الله تعالى التي أولها :

مَنْ ذاقَ طَعْمَ شَرابِ القومِ يَدْريهِ   وَمَنْ دارهُ غَدا بِالرُّوحِ يَشْريهِ

عند قول الناظم :

إذا رُئي ذُكر المولى برؤيته . . ما نصه : أي إذا رئي هذا العبد ذكر المولى برؤيته كما ورد في وصف الصالحين : الذين إذا رؤوا ذُكر الله تعالى ؛ لأن نور قلبه مشرق على وجهه ﴿**سيماهم**

في وجوههم﴾ فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ومن له ذلك فاز بالسعد والقرب قال ابن علوان رحمه الله تعالى :

سَعِدَتْ عينٌ[٤٤] رأتْكَ وَقَرَّتْ وكَذا عَيْنُ مَنْ رَأَتْ مَنْ رَآكا

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على جدار وفي مقابلة ذلك الجدار جدار آخر فيشرق ذلك الجدار الآخر لمواجهته للجدار الذي أشرقت عليه الشمس وعنده ـ أي الناظم ـ طريقة معروفة عند المشايخ يسمونها بالرابطة وهي رؤية وجه الشيخ فإنها تثمر ما يثمر الذكر بل هي أشدّ تأثيرا من الذكر لمن عرف شرطها وآدابها ومن ذلك كانت تربية النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله تعالى عنهم فكانوا يشتغلون برؤية طلعته السعيدة وينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ولهذا كانت درجة الصحبة لا تضاهى والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى . انتهى .

وقال العلامة المحقق والفهامة المدقق سليل السادة الأمجاد ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب « تحفة العباد » في كتابه« آداب المريد » ما نصه : وعلامة صحة إرادة المريد تعلق قلبه بشيخه واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور حتى لا يشاهد معه من الخلق أحدا غيره فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السرمدي وهذا الذي لا يشهده إلا أهل المعرفة بالله تعالى لا الغبي الجاهل المفتون بشهوة نفسه الأمارة بالسوء الذي ليس عنده شيء من الروحانية

قال بعضهم :

إذا أنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ ما الهَوى فَكُنْ حَجَراً مِنْ يابِسِ الصَّخْرِ جَلْدا[٤٥] انتهى

وقال العالم الذي يبهر بفضله الرائي الشيخ إبراهيم بن عمر المنلا الأحسائي في رسالته ما نصه : فإن لم تمكنه مصاحبة الشيخ لتعذره ببعده عنه فعليه باستحضاره في خياله ويفنى في وجود

---

44 لعله أعينٌ

45 لعل الصواب جلمدا ، والجلمود هو الصخر القوي الكبير

الشيخ بكليته ثم يتوجه الشيخ إلى الله تعالى ويتكلف ذلك ويكرره مرة بعد أخرى إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقا يكشف الغطاء عن أسرار المعاني فيكون بالله لا بغيره ولا بنفسه . انتهى

وقال العالم الراسخ الناقد والماجد الشامخ العابد ذو الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي السيد إبراهيم فصيح الجدري البغدادي في كتابه « المجد التالد في مناقب حضرة مولانا خالد » ما نصه : اعلم أن الرابطة هي عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام الشهود فإن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره إلى قلب المرابط فإن وجد فتورا في الرابطة فليحفظ صورة الشيخ في خياله فإنه بحفظ الصورة يتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله ولها أصل من الكتاب وبها قال علماء الأئمة الأربعة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم والمنكر لها جاهل بأقوال أعلام الأمة المحمدية .انتهى ملخصا من « **نور الهداية** » .

وقال القطب الرباني والعالم الصمداني فخر النسل العثماني سلطان العارفين الإمام الماجد أبو البهاء ضياء الدين سيدي العم الأفخم مولانا الشيخ خالد قدس الله تعالى سره وأفاض علينا نواله وبره في رسالته التي بعث بها إلى بعض خلفائه في دار السلطنة العثمانية العظمى : لأن الدهنونة من كيد الخائنين ومقرونة بنصرة حاميها وحامي بلاد المسلمين إلى يوم الدين ما نصه : وقرع سمع هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حق اليقين يعدون الرابطة بدعة في الطريقة ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولا حقيقة ، كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنة الرسول ، ومن ساداتنا من كان يقتصر في السلوك والتسليك عليها ، ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضا مع تنصيصه على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى ، ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى : ﴿**يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ . فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدس الله سره ما حاصله : إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين الكون معهم صورة ومعنى ثم فسر الكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشهور ،

وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطور فكأنهم لم يتصوروا معنى الرابطة اصطلاحا وإلا لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريق عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى وكثرة رعاية صورته ليتأدب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتم له باستحضارها الحضور والنور وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور وهو أمر لا يتصور جحوده إلا ممن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان ، لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرحوا بحسنها وعظم نفعها بل واتفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الأنسية ، وإلا فلا بد أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحا وتلويحا ، وها أنا أسرد بعض ما ذكروه مع تعيين الأماكن ليراجعها من يسر في قلبه مرض ولا ينكر على الأولياء بمجرد اتباع الهوى والغرض فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق :

قد صرح بالتصرف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿**لولا أن رأى برهان ربه**﴾ . ومنهم صاحب « الكشاف » مع انحرافه عن الاعتدال واتصافه بالإنكار والانخذال ولفظه وفسر البرهان بأنه ـ أي يوسف ـ عليه السلام سمع صوتا : إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده على صدره إلى آخر ما قال

وقال من الأئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في « شرح المشارق » في حديث « من رآني . » إلخ : الاجتماع بالشخص يقظة ومناما لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول كلية الاشتراك في الذات وفي صفة فصاعدا وفي الأفعال أو في المراتب أو في حال فصاعدا وكل ما يتعلق من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوله على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع أو يقل وقد يقول على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفتقرقان وقد يكون بالعكس ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء . انتهى

وقال منهم أيضا محشي « الأشباه » الشريف أحمد بن محمد الحموي في كتابه « نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال » ما نص خلاصته : إن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحمل هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم :« **ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة** » . فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه : هل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال :« **نعم وأرجو أن تكون منهم** » ، وقالوا : إن الروح إذا كانت كلية قد تظهر في سبعين ألف صورة هذا في دار الدنيا وفي البرزخ من باب أولى لأن الروح فيه أغلب وأشد استقلالا بسبب المفارقة عن البدن . انتهى

ومن الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في « الإحياء » في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة ما نصه : وأحضر في قلبك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشخصه الكريم وقل : السلام عليك أيها النبي وليصدق أملك أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه . انتهى

وقال منهم العلامة الشهاب ابن حجر المكي شيخ الشيخ الشهاب الخفاجي في « شرح العباب » في بيان معاني كلمات التشهد ما نصه : وخوطب صلى الله عليه وسلم كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلين من أمته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم ويكون تذكر حضوره سببا لمزيد الخشوع والحضور ثم أيده بما مرّ عن « الإحياء » .

ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السهروردي الشافعي في العوارف في باب صلاة أهل القرب مثله ، ومن عبارته : ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويمثله بين عين قلبه . انتهى

وصرح العلامة الشهاب ابن حجر في أواخر « شرح الشمائل » وفاقا للحافظ الجلال السيوطي في كتابه « تنوير الحلك في رؤية النبي والملك » أنه حكي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فدخل على بعض أمهات المؤمنين فأخرجت له مرآته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأى صورته ولم ير صورة نفسه . انتهى

وهذا هو الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم ،ولا يقال ليس الكلام في صورة النبي لأنا نقول : إن هذا السر من خصائص الأنبياء وكل ما هو كذلك فهو مشترك بينهم وبين الأولياء ولا شك في هذا عند أهله نعم ، مخاطبة غيره صلى الله تعالى عليه وسلم في الصلاة مبطلة لها وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود صاحب المقام المحمود عليه وعلى آله وصحبه والتسليم من الكريم الودود وهو غير مراد فيما نحن فيه,هذا .

وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألفها في مثل هذه المادة سماها « كتاب المنجلي في تطورات الولي » نقلا عن الإمام السبكي الشافعي في « الطبقات الكبرى » : الكرامات أنواع إلى أن قال : الثاني والعشرون التطور بأطوار مختلفة وهو الذي تسميه الصوفية بعالم المثال وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا له بقوله تعالى ﴿**فتمثل لها بشرا سويا**﴾ومنه قضية قضيب البان ثم ذكرها وذكر غيرها . انتهى

وقال منهم الإمام العارف الشعراني قدس الله سره في كتابه « النفحات القدسية » عند عدّ آداب الذكر ما نصه السابع : أن يخيل شخص شيخه بين عينيه وهذا عندهم آكد الآداب . انتهى

قلت : وليس الرابطة عند معاشر النقشبندية إلا هذا كما يشهد له ما في جميع كتبهم المعتمدة

وذكر العلامة السفري الحلبي من الشافعية في « شرح البخاري » عند قوله : ثم حبب إليه الخلاء ، أن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثل بصورة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضا بشرط ذكره ثَم .

وقال من أكابر الحنفية أيضا العلامة الشريف الجرجاني قدس الله سره في أواخر « شرح المواقف » قبل ذكر الفرق الإسلامية وفي أوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحة ظهور صور الأولياء حتى بعد التوفي للمريدين وأخذهم الفيوض منها . انتهى

وقال منهم أيضا العارف بالله تعالى تاج الدين الحنفي النقشبندي العثماني قدس الله سره عند بيان طرق الوصول إلى الله تعالى في رسالته المعروفة بـ « التاجية » ما نصه : الطريقة الثالثة الربط بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالصفات الذاتية فإن رؤيته بمقتضى **هم الذين إذا رؤوا ذكر الله** تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب **هم جلساء الله تعالى** تنتج صحبة المذكور . .إلى أن قال : فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال وتتوجه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس وإن وقفت عن الترقي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن وتفرض من كتفك إلى قلبك أمرا ممتدا وتأتي بالشيخ على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك فإنه يرجى لك بذلك حصول الغيبة . انتهى بحروفه .

وجرى عليه قدوة المحققين وزبدة المتأخرين الشيخ العارف النابلسي الحنفي قدس الله سره وأقره في شرحه على التاجية

وقال من الأئمة الحنابلة الغوث الأعظم والإمام الأفخم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ما معناه : أن الفقير أي السالك طريق القوم له رابطة قلبية مع الأولياء يستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطنا فلا بأس بعدم إكرامه ظاهرا بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم . انتهى نقلا عن الإمام السهروردي في باب آداب المريد مع شيخه من « عوارفه »

وقال منهم أيضا العلامة شمس الدين ابن القيم في كتاب « الروح » : إن للروح شأنا آخر غير شأن البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم على صاحبها ردت السلام وهي في مكانها هناك . انتهى نقلا عن الحافظ السيوطي في كتابه « المنجلي »

قلت : والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تحصى وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرف للأولياء بعد الموت وقد ألف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك فليحذر الموفق عن إنكاره فإنه من المكاره الى آخره .

وسنعود إلى بغية ما قاله قدس الله سره قلت : ومن جملة تلك الرسائل كتاب « الأسفار » للصدر الشيرازي رحمه الله تعالى ومختصره للعلامة عبد الهادي نجا الأنباري المسمى بـ « باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح » وخصوصا كتاب « الدلائل الواضحات في إثبات الكرامات » للعلامة إبراهيم برهان الدين حفيد العارف بالله تعالى الشيخ خالد البرماوي قدس الله سره ، فإن اطلعت عليها تفرح بذلك فرح الضال الواجد وتبتهج روحك بها ابتهاج عاشق بوصال غزال شارد ، وكذا « رسالة في الكلام » للإمام الجليل الراقي سيدي الشيخ عبد الباقي مفتي السادة الحنابلة بدمشق وهو أحد أشياخ سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سرهما فإنه ذكر فيها أن من الواجب علينا أن نعتقد أن كرامات الأولياء ثابتة قطعا ومن جملتها التصرف لهم في حياتهم وبعد مماتهم انتهى

ومما يؤيده ما أفاده قدوة المحققين وزبدة الواصلين سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره في « الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية » بما ملخصه : وقد صرح العلماء من أهل السنة بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبطل نبوتهم ولا رسالتهم في الموت وأنهم الآن أنبياء ورسل وإن نسخت شرائعهم وكل مؤمن بعد موته حقيقة كما في حال نومه لأن المتصف بالنبوة والإيمان الروح وهي[46] لا يتغير ، ومثل ذلك الولاية أيضا فالأولياء بعد موتهم أولياء كما أنهم في حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات الأولياء باقية بعد موتهم أيضا كما أنها باقية في حال نومهم . انتهى كذا في شرح جدولنا للعلامة العارف السيد أحمد بن السيد عبد الغني بن السيد عمر عابدين الحنفي الدمشقي حفظه الله تعالى المسمى بـ « **أنوار القدسية** »

وقد سئل العلامة الشيخ إبراهيم البرماوي الأزهري رحمه الله تعالى عن اختلاف العلماء فيما يتعلق بكرامات الأولياء في الحياة وبعد الممات وعن التوسل بهم وأنهم هل هم موجودون الآن أم لا ؟ فأجاب بما ملخصه : نعم موجودون إلى يوم القيامة لعموم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** » . وذلك من الأحاديث

[46] لعله وهو

والآثار الواردة في الأبدال وغيرهم من الأقطاب والأنجاب والأوتاد والقطب والغوث كما هو معلوم لأهل الحق وكراماتهم ثابتة وتصرفهم باق إلى يوم القيامة ولا ينقطع بالموت لأن مرجع الكرامة كالمعجزة إلى قدرة الله تعالى التامة العامة المحيطة المتعلقة بجميع الممكنات بأسرها إيجادا وإعداما على وفق إرادته الأزلية التي يترجح بها أحد طرفي الممكن على مقابله فلا يمتنع شيء منها على قدرته وإرادته وهذا أمر قطعي لا مرية فيه البتة عند أهل السنة والجماعة

قال شيخ الإسلام والمسلمين خاتمة المحققين وسند المدققين الشيخ شهاب الدين أحمد العيني الحنفي رحمه الله تعالى : وإذا كان مرجع الكرامات إلى قدرة الله تعالى كما مرّ فلا فرق بين حياتهم ومماتهم فإنها بمحض خلق الله تعالى وإيجاده لها أكرمهم بها وأجراها على أيديهم وبسببهم تارة بدعائهم وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم وليس لهم مشاركة الباري سبحانه وتعالى البتة ، فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلا عن اعتقاده مع كون ثبوته هو الحق الذي لا محيص عن وجوب اعتقاد ثبوته بالكتاب والسنة واتفاق جمهور السلف والخلف وكتبهم طافحة به وإنه جائز وواقع وشائع وذائع بل متواتر تواتر يفيد اليقين لا مرية فيه بوجه من الوجوه البتة فقد اتفقت كلمة علماء الإسلام قاطبة على معجزات نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأنها لا تنحصر لأن منها ما أجراه الله تعالى ويجريه على أوليائه من الكرامات أحياء وأمواتا إلى يوم القيامة وذلك أمر يضيق عنه نطاق الحصر بالضرورة وإنه من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الباقية بعد موته الدالة بالضرورة دلالة قطعية على صحة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وعموم رسالته التي لا ينقطع دوامها ولا تجددها بتجدد الكرامات في كل عصر من الأعصار إلى يوم القيامة كما قال ابن الصلاح وغيره

وقد رأينا من كراماتهم أحياء وأمواتا ما يوجب ذلك ولا ينكرها إلا كل مخذول فاسد الاعتقاد في الأولياء فإن الإنكار عليهم لا شك ولا خفاء أنه من غاية الطرد والجفاء وأصل عقوبة المنكر عليهم حرمانه بركتهم ويخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى

قال الشيخ أبو تراب النخشبي : وإذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى ، وقال المبارك شاه : ما تعبد العبد بأكبر من التحبب إلى أولياء الله لأن محبتهم دليل على محبة الله تعالى والأدب معهم مستحب أو مندوب والله مطلع وهو علام الغيوب

وفي هذا المعنى قال الأستاذ الأكبر مولانا الشيخ محمد البكري قدس الله تعالى روحه ونور مرقده وضريحه :

خُذوا أَدَبَ الحُبِّ عَلى بابِنا وَإِلّا دَعونا عَلى ما بِنا

فَإِنَّا نُحِبّ وَلَا نَنْتَهِيْ وَلَيْسَ لَنا غَيْرُ أَحْبابِنا

نفعنا الله تعالى ببركتهم وحشرنا في زمرتهم آمين

وقال شيخ مشايخنا العلامة شمس الدين محمد الرملي رحمه الله تعالى : كرامات الأولياء مشاهدة لا يمكن إنكارها والذي نعتقده ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد مماتهم ولا تنقطع بموتهم ويخشى على منكر ذلك المقت والعياذ بالله تعالى ، ويجوز التوسل بهم إلى الله تعالى كما ورد والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء باقية بعد موتهم لبقاء نبوتهم وهو ما عليه المحققون وغيرهم من أصحاب المعارج وغيرها فيجوز لهم بعد موتهم إظهار الأمر الخارق للعادة وحينئذ الألف واللام للأنبياء للجنس فلا تختص ذلك نبينا فقط بل خلافا لمن وهم فيه وكرامات الأولياء أيضا لا تنقطع بموتهم كما تقدم أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يأكلون ويشربون ويحجون بل وينكحون كما وردت الأخبار بذلك ونقله العلامة الاجهوري عن بعضهم وأقره . وقد وقفت على سؤال بهذا المعنى رفع إلى سدة حضرة قطب الأقطاب وملجأ الشيخ والشاب مؤيد الملة ومظهر أقمارها وشموسها ومشيد أركان العلوم بعد انهدامها ودروسها الجهبذ الماجد مولانا ضياء الدين الشيخ خالد العثماني قدس الله سره ناسب أن نذكره هنا تبركا بكلامه وهذا نصه مع الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرلسلين وعلى آله وصبه أجمعين أما بعد : فقد ورد مرسومكم الناطق بأنه وقع الخلاف بين السادات الموجودين عندكم في أن أرواح الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام أين تكون في البرزخ هل هي حالة في أجسادها المكرمة كما كانت في الدنيا أم في أعلى عليين أم غير ذلك فما تحرر الأمر فطلبتم التحقيق من العبد المسكين فنقول وبالله التوفيق : الأدب أن لا يعين مقر معين لأرواح الأنبياء صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ولا يعتقد أن في عالم الإمكان من السموات والأراضين بقعة تخلو من مدد روحانيتهم عموما وخصوصا وروحانية سيدهم وخاتمهم خصوصا بل يجب اعتقاد أنهم أحياء وأجسامهم في قبورهم وحياتهم فوق حياة الشهداء يصلون ويحجون ويلبون ويقرؤون القرآن ويسبحون تلذذا بطاعة الله تعالى ويزيدهم الله بذلك من فضله فلا يرد أن الآخرة ليست دار تكليف . ولا ينبغي التصريح بأن حياتهم فيها كحياتهم في الدنيا ولا بأنها بمقارنة الروح للجسد, وإن جاز ذلك لاحتمال حياة الجسم بدون الروح كما هو المقرر عند أهل السنة لأن الروح عندهم من الأسباب العادية كالشراب والطعام للري والشبع فلله تعالى خلق تلك المسببات بغير هذه الأسباب فيجوز كون أرواحهم في أجسادهم وأجسادهم في قبورهم ويجوز كونها فيها وهي متنعمة بسيرانها في الملك والملكوت على طريق خرق العادة ثم تعود إلى قبورهم متى شاء الله ويجوز كون أجسامهم أحياء في قبورهم بلا أرواح كما تقدم والأرواح حيث شاء الله تعالى وكون أرواحهم في أعلى عليين أو في الرفيق الأعلى أو في الفردوس أو غير ذلك مما تدل عليه الأخبار الصحيحة لا يقتضي كون هذه المذكورات مقرا لها بخصوصها إما لجواز انتقالها من حال إلى حال ومن متنزه إلى متنزه وإما لأن للروح شأنا غير شأن البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن وإذا سلم على البدن ترد الروح السلام وهي في مكانها كما قال ابن القيم في كتاب « الروح » وأقره في كتاب « المنجلي في تطور الولي » وإما لأن الكمل حتى الأولياء يمكنهم الله تعالى من التصور بصور عديدة بحصر أو بغير حصر وقد يكون لهم صورة واحدة تملأ الكون ويذهب بالكشف أحيانا أن السموات والأرضين والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرم ومنه يظهر انحلال كون سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ليلة المعراج سيدنا موسى عليه

الصلاة والسلام مثلا عند الكثيب الأحمر يصلي في قبره ثم رآه في الأقصى اقتدى به مع الأنبياء ثم في السماء السابعة أو غيرها مع جماعة من الأنبياء في السموات فكلمه في أمر الصلاة ومراجعة ربه وهنا أحاديث ضعيفة أو باطلة تدل على خلو قبره صلى الله تعالى عليه وسلم عنه ظاهرا مطلقا أو بعد ثلاثة أيام أو بعد أربعين يوما اغترّ بها بعض الناس لا يجوز التعويل عليها لأنها مع ضعفها وتأويلها لا تعارض الأحاديث الصحيحة الدالة على بقاء الأنبياء في قبورها كحديث : « **أنا أول من تنشق عنه الأرض** » وحديث نقل يوسف عليه الصلاة والسلام من قبره بمصر إلى مقبرة آبائه الكرام بأرض الشام عليهم الصلاة والسلام . انتهى من مراسلاته قدس سره .

قلت : ولا شك أن الإغاثة منهم عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى إلى آخر ما تقدم ومن ذلك قصة السيدة مريم عليهم الصلاة والسلام ورزقها الآتي لها من عند الله تعالى كما نطق به التنزيل ، وقصة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأضيافه كما في الصحيح وجريان نيل مصر بكتاب عمر رضي الله عنه ورؤيته وهو على منبر المدينة جيشه بنهاوند حتى قال لأميره : يا سارية الجبل محذرا له من كون العدو ورائه وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين رضي الله تعالى عنه وشرب خالد السم من غير تضرر به رضي الله تعالى عنه وقد جرت خوارق على يد الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين ومن بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها

وقد سئل بعض الأئمة من الأكابر على ما في « الدلائل الواضحات » أن من كرامات الولي أن يقول للشيء كن فيكون فنهى القائل عن ذلك فقال : من أنكر ذلك فعقيدته فاسدة فهل ما ادعاه صحيح ؟ فأجاب بأن ما قاله صحيح إذ الكرامة الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليه وقد قال الأئمة رضي الله تعال عنهم : ما جاز أن يكون معجزة للنبي يجوز أن يكون كرامة للولي لا فارق بينهماإلا التحدي فمرجع الكرامة إلى قدرة الله تعالى . انتهى

وسئل أيضا الشهاب الرملي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد : يا شيخ فلان ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والأولياء هل هو جائز وهل للمشائخ إغاثة بعد موتهم .

فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء والأولياء جائزة ولهم إغاثة بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم كما مرّ . انتهى ملخصا .

وسئل أيضا علامة زمانه وفريد عصرع وأوانه محب الدين بن الشحنة الحنفي كما وجب ذلك على ما قاله العلامة إبراهيم البرماوي بما نصه : وقد سئل عمن يزور الصالحين من الموتى ويقول عند قبر الواحد منهم : يا سيدي فلان أنا مستجير بك أو متوسل بك أن يحصل لي كذا وكذا ويقول : ربي أسألك بمنزلة هذا الرجل عندك أو بسره عليك أو بعلمه أن تفعل لي كذا وكذا هل هذه عبارة حسنة أو غير حسنة أو بعضها حسن وبعضها قبيح وما كانت السلف تقول عند زيارة قبور الصالحين ؟ وهل إذا قال شخص عند قبر رجل صالح : متى حصل لي كذا وكذا أجيء لك بكذا وكذا هل الوفاء به لازم ؟

فأجبت : نعم زيارة القبور مندوب إليها وقبور الصالحين آكد في الاستحباب وينبغي الدعاء عندها لأن لتلك البقعة شرفا وفضلا بوجود ذلك الصالح فيها وقد اشتهر عند أهل بغداد إجابة الدعاء عند قبر الشيخ معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه فإنه الترياق المجرب واشتهر أيضا في قبور كثير من الصاليحن فإنه دعاء عقب عبادة وهي زيارة ذلك القبر وعقب قراءة إن كان قد قرأ شيئا من القرآن كما هو الغالب وذلك أقرب إلى الإجابة ولا امتناع بالتوسل بالصالحين فإنه ورد التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم لصلحاء أمته حظ مما يعهد من خصائصه يمنحه الله تعالى من يشاء منهم وهي بركته نمت عليهم وقد توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما ولا يمنع من ذلك موت الصالح منهم لأن الموت إنما يطرأ على الجسد وأما الروح فحية وقد ورد ما يدل على اتصالها به في بعض الأحيان كيف يشاء الله تعالى

وأما قوله : اطلب منك أن يحصل لي كذا وكذا فأمر منكر إن قصد ذلك ، لأن الطلب إنما هو من الله تعالى ، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة أو بأصحابها أحياء وأمواتا لا ينكر لأن المنح الإلهية لا تنقطع عنهم بموتهم والذي كانت السلف تقوله عند زيارة القبور ما علمهم إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : سلام عليكم دار قوم مؤمنين . .إلى آخره ولا بأس بالدعاء بغير ذلك

وقوله : متى حصل لي كذا وكذا أجيء لك بكذا وكذا إن لم يقترن به لفظ الالتزام فالنذر لم يلزم به شيء وإن اقترن به ذلك فإن أراد التصدق به على الفقراء المجاورين بضريحه أو زاويته أو عمارة مشهده حيث احتيج لذلك لزم الوفاء به وإن أراد تمليكه لنفس الميت فهو لاغ لا يجب به شيء والله أعلم

وقال العلامة سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى في « شرح المقاصد » : وبالجملة فظهور كرامات الأولياء تكاد أن تلحق بظهور معجزات الأنبياء وإنكارها من أهل البدع ليس بعجيب إذ لم يشاهدوا ذلك في أنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم فوقعوا بذلك في أولياء الله تعالى أهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون أديمهم جاهلين كون هذا الأمر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة . انتهى

وقد سئل العلامة النسفي عما قيل : إن الكعبة كانت تزور أحد الأولياء هل يجوز القول به ؟ فأجاب بأن نقض العوائد لأهل الولاية جائز عند أهل السنة . والله أعلم

وفي « السيرة » وغيرها ما نصه : ذهب أهل السنة إلى جواز الكرامات ومن نقل جوازها إمام المتكلمين القاضي أبو بكر الباقلاني والإمام أبو بكر بن فورك وإمام الحرمين في إرشاده والإمام أبو حامد الغزالي في كتاب « الاقتصاد » والقطب الرباني شيخ الكل في الكل أبو القاسم القشيري في رسالته والإمام فخر الدين الرازي والشيخ نصر الدين الطوسي في « قواعد العقائد » والشيخ حافظ الدين النسفي والقاضي البيضاوي في طوالعه ومصباحه والعفيف اليافعي والشيخ أبو الوليد بن رشد ونص كلامه في أجوبته أن إنكارها والتكذيب بها بدعة وضلالة يبثها في الناس أهل الزيغ والتعطيل الذين لا يقرون بالوحي والتنزيل ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين . انتهى

وقال العلامة ابن حجر وغيره : الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين وكثير من غيرهم خلافا للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم من غير روية ولا تأمل أن ظهور الكرامات على يد الأولياء وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق عباده لجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائز عقلا ونقلا إذ لو لم تكن الكرامات

جائزة الوقوع لم تقع وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والأحاديث والآثار المسندة الخارجة عن الحصر والتعداد . انتهى

والنصوص بذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرناه كفاية ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بالكتاب الذي ألفه الإمام فخر الدين الرازي وسماه بـ « المطالب العالية » فإنه يقتطف من ثماره كل رطب جنيّ

فلنرجع إلى ما كنا بصدده ، ثم قال حضرة مولانا العم الأعظم قدس الله سره الأقوم : وقال من الأئمة المالكية الإمام الجليل صاحب « المختصر » المشهور الشيخ خليل رحمه الله تعالى ما نصه : الولي إذا تحقق في ولايته تمكّن من التصور في روحانيته ويعطى من القدرة التصور في صور عديدة وليس ذلك بمحال لأن المتعدد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى . نقله السيوطي عنه في الكتاب المذكور ونقل فيه أيضا عن الامامين الهمامين من المالكية الشيخ أبي العباس المرسي وتلميذه ابن عطاء الله قدس الله سرهما ما يقاربه ، فكيف يسوغ للعوام إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام الذين هم أهل الحل والإبرام . انتهى المقصود من رسالة حضرة سيدي العم الأكرم قدس الله سره باختصار .

أقول : والنصوص في استحباب الرابطة لا نهاية لها وفيما ذكرناه كفاية والله ولي الهداية .

فليتأمل الأخ المنكر لها تاب الله عليه بفهمه وليميز علمهم من علمه ولينظر بعين الإنصاف هل حصل له من العلم فضلا عن العمل ما حصل لأدناهم ؟ وهل وجد من اليقين ما وجد أدنى من والاهم ؟ هيهات هيهات كما لا يستوي السوقة والملوك لا يستوي أصحاب الشهوات وأرباب السلوك .

ألا أخبرك بما آل بك الإنكار لفعل الرابطة وإنكارها على أوليائها ؟ لقد قلت وقولك في غير محله : مالنا ولقلبنا وربطه بالشيخ كائنا من كان وإنما تربط قلوب الأنام ببارئها . .

فأقول كما قال الإمام الدوسري : إن كنت تعتقد أن الله تعالى يشبه شيئا من خلقه الدال عليه قولك ـ بدل الرابطة ـ فأنت مجسّم أو أنه لا يخلو من كينونة في شيء أو على شيء فأنت حلوليّ أو جهمي وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإن كنت تعتقد أنه سبحانه وتعالى منزه عن المكان وأنه ليس كمثله شيء وأن كل ما خطر بالبال فهو بخلافه فاعلم : أن الرابطة يتصرف فيها عالمها ويقررها تارة جالسة وتارة قائمة وتارة قارة وتارة مارة وكيف يشاء وذلك على الله محال وإنك قد اوهمت في التعبير وأبعدت في التقدير فأين تنزيهك لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟ !

ألا أنبئك بما أوصلك الإنكار إليه ؟ حررت قراطيس تصدّ المسلمين عن هذا الأمر النفيس الذي من لازم المتلبس به التسبيح والتقديس وصلاة الليل وصلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والمطلوعين مهما أمكن وذكر الله على الدوام والكف عن أكثر الأنام إن لم يكن جميعها فانظر كيف نصحت أمة محمد صلى الله عليه وسلم بإبعادها عن هذه السنة السنية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ ﴿**أفلم يدبروا القول** ﴾﴿**بل جاءهم بالحق**﴾﴿ **بل أتيناهم بذكرهم**﴾﴿**وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم** ﴾﴿ **أم على قلوب أقفالها**﴾ .

أترى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرضى عنك بهذا ؟ ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ فتنبه !

أتنكر على من لم يعمل إلا بنصوص أهل المذاهب الأربعة ولم يسلك إلا سبيلهم وقد أوردنا كلامهم وكشفنا أمرهم لتعلم أنهم أكابر العلماء والقادة الحكماء أهل الفضل والسيادة والتنسك والعبادة ، وليت شعري هل يعدل عن تقليد الإمام سفيان والإمام الغزالي والفخر الرازي والجنيد والجيلي والدسوقي وابن عطاء الله وابن القيم والبكري وابن حجر والجمل والشعراني والسهروردي والشاه نقشبند ومولانا خالد والشاذلي وأضرابهم ويعول على تلفيقات الأخ المنكر لها

تاب الله عليه ! حاشا وكلا إن ذلك لا يقع إلا من مغرور ذهب حجاه واتبع هواه وهل يستبدل الذهب بالخزف إلا من استولى عليه البله والخرف .

قال إمامنا الشاه نقشبند قدس الله سره : من أعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه كما قال الإمام الغزالي في « الإحياء » : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى النصيب التصديق به وتسليمه لأهله

والرابطة من جملة مسائل هذا العلم ولكنك تطالع في باب النزاع وهي ليست فيه إنما هي من جملة الخبر وصلة الموصل والعائد معلوم إذ هو مفهوم المنطوق ومنطوق المفهوم ، كما أنك تطالع في باب الزكاة وقسم الصدقات والوقف وليست هي هناك إنما هي في باب الطهارة وأركان الصلاة أشرفها الاطمئنانية كما أن الحج الوقوف بعرفة ولعلك تطالع في باب النون فصل الجيم وهي في باب الهمزة فصل الدال فدع الجدال واسمع هذا المقال .

واعلم أيها الأخ المنكر أن الدين النصيحة وأن من أفرض النصائح أن ينصح الإنسان نفسه ولا يدخلها في مداخل السوء ولا يلقيها في مهالك الإنكار على أولياء الله تعالى وإن كان إنكارك عن عدم وقوف فيجب عليك التثبت أولا ومطالعة كتب العلماء المشتملة على سيرهم وإرشادهم وتعبدهم ويحرم عليك إنكار ما لم تعلم وإذا عرفت ذلك وأذعنتَ لما سردناه هنالك فلا يسوغ لك الاعتراض علينا بما لم تحط به علما قال تعالى : ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾وفي بعض الآثار : « **الأمور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر اختلف فيه فارجعه إلى عالمه** » .

السابع قوله والقياس ، **قلنا** إن الواسطة إلى المقصود هي من المقصود وتخيل الوسائل من حيث إنها وسائل إلى المقصود بالذات ومعينة عليه لا بأس بها وإنما الممنوع جعل الوسائل نفسها مقصودة بالذات وليس المراد ذلك .

وقال الفقهاء شكر الله سعيهم أنه يسن للمصلي أن لا يجاوز بصره محل سجوده وذلك لأنه أجمع للهمم وأدفع للتفرق وحيث علم وتقرر أن المصلي يسن أو يستحب له النظر إلى موضع

سجوده في جميع صلاته ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة الناظر إلى موضع سجوده أفلا تجعل تخيل الرابطة خارج الصلاة كتخيل الأعمى النظر إلى محل سجوده لحصول الفائدة فإن المقصود واحد إلا أن أهل الرابطة يستعملونها في غير الصلاة كما علمت ليتوصل بها إلى رابطة الصلاة وهي أن تعبد الله كأنك تراه .

الثامن قوله فما الدليل على الرابطة

قلنا : إن الدليل يطلب من المجتهد كما قدمنا لك آنفا لا من المقلد وإنما على المقلد تصحيح النقل باتفاق العلماء كما أجمع على ذلك أهل العلم وأقره منهم الجم الغفير فإن طلب منا دليل من كلام أهل الفن فقد أوردنا بعضه فيما تقدم على أنه لا يلزمنا إيراد غير كلام ساداتنا العلية أعني الأئمة النقشبندية قدس الله تعالى أسرارهم السنية كما أنه لا يلزمنا أن لو طلب منا نص لمسألة في الفقه إيراد غير كلام أئمتنا الحنفية فضلا عما أوردناه من كلام غيرهم من المذاهب الأربعة, هذا .

وإذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملا وأثبت كل منهم فائدته وقرر منفعته فهل يجوز لأحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب وهم من عيون الناس القائمين بالسنن السنية والقامعين للبدع الردية دأبهم إرشاد العبيد وديدنهم نشر كلمة التوحيد منحهم الله تعالى العلم النافع والعمل الرافع وأفاض عليهم المعارف والأسرار واللطائف والأنوار فالأولى لك إن نصحتَ نفسك أن تعترف بكمالهم وتغترف من بحر جودهم ونوالهم ، وإذا فاتتك صحبتهم فلا تفتك محبتهم وإذا آثرت عليهم بالمحبة غيرهم فلا تنكر عليهم سلوكهم وسيرهم

وَإِذا كُنْتَ بِالمَدارِكِ غِرّاً ثُمَّ أَبْصَرْتَ حاذِقاً لا تُمارِ

وَإِذا لَمْ تَرَ الهِلالَ فَسَلِّمْ لِأُناسٍ رَأَوْهُ بِالأَبْصارِ

ولا يخفى عليك أيها الأخ تاب الله عليك أن أحكام الشرع لا تثبت إلا بدليل وأن يكون نصا لا محتملا ولا عاما مخصوصا كحديث « **كل بدعة ضلالة** » ، لما يلزم عليه من الفساد إذ من

البدعة ما هو واجب فلو تنزلنا وفرضنا أن عمل الرابطة الشريفة لا دليل لنا عليه وإنما استعملناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة فالإنكار علينا من أي وجه وما دليله فعليك يا أخي بالإتصاف بالإنصاف .

التاسع : قوله لم يبلغنا

قلنا : لا يلزم من عدم بلوغه إليكم عدم ثبوته ! ولا يلزم من عدم علمكم عدم علم غيركم به ! ولعله بلغكم فما فهمتموه ومرّ عليكم فما أدركتموه !

وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولولا ذلك ما عدّ من الصحابة من رأى النبي صلى الله وهو صبي ، وهل أمر أوضح من دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى متابعته المستلزم الرؤيا المستلزم انطباع الصورة وإذا انطبعت الصورة في الذهن ظهر لرائيها مهما تذكّر المرئي شاء أو أبى ولو كان عدوّا فاستحضاره صورة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتخيلها في الذهن الذي هو المراد بقولنا تصورها محبة له واشتياقا إليه ، إذ لا جرم أن الأمر المندوب المستلزم شيئا يستلزم شيئا آخر ذلك الشيء الآخر غير منكر البتة وكما أن تخيل الصورة النبوية أمر مندوب وفعل مطلوب فلذلك تخيل صورة أهل محبته الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى

العاشر قوله : لا سيما إن كان ذلك واجبا لأن الواجب مما تتوفر الدواعي على نقله **قلنا** : **لم يقل أحد** من الصوفية وعلى الأخص السادة النقشبندية المجتنبين عن البدع الرديئة بوجوب الرابطة ولا باستحبابها بذاتها **بل** لما توصل إليه من المقصود والمريد يلقن الرابطة وهو مخير في فعلها وإن تركها فقد ترك أدبا من الآداب ، هذا كله في البدايات وأما في النهايات فلا رابطة له سوى استغراقه في مشهوده ليس كمثله شيء تنزه عن الشبيه والمثال وتقدس عن أن يتصوره فكر أو خيال

الحادي عشر : لو فرضنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا على عمل الرابطة ولا عمله أحد قبلنا وإنما استعملناه لما رأينا من فائدته فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه أو تخيل أنه يعتنقه أو يقبل يده أو رجله أو يضعه على رأسه أو جبهته نهي من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس ؟ ! !

لِيْ سادَةٌ مِنْ عِزِّهِمْ　　　اَقْدامُهُمْ فَوْقَ الجِباهْ

اِنْ لَمْ اَكُنْ مِنْهُمْ فَلِيْ　　　فِيْ حُبِّهِمْ عِزٌّ وَجَاهْ

وقد قالوا : كن مع الله فإن لم تطق فكن مع من يكون مع الله ، وحيث تقرر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة اندفاع الغفلة على التحقيق فالاشتغال بها إذا من مهمات آداب الطريق ، إذ من المعلوم المقرر أن زوال الغفلة مطلوب وهو مفتاح السعادات فإن الحضور مع الله تعالى روح العبادات وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول[47] الإلهية على القلب فيتصف حينئذ بالذكر الذي من لوازمه الحب وهو فرض لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله** » ،ومحبة المرء لأولياء الله توجب محبة الله له لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى :« **وجبت محبتي للمتحابين فيّ** » بل محبتهم عين محبته عز وجل لأنه لا يتصور أن يحب أحد شيئا إلا لمناسبة عظيمة بينهما وألفة قديمة تجمعهما للخبر الصحيح :« **الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** » .

فمن أحب إنسانا كاملا وتحقق منه باتباعه له الإعراض عما سوى الله تعالى فلا شك أنه ما أحب إلا الله تعالى قال سيدنا سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه : من أحب من يحب الله فإنما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله فإنما أكرم الله وهو آية على كمال الإيمان لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم :« **من أحب الله فقد استكمل الإيمان** » رواه أبو داود عن أبي أمامة ، وقال عليه الصلاة والسلام :« **أوثق الإيمان الحب في الله** » رواه أحمد من حديث البراء بن عازب ، وروى النسائي في سننه الكبرى أيضا ورجاله ثقات من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه :« **إن حول**

---

[47] لعله بزيادة [الأنوار أو التجليات . .]

العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء » ، **فقالوا : يا رسول الله صفهم لنا فقال :** « **هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله** » **وفي رواية :** « **تحابوا في الله وتصافوا به يقضي الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » . وروى الطبراني في معجمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله** » .

وكما أن محبة الأولياء مأمور بها وهي تنتج محبة الله سبحانه وتعالى ومنه الواقية وكذلك عداوته منهي عنها وهي تؤذن بمحاربة الله تعالى نسأل الله العافية لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : « **من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب** »**, هذا .**

وإن المحبة تقتضي اتباع المحبوب وتلقليده في كل شيء وقد قدمنا أن ما استعمله الصفوة من أهل التحقيق عين ما حثّ عليه الشارع والله ولي التوفيق .

فإن قال الأخ المنكر لها تاب الله عليه : قد عرفنا من تلك الأقوال المشيدة بنصوص الفحول من الرجال أن الرابطة تعلق القلب وهذا لا نقول بمنعه ، والحب في الله واجب ومحبة الصالحين ثابتة ، لكن : من أين لكم أن استحضار صورة شخص في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها وإن استحضاركم يكون بسبب تعلق القلب ؟

قلنا : الجواب عن هذا أيضا أن تلك المطالب تحصل لنا بما ذكرناه ، ألا ترى أنك إذا كبرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة الوالي والمفتي والتاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة أو بأهلك أو مالك أو غير ذلك وربما دأبت على تلك الرابطة في جميع ركعاتك بحيث لا يخطر الحق تعالى في قلبك أصلا حتى تفرغ من صلاتك أفلا تستحي ممن وقفت بين يديه وأنت ملتفت إلى سواه كأنك غير قانع بما لديه يخاطبه لسانك بـ ﴿ إياك نعبد﴾ وباطنك مشتغل بغيره وظاهرك يركع له ويسجد !

وليت شعري هل تنكر ذلك ؟ ! أم تعطي الإنصاف من نفسك فتعترف بما هنالك ؟ ولو دخلت في هذه الطريقة وسلكت سبيل مجازها على الحقيقة لعرفت الحق من الباطل وميزت بين الخالي والعاطل .

وأما كون استحضار الشيء سببه تعلق القلب به فإن أهل هذا الفن مع تعلق القلب يكلفون استحضار صورة الأستاذ وحيث حصلوا على المطلوب سعوا في نفي ما سوى المحبوب فما تَقْوَوْا على محو الأغيار واقتباس لطائف المعارف والأنوار وتحققوا بكامل الأخلاق المنيفة إلا بواسطة الرابطة الشريفة ، على أنها لا يسوغ للمرء استعمالها في مثل الصلاة بل يستحضر الحق تعالى وحده كأنه يراه والدليل على أنه لا يتأتى استحضار صورة دون تعلق القلب بها مما لا يخفى على عاقل ألا ترى أنك إذا أحرمت بالصلاة ظهرت لك صورة مقاصدك التي كنت متعلق القلب بها وانتقشت في مرآة خيالك وأنت راضٍ عن نفسك بذلك كأنك تجوزها بلسان حالك ! فكيف تسوغ لنفسك من مثلك هذه المثالب وتنكر على القوم ما هم عليه من أنفس المطالب ؟ ! ! أهكذا يكون الانصاف ؟ ! ما هذا إلا مجرد تعصب وخلاف وهذا الإيراد لا يحتمل هذه الأجوبة السديدة وإنما أوردناها نصيحة وإفادة وترغيبا وترهيبا ولكل امرئ ما نوى لأن الإنكار على الأولياء الكاملين والعلماء العاملين سمٌّ قاتل قد ورد فيه الوعيد الشديد وهو علامة على إعراض القلب عن الله عز وجل ويخشى على فاعله من سوء الخاتمة والعياذ بالله .

وقد قدمنا لك أصلحك الله وعافاك من داء الإنكار على أوليائه تعالى أن دليل من قلدناه من العلماء العاملين والأتقاء العارفين حجة يجب قبولها والعمل بها على كل من تمذهب بمذهبهم وتعشق نفيس مطالبهم

وهب أن عمل الرابطة لا دليل لنا عليه ولا جنح أحد ممن قبلنا إليه ، فهل عندك دليل واضح يمنعه دون التباس من الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس ؟ ! !

فاتق الله واحذر من معاداة أوليائه الأخيار فإن عداوتهم تؤذن بمحاربة الواحد القهار فأقسم يا أخي بالله العظيم رب العرش الكريم إني لك من الناصحين وعليك من المشفقين الحذرين وأستغفر الله عز وجل مما استودعته أمسك قبل أن تحل رمسك .

أما تدبرت قوله تعالى : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ . فاسأل الله سبحانه أن يمنّ عليك بالهداية إلى سلوك سبيل الأبرار وأن يجنبك الإصرار على ما لا ترضيه[48] الجهابذة الأخيار إنه ولي المؤمنين وهو عليم بما يفعلون .

وقد طال بنا الكلام في هذا المقام ولنعد إلى ما كنا بصدده من بيان الختم الخواجكان فنقول :

ثم قراءة الفاتحة الشريفة سبع مرات ممن كان جالسا عن يمين حضرة الشيخ والسر في قراءتها سبعا إشارة إلى أنها سبع آيات وأنها تؤثر في المراتب السبع المراتبة **الأولى** مقام النفس **والثانية** مقام الصدر **والثالثة** مقام القلب و**الرابعة** مقام الفؤاد **والخامسة** مقام العقل **والسادسة** مقام الروح **والسابعة** مقام السر وأما مرتبتا الخفى والأخفى فهما مؤثرتان غير متأثرتين لأن الخفاء من مراتب الأسماء والصفات والأخفى من مراتب الذات الأحدية أيضا .

ثم قراءة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة بأي صيغة كانت والوارد أفضل لما أخرجه الطبراني في معجمه الاوسط عن علي كرم الله وجهه أنه قال : **كل دعاء محجوب حتى يصلى فيه على النبي** صلى الله عليه وسلم وأما السر في حصر **العدد** بمائة تماما إشارة إلى ما ورد في الأثر أن من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة فإن الله تعالى يعطيه مائة حاجة ثلاثين في الدنيا وسبعين في الآخرة ،وكذلك فيها إشارة إلى نيل درجات الجنة التي هي بعدد أسماء الله الحسنى التي قال في حقها صلى الله تعالى عليه وسلم :« **إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة** » وختام المائة هو الاسم الأعظم .

---

[48]لعله ترضاه

ثم اعلم أن مراتب الأعداد التي هي الآحاد والعشرات والمئات كل واحدة منها لها تأثير على حدة ، فالآحاد لتأثير النفس والعشرات لتأثير القلب والمئات لتأثير الروح

ثم قراءة ألم نشرح لك مع البسملة الشريفة تسعا وسبعين مرة ، والسر في قراءتها تسعا وسبعين مرة إشارة إلى مراتب شعب الإيمان التي هي تسعة وسبعون مرتبة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **الإيمان بضع وسبعون** . . » الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، ومن المعلوم المقرر أن البضع يستعمل في الأدنى والأدنى استعمالا في الثلاثة ونهايتها في التسعة فتدبر

ثم قراءة سورة الإخلاص الشريفة مع البسملة الشريفة ألف ومرة واحدة لما روي عن عمر[٤٩] رضي الله تعالى عنهما أن من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة فقد اشترى نفسه من النار ، وإنما سميت بذلك لأن من قرأها يخلص من النار وتسمى أيضا سورة المعرفة لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها فقال :« **هذا رجل عرف ربه** » وسورة الولاية لأن من لازم قراءتها صار وليا لله تعالى ، وجاء أنها تعدل ثلث القرآن لأن مقاصده محصورة في شأن العقائد والأحكام والقصص وهي مشتملة على القسم الأول ، والسر في انحصار عدد قراءتها بالألف إشارة إلى أنها نهاية مراتب الأعداد التي هي الآحاد والعشرات والمئات والألوف لتأثير لطيفة السر ، وأما سر ضمّ الواحدة إلى الألف فإشارة للدلالة على معنى الأحدية .

ثم قراءة الفاتحة الشريفة مع البسملة أيضا سبع مرات ممن كان على يسار حضرة الشيخ والسر في تكرر قراءتها مرتين سبعا في ابتداء الختم الخواجكان الشريف وسبعا في انتهائه إشارة إلى نزولها مرتين مرة في مكة المكرمة ومرة في المدينة المنورة فليعلم ذلك ، قال في « روح البيان » : وهي ـ أي الفاتحة ـ أول ما كتب في اللوح المحفوظ وهي فاتحة أبواب المقاصد وأبواب الجنان في العقبى . انتهى ملخصا

49لعله ابن عمر

أقول وهذا هو السبب في تسمية الورد المذكور بالختم لقراءتها في خاتمته كما قرئت في فاتحته .

وأما إضافة الختم إلى لفظة خواجكان لنسبته إلى أئمة هذه الطريقة العلية حيث أن الأغلب منهم من عيون أعيان الفرس كأهل الهند وسمرقند وبخارى وسهرند ومن المصطلح عند أهالي تلك البلاد أن يلقبوا أكابرهم الأمجاد بخواجه كالخواجه عبد الخالق الغجدواني والخواجه بهاء الدين نقشبند والخواجه عبيد الله الأحرار وغيرهم من سما برّه ونما ذكره قدس الله تعالى أسرارهم وضاعف أنوارهم .

ولفظة خواجكان المتقدمة جمع خواجه بمعنى الأستاذ لأن ألف والنون علامة الجمع على القاعدة الفارسية وقلبت هاء خواجه كافا في الجمع لوقوعها آخر الكلمة على قاعدتهم أيضا كما هو مقرر لديهم .

ثم الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة أيضا والسر في تكررها مائة في البدء ومائة في الختام إشارة إلى ما ورد في الأثر من استجابة الدعاء بين الصلاتين على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخرجه ابن عساكر عن أحمد بن أبي الحواري قال : قال لي أبو سليمان الداراني :إذا سالت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسل حاجتك واختم بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإنهما دعوتان لا يردان ولم يكن ليردّ ما بينهما . انتهى

فإن قيل : إن القضاء المبرم لا يرده شيء فما وجه ما ذكر من أن الدعاء بين الصلاتين لا يرد ، فيجاب : إن الأشياء قد تكتب في اللوح المحفوظ معلقة على الشروط كما يكتب : إن قرأ فلان كذا فعمره سبعون سنة وإلا فخمسون سنة ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **إن العبد ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاثة أيام فيزيد الله أجله ثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيرد أجله إلى ثلاثة أيام** » .

وما ذكر من الكتابة على وجه التعليق إنما هي في لوح المحو والإثبات المشار إليه بقوله تعالى ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ المعبر عنه بسماء الدنيا وهو الذي يتعلق به على الملائكة لا في اللوح المعنوي والقلم الأزلي المعبر عنه بأم الكتاب المصون عن التبديل والتغيير واقتران الزمان والإشارة إلى نزاهته عن ذلك قبل بكونه عند الله تعالى حيث قال ﴿**وعنده علم الكتاب**﴾ ولا ريب أن ما عند أبقى ومن انحزاء أمارات الفناء[50] أعلى

وما أحسن ما وقفت عليه بهذا المعنى في بعض مكاتبات قطب الإرشاد والمدرار ونور فيوضات الحبيب المختار الكاشف بالعلم اللدني المسائل الأبكار محيي سنة سيد الأبرار ومروج الشرع الحنيف في البراري والأمصار الهيكل النوراني ضياء الدين سيدي العم الأعظم مولانا خالد المجددي العثماني قدسنا الله تعالى بسرّه وجعلنا فداء لتراب قبره مخاطبا به مخلصه المرحوم عبد الله باشا حاكم أيالة عكا بقوله :

أما بعد : فقد بلغني مرسومكم الحاوي لشدة الاعتقاد والمبالغة في الاستمداد لطلب الذرية لكم أما الدعاء فقد صدر مني مرارا وأما الهمة فلست من أهلها ولئن سُلِّمَ فلا تستعمل الهمة إلا بعد ظهور أن المطلوب قضاء معلق وإلى الآن ما تبين كون مطلوبنا كذلك لعمى بصائرنا بسبب البدع والشبهات ولا يجوز اعتقاد أن القضاء المبرم يُرَدّ بهمم الأنبياء فضلا عن الأولياء وكل ما يُرد فهو معلق وإن لم يظهر تعليقه في اللوح والكشف بل لا يرد مطلقا إذ المقتضي في صورة وقوع شيء وقوعه في عدمه عدم ، لأن معنى إبرام وقوع شيء مثلا إحكامه والقطع بوقوعه بحيث لا يرده أحد ولا يصرفه صارف فإذا فرض رده يلزم محالات : **أحدها** عجز الباري تعالى حيث أبرم شيئا ونقضه غيره ،

وثانيها الكذب في كلامه النفسي لأنه تعالى قال في نفسه الأزل هذا الأمر سيقع حتما وإلا لما كان مبرما مع أن الغرض عدم وقوعه,

---

[50] لعله بزيادة و

وثالثها الجهل لأنه تعالى تعلق علمه بأنه لا يرده شيء ووقع خلاف ما علمه تعالى وتقدس عما لا يليق بجنابه الأقدس بل لا يجوز تعلق إرادة الباري تعالى بنقض ما أبرمه إذ الإرادة لا تتعلق بالمحال الذاتي كما تقرر في محله وكل ما يستلزم نقصا عليه تعالى فهو محال ذاتي ، وما يحكى عن بعض أصحاب الغوث الأعظم بأبي هو وأمي قدس الله تعالى أسرارهم من أن الله تعالى ردّ له مبرم القضاء فغير ثابت بهذا اللفظ وبفرض ثبوته وهو الشائع فالولي يعذر في نطقه بغير المشروع بسكره ومحوه ولا يجوز تقليد غيره له لشعوره وصحوه ولا يسقط التكليف إلا عمن سقط عنه شرعا وأيضا الخطأ الكشفي كالخطأ الاجتهادي يعذر صاحبه ولا يقلد فيه ومن لم يجوز الخطأ على الأولياء لم يفرق بين النبي والولي تماما .

وأيضا قد يكتب في اللوح أمر من غير تعلق فيظنه بعض أهل الكشف مبرما مع أنه معلق في علم الله تعالى فالمعلق قسمان : **أحدهما** معلق في العلم واللوح **والثاني** معلق في العلم مبرم في اللوح وما وقع للغوث الأعظم قدس الله تعالى سره الأقوم من القسم الثاني وقد وقع لغيره من الأولياء أيضا .

وكما يجب التحرز عن إنكار الأولياء يجب التحرز عن الغلو في الاعتقاد بهم بحيث يؤدي إلى خلل في فرض العقيدة وهذا كثير في المفرطين بحسن الظن بالأولياء والشيطان ذو مكر ومكيدة وإذا أراد الله بأحد أن يأخذ حظا من فيض شيخ يظهر عليه كمال ذلك الشيخ فوق ما هو فيه فلا ينبغي الإصغاء إلى قول إسماعيل فينا فوالله أنا دون ما يعتقدني هو بكثير ولا ينبئك مثل خبير . انتهى بحروفه .

ثم أحد الحاضرين يقرأ عشرا من القرآن العظيم ثم يهدي ثواب ذلك إلى صحيفة سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن بعده إلى أرواح كل من آله واصحابه وأزواجه والتابعين والأولياء العارفين والأئمة الأربعة المجتهدين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين خصوصا إلى أرواح كل من ساداتنا أئمة الطرق الخمسة أعني النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجستية وجميع المسلمين ثم يدعو الله عز وجل ويطلب منه ما يريد فإنه يستجيب الله تعالى بمنّه وكرمه .

وقد نظم تلك الصيغة على ترتيبها المأثور حضرة قطب الطريقة وغوث الخليقة والهيكل النوراني ضياء الدين مولانا خالد النقشبندي المجددي العثماني قدس الله سره بأبيات حكت رقتها النسيم وازدرت بدر العقد النظيم فلا شتما لها على ما يناسب المقام أحببتُ أن أدرجها هنا تبركا بكلامه وتيمنا بمقصده ومرامه يسهل حفظها على الإخوان وبالله المستعان وهي هذه :

إذا رُمْتَ خَتْمَ الخواجكاني   فَسَبْعاً اِقْرَأ السَّبْعَ المَثانيْ

وَصَلِّ عَقيبَهُ مِائةً تَماماً   عَلى الهادي الحَبيبِ بِلا تَوانيْ

وَكَرِّرْ في « ألم نشرح » بِصِدْقٍ   بِعِدَّةِ طَاءَ مَعْ عَيْنِ العَيانِ

وَقُلْ فيْ سورةِ الإِخْلاصِ أَلْفاً   وَزِدْهُ واحداً عنْدَ البَيانِ

وَعُدَّ الأَوَّلينَ بِصِدْقِ عَزْمٍ   كَما ذَكَروا تَنَلْ كُلَّ الأَمانيْ

وسَلْ ما شِئْتَ مِنْ خَيْرٍ تَجِدْهُ   وتُعْطى ما تَرومُ مَعَ التَّهانيْ

ثم إن من أراد أن ينوع قراءة الختم الشريف فهذه صيغ أخر مأثورة أيضا عن أئمة هذه الطريقة الأنيقة :

الصيغة الأولى : مروية عن حضرة قطب الطريقة وغوث الخليقة وشمس فلك الحقيقة صاحب العلم والبند سيدنا ومولانا ومقتدانا وإمامنا السيد حمد بهاء الدين البخاري الموصوف بشاه نقشبند قدس الله سره وأفاض علينا فيضه وبره وهي هذه : الاستغفار خمس عشر مرة ثم الرابطة الشريفة ثم الصلوات المنيفة مائة مرة ثم يا خفي الألطاف أدركني بلطفك الخفي خمسمائة مرة ثم الصلاة الشريفة ايضا مائة مرة ثم يقرأ أحد الحاضرين عُشرا من كلام رب العالمين . انتهى

الصيغة الثانية : مروية عن قطب البلاد وغوث العباد الإمام الذي لصهباء الحب الذاتي هو الساقي مؤيد الدين الرضى سيدنا ومولانا حضرة الخواجه محمد الباقي قدس الله تعالى أسراره وضاعف أنواره وهي هذه : الاستغفار خمس عشر مرة ثم الرابطة المنيفة ثم الفاتحة الشريفة سبع

مرات ثم الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة ثم : يا باقي أنت الباقي خمسمائة مرة ثم الفاتحة الشريفة سبع مرات أيضا ثم الصلاة المنيفة مائة مرة ثم أحد الحاضرين يقرأ عشرا من القرآن العظيم . انتهى

الصيغة الثالثة : مروية عن حضرة مظهر العجائب ومنبع الأسرار والمعاني الغوث الصمداني مولانا وسيدنا الشيخ أحمد السرهندي المعروف بالإمام الرباني مجدد الألف الثاني قدس الله تعالى سره وأعلى في الجنان فتوحه وهي هذه : الاستغفار خمس عشر مرة ثم الرابطة المنيفة ثم الصلاة الشريفة بهذا الشكل : صلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم مائة مرة ، ثم لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [51] خمسمائة مرة وتمام رأس كل مائة مرة يقرأها رئيس حلقة الختم الشريف ثم الصلوات الشريفة نحو الكيفية المارة ثم يقرأ أحد الحاضرين عشرا من كلام رب العالمين .

الصيغة الرابعة : مروية عن الإمام الهمام والحبر البحر الطام قطب دائرة العلوم سيدنا ومولانا الإمام محمد معصوم قدس الله تعالى بأسراره وأفاض علينا كما أفاض على العالمين من أنواره وهي هذه : الاستغفار خمس عشر مرة ثم الرابطة المنيفة ثم الصلوات الشريفة مائة مرة ثم تلاوة قوله تعالى : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين خمسمائة مرة ثم الصلوات الشريفة مائة مرة ثم يقرأ أحد الحاضرين عشرا من كلام رب العالمين . انتهى

الصيغة الخامسة مروية من حضرة الإمام الكبير والقطب الشهير البحر الطام سيدنا الخواجه أحمد النافعي الجامي قدس الله تعالى سره وأفاض علينا بتوجهاته تمام المسرّة وهي هذه : الاستغفار خمسة وعشرين مرة ثم الرابطة المنيفة ثم الصلوات الشريفة مائة مرة ثم تلاوة قوله تعالى : ﴿**عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال**﴾ ألف مرة ثم الصلوات الشريفة مائة مرة ثم يقرأ أحد الحاضرين عشرا من كلام رب العالمين . انتهى

---

[51] هكذا في الأصل ولعله واقع فيه الغلط بناء على ما في الفيوضات وعلى الخالدية ونص ما فيه هذا : ثم تلاوة لا حول ولا قوة إلا بالله وتمام كل مائة يتمها رئيس حلقة الختم بالعلي العظيم . اهـ بحروفه فراجعه في 24 « قحي »

الصيغة السادسة لبعضهم وهي هذه : الاستغفار خمسة وعشرين مرة ثم الرابطة المنيفة ثم الفاتحة الشريفة سبع مرات ثم الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة ومرة واحدة ثم بعد ذلك تلاوة قوله تعالى : ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ إلى قدر إحدى وثمانين مرة ثم الفاتحة الشريفة سبع مرات ثم الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة ومرة واحدة ثم بعد ذلك يقرأ أحد الحاضرين عشرا من القرآن العظيم . انتهى

وبعد ذلك إن كان حضرة الشيخ باقيا بالله تعالى بعد الفناء فليقرأ دعاء التوجه أعني الاستمداد من ساداتنا أئمة السلسلة النقشبندية فردا فردا ثم يغني عن وجوده على الكيفية المعروفة عندهم ثم يتوجه المريد لإلقاء الذكر في لطائه وطريقه أن يجعل الشيخ قلبه مقابل قلب المريد ويلتجئ إلى الجناب الإلهي مستمدا من المشائخ الكرام أفاض الله تعالى علينا أنوارهم على الدوام ويلاحظ أن أنوار الذكر التي وصلت إليه من قلوبهم تصل إلى قلب هذا المريد وكذلك يجعل روحه في مقابلة روح الطالب ويلاحظ أنوار الذكر التي وصلت إليه من قلوبهم تصل إلى قلب هذا المريد وكذلك يجعل روحه في مقابلة روح الطالب ويلاحظ أن أنوار الذكر التي وصلت إليه من أرواحهم يلقيها إلى روح هذا المريد وبهذه الملاحظة يتوجه إلى روحه أيضا وهكذا سائر اللطائف من السر والخفي والأخفى ولطيفة النفس والقالب لأن توجه المشائخ الكرام قدست أسرارهم من حيث ترقيهم وزياداتهم في الترقي إنما هو لمعرفتهم قوابل وقوة استعداد مريديهم وماهم عليه من كثرة التوحيد وزيادة وجدانهم في جميع لطائفهم وإحاطتهم بجميع ظواهرهم وبواطنهم ونموهم في جميع الأجزاء من الجلد والعظم واللحم والدم والشعر والبشر وهذه المعرفة قد لا تخفى على بعض المريدين فضلا عن المراد من المشايخ فإنهم في ذلك المقام الأثم[٥٢] ولمعرفتهم باسترسال الذكر والحضور مع الله تعالى وشعور مريديهم بذلك على الدوام وتفاوتهم فيه وقتا دون وقت فإذا توجهوا وعرفوا ذلك توجهوا لمريديهم في كمال ذلك الحضور واسترساله إليهم على الدوام واستغراقهم فيه

[52]كذا في الأصل ولعله الأتم بالتاء تدبر

وهو ملاحظة العبد اطلاع الرب على ظاهره وباطنه زمانا ومكانا وعلم العبد شعوره أيضا المعية المنزهة عن كل نقص وعن كل ما يطرأ على الخيال تقدس عن ذلك وتعالى الله علوا كبيرا .

ولم تزل مشائخ هذه الطريقة رضي الله تعالى عنهم يتوجهون بذلك التوجه الكامل لمريديهم إلى أن يصلوا إلى مقامات الكمال وهي دوام الشهود وقد نظمت ذلك بأبيات فقلت :

إذا رُمْتَ يَوْماً لِلْمُرِيْدِ تَوَجُّهاً　　تضَرَّعْ إلى القَيُّومِ ذِي الطَّولِ والعُلا

وَسَلْهُ بِساداتِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَفِضْ　　مِنَ ارْواحِهِمْ نوراً عَظيماً مُبَجَّلا

تَبَرَّأْ إليهم مِنْ وُجودِكَ فانياً　　بِشَيْخٍ غَدا في الفَضْلِ فَرْداً مُكَمَّلا

وَهِمَّ[53] إِلى إِلْقاءِ ذِكْرٍ بِقَلْبِهِ　　أَتاكَ مِنَ ارْواحِ الشُّيوخِ مُسَلْسَلا

وَقابِلْ هُناكَ القَلْبَ بِالقَلْبِ مُقْبِلاً　　وَوَجِّهْ إلى الرُّوحِ الَّلطيفِ تَجَمُّلا

كَذاكَ إلى سِرٍّ وَباقِي لَطائِفٍ　　خَفِيٍّ وَأَخْفى ثُمَّ نَفْسٍ تَكَمَّلا

وَإِنْ شِئْتَ جَذْباً بِالمُرِيدِ بِسُرْعَةٍ　　تَوَجَّهْ وَأَلْقِ النُّور فيه مُشَكَّلا

بِعَزْمٍ شَدِيدٍ في القُلوبِ وَقُوَّةٍ　　مُفَتِّتَةِ الاَكْبادِ عُلْواً وَاسْفَلا

فَهذي إلى الأسْبابِ لِلرُّشْدِ والمُنى　　نَتِيْجَتُها السُّلْطانُ فاذْكُرْ ذَا الوَلا

وَصَلِّ يَا رَبَّاهُ دَوْماً عَلى الذي　　دَنا وَتَدَلَّى ثُمَّ ادنا واَوْصَلا

مَعَ الآلِ والأصْحابِ مَنْ قاموا بَعْدَهُ　　بِسُنَّتِهِ الغَرَّاءِ في السِّرِّ والمَلا

كذلك والأتباعِ ما قامَ مُرْشِدٌ　　تَوَجَّهَ في هَدْيِ العِبَادِ إلى العُلا

وإذا تمهد هذا فأقول وبالله التوفيق :

---

[53] اي اقصد

إن التوجه أنواع ، والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب المريد بتوجه جذبي يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه كما أخرجها سيدنا جبريل عليه السلام من قلب سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتاه وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه واستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه أي المرضعة له فقالوا : إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس : وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره . رواه مسلم

فهذا حال حضرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو نور الأنوار ومعدن الحكم والأسرار فما قولك بحال أمثالنا فإنه لا يتصفى قلبه إلا بتعلم علم الباطن وتوجه الشيخ الكامل إليه بالجذبات الإلهية والفيوضات المعنعنة المحمدية لتخريب البيوت الشيطانية لأنهم يأوون إليه ويستكنون لديه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :« **لولا أن الشياطين يحومون على قلب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء** » أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة .

وشق الصدر الشريف وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرات ،**الأولى** وهي المذكورة آنفا وقعت له وهو صغير في بني سعد عند مرضعته حليمة ، **الثانية** عند البعثة **الثالثة** ليلة الإسراء ، وأنكر بعضهم هذه المرة

قال الحافظ ابن حجر وغيره : ولا إنكار في ذلك فقد تواترت به الأخبار ولكل من الثلاثة حكمة ظاهرة :

فالأولى كانت في زمن الطفولية لينشأ على أكمل الأوصاف الزكية .

والثانية عند مبعثه إلى الخلق ليتلقى ما يوحى إليه من الملك الحق .

والثالثة عند العروج مبالغة في تطهير قلبه ليكون في غاية التأديب لمناجاة ربه ويحتمل أن تكون الحكمة أيضا في هذه المرة السنية المبالغة في الإسباغ كما ندب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم في الطهارة الشرعية وهذه الحكمة من أعظم الحكم وألطفها وأجلها وحقها أن تكتب بماء

الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها وإنما كانت الغسلة **الأولى لعلم اليقين** والثانية **لعين اليقين** والثالثة **لحق اليقين** .

وورد شق الصدر الشريف أيضا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عشر سنين فتكون هذه **رابعة** . وحكمتها أن العشر لما كان قريبا من سن التكليف قدس فيه قلبه الكريم ثانيا لئلا يلتبس بشيء غير لائق بمقامه المنيف ، قال الحافظ ابن حجر : وما ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية القدرة وعدم استحالة شيء من ذلك

وقد اختلف : هل كان شق الصدر وغسله مخصوصا به أو وقع لغيره من الأنبياء ؟ قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي تغسل فيها قلوب الأنبياء وهذا مشعر بالمشاركة . انتهى

وسئل الإمام السبكي رحمه الله تعالى عن العلقة التي أخرجت من قلبه عليه الصلاة والسلام فأجاب بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه الشريف فلم يبق فيه مكان قابل لإلقاء الشيطان فيها

وقال محققو طريقتنا قدس الله تعالى أسرارهم : إن شق سيدنا جبريل عليه السلام لقلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر عظيم وعبرة لنا ولا تكون النفوس الإنسانية مثل النفوس الحيوانية ولما كانت التزكية والتصفية موقوفة على معرفة أجزاء الإنسان من الخلقي والآمري بيّنا أن الإنسان مركب من عشرة أجزاء : خمسة من عالم الأمر وخمسة من عالم الخلق ، أما التي هي من عالم الأمر : فالقلب والروح والسر والخفي والأخفى وأما التي هي من عالم الخلق فالعناصر الأربعة والنفس الناطقة فهذه العشرة أجزاء كلها متضادة بتضاد العناصر الأربعة فتضاد العناصر الأربعة ظاهر وهكذا عالم الخلق مضاد لعالم الأمر فالله تعالى جعل لكل جزء من أجزاء عالم الأمر خصلة حميدة مخصوصة به كما هو المعلوم عند أرباب الوجه الذوقي وهو تعالى جمع بقدرته الكاملة الباهرة هذه الأسماء المتضادة وصورها بأحسن الصور وشرفها بالكمالات الباطنة والظاهرة

وسماها بالإنسان المنبئ بمادته وصورته عن الكمالات كما لا يخفى على من له دراية في ترتيب الحروف .

وإذا علمت هذا فلا بد للإنسان من مربٍّ عارف يصفي قلبه من الأغيار ويحليه بالأنوار ويشغله بالأذكار ليصيره منظرا للرحمن ومهبطا للفيضان وموردا عذبا للشاربين من ماء الحقيقي بعناية إله العالمين .

وتحقيق كمال الشيخ يعرف بالجلوس عنده على طريق الخلوص والطلب لا على الإنكار والعناد والهرب ، فحينئذ يمده منه برقيقة ويظهر في قلبه أثر المحبة والعشق إلى طلب العلم الحقيقة وهذا ينتج له من كمال صفاء الشيخ وتأثير توجهه وصحبته وبذلك يصفو قلبه من الأوساخ الباطنية والأقذار الخبيثة الشيطانية التي استكنت من قديم الزمان في محل نظر الرحمن وهذا قائم بمقام العشق المشهود وهذا إذا كان الشيخ مرشدا كاملا وأما إذا كان ناقصا فيحصل لقلب المريد منه قساوة بخلاف الأول وهو لا يعرف بظهور بعض الكشوفات والخوارق التي تحصل للبعض في المبادئ فإنها قد تظهر من أرباب البدع أيضا من بعض الكفار كالحكماء وغيرهم ويكون ذلك استدراجا في حقهم والعياذ بالله تعالى وهذا غير مراد فيما نحن بصدده .

وأما عند توجه الشيخ الكامل فتحصل للمريد من نتيجة الحركة العلمية وهي حصول العلم بعد العلم وفيوض المعارف الإلهية باعتبار المقامات العشرة لا الحركة الآنية والوضعية كما هو اعتقاد بعض القاصرين عن حقيقة ذلك فبحصول هذا العلم يخرج سير السالك عن الدائرة الإمكانية إلى الوجوبية بقدر استعداده مع العناية الربانية .

والمراد من السير هنا الحركات العلمية أيضا وهي على أربعة اقسام : **سير إلى الله وسير في الله وسير عن الله بالله وسير في الأشياء ،**

فالسير إلى الله هو عبارة عن الحركة العلمية في المراتب الإمكانية لأن السالك ينتقل فيه من العلم الأسفل إلى العلم الأعلى وهكذا إلى أن ينتهي إلى علم الواجب تعالى وتقدس وذلك يكون بعد طي الممكنات بأسرها وهذه الحالة يعبرون عنها بالفناء

والسير في الله هو عبارة عن الحركة العلمية أيضا لكنه في مراتب الوجود من الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات والتقديسات والتنزيهات وهلم جرا إلى أن ينتهي إلى مرتبة لا يمكن التعبير عنها بعبارة ولا إشارة ويسمون هذا السير بالبقاء .

والسير عن الله بالله هو عبارة عن الحركة العلمية أيضا لكنه ينتقل فيه السالك من العلى إلى الأسفل إلى أن يرجع إلى علم الممكنات رجوعا قهقريا وينزل عن علوم المراتب الوجوبية إلى العلوم الإمكانية وهو الذي نسي الله بالله ورجع عن الله بالله وهو الواجد الفاقد .

والسير في الأشياء هو عبارة عن حصول الأشياء شيئا فشيئا بعد زوال علومها وهذا السير مقابل السيرالأول والسير الثالث للسير الثاني والسير إلى الله والسير في الله هما لأجل تحصيل نفس الولاية التي هي عبارة عن الفناء والبقاء والسير الثالث والسير الرابع هما لأجل حصول مقام الدعوى فإنه مخصوص بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين .

تنبيه :

وحيث علمت آنفا أنه متى توجه الشيخ الكامل إلى قلب المريد السالك تحصل له من نتيجة الحركة العلمية ، وبحصولها يخرج سيره من الدائرة الإمكانية إلى الدائرة الوجوبية فلا تتوهم من هذه العبارة القول بالحلول والاتحاد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، لأننا نقول أنه لا يتصور السير في الذات القديمة وصفاتها وإطلاق الدائرة على السير الذاتي والصفاتي تسامح لا حقيقة لأن الدائرة عبارة عن إحاطة خط واحد للسطح المستوي بحيث يفرض في داخله نقطة تكون الخطوط المستقيمة الخارجة عنها إلى الخط متساوية والواجب تعالى ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم فلا يتصور هذا في حقه تبارك وتعالى فلا تغفل

وإذا تمهد هذا فنقول : ينبغي للمرشد أن يتوجه أولا إلى الذكر القلبي ثم إلى الذكر الروحي وهكذا إلى أن يصل إلى الذكر السلطاني بطريق الحالات أولا وبطريق المقامات ثانيا بعد حصول نوع من الحضور والنسبة في كل طبقة من اللطائف العشرة سواء كانت من الآمرية أو الخلقية حتى لا يقع السالك في الوسوسة الشيطانية ولا يرجع إلى صفاته الحيوانية فالتوجه المقامي هو التوجه الفنائي والبقائي بصرف الحضور والنسبة حيث تحصل به المعرفة بمعنى البسط الحقيقي خلاف التوجه الذكري الأولى فيكون فيه الذوق والشوق وتبقى المعرفة بمعنى البسط الحقيقي فيحصل للسالك حينئذ الحيرة والعجز في جميع أموره حتى يرى جميع عباداته عيبا لا يليق بجنابه الفياض المطلق جل سلطانه فحينئذ يتحقق بالأثر المشهور : من عرف نفسه فقد عرف ربه وهذا بعد اطمئنان النفس والتشرف فيها بالاستسلام الحقيقي ولا يصل السالك إلى هذه المرتبة المتعالية إلا بالصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل بحيث تدوم له النسبة والحضور

وها أنا أبين لك مقامات اللطائف الربانية من الصورة الإنسانية :

اعلم أن مقام القلب تحت الثدي الأيسر بمقدار إصبعين عرضا مقابلا له من غير ميل ولا انحراف إلى طرف منه بل بصورة الخط المستقيم نازلا منه وصورته صنوبرية في باطنه تجويف يسكنه دم أسود وهو منبع الروح ومعدنها وحقيقته لطيفة ربانية روحانية مدرك للكليات والجزئيات المتوسطة بين روح الأمر النفس الناطقة وهذه اللطيفة هي العالمة بالله تعالى المدركة كما لا يدركه الخيال والوهم المشار إليها بقوله تعالى : ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ وليس المراد بالقلب هذا اللحم الصنوبري الشكل فإنه موجود بالبهائم أيضا .

فإذا عرفت هذا علمت أن تعلق هذه اللطيفة بهذا الصنوبري هو تعلق غامض لا يدرك بالبيان بل يتوقف على المشاهدة والعيان كما أفاده حجة الإسلام قدس سره .

ومقام الروح تحت الثدي الأيمن كما علمنا ذلك من حضرة شيخنا ومرشدنا المشار إليه قدسنا الله تعالى بأسراره وأدام علينا توجهاته وأنظاره خلافا لمن أبدل اسمه بالسر على أن هذا الاختلاف لفظي فإن المواضع كلها موصلة ومحصلة للفناء والبقاء ولهذا ترى أقدام المرشدين

الكرام كأقدام المجتهدين العظام فيجب على من صحب الشيخ الكامل أن يعمل برأيه ويحرم عليه تقليد غيره لأن كشوفاته دليل يقيني عنده ولذلك اختار بعضهم أن يكون السير بأثناء الأذكار في اللطيفة التي يكون الوصول منها إلى الذكر السلطاني أخف وأسرع .

وحقيقة مقام الروح لطيفة ربانية ملكوتية وهي باطن القلب وألطف منه وإذا احتجبت الروح عن مراعاة القلب أساءت الجوارح الأدب لأن القلب والنفس والجوارح كلها لا تعمل عملا بدون مراقبة الروح .

ومقام السر فوق الثدي الأيسر بمقدار أصبعين وحقيقته لطيفة ربانية جبروتية وهو باطن الروح و ألطف منها ومرتبته محل دخول السالكين إلى عالم الجبروت وطريق الدخول في عالم الجبروت أن يدخل أولا في مرتبة قلبية ويقطع تلك المرتبة ثم يعرج منها إلى مرتبة الروح فيقطعها أيضا ثم يعرج منها إلى مرتبة السر ومنها إلى مقام مشاهدة عالم الجبروت وهذا الأمر مما لا يقف عليه كل أحد وإنما يقف عليه حذاق السالكين الذين كثر سلوكهم في هذا الباب دخولا وخروجا

ومقام الخفي فوق الثدي الأيمن بمقدار الاصبعين أيضا وحقيقته لطيفة لاهوتية ملازمة لعالم الصفات وهو باطن السر وألطف منه ومرتبته مرتبة الجبروت والاستغراق

ومقام الأخفى في وسط الصدر وحقيقته لطيفة لاهوتية أيضا لكنه ملازم لعالم الذات ومظهر لتجلياتها كما ورد في الحديث القدسي : « **إن في جسد ابن آدم لمضغة وفي المضغة فؤادا وفي الفؤاد سرا وفي السر خفيا وفي الخفيّ أخفى وفي الأخفى أنا** » .

وإنما سمي بالأخفى لكونه أبلغ في الاختفاء من الخفي وألطف منه وهو باطن الخفي والباطن من هذه اللطائف أكبر من الظاهر على خلاف العادة وعندما يصل السالك إلى مرتبة الأخفى تكون جميع لطائفه حقيقة واحدة في الأصل لكن بحسب الأطوار والمراتب تكون متعددة فلا تغفل .

وهذه اللطائف الخمسة من عالم الأمر أعني فوق العرش لأن عالم الأمر في الحقيقة عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز لا تدخل تحت المساحة والتقدير وقد خلقها الله تعالى بأمر كن أعني بمجرد التجليات الإرادية من غير مادة عنصرية سوى التجليات المذكوات وركبها الله تعالى مع لطائف عالم الخلق على طريق التعشق والمحبة بحيث يكره كل منها مفارقة الأخرى حتى كانت لطائف عالم الأمر بسبب ذلك التعشق مقهورة تحت حكم لطائف عالم الخلق وهو عبارة عن كل ما يقع عليه مساحة وتقدير من الأجسام وعوارضها وقد خلق الله تعالى هذا العالم من مادة هي لطيفة النفس الناطقة والعناصر الأربعة . والمراد من النفس الناطقة الحقيقة الإنسانية الحاصلة من تعلق روح الأمر بالنفس الحيوانية وعلى هذا التقدير تكون النفس المذكورة غير القلب الذي كان محله المضغة الصنوبرية ، **والمراد من العناصر الأربعة النار والهواء والماء والتراب ،** ولكل واحدة من هذه اللطائف السفلية نسبة إلى تلك اللطائف العلوية ، فنسبة النار إلى الروح ونسبة الهواء إلى الخفي ونسبة الماء إلى الأخفى ونسبة التراب إلى السر ونسبة النفس الناطقة إلى القلب وبهذه النسب صار لكل لطيفة من اللطائف العلوية محل خاص في البدن المركب من تلك العناصر الأربعة ومقام النفس الناطقة في الدماغ وهي بيت الحواس الخمسة الباطنة التي تتصرف في تلك الحواس بما أودعه الله تعالى فيها بواسطة القلب ،والقلب كالسلطان في البدن والنفس الناطقة وزيره والعناصر تندرج فيها .

وطريق اندراج العناصر الأربعة في النفس المذكورة أن الله تعالى ركب بسائط العناصر أولا ثم بعدُ كسا كل واحدة منها صورة يقابلها حتى صار مجموع تلك العناصر كما مر واحد ، ثم أوجد لله تعالى من ذلك الأمر الوحداني طبيعة جامعة للعناصر المركبة مع طبائعها وتلك الطبيعة هي المزاج المعتدل حقيقة حيوانية ثم أوجد تعالى من الحقيقة الحيوانية النفس الناطقة التي هي الحقيقة النوعية فصارت العناصر مندرجة تحت الطبيعة الكلية والطبيعة الكلية مع ما فيها مندرجة تحت الحقيقة الحيوانية والحقيقة الحيوانية مع ما فيها مندرجة في النفس الناطقة فكانت العناصر بهذه الوسائط مندرجة في النفس الناطقة . فلذلك كان قيام النفس الناطقة بالعناصر وكانت حياة العناصر بالنفس الناطقة . ولذلك إذا اتصفت النفس الناطقة بالكمالات اتصفت العناصر بها أيضا

تبعا للنفس الناطقة وكل من اللطائف المذكورة محل ذكر على الترتيب المذكور بحسب التقدم والتأخر في اللفظ ، فإذا رسخ الذكر في مقام النفس الناطقة حصل الذكر السلطاني وكيفيته أن يعم جميع بدن الإنسان بل جميع الآفاق والمراد من الآفاق ما هو مغاير لبدن الذاكر من الموجودات الخارجة ، وذلك أن لا يرى السالك شيئا من حجر وشجر ومدر وغير ذلك إلا ذاكرا بلفظة الجلالة كسائر اللطائف المذكورة ، ولكل واحدة منها نور خاص بها يظهر وقت التوجه والسير في أثناء الاشتغال بالأذكار في العالم المثالي وقد يظهر للسالك في أثناء مسيره إلى حضرة الرب جل جلاله أنوار كثيرة واسعة وفيرة وذلك عند تمكن الذكر ومداومة التوجه فيظهر له البروق واللوامع وأنوار ملونة ، ولا ينبغي أن يلتفت السالك إلى شيء منها وقد نبه على ذلك كثير من العارفين بالله تعالى وحذر السالكين من الوقوع في ورطته وهي على مشارب لا تحصى وطرائق لا تعدّ ولا تستقصى فمنها ما ذكره قدوة العلماء العالمين وزبدة الأولياء العارفين مولانا الشيخ منلا أبو بكر بن أحمد بن أبي داود الكردي الكلالي نزيل دمشق الشام وهو آخر خلفاء سيدي الوالد الماجد قدس الله سرهما في تفسيره المسمى بصفوة التفاسير أنه إذا تمكن الذكر في القلب سرى إلى جميع الأعضاء فإذا قال الذاكر الله يهتزّ له من فوق رأسه إلى إصبع قدمه وهذا يسمى سلطان الذكر وهذه الآداب تصعب على المبتدئ وتسهل على من سهلها الله تعالى عليه ، ثم إذا غلب الوارد على الذاكر وسلب اختياره فيستعمله كيف شاء على أنواع مختلفة كلها محمودة فإنها كلها أسرار فربما يجري على لسانه الله الله أو هُو هُو أو هاها أو هَـ هَـ أو آ آ أو اَهْـ اَهْـ أو لا لا أو عياط بغير حرف أو صرع أو تخبط فأدبه في ذلك أن يسلم نفسه لوارده وبعد سكونه يكون متلقيا له ما استطاع وبملازمته الذكر يجلو القلب فإذا كان في أول الجلاء تلوح له صور الخيال بألوان وأشكال فمن ذلك أن يشهد وجوده كغيم كدر فإن صحبه شيطان رآه كغيم أحمر . فإذا دمت على الذكر رأيت الذكر كنار تصعد وتحرق جميع الشهوات ثم يتخيل لك كأنك في مفازة تقطعها ثم كأنك في بئر تنزل فيه ثم كأنك ببلاد وقرى ثم ترى بك كأنك صعدت من البئر ثم تشهد خضرة وهي علامة حياة قلبك ثم تشهد نارا صافية وهي علامة قوة الهمة فإن رأيت اختلاطا في الألوان فهي حالة تلوين وثبات الخضرة تميكن ومعه تسطع الأنوار وفي هذه الحالة ترى القلب كمياه صافية لأنه مرآة الوجود ثم

ترى العالم كأنه بئر عميق جدا تراه فوقك ثم أمامك ثم تحتك ثم يعقبه نور أخضر وهذا السير يكون في النوم واليقظة فافزع إلى الذكر ترى أعجب مما رأيت ثم يحصل لك فناء وترى الوجود كبئر من نور فيه خضرة فإذا أظلم فلنزول الشياطين فيه يمانعون ملائكة الرحمة وورود الملائكة من خلفك لأجل استناد ظهرك فإنهم والسكينة من فوق وبها تكون الطمأنينة وفي هذه الحالة يتبدل الشوق بالمشاهدة وينكشف الغطاء عن البصيرة في معنى حلاوة الذوق وتنقلب الحواس فتسمع وترى وتبطش وتمشي بغير ما كنت تعهد من حاسة وجارحة ولا يمنعك بحر ولا نهر ولا علو ولا سفل حتى تطير في الهواء وتمشي على الماء ثم يظهر لك لون كالعقيق وهو الكبير الحامل على الخير المانع من الشر وهو محل نزول الواردات الثقال التي هي كالجبال المبشرة برفيقة الوراثة الربانية من الحقيقة المحمدية فيحصل الاستغراق فتسمع هدير الماء ودوي الفرع وخبط الخيل وهفيف الشجر .

وسر ذلك كون الآدمي مركبا من النفيس والخسيس ثم يفتح الذكر لك بابا من فوق رأسك لأن الذكر كلمة طيبة تصعد فتثمر نزول الواردات وتملأ نورا حتى كأن القلب قَليب والذكر كأنه دلو يستقي فعنده تقع حركة القلب بلا قصد فلو فترت عن الذكر تحرك قلبك بالذكر في صدرك كولد في بطن أمه وذكر القلب يشبه رنة النحل ثم يحصل استغراق ثانٍ عند وصول الذكر إلى السر لغيبة الذاكر في هيامه ومن علاماته أن لا تخمد نيرانه ولا أنواره بل لا تزال صاعدة ونازلة وذلك أن ذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور في حضرة المذكور وهذا هو ذكر السر وفي الحِكَم : **لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه فعسى أن يرفعك من ذكر مع غفلة ـ ذكر لسان ـ إلى ذكر مع وجود حضور ـ أي ذكر القلب ـ ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع الغيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز** .انتهى من « **أسرار الحكم** » .

ثم يكشف عن أنوار صاعدة وهي أنوار قلبك من ثمرات ذكرك قال تعالى ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ أي إلى الله تعالى يصعد من القلوب أنوار الذكر وأنوار نازلة من العرش على قلبك فإذا فني وجودك الجسماني عن شهودها من النور إلى النور فتصعد منك وتنزل منه وجواهرك تقبل

الزيادة دون جواهر العرش فيحنّ ناقصك إلى كماله ثم يستقر بأن تجيئان وينجذبان ثم يكبر جوهرك على مناسبة فيجذبه وينزل عليك وهو سر السر عند هذا الأمر تجد النور كأنه تجد النور كأنه ينبع من بين عينيك ثم يعم الوجه فترى أمامك وجها كوجهك من خلف نور مع شمس تجيء وتذهب كالأرجوحة وذلك وجهك حقيقة والشمس شمس روحك تتردد في بدنك ثم يعمّ بذلك الصفاء فتشهد بين يديك شخصا تتولد منه الأنوار ويسمى هذا الشخص « **شيخ الغيب** » وميزانه متى رأيته بسواد أو خضرة أو بشيء من الدوائر فنقص وظهوره خير ، وفناء الدوائر نهاية الكمال لا الشخص بل به سيرك وعروجك وهذا هو اللطيفة الربانية المتعلقة بالبدن وتعلق تدبير وتصرف الداعية إلى الله التي تأخذك إلى الله وهي الحاملة لأمانة الله تعالى وهي المتقدمة على السموات والأرض التي تقدم أنها تسمى قلبا وروحا ونفسا وعقلا ثم تشهد كتبا بألسنة مختلفة وتفهم منها علما لدنيا ونهاية المعرفة وثمرتها المحبة له تعالى فإن لازمت الذكر هجمت عليك جنود الذكر كجراد ولها رنة كرنة النحل وتصفو لك الجمادات لقوة الواردات وتراها كزجاجة ثم يتولاك الله ولايته الخاصة ويحفظك بها من كل محنة وترى هذا الحفظ عيانا ثم يشهد افتقارك إليه أبدا وهذا من أجل الاعتناء بك ثم يفتح لك باب إجابة فبها تدعوه ولو دعوته بقلبك دون لسانك ، ثم يأتيك باسمه الأعظم ثم يكشف لك عن شيء من علم كن ، ثم يخرجك عن كل شيء إليه تعالى . انتهى بتغير ما

وليعلم يقينا أن النور الحقيقي منزه عن أن يكون ملونا ومشكلا ومتحيزا في جهة من الجهات وكل ما كان كذلك فهو من قبيل الخيال يتبدل في الخيال وليقل كما قال الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام : **إني لا أحب الآفلين** .

وقد خلق الله تعالى سبعين ألفا حجاب من نور وظلمة وجعلها أستارا لكعبة الأسرار غيرة عليها وأشار إلى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة** » ومن هذه الحجب السبعين ألفا عشرة آلاف ظلمانية مستكنة في اللطيفة القالبية ولونها كدر فإذا اشتغل في الذكر واشتعلت نيرانه يشاهد تلك الظلمات المنطبقة بعضها فوق بعض فإذا

صلح الوجود صفا وابيضّ مثل المزن الأبيض ومنها عشرة آلاف كافية في اللطيفة النفسانية ولونها أزرق وفيضان النفس على الموجودة وتربيته منها فإذا صفت وزكت أفاضت عليها الخير وإن أفاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر ، ومنها آلاف موضوعة في اللطيفة القلبية ولونها أحمر مثل لون النار الصافية وقد يكون معها دخان ومنها عشرة آلاف مكنونة في اللطيفة السرية ولونها أبيض مثل لون الزجاجة البيضاء الصافية التي وقعت عليها الشمس ومنها عشرة آلاف موضوعة في اللطيفة الروحية ولونها أصفر في غاية الصفاء ومنها عشرة آلاف مدرجة في اللطيفة الخفية ولونها مثل لون السجنجل المصقل وفي هذا المقام يصل من اللطيفة الأنانية إلى ينبوع الحياة ومنها عشرة آلاف موجودة في اللطيفة الخفية التي قامت بها هذه اللطائف ولونها أخضر تقر به الأعين وتفرح به القلوب وهو لون حياة القلب وهو من وراء هذه الأستار يظهر أنوار اللطائف السبع .

وعلامة صفاء القلب ظهوره بالنور الأصفر وعلامة صفاء الروح ظهوره بالنور الأحمر وعلامة صفاء السر ظهوره بالنور الأبيض وعلامة صفاء الخفي ظهوره بالنور الأخضر وعلامة صفاء الأخفى ظهوره بالنور الأسود .

وأشكال هذه الأنوار ترى قبل حصول الفناء وأما بعده فباتصاف الوجود الموهوب الرفرفي من الباري تعالى والبقاء الأول بالصفات فإن نور الجميع على شكل واحد وهو لون العقيق وأما بعد البقاء الحقيقي فبالذات ونور الجميع بلا لون ولا كيف فهذه المقامات الخمسة . وكل واحدة منها على قدم نبي من أولي العزم **فالقلب** تحت قدم سيدنا آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام أي تحت ولايته وأصل وصول هذه اللطيفة صفة التكوين والمناسب لها تجلي الصفات الفعلية وعلامته أن يكون السالك فانيا مستهلكا في فعله تعالى ويجرد فيه البقاء أيضا وفي تلك الحالة يجد السالك نفسه مسلوب الفعل وينسب جميع أفعاله إلى الفعال الحقيقي جلت عظمته وهذا باعتبار غلبة شهوده وصفاته الفعلية وفناء القلب والتجلي الفعلي هو عبارة عن هذا ، وهذه النسبة ليست كنسبة الجبرية أفعالهم إليه تعالى بالكلية وهو زيغ وضلال أعاذنا الله تعالى منه بل الجزء الاختياري فيه باق على ما هو عليه ولكنه يضمحل وينمحي بتجليه تعالى له بالصفات

الفعلية ولا يلزم فيه نفيه وسلبه بالكلية كما أن النجوم موجودة بالوجود الخارجي دائما مع أنها تضمحل بحسب الشهود عند ظهور الشمس فلا يلزم من ذلك نفي وجود النجم وسلبه لأنه مركوز في فلكه كما هو المقرر عند الحكماء أو سار أو جار فيه كما هو المحرر عند الفقهاء .

والروح تحت قدمي سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وأصل أصول هذه اللطيفة صفة العلم لكن بتفصيله لا بإجماله والمناسب لما تجلى الصفات الثبوتية وعلامة تجلي الصفات الثبوتية أن يجد السالك نفسه فيه مسلوب الصفة بل ينسب جميع صفاته إلى الله تعالى كنسبة الأفعال إلى الله تعالى

والسر تحت قدم سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وأصل أصول هذه اللطيفة صفة الكلام والمناسب لها تجلي الشؤون والاعتبارات فالشؤونات الإلهية فرع للذات الأحدية والصفات متفرعة عنها والأفعال متفرعة عن الصفات فالأسماء كالخالق والرازق مثلا متفرعة عن الصفات والأفعال متفرعة عن الأسماء فسائر الموجودات مظاهر الأسماء الإلهية ومتفرعة عنها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فعلم مما قررناه أن الشؤون مغايرة للصفات لا عينها وهي عين الذات والصفات زائدة عليها في الخارج ومن لم يطلع على هذا الفرق زعم أن الشؤون هي الصفات فحكم بعينية الصفات مع الذات كما أن الشؤون عينها في الخارج وهو اعتقاد فاسد لأنه يلزم عليه نفي الصفات وإنكار ما عليه إجماع أهل الحق من زيادة الصفات على الذات في الخارج باطل .

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس الله تعالى سره في المجلد الأول من كتاباته الفارسية عند بيانه مخالفات الفرق الضالة لأهل السنة والجماعة ما ترجمته : ومن تلك المخالفات إنكارهم للصفات السبعية أو الثمانية في الخارج بوجود زائد على الذات عز سلطانه فإن علماء أهل الحق يثبتون الصفات في الخارج بوجود زائد على الذات وسبب إنكارهم أنهم شهدوا الذات في مرآة الصفات ومعلوم أن المرآة تخفي عن نظر الرائي حالة نظره ما يتجلى فيها فبسبب هذا الاختفاء حكموا بعدم وجودها في الخارج فظنوا أنه لو

كان موجودا لكان مشهودا فحيث لا شهود لا وجود وأنكروا على العلماء إثباتهم وجود الصفات بل حكموا بكفرهم وثنويتهم أعاذنا الله تعالى من الجرأة في الطعن ولو ترقوا من هذا المقام وارتقى شهودهم عن هذا المحل الذي هو من مزالق الأقدام وزال حكم المراقبة لرأوا الصفات على حدة وما حكموا بكفر هؤلاء . انتهى

أقول : ومما يرشح ذلك ما ذكره العلامة السيد محمود الألوسي عليه الرحمة في كتابه « الفيض الوارد » أنه لما قرأ حواشي عبد الحكيم السيالكوتي على حواشي الخيالي على شرح السعد للنسفية ورأى قوله نقلا عن المحقق الجلال الدواني في « شرح العقائد العضدية » أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الأصول يتعلق بها تكفير أحد الطرفين وأنه قد سمع عن بعض الأصفياء أنه قال : عندي أن زيادة الصفات وعدمها وأمثالها لا يدرك إلا بكشف ومن أسنده إلى العقل فإنما يرى ما كان غالبا على اعتقاده بحسب الفطرة ولا أرى بأسا في اعتقاد طرفي النفي والاثبات في هذه المسألة . انتهى

فحصل لي شوق عظيم لتحقيق هذا المبحث وأنه كيف هو عند الكشف الصريح والذوق الصحيح فأحببت أن أسأل حضرة الإمام الماجد مولانا الشيخ خالد قدس الله تعالى سره عن ذلك ليكون مرشدي في هاتيك المسالك فحجبني حاجب الحياء عن مشافهته والجلوس في مجلسه المنيف ومكالمته فكتبت إليه أبياتا أسأله فيها وأطلب منه تحقيق هذه المسألة ظاهرها وخافيها فلما فازت الورقة بلثم يديه وتشرفت بحلولها لديه وافتخرت بوقوع نظره عليها وباهت بتوجه فكره إليها ، دناني وأدناني وحياني وبياني وقال : لا ينبغي الحياء من اقتناص العلوم وأخذ المنطوق منها والمفهوم ففتحت الكتاب بين يديه وقرأت العبارات عليه وأنا مسند ركبيتي بركبتيه وقد جعل رأسه فوق رأسي لينظر ما في الكتاب وإني لأجد قلبي من عظيم هيبته قد ذاب ، فقرر وحرر وبين وفسر وقال : الحق المعول عليه القول بزيادة الصفات وأنها ليست عين الذات وأتى على ذلك بأدلة نقلية وبراهين عقلية فأسمعتها أذني ولا خطر شيء منها في ذهني ورد شبهة المعتزلة وكلما ذكرت له دليلا من أدلتهم أبطله حتى صفا لي الحق الحقيق وكرعت حميا الصواب في كؤوس التحقيق

فقال : هل بقي في ذهنك شيء من أوهامهم وبقية من كلامهم ؟ فقلت : لا ، متعنا الله بحياتك وأرشدنا بنور هدايتك وسنن كلماتك ، ثم قال هضما لنفسه وتواضعا بين أبناء جنسه : لا تظن أني علمت ذلك بالكشف ولكن رأيته في كتب المحققين من المتقدمين والمتأخرين ولست من أرباب الكشف وصحبه وأهل الذوق وحزبه فقبلت يديه ودعوت الله أن يسبل ثوب العافية عليه وأمثال ذلك لا يحصى ولا يعدّ ولا يستقصى فرحمه الله ما أعلمه وما أنجبه وما أحلبه

وَيُعْجِبُنيْ طَرْفٌ تَدِرُّ دُموعُهُ　　　عَلى فَضْلِهِ العاليْ فَلِلَّهِ دَرُّهُ

وناهيك بذا التقرير من هذا النحرير عن هذا الإمام الكبير فإذا علمت ذلك وتحققت ما هنالك تيقنت صدق الكلام السابق وجزمت بصحة المقال اللاحق

والخفي تحت قدم سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وأكثر الملائكة الكرام يشاركونه فيها وأصل أصول هذه اللطيفة الصفات السلبية فالمناسب لها تجلي الصفات السلبية وتجريد حضرة الذات من جميع المظاهر

والأخفى تحت قدم سيدنا ونبينا ومولانا ووسيلنا إلى الله تعالى أبي القاسم الأمين محمد صلى الله تعالى عليه وعلى كل نبي وآله وصحبه وسلم تبعا لخاتمهم ، وأصل أصول هذه اللطيفة صفة العلم لكن بإجماله لا بتفصيله فإن إجماله مبدأ تعيين خاتم الرسل عليه وعليهم الصلوات والتسليمات وتفصيله مبدأ تعيين سيدنا إبراهيم وسيدنا نوح عليهما السلام وذلك لأن صفة العلم لما كانت في مرتبة التعيين الوجودي وهي وإن كانت حصة منه لكن لما كانت له الجامعية صار نفس الوجود الجامع لجميع الحصص وهو أيضا له إجمال وتفصيل فإجماله في حكم مركز الدائرة وتفصيله في محيطها, فمركز هذا التعيين العلمي وهو إجماله ظل المركز التعيين الوجودي وبهذه العلاقة قالوا : إن مبدأ تعيين حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات إجمال صفة العلم فهذا الإجمال ظل مبدأ تعيينه وهو مركز التعيين الأول والوجودي وكان إجمال هذا التعيين العلمي مبدأ التعيين الأول باعتبار الظل في حكم الأصل .

وحاصله أن مبدأ تعينه لسان مركز الوجود ومركز العلم العلم والمرتبة التي هي فوق هذا الإجمال هي مرتبة اللاتعيين واسم الحياة باعتبار جامعية صار مبدأ لتعيين الملائكة العليين وروح الله له مناسبة بالملأ الأعلى فإذا كان له نصيب منه والصفات الثمانية وقعت في مرتبة التعيين الثاني بالنسبة إلى التعيين الوجودي فيتحصل من هذا أن كل لطيفة من تلك اللطائف مبدأ تعيين شيء من هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام فصفة العلم مبدأ التعيين لخاتم الرسل عليه وعليهم الصلوات والتسليمات والقدرة مبدأ لتعيين عيسى عليه السلام والتكوين مبدأ لتعيين آدم عليه السلام وجزئيات هذه الأسماء الكلية مباد لتعيينات سائر الأنبياء والأولياء الذين كانوا على قدم نبي منها فمبادئ تعييناتهم جزئيات الاسم الذي كان مبدأ لتعيين النبي الذي كانوا على قدمه فهذه الدائرة الوجوبية منتهى هذه التعيينات وتشخيص تلك المقامات لا تكون إلا بعلم السير الأنفسي والمناسب لصفة العلم الإجمالية تجلي الشأن الإلهي الجامع لهذه المراتب الكلية وفي هذا المقام يصير السالك متخلقا بالأخلاق الإلهية ومتحققا بالمقامات الأحمدية وسيره في تلك المقامات يكون في دائرة الأسماء والصفات وهو يتضمن سيرين ويسمونها بسير الاستطالة وسير الاستدارة ، فالأول قرب في قرب والآخر بعد في بعد فالسير الاستداري يكون في طي السير الأنفسي والسير الاستطالي يكون في السير الآفاقي فسير الاستطالة في الدائرة الإمكانية سواء كان آفاقيا أو نفسيا لأنه من الإمكان أيضا وسير الاستدارة في الدائرة الوجوبية . و هذا أقرب و أصوب كما هو ظاهر من إطلاق لفظ القرب و يكون الاول سير الاستدارة على تقدير الجذبات الإلهية فحينئذ يندرج الأول فيه بتحصيل الفناء والبقاء في الأوج والحضيض لتلك اللطائف المذكورة وبهذا يكون مستلزما لتكميل المراكز بأسرها والمحيطات لها بتمامها مدار هذه الطريقة العلية والسير إلى الله تعالى . وبعد إتمام هذين السيرين الآفاقي والأنفسي يشرف السالك بالدخول في دائرة الولاية الصغرى وهي تتضمن ثلاثة الدوائر و نصفا و ستأتي الإشارة الى تفصيل ذلك, و حينئذ يحق له الشروع في قطع دوائر الولاية الصغرى .

فإذا وقع السير في ظلال الأسماء الوجوبية انتقل شروعه إلى السير في الله تعالى وهي ظلال تقع فوق أصول هذه اللطائف وإذا تمّ هذا السير ووصل إلى نهاية هذه الظلال فقد أتم دائرة ظلال

الأسماء الوجوبية ووصل إلى نفس الأسماء والصفات الوجوبية وهذا هو نهاية الولاية الصغرى وحينئذ يتشرف السالك بحقيقة الفناء الأتم والبقاء الأكمل .

ثم يشرع في قطع الولاية الكبرى وهذه الولاية لها دائرة ظلية مقلومة وهي إشارة لمبادئ تعيينات الخلائق وذلك يشمل الأنبياء الكرام والملائكة العظام عليهم الصلاة والسلام فظل كل اسم من الأسماء هو مبدأ تعيين شخص من الأشخاص ولذلك قيل : إن مبدأ تعيين الصديق الأكبر رضي الله عنه أفضل بعد الانبياء من كافة الخلائق حتى قالوا إن السالك إذا وصل إلى الاسم الذي هو مبدأ تعيينه فقد أتم السير إلى الله تعالى والمراد من هذا الاسم ظل الاسم الإلهي جل شأنه وجزء من أصل أجزائه . فهذا الاسم هو الاسم الذي يكون مبدأ تعيينه ، فمبدأ تعيين سيدنا الصديق الاكبر رضي الله عنه نقطة فوق هذه الدائرة الظلية وهذه الدائرة هي تفصيل مرتبة الأسماء والصفات في الحقيقة مثلا العلم صفة حقيقية لها جزيئات فتفصيل هذه الجزيئات هو ظلال هذه الصفة الحقيقية فإنها مناسبة للإجماع فكل جزء من هذه الصفة الحقية حقية شخص سوى الأنبياء الكرام والملائكة العظام عليهم أفضل الصلاة و أتم السلام و مبادي تعينات الانبياء الكرام و الملائكة العظام, أصول هذه الظلال يعني كليات هذه الجزئيات المفصلة كصفة العلم وصفة القدرة وصفة الإرادة وصفة الكلام وغيرها لكن مبدأ تعيينات الأنبياء الكرام الاسم الظاهر ومبدأ تعيينات الملائكة العظام الاسم الباطن وأكثر الخلائق يشتركون في صفة واحدة وهي مبدأ تعيين كل واحد منها بالاعتبارات المختلفة مثلا مبدأ تعيين خاتم المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم صفة العلم فهذه الصفة أيضا مبدأ تعيين سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم عليهما السلام وإجمالها مبدأ تعيين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وتفصيلها مبدأ تعيين نوح وإبراهيم عليهما السلام وقد سبقت الإشارة إلى ذلك

فإذا وقع العروج في نفس دائرة الأسماء والصفات التي هي أصل لدائرة الأسماء المتقدمة فيكون السير في الولاية الكبرى فهذه الولاية مخصوصة بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام بالأصالة وورثتهم بالتبع وهذه الدائرة نصفان : نصف أسفل ونصف أعلى أما النصف الأسفل

فيتضمن الأسماء والصفات الزائدة على الذات تعالى وتقدس والنصف الأعلى فمتضمن للشؤون والاعتبارات الذاتية فنهاية العروج اللطائف الخمسة الأمرية هي نهاية دائرة الاسماء والشؤون .

ثم إذا وقع الترقي بمحض الفضل من الفياض المطلق جل وعز من مقام الصفات والشؤونات يكون السير في دائرة أصول هذه الأسماء وبعد طي هذه الدائرة في أصول أصول هذه الأصول يظهر القوس من دائرة الفوق فيكون السير فيه بسيطا فإذا لم يظهر قوس ثان من دائرة الفوق فليكتف بالقوس الأول ولكن لا يقدر على بيان هذا السير فحينئذ تكون النفس مطمئنة ومرضية وهذا نهاية الولاية الكبرى وعندما يصل السالك إلى هذا المقام يخطر بباله أنه قد أتم السير وانحصرت الكمالات الباطنية فيجيبونه بالنداء في الأذن الباطنية : إن هذه الكمالات التي حصلتها هي تفصيل الاسم الظاهر وهو جناح واحد للطيران في العالم القدسي فالآن بقي عليك الاسم الباطن وهو امام وهو جناح آخر له فكيف يتحقق لك الطيران بجناح واحد وهو محال .

فإذا حصلت نهاية السير في الاسم الباطن وتحققت فيه تكون حينئذ حصلت الجناحين ومتى شئت طرت لأن السير في الاسم الظاهر هو سير في الصفات من غير ملاحظة الذات في ضمنه تعالى وتقدس وأما السير في الاسم الباطن فمسير في الاسم كذلك إلا أنه ينبغي للسالك أن يلاحظ ذاته تعالى وتقدس في ضمن هذا السير مثلا لا يلاحظ في صفة العلم ذات الله تعالى أصلا وإنما يأخذ العلم بأنه صفة قديمة أزلية يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به وفي اسم العليم يلاحظ ذاته تعالى وتقدس فإن العليم ذات ثبت له العلم فإذا كان الأمر كذلك فالسير في العلم سير في الاسم الظاهر والسير في العليم سير في الاسم الباطن وقس على هذا سائر الصفات والأسماء التي تنطق بالاسم الباطن وهي مبادئ تعيينات الملائكة للملأ الأعلى على نبينا وعليهم الصلوات والتسليمات والشروع في هذا السير وفي الاسم الباطن كالعليم مثلا وضع القدم في الولاية العليا والملأ الأعلى مشرفون بهذه الولاية والفرق بين العلم والعليم مقدار مركز الأرض ومحدب الفلك الأطلس

واعلم أن هذه الترقيات بالأصالة نصيب العنصر الناري والهوائي والعنصر المائي دون العنصر الترابي فإن الملائكة الكرام لهم نصيب من هذه الثلاثة كما ورد في الحديث أن بعض الملائكة مخلوق من نار وثلج وتسبيحهم : **سبحان من جمع بين النار والثلج .**

ثم يحصل الترقي للترابي بالتبع فلذا يتأخر لكن حصول الحظ الوافر له من العناصر الأخر بل هو أصل بهذا الاعتبار وإن كان باعتبار الترقي فرعا لهم لأن هذا العنصر مخصوص بالبشر فبالاعتبار الأول خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ثم بعد طي هذا السير يظهر سر قاب قوسين أو أدنى وهذه الولايات بأسرها سواء كانت صغرى أو كبرى أو عليا ظلال كمالات النبوة فهؤلاء الكمالات كالشيخ لها فافهم وبالله التوفيق

ومتى حصل السالك على هذه المقامات المتعالية ووجد أخلاقه القبيحة وأوصافه الرذيلة متبدلة بالأخلاق الحميدة والأوصاف الحسنة في عالم المثال وخرج حب الدنيا من قلبه وحصل التوكل والصبر وشاهد هذه المعاني الشريفة في أثناء السير في عالم المثال بالترتيب في التدريج ورأى نفسه مبرأة من الكدورات البشرية والصفات الرذيلة وحصل الجذبة بعد السلوك ووجد التزكية والتصفية في اللطائف كلها وكذا النفي والإثبات بحيث تكون هذه المقامات هو مورد تجليات جزئيات الاسم الجامع مع قطع السير الأنفسي وخلافه وانصقل فيه العالم الصغير وظهر فيه بطريق المراقبات كالأحدية والمعية والأقربية وخلافها جميع ما في العالم الكبير وذهبت الظلمة الطارئة له وظهر فيه بطريق المراقبة والكشف جميع ما في العالم الصغير وانتهى به الحال إلى الوصول من الصفات الوجوبية وصار قلبه الضيق الأوسع والبسيط الأبسط والأقل الأكثر باعتبار الصورة والحقيقة لأن الباري تعالى ما خلق شيئا مناسبا لمظهر تجلياته أكمل منه فلا جرم يظهر فيه ما لا يظهر في غيره من المخلوقات ولذا قال تعالى في الحديث القدسي : « **ما وسعني أرضي ولاسمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن** »

والعالم الكبير وإن كان واسع المزايا للظهور إلا أنه لكثرته وتفصيله لا مناسبة له لمظهر تجليات صانعه جل وعز والأحرى للمظهرية هو الضيق الأوسع والبسيط الأبسط والأقل الأكثر وهو

الحقيقة الجامعة المعبر عنه بالقلب وإذا بالغ السالك إلى هذا المقام العزيز يخلع عليه مقام قطب الإرشاد فحينئذ يصير قلبا للعوالم والظهورات بأسرها وكما خص الله تعالى بهذا المنصب العظيم من هذه الأمة المحمدية حضرة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني مولانا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي وأولاده الكرام وخلفاءه العظام خص به حضرة سيدي المجددي صاحب المقام المحمدي مولانا خالد العثماني النقشبتدي بواسطة القطب الأعظم مولانا الشاه عبد الله العلوي المشهور بغلام علي المجددي الدهلوي فكان قيوم الزمان وقطب الدوران فالأقطاب والأبدال والأوتاد داخلون تحت أنوار هدايته والأفراد والآحاد والأنجاب وسائر فرق الأولياء مندرجون تحت أعلام تربيته لأنه هو النائب مناب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتيسر هذا المقام لأحد إلا بكمال المتابعة له عليه الصلاة والسلام

فلنكتف بهذا المقام بهذا المقدار لأنه مما كبر على المتعصبين أرباب الأغراض وثقلت عليهم حقيقته وهم عنها في إعراض فماذا يقولون في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** »، والمراد من المضغة القلب الحقيقي فالتوجه إليه ـ أي القلب ـ توجه إليه لمناسبة واتصال معنوي بينهما فالمعنى إذا صلحت المضغة أي قبلت البقاء على أصل فطرتها الإسلامية فكانت محلا للتجليات الربانية صلح الجسد أي سائر الأعضاء بالأعمال والأفعال والأقوال والأحوال

وقوله كله أي كل جزء من جميع أجزاء الجسد من الجزء الذي لا يتجزأ وإذا فسدت أي خرجت عن حقيقتها العلوية فاحتجبت عن حضرة الأحدية بالكثرة الوهمية فسد الجسد كله أي جميع أجزائه كما تقدم بعدم القيام بما أمر الله تعالى به من اتباع الشريعة المطهرة وموالاة أوليائه وأصفيائه الكرام البررة

فإن قال الأخ المنكر للرابطة تاب الله عليه : إن عملكم الرابطة وانتفاعكم بسببها سلمناه ورجعنا عن التعصب فيه لما أوردتموه من الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ولكن هل ثمّ نور غير العلم الذي أخذناه بالتلقي والاستفادة والتحصيل عن الأساتذة ومن أين لكم أن الإنسان بمجرد

جلوسه بمقابلة آخر وإن كان صالحا تحصل له بتوجهه الأنوار والحالات ويترقى إلى أرفع المنازل والمقامات ؟

قلنا : عن ذلك ان العلم قسمان : علم الظاهر وهو يحصل لمن جدّ واجتهد في طلبه مطلقا وعلم الباطن وهو لا ينال إلا بالتقوى وإليه الإشارة بقوله : ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾ وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم** » وفي الحديث الشريف أيضا :« **العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم** » .

شَكَوْتُ إلى وَكيعٍ سوءَ حِفْظيْ فَأَرْشَدَنيْ إلى تَرْكِ المَعاصيْ

وَقالَ : اعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ نورٌ وَنورُ اللهِ لا يُهْدى لِعاصي

ولو أن العلم المراد المعبر عنه بالنور هو ما حصل للأكثر لكان كثير من أهل البدع والاعتزال أولى به من غيرهم فإن منهم من هو أكثر الناس علما وأثقب فهما وأوضح تقريرا وأفصح تحريرا وإنما هي نفس انتقشت فيها الرسوم فاشتغلت بالأغيار عن الحي القيوم فترك الإنكار البتة قد علمنا ما جهلته الناس وعرفنا ما عرفته ولله در الإمام الدوسري حيث قال :

أما والذي قد أوجَبَ النصح إنني منحتك مَحْضَ النُّصْحِ فاغْنَمْهُ تَهْتدي

وكُنْ مُسْتَفيداً ما مَنَحْتُكَ شاكراً صَنيعيْ وَلا تَكْفُرْ جَميليْ فَتَعْتَديْ

فَإنَّ لأهل الله أعظم حرمةٍ متى يَنْتَقِصْها المَرْءُ بالسوء يُقصَدِ

فيحيا حياة بالمعاصي مَشوبةً ويسكن في دار المسيئين في غدِ

فيا ويل عبدٍ يدّعي للرشد وهو ذا يروح ببغض المتقين ويغتدي

وَيَخْتالُ في ثوب الغوايات معجبا وهيهات من يرشد عن الغيِّ يبعدِ

إذا دار في أهل العبادة بالقَلا وبارزَ أهل الذكر بالكلم الردي

فقد حارب المعبودَ فالله خصمهُ فيلبسه ثوبَ الشقاء المجرّدِ

فيالغرورٍ جرّ صاحبه إلى شرور فجِدْ عنه وقارِبْ وسدّدِ

فإن كانت الرغبة في سلوك سبيل أهل المعرفة والتوحيد فألق سمعك لما نتلوه عليك وأنت شهيد وافتح عينك تبصر ما نطلعك عليه من نفائس العرفان وما ينتج من مجالسة أعيان الشهود والعيان

قال سيد العرب والعجم صلى الله تعالى عليه وسلم : « **إنما مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبةونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة** » رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه** » .

قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب :رواه أبو داود والنسائي وهذان الحديثان الشريفان يصلحان أن يكونا دليلا للتوجه والرابطة أيضا لأن من لفظهما ومعناهما ما هو مطابق للواقع فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه الجليس الصالح بحامل المسك ثم ذكر أنه يحصل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد واحدة مقطوع بها وهي وجدان الريح إذ لا مانع منها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم :« **إما أن يجديك** » أي يعطيك بلا عوض والعطاء هنا على سبيل الإشارة إفادة علم أو حال بتوجه أحد أرباب الكمال ويكون منه هذا الفضل الموهوب للمراد الذي سبقت اليه السعادة والمحبوب

وَنَظْرَةٌ مِنْهُ إنْ صَحَّتْ إلَيْهِ عَلى سَبيلِ وُدٍّ بِإِذْنِ الله تُغْنيهِ

وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **وإما أن تبتاع منه** » أي تقدم له عوضا على ذلك من نوافل الخيرات وفواضل المبرات وهذا شأن المريد السالك وقد يكون ذلك بمجرد طلب اللسان واستمداد الجنان فيلحظك بعين عنايته ويمدك بلطائف روحانيته وهذا الأخذ والعطاء المعنويان مدرك عند أهلهما بالوجدان فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه ولا يعول عليه إذ لا يستوي الأعمى والبصير كما لا يستوي حامل المسك ونافخ الكير ، ومن يقل للمسك أين الشذا كذّبه في الحال من شمّا

ولله در القائل :

دلائلُ العِشْقِ لا تَخْفى عَلى أَحَدِ كَحامِلِ المِسْكِ لا يَخْلو من العبقِ

وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم :« **وإما أن تجد منه ريحا طيبة** » أي يسري إليك من حاله ما تنتفع به وهذه الجملة مطابق ظاهرها فعل التوجه إذ هو انعكاس حاصل تارة بالفعل من غير استدعاء وإليه الإشارة بـ « **تبتاع منه** »[54] وتارة بالاستدعاء والفعل وإليه الاشارة بـ « تبتاع منه » وتارة بانعكاس من غير استدعاء ولا فعل وإليه الاشارة بـ « **تجد منه ريحا طيبة** » وعبر بالوجدان دون غيره من الألفاظ لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح .

وفي الحديث :« **تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين** » والجليس إما أن يكون ناطقا أو صامتا وحصول الفائدة من الجليس الصامت لا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه .

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **خياركم الذين إذا رؤوا ذُكر الله** » فإنه إذا رأى المنسوب ذكر المنسوب إليه لا سيما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبة والاعتقاد الصحيح فإنه يحصل بها عن القلب رفع الحجاب فينقش فيه ذكر الكريم الوهاب فإذا كانت رؤيتهم

---

[54] لعله بـ (يحذيك)

ومجالستهم منتجة ذكر علام الغيوب فالتوجه أبلغ في حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب فقل لمن لم يسلك ولم يذق من شرابه السلسبيل :

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهمُ

وهذه الكيفية عليها مدار أهل الطريق لأنها أقرب في إيصال المريد إلى الدرجة العليا من درجات التوحيد على التحقيق

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنه لما خص الله تعالى القلب بهذه الخصائص الفائقة تضاعف الذكر فيه بتلك المضاعفة السابقة فكان حقيقا بالاعتناء بشأنه وصلاحه بالتوجه من المرشد الكامل ليتجرد عن الأغيار وينصقل بكثرة الأذكار فترتسم فيه شموس الأنوار لأنه محل نظر الرحمن وموضع الإيمان ومعدن الأسرار وبصلاحه يصلح الجسد كله كما بيناه لك عن النبي المختار صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم كيف وعليه في صحة العبادات الاعتقادية والعلمية المدار فلا يكون العبد مؤمنا إلا بعقد القلب على ما يجب الايمان به ولا تصح عبادة إلا بنية قلبية سواء كانت العبادة بدنية كالصوم والصلاة والحج أو مالية كالزكاة لتتميز العبادة عن العادة فالقلب محطّ لجميع العبادات وقد جاء في نعته بالإيمان والخشية والإنابة والذكر والتقوى والسلامة آيات كريمة قال الله تبارك وتعالى : ﴿**كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ ، ﴿**وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم**﴾ وقال تعالى : ﴿**من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب**﴾ ، ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾ ، ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ ،﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ .

وقد كان السلف الصالح يجتهدون في قطع العلائق ورفع الشواغل عن القلب والعوائق ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبة خالقه ، قالت رابعة رحمها الله تعالى : شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله تعالى ولو تركوها لجالت في الملكوت ثم رجعت إليهم بطرائف الفوائد .

قال خالد بن معدان : ما من عبد إلا له عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا وعينان في قلبه يبصر بهما ما وعد الله تعالى بالغيب وإن أراد الله تعالى غير ذلك تركه على ما فيه ثم قرأ : ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾ .

وقال أحمد بن خضرويه : القلوب أوعية فإذا امتلأت من الباطل اظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح وإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح .

وقال أبو تراب ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب وإصلاح الخواطر منتجة تطهير الباطن وتطهير الباطن لايتأتى بدون توجه الشيخ الكامل وتوجهه عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك وصب ما في صدره أولا بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم :« **ما صبّ الله في صدري شيئا إلا وقد صببته في صدر أبي بكر** » . وأبو بكر رضي الله تعالى عنه هو واسطة في هذه الطريقة العلية الصديقية النقشبندية المجددية الخالدية ولم تزل مشائخ هذه السلسلة الذهبية تتوارث الصب المذكور كابرا عن كابر إلى يومنا هذا لا زالت مرسومة على جبهة الدهر بأحرف نورانية تزيل عن قلوب سالكيها الحجب الظلمانية .

ولنكتف في هذا الباب بهذا المقدار من العبارة فإن المنصف الموفق تكفيه الإشارة والبليد لا ينفعه التطويل ولو تلوت عليه التوارة والإنجيل .

وصلى الله على سيدنا محمد طبيب القلوب وعلى آله الكرام واصحابه البررة الأعلام الذين فتحوا أقفالها بمفاتيح الغيوب مازالت محبتهم رابطة للسادة الأخيار فانطلقت بذلك أسرارهم من سجن الأغيار والحمد لله رب العالمين .

تمت هذه الرسالة على يد مؤلفها العبد الذليل الضعيف الفاني محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي العثماني خادم الفقراء والعلم الشريف بخانقاه المرحوم السلطان سليمان خان بدمشق

الشام في أول محرم الحرام سنة ألف وثلثمائة وخمسة من هجرة من له العز والنصر والجاه والحمد لله رب العالمين آمين .

قد فرغ الكاتب الكئيب الطالب المرجو إلى حضرة رب العالمين

محمد عارف ولد قطب الإرشاد خليفة ذي الجناحين

العالم الورع الأديب الحسيب النقشبندي الشاذلي

القادري حسن حلمي أفندي القحي

رزقنا الله تعالى من فيوضاته وبركاته

من كتبة هذا الكتاب وقت الضحى

في شهر الله شعبان

سنة **1342**

ومطلوبي الغفران

آمين .

و قابلته بأصله و صححته بقدر الطاقة

و لله الحمد و المنة و له الشكر

على هذه النعمة

و سلام

منه